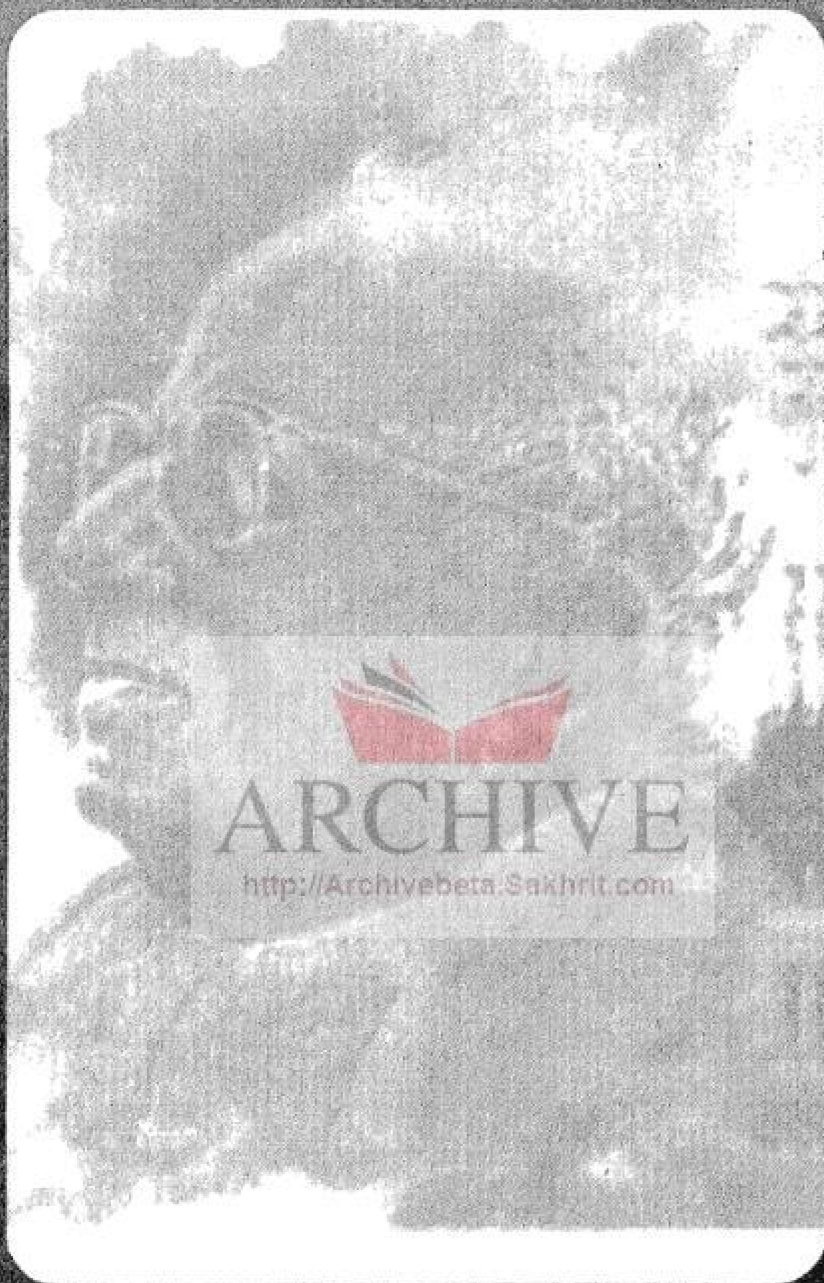
الهلال

مائة وخمسون عاما على

فن التصوير




قمم عربية
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهلال

مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجي زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

السنة السادسة والتسعون . أول فبراير ١٩٨٩ . جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ

باقة حب للأديب يحيى حقى

فى الأسبوع الأول من هذا الشهر يطفىء الاستاذ يحيى حقى شمعة جديدة فى عمره المديد اربعة وثمانون عاما من العطاء المتدفق فى الابداع الروائى والقصصى والسينمائى وفى فنون متباينة من النثر الادبى بحيوية وحضور فى كافة انشطة الثقافة منذ اكثر من ستين عاما

يحيى حقى ..

قمة فوق توباد الابداع اعطى لقرائه الكثير وحاورهم بلغته الخاصة التى اقتربت من وجدانهم ، واصبحت مالوفة على مسامعهم .

وبهذه المناسبة تقدم الهلال باقة حب جديدة كتبها مصطفى درويش فى صفحة ٥٢ من هذا العدد .

في هذا العدد



صورة الغلاف :
إذا كانت صورة الزفاف أكثر الصور تسجيلا . فأبرز حفلات الزفاف كانت بين فاروق وفريدة
انظر اليوم صور تنفرد بها « الهلال » في مناسبة مرور ١٥٠ سنة على التصوير

الغلاف
تصميم الفنان
محمد أبوطالب

فكر وثقافة

دائرة الحوار

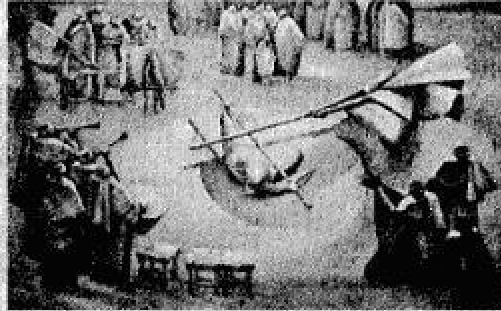
أحداث لها تاريخ

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى ، وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية . وفى الخارج بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال ، وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة بعاليه عند الطلب .

جولة المعارض



رسالة دمشق

قصة وشعر

الأبواب الثابتة

دار الهلال

١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة
خطوط مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨١
رقم التلكس 92703 Hilal U.N

ثمن النسخة

سوريا ٤٠ ليرة ، لبنان ٥٥٠ ليرة ، الاردن ٥٠٠ فلس ، الكويت ٤٠٠ فلس ، العراق ٣٥٠٠ فلس ، السعودية ٥ ريالات ، عدن ١٢٥ سنتا ، البحرين ٨٠٠ فلس ، الدوحة ٦ ريالات ، دبى ٦ دراهم ، لوس انجلوس ٤٠٠ سنت ، ابوظبى ٦ دراهم ، مسقط ٦٠٠ بيسه ، تونس ١٤٠٠ مليم ، المغرب ١٥ درهما ، غزة والضفة ٧٥ سنتا ، داكار ٦٠٠ فرنك ، لندن ١٢٥ بنسا ، ايطاليا ٢٥٠٠ ليرة ، نيويورك ٤٠٠ سنت ، اليمن الشمالية ٦ ريالات ، كندا ٥ دولارات

عزيزى القارىء

الكلمة والكاميرا

نحن امة تبحث عن المستقبل ...

تراثنا يمتد وراءنا الوف السنين ، ولكنه سوف يذهب ادراج الرياح إذا وقفنا عنده لانتخطاه ، متجاهلين حاضرنا ، غافلين عن مستقبلنا ..

فإذا تحركنا إلى المستقبل ولو بضع خطوات ، فإن اسلافنا الغابرين سيتحركون فى اجداثهم زهوا بنا وسرورا ، باعثين إلينا إيماءة تقول : إلى الأمام دائما .. إلى المستقبل ياابناءنا .. اذكرونا بخير واستفيدوا بافضل ماخلفناه لكم من تراث ، ولكن حذار من الرجوع إلى الوراء ! .. حذار ان تعيشوا معنا فى ماضينا فإننا لانعيش معكم فى مستقبلكم إلا بالذكرى والأسوة الحسنة ! .. اتركونا نطل عليكم من ماضينا البعيد وانتم سائرون إلى مستقبلكم السعيد ! ..

إن ماضى مصر والبلاد العربية محفور فى اعماق الوف السنين التى خلت ، والعالم كله شهيد على ذلك ، ولكن العالم كله مستعد لإلقائنا فى مهملات التاريخ إذا نحن جعلنا ذلك الماضى المجيد حاجزا يقوم بيننا وبين مستقبلنا الواقعى فى عالم جديد قلبته المتغيرات ظهرا لبطن ومازالت تعمل فيه عملها بالتغيير والتطوير بلا انقطاع ! ..

القرن الحادى والعشرون يفتح ذراعيه ، والامم تتقدم نحو ذراعيه المفتوحتين .. فليس يصح فى الاذهان ان ننكص نحن على اعقابنا عائدين إلى القرن الحادى عشر ، مع اننا وصلنا إلى الموقف الفاصل الذى نسال فيه انفسنا السؤال الشيكسبيرى المشهور : نكون او لانكون ؟! ..

والجواب اننا سنكون إن شاء الله ! .. ستبقى لنا كينونتنا إلى الابد ، وسنلحق بالأمم المتقدمة قبل ان تغيب عن انظارنا وهى راكضة إلى المستقبل غير عابئة بما تثيره وراءها من غبار فى وجوه المتخلفين ! ..

عزيزى القارىء

فى مستهل العام الجديد ١٩٨٩ نقدم إليك هذا العدد الممتاز من « الهلال » .. تذكارا للماضى ، وبشرى للمستقبل ..

لم يبق من القرن العشرين إلا إحدى عشرة سنة تمر كلمحة بارق ! .. إن العد التنازلى يوشك أن يتم ! .. لقد ذاب القرن العشرون كما تذوب الشمعة الصغيرة فى مهب الريح ، كانه لم يمتلىء بالعظائم ولم تنجز فيه البشرية اعظم منجزاتها منذ خطا الانسان على الأرض خطواته الأولى فى الزمن السحيق ..

وبين يدى العام الجديد نقدم إليك ـ عزيزى القارىء ـ سجلا مصورا نادرا يعرض

وموعدنا مع المستقبل

أمامك شريطا حافلا لمائة وخمسين عاما من حياة مصر والبلاد العربية والعالم ، فى الأدب والعلم والفن والسياسة والحرب والنضال الوطنى والقومى والانسانى ..

إن هذا الشريط التذكارى المصور يسجل ملامح مائة وخمسين سنة ، هى عمر « الكاميرا » .. تلك الآلة السحرية التى اخترعها الأوربيون والتقطوا بها الصور « الشمسية » منذ ذلك العهد .. ثم تطورت فى قفزات سريعة حتى بلغت ماهى عليه اليوم من قدرة باهرة تنقل إلينا الصور الحية من القمر والمريخ والكواكب والنجوم السابحة فى أعماق الكون .. فهى أداة يسجل بها الانسان تقدمه العاصف ، ويستخدمها فى دفع هذا التقدم إلى الأمام ..

وقد انعقدت بين الكاميرا والصحافة علاقة لاتنفصم ، فالصورة هى الوجه الثانى للكلمة فى الصحافة . وستجد فى هذا العدد من « الهلال » الكلمة المكتوبة التى اخترعها الانسان قبل سبعة آلاف سنة ، وتجد معها الصورة التى ابتكر الانسان أداتها منذ مائة وخمسين عاما فقط .. ولكن الصورة استطاعت فى هذا الزمن القصير أن تنافس الكلمة ذات التاريخ الطويل ، وربما تفوقت الكاميرا فى كثير من المواقف وغلبت الكلمة على أمرها ...

والكلمة والكاميرا تمضيان مع الانسان إلى مستقبله المنشود إنهما سلاحاه أمس واليوم وغدا ، فماذا عن الغد المصرى والعربى ؟! .. ماذا عن المستقبل ، ذلك الشىء المخبوء لنا وراء أستار الغيب ؟!

عزيزى القارىء

إن هذا العدد الممتاز التذكارى يقدم إليك رؤية عدد كبير من فضلاء المفكرين والباحثين لمستقبل بلادك فى الاقتصاد والتعليم والتكنولوجيا والعلاقات بيننا وبين قومنا العرب من المحيط إلى الخليج ، ومع الدول الكبيرة والصغيرة ، والعالم الأول والثانى والثالث ، ومع التوسع الصهيونى والهيمنة الاستعمارية سياسيا واقتصاديا ... إلى شئون وشجون أخرى كثيرة يتراكم بعضها فوق بعض حتى ليظن بعضنا الآن فى غمرة اليأس والأسى أنها باتت تسد طريق المستقبل فى وجوهنا ، ولكنها فى الحقيقة سوف تفتح لنا طريق المستقبل إذا عالجناها بالأسلوب الجاد الصحيح ! ..

إن ميثاقنا مع أسلافنا الكرام وأجدادنا الأعزاء أن نكون جديرين بأبوتهم العظيمة . ولن نكون جديرين بهذه الأبوة إلا إذا سارعنا إلى لقاء مستقبلنا فى موعده ، فإن الذين يريدون لقاء المستقبل لايستقدمون عن موعده ساعة ولايستأخرون !

المحرر

فزورة التاريخ

يحب القارىء عادة من الكاتب إذا طرح سؤالا ، أن يجيب عليه وهذا احيانا ظلم للكاتب ، فالكاتب ليس جهازا مستعدا للرد على كل سؤال ، ومن حق الكاتب ان يطرف بباله سؤال ما ، ويحار معه ، ولا يجد له ردا او تفسيرا ... فيطرح هذا السؤال على القارىء حتى إذا كان لايفعل إلا انه يشركه في حيرته فهذا امر مفيد ، يسحذ الافكار ، وقد يخف لنجدته كاتب او مفكر آخر ...

وهذا اولا - سؤال يلح عليّ منذ هويت قراءة التاريخ ، ثم فلسفة التاريخ بشتى مدارسها ولكنني اجده سؤالا شديد الصلة بحاضرنا وبكل مانفكر فيه من مشاكل ...

وكان آخر ما اهاجه في خاطري ، الالعاب الأوليمبية الأخيرة التي جرت في كوريا الجنوبية (والأمر لا علاقة له بالرياضة التي لا افهم فيها شيئا على الاطلاق) ..

هل طالت « الفزورة » ؟

الحكاية أن بعض الاقلام التي اشتهرت بالمناداة بالديمقراطية السياسية والنعم السحرية التي تجلبها على الشعوب ! وفي نفس الوقت ، بالطبع ، اللعن الشديد للدكتاتورية والويلات التي تجلبها على الشعوب وانتم ادرى بالقاموس في الحالتين ...

وعندما بهرت الألعاب الأوليمبية - دورة سيول - العالم ، كنت أقرأ نفس الاقلام تتنافس في تمجيد المعجزة الكورية ! وماحققته في فترة قصيرة . صناعاتها . انتاجها . النظام الرائع في دورة سيول الذوق الذي لامثيل له الذي تفوق على لوس انجلوس واكتسحها ...

وكنت اسأل نفسي : ألم يفكر هؤلاء في ان هذا التقدم المذهل قد تم في ظل حكم عسكري فاسد ومتوحش من أبشع ماراى العالم المعاصر من دكتاتوريات ؟ حتى ان التظاهرات الشعبية مازالت حتى الآن تجتاح كوريا لمحاكمة الدكتاتور



العسكرى السابق الذى ترك الحكم ؟ .. وان الشباب الكورى انتهز فرصة اقتراب الألعاب الأوليمبية والعالم الذى سينظر كله الى سيول ، فاسقط الحكم الدكتاتورى قبل الألعاب بشهور منتهزا الحرج العالمى والضغوط الدولية ؟

الم يجدوا اى تناقض ؟

ولست هنا ادافع بالطبع عن الدكتاتورية واهاجم الديمقراطية . على الاطلاق . ولكننى منذ صارت قراءة التاريخ احد همومى ، وانا اسأل هذا السؤال : ما الذى يجعل شعبا ما ينهض ويتقدم ؟ وما الذى يجعل شعبا ما ، يكون متقدما ناهضا ، يضمحل ويتقهقر ؟ واحيانا ـ او كثيرا ـ مايحدث هذا لنفس الشعب ولكن فى عصور مختلفة ؟ ..

هذا اعقد سؤال فى فلسفة التاريخ ليس له جواب فى حدود ما اعرف .. الذى اعرفه ان التقدم والتخلف عملية اعقد من هذا التبسيط . ديمقراطية او جواب دكتاتورية وان العوامل الداخلة فيه سياسية واقتصادية وفكرية واجتماعية . وظروف العصر . وتطور العلم . ونوع القيم والمعتقدات السائدة ... الخ .

ان المفكر السياسى لديه رد . والمفكر الاجتماعى لديه رد . وفيلسوف الحضارات لديه رد .. إلى آخره ولكن لاتوجد اجابة واحدة تقنعنى . بل اكاد اقول ان مجموع هذه الاجابات لايقنعنى . احاول دائما ان ابحث عن البعد الآخر المفقود . أو الابعاد الأخرى المفقودة .

اذا كان الشعب كجسم إنسان له العقل والقلب والايدى والأقدام والدورة الدموية . اى « إكسير » يدخل هذا الجسم فيجعله نشيطا دؤوبا طموحا خلاقا تتعلق مخيلته بالاعلام الكبار . او ينسحب من الجسم فيجعل الجسم نحيلا والعقل هزيلا والهمة متدنية ؟

هل هو سؤال فى فلسفة التاريخ ؟ ربما .

ولكنه سؤال يلزمنا جدا فى حياتنا المعاصرة ان نعثر له على جواب .

احمد بهاء الدين

الجامعة المفتوحة

القفز على الأشواك

بقلم:
د. شكري محمد عياد

فى تصور مستقبلى للتعليم

نقرأ بين الحين والحين عن مشروع الجامعة المفتوحة ، ويقال إن ثمة لجنة مشكلة فى وزارة التربية والتعليم لبحث التخطيط والتنفيذ . ولابد ان هذه اللجنة تقوم بأبحاث أو تكلف بعض الخبراء بأبحاث ، ولكن مثل هذه الأبحاث إن وجدت فهى لاتنتشر ، شأنها شأن البحوث الكثيرة التى تتداولها ندوات المتخصصين ، ولا نعرف عنها أكثر من بعض العناوين ، وناهيك بندوات الاقتصاديين ومؤتمراتهم ، ومشاكلنا كلها اقتصادية في الأساس ، ومن حق الناس ان يعلموا ويفهموا ، لأنهم بالعلم والفهم قادرون على ان يشاركوا فى إصلاح الحال ، وبغير العلم والفهم عبء على أكتاف المصلحين .

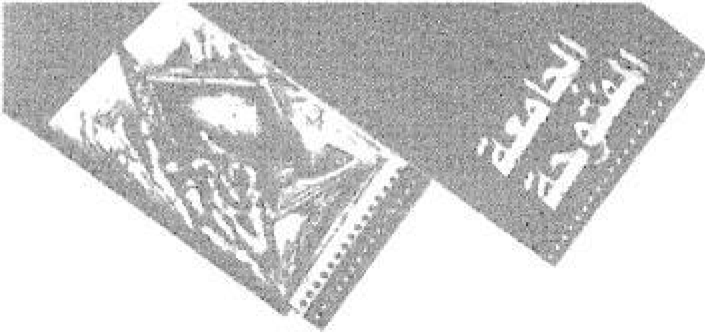
● وقد قيل عن التعليم إنه استثمار بشرى ، فالحديث عن التعليم قريب من الحديث عن الاقتصاد ، والحديث عن الاقتصاد يمكن ان يكون مدخلا الى الحديث عن التعليم ، وكلاهما ينبغى ان يكون مطروحا للنقاش على أوسع نطاق .

فكرة الجامعة المفتوحة مأخوذة فى أغلب الظن عن هيئة الاذاعة والتليفزيون البريطانية ، وقد شاهدت بعض برامجها ، وأعجبت بغزارة مادتها وبراعة عرضها ، وشاهدت كذلك بعض البرامج التى تنتجها



دائرة المعارف البريطانية ، ولاحظت كيف تستغل هذه المؤسسة العريقة وسائل الاتصال الحديثة لجعل مادتها العلمية اكثر تشويقا وفائدة . ولكن مشكلتنا نحن فى استعارة التكنولوجيا الحديثة هى نسياننا أنها لاتخرج عن كونها أدوات ، تحقق السرعة والانتشار والضبط فى الانتاج . أما المنتجات نفسها فعمل الفكر الانسانى . إن الحسّابة (الحاسب الالكترونى) تؤدى عمليات عقلية معينة بسرعة تفوق أضعافا مضاعفة سرعة الانسان ، ودون ان يعرض لها الخطأ أو النسيان ، ولكنها لاتعرف الا العمليات التى زودها بها المبرمج ، وليس فى استطاعتها ابتكار الحلول أو وضع النظريات . واذا كانت كل بضاعة الحسّابة من البرامج هى بعض الألعاب وجدتها لاتحسن الا هذه الألعاب . وما أشبهها الا بجنى الحواديت ، تدعوه فيلبى ، وتأمره فيطيع ، ويأتيك بما تريد فى لمح البصر ، ولكنه لايشير عليك بما ينبغى أن تريد .

فقبل استخدام الحسّابة فى التعليم ، وقبل تنظيم الجامعة المفتوحة ، يجب أن نفكر فيما نريده من التعليم ، وماذا يجب ان نعلمه للصغار أو للكبار ، وكيف يكون أسلوب التعليم وافيا بهذه الأغراض ، سواء أكان التعليم شفهيا فى قاعة مفروشة بالحصير ، أم كان معبأ فى



القفز
على
الاشواك

شرائط يديرها المدير وقتما يشاء ، أو يرسلها المرسل على أجنحة الأثير فتدخل فى وقت واحد الى كل البيوت .

وأعتقد أن المشرفين على جهاز الاذاعة والتليفزيون عندنا سوف يرحبون بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم فى مشروع الجامعة المفتوحة . فهم منذ الآن يفسحون فى ساعات ارسالهم مددا لا بأس بها لما يسمى البرامج التعليمية . وهذه البرامج يمكن ان تعتبر نواة للجامعة المفتوحة أو اعدادا لها ، وأغلب الظن ان المنطق السائد فى عملها سوف يتحكم أيضا فى الجامعة المفتوحة إن لم تتغير النظرة إلى التعليم واستخدام التكنولوجيا الحديثة فى التعليم . وقد استخدمت كلمة « اعداد » فى هذا السياق قاصدا معناها الدقيق : فكما أن المدرسة الاعدادية تعد الطالب للثانوية ، والثانوية للجامعة ، فمن المعقول جدا ان تكون البرامج التعليمية الحالية اعدادا لهذه الجامعة المفتوحة . وقد قيل بالفعل إن الغرض من الجامعة المفتوحة ، أو أحد اغراضها ، هو أن « تخفف الضغط » عن الجامعات .

وهذا هو الخطأ الكبير .

فالتعليم عندنا مرتبط بالشهادات . وهذه « الفلسفة » الفجة تمد سلطاتها على البرامج التعليمية فى الاذاعة والتليفزيون ، وقد شاهدت وسمعت عددا من هذه البرامج ـ فى مصر وغيرها ـ فهالنى جمودها وسقمها . ولا أظن أحدا يمكن أن يجادل فى أن الصفة الغالبة على التعليم عندنا هى التلقين . ودروس الاذاعة والتليفزيون أكثرها تلقين بحت يميت الفكر ويحيل الانسان إلى آلة صماء تردد ماحفظته او تطبق القواعد التى أودعت فيها ولاتحير جوابا اذا طرح عليها مشكل جديد . فكأنه حسابة صغيرة بدون مزايا الحسّابة . ولعل هذه « الفلسفة » ميراث من عهد دنلوب ، مستشار « وزارة المعارف » الانجليزى الذى إرسى قواعد « التعليم الحديث » فى مصر وجعله موجها الى تخريج صغار الموظفين فى حكومة الاستعمار ، وقاوم أشد المقاومة فكرة « الجامعة المصرية » ، ولعله أيضا سمة من سمات عصر التخلف الذى انتهت اليه الحضارة العربية الاسلامية قبل المواجهة الأخيرة بينها وبين الحضارة الغربية الناشئة المقتحمة . ومع ذلك يقتضى الانصاف لأنفسنا أن نقرر أن أعظم المجددين تأثيرا فى الثقافة العربية الحديثة ، ابتداء من رفاعة رافع الطهطاوى إلى طه حسين ، كانت نشأتهم الأولى فى الأزهر قبل ان يتصلوا اتصالا مباشرا بالثقافة الغربية فى أرفع صورها .

● فكرة الجامعة المصرية

وقد قامت الجامعة المصرية (الأهلية)

لتتم عملية تحديث الثقافة العربية على أساس صحيح بعيد عن نهج دنلوب الاستعماري . وبقيت اهلية الى ان حصلت مصر على استقلالها المشروط وأصبحت - نظريا - دولة مستقلة ذات سيادة ، تسعى الى التحديث بمحض ارادتها . ولاشك أن أساس التحديث هو تحرير الفكر . ولذلك أرادت الجامعة الناشئة أن تكون معقلا للفكر الحر ، وفى سبيل الدفاع عن حرية الفكر خاضت الجامعة معارك كثيرة ، ولم يكن صراعها ضد النهج الدنلوبى التلقينى هو أقل هذه المعارك ضراوة . وما كتبه طه حسين فى مقدمة « الأدب الجاهلى » عن تعليم الادب فى المدارس وثيقة تؤرخ لإحدى مراحل هذا الصراع . وكتاب « إحياء النحو » لابراهيم مصطفى والضجة التى قامت حوله وانتهت باشراك صاحبه فى اللجان التى شكلت لوضع كتب النحو المقررة فى التعليم العام مرحلة أخرى . ولا يزال الصراع ممتدا الى ايامنا هذه ، وان غطت عليه مشكلات عويصة أخرى أشد إلحاحا . فطوال العقود الأربعة التى أعقبت إنشاء الجامعة (١٩٠٨) ، أى إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية بقليل ، كان الصراع الطبقى كامنا تحت المطالب الوطنية والتحررية الغامضة ، ولذلك كان ابناء الفقراء لايتطلعون إلى إتمام تعليمهم فى الجامعة التى كانت مصروفاتها ، إلى جانب ما يمكن ان يتكلفه طالب يأتى من قريته أو مدينته الصغيرة ليقيم فى القاهرة ، أو الاسكندرية من بعد ، كافية لإعاشة اسرة كاملة من الأسر الفقيرة . بل كان التعليم الثانوى نفسه مطلبا غير يسير ، وكان الكثيرون يقنعون بتعليم متوسط ، زراعى أو صناعى . ومن ثم كانت الشهادة الجامعية علامة على منزلة اجتماعية ، لا على درجة من الكفاءة العلمية فحسب . ولما بدأ القلق الاجتماعى يساور النفوس ، كان مطلب المساواة فى التعليم سابقا على كل مطلب آخر ، إذ كانت « الشهادة » ، ولا سيما « الشهادة العالية » ذات قيمة رمزية فضلا عن قيمتها المادية كجواز مرور الى وظائف الحكومة . واخذت الصحافة تلح على ما سماه بعض كتابها « تكافؤ الفرص » ، ثم كان الشعار الذى أطلقه طه حسين « التعليم كالماء والهواء » ، وقد جعله قانونا حين تولى وزارة المعارف فى الوزارة الوفدية الأخيرة سنة ١٩٥٠ ، ولكنه وقف دون التعليم الجامعى ، الذى لم يلبث ان تقررت مجانيته فى عهد عبد الناصر .

وهكذا لم تعد الجامعة مشغولة فقط بقضايا التحديث وحرية الفكر ، بل ظهرت مشكلات اخرى اهمها مشكلة تكدس الطلاب مع قصور الادوات ، وما ادى اليه ذلك من هبوط مستوى المتخرجين . وصنعت الجامعة بدورها - ودون ان تقصد - مشكلة اخرى للمجتمع ، وهى مشكلة البطالة - السافرة او المقنعة - بين متخرجيها فى الوقت الذى تشكو فيه قطاعات الاعمال من نقص العمالة المدربة ! وهكذا يرتد الصواب او الخطأ



فى السياسة الاجتماعية اليها هى نفسها ، مضاعفا مائة مرة ، من خلال التعليم .

لقد حققت السياسة الاجتماعية اهدافها من الناحية المعنوية فقط . فرفع الانسان الفقير رأسه لأنه أصبح ، من حيث الرموز الاجتماعية وعلى رأسها رمز الشهادة الجامعية ، مساويا للغنى . ولكن التغيير المعنوى لايكفى ، بل يمكن ان يكون ضارا بل مدمرا ، اذا لم يصاحبه تغيير اقتصادى مواز . بعبارة أخرى ، لايمكن ان يكون للمساواة فى التعليم معنى اذا لم يكن للتعليم مردوده الاقتصادى .

وما دام التعليم مربوطا بالشهادة التى تؤهل صاحبها للالتحاق بإحدى وظائف الحكومة ، ووظيفة الحكومة لاتفى بضرورات الحياة ، فإن قيمة التعليم لاقتصاد الفرد تساوى بالضبط القيمة المادية لهذه الوظيفة ، واذا اتسع الفارق بين القيم المعنوية والقيم المادية فى حياة الفرد فهذا نذير بتضاعف القلق الاجتماعى .

● هل تغير المجتمع حقا ؟

إن الذى يتأمل مشكلات التعليم عندنا فى الوقت الحاضر ، لا يجد مناصا من الحكم بأن مجتمعنا لم يتغير تغيرا جذريا خلال العقود الأربعة الأخيرة .

فـ « تذويب الفوارق بين الطبقات » ، وهو الشعار الاجتماعى الذى أملى مجانية التعليم بجميع درجاته ، لم يحدث . ومن ثم فقد ظهر بجانب التعليم العام المجانى تعليم خاص بمصروفات باهظة ، يتمتع فيه ابناء الأغنياء برفقة ابناء الأغنياء أمثالهم ، فلا يجلس « ابن المدير بجانب ابن البواب » كما كان يقال . وبجانب هذه الميزة الأساسية توفر لهم المدارس الخاصة مزايا قليلة أخرى ، منها أنهم يجلسون فى فصول اقل ازدحاما ، وأنهم يتلقون دروسا اكثر فى اللغات الأجنبية . وبما أن أبناء الفقراء ـ رغم ذلك ـ يتفوقون عليهم ويسبقونهم الى مقاعد الجامعة التى مازال معيار القبول فيها هو مجموع الدرجات (هناك تفكير فى تغييره) ، فإن الحديث يتردد بين آونة وأخرى عن إنشاء جامعة حرة بمصروفات ، واذا تذكرنا أن الجامعة الأمريكية بالقاهرة هى جامعة حرة أيضا ، وأنها تتقاضى مصروفات لايقدر عليها الا ذوو الطول ، ولكنها تشترط مجموعات عالية ، حكمنا فإن الجامعة الحرة المقترحة لن تضم إلا الخائبين فى الدراسة من ابناء الأغنياء ، اى ان مهمتها لن تعدو اعطاء « الرمز الاجتماعى » ، بدون اى مدلول علمى ، لهؤلاء الخائبين . وفى مقابل ذلك نجد فكرة الجامعة المفتوحة ، التى تخفف

ضغط ابناء الفقراء على الجامعات الحكومية ، وتمنحهم - مثل هذه الجامعات - شهادة ترضى بها تطلعاتهم الاجتماعية (قدر الامكان) .

ومعنى ذلك ان التعليم عندنا مازال يدور حول محور « الشهادة - الرمز الاجتماعي » ، وان مجتمعنا مازال يعاني من التفاوت المخيف بين الأغنياء والفقراء ، وما ذلك الا لأن السياسة الاجتماعية لم تستطع أن تقرن المساواة المعنوية بالمساواة فى فرص النجاح المادى ، من خلال تعليم يفي بالغرضين معا . مازال مجتمعنا ينظر الى التعليم على انه وجاهة وزينة ، ويسلم - وان زعم غير ذلك - بأن النجاح المادى يتحقق بالوراثة ، وراثة الجاه والنفوذ قبل وراثة المال ، ولا يتحقق بالانتاج على كل حال .

قبل الأربعين سنة الأخيرة ، كانت التركيبة الاجتماعية فى مصر جامدة ومازال النمو الاقتصادى محدودا .

وخلال الاربعين سنة الأخيرة ، تغيرت اشياء كثيرة فى التركيبة الاجتماعية ومازال النمو الاقتصادى محدودا .

وكان للتعليم دور فى المرحلتين ، لم يكن هو الدور الموجه بكل تأكيد ، فالتعليم يتبع السياسة وينفذ اغراضها ، ولكنه اصبح المسئول فى نظر السياسيين ، وفى نظر الجمهور ، عن اختلال التوازن بين البنية الاقتصادية والاهداف الاجتماعية .

وأبرز مظاهر هذا الاختلال هو قصور موارد الدولة عن توفير التعليم المناسب لكل من هم فى سن التعليم (تعليم الكبار لم يعد له مكان فى زحمة المشكلات) . ولكن من مظاهره أيضا إدخال الحسّابة (الكمبيوتر) فى برامج التعليم مع أن معظم المدارس لاتتمتع بدورة مياه نظيفة . **ولعلى لا ابالغ اذا قلت ان فساد الاخلاق وانحطاط معايير التعامل يرجعان - قبل كل شيء - إلى ذلك الاختلال بين البنية الاقتصادية والأهداف الاجتماعية .**

وبما ان التعليم اصبح هو المسئول - عدلا او ظلما - عن هذه الحال ، فلابد أن تبدأ التغيير من التعليم .

ونقول - كما قلنا مرات كثيرة - إن مسئولية التغيير لاتقع على عاتق الدولة وحدها . فالدولة هى المؤسسة فى المجتمع ، ولكنها لاتشل عمل غيرها من المؤسسات ، ولا تنفخ الروح فى موات . ولعل المسئولية الأولى تقع على الفكر والحوار ، ثم على جهود المخاطرين ، الذين ينفرون من الطرق المسلوكة . فكل فكر لايقترن بالعمل هو ضرب من الاحلام ، والتصورات المستقبلية التى تبدأ من الكمبيوتر ليست الا سخرية من أمة فقيرة .

إن العملية التعليمية مشروطة بظروف الزمان والمكان ، وفى ضوء هذه الظروف تحدد الأهداف ، وتختار الوسائل التكنولوجية المناسبة لتحقيق الأهداف .

● قصور مستقبلى يناسب الحال

وقد تحدثنا فى السطور السابقة عن ظروف العملية التعليمية فى الوقت الحاضر ، وجذورها فى التاريخ القريب . ولعلنا نتفق على ان آفة التعليم فى الوقت الحاضر هى انه غير منتج ، ومن ثم فعلاجه ان يوجه نحو الانتاج ولكننا يجب



القفز
على
الاشواك

ان نتفق ايضا على ان تحويل الناس الى آلات منتجة ليس بالهدف الانسانى المرموق ، واننا لانريد من التعليم ان يخرج الانسان المنتج فحسب ، بل نريد الانسان المنتج المثقف ، اليقظ ، الذى يتذوق الفن الجميل ، ويحسن التفكير فى الأمور العامة ، اى اننا نتمسك بالقيم الانسانية فى التعليم ، تلك القيم التى تحتضنها المؤسسات الثقافية والتعليمية فى العالم ـ المتمدن ، فى مواجهة طغيان الحضارة المادية . ومن المؤسف ان تعليمنا الذى لم يعد الشباب اعدادا حسنا ليكونوا منتجين ، لم يجعل منهم أيضا شبابا مثقفين لان القيم المعنوية التى اهتم بغرسها لم تكن قيما انسانية بل قيما سياسية سطحية .

واول ماينبغى الأخذ به ، ليستقيم حال التعليم عندنا ، ان ننزل « الشهادة » منزلتها الصحيحة : فلا تكون رمزا اجتماعيا ، ولا جواز مرور الى الوظيفة ، بل مجرد شهادة بان فلانا الفلانى اتم دراسته فى موضوع كذا فى معهد كذا ، يمكنه ان يعلقها فى برواز فى منزله او محل عمله ، وكثير من الناس يتباهون بهذه الأوراق ، ولكنها لاتؤخذ دليلا على اكثر من منطوقها الصريح ..

ثم اتصور بعد ذلك ان يستبدل بمعاهد التعليم العام على اختلافها ، من نظرية وعملية ، نظام كنظام التلمذة الصناعية الذى كان سائدا طوال العصور الوسطى وعصر النهضة .

ولايحسبن احد ان هذا الاقتراح رجعة الى الوراء ، أو رفض للمدنية الحديثة . فمن خصائص هذه المدنية اسقاط الحواجز بين المؤسسات وبين الحياة العامة . جلسات المجالس النيابية تعرض على شاشات التليفزيون . الممثلون فى المسرح يختلطون بالمشاهدين وفى المدرسة ايضا : مجالس الآباء تجمع المعلمين وأولياء الأمور . وفى الجامعات تجرى الأبحاث العلمية لحساب المؤسسات الصناعية .

فالتصور الذى اقترحه يستلهم هذا التطور ، ويسبقه بدرجة أو درجات ، ويتيح لنا بذلك فرصة لنتقدم الصفوف ، بدلا من أن نبقى دائما فى المؤخرة .

والأمر واضح فى الجامعات ، التى يجب ان تتحول جميعها الى مراكز ابحاث .

وتبقى « الجامعة المفتوحة » معرضا عظيما للثقافة الانسانية تصقل الأذواق وتهذب العقول ، بدلا من كونها رقعة جديدة تحاول ـ عبثا ـ ان تسد خرقا من الخروق الكثيرة فى سياسة التعليم .



أقوال معاصرة



● « إذا كانت ثمة موانع فى الوصول إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة فلا يمكن اعتبار هذه الموانع حقا دوليا »
الرئيس الفرنسى ميتران

● « لم يعد الاتحاد السوفييتى يشكل تهديدا للولايات المتحدة »
ريجان

● « ليس بالديمقراطية وحدها يعيش الانسان »
كارلوس مينيم
مرشح الرئاسة الارجنتينية



● « الديمقراطية وحدها هى التى تمنح الشعب الحياة »
بنازير بوتو
رئيسة الوزارة الباكستانية

● « الانتفاضة أصبحت دواما »
الشاعر سميح القاسم

● « الانتفاضة أعطت الفلسطينيين حصانة ضد اليأس »
الشاعر محمود درويش

● « إنى شديد التشاؤم من تطور الأوضاع فى الشرق الأوسط »
صموئيل لوس
سفير الولايات المتحدة السابق فى اسرائيل

● « لم أكذب أبدا فى موسيقاى »
الموسيقار السوفيتى: ديمترى شوستاكوفيتش



● « نحن لانتخلى عن مبادئنا من أجل حفنة من الميداليات فى الأوليمبياد »!
فيدل كاسترو

نحو موسوعة عربية شاملة

بقلم: مصطفى نبيل

عندما نتحدث عن المستقبل وآفاقه الواسعة ، ونبحث عن الحلقة الرئيسية الناقصة فى الحقل الثقافى ، والخطوة التى تسبق سواها ، وتملك آلية خاصة تؤدى إلى الارتقاء بالمعارف ، وتضم جماع المعرفة ، تبرز الحاجة لإحياء مشروع دائرة المعارف العربية .

فالكل يجمع على حاجة البيئة الثقافية العربية المعاصرة إلى حركة موسوعية شاملة ومتجددة ، تساهم فى إثراء العقل العربى حتى يأخذ مكانه من جديد فى مسيرة التقدم الإنسانى .

● وما أكثر الدعوات التى الحت وطالبت بإقامة هذا الصرح الكبير ، وما أكثر اللجان والهيئات التى تكونت فى مصر وفى بقية الدول العربية ، ومع هذا بقيت الموسوعة مجرد حلم يراود المثقفين ، وحرم القارىء العربى من دائرة معارف شاملة بالمفهوم الحديث ، وإنشغل الجميع بما تحت مواقع اقدامهم عوضا عن الغد البعيد ، وانصرفوا إلى الآنى بديلا عن المستقبل ، وبالسهل بديلا عن الجهد الدءوب ، مع تقاعس فى تعبئة الجهود من اجل أجيال قادمة .

ومنذ أن نشر المستشرق الايطالى كارلو فللينى فى مجلة الهلال فى مايو عام ١٩٣٦ مقالا يدعو فيه إلى إقامة موسوعة عربية ، ويبين الصعوبات الجمة التى

واجهتها إيطاليا لإقامة موسوعتها الكبرى ، وتتوالى المقالات بأقلام كبار الكتاب تطالب بإقامة دائرة معارف عربية ، وفي كل مرة تنتهي الدعوة بإقامة اللجان لبحث المشروع ، ولكن سرعان ما يفتر الحماس وتخمد الهمة ، ويتوارى المشروع ليحل محله الأسهل والأسرع من الأفكار ..

ولايحول ذلك من إعادة طرح الفكرة ، والتذكير الدائم بأهميتها ، وتأمل أسباب الفشل والعجز عن تنفيذها ، حتى نرى اليوم الذي يوضع فيه مشروع الموسوعة على الطريق الصحيح ، وأن تؤسس جمعية أو هيئة علمية مستقلة وتتضافر جهود العلماء العرب بروح الفريق من أجل إصدار الموسوعة العربية على النحو الذي سبق وأصدرت الموسوعات الكبرى .

وندرك ونحن ندعو لاقامة الموسوعة ضخامة المشروع وجسامة الجهد المطلوب ، وأنه من ذلك النوع من المشروعات الذي لايرى نتائجه بالضرورة اولئك الذين بذلوا الجهد في إقامته ، فهو يتطلب قدرا هائلا من العمل الدءوب وإنكار الذات ، مع مصادر تمويل لاتنضب .

ولكنه في ذات الوقت اللبنة الأولى في حركة الاستنارة ، والمكمل الطبيعي لإقامة الجامعات الكبرى والأكاديميات العلمية ، وهو الذي يتيح المعرفة الانسانية للجميع .

ويتفق المؤرخون على أن إصدار دائرة المعارف الفرنسية كانت وراء قيام الثورة الفرنسية ، وتحطيم سجن الباستيل ، كما يؤكدون على الدور البارز الذي قامت به الحركة الموسوعية في النهضة الأوربية الحديثة ، فنشر المعارف على أسس عقلانية ثابتة هي التي تؤكد الحقوق المتساوية للمواطنين ، وهي التي تفجر الطاقة الإنسانية من أجل التقدم والعدل .

لذلك فمشروع الموسوعة هو بحق مشروع الصناعة الثقيلة في مجال الفكر ، وعمل جذري ينزه العلم عن الأغراض ، ويصفي المعارف من الخرافات ، ويؤكد الهوية الثقافية ، فلا يوجد شعب يعتز بهويته وثقافته وتراثه الانساني ، الا ولديه دائرة معارف بلغته تعكس رؤيته للماضي وللمستقبل ، وتقدم كل المعارف الانسانية وتحافظ على تراثه الفكري ، فالمعرفة البعيدة عن الغرض والمنزهة من التحيز ، تحسم العديد من القضايا الخلافية ، التي ما تكاد تهدأ حتى تعود الى التفجر من جديد في حياتنا الفكرية ، وهذه المعرفة هي التي تحقق الميزان الدقيق بين الوافد والموروث ، وتقدم لأولئك الذين ينادون بالحفاظ على التراث امكانية توثيقه مع التمييز الدقيق بين الأصيل والمزيف . وتقدم ايضا لأولئك الذين يؤمنون بالوحدة العربية الأساس الأكيد لوحدة الثقافة العربية ، بدلا من مجرد ترديد الشعارات ، علاوة على أن الموسوعة العربية الشاملة هي المتمم الضروري للاستقلال ورمز التقدم العلمي والثقافي .

ويقتضي مواجهة التحدي الحضاري الذي نعيشه أن نفتح عقولنا ، ونقرأ كل انواع المعارف ، وأن ندرس كل فروع المعرفة ، واستخداماتها التطبيقية والعلمية ، ونطرح كل القضايا من غير محظورات ، وبذلك نكف عن أن نكون مجرد مستهلكين ، وأن نشارك في التحكم في العلوم وتطويعها لاحتياجاتنا ،

نحو موسوعة عربية شاملة

والموسوعة العربية هى خطوة هامة تعطى الأمل فى تحقيق ذلك .

ويمكن أن تبدأ الموسوعة العربية بالتأليف والتعريب معا ، التأليف فى الانسانيات مثل الفلسفة والتاريخ والاجتماع ، ويكتفى فى المرحلة الأولى بتعريب المادة العلمية مثل الطب والهندسة والرياضيات معتمدين على الموسوعات العالمية المختلفة ، مع وضع برنامج لزيادة المؤلف وتقليص المُعَرَّب مع نمو المعارف العلمية .

وعند الحديث عن الموسوعات يقفز الى الذهن الموسوعات الكبرى مثل الأمريكية والسوفييتية والبريطانية والفرنسية ، ويغيب نجاح دول صغيرة ومحدودة الإمكانات في اصدار دوائر معارف تسجل تطور المعرفة بلغتها القومية ، ويصل عدد دوائر المعارف فى العالم الى الألف ، واستطاعت دول صغيرة مثل بلغاريا واليونان من الدول الأوربية ، ومثل سرى لانكا من الدول الآسيوية من أن تصدر كل منها موسوعتها الخاصة ، ولا يفوتنا أن نذكر أيضا دائرة المعارف اليهودية التى تصدرها الوكالة اليهودية .

الموسوعات وعصر النهضة

واصدار الموسوعات ارتبط ارتباطا وثيقا بالتقدم ، والنهضة ، ولم يكن ظهور دوائر المعارف فى عصر النهضة صدفة ، بل اقترن بالانفجارات العلمية فى أوربا فى القرنين السادس والسابع عشر على يد علماء تجريبيين أمثال كوبرنيكوس وجاليليو وبيكون ونيوتن وهى الانفجارات التى نقلت الغرب من ظلام العصور الوسطى الى العصور الحديثة ، وحققت له السبق فى المعارف والغلبة فى الناحية السياسية على بقية العالم ، وأول دائرة معارف أوربية نشرت فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، وانجزها لفيف من علماء فرنسا فى عصر التنوير ، بإشراف ديدرو (١٧١٣ ـ ١٧٨٤ م) وظهرت فى ٣٥ جزءا فى الفترة مابين سنة ١٧٥٠ و١٧٨٠ ، وشارك فى تحريرها عدد كبير من العلماء والمفكرين منهم فولتير وروسو ومونتسكيو ، وفى بريطانيا صدرت دائرة المعارف البريطانية فى الأعوام ١٧٦٨ ـ ١٧٧١ فى ثلاثة أجزاء ، ثم أخذت فى التطور وأصبحت دائرة معارف عالمية .

وبذل الروس جهدا كبيرا فى اخراج دائرة معارف باللغة الروسية ، وكانت أول دائرة معارف كبرى هى دائرة معارف بروكجاوس وافرون فى ٨٢ جزءا ظهر آخرها عام ١٩٠٧ ، ثم ظهرت دائرة معارف سوفييتية كبرى من ٦٥ جزءا عام ١٩٤٧ ، وتصغر وتتجدد طبعاتها على التوالى .

وبدأت اليابان بترجمة دائرة المعارف البريطانية ، ثم أخذت بعدها فى اخراج دائرة معارف خاصة بها .

● الموسوعات العربية

وفى التراث العربى الكثير من الأعمال الموسوعية ، فإذا كانت الموسوعات فى المغرب الأوربى نتاج عصر النهضة فقد سبقها العديد من الأعمال الموسوعية فى

الشرق مثل : معجم ديوان الأدب لأبى ابراهيم الفارابى ، ومعجم تاج العروس للزبيدى ، ومعجم الصحاح للجوهرى ، ولسان العرب لابن منظور ، والقاموس المحيط للفيروزابادى ، وأساس البلاغة للزمخشرى ، والمصباح المنير للفيومى ، ومحيط المحيط للبستاني ، ومعجم البلدان لياقوت الحموى .

كما شهدت مصر المملوكية فى القرون الوسطى أعمالا موسوعية هامة ، حتى أطلق الأستاذ عبدالله عنان على القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) عصر الموسوعات ، عندما ظهر فى مدارس مصر المملوكية وفى أروقة الأزهر الشريف وبين الوراقين عدد من العلماء الموسوعيين . ويعتبر ابوالعباس القلقشندى (المتوفى سنة ٨٢١ هـ ـ ١٤١٨ م) صاحب أهم هذه الموسوعات ، وهو مولود فى قلقشندة أحد قرى القليوبية ، وصاحب كتاب « صبح الأعشى فى كتابة الانشاء » جمع بين دفتيه كل معرفة عصره ، ووصل بموسوعته الى مالم يصل اليه أحد من قبله فى التوسع والتبسط فى المادة ، وقد اصدرت دار الكتب فى القاهرة الكتاب كاملا فى أربعة عشر مجلدا .

كما كان شهاب الدين النويرى (المتوفى عام ٧٣٢ هـ ـ ١٣٣٢ م) أحد رواد مدرسة الموسوعات ، وقد ظهر فى عصر الناصر قلاوون ، وكتب النويرى مقدما موسوعته : « فامتطيت جواد المطالعة ، وركضت فى ميدان المراجعة ، حيث ذل لى مركبها وصفا لى مشربها ، أثرت ان اجرد منها كتابا استأنس به وارجع اليه وأعول فيما يعرض لى من المهمات عليه ، فاستخرت الله واثبت منها خمسة فنون حسنة الترتيب بنية التقسيم والتبويب » .

وانجز موسوعة ضخمة تشمل المعارف الأوربية والتاريخية ، التى لم يسبق أن جمعت بين دفتى كتاب ، واطلق عليها « نهاية الارب فى فنون الأدب » ، واذا كانت لم تتناول المواد العلمية مثل الطب والرياضة والكيمياء ، فإنها أفاضت فى فروع المعرفة المختلفة مثل أنواع الحيوان والنبات ، وصدرت فى واحد وثلاثين مجلدا .

أما ثالث الموسوعات المصرية فكتاب « مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار » لشهاب الدين أحمد بن فضل العمرى (المتوفى عام ٧٤٩ هـ ـ ١٣٤٨ م) وعنى فيه بدراسة الجغرافيا والأمور السياسية اى الممالك وطبائعها وخواصها ، ودرس تاريخ الأمم وأحوالها ، وبخاصة امم الشرق النائية مثل الهند والصين والتتار ، وقدم المعروف من علم الفلك ، والف موسوعة كبرى تصل الى عشرين مجلدا ، ويسميه مؤلفه « اثر الحياة » وأنه « قطع فيه الأيام والليالى » .

ويرى البعض أن هذه الموسوعات لاينطبق عليها المفهوم الحديث لدائرة المعارف العصرية ، الا انها مجهودات فردية تمثل العصر الذى كتبت فيه ، والبداية التى لو تطورت لوصلت الى الموسوعات بمعناها الحديث ، وهى بحق بداية الأعمال الموسوعية .

● جيل الرواد

وإذا قفزنا من العصور الوسطى الى

نحو موسوعة عربية شاملة

العصر الحديث ، نجد الاتجاهات الموسوعية واضحة فى جيل الرواد ، وكانت دائرة المعارف الشاملة حلما يداعب الكثيرين ، وقام على باشا مبارك ورفاعة الطهطاوى وعباس محمود العقاد ، بتقديم نظرات موسوعية شاملة وقام مفكر مصرى هو محمد فريد وجدى بإخراج دائرة معارف القرن العشرين .. فى عشرة مجلدات ، وظهرت العديد من المجهودات الفردية لكبار الكتاب تمثلت فى عدد من الاعمال مثل :

● موسوعة الاعلام ، مكونة من عشرة اجزاء ، وتتناول اعلام العالم العربى وبعض المستشرقين كتبها خير الدين الزركلى .

● معجم قبائل العرب من ثلاثة مجلدات لمؤلفه عمر رضا كحاله ، الذى يتناول كافة القبائل العربية .

● دائرة المعارف للبستانى ١١ جزءا تنتهى بحرف العين عام ١٩٠٠ .

● قام د . عبدالرحمن بدوى بمفرده باصدار الموسوعة الفلسفية بعد القائمة الكبيرة من المؤلفات التى اصدرها .

● دائرة المعارف الاسلامية ، التى ترجمت الى اللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية ، وصدرت ترجمتها العربية فى القاهرة فى اعداد دورية منذ عام ١٩٣٣ ، واضيفت اليها تعليقات وشروح وكان يصدرها احمد الشنتاوى ، ود . ابراهيم زكى خورشيد ، ود . عبدالحميد يونس وصدر منها ١٤ مجلدا .. ولم تكتمل ؟ !

● الموسوعة العربية الميسرة نقلا عن موسوعة كولومبيا الامريكية ، مضافا اليها مواد عربية والتى ظهرت فى مجلد واحد عام ١٩٦٥ باشراف محمد شفيق غربال ، وشارك فى تحريرها د . ابراهيم مدكور واسماعيل مظهر ود . زكى نجيب محمود وفؤاد صروف ومريت غالى وقسطنطين زريق واشرفت على اصدارها مؤسسة فرانكلين الامريكية

بالاضافة الى عدد من الموسوعات المتخصصة تتناول مسائل طبية واقتصادية وتاريخية وسياسية

وتم انجاز عدد من هذه الموسوعات فى وقت لم يكن لدينا فيه كل هذه الجامعات ، وليس لدينا كل هذه المطابع ودور النشر المنتشرة فى ارجاء الوطن العربى ، وقبل ظهور تلك الثورة الهائلة من فوائض رءوس الاموال الناتجة عن الثروة النفطية .

وبقى ان تتحول هذه المجهودات الفردية إلى مجهود جماعى يصب فى الموسوعة العربية الشاملة .

● مشروع الموسوعة !

والمذهل حقا ، ان مشروع الموسوعة العربية ، قائم منذ فترة بعيدة على رأس اهتمامات الادارات الثقافية ، بدا التفكير فيها عندما كانت الثقافة مجرد ادارة تتبع وزارة المعارف ، وانتقل المشروع عندما اصبحت للثقافة وزارة خاصة بها هى وزارة الارشاد القومى ، والتى قامت بالعديد من المشروعات الثقافية الهامة وعجزت عن القيام بهذا المشروع الكبير ، وبقى مجرد مشروع فى اوراقها ، وهى

تتحول عام ١٩٧٠ الى وزارة للارشاد والاعلام ، ثم عندما انفصلت الثقافة عن الاعلام من جديد عام ١٩٧٣ ، ومع توزع مسئولية الثقافة على العديد من المؤسسات وزارة الثقافة والمجلس الوطني للآداب والفنون والمجالس القومية المتخصصة لشئون الثقافة ومع كل هذه التغيرات ، اكتفى بتكوين اللجان واصدار المذكرات !!

بل وقامت الهيئة العامة للاستعلامات فى الستينيات يتبنى مشروع لاقامة موسوعة مصرية ، عندما كان يتولاها د . محمد حسن الزيات ، وتحددت الموضوعات والعناوين وكلف عددا من الكتاب وقاموا بعملهم وحصلوا على مكافآتهم ، وبقيت مواد الموسوعة فى الاضابير لم تصدر !!

وانتقل مشروع الموسوعة العربية الى جامعة الدول العربية ، الى الادارة الثقافية فى بداية الخمسينيات وتبنى الفكرة وزراء المعارف العرب فى اجتماعهم الاول فى القاهرة عام ١٩٥٣ . وقامت لجنة تضم الأساتذة احمد امين وشفيق غربال وساطع الحصرى ، ومحمد بديع الشريف

واعدت مشروع الموسوعة الذى قدرت تكاليفه يومها بسبعة الاف جنيه ، على ان تصدر الموسوعة فى اربعة مجلدات بعد مراجعة الموسوعات المختلفة ، وتعريب كل المصطلحات الاجنبية ، ولم ير المشروع النور !!

وانتقل مشروع الموسوعة منذ عام ١٩٦١ بندا دائما على جدول اعمال مجلس الجامعة العربية واجتماعات وزراء التربية والتعليم العرب ، **وعندما اقيمت المنظمة العربية للتربية والعلوم انتقل اليها واصبح لدينا مجموعة لا بأس بها من القرارات والدراسات والتوصيات وأعمال اللجان والتى تحتاج الى من ينقلها الى حيز التنفيذ !**

وتتغير المؤسسات والفشل واحد ، فبعد ان انتقل مشروع الموسوعة الى الجامعة العربية برزت ذريعة جديدة والقت الحكومات العربية المسئولية على الجامعة العربية والعكس ، وتعثر المشروع نتيجة المناقشات الاقليمية والخلافات السياسية والخلط فى اوليات العمل الثقافى .

ويقدم مشروع الموسوعة العربية نموذجا صارخا لتبديد الوقت وضياع الجهد ، وكيف يصبح « الكلام » بديلا عن الفعل ، وكيف تهدر الفرص المتاحة ، وضياع الامكانيات القائمة فقد رأينا كيف توفرت الارضية الصلبة لاقامة مشروع الموسوعة العربية ، فقد اتسم التراث العربى فى كثير من مراحله بالموسوعية ، وظهر جيل من الرواد انجز الكثير من الاعمال الموسوعية وتبدد هذا كله امام العجز عن العمل بروح الفريق .

هل حان الوقت بعد كل هذه التجارب الفاشلة .. ان نبدأ من جديد ؟! وان تصب كل المشروعات القائمة فى مشروع واحد ، ومؤسسة واحدة مستقلة ، على نحو ما تألفت به الهيئات التي انجزت الموسوعات الكبرى ، وان توضع تحت يدها كل الامكانيات ، ويتجمع داخلها كل العلماء العرب حتى نسد الثغرة الاساسية فى الحياة الثقافية العربية ؟ !

نحو علاقات عربية جديدة

يسود المنطقة العربية شعور بالتفاؤل حول احتمال تحقيق حالة من التضامن او التهدئة بين الدول العربية . والخلط بين المفهومين قد يؤدى الى زيادة التوقعات والامال وهو ما يؤدى بدوره الى خيبة امل جديدة ،هل ما يجرى على الساحة العربية الان سعى نحو تضامن عربى أم هو محاولة لتحقيق تهدئة فى الصدمات والخلافات العربية ؟

بقلم : جميل مطر

● التضامن يعني بين اشياء كثيرة ان الاطراف تقاربت رؤاها ومصالحها واجتمعت على شعور بالخطر المشترك او الهدف المشترك بحيث تصبح اكثر استعدادا لتبادل تنازلات والتوقف عن تصفية حسابات قديمة وتزع جذور الخلافات والصراعات بينها-هذه شروط لايتوفر الآن واحد منها . فالرؤى والمصالح متباعدة بمدى تباعد طباع وخلفيات القادة والحكام الذين مازالوا فى غالبيتهم يعتمدون على أمزجتهم ومصالحهم الشخصية لتعريف وتحديد رؤى ومصالح أقطارهم . اما الشعور بالخطر المشترك فلم يكن فى يوم من الايام دافعا للتضامن العربي . فما اكثر الخطر المشترك الذى شعرت به شعوب العرب ولم تشعر به قياداتها . وما اكثر الشعور بالخطر الذى شعر به قادة العرب ولم تشعر به شعوبهم .

لذلك فالاحتمال الاكبر ان التضامن العربي لن يكون احدى سمات المرحلة القادمة ، وأن الهدف الحقيقى من كل التحركات الجارية حاليا هو تحقيق تهدئة فى المصادمات العربية . والتهدئة مطلوبة لأسباب متعددة اهمها انها اذا تحققت فسوف تخفى أهم أوجه القصور فى الهيكل العربى الراهن . وهو انهيار مراكز القوة العربية ، وانهيار نظام التوازنات العربية الذى كان احد الضمانات الرئيسية لاستمرار خصوصية وعروبة المنطقة

● **عناصر القوة**

لقد اعتمد نظام التوازنات العربية فى مختلف مراحل تطوره على ثلاثة من عناصر القوة : العنصر البشرى والعنصر الايديولوجي والعنصر الاقتصادى . فى مرحلة من المراحل اجتمعت لمصر ثلاثتها ، ثم فقدتها واحدا بعد الآخر وخصوصا حين أصبح العنصر البشرى سلعة فائضة وعبئا على العنصرين الاخرين .

وفى مرحلة ثانية وفى ظل انحسار دور مصر ، وبالتحديد منذ بدايات السبعينيات ، تقاسم ساحة التوازنات العربية عنصرا الاقتصاد والايديولوجية · وفى المرحلة الثالثة - الراهنة - والتى بدأت منذ اعوام قليلة ·· دخلت المنطقة العربية مرحلة انحسار وربما انهيار هذين العنصرين · اذ لم تعد هناك أطراف عربية تقوى حتى على الزعم بانها تشتق قوة ونفوذا من أيديولوجية أو عقيدة واضحة المعالم تلتزم بها بصراحة وأمانة · بمعنى اخر تفتتت المنطقة الى أطراف ليس بينها من لديه من مقومات القوة ما يؤهله لاحتلال موقع قيادى أو لبعث نمط جديد من توازنات القوة ·

وكان أول من شعر بهذه الحالة الجديدة طرفان احدهما كان يتمتع بقوة نسبية استنادا الى العنصر الاقتصادى ، والاخر كان يتمتع بقوة نسبية استنادا الى العنصر الايديولوجى · ولذلك لم تكن مصادفة أن تتزامن الدعوة جادة الى تنظيم تكتلات اقليمية مع التوجه الى انشاء تحالفات مع دول غير عربية · فى الحالة الاولى كان الهدف ان ينشأ تكتل اقليمى حول قطب اقوى نسبيا ، يكتسب القطب من التكتل مقومات قوة تساند مكانته فى المنطقة العربية ، وتكتسب بقية أطراف التكتل هوية اقليمية تحصن بها نفسها ضد احتمالات تطاير الاجزاء الصغيرة فى منطقة عواصف شديدة · فى الحالة الثانية شعر الطرف العربى الذى تمتع بقوة نسبية استنادا الى العنصر الايديولوجى باستمرار انحسار هذا العنصر وانكسار فاعليته فى المنطقة فلجأ الى تعويض هذا النقص بتحالف مع طرف غير عربى يهدد سلامة وامن حكومات عربية متعددة·

هذا الوضع ، او التوازن الجديد ، لم يستمر طويلا حيث كان معدل انهيار عناصر القوة اسرع كثيرا مما توقعت مختلف الاطراف ·

اذ تراجعت وبشدة عائدات النفط ، واصبحت المنطقة بأسرها باستثناء قطر او قطرين تعانى من ارتفاع هائل فى حجم مديونياتها الدولية ، وتفشت البطالة ليس فقط فى دول الفائض البشرى ولكن ايضا فى دول الندرة البشرية والطفرة النفطية · وحدث انكشاف أمنى رهيب ، وزاد معدل هروب رءوس الاموال الخاصة الى اوربا وأمريكا وللتشارك فى وضع المعجزات الاقتصادية الجديدة فى دول جنوب شرقى آسيا وخصوصا فى تايلاند وسنغافورة ، وفى نفس الوقت بدأت تنضج على امتداد المنطقة العربية بأسرها ثمار النمو « الشيطانى » للكيانات الاجتماعية « الشيطانية » التى غرسها النفط منذ وطوال عشرين عاما ·

● اسلوب التهدئة

أمام هذه المشكلات فضل معظم القادة والحكام الاخذ بأسلوب التهدئة سواء لتأمين جبهاتهم الداخلية او لتأصيل المواجهات الخارجية · داخليا نما الاتجاه نحو الانفتاح السياسى والتعددية ، ولكنه النمو المشروط بمبادىء وفلسفة واهداف التهدئة ، اى ملتزم بعدم السعى لتحقيق تحول سياسى · فالحزب الاوحد أو الحزب الحكومى يظل المهيمن والاحزاب الاخرى تدور

نحو علاقات عربية جديدة:

فى فلكه ، ولكى يحافظ على الهيمنة يجرى تطوير برامجه واهـدافه ومبادئه وعقيدته بحيث تتسـع لكل الاجتهادات والتفسيرات ، وبذلك لا ينفرد حزب اخر بتبني خط سياسى متميز أو مختلف او يجند شخصيات لها وزنها فى النخبة السياسية او يستدرج فئات ونقـابات الى تشكيلاته ·

وكما كانت مصر البادئة بالاخـذ بأسلوب التهدئة الداخلية وتبعتها ـ بعد مقاومة ـ وتبعتهـا دول عربية تتزايد بإسـتمرار ، كانت ايضـا البادئة بالاخذ بأسلوب التهدئة فى السياسة الخـارجية · ولكن هنا اختلف وتبـاين رد الفعل العربى ، فالمقاومة كانت شديدة وان تعددت اسبابها واغراضها ، الا أن الترحيب كان ايضا ملحوظا من اطراف لم تتمكـن وقتذاك من الاعـلان عن ترحيبها لاسباب تتعلق بتوازن القـوة العربية القائم حينئذ · نشبت الحرب العراقية الايرانية وتدهورت علاقات عربية متعددة كتعبير عن رفض بعض الاطـراف لسياسـة التهدئة ثم اشتدت معـدلات الانهيار وتوالى الازمات القطرية حتى كاد الكل يجمع على ضرورة الاخذ بسياسة التهدئة، املا فى أن يتمكن كل طـرف من التفرغ لمعالجة مشـكلاته ، وتفويت الفرصة على الاخرين الذين اعتادوا التدخـل فى الشـئون الداخلية لاشقائهم ·

ولكن الى متى تستمر الاطراف العربية فى انتهاج اسلوب التهدئة فى علاقاتها بمجتمعاتها او بالاطراف الخـارجية ؟

الاجابة موجودة فى رحم أسلوب التهدئة · التهدئة لا تحـل مشـكلات ولا تسوى أزمات · اقصى ما تستطيع تحقيقه هو تأجيل الانفجار · هى اذن اسـلوب من اساليب الهـروب من المواجهة ودليل عجز وعدم قدرة على استئصال اسبابها ·

التهدئة تختلف عن التضـامن ، فالتضامن يعنى نقلة ايجابية جريئة ، واستعدادا لتبادل الجهود والتنازلات وتخصـيص موارد قطرية لتحـقيق أهداف فوق القطرية وقدرة ابداع لتطوير مصالح وأهداف مستقبلية · والتهدئة قد تبدو ضرورية كخطوة نحو تحقيق التضـامن · ولكن بشرط آن تكون جزءا عضويا من خطة السعى نحو التضامن وليست مرحلة قائمة بذاتهـا ·

● أمر مختلف

ان الخطأ الشـائع الذى يقع فيه كثير من منظرى السياسة وممارسيها هو تصورهم أن الدول العربية يمكن ان تؤسس العلاقات بينها على أسس وقواعد السـلوك الدولى المتعارف عليها · فالدول الكبـرى مثلا تدخل فيما بينها على أسس وقواعـد السلوك الدولى المتعـارف عليها · فالدول الكبرى مثلا تدخل فيما بينها حروبا باردة وتقيم وفاقا دون أن يخل هذا او ذاك بقواعد السلوك الدولى، فالتمثيـل الديلوماسى لا ينقطـع ، والتجارة لا تتوقف ، والحدود لا تغلق فى وجه المواطنين والشعوب ورءوس الاموال ، والمفاوضات والمشـاورات تتواصـل · اما فى منطقتنا العربية وبين الاشقاء العرب فالامر مختلف ، وسيظل مختلفا · الحـاكم العربى

يضـــع قراره في شـــأن داخلي او خارجي وعينه على اشقائه وشعوبهم وفي ذاكـــرته الخصبة تاريخ طويل سطرته سياسات هيمنة ، وحوادث ثأر واغتيالات وتحالفات ، وتجارب وحدوية ، وأساطير مذهبية ودينية ، وانساب قبلية ، ومصاهرات عائلية، وحدود سياسية مشكوك فيها • انه تاريخ امة واحـــدة لم تفلح خريطتها السياسية في تفتيتها امما متعددة ،

نحن على اعتاب مرحلة ســـوف تشهد محاولات مكثفة لتحقيق تهدئة في الخصومات والصراعات العربية، وفي مقدمتها محاولة استعادة مصر لمكانها في مؤسســـات القرار العربي المشـــترك كالقمة وجامعـــة الـــدول العربية • أقول استعادة مكانها ولا اقول استعادة مكـانتها ، ليس فقط لأن المكانة لا تمنح لانها تفرض نفسها بممارساتها ومبادئها ، ولكن أيضـا لانالمتصوران احداهداف ـ وربما احد شروط التهدئة العربية ــ هو ان تعود مصر بشكل وفى اطار يسمح بتطويعها ويمنـــع انفلات طموحـاتها وتسرب مشكلاتها الداخلية ويضيف من بريق او عواقب تجاربها • كان أمل بعض الاطراف العربية التى اشـــتركت ــ بداية أو بعد حين ــ في عملية عزل مصر ان هـــذا العزل سيحقق هذه الاهداف واهـــداف اخرى • وخاب الامل فالاشعاعاتالتى تسربت منمصر استمرت تصـــيب بالنفع أو بالضرر معظم المنطقة العربية ، وهذه احدى حقائق المنطقة ، يسهل ادعاء تجاهلها ولكن يستحيل اغفالها •

كذلك تشمل خطة التهـــدئة مشكلة العلاقة بين بغـــداد ودمشق ، وهى المشكلة التى استعصى حلها على كل مجالس العرب وأموالهم ونفوذهم ، فى حين لم يستعص عليها حل المشكلة المصرية ــ العـــربية والتى ان كنا نذكـــر كانت تبدو اشد المشـــكلات تعقيدا واقلها حظا فى أمل التهدئة • وتشمل الخطة ايضا تهدئة لبنان ، فلبنـــــان لكثـــرة جروحه التى اهمل العرب علاجها فتقيحت صار ملعبـا لكل الجـــوارح والتوارض العـــربية والدولية ، وهناك المشكلة الفلسطينية التى يشترك معظم العرب مع غيرهم فى محاولات تهدئتها •

تهدئة المنطقة العربية قد تتحقق ولكن لفترة قصيرة !

وأسباب ذلك واضحة ، اولها وكما اشرت من قبل لأنها مجرد تهدئة •• وليست تضامنا واندماجا اذ سعيا نحو ازالة جذور الخلافات العربية ، وبناء مستقبل أمة واحـــدة • ثانيهـا انها شكلية وجزئية ، تهتم بالمظهـــر ولا تهتم بالمشكلات الاعمق كمشكلة جنوب السودان ومشـــاكل الاكراد ، ومشـــكلات المواطن العربى وحقوقه السياسية والانسانية • ثالثها انها تهدئة قد تؤدى الى زيادة هيمنة الدولة الاقوى أو الاكبـــر على الدول او الدويلات الاضعف والاصغر فى تكتل اقليمى او اكثـــر • رابعها وآخرها وربما اهمها ، ان التهدئة تعود بمصر الى الساحة العربية • وسواء عادت مصر مشاغبة أو طيعة ، فالعودة فى حد ذاتها تعني صداما مع اهداف خطة التهدئة ، لأنهـــا اما أن تطرح كل ما فى جعبتها من افكار واقتراحات ومشروعات ومشكلات وازمات ، او ان تقبل بدون مبرر شكلى لم تتحمله، ولن تتحمله أطراف اخـــرى ، لمدة طويلة •


جورباتشوف


رونالد ريجان


جورج بوش

عصر تسريح الجيوش

بقلم: عبد الرحمن شاكر

لولا أن كارثة الزلزال فى ارمينيا ، قد أعجلت الرئيس السوفييتى ميخائيل جورباتشوف عن مواصلة رحلته فى نيويورك ، ومنها الى كوبا ، ثم الى لندن . وجعلته يعود الى بلاده للإشراف على مواجهة تلك الكارثة وتضميد جراحها الأليمة .. لكان للمبادرة التى اعلنها فى خطابه امام الجمعية العامة للأمم المتحدة .. بتخفيض الجيوش السوفييتية فى أوربا بمقدار نصف مليون رجل ، وعدة ألوف من الدبابات ، دوى اكبر بكثير مما ظفرت به ، وغطت عليه أنباء الكارثة فى أرمينيا .

● كان هذا الاعلان من جانب جورباتشوف ، قبيل لقائه مع الرئيس الأمريكى ريجان فى نيويورك ، وخليفته الذى سوف يمثل البيت الأبيض خلال شهر يناير من العام الجديد ، جورج بوش .. كان هذا الاعلان هو الهدية التى حملها معه جورباتشوف الى نصف الكرة الغربى ، إردافا للاتفاق الذى وصل اليه فى نهاية العام الأسبق مع ريجان بإزالة الصواريخ المتوسطة والقصيرة المدى من


مرجريت تاتشر


راجيف غاندى


هيلموت كول

وتوحيد العالم

أوربا ، والتى تم تدمير الكثير منها بالفعل - مما جعل المسز تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا تقول بأن الحرب الباردة قد انتهت ... وقد كانت حشود الصواريخ ، ودونها الدبابات والجيوش تقف على اهبة الاستعداد لتحويلها الى حرب ساخنة فى أى وقت .

ولعل من أسباب إقدام جورباتشوف ، على سحب هذا العدد الهائل من القوات من أوربا وتخفيض عددها فى الاتحاد السوفييتى ذاته ، أن الحرب الحديثة لو نشبت فلن تكون فى حاجة الى كل هذا العدد من المقاتلين ، فإن حرب الازرار التى تطلق الصواريخ الطويلة المدى من قواعدها ، حاملة الرءوس النووية ، كافية لدمار العدو ، وهى فى الواقع كافية لدمار العالم ، إن انطلقت من أحد المعسكرين أو كليهما سيان .. لذلك كان الاقتناع باستحالة الحرب فى هذا العصر النووى ما بين القوى الكبرى أمرا يفرض نفسه ، ويفرض على الجميع البحث عن طريق للعيش معا دون حروب ..

وحيث إن الحرب النووية أصبحت على هذا القدر من الاستحالة . لأن خطرها يهدد الوجود الانسانى برمته ، فلم يعد هناك معنى بالتالى للاحتفاظ بجيوش جرارة تستخدم الأسلحة التقليدية ، كالدبابات والمدافع .. ويصبح المعقول والمنطقى هو سحب تلك الجيوش وتخفيض عددها ، وتسريح أفرادها واستخدامهم فيما هو أفضل من انتظار لحظة اندلاع الحرب .. التى اصبحت مستحيلة .

وبالبدء فى تسريح جيوش القوى

عصر تسريح الجيوش

الكبرى فى العالم ، على نحو مبادرة جورباتشوف ، التى أستجاب لها قادة حلف الأطلنطى المجتمعون فى بروكسل ورحبوا بها ، رغم فتور رد الفعل الأمريكى ازاءها يدخل العالم مرحلة جديدة ، يصبح فيها تسريح الجيوش ، وليس تجييشها هو المدخل الى توحيد هذا العالم ! وهذا

تحول ديالكتيكى فى مجرى تطور الجماعة الانسانية ، من شأنه أن يطرب له فقهاء الماركسية فقد كانت تعبئة الجيوش خلال ما مضى من عمر الانسانية ، هو أداة توحيد العالم ، أو بالأقل أجزاء كبيرة منه وفيما مضى .. والامبراطوريات الكبرى التى قامت فى التاريخ كالامبراطورية الرومانية ، والاسلامية ، ثم امبراطوريات المغول بقيادة جنكيز خان وخلفائه ،

وصولا الى الامبراطورية البريطانية والفرنسية وسواها ، وانتهاء بمحاولة هتلر فى الحرب العالمية الثانية لتوحيد أوربا على الأقل تحت قيادته .. كل هذه المحاولات والمشاريع "الوحدوية" كانت أداتها الجيوش ، بما فى ذلك توحيد قومية مبعثرة فى دويلات ، مثل وحدة ألمانيا التى فرضها بسمارك بالحديد والنار ، ووحدة بين أكثر من قومية ، مثل وحدة شعوب الاتحاد السوفييتى التى ورثها عن الإمبراطورية الروسية ، وهلم جرا ... غير ناسين أو متناسين أيضا أن الوحدة ما بين الولايات المتحدة الامريكية . قد فرضتها جيوش أبراهام لنكولن المظفرة فى الحرب الأهلية الامريكية.

● أحتراق الأصابع

أن توازن القوى الدقيق ، الذى وصلت اليه البشرية فى العصر النووى ، قد أملى ، ويملى نظرة جديدة الى كثير من الأمور ، أولها وأهمها أن الحرب الشاملة التى لابد أن يستخدم فيها السلاح النووى الذى تحمله وسائل حمل جبارة من الصواريخ والطائرات والغواصات الخ ، قد أصبح معناها فناء الحياة الانسانية ، ومن ناحية أخرى ، فقد سادت فترة من الفترات أصبحت فيها الحروب الصغيرة التى تدعمها القوى الكبرى ، ووقودها هو الشعوب التابعة أو شبه التابعة تعتبر بمثابة الاداة المتاحة للصراع بين القوتين العظميين للسيطرة على العالم او أجزاء منه ، حتى شرعت اصابع هاتين القوتين ذاتها تحترق فى لعبة الشطرنج النارية هذه ، كما حدث للولايات المتحدة الامريكية فى حرب فيتنام ، وكما يحدث الآن للاتحاد السوفييتى فى افغانستان .. فدعم أحد أطراف صراع محلى بالأسلحة التقليدية يقابله دعم الطرف الآخر سواء بسواء ، حتى يختل الميزان فيصبح التدخل بقوات الدولة الكبرى هو الخطوة التالية ، لتكتشف فى نهاية الأمر أنها أصبحت هى الخاسر الأول ، مادامت لاتستطيع الاقدام على تحويل الحرب ، الى حرب شاملة تعصف بالجميع ، إذن فقد آن أن تنتهى بدورها مرحلة الحروب الصغيرة كما انتهت مرحلة الحروب الكبيرة سواء بسواء ، ذلك هو القانون الذى اوشك أن يفرض الاعتراف به على الجميع ، بعد أن وصلت قدرة الانسان

التدميرية الى أبعاد لانهاية لها .

● المسالة الفلسطينية وحقــوق الشعــوب :

والقضية الفلسطينية ليست بعيدة عن هذا القانون رغم التفوق الظاهر للجيش الإسرائيلى ، ومحاولة الدولة الصهيونية ممارسة دور "القوة الكبرى" فى المنطقة ، وفى "بر الشام" ، على وجه أخص ، فإن عاما كاملا مر على الانتفاضة الفلسطينية فى الأرض المحتلة ، قد أكد أن الجيوش لاتستطيع أن تستمر طويلا فى احتلال أرض يرفض أهلها ذلك الاحتلال ، دون أن تصاب بجراح عميقة تمتد الى كيان الدولة التى تفرض الاحتلال ، حقا إن تضحيات الشعوب من أجل حريتها تكون عادة أكبر بكثير من تضحيات المعتدين ، ولكن الروح المعنوية لطالبى الحرية أطول نفسا بكثير من روح مَنْ يقمعونها . فالجيل الفلسطينى ، من "أطفال الحجارة" الذين ولدوا تحت الاحتلال ، يشعرون بأن قضية حياتهم أن يتخلصوا منه ، وأنه لامستقبل لهم إلا بخروجه ، والقرارات الأخيرة التى اتخذها المجلس الوطنى الفلسطينى ، أنها هى استجابة لارادة ذلك الجيل ، الذى يمسك بالحجارة فقط فى مواجهة أعتى الأسلحة الأمريكية فى أيدى الصهاينة ، ويعجزون حتى الآن عن إثنائهم عن ارادتهم فى الاستقلال والتخلص من الاحتلال . لذلك لم يسع جورباتشوف فى بيانه أمام الأمم المتحدة إلا أن يذكر القضية الفلسطينية ، ويلوم الولايات المتحدة الأمريكية على منعها إعطاء تأشيرة دخول لعرفات كجزء من محاولاتها عرقلة التوصل الى تسوية سلمية تتيح للشعب الفلسطينى استرداد حقوقه على أرضه المحتلة ، فكل تأخير فى ذلك معناه الوقوف فى وجه حركة التاريخ ، ومن يختار هذا الموقف عليه أن يدفع الثمن عاجلا أو آجلا مهما طال وقوفه .

قانون التسوية السلمية للمنازعات المحلية هو الذى يفرض نفسه الآن ، لأن كل حرب صغرى ، يعنى استمرارها احتمال نشوب حرب كبرى لايطيقها الجنس الانسانى . وكل تسوية لابد أن تبدأ من الاعتراف بالواقع ، واقع كل شعب مهما صغر يعيش على بقعة من هذه الأرض يرفض أن يحكمه أحد إلا أبناؤه ، وذلك أمر لم يواجهه الاتحاد السوفييتى خارج حدوده فقط ، كما فى افغانستان مثلا ، ولكن أيضا داخل حدوده التى تسع أكثر من قومية ، فربما كانت الحسنة الوحيدة لكارثة أرمينيا أنها غطت على النزاع المستعر ما بينها وبين جارتها السوفييتية أذربيجان حول اقليم "ناجور نوكاراباخ" الذى يقع داخل حدود هذه الأخيرة ، وتسكنه أغلبية أرمينية ، إن حل مشكلة هذا الاقليم بالقوة المسلحة ، واستخدام الجيوش كأدوات أمن داخلية ، لن تجدى . قس على ذلك كافة التوترات الداخلية التى تنبعث من مختلف القوميات كما هو الحال بالنسبة لدويلات البلطيق .

إن مايدور داخل الاتحاد السوفييتى الآن هو صورة مصغرة لما يحدث فى

العالم ، فهو أولا يدل على ان هذا العصر هو عصر المساواة مابين القوميات صغرت أم كبرت ، ويدل ايضا على ان القضية المذهبية قد تراجعت الى الوراء إذا ما قيست بالقضية القومية ، فالبشر ينشدون المساواة فى الحقوق الوطنية ، ربما اشد من حقوق الطبقات فى مجتمع متجانس أو متعدد القوميات .

فى عدد يناير من الهلال العام الماضى قلنا إن الخطوة التالية بعد لقاء ريجان وجورباتشوف ، ان يلتقى هذا الأخير مع نظيره الصينى دينج سياو بنج ، حول مفهوم جديد للاشتراكية ، ولم ينصرم هذا العام الأخير ، (١٩٨٨) إلا وقد بدأ التمهيد لهذا اللقاء .

● يفرضه اعتراف الدولتين بأن الاشتراكية كما طبقت فيهما على صور مختلفة ، ليست الكلمة النهائية فى تطور العالم ، فكل منهما تعترف الآن ، بأن قصب السبق التكنولوجى ، لايزال معقودا للدول الرأسمالية الصناعية الكبرى كالولايات المتحدة الأمريكية واليابان والدول الرئيسية فى غرب أوربا ، وأن على النظام الاشتراكى الذى قام فى كل الاتحاد السوفييتى والصين ، ان يسعى لاكتساب منجزات الثورة التكنولوجية التى تحققت بإعادة اقتصاديات السوق محل قسط كبير من التخطيط المركزى ، وفتح الأبواب للتعاون المثمر مع الدوائر الرأسمالية فى الغرب .

أما بالنسبة للقضية الاقتصادية ، باعتبارها جوهر النضال الاشتراكى فى العالم ، فقد اقترب جورباتشوف من فحواها الصحيح فى هذا العصر ، وهو أن المساواة ما بين الشعوب تأتى أولا ، فى الحقوق السياسية ، ثم فى ضمان حد أدنى من مستوى المعيشة لها ، وذلك ما جعله فى خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة ، يقترح إطالة أمد سداد ديون دول العالم الثالث الى مائة عام ، والتنازل عن جزء من أصول هذه الديون ، وأنه فى هذا الموقف إنما يعبر عن أن فحوى الاستقلال الرئيسى فى العالم المعاصر ، هو فى تكبيل دول العالم الثالث بتلك الديون والاشتراطات فى المطالبة بأقساطها وفوائدها من خلال المبادلات الظالمة للسلع الصناعية مع منتجى المواد الخام من دول العالم الثالث .

أن توحيد العالم يقتضى مواجهة مشكلات الديون والمجاعات ونقص الموارد والأوبئة وأخطار تلوث البيئة باعتبارها عناصر مشتركة فى تهديد كيان الجماعة الانسانية ، ولاشك أن البدء فى تسريح الجيوش ، وتوفير النفقات الباهظة التى تنفق على تعبئتها ، وعلى صنع أسلحتها الفتاكة ، سوف يتيح تخصيص قدر أكبر من الانتاج العالمى لحل تلك المشاكل ، حيث لم يعد أمام الجنس البشرى إلا مواجهة مشاكله كوحدة واحدة ، بعد أن أصبح انقسام العالم الى معسكرات متنازعة لايعنى إلا خطر الدمار الشامل ، وأصبح على البشرية أن تختار ما بين الوحدة العالمية أو الانتحار !

هل يفوت قطار الثورة التكنولوجية الجديدة مصر؟

بقلم : د. عصام الدين جلال

منذ أوائل القرن التاسع عشر اهتمت مصر بإنشاء المعاهد العلمية وارسال البعثات لتربية الكوادر كما انشأت نواة للصناعة الحديثة فى عهد محمد على وسبقنا بذلك دول الشرق والعديد من دول اوربا .

وبعد اكثر من قرن ونصف تقف مصر على مفترق الطرق بين عبور فجوة التخلف العلمي والتكنولوجي وبين النكوص في اوحال التخلف إلى اعماق اكثر غورا .

فرغم نمو الهياكل التعليمية والعلمية وتضاعف عدد متخرجيها فان عقبتين اساسيتين تبددان عائد هذه الجهود .

أول هذه العقبات وأسهلها تخطيا هو تدهور النوعية وانعدام فرص التميز وارتقاء القدرات الذاتية ، ورغم المحاولات المتكررة فلم تفلح كل التجارب لتغيير السياسة التعليمية وسياسة البحث العلمي فى علاج القصور ومازال التدهور فى الكيف والنوعية يمثل المتخرجين والبحوث فى مصر بصفة عامة .

ثانى هذه العقبات واكثرها تعقيدا وإهمالا هو افتقار مصر إلى سياسة للتنمية التكنولوجية ولعل الكثيرين يتصورون أن التعليم والبحث العلمى يفرزان قدرات وإمكانيات تكنولوجية وهذا بعيد عن الحقيقة كل البعد فان التعليم والبحث العلمى ليس إلا خطوة تأهيل نحو مسار التنمية التكنولوجية .

وفى الحقيقة ان الدول النامية مثل كوريا الجنوبية وتايوان وسنغافورة لم تعتمد على البحث العلمى فى النهضة التكنولوجية الكبيرة التى حققتها فى مجالات السلع الاستهلاكية وآلات الانتاج والسفن والالكترونيات على مستوى

هل يفوت قطار الثورة التكنولوجية الجديدة مصر؟

منافس مع الدول المتقدمة .

كل هذا التقدم ليس بالضرورة يرتكز إلى اكتشافات جديدة او اختراعات مبتكرة ولكنه يرتكز أساسا على تنمية القدرة على استيعاب كامل للتكنولوجيا المنقولة من الخارج والقدرة على محاكاتها وتطويرها وملاءمتها لظروف الانتاج المحلى والاستهلاك العالمى .

ولعل اوضح مثل هو صناعة السيارات فى كوريا التى بدأت مع الصناعة فى مصر والآن مازالت مصر تعتمد اعتمادا شبه كامل على الاستيراد والتجميع فى حين ان كوريا تمثل اكثر المنافسين نموا فى الاسواق العالمية لصناع السيارات المتقدمين فى اليابان وامريكا واوربا . وهذا شأن هذه الدول فى كثير من الصناعات الأخرى .

والفرق هو أننا اظهرنا عبقرية فذة على مدى اكثر من ربع قرن ان لا نتعلم ولا نتقدم ولانحاول واستلنا إلى الاعتماد على الغير وقبول التبعية . فى حين ان كوريا خططت منذ اواخر الخمسينيات (فى نفس مراحل التنمية فى مصر) على ان تتعلم من كل اتفاق أو تجارة او معونة وتصر على ان تترجم كل هذه إلى معلومات وخبرة وقدرة . واقامت النظم المالية للتدعيم والحفز على تحقيق القدرة الذاتية والاعتماد على الذات ووفرت الدولة كل المساعدات والخدمات والحماية اللازمة لزيادة الاعتماد على الذات خطوة فى كل عام . وحمت السوق ومنحت الحوافز لموردى التكنولوجيا المتقدمة اذا نقلوا معها الخبرات والمعرفة والقدرة وليس لرأس المال الاجنبى الذى بدون تنمية للمعرفة والقدرات يتحول إلى اداة للاستعباد واستنزاف الموارد والمديونية كما هو حادث فى مصر والدول العربية والافريقية .

وهذا التخطيط العلمى والفنى والاقتصادى والمالى والتسويقى والتشريعى والاعلامى منطلقا من ارادة سياسية حاسمة هو مانسميه بسياسة التنمية القومية للتكنولوجيا . ولم تهتم كوريا باعطاء البحث العلمى اولوية إلا فى اوائل الثمانينيات بعد ان حققت قدرات تكنولوجية كفلت لها الاعتماد على الذات

والمنافسة بارخص التكاليف ومازلنا فى مصر نخلط بين الامور وندعي ان مراكزنا العلمية والتعليمية المتازمة هى طريقنا إلى التنمية التكنولوجية . فى حين ان سياستنا الاقتصاديه والمالية وتشريعاتنا وتخطيطنا هو تدعيم واستمرارية لنظام الاعتماد على الغير والتبعية واقامة فجوة لايمكن تخطيها بين هذه المراكز التعليمية والعلمية والانتاج وبحيث لاتمت نشاطات هذه المراكز فى الاغلب والاعم الى حقيقة

الاولويات والمرحلة والامكانيات . وعليه نستمر فى الاعتماد على موردى التكنولوجيا تسليم المفتاح في مجالات لايصح أن تخطر على البال مثل الانشاء والبناء وهى الصناعة التى اخترعناها فى مصر منذ ثمانية آلاف عام .

ومصر ليست فقيرة فى علمها أو خبرتها او ابنائها الذين يحملون اعباء التنمية فى العالم العربى بل ويسهمون اسهاما رائعا فى تنمية الولايات المتحدة وكندا واستراليا . ولكننا نفتقر إلى السياسة والاولويات القومية والاهداف المحددة والقدرة على تجنيد الاقتصاد والسوق والتشريع والتمويل والتخطيط بتناسق فى خدمة تحقيق هذه الاهداف القومية المحددة .

ورغم اننا انشغلنا فى اطفاء الحرائق واختراق الاختناقات على مدى اربعين عاما فان هذا فى عالمنا المعاصر لايمكن ان يقبل كمبرر لاهدار الامكانيات وتناسى المستقبل .

واليوم نحن نقوم بانشاء مراكز جديدة علمية للطاقة المتجددة والالكترونيات والهندسة الوراثية فى تباطؤ غريب فى عالم تكسب وتخسر فيه الاسواق العالمية فى شهور وتلغى صناعات وتكنولوجيات فعالة امام التجديد والابتكار .

ومع هذا فان انشاء هذه المراكز يتبع نفس الطريق الضال الذى انشأنا عليه مراكزنا ومعاهدنا على مدى قرن من الزمان . ننشئها بؤرا معزولة عن احتياجات وقدرات الانتاج ولانخطط للظروف التشريعية والاقتصادية والتمويلية التى تخلق طلبا على إنتاجها او قدرة على استيعابه فى الصناعة او الخدمات . واكثر ما اخشاه أن نستمر فى متاهات إنشاء المعاهد والمراكز مع استمرار الاعتماد على الغير والتبعية والارتكان الى ضعف الهمة وعتاقة الرؤيا بما يضيع معه مستقبلنا على غير ما نستحق ومانستطيع .

أن السياسة القومية الوحيدة التى نجحنا فيها هى خلق العقول وتصديرها وبالتالى تصدير عائدها وارباحها إلى الغير مع تحمل التكلفة والمصاعب فى دائرة العجز والفقر والمديونية .

ان كل مكونات النهضة التكنولوجية متوفرة فى مصر وكذلك يتوفر فيها الحافز والدافع والفرص لأنه ليس لنا بديل عنها لانتشالنا من ضائقة حاضرنا وحتى السياسة القومية للتنمية التكنولوجية تمت صياغتها ومناقشتها فى العلميين والصناعيين والاقتصاديين والحكومة واتفق الجميع عليها منذ خمس سنوات ولكننا مازلنا ندور فى متاهة التسويف والتواكل والاستسلام بل الواقع المرير .

فهل آن الاوان ان نعترف بفضل الله علينا بوضع حد لاهدار مواردنا وقدراتنا وفرصنا والتقدم فى عزم لملاحقة بل ومسابقة العالم المتقدم .

مستقبل



أى مستقبل ؟

فإسرائيل تصف نفسها ويصفها اصدقاؤها بانها "الدولة اليهودية" ، بينما كان حلم الحركة الصهيونية التى اقامتها أن تكون "دولة اليهود" ، الدولة التى يهاجر اليها اليهود كلهم من أطراف الأرض ، أو على قولها "يعودون" ليبنوا دولتهم ، فيصبحوا "شعبا كسائر الشعوب وامة بين الأمم" .

وبعد اربعين سنة من اقامة الدولة "عاد الى صهيون" من كل اربعة يهود واحد ، ويبقى ثلاثة حيث هم ، ومن هاجر منهم فمن "منفى الى منفى" ، فالعالم الواسع عند الصهيونية هو المنفى . بل انهم لا يريدون العودة . بل انهم يصلّون كل يوم ثلاثا "من اجل العودة الى صهيون" دون نية "العودة" ، وكيف يصبحون "شعبا كسائر الشعوب" بينما ثلاثة ارباع "الشعب" يحملون جوازات سفر دول العالم أو معظمها ، وبينما نسبة غير قليلة من "مواطنى" الدولة يحملون ايضا جوازات سفر دول أخرى ؟ وبينما تعداد اليهود الذين يعيشون فى الدولة "يزيد قليلا عن نصف تعداد اليهود الذين يعيشون فى مدينة واحدة ، نيويورك" حتى أن الصهيونى الأمريكى البارز "لوم دايان" قال عنها وعن اسرائيل انه "اذا

اسرائيل

بقلم : مصطفى الحسينى

كانت اسرائيل هى مركز العالم اليهودى ، فان نيويورك هى مصدر وجوده" وليس فقط بتعداد يهودها وانما بأموالهم التى يمدون بها اسرائيل وبنفوذهم الذى يحميها .

وكيف يصبحون "امة بين الأمم" ، بينما "دولتهم" وبعد أربعين عاما منذ اقاموها ، مازال شغلها اليومى هو الدفاع عن شرعيتها ، وعن شرعية وجودها وعن شرعية سلوكها معا . وبينما مازال مطلبها الذى ترفعه كل يوم .. ومن موقع القوة ! هو المطالبة "بالاعتراف بحقها فى الوجود" .

حتى علم الآثار ، الذى عرفه العالم استجلاء لغابر التاريخ وكشفا عنه ، أصبح فى "الدولة اليهودية" اداة لاثبات الوجود . حتى قال فيها الكاتب الأمريكى الفذ جور فيدال "انها دولة اثرية ، فى حرب مع جيرانها جميعا ، ولا تحب العالم وبالتالى لا يحبها" .

فاى مستقبل ؟

مفارقات الشتات

واصبحت المفارقات فى علاقة "الدولة اليهودية" مع يهود العالم اكثر من التوافقات او اغلب .

فاذا كان لاسرائيل ان تصبح "دولة اليهود" فعلى يهود العالم ان يهاجروا اليها . بل بغير هذه الهجرة ، فانه حتى "الدولة اليهودية" قد لا تبقى .

لكنه اذا كان "للدولة اليهودية" ان تقوى لكى تبقى ، فعلى يهود العالم ان يبقوا حيث هم يمدونها بالمال ويذودون عنها بالنفوذ .

فاى مستقبل ؟

اى مستقبل لهذه "الدولة" التى نزح منها ، حسب اكثر تقديراتها الرسمية اعتدالا ، واحد من كل عشرة من سكانها فى السنوات العشرين الأخيرة ، ناهيك عن ان هؤلاء النازحين ، فى اغلبهم ، هم الأكثر فتوة (فئات الأعمار بين ٢٥ و٤٠ سنة) والأكثر كفاءة (فى الولايات المتحدة وحدها ٣٢ الف اكاديمى و٨ الاف مهندس نازحين من اسرائيل) ، والأكثر قدرة على الابداع والانجاز والأوفر مبادرة .

وأى مستقبل لهذه "الدولة" التى

تعرف أن طوق نجاتها الوحيد من "الغرق في المحيط العربى" الذى أصبح فى داخلها هو المزيد من الهجرة اليهودية . ودعك من أن اليهود لا يهاجرون اليها ولا يريدون ، المسألة أن اليهود فى العالم كله يتناقصون . فتعدادهم فى عالم اليوم يقارب ١٢ مليونا حسب احصاءات المنظمة الصهيونية العالمية ، وحسب تقديرها سيصبح تعدادهم بعد ١٢ سنة (فى سنة ٢٠٠٠) حوالى ٩ ملايين .

اى مستقبل لدولة معين سكانها ينضب ؟

دولة خيبة الأمل

وهذه "دولة" الآمال الخائبة ، فضلا عن الأحلام الضائعة .

فاذا كانت الصهيونية قد قنعت من حلم "دولة اليهود" بواقع "الدولة اليهودية" ، فهذا حلم ضائع . اما الامال الخائبة ، فهى امال هؤلاء اليهود المتدينين الذين ظنوا "العودة الى صهيون" كفيلة لهم بـ "حياة يهودية كاملة" فوجدوا انفسهم مواطنى دولة حكامها يجاهرون بالالحاد ، ويحددون اليهودية بأنها "تمايز اليهود عن الأغيار" ويسعون الى احلال "القومية" التى لم يعرفها اليهود من قبل ، محل "الدين" الذين عاشوا القرون وعبروها واخترقوها يحملونه فى وجدانهم ، واذا بالصهاينة يفشلون فى خلق "الأمة" ويضيقون الخناق على "الدين" الذى يراه هؤلاء المتدينون ويريدونه "دينا كسائر الأديان" .

وخابت أيضا امال من داعبتهم احلام "صهيونية اشتراكية" تصحح وضع الهرم الاجتماعى اليهودى المقلوب فى الشتات و"تعيد اليهود الى قيمة العمل او تعيد قيمة العمل الى اليهود" كما قال فيلسوفهم "بوروخوف" ، فانشقوا او تابعوا انشقاق اسلافهم عن ماكانوا فى صفوفه واحيانا فى طلائعه من حركات اشتراكية واحزاب ، ليقيموا اشتراكيتهم على "ارض اسرائيل" فلا يمضى طويل وقت حتى ينهار الحلم ، ويرون "الكيبوتز" صورتهم المثالية للمستوطنة الاشتراكية يبتلعه اقتصاد السوق . واذا عماده ليس العمل اليهودى-الذى "عادت قيمته الى اليهود او عادوا اليها" ، انما عماده عمل مأجور ملوث بالتمييز العرقى .

يستخدمون العرب الذين افقروهم ويميزون اليهود عليهم فى الاجر والرعاية ، بل ويستخدمون المهاجرين اليهود الذين جاءوا من بلاد العرب ، وايضا يميزون انفسهم عليهم فى السلطة التى انتهم من ملكية الكيبوتز "الجماعية الاشتراكية" ويتحول ابناء "الكيبوتز" او اصحابه الى نخبة "اسبرطية" تتمتع بالامتيازات وتتميز بالصلف وتتيه بالزهو على من سواها من "المواطنين" بانها "الاكثر ولاء للدولة" ، وكأن لها على ولائهم مطعن .

وايضا خابت امال هؤلاء اليهود الذين هاجروا من بلاد العرب ، حيث كانوا ـ معظمهم ـ فى صفوف طبقاتها الوسطى ، او كانوا متميزين فى تلك الطبقات ، وما لبثوا ان وجدوا اغلبيتهم فى "الدولة اليهودية" محصورة فى قاع المجتمع ،

دون فرصة تذكر للنمو او للصعود او للانتقال ، فهذه "دولة" اقامها يهود أوربا لأنفسهم وعلى هيئتهم وقياسهم ، وعلى من يريد "الصعود" من سواهم فعليه ان "يتماثل" معهم ، ينضو عنه تراثه وثقافته ويهوديته الشرقية الاصلية ، ويرتدي "يهودية أخرى" غريبة وغربية ، نمت او بالاحرى تعوّق نموها ، في أحياء اليهود المعزولة في مدن أوربا ، واصبحوا ، هؤلاء اليهود الشرقيين ، لا يسمعون عن ثقافتهم ، بل وعن يهوديتهم ، الا الزراية ، بينما لا يرون فيها ما يزرى ، فهي توصف بألسنة يهود المعازل الأوربية بأنها "شرقية" وبأنها "عربية" ، ولذلك فهي لزوما "متخلفة" ، بينما الذي يميز اسرائيل هو "تفوقها النوعي على العرب" الذين هو ضمان أمن اسرائيل ، ناهيك عن بقائها .

فأي خيبة للآمال !

اليهود يضطهدون اليهود

وبررت الحركة الصهيونية حلم "دولة اليهود" الذي اختزله الواقع الى "دولة يهودية" ، بان هدفها ومسعاها ومبررها هو "تحرير اليهود" ، فاذا الدولة اليهودية هي اكبر مستودع في العالم للتفرقة والتمييز ضد اليهود !

ففي الجيش الاسرائيلي ما يسمى «خريطة عملياتية (أي غير رسمية) للأمن الطائفي» على أساسها يعامل الجيش جنوده اليهود . وتقسمهم الخريطة الى الفئتين المعروفتين : "الاشكناز" اي اليهود الأوربيين و"السفاراديم" اي اليهود الشرقيين ، وتعتبر هذه الخريطة أن الفئة الأولى "أكثر ولاء للدولة ، وأكثر كفاءة" وبالتالي فمن المفروض أن تشكل هيكل الجيش والمؤسسة الأمنية كلها ، بينما تعترف للفئة الثانية بالولاء الشديد للدولة ، لكنها تراها ذات كفاءات غير مستوية ، وبالتالي فمهمتها ان تزود الجيش ومؤسسة الأمن بالطاقة البشرية الكبيرة الحيوية لمهمات الأمن . أي بالوقود البشري .

وطبقا لهذه الخريطة ، كان ٦٧٪ من الانفار وضباط الصف في الجيش الاسرائيلي في اواخر السبعينيات من "السفاراديم" ، بينما كان نصيبهم بين صغار الضباط حتى رتبة نقيب ٣٠٪ ، تتضاءل الى ٣٪ (ثلاثة) بين كبار الضباط ، أما مجموعهم في سلك الضباط فلم يزد على ١٧٪ ومن بين ٢٥ ضابطا برتبة لواء في الجيش الاسرائيلي ، كان ثلاثة فقط من السفاراديم ، واحد منهم فقط يحتل منصبا عسكريا فعليا .

ويقول عالم الاجتماع الاسرائيلي سامي سموحة (ويبدو من اسمه انه شرقي - سفارادي) الذي رسم هذه الخريطة او كشف عنها ، ان هذا ليس وضعا مؤقتا ولا عابرا ، والاسباب عديدة : فالجيش الاسرائيلي هو امتداد للهاجاناة ، التي اقامها المهاجرون اليهود الاوربيون الذين اقاموا الدولة ، فاقاموا الجيش على عقلية غربية أوربية ، واعتبروها متفوقة ، واعتبروا تفوقها هو الذي يضمن "التفوق النوعي" على الجيوش العربية ، واعتبروا هذا "التفوق النوعي" ضرورة وجود لاسرائيل .

لكن سموحة يقول ان المسألة أعمق ، فكما الجيش كما المجتمع ، فهو يقرر انه في اسرائيل هناك تطابق بين الخريطة



الطبقية والخريطة الطائفية . فالشريحة الهامشية فى المجتمع ، معظمها يهود شرقيون ، وشريحة العمالة الدونية ، كلها شرقيون تقريبا ، وشريحة العمالة الماهرة ، معظمها شرقيون ، وفى الطبقة الوسطى وحدها يوجد قدر من التوازن بين الشرقيين والاشكناز مع افضلية للاخيرين ، اما الطبقة الوسطى ـ العليا ، فمعظمها من الاشكناز ، ونخبة السلطة اشكنازية بالكامل تقريبا .

ويقول انه مع ذلك فمازالت المسالة اعمق ، لأن هذا التطابق بين الخريطتين الطبقية والاجتماعية قد تحول الى ظاهرة دائمة فى المجتمع ، ينتقل من جيل الى جيل ويكتسب شرعية اجتماعية .

فاى تحرير لليهود !

وقالت الصهيونية ان دافعها وغرضها معا هو "تحرير اليهود من العداء للسامية" .

وبعدما اقامت الدولة اليهودية ، اكتشفت ان جرائم النازية قد حذرت العالم وطهرته من هذا العداء للسامية ، أو العداء لليهود .

فانزعجت ، لأن اليهود ، عندما لا تواجههم "مشكلة يهودية" بهذا المعنى ، فهم لا يهاجرون ، لا "يعودون الى صهيون" ، يبقون حيث هم .

واعتبرت "الدولة اليهودية" اختفاء "المشكلة اليهودية" من "الشتات" ، عرضا لمرض مستفحل ، وعدم واقعية واحد معالم التفسخ والاحتضار" ، كما يورد ميخائيل روزنيك ، وهو أستاذ مرموق لفلسفة التربية فى الجامعة العبرية .

بينما يرى يهود "الشتات" (اى الذين لم يهاجروا الى اسرائيل) ان اليهود فى اسرائيل ، هم بالاحرى الذين يواجهون "مشكلة يهودية" أمنية وديموغرافية . فجيرانهم لا يريدونهم ، لأن غير اليهود الذين يعيشون معهم سيصبحون اكثر منهم عددا فى مستقبل منظور .

"الدولة اليهودية" لا تستطيع ان تقيم وفاقا بينها وبين يهود العالم الذين تعتبرهم "امتدادها الطبيعى" فى هذا العالم .

فاى مستقبل ؟

وارادت الصهيونية ان تحرر اليهود من عقد المنفى ، لكن بن جوريون عندما ابلغ فى ١٩٧٥ بان الامم المتحدة ادانت الصهيونية بالعنصرية كفكر وكحركة ، لم يجد ما يقوله سوى "ليس مهما ما يقول الأغيار ، المهم هو ما يقول اليهود" .

وهى عقدة من عقد "المنفى"

وعندما تجد اسرائيل نفسها معزولة عن العالم وأمامه ، لا شغل لها فى مجتمع الدول سوى الدفاع عن سلوكها ، لا تجد ما تقوله سوى "العالم كله ضدنا" .

وهى عقدة اخرى من عقد "المنفى" سوى انها قبل اقامة "الدولة" كانت صيحة مريرة عاجزة ، اما بعد اقامة "الدولة" فترجمت نفسها فى الاعتماد على القوة العسكرية دون غيرها من وسائل الدول .

وبررت الصهيونية حلمها او مشروعها بانها تبغى تحرير اليهود من "الطفيلية الاقتصادية" لكنها ـ الحركة الصهيونية ـ لما اقامت الدولة ، لم تلبث ان وجدت انها اقامت دولة ذات اقتصاد طفيلي ، يعتمد على العون من الخارج ، ويقول مفكر استراتيجي امريكي مرموق ـ انتوني كورد سمان ـ انه "لن يلبث أن يتحول الى اقتصاد متسول" .

بينما يقول مفكر اسرائيلي ان اقتصاد اسرائيل قد تحول الى "اقتصاد مضاربات ، غير منتج ، يبتعد باجماله عن جوهر الحلم الصهيوني الذين تطلع الى مجتمع يهودي عامل ومنتج ، ويبدو أحيانا أن اقتصاد المنفى دخل من جديد الى تخوم دولة اسرائيل"

فاى مستقبل ؟

إنكار اليهودية

و"الدولة اليهودية" هي الدولة الوحيدة في العالم التي لا تنتمي الى "مجموعة طبيعية من الدول"

واعتبرت "الدولة اليهودية" ان "الشتات" اليهودي يعوضها عن ذلك ، رغم ان حلمها ، أو الحلم الذى قامت كى تحققه هو ان ينتهي "الشتات" واعتبرته "كتلتها الطبيعية" .

انما فوق عجزها عن اقامة وفاق بينها وبين هذا الشتات ، فهى لا تفتأ تهدده ، وفى "يهوديته" ، فلو أخذت اسرائيل بالتعريف الأورثوذكسي لليهودي ، لانكرت على غالبية الشتات "يهوديته" ، وفي هذه الأغلبية معظم اليهود الأمريكيين مصدر المال الذي يدعم والنفوذ الذي يحمي والضغط في اسرائيل للأخذ بهذا التعريف قوي ومتزايد .

ثم انها تطالب هذه "الكتلة الطبيعية" بولاء مزدوج ، تطالبهم بالولاء لها ، لا موازيا وانما متقدما على ولائهم للبلدان التي يحملون جنسيتها ويعيشون فيها .

لكن كثرتهم تقول لاسرائيل "انا امريكي أولا ، أو أنا فرنسي أولا ثم يهودي ثانيا" ، حتى ولو كانوا يقولونها ، رعاية لمصلحة ظاهرة وحاكمة .

وتقول هذه الكثرة للأسرائيليين : لقد حققتم مشروعكم ـ الدولة ـ فلماذا تحاولون تخريب مشروعنا ـ الاستقرار .

فاى مستقبل ؟

المسكينة العظمى

واسرائيل اصبحت الدولة الاعجوبة بين الدول ، فهى "الدولة المسكينة" التي يحاصرها بحر من العرب "يناصبونها العداء ويتعاظم قوتهم كل يوم" ، لكنها تتصرف كأنها "دولة عظمى" ، فتفرض ارادتها وسطوتها على هؤلاء العرب ، ولا تفتأ تتحدث عن "ذراع اسرائيل الطويلة"

وتقرر بقنابل الطائرات ان لها ، ولها وحدها ، حق تحديد سقف التطور العلمي والتكنولوجي للعرب أجمعين ، على نحو ما فعلت بالمفاعل النووى العراقى .

حتى اصبح العالم يحار كيف يعاملها "هل هى دولة من الدول تدافع عن "مصالحها الامنية المشروعة" أم هي عنصر لعدم الاستقرار في النظام الدولي كما قال دبلوماسى اسرائيلى بارز .

فاى "دولة" ؟

أى "دولة" تلك ، التى يأخذ فيها فريق



من الناس "القانون بيدهم" في ادق ما يعني الدولة ـ اى دولة ـ من امور ، فتقول حركات مثل "حركة المستوطنات" و"هتحياه" و"موراشا" و"كاخ" وغيرها ان الحكومة التى تتنازل عن اى جزء من الأراضى المحتلة حكومة غير شرعية ، وكلها حركات مسلحة برضا الدولة أو برضوخها ، بمقتضى الاستيطان الذى هو "من مقتضيات أمن اسرائيل" .

فهنا "مقتضيات أمن اسرائيل" تتحدى امن اسرائيل ، ان رأت حكومة ذات يوم ان الانسحاب من الأراضى المحتلة يوفر لاسرائيل الأمن .

فاى دولة ؟

ماذا لو ؟

أى دولة هذه التى تقوم على حلم تحقيق "القومية" و"الاستقلال" لشعب تصورته لنفسها (يبقى معظمه خارجها يحمل جنسيات دول اخرى) ثم لا تلبث ان تجد نفسها "رهينة" و"ملحقا" لدولة اخرى ، وتجد نفسها كذلك بحكم الضرورات التى كانت هى صلب اقامتها ؟ أو كما يقول "بيتر جروز" وهو كاتب امريكى صديق لاسرائيل ، يعمل مديرا لتحرير مجلة "فورين افيرز ـ الشئون الخارجية" ومديرا لبرنامج الشرق الأوسط فى "مجلس العلاقات الخارجية الامريكى" الذى هو من أهم المؤسسات الفكرية للسياسة الامريكية ان لم يكن اهمها جميعا . يقول جروز "اسرائيل محمية اقتصادية لدولة اجنبية كبرى هى الولايات المتحدة ، لهذا فان وضع اسرائيل الاقتصادى لم يعد مسألة داخلية ينبغى إبقاؤها فى ايدى الاسرائيليين" و"بذلك تلاشت رؤيا الاستقلال الاقتصادى التى عوّل عليه الحالمون الصهيونيون الذين أقاموا الدولة" و"عاجلا او اجلا ، سيكون للامريكيين شاءوا او ابوا ، كلمتهم فى تحديد الأولويات السياسية لاسرائيل" .

ولقد رأت اسرائيل فى ضمان الولايات المتحدة لوجودها ، ثم لأمنها ، ثم لرخائها ايضا ضمانا ما بعده ضمان .

لكن ما فاتهم ان يروه ، كما يقول دبلوماسى اسرائيلى مخضرم هو سميحا دينتز الذى عمل فى سفارتها فى واشنطن من بعد حرب ١٩٦٧ حتى عام ١٩٧٨ ، وزيرا مفوضا ثم سفيرا . يقول ان ما فاتهم ان يروه "هو ان اسرائيل ليست الرصيد الاستراتيجى الوحيد للولايات المتحدة فى هذه المنطقة ، فهناك ايضا : النفط وطرق نقله الى مواقع استهلاكه فى الغرب .

على أى حال ، فهو لا يمد هذه النظرة التحذيرية على استقامتها ، فيقول ان المصلحة الامريكية الاصلية هى النفط وطرق نقله ، وهى التى بيد العرب ، وان مكان اسرائيل فى هذه المصلحة الامريكية هو مكان "وظيفى" .

اى انه اذا تغيرت المصلحة ، أو تغيرت الموازين التى تحكمها ، تغير المكان الوظيفى ، الى حد انه يمكن ان يفقد وظيفته .

وفى اسرائيل ، هذا قلق كبير على مستقبل "الدولة" يعبرون عنه بالقول انه لا احد فى اسرائيل يجرؤ ان يسأل نفسه "ماذا لو غيرت الولايات المتحدة موقفها ، أو فقدت مصالحها فى المنطقة ، أو تغيرت اقدارها ومقاديرها ، أو تغيرت موازين القوى ، أو تغيرت قواعد الصراع الدولى ، أو حل فى علاقات السوفييت والامريكيين نوع من الوفاق الايجابى بدلا من الاستقطاب أو ما سبق بينهما من وفاق "بالامتناع" ، بل اذا حل السلام الشامل الذى تقول اسرائيل انها تنشده ؟

وهو سؤال اصبح من الشيوع ، بحيث يختصره الاسرائيليون فى كلمتى : "ماذا لو ؟"

لكن الاسرائيليين لا يسألون انفسهم : و"ماذا لو ؟" استجمع العرب امرهم ، وغيروا ما بأنفسهم ، واستبدلوا بضعفهم قوة ، واحتكموا على النفط وسيطروا على طرقه

فأى دولة ؟

لا بالحرب ولا بالسلام

وأى مستقبل ينتظر دولة تواجه مأزق امن ، لا تخرجها منه الحرب وتتصور أنه لن يخرجها منه السلام ؟

وقد بدأ مأزق الأمن مع النشأة ، بل هو صلب هذه النشأة ذاتها ، فقد بنت الحركة الصهيونية تصورها عن "دولة اليهود" على وهم اخر من الاوهام ، وهم ان فلسطين التى تسميها "ارض اسرائيل" هى "ارض بلا شعب" وبالتالى يستحقها هذا "الشعب اليهودى" الموهوم ، والذى لا ارض له ، لم تكن المسألة تدور بين المعرفة والجهل ، لأن العالم كله كان يعرف أن هذه الأرض هى أرض شعب اخر ، لكن المسألة هى ان الطمع فى الحقائق لا تبرره الا اوهام ، وقامت الحركة الصهيونية فنظمت وخططت وعملت وتآمرت متذرعة بهذا الوهم ، وجاءت بمن استطاعت ان تجىء به من اليهود ، ووجدت ان اقامة الدولة تقتضى ان تضعهم وتضع نفسها فى خدمة القوى التى بيدها الامر ، فلم تتردد ، لم يجعلها تتردد ان هذه القوى التى بيدها الامر كانت قوى معادية للامة التى ينتمى اليها الشعب صاحب الأرض ، بل ان ذلك بالذات كان يناسبها ، فالطامع لا يعنيه الا المغتصب ، وكانت هذه هى البذرة الاصلية لمأزق الامن ، جاءت "الدولة اليهودية" محمولة على موجة معادية ، وقاتلت الحركة الصهيونية لتقيم "الدولة" ونجحت ، واقامتها وان يكن على قسم من "ارض اسرائيل" ، واذا كان اصحاب الأرض قد غلبوا ، فانهم لم يستسلموا فبدأ نمو مأزق الأمن .

فالعرب لم يعترفوا بان هزيمتهم فى ١٩٤٨ و١٩٤٩ هزيمة نهائية ، فانتهت تلك الحرب بهدنة مسلحة ، ادت الى حرب اخرى ، ومن حرب الى حرب ، كما هو معروف .

وفى كل حرب "انتصرت" اسرائيل ، وهذا ايضا معروف ، حتى حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، رأت فيها اسرائيل "هزيمة فى البداية ونصرا فى النهاية" .

لكن "النصر" فى هذه الحروب جميعا كان نصرا كالهزيمة .

لأن هذا "النصر" لم يحقق لها اعتراف العرب .

ولأن هذا "النصر" هو الذى قاد



والمحيط الاطلسي غربا وجنوب اوربا شمالا ، والمحيط الهندى وجواره فى شرق افريقيا جنوبا .

وكانها امبراطورية عظمى من امبراطوريات التاريخ .

اليست مفارقة ان هذه "الدولة المسكينة" ترى لنفسها "مصالح أمنية" تفوق احلام الاسكندر الأكبر ، وحدود الامبراطورية الرومانية واطماع بونابرت ؟

وهل تطيق "دولة" مثل اسرائيل بحجمها وبعدد سكانها من اليهود ، وقدرتها الاقتصادية مضافة اليها معونات الامبراطورية التى تحميها ومعونات يهود العالم ، هل تطيق هذا الدور ؟

أم انها لا تستطيع أن ترى ما تحت انفها من حقائق ؟

فأى مستقبل ؟

والدولة اليهودية تعتصم بالحرب لأنها تخاف السلام .

تخاف ان حل السلام ان تفقد وجهها فى المطالبة بالعون ، سواء من الولايات المتحدة او غيرها من الدول ، أو من يهود العالم .

وهى فى غياب العون لا تستطيع ان تعيش ، فقد جاءت الى هذه الأرض بشعب يريد ان يحيا الرخاء فى اقتصاد فقير بالضرورة ، وعودته أن له "حقا" فى ان يعيش الرخاء على حساب الاخرين .

فهى تؤسس "حقها" فى المعونة الامريكية بالقول ان حاجة الولايات المتحدة اليها ، لا تقل عن حاجتها هى الى الولايات المتحدة .

لكن الامريكيين فى الحقيقة يشكون فى ذلك ، ويقول "بيتر جروز" الذى سبق ذكره ، ان هناك نزاعا امريكيا ـ اسرائيليا خفيا حول شرعية المعونة الامريكية ،

"الدولة اليهودية" الى ان تصبح تابعة ، ملحقة ، رهينة لقوة دولية كبرى على نحو ما رأينا ونرى .

ولأنه من مفارقات هذه الحروب جميعا ، أنه كلما كان النصر العسكرى الاسرائيلى واضحا وحاسما ، كلما ضؤلت ثماره السياسية ، مثلما حدث فى حروب ١٩٥٦ و١٩٦٧ و١٩٨٢ ، وكلما كانت نتيجة القتال "بين بين" استطاعت اسرائيل ان تجنى بعض الثمار ، مثلما حدث فى حرب ١٩٤٨ . حيث جنت اقامة "الدولة" وان لم يكن على "ارض اسرائيل" كلها ، ومثلما حدث فى حرب ١٩٧٣ حيث جنت اسرائيل سلاما مع مصر .

وكان من شأن هذه المفارقة ان تعلم اسرائيل درسها ، فكان من شأن نتيجة حرب ١٩٧٣ مثلا ، أن تعلم الحركة الصهيونية ان طريقها الى حل مأزق الأمن هو "مبادلة الاراضى بالسلام" على نحو ما حدث مع مصر .

لكنها لم تتعلم .

هل نقول لانه ليس ممكنا ان تتعلم ؟

لم تتعلم "الدولة اليهودية" ان الحرب لن تأتيها بالأمن ، رغم ان مأزق الامن اصبح يبتلع ثلث ناتجها الاقتصادى ، ورغم ان كل حرب "ظافرة" تزيد من هذا العبء ، ورغم ان كل حرب "ظافرة" تؤدى بها الى امتداد اوسع لما تعتبره "مصالحها الأمنية" حتى وصلت هذه "المصالح" الى حدود الهند شرقا

التى ينفقها الاسرائيليون على الاستهلاك ، ويرون ان لهم حقا فيها "لأنهم يعيشون على جبهة استراتيجية "الحياة عليها قصيرة" .

فاذا حل السلام ، لم تعد "الدولة اليهودية" هى هذه "الجبهة الاستراتيجية" التى يتحدث عنها الاسرائيليون ، أو لم تعد لها هذه الاهمية ، ومن شأن هذا ان يأكل مبرر المعونة .

حتى ولو أتى هذا التغير بطيئا ، وهو بالضرورة سيأتى بطيئا .

وتخاف ان حل السلام ان يستعيد اليهود الشرقيون وهم الان اغلبية السكان وعيهم باولوية هويتهم الشرقية التى يسميها الاشكناز بازدراء "عربية" .

تخاف المؤسسة الصهيونية - ان حل السلام - ان يتوحد اليهود الشرقيون مع العرب ضد المؤسسة الصهيونية .

تخاف السلام لأسباب تمتد من اكبر القضايا الى التفاصيل والعوامل الثانوية والتنبؤات الاحصائية .

ولأنها تخافه ، فانها لا تريده قائما حتى على شىء من العدل .

فهى تعرف ان العرب مستعدون لقبول سلام قائم على قدر من العدل .

لكنها بعد ان حاربت هذه الحروب كلها وقاتلت هذا القتال وحققت هذه الانتصارات اصبحت تخشى ان قدرا من العدل فى صلب السلام ، سيؤدى الى ان "يطمع بها العرب" .

لذلك لا تريد الا سلاما تفرضه وان يكن من خلال "شكل" المفاوضات . تريد سلاما يقنع العرب بقوتها وسطوتها وبأنها لا تهزم ولا تتراجع .

اى تريد سلاما مستحيلا .

وحتى لو حصلت عليه . لو حصلت على سلام يعطيها ما تحتل من الاراضى ، اليست هذه بذرة حرب جديدة ؟

وحتى لو حصلت على السلام على هذا النحو ، فالمفارقة فيه تصل الى حد الكارثة بالنسبة للدولة اليهودية . ففى ظل هذا السلام يصبح العرب هم اغلبية سكانها خلال ربع قرن من الزمان أو يزيد قليلا .

وتكف اسرائيل عن ان تكون "دولة يهودية" وتجد الحركة الصهيونية نفسها صفر اليدين ، فبعد ان ضاع الحلم يضيع الواقع الذى حققته .

وقد تؤجل هجرة يهودية يشجعها السلام هذه "الكارثة" لكنها لن تلغيها .

وهذا كله اذا حققت اسرائيل السلام بشروطها ، وفى الوقت ذاته اقرت لسكان ما ستضمه من اراض بحقوق المواطن .

فاذا انكرت هذه الحقوق القت ظلالا كثيفة على "ديمقراطيتها" فى نظر قسم من شعبها اليهودى ، وفى نظر العالم ، وهذه "الديمقراطية" هى احدى وسائلها فى استدرار التعاطف والمعونات .

وحتى اذا قبلت سلاما قائما على قدر من العدل ، فانسحبت من الاراضى التى احتلتها فى ١٩٦٧ ، فان "الاغلبية العربية" سوف تتأجل ، انما ليس وقتا طويلا . الى حوالى النصف من القرن المقبل ، بدلا من حوالى الربع منه .

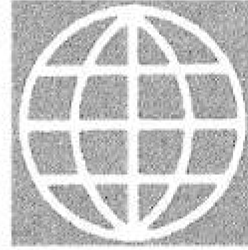
وهذا هو مأزق الأمن الذى لم تحله الحرب ، ولا تثق اسرائيل ، بل لا تعتقد ، بأن السلام قادر على اخراجها منه ، وعندها فى هذا ما يقرب من اليقين .

لذلك تجد نفسها محكومة بالمضى من حرب الى حرب .

كأنه قدر !

فأى مستقبل ؟

بل ، ويا له من مستقبل !



العالم في سطور

القاهرة

● ١٨٨٩ : عندما اتفقت الابراج



شارلي شابلن

ظاهرة غريبة يحتفل بها العالم هذا العام

فابتداء من شهر يناير الحالي يمر قرن كامل على عام ١٨٨٩ . ذلك العام الذي ولد فيه قرابة عشرين عبقريا في كافة انحاء العالم .. في ميادين متباينة من العطاء الانساني ويبدو كأن النجوم قد اتفقت في سمائها العليا ، في تلك السنة ، ان تمنح ابناءها اقصى درجات العبقرية في السينما والرواية والموسيقى والسياسة والفن التشكيلي ومجالات اخرى متعددة .

ولانه ليس للعبقرية وطن ، فسوف تجد ان عباقرة عام ١٨٨٩ قد جاءوا من انحاء شتى من العالم من مصر والهند والمانيا وبريطانيا وامريكا اللاتينية .. وغيرها من دول العالم .. في مصر ولد كل من عبد الرحمن الرافعي (٥ فبراير) عباس العقاد (٢٩ يونيه) وطه حسين (١٤ نوفمبر) وعبد الوارث عسر ..

وقد ولد الزعيم الهندي جواهر لال نهرو في نفس اليوم الذي ولد فيه طه حسين . اما شهر ابريل فقد شهد ميلاد ثلاثة من عباقرة العصر : اولهم المؤرخ الانجليزي المعروف « ارنولد توينبي » صاحب كتاب « دراسة التاريخ » (١٤ ابريل) والممثل المعروف تشارلي تشابلن (١٦ ابريل) .. ثم المواطن النمساوي ادولف هتلر (٢٠ ابريل)

وفي الخامس من يوليو عام ١٨٨٩ ولد الفنان المتعدد المواهب جان كوكتو (فرنسا) وهو شاعر ورسام ومخرج سينمائي ومسرحي وموسيقار وقد تميز في كافة هذه الفنون جميعها بنفس الدرجة . اما الموسيقار البولندي آرثر روبنشتين فقد ولد في الحادي والعشرين من يناير .. بينما ولدت الكاتبة الشيلية جابريلا ماسترال - الحاصلة على جائزة نوبل عام ١٩٤٥ - في منتصف العام .

وابناء هذا العام من العباقرة - في الغالب - من الفقراء العصاميين الذين تمكنوا من شق جبل الطموح . كما ان اغلبهم مات بعد ان تخطى السبعين من العمر ماعدا هتلر فعرفوا الشيخوخة وعايشوها كما توقف اغلبهم عن العطاء في السنوات العشر الاخيرة . من حياتهم مثل طه حسين وتشابلن وتوينبي .

اغرب ابناء هذا العام ايضا ، مولود من حديد

يتمتـع بنفس الشهـرة وعبقرية البناء والمكان .. وهو برج ايفل المشهور ..

السؤال : هل اتفقت الابراج فى هذا العام على ان تمنح العبقرية لعدد كبير من ابنائها ام انها مصادفة لم تتكرر قط فى تاريخ البشرية سوى فى عام واحد هو : ١٨٨٩ .

تل ابيب

● إسرائيل .. فى صنـدوق أسـود

اموس عوز هو احد اهم الادبـاء الاسـرائيليين المعاصرين وهو يهودى عربى جاءت اسرته من الجزائر ، وهران وعرف معسكرات الكيبوتـز

اموس عوز



وعانى مثل الكثيرين من السفارديم من العنصرية التى يمارسها الاشكيناز ازاء اليهود الشرقيين .

وينتمى اموس عوز الى اليسـار الاسـرائيلـى المؤسس لحركة السلام الآن .. وقد فازت روايته الاخيرة الصندوق الاسود اخيرا بجائزة فيينا ضمن الجوائز الاوربية التى تمنح للادب الاجنبى فى فرنسا وتحكى الرواية عن امراة تدعى « الانا » تكتب الى زوجهـا السابق خطـابا تخبره فيها انها لاتعرف اخباره منذ سبع سنوات وتحدثه عن ابنهما « بواز » الذى ينظر اليها على انها امراة عاهرة . وتقول انها تزوجت من يهودى متطرف يدعى ميشيل أنجبت منه فتاة .

وترسل المراة الى زوجهـا السابق رسـالة اخرى .. ثم ثالثة .. وتخبره انه كان شخصا نبيلا معها ، وهى تقر بذلك . لذا فانها تدعوه الى ان ياتى وينام معها من جديد .. وتطلب منه ان يساعدهـا بالنقـود لكن الرجل لايرد على رسائلها .. ثم يوافق ان يمارس معهـا لعبة الصنـدوق الاسود المغلق .. فدائما وراء الصندوق الاسود لكل طائرة حكاية خيانة .

والزواج الثانى للمراة كان فاشلا وغير متكافىء انه بين اثنين من اليهود ينتمى كل منهما الى ثقافة مختلفـة : السفـارديـم والاشكيناز .. والزوج رجل يطمع فى ان يكون سياسيا مرموقا . اما الصغير بواز فهو يجد نفسه فى عالم اسود ملىء بالخيانة وقد افتقد قيمه الانسانية .

ويقـول الكـاتب عن روايته فى مجلة « حدث الخميس » ان اغلـب شخصياتها متعصبون وهم الى نهاية سوداء مثل جميع المتعصبين ويقول الكـاتب « اناضـل منذ سنوات من اجل السلام الآن ، مناضلا من اجل الوصول الى التفاوض مع الفلسطينيين افهمـونـى جيدا لست مسالما ولكن يجب ان نقر ان هناك فى اسرائيل مناطق مأهولة بالسكان العرب .. وهذا الأمر سيودى بنا الى بلفاست جديدة حتى لو قدمنا الاراضى المحتلة فـوق طبق من فضة ، واعتقد أيضا ان حربا لايجب ان تحل المشكلة .. فيجب ان تحل المشكلة الفلسطنيه ..

بغداد

● النقد الغبي .. والرواية الجديدة


- الآن روب جرييه

فى اطار مهرجان المربد التاسع عشر الذى عقد فى بغداد الشهر الماضى، راح الكاتب الفرنسى المعروف الآن روب جرييه يرد على العديد من التساؤلات حول الرواية الجديدة .. واهتم بشكل خاص بأن يتحدث الى القارىء العربى عن المفهوم الصحيح لهذه الرواية . فمن المعروف ان جرييه هو احد كبار المنظرين والمبدعين ادبيا وسينمائيا لهذا النوع الادبى .. ويمكن اعتبار ان ماجاء على لسان جرييه فى احاديثه التى جاءت فى هذا المربد ابرز ماقيل عن الرواية الجديدة .. ويهمنا هنا ان نقتطف اهم ماجاء من اقوال :

«الشيء الوحيد الذى ينسجم مع ذاته ومتكامل هو الموت فقط .. واذا كان العلم حيويا دائما يكون هناك فراغ .. ففى كل الميادين فى الفلسفة وعلم النفس وكل النشاطات الاساسية حدث نفس الشيء وفى كل هذه الميادين ظهرت نظريات تبحث عن فراغ دائم .. ويصح هذا القول على الروائى فانا مثلا بدات باحثا بيولوجيا علميا ثم بدات بكتابة رواية . لماذا ؟ لاننى شعرت بغرابة العالم وقلت فى نفسى انا لا افهم مايحدث . ولا اننى لا افهم هذا العالم كرست نفسى للكتابة ولدى انطباع ان هذا هو التعريف الاولى للحداثة .. ففى هذه الروايات لم تعد التناقضات شيئا سيئا عما كانت فعندما نجد هذه التناقضات فى شخصية روائية من زمن بلزاك فانها تعتبر عيبا فى الرواية كما يراه بلزاك ويؤدى ذلك حسب مفهومه الى تناقضات فى مجمل بناء الرواية ولكن فى القرن العشرين نعرف ان الحقيقة ليست عقلانية» .

ويقول جرييه عن تطور الرواية الجديدة .

«فى الخمسينيات : كانت الرواية الجديدة موضة دون ان يقراها احد وكان يقال عنى اننى اطرد الإنسان من عالمى الروائى .. واكتب رواية محايدة او رواية بدون مؤلف واشياء لامعقولة وان هذه الاشياء هى التى أطلقت شهرتى اى اننى اصبحت مشهورا قبل ان استقطب قراء عديدين . وفى السبعينيات لم تكن كتاباتى موضة ، بل اخذت تستأثر باهتمام القراء مثلما حدث ايضا مع مرجريت دوراس وهى التى مضت عليها اعوام طويلة وهى كاتبة غير معروفة .. أما الآن فقد باعت روايتها « العاشق » اكثر من مليون نسخة وترجمت الى اربعين لغة» .

«وفى هذا العقد - الثمانينيات - حدث شيء غريب اصبح عندنا قراء عديدون وعدنا الى واجهة الموضة من جديد . انها ظاهرة غريبة حقا .

اذكر ان روايتى «الغيرة» ظلت ولسنوات

عديدة لايقرأها احد ففى طبعتها الأولى بيع منها ٣٠٠ نسخة فقط ، واشك ان كل من اشتراها قراها . اما الان فان الشباب يقرءون رواياتى ويشترونها باسعار غالية» .

ويقول الكاتب ايضا «يجب ان يخلق الكاتب نفسه ، ويخلق قراءه الخاصين» .. اما عن النقد الغبى التقليدى - كما اسماه - فقد اتهمه انه يريد طرد الانسان من العالم الروائى وان يضع المكان محله «لقد تغير مفهوم الانسان اولا فمنذ كانط وهايدجر، وهوسول، كان العرى فى داخل الانسان كان الانسان انذاك يخرج من ذاته ليأكل الاشياء بينما كان الوعى هو الباقى يبحث عن نفسه - الوعى ليس له دواخل - لان الانسان بدأ يلقى وعيه على الاشياء ..

باريس

● الأدب .. وليد الصدمات

الفنان .. حالات ابداعية ..



ـ كرستيان روشفور

وهذه الحالات لاترتبط شرطيا بأى من الظواهر المحيطة بها . مهما كانت الاسباب . ولذا فابداعه بين ارتفاع وانخفاض تبعا لهذه الحالات ..

ويمكن ان نطبق هذه الاقاويل ، بالضبط ، على حالة الكاتبة الفرنسية المعروفة كرستيان روشفور فقبل ثلاثين عاما بالضبط وفى عام ١٩٥٨ اطلت على العالم بروايتها الرائعة «استراحة المحارب» .. التى اعتبرت اولى الروايات الهامة فى الادب النسوى .. واعتبرت فصلا بين عهدين من ابداع المرأة .. وكلما جاء ذكر هذا النوع من الادب . ذكر اسم كرستيان روشفور وروايتها والتقطت السينما هذه الرواية فاخرجها روجيه فاديم فى فيلم قامت ببطولته برجيت باردو عام ١٩٦١ حول امرأة تجد متعة جبارة فى ارتباطها برجل سكير يتفنن فى اهانتها ..

وطوال ثلاثين عاما قدمت كرستيان العديد من الروايات .. ولكنها جميعا كانت اقل اهمية ومستوى من «استراحة المحارب» .. وقيل ان الكاتبة اسيرة لرواية واحدة لايمكن ابدا ان تطالها .. وترددت انه من الافضل أن تتوقف عن الابداع .

وفى الشهر الماضى اعلنت اكاديمية ميدتشى الادبية عن منح جائزتها السنوية فى الرواية لكرستيان روشفور عن احدث رواياتها الاخيرة «باب العمق» وكان معنى هذا الخبر ان الرواية الثانية عشرة للكاتبة قد استطاعت ان تقف شامخة فى ابداع الكاتبة مثل روايتها الاولى فجائزة ميدتشى تمنح للادب التجريبى المميز .

وتتناول الكاتبة فى روايتها الجديدة ذكريات طفلة صغيرة تتكلم عن الحياة العاطفية والجنسية لابيها وهذا الاب ليس سوى موظف بسيط . وجد نفسه وحيدا مع ابنته الصغيرة فراح يعشق نساء القرية وكان لايتورع ان

يمارس الحب امام عينيها فاصبحت كيانا كبيرا قبل ان تبلغ سن الانوثة وكما صدمت كرستيان قراءها فى روايتها الاولى من خلال بطلتها جينفيف .. فانها عادت لتصدمهم مرة اخرى فى هذه الطفلة المراة وقال الناقد ايف سالج - فى مجلة جوردو فرانس - ان الكاتبة صنعت نموذجا ادبيا مهانا ويثير الشعور بالاهانة .. والاحتقار ..

من بين الروايات الاخرى التى نشرتها السيدة روشفور خلال عمرها فى العطاء .. « وردة لموريسوف » و « الاطفال اولاء .. و.. العالم مثل حصانين » و« الربيع فى موقف انتظار السيارات ».

روما

● الرابح الحقيقى فى الجوائز الأدبية

اكثر من الف ومائتى جائزة ادبية تمنح سنويا فى ايطاليا ..

أجل . الف ومائتان جائزة .. وليس فى الأمر خطأ مطبعى بالمرة .. فاذا كانت فرنسا تفخر انها تقدم سنويا ٢٥٠ جائزة . فان هذا العدد الذى يمنح فى ايطاليا يحث على التساؤل : هل الحركة الأدبية مزدهرة إلى هذا الحد فى ايطاليا . فالجوائز الأدبية تمنح عامة للأدب المميز . ويعنى هذا الرقم اذن أن هناك الف ومائتى كتاب يصدر سنويا ويستحق الجائزة ..

اشهر هذه الجوائز « بوكاتشيو » التى تمنح فى فلورنسا للمقال الأدبى . اما جائزة ستريجا » التى تأسست عام ١٩٤٧ ، فهى تمنح فى روما . والمحلفون فى هذه الجائزة يزيدون عددا عن المائة متخصص من ادباء وصحافيين واساتذة جامعة وسياسيين .

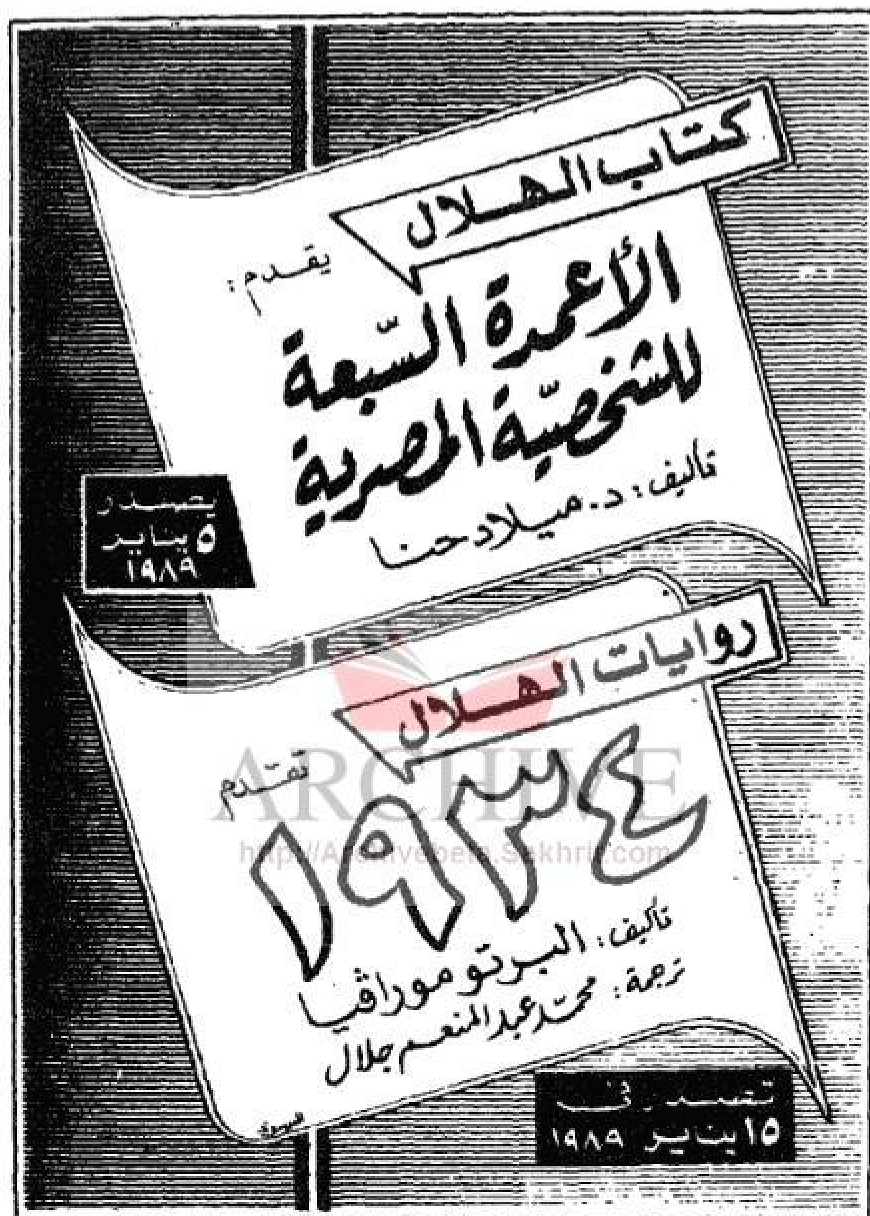
والجائزة الثالثة تعرف باسم فيرجيو وقد تم تأسيسها عام ١٩٢٩ وتمنح من قبل احدى دور النشر المعروفة فى مدينة روما وهى دار اينورى .

وفى عام ١٩٦٣ انشا اتحاد الصناعات جائزة ادبية تحمل اسم كامبيللو . وهى جائزة نقدية تمنح للنقاد والكتاب . وقد حصلت عليها هذا العام الكاتبة روزيتا لوى عن روايتها « الشارع الواسع » .

اما اكثر الجوائز اهمية - بعد جائزة مونديللو - فهى جائزة باناكاريللا ويمنحها اتحاد المكتبات لاكثر الكتب الادبية مبيعا بينما تمنح جائزة باجوتا لأحسن رواية ايطالية نشرت فى نفس العام .

وتقول جريدة ليبراسيون - ١٧ نوفمبر ١٩٨٨ - ان موسم الجوائز الادبية الايطالية يبدأ عادة فى الربيع . وينتهى فى شهر سبتمبر . وترى أن هناك اتهاما موجها إلى الناشرين فى انهم يضغطون على هيئات التحكيم فى الجهات التى تمنح الجوائز من أجل أن تخصص الجوائز السنوية للكتب التى تنشرها هذه الدور .. وهى سمة معروفة فى كافة الدول الأوروبية





كتاب الهلال
يقدم:
الأعمدة السبعة للشخصية المصرية
تأليف: د. ميلاد حنا
يصدر 5 يناير 1989
روايات الهلال
تقدم
١٩٣٤
تأليف: البرتو مورافيا
ترجمة: محمد عبد المنعم جلال
تصدر في 15 يناير 1989

يحيى حقي

محباً وناقداً للسينما

بقلم : مصطفى درويش



« نشأت فى اسرة تتعشق السينما رجالا وصبيانا ، لايخرج حديث مائدة العشاء عن ذكر الافلام القديمة والحديثة والقادمة . وعن ترديد اسماء الممثلين فى ايطاليا والمانيا وامريكا والمقارنة بينهم .

لااشترك فى الحديث ـ لصغر سنى ـ بل تلتقط أذناى منهم كل كلمة تقال »

هكذا حكى صاحب « قنديل ام هاشم » الذى لايجىء ذكر لاسمه الا وتذكر هذه النفيسة التي يزداد ماتقطره من زاد على مر الايام عطرا وسحرا .

● قصة حب

هكذا حكى « يحيى حقى » لنفسه ولنا فى فاتحة المجلد العاشر من الكتابات النقدية « فى السينما » كيف وقع فى غرام السينما قبل خمسة وسبعين عاما او يزيد ، اى وهو يتحسس طريقه صبيا لايزال .

وعلى كل ، فهذه الفاتحة الصغيرة الكبيرة القيمة قد كشفت لنا عن جانب مضىء فى صاحب « القنديل » انفرد به دون ادبائنا الكبار جميعا ، وهو شغفه بالسينما ، واتقاد شرارة هذا الشغف ،فى قلبه على وجه انعكس فى شدة اهتمامه بالفن السابع وحسن تلقيه لما كان يشاهد من افلام ، وسرعة تصديه بالكتابة فيما ارتآه منها حدثا سينمائيا هو فى الغالب كذلك بفضل رؤية عميقة تستند الى ذكاء وعلم وسع الكثير من لغة العصر .

واول ما يلاحظ على هذه الكتابات انها رفيعة المستوى فى الاسلوب لاتجنح الى استعمال غريب الالفاظ بل على العكس تميل الى ماكان منها سهلا ممتنعا يسيل سيل نبع وديع لايعكر صفوه لفظ واحد خارج ثقيل .

ولاغرابة فى هذا ، وقد عاش فى بيت وصفه فى حديث اجراه معه الأديب « فؤاد دوارة » صاحب الفضل فى خروج هذه الكتابات الى النور منذ خمسة وعشرين عاما الا قليلا ، وصفه بانه كان يغلب على جوه اولا : شىء من الاعجاب برشاقة اللفظ والابتهاج بالتوفيق فى العثور عليه . وثانيا : نوع من الحياء بحيث ينتبه الى زلة اللسان مهما كانت طفيفة .

● قوى الظلام

وكم هو مثير للحزن ، ان معظم هذه الكتابات قد شاءت لها الاقدار الظالمة ان تنشر فى صحف قليلة التوزيع والتأثير كما المساء والتعاون .

وان تحجب بذلك عن قراء صحف ذات جلال فى كل العهود مثل الاهرام والاخبار .

فلو لم يحدث هذا العزل غير العادل لكان للنشر اثر كبير . ولما انحدر النقد الى مستواه المتدنى حاليا

ولن اتوقف ولو قليلا عند وليمة الكلمات فى كتابات واسلوب اديبنا الموهوب فهى



يحيى حقي
محباً وناقداً للسينما

وليمة دسمة غنية عن اى بيان .

وانما اتوقف عند ظاهرة صفاء ونقاء هذه الكتابات وخلوها من شوائب العبارات العوراء التى تمتهن النقد بالكراهية والقبح والبذاءات .

خذ مثلا ماكتبه فى نقد فيلم « البوسطجى » المأخوذ عن رائعته التى بنفس الاسم .

● القاعدة والاستثناء

انه قلق ازاء اخراج « حسين كمال » لهذا الفيلم غير مرتاح له ارتياحا تاما .

فماذا كتب ؟

بداءة كتب انه قبل ان يرى الفيلم لأول مرة فى الاسبوع الثانى من عرضه قد استمع لاراء عديدة عنه تتراوح بين الثناء الشديد والذم الشديد .

(هذه ذريعة لبيان انه ـ وهو صاحب القصة ـ لم يشاهد الفيلم قبل عرضه على الجمهور ، بل ان مشاهدته له قد تأخرت الى مابعد انتهاء الاسبوع الأول) .

وما ان انتهى من هذه المقدمة التى كشفت عن قلة ذوق صانعى الفيلم حتى انتقل الى تباين الاراء فيه متخذا منها برهانا على انه « قد شذ عن بقية افلامنا العديدة التى لاترتفع لمستوى النقد . وهذا نجاح من العدل والانصاف ان نقر له به مهما اختلف حكمنا عليه .

انه جعلنا نترك مقالب الزبالة أو مقابر الاموات لنخالط الاحياء فى العمار ، اصحاء كانوا ام معلولين فالمطلب الأول فى العمل الفنى هو دبيب الحياة فيه » .

● الفلك المستقل

وبعد الكلام عن القصة والخيطين اللذين انعقدا فيها واراد لهما القدر ان يتشابكا .

الخيط الأول مفتول بصدقه فتلا فوتوغرافيا عن الواقع ، وهو مصرع « جميلة » الخاطئة على يد ابيها

والخيط الثانى من محض الخيال . مأساة البوسطجى ، هذا الشاب القاهرى الذى يفترسه الملل فى الصعيد المحايد الذى لاعليه ولا له يقلب كما ابله دوستيافسكى كل مجتمع يخالطه .

استطرد فى محاولة منه لتبرئة الفيلم من تهمة اهدار صاحبه روح القصة ، قائلا :

« دعوا القصة جانبا . **الفيلم عمل فنى مستقل بذاته . اننا نحلس من داخله لا من خارجه . والمخرج هو صانع الفيلم لا كاتب القصة . وكل نجاح او فشل للفيلم ينبغى ان ينسب كله للمخرج** »

● غربة ورجاء

ولكنه ها هو ذا قريبا من نهاية المقال يستسمح الاستاذ « حسين كمال » فى ان يقول له ناصحا بان « لايرسل الفيلم لمهرجان كما هو ، فان حساسية الذوق فى اوربا تأبى ان يرى المشاهد بعينه منظر السكين فى يد الاب وهو يطعن بها ابنته

كانها شاة او دجاجة .
والقصة تركت جميلة ولاشىء يدل على قتلها الا دق اجراس الكنيسة » .
متمنيا عليه وعلى شركة القاهرة للانتاج السينمائى لو كان فى استطاعتهما اعداد خاتمة اخرى غير هذه الخاتمة .
وطبعا لم تسمع لا الشركة ولا المخرج لقول الاديب الاريب . وبقيت الخاتمة كما هى دون اى تعديل .
مثل اخر لهذا النقد الفريد الأقرب الى التلميح منه الى التصريح ماكتبه فى حق فيلم « الحياة ، الحب ، الموت » ، لصاحبه المخرج الفرنسى « كلود لولوش » المعروف بغلوه فى الانتصار للصهيونية
فى هذا الفيلم عالج « لولوش » قضية الحكم بالاعدام وهل يجوز للمجتمع ان يقتل القاتل فيماثله بل قد يفوقه قسوة .

● مصائب قوم

والبطل الذى وقع عليه اختياره للفيلم فتى اسمر اللون منحدر من اصل جزائرى . عنين مصاب بمرض نفسى دفع به الى خنق عدد غير قليل من المومسات .
وزاد المخرج من تعدد وتشابك الخيوط التى تصور هذا البطل رجلا ممزقا بين العقل والجنون . بين الاستقامة والشذوذ بان جعله ايضا لصا يسرق وفى يده مسدس يهدد به ضحاياه .
ومع كل ذلك فالمخرج يقول ان قتل مثل هذا الرجل المريض الضعيف جزاء على جرائمه ، انما هو نوع من السادية .
ولذلك اطال فى تصوير عذابه فى السجن انتظارا ليوم اعدامه .
بل صوّره لنا وهو يقاوم جلاديه ساعة ان سحبوه للمقصلة . فاذا بهم يجرونه بعنف جرًا

– يحيى حقى عند أعالى النيل حيث ينابيع الشمس ..





يحيى حقي
محباً وناقداً للسينما

● صدمة عنيفة

وفي راى اديبنا صاحب الكتابات ان السادية التى اراد المخرج ان يحاربها قد استهوته ، ، فاذا به اشد اسراعا وغلوا الى الوقوع فى مخالبها ، فان هذا الذى فعله باعصاب المتفرجين ما هو الا اغراق فى السادية يزيد بكثير عن حاجة الدفاع عن القضية التى يريد ان ينتصر لها . وهذا مثل للشيء اذا زاد عن حده انقلب الى ضده .

وهنا لم يستطع اديبنا الساخر ان يقاوم اغراء روح الدعابة التى اشتهر بها ، فاذا بقلمه يجرى فى ختام المقال « الحكم بالاعدام » على الوجه التالى « لقد خرجنا من الفيلم ونحن نتقزز من سادية « لولوش » ونسينا قضيته لم نعد نسأل انفسنا هل يستحق هذا المتهم الضعيف الاعدام او لايستحقه ؟ ولعلنا فى ضمائرنا نقول ان الذى يستحق الاعدام هو « لولوش ». نفسه » !!

وروح الدعابة او الفكاهة هذه هى ثانى مايلاحظ على كتابات « يحيى حقى » فى السينما .

وليس هذا بغريب على اديب قرأ « البخلاء » « للجاحظ » وهو صغير وتتلمذ على الشيخ « محمود شاكر » وهو كبير (١٩٢٩) .

واكاد اعتقد ان رؤية « حقى » الفكاهية التى ما ان تقع على شيء فى الحياة الا وترى بروح الابتسام مافيه من نقص ونقائض ومفارقات ، هذه الرؤية هى من اهم وجوه كتاباته فى السينما :

● السجل العتيد

انظر مثلا الى لوحته التى رسم فيها ليلة افتتاح اول ندوة للسينما فى حدائق قصر عابدين بالفيلم السوفييتى « عطيل » .

انك لن تستطيع بعد ان تفرغ من قراءتها الا ان تبتسم احيانا وتقهقه ضاحكا احيانا اخرى .

ذلك انه صور لنا فيها كيف « اتت له تلك الليلة التى علق عليها هو واخرون اكبر الآمال بنكبة مخجلة ، وكيف كانت « بمثابة سجل ناطق صارخ بجميع عيوبنا التافهة والجسيمة معا ، والاصيلة والدخيلة معا » .

ومن بين عيوب هذا السجل العتيد التى سلط الناقد الساخر عليها الضوء اننا بدلا من ان نستعد ثم نبدأ أتدبينا وقلنا نبدأ ثم نستعد .

وهذه هى المصيبة

لا فى الغفلة والتقصير فالادراك لاينقصنا ولابذل الهمة . بل فى ترتيب الاولويات مع انه من البديهيات .

وها هو ذا ، بعد ان قلب صفحات سجل عيوبنا يقف منها ساخرا سخرية مريرة ، عندما يقرأ معنا برنامج الندوة المتضمن خلاصة للفيلم وبيانات عنه .

● التقصير

« فاذا به مشحون بالاخطاء المطبعية حتى فى النص العربى .

« الفيلم يدرس شعور الغيرة » جاء بدلها « الفيلم يدرس الشعور العيرة » كأنه اعلان عن دكان حلاق .

« ان دماثة ديزدمونا على نقيض عنف عطيل » اصبحت ان دمامة ديزدمونا على بعض عنق عطيل » .

لم توصف الحلوة بالدمامة الا فى بلدنا .

سألت محمد افندى قال لى انه احمد افندى ، واحمد افندى قال لى انه فرج افندى ثم قيل لابد من احالة التحقيق للنيابة الادارية .

(من المفيد التنبيه هنا الى ان اديبنا هو اول واخر مدير لمصلحة الفنون التى نظمت تلك الندوة التى اطلقوا عليها اسم ندوة الفيلم المختار .

وهذا سر سؤاله عن الشخص الذى يحمل اوزار وتبعات التقصير فى تنظيم تلك الندوة) .

ومهما يكن من امر هذا العناء المتصل الذى جرى احتماله املا فى الفيلم الموعود المنتظر ، فانه لما اطفئت الانوار ووجدنا فى الظلام رحمة فاذا عطيل لايظهر على الشاشة البيضاء لانها اشد منه سوادا ، لم نر عليها الا وهم اشباح مبهمة ، وتحت اقدامها كلام منطمس بالعربى والفرنسى .

وسألت فقيل : ان الة العرض كان ينقصها نوع من الفحم لم نجده فى السوق .

تعالى يافرج افندى ، قال انه محمد افندى ومحمد افندى قال انه احمد افندى ، وقيل انه لابد من احالة التحقيق على النيابة الادارية » !

وآخر مايلاحظ على الكتابات ان « يحيى حقى » وهو يختار مايعرض له بالنقد من الافلام التى اتيح له ان يشاهدها خلال عقدى الخمسينيات والستينيات لم يقع اختياره الا على الهام منها اما لموضوعه واما لما يتحلى به من براعة فى حرفة السينما ، مع جنوح واضح منه الى الافلام التسجيلية لاسيما ما كان منها يدور حول مصر .

ومن هنا تمهله فى الوقوف عند افلام تسجيلية منسية مثل فيلم المخرج « ولى الدين سامح » عن الحياة اليومية عند المصريين زمن الفراعنة وفيلم المخرج « احمد راشد » « العار لأمريكا » ، وفيلم « الفلاح الفصيح » للمخرج الراحل « شادى عبد السلام » و« ينابيع الشمس » للمخرج النيوزيلاندى « جون فيينى » الذى جاء الى مصر قبل ربع قرن من عمر الزمان ، ولا يزال على ارضها يعيش .



يحيى حقي
محباً وناقداً للسينما

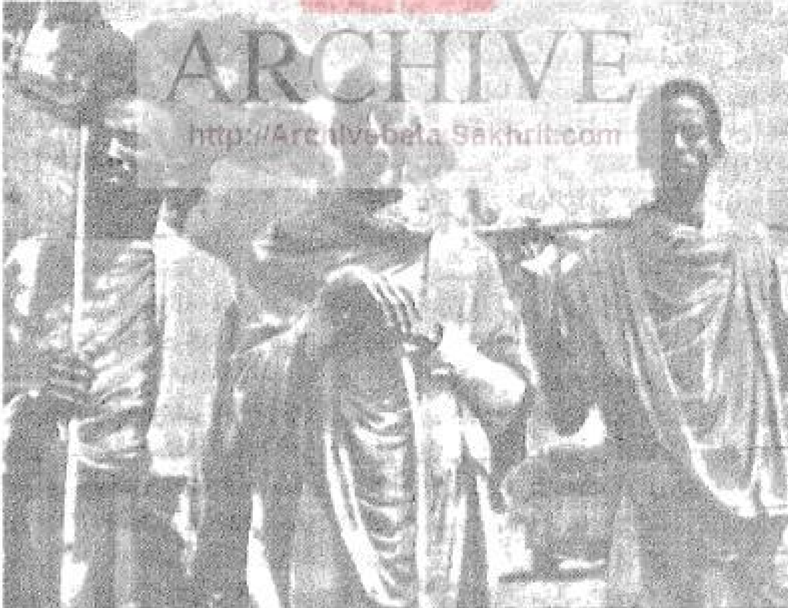
بل انه افرد لكل واحد من المخرجين الاخيرين صاحبى « الفلاح » و« الينابيع » اكثر من مقال .

● تمنيات وأحلام

وكم كان اديبنا بعيد النظر عندما دعى الله فى ثالث واخر مقال له عن « الفلاح الفصيح » ان « يحرس تجم « شادى » فى ضلوعه ، وان ينجيه من المخاطر مخاطر الاغترار بالنفس تأتيه من داخله ، ومخاطر العقبات الجسام التى تلقيها فى طريقه تحكمات الروتين الحكومى أو بعض الذين يعدون كل نصر لغيرهم هزيمة لهم . او الذين يمنحهم فقرهم الغنى ثراء فاحشا فى الهجوم والتجريح » .

ولاعجب فى كل هذا الحماس للسينما التسجيلية فى فنان ولهان بحب شعب

ـ شعوب وقبائل وادى النيل



مصر يحلم بفيلم عن « النخلة تلك الشجرة العجيبة ذات الخط الواحد ام الخير والبركة » .

ويحلم بفيلم اخر عن الغراب « هذا الطائر العجيب الذى يعيش بيننا ولانتنبه له كثيرا » .

وبفيلم ثالث عن « نيلنا العظيم من منبعه الى مصبه . يعرض علينا حياته وشطآنه وصخوره ومختلف شعوبه وحيوانه ونباته » .

وفى الحق ، فلم يتحقق من هذه الأحلام سوى فيلم واحد ، « ينابيع الشمس » الذى استغرق اعداده خمسة اعوام كاملة (من ١٩٦٢ الى ١٩٦٧) .

كما استغرق تصويره ستة شهور ، واقتضى السفر الى اوغندا والحبشة والسودان والصعود الى اعالى جبال القمر . هذا الفيلم التحفة معروض الان فى القاهرة (ابريل ١٩٧٠) . سأوارى وجهى من الخجل اذا لم يشتد الاقبال عليه . اتمنى ان ارى على باب السينما زحاما لايقل عن الذى تحظى به افلام الجنس والجريمة او رعاة البقر الامريكان » .

ولابد انه اخفى وجهه خجلا عندما علم ان الفيلم قد فشل ، فلم يستمر عرضه فى دار السينما سوى أسبوع بالكاد كان هو الأول والأخير .

● الصيحة والصدى

وكم كان متفائلا اديبنا عندما كتب مناديا « هيا بنا نعرضه سريعا فى المدارس والقرى ، وفى التليفزيون بعد وقت غير طويل والمسامح كريم يامؤسسة السينما .

ثم نبذل كل جهدنا ـ وهذا هو الأهم ـ فى الترويج لهذا الفيلم فى الاسواق الخارجية للعرض السينمائى والتليفزيونى .

يكفى ان اسم مصر سيتردد على الالسن ، ويعود مقامها الجليل فى الحضارة الى الاذهان » .

كم كان متفائلا فشىء من هذا لم يحدث لم يعرض « ينابيع الشمس » لا على الشاشات الكبيرة او الصغيرة فى الخارج حتى هذه الساعة .

كما لم يعرض على شاشات تليفزيون بلدنا الا فى العام الماضى بمناسبة اعادة الاحتفال بوفاء النيل .

ولست اشك انه لو وصل الى علم اديبنا صاحب « دمعة وابتسامة » ما واجه « ينابيع الشمس » من اهوال تفوق كل خيال لاستمر هادئا متفائلا لاتفارقه ابتسامته الوديعة المشبعة بروح العطف .

فهو من تلك الفئة القليلة التى لاترى مايدور حولها بمنظار قاتم .

هو من القلائل اصحاب القلوب الكبيرة التى تحمل لنقائص الانسان ونقائضه عطفا كثيرا ورثاء غير قليل .

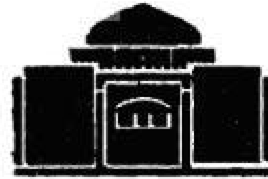
دائرة الحوار

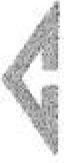
التحرر من عقدة الأوبرا

بقلم : محمد فتحي

● الطبول الأوبرالية لافتتاح "المجمع الثقافى التعليمى" الجديد آخذة فى الارتفاع .. ومشاركتنا فى الاحتفال بهذه المناسبة لا تمنعنا من مد البصر لتمحيص الدور الممكن والواجب لهذا الصرح الجديد ، وسط نبض الواقع الثقافى لحياتنا الراهنة ، بعد أن تنتهى مظاهر "الفرح أو الزفاف" الواجبة ..

وطالما كانت وقفتنا أمام صرح من صروح الفن والعلم والتحضر فلا بأس من أن يكون زادنا بعض الحس الحضارى وبعض العلم والفن .. وطالما ارتفعت أصوات الطبول الأوبرالية لابأس من أن تكون وقفتنا تمحيصا لتاريخ وحاضر ومستقبل فن الأوبرا ، عالميا ومصريا ، لنعرف مدى قدرتنا على هذا الفن والحجم الذى يجب أن يشغله فى مدينة الوجدان العربى ، إلى جوار الاحتياجات الثقافية الأخرى التى يفرضها الوعى بجوانب مسيرتنا الثقافية وظروف حياتنا ..





خلال عشاء عمل (فى إحدى المجلات الثقافية) استأذنت فى الانضمام الى حوار كانت الدكتورة رتيبة الحفنى أحد طرفيه . وكان الحديث يدور حول الموسيقى العربية ، ودور الفنان محمد عبد الوهاب فيها . ولاأدرى بأسا من تجاوز موضوع هذا الحديث مباشرة الى التعبير عن إعجابى بموقف للدكتورة رتيبة ، أكثر إفصاحا وإبانة ، يضعنا مباشرة فى قلب مشكلتنا . فالدكتورة رتيبة ، وهى من هى فى دنيا الأوبرا ، لاتكل من الدعوة الى الموسيقى العربية ، وبرنامجها التليفزيونى الذى يحمل هذه اللافتة ماهو إلا إشارة بليغة الدلالة ، ولكنه ليس الاشارة الوحيدة ، فما من مرة قرأت أو إستمعت للدكتورة رتيبة إلا ووجدتنى مع الموسيقى العربية ، والتراث ، ومن فات قديمه تاه .. وعدم الارتياح الى الموجات الحديثة المتميعة .. بل ومع استنهاض الهمم ضد الغزوة الحضارية التى تحاول النيل من وجداننا .. إلا ووجدتنى باختصار مع استحالة ولادة فن جديد من خلال الثورة لمجرد الثورة ، ومع فهم التطور على أنه انطلاق من التراث وتواصل معه ..

وقد يرى البعض فى ذلك تناقضا تعانيه واحدة من رائدات الأوبرا فى مصر ، بينما أجده عونا على كشف "حالة الوحام الأوبرالى" التى يعيشها قطاع من مثقفينا اليوم ، ذلك أن تحرر الدكتورة رتيبة من عقدة الأوبرا ، بسبر "العالم الأوبرالى" على نحو متعمق يسر لها أن تضع قدمها على الطريق الصحيح ، دون مبالغة فى تصور احتياجاتنا أو إمكاناتنا الأوبرالية ..

ولعل المفارقة الثانية التى تكمل إطار "حالة الوحام الأوبرالى" هى تسمية "الأوبرا الجديدة" التى نصر على أن يكون علما على المؤسسة الثقافية الجديدة فى أرض الجزيرة ، بينما يسميه اليابانيون "المجتمع التعليمى الثقافى" . ودع عنك مسألة كون قوانينهم لاتسمح بمنح لدول كى تبنى دورا للأوبرا ، أو مسألة عدم وجود دار للأوبرا فى اليابان نفسها ، رغم وجود عشرات مما هو شبيه بالمبنى الجديد ، وربما مما هو أرقى منه .

وصحيح أن المراجع الفنية لاتنسب الى اليابانيين إنجازات أوبرالية متميزة تدفعهم إلى الاحتفاء بالأوبرا . لكن هذه المراجع لاتنسب لنا أيضا أية إنجازات تبرر مثل هذا الوحام ..

وليست المسألة مجرد خلاف حول تفصيلة صغيرة أو حول مسألة شكلية ، لأننا بصدد عينة دالة تشير الى توجه يمكن أن يكون عاما فى شئون الثقافة ،

ونقصد بذلك ثقافة المهرجانات والسياحة و .. أو ثقافة التباهي والاكسسوارات والتسميات البراقة اللامعة ، التي لا علاقة لها بواقع الحال ، وهو توجه دفع مثقفا مصريا مثل احمد عبدالمعطي حجازي الى دق نواقيس التحذير ..

● طبيعة القضية المطروحة

ولعل الخطوة المنطقية التي تأخذ بيدنا وتضيء المسألة إضاءة معقولة هي تحديد المشكلة التي نحن بصددها تحديدا صحيحا .

ولايمكن ان يفوت أحدا فهم مقدار فجيعة رجل الشارع في مصر من اختفاء دار الأوبرا القديمة ، على النحو الذي اختفت به ، حتى لو لم تكن اقدام هذا الرجل قد تخطت عتبتها مرة واحدة ..

وليس من الصعب فهم مدى تأثر الضمير الفني لمتذوقي الأمة مما أصاب الفنون عامة مع زوال مبنى الأوبرا القديم ..

ولايمكن أن ننسى أنه مر علينا جميعا يوم كنا نحلم فيه بـ "مصانع كبرى ، ومزارع خضراء ،وتماثيل رخام على الترعة واوبرا .. في كل قرية عربية" ..

لكن هذا كله قضية - أو قضايا - وما نتكلم فيه قضية مختلفة تماما ، رغم مايبدو من ربط خاطيء نشأ بين القضيتين ، ومضى يتدعم على نحو آلي مع الأيام ..

ولا يمكن ان تكون القضية انه صار لدينا مبنى يتمتع بإمكانات فنية رحبة ، وبالتالي يكون من مظاهر النكوص ألا نسميه اوبرا ، وإلا نقدم عليه الأوبرات - فالأوبرا ليست مبنى كما يتضح حالا - وإلا لكنا كمن وجد إطار سيارة وهو في طريقه الى هدف ما فبات شاغله اقتناء سيارة يصلح لها هذا الاطار .. وهذا الهدف الجديد ، علاوة على استحالته ، قادر على ان يزاحم هدفه الاساسي الى حد التشوش ..

ولا أعتقد ، ونحن نتحدث عن مؤسسة عامة ساهمت مع الحكومة المصرية فيها بمنحة لها وزنها الحكومة اليابانية ، لا أعتقد انه يمكن أن يكون هناك خلاف حول أن القضية المحورية هي احتياجات الجمهور المصري ومصالحه (التي تتضمن حتى ما يمكن أن يعود عليه من مكاسب سياحية) وما يمكن أن يحققه المشروع الجديد لخدمة هذه المصالح .. ولأن حالة الوحام الأوبرالي على أشدها لابأس من أن يكون الحديث عن الأوبرا بدايتنا ..

● الأكثر إحتياجا الى الامكانات المادية

إن الأوبرا ليست مجرد نوع من الدراما الموسيقية ، بل هي الاكثر تكلفة إطلاقا في دنيا الفنون .

وإنطلاقا من ذلك لم يقدم تاريخ الأوبرا ـ العالمى ـ أصوات دارسين للفن يصفون الأوبرا لا بالبذخ فقط . بل بالاسراف الى حد السفه ..

هذا كما أن الأوبرا على الجانب الآخر ذروة من ذرى الاداء الفنى ، توظف جهود وغناء الأفراد والجماعات (ثنائى وثلاثى ورباعى .. حتى الكورال) إلى جوار جهود الراقصين فرادى وجماعات (ممن ينتمون الى الألوان الشعبية وحتى الباليه) وجهود الأوركسترا ، وذلك كله مع جهود عناصر العرض المسرحى العديدة المألوفة : التمثيل والديكور والأزياء والاضاءة . وإن كان فى ثوب بالغ البريق والبذخ ..

ومن هنا شهد تاريخ الفنون أيضا وجهات نظر يعتد بها ترى فى هذا العمل الأوبرالى أو ذاك ما يضاهى مجمل ما أنجزته الحضارة الغربية كلها (!!)

وقبل أن نتبين معا عدم قدرتنا على الانجاز الفنى الذى يبز مجمل ما أنجزته الحضارة الغربية ، دع عنك الأسراف الى حد السفه ، ليأذن القارىء لى فى أن أعبر سريعا على تاريخ الأوبرا ـ اربعة قرون ـ فلا أقف إلا عند مسلمة تبين أن عدد الدول والأوبرات التى عرفتها سجلات هذا الفن محدود للغاية ، حتى أن الولايات المتحدة ، بغناها وجلالة قدرها ، وقفت عند صنع كوميديات موسيقية لم تستطع أن تخطو الى ذرى الاجادة المطلوبة مع فن الأوبرا الكلاسيكى ، وبالتالى عجزت ـ امريكا ـ عن أن تشغل مكانا مرموقا فى سجلات هذا الفن ..

● إشكالية التوجه الاوبرالى

هذا عن تاريخ الأوبرا . أما حاضرها فيجبهنا بمسلمة أخرى تدور حول تحول الأوبرا ، على ضخامة وثراء الجمهور العالمى لريبرتوارها الى فن متحفى منذ منتصف القرن العشرين ، إذ يزيد عدد الأوبرات القديمة التى تقدم مجددا ، ويزيد كثيرا على إبداع أعمال جديدة يمكن أن تقف الى جوار خلاصة الأوبرات العالمية الباقية ..

ويؤكد الدارسون الذين يتطرق حديثهم الى مستقبل هذا الفن ، يؤكدون المحدودية الشديدة لآفاق خلق أعمال أوبرالية جديدة . لأن المكونات الأساسية للأوبرا ـ الدراما والموسيقى ـ يمران بأزمة أساسية وليست طارئة فجمهورهما أخذ فى التذبذب والتقلص ، على نحو كبير ، مع دينامية المشاكل الاقتصادية وتضاعف حجمها ..

● الأوبرا فى مصر

واستأذن قبل الانتقال من الحديث عن ماضى وحاضر ومستقبل الأوبرا عالميا ، الى الواقع العربى (أو بالاحرى المصرى) لفن الأوبرا .. استأذن فى ملاحظة عابرة وإن كانت ضرورية تتلخص فى أن التحولات الفنية التى شهدها فن الأوبرا ، على امتداد تطوره ، ارتبطت ارتباطا وثيقا بدواعى ظهورها فى المجتمعات المعينة فى كل مرحلة من المراحل . وأن فن الأوبرا ظل حكرا على فئات المجتمع العليا فى هذا البلد أو ذاك الى أن ظهرت حركات الأوبرا القومية .

حدائق الحوار

وينبغى الاشارة هنا الى ان النظر لمحاولة الخديو إسماعيل الأوبرالية لايمكن أن تستقيم إلا فى إطار تصورات مرحلتها ، التى كانت تسعى الى ان تكون مصر قطعة من اوربا ..

نأتى بعد ذلك الى أوضاع الأوبرا فى مصر التى بدأت علاقتها بهذا النوع الفنى عن طريق الفرق الأوربية التى كانت تزورها ، لتقديم خدماتها الى الجاليات الاجنبية الموجودة على اراضيها ..

وجاء بناء دار الأوبرا دعما لهذه الظاهرة التى اخذت فى الانتشار بصورة حثيثة بين بعض المصريين ، الى جوار أعضاء الجاليات الاجنبية . ومع فترة المد التى عاشتها الفنون خلال الستينيات شهدت دار الأوبرا المصرية رواجا فنيا عاما ، ومزيدا من الفرق الزائرة فى مجالات فنية شتى ، كما شهدت إرساء دعائم فرقة الأوبرا المصرية و ..

لكن الاحتراق المفجع لدار الأوبرا فى أوائل السبعينيات جاء بمثابة ضربة قاضية وجهت لهذا الفن والفنون المرتبطة به .. وفرقة الأوبرا المصرية تعمل بلا ميزانية منذ سنوات ، كما أنها لم تقدم أى عمل جديد طوال اربعة مواسم (سنوات) ، ولايزيد عدد حفلاتها على ١٢ حفلة فى السنة ..

● تصورات مضللة

ورغم أن الفرقة تضم كفاءات نادة حتى من نجوم الجيل الثانى فإنها تظل بعيدة عن الفرق المتكاملة ، والأهم أن صلتها بالجمهور جد واهية .. ولعل آخر إشارة الى ذلك جاءت خلال موسمها الأخير الذى قدمت فيه عملين لفردى (لاترافياتا وعايدة) ..

ولعله المكان المناسب للتحذير من الخلط بين ماعرف تحت اسم "السياحة الثقافية" وبين الخدمة الثقافية للجمهور ، ولا ينبغى المبالغة فى مظاهر اقبال الجمهور (المجانى بالذات) على وقائع هذه السياحة ، لأنه خليط من الاحتياج الحقيقى والاهتمام الحقيقى ، ومن المباهاة المريضة والاهتمام المزيف ، الذى تلتقى على صنعه الغريزة الجمعية ، والضجة الاعلامية ، وربما سمعه الفنانون الزائرون ..

هذا بوجه عام هو الموقف الأوبرالى على الساحة المصرية عشية افتتاح المبنى الجديد فى أرض الجزيرة . لكن مجمل الملابسات يطرح مجموعة من التصورات المضللة حول "الوهم الأوبرالى" عامة وعزوف الجمهور المصرى عن الأوبرا خاصة . ولعل أول هذه الملابسات أن سبب العزوف يرجع الى حرمان مصر من دار للأوبرا سنوات . وإن كان ذلك بين الأسباب الكابحة بلا جدال فإنه ينبغى عدم المبالغة فيه فالحركة المسرحية - مثلا - التى ازدهرت خلال الستينيات ، دخلت اليوم طورا جديدا من حياتها ورواجها ، بينما

مسارحها موجودة كما هى (١) . ويظل قياسنا هذا مع الفارق فى مدى جماهيرية وقبول وتكاليف كل من الأوبرا والمسرح ..

والتصور الثانى أن الاعلام قادر - حين يهتم بالأوبرا - على إحداث انقلاب فى حالة العزوف هذه ، ولاجدال فى تأثير الاعلام على الناس لكن دعونا لانبالغ فى حجم هذا التأثير بالذات إذا سلمنا بأن فعاليته ترتبط بتيسير سبل الاتصال بين الناس وبين مايلبى احتياجات حقيقية لديهم ، ولا يمكنه مهما فعل أن يغيرك مثل هذه الاحتياجات أو أن يصنع من رائحة الفسيخ عطرا ..

والكلام الكثير عن قرب موقع « الأوبرا الجديدة » من منطقة فنادق وسط القاهرة ، الأمر الذى يجعلها مركز رواج سياحى ، بين هذه التصورات المضللة .. فهناك فارق كبير بين إمكان النجاح السياحى عند تقديم أوبرا عايدة بين أعمدة الأقصر أو عند سفح الهرم ، وعند تقديمها على مسرح مهما كانت فخامته وإمكاناته الفنية فذلك ليس مطلب السائح فى مصر ، لأنه سيجد فى بلده أو قريبا منها مالابد وأن يفوق - وبكثير - ماسيراه على خشبة "أوبرانا" ، لأن الكفاءات الفنية هى العنصر الحاسم فى تقديم عمل فنى على هذا القدر من الشمول ، بالذات والمبنى الجديد ليس مجهزا بالفعل لتقديم أوبرات أو فرق عالمية وفق اشارات تطالعنا فى خفر مثل قول د . رتيبة الحفنى : "لانستطيع مقارنة هذا البناء بالعديد من دور الأوبرا فى العالم ، فاليابانيون شيدوا مركزا ثقافيا تعليميا ونحن الذين نتحايل لتحويله الى دار للأوبرا" . وقول عبد الله العيوطى مدير المسارح بالأوبرا « أن التجهيزات المعدة للفنانين والفنيين غير مكتملة وفق التصميم اليابانى للمبنى » وقول يوسف السيسى « إن تعداد الفنون التى تقدم فى قاعة واحدة يفسدها ، وفى النهاية لا اعتقد أن سائحا يمكن أن يلتفت كثيرا الى الفرجة على الانجاز المعمارى التقنى اليابانى المصرى المشترك فى حد ذاته ، لأنه لن يكون تخريجا من كلام د . رتيبة الحفنى مفاجأة لأى معنى بالأمر ..

ورغم الاتفاق مع من يرون فى المركز الجديد معملا لتكوين المواهب الشابة ومنفذا طبيعيا لمتخرجى أكاديمية الفنون فالأمر فى حاجة الى تمحيص أبعد مدى . فضعف إمكانات أكاديمية الفنون وتدنى معدلات التحصيل فيها لم يعد خافيا على مطلع . المهم انه نتيجة لوضع الأكاديمية فى إطار ظروف اجتماعية واقتصادية وفنية معقدة صار متخرجوها يتسربون الى دائرة واسعة تمتد بين ملاهى شارع الهرم وبين العواصم والمدن الأوربية الكبيرة ، والأهم أن الأوضاع والمشاكل العامة لاتسمح بتلبية ما تحتاجه الفرق الفنية من دعم فى إطار التصورات الباذخة ، كما أن قدرة هذه الفرق على التمويل الذاتى بعيدة المنال فى إطار الجمهور الحالى والمتوقع لهذه الفنون .

ولايملك مجتهد إلا أن يسلم بوجود موضوعات تصلح لأوبـرات مصريـة وعربية ، وبأن كتابنا قادرون على كتابتها .. لكن تنفيذ هذه الأوبرات شىء أخر تماما .. ولعل هذا بين ماقصد اليه الاستاذ

دائرة الحوار

لويس عوض وهو يحذر : "إن هناك إتجاها المسه عند البعض حيث يريدون أن يركبوا هذا الجواد باسم القومية المصرية لاظهار المواهب قبل الأوان ، سواء من مؤلفي الأوبرا أو غيرهم .. وكل هؤلاء في مرحلة الاجتهاد ».

● عوامل خصام

لقد وقفنا طويلا عند التصورات "الأوبرالية" المغلوطة سعيا وراء أقصى إضاءة ممكنة . لكنه لابأس من التطرق أخيرا الى عوامل فنية واقتصادية موضوعية تباعد مابين جمهورنا والأوبرا ..

ولعل أول هذه العوامل ماعبرنا عليه سريعا من أن الأوبرا نبت لم يتم ويزهر ويترعرع بصورة طبيعية وفي تفاعل حي مع وجداننا .

تبقى مسألة ظروفنا الاقتصادية ويكفي أن نذكر في هذا الصدد أن أحد مسارح لندن قدم قبل أسابيع أوبرا عايدة بتكلفة متواضعة قدرها ١,٥ مليون استرليني لواقع عشرة آلاف كرسي طوال فترة العرض (أسبوع) أي بواقع ١٥٠ جنيها إسترلينيا للتذكرة في المتوسط ، ويمكن أن ننتقل من هذه النقطة مباشرة إذا ادركنا أن الميزانية المكرسة للانفاق على مختلف المجالات الثقافية ، وفق مايذكره وزير الثقافة ، هو ستة ملايين جنيه ، ولك أن تتصور "الرثاء" الذي يمكن أن ينظر به أجنبي إلينا ونحن نسأله عونا لحل مشاكلنا الأوبرالية ..

● تسمية الأشياء بمسمياتها

بعد هذا التفصيل المسهب لاشك في أنه ليس من مصلحة أحد .. لا جمهورنا ولا مثقفينا ولاحتى احلامنا أن نمضي مغمضي العيون في الربط بين بعض المشاعر والأحلام ، وبين مسألة الدور الوظيفي للمبنى الجديد . وهذا لايعني اننا ندعو الى نفي فن الأوبرا والأوبرات منه بقدر ماتدعو الى الحنكة والتروى والاستيعاب الواعي ، بل ومحاولة الاستفادة السياحية منه ، على ان يتم ذلك في اطار نظرة الانسان المتوازن المتفتح الذي لايرى خيرا في ان يتعرف على ثقافات الاخرين ، وان يعرفهم على ثقافته بعيدا عن العقد ومركبات النقص ، وترجمة ذلك فيما يخص موضوع الحديث يعني ان تشغل الادوار او المشاهد الاوبرالية المصرية والعربية حيزا متواضعا يتوازن مع امكاناتنا واحتياجاتنا الحالية والمستقبلية ، ذلك فضلا عن تقديم نماذج من فنون العالم الراقية ، وان تستخدم ذلك كله بوعي في تنمية مدرستنا القومية ابداعا واداء وتذوقا ، بنسق تطوري بعيد عن القفزات التي لا تلبث ان نكتشف مع الزمن انها كانت في الفراغ .

والطريف ان ذلك يتماشى ، ناهيك عن

ظروفنا مع مايراه المنظرون الاجانب لمستقبل فن الاوبرا ، واتجاهه الى الاعتماد على المسرح الاستعراضي الحديث ، والوقائع او المشاهد شبه الاوبرالية ، وغير ذلك من الاشكال ، المخلطة التي تعد لورش ومسارح المعاهد الفنية في الاساس ..

وغنى عن القول انه ينتظر المركز الثقافي التعليمي الجديد عشرات من الاولويات التي تمليها احتياجات ثقافية حقيقية تلح على الشارع المصري وتحتاج الى اهتمام ودعم مثقفينا . ولااعتقد ان تجربة وزير مثل فاروق حسني في حاجة الى من يفصل الادوار التي تقوم بها المراكز الثقافية التعليمية في مختلف العواصم الراقية من عالمنا ، لكن يهمني التنويه هنا لان مثل هذه المراكز بالذات (وليست المؤسسات الاكاديمية) هي التي ربت لنا اعلاما في قامة توفيق الحكيم وسلامة موسى ، ويمكن ان يفيد في هذا الصدد ايضا نتاج التجارب الميدانية البليغة الفائدة التي صاحبت معرض الكتاب وشهر رمضان و.. لو لم نضيعها ..

وعند هذا الحد لاشك انه يبدو للقارىء ، معى غرابة الوحام على تسمية « الاوبرا الجديدة » بكل مايجر اليه من تداعيات ولا ادرى السر في عدم تسميتنا الاشياء بمسمياتها الحقيقية . ان المسالة تتجاوز هنا الاستقامة المنطقية اذا عرفنا تاثير الكلمات على الانسان وتوجهاته ، وعلى وضوح تصوراته وتحديد اهدافه .. بالذات والمركز الثقافي التعليمي مؤسسة جديدة يجرى تشكيل هياكل المسئولية فيها بعد ..

بقيت في النهاية ملاحظات سريعة يحسن ان اوجزها هنا : لعل اولها ان تسمية « الاوبرا الجديدة » اقدم من تسلم فاروق حسني مسئولية وزارة الثقافة . وان المرة الاولى التي ثبت فيها اسم « المركز الثقافي التعليمي » الى جوار التسمية التي تعبر عن وحلم قطاع من مثقفينا كانت خلال افتتاح الرئيس حسني مبارك للمبنى الجديد ، وان وجود الدكتورة رتيبة الحفني على راس هذا المجمع ، بما تتحلى به من تقدير للامور ، بعيدا عن العقد الاوبرالية ، يزيد من امالنا في ان نرى المجمع الجديد بعد الافتتاح (الفرح) وفي نشاطه الاعتيادي (الحياة)

مدينة حقيقية للوجدان العربي .. وذلك في اطار مدينة ثقافية توظف بصورة تكاملية لخدمة قاطني القاهرة والجيزة بالاضافة الى زوارها والسائحين فيها عربا واجانب وتضم ليس فقط مسارح وقاعات ومعارض المبنى الجديد ، ولا مبنى متحف الحضارة ومتحف الفن الحديث وقاعة النيل فقط ، بل تمتد الى حديقة الحرية وحديقة الاندلس ومتحف مختار والقبة السماوية ..



● ففى عام ١٩٤٤ اقال الملك فاروق وزارة الوفد التى كانت قد فرضت عليه فى فبراير ١٩٤٢ وأسفر عن رغبته فى ممارسة الحكم المطلق من خلال ماعرف باسم احزاب الأقلية وورط مصر فى حرب فلسطين دون استعداد وأبدى رغبته فى فرض دكتاتورية عسكرية براسها هو ولو أن دوائر لندن لم تكن تحبذ مثل هذا الأسلوب وتفضل العودة إلى ممارسة الأسلوب الديمقراطى فى الحكم بمعنى عودة الوفد بحيث يمتص الآثار المترتبة على الحرب العالمية الثانية وحرب فلسطين . وأسفرت انتخابات ١٩٥٠ عن اغلبية وفدية واضطر الملك إلى أن يعهد برئاسة الوزارة إلى مصطفى النحاس زعيم حزب الوفد الذى سبق له أن رأس الوفد المصرى الذى وقع على معاهدة ١٩٣٦ التى نصت على قيام تحالف بين مصر وبريطانيا والتى أبدى المصريون فى اعقاب الحرب العالمية الثانية رغبتهم فى

في يوم السبت الموافق ٢٦ يناير ١٩٥٢ اندلع في القاهرة حريق التهم القطاع التجاري في وسط المدينة بوجه خاص . وقد بدأ هذا الحريق باشتعال النيران في كازينو اوبرا في الساعة الثانية عشرة والنصف وبعد قليل أحرقت سينما ريفولي ثم امتد الحريق إلى مناطق أخرى وظلت النيران تشتعل في عدة أماكن في القاهرة حتى الساعة الحادية عشرة مساء بعد أن تم إحراق ٧٠٠ محل وسينما وكازينو وفندق ومكتب وناد . وقتل ستة وعشرون شخصا واصيب خمسمائة واثنان وخمسون . وقدرت الخسائر بحوالي مائة مليون جنيه مصري . وحتى الآن لم يتم تحديد المتسببين في الحريق الذي تدل ملابساته على أنه كان وليد تدبير مسبق . وقبل أن نتطرق إلى شتى الاتهامات التي وجهت من جانب الأطراف العاملة على مسرح السياسة المصرية نجد لزاما علينا ان نلم بالظروف التي أحاطت بمصر منذ نهاية الحرب العالمية الثانية .



تعديلها أو إلغائها . ولم يكن الملك يرحب بوصول الوفد إلى الحكم لأن هذا الحزب منذ قيامه كان يعارض الحكم المطلق مستندا إلى ماكان يتمتع به من شعبية . ولهذا سعى الملك جاهدا إلى الاشتراك مع وزارات مابعد الحرب العالمية الثانية في حل مشكلة العلاقات المصرية البريطانية وهي المشكلة التي عقدها اتجاه الانجليز إلى تقديم تنازلات شكلية في الوقت الذي تشبثوا فيه بالبقاء في منطقة قناة السويس بدعوى الدفاع المشترك وهو ما اعترض عليه المصريون . ولما كان الملك فاروق أميل إلى التنسيق مع الغرب بهذا الصدد دون ان يمس الشعور الوطني المصري فإنه لم يكن يعترض على خطة إدخال دول غربية أخرى في الدفاع المشترك مع مصر وهو مارفضته حكومة الوفد الأخيرة التي لم تجد في المقترحات الغربية مايتمشى مع الأماني الوطنية بل اعتبرتها وسيلة لادخال

مصر فى الأحلاف المعادية للاتحاد السوفييتي دون مافائدة تعود على البلاد . وبعد أن وصلت المفاوضات المصرية ـ البريطانية إلى طريق مسدود أقدمت حكومة الوفد فى ٨ أكتوبر ١٩٥١ على إلغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتي السودان اللتين عقدتا فى عام ١٨٩٩ .

وكان إلغاء معاهدة ١٩٣٦ ـ التى وصفها أمين عثمان بأنها زواج كاثوليكى بين مصر وبريطانيا ودفع حياته ثمنا لهذا التصريح ـ مؤذنا بفترة يشوبها التوتر خاصة وأن بريطانيا أعلنت تمسكها بالمعاهدة وذهبت إلى عدم قانونية إلغائها من طرف واحد . ولكن الحكومة المصرية عمدت إلى طرد الموظفين البريطانيين والخبراء الملحقين بسكك حديد الحكومة وشركة مصر للطيران وفى العديد من الوزارات . ورغم اعلان الحكومة المصرية مقاطعة البضائع الانجليزية فإنها لم تطبق تطبيقا واسعا خشية أن تتأثر مشتريات الانجليز من القطن المصرى تأثر اتفاقية الأرصدة الاسترلينية . إلا أن العمال المصريين ـ الذين كان عددهم يربو على ثمانين ألفا ـ تركوا المعسكرات الانجليزية التى كانوا يعملون بها وقطعت الحكومة المصرية الامدادات التموينية عن الجيش البريطاني ونظمت « كتائب التحرير » التى كان معظم أفرادها من الطبقة العاملة وكان يقودهم طلاب ينتمون إلى عدد من الأحزاب العاملة على الساحة السياسية . وبدأ الفدائيون المصريون يهاجمون القوات البريطانية فى منطقة قناة السويس : فقتلوا بعض ضباط وجنود القوات المحتلة وألقوا القنابل على العسكريين والمعسكرات وأطلقوا الرصاص على القطارات الحربية والدوريات والمنشآت . **كما وصل إلى منطقة القناة البوليس الاحتياطى المصرى الذى بدأ أفراده منذ ١٧ نوفمبر الاشتراك فى القتال والتنسيق مع الفدائيين وتقديم كل الدعم لهم .** ومن الطبيعى ألا تقف القوات البريطانية مكتوفة الأيدى ازاء كل هذه التطورات ، بل عملت على البحث عن القناصة والذخيرة فى القرى الواقعة على طول الطريق الممتد بين التل الكبير والاسماعيلية مما أدى إلى وقوع مصادمات بين الفدائيين وبين الجنود البريطانيين .

وعندئذ بدا التناقض الكامن فى الموقف الداخلي فى مصر ، فالملك فاروق ـ الذى اضطر إلى التوقيع على إلغاء معاهدة ١٩٣٦ ـ لم يكن راضيا عن كل هذه التطورات التى كان يمكن أن تهدد عرشه ورغبته فى الاشتراك فى الدفاع المشترك مع الغرب ، ومن ثم تربصه بوزارة الوفد على أمل أن تمكنه الظروف من التخلص منها . وفى ديسمبر ١٩٥١ عين رئيسا لديوانه الدكتور حافظ عفيفى سفير مصر السابق فى لندن الذى كان معروفا بميوله الانجليزية منذ أن ألف كتابه « الانجليز فى بلادهم » . وأدى تعيين حافظ عفيفى إلى خروج التظاهرات التى نددت بهذا الاجراء وهتفت بسقوط عفيفى وحافظ عفيفى (الملك) ! وفى نفس الوقت عين الملك عبدالفتاح عمرو سفير مصر السابق فى بريطانيا المعروف بميوله الانجليزية مستشارا له للشئون السياسية الخارجية ـ وكانت حكومة الوفد قد أبعدته عن منصبه . ومما زاد فى حدة التوتر الذى ألم بمصر خلال هذه الفترة العاصفة أن أوائل يناير ١٩٥٢ شهدت إحراق كنيسة السويس مما أثار ردود فعل





ـ الملك فاروق ـ حافظ عفيفى ـ مصطفى النحاس

قوية فى الدوائر القبطية : فعقد المجلس المحلى اجتماعا طويلا برئاسة البطريرك لدراسة منع الاحتفال المعتاد بميلاد السيد المسيح فى ٧ يناير وارسلت برقيات من مختلف المحافظات تستنكر الحادث وتطالب باتخاذ خطوات حاسمة ضد من تسببوا فيه ، بل وبخروج الوزير القبطى ابراهيم فرج من الوزارة . على أن الوزارة أمكنها معالجة الموقف بسرعة مما أدى إلى عدم أنشقاق الصف الوطنى ، خاصة وأن صحيفة (النيل) الناطقة بلسان الأقباط اتهمت الانجليز بتدبير الحادث وهو ماكانت تردده الصحف الوطنية الأخرى .

● تهديد بريطانى

وإزاء كل هذه التطورات درست السلطات البريطانية مسالة إقامة حكومة عسكرية فى منطقة قناة السويس بحيث تستطيع مواجهة نشاط الفدائيين المصريين . ولو ان السفير البريطانى فى القاهرة كان ضد فرض هذه الحكومة على اعتبار أنه يتضمن اخطارا مادية على الأرواح فى الدلتا ولأنه لاينطبق إلا على وضع ينعدم فيه التعاون من الجانب المصرى . ولكن قامت القوات البريطانية بتمشيط بعض المناطق وازمعت تجريد البوليس المصرى ، وبخاصة قوات البوليس الاحتياطى (بلوكات النظام) من السلاح واسرت ثلاثمائة من رجال البوليس فى التل الكبير وعلى راسهم ضابط كبير برتبة لواء . وقد هدد محافظ بورسعيد القائد العام للقوات البريطانية فى منطقة قناة السويس ـ الجنرال إرسكين ـ باتخاذ اجراءات عنيفة ضد البريطانيين إذا لم تتوقف العمليات البريطانية لتطهير مدينة الاسماعيلية ـ وكان تعليق السفير البريطانى فى القاهرة ان اللذين أوصيا بهذا التهديد هما رئيس الوزراء المصرى (مصطفى النحاس) ووزير داخليته (فؤاد سراج الدين) وفسرت الدوائر البريطانية هذا التهديد على انه

قد يعني أن السلطات المصرية تتجه إلى أن تأمر البوليس المدنى فى الاسماعيلية بالتدخل ضد الانجليز ولم تستبعد اصطدام القوات المسلحة المصرية بالقوات البريطانية . وكان السفير البريطانى قد اشار من قبل إلى احتمال أن تدبر الحكومة المصرية أعمالا انتقامية ضد المدنيين البريطانيين فى القاهرة . كما اشارت وزارة الدفاع البريطانية إلى أن ثمة احتمالا لهجوم جوى مصرى دون إنذار على منطقة القناة . وان وسيلة تلافى هذا الاحتمال هى تدمير الطيران المصري فى قواعده . وفى ٢٣ يناير اجتمعت هيئة أركان حرب الامبراطورية البريطانية فى لندن وتداولت فى أمر احتمال قيام المصريين بإجراءات عنيفة ما لم تتوقف فى الحال العمليات البريطانية لتطهير الاسماعيلية خاصة وان الجنرال إرسكين كان يشك فى صدور توجيهات للبوليس المدنى فى الاسماعيلية باعتراض هذه العمليات شكه فى احتمال تدخل القوات المسلحة المصرية .

ثم وجهت السلطات العسكرية البريطانية إنذارا إلى مساعد محافظ الاسماعيلية اصرت فيه على نزع سلاح البوليس الاحتياطى (بلوكات النظام) فورا وإجلائه عن منطقة القناة ومن مواقعه فى الاسماعيلية واشارت إلى انه فى حالة فشل المحافظ فى الاستجابة للانذار فإن القوات البريطانية ستتولى تنفيذ نزع السلاح والاجلاء وهو ماتم بالفعل فى صبيحة يوم ٢٥ يناير بعد أن صدقت الحكومة البريطانية على ذلك . وحوصر مركز بوليس الاسماعيلية ومبنى المحافظة المشغولين برجال البوليس وطلب من ضابط الاتصال المصرى أن يدخل ويسلم امرا بالاستسلام . وقد رفضت القوة الاستسلام بعد أن صدرت إليها اوامر وزير الداخلية (فؤاد سراج الدين) بالدفاع إلى آخر طلقة وتبودل إطلاق النار وفى حوالى الساعة التاسعة والنصف احتلت القوات البريطانية - التى استعملت مختلف الأسلحة بما فيها الدبابات - مبنى المحافظة واسرت قوة البوليس الموجودة فيه . وفى حوالى الساعة الثانية عشرة والربع استسلم بوليس المحافظة بعد أن قتل من المصريين اكثر من خمسين جنديا وجرح آخرون .

وكان لابد أن تترتب على مجزرة الاسماعيلية ردود فعل قوية . ففى الصباح الباكر من اليوم التالى لحدوثها غادر عدد من بلوكات نظام الأقاليم - يتراوح عددهم مابين مائتين وثلاثمائة - ثكناتهم بالعباسية ومعهم أسلحتهم وهم فى حالة شبه تمرد واتجهوا إلى جامعة القاهرة وهم يهتفون : « أين السلاح ... نريد أن نتوجه للقتال » . وفى حوالى الساعة الحادية عشرة غادر جنود البلوكات ومعهم فريق من طلبة الجامعة فى تظاهرة كبيرة اتجهت إلى مجلس الوزراء ، وفى نفس الوقت كان عدد آخر من هؤلاء الجنود قد اتجهوا منذ الصباح إلى الأزهر وخرجوا مع بعض الطلبة فى تظاهرة اتجهت إلى قصر عابدين . ورغم صدور الأوامر بتفرقة هذه التظاهرات بكل الوسائل ولو أدى الأمر إلى إطلاق النار كان التراخى يبدو على جنود البوليس

لاشتراك بعض زملائهم فى التظاهرات . ورغم اتصال دوائر وزارة الداخلية بمحمد حيدر باشا - القائد العام للقوات المسلحة - وطلبها إنزال قوات الجيش إلى المدينة للمعاونة فى حفظ النظام فانه قدم مبررات لعدم الأخذ بهذا الطلب منها تجنب وقوع تصادم بين الجيش والجمهور الذى قد يسىء الظن بالجيش وتتولد فى نفسه الكراهية له . **وحوالى الساعة الثانية عشرة والنصف كان المتظاهرون قد أشعلوا النار فى كازينو أوبرا ومنعوا رجال المطافىء من إطفاء النيران . وبعد وقت قليل امتدت النار إلى سينما ريفولى ثم إلى سينما مترو . وحينئذ جرى الاتصال من جديد بحيدر باشا الذى كان هو وضباط الجيش والبوليس مع الملك الذى دعاهم إلى حفل غداء بمناسبة ميلاد ولى العهد (الأمير احمد فؤاد) . ويبدو ان دوائر القصر كانت تتصنع المماطلة فى إنزال الجيش بعد أن فشلت قوات الشرطة فى السيطرة على الموقف ولهذا امتدت الحرائق إلى دور سينما اخرى وإلى بعض المحلات التجارية . ولم تصل قوات الجيش إلى وسط المدينة إلا حوالى الساعة الخامسة والنصف ولكنها لم تطلق النار فى الوقت الذى كانت فيه الحرائق لاتزال مشتعلة وكان فيه السلب والنهب على قدم وساق فى وسط المدينة . ولم تهدأ الحالة وتتوقف الحوادث إلا قبيل منتصف الليل وفى نفس الوقت اعلنت حكومة الوفد الأحكام العرفية وفى اليوم التالى اقالها الملك .**

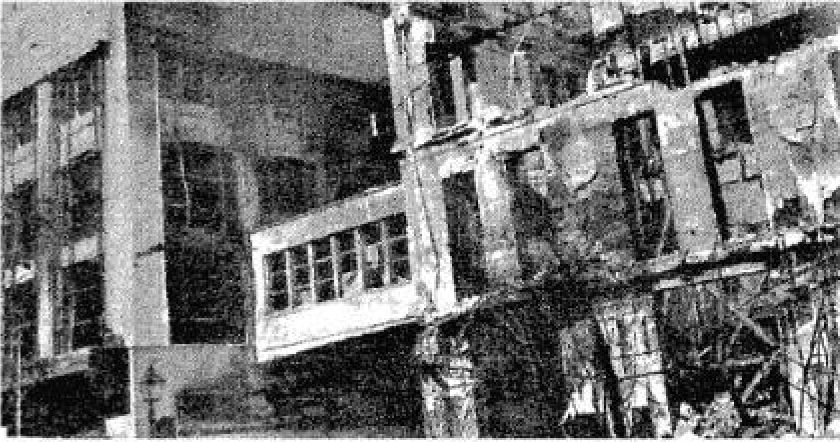
وقد اتفقت جميع الأطراف على أن الحريق قد جرى تنفيذه على أيدى مجموعات جيدة التدريب على القيام بمثل هذا العمل . ولكن كلا من القصر والانجليز والوفد قد وجه الاتهام بالصورة التى تبرؤه وتخدم أهدافه ومصالحه . فقد اتهمت الدوائر الوطنية المصرية المخابرات البريطانية بالتدبير والتنفيذ كما اتهمت الملك بالتواطؤ . واتهم الانجليز حكومة الوفد وفؤاد سراج الدين بالذات ، كما اتهموا أحمد حسين زعيم الحزب الاشتراكى والاخوان المسلمين والشيوعيين.وقد جارى الملك الانجليز فى اتهاماتهم واضاف السوفييت إلى قائمة المتهمين . أما سلطات الدولة الملكية الرسمية فلم تختلف كثيرا عن اتهامات دوائر القصر .. بل لم يستبعد من دائرة الاتهام حتى الجيش ممثلا بتنظيم الضباط الأحرار وبخاصة جمال عبدالناصر وخالد محيى الدين .

وإزاء تضارب كل هذه الاتهامات وعدم العثور على دليل قاطع على من تكون له يد فى تنفيذ الحريق الذى قيدته أحكام التاريخ حتى الآن ضد مجهول تصبح مهمة المؤرخ شاقة بنفس الصورة التى كانت عليها مهمة المحققين الذين استجوبوا بعض المتهمين ولم يتوصلوا إلى تحديد المسئولية بصورة واضحة ونهائية . وكثير من التطورات والأحداث التاريخية لم يمط اللثام عن المتسببين فيها ومن ذلك الاضطرابات التى وقعت فى الاسكندرية فى ١١ يونية ١٨٨٢ وراح ضحيتها كثير من المصريين والأجانب . وقد بذلت جهدا كبيرا فى الاطلاع على الوثائق البريطانية والفرنسية المعاصرة لهذا الحادث ولكننى لم أعثر على مايدل على اى نوع من التدبير - بل ان مسئولا فرنسيا كبيرا ذكر ان حدوث مثل هذه

الاضطرابات أمر طبيعي في المواني التي يختلط فيها عدد كبير من الجنسيات . وهناك أيضا حريق الريخشتاج الذي استغله النازيون عقب وصولهم إلى الحكم في القضاء على الحزب الشيوعي الألماني بعد أن اتهموه بتدبير الحريق . وأغلب الظن أن مذبحة الاسماعيلية قد أغرت أطرافا عدة بالصيد في الماء العكر خاصة وأن البوليس الاحتياطي قد اشترك في تظاهرات ٢٦ يناير وأن الملك قد دعا ضباط الجيش والبوليس إلى مائدة غداء بمناسبة مولد ولي العهد . ويبدو أن السلطات البريطانية حين خططت لعملية الاسماعيلية كانت تتوقع أن تتطور الأمور إلى ما يساعد على حل الموقف لصالحها وإنهاء حالة التوتر المترتبة على إلغاء معاهدة ١٩٣٦ والعودة إلى ماكانت عليه الأحوال قبل الالغاء : أي استئناف المفاوضات حول الدفاع المشترك وهو ماقامت به وزارة على ماهر التي خلفت حكومة الوفد وكانت السراي طرفا فيها . وشبيه بهذا فإن ضرب الأسطول البريطاني للاسكندرية في ١١ يولية ١٨٨٢ كان في نظر وزير الخارجية البريطاني لورد جرنفل إجراء من شأنه أن يحسم الموقف الدولي والمحلي المحيط بمصر ويمهد لحل مناسب من وجهة النظر البريطانية ـ فمن رأي لورد جرنفل أن قيام الأسطول البريطاني بتظاهرة بحرية في المياه المصرية لايصح أن يمر بدون استعراض قوته بما يرهب الثوار المصريين ويواجه الدول العظمى التي كان مندوبوها مشتركين في مؤتمر استانبول بأمر واقع . ومما يؤكد هذا الاحتمال أن بريطانيا أعربت قبل فجر ٢٧ يناير ١٩٥٢ عن استعدادها للتدخل في حالة فشل الجيش المصري في إعادة القانون والنظام وطلبه المساعدة البريطانية وبذلك يتوفر حل للموقف المتوتر ، خاصة وأن القيادة البريطانية في منطقة قناة السويس كانت قد أعدت خطة لاحتلال القاهرة بحجة حماية أرواح البريطانيين والأجانب . فإذا كان ثمة تدبير للحريق فإن أصابع الاتهام تشير إلى الانجليز والسراي وربما يكون بعض الضباط الأحرار قد أزمعوا استغلال الموقف لتجربة قوتهم تمهيدا للقضاء على النظام القائم في مصر ، خاصة وأن أحد الضباط الأحرار ـ وهو عبدالمنعم عبدالرءوف ـ قد أشار في مذكراته إلى أن عبدالناصر أخبره بأنه هو وبعض زملائه في تنظيم الضباط الأحرار قد حصلوا على متفجرات من مخازن الجيش وأودعوها منازلهم وأنه أبدى رغبته في استعمال هذه المتفجرات في حرق أجزاء من القاهرة وأنها قد جرى نقلها بعد الحريق إلى خارج المدينة . ومن ثم فإن كل الأطراف سعت إلى خدمة أهدافها باستغلال الحريق بالشكل الذي طمس دلائل التخطيط والتحريض .

● مخابرات أمريكا في القاهرة ●

وقد جزعت الدوائر الأمريكية نتيجة لأحداث الحريق وأرسلت بعض كبار رجال مخابراتها إلى القاهرة لتحري الموقف والبحث عن حلول مناسبة لوجهات النظر الغربية خاصة وأن هذه الدوائر قد شكت في أن يكون للشيوعيين دور فيما حدث . ومن رجال المخابرات هذه كيرمت روزفلت



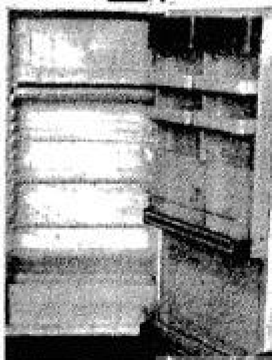
الذى لعب دورا هاما فى إسقاط حكومة الدكتور محمد مصدق فى ايران والتمهيد للنفوذ الأمريكى والمشاركة الأمريكية فى استغلال نفط إيران ، ومنهم مايلز كوبلاند الذى لم يلبث أن نشر كتابه المشهور « لعبة الأمم » الذى شرح فيه بعض الخطط الأمريكية فى الشرق الأوسط التى كانت تستند أساسا إلى الانقلابات العسكرية التى جرت تجربتها للمرة الأولى فى سوريا فى عام ١٩٤٩ . فهل كان حريق القاهرة مقدمة للقضاء على النظام القائم فى مصر الذى أصبح عبئا على المصالح الغربية .

وأيا ما كانت الحقيقة بالنسبة إلى حريق القاهرة فلاشك انه كان بداية نهاية العهد القديم الذى فشل فى حل مشاكل مصر الداخلية والخارجية وبالتالى أسهم فى التمهيد للفترة التالية التى سجلت منعطفا حاسما فى تاريخ مصر المعاصر . فلقد نصح الأمريكان دوائر القصر بالقيام بالاصلاح وحين تبين أن هذا الاصلاح لايتم كما يجب طفقوا يبحثون عن بديل . ثم ساندوا النظام الجديد على أمل أن يقوم بالاصلاحات التى كان يتطلبها الموقف وأن يساير الغرب فى مخططاته الرامية إلى احتواء الاتحاد السوفييتى ومنع انتشار الشيوعية فى مصر وغيرها من مناطق الشرق الأوسط . ورغم أن الأمريكان كانوا قد ابدوا اهتمامهم بما كان يجرى فى مصر وأن الملك فاروق حاول أن يضرب بهم الانجليز على أمل أن يستطيع تنفيذ خططه فى مصر ، ورغم أن المخابرات الأمريكية قد أقامت علاقات مع بعض الضباط الأحرار ومع بعض ساسة العهد القديم فى مصر ، فإن الدوائر الأمريكية لم تشأ العمل من وراء ظهر حلفائها الانجليز ، ولكن حريق القاهرة يشبه فى بعض نواحيه مقدمات بعض الانقلابات التى جرت فى أمريكا اللاتينية وبخاصة فى شيلى حيث أمكن القضاء على حكومة سلفادور اللندى بعد أن قامت المخابرات الأمريكية بتحريض عمال النقل على إيقاف المواصلات مما مهد لدخول الجيش إلى المسرح السياسى وقضائه على اللندى وأنصاره من الشيوعيين . إن كل ذلك لايخرج عن كونه مجرد افتراضات إلى أن تظهر بعض الوثائق التى قد تميط اللثام عن هذا الحدث الهام ـ وقد تمر فترة طويلة قبل أن يتم العثور على ماقد ينير الطريق أمام المؤرخين لحل هذا اللغز .

نحن نقدم دائما كل جديد ومتميز

لخدمة وراحة عملائنا ... وبأسعار لا تقارن

٨٧ قدم والثلاجه ٢٢٥ لترا



المطابخ العصرية
مقاسات ونماذج جاهزة



للتسليم الفورى

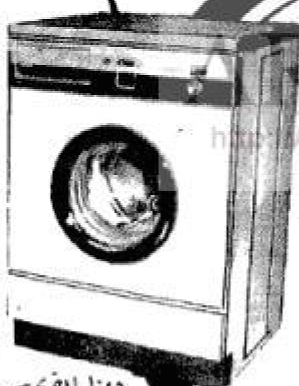
ايديال
IDEAL

صناعة مصرية متخصصة ومتطورة

* مصنوعة من
* دواليب
* واجهات

سيولة حركة الأدراج

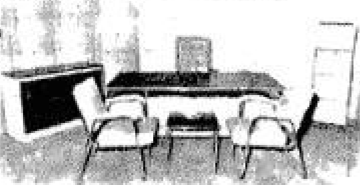
وغرفة مكتب رائعة



والغسالة
اوتوماتيك

ومزايا اخرى عديدة

* ١٤ برو جراما
* الأولى فى مصر لكفاءتها العالية



الحجز والاستعلام :
● فروع ومعارض الشركة
● بنك ناصر الاجتماعى وفروعه

● بنك القاهرة وبنك مصر
وبنك الاسكندرية وفروعهم
وموزعونا المعتمدون

١٥٠

مائة وخمسون عامًا على

فن التصوير

بقلم : د . أحمد حسين الصاوى

اصبحت الصورة الفوتوغرافية جزءا من حياتنا . نراها في كل مكان ونستعملها في كل غرض ونحتاج اليها في كل وقت . واصبح لاغنى عنها لوسائل الاعلام بالذات . الصحافة ... الإذاعة ... التليفزيون . واصبحت الكاميرا تشترك مع ذاكرة الانسان في استرجاع بعض مخزونها من اللحظات التي مرت وتباعد بها الزمن ، ثم تتيح الاطلاع على ماتسترجعه من اللقطات لغير صاحبها واستطاعت الصور ان تلغي المسافات وتستحضر مختلف لحظات الزمن ... القريب منها والبعيد ، وتجعلنا بذلك ننتمي الى العالم كله ، بل الى الكون كله .

١٥٠
مائة وخمسون عاما على فن التصوير

ان الصورة تلعب الآن دورا خطيرا في حياتنا . انها تكشف لنا مالا تراه العين ، اذ تنقلنا الى داخل الخلية البشرية ، وتقودنا الى اعماق الكهوف المظلمة ، وتجعلنا نعيش مع الحدث لحظة وقوعه فى اى مكان من سطح هذا العالم ، بل وفى اى مكان وصل اليه الانسان خارج نطاق هذا العالم . والصورة ـ مع هذا ـ سجل امين لومضات التعبير عن المشاعر الانسانية من فرح وحزن ودهشة وهلع وغضب ، فهى تقتنص البسمة والضحكة والتقطيبة والدمعة والضمة ... وغيرها .

ولقد حقق فن التصوير عبر مسيرته الطويلة من التطور والتقدم مافاق خيال الناس وجاوز نطاق احلامهم . وساعد تقدم العلوم والفنون المتصلة بالتصوير على ان يحقق هذا الفن الساحر إنجازا وراء إنجاز . وقامت وسائل الاعلام بدور أساسى فى دفع عجلة هذا التقدم وفى الافادة من نتائجه على السواء .

ولعل من ابرز تلك الانجازات : امكان طبع الصور الفوتوغرافية (الظلية) بطريقة « الهافتون » ، والتصوير الطبى باشعة إكس ، والتصوير بالالوان ، والصور المتحركة (سينما ـ تليفزيون ـ فيديو) ثم التطور المذهل فى صناعة الكاميرات ودقة أدائها الذى يكاد يبلغ حد الاعجاز . ومازالت خطوات ذلك التطور تتتابع وتتلاحق . ففى الشهر الماضى فقط اذاعت وكالات الانباء العالمية هذا النبأ :

ـ اعلى : اقدم صورة فوتوغرافية للمصورنيبس ١٨٠٦ واسمها « نظرة من الشباك »

ـ اسفل : اقدم صورة مطبوعة الى العفريات فى سجن مدينة بومباى « الصورة سلبية »

ـ من مجموعة الفنان محمد صبرى

« أنتج احد مصانع ألمانيا الغربية أحدث كاميرا فى العالم ، اذ أنها تلتقط مائة صورة فى الثانية الواحدة ، وتم استخدامها فى تصوير انفجار معدنى وبعد هذا التطور فى صناعة الكاميرات على قدر كبير من الاهمية ، حيث يمكن استخدام تلك الكاميرا فى الاغراض العلمية والبحوث ، كما أنها ستساعد فى ايجاد مواصفات أمان للمحطات النووية »

إن التصوير الفوتوغرافى ، ذلك المنجز الحضارى الساحر ، الذى قام على العلم والفن معا ... يبلغ عمره هذا العام قرنا ونصف قرن من الزمان . وقد أصدرت مجلة « لايف » الامريكية فى شهر سبتمبر الماضى عددا خاصا حافلا يذكر الناس بهذه الحقيقة : انه فى عام ١٩٨٩ تمر مائة وخمسون عاما على اختراع التصوير .

ويعرف التصوير الفوتوغرافى (Photography) بأنه : مزيج من علم وفن لانتاج الصور على اساس التفاعل بين الضوء وسطح مادة محسس كيميائيا داخل صندوق مظلم . والكلمة مشتقة من اليونانية ، وهى من مقطعين يعنيان معا « الرسم بالضوء » ولذا فنحن نطلق على هذا الاختراع احيانا « التصوير الضوئى » أو « التصوير الشمسى »

ويعتمد إتمام عملية التصوير فى الاصل على مدى حساسية مركبات الفضة للضوء . فعندما « يعرض » برومايد الفضة ، منتشرا فى وسط ملائم مثل الجيلاتين ، للضوء فانه يتغير كيميائيا بحيث يصبح قابلا « للاظهار » فاذا ماعولج بعد هذا « التعريض » بمحلول معين (مظهر) فانه يتصلب ويتخذ شكلا يتفق وماتعرض له من أشعة ضوئية . وبعد هذا الاظهار يمكن ازالة الاجزاء غير المتصلبة من الطبقة الحساسة بمحلول أخر ، فنحصل بذلك على صورة « سلبية » وينقل هذه الصورة الى سطح حساس أخر ، باستعمال الضوء كذلك ، نحصل على الصورة « الايجابية » وعلى ذلك فان عملية التصوير الفوتوغرافى ـ كما يعلم دارسو هذا الفن وممارسوه ـ تتم فى ابسط اشكالها بالخطوات التالية :

١ ـ اعداد السطح الحساس للصورة السلبية .

٢ ـ « تعريض » هذا السطح للضوء المنعكس عن الجسم المراد تصويره ، من خلال فتحة آلة تصوير (كاميرا)

٣ ـ الاظهار بعد ازالة اجزاء السطح غير المتصلبة ، والغسيل ، والتجفيف

٤ ـ اعداد السطح الحساس للصورة الايجابية

٥ ـ طبع الصورة السلبية على هذا السطح

٦ ـ الاظهار والغسيل والتجفيف .

والمعروف ان عملية التصوير الفوتوغرافى مرت بعدة تطورات أدت إلى تعديلات اساسية فى هذه الخطوات ، كما ادت إلى إلغاء بعضها أو اختزالها .

والحقيقة ان الفضل فى اختراع هذه العملية او اكتشافها لايعود الى شخص واحد بعينه ، وانما هى نتيجة لسلسلة

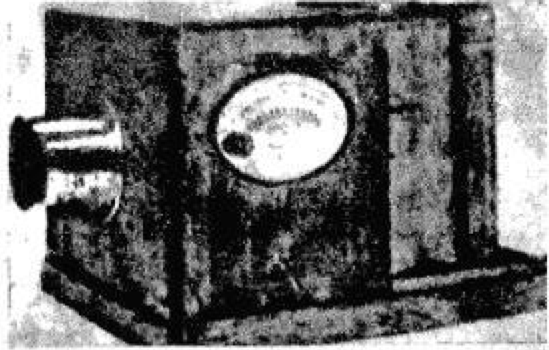
١٥٠ مائة وخمسون عاما على فن التصوير

ملاحظات علمية مبكرة من جانب قدامى المشتغلين بالكيمياء حول اثر الضوء وتفاعلاته مع مختلف المواد ، وهو موضوع يتصل مباشرة بما يعرف بمجال « التصوير الكيميائي » .

ان تحول املاح الفضة الى اللون الاسود كان معروفا للكيميائيين في اواسط القرن السادس عشر ، عندما اجرى العالم الالماني ج . هـ . شولتز تجاربه على مزيج من نترات الفضة ومسحوق الطباشير .

تتابعت التجارب وتعددت ، ولكن السطح المحسس باحد مركبات الفضة كان يحتاج لكى يتفاعل مع الضوء الى وقت طويل جدا من التعريض . وكذلك لم تنجح التجارب المختلفة في التوصل الى طريقة لازالة الاجزاء غير المتصلبة من السطح الحساس .

أما آلة التصوير نفسها أو « الكاميرا » فقد تطورت عن « الصندوق المظلم » القديم أو « الصندوق ذى الثقب » (Camera Obscura) وكان أول من وضع نظريته العالم العربي الحسن بن الهيثم فى اوائل القرن الثانى عشر ، ثم عرفه روجر بيكون الانجليزى فى القرن الثالث عشر . وكذلك وصفه ورسمه فى أحد مخطوطاته عبقرى عصر النهضة المعروف ليوناردو دافنشى فى نهاية القرن الخامس عشر . وتتابعت التطورات على يد « باتيستابورتا » و « باربارو » ثم الفلكى المشهور « كبلر » وغيرهم ... حتى امكن





اعلى — كاميرا من اوائل اجهزة التصوير ابتكرها لوى داجير « ١٨٤٠ »

اسفل — أول كاميرا صنعت فى العالم على شكل مخروطى كانت عام ١٨٤٠ اخترعها السرياضى الفنسى ماكس باتزفال

انتاج الكاسيرا الصغيرة المتنقلة بعدساتها ومراياها في اوائل القرن الثامن عشر .

واكتمل اختراع التصوير الضوئي او الفوتوغرافي عندما اجتمع الركنان اللذان تقوم عليهما عملية التصوير - اى الالواح المحسسة والكاميرا - في وحدة واحدة ، حققت للبشرية ذلك المنتج الرائع الذى اصبح من ابرز معالم التطور الحضاري الحديث :

● فقد حدث ان اهتدى « لويس سنيفلدر » الألماني في اواخر القرن الثامن عشر الى فكرة الطبع على الحجر (الليثو غراف) واهتم « نيسيفور نيبس » الفرنسي بتطوير هذه الفكرة وتحسينها . وقام في سبيل ذلك باجراء عدة تجارب تهدف الى نقل الاشكال المراد طبعها الى سطح الحجر عن طريق « تحسيس » هذا السطح و « تصوير » الاشكال عليه ضوئيا بدلا من رسمها باليد . ثم تطورت الفكرة الى استعمال سطح لوح معدني لذلك بدلا من سطح الحجر .

● والتقى « نيسيفور نيبس » بمواطنه الفنان « لوى جاك ماندى داجير » الذى كانت له هو الاخر تجاربه في الاسطح المحسسة ومدى صلاحيتها لالتقاط الصور . وأثمر التعاون بين الرجلين ، فاكتشفا حساسية مركب يوديد الفضة للضوء . ثم مات نيبس وواصل داجير تجاربه ، فتوصل الى ان اللوح المغطى بهذا المركب اذا تعرض في الكاميرا لضوء منعكس من جسم ما ثم عولج ببخار الزئبق ، انطبعت عليه صورة ذلك الجسم بوضوح .

● واكتمل بذلك اختراع التصوير الفوتوغرافي ، وابلغت به اكاديمية الفنون والعلوم الفرنسية في اول عام ١٨٣٩ ، ونسبت الطريقة الحديثة لالتقاط الصورة على لوح معدني الى داجير وسميت « داجيريو تيب » وفي اغسطس من العام نفسه اعلن داجير اكتشافه الى جماهير باريس . ومالبث ان نجح في اختصار زمن التعريض للضوء من بضع ساعات الى اقل من ٢٠ دقيقة .

● وتزامنت مع جهود داجير الفرنسي جهود اخرى قام بها « ويليام فوكس تالبوت » الانجليزي الذى ركز اهتمامه على استخدام سطح الورق بدلا من سطح المعدن .

وهكذا سمع العالم عن اختراع عجيب ، وولدت لغة جديدة يستطيع ان يفهمها كل البشر . واستمرت مسيرة التطور والتقدم في هذا الاختراع طيلة قرن ونصف قرن من الزمان ، حقق خلالها اغرب الانجازات واكثرها إثارة .

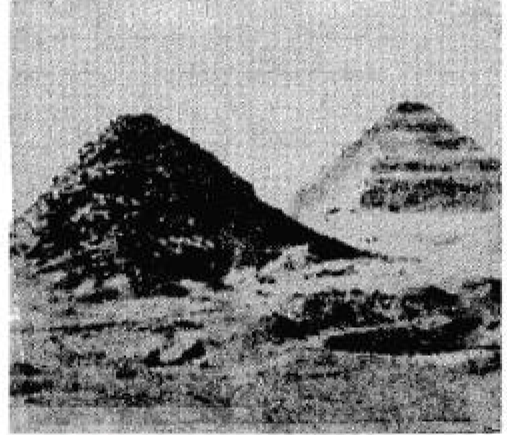
وفي حياتنا الحاضرة عدة مجالات تعتمد على التصوير اعتمادا أساسيا في تحقيق الغايات التي يتوخاها العاملون فيها :

● ففي المجال الرياضي مثلا تسجل آلات التصوير ذات السرعة الفائقة وآلات الفيديو أروع اللحظات واهمها في مختلف المباريات ، بل ان لصورها القول الفصل

في نتائج هذه المباريات اذا اختلف الحكام أو التبس الامر على المشاهدين .

● وفى مجال العلوم كان التصوير هو الاداة الرئيسة فى اكتشاف كثير من الحقائق الباهرة . فمع الدأب والاصرار والقدرة الابداعية للعلماء ، استطاعوا عن طريق التصوير اكتشاف وجود عدد من الكواكب والنجوم ومعرفة الكثير عن تكوينها ودراسة الظروف المحيطة بها. ومع الجلد وتكرار التجارب وانفاق الكثير من الوقت والجهد بين جدران المختبرات استطاع علماء آخرون تصوير ادق ما فى الطبيعة وأخفى ما فى جسم الانسان . صوروا الخلية البشرية وكرات الدم والميكروبات ومراحل نمو الجنين ، وسجلوا شكل الذرة ونواتها وحركة النيوترونات والبروتونات . وساعد هؤلاء وأولئك بما صوروه على نشر المعرفة العلمية وتبسيط أعقد التفصيلات فى الحقل العلمى للانسان العادي ، وابرزوا بذلك معجزة الخلق الكبرى بكل أبعادها .

● وفى مجال الاعلان والتسويق تقوم الصورة بأدوار البطولة . فإذا كان هدف الاعلان المتطور هو جذب الانتباه ثم تسويق المنتج ، فإن المصور المتخصص فى فن الاعلان يساعد تماما على تحقيق ذلك الهدف بما يسبغه على السلعة المنتجة من « شخصية » وباستعمال الظلال والالوان والحيل والايحاءات ، والتركيز على التفصيلات ذات الدلالة ،





اعلى – صورة لهرم سقارة التقطها المصور الانجليزى فرانسيس فيرث

اسفل – اول كاميرا آلية صنعها اليابانيون فى عام ١٩٠٢ تصور الناس فى داخلها الشيطان

والاستعانة بكل ماهو جميل وشيق ومثير من الاشكال واللمسات ، يمكن للوحة الاعلانية ان تحدث أثره المطلوب فى نفس القارىء والمشاهد .

لقد كانت رحلة التصوير عبر قرن ونصف قرن من الزمان شاقة وشيقة معا . وبعد ان استعرضنا ابرز معالمها واسخى معطياتها ، سوف نحاول فيما بقى من المقال ان نقدم بعض ما يمثلها من لقطات ومشاهد .

ولقد عرفت مصر التصوير الضوئى قبل ان تعرفه أمم كثيرة ، وبخاصة فى الشرق .. عرفته بعد اختراعه بسنوات ، اى فى حوالى منتصف القرن التاسع عشر واقتصرت ممارساته عندئذ على التقاط صور شخصية (بورتريه) للحكام وكبار رجال الدولة بوساطة اولئك المصورين الاوروبيين الذين كانوا يجوبون الافاق للارتزاق من هذا الفن الجديد . ولعل اول من التقطت له صورة من هذا القبيل كان عباس باشا الاول الذى حكم مصر من عام ١٨٤٨ الى عام ١٨٥٤ . اما الصور الفوتوغرافية التى تعرفها لمن سبقه من الحكام (جده محمد على وعمه ابراهيم) ، فقد نقلت فيما بعد عن لوحات مرسومة باليد لبعض كبار الفنانين الفرنسيين والايطاليين .

وتتابعت اللقطات التى سجلها الاختراع الجديد فى القرن الماضى : صور شخصية للوالى سعيد باشا (٥٤ - ١٨٦٣) وعدد قليل من رجال حكومته ، ثم الخديو اسماعيل وفردينان دىلسبس ، ومناظر ساكنة من قناة السويس ، وبعض الاثار المصرية ، وميناء الاسكندرية .

ولما قام الزعيم احمد عرابى بحركته الوطنية حرص على ان تلتقط له ولكل من زملائه العسكريين صور فوتوغرافية محمود سامى البارودى - عبد العال حلمى - على فهمى . وكذلك فعل حكام مصر وباشاواتها : الخديو توفيق - مصطفى رياض - محمد شريف - نوبار ، وغيرهم .

وخلدت الكاميرا فى تلك الايام ايضا صورة الداعية الثورى العظيم جمال الدين الافغانى والمناضل الوطنى عبد الله النديم . ومن نجوم الادب والفكر والصحافة والفن سجلت المعين السحريه للاختراع الجديد صور : سليم وبشارة تقلا والشيخ على يوسف وعلى مبارك وابراهيم المويلحى وعبده الحامولى والمظ .

وتقلب صفحات سجل تاريخ مصر فى تلك الايام فنجد صور الزعيمين مصطفى كامل ومحمد فريد والشيخ محمد عبده والخديو عباس حلمى واحمد لطفى السيد وسعد زغلول والشيخ حسونة النواوى والشيخ محمد بخيت وعبد الحميد البكرى وتوفيق البكرى والشيخ سلامة حجازى وغيرهم ... وغيرهم .

ويهل القرن العشرون ، وتنجح مطابع الصحف المصرية فى حفر



رواسم (كليشهات) الصور الظلية (الهافتون) ، فتقدم لقرائها مع الكلام المكتوب صور الشخصيات وصور الحوادث كلما امكن ذلك : الوزراء ، محاكمة دنشواى ، مناظر طبيعية ، أسلحة عسكرية ... الخ .

وتنشب الحرب العالمية الاولى (الحرب العظمى) فتنشر الصحف مع ابنائها الكثير من صور الاشخاص والقطع الحربية وميادين القتال . وتشهد الصحافة المصرية فى اثناء الحرب ظهور مولود جديد هو المجلات المصورة .

وتقوم ثورة ١٩١٩ ، وتسجل الكاميرا كثيرا من احداثها وشخصياتها : الزعماء الوطنيين ، قوات الاحتلال ، مظاهرات الطلبة ، المظاهرات النسائية ، الشهداء والجرحى ، محاكمات الثوار .....

وتحصل مصر على استقلال محدود، ويصبح لمصر دستور وبرلمان ، وتتابع الاحداث السياسية ، ويستمر صراع القوى ، وتسجل الكاميرا المتطورة كل ذلك : اعضاء لجنة الدستور ، الملك يفتتح البرلمان ، سعد زعيم الشعب يلقى خطاب العرش ... ثم : مقتل السردار ، محاكمة المتهمين ... وبعد ذلك جنازة سعد ، الحكام الجدد ، نواب الشعب يحطمون السلاسل على مدخل البرلمان

ونواصل تقليب صفحات سجل الصور ، فاذا مئات ومئات من صور



ـ صورة نادرة للشاعر الفرنسى لامارتين وهى من اوائل الصور التى طبعها على ورق

اقطاب النهضة الوطنية التي مهدت لها ثورة ١٩١٩ في مختلف جوانب الحياة المصرية : سيد درويش ومحمد عبد الوهاب وام كلثوم وكامل الخلعي وداود حسني وزكريا أحمد ومحمد القصبجي .. في حقل الموسيقى والغناء ، نجيب الريحاني وجورج ابيض ويوسف وهبي وعلي الكسار ، وعزيز عيد في المسرح ، طلعت حرب ومدحت يكن وفؤاد سلطان في الاقتصاد ، علي ابراهيم وسليمان عزمي وعبد الحميد سليمان وعبد العزيز اسماعيل ونجيب محفوظ في الطب ، محمود تيمور وطه حسين واحمد أمين وعباس العقاد وابراهيم المازني وتوفيق الحكيم في الادب ، احمد شوقي وخليل مطران وحافظ ابراهيم في الشعر ، واسحق حلمي وسيد نصير وابراهيم مصطفى في الرياضة وغيرهم وغيرهم وغيرهم في كل مجال.

وتمضى الايام .. حافلة بالكثير من الاحداث ، نابضة بالكثير من المتغيرات . وتتحرك الكاميرا فتكشف الصورة مع الكلمة صفحات وصفحات من السجل التاريخي الضخم لمصر الحديثة والمعاصرة :

قيام الجامعة ، التوسع في التعليم ، المنشئات الكبرى ، الاثار المكتشفة ، المشاهد الطبيعية ، المنتجات ، الانجازات الصناعية والزراعية ، وسائل النقل والمواصلات ، الانشطة الرياضية ... ثم الحكام والساسة ، الافراح والاتراح ، النمو والتطور ، المظاهرات والانتفاضات ..

واصبحت الصورة تزاحم الكلمة في وسائل الاعلام المطبوعة التي أسرفت في استخدام هذه اللغة الجديدة ، وساعد ظهور السينما وتطورها على الوعي بهذه الوسيلة الجديدة في التعبير .

ويستطيع ابناء هذه الايام ان يقرءوا بالتفصيل - ومن خلال الصور وحدها - تاريخ مصر في الثلاثينيات واحداث فترة الحرب العالمية الثانية وما تبعها من سنوات ، ثم احداث ثورة يوليو وانجازاتها وتطوراتها حتى الوقت الحاضر .

بل يستطيع ابناء هذا الجيل ان يعرفوا الكثير عن احداث العالم من خلال ما كانت تنشره الصحف المصرية من صور خارجية تصل اليها من وكالات الانباء والمراسلين بالبريد ثم باللاسلكي ، وتحتل من صفحاتها مكانا مرموقا .

ولا جدال كذلك في ان التليفزيون الذي يعتمد على الصورة المرئية قبل الكلمة المسموعة اصبح ينافس وسائل الاعلام الاخرى منافسة قوية ، ويمثل احد المعالم الاساسية في حياتنا اليومية .

وبعد ، ألست معي أيها القارىء العزيز في أنه قد تحقق الان المثل الصيني القديم الذي يقول ان الصورة خير من الف كلمة كما تحققت المقولة الصحفية الحديثة التي تؤكد أن الصورة قد تفوق في قيمتها ما يساوي مساحتها من الكلام المكتوب ؟



علماء ومفكرون

الصحافة المصرية والصور

كانت الصحف المصرية في النصف الثاني من القرن الماضي تنشر احيانا بعض الرسوم اليدوية المحفورة على قوالب خشبية او معدنية . اما الصور الفوتوغرافية المطبوعة بطريقة التدرج الظلي . اي باستعمال الشبكة عند الحفر (الهافتون) . فقد عرفتها الصحافة المصرية في آخر القرن . ويسجل لصحيفة « الاهرام » انها نشرت اول صورة من هذا النوع في مطلع عام ١٨٩٥ .

واستمرت « الأهرام » و« المقطم » تنشران صورا من هذا النوع وصورا لبعض اشخاص تطلب السلطات القبض عليهم بين حين وآخر . ولكن ذلك كان على فترات متباعدة .

اما اول صورة فوتوغرافية تتصل بالمادة الصحفية فقد نشرتها صحيفة « الجريدة » على الصفحة الأولى . وكان ذلك بمناسبة إعلان الدستور العثماني . ففي يوم ٢٨ يوليو عام ١٩٠٨ نشرت الصحيفة على صدر العمودين الاولين من الصفحة صورة لمدحت باشا وتحتها عبارة « مدحت باشا - ابو الدستور والاحرار » .

وقد تعددت الصور على الصفحة الأولى حتى احتلت احيانا صدر الصفحة كلها . مثل صور أعضاء الوزارة المصرية الجديدة . يوم ١٩ نوفمبر عام ١٩٠٨ .

ونشرت « المؤيد » صورة إبراهيم الورداني قاتل بطرس غالي باشا في ملحق العدد الصادر يوم ٢١ فبراير عام ١٩١٠ .

وفي اثناء الحرب العالمية الأولى اصبحت الصور الفوتوغرافية من المعالم المهمة في الصحف . سواء اكانت شخصية أم تمثل مناظر متصلة بعمليات القتال . ولعل اهم ماحدث وقتئذ في هذا الصدد هو بدء ظهور المجلات المصورة . عندما صدرت مجلة « اللطائف المصورة » عام ١٩١٥ .

وازدهرت الصورة الفوتوغرافية في الصحافة المصرية بعد الحرب . فتتابع صدور المجلات المصورة (المصور ١٩٢٤ . الدنيا المصورة ١٩٢٩) وساعد على ذلك استعمال الطريقة الغائرة (الروتوغرافيور) في طباعة هذه المجلات . وزاد حجم الصور المستخدمة في الصحف وكثر عددها وتنوعت موضوعاتها . وافردت بعض الصحف صفحات كاملة لنشر الصور . وبلغت كل من « الاهرام » و« السياسة » و« البلاغ » و« الجهاد » و« كوكب الشرق » و« المصري » مستوى رفيعا في هذا المجال

واستطاعت « الاهرام » أن تنشر في ربيع عام ١٩٤٢ اول صور مرسلة باللاسلكي .

وساعد التقدم الكبير في سرعة التقاط الصور الفوتوغرافية في اثناء الحرب العالمية الثانية ومابعدها . وكذلك في سرعة طبعها وارسالها بمختلف الطرق (حتى عبر أسلاك التليفون) على احتلالها مكانا مرموقا بين المواد الخبرية في الصحف . واصبحت الصور بذلك عنصر سبق صحفي له اهميته وخطورته في صحافتنا المعاصرة .



الشيخ امين الخولي - مدرسة الامناء



مصطفى لطفي المنفلوطي



عباس محمود العقاد



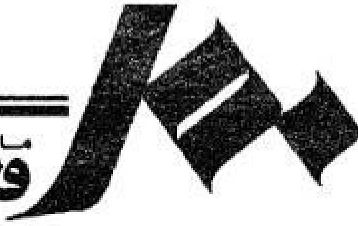
كامل الكيلانى



ابراهيم عبدالقادر المازنى



الشيخ عبدالعزيز البشرى



عبدالرحمن عزام باشا فى طريقه ليتسلم منصبه وزيرا مفوضا لمصر فى بغداد
والاديب احمد امين فى طريقه لحضور مؤتمر المتنبى فــى دمشــق عام ١٩٣٦



الامام محمد عبده .. فى شبابه



احمد عبدالرزاق السنهورى فقيه القانون



الأديب احمد حسن الزيات .. صاحب الرسالة والرواية



علماء ومفكرون



هيئة التدريس الأولى بالجامعة المصرية الوليدة عام ١٩٢٥، حلت محل الجامعة الأهلية القديمة التى انشئت عام ١٩٠٨، ويظهر فيها من اعلامنا فى الصف الجالس: احمد لطفى السيد وعن يمينه منصور فهمى، وفى الصف الواقف: الدكاترة على العنانى، طه حسين، احمد ضيف



هيئة المجمع اللغوى القديم فى العشرينيات (قبل إنشاء مجمع اللغة العربية الحالى والجالسون من اليمين: على حامد، ميرزا رفيع مهدى، الشيخ رشيد رضا، ادريس راغب الشيخ سيد المرصفى، محمد نافع، محمد امين واصف، صالح جودت المحامى. والواقفون عبدالله أمين، محمد على البسوقى، صادق عنبر، محمد كامل حجاج عبدالقادرفؤاد المانسترلى، احمد حسن الزيات (بالعمامة)، عبدالفتاح عباده، يوسف احمد، الشيخ عمرو محمد



أحمد حسنين باشا ، واكتشاف جبل العوينات بصحراء مصر الغربية



العالم المصرى العبقرى علي مصطفى مشرفة باشا



حسن صبرى باشا الذى مات وهو يلقى خطاب العرش في البرلمان عام ١٩٤١ عن يمينه الاقتصادى الكبير طلعت حرب باشا وعن يساره حافظ عفيفي باشا

١٥٠

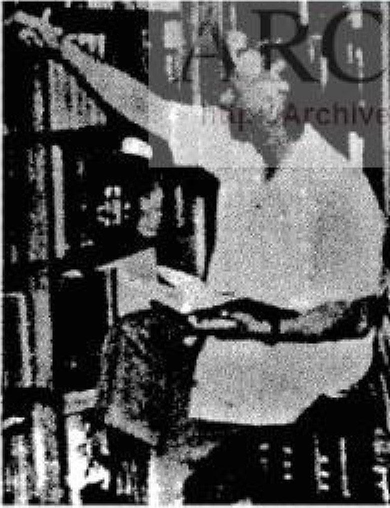
مائة وخمسون عاما على

فن التصوير

علماء ومفكرون

الدكاترة زكى مبارك .. الأديب الذى لم يأخذ حقه .. صاحب السفر العظيم « النثر الفنى » و « ليلى المريضة فى العراق » .





الدكتور أحمد زكى ، الرجل الذى أدب العلم .. فى مكتبته عندما كان يرأس تحرير الهلال



محمد فريد أبو حديد .. الأديب صاحب «الملك الضليل» وغيره .



لقطة فريدة لعميد الادب العربى الدكتور طه حسين مع رفيقة حياته السيدة سوزان وولديه مؤنس وامينة

علماء ومفكرون





الشاعر إسماعيل صبرى باشا



د . محمد حسين هيكل



امير الشعراء احمد شوقي وولداه علي وحسين



أحداث عربية



لقطة نادرة للملك محمد الخامس مع اسرته ويظهر فى الصورة الحسن قبل توليه الحكم ، فى اقدم عرش عربى .



أحد اجتماعات جامعة الدول العربية وبراسه مصطفى النحاس ، ويظهر فى الصورة الشقيرى وعزام . والأمير فيصل ومحمد صلاح الدين



استقلال الجزائر أحد الأهداف العربية الغالية التى تحققت ، وفى الصورة أحمد بن بيلا فى القاهرة بين عبدالناصر وعامر .



سعيد بن على ، وأقدم صور لأحداث عمان .



عبدالقادر الجزائرى

أحداث عربية



الشريف حسين قائد الثورة العربية



لورانس العرب الذى عمل على فصل العروبة عن الاسلام .



صورة نادرة للملك سعود واخوته واولاده بعد استيلائه على الدرعيه ..



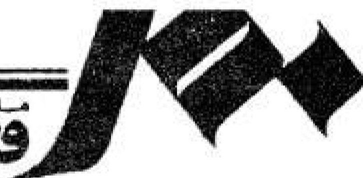
الزحف الايطالى على ليبيا



● الملك إدريس السنوسى
مع الرئيس محمد نجيب .

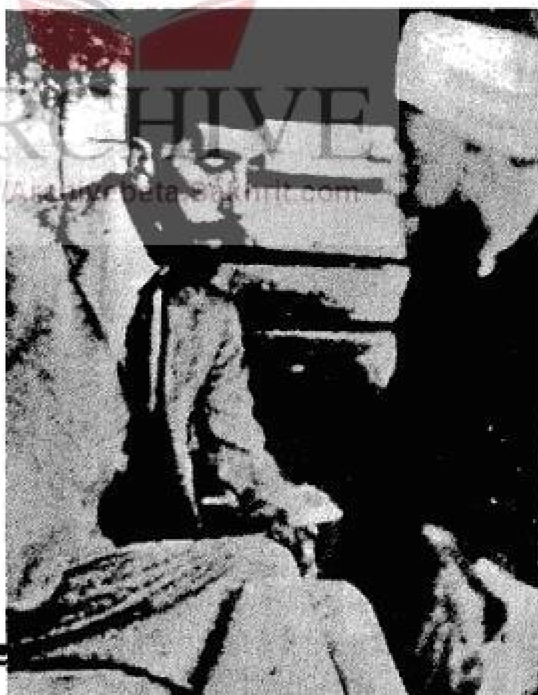


إدريس السنوسى فى زى النضال
ضد الاستعمار الايطالى





المؤتمر الفلسطيني الثالث ، الذي عقد في حيفا عام ١٩٢٠ ، والذي كان التنظيم الذي يعبر عن الشعب الفلسطيني في مواجهة الخطر الصهيوني . ورأس المؤتمر موسى الحسيني



الحاج امين الحسيني والملك فيصل ملك العراق وقائد الثورة العربية خلال الحرب العالمية الأولى .



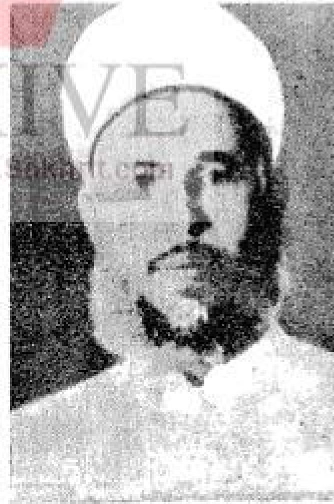
كان لليهود الحق دائما فى الوصول إلى
حائط المبكى ، نساء يهوديات إلى جانب الحائط



مناحيم بيجن يخطب خلف خريطة تصل باهداف الدولة الصهيونية إلى ضفتى نهر الاردن وليس الضفة الغربية وحدها .



عبدالقادر الحسيني خريج الجامعة الامريكية في
القاهرة واستشهد وهو يدافع عن القدس في حرب ١٩٤٨



الشيخ عز الدين القسام ، أول من
بدأ الكفاح الفلسطيني ضد الانجليز



سجلت الكاميرا الاجتماعات الفلسطينية
ضد الغزو الصهيوني (١٩٣٣)

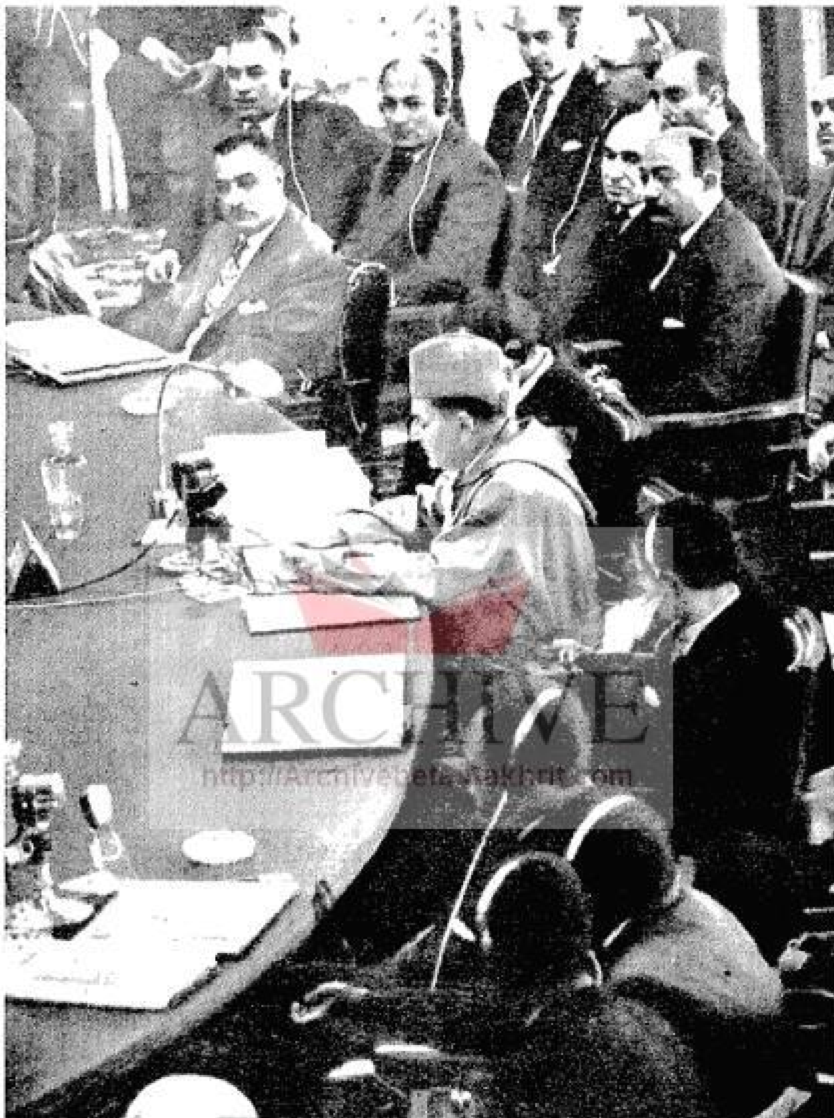
أحداث عربية



وثيقة الوحدة المصرية السورية يوقعها جمال عبدالناصر وشكرى القوتلى .



استقلال اليمن الجنوبية فى نوفمبر عام ١٩٦٧ . ويظهر أول رئيس للجمهورية قحطان الشعبى ، ومحمد على هيثم وسيف الضالعى وآخرون .



اول مؤتمر قمة عربى (١٩٦٤)

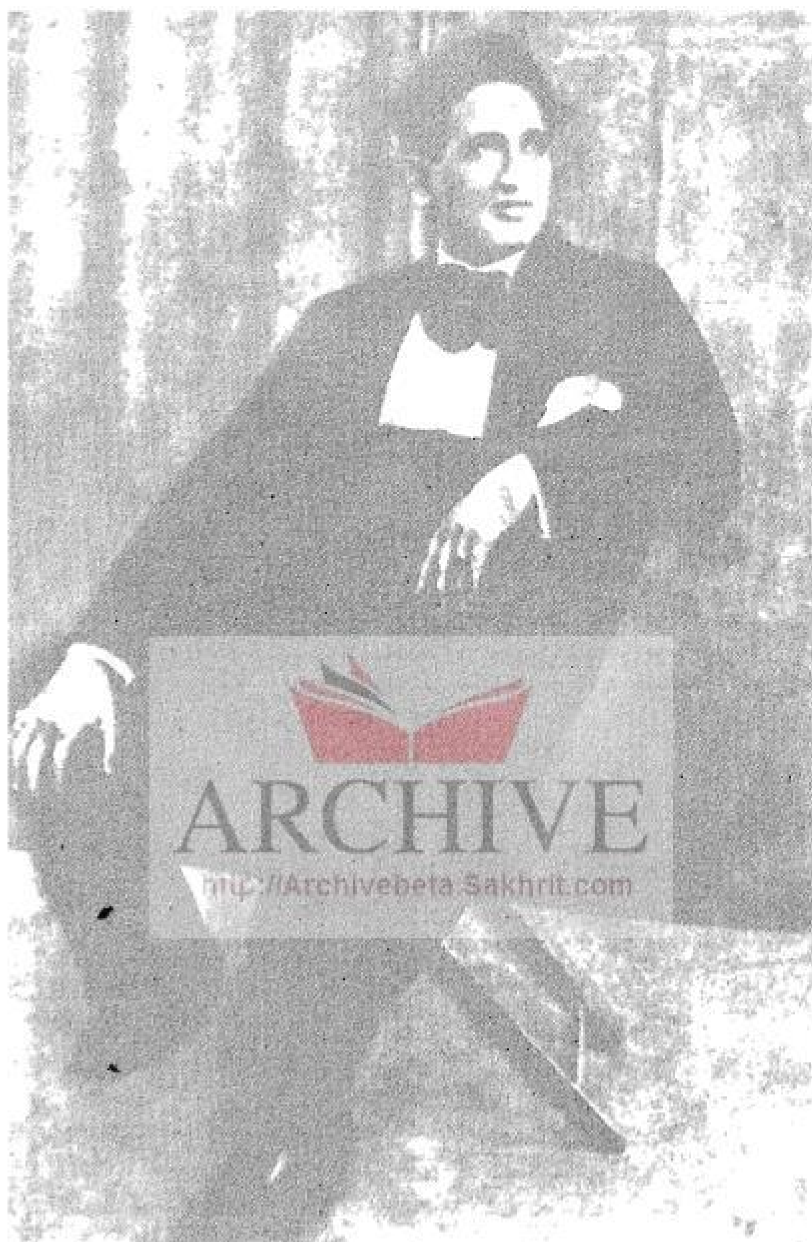


جسدت الصورة الفوتوغرافية وقائع الغناء في مصر ، وسجلت حياة فناني الطرب الخاصة والعامة ، ومع بداية القرن العشرين حرص الفنان على تسجيل هذه الحياة بالوقوف دائما امام الكاميرا المليئة بالابهار ، ليطل منها إلى عيون وقلوب المحبين له .

كامل الخلعي في قمة اناقته ، صورة تمثل عصرا باكمله



القارىء والمنشد الشيخ على محمود .. يتوسط مجموعة من مساعديه وعلى اليسار الملحن العملاق الشيخ زكريا احمد عندما كان في بطانة الشيخ على



سيد درويش (١٨٩٢ - ١٩٢٤) فى إحدى صوره الاخيرة . وقد اصابته البدانة بشكل ملحوظ

سينما ومسرح



لقطة طريفة تصور حالة استعداد قبل تصوير مشهد من فيلم «سي عمر» يبدو فيها الريحاني ونيازي مصطفى في حالة قراءة . اما عبدالفتاح القصري فقد اسلم امره وشاربه للماكيير ١٩٤٢



جورج ابيض في احدى مسرحياته الاولى "البيت المحاصر" وحوله يوسف وهبي وفتوح نشاطي وزينب صدقي



سراج منير . وامينة رزق في إحد افلامه الاولى التي اخرجها محمد كريم



بدايات على الكسار على المسرح



يعقوب صنوع أول من أضحك الناس على المسرح العربى



يوسف وهبى . عينان تبرقان امام وميض الجواهر فى رواية "المهرجان" .

أحداث اجتماعية مصرية



لقطة عائلية قديمة للزعيم سعد زغلول وحرمه السيدة صفية ومعهما والدها مصطفى فهمي باشا ووالدتها



الملكة نازلي .. كان المسموح بنشره وقتئذ .رأس. الملكة فقط



غاندي على سطح السفينة التي توقفت به في ميناء بورسعيد ..في طريقه الى لندن



الزعيم مصطفى النحاس باشا نائما على دكة، في محطة السكة الحديد ببني سويف بعد أن اغلق اسماعيل صدقي باشا في وجهه الطريق . للقيام بجولة سياسية في اقاليم الصعيد .. عام ١٩٣١



الملكة السابقة ناريمان تستقبل بعض زوجات الدبلوماسيين وتظهر في اقصى اليسار الأميرات فايزة وفوزية وفايقة شقيقات فاروق

150
مائة وخمسون عاما على
فن التصوير



أحداث اجتماعية مصرية

الخديو محمد توفيق فى ليلة زفافه بحرمه امينة الهامى



فاروق وفريدة .. ليلة الزفاف الملكى .. من الصور المشهورة

أحداث اجتماعية مصرية



في إحدى حفلات عيد ميلاد الملك .. فاروق وفريدة



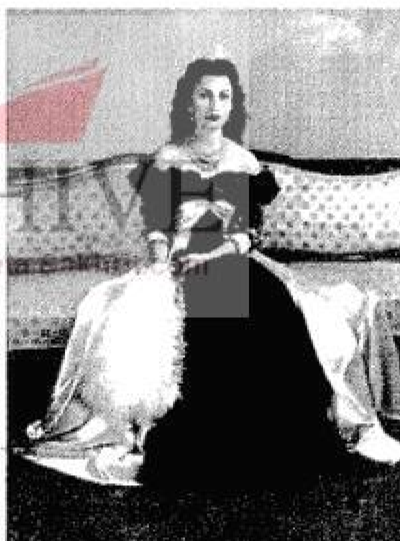
سعد زغلول ومصطفى النحـــاس ، عائدان من المفاوضات في لندن



الملكة نازلي ورياض غالي الذى تزوج ابنتها فتحية . ثم قتلها في امريكا



تشرشل يزور مصر اثناء الحرب العالمية الثانية ومعه الأمير محمد على توفيق ولى العهد ومصطفى النحاس ولورد كيلرت وحرمه وامين عثمان واحمد حسنين



فوزية شقيقة فاروق عندما كانت امبراطورة إيــران

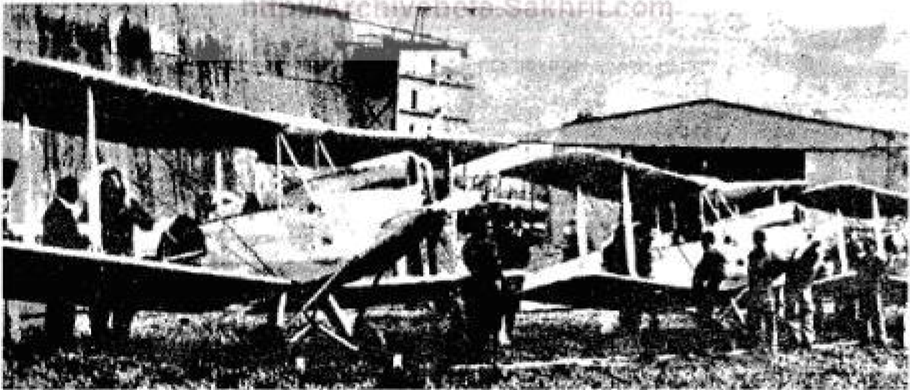


حفل زفاف المحامية مفيدة عبدالرحمن والأستاذ محمـــد عبداللطيـف ..

حقائق اجتماعية



حادث ٤ فبراير وحصار قصر عابدين وانذار الملك ، والذى كان بداية اعصار فى الحياة السياسية المصرية



أول سرب مصرى يصل من بريطانيا ، وتم الاحتفال به فى مطار الماظة سنة ١٩٣٢

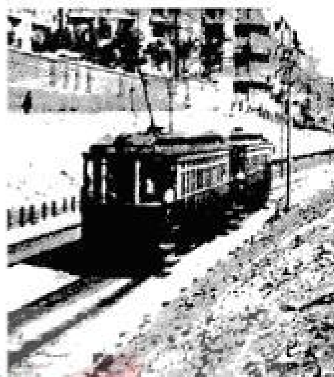


الملكة نازلى مع فاروق وبناتها الثلاث فريال وفوزية وفوقية

أحداث اجتماعية مصرية



هدى شعراوى فى السادسة من عمرها ، والتى قادت الحركة النسائية



● ترام الإسكندرية عـــام ١٩٥٠



قصر شبرد أقيم بجوار حديقة الأزبكية ، أقام فيه نابليون فترة من الزمن



صفية زغلول تقود الثورة بعــــد نفي سعد زغلول إلى جبل طارق .



نعيمة الأيوبي اول محامية مصرية

لطيفة النادى أول قائدة طيران مصرية



أحداث مصرية

الزعيم احمد عرابي في السنوات الأخيرة من حياته بعد ان عاد من المنفى في صورة عائلية اجتمع لها آل عرابي من ابنائه واحفاده ..



الزعيم سعد زغلول
فى أواخر حياته



صورة غير مالوفة للسلطان حسين ،
التقطت قبل ان يتولى عرش مصر
بسنوات فى ديسمبر ١٩١٤



الامير فؤاد الأول فى اجتماع اللجنة التى
تشرف على انشاء اول جامعة مصرية عام (١٩٠٨)

أحداث مصرية

صورة التقطت فى بورسعيد جمعت ثلاثة من اقطاب السياسة الاستعمارية وهم من اليمين وقوفا كيتشنر والملك جورج الخامس والخديو عباس حلمى التقطت الصورة عام ١٩١١

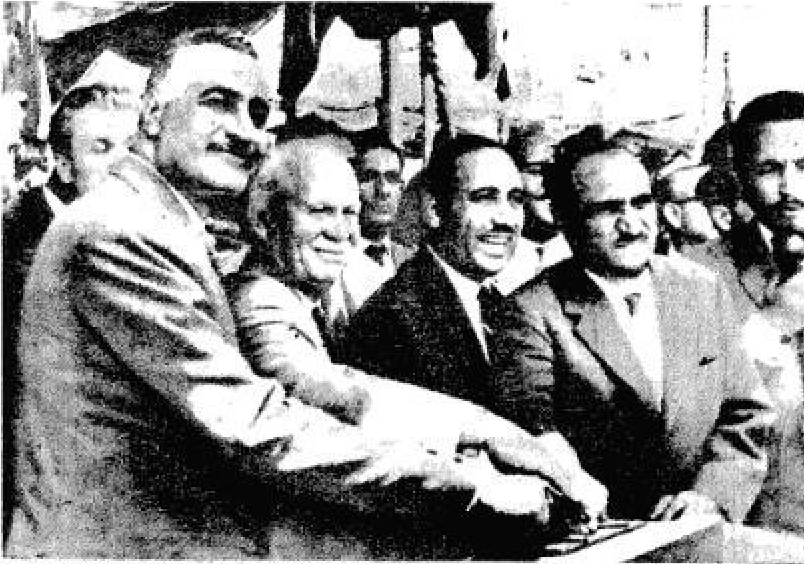




الخديو عباس حلمى الثانى الذى تولى حكم مصر بين عامى ١٨٩٢ و ١٩١٤



الجنود الانجليز فى طريقهم إلى مدينة دنشواى ..



عبد الناصر وخرشوف وعبد السلام عارف وعبد الله السلال
عند تحويل مجرى النيل (١٩٦٤)



عبدالناصر .. ضابط في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ انطلاقة لشرارة الثورة .

● رأى فى الثقافة ●

● « براءة » الانفصامية بين الوثائق والابداع الفني

انا واثق تمام الثقة من ان هذا الكلام سيؤخذ باعتباره كلاما لاحد ابناء البيت ودون حساسية اعتباطية ٠

فثقتي الشخصية في مواهب المبدعين الفلسطينيين كبيرة ، فقد كان اخونا محمود درويش ، وهو القيمة الشعرية الكبيرة ، هو اول الداعين لرفع نير « هذا الحب القاسى » الذى امطرهم به بعض الكتبة ، أو بعض المتحمسين بغير وعى ، وعاملوهم « عمال على بطال » ، و « كهوجة » ادبية سياسية ابداعية خرافية ،واتهم ـ الفلسطينيون ـ هم أول من يفرق بين « الوثائق » النضالية التى كتبها سياسيون ومناضلون فى السجون والمعتقلات أو فى اتون حمى النضال الذى ينمو منه ابناء هذا الشعب العظيم فى الاراضى المحتلة ، وبين « الابداع » الشعرى والقصصى والفن الحقيقى الذى لا يمكن أن يكون هو بدوره الا خارجا من اتون هذه النار المشتعلة « معمدا » بماء الحياة ٠

وانا هنا ادعو الى هذه التفرقة من ناحيتين ٠

من ناحية « النشر » وتقديم كل منهما للناس ٠٠ فبالنسبة « للوثائق »النضالية افضل ان يخصص لها « سلاسل » خاصة تضم ما انتج مثلا فى معسكرات الصمود وغيرها من السجون والسجون ، والسجون الشوارع ، تضم ما انتج من المعارك المعارك ، ومعارك الشوارع حتى تميز عن الابداع الادبي والفني سواء كان هذا شعرا او قصة أو تصويرا ، وهو ما يجب أو يؤخذ بالشدة النقدية ليوضع فى مكانه الطبيعى بين الابداع العربى ٠

هذا من ناحية النشر ٠

ومن ناحية التقييم فان من يتعامل مع هذه الوثائق هم علماء الاجتماع ودارسو الحركة النضالية بما يفيد هذا درسهم بابعاد انسانية يحتاجها هذا الدرس، اما الابداع الفنى والادبى فهو موضوع نقاد الفن والادب بما يقتضيه ذلك من فارق نوعى خاص اظن ان نقادنا العرب ليسوا فى حاجة الى من يدلهم على مواصفاته ٠

هذه التفرقة الضرورية من ناحية النشر والتعامل مع النصوص هى التى تميز الحياة الثقافية الفلسطينية ، بما تتمتع به من وعى فنى ووعى سياسى ، ولن يجعلها تخلط الامور والمستويات والانواع كما فعلت حركات سياسية اخرى فى مراحل بعينها ٠٠ فخسرت هذا وذاك ٠

هل هذه طريقة « مصرية » فى النظر الى الامور ٠٠ ربما ؟!

● عبده جبير

• مجـلات •

قضايا فكرية



قضايا فكرية : العدد الثاني عن الانتفاضة

العدد الماضي ـ السادس ـ من سلسلة كتب « قضايا فكرية » التي يصدرها ويشرف عليها المفكر المعروف محمود أمين العالم كان مخصصا لدراسات عن « الصراع العربي الصهيوني ·· الجذور والمواقف » ·· اما هذا العدد الجديد فيحاول أن يكون استكمالا وليس اغلاقا لما طرحه العدد السابق ، فيرصد عبر دراساته ومتابعاته وشهاداته الخمسين الاحتمالات الممكنة لمستقبل هذا الصراع ·

ويحاول هذا العدد أن يقدم ـ وكما تقول افتتاحية ـ ما يشبه الوثيقة للآفاق المحتملة التي يتصورها المشاركون في هذا العدد من مفكرين وباحثين وساسة عرب مهتمين بالقضية الفلسطينية ، بغية بلورة امكانية أفضل في اكتشاف فعل ثورى أفضل في الصراع ضد اسرائيل كاداة للصهيونية والامبريالية ·· تماما كما اسهم أول حجر فلسطيني في اكتشاف مسار الانتفاضة التي تبلغ الآن عامها الاول·

وعلاوة على مقدمة محمود أمين العالم التي تناقش ما هو عليه حال القضية المستفيضة الان وتتحسس مسارها عبر المستقبل من خلال دعوة الى حوار عربي موضوعي وعمل نضالي مشترك ، تقرأ أيضا للدكتور عبد الوهاب المسيرى عن حاضر الصهيونية ومستقبلها ، كما تقرأ لأشرف راضي عن « الصراع الطائفي في المجتمع الصهيوني ومستقبله»،كما للدكتور عبد الرازق حسن عن « البعد السكاني في الصراع العربي الاسرائيلي » ، وللدكتور اسامة الغزالي حرب عن « مصر ومستقبل الصراع العربي الاسرائيلي ، وللدكتور جودة عبد الخالق عن « العرب ومواجهة المشروع الصهيوني » وللدكتور عبد الرازق حسن عن «الاقتصاد العربي وامكانيات المواجهة مع المشروع الصهيوني » وللدكتور خليل حسن خليل عن « جبهة اقتصادية عربية فاعلة » وللدكتور السيد عليوة عن « مستقبل المؤسسة العسكرية الاسرائيلية في ظل التسوية »وللدكتور محمد السيد سعيد عن« حرب الكواكب بين امريكا واسرائيل » وللاستاذ محمد سيد أحمد عن « الوضع الدولي ومستقبل النزاع العربي الاسرائيلي » وللاستاذ مصطفى مجدى الجمال عن أساليب المواجهة بين عقلانية المسئولية الثورية وعبث البرجوازية الصغيرة »

وللدكتور اسعد عبد الرحمن عن « الانتفاضة الفلسطينية : الاساليب - المسار - النتائج - الآفاق » بالاضافة الى شهادات لخمسين كاتبا ومفكرا وقراءتين تحليليتين للشهادات لكل من عصام فوزي وأشرف حسين ومراجعات الكتب وكل من بدوى محمود وحسين حمودة ..

٤٨ : مجلة جديدة مشرقة من داخل فلسطين

حمل الينا الشاعر الفلسطيني سميح القاسم عددا واحدا من مجلة عربية جديدة لم يستطع الخروج باكثر منه (حيث تحرم القوانين الصهيونية الفاشية الخروج باكثر من نسخة من اى مطبوعة مع اى مسافر) تخطفته ايدى المشتاقين من الاصدقاء والزملاء بشوق ولهفة وفرح وفخر ايضا .

فهاهم الكتاب العرب في الاراضي المحتلة - اولا - يستطيعون أن ينتزعوا من بين أنياب التنين منظمتهم المستقلة المعبرة عن تجمعهم ، ففي اتحاد الكتاب العرب (الفلسطيني) الذى قام منذ اكثر من عام (٣١-٨-١٩٨٧) في الناصرة من أجل « اعادة الاصطفاف بما يسد ثغرة تلو ثغرة وبما يحول دون سيل التشريد والتهويد . ولاعادة صياغة المواقف والشعارات وبلورة الرؤية والرؤيا معا .. لان الاسئلة تتكاثر وتتشابك وتمتد وتحتد، تنبعمن كل لغات الارض لتصب في لغتنا الجميلة، التي -كما يقول سميح القاسم - وهبت هويتنا القومية والحضارية تالقها وعنفوانها ،لغتنا التي كان علينا ان نثبت وجودها حتى نثبت وجودنا ، وان نثبت وجودنا حتى نثبت وجودها، من اجل هذا قام اتحاد الكتاب العرب في فلسطين المحتلة ، كيانا ديمقراطيا اختار سميح القاسم رئيسا له بالانتخاب الحر المباشر ، وبعد مؤتمر تاسيس ضم كل من سمحت له ظروفه بالحضور وهم جميع الكتاب العرب في فلسطين الا أولئك الذين تضمهم السجون الاسرائيلية خلف أسوارها ، وما ان قام حتى شارك في الدفاع عن حرية الكاتب العربي في اسرائيل ، وعن زملاء القلم المسجونين ، والمشردين ، وعن القيم الثقافية الفلسطينية العربية الاصيلة التي يريد المستعمر ان يهيل عليها التراب ، فاصدر البيانات واقام المؤتمرات والندوات وشارك في المسيرات من اجل حرية الوطن وحرية مبدعيه .. ولم يقف عند هذا الحد بل بدأ في اصدار المطبوعات حتى اصدر مجلته هذه التي تحمل عنوان عام النكبة (٤٨) لتؤكد ان عرب ٤٨ لم يذوبوا في اسرائيل ، وما زالوا يتمسكون بثقافتهم ولغتهم .

وها هي ذى المجلة - ثانيا - لا تكتفي بنشر ابداعات الكتاب العرب في اسرائيل ، ولا بنشر وثائق هامة (بيانات الاحتجاج والمطالبة بحرية الكتاب) ولكنها مدت يدها ايضا الى الوطن العرب فحفل العدد بدراسات عن اعمال لكتاب عرب من بلدان عربية مختلفة ، ونصوص متعددة لكتاب عالميين تدل على حيوية الحركة الادبية العربية في فلسطين المحتلة .

● اشارات ثقافية

اقدمت مجلة « اكتوبر » ـ وتمسك عن تحديد العدد الذى تم به النشر عامدين ـ على نشر مجموعة خطابات كان استاذنا نجيب محفوظ قد كتبها لصديقه الدكتور طبيب ادهم رجب ، خلال الاربعينيات .

ويثير نشر هذه الخطابات تساؤلات عديدة، لما تضمنته من اخبار شخصية كتبها صديق الى صديقه ، دون ان يخطر على باله انها ستكون معروضة للقارىء ، سيما وان هذه الخطابات حوت ـ بمعيار القارىء العادى ـ مايسىء الى نجيب محفوظ ، كشخصية عامة ، ومن هنا كانت التساؤلات عن السبب فى ان الدكتور ادهم رجب دفع بهذه الخطابات الى النشر العام، وفى الوقت الذى حصل فيه نجيب محفوظ على جائزة ادبية عالمية ، وقوبل هذا الحدث ، على المستوى الشعبى بتظاهره احتفال واحتفاء ، واذا كان صديق نجيب محفوظ قد تساهل فى اخراج هذه الخطابات من مكمنها القديم ، فكيف اجاز ناشر هذه الخطابات لنفسه ، ان ينشر على الملا ما يسىء الى نجيب محفوظ ، واليست المجلة التى اشاعت هذه الاساءات مسئولة هى الاخرى ؟ مما لا شك فيه ان « حياة » الكاتب بكل ما فيها ، كتاب مفتوح امام النقد الادبى ، لان احداث هذه الحياة ووقائعها وسماتها العميقة ، حيثيات تفسر الاعمال الادبية للكاتب ، بل ان هذه الخطابات فيها فعلا ما يفسر بعض اعمال نجيب محفوظ ، كرواية « ثرثرة على النيل» وغيرها ، ونشر خطابات الفنانين والكتاب ، ليست حدثا جديدا على الحياة الادبية ، وقد سبق ان قرانا كتابا كاملا بعنوان « اناتول فرانس فى مباذله » وكما هو واضح من عنوان الكتاب ، ففى صفحاته كل ما يخجل ، واذا كان ذلك ، فلم الاعتراض على نشر بعض خطابات نجيب محفوظ بما حوته مما يسىء اليه يخيل الى انذلك يرجع الى سببين : ان الكاتب عندنا، وفى الشرق عامة ، يكاد ان يكون ـ ـ فوق كونه مبدعا فنانا ـ فهو قدوة سلوكية ، بمعنى انه يقترب من المصلح الاجتماعى ، وبالتالى ، فهو امام القارىء العادى ، والمواطن والمواطن العادى ، مسئول ليس فقط عن كتاباته ، بل ايضا عن سلوكه ، وفى مقدمة كتاب العقاد ، « عبقرية الصديق » يعترف العقاد صراحة ،انه يريد ان يقيم « مثلا عليا » من الشخصيات التاريخية التى يكتب عنها ، فهو بوضوح يتخلى عن وظيفة المؤرخ ويرتدى مسوح المصلح الاجتماعى وهذا السلوك من مفكر كبير مثل العقاد ـ وقد لا نوافقه على ذلك ـ يكمن وراءه ، الاثر الذى يتاثر به القارىء العادى والمواطن العادى وهو يتمثل الشخصية التاريخية التى يقرأ عنها ، ولعل ذلك يكون مبررا بالنسبة للقارىء الشرقى . الذى يتخيل الكاتب ويتخيل الشخصية

التاريخية ، غير مثقلة بالسلوك المشين اجتماعيا .

السبب الثانى الذى من أجله نعترض على نشر هذه الخطابات بعبلها ، اننا نرى ان يكون مجال مثل هذا النشر ، فى كتب النقد المتخصصة ، وليس فى مجلة عامة ، ففى كتب النقد المتخصصة بقارئها المتخصص المحدود ، مجال لتشريح حياة الكاتب او الفنان ، لتفسير أعماله وارجاعها الى جذور، ودراسة شخصية الكاتب او الفنان ، دراسة جامعة ، دون قيد ، اى قيد ، وبالتالى فان اعتراضنا لا يعنى قصور القارىء فى بلادنا ، بل يعنى أن لكل مجال مقالا ، وهو ما لم يلتزم به نشر الخطابات بكل ما فيها ، بما يسىء الى نجيب محفوظ كمواطن عادى آحبه القارىء العادى ويتمثله مثلا أعلى .

محمد رويش

• مكتبة الهلال .



الكتاب : حرب العدوان الثلاثى على مصر

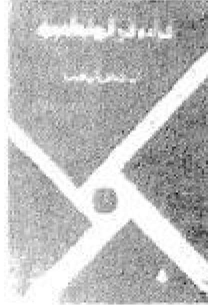
تاليف : هيئة البحوث العسكرية

الناشر : ادارة الدفاع ٣٠٤ ص ٥ج٠م٠

هذا هو الجزء الاول من مجلدين تنوى هيئة البحوث العسكرية بالقوات المسلحة المصرية استكمالهما قريبا ، وفيهما تنشر هيئة البحوث العسكرية - ولاول مرة - كل الوثائق الهامة الخاصة بحرب العدوان الثلاثى على مصر الذى اشتركت فيه كل من اسرائيل وبريطانيا وفرنسا ، لذلك فقد اعتمدت هيئة البحوث ايضا على الوثائق والدراسات البريطانية والاسرائيلية والفرنسية علاوة على المراجع العربية التى تعرضت لهذه الحرب . وبذلك تدخل وزارة الدفاع مجال نشر الوثائق من اجل تشكيل رؤية مصرية رسمية للحروب التى خاضتها مصر بدءا بحرب ١٩٥٦ .

يضم هذا المجلد علاوة على استعراض تاريخى يبدأ من نهاية القرن الثامن عشر وحتى الخمسينيات من هذا القرن، استعراضا لفكرة حفر قناة السويس وازدياد اهتمام الدول الاوروبية بمصر التى

اصبحت محط انظارهم.
بالاضافة الى ذلك يضم الكتاب عدة خرائط وملاحق ووثائق يأتي في مقدمتها نص « مقارنة عامة قبل عقد الصفقة» ونص « مقارنة عامة بعد عقد الصفقة »ونص «معاهدة سيفر السرية ـ ٢٤ اكتوبر ١٩٥٦ » ، ونص « تقدير القيادة العامة للقوات المسلحة للموقف العسكري في شرق البحر المتوسط ـ سبتمبر ١٩٥٦ م» « والنص الحرفي لتعليمات العمليات الحربية رقم ٥٠ لسنة ١٩٥٦ بتاريخ اول سبتمبر ١٩٥٦ ، والنص الحرفي لخطة قادش الاولى بتوقيع كله من راف الوقوموشي ديان، وقائمة شاملة لاهم التواريخ وتعريف بالشخصيات التيذكرت في الكتاب ، ووضع قوات المعتدين والقوات المصرية .



الكتاب : قراءة فى الروايه العربية

تاليف : ابو المعاطى ابو النجا

الناشر : هيئة الكتاب ـ القاهرة ١٩٢ ص ، ١٥٠ ق•م

أبو المعاطي أبوالنجا كاتبالقصة المعروف له اختياراته الفنية التى يتبنى الكتابة عنها بين الحين والاخر .
فقد اختار عددا من أبرز كتاب الرواية في الوطن العربي وتناول اعمالهم بالتحليلوالقاء الاضواء على رؤيتهم للحياة والانسان في طموحاته وأمانيه واخفاقه واحباطاته في ضوء نظرة شاملة للمجتمع العربي وظروفهومشكلاته .. فيتناول رواية جبرا ابراهيم جبرا البحث عن وليد مسعود ، ورواية عبد الرحمن منيف « النهايات » ورواية سليمان فياض «اصوات» وروايتي حنا مينا « حكاية بحار » و «المرفا البعيد » .



الكتاب : من العقيدة الى الثورة

تاليف : د. حسن حنفي

الناشر : مكتبة مدبولي . القاهرة ٢١٧٢ ص ، ٥٠ ج•م.

فى خمسة مجلدات ضخمة يقدم لنا الباحث والمفكر المعروف الدكتور حسن حنفى ما يشبه الملحمة الفكرية التى يقدمها كمشروع جيل كامل يقدم خلاله مسالة التراث والتجديد ليضع شروط النهضة بعد أن وصف ابن خلدون نشاة الحضارة وتطورها وانهيارها فى السبعة قرون الاولى ، يقيل الاصلاح الدينى من عثرته بعد كبوته ، ويحول الى نهضة شاملة ويعيد بناء العلوم القديمة التى تكونت فى فترة الانتصار ، وتوقفت بنهاية الفترة الاولى وينقلها الى فترة الهزيمة حتى يتطابق « الروح » مع اللحظة التاريخية التى نمر بها .

وقد جاءت المجلدات الخمسة من السفر الكبير ليناقش الاول المقدمات النظرية التى يستند عليها المفكر فى دراسته، والثانى يناقش مسالة التوحيد، والثالث مسالة العدل ، والرابع مسالتى النبوة والمعاد والخامس الايمان والعمل والامامة . انه جهد ضخم استغرق من مؤلفه نحو عشرين عاما من البحث والنظر لذا لزم التنويه .



الكتاب : القضية المصرية كتاب مجهول للمنفلوطى

تحقيق وتقديم : د. على شلش

الناشر : رياض الريس للنشر لندن : ١٦٤ ص ٠٩ ج . م .

ضمن بحثه وتنقيبه الدءوب فى التراث الادبى ها هو الناقد الدكتور على شلش يقدم لنا عملا مجهولا من اعمال ذائع الصيت مصطفى لطفى المنفلوطى لتتعرف اليه الاجيال الجديدة من القراء لاول مرة الا وهو نص يسمى « القضية المصرية » وهو مجموعة من المقالات السياسية التى كان المنفلوطى قد نشرها فى ذيل كتابه « النظرات » فى طبعته الرابعة علاوة على ان المحقق قد اكد لنا هنا ان نص الكتاب كله كان قد صدر من قبل دون اى اشارة الى مؤلف او طابع او ناشر ، وان هذا الكتاب قد صادرته السلطات ، ومع ذلك فقد عوقب عليه المنفلوطى .

يصدر هذا الكتاب فى سلسلة الاعمال المجهولة التى اصدرت منها دار رياض الريس عدة اعمال .

مهرجان القاهرة السينمائى

بين الأرنب ومقصلة الرقابة

الفوضى التى صاحبت حفل افتتاح مهرجان القاهرة السينمائى الدولى الثانى عشر ، هذه الفوضى من النوع الذى يضرب به المثل فى سوء التنظيم.
ومن عجب ان السبب ارنب ، وبالتحديد ارنب المنتج « ستيفن سبيلبرج » والمخرج « روبرت زيمسكى»
وكلاهما من سحرة مصنع الاحلام فى هوليوود .
وكلاهما يستطيع ان يصنع من الفسيخ شربات .

سايجون كان لها نصيب فى المهرجان



ولن اتحدث طويلا عن هذا الارنب الذى تسبب فى تلك الفوضى التى صاحبت عرض الفيلم الذى يدور حوله وجودا وعدما فى حفل الافتتاح ، وهى فوضى لم ار لها مثيلا فى اى مهرجان من المهرجانات ٠

فما اكثر ما كتب عنه تمجيدا له فى صحافتنا الغراء ، بحيث لا يبقى لى الا ان اقول عنه هنا انه ارنب «والت ديزنى» القديم ٠

وان الجديد فيه انه يلعب دوره هو ورفاقه من الرسوم المتحركة فى الفيلم مع شخوص انسانية من لحم ودم على راسها المخبر « فاليانت » (توم هو سكنز) الحاصل على جائزة احسن ممثل فى مهرجان كان عن الدور الذى اداه فى « موناليزا »

وفوق هذا فمزج الرسوم المتحركة ببنى الانسان لم يستمر على الشاشة امامنا لثوان كما حدث من قبل فى بعض الافلام ، وانما امتدت مدة ظهوره فى « الارنب روجر » الى تسعين دقيقة او يزيد ٠

● القديم والجديد

ومن عجائب المهرجان الاخرى ان يزيد نصيب السينما السورية من العروض على نصيب السينما المصرية ذات الامجاد والجلال ٠

حقا كانت السينما المصرية ممثلة بفيلمين احدهما « لفاتن حمامة » سيدة الشاشة العربية ، وهو « يوم حلو ٠٠ يوم مر » والاخر « عنبر الموت » المأخوذ عن قصة « ليوسف ادريس » والذى اخرجه « اشرف فهمى »

وهو من الافلام المصرية القليلة التى تقول شيئا جديدا ٠

وبالنظر الى انه اتى بجديد ، فقد كان لابد ان تنقسم حوله الاراء ٠

وكان لابد ان يثير فزعا فى قلوب الرقباء ومع ذلك فرغم هذين الفيلمين تسلطت الاضواء على السينما السورية لا لشىء سوى تكريم المهرجان « لدريد لحام » بعرض افلامه ، وهو ما كان سببا فى مجيئه الى القاهرة

والذى لاشك فيه ان استقبال الجمهور لدريد لحام ليلة الافتتاح كان اكثر حرارة وحماسا من استقباله للارنب الهمام ٠

ولقد امتاز المهرجان بكثرة الافلام وبحسن الانتقاء فضلا عن « لحام » كرم المهرجان الممثل الايطالى الكبير جيان « ماريا فولونتى »

● الخداع

وخصص عروضا لاروع ما ابدع كل من « ساتياجيت » (الهندى) و « كارلوس ساورا » الاسبانى و « مارتا ميزيروش » (المجرية) و « جوران باسكالوفيتش » (اليوغوسلافى) و « اندريه زولاسكى » (البولندى)

وعلاوة على ذلك فقد كان ثمة برامج للسينما المكسيكية والاسبانية «كاتالونيا» والامريكية المستقلة او كل من السينما الارجنتينية واليونانية ابان عقد الثمانينيات ٠

هذا فضلا عن افلام وقع عليها الاختيار من بين روائع تظاهرة اسبوعى المخرجين التابعة لمهرجان كان ، مشاركة من مهرجان القاهرة فى الاحتفال بانقضاء عشرين عاما على تلك التظاهرة ، او بمعنى اصح تلك

النافذة التى ساعدت محبى الفن السابع فى بحثهم عن المجهول من سينما العالم الفسيح ٠

ولم يعكر صفو هذه الوليمة الكبرى سوى حوادث قليلة من فعل الرقابة ، بينها قرارها بمنع عرض فيلم « لاعبا الشطرنج » للمخرج « ساتياجيتراى» بمقولة انه معاد للاسلام !!

وغنى عن البيان أن هذا المكان لا يتسع للحديث بتفصيل او باختصار عن افلام الممثلين والمخرجين المكرمين ولا عن افلام البرامج السينمائية الوطنية القادمة الى المهرجان من مشارق الارض ومغاربها ٠

او عن مواقف الرقباء ازاء جميع الافلام التى لها شأن فى دنيا الابداع ، وهى مواقف تتسم بالهلع والمقت الشديد لكل ما هو جديد ٠

وما اشك لحظة فى ان القول بخلاف ذلك ينطوى على كثير من الوان الخداع او الانخداع ٠

● وليمة كبرى

وعلى كل فاول ما يلاحظ على افلام المهرجان هو تنوعها ٠

فهناك الافلام التاريخية مثل « الفلاحون ضد الثورة » وفيه يتناول المخرج الفرنسى « فيليب دى بروكا » احداث الثورة الفرنسية من منطلق التعاطف مع اعداء ثورة الحرية والمساواة والاخاء !!

والافلام الكوميدية مثل « ازدهار الطفولة » وفيه تمثل « ديان كيتون » دور امرأة غير متزوجة ، ناجحة فى دنيا المال والاعمال تجد نفسها فجأة امام زلزال كاد يقوض طموحاتها بسببه طفلة لها من العمر ثلاثة عشر عاما الت اليها بالوراثة تنفيذا لوصية احدى القريبات البعيدات ٠

● الامريكى القبيح

وهناك ايضا افلام الرعب مثل رائعة السينما الامريكية المستقلة«كرب» والافلام السياسية وفى مقدمتها «ووكر» للمخرج الانجليزى « اليكس فوكس » و « سادجون » و « رصاصات حية » رائعة « ستانلى كوبريك » الاخيرة ومما يلاحظ على هذه الافلام انها جميعا تعرض لسياسة الولايات المتحدة فى نيكاراجوا وفيتنام بالنقد الشديد ٠

والحديث عن الافلام التى تعرض للسياسة فى المهرجان يسحبنا الى « رامى وجولييت » للمخرج الدنمركى « اريك كلاوس » ، وفكرته مستوحاةمن مسرحية شكسبير « روميووجولييت »٠

« ورامى » فى الفيلم فتى فلسطينى يقيم مع عائلته فى مهجر الدنمرك حيث يلتقى بفتاة « دنمركية » جولييت ، فيبادلها حبا بحب وهياما بهيام ٠

ولكن المحبين مقصوصا الجناح ، مشتعلان بقيود العصر ٠

هى بفراتك وعصابته من الشباب الدنمركى الذى يرى « رامى » شيطانا اسود ٠

وهو بابيه الذى يرسله الى المانيا لاستخراج جواز سفر مزور بهوية تركية لاحد الثوار الفلسطينيين ٠

والحديث عن حب « رامى » و « جولييت » يجرنا هو الآخر الى الحديث عن ظاهرة غريبة فى افلام المهرجان التى مدارها الغرام والهيام ٠



شهريات



فاتن حمامة .. نجمة المهرجان

● سن اليأس

فارفع هذه الافلام شأنا من الناحية الفنية ، نرى الحب فيها وقد التهبت نيرانه بين ارملة ورجل فى الغالب شاب يصغرها فى السن بكثير .

واهم هذه الافلام «الضابط والزهرة» (يوغوسلافى) و « زمن اللاعبلاة » للمخرج الايطالى « ماورو بولينيقى » و « الرغبة الجامحة » لصاحبه المخرج الايطالى « جيان فرانكو منجوزى » و « الجوزاء .. النجم التوءم » للمخرج السويسرى « جاك ساندوز » و « سحر القمر » للمخرج الكندى « نورمان جويسون » .

ومن عجب ان احد الافلام القليلة الذى كان الغرام والهيام فيه بين شابة وشاب فى عمر الزهور ـ وهو فيلم « لحن » الذى اشترك فى اخراجه كوكبة من مبدعى السينما ـ هذا الفيلم كان نصيبه مقصلة الرقابة ، وبئس المصير .

هذه الوان يسيرة من وليمةمهرجان القاهرة ، وكانت خليقة أن تجعل من المهرجان حدثا فنيا بلا شوائب ، لولا الارنب « روجر » ولولا رقابة تدور فى حلقة جهنمية من الموانع لا ارى منها خلاصا فى زمن قريب .



بقلم : محمود بقشيش

الجديد فى المعرض العام للفنون التشكيلية

فى التصوير والنحت

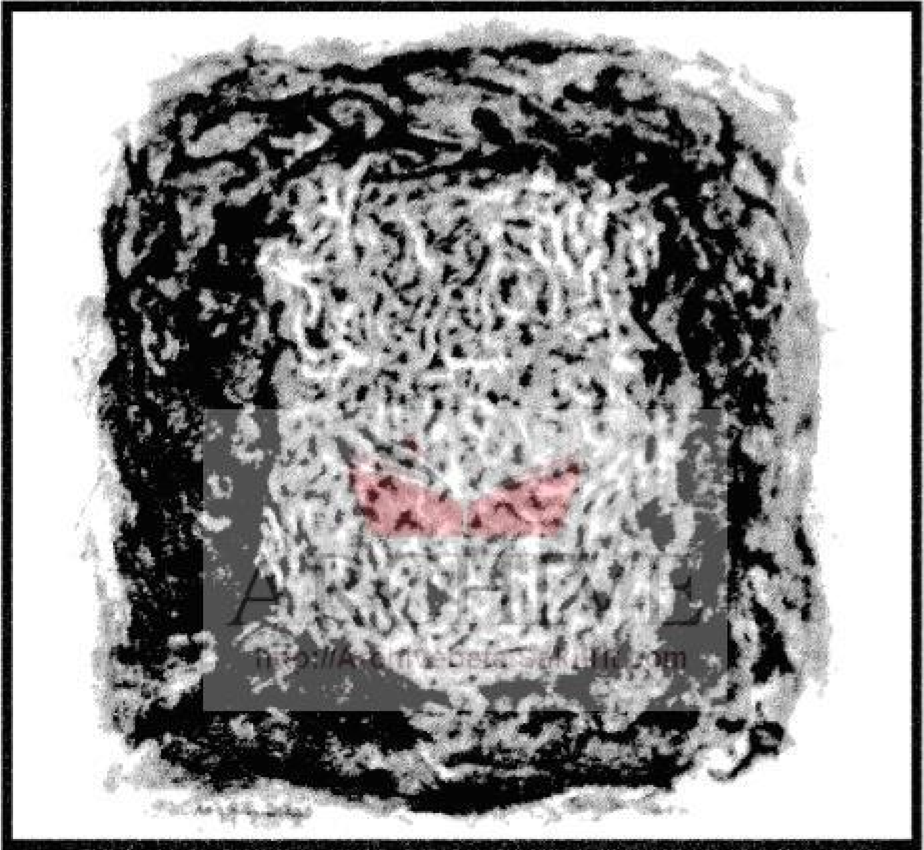


عندما ابتكر الفنان « عبد القادر رزق » فكرة هذا التجمع السنوى للمبدعين ، فى مجال الفنون الجميلة والفنون التطبيقية ، كان يهدف الى تقديم صورة موضوعية لحركة الابداع فى هذين المجالين .. اللذين اندمجا فى اطار مايسمى الآن بالفنون التشكيلية . وكان مجرد قبول اشتراك فنان فى هذا المعرض يعنى الاعتراف به مبدعا .. مع ترك باب التشجيع مفتوحا فى تجمع آخر .. اطلق عليه « سوق الفنون التشكيلية » غير ان باب المعرض العام ترك مفتوحا - فيما بعد - لكل المستويات بلا تمييز ، حتى اوشك ان يفقد مبرر وجوده .

● غير أن الحياة عادت له من جديد مع ظهور فكرة المسابقة المفتوحة ، فقد حرك السباق بين الفنانين بعض الركود .. ولولا سوء الادارة فى تطبيق الفكرة ، والانحياز الصارخ الى اسلوب فنى بعينه ، والانحصار داخل الدفعة (الشللية) لكان لهذا المعرض شأن آخر . وكان من اليسير التكهن باسماء الفائزين قبل الاعداد لتنفيذ المعرض ! . ولم يكن امام من يحترم نفسه من الفنانين الا الانصراف عن المسابقة . وتكرر الانصراف .. وكان من الطبيعى ان تفشل تلك التجربة ، التى كان من الممكن - فى تقديرى - أن تحقق نجاحا ، لو اديرت بموضوعية .. فالمسابقة كانت حافزا لتقديم الجديد ، والمثير ، والمبهر احيانا - تأمل المعارض التى اعقبت الغاء المسابقة ، تجد صورا ، كربونية ، لا تسمح الا بالنادر من المثير للاهتمام . ان اختفاء نظام المسابقة ليس السبب الوحيد - بالطبع - لما نراه من ركود او قل تعثر فى حركة الابداع التشكيلى المصرى ، فهناك - على سبيل المثال - عدم قدرة الفنان على التفرغ الكلى لفنه .. بسبب ملابسات ليس هذا مجال مناقشتها ، بالاضافة الى انصراف وسائل الاعلام شبه الكلى عن التعريف بانجازاته ، وانصراف الفنان ذاته عن الاحتكاك (الحقيقى) بانجازات الموروث الاوربى الانسانى ، والموروث المصرى والعربى ، واعنى بالحقيقى : الاستيعاب والنقد ، لا الانبهار والنقل .

● الغاء رسم العارى

ان ذاكرة الأمة مهما أصيبت بعطب فان ما يتبقى فى مخزونها يكشف عن نفسه فى الابداع . وهذا ما نراه - على سبيل المثال - فى معرضنا الذى نقدمه . فرغم الاختلاف الظاهر تجد روحا خاصة تسرى ، تشكل على مستوى الجوهر كيانا كليا ، اراه فى حرص العارضين على البناء ، والميل الى الهندسية ، ووضوح معالم العناصر ، وما يرتبط به من ايحاء بالسكون ، وعلى مستوى الاخلاق .. تراه فى الانصراف عن الطابع الفضائحى (الذى يتكاثر فى [illegible]



ابتهالات الفنانة نعيمة الشيشيني

الغربي) أو بمعنى آخر الابتعاد عن كل مايراه رجال الدين خادشا للحياء. تجول ما شئت بين زحام اللوحات والمنحوتات فلن تجد فنانا واحدا توغل في كوامن وجه أو جسد انساني مستهدفا فضح رغائبه ، وربما تكون قد سمعت عن أستاذ بإحدى الكليات الفنية قد غطى تمثال « فينوس » لأن عريها كان خادشا لحياء الطلبة !..

ـ ابحاءات خطية للفنان صالح رضا



وباركت الكليات الفنية ـ فيما يبدو ـ هذا التصرف العجيب ، فكانت سباقة الى الغاء رسم العارى ، للاحياء والتماثيل على السواء !·· وتنامت الموانع،فاختفى الانسان نفسه ـ عاريا أو لابسا ـ بالتدريج من لوحات ومنحوتات فنانينا !·· واللافت للنظر أن أكثر المدافعين عن وجه الانسان ، وضرورة وجوده في اللوحة ، قد طرده من لوحاته الواقعية ، أو انفلت هو نفسه من كل هذا الى أسلوب تجريدى ، يقطع معظم الطريق على المشابهة مع الواقع !

ان اللوحات التى احتل فيها «الشكل الانسانى » موضعا مرموقا ·· فى المعرض ·· قليلة ، ويمكن حصرها ، تقريبا ، فى لوحات : أحمد نبيل وفتياته الحالمات ، وصبرى منصور وسيداته الفطريات ، ورباب نمر ومسوخها البشرية وسيد عبد الرسول ووجوهه العرائسية ، وعلى دسوقى وفتياته البريئات ، ومحسن حمزة ووجوهه الغائبة فى غلالات زرقاء ، وانجى افلاطون وفلاحاتها السعيدات ، ومحمود أبو العزم وشخوصه الموجودة فى عرض مسرحى · عبثى ·

● الحروفيون

يمثلهم فى المعرض الفنانون : نعيمة الشيشينى · محمد حجازى · محمد طوسون · عبد الصبور عبد القادر · ان تيار الاهتمام بالحرف والكلمة العربية يمتد فى ربوع العالم العربى منذ النصف الثانى من أربعينيات هذا القرن ، استجابة لتيار فكرى ، يرى فى الحرف العربى قداسة دينية ، لارتباطه ـ أولا ـ بالقرآن الكريم ، ولانصرافه ـ ثانيا ـ عن أى درجة من درجات المشابهة مع الواقع الحسى ، ويرى بعض المنظرين أن على الفنان العربى أن يقدم ما هو مختلف عن الابداع الغربى ، وان هذا « المختلف ·· المتفرد » مجاله الحروف والكلمات العربية وحدها · وبغض النظر عن الاتفاق والاختلاف مع هذا « المختلف ·· المتفرد » فالذى لا شك فيه هو أن وجود أول دولة «ثيوقراطية» اسلامية فى القرن العشرين قد أسهم فى هذا المد المتزايد على امتداد الساحة العربية · غير أن الحرف العربى فى مصر قد تلون بتراث الصورة المجسمة، التى تحاكى بدرجة من الدرجات واقعا مرئيا،وان تضمنت تلك الصورة ـ بالضرورة ـ رموزا أوسع من حدود الشكل المرئى ، فتحولت الكلمات عند « حامد عبدالله» الى كيانات نحتية ، وعند « نعيمة الشيشينى » و « أبو خليل لطفى » الى أشكال سيمية ، يلعب فيها « المدى » و « الضوء » دورا فعالا ، ويحتفل « محمد حجازى » بالعمق فى الصورة وكذلك « محمد طوسون » ·

ان « المدى » فى لوحات هؤلاء الفنانين دال، أى ليس تجريديا تماما· لهذا حملت لوحاتهم ايحاءات متفاوتة بانتمائها الى موضوع « المنظر الطبيعى » اكثر من انتمائها الى عالم المجردات البحتة ، ففى لوحة « نعيمة الشيشينى » ـ على سبيل المثال ـ يطالعنا ما يشبه الحروف المشبوكة والمتقافزة نحو مجهول ما · ويقوم « اللون » بدور فعال فى فصل المسافات ، وتأكيد الملمس ، فتزداد الحروف الذهبية صلابة ، وتزداد

الخلفية الزرقاء اتساعا . ان حروف الفنانة لا تصف ولكنها توحى ، ورغم صلابتها بالقياس الى خلفيتها الزرقاء فانها تبدو مع حوافها المهشمة والذائبة فى الخلفية مقاومة تلك الصلابة ، كما تقاوم أن تصاغ فى « شكل ! » .. وتتجلى لنا تلك الهيئة العجيبة ، الجامعة بين الشىء ونقيضه بين الشكل واللاشكل ، بين الصلابة واللين ، فى مربع المساحة ، موحية باقتطاعها من فضاء لا حد له ، هو السماء نفسها ، ولابد أن يكون موقعنا عندئذ فى بؤرة صحن الجامع ، نرفع وجوهنا ابتهالا اليها ، فنرى الدعوات قد جسدت !

لهذا لايجب تطبيق مصطلح « التجريد » تطبيقا ميكانيكيا ، او مدرسيا ، بل يجب ان نضيف اليه ما يربطه بملابساته الجديدة . ان هؤلاء الفنانين المصريين الذين يستلهمون « الحرف » العربى تجريديون .. غير ان تجريديتهم لها مذاق مصرى ، يتناسل من ذاكرة تحتفل بالبناء المجسم .

● الرمبرانتية الجديدة

نسبة الى « رمبرانت » : اول من احتفل – بصورة ناضجة – بالقيمة التعبيرية للضوء . وليست الرمبرانتية الجديدة اسلوبا فنيا جديدا ، ولكننى اسوق هذا التعبير للايضاح فقط . وربما تاثر الفنانون الذين سأذكرهم بعد قليل به . المهم انهم يهتمون – مع اختلاف رؤاهم – بالقيمة التعبيرية للضوء المتحرر من مصدر ثابت .. فالاشكال المجسدة فى لوحاتهم تتلقى او ترسل بعض اجزائها ذلك « الضوء » المجهول الذى يقوم بأكثر من دور . ولابد من سيادة الظلال الليلية حتى يقوم الضوء بأدواره المتعددة . من ابرز ممثلى هذا التوجه : احمد نوار . صبرى منصور . مصطفى عبد الفتاح – محسن حمزه – محمد شاكر . وكاتب هذه السطور .

ان ذلك الضوء الذى تحرر من « ميكانيكية » الاضاءة الواقعية يقدم لكل فنان ما يتسق مع طبيعته ، فيصبح عند « نوار » قذيفة مقتحمة ، وعند « منصور » همسا فجريا ،ويتسلل الضوء فى تجاويف قرية « مصطفى عبد الفتاح » ، ويصير غلالة تذوب الاشكال فى لوحات « محسن حمزة » ، بينما تلتمع الاجزاء المضيئة عند « شاكر » باضاءة كشافية مسرحية .

واذا كان الضوء بطبيعته كاشفا للحقيقة فهو عند « عبد الفتاح » غطاء للاسرار . مثير للتساؤل والدهشة ، والقلق ايضا .. بسبب حرصه على ان تنتقل عيوننا باستمرار بين نقاطه الضوئية المنتشرة فى كل اتجاه ، على النقيض من « محسن حمزة » الذى يحرص على اغرائنا بالتوقف عند وجه انسانى محرف . يولد من الظلال المعتمة . تتراقص على عينيه وانفه التماعات شاحبة ، وتنفتح شفتاه عن همس خاص .. موجهه لنا موح برغبة عميقة فى العناق !

● الفن والعمارة

ضم المعرض عددا قليلا من الاعمال، تصنف فى معارضنا – عادة – ضمن اطار التصوير . تجمع بين التجسيم النحتى ومسطح اللوحة التصويرية . وربما كان من المفيد ان يجتهد النقاد المصريون فى ابتكار مسميات جديدة للاجناس الفنية المختلفة ، تضىء لها طريق تطورها . ان بعض تلك الاعمال يصلح لان يكون واجهات معمارية ، امثال لوحة « رفيق المنذر » ، و « فرغلى عبد الحفيظ » ، وبعضها يعد تصميما جديدا لمسطحات معمارية مثل لوحة « عبد الخالق حسين » .. كما توجد فى المعرض عديد من اللوحات



العجة .. للفنان محمد عبلة ..

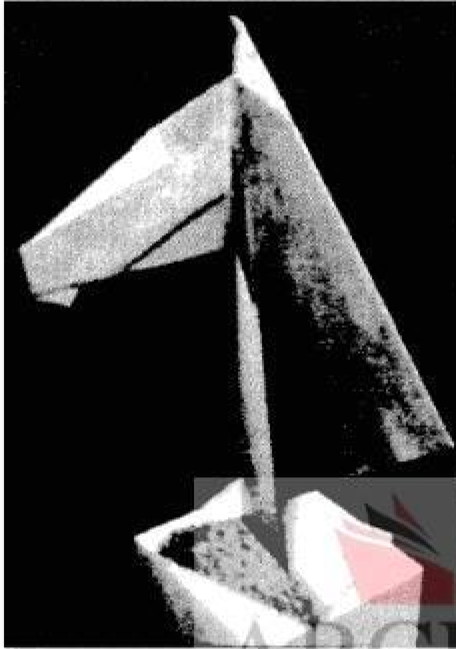
● اطفال فلسطين يرسمون الانتفاضة

تحت هذا العنوان اقام اتيليه القاهرة للفنانين والكتاب معرضا في المدة من ٩ حتى ٢٢ ديسمبر ١٩٨٨ لاطفال الارض المحتلة من سن ٦ سنوات حتى ١٣ سنة · وعلى منضدة في ركن قاعة العرض وضعت كراسات رسم وألوان ، ودعوة للاطفال المصريين أن يرسموا ·· وأن يكتبوا رسائل فنية · عاطفية · تعلن تضامنهم مع اخوتهم في الارض المحتلة ·

ما أجمل هذا الحوار وأبلغه !·

اطفال الارض المحتلة يرسمون احتجاجاتهم وتحديهم لقوى القهر ، كما يرسمون في نفس الوقت لوحات تعبر عن أمنيات السلام ، ويرد عليهم بعض الاطفال المصريين بالتأييد والحب · الذى أدهشني هو ارتفاع

أتمنى أن أراها فوق مسطحات معمارية كبيرة مثل لوحات : محمود عبد الله · أحمد فؤاد سليم · مصطفى عبد المعطى · أحمد نوار · أحمد عبد الكريم · عبد الرحمن النشار ·


رأس حصان للفنان محمد رزق

● لمحات

● عز الدين حموده : عرض لوحة واحدة ، ورغم انها شوهدت مرات من قبل فانها تجعل متأملهـا يدرك ان لوحاته التجريبية او تلك التى تقترب من مشارف التجريد لا تقل فى مشقة الاداء عن لوحـاته فى موضـوع « البورتريه » ذات الطابع الكلاسيكى ، ففى الحالين يحتفل بنفس الدرجـة بالتفاصيل التى لا يتقنها غير رسام حاذق ، بالاضافة الى ان لوحـاته التجريبية غير مقطوعة الصلة بالواقع المرئى ·

● زينب عبد الحميد : التزمت منذ



درجة الوعي ، فقد التقط الطفـل الفلسطينى بذكاء ثنائية دراما الواقع ·· المتمثـلة فى « الحجـارة » و « الحمامة » !·· لم يعد للمدافع اثر !·· لا شيء سوى الحجارة ، ولا بأس من البدائل المتاحة كالمقاعد أو العصى !·· أما حمامات السـلام ، المغسولة باللون الابيض ، فتظهر فى بعض اللوحـات محلقة ، تقـود المظاهرات ، حاملة بمناقيرها العلم الفلسطينى !

.. رات بعيدة بموضوع واحد هو زحام الاحياء الشعبية . غير أن أحياءها دائما ترى ، وترسم بمنظور عين الطائر المحرف حتى يبدو الزحام: زحام الخطوط السوداء الدقيقة والمتقاطعة .. زحام العناصر المعمارية فى تداخل منمنماتى !

● عباس شهدى : قدم هذا العام لوحة من افضل اعماله اتسمت بالبساطة والعمق والايحاءات الشعرية ، والالوان الموقورة الرمادية وأسلوبها الذى يعكس هضما للاسلوب الاكاديمى والاساليب المعاصرة مما أنقذ لوحته من « الحياد » المدرسى ، و« المبالغات » التعبيرية ، فجاءت أشجان قاربه المستقر على الشاطىء والمشدود الى حبل ثعبانى ثقيل .. هامسة رقيقة .

● محمد رزق : مصور تجريدى . قدم واحدة من افضل اعماله فى هذا المعرض . تتميز لوحته بصبوية الالوان ، وبراعة اللمسات .. وبخاصة تلك اللمسات الخاطفة ، المجملة بالدرجات المضيئة ، وكذلك قدرته على توليد عناصر اللوحة الهندسية والتلقائية .

● محمود عبد الله : على النقيض من الحدة العاصفة التى تتبدى فى لوحة « محمد رزق » نلتقى بلوحتى « محمود عبد الله » بالغتى الرقة بالوانها الـ « بونبونيه » — على حد تعبير الفنان « بيكار » — واستلهامها للحروف العربية .

● حامد صقر : لوحاته لفتت اليها الانظار لما تتمتع به من اتقان، وصفاء، وحوار محسوب بين الاشكال الهندسية: المستقيمة والمقوسة ، ودرجات التظليل المتدرجة والتى تكشف عن براعة فى الرسم .. أراد لها الفنان ألا تتشتت فى استعراض لونى . فاكتفى بدرجات لون واحد ، وان سمح بالقليل من تسرب درجات خافتة من الوان أخرى .

● النحت

اختفت المفاجآت فى تصوير ونحت هذا العام .. باستثناءات نادرة هى انصراف بعض كبار الفنانين وظهور بعض الوجوه الجديدة .. منها : الفنان الشاب « فيصل سيد احمد » تلميذ النحات المعروف « عبد الهادى الوشاحى » . قدم فى المعرض منحوتة ثنائية تضم شكلين انسانيين عاريين واقفين ، يتسمان بالتحريف الرشيق ، والليونة العضوية ، والترابط المتين ، والحوار الذكى بين كتلتى المنحوتتين والفراغات البينية والفراغات المؤطرة. ولاشك أن الفنان قد اختار فى منحوتته المزدوجة طريقا صعبا يستحق عليه الثناء .

● ملاحظة

ان الطابع « السكونى » الذى يطبع معظم لوحات « التصوير » ينتظم فى اطاره معظم الابداعات النحتية ولو حاولت بنفسك ان تلخص المنحوتات المعروضة الى خطوط مجردة لما وجدت غير السيادة لنوعين من الخطوط : الخط الافقى والرأسى .. يتلوهما بعدة درجات الخطوط المقوسة . أما الخطوط ذات الطابع « الديناميكى » كالخطوط المائلة أو المنكسرة فلا نكاد نلتقى بها فى العرض . لهذا يندر أن تجد المنحوتة تتحدى الفراغ !.. ان فنانا مثل « صبحى جرجس » — على سبيل المثال — يدلن صراحة بالقول والفعل ، أى بمنحوتاته الخشبية .. أنه يقيم صلحا ، وتوافقا مع الفراغ .. بل يتمنى ان تذوب كتلته

فيه ويمنح هذا الصلح ـ المختار ـ منحوتاته هشاشة ، تزداد بمصاحبة كائناته الانسانية ·· الفطرية ·· الورقية ·

● لمحات

● محمد سيد توفيق : تتسم منحوتاته بالاقتصاد البليغ ، والدراسة المتأنية ، المتقنة ، لحركة النور والظل ، الهمسية ، في معظم الاحوال ·· خاصة في مجموعته المستلهمة من الخرط العربي ·

● سمير ناشد : لا يكتفي بانزلاق الفراغ الخارجي كما يفعل « محمد توفيق » بل يتوغل في كثير من الاحيان بالفراغ داخل المنحوتة ، دافعا للكتلة نبضا أكثر حرارة ، ويشترك مع « توفيق » في بلاغة الايجاز ، وتعد منحوتته المستلهمة من كلمة « لا » من أجمل منحوتات المعرض ·

● عبد الهادي الوشاحي : علاقة منحوتاته بالفراغ علاقة متوترة !··· فمنحوتاته حادة التكوين · طائرة في كثير من الاحيان ·· لا تعرف ليونة استدارات · ومنحوتته في المعرض تمثل كيانين انسانيين يكادان ان ينفلتا من جاذبية الارض ·· لا في رقصة حالمة بل في انتفاضة عصبية تنقل عدواه الى المشاهد !

● صالح رضا : يشارك «الوشاحي» رفضه للطابع السكوني ، وان اتسمت حركيته بطابع مشرق ·· غنائي · وتدفق تلقائي واستلهام الخرط العربي وايماءات الحروف العربية ·

● فنان كل عام

عودنا الفنان « رمزي مصطفى » أن ننتظر منه الجديد كل عام،ويكاد يكون الفنان الوحيد الذي يقدم في المعرض السنوي ما يثير اليه الانتباه ·· والسرور ·· فأعماله تعد عروضا فنية خاصة ذات طابع مشرق ·· كاريكاتيري ·· وقدم لنا هذا العام أسرة ريفية تركب عجلة وتحملمعها التليفزيون الملون ·· وعلى الرغم من استمتاعنا واستمتاع جمهور المشاهدين بهذا المعرض الفني المرح فاننا نشفق على الفنان ونتساءل عن الكيفية التي يحتفظ بها بتلك الاعمال اذا لم يشترها أحد !··

● تحية وداع

وقبل أن أغادر أوراق المعرض العام احب ان اتوقف دامعا للغياب المفاجيء لاحد اعلام النحت المعاصر هو الفنان المرحوم « صلاح عبد الكريم » ·· وأذكر انني كنت اتابع بشغف تركيبا بالحديد المفردة كان يشكل به شكل سمكة متوحشة · كان هذا عام ١٩٥٨ وكان قد عاد وشيكا من بعثته الى فرنسا وايطاليا ·

ولم يكن يريد لسمكته تلك الا ان توضع في غرفة الاستقبال بمنزله ، واذا بالناقد والفنان « بيكار » يلمحها فانبهر بها ، ولم يكتف بالاعجاب بل دفعه الى الاشتراك بها في بينالي « ساو باولو » ·· وفوجيء الجميع بما فيهم الفنان نفسه بأنه الفائز بالجائزة الاولى ·· في الوقت الذي كانت فيه خامة الحديد في مصر غير معترف بها كخامة للنحت !·· وواصل انتصاراته الدولية والمحلية مؤيدا بتشجيع أول من وقف الى جواره أستاذه وأستاذنا الفنان الكبير « حسين بيكار » ·· وفتح « صلاح عبد الكريم » الطريق أمام العديد من الفنانين في مصر والعالم العربي لاستخلاص حكمة الحديد !

وفي لقاء من لقاءاتي الاولى به قال ضاحكا : لقد صرت نحاتا بالمصادفة !

يوسف القعيد
يكتب من
بلاد الشام

أحدى بوابات دمشق القديمة

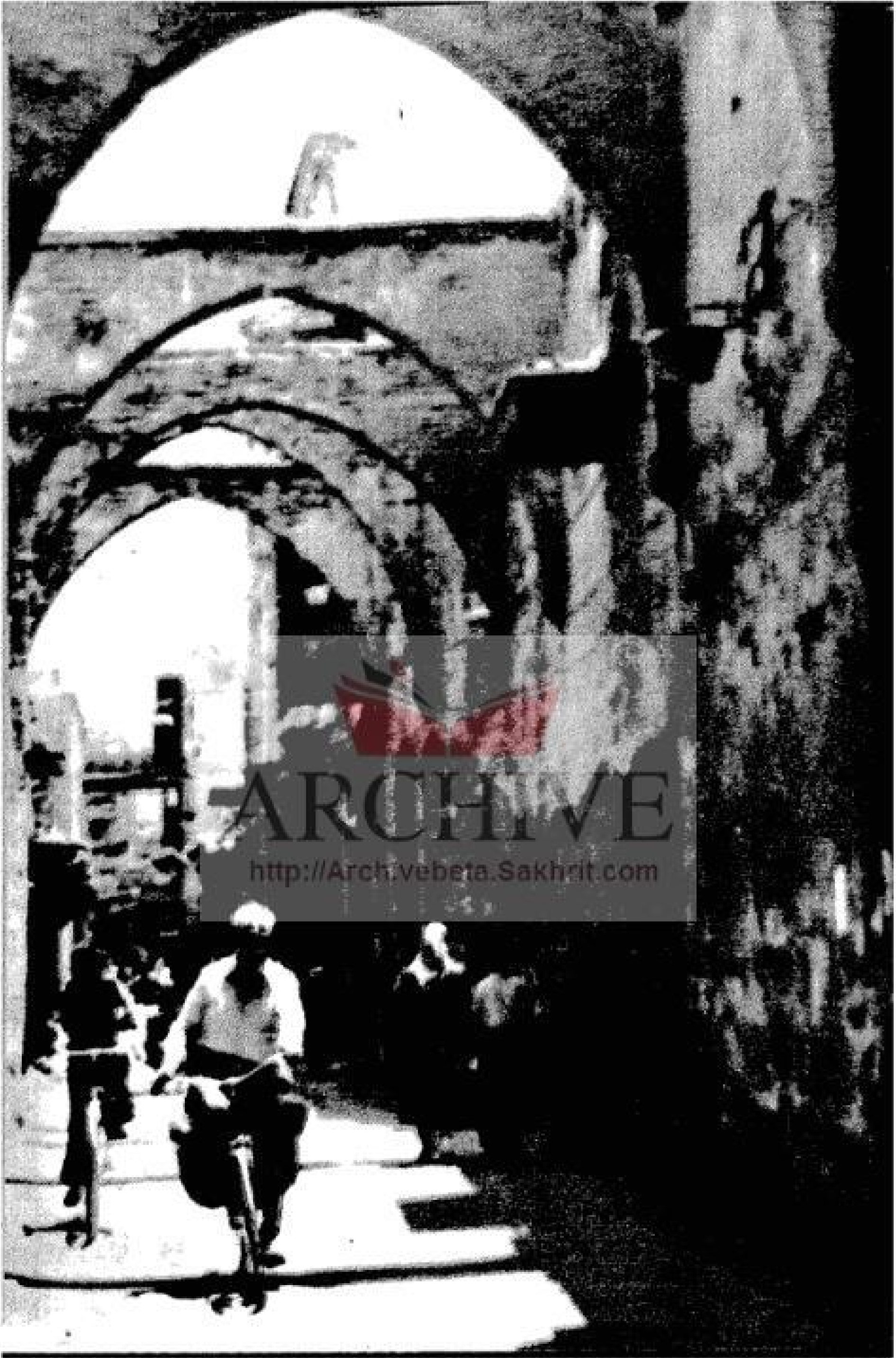
دمشق الأزل
بين الجد والهزل

●● والعنوان ليس من عندى ، انه ماخوذ من الاصل والأساس من عنوان مسرحية الكاتب والمخرج المسرحى العربى العراقى : قاسم محمد : "بغداد الأزل بين الجد والهزل" . وهى مسرحية تراثية ، تعيد خلق بغداد منذ كانت ، من خلال كتب التراث .

كانت زيارتى لدمشق هى الثانية ، منذ احدى عشر عاما بالضبط ، زرت دمشق ، وفى كلا الزيارتين لم يتعد الأمر مدينة دمشق وعزائى الوحيد ، ان الناس ، هناك ، تطلق على دمشق تعبير الشام ، مثلما نسمى نحن ، هنا ، القاهرة ، مصر كلها وفعلا من يزور دمشق ، يكون قد زار الشام كله ●●

والتشابهات تتعدى أخلاق الشام على دمشق ومصر على القاهرة ، فقد اكتشفت وسمعت فى الاحياء الشعبية الدمشقية هذه المرة ، تعبير بر الشام . وتذكرت على الفور الكلمة شديدة الخصوصية التى نقولها عن بر مصر . وهى الكلمة التى ثبت عدم وجود اى مرادف آخر لها فى كل لغات العالم .

وعندما يزور الانسان مدينة ما للمرة الاولى ، فإنه يبدو مشغولا بطقوس التعارف وتقديم النفس ، وبذر بذور الحب الأولى . ولكنه فى الزيارة الثانية



دمشق الأزل
بين الجد والهزل

يشقى نفسه كل لحظة بالمقارنات بين الأمس الذي كان . واليوم الذي هو كائن ، يسأل نفسه : كيف كانت المدينة وكيف اصبحت ؟

على ان السؤال كان سؤالين بالنسبة لي . سؤال أول عن صراع الأمس واليوم في حياة دمشق وسؤال ثان عن القاهرة ودمشق ، ذلك ان اوجه التشابه بين العاصمتين لا يسكن خانة الماضي فقط . ولكن هذا التشابه ممتد ومستمر حتى زمننا الحاضر ..

وهكذا قضيت اسبوعا في دمشق ، أري فاعود الى الذاكرة مرة اسأل عن ماضي المدينة كيف كان ومرة اخرى اعود الى قاهرتي ويبدأ سيل المقارنات التي لا تنتهي .

□ باب في الاشتقاق □

يقول ياقوت الحموي في معجم البلدان " إن دمشق قد سميت بهذا الاسم لأن الناس دمشقوا في بنائها ، اى اسرعوا وتعجلوا ، ويقال طبية دمشق ، بمعنى طبية سريعة . اما أصل لفظ الشام . فيعود الى نوع من الغزل في المنطقة كلها عندما قيل انها تبدو مثل شامة على خد السماء .

الاراميون عندما سكنوا دمشق اسموها دار ميسق . بمعنى الدار المسقية أو المروية . وعندما احتلها اليونانيون والرومانيون سميت "داماسكس" وهو نفس الاسم الذي يطلقه الاوربيون اليوم عليها ، كما كانت تدعى جلق ..

□ فذلكة تاريخية □

يختلف المؤرخون في تحديد تاريخ بناء دمشق . البعض يقول انها بنيت عام ١١٩ قبل الميلاد ، والبعض الآخر يرى انها تاسست عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد . وهناك من يقول بان سيدنا ابراهيم الخليل ، عليه السلام قد ولد قبل بنائها بخمس سنوات كما ورد في معجم البلدان .

وان كان هناك من يذهب الى ان الفضل في بنائها يرجع الى جيرود بن سعد بن عاد بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام . ولكن هناك من يقول ان اليونانيين هم الذين بنوها وذلك بفضل معرفتهم بحركات الكواكب وحسن اختيارهم لموقعها . فقالوا بانهم "وضعوا الارصاد وتكلموا على حركات الكواكب واتصالاتها ومقارنتها . وبنوا دمشق في طالع سعيد ، واختاروا هذه البقعة الى جانب الماء الوارد بين هذين الجبلين" .

وكثير من المؤرخين يعتبرون دمشق اقدم عواصم العالم كله الآن ، فقد ظلت تحتفظ بدورها كعاصمة منذ اقامتها وحتى لحظة كتابة هذه الاسطر . ذلك انه حدثت تغييرات عديدة في مواقع العواصم التي سبقتها . الا دمشق ظلت هي العاصمة منذ انشائها وحتى الآن .

والناس في دمشق تحكى عنها ما يصل الى حدود الاساطير . هناك من يقولون ان آدم نزل الى جوارها . وانه فيها قتل قابيل اخاه هابيل . وان اول



دمشق .. وجه القرن التاسع عشر .. الصورة محفوظة في جامعة هارفارد

جدار بني بعد طوفان نوح بني فيها ، وان سيدنا ابراهيم ولد بعد بنائها بخمس سنوات . وان نبي الله موسى عندما خرج من مصر على رأس شعبه سنة ١٥٥٠ قبل الميلاد اتجه اليها .

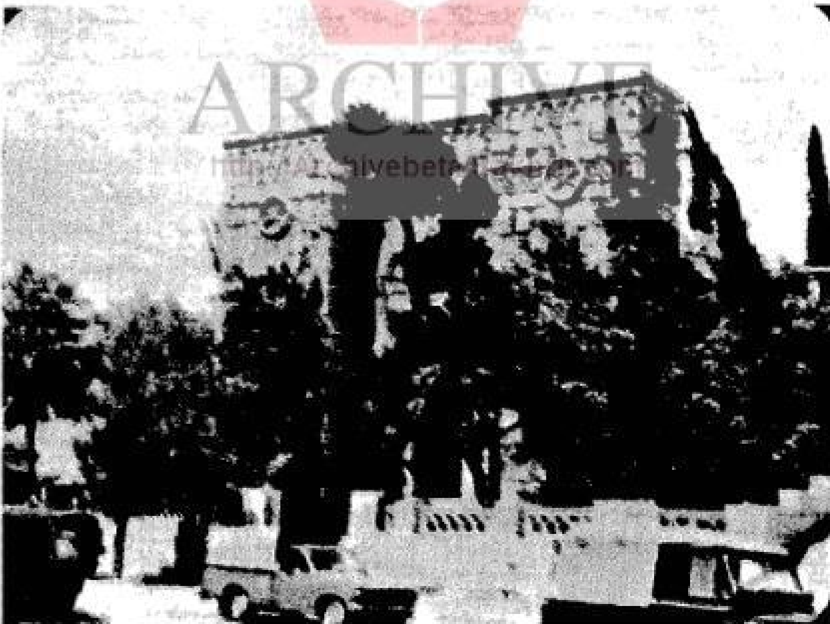
ان هناك حالة من الربط بين قصة الكون ونشأة الحياة وبناء دمشق ، وقد يقود هذا الى الاساطير القديمة . والاسطورة تعبير عن حالة من العشق لهذه المدينة . تحاول ان ترفعها بعيداً عن حدود الواقع الذي تراه كل يوم . الاسطورة في هذه الحالة لبست ثوبا

ـ المسجد الاموى .. واجهة دمشق





ـ اثار رومانية قديمة .. مجـــاورة للعمارة الاسلامية الحديثة



دمشق الأزل
بين الجد والهزل

ولكنها محاولة لتجميل وجه الواقع كثيرا .

□ سكانها القدامى □

في دمشق الكثير جدا من اضرحة الصحابة رضوان الله عليهم ، فيها قبر يقال انه لأم عاتكة اخت الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنهما . وبها قبر بلال بن رباح وكعب الاحبار ، وثلاث من زوجات النبى عليه الصلاة والسلام ، وقبر فضة جارية السيدة فاطمة رضى الله عنها .

هناك ايضا . وفي الناحية الشمالية من المسجد الأموى ، يوجد قبر محرر القدس ، البطل الاسلامي العظيم صلاح الدين الايوبى ، وقبر معاوية بن ابى سفيان ، ونور الدين محمود .

غير انى حزنت كثيرا . لأنني عرفت ، بعد العودة الى القاهرة فقط ، ان الظاهر بيبرس مدفون في دمشق ايضا . وانا تربطنى بالظاهر بيبرس صلة من نوع خاص . فهو الذى بنى قرية الضهرية ، التى ولدت فيها ، وعشت فيها سنوات عمرى العشرين الأولى . وقد بنى الظاهربيبرس سبع قرى تحمل اسم الضهرية . بعضها فى مصر والآخر فى الوطن العربى . وقد اهتديت حتى الآن الى اربعة منها . ثلاثة فى مصر . والرابعة فى فلسطين المحتلة . حزنت لأنني قضيت سبعة ايام فى المدينة التي ينام فيها الرجل الذى بنى قريتى ، دون ان ازور قبره واقرا له الفاتحة . باسم خمسين الف فلاح مصرى هم كل سكان قريتى الضهرية ..

□ شواهد الماضى □

دخل العرب دمشق بقيادة ابى عبيدة بعد معركة اليرموك عام ٦٣٥ ميلادية . وصارت من اهم المدن الاسلامية ابان الحكم الاموى ٦٦١ ـ ٧٥٠ م . ومن اهم اثارها المسجد الاموى الذى كان فى الاصل كنيسة شيدها الامبراطور ثيودورسيوس الأول سنة ٣٧٥ ميلادية .

والدمشقيون يقولون ان المسجد الاموى هو اكبر مسجد بنى على الارض قاطبة حتى الآن . وقد زرت هذا المسجد مرتين . الأولى لحظة انتصاف الليل والأخرى لحظة انتصاف النهار . فى الزيارة الأولى كان معى محمد امين ابو الشامات محافظ دمشق صديقى القديم . وزميل رحلتى الى كوريا الشمالية منذ عامين .

والمسجد الاموى بنى فى زمن الخليفة الوليد بن عبد الملك ، الذى جلب من اجل اتمامه ١٢ الف عامل . واكتمل بناؤه بعد عشر سنوات ، وبلغ ما انفق عليه احد عشر مليونا من الدنانير ، فى تلك الإيام التى كان الدينار فيها يساوى الكثير جدا .

وتبلغ مساحة الجامع ١٥٫٧٠٠ متر مربع ومساحة الحرم ذاته ٥٠٢٢ متراً . وقد تعرض لاكثر من حريق . اشهرها الحريق الذى تعرض له خلال هجوم تيمور لنك على دمشق وذلك سنة ٧٤٠ هجرية .

وفيها قلعة دمشق التى بنيت فى اول العصر السلجوقى . ثم اعاد بناءها الملك العادل شقيق صلاح الدين من جديد سنة ٦١٥ هـ . وفى القلعة ١٢ برجا يبعد كل منها عن الآخر ثلاثين متراً .

وهناك بيت المال ، الموجود فى وسط صحن المسجد الاموى . وهو مغطى بالفسيفساء وكانت تحفظ فيه اموال الدولة التى تجبى من الزكاة ، كما كان يحفظ فيه مال اليتامى .

ومن منشات دمشق البيمارستان ، الذى شيده السلطان نور الدين زنكى فى القرن السادس الهجرى ، وهو يحتوى على اربعة إيوانات خصص كل واحد منها لعلاج مرض معين .

□ مصر الشام □

يقول المقدسى عن دمشق فى القرن الرابع الهجرى :

ـ دمشق هى مصر الشام ، وهو بلد فرقته الانهار ، واحدقت به الاشجار ، وكثر بها التجار مع رخص الاسعار . لا ترى احسن من حماماتها ولا احزم من أهلها .

ويكتب الرحالة الشهير ابن جبير عنها :

ـ دمشق هى جنة المشرق .

ويقولون انه كان لدمشق سبعة ابواب ـ تعجبت لأن للقاهرة نفس العدد من الابواب ـ وان هذه الابواب كانت جزءا من سور دمشق القديم ، الذى كان يحيط بها منذ ١٥٠٠ سنة ولكن لم يبق من هذه الابواب السبعة سوى ثلاثة ابواب فقط هى : باب توما وباب مشرقى وباب السلام . وبالقرب من باب توما عدد من الكنائس القديمة منها كنيسة حنانيا والقديس بولس

ونهر بردى يتحول عند دمشق الى مجموعة من الانهار الصغيرة ، يجعل بعض الاجزاء منها اجمل الف مرة من فينسيا نفسها ونهر النيل يفعل نفس الشىء مع القاهرة ، فهو يتحول الى عدد من الافرع وان كان عددها اقل بكثير من عدد افرع بردى . ويقال ان عدد افرع بردى كان سبعة فقط فى الزمان القديم .

وفى دمشق سوق قديمة . مثل سوق الموسكى فى مصر هو سوق الحميدية . وهناك لافتة معلقة فى اول السوق ، فيها جزء من بيت شعر لأمير الشعراء احمد شوقى . يلخص فيه مجد دمشق . يقول :

ـ وعز الشرق اوله دمشق .

وكما نجد فى القاهرة قلعة عظيمة . فى دمشق قلعة ونفس الحال . فكما ان القاهرة مسكونة بالراحلين العظام . منقوشة فى مكان بآثار الماضى الجميل ، فدمشق تعانى من زحام هذا الماضى . فى كل مكان من دمشق . تجد من يقول لك قف . هنا مجد الماضى الذى كان فى يوم من الأيام .

على ان الدور الذى لعبته القاهرة ودمشق من اجل الدفاع عن الحضارة العربية والاسلامية لابد وان تضاف لهما فيه مدينة اخرى هى بغداد ..

□ مدن ثلاث □

والتاريخ لا يعتمد على الصدفة ابدا ..

عندما كانت الحضارة العربية

دمشق الأشواق
بين الجد والهزل

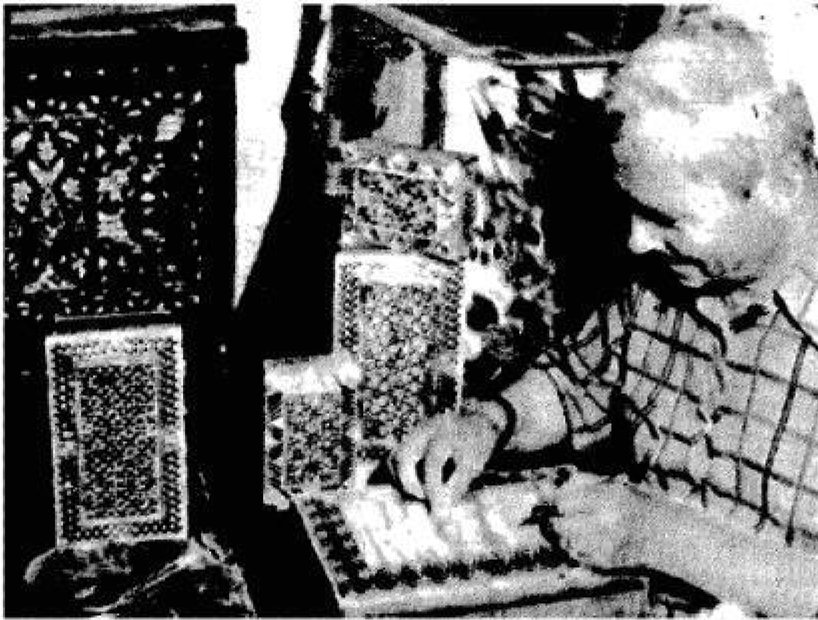
والاسلامية في مجدها . في زمن المد والتقدم ، تناوبت العواصم الثلاث ، قيادة الامة العربية ، انتقل الحكم من هذه المدينة الى تلك بصورة فريدة .

وعندما بدأ الجزر في الحضارة العربية . وجاء ما يقول عنه المؤرخون وعلماء الإجتماع زمن الانحطاط . قامت المدن الثلاث بالدفاع عن آخر ما تبقى من الحضارة . حيث كان الابقاء على الثقافة والفكر والفن والآثار هو خط الدفاع الاخير عن الضمير العربي والعقل الاسلامي معاً .

بل ان هذه المدن حاربت معاركها كلها باعتبارها معركة واحدة . هبت دمشق لتدفع الغزاة عن بغداد . ووقفت القاهرة لتصد الغزاة مرة عن بغداد واخرى عن دمشق . بل ان القاهرة كانت تخوض المعارك دفاعا عن أمنها شمال دمشق . ذلك أن المدن الثلاث . ومن

ـ علماء العرب .. متناثرون بتماثيلهم النصفية في حدائق دمشق





ـ النقش بالصدف .. أحدى الحرف الدمشقية المشهورة

ـ صورة لاحد المساجد التى تميز الوجه الاسلامى لدمشق



دمشق الأزل

بين الجد والهزل

كانوا يقودونها ادركوا ان المصير واحد والعدو واحد . والخطر ايضا واحد .

وفى زمن الاحتلال الاستعمارى الغربى تحولت المدن الثلاث الى مراكز للمقاومة والكفاح ضد المستعمر . دافعت القاهرة عن دمشق وبغداد قبل ان تدافع عن مصر . وسارت المظاهرات فى دمشق احتجاجا على ما يجرى فى القاهرة . ووقفت بغداد لأن ما اصاب القاهرة ودمشق سبب حالة من الالم . كانت المدن الثلاث تخط - دون ان تدرى - الكلمات الاولى فى سجل الحس القومى والانتماء القومى . حتى قبل ان تتخلق هذه الكلمات وتتحدد معانيها بالصورة التى عرفناها فيما بعد .

وجاء حلم الوحدة ، الترجمة الدقيقة والحرفية ، لكل تراث الماضى . وغنى المغنى ان الوحدة لن يغلبها غلاب . وقالت المطربة انه من الموسكى الى سوق الحميدية ، ستعرف الطريق من غير دليل . لكن الغلاب غلب مشروع الوحدة . ومازال يحاول ان يطارد الحلم فى كل ارجاء الوطن العربى ..

لكن ثبت ان العدو الواحد قادر على ان يوحد العرب . فى حرب اكتوبر ١٩٧٣ . كان الخندق واحداً . والخطر واحداً . ولذلك دافع العرب جميعا عن السويس والجولان . ووقفوا حول القاهرة ودمشق . وستبقى هذه الحرب العظيمة اخر رمق فى حياة مشروع الوحدة الذى لابد من ان تعود اليه من يوم لآخر .

□ الخطـــر □

زرت دمشق لحضور مهرجان دمشق المسرحى الثانى عشر . وتجولت فى مكتباتها . وشاهدت المدينة جيدا فى هذه الرحلة اكثر من الرحلة الاولى .

ليس هذا مكان الكتابة المتوسعة عن المهرجان . ولكن يمكن القول بصورة عامة ان المهرجان اثبت لى اننا ندخل عصرا ، يتراجع فيه المؤلف المسرحى . ويدخل الى الساحة المخرج المسرحى . الذى يصبح فى بعض الاحيان كاتب العمل . وصاحب العرض كله . وفى هذا خطر حقيقى على النص المسرحى بمعناه الذى عرفناه به . اخشى ان ندخل الى عصر يصبح النص المسرحى فيه مجرد هيكل او خطة عامة للعرض المسرحى . اكثر من كونه نصا ادبيا .

ايضا ادركت ان التجريب فى المسرح العربى يعانى من حالة غربة حقيقية ، التجريب وجبة يقوم بها المثقفون وهم الذين يتعاطونها ويتعاملون معها بعيدا عن الجماهير الحقيقية . وربما يكون هذا مطلوبا فى بعض الاحيان ولكن استمراره يخلق لدينا مسرحين . مسرح تجريبى للمثقفين ومسرح عام لكل الناس وهذه الثنائية والازدواجية بالغة الخطورة على مستقبل المسرح العربى .

قال لى وزير الاعلام السورى محمد سليمان ، ان كتب نجيب محفوظ موجودة فى كل مكان . وان هناك

تعليقين على نوبل نجيب محفوظ ، نشرا في الصحف السورية لا يعبران عن رأي الحكومة السورية ولو كانت هناك علاقات رسمية بين البلدين لارسل الرئيس حافظ الأسد برقية تهنئة له .

قلت للوزير :

- ولكن يحسب للقاهرة اننا هنا . في حين ان هناك العديد من القيود على سفر السوريين الى القاهرة .

في مكتبات دمشق يبدو ان ثمة ازمة في استيراد الورق . ولذلك جرى تقليص الصادر من الكتب . فالاستيراد يعاني من ازمة السيولة النقدية للعملات الصعبة . ولكن القليل الذي ينشر ليقول انه هنا توجد حضارة ثقافية عظيمة .

وجدت اعمال نجيب محفوظ في المكتبات ولكن كما توقع نجيب نفسه قبل ان اسافر الى دمشق ، وجدت الاعمال المطبوعة في بيروت فقط . ولكن اعمال القاهرة لم اجدها اي وجدت الاعمال "المزورة والمسروقة" حسب تعبير نجيب محفوظ نفسه .

على ان مشكلة نقص الورق في سوق النشر السوري جعلت الكفة تصبح اكثر رجحانا لصالح سوق النشر اللبناني . فبدلا من ان يلعب النشر السوري دوره في تنوير النشر اللبناني وتثويره . اذ بالناشر اللبناني يحاول ان يجري عملية لبننة للكتاب السوري . وهذا الوضع مرتبط بحدود الازمة ..

على ان تطوير مدينة دمشق واغراقها بالعديد من الكباري العلوية . واختفاء معظم المقاهي من شوارعها يمثل خطرا حقيقيا على روح المدينة .

وهو نفس الخطر الذي سيهدد قلب القاهرة القديمة ايضا وبنفس المقدمات تقريبا .

وان كانت هناك حالة من تدارك هذا الخطر . يقودها الآن محافظ دمشق الشاب محمد امين ابو الشامات حيث يقوم بعملية نبيلة وجسورة من اجل الحفاظ على روح المدينة . ولكن الجهد الحكومي في هذه الأمور . يبقى محدوداً مالم يصاحبه جهد من كل الناس . وادراك حقيقي ، لأن من ليس له قديم لن يكون له جديد ابداً . وان الحفاظ على دمشق القديمة . هو نوع من الدفاع الذاتي ضد محاولات التغريب والغزو الثقافي القادم من الخارج .

لابد من الحفاظ على الاسواق القديمة والبيوت الدمشقية العتيقة ، وتلك مسالة لا تقل اهمية عن تحديث دمشق . بل ان التحديث يصبح لا معنى له ابداً . مالم يبدأ بالحفاظ على القديم اولا . وترميم القائم فعلا . ثم تاتي المزاوجة مع الجديد الذي يكتسب شرعية وجوده من كونه يصبح ابنا لهذا القديم . بل وجزءا منه .

ذلك ان العراقة لا تباع ، والماضي لا يشترى ، والتاريخ ليس معروضا في الاسواق . وفي الوقت الذي يعاني فيه البعض - مثل امريكا - من الجوع للحضارة . والبحث عن الاصالة . لدينا نحن زحام رهيب منها . وان كنا لم نعرف بعد كيف نستفيد من هذا القديم .

ذلك هو مكمن الخطر كله ..

مختارات من شعر
بورخيس

أعمى ، لكنك تبصر فى عين الكلمات
تتقرى باللمس المرآة
ورفوف الكتب الغرقى بالنور
ونار اللوحات .
تبصر ـ ماخلف الباب
ووراء قناع الاسطورة ـ
مدنا تحت الشمس تموت
فرسا فى غابة عباد الشمس جموح
نهرا ينبع من جبل مسحور
بنوبا بمطاد غزالة
كانت جارية فى قصر الواثق بالله
كانت نافورة
فى ازمان أخرى ، فى قصر الحمراء .
أعمى لكنك تبصر
وجهى الاخر تحت قناع الموت
وضياعى فى ملكوت المنفى :
من منا الاعمى
فى سجن الحرية ؟
يبكى تحت الاسوار الحجرية ؟
ويموت وحيدا فى الغربة
محكوما بشروط اللعبة

١٩٨٤

عبد الوهاب البياتى


من أعمال الفنان رفعت عبد السلام

الضابط الصعيدى موريس فى أوربا

بقلم

د. وليم سليمان قلادة

قد يكون من المعتاد أن يجرى البحث عن آثار الحضارة المصرية فى المتاحف والمعابد والمقابر القديمة ، ولكن الحقيقة هى أن المصريين ساهموا بدور أساسى فى الثقافة العالمية - ومازال تأثيرهم حيا مستمرا حتى اليوم ، فى مختلف المجالات ، أبعد مدى من الحدود الجغرافية لبلادهم .

وغالبا ما تحجب عوامل كثيرة الوعى بهذا الدور : مثلا المشاكل اليومية الحادة التى تستغرق كيان البشر ، أو المحاولات النشطة لتحجيم الدور المصرى الآن - فيكون من الملائم أن تغمر انجازات المصريين التاريخية إن لم يكن بالانكار ، فعلى الأقل بالاهمال والنسيان .

على أن أشد العوامل فتكا بالوعى بهذا الدور - هو جهل المصريين أنفسهم به .

وعلى سبيل المثال - هل يعرف المصريون أن بعضا من أرقى مدن أوربا اطلق عليها اسم واحد من أبناء مصر "الصعايدة" الأمجاد ..

وأن الخاتم الرسمى لبعض المقاطعات السويسرية نقش عليه رسم ثلاثة من هؤلاء - أبناء منطقة طيبة ، محافظة قنا حاليا .. وأن ذكرى بعض هؤلاء تعتبر هناك من الأعياد الرسمية ..

وأن مصرية عاشت فى وسط أوربا ، وجسدها مدفون فى إحدى كنائسها - يرسمون صورتها وفى يدها ابريق ماء وفى الأخرى "المشط" الذى تستخدمه المصريات منذ العصر الفرعونى ، يرسمونها على هذا النحو تخليدا للدور الذى قامت به هذه المصرية فى العناية بالمرضى فى هذه المناطق - وفى تعليم أهلها النظافة ، منذ أكثر من خمسة عشر قرنا .

وأن مئات الكاتدرائيات والكنائس والأديرة والهياكل والمنشآت المتنوعة - تحمل أسماء مواطنينا الكرام ابناء طيبة العظيمة ..

هذه هي قصة "الكتيبة الطيبية" The Theban legion - la legion Thebaine التي كانت في القرن الثالث الميلادى جزءا من الجيش الروماني الكبير .. فقد كان على رأس الامبراطورية وقتئذ دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥م) يعاونه مكسيميا نوس (٢٨٥ - ٣٠٥م) وكونا جيشهما من كل الشعوب الخاضعة لسلطانهما ، فكانت فيه كتيبة من شباب مدينة طيبة - الأقصر حاليا ، مكونة من ٦٦٠٠ جندى مسيحى .

وصدرت الأوامر بارتحالها من مصر الى اوربا لمساعدة مكسيميانوس فى حروبه باقليم غاليا (فرنسا) .

وكان من المعتاد ان تقدم العبادة للآلهة الوثنية قبل بدء المعارك - وهكذا صدر الأمر للكتيبة المصرية ان تشارك فى تقديم البخور فى هذه العبادة . ولكن جنود الكتيبة رفضوا معلنين انهم وإن كانوا يؤدون واجباتهم للدولة ، فهم مسيحيون لايعبدون إلا الاله الحقيقى رب السماء والأرض .

وإزاء هذا الموقف امر الأمبراطور بأن تقف الكتيبة صفوفا ، وفى كل صف ، وبعد كل تسعة جنود ، يجلد العاشر ثم تقطع رأسه . ولكن الباقين ازدادوا إصرارا على مسيحيتهم ، فأمر الأمبراطور بتكرار جلد العاشر وقتله .

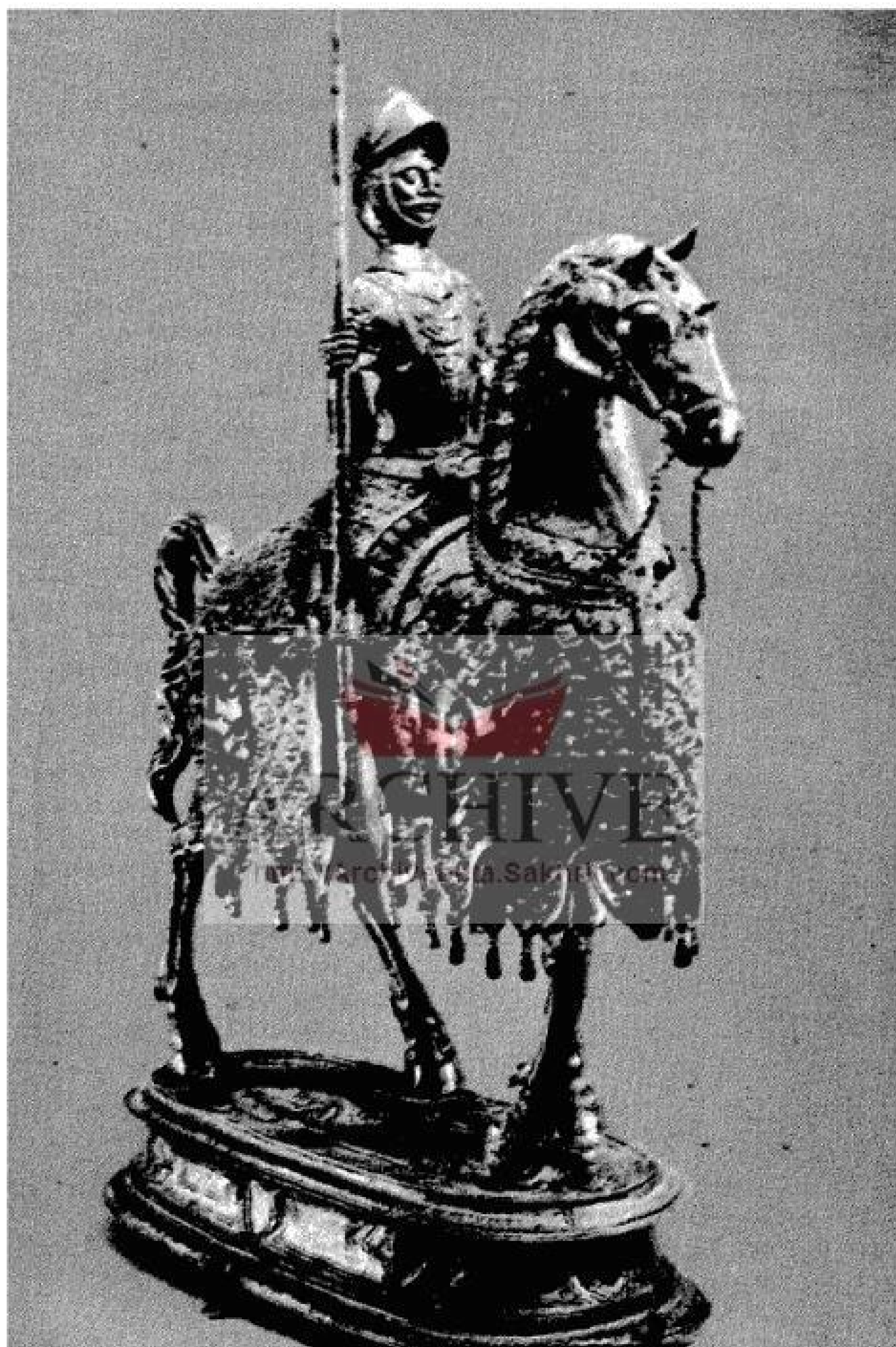
أما قائد الكتيبة الضابط الصعيدى "موريس" والضباط زملاؤه فكانوا يشجعون جندهم ان يثبتوا على إيمانهم

وحينئذ أصدر الأمبراطور أمرا بقتل جميع افراد الكتيبة حيثما تكون معسكراتها . حدث هذا فى السنوات الاخيرة من القرن الثالث الميلادى .

يقول الآب بول دورليان مؤلف كتاب "قديسو مصر" : « هكذا إستشهد البعض فى آجون بسويسرا ، والبعض فى أجوليا بشمال إيطاليا، وغيرهم فى تريف (على نهر الموزيل بين فرنسا وبلجيكا) .. فكانت مذبحة هائلة ومجزرة همجية فظيعة - تناثرت فيها اشلاء المصريين فوق وادى آجون وارتوت أرضه بدمائهم » (P.d'Or-́le ans, Les Sainto d'egypte, Jerusalem, gentll, نقلا عن ايريس حبيب المصرى ، قصة الكنيسة القبطية ، الجزء الأول ، ص ١٣٣)

وتخليدا لذكرى هذا الموقف العظيم ، غير سكان الوادى اسم مدينة اجون واطلقوا عليها اسم قائد الكتيبة المصرى فصار اسمها حتى اليوم "سان موريس" فى مقاطعة فاليه Saint maurice envvalais واقيمت بها فى منتصف القرن الرابع كنيسة - ذكرتها المخطوطة التى سجلت وقائع الاستشهاد ، وأظهرت اثارها الحفائر التى أجريت فى الموقع .

ولقد كان استشهاد الجنود المصريين ، وما صاحبه من شجاعة وصمود ورجولة - هذا كله كان يملأ المشاهدين إعجابا بهم وتقديرا لهم ، وكان يدفعهم للتساؤل عن سر هذه العظمة ، وهكذا بدأ تحول سكان هذه



المناطق من الوثنية الى المسيحية . وارتبطت أسماء العديد من أفراد الكتيبة بمختلف المدن والقرى ـ وفي مقدمتهم القائد موريس ، الذى اطلق اسمه على مدينتين ، الأولى سبق ذكرها والثانية "سان موريتـز" (بالنطق الألماني) فى مقاطعة انجاندين ، واقيم له تمثال فى ميدان كبير بها .

فيرينا ـ من بلدة جرجوز مركز قوص ، محافظة قنا

وتعتبر فيرينا ـ المصرية الطيبية ، واحدة من أكثر القديسات شعبية فى سويسرا وجنوب المانيا ـ وذلك بسبب ما تم على يديها من أعمال الشفقة والمحبة وما اجرته من معجزات ، ولأنها ساهمت فى تحويل سكان المنطقة الى المسيحية .

ولقدكانت فيرينا ابنة لعائلة متميزة فى طيبة وعهد بها والدها الى الاسقف خيرمون الذى عمدها وعلمها . ولقد كان معتادا وقتئذ ان يصاحب المجندين فى ارتحالهم ـ بعض من افراد اسرهم لخدمتهم : مثل الامهات والزوجات والأخوات .. وهكذا صحبت فيرينا الكتيبة الطيبية وهى تذهب الى أوربا . وبقيت فى ميلان مع القسم الذى عسكر من الكتيبة فيها .

وحين سمعت باستشهاد إخوتها وبلدياتها الذين صحبتهم من مصر ـ عبرت جبال الألب الى أجونوم . وظلت هناك تواصل الصوم والصلاة . ثم آوت الى مغارة لتتعبد فيها وتعيش من شغل يديها . وفى نفس الوقت كانت تعنى بالمرضى وتعلم الفتيات السلوك الصحى والنظافة . وتهتم بالفقراء ، وتغسل جروح البرص وتدهنها بالأدوية . وتمت على يديها بمعونة الله معجزات كثيرة جعلت الجماهير تنجذب نحوها وتحبها وتستجيب لتعليمها .

ولعل أعجب مايرتبط بهذه الفتاة المصرية ، ويجعل صلتها بوطنها الأصلى ماثلة دوما أمام الشعوب التى تعتز بذكراها ـ هو صورتها المتداولة شعبيا فى تلك البلاد . ففيها تظهر فيرينا ممسكة فى يدها اليسرى بمشط مزدوج مماثل لما تستعمله المصريات منذ العهد الفرعونى وحتى اليوم . ويحتفظ المتحف المصرى والمتحف القبطى بنماذج له . وكانت تعلم به النساء العناية بشعرهن . ولها صورة ممسكة بالمشط ويتدلى شعرها مضفرا بنفس طريقة نساء الريف المصرى حتى اليوم .

اما يدها اليمنى ففيها ابريق ماء للغسيل ، والصورة تعبر عن جهدها



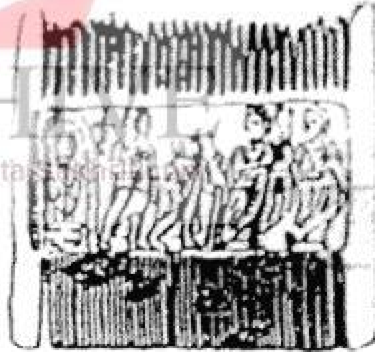
ـ نموذج لأحد الأختام الرسمية لمدينة زيوريخ

ـ تحمل الكاتدرائيات والهياكل أسماء أبناء طيبة ..

في العناية بالمرضى وغسل جروحهم . ومازال اسمها من أكثر الأسماء شعبية وتسمى به الفتيات في الجزء الألماني من سويسرا حتى اليوم .

ولقد أقيمت على المكان الذى كانت تقيم فيه كنيسة حفظ فيها جسدها . ومنذ ذلك الوقت تعتبر هذه البقعة من أحب الاماكن التى يحج اليها الناس من سويسرا وبرجنديا والألزاس والغابة السوداء . ومن العسير بيان الكنائس التى بنيت على اسم هذه القديسة الشعبية ـ فهناك أكثر من مائة كنيسة باسمها في مختلف المقاطعات السويسرية .

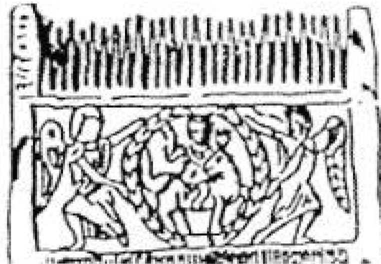
الأختام الرسمية لمدينة زيوريخ



يصور النقش الذى حفر في ختم برلمان مقاطعة زيوريخ ، وكذا ختم حكومتها ـ يصور هذا النقش ثلاثة أشخاص بلا رءوس ، ولكن كل واحد منهم يحمل رأسه على يديه .

فما هو أصل هذا النقش الغريب ؟

تسجل المخطوطات والتقاليد التاريخية ، أن ثلاثة من أفراد الكتيبة الطيبية ـ فيلكس وأخته ريجولا واكسبرانتيوس ـ كانوا في موقع على ضفاف بحيرة زيوريخ ، فقبض عليهم ،



واعترفوا بانتمائهم الى الكتيبة الطيبية والى قائدها موريس ورفاقه الذين استشهدوا . وإذ صمم الثلاثة على التمسك بإيمانهم ، تعرضوا لتعذيب شديد ، حدثت اثناءه معجزات كثيرة . ثم قطعت رءوسهم .

وتروى المصادر التاريخية انه بعد ان سقط الثلاثة على الأرض ـ سمع صوت يدعوهم للنهوض لنوال اكاليل الشهادة . فانتصب الثلاثة واقفين ، كل واحد يحمل راسه بين يديه ، وساروا حوالي خمسين مترا ـ ثم ركعوا على الارض ورقدوا .

واقيم في مكان استشهادهم ومكان دفنهم ديران وكنيسة ، ولهذه المنشآت تقدير روحي عميق وإعزاز شعبي كبير في المنطقة وهي الدير الكبير grossmunster الذي اقيم على مكان الدفن ـ في مكان اقدم كنيسة هناك . ونقلت الى الدير اجساد الشهداء وفي الموقع الذي قطعت فيه رءوسهم اقيمت كنيسة الماء ـ Wasserkirche كما انشىء ايضا في هذا المكان دير للراهبات Frauenmunster وفيه كنيسة مشهورة اقيمت في الضفة الأخرى لنهر ليمات ، ورسمت فيها بالفسيفساء ثماني صور تصور مراحل قصتهم . ونقلت الى الدير من الدير الكبير بعض من اثار هؤلاء الشهداء .

وقد بنيت عام ١٩٥٠ كنيسة حديثة في زيوريخ تحمل اسماء هؤلاء الشهداء .

وتعيد المدينة لذكرى هؤلاء الشهداء يوم ١١ سبتمبر من كل عام .

والأمر الذى يشد الانتباه هنا ، هو ان هذا اليوم نفسه يوافق رأس السنة القبطية (أول توت) .

ولقد كانت وقائع هذا الاستشهاد ، بالاضافة الى المعجزات التى حدثت فى هذا المكان ـ هذا كله ساهم فى حفز سكان المنطقة الى ترك الوثنية واعتناق المسيحية .

وثمة سؤال هام

ماهو المضمون الذى تريد هذه المدينة السويسرية أن تعبر عنه بهذا النقش الذى مازال مستخدما حتى اليوم ؟

يبدو أن المدينة ـ بالاضافة الى تخليد ذكرى هؤلاء الشهداء ، تريد ان تقدمهم لأبنائها مثلا عليا فى الامانة ، واداء الواجب والاخلاص الذى لايتزعزع ، حتى الموت . فكل مواطن يجب أن يتقدم لعمله مستعدا للتضحية بكل ما يملك ، كجندى يحمل رأسه بين يديه

ويأتى سؤال آخر

هل من صلة بين هذا النقش ، وما يجرى فى الصعيد أثناء جلسات الصلح بين العائلات التى تتقاتل ـ اذ يحمل من يعرض الصلح "كفنه" بين يديه ، مستعدا لتقديم راسه ليحل السلام والعلاقات الطيبة محل العداوة والكراهية والثأر ...

★ ★ ★

ولقد سجلت تفاصيل استشهاد

الكتيبة الطيبية فى عدة مخطوطات . الأولى كتبها . أسقف ليون عام ٤٣٤ ، ومحفوظة بمكتبة "الناسيونال" فى باريس . والثانية مكتوبة فيما بين عامى ٤٧٥ و ٥٠٠ م بواسطة كاهن الكنيسة التى اقيمت فى مارتينى Matrigny فى اواخر القرن الرابع وذلك فى نفس موقع استشهاد بعض افراد الكتيبة . ولهذه المخطوطة نسختان - واحدة محفوظة فى دير اينزيدلن بسويسرا ، والثانية فى الناسيونال بباريس .

وبالاضافة الى هذه المخطوطات فإن سير الشهداء المكتوبة فى بدايات القرون الوسطى تتضمن أسماء كثيرة من افراد الكتيبة وتورد وقائع استشهادهم .

ونشر الاستاذ الدكتور سمير فوزى جرجس استاذ ورئيس قسم التاريخ بمعهد بوخمان فى زيوريخ دراستين عن الكتيبة الطيبية .

الأولى عن : الكتيبة الطيبية فى سويسرا The theban legion in switzerland, st. pachom's publications, Witenuresen-strasse 2, 8180 Bulach, Switzerland

والثانية - عن الكتيبة الطيبية فى ضوء المصادر القبطية المبكرة وفى علم الاشتقاق Etymology المصرى القديم .

وتفضل سيادته بإهداء الدراستين للكاتب - وكانتا مرجعين رئيسين لهذا المقال .

وقد ذكر الدكتور سمير أنه يعد دراسات أخرى بخصوص الكتيبة من بينها ترجمة انجليزية للمصادر التاريخية التى سجلت أخبار الكتيبة الطيبية .

وكتب الدكتور سمير فوزى جرجس فى بداية تاريخه لهذه الكتيبة المصرية ، إنه ليس ثمة ماهو اكثر قيمة يقدمه لوطنه الأصلى - من استعادة ذكرى إخوتنا الذين صاروا اهم رسل مصر إلى اوربا ، شهادة خالدة لايمانهم الثابت . كما انه ليس ثمة ماهو اكثر قيمة يقدمه للبلاد التى يعمل بها حاليا - سويسرا - من المساهمة فى اظهار تاريخ واحد من اهم الأسس الرئيسية لتراثها الروحى .

* * *

ويعتبر شهداء الكتيبة الطيبية من اكثر القديسين شعبية فى المنطقة من بحر الشمال الى البحر المتوسط - فى سويسرا وشمال إيطاليا وغرب المانيا وفرنسا . واعتبر الكثير من المدن والقرى هؤلاء القبط شفعاء لهم : ففى سويسرا على سبيل المثال موريس فى المدينتين المسميتين باسمه ، واورسوس فى سولوثرن ، وفيكتور فى جنيف ، والثلاثة حاملو رءوسهم فى زيورخ ، وفيرينا فى زرزاخ .. الخ . وهكذا بالنسبة لايطاليا والمانيا

وفرنسا ، وتحتفل هذه البلاد باعياد قديسيها في شهري سبتمبر واكتوبر .
ولقد بني على أسم قائد الكتيبة اكثر من ٦٥٠ منشاة ـ كنائس واديرة وهياكل وغير ذلك ، ويعتبر عيده في Appen-zell I.R.H عيدا رسميا للمقاطعة .

الأصول المصرية لبعض الأسماء

وفي دراسة دقيقة لبعض اسماء افراد الكتيبة يكشف الاستاذ الدكتور سمير فوزى جرجس عن اصولها المصرية فاسم "موريس" او "موريشيوس" يظهر في البرديات القبطية اليونانية في صورة "موريكيوس" ومنه يشتق المؤنث "مراكيا" او "مراقيا" الذى يطلق الآن على منطقة بضواحي الاسكندرية . كما كانت تسمى الفيوم بحيرة موريس .
وقد ذكر الشيخ رفاعه الطهطاوى ان البحيرة التى فى الفيوم تسمى ايضا بركة (اى بحيرة) ((مريس)) ، باسم ملك يقال انه احتفرها . وهي اهم جميع البرك لشهرتها في الأزمان الحالية بعموم نفعها لبلاد الفيوم خاصة ولعموم الديار المصرية باسرها (انوار توفيق بنى اسماعيل . الاعمال الكاملة نشرد . محمد عمارة ، الجزء الثالث ص ٥٣)

وقد ورد هذا الاسم ـ مذكرا ومؤنثا ـ فى النصوص القبطية وبرديات العصر البطلمى . ويقول الاستاذ الدارس إن



وضع التاء محل الكاف يعتبر ظاهرة متداولة في الكتابات القبطية المبكرة .
كما يوجد هذا الاسم فى شواهد قبور العصر القبطى والبطلمى . ومازال الاسم متداولا بين المصريين حتى اليوم .
ويبدو اسم "فيرينا" مكونا من الكلمتين القبطيتين القديمتين "فرى VRE" بمعنى "ثمرة" و " نى NE`" بمعنى "المدينة" اى طيبة ـ فهكذا كانت الكلمة تفهم حين لايذكر بعدها اسم مدينة اخرى . فيكون معنى الأسم "ثمرة طيبة" او "بنت طيبة" .

وبالنسبة لاسم "فيكتور" فهو مطابق للاسم القبطى "بقطر" المتداول حتى اليوم بين الاقباط . فحرف "Bب" ينطق "ف V" إذا جاء بعده حرف متحرك .

... اما فى بلادهم ...

وعلى الرغم من شهرة الكتيبة الطيبية وافرادها فى مختلف بلدان اوربا ، فإنهم - بالكاد - مجهولون من ابناء وطنهم ومن اخوتهم ابناء كنيستهم القبطية ، التى تربوا فيها وتعلموا منها ايمانهم - الذين نشروه فى اوربا . ولا يتضمن "السنكسار" ، وهو الكتاب الذى يتضمن اخبار قديسى الكنيسة - اسماءهم . ولا تحمل اية كنيسة فى مصر اسم القديس موريس او اى من زملائه .

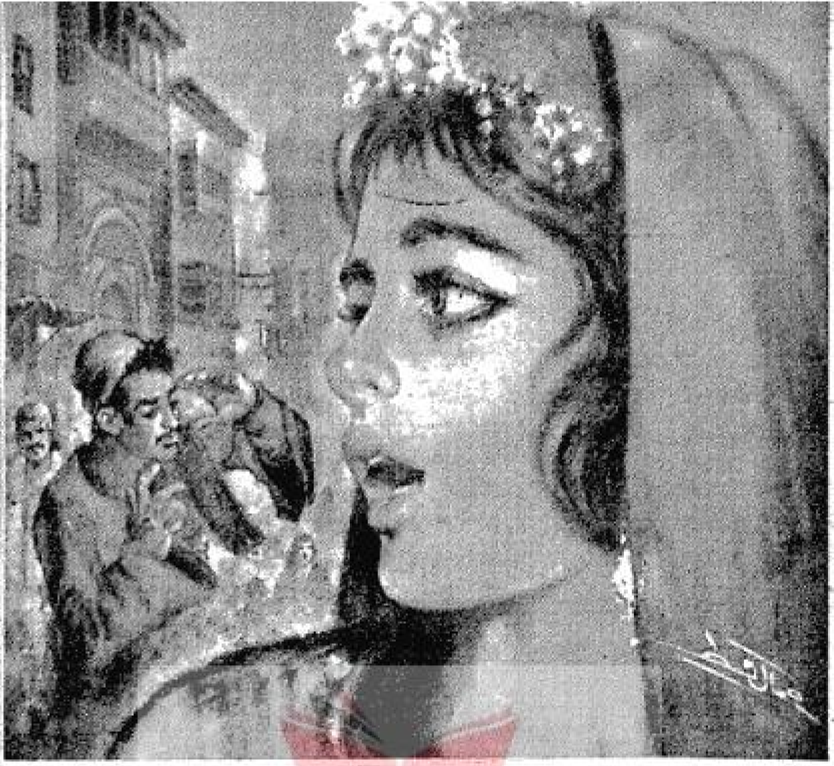
وتجدر الاشارة الى ان الاستاذة ايريس حبيب المصرى اوردت اخبار هذه الكتيبة فى الجزء الاول من تاريخها المستفيض للكنيسة القبطية . وكان هذا فى اوائل الستينيات ، وقد ذكرت انه كان فى حديقة السفارة السويسرية بالقاهرة . تمثال للقديسة فيرينا .

هذا - وقد سبق ان ذكرنا ، ان تاريخ استشهاد الكتيبة يتوافق مع الشهر الاول من التقويم القبطى . بل لقد راينا ان عيد قديسى زبوريخ الثلاثة يقع فى اليوم الاول من السنة القبطية . وإذن ، فمن الراجح أن استشهاد هذه الكتيبة كان احد العوامل الرئيسية فى تحديد بداية التقويم القبطى - تقويم الشهداء . مع العلم ايضا بان تولى دقلديانوس العرش (٢٨٤ م) كان معاصرا تقريبا لهذه الأحداث .

لهذا فإنه يكون مطلبا قوميا ان يستعيد المصريون ذكر مواطنيهم الذين صار لهم هذا التقدير فى بلاد الغربة فيكون لهم مكانهم المناسب فى كتب التاريخ وفى الكتب الدراسية - فى التاريخ والمطالعة .

وان توضع اسماؤهم فى "السنكسار" بدءا من اليوم الاول من السنة . وان تبنى على اسمائهم الكنائس والهياكل فى المدن الجديدة والقديمة .

وعلى وجه الخصوص - يكون لهم فى بلدهم الإصلى طيبة - الاقصر ، صرح كبير يذكر المقيمين والوافدين من بلاد الغرب ، من سويسرا والمانيا وفرنسا وإيطاليا وغيرها - بأنه من هذا المكان خرج الأبطال القديسون الشهداء الذين لهم هذا الفضل والتقدير فى تلك البلاد ، وقد يكون من المفيد أن تكون الدعوة إلى زيارة الاماكن المصرية الأصلية التى فيها ولد افراد الكتيبة الطيبية - محلا للدعاية السياحية عنها ولاننسى فى هذا المجال بلدة جراجوز مركز قوص محافظة قنا ، البلدة التى خرجت القديسة فيرينا - بنت طيبة ...



كلمات الحكيم

نجيب محفوظ

في أولاد حارتنا

بقلم
سليمان فياض

كلمات الحكيم نجيب محفوظ في أولاد حارتنا

● بلهجة توراتية ، كتب الحكيم « نجيب محفوظ » امثولته « أولاد حارتنا » ..

من رحم الحضارات البشرية الشرق - أوسطية صاغ الحكيم نجيب ملحمة أسطورية ، محددة المكان والزمان ، وفي لا زمان ولا مكان ، ملحمة استقى نسيجها وشخوصها من أحداث التاريخ الشعبي ، وأسفار الرعاة والحضريين والتجار والحرفيين ، والحكام والمحكومين ، والسادة والعبيد ، فمن رحم الواقع تولد الأسطورة الأمثولة ، ملحمة تعكس سعى الأسرة الانسانية للقوة ، وللحب وللرحمة وللعدل ، وللحرية ، وللسلام ، وللاخاء ، وللمساواة .. ملحمة تعكس مناهج ومراق للوصول ، عن طريق القوة بدءا والحب والرحمة تلوا ، والقوة مع الحب والرحمة ، ثم لايجدى النهجان ، فتولد قوة العلم الساحرة التى تولد بدورها ، لأنها لم تتجاوز سحر الفرد إلى سحر المجموع ، ولم تخرج من اسر الكهانة ، لتكون مشاعا للجميع بين الجميع ، مثل كتاب الحكمة للاله توت الذى سعى إليه الأمير الفرعونى « نفرروهو » ليعرف ماكان ومايكون وماسيكون ، ولقى حتفه حين شاء إشاعته ، متجاوزا الكهان والفراعين .

بلهجة توراتية حكى فيها الحكيم نجيب محفوظ أسفار ادهم ، وجبل ، ورفاعة ، وقاسم ، وعرفة ، فى إصحاحات قاص سمير ، على انغام الرباب لم يدّع النبوة يوما ، ولم يسع لحظة ليكون له اتباع ، ولم يهدف ليقص قصة نبى ، ولا زعيم ، فهمه أن يحكى من منظوره على الرباب ، تطور الروح الانسانى والسعى البشرى ، لتحقيق حلم العدل ، والمساواة ، والسلام ، عبر أجيال من الحاكمين والمحكومين وحراس العهود المتوالية من الباطشين المضيعين ضياع الحاكمين والمحكومين ..

وفى اللهجة التوراتية ، عبر امثولة ملحمة اسطورية تناثرت « حكم » الحكيم نجيب محفوظ على ألسنة الحاكمين والمحكومين والفتوات ، وأصحاب الأسفار فى « أولاد حارتنا » .. مثلما تولد الماسات فى طبقات الفحم ، واللآلىء فى تجاويف الأصداف ، « حكم » تذكر العارفين ، بحكم الحكماء المصريين الأقدمين السبعة : وبينهم امينموبى ، وايبور .

● من سفر أدهم ●

* لايهدد السلامة مثل طلبها بأى ثمن .
* ملعون البيت الذى لايطمئن فيه إلا الجبناء الذين يغمسون اللقمة فى ذل الخنوع ، ويعبدون مذلهم .
* ليس الطريق مسدودا فى وجهك إلا أن تسده بيديك .
* لاينبغى أن تدلل امرأة حتى لاتفسد حياتك .
* المناجاة اذا تواصلت إلى غير نهاية فقدت كل معنى .
* الحكم الصحيح لن يكون إلا عند الامتحان .
● لاشىء حقيقى فى هذه الدنيا ، هى البيت الكبير ، هى الكوخ الذى لم يتم ، هى الحديقة ، هى عربة اليد ، هى الأمس واليوم والغد ..
● الحزن جمر مدفون تحت الرماد .
● الحزن قبيح .. لكن كلانا مصاب .
● الحيوان وحده هو الذى لايهمه إلا الغذاء
● العمل لعنة .. لاتزول إلا بالعمل .
● الهواء يثمل بأنفاس الحب والحب ينذر بالمآسى .
● مادمت لا استطيع أن أرد الحياة فلا يجوز لى أن أدعى القوة أبدا .. غلبنى الموت .
● اليأس قوة .
● قاتل أخيه لا أب له ، لا أم له ، لا أخ له .
● على القاتل أن يحمل ضحيته
● من يذق المر تهن عليه الشماتة
● لم أبك على القتيل وحده ولكن على القاتل أيضا .
● الموت نهاية كل حى ، فما وجه الشماتة فيه .
● إذا لم يكن الجزاء من جنس العمل فعلى الدنيا العفاء .

● من سفر جبل ●

● الخطأ كثير والعقاب كثير ، ولكن حتى الحشرات المؤذية لا تيأس من العثور على ظلّ .
● الفتوة وحده يعيش فى بحبوحة ورفاهية وفوق هذا الفتوة الاكبر ، وناظر الوقف فوق الجميع ، أما الأهالى فتحت الأقدام .
● شعراء المقاهى فى حارتنا لايروون إلا عهود البطولات متجنبين الجهر بما يجرح مراكز السادة ويتغنون بمزايا الناظر والفتوات ، بعدل لانحظى به ، ورحمة لانجدها ، وشهامة لانلقاها ، وزهد لانراه ، ونزاهة لانسمع عنها .
● لن نلقى فى الحارات الأخرى إلا حياة أسوأ من الحياة التى نكابدها هنا .
● سيد الناس يضرب الناس ، ويظلم الناس ويقتال الناس ، أنت تعرف من هو سيد الناس .
● الواحد حيران ، لا عند الأولاد راحة ، ولا عند الفتوات راحة ، ولا عند ناظر الوقف راحة ..
● عندما يحترموننا أحياء نحترمهم أمواتا .
● لايهمنا عقاب القاتل بقدر مايهمنا إرهاب الآخرين .
● الكلام مضيعة للوقت .
● إذا ضاعت هيبتنا ضاعت حياتنا .
● من العار أن أرى أهلى يبادون وأنا أنعم بظلك .

كلمات الحكيم

نجيب محفوظ

في أولاد حارتنا

● لم نخلق لنقتل وإن فاق عدد قتلانا الحصر .

● مادام يوجد فتوات فلابد أن يوجد مهاجرون .

● أسرتنا المجيدة تجرى فى دمائها الجريمة منذ القدم .

● الصبر على مانلقى خير من التسكع بين غرباء سيكرهوننا .

● بالقوة تهزمون البغى ، وتأخذون الحق ، وتحيون الحياة الطيبة .

● « اهذا هو حال الشعراء يارضوان ؟ تروون حكايات الأبطال ، وتغنون على الرباب ، فإذا جد الجد ، تقهقرتم إلى الجحور ، وأشعتم التردد والهزيمة ؟ ألا لعنة الله على الجبناء » .

● « ما أيسر أن يقوم العدل دون إراقة نقطة دماء » .

● « إنك لاتكره الظلم إلا إن وقع عليك » .

● « الشماتة ليست من شيم السادة » .

● ماينبغى لرئيس القوم أن يسرقهم .

● إما حياة تقوم على النظام ، وإما فوضى لن تبقى على أحد ..

● إما النظام وأما الهلاك .

● ما إن يأنس أحدكم فى نفسه قوة حتى يبادر إلى الظلم والعدوان .

● آفة حارتنا النسيان

● من سفر رفاعة ●

● لكل إنسان عفريت هو سيده ، وكما يكون السيد يكون العبد .

● عيبكم أنكم تخافون الموت أكثر مما ينبغى لذلك سيطر عليكم خنفس ، وتسلطن بيومى وصادر إيهاب أرزاقكم .

● الضعيف هو الغبى الذى لايعرف سر قوته وأنا لا أحب الأغبياء .

● الابن الحبيب من يعمل

● « لايحول بيننا وبين السعادة إلا العفاريت الكامنة فى أعماقنا » .

● شفاء المرضى لن يقلق إلا العفاريت .

● إذا لم يكن عندك كرامة ، فمن الخير أن تسكت

● ضيع الجبن الشرف .

● عيبك فى لسانك

● كلنا مدينون بحياتنا لغيرنا .

● لاسعادة بلا كرامة

● دع أعمال النساء للنساء .

● السيد هو الطيب ، وخير الناس أطيبهم

● ستكونين أجمل وأفضل عندما تقهرين الغرور

● السعادة لايستحقها إلا من ينشدها مخلصا

● أنا ما عرفت الأصدقاء حتى عرفتهم

● من الناس من يعشق عفريته

● إن تخلصنا من العفاريت تطهرنا من الحقد والطمع والكراهية وسائر الشرور .

● عندما يلمس الأقوياء سعادة الضعفاء سيدركون أن قوتهم وجاههم وأموالهم المغتصبة .. لاشىء ..

● أنا صديق المساكين .

● حارتنا حارة الحكايات .

لو .. لو .. لو .. ماذا أفدنا من لو .. علينا أن نعمل ..

● غايتنا الشفاء لا القتل .. خير للانسان أن يُقتل من أن يَقتل ..

● حول أكوام الزبالة تكثر الكلاب الضالة .

● من سقر قاسم ●

● فى حارتنا اما أن يكون الرجل فتوة ، وإما أن يعد قفاه للصفع .

● رعي الغنم خير من التسوّل .

● الأغنام ترعى جميعا فى إخاء لاينعم بمثله . اصحابها القساة من أولاد حارتنا .

● ما الفتوات إلا لصوص فجرة وسفاكو دماء .

● حتى غنمى لا تلقى منى إلا المودّة .

● اولئك هم الطيبون حقا من اهل الحارة سيرة عطرة ونهاية مؤسفة .

● إن الذكرى الطيبة تبقى وهى أثمن من قطعان المعز والضأن .

● لن يكشف الدم عن النقود المفقودة .

● لولا غباوتكم ماكان منقذكم راعى غنم .

● الحكمة أجلّ من الفتونة .

● الحظ إذا ضحك ضحك معه كل شىء حتى الفقر .

● لايدرى أحد متى ترضى النساء ومتى تغضب .

● إذا قالت الجارية فقد قالت السيدة .

● لو بدأنا بعويس لأرسلنا إلى مستشفى المجاذيب ..

● سيرتى كالعطر على كل لسان

● إنك لادبك تبدوا احيانا كالغريب فى دارك الا تدرى أن ذلك يؤلمنى .

● أهل حارتنا لايرون فى الحب إلا وسيلة للاستغلال .

● المرأة المحبة لعبة فى يد الرجل إلا إذا كان الرجل محبا مثلها .

● الناس يعبدون القوة ، حتى ضحاياها .

● العبرة بالقوة التى تصنع الخير .

● السعادة الصافية لايمكن أن توجد أبدا إلا إذا توفرت أسبابها للجميع .

● تعاسة الآخرين تفسد على سعادتى .

● لايسعد الانسان بالفتونة ، وحدها ، بل لايسعى بالفتونة إطلاقا .

● الفتونة شر يجب أن يذهب .

● أخشى أن تكون أيام الراحة قد ولت .

● لاتغتر بكلام العيال . عندما ترتفع النبابيت تمتلىء الجحور بهم .

● سيقتلك الأقوياء ويهزأ بك الضعفاء .

● فى سبيل من تعرض نفسك للهلاك ؟ ليس فى حارتنا إلا حيوان أو حشرة ، ولديك من الأسباب مايضمن لك حياة رغيدة طيبة ، فاعقل وتمتع بحياتك .

● ما فائدة الحزن ؟ وما جدوى الانفراد ؟ النجوم لاتجيب ولا الظلام ولا يجيب القمر .

● حارتنا التعيسة فى حاجة إلى النظافة والكرامة .

● القوة عند الضرورة والحب فى جميع الأحوال .

● ماذا أبقيت لمن يجىء بعدك .

● كيف تأمن من الغرباء ولا تأمن لجاريتك .

● أنت سيد ، حتى على عهد الرعى كنت سيدا .

كلمات الحكيم

نجيب محفوظ

في أولاد حارتنا

● جد واحد للجميع ، وقف واحد للجميع ، والسلام على الفتونة .

● إذا هلكنا اليوم تبددت الآمال الكبار .

● العدل ؟ ياكلاب ياأراذل .. هذه كلمة السر عندكم إذا اعتزمتم النهب والسرقة .

● شر المتاعب ماتجيء صاحبها من نفسه .

● لايطالب مخلوق بما فوق طاقة البشر .

● الجبن افسد الرجال .

● لن تطهر حارتنا من الفتونة إلا بالقوة ولن تحقق شروط الواقف إلا بالقوة .. ولن يسود العدل والرحمة والسلام إلا بالقوة .. وستكون قوتنا اول قوة عادلة غير باغية .

● لايغيب عنى الأمل ولو في الظلام .. وما أكثر الاصدقاء الصادقين وإن بدوت وحيدا .

● الشجاعة أخطر مايلزم حارتنا كي لاتقضى العمر تحت الأقدام ، فلا تنصحيني بالسلامة .

● ليس الطريق واحدا .

● لم يعد ثمة مايبقيك في الحارة ، ارحل فانك اليوم وحيد .

● لم يبق في الظلام إلا ندامى الموت .

● ما أغنى الأموات عن إخلاصنا .

● انت أول من يحتاج إلى أنيس .

● لن يحمينا إلا القبر .

● اذكروا دائما أننا لانهاجم إلا للقضاء على الفتونة .



● لن يجدينا تذكر الأخطاء .

● إنكم تنظرون إلى بعضكم بعين ، وتنظرون بالأخرى إلى فتونة الحارة .

● الغضب سيعميكم عن عدوكم الحقيقى .

● مجيئكم بعددكم الوفير ينم عن الارتياب .

● بيدكم أنتم ألا يعود الحال كما كان .. راقبوا ناظركم فإذا خان اعزلوه .. وإذا نزع أحدكم إلى القوة اضربوه .. وإذا ادعى فرد أو حيٌّ سيادة أدبوه .. بهذا وحده تضمنون ألا ينقلب الحال إلى ماكان ..

● من سفر عرفة ●

● حظنا من الدنيا الذباب ومن الآخرة التراب .

● ليست الفتونة هى السبيل الوحيد إلى الثروة .

● لا امان لأحد مع وجود الفتوات .
● القتلة ، لايبالون بإخفاء جرائمهم ولا يتجرا احد على الشكوى ، أو يجد شاهدا واحدا .
● التسليم هو أكبر الذنوب جميعا .
● مسير الحي إلى حارته وأهله .
● للمقبرة ميزة جليلة ، هي أنها لايمكن أن تسرق .

● النقود تكثر بالصبر .
● كل هذا الجمال قد تطيح به عصا فتوة أحمق .
● المشغول بالعمل يُنسى .
● طول العمر من دواعي الحزن في الدنيا .
● الفتوات يهددون العرض والرزق والحب والسلام .
● نحن في حاجة إلى قوة لتخلصنا من العذاب .
● أرباحي تفيض عن حاجتي فلابد أن يشاركني فيها إنسان ..
● مايكدر صفوي هو مايكدر حارتي وما يؤمنني هو ما يؤمنها .
● للدعاء قيمة عندما كانت للعمل قيمة .

● القتلة لايبالون بإخفاء جرائمهم ، ولايتجرا أحد على الشكوى ، أو يجد شاهدا واحدا .
● الأمـر لايستوجب أن نتنـاقر كالديوك .
● إما أمن الجميع أو لا أمن لأحد ..
● لو رأيت الأعين الحاقدة لا أيقنت أن ما ننعم به من سلام ما هو إلا خيال .
● بات الزمن أثقل من الذنوب .

● ما أسهل الخيال خارج البيت .
● جدّنا من دنيا ، ونحن من دنيا أخرى .
● أنا عندي ما ليس عند أحد .
● أنت أطيب من صادفت في حياتي ، ولكنك أتعسهم جميعا ..
● الهرب أيسر على واحد منه على اثنين .
● الغضب يشتعل في الخارج كالنار .
● تجمد البصر وانقلب المستقبل ماضيا ..

● في حارتنا الاشاعة حقيقـة ، والحقيقة حكم ، والحكم هو الاعدام .
● لايبكي ميت على فقد بصره .
● لن تهلك مادمت تطيعني .
● تعود مثلي على مقت الآخرين لك .
● من يغدر منا بصاحبه فقد غدر بنفسه .
● لن أعود إلى سجنك ، ولن أفرط في راحة البال التي أجدها في هذه الحجرة .
● ما جدوى الشباب والحياة والموت يتبعنا كالظل .

● لايقهر الموت سوى الموت .
● إذا حسنت أحوال الناس قل شر الموت .
● هذا السجن لم يعد يمدني إلا بأفكار الموت .. الطرب .. والشراب والراقصات ليست إلا ألحان الموت .. أشم رائحة القبور في أصص الأزهار ..
● أما وقد مات فحق للميت الاحترام ..
● لاتخف .. الخوف لايمنع من الموت .. ولن تتاح (لك) لكم الحياة مادمتم تخافون الموت ..

قصة قصيرة

مدافعة

خيري شلبي

اخيرا بدا الشارع يتضح امامى بصورة شبه جلية ، فعرفت اننى يجب أن ادخل حارة ها هنا يقبع على ناصيتها دكان كبابجى، ما زال دائبا فيها اتحسر في بلاطها العريض المتصص من بعضه ناعما زلقا لحيط به الخابيد من مياه الغسل والمجارى والمطر القديم· البيت الذى اقصده مميز ، اذ هو جديد نوعا ، ويبارز عن كل البيوت بضلع انيق مزدوج يحمل فوقه ثلاث بلكونات ، البلكونة الاولى يحتلها رجل بلدياتى ، ليس يمت لى بأية صلة قربى ، لكنه يعرف ابى واهلى معرفة جيدة ، ويعرف اننى مغترب في هذه المدينة من اجل التعليم. وهو - كما يلوح لى كلما قابلته في البلد اثناء اجازة العيد - يحبني ويقدرني لانني اغترب من اجل التعليم متحديا الفقر الذي يعيشه ابى المعيون القلباز بحمل اخوتى الكثار، ودائما يوصيني بأن أزوره في منزله ، وقد وصفه لى حتى حفظته تماما ·

رأيت نفسي جالسا في داره · راح يستقبلني بحفاوة بالغة · احاط بي زوجه واولاده ، صاروا يدللوني ، يعزمون علي بالعشاء ، يظهرون امامي ذكاءهم وشطارتهم في المدرسة ، ويبرزون اطقم الاكواب التي اشتروها من السعودية حيث كان بلدياتي يعمل هناك اكثر من خمس سنوات تبع احد المقاولين ، ويقدمون لي مشروبات متعددة تثبت لي ان عندهم اكثر من خلاط للعصير · في الصالة المربعة ثلاث من الكنب البلدى وبعض كراسى منجدة من النوع المسمى بالاسيوطى · على الترابيزة - المصنوعة خصيصا - تليفزيون ملون مفتوح على التمثيلية · على الرف راديو كبير جدا مفتوح على ام كلثوم · على الكنبة جهاز تسجيل كبير ايضا مفتوح على



احمد عدوية !! ..

بدا لي انني احب هذه الاسرة رغم ذلك الصخب وهذه « الغلوشة » .. وبدا ايضا انني رغم ذلك غير مستريح في جلستي هذه مع كل ما يحيطونه بي من كرم واهتمام زائد كانما قد زارهم بالفعل النبي . شيء ما في اعماقي كان يمنعني من الانطلاق والاندماج الحقيقي . ذكريات البلدة اللطيفة التي راحت تحكيها الزوجة في ود وحلاوة، تذكرني بالبلدة وبها هي نفسها ايام كانت صبية حلوة فاتنة نتعشقها ونؤلف في حبها الاغاني والمواويل حتى هذه الذكريات الحبيبة رحت استقبلها بابتسامة شاحبة معلقة على شفتي اكسرها احيانا بضحكة جوفاء او بهزة راس غائب عن الوجدان . النكت العتقة التي اشتهرت في بلدتنا زمنا طويلا لكونها مشاهد حقيقية لناس من اهلنا ، والتي كان مجرد تذكرها يصيب المرء بهستيريا الضحك المتواصل الى ان توجعه بطنه وتعصر عيناه كل دموعها .. حتى هذه النكت رحت استقبلها هي الاخرى بضحك فاتر ولا اشارة في حكي جوانب منها

مدافعة



تزيد مكافحتها عمقا كما كان من المفروض ان يحدث . وكنت اشعر انني ربما كنت السبب في كل هذا الهياج الاسرى الصاخب اذ ان كل هذه الاصوات منطلقة للعمل على ارضاء مزاجي باى شكل ، صحيح ان فيها ما يخدم حبهم للاستعراض الفطرى ولكنني اشعر كما لو كنت سيد الموقف واذا مال مزاجي نحو صوت اسكت ما عداه من الاصوات ! ..

ثم بدا كانني اعرف سر هذا القلق الذى يعتريني مشوها هذا اللقاء الذى تم بعد الحاج ، محلقا اياى في فراغ كئيب مصرور ! ..
ثم بدا كان هذا السر ربما يكون رغبتي في ان انفرد بالرجل بلدياتي: فها انذا ـ بشكل خفي ـ اتحين الفرص واكاد ادبر تدبيرا للانفراد به لولا ان الاولاد يحيطونني تماما بود واحترام وعواطف بريئة ساخنة . شعور بالحرج المرير يكبلني فيما لو ظهر أمام الاولاد انني راغب في الانفراد بابيهم !هذا امر سوف يشغلهم لابد! وسوف يتزعجون منه لا محالة او يتساءلون ما الامر ؟! ..

ثم بدا لي ان الامر في غاية الفظاعة ، اذ انني في حقيقة الامر كما يلوح لي ـ كنت قد صادرت الخطة التى اتضح لي انني في حقيقة الامر جئت الى هذا المكان من اجل تنفيذها : وهى ان ارسم علامات الحزن والكدر على وجهي تمهيدا لان احكي عن شيء هام ضاع مني في زحام المدينة التى بلا خلق او ضمير ! زوادتي مثلا وفيها مصروف الاسابيع المقبلة ! كتب الدراسة واود شراء غيرها ! ازعم انني افكر في ارسال برقية الى البلد ابلغهم فيها بالخبر غير انني متخوف من شدة انزعاج « الجماعة » عند تلقيهم البرقية ولهذا فسوف ارجىء الامر مضطرا لحين السفر ! ازعم كذلك انني افكر في الاقتراض من صاحبة البيت الذى اسكن مع رفاقي حجرة فوق سطحه !! هدفي من كل هذه المزاعم ثقتي في ان بلدياتي تركبه النخوة فيعرض على قرضا حسنا ! يمد يده في جيبه العامر يغمزني ببضع جنيهات ادبر بها نفسي مؤقتا ، واحتنا خوات يا راجل اللسان يكب على القاضي مفيش داعي تقلق البلد ! .. وحينئذ رايتني مقبلا

على مطاعم المدينة بواجهاتها اللامعة ادخلها منتفخ الاوداج منغمسا بلذة فائقة فى رائحة الشواء الشهى التى تدير كيانى وتوقظ باعماقى جوعا ابديا لم اكن اعلم قبلا انه فى .. ثم رايتنى جالسا على رصيف احدى المقاهى التى لم اكن رأيت فى حلاوتها قط والجرسون ينحنى امامى واضعا صينية حافلة بالاكواب والاطباق .. ثم رأيتنى بين زملائى الطلبة فى حوش المدرسة امام « الكانتين » وانا فى مقدمتهم امسك طبقا من المهلبية بالكريمة كان السبب فى أن اضحك مثلهم واكتشف انهم جديرون بأن احبهم واصاحبهم هكذا !! ..

انبعث فى اذنى رنين ملعقة تدور فى كوب زجاجى ، وبدا انى قد عدت الى منزل بلدياتى من جديد ولكن فى حجرة اخرى بها سرير سفرى عليه فرش اشد كلاحة من بطانية مخلفات الجيش التى نتغطى بها انا ورفاقى فى غرفة السطح ، تذكرت ان هذه الحجرة التى نجلس فيها الان هى حجرته قبل الزواج . وكنت اشعر ان انفرادى به الان يعبر عن رغبة قديمة شديدة الاهمية بالنسبة لى غير اننى نسيت اذكرها الان على وجه التحديد !! .. ثم بدا اننى اشعر بالغثيان ، اكاد اتقيأ روحى ، افعل بعض حركات توحى باننى اتهيأ للانصراف مع اننى اشعر فى قرارة نفسى برغبة فى البقاء برهة لعلنى اكتشف سر حرصى الدفين على هذه الفرصة النادرة التى هى بين يدى الان . اشتد شعورى بالغثيان والمرارة الغامضة المبهمة . بدون مقدمات وجدتنى افرك يدى قائلا للرجل بلدياتى : ما يلزمش اى خدمة ؟! . فاذا هو قد نهض فى التو قائلا : شكرا يا حبيبى ما يلزمش انت ؟! . قلت بحماسة: مش عايز فلوس ولا حاجة ؟! اطلب ما يهمكش . تبسم الخبيث فى عبه قائلا : يعنى الحاله رايجه معاك ؟! . شعرت باستياء شديد من هذا التعريض المستتر خاصة ان لهجته فيها ايحاء ودى بأنه يأخذ عرضى هذا على نحو عكس مظهرا - بطريقة ملفوفة - استعداده لمساعدتى . تزايدت ضربات قلبى واشتد عنفها فاشتد ضيق انفاسى ، قلت دون نظر فى العواقب : طبعا رايجه والحمد لله اطلب وانا رقبتى جيب المؤمنين عمار !.. ثم ارتعدت مفاصلى حين رفع عينيه وسلطهما فى عينى بخبث شرير لكنه حميم مع ذلك ! خفت ان يتمادى فى العشم قائلا طب وربنى اللى معاك عشان اطمئن عليك ! قررت التعجيل بالانصراف ! .. ثم رايتنى اعدو راكضا فى شارع كئيب عليل الضوء عريض البلاطات الارضية تتخللها اخاويد مياه عطنة والارض زلقة والبيوت على الصفين المتقابلين كنمور متهالكة تترصد بعضها بعضا من تحت الجفون الساجية ، وصوت صديقى بلدياتى يلاحقنى من شرفة الدور الاول صائحا : بس خد اما اقول لك ! اسمع بس ماتبقاش عبيل ! وكان صوت ضحكاته الساخرة الصاعقة يجلجل فى اذنى فيما انزع نفسى من هذه الحارة الى افق عريض لا ادرى مداه لكنه رمادى مليء بالرياح العتيقة المتعاكسة المليئة بالضباب والتراب تكاد تقتلعنى من الارض ولم اكن اعرف الى اين ينبغى ان اسير ولكننى مع ذلك كنت اسير مدافعا دفع الرياح لى من جميع الاتجاهات !!

المائة الأعظم

نواصل في هذه الحلقة تقديم ثلاثة من مفكري الاسلام هم زرياب . وحافظ الشيرازي والبخاري .. ونلقي الضوء على دورهم البارز وماقدموه من فضل من خلال فكرهم وابداعاتهم التي تسهمت في بناء الحضارة الانسانية .

زرياب

توفي عام ٨٥٧ م

ركن من اركان الغنـــاء العربي بالاندلس، وصاحب اكبر تاثير في فنون الحياة الرغدة في اسبانيا ، وهو تاثير سرعان ما انتقل الى الاقطار الاوروبية الاخرى ، واقطار المشرق العربي .

لقب بزرياب لسواد لونه وفصاحة لسانة ، تشبيها له بطائر مغرد اسود هو الزرياب . وقد نشأ ببغـــداد ودرس الغناء على يـــد ابراهيم الموصلي ، ثم ابنه اسحاق ، وغنى لهـــارون الرشيد . فلما ظهر صيته وخشي اسحاق منافسته له ، عمل على ابعـــاده عن بغداد،فتوجه الى الاندلس حيث لقى من اميرها الاموي عبد الرحمن بن الحـــكم حفاوة كبيرة واقام معـــه بقصره في قرطبة .

وهو الى جانب اجادته للغناء والعزف ، كان شاعرا مطبوعا ، محيطا بالكثير من الفنون ، عارفا بأحوال الملوك وسير الخلفاء ونوادر العلماء ، واجتمعت فيه كافة صفات الندماء .

وهو اول من ادخل غناء المشارقة الى المغرب ومن اوائل من غنى الموشحات وقد كانت أوتار العود قبله أربعة فزادها الى خمسة . واخترع مضراب العود من

في التاريخ الإسلامي

بقلم: حسين أحمد أمين



قوادم النسر بعد أن كان يصنع من الخشب • واشتهر مذهبه فى التعليم ، فكان يبدأ بتعليم تلاميذه الايقاع لضبط حركات اللحن ، ثم الغناء على الايقاع دون ترسل ، ثم الغناء بايقاع وترجيع •

غير أن اسهامه فى الحضارة الانسانية كان فيما يعرف بفنون الحياة الرغدة:

لقد نتج عن غنى الاندلس ، ونشاط اهلها ، والتنوع الكبير فى محاصيلها الزراعية ومعادنها ، تكثير مباهج الحياة ونشأة صناعات عديدة لانتاج السلع الكمالية ، سواء لاستهلاك السوق المحلية أو للتصدير • ومن بين هذه السلع المنسوجات الفاخرة من الصوف والكتان والحرير ، وانواع الفراء المستخدمة فى تحلية الثياب ، والاوانى الخزفية كما اكتشف فى قرطبة فى اواخر حياة زرياب سر صناعة الكريستال • وكانت هناك وفرة من العمال المهرة فى انشاء المبانى وتجميلها ، وتحسين او اختراع الانواع المختلفة من الالات الموسيقية ، وفى العديد من ضروب الصناعات الجلدية المزركشة ومن بينها فن تجليد الكتب ، وفى صناعة الادوات الدقيقة من الحديد ، وصناعة الاوانى وتماثيل الحيوانات النحاسية والبرونزية بعد تطعيمها بالذهب والفضة ، وصياغة الحلى والمجوهرات ، ونحت العاج ونقش الخشب • وكلها فنون وصناعات سرعان ما اضحت قرطبة فيها منافسا قويا للدولة البيزنطية •

ولكى نستخدم كل هذه العناصر المختلفة وغيرها معا فى تشكيل نمط حقيقى للحياة الرغدة ، كان لابد أولا من خلق مستوى رفيع من الذوق لدى افراد الطبقة العليا من المجتمع • وقد كان هذا هو بالضبط الدور الرئيسى لزرياب خلال طوال حياته بالاندلس الحكم فى مجال الازياء والذوق بصفة عامة • وهو الذى حدد أسبقية تقديم المأكولات المختلفة فى الولائم ، بعد أن كانت صنوف الطعام تقدم للمدعوين أما مجتمعة أو دون ترتيب معين • وترتيب زرياب لها هو الذى نلتزم به نحن اليوم فى ولائمنا • كذلك فقد نشر فى الاندلس وصفات طهوية احضرها معه من المشرق وزاد عليها اختراعات من عنده • وكلها مما لم يكن لاوروبا به عهد • وقد بين للناس أن الاكواب الزجاجية الرشيقة يمكن أن تكون اكثر اناقة وانظف استخداما من كئوس الذهب والفضة ، فانتشر استخدامها من وقته حتى فى قصور الخلفاء والامراء والاثرياء • كما عنى بتصفيف شعر النساء وغيره من أساليب التجميل وتفنن فيها • وابتدع سنة سار الناس عليها بعده ، وهى ارتداء ملابس تختلف مادتها باختلاف فصول السنة •

كل هذا وغيره اضحى مقبولا وسائدا لدى افراد الطبقات العليا فى الاندلس غير أن زرياب كان يضع نصب عينه كذلك أن يمتد الاستمتاع باطايب العيش الى الطبقات الادنى ، وذلك بتركيزه على رفاهة الذوق والحاسة الجمالية والبساطة ، وتجنب التكاليف الباهظة ، أو الانفاق الذى لا يخدم غرضا جماليا •

حافظ الشيرازى

١٣٢٠ - ١٣٩٠ م

اعظم شعراء الفرس . لم يكن مجرد صانع ماهر للكلمات والصور ، ولا مجرد مبدع لقوالب جديدة فى الشعر ، وانما اودع هذه الاشكال والقوالب والكلمات معانى خالدة ، وفلسفة راقية حرية بالقبول فى اى زمان ومكان .. واذا كان حافظ يتحدث الينا بهذه النضارة فى القرن العشرين كما كان يتحدث الى الفرس فى خضم ازمات طاحنة مرت بها بلاده ، فلأن روحه سمت فوق الفساد المادى الذى ميز عصره ، ولانه وجد فى عبادة الجمال الخالص السبيل الوحيد الى فهم اللاعقلانية المتجلية فى مصير الانسان .

كانت فارس فى زمنه تموج بالثورات ، وشاهد بعينه قتل الملوك وتدمير المدن وسفك الدماء فى الحروب . غير انه كان ينظر الى هذه الاحداث بجلال روحى وكانما هى امواج صغيرة فى البحر المحيط ، وتركز بصره على وحدة الطبيعة ومعنى الكون وغايته . ومع ان فكره كان يثور من آن الى اخر فتستبد به العاطفة، فقد كان دوما يعود الى رصانته العقلية وطمانينة النفس وسط عالم مضطرب .

ولحافظ من الشهرة والتاثير فى الاداب الاوروبية ما لا يدانيه فيهما غير عمر الخيام من بين كافة شعراء العالم الاسلامى .

عرفته اوروبا فى القرن الثامن عشر ، وفتن به الانجليز والالمان والفرنسيون بالاخص ، واستلهمه شعراؤهم ، واصبح فى وعيهم مجسدا للروح الشرقية . وقد عنى الالمان به عناية لا تعدلها عنايتهم باى شاعر شرقى اخر ، وكان من بين شعرائهم وادبائهم من اقبل من اجله على دراسة اللغة الفارسية - غير ان اعظم من تاثر به ، وكتب على غرار شعره ، واستلهم روحه وافكاره ، هو الشاعر الكبير جوته


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فى مؤلفه « الديوان الشرقى للمؤلف الغربى » ٠

وقد انقسم الغربيون فى فهمهم وتفسيرهم لاشعار حافظ قسمين متنافرين الاول لا يريد ان يأخذ بظاهر اللفظ ، ويرى فى حافظ ـ كما فى الخيام ـ معنى صوفيا باطنا ، قائلا ان النعيم الذى يتحدث عنه ليس النعيم الارضى ، بل نعيم الجنة والعشق الذى يتغنى به هو العشق الالهى المعروف عند كبار الصوفية ، والخمر التى يكتب فيها هى المعرفة بالاسرار الربانية ٠ وكلها تأويلات ثار عليها الفريق الثانى وعلى رأسه جوته الذى اصر على تفسير حافظ كما يبدو من اقواله ٠ وقد

اعجب جوته بما فى شعر حافظ من معانى الاقبال على الملذات ، والتمتع بكل ما تأتى به اللحظة الحاضرة واللحظة الماضية فى اللحظة الحاضرة والسخرية من الزاهدين فى الدنيا ٠ فتراه يقول : ان شعره تفيض منه حيوية متدفقة فى غير اسراف ، سعيد حكيم ، يأخذ بحظه من متع الحياة ، وينفذ من بعيد الى طوايا الالوهية ٠ ومن الضرورى تعمق المعانى التى يوردها ، ولكن على أن نأخذ بما يقتضيه صريح لفظه ، ودون أن نلجأ الى التأويلات الخيالية التى تحيل الظاهر الى باطن ، وكل صريح الى رمز ٠

والاتجاه الغالب بين مستشرقى اليوم هو الى اعتبار حافظ جامعا للناحيتين معا : الحسية الدنيوية ، والصوفية الربانية ، والى هذا يعزى ما هو ملموس فى شعره من تناقض ٠ ولهذا الجمع بين النقيضين تفسيران : طبيعة الفرس انفسهم وطبيعة نظرتهم الى الوجود التى تسمح لان يكون الفرد منهم فى آن واحد مسلما تقيا ومتحررا غير مبال بما يمتنع ، ومتصوفا ظاهريا ٠ ثم ان الشعر الغنائى الدنيوى الذى نضج فى فارس فى القرن العاشر الميلادى والقرن الحادى عشر ، انضافت الى صوره صور من الشعر الشعبى الصوفى الذى ينقل لغة الحب الدنيوى الحسى الى العشق الالهى ٠ وقد اجتمع التياران فى شعر حافظ فاتسم بهما معا فى حرية فنية لاحد لها ، ومع تلاعب فذ سمح لكافة الامزجة أن ترى فيه ما تهوى أن ترى فيه ٠ أو على حد قول الشاعر الاديب المستشرق فريدريش ريكارت فى قصيدة له عن حافظ : « ان حافظا حين يبدو انه لا يتحدث الا عما هو غير حسى انما يتحدث عما هو حسى وحينما يبدو انه يتحدث عما هو حسى لا يتحدث الا عما هو غير حسى ٠ ان سره ليس بغير حسى ، لان حسيه غير حسى ! » ٠



● كلمة « نجمة » ومشكلتها ! ●

● ليست هذه الرسالة من قبيل الالحاح فى الجدل حول صحة استخدام كلمة "النجمة" للدلالة على الكوكب ، وجاء ردكم مستفيضا وكان من الواضح انكم لجأتم الى القياس والاجتهاد "لتصوتوا" فى صف الدكتورة نعمات احمد فؤاد ، وقد اثرت الانتظار حتى اقرا كلمة "المعجم الوسيط" فى هذا الأمر فلم تكن لدى نسخة منه وكان اعتمادى على المعجمات السابقة وفى مقدمتها "لسان العرب" والآن تيسر لى الاطلاع على ما جاء بالمعجم الوسيط عن "النجمة" بمعنى "الكوكب" : وهو :

ـ النجمة : واحدة نجم السماء "محدثة"

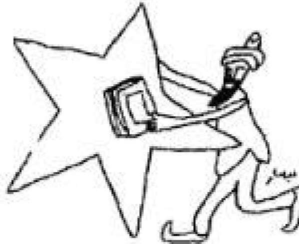
ومن هذا يتبين أن الكلمة ليست عربية فصيحة فاستخدامها للدلالة على الكوكب استخدام حديث ليس له جذور فى اللغة ، واثباتها فى "المعجم الوسيط" لا يعنى تعريبها وانما يعنى اثبات طور من أطوار استخدامها على السنة المحدثين ..

وانتم تعلمون ان اللغة فى الأصل سماع وما كتبتموه عن المعانى التى وردت "للنجمة" كنت أعرفه قبل الرد ولكن المسألة كانت محصورة فى سلامة إستخدامها للدلالة على الكوكب .

احمد قاسم احمد
مدير تعليم بالمعاش
قنا ـ شارع على بن ابى طالب

● تعليق

ـ الشعر الجاهلى وكلام الجاهلية كله ـ لو وصل الينا ـ لوجدنا فيه "النجمة" فقد كانت الجاهلية تستخدم الألفاظ مؤنثة ومذكرة على حسب المقام .. وانا لم ألجا الى القياس والاجتهاد فقط ، ولكنى ذهبت فى الاعتقاد بصحة كلمة "النجمة" مذهب الأستاذ مصطفى صادق الرافعى فقد كان يستعملها ..





● إسـتدراك ●

سقط سهوا إسم المهندس المعمارى الكبير " حسن فتحى " بإعتباره صاحب الكلمة التى بدا بها المقال المنشور فى العدد السابق بتاريخ ١٩٨٨/١٢/١ بعنوان " سحر الخيال فى الواحات البحرية " بقلم وداد حامد .

● هرم ميدوم .. والهلال ●



● ورد بعدد الهلال نوفمبر ١٩٨٨ موضوع (كيف تعيش مجلة شهرية مائة عام) ، لوحة فوتوغرافية لهرم ميدوم التليد بمركز الواسطى ـ محافظة بنى سويف ، والذى يرجع لعصر الأسرة الثالثة والذى يعد من روائع الآثار المصرية ، غير انه قد اشير اليه وطبقا للعبارات المدونة بأعلى الصورة على انه أحد آثار أمريكا اللاتينية ، وليس هذا صحيحا بطبيعة الحال فنرجو تصحيحه ، لأن كلا من الهرم المذكور ومؤسسة دار الهلال من الصروح العظيمة لمصر الخالدة والتى يأبى الانسان ان تغفل الذاكرة نسبتهما لمصر ، وننوه بهذه المناسبة ببالغ الامتنان بمنجزات دار الهلال لأجيال والتى تعد بمثابة جامعة عظيمة لنا نحن أبناء الشعب المصرى انتماء لكافة الأجيال وكافة العصور السابقة والاتية باذن الله .

احمد عبد الفتاح
مدير عام منطقة آثار غرب الدلتا
١٣ شارع الشهداء ـ الاسكندرية

● عالمية نجيب محفوظ والحركة الثقافية المصرية ●

● حينما نطل فى هذا العيد الأدبى الكبير لنجيب محفوظ ونحن نجوب شوارع الثقافة وندخل إلى أروقتها نجد جوا من التناقض بين هؤلاء الرواد المتفجرين بالابداع من أعماق الصمت والعزلة وبين .



الأساليب التى تحرك الحركة الثقافية على المستوى العام وبالتحديد على المستوى الرسمى . ان الصخب والضجيج يغلفان مواقعنا الثقافية بغلاف (رسمى) من التمييع والتسطيح ولا نبالغ ان قلنا انهما سيفان يئدان المواهب المتميزة فى مهدها ، بل ان المبدعين يطردون فى بعض المواقع ويتركونها حزنا ويأسا وقرفا لأن الجهاز المسمى بالثقافة الجماهيرية هو المسيطر على كل المرافق والأبنية الثقافية فى مصر وهو الذى يباشر كل الأنشطة الثقافية فى كل الأقاليم سواء فى الفنون أو الآداب ، وكيف يرعى هذا الجهاز موهبة رعاية صحيحة والذى يباشر العمل الثقافى فيه موظفون جاء بهم التنسيق الوظيفى للقوى العاملة ؟!!

كيف يرعى هذا الجهاز ندوة جادة فى مناخ يعج بالصياح والهتاف ويألف الموالد والأفراح التى تقام باسم الثقافة والأدب ويتصدرها دراويش الموالد ومتعهدو الحفلات ؟!!

نعم من حقنا جميعا أن نفرح بأديبنا الكبير ونحن نكرمه لكن لا يجب أن تكون صورتنا الحقيقية فى صورة دراويش الموالد ومتعهدى الأفراح .

وفى هذا المناخ العربى المزدهر بالتواصل الثقافى والفكرى تجىء أرفع جائزة للابداع العربى فى وقتها المناسب لتصدر من القاهرة عاصمة الثقافة العربية وباسم (نجيب محفوظ) لتكرم العطاء المتميز الذى يضيف الى رصيد هذه الأمة خاصة والانسانية عامة .

إن الأديب الكبير نجيب محفوظ ظل طوال حياته الأدبية يمارس نشاطا مركبا من العمل والابداع واللقاء بالأصدقاء من الأدباء والفنانين ومتابعة كتابات الأجيال الجديدة ورعاية ما يتاح له وتتيحه القدرة أن يرعاه وهو بهذا يواصل نفس النهج الخلاق الذى نهجه العقاد والحكيم .

ولذلك فتكريم (نجيب محفوظ) الحقيقى والذى يتمناه هو أن نقف على صيغة صحيحة مرنة ومنطلقة لمتابعة ومباشرة العمل الثقافى ورعاية المواهب حتى لو اقتضى ذلك الغاء هذا الجهاز المسمى بالثقافة الجماهيرية واعادة تهيئة المناخ التهيئة السليمة .

صبرى عبدالله قنديل
كفر الزيات

● كبرياء ●

سيبقى على الهجران . قلبى ويكبح
غراما به رغم النوى ليس يبرح

وينفر إقبالى وتقصيك مقلتى
ولن يستبينى ذا النداء الملوح

بزهر واطياب ورى ونشوة
وليل به الأقمار تزهو وتمرح

فكل الذى يسعى لنبعك ظامئا
بفوز له سعى وينجح مطمح

وكل شفاه تشتهى لثم زهرة
زهورك تسقيها الرحيق وتمنح

وتختال اذ تهفو العيون لحسنها
وتزهو بجمع المعجبين وتفرح

فأى جنان تلك مادام بابها
لكل مريد يبتغى الفىء يفتح

وهل انتهى يوما اليك واجنح
وشوقى الى مغناك بالكبر ينضح

ومثلى كطير يهجر الدوح إن راى
على غصنه قيثارة الغير تصدح

خطاى بدرب القيظ . ما كل عزمها
وكبرى قوى السير لا يترنح

وطيرى سيبقى عن رياضك نائيا
وان كان يهذى بالغرام ، ويفصح

احمد محمود مبارك
الاسكندرية

● بين الوهم والحقيقة ●

ياحبيب العمر ما بال الأمل
لاح مثل النجم حينا وافل

اترانا قد ضللنا دربنا
وانحدرنا فى سراديب الفشل

وسرينا خلف أطياف المنى
بينما الأطياف وهم للمقل

ياحبيب العمر دع عنك الأسى
فالأسى المكبوت مفتاح العلل

واحتمل ما اسطعت نيران الجوى
فبلوغ القصد ينسيك الكلل

واذا استعصى عليك المرتجى
ذات يوم لا تقل ضاع الأمل

هكذا الأقدار يقضى أمرها
فإذا الأقدار شاءت لا تسل

عبده محمد سلطان
أوسيم ـ الجيزة



• اريد الرحيل •



اريد الرحيل
لارض جديدة
ارض بعيدة
ارض ما ادركتها العيون
ولا دنستها ذنوب البشر
اريد التنقل بين الكواكب
فيوما اسافر بين النجوم
ويوما انام بحضن القمر
وحينا اغنى مثل الطيور
وحينا اظلل مثل الشجر
اريد الرحيل لأرض المحبة
لرض التسامح
ارض السلام لكل البشر

* * *

اريد الرحيل لارض الفضيلة
لان الحياة هنا مستحيلة
لان الرذيلة
ستقتل فينا الصفات النبيلة
وتحرق كل المعانى الجميلة
فيا ارض احملها مثل عمرى
وارحل عبر السنين الطويلة
اين الطريق المؤدى اليك ؟
وكيف الوصول ؟
واين الوسيلة ؟

عبدالعزيز جويدة
الجيزة

• برنارد شو حياته وإنتاجه •

● قرأنا فى تعليقات الصحف لمناسبة فوز الأديب الكبير نجيب محفوظ بجائزة نوبل ، أن بعض أدباء أوربا قد رفضوا هذه الجائزة ، ومن بينهم الكاتب الانجليزى برنارد شو ، فلماذا رفضها ، وما هو انتاجه الأدبى الذى استحق عليه هذه الجائزة الكبيرة ؟! .

عبدالوهاب شعبان عبدالواحد
أسيوط ـ الحمرا

تعليق :

ـ جورج برنارد شو كان يكتب بالانجليزية ولكنه ايرلندى الأصل والمولد .. عاش اربعة وتسعين عاما (١٨٥٦ ـ ١٩٥٠) واكثر انتاجه مسرحيات (٤٧ مسرحية) بعضها مترجم الى العربية . وله كتابات كثيرة في الموسيقي والأدب والسياسة وغيرها . واسلوبه من ابرع الأساليب .. وفى سنة ١٩٢٥ منح جائزة نوبل فى الأدب فلم يقبلها لأنه كان قد اغتنى بالمال ولم يعد فى حاجة إليها من هذه الناحية ولا من الناحية الأدبية لأنه كان اشهر من نوبل وجائزته . وقد شبهها بأنها كطوق النجاة الذى يقذف للغريق بعد نجاته من الغرق .

• رسالة من كاتب قصة •

● الاستاذ المحرر بالمجلة ـ جاء فى عدد نوفمبر ٨٨ تعليق على القصة القصيرة التى من "تأليفى" قصة العربة الطائشة و"هذا" القصة صحيحة فكيف تكتب "نقد" لها لقد قام "بقرائتها" استاذ كبير فى اللغة العربية قال انها ممتازة جدا

"ولماء" قرأت التعليق اندهشت جدا .

اننى كنت أريد ان تنشروها فى المجلة بدون اى اجر "ومكافأة" وعلى "العموم" "انتوا" كده تحطمون الادباء وهذا كان له ضرر "نفسيا" على اعصابى التى صارت بمجرد ان قرأت النقد "وهذا" قصة كانت "ليست لها اى مثل" فى قوتها التى يتحدى اى انسان يكتب "ذى هذا القصة" وأنا غاضب جدا "وارجوا" ان تنشر القصة بدون نقد لأن "هذا النقد" جعل زملائى المدرسين يأخذون هذه "الخطاه" وصاروا يتحدثون "بهذا القصة" وأنا رغم أننى مدرس فاننى اكتب "قصص وروايات" من ٢٠ سنة ولم يحدث



ان غلطت فى اى كتابة اكتبها لذلك ارجو "ان تهتمون" بالموضوع "وتنشرون" هذه القصة الصحيحة واكون "صريح" معكم لأننى لا تفوتنى "قراء" المجلة "رغم وحيث وكل ما من نشر الا فى انه جيدا"
واخيرا أنا فى شدة الزعل منكم فلا "تخصرون" "كاتب كويس زى انا"
القصاص : خيرى السيد ابراهيم
طما ـ مدرسة نجع عزوز ابوبكر الابتدائية بسوهاج

● تعليق

ـ فى رسالتك هذه اكثر من ثلاثين غلطة نحوية ولغوية وإملائية وضعنا لك بعضها بين اقواس ، فضلا عن العامية فى التعبير التى تبلغ حد "الامية" تقريبا ، فبالله عليك هل أنت فعلا مدرس بمدرسة ابتدائية فى سوهاج ؟! .. اذا كنت كذلك فعلا ، فكيف يتعلم التلاميذ المساكين على يديك القراءة والكتابة وانت تحتاج الى من يعلمك إياهما ؟! .. إننى انصحك ياعزيزى ان تحاول استكمال معرفتك بالقراءة والكتابة قبل ان تكتب "هذا القصة" على حد تعبيرك الذى يبعث على الضحك ، وشر البلية ما يضحك .. وياوزير التربية والتعليم .. هل عندك نبا بامثال هذا المدرس ؟! .. وعفاء على اللغة العربية ! ..

● مع الأصدقاء ●

● وائل وجدى ـ الجيزة ـ ٢٥ شارع بابل ـ الدقى :
ـ أقصوصتك التى أرسلتها الينا بعنوان "أمل" هى احدى أقاصيص مجموعتك التى نشرتها سنة ١٩٨٥ كما تقول فى رسالتك ، ولهذا لا نستطيع نشرها مرة أخرى ..

● أحمد السيد محمد موسى ـ طالب بمدرسة شبين القناطر الثانوية :
ـ سطورك التى ارسلتها الينا بعنوان "احساس" ليست شعرا لأنها خالية من الوزن ، ولكنك مازلت صغير السن ، ولعلك لم تتعد السابعة عشرة من عمرك ، فالأيام متسعة لك لتتعرف على الأوزان واللغة وكل ما يلزمك لكتابة الشعر .. أما سطورك هذه فهى "سجع" وليست شعرا .. اجتهد لتنجح فى

الثانوية العامة ان شاء الله .

● مصطفى هاشم الشوربجي ..

ـ لم تخبرنا عن عنوانك .. قصيدتك عنوانها "جائزة نوبل ونجيب" وليس فيها عن نجيب وجائزته الا ثلاثة أبيات من بين سبعة عشر بيتا لا شأن لها بموضوع الجائزة ..

● عبدالعزيز الشراكي ـ كلية التربية بالمنصورة :

ـ اجتهادكم فى الشعر والنثر يوجب تشجيعكم والشكر لكم ، ولكنا نرى أنك مازلت فى بداية طريق الشعر وطريق النثر ، فحاول الاتقان قبل ان تطرق أبواب النشر ..

● عبده محمد سلطان ـ صقيل ـ اوسيم ـ جيزة :

ـ أبياتكم التى عنوانها "الداء والدواء" تدل على أنكم قطعتم شوطا فى الشعر ، ولكن الوزن فى قولكم "ياأهل مصر ازرعوا وشيدوا فيها" .. غير موزون ، ولو قلت : "ياأهل مصر ازرعوا أو شيدوا فيها" لاستقام لك هذا الشطر فى بحر "البسيط" الذى منه قصيدتك هذه .. فأنت تعلم أن سقوط حرف واحد من التفعيلة يكسرها .. وقد جمعت كلمة "داء" فصيرتها "داءات" .. والصواب "ادواء" ..

● سيد أحمد عبيد ـ نجع حمادى :

ـ إنك ياعزيزى تحتاج الى الصبر ، فعنوان قصيدتك "اوريد البقاء" والصواب "أريد" .. وتقول فى قصيدتك "تصلقت" والصواب "تسلقت" .. وتقول : "إنى ابغ البقاء" .. والصواب "أبغى" .. وتقول : "أأتصر على البقاء ؟" ولا ندرى كيف جئت بهمزتين للاستفهام هنا ؟! .. الصواب : "اتصر ؟" .. ويشفع لك انك ناشىء وأن هذا الكلام هو اول كلام لك فى الشعر .. والطريق يبدأ بأن تتعلم اللغة العربية ، نحوها وصرفها وعروضها واملاءها ، ثم تكتب بعد ذلك ما شئت !

● ونزجي الشكر والتحية الى اصدقائنا : رضا ابراهيم عبدالمعطي .. أبو بكر محمد محمد حسانين .. جمال عطا أحمد .. عبدالناصر عبدالرحيم احمد .. رفعت محمد بروبي .. رهام صلاح الدين حسن وهدان .. محمد سعيد رشاد . محمد ابراهيم الفرحاتي .. اشرف محمد أبوالعز .. اسامة عبدالمنعم أحمد .. يوسف عبدالعزيز .. عاصم فريد البرقوقي .. رفعت عبدالوهاب المرصفي .. سعيد محمد كامل سراج الدين .. محمد الطاهر محمود .. حمدى جنيدى عبدالقوى .. ابراهيم حلمي .. عكاشة فهيم غازى .. عبدالرحيم الماسخ .. عبدالعزيز بيومى على .. أحمد عامر .. محمد صلاح الدين هلال .

الكلمة الأخيرة

لم يبدع جرجي زيدان في عمل بقدر ماأبدع في عمل مجلة ثقافية كمجلة الهلال ، فهي كانت النواة وجوهرة دار الهلال التي وصل عمرها الآن إلى نحو مائة سنة . وجاء إبداعه هذا ليحقق القول المأثور .. لايصح إلاالصحيح ، ولايبقى إلا الأصح ، لانه انتقى من الأدب دروه الأدبية ، وجعله قبلة محبي الأدب جميعا بحيث أن كل العالم العربي ، لم يكن يتردد شهريا عن شرائه ، أولى المجلات العربية كلها وليستقى منها المعرفة ، ويعتمد عليها اعتمادا كليا كمرجع أدبي لا يباري .

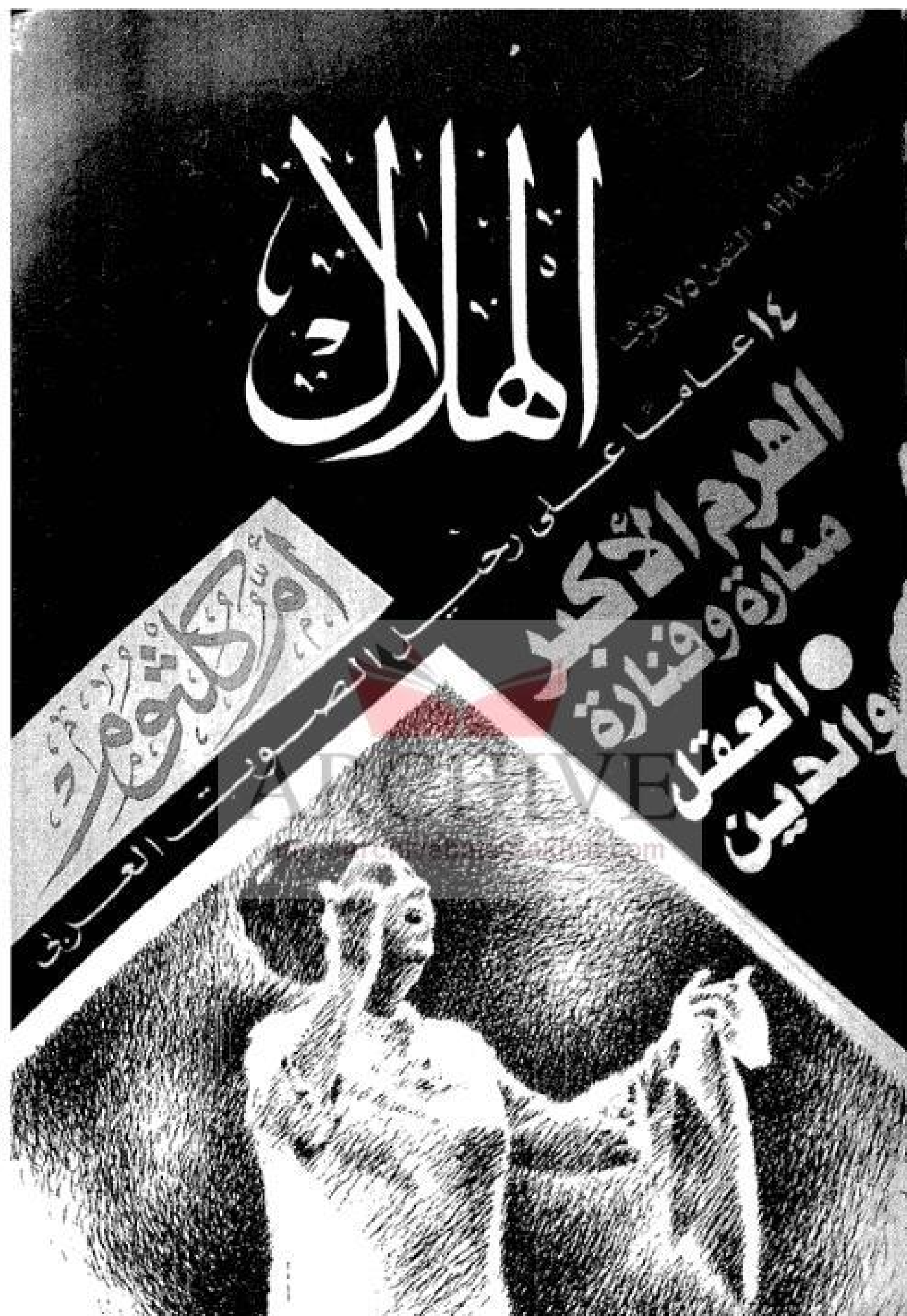
كانت "الهلال" هي الأصل في بناء هذه الدار الكبرى ، ولكن الظروف الخارجة عن إرادتنا سياسيا واقتصاديا التي بدأت تتأثر بها بلادنا ، حالت بين القارىء العربي الملهوف على قراءة "الهلال" فضلا عن أنه عجز عن أن يجدها بنفس المستوى العظيم الذي أعتاد عليه .

ثم كانت الظروف السياسية التي باعدت بين صحافتنا وقرائها في العالم العربي كله ، عاملا من عوامل الإساءة إلى القارىء العربي الذي اعتاد على استقاء المعرفة من مجلة الهلال .

ونحمدالله ان كل هذه الظروف التي مرت ب "الهلال" قد أخذت في طريقها إلى الزوال ، ولسوف يظهر "الهلال" مرة أخرى في ثوبه الثقافي المتميز ، وسيجد فيه إخواننا العرب أينما كانوا المرجع والسند الأدبي العربي بكل جواهره وإبداعاته .. إنها الهدية التي نتقدم بها للشعب العربي مع بداية هذا العام المبارك بإذن الله .

أمينة السعيد




الهلال
١٤ عاماً على رحيل الصوت العربي
أم كلثوم
الهرم الأكبر منارة وفنارة
العقل والدين

شخصية عربية



● بريشة : الفنان محمد ابوطالب

الدكتور محمد صلاح الدين

لاتنسى مصر، ابناءها المخلصين ..
والدكتور محمد صلاح الدين واحد منهم ، كانت حياته صورة مشرقة للمناضل الوطنى ، ساهم فى بناء وزارة الخارجية المصرية كمؤسسة وطنية عندما تولى وزارة الخارجية كوكيل للوزارة ثم وزيرا للخارجية فى فبراير ١٩٥٠ ، فى مرحلة دقيقة ، اعلن خلالها حياد مصر فى الحرب الكورية ، واصر على رفض الاحلاف الغربية .
واذا كانت ثورة ٢٣ يوليو قد قامت بعد عجز الحياة السياسية وفشل الاحزاب السياسية القديمة ، فانه يبقى بعض الرموز ومنها صلاح الدين الذى دافع حتى اللحظة الاخيرة عن كل القيم الوطنية واذا كان قد وقع صدام اقدار بين الثورة والقوى السياسية القديمة ، فقد بقى صلاح الدين يتمتع بتقدير خاص من قائد الثورة جمال عبدالناصر ، كما جاء فى مذكرات ابراهيم طلعت .

اقرا مقال د . محمد صلاح الدين ص ١١٠

السنة السادسة والتسعون . فبراير ١٩٨٩ . جمادى الآخرة ١٤٠٩ هـ

الهلال

مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجي زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

في هذا العدد



الغلاف
تصميم الفنان :
محمد أبو طالب

فكر وثقافة

دائرة الحوار

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحادى البريد العربي والافريقي والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى . وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية . وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة بعاليه عند الطلب .

جولة المعارض

فنون



قصة وشعر

الأبواب الثابتة

دار الهلال

١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨١
رقم التلكس : 92703 Hilal U.N

الثمن

سوريا ٤٠ ليرة . لبنان ٥٥٠ ليرة . الاردن ٥٠٠ فلس . الكويت ٤٠٠ فلس . العراق ٣٥٠٠ فلس . السعودية ٥ ريالات . عدن ١٢٥ سنتا . البحرين ٨٠٠ فلس . الدوحة ٦ ريالات . دبى ٦ دراهم . لوس انجلوس ٤٠٠ سنت . ابوظبى ٦ دراهم . مسقط ٦٠٠ بيسه . تونس ١٤٠٠ مليم . المغرب ١٥ درهما . غزة والضفة ٧٥ سنتا . داكار ٦٠٠ فرنك . لندن ١٢٥ بنسا . ايطاليا ٢٥٠٠ ليرة . نيويورك ٤٠٠ سنت . اليمن الشمالية ٦ ريالات . كندا ٥ دولارات

عزيزى القارىء

الحضارة قديمًا

مصر - كما اعتدنا ان نقول - امة تبحث عن المستقبل ، أى تبحث عن الانعتاق من التخلف الذى يتمثل فى حاضرها المربوط الى عجلة الماضى السحيق فى كثير من مقومات حياتها المادية والفكرية .. وقد تضخم حجم التخلف فصار كالنير الثقيل على ظهرها ، ترزح تحته ، ويحاول بعض عقلائها ان يجدوا لمشكلتها معه حلا يتفق والعقل والعلم فى عصر لا اعتماد فيه الا على العقول والعلوم .. ولكن فريقا اخر ينظرون الى وراء ويرفعون اكف الضراعة الى السحب السارية فى الجواء أن تمطر عليهم المن والسلوى ! ..

منذ خمسة الاف سنة شيدت مصر الهرم الأكبر ، بحثا عن المستقبل وتوطيدا للمجتمع المصرى الذى كان يبنى نهضته الزراعية الكبرى على ضفاف النيل وعلى اطراف الصحراء . ولم تكن الأهرام مجرد مقبرة للفراعين كما توهم المؤرخ الاغريقى هيرودوت منذ أربعة وعشرين قرنا ونسج على منواله فى هذا الوهم جميع المؤرخين وقارئى التاريخ حتى اليوم ، فانقلب الوهم على مر السنين كانه حقيقة

عزيزى القارىء

فى هذا العدد من "الهلال" تجد نقضا دامغا لهذا الوهم القديم الذى تناقلته الدهور كالحقيقة المسلم بها من الجميع ، فالاهرام - كما سترى - انما بنيت فى الاصل لتجمع للمصريين القدماء بين فوائد الفنار والبوصلة والمرصد والخريطة الجغرافية ومقياس الارتفاعات والنتيجة أو "الروزنامة" السنوية وبيان مسارات الشمس والقمر والكواكب .. وتضمنت تقويم مجرى النيل وضبط الجهات الأصلية عند فيضان النيل ، وشق الترع واقامة الجسور وحرث الأرض فى ذلك العصر الذى شهد فى مصر منذ خمسين قرنا اول "انقلاب زراعى" شامل ، سبقت به مصر العالم كله وتركته وراءها يجمع غذاءه من الغابات والمراعى ..

تقرأ ذلك كله فى مقالة ذكية المنطق جاءت فى وقتها لتنبهنا الى ان الهرم كان مشروعا زراعيا علميا رائدا جبارا ، اسهم فى صنع مصر التى عرفها العالم كله كاول وطن للانسان المتحضر ..

كانت العلوم التى تراكمت فى عقول المصريين القدماء فى عصر بناة الأهرام ثورة بعيدة الأثر ، اتاحت لهم ان ينفردوا بمعجزة الأهرام .. وقامت حضارتهم الفذة على ثورة معلومات رائعة لم تتح لغيرهم فى حينها فتفوقوا بها وسبقوا العالم أجمع .. والان .. بعد خمسة الاف سنة من بناء الأهرام ، تقف مصر مشدوهة حيال ثورة

وتحدينا : ثورة المعلومات

المعلومات ، تحاول أن تلحق بأذيال الحضارة الأكثر جدة وتقدما التي يوشك المتقدمون في عالمنا الحاضر أن يؤسسوها ويغلقوا أبوابها في وجوه المتخلفين ! ..

ومن عجب أن الذين كانوا أصحاب أول انقلاب زراعي في العالم قد فاتهم الانقلاب الصناعي الأول ثم فاتتهم الوثبات التكنولوجية الهائلة .. وها هم أولاء قاعدون مع الخالفين من الأمم الفقيرة اللاهثة ، بينما تشتد الأمم المتقدمة ركضا للدخول من باب حضارة المعلومات ! ..

إن ماضينا لا يمسك بتلابيبنا لنقف عنده ، ولكنه يطلق أيدينا وسيقاننا للريح لكي نعدو لاحقين بالمستقبل ، فان ماضينا كان أول خطوة للبشرية نحو المستقبل الممتد بلا نهاية ، وكانت الأهرام بناء حضاريا يرمز بخلوده الى هذا المستقبل المفتوح قبل أن يتخذ الفراعين ركنا صغيرا في داخلها مدفنا لرفاتهم الراقدة في انتظار يوم النشور ..

عزيزي القارىء

إن غلاف هذا العدد من "الهلال" هو رمز لماضينا ومستقبلنا .. فالهرم - كما ستقرأ - كان مشروع الحضارة المصرية الأولى .. ومن قمته - على الغلاف - تطل ملامح صوت مصري عظيم غاب شخصه منذ أربعة عشر عاما ، ولكن هذا الصوت العظيم - صوت أم كلثوم - لم يتبدد في الفضاء ، بل تجمعت نبراته أنغاما تحدو ركب المصريين في تحركهم إلى المستقبل .

واذا لم نتفهم مغزى الهرم ، ولم نتحرك على صوت أم كلثوم الصادح من قمة الهرم ، صرنا كهضبة الهرم التي اندثرت محاسنها التالدة ، واغرقت في الجمود ، حتى اوشكت الا تدور مع دوران الأرض ، أو كما قال شوقي أمير الشعراء :

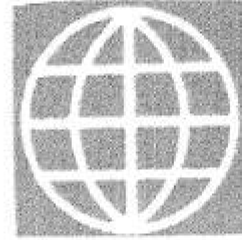
تكاد لإغراقها في الجمود   اذا الأرضُ دارتْ بها لم تَدُرْ

عزيزي القارىء ..

نشكر لك تعضيدك الدائم لنا وقد تلقينا آراءك المتعلقة بالأعداد الماضية ، واغتبطنا باستقبالك الحميم لهلال رأس السنة الجديدة (يناير ١٩٨٩) .. واقنعتنا حفاوتك أنه كان العدد المناسب في الوقت المناسب ، واذا كانت عنايتك قد التفتت الى التجديدات فيه ، فنرجو أن يكون التجديد في الأعداد القادمة تعزيزا للوشائج الوثيقة بينك - عزيزي القارىء - وبين مجلتك التي لم تنقطع وشائجها قط مع أجيال القراء منذ سبعة وتسعين عاما ، وستبقى موصولة إن شاء الله على مر السنين .

وما أكثر الكلمات التي يمكن أن تقال في هذا المقام ، ولكن ما أضيق ما يتيحه لنا المجال .. فإلى اللقاء ! ..

المحرر



العالم في سطور

حصاد العام في العالم

في الأيام الأخيرة من كل عام ترشح الجرائد والمجلات العالمية للقارىء احسن اعمال المبدعين التي كاد النقاد ان يجمعوا على الرضا عنها والاعجاب بها .

واهم الاعمال التي ظفرت بهذا الرضا ، وبهذا الاعجاب في غير مشقة خلال العام الماضي لعلها في عالم الكتاب غير الروائي .

"صعود وسقوط القوى العظمى" الذي قدم في مجلة الهلال على ثلاث حلقات وفيه يعرض صاحبه "بول كندي" لنظرية النسبية التاريخية ، ويبين من خلالها ما تواجهه الولايات المتحدة من تحديات في المستقبل مردها ليس فقدان القوة ، وانما ازدياد منافسيها قوة .

وفي عالم الكتاب الروائي تقف قصة "الحب في زمن الكوليرا" في الصدارة لا تنافسها في هذه المنزلة قصة أخرى .

ولا غرابة في هذا فصاحبها الأديب الكولومبي "جابريل جارسيا ماركيز" الحائز على جائزة نوبل .

وخلفية احداث القصة مدينة خيالية في امريكا الجنوبية باتت واقعية بفضل سحر بيان ماركيز .

فاذا ما انتقلنا الى عالم الموسيقى والرقص ، وجدنا ان "بيتهوفن" في المقدمة بفضل تسجيل سيمفونيتيه الأولى والسادسة ؛ الجديد فيه أن الفرقة التي عزفت السيمفونيتين بقيادة المايسترو الانجليزي "روجير فورينجتون" قد راعت في عزفها ان يكون على الات مطابقة للالات التي كان يعزف بها في زمن إبداع تلك السيمفونيتين اي منذ مائة وسبعين عاما او يزيد ، ولوجدنا ان اوبرا "البوهيمية" لبوتشيني قد احتلت مركزا مرموقا بفضل المخرج الايطالي "لويجي كومنشيني" الذي استطاع ان يترجمها إلى عمل سينمائي أوبرالي من الدرجة الأولى .

ومن عجب أن التي مثلت وغنت دور "ميمي" مطربة "سوبرانو" سوداء

اما في الرقص فقد كان التميز من حظ فرقة باليه لينتجراد "كيروف" عندما رقصت "بحيرة البجع" لتشايكوفسكي في لندن اثناء موسم الشتاء .

وفي دنيا المسرح التقليدي كانت مسرحيتا "اليكترا" و"الملك لير" فرسي رهان في الصراع من اجل المركز الاول .

وماساة "سوفوكليس" تعرض لمحنة "اليكترا" (فيناشو) مع امها "كلوتمنسترا" قاتلة ابيها "اجاممنون" بالاشتراك مع عشيقها "اجيستوس" .

سلام بومباي



وهى تعرض لها من زاوية انها لم تتحرك لقتل امها انتقاما لابيها من منطلق العدالة الإلهية ، وإنما من منطلق آخر هو الكراهية المرضية .

إن "إليكترا" وفق رؤية "ديبورا وارنر" مخرجة المسرحية ونجم فرقة شكسبير الملكية الصاعد ليست الا صورة نسائية لهاملت .. امراة استحوذت عليها فكرة الانتقام .

اما مسرحية شكسبير التى اخرجها "روبين فيليس" ومثلها "ويليم هت" ، فتعيد تفسير شخصية الملك لير وهو حسب تفسيرها عبارة عن ملك مخرف سلطاته آخذة فى التقلص والاضمحلال ، وبناته بنظامهن وقسوتهن التى لا تلين انما يمثلن المنطق والصحوة فى مواجهة خرف الشيخوخة .

ولو انتقلنا الى المسرح غير التقليدى ، فقد يهم القارىء ان يعرف ان "معجزة الحب" للمخرجة الامريكية "مارتا كلارك" هى المسرحية التى احدثت اكبر ضجة فى مهرجان "سبلويتو" بايطاليا .

وهى عبارة عن لوحات سيريالية مدهشة يتحرك داخلها مهرجون وجوقات وعرايا ، تنطلق منها اغانى طيور وصور ولفت بحيث تقول الشىء الكثير عن الحب والعنف .

وهنا قد يكون من المناسب ان اشير الى اجماع النقاد على الاعجاب بأداء "فينسيا ريد جريف" لدور ليدى "تورنس" فى مسرحية "اورفيوس يهبط الى الجحيم" لصاحبها الاديب الامريكى "تينيسى ويليمز" ؛ وذلك رغم مواقفها المؤيدة لحق شعب فلسطين فى وطن على ارض فلسطين .

وان اشير كذلك الى حماس نفس النقاد لأداء "فيوناشو" لدور "اليكترا" وهو حماس وصل الى حد ترشيحها لوراثة عرش المسرح الانجليزى فى زمن قريب .

كان من العسير على النقاد اختيار احسن فيلم من بين الآف الافلام التى انتجت للشاشتين الكبيرة والصغيرة على مدار العام فى مختلف انحاء العالم .

وعلى كل ، فالذى لفت نظر النقاد هو السينما الدنمركية بفيلميها "وليمة بابيت" و"الغازى بيلى" اللذين احدثا دويا كبيرا .

والاول للمخرج الدنمركى "جابرئيل اكسل" عن قصة للاديبة الدنمركية "ايزاك دينيس" وقد فاز بجائزة اوسكار لاحسن فيلم اجنبى .

اما الفيلم الثانى فللمخرج الدنمركى "بيل اوجوست" عن قصة للأديب الدنمركى "مارتين اندرسن نكسو" من اربعة اجزاء ، وقد توج بجائزة كان الكبرى "السعفة الذهبية" لعام ١٩٨٨ .

وفيه يحكى المخرج "اوجوست" ببساطة اسرة قصة اب "لاس" (ماكس فون سيدو) وابنه الصغير ابان النصف الاخير من القرن التاسع عشر .

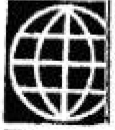
انهما هاربان من الفقر فى السويد الى الدنمرك حيث يعملان فى مزرعة تعد بحق رمزا مصغرا للعالم ، رمزا لعدن بعد السقوط .

ولعل "ماكس فون سيدو" ـ وهو ممثل سويدى ـ بفضل ادائه لدور الأب : لعله احسن ممثلى العام .

وليس من شك ان افضل عمل سينمائى اول هو الفيلم الهندى "سلام بومباى" للمخرجة الهندية الشابة "ميرانايير"

ومحوره الصغير "كريشنا" واسم شهرته "شايبو" (شيال الشاى والخبز فى اللغة الهندية)

وما يتعرض له ـ هو ورفاقه اولاد الشوارع ـ فى ازقة وحوارى فيلم بومباى .



العالم في سطور

أنتيب بفرنسا

جائزة نوبل على جثتي

"الضابط والعدو" عنوان احدث رواية نشرها الكاتب البريطاني المعروف جرهام جرين في الشهور الأخيرة. وكعادته، فمع كل رواية جديدة تثور عدة تساؤلات عن الكاتب وعطائه وما يمكن ان يقدمه في ابداعه الجديد.. فجرين كتب الرواية والأقصوصة والمسرحية والنقد السينمائي والسيناريو كما كتب للاطفال. واثار حوله من الغموض حين كتب عن تجربته كعميل سرى بريطاني.

وقد استغلت مجلة "لير" هذه المناسبة وراحت تطرح على الكاتب العديد من الأسئلة حول زمن اعتزال الكاتب وعن دور الكاتب في كتابة سيرته الذاتية. وعن علاقته بجائزة نوبل.

قال الكاتب أن روايته الاخيرة تدور حول الحرب.. وسؤال بطله الدائم عن طيبة قلب الاعداء.. فهل الاعداء دائما اشرار. ام انهم يتمتعون مثله بطيبة قلب.. ويرى جرين ان عنوان الرواية مستمد من عبارة كتبها مؤلف انجليزى مغمور يدعى جورج بومنجهام. وهو اكثر كتاب القرن العشرين سخرية..

ويرى جرهام جرين - ٨٤ سنة - انه لا يوجد سن معين لانسحاب الكاتب من عالم العطاء. فقد تصور عندما نشر روايته "موسم الامطار" عام ١٩٦٠ انها ستكون آخر رواياته.. ولكنه سيظل يعمل ولا يزال حتى الآن..

وقد استفاد جرين من احلامه التى يراها. فيروح دوماً يفسرها ثم يحولها الى قصص ويقول ان السن قد يجيء ضد الكاتب فى شيء واحد. هو قدرته على القراءة والتحصيل.. ويعترف انه قد كسب الكثير من الأدب فاشترى بيوتاً فى مدن عديدة اختارها للاقامة فيها مع اسرته فى كابرى.



جرهام جرين

وباريس، ولندن وانتيب بفرنسا. وقال ان اسوا رواياته، فى نظره، هى التى جلبت له الاموال الكثيرة..

وعن سؤال حول جائزة نوبل قال انها اشبه باليانصيب. يتم دائما اختيار اسم واحد من بين مئات المرشحين. وقال: انا لا اعتمد على كسب اليانصيب. اذا حصلت على جائزة نوبل. فاؤكد ان هذا سيسبب لى السعادة. وسيوفر لى الكثير من النقود، التى علىّ ان افرغ وقتى كى اجد وسيلة لصرفها..

ويؤكد جرين انه لن يحصل ابداً على جائزة نوبل ليس لأنه مشهور. ولكن لأن احد اعضاء لجنة منح الجائزة قد صرح يوما: لن يفوز جرهام جرين بالجائزة الا على جثتي.

مونتريال القاهرة

كل المخلوقات.. من نسل ادم

فوجئت بها فى مكتب اديبنا الكبير نجيب محفوظ.. جلست تنتظر لقاءه فى احدى الصالات بجريدة الأهرام. لا احد

يعرفها .. قالت انها كاتبة من كندا .. وليس اكثر .. اقتربت منها وسالتها "السيدة انطونين مايية" .. بكل تواضع ردت : اجل ..

انطونين مايية فى القاهرة دون ان يحس بها احد .. اهم كاتبة فى كندا . جاءت مع وفد سياحى لقضاء عطلة راس السنة ورحلت ..

تعمدنا نكتب هذه السطور لنكشف مدى علاقتنا بمدى ما يحدث فى العالم .. فانطونين مايية قد نالت جائزة جونكور عام ١٩٧٩ عن روايتها "بيلاجى لاشاريت" . كما رشحت لنفس الجائزة قبل ذلك بعامين .. ولولا المصادفة وحدها ما احسسنا بوجودها .. وقد جاءت لزيارتنا ، فى فوج سياحى ضم عشرات الأدباء دون ان نحس بهم .

ومايية ، ٥٥ عاماً ، هى احدى الكاتبات الكنديات اللائى يكتبن مباشرة باللغة الفرنسية وهى مهتمة بتاريخ اجدادها من الذين هاجروا الى كندا وصنعوا حضارة وتاريخاً فى القرن السادس عشر .. وحول هذه الفترة قدمت روايتها "بيلاجى لاشاريت" . حول امراة اشترت عربة ظلت تشترك بها فى الحروب الاهلية عشر سنوات الى جوار قائد آمنت به واحبته .. لقد ادخرت ثمن هذه العربة سنوات طويلة .. وحاربت ايضا طوال سنوات .. وفى النهاية ماتت بجوار عربتها دون ان تحقق لنفسها شيئا ..

اما احدث رواية قدمتها الكاتبة فهى "اليوم الثامن" حول ماذا حدث فى الكون فى اليوم الثامن لخلق العالم .. لقد انجب ادم وحواء مجموعة من الابناء .. راح كل منهم يقطع فى الارض مسافات حتى استقر فى منطقة ما .. فراح يعمر فيها ويعيش وينجب الأولاد .. وترى مايية ان كل مخلوقات العالم من حيوانات واسماك قد جاءوا من ضلع ادم وانها خرجت معه من الجنة من اجل تعمير الأرض .

اهم ما فى زيارة مايية للقاهرة .. اننا اكتشفنا ان الشارع الضخم الذى تقيم فيه بمدينة مونتريال الكندية يسمى "شارع انطونين مايية" منذ عدة سنوات .. لفتة نحب ان ننقلها الى من لا يهمهم الامر ..

لـنـدن

تولستوى . السماء . الوطن . النساء



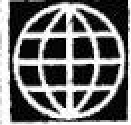
تولستوى

ما اكثر الكتب التى الفت فى حق تولستوى وسيرته . وهاهو ذا "ا . ن . ويلسون" الاديب البريطانى المتخصص فى كتابة القصص الكوميدية . هاهو يتصدى لسيرة عملاق الأدب العالمى ، فيكتب عنها مجلدا ضخما (٥٨٤ صفحة) يعرض فيه لعلاقة تولستوى بالله وروسيا والنساء .

وفى رأيه ان الاديب الروسى حاول حل مشكلته مع السماء من خلال اعتناق عقيدة مسيحية مستقلة عن الكنيسة .

وهو فى ممارسته لهذه العقيدة كان نافرا من الدين المنظم رسميا وحياة المدينة .

مؤثرا حياة زاهدة بين



الفلاحين قوامها الاكتفاء الذاتى .

داعيا الى تجنب شرور اللحم والخمر والتبغ والجنس .

وعن علاقة "تولستوى" بروسيا ـ وهى علاقة اتسمت بازدواجية منقطعة النظير ـ كتب الاديب الانجليزى يصفها بعبارات موجهة منه الى تولستوى على الوجه الآتى :

"من ناحية انت تعرف انك ولدت فى امة لها رسالة سماوية .

قدرها هو الابقاء على شعلة الحقيقة مضيئة هذا فى الوقت الذى تنحدر فيه سائر الامم الى هاوية الانحلال .

(الحقيقة قد تكون المسيحية الاورثوذكسية او الماركسية اللينينية .. ولكن الشعور واحد فى كلتا الحالتين)

انت تعرف ان الروس لا يفوقهم احد فى اى شىء من الشعر حتى العاب الجمباز .

وانهم اصحاب جميع الاختراعات .. البالية . الدراجات الات الاستهلاك الداخلى .

انت تعرف ان ثروة روسيا من الروح تفوق ثروة اى بلد آخر .

اشجارها (البريوزكا) ، ثلجها ، جليدها ، صبغها كل ذلك ازهى وامجد من تعبيرات الطبيعة فى اى بلد من البلدان ذات الليالى البيضاء .

ومع ذلك ، فثمة عيب وحيد ، الا وهو ان الحياة فيها لا تطاق" .

يبقى موقف تولستوى من النساء .

وهنا استند صاحب السيرة فيما استند اليه لالقاء الضوء على مذكرات زوجته "صوفيا بيهرز" التى عقد قرانه عليها ولها من العمر ثمانية عشر ربيعا .

فقبل اسبوع من ليلة الدخلة طلب اليها ان تقرا مذكراته .

وبقيتها ما قرأت ما انطوت عليه تلك المذكرات من اعترافات مدارها مغامرات تولستوى مع النساء .

فبعد ثمانية وعشرين عاما من هذه الواقعة كتبت "سونيا" فى مذكرتها

" ما ازال اتذكر اوجاع الغيرة ، هول اول تجربة مفزعة مع انحطاط الرجال" .

وفى راى "ويلسن" اننا لو قرانا مذكرات "تولستوى" و"سونيا" معا لوجدنا انفسنا امام جو من الكراهية العائلية قد لا يكون له مثيل فى تاريخ الزواج .

صدر حديثا

رقصة الموت



مات اكثر فنانى العصر جنونا سلفادور دالى (١٩٠٥ ـ ١٩٨٩) وكان اول طلب لسلفادور دالى ، آخر الرسامين السرياليين العظام ، فور وصوله الى احدى مستشفيات برشلونه التى جرى نقله اليها لاشتداد العلة عليه ، هو ان يجيئوا اليه بجهاز تليفزيون يتيح له متابعة اخبار مرضه على الشاشة الصغيرة .

لقد جاءه الاحساس العميق بالموت مبكرا ، عندما اكتشف ، وهو طفل ـ ان اسم سلفادور الذى اختير له ليس الا اسم شقيق له كان قد مات .

ومن المدهش ان احدى الصور المبكرة

فى اعماله منذ البدايات، فى صورة حمار ميت حط على جثته حشد من الذباب غفير .

وفى « كلب اندلس » اول مغامرة سينمائية له مع المخرج « لويس بونويل » ـ نرى نفس الحمير الميتة فى آلات بيانو محشورة .

ورغم ان « دالى » اكثر السرياليين شهرة لدى العامة ، فانه يعتبر فى عرف معظم اتباع جماعة السريالية مسرفا فى التقليد ، وفى الجنوح الى اليمين المتطرف .
ولقد وصلت به نزعته الاجتماعية الى حد تلوين ردود فعله للموت بالوان غير مألوفة .
فمثلا عندما روجه بموت العمال فى حادث واختلاط جثثهم بحطام قطار لم يستطع ان يمنع نفسه من وصف موتهم بانه من النوع الذى يدغدغ !!

الا انه عندما جاء الموت سيدة غنية من اوساط الارستقراطية كان على معرفة بها اذا به يصفه بانه موت مدمر اما موت اتباع الجنرال « فرانكو » فيصفه بالبطولة . لقد انتزعت الحرب « دالى » وحاول جاهدا تجنبها ومع ذلك فقد كان صعبا عليه الا يستجيب لها ، والا يجد فيها حافزا على مزيد من الحيوية والنشاط .
والحرب الاهلية الاسبانية التى رسمها فى صور مرعبة مزدحمة بحيث تتوالد وتتآكل ، هذه الحرب لم تكن فى رأيه سوى ظاهرة طبيعية مثلها مثل زلزال او ثورة بركان .

وفى الحق ، فقد كان لفرانكو فى قلب « دالى » حب ومنزلة وصلت به الى حد اقتراح عمل تماثيل تذكارية من العظام الذائبة للجنود الفاشيين الذين استشهدوا اثناء القتال .

ولكن « فرانكو » كان اعقل من ان يقبل العمل بمثل هذا الاقتراح الواضح الشذوذ .
ومعروف عن « دالى » حبه للمال حبا جما وسعيه فى سبيل الاستمتاع به الى الفانين وضروب لهو ولعب استبيحت فيها اللذات الى درجة الابتذال .

والذهب فى ميزان القيم عند دالى يفوق فى القيمة جميع الاشياء الاخرى فيما عدا الوسخ

ومما يحكى عنه انه عندما اخرجته الحركة السريالية من رحمتها لثبوت انجذابه نحو النجاح المالى ، وبهذه المناسبة قام الشاعر السريالى « اندريه بريتون » بنحت اسم جديد له من حروف اسمه الاصلى وهو « افيدا دولارز » (مفجوع الدولارات) ، لم تصبه دهشة ولم يهتم أو يهتز .

ورغم انه كان وقتذاك مريضا يعانى من ارتفاع درجة الحرارة، فان هذا لم يمنعه من التعليق بصوت خافت وقياس الحرارة فى حلقه على تسمية « بريتون » قائلا ان الهذيان هو ارفع وسائل التعبير الشعرى .

ومن يومئذ وحتى هذه الساعة لم يغير « دالى » رأيه هذا .
قبل نقله الى المستشفى كان « دالى » يعيش فى متحفه بمدينة فيجيريس، من اعمال كاتالانيا حيث رسم احسن ما ابدع .

ويعتبر « مسرح متحف دالى » (هكذا اسماه) اكثر متاحف اسبانيا شعبية ، لايفوقه فى ذلك سوى متحف البرادو فى مدريد .

نظـــرة جـديـــدة فــى بـديهيـة قـديـمـة

لماذا بنى الهرم الأكبر ؟

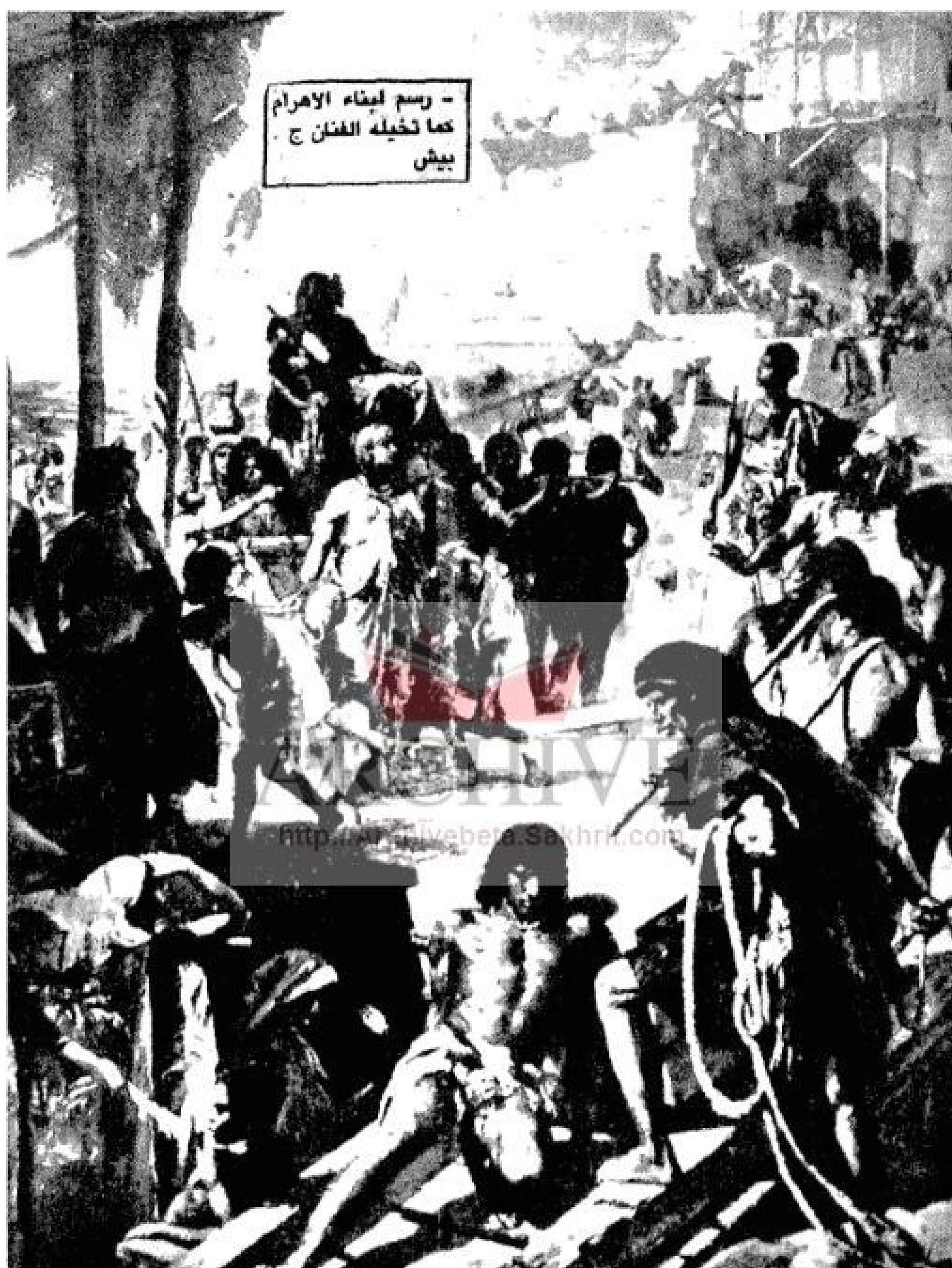
بقلم : زهير على شاكر

تكاد تكون من البديهيات المسّلم بها ، أن الهرم الأكبر ـ ثم الهرمين الآخرين الأقل منه حجما ـ قد بنيت خصيصا لكي يكون كل منها قبرا لفرعون مصر بديهية بسيطة شديدة الإقناع ، يزيد من قوة إقناعها التراكم الهائل من شهادات المؤرخين القدماء والمحدثين ، وعلماء التاريخ والآثار ، حتى لتكاد لاتقبل المناقشة .

وأعترف للقارىء أن هذه البديهية ـ أو ما يبدو كأنه أمر بديهي ، قد كان منذ زمن بعيد يمثل عندى في آن واحد : غصة في حلقي ، وتساؤلا محيرا يحتاج إلى إجابة واضحة كيف يكرس هذا الشعب الكبير ، المتحضر في زمان قل فيه المتحضرون ، الجزء الأكبر من طاقته العاملة اليدوية والفنية ، مضافا إليها تلك التكاليف الباهظة من المواد والحيوانات والآلات ، لمدة تقل أو تزيد عن عشرين عاما ، لمجرد أن يبنى قبرا يدفن فيه فرد ؟

مهما قيل عن عظمة ذلك الفرد ، وعن خضوع ذلك الشعب ، مهما قيل عن إيمان الشعب بأن فرعون إله أو نصف إله ، مهما قيل عن ولاء الشعب لآلهته وديانته وكهنته وطقوسه ونظامه الحاكم ، يظل العقل عاجزا عن تصور أن يرسل هذا الشعب عشرات الألوف من رجاله ، ثلاثة أشهر من كل عام ، عاما بعد عام ، عشرين أو ثلاثين مرة متتالية ، ليقيم هذا الصرح الشامخ ، من إجل ذلك الهدف ـ بناء قبر .

واعجب منه أن تتكرر هذه المهزلة ، ولو



- رسم لبناء الاهرام كما تخيله الفنان ج . بيش

بدرجة أقل - فى جيلين تاليين ، يقام فيهما قبران ثان وثالث لملكين آخرين هما خفرع ومنقرع . بل وأعجب من ذلك مرة أخرى ، أن يتوقف هذا الجهد الخرافى فجأة - أو يكاد - بعد ذلك ، إلا من أهرامات صغيرة متناثرة لبعض الملوك الآخرين . ثم ينتهى ما يسمى « عصر بناة الأهرام » . ثم لا تتكرر هذه الظاهرة بعد ذلك قط فى التاريخ المصرى الطويل ، رغم أن الديانة المصرية وإيمان الشعب بها لم يتغيرا تغيرا يذكر لعدة قرون ، ورغم أن مصر حكمها بعد بناة الأهرام ملوك كثيرون ، منهم من هو أعظم ثراء ، وأوسع نفوذا ، وأعتى جبروتا من خوفو وأولاده ، لم يخطر ببال واحد منهم أن يصنع لنفسه مثل تلك « القبور » أو قريبا منها .

● الصورة قبل الأهرام

ولعلنا إذا استطعنا أن نعد بصرنا عبر القرون ، ونتخيل ما كانت عليه أرض مصر وسماؤها قبل بناء هذه الأهرام ، وأن نجمّع بعض الحقائق المعروفة التى تبدو كأنها متفرقة لا رابط بينها إلا المصادفة ، لعلنا نستطيع أن نجد الاجابة المقنعة على هذا السؤال المحير . فمن هذه الحقائق مايلى :

أولا : أن الأهرامات كلها : صغيرها وكبيرها ، ما سبق منها هرم خوفو وما تلاه ، قد بنيت فى منطقة واحدة هى منطقة مصر الوسطى ، الواقعة بين منف القديمة (ميت رهينة الحالية) وهضبة الأهرام أو شمالها ببضعة كيلو مترات ، وهى المنطقة التى تضم : سقارة ودهشور والجيزة وميدوم إلخ ..

وتتميز هذه المنطقة ذاتها بأن مجرى النيل فيها كان يتسع ويتفرق إلى عدة فروع كبيرة وصغيرة ، وأن مياه الفيضان كانت تغمر هذه المساحة الهائلة ، فتصبح بحيرة موسمية مترامية الأطراف ، لايحدها إلا المقطم من جهة الشرق ، وهضبة الأهرام وانحداراتها من جهة الغرب . مسطح هائل من الماء ، ثلاثة أشهر من كل عام ، لا تظهر فيه أية معالم ، سوى بعض التلال الرملية الواطئة التى أقيمت فوقها تجمعات سكانية متشابهة ، وقليل من الأشجار والنخيل . ثم لا شيء سوى الماء . لا شيء .. ولا معلم يهتدى به الملاح السائر بسفينته أو زورقه على صفحة هذه البحيرة . لا شيء يعينه على تحديد الاتجاه الذى يسير فيه ، أو يعينه على تمييز شماله من جنوبه ، أو شرقه من غربه - إن كان سائرا بالليل - قبل أن تخترع البوصلة بآلاف السنين .

ثانيا : أن جميع هذه الأهرامات قد أقيمت على الحافة بين الوادى من ناحية ، والصحراء الغربية من ناحية أخرى . هذه الصحراء المنبسطة التى تشبه بدورها بحرا مترامياً من الرمال والتلال القليلة المتشابهة . مرة أخرى بلا معالم يهتدى بها المسافر فيها ، بخلاف الصحراء الشرقية الغنية بجبالها ووديانها ومعالمها الثابتة . وأيضا بخلاف الصعيد الذى

تتحدد فيه المعالم . بمجرى النيل وسلاسل الجبال على جانبي الوادى .

ومن المعروف بالطبع أن الفراعنة كانوا يبنون قبورهم جهة الغرب ، ولكن يبقى التساؤل : لماذا لم يبنوا هرما واحدا على الضفة الغربية للصعيد الأعلى ، في وادى الملوك مثلا ؟

ثالثا : إن الفيضان كان عندما يأتى ، يزيل جميع المعالم والحدود التى صنعها الانسان فى باقى شهور السنة . وعندما ينحسر تبقى الأرض صفحة منبسطة خالية من العلامات ، ويحتاج الأمر إلى إعادة تحديد معالمها مرة أخرى ، بعمليات مساحية دقيقة ، تعتمد بالضرورة على نقطة أو عدة نقاط « ثابتة » ، يتم منها قياس الأبعاد - أو رصدها .

رابعا : أنه بعد بناء الهرم الاكبر بصفة خاصة ، بدأت عملية استمرت حوالى مائتى عام ، هى بقية عمر الأسرة الرابعة (بناة الأهرام) والأسرة التى تلتها . وتمت خلالها نهضة زراعية ورعوية هائلة ، تضمنت إنشاء العديد من مشروعات الرى الكبرى فى منطقة الدلتا ، من شق الترع ، وتقويم مجرى النيل ، وتسوية الأراضى ، وردم المستنقعات ، وإقامة الجسور . وهو ما كان يستلزم بالضرورة وجود ما يسمى فى علم المساحة الحديث « روبيرات » ، أو نقطا معلومة الموقع والارتفاع بشكل دائم لا يتغير ، تقاس منها - أو ترصد - ارتفاعات وانخفاضات وابعاد غيرها من النقط .

خامسا : يضاف إلى هذه الحقائق ، وإن كان ليس أقلها أهمية ، المقاسات الدقيقة التى بنيت عليها الأهرامات ، وبخاصة الهرم الاكبر ، الذى بلغت درجة الدقة فى بنائه أن الخطأ فى مقاييسه لا يتجاوز جزءا واحدا من ٢٥٠٠ جزء ، أى أقل من نصف ملليمتر فى المتر الواحد ، أو أقل من ١٠ سنتيمترات فى طول الهرم كله ، والذى يبلغ ٢٣٦ مترا .

ومن ناحية أخرى ، وضعت خطوطه البسيطة الحاسمة ، بحيث تنطبق وجوهه الأربعة على الجهات الأصلية الأربع انطباقا شبه تام ، لا يقل فى دقته عن مقاييس الهرم نفسه .

أما النسب بين أطوال الهرم وبين ارتفاعه ، فإنها لم توضع أيضا كيفما اتفق ، بل ضبطت بحيث تكون النسبة بين ارتفاع الهرم وطول قاعدته ، هى نصف النسبة الدائرية المشهورة «ط» ، وبخطأ لا يكاد يذكر . وليت شعرى لماذا يتحرى من يريد بناء « مجرد قبر » كل هذه الدقة وكل هذا الضبط !!

● ثم بعد الهرم الاكبر :

فلنتخيل إذن أنه فى وسط هذه المساحة الهائلة المنبسطة الخالية من المعالم الثابتة ، وضعت كتلة حجرية ضخمة ، ذات مقاييس واتجاهات معروفة بالضبط ، ونسب دقيقة مشهورة ، فى مكان محدد تحديدا لا يقبل الخلاف ، وعلى ارتفاع ظاهر لكل عين ، تراه على بعد

عشرات الكيلومترات بل مئاتها ، لا تخطئه العين بشكله المميز الفريد ، سواء فى ضوء النهار أو حتى على خلفية من الضوء الباهت الذى لا تخلو منه سماء مصر ، حتى فى أشد الليالى حلكة وأكثفها غيوما .

ثم لنرى ماذا يفيد ملاحنا التائه ، ومسافرنا القادم من الصحراء ، ومساحنا الذى يريد أن يعيد تحديد الأراضى بعد الفيضان ، ومهندسنا الذى يعمل فى شق الترع وبناء الجسور .

١ ـ أما الملاح فقد وجد أمامه منارة أو فنارا لا يحتاج إلى أى ضوء ، يهتدى به فى سيره طوال العام ، ويعرف بمجرد النظر إليه مكانه الذى هو فيه ، والاتجاهات الأصلية المحيطة به ، ويعرف من الحجم الذى يظهر له فيه الهرم ـ على وجه التقريب ـ بعده عن هضبة الأهرام ، فيستطيع بذلك أن يتجه إلى المكان الذى يقصده دون خطأ يذكر .

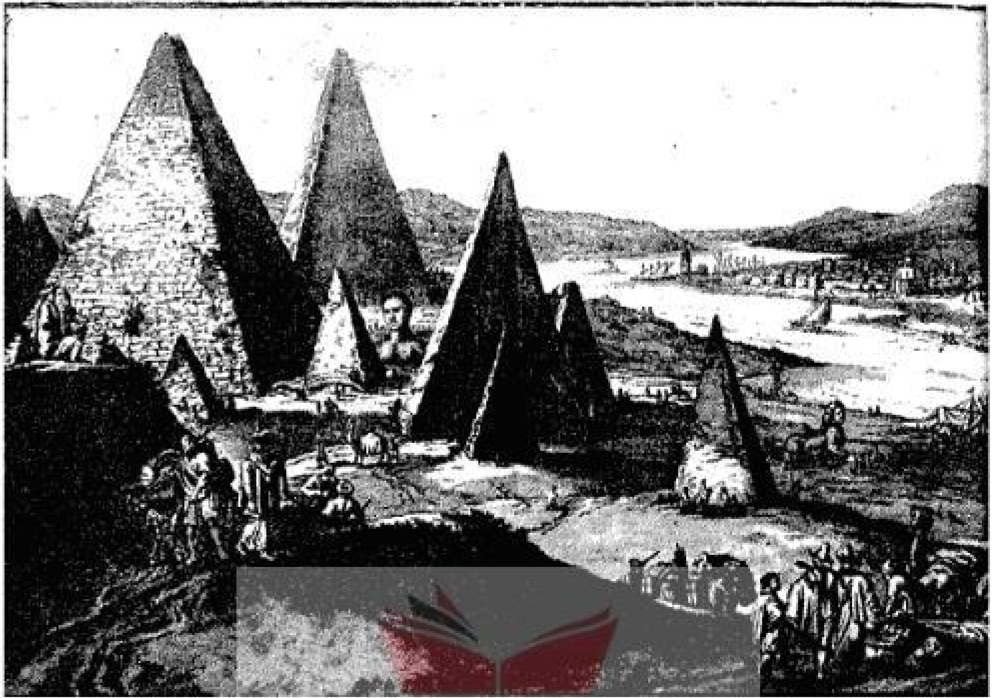
ونفس الشيء بالنسبة للجندى العائد من غزو الصحراء أو المتجه اليها ، أو المسافر العادى فى هذا البحر المترامى من الرمال .

٢ ـ وأمّا المساح والمهندس ، فقد قيض الله لهما نقطة ثابتة الموقع ، والارتفاع ، والمقاسات ، والاتجاه ، كلها فى أن واحد . يستطيع الواحد منهما ، باستخدام آلة بسيطة لقياس الزوايا ـ أن يحدد زاوية ارتفاع قمة الهرم وزاوية ارتفاع قاعدته ، ثم تصبح أمامه مسألة بسيطة من مسائل حساب المثلثات (الذى لا شك قد برع فيه الفراعنة ، وإلا لما استطاعوا أن يبنوا الهرم نفسه) . مسألة يحلها طالب فى السنة الأولى الثانوية فى عصرنا هذا ، يعرف بها على الفور : بعده عن الهرم ، والناحية التى يقف فيها منه ، والمسافة الرأسية التى تفصله عن قمة الهرم أو قاعدته ، ثم مكانه بالنسبة لأى نقطة أخرى معلومة الموقع والمنسوب بالنسبة لنفس الهرم .

وبالطبع ـ كانت حسابات صاحبنا المساح تزداد دقتها كلما ازداد قربه من الهرم ، وتزيد نسبة الخطأ فى حساباته كلما ابتعد عن الهرم ، أى كلما صغر فى عينه الحجم الذى يظهر له فيه . حتى إذا بلغت المسافة بينه وبين الهرم ٢٠ كيلو مترا مثلا ، أصبح الخطأ كبيرا لايمكن التجاوز عنه ، ولا الاعتماد على النتائج الحسابية المترتبة عليه .

ولكن من السهل أن نتصور إمكانية التغلب على هذه المشكلة ، لو افترضنا وجود نقط محلية ثابتة متفرقة ، كالأهرامات الصغيرة أو المسلات مثلا ، معلومة أماكنها وارتفاعاتها بالنسبة إلى النقطة الثابتة الرئيسية ـ الهرم الأكبر ـ فيسهل الرصد أو القياس منها فى الدائرة المحيطة بها ، ثم نسبتها إلى نقطة معلومة أخرى ، وهكذا .

٣ ـ ونستطيع أن نضيف إلى هذه الفوائد فائدة أخرى يحتاج إليها الفلكى الذى يرصد النجوم . فهو فى حاجة أيضا إلى نقطة واضحة غاية الوضوح ، ثابتة على الأفق ، ينسب إليها مواقع النجوم ،



تصور للاهرامات يرجع تاريخه الى القرن السابع عشر الميلادى

ومسارات الكواكب ، ودورة الشمس والقمر ، فيراقب سيرها ويقيس زواياها ويسجل أوضاعها بالنسبة إلى هذه النقطة الثابتة ـ وهى رأس الهرم فى هذه الحالة ـ بأقل قدر من الخطأ . هذا فضلا عن تحديد اليوم من السنة تبعا لموقع الشمس وهى تغرب فوق رأس الهرم ، يتغير موضع غروبها بتغير فصول السنة . فتكون رأس الهرم بمثابة نتيجة سنوية يقرؤها الفلكى المتخصص بدقة تامة ، ويعرف منها حتى الفلاح البسيط تاريخ يومه على وجه التقريب .

● جهاز حضارى للجميع

إذن فإننا بإقامة هذه الكتلة الحجرية الهائلة ، نكون قد منحنا كل ملاح ، ومساح ، وفلاح ، ومهندس ، وفلكى ، وجندى ، ومسافر على أرض منطقة مصر الوسطى والصحراء المجاورة لها ، بضربة واحدة ، جهازا يملكونه جميعا (على المشاع) ، ويستخدمونه دون أن يصيبه البلى لعدة

آلاف من السنين . جهازا يؤدى فى وقت واحد ما تؤديه ، فى أيامنا هذه الأجهزة التالية مجتمعة :

١ ـ الفنار
٢ ـ البوصلة
٣ ـ الخريطة
٤ ـ روبير الارتفاعات
٥ ـ المرصد والتقويم

ألا يستحق هذا الجهاز الهائل الخالد ، أن يكدح من أجل بنائه شعب متحضر ، مدة عشرين أو ثلاثين عاما ؟ !

ألم يكدح نفس هذا الشعب ، بعد أربعة آلاف سنة من بناء الأهرام ، لكى يشق الترع والرياحات ويبنى القناطر فى عهد محمد على ؟ ثم ليصل البحرين الأبيض والأحمر بقناة السويس فى عهد اسماعيل ؟ بل ألم يكدح جيلنا نفسه ، لمدة عشر سنوات أو تزيد ، ليقيم السد العالى ، وهو واحد من مشروعات الرى ، شبيه بالمشروعات التى يقول التاريخ إنها استغرقت مائتى عام تالية على عصر الأهرامات ، والتى تولدت عنها نهضة زراعية هائلة فى الدلتا ، والتى كان الهرم الأكبر ـ فى اعتقادى بما يقارب اليقين ـ حجر الزاوية فى بنائها ؟

صحيح أن العهود التى أقيمت فيها هذه المشروعات قد تميزت بدرجات متفاوتة من القهر وطغيان الحكام ، سواء فى تسخير الشعب لانجازها ، أو فى إلزامه بالتقشف والحرمان والانضباط ، والطاعة العمياء للسلطة المستبدة الظالمة فى كثير من الأحيان . ولكن الشعب إذا كان من الممكن تسخيره فى عمل مفيد يعود عليه وعلى أولاده بالنفع ، فإن من المستحيل فى تصورى أن يحتمل هذه السخرة وهذا القهر من أجل غرض سخيف مثل ... بناء قبر .

● الهرمان الثانى والثالث :

ثم جاء الهرم الثانى ، أصغر من سابقه ، ولكنه أقيم على ربوة عالية ، فأصبحت رأسه فى نفس مستوى رأس الهرم الأكبر أو أعلى قليلا . وحددوا مكانه إلى الجنوب الغربى من الهرم الأكبر بالضبط . فأصبح قطراهما الشماليان الشرقيان واقعين على خط مستقيم واحد . توأمان عملاقان لا تخطئهما العين من على بعد مئات الكيلومترات .

وأصبح وضع كل منهما إزاء الآخر ـ فى ذاته ـ هو الدلالة الحاسمة على الاتجاه . فإذا ظهرا لك متجاورين ، فأنت تنظر إلى اتجاه الشمال الغربى (أو الجنوب الشرقى) . وإذا حجب أحدهما الآخر ، فأنت تنظر فى اتجاه الشمال الشرقى (أو الجنوب الغربى) . وإذ اظهر لك بين هذا وذاك فأنت فى اتجاه بين الاتجاهين ، وهكذا .

بقى فى هذه البوصلة عيب طفيف ، ليس قد يقع فيه التائه فيختلط عليه الأمر ، ولايميز بين الهرم الأكبر وأخيه الأوسط ، نظرا لتشابههما وتقارب ارتفاع قمتيهما .

وجاء الحل البسيط المباشر ، هرم ثالث أصغر بكثير من سابقيه ، يقام إلى الجنوب الغربى أيضا من الهرم الأوسط ، ولكن

بالتقريب هذه المرة لا بالضبط . فالمطلوب منه فقط أن يعين الرائى على تمييز الهرم الأوسط (وهو القريب من الهرم الصغير المتميز بحجمه) عن أخيه الهرم الأكبر .

وتمت المنارة ، وانضبطت البوصلة ، واكتملت الخريطة ، بلا لبس ولا خطأ ، أعجوبة من أعاجيب العقل الانسانى !

ومن الطريف أن نشير إلى أن فكرة البوصلة هذه ، قد استخدمها فن العمارة الاسلامية ، ومازال يستخدمها ، عند بناء المآذن العالية ، إذ يوضع فى رأس المئذنة هلال كبير ، يبدو لأول وهلة وكأنه نوع من الزينة . ولكنه فى الحقيقة يؤدى وظيفة البوصلة . فإذا نظر إليه الرائى بحيث تكون دائرته كاملة الاستدارة ، فهو مواجه لاتجاه القبلة . ويراعى البناءون ضبطه على هذا الوضع بدقة كبيرة . اما المساجد ذات المئذنتين ، فيضبط الخط الوهمى الموصل بين المئذنتين بحيث يكون عموديا على اتجاه القبلة ، فيستطيع من يريد الصلاة وهو على بعد عشرات الكيلو مترات من المسجد ، أن يعرف الوجهة التى يصلى إليها ، بمجرد النظر إلى هاتين المئذنتين التوامتين .

ونفس هذه الفكرة مطبقة فى كثير من الكنائس فى البلاد الأوروبية ، فيضعون فوق أبراج الكنائس سهما يشير إلى الشمال ، وديكا متحركا يشير إلى اتجاه الرياح ، رغم أن مدى الرؤية هناك أقل مما هو عندنا ، بسبب الأحوال الجوية والعوائق المادية ، كالأشجار والمبانى العالية ، والتى تخلو منها ، أو كانت تخلو منها سماء مصر ، فى العصر الذى بنيت فيه الأهرامات .

● ملوك مدفونون ولكن

ومع ذلك .. تبقى حقيقة مؤكدة . أن كلا من هذه الأهرامات قد استخدم بالفعل لدفن الملك الذى بناه ، وربما أيضا زوجه أو أولاده ، وهذا ثابت مقطوع به فى التاريخ وفى الاكتشافات الأثرية . أول دليل عليه هو البعثة التى أرسلها المأمون ابن الرشيد ، لتكتشف مدخل الهرم الأكبر . وتقول المصادر العربية إن هذه البعثة قد توصلت بالفعل إلى اكتشاف المدخل والممرات المؤدية إلى حجرة الملك ، ثم وجدت هناك تابوتا به رجل ميت ، فأخرجوه ودفنوه على الطريقة الاسلامية .

نحن لا نجادل فى أن الملوك كانوا يدفنون فى تلك الأهرامات . ولكن ما لا يقبله العقل هو أن يكون الهدف الوحيد ، أو الهدف الاساسى ، أو حتى أحد الأهداف الهامة لهذا البناء الشامخ ، هو أن يضم رفات إنسان .

فكثيــر من الصــروح الشــامخة والمشروعات الكبيرة دفنت فيها أجساد بانيها ، أو سجلت عليها أسماؤهم ، تخليدا لذكراهم وتذكيرا للناس بأن الفضل فى إقامة هذا البناء العظيم ، يرجع إلى هذا الرجل العظيم . ولذلك فقد دفن فيه جسده ، أو نحت عليه اسمه أو رسمه .

واقرب مثال إلينا : المساجد العريقة التى تزخر بها مصر نفسها ، والتى قصد

منشئوها إلى تحقيق أغراض دنيوية وأخروية عديدة ، ليس أقلها : إقامة الصلاة ، واجتماع المسلمين ، ونشر التعليم ، وإيواء المسافر ، وجمع الصدقات إلخ ... ثم بالاضافة إلى ذلك - لا قبل ذلك - يدفن الملك او السلطان ، أو الولى الصالح فى نفس المسجد ، تخليدا لذاكره ، وتذكيرا للناس بفضله .

فالقول بأن الهرم قد بنى خصيصا ليكون قبرا للملك ، لا يقل سخفا - فى رأينا - عن القول بأن المساجد قد بنيت لكى يدفن فيها السلاطين والأولياء ، أو أن السد العالى قد بنى لكى تنشأ جنوبه بحيرة تحمل اسم جمال عبدالناصر ، أو أن قناة السويس قد شقت لكى يقام على مدخلها تمثال لفرديناند ديلسبس .

ونعود إلى نظرية « القبر » هذه . ما منشئوها ، وما أصلها ؟

اما القرآن الكريم ، فقد سماها « أوتادا » ولم يسمها « قبورا » ، تسمية توحى بالثبات والرسوخ وامتداد الأسباب إليها ، كما تمتد حبال الخيمة (أو أسبابها فى اللغة العربية القديمة) ، فتربط قماش الخيمة الرخو إلى نقطة « ثابتة » هى الوتد ، أو كما تمتد خطوط الربط المساحى - فى رأينا - فتصل بين الشىء غير المستقر ، وهو الوادى الذى تتغير ملامحه بعد كل فيضان ، وبين « الوتد » الثابت المستقر .

هذا عن القرآن الكريم - أصدق الحديث - لا نجد فيه إشارة من قريب أو بعيد إلى أن هذه الصروح كانت قبورا ، مع كثرة ما جاء فى الكتاب الكريم من إدانة لطغيان الفراعين وتجبرهم . فمن أين إذن جاءتنا حكاية « القبور » هذه ؟

● رواية هيرودوت

إن أقدم نص معروف لنا ذكرت فيه هذه الأهرامات ، ووردت فيه الاشارة إلى انها بنيت لتكون قبورا ، هو كتابات المؤرخ الاغريقى « هيرودوت » ، الذى عاش ومات فى القرن الخامس قبل الميلاد ، وأمضى عدة سنوات فى مصر ، يجوس خلالها

طريقة الثقوب التى استعملت فى قطع الصخور لبناء الهرم



ويشاهد معالمها ويسجل ما نمى إليه من تاريخ دولها وملوكها ، بالاضافة إلى مشاهداته وانطباعاته الشخصية عن عادات أهلها وتقاليدهم ودياناتهم الخ .. سجلها كلها في كتابه التاريخي عظيم الأهمية .

ونلاحظ على هذا المصدر الهام ـ وربما الوحيد ـ عن عصر بناة الأهرام ، ما يلي :

١ ـ أن المدة التي تفصل عصر بناة الأهرام عن عصر هيرودوت هي حوالي

الادوات البرونزية التي استعملت في قطع احجار الهرم وصقلها



الفي عام ، وهي بالتقريب نفس المدة التي تفصل زمان هيرودوت عن زماننا هذا . فقد عاشت الأسرتان الثالثة والرابعة اللتان بنتا الأهرامات ، في القرنين السادس والعشرين والخامس والعشرين قبل الميلاد (٢٦١٣ ـ ٢٤٩٤ ق . م) بينما عاش هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد كما ذكرنا (٤٨٤ ـ ٤٢٥ ق . م) . وهي مدة تكفي لاندثار كثير من المفاهيم والمعلومات القديمة ، وزوال كثير من الاستخدامات التي كانت تستخدم فيها الأهرامات ، أو انقضاء الغرض منها ، بعد أن تمت المشروعات التي اقيمت ، أو تيسر إقامتها ، بفضلها .

٢ ـ أن هيرودوت نفسه لم يذكر كلمة « القبر » صراحة في معرض حديثه عن الأهرامات ، وإنما كان يستخدم عبارات مثل « وبنى الملك فلان لنفسه هرما ... » ، والاعتماد هنا على الترجمة الانجليزية لكتابه المكتوب اصلا باللغة اليونانية القديمة . فهو لم يذكر صراحة كلمة « قبر » ، رغم أنه افاض في شرح نظريته عن الطريقة التي بنيت بها الأهرامات ، والتكاليف التي تكبرها المصريون لاقامتها .

٣ ـ أنه اعتمد ـ حسب قوله هو نفسه ـ في كلامه عن طغيان الملك خوفو والملوك التالين له ، اعتمد على كلام الكهنة المصريين المعاصرين له ، والذين كان أكبر انتقاد وجهوه إلى الملك خوفو هو ما فحواه « أنه أوقف بناء المعابد ، وتقديم

القرابين للآلهة ، وكرس كل طاقات شعبه لاقامة هرمه »

ولعل فى هذه العبارة وأمثالها ما يشير إلى سبب سخط الكهنة الذين قابلهم هيرودوت ، على الهرم وبانيه ، لأنه أوقف الانفاق على معابدهم ، وتقديم القرابين لآلهتهم ، فأصاب مصالح أسلافهم الأقدمين ونفوذهم فى الصميم . كل ذلك ، لكى يبنى هذا الهرم الذى لم يتبق فى سجلاتهم ولا فى ذاكرتهم عنه ، إلا ما يوحى بأنه قد بناه من أجل مجده الشخصى ، سواء فى هذا العالم أو فى العالم الآخر . حقد قديم توارثوه عشرات القرون ، ونقلوه إلى مؤرخنا ، الذى أخذ كلامهم على علاته ، وسجله ـ مشكورا ـ فى كتابه .

٤ ـ أن من يتأمل فى السبب الذى أدان به الكهنة بناء خوفو لهرمه ، وسخطهم عليه الذى دام ، حتى عهد هيرودوت ، ألفى عام ، يجد فى طيات هذا السبب نفسه ما يدحض نظرية « القبر » هذه . فإذا كان خوفو قد بنى هرمه ضد رغبة الكهنة ومصالحهم ، ضاربا بسخطهم وسخط آلهتهم عرض الحائط ، فكيف نتصور أن يكون غرضه الأساسى من بنائه ، هو تخليد جسده وروحه فى العالم الآخر ، الذى تحكمه نفس الآلهة التى أهمل معابدها ، وأوقف قرابينها ، وأسخط كهنتها ؟

أليس التفسير الأقرب إلى المنطق انه قصد بذلك العمل الكبير إلى أغراض « دنيوية » ، ومادية ، من نوع الأغراض التى ذكرناها ؟

فرواية هيرودوت ـ إذن ـ أقل ما يقال فيها أنها أولا ضعيفة ، وثانيا غير محددة ، وثالثا مشوبة بالهوى والغرض من ناقليها ، ورابعا تعتبر دليلا ضد نظرية القبور ، لا دليلا على صحتها . رواية تدل ـ إن دلت ـ على أن الأهرامات قد بنيت لتكون أدوات حضارة لشعب حى .. لا قبرا لرجل ميت

● اصبع الاتهام

ويبقى السؤال : من أين جاءت هذه الفكرة إذن .. بل هذه الاشاعة ـ إذا أردنا أن نسمى الأشياء بأسمائها ؟

فى ظنى أن إصبع الاتهام تشير إلى النظرة الاستشراقية المتعالية التى تتميز بها غالبية كتابات الأوروبيين عن الشرق وأهله وأمجاده . خليط من الاستهزاء ، والسطحية ، والاستظراف أحيانا ، تظهر بعض بذورها فى كلام هيرودوت نفسه عن بعض عادات شعب مصر والأمم الشرقية الأخرى .

فمنذ خضعت بلادنا ، ومنطقتنا ، بل العالم كله ـ عسكريا وحضاريا ، للغزوة الأوروبية الحالية ، التى بدأت بعد عصر نهضة أوروبا ، تصدى علماء تلك الحضارة الغالبة لدراسة تاريخنا ، بل ولغتنا وديننا وجميع شئون حياتنا تقريبا .

وقاموا ـ نعم ـ بجهود عظيمة مشكورة فى كثير من الأحيان ، جهود لا ينكرها إلا جاحد أو مكابر .

ولكن بقيت عندهم تلك النظرة العجيبة، التي تتوقع الغرابة، وتبحث عن التفسيرات المثيرة لدهشة القارىء الغربي، ثم ذلك الدافع الدفين للتقليل من شان منجزات شعوب الشرق، ونسبتها إلى الأوهام تارة، وإلى الشهوات الدنيئة أخرى، او إلى خضوع الشرقيين للحكام مرة ثالثة. ومن بينها .. حكاية، أو إشاعة، القبر، هذه، التي جاءتنا عن ذلك الطريق، فصدقناها واجريناها مجرى البديهيات.

● قمة المهزلة .. الهابطون من السماء

بل لقد بلغت ببعض مفكريهم سعة الخيال، ولا اقول الحقد الدفين، أن ينشىء نظرية طويلة عريضة، ويؤلف فيها كتابا يقرؤه الناس، ليقول إن الأهرام قد بناها أشخاص يسميهم آلهة، أو رواد فضاء جاءوا من كواكب بعيدة ليقيموا هذه الأهرامات، ثم عرجوا مرة أخرى إلى حيث جاءوا .. إلى السماء!

يتكلف المؤلف كل هذه الجهد ليقيم هذه النظرية، في هذا القرن العشرين بعد الميلاد، لمجرد أن نفسه لا تطيق أن يصدق أن شعبا من الشعوب المغلوبة، وهو الشعب المصري في هذه الحالة، هو بانى هذه الصروح في فترة من فترات تاريخه البعيد.

ورغم أن هذه النظرية لا تستحق الرد أصلا، لتهافتها الواضح، فلا بأس أن نذكر في إيجاز حقيقة واحدة تهدمها من أساسها.

فالثابت أن صناعة بناء الأهرام قد تطورت في مصر على مدى حوالى ثلاثة قرون، ابتداء من المصطبة الواحدة، إلى المصطبتين، إلى الهرم المدرج، إلى الهرم الناقص، إلى الهرم المدبب ذى الزاوية الحادة، إلى الهرم المفلطح ذى الزاوية المنفرجة .. حتى تكاملت ووصلت إلى ذروة الاتقان والضخامة في بناء الهرم الأكبر. ثلاثمائة عام من التجربة والخطأ والتعديل والتحسين. ثلاثمائة عام لم تكن «آلهة» المؤلف المذكور في حاجة إليها، ولا كان رواد فضائه، الذين بلغوا من التقدم والمعرفة أن يعبروا الفضاء بين الكواكب، محتاجين إلى أن يمضوا في التجربة والخطأ.

والأعجب من هذه الفكرة المذهلة، أن بعض مفكرينا - من أبناء بناة هذه الأهرام نفسها - قد تلقفوا تلك الفكرة، وطبلوا لها وزمروا، وكأنها الوحى المنزل، أو التفسير النهائى القاطع للغز عملية بناء الأهرام.

فالعيب - كل العيب - ليس في الغريب المستهزىء، بل فينا نحن، عندما نتلقف كل ما يقولونه عنا، فنصدقه دون تمحيص، ناسين - أو متناسين - أن الحضارة ولدت ونشأت وتطورت على هذه الأرض.

تحضرني في هذه المناسبة عبارة نجيب محفوظ التى ختم بها رائعته المظلومة (أولاد حارتنا):

«ولكن آفة حارتنا .. النسيان».

أقوال معاصرة


رونالد ريجان

● " احيانا اتعجب لحال الرؤساء الذين لم يكونوا ممثلين واتساءل كيف تمكنوا من اداء رسالتهم " .

رونالد ريجان
الرئيس السابق للولايات المتحدة

● " التاريخ سيقول عن ريجان انه رئيس درجة ثانية بتقدير جيد جدا " .

جورج ويل
الصحفى الأمريكى

● " صناعة الولايات المتحدة تتدهور بسبب تسابق مديريها نحو الربح السريع على حساب الاستثمار الطويل الأجل " .

أكيو موريتا
رئيس شركة سونى

● " ادمان المخدرات خطا لانه سلوك مخالف للاخلاق . وهو كذلك لانه يستبعد العقل ويدمر الروح " .

جيمس ويلسون
عالم الاجتماع الامريكى


ميشيل روكار

● " تبين لى ان السياسيين كثيرو الكلام " .

ميشيل روكار
رئيس وزراء فرنسا

● " الحرب الباردة تحتضر " .

نيكولاى شيشلين
مستشار جورباتشوف

ريتشارد نيكسون


● " نحن على حافة انفجار فى المعرفة سيغير الشكل الراهن للعالم " .

ريتشارد نيكسون

في ذكراها الرابعة عشرة

أم كلثوم والغناء العربي

بقلم: كمال النجمي



منذ افتتاح دار الأوبرا الجديدة فى القاهرة ، لم تنقطع عنى رسائل يسألنى كاتبوها :

ـ ماهو الفرق بين أم كلثوم ومطربات الأوبرا ؟.. ولماذا نحس أن غناءهن لا يشبه غناء أم كلثوم ، ولا يشبه الغناء المصرى أو العربى كله ؟!..

سؤال لم يجد إجابة شافية حتى اليوم ، على كثرة الثرثرة التى سمعها الناس عن الغناء الأوبرالى وغير الأوبرالى منذ صارت دار الأوبرا شعلة مضيئة على شاطىء النيل .. ولهذا ظل السؤال حائرا يتردد على ألسنة الناس الذين بهرتهم تلك الأضواء !..

● ويمكن أن يقال باختصار إن أم كلثوم كانت تغنى بالصوت الطبيعى ، أما مغنيات الأوبرا فيغنين بالصوت المستعار ، والفرق بين الصوتين واسع من الناحيتين الفنية والفسيولوجية ، حتى لتتشعب منه فروق جوهرية كثيرة يعرفها المشتغلون بالغناء والموسيقى كما يعرفها أطباء الفم والأسنان والأنف والأذن والحنجرة وسائر الأطباء البشريين .

هناك فروق فنية وعلمية وتشريحية بين إخراج الصوت المستعار من الرأس ـ كما يقول الموسيقيين ـ وإخراجه من الحنجرة والصدر .. وهذه الفروق لا يمكن إغفالها ولا تخطيها ، لأنها تتعلق بوظائف الأعضاء المتحكمة فى الصوت والتنفس والبلع وتحريك اللسان والشفتين ، أما سقف الحلق فيرتفع خلال غناء الرأس المستعار ، ويكون أقل ارتفاعا عند غناء الحنجرة الطبيعى مهما ارتفعت طبقته ..

ولهذا ينصح مدرسو الغناء الأوبرالى تلاميذهم فى كليات الموسيقى المصرية ومعاهدها أن يمتنعوا عن "تعاطى" الغناء العربى ، لأن الغناء الأوبرالى يحتاج إلى الوضع الصوتى الخاص به ، وهو لا يتفق والوضع الصوتى للغناء العربى المؤدى بالصوت الطبيعى ..

وهكذا يعيش الصوت الأوبرالى محكوما بالتشكيل الفسيولوجى والفنى الصارم الذى يشبه وضع القدمين فى حذاء من الحديد كما كان أجداد الصينيين واليابانيين يفعلون فى الماضى بأقدام بناتهم طلباً لبقائها صغيرة .. جميلة ، فى زعمهم !..

وكنت مرة أتحدث إلى الموسيقار محمد عبد الوهاب عن عبقرية أم كلثوم الغنائية المنقطعة النظير ـ وعبد الوهاب من أكثر الناس معرفة بها وتقديرا لها ـ فقال لى : إن أم كلثوم ـ رحمها الله ـ لم تكن تستطيع الغناء بالصوت المستعار حتى ولو اجتهدت فى ذلك ، لمكان النشأة العربية الخالصة من صوتها ، وانطباع أوتار حنجرتها على أصول الغناء العربى ، ونطق اللسان العربى ..

قلت : لاغرو ، فالغناء العربى هو ابن اللغة العربية ، ولا يمكن طرد الغناء العربى من وطنه إلا إذا أمكن طرد اللغة العربية !.. يعلم هذا كل من ألقى السمع وهو شهيد ..

إن أم كلثوم كان عليها أن تختار بين الغناء الأوبرالى الأوربى والغناء العربى ، ولم يكن هذا الاختيار لحسن الحظ مطروحا عليها فى الواقع ، لأن فن الأوبرا الأوربى وإن دخل مصر فى عهد الخديو اسماعيل قبل مائة وعشرين عاما ، لم يجد فى مصر أصلا يرتكز عليه .. ولابد لنا اليوم كما كان لابد لنا امس من فن غنائى عربى متطور ينحسم معه التطفل على "النوتة" الموسيقية الأوربية الحافلة ، فتتطور موسيقانا وتبقى مع ذلك قائمة إلى جانب الموسيقى الأوربية قياما مستقلا ، لا قيام الخادم فى حضرة المخدوم ، ولا التابع تسليما وتعظيما للمتبوع !..

هذا المعنى الواضح كان اعداء الغناء العربى ـ وما زالوا ـ ينكرونه ويسخرون منه ، ويرونه من المستحيلات !..

وبين العشرينيات والثمانينيات رفع راية هذا الفريق من أعداء الغناء العربى ، اديبنا الكبير الدكتور حسين فوزى ـ رحمه الله ـ فقد كان ينكر الغناء العربى إنكارا مطلقا وينادى بوضعه فى المتاحف مع خوذات سلاطين المماليك وعباءات الإخشيديين والطولونيين .. وعاش الدكتور حسين فوزى يصطلى بعداوة الغناء العربى حتى طار به ضرام هذه العداوة فى أواخر السبعينيات إلى جامعة تل أبيب ، يحاضر فيها ضد العرب ، ويدعو الصهيونيين فى اسرائيل إلى حلف "حضارى" مع الدعاة الغلاة من أمثاله ، غفر الله له !..

وفى منتصف الستينيات كان الدكتور حسين فوزى رئيسا للجنة الموسيقى فى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، فرفض بإباء وشمم منح الجائزة التقديرية لأم كلثوم ، لأنها ـ فى رأيه ـ لا تغنى ولا تعرف الغناء الأوبرالى ، ولكنه لم يقل ذلك بل قال : إن أم كلثوم ليست ملحنة ، وإنما تكون الجائزة للمبدع ، وهو الملحن ، وأم كلثوم ليست مبدعة فكيف نعطيها الجائزة ؟!..

لقد أخطأ ـ رحمه الله ـ فى هذا الكلام كما أخطأ فى كل كلمة قالها طوال حياته المديدة ضد الغناء العربى ، فقد اسهم صوت أم كلثوم إسهاما جوهريا فى خلق أسلوب التلحين العربى الحديث المتطور ، وتحديد مساره ، وتوسيع آفاقه ، وأتاح صوتها للملحنين أن يجوبوا من الآفاق الباهرة مالم يكونوا يحلمون به ، ولا كانوا يستطيعون الوصول إليه لولا وجود هذا الصوت الفذ الذى حملهم إلى تلك الآفاق !..

لقد فتح صوت أم كلثوم أبوابا للتلحين الجديد المتطور كان يتعذر أن تنفتح لملحنى عصرنا لولا إمكاناته الفنية الجبارة التى يعتبر وجودها مجتمعة فى صوت واحد ، سخاء على عشاق الغناء لا يسمح به الزمان إلا مرة كل بضع مئات من السنين !..

فصوت أم كلثوم ـ كما قلنا غير مرة ـ بمساحته الخصبة المزدهرة ، ومقاماته

المصقولة المضبوطة ذات التناسب العجيب ، وذبذباته السحرية ، ونبراته الوضيئة التي تتمثل فيها ألوان من الجمال والجاذبية والقوة ، لا نهاية لها .

.. صوتها هذا الذي أهدته الأقدار لعصرنا ، هو الذي أشعل مواهب الملحنين ، وأثار التنافس بينهم ، وألهمهم ألحانا حاولوا ما وسعهم الجهد أن تكون على مستواه ، وحرصوا أن يلبوا متطلباته من الألحان التي لا يستطيع صوت سواه أداءها والتصرف في أدائها وإضافة اللمسات الفنية إليها لتكوين مذاقها الفني الفريد الذي ربط المستمعين به أكثر من ستين عاما ، ومازال يربطهم به ، ولن يزال ..

● عندما ظهرت أم كلثوم في العشرينيات كانت الأصوات المشهورة حينذاك لا تخرج عن دائرة الصراخ "العثمانلي" والنواح الغجري ، على النحو الذي ذكره بالتفصيل تقرير علماء الموسيقى المصاحبين للحملة الفرنسية بقيادة بونابرت سنة ١٨٩٨ .. فكان ظهور أم كلثوم بعد أن مهد لها ظهور المشايخ الفنانين النابغين في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، بشيرا بانقضاء تلك المرحلة الفنية المتخلفة التي تحدث عنها العلماء الفرنسيون ..

ولما أخذ الشيخ أبو العلا محمد يلحن لها في العشرينيات وضح له أن صوتها يتطلب مستوى من الألحان أرفع بكثير من الألحان التي درج ملحنو ذلك العهد على تلحينها للمطربات والمطربين ..

وبعد الشيخ أبي العلاء ارتبطت أحلام دعاة التجديد بصوت أم كلثوم ، فقد وجدوا فيه الوسيلة المثلى لإقناع المستمعين بقضيتهم في تجديد الغناء وتطويره ، وبدون صوتها كانت حركة التجديد والتطوير ستبقى حلما يلوح للنائمين ولا سبيل إلى تحقيقه في اليقظة بأي حال ..

● لا يخطر على بالنا أن نغمط الملحنين مثقال ذرة من جهدهم وفنهم وحقهم ، وإنما نتحدث هنا عن إبداع أم كلثوم الذي أنكره أعداء الغناء العربي ، ونحاول أن نفصله بشعرة دقيقة جدا عن إبداع الملحنين ، لأن أم كلثوم اشتركت بصوتها وفنها اشتراكا فعالا في خلق الألحان إلى الحد الذي جعل السامعين لا يتصورون هذه الألحان بدون صوت أم كلثوم وأدائها ومشاركتها في تشكيله وإقراره على صيغته النهائية التي تصل إلى المستمعين !..

إن أم كلثوم تأخذ اللحن فتكلثمه - على حد تعبير عبد الوهاب - أي تجعله لحنا كلثوميا خالص المذاق واللون والرائحة ، وتصب فيه نبراتها ، وتفرشه على قدر يناسبه من مساحة صوتها التي تتسع لكل الألحان ، وتهيىء له عمليات فنية دقيقة متأنية ذكية ، حتى تجلوه في آخر الأمر على صورته الكلثومية التي يحار في روعتها السامعون ، وتلبس قلوبهم وعقولهم وأجسادهم كأنها مس من الوجد الصوفي ، أو طائف من السحر العجيب !..

● جددت أم كلثوم فن الغناء العربي وردته إلى أسلوبه الحضاري ، أو إلى قريب من ذلك الأسلوب الأصيل الذي خذلته حناجر المطربين والمطربات طوال عهود

التدهور القومي والاجتماعي التي استعجمت فيها الطبقات الحاكمة في مصر والبلاد العربية ، ورانت الجهالة والمسكنة على جميع الطبقات ..

وكان ما صنعته أم كلثوم في الغناء العربي شبيها بما صنعه محمود سامي البارودي في الشعر العربي .. كلاهما رد فنه الجميل إلى الطريقة العربية .. واكتملت بتحرير الغناء العربي بعد الشعر العربي ، ثورة مزدوجة لهذين الفنين الجميلين الكبيرين ، تعبيرا عن عودة الروح العربية القومية في الفن والأدب بعد طول غياب !..

ومضت أم كلثوم خلال عشرات السنين ترفع راية الغناء العربي وسط ملايين المستمعين في البلاد العربية من المحيط إلى الخليج ، فلم يكن لمستمع عربي ولاء فني إلا لهذه الراية الخفاقة التي يضمر ويبدي لها إعجابا كالتقديس ..

وبلغت أم كلثوم في هذا المجال مالم يبلغه فنان ولا شاعر ولا أديب ، حتى لم يعد اسمها مرادفا لاسم "مصر" فقط ، لأن كل بلد عربي أخذ لنفسه نصيبا من اسم أم كلثوم فصار اسمها مرادفا لاسم كل بلد عربي .

ونظر الأوربيون والأمريكيون إلى أم كلثوم بدهشة بالغة ، وتحدثوا عما كانوا يسمونه "ظاهرة أم كلثوم" وتساءلوا : كيف تسنى للعرب وهم الأمة الممزقة أن يتحدوا هكذا في الذوق الفني والشعور القومي حيال أم كلثوم ؟!

والآن بعدما انقضى على رحيل أم كلثوم أربعة عشر عاما .. ماذا يمكن أن يقال ؟!

لقد أدت أم كلثوم دورها كاملا في تأسيس فن الغناء العربي المتطور وتشييد صرحه ، وكان دورها في هذا المجال دور المبدع والمخترع والمنشيء ، واكتسبت بعملها هذا ولاء المستمع العربي في عصرها الذي امتد طويلا ، ومازالت تكتسب ولاءه وهي بعيدة عنه كل البعد ، وسوف يبقى ولاء المستمع العربي منصرفا إلى أم كلثوم مائة سنة أخرى ، أو بضع مئات من السنين ، مادامت البضاعة الجديدة للمغنين والملحنين هي النقل الحرفي والتقليد القرودي الأعمى للغناء الأوربي ، والتجاهل التام لذوق شعبنا ووجدانه الخاص وعبقريته الموسيقية الخاصة ..

على أن المقلدين القروديين ليسوا وحدهم الآن في ساحة العداوة للغناء العربي ، فقد انضم إليهم في الزمن الأخير غربان الملاهي الليلية الذين هم مطربو ومطربات أشرطة الكاسيت التي توزع بالملايين ..

إن ولاء المستمع العربي للغناء العربي ، قد اخترقته عوامل التدهور والانحلال التي اخترقت حياة المجتمعات العربية ، ولكن المجتمعات العربية اعتادت أن تتخطى دائما ظلمات التدهور الاجتماعي والقومي والسياسي والفني .. وسوف يكون تراث أم كلثوم زادا للأجيال القادمة في عملها الذي لابد منه لرد الأمة العربية إلى روحها وشخصيتها ، وإضاءة طريقها من جديد !.. وسلام على أم كلثوم في الخالدين !..

● هامش

- لم نتناول في هذا الحديث مشكلة العلاقة بين الصوت العربي والصوت الأوبرالي في المسرح الغنائي ، فليس هنا مكانها ، وقد نخصها بالحديث في مناسبة أخرى ..

مصر والثقافة الأفريقية

بقلم : د. أحمد أبو زيد

كانت مصر دائما ومنذ عصور ماقبل التاريخ على صلة وثيقة بافريقيا جنوبى الصحراء ، وكان هناك من العلماء ، وبخاصة علماء الأنثربولوجيا فى القرن التاسع عشر ، من يرى أن الثقافات الافريقية ـ بالمعنى الواسع لكلمة ثقافة ـ مستمدة فى الأغلب من الحضارة المصرية القديمة ، ومع أن هناك بعض الخلاف والجدل حول طبيعة الاحتكاك الثقافى بين الطرفين والتاثيرات المتبادلة بينهما فان ذلك الخلاف لم يصل أبدا الى حد إنكار وجود هذه العلاقة وتلك التاثيرات إنكارا تاما كما انه لم تثر أية شكوك حول الدور الذى لعبته حضارة مصر فى ظهور وتطور تلك الثقافات الافريقية ، رغم اختلاف الآراء حول تقدير حجم ذلك التاثير بالنسبة لمناطق معينة بالذات من القارة الواسعة ، المترامية الأطراف ، ولا تزال الكشوف الأركيولوجية على اية حال تكشف لنا عن مزيد من تفاصيل تلك العلاقة وتلقى عليها اضواء جديدة وتعطيها أبعادا لم تكن معروفة من قبل .

● ولذا فإنه يبدو من الغريب أن يغفل طه حسين فى كتابه (مستقبل الثقافة فى مصر) الحديث عن افريقيا وثقافاتها والعلاقات بينها وبين مصر القديمة من ناحية ، والدور الذى يمكن أن تلعبه الثقافات الأفريقية فى تشكيل الثقافة المصرية وضرورة الاتجاه نحو تعريف خصائص وملامح ومقومات هذه الثقافات والافادة منها فى اثراء ثقافتنا المعاصرة من الناحية الأخرى ، ووجه الغرابة هنا أن طه حسين كان يعطى كثيرا جدا من الاهتمام للثقافة الغربية وثقافات البحر المتوسط ـ أو بحر الروم ـ وبخاصة ثقافة اليونان .. وليس هناك من ينكر أهمية

الثقافة اليونانية ولا علاقة اليونان بمصر ، فمصر هى بالضرورة وبحكم موقعها جزء من حوض البحر المتوسط وثقافاته ، ولكن مصر جزء أيضا من افريقيا وثقافاتها ، وليس ثمة مايدعو الى اغفال هذه الحقيقة او تجاوزها من أجل اثبات ضرورة التوجه نحو ثقافات بحر الروم والثقافات الغربية ، فالثقافات الأفريقية تتكامل بالضرورة مع ثقافتنا المصرية حتى وان لم نكن نشعر بذلك أو ندرك هذه الصلة ادراكا تاما .

ومع ذلك فقد يكون لطه حسين بعض العذر فى انصرافه عن الحديث عن الثقافات الافريقية لأن القضية الأساسية التى كانت تشغل باله فى ذلك الحين كانت محاولة التدليل على أن العقل المصرى والعقل اليونانى متأثر كل منهما بالآخر وأن العقل المصرى ليس عقلا شرقيا ، وقد دفعه ذلك إلى أن يثير منذ بداية الكتاب مسألة اذا ماكانت مصر من الشرق الثقافى أم من الغرب الثقافى ، وكان يأخذ الشرق فى كتابه على انه الشرق الأقصى ولذا لم يتردد فى أن يجزم بأن العقل المصرى متصل منذ العصور الأولى بشعوب بحر الروم وأنه ليس بين الشعوب التى نشأت حول بحر الروم فرق عقلى قوى .. وهذا كله صحيح ، ولكن المشكلة

د . طه حسين



هى أن هذا الحماس الذى يبديه طه حسين لاثبات هذه الحقيقة أو على الأصح تأكيدها أدت به الى اغفال العلاقة القوية بين مصر وافريقيا وعدم الاهتمام بدراسة الأصول المصرية للثقافات الافريقية والتأثير المتبادل بينهما ، وتبين كيف يمكن أن يكون ذلك مصدرا لتنويع ثقافة مصر فى الوقت الحالى وفى المستقبل ، مادام (مستقبل الثقافة فى مصر) مرتبطا بماضيها البعيد حسب عبارة طه حسين نفسه ، ومادام طه حسين لايحب أن يفكر (فى مستقبل الثقافة فى مصر الا على ضوء ماضيها البعيد وحاضرها القريب ، لأننا لانريد ولا نستطيع أن نقطع ما بيننا وبين ماضينا وحاضرنا من صلة ، وبمقدار ما نقيم حياتنا المستقبلية على حياتنا الماضية والحاضرة نجنب انفسنا كثيرا من الأخطار التى تنشأ عن الشطط وسوء التقدير والاستسلام للأوهام والاسترسال مع الأحلام) ـ على مايقول هو أيضا فى بداية الفصل الثانى من الكتاب ، ولذا فانه ينتهى فى هذا الفصل ايضا الى ان (العقل المصرى منذ عصوره الأولى عقل ان تأثر بشىء فانما يتأثر بالبحر الأبيض المتوسط ، وإن تبادل المنافع على اختلافها فانما يتبادلها ، مع شعوب البحر الأبيض المتوسط) .

وما يقوله طه حسين عن العلاقات القديمة بين مصر وشعوب البحر المتوسط وثقافاته يصدق على العلاقات القديمة بين مصر وشعوب القارة الافريقية وثقافاتها ، بل ان الاتجاه المصرى القديم نحو افريقية كان بغير شك أقوى منه نحو اليونان وأقدم بكثير خاصة أن مصر كانت ترتبط بافريقيا ارتباطا عضويا لأن ارضها

هي من خلق النيل الذي ينبع من داخل القارة ، ولأن مصر كانت دائما المدخل الشمالي لكل الثقافات والأديان الكبرى والتنظيمات الاجتماعية والسياسية الى القارة ، وقد تكون هناك بعض الشكوك والجدل حول الدور الذي لعبته مصر في تاريخ أوربا وحضارتها القديمة ومدى تأثر الحضارة اليونانية مثلا بالحضارة المصرية القديمة ، ولكن مثل هذه الشكوك لايمكن أن تثور حول دور مصر في افريقيا على ماذكرنا وكما تبين البحوث الأنثربولوجية الحديثة .

★★★

وليس من شك في أن الدراسات الانثربولوجية لم تكن قد تقدمت في الثلاثينيات من هذا القرن حين أملى طه حسين كتابه (١٩٢٧ / ١٩٣٨) إلى الحد الذي وصلت اليه الآن ، وبعد نصف قرن كامل من املاء ذلك الكتاب ، وبذلك فلم تكن الصورة عن العلاقة بين حضارة مصر وثقافات افريقيا ، أو بعضها على الأقل ، قد اتضحت بمثل الوضوح الذي هي عليه الآن بعد أن قام عدد من علماء الأنثربولوجيا البريطانيين والفرنسيين باجراء بحوث ميدانية بين كثير من القبائل الكبرى في جنوب السودان وشرق القارة وغربها ، وقد كشفت هذه البحوث عن أن بعض القبائل مثل الأشانتي والايبو والأكان في غرب القارة والباجندة في شرقها كانت على درجة عالية من التقدم السياسي والاجتماعي والفكري ، بل بعضها كانت له ممالك وامبراطوريات واسعة كما كانت تعتنق أفكارا دينية متطورة أو على جانب كبير من النضج والعمق ، وأن هذه النظم تكشف عن تشابه كبير وعميق مع النظم والأفكار التي كانت تسود في مصر القديمة وبخاصة في المجال الديني والمجال السياسي ، ويتمثل ذلك بشكل واضح في وجود نظام الملكية المقدسة أو الملك الإله الذي يميز الحضارة الدينية في مصر القديمة ، وقد شغل هذا التشابه بال الكثيرين من علماء الأنثربولوجيا والتاريخ على السواء وظهرت حوله كتابات كثيرة جدا .

والطريف أن بعض الأنثربولوجيين الأوائل الذين عملوا في مصر سواء قبل انشاء الجامعة المصرية مثل اليوت سميث أو بعدها مثل ايفانز بريتشارد اهتموا في كتاباتهم بتبيين العلاقة بين مصر وافريقية وأوجه الشبه بين الديانة المصرية القديمة وديانات القبائل الأفريقية ، وكان اليوت سميث في الأصل استاذا للتشريح وعمل في مدرسة الطب القديمة ثم جذبته الحضارة المصرية فانشغل بها عن مهنته الأساسية وأعطى معظم اهتمامه بعد ذلك بمحاولة اثبات أن الحضارة ظهرت أول ماظهرت في مصر ومنها انتشرت الى بقية أنحاء العالم وعنى بوضع خرائط تبين مسار الثقافة الى تلك الأنحاء المختلفة بما فيها افريقيا ، أما ايفانز بريتشارد فقد عمل أستاذا بكلية الآداب في الثلاثينيات وبذلك عاصر طه حسين ، وقد قام بأبحاثه الميدانية الرائدة بين عدد من قبائل جنوب السودان مثل الدنكا والشيلوك والزاندى والأنواك والنوير وأعطى هو أيضا جانبا من اهتمامه لتبيين أوجه الشبه بين نظام

الملك الإله فى مصر ونظام الزعامة السياسية الدينية عند الشيلوك بالذات. وليس من المعقول أن مفكرا واسع الافق مثل طه حسين لم يكن على علم بكتابات هذين العالمين وغيرهم من العلماء الآخرين واتجاهاتهم الفكرية، ولكن اهتمامه الرئيسي بالتدليل على ان العقل المصرى ليس عقلا شرقيا كان وراء ذلك الاغفال لشان العلاقة بين مصر وثقافات افريقيا.

ولكن من الانصاف أيضا أن نشير الى أن خضوع مصر والمجتمعات الأفريقية للاستعمار كان يضع عوائق وقيودا وحواجز كثيرة أمام الاتصال بهذه المجتمعات والتبادل الثقافى معها ومعرفة ماأحرزوه من تقدم ثقافى، وذلك حتى لاتظهر وحدة الفكر الأفريقى، وكانت المجتمعات الافريقية تظهر للعالم على انها مجتمعات منعزلة ومتخلفة وبدائية، ولذا لم تعط مصر افريقيا ما تستحقه من عناية واهتمام ولم تعط مسألة العلاقات الثقافية القوية بين حضارتها العريقة ومظاهر الحضارة التى لاتزال واضحة فى بعض النظم والأفكار الأفريقية المعاصرة كل ما تستحقه أيضا من عناية واهتمام، ولم تدرس الثقافات الأفريقية دراسة متكاملة شاملة وكلية كما ينبغى، ولذا فإن كل أبعاد ذلك الاتصال والتأثير المتبادل لم يكن واضحا كما يجب بل ولم يكن الكثيرون بحكم الأوضاع السياسية السائدة فى مصر وكل افريقيا يهتمون بتعرف دلالات تلك المشابهات او الى أى حد يمكن الافادة من تلك العلاقات الثقافية والحضارية فى توجيه السياسة الثقافية فى مصر ورسم الخطوات العامة لمستقبل هذه الثقافة، ويبدو أن هذا هو بالضبط ماكان يهدف إليه الاستعمار، أعنى عزل مصر وشمال افريقيا العربى الاسلامى سياسيا وثقافيا عن بقية أنحاء القارة الافريقية الزنجية السوداء.

ولم تبدأ هذه الحواجز فى التساقط إلا فى الستينيات بعد أن نالت هذه المجتمعات الافريقية (السوداء) استقلالها بفضل الحركات السياسية الاحيائية التى حمل لواءها سياسيون ومثقفون وزعماء أفارقة من أمثال نكروما وجومو كينياتا وجوليوس نيريرى وغيرهم، وساندهم فيها عدد كبير من الافارقة الفلاسفة والمفكرين والأدباء والشعراء الذين رفعوا راية دعوة الزنوجة من وساد الشاعر المارتنيكى الشهير ايجيه سيزير، وافلح كل هؤلاء الساسة والمفكرين والكتاب والفنانين فى جذب أنظار العالم الى الثقافة الافريقية العميقة المتنوعة والى مجالاتها الواسعة العريضة، وقد بدأت مصر تسمع عنهم وتستمع اليهم وعرفت أشعار سنجور وروايات أتشبى مثلما عرفت جهد نكروما ونيريرى وحركة ماوماو التى قادها جومو كينياتا، وقرأت مصر بعض أعمال هؤلاء الأفارقة مترجمة الى اللغة العربية وأدركت عمقها رغم قلة ماترجم منها إلى الآن، كما أدركت أن هذه الأعمال تكشف عن أعماق وآفاق افريقية اصيلة تختلف أشد الاختلاف عما الفته مصر فى الكتابات الغربية، وزاد الاهتمام بافريقيا على المستوى الرسمى والاكاديمى، وشاركت مصر فى عدد من المنظمات والمؤسسات الأفريقية مثل منظمة الدول الأفريقية واتحاد الجامعات الافريقية وغيرهما، وكان فى ذلك اعتراف

(رسمى) بالبعد الافريقى فى حياتنا السياسية والثقافية على السواء ، وانشأت مصر معهدا للدراسات الافريقية تابعا لجامعة القاهرة ، تخرج فيه عدد كبير من الدارسين المتخصصين فى الشئون الافريقية وثقافاتها وان لم يظهر تأثيرهم حتى الآن واضحا الوضوح الكافى فى الحياة الثقافية فى مصر ! ولكن مجرد وجود هذا المعهد والرسالة التى يضطلع بها هو اعتراف آخر بتلك العلاقة القوية بين مصر والقارة الافريقية ، وهى علاقة ثقافية قديمة ينبغى العمل على تطويرها وتوجيهها بحيث تصبح الثقافة الافريقية جزءا من حياتنا الثقافية فى المستقبل .

★ ★ ★

والواقع أن ثمة مايشير الى أن هذه العلاقات بين مصر وافريقيا ترجع الى ماقبل عصر الاسرات بل والى ماقبل ظهور الزراعة المستقرة فى أرض مصر ، وذلك حين كانت أرض مصر يرتادها بعض الجماعات التى تعيش على القنص قبل أن تعرف مصر الزراعة ، وربما لاتكون هذه الجماعات قد أسهمت كثيرا فى ارساء حضارة مصر ، بل ومن المحتمل ألا يكون لهذه الجماعات نفسها قدر كبير من الثقافة نظرا لطبيعة حياتها والفترة المبكرة التى عاشت فيها ، ولكن العلاقات القوية المستمرة مع افريقيا بدأت على مايقول علماء الأركيولوجيا والأنثربولوجيا منذ دخول الزراعة الى مصر وظهور المجتمع الزراعى المستقر فى الألف الخامسة ق . م ! وهى الفترة التى يشير اليها بعض الانثربولوجيين بعصر الثورة الزراعية ، وإن كانت الزراعة لم تنتقل إلى افريقيا جنوبى الصحراء الا بعد ذلك بوقت طويل نسبيا يرده البعض الى أوائل الألف الثالثة ق . م . أو مابعد ذلك .

ولقد انتقل تأثير الحضارة المصرية الى افريقيا بطول مجرى النيل ، وهو انتقال لا نجد له مثيلا بالنسبة للتأثير الحضارى المصرى بطول ساحل البحر المتوسط مثلا ، ومن المؤكد أن التأثير الحضارى المصرى وصل الى بلاد كوش حوالى النصف الثانى من الألف الرابعة ق . م . وفى الوقت ذاته قام نوع من (الجسر) الثقافى ــ ان صح هذا التعبير ــ بين حوض النيل وحوض النيجر وامتدت التأثيرات المصرية بذلك الى غرب القارة وبستوى فى ذلك انتقال الزراعة او انتقال الفكر السياسى الدينى الذى كان قد تبلور فى مصر وتمثل ــ كما ذكرنا ــ فى نظام الملكية ونظام الكهنة وظهور فكرة الملك الإله .

ومن المؤكد أن هذه الفكرة تطورت فى مصر ذاتها ولم تفد اليها من الشرق كما كان المظنون من قبل ، أى أن تطور هذه الأفكار والآراء والتصورات كان يرتكز الى قاعدة افريقية خالصة ، فالأفكار المتعلقة بالموت والموتى مثلا كما تعبر عنها كثير من الرسوم ، وكذلك شكل الحكومة تختلف كلها اختلافا واضحا عن الممارسات التى كانت توجد فى آسيا الصغرى مثلا ، وهذا هو مايجعلنا نقول ان نظام الملك الإله هو (اختراع) مصرى افريقى بحت ، وقد وجدت لعدة قرون وحتى الآن فى يوغنده ورامبيا ، وقد تختلف الآراء حول مدى

اسهام مصر واسهام افريقيا فى ذلك ولكن المهم هو انه كان على اقل تقدير تاثير متبادل بين مصر وتلك المناطق والمجتمعات الضارية فى داخل القارة الافريقية ، وان هذه العلاقة الثقافية التى تتمثل فى تشابه بعض النظم تشابها قويا كانت علاقة قديمة ولابد من أن تؤخذ فى الاعتبار حين نتصور مستقبل الثقافة فى مصر ، وبالتالى الثقافات التى يجب أن نأخذ منها فى رسم ذلك المستقبل .

فالاتصال المصرى الأفريقى كان اذن اتصالا قديما وكان يتم عن طريق البر والنهر والبحر على السواء ، كما كان يتخذ اكثر من شكل واحد ولكنها كلها اشتركت فى خلق التبادل الثقافى أو التأثير الثقافى المتبادل والى هجرة الحضارة المصرية وانتشارها فى انحاء مختلفة من القارة الافريقية باعتبار الحضارة المصرية كانت اكثر تقدما وتطورا من ثقافات المجتمعات الافريقية ، وان كان ذلك الاحتكاك يؤدى بالضرورة الى تبادل التأثير والاستعارات الثقافية .

وقد نشأ هذا الاتصال نتيجة لعدة عوامل .

كانت هناك أولا التجارة بين مصر وبعض مناطق افريقية حيث كانت مصر تحصل على العاج والأخشاب الثمينة وتستجلب العبيد من الجنوب فى مقابل ارسال الآلات الموسيقية والنسيج من الكتان وصناعات السلال المصرية وما الى ذلك من الصناعات الدقيقة المتطورة ، وقد أثر ذلك كله فى مجتمع كوش الذى يصفه بول بوهانان بأنه مجتمع افريقى اصلى واصيل ، ثم جاء وقت كانت فيه مملكة كوش أقوى وأكثر تقدما من مصر وذلك فى بداية الألف الأولى ق . م وحتى حوالى القرن الرابع الميلادى ، وهى فترة شاهدت تراجع الحضارة المصرية والقوى المصرية أمام هجمات الحيثيين ، وغيرهم من شعوب آسيا الصغرى حتى حققت مصر لحكم مملكة كوش ذاتها ، ومع ذلك ظل تأثر الثقافة المصرية القديمة يتجه نحو الجنوب حتى وان لم يصاحبه هجرة الناس أو انتقالهم ، وقد حملت كوش هذه الثقافة المصرية ونقلتها الى كل المناطق التى خضعت لسلطانها حتى منطقة مروى التى تولت نشر كثير من عناصر تلك الثقافة الى انحاء ومناطق أخرى من افريقيا ، وظلت مروى تلعب هذا الدور الى أن ضعفت هى ذاتها فى القرنين الثالث والرابع الميلاديين وظهرت امبراطورية الحبشة وما ارتبط بذلك من دخول المسيحيين اليها وقيام حضارة اثيوبيا المسيحية ، وقد انتشر مع التجارة من مروى الى المناطق الأخرى التى خضعت لنفوذها التنظيمات السياسية والعسكرية التى أصبحت تميز الممالك والامبراطوريات الأفريقية فى القرون الوسطى بما فى ذلك نظام الملكية الذى يعكس كثيرا من ملامح النظام المصرى القديم .

● اهتمام منذ قديم الزمان

وكان هناك ثانيا حركات الكشف فى افريقيا وهى حركات اهتم بها المصريون القدماء لاستكشاف داخل القارة الافريقية ، وقد سلكت هذه الرحلات طريق النهر منذ حوالى الالف الثالثة ق . م ، كما اتجهت رحلات القوافل بطريق البر جنوبا

نحو كوش أو أرض « النوبيين السود » تحمل معها فى طريق العودة الأبنوس والعاج والعبيد على ماذكر ، وكانت هناك أيضا الرحلات البحرية منذ عصور الأسرات المبكرة ، اذ كانت تخرج المراكب منذ الألف الثالثة ق . م . إلى بلاد بونت ومن أشهر هذه الرحلات ، التى كنا نتعلمها فى المدارس منذ الصغر الرحلات التى كانت ترسلها حتشبسوت الى هناك لتحمل المتاجر ولقد افلح المصريون فى وقت من الأوقات فى جلب الأفيال واستخدامها فى الحروب ، بل ان مصر ارسلت حوالى عام ٦٠٠ ق . م . اسطولا يتولى أمره بحارة فينيقيون ليدور حول القارة كلها من الشرق الى الغرب ، ويقال ان هذه الرحلة استغرقت ثلاث سنوات حتى عاد الأسطول مرة أخرى الى البحر المتوسط عن طريق مضيق جبل طارق (أو أعمدة هرقل) ، وبصرف النظر عن دقة هذه الرواية فانها تكشف عن مدى اهتمام مصر بكشف القارة وأن تلك الكشوف تعدت خط الاستواء .

ولم يقتصر ذلك الاهتمام على مصر الفرعونية بل ان شمال القارة ظل يهتم بكشف داخل القارة أيام الرحالة العرب المسلمين الذين وصلوا الى غرب افريقية .. فالعرب فى المغرب مثلا كانوا يرسلون (بعثاتهم) حوالى عام ٧٣٠ لتحرير تجارة الذهب من سيطرة غانا وقد سجل الفزارى ذلك ، كذلك يحدثنا ابن حوقل حوالى عام ٩٥٠ عن أحوال التجارة المنظمة بين غانا وشمال افريقيا ويصف لنا نهر النيجر الذى كان يظنه نهر النيل واستمرت الرحلات بعد ذلك واشتهر منها رحلة ابن بطوطة عام ١٣٥٢ التى وصل فيها الى مالى . والطريف أنه لم تظهر اية خريطة أوربية عن غرب افريقيا الا بعد زيارة ابن بطوطة باثنى عشر عاما ، وتمر القرون لكى نجد فى آخر الأمر اهتمام الخديو اسماعيل بحركات كشف منابع النيل واسهام مصر فى ذلك بما فيها مغامرة أمين باشا الشهيرة .

ولقد كانت مصر دائما هى المدخل الشمالى للأديان السماوية الى القارة مثلما كانت هى المدخل الى رحلة فكرة الملك المقدس أو الملك الإله فى حضارتها القديمة . فعن طريق مصر دخلت اليهودية والمسيحية والاسلام الى القارة ، واذا كنا نتكلم دائما عن أن مصر هى هبة النيل وأن النيل هو أجمل ارض مصر وأصل حضارتها فانه بدون بحيرة تانا التى يبدأ منها النيل الأزرق الذى يحمل الماء والطمى ، وأنه بدون النيل الأبيض الذى يبدأ من مخرج بحيرة فيكتوريا فى يوغنده لما كان النيل ولما كانت ارض مصر وحضارتها ، فاننا نستطيع أن نقول بالمثل ان مصر كانت تحمل فى المقابل الى افريقية تيارات الفكر والدين والحضارة ، ولكن الحضارة المصرية القديمة لم تكن الحضارة الوحيدة التى حملتها مصر الى افريقيا ، فالتراث اليهودى لم يكن لينشأ وينمو ويتطور ويدخل الى افريقيا لو لم يكن قد تم انتشال ذلك الطفل الشهير (موسى عليه السلام) على مايقول على المزروعى وانقاذه من الغرق لكى تتبناه امرأة فرعون وينشأ ويتربى فى بلاط الفرعون ثم يأتى بعد ذلك بنواميس بنى

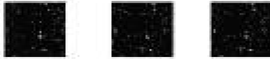
اسرائيل وشريعة موسى والديانة اليهودية ، وبالمثل فان المسيحية وصلت الى افريقية عن طريق مصر مثلما دخلها الاسلام ، وأصبحت افريقية بذلك ملتقى للثقافات الدينية الكبرى الوافدة اليها من مصر مثلما كانت ملتقى للديانة المصرية القديمة وأديان افريقيا التقليدية ، بكل مايحمله ذلك من تطور الفكر الدينى والاجتماعي والسياسى على عكس ما كان يقال فى كثير من كتب الرحالة الغربيين الأوائل .

وكثير من الأفارقة أنفسهم يفخرون بالحضارة المصرية القديمة ويعتبرونها حضارة افريقية فى الأول بل وحضارة (سوداء) أيضا ، وأنها هى أصل ومبعث حضارة الأغريق ، والمؤرخ والعالم السنغالى الشهير الشيخ انتاديوب يرى ان حضارة مصر هى التي وضعت الاساس الحقيقى لمعجزة اليونان الفعلية وان تاثيراتها لم تقتصر على الشعوب والقبائل السوداء فى افريقيا وحدها وانما تعدت ذلك الى أفارقة (الشتات) فى الامريكتين .

ولسنا هنا على اية حال فى معرض تعداد الشواهد والبيانات التى تشير الى قوة العلاقة بين افريقيا ومصر خلال كل تاريخ مصر الطويل ، وإنما الذى يهمنا هو أن هذه العلاقات كانت قائمة بالفعل وانها علاقات قديمة قدم التاريخ المصرى كما أنها استمرت استمرار ذلك التاريخ واستمرار المجتمع المصرى ورغم كل ماطرأ على مصر وعلى أفريقيا من تغيرات وأحداث وانها صمدت لكل الظروف والمحاولات التى كانت تهدف الى قطع العلاقة بين مصر والقارة التى تنتمى اليها بحكم الموقع والتاريخ والتراث والمصالح وان هذا كله من شأنه أن يدعو الى أن ننظر الى البعد الأفريقى فى نظرتنا الى مستقبل الثقافة فى مصر .

وصحيح أننا لازلنا نجهل الكثير عن ذلك البعد الأفريقى كما نجهل الكثير جدا عن الثقافات الافريقية ذاتها ولكن هذا الجهل ذاته يجب أن يكون دافعا الى الاهتمام بالقارة وثقافاتها ، فليس ثمة مايبرر أبدا اقتصار مصر على الأخذ بثقافة الغرب ـ رغم اهميتها ـ أو التنكر للتراث الثقافى الافريقى الذى بدأ يجذب اليه اهتمام العالم وتقديره ، ولقد أفلح عدد من الشعراء والأدباء الروائيين والمسرحيين والفلاسفة فى أن يفرضوا أنفسهم على الثقافة العالمية ويكشفوا عن عمق الثقافة الأفريقية وتنوعها .

وليس من شك فى أن مصر فى ضوء كل هذا التاريخ الطويل خليقة بان تعطى ذلك التراث ما يستحقه من عناية وان ندرسه وندرس تاريخ العلاقات المصرية الأفريقية ونفيد منها فى تعرف طريق مستقبلنا الثقافى الذى يجب أن تكون نظرته كلية شاملة تأخذ فى اعتبارها البعد الافريقى مثلما تأخذ بالضبط البعد الاسلامى العربي والبعد المتوسطى والبعد الغربى ، فهل نحن فاعلون ؟ .



بقلم: د. شكري محمد عياد

قصص الحب

يبدو ان حديث التعليم سوف يطول بنا جداً . والحق ان التعليم يجب ان يناقش على أوسع نطاق ، وان مشكلاته يجب ان تدرس كأحسن ما يكون الدرس ، اى كما يدرس القمح فى الجرن لفصل الحب من التبن ، فبذلك فقط نميز ما يصلح لغذاء الآدميين ، وما لا يصلح إلا للبهائم . والتعليم فى هذا العصر بالذات هو مفتاح المستقبل (مع انه مهم فى جميع العصور ، وحسبك انه يشغل القسم الأكبر من جمهورية أفلاطون) . والمتخصصون فى حضارة اليابان يعزون تقدمها إلى عاملين اثنين لا ثالث لهما : احدهما التعليم ؛ أما الثانى فلا تؤاخذونى إن كنت قد نسيته ، واغلب ظنى انه محافظة المجتمع اليابانى على تقاليده العريقة (وهذا بالضبط هو ما يتعرض لأشد الخطر فى يابان الحاضر والمستقبل ، وما يجب أن نتنبه إليه حتى لا نفقد انفسنا فى غمرة الذهول أمام المعجزة اليابانية) .

● ألم اقل لكم إن حديث التعليم سوف يشغلنا طويلاً ؟ فها نحن أولاء ولما نكد نشرع فيه ، قد أخذ بنا يمنة ويسرة ، مرة نحو القديم جداً ومرة نحو الحديث جداً ، ويكفى أن ننظر حولنا لنرى المعضلات تتراكم ، والحلول تقترح - ويشرع فى بعضها - تحت ضغط الضرورة ، أو إغراء التحديث ، دون نظر إلى الغاية ، أو إعداد للوسائل . فلنتنفس برهة ، ولنملأ رئتينا بالهواء قبل أن نخوض فى هذه اللجة .

وهل ثمة هواء أطيب من ذلك الذى يأتى


احسان عبدالقدوس


محمود تيمور


محمد عبدالحليم عبدالله

من جهة المحبوب ، وهل ثمة حديث أعذب من حديث الحب ؟

فليكن حديثنا هذه المرة ، وللمرة الأخيرة (وعد لا أضمن الوفاء به !) عن سيرة الحب ، وقصص الحب !

وعذرى ، أيها المتزمتون ، أن الحب تهذيب للنفس ، ومعراج إلى التصوف . وما دمنا نريد أن ننظر في أمور التعليم فلا أظن أن الكثيرين سوف يخالفوننا في أن الشباب قد يتعلمون من قصص الحب أحسن مما يتعلمون من قصص الجريمة . وفي العالم العربي الآن جيلان على الأقل تربوا على قصص المنفلوطي المترجمة ، ولوثوا بدموعهم صفحات "مجدولين" و"الشاعر" و"الفضيلة" و"في سبيل التاج" . وأعانتهم هذه القصص على عبور مرحلة المراهقة بأقل ما يمكن من الخسائر ، وإذا كانوا لم يستفيدوا منها شيئا آخر فقد استفادوا على الأقل شيئا من جمال التعبير .

وأذكر من أيام الصبا - ولم أكن قد بلغت تلك السن الخطرة بعد - أنى اكتشفت هذه الروايات عند قريبة لى معلمة ، وكانت شديدة المحافظة عليها ، والضن بها ، لا تعيرنى إياها إلا واحدة واحدة ، وبشرط سرعة الرد ، ولم يكن هذا الشرط ضروريا ، إذ كنت ألتهم الرواية فى ليلة . وكانت أكثر روايات المنفلوطى تداولاً ، وأعمقهن تأثيراً ، رواية "مجدولين" التى كان عنوانها الأصلى "تحت ظلال الزيزفون" . وقد جعله المنفلوطى عنواناً ثانويا على عادة كثير من الكتاب فى تلك الأيام "مجدولين - ولعله كتبها هكذا "ماجدولين" - أو تحت ظلال الزيزفون" . والرواية وكاتبها - ألفونس كار - ليست لهما مكانة كبيرة فى الأدب الفرنسى ، بعكس رواية "الفضيلة" ، وعنوانها الأصلى "بول وفرجينى" التى لم تحظ فى صورتها العربية بمثل حظ الأولى . ولعلك تعرف الآن سيدات فضليات ، أعمارهن غالباً بين الستين والأربعين ، واسمهن مجدولين . فقد جعل المنفلوطى هذا الاسم شائعاً فى وقت من



الأوقات ـ هو الذى كان شديد الخوف من طغيان الحضارة الغربية ! ـ وبذلك شجع الناس على أن يسموا بناتهم فيما بعد سوزان ، وديزى ، وداليا ، الخ .

أما قريبتى التى أعارتنى هذه الروايات فلا تحضرنى ذكراها اليوم إلا وجرت معها أسفاً على شبابها الضائع ، كانت تكبرنى بسنوات غير قليلة ، وتنتمى إلى تلك الطبقة من المعلمات اللائى كانت وزارة المعارف تحرم عليهن الزواج . وعندما رفع عنهن ذلك القيد الجائر كانت قد جاوزت تلك السن التى ترغب الخطاب . وبعد أن عنست جاءها الخاطب ، تاجر فى سوق الخضار . رضيت بنصيبها ، وختمت حياتها التعيسة معه أسوأ ختام .

● المرأة والقصص

دعيت الروائية الإنجليزية المشهورة "فيرجينيا وولف" مرة لإلقاء محاضرة بعنوان "المرأة والقصص" . وفى الأدب الإنجليزى روائيات قبلها ظفرن بشهرة عالمية ، منهن جورج إليوت ، وجين أوستن ، والأختان برونتى . وربما كان أول ما يتبادر إلى الذهن من عنوان كهذا أن تتحدث الروائية المعاصرة عن الروائيات السابقات ، أو عن الأوسع شهرة منهن ، ولكنها ـ وهى صاحبة الأسلوب الروائى الذى يعتمد على الاستبطان ، جعلت تتأمل العنوان وما وراءه وما يخطره بالبال ، فوجدته محتملاً لمعان ثلاثة : فلعل الذى يطرح هذا السؤال يريد أن يعرف شيئاً عن طبيعة المرأة وعلاقتها بالقص ، أو عن صفات الأعمال القصصية التى تكتبها نساء ، أو عن النساء وما يكتب عنهن من قصص . وقد رأت أن هذه المسائل جميعها مرتبطة بقضية واحدة وهى وضع المرأة الاجتماعية . وكان حكمها فى المسألة الثانية ذا صلة بالأولى والثالثة . وهذا الحكم هو أن المرأة يجب أن تستقل بمعاشها ومعيشتها ، أو على حد تعبيرها أن يكون لها مالها الخاص وغرفتها الخاصة ـ إذا كان لها أن تكتب قصصاً . ومن هذه العبارة الأخيرة أخذت عنوان كتابها النقدى اللطيف الذى بنته على تلك المحاضرة : "غرفة تخصنى" .

وأحب أن أضيف إلى هذه المسائل الثلاث مسألة رابعة ، وهى علاقة القصص بالمرأة القارئة . فكما نتساءل عن طبيعة المرأة كما يتصورها القصاص ، وعن الأعمال الروائية التى تكتبها النساء ، والتى تكتب عن النساء ، فيجب أن نتساءل أيضاً عن الأعمال القصصية التى تكتب للنساء ، أى الأعمال التى يكتبها الكاتب وفى ذهنه جمهور معين ، معظمه من النساء .

ومع التسليم بأن هذا السؤال الأخير لا يخرج عن نفس الدائرة ، وهى وضع المرأة الاجتماعى ، نقول إن له تميزه

واهميته ولا سيما فى مجتمعاتنا العربية فقد لاحظت من السنين الطويلة التى قضيتها فى التدريس أن الفتيات أشد إقبالا على القراءة عموماً من الفتيان . وفى مقدمة قراءاتهن يأتى الشعر (الحديث) والقصص . ولابد لمؤرخ ادبنا المعاصر أن يلاحظ أن أوسع شعرائه وروائييه شهرة يتجهون بوعى إلى جمهور نسائى .

وقد كانت قريبتى المعلمة واحدة من طليعة الجمهور النسائى القارىء فى العالم العربى . ولا أحسب أن المنفلوطى كان له اهتمام خاص بهذا الجمهور . فقد كان يكتب للجمهور العريض ومعظمه من الرجال . ولكن الجو النفسى العام فى الفترة التى أطلعت معظم كتاباته ـ بين موت مصطفى كامل سنة ١٩٠٨ والثورة المصرية الكبرى سنة ١٩١٩ ـ كانت فترة خيم فيها اليأس على النفوس ، فترة الآمال المحبطة التى تضخم فيها ديوان المراثى ، وشاع تعاطى المخدرات كما انتشرت دور اللهو الرخيص . فكانت روايات المنفلوطى التى تصور الحب البرىء المحروم وتستمطر الدموع على حظوظ المحبين وتنسب كل شىء إلى القدر ، بلسماً لجراح الرجال والنساء جميعاً ، ولا سيما الشباب . وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية ـ وكانت فترة شبيهة من بعض الوجوه بالفترة السابقة ـ ظهر فى مصر أيضاً كاتب روائى أعاد سيرة المنفلوطى ، وهو صديقنا المرحوم محمد عبد الحليم عبد الله ، حين كتب روايته الأولى "لقيطة" ، وهى قصة فتاة تفقد آمالها فى الحب والسعادة لجريمة ارتكبها أبواها قبل أن تولد . ولكن عبد الحليم كان من الذكاء والحساسية بحيث واكب الجو الاجتماعى المتغير من حوله ، فأصبحت شخصيات الرجال والنساء فى رواياته التالية ـ والحب هو موضوعها الأساسى دائما ـ أشد صلابة وتعقيدا ، وأقدر على تبادل الحب ـ أو تبادل الإيذاء .

ولم يكن عبد الحليم ـ على كل حال ـ يتجه إلى جمهور القارئات خاصة دون القراء أو قبل القراء ، مثله فى ذلك مثل سلفه المنفلوطى . فكلاهما لم تؤهله نشأته الريفية القحة ولا بيئته التعليمية والاجتماعية لأن يتقن الحديث إلى النساء . ولكنه عاصر رعيلاً من الروائيين ، منهم المشهور ومنهم الأقل شهرة ، ومنهم من خرج من دنيانا ومنهم من لا يزال يكتب وتنشر قصصه ورواياته على أوسع نطاق ويشاهدها الناس على شاشات السينما والتليفزيون . هذا الفريق ينتمى بنشأته وثقافته إلى مجتمع المدينة ، كما أن علاقاته الاجتماعية تربطه بالشرائح العليا من هذا المجتمع ، وخبراته فى وسائل الإعلام تتيح له معرفة أوثق بميول الجمهور القارىء ، وقد أصبح معظمه من النساء .

قصة الحب هى اللون المفضل عند هذا

الفريق أيضا . ولكن ما أبعد الفرق بينها وبين القصص التى عربها المنفلوطى ! وهم كذلك يختلفون اختلافاً بينا عن معاصرهم محمد عبد الحليم عبد الله الذى تفرد بموضوع الشاب الريفى القادم إلى المدينة حين يصطدم فى نموه العاطفى بتقاليد غريبة وشخصيات غريبة ، وذلك قبل أن يغوص ، بشجاعة أكبر وواقعية أكبر ، داخل التركيبة الاجتماعية لمجتمع الريف نفسه حيث يصبح الحب قريناً للجريمة . لقد عانى كتاب القصة والرواية ، منذ بدءوا يقبلون على هذا الفن ، من غياب عنصر المرأة فى مجتمعاتنا . ولم يتخيلوا أن أدبا قصصياً أو روائياً يمكن أن يقوم دون أن يهتم أساسا بالعلاقات بين الرجل والمرأة . وصرح محمود تيمور بهذه الشكوى فى مقدمة إحدى مجموعاته القصصية الأولى ، رغم أن محمود تيمور كان يعتنق المذهب الواقعى الذى لا يحتم بالضرورة أن تبنى القصة أو الرواية على العلاقات بين الجنسين ، ولا أن تكون هذه العلاقات ، إذا وجدت ، محصورة فى إطار عاطفة "الحب" بطقوسها الرومنسية (كما أثبت نجيب محفوظ فيما بعد ، فمعظم أعماله تدور فى تلك الحقبة نفسها ، التى شكا محمود تيمور من أن أوضاعها الاجتماعية لا تساعد القصاص) . ولكن الحقيقة ، كما يمكننا أن نراها الآن ، هى أن المناخ الفكرى فى عقد العشرينيات كان مناخاً رومنسيا ، ولذلك بدا غياب المرأة عن المجتمع للرواد الذين أرادوا كتابة قصص عربى ، غير متسترين بالترجمة كما فعل المنفلوطى ، مشكلة صعبة الحل . ونحن نعرف كيف ظل "حامد" هيكل حائراً بين قريبته عزيزة التى محقت التقاليد شخصيتها وبين زينب الفتاة الريفية التى لا تستطيع أن تعطيه "الحب" بطقوسه الرومنسية . (أقترح أن يقوم أحد الباحثين بدراسة مقارنة بين شخصية البطلة الريفية فى الأعمال الروائية العربية الأولى مثل "زينب" وبين نظائرها فى الآداب الغربية الرومنسية وشبه الرومنسية مثل "جرازيلا" لامرتين ، وتس ، توماس هاردى . وأزعم أن رومنسيتنا لم تتحمس للحياة الفطرية كالرومنسية الغربية ، بل تميزت دائما بموقف مزدوج ومتناقض من المدنية) .

ونعرف أيضاً كيف بقى "إبراهيم الكاتب" حائراً بين الممرضة مارى المسيحية الشامية وبنت خالته شوشو والفتاة المصرية المتحررة ليلى ، التى يعجب بها ولكنه لن يتزوجها . إننا لانتكلم عن هذه الشخصيات والعلاقات كما لو كانت منقولة عن الواقع ، هذا بديهى ، ولكن يكفى أن تكون ممكنة فى تصور الكاتب وقرائه ، لكى تكون لها دلالتها الاجتماعية . إن دعوة قاسم أمين ، عند مفتتح القرن ، إلى "تحرير المرأة" لم تكن تعنى مطلقاً أن تكون لها المسئولية الأخلاقية الكاملة عن أفعالها ، فالاعتراف

بهذه المسئولية يتضمن درجة من الحرية الفردية لم يكن الرجل نفسه يحلم بها . كانت ليلى إذاً نموذجاً فريداً في زمانها ، بل ومتقدمة . بمعيار الحرية الفردية واستقلال الشخصية ، حتما على نساء الثمانينيات . اما نمط الحرية الذى شاع فى أوائل الثلاثينيات فلم يكن يعدو درجة من حرية الاختلاط خارج نطاق الأسرة والاقارب الأدنين ، بعد أن هُجر النقاب ، وأصبح التعليم حقاً مقرراً للفتاة . ولو أن نسبة الفتيات اللائى كن يصلن إلى التعليم الجامعى المختلط كانت ضئيلة جداً .

ولكن الطريق انفسح ـ شيئاً فشيئا اما القصصيون الشبان الذين ارادوا أن يكتبوا عن الحب فى بيئة مصـرية ، كتابة يزعمون انها واقعية . وكان رائد هذا الرعيل المحامى محمود كامل صاحب مجلتى "الجامعة" و"الـ ١٠ قصص" . كانت بطلاته من خريجات "الساكركير" أو "المير دى ديبه" ، اما ابطاله فهم غالباً فنانون أو شعراء (بالفرنسية) او موظفون فى السلك السياسى . وكان يخلع على بطلاته نعوتا غريبة مثل "كانت تشبه أميرة هندية" أو نحو ذلك . ولا ادرى كيف كان أبناء تلك الطبقة ينظرون إلى قصصه ، وأغلب الظن لم يعرفوا عنها شيئا ، فقد كانوا لا يقرءون ـ إذا هم قرءوا ـ سوى الفرنسية . أما نحن الذين كنا نعيش فى القرى والمدن الصغيرة ونخرج إلى الطريق بالجلباب والشبشب فقد حلت قصص محمود كامل عندنا محل قصص المنفلوطى .

● زخرفة الواقع

لم تعد قصص الحب تحملنا إلى عالم خاص بها ، كل ما فيه حب فى حب . فليس لأبطاله شغل فيما يبدو إلا اللقاء وتبادل الشكوى وذرف الدموع وكتابة الرسائل الغرامية . عالم لا يشبه عالمنا ، ولا يفترض فيه ذلك ، وأوضح دليل هو تلك الأسماء الاعجمية . ولكنه يغذى فى نفوسنا تلك العاطفة المبهمة ، الخجولة ، المنطوية ، عاطفة حب الحب ، بكلمات ناعمة تشبه التراتيم السحرية . أصبح لقصة الحب ، على يدى محمود كامل ، شبه بالواقع، واقع نسمع عنه ولا نعرفه ، ولكننا نستطيع ان نحلم بأن نعيشه يوما ، وان ننسى حب الحب الذى لا سبيل إليه ، بحب مضمخ بالعطور ، مائس فى شفوف الحرير .

وخرجنا من التجربتين لنستقبل اليأس من الحب الحقيقى . وأين نجد فى الحياة التعسة حولنا مجدولين أو فرجينى أو الأميرة الهندية ؟

ولكن محمود كامل فتح الطريق لمن بعده . وساعدت الظروف الاقتصادية والسياسية على ظهور المراة اكثر فاكثر ، وبجرأة وثقة متزايدة ، فى المجتمعات العامة ، وإن لم تكتمل لها الحريتان اللتان

تحدثت عنهما فرجينيا وولف ـ حرية المعاش وحرية المعيشة ـ إلا فى حالات شاذة .

هذه المرحلة الحرجة من تطور المرأة الاجتماعى هى المرحلة التى تصورها روايات إحسان عبد القدوس . وقد كان إحسان يتخصص فى قصص الحب لأن المرأة يشغلها التفكير فى الحب أكثر مما يشغل الرجل ، والمرأة قارئة أكثر مواظبة من الرجل . وشخصية البطلة فى روايات إحسان أهم من شخصيات الأبطال الرجال . إلى درجة أنك تشعر فى كثير من الأحيان شعوراً غريباً بأن الرجال يرسمون كما تتصورهم المرأة ، حتى إذا لم يكن ضمير المتكلم فى الرواية لامرأة . ونساء إحسان لسن قويات الشخصية ، ولا مستقلات الإرادة ، ولكنهن يتقن إلى التحرر من الضغوط الاجتماعية التى لا تسمح لهن بممارسة الحياة كما يمارسها الرجال . والقدر الذى يحصلنه من الحرية لا يلبث أن يفقد حين يقابلن رجل الأقدار الذى هو فى الغالب نذل ساحر ، ومع أن الكاتب يشعرنا بأن البطلة قد ارتكبت خطأ اجتماعياً أو أخلاقياً حين تورطت فى علاقتها معه ، فإنه يصور هذه النتيجة كما لو كانت قدراً محتوماً .

إن الخطورة فى روايات إحسان عبد القدوس ليست فى منافاتها للأخلاق كما اتهمت علناً ، بل فى أنها لا تساعد المرأة على عبور هذه المرحلة من تطورها الاجتماعى ، حتى كأنها تزين لها البقاء فيها ، بأن تزيل من نفسها الشعور بالقلق لأنها لم تحقق بعد شخصيتها المستقلة . الحب عنده حب مريض لأنه حب مسلوب الإرادة ، وقصة الحب اعتذار عن أخطاء الحب ، أو تمهيد لها (لأختار أخف العبارات) . وأنا أصف هذه الظاهرة بالخطورة لأن الأدب ليس مجرد مرآة للواقع (دعونا من قضية "استقلال العمل الأدبى" فهى هراء) ولكنه كثيراً ما ينجح فى صنع نماذج يحتذيها الواقع . لقد قيل ان موجة من الانتحار شاعت بين الشباب الأوربى فى أواخر القرن الثامن عشر بعد أن نشر جوتة " آلام فرتر " ، وإن كثيراً من شباب الروس فى ستينيات القرن الماضى قلدوا شخصية "بازاروف" العدمى الرافض فى رواية تورجنيف " الآباء والبنون " .

• كاتبات الرواية

لعلنا لا نخطىء إذا قلنا إن كثيراً من النساء العربيات قد استطعن ، فى هذه السنوات الأخيرة ، أن يحققن استقلالية المعاش والمعيشة ، التى تحدثت عنها فرجينيا وولف ، وبذلك أصبحن مؤهلات ، لأول مرة ، لكتابة الرواية .

وأود ، ابتداء ، أن أقول إن فكرة

"الأدب النسائى" لا مكان لها فى اعتبار النقد . فليس للأدب الذى تكتبه المرأة صفات خاصة تميزه عن الأدب الذى يكتبه الرجل . نعم ، إن المرأة تعبر ، بالضرورة ، عن تجارب حياتها ، ولكن معظم هذه التجارب يشترك فيها المرأة والرجل . ثم إن الرجل لابد له من أن يفهم المرأة ، كما أن المرأة لابد لها من أن تفهم الرجل . والاختلاف فى خامة الحياة التى تصاغ منها الأعمال الأدبية لا يقف عند حدود "محيط المرأة ومحيط الرجل" بل يتنوع إلى مالا نهاية . فلو صنفنا الأدب طبقاً لمادته لوجب أن نجعل لكل إقليم فى الصعيد أو الدلتا أو الشواطىء مثلاً أدبه الخاص ، ولكل مهنة ، كالطب والمحاماة والهندسة ، أدبها الخاص .

وأحسب أن فيرجينيا وولف عندما قالت إن المرأة لن تكتب الرواية إلا حين تصل إلى هذه الدرجة من الاستقلال ، لم تنكر قيمة روائية مثل إميلى برونتى أو جين أوستن ، ولكنها أرادت أن رواياتهما كتبت فى محيط ضيق (نسائى نعم ، ولكن هذا لا يجعل الروايات نفسها نسائية) . فالعبرة فى الفن ليست بالمادة الروائية ، بل بالإبداع الروائى ، وقوة الإبداع واحدة لدى الجنسين . والذى تعنيه فرجينيا وولف - على ما يبدو لى - هو أن أفق المرأة الكاتبة سوف يتسع ، ومادتها الأدبية سوف تغزر ، حين تمارس الحياة كما يمارسها الرجل . وعند ذلك ستكتب روايات كالتى يكتبها الرجل .

ونحن اليوم فى حاجة إلى مثل هؤلاء الكاتبات ، لا ليكتبن أدباً نسائيا ، بل ليثبتن أن مثل هذا الأدب لا وجود له ، وأن الصورة التى رسمها الرجال للمرأة الحديثة صورة زائفة ، لا لأنهم عجزوا عن فهم المرأة ، بل لأنهم لم يحتضنوا قضيتها الاجتماعية ، ولأنهم اهتموا بإرضاء قارئاتهم ، أكثر من اهتمامهم بكشف الحقائق لأولئك القارئات . والكاتبة الحديثة حقا ، المستقلة حقا ، قلما تكتب الآن قصة حب ! ربما لأنها مشغولة ، مثل الرجل ، بمسائل أخطر وأشد إلحاحاً وأمس بالواقع من الحب (تلك العاطفة التى يمكن أن تستغرق الحياة وتأكلها) . نعم ، إنهن ، مثل الروائيين المجيدين من الرجال ، يصورون العلاقات بين الرجل والمرأة فى مجتمع لم يعد يقيم الحواجز بينهما ، وينظرن إليها ، كما ينظر أندادهن من الرجال ، بمنظار مركب من ثقافات متعددة نفسية وأنثروبولوجية واجتماعية . ولعل هؤلاء وهؤلاء يصورون غياب الحب أكثر مما يصورون الحب . ولكن غياب الحب لا يعنى انعدامه فى نفس الإنسان ، بل قد يعنى ضرورة الكفاح لإيجاده . ويا له من تطور رائع ! من حب الحب بلا أمل فى وجوده ، إلى نعى الحب تمهيداً لبعثه !

العقل البشرى

يصل ما انقطع بين الدين والعلم

بقلم : د . يس عبد الغفار

● ان المفهوم السائد عن العلم والدين اليوم هو انهما جانبان متباينان بل متنافران من جوانب الفكر الانسانى ، وان اية محاولة لعرضهما فى اطار واحد سوف تفضى لا محالة فى النهاية الى سوء فهم للنظرية العلمية والعقيدة الدينية على السواء . بل ان بعض المفكرين يرون فى النظرية العلمية والعقيدة الدينية ضدين يتصارعان فى معركة دامية . وفى الحقيقة فان الامر قد لايكون على هذا النحو ، فشتى اعمال الانسان وسلوكياته مردها رغبات ودوافع واعية او مستترة ، وككل مافى الحياة فان وراءها من الاسباب ماقد يستطيع أو لا يستطيع الانسان فهمه وتحليله ، ولكنها تبرر تماما القول القديم انه « لاشىء يأتى من عدم »

ويقوم البحث العلمى على اساس من رغبة الانسان الملحة فى كشف نواميس الطبيعة ، بينما ترجع الضالة الدينية فى الانسان الى رغبته الشديدة فى ان يتفهم الكون والحياة لا على سبيل المعرفة المكتسبة من التجربة الواقعية ، وانما على سبيل خبرته فى الحياة تلك الخبرة التى ترضى طبيعته العقلانية . ومن هنا اختلفت الوسيلتان فبينما ينهض العلم على دراسة قوانين الطبيعة من خلال مدخل تجريبى موضوعى فان الدين يعتمد على التجربة الانسانية الذاتية فى الحياة ، التى تقوم بالدرجة الاولى على الاحساس

كان عنوان المقال الاصلى « الجوانب الاخلاقية فى حياة الطبيب » ، ولكنى عندما شرعت فى كتابته وجدتنى منساقا رويدا فى استسلام تام لمناقشة حول العلاقة بين الدين والعلم .

ولاغرو فالطب ضرب من العلم ، والاخلاقيات ضرب من الدين . وعندما اتممت النص وجدته مغايرا للعنوان الاصلى . وبرغم هذا شعرت ان موضوع العلم والدين أجدر من مجرد التركيز على الجوانب الاخلاقية فى حياة الطبيب ، ومن ثم كان لزاما علىَّ ان استبدل بالعنوان الاصلى عنوانا اخر والحقيقة ان قضية العلم والدين هى قضية العصر وستظل قضية عصور قادمة .



الشخصى . وما التعبيرات التى كثيرا مانسمعها عن « الطبيعى فى مواجهة الخارق للطبيعة » او « المادية فى مواجهة الروحانية » الا شواهد على هذا التباين المستقر فى الاذهان بين العلم والدين .

واذا امعنا النظر فى هذا الامر من وجهة النظر الاجتماعية الانثروبولوجية فاننا نتبين هدفا مشتركا لكل من العلم والدين ، الا وهو السعى وراء الموضوع عن كل مايؤدى الى مدلول متماسك فى نطاق كل منهما .

فمفهوم العلم هو صدق التنبؤ بالحدث وامكان التحكم فيه .

وفيما يتعلق بالدين فالمقصد هو توضيح الهدف الاخلاقى ومعنى الذات .

وفى النهاية فان الهدف الاخير لكليهما هو الحفاظ على بقاء المجتمع ، والحيلولة دون اضمحلاله وفنائه .

وخلاصة الامر : انه بينما تنصرف اهتمامات العلم الى محاولة التعرف على اسباب الظواهر الكونية ، فان هم الدين هو الكون ذاته .

◎ الصلة بين العلم والدين

قد لايعرف البعض ان العلم الحديث قام على اساس من الدين ، ولكن الحقيقة هى ان العلم الحديث نشأ ثم تطور نتيجة لتركيز الفكر الانسانى حول فكرة الخلق التى اوردتها الاديان فى الكتب المقدسة .

العقل البشري

يحل ما اختلط بين الدين والعلم



ومن ناحيه اخرى فان الايمان بوحدانية الله ، والبعد عن تأليه الطبيعة وهما ركيزتان اساسيتان فى الدين ، قد شجعتا الانسان على استكشاف الطبيعة وتسخير مواردها لصالحه . ومن هنا كانت نشأة العلوم الطبيعية التى تطورت بعدئذ الى العلم الحديث .

وفى هذا الصدد فانه يمكننا ان نقول : « وانه ان كان جسم العلم من صنع الإغريق ، فان فيتاميناته وهرموناته كانت هى الدين »

ويمكن القول على سبيل التشبيه بانه ان كان الدين هو كتاب الله المنزل فان العلم هو كتاب الطبيعة ، وهما الكتابان اللذان اراد الله ان يعرّف بهما نفسه لخلقه .

وهناك ادراك متزايد حول ما انزله العلم بالبشرية من اضرار بالغة ، فهناك الفزع الدائم من التلوث البيئى وما يسببه الاستخدام المتزايد للعقاقير الكيميائية فى مجال العلاج الطبى ، وفوق هذا كله ذلك الكابوس المخيف الذى يجثم على صدر البشرية من احتمال قيام حرب نووية والتلوث الناجم عن استخدام الطاقة النووية ، وهى احدى الثمار المريرة للفكر العلمى فى ازهى اطواره . وهكذا اصبح رجال العلم ـ على مختلف تخصصاتهم وجها لوجه ـ أمام مشكلات اخلاقية عصية الحل وقضايا اجتماعية اليمة الاثر نتيجة لبعض بحوثهم العلمية « البحتة »

وفى المقام الثانى : ان ماتشهده من اندلاع الحروب وقيام الثورات فى شتى انحاء العالم ينهض دليلا على عجز العلم عن تقديم السلام لهذا العالم المضطرب .

وفى المقام الثالث : فان اهمال العلم

للجانب الروحى للانسان ، قد اوقع الانسان فريسة للمعاناة والتوتر العصبى وعدم الرضا والاضطرابات النفسية ، التى يزخر بها المجتمع الغربى الذى افرز ويعيش النمط العلمى .

وفى المقام الرابع : فان مايعترى النظريات العلمية من تغير دائم هو سمة مزعجة من سمات العالم ، فان « اللايقينية » و« النسبية » عند انيشتين هما فى حقيقة الامر نقيصتان اساسيتان فى شأن العلم اليوم .

● حاجة الدين للعلم

الدين قوة . وقد دعا الاسلام الى استخدام القوة لنشر الدعوة وقهر اعدائه .

« **واعدوا لهم** ما استطعتم من قوة **ومن رباط الخيل** ترهبون به **عدو الله وعدوكم** » صدق الله العظيم « الانفال ٦٠ »

وإذا كان العلم يرمى الى تسخير موارد الارض لمصالح الانسان ، فانه بذلك يشكل الوسيلة التى يتحقق بها وعد الله للانسان باستخلافه فى ارضه .

« **ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون** » صدق الله العظيم « الانبياء ١٠٥ »

وان العلم بما كشف عنه من الظواهر الكونية الباهرة قد هيأ للانسان فرصة معرفة الخالق العظيم من خلال خلقه البديع ، وان « الجمال المقدس » و« التصميم البديع » و« موسيقى الخلق » و« رقصة الخلق » ماهى الا عبارات طالما رددها ويرددها رواد العلم عندما تكشفت لهم اسرار الخلق منبئة بعظمة الخالق .

ان حاجة الاسلام للعلم تتعرض اليوم لأخطار لم يسبق لها مثيل من قبل ، ولعل اظهرها ما يهدد بتقويض الاديان عامة من تلك الضغوط الخارجية التى تتعرض لها الاديان من قبل مبادىء المادية العلمية ، والتفسير الاقتصادى للتاريخ مما ترك بصماته على شرائح كثيرة من المجتمع الاسلامى .

ولعل العلاج الامثل لهذا الموقف هو التوغل الحكيم فى العلم .

والسؤال الان هو اذا كان العلم والدين فى حقيقة الامر تجمعهما رسالة واحدة ويربطهما هدف واحد ، رغم مافى ظاهر الامر من تنافر بل تناقض بينهما . واذا كان خير الانسان يتحقق تماما وجزما بالاخذ بهما معا فهل من وسيلة للخلاص من هذا التنافر الظاهرى ، والجمع بينهما فى نسق واحد او من صيغة تدمجهما فى مفهوم واحد .

والجواب هو انه وان كان هذا الامر يبدو فى الوقت الحاضر متعذر التحقيق الا انه لايخلو من الامل .

ويتمثل هذا الأمل فى القاء الضوء على هذا البرزخ الذى يقع بين الدين والعلم ، ولا ينتمي صراحة الى أحدهما الا وهو العقل الانسانى ، وان بحوثا تجرى فى هذا الاتجاه قد تكون كفيلة بتقليص الفجوة التى تفصل بين العلم والدين .

ولعل الدراسات التى يقوم بها الان فريق من العلماء على رأسهم د . سبرى الحائز على جائزة نوبل فى الطب سنة ١٩٨٣ . على العلاقة المتبادلة بين العقل والمخ قد تلقى شعاعا من نور على ذلك البرزخ ، ولعله من المناسب هنا أن أورد

العقل البشري

يحلل ما اختلط بين الدين والعلم



نص كلمات سبرى لانها تعكس فكر الخاصة من العلماء المحدثين والمرموقين . يقول د / سبرى « فى ضوء تصاعد المشاكل اليوم فى شتى انحاء العالم ، وفي غيبة التحكم في الانفجار السكانى فان المنافع الاجتماعية النسبية طويلة الامد التى يستطيع التقدم العلمى والتكنولوجى ان يحققها تبدو آخذة فى التناقص . وفي نفس الوقت فان القيمة الانسانية المنبثقة من العلم الذى يدرس علاقة المخ بالعقل والعلوم الاخرى تتخذ موقفا استراتيجيا ذا اهمية قصوى ، بسبب دورها الرئيسى فى البحث عن الضوابط النهائية لاولويات المسائل ومؤشرات اتخاذ القرار . وان المفاهيم الحديثة حول العلوم التى تدرس علاقة المخ بالعقل ، هذه المفاهيم الرافضة لمذهب الاختزال (Reductionism) ، ومذهب الجبرية الميكانيكية (Mechanistic determinisn) من ناحية ، ومذهب الازدواجية (Dualism) من ناحية اخرى سوف تفتح الطريق الى مدخل عقلاني لنظرية القيم والى امتزاج طبيعي بين العلم والقيم والدين »

وفى هذا الصدد لعله ينبغى علىَّ ان اشير الى ماكتبه حجة الاسلام الامام محمد ابو حامد الغزالي عن اقسام العقل . فقد صنف العقل البشرى اربعة انواع . النوع الاول : هو العقل الذى يفرق بين الانسان والحيوان ، وبمقتضاه يكتسب الانسان خبرة العمل اليدوى فى الزراعة والصناعة ، والثاني : هو العقل الذى يمد الانسان بخاصية الاستنتاج والاستنباط . الثالث : هو العقل الذى يمنح الانسان المعرفة المكتسبة من التجربة والخبرة .

اما الرابع : فهو العقل الذى ينهى الانسان عن المنكر . ومن الواضح ان العقل الرابع هو قمة العقل البشرى الذى ينشده د . سبرى فى بحوثه . ورجوعا الى الامام الغزالى ، فان كل عقل ينشا من سابقه كما انه يمهد للاحقه ولعل الامام الغزالى فى قوله هذا يلمح الى نظرية التطور Evolution ، وبناء عليه يمكننى تلخيص العلاقة بين العلم والدين على النحو التالى :

اولا : ان العلم ومايمثله من معرفة ومفاهيم ونمط ، والدين بما يمثله من قيم وعقائد وسلوك ليسا ضدين بل هما وجهان لعملة واحدة هى الحقيقة ، حقيقة الحياة بوجهيها الكون والانسان .

ثانيا : ان العلم والدين وان اختلفا وسيلة وسبيلا فانهما يتفقان غاية ومقصدا .

ثالثا : ان الغاية المشتركة لكليهما هى حياة افضل للانسان ، وفهم اعمق للحياة وحفاظ اكثر للبيئة وعمران اكبر للكون وبقاء أدوم للكائنات جميعا .

رابعا : مادامت الغاية واحدة ومادام احدهما يتمم الاخر فان اندماجهما فى مذهب واحد امر طبيعى .

خامسا : ان هذا الاندماج ليس ممكنا فحسب بل هو ضرورة حتمية لصالح كل منهما . فحينئذ يصحح الدين مسار العلم ويشد العلم ازر الدين .

سادسا : هذا هو المذهب الشمولى الذى ننادى به والذى نرى فيه خلاص البشرية اليوم وغدا .

سابعا : ان مذهب الثنائية - على النقيض - الذى يعزل العلم عن الدين ويعتقد بالمادية العلمية ، والذى ارسى قواعده كارل ماركس يرفضه علماء العلم الحديث اليوم . واعتقد ان علماء الدين كذلك يرفضونه

ثامنا : لتجسيد هذا المذهب الشمولى نطالب العلم بأن يتحول من العكوف على دراسة ظواهر الكون الخارجى الى الانكباب على دراسة الكون الاخر . الا وهو الجانب الداخلى للانسان ، وهى دراسة لم يحفل بها ، واغفلها بحجة انها لاتدخل فى اختصاصه لانها لاتخضع لانماطه التقليدية الموضوعية ، وعندئذ سوف تتكشف له آفاق رحبة فى المجالات الفكرية والثقافية والاخلاقية والجمالية والروحية .. « **يسالونك عن الروح قل الروح من امر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا** » .

تاسعا : ونطالب العلم بأن يطور النموذج العلمى التقليدى حتى يستطيع ان يستوعب كثيرا من الجوانب الدينية بادئا بجانب القيم والاخلاقيات .

عاشرا : ان هذا لم يعد اليوم حلما او اغراقا فى الخيال فقد بدأ بالفعل .

حادى عشر : ان البحث فى ماهية العقل الانسانى بالاسلوب العلمى يشكل مدخلا مؤملا الى هذا الاتجاه .

ثانى عشر : على علماء الدين وعلماء العلم الحديث والفلاسفة ان يجدوا صيغة للمزج بين العلم والدين على اساس من هذا المنطلق .

ثالث عشر : الى ان يتم هذا فانه يجب العمل دائما على التوفيق بينهما ورسمهما فى صورة واحدة او على الاقل ابرازهما فى اطار واحد .

هل انتهى عصر

● المذهب الاجتماعى الجديد

بقلم: عبدالرحمن شاكر

إذا صح ماقررته الماركسية ، من أن المذاهب الاجتماعية والسياسية والفكرية ، إنما هى انعكاس للأوضاع المادية فى المجتمع ، التى يمثل مستوى التطور فى قوى الانتاج القاعدة الأساسية لها ، وعلى هذه القاعدة يقوم « البناء الفوقى » من الاوضاع السياسية ، والقيم الفكرية ، والوعى الاجتماعى السائد ، فإن التطورات الرئيسية الجارية فى عالم اليوم ، وفى مقدمتها الثورة التكنولوجية ، والتقارب ما بين المعسكرين الدوليين ، فى محاولة من المعسكر الاشتراكى للحاق بركب تلك الثورة .. هذه التطورات من شانها أن يتولد عنها مذهب اجتماعى جديد ، بينه وبين الماركسية علاقة مركبة تنطوى على السلب والايجاب ، او طبقا للتعبير الماركسي ذاته ، علاقة ديالكتيكية .

● فالمذهب الاجتماعى الجديد ، يمكنه أن يواصل الاستفادة من المنهج الماركسى فى التحليل الاجتماعى ، فهو بذلك يبنى على بعض النتائج الرئيسية ، التى توصلت إليها فى هذا الصدد ، وخاصة فى علاقة الأفكار ، بالأوضاع المادية والطبقية فى المجتمع ، ومن ناحية أخرى يتخطاها فى نتائج أخرى تفصيلية ترتبت على تحليلها لأوضاع اقتصادية وسياسية واجتماعية ، أدنى بكثير مما عليه عالم اليوم ، بما فى ذلك ماحققته الماركسية ، باعتبارها نظرية سائدة فى قطاع كبير من المجتمعات الانسانية ، شكلت ماعرف باسم المعسكر الاشتراكى ، أو منظومة الدول الاشتراكية .

فجزء من العلاقة الديالكتيكية المركبة ، مابين المذهب الاجتماعى الجديد ، والنظرية الماركسية ، أنه لا يناقش مقولاتها فحسب ، من حيث صحة بعض تصوراتها أو خطأ بعضها الآخر ، بل أيضا من حيث ماحققته هذه النظرية ،

الأيديولوجيا ؟



كارل ماركس   جورباتشوف

التى اصبح لها تاريخ مؤثر فى حياة الجماعة الانسانية ، من تطور فى كيان هذه الجماعة وفى وعيها على حد سواء .

وربما كان اقرب تسمية للمذهب الاجتماعى الجديد ، الذى نزعم تخلقه فى عالم اليوم ، هو « الانسانية العلمية » ، وهو تعبير استخدمه بعض العلماء الأمريكيين ، الذين اشرفوا على اعداد موسوعة « الكتب العظمى » فى الفكر الغربى (الذى هو عندهم جماع الفكر الانسانى) ، واختاروا من بينها كتاب « راس المال » لكارل ماركس ، باعتباره واحدا من هذه الكتب ، التى شكلت معالم هذا الفكر ، واثرت تأثيرا بعيدا فى مجرى الحياة الانسانية ، وفى هذا الصدد نلمح عنصرا مشتركا ، مابين هذا المذهب ، والماركسية ، فقد سمى كارل ماركس مذهبه باسم « الاشتراكية العلمية » ، وهؤلاء اطلقوا على مذهبهم اسم « الانسانية العلمية » ، فأضافوا كلمة « العلمية » الى تسميتهم مثل ماركس سواء بسواء ، وعندهم ـ كما عند ماركس ايضا ـ أن هذا المذهب ، من شأنه أن يحتل فى ضمير الجماعة الانسانية ، او فى بعض صفوفها الرئيسية على الاقل ، كطائفة العلماء مثلا ، مكان العقائد الدينية ، حيث أدخلت الاكتشافات العلمية ، على الوعى الانسانى ، تصورات جديدة لم تتضمنها تلك العقائد ، تشمل علاقة الانسان بالكون ، بما فى ذلك نظرية دارون عن أصل الأنواع التى اعتبرت الانسان مجرد احدى حلقات التطور البيولوجى ، فى المملكة الحيوانية ، وكبرى تلك الحلقات ، وكان كارل ماركس ، يعتبر نظريته فى تطور المجتمع الانسانى ، تكملة لنظرية دارون عن أصل الأنواع ، وقد أهدى نسخة من كتابه رأس المال ، الى تشارلز دارون ، الذى رفضها فى استياء ، كأنما اراد أن يقول لماركس ، إنه لا ينقصه المزيد من « وجع الدماغ » الذى اصابه بسبب نظريته هو عن أصل الأنواع ، حتى يحمل مؤونة نظرية أخرى عن تطور المجتمع الانسانى ! .

على أنه ـ علميا ايضا ـ ينبغى أن نترك مسألة العقائد الدينية جانبا ، فإذا كان بعض العلماء ، او المتأثرين بما يعرف باسم النظريات العلمية ، يختارون العلم عقيدة لهم ، بديلا عن تلك المعتقدات ، فإن تاريخ الجماعة الانسانية ، قد دل على ان العقيدة الدينية تشغل فى الضمير

الانسانى موقعا أكبر بكثير مما قدره لها بعض المحللين الاجتماعيين ، بما فى ذلك ماركس ذاته ، فإذا كان ماركس قد ارجع سيادة العقائد الدينية فى المجتمعات السابقة على العنصر الصناعى العلمى ، إلى شعور الانسان بالعجز أمام الطبيعة من ناحية ، ومن ناحية أخرى إلى الأوضاع الطبقية ، التى جعلت الدين يستخدم فى بعض الأحيان « كأفيون للشعوب » ، لالهائها عن معاناتها فى حياتها الدنيا ، فإن الحقيقة الرئيسية ،

وهى أن الانسان هو « الحيوان » الوحيد الذى يعى الموت ، ويعرف انه نهايته المحتومة ونهاية كل حى ، هذه الحقيقة تجعل حاجة الانسان الى معتقد دينى ، خارج عما يقدمه العلماء من نظريات عن علاقته بالكون ، حاجة اساسية مستمرة تكفيه غائلة الوقوع فريسة اليأس ، من عبثية الوجود !.

فإذا نحينا مسألة العقائد الدينية جانبا ، وقد شرعت الدوائر الماركسية ذاتها تراجع موقفها من تلك القضية على اسس ماتقدم ، فإن الجانبين السياسى والاجتماعى ، للمذهب الاجتماعى الجديد ، أو الانسانية العلمية ، وعلاقتهما فى ذلك بالماركسية يكونان هما الأولى بالدرس والتأمل .

● النظرية والتركيب الطبقى

إذا كان كارل ماركس قد اعتبر نظريته فى « الاشتراكية العلمية » هى نظرية طبقة عالمية ، هى « البروليتاريا الصناعية » ، التى لا تملك شيئا سوى قوة عملها تبيعها للرأسمالية فى سوق الانتاج .. وأن هذه الطبقة بعد أن تكتسب وعيها الطبقى الذى جاءها من صفوف خارجة عنها ، جاءها من العلم ، المتوفر عنده وعند أمثاله من « الانتلجنسيا » ، أو فئة المثقفين ، ممن انفصلوا بالعلم عن أصولهم البرجوازية ، وانضموا الى الطبقة صاحبة المستقبل ، التى سوف تعيد تشكيل المجتمع الانسانى ، بحيث يصبح مجتمعا خاليا من الطبقات .. فإن المذهب الاجتماعى الجديد ، إنما يتشكل بعد أن أصبحت فئة الانتلجنسيا هذه ، أو المثقفين ، من العلماء والمهندسين والفنيين ، ومن يعرفون باسم « التكنوقراط » ، هى القوة الرئيسية فى

الانتاج ، بدلا من « البروليتاريا » ، وتتصاعد مكانتها ويتعاظم دورها باطراد الثورة التكنولوجية وتطبيقها على آفاق تزداد اتساعا من الحياة الانسانية ، وليست هذه الحقيقة مقصورة على المجتمعات « الرأسمالية » الغربية ، التى

تحققت فيها الثورة التكنولوجية فحسب ، بل ايضا على المجتمعات الاشتراكية التى حققت قدرا هائلا من التطور الصناعى ، ويكفى انها كانت رائدة الجماعة الانسانية فى اكتشاف الفضاء ، وتتطلع الآن عبر « بريسترويكا » جورباتشوف ، والانفتاح الصينى بقيادة (دنج سياو بنج) ، الى اكتساب منجزات الثورة التكنولوجية ، فى الغرب الراسمالى واليابان ، وتتنازل عن كثير من تزمتها « الاشتراكى » ، من أجل هذه الغاية .

هذه الطبقة بدورها ـ طبقة المثقفين أو التكنوقراط ـ هى طبقة عالمية ، مثلها فى ذلك مثل « بروليتاريا » كارل ماركس ، وإذا كان ماركس قد أوكل الى البروليتاريا العالمية مهمة انجاز الثورة الاشتراكية العالمية ، فإن الواقع التاريخى قد أوكل تلك المهمة الى البلدان المتخلفة صناعيا ، والتى لم تبلغ البروليتاريا فيها مبلغها فى الدول الراسمالية الصناعية المتقدمة ، وكانت الاشتراكية التى تحققت فى بعض تلك البلدان المتخلفة ، مثل روسيا والصين ودول شرق أوربا ، اداة للحاق بركب التطور الصناعى ، الذى أحرزته الدول الراسمالية المتقدمة ، ونجحت الاشتراكية فى تحقيق التنمية الصناعية المطلوبة فى تلك البلدان ، وإن كان التقدمان العلمى والصناعى لم يتوقفا فى الدول الراسمالية ، بل أنجزت فيها الثورة التكنولوجية ، أو الثورة الصناعية الثانية ، التى تحاول الدول الاشتراكية من جديد اللحاق بها عن طريق اعادة ترتيب أوضاعها الاقتصادية بما فى ذلك اعادة اقتصاد السوق .

المنظور الاشتراكى كما توقعه كارل ماركس لم يتحقق ، وانما تحقق شىء مخالف له حين أصبحت الاشتراكية أداة للتنمية فى مجتمعات متخلفة من ناحية ، وأصبح الاصلاح الاقتصادى فى المجتمعات المتقدمة ، ورفع مستوى معيشة الطبقات العاملة فيها كافيا لتجنب الثورة البروليتارية ، بينما بقى التفاوت الطبقى على حاله وربما يزداد .

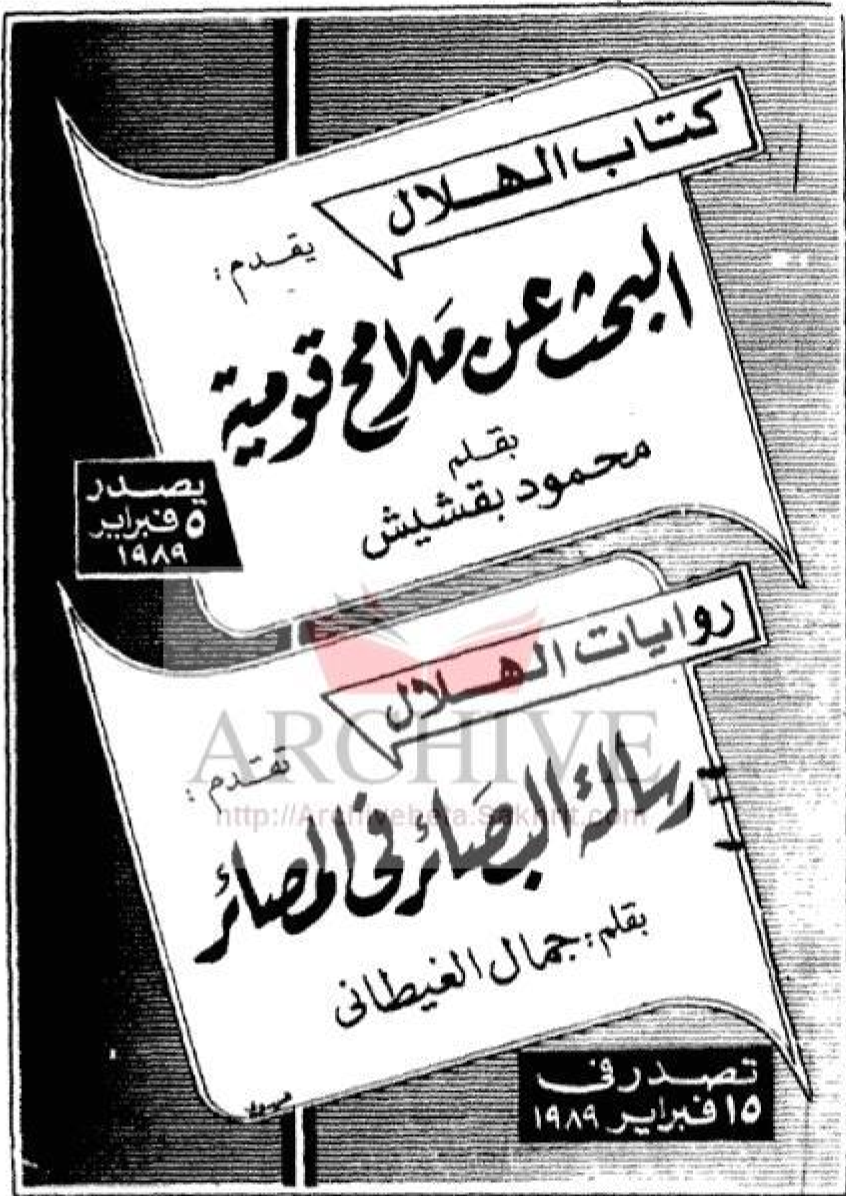
وفى الظروف المعاصرة فإن قضية التفاوت الطبقى لا تشغل بال طبقة الانتلجنسيا أو التكنوقراط فى كلا المعسكرين ، بل ان مهمتها كطبقة عالمية ، هى استكمال أسباب الثورة التكنولوجية من ناحية ، ومن ناحية أخرى حل المشكلات « الكونية » التى تتعلق بوجود الانسان على الأرض ، مثل مشكلات تلوث البيئة بفعل التطور الصناعى ، وما يقال عن تآكل طبقة الأوزون على نحو يهدد استقرار المناخ على الكرة الارضية ، ونقص الموارد الطبيعية فى الغذاء والطاقة ، فى مقابل الانفجار السكانى الذى يأتى بالدرجة الأولى من المجتمعات غير المتطورة صناعيا ، أو دول العالم الثالث . فالتفاوت الطبقى لايعنى طبقة التكنوقراط الا من هذه الزاوية ، زاوية تخلف المجتمعات غير الصناعية ، التى أصبحت هى البروليتاريا الجديدة فى عالم اليوم ، وإذا لم تستطع اعادة ترتيب أوضاعها الاقتصادية بحيث تكفى سكانها مطالب العيش ، وإذا لم تساعدها الدول المتقدمة صناعيا على ذلك ، بما فى ذلك معالجة مشكلة المديونية فيها ، فإن تهديد استقرار الجماعة الانسانية ربما يأتى من أبناء تلك البلاد ، بما فى ذلك شيوع التخريب والارهاب فى الدول المتقدمة ، فى عصر استفحلت فيه وسائل الدمار من مختلف الأنواع ، وأصبح من الميسور التوصل الى أسرارها والتفنن فى تركيبها بوسائل بدائية .

إن مذهب « الانسانية العلمية » لايكفيه تحصيل العلم الطبيعى ، ولكن علم الانسان ينبغى أن يأتى فى مقدمة اهتماماته ، وفى عالم اليوم الذى تلتقى فيه

أطرافه المختلفة ، بعد انقسام طال مداه ، فان تغييرا رئيسيا ينبغي أن يدخل في اعتبار الفئة التى تتصدر تطوره في مختلف المجتمعات ، وهي فئة التكنوقراط ، تغييرا يأتي من التقاء الأطراف التى تولدت من مجتمعات متفاوتة في تاريخها ومنهج تطورها ، والأفكار التى كانت تسودها .. وبالقدر الذى تتخلى فيه الدول الاشتراكية عن جمودها المذهبى ، وحلم الغاء التفاوت الاجتماعي في المنظور القريب ، فإن انعدام الشعور بالمسئولية الاجتماعية بالمرة - على المستوى العالمي - هو أمر محفوف بالخطر ، واذا كان الفيلسوف الأمريكي « جورج سانتايانا » ، قد علم أبناء مجتمعه أن مهمة « الثراء » هي تحقيق المستوى الأرفع من الحياة ، وليس نشر العدالة في توزيع الثروات ، فإن « جورج برناردشو » قد علم العالم أن الفقر هوة تحت أقدام المجتمع ، وليس من المحتم الا يقع فيها غير الفقراء ! .

لقد راق لبعض المعلقين أن يعتبروا التطورات الحالية في المجتمعات الاشتراكية ، وخاصة « بريسترويكا » جورباتشوف اعلانا بافلاس الاشتراكية ، وتراجعا نهائيا عنها ، ولكن ذلك غير صحيح بالمرة ، فالواقع هو أن الاشتراكية قد أثبتت جدارتها كأداة للتنمية السريعة للمجتمعات التي حرمت السبق في التطور الصناعي بل كانت فريسة للمجتمعات المتقدمة التي سبقتها الى هذا التطور ، وإذا كان تطوير اقتصاد الدول الاشتراكية حاليا يحتاج الى استخدام بعض أساليب الرأسمالية ، فإن المجتمعات الرأسمالية بدورها لم تستطع تتخطى أزماتها الا بالاصلاح الاقتصادي الذي تصدى له أمثال « جون مينارد كينز » ، الذي دعا في بريطانيا الى رفع أجور العمال حتى يتحقق الطلب الفعال على المنتجات الصناعية ، وبذلك لاتقع أزمات مدمرة في الانتاج ، وكذلك سياسة « النيوديل » ، التى اتبعها « فرانكلين روزفلت » خلال أزمة الثلاثينيات في هذا القرن ، واستطاع بها تخطى الأزمة الاقتصادية الخانقة ، عن طريق استخدام ألوف المتعطلين في مشروعات حكومية لانشاء الطرق وما إليها ، مما عاد بأكبر الفائدة على الاقتصاد الأمريكي ، وفي عصر أوشكت فيه القوى الكبرى أن تتجه الى تخفيض ميزانيات التسلح الباهظة ، فان تصريف الانتاج المدني المتزايد فيها لن يتاح بالقدر الذي يجنبها أزمات الانتاج ، مالم تزد من سعة أسواقها الخارجية على استيعابه ، وزيادة افقار الدول النامية عن طريق الديون والمبادلات التجارية الظالمة معها ، معناه على الأقل التهديد باغلاق هذه الأسواق في وجه صادرات الدول المتقدمة ، والمخرج الوحيد المتاح لذلك ، هو مساعدة الدول النامية على تطوير اقتصادها على نحو يجعل اسهامها في التقسيم الدولي للعمل أقرب الى تحقيق نوع من « الكينزية » الدولية ، إن صح التعبير .

إن توحيد العالم ، من خلال سياسة التقارب ما بين المعسكرين الرئيسيين فيه ، وتصدر طبقة التكنوقراط لقيادته ، من خلال مذهب « كالانسانية العلمية » ، يتطلب بالدرجة الأولى أن يكون هذا المذهب انسانيا بحق ، بقدر ماهو علمي ! .



كتاب الهلال
يقدم:
البحث عن ملامح قومية
بقلم
محمود بقشيش
يصدر
٥ فبراير
١٩٨٩
روايات الهلال
تقدم:
رسائل البصائر في المصائر
بقلم: جمال الغيطاني
تصدر في
١٥ فبراير ١٩٨٩

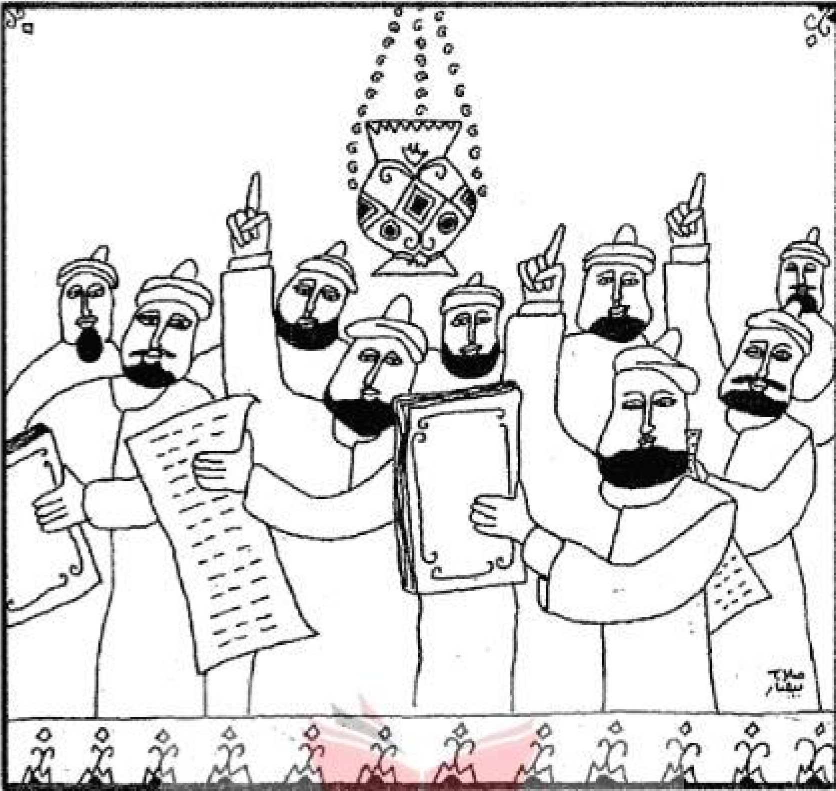
الإسلاميّون والحضارة الغربية

بقلم: د. محمد عمارة

منذ بدء الغزوة الاستعمارية الحديثة لوطن العروبة وعالم الاسلام، وضح تميز هذه الغزوة عن سابقتها الصليبية «٤٩٨ – ٦٩٠ هـ ١٠٩٦ – ١٢٩١ م» .. تلك التي مثلت احدى حلقات الصراع التاريخي والحضاري القائم بين حضارتنا العربية الاسلامية وبين النزعة العدوانية والاستعلائية للحضارة الغربية ..

ولقد تمثل هذا التميز للغزوة الحديثة عن سابقتها الصليبية، بما حملته الغزوة الحديثة من «الفكر التغريبي» الذي جاءت به، وعملت على اشاعته في المناخ الاسلامي، مستهدفة اجلاء الفكرية الاسلامية عن العقل المسلم، واحلال فكرية التغريب محل فكر الاسلام، على امل أن يتحول العقل المسلم الى هامش يدور في فلك الحضارة الغربية، الامر الذي يضمن بقاء بلادنا، بموقعها ومواردها، هامشا للامن الاوربي ومنجما يستغله المغامرون والمستثمرون والمحتكرون الاوروبيون؟!

ومنذ اللحظة الاولى تميز التيار الاسلامي عن غيره من تيارات المقاومة، الوطنية والقومية، بالوعي لخطر «التغريب»، وبادراك المخاطر المتمثلة في الغزو الفكري والحضاري، فكانت دعوته الى التجديد الاسلامي السبيل الى بلورته البديل الحضاري، الاصيل والمعاصر في ذات الوقت، والقادر على انهاض الامة لتتحرر من كل الوان الغزوة



الحديثة : العسكرية والاقتصادية ، والفكرية ، جميعا .. فعلى حين توهمت بعض التيارات الوطنية والقومية ان الانخراط فى نمط الحضارة الغربية هو سبيلنا الى القوة فالتحرر من الغزوة الغربية ، كان وعى التيار الاسلامى بان التصدى للقسمات الحضارية الغربية الصادمة لنمطنا الحضارى الاسلامى المتميز ، هو ميدان هام من ميادين الصراع فى سبيل الاستقلال .. ومن ثم ، فلقد ابصر هذا التيار ان الاستقلال المنشود هو « حضرى » ، بقدر ما هو « سياسى » و « عسكرى » و « اقتصادى » !! ولذلك ، فان صفحة تصدى التيار الاسلامى لنقد الحضارة الغربية ، والتحذير من مخاطر التغريب على هويتنا الحضارية المتميزة ، والدعوة الى بعث حضارى عربى اسلامى جديد .. هى صفحة ناصعة ومشرقة فى السجل النضالى لهذا التيار !

ولقد كانت طلائع هذا التيار الاسلامى متمثلة فى حركة (الجامعة الاسلامية) ، تلك التى تبلورت من حول جمال الدين الافغانى (١٢٥٤ ـ

١٣١٤ ـ ١٨٣٨ ـ ١٨٩٧ م) وضمت العديد من قادة الفكر والنضال الاسلامى ، من امثال الامام محمد عبده (١٢٦٦ ـ ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩ ـ ١٩٠٥ م) وعبد الرحمن الكواكبى (١٢٧٠ ـ ١٣٢٠ هـ ١٨٥٤ ـ ١٩٠٢ م) وعبد الحميد بن باديس (١٣٠٥ ـ ١٣٥٩ هـ ١٨٨٧ ـ ١٩٤٠ م) .. الخ الخ الخ ..

فالافغانى ـ رائد هذا التيار ـ كان حربيا على المد الاستعمارى الغربى ايتمـا حل او ارتحل .. بالسلاح ، وبالقلم ، وبالتنظيم ... فى الافغان ، والهند ، ومصر ، وفارس ، والحجاز ، والسودان ، وتركيا ، والعراق .. الخ الخ .. وتنظيم (الحزب الوطنى الحر) ، الذى اقامه ، سريا ، بمصر فى سبعينيات القرن التاسع عشر الميلادى .. ثم تنظيم (العروة الوثقى) ، السرى ، الذى تزعمه فى الثمانينيات، والذى امتدت فروعه (عقوده) من مصر والسودان الى الهند .. كل ذلك كان بعضا من جهود هذا التيار ، تصديا لهجمة الاستعمار على ديار الاسلام ..

واذا كان الافغانى قد قاد القتال ضد الانجليز فى افغانستان .. ومهد للثورة المصرية التى قادها احمد عرابى باشا (١٢٥٧ ـ ١٣٢٩ هـ ١٨٤١ ـ ١٩١١ م) فى مطلع الثمانينيات .. ودعا المصريين الى العصيان المدنى ، وللثورة المسلحة ضد الاحتلال الانجليزى .. فان كتاباته فى كشف اهداف الاستعمار ووسائله تشكل واحدة من اعمق واخلص وارقى صفحات ادبنا السياسى الحديث .. انه القائل : « انرضى ، ونحن المؤمنون ، وقد كانت لنا الكلمة العليا ، أن تضرب علينا المذلة والمسكنة !؟ وان يستبد فى ديارنا واموالنا من لا يذهب مذهبنا ، ولا يرد مشربنا ، ولا يحترم شريعتنا ، ولا يرقب فينا إلا ولا ذمة !؟ بل كل همه : ان يسوق علينا جيوش الفناء حتى يخلى منا اوطاننا ، ويستخلف فيها ،بعدنا ، ابناء جلدته ، والجالية من امته !؟

والخائن ـ عند جمال الدين الافغانى ـ ليس ، فقط ، من يسلم بلاده للعدو ، بل ومن يركن للدعة حيث يستطيع زلزلة اقدام الغزاة .. « فلسنا نعنى بالخائن من يبيع بلاده بالنقد ، ويسلمها للعدو بثمن بخس

او بغير بخس - وكل ثمن تباع به البلاد غير بخس ! - بل خائن الوطن : من يكون سببا فى خطوة يخطوها العدو فى ارض الوطن ، بل من يدع قدما لعدو تستقر على تراب الوطن وهو قادر على زلزلتها ! » .

والاستعمار الذى حاربه الافغانى - وتيار (الجامعة الاسلامية) - لم يكن الاحتلال العسكرى وحده ، ولا السيطرة الادارية والحكومية فقط .. فالرجل قد ابصر المضمون الاقتصادى لهذه الهجمة الاستعمارية .. وادرك دور الامتيازات التى منحها ويمنحها لحكام المسلمون للدول الاستعمارية ، دورها فى التمهيد للغزو العسكرى ، وفى تاييده واطالة اجله .. فكتب يقول : « ان مصدر الشقاء ومنبع البلاء فى الشرق وممالكه انما كان من الامتيازات الاجنبية ؟ » .

وعندما منح الشاه الايرانى ناصر الدين (١٢٤٦ - ١٣١٣ هـ ١٨٣١ - ١٨٩٦ م) اصدقاءه المستعمرين الانجليز ، ابان زحف نفوذهم على بلاد فارس ، عندما منحهم امتيازات اجنبية ، منها الاراضى ، والمبانى ، والمياه .. ومنها انشاء « بنك » يمسك زمام الحركة المالية فى ايران .. عندما اقدم الشاه ناصر الدين على هذه الفعلة ، اثار الافغانى شعب فارس وعلماءه ضد هذه الامتيازات، وتحدث عن « البنك » ودوره فى السيطرة الاستعمارية التى تسلب الامة قدراتها ومقدراتها ، فقال : « .. والبنك ! وما ادراك ما البنك ؟ هو اعطاء الاهالى كلية بيد عدو الاسلام ، واسترقاقه لهم ، واستملاكه اياهم ، وتسليمهم له بالرياسة والسلطان ؟ » .

وصراع الافغانى ونضاله - على راس تيار (الجامعة الاسلامية) - من اجل تحرير مصر - لما ابصر من دورها القائد والرائد - يحتل مكانا متميزا وبارزا وشهيرا فى كفاحه العملى وفى كتاباته السياسية .. وكذلك متابعاته لقضية السودان الوطنية ، والثورة المهدية فيه .. وقس على ذلك ما صنع لتحرير الهند .. وايران .. وافغانستان ..الخ .

اما فى المغرب العربى فان نضال تيار (الجامعة الاسلامية) - الذى تمثل فى (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) ، بقيادة ابن باديس

والحضارة الغربية

ـ هو الذى انقذ هذه البـلاد من « الفرنسة » ، وصد عن ذاتيتهـا الحضارية ذلك المسحق الذى مارسه الفرنسيون الغزاة بوحشـية فاقت التصورات .. ثم تصـاعد هـذا النضال حتى حمل الثوار السلاح فحرروا الارض واعادوا الامة الى احضان العروبة وحمى الاسلام !!

هذا على الصعيد السياسى ...

اما على الصعيد الاجتماعى فلقـد قدمت الغزوة التغريبية فكر الحضارة الغربية الاجتماعى ، ذلك الذى تمثل فى :

● « الليبرالية ـ الراسمالية » : التى تغلب جانب « الفـرد » على « المجموع » ، الى الحد الذى اثمر ذلك الحقد المدمر بين الطبقات .

● و « الشمولية ـ الاشتراكية » ـ فى صورتها الغربية ـ والتى هى رد الفعل الحاقد على الحالة الاجتماعية (لليبراليتهم ـ الراسمالية) ـ الامر الذى هدد ويهدد المجتمعات الغربية بالكوارث ..

وامام هذا الطـرح الاجتماعى « التغريبى » قدم تيار (الجـامعة الاسـلامية) : « عدل الاسـلام الاجتماعى » ، المركوز فى الدين ، والمتسق مع طبيعة الامة ، والبرىء من تطرف « الافراط » و « التفريط » كليهما ..

« فالاشتراكية الغربيـة » (برأى الافغانى) ـ ما احدثها واوجدها الا حاسة « الانتقام » من جور الحكـام والاحكام ، وعوامل الحسد فى العمال من ارباب الثراء ، الذين انما أثروا من وراء كدهم وعملهم .. واستعملوا ثروتهم فى السفه .. وهـذه الاشتراكية الغربية هى الان محض خور ، بعد ان كان المنتظر منها كل نفع .. فكل عمل يكون مرتكزا على الافراط لابد وان تكـون نتيجته التفريط ؟ » .

ثم يمضى الافغانى ليعرض للفكر الاجتماعى الاسلامى المتميز ، فيقول :

« اما الاشتراكية فى الاسلام ، فهى ملتحمة مع الدين الاسلامى ، ملتصقة فى خلق أهله ، منذ كانوا اهل بداوة وجاهلية ! » .

ثم يضرب الامثلة على تطبيقات

الاسلام بميـــــدان « الاشتراك » فى الثروة ، دون تجريد الناس منهـــــا بـ « اخاء ومؤاخاة » الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بعد الهجرة ، بين المهاجرين والانصار ·· ويخلص الى ان تطرف الفكر الغربى ، قد جعـــل الاشتراكية هناك « كلمة حق يراد بها باطل » ·· بينما هى فى الاسلام : وسط ·· وخير الامور اوساطها ·· ولذلك « فهى عين الحق ، والحق احق ان يتبع ! » ··

اما معالم هذه الوسطية ، فى الفكر الاجتماعى ، لدى تيـار (الجـامعة الاسلامية) ، فيمكن تحديدها فى :

١ ـ ان الاسلام يجعل المال ملكا لله ·· والناس مستخلفون فى هذا المال ·· اى ان « ملكية الرقبة » لله ·· وللناس فيه « ملكية المنفعة » ، التى هى « الوظيفـــة الاجتماعية » للمال ··

٢ ـ وان « تكافل الامة الاجتماعى » هو البديل والعاصم من « الصـــراع الطبقى » المدمـــر لوحـــدة الامة وتضامنها ·

فعندما يلمح الامام محمد عبـــده اضافة القران الكريم كلمة « المـال » لضمير « الجمع » فى سبع واربعين اية ، على حين اضيف هـــذا اللفظ لضمير « الفرد » سبع مرات فقط ·· يقول : « ان الله ينبه بذلك على تكافل الامة فى حقوقها ومصالحها ، فكانه يقول : ان مال كل واحد منكم هـــو مال امتكم ؟ » ·

اما عبد الرحمن الكواكبى فلقـــد راى المال مستمدا من « فيض الله ، اودعه فى الطبيعة ونواميسها » ·· وراى ان « العمل » هو الســـبيل للاختصاص بشيء من هذا المال ·· « فالمال هو قيمة الاعمال ! » ·

وهكذا تميز الفكر الاجتماعى لتيار (الجامعة الاسلامية) عن « فكرية التغريب » ·· بل وتصدى لفكرية التغريب على هذه الجبهة الاجتماعية ايضا ·

اما «التغريب» ، بمعنى «التحديث» على النمط الغربى ، وبناء النهضة الحديثة على النموذج الغربى ، فان لمقاومته ، وللتصدى لتيـــاره صفحة مشرقة اخرى فى سجل تيار (الجامعة الاسلامية) ·· لها ، هى الاخرى ، حديث قادم ان شاء الله ·

الأزياء

مرآة صادقة لحالتك الاقتصادية والنفسية !

نجوى صالح

لم تقل المرأة وداعا لورقة التوت الا عندما خرج زوجها الشجاع لاصطياد الحيوانات البرية وعاد بجلودها لتصنع منها أول زى عرفه التاريخ !

إلا أن السحرة الذين لا يودون تضييع أوقاتهم فى البحث عن فريسة ، وجدوا من السهل أن يصطادوا بسهامهم الطيور ليصنعوا من ريشها مع الخرز الملون مجموعة من الأزياء الغريبة !

وبدأت تتطور الأزياء ، حتى أصبحت فى عصرنا الحالى تأخذ شكل التأثير النفسى . فالبلياتشو مثلا يرغمك على الضحك بكرنفال الألوان فى ملابسه ، والضابط بزيه يجبرك على الشعور بالاحترام والهيبة . وروب المحامى يترجم وقار العدالة وسلطة القانون . والممثل يوهمك باتقان الخيال عن طريق الزى المناسب ، فما هى حكاية الأزياء وتطورها من الناحية الاقتصادية والنفسية ؟

فى سبعينات القرن الثامن عشر اتسمت الملابس ببذخ ملحوظ ، وكانت على شكل طبقات

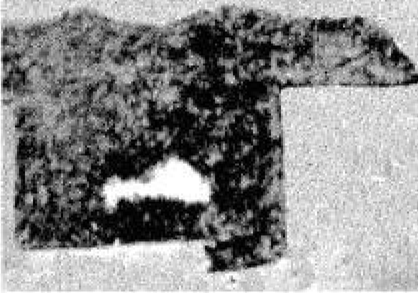


الأزياء



تمثال من العصر اليوناني يرتدى الكتان الشفاف مزينا بمفتاح النيل

قميص من العصر البرونزى



ان ملبسك يدل عليك ، ويوضح الى أى شعب تنتمى والى اى طبقة ، ويدلنا على حالتك الاقتصادية . هل انت فقير أم غنى ؟ هل تشغل منصبا رسميا يدعوك الى أن تبدو فى بزة معينة تدل على هذه الوظيفة .. ام انك مجرد شخص عادى لا قيمة اجتماعية لك فى السلم الوظيفى ؟

الواقع أن لكل زى وظيفة يؤديها فى المجتمع ، حتى الأطفال قد يتقلدون بملابس معينة مثل الرجل الوطواط .. أو "سوبرمان" ، أو يتنكرون فى زى ضابط .. حتى يهابهم أترابهم فى اللعب ، ثم أن بعض النظم السياسية تتبع نظام الزى الواحد وهو ما يوحى بوحدة الصف .

فقد جبل الإنسان منذ بدء الخليقة على استخدام الملابس .. لسترة جسمه من تقلبات الطقس .. وعلى الحفاظ على الوظائف الحيوية للجسم .. وهذا ما نادت به الحضارة الصينية القديمة والحضارة اليونانية .. على عكس الحضارة الحديثة التى ترى أن أساس استخدام الملابس هو سبب عقلى صرف الا وهو الخجل ،



جونلة قصيرة وبلوز
من العصر البرونزى





وقد جاء هذا التفكير ـ كما يقول المؤرخون ـ قبل الاحساس الدينى أو السحرى أو الجمالى أو الاجتماعى ، او حتى اختلاف الاصول الانسانية أو الاحساس التقليدى .. أى أن الدافع الأول لسترة الجسد هو الخجل اولا .. وقد يؤكد هذا أن الانسان الأول حينما ارتدى الملابس كانت بمثابة "ساتر" يحميه من تقلبات الطقس ، لكنها كانت بعيدة كل البعد عن القيمة الجمالية ، وبالرغم من ذلك فقد زينوا حوائط الكهوف برسوم ضحاياهم من الحيوانات التى لا تخلو من اللون والحس الجمالى ذى القيمة العالية فنيا .

وسنجد ان هذه "السواتر" المصنوعة من جلود الحيوانات استمرت بنفس الشكل حتى العصور الوسطى فى مجتمع الصيادين فى التزويج "الفاكنجز" وافريقيا .

اما بالنسبة للحضارات الحديثة فنجد عدة عناصر قد تداخلت ومنها الخجل والحس الجمالى .. والسحر والحسد ..

كل هذا ادى الى تطور الزى فى بعض الشعوب مثل افريقيا .. والهند .. والمكسيك ..

فنجد ان السحر والخوف من الحسد ادى الى ابتداع ملابس تميل الى التغريب .. وتوحى بالخوف مثل ارتداء

الملك فرانسوا الأول في ملابس عصره الباذخة الى اليسار اليزابيث البرتغالية (١٩٢٥ ـ ١٩٣٥)





الأزياء

رءوس الحيوانات .. حتى يتشبه الانسان بصفات هذا الحيوان .. وهو ما يسمى بالوشم الذى تطور الان حتى اصبح لصيقا بالجسم بواسطة الرسم بالابر .. أو وضع طيات من الأقمشة الهائلة حتى يبدو فى حجم غير حجمه الطبيعى ، ثم التزين بريش الطيور او اسنان الحيوانات وانيابها مع الخرز الملون .

● أزياء الكهنة القدماء

من اهم الأزياء التى ظهرت فى ظل الحضارات القديمة واكتسبت تطورا ملحوظا هو زى الكهنة القدماء اى الزى الدينى . فقد بدأ زيا متواضعا خشنا ، عبارة عن جلباب واسع به حزام على الوسط .. وبدأ الدين يكتسب اهمية سياسية على وجه الخصوص .. فتطورت الأزياء فى الحضارات القديمة مثل الصين واليونان ثم مصر الى زى مكون من قطعة قماش واحدة مليئة بالطيات التى تعطى اتساعا وفخامة . ولكن نوع القماش يختلف من طقس الى اخر .. ففى البلاد الباردة يصنع من الصوف وفى الطقس الحار كان الكهنة الهندوس يرتدون زيا متسعا من قماش رقيق ، ينفذ منه الهواء بسهولة .

وقد تطورت ملابس رجل الدين حتى يومنا هذا تطورا طفيفا فهى مازالت تتسم بصفة خاصة تميزها عن الملابس الاخرى حتى تحتفظ بتلك المهابة الخاصة .

أعلى قيمة فنية فى الزى الفرعونى

وقبل أن نصل الى أوربا حيث أمسكت بزمام تصميم الأزياء وتطورها .. واثرت فى جميع أنحاء العالم . لا يفوتنا أن نقف عند اهم الحضارات التى استمرت سبعة الاف سنة والتى تميزت بأزيائها الخاصة .. الحضارة الفرعونية .. وهى من اقوى الحضارات المدونة فى سجلات والمتمثلة فى تماثيل يسهل من خلالها معرفة كل ما يخص الحياة فى هذا العصر ، خاصة الأزياء التى كانت تتسم بالتنوع والجمال والقيمة الفنية المتفردة بين الشرق والغرب .

ومصر من اكثر البلاد التى تعرضت لانتعاش اقتصادى ، برغم الحروب والمستعمرين ، ولكن بالرغم من الحالة السياسية ، وبالرغم من الأزياء الوافدة مع المستعمرين ، والتى تتسم بالغنى والبذخ فان الزى الفرعونى حافظ على بساطته المعهودة ، وقيمته الفنية العالية ، سواء للرجال أو النساء ، والملابس الفرعونية ملابس يتضح فيها مدى الطبقية التى تميزت بها .

ولا يمكن ان تتعدى طبقة على طبقة اخرى فى تقليد الملبس ، ان زى الكاهن غير السياسى .. يختلف عن الملوك والامراء غير الفلاح أو عامة الشعب . ان البلد المتطور فى فن الازياء يجب ان يلازمه ازدهار فى صناعة النسيج وهذه الصناعة ازدهرت بشكل واضح فى عهد توت عنخ آمون ، فقد وجدت فى مقبرته

دراسة كاملة عن كيفية تحمل الانسجة المختلفة .. والالوان المختلفة .. وقد نبغ الفراعنة فى صناعة نوع من القماش الرقيق يصلح لعمل "البليسيه" وهو الزى الذى ترتديه الأميرات ، وقد انجزوه فى اتساق مدهش ، كل كسرة من لونين مختلفين ، مثلا من الابيض والأسود .

وقد ازدهر فن الصباغة فى عصر "رمسيس" كما استخدمت الألوان المدرجة من اللون القاتم حتى اللون الفاتح على قماش رقيق من الكريب القطنى أو الحريرى .

كان الشكل الدارج للفستان المصرى عبارة عن شكل مثل الانبوبة المستقيمة مع حمالات عند الاكتاف من اللون السكرى ، ثم تطور الى المقلم المحلي "بالجلونة" الملونة ، وقد كان منتشرا بين طبقات الشعب المختلفة .

ثم ادخل عليه الصبغات الطبيعية مثل الاصفر ويصبغ من "الصفران" او الاحمر من البنجر ، والحمالات من اللون الذهبى ، وينثر عليه بعض اللآلىء الملونة مع الشرائط الطويلة المختلفة الالوان من الأمام والخلف وهذا الاخير كانت ترتديه طبقة الجوارى فى القصور الملكية فى الأسرة الثامنة عشرة .

حينما امتدت الأمبراطورية المصرية حتى استولت على سوريا ضمن مستعمراتها تحت حكم "تولموسيس الثالث" كان الزى الفرعوني قد اخذ شكلا مدروسا فقد اصبح من الوان متعددة ـ ولكن اكثره بالنسبة للاميرات من اللون السكرى فستان متسع من البليسيه يضمه حزام من الذهب الخالص اعلى الفستان ملتصق بالجسم ، ويكمل هذا الزى الاكسسوار من عقود وأساور وحلق فى الاذن ، وخلخال فى القدم ، ثم تاج المرأة الفرعونية وهى الباروكة الضخمة ، وتعتمد الازياء المصرية على التزين بالقلائد من الذهب الخالص والفاروز واللابيس الازرق ، ثم الايشارب الطويل ، فهو فى الواقع فستان بسيط حالم يؤكد جماله الاكسسوار المحيط به ، ولكن حينما ننتقل الى الشرق أو الغرب نجد ان اساس الزخرف فى الفستان يحتوى على جميع الزخارف الممكنة والآلىء ولكن احتفظ الزى المصرى ببساطته الذى يمكن ان نطلق عليه "السهل الممتنع .

● عصر التصميم

من القرن الرابع عشر بدات الميكنة فى المجتمع الأوربى .. وفى فرنسا على وجه التحديد ، تدخل فى كثير من مظاهر الحياة اليومية وبدأ الناس يستشعرون ثقل الملابس الضخمة الطويلة خاصة الرجال فى ازيائهم الصاخبة المزينة بالساتان والدانتيل ، واصبح العصر اكثر سرعة .. وظهر بعض الذين يمكن ان نطلق عليهم اسم "ترزى" وليس بمصمم وهذا يوضح ان الازياء هى نتيجة مطلب معين لمواجهة الحياة اليومية ، وبعدها بدأ العصر الحديث بإيقاعه السريع فى القرن السادس عشر حتى القرن العشرين ، وظهر مصممو الازياء ، وظهر ما يسمى بالموضة ، وهنا يجب ان نركز على ان الانسان فى اى مكان يهوى التقليد مما سهل كثيرا مهمة مصممى الازياء الذين تحكموا فى موضات الازياء فى العصر الحديث ، علما بأن الرغبة فى التقليد كانت راسخة عند الانسان الأول ومازالت ..





إلى اعلى : بنات من الأسرة الثامنة عشرة

عصر توت عنخ آمون المرأة والرجل يرتديان ملابس متشابهة

لنجدها فى الأطفال حينما يتقلدون أزياء ابائهم أو رعاة البقر ، وايضا الملابس المسرحية وتقمص الشخصيات المختلفة ، وهناك من يودون التميز فى المجتمع ، فاذا اراد الرجل ممارسة السلطة ، نجده يرتدى "روب" المحامى او بدلة ضابط البوليس كنوع من التقليد لممارسة الاستعلاء والتميز على الجمهور .

واذا انتقلنا الى طبقة الاغنياء ، فاننا نجد ان ملابسهم الخاصة تعبر عن التميز الطبقى والثراء .

وبتطور الأزياء ، وجدنا ان شعبا بأسره يتوحد زيه ، كما نجد لدى الشعب الصينى ، فماوتسى تونج تقلد هو وشعبه بزة قطنية زرقاء موحدة ، تنقل للمشاهد الاحساس بالوحدة والقوة والمهابة .

ومما نشاهده احيانا ان كثيرا من زعماء العالم الثالث يظهرون فى ملابس غربية ، تجلب الرهبة والشعور بالغرابة لمن يراها ، وهذا يميزه عن عامة الشعب وخير مثال على ذلك هو "عيدى امين" الذى هرب من البلاد ـ بعد صدور الحكم عليه بالاعدام .

ومن خلال الدراسة التاريخية لتاريخ الأزياء ، نجد انه لا النظام السياسى ، ولا الاختيار الفردى ، ولا الخيال الفنى ، هو الذى يتحكم فى نوعية الازياء وتطورها ، ولكن الظروف الاقتصادية لها دخل كبير فى هذا الامر ، وايضا وجد تشابه كبير فى الازياء بين الاندونيسيين والسود الافارقة . والزى المستخدم فيه "الخياطة" الذى ارتداه الأرمن والهنود والتركمان .

"الاعتبار"

بقلم: مصطفى نبيل

مايسجله المؤرخون ليس المصدر الوحيد للتعرف على الصراعات التاريخية الكبرى ، فيوجد إلى جانب أعمال المؤرخين مصادر أخرى لاتقل أهمية ، وتساهم فى إلقاء الضوء على جوانب هامة لتلك الصراعات ، واستطاع عمل فنى مثل رواية تشارلز ديكنز «قصة مدينتين» ان يقدم جوانب للثورة الفرنسية غابت عن كتب التاريخ .

ومن أكثر المواد التاريخية تشويقا وإثارة هو ماتتناوله التراجم الذاتية لكتاب خاضوا غمار تلك الأحداث ، عندما يجد القارىء نفسه أمام مصدر حى ، تلمس خلاله طبيعة العصر ، ويصل إلى أبعاد إنسانية ، ويقدم صورا حية ومشاعر نابضة بالحياة ..

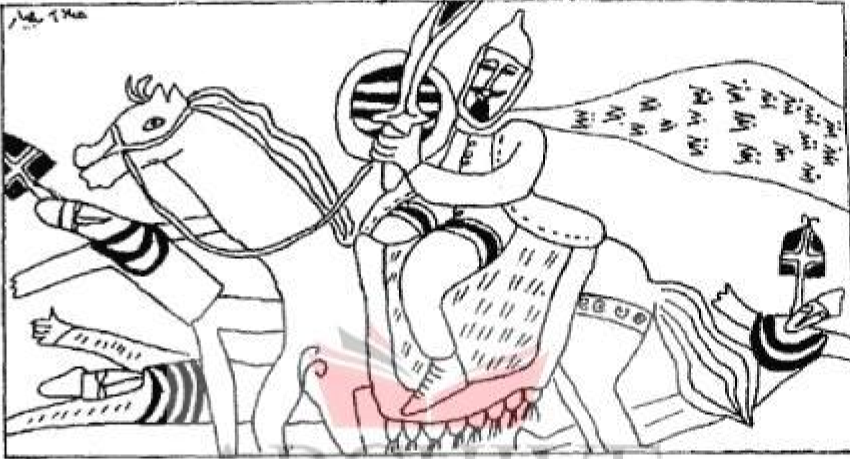
ومن هنا جاءت القيمة التاريخية لكتاب « الاعتبار» السيرة الذاتية للفارس العربى أسامة بن المنقذ الذى شاهد وشارك فى الحروب الصليبية ،

والذى بقى وثيقة مجهولة محفوظة فى مكتبة الاسكوريال حتى نشرها المستشرق الفرنسى هرتويج دربنورج ، وترجم بعدها الى عدة لغات منها الفرنسية والروسية

والانجليزية ، وقام الدكتور فيليب حتى بنشر المخطوط ، وصحح أخطاءه النحوية ، بعد أن أملاه صاحبه وقد تخطى التسعين من عمره .

ولا يلجأ الكاتب لتسجيل سيرته الذاتية ، إلا عندما يدرك ذاته وعصره ، إدراكا طاغيا ، وفى السيرة الذاتية لأسامة تظهر شخصيته العريضة بنبلها وفروسيتها وعمق قيمتها ، وينقل أحد فصول الصراعات الكبرى بين الشرق والغرب ، بكل تناقضاته وكوارثه وأحزانه ، عاش فيه أسامة الهزيمة والنصر ، وتراوحت مشاعره بين اليأس الأمل . فما أغناه من مصدر ، فى ظل الاهتمام المعاصر بتلك الأيام ، وعكوف مئات المؤرخين الباحثين يفتشون وراء غبار المعارك ،

السيرة الذاتية للفارس العربى أسامة بن المنقذ

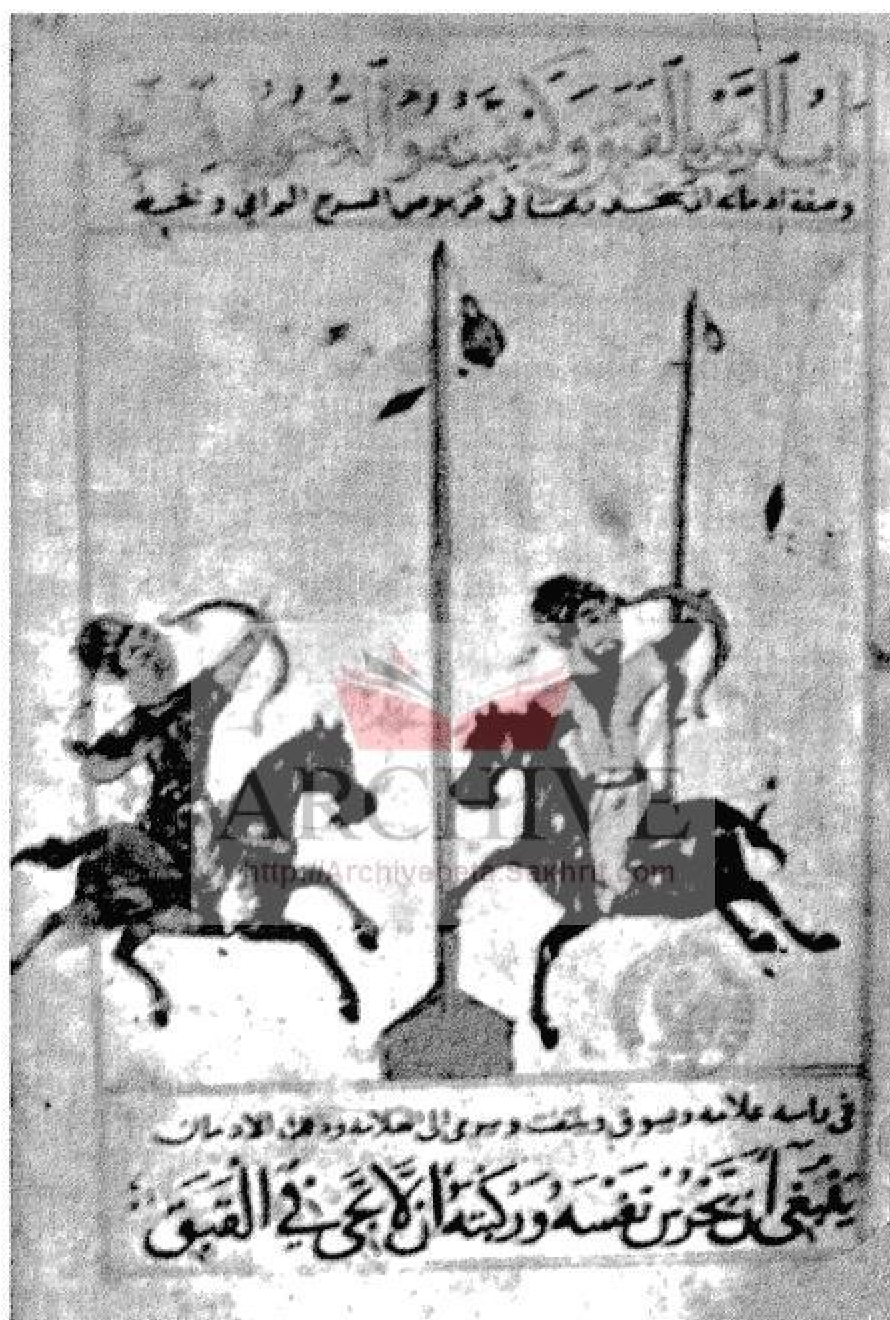


وبين أشلاء الضحايا ، وبين صليل السيوف وصيحات المنتصرين ، يجمعون أجزاء الصورة التى يريدون إعادة تشكيلها وإنقاذها من براثن الماضى .

وشاء القدر لفارس الحروب الصليبية وكاتبها ، أن يعاصر أهم فصولها ، فقد ولد عام ٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م) قبل نهاية القرن السادس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) ، وتوفى عام ٥٨٤ هـ (١١٨٨م) ، وقد أن لتلك الحرب أن تلفظ أنفاسها ، وجاء مولده فى نفس العام الذى ألقى فيه البابا أوربانوس خطبته التاريخية ، ونادى بالتعبئة وشن القتال لانتزاع كنيسة القيامة من أيدى من أسماهم بالأشرار، وعلى إثر ذلك الخطاب تنادى الافرنج للحرب ، واستجاب للنداء نحو مائة وخمسين ألف رجل ، وحملوا السلاح وتوجهوا إلى بيت المقدس ، فى قتال شرس اختلطت فيه آمال الأتقياء مع جشع التجار ، وطموح القادة مع أحلام المغامرين . وهى الحرب التى صور دوافعها وليم شكسبير على أنها ماقامت إلا لتمنع القتال بين الإفرنج أنفسهم ، فجاء فى



● هذه الرسوم من كتاب "المخزون جامع الفنون" في الفروسية والذى الفه خزام ومحفوظة في المكتبة الوطنية بباريس


ينبغي ان يحترز نفسه وركبته ان لا يجي في القبق

"الاعتبار"

الفصل الأول من مسرحيته الملك هنرى الرابع ، على لسان الملك هنرى قوله :

لذلك يا أصدقائى

بقدر مايتعلق الأمر بقبر المسيح

الذى يقف جنده الآن تحت الصليب المقدس

نلتزم ونتعهد بالقتال

ونعقد العزم على أن نقوم فى التو واللحظة بتجنيد قوة الانجليز

الذين صبت أسلحتهم فى أرحام أمهاتهم

لمطاردة هؤلاء الوثنيين فى تلك الساحات المقدسة .

وقبله قدم أسامة شهادته من الجانب الآخر بعد أن عاش عهود الحكام المجاهدين الثلاثة ، عماد الدين ، ونور الدين ، وصلاح الدين ،

● التراجم الذاتية

إذا كان الغربيون قد قدموا بجرأة بعد مرحلة أسامة اعترافاتهم فإن الشرقيين قد تعودوا كتمان حياتهم الخاصة ، لذا ندرت السير الذاتية فى التراث العربى ، واختلف تناولها ، وتميل إلى ذكر العام بدل الخاص ، وتتجنب الحديث عن «الأنا» ، وجاءت مذكرات الأمير العربى أسامة بن المنقذ أطرف وأهم هذه المذكرات ونموذجا حيا يروى خلاله ببساطة مغامراته فى السلم وفى الحرب ، ويتجرد فى أحكامه من الهوى ، وقد أملاها فى دمشق بعد أن أرعشه الكبر عن حمل السيف وقيده الهرم عن الرحلة والسفر ، وأودع فيها كل خبرته التاريخية للاعتبار والدرس .

يبدؤها منذ الطفولة «أيام الحلم والأسطورة» ، ومع التسليم بما ذكره الدكتور عبدالرحمن بدوى من أن ... «كل ترجمة ذاتية مهما يكن من دقة صاحبها وبراعته فى الوصف ، ومهما يكن حرصه على أن يكون صريحا ، قاسيا فى تشريح نفسيته والكشف عن نواحى حياته الحساسة المستورة ، هى مزيج اشترك فى تكوينه الحقيقة والخيال ..»

ولعل الخيال أو الصور التى أوردتها المذكرات هى مانبحث عنه ، فهى تروى صور الإفرنج لدى العرب فى هذه المرحلة التاريخية ، فقدمت ترجمته الذاتية العديد من اللمحات الهامة التى لاتوجد عند سواه من الكتاب والمؤرخين ،

وجاءت سيرته وهو فى طليعة المقاتلين ضد الغزو ، ولم يذكر فيها مآثره ، وإنما توزعت فى كتب سواه ، ونوه عنها «أبوشامة» فى تاريخه «الروضتين» ، بما أبداه من ضروب البسالة فى حصار قلعة «حارم» ، والتى ذكرها المقدسى وابن الأثير ، وكان قريبا من صلاح الدين الأيوبى يطلب صلاح الدين مشورته ، وقد عملا معا فى بلاط نور الدين ، واتخذ صلاح الدين من ولده مرهف مرافقا وجليسا له . ويسجل أسامة فضل صلاح الدين .. «نادانى إليه مكاتبة مولانا الناصر الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، جامع كلمة الإيمان ، رافع علم العدل والإحسان ، محيى دولة أمير المؤمنين ... فاستنقذنى من أنياب النوائب برأيه

الجميل ، وحملني إلى بابه العالي بإنعامه الغامر الجزيل ، وجبر ماهاضه الزمان مني ، وينفق على كرمه ماكسد عنه سواه .

وكان بذلك فارسا شاعرا يجالس الادباء والأمراء ، ويقاتل بين الجنود وعاش حياته مغتربا في المدن التي شهدت الاعيب السياسة وكانت ساحات قتال

● اطلال حصن سيجر

ولنبدأ معه في مسرح طفولته وصباه وريعان شبابه ، تقوم فوق تل صخري اطلال حصن يسمى سيجر ، يجرى من حوله نهر العاصي ، يبعد هذا الموقع مسافة خمسة عشر ميلا إلى الغرب من مدينة حماة ، وهذا التل وذلك الحصن شهد أغلب الأحداث التي رواها أسامة في مطلع شبابه وسيجر هي تحريف شيزر ،

ولد أسامة في شيزر لأب صالح يزهد في السياسة ، فتنازل عن إمارة شيزر لأخيه عز الدين بن العساكر ، ويسجل أسامة قول والده ... «والله لا وليتها ، لأخرجن من الدنيا كما دخلتها» ويقدم والده ، فارسا شجاعا اديبا شاعرا تقيا يخرج إلى الصيد ، وعندما يستريح يتلو القرآن ، «يركض نهاره ، ولايتصيد إلا على حصان ، ونحن معه أربعة أولاد نتعب ونكل ، وهو لايضعف ولايكل ولايتعب ، ويطرد اليامير في أرض حصن الجسرة ، فصرع منها يوما خمسة أو ستة على فرس له دهماء ، وكنا إذا ما وصلنا موضع الصيد ينزل عن الفرس ويجلس على صخرة يقرأ القرآن ونحن نتصيد حوله ، ولم يكن له شغل سوى الحرب وجهاد الافرنج ونسخ كتاب الله ، وفي موضع آخر يقول .. «كان الوالد ، كثير المباشرة للحرب ، وفي بدنه جراح هائلة ، ومات على فراشه» ، «وما رأيت الوالد نهاني عن قتال ولا ركوب خطر قط ، مع ما كان يرى في وأرى من إشفاقه وإيثاره لي»

ولم يكن غريبا أن يكون أسامة إبنا مخلصا لوالده ولعصره .

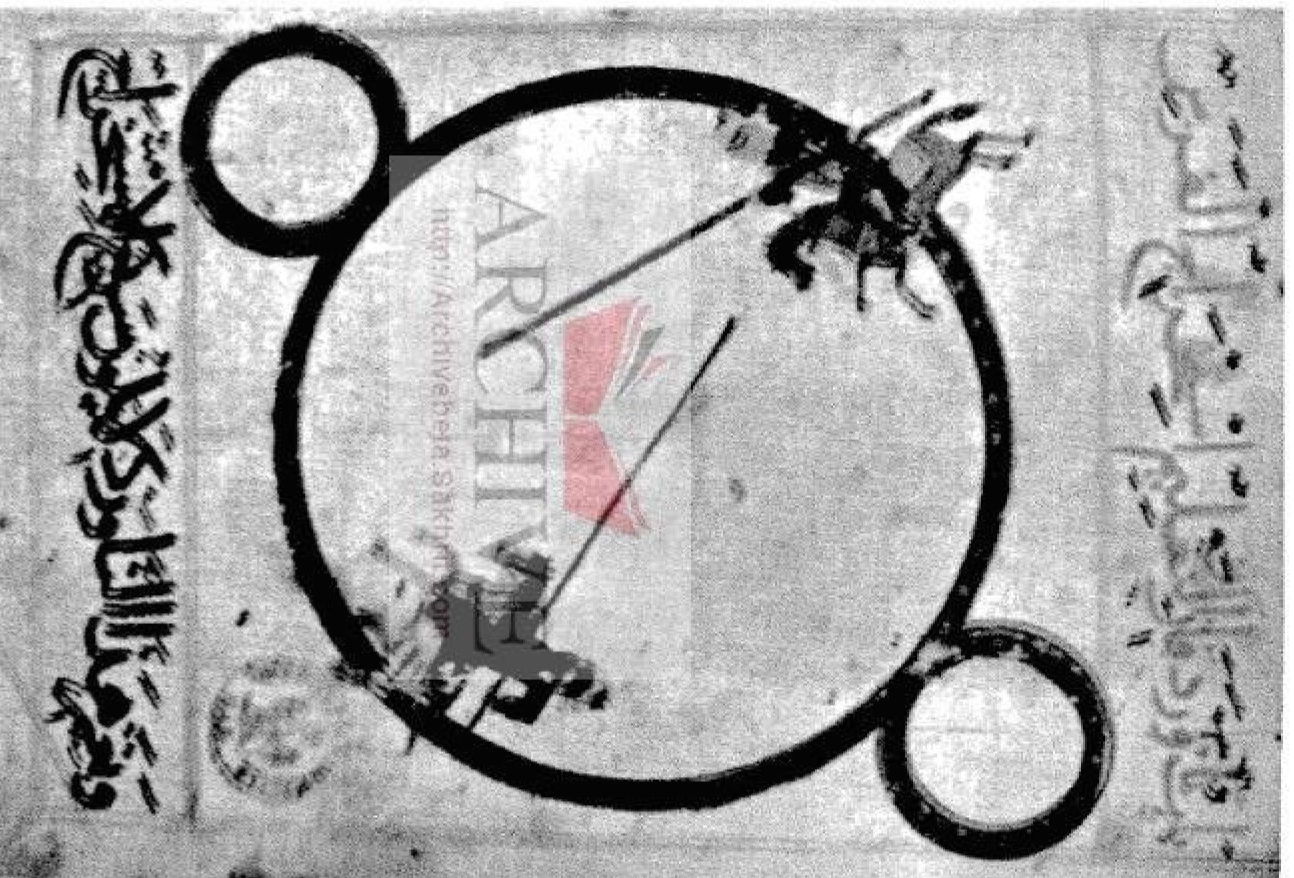
أما والدته ، فكانت توزع السلاح على الرجال ، وعندما حوصرت القلعة يوما بالاعداء ، أخذت ابنتها الكبيرة واجلستها على شرفة تطل على الوادي ، وجاء إليها أسامة يطلب السلاح ، ويسأل عن اخته .. «أي شيء تعمل هاهنا ..؟» ، قالت .. «يابني إذا رأيتهم قد وصلوا إلينا ، دفعتها ورميتها إلى الوادي ، فأراها قد ماتت ولا اراها مأسورة ..»

ولم يكن غريبا أن تخلق هذه البيئة فارسا يقتحم المخاطر ، ومقاتلا عنيدا ونستدل فيما يرويه وما يتوزع على كتبه وفي المصنفات التاريخية ، انه كان مقداما رابط الجأش ، فارسا «القوى عنده للضعيف والفرد للكل» ، وكان جسيما مثل ابيه ، ذا جبهة عالية وشعر حالك ، ذو انف مقوس ولحية مدببة ، يضع برتقالة ويقف بعيدا عنها أربعين خطوة ويصيبها ، نظر إلى الحياة ـ وهو الصياد الماهر ـ كالغابة لايسلم فيها سوى القوى .

● الرحيل إلى مصر

عاش أسامة فترة في كنف عمه ابن عساكر ، حاكم شيزر الذي كان يعده للإمارة من بعده ، فلم يكن له أولاد ، غير أن هذا لم يدم طويلا ، فالاقدار شاءت أن يرزق العم أولادا ، فتحول الحب والرعاية إلى خوف وحقد ، ولم يكن امام أسامة إلا أن يترك شيزر إلى الموصل ، ملتحقا بعماد الدين زنكي ، ولعل ذلك كان من حسن حظه ، فقد نجى من كارثة الزلزال

● رسم من كتاب "تبصرة ارباب الالباب" فى كيفية النجاة من الحروب" محفوظة فى مكتبة اوكسفورد



التي أصابت شيزر سنة ٥٥٢ هـ ، وقضت على أسرة بني منقذ بكاملها .

وسافر بعدها إلى القاهرة من دمشق ، وكان معه والدته وزوجه وأخوه محمد ، املا أن يتمكن من القيام بدوره في صد الغزاة .

وكان أسامة يواجه أحداثا جساما وتواجه بلاده في ذات الوقت صراع أقدار ، بعد أن نزحت الجيوش الغازية إلى الشرق سنة ٤٩١ هـ (١٠٩٨ م) وبدأت تقيم الإمارات الصليبية في بر الشام ، وكانت سوريا وفلسطين تعاني من التشرذم السياسي ، والمنافسة والقتال بين الحكام المحليين ، وكان غياب حاكم قوى يوحد البلاد يغرى الصليبيين ، فالدولة الفاطمية تتفكك ، وقد انتزع الترك السلاجقة قواعدها في الشام ، واشتعلت الخصومة بين الخلافتين العباسية والفاطمية ..

وبدأ عماد الدين زنكي يسعى إلى توحيد البلاد الممتدة من الموصل إلى مصر ، وواصلها نور الدين محمود من بعده ، وأكملها صلاح الدين . فبعد وفاة عماد الدين عام ١١٤٦ م انتقلت الولاية على المناطق السورية إلى ابنه نور الدين محمود الذي كان في مواجهة مع كل من الافرنج والفاطميين ، ووطد صلاح الدين مركزه في مصر بعد أن أصبح قائداً للجيش بعد وفاة عمه ، ونجح في القضاء على الحكم الفاطمي ، ونصبه الخليفة سلطانا .

هذا هو السياق التاريخي الذي كتب فيه أسامة ترجمته الذاتية .

قوبل أسامة في القاهرة بالحفاوة ، منذ وصوله إليها وحتى رحيله منها ، وحرص على النأى . بنفسه عن الفتن ومؤامرات القصور .. «جرت أسباب أوجبت سيرى إلى مصر ، فأخرني الحافظ لدين الله (الخليفة الفاطمي) ساعة وصولي ، فخلع على بين يديه ، ووقع لي تخت ثياب ومائة دينار ، وخولني دخول الحمام ، وأنزلني دارا من دور الأفضل بن أمير الجيوش (بدر الجمالي) ، وهي في غاية الحسن وفيها بسطها وفرشها ومرتبة كبيرة ، وآلتها من النحاس ، كل ذلك لايستعاد منه شيء ، وأقمت بها مدة إقامة في إكرام واحترام وإنعام متواصل» .

ولايستطرد في وصف الحياة الاجتماعية والثقافية في القاهرة ، وهو الشاعر الأريب ، فقد اقتحمت حياته الفتن والمنازعات السياسية ، ورغم تمسكه بالحيطة والحذر ، وتجنبه الدسائس السياسية ، فقد لاحقته الدسائس واتهمته حاشية السلطان العادل بالتحريض على قتله ، وأيد التهمة أن الوزارة آلت إلى صديقه أبي الفضل عباس بن يحيى ، الذى كان أسامة في صحبته قبل مقتل السلطان ، وأعقب ذلك قتل الخليفة الظافر ، قتل الخليفة ووزيره ووجد أسامة نفسه في موضع الاتهام ، وثار أنصار الخليفة عليه ، ودار القتال في الشوارع والبيوت ، ووصف ماجرى بقوله .. «القتال بيننا وبينهم في الشوارع والأزقة ، خيالتهم تقاتلنا في الطريق ، ورجالتهم يرموننا بالنشاب والحجارة من على السطوحات ، والنساء والصبيان يرموننا بالحجارة من الطاقات ..»

ويرسم بقلمه صورة بائسة للحياة السياسية في القاهرة مع نهاية العصر الفاطمي الفساد وتطاحن الجند والأمراء ، وتعدد الجماعات المسلحة ، بعضها من لداته برقة وبعضها مغاربة وفرقة ثالثة من السودان ، وبعدها الترك والغز والديلم

"الاعتبار"

مضافا إليهم العربان ، يتقوى كل أمير بأحد هذه الفرق ، ضد السلطة المركزية . وانصراف الأهالى إلى الزوايا وانتعاش الحركة الصوفية ، فاهتزت القيم ، وزلزلت العروش ، مما أفسح المجال .. «الصراع الكباش ونطاح العنزان» !

ونجح بصعوبة بالغة فى استمراره على الحياد بين الفرق المتصارعة ، وحافظ على صلاته بالسلطان ، إلى أن أوفده الملك العادل (ابن سلار) وزير الخليفة الفاطمى فى مهمة سياسية إلى نور الدين ، يطالبه بمنازلة الإفرنج فى طبرية حتى يشغلهم وتتمكن القوات المصرية من الهجوم على قواتهم فى غزة .. «تأخذ معك مالا وتمضى إليه لينازل طبرية ، ويشغل الفرنج عنا ، لنخرج إلى غزة » ويجيبه نور الدين .. أهل دمشق أعداء ، والإفرنج أعداء ، ما آمن منهما إذا دخلت بينهما .. » ، ويجمع أسامة بعض الفرسان ويقوم بالمهمة بنفسه ... «فأقمت بعسقلان لمحاربة الافرنج أربعة شهور ، هجمنا فيها مدينة يبنى (فى فلسطين) وقتلنا نحو مائة نفس .. وجاءنى كتاب الملك العادل يستدعينى فسرت إلى مصر ...»

وعاد مرة أخرى إلى القاهرة والفوضى قائمة .. وترك وراءه فى القاهرة عائلته .. «اتصلت بخدمة الملك العادل نور الدين ، وكاتبت الملك الصالح فى تسيير أهلى وأولادى الذين تخلفوا بمصر ، فرد الرسول واعتذر بأنه يخاف عليهم من الافرنج» وكتب إلى أسامة يطلب منه العودة إلى مصر .. «وأنت تعرف مابينى وبينك ، وإن كنت مستوحشا من أهل القصر فتصل إلى مكة ، وأنفذ لك كتابا بتسليم مدينة أسوان إليك ، وأمدك بما تتقوى به على المحاربة ، فأسوان ثغر من ثغور المسلمين ، وأسير إليك أهلك وأولادك ..»

ونصحه نور الدين قائلا .. «ما صدقت متى تخلص من مصر وفتنها ، تعود إليها ، العمر أقصر من ذلك ، آخذ لأهلك الأمان من ملك الإفرنج ، وأبعث من يحضرهم» .. ورغم الأمان وقع أهله فى أيدى الإفرنج أسرى أمام ساحل عكا !

● صراع وتفاعل

تتضمن الأحداث الكبرى ، القضايا الهامة والتفاصيل الصغيرة ، وألقى أسامة الضوء على مجموعة من التفاصيل الصغيرة التى تتناول الصراع بين الشرق والغرب الذى كانت أحد فصوله الحروب الصليبية ..

ويذكر المؤرخ البريطانى المعاصر السير ستيفن رونسيمان ...

«علاقة الشرق بالغرب ، سلسلة طويلة للتفاعل والاختلاط بينهما ، الذى نمت الحضارة الغربية من خلاله ، وكانت الحملات الصليبية حلقة مأساوية هدامة ، فقد كان فيها كثير من الشجاعة وقليل من الشرف ، كثير من التقوى وقليل من التفهم ، والمثل العليا لطختها القسوة والجشع ، والتفانى والجلد لوثهما الإحساس الذاتى الأعمى ، وضيق الأفق بالسمو الأخلاقى عن الآخرين .. »

وكان العرب يعرفون الافرنج ـ قبل هذا الفصل من الصراع ـ من خلال الدراسات التى كتبت فى القرن التاسع ، وتوجد

سلسلة متصلة الحلقات من الدراسات الشرقية عن الغرب رصدها برنارد لويس فى كتاب "كيف اكتشف المسلمون اوربا" ، فقدم الخوارزمى الى المعرفة العربية الكثير من الحقائق ، وقلت معرفة العرب بما يجرى وراء اسبانيا وفرنسا وروما واليونان ، ولم يمض وقت حتى توسعت المعرفة العربية ، ووصلت الى الجزر البريطانية وايرلندا والدول الاسكندنافية مع بداية القرن العاشر فى كتب كل من ابن الفقيه والمسعودى ، وساهمت كتب الرحلات فى المزيد من المعرفة ، فوصف هارون بن يحى روما ، وكتب ابراهيم بن يعقوب عن الايرلنديين وعاداتهم وملابسهم ، ووصف صيدهم للحيتان ، وذكر بوهيميا وتجارتها وصناعتها الجلدية والقطنية ، علاوة عن أن معرفة عرب الاندلس لاوربا كانت اكثر دقة فى كتابات الادريسى ...

وها هى ذى جحافل الافرنج تأتى الى بر الشام ، فى صراع اقدار ، وقد تصوروا انفسهم ارفع منزلة من اهل الشرق ، فما هى صورة الغرب فى مخيلة المسلمين فى هذه الرحلة التاريخية ، هذا ما نجده متفرقا فى الترجمة الذاتية لأسامة بن المنقذ ..

يسجل الاثر الذى تركه الافرنج فى مخيلة المسلمين بقوله : "انهم بهائم ، فيهم فضيلة الشجاعة والقتال لا غير" ، وأدى التفاعل الذى وقع خلال اوقات السلم الى مزيد من فهم كل فريق للآخر ، ونشأت علاقات عملية جديدة ، عندما اتفق الفريقان على حماية التجار والمسافرين ، ووضعوا بعض الانظمة لذلك ، بل وفى كثير من الاحيان تأثر الغزاة بحياة الأهالى ، واقلع الافرنج عن لباسهم الاوربى ، وارتدى بعضهم الملابس العربية ، وفضل قادتهم سكنى البيوت الشرقية الطراز ، وتزوج رجال من الشرق نساء من الغرب والعكس ، ونشأ جيل من ابنائهم اطلق عليه "بولان" ، كما وجدوا انفسهم داخل شبكات التحالفات والخصومات العربية ، وادرك كلُّ الفريقين ان كل منهم لديه نسق حضارى كامل .

وتناول اسامة فى العديد من اللمحات التفاعل الداخلى بين البشر فى لحظات الصراع الحاد ، والتى تقوم على التجربة الشخصية ، فكان عدوا للافرنج وصديقا لهم ، عندما رأى الدول والامارات الاسلامية تسقط تحت سنابك خيلهم ، وهو يشاهد هزيمتهم واندحارهم ، اطلق عليهم الفاظا مثل شياطين وكفار ، وفى موضع اخر يطلق على فرسان الداوية ـ فرسان المعبد ـ كلمة اصدقائى ، ويلاحظ انهم ـ "لعنهم الله ، اكبر الناس احترازا فى الحرب" !

وسبق له أن سافر من بلدته شيزر الى انطاكية التى يحتلها الافرنج حتى يتعرف على حياتهم .

ويتأمل نظام الفرسان الذى يتبعوه بقوله .. "والافرنج ، خزلهم الله ، ما فيهم فضيلة من فضائل الناس سوى الشجاعة ، ولا عندهم تقدمة ولا منزلة عالية الا للفرسان ، ولا عندهم ناس الا الفرسان ، فهم اصحاب الرأى وهم اصحاب القضاء والحكم" ويبدى دهشته ان حكمهم لا يستطيع ان ينقضه حتى الملك .. ويحكى التجربة التالية .. حاكمتهم مرة على قطعان غنم اخذها صاحب بانياس (إمارة صليبية) ، وبيننا وبينهم صلح ، فقلت للملك فلك بن فلك ـ

الاعتبار

حاكم بيت المقدس - هذا تعدى علينا واخذ دوابنا ، وهو وقت ولاد الغنم ، فولدت وماتت صغارها ، وردها علينا بعد ان اتلفها" وطلب الملك من بعض فرسانه التحكيم فى القضية .. قالوا قد حكمنا ان صاحب بانياس عليه غرامة ما اتلف من غنمهم ، "فتوسل الىّ ، وثقل علىّ ، وسألنى حتى اخذت منه اربع مائة دينار ، وهذا الحكم لا يقدر الملك ان يغيره ولا لينقضه" .

ويستنكر عدالتهم فى معاملة المتهمين ، ومعاقبتهم بالقائهم فى الماء أو المبارزة . وأرجلهم مصفدة ، والنجاة تصبح دليل براءتهم ، دون الاحتكام لمن يحدد العقوبة وطريقة تنفيذها .

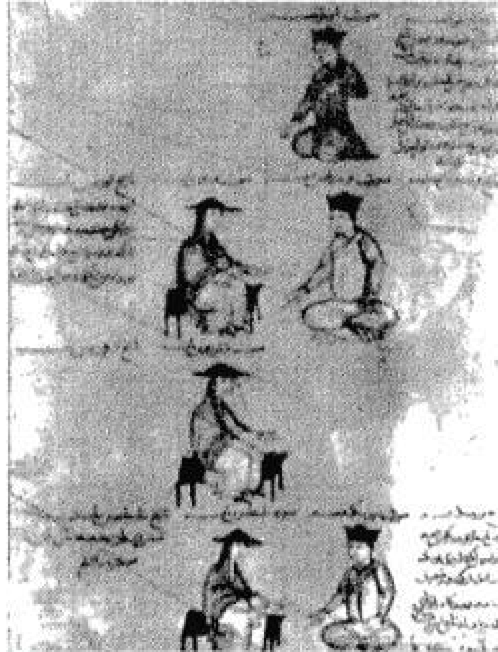
وذكر ان الملك قال له مرة : "وحق دينى لقد فرحت فرحا عظيما عندما قالوا انك فارس عظيم ، وما كنت اعتقد انك فارس ، قلت : يامولاى ، أنا فارس من جنسى وقومى .."

● الافرنجية والاسكافى

« لايتكلمون إلا بالافرنجى. ماندرى مايقولون .. » ويظهر تأثير اللغات الإفرنجية فى كتاباته ، ويستخدم كلمات مثل البرجاس اى البورجوازى ، والبرونس اى الأمير ، والداما اى السيدة ، ويتمسكون بأبناء جلدتهم مهما كانت المغريات ويدلل على ذلك بقوله .. « صار لوالدى عدة من الجوارى من سبيهم ، وهم نعتهم الله جنس ملعون لايألفون لغير جنسهم ، ورأى منهم جارية مليحة شابة . فقال لكهرمانة داره ، أدخلى هذه الحمام ، واصلحى كسوتها ، وأعديها للسفر ، وسيرها إلى الأمير شهاب الدين صاحب قلعة جعبر (على نهر الفرات) وكتب إليه .. « غنمنا من الأفرنج غنيمة قد نفذت لك سهما منها » . فوافقته واعجبته واتخذها لنفسه ، وولدت له ولدا أسماه بدران ، كبر ومات والده وتولى بدران البلد والرعية وأمه الآمرة الناهية ، ولكنها تدلت بحبل وهربت من القلعة ، ومضت إلى بلدة للافرنج وتزوجت بافرنجى إسكافى ، وتخلت عن ابنها وقلعته ! »

ومع الصداقات التى تكونت تكثر الحكايات ، « فى عسكر الملك فلك فارس محتشم وصل يحج ويعود ، فأنس بى وصار ملازمى ، يدعونى أخى ، وبيننا المودة والمعاشرة ، فلما عزم العودة إلى بلاده ، ومرهف معى وهو ابن اربع عشرة سنة ، قال لى .. يا أخى ، انا سائر إلى بلادى ، واريدك تنفذ معى ابنك ، يبصر الفرسان ويتعلم العقل والفروسية ، وإذا رجع كان مثل رجل عاقل ، فطرق سمعى كلام مايخرج من رأس عاقل ، فإن ابنى لو أسر مايلغ به الاسر أكثر من رواحه إلى بلاد الافرنج ، وقلت له : وحياتك هذا الذى كان فى نفسى ، ولكن منعنى من ذلك ان جدته تحبه ، وماتركته يخرج معى حتى استحلفتنى ان أرده إليها ، سأل : أمك تعيش .. ؟ قلت : نعم . قال .. لاتخالفها .. »

ويقارن فى تجاربه بين الطب فى الشرق والطب عند الافرنج ويروى القصة التالية : « طلب صاحب المنيطرة - بلده شمال لبنان عند نهر ابراهيم - من عمى طبيب يداوى مرضى من أصحابه ، فأرسل



البابا والاباطرة فى رسم شرقى



امرأة انجليزية كما تخيلها الانسان العربى

له طبيبا عربيا يقال له ثابت ، فما غاب عشرة أيام حتى عاد ، فقلنا له : ما أسرع مادويت المرضى .

اجاب : أحضروا عندي فارسا ظهر في رجله دمله وامرأة لحقها نشاف (رمح) فعملت للفارس لبيخه فغتحت الدمله وصلحت ، وحميت المرأة ورطبت مزاجها ، فجاءهم طبيب افرنجي ، فقال لهم : هذا مايعرف شيء يداويهم ، وقال للفارس ايما تحب تعيش برجل واحدة أو تموت برجلين .. ؟

قال : أعيش برجل واحدة . قال : إحضروا لي فارسا قويا وفأسا قاطعا ، وحضر الفارس والفأس فحط ساقه على قرمة خشب ، وقال للفارس إضرب رجله بالفأس ضربة واحدة واقطعها فضربه وما إنقطعت وضرب ضربة ثانية فمات من ساعته ، ونظر للمرأة وقال : هذه امرأة فى راسها شيطان قد عشقها ، إحلقوا شعرها ، ولما عادت تأكل من مأكلهم الثوم والخردل ، قال : الشيطان قد دخل فى راسها ، وأخذ الموس وشق راسها صليباً وسلخ وسطه حتى ظهر عظم الراس وحكه بالملح فماتت فى وقتها .

فسألتهم : هل بقى لى حاجة قالوا : لا .

ولكن مايلبث أن يقول : وشاهدت من طبهم خلاف ذلك ، ويذكر قصتين يبين فيهما مهارتهم فى صناعة الدواء .

● إبحث عن المرأة

ويتطرق الحديث عن عادات الافرنج وتقاليدهم ، وتأتى طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة كنقطة اختلاف جوهرية بين

الاعتبار

الشرق والغرب ، فأول مايلفت نظر أسامة مضمون هذه العلاقة فأفاض فى شرحها ونقدها ، وهو ذات الموقف الذى اتخذه بعد تسعة قرون رفاعة رافع الطهطاوى عند زيارته لباريس عام ١٨٢٦ ، ووصف الفرنسيين بقوله : « ومن خصالهم الرديئة قلة عفاف كثير من نسائهم ، وعدم غيرة رجالهم فيما يكون عند الاسلام من الغيرة »

وهى ذات كلمات أسامة .. « ليس عندهم شيء من النخوة والغيرة ، يمشى الرجل مع امراته ويلقاه رجل آخر يأخذ المراة ويعتزل بها ويتحدث معها والزوج واقف ناحية ينتظر فراغها من الحديث ، فإذا طولت خلاها مع المتحدث ومضى »

ويؤكد رأيه بالعديد من القصص والحكايات ويبدى دهشته من أن بعض النسوة قد لبسن الشفوف المطرزة ، وجلس على الدواوين ، يستمعن إلى أنغام العود والرباب . ويحكى كيف جاء إفرنجي يوما ووجد رجلا فى فراشه مع امراته ، فسأله : أى شيء أدخلك عند امرأتى ؟ قال : كنت تعبانا دخلت لأستريح . قال : وكيف دخلت إلى فراشى ؟ أجاب : وجدت فراشا مفروشا نمت فيه . قال : والمرأة نائمة معك . قال : الفراش لها ، وهل أقدر منعها من فراشها . قال الزوج : وحق دينى إن عدت وفعلت ذلك مرة أخرى تخاصمنا أنا وأنت »

ويعلق أسامة قائلا : « وكان هذا كل تفكيره ومبلغ غيرته »

ويحكى قصة أخرى جرت وقائعها فى حمام المعره ، عندما دخل احد الفرسان الافرنج إلى الحمام وراى فى الحمام عربيا حليق العانة ، فطلب منه ان يعلمه كيف يفعلها ، وبعد أن علمه طلب منه أن يعلم امراته ، وارسل فى طلبها ، واستلقت على ظهرها وعلمها ، وزوجها قاعد ، وشكره الزوج على حسن صنيعه !!

ويكرر تعليقه قائلا : « ليس فيهم غيرة ولا نخوة ، وفيهم الشجاعة العظيمة ، وماتكون الشجاعة إلا لمن عنده النخوة والانفة »

وانتقل هذا الموقف فى الشرق من الاجداد للأبناء ، واصبح المتفرنج ، يتركز فى وضع المرأة .

وهذه بعض شذرات من سيرة أسامة الذاتية ، الذى توفى فى مساء الاثنين ٢٣ رمضان سنه ٥٨٤ هـ فى دمشق بعد حياة حافلو ، وفى السنة التالية للعام الذى استرجع فيه صلاح الدين بيت المقدس ، ودفن عند جبل قاسيون .

وبقيت السيرة الذاتية لأسامة بن المنقذ تبحث عن من يقدمها إلى القارىء العربى باسلوب عصرى ، كما فعل رشدى صالح وقدم السيرة الذاتية للمفكر العربى عبدالرحمن بن خلدون فى عمل أدبى راق هو « رجل فى القاهرة » أو كما اعاد الكاتب الأمريكى مايكل كلايتون صياغة مخامرات الرحالة العربى ابن فضلان فى بلاد الصقالبه ، واطلق عليها « اكلة الموتى » وحققت اعلى ارقام للتوزيع فى العالم ..

وعندها ستتحول شهادة أسامة بن المنقذ على عصر باكمله إلى عمل حى جذاب .

لغويات

● تصف العامة رجلا خابت آماله وركبه الحزن والهم ، بأنه « صَدْمانٌ .. وندمان» .. ويظن بعضهم أن كلمة «صدمان» جاءت من الفعل «صدم .. يصدم» .. أي أن هذا الرجل «مصدوم» على حد قولهم ! .. والصواب أن الفعل هو « سدم .. يسدم » .. وأصل « السَّدم » بفتح وتشديد السين وفتح الدال ، هو الغم والهم مع الندم والغيظ .. والحزن .. ويقال : « رجل سدمان » أي به سدم .. ويقال أيضا : « سدمان .. ندمان » .. أي به حزن وندم .. ولا يقال في الفصيحة «صدمان» بالصاد ! ..

● شاع قولهم : فلان يشعر بالاحباط ، أي باليأس وعدم جدوى ما يعمله ، ويقال في الفصحى : حبط عمله ، يحبط ، حبوطا .. فالشعور إذن يكون بالحبوط ، لا بالاحباط .. إلا أن هذا التعبير الشائع يصح إذا أريد أن العمل قد أحبطه شخص من الاشخاص أو ظرف من الظروف ..

● تقول العامة : «فلان كان غاضبا فذهبنا اليه نستعتبه» .. وقولهم «نستعتبه» ليس معناه «نعاتبه» بل معناه «نسترضيه» .. أي : كان غاضبا فذهبنا إليه نسترضيه .. وفي القرآن : «ولاهم يُستعتبون» اي لا يسترضيهم أحد ، وهم الكفار ..

● «المترفون » كلمة ينطقها بعضهم بفتح الراء ، وبعضهم ينطقها بكسرها ، ويظن كل منهما ان نطقه وحده هو الصحيح .. والحقيقة أن النطقين صحيحان .. فإن «المترفين» بفتح الراء هم الذين اترفوا ـ الفعل مبنيّ للمجهول والهمزة التي في اوله عليها ضمة ـ أما «المترفون» بكسر الراء ، فهم الذين ترفوا ـ بفتح التاء وكسر الراء ـ ترفا .. فالنطق بفتح الراء أو كسرها صحيح ..

● يستعمل بعض الريفيين كلمة «حصيد» بدلا من «حصاد» .. وهو استعمال صحيح فكلمة «حصيد» مثل كلمة «حصاد» في هذا الموضع .. وفي القرآن الكريم : «منها قائم وحصيد» ..

● يقال : «هذا يوم عصيب» أي : شديد .. والفعل «عصب .. يعصب .. عصبا» .. وعصبه : شد وثاقه ومنعه الحركة ، ومنها قولهم : عصب عينيه اي : شد عليها عصابة تمنع الرؤية ! ..

كيف يدخل العرب

حضارة المعلومات؟

بقلم: حافظ أحمد أمين

عندما بدات المصانع تنتشر فى اوروبا الغربية منذ منتصف القرن الثامن عشر ، اطلقوا على الظاهرة « الثورة الصناعية » ، وكانت هذه الثورة تعنى ثلاثة امور :

الامر الاول : انتقال اكثر من خمسين فى المائة من قوة العمل من الاعمال الزراعية الى الاعمال الصناعية ·

الامر الثانى : ميكنة الزراعة ، مما ساعد على اتمام الامر الاول ، وعلى مضاعفة الانتاج الزراعى ·

الامر الثالث : تحول المجتمع كله من قيم الزراعة ونظمها وعاداتها الى قيم الصناعة ونظمها وعاداتها ·

وبعد حوالى قرنين ، بدات فى الانتشار الاجهزة الالكترونية ، فى المصانع والمكاتب والمنازل وفى كل مكان ، فاطلقوا على هذه الظاهرة « ثورة المعلومات » ، يقصدون بها ايضا ثلاثة امور :

الامر الاول : انتقال قوة العمل من الاعمال الصناعية والزراعية الى الاعمال الخاصة بالمعلومات (الاتصال الاعلام ، التعليم ، التدريب · الخ) ·

الامر الثانى : انتفاع الصناعة والزراعة والخدمات بهذه الاجهزة الالكترونية ، مما ساعد على اتمام الامر الاول ، وعلى مضاعفة الانتاج الصناعى والزراعى والخدمى ·

الامر الثالث : تحول العالم كله من قيم الزراعة والصناعة ونظمها وعاداتهما ، الى قيم مجتمع المعلومات ونظمه وعاداته ·

واذا كانت الثورة الصناعية قد اقامت حضارة جديدة ، بدات فى اوروبا الغربية ، ثم انتشرت فى كل ارجاء العالم ، فان ثورة المعلومات تقيم الان حضارة جديدة شديدة الاختلاف ، تنتشر فى بقع مختلفة – فى وقت واحد ، وبسرعة فائقة –

فى كل ارجاء العالم ، حتى أن كبار المؤرخين والمفكرين يصفون الحضارة الجديدة بانها حضارة عالمية .

عندما ينتقل العالم من حضارة ، الى اخرى شديدة الاختلاف ، تتغير النظم والمفاهيم ، والقيم والتقاليد ، وهذا ما نلاحظه الان حولنا ، مع انتقالنا الى مجتمع المعلومات :

ـ لم يعد التعليم مقصورا على المدارس ، او الثقافة مقصورة على قارئى الكتب ، او المشاركة السياسية مقصورة على الانتخابات ، او اعتماد الناس فى حل مشاكلهم مقصورا على الحكومة .

ـ لم تعد هناك مهنة انجح من مهنة ، ولا شهادة دراسية افضل من شهادة اخرى ، وانما اصبح العمل الانجح هو ما يؤديه الفرد بصبر واخلاص وذكاء ، والشهادة الافضل هى ما تشير الى اكتساب صاحبها للعلوم الجديدة والمهارات الحديثة .

ـ لم تعد اهم مواصفات العاملين ان يكونوا مطيعين مثابرين ، ولا اهم مواصفات الرؤساء ان يكونوا حازمين حاسمين ، ولا اهم مزايا العمل توفير الاجر المرتفع والامان للعاملين وانما اصبحت اهم مواصفات العاملين ان يكونوا مبدعين منتمين ، واهم مواصفات الرؤساء ان يكونوا منظمين للطاقات الابداعية لدى العاملين ، واشاعة جو البهجة والانتماء فى مناخ العمل ، وكانهم رؤساء لفرق مسرحية او موسيقية . كما اصبح اهم ما يوفره العمل للعاملين فيه ، تنمية المهارات وتحقيق الذات .

ـ لم تعد الصفوة هم اثرياء الاقطاع والراسمالية ، او المحتكرين لوسائل الانتاج ، وانما اصبحت الصفوة الجديدة هم المؤمنين بقيم الحضارة الحديثة ، المتفوقين فى مهاراتها ، المتكاملين مع نظمها .

ـ لم يعد الحاضر مجرد امتداد للماضى ، وانما اصبح ايضا مقدمة للغد ، واصبح ادراك شكل المستقبل هو الذى يساعدنا على فهم الكثير من انشطة الحاضر وظواهره .

ـ لم يعد مقدار التخلف يقاس بالمسافة التى تفصل بين حالة التخلف وحالة الفرد فى الحضارة الصناعية، وانما اصبح يقاس بالمسافة التى تفصل بين حالة التخلف وحالة التاقلم مع الحضارة الجديدة .

ـ لم يعد الصراع بين المتحمسين لقيم الحضارات الزراعية (انصار الاصالة) ، والمتحمسين لقيم الحضارة الصناعية (انصار المعاصرة) ، صراعا ذا معنى ، فى ظل تراجع قيم الحضارات الزراعية والصناعية ـ على حد سواء ـ امام قيم الحضارة الجديدة ، واصبح الصراع الحقيقى الان بين قوم يبنون المستقبل ، وقوم غارقين فى الماضى والحاضر ، ولهذا فاننا نلاحظ اليوم تعاونا بين احزاب الحضارة الزراعية واحزاب الحضارة الصناعية ـ بشقيها الراسمالى والاشتراكى ـ فى مواجهة المبشرين بحضارة المستقبل .

ـ لم يعد مكان العمل مقصورا على العمل ، ولا البيت مقصورا على الراحة والكسل ، وانما تداخلت اوقات العمل مع اوقات الفراغ ، فاصبح العمل مكانا لتنمية المهارات وممارسة الهوايات بجانب الانتاج ، واصبح

البيت مكانا للاعمال الانتاجية والخدمية بجانب الراحة وممارسة الهوايات · لم يعد العاملون ينتظرون انتهاء ساعات العمل حتى يبدأوا ممارسة الحياة الممتعة المريحة ، بل اصبحوا يفكرون طول الوقت فى كيفية رفع انتاجيتهم واثراء حياتهم العقلية والروحية ، وهذا من اعظم ما تقدمه الحضارة الجديدة للانسان ·

وهكذا ··· مفاهيم عديدة جديدة، تحل مكان مفاهيم اصبحت عقيمة ، ونظم ومهارات حديثة ، تكتسح النظم والمهارات القديمة ، فماذا نفعل بانفسنا وبحياتنا ، حتى لا نتخلف عن حضارة تفرض نفسها الان على العالم كله ؟

نعيش الان عصر انتقال سريع عنيف ، وعندما تصبح الفجوة بين الحاضر والمستقبل عميقة واسعة ، ينقسم الناس الى فريقين :

فريق شجاع متفائل ، يستجمع كل طاقته ليقفز فوق الفجوة حتى ينجح فى تخطيها ·

وفريق خائف متخاذل ، يخشى القفز فيحاول التمسك بالماضى ، ويتمادى بالرجوع اليه ، ولكن تيار التاريخ يدفعه الى الامام ، فيوقعه فى بحر الاحباط والقلق والاغتراب ·

هنا يثار السؤال المهام ، ماذانفعل حتى نكون من الفريق الاول فنفوز بالنجاح ، ولا يصيبنا ما يصيبالفريق الثانى من فشل ومرارة ·

لعل اول ما يجب ان نفعله هو ان نحدد لانفسنا القيم الخالدة التى لا تتغير بتغير الحضارات ، حتى لانفرط فيها ونحن نتخلى عن كثير من القيم الاخرى التى لا تناسب الحياة الجديدة ·

والقيم الخالدة هى قيم كل الحضارات وكل الديانات وكل المذاهب كالصدق والامانة والاخلاص والعفة وغيرها من القيم التى تعتبر اساس الاستقرار والانتماء ، وعماد التعاون والامان ، ذلك ان اية حضارة لاتقوم الا بها ·

هذه القيم يجب ان نعرفها جيدا ، وان نتمسك بها بقوة ، وان نفرق بينها وبين قيم اخرى كان اجدادنا يعتبرونها خالدة ، لانها كانت تناسب حضارتهم ، وتحتاج اليها مجتمعاتهم ·· فمجتمع الصيد ـ مثلا ـ يقدس القوةوسرعة الحركة ، ومجتمع الرعى يقدس الشجاعة والكرم ، ومجتمع الزراعة يقدس الصبر والطاعة ، ومجتمع الصناعة يقدس النظام والدقة . وهكذا ·· قيم تختلف اهميتها باختلاف المكان والزمان ، وباختلاف العمل الذى يمتهنه اغلب السكان ·

الامر الثانى الذى يجب ان نفعله هو ان ندرك شكل الحضارة الجديدة ، والقيم التى تناسبها ، فاذا كانت الحضارة الجديدة ـ مثلا ـ هى حضارةعشرات المهن المتداخلة ، والتى لا تتضمن مهنة غالبة ـ اذ لن يعمل فى كل من مهنة الزراعة او الصناعة او التجارة او الاعلام او الفنون ··· الخ اكثر من عشرة فى المائة من القوى العاملة ـ فان ذلك يعنى ان اهم ما سيتصف به انسان المستقبل « المرونة » و « القدرة على التأقلم والمشاركة » ، واسوأ ما يصف به

« الجمود » و « التعصب » .

الامر الثالث الذى يجب ان نفعله هو التخلص من الاصنام داخل رءوسنا ، ذلك ان القيم التى غرست فينا منذ الصغر ، فتأصلت وتفرعت وصعب اقتلاعها ، من اهم العقبات التى تحول دون فهم القيم الجديدة ، فالمساهمة فى الحضارة القادمة لن تبدأ الا بعد هدم هذه الاصنام ، لان المفاهيم الجديدة لن تجد لها مكانا فى رءوسنا وهى محشوة بمعتقدات انتهى زمانها ، وتتسبب فى الوان من التعصبات لا حصر لها .

يحضرنى بهذه المناسبة نصيحة قيمة ، قالها لى استاذ الرياضة فى المدرسة الثانوية : « اذا امضيت وقتا طويلا فى التفكير فى مسألة هندسية ، ولم تصل الى حل ، أخرج من رأسك كل ما فكرت فيه ، واقرأ المسألة وارسمها من جديد ، ثم ابدأ مرة اخرى من الصفر » .

هذا ما يجب ان نفعله نحن الان ، بعد ان حاولنا طويلا حل مشكلات لم نصل فيها الى حل مقنع .

الامر الرابع الذى يجب ان نفعله هو الا نتوقع طول الوقت أن يأتى حل مشكلاتنا على يد الحكومة ، والا نعتمد دائما عليها فى اعالتنا واصلاح حالنا ، ففى الحضارة الجديدة ستترك الحكومات اكثر سلطاتها للجماعات الصغيرة جدا ، او للتكتلات الكبيرة . ففى ظل التقنيات الحديثة لن يصبح الفرد منتجا حقا الا اذا عمل ضمن جماعة صغيرة ، او فى مؤسسة عالية كبيرة ، ولن يتم اى اصلاح الا عن طريق هذه المؤسسة او تلك الجماعة . اما ان نظل طول الوقت فى انتظار ما ستفعله الحكومة نحو تدبير شئوننا فهذا هو الفشل بعينه .

الامر الخامس هو ان نكف تماما عن ترميم اصنام انتهى زمانها ، فهناك كثير من النظم والمؤسسات التى لم يعد ينفع فيها اى ترميم ، والاصلاح الحقيقى لن يكون الا بتركها للزوال ، مع تدريب العاملين فيها على النظم والمهارات الحديثة .

توجد الان عملة رديئة تتزايد الان فى الاسواق ، هذه العملة اسمها (عدم القدرة على التأقلم مع الثورة الجديدة) : ثورة المعلومات .

ولهذه العملة وجهان . الوجه الاول هو (اللامبالاة) ، الوجه الثانى هو (العدوانية) ، فعندما يفشل الانسان فى تطوير قيمه ومهاراته وعاداته ، ليتعايش مع الشكل الجديد للحياة ، فانه يفعل احد امرين : اما ان ينعزل ويصبح سلبيا لا مباليا ، او ان يتحول الى ارهابى .

الاول (السلبى) يتصيده تجار المخدرات .

والثانى (الارهابى) : يتصيده تجار الاسلحة .

لهذا كان اهم دور للكتاب والفنانين ، وللمفكرين والمصلحين ، فى اوقاتنا هذه ، مساعدة الناس على التأقلم مع الحضارة الجديدة ، حضارة المعلومات ، وذلك بتحفيزهم على فهم شكل التغيرات التى تحدث فى العالم الجديد ، وتوجيههم الى طريق اكتساب مهارات المستقبل ، والايمان بقيمه ، والتوافق مع نظمه ، مع التركيز على توضيح المكاسب الكبيرة التى يمكنهم ان يجنوها من وراء ذلك ، والاخطار التى ستواجههم ان استسلموا للامبالاة او العدوانية .

دائرة الحوار

حل مقترح
لـ « فزورة التاريخ »

سر النهوض والتقدم

بقلم: محمد فتحى

افتتحت مجلة الهلال العدد "المستقبلى" الذى اصدرته فى يناير ١٩٨٩ بـ "فزورة التاريخ" التى طرح فيها الأستاذ أحمد بهاء الدين سؤالا محوريا فيما يخص المستقبل :

ما الذى يجعل شعبا ما ينهض ويتقدم ؟ وما الذى يجعل شعبا ما ، يكون ناهضا ومتقدما ، يضمحل ويتقهقر ؟

ورغم ان هذا السؤال هو اعقد أسئلة "فلسفة التاريخ" كما يرى الأستاذ بهاء .. فإن إلحاحه وأهميته يبرران عدم إغفال طريق من الطرق ، التى يمكن ان تؤدى حتى إلى طرف من إجابته .. وربما كانت قراءة تجارب الاخرين - بالذات إن كانت قد حظيت بدرس وافر - أحد أيسر السبل فى محاولة الاجابة ..

واستاذن فى اختيار تجربة الانطلاق اليابانية كدليل فى هذا الصدد . وان كان الاقرب الى واقع الحال الا يسال القارىء : ولماذا اليابان ؟ فالواجب أن يكون المرء محددا فى توجهه إلى اقصى حد ..



احمد بهاء الدين

● الثابت ان اليابان لم تكن فى بداية القرن إلا دولة من الفلاحين والصيادين ، وأنها بدأت مسيرتها نحو التقدم من واقع العزلة والتخلف ، وأنها قد تحولت الى ما يشبه الانقاض ، عشية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ ..

والثابت أيضا أن اليابان صارت اليوم صاحبة ثانى أقوى اقتصاد فى العالم الرأسمالى ، بل أنها توشك على تجاوز الولايات المتحدة ، من حيث الناتج القومى بالنسبة للفرد ..

لقد كان الانتاج الصناعى اليابان عام ١٩٥٢ (عام انتهاء الاحتلال) يناهز ثلث انتاج بريطانيا أو فرنسا ، ولم يحل عام ١٩٧٠ حتى كان قد تجاوز مجموع انتاج البلدين معا . ذلك بينما قفزت انتاجية العامل اليابانى الى خمسة اضعاف مثيله الانجليزى ووصل اجره ـ اليابانى ـ الى ضعف اجر العامل الانجليزى ..

ومما يلفت النظر أن اليابانيين حققوا قفزة التحديث بأقل قدر من الصدام مع تقاليدهم .. أو على اقل تقدير دون ان يصل الأمر الى حد وقوف تراثهم حجر عثرة فى سبيل التقدم ..

كما انهم حققوا ما حققوه وثلاثة ارباعهم يعيشون على شريط ضيق خانق ، يمتد بين طوكيو وهيروشيما ، على المحيط الباسفيكى ..

هذا كما أن الانجاز اليابانى الفذ قد تحقق فى بلد لا يعيش ظروفا طبيعية سهلة ، إذ اعتادت الزلازل والاعاصير على ضرب اراضيه من كل جانب ، ناهيك عن افتقاره للمواد ذات القيمة الاستراتيجية ، حتى امتد اعتماده على الخارج الى الخامات الاساسية (يستورد حوالى ٩٠٪ من خاماته) ناهيك عن قوت يومه .

وقبل الانتقال من هذه النقطة ينبغى التأكيد على أن التجربة اليابانية ليست بالمعجزة ـ كما جرت العادة فى وصفها ـ لأنها من صنع بشر ، ولأن شروطها تتكرر فى عدد من التجارب الاخرى (والمعجزات لا تتكرر) .. هذا كما ان التجربة اليابانية عامرة بالمثالب والنواقص ، كغيرها من التجارب الانسانية .. ومثالبها تتراوح بين مظاهر مثل معاناة النظام الاقتصادى من انفصام أو ثنائية تتمثل فى عمل ٣٠٪ من اليابانيين فى المجالات المعتمدة على التقنيات المتقدمة ، صاحبة الانتاجية البالغة الارتفاع ، بينما يعمل ٧٠٪ منهم فى مجالات عمل صغيرة ، أقل كفاءة بما لا

دائرة الحوار

يقاس .. ومثل موجة الافلاس المتزايدة التي يروح ضحيتها ما يقرب من ٢٠ الف خلية انتاجية سنويا .. وبين مظاهر من لون اخر مثل اتهام شبه ثابت لواحد من اهم رؤساء وزرائها بالرشوة (قضية حصول تاناكا على مليوني دولار من شركة لوكهيد للتوصية بشراء طائراتها) ومثل زحام المتناقضات والخزعبلات في الشارع الياباني ، وبقاء معدلات الانتحار على ارتفاعها ، وطبيعة الشرائح التي تقدم عليه ..

إن هذه العوامل مجتمعة تجعل الانجاز الياباني ، وبعيدا عن الطوباوية ، انجازا فذا بكل المقاييس ، الامر الذي يزيد من قيمة الشروط التي تقف وراءه . فما هي اسرار هذا الانجاز ياترى ؟

● أسرار الإنجاز الياباني

قد يكون صحيحا أن المعونات الأمريكية التي انهالت على اليابان خوفا من سقوطها في براثن الشيوعية قد لعبت دورا في نهضتها ، لكن الأكيد أنها لم تكن صاحبة الدور الحاسم أو الأساسي . فكم من دول حصلت على مثل ما حصلت عليه اليابان ، بل وعلى ما هو أكثر منه ، دون أن تصنع ما صنعت اليابان ..

وقد يكون صحيحا أن غياب الأعباء العسكرية قد لعب دورا في نهضة اليابان ، لكنه لم يكن ايضا بالدور الحاسم اذ ان كثيرا من الدول تعفيها ظروفها من الإنفاق العسكري الضخم ...

يرجع الكثيرون الانطلاقة اليابانية الى ما يسمونه **بعبقرية التقليد او الحذق في سرقة منجزات الغرب التكنولوجية وتقليدها ..**

ويرجع اخرون (مثل أدوين ريشوير سفير الولايات المتحدة في اليابان سابقا) الأمر الى **رغبة الياباني الجامحة في التعلم ، التي لا يتمتع بها اى انسان اخر (!!) ..**

ويرى اخرون (مثل عالم الاجتماع الأمريكي عزرا فوجل في كتاب : اليابان رقم واحد دروس لأمريكا) يرى أنه **إذا كان للدارس تفسير النجاح الياباني بعامل واحد فلابد ان يكون هذا العامل هو "السعي الجماعي الموجه لجمع المعرفة"**

ويركز اخرون (مثل المفكر الياباني أميرو كواساكي في : سقوط القناع الياباني) على علاقة اليابانيين بالعمل ، تلك العلاقة التي دفعته الى التأكيد على **أن الحياة خارج العمل كما يفهمها الغرب ليست موجودة لدى الياباني ، فليس عنده خط فاصل يحدد اين ينتهي العمل واين تبدا الحياة .."**

ويرى البعض (مثل عالم الاجتماع الأمريكي جورج لودج) أن اليابانيين استطاعوا المحافظة على القيم الجماعية **"إذ تمكنوا من المحافظة على مفهوم تضامن الجماعة حتى في المدن الصناعية الجديدة ، بفضل وعيهم ـ مسبقا ـ باهمية هذا التضامن وبانه العنصر الذي يمكن ان يصون مصالحهم الفردية على المدى القريب والبعيد معا .. .**

اذا كان كل من العلماء السابقين ، وكلهم دارس جاد للتجربة اليابانية ، قد ركز على هذه السمة أو تلك من سمات المجتمع الياباني ، فإن النظر الى هذه السمات فى تكاملها ، وفى تفاعلاتها الدينامية ، يمكن أن يضع يدنا على السبب الحقيقى للانجاز اليابانى وهو فى رأينا : وجود استراتيجية متكاملة للاستفادة ، الى اقصى حد ممكن ، من طاقات الانسان اليابانى ، فى إعمار مجتمعه . من خلال **العمل الجماعى المبدع** واتاحة ما يتطلبه ذلك من معارف ، مع استيعاب كل ما يؤدى اليه من تطور .. وذلك كله فى اطار حلم قومى ناهض ، ومنظومة مناسبة من القيم ..

وفهم معنى **العمل المبدع** ، بعيدا عن التصورات الرومانسية والنرجسية ، على انه "**اضافة الى افكار الآخرين وتطويرها**" يضعنا بخطوة واحدة على الطريق الذى يبدأ برفض ما يراه البعض من أن التجربة اليابانية نقلا أو تقليدا أو سرقة ذكية ...

● توظيف المعرفة

ولأن هذه التجربة عمل يستند الى استراتيجية متكاملة للاستفادة من الجهد الابداعى للانسان اليابانى، كان لابد لها من مراحل متداخلة أولها تحصيل ما هو موجود من معارف بشرية ، وهذا ما جعل المعارف والمعلومات تشكل محورا أساسيا من محاور التجربة . فمنذ فترة حكم الامبراطور ميجى (المستنير) حول عام ١٨٦٨ قرر قادة اليابان ، من القوميين الذين أرادوا تجنيب الأمة الصدع أمام تيار المؤثرات الغربية ، قرروا فتح الباب واسعا أمام الاستفادة من دروس البيض ووسائلهم ، بل واقتناص اسلحتهم ذاتها ...

واذا كان الثابت ان كمية المعارف والمعلومات التى سجلت باليابانية فى العصر الحديث تزيد كثيرا عما تم تسجيله بأى لغة اخرى فإن معظم ما يدرج تحت هذا البند يحتوى أساسا على مناقشات تحليلية للمعلومات ، وعلى افكار تستوعب تلك المعلومات وتستند اليها .. ووفق منطق العمل الابداعى الذى لابد أن يعتمد على اخر المعارف ، شاعت حركة واسعة النطاق تسعى الى تعويد كل مواطن على أن يبدى رأيه فى المعلومات المتصلة بمجال تخصصه ، وإلى أن يضيف اليها بعد استيعابها (فوجل) .

واذا كانت أساليب جمع المعلومات وتحصيل المعارف ليست موضوعنا هنا ، فإنه من الضرورى التأكيد على أن عملية اكتساب المعرفة فى اليابان عملية شاملة ومستمرة ، تبدأ بالتعليم الالزامى فى المدارس التى تشرف عليها الدولة ، ويجرى فى تكافؤ تام للفرص يسقط الحواجز الاجتماعية ويتيح امكانية التقدم أمام الجميع ، مما يؤدى الى الاستفادة من أفضل العناصر البشرية دون تمييز .. ويستمر هذا التكافؤ فى الفرص حتى المراحل الدراسية المتقدمة ، فالمعاهد العليا مفتوحة هى الاخرى دون حواجز اجتماعية .

والمهم أن تحصيل المعارف لا يقف عند نهاية سلم المؤسسات التعليمية ، إذ أن هناك أشكالا للتعليم ، فيما بعد المعاهد العليا - فى المؤسسات الانتاجية مثلا -



لها علاقة وثيقة بجمع المعرفة والخبرة بصورة جماعية ، ثم توظيفها لخدمة الانتاج والتطوير الشامل للمجتمع ..

والى جوار تأثير ذلك كله فى تربية استعدادات اليابانى على تقبل التغيير وتبنى نقاط قوة الاخرين فانه يساعد على امتصاص النسيج الاجتماعى اليابانى عناصر جديدة دوما ، جعلت اليابانيين اكثر قدرة على التواؤم مع العصر ، ومسايرة "لغاته" وهضمها وتمثلها ، فى سلوك عملى يتكيف مع الواقع اليابانى ويطوره باضافات ابداعية .

وهكذا فان اهتمام اليابانيين بالمعرفة ليس اهتماما عشوائيا ، وانما **هو اهتمام نابع من الحاجة الاجتماعية** ، ويرتبط بالعمل الانمائى ، وبمجموع المعنيين لا بافرادهم ..

واعتمادا على معرفة من هذا النوع يجىء العمل الذى لا يعرف الكلل ، والذى لا ينفصل فى تصور اليابانى عن الحياة (كواساكى) ، وبنظام وانضباط مدهشين ، تدعمه بنية عمل وانتاج متماسكة ، تتميز بروح اجتماعية تشيع علاقات التماسك والتكافل بين المشاركين فيها ، وذلك الى جوار الولاء والانتماء لمجتمعهم الصغير ومجتمعهم الكبير على حد سواء (فوجل) ..

وذلك كله بالاضافة الى أن اليابانى يعيش ببساطة متقشفة قل نظيرها فى الغرب (جيلان) .

غير أن الذى يدفع بهذه العناصر جميعا الى افق ابداعى ، فى تطور مستمر ، هو كونها تجرى فى اطار جماعى عام قابل للاثراء ، جرى تحديده عند الانطلاق وان ظل يواكب كل الانشطة ، ويقوم على ضبط خطوها مستعينا بمنظومة من القيمة ، تعمل على حث الحلم الجماعى باستمرار ..

وهنا ينبغى الاشارة الى مجموعة من المحاذير التى يجب الانتباه اليها عند الحديث عن التجربة اليابانية .. اذ يجب الحذر من مقولات مثل كون اليابانيين يشكلون "شعبا مجدا" يتمتع بـ "إرادة عنيدة" نحو التقدم ، ويتملكه "حب لكل ما هو جديد" (جيلان) . ذلك ان الله لم يحاب شعبا من الشعوب ، ويضمن مورثاته البيولوجية (الجينات) ما لم يضمن مورثات الشعوب الاخرى .. ولسنا فى حاجة الى الذهاب بعيدا وقصص النجاح الذى تحرزه الأدمغة العربية المهاجرة - رغم مصاعب ومثالب الغربة - تحيطنا من كل جانب .. فلماذا ياترى يتعذر على هذه الأدمغة النجاح ما بقيت فى المحيط العربى ، وما علاقة ذلك بما يهبه الله لعباده ..

هذا كما أن الارادة العنيدة ليست صفة ميتافيزيقية بل هى نتاج اكتمال الوعى بالنفس وبالتحديات ، بكل ما يتطوى عليه ذلك من مسئولية .. وقد حفز هذه الارادة فى الظروف اليابانية شعور رفائق بعدم الامان ، وصل الى حد الخوف من الموت جوعا ، ما لم يعتمد اليابانى على نفسه ..

● استراتيجية العمل الجماعى المبدع

ولعله من المناسب هنا معاودة التأكيد

على تجاوز اهمية الشروط السابقة حدود التجربة اليابانية ، وعلى كونها تظل صحيحة بالنسبة للتجارب الأخرى ، التى تواصل ازدهارها ما التزمت جهود الانسان فيها بهذا **السعى الجماعى الموجه للعمل المبدع** . لكنها تبدأ رحلة تدهورها ، أوتدخل دروبا جانبية معوقة ، ما ان تضل طريقها الى هذا السعى ، او تقصقص منظومة القيمة السائدة ريش الابداع فيتحول المجتمع الى تدمير انجازاته .

وهكذا يمكن تلخيص حاجتنا المستقبلية ، وهى ما قصد اليه ـ بالمناسبة ـ الاستاذ احمد بهاء الدين ، فى الوصول الى استراتيجية واضحة للاستفادة من جهود الانسان العربى وفق الشروط التى اتضحت على مثال التجربة اليابانية ، ولابد أن تتسم بنود هذه الاستراتيجية بصفة التلاحم ـ بدلا من صفات الانفصام الحالية ـ بين مختلف عناصر الخطة :

التلاحم بين تعليم الانسان وعمله وبين عمله ووظيفته المتمثلة فى إعمار الكون وبين وظيفته وابداعه واحلامه

على ان تحث منظومة القيم ـ والقيمة ـ السائدة هذه العلاقات لا ان تنال منها .. ضرورة الاطار الديمقراطى .

يبقى التاكيد على عامل لا يمكن بدونه الخطو خطوة واحدة الى الامام وهو الاطار الديمقراطى لذلك كله . ذلك ان شيئا ذا بال لا يمكن أن يتحقق (فى اى تجربة) دون مشاركة اصحاب الشأن فيه ، على أوسع نطاق ، وليس من الممكن الحديث عن اخراج الناس من حالة "الانامالية" (أنا مالى) التى تخنق انسانيتهم دون السعى الدءوب الى مشاركتهم الديمقراطية ..

غير انه ينبغى لنا ونحن نتحدث عن "الاطار الديمقراطى" ان نتحلى بالواقعية بعيدا عن التهويمات الرومانسية التى لا صلة لها بواقع الحياة وحتى نوضح هذه النقطة لا بأس من مثال .

لعل القارىء يذكر "بوبى ساندز" الذى كان عضوا فى الجيش الجمهورى الايرلندى ، وحكم عليه بالسجن ١٤ سنة ، لأن البوليس عثر فى بيته وسط الظروف البريطانية الايرلندية العاصفة ، على مسدس بدون ترخيص ...

راح الرجل ـ فيما بعد ـ يجاهد من اجل هوية السجين السياسى لا المجرم المجرد ، وكانت الحكومة البريطانية ترفض ذلك رفضا قطعيا ، وترد على الهيئات العالمية التى اهتمت بالأمر (منظمة الأمم المتحدة ، ومنظمة حقوق الانسان ، وهيئات الجماعة الأوروبية ..) بأن ساندز ورفاقه ليسوا سوى مجرمين نكرات ..

آنئذ اقدم بوبى ساندز على **خطوة فاضحة** اذ تقدم من سجنه مرشحا فى الانتخابات البرلمانية ، وطالب جمهور الدائرة التى رشح نفسه فيها تأييده ، لا من اجل افكاره السياسية وانما من اجل المطلب الخاص بهوية السجين السياسى ..

وجرى الامر كله وسط موقف غاية فى الحرج . كان بوبى ساندز قد اعلن هو ورفاقه فى السجن اضرابا عن الطعام (حتى الموت) من اجل الحصول على



هوية السجين السياسى ، وكان واضحا انه يسعى الى استعارة الهوية البرلمانية بعض الوقت ، فاذا نجح عن هذا الطريق فى احراج الحكومة ومنحته هوية السجين السياسى تنازل عن المقعد البرلمانى .. وان ركبت الحكومة راسها واصرت على رفضها سيكون بوبى ساندز قد قدم علامة استفهام هائلة حول فحوى الديمقراطية ، واهمية صندوق الاقتراع ، بل وطبيعة الشرعية التى تستند اليها الحكومة ذاتها .

وقادت الحكومة البريطانية حملة شرسة ومكثفة ضد انتخاب ساندز ، مخوفة الناس من ان انتخابه يعنى اعطاء تفويض برلمانى لقاتل . لكن الناس اختاروه فى النهاية ، وفاز بالمقعد البرلمانى للدائرة ، ومع ذلك استمرت الحكومة فى رفض مطلبه ورفض المساعى العالمية بصدده ، واصر بوبى ساندز على "أن الموت افضل من العبودية" وكانت النهاية المؤسية ..

ولا يظنن أحد أن الطراز الكورى الذى اختاره الاستاذ أحمد بهاء الدين ليفضح من خلاله دراويش الابهار السطحيين (سواء فى حديثهم عن الديمقراطية او الالعاب الأوليمبية) لا يظنن أحد أن الطراز الكورى هو ما اعنى من اطار ديمقراطى ، ذلك ان ما يهمنى التأكيد عليه هو ان قيما كالديمقراطية ليست مجرد صياغات لفظية ، وانما واقع اجتماعى حى تسرى عليه قوانين التغير والتحور والنمو والانتكاس ، وعلى من يريد أن يتقدم ان يكدح ويبدع مفاهيمه ، أو الاطار المناسب لما يروقه من مفاهيم . ذلك بالاضافة الى التأكيد على العلاقة الجدلية بين مستوى المشاركة فى النهوض من خلال العمل الجماعى المبدع وبين اشتداد عود الديمقراطية (النضال الديمقراطى الكورى وسقوط الديكتاتورية) ..

بقيت ملاحظة أخيرة اذ اعتقد ان المراقب الواعى يتفق معى ابتداء على زيف الصور الطوباوية "الصافية الألوان" .. الأمر الذى اكدنا عليه منذ البداية (فى تعداد المثالب التى تعتور التجربة اليابانية) . ولايدفعنا الى انهاء المقال بهذه الملاحظة الا تأكيد امكانية نهوضنا الاجتماعى نحن بالذات (رغم كل المثالب) فهذا هو بيت القصيد فى كل من الفزورة التى طرحها علينا الأستاذ أحمد بهاء الدين ، وهذه الكلمات التى أحاول الوقوف بها الى جانب دعوته ..

وان صح ما وصلت اليه فى دراستى للتجربة اليابانية فلا باس فى اضافة فزورة جديدة حول ذلك التصور العبقرى الذى يمكن ان يبدع استراتيجية تحول شعبنا الى العمل الجماعى المبدع ، مع منظومة القيم المناسبة التى تضمن بقاء الغالبية العظمى على هذه الحال ..

سرطان الاقتصاد

بقلم : د. اسماعيل صبرى عبدالله

يتناول د . اسماعيل صبرى عبدالله ـ وزير التخطيط الاسبق واحد ابرز الاقتصاديين المصريين ـ الظروف الصعبة التي يمر بها الاقتصاد المصرى فى ظل المتغيرات التى تشهدها الان . فى هذا البحث يناقش الاسباب الحقيقية للتضخم المستمر الذى لم يعد احد يوقفه .

● التشخيص ●

لاينفك اكثر المواطنين يشكون من الغلاء المتزايد ، وهم على حق فى شكواهم . ولست أرى مايبشر باختفاء اسبابها فى اجل قصير او حتى متوسط . ومايستوقف النظر هو حديث الحكام عن الغلاء كما لو كان زلزالا لايعرف الناس حتى الآن كيف يتوقعون حدوثه ، وبالتالى لامجال لمحاسبتهم عليه . فكل الظواهر الاجتماعية من فعل البشر . وما لوجود الدولة فى المجتمع من مسوغ فى التحليل الأخير الا دورها فى تامين الناس من الخوف واطعامهم من الجوع .

إن مثل الحكومة حين تدعو المواطنين لمقاومة الغلاء كمثل أخرى تدعوهم الى التسلح لحماية انفسهم ضد إجرام هيمن على المجتمع وعجزت هى عن أن تسيطر عليه . وليس لحكومة عاجزة من سبيل الا ان تترك مكانها لمن هو أقوى منها عزيمة وأعظم حزما . ومسئولية الحكومة عندنا اكبر بكثير فواقع الأمر أن الحكام وتابعيهم من الكتبة يلبسون حقيقة أن الحكومة تصنع الغلاء بيدها ، ولولا سوء سلوكها ماعرف الناس غلاء عاما ومتزايدا . والتعامل مع الظاهرة على أنها غلاء ، مبنى على قدر كبير من الخبث فهو يصرف

الناس عن محاسبة الحكومة وراء وهم محاربة التجار الجشعين والرقابة الامنية على الأسواق ومقاطعة الجزارين ونحو ذلك مما لاغناء فيه . فنحن بصدد مايسمى التضخم . ولايعرف علم الاقتصاد شيئا مايسمى الغلاء العام في الأسعار ، في حين أن أهله كتبوا طويلا وكثيرا عن التضخم وتعريفه وأسبابه وطبيعته واجراءات كبحه ثم تصفيته .

وأبسط تعريف للتضخم هو انه زيادة كبيرة فى القدرة الشرائية فى الاقتصاد القومى عن السلع والخدمات المعروضة فيه ، أو بعبارة مصورة : نقود كثيرة تجرى وراء سلع قليلة ، اى الزيادة الشرهة فى الطلب الكلى (اى الطلب على كل السلع والخدمات) أمام عرض كلى (بنفس المعنى) لايزيد الا النذر اليسير . وواضح أن التضخم بهذا المعنى يختلف جوهريا عن ارتفاع سلعة أو مجموعة معينة من السلع . فهذا الأخير من شأنه أن يهبط بالطلب عليها مع زيادة الطلب على سلع بديلة . كما أنه فى مدى أطول يغرى المنتجين بزيادة المعروض منها على حساب انتاج سلع أخرى ، أما اذا ارتفعت الأسعار جميعا فلا يمكن تفسير الأمر على أساس اختلال التوازن بين العرض والطلب على أى سلعة بعينها ، وإنما يجب البحث عن التفسير فى سياسات حكومية أخرى تبدو لمن لايعرف وكأن ليس لها علاقة بالأسعار . واصطلاح التضخم ومقابله فى اللغة الانجليزية يفيد معنى قريبا من الورم الذى يتنامى على سطح القوة الشرائية المطروحة فى الأسواق . وهو بالطبيعة ظاهرة مرضية تستدعى العلاج وليس بالقطع أزمة صحية عارضة .

● الأسباب ●

لاخلاف فى أن السبب الأول والأهم هو عجز الموازنة العامة للدولة الذى تغطيه بقروض من البنك المركزى أو البنوك التجارية التى تغطى بدورها هذا القرض بخلق كميات موازية من وحدات النقد . والصورة القديمة لذلك تتمثل فى طبع أوراق بنكنوت حيث يعد البنك المركزى - وفقا لقانونه - أذونات وسندات الخزانة غطاء كافيا لاصدار كميات مماثلة من العملة الورقية . ولكن تطور نشاط البنوك التجارية فى المائة عام السابقة جعلها قادرة بدورها على خلق وحدات نقدية لاتتجسد الا فى شكل قيود فى دفاتر تلك البنوك . ومن ثم تسمى أحيانا النقود المصرفية ، أو نقود الودائع . ولامجال لإغراق القارىء فى شرح كيف يحدث ذلك من الناحية الفنية . ويكفى أن نقول أن المقرر دوليا هو أن حساب السيولة (وهى تعبير آخر عن النقود) يشمل البنكنوت المتداول مضافا إليه الودائع تحت الطلب فى البنوك التجارية (ن ١) وكذلك الودائع غير الادخارية وان كانت لأجل



(ن ٢) ومن يبحث تطور حجم السيولة المحلية فى مصر كما ترد فى التقرير السنوى للبنك المركزى يرى ان اهم بند فى زيادتها يتمثل فى حجم البنكنوت المتداول مضافا اليه قروض البنوك التجارية للحكومة (ولا يشمل قروض القطاع العام) .

وفى الأصل الدولة لاتملك شيئا وليس لها أى دخل . ومن ثم فهى تجبى الضرائب والرسوم وما إلى ذلك من الايرادات السيادية لتنفق على الخدمات السيادية (الأمن الخارجي ، الأمن الداخلى ، النقل ، القضاء ، المالية ، التخطيط .. الخ) ثم اتسع المفهوم الاجتماعي لدور الدولة ليشمل نوعا من إعادة توزيع الدخل بالاقتطاع من دخول القادرين والأغنياء لأداء خدمات مجتمعية اساسية مثل الصحة والتعليم . ومن هنا كان مبدأ تصاعد الضريبة كلما زاد الدخل . أما الدولة كمالك للقطاع العام فعليها أن توظف صافى ارباحها (بعد سداد الضرائب) فى استثمار انتاجى جديد . فالدولة هنا منتج كبير يشتغل بتنمية القاعدة المادية للمجتمع عليه مسئوليات المنتج (دفع الضرائب) وله حقوق المنتج فى استثمار فائض أرباحه . تلك قواعد أولية فى علم المالية العامة اعتذر عن التذكير بها . وماحملنى على ذلك الا الوهم الشائع الذى تردده الحكومة ويكرره الكتبة الى حد الغثيان المتمثل فى الزعم بأن عجز الموازنة يرجع الى خسائر القطاع العام وهذا كذب محض حيث يحقق القطاع فى مجموعه (خسائر وأرباح) ايرادا صافيا بعد دفع الضرائب يؤول

للخزانة حوالى مليارين من الجنيهات سنويا . ويرجع العجز فى الحقيقة الى واقع أن ايرادات الدولة السيادية لاتغطى انفاقها الجارى . وليس فى هذا مايدهش لأن الدولة قد اعتمدت منذ عهد السادات سياسة التوسع فى الأعفاء من الضريبة حتى قال وزير مالية سابق ان الاعفاء اصبح الأصل واداء الضريبة هو الاستثناء . ومن اهم عيوب التوسع فى الاعفاء انه يخلق لدى دافع الضريبة مسوغا للتهرب منها . فلماذا يدفع الصغار اذا تمتع الكبار بالاعفاء . واذا استخدم بعض رجالات النظام نفوذهم السياسى لارغام مصلحة الضرائب على اجراء تقديرات تافهة لصافى دخولهم فما الذى يمنع غيرهم من استخدام الرشوة للحصول على نفس المزايا . لهذا اصبح ضروريا مراجعة الاعفاءات الضريبية مراجعة شاملة تقصر الاعفاء على مدى اهمية المشروع للاقتصاد القومى ومستوى الأرباح المتوقع له وأجل تنفيذه بغض النظر عن ملكيته . ومن الضرورى أيضا فصل موازنة القطاع العام (النشاط الانتاجى للدولة) بأرباحه وباستثماراته عن موازنة الدولة .

ومهما يكن من امر فان عجز الموازنة المتكرر الذى يصل حاليا الى حوالى ١٥ ٪ من الناتج المحلى الاجمالى بالرغم من تجميد أو تخفيض انفاق الدولة على خدمات التنمية الاجتماعية يؤتى ثماره المرة فى زيادة معدلات التضخم وهذا يؤكد جانبا هاما فى التضخم . لقد قلنا انه مرض وان الأوان لان نضيف أنه ورم خبيث يتكاثر تلقائيا كما تفعل الخلايا السرطانية . ويعبر الاقتصاديون عن هذا الجانب بتعبير مستعار من الفيزياء هو « التسارع » وفى الفيزياء يعنى التسارع (أو العجلة كما يسمى أحيانا) معدل الزيادة فى السرعة . وفى الاقتصاد يعنى التسارع معدل الزيادة الدورية فى معدل التضخم . فاذا كان معدل التضخم فى سنة ما مثلا ٢٠ ٪ وأصبح فى السنة التالية ٣٠ ٪ يكون معدل التسارع ٥٠ ٪ وترجع هذه الظاهرة الى حقيقة أن التضخم من الظواهر الاقتصادية النادرة التى لاتحمل فى طياتها وسيلة الحد منها أو تصفيتها كما رأينا فى حالة ارتفاع سعر سلعة معينة . والذى يحدث هو أن التمويل بالعجز فى سنة مايعنى ارتفاعا عاما فى الأسعار يؤدى بدوره لزيادة الانفاق الحكومى المطلوب لاداء نفس الخدمات فى السنة التالية . وهكذا يزيد العجز فى هذه الأخيرة وتبدأ دورة جديدة من ارتفاع الأسعار . وفى الوقت ذاته يدرك الناس حقيقة أن النقود تفقد قوتها الشرائية بانتظام . ويؤدى توقعهم استمرار ذلك الى مبادرتهم الى شراء سلع ليسوا فى حاجة اليها ابتداء من السلع المعمرة الى اى شىء صالح للتخزين . ويعبر

الاقتصاديون عن هذه الظاهرة باصطلاح « تفضيل السلع أو الهرب من النقود » وهو أمر يزيد من معدلات التضخم بطبيعته ويلكرو مفعول التسارع الى ما لا نهاية (فقد جاوز ١٠٠٠ ٪ فى اسرائيل قبل ثلاث سنوات وفى بعض بلدان أمريكا اللاتينية حاليا) ولايمكن وقف التسارع ثم تخفيض معدل التضخم الا بمجموعة متسقة من السياسات التى تفترضها الدولة بكل حزم . وعلى العكس اذا استمر التضخم ورأى الناس الأسعار ترتفع من شهر الى شهر بل من يوم الى يوم يكون التضخم قد افلت من كل سيطرة لايمكن التعامل معها الا بأساليب جراحية خطيرة والأمر الذى يخفى الآن انفلات التضخم هو أن مصر لم تعرف فى الماضى تضخما بمعدلات التضخم الحالى . ولذلك لم يدرك الناس معنى تلك المعدلات ولم يتوقعوا مايمكن أن تؤول اليه الأوضاع توقعا صحيحا . ولكن الظاهرة التضخمية قد بدأت تدخل ضمير الناس وتؤثر فى توقعاتهم . ويظهر هذا بالذات فى شراء العقارات الزراعية والمبنية مهما كان عائدها تافها وحتى لو كان معدوما . لانهم يقدرون أن الزيادة المتوقعة فى اسعارها ستكون اكبر بكثير من اى عائد نقدى دورى .

وهناك مصدر آخر للتضخم هو عجز ميزان المدفوعات فهذا العجز يعنى فيما يعنى تراجع سعر صرف الجنيه فى مقابل العملات الأخرى . وينعكس هذا التراجع فى شكل ارتفاع فى اسعار الواردات يؤثر فى معدل التضخم العام مباشرة اذا كانت الواردات استهلاكية وبطريقة غير مباشرة اذا كانت الواردات آلات ومعدات أو مستلزمات انتاج ويؤدى الافراط فى الاقتراض الخارجى فى أول الأمر الى زيادة القوة الشرائية فى السوق (صافى مايحول نقدا) ثم عن طريق ارتفاع تكلفة المعدات ومستلزمات الانتاج والخدمات (الخبراء الأجانب) الذى ينعكس فى ارتفاع أسعار المنتجات . **ومن ناحية ثالثة يؤثر عبء سداد الفوائد والاقساط سلبيا على ميزان المدفوعات ويهوى بالجنيه المصرى الى درجات ادنى** ، وتحاول الحكومة تكرار نفس الدورة . وأود أن أؤكد فى هذا الصدد الرابطة الموجودة بين عجز الموازنة والاعتماد على الغير عن طريق « المعونات » الاجنبية كذلك لاصحة لمقولة استيراد التضخم من الخارج . فمنذ أوائل الثمانينيات نجحت الحكومة الغربية فى السيطرة على التضخم بحيث هبطت معدلاته الى اقل من ٥ ٪ فى الولايات المتحدة

وثمة عوامل أخرى ساهمت فى التضخم ولكن بقدر اقل بكثير من السببين السابقين ونضرب لذلك مثلا بدخول العاملين فى الخارج المحولة الى الداخل . فكونها محولة من الخارج يعنى بالدقة أن الاقتصاد المصرى لم ينتج من السلع والخدمات مايساويها كما هو

الاصل العام فى الدخل المتولد من النشاط الاقتصادى فى الداخل .

● النتائج ●

لايمكن حصر وتحليل النتائج الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى ترتبت أو يمكن ان تترتب على استمرار التضخم وتسارعه فى هذا المقام المحدود . ولذلك اكتفى بذكر ابرزها .

فالتضخم أخبث وسيلة لاعادة توزيع الدخل لصالح الأغنياء وضد مصلحة الفقراء بشكل تلقائى ومستمر « فالغلاء العام » لايعنى ارتفاع ثمن كل شيء بنسبة موحدة هي معدل التضخم . ويقول الاقتصاديون ان التضخم يفيد أصحاب الدخول المتغيرة (وفى المحل الأول رجال الأعمال) حيث تتزايد دخولهم بمعدل يفوق معدل التضخم عادة ، وأنه يضر بأصحاب الدخول الثابتة . والمثل الصارخ لذلك هو الأجور التى تظل تلهث للحاق بمعدل التضخم دون نجاح او بنجاح محدود . والى جانب هذه الكتلة الضخمة يمكن أن نذكر أصحاب العقارات محددة الأجرة منذ الستينيات . وآليات السوق هنا تعمل فى الواقع على تخفيض استهلاك الفئات الشعبية والمتوسطة بل وطرد بعضها تماما من السوق نتيجة لارتفاع الأسعار ، فى حين يعنى هذا الارتفاع نفسه انتفاخا فى أرباح رجال الأعمال وغيرهم من الوسطاء .

وكذلك يصطحب التضخم باختلاف فى الأسعار النسبية . والمقصود بالسعر النسبى لسلعة ماهو سعرها مقوما بوحدات من سلعة اخرى بعد الغاء دور النقود .

وتلعب هذه الأسعار دورا أساسيا فى توجيه الانتاج . فمثلا كان سعر الفراولة منذ ثلاث سنوات حوالى ثلاثة جنيهات للكيلو الواحد ، ثم حضت وزارة الزراعة الناس على زراعتها . وقد زرع بالفعل الاف الأفدنة . ولم يتجح التصدير . فانخفض السعر الى حوالى جنيه واحد فى الموسم الأخير . وفى الوقت ذاته رفع التضخم سعر الخيار الى حوالى جنيهين من إنتاج « الصوبات » وفى هذا اخلال واضح بالأسعار النسبية . ولذلك من الوارد أن يزيد محصول الخيار ويستغنى كثيرون عن زراعة الفراولة . ويمكن عندئذ أن تتغير الأسعار النسبية لكلا المحصولين . ونجد نفس الظاهرة فى العلاقات الأجرية حيث نجد سكرتيرة تعرف الانجليزية والآلة الكاتبة تحصل على مرتب يفوق مرتب وكيل الوزارة بشكل واضح . كما أن الاجور فى شركات القطاع الخاص غير المشتغلة بالانتاج السلعى (وبالتالى لاتحتاج لعمالة كبيرة) أعلى بشكل واضح من أجور موظفى الدولة والقطاع العام . وأخيرا نجد أجور الوحدات الصغيرة فى القطاع الخاص أدنى من أجور القطاع العام . وكل تخطيط علمى يقتضى التعامل مع أسعار نسبية

تعكس تكلفة الانتاج المتفاوتة من سلعة لأخرى .

يفقد التضخم المستمر والمتزايد العملة الوطنية وظيفة من اهم وظائفها وهى كونها وعاء الادخار ، أو مستودع القيم كما يقول الاقتصاديون . فاذا سلمنا جدلا بأن معدل التضخم فى مصر ٣٠ ٪ فقط كما أعلن رئيس مجلس الوزراء فى مجلس الشعب نرى ان البنوك تعطى لأصحاب الودائع فائدة سلبية تقدر بناقص ١٩ ٪ لأنهم يحصلون على فائدة اسمية ١١ ٪ فى حين تنقص قيمة مدخراتهم المودعة لدى البنوك بمعدل ٣٠ ٪ سنويا . وقد أدى هذا الوضع الى اقبال عدد كبير من المدخرين الى شراء دولارات بأى وسيلة لتصبح مدخراتهم دولارية . وقد بلغت نسبة الودائع الدولارية فى العام الماضى ٤٠ ٪ من اجمالى الودائع فى كل البنوك المسجلة لدى البنك المركزى ولايدخل فى هذه النسبة الودائع لدى المصرف العربى الدولى (الذى يتعامل بالدولار وحده) ولا ما تسلمته شركات توظيف الأموال ووفقا لدراسة قام بها صندوق النقد الدولى تعد نسبة الادخار بالعملات الأجنبية فى مصر أعلى نسبة بين كل بلدان العالم الثالث . وقد أسهم هذا الاتجاه فى تخفيض سعر صرف الجنيه بالدولار لأنه خلق طلبا داخليا على الدولار غير الطلب الراغب فى تسوية مدفوعات خارجية . ولذلك لامجال للدهشة اذا انخفض سعر صرف الدولار الأمريكى ازاء العملات الأخرى فى حين استمر فى الارتفاع فى السوق المصرية وحدها . ومن جهة أخرى نذكر بأن انخفاض سعر صرف الجنيه من العوامل الهامة فى تسارع التضخم فى مصر .

ويرتبط تدهور سعر صرف الجنيه كذلك بخروج الأموال من مصر تبحث عن التوظيف الذى يحافظ على قيمة المال الموظف وهكذا يخرج الكثير من مدخرات الفئات الوسطى فى المجتمع ليودع فى البنوك أو يوظف فى حافظة أوراق مالية مثلا . وبهذا لاتقتصر هجرة الأموال الى الخارج على كبار الرأسماليين الذين يؤثرون الاستثمار فى اقتصاد مزدهر ومحصن ضد التقلبات الحادة وغير المنظورة ، لاسيما إذا كان مصدر تكوين رأس المال مشوبا بعدم المشروعية . وقد استخدمنا كلمة خروج بدل التعبير الشائع « هروب » رءوس الأموال عن عمد . وذلك لأن قانون النقد الصادر فى ١٩٧٧ والذى مازال ساريا حتى الآن لايحرم بحال تحويل أى وديعة دولارية أيا كانت قيمتها الى الخارج بدون أبداء أى مسوغ . وهو مايظهر فى بيانات البنك المركزى عن حساب المدفوعات تحت بند « مدفوعات بدون مستندات » تمييزا لهذا النوع من التحويلات عن التحويل لسداد واردات عينية أو خدمية أو لأغراض السياحة أو التعليم أو العلاج . فلم تكن شركات توظيف الأموال الباب الوحيد لخروج

الأموال من مصر . وليس للدولة أن تحتج عليها بدعوى أنها كانت تمارس ذلك فى خفية عن أجهزة الدولة **لأن الدولة تعطى للمصرف العربى الدولى صلاحيات كاملة فى تحويل الأموال فى أى اتجاه وعدم تمكين أى سلطة مصرية ربما فى ذلك السلطة القضائية - من الزام هذا البنك بتسليم أى بيان وارد فى حساباته لأن الدولة تسلم بتمتع تلك الحسابات بالسرية المطلقة .**

وقد اقتصرنا عند هذا الحد على أبرز النتائج الاقتصادية . ونكتفى بواقع أنها تعنى أن التضخم يضاعف عدد الفقراء والمحرومين وكذلك عدد مايضطرون لتخفيض استهلاكهم وان ظل فوق مستوى الفقر بكثير ، وأنه يسلب الاقتصاد المصرى موارد مالية ضخمة فيعطل من عجلة زيادة الانتاج وترشيد الاستثمار بما يفضى الى تعقيدات كبيرة فى ادارة الاقتصاد القومى ناهيك عن تنميته على نحو مطرد . واجتماع هذين الأمرين يعنى ضرورة فتح الباب أمام القلاقل الاجتماعية (التى يمكن أن تتخذ فى الظاهر شعارات لاعلاقة لها بقضايا الفقر والتخلف) ويغلب أن تنتهى تلك القلاقل الى هز عناصر الاستقرار السياسى على نحو يفتح شهية المغامرين والانقلابيين من كل صنف .

● المقياس ●

وليس أدل من اغتراب المجتمع المصرى عن التضخم كمفهوم وكظاهرة يعيشها الناس من عدم الاهتمام فى دوائر السلطة بقياس معدل التضخم وأضيف أيضا تهاون قوى المعارضة فى المطالبة بقياس دقيق ومقنع لهذا التضخم .

والمقياس المستقر فى العالم كله هو تطور الرقم القياسى لأسعار البيع للمستهلكين من سنة الى أخرى ، وحتى من شهر الى آخر كما نقرأ جميعا فى الصحف الأجنبية عن معدل التضخم الشهرى فى البلدان الصناعية . وهذا الرقم القياسى هو المتوسط المرجح لأسعار أهم مجموعات السلع الاستهلاكية بما فيها المسكن والنقل وخدمات التعليم والعلاج ... الخ .

ومعنى الترجيح اعطاء وزن معين لكل مجموعة وفقا لنصيبها الفعلى من انفاق الأسرة الاستهلاكى كما يتبين من دراسات ومسوح ميزانية الأسرة التى تتجدد عندنا مرة كل عشر سنوات بالتقريب . ويصدر الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء رقما قياسيا من هذا النوع سنة الأساس فيه (التى تعطى قيمة اجمالية ١٠٠) هى ١٩٦٦ - ١٩٦٧ . ووفقا لهذا المؤشر ارتفع الرقم القياسى العام لأسعار المستهلكين فى الفترة مابين سنة الأساس وشهر يونيو ١٩٨٢ أربعة أضعاف فوصل الى ٤٢٢ ثم مرتين فيما بين يونيو ١٩٨٢ ويونيو ١٩٨٧ حين بلغ ٨٤٠ وترى غالبية الاقتصاديين المصريين أن هذا الرقم القياسى يقصر عن التعبيز عن واقع الغلاء كما يحسه المواطنون فى الأسواق .

ويتركز نقدهم فى أن جهاز التعبئة العامة

والاحصاء أعتمد لفترة طويلة على الأسعار الرسمية بغض النظر عن احترامها فعلا متجاهلا حقيقة ممارسة أسعار أعلى منها فى مواقع كثيرة . كما أن الجهاز يحسب تكلفة خدمة مثل التعليم على أساس أنها متاحة مجانيا للجميع بغض النظر عن انتشار المدارس الخاصة والدروس الخصوصية . وهناك مثال آخر للقصور البالغ وهو رقم الخاص بتكلفة المسكن التى تظهر فى حساب الرقم القياسى أنها

زادت خلال أكثر من عشرين عاما مضت بنسبة ٢٩,٨ فقط . وواضح هنا أن الجهاز يعتمد تثبيت ايجارات المساكن القديمة ولا يأخذ فى الحسبان الايجارات الجديدة وما يتحمله المستأجر من مبالغ نقدية تسمى « الخلو » أو مقدم الايجار أو تكلفة التشطيب .. الخ ، كذلك هو يهمل ما يتحمله مستأجر المسكن من أعمال صيانة جسيمة ليظل المسكن صالحا للسكن ... وعلى أية حال يظهر الرقم القياسى المنتقد معدل تضخم فيما بين يونيو ١٩٨٦ ويونيو ١٩٨٧ يبلغ ٢٥,١ ٪ وقد أن الآوان لأن تتدخل الحكومة فى الأمر لتحصل على معدل التضخم الفعلى وتعلنه على الكافة حتى يتيسر لكل الأطراف متابعة النمو السرطانى ومعرفة معدلات تسارعه . فكل سياسة اقتصادية لا تأخذ فى الحسبان قضية التضخم تكون غير واقعية ولا مجدية .

• العـلاج •

لقد أطلنا فى الحديث عن أمور يجب أن يعرفها الناس ، وهى ليست موضع جدل يذكر بين المتخصصين ، كما أنها تخلو من المسحات العقائدية . اما العلاج فيحتاج الى مقال آخر ، كما أنه يثير الخلاف لأنه يمس بالحماية أو بالنقص مصالح طبقية واضحة . ونكتفى بالأساس العام للعلاج الذى يمكن أن يلتقى حوله كثير من الاقتصاديين وهو :

مصر عاشت حوالى خمسة عشر عاما تنفق اكثر مما تنتج بنسبة وصلت فى بعض السنوات الى ٢٠ ٪ من الناتج المحلى الاجمالى . ويتعين الآن تصفية هذا الحساب . ومعنى ذلك أن مصر تحتاج الى سياسة تقشف جادة . والى هذا الحد يظل اتفاق الرأى بين الاقتصاديين قريبا من الكمال . ولكننا نلح على شرطين لابد من توافرهما معا فى أى سياسة تقشف جادة حتى تنجح :

ضرورة توزيع أعباء التقشف بين طبقات وفئات المجتمع على نحو يحقق أكبر قدر ممكن من العدل . كذلك لابد من مناقشة واسعة وعامة حول عناصر سياسة التقشف تجرى فى جو ديمقراطى تماما وتهدف الى الوصول الى تفاهم عام بين مختلف القوى والتيارات السياسية وبالتالى تصبح مقبولة جماهيريا .

الدكتور محمد صلاح الدين

أول من نادى بالحياد ووقف ضد الأحلاف

بقلم: د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

لمع نجم الدكتور محمد صلاح الدين خلال المفاوضات المصرية - البريطانية التي جرت في عامي ١٩٥٠ - ١٩٥١ وأحرز خلالها شعبية كبيرة بسبب مواقفه الوطنية وتمسكه بحقوق بلاده .. وقد أطلقت عليه الصحافة المصرية حينئذٍ اسم "السياسي الصامت" بسبب حرصه الشديد على عدم الإسراف في الإدلاء بالتصريحات، كما أطلق عليه اسم "السياسي المبتسم" لأنه كان يخاطب مستمعيه والابتسامة لا تفارق شفتيه.

● ولد محمد صلاح الدين في طنطا في عام ١٩٠٢ وهو ابن طبيب انتمى إلى أسرة بحي الخليفة في القاهرة. وقد انخرط منذ شبابه في العمل الوطني - فاشترك في ثورة ١٩١٩ التي كان خلالها عضوا في لجنة الطلبة العليا عن مدرسة الحقوق وهي اللجنة التي كانت تنتمي إلى "الوفد المصري". ومنذ ذلك الوقت انغمس في النشاط الوطني: فكان يخطب في المحافل وينظم التظاهرات ويطبع البيانات والمنشورات الوطنية ويوزعها على المواطنين ويقدم الاحتجاجات إلى مختلف الجهات، وكل ذلك مما لفت إليه نظر الزعيم سعد زغلول الذي قربه إليه - واعتزم وهو رئيس للوزراء في عام ١٩٢٤ - إرساله في بعثة دراسية الى فرنسا للحصول على درجة الدكتوراه في القانون. ولو أن سقوط الوزارة على اثر مقتل السردار في عام ١٩٢٤ قد أجل سفره. وخلال دراسته في فرنسا أرسل الوفد مكرم عبيد إلى لندن



صورة نادرة يصافح فيها جمال عبد الناصر د. محمد صلاح الدين اثناء اجتماع لجنة الدستور عام ١٩٥٢ .

للدعاية ضد وزارة محمد محمود . واستعان مكرم بمندوبين عن الجمعيات الطلابية المصرية فى مختلف العواصم الاوروبية الذين عقدوا فى لندن بحضوره مؤتمرا عاما اشترك فيه محمد صلاح الدين باعتباره احد اعضاء الجمعية فى باريس . وبعد ان اتم دراسته عاد الى مصر حيث لم يلبث ان اصبح أحد كبار المحامين الوطنيين . وقدر مصطفى النحاس - خليفة سعد - كفاءته ونزاهته فاختاره مديرا لمكتبه فى رئاسة مجلس الوزراء ثم سكرتيرا عاما للمجلس وفى مرحلة تالية عينه وكيلا لوزارة الخارجية . وفى عام ١٩٣٠ كان قريبا من النحاس خلال تفاوضه مع آرثر هندرسون .

ثم كان له دور فى أعمال الجبهة الوطنية التى تولت المفاوضات فى عام ١٩٣٦ . وفى عام ١٩٥٠ تم تعيينه وزيرا للخارجية فى آخر وزارة وفدية وذلك برغم اعتراض الملك فاروق على ترشيحه بحجة صغر سنه.

(وكان حينئذ يبلغ الثامنة والأربعين !) ولو انه يحتمل انه كان يريد ان يعين فيها احد رجاله . إلا أن النحاس تمسك به تمسكه بالدكتور طه حسين .

وحين اضطلع بمفاوضة الإنجليز في عامى ١٩٥٠ ـ ٥١ كان قد قرأ كل ما يتعلق بالقضية المصرية من وثائق رسمية كما كان قد حضر في سكرتارية النحاس كل مفاوضة اجراها واطلع على محاضر المفاوضات التى اجراها سواه . يضاف الى هذا ان دراسته في مصر كانت قانونية وأن دراسته العليا في باريس كانت قانونية ـ سياسية مما ساعده على الإلمام بكل جوانب القضية المصرية . كما اشتغل بالصحافة فترة لا بأس بها وبالمحاماة فترة اطول . وهكذا فإن دراسته وتجاربه كانت تؤهله للتفاوض بمهارة لانتزاع حقوق مصر من المستعمر البريطاني .

● مطالب مصر

وفي ٢٤ ابريل ١٩٥١ حددت حكومة الوفد على الوجه التالي :

١ ـ الشروع في إجلاء القوات البريطانية عن مصر بمجرد عقد الاتفاق على الا يتجاوز ذلك مدة سنة .

٢ ـ تسليم القاعدة البريطانية في قناة السويس إلى القوات المسلحة المصرية بمجرد اتمام الجلاء .

٣ ـ اعطاء أولوية خاصة لتزويد الجيش المصري بالأسلحة والمعدات اللازمة في اقرب وقت باعتبار مصر قائمة في منطقة استراتيجية .

٤ ـ وحدة مصر والسودان تحت التاج المصري وتمتع السودانيين في نطاق هذه الوحدة وفي مدى عامين بالحكم الذاتي .

٥ ـ عقد اتفاق بين الطرفين يمكن بمقتضاه عودة القوات البريطانية إلى الجهات التي يتفق بين الحكومتين على ضرورة عودتها إليها للمعاونة في الدفاع عن مصر في حالة وقوع اعتداء مسلح عليها او في حالة اشتباك بريطانيا في حرب نتيجة لاعتداء مسلح على البلاد العربية المتاخمة .

٦ ـ إذا عادت القوات البريطانية الى مصر وفقا للبند السابق يتعين الشروع في إجلائها عنها بمجرد انتهاء العمليات الحربية على ان يتم الجلاء برا وبحرا وجوا في مدة اقصاها ثلاثة شهور .

٧ ـ إلغاء معاهدة ١٩٣٦ وجميع ملحقاتها وكذلك اتفاقى ١٨٩٩ (الخاصين بالسودان) بمجرد سريان الاتفاق الجديد .

وفي اوائل صيف ١٩٥٠ رحب وزير الخارجية البريطاني ـ إرنست بيفن ـ بفتح باب المفاوضات واقترح أن يجرى أولا بين رئيس أركان حرب الامبراطورية البريطانية ـ فيلد مرشال سير وليم سليم ـ والحكومة المصرية بحث رسمي ، بأقل علانية ممكنة ، للنواحي العسكرية للمسالة التي تواجه بريطانيا في الشرق الأوسط . ووافقت الحكومة المصرية على ذلك على أساس مبدأى الجلاء ووحدة وادى النيل .

وجاء وليم سليم إلى مصر في صيف ١٩٥٠ واوضح لمسئولين انه لا يمكن فصل المسالة السياسية عن المسالة العسكرية واكد وجود "الخطر الروسي

الدائم" وانه لا يمكن لدولة واحدة مقاومته ، وان الحل الوحيد هو تكتل الدولة ذات المصلحة في مقاومته على ان تتنازل كل منها عن سيادتها ، ملوحا بان بريطانيا ذاتها قد تنازلت هي وغيرها من البلدان عن بعض سيادتها وقبلت وجود قوات اجنبية على اراضيها خاصة بعد ان اطرحت الولايات المتحدة سياسة العزلة واشتركت اشتراكا فعليا في مشروعات الدفاع عن العالم الغربي . واضاف وليم سليم أن مصر والشرق الأوسط سيكونان مجالا لاهتمام السوفييت في حالة نشوب الحرب وانه ليس باستطاعتها ان تنجو بنفسها اذا ما اثرت الحياد - إذ لا تستطيع الحياد إلا إحدى دولتين : إما قوية (ومصر حينئذ قوية) او صغيرة لا يطمع فيها احد . فإذا عجزت مصر عن البقاء على الحياد اضطرت إلى الدفاع الذى يستلزم حلفاء ، وبريطانيا هي الحليف . وأوضح سليم انه يتطلع إلى نظام للدفاع يظهر بجلاء ان وجود الجيوش البريطانية في منطقة قناة السويس لا يعني الاحتلال باى حال ، بل هدفه الدفاع لمواجهة الموقف الدولي ، وان باستطاعة السلطات العسكرية المصرية ان تجد نظاما يخدم مصالح البلدين المشتركة .

ورد مصطفى النحاس على كل هذه الحجج بقوله إن الشعب المصرى لا يمكن ابدا ان يركن إلى وعود جديدة او يقبل نظريات مستحدثة ترمى في النهاية إلى إبقاء قوات اجنبية على الأراضي المصرية تحت أى اسم او باية صفة . وان ثقة الشعب المصرى قد ضعفت في وعود بريطانيا ونظرياتها وكذلك بالنسبة إلى الدول الكبرى المسيطرة على العالم ، وانه يجب البحث عن طريقة اخرى في تعاون من نوع جديد يحقق الجلاء عن قناة السويس ويكفل المصالح المشتركة ، وانه لا توجد قوة في العالم تستطيع ان تقنع الشعب المصرى بان مصر ستكون مقصودة لذاتها بالهجوم بحكم أن وجود جيش اجنبي على اراضيها هو الذى سيعرضها للهجوم الروسي . وفي ٦ يونية ١٩٥٠ ادلى النحاس ببيان شامل عن مطالب مصر وأهمية الجلاء عن قناة السويس خاصة وأن الدول المجاورة لروسيا - كتركيا وإيران - وهي الدول المعرضة لخطر الغزو المباشر ، لم تكن فيها قوات احتلال اجنبية وان بريطانيا في يدها الكثير من القواعد الجوية والاستراتيجية في البلاد المحيطة بمصر كمالطة وقبرص وبرقة والاردن مما يسهل إرسال القوات منها الى مصر في حالة نشوب الحرب . واوضح النحاس ان مصر مصممة على جلاء القوات البريطانية عن اراضيها جلاء ناجزا وانها ستقوى جيشها وتزوده باحدث الاسلحة والعتاد على ان تتبادل الحكومتان الراى حين تنشب حالة تهدد الأمن في الشرق الأوسط . وإذا وقع اعتداء مسلح على مصر او إذا دخلت بريطانيا الحرب نتيجة لوقوع اعتداء مسلح على إحدى الدول المجاورة لمصر فإن مصر تتعاون عسكريا داخل حدودها وفي نطاق إمكانياتها مع بريطانيا للدفاع . وفي مثل هذه الأحوال اذا تبين أن من الضرورى استقدام قوات بريطانية إلى الأراضي المصرية فإنها ستلقى جميع التسهيلات لاستقبالها بعد الاتفاق عليها مقدما على أن تغادر القوات البريطانية الأراضي المصرية بمجرد انتهاء العمليات الحربية .

ولكن سليم اصر على ضرورة وجود القوات البريطانية على الأراضي المصرية

في وقت السلم بحجة ان دول الدومنيون (الكومنولث) لم تكن تقبل إرسال قوات لمساعدة مصر إذا لم تكن القوات البريطانية في مصر بالفعل . ثم بين لوزير الخارجية المصرى انه ليس من مصلحة مصر إزالة المنشاة والقواعد البريطانية من منطقة قناة السويس ثم محاولة إعادتها بعد ذلك على اساس جديد على اعتبار ان ذلك غير عملى ، وذهب إلى ان من الضرورى ، لأسباب تتعلق بالدفاع ، وجود قوات عسكرية لتكون في حالة تسمح باستخدامها في وقت قصير وان يكون بها فنيون وموظفون إداريون . وكان رد صلاح الدين أن مصر مصممة على الدفاع عن

نفسها وهى توافق على عقد محالفة دفاعية مع بريطانيا بشرط الجلاء الناجز الكامل ، وأن تكون هذه المعاهدة معاهدة الند للند على قدم المساواة . إلا ان الجانب البريطانى اصر على ضرورة توافر قاعدة

صورة حديثة للدكتور محمد صلاح الدين (على اليسار) مع شقيقه .



تكون معدة لاستقبال جميع النجدات فى الحال وهذه القاعدة هى قناة السويس .

● تيار الوحدة من قديم الزمن

اما فيما يتعلق بالسودان فقد أصر الجانب المصرى على ضرورة وحدة مصر والسودان تحت التاج المصرى فى حين اصر الجانب البريطانى على ضرورة ان يكون للسودانيين رأى فى تقرير مصير بلادهم . واستغل السودانيون النزاع المصرى - البريطانى فى التوصل إلى الاستقلال عن كل من دولتى الحكم الثنائى مما جعل الجانب المصرى يتهم الانجليز بمحاولة فصل السودان عن مصر وإلحاقه بالامبراطورية البريطانية . وعلى حين كانت حكومة الوفد تربط بين مسألتى الجلاء والسودان كان الجانب البريطانى يصر على فصل كل من المسألتين عن الأخرى . ولم يبد أى من الطرفين رغبة فى التوصل إلى حل وسط مما جعل المفاوضات تتسم بالتوتر والتصلب . فقد أبدى البرلمان البريطانى تمسكه بعدم الجلاء عن مصر دون احتياط للمستقبل ، فى حين تعرضت حكومة الوفد لضغط المعارضة والصحافة المصرية التى كانت تثير روح العداء للانجليز وتتهم الحكومة بالفساد واستغلال النفوذ ، فى الوقت الذى كان فيه الرأى العام يضغط على الحكومة عن طريق التضاهرات والاضطرابات . ولما كان الانجليز على بينة من حقائق الموقف فإنهم اصطنعوا البطء فى إجراء المفاوضات على امل استهلاك صلابة المفاوضين المصريين الذين قد ترغمهم الظروف على التضحية بالمكاسب الآجلة والتركيز على هدف مباشر .

وحاولت الولايات المتحدة التى ابدت انزعاجها من الموقف فى ايران وانعكاساته المباشرة فى منطقة الشرق الأوسط ومن ثم مساندتها للموقف البريطانى من المفاوضات من زاوية اتخاذ الاحتياطات اللازمة للدفاع عن الشرق الأوسط حاولت أن تتوسط بين طرفى التفاوض . ولفت صلاح الدين نظر الأمريكان إلى انه لا ينظر إلى الدفاع من وجهة نظر مصر وحدها ، بل ايضا من وجهة نظر بريطانيا كذلك ولكن بشرط ان يتحقق ذلك بطريقة معقولة من زاوية الدفاع عن الشرق الأوسط ، مشيرا إلى أن من حق دول المنطقة قبل غيرها أن تدافع عن أراضيها ومؤكدا ان مصر ستحافظ على فعالية قاعدة قناة السويس حتى تكون صالحة للاستعمال فيما لو نشبت الحرب . واضاف إلى ذلك ان مما لا شك فيه أن المحصلة النهائية ستتوقف إلى حد كبير على المساعدة التى سوف تقدم للجيش المصرى وعلى المساعدة الاقتصادية التى ستقدم لشعوب المنطقة . ولخص وجهة نظره بان مصر والبلدان العربية مستعدة للمساهمة بنصيبها فى الاستعداد العام لمواجهة العدوان والمحافظة على السلام وعلى وحدة الأمم الحرة فى العالم ، ولكنها من ناحية اخرى تصر على أن يكون لها الرأى الأول فى اراضيها وعلى أن تأتى المساعدة التى تبذلها بلدان أخرى فى المحل الثانى وحين يحتاج إليها الأمر بشرط الا يترك كل عبء الدفاع على عاتق بلدان تقع خارج المنطقة .

كما أصر صلاح الدين على ربط مسألة الجلاء بمسألة السودان وهو ما لم تقبل به كل من بريطانيا والولايات المتحدة . وحين لوح السفير الأمريكى فى القاهرة - جيفرسون كافرى - بالخطر السوفييتى

الذى ادعى انه اخطر من الامبريالية البريطانية واكد على ضرورة بقاء القوات البريطانية استعدادا لمواجهة الروس كان رد صلاح الدين انه يدرك خطر "الامبريالية الروسية" التى كانت بعيدة عن إدراك الشعب المصرى الذى لم يسبق له ان راى جنديا روسيا أو تعرض للاحتلال الروسى. وحين لوح الجانب البريطانى بان السودانيين لا يقبلون بالسيادة المصرية اجاب صلاح الدين بأن من حق السودانيين ان يقرروا مستقبلهم ولكن ليس فى الوقت الذى يسيطر فيه الإنجليز على السودان مما يشكل نوعا من العداون.

ولما كانت السفارة البريطانية فى القاهرة تعتقد ان حكومة الوفد تخشى ان تواجه قلاقل قد لا تستطيع السيطرة عليها ومن ثم تفضيلها عدم التوصل إلى اتفاق سيىء قد يثير ضدها الرأى العام فانها بينت لحكومتها نوع المصاعب التى تواجهها حكومة الوفد مما جعل الحكومة البريطانية تتشدد فى موقفها خاصة وقد تولى وزارة الخارجية البريطانية هربرت موريسون المعروف بميوله الصهيونية وكان يختلف عن إرنست بيفن المتهم بميوله العربية من زاوية خطط الدفاع البريطانية. وإزاء مساندة الدول العربية لمصر فى موقفها من المفاوضات ابدت الولايات المتحدة انزعاجها وسعت إلى التوصل إلى حل وسط يقضى باشتراك قوات متعددة الأطراف فى الدفاع المشترك وهو مالم يوافق عليه صلاح الدين ولم يرفضه فى الوقت الذى ابدت فيه الدوائر البريطانية استعدادها لاحتلال القاهرة فيما لو لم يتسن التوصل إلى حل مرض وهو ما كانت تعارضه الولايات المتحدة بسبب ما قد يترتب على ذلك من آثار، ولو ان الجانب البريطانى لم يكن يخشى شيئا بسبب سيطرة القوات البريطانية على الموقف تماما فى منطقة قناة السويس وإمكان الانجليز الرد على اى عمل عدائى مصرى دون استخدام القوة وذلك نتيجة لسيطرتهم على الانابيب التى تمد القاهرة بالكيروسين وعلى المواصلات التى تربط مصر بالعالم الخارجى. وإزاء التدخل الأمريكى بدأ العسكريون والدبلوماسيون الانجليز والأمريكان يضعون الخطط الخاصة بإنشاء قيادة للشرق الأوسط تضم الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا واستراليا ونيوزيلنده وجنوب افريقيا وتركيا واسرائيل والبلدان العربية بما فيها مصر - وكانت تركيا واليونان قد انضمتا إلى حلف شمال الأطلنطى. وبحلول اغسطس ١٩٥١ كانت الولايات المتحدة وبريطانيا قد قررتا إنشاء قيادة للشرق الاوسط من شانها ان تساعد المصريين والبريطانيين على حل خلافاتهم حول مستقبل قاعدة قناة السويس.

● القرار .. لم يجد قبولا

ولكن هذا الحل لم يجد قبولا من محمد صلاح الدين مما ادى إلى قلق النحاس الذى لم يستطع ان يفعل شيئا بحكم ان وزير خارجيته كان الوزير الوحيد فى حكومة الوفد الذى يتمتع بشعبية حقيقية ومساندة عامة بحيث كان اكثر خطورة وهو خارج الحكم منه وهو فى السلطة. وحلا للموقف رأى السفير الأمريكى فى القاهرة ضرورة إقصاء صلاح الدين عن وزارة الخارجية اثناء وجوده فى باريس، وهو ما

كان يحث عليه كل من فؤاد سراج الدين (وزير الداخلية) والسراى (١) التى كانت تسعى جاهدة حتى ذلك الوقت إلى عدم تفجير الموقف بإقالة الوزارة الوفدية برمتها .

وكسبا للوقت انضمت تركيا إلى الولايات المتحدة وبريطانيا فى دعوة مصر إلى الاشتراك فى قيادة الشرق الأوسط . إلا ان البعثة الأمريكية ـ البريطانية الفرنسية لم تصل إلى انقرة حتى ١٣ اكتوبر . وحينئذ كانت حكومة الوفد قد الغت معاهدتى ١٨٩٩ و ١٩٣٦ . وفى ١٣ اكتوبر قدم المشروع الى الحكومة المصرية التى رفضته رسميا فى ١٥ اكتوبر مما جعل الملك فاروق ، الذى كان اميل الي المشروعات الغربية ، يتحين الفرص لاقالة الوزارة الوفدية التى كان موقفها من المفاوضات ـ فى رأيه ـ كفيلا بتفجير الموقف الداخلى بالشكل الذى قد يتهدد عرشه . ولم يستطع فاروق ان يقبل وزارة الوفد التى وضعته فى مركز حرج أمام الرأى العام وسمحت بالعمل الفدائى فى منطقة قناة السويس ولم تتراجع عن إلغاء المعاهدة وتحريض العمال المصريين فى منطقة القناة على ترك الخدمة فى المعسكرات البريطانية . ولكن حريق القاهرة الذى شب فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ سهل له إقالة الوزارة الوفدية فى اليوم التالى .

ويصف محمد صلاح الدين الفترة الممتدة بين حريق القاهرة وثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بانها "الفترة التى نفذت فيها السياسة الأمريكية الخبيثة فى مصر ثورة استبدادية لمصلحة الملك ضد الديمقراطية المصرية" . فقد اقدم الضباط الأحرار فى بداية الثورة على وقف الحياة النيابية وحل الأحزاب القائمة بحجة تطهيرها وقاموا بمحاكمة بعض زعمائها امام "محكمة الثورة" . ورغم ذلك فقد القى محمد صلاح الدين فى عام ١٩٥٤ خطابا فى نقابة المحامين طالب فيه الضباط بالدستور . وفى اثناء العدوان الثلاثى اجتمع هو وفؤاد سراج الدين وعبد الفتاح حسن وارسلوا مذكرة إلى الرئيس جمال عبد الناصر يضعون فيها خبرتهم وتجاربهم تحت تصرفه وقالوا فى مذكرتهم إنهم لا يريدون من وراء مطلبهم هذا سوى ان يكونوا مجرد مواطنين متطوعين فى المعركة . وبعد انتهاء العدوان الثلاثى شكلت محكمة خاصة لمحاكمة مقدمى المذكرة لانهم وقفوا فى المحكمة وطالبوا بإيجاد مؤسسات دستورية وقوانين وقضاة لا يخضعون لسلطة الحكام . وبعدها عمل صلاح الدين مستشارا ووضع القوانين والانظمة لوزارة الخارجية الكويتية ثم انتقل إلى تونس حيث قام بتدريس القانون الدولى فى الجامعة إلى ان عاد إلى القاهرة فى يونية ١٩٧٤ .

وفى ختام هذه الكلمة لابد من توجيه تحية صادقة إلى هذا الوطنى الغيور الذى خدم مصر بقدر جهده وقاسى فى المنفى الام الغربة ومرارتها مما اورثه المرض ، راجين ان يكرمه الوطن فى شيخوخته ومرضه على ما بذله من جهده فى النضال الوطنى .

(*) رسالة من جيفرسون كافرى إلى وزارة الخارجية بواشنطن بتاريخ ٣٠ نوفمبر ١٩٥١ .

إنقلاب

بقلم : صافي ناز كاظم

المخرج الفنان جلال الشرقاوي وراء هذا «الانقلاب» : مخرجا ومنتجا ومنفذا لعمل مسرحي نادر الدقة والانضباط والنظافة من منظور رؤية مسرحية فنية منفصلة عن تحفظات الرؤية الفكرية والمنظور الإسلامي الذى احمله .

● جلال الشرقاوى رجل مسرح من الحرس القديم - ان جاز لنا هذا التعبير - تميزت اعماله منذ البداية بالحيوية وخفة الظل والحضور المتأجج والايقاع الذى لا يسمح بدبيب نملة ملل واحدة . يلجأ الى الابهار نعم لان نزعته الاساسية ، التى تقوده فى تشكيله الفنى ، تهدف الى تقديم عرض يجمع بين الفكرة الجادة التى تلمس محزات سياسية لها طابع الاثارة وبين المرح والمتعة وجذب الجماهير . برز جلال الشرقاوى فى مرحلة الستينيات كواحد من اهم ثلاثة مخرجين : هو وسعد اردش وكرم مطاوع . افضل اربعة اعمال له فى فترة الستينيات ومطلع السبعينيات عرضان من تاليف نجيب سرور هما : « آه ياليل يا قمر » سنة ١٩٦٧ و « ملك الشحاتين » ١٩٧٠ ، ١٩٧١ ، وعرضان من تاليف على سالم هما : « عفاريت مصر الجديدة » و « انت اللى قتلت الوحش » ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ . العرضان المذكوران اولا كانا شعرا حاول من خلالهما ان يلامس فكرة تقديم الاوبريت الغنائى حول محاور لها اسقاطات سياسية تتلخص فى النهاية بادانة القهر والاساليب البوليسية ، اما العرضان المذكوران ثانيا من تاليف على سالم فكانا يحققان تقديم الكوميديا المرة التى تدور كذلك حول نفس محاور ادانة القهر وكبت الحريات . وكانت كل هذه العروض من انتاج مسرح القطاع العام أى مسرح الدولة التى تستهدفها تلك





لقطتان من اوبريت « انقلاب » بطولة نيللي وايمان البحر درويش

العـــروض بالنقد واللمز مما كان يضطره الى الالتفاف حـــول الفكرة بالرمز غير المباشر وموازنة التمرد بالتلطف . ثم دارت الايام واختـــلف الزمن وتغير موقع جلال الشرقاوى من مخرج خاضع لتعليمات لوائح القطاع العام الذى يعمل فيه موظفا وفنـــانا خاضعا لضغوط دولة بوليســـــية ديكتاتورية فى الستينيات الى صاحب فرقة فنية قطاع خـــاص فرقة الفن لا يخضع فيها الا لنفسه ولحسابات المكسب والخسارة فى ظرف سياسى يسمح بطقس من الحـــريات فى الثمانينيات اكبر كثيرا فى مساحتهـا من اى فترة سبقت سواء فى الستينيات او السبعينيات .

عناصر مبدعة

دار الزمن واصبح جلال الشرقاوى فى موقعه الجديد هذا الذى تشـــكل منذ عام ١٩٨٢ وقدم العديد من الثمار اخرها هذا العرض للاوبريت الغنائى « انقلاب » موضوع هذا المقال .

آخر عرض شـــاهدته لجـــلال الشرقاوى كان « ملك الشـــحاتين » وكنت سعيدة به غاية السعادة وكان ذلك منذ ثمانية عشر عاما تقريبـــا ولذلك لم اكن قلقة وانا ادخل مسرح فرقة الفن بشارع رمسيس لاشاهد آخر اعمال جلال الشرقاوى : « انقلاب » ، فقد كنت انشد الحد الادنى وهو : الا اشعر بالضجر الذى خيم على قلبى فى تجارب عروض مسرح قطاع خـــاص

انقلاب

لا داعى لذكرها • كل العناصر وراء « انقلاب » عناصر مبدعة فى فنها - تختلف معها فى الفكر او الاتجاه لكنك لابد ان تعترف بقوتها واصالتها: « صلاح جاهين » مؤلف العرض شعرا ودراما ، « محمد نوح » مؤلف العرض موسيقيا ، « ايمان البحر » الذى تميز اسلوبه فى الغناء بالنبل والسلاسة والاقتراب من القلب ، « نيللى » التى تلتقى بكل المقاييس مع نظائرها من نجمات الاستعراض فى العالم•تجييش كل هذه العناصر الاساسية القوية لابد ان تريح المخرج وتقلقه فى ان واحد اذ لابد ان يستحضر لها ذهنه المتوقد كاملا ليستطيع ان يسيطر على حركة هذه العناصر معا فى انسجام لتنصهر فردية كل عنصر فى وحدة كلية ، وتمحى رغبة كل شخصية فنية فى البروز وحدها والهيمنة لتصب كل الشخصيات امكانياتها فى بؤرة العمل• مثل المخرج هنا مثل قائد عربة تسوقها جياد متمردة عفية لابد ان يفرد لهما بدوره عضلاته القوية ويقظته القصوى ليبلغ بها مقصده المنشود فى سلامة• وهذا ما فعله وبلغه جلال الشرقاوى فى اوبريت « انقلاب » ، اول اوبريت غنائى مصرى متكامل يعرض على خشبة المسرح منذ اوبريت « العشرة الطيبة » لسيد درويش •

***

محور الاوبريت « احمد معروف الهمزانى » ، الذى يؤديه « ايمان البحر » ، شاعر سياسى تحريضى يؤلف ويغنى اغنيات تعبر عن الشعب المقهور وتقود وعيها للنهضة والثورة• نتيجة لذلك هو نزيل شبه دائم للسجون والمعتقلات يقضى من الوقت داخلها اكثر مما يقضى خارجها • يعيش فى غرفة بسيطة معتمة السلم فى حى الحسين وله اصدقاء من الحرافيش والصعاليك والحشاشين كلهم ضحايا المجتمع الذى يمسكه القهر وكبسات البوليس المروعة • فى حياة احمد قصة حب كبيرة بطلتها ابنة عمه « ليلى عثمان الهمزانى » التى تؤديها الفنانة « نيللى » • تتم خطبة ليلى واحمد رغم معارضة ام ليلى التى لا تحب احمد لانه نزيل السجون معظم الوقت ولانه بسبب ذلك لم يتمكن من التخرج فى الجامعة وظل فى السنة الاولى بكلية الهندسة بينما تخرجت ليلى فى الجامعة ، كذلك فام ليلى استطاعت بحكم خلفيتها الاجتماعية ان ترتفع بابى ليلى طبقيا بينما ظل شقيقه والد احمد مجرد فلاح فقير هو وزوجته الريفية البسيطة لكن ليلى بقوة حبها لاحمد تستطيع ان تصمد عشر سنوات تنتظر امكانية ان يتوب (!) احمد عن خطه السياسى وتوجهه الفنى الثورى وتدعوه الى كتابة ما يمكن ان يرضى الاذاعة والتليفزيون لكى تنتشر موهبته ويلمع نجمه ويحقق النجاح الذى يلقى قبولا لدى اسرتها والطقس العام • لكن احمد يرفض ان يسخر موهبته لغير خدمة قضايا الشعب ولو كان الثمن التشرد والملاحقة البوليسية • وفى احداث سبتمبر الشهيرة عام ١٩٨١ عندما تم القبض على كافة ممثلى الشعب من شيوخ وقسس ويمين ويسار وتيار اسلامى يتم القبض على احمد بينما هو يستمع الى تحذير صديقه « حسن الاسمر » المغنى الشعبى بالهرب •

يدخل احمد السجن ويتم استدعاء ليلى الى المباحث وتمارس عليها الضغوط لكى تتخلى عن احمد وتفسخ خطبتها منه . وتتوحد شخصية الضابط الكبير قائد حملة الاعتقال ويؤديها فنان الاوبرا « حسن كامى » ـ مع شخصية سفير الدولة الذى يتقدم باغراءات المال والجاه ، لكى يتزوج ليلى التى تغلب على امرها فى البداية ثم تستكين لحياتها المرفهة الجديدة .

تتغير ظروف البلد وتاتى الانباء بالافراج عن المعتقلين كافة ويخرج احمد مع صديقه المغنى الشعبى حسن الاسمر ويتساءل كيف لم تستقبله ليلى حتى يعرف انها تزوجت وهنا ينهار احمد ـ كما انهار من قبل قيس بن الملوح ، مجنون ليلى القديم ـ ويغنى مشببا بها ـ متغزلا فى محاسنها ذاكرا لها باسمها صراحة ـ وتصل اصداء الاغنيات الى زوج ليلى فتثور غيرته ويقسو عليها بينما هى تحاول أن تنقل اليه خبرا يسره بانها تحمل له جنينا فى رحمها .

وتذهب ليلى غاضبة الى بيت اهلها ثم تقرر ان تواجه احمد لتطلب منه عدم ذكر اسمها ، فيزداد انهيار احمد وينغمس فى المخدرات مما يؤدى به الى الهلوسة ويدخل مستشفى الامراض العقلية حيث تحاصره الكوابيس والرؤى الكئيبة التى تصور له ليلى ضحية تحت براثن زوجها الذى يمثل رموز كل قوى القهر والسحق ، فيفر من المستشفى متطوعا لانقاذها ويدخل بيت ابيها حاملا مسدسا وهو يدعوها الى الهرب معه بينما ليلى منحازة الى زوجها الذى كان قد جاء منذ برهة لتسامحه وتعود الى بيتهما .

يصاب احمد بالهزيمة والاحباط ونراه بين مجموعة من مجاذيب الحسين فى حلقة ذكر يغنى ، أغنتنا امريكا » ، ثم يستدير فجأة ليطلق الرصاص على زوج ليلى الذى كان يهبط من سيارته وتطوقه قوات البوليس مصوبة نحوه بنادقها وعندها تقتحم ليلى الموقع لتوقف هذا القتال الذى اندلع بمشهد ختامى مفاده أن تبادل العنف ليس وسيلة للوصول الى حل المشكلات ، وتعلن انها تحمل جنينا ـ هو الجيل الاتى ـ الذى سوف تعمل على تنشئته لكى يختلف عن ابيها وعن زوجها وعن حبيبها احمد : فهى ترفض النماذج الثلاثة والمفروض انها سوف تطرح الافضل بديلا عنهم جميعا . وينتهى الاوبريت .

***

هذا هو الخط العام للاوبريت وهو كما يتضح ملىء بالنقاط غير المنطقية، فما الذى وجده شاعر ثورى مثل « احمد الهمزانى » فى شخصية مثل « ليلى » لكى يحبها كل هذا الحب الذى يؤدى الى انهياره وهى الشخصية التى اختارت ان تستسلم وتخضع للزواج من رمز القهر ، وما هى المؤهلات التى تحملها مثل هذه الشخصية ـ أعنى شخصية ليلى ـ لكى تملك قدرة رفض نماذج ابيها وزوجها وحبيبها وترشح نفسها لكى تتحمل مسئولية طرح البديل الذى يفترض ان يكون هو الامل المرتقب رغم أنه جنين من تزاوجها مع القهر وهى التى تحددت ملامحها منذ بداية العرض الى نهايته كعامل مثبط معارض مقاوم لكل مقومات شخصية احمد الثورية والفدائية حتى يمكن ان يقال انها المسئولة مسئولية مباشرة عن سقوطه منهارا حتى حالة الجنون واعماق اليأس .

ومع ذلك فلقد استطاع جلال

إنقلاب

الشرقاوى ان يجعلنا نتسامح ونتجاوز هذه الرؤية العامة غير المستقيمة بنجاحه فى كسبنا الى جزئيات أرضتنا وانعشتنا ، فنحن مع تجسيده الفذ للقهر الكريه والغطرسة البوليسية المهيمنة والخانقة ، وتوحيده بين القهر البوليسى والزوج المستبد حين صور لحظة الزفاف لحظة اغتصاب الذى اداهما بامتياز واقتناع الفنان « حسن كامى » ، ونحن مع مشاهد الحب الرقيقة التى تؤرقها ضغوط الواقع والتزاماته على احلام المثل العليا والغايات النبيلة ، تلك المشاهد التى تألق فيها « ايمان البحر » مع «نيللى» غناء وحركة وشفافية ، ونحن مع مشهد ادانة احداث اعتقالات سبتمبر الغاشمة عام ١٩٨١ ، الذى كان لوحة جماعية تثلج الصدر وتبرد العين ومع مشهد لوعة الام الذى أدته «زينب يونس» بأسى صادق وحزن جليل .

ونحن مع الانضباط الراقى بين المشاهد السينمائية وعبورها وتبادلها — فى دقة مذهلة — مع مشاهد المسرح الحية ، مما أعاد الى هذه التقنية القديمة فى الاخراج الرونق والجدة والتوظيف الذى يلبى احتياج الضرورة بالقدر المطلوب . لكننى لم استطع ان أهضم الخلط بين الاسلام والدروشة او الانجذاب اذ يوحى المشهد الاخير بذلك ، خاصة وأن العرض يقع بين قوسين يمثلان رمزا اسلاميا ، فهو يبدأ بلقطات على الشاشة تركز على كلمة « الله » المضاءة على واجهة مسجد الحسين وينتهى بنفس اللقطات بما يوحى بأن ما يحدث يتم فى اطار اسلامى وهذا غير صحيح وغير مقبول وكان من الواجب ان يتجنب العرض هذه الايحاءات .

بقيت كلمة عن البناء الموسيقى الجميل والممتع والانسانى ، الذى اقامه الموسيقار محمد نوح على الصياغات الشعرية الفذة للراحل الشاعر صلاح جاهين . ويحكى ان محمد نوح شاهد مع صلاح جاهين عرض أوبريت « الشخص » للرحبانية فثارت غيرة صلاح جاهين وقال لصديقه : « الا نستطيع أن نقدم « اوبريت » مصرى اعلى منها ؟ » .

وكان التحدى حين جلس الفنانان صلاح جاهين ومحمد نوح معا . عام ١٩٨٣ يكتبان هذا العمل ويجدلانه شعرا وموسيقى بحب وتوافق وتعاون ليخرج من بين أيديهما جياشا ساخنا مطربا للنفس والاذن . وقد استطاع محمد نوح ان يعطى كل صوت ما يفجر امكانياته ويريحه سواء اكان صوتا أوبراليا مثل « حسن كامى » أم صوتا شعبيا مثل « زينب يونس » أم بلديا مثل « حسن الاسمر » . ولقد استطاع « ايمان البحر » من خلال موسيقى محمد نوح أن يطلق طبقات صوته التى تعود ان يحبسها فتأكدت قوة صوته مع احتفاظه بدفئه وحساسيته وسماته الوطنية الراقية . وكذلك بدا لى كأنى اسمع صوتا جديدا لنيللى أنضج واعرض وادفأ مما تعودنا سماعه منها من قبل .

***

اهم ما فى هذا العرض الريادى الذى لم اشعر فيه بلحظة ملل ، بل اكثر من ذلك اننى خرجت منه متعطشة احتضن هواء الساعة الواحدة والنصف صباحا المثلج بصدر رحب مستعدة كذلك لتلقى رذاذ المطر .

رأى فى الثقافة
ضرورة « نادى الرواية »

اصبحت الرواية العربية فى مصر الآن موضع اهتمام العالم اجمع ، هذه حقيقة "جديدة" يجب الالتفات اليها بجدية ، ويجب العمل على تنميتها دفعا لحركة الابداع فى هذا الفن الذى يكاد يصبح الآن "ديوان العرب الجديد" ربما لأنه اكثر أشكال الفن - فى تقديرنا على الأقل - تعبيرا عن العصر الذى نعيش فيه بمشاكله وتعقيداته المركبة .

وإذا بحثنا عن "مكان واحد" يلجا اليه من يريد من المترجمين او النقاد او حتى المبدعين عن الاطلاع على "تراث" الرواية العربية فى مصر فإننا سنفاجا بانه غير موجود . لذا فالضرورة تقتضى الآن ان ينشا ناد جديد للرواية تكون مهمته الأولى جمع النصوص وما كتب عنها من كتب ودراسات وأبحاث ورسائل جامعية ، وجمع ارشيف كامل من الصور والمعلومات عن كتاب القصة والرواية وما ترجم لهم حتى يكون مركزا علميا قائما على أسس حديثة يلجا اليه من يريد البحث او الترجمة او الدراسة .

فهناك نصوص روائية وقصصية عديدة غير متوفرة خاصة من أعمال الرواد القدامى ، ومن الممكن أن يكون صعبا نشرها من جديد ، كما ان مشكلات عديدة تحدث بالنسبة لقضية ترجمة النصوص ، او العثور على ببلوجرافيا للكتاب او اعمالهم ، والحل الوحيد لكل هذه العقبات التى تقف فى طريق تنمية إبداع الرواية المصرية هو إنشاء ناد جديد يعمل بروح جديدة تكون مهمته الأولى أن يكون محجا لمن يريد ان يعرف الصورة على حقيقتها وفى إطارها الشامل .

● عبده جبير

لقاء بين عدد من كتاب مصر وأميل حبيبى

يوم الجمعة الموافق ١٣ من يناير الماضى عقد باتيليه القاهرة للكتاب والفنانين لقاء تعارف بين الأديب الفلسطينى الزائر لاول مرة لمصر "اميل حبيبى" وعدد من كتاب مصر وشعرائها على راسهم محمد عفيفى مطر وعبد الحكيم قاسم وعبده جبير ونصار عبد الله ومحمد سليمان وعبد المنعم رمضان وإبراهيم عبد المجيد ومحمود الوردانى واعتدال عثمان ومدحت الجيار وغيرهم .

رحب الجميع بهذا اللقاء المفتوح وتركوا للضيف الكبير لكى يعبر عن مشاعره بهذا اللقاء ، واحاسيسه التى يستشعرها فى اول زيارة له لمصر فى حياته المديدة .

قال "اميل حبيبى" انه جاء إلى بلده مصر وهو مشحون منذ الطفولة بثقافتها التى تلقاها فى المجلات والصحف والكتب التى كانت ترد الى فلسطين قبل النكبة عام ١٩٤٨ وانه كان هو وزملاؤه فى هذه الفترة البعيدة يشاركون فى المعارك الادبية والسياسية فيتحزبون لهذا الكاتب فى معركته ضد خصمه ، كما يتحيزون لهذا الحزب او الاتجاه السياسى وكان مايجرى فى مصر يجرى فى فلسطين ، وحين ذهب العقاد الى زيارة فلسطين بدعوة من مكتب الاستعلامات البريطانى نظم اميل حبيبى بنفسه مقاطعة لجولة المحاضرات التى قام بها هناك فى نفس الوقت الذى رحب وحشد الجماهير لعدد آخر من الكتاب المصريين الذين جاءوا بدعوات من هيئات فلسطينية لالقاء محاضرات هناك .

قال اميل حبيبى انه وحتى الآن يتابع الثقافة العربية الآتية من مصر حتى جيل الشباب وإن كان يأسف الى انه يطلع على الانتاج المصرى بصعوبة وبعد سنوات من صدوره إلا انه اكد على ان ادباء الداخل الفلسطينى يعرفون كل مايجرى فى ساحة الثقافة المصرية ويتابعونها .

وتوقف اميل حبيبى امام حصول كاتبنا الكبير نجيب محفوظ على جائزة نوبل وقال إن نجيب محفوظ هو معلم . ودائما لدينا فى فلسطين نقاش ، وهو نقاش حق عن كل مايلوم به نجيب محفوظ وكل ما يكتب ، ولا يعنى هذا ان نمحو تراثنا او اننا نستطيع


اميل حبيبى

ان نمحو تراثنا . فها نحن اولاء بسموخنا وبزلاتنا ، بحسناتنا وبسيئاتنا هكذا نحن ، شعب ضمن الشعوب . نحن لسنا متعالين . نحن شعوب مضطهدة ويكفى ان يدرك العالم اننا متساوون مع بقية شعوب الارض .

نحن متساوون مع الآخرين ، ومع ذلك ، وحين نراجع حضارات الشعوب الاخرى نستطيع ان نتباهى على بقية الشعوب الاخرى بحضارتنا .

كل تأخرنا الذى نعيشه الآن لم يولد فى وسطنا آفة النازية وكل تقدم المانيا وحضارتها وثقافتها لم يمنع ان تنشأ النازية بين ظهرانيها . يعيروننا بأن بتاريخنا ارتكبت مجازر قديمة وطائفية ، ولكن كل مجازرنا تظهر نقطة فى بحر امام ما ارتكبه من مجازر داخلية فى تاريخ اوربا .

واضاف الزائر الكبير : لقد سئلت ماهى مشاعرك ساعة وطأت قدمك ارض مصر . فقلت ان من له صديق مثل الشعب المصرى فلا خطر على مستقبله .

ثم دار نقاش مفتوح حول أعماله الأدبية ونشاطاته السياسية وتلامسه مع التراث العربى فأفاض اميل حبيبى إفاضة العاشق لتراثه المستوعب له مؤكدا على ضرورة الاستفادة من تراثنا العربى العريق .

مسرح

المسرح الراقص وتجديد الدماء

كما قال وكرر الدكتور على الراعى فإن الخروج من ازمة المسرح المصرى التى يعانيها الآن ، يمكن أن تكون عبر تجديد دمائه ، بأشكال مسرحية جديدة ومستحدثة ، ودفع المحاولة الرامية الى تطعيمه بالمسرح الغنائى الراقص وماطرأ عليه من تجديدات .

ولعل فى بعض المحاولات الجادة التى جرى عرض بعضها فى الفترة الراهنة بعض الأمل فى السير فى هذا الطريق .

وضمن هذه العروض المتميزة جاءت هذه الليلة المسرحية التى قدمتها فرقتان ، اولاهما هو عرض "تانز تياتر" او المسرح الراقص الذى انبثق فى المانيا فى السنوات الأخيرة ورأينا العام الماضى تجربتين له قدمهما الناقد والراقص الالمانى "توربرت سيرفوس" . كانت التجربتان ناضجتين مما دفع بعض العاملين فى مجال الابداع المعاصر إلى معاودة الكرة ، فدعى توربرت سيرفوس ليعرض عمله الأخير "سيزيف" وليختبر إمكانيات المسرح الراقص مع مجموعة من الراقصين تحت إشراف الدكتور عبد المنعم كامل ، ومع ممثل واحد هو احمد كمال ، وذلك من خلال إعداد اول نموذج للمسرح الراقص فى مصر ، مستوحيا فى عمله اسطورة جلجامش من حضارة ما بين نهرى دجلة والفرات

وهذا المسرح الراقص موجود فى اصوله فى الطقوس البدائية وفى كتابات "روبرت آرتو" عن مسرح القسوة ، وفى تجارب الباليه الحديث خاصة التعبيرى منه . ويعتمد الابداع فى مسرح الرقص ، بعد التفكير والاطلاع والتحضير الرقيق على الارتجال حول موضوعات مستقاة من واقع الحياة اليومية العادية والعلاقة بين الفرد ونده ، وبين الفرد والمجموعة . ويستعمل المخرجون المصممون للرقص على التجارب الشخصية لاعضاء الفرقة فى إبداع اعمال تسعى الى توضيح حقيقة العلاقات بين الناس بعيدا عن التمويه الذى عودتنا عليه الأنواع التقليدية للفن .

ومسرح الرقص لايرفض استعمال اللغة (او اى اداة اخرى للتعبير) وكانه يرفض الحدود الضيقة للادوات التى تخفى فى المسرح المعاصر اكثر مما تظهر من احاسيس وافكار .

عرض "سيزيف" رقصة يؤديها خمس نساء يتوسطهن رجل واحد ، وهى تحكى قصتهم المشتركة حسبما يتذكرونها ، او



حسبما تتراءى لهم : كيف يتشاحنون ، وكيف يتعاونون ، وكيف يؤدون لعباتهم مرة بخبث ومرة ببراءة ، اطفالا كبارا او كبارا كالأطفال .

اما عرض جلجامش فقد صمم رقصاتها ايضا "سيرفوس" وبمشاركة عبد المنعم كامل وعدد من اعضاء فرقة باليه القاهرة وبالاشتراك مع فرقة الورشة بإشراف حسن الجريتلى ، وبصياغة موسيقية من انتصار عبد الفتاح ، ومن ترجمة الدكتورة منى ابوسنة .

عرضان شائقان ظهر فيهما اتقان التدريب وجديته والجهد الشاق الذى بذله جميع العاملين فيهما .

إشارات ثقافية

معرض الكتاب و ١٣ مليون كتاب

والهلال يعد مادته للطبع اقيم معرض القاهرة الدولى الحادى والعشرون للكتاب بارض المعارض بالقاهرة بمشاركة من ٥٢ دولة من مختلف قارات العالم منها ٨ دول تشترك لاول مرة هى الجزائر والمغرب والأردن والكويت من الدول العربية ، و ٤ اوربية هى بلجيكا وهولندا واسبانيا والمجر .

اما المحور الثقافى الرئيسى هذا العام فقد خصص لكاتبنا الكبير "نجيب محفوظ" حيث خصص جناح لكل اعماله ومؤلفاته العربية والمترجمة (ما عدا أولاد حارتنا !؟) من خلال دور النشر العربية والاجنبية .

قدر المعروض من الكتب هذا العلم بـ ١٣ مليون كتاب لاكثر من ١٨٠٠ ناشر ، وقد وجهت الدعوة لعدد كبير من الكتاب والنقاد والشعراء العرب ، أدونيس ، ومحمود درويش وسميح القاسم وإميل حبيبي ، والطاهر بن جلون ، محمد برادة ، ومحمد نبيس ، وعبد الوهاب البياتى ، ونزار قبانى ، وسعاد الصباح ، وغيرهم من الكتاب العرب والعالميين وبالطبع بمشاركة واسعة من الكتاب والشعراء المصريين ، ولنا عودة تقييمية للمعرض بعد إنتهائه .

• مكتبـــة الهـــلال •



الكتــاب : ذكـريــات إجتماعية وسياسية
نص : محمد على علوبة
تحقيـق : بـإشــراف عاصم الدسوقى

الناشر : هيئة الكتاب - ٣٢٨ ص ، ٣ ج م .

عن مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر صدرت مؤخرا مذكرات محمد على علوبة احد الشخصيات

التى لعبت دورا سياسيا فى مصر قبل ثورة ٢٣ يوليو . لقد كان عضوا بالحزب الوطنى القديم . ثم انتقل الى الوفد . ثم اسس حزب الاحرار الدستوريين وظل سكرتيرا له حتى عام ١٩٣٤ . كما انه تقلد العديد من المناصب الوزارية والدبلوماسية . وكان طوال الوقت مفكرا يشارك الراى فى قضايا الاسلام والسياسة والعروبة العمل الاجتماعى العام .

والنص المنشور كان قد املاه علوبة على كاتبها محمد عبد الهادى . الموظف بجمعية التقريب بين المذاهب والمراجع انه املاها عليه مابين عامى ١٩٥٤ و ١٩٥٥ . لذلك فإنها اقرب إلى التاليف التاريخى منها الى اليوميات . حيث كان علوبة فى ذلك الوقت قد مضت عليه السنون لكن المحقق يؤكد ان هناك جزءا كتبه علوبة فى الفترة مابين ٢٥ يوليو ١٩٢٠ وحتى ١٩ يناير ١٩٢١ على شكل يوميات .

وتاتى هذه المذكرات على اى حال لتضيف جديدا فى مكتبة المذكرات التى توالت صدورا فى السنين الأخيرة لتغنى مكتبتنا العربية بهذا النوع الشائق والهام من النصوص الاساسية .

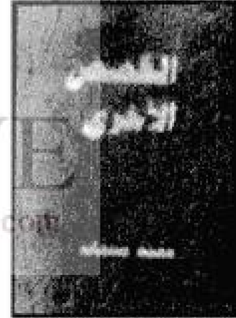
الكتاب : الشعرية العربية الحديثة (تحليل نصى)
تاليف : شربل داغر
الناشر : توبقال - المغرب
١٧٢٠ ص ، ٤٢ د . م .



إختار مؤلف هذا الكتاب ان يلجا الى نصوص ممثلة لاتجاهات شعرية حديثة عبر مجلات "الاداب" و"شعر" و "مواقف" ليدرسها ويحلل نصوصها . وإن كانت هذه النصوص قد تمثلت عبر شعراء من كل من العراق وسوريا ومصر وفلسطين ولبنان وتونس والمغرب الأدبية بنسب مختلفة مؤكدا على ان اختياره للمجلة الأدبية وليس دواوين الشعراء لأنه يرى انها تناسب اغراض دراسته وحدودها التى اختط لها طريق البرهان عبر طرق طويلة معقدة . وهذه الطريقة لبرهانه التى يطمح اليها تبسط تعقد العملية الشعرية . وتسهل التصرف العينى المغرب لها . لانها توفر لغة اصطلاحية عينية يشترك فيها الكاتب والقارىء والقصيدة بحيث يسهل التحاور بين الاطراف الثلاثة فى نسق يقوم - كما يقول - على الحقائق الناجزة والمثبتة . لا على النوايا المضمرة . ويقوم على الوقائع لا على الظنون والميول .



الكتاب القصص الأخرى
تأليف محمد مستجاب
الناشر مكتبة مدبولي
١٤٢ ص ، ٢ ج م



هذا هو الكتاب الثالث للكاتب محمد مستجاب بعد روايته من التاريخ السرى لنعمان عبد الحافظ ومجموعته القصصية "ديروط الشريفة" فيها نفس النكهة المميزة له فى اسلوبه الساخر الذى يقوم على المفارقة بالموقف ويتسم فى بعض وأصبح مميز له بين اقرانه من كتاب القصة المصرية الحديثة . يرتفع فى بعضها الى مصاف الأدباء المتمكنين ، وإن كانت روح الدعابة تغلب عليه احيانا فتتحول القصة او المواقف الى "قفشة او لحظة ضاحكة . كانه فى الاغلب الأعم من هذه المجموعة يقف عند حدود الأدب الرفيع الذى يستحق البحث والدراسة .

تضم هذه المجموعة اربعا وعشرين قصة قصيرة نشرت متفرقة فى الصحف والمجلات مابين عامى ٦٩ و ٨١ ، وهى وإن كانت متفرقة المعانى والمواضيع ، بعكس مجموعة ديروط الشريف التى تتميز بوحدة الموضوع ، فإن اسلوبه المميز يجعلها اقرب الى العمل الواحد الابعاد والمرامى .

الكتاب التنافر فى صهيون
تأليف مايكل جانس
ترجمة كمال السيد



السؤال الذى يعد بمثابة العنوان الأساسى الثانى لهذا الكتاب صاغته كاتبته على النحو التالى : هل يمكن ان يقوم سلام فى الشرق الأوسط ؟

ومن خلال هذا السؤال تنطلق لتصف وصفا وافيا للاستقطاب الايديولوجى والسياسى بن اليهود الاسرائيليين على إمتداد السنوات الاربع الاخيرة ، ذلك الاستقطاب الذى بدأ بالظهور عام ١٩٦٧ واصبح حادا بشكل خاص خلال وبعد غزو اسرائيل للبنان ، وتركز على التباين الصارخ بين تطور حركات اسلام المعارضة لأى حرب توسعية جديدة والصعود المطرد لليمين المتطرف

الذي يسعى الى طرد الفلسطينيين من ديارهم .

ومؤلفة الكتاب كاتبة وصحافية أمريكية تعيش وتعمل في الشرق الأوسط منذ اكثر من عشرين عاما . كتابها "معركة بيروت" كان اول الكتب عن غزو لبنان . وقد استمدت مادتها من اطراف الصراع الذى سعت للكشف عنه بشكل مباشر .

الكتاب : الأعمدة السبعة للشخصية المصرية
تاليف : د . ميلاد حنا
الناشر : دار الهلال

ما اكثر الكتب حول "شخصية مصر" ولكل



عصر رجاله الذين يقدمون تصورهم عن "الشخصية المصرية" فالدكتور طه حسين وغيره اكتشف علاقة مصر واليونان وحضارة البحر المتوسط ورفاعة الطهطاوى ابرز الجانب الحضارى للاسلام ، ونجيب محفوظ يفخر بانه نتاج مزيج من الحضارة الفرعونية والحضارة الاسلامية .

وها هو ذا الدكتور ميلاد حنا - المهندس وخبير الاسكان المعروف - يقدم رؤية من منطلق ان المصرى متاثر بالزمان والمكان .

فعبر الزمان كانت الرقائق الحضارية المتتالية : المرحلة الفرعونية بكل شموخها فداخل كل منا فرعون صغير او كبير وهناك تاثير المرحلة التالية المسماة الرومانية - اليونانية ويليها ويتداخل معها المرحلة القبطية المسيحية ويتربع فوق كل ذلك الحقبة الاسلامية .

فمصر غيرت الديانة واللغة ثلاث مرات عبر تاريخها الطويل .

وتاثرت مصر بالمكان فهناك الانتماء مصر العربى وهو إنتماء اصيل ومستمر وهذا لايتعارض مع الانتماء الى حوض البحر المتوسط واخيرا الانتماء اى افريقيا وهو إنتماء سيحل مشاكل مصر فى القرن القادم .

على أن هذه الاعمدة السبعة للشخصية المصرية يشترك فيها اغلبية المصريين وبدرجات متفاوتة . ولكن بجوار ذلك هناك انتماءات شخصية لكل منا للاسرة والقرية والمهنة والحزب والايديولوجية ثم الانتماء الى الانسانية جمعاء .

إن كتاب "الاعمدة السبعة للشخصية المصرية" هو تعبير عن فكر د . ميلاد حنا ورؤيته السياسية والحضارية والفلسفية لهذا العصر الذى يعج بالافكار والتيارات والصراعات . ولكن المؤلف لن تتلبنن وستعبر فوهه البركان فى أمان .



بقلم : محمود بقشيش

قراءة نقدية في :

بينالي القاهرة الدولي الثالث

في المؤتمر الصحفي الذى اقيم لاعلان نتيجة البينالي الثالث ، طرح عدد من الفنانين سؤالا واحدا ، بصورة مختلفة ، عن الأساس المنهجي الذي استندت اليه ، لجنة التحكيم ، في تقويمها للأعمال الفنية ، التي جاءت من الشرق والغرب ، وتنتمي الى ثقافات فيها كثير من الاختلاف . وكانت اجابتها ، الجوهرية ، : إن الفن الحديث قد بدّد ، الأطر المرجعية ، للأحكام النقدية ، ومن هنا لا مفر امام الناقد من الاستسلام لمداعبات ومشاكسات العمل الفني مع حاسة العين .. وصولا الى الحاسة السادسة ! (التي جاءت ـ بالمصادفة ـ شديدة التطابق والاحكام بين الحكام الأربعة !) .

● ويبدو أن الفنان «عز الدين حمودة» ـ رئيس اللجنة ـ قد لاحظ أن إعلان لامنهجية الاحكام النقدية قد صدم جمهور الحاضرين ، ولم يجد وسيلة للتخفيف عنهم إلا بالقسم باغلظ الايمان .. بأن اللجنة كانت صادقة ، ولم تتعرض لأى ضغط مُوَجّهٍ ! .. امّا الفنان «بيكار» فكان اكثر وضوحا ، فقد أعلن انه اتفق مع الفنان «حمودة» في أن توضع الملامح القومية ضمن تقويم اعمال الفنانين المصريين والعرب .. دون الزام الضيوف القادمين من أوربا الغربية والشرقية وأمريكا اللاتينية بهذا الشرط ؟!

- لوحة الفنان احمد فؤاد سليم الفائز بالجائزة الكبرى للبينالى مقاس ١٣٥ × ١٢٥ سم



جولة المعارض ٩٢

من العجيب أن نسمع ما سمعناه فى الوقت الذى (يكاد) «النقد» أن يتجه الى أن يكون علما مستقلا . وبلفظة «يكاد» أعنى الاعتراف الضمنى بوجود بُعْد ذاتى فى الحكم النقدى . لاشك أن الفن المعاصر قد تعدد وتنوع بتعدد الفنانين وتباين مستوياتهم .. غير أن هذا التعدد الحادث ـ فى معظمه ـ تعدد فى الهامش لا الجوهر ، ونستطيع تطبيق هذا الحكم على ما نشاهده فى مئات الاعمال الفنية المعروضة فى معرض البينالى ، كما يستطيع المشاهد المدقق اكتشاف الأصول المرجعية لتلك الاعمال ، فمن العارضين من استلهم الاسلوب التكعيبى دون الالتزام بحرفيته ، ومنهم من لم يقطع الجسور مع كثير من أسس التصميم فى عصر النهضة رغم انتمائه الى «التجريد المطلق» .. ومنهم من احتفظ من الكلاسيكية ببعض ملامحها الاخرى كاللون وطريقة التجسيم ووضعهما فى علاقات تناقض هذا القديم ومنهم من استلهم التأثرية ، والتعبيرية دون الالتزام بحرفيتهما ، وسيجد المشاهد ، أيضا ، من استلهم المنمنمات الاسلامية ، ومن وقع فى هوى الفن الفرعونى .. الخ .. والمتأمل لبينالى القاهرة لايكتشف تلك الأصول المرجعية فقط بل يصادف ميلا عاما الى «الوقار» فلا تجد فى المعرض الجديد .. الصادم . المستفز .. سواء على مستوى الشكل أو المضمون .. ما يدعو الى التساؤل عما اذا كانت القاهرة ، الاسلامية ، ذات المشكلات الظاهرة والباطنة .. قد اثرت فى اختيار مايناسبها من أساليب وفنانين !

لكن ... على الرغم من اعتراف اللجنة بلامنهجية التحكيم فإننى اتعاطف مع كثير من نتائجها ! .. لهذا سأقتصر حديثى على (بعض) الاعمال الفائزة ، و (بعض) الاعمال التى لم تفز وإثارت اهتمام النقاد والجمهور رغم سوء حظها !

● الفرسان الثلاثة !

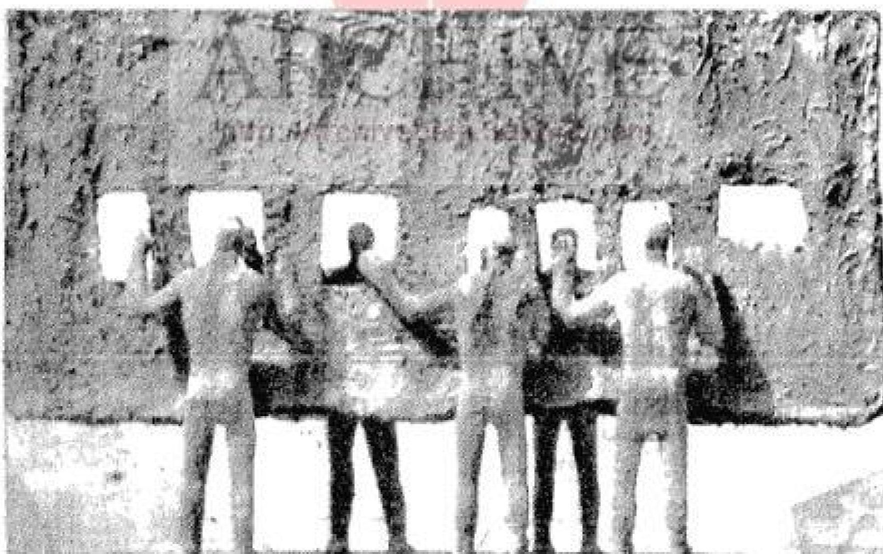
● احمد فؤاد سليم : فاز بجائزة البينالى الكبرى باجماع لجنة التحكيم . قدم مجموعة من اللوحات تميزت بجمال العرض وأناقته ، وصراحة اللون ، وبشكل عام اتسم عالم اللوحات بالرقة ولكنها الرقة التى تماثل رهافة المدية ؛ ولوحاته ساحة للتعدد ، والاختلاف ، والمفاجآت غير المتوقعة . ربما تأثر الفنان بالمنمنمات الاسلامية ، وربما استلهم منها ما تتميز به من امتلاء سطح المنمنمة الواحدة بأحداث متوافقة ، وأحداث متخالفة فى نفس اللحظة ، مما يفتح الطريق أمام الايحاءات الروائية . ويحرص «سليم» على تقديم ما يخالف به المألوف من تصميمات عصر النهضة ، فقد يضع مايستحق أن يوضع فى بؤرة اللوحة ـ من وجهة النظر التقليدية ـ فى جانب هامشى .. غير انه يفاجئك باحاطة هذا الموضع الهامشى بأكبر قدر من الاهتمام .. فبعد أن تكون قد ظننت أن اللوحة قد انتهت يفيئك بكيانات حروفية تتدلى من فضاء مغطى بشرائح لونية مخططة ، صريحة ، تشكل فيما بينها نسيجا مركبا ـ كما فى احدى اللوحات ـ ومع ميله ، المحسوب ـ بين مايوحى بالمسطح ومايوحى بالمجسم .. قد يفاجئك بما يصدم ويثير الدهشة ويبدد الانتباه فى وقت واحد ! .. كما فى لوحة كرّس لها كل قدراته فى استنساخ شكل طعنة سكين فى اللوحة ، بلغ من الدقة فى رسمها درجة مقنعة بأن ماتراه حقيقة ! .. وشَغَلَتْ العابرين بضرورة التحقق من حقيقة تلك الطعنة الظالمة ! .. ولست أدرى لم فعل الفنان هذا ؟ .. هل كان يود أن يحرك مخاوفنا على النسيج المشغول بالألوان البراقة

ام كان يريد أن يثبت انه يستطيع الرسم الدقيق . الواقعي ولكنه اختار «التجريد» اسلوبا ومنهجا ؟ .. مهما كانت الاسباب فهو يحتفظ دائما بجملة تشكيلية اعتراضية .. وهذه الجملة الاعتراضية لاتشتق من النسيج الرئيسى للعمل الفنى بل تتناقض تناقضا متفاوتا من عمل الى أخر . وأفضل هذه الجمل على الإطلاق جملة : «الفضاء» .. والفضاء عنده ليس مساحة باردة تفصل بين جملتين .. بل حالة مشحونة بتوتر كامن .. أو فى الطريق الى الظهور !

● فرغلى عبد الحفيظ : فاز بجائزة التصوير عن عرضه البانورامى ، الذى يدور حول مفردته الملحة : العروسة أو المومياء او العروسة المومياوية ، فهى كل هذا ، وأضاف اليها «فضاء» من الايحاءات البيئية ، وومضات تومض في بعض مواضع المشهد الطبيعى ـ المؤلف ، مع السماح بتخفيض ما الغناء من الوانه البراقة . الفوسفورية ! .. ويواصل كزميله «سليم» وبطريقة مغايرة العلاقة بين المجسم والمسطح من العناصر ، وبالتحديد : بين «العروسة» المجسمة (خارج اطار اللوحة) وقريناتها المسطحات داخل اطار اللوحة الواحدة ـ المزدوجة . ويقوم «الفضاء»

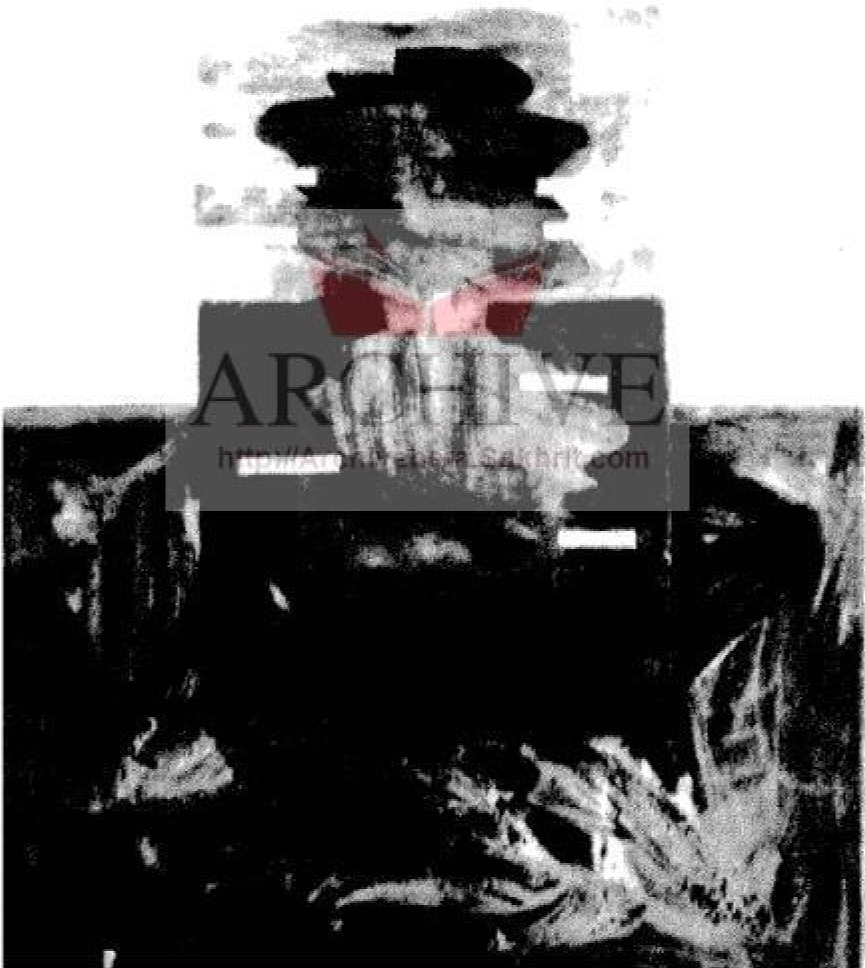
فى أعمال الفنانين بدورين مختلفين ، فهو «وصفى» عند «فرغلى» ؛ يعبر عن تمدد المكان واتساعه ، بينما يقوم عند «سليم» ـ بالاضافة لما سبق ـ بغزوات مثيرة ضد العناصر الاخرى ، وان التقيا معا فى هوى الألوان الصريحة ، وإذا كان «سليم» قد اتجه الى استلهام المتمنمات الاسلامية والحروف العربية فإن «فرغلى» قد استلهم بعض ملامح الفن الفرعونى : أبرزها الطابع الهندسى ، كما استلهم بعض الخامات من البيئة الريفية : مثل

الانسان والحاجز .. نحت للفنان محمد العلاوى ثالث المصريين الفائزين



جولة المعارض

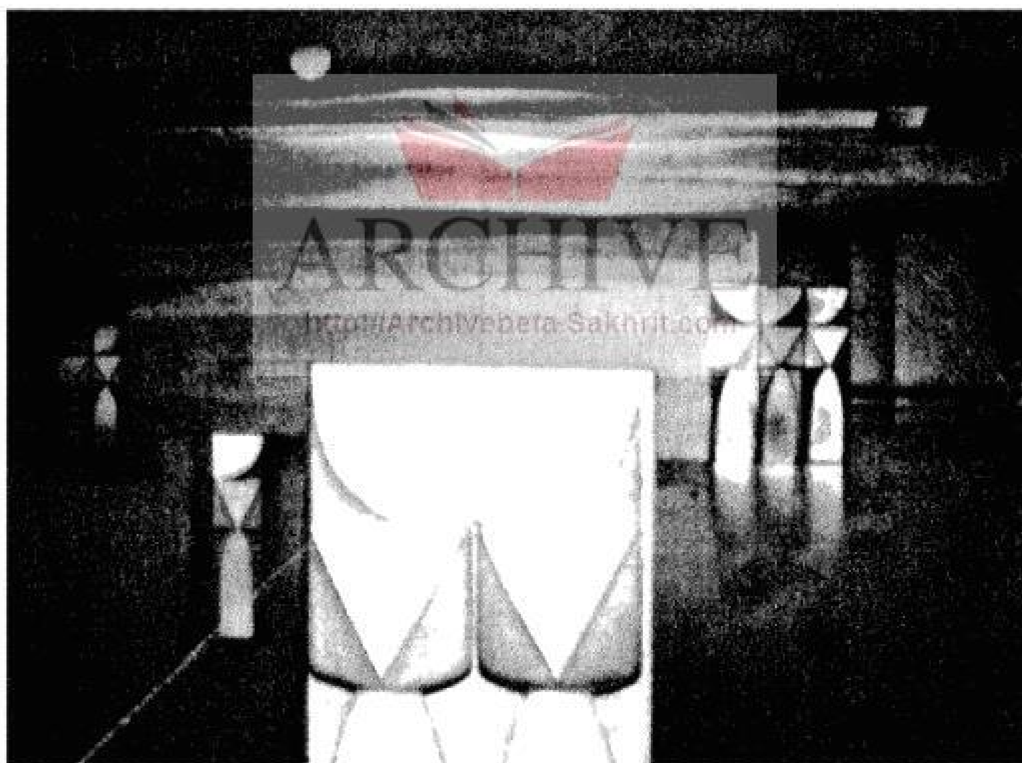
جائزة التصوير للفنانة
الاسبانية اجويدا دى لابيس



البوص والخيش . ولايسمح المجال بالاستفاضة في التحليل النقدي لأعماله وإن كان من الممكن القول بأن «فرغلي» يميل الى التركيب ، والبريق اللوني الأخاذ الذي يصرف بالك أي احتفال بالرموز .. وإذا كان لهذا البريق ميزة أخرى فهي تخفيض الطابع السكوني للوحاته ، وتأييد الاشراق والمتعة !

● محمد العلاوي : ثالث المصريين الفائزين نحات . قدم ثلاث منحوتات من افضل أعماله ، التزمت بالثنائية الرمزية التي الفناها في قاموسه النحتي الخاص : «الانسان والحاجز» : الانسان ثابت الملامح ، بينما تتغير صورة الحاجز .. الذي ينتحل ـ غالبا ـ صورة ايحائية للقاهر المتسلط ، ويظهر في ثلاثيته تلك : مرة في شكل طائر جارح منقض على فريسة بشرية ، ومرة يلبس قناع جدار عال يفصل بين مجموعتين بشريتين . إنسانه ليس دالا على فرد بعينه أو واقع بعينه بل انسان

لــوحــة للفنــان فرغلي عبــدالحفيـظ
الفائز بجائزة التصوير في البينالي



مطلق .. مجرد رقم . بلا وجه . لاتدرى أن كان عاريا أم لابسا .

غير أنه - أى الفنان - «بوعى أو بغير وعى» يستعير من النموذج الفرعونى فى النحت الوقفة الرزينة . والبنية المتينة . والبساطة .. التى أضاف اليها خشونة فى الملمس . وتتسم عروضه النحتية بطابع مسرحى . درامى . يحرك المشاعر . ويترك فى النفس أثرا لايمحى . ويثير الرغبة فى تأمل ماهو خارج حدود العمل الفنى .

● بعض الفائزين الأجانب

● فازت بجائزة «التصوير» . أيضا . الفنانة الاسبانية «أجيدا دى لابيساء . قدمت ثلاث لوحات قياس كل منها : ١٩٥ × ١٣٠ سم . بخامات مختلفة مثل الاكليريك والكولاج .

يحفل عالم لوحاتها التجريدية . بالثنائيات المتضادة = اللمسات الانفعالية . العشوائية . والأطر المستقيمة . الصارمة تقطع سيل هذا الاندفاع بحسم صادم .

والثنائيات المتناظرة = اللوحات الثنائية الملتصقة . تلصق فوقها . أيضا لوحات ثنائية أخرى على ورق شفاف .

والثنائيات المتناظرة والمتخالفة = تظهر فى المقابلات بين الشرائط الورقية الملصوقة على اللوحة . والشرائط المرسومة «طبق الأصل» من ورق اللصق .

.. ومادام الرقم (٢) هو الأساس فمن المنطقى أن تحصل على رقم (٤) .. ويظهر هذا الشكل الرباعى فى الشكل المرسوم على اللوحة الملصوقة فوق اللوحة المزدوجة ! ..

خيل الى أن هذا الشكل يشبه وجها بشريا ! .. كما ذكرنى بلعبة كنا نمارسها ونحن صغار . بأن نطبق ورقة مرتين . ونقص جانبا منها . لنحصل على شكل رباعى !

اتشحت لوحاتها بغطاء لونى شحيح .. ربما لكى لانبتعد عما تريده لنا من تركيز فى استقبال عالمها الشطرنجى . إن لوحاتها توحى بالذكاء . ولكنه ذكاء مبدد . لايبوح بشىء !

● «فيرناندو بلغير» . حفّار ونحات اسبانى . فاز بجائزة الحفر أو «الجرافيك» . عالمه على النقيض من عالم «لابيساء» الذاتى . المقفل ؛ يرى أن «الفن» حرفة لابد من اتقانها . لاصطياد موقع فى سوق المال ! .. قدم لوحات فى مجال «الجرافيك» ومنحوتات برونزية . كُرست جميعها من أجل «الاعلان» عن سلع . أو شركات . أو مطاعم . وهو يجيد «حرفة» الرسم أجادة تلفت اليه الانظار . تتسم رسومه بتوابل الاعلان كالطرافة والاغراء واثارة أكبر قدر من الانتباه . وهو يميل الى الاسلوب التكعيبى دون الالتزام به حرفيا . وقد انعكس هذا الميل على منحوتاته ورسومه بالتلخيص والصلابة وتماسك التكوين والعناية بالخطوط والمسطحات الصريحة .

● لقد اعتدنا أن نشاهد المحيط بنا من كائنات حية فى صورة كيانات عضوية . متماسكة متناغمة فى حركاتها تحت قيادة «الرأس» .. لكن الا يخطر ببالك أحيانا ان ترى تلك الكيانات مفككة الأوصال ورغم ذلك تبدو موصولة بجهاز القيادة ؟! .. هذا ما حققه الفنان السويسرى «كلود ساندوز» الحائز على جائزة فى «الجرافيك» .. فى لوحاته المطبوعة بأناقة ودقة . والمجسدة لعالم خيالى طريف . يتسم بالطابع الروائى . ويصلح لمصاحبة قصص الأطفال . وإذا تأملنا تصميماته الفنية

«غابة من الأرقام تحاصر ظلالا بشرية» للفنان التشيكي لوبو ميروسيك

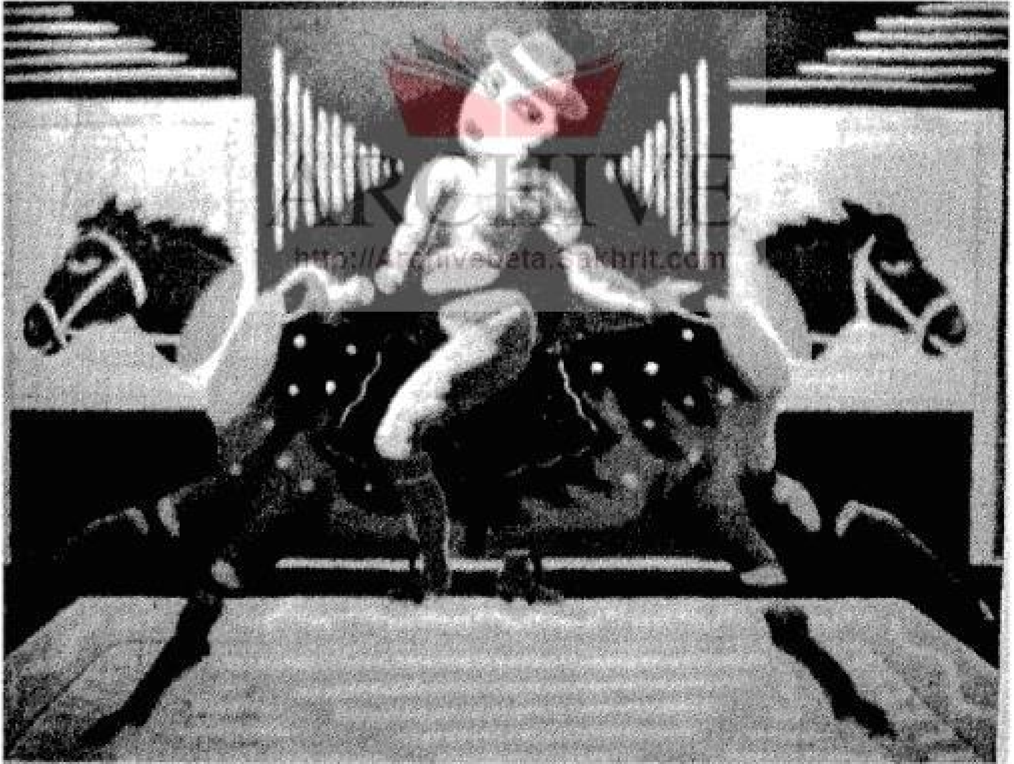


وجه من الذهب والفضة والبرونز للفنان الاسباني فيرناندو بيليفر «جائزة الحفر» ◄

فإننا نراها تلتزم بأسس التصميم في عصر النهضة ، من التزام بوحدة المكان ، ووحدة الحدث ، وإن تجلت احداث لوحاته في صور خيالية طريفة كما اشرت ، والوان براقة .

● من الاعمال التي تثير الاعجاب عند اللقاء بها .. عمل فني للفنان الايطالي «فرانكوبرديني» الذي فاز بجائزة النحت . يجمع العمل ، ببراعة ودقة ، بين الرسم المسطح على مادة «بريسبكس» البلاستيكية الشفافة ، والشكل الهندسي المعماري المجسم . لكن .. على الرغم من تلك الدقة والبراعة ، ما تكاد تندمج في اعمال فنية أخرى

لوحة للفنان السويسري كلود ساندوز حكايات شرقية واشكال غربية (جائزة الجرافيك)





حتى تكون تلك الأعمال قد تبخرت من ذاكرتك . ربما بسبب طغيان الطابع التزييني ، وتراجع - أو بدقة - اختفاء ما أراه ضروريا في كتلة النحت من توتر «كامن» أو «ظاهر» . لهذا رجحت عندي كفة زميله الفنان «أمبرتو ماستروياني» (والذي لم يحصل على شيء) لما تتمتع به كتله البرونزية من ديناميه وجرأة واندفاع ، وتكشف منحوتاته عن التزام بالمنهج التكعيبي في تشكيل العناصر ، وبما تمنحه بانتقالاتها المباغتة من النور الى الظل من حركة وحيوية ، كما تكشف منحوتاته عن استلهام لملامح المنهج «المستقبلي» الذى ارتبط باسم الفنان «بوتشيوني» .. ومن معالم هذا المنهج هو وضع الكتلة في حالة اشتباك عنيف مع الفراغ المحيط ، والفراغ البيني - إن وجد !

● ألمانيا .. شرقا وغربا !

يثبت «الجرافيك» الألماني - سواء ما جاء منه من ألمانيا الشرقية أو الغربية - قدرة الفن على تجاوز الحواجز السياسية .. ليس فقط بسبب الجوار العارض في قاعة النيل ، ولكن بالانتماء الواضح الى أسلوب ، ومزاج فنى ، تسوده وحدة في الملامح الجوهرية لاتخطئها العين . ولو تبدلت الأسماء فلن يدرك أحد أن شيئا ما قد تغير ؛ يسود كلا الجناحين أسلوب تعبيري لاذع . جهير . خشن . يميز التعبيرية الألمانية عن تعبيرية بلدان أخرى . كما يسود كلا الجانبين طابع احتجاجي ؛ احتجاج ضد انسحاق العمال ، واحتجاج ضد الحرب ، ودموع وصراخ في البراري .. في الجناح الشرقي ، واحتجاج ضد وطأة التكنولوجيا على ذوات البشر ، وضياع الفرد في عالم غريب عنه .. في الجناح الغربي ! .. ولقد تعاطفت مع لوحة للفنان الشرقي «كارل جورج» لشحنتها التعبيرية الحادة التى لاتخلو من همس شعري .. خاصة في الاضاءة القمرية التى تتسلل على كتلة جسد المرأة الصارخة ، وكتلة ظهر الآخر أو الأخرى (لا أدرى) .. بينما يركز اضاءة كشافية على المنديل المنساب ، الذى يغطى الوجه ، تاركا مساحة مرموقة لصرخة قادمة من الفم .. تشق فضاء قاتما . ممتدا ! .. وتعاطفت مع لوحة الفنان الغربي «بيترتوماء» الوحيدة التى اشترك بها في البينالي ، وأثارت انتباه الجميع ، للطريقة البارعة التى جسد بها فكرة من الأفكار التى تعد الآن دارجة .. فالاحتجاج على التكنولوجيا ، والانزعاج من بعض آثارها السلبية على الانسان لاجديد فيه . الجديد في اللوحة هو النجاح في اصطياد لحظة حقيقية كاشفة فاللوحة عبارة عن لقطة فوتوغرافية لوجوه وجدت في مشهد أو احتفال عام . ألغى منها الدرجات الظلية الوسطى ، وأبقى على الأسود والأبيض فقط .. والمدهش أن الوجوه جميعا - وهى وجوه لأشخاص حقيقيين - بدت واجمة . مكتئبة . يفصل الوجه اللاصق بالوجه الآخر ، مساحات لاحد لها من الغربة . أما الشكل الوحيد الملون ، والملصق في الجباه ، فكان نماذج من دوائر كهربية مقفلة .. موحيا بشخوص مبرمجين ، أشبه بآلات سجينة . مُسَيّرة . ولم يكتف الفنان بتصادم الأسود والأبيض ، بل أراد للون الأسود أن يحمل رسالته الغاضبة الى المشاهد فسكب سائلا أسود كثيفا (البلاك) فوق الجميع ! .. والمدهش أيضا أن ترتفع نبرة الاحتجاج عند فنانى الكتلتين الاشتراكية ، والغربية ، وفنانى العالم العربي ، خاصة

«الكويت» ، بينما اختفت تلك النبرة من اللوحات المصرية بصورة تكاد تكون كاملة !

● لمحـــات

● **سامي محمد** : فنان من الكويت . أعده من افضل النحاتين العرب . سبق له الفوز بالجائزة الأولى فى النحت فى بينالى القاهرة الأول . يسود أعماله مذاق درامي لاذع ، يتمثل شكليا فى ثنائية : الشكل المكعبى الصارم ، والكيان الانسانى أو بدائله الرمزية فى علاقة متصادمة معه ، متوترة دائما .. لايستطيع المشاهد الانفلات من أثارها العاطفية المباشرة ، كما لاتستطيع ذاكرته الا أن تحفظها ! .. وعندما التقيت بمنحوتته فى البينالى الثالث - وهى للأسف من اقل أعماله شأنا - حدث أن تقززت من الكتلة الواصفة لهيئة جثة قد تعفنت وتهرات تحت وطأة المكعب الثقيل . الصارم .. رغم إدراكى بأن ما أراه عمل فنى ! .. وعندما تجاوزت صدمة الوهلة الأولى تساءلت : أليس ما أراه مجرد وصف توضيحى . خارجى . يبتعد أشد البعد عما نطلق عليه لفظة «دراما» ؟ .. فى المنحوتة قوة واحدة ساحقة هى كتلة المكعب .. ولاشيء آخر ولاشك أن «سامى محمد» قد أدرك ذلك .. فاظهر لى جانب من جوانب مكعبه السفلى مايوحى بزلزال قادم يهدم كل شيء !

● **يوسف احمد** : فنان من قطر . أعده من أفضل الرسامين العرب ، ومن افضل من استلهموا ايحاء شكل الكتابة العربية فى لوحاتهم ، وسبق له الفوز بجائزة صدام الكبرى ، بالاضافة الى العديد من الجوائز الدولية ، وهو يكون من ايحاءات الكتابة وتنوع ذبذبتها كيانات معمارية . رمزية . ولوحاته فى البينالى تكشف عن براعة وحساسية فائقة تجذب عين المشاهد وعواطفه جذبا . واللوحات مرسومة أو - بالدقة - مهشرة على ورق اسود ، بسن أو بسنون دقيقة ، ويرجح أن يكون هذا الورق ورقا حساسا للتصوير .. وربما بسبب التباس المصطلحات احتارت اللجنة فى تصنيف أعماله : أهى «تصوير» أم «رسم» ولهذا أبعدته عن التحكيم !

● **بافل بيوفتشى** : أحد نجوم الجناح اليوغوسلافى المتميز ، ذلك الجناح الذى اسىء اليه بسبب حشره حشرا فى قاعة لاتناسبه ، وكان الأنسب له أن يعرض فى قاعة النيل . قدم «بافل» خمسة رءوس أو وجوه بشرية قائمة بذاتها ، ومكتفية بكتلها المشحونة بالانفعال ، ومصاغة ببراعة وتمكن . وإذا كان «برانكوزى» ، بمثاليته ، قد أوجد أشهر «رءوس» النحت المعاصر بمنحوتته الانيقة التى تمثل وجه عروس الشعر ، فقد أخرج «بافل بيوفتشى» وجوها خشنة . مشحونة بالتوتر . بها ندوب فاضحة وصادمة ، تكشف عن معارك ضارية خاضتها تلك الوجوه فى أرض الواقع المشترك !

● **مرسيل بيرير** : فنان «جرافيك» ومصور يوغوسلافى . أبعد - للأسف - عن التحكيم بسبب خروجه على شرط المدة المقررة للانتاج ، ولولا ذلك لكان من حقه أن يفوز ! .. وأذكر انه عندما أقيم له معرض فى مصر فى أواخر الستينيات أو أوائل السبعينيات استقبل استقبالا حسنا ، واعتبره بعض النقاد ردا على الموجة السياحية فى الفن المصرى ، وقدم فى ذلك المعرض كما قدم فى البينالى استلهامات لأيقونات القرن السابع عشر ، وجاءت لوحاته مزجا ذكيا بين كلاسيكية ، وضع الوجوه والألوان والاشتقاقات الزخرفية التى تتسق مع تلك الفخامة ، وقد مكنته قدراته فى الاستنساخ والتجسيم الايهامى من اقامة توازنات دقيقة بين المسطح الزخرفى

جولة المعارض

على الصفحتين لوحتان من حضارتين متباينتين اهم ما يميزهما هو عنصر الحركة والاغتراب





والمجسم التصويرى . كما يمزج فى نفس الوقت بين مجالين فى الابداع التشكيلى : «الجرافيك» او الرسم المطبوع و «التصوير» اى الرسم المباشر .

واخيرا ..

إن هناك أسماء أخرى تستحق الاهتمام لولا ضيق المساحة .. من بينها :

مجدى عبد العزيز (مصرى) شانسيه كالديرون (اسبانيا) حسن الصحاف (البحرين) سليمان احمد باجبع (السعودية) احمد راشد دياب (السودان) ليث فتاح (العراق) عبد الرسول سلمان . عبدالله القصار . عنبر وليد (الكويت) سوكيروف شيوفان (بلغاريا) اندرزيج كولباتوفيتش . رومان اريتموفسكى (بولندا) بافل سوكودولاك . لوبومير دوسيك . مارى بلابو ليلوفا (تشيكوسلوفاكيا) خالد بن سليمان (تونس) اندنيز بارجيللى (قبرص) خوان موريرا . ادوارد روبين جارسيا (كوبا) راتكو فولانوفتشى (يوغوسلافيا) .

جبال من القش

شعر : سليم الرافعي
لبنان

يقولون : تلك الجبال استوت ... على الصخر .. ما اكذب الراويه!
جبال من القش مدخـولة ... اذل من الطين في الخـابيه
يقولون : احرقها دينهـم ... فما الدين ؟ ما القمم العاليه ؟
ايلتهـم الدين تلك الـذرا ... بانياب مفترس طاغيـه
وتخضر منه الصحارى .. فمن ... علا بالجبال على العاديه
تكبرت الارض في قمـة ... فزلزلت القمـة الابيـه
من الجاهلية اصـنامها ... ومن قبليتهـا الغـاليه
وتنابوا الحقـد من كسرة ... تمج افاعيهـا السـارية
ويعصرها الجيل من ضلة ... ويغلي باكؤسـه الداميـه
ولو افلع الثلج عن كبـر ... لذاب خشـوعا على الرابيه
ايبنون معبـدهم حـوله ؟ ... وما فيه من نبضـة حانيه
صـلاة الذئاب عواء سرت ... مـن الكهف آياتها الضاريه
غرائز وحش صحا جائعـا ... فدب دبيبا الى الهـاويه ..
نسـوا المرسلين واديانهم ... ولا تركبوا النخوة الهاديه
فقد خجلوا في نبواتهـم ... .. وانتم بنوها ـ من الماشية ..



كشف

قصة : جمال الغيطانى



.. مدة انقضت ، زمن غير قصير . حتى أدرك كنه الصلة بين قدرته على استعادة ملامحها ، وحضورها ، وبين تخلصه من علامات هذا العرض البغيض ، يثقله اذ يبدأ ، يسد عليه جهاته ، لم يعرفه فى سنى عنفوانه ، وأوان شدته ، لم يلمح نذره ، خاصة وأن المسافة لم تكن اتسعت بعد ، اما الآن فما اشد الفارق ، وأوعر القفز ..

، اذ يبلغ ارهاقه مدى . يبدأ هجوعه بعد نصب ، متمنيا الافلات من أرق بغيض يقضه قضا ، أرق يلح ويجثم ويضمضم ، خاصة عند سفره ، فى الليالى التى يمضيها بعيدا ، وتلك التى تسبق رحيله .

بمجرد تلون الرؤى ، تميع الصور ، تداخل اللحظات المولية بالآتية بالمقبلة . لحظة الاجتياز التى لا يمسك بها الوعى ، اجتياز برزخ مابين النعاس واليقظة ، ينتفض !

يقوم بغتة ، خطر غامض ، شائه الملامح ، لا يدرك مصدره ، يدهمه ، يوشك على تمام الاحاطة به وتطويقه ، يهرع نبض قلبه مرجوفا ، يبقى أيسا من عون ، فى داخله تشتد زلزلة ، ويلوح انخساف أمر !

يشتد وعيه انه مغادر ، مفارق ، مقلع بعد لحيظات الى أبد لا يعرفه ، ماتبقى من زمنه الخاص مقدار طرفة عين ، اما شمس الغد فلن تطلع عليه .

يفزع

يجتاز الفراغ بكينونته الجثمانية من سفل الى علو ، تتباعد اطرافه ، ساعيا صوب غوث غير مرتجى ، قاصدا الهواء ، الفراغ ، يشرع فى الافلات مما يحيط به ، يفتح النافذة حتى وان نزل بلادا تتدنى فيها الحرارة ، ويحتوى الجليد سائر الموجودات . يبقى تحت وطأة انتظار المحق ، المحو . لكنه لا يكتمل ، لا ينتهى

عنده ، انما يستمر فى عبوره . لكن مع تكرار الأمر ، مع تأكيد الطبيب المداوى أن الداء ليس عضويا ، انتبه الى بدء الفكاك مع طلة ملامحها ، بزوغها من داخله ، يمعن البصر صوبها وهو حسير ، واذ ينزل به همود يعى انه نجا ، ولكن .. الى حين . لا يعى متى لاحت له الصلة والرابطة بين هذا الوجه الذى لم يعلق نظره به الا لحظات عابرة ، مارقة ، حتى شك فيما جرى ، واتى عليه حين من الوقت لم يدر ان كان ماراه حقيقة أو وهما ، كانت الملامح التى رآها ، اطلع عليها ، التى حدق اليها فى هذه اللحظات النهارية النائية . المشعة بالضوء الساطع ، تراوحه ، تفارقه ، تدنو ، تبعد ، حتى ايقن فى الفترة الأخيرة أن الأمر متصل ، ذو وشائج ..

متى رآها ؟ متى وقف على هذه اللحظة ؟

لا يمكنه القطع ، او التحديد . لا يقدر على القول أن هذا جرى يوما بعينه ، اثنين او ثلاثاء ، ذاكرته لم تع ، لم تستوعب ، لكنه يوقن أن هذا جرى فى أيام أوجه ، ومرحلة شدته ، وايناع فتوته .

كان يعمل رساما فى القسم الفنى بالمؤسسة التعاونية ، يوميا يقطع الطريق من بيته فى الحى القديم الى منطقة الدقى الحديثة ، يبدأ رحلته اليومية فى وقت مبكر ، إن صيفا او شتاء ، يمضى عبر السكة الجديدة ، ثم الموسكى ، ميدان العتبة العتيق ، معظم المتاجر لا تزال مغلقة ، فارق كبير بين هدوء الشارع اول النهار وصخب مابعد ساعتين ، يجتاز قلب المدينة الحديث ، وجرى النهر .

الى يمين الميدان الذى تحيطه اشجار مورقة ، خضراء فى تلك الفترة ، يقع مبنى المؤسسة ، عمارة أعدت فى الأصل لتكون مقرا للسكنى ، لكن الادارة استأجرتها كاملة من المالك .

فى الطابق الرابع القسم الفنى . فى الحجرة الداخلية منضدة الرسم . اعتاد الجلوس فوق مقعد مرتفع ، مصباح قوى مثبت بذراع معدنية الى سطح المنضدة الخشبى المائل ، يضيئه أحيانا عندما يمعن فى التفاصيل ، أو فى ايام الشتاء الرمادية ، الكابية .

انها ايام قصية الآن ، لكنه يعي منها الضوء ، وامتداد الافق ، وتوثب روحه عند عبور النيل . لا تلوح بقايا للكدورات التى عرفها وقتئذ ، لم تمس منه العصب ، لم تنفذ الى صميم النخاع .

لا تزال التفاصيل جلية فى ذاكرته ، أبعاد الغرفة . لون الطلاء ، ملامح بعض من اعتاد رؤيتهم وقتئذ ، عامل المصعد ، فى مقدمة ذقنه وشم أخضر مستدير ، مدير الادارة . مشيه المتمايل ، امرأة راسخة القوام ، مهيبة الجمال ، لا يستعيدها الا اثناء خطوها ، لا يراها الا مرتدية قميصا اصفر من القطن ، لظهورها ازيز ، لتقدمها وقع ، اسمها هيام ؟ ، ربما ... لا يذكر ، زوجها اصلع تماما ، رآه مرة واحدة عندما جاء ليصحبها ، تبقى منه نظارته السوداء الاطار ، وزجاجها السميك . وتهدل ثيابه ، وهمس جرى بين زميلين حول خشونة مظهره ، ونعومة حضورها الهادىء .

يذكر زميلا هادئا ، منحنيا دائما ، غاب عنه سنوات ، ثم لمحه صدفة يقف خلف مكتب الاستقبال بأحد الفنادق الحديثة .

اذ يستعيد هذه الايام المولية يراها مندغمة ، لحظة من هنا ، هبة من هناك ، نفحة باقية ، وأخرى مطموسة ، ظهور شخص كان صاحبا ، اقبال امرأة ، يد تمسك قلما ، صوت يجيب على رنين الهاتف ، ما

اكثر الأمور التي تستعصى على الاستعادة . عبثا يحاول ، كان شخصا آخر عاشها . اما عمره الذى كان يجتاز العشرينيات وقتئذ ، فمنفصل عنه ، تام الكينونة ، كأنه يمتد الى شخص آخر ، تبدو الأوقات التى كانت متصلة ، متناثرة ، ما من واحدة مكتملة ، عدا تلك اللحظة ، كل زمن وهن إلاها ، كل ما عبره تميع عداها ..

اى رداء كان يستره ؟ اى وضع اتخذ ؟

بالتأكيد ، الالتفات صوب النافذة ، اذ يشعر باجهاد نظره لطول انكبابه ، يولى وجهه الطريق ، كان باستطاعته رؤية جزء من النهر ، وعدد من الاشجار الخضراء التى اجتثت من جذورها فيما بعد ..

فى مواجهة النافذة تماما تقوم عمارة مرتفعة ، يرى الجانب الخلفى منها ، حيث نوافذ الحجرات ، والمطابخ ، وفتحات التهوية ، تطل على الشارع الرئيسى المحاذى للنهر ، تصله منه روائح خاصة لازمته مدة ، لم تتكرر عبر مكان آخر ، طعام يطهى ، ورائحة خبيز كعك واقراص حلوى فى الفرن الواقع تحته مباشرة .

نافذة مفتوحة ، او اخرى مواربة ، تطل خادمة لتنفض سجادة ، او تتطلع الى لا شيء ، لا ينظر متلصصا ، يحيد ببصره بعيدا عند ظهور شخص ما حتى لا يظن به أحد سوء القصد والنية .

هذا الصباح ، رأى النوافذ كلها مغلقة ، لم يلحظ ذلك الا فيما بعد ، حتى بدا الأمر وكأنه تمهيد خفى .

لا يمسك حتى الآن بحواف البداية . لكنه يعى الانبثاقة ، بل انها تكررت داخله مرات فيما تلى ذلك ، ينبلج لها نبضه مع أن ربع قرن مضى ، فوجىء بمصراعى النافذة المواجهة له تماما ، ينخفض مستواه قليلا . فتحا . حركة قوية ، عفية ، بدون تمهيد او تأن ، كان ريحا عاصفة مصدرها داخلى ، لكنه رأى ذراعيها على امتدادهما ، تسندهما حتى لا يرتدا فيكون انغلاق !

انثى ..

شابة ، ذات بهاء واكتمال ، مرمرية التكوين ، فواحة الحضور ، ضاجة الحيوية ، عارية تماما ، كما وفدت لحظة انضمامها الى الخليقة ، رآها بازغة ، متدفقة ، فانصهر الفراغ ، ونبع الضوء منها . لم يعد الا هى ..

ارتج عليه فلم يدر مايفعل ، لكنه شد ، اوثق الى وجودها ، حام منجذبا الى فلكها ..

نهدان مشرعان ، بضان ، فى أوجهما ، استدارة كتفين متناسقين عنق طيع ، اما الخصر فيرق ويدق حتى ليستعصى على المرء تصور امكانية احتوائه على شيء !

فيما بعد ، لم يدر كيف ألم بتقبب أردافها ، وتناغمهما ، وحسن تجاور

كشف..

شطريهما ، مع انها لم تستدر ، ولم تغير وضعها ، كيف اطلع على أطرافها السفلى ، على قدميها وتناسقهما ؟ مع أن شطر الجدار حجب واخفى ، فكأنه نفذ عبر حجب المادة ، وأحاط بها من جهاتها ، لكم استعاد حركتها ، تلفتها يمينا ، ثم شمالا ، رفعت رأسها تجاهه ، بالضبط ناحيته ، اليه صوبت عينيها الفوسفوريتين ، نفثت طلاتها ، فثبت ، وتركزت كل الجهات عندها ، الاصلية والفرعية معا ..

لم يتخلله ارتباك انما نشوة غامضة ، لم يعرفها من قبل ولا من بعد ، مزيج من دهشة حسية . وانبثاق داخلي .

وجهها متلألىء ، مشعة ، اما الابتسامة فمنبعثة من ملامحها بأسرها ، يؤطر وجهها شعر اسود ، فاحم ، ولد تناقضا خفيا مع بشرتها الضوئية التي كان بامكانه ادراك نعومتها وطلاوتها من مكانه رغم المسافة التي فكر في اجتيازها . ولو فعل .. لمضى الى هلاك .

انفراجة ثغرها ، لحظ تبسمها ، بهاء تواجدها ، هذا كله بدد سائر الموجودات المادية حولها ، حتى اوشك ان يراها واقفة في فراغ مبين ، ما عداها عدم ..

استوعبها في مجملها ، وقفتها ، امتداد ذراعيها ، تناسقها ، اصولها الكامنة ، وفروعها البادية ، وعندما تأهب ليرجع الكرة ، فوجىء بها تتراجع قليلا . بدا انسحابها متمهلا ، بطيئا ، لم يدر من يدفع مصراعي النافذة ، لكنهما انغلقا بقوة ، توارت ، اختفت ، ولكن بعد نفاذها الى لب كينونته ، وعميق مسامه ، غلب على بقية يومه دهشة وعجب وطوال الليل انتشى فلم يتم الا فجرا ، وصل المكتب مبكرا ، خفيفا ، مشرقا . وبقيت النافذة مغلقة . عبر ايامه التالية علق بصره بها ، لكن لم تظهر ، لم يفض بما رآه الى مخلوق وإن اثقله الأمر ، شغله ونال منه . اخذ الحيطة ، خشي ان يجري انبثاقها فجأة ، اثناء انحنائه على لوحة . او عند خروجه من الغرفة ، امل فلزم ، لكن عبثا ..

مع بدء ايوائه الى فراشه تغمره نشوة ويتفجر داخله فيض ، حتى ليود المضي في عمق الليل الى مكتبه ، لعل وعسى ، وعند بدء مشيه تتسع خطاه ، يخف تعبه ، لطالما تعجل طلوع النهار، ثم الوصول .

احب الخلوة ، آثر الانفراد ، النأي عن الخلق ليستعيد بمفرده ما رأى ، ليسترجع الرؤيا ، الجسد النافر ، الداعي ، ملاحة الوجه ، جمال لم يطلع عليه من قبل ، رصده في لمحة ، لكنه أودع داخله اثرا لا يمحى ، لا يزول ، لا تبهته الليالي ، وتوالي ساعات الكدر او الصفو ..

احيانا يجد المتعة فى استعادة التفاصيل ، التعلق بأمل الظهور ، لكن .. عبثا ، لم تفتح النافذة قط ، فكأنها اوصدت الى ابد ابيد .

حتى بدأ الوهن ينال منه ؟

لا يمكنه القطع او التحديد ، لكن فى الشهر الاخير الذى سبق انتقاله من مقر عمله هذا ، خطر له ان يرقب باب العمارة ، لعله يراها داخلة او خارجة ، ما أيسر ذلك ، البناية مطلة على النيل ، لا يفصله عنها الا عرض الطريق ، فوق مقعد حجرى قديم ، بين شجرتين عتيقتين ، ثبت .

بدأ فى السادسة صباحا . ليس معتاداً خروج امرأة قبل هذه الساعة ، لكنه أثر الحيطة . اذا لم تكن موظفة او طالبة فعليه الانتظار ، ربما تمضى لشراء حاجة او لزيارة اقارب ، يوم بأكمله ، من شروق الشمس الى مابعد غروبها ، لم يفارق بصره مدخل العمارة رمادية الطلاء ..

فى سنواته التالية ، كلما مر فى الشارع ذاته ، تطلع الى المبنى ، يدور حوله ، فى وقت خريفى ، ومساء موشك على الاكتمال . رأى النافذة مفتوحة ، لم يكن باستطاعته الصعود الى الغرفة التى شغلته ست سنوات متصلة . المؤسسة الغيت ، المالك استرد المبنى ، يقيم فيه الآن آخرون لا يعرفهم ، الملابس المغسولة ظهرت فى الشرفات الخلفية ، يجهل من يأوى الى الغرفة التى لزمها سنوات متتالية ، لا



يعرف من يتطلع عبر النافذة التي رأى منها ما رأى ، طال وقوفه في الطريق . خشي أن يسأله أحدهم عن تطلعه ، عن تعلق بصره بالطابق السادس في هذا البناء ، مضى حسيرا ، خاويا ..

من يدري ، ربما انتقلت الى منطقة أخرى من المدينة ، ربما تزوجت ، ربما رحلت الى مكان ما في العالم ، ربما تتنفس هواء غربة .

في إحدى الامسيات جلس امام التليفزيون ، أم كلثوم تشدو ، تتمايل ، تتنقل الكاميرا بين المستمعين في صالة المسرح والمنصة ، رأى رجالا ونساء هي .. هي ، لمحها . لا يمكن ان يخطئها ابدا ، يعرف صبوحة الوجه ، ودقة الملامح ، مال ممسكا بحافتي الجهاز ، حدق وأطال ، لكن لم تظهر صورتها قط ، حتى عندما عادت الكاميرا الى المستمعين صورت اخرين . بعد انتهاء الاغنية تراجع منهكا ، متعبا .. التسجيل قديم ، تمت اللحظات المصانة الى بداية الستينيات .. احقا هي ام شبيه له ؟

اين هي الآن ؟ اين ؟

لابد أن ملامحها تغيرت ، ربما اصابها مرض ، ربما أدركها وهن ، ربما لم تعد في بهاء اللحظة ، في هذه الليلة ادرك ان ملامح الوجه نال منها الوقت ، لم تعد واضحة ، محددة ، كان يدركها في مجملها ، ولكن التفاصيل التي استرجعها حولا كاملا اندغمت ، انطمست .. دهش وهو يمعن الرحيل داخل ذاته . احقا هو الذي عاش اللحظة المتفجرة بالجمال ، الاستثنائية ، التي اعمت بصره عما عداها ؟ أهو أم شخص اخر لا يمت اليه بصلة ؟

مضت السنوات بسرعة ، كأنه ماض في طريق طويل . منقسم الى مراحل ، لا تتضح له كل منها الا بعد تمامها ، اذ تنتهي يقوم حاجز مستحيل اجتيازه ، او التراجع عبره ، كأن يدا خفية تدفعه دائما صوب نقطة يجهلها ، مع كل خطوة تبهت الصورة ، وتتميع الكينونة ، لكم سافر ، رحل وحط ، راح وجاء ، اعتل وقام ، فرح وحزن ، طرب وشجي ، لكم تبدلت به المواقع ، بعض من تصور انهم مقيمون ابدا فارقوا ، ومن توهم دوام وئامهم بغير خلل ، وقعت الوحشة بينه وبينهم .

لكن في حله وترحاله ، في بسطه او طيه ، في اقباله او ادباره . لم تندثر هذه اللحظة وان غامت . لم تفن وان خبت ، لم تنمح وان تميعت .

تعاوده في مواقف شتى ، في لحظات لم يعد لها ، وأوقات يبدو ذهنه خلوا تماما منها ، فجأة .. تنبثق ، فوّارة ، متدفقة ، فاذا كان صامتا غمغم وهمهم ، واذا كان في حركة كف وتوقف ،

وإذا ضمته صحبة

انفرد ، ربما هج مسافة ليخفف من الاندفاع المتوالى فى أعماقه ، والذى يدفع به الى الرغبة فى الصياح ، او ذرف الدمع ، او نطق الحسرة الموجوعة . أوقات ينوء بالحمل ، فيلفظ أهة يدهش لها محاوروه ، يستفسرون عما به ، ماجرى له ، هل يشعر بمكروه ، لكنه يكتم ولا يبوح ..

الغريب .. ان لحظات ود شتى ، وأوقات صفاء مع ذوى الود والقربى ، اوشك على البوح ، احيانا يشتد به الدافع أن يحكى ، أن يفضفض ، أن يروى للآخرين باللفظ المسموع حتى يسمع نفسه أيضا ، لكنه اذ يهم ، يفاجأ بقلة حيلته ، وانتفاء رغبتـه .. لم يشـأ مشاركة آخرين له ، فى الشهور الاولى التالية ، كثيرا ماتساءل ، هل بدت لغيره ، هل رأى آخر ما رأى ؟ ويتمكن منه غيظ لو أتاه الخاطر بمجرد احتمال ايجابى ..

ما رآه لم يقصه على احد ، لم يصفه لمخلوق ، اما رغبته التفوه به ، فيحققها اذا خلا بنفسه ، خاصة فى الفنادق النائية ، فى البلاد القصية التى اغترب فيها أياما معدودات .

اذ يعمق الليل ، ويمعن فى وحدته ، يحدق فى الفراغ المكانى الضيق ، يحاول استدعاء اللحظة ليراها ، جلية ، سافرة ، وكثيرا ما تنتفض رغبتـه ، فيسرى عنده شبق غريب ، حتى ليراها منحنية ، معانقة ، منفرجة ، فيقدم على بذل الجهد الأتم لمضاجعة العدم .

احيانا يوغل ، لكنه كلما بذل الهمة ازدادت الملامح بعداً ، عندئذ يلفظ ، يحدث نفسه بما رأى فى هذا اليوم البعيد ..

– انا من شاهدها ، انا من اطلع عليها ، هى نظرت الىّ ، كانت عارية كلحظة ولادتها ، لم تحتجب للتو ، انما بقيت تضوى فى مجال بصرى ..

حتى دهمه ذلك العرض ، اكتمال وعيه بأوان المفارقة ، ما أقطع اكتمال الوعى بانقضاء المدة بعد دقائق ، بعد ثوان ، كالمعصوب فى الثوانى الأخيرة منتظرا رصاصات الفريق المتأهب ، لكنه وحيد تماما ، خلو من كل عون ، لن يطأ ارضا أحبها ، وميناء اعتادت البهجة ان تلامس روحه اذ يصله ..

فى العتمة المطبقة لاح له هسيس ضوء ، ورؤى بعيدة ، اطياف من وقفتها ، تطلعها نحوه ، شروعها – الذى كان – تجاهه ، لم يستعد التفاصيل ، انما المعنى ، ويقدر تشبثه تنتظم انفاسه ، وبقدر تعلقه اليائس الضارى بالعبيد العتيق يخف الخطر ، أدرك الصلة وكنه الرابطة ، بين قدرته على استرجاع قبس من اللحظة المنقرضة ، المولية ، وبين استطاعته استنفار قوى توشك على الأفول ، تمكنه من الطفو .

بعد ٣٠ عاما

اتحاد كتاب اسيا وافريقيا في انتظار اعادة البناء

بقلم: يوسف القعيد

● « والآن : ماذا سنفعل بهذا الاتحاد ؟! »
كان هذا هو سؤال لطفي الخولي الاول بعد اعلان عودة اتحاد كتاب آسيا وافريقيا الى مصر . لكى يستانف نشاطه منها بعد عشر سنوات من تجميد دوره في القاهرة . واستئناف هذا العمل بصورة مؤقتة من طشقند .

● وسؤال لطفي الخولي يطرح الطريقة الصحيحة للتعامل مع هذا الاتحاد العائد الى مصر . ذلك ان العودة جاءت ايضا في ظروف تتغير فيها امور الاتحاد والعالم كله بصورة شديدة الوضوح

عاد الاتحاد الى مصر في الشهر الاخير من عام ١٩٨٨ . اى بعد ثلاثين عاما بالضبط من انشائه ، وخلال هذه السنوات الثلاثين . تغير كل مافي الدنيا وليست مجرد فكرة انحاد كتاب اسيا وافريقيا .

والاتحاد كان الابن البكر لمنظمة تضامن شعوب اسيا وافريقيا . ولكن في حين تطورت منظمة التضامن واصبحت في عضويتها دول من امريكا اللاتينية وبعض دول اوربا الاشتراكية فان الاتحاد بقى اتحادا يقوم على اساس جغرافي اى لكتاب اسيا وافريقيا فقط . مع ان كتاب امريكا



احمد حمروش



لطفى الخولى

اللاتينية فعلا يمرون بنفس الظروف ولهم القضايا نفسها - والهموم ذاتها ٠

والمنظمة والاتحاد معا نشأ فى اواخر الخمسينات عندما كانت معظم هذه الدول محتلة ٠ وكان النضال ضد المحتل هو كل دورهما السياسى وكان الاتحاد السوفيتى حلم كل الباحثين عن الخلاص ٠

وكانت أوربا الاستعمارية ٠ قد أصبحت قارتين ٠ اوربا الغربية واوربا الشرقية ٠ وكانت امريكا تبحث لنفسها عن دور خاص بها ٠ بين افول اوربا الاستعمارية ٠ وحلم الاتحاد السوفيتى وكان العدو الاسرائيلى مجرد افتراض ذهنى فى مشروعات المستعمرين

كان العالم قد تذوق طعم الكيانات الكبرى ٠ ولذلك كان الهدف الجوهرى للاتحاد هو اقامة اكبر قدر من الصلات بين ابناء اسيا وافريقيا دون ان يكون من اهدافه ان يقيم جسور اتصال بين ابناء وكتاب اسيا وافريقيا وباقى كتاب العالم ٠ ان من ينظر الى الامر بروح اليوم قد يجد فيه نوعا من الشوفينية الاسيوية الافريقية ولكن هذه الشوفينية كانت مبررة ومشروعة منذ ثلاثين عاما ٠ والان لا مفر من اعادة النظر فى هذا الامر الذى نراه الان وكانه نوع من الانكفاء على الذات ٠

اى لا مفر من ان يكون ضمن اهداف الاتحاد اقامة جسور حوار مع باقى الحضارات الاخرى وكذلك اجراء اتصالات ٠ - وباستثناء كتاب الكيان الصهيونى وكتاب الكيان العنصرى فى جنوب افريقيا - فان الاتصال بكافة الكتاب فى العالم امر لابد منه الان ٠ ذلك ان كتاب اسيا وافريقيا الذين كانوا ينظرون الى العالم منذ ثلاثين عاما اما من خلال العداء او الاحساس بالدونية عليهم الان ان يحاولوا مشاركة هذا العالم بعد ان تغيرت كافة الظروف ٠

عضوية هذا الاتحاد مشكلة اخرى فعند نشأته كانت عضويته من كتاب فى بلدان اسيا وافريقيا ؛ اما اعضاء

اتحاد كتاب اسيا وافريقيا
فى انتظار اعادة البناء

اتحادات الكتاب فى هـــذه البلدان او فى لجان التضامن مع شعوب اسيا وافريقيـا .

وهذا المقياس القديم للعضوية لم يعد صالحا الان . لانه من نتيجة ذلك ان نجوم اسيا وافريقيـــا فى الادب ليس لهم اى مكان فى الاتحاد .

والامثلة على ذلك كثيرة . فان كنا نعتبر ان الاسماء المعلقة فى سماء القارتين الان هم : اسماعيل قدرى الالبانى . دياشار كمـال التركى . وسليمان رشدى الهندى . سنجد ان هؤلاء لا وجود لهم فى الاتحاد . اما لانهم ليسوا اعضاء فى الاتحادات الخاصة ببلدانهم او لاسباب اخرى. وعندما جرى ترشيح سليمان رشدى لعضوية هيئة الرئاسة . قام رئيس الوفد لكى يقول ان رشدى لا يغضب . فهو يعيش فى انجلترا .

الحل فى تقديــرى هو البحث فى السماح للعضوية الفـــردية . وان يكون المقياس الوحيد هو الابـــداع الادبى بصرف النظر عن تفاصيـــل وتعقيدات العلاقة ما بين الـــكاتب واتحاد الكتاب فى بلده . وبعيدا عن موقف هذا الكاتب او ذاك من السلطة الحاكمة فى بلده حتى لا يقال مستقبل هذا الاتحاد انمـا قد يتحول الى حركة تحرر لبلدان اسيا وافريقيا بعـــد سنوات .

ان حال الاتحاد بعد هذه السنوات الثلاثين من عمره . حيث قضـــى عشرين عاما فى القاهرة وعشـــر سنوات فى طشقند . حـال الاتحـــاد لا يحتاج الى تعديلات او تغييـــرات ولا الى عملية ترميم او جراحـــة او تجميل . ولكن يحتاج الى بنـــاء جديد تماما . حتى يتم بناء المؤسسة بعيدا عن الاشخاص . مهمـا كانت قدرة هؤلاء الاشخاص على الانجاز الضخم والكبير . فقد ثبت بالدليل ان المؤسسة ابقى من الافراد واكثر قدرة على الاستمرار على الرغـم من كافة التغيرات .

وحجر الاساس عندى فى عمليـة البناء من جديد هو حجم القضـــية العضوية اولا واخيرا .

التعارف وتبادل الخبرات والنشـر من اهم اهداف قيام هذا الاتحـــاد . والاتحاد وله مجلة « لوتس » . التى اصبح لها الان كتاب لوتس والمجـلة يراس تحريرها الكاتب الفلسطينى زياد عبد الفتاح .

والمجلة تترجم ثقافات الكتاب الى الانجليزية والفرنسية علاوة على نشرها فى الاصل بالعربية . وفى خطـــة المجلة ان تصدر طبعة روسية من هذه المجلة . وان كان هذا المجهد جهـدا الا انه لابد من اضافات له .

لماذا لا تكون هناك طبعة صينيـا من لوتس وطبعة هندية . حيث أن من يقرءون بهاتين اللغتين يزيـدون عن المائة مليون من كل لغة . على حدة . على ان تتبعها طبعات فى اللغات الافريقية الاسيوية . عـــلاوة على ما يصدر الان .

ثم ان عملية ترجمة النصـــوص الادبية الى الانجليزية والفرنســية يجب ان يعاد النظر فيها . فالمفروض أن يقرا الكاتب التركى لكاتب صينى

وان الصينى لهندى . اى ان تكون هناك حركة ترجمة اسيوية افريقية داخلية . تنشر مباشرة من لغة الى اخرى دون المرور بلغة وسيط فى المنتصف . هذا الوسيط هو الانجليزية او الفرنسية ولا يجب ان ننسى ان الفرنسية هى لغة المستعمر لا المحتل الفرنسى فى حالة افريقيا . وان الانجليزية هى لغة المحتل فى بلدان اسيا ولا يجب ان يكون المدخل هو لسان المحتل الذى حمل عصاه ورحل منذ حوالى ربع قرن مضى .

ان الاتحاد يوشك ان يصبح عربيا ، الامين العام عربى وهو لطفى الخولى وفى مجلس الرئاسة ثلاثة من ابناء الوطن العربى هم : نجيب محفوظ ومحمود درويش والكاتب السورى على عقله عرسان .

ومع هذا فان الاتحاد لا يوجد فى داخله اى شكل من اجل الاتصالات العربية ، واتحاد الادباء العرب جرى نقله الى بغداد بعد كامب ديفيد ولذلك فان الطلب من اتحاد كتاب اسيا وافريقيا : اما ان يحاول اعادة اتحاد الادباء العرب الى القاهرة . او ان يضيف شكلا ما من اشكال الاتصال العربى فى داخله لان هذا الاتصال سيعطى الكتاب العربى فرصة ان يظهروا فى الاتحاد الكبير بصورة اكثر تحضرا . وبموقف عربى متجانس – ولا اقول موقفا واحدا – يظهر تفاصيل الوجه العربى فى مثل هذه اللقاءات الدولية .

لقد عاد الاتحاد الى مصر . وهو مكسب كبير للاتحاد والكتاب ولمصر . واصبحت مصر دولة المقر والامين العام من ابناء مصر . وهذه الامور ليست حلية نضعها على صدر مصر . بقدر ما هو مسئولية تاريخية على مصر ان تقوم بها .

واول هذه المستويات ان يتم تطبيع العلاقات بين اتحاد كتاب اسيا وافريقيا واتحاد الكتاب فى مصر . الذى يأخذ موقفا بالغ الغرابة من الاتحاد حتى الان . حيث يبدو وكانه غير معنى بالامر كله . وهو موقف من الصعب العثور على تفسير له . ففى حين نجد ان كل كتاب مصر هم ابناء اتحاد كتاب اسيا وافريقيا وان العلاقات بينهم وبين الاتحاد الاسيوى الافريقى اكثر من جيدة على مستوى الافراد ولكن هذه العلاقة لا وجود لها على مستوى المؤسسات . اى اتحاد كتاب مصر واتحاد كتاب اسيا وافريقيا .

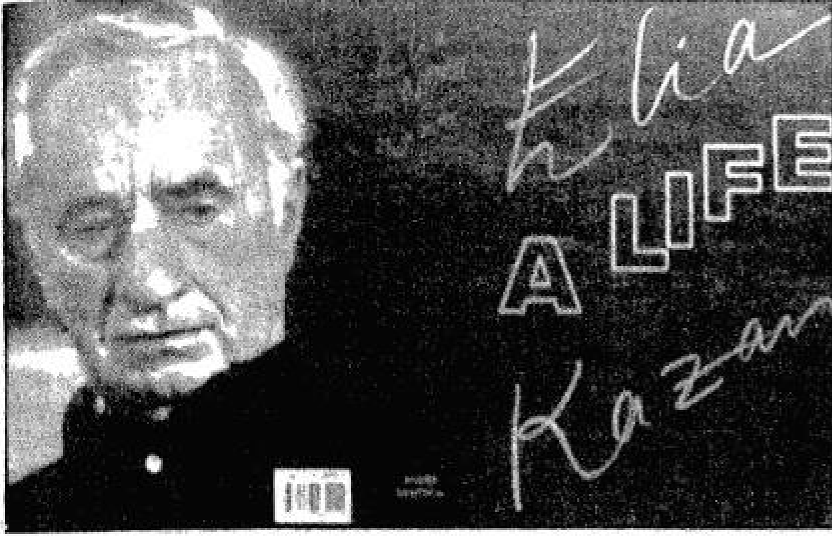
لقد كانت عودة اتحاد كتاب اسيا وافريقيا الى مصر هى الجهاد الاصغر ..

وقد نجحت مصر فى هذا الجهاد الصغير ..

اما الجهاد الاكبر والحقيقى فهو ان يكون هناك دور مصرى فى تطوير هذا الاتحاد والخروج به من عقد الخمسينيات الى افاق زماننا المختلفة والاكثر رحابة . وكذلك احتواء كافة التغيرات التى طرأت على العالم منذ ان انشىء هذا الاتحاد وحتى الان ..

لقد تم الجهاد الاصغر

ولكن ما أصعب الجهاد الاكبر القادم .



إليا كازان

حياة بلا حياء

بقلم : مصطفى درويش

يقص علينا المخرج المسرحى والسينمائى والكاتب الامريكى الشهير المنحدر من أصل يونانى فى مجلد كبير من ثمانمائة واربع وثمانين صفحة .. يقص كيف تطاولت على حياته الأيام والسنون منذ تحركت أوصاله فى بطن امه قبل نشوب الحرب العالمية الأولى بقليل فى اسطنبول عاصمة خلافة آل عثمان .. وحتى الآن ..

ومن العسير ، إن لم يكن من المحال ، أن أصف في ورقات قلائل كل ما جاء في هذا المجلد غير العادى الذى يعرض فيه صاحبه لسيرته على نحو مكشوف غير مألوف في ذكريات الفنانين ، لا ارى له في ذلك شبيها سوى اعترافات « جان جاك روسو » في سالف الزمان ..

نفس لوثة الجنس عند « روسو » ، نفس عقدة الأضطهاد المترسبة المتعصبة ، نفس غلبة الشعور الفياض الحاد على التفكير المتأني العميق ، هذا إلى رهبة الغربة وليدة الحرمان من نعمة الانتماء إلى الزمان والمكان ..

نفس المركبات نفس الجروح ، نفس الرغبة في التشفى والانتقام ، كل هذه الأوجاع كما قفزت قديما من اعترافات « روسو » نراها تقفز الآن من صفحات « الياكازان » .

● العرى .. لماذا ؟

ولو قرأنا بعين بصيرة لاتغفل ماكتبه كازان عن حياته لوجدنا أمامنا مبدعا مدفوعا بسنين من الذنب والندم ، الكاثوليكية والتحليلات النفسية ، العجز فنيا عن التعبير عن الذات الحقيقة ..

مدفوعا بكل هذه الاسباب الى تعرية جسده وروحه للقارىء .. ماضيا في هذا السبيل الى حد التحدى ، مغاليا في ذلك الى درجة حدت باحد المعلقين الى وصف ما كتب بالمجلد الوغد ..

ولا غرابة في هذا الوصف ، فكازان في حشد كلمات هذا المجلد الذى يقرأ بلهفة وشغف ومتعة ، إنما يعرى نفسه وهو فخور نشوان ..

بفضل هذه التعرية المدهشة ، نعرف أنه منذ صباه ماهر في التسلل كثعبان ، قادر على الغش والكذب والتلون المخادع كحرباء ، خبير في فن الرياء والالتواء والنفاق الى حد الهوان فلأن أسلافه اليونانيين قد جاءوا الى العالم الجديد مهاجرين فارين من الاضطهاد في اناضول تركيا ، فقد كتب قائلا انه كان دائما يرسم على شفتيه ابتسامة يخفى بها حقيقة عواطفه ، وذلك على عادة اهل اليونان في دار خلافة آل عثمان .

« وكازان » يتخذ من الغلو في حملته على ابيه ، وعلى البيض المعتنقين للبروتستينية المنحدرين من أصول انجلو سكسونية مبررا لمسلكه هذا .

● الباب الضيق

فالأب كان بائع سجاد في نيويورك ، غليظ القلب ، افتقد « كازان » في ظله الفهم والرعاية والحنان .

ورفاق الدراسة في كلية « ويلمز » كانوا من تلك الأقلية البيضاء الغنية التى تحتقر كل من كان مثله غريبا فقيرا ، تعتبره ليس أهلا لمشاركة أبنائها حياتهم الاجتماعية بما تحتوى من ألوان اللهو واللعب ..

وعلى كل ، فقد استطاع « كازان » من خلال بابى « جماعة المسرح » و « الحزب الشيوعي » الامريكي أن يخرج من عزلته ، يتخلص من الشعور بغربته ، ويمضى في طريق بناء مستقبله الى أمام ولكن انتماءه لهذا الحزب لم يستمر طويلا ..

فبعد سنة من التحاقه به ، اذا به يستقيل محتجا على تدخله في شئون « جماعة المسرح » مؤثرا الحرية على الالتزام .

وهذه اللحظة القصيرة من حياة « كازان » في غضون الثلاثينيات نراها بعد ذلك بسنين تلعب دورا كبير الأثر في مسيرة تلك الحياة ..

● اليوم المشئوم

ففى بداية الخمسينيات .. واثناء اوج مجده

إليا كازان

حياة بلا حياء

فى هوليوود ، جرى استدعاؤه للمثول امام « لجنة المجلس للنشاطات غير الامريكية .. حيث طلب اليه امر كريه ، هو ان يذكر اسماء من كانوا رفاقه فى خلية الحزب الشيوعى قبل عشرين سنة .

ويتردد غير ان تردده لم يكن من النوع الذى يدوم طويلا ..

فهاهو ذا امام تلك اللجنة متطوعا بافشاء أسماء احد عشر رفيقا ممن كانوا معه اعضاء فى الحزب المذكور ..

وهذه الشهادة التى اعتبرها اليسار داخل الولايات المتحدة وخارجها خيانة لاتغتفر ، تشق كتاب « كازان » كله كالاسفين ـ ظاهرا وخافيا ـ سيخ ملتهب كالجمرة لم تنطفىء ، رغم كر السنين ، مغروز فى قلب المخرج والكاتب الكبير وعن يوم العاشر من ابريل لسنة ١٩٥٢ ـ ذلك اليوم المشئوم الذى خان فيه « كازان » رفاق السلاح يقول فى كتابة « كان ثمة ايام تمنيت لو تغتفر » .

ولكنه سرعان ما يستدرك قائلا « انا رجل لايغفر .. لا اطلب من اعدائى المغفرة ، كما اننى لا اغفر لهم » .

وفى صفحات اخرى من كتابه نجده يصرح بان « الانتقام كان احد الدوافع المحركة ، له فى الحياة .. الانتقام بشكل او بآخر من ابيه واهماله لشأنه ، من زملاء الدراسة واحتقارهم له ، من الحمر ومكائدهم التى لا تنتهى .

وهو فى سعيه للانتقام يرى فى كل شخص غير معجب بكتبه وافلامه عدوا .

فاذا كان هذا الشخص سياسيا فلاشك انه من الشيوعيين الاوغاد ..

واذا كان امرأة فلا جدال انها من ساقطات النساء .

● جيكل وهايد

اما كيف اقنع « كازان » نفسه بالادلاء باسماء من كانوا فى يوم من الأيام من الرفاق والأصدقاء فهذا حسبما جاء فى الكتاب لمما يدخل فى باب العجب العجاب ..

بداءة عاهد « كازان » نفسه والاصدقاء الا يبوح باى اسم مكتفيا بالاعتراف على نفسه ..

وهو ما كان يمثل فى نظر اليسار القديم حدا ادنى معقولا وان كان مريبا من التعاون مع لجنة النشاطات غير الامريكية السيئة السمعة ..

ثم اخذ فى التراجع عن تعهده هذا خطوة .. خطوة .. كيف ؟ استشار زوجته « مولى » (التى كانت متطرفة فى عداء الحمر الى ابعد الحدود) .

فصاحب الاستديوهات المليونير الواسع الثراء « سبيروس سكوراس » الذى اعطاه نسخة من كتاب « هربرت فيلبريك » « عشت حياة بوجوه ثلاثة » ..

فمنتج « شجرة تنمو فى بروكلين » أول فيلم اخرجه فى هوليوود «بد لايتون » الذى كان احتقاره للشيوعين لايفوقه الا الاحتقار الذى يحمله للاحرار ..

واخيرا قيصر شركة فوكس للقرن العشرين « داريل زانوك » الذى اخذ باقتراحه اخرج كازان فيلما معاديا للشيوعية «رجل على حبل مشدود» لعله اسوا افلامه ..

وطبعا لم تخرج نصيحة الاربعة له عن كلمات « زانوك » الخالده ، ليس المطلوب ان تكون على حق ، وانما المطلوب ان تفوز »



كازان مع فيفيان لى وكيم كنتر اثناء تصوير "عربة اسمها الرغبة" عام ١٩٥٠

وضرورة التمسك باهدافها ، والسير على هديها .

● أصدقاء العمر

ولا تقف هذه الحكاية المليئة بالمضحكات والمبكيات والاهات والحسرات عند حكمة هذه الكلمات البينات ..

إنه لايزال حائرا .

وها هو ذا فى غابات كونكتيكت يتنزه مع صديق العمر الكاتب المسرحى « ارثر ميللر » الذى كان يشاركه فى اشياء كثيرة من بينها نجاحات المسرح فى برودواى ، الجذور التقدمية ومارلين مونرو ..

(وان كان لايبدو ان « ميللر » كان على علم بان « كازان » كان منغمسا فى علاقة غرامية اثمة مع ملكة الاغراء ..

وأثناء الحديث - وقبل الفراق - فوجىء « ميللر » بخبر جنوحه الى التعاون مع لجنة النشاطات غير الأمريكية طوقا للنجاة .

وجاء تعليقه - بعد ان سمع الخبر المفجع - هادئا رزينا «لاتقلق بالنسبة لما قد افكر فيه .. انا موافق على اى تصرف لك ، لانى اعرف ان

إليا كازان

حياة بلا حياء

قلبك فى المكان الصحيح » .
يلاحظ ان هذه الكلمات المنسوبة الى « ميللر » لم يرد لها اى ذكر فى كتابه « حياة .. الزمن ينحنى .. » ١٩٨٧ .
هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فقد وصف « ميللر » فى كتابه المذكور وقع حديث الغابات هذا عليه بأنه كان مميتا ..
ولم يكتف « كازان » بالحصول على موافقة صديق العمر ، بل تواعد مع صديق عمر آخر الكاتب المسرحى « كليفورد او ديتس » على العشاء فى احد المطاعم حيث استأذنه فى ذكر اسمه للجنة .
وما ان حصل على موافقته ، حتى توجه الى استديو استاذه « لى ستراسبرج » حيث استأذن زوجته « بولا ستراسبرج » فى ذكر اسمها هى الاخرى .

● الثمن والحقيقة

وكان اسم الممثل والمغنى الشعبى « تونى كرايير » واحدا من بين الاسماء التى جاء ذكرها على لسان « كازان » فى اليوم المشئوم ..
وعندما مثل « كرايير » امام اللجنة حيث سئل عن حقيقة علاقته بكازان ، اذا به هو الاخر يرد متسائلا هل كازان هذا هو الذى وقع عقدا بخمسمائة الف دولار فى اليوم التالى لقيامه بافشاء الاسماء لهذه اللجنة .. ؟ ..
وعند ملاحظة « كرايير » هذه يقف « كازان » حانقا محاولا مقارنتها بالاسلوب الذى اشتهر به « هتلر » فى خداع الراى العام .. اسلوب الكذبة الكبيرة يسهل تصديقها لا لشىء سوى انها كبيرة ..
ومع ذلك فالحقيقة العنيدة تقف الى جانب ملاحظة « كرايير » مؤيدة مكذبة « كازان » .
ففى خلال عقد الخمسينيات الذى شهد فيه « كازان » بما شهد أخرج أهم افلامه .
وفى وصف مكانته فى غضون هذا العقد الذى تحول فيه الى مخبر يقول وملؤه الفخر .

● الشبح والضمير

«عندما كنت استطيع ان اصنع اى فيلم اريد» وهو وصف ينصرف ايضا الى المسرح حيث كان يستطيع ان يخرج اية مسرحية يشاء ..
يعترف « كازان » فى كتابه بشبح الضمير المكروب يطارده فى الاحلام .
فاحيانا ينصرف تفكيره .. وهو نصف مستيقظ الى الرجل الطيب « تونى كرايير » ويتساءل ما الذى يفعله الآن وحتى فى اليقظة بعيدا عن عالم الاحلام ، كان يجد نفسه مواجها ببعض المواقف المحرجة مثل ذلك الموقف الذى التقى فيه مصادفة بالممثل الكوميدى الراحل « زيرو موستل » واحد ضحايا موجة المكارثية العاتية .
فاذا به « يلف عنقى بذراعه ، ويضغط قليلا ، وهو يقول بصوت يقطر ألما لم اسمع له مثيلا من قبل « لماذا هذا الذى فعلته » .
او مثل تلك الدعوة التى ارسلها اليه الممثل « كارل مالدن » لحضور ليلة افتتاح مسرحية له فى برودواى .

واذا به يسمع ان دعوة مماثلة قد وجهت الى الممثل « سام جاف » .
ولكن عندما اخبره صاحب الدعوة « انه سيجلس معى فى نفس الصف ، رفض سام الذهاب » .

أو مثل تلك الرسالة التي تلقاها من مجهول وهو يخرج آخر فيلم له «آخر اقطاب المال» (١٩٧٦) .

واذا به عندما يفضها يقرأ الاتى

« اليا .. انت قطعة وسخ .. اقرا المحضر طية واخجل من نفسك .. حيوان مثلك عليه ان ينظف المراحيض . لا ان يصنع الافلام » .

اما المحضر فقد كان المحضر الرسمي للجنة المجلس للنشاطات غير الامريكية « ١٤ يناير ١٩٥٢) .

ورغم ذلك فالاكيد انه كان اثناء اليقظة دمويا .

«ففى اقل من سنة ، توقفت عن الشعور بالذنب او حتى بالتحرج من شهادتى » . مرتاحا اشد ارتياح الى وجوده فى معسكر الحرب الباردة معتقدا اعتقادا جازما ان ثمة منظمة ضده من الشيوعيين واتباعهم من السذج المغفلين .

وطبعا انعكست اثار هذه الحملة على افلامه ، واية ذلك « الزوار » (١٩٧٢) الفيلم الذى انتجه واخرجه ثم ذهب به الى مهرجان كان .

فلو لم يكن المخرج « جوزيف لوزى » وهو الآخر احد ضحايا الماكرثية - رئيس لجنة التحكيم وقتئذ لكانت جائزة المهرجان الكبرى من نصيب فيلمه « الزوار » .

● الثراء والشهرة

والاكيد .. الاكيد ان نجاحه ابان الخمسينيات بافلام مثل « يحيا زاباتا » « عربة اسمها الرغبة » « فى جبهة الميناء » « شرق عدن » « الطفلة العروسة » « وجه بين الجماهير » .

ونجاحه فى تحريك ممثلين كبار مثل « فيفيان لى » « مارلون براندو » « جيمس دين » وغيرهم كثير .

كل هذا النجاح كان لابد ان يكون له ثمن باهظ ، هو فقدان السمعة الى يومنا هذا ..

ومع ذلك .. فبفضل هذا النجاح تحققت « لكازان » مكاسب من بينها المال والبنون .

● خوارق

وفوق هذا مغامرات لا عد لها ولا حصر مع نساء جميلات ساحرات ، وذلك رغم انه وباعترافه ، لايحمل سوى خصية واحدة ، اما الاخرى فقد فقدها اثر مرض الم به وهو فى سن الصبا والبراعة .

وتبريرا لاتصالاته الجنسية المسرفة مع الممثلات وغيرهن من الحسناوات الراغبات فى الشهرة والمال - تلك الاتصالات التى عانت منها زوجته الاولى عناء شديدا على امتداد ثلاثة عقود من عمر الزمن - يقول « كازان » .

« اعتقد انه من المحتم على المخرج وممثلاته ان يقع بينه وبينهن هذا النوع من الاتصال » .

وهو يصف علاقته « بمارلين مونرو » متلذذا وكانه بعد ان بلغ من الكبر عتيا (٧٨ سنة) قد ارتد مراهقا ..

ولولا خشية الاطالة لنقلت وصفه لها وهى معه فى مخدع واحد ، ومن فوقهما تطل صورة صديق العمر « ميللر » قبل ان يصبح زوج ملكة الاغراء الثالث والأخير .

ولا استطيع ان انهى الكلام دون ان اقف عند وصف « كازان » لهذه العلاقات الجنسية بانها « مصادر معرفة .. تعليمى » .

ثم تعليقه على مافعل قائلا :

حقا اذيت بعض الاشخاص الذين كنت اعزهم وبخاصة زوجتى الأولى .. ولكن هل حاولت ان تشق طريقك فى الحياة دون ان تؤذى شخصا ما ؟ » .

سؤال أراه ذا دلالة .

سؤال من فنان كبير آذى الكثيرين ، غير مقتنع فى داخله بما فعل فى حق الآخرين .

لايزال فى حيرة يعانى ، وفى حيرة يبقى ..

أقصوصة

رجع النداء

بقلم :
عبد الحكيم قاسم

من هنا بدأت ، من هنا حتى النخلة الصفراء الصغيرة . بذلك يبدأ العرض ، بعد تحت النخلات الصفراء ، والوالدة وبنت عيشة ، وعلى الناحية البحرية منها تكون النخلة الصفراء الكبيرة . نخلات خمس ، واحدة بعد الثانية ، يبتدئن من الشرق إلى الغرب على طول الجرن ، من أوله لآخره . نخلات إناث طيبات ، يرمحان بالأباج ... والسم ، متساويات ، إلا من ذكرين فحلين سامقين متغطرسين واقفين على الناصيتين القصويين الشرقية والغربية ، ويتفضلان على الإناث باللقاح . إذا شال كيزان الطلع من بين جريدهما ، ثم ذكر الكيزان ، تطيب ، تتشقق من جوانبها فتبين زهرات دقيقات تتلع غباريا ، والغبار رائحة فواحة ، يحملها الريح ناحية الإناث ، مفتوحات للفعل على مراسيل الريح ، وعلى أيدي المتزوجين ، فتطيب في أرحامها ، تصير بلحاً لتصير ، ثم يحمر أو يصفر ويتشكل ، كل نخلة وطبيعتها في فاكهتها . الكل يصير فتاني مسل ، ثم يسكر الرجلان من النخيل ، يطوحان جريدهما مع الريح ، يقع الخرس الحلقا فجأة مهتاجة ، كيف يلفر الرجل بما جابت إمرأته له من أبناء رحمها ؟ المنجه .

من هنا بدأت رحلتي كل يوم ، من عند بيتنا على النخلة الصفراء الصغيرة حيث نلعب ، نحن لمة العيال ، نلعب على شفا اجتماع الرجال تحت النخلة في ضحى شتوي مشمس يلعبون السيجة أو يثرثرون أو ينعسون ، لكن عيونهم علينا والآذان ، ونحن نلعب ، نمد عالمنا الأخضر ما تطول أشواقنا ، وعيدان الحطب تستحيل إلى مهارى من حصان الخيل ، نركبها ، نطرد الجياد السابقين ، نسافر بها في الآفاق ، وعلى تصهل ، ونحن نزعق بفرساننا .. الحلق .. الحلق . وتأتي صيحة الرجال . لن كفوا !! نكف ، تمرق المطيات من أصلابنا ، من زينتها ، من بهجتها ، من نشاطها العارم ، نلقى بأعوادنا ، نلقى بها في عرض باحتنا ، ندوسها ، نمشي من الغرب إلى الشرق ، من أول الجرن حتى آخره ، نمشي ناحية الحقول ، بذلك يبدأ الزرع أو الغيطان ، ونكون جمعاً .

أهي السلالم الصيحة المفرحة أجاءتنا ؟ والشمس

رجع النداء

الذهب تتلون بألوان المزروعات والأرض والماء . نجرى على شط الترعة . نخطف عيدان الخس من وسط مخمل البرسيم الكثيف ، وأعواد الحلبة . ثم نحط على غيط الجزر الذى حصد نبحث بأصابعنا فى الطين عما غفل عنه الحاصد ، فلو فعلنا من أناقة مالك الحزين فى لقط الديدان من شقوق الأرض ، ورشاقة الهداهد . نتزاحم كالأغنام على الجزرات ، يمتلىء فمنا بمختلف طعوم العصارات ، ثم تفيض من أشداقنا ، ثم نصرخ ونقفز من فرط التذاذنا ، ثم تطير سحابتنا ناحية الجرن ، أهذا اشتداد اللعب ؟ أم نداء قلوب الآباء على أبنائهم ؟

ثم مرضت شهورا طويلة ، وأبى بجانبى يلازمنى ، يمرضنى ، أطل فى عينى أبى ، أرى تقلب العلة والأوجاع . وبعد مابرئت ، أنظر ... وغابت العينان الرحيمتان بى . اتهمت كآبة غرفتى ، والحيطان . ثقل الحبس علىّ ، نهضت ، أمشى بآلامى ، أتلفت ، أنشد أبى .

من بيتنا بدأت البحث . أمشى مثقلا بأدوائى . أمشى بعض الشارع مابين صفى الدور حتى النخلة الصفراء . أخافنى خلو الساحة من الرجال والعيال . واصلت سيرى تحت النخل ، آه يا أبى !؟ هل تأخذ بيدى ؟ أمشى ناحية الغيطان ، بذلك يبدأ الزرع ، شرعت عينى ، التقتا بعينى أبى ، فرحان بقدومى ، إبتسامه يغطى الأفق ، تمتد يداه عبر الزرع تحملانى من تحت إبطى حتى أستريح فى دفء حضنه وأنام .

هذا البيت لم يعد لنا . يحوشنى الخجل عن تأمل ملاعب طفولتى . أمشى من قدامه لا التفت . هياكل الدور ورسومها تغيرت ، حتى النخلة الصفراء الصغيرة ، إنها طالت ولم تعد تعطى بلحاً فى المواسم . والجرن امتلأ بالدور . أمشى بين الصفين مثقلا بالعلة وكبر السن .

احتمل السلام ، ومصافحة الرثاء لى ، وضحكات العيال وفرارهم من هيئتى الغريبة .. أمشى خطواتى ، اشرع عينى ، يصادفان الصمت فى عمق الأفق . اكدح جهدى ، أغالب وحشتى وكآبة نفسى . أصل الخطوة بالخطوة الى قلب الحلم

.. ودالت دولة

الشعر العالمي

المعاصر

بقلم : محمود قاسم

هل نحن في زمن الشعر؟

سؤال يتبادر الى الذهن حين يجد المرء نفسه محاطا باكثر من الف شاعر عربي وعالمي جاءوا من شتى بقاع الارض من اجل القاء قصائدهم طوال ثمانية ايام كل منهم مشغول بترديد القصيدة العصماء التي سيلقيها امام كل هذا الحشد من الناس ..يروح يتناغمها ويحفظها ويعشق ابياتها ومعانيها . ثم يجد نفسه في قاعةفخمة وامام جمهور كبير .. فتسري فيه الحمية .. ويتحول الى وهج من النار وينطق شعرا ..

● أما الشعر .. فهو على رقاب العباد الجالسين يستمعون .. ولكل منهم حظه المرتبط بالقدر..فكثيرا مايصعد«مستشعرون» لالقاء قصائد ليست من الشعر في شيء . وتصيبهم حالة الالقاء .. ويطول زمن القصيدة المزعومة حتى اذا انتهى صاحبها منها .. طلع « مستشعر » اخر وكرر القاء ابياته الخاوية المعنى والحس فوق رقاب العباد ..

هذه الحالات المتعددة جعلت المرء يسال : اذا كان هذا هو حال الشعر والشعراء العرب .. فما هو الحال في العالم من حولنا .. ؟ .. تردد هذا السؤال أثناء مهرجان المربد التاسع الذي دعي لحضور جلساته العشرات من شعراء العالم .. وطوال أيام المهرجان كان هم المرء أن يحتك بهؤلاء الشعراء ويعرف ماذا حدث للشعر في البلاد التي ينتمون اليها ؟. ولماذا لم يعد الشعر هو لغتهم الاولى

مثلما يحدث في عالمنا العربي ؟..

خلاصة هذه اللقاءات والاتصالات أن الشعر العالمي المعاصر ليس في أحسن أحواله . وانه فن ينحسر مثل العديد من الفنون التي اكتسبت شعبية وحضورا فيما قبل . مثل القصة القصيرة والمسرح . وأن الشعر لم يعد فنا مميزا ، كسابق عهده في لغات عديدة من العالم .

والشعراء الذين التقيناهم يمثلون حالات شعرية . ولا نستطيع أن نجزم انهم افضل النماذج في بلادهم . ولكن اغلبهم معروف وله عطاء متدفق مثل برجيتا بوست (فنلندا) التي نشرت سبعة دواوين ، والياس سيمو بولوس من اليونان ، وهنري بيل من كندا . وماكس شوارتز من الولايات المتحدة ، وسيدني سلتون من مورشيوس ، وكيشتوف كونشروفسكي من بولندا ، ثم مظفر أوزجان ، وعلي بشكلو اوغلو من تركيا . فضلا عن اسماء عديدة من فرنسا وايطاليا والهند واليابان والسويد والنرويج وأمريكا اللاتينية وافريقيا واستراليا .

يمكن ان نوجز أهم الملامح العامة للشعر العالمي من خلال انطباعات اثناء هذه اللقاءات :

● بالنظر الى اغلب الشعراء الذين جاءوا الى المربد من اقطاب الارض ، سنجد ان قرض الشعر يأتي في مكانة تالية من العطاء الثقافي والنشاط الحياتي . فاغلبهم يمارس الصحافة أو النقد الادبي أو فنون أخرى كالتصوير والكتابة قبل ممارسة الشعر . وقرض الشعر ، في الغالب ، حالة من الاستفادة من موهبة متدفقة منحها الله للشاعر . وهي شهادة لا يجب كتمانها سواء كان هناك رد فعل ام لا ..

● ابتعد اغلب الشعر العالمي الحديث عن الاغتراب الادبي ، والتجريب الشكلي بصورة ملحوظة واهتم شعراء المربد من الاجانب بكتابة التعبير السلس الفهم . القريب من الاسماع والقلوب ..

● جاء ذلك ، لان الشاعر ـ خاصة في العالم الثالث ـ قد اهتم بالقضايا الانسانية العامة من خلال ما هو خاص مثل قضايا تحرر المرأة والحب والسلام العالمي .

● تخلى الشعر العالمي المعاصر عن غنائيته وثرائه وتنوعه ، وذلك مثلما جاء على لسان الباحث البولندي يانوش وانسكي : « وهذه من وجهة نظري صورة تبدو لي شبه قاتمة . وانني اشدد على استخدام قلمه . واخشى ، ولا اقول « أرى » . وهذا أيضا يتعلق بالمستقبل » .

واللغة الشعرية الحديثة جامدة . تقريرية اشبه بحجارة مرصوصة الى جوار بعضها ، خالية من الحياة . قد تكمن فائدتها في ان المرء يمكن ان يجد خلفها ظلا يتظلل به . مثلما جاء في قصيدة « النظر بمستوى الاطباق الطائرة » للشاعر كيشتوف كونشروفسكي من بولندا حيث راح يتحدث عن التلكس والشوارع والمدن

بمنطوق المخلوق المجرد من كل شيء يدور حوله · فهو يرى الاشياء تتحرك دون ان يهمه معرفة دوافع هذه الحركة ولا ابعادها ··

ايها الرجل اسكت

وقد اخترنا نماذج من الشعراء المحدثين ينتمون الى ثقافات مختلفة واجيال متعددة · واتجاهات ادبية عديدة · فالشاعر اليونانى الياس سيموبولوس ـ ٧٤ عاما ـ يمثل نموذجا واضحا لما يحدث فى الشعر خلال نصف قرن · حيث قدم اعظم اشعاره واغزرها انتاجا فى فترة ازدهر فيها فن الشعر عالميا · وعندما استشعر ان القرض لم يعد الفن الاول فى العالم ، اتجه الى النقد الادبى وتوقف عن العطاء تقريبا منذ اكثر من عشرة اعوام · فقد نشر فى الفترة بين عامى ١٩٦١ و ١٩٧٢ ستة دواوين امتلات فيها قصائده بحب الحياة وايمان بدور الشاعر فى التمازج مع عناصر الطبيعية المتناثرة فى الكون · ومن دواوينه : « منزل عش البلبل » · و « النهر العريض » ١٩٦١ و « شهادات » ١٩٦٨ · و « زهور جركير » ١٩٧٠ · و « كراس الارض » ١٩٧١ · ثم « الشهادات الصغرى » اخر ما نشر عام ١٩٧٢ · .وتتضح مدى أهمية علاقته بالشعر فى احدى قصائده التى كتبها منذ ربع قرن :

انا شاعر همجى
اعيش فى متسع ابياتى
وشعبى يتاوه
لا اقول شيئا عن مصيرى
فما فائدة يومى
سوى كى اتكلم عن الناس
ينتمون الى عصر قديم
سحيق فى قدمه ·

اما النموذج الثانى الذى اخترناه من الشعر العالمى فهو نموذج الشاعرة الفنلندية المعروفة برجيتا بوشت ـ ٤٨ عاما ـ وهى احدى المؤمنات بالحركة النسوية · ومن المعروف ان عضوات هذه الحركة من النساء يملن الى كتابة الرواية او الاخراج السينمائى اكثر من كتابة الشعر · وتعتبر برجيتا بذلك حالة فريدة فى النسوية وان كانت تمارس كتابة الرواية والمقال الى جانب قرض الشعر ·



الشاعر اليونانى اليلس سيمو بولوس



الشاعر الأمريكي ماكس شوارتز

وتعكس الشاعرة افكارها وايدلوجيتها فى قصائدها • فهى مشاركة دومـــا لكافة الانشطة النسائية فى اوروبـا • وفى عام ١٩٨٤ القت قصيدتها « سبع خطوات لمسيرة السلام » اثناء لقـاء القمة الامريكى السوفييتى الذى عقد فى هلسنكى • وكانت من بين ١٢٥ امـرأة مرن مشيا على الاقدام بين مـدينتى نيويورك وواشنطن (٥٠٠ كيلو مترا) من اجل دفع حركة السلام• وقد اخترنا ان نقدم لبرجيتا احـــدى قصائدها النسوية التى نترجمها عـــن اللغـــة الفرنسية :

ليس لدى نية السكوت •
فالرجال يعلنون ان مستعمرتهم لم تتقوض •
اعرف عن يقين
ان اغلب الرجال
لا يعرفون عم يتكلمون
ولا لمن يوجهون الكلام
او لماذا
انوى مقاطعة نقاشهم دائما
وان اسالهم : ماذا تريـــدون منا فعـلا •

ضميرك لا يعنى شيئا

ويمثـل الشــاعر ماكس شوارتز حالة من الابداع • فهو مصور• وممثل وشاعر •• وكما جاء على لسانه فهو رجل قادم من الماضى لا يؤمن بالحداثة• ويصر ان يرتدى ملابسه على غـرار رجال الوسترن الامريكى ـ رغم اصله الالمانى ـ ويمشط شعره مثلما يفعـل الهنود الحمر • وهو مشغول دائمـا بتصوير الاشياء من حوله • وهو يحمل على صـدره أربع كاميرات تصـــوير فوتوغرافى من احجام وانواع مختلفة يستعملها فى نفس الان لتصوير زوايا مختلفة لحدث واحد ••

ويفضـــل شوارتز كتابة المطولات الشعرية • وفى اشعاره يحمل كـــافة هموم الكون فوق تعبيراته المنتقضة • هموم عن الحـــروب • وهموم عن المجاعات • وغـــزو الاليات لحيـــاة الانسان الفطرى ، واغلبها ممـــزوج بهمومه الفردية التى تعبر عن تمـرد الشاعر ضد كل ما يراه فى مجتمعـه ، مثلما جاء فى قصيدته التى ترجمهــا عبد الواحد محمد :

انـا

مثل شجرة وقفت طويلا فى بطـــن الشمس
وقبلت الشفاه النارية وبشرتهـــا المتفخة
يداخلك شــعور انها تعرف انك اصبحت نفسه
وانك كائن حى
انت ، ماذا لو اقسمت ان تحمل
هذه النيران • وهذا المجتمع فـوق ظهرك
وعلى ملامحك للابد • وفى قلبـــك كذبة
من خلال الطريقة التى عرفت بانك تكشف فيها
عن مصيرك
وانك ضمير لا يعنى شيئا

وقد كشف شوارتز عن مكانة الشعر

في حياته من خلال الحديث الـــذى أدلى به لجريدة القادسية - ٣٠ نوفمبر ١٩٨٨ - حيث راح يتحدث عن الموسيقى وفرق الغناء الشعبية وفن التصوير · ولم يقترب من الشعر سوى في عبارات موجزة ·

في كل صخرة فلسطيني

يقترب الشعر في امريكا اللاتينية من بعض الشعر العربي الجاد · حيث تختلف احوال الشعر في دول العالم الثالث عن شكلها ومضمونها في دول العالم الاكثر ثراء · فالشاعر في امريكا اللاتينية ، يتجه الى القصيدة ليعبر بها عن مشاعر القهر والمعاناة الاقتصادية والسياسية والقصيدة هي انسب فنون الابداع لمثل هذه الحالات · مثلما فعل الشاعر الكولومبي خوان مانويل روكا في اغلب اشـــعاره المنشورة في دواوين مثل : « لقـــاء الغرباء » ١٩٧٩ و « رسائل مـن المنام » ١٩٨٠ · وفي قصـــيدته الى فلسطين يقول : (مترجمة عن خليل الخوري) ·

رأيت وردة تشبه منقار طوقان
رأيت ولدا يعزف على الكمان في المتنزه
رأيت الريح تمر مكسوة باشجار اللوز
بيد انني لن استطيع الكلام الان ·
الا عن وردة الدم ببيروت
وعن الولد الذي لا وجه له ·· في بيروت



الباحث العربي الفنلندي فاروق ابو شقرا

الا عن الريح المكسوة بالتأوهات ·
في كل صخرة يختبيء فلسطيني
الطريق الذي يؤدي الى بيتي يطول
لانني اتذكر وانا اسير
انه لو قيل ان فلسطينا غير موجودة
انئذ ·
ينتشر مركز حياتي في الكون
كله
يكون هناك خارج الخريطة
في بلد احلامي

والشعر على رقاب العباد

هذه نماذج من ابرز العطـــاءات الحديثة في الشعر العالمي ·· وقد راعينا في اختيارها ان تكون ممثلة جيدا لاقطار مختلفة في حضاراتهـــا وثقافتها · وكذلك ان تكون متباينـــة الاجيال ·· منها من تجاوز السبعين · ومنها ما هو اقل من الاربعين ·

السؤال الان : هل دالت دولة الشعر في العالم ؟ ·· وهل هي حالة نكوص مؤقت ·· ؟ أم اننا سنشهد لهذا جديدا مع مطلع القرن القادم لهذا الفن الذي لم يبرع فيه طيلة الامد البشري سوى اسماء قليلة ·· لكن من مارسوا كتابته كثيرون ·· والسؤال أيضا ·· اذا كان هذا هو ما يحدث في العالم ·· فلماذا كل هذا السيل الجارف الذي لا يتوقف من الاشعار العربية المسلطة على رقاب العباد ··؟



قانون لحقوق الحيوان

وافقت الحكومة والبرلمان السويدى عام ١٩٨٨ على مد مظلة الرخاء والتشريع لتشمل الحيوانات الداجنة ، وهكذا صارت مخلوقات من قبيل الابقار والخنازير والدواجن تتمتع بما يتضمنه قانون خاص بها من حقوق (!) ووفق عدد من الاجراءات التى بدات فى السريان صار محظورا أن «تعالج» بالمضادات الحيوية والهورمونات ، إن كان الغرض من ذلك مجرد تسمينها بهدف الاستفادة الاقتصادية ..

هذا كما صار من حق الدجاج الا يحبس فى «عششه» على مدار اليوم ومن حق الابقار والخنازير أن توفر لها فرص الوصول الى المراعى ومقالب القمامة .. ونص القانون على وجوب حماية كل الحيوانات من أية معاناة غير ضرورية عند الذبح ..

وكانت كاتبة الأطفال السويدية المعروفة استريد لندجرين (٨١ سنة) إحدى القوى المحركة لهذه الاجراءات حيث شرعت ، بعد عملها المشهور الذى سعت بطلته الشابة الى جعل حياة حيوانات المزارع قضية قومية ، شرعت ـ لندجرين ـ فى نشر مجموعة من الأعمال الساخرة ـ عادة ما كانت نماذج مكبرة لقصص الأطفال ـ اضفت فيها الصبغة الدرامية على ما تشهده حظائر الحيوان من قسوة وبلادة واججت هذه الأعمال من انشطة جماعات حماية الحيوانات وحين عرض قانون حقوق الحيوان على البرلمان السويدى فى يوليو الماضى اقره البرلمان بأغلبية ساحقة ..

وتؤكد مواد القانون على توفير ظروف حياة مريحة للحيوانات ، فكما تنص مواده يجب السماح للابقار بالرعى ، ويجب ان تتوافر للخنازير الأماكن الكافية للغذاء والنوم .. باختصار ضرورة اخذ مصالح الحيوان نفسه بعين الاعتبار عند تقرير شئونه وضرورة اختبار كل التقنيات الجديدة ، قبل استخدامها ، من حيث فائدتها وملاءمتها للحيوان ..

وبالطبع تحتج جهات عديدة على

القانون الجديد - كما احتجت من قبل على قصص لندجرين - فقد امتعض الفلاحون من القانون لأنه يصورهم فى هيئة المستبدين المسيئين للحيوان عن غير حق ، كما اعترضت مؤسسات الصناعات الغذائية عليه من حيث زيادته اعباءها المالية ، ذلك بينما يبدى البعض حيرتهم من الكيفية التى يمكن بها تطبيق مواد القانون الجديد ، فكيف يتأتى مثلا معرفة إن كان الخنزير راضيا وسعيدا عن هذا الاجراء أو ذاك ..

حبوب الاجهاض

خلال معركة الرئاسة الأمريكية كان الاجهاض بين المحاور التى دار حولها الصراع . وكان بوش (على خلاف دوكاكيس) يقف ضد الاجهاض باعتباره جريمة ، ووعد حال فوزه وتسلمه السلطة بالعمل على الغاء القرار الذى أصدرته المحكمة العليا الأمريكية قبل ١٥ عاما ، وأجاز حق المرأة الأمريكية فى التخلص من جنينها ..

وبعد نجاح بوش تخوض المنظمات والهيئات المؤيدة والمعارضة للاجهاض صراعا شرسا بينما تدعو بعض الأوساط العلمية للنظر الى جذور القضية واسبابها الحقيقية ، ومناقشاتها من منطلقات علمية وإقتصادية واجتماعية وتربوية .. بعيدا عن المصالح الانتخابية الضيقة ، حتى يتم التوصل إلى حل جذرى لها ، بالذات مع وجود مليونى أمريكية تقدمن على الاجهاض سنويا ..

وعلى الجانب الآخر من المحيط تدور معركة شرسة حول نفس القضية مع ظهور حبوب RU 486 التى تجعل الاجهاض عملية يسيرة آمنة لا تتطلب اكثر من تناول حبة مثل حبة الاسبرين (!) وتعفى المراة من مخاطر التدخل الجراحى .

وعلى اثر طرح هذه الحبوب فى السوق الفرنسية تعهدت جماعات مناهضة الاجهاض بمكافحة استخدامها حتى النهاية ، وقررت مقاطعة كل منتجات الشركة الصانعة ، من الأسبرين حتى المبيدات الحشرية ، كما أمطرت مديرى الشركة بتهديدات مختلفة فيما يخصهم ويخص عائلاتهم .. وكان نتيجة ذلك كله أن أعلنت الشركة الصانعة سحب العقار من السوق تغليبا للاعتبارات التجارية وعدم الاضرار بالموقف المالى للشركة ..

لكن قرار الشركة حظى بادانة فورية من أطباء الولادة وامراض النساء خلال مؤتمر دولى كانوا يعقدونه فى ريودى جانيرو ، وبادانة منظمة الصحة العالمية وغيرها من المنظمات المهتمة بصحة المراة .. هذا كما عبرت الحكومة الفرنسية ، على لسان وزير الصحة عن موقفها الحاسم الى جوار العقار - لصالح النساء والصحة العامة - وأمرت الشركة المنتجة (تملك الحكومة ٣٦٪ من اسهمها) بعدم سحب الدواء من التداول .. الجدير بالذكر أن الجدل كان قد انتهى فى فرنسا منذ عام ١٩٧٥ عند تقنين عملية

الاجهاض ، لكن يبدو أن التطورات على جانبي المحيط ستعيد مشكلة الاجهاض الى المشاكل الساخنة التى يعانى منها العالم المتمدين ..

اغتيال غاندى الامازون

كشف اغتيال فرانسسكو منديس الذى كان يعرف بغاندى الأمازون (يوم ٨٨/١٢/٢٢) عن ابعاد جديدة للمعركة الشرسة التى تدور بين الجماعات البيئية المختلفة والأوساط المناهضة لها .. إذ تبين أن منطقة الأمازون وحدها ـ على سبيل المثال ـ شهدت مقتل ١٠٠٠ من المتشيعين لحماية البيئة من ملاك الاراضى الى نواب البرلمان ، خلال ثمانى سنوات !!

والجدير بالذكر انه يجرى سنويا حرق ٢٠ مليون فدان من الغابات الاستوائية البكر فى منطقة الامازون ، ذلك بالاضافة الى القضاء على قبائل الهنود الحمر ، كما فعل ٤٠ الف من الباحثين عن الذهب عندما شردوا قبائل «يانوماني» بعد أن غزوا اراضيهم وقضوا على ماقيها من معالم حضارتهم ..

والمعطيات الجديدة التى تتكشف حول الصراع البيئى ماهى الا نذير جديد بمشاكل البيئة المتفاقمة التى اخذت تلح بشكل درامى على حياة المجتمع المعاصر

.. وقد تضمن جدول أعمال الأمم المتحدة لأول مرة خلال عام ١٩٨٨ مناقشة قضية المناخ الدولى بوصفه ميراثا عاما للبشرية ، وقد تقدمت مالطه بهذا الاقتراح مشيرة إلى الاخطار التى تهدد الكوكب عامة من جراء التاثيرات غير المحسوبة على المناخ ..

هذا كما شهد عام ١٩٨٨ تشريعات واجراءات تتخذ على مستوى دول باكملها مثل التشريع البرازيلى حول حماية غابات الامازون ، ومثل عمل جواتيمالا على زراعة ٥٢ مليون شجرة ، ومثل الاجراءات التى اتخذتها ٧ من بلدان امريكا اللاتينية .

لكن اغتيال منديس كشف عن ابعاد اكبر للمشكلة تتجاوز كثيرا انشطة المحافل العلمية والدبلوماسية والتشريعية ..

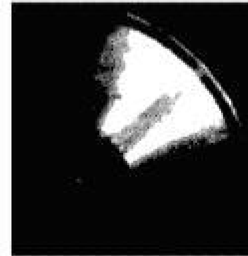
والأمل معقود على صوت العقل الذى اخذ بالارتفاع فى عالمنا خلال عام ١٩٨٨ ، حتى تكرس البشرية جهدا وإمكانات اكبر لمواجهة الخلل فى التوازن البيئى بالذات والكوارث التى تقض مضاجع البشرية (موجات الجفاف والفيضانات والاعاصير ..) لن تهدأ حتى يتم التوصل إلى حلول جذرية على مستوى الكوكب ككل .

طفـرة فـي تخزين المعلومات

فوق نظام التشغيل والبرنامج الخاص والمعلومات الخاصة الموجودة فى الكمبيوتر يحتاج التعامل معه إلى الاستفادة من كثير من المعلومات الأخرى والمتنوعة ، التى يمكن تغييرها وتعديلها حسب الظروف والحاجة .

وقد عمل المتخصصون منذ اختراع الكمبيوتر على ايجاد أفضل وسيلة يمكن أن يسجل عليها أكبر قدر من المعلومات التى يستطيع الكمبيوتر التعامل معها وكانت هذه الوسيلة فى البداية بطاقات ورقية مثقوبة ، ثم تطورت إلى شرائط واسطوانات مغناطيسية ، ومع أوائل الستينيات لم يكن فى الامكان تخزين اكثر من ٣ آلاف معلومة فوق كل سنتيمتر مربع ، لكنه بات بالامكان اليوم تسجيل واختزان ما يقرب من خمسين الف معلومة فوق هذه المساحة ..

ويرجع الفضل فى ذلك إلى الاسطوانة البصرية التى يجرى حفظ



المعلومات فيها وقراءتها بواسطة اشعة الليزر .. والطريف أن هناك أكثر من ٥٠ مؤسسة عالمية تعمل على تطوير (وليس مجرد إنتاج) هذه الاسطوانة البصرية ، بالاضافة إلى مايزيد على ٣٠ مؤسسة تتنافس على إنتاج أجهزة

القراءة والكتابة التي تتعامل مع هذه الاسطوانات .. والمتوقع أن تصل السوق الأمريكية ، فيما يخص هذه الاسطوانات ، عام ١٩٩٠ إلى أكثر من ٩ ملايين اسطوانة تزيد قيمتها على ٨ مليارات دولار ..

وتعتمد هذه الاسطوانة على حفر شعاع الليزر - أدق الاشعة المعروفة - ثقبا دقيقا أو نتوءا للتمييز بين مجموعات الواحد والصفر التى يعتمد عمل الكمبيوتر على ترجمة كل شيء عليها ، ثم يعود شعاع ليزر آخر ليترجم الثقوب والنتوء إلى معلومات مرة أخرى .. ويعود الفضل فى اكتشاف هذه الاسطوانة إلى تقنيات الفيديو البصرى ..

من الجدير بالذكر أن محدودية طاقة التخزين كانت أحد العوامل التى تحد من إمكانات أجهزة الكمبيوتر وتبقى وظائفها فى إطار العمليات الحسابية التكرارية البعيدة عن المناورة « والذكاء » ، مع التطورات التى تجعل هذه الطاقة بلا حدود من وجهة النظر العملية ، ينفتح الباب واسعا أمام أداء الكمبيوتر للوظائف « الذكية » ، كما يتضح فى الفقرة التالية .

برامج كمبيوترية ذكية



حتى وقت قريب كانت برامج الكمبيوتر محض براجماتية تصمم لمساعدة أصحاب الوظائف المختلفة، ومعالجي الأرقام، في أداء بعض العمليات التكرارية. لكن السنوات الأخيرة شهدت ولادة أنواع جديدة من البرامج الأكثر ذكاء، التى تستهدف إثراء حياة هذا أو ذاك من البشر، حتى أن أسرة جديدة من البرامج باتت تحمل تسمية mind ware، بعد أن ظلت البرامج، لعشرات السنين تحمل اسم Soft ware، إشارة إلى أنها تعمل بنفس الطريقة وبنفس الامكانات مع كل مستخدم لها..

والبرامج التي تحمل اسم mind ware، تركز على الجوانب السيكولوجية للمستخدم أكثر مما تركز على المشاكل العملية. وهي تحاول مساعدة الناس في الوصول إلى مستوى جديد من فهم النفس، والعيش بصورة صحيحة. ويعتمد بعض هذه البرامج على تقنيات الذكاء الصناعي، الأمر الذى يمكن مستخدمها من تمحيص الآراء ووجهات النظر مع الكمبيوتر.

وقد نشر أخيرا أول فهرس (كتالوج) يصف نحو خمسين من أكثر هذه البرامج تميزا. وبينها برنامج مرآة العقل الذى يمثل بعض ظواهر الحياة، ويهدف إلى تمكين المرء من التعامل مع أى نوع من الشخصيات بصورة فكهة ظريفة. هذا كما يحوى الفهرس عددا كبيرا من برامج تطوير الذات.. ويتوقع خبراء التعامل فى سوق البرامج أن تتحول برامج mind ware، إلى صناعة كاملة على مدى شهور..

انجاز ليزرى فذ

الدكتور أحمد زويل العالم المصرى الذى يترأس مركز معهد تكنولوجيا كاليفورنيا الامريكى لليزر (كالتيك)، والذى احتلت انجازاته عناوين الصحف خلال العام الماضى، قضى ثلاثة أسابيع أستاذا زائرا فى الجامعة الأمريكية

بالقاهرة ، وحاضر عن انجازه العلمى فى جامعتى القاهرة وعين شمس بالاضافة الى الكلية الفنية العسكرية ..

والليزر حزمة من الأشعة الضوئية الموحدة الاتجاه وطول الموجة (الضوء الطبيعى والعادى متعدد الموجات تنبعث اشعته فى كل الاتجاهات) تمضى مترابطة دون تشتت ، مما يميزها بخصائص مختلفة ، الأمر الذى فتح الباب امام استخدامات عديدة لحزم الليزر فى مختلف المجالات الطبية والصناعية والزراعية والفنية و.. دع عنك الاستخدمات العسكرية والعلمية البحتة ، مما جعل قوام صناعة الليزر يقفز الى عشرة ملايين دولار سنويا فى امريكا حاليا ..

والانجاز الفذ الذى حققه فريق د . أحمد زويل يتمثل فى التوصل الى نبضة ليزر يمكن ان تستخدم فى تصوير ما يحدث خلال اجزاء من المليون من الثانية ، بل وخلال أزمنة تقل مئات المرات عن هذه الاجزاء ، الامر الذى فتح الباب امام تصوير (وفهم أوضح) لكثير من العمليات الفائقة السرعة التى لم يكن امام الانسان من قبل الا التخمين عن كيفية حدوثها ..

فعلى سبيل المثال ظل الانسان يخمن طويلا ما يحدث فى التفاعلات الكيميائية التى تستغرق اجزاء من الثوانى ، دون ان تتاح له فرصة التأكد من تخميناته ، اذ كان الامر يتطلب طريقة تصوير اسرع



العالم المصرى احمد زويل

بكثير من سرعة التفاعل ، حتي يمكن ان تمتلك شريطا مصورا لما يحدث ..

ويقوم فريق العالم المصرى أحمد زويل اليوم بتوصيف ما يحدث بين العناصر البسيطة فى التفاعل الكيميائى ، مصورا مراحلها بالتفصيل عبر اجزاء من المليون من الثانية .. لكن الطريقة تفتح افاقا باهرة : فى المرحلة الأولى لفهم ما يجرى فى عالم الدقائق على اتساعه ، فمثل فهم نواميس تكون المادة الوراثية فى خلايا الانسان مثلا ، وتحديد نتائج تكون الاحماض الامينية والبروتينات .. الخ . الأمر الذى يمكن فى مرحلة تالية من معرفة الخلل الموجود فى مثل هذه العمليات (فى حالة الأمراض الوراثية مثلا) والعمل على تصحيح الخلل أو اكساب تفاعلات المواد الدقيقة ـ أيا كانت ـ خصائص جديدة ..

المائة الأعظم

بقلم : حسين أحمد أمين

ابن خلدون

١٣٣٢ - ١٤٠٦م

مؤسس علم الاجتماع ، ومؤرخ ، وصاحب اهم كتاب فى التراث العربى كله ، وهو ((المقدمة)) التى وضعها لكتابه ((العبر ، وديوان المبتدا والخبر ، فى ايام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من السلطان الاكبر » . وقد اعتمد ابن خلدون اعتمادا كبيرا فى تاريخه لدول المشرق العربى على من سبقه من المؤرخين ، خاصة الطبرى وابن الاثير . اما الفضل الاكبر لهذا التاريخ ففى الاجزاء الخاصة بشمال افريقيا التى تناول تاريخه واوضاعه بحياد وموضوعية خليقين بالاعجاب ، وبتوسع جعل الكتاب المرجع الرئيسى لتاريخ تلك المنطقة من الفتح العربى حتى زمن المؤلف .

ولابن خلدون مصنفات اخرى فى المنطق والرياضيات والصوفية ، وشرحان لديوانين من الشعر ، وسيرة ذاتية . غير انه بالاستطاعة القول فى يسر بانه لو ان جميع هذه المؤلفات فقدت ، بما فى ذلك كتاب « العبر » ، ولم يبق غير « المقدمة » ، لظل ابن خلدون يحتفظ بمكانته السامية فى تاريخ الفكر الانسانى دون ادنى انتقاص . وقد وصف المؤرخ البريطانى ارنولد توينبى هذه المقدمة بقوله : « ان ابن خلدون وضع فيها فلسفة وقاعدة للتاريخ لا نشك فى انها اعظم عمل من نوعه قام به عقل بشرى فى اى زمان ومكان » .

في التاريخ الإسلامي



يعالج ابن خلدون في مقدمته على ما نسميه الان « الظواهر الاجتماعية » (وما يسميه هو « احوال الاجتماع الانساني ») ، راميا الى الكشف عن القوانين التي تخضع لها هذه الظواهر فى نشاتها وتطورها · وهي قوانين لم يعن احد قبل ابن خلدون بالكشف عنها ، ولا درسها عالم قبله كما تدرس ظواهر الفلك والطبيعة والكيمياء ووظائف الاعضاء وما الى ذلك من العلوم · فقد كان المعتقد ان ظواهر الاجتماع خارجة عن نطاق القوانين ، وخاضعة لأهواء القادة وتوجيهات المشرعين ودعاة الاصلاح · فجاء هو مبينا انها لا تسير حسب المصادفات والاهواء ، ولا حسب ما يريده لها الافراد ، وانما تسير في نشاتها وتطورها ومختلف احوالها حسب قوانين ثابتة مطردة ، كالقوانين الخاضع لها القمر في تزايده وتناقصه ، والنهار والليل في اختلافهما باختلاف الفصول ·

وقد اعتمد ابن خلدون في بحوثه على ملاحظة ظواهر الاجتماع في الشعوب التي عاش بين اهلها ، وعلى تعقب هذه الظواهر في تاريخ هذه الشعوب وغيرها ، والموازنة بينها جميعا للتمييز بين العناصر الثابتة والطارىء العرضي ، ثم الانتهاء الى استخلاص القوانين ·

وعنده ان المجتمع ضروري للانسان ، لان الانسان مدني بالطبع · والنظم الاجتماعية تتغير من مجتمع لآخر وفق ما يكتنف المجتمع من عوامل تشمل المناخ والتضاريس والتربة والغذاء والموارد المعدنية والخصائص الذهنية والنفسية للشعوب ·· ويمر المجتمع البشرى باطوار متتالية شان الفرد الذى يمر بمراحل منذ ولادته حتي وفاته · وللدولة ايضا ـ كما للفرد ـ عمر طبيعي · وعمرها هو في العادة ثلاثة اجيال ، والجيل اربعون سنة ، فعمرها اذن مائة وعشرون عاما · وفي هذه الاجيال الثلاثة يمر المجتمع بمراحل اربع : البداوة ، وهي التي يقتصر الفرد فيها على الضروري في معيشته ، وتتميز بخشونة العيش ، وتوحش الافراد وبسالتهم · وبوجود العصبيات القائمة على النسب · ومرحلة الملك ، وفيها تتركز السلطة في يد شخص او اسرة او فئة · وهي مرحلة لا تختفي فيها العصبيات تماما ، بل تظل عالقة بعض الشيء في نفوس الافراد ، غير ان المجتمع يتحول اثناءها من الشظف الى الترف ، ومن البداوة الى الحضارة · ثم مرحلة الحضارة والنعيم ، وفيها ينسى الافراد عهد الخشونة ، ويفقدون روح العصبية والرغبة في الغزو ، وينصرفون عن الانتاج والعمل الى الملذات فيصبحون عيالا على الدولة ، وتقل كفاءة الحكام وتزيد غطرستهم وانغماسهم في المتع الحسية · اما المرحلة الرابعة فمرحلة الضعف والاستكانة وفساد الخلق والاضمحلال وتصبح الدولة فريسة سهلة للعدو الخارجي ·

ويورد ابن خلدون الى جانب هذه الفكرة الاساسية في المقدمة ، ملاحظات ثاقبة في كل من السياسة والاقتصاد والدين واللغة والتربية والتعليم ، منها : « أن الامم الوحشية اقدر على التغلب على من سواها » ، « وان المغلوب مولع ابدا بالاقتداء بالغالب سواء في الزى او السلوك » ، و « ان الدعوة الدينية اذا اضيفت الى العصبية صارا مزيجا لا يمكن مقاومته ، ويزيد من قوة الدولة وقت نشاتها » ، و « ان الزراعة انما يعتمد عليها في معاشها الامم المستضعفة لما تجره في رايه من مذلة » ، « وان الصناعات انما تزدهر بكمال العمران الحضاري وتتحسن نوعيتها وتكثر اذا زاد الطلب عليها ، فاذا هرمت الحضارة في احد

الامصار تدهورت الصناعة فيه » ، « وان اقتصاد الدولة يظل سليما مزدهرا طالما كان ثمة توازن بين نشاط الفرد وروح المبادرة عنده وبين سيطرة الدولة ٠فالقيود التعسفية تضر بالنمو الاقتصادى ، والظلم احد العوامل المؤدية الى خراب الدولة، والتربية عنده عرضة للتغير تبعا للتغيرات الاجتماعية ٠ وهو لا يجيز للمعلم ان يلجأ الى العنف والقسوة مع الطالب لان من شانهما ان يضرا باخلاقياته وسلوكه الاجتماعى ٠ وغاية المعلم ينبغى ان تكون تعهد ملكات الطالب بالرعاية حتى تتفتح وتزدهر ، وتعويده السلوك القويم لا عن طريق التلقين وحده ، وانما ايضا بان يكون المعلم هو نفسه قدوة لتلميذه ٠٠ ثم مئات ومئات من الملاحظات المماثلة التى يصعب تلخيصها فى هذا الحيز ٠

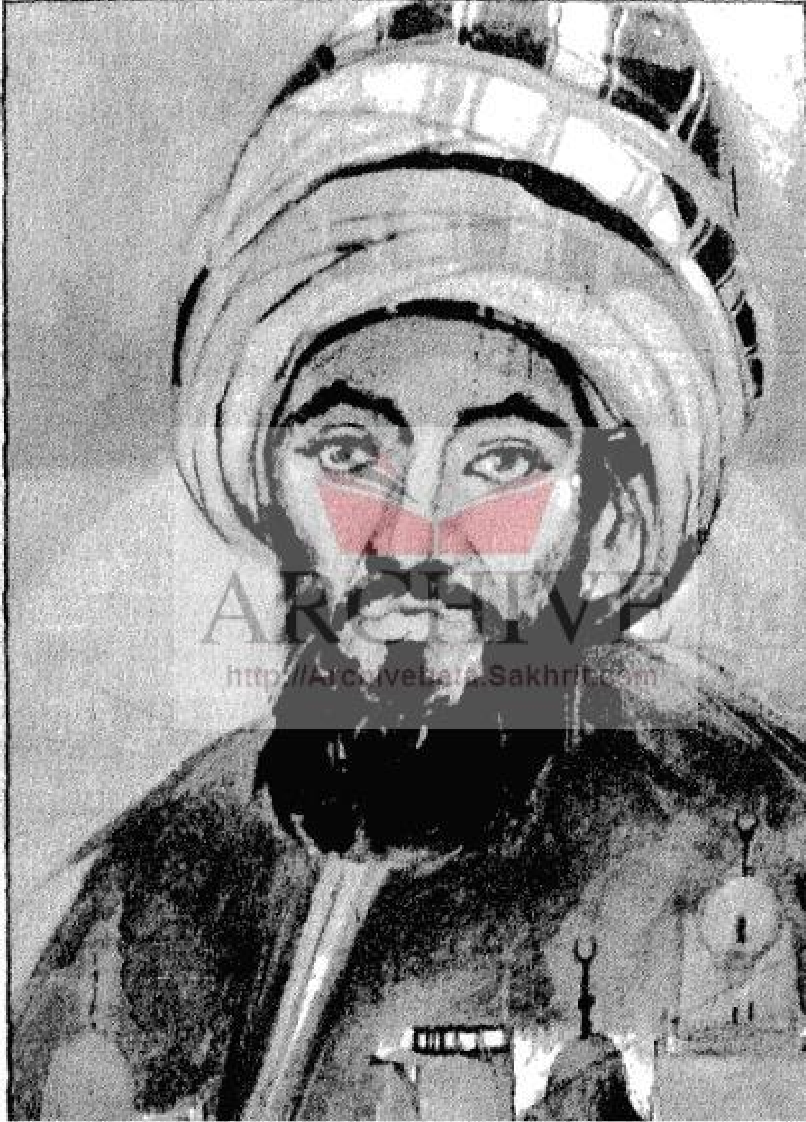
وقد تردد العرب فى تقدير الفضائل العلمية لابن خلدون زمنا طويلا ، ونقموا عليه ملاحظاته عن العرب ، كقوله « ان العرب لا يتغلبون الا على البسائط » ، و « انهم اذا تغلبوا على اوطان اسرع اليها الخراب » و « ان معظم من اشتغلوا بالعلوم فى الدولة الاسلامية كانوا من الفرس لا العرب » ، ووصفه للشعب المصرى بانه اميل الى اللهو والعبث وعدم الاكتراث بالمسئولية ، «يتصرف وكانما قد فرغ من يوم الحساب ! » وهو موقف من العرب دعا وزير المعارف العراقى عام ١٩٣٩ من اجله الى ان ينبش قبر ابن خلدون وان تحرق كتبه ! وقليلون هم المثقفون الذين اعترفوا بفضله قبل بداية قرننا هذا ، واشهرهم المقريزى ، ثم محمد عبده الذى لفت الغربيون نظره وهو فى اوروبا الى ضرورة اهتمام العرب بهذا الفيلسوف ابن خلدون دراسة علمية رصينة ، وذلك فى رسالته التى كتبها بالفرنسية عام ١٩١٧٠



اشهر علماء الحديث ٠ تعتمد شهرته على جامعه فى الحديث « الجامع الصحيح » الذى يعتبره اتقياء المسلمين « اجل كتب الاسلام وافضلها بعد كتاب الله ».

كان ميدان الحديث فى زمنه قد اضحى بحرا خضما يختلط فيه الصحيح بالزائف ، والحقيقة بالخرافة ، قد اتخذه قوم بضاعة يطلبون بها ما عند الناس ، وضيعوا حدوده ، واستدروا به الولاة ، واستطالوا بروايته على الكافة ٠٠ وقد اثار هذا الاضطراب الضارب اطنابه جزعا حقيقيا لدى لفيف من الاتقياء واجلة علماء الدين ٠ راعهم ما يحدثه الاختلاق من اثر ضار فى تكييف دين الاسلام وخشوا ان يتعرض هذا الدين لذات الخطر الذى تعرضت له الاديان قبله اذ انصرف اتباعها عن كتبهم المقدسة الى قراءة كتب احبارهم ٠ وقد عمد بعضهم

من أجل محاربة اختلاق الاحاديث الى اختلاق الاحاديث التي تنهي عن اختلاف الاحاديث ! غير أن البعض الاخر - كالبخـارى ومسلم - ابى أن يهبط الى هـذا الدرك ، واقبل على وضع اسس لعلم الحديث والمعايير الصارمة الواجبة لانتقـاء الاحاديث الصحيحة . وقد روى البخارى أنه انما اضطلع بمهمة جمع الصـحيح



من الحديث حين رأى نفسه في المنام يطرد الذباب عن النبي ، وفسر له أحدهم الذباب بأنه تلك الأكاذيب التي اقحمت على أحاديث الرسول ٠

وقد اظهر البخاري في اختياره للأحاديث براعة فائقة ، ومحصها تمحيصا دقيقا ، كما انه كان عظيم الامانة في ايراد المتن ، وبذل جهدا لا يبارى لكي يصل الى اضبط ما يمكن الوصول اليه ٠ وكان المعيار الرئيسي الذي أخذ به هو التحقق من الرواة والمحدثين وهويتهم ، ومن تقوى رجال الاسناد وسلامة طويتهم ، وخلوهم من الاهواء الحزبية او المذهبية او القومية ٠ فان ثبت لديه توفر النزاهة والورع فيهم ، ولم يعرف عنهم كذبا متعمدا على النبي ناجما عن هوى او رأى او قلة دين ، اعتبروا ثقات ، وان ثبت الاتصال الزمني بين هؤلاء المحدثين وكتبة الحديث الواردة اسماؤهم في الاسناد ، اعتبر الحديث صحيحا ٠

وقد اجتمع لدى البخاري حين اقدم على تدوين صحيحه زهاء ستمائة الف حديث ، لم ير منها ما هو جدير بصفة الصحيح غير سبعة آلاف وثلاثمائة وسبعة وتسعين ٠ فان نحن نحينا جانبا الاحاديث المكررة في مختلف ابواب كتابه لم يبق من الاحاديث غير الفين وسبعمائة واثنين وستين حديثا (اى حديث واحد من بين اكثر من مائتي حديث تتناقله العامة) ٠

وكان انتقاء البخاري للأحاديث الصحيحة ـ كما قلنا ـ على اساس صحة السند لا المتن ٠ فالاسناد عنده هو « قوائم الحديث » ، ان سقط سقط ، وان صح السند وجب قبول الحديث مهما كان مضمون المتن ، وحتى ان تجافى مع المنطق او التاريخ الثابت ٠ ومع انتقادنا لهذا الموقف على اساس سهولة اختراع المدلسين لسلاسل ذهبية من الاسناد ، فلا مفر من الاقرار بأنه موقف ينطوي على تقوى خالصة ، ويقوم على اساس له منطقه الخاص ، اذ هو يرى أن عقول عامة البشر قد لا ترقى الى درجة فهم كل ما عناه الرسول بأحاديثه ، وانه من ابل الخيلاء والعجب الواهم ان نرفض كل ما قصر فهمنا عن ادراكه ٠

فان كان ابن خلدون قد دعا في مقدمته الى ان يكون اساس تمييز الصحيح من الزائف هو التمييز بين الممكن والمستحيل ، وان كان ابن عبد البر والنووي نفيا صفة الحديث الصحيح عن كل ما يخالف المنطق ويتجافى مع حقائق التاريخ ، فقد كانت الشكليات وحدها ، عند معظم مدوني الحديث ، هي الحكم بصدد صحته و ضعفه ٠ كل ما هناك هو انهم كانوا اذا ووجهوا بحديثين متناقضين صحيحي الاسناد ظاهرا ، ولم يكن من السهل تفضيل اسناد على اسناد ، حاولوا التوفيق بينهما ، فان تعذر التوفيق طبقوا نظرية الناسخ والمنسوخ ٠

كان شرط البخاري اذن في صحيحه ان يخرج الحديث المتفق على ثقة نقلته الى الصحابي المشهور من غير اختلاف بين الثقات الاثبات ، ويكون اسناده متصلا غير مقطوع ٠ وقد التزم بهذا الشرط في امانة يندر أن يتوفر مثلها في عالم من العلماء ، حتى لقد روى عنه قوله « ما وضعت في كتاب الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين » ٠ كما كان البخاري غاية في الحياء والتواضع رغم علمه الواسع ، وكان يقول : « أرجو ان القى الله ولا يحاسبني اني اغتبت أحدا » ٠ ويشهد على هذا كلامه في التجريح والتضعيف ، فان اقصى ما كان يقوله في المحدث الساقط او المتروك : « فيه نظر » ، او « سكتوا عنه » ، ونادرا ما كان يقول صراحة : « فلان كذاب » ٠

أبو العلاء المعري

٩٧٣ - ١٠٥٧ م

شاعر وكاتب فلسفي عربي من معرة النعمان شمالي الشام . ويشير اللقب الذي يطلق عليه احيانا ، وهو ((رهين المحبسين)) الى لزومه داره والى فقده بصره نتيجة اصابته بالجدري وهو في الرابعة .

والمعري ظاهرة فريدة وغير متوقعة في الادب العربي ، ولا عرف معاصروه من المسلمين كيف يصنفونه وقد حيرهم شعره ، واراؤه الفلسفية ، وبعض مظاهر سلوكه ، كتحريمه على نفسه اكل الحيوان والطير ، متاثرا في ذلك بالفلسفة الهندية . وقد اختلف الناس في امر عقيدته ، وهل كان ملحدا او مؤمنا . واكثر الناس على انه كان متشككا . ولعل اكبر ما احفظ اعداءه عليه حملته على رجال الدين في عصره ، وطعنه في اولئك الذين يعرضون تدينهم على الناس جهرا في رياء ونفاق . والمؤكد ان في ارائه جراة لا عهد لنا بها في غيره من كبار كتاب العرب وشعرائهم .

اتخذ العقل رائدا ، وحكم على الناس والاشياء بحرية بدت شائنة لدى الحكام والطبقات العليا في عصره . وقد بدا منه في خضم تاملاته في المأساة الانسانية بغض عنيف للظلم والنفاق والخرافات ، وسخرية بحماقات البشر ، وتصوير لزمنه ورجاله دون وجل او محاباة . وقد كان في قصائده الاولى المجموعة في ديوانه «سقط الزند» مجرد تلميذ للمتنبي . غير انه في «اللزوميات» شق لنفسه طريقا مستقلا ، وبرز انسانيا عظيما ومفكرا عقلانيا صارما . ومن الطبيعي ان يجد المحدثون عقلية اقرب اليهم واشبه بهم من عقلية غيره من مفكري العرب .

ومع ذلك فانه مما يفسد علينا بعض الشيء لذة مطالعة شعره (خاصة اللزوميات) ونثره (واشهر كتبه النثرية « رسالة الغفران ») ما يتميزان به من تكلف وصنعة واغراب وشطط ، وما فيهما من تشبيهات غامضة ملتوية واستعارات بعيدة . وكثيرا ما يكون فيهما اسراف في اظهار علمه باللغة ، فاذا به يورد الكثير من الغريب الذي لم يقصد به الا غرابته .

فاما عن موضوعاته ، كالزهد والتشاؤم والاحتقار لامال الناس وامانيهم ، وغرور البشر وجهلهم ، وحيرة العقل في فهم الكون وتخبطه في معرفة الحقيقة ، فجلها امور سبق للكثيرين الخوض فيها . وامتلاء شعره بهذه الموضوعات جعل الكثيرين يرونه ليس من الادب ، وانه الى صنع الفلاسفة اقرب . ومع ذلك ، فان قوة تعبيره ، وصدقه ودقته ، وقدرته على ان يجعل من ادبه مرآة ناصعة لعقله القوى وشخصيته الفذة معا ، جعلته من أحب

المؤلفين العرب الى نفوس المثقفين العرب في القرن العشرين ، خاصة ممن تاثروا بالفكر الغربي ·

ولم تكن فلسفة ابي العلاء سلبية كلها ، فقد كان يؤثر الورع والاستقامة على الصوم والصلاة ، ويرى ان الانسان الصحيح الايمان هو الذي يحارب الشر في نفسه وفي مجتمعه ، ويتصدى بالمقاومة لاولئك الذين يستغلون استعداد العامة للخنوع وللتصديق الخرافات ، بقصد اكتساب السلطة والمال · غير انه لا مفر كذلك من اعتباره المتشائم الاكبر في الفكر الاسلامي والعربي ، شديد الشبه بشوبنهاور في الفكر الغربي ، ينظر الى الفناء على انه خلاص سعيد من حياة فانية ، ويرى اثما ان تنجب الابناء فنعرضهم لالوان الشقاء المختلفة التي يتعرض لها كل كائن حي ·

أما عن كتابه « رسالة الغفران » الذي يتحدث فيه عن الشعراء الزنادقة الذين غفر لهم ورفعوا الى الجنة (وهي مكان حوادث القصة) ، فقصة جريئة خلط فيها الجد بالهزل ، وسخر فيها من العقائد والافكار الشائعة عن الحياة الاخرى ، وضمنها قدرا ضخما من المعارف المتنوعة ، وحديثا طويلا عن الزنادقة ومعتقداتهم · وقد جاء بعده بقليل ابن شهيد الاندلسي فقلد الرسالة في كتابه « التوابع والزوابع » · وكتاب ابن شهيد هذا هو الذي يرجح ان يكون دانتي قد تأثر به في كوميديته الالهية لا كتاب المعري · غير ان الراجح كذلك ان يكون كل من المعري وابن شهيد قد اخذ الفكرة من المقامة الابليسية في مقامات بديع الزمان الهمذاني ·





● حول أدب أكتوبر ●

● بقدر ما أسعدني نشر كلمتي حول (أدب اكتوبر) فيهلال ديسمبر ٨٨ أتعسني رد الدكتور الطاهر مكى على مقال الناقد أحمد محمد عطية فقد ابتعد هذا الرد تماما عن تقاليد الحوار وحدود الموضوعية حين اقتحم بلا حذر متاهة التجريح ، ومنحدر التعالى الذى لا يليق بأستاذ يعرف قدر الكلمة ، ويدرك قيمة الجهد الانسانى .

.. ان ما ورد فى رد الدكتور مكى فى عنفوانه تحول بكل الاسى والاسف الى وثيقة ضده ، وضد كل أعيان النقد فى زمن الاقطاع الادبى ..

.. سامح الله د. الطاهر ، فقد ضغط فى رده وبكل قواه على جروحنا المزمنة ، وكثف الظلام حولنا .

محمد السيد سالم

● ملاحظات على العدد الماضى ●

● أرجو أن تتقبلوا بصدر رحب هذه الملاحظات على عدد يناير ١٩٨٩ من « الهلال » فقد كان رائعا ولكن روعته لم تستطع اخفاء النواقص التالية :

ـ موضوع « المائة الاعظم » ملخص من دائرة المعارف الاسلامية ، وهذا الموضوع غير موجود فى فهرس المجلة .

ـ كلمات الصور فى موضوع « فن التصوير » ليست دقيقة ، فمثلا صورة سيد درويش بصفحة ١٠٧ كتبتم تحتها « سيد درويش ١٨٩٢ ـ ١٩٢٤ » أى أنه ولد سنة ١٨٩٢ وتوفى سنة ١٩٢٤ والصواب أنه توفى سنة ١٩٢٣ ، وقلتم : « وقد أصابته البدانة بشكل ملحوظ » وهذا غير دقيق لانه كان ضخم الجسم طولا وعرضا ـ كما خلقه الله ـ ولم يكن بدينا بسبب مرض من الامراض ، وقد ماتفجاة بلا مرض.

ـ فى صفحة ١١٧ صورة كتبتم تحتها : « الملكة نازلى مع فاروق وبناتها الثلاث » .. وليس فى الصورة فاروق ، كما أن الملكة نازلى وبناتها غير موجودات ، وانما الموجودة هى الملكة فريدة فى ليلة زفافها، وحولها ثلاث طفلات وطفل واحد وكانت مهمته ومهمتهن حمل ذيل فستان زفافها ، وبعد أن حملوه كافأتهم بصورة تذكارية معها ..

ـ فى صفحة ١١٩ صورة مكتوب تحتها : « لطيفة النادى .. أول



قائدة طيران مصرية » .. والاسم محرف وصوابه : « لطفية » ولم تكن أول قائدة طيران ولا اخر قائدة ، بل كانت أول طيارة مصريـة ، أى مجرد قائدة طائرة لا قائدة طيران ، والفرق كبير ، والدقة ضرورية ..
في صفحة ١٢٧ كتبتم : « الامير فؤاد الاول .. الخ » المعروف ان الامير لا يلقب بالاول ولا بالثانى ، وانما صار الامير فؤاد يلقب بالاول عندما اصبح ملكا على مصر سنة ١٩٢٢ .. فصار اسمه ولقبه « الملك فؤاد الاول » وذلك بعد صدور تصريح ٢٨ فبراير المشهور .

– في صفحة ١٢٢ صورة تحتها : « الجنود الانجليز في طريقهم الى مدينة دنشواى » .. وقد كانت دنشواى « قرية » ، لا مدينة ، ودخلت التاريخ باسمها : « قرية دنشواى » وتسمى في الوقت الحـاضر « الشهداء » وهى من « مدن » محافظة المنوفية ..

– اخر الاغلاط غلطة مطبعية ، ففى صفحة ١٢٢ صورة لعبد الناصر وخروشوف ، مكتوب تحتها اسم « خروشف » بدون الواو التى بعد الراء ، فتحول من اسم رجل الى اسم خضار الخرشوف !! ..

« قــارىء »

● تعـليق الهلال :

– ملاحظاتك على كلام الصور كلها صحيحة ، أما قولك ان موضوع « المائة الاعظم » منقول من دائرة المعارف الاسلامية ، فغير صحيح ، لان المعلومات التى يتضمنها الموضوع موجودة في جميع المراجـع التاريخية التى كانت مصدرا لدائرة المعارف ، فضلا عن أن الموضـوع يتضمن وجهة نظر الكاتب ، وقد سقط اسم هذا الموضوع من فهـرس الهلال سهوا ، فمعـذرة ..



● شهر فبراير ●

● بمناسبة شهر فبراير الحالى ، ما هو أصل اسم هذا الشـهر وما هو الشهر المقابل له في الشهور العربية ؟!

حسن رجب سليم – جرجا

● تعـليق الهـلال :

– فبراير اصله باللاتينية « فبرواريوس » وكان في التقويم الرومانى هو الشهر الثانى عشر من السنة ، وكان مارس بداية السنة ، واسـم فبراير مشتق من فعل في اللغة اللاتينية معناه النقاء والطهارة ، وليس في الشهور العربية القمرية ما يقابل فبراير ولا اى شهر في السـنة الميلادية ، لان الشهور العربية قمرية والشهور الميلادية شمسية .. ولكن العرب استعاروا التقويم السريانى وفيه كلمة « شباط » وهو الشـهر المقابل لفبراير ومعنى شباط بالسريانية « شهر النوم » ! ..

أهلا

أنت والهلال

● آسر ؟ .. ●

ارمني يا دهر .. في تيه الصحاري
والقفار
واجدل الليل على عيني .. سورا
وجدار
واخنق الانفاس في صدري ..
وصادر كل نسمة
واعصب الشمس اذا شئت ..
وقيد كل نجمة
ثم دعني .. في متاهات الضياع
لا تقل اني اموت
فانا حي .. سابقى ..
انسج الفجر بنور الامنيات
واغاريد الصغار
انت لن تقتل في الامنيات
لا .. ولن تخرس انغام الصغار
ارمني يا دهر في تيه الصحاري
والقفار
وانتظر حتى اعود
فانا سوف أعود

نصر عبد القادر

● الى المجمع اللغوي ●

● راجعت مادة « شكل » في « المعجم الوسيط » بغية العثور على جمع كلمة « مشكلة » لان من الشائع جمعها على « مشاكل » وهناك تخطئة لهذا الجمع والصواب جمعها على « مشكلات » غير أن المعجم لم يذكر الكلمة بالمرة وذكر كلمة « المشكل » بمعنى الملتبس ولم يذكر جمعها ، وهكذا لم أستطع الافادة من المعجم بوجود ضالتي المنشودة ، وهو من اعداد أهل اللغة ، هذا في الوقت الذي ذكر فيه معجم « المنجد » الكلمتين « مشكل ومشكلة » بمعنى الامر الصعب أو الملتبس وجمعهما على « مشاكل ومشكلات » والمرجو ممن له صلة بهذا الامر في المجمع اللغوي توضيح الجمع

الصحيح . وان كنت مع الذين يخطئون جمعها التكسيرى ويقرون جمعها الصحيح أعمالا لقاعدة تقول ان كل ما جرى على الفعل من اسمى الفاعل والمفعول وأوله ميم فبابه التصحيح ٠٠ نحن فى الانتظار كما نرجو تلافى هذا النقص فى الطبعات التالية اذ لا يليق أن يسبقهم « المنجد » الذى أعز بجهد خاص فى الوفاء .

احمد قاسم احمد

قنا - ش على بن أبى طالب

● الحقيقة ●

● نظمت أبياتا من الشعر التفعيلى ، من بحر الرجز ، وهذه هى الابيات ، فارجو ابداء رأيكم :

تكورت مثل ثمرة البرتقال واستدارت
سطعت على الكون فى كرم حاتمى
فظهر كل شىء « واضح » جدا واختفى الظلام الذى سيطر « كثير » على الكون .
بدت المبانى بكل علوها وشموخها .
اختفت خفافيش الظلام والفئران المذعورة من عتمة الليل
بدت الحياة « مملؤة » « افراح » ومسرات
ولكن اختفت البسمة من فوق شفتيه وليدا صغيرا
لم يبلغ « الاحدى عشرا شهرا » فنظرت له وقالت له هكذا هى الحياة
فاختفت البسمة مرة أخرى وظهر « شحوبا » على وجهها
واحتضنت وليدها فى ابتسامة وبشر وحب

أوفى عبد الله الانور
بكالوريوس علوم
سوهاج



● **تعليق الهلال :**

— الحقيقة يا عزيزى أن هذه السطور ليست شعرا من بحر الرجز ولا من أى بحر آخر ، وانما هى نثر خالص ، وقد استثمرت فيها الاغلاط النحوية واللغوية ووضعناها لك بين أقواس لتتعرف عليها ، وأشدها وأكثرها سوءا ، خطؤك الذى تقول فيه : « الاحدى عشرا شهرا » ٠٠ فما هذه الاعداد يا عزيزى ومن أية لغة هى بالله عليك ؟! ٠٠ حاول أن تشغل نفسك بالعلوم لا بالشعر ٠٠

• إلى أم كلثوم فى ذكراها •



لماذا نموت مع الحب ...
كالعطر ينمو مع الزهر ...
ماذا لو اقتاد أهل الهوى خطو قلبى
الى جنة القرب ، لم يتركوه
لدى الباب .. يحضن أطلال احبابه ...
بعد ترحالهم تحت شمس الاصيل
تميل وتغرب .. كيما يعود
الى قصة الامس .. أين شدوت
فصوتك ـ فى كل وقت ـ ربيع
وقلبى يمام يحوم

عبد الرحيم الماسخ
سوهاج

• تشيكوف •

• لماذا يشبهون نجيب محفوظ بالقصص الروسى تشيكوف ، فهل السبب أنهما فازا بجائزة نوبل ، وما هى حقيقة الموهبة الادبية لتشيكوف ؟ ولماذا لم يحصل العقاد والمازنى والدكتور هيكل على جائزة نوبل ؟!

عبد الرءوف وهبى البطل
دمنهور

• تعليق الهلال :

ـــ اعتاد النقاد تشبيه أديب بأديب ، وقد تاثر بتشيكوف كل من طالع قصصه ومسرحياته ، ولكن لم ينسج على منواله كل من طالعه وأعجب به .. وتستطيع أن تقول أن نجيب محفوظ قرأه واستفاد منه ولم يتاثر به ، لان تكنيك نجيب أكثر تطورا من تكنيك تشيكوف ، ونقصد بالتكنيك « بالنون بعد الكاف » الاسلوب الفنى الشامل ، ثم أن نجيب محفوظ متقدم على تشيكوف بمرحلة تاريخية .. ولم يحصل تشيكوف على جائزة نوبل فقد توفى سنة ١٩٠٤ وهو فى الرابعة والاربعين من عمره وكانت هذه الجائزة يومئذ فى سنتها الرابعة لانها بدأت سنة ١٩٠١ ولعل تشيكوف لو عاش عشر سنوات أخرى لحصل عليها ، ولكن هذه الجائزة لم

يحصل عليها أحد من الادباء الروس الا سنة ١٩٥٨ عندما حصل عليها باسترناك .. أما العقاد والمازنى وهيكل والادباء المصريون فلم تكن لجنة نوبل تعرف عنهم شيئا ، لان مصر كانت فى وقتهم مجرد مستعمرة بريطانية ولم يكن للادب المصرى وزن عند الاوربيين.

● الحب والأمل ●



نادى الحداة وما فى الركب من أحد
يرنو اليك فما يبكيك يا رجل
ان الجراح التى ما زلت تلعقها
ضاق الحداة بها والركب والسبل
سلمى صباها استوى منكل ناحية
وانت صبحك ريث والصبا عجل
فاطو الجوانح انا لا صديق لنا
والشامتون كثير ، حسبك الامل

محمود عبد الحفيظ عبد العزيز
كفر صقر

● مقالة بهاء الدين ●

● سررنا بمقالة الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين فى عدد يناير الماضى .. حبذا لو نشرتم فى كل عدد مقالة موجزة لكاتب كبير تتصدر العدد بعد باب « عزيزى القارىء » .. كما أعجبنا بفكرة باب « الكلمة الاخيرة » فى الصفحة الاخيرة من هلال يناير، ونرجو أن يتداول الكتابة فى هذا الباب عدد من كبار الادباء والصحفيين المصريين والعرب ..

سميرة احمد رجب
الاسكندرية ..

• انفلات العبير •

واخشى عليك من القسوة المستبدة بين زوايا العيون ..
اخاف على قلبك اللؤلؤى اذا كدرته عواصفك المحكمة ..
تنوشينه باحتدامات ليل الظنون ..
وتشتعلين مع اللحظة المعتمة ..
واخشى عليك انفلات العبير اذا قطرته الشفاه ..
واخشى عليك من العابرين لروضة حسنك ، كى يسرقوا منك
بعض العبير ، وكى يرشفوا من رحيق الورود ..
ومن فوح هذا الرضاب الرطيب الودود ..
فان فشلوا باح ثغرك فى صده بالشذى ،
بسحر حدائق ، « بابل »
ففى الحالتين ، هم الكاسبون ..

جميل محمود عبد الرحمن
سوهاج

• العشق الطفولى •

يولد النبلة فى شرفة بيت ..
فى (سويس) الياسمين القمرى ..
فاذا اقبلت الظلمة من آخر بستان مسائى
اضاءتها القناديل التى تسكن فى دمع حبيبى
هادئا كانت على الشرفة فى بوح السماء
نقطة رائعة التكوين محمولا على العمر ..
بدايات من الركض الطفولى على الشاطىء
فى حلم المغيب
ايها الساكن فى جرح اشتياقى البدوى
من ترى يرضع خبزك من القمح ..
ويؤوى بين فوضى شعرك الطفل حنين الكستناء
هذه قافلة العشق الطفولى
وهذا أول العمر الأليف المخملى ؟!

عبد الناصر عبد الرحيم أحمد
السويس



● مع الأصدقاء ●

● رفعت عبد الوهاب محمد المرصفى ـ شبرا ـ القاهرة :

ـــ قصيدتكم « اشراقات رمضانية » ـ من بحر الكامل ـ تقول فيها أشياء حسنة ولكنها لا تزيد عما يقوله الناس فى كلامهم العادى ولا يصح أن تقف على كلمة « هلالك » فى الشطر الاول من البيت الذى تقول فيه : « ما لن يطل على الربوع هلالك ٠٠ حتى يشاء الكون بالانوار » ٠٠ ولو قلت « هلاله » لصح لك وزن هذا الشطر ٠٠ ثم انك تجمع كلمة « شهر » على « اشهار » والصواب « شهور » و « أشهر » ٠٠

● رمضان الهجرسى :

ـــ تقول فى قصيدتك « قبل الميلاد » هذه الكلمات : « يا من فى رغيف الشمس ، عجلت بسماء الحرية ٠٠ هذا لمسانى تشطره البيد » ٠٠ فهلا قلت ما يسهل فهمه !؟ ٠٠ شعرك يشبه معركة بين الالفاظ والاستعارات البعيدة ، وكلمة من الشرق وأخرى من الغرب ! ٠٠

● الحسين محمود خضيرى ـ الاقصر :

ـــ كلامك الذى بدايته « اذا ما اتوك بزيف الخبر » كلام موزون ولكن يجب البحث عن معان للكلام ٠٠

● جمال عطا أحمد ـ اسيوط :

ـــ الاوزان فى قصيدتك صحيحة ولكن أين مضمون الكلام !؟

● عماد رفعت السيد بكير ـ قويسنا ـ طالب ثانوى :

ـــ محاولاتكم فى الشعر طيبة ، ولكن لا تشغل نفسك فى هذه المرحلة من حياتك بغير دروسك ! ٠٠

● سعيد عبد الله سعيد ـ عدن ـ اليمن الديمقراطية :

ـــ نشكركم على حسن ظنكم ، اما روايات الهلال فلها شكل خاص فى الطباعة لا يمكن تغييره وفقا لكل رأى يصل الينا من اعزائنا القراء ٠٠ ومع ذلك فان شكل غلاف الروايات دائم التجدد من عدد الى عدد ! ٠٠

● عبد العزيز العراكى ـ تربية المنصورة :

ـــ أبياتك التى تقول فيها : « جينا طفل صغير جاهل ٠٠ غير شرعى عجوز فى الطفولة » ليست من الشعر الذى نرجو أن تتمكن من نظمه عندما تنضج أدواتك ٠٠ لا تتعجل فمازلت طالبا ناشئا ٠٠

● ونشكر اصدقاءنا : وائل وجدى ٠٠ هشام محمد عبد الوهاب ٠٠ ماهر مصطفى أحمد ٠٠ أشرف محمد عبده البكلاوى ٠٠ خالد محمد غازى ٠٠ سعيد لمعى جرجس ٠٠ ابو بكر محمد محمد حسانين ٠٠ رفعت محمد بريونى ٠٠ حسين علام ٠٠

الكلمة الأخيرة

إن العمارة التى تناسبنا هى عمارة آبائنا ، أما العمارة الغربية (عمارة أنكل سام) فكل خطوة وراءها دولار ، بمعنى أنها مكلفة للغاية ولا تتناسب مع قدراتنا ، وعلينا بالتالى أن نعود إلى تراثنا القديم فى العمارة الإسلامية ، والتى تشكل عمارة المستقبل ، خاصة أنها تحيط الإنسان بالنواحى الروحية والمادية .

وفى رأيى أنه لا يوجد على الإطلاق أى تعارض بين المحافظة على الطابع الأصيل للعمارة ، وحركة التوسع العمرانى .

وإذا أردنا أن نتحدث عن العلاقة بين الكم والكيف فى مجال العمارة ، فلا يعبر ذلك بالضرورة عن تناقض ، بل على العكس فى كثير من الأحيان يكون الكيف مؤثرا فى الكم ، ومتأثرا به بدرجة أو بأخرى والعكس صحيح . ولكن التعارض قد ينشأ بين حركة التوسع العمرانى ، والمحافظة على الطابع الأصيل للعمارة ، عندما نغلب "الكم" على "الكيف" .

وعلينا ألا نتعامل مع البناء والمعمار بمعزل عن حضارة وثقافة المجتمعات .

ومن عيوب العمارة الحديثة على سبيل المثال تلك الواجهات الزجاجية التى لا تمنع الأشعة فوق البنفسجية للشمس والتى تحتاج إلى موازنتها بعمليات تكييف صناعية باهظة ، فواجهة زجاجية مساحتها ٣ × ٣ أمتار تدخل ٢٠٠ كيلو سعر حرارى وبالتالى تحتاج إلى تبريد قوته طنان فى الساعة .

لقد كان تخطيط المدينة والبيت العربى يراعى أن تكون الشرفات والأبواب على الداخل ، وبالتالى نحمى بيوتنا من أشعة الشمس ومن الأتربة .

وفى كل ماذكرته فإن المسألة لا تكمن فى الرقابة فقط ، فالاهتمام بالعمارة يجب أن ينبع من الشعوب أفرادا وجماعات .



المهندس
حسن فتحى

الهلال

مارس ١٩٨٩ — الثمن ٧٥ قرشا

طريق النبي موسى في سيناء

هل تعود شركات توظيف الأموال ؟!

نداء أخير لإنقاذ آثار مصر

من أخطار الإهمال والتلوث

قمم عربية



المهندس حسن فتحي

الهلال

مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجي زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

السنة السادسة والتسعون • مارس ١٩٨٩ • رجب ١٤٠٩ هـ

حسن فتحى ، صاحب عمارة الفقراء ، احد المعماريين القلائل المؤمنين بالهندسة المعمارية العربية ، افنى عمره من اجل ان يرى مشروع قرية "القرنة" النور ، ولكن كثيرا من المعوقات وضعت فى طريقه ، بالرغم من اعتراف العالم بروعة عمارته

تقوم نظريته على الايمان المطلق بالطبيعة ، لذلك شكل بيوت قرية "القرنة" من الطين لأن الانسان ينسجم جسمانيا او عقليا فى مكان من نفس خامته التى تشكل منه

يعرفه العالم اجمع ، وجاء تكريمه عالميا كأفضل مهندس معمارى فى العالم وحصوله على الجائزة عام ١٩٨٧ من الاتحاد الدولى للبناء وبرغم هذا الكفاح الطويل وهذا التكريم العالمى ، لم نتذكره إلا بعد فوزه بالجائزة العالمية مؤخرا .

إقرأ مقال د . منى زكريا
صفحة ١٤٢

في هذا العدد



الغلاف : تصميم الفنان محمد أبو طالب

فكر وثقافة

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي (١٢ عددا) في جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفي بلاد اتحاد البريد العربي والافريقي والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوي . وفي سائر أنحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوي .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية . وفي الخارج بشيك مصرفي لأمر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الأسعار الموضحة بعاليه عند الطلب .

دار الهلال
١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٦٢٥٤٥٠ سبعة
خطوط مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨١
رقم التلكس 92703 Hilal . U . N

ثمن النسخة

سوريا ٤٠ ليرة . لبنان ٥٥٠ ليرة . الاردن ٥٠٠ فلس . الكويت ٤٠٠ فلس . العراق ٣٥٠٠ فلس . السعودية ٥ ريالات . عدن ١٢٥ سنتا . البحرين ٨٠٠ فلس . الدوحة ٦ ريالات . دبي ٦ دراهم . لوس انجلوس ٤٠٠ سنت . ابوظبي ٦ دراهم . مسقط ٦٠٠ بيسه . تونس ١٤٠٠ مليم . المغرب ١٥ درهما . غزة والضفة ٧٥ سنتا . داكار ٦٠٠ فرنك . لندن ١٢٥ بنسا . ايطاليا ٢٥٠٠ ليرة . نيويورك ٤٠٠ سنت . اليمن الشمالية ٦ ريالات . كندا ٥ دولارات .

عزيزي القارئ
الربيع

• عرابى وسعد زغلول وجمال عبدالناصر حلقات فى ثورة واحدة
• لم ير الشرق بعد سعد خطيبا

شعبنا المصرى يعرف شهر مارس او شهر آذار بانه شهر الربيع ، ويصف شاعرنا احمد شوقي هذا الشهر بانه « حديقة الأرواح » .. فى قوله :

آذار اقبل قم بنا ياصاح　　　حى الربيع حديقة الارواح

لكن يوم ٩ من آذار او من مارس سنة ١٩١٩ جعل من شهر مارس او آذار ربيعا للورد والريحان فى مواكب الحرية ، وشهرا للحرية والديمقراطية ، سالت فيه نفوس الشهداء الأبرار دفاعا عن مبادىء ثورة ١٩١٩ الشعبية المجيدة التى كانت اول ثورة من نوعها فى تاريخ مصر كله .

نبتت البذور الأولى لثورة ١٩١٩ فى تراب ثورة عرابى التى أخمدها الاستعمار البريطانى سنة ١٨٨٢ .

وبهزيمة الثورة العرابية تحولت مصر من تابع للسلطنة العثمانية إلى تابع للامبراطورية البريطانية ، وصارت قطعة ارض بلا جنسية ولا هوية ، حتى إن المعتمد البريطانى الجنرال ونجت قال لسعد زغلول ورفاقه الذين ذهبوا إليه فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ يطلبون الاستقلال لمصر : لقد رضى الشعب المصرى أن يكون عبدا للعثمانيين اربعمائة سنة ، فكيف لا يرضى الآن ان يكون عبدا للبريطانيين ؟ !

لقد كانت مصر فى نظر سادتها الجدد مجرد قطعة شطرنج انتقلت من لاعب مهزوم إلى لاعب منتصر ، فكان لابد للشعب المصرى من ان يحطم هذا الصلف الاستعمارى المهين ، فاندلعت الثورة المصرية فى ٩ مارس ١٩١٩ تحت شعار : الاستقلال التام او الموت الزؤام ، الذى نحته قادة الهتافات الثورية بالأزهر الشريف .

السبعين لثورة ١٩١٩



جمال عبد الناصر



سعد زغلول



احمد عرابى

ودخل شهر مارس منذ ذلك اليوم تاريخ مصر كشهر للثورة الشعبية المصرية الأولى فى القرن العشرين ، كما دخل شهر يونيو سنة ١٧٨٩ تاريخ فرنسا كشهر لثورتها الكبرى ، وكما دخل شهر اكتوبر سنة ١٩١٧ تاريخ روسيا كشهر لثورتها الاشتراكية .

إن ثورة ١٩١٩ هى الجمرة التى اشتعلت منها كل التحركات الثورية فى مصر على مدى السنين ، فمظاهرات سنة ١٩٣٥ الثورية التى استشهد فيها الطلاب هى بنت ثورة ١٩١٩ ، وانتفاضة سنة ١٩٤٦ عقب الحرب العالمية الثانية ضد قوات الاحتلال البريطانى هى أيضا بنت ثورة ١٩١٩ .

لولا ثورة ١٩١٩ لما جاءت ثورة ١٩٥٢ على النحو الذى رأينا فإن كل الأفكار الوطنية التى حركت عبدالناصر وزملاءه فى ثورتهم كانت ممتدة الأصول والجذور الى ثورة ١٩١٩ ذات المثل العليا التى ظلت مطروحة فى الساحة الوطنية من أيام سعد إلى أيام عبدالناصر .

إن جمال عبدالناصر هو مكمل دور سعد زغلول ، برغم كل تناقض يبدو على السطح ، وبرغم كل الأفكار الغوغائية التى تحاول أن تحفر هوة سحيقة بين هذا الزعيم وذاك .

لقد صار سعد بقيادته لثورة ١٩١٩ زعيما للشرق العربى كله ، أو كما قال أمير الشعراء شوقى :

لم ير الشرق مثل سعد خطيبا　　　هزه من بطاحه ورعانه

ولو عاش شوقى إلى عهد عبدالناصر ، لقال فيه شعرا يتضمن هذا المعنى أيضا

عزيزى القارئ

الربيع السبعين لثورة ١٩١٩

، فإن الشرق العربي كله كان يهتز لكلمات عبدالناصر كما اهتز لكلمات سعد .

وقد خرجت ثورة ١٩٥٢ من احشاء ثورة ١٩١٩ كما خرجت الثورات الفرنسية التى تعاقبت طوال القرن التاسع عشر بعد ثورة ١٧٨٩ التى كانت هى الثورة الأم الولود ، حتى بلغ المد الثورى فى فرنسا أقصاه باندلاع ثورة « كومونة باريس » الاشتراكية سنة ١٨٧١ ولكن الرجعية الفرنسية قضت عليها بالتعاون مع الرجعية البروسية الألمانية وجميع رجعيات أوروبا حينذاك .

وكانت ثورة ١٩٥٢ المصرية أقصى ما بلغه المد الثورى فى مصر ، فرفعت الشعارات الاشتراكية والتحررية والقومية وحققت بعضها ، وحاربت الاستعمار والصهيونية ، وايقظت شعوب أفريقيا و آسيا ، ثم تلقت الضربة التآمرية المشتركة من التحالف الرجعى الاستعمارى الصهيونى العالمى .

وفي عامنا الجديد هذا - ١٩٨٩ - تحتفل الثورة الفرنسية بمرور مائتى عام على ميلادها التاريخى الذى لم يعد يخص فرنسا وحدها ، بل أصبح يعم كل المهتمين بمصير الحرية فى العالم .

ومنذ عامين - ١٩٨٧ - احتفلت روسيا بالذكرى السبعين لثورتها الاشتراكية التى بلغ تأثيرها إلى كل ركن فى العالم . ولا نشك فى أن عشرات السنين سوف تمر على مولد ثورة ١٩٥٢ المصرية ، وسوف تكون كل ذكرى قادمة لها أعلى شأنا ، واضوا فى عيون العالم مما سبقها من ذكريات هذه الثورة التى يحاول خصومها جاهدين أن يطفئوا نورها بأفواههم .

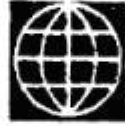
اما ثورة ١٩١٩ المجيدة فها نحن أولاء نحتفل بالربيع السبعين لها فى شهر الربيع ! ..

لقد مرت على مصر سبعون سنة من العمل فى ظل مبادىء وأحلام ثورة ١٩١٩ سواء تحت اسم هذه الثورة مباشرة او تحت الأسماء الثورية التى خرجت من رحمها وحاولت أن تحقق مالم يتحقق من أهدافها بأن تجعل رقعة الأهداف اوسع مدى ، وأقدر على تلبية متطلبات التطور العاصف الذى يجتاح العالم كله ! ..

مرحى ، مرحى لشهر آذار ، شهر الربيع ، شهر ثورة ١٩١٩ العظيمة ! ..

ومرحى لثورة ١٩١٩ فى ربيعها السبعين ، وفى كل ربيع قادم على مر الدهور ! ..

المحرر



العالم في سطور

• باريس •

ظاهرة مصرية

مصر موجودة الآن، وبشكل مكثف في كافة وسائل الاعلام الفرنسية: في الصحف والمجلات وبرامج الإذاعة والتليفزيون وايضا في جميع واجهات المكتبات.

ظاهرة بدأت مع مطلع العام دون سابق تمهيد. ظاهرة لعبت المصادفة دورا رئيسيا فيها. فقد دفعت دور النشر المختلفة، مرة واحدة، بتسعة عشر كتابا عن مصر وتاريخها الفرعوني. وعن الحملة الفرنسية على مصر.

وقد تلقفت وسائل الاعلام هذه الكتب وراحت تنشر فصولا منها. وتقدم عروضا عنها في مئات الصفحات فضلا عن الاف الصفحات المنشورة في هذه الكتب الضخمة الحجم. وهي مؤلفات مكتوبة مباشرة باللغة الفرنسية. إلا بعض القليل المترجم عن اللغة الالمانية..

وشمبليون هو الشخص المثال دوما في هذه الظاهرة. حيث ان هناك اربعة كتب ضخمة عن حياته وإنجازاته في المصريات.. ومن هذه الكتب: شمبليون، حياة الضوء كتبه جان لاكوتير. وهو كاتب معروف تخصص في الكتابة عن الزعماء الكبار. فاصدر كتبا ضخمة عن ديجول وجمال عبدالناصر.

اما الكتب الثلاثة الاخرى فقد كتبها كل من هيرمين هرتلين و «في خطى شمبليون» و «شمبليون المصري» وكلاهما من تاليف كرستيان جاك.

وقد قام معهد الشرق الفرنسي باعادة طبع «وصف مصر» مرة اخرى بشكل مميز. اما دار هاشيت فاختارت ان تقدم كتابا عن تاريخ مصر من خلال الآثار الموجودة في المتحف المصري بميدان التحرير.

وعن مصر المعاصرة قدم «ميشيل رونشر» كتابه «النيل، مسافر في مصر عام ١٨٥٠» وهو عبارة عن مجموعة من الصور النادرة التي التقطها المؤلف اثناء زيارته لمصر. مع القيام بالتعليق على هذه الصور.

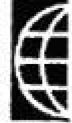


شمبليون في ملابس عربية

ويعتبر كتاب «البحث عن مصر المنسية» لجان فيركوته اكثر هذه الكتب مبيعا من بين التسعة عشر كتابا. حيث بيع منه في شهر واحد قرابة ستين الف نسخة.

كما شارك في هذه المظاهرة ايضا مؤلفو الحكايات المصورة من خلال إعادة طبع مغامرات تان تان التي تحمل عنوان «سيجار فرعون»..

السؤال الآن.. هل من حق المصريين ترجمة هذه الكتب وقراءتها... ام يتركون الآخرين يؤلفونها.. ويقرأونها؟



العالم في سطور

• باريس •

ثورة لأكثر من مائة عام

يحتفلون في فرنسا هذه الأيام بذكرى انقضاء مائتي عام على الثورة الفرنسية عندما عصفت جماهير باريس الغاضبة بسجن الباستيل . وماتلى ذلك من إجراءات ثورية انتهت بإعلان الجمهورية وإعدام لويس السادس عشر في يناير ١٧٩٣ . وأسرعت دور النشر الباريسية بإصدار كتابين عن الثورة الأول تحت اسم «الثورة (١٧٧٠ - ١٨٨٠) (هاشيت) للمؤرخ الفرنسي «فرنسوا فوريه» الذي قام أثناء شهر يناير بزيارة القاهرة وألقى محاضرتين عن الثورة بالمركز الثقافي الفرنسي .

أما الكتاب الثاني فقد صدر تحت اسم «قاموس نقدي للثورة الفرنسية» (فلاماريون) لنفس المؤرخ مشتركة معه «موتا اوزوف» .

والقاموس عبارة عن مجلد ضخم (١١٠ مقالات) ساهمت في كتابته كوكبة من الباحثين بإرشاد «فوريه» الذي بدأ حياته السياسية يساريا ثم أخذ يتحرك شيئا فشيئا نحو الوسط شأن المثقفين الفرنسيين من نفس جيله وهو من مواليد ١٩٢٧ وبعد انتهاء الحرب العالمية انضم إلى الحزب الشيوعي . ولكنه مالبث أن تركه عام ١٩٥٦ .

ومعروف عنه انه كان من المعارضين لحرب الجزائر ومن الذين ساعدوا في تأسيس الحزب الراديكالي الاشتراكي تحت زعامة «ميشيل روكار» رئيس وزراء فرنسا حاليا . وهو حزب لم يعمر طويلا ..

وهم في فرنسا يعتبرونه نجما من نجوم مثقفي حقبة مابعد الماركسية .

وفي وصف نفسه قال انه طفل اليسار الذى تتوتر علاقته بأسرته من حين لآخر .

ولو تأملنا قليلا مقالات قاموسه عن مؤرخي الثورة لوجدنا أن الوقائع التاريخية لاتتحدث مفصحة عن نفسها ، وأن اختلاف التفسير لها حد كبير .

وفي مقال أو بمعنى أصح دراسة عن الإرهاب «لفوريه» نراه فيها يسعى إلى التمييز بين ثورتين واحدة طيبة (١٧٨٩) والأخرى شريرة (١٧٩٣/٩٤) .

وأظنه ليس أول من قال بأن الإرهاب لم يكن ضروريا ، ولا مبررا .

• بوخارست •

الإنسان... كائن مهاجر

أخيرا سمحت السلطات الرسمية في بوخارست برومانيا بتوزيع روايات الكاتبة هيرتا موللر بعد أن قررت العودة للاقامة بصفة نهائية في بلادها بعد أن هاجرت إلى برلين الغربية منذ أكثر من عشر سنوات ..

الرواية التي سمح بنشرها هي . تطور الإنسان فوق الأرض وتدور حول رجل يدعى قندش يعمل طحانا ويسعى للهجرة من رومانيا إلى المانيا الغربية . وهو يبذل كل ما بوسعه لتحقيق هذه الأمنية . وينجح في الهجرة بالفعل . ثم يعيش في المهجر ويشعر بحنين جارف للعودة إلى الوطن ويرى هذه العودة بمثابة حج .. ثم يعود من جديد إلى مسقط رأسه .. ويكتشف أن الإنسان في حالة منفى دائم بين وطن يعيش فيه .. وآخر للهجرة اليه ..

الغريب أن هذه الحالة مرت بها الكاتبة نفسها بعد أن كتبت الرواية . فقد كتبت الرواية قبل سنوات من هجرتها إلى المانيا

الغربية وتعيش هناك منذ عام واحد لا اكثر .

ولدت هيرتا موللر فى عام ١٩٥٣ . وهى روائيه وشاعرة . من اهم كتبها «زهرة الداليا البيضاء» و «ماكينة خياطة» . و «قهر» .. وهى كلها روايات مكتوبة بلغة وطنها .. ولم يترجم اى منها إلى لغة اجنبية سوى «تطور الإنسان فوق الأرض» حيث ترجمت فى عام ١٩٨٨ إلى اللغة الالمانية .

ويعتبر النقاد ان اهمية ادب هيرتا موللر هو انها تمثل الأقلية الجرمانية الموجودة فى رومانيا تمثيلا جيدا .. ويقول جيرار موديال فى جريدة ليبراسيون ان الحنين والمنفى والجذور الضائعة كفيلة ان تصنع من الكاتب العادى موهبة لامعة . اما الكاتبة فتقول انها قد انتهت اخيرا من كتابة رواية حول إمراة تصل من بلد شمولى إلى احدى الدول الغربية وتحاول ان تتكشف هذا العالم الجديد الذى وفدت اليه . وهى تهتم برصد كافة مظاهر الحياة هناك وتكتشف ان فى كل وطن توجد اسباب مختلفة لتدمير معنويات الإنسان ولكن هذه الأسباب والوسائل تختلف من نظام سياسى لآخر .. وهى نفس الناحية الادبيه التى ركزت عليها الكاتبة فى كل رواياتها السابقة ..



المـــرأة ... والرواية البوليسية

لعلها المرة الاولى التى تختار مجلة تايم الامريكية صورة إحدى كاتبات الرواية البوليسية فيليس جيمس على غلافها الأول كجزء من ظاهرة ادبية شهدها العالم هذه الأيام . بعد ان سيطر عدد من النساء المسنات على إبداع الرواية البوليسية . وارتفاع توزيع ارقام رواياتهن بشكل ملحوظ ..

لماذا برزت المراة بهذا الشكل الحاد فى كتابة الرواية البوليسية ؟ هذا هو السؤال ... فاذا كانت اجاثاكريستى قد تميزت ككاتبة طوال اربعين عاما فان سنوات ازدهارها قد شهدت ادباء اخرين لهم نفس التميز مثل جورج سيمنون (فرنسا) وريمون شاندلر (الولايات المتحدة) لكن لا احد يطاول الآن كلا من باتر شيا هاى سميث (امريكية) فيليس جيمس وروث راندل (بريطانيا) وكل منهن تجاوزت الستين من العمر .

لم يستطع احد أن يعطى التفسير المقبول لتميز النساء على الرجال فى مجال الرواية البوليسية الحديثة . ولكن كل مايقال الآن أن هناك موهبة خاصة لدى فيليس جيمس فى حبك الحكايات الغامضة حول جرائم القتل التى تحدث عادة فى غرف مظلمة وبعيدا عن اعين الشهود . وعلى الكاتبة ان تجمع قرائها بدقة شديدة لاينفذ من طياتها شعاع واحد من الشك والارتياب ..

وفيليس جيمس (٦٨ عاما) كاتبة جديدة فى عالم الابداع . وجاءت شهرتها عام ١٩٨٠ حين باعت روايتها الأولى «القاتلة» مائة الف نسخة واطلقت عليها الصحافة انذاك لقب ملكة الجريمة . ويقال أن فيليس قد اعادت للرواية البوليسية رونقها القديم . فمن المعروف أن هذا النوع من الأدب قد امتزج بانواع اخرى كالمغامرات والجاسوسية وعنصر الحركة . اما هى فترى أن هناك مقومات خاصة للرواية البوليسية وعناصر محددة كالجثة التى مات صاحبها فى ظروف غامضة . والعقد التى كلما انفكت واحدة انعقدت بقاياها اكثر واكثر .

وفى السنوات التسع





الماضية نشرت فيليس ثماني روايات بمعدل رواية كل عام من أشهرها «جريمة في بلوزة بيضاء» .

أما الكاتبة الثانية روث راندل فهي تكتب نوعا آخر من الرواية البوليسية ، كان تمزج الجرائم بالتجسس وبعناصر أخرى غامضة . وفي روايتها «فك الذئب» تتحدث عن عملية تجسس متبادلة بين عميلين من موسكو ولندن .

وحسب رأينا فإن أياً من هؤلاء الكاتبات لن تطاول أبداً مكتبته باترشيا هاى سميث ، ويكفي أنها الكاتبة الوحيدة في أدب النوع الذي يتناول النقاد مؤلفاتها بالتحليل والمتابعة الدائمة .

هوليوود

ابن الزبال ذو الوجهين

تثير سيرة حياة نجوم السينما دائما ، شهية القراء لمعرفة المزيد عنها .. وفي مكتبة السينما هناك دائما الجديد من الكتب المثيرة عن حياة هؤلاء النجوم . لكن أكثر هذه الكتب امتاعا هي التي يقوم النجوم بسردها وتسجيلها بأقلامهم دون الاستعانة بالمحترفين من كتاب المذكرات ..

وقد اختار كيرك دوجلاس لمذكراته عنوانا مثيرا هو «ابن الزبال» . وهي ترجمة غير دقيقة لكلمة تعني معنى قبيحا باللغة العربية . فأبوه هو جامع قصاصات الأقمشة من الزبالة ويعيد بيعها الى تجار الجملة ..

ولاشك أن دوجلاس قد تعمد اختيار ـ العنوان كي يؤكد أنه ـ خلف كل من سبارتاكوس وفان جوخ و الفايكنج ، عناوين الشخصيات التي جسدها دوجلاس ـ مهاجر طموح أخذ يكافح في مجالات متعددة حتى تميز كممثل ومخرج ومنتج ..

ويؤكد دوجلاس في مذكراته على ثلاثة محاور اساسية أولها انه لاينسى قط انه ابن مهاجر يهودي روسي إلى الولايات المتحدة . وأن هذا دفعه إلى مناصرة إسرائيل دوما .. فقدم العديد من الأفلام التي تؤيدها في حربها ضد العرب مثل «الحلوى» ١٩٥٣ و «ظل العملاق» ١٩٦٧ فضلا عن تصريحاته العدائية دائما ضد العرب !



أما المحور الثاني فهو الحكايات العديدة وراء أفلامه المشهورة مثل «سبارتاكوس» ، و«التنظيم» وطائر فوق عش المجانين الذي اشترى حق انتاجه عام ١٩٥٦ ، وعندما عاقته ظروف الإنتاج دفع به بعد ذلك بعشرين عاما لابنه الممثل والمنتج مايكل دوجلاس .

ويتركز المحور الثالث لمذكرات كيرك دوجلاس على النساء اللائي تعرف عليهن . من زوجاته الى

الممثلات اللاتي عمل معهن : مارلين مونرو ، وريتا هيوارث ، وجوان كراوفورد ، ومارلين ديتريش وبيير انجلي التي لحبته الى درجة الجنون في عام ١٩٥٣ .. وايضا برجيت باردو التي مثلت امامه في مستهل حياتها

كيرك دوجلاس هو نموذج لنجم مشهور مزدوج الوجه .. فهو جذاب ومثقف ، ويجيد اختيار الشخصيات التي يمثلها ويكسبها رونقا كما انه ايضا متعصب لايخفى عنصريته ضد العرب ، سواء في افلامه او في كتاباته .

● نوس انجلوس ●

الكرة الذهبية والطريق إلى أوسكار

كما توقع الكثيرون جاءت نتائج الكرة الذهبية التي تعد اذا ما استثنينا اوسكار اكثر جوائز السينما داخل الولايات المتحدة قيمة من الناحيتين الادبية والدعائية .

وآية ذلك انها تعتبر مؤشرا هاما لمن ستحجب عنهم او تمنح لهم جوائز اوسكار من صانعي الافلام بعد اسابيع معدودة .

فلقد كان ثمة شبه اجماع على ان جائزة احسن فيلم وممثل درامي ستكون من نصيب « الرجل المطر » وبطله « داستن هوفمان »

وان جائزة احسن فيلم وممثل مرح ستكون من نصيب « كبير » وبطله « توم هانكس »

اما جائزة احسن ممثلة مرحة فستكون من حظ « ميلاني جريفيث »

وفعلا تحقق لهذه الافلام ، ولهؤلاء النجوم ما توقع لهم في شبه اجماع ، وفازوا بالكرة المشتهاة .

اما المفاجأة الكبرى التي لم ترد على بال احد ، فهي منح جائزة احسن ممثلة درامية لا لنجمة واحدة وانما لثلاثة نجوم بالمشاركة ، وهن « جودي فورست » و « سيجورني ويفر » و « شيرلي ماكلين » عن ادوارهن في افلام « المتهم » . . « غوريلات في الضباب » و « مدام سوزاتسكا »

والجدير بالذكر ان ماكلين ، قد حصلت على جائزة التمثيل في مهرجان فينيسيا (١٩٨٨) عن ادائها في الفيلم الاخير .

اما الفيلم الاجنبي الذي توج بالجائزة فهو « نساء على شفا انهيار عصبي » للمخرج الاسباني « بيدرو المودوفار »

وما كان يمكن لهذا المخرج الجريء ان يحتل مكانته العالمية الحالية ، لو كان « فرانكو » ونظامه لايزالان على قيد الحياة .

● ليـــون ●

السـينمـا.. والثـورة..

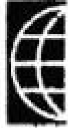
اقام معهد لوميير اسبوعا حول الثورة الفرنسية والسينما العالمية في مدينة ليون .

وقد جرى اختيار الافلام من بين اعمال سينمائية انتجت بدءا من ١٩١٩ وحتى ١٩٨٢ .

وكان من بين الافلام المختارة « المارسييز » (١٩٣٧) رائعة جان رينوار ، التي قام بلخراجها اثناء فترة حكم فرنسا بالجبهة الشعبية ، وهي فترة لم يكتب لها ان تطول .

ولعله الفيلم الوحيد في تاريخ السينما الفرنسية بل قل العالمية الذي انتج بفضل اكتتابات شعبية تحت رعاية الاتحاد العام للعمال والحزب الشيوعي الفرنسي .

كما كان فيلم « لو قصت على حكاية خرساء » لصاحبه المخرج الفرنسي « ساشا جيترى »



العالم في سطور

من بين ما عرض في الأسبوع

وجدير بالذكر هنا ان «ارسون ويلز» من بين ممثلى هذا الفيلم ، وان المطربة الشهيرة «اديث بياف» قد ساهمت فيه باغنية من اغانى الثوار

وكان «مدام دى بارى» ١٩١٩ للمخرج ارنست لوبيتش من ابرز الافلام الاجنبية التى جرى عرضها فى الإسبوع .

وفيه لعبت الدور الرئيسى «بولا نجرى» نجمة اغراء العشرينيات وشاركها فى البطولة «اميل يانجز» الممثل الألمانى الذائع الصيت

كما كان «لمأساة دانتون» حظ كبير فى الاسبوع فقد عرض عنها فيلمان احدهما «دانتون» للمخرج الروسى «ديمترى بوكوفسكى»

والآخر «موت دانتون» المأخوذ عن مسرحية للاديب الألمانى «بوخنر» بنفس الاسم .

ومحورها الصراع بين «دانتون» و«روبسبيير» من اجل العقول والقلوب . وهو صراع انتهى بالاثنين الى المقصلة .

فيينا

هندكة : السيرة الذاتية للنص



«سوف يسيطر هذا النمساوى الصغير على اوربا»

عبارة قالها ذات يوم احد النقاد معلقا على رواية جديدة صدرت آنذاك للكاتب المعروف بيتر هندكه (٢٥ عاما) وقد قيلت هذه العبارة عندما كان هندكة فى الخامسة والثلاثين من العمر ..

ولم يبالغ الناقد فى كلمة وحدة قالها عن الكاتب الذى لفت اليه الانظار فى عام ١٩٦٦ عندما قدم مسرحيته «دعوة إلى الجمهور» ثم توج نجاح هذه المسرحية عندما القى خطبة شديدة اللهجة ضد «جماعة ٤٧» وهى جماعة ادبية لعبت دورا كبيرا فى احياء الادب الألمانى عقب نهاية الحرب العالمية الثانية ومن ابرز كتابها هاينريش بل وارنست يونجر ..

ومع مطلع عام ١٩٨٩ ، اختار الكاتب أن يعود ثانية الى النمسا ، بعد اقامة اختيارية فى فرنسا لعدة سنوات ، وحمل معه الى المطابع نصا ادبيا جديدا يحمل عنوان «غروب كاتب» ..

ومن عنوان الكتاب تصور البعض ان هندكة يتحدث عن افوله بعد رحيله الى فرنسا لكنه راح يتناول بالنقد والتحليل التقارب الغريب بين قصائد الشاعر السريالى رينيه شار - مات فى فبراير ١٩٨٨ - وبين الرسام التعبيرى بول سيزان .

وفى كتابه راح هندكه يؤكد ان الكاتب يجب ان يتوغل دوما فى اعماق النص الذى امامه من خلال مفهومه للعالم من حوله .. فى شكله الظاهرى واغواره العميقة فى محليته ، وعالميته .. فيما هو نسبى وايضا فيما هو مطلق ..

ويرى هندكه أن كتابة النص الأدبى هى حالة من استمرار الحياة ، ولذا فانه يهتم بما اسماه بالسيرة الذاتية للنص مثل اهتمام كتاب اخرين بالسيرة الذاتية لمؤلف النص ..

السينما .. ياله من عالم ساحر

بنظرا لان السينما فن ممتع . فان للكتب المنشورة عن السينما جاذبية خاصة .. ولذا فهي مرتفعة الاسعار من ناحية .. وفاخرة الطباعة عادة من ناحية اخرى .. وهي كثيرة لدرجة يصعب حصرها كتب عن النجوم المشهورين واخرى عن تاريخ السينما او عن ظاهرة ما من الافلام فضلا عن الموسوعات الضخمة التي لا تتوقف المطابع عن طبعها في كل عام مع اضافات جديدة بالاضافة الى ظاهرة اخرى جديدة هي ان هناك مؤلفين تخصصوا في تحويل افلام السينما المشهورة الى روايات .. اجل .. وليس العكس .. وكتب اخرى عن فنون اخرى تتعلق بالسينما كالموسيقى والمونتاج والاخراج والتصوير وهلم جرا ..

وفي الشهر الماضي زخمت المكتبة السينمائية العالمية بالعديد من الكتب الجديدة . كتب عن نجوم ظلوا ، ولايزالون ، حديثا للناس ، مثل جان مورو التي قال عنها تريفو انها مثيرة كامرأة وحساسة كممثلة .. والتي عملت في السينما الفرنسية والبريطانية والايطالية والامريكية طوال اربعين عاما بلا توقف ، اما الممثل المعروف جيرا ديبارديو فقد نشر عن حياته كتابا يحمل عنوان «رسائل مسروقة» في اسلوب روائي بالغ الجاذبية ..

ومن الموسوعات السينمائية الجديدة قدم جيل هورفلور قاموس الاشخاص في السينما اما اهم الكتب النوعية فهو يحمل عنوان «سينما الكونج فو» حول هذا النوع الغريب من الافلام التي زحفت من الشرق الاقصى نحو العالم ابتداء من الستينيات .. وكان بمثابة زحف شرقي واضح على العالم . لكن الامريكيين ما لبثوا ان استوردوه وصبغوه بالامركة .. ثم اعادوا تصديره الى العالم بشكل جديد .

وعن فن الافيشات قدم الان بواريه كتابه «٢٠٠ فيلم في الشمس» . فمن المعروف ان افيشات الافلام

حقا .. ما امتع فن السينما .. وما اوسع عالمها واكثره جاذبية .. ليس فقط على الشاشة .. بل فيما تحدثه حولها من متعة .. وما تثيره من غموض واسرار .



جارينا غلاوى ممثله ومؤلفة

تعلق عادة تحت اشعة الشمس مباشرة .. وان هذه الاشعة تكسبها رونقا خاصا ثم لا تلبث ان تفقدها هذا الرونق فتصبح باهتة الالوان .

وعن حياة النجوم قدم المخرج جيمس كاميرون كتابا عن الممثل روبرت دي نيرو الذي اسماه بامبراطور الممثلين المعاصرين . فهو جديد مع كل دور .. ومجنون يتقمص الشخصيات وصادق في التعبير يهمنا ان نذكر ان كاميرون هو الذي كتب السيناريو لسلسلة افلام رامبو .

وفوق هذا ثمة كتب اخرى عديدة مثل «الديكور السينمائي» لالكسندر تراوز ، و «السنوات المدهشة» عن عصر ازدهار الافلام الاستعراضية في الاربعينيات والخمسينيات

من أجل حماية آثار مصر

بقلم : د. رشدى سعيد

● التعدى على الاثار جريمة قومية..!
● مطلوب "حرم" لكل أثر ومقاومة التلوث

يتعرض مابقى من آثار مصر الباهرة للانظار والالباب إلى واقع جديد وعوامل إتلاف نتيجة تغيير موازين البيئة وزحف العمران وتزايد زائرى الاثار واتساع التجارة غير الشرعية فيها . وهذه المؤثرات وغيرها ان لم نستطع ان نعالجها بالحسم والجدية فاننا معرضون لكى نفقد اثارنا فى غضون الخمسين الى المائة عام القادمة .

وعلى الرغم مما تعرضت له اثارنا فيما قبل منتصف القرن التاسع عشر الميلادى من تحطيم ونهب واهمال قام به الغزاة او المغامرون فان مابقى لنا من اثار يتعرض اليوم الى نوعية جديدة من الاتلاف ذى الاثر الأكيد والبطىء .

لقطة للكورنيش قبل ان يصبح مرتعا خصبا للوريات والسيارات الضخمة والتى تؤثر اهتزازاتها على اغلى اثار فى العالم !



● ويبدو ان المسئولين فى حاجة الى تبصيرهم بهذا الخطر الداهم ، اذ انهم لم يقوموا ببادرة عملية ، أو جادة تنم عن قلقهم على اثار مصر ، او لايقاف هذا الاتلاف او على اقل الايمان كبح معدلاته . ولايستطيع المرء الا ان يستنتج ذلك بعد اول زيارة لمدينة الاقصر حيث يمكن وقف تدهور الكثير من الاثار ، بقرارات ادارية بسيطة لاتحتاج الى الرجوع الى لجان ، أو الدخول فى متاهات التوصيات المتضاربة ، أو مجابهة جماعات ضغط المصالح الخاصة - والا فكيف يمكن تفسير اطلاق مرور كافة السيارات بما فيها اللوريات ذات المقاطير الضخمة والاوتوبيسات المهولة فى الكورنيش الذى يحف معبد الاقصر (وهو الذى اقتطع اصلا من المعبد) ان هذا الجزء من طريق الكورنيش فيما بين المعبد وفندق ونتر بالاس يعج بحركة السيارات والسواح . وترك الامر على هذا الحال يعرض المعبد

حماية آثار مصر

للاتلاف ويجعل حركة عبور وسير الاف الزوار عرضة للخطر الشديد - وليس اسهل على محافظ الاقليم من ان يمنع المرور فى هذا الجزء ويقصره للتجول الحر للمشاة . ان ماتنفثه السيارات من سموم وماتثيره حركتها من هز لقوائم المعبد يبدو واضحا لكل زائر حصيف !

● زحف العمران

واول عوامل الاتلاف الجديدة تأتى من اتســاع العمـران وزحف المســاكن العشوائية دون ضابط نحو الاثار حتى تكاد ان تتداخل فى عقر مواقعها . ومعظم هذا الزحف يحدث بوضع اليد ودون سند قانونى . ومن هنا يجيىء دون تخطيط فيشوه المكان من الناحية الجمالية ويعرض الاثار للتلف نتيجة فساد الصرف الصحى لهذا الاسكان الجديد وطريقة التخلص من قمامته او ضوضائه .

ولما كانت مصر عامرة بالاثار فهناك حاجة ماسة الى وضع سياسة قومية تحدد اولا المواقع الاثرية الهامة التى ينبغى اعتبارها محميات قومية ذات حرم مناسب ، ويكون التعدى عليها جريمة قومية تصل الى درجة الخيانة الوطنية ، وتحدد ثانيا المواقع ذات احتمالات تواجد الاثار ولما كانت مثل هذه المناطق كثيرة العدد وكبيرة المساحة والكثير منها يقع داخل زمام مدن نائية ، فان الامر يحتاج الى ايجاد جهاز خاص للقيام فى اسرع وقت بالمسوح الاثرية لهذه المواقع لتقرير الاحتفاظ بها كمحميات قومية ان كانت تستحق ذلك او نقل مابها من اثار وتركها لكى تضم الى زمام المدن .

ولايتم رسم السياسة القومية لحفظ الاثار دون سن قانون يحتم على القائمين على كافة مشروعات التعمير والتوسع الزراعى بضرورة مسح مناطق مشروعاتهم اثريا قبل البدء فى تنفيذ هذه المشروعات للتاكد من خلوها من الاثار .. وليس هذا القانون بجديد او غريب فهو موجود . ومطبق حاليا فى الكثير من بلاد العالم المتقدم بما فى ذلك الولايات المتحدة الامريكية التى لايقارن تراثها الاثرى باية حال مع تراثنا الاثرى .

صدور مثل هذا القانون سينشط اعمال البحث عن الاثار ويرفع مستوى مهنة الاثريين ويفتح امامها مجالات جديدة للعمل وستنشأ نتيجة له مؤسسات خاصة وعامة للقيام بعمليات المسح والانقاذ كما سيدفع الى رفع مستوى الاثـريين وتدريبهم على الطرق العلمية لمجابهة تحدى عمليات التوسع العمرانى فى مصر .

ولى فى هذا المجال تجربة شخصية قد يكون من المفيد ان اذكرها ففى اوائل السبعينيات واثر قرار مد خط انابيب السوميد لنقل البترول من خليج السويس الى غرب الاسكندرية رأيت مع بعض زملائى الاثريين التقدم الى الشركة المنفـذة للمشروع (شـركـة بيكتـل

الامريكية) للقيام بعمل مسح اثرى لخط الانابيب . خاصة وانه كان سيشق طريقه تحت منطقة دهشور الغنية بالاثار وقد وافقت الشركة المنفذة بل ورحبت بالعرض واغلب الظن ان هذا الترحيب كان نتيجة خبرتها بالولايات المتحدة حيث يستحيل تنفيذ مشروع مماثل دون مسح المنطقة اثريا وانقاذ اثارها ان احتاج الامر الى ذلك ، على ان الجانب المصرى رفض العرض ولم ير فيه اية فائدة على الرغم من ان تكاليف المسح الاثرى لم تكن لتمثل شيئا يذكر من جملة تكاليف المشروع ، ولقد اسفت لقرار الجانب المصرى ولكن هذا يدخل مرة اخرى فى باب ضرورة تبصير المسئولين بالخطر المحدق بالاثار .

ونعيد اليها المهابة والكرامة فضلا عن اننا سنمنع عنها اثر مياه الصرف الصحى على جدران وأرضية الاثار .

ولست اعتقد ان اعادة توطين سكان المناطق الاثرية ونقلهم الى مقار جديدة سيحتاج الى أموال صعبة المنال فدخل زيارة الآثار وحده كاف فى غضون سنوات قليلة للقيام بهذا العمل دون اى صعوبة . فالقضية الحقيقية هى فى ان يبصر المسئولين بالخطر المحيق بالاثار نتيجة تزايد سكان هذه المناطق وازدحامهم .

● ازدياد أعداد السائحين والزوار

اما عن محميات الاثار فقد انتهك حرم الكثير منها مثل وادى الملوك والملكات بالاقصر ومناطق ابيدوس بالبلينا ومعبد ادفو وسقارة والجيزة وغيرها الكثير وازالة هذه الانتهاكات والتعديات وايجاد حرم مناسب لاثار هذه المناطق سيحتاج بعد طول هذا الاهمال الى اعادة تسكين سكان هذه المناطق بعد عمل مسح اجتماعى على حالتهم لمعرفة انسب طريق لتوطينهم فى مناطق جديدة دون الاخلال بارزاقهم - واذا كانت مصر بعد بناء السد العالى قد استطاعت ان تنقل وتعيد توطين شعب النوبة بأكمله فإنها بالعزم وحسن الادارة القادرة لاعادة توطين هؤلاء الابناء الذين يتكدسون فى حرم المناطق الاثرية فى مساكن بائسة وعشوائية .. ونحن بذلك لانخدم هؤلاء الابناء فقط وننقلهم الى المستوى اللائق وكلنا سنحمى اثارنا

وثاني عوامل الاتلاف التي جدت على اثارنا هو هذا التزايد الهائل فى اعداد السائحين وزوار الاثار ، واتساع مجال سياحة المجموعات التى تكاد أن تصبح الطريق الوحيد لزيارة مصر والتى تساق لزيارة المعابد والمقابر فتدخلها مجموعة وراء مجموعة مما يعرض الكثير من الاثار وخاصة القليلة التهوية الى خطورة تآكلها سواء من اللمس او دبيب الارجل او من تفاعلها مع مايخرج مع النفس من ابخرة وغازات . والاستمرار فى السماح لزيارة آثار مصر ومقابر ملوكها بهذه الطريقة الفجة ينم مرة اخرى عن حاجتنا الملحة الى تبصير المسئولين بمغبة هذا الفعل - واغلب الظن انهم يتبعون سياسة قديمة رسمت عندما لم يكن يزور الاثار الا قلة صغيرة . اما اليوم وقد ازدادت وفود السواح والزوار فان الامر يحتاج الى سياسة جديدة لحماية الاثار قليلة

حماية آثار مصر

التهوية ، والتى لاتتحمل هذه الجموع الحاشدة وفتحها فقط للمختصين والمشتغلين بعلوم الآثار ، ومن الناحية العملية فان هذه السياسة يمكن تنفيذها على خطوات بحيث يبدأ برفع ثمن تذكرة دخول المقابر الى مبلغ كبير ، وليكن مائة دولار مثلا تزاد عاما بعد آخر حتى تمنع الزيارة نهائيا فى غضون الاربع او الخمس سنوات القادمة . وظنى ان هذا العمل لن يؤثر على السياحة بشكل ملحوظ فلدى السائح اماكن اثرية جليلة فى الهواء الطلق كما ان لديه ان كان جادا ، امكان زيارة الاماكن قليلة التهوية بعد ان يدفع ثمن صيانتها .

● الهواء الملوث وارتفاع منسوب المياه الجوفية

وثالث عوامل الاتلاف يأتى من تأثير الهواء الملوث عليها ، وهذه قضية تؤثر على كافة مبانى مصر ونوعية حياة وصحة ابنائها وهى قضية حيوية ينبغى اعطاؤها الاهتمام الكافى من المسئولين عن شئون البيئة . على أن مهمة حفظ الاثار تستتبع ابعاد السيارات وعوادمها من الاثار وعلى قدر الامكان وذلك بتخصيص شوارع كاملة بمدن الاثار للراجلة فقط .

وتأتى بعد ذلك التأثيرات الاخرى كارتفاع منسوب المياه الجوفية وتراكم الاملاح بفعل الخاصة الشعرية على جدران المعابد والاثار وتآكل الحوائط والالوان وهذه مسائل متخصصة ينبغى ان تؤخذ بالجدية ، وتوضع فى ايدى العلماء والمتخصصين دون ضجيج الدعاية او ضغط جماعات المصالح الخاصة ورجال المقاولات ـ هذا وقد تكون ابسط الحلول هى انجحها فاحاطة الاثار المهددة بمصارف عميقة قد يكون مناسبا لتقليل مشاكل نشع المياه وهذا هو نفس الحل الذى يقوم به بسطاء الفلاحين عندما يجابهون مشكلة مماثلة .

* * *

عدم تنفيذ اى من الاقتراحات السابقة التى لاتحتاج إلا إلى قرارات إدارية بسيطة لاينم فقط عن عدم إدراك المسئولين عن مدى التردى الذى وصلت إليه اثار مصر ، إنما ينم ايضا عن النظرة السائدة بين معظمنا عن اثار مصر ، والتى تنعكس فى طريقة معاملتها ، فالمصريون لايرون فى الآثار تراثاً صنعه الأجداد يفخرون به بل يرونها كمبان قديمة لاعلاقة لهم بها فائدتها استجلاب العملات وجذب السائحين وتنشيط الاقتصاد ، وليس هذا مستغرباً فنحن لانعلم ابناءنا شيئاً يذكر عن تاريخ بلادهم المجيد إذ يكاد يخلو برنامج التعليم العام من ذكر تاريخ مصر القديم .

ولايكمل الحديث عن حفظ اثار مصر دون التعرض الى ضرورة انشاء شرطة خاصة لحماية الاثار التى اصبحت تجارتها غير المشروعة تدر الملايين وعصاباتها ذات سطوة ونفوذ . ولكن الاهم من ذلك هو ان يكون للهيئة المهيمنة على الاثار تنظيم ادارى جيد يتتبع الاثار ويمنع تسربها ، ويحمى المسئولين عن حفظ الاثار من مغريات هذه التجارة غير المشروعة فيمنع تشغيلهم فى مساقط راسهم وينظم طريقة نقلهم من مكان الى اخر .

وقد رايت فى المانيا بعينى راسى كتالوجات فاخرة تصور تحفاً مصرية بها ادق التفاصيل عنها توزع على جامعى التحف الاثرياء حتى يختاروا منها مايشاءون والتحف موجودة بمصر تصور فقط عندما تجد شارياً لها .

وفى مجال حفظ الاثار تاتى عملية المتاحف المصرية ومخازنها فليس من المفهوم ان لاتوجد فى المتاحف مصر اجهزة امان الكترونية فى وقت انتشرت فيه هذه الاجهزة فى ابسط المنازل .

وعلى الرغم من انى من غير المتحمسين لفكرة عرض اثار مصر خارج حدودها الا انى على استعداد لقبول الفكرة لو اننا استطعنا الاستفادة منها فى اعادة تنظيم متاحفنا بحيث تعود كل مجموعة بعد عرضها فى الخارج لكى توضع فى متحف مستقل بارض جديدة تخصص للتحف المصرية والتى تملأ المخازن فى كل مكان . اما المتحف المصرى ذلك البناء الجميل والشامخ فينبغى تطويره لكى يكون عارضا لأعظم اثارنا دون ازدحام .

ومنذ اكثر من اثنتى عشرة سنة اثير فى مجلس الشعب المصرى عندما كنت عضوا فيه موضوع عرض اثار مصر خارج حدودها وطريقة رصد الاموال المحصلة منها التى لم تكن حتى ذلك الوقت تعرض على مراقبى الحسابات . وفى تصورى ان الامور لابد وان تكون قد استقامت وان مصر قد استطاعت ان تستفيد ماليا من هذه العروض ولو بجزء من المكاسب المادية لها لكى تقوم فورا بانشاء مدينة المتاحف هذه .

★ ★ ★

والحديث عن الاثار وحفظها لابد وان يتطرق الى موضوع السيلحة التى ارى انها فى حاجة الى اعادة تنظيم بعيدا عن الشعارات المرفوعة حتى تاتى بالنفع المرجو منها لمصر . وحتى يتم توزيع عائدها على اكبر عدد من المصريين ـ فالبادى للعين المدققة ان السيلحة بوضعها الحاضر تضيف على مصر الرسمية اعباء كثيرة ولاتدخل من العملة الصعبة مقدارا موازيا لما ينفق عليها ، كما ان سيلحة المجموعات لاتدر ربحا الا لمنظميها الذين يعيشون خارج مصر كما ان ناتجها لايتوزع على جموع الناس . ولى مع القارىء حديث اخر عن هذا الموضوع الذى يعلق عليه الكثيرون وهم تحسين ميزان المدفوعات المصرى .

الحب شعرا .. والحب نثرا

بقلم: كمال النجمي

إذا وجدت أيها الصديق القارىء تفاوتا في هذا الكلام ، فالسبب أنني لا أكتبه بل أمليه ، ولست معتادا الاملاء ، فقد عشت سنين لا تحصى ، أكتب بيدي ! ..

وضعت القطن الطبي فوق عيني الاثنتين ، وفوق القطن الضماد ، ورقدت لا أرى شيئا ، فقد مرضت عيناي فجاة .. وفحص الطبيب عما فيهما فحصا دقيقا فلم يجد شيئا ، أو لعله لم يعرف شيئا فيما وجد ، فالمرض غامض ، ولا أدري عاقبته ، ولا الطبيب يدري ! .. وقد أصاب هذا المرض شقيقي الأكبر ـ رحمه الله ـ وعاش به صابرا محتسبا عشرين سنة حتى توفاه الله منذ عامين ، ولا أدري كم أعيش به ، وهل أستطيع أن أقرأ وأكتب كما كنت في سالف الأيام ، بل كما كنت منذ بضعة أيام ! ..

آخر مقالة قرأتها قبل أن أستسلم للقطن الطبي والضماد كانت عن « الحب » .. من مقالات صديقنا الأديب الكبير الدكتور شكري عياد في الهلال .

إذكرتني مقالته أديبا عربيا كبيرا آخر تلوح لي صورته كلما وردت على سمعي « سيرة الحب » ، وهو الأستاذ مصطفى صادق الرافعي رحمه الله ..

كان الرافعي محترف حب ـ إن صح التعبير ـ لا يرى امرأة حسناء أو شبه حسناء ، إلا وقع في حبها من فوره ، قبل أن يعزز النظرة الأولى بنظرة ثانية ..

وكان ـ وهو الشديد التدين ـ لا يبالي أن يتعشق راقصة أو ممثلة أو ملكة جمال ، فقد كان الحب عنده ارتفاعا بالفكر والعاطفة والخيال ، وليس له من هذا الحب إلا ما تمسكه أحلام نومه أو أحلام يقظته ! .. وكانت كتابته في الحب لونا من أوهام الذكاء والعاطفة ، فإذا أفاق من أوهامه ، صاح متعجبا يسأل نفسه : أفي الممكن هذا ؟ ! .. أفي المترادف شرعا أن ترقص هذه الجميلة وتصلي ؟ ! .. فقد كان ـ رحمه الله ـ يظن أن كل حسناء يحبها لابد أن تكون صوامة قوامة وإن كانت تمضي



مي زيادة — صادق الرافعي — عبد القادر المازني

الليل كله في صالات الرقص ! ..

وفي كل مرة يتيّمه الحب حتى يصيبه بالخبال ، فيتصور الغانية التي يهواها مخلوقا سماويا ، ثم يرى بعينيه رجلا غليظ الشاربين ، يمسكها من ذراعها البضة فتنقاد اليه انقياد المراة المحترفة اللعوب الى من يتحظاها وينفق عليها من جيبه ! ..

والرافعي هو الذى مهد الكلام فى الحب لكل من تكلم فى عصره عن الحب ، ولكن احدا لم يتكلم مثله ، وحتى الأدباء الذين رفعوا راية التجديد وكتبوا القصة والمسرحية فى ذلك العصر لم يحسنوا الكلام فى الحب باساليبهم الجديدة كما تكلم الرافعي فى مقالاته القصصية ورسائله الغرامية وتهويماته الشعرية النثرية التى ليس لها مثيل فى الأدب العربى ، قديمه وحديثه ..

وكان طه حسين والعقاد والمازنى وجميع ادباء الجيل الماضى متهمين عند الرافعي بانهم لا يحسنون شيئا فى فلسفة الحب والجمال ، ولا طاقة لهم على التوسع فى الكلام إذا قيل لهم : تكلموا أيها الأدباء الكبار عن المراة ، وما حول المراة من عالم يصنعه الخيال ، وعالم يصنعه الواقع ، وما بين هذين من خفقان الشاعر صاحب القلب المسكين ! ..

وللرافعى كتب فى الحب ، أشهرها « أوراق الورد » و « السحاب الأحمر » .. وهما لون من الشعر مكتوب بالنثر ولكنه يحمل من حقيقة الشعر اكثر مما تحمله دواوين كثيرة من الغزل الموزون المقفى ! ..

وكان الرافعى فى شبابه يحاول أن يقول الغزل الفسلفى منظوما فاعجزه ذلك ، فترك النظم إلى النثر ، واعلن ان الشعر العربى باوزانه وقوافيه لا يتسع لبسط المعانى التى يريد التعبير عنها ..

وكانت تعجبه حرية الشعراء الأوربيين فى كتابة الشعر ، ويتمنى لو استطاع ان ينسج على منوالهم ، ولا يبالى ـ وهو شيخ الادب العربى والمدافع عنه تحت



راية القرآن ـ أن يقول بملء فيه : إن الشعر العربي بأوزانه وقوافيه يحجز الشاعر عن بسط شعوره ، فإذا بسطها وشرحها وأفاض فيها سقطت طبقة هذا الشعر وصار نظما كنظم المتون ! ..

وهكذا وضع الرافعي معانيه الشعرية في مقالات وكتب نثرية ، كانت هي الشعر الحقيقي له ، بلا قواف ولا أوزان .. أما شعره الموزون المقفى فقد خف ميزانه ، فانصرف عنه ، وأوشك أن يتبرأ منه ، لولا كبرياؤه ! ..

لم يكن الرافعي على حق في موقفه من الشعر العربي ، وزعمه أنه لا يتسع لبسط المعاني ..

بلى ، إن الشعر العربي بأوزانه وقوافيه ليتسع لبسطه كل معنى يخطر على القلب ، إذا كان صاحبه شاعرا يمتلك أداة التعبير التي يمتلكها الشاعر المطبوع على قول الشعر.

ولكن الشاعر حين يتحول إلى « فيلسوف » مثل الرافعي ، يجد أن بسط فلسفته في القوافي والأوزان أمر بالغ المشقة ، فيصرخ محتجا ، زاعما أن القوافي والأوزان تمنعه أن يبسط فلسفته تمام البسط وأن يعبر عنها بحذافيرها ، ويرسمها شذرة هنا وشذرة هناك ، بلا قيد ولا شرط !

وجميع الذين حاولوا ذلك في الجيل الماضي ، ذاقوا مرارة الفشل ، وعلى رأسهم الرافعي والمازني والعقاد وعبدالرحمن شكري ! ..

هؤلاء البلغاء لم يكونوا شعراء مطبوعين ، بل كانوا من كبار الناثرين المتقحمين على الشعر ، فغلبهم الشعر بسلطانه القاهر ، وأعادهم إلى عالمهم النثري الفسيح ، يسرحون فيه ويمرحون كيف شاءوا ، وكان النثر بالغ السخاء عليهم ، فتوجهم ملوكا في دولته ، وأجلسهم على عروشها !

ولم يكن الرافعي يفرق بين الأفكار الفلسفية التي تحتاج بطبيعة تركيبها الفكري واللغوي إلى تعبير نثري ، وبين الإلهام الشعري للبحت الذي يتسع الشعر لبسط معانيه إلى آخر المدى إذا كان قائله شاعرا مطبوعا حقا على الشعر ، لا ناثرا مطبوعا على النثر ، يعبر عن شعوره نثرا ، ويظنه شعرا ، أو يريده أن يكون شعرا ..

وإنما تضيق ضرورات الشعر عن المعاني التي تحاول أن تركب جناحه الرقيق وهي ليست شعرا خالصا ، ولا هي في حاجة إلى ركوب جناح الشعر الرقيق مادامت قادرة على ركوب حصان النثر القوي المتين ! ..

وإذا كانت ملكة الإبداع الشعري عند شاعر كالرافعي مصحوبة بملكة فلسفية عنيدة لا يستطيع الفكاك منها ، خيل إلى هذا الشاعر أن الشعر بأوزانه القديمة


عباس محمود العقاد

والجديدة لا يتسع له ، وان . . « من نكبة الشعر العربى انه لا يتسع لبسط المعانى » . على حد قول الرافعى ! ..

ان الشعر بأوزانه ليتسع لبسط المعانى ، بشرط أن تكون من معانى الشعر لا من معانى الفلسفة غير المتصلة بالشعر اتصالا ضروريا احيانا ، وقد هجر الرافعى الشعر المنظوم لأنه لم يستطع تحويله إلى فلسفة . وما من شعر بحت يمكن تحويله الى فلسفة كاملة أو إلى نصف فلسفة ، وإن كانت الفلسفة قادرة على خدمة الشاعر خدمة كبيرة إذا اجتمع فى يديه عنان الشعر الخالص ، ولم يكن اصل موهبته النثر لا الشعر ! ..

والرافعى كان شاعرا فى نثره ، اما شعره المنظوم فقد غرق فى التعمل والحيلة لادخال هذا المعنى أو ذاك فى قفص الأوزان ، حتى بلغ شعره المنظوم درجة التكلف .. وبخاصة شعر الحب ، وعلى الأخص شعر فلسفة الحب ! .. وقس على الرافعى المازنى ، وقس على المازنى العقاد ، واضرب بقياسك هذا كل من نسج على منوالهم فى عصرهم وقبل عصرهم وبعده ..

ولم تغب عن فطنة الرافعى درجة التكلف التى وصل اليها شعره ، فانشأ يكتب عن الحب نثرا ، ومن ذلك ما كتبه فى رسائل « أوراق الورد » .. ولم يودع هذه الرسائل صندوق البريد ، وإنما أودعها كتابه هذا وحده ، ليقراه الناس وتقراه محبوبته مع الناس .. وان قيل فيما قيل إنه أرسل بعض هذه الرسائل إلى محبوبته فعلا .. وتلقى منها الرد تهديدا بالشكوى إلى النيابة العامة ! ..

والمدهش أن يقع هذا التهديد بالشكوى إلى النيابة من اديبة تعرف شطحات زملائها الادباء ، وهى « الآنسة مى » اديبة العشرينات والثلاثينيات المتألقة ادبا وجمالا ...

ولكن يبدو انها كانت معذورة ، فإن بعض رسائل أوراق الورد لا تقل تكلفا فى الحب ـ مع انها كلام منثور ـ عن شعر الرافعى الموزون المقفى ! .. لقد هرب الرافعى من التكلف المنظوم فوقع فى التكلف المنثور ، ومن حق « مى » أن تشكو عاشقها المتكلف الى النيابة ! ..

ثم إن الآنسة « مى » كانت تغرق فى رسائل الحب ، فقد انهمرت عليها الرسائل من جميع الأدباء فى عصرها : خليل مطران . جبران خليل جبران .. ولى الدين يكن .. اسماعيل صبرى .. مصطفى صادق الرافعى ، فضلا عن الرسائل الأخرى الشبيهة بالرسائل الغرامية ، ومن بينها رسائل العقاد التى كان ظاهرها يشبه الصداقة ، وباطنها لا يشبه الحب الصادق !

وفي كتاب « أوراق الورد » رسالة غرامية عنوانها « اما قبل » .. وهذا التعبير جاء به الرافعي معارضا قول الناس في رسائلهم : « اما بعد ... » ولم يستعمل احد هذا التعبير إلا الرافعي في عصره ، وربما استعملوه من بعده .. ولعلي رأيت بعضهم يكتبه هنا او هناك او يرفعه لافتة فوق مقالاته . ولا باس في ذلك ، فما اظرفها لافتة ! ..

ولما بعث الرافعي برسالة « اما قبل » الى الآنسة « مي » ردت عليه ، اى كتبت اليه بخط يدها ولم تزد أن كتبت على غلاف احد كتبها وقد اهدته اليه « اما بعد فاليك ياصديقي ، جواب « اما قبل والسلام .. » .. ويأله من إهداء ارادت به مي أن تزيد الرافعي خبالا ! ..

وطفق الرافعي يقرا كتاب « مي » من اوله إلى آخره عدة مرات حتى يفهم ماذا فيه من الجواب الذى تشير اليه ، حتى وجد في نهاية الكتاب كلمات تقول فيها : « سابين لك افتقارى إلى العطف والحنان ثم ابكي امامك وانت لا تدرى .. » ! .. وامسك الرافعي بهذه الجملة كما يمسك الغريق بقشة ! ..

كان الرافعي طفوليا في حبه على حدة ذكائه ، فكيف خفي عليه أن ما تقوله له « مي » عن افتقارها الى العطف والحنان .. الخ هو كلام مطبوع في كتاب صدر قبل ان يكتب هو ورقة الورد التي سماها « اما قبل » ؟! وهل ثبت لدى الرافعي الفطن الاديب ان « مي » لم تهد هذا الكتاب الا اليه وحده وأن افتقارها الى العطف والحنان وهو افتقار مطبوع بحروف المطبعة يمكن أن يكون افتقارا اليه وحده من دون سائر اهل الادب والفكر واهل العطف والحنان الذين كانوا يهرعون الى ندوتها في القاهرة كل ثلاثاء بينما كان الرافعي قابعا في طنطا يدبج « أما قبل » ؟! .. وكأنه لم يسمع قول الشاعر إسماعيل صبرى باشا :

إن لم امتع بمي ناظرى غدا   انكرت صبحك ياليوم الثلاثاء

رحم الله الرافعي « ومي » وادباء ذلك العصر الذين عاشوا في احلام الرومانتيكية وحلاوتها وعرفوا الزمان في شبيبته فظفروا منه بالسرور والحبور ، علي ما كان يثور بينهم من معارك تشيب لها الولدان !

اما « اوراق الورد » فإنها تفصح عن شعور بعيد المدى وعاطفة عميقة الغور وشاعرية مرهفة كحد السيف ، لولا انها واقعة تحت ضوابط عقلية ولغوية ، غارقة في تهاويل وطلاسم تظن معها انها من عمل الجن لا من عمل الانسان .. وما كان اروعها لو انها تحررت من هذه التهاويل والطلاسم والضوابط العقلية واللغوية .. وما أشعرها لو انها كانت شعرا لا نثرا ..

لا اقصد بالتحرر من الضوابط اللغوية أن يخرج تعبير الرافعي من نسجه الذى انفرد به وامتاز به على غيره .. وانما اقصد الا يكون التعبير محتجزا وراء سد عال من البراعة اللفظية البحتة ، وهي غير الفصاحة وغير الاناقة الفكرية فهاتان لا غبار عليهما ، بل لاغنى عنهما لمن اراد أن يكتب كلاما فوق كلام عامة الناس .

والحديث عن الحب شعرا ، والحب نثرا لم يكتمل بعد ، فليتنا نلتقى على تكملته في مناسبة اخرى .. إذا اسلست لنا طريقة « الاملاء » قيادها .. إن شاء الله ..

أقوال معاصرة

● . انا لاافقت الحكومة . .

جـورج بـوش

رئيس الولايات المتحدة


جورج بوش

● . مصر اوسع ملعب سياسى فى المنطقة .

محمد حسنين هيكل


محمد حسنين هيكل

● . عندما اردت ان اصبح مخرجا . اصبحت مخرجا . فالسينما تستطيع ان تتعلمها بنفسك .

ديدرو المودوفار

المخرج الأسبانى

● . ازمة الشرق الأوسط اجهدت كل الاطراف .

فيرنون والترز

رئيس وفد الولايات المتحدة لدى الامم المتحدة سابقا

● . لن اقلد نجيب محفوظ ، فلى طريقتى ورؤيتى واسلوبى .

عبدالحكيم قاسم

الأديب المصرى

● . من لـه صديق مثـل الشعب المصرى ، فلا خطر على مستقبله .

إميل حبيبى

الاديب الفلسطينى


اميل حبيبى

● . ما اسهل ان يكون المرء شجاعا بأثر رجعى .

يننينجر

رئيس البوند ستاج "برلمان المانيا الغربية" سابقا

بقلم: د. شكري محمد عياد

طوبوية أم رجعيه في فلسفة التعليم

البحث في مشكلات التعليم ، في هذه الأيام ، يعني الإبحار بين صخرتين : صخرة تسمى "الخيالية" ، وصخرة تسمى "الرجعية" .

ولعلك تلاحظ أن الذين يتهمون بأنهم خياليون ، يتعامون عن الواقع ، ولا يتعلمون من التجارب ، ليسوا عند أنفسهم إلا اشتراكيين مخلصين ، يتمسكون بنص دستورنا الاشتراكي ، الذي جعل التعليم بجميع مراحله حقا مكفولا لجميع المصريين ، وأن الذين يرمون بالرجعية والدوران على الدستور وتحويل "الانفتاح" إلى رأسمالية غير مقيدة ، هم عند أنفسهم أناس واقعيون ، عمليون ، اصلاحيون ، لا يتعبدون للنصوص (مادام تغيير الدستور أو تعديله ، على الأقل في مسألة الاشتراكية ، غير ممكن في الوقت الحاضر) بل يعنيهم أن يرتفع الدخل القومي ، ويسعد الجميع ، وهذا لا يتحقق إلا بزيادة الانتاج ، واستيراد التكنولوجيا المتقدمة .

● وهكذا نرى أن البحث في مشكلات التعليم يضعنا في قلب مشكلاتنا الاجتماعية ، ونحن نحب أن نفكر في هذه المشكلات على ضوء اثنينية أخرى ، غير اثنينية الاشتراكية المتهمة بالخيالية ، والرجعية المنعوتة بالواقعية ، بل نتمنى لو نستطيع ، في واقعنا المأساوي الراهن ، أن نتخلى عن هذه الأسماء بكل ما فيها من ارتباطات حسنة عند البعض ، سيئة عند الآخرين ، والاثنينية التي نقترحها هي اثنينية القيم الاجتماعية والقيم المادية . وأظن - ابتداء - أن هاتين التسميتين لا تحملان مثل تلك الارتباطات ، فكلا النوعين من القيم ، الاجتماعية والمادية ، مطلوب ومحبوب .

وليعذرنا الذين لا يريدون أن يتحدثوا

عن التعليم إلا بمنطق "الخطة التعليمية" و"المناهج الدراسية" والمراحل والسنوات والفصول واعداد المعلمين الخ . فنحن كما ترى نتكلم عن قيم ، اى عن فلسفة اجتماعية كامنة وراء هذه التفصيلات ، ونحن - لكي نكون صرحاء - نشك في فائدة بحث التفصيلات قبل أن نبين الأهداف العليا التي نسميها بالقيم .

فالأهداف منها القريب والبعيد ، الداني والعالي ، واظن أن الطلاب في معاهد المعلمين لا يزالون مطالبين بتحديد "الهدف الخاص" و"الهدف العام" في راس المذكرة التي يكتبونها عند تحضير كل درس . واظنهم لا يزالون يقفون حائرين أمام هذين البندين اللذين يطالبهم بهما أستاذ التربية العملية ، وينتهون إلى أن يكتبوا تحتهما كلاما انشائيا لا معنى له والسبب في هذه الحيرة أن القيم أو قرين الأهداف العليا المبتغاة من عملية التعليم كلها غير واضحة في أذهانهم ، كما أنها غير واضحة - وليغضب من يغضب ! - في اذهان واضعي السياسة التعليمية في بلد لايزال ينظر شزرا الى كلمة "فلسفة" ، ويسيء الظن بكل شيء "نظري" على اعتبار أنه قرين للخيالي ونقيض للعملي المفيد ، ولذلك جرت العادة منذ أوائل هذا القرن على إسناد السياسة التعليمية وضعا وتخطيطا وتنفيذا إلى من اصبحنا نسميهم "رجال التعليم" ، وهم المعلمون المهنيون الذين تخرجوا في كليات التربية ، وحصل قادتهم على دكتوراه التربية (غالبا من أمريكا) ، وقاموا يبشرون "بالتربية الحديثة" في بلادنا التي لايزال نصف أهلها من الأميين ، والنصف الباقي - إلا من رحم ربك - يختلفون الى المدارس سنين تطول او تقصر ويخرجون منها وعقولهم لا تختلف كثيرا عن عقول الأميين ، بل ربما قلت إنهم يفقدون من الخبرة المباشرة بالناس والاشياء ما يحصله هؤلاء .

فأقطاب التربية الحديثة مشغولون بالمشكلات الجزئية في عملية التعليم ، ونشاط المتعلم ، عن السؤالين الجذريين : ماذا يريد المعلم من المتعلم ، وماذا يريد المتعلم من المعلم ؟ ربما ترجموا هذين السؤالين - كمهنيين حاذقين - باثارة الاهتمام من جهة ، واكتساب المهارات من جهة أخرى ولكن الاهتمام بماذا ؟ واكتساب اى مهارات ؟ هذا ما لا يبحث فيه المهنيون . إنما هو شغل الفلاسفة اصحاب النظريات وأين هم ؟

● استاذ انجليزي لفلسفة التربية

قبل أن أحدثك عن هذا الاستاذ ، أريد أن افضي اليك ، ياقارئي العزيز ، بسرٍّ من اسراري .

فقد اصبحت اتذوق الحديث عن الماضي : اعرف لذة أن يكون الانسان تاريخا حيا ، وإن لم يكن تاريخا موغلا في القدم ، خمسين سنة او اقل قليلا او أكثر

قليلا (أدعوا لى بطول البقاء حتى أحدثكم عما كان قبل مائة عام) . وما لى اقول إنه سر ؟ وهل استطعت أن اخفى سرا عن قرائى ؟ الم أحدثكم عن بكائنا ، ونحن صبية ، على روايات المنفلوطى ؟ الم احدثكم عن البهر ، والتلعثم ، والتمتمة ، عندما كان الشاب منا يجد نفسه واقفا ، بمحض المصادفة ، على بعد مترين من احدى زميلاته فى الجامعة ؟ الم احدثكم قبل ذلك عن اقتصاد القرية الذى كان يقوم على تعدد الأغراض للشىء الواحد ، فالجاموسة تدير الساقية وتعطى اللبن كما تعطى نوعا ممتازا من الوقود ، والدجاج يأكل فضلات الطعام فيلغى مشكلة القمامة ويعطى البيض واللحم ونوعا جيدا من السماد ، والفرن يخبز فيه ويدفىء القاعة ، والنوم على قبته يطرد البرد من العظام ، وفى أعقاب الخبيز يطهى فيه الطعام ويدفأ الماء ويؤخذ منه رماد يُذرّ على الجرح فيطيب ، لهذا يمكن لمن شاء أن يتهمنى بالرجعية ، فلست انكر أننى أتحدث عن هذه الأشياء بنوع من الحنين ، وربما خيل لبعضكم أنها فردوس المفقود ، ولكن هذا غير صحيح ، فابن القرية ـ ولا سيما إذا لم يكن من طبقة ملاك الاراضى الأغنياء ـ هو أدرى الناس بتخلف البيئة وشقاء الفلاح فى تلك الأيام . هو أدرى الناس بالظلام الدامس الذى لا يستطيع المرء السير فيه الا مهتديا بالغريزة أو بنور "الشعلة" وهى عبارة عن فتيل مركب فى وعاء يملأ بالجاز (الكيروسين) وليست له زجاجة تحصر اللهب . أدرى الناس بالحرائق التى ربما اتت على قرى بأكملها لأن الفلاحين تعودوا أن يخزنوا حطب القطن أو الذرة فوق أسطح البيوت . أدرى الناس ببؤس الفلاح الذى لم يكن يلبس "المداس" إلا فى المناسبات ، ولا يأكل اللحم إلا فى المواسم .

ولكننى حين أتحدث عن الحب أيام زمان اريد أن أنبه شباب هذه الأيام إلى أن الحب ينبت أولا فى أعماق الشعور ، ليدخل فى بناء الشخصية ، يغذى الطموح ، ويرهف الاحساس ، ولا أدعو ـ مثلا ـ إلى أن يحل الشك والخوف محل الزمالة والثقة بين الجنسين . وكذلك لا اتمنى أن يعود الجمود والتخلف إلى مجتمع القرية أو المدينة ، إن "التغيير" ـ على كل حال ـ وبصرف النظر عن مشيئتنا ـ هو قاعدة الحياة . ولكن التغير يمكن أن يكون نحو الأفضل أو الأسوأ ، والتغير نحو الأفضل هو التغير المتكامل ، التغير فى كل مقومات الحياة ، أما التغير الذى يصيب جانبا دون جانب فلعلكم توافقوننى على أن اسمه الصحيح هو التحلل أو الانهيار . والنظام الاقتصادى الاجتماعى القديم كان نظاما متكاملا رغم تخلفه ، ولذلك كان السلوك سويا ، وكان الناس متساندين ، ولم يكن المستقبل يبدو مظلما كما يبدو الآن للكثيرين ، ومعنى التكامل أن هناك قيما محترمة من الكافة ، أن هناك "فلسفة" مهما تكن ساذجة .

هذه عبرة أهديها للمشتغلين بالسياسة ، إن مهمة الحكم تبدو فى هذه الأيام بالغة الصعوبة ، رغم أن ما يسمى "مستوى المعيشة" ـ أى الظروف العادية

للحياة ـ قد ارتفع كثيرا منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو ، وكانت هذه المهمة أسهل بكثير قبل ذلك ، رغم وقوع بعض الاغتيالات . فما سبب هذا الاختلاف ؟ هل تحول الشعب الطيب السهل القياد فجأة الى شعب متمرد عنيد ؟ فى تقديرى أن الاختلاف إنما يرجع الى افتقاد "فلسفة حياة" شاملة متكاملة .

ولكننى حدثتكم عن سر شخصى فى عودتى إلى الماضى ، ووضعت عنوانا لم اقترب منه حتى الآن ، فلأنفض السر إليكم حتى لا أطيل الاستطراد .

اتفق لى منذ بضع سنوات ـ أم لعلها بضع عشرة سنة ـ أن دخلت قاعة تنظيم الامتحان فى احدى الكليات ، فسمعت قائلا يقول لزميله له : "دعك من فلان ، إن الرجل اذا تجاوز الأربعين لا ينتظر منه خير" ، فقلت فى نفسى : "يالك من أحمق ، إن الرجل لا يتجاوز مرحلة الطفولة إلا حين يبلغ الأربعين ، ولا ينطق بالحكمة إلا بعد أن يتجاوز الستين" ، وترحمت على افلاطون الذى جعل الحكام فى مدينته الفاضلة لا يبلغون هذه المنزلة إلا بعد تجارب طويلة تمتد بهم عبر الشباب والكهولة ودعوت الله ألا يكون قومنا العرب اقل حكمة من أهل الصيت .

والدكتور حامد عمار . وكان عبدالعزيز وزميل آخر هو أحمد فتحى عيسى مولعين بتقليد ذلك الأستاذ فى لغته الرومانسية ولهجته الخطابية . أما ذكرياتى عن الأستاذ نفسه فتنحصر فى حركاته وتعبيرات وجهه التى يحاول أن يجعلها مرحة ، ومشيته السريعة ذهابا وجيئة بعرض المدرج ، وفى يده مضرب ذباب أشبه بقطعة "اكسسوار" فى يد ممثل ، أما فلسفته التربوية فلا أذكر منها إلا تلك العبارة الواحدة التى كان يتندر بها عبدالعزيز كامل وأحمد فتحى ، وسياقها المباشر الذى يدل على ايمان الرجل بأن التعليم يجب ألا يحول بين الطفل وبين السعادة . باختصار كان الرجل من مبشرى التربية الحديثة (مما سمعناه عنه انه كان بالفعل قسيسا) فى شعب كل ما يعرفه عنه أن معظم أطفاله يتعلمون فى الكتاتيب ويمدون فى الفلقة .

هذا ما اعيه الآن ـ بعد كد المذاكرة ، مضافا اليها خبرة الستين ـ من فلسفة الرجل التربوية . فإذا كان لأولئك الزملاء الافاضل اضافة يضيفونها فإننا جميعا يمكننا أن ننام مستريحى الضمير .

● فلاسفة ثلاثة

لذلك ترونني اتحدث عن الماضى دائما وإن لم يكن بى حنين دائم إليه . اما حكاية أستاذ فلسفة التربية الانجليزى فترجع إلى ايام الحرب العالمية الثانية (١٩٤١ و١٩٤٢) ويطيب لى أن اذكر من زملاء تلك الفترة زميلين لا ازال أحتفظ بمودتهما وأشرف بها وهما الدكتور عبدالعزيز كامل

اما انا فلا اعرف إلا فلاسفة ثلاثة صنعوا نهضة مصر التعليمية ـ ومن ورائها الشرق العربى كله ـ فى العصر الحديث . وهى نهضة لن تتوقف بإذن الله : رغم كل العثرات . ولكنها لكى تستمر يجب أن تعتمد على فلسفة تعليمية شاملة ، راسخة الجذور فى

مشكلات امتنا العربية وتطلعاتها .

اول هؤلاء الفلاسفة هو محمد على الكبير . وكانت فلسفته تقوم على قاعدتين : استيراد التكنولوجية الغربية المتقدمة وتوطينها بأسرع ما يمكن فى ارض مصر ، هذا من ناحية مادة التعليم ، اما من ناحية وظيفة التعليم أو الهدف النهائى منه فهو بناء الدولة القوية ، واعداد الأفراد للقيام بدورهم فى عملية البناء هذه .

كان الهدف النهائى واضحا امام واضعى السياسة التعليمية كما كان واضحا أمام الفرد المتعلم . انشئت المدارس التكنولوجية واستقدم لها الخبراء من فرنسا وإيطاليا والمترجمون من الشام ، وتخرج جيل من المهندسين والأطباء والفنيين لخدمة جيش محمد على . كانت القيمة الاجتماعية تعنى التقدم فى وظائف الدولة ، والقيمة الاخلاقية تعنى الولاء للدولة ، وكان ارتقاء الشخص فى وظائف الدولة ، ومن ثم احترامه لنفسه وشعوره بقيمته الذاتية ـ كانت كلها مرتبطة بنشاطه فى تحصيل العلم وقدرته على النهوض بالأعباء التى تفرضها عليه خدمة الدولة . وكانت هذه المثل التعليمية مناسبة كل المناسبة لنظام حكم أوتوقراطى عاكف على وضع القواعد المادية لدولة جديدة قوية ، كما فعل بطرس الأكبر فى روسيا من قبل ، والإمبراطور ميجى فى اليابان من بعد .

الفيلسوف الثانى هو أحمد لطفى السيد ، الذى كانت افكاره وراء انشاء الجامعة المصرية القديمة (الأهلية) ، كما كان أول وأهم مدير للجامعة الحكومية الاولى فى مصر والعالم العربى . ربما كانت شخصية أحمد لطفى السيد اقرب إلى النمط التقليدى للفيلسوف من كل من عرفتهم مصر من المصلحين ، ولكن تاثيره فى اتجاه السياسة التعليمية لم يكن اقل من تاثير سلفه الجندى ذى النزعة العملية ، كما أن شخصيته لم تكن اقل تناقضا ، كان ارستقراطيا فى انتمائه السياسى ، ليبراليا فى منزعه الفكرى ، وكان يقدم الفكر على العمل ، ورأى الجماعة على رأى الفرد ، ولذلك حاول أن ينشىء فى الجامعة بيئة فكرية راقية تهتم بالعلم من أجل العلم ، لا من أجل تخريج موظفين أو مهنيين ، وكأنما اراد أن يجعل من الجامعة المصرية صورة من اكاديمية افلاطون أو ليكيوم ارسطو .

إن فلسفة لطفى السيد التعليمية ترتكز على فكرة الجامعة ، وفكرة الجامعة عنده لا تفهم بمعزل عن فكرة الصفوة . وإذا كان مفهومه للصفوة قائما ـ فى أغلب الظن ـ على معايير عقلية وخلقية ، لا على معايير مادية ، فإن الواقع العملى كان يجعل الانتماء إلى هذه البيئة العلمية الراقية مقصورا ـ بوجه عام ـ على أبناء المقتدرين ، ولكن فكرة العدالة الاجتماعية لم تكن من الأفكار التى تؤرق الليبراليين ، وكان للصفوة المثقفة التى التفت حول فكرة الجامعة دور كبير فى الدعوات التحررية التى شملت السياسة والاقتصاد والعلاقات الاجتماعية وهزت أركان المجتمع التقليدى وأجتذبت فئات كبيرة من الشعب . كان النموذج الأعلى

للشخص المتعلم الذى أظهرته الفلسفة التعليمية الجديدة مختلفا أشد الاختلاف عن النموذج الذى أظهرته مدارس محمد على التكنولوجية .. كان صاحب فكر نظرى ولم يكن صاحب مهارة عملية ، وكان ولاؤه لمفاهيم مجردة على رأسها مفهوم الحرية ، ولم يكن ولاؤه للدولة أو لمن يمثل سلطة الدولة . وكان هذا النموذج ثوريا وتقدميا لان دولة محمد على اعقبت دولة مغلوبة على امرها ، مرهونة لارادة الأجنبى ، بينما كان الشعب يتململ طلبا لحياة افضل .

ولكن هذه القيادة المثقفة كانت تبيع للشعب احلاما واما لا تعجز عن تحقيقها . كانت تحدثه عن الحرية وهو اسير الفقر والحاجة ، وكانت تحدثه عن الكرامة الانسانية وهو حليف الذل والمسكنة ، كانت تهيئه ـ بوعى أو بدون وعى ـ لثورة اجتماعية كبرى ، وبما أن هذه القيادة كانت ترى أن التغير الاجتماعى يبدأ بالتعليم ، فقد رأت أن حرية الشعب يمكن أن تتحقق حين يصبح التعليم حرا كالماء والهواء . وأى نوع من التعليم ؟ التعليم كما تفهمه ، التعليم تحت شعار "العلم للعلم" .

هذا التناقض الكامن فى فلسفة لطفى السيد التعليمية أصبح ظاهرا فى فلسفة تلميذه طه حسين ، فطه حسين كان مثل استاذه ارستقراطيا فى تصوره لطبيعة العلم ، بينما كان شعبيا فى نظرته الى حق التعلم ، كان يؤمن بالعلم على أنه كمال إنسانى ، كما كان يؤمن به فلاسفة اليونان ، الذين أرادوا أن يعلموا شعبا من المواطنين الأحرار ، يعيش على عمل شعب يماثله أو يفوقه عددا من العبيد والمرتزقة الاغراب ، ولم يتزحزح قط عن إيمانه هذا ، ولكنه اراد فقط أن يسوى بين الغنى والفقير فى الارتواء من هذا المورد الروحى العظيم ، وما أظنه نسى أو تناسى ان البشر يختلفون فى قدرتهم على اكتساب العلم ، ولكنى اظنه تجاهل المشكلات الاجتماعية الضخمة التى ينطوى عليها فتح أبواب العلم بلا حدود سوى تلك التى تفرضها القدرة العقلية . تجاهل ان الناس ـ أغنياء وفقراء ـ قد يصرون على بلوغ اعلى درجات التعليم ـ بصرف النظر عن قدرتهم ـ طلبا للمجد أو طلبا للمال ـ وكان عليه ـ منطقيا ـ أن يدعو إلى الغاء الشهادات وإلغاء الالزام والغاء الارتزاق بالعلم ، ليكون التعليم حقا كالماء والهواء .

ويظل طه حسين هو آخر من نعرف من فلاسفة التعليم ، ولا تزال فلسفته تحكم سياسة التعليم حتى اليوم ، رغم ما قاله عنه المتطورون من "رجال التعليم" . وما ذلك إلا لأن فلسفته كانت بنت بيئتها وظروفها ، ولكنها استنفدت أغراضها عندما تغيرت البيئة والظروف ، وأصبحنا فى حاجة الى فلسفة تعليمية جديدة تحقق تطلعات مجتمع جديد . ومهما تكن هذه الفلسفة فلن تكون مبنية على فكرة ارستقراطية عن العلم ، ثبت أنها لا يمكن أن تتأقلم مع مجتمع يريد أن يكون ديمقراطيا ، ولن يكون حرصها على الرموز الاجتماعية أعظم من حرصها على مقومات الحياة .

المستقبليات

علم أم ايديولوجيا

بقلم : د . عبد العظيم أنيس

يزداد الحديث في الحديث وينتشر في أوساط بعض المثقفين والصحفيين عن المستقبليات ، أي الدراسات التي تعنى بالتنبؤ بمستقبل العالم ، والنظام الاقتصادي ومسائل التكنولوجيا ... الى آخر هذه القضايا التي تتعرض لها مثل هذه الدراسات . وعندما يراد ضرب المثل على مدى ما وصل اليه البحث "العلمي" من تقدم في الغرب تذكر على الفور نماذج الكومبيوتر مثل نموذج "حدود النمو" و نموذج "البشرية عند نقطة تحول" .

ولما كانت هذه النماذج تحتوي على مئات المعادلات الرياضية وعلى الآلاف من الاحصاءات وعمليات حسابية مستحيلة التحقيق على الكومبيوتر ، يتصور البعض ان نتائج هذه النماذج هي نتائج محايدة خالية من احكام القيمة والتوجيهات الايديولوجية ، اي انها "العلم" في انقى صورة .

ولا شك ان المستبشرين في الوطن العربي الذين ينجرفون في اتجاه هذا التيار انما يفعلون ذلك بحسن نية ، ولوتفهم هذا جانبه الايجابي اذ انهم مهتمون بقضايا المستقبل خصوصا بما ينتظر مصر أو العالم العربي من تطورات ايجابية أو سلبية يمكن ان تلعب دورا هاما في صياغة مستقبلنا .

غير ان ما يجب الانتباه اليه هو ان الكثير من هذه البحوث في المستقبليات ليس بعيدا عن المعركة المستعرة السياسية والفكرية التي يقصد بها تدعيم وجهة نظر معينة ، فلا هي محايدة أو خالية من احكام القيمة ، واستخدام الرياضيات أو الكومبيوتر لا يغيرون من الامر شيئا .

وليس هذا في الحقيقة نقدا جديدا لنماذج المستقبليات ، فقد وجهت اليها انتقادات عديدة في الغرب نفسه وفي الدول الاشتراكية وبلدان العالم الثالث وخصوصا امريكا اللاتينية على يد علماء كبار . ولم تجد معظم هذه الانتقادات ردا مقنعا ، بل لقد حاول بعض الباحثين في الغرب تلافي بعض هذه العيوب الظاهرة . الا ان النقد الاساسي الموجه اليها يمكن صياغته على النحو التالي : ان الافتراضات الرئيسية عندما تصاغ رياضيا على هيئة معادلات ، وعندما توضع في الكومبيوتر فانها لا تنتج الا افتراضات رئيسية ! ولا يعود الذنب في هذا لا للمعادلات الرياضية ولا للكومبيوتر وانما الى الافتراضات والاتجاهات المتبعة .

ويرتبط بهذا ايضا الانتقادات التي وجهت الى المنهجيات التي استخدمت في معالجة هذه النماذج ، وهي المنهجيات التي تتضمن فكرا معينا وتصورا معينا للتقدم الاجتماعي والافتراضات معينة لطريقة عمل النشاط الانساني ، وتلك كلها جزء من ايديولوجيا الباحث وتوجيهه الفكري .

ان العديد من الدراسات التي اشتمل عليها تقرير « حدود النمو » في النتائج التشاؤمية عن مستقبل البشرية انما اعتمدت على منهجية الاستكمال الخارجي ولتوضيح هذه الطريقة نفرض مثلا ان لدينا بيانا عن الصادرات المصرية من عام ١٩٥٠ الى عام ١٩٧٠ والتقينا وضعنا هذا البيان على هيئة رسم بياني في مستوى له محوين ، أحدهما الزمن والثاني مقدار الصادرات في كل سنة . اذا حاولنا مثلا تقدير مقدار الصادرات في منتصف عام ١٩٦٠ من خلال الرسم البياني فان ذلك يسمى استكمالا داخليا لانه في حدود الفترة الزمنية التي لدينا صادراتها (من عام ١٩٥٠ الى عام ١٩٧٠) .

ولكن اذا حاولنا من اتجاه هذه النقط التي امامنا التنبؤ بقيمة الصادرات عام ١٩٧٥ ، أي خارج نطاق السنوات محل البحث فان هذا يسمى « الاستكمال الخارجي » .

ومشكلة هذا الاسلوب هو انه يفترض ان النزعة التي سادت في الماضي هي نفسها التي ستسود في المستقبل ، اي هو في الحقيقة قائم على اساس افتراض ثبات الوضع الراهن والنزعة الحالية .

وهذا الاسلوب الذي قام عليه نموذج « حدود النمو » يعود الى ما قبل ذلك بكثير . والحقيقة ان نتائج هذا النموذج الشهيرة التشاؤم انما هي امتداد لتنبؤات مالتس عندما نشر عام ١٧٩٨ كتابه المعروف (مقال عن السكان) . ولم يكن مالتس مشغولا لا باحوال العالم في المستقبل ولا حتى باحوال بريطانيا ، بل كان مهتما صراحة بالهجوم على فلسفة المساواة والتقدم الاجتماعي التي نادى بها مفكرون من امثال روسو والتي بشرت بها الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ ، اي

٢٤



المستقبليات

قبل كتاب مالتس بتسع سنوات فحسب .

● منهج الاستكمال الخارجي

ولقد كان منطق مالتس بسيطا واشتمل ضمنا على استخدام منهجية الاستكمال الخارجي . وبهذا وصل هو الى قناعة أنه بدون الحروب والكوارث فان سكان البشر سوف يتضاعفون كل خمسة وعشرين عاما بينما لا يمكن أن تزيد موارد الطعام في العالم - في المدى الطويل - بهذه المعدلات . والنتيجة هي المجاعة بالطبع ما لم « تفرض ضوابط أخرى على نمو السكان » ولقد استخدم كتاب مالتس هذا في الهجوم على الطبقات العاملة وتحول الى سلاح ايديولجي في المعارك بين العمال والرأسماليين .

اما المنهجية الثانية التي تعاب على هذه النماذج التي صدرت في الغرب فهي اللجوء الى عقد مشابهات بين التغير الاجتماعي وعمليات النمو البيولوجية التي تستخدم فيها فكرة النمو المتسارع للمجتمعات الحيوانية العملية والتي يفترض فيها نمو الخلايا الفردية على شكل منحنى معين . ويرتبط بهذا افتراض أن النظام الاجتماعي والمتغيرات الاقتصادية تخضع لمبدأ التوازن الذاتي للنظام كما هو الحال في الانظمة البيولوجية . وربما كان مثل هذا الفرض مفيدا في اقتصاديات السوق ولفترة زمنية وجيزة . لكنه لا يكون صالحا في اقتصاديات تتبع أساليب التخطيط ، فكما أشرت في مقال سابق فان مجموعة من العلماء السوفييت قاموا باعادة

حساب نموذج « حدود النمو » على أساس آلية التخطيط في الاستثمار الرأسمالي فكانت النتيجة أن « الكارثة العالمية » المتنبأ بها في نموذج « حدود النمو » قد أمكن تجنبها تماما . لكن آلية التخطيط ليست متسقة مع الاقتصاد الرأسمالي ولهذا تجاهلها صانعو النموذج .

● التكنولوجيا والتغير الاجتماعي

ونستطيع ايضا ان نشير الى افتراض ضمني قائم في العديد من هذه النماذج المستقبلية التي ظهرت في الغرب ، الا وهو أن التكنولوجيا هي القوة الرئيسية للتغيير الاجتماعي .

ان كثيرا من التنبؤات المستقبلية التي صدرت في الغرب في العقد الاخير هذا صراحة ، ولعل اقرب مثال كتابات تتضمن هذا صراحة ، ولعل أقرب مثال كتابات الامريكي ألفن توفلر وكتابه « الموجة الثالثة » .

والحقيقة أن ما يقوله توفلر وأمثاله ليس جديدا ، فلقد سبقهم الى ذلك أستاذ علم الاجتماع الامريكي المشهور وليم أوجبرن منذ الثلاثينيات ولقد قام أوجبرن بصهر نزعتين أساسيتين من الفكر المحافظ في برنامج بارز عن التنبؤ الاجتماعي والتكنولوجي .

الاولى هى الاعتقاد فى تكشف بطىء منضبط لمعظم النزعات الاجتماعية ، والثانية هى أن التكنولوجيا فى حد ذاتها هى المحدد الرئيسى لشئون البشر وتغيرات المجتمع . وحتى اليوم مازالت هذه الفكرة هى السمة الاساسية لكل التوقعات الراهنة فى الغرب مع تعديلات بسيطة .

وان الازمة الاقتصادية الراسمالية لسنوات ما بين الحربين العالميتين قد ابرزت ضخامة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية فى الولايات المتحدة . ولمواجهة هذا الوضع أمسك عدد من علماء الاجتماع والسياسة بفكرة « النزعة الاجتماعية » . واستخدم اوجبرن حجة أن فحص هذه النزعات — من خلال البيانات الإحصائية — يوضح أنها تتغير ببطء . ولهذا فان المرء يمكن أن يتنبأ بثقة بالتغيرات الاجتماعية عن طريق استخدام منهجية « الاستكمال الخارجى » ومثل هذا التفكير لا يترك مجالا لتغيرات كيفية فى النظام . أما لماذا يحدث التغيير الاجتماعى أصلا فقد أعاد أوجبرن وأمثاله هذا الى الاختراعات التكنولوجية باعتبارها القوة الدافعة الاساسية .

هناك ثلاثة انتقادات رئيسية اذن توجه الى هذه النماذج الغربية للتنبؤ بالمستقبل ... أولها اللجوء الى منهجية الاستكمال الخارجى التى تفترض بقاء الوضع الراهن ، وثانيا اللجوء الى اليات تستخدم فى دراسة النمو البيولوجى لتطبيقها على التغيرات الاجتماعية مثل فكرة التوازن الذاتى للنظام ، وثالثها افتراض ان التطورات التكنولوجية هى القوة الدافعة الرئيسية للتغير الاجتماعى .

● استخدام السيناريوهات

ولقد أدى ادراك الكثيرين فى الغرب لصعوبة قبول منهجية الاستكمال الخارجى على اطلاقها والدفاع عنها الى الاعتراف — ولو على مضض — (خصوصا بعد نهاية مرحلة التوسع الاقتصادى فيما بعد الحرب العالمية الثانية ونمو الصراعات الطبقية فى المجتمعات الصناعية المتقدمة) ، بأن اسقاط الماضى على المستقبل يمثل مشكلة ومن هنا طورت فكرة استخدام السيناريوهات كأسلوب اخر فى بحث امكانيات المستقبل . وكل « سيناريو » موضوع فى النموذج هو أحد التصورات التى يعتقد مؤلف نموذج انها ممكنة الحدوث فى المستقبل . لكن المشكلة هنا ايضا أن منهجية الاستكمال الخارجى تستخدم أيضا فى حسابات الانظمة الجزئية داخل النظام الكلى للنموذج . وفى غالب الاحيان تعتمد هذه السيناريوهات على فروض غير صريحة عن استقرار العلاقات الاجتماعية المولدة للنزعات التى يطبق عليها الاستكمال الخارجى .

المستقبليات

ومن هنا بدأ تطوير تقنيات جديدة وأساليب المحاكاة وغيرها مما لايمكن التعرض له في مثل هذا المقال الموجز

ان ما ينبغي تأكيده ـ في ختام هذا المقال ـ هو أن الكثير مما يسمى بدراسات المستقبل في الغرب لم ينشأ من فراغ ، وانما كان يعكس في الغالب هواجس وقلق العديد من الشركات الدولية العملاقة المشغولة بالانتاج الحربي أو السلمي من المستقبل في ظروف غير مؤكدة لامكانيات التطورات والتحولات التكنولوجية وأوضاع المواد الخام ٠ ومن هنا بدأت محاولات التنبؤ بالامكانيات المستقبلية من خلال استخدام أسلوب الاستكمال الخارجي للاداء التكنولوجي الماضي ٠

حدث هذا على نطاق واسع في الصناعات الحربية الامريكية وصناعات الطيران بازدياد تواطؤ مجموعات البنتاجون وبعض أقسام الرأسمالية الكبيرة الامريكية في التطوير المستمر لاسلحة الدمار٠وليس بالصدفة أن الدراسات المستقبلية لعالم مثل كاهن قد اعتمدت بقوة على خبرات التنبؤ في الاغراض الحربية وما ارتبط بها ٠ ولقد عمل كاهن سنين طويلة في مؤسسة راند ، وهي مؤسسة من النوع الذي يسمى في الغرب وهي وثيقة الارتباط بسلاح الطيران الامريكي ٠ كما ان انشاء « نادي روما » على يد مجموعة الرأسماليين الاوربيين ، وما تفرع عنه من دراسات مستقبلية ، انما كان يعكس في الاساس قلق الشركات الاوربية العملاقة على مستقبل توفر المواد الخام واحتمالات تطور أسعارها ٠

هل هذا يعني أنه لا أمل في المستقبل من مثل هذه الدراسات وامكانيات الاستفادة منها ؟

بالطبع لا ، لكن البشرية سوف تحتاج الى سنين طويلة وجهود أكاديمية ضخمة لتلافي الاعتراضات والانتقادات الجادة التي وجهت الى الدراسات والنماذج الحالية المنشورة في الغرب سواء من ناحية الفروض أو المنهجيات أو قاعدة البيانات المطلوبة ٠ والحاصل أن اهتمام السياسيين في الغرب بمثل هذه الدراسات قد فتر حاليا كما أشار الى ذلك بحق أحد صانعي هذه النماذج (بستل) في محاضرة ألقاها في ألمانيا منذ ثلاث سنوات ٠ ولعل هذا الفتور مصدره حبالة الشك التي أثارتها الانتقادات الجادة التي وجهت الى منهجية هذه الدراسات كما أن ظروف الكساد الرأسمالي الحالي ربما جعلت الكثيرين من السياسيين ينصرفون بقوة الى هموم الحاضر الاكثر الحاحا٠ ان كل محاولة للتنبؤ هي بمعنى من المعاني اختلاق ! فهو تقرير عن وضع ليس موجودا بعد ٠ لكن هذا لا يجعله بالضرورة محاولة متعمدة للتضليل ، بل على العكس انه قد يكون مفيدا في اتخاذ قرارات الحاضر ٠ لكن ادعاء عمليته وحياده لا يزال أمرا بعيدا ٠

تطوير اللغة العربية وهموم أخرى

بقلم: د. الطاهر أحمد مكي

في زمن مضى كان يقال اذا اردت ان تغتال قضية بالسكتة القلبية فحولها الى لجنة بدعوى دراستها، ولن تعود منها، فبين الحوار البارد، والجدل العقيم سوف تلفظ انفاسها، ويقال اليوم اذا اردت ان تميت موضوعا فاعقد له مؤتمرا، والفارق بين اللجنة والمؤتمر، ان الموضوع في الاولى يرقد جثة هامدة دون ان يأتي تماما على اهتمام الناس به، فيظلون حيارى يتساءلون عما حدث، وقد لا يهدأ لهم بال، واما في الثاني، فانت تمتص سخط المعترضين والساخطين، وتفتح المجال عريضا امام الباحثين عن مكان في زحام الشهرة، ومن بضاعتهم ان يخطبوا، ونحن لا ندفع على الكلام ضرائب، او جمارك كما تقول العامة..

● ومن هذا اللون الاخير كان ما سمي «مؤتمر تطوير اللغة العربية».

هل بقي في حكاية تطوير اللغة ما يمكن ان يقال؟ لا اظن.

ومع ذلك اجتمع صفوة من المهتمين باللغة العربية يتحاورون حوله، ولانه حين تتحدث لا تدفع ضريبة كما قلنا، فانت ايضا لا تتلقى اتعابا، ومن هنا فان احدا لم يكلف نفسه ان يقول شيئا جديدا ومفيدا: بعضهم في ذهنه شتات محاضرة قديمة فالقاها ثانية واخرون في فكرهم اصداء تقرير فاعلنوا اطرافا منه، والمهم ان الوزير

افتتح المؤتمر ، وان التليفزيون والصحف نشرت اخبار الـذين حضروه ، وصورهم أيضا ، واجرت حوارا مع بعضهم ، ثم انفض السامر كان شيئا لم يكن .

ولا ادري اذا كانت البحوث التي القيت ، ان كان يمكن ان نسميها بحوثا ، قد جمعت في كتاب ، او مطبوع من اي لون ، كما هي العادة ، لكي يتابع من لم يحضر شيئا مما حدث ، ويمسك بشيء مما قيل ، ان كان ما حدث نافع ومفيد ويحتاج ان نبقى عليه .

اي انسان له معرفة جيدة وواسعة باللغة العربية وقضاياها ، يعرف انه لا جديد تحت الشمس ، وان ما نتحاور حوله اليوم ، قيل قبل ذلك بالف عام ، فاثيرت قضايا هل يحفظ الاطفال ما يعون ويعرفون فحسب ، فلا نحفظهم من القرآن والشعر الا ما يناسب افهامهم ، ام ان تقويم اللسان ، وصقل النطق بالاحرف ، وتنمية معجم الطفل ، يرجح بجانب ان يحفظ التلميذ من القرآن مايستطيع ومن الشعر كل ما هو جميل ، حتى لو فهم شيئا وغابت عنه اشياء أخرى ، وجرى الحوار قويا وعنيفا في هذه القضية بالذات بين القاضي ابي بكر بن العربي والعلامة ابن خلدون ، والاول من علماء القرن الثالث عشر الميلادي والثاني من القرن الذي يليه ، وانتصر كل واحد منهما لرايه بحجج واسانيد ، واصبح مع الوقت رأس مدرسة لها اتباع ومؤيدون .



د . طه حسين



احمد امين

● اختلاف في كيفية التعليم

واختلفوا هل نستخدم في تعليم الكتابة والقراءة طريقة الحروف المفردة ، أم الطريقة الجميلة ، وهل يتعلم التلاميذ الخط مادة منفصلة ام خلال المواد الاخرى ، وغير ذلك

كثير من قضايا اللغة ، تتـــاولوه بأسلوب عصرهم ومصطلحات زمانهم

وفي عصرنا الحديث لم تتــــوقف المؤتمرات يوميا منذ انشىء نــادى دار العلوم القديم عام ١٩٠٧ ، وكان آخرها المؤتمر الذى اقامته المنظمـــة العربية للتربية والثقافة والعلـوم فى مدينة الرياض صيف عـــام ١٩٨٥ . واذا كانت مصر الدولة لم تشـــارك فيه للظروف السياسية التى كانت تمر بها يومها ، فافضل الابحــاث التى قيلت فيه قام بها جلة من العلمـــاء المصريين تربويين وغيرهم !

واصدرت المنظمة نفسها دليــــلا للبحوث التى تناولت تعليم اللغــــة العربية والدين الاسلامى فى الـــوطن العربى منذ عام ١٩٠٠ الى عـــام ١٩٨٠ ، ملأه بعناوين البحوث واسماء الباحثين فقط تتجاوز الالف ، وتشغل ٣٦٤ صفحة من القطع المتوســـط . وتناولت كل ما يخطر على الـــذهن والفكر من قضايا اللغة العربيـــة ، وتظل شاهدا على ان ما تقـوله ليس الا كلاما مكرورا ومعادا .

● حجج واهية

ولكن الواقع ان اللغة العربيـــة العالمية تتقهقر فى الصـــحف والكتب والابداع والخطابة ، ولم يعد احـــد يخجل من الخطأ فيها ، فى الــوقت الذى ترقى فيه العامية ، وتتـــهذب وبدل أن نضـــــع يدنا على الاسباب الحقيقية لصعود الفصـــحى الى اسفل حملنا اللغة نفسها بلوانا ،

فهى فيما يرى الكسالى لغة صعبة ، املاؤها معقد ، ونحوها عســـير ، ومعجمها واسع ، وانطلاقا من هـــذا التصور فلا بأس ان تعقد المؤتمـــرات لحل هذه المشكلات ، وليس فى اللغة العربية شىء مما يتصورون ، ولا فيها مالا يوجد فى غيرها من الصــعوبات وانما الوهن فينا نحن انفســـنا .

نعيب زماننا والعيب فينا ! .

ان ما يحدث الآن من تدهـور فى اللغة العربية الفصحى لا يعــود الى شىء فى طبيعة اللغة نفســها ، ولا الى نقص فى الابحاث التى تتناول افضل الطرق الى تعليمهــــا ، او الحاجة الى التمييز بين المعـــاصر فيها وما تجاوزه الزمن منها ، وانما يعود الى امور تمس المدرسة والمعلم والكتاب والتوجيه الفنى .

نحن نعتمد على المدرسة فى تربية ابنائنا وبناتنا ، وفى ان تقوم بالدور الذى لا تستطيع أن تقوم به الاســـرة وحدها ، لان الحياة المدنية معقـدة ، وتتطلب من النشء معرفة الكثيـــر من الامور والتجارب العلمية والعملية والدينية والفنية ، وان تختـــار الوسائل الاكثر ملاءمة لتربية الاطفال والشباب واعدادهم لدورهم فى الحياة

ولكى تقوم المدرسة بدورها ينبغى ان نعود بها اولا الى ما كانت عليـه منذ اكثر من نصف قرن من الزمان ، فتوفر لها الملاعب الواسعة ، لالـوان الرياضة المختلفة ، والمكتبة الفنيـــة المريحة ، وان نعيد اليـــها بهجتــها

ممثلة فى الحدائق الجميلة ، والهوايات المتعددة ، التى تبقى على التلميذ فيها أطول وقت ممكن ، وحين ينتهى يومه فيها يفارقها كارها ، بدل هذا البلاء الذى نراه ، من تلاميذ يقفزون من على الاسوار هاربين بعد تسجيل الحضور ، او ينقطعون عن الدراسة قبل انتهائها باسابيع •

بعدها ، وليس قبل ذلك ، تجىء الوسائل المستحدثة ، المكتبة السمعية ، ممثلة فى الاشرطة والتسجيل ، يتيح للطالب ان يسمع النص الادبى من الاستاذ ، او من زميل له ، فى لغة موسيقية جذابة ، او ان يستعيد الدرس ثانية ليسلم بما نسى او فاته منه ، ولا بأس ان يسجله لنفسه اذا اراد ، وان تلعب المكتبة ، البصرية دورها ممثلة فى الافلام والتليفزيون ، وكلها وسائل ليست مكلفة ولا باهظة الثمن •

ويمكن ان تحول مجالس الاباء فى المدارس الى خلية عاملة •

ومن الممكن ان تستغل حيل القادرين الى الشهرة ، فتطلق أسماءهم على المدارس التى ينشئونها ، او المدرجات التى يقيمونها ، او تمنحهم الاوسمة والنياشين ، وان تطلب عون اولئك الذين حازوا شهرة دينية ، فالدين لا يخدم بدرس تفسير فى التليفزيون وانما بمعاونة اهله على عبور عالم الجهالة الى عالم النور •

هناك مقولة تربوية شائعة تقرر : كما يكون المدرس تكون المدرسة !

ولا يمكن لاى مدرسة ان تقوم بالعمل الذى ينتظره الشعب منها الا اذا اعددنا لها مدرسين اكفاء قادرين ، راغبين فى التدريس ، ويميلون لمهنة التعليم ، متمسكين من مادتهم ، وعلى دراية بطرق التربية الحديثة ، اى ان يجمع المدرس بين التربية والتعليم ، وان يقوم فى التلميذ ما اهمله المنزل من اخلاق وعادات ضرورية للنجاح فى الحياة ، وذلك يتطلب أن يكون قدوة لتلاميذه •

ماذا عن مدرس اللغة العربية ، وهو ما يعنينا امره هنا ، ولو انهم جميعا ، فى مختلف المواد ، كلهم فى الهم شرق ، كما يقول أمير الشعراء شوقى ، لاننا حين نعرف هذا الواقع نضع يدنا على المأساة فى أعمق أبعادها •

فيما كان مدرس اللغة العربية يعد فى معهد واحد هو دار العلوم ، وكان مدرسو بقية المواد الاخرى يعدون فى معهد واحد ايضا هو المعلمين العليا ، وكان الطلاب يتزاحمون بشدة ، فالتعليم فيهما مجانى ، والحياة داخلية ومجانية ، ويتلقى الطلاب المصادر الاساسية للمواد التى يدرسونها مجانا ايضا ، والدراسة على امتداد اربع سنوات تخصص للمادة العلمية وحدها ، وتقدم لهم مكثفة وجادة •

● بداية المأساة

فلما جاء طه حسين عام ١٩٥٠ وزيرا للمعارف فى وزارة الوفد ،

وتبنى نظرية « المتعليم كالماء والهواء » وتوسع فى انشاء المدارس على نحو لم يسبق له مثيل ، وجعل التعليم الثانوى مجانيا ، وكل ذلك دون اعداد او تخطيط ، بدات دار العلوم والمعلمين العليا تأخذان اكثر من طاقتهما ، وحين عجزتا عن تلبية مطالب الوزارة فى المعلمين بدأت تستعين بكل من يستطيع أن يقف امام التلاميذ ويقول شيئا ، اى شىء ، وكان هذا بداية المأساة ، ولأن طه حسين رفع من مستوى المعلمين ماديا على ايامه ، وجعل وزارة المعارف تأتى فى المقدمة ، فقد تسابق كل الجامعيين العاملين فى الوزارات الاخرى للعمل بهما مدرسين ! .

ولم يخف على الفنيين فى الوزارة الكارثة التى يمكن ان يؤدى اليها تفاوت اعداد المدرسين فى المدرسة الواحدة ، وتعدد جهات الاعداد القادمين منها ، وتباين ثقافتهم ومشاربهم ، وحتى سلوكهم ، فكان معهد التربية العالى ، فى القاهرة اولا ، ثم فيها وفى الاسكندرية حين كثر عدد الطلاب ، يتلاقى فى ساحاته كل الراغبين فى العمل بالتدريس من التخصصات المختلفة ، يصقلهم ، ويؤلف بين قلوبهم ، وينمى اواصر الود بينهم ، ويجعل مثلهم الاعلى مشتركا ، وكانت مدة الدراسة فى المعهد عامين ، وانقصت امام ضغط الحاجة الى عام واحد .

وظل الامر يتدهور حتى وصل الحال الى ما نحن عليه ، الغيت كلية المعلمين ، وقبلها كانت دار العلوم قد انضمت الى جامعة القاهرة ، بجهد وضغط من طه حسين ، وبدأ انشاء كليات التربية عشوائيا فى المحافظات ، تستولى الجامعة على مبنى اية مدرسة ، اعدادية احيانا وثانوية اخرى ، وتضع عليها لافتة باسم كلية التربية ، ومع ان الغاية من هذه الكليات عملية بحتة ، وهى اعداد المدرس الصالح ، الا ان مناهجها ، فى القسم الواحد ، تختلف من كلية الى اخرى ، ولما كانت مدة الدراسة فيها واحدة ، كأى كلية نظرية جامعية اخرى ، وتجمع بين المواد العلمية والتربوية ، فقد كان ذلك على حساب الاثنين بتخرج الطلاب وحصيلتهم من العلم الذى درسوه ، ومن التربية ، قشور لا تغنى كثيرا .

ومع طفرة البترول فى البلاد العربية التى بثقلها على مصر ، ولانها تدفع طيبا اخذت اليه المدرسين ، وافضل الخريجين ، وبخاصة بين متخرجى دار العلوم ، وحدث هذا العجز الذى كان يبلغ الى سنوات قليلة ٤٠٪ ممن تحتاجهم المدارس من مدرسى اللغة العربية ، وهو عجز ربما انحسر قليلا ، ولكنه لا يزال قائما حتى يومنا هذا .

لمواجهة هذا العجز ، فى مادة اللغة العربية وغيرها ، قامت وزارة العمل بتوجيه اعداد هائلة من المتخرجين الذين يعانون البطالة ، وامضوا سنوات بلا عمل ، الى وزارة التعليم ليعملوا مدرسين ، ولم يعدوا لهذه المهنة ، ولا هم راغبين فيها ، وجاءت وزارة الشئون فأسهمت بدورها فى هذه الكارثة ، لانها توجه الذين يكلفون بالعمل سنة فى الخدمة الاجتماعية الى العمل فى

المدارس ، بدون مرتب طبعا ، فيعهدون اليهم بتدريس المواد التى لا يجدون لها مدرسين ، ومن الطبيعى ان تجد فى المدارس خارج القاهرة متخرج كلية الحقوق يقوم بتدريس اللغة الانجليزية فى مدرسة اعدادية ، وان يقوم بتدريس اللغة العربية متخرجة فى قسم التاريخ فى كلية الاداب .

هنا تكمن ماساة اللغة العربية .
فاذا اضفنا الى ما سبق أن اغلب المتخرجين فى الجامعات ، فى اى قطاع يعملون ، يظنون ان حياتهم العلمية قد انتهت بتخرجهم فى الجامعة ، مع ان العلم لا نهاية له ، (وهو امر ينطبق على اساتذة الجامعة بعد أن يرقوا الى اساتذة)، مع انه لا توجد مهنة تحتاج الى ان يجدد المرء نشاطه والى المزيد من العلم والاطلاع والبحث والتجربة والخبرة ما تحتاجه مهنة التدريس ، وفى الشعوب التى تقدر دور المدرس والمدرسة لا تكتفى من المدرس بما حصل عليه خلال حياته الجامعية ، ولا تتركه لشانه فى أن ينمى معارفه ، وانما تعاونه فى ذلك ، فهى تقيم لهم أثناء العطلة الصيفية من كل عام دورة فى مدينة صيفية ، يرتاحون ويتعلمون ، ويتلقون محاضرات فى الجديد الذى طرأ على المادة العلمية التى يقومون بتدريسها ، وفى التربية او علم النفس ، وحتى فى اللغات الاجنبية ، او يتمرنون على الاعمال اليدوية ، فهم فى الصباح فى المحاضرات ، وبعد الظهر يمارسون الوانا من الترفيه المفيد ، من الرياضة والرحلات ، وزيارة الاماكن الاثرية .

والان ما العمل ؟

● محاولة للانقاذ

تقول الحكمة القديمة : لان تضىء شمعة خير من أن تلعن الظلام الف مرة ، وها انذا احاول ان اضىء هذه الشمعة .

ان كلية دار العلوم تضم الآن ما يزيد على اثنى عشر الف طالب ، وهو عدد كبير ، واعداده جيدا مستحيل ، والانقاص غير ممكن ، لان الدولة ، والعالم العربى والافريقى والاسيوى كله فى حاجة الى مدرسى اللغة العربية ، وهم يفضلونهم ان يكونوا من دار العلوم ولقد انشانا كلية دار علوم اخرى فى المنيا ، ولكنا اطلقنا عليها اسم « كلية الدراسات العربية » ، ورغم ان لائحتها تنص على انها تدرس مناهج دار العلوم ، لم تستطع ان تكون مثلها ، او تنال ما لدار العلوم من الشهرة ، لان الاسم والتقاليد تلعب دورا فى حياة الناس ، فلعل وزارة التعليم تبذل جهدها فى انشاء اكثر من دار علوم ، لمواجهة النقص اولا ، وللارتفاع بمستوى التعليم فيها ثانيا ، وارشح قنا فى اقصى الصعيد ، لانها وسط بين محافظات اربع لتكون مقرا لدار علوم جديد ، فليحاول الدكتور احمد فتحى سرور ، ولن يندم على هذه الخطوة .

الامر الثانى اننا نواجه بطالة تزداد يوما بعد يوم ، ويبقى فيها الخريجون سنوات خمس ، او اكثر

بلا عمل ، والان فالفرصة متاحة لنا لان نعود الى الانظمة القديمة تحت اى اسم ، فتخصص المرحلة الاولى ، اى مرحلة الليسانس للمادة العلمية من اى نوع ، ليتمكن المتخصص منها تماما ، ومن أراد أن يعمل مدرسا عليه ان يلتحق بمعهد عال للتربية مدته سنتان ، ومنه يتخرج كل من يعمل فى حقل التعليم ، مهما كانت المواد التى سوف يدرسونها على ان تصرف لهم الوزارة خلال مرحلة الدراسة مكافأة طيبة ، ولتكن اعانة بطالة ، وكان المعهد القديم يصرف لطلابه هذه المكافأة ، على ان يكون التدريس فى التعليم الثانوى ، ووظائف الوزارة العليا وقفا عليهم ، وبذلك نرتفع بمستوى المعلمين .

ان مأساة اللغة العربية ، انسان غيرها ، تكمن فى هبوط مستوى المعلمين علميا ، وهم الاساس فى اية عملية تربوية ، فالمعلم الكفء قادر دواما على ان يتجاوز صعوبات المادة التى يدرسها ، وحتى قصور التلاميذ الذين يدرس لهم .

والقضية الثالثة هى قضية الكتاب، وبصراحة شديدة فان مستوى الكتاب المدرسى فى مصر ، فى ايامنا هذه ، يعانى تخلفا شديدا فى المادة والمنهج والاخراج ، وهو دون ما كان عليه الحال منذ خمسين عاما ، ولقد سبقتنا شعوب عربية اخرى فى هذا المجال ، وبخاصة فى المرحلتين الاعدادية والثانوية .

من حيث المادة ، فان عددا من اساتذة التربية وقعوا اسرى نظريات تربوية امريكية سيئة ، بعد ان كان السائد عندنا هو النظريات الانجليزية، وفيها الجيد والردىء وما يصلح لنا ، وما كان وليد بيئته ولا يصلح لغيرها، وما كان نظرية لم تنجح ، ولا تشكل قانونا ولا حقيقة ، ومن بينها ان تكون اللغة فى مستوى الطفل .

اى مستوى ؟

وهكذا جنحت الكتب الى التبسيط الشديد ، وادارت ظهرها للتراث ، ونستطيع فى الجامعة ان نميز ببساطة شديدة بين طالب حصل على الثانوية العامة من مصر ، وآخر حصل عليها من الاردن ـ مثلا ـ فالثانى ذخيرته وفيرة من التراث ، فى نصوصه الجاهلية والعباسية ، على حين ان الاول ، بزعم السهولة والفهم ومواءمة السن ، قدمنا له اسوأ النصوص واعرقها فى التفاهة .

ويجىء الجانب الثانى السيىء فى الكتاب من الوزارة نفسها ، فلقد سبق كانت تعهد بها الى اعلام الثقافة: احمد امين ، طه حسين ، على الجارم، احمد ضيف ، عبد العزيز البشرى ، عباس حسن ، وتحسن جزاءهم ، فجاء عملهم يتسق ومكانتهم وسمعتهم ،وفى مرحلة تالية ، حين انتقدت هؤلاء ، عمدت الى نظام المسابقة ، تضع شروط الكتاب ومعالمه ، ويتقدم لها القادر ، وتختار الاصلح ، وتقدم مكافأة سخية، وهى الفترة التى شهدت الدكتور محمد مهدى علام ، وعباس حسن ، وسعيد العريان ، وحسن علوان واخرين ، ولكنها ، ولا اعرف السبب وراء هذا، تركت المسابقة الى التكليف ، وهكذا خضع الامر للشللية والمجاملة ، ومراعاة الظروف السياسية ، واقامة

التوازن بين التيارات المختلفة ، ثم دفعت الوزارة بالامر الى منتهى عدم الاهتمام من المؤلفين ، حين قررت للكتاب الذى يدرس فى المرحلة الاعدادية مائة وخمسين جنيها لكل مشارك ، تخصم منها الضرائب ولا تقل عن ثلاثين جنيها ، فى كتاب تطبع منه الوزارة مئات الالوف .

اى امتهان هذا لمواهب المؤلفين !

واقلتهم الان ارتفعوا بالمكافأة الى الف ، وهو ايضا مبلغ لا يعني شيئا اذا اردنا عملا جاداً ومتقنا .

والنتيجة الحتمية ، فى غيبة التنافس ، وثقافة المقابل ، ان يكتب المؤلفون اى شيء ، وبخاصة ان الوزارة تفتقد المكتب الفنى الذى يتابع ، ويعاون ، ويوفر للمؤلفين ما يحتاجون اليه من المصادر ، كتبا او مجلات ، مصرية او عربية ، اذ ان الامر الان متروك لجهدهم الشخصى ، وهو محدود فى زحام الحياة المرير .

فاذا اضفنا الى ضعف التاليف سوء الورق والطباعة والاخراج كان شكل الكتاب الذى بين أيدينا منفرا محتوى ومظهرا .

● من اجل الاصلاح

وتأتى القضية الاخيرة ، وهى التوجيه الفني فى الوزارة ، وعرفته تحت اسماء كثيرة ، كبير المفتشين وعميد المفتشين ، والموجه الاول ، واخيرا المستشار ، وهو فى حاجة الى ثورة ، تعيد اليه امجاده ، ليرعى التطور ويخدمه ، وكان معه ، او الى جانبه ، مكتب فنى ، يضم عناصر ممتازة ، ومختارة ، ذات تجربة وخبرة ، مهمتها ان تقرأ وتراجع وتبتكر وتقترح ، وكان هذا العميد او الموجه او المستشار ذا ثقافة عربية متميزة ، وثقافة اجنبية عميقة وهو مؤلف وباحث وكاتب ، وعضو المجمع اللغوى فى اكثر الاحيان ،قبل ان يكون مديرا اومفتشا او مستشارا

وحين نستعرض فى ذاكرتنا اسماء الذين سبقوا منهم ، ونلقى نظرة على حياتهم وانتاجهم الادبى ، ثم نراجع واقعنا الحالى ندرك على الفور ، كم تأخرنا .

كان من بين هؤلاء على الجارم ، اول دفعته فى دار العلوم ، ومبعوثها الى انجلترا للدراسة ، والشاعر ، وعضو المجمع اللغوى ، وكاتب الرواية التاريخية المتميز ، صاحب الاسلوب الرشيق ، وصاحب كتابى النحو الواضح باجزائه العديدة ، والبلاغة الواضحة ، ومر على تاليفهما اكثر من نصف قرن ، ولم يفقدا توهجهما بعد ، ولازالا يطبعان، ورائجين على امتداد العالم العربى كله .

ومنهم استاذنا الدكتور محمد مهدى علام ، نائب رئيس المجمع اللغوى الان ، وكان اول دفعته فى دار العلوم ايضا وابتعث الى انجلترا ايضا ، حيث درس التربية ، واللغة العبرية والفارسية ، واصبح استاذ الادب العربى فى جامعة منشستر لخمسة عشر عاما ، ورئيس قسمى اللغة العربية واللغة الانجليزية فى كلية الاداب بجامعة عين شمس ،

وعميدها لسنوات طويلة ، وصاحب الابحاث التربوية والادبية العديدة .

ومنهم استاذنا المرحوم حسامد عبد القادر ، عضو المجمع اللغوى ، والاستاذ القدير فى اللغات السامية والفارسية ، وترجم منهما نصوصا عديدة ، وكتابه « علم النفس الادبى » كان باكورة الكتابة فى هذا المجال ، الى جانب مؤلفات اخرى فى علمى النفس والتربية ، وعن ابى العلاء المعرى ، وغير ذلك بكثير .

والشىء نفسه يمكن ان يقال عن محمد عطية الابراشى ، وله اكثر من خمسة وعشرين كتابا ، بعضها مترجم عن اللغة الانجليزية ، وبعضها الاخر عن اعلام اوربيين فى التربية او علم النفس او الفكر ، وتدين له المكتبة العربية بأول كتاب فى اللغة السريانية وادابها ، واول كتاب فى اللغة العبرية ، والف الثانى منهما مع الدكتور محمد عنانى ، وهما المصدران الوحيدان لهاتين اللغتين الموجودتين فى مصر الان .

هؤلاء كانوا المسئولين عن اللغة العربية فيما سبق ، ثم تبعهم خلف اضاعوا كل شىء ، لانهم وصلوا الى مناصبهم بالاقدمية المطلقة ، وهم على أبواب المعاش ، بعد أن صدئت معارفهم ، وغاض طموحهم ، ووهن منهم الجسم والارادة ، واصبح همهم البحث عن السلامة والعافية .

وربما تكون البداية من هنا ،وعلاج هذا الامر ميسور، اذا حطمنا الروتين والاقدميات فى صورتها القبيحة ، وفتشنا عن هذا النابغة الموهوب ، واتحنا اليه فرصة ان يوسع تجاربه ، وان يعمق ثقافته ، واجتزنا به طوابير الاقدمية المعتادة ، واحسنا مكافاته ، وتركنا له ان يدرس ويقترح وينفذ ويرعى اللغة العربية ، ويحسب اختيار الذين معه ، ولانه موهوب فسوف يختار معاونيه من هذه الطبقة نفسها .

فى المحاور التى اتيت عليها تكمن علل اللغة العربية ، واى مادة فى مدارسنا ، اما ان نجمع مؤتمرا ليدرس كيف نعرب الفاعل ، او نشرح النصوص ، وكيف نختار موضوعات المطالعة ، فاضاعة للوقت وضرب من العبث ، واذا كان هناك من عندهم الوقت ليقتلوه ، فالجادون لديهم ما يشغلهم عن توافه الحياة .

المدرسة الجميلة ، ذات الحدائق البهيجة ، والهوايات المتعددة والمكتبة الغنية ، التى تبقى على التلميذ فلا يهرب منها كارها ، والمعلم المثقف الواعى برسالته ودورها ، ومهنته وجلالها ، والكتاب الجيد مادة واخراجا ، والتوجيه الجاد الخبير فى اعلى مستوى ، هو ما تحتاجه اللغة العربية .

وربما اضفت الى ما سبق ، وارجو ان يكون هذا واضحا ، ان الناس ، والمدرسين قبل غيرهم ، مطالبون بتوفير لقمة العيش لهم ولابنائهم قبل اى شىء ، ومن هنا فاى محاولة لحث المعلمين على الثقافة والعمل والاخلاص لابد ان يقابلها تقدير مادى ، لان هذه الصفات وحدها ، مهما عظمت ،لاتكفى لحث خامل ، او ايقاظ كسلان ، فهى لا تطعم الجوعان ، ولا تسقى الظمآن ولا تقيم سقفا يستظل به الشريد .


جورباتشوف


دنج سياوبنج


خروشوف

السعى الى البلاط الاصفر

بقلم : عبد الرحمن شاكر

وليس على ميخائيل جورباتشوف ، أن يسعى هو لدى الصين ، محييا تقاليد تلك الدولة الكبيرة العريقة فى أن يسعى الناس إلى « أباطرتها » أو حكامها ولا يسعون هم إلى أحد ! وليس على هذا الزعيم اللامع ، أن يكرر مع تلك الجارة العريقة ما فعله مع الهند حينما زارها للقاء راجيف غاندى فى نيودلهى ، مع فارق كبير بين الزيارتين ، أنه فى الهند كان يبدو متفضلا على أصدقائه هناك ، أما فى الصين فسوف يبدو معتذرا كل الاعتذار عن اساءات قديمة من جانب أسلافه . وخاصة خروشوف الذى بدأت القطيعة فى أيامه ، وبريجنيف الذى ورط الاتحاد السوفييتى فى مواقف سياسية اشمأزت منها الصين ، سواء فى ذلك مساعدته فيتنام على احتلال كمبوتشيا جارة الصين وحليفتها ، أو التدخل العسكرى السوفييتى فى أفغانستان ، ذلك التدخل الذى اعتبره جورباتشوف خطأ سياسيا


ماوتسي تونج


راجيف غاندي


جـورج بـوش

الساعي إلى البلاط الأصفر هذه المرة ـ بلاط الصين ـ هو ميخائيل جوربلتشوف ، أكثر النجوم السياسية لمعانا في عالم اليوم ، حيث أرسل وزير خارجيته إدوارد شيفارنادزه ، إلى الصين ، لكي يمهد للقاء مرتقب بينه ـ أي جوربلتشوف ، والزعيم الصيني الكبير دنج سياوبنج ، وتم الاتفاق على أن يكون اللقاء بينهما بناء على دعوة من الصين للزعيم السوفييتي كي يزورها ، ويلتقي مع زعيمها على أرضها ، بعد قطيعة سياسية وأيديولوجية ، بين الدولتين الاشتراكيتين الكبيرتين ، دامت حوالي ثلاثين عاما ، منذ لقاء خروشوف وماوتسي تونج ، وانتهى الأمر بينهما إلى خلاف مرير ، وصل إلى حد الاقتتال بينهما على الحدود .

كبيرا من جانب أسلافه ، وقد أساء الى الاتحاد السوفييتي ذاته ، قدر إساءة التدخل الامريكي فى فيتنام الى الولايات المتحدة الأمريكية والأرجح الا يتم اللقاء بين جورباتشوف ودنج سياوبنج ، إلا وقد اتم السوفييت انسحابهم من أفغانستان ، قبيل الموعد المضروب من جانبهم لذلك وهو منتصف فبراير من العام الحالى . وكان ذلك أحد شروط دنج سياوبنج لكى يقبل أن يلتقى مع جورباتشوف .

وليس أيضا سعى جورباتشوف إلى لقاء زعيم الصين من نوع زيارته لنيويورك فى أواخر العام الماضى ، حيث ذهب اليها كرئيس دولة من حقه أن يوجه بيانا باسم دولته من على منبر الأمم المتحدة فى مقرها هناك ، فى تلك المدينة الأمريكية ، وان كان قد انتهز الفرصة لكى يلتقى أو يجدد لقاءه مع الرئيس الأمريكى السابق رونالد ريجان ، ويتعرف إلى خليفته الرئيس الحالى جورج بوش ، وفى تلك

السعى إلى

الزيارة فجر جورباتشوف قنبلته « السلمية » الجديدة أن صح التعبير ، وهى إعلانه تخفيض القوات السوفيتية فى أوربا بمقدار نصف مليون رجل وعدة عشرات من الوف الدبابات ، تلك القنبلة التى كان من شأنها أن يكون لها دوى اكبر مما حظيت به ، وخاصة لو اتبعها بزيارة الى واشنطون ، لولا الكارثة التى حاقت ببلاده وهى الزلزال الفظيع فى ارمينيا ، وكان ذلك من سوء حظ جورباتشوف ، الذى اتاح للأمريكيين بدورهم أن يبدوا متفضلين عليه وعلى بلاده ، بالمعونات التى قدموها اليها لمواجهة تلك الكارثة ، التى كشفت عن نقص كبير فى الاستعدادات السوفييتية لمواجهة امثالها !

على ان كل تلك الزيارات مجتمعة ، التى سوف يتوجها لقاؤه مع زعيم الصين ، سوف يسجلها التاريخ لجورباتشوف ، باعتبارها سلسلة واحدة من مساعيه السلمية للوصول إلى افضل صيغة للعلاقات الدولية ، فى زمان أن فيه للبشرية أن تتحد لمواجهة مشاكل الوجود الانسانى على هذه الأرض ، بعد أن أصبح الصراع الذى فرق العالم طويلا أمرا لايمكن استمراره ، وإذا ترك يستمر إلى مداه وينقلب إلى صراع مسلح ، ولو عن طريق الحروب الصغيرة ، واحتمال انفلاتها إلى حرب عالمية ، لكان معناه الفناء المحقق للجنس الانسانى وحياته على الأرض . فماذا يمكن ان يدور حوله ويتمخض عنه اللقاء المرتقب بين زعيم الصين ، والساعى إلى لقائه ـ ميخائيل جورباتشوف

● استاذ فى البريسترويكا

وربما كان الحق الشخصى لزعيم الصينى دنج سياوبنج فى أن يسعى إليه الزعيم السوفييتى جورباتشوف ، ليس فى كونه ـ اى دنج ـ يكبره باكثر من ربع قرن فحسب ، بل لانه ايضا ، إذا كان جورباتشوف ، قد اكتسب شهرته العالمية المدوية من سياسته الجديدة ، التى اطلق عليها اسم « بريسترويكا » اى إعادة البناء ، فإن الصين بزعامة دنج كانت سباقة فى هذا الطريق ، وخاصة بالنسبة للعودة إلى اقتصاديات السوق ، لاعادة الانتعاش إلى الحياة الاقتصادية الراكدة ، وفتح الأبواب للدوائر الرأسمالية للغرب فى مشاريع مشتركة للاستفادة من قدراتها المالية من ناحية ، وابتكاراتها التكنولوجية الجديدة من ناحية أخرى . وعلى طريقة الصين ، حيث غالت فى الماضى فى أيام ماوتسى تونج ، وثورته الثقافية ، فى محاولة للوصول إلى المساواة « الشيوعية » بسرعة ، إلى حد تجاهل الفروق بين العمل الذهنى والعمل اليدوى ، واجبار أساتذة الجامعات على العمل فى الحقول ردحا من وقتهم تحقيقا لتلك المساواة ، الأمر الذى الحق أشد الضرر بالاقتصاد الصينى فى مجموعه ، رغم انجازاته التى لا تذكر بعد الثورة وخاصة فى التطور الصناعى ، اقول بنفس الطريقة فإن الصين تغالى حاليا فى عملية انفتاحها على « البحرى » كما يقال عندنا ، حتى إن

مقاطعة « كانتون » التي كانت هي مهد الثورة الصينية ، قد أصبحت مصرب المثل في الانفتاح ، وقد تحقق فيها قدر كبير من الازدهار الاقتصادي ، خلال المشاريع الخاصة والمشاريع المشتركة مع الدول الرأسمالية ، واستتبع ذلك استدخال أنماط غربية واسعة النطاق في الحياة الاجتماعية ، من الأزياء إلى اعلانات النيون إلى اسطوانات الديسكو ، إلى عديد من مظاهر «الانحلال البرجوازي » ، الذي ينظر إليه الشيوعيون التقليديون نظرة استنكار ، تجعل بعضهم يتحدث عن اختناق الشيوعية أو احتضارها في تلك المقاطعة الصينية التي كانت مهدا لها ! ولعل ضخامة الصين هي التي تسمح لها بهذا النوع من التجارب « والمغامرات » ، سواء في ثورة ماو الثقافية أو ثورة دنج الانفتاحية .

سوف يكون من صالح جورباتشوف وبلاده أن يرى ثمار التجربة الصينية ، بما فيها تجربة مقاطعة كانتون ، التي يقال إنها على وشك أن تنافس تايوان وكوريا الجنوبية في انتاجها ذي الطابع الغربي ، ويرى لنفسه ولبلاده ، ويتناجى مع دنج سياوبنج في المدى الذي يستطيع أن يحتمله المجتمع الاشتراكي من الانفتاح على الغرب الرأسمالي ، وما إذا كان في استطاعة هذا المجتمع الاحتفاظ بالتزاماته الاجتماعية ، بما في ذلك حق العمل للجميع ، أو ضرورة الخضوع لكل مقتضيات السوق بما في ذلك السماح بحد معين من البطالة .

ولقد يكون كل من جورباتشوف ودنج سياوبنج متفقين على أن تبقى للحزب الشيوعي اليد العليا في شئون الدولة ، ويبقى هو الحزب الواحد الحاكم هناك ، مع قدر من الانفتاح السياسي ، الذي يبيح حرية النقد وربما الصحافة ، وسيادة القانون . ولكن كلا منهما بالتأكيد يحمل هموم رياح الليبرالية التي تهب بشدة على المجتمعات الاشتراكية عموما ، منها الحركة الطلابية التي شهدتها الصين أخيرا والتي تنادي بتعدد الأحزاب ، واشد تلك الرياح ما يعتور البلدان الاشتراكية الصغيرة في شرق اوربا ، وهي الاكثر قربا في دول المنظومة الاشتراكية من الغرب . فهناك بولندا التي قررت حكومتها التصالح مع نقابة تضامن المستقلة . والمجر التي اقر برلمانها بالفعل تعدد الأحزاب السياسية ، مما يعني لو تم تحقيقه تنازل الحزب الشيوعي المجري عن استئثاره بالحكم ، والتخلي نهائيا عن نظرية ديكتاتورية البروليتاريا طبقا للتصور اللينيني ، ويجعل المجر اقرب في نظامها الاشتراكي من الناحية السياسية ، إلى بعض دول الغرب ، التي تحكمها أحزاب اشتراكية ديموقراطية ، على استعداد للتخلي عن مواقعها في السلطة ، لو حكمت عليها صناديق الانتخاب بذلك .

وعلى النقيض من تلك الصورة في شرق أوربا ، البلد الاشتراكي المتمرد من قديم على الاتحاد السوفييتي والارتباط

السعـــى إلى

السياسي والاقتصادى به ، وهو يوغوسلافيا ، التى تتفاقم فيها المشكلة الاقتصادية مرتبطة بمشاكل القوميات على صورة مصغرة مركزة ، مما يعانى منه الاتحاد السوفييتى ذاته ، وفى مواجهة التيارات الليبرالية المنادية بتعدد الأحزاب ، يكاد الحزب الحاكم ذاته وهو ما يسمى « رابطة الشيوعيين » أن يتمزق تحت وطأة الخلافات والانقسامات القومية ، ويهدد الجيش هناك . بوضع حل يناقض تماما الحل الليبرالي ، وهو فرض الديكتاتورية العسكرية للحيلولة دون مزيد من التمزق والخراب السياسي والاقتصادى هناك !

● القوى البشرية الكبرى

ربما يكون ما تقدم هو بعض مايتناجى فيه الزعيمان الشيوعيان جورباتشوف ودنج سياوبنج فى لقائهما المرتقب ، بهدف الوصول إلى نوع من الوحدة الايديولوجية باعتبارهما زعيمى الدولتين الاشتراكيتين الكبريين فى العالم ، ويحملان معا هموم معسكر الاشتراكية من النواحى السياسية والاقتصادية والنظرية جميعا ، ولكن حديثهما لابد وأن يتطرق إلى الهند جارتهما الكبرى فى آسيا ، والتى كان الخلاف بينها وبين الصين ، لايقل ضراوة عن خلاف الأخيرة بل صراعها مع الاتحاد السوفييتى ، وكان ذلك أحد عناصر التقريب ما بين الاتحاد السوفييتى والهند فى مواجهتهما المشتركة للصين ، التى لم تتردد فى أن تمد يدها للغرب وللدول الموالية له فى آسيا وخاصة باكستان عدو الهند التقليدى !

لقد حرص جورباتشوف على أن يؤكد لراجيف غاندى فى زيارته للهند أن تقارب بلاده من جديد مع الصين ، لن يكون سبيله الاضرار بمصالح الهند وصداقتها الراسخة للسوفييت ، وفى مناجاته المرتقبة مع دنج سياوبنج لابد وأن يتذكر الرجلان كلمات لنين المشهورة عن أن أهم حقيقة بشرية ، هى أن الاتحاد السوفييتى والصين والهند تشكل أضخم كتلة بشرية فى العالم ، وأن مستقبل العالم سوف يكون مرتهنا بذلك إلى حد بعيد .

ولقد كان الصراع الذى نشأ ما بين تلك الكتل البشرية الكبرى هو الذى أتاح للغرب الرأسمالى سطوة عظمى فى الشئون الدولية ، بالاضافة إلى التقدم الذى أحرزه عبر الثورة التكنولوجية ، وصعود قوى رئيسية جديدة فى الاقتصاد العالمى فى مقدمتها اليابان . تلك الثورة التى يحاول اللحاق بها كل من الاتحاد السوفييتى والصين ، وسائر الدول الاشتراكية عن طريق البريسترويكا

والانفتاح الاقتصادى فى الصين .

ولكن النظرة التاريخية ، وبالرغم من كل ما يزعمه خصوم الاشتراكية من « إفلاسها » بسبب احتياجها الحالى إلى اكتساب ثمار الثورة التكنولوجية فى الغرب ، هذه النظرة توجب المقارنة بين ما كان عليه الوضع قبل الحرب العالمية الثانية والوضع الحالى لهذه البلاد الثلاثة ، فقبل تلك الحرب وأثناءها ، كانت الهند مستعمرة بريطانية ، وكانت الصين دولة ممزقة تحاول اليابان أن تحتلها من خلال احتلالها لكوريا ومقاطعة منشوريا المجاورة لها ، وكان الاتحاد السوفييتى يواجه محاولة مماثلة من جانب ألمانيا النازية لاحتلاله وتدمير نظاميه السياسى والاقتصادى على الأقل ، فما هو الوضع الآن ؟!

الاتحاد السوفييتى إحدى القوتين العظميين فى العالم ، بفضل تقدمه الصناعى الذى تركز أساسا على صنع السلاح ، على نحو يجعل الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية مضطرا إلى قبول التفاهم والتعايش السلمى معه ، أما الصين فبفضل ثورتها وتحررها وتوحدها وتصنيعها أصبحت ولاتزال القوة الاسيوية الكبرى المرهوبة الجانب ، أما الهند المستقلة ، فقد أصبحت إحدى دول العالم الصناعية الرئيسية حيث تحتل المركز التاسع من بين هذه الدول ولو من ناحية كمية الانتاج .

إن ذلك تبدل كبير جدا طرأ على تلك الدول وعلى العالم بدوره وقد طمست بعض معالم صراعاتها القديمة ، أما أعداؤها التقليديون ، كاليابان وألمانيا ، فالبرغم من التقدم الصناعى والتكنولوجى الذى تشهدانه الآن ، إلا أنهما لم تعودا تمثلان خطرا على تلك الكتلة البشرية الكبرى ، بل على العكس تبدو تلك الكتلة فى تلك البلدان الثلاثة بمثابة سوق هائلة تسيل لعاب الدوائر الصناعية والمالية فى هذين البلدين وغيرهما من بلدان الغرب الصناعية للتعامل معها . ولم تكن تلك الكتلة الكبرى لتصل إلى هذه المنزلة إلا بالثورة الاشتراكية فى كل من الاتحاد السوفييتى والصين ، أما الهند فهى بدورها دولة اشتراكية ديموقراطية على الطراز الغربى ، ومع بريسترويكا جورباتشوف ، وانفتاح الصين ، فإن تقاربا محتوما ما بين التجارب الاشتراكية المختلفة الأصول يشق طريقه الآن ، وربما على دربه تجد تلك القوى البشرية الكبرى سبيلها الموحد لكى يكون لها الأثر الحاسم على مستقبل هذا العالم .

في ذكرى أربعين عاما على رحيله :

حسن البنا والتجديد الديني

بقلم : د. محمد عمارة

من بين الأديان جميعا يتميز الاسلام ويمتاز باعلانه الانحياز الى « التجديد » .. ليس في امور « الدنيا » وحدها ـ وهي دائمة التغير ، بفعل قانون « التطور » والتحول الذي قرر الاسلام انه واحد من سنن الله في كونه ، والتي لن تجد لها تبديلا ولاتحويلا ! وانما ايضا في شئون « الدين » ؟!

فإذا تصورنا السيف المرهف ، تصيبه عوامل الدهر والطبيعة بالصدأ الذي يفل من مضائه ، فكذلك المنظومات الفكرية ، ومنها الدين ، تصيبها بمرور القرون امراض البدع والخرافات ، وتطرأ على تعاليمها أدواء الانتقاص والاضافات ..

ولما كان الله سبحانه قد كفل وتكفل بحفظ الرسالة الخاتمة ، ديانة الاسلام ، فلقد قرر الاسلام ضمن ماقرر الانحياز الى « التجديد » باعتباره القانون الفاعل في حفظ النقاء لعقائد الدين وتعاليمه ، بكشف جوهرها ، ونفي البدع والخرافات والاضافات عنها ، كلما طرأت عليها أمراضها وشوائبها لاي سبب من الأسباب .. ففي السنة النبوية الشريفة نقرأ حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن الله يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها »[1] .. وعلى مر التاريخ الاسلامي توالت مواكب المجددين .. ائمة مجتهدين ودعوات وتنظيمات ..

● وفي عصرنا الحديث ، كانت (جماعة الاخوان المسلمين) واحدة من الجماعات التي تصدت للغزو الفكري ولمخاطر « التغريب » التي أحدقت بالهوية الاسلامية لأمتنا ، وركزت اغلب جهدها في هذا الميدان ولكن ذلك ل يطمس قسمة التجديد في فكر هذ الجماعة ، ولم يحرمها من فضيلة نق « التخلف الموروث » ؟!

فالتخلف الذي انحدر الى الواق


حسن البنا

● نقد الموروث

وهم في تحليلهم لما أصاب « الاسلام السياسي » والدولة الاسلامية عبر مسيرتها التاريخية لم يدافعوا عن « الموروث » الذى ساد فى العصور « المملوكية ـ العثمانية » ذلك الذى اتاح الفرص وفتح الثغرات ، لوافد التغريب » . بل قالوا ان الانقطاع قد اصاب ازدهار الدولة الاسلامية ، فتحللت عوامل قوتها .. ثم رصدوا ـ على لسان الاستاذ حسن البنا (١٣٢٤ ـ ١٣٦٨ هـ ١٩٠٦ ـ ١٩٤٩ م) » اهم عوامل التحلل فى كيان الدولة الاسلامية » فى هذه الاسباب :

ا ـ الخلافات السياسية والعصبية وتنازع الرياسة والجاه ..

ب ـ الخلافات الدينية والمذهبية ..

جـ ـ الانغماس فى الوان الترف والنعيم .

د ـ انتقال السلطة والرياسة الى غير العرب ، من الفرس تارة والديلم تارة اخرى والمماليك والأتراك وغيرهم ممن لم يتذوقوا طعم الاسلام الصحيح ، ولم تشرق قلوبهم بأنوار القرآن لصعوبة إدراكهم لمعانيه

هـ ـ إهمال العلوم العملية والمعارف الكونية ، وصرف الأوقات وتضييع الجهود فى فلسفات نظرية عقيمة وعلوم خيالية سقيمة .

و ـ غرور الحكام بسلطانهم والانخداع بقوتهم ، واهمال النظر فى التطور الاجتماعى للامم من غيرهم ، حتى سبقتهم فى الاستعداد والاهبة واخذتهم على غرة .

ز ـ الانخداع بدسائس المتملقين من المعاصر من العصر المملوكى العثمانى ، كان هدفا واجهته دعوة (الاخوان) ، وسعت الى تغييره بالتجديد الدينى وبإعادة الأمة الى اسلامها الصحيح ، إيمانا بالحقيقة التى استقرت فى دنيا الفكر الاسلامى ، عبر تاريخه ، والتى تقول إن تجديد « دنيا » المسلمين انما هو رهن بتجديد « دينهم » الذى به يؤمنون !!

فهم لم يحاربوا « التغريب » دفاعا عن الفكرية السائدة للاسلام فى أذهان العامة أو فى تصورات وتطبيقات « المؤسسات الدينية » التقليدية ، بل كانوا فصيلة داعية للتجديد الدينى ، وان يكن فى حدود !.

ولذلك وجدناهم عند التحليل « الموروث » عن السلف يميزون بين « الدين » كما تمثل ويتمثل فى منابعه النقية ، قرآنا وسنة ، وبين « الفكر » الذى مثل « لون عصره » و« قضايا المجتمع الذى نشا فيه » .. فـ « الدين » ملزم .. أما هذا « الفكر » فهو غير ملزم ، ثم إن فيه « النافع » وفيه « الضار » الذى يجب تجاوزه بالتجديد .



حسن البنا

خصومهم والاعجاب باعمالهم ومظاهر حياتهم والاندفاع فى تقليدهم فيما يضر ولاينفع[٢]

ونحن عندما نتأمل فى هذه العوامل التى حددها الامام المرشد ، لتحلل كيان الدولة الاسلامية ، نجد فيها « النقد » بل « والادانة » للنمط « المملوكى - العثمانى » ومن ثم ندرك لماذا كان فى نهج (الاخوان) مواجهة « التخلف العثمانى » بالتجديد الدينى ، وصولا الى هدف : تغيير الواقع الموروث ، بتغيير واصلاح مافسد من العقائد والتصورات لتصح الممارسات بصحة المعتقدات !

لقد كان واضحا لدى (الاخوان) انهم ليسوا « كالمؤسسات الدينية » التقليدية - الشرعية منها والصوفية - المنكفئة على الذات والمتشبثة بالموروث ، والمدافعة عن « كل الواقع » .. وكان واضحا لديهم كذلك انهم دعاة تجديد .. وبعبارة الاستاذ البنا : « فالاخوان .. دعوة من الدعوات التجديدية لحياة الأمم والشعوب »[٣]

وهذا النهج التجديدى ، كما هو واضح ، لم يكن مجرد « تجديد فكرى » ترقى به اذهان « الصفوة » أو تستمتع به عقول « النخبة » وانما كان تجديد « حياة الامم والشعوب » فالاخوان دعوة تتوجه الى الجماهير والعامة تبغى خلق الفرد المسلم .. والأسرة المسلمة .. والأمم المسلمة[٤] ، انطلاقا من العقيدة الاسلامية والحركة التى تضع هذه العقيدة فى الممارسة والتطبيق .

وبسبب من توجه الدعوة الى « الجمهور » ولا « للصفوة » أساسا - كما كان الحال فى تيار « الجامعة الاسلامية » - تميزت دعوة (الاخوان المسلمين) بمرونة وشمولية « توفيقية » - لاتعيبها كثيرا - اضفتها على نهجها شخصية مرشدها العام وماتميزت به هذه الشخصية من مرونة تجمع ولاتفرق ، « توفيقية » تبلغ الذروة فى الذكاء ؟! فكان (الاخوان) - كما يقول الاستاذ البنا

« ١ - دعوة سلفية .. ٢ - وطريقة سنية .. ٣ - وحقيقة صوفية .. ٤ - وهيئة سياسية : لأنهم يطالبون باصلاح الحكم فى الداخل ، وتعديل النظر فى صلة الأمة الاسلامية بغيرها من الأمم فى الخارج ، وتربية الشعب على العزة والكرامة ، والحرص على قوميته الى ابعد حد .. ٥ - وجماعة رياضية .. ٦ - ورابطة علمية ثقافية .. ٧ - وشركة اقتصادية .. ٨ - وفكرة اجتماعية ..»[٥]؟! كانوا كل ذلك فى وقت واحد ، لأنهم توجهوا الى جمهور تربطه خيوط بهدف أو أكثر من هذه الأهداف .

و(الاخوان) اذا كانوا قد استعانوا « بالنهج الصوفى » فى تربية الاعضاء ، والارتقاء بهم فى مراتب العضوية بالجماعة ، فان نهجهم « السلفى - السنى » يصنفهم فى الدعوات التجديدية التى نهضت تنفض غبار العصور « المملوكية - العثمانية » الذى تراكم على عقائد الاسلام وتصورات المسلمين .. فالسلفية فى مثل موقفهم ، قد عنت : إسقاط ركام الخرافات والشعوذة

والاضافات التى غدت تكون « الفكرية العثمانية » والعودة بشجاعة ثورية الى المنابع الأولى والاصلية والنقية للاسلام .. **لقد كان « التجديد » فى الدين وسيظل موقفا سلفيا ... وكان وسيظل موقفا ثوريا ، لانه يعنى الرفض للزوائد التى افقدت الدين ثوريته وفاعليته والعودة الى الينابيع النقية حتى تعود لعقائد الدين طهارتها ووضاءتها الامر الذى يحرر « حركة » المسلمين من القيود التى طرات فى شكل بدع وخرافات واضافات على المعتقدات .**

وحتى تكون هذه « السلفية » تحريرا للعقل ، وللحركة .. فلقد التزمت التمييز بين « الثوابت » وبين « المتغيرات » .. واحتضنت « المنبع » لنقائه ومرونته ووقوفه عند « الكليات » واجتنابه « التفاصيل والجزئيات » المقيدة للحركة والمعاكسة لمقتضيات التطور والجديد ..

وفى نص من النصوص الهامة يحدد الاستاذ البنا النهج السلفي لدعوة (الاخوان المسلمين) فيقول : « يعتقد الاخوان ان اساس التعاليم الاسلامية ومعينها هو كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله ، صلى الله عليه وسلم ..

وان كثيرا من الاراء والعلوم التى اتصلت بالاسلام وتلونت بلونه تحمل لون العصور التى اوجدتها والشعوب التى عاصرتها ، ولهذا يجب ان تستقى النظم الاسلامية ، التى تحمل عليها الامة ، من هذا المعين الصافى معين السهولة الاولى ، وان نفهم الاسلام كما كان يفهمه الصحابة والتابعون من السلف الصالح رضوان الله عليهم وان نقف عند هذه الحدود الربانية النبوية حتى لانقيد انفسنا بغير مايقيدنا به الله ، ولانلزم عصرنا لون عصر لايتفق معه ، والاسلام دين البشرية جمعاء »(٦)

فهذه السلفية التجديدية ، كما عبر عنها الاستاذ البنا فى كلماته هذه تحاكى ذات السلفية التى دعا اليها مجددو تيار « الجامعة الاسلامية » عندما دعوا الى « تحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة سلف الامة قبل ظهور الخلاف والرجوع فى كسب معارفه الى ينابيعها الاولى»(٧)

● الموقف من العقل

واذا كانت « سلفية الاخوان » لم تبلغ فى انحيازها الى « العقل والعقلانية » مبلغ « سلفية تيار الجامعة الاسلامية » لتوجه دعوة (الاخوان) الى العامة والجمهور - لا « للصفوة » كما كان حال تيار « الجامعة الاسلامية » - فانها لم تتنكر للعقل والعقلانية كما قد يظن .. فهى لم تقف عند ظواهر النصوص ، كما صنعت السلفية الوهابية ، التى اتخذت من « العقل » وطرائقه - كالرأى والقياس والتأويل - موقفا غير ودى .. بل كان « للعقل والعقلانية » فى نهج (الاخوان) مكان ان لم يكن بارزا فهو ملحوظ !

لقد قطع الاستاذ البنا باستحالة الخلاف والصدام بين « النظر العقلى » و« النظر الشرعى » فى الأمور « القطعية » .. ورأى أن بعض المجالات مختص بواحد من سبل النظر دون الاخر . كالالهيات ، مثلا .. « فذات الله ، تبارك تعالى ، اكبر من ان تحيط بها العقول البشرية أو تدركها الافكار الانسانية لانها مهما بلغت من العلو والادراك محدودة القوة ، محصورة القدرة



حسن البنا
والتجديد الديني

. فالعقل البشرى قاصر عن ادراك حقائق الأشياء »[٨] فى مثل هذه الميادين .. ولذلك فان « الاسلام قد أرشد العقول الى التزام حدها ، وعرفها قلة علمها ، وندبها الى الاستزادة من معارفها ، فقال تعالى (وما أوتيتم من العلم الا قليلا)[٩] وقال تعالى : (وقل رب زدنى علما[١٠] .

واذا كانت « طبيعة المبحث » هى التى تحدد اداة النظر فيه ، وهل الاولى ان تكون « العقل » او « الشـرع » فان خلافهما انما يكون فى « الظاهر » وفيما هو « ظنى » لم يبلغ فيه أحدهما مرتبة « اليقين » .. « فقد يتناول كل من النظر الشرعى والنظر العقلى مالايدخل فى دائرة الاخر ، ولكنهما لن يختلفا فى القطعى ، فلن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة . ويؤول الظنى منهما ليتفق مع القطعى فان كانا ظنيين فالنظر الشرعى اولى بالاتباع حتى يثبت العقلى او ينهار »[١١]

واذا كان الاسلام قد رفض « غرور العقل » و« انفراده بالنظر » فى كل الميادين ، ودعا الى التوازن بين نظره وبين النظر الشرعى .. فانه « لم يحجر على الأفكار ولم يحبس العقول[١٢] .. بل جاء يحرر العقل ، ويحث على النظر فى الكون ، ويرفع قدر العلم والعلماء ، ويرحب بالصالح النافع من كل شيء . « والحكمة ضالة المؤمن اني وجدها فهو احق الناس بها[١٣] .. »[١٤] .

وهذا الموقف الاسلامى الوسط ازاء « العقل والعقلانية » نابع من التمييز بين مجالات البحث وطبائع الأشياء موضوع النظر .. فمن هذه المجالات ماتكون السيادة فيه للنظر العقلى ، ومنها ماتكون السيادة فيه للنظر الشرعى هذا الموقف الاسلامى هو الذى يرفض الخرافة المتنكرة للعقل كما يرفض المادية المنكرة لعالم الغيب والمجهول .. فيتميز عن « الايمان الأسطورى » وعن « العقلانية اليونانية ـ الاوربية » التى انكرت الوحى ووقفت عند النظر العقلى وحده .. واذا كان تاريخ « العقل البشرى » يشهد على تذبذبه « بين :

١ ـ طور الخرافة والبساطة والتسليم المطلق للغيب ..

٢ ـ وطور الجمود والمادية والتنكر لهذا الغيب المجهول ..

وكلا هذين اللونين من الوان التفكير خطأ صريح ، وغلو فاحش ، وجهالة من الانسان بما يحيط بالانسان .

● البراءة من الغلو

لكن هذه الدعوة التجديدية ـ دعوة (الاخوان) التى واجهت « التخلف المملوكى ـ العثمانى » بهذه « السلفية ـ المجددة » لم تبلغ فى نقدها لواقع المسلمين حد الغلو الذى بلغته دعوات اسلامية عاصرتها او لحقتها ، عندما حكمت « بالجاهلية » او « بالكفر » او بهما معا على هذا الواقع الذى يعيش فيه المسلمون ..

لقد عمل (الاخوان) من خلال المجتمع لا من موقع الذى يديه وينعزل عنه فى استعلاء ! .. وكما سلطوا الضوء على « الوافد » غير الاسلامى « موروثا »

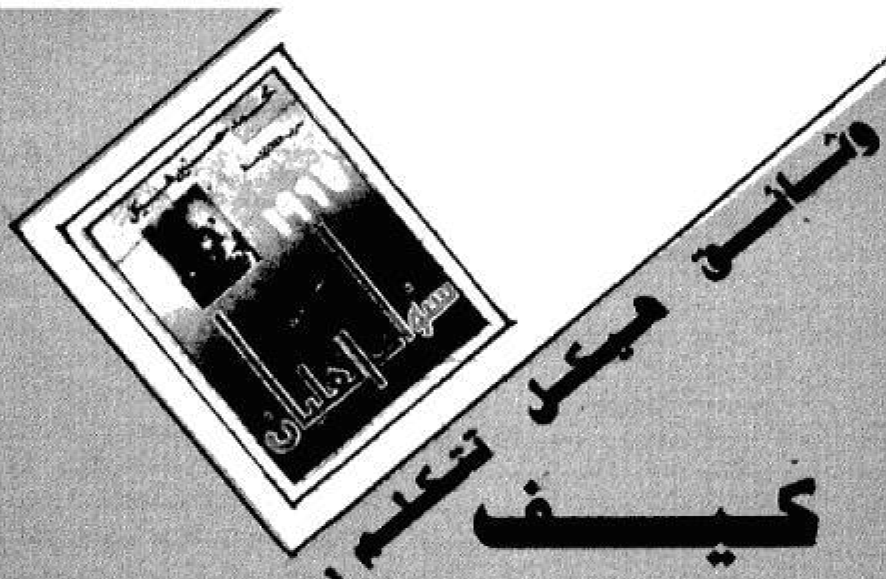
كان او « غربياً حديثاً » كذلك احتضنوا ما حفظ المسلمون من اسلامهم فقط طلبوا استكمال الناقص وتكامل المتفرق وتصحيح الخاطىء واخذ الاسلام بجد كنظام شامل للدنيا والاخرة والفرد والاسرة والامة جميعا .. لقد رفضوا « تكفير » الفرد "بالمعصية" حتى ولو كانت « كبيرة » وكتب الاستاذ البنا يقول . **إننا « لانكفر مسلما اقر بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وادى الفرائض ـ براى او معصية ـ الا ان اقر بكلمة الكفر او انكر معلوما من الدين بالضرورة او كذب صريح القرآن او فسره على وجه لاتحتمله اساليب اللغة العربية بحال ، او عمل عملا لايحتمل تاويلا غير الكفر »(١٦)**

كذلك هم لايكفرون « المجتمع » بسبب ابتعاد نظمه الحياتية فى كثير من جوانبها عن شريعة الاسلام بل يرونه « ناقص الاسلام » لكنه « النقص » الذى لايدخله « فى الكفر » او « الجاهلية » .. والامام المرشد يتحدث عن المجتمع المصرى فيبرز ـ فى حنو الداعية ـ ما فيه من ايجابيات ، ثم يدعو فى لين ومودة الى استكمال النواقص وتلافى السلبيات فيقول . « لقد اندمجت مصر بكليتها فى الاسلام بكليته ، عقيدته ولغته وحضارته ، ودافعت عنه وذادت عن حياضه وردت عنه عادية المعتدين .. وليس تفريطها فيه بالشىء الهين ، ولا ابعادها عنه بالامر المستطاع مهما بذلت فى سبيل ذلك الجهود الهدامة المدمرة .. ومن هنا بدت مظاهر الاسلام **قوية فياضة زاهرة دفاقة فى كثير من جوانب الحياة المصرية فاسماؤها اسلامية ولغتها عربية وهذه المساجد العظيمة يذكر فيها اسم الله ويعلو منها نداء الحق صباح مساء وهذه مشاعرنا لاتهتز لشىء اهتزازها للاسلام ومايتصل بالاسلام كل ذلك حق .**

ثم يمضى الاستاذ البنا فيركز النقد على « الوافد الغربى » الذى شوه بروحه المادية اسلامية المجتمع وانتقص منها .. فيقول « ولكن هذه الحضارة الغربية قد غزتنا غزوا قويا ، بالعلم والمال وبالسياسة والترف والمتعة واللهو وضروب الحياة الناعمة العابثة المغرية التى لم نكن نعرفها من قبل ، فاعجبنا بها ، وركنا اليها ، واثر هذا الغزو فينا ابلغ الاثر ، **وانحسر ظل الفكرة الاسلامية عن الحياة الاجتماعية المصرية فى كثير من شئونها الهامة واندفعنا نغير اوضاعنا الحيوية ونصبغ معظمها بالصبغة الاوربية وحصرنا** سلطان الاسلام **فى حياتنا على** القلوب والمحاريب **وفصلنا عنه شئون** الحياة العملية .

انه لايدين المجتمع بالارتداد الى « الجاهلية » او « الكفر » بعد الايمان ! وانما يدعو الى استكمال الاسلام الناقص ، والغاء الثنائية التى اثمرتها الغزوة الحضارية الغربية .. انه يستنهض هذه الامة الى استكمال اسلامها بتحقيق « استقلالها الحضارى » عن الاعداء .

وكما يكون الاعداء غزاة جاءوا لطمس الهوية الاسلامية « بالتغريب » فلقد يكونون ممن يتزيون بزى الامة ويتحدثون لغتها بل ويتعصبون لها . لكنهم يطمسون نقاء هويتها وجوهر فكريتها بما يضيفونه الى دينها من اضافات وشعوذات وبدع وخرافات .



وثائق هيكل تتكلم

كيف انزلقت مصر إلى هزيمة ٦٧ ؟!

بقلم : د . أحمد عبد الرحيم مصطفى

الاستاذ محمد حسنين هيكل شخصية مرموقة طبقت شهرتها الآفاق ليس فقط في الوطن العربي بل أيضا في العالم الخارجي . ولقد أثرت مؤلفاته المكتبة العربية وترجم الكثير منها الى عدد كبير من اللغات الحية الأوربية والأمريكية وغيرها . كما أن لكتاباته وزنها لما تتضمنه من آراء صريحة بل وجريئة أحيانا وكل ذلك لم يكن وليد الصدفة . بل يرتبط ببراعته في العمل الصحفي لمدة تزيد على الأربعين عاما استطاع خلالها أن يعقد صلات واسعة النطاق بعدد لاحصر له من الساسة والكتاب في الشرق والغرب . أعجبه الرئيس الراحل جمال عبد الناصر الذى اتخذ منه صديقا ومستشارا بعد أن لمس فيه كفاءة نادرة في التقاط الأخبار والغوص في أعماقها وفي أعماق الكثيرين الذين تعرف عليهم . وليس عجبا أن يرتبط الرجلان منذ أوائل ثورة يوليو ١٩٥٢ ارتباطا وثيقا بحيث أن مقالات هيكل الأسبوعية في جريدة الأهرام كانت منظارا لاهتمام الدول الكبرى التي كانت تستشف فيها نوايا عبد الناصر وتوجهات السياسة المصرية . بل أن عبد الناصر كان يرسله الى الخارج للاضطلاع ببعض المهام الحساسة التي وثقت علاقاته بالمسئولين الكبار وبكبرى الصحف العالمية .

● ومؤلفات هيكل قد اثارت الاهتمام منذ بداية خروجه الى حيز الاضواء · واذكر قبل ثورة يوليو ان كتابه « ايران فوق بركان » قد ضاع من مكتبتي بسبب كثرة من استعاروه من الاصدقاء والزملاء ، ولموضوعية هذا الكتاب ودقة بعض الروايات التى وردت فيه فقد اصبح هيكل موضعا للثقة في ايران بحيث لم يصعب عليه ان يقابل الشاه وزعماء « الثورة الاسلامية » المعاصرة ويبيع كتابه « مدافع آيات الله » · اما فيما يتعلق بالسياسات العربية بوجه عام والمصرية بوجه خاص ، فحدث ولا حرج : فهناك « وثائق القاهرة » و « الطريق الى رمضان » و « خريف الغضب » وغير ذلك مما كان ارهاصا للثلاثية التى خطط لها وظهر منها جزءان هما « ملفات السويس » و « سنوات الغليان » ونتصدى هنا لاستعراض اهم ما ورد في هذا الكتاب الاخير مع لفت النظر الى انه و « ملفات السويس » سيان من حيث العرض والتكتيك والمقدمة الطويلة التى شرح فيها منهجه بالنسبة الى كلا الكتابين ، مضيفا في كتابه الاخير ردا على بعض ما تواتر في السابق بصدد « احتكاره » للمعلومات بحكم قربه من الرئيس عبد الناصر ومن الرئيس السادات حتى تصدع علاقتهما على اثر مفاوضات فك الاشتباك في اعقاب حرب اكتوبر وهو في هذا المضمار يندد بمن كانوا قريبين من الاحداث لانهم تحدثوا عن انفسهم حين كتبوا ، وحكمت مشاعرهم رؤاهم ، بحيث تحولت وقائع التاريخ الى معارك سياسية اوردت دروس التاريخ « حالة من الضياع لا يستطيع احد فيها ان يعثر على دليل » وكان حرصه على التوثيق « الى حد يتجاوز المعروف والمألوف » ، نابعا من خشيته ان يكون الحكم عليه شبيها بالحكم على الاخرين ولو ان ذلك لا يبرر التزيد في هذا المضمار — اذ درجنا ، نحن المؤرخين، على الا نقتبس من الوثيقة الا المعلومات الهامة التى تناسب السياق دون ان يؤدى الاقتباس الى تفكيك الهيكل العام لما نكتبه · ولا يبرر استطراداته انه يصف نفسه في كتابه الاخير وفي « ملفات السويس » بانه ليس مؤرخا بل « قارىء » للتاريخ وهو اصطلاح لم استطع ان استوعبه تماما — فمن يكتب عن حقبة تاريخية بصورة من الصور انما هو مؤرخ شاء ام ابى · واغرب من هذا انه يذهب الى انه لم يجعل كتابه نوعا من كتابة المذكرات وانه اخرج نفسه بالكامل من دائرة رواية الاحداث برغم المامه برقائقها فكيف يمكن للرواية او المؤرخ ان يخرج نفسه من عملية التسجيل التى يقوم بها ؟ انه شاء ام ابى عنصر هام من عناصر الكتابة لانه المفكر الفاعل الذى بحكم تكوينه واستعداده يختلف عن غيره مهما حاول ان ينفي ان له بصمة في استعادة الاحداث سواء بصورة شعورية ام لا شعورية ·

● اهتمام بالغ بالوثائق

وكثير من الوثائق العربية التى اوردها حصل عليها نتيجة لقربه من دائرة السلطة في عهد الرئيس جمال عبد الناصر بوجه خاص : فقد اخبرني مرة انه كان يحتفظ بأصل الوثائق التى وقعت تحت يده او بصورة منها اذا عز عليه الحصول



على الاصل (١) . ولقد مرت امثال هذه الوثائق على الكثيرين ولكنهم لم يهتموا بالاحتفاظ بصور منها وهو ما فعله هيكل الذى يود ان يستغل فرصة الحصول عليها فى استعمالها فى الكتابة حين تتاح له الفرصة اما التوثيق من مصادر اجنبية فلم يقل اتساعا وتنوعا من المصادر العربية. وقد استعان بصداقاته الواسعة فى الخارج فى تعقب موضوعات اهتمامه فى مكانها من مجموعات اوراق رؤساء الدول وملفات وزارات الخارجية بل فى تقارير كثير من اجهزة المخابرات فى اوربا وامريكا وغيرها وهكذا فقد قرأ اكثر من ٦ر٠٠٠ وثيقة لم يستعمل منها بصورة مباشرة غير اقلها وهو ما يحدث عادة لمن يستعينون بمثل هذه الوثائق التى يجدون فى بعضها معلومات قد لاتخدم الموضوع المقترح او ان بعضها يكرر بعضها بعضا ..

وهو يطلق على المرحلة الممتدة ما بين عامى ١٩٥٧ و ١٩٨٥ اسم حرب الثلاثين سنة على اعتبار ان هذه الفترة شهدت صعود ثم تراجع الحركة الثورية العربية وجرت فيها ثلاث معارك رئيسية ، هى معركة السويس (فى عام ١٩٥٦) ومعركة سيناء عام ١٩٦٧ ومعركة العبور (١٩٧٣) ـ وكلها فى رأيه معارك فى حرب واحدة . ومعركة سيناء التى يتناول هذا الكتاب مقدماتها هى فى رأيه اكثر المعارك الثلاث غموضا واشدها تعقيدا ، ولهذا قسم دراستها الى قسمين : (١) سنوات الغليان(٢) الانفجار . وهو يبدأ موضوعه بحرب السويس نظرا لما بينها وبين معركة سيناء من تداخل ولو انه يقر بورود محاذير التكرار ، رغم محاولته تلافى آثارها بقدر الامكان بالبحث عن وقائع جديدة ووثائق مختلفة تعبر عن حقائق كانت موجودة فى الصراع سابقا وظلت موجودة فيه لاحقا .

وفى عرضه يبرز الدور الذى قام به جمال عبد الناصر خلال الفترة التى يتناولها الكتاب ويعتذر عن التركيز عليه بانه لم تكن له حيلة فى ذلك لان عبدالناصر كان هو الشخصية المؤثرة فى تعاقب الاحداث بعد ان اصبح زعيما للامة العربية منذ عقد صفقة الاسلحة التشيكية فى عام ١٩٥٥ . ورغم اهمية الدور الذى قام به عبد الناصر ورغم علاقة الصداقة التى ربطته بهيكل فان هذا الاخير لا يتردد فى تسجيل بعض اخطاء عبد الناصر ومن ذلك اطلاقه يد عبد الحكيم عامر فى قيادة الجيش

---

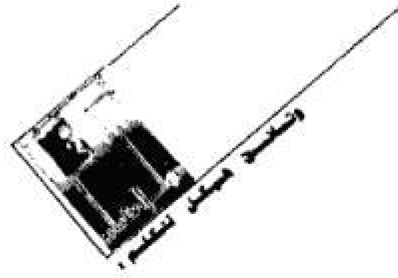
(١) ومن ذلك ما يرويه فى هامش بصفحة ٦٢ ، عن انه حين اراه عبد الحكيم عامر فى اغسطس ١٩٦٧ الخطابات التى ارسلها اليه عبد الناصر حين كان حاكما لسوريا ، وكانت مكتوبة بخط عبد الناصر استأذنه هيكل فى تصويرها فأذن بشرط الا تخرج من بيته وان يتم تصويرها داخله فدعا بالتليفون مصورا من « الاهرام » قام بالتقاط صور لمجموعة الرسائل كاملة ، وهى الرسائل التى احتفظ بها هيكل وصور مقتطفات منها فى ملاحق كتاب « سنوات الغليان » .

المصرى بعد فشله فى مواجهة العدوان الثلاثى فى عام ١٩٥٦ وعدم تخلصه منه بعد انفصال سوريا فى عام ١٩٦١ كما يحمله قدرا كبيرا من مسئولية ما حدث فى عام ١٩٦٧ ولو انه لايعفى الولايات المتحدة من الدور الذى لعبته فى تطور الاحداث خاصة وان بعض الوثائق التى اطلع عليها اشارت الى ان المخابرات الامريكية رات الا وسيلة ازاء مصر عبد الناصر سوى بديلين هما الاغتيال والتعرض لهزيمة ساحقة امام اسرائيل ، وبهذا الصدد نجده يفند الادعاءات التى وردت فى كتاب مايلز كوبلاند « لعبة الامم » الذى ترجم الى اللغة العربية واستعمل فى التشهير بجمال عبد الناصر وثورة يولية ١٩٥٢ ، مستعينا فى كشف حقيقة هذا المغامر بنشر قائمة بمجموعة مراسلات كوبلاند مع هيكل ومع السلطات المصرية وهى مراسلات تكشف حقيقة نشاطات كوبلاند ·

وبعد هذه اللمحات العامة نعود فنلخص اهم ما جاء فى هذا الكتاب الهام · وهو ينقسم الى ستة ابواب كل منها ينقسم بدوره الى عدة فصول ، هذا بالاضافة الى ملحق وثائقى يحتوى على بعض صور زنكوغرافية لوثائق هامة ·

ـ وفى الباب الاول يلخص معركة السويس مع ربطها وربط مصر بجذور تاريخية بعضها معن فى القدم وبعضها الاخر يتصل بفترات من التاريخ المعاصر اعتبرها مدخلا الى الموضوع الذى سبقت له دراسته فى كتابه « ملفات السويس » · وهنا يتعرض لثورة يوليو ١٩٥٢ وللتيارات العالمية التى بدت فى أعقاب الحرب العالمية الثانية · ويختم هذا الفصل بالقول بأن نهاية الامبراطورية البريطانية فى المشرق التى جاءت بعد انتهاء دور فرنسا فيه قد سجلت بداية فصل جديد من الصراع على الشرق الاوسط وفيه : فقد دخلت الولايات المتحدة الساحة التى بارحتها بريطانيا وفرنسا لتتصدى للقومية العربية الصاعدة بقيادة جمال عبد الناصر وللاتحاد السوفييتى الذى دخل المنطقة باعتباره أهم صديق لهذه القومية ·

ـ وفى الباب الثانى الذى اختار له عنوان « بداية العصر الامريكى » يستعرض نتائج دخول الولايات المتحدة الى الشرق الاوسط وتزعمها للكتلة الغربية ونشاط مخابراتها فى المنطقة وتصديها للتسلل السوفييتى الذى جاء بعد صفقة الاسلحة التشيكية (أو السوفييتية) وملء الفراغ الناتج عن اضمحلال النفوذ البريطانى والفرنسى وتثبيت سيطرة الغرب (وبالذات الولايات المتحدة) على المنطقة · ـ وبالتالى فبرغم عدم التوافق بين السياسة الامريكية والسياسة البريطانية التى خططت لتثبيت هيمنتها على المنطقة عن طريق عقد حلف بغداد بينها وبين كل من العراق وتركيا وايران فقد ساندت الولايات المتحدة حليفتها الغربية · وتصدت مصر وسوريا والقوميون العرب للسياسات الغربية مما أدى الى نشوب الصراع فى لبنان والاردن بين أنصار الغرب وبين القوميين دون أن يكون للاتحاد السوفييتى أو للشيوعيين المحليين دور كبير فى تطور الاحداث · وسعت السياسة الغربية الى مواجهة ذلك عن طريق المؤامرات التى استهدفت والغزو من الداخل ، وتدبير الانقلابات وبخاصة فى سوريا التى ساندها عبد الناصر مما مهد الطريق للوحدة



بين مصر وسوريا في أوائل عام ١٩٥٨ .

خصوم عبد الناصر

ـ وفي الباب الثالث يتناول محاولة السياسة الامريكية عقد حلف مع الملك سعود عاهل المملكة العربية السعودية ضد عبد الناصر بهدف اسقاط نظام الحكم الجديد في القاهرة عن طريق المؤامرات التي تمولها المملكة العربية السعودية هذا في الوقت الذي تحركت فيه دول حلف بغداد لفصل سوريا عن مصر بعد أن انعكست آثار الوحدة في لبنان حيث نشب صراع بين الرئيس كميل شمعون الموالي للغرب والذي استجاب لمبدأ أيزنهاور وبين القوميين الذين كانوا يودون لو انضموا الى « الجمهورية العربية المتحدة » . وطلب شمعون من الولايات المتحدة رسميا ارسال قوات أمريكية الى لبنان



فورا لان الامن يتدهور نتيجة لتدخلات سافرة من الجمهورية العربية المتحدة ، كما اشتكى الى الامم المتحدة والى جامعة الدول العربية .

وينتقل هيكل في هذا الباب فجاة من المشرق العربي الى المغرب ويسلط الاضواء على الثورة الجزائرية التي كانت تدعمها مصر وتحظى بالتأييد في الوطن العربي وفي اطار العالم الثالث وبلدان عدم الانحياز . ثم ينتقل الى السودان حيث اثارت حكومة عبد الله خليل مسالة اسقاط اتفاقية مياه النيل التي تمسكت بها القاهرة . وأمام تعاطف الجماهير السودانية مع الشقيقة مصر اضطر عبد الله خليل الى تسليم السلطة للجيش . ثم ينتقل المؤلف الى تونس حيث كان بورقيبة الطامع الى أن يصبح رجل الغرب في المنطقة يغار من عبد الناصر . وهذه القفزات من بلد الى آخر قد أربكت السياق العام وهو ما حدث في مواضع أخرى من الكتاب بمعنى أن هيكل لم يتمسك بالتسلسل الزمني أو الموضوعي وأنه غلبت عليه طبيعته الصحفية خاصة وقد أعلن أكثر من مرة أنه ليس مؤرخا !

الصراع في العراق على السلطة

ـ وفي الباب الرابع يتناول شخصية عبد الكريم قاسم والصراع الذي جرى بينه وبين القوميين وأدى الى استناده الى الشيوعيين .. ويحمل هيكل مسئولية استعانة قاسم بالشيوعيين لدسائس الغرب وسفرائه في بغداد . وحين اتجه الاتحاد

السوفييتى الى مساندة الشيوعيين العراقيين والعرب تعكرت العلاقات بين القاهرة وموسكو وتحسنت نسبيا بين القاهرة وواشنطون • واستغلت اسرائيل هذه الفرصة لتثير مسالة حرية الملاحة فى خليج العقبة ولتثير المتاعب فى الولايات المتحدة ضد مصر ولتمد يدها الى ايران الشاه لتحقق التبادل التجارى بين الطرفين بما فى ذلك بيع البترول وكذلك التبادل الثقافى وتزويد ايران بالاسلحة مما ادى الى استئناف العلاقات بين البلدين مما ادى الى سوء العلاقات مع القاهرة وطرد السفير المصرى من طهران •

وبعد ذلك يقفز هيكل قفزة جديدة ليستعرض تطور العلاقات بين مصر والاقطار الافريقية وبخاصة تأثير احداث الكونغو ثم يقفز مرة أخرى فيتحدث عن الثورة الكوبية ثم عن توتر العلاقات بين موسكو وواشنطون على اثر اسقاط الروس لطائرة تجسس أمريكية • ثم يعود الى زيارة عبد الناصر لنيويورك لحضور الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للامم المتحدة التى انعقدت فى عام ١٩٦٠ والى مؤتمر الدار البيضاء ثم الى قمة عدم الانحياز التى انعقدت فى بلجراد فى سبتمبر ١٩٦١ وغير ذلك •

– وفى الباب الخامس يستعرض هيكل العلاقة الشخصية بين عبد الناصر والرئيس جون كيندى الذى مد يده الى العالم الثالث ليكسب فيه النفوذ والاصدقاء • وفى ها الباب يفرد هيكل عديدا من الصفحات لانفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة مدعما عرضه بعدد كبير من الوثائق والمذكرات كما يحاول تحسين العلاقات بين القاهرة وواشنطون وأزمة الصواريخ الكوبية والثورة اليمنية والدوافع وراء مساندة القاهرة وموقف الولايات المتحدة وبريطانيا والسعودية المناوىء لها وانضمام جند مرتزقة مختلفى الهوية الى القوات الامامية التى تدفقت عليها الاسلحة من عدة مصادر منها اسرائيل •

● على حافة البركان !

– وفى الباب السادس يتناول المؤلف سقوط عبد الكريم قاسم فى العراق والانفصاليين فى سوريا ومحادثات الوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا والعراق ، وهى المحادثات التى سبق لهيكل أن نشر بعض نصوصها فى كتاب منفصل• ثم يعرج على استئناف المراسلات بين عبد الناصر وكيندى • وكانت هذه المرة تتصل لا باليمن بل باسرائيل والمفاعلات النووية والصواريخ وضغوط الكونجرس • ثم ينتقل الى الدواعى والظروف التى ادت الى انعقاد مؤتمر القمة العربى الاول فى عام ١٩٦٤ والى مقتل جون كيندى وتولى ليندون جونسون رئاسة الولايات المتحدة الامريكية وزيارة خروشوف لمصر فى مايو ١٩٦٤ ومؤتمر القمة العربى الثانى الذى انعقد فى القاهرة فى يناير ١٩٦٤ ومؤتمر القمة الافريقى الذى انعقد فيها بعد ذلك فى نفس العام •

وينهى هيكل هذا الفصل وكتابه بالمعركة الجوية التى جرت فوق سوريا بين الطيران الاسرائيلى والطيران السورى وفقدت فيها سوريا اكثر من عشر طائرات • وبدا من هذا وغيره من التطورات أن المنطقة كلها تعيش على حافة بركان •

قصة خروج النبي موسى من مصر

بقلم: د. محمد ابراهيم مرسى

بادىء ذى بدء، اود ان اشير إلى ان حياة «موسى» عليه السلام فى مصر وقصة خروجه مع قومه لم ترد لها اية إشارة على الآثار المصرية القديمة المكتشفة حتى الآن. ذلك لأن المصرى القديم رأى انها حادثة ثانوية لم يهتم بالاشارة إليها. وعلى العكس من ذلك لبنى اسرائيل فقد كانت حيوية بالنسبة إليهم.

والاشارة الوحيدة التى حوت ذكر اسرائيل هى التى جاءت على لوحة للملك «مرنبتاح» - الابن الثالث عشر لرمسيس الثانى والذى تولى العرش من بعده وحكم فى الفترة ما بين ١٢٢٤ - ١٢١٤ ق. م. - وقد عثر على هذه اللوحة عام ١٨٩٦ - المحفوظة الآن بالمتحف المصرى بالقاهرة تحت رقم ٣٤٠٢٥ - فى المعبد الجنزى للملك على البر الغربى لطيبة (الاقصر الحالية)، وكانت اللوحة اصلا للملك «امنحوتب الثالث» من ملوك الأسرة الثامنة عشرة (١٤٠٣ - ١٣٦٥ ق. م) واستخدم «مرنبتاح» ظهرها لنقش أخبار انتصاراته المؤرخة بالعام الخامس من حكمه والتى جاء بها بعد المقدمة «الامراء منبطحون يعرفون طالبين الرحمة، وليس من بين الاقواس التسعة (اى اعداء مصر) من يرفع رأسه. الخراب للتحنو (الليبيين) بلاد خاتى هادئة (الاناضول) وكنعان قد استلبت فى قسوة، واخذت عسقلان، وقبض على جازر وصارت ينو عام كان لم يكن لها وجود، واسرائيل قد خربت



جبل موسى - فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا

قصة خروج النبي موسى من مصر

وأزيلت بذرتها وأصبحت خارو أرملة لمصر ».

وما يهمنا في هذا النص هو ورود ذكر « اسرائيل » لأول مرة وربما لآخر مرة على أثر مصرى قديم . وقد اعتقد بعض الدارسين انها تشير الى قوم سكنوا بلاد كنعان اى فلسطين الحالية ، ولكن بملاحظة النص تجد ان المخصص لكلمة اسرائيل يمثل اشخاصا - اى رجل وسيدة مع ثلاث شرط وهى علامة الجمع فى اللغة المصرية القديمة وهذا يعنى انها إشارة الى مجموعة من البدو او قوم اجانب . وفى حالة الاشارة الى اسرائيل ما هى إلا للتعبير عن مجموعة من البدو او القوم الاجانب لا وطن لهم يعيشون فى مصر ، وبمعنى آخر أن بنى اسرائيل لم يكونوا قد وصلوا بعد إلى ارض كنعان ، ويفهم من النص ايضا ان خروجهم جاء فى صورة طرد قوم بإرادة الملك وليس هروبا منه .

● « موسى » عليه السلام فى مصر

ولد « موسى » عليه السلام فى مصر من ابوين عبرانيين هما : عمران بن تاهت بن لاوى بن يعقوب بن اسحاق ابن ابراهيم (عليهم السلام) وأمه يوكابد بنت لاوى .

وهناك رأى آخر خرج به سيجموند الذى يرى ان « موسى » مصرى ، وعقد مقارنة بين العقيدة الموسوية والمصرية القديمة خاصة عقيدة اتون وقال إن هناك توافقا بين العقيدتين فيما يتعلق بالاعتقاد فى عدم الحياة بعد الموت ، واضاف حجة ثانية وهى فرض الختان المعروف عند المصرى القديم على اليهود ، ويتساءل فرويد اذا ماكان « موسى » يهوديا راغبا فى تحرير بنى جلدته من المصريين فما الذى دعاه الى فرض الختان عليهم ، وينتهى فرويد الى ان « موسى » لم يكن يهوديا بل مصريا ، وانه كان مقربا لاخناتون ، وبعد موت « اخناتون » عادت العقائد القديمة ، وبذلك أصبح « موسى » طريدا بدون وطن ، وانتقل الى « جوشن » حيث عاشت بعض القبائل السامية التى تزعمها وخرج بها من مصر فى سلام ، وحدث ذلك فى السنوات الثمانى التالية لموت « اخناتون » .

وعلى الرغم من الآراء والحجج المقدمة من « فرويد » فالأرجح أن « موسى » كان عبرانيا وخير دليل على ولادته فى مصر هو اسمه العبرى mosa المشتق من الاسم القديم « msj » ويمكن ترجمته المولود ، فى حين ان بعض الدارسين يرون ترجمته ايضا من التعبير المصرى إما mw — sw او mw — sw(t) بمعنى « ابن الماء » او المنتشل من الماء او انهم وجدوه بين الماء ونبات السوت .

وكان « موسى » أصغر اخوته

، مريم ، و، هارون ، وبعد ولادته إخفته امه لمدة ثلاثة اشهر خوفا من الملك الحاكم فى ذلك الحين ، وقد جاء فى القرآن الكريم ، ان ارضعيه فإذا خفت عليه ، فالقيه في اليم ، ولاتخافى ولاتحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ، .

وحدث أن وضعته امه في سلة غالبا من البردى فى النهر على ما يبدو على مقربة من المقر الملكى حيث رأته وانقذته احدى بنات البيت المالك ، يقول البعض انها ابنة الملك ، والارجح كما جاء في القرآن الكريم انها زوجة الملك التي أعجبت بصورة الطفل ، قرت عين لي ولك ، لاتقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا ، .

واحتاجت السيدة الملكية الى مرضعة للطفل وجدوها فى سيدة عبرانية هى فى نفس الوقت امه ، وكما وعدها العلى القدير عاد إليها وليدها ليعيش معها فترة حضانته ، ولعل فى ذلك إشارة الى ان بنى اسرائيل فى مصر لم يعاملوا بالقسوة التى يصورها البعض ، بل كانت هناك طوائف يهودية تعيش فى البلاد تمتعت بحرية عبادة آلهتهم دون مضايقة من المصريين ، وعادة تسامح المصريين مع الأقوام الأجانب والسماح لهم بحرية التعبد عادة قديمة ومعروفة .

اما عن حياة ، موسى ، وحتى بلوغه سن النضج اى حوالى الثلاثين من عمره فلا نعرف عنها الكثير ولكن غالبا انه تلقى تعليمه على يد الكهنة المصريين ويحتمل انه شغل بعض المناصب التى لانعلم عنها شيئا ، كما

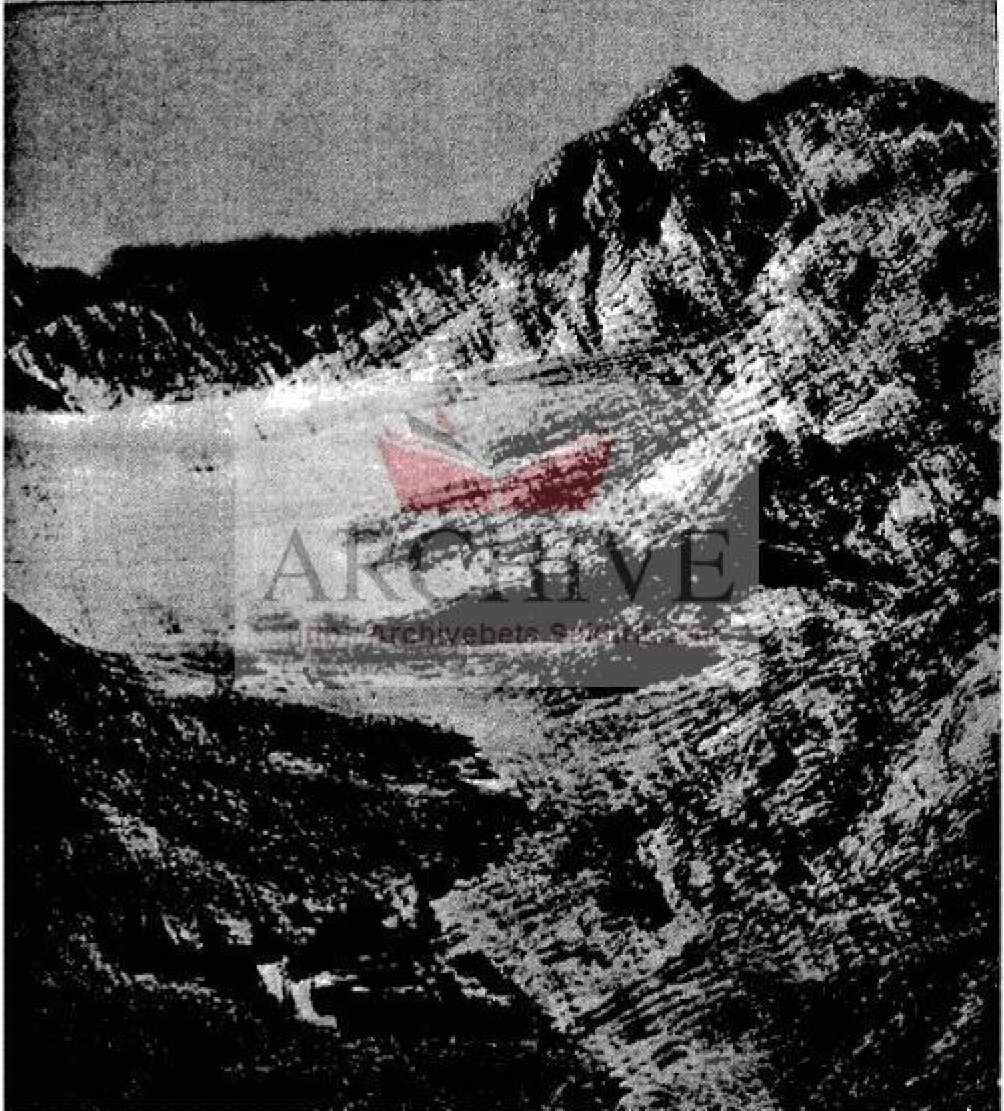
● لوحة تعبر عن مصر القديمة عندما طلب الفرعون راس كل اطفال بنى اسرائيل



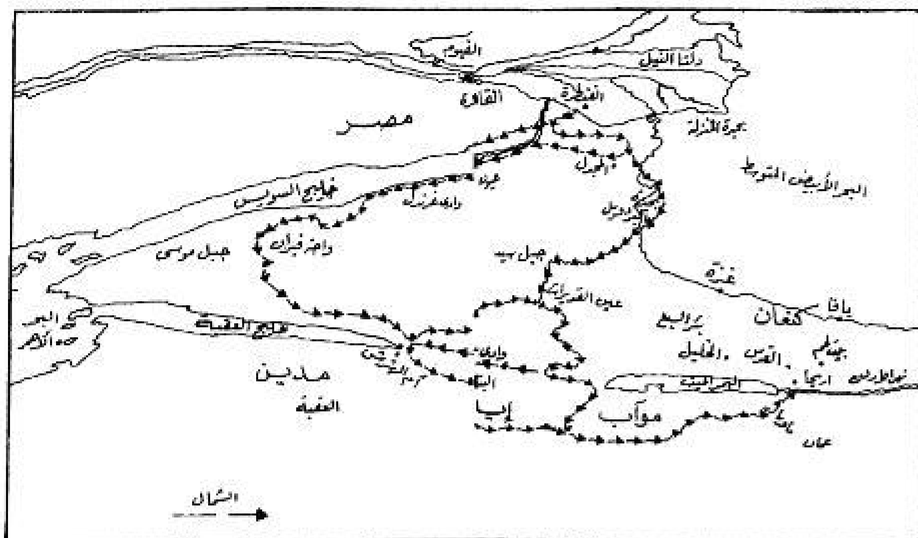
قصـة خـروج
النبي موسى
من مصـر

سيناء ارض التيه . البيئة المعبرة لسكانها . وسيدتان تغزلان المنسوجات الصوفية .

دير سانت كاترين في احضان جبل سيناء







● طريق الخروج الذي سلكه النبي موسى عند خروجه من مصر ثم عودته وخروجه مرة أخرى، ولم يسلك خطا مستقيما، وهكذا طريقه عبر سيناء

لانعلم هل بقى تابعا للقصر حتى سن التشيخ أم لا.

● الهروب إلى مدين

خرج «موسى» في يوم من الأيام إلى المدينة فوجد رجلين يقتتلان أحدهما من بني اسرائيل والآخر مصري وتدخل بينهما وساعد الذي من شيعته على عدوه فوكزه «موسى» فقضى عليه. بعدها ندم على فعلته وأصبح خائفا يترقب خاصة بعد أن عثر القوم على جثة القتيل، ولعل هذا الخوف يدل على أنه لم يكن من بين رجال القصر. بل من الأرجح أن أحد رجال القصر المؤمنين هو الذي نصحه بأن يرحل عن البلاد.. قال تعالى: «وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى، قال ياموسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين». وهكذا خرج «موسى» إلى صحراء سيناء حتى وصل إلى مدين عند خليج العقبة.

وتبدأ مرحلة جديدة في حياته عندما وصل إلى ماء مدين ورأى الرعاة الرجال يوردون أنعامهم للشرب بينما هناك امرأتان تمنعان غنمهما من ذلك، فساعدهما موسى وخير شرح لهذه الواقعة ما جاء في القرآن الكريم «ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس





قصة خروج النبي موسى من مصر

عبور موسى



« وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون »

صدق الله العظيم



لوحة لإخناتون أول من نادى بوحدة الإله (١٣٧٩ ـ ١٣٦٢ قبل الميلاد)

قصة خروج
النبي موسى
من مصر

يسقون ، ووجد من دونهم امراتين تذودان قال ماخطبكما ، قالتا لانسقى حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير ، فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب إنى لما انزلت الىّ من خير فقير ، فجاءته احداهما تمشى على استحياء قالت إن أبى يدعوك ليجزيك اجر ماسقيت لنا ، فلما جاءه وقص عليه القصص قال لاتخف نجوت من القوم الظالمين ، قالت إحداهما ياابت استاجره ان خير من استاجرت القوى الامين » .

واستجاب الشيخ لاقتراح ابنته وعرض على « موسى » ان يزوجه احدى ابنتيه ، قال إنى اريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين على ان تاجرنى ثمانى حجج ، فان اتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن اشق عليك ، ستجدنى ان شاء الله من الصالحين ، ومما يلاحظ ان القرآن الكريم لم يشر الى اسم هذا الشيخ اما التوراة فتذكره مرة « يثرون كاهن مدين » ومرة « حوباب بن رعوئيل او رعوئيل نفسه .

وبعد أن مكث موسى فى مدين عشر سنين ، رزق فيها بولدين ، علم ان ملك مصر الذى كان يطلبه قد مات ، فيقرر العودة ، وفى طريق عودته إلى مصر ضل طريقه فى الصحراء والليل مظلم

وقد جاء فى القرآن الكريم قوله لأهله « امكثوا هنا انى آنست نارا لعلى اتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى » وكان المكان عند طور سيناء « .. نودى ياموسى . إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى . وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى . اننى انا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى » .

وفى هذه الليلة المباركة اصطفى الله تعالى موسى وعهد اليه برسالته الى فرعون « إذهب أنت وأخوك باياتى ولاتنيا فى ذكرى ، اذهبا الى فرعون انه طغى ، فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ، قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا او ان يطغى ، قال لاتخافا اننى معكما اسمع وارى ، فاتياه فقولا انا رسولا ربك فأرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم ، قد جئناك باية من ربك ، والسلام على من اتبع الهدى » .

سليم حسن باشا



وبعدها تتم المقابلة بين « موسى » وفرعون وماصحبها من معجزات .

● طريق الخروج

مازالت الآراء متباينة عن الطريق الذي سلكه موسى وقومه في طريقهم من مصر الى ارض كنعان ، ويمكن ان نقول كذلك ان باب النقاش مازال مفتوحا وذلك لقلة المصادر التاريخية القديمة المعروفة حتى الآن ، واعتمادنا الاساسي في تناول هذا الموضوع على ما جاء في الكتب المقدسة .

ولعل من بين افضل المقترحات العلمية التي تناولت هذا الموضوع هو ماجاء في مقالة علي بك شافعي ، وهو ما اخذ به سليم حسن وكذلك بعض المراجع العلمية الحديثة .

وقبل أن نتناول هذا الموضوع اود أن اشير باختصار الى صلات مصر الخارجية خاصة من جهة الحدود الشمالية الشرقية التي ترجع الى اقدم العصور ، وازدادت قوة ووضوحا أيام الدولة الوسطى حيث ازدادت اعداد الآسيويين في مصر وفي نفس الوقت قويت صلات مصر بكثير من مناطق الشرق القديم حتى أن البعض اعتقد في امبراطورية مصرية في تلك المرحلة ، وبعد انهيار الدولة الوسطى مرت البلاد بمحنة احتلال الهكسوس وبعد طرد الهكسوس بدأت مصر مرحلة حافلة في تاريخها اي الدولة الحديثة أو فترة الامبراطورية حيث اصبحت مصر من أقوى ممالك منطقة الشرق القديم .

وعندما تولى حكام الأسرة التاسعة عشرة حكم البلاد اهتموا بمنطقة شرق الدلتا لعدة اسباب منها انهم من المنطقة ذاتها كما انها على مقربة من الحدود الشمالية الشرقية . ولذا اقاموا بها عاصمة جديدة عرفت باسم « بررعمسيس » بجانب العواصم القديمة المعروفة « طيبة » و« منف » وكان يعتقد الى فترة قريبة ان هذه العاصمة هي « تانيس » « صان الحجر » الحالية بشرق الدلتا . ولكن الابحاث الحديثة ترجح أن « بررعمسيس » تقع في منطقة قنتير التي كشف بها حديثا عن بقايا كثير من المباني والآثار المختلفة . ومما لاشك فيه أن حول هذه العاصمة او مقر الرعامسة في شرق الدلتا عاشت مجموعة من العبرانيين هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فهي غالبا المنطقة التي تربى وعاش فيها موسى فترة شبابه الذي لانعرف عنها الكثير . وغالبا انه عاد الى نفس المنطقة من « مدين » لاصطحاب قومه الى خارج البلاد .

والآن نعود الى الاقتراحات التي ذكرها علي بك شافعي في مقاله الذي يشير الى اسماء المدن والمواقع التي مر بها بنو اسرائيل في طريق خروجهم والتي ذكرت في التوراة على الوجه التالي :

١ ـ رعمسيس ٢ ـ سكوت . ٣ ـ بيداء ايتام ٤ ـ طريق الفلسطينيين ٥ ـ فم الحيروث ٦ ـ بحر سوف ٧ ـ مجدول ٨ ـ بعل زيفون .

وعلى ذلك يمكن تحديد الخروج من « بررعمسيس

قصة خروج

النبي موسى

من مصر

الحالية . ثم ارتحل بنو اسرائيل من « رعمسيس » الى « سكوت » بنحو ستمائة الف ماش من الرجال خلا الأطفال وغالبا ان بداية التحرك كانت في شهر ابريل ، اى فى فترة يكون منسوب المياه فيها منخفضا ، هذا بالاضافة الى ان طريقة الري كانت المعروفة برى الحياض ، والتى كانت بدورها جافة ، ولذا كان من السهل على موسى وقومه أن يتحركوا بشيء من السهولة . ويمكننا ان نتصور صعوبة هذا التحرك اذا ما كانوا قد تحركوا فى وقت الفيضان . وقطعوا فى اليوم الاول حوالى ٢٠ كم من قنتير الى المنطقة التالية « سكوت » وهو موقع على مقربة من الصالحية الحالية ، وقد جاءت اشارات الى هذه المنطقة في المصادر المصرية القديمة بانها ارض على الحدود تتميز بمستنقعاتها من اشهرها « بركة اكياد » التى كانت من الأماكن المحببة لملوك الرعامسة للصيد فى احراشها . وهى مازالت تتمتع بهذه الصفة حتى الآن .

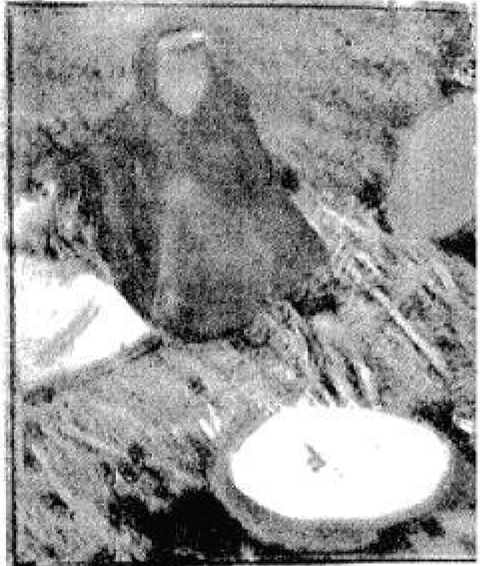
وفى اليوم الثانى « ثم ارتحلوا من « سكوت » ونزلوا من ايتام فى طرف البرية » وارض ايتام هذه هى المعروفة باسم «ايدوم » التى سكنها قوم اطلق عليهم المصريون بدو الشاسو .

وفى اليوم الثالث « وكلم الرب موسى » قائلا : مر بنى اسرائيل ان يرجعوا وينزلوا امام « فم الحيروث » بين « مجدول » والبحر امام « بعل زيفون » تنزلون تجاهه على البحر .

غالبا أن مجدول هذه على الحدود الشمالية للبلاد وهى المنطقة التى عبر الاسرائيليون عندها الماء فى طريقهم الى كنعان . اما « فم الحيروث » « فم حور » بالمصرية القديمة وقد جاء فى التوراة تكلم الى بنى اسرائيل حتى يتحولوا ويعسكروا امام « بيها هيروث » بين مجدول والبحر . اى أن موسى وقومه لم يسيروا فى خط مستقيم ولذلك وصلوا امام « فم الحيروث » بعد مسيرة يوم واحد .

وفى اليوم الرابع .. كان « موسى » حذرا خوفا من الملك المصرى على الرغم من انه صرح له بالخروج ولذا سلك طريقا غير الطريق المعتاد . فلم يسلك طريق الفلسطينيين على الرغم من قربها . وكان حدس موسى صحيحا فقد غير الملك المصرى رأيه وتبع « موسى » مع جيشه المكون من ستمائة عربة جربية ولحق بهم على مقربة من « يلم سوف » ومعناها العبرى حرفيا « بحيرة البوص » وهى عبارة عن منخفض تحت مستوى سطح البحر .

واصبح موسى وقومه فى مازق « بحيرة البوص » على يمينه وحصن مجدول بما فيه من حامية مصرية امامه سادا الطريق من الشمال . وعلى يساره مستنقعات فرع النيل البلوزى . وخلفه



البيئة المصرية
الطاغية فى سيناء

الملك وجيشه ، ولم يجد امامه الا طلب العون من الله ، واشار بعصاه نحو البحيرة على يمينه فارسل الله ريحا شرقية عاتية استمرت طوال الليل . وهذه هى المعجزة فقد جفت البحيرة فسار « موسى » وقومه عبرها .

ويتبقى موضوع غرق فرعون ، وكيف يكون اذا ما كانت مياه البحيرة ضحلة لايزيد عمق الماء فيها على قدمين . ولكن غالبا ان خيل وعربات الجيش اصبحت وسط الاوحال بطيئة الحركة اما غرق فرعون فربما انه تعبير رمزى فهذا الملك الذى عاصر موسى لم يمت غرقا ، بل نجاه الله ببدنه ليكون آية للناس على قدرة الخالق والتعبير « ننجيك ببدنك » يعادل التعبير العامى « خلص بجلده » وعلى ذلك يمكن فهم الآية القرآنية التى جمعت القصة كلها فى اختصار رائع « وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا إله إلا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين . الآن وقد عصيت وكنت من المفسدين . فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون » .

وبذلك نبتعد عن الخلط الذى يقع فيه بعض الدارسين عند ترجمة « يام سوف » بالبحر الأحمر او بحر القلزم .

وفى الأيام التالية بعد عبور البحيرة ساروا فى الصحراء الواقعة على الضفة الأخرى من « يام سوف » وهى المعروفة باسم « بيداء شور » بعدها ساروا فى سيناء و« مدين » حتى وصلوا ارض كنعان وكانت اماكن معمورة .

والآن بقيت كلمة عن فرعون الخروج التى تعددت الآراء بالنسبة لتحديد شخصيته . وقد تناول الزميل د . محمد بيومى مهران هذا الموضوع بالتفصيل متناولا الآراء المختلفة بالشرح والمناقشة . وهو يؤيد رأى بعض المؤرخين الذين يرون ان فرعون الخروج هو « مرنبتاح » ويرى د . مهران ان تاريخ الخروج كان فى العام الأخير من حكم الملك وليس فى العام الخامس كما يرى البعض الآخر .

دائرة الحوار

لماذا قامت شركات توظيف الأموال ؟!

بقلم : د . جلال أمين



إذا كان على المرء أن يختار سمة اقتصادية واحدة يميز بها عقد السبعينيات ، عن العقود السابقة عليه ، فإني اختار سمة " قلة الانتاجية " ، وإذا طلب منى أن أذكر اقل العقود انتاجية ، من العقود الأربعة التي تعاقبت على مصر منذ قيام الثورة ، فإني أختار السبعينيات بلا تردد . لا أقصد أنه كان عقدا فقيرا ، بل لعل العكس هو الأقرب إلى الصحة ، خاصة إذا ركزنا النظر على النصف الثانى من السبعينيات . لقد تدفقت أموال كثيرة على مصر بين ١٩٧٦ و١٩٨١ ، بسبب الهجرة من ناحية ، ومن صادرات البترول وقناة السويس والسياحة من ناحية ثانية ، وبسبب تدفق المعونات الأجنبية من ناحية ثالثة . ولكن كل هذا لا ينفى أن العقد بأسره كان " قليل الانتاجية " ، وأن هذه الأموال التى تدفقت على مصر كانت ضعيفة الصلة جدا ببذل جهد حقيقى فى الانتاج .

المناخ الاقتصادى والاجتماعى لشركات توظيف الأموال

● عائد بلا جهد

أما المعونات الأجنبية ، فضعف صلتها بالجهد واضح لا يحتاج إلى بيان ، بل لعل العلاقة بينها وبين الجهد الإنتاجى عكسية ، وأما عائدات البترول وقناة السويس . (وإلى حد كبير عائدات السياحة أيضا) فهى ليست مقابل نشاط انتاجى بل مقابل بيع الأصول : سواء تمثلت هذه الأصول فيما يستخرج من باطن الأرض ، أو فى موقع جغرافى حصلت عليه مصر بمحض الصدفة . وأما تحويلات المهاجرين فهى أشبه بعائدات مصر من البترول فيما عدا أن البترول فى هذه الحالة يستخرج خارج مصر ، ولكنها فى معظم الأحوال لا تتناسب مع ما يبذله المهاجرون من جهد أو تعب اللهم إلا "تعب" الاغتراب والبعد عن الأهل .

صحيح أن جزءا كبيرا من هذه العائدات (البترول ، قناة السويس ، السياحة ، المعونات يذهب فى الأصل إلى يد الدولة وقد كان من الممكن أن يكون توزيع الدولة لهذه العائدات على الأفراد ، متناسبا مع ما يبذله الأفراد من جهد ، حتى وإن كانت الدولة قد حصلت عليها ابتداء دون نشاط انتاجى ، ولكن الواقع هو انه من أسهل الأمور تبديد الأموال التى لم يتعب أحد فى تحصيلها خاصة إذا كانت هذه الأموال فى يد الدولة وعلى الأخص إذا كانت هذه الدولة دولة "هشة" من النوع الذى عرفته مصر فى السبعينيات فكم كان من السهل أن تنفق هذه الأموال المتدفقة بلا حساب على الدولة المصرية ، على أصحاب النفوذ انفسهم أو على أصحاب أصحاب النفوذ ومحاسيبهم ، وأن تغمض الدولة عينيها عمن يضع يده على أراضيها ، أو من يختلس أموالها ، أو يحصل على امتياز من الدولة لا يستحقه ، أو يمتنع عن أن يؤدى للدولة حقوقها .. الخ .

يُثار هنا بالطبع السؤال . لماذا تراخت الجهود الانتاجية طوال السبعينيات فلم يساير النشاط الانتاجى هذه الدخول المختلفة المتولدة من مصادر غير انتاجية ؟ بعبارة أخرى : لماذا لم تشهد السبعينيات زيادة ملموسة فى الانتاج الزراعى والصناعى تواكب تلك الزيادة فى مصادر الدخل الأخرى : كالنفط والهجرة والسياحة وقناة السويس والمعونات الأجنبية ؟ الاجابة على هذا السؤال تختلف فيما يتعلق بالنصف الأول من السبعينيات عنها فيما يتعلق بالنصف الثانى . أما النصف الأول من السبعينيات فقد كان استمرارا لتلك الحقبة القاتمة التى بدأت فى أعقاب حرب ١٩٦٧ ، والتى تضاءلت فيها بشدة قدرة مصر على

الظاهرة الغريبة التى نعرفها باسم "شركات توظيف الأموال" .

● "الإثراء بلا سبب" :

الاستثمار بسبب ضخامة الأعباء التى فرضتها هذه الحرب على مصر (ضياع مصادر البترول فى سيناء ، اغلاق قناة السويس ، تدهور السياحة ، الانفاق الحربى .. الخ) . وأما النصف الثانى من السبعينيات فبنى أفسر تراخى الجهد الانتاجى خلاله بما يمكن أن يطلق عليه "ضعف همة السلطة" . إذ بينما تخلت الدولة إلى حد مؤسف عن مسئولية الاستثمار فى الصناعة والزراعة ، فضل القطاع الخاص أن يتجه إلى أنواع الاستثمار سريعة العائد وقليلة الانتاجية ، كأعمال الوساطة والتجارة والمضاربة والبناء ، فى نفس الوقت الذى تخلت فيه الدولة عن مسئوليتها حتى عن محاولة توجيه القطاع الخاص من هذه الأنواع قليلة الانتاجية إلى الاستثمار المنتج فى الزراعة والصناعة .

هذه القصة مألوفة ومعروفة وقيلت بطرق مختلفة مرارا وتكرارا ، وإنما أعدت ذكرها لأخلص منها إلى النتيجة الآتية : وهى أنه فى ظل هذا المناخ الاقتصادى الذى تميزت به السبعينيات (وخاصة النصف الثانى منها) : واستمر للأسف فى النصف الأول من الثمانينيات وإن كان بدرجة أقل حدة ، مناخ "العائد بلا جهد" . كان من الطبيعى أن تتولد عنه عدة نتائج ساعدت على بلوغ ونمو تلك

هناك أولا ما يولده هذا المناخ من لهفة شديدة على تحقيق الثراء السريع بصرف النظر عن استحقاقه أو عدم استحقاقه ، وعن بذل جهد يتناسب معه أو لايتناسب . ففى مناخ "العائد بلا جهد" تتكاثر الأمثلة التى تتناقلها الألسن وتشاهدها الأعين ، لأفراد قفزوا عدة درجات على السلم الاجتماعى ، فانتقلوا بخفة شديدة من أسفل السلم إلى قمته دون أن تكون لديهم مؤهلات مقبولة لهذا الترقى السريع ، لا من التعليم أو الكفاءة أو المثابرة والصبر على العمل . هذه الأمثلة تصبح هى قدوة المجتمع ، ويصبح تقليدها فى الوصول السريع أمل الآلاف المؤلفة من الناس التى تصبح أكثر فأكثر على استعداد لقبول حقيقة الثراء دون السؤال عن مصدره وسببه . المهم هو كم حصلت وليس المهم بأى طريق حصلت عليه . هذه النفسية يمكن أن تقبل عن طيب خاطر هذا العرض الغريب الذى تعرضه شركات توظيف الأموال : "سلم لى فائض أموالك وسأعطيك عائدا شهريا أو سنويا يبلغ مثلى أو ثلاثة أمثال ما يمكن أن تحصل عليه من البنوك ، بشرط ألا تسأل عن مصدر هذا العائد ، ولا يكون لك أى حق فى مراقبة ما أفعل أو التدخل فيه" . هذه اللهفة الشديدة على تحقيق الثراء السريع التى ساعدت على اقبال الناس

على مثل هذه الشركات ، وما كانت لتنشأ وتنمو بهذه الحدة فى ظروف اكثر استقرارا ، لا تتبدل فيها مواقع الناس الاجتماعية بهذه السرعة ، ولا يحدث فيها بهذه الكثرة ان يحصل الناس على الثراء بدون استحقاق

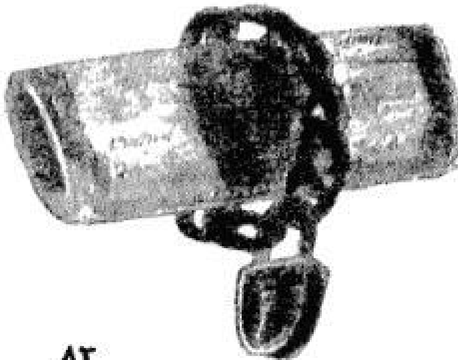
● الجهاز المصرفى ومعدل التضخم

يضاعف أيضا من هذه اللهفة على تحقيق عائد كبير دون تساؤل عن مصدره ، عجز الجهاز المصرفى عن تقديم عائد على المدخرات يتناسب مع معدل التضخم . ففى ظروف ترتفع فيها الأسعار بأكثر من ٢٠٪ ولا تدفع فيها البنوك على الودائع أكثر من ١٠٪ ، يبدو من قبيل الحماقة لأى مدخر أن يودع أمواله بالبنك لكى يزداد فقرا عاما بعد عام . فإذا جاءك شخص فى مثل هذه الظروف ليعرض عليك عائدا يزيد على معدل التضخم فإن من أسهل الأمور عليك حينئذ أن تتغاضى عن مصدر هذا العائد الكبير ، وتصبح مستعدا لأن تقبل بسهولة أن تغمض العين عما يفعله فى مقابل تلك الحماية التى يمنحها لك ، ولكن هذا الارتفاع المستمر فى الأسعار هو شديد الصلة بدوره بتلك السمة المميزة للاقتصاد : سمة "العائد بلا جهد" . فالعائد بلا جهد هو ايضا « عائد بلا انتاج » ، أو "نقود لا يقابلها سلع" . وهذا هو التضخم بعينه : أموال سائلة تتدفق على المجتمع دون أن يقابلها تدفق من السلع بنفس الدرجة ، فترتفع الأسعار بشدة .

● أموال سوداء تبحث عن شركات سوداء

على أن هذا الاقبال على ايداع الأموال لدى شركات غامضة ، ليس لها صفة رسمية ولا تخضع لقانون ولا تعلن عن حساباتها أو طبيعة نشاطها ، يتضاعف إذا كان مصدر هذه الأموال المودعة هو من الأصل مشبوه ومشكوك فى شرعيته . فبقدر ما تكثر عمليات الاثراء غير المشروع كلما يزيد الميل الى البعد عن قنوات الاستثمار الرسمية ويفضل الالتجاء الى شركات تعمل فى الظلام ، لا يعلم أحد أسماء المودعين فيها ولا مجالات استثماراتها ، ومن ثم يصعب تتبع الأموال غير المشروعة المودعة فيها بالمصادرة أو الضرائب .

هذه الأموال "السوداء" التى تم تحصيلها من وراء القانون تناسبها أساليب "سوداء" ايضا فى الاستثمار . فالفوائد التى تقوم هذه الشركات بتوزيعها يأتى الجزء الأكبر منها من الاتجار فى العملة

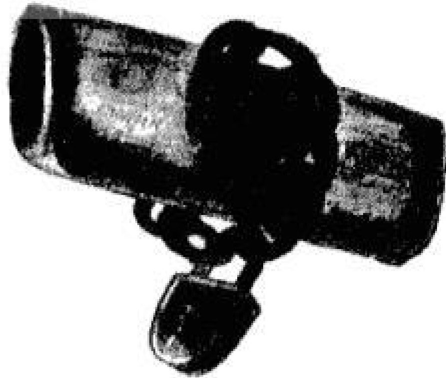


● لا عقلانية فى تفسير الدين ولا عقلانيـــة الاقتصـاد

على ان أكثر ما يلفت النظر فى ظاهرة شركات توظيف الأموال ، هو بالطبع ذلك الاستخدام الغريب للدين . قد يقال : وأى غرابة فى ذلك ؟ أليس صحيحا أنك اذا عقدت العزم على الكذب فالأفضل أن تكذب كذبة كبيرة للغاية ، اذ يكون احتمال تصديقك فى هذه الحالة اكبر ، كذلك فى حالة شركات توظيف الأموال إذا أراد أصحابها تغطية ما يمارسونه من احتيال فالافضل استخدام رداء هو النقيض التام له ، وهكذا استخدمت انبل الأشياء لتبرير أقطع الأشياء .

ولكن حيث أن التفسير العقلانى للدين لا يمكن أن يسعف فى مثل هذه الأمور فقد كان من المحتم اللجوء الى أشد تفسيرات الدين لا عقلانية وابعدها عن المنطق ، كتكرار القول بأن ايداع المال بالبنوك وتقاضى فائدة عليه هو أشد مقتا عند الله من ارتكاب أبشع أنواع الزنا فى أكثر الأماكن طهرا ، أو كالادعاء بأن ارتفاع قيمة العائد الذى يحصل عليه المودعون من هذه الشركات سببه مباركة الله لأموال المودعين والتزامهم بقواعد الدين ، أو كتسميته الرشاوى الموزعة على بعض المسئولين بكشوف البركة ، فضلاً عن الربط بين النشاط العادى البحت لهذه الشركات وبين شعارات الدين ورموزه وبعض رجال الدين المتمتعين بشعبية واسعة .

والمضاربة عليها أو من احتكار بعض السلع الضرورية او تهريب الأموال إلى الخارج أو الحصول على امتيازات من الدولة بطريقة غير مشروعة ، ولكن الأهم من كل ذلك هو الاحتيال السافر باستخدام ودائع (راس المال) البعض فى توزيع العوائد على اخرين . ذلك انه طالما استمر تيار المودعين الجدد يوما بعد يوم وعاما بعد اخر كان من الممكن لأصحاب هذه الشركات أن يصرفوا للمودعين القدامى ما يبدو وكأنه عائد كبير على ودائعهم ، وليس فى الواقع الا جزءا من ودائع جديدة ، ويظل هذا الاقبال ممكنا طالما استمرت ثقة الناس بالشركات ، واقبلوا على ايداع أموالهم فيها ، ولا ينكشف الأمر الا اذا توقف تيار الايداع الجديد فيتوقف أيضا تيار صرف "العوائد" .



وليس من الصعب تفسير هذا النجاح الواسع الذى احرزه هذا الاستخدام اللاعقلانى للدين . فقد ساعد على هذا النجاح أولا تواؤم هذا الاستخدام اللاعقلانى للدين مع لا عقلانية الاقتصاد . فإذا كانت الأموال تأتى فى الأساس دون مقابل من الجهد ، بل من مصادر غريبة لم تجر العادة على ان تكون مصدرا للاثراء ، كالاستيلاء على مال للدولة ، أو الحصول على حظوة عند مسئول كبير ، او كعقد صفقة غير مشروعة .. الخ . فإن أى تفسير غريب آخر قد يكون مقبولا بدوره .

وإذا تكررت الأمثلة الواقعية لأفراد قفزوا قفزات غريبة من الفقر المدقع الى الثراء البالغ دون تفسير مفهوم ، فإن أى تفسير لا عقلانى للاثراء قد يصبح مقبولا .

أضف إلى ذلك أن ظهور شركات توظيف الأموال قد اقترن بظاهرة اجتماعية جديدة هى نمو القوة الشرائية فى أيدى شرائح من المجتمع لم تحظ بدرجة عالية من التعليم ، وانما اتيحت لها فرص الاثراء السريع إما بسبب الهجرة ، أو بسبب التضخم الجامح ، وما أتاحة هذا التضخم من فرص الاثراء عن طريق المضاربة والسمسرة ومختلف أنواع الوساطة ، هذه الشرائح الواسعة التى اتيحت لها فرص الاثراء السريع دون أن تحظى بحظ يذكر من التعليم كانت على استعداد أكثر من غيرها لقبول تفسيرات لا عقلانية للدين . أضف الى ذلك ضآلة حظ هذه الشرائح الاجتماعية من الاتصال بالمصارف أصلا لقرب عهدها بالثراء ، وتعودها على ايداع مدخراتها الضئيلة فى الماضى فى قنوات غير رسمية تعتمد على المعرفة الشخصية وتبادل الثقة اكثر من اعتمادها على الحسابات النظامية .

● السلطة كمصدر للرزق

الأمر الذى لا يقل غرابة ، هو ذلك الموقف الغريب الذى اتخذته الحكومة اذ سكتت زمنا طويلا على مخالفة هذه الشركات لقواعد قانونية بديهية ومستقرة وعلى الرغم من تكرر حوادث الهرب من أصحاب هذه الشركات بأموال المودعين . على أن هذا الاستغراب قد يزول اذا تذكرنا المناخ الذى قامت وترعرت فيه هذه الشركات ، ذلك ان الحكومة وإن كانت تقوم بتصرفاتها بتشكيل هذا المناخ والتأثير فيه ، فإن رجال السلطة هم إلى حد كبير ثمرة هذا المناخ نفسه . فالتلهف على الاثراء السريع تجنبا للتخلف عن ركب الصاعدين والمتسلقين على السلم الاجتماعى يصيب رجال الحكومة كما يصيب غيرهم . واذا كان ثمن هذا الاثراء السريع هو السكوت على هذه الشركات والتظاهر بتصديق ما حل بأموالها من بركة ، فإنه يبدو لكثيرين ثمنا زهيدا يستحق الدفع . وفى مناخ يسوده "الاثراء بلا جهد" تصبح السلطة من اهم مصادر الثراء ، حيث يسود الاعتقاد لدى أصحاب السلطة ان المبرر الوحيد للسعى الى الحصول على السلطة هو أنها قد تكون مصدرا للرزق ، وان النفوذ والسلطة لا

قيمة لهما اذا لم يضاعفا ثروة صاحبهما . فإذا كانت مضاعفة الثروة تتطلب السكوت هنا وغض البصر هناك . فما أسهل السكوت وغض البصر . وعندما ينظر للسلطة على أنها في الأساس مصدر للرزق فإن الضحية الأولى لذلك هي صغار الناس ، بما في ذلك صغار المودعين ، هؤلاء الذين لا يملكون نفعا ولا ضررا لرجال السلطة ، ومن ثم يسهل تجاهل مصلحتهم والالتفات الى من يحوزون المال ويتحكمون فيه .

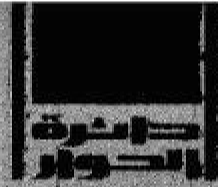
اضف إلى ذلك أن اصحاب هذه الشركات في نفس الوقت الذى يستخدمون فيه السلطة لايهام جماهير المودعين بأن القانون اوعلى الأقل القوة معهم . يستخدمون جماهير المودعين لإخافة السلطة من اى تحرك ضدهم منعا لثورة شعبية قد تودى برجال السلطة انفسهم . وهكذا استخدم اصحاب هذه الشركات وسائل الاعلام في تحقيق هذا الهدف المزدوج : كسب رجال السلطة بالتلويح لهم بما يحظون به من جماهيرية ، وكسب الجماهير بالتلويح لهم بما يحظون به من تأييد رجال السلطة .

● هل هو انحسار بلا رجعة ؟ :

منذ منتصف الثمانينيات ، وعلى الأخص منذ مطلع ١٩٨٦ ، حدث ما أجبر مصر على تقليل اعتمادها على المصادر السهلة للدخل ، فقد انخفض بشدة سعر البترول ، الأمر الذى أثر على ايرادات مصر ، ليس فقط من البترول بل ومن تحويلات المهاجرين وقناة السويس . كان من المحتم إذن أن تبدأ في الانحسار تلك الفترة الطويلة التى سادت فيها قاعدة "العائد بلا جهد" ، وأصبح من اللازم شئنا أم أبينا أن نضغط الاتفاق ونقلل التبديد ونقيد الواردات . لا يزعم أحد بالطبع ان الانفاق الضرورى قد ضغط بما فيه الكفاية ، أو ان التبديد قد انتهى أو أن الواردات لا تحتمل مزيدا من الترشيد ، ولكن الذى يبدو لنا هو أن تلك السمة التى سادت طوال السبعينيات والنصف الأول من الثمانينيات قد أخذت فى الانحسار ، وقد يكون هذا داعيا للتفاؤل بأن ظاهرة شركات توظيف الأموال قد تكون قد ذهبت بلا رجعة ، بل قد تكون هذه الضائقة الاقتصادية نفسها هى التى أجبرت السلطة فى نهاية الأمر على التصدى لهذه الشركات . إنه اذا كان تحليلنا المتقدم صحيحا ، فإن من الممكن ان ننظر إلى الفترة الصعبة التى نجتازها الآن على انها سوف تقترن بفترة "تطهير" للاقتصاد والمجتمع مما علق بهما طوال فترة كان فيها المال يتدفق بلا حساب ويحصل عليه الناس بلا جهد ، فظهرت فيه ايضا شركات لا تلتزم بقانون ولا تسأل أحدا من اين جاء بالمال ، فى مقابل الا يسألها أحد : إلى اين ذهبت به ؟



كتاب الهلال
يقدم:
معالم التقريب
فى المذاهب الإسلامية
بقلم: محمد عبد الله محمد المحامى
يصدر
٥ مارس
١٩٨٩
روايات الهلال
تقدم:
عشيق الليدى تشاترلى
تأليف: د. هـ. لورانس
ترجمة: د. أمين العيوطى
تصدر فى
١٥ مارس ١٩٨٩

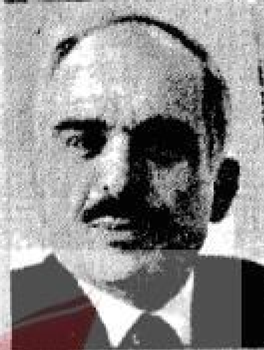


معايير نجاح التجمعات الإقليمية العربية

بقلم: جميل مطر

تثير إقامة تجمع إقتصادي رباعي إهتماما في الأوساط السياسية المصرية والعربية أكثر مما أثاره قيام مجلس التعاون الخليجي، ومما يثيره إنشاء التجمع المغاربي وليس في ذلك ما يدعو للاستغراب فالتجمع الرباعي يضم أكبر تجمع بشرى في المنطقة العربية، ويمتد ليشمل - أو يكاد يشمل - منطقة القلب في الوطن العربي ويخترقه إثنان من أهم ثلاثة ممرات مائية في الشرق الأوسط ويجمع بين نظم سياسية شديدة التناقض من حيث النشأة والتكوين والممارسات، ويرسم على خريطة المنطقة شكل قوس يكاد يحتوى شبه الجزيرة العربية، ويكاد يلامس بظهره أخطر بقاع التفجر حيث فلسطين ولبنان وسوريا والسودان. وهو التجمع الوحيد غير المنغلق على ذاته، وغير القابل للتقوقع، وبالتالى فهو التجمع الوحيد المثير للقلق أو الغضب أو الشك. ولذلك ايضا هو التجمع الوحيد المحتاج الى تبرير مستمر لانشائه ووجوده والدفع بانه ليس محورا سياسيا ولن يتحول الى حلف ولن يضمر غير ما يعلن.



والى جانب كل هذه السمات، توجد سمة أساسية • فهذا التجمع الرباعى يضم مصر •

مصر التى يسعى كثيرون منذ حوالى عشرين عاما لتطويعها وترويضها • فمصر هى التى جعلت القومية العربية عقيدة كل العرب حين تبنتها بعد أن كانت عقيدة قاصرة على أهل الشام لسنين طويلة • فأثارت بما فعلت ثائرة الدول العظمى والكبرى وثائرة عرب لا يؤمنون بعروبتهم • ومصر هى التى طرحت الاشتراكية العربية نظاما اقتصاديا اجتماعيا فأثارت بهذا الطرح انقسامات وعداوات عربية فى المنطقة العربية • ومصر هى التى بدأت الانفتاح والتحول التدريجى الى ما يشبه الرأسمالية وتزعمت عمليتى طرد الاتحاد السوفييتى من المنطقة واستعادة النفوذ الامريكى •

ومصر التى قادت الحرب ضد اسرائيل فى ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ انفردت بعد ذلك بالصلح معها ، ومصر التى قاومت أطماع الشاه فى الخليج سبقت كل العرب فى اعلان عدائها للثورة الاسلامية فى ايران • ومصر اليوم تقدم نموذجا مبسطا لديموقراطية تعددية • وتقدم تجربة فى امكانية استمرار واستقرار نظام حكم عربى فى ظل ما هو أقل من الاجماع الشعبى الذى توافق العرب لقرون على ضرورة

دائرة الحوار

توافره بالرضاء أو بالاكراه · وتقدم محاولة فى تطبيع الحاكم ، فــلا هو برئيس ملكى يحكم مدى الحياة ، ولا هو بخليفة لا يخطىء ولا يخضــع لدستور ولا يسمح بمعارضته ·

لذلك كله ولاسباب اخرى ، يحظى مجلس التعاون الرباعي باهتمام أشد مما حظى به مجلس التعاون الخليجي عندما قام والتجمع المغاربي وهو يقوم كل منهما افقد غير الاعضاء فضولهم وامتص منهم طاقة وغريزة التــدخل واثارة المتاعب حين أغلق البــاب فى وجوههم · فمجلس التعاون الخليجى قرر أن تكون العضوية للدول المؤسسة فقط حتى أنه رفض عضوية أصحاب فكرة انشاء المجلس · والتجمع الآخر اختار اسم المغاربي او المغرب العربي الكبير لتبدأ حدوده أو تنتهى عند من هم ليسوا مغاربة ، والعضو الوحيـد الاقل مغربية لانه مختلف ثقافيـــا واجتماعيا وسياسيا ، هو العضـــو الذى يطالب بأن يكون التجمع عربيا افريقيا · وهذه مشكلة تنشأ دائمـــا فى أى تجمع اقليمى ، فالمــدولة الهاشمية فيه دولة مثيرة للشــغب ، لانها عادة ما تكون مترددة ومتنوعة الانتماء · ولدينا بريطانيا وما تسببه من متاعب للسوق الاوروبية مثل على ذلك ·

معايير النجاح متعددة، وهىمعايير دوليـــــة ، بمعنى أنه لا يجوز أن نستخلصها من تجارب محلية استنادا الى قيم وأهداف محدودة · كمـا أنـه لا يجوز أن نزعم فى هذا الشــان بالذات أن لنا خصوصيات فنفصــل معايير على مقاســات هـــذه الخصوصيات · والافضـــل دائما استخدام المسميات الصحيحة المعبرة عن الاهداف الحقيقية · فاذا اجتمعت ارادة عدد من الدول على خلق جهاز ينسق بين أجهزة الامن فى تلك الدول، فالمسمى الصحيح هو اتفاقية تنسيق أمنى · واذا اجتمعت ارادة دولتين أو أكثر على تنسيق خططها العســكرية لمواجهة عدو مشترك فالمسمى الصحيح هو حلف · واذا قرر عدد من الــدول تشجيع تدفق الاستثمارات والعمــالة واقامة مشروعات مشتركة مع احتفاظ كل منها بقوانينها وتشريعاتــها دون تعديل يتناسب وقرارها ، فالمســمى الصحيح اتفاقية تعاون اقتصادى ·

المقصود بالتجمع الاقتصـــادى الاقليمي اجتماع ارادة عدد من الدول على هدف ادماج السوق المحلية فى سوق اقليمية اوسع للتمكن منمسايرة او مواجهة عالم اقتصادى تهيمنعليه كيانات كبرى·هذه الارادات لا تتشكل الا بعد اقتناع حقيقى وقوى بانالسوق القطرية قد لا تحقق للمواطنين الرخاء او لا تلبى احتياجاتهم ، ولذلك فــاذا لم يصاحب قرار انشاء التجمع قرار اخر بالاستعداد للتنازل عن جزء من السيادة القطرية للجــهاز الاقليمى الجديد فالامل ضعيف فى نجاح هـذا التجمع ·

واذا كان الهدف من التجمع تدعيم السيادة القطرية أو السلطة السياسية

القائمة فى دولة من دول التجمع،واذا تواصل حصر عمليات التنسيق داخل استقلال نسبى وولاء لاهداف التجمع، واذا تعددت دول التجمع أبعاد مشاركة مجتمعاتها فى بناء وتدعيم التجمع ، فالامل أيضا ضعيف فى نجاح هذا التجمع ·

● المعيار الاول اذن لقياس نجاح اقليمى هو قدرة هذا التجمع على تحقيق تكامل اقتصادى حقيقى بين الدول الاعضاء · معنى ذلك أن الدولة العضو فى التجمع لا تقيم صناعة ضخمة جديدة قبل أن تستشير رفاق التجمع وتتباحث معهم حول الموقع الامثل اقتصاديا لاقامة المشروع· وقد يسفر التشاور عن أن الموقع الامثل اقتصاديا يوجد فى دولة أخرى من دول التجمع · ومعناه أيضا أن الدول أعضاء التجمع تقوم بازالة القيود على التجارة والتنقل والاستثمار وتخفض من الرسوم الجمركية على منتجات أسواق التجمع

● المعيار الثانى : يتعلق بحجم المنافع والمصالح التى تحققها قطاعات جماهيرية أوسع داخل مجتمعات دول التجمع · فأى تجمع مهما سمت أهدافه وارتقت مواثيقه ، لن يحقق نجاحا لو لم تشعر الشعوب أنه يحقق لها نفعا مباشرا · أو لو شعرت أن التعاون سوف يقتصر على تنسيق حكومى أو بين مصانع ومشروعات القطاع العام · لقد فشل التكامل المصرى السودانى لان قطاعات الشعبين المصرى والسودانى لم تجن من ورائه أى نفع مباشر أو غير مباشر· والاتحاد المغربى الليبى ــ أو العربى الافريقى كما أطلق عليه ــ فشل أساسا لنفس السبب ، وأن وجدت أسباب أخرى لا تقل أهمية · والوحدة المصرية السورية فشلت وأحد أسباب فشلها ضآلة العائد الاقتصادى لشعبى الاقليمين · والتكامل الامريكى الكندى يحقق تقدما ضئيلا بسبب خوف الشعبين على مصالحهما الآنية رغم ثقة الحكومتين فى عائد التكامل على الاجل المتوسط والطويل ·

● المعيار الثالث : هو المعيار السياسى ، بمعنى أن أى مشروع تكاملى أو وحدوى لا ينجح اذا لم يكن من أهدافه طمأنة الشعوب على حقوقها السياسية والالتزام بالتعددية السياسية وحرية اقامة الاحزاب والتعبير وتوفر ضمانات الامن الشخصى أما الاتحاد أو التجمع القائم على ما هو قائم من نظم غير ديموقراطية، فمصيره المؤكد انفضاض الجماهير عنه ، بل وأحيانا تمردهم عليه ، كما حدث من جانب شعب السودان الذى شعر ــ وعن حق ــ أن النميرى استخدم التكامل لتدعيم القمع والقهر الداخلى ·

ومن غير المقبول ــ فى عصرنا الراهن ــ الادعاء ظلما بما تعودنا على سماعه فى المنطقة العربية ، بان الشعوب العربية غير مؤهلة او مستعدة لممارسة الحياة الديموقراطية ، أو ان بلدا ما ظروفه الامنية او الطائفية أو الثورية لا تسمح له برفاهة الدخول فى تجارب ديموقراطية · لا نفع من تجمع لا ينص ميثاقه ولا يمارس فى مؤسساته ومؤسسات أعضائه أساليب الديموقراطية واحترام حقوق الانسان، تركيا واسبانيا والبرتغال واليونان فى ظل الشرط الديموقراطى الذى وضعته السوق الاوروبية المشتركة



افضل امنا ورخاء عما كانت عليه خارج السوق وداخل اقفاص الاستبداد أو الحكم الفردى أو الحزب الواحد . ونجاح السوق مرتبط بتزايد المشاركة الشعبية الاوروبية في عمليات انتخاب برلمان السوق وبحرية التعبير وباستخدام الاشخاص لحقهم الذى حصلوا عليه باللجوء الى محاكم السوق اذا تضررت مصالحهم وحقوقهم الاساسية .

المعيار الرابع : يتصل بمدى نجاح التجمع الاقليمي فى تدعيم النظام الاقليمى الذى يتبعه أو يتفرع عنه ، فالسوق التى ينشئها التجمع التابع جزء من سوق أكبر ، والكيان الذى ينشأ بنشأة التجمع جزء من كيان اقليمي أو قومى أكبر . ومن الخطأ أن يقوم أى تجمع اقليمي على أساس أو احتمال التقوقع والاكتفاء الذاتي عن السوق الاقليمية الاوسع أو الكيان القومى الاكبر .

لقد قامت السوق الاوروبية المشتركة على أكتاف تكتل الفحم والصلب ومجموعة البنلوكس وغيرهما ، وكلها كانت روافد تصب فى بعضها البعض وفى الفكرة المتنامية لانشاء سوق أوروبية مشتركة . فى الوطن العربي يحدث العكس . فالجامعة العربية قامت أولا ، ثم قامت التجمعات يقول منظرو وخبراء التكامل الجماعي العربي أن التمسك المتطرف بالسيادة القطرية والخلافات الشخصية بين الحكام العرب أهم أسباب فشل تجارب التكامل العربى ، ويقولون أيضا أنه لو استمرت هذه الاسباب فالفشل مصير حتمى لجميع تجارب التجمعات الاقليمية . فالجامعة العربية تقف على قدم المساواة مع العديد من المنظمات الدولية الاقليمية من حيث دقة وشمولية وواقعية مشروعاتها التكاملية . ولو شاءت الدول العربية لنفذت المشروعات وحققت الرخاء والامن لمواطنيها . ولكنها لم تفعل .

من ناحية أخرى يقول خبراء ومنظرو التجمعات الاقليمية ـ وهم يتكاثرون هذه الايام ـ أن الجامعة العربية فشلت بسبب تعدد واختلاف عقائد النظم الحاكمة وخلافاتها ، وبسبب صعوبات التمويل والادارة وللتشتت وخلافات الحكام نتيجة الفروق فى الخلفيات والظروف الاجتماعية والسياسية ، ويقولون أن الافضل الآن هو التركيز على العمل الاقليمي ، ففى كل اقليم توجد دول تتشابه فى ظروفها ونظمها السياسية والاجتماعية وتتناسب خلفيات وثقافات حكامها وشعوبها ، وتتقارب مواقع الانتاج والتسويق ،ولا يوجد بالضرورة تعارض بين قيام تكامل اقليمي يعقبه تكامل اقاليمى .

الدارسون لتطور النظام العربي والعارفون بدينامياته وتفاعلاته يقولون شيئا مختلفا . يقولون أن هناك ارادة عربية سعت لاضعاف مؤسسات النظام العربي ـ ومنها الجامعة العربية ومنظماتها المتخصصة وشركاتها



زعماء مجلس التعاون العربي ، حسني مبارك
والملك حسين وصدام حسين وعلي عبدالله صالح

المشتركة ـ قبل ان تنفذ برامجها لانشاء تجمعات اقليمية . أيضا ان التجربة أو التجارب الماضية تؤكد أنه منذ أن بدأ انشاء أول تجمع اقليمي عربي حدث ما يلي : اداء عربي جماعي أضعف ، انحسار الفكرة القومية ، تراخي تنفيذ برامج التكامل الجماعي ثم توقفها تماما ، تدهور المركز الدولي العربي ، وأهمال

تجربتي الحوار مع أوروبا ومع أفريقيا كتجربتين رائدتين في مجال التفاوض بين كيانات كبرى ، زيادة تعقيد اجراءات التنقل والسفر والتملك والاستثمار بين الدول أو بين الاقاليم العربية ، تزايد سطوة وهيمنة بؤر اقليمية على حساب مصالح وارادات دول صغرى داخل التجمعات الاقليمية ، انحسار الديموقراطية وتقييد الحريات الشخصية وفي مقدمتها حرية التعبير

وأيا كان القائل والقول ، فالفصل في جدوى قيام التجمعات الاقليمية يتوقف على مدى تحقيقها بعد فترة من الزمن للمعايير الدولية والموضوعية لنجاحها . واذا شئنا التنبؤ بنجاحها أو فشلها فلنقرأ مواثيقها الاساسية

وأهدافها ومدى التزامها بتحقيق هذه المعايير . واذا أراد صانعو السياسة والقرار ضمان نجاحها فليبدأوا أولا

في النص على معايير النجاح في بنود اتفاقيات انشاء تجمعاتهم الاقليمية ، والنص على التزامهم بتنفيذها والاحتكام في التقييم بعد فترة زمنية مناسبة الى مجلس شعوب التجمع المشكل من نواب يتم انتخابهم بالاساليب الديموقراطية المتعارف عليها دوليا ، وليس بالاساليب المتعارف عليها عربيا .

أقصوصة

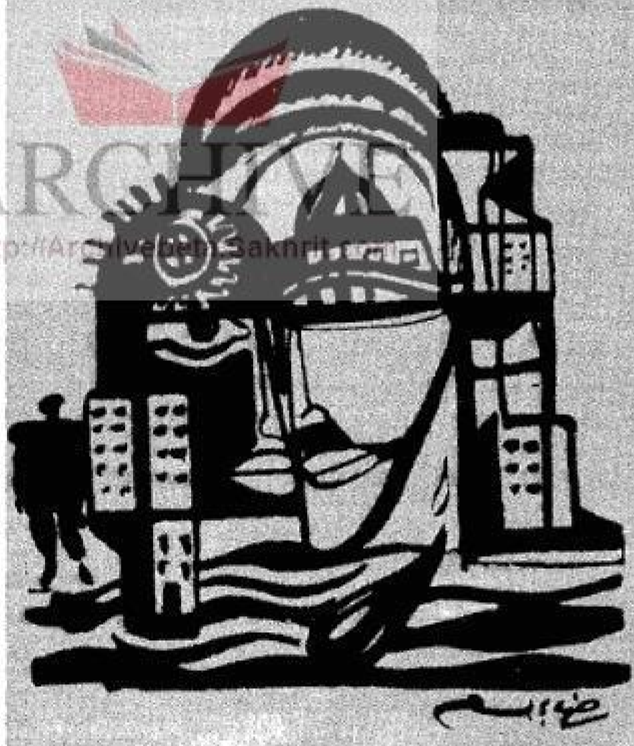
فخاخ العيون الجميلة

بقلم: عبد الحكيم قاسم

أنا كاتب . كتبت عددا من القصص صادفت قبولا من القارئين وتشجيعا من النقاد، واحسن استقبالى فى كل مجمع يضم المثقفين والناس اللامعين وكان حظا . وكنت أعود كل مساء راجعا الى بيتى فى شارع قطر الندى فى حى امبابة وتحت ابطى لفة من الكتب والمجلات ، وفى قلبى بقايا من أنس الاحاديث .

نعم البيوت علت فى الشارع وبقى قاعه معتما ، والمداخل الى المساكن بقيت دامسة الظلام ، والسكة موحلة زلقة فى كل الفصول، بما تكب النسوان فيها الماء الوسخ ، يخرجن بالدلاء من الابواب ، لكن ابتسامهن ، وحسن العيون ، وتزاعقهن ، وذيول الضحكات تنير يعلمن بأن كلماتى تنشر فى الجرائد وصورى . يصبحن على ، والمساء بخير .

فى المساء نقعد قدام التليفزيون ، انا وامى واخواتى فى ضوء المصباح الكهربى ، تلمع العيون السوداء ببريق السرور ، ونحن متكئين على الارائك ونبصق قشر اللب على البلاط العارى . نغرق فى الضحك حين الفصول



الفكهة ، ويعلو صوتى مشيرا للممثل : « انا اعرفه .. يقابلنى فى المجالس .. يطرى كتابتى كل مرة .. !! » تطرف ناحيتى ازواج العيون ، لما قلت مثل ذلك عن الممثلة الكبيرة القديرة ، رنت فى عيون امى واخواتى لمحة من عدم التصديق .

انها ممثلة مجيدة يطاوعها جسدها فى فنها ، يبقى مأمورا بكلمات دورها ، يطول ويشمخ يتثنى ويتأود ، وذراعاها يتوتران ويلينان مع دفق المشاعر دفق الايقاع للحن تحت سلطان العبارة تشير بيدها حيث اتجهت عيناها ، بكل السحر فى عينيها ، تعبر بهما عن الازدراء والكراهية والترفع،وتلتوى شفتاها اى فتنة تبدو . اه لو كتبت ما تقوله بكيانها الطيب .

فى ظلمة غرفتى ارقد ولا تغمض عيناى ، لاترى الا لعب الشخوص من قصص ، والا الممثلة القديرة ، تتكلم بكلماتى يقول لها الاب :

« سريت اليك هداة المساء ، وانصرفت عنك فى الهزيع الاخير ، يوما بعد يوم بعد يوم : وفيما بين ترقبك لدنوى عليك، ونظره فى اعقابى منصرفا عنك ، فيما بين الوقتين وقت ثالث عشت فيه الحياة غير مفروضة ولا مسنونة ، غير مكتوبة ولا مشروطة ، غير مبتسرة ولا منتقصة من اطرافها ، يوما بعد يوم بعد يوم . تخففت، فاستطعت ، فرأيت ، دهشت وعجبت وسررت ثم نظرت،كان ذلك بعض موتى ، له ويله يا حبيبة، وتتكلم هى،هى الحبيبة:

« لكننى الليلة جربت وقتا ثالثا ، لا هو ترقبك قادما ولا هو وداعك مفارقا ، وقت اخر ، لا يؤذن به مؤذن، ولايحدده تعاقب افلاك،

يستطيل ويعرض ، ويتلاطم حول امواجه ، تأخذنى بالظلمة والرعب، لا اعرف شطا ولا قرارا، اموت واموت ، لاعانى بلا نهاية الهول الكائن بين البقاء والفناء » .

وينتهى حلم المساء ولم انم ، مفتوح العينين، تأخذنى الرعدة يابرد الاعضاء غارقا فى عرقى . كتبت المسرحية اخذتها للناس ، قالوا انها جيدة . صررتها فى لفة اوراقى تحت ابطى، وذهبت الى السيدة .

فى المسرح ، وكانت جالسة فى صفوف المتفرجين . انظر .لقد استدارت الخشبة حيث جلست . اتطلع اليها فى علوها ، والناس جميعا ، وهى مضواة بذاتها . قلت لها : « اننى كاتب . ! » قالت : « اعرف ! » قلت من عمق السحر الذى اودى بى باشارة بنانها وبسمة ونظرة : «كتبت مسرحية ! » قالت : « تعالى .. الى المالى .. انا اسكن فى الجزيرة ! » .

اعطيت ظهرى للنيل، ومضيت نحو البناية . فى المدخل خرج على ناس ، كل خبرة ابرزت رجلا مشدوها يتأملنى مذهولا . قلت : « اريد ان ارى السيدة ! » حصل الذعر فى الجماعة يتنادون ، يزعقون ، يصرخون ، يجرون فى كل اتجاه ، حتى ظهر زوجها . قال : « ماذا!» رجل ابيض بشع الخلقة قلت : « اقرا لها مسرحيتى ! » التوت شفتاه بمنطوقة . قال : « خذ ورقاتك وامض والتأمت حولى الحلقة من انفارها يوجد ملامح وجوههم الاصرار مشيت محروسا بغضبهم حتى خرجت .

لا يلفتنى زحام الشارع ولا يختفر منى صخبة بالالات ، وصراخ الرعب . لا اتذهل عن وجهها المرسوم على جهامة السحب . يأخذنى بالغموض فى بسمته ، والنظرة »

أندلس الشاعر سميح القاسم



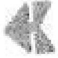
الشاعر سميح القاسم

بقلم: د. حسن فتح الباب

على ابواب قرطبة وغرناطة واشبيلية يكاد السائح أن يتجمد من فرط الذهول ؛ إذ يشهد آثار الحضارة العربية في الأندلس ، تلك الحضارة العظمى التي استغرقت نحو ثمانية قرون لم تكف طوالها عن إخراج أوربا من الظلمات إلى النور ، والأخذ بيدها من طريق الغواية والضلالة عقلا ونفسا إلى طريق الهداية حسا وفكرا . فاهدت البشرية في العصور الوسطى أعظم الرواد في شتى العلوم والفنون والصناعات والآداب . ويكفى أن نذكر في هذا المقام ابن رشد وابن خلدون .

● ومشهد ساحة الأعمدة المهيب فى جامع قرطبة .. الامتداد والسموق كأنما بلا حدود .. يشعر الفرد بضآلته أمام ذلك الصرح العملاق .. أمام عظمة الانسان منشىء الحضارة عبر الأجيال التي تتواصل فيرث الخلف منها خبرات السلف ، فتتراكم تلك الخبرات ، فيكون المضى السرمدى للانسانية إلى الأمام مهما كانت منعرجات الطريق ومعوقاته . ولكن أين نحن من هذا التراث بعد أن ضيعناه ؟ أو مازال يجرى فى الشرايين منا كما يجرى فى شرايين الآخرين من أبناء الحضارة ؟ أم نحن ماض بلا حاضر .. هنود حمر ؟ أم بلا مستقبل ؟ كائنات انقرضت منذ عصر سحيق !!

تساؤلات للسائح العربي فى أسبانيا وتأملات لا تنتهي . يمر على الذاكرة هنالك شريط طويل من الأحداث . ويرتبط الحاضر بالماضى . وقد تتفق أو تتقارب الأفكار حول الأمس ،



وتختلط حول اليوم . أما الغد فيلفه التضارب والتناقض وتتسع فيه المسافة بين الممكن والمستحيل ، والواقع والوهم ، واليقين والإفك .

ورغم سذاجة ما قال زهير بن أبى سلمى حكيم العرب فى جاهليتهم فإنه يطفو الآن على السطح .

واعلم علم اليوم والأمس قبله

ولكننى عن علم ما فى غد عمى

إن كل شىء يجمعنا إذ نفكر ، ولكن لا شىء يجمعنا إذ ننظر . وبين التعلل بما صنع العدو أو ما ضيع السفهاء منا يختلف التأويل والتعليل . وبين ألوان الفساد أو صنوف القهر والاستبداد تتفرق الآراء فى رد ظاهرة الانحدار إلى أسبابها .

وفى الوقوف على الفردوس الضائع فى الأندلس كما سميناه يستعرض السائح المؤرخ أو السياسى أو الباحث العربى مراحل النهوض ومراحل السقوط عبر تاريخنا الطويل ، فلا يجد إلا جرحا يتبعه آخر ولمَّا يندمل الأول . وكأننا لم توجد الأرض العربية إلا لكى تجعل حلبة يتبارى فيها غزاة كل العصور . فإذا حكمها بعض من بنيها أفسدوا فيها ثم ألقوا مقاليد التفوق إلى الأعداء . وكأنما كتب على الدم العربى أن يسفك هدرا فلا ينبت قمحا أو وردا .

وهكذا تتفجر - على عتبات القصور والمساجد والأبراج والمكتبات الأندلسية - كل الأحزان ، وتتوالى على الخاطر الأزمات الفاسدة التى لم تتخلص منها بعد ، فتتتابع أشباح الأندلس ، وتتراءى الصور التى تذكرنا بما نلقاه اليوم منذ سقوط غرناطة حتى نكبة فلسطين مرورا بعصر الاستبداد العثمانى والانحطاط الفكرى الذى واكبه . تلك هى الذكريات التى تنثال فى مرآة السائح المفكر أو الباحث .

أما الشاعر المتجول بين أطلال قرطبة وغرناطة وإشبيلية فإنه لا يتذكر بل يتفجر ينابيع من الأسى والتمزق وجداول رهيفة من الأمل فى الغد الآتى مع الأجيال مهما طال الليل ، إنه لا يشير الى الجرح بأنامل الباحث أو العالم الباردة . ولكنه يغمس ريشته فيه ويتوحد به . فإذا كان الباحث فى الأزمة العربية يستعرض الخريطة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للوطن العربى فى شتى تضاريسها ، فإن الشاعر مثل المصور تشده "اللقطة" شديدة الاثارة فيركز عليها الضوء ، فهى بمثابة البؤرة للعدسة ، لأن الشعر اختيار وتكثيف .

● سميح والهم العربى

ومن ثم نرى سميح القاسم شاعر الأرض الفلسطينية المحتلة وهو يعبر عن الهم العربى من وحى وقفته على أطلال الأندلس ، فلا يستعرض فى قصيدة "الأندلس" مراحل الانتصار والانكسار ، ولا يحدد عواملهما أو يحللها ، كما يفعل المؤرخون . وهو لا ينشد بكائية على الماضى الذى اندثر والمجد الذى ضاع كما فعل شوقى فى أندلسياته ، ولكنه يوظف رموز الماضى إسقاطا على الحاضر واستشرافا للمستقبل . من خلال مجموعة من الحوادث

والمواقف والمقولات التاريخية والمأثورات استقطبت دون غيرها لا وعيه ، واختارها بوعيه ، فسلط عليها أدواته النفسية والفنية الكاشفة ، ففجر بها الرؤيا تفجيرا .

اتخذ سميح من المآسي التاريخية للأمة العربية نتيجة تفسخ الأنظمة مادته الأساسية . وشكل هذه المادة صورا متحركة أخاذة شديدة الإيحاء ، تحمل كلها عطر الماضي وفوح زهوره الدموية ، كما تحمل رائحة الواقع الوحشية . ولم يكن في حاجة إلى استخدام الأسطورة ، فإن الوقائع اكثر من الأساطير غنى بحكم كثافتها ومفارقاتها إذا تناولتها أنامل فنان ورعة ، فأعادت ترتيبها وتشكيلها من خلال العمليات الابداعية ، حتى تحولها إلى عالم شعرى أشبه بالحلم رغم انتمائه إلى الواقع ، عالم معقول ، في حكم الحس الانساني ، ووهمي في حكم المنطق الجامد .

ومنذ مطلع القصيدة نحس كأننا بين يدى واحد من شعراء "التروبادور" يحمل قيثارة مشدودة الأوتار على جرح قديم ويطوف بشدوه الشعبي غريبا بين الديار لا يقر له قرار ، حزينا كما لم يعرف الحزن أحد ، يسكب لحنا منزوف القرار ، مترنح الأصداء ، نابعا من الأغوار ، منطلقا حتى آخر الآفاق .

أنغام أندلسية عربية فلسطينية شاجية مرهفة عميقة حتى النزع ، تستمد سحرها من نسيجها الملحمي ، وعذوبتها من رفرفتها الرومانسية ، ووقعها من جوها التاريخي الذى مازلنا نعايشه في واقعنا المأزوم المتردى . كأس قديمة يصب فيها سميح القاسم خمرا جديدة . فالقصيدة (تنويع) معاصر على الموشح الأندلسي الشهير الذى كتبه لسان الدين بن الخطيب الشاعر الغرناطي :

جادك الغيث إذا الغيث همى
يازمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حلما
في الكرى اوخلسة المختلس

ومثلما يفعل (ابن الرومي) قديما في توليد الصور والمعاني عن طريق التحليل والاستقصاء حتى لا يترك لمن بعده من الشعراء زيادة لمستزيد على حد قول النقاد القدامى ، يشق سميح القاسم من هذا الجدول الصغير ـ الموشح الأندلسي ـ أنهارا جياشة متدفقة ، ويحول انتماءه من الماضي البعيد الى الحاضر الماثل للعيون والكامن في الصدور ، من الرماد الى الحريق ، مستخدما كل مبتدعات اللغة الشعرية الجديدة ألفاظا وصورا ومعاني ، من خلال الإدراك العميق لأسرار تلك اللغة . يقول سميح :

جادك الغيث ، لا جادك الغيث
.. يازمن الوصل والفصل ، كفارتي
لم تجز .. والمدى موصد بالمدى

هكذا تبدأ المعزوفة بالألم الساخر المرير تعبيرا عن الأزمة الفاجعة والأغلال التي لا تبلى

ولا تحين لها نهاية .. ففى كلمات محدودة لا تعلا أكثر من ثلاثة سطور فجر الشاعر كل شحنات الرفض واليأس وعبثية الماضى والحاضر .. فكأنما انهار العالم كله حولنا ، إذ نسمع - من خلال هذا النغم الجياش الحزن والالتياع - قرقعة سقفه فوق رءوسنا .

وتتتابع أنفاسنا مع تسارع الإيقاع كأنما هى اللعنات أو الجمرات الحاصبة تكوى جلودنا وقلوبنا من فرط ما ضيعنا وضعنا . ثم يبدأ المقطع الثانى للافتتاحية :

صاحب الخان ، أسرج جواد الفتى
اعطه جرعـة من رحيق الهـوى
زقه عطش دائم ، كأسه للردى

وتران يعزف عليهما الشاعر هنا : وتر الترحال الدائب كرها والهجرة المفروضة على أبناء الشعب الفلسطينى المشرد فى المشارق والمغارب منذ النكبة ، ووتر العطش السرمدى فى غيبة الأرض والأحبة ، والظمأ المقهور للحرية والعدالة . وبين الترحال والعطش تكمن الأزمة أو الحصار كما فجره سميح القاسم فى مطلع قصيدته . ومن ثم يكون الوصل عند ابن الخطيب فصلا عند سميح ، ويكون المنتهى هو المبتدأ ، والبدء هو الختام ، لأنه لا زمان للفاجعة ولا ختام .

ويتمثل الشاعر فى ذلك المقطع العالم الفنى للخيام والنواسى فى القديم ، ولسعدى يوسف فى بعض قصائده الحديثة ، أو هكذا أحسه من خلال الصياغة وإن كان لايزال يعزف على قيثارة المغنى الشعبى الأسبانى المتجول وهو يتحسر على فردوسه المفقود ، إذ يسكب ألحانه فى ضوء القمر أو فى جنح الليل تحت نافذة الحبيبة التى لا تجيب .

ولكن هذا الشاعر المغنى فارس محكوم عليه بالركض عبر المتاهات كأنه سيزيف الشقى فى الميثولوجيا الاغريقية ، وقد أنس فى طريقه الموحش الطويل خانا (فندقا) يأوى إليه الشاردون المتعبون ساعة أو بعض ساعة ، ومثل امرىء القيس الملك الضليل الباحث عن مجده السليب على أبواب قيصر ، يطلب الفارس الفلسطينى رشفة من رحيق الحب قبل أن يسرج صاحب الخان جواده .. رشفة واحدة يبل بها صداه فهو العاشق المرتهن بين الظمأ وبين الموت .

وما يلبث الشاعر أن يدخل بنا عالما أشبه بسمادير (أوهام) الشارب المترنح من شدة التمزق والاحساس بالضياع والاحباط ؛ إذ تختلط فى نفسه وأمام عينيه كل الدروب ، وتتداخل المرئيات والأطياف .. ويعز الهوى فى غياهب الأمل المستحيل . وكأن الشاعر العربى - هكذا يخاطب سميح القاسم نفسه - من البربر الأشاوس ، ولكنه لم ينجب (طارق بن زياد) فاتح الاندلس .. إنه ينتمى باسمه الى العرب وبحقيقته الى سيوف الأعداء !!

إنه فلسطينى مشرد من ضحايا النكبة ، فهو ربيب الفاجعة وابن المذبحة ، وحين يذكر الشاعر - فى دوامة الذكريات الجهمة والحاضر الفاجع - انه سائح على أبواب الاندلس ، يتذكر شاعرها (ابن زيدون) ويتذكر معشوقته (ولادة بنت المستكفى) ، فيبحث عنهما

والرؤى أخلاط أشباح تسد الطريق :

بربرى انا .. لم الد طارقا
.. ولدتني شفار العدى
بربرى انا
.. و(ابن زيدون) خابية عتقت خمرها
صرخات السبايا
و(ولادة) خسرت عرضها في ملاهي الشمال
(إنما كسبت خبزها !!)

أى شعر عظيم ما يصرخ به سميح القاسم فى نغم متعالى الرنات بالصياح المأساوى ، ومتدافع الموجات بالسخرية التى تنكأ الجروح القديمة .. طالما بهرنا الشاعر الفارسى عمر الخيام وقد تحولت فى مخيلته الخلاقة اليد البشرية المترعة بجمال الحياة إلى يد ابريق خمر من الفخار . ولكن ابن زيدون الشاعر العاشق الوسيم يتحول عند سميح القاسم ـ فى غيبوبة الألم والعذاب ـ إلى وعاء خمر قديمة ـ فقد مضت حقب طويلة على موته ـ عتقتها صرخات صبايانا العربيات السبايا بين براثن العدو بعد سقوط الأندلس التى يرمز بها سميح الى فلسطين بل الى الأمة كلها . أما (ولادة) فإن القلم يكاد يعجز عن تكرار الصورة التى تحولت إليها فى زماننا هذا الرجيم .. !! وهى صورة تكشف الانتهازية والاتجار بقضية فلسطين ، وكل صنوف السقوط ، وما يساق من تعلات كاذبة لتبرير الجريمة .. وتنسكب بقية المقطع :

ياسهيل الأسى ، يارنين السنابك
.. هل فى المخاضات كوكبة
ام ترى محض ال ؟
انذا قشة فى مهب الضلال
من ترى مرشدى ؟
(قشة) .. من ترى ؟
جسدى بين بين
بلدى بين بين
وغدى سكة فى الرمال ..

هنا يتهادى اللحن بطيئا كأنما هدت الصرخات التى أطلقها الشاعر من قبل جسمه وضعضعت حسه فهمد وأهن الأنفاس . لقد كان سميح من بعيد ـ من أعماق الماضى الذى يتمثله الشاعر حاضرا خلال تجواله فى الأندلس ـ رنين سنابك الخيول العربية وهى تعدو بفرسانها الكرام الفاتحين تسد عين الشمس .. ومن ثم يعاوده الأمل ، فيتساءل عما إذا كان غبار السنابك سينجلى حقا عن كوكبة من الفرسان .

ولكنه ما يلبث أن يتساقط فى هوة القنوط بعد أن يتبين أن الأمر كله قبض الريح وحصاد

الهشيم ، وإنه ـ هو الفلسطيني أو المواطن العربي ـ لايزال ريشة أو قشة في مهب الريح بل في مهب الضلال لأنه لم يملك بعد مصيره .

ويعود الشاعر إلى بث آهاته وصرخاته . من ترى مرشدى ؟ من ترى ؟ بعد أن غدا وطنه أشلاء وأهله مزقا وغده وهما . وتنتابه نشوة الرؤيا وقد تراءت ـ كما الحقيقة ـ ملامح حبيبته إذ بدت لعينيه فلسطين من بعيد ، فانثنى يناجيها في نغم عذب حار حزين :

ياالتي ملكت مهجتي
ياالتي نغصت عيشتي
من بعيد قريب تعودين حلكة الليلة الماطرة
وتشعين لؤلؤة توجت جبهة الذاكرة
بالله !
هل جئت كي تعلني ساعة الحشر ؟
.. هل بدؤك الآخرة ؟!
انت موجودة (ربما)
حلم (ربما)
جسد انت للوهم ، ظل بلا جسد (ربما)
وانا الشخص او طيفه ، الطيف او شخصه
واكتمال الهوى انت ، او نقصه
اعلني .. إن تعلني سرك المبهما !

يتراجع النغم في هذا المقطع الطويل بحيث لا يفجر أكثر من الدلالات المألوفة للألفاظ فيما عدا السطر الثالث والرابع . فإذا جاز لنا أن نستعير لغة النقاد العرب القدامى قلنا إن المقطع فضول أو حشو لا غناء كثيرا فيه . وهو يدل على الحرفية الفنية أكثر من أي شيء آخر . وأحس كأنه مقحم على القصيدة . على أن سميح القاسم ما يلبث أن يسترد حرارة الأنفاس الشجية فيقول :

حين ادركنا الليل ناشدني صاحبي أن نريح المطايا ، ولكنني .. ارتبت في صاحبي ، صحت : غذ الخطى !

حين فاجأنا عند منحدر الذكريات لصوص الرؤى والتراب لم يكن معنا من عتاد سوى كسرة من طعام المأتم مخبوءة في كتاب حين ضج اللصوص السكارى وبحنا جميعا ، سوى طفلة
انقذتها الشعاب :
كبرت
حملت
انجبت
واعدنا الحساب ..



نجيب محفوظ

ناقد مثقف

بقلم : د. محمد رجب البيومى

●● غدا الأستاذ نجيب محفوظ فى إشراقه الأدبى مثالا نادرا للموهبة الأصيلة ذات الاطلاع الثقافى المثمر، وقد اهتدى الى طريقه الجاد فى أولى خطواته الفكرية . فلم يتعثر فى الشعاب المترامية مضطربا هنا أو هناك ، لايتبين مشرق الضوء ، بل عمد الى الهدف المنشود متئد السير ، نشيط الأمل ، لأن صاحب الفكرة المحددة يشعر بشتى الحوافز الدافعة مهما قامت الصعاب ، واذا ادركته عوامل الشك اليائس ، فهى لاتثنيه عن سيره ، لأن الشك فى منحاه الفكرى أمر طبيعى لابد ان يحدث ، ولكن ريثما يتغلب عليه اليقين . لقد فاجأ القراء فى مطلع شبابه بمقالاته الفلسفية فى المجلة الجديدة ، وهى تنحو المنحى الفلسفى وفق تخصصه الجامعى ، ولكن قارىء هذه المقالات يلمس شخصية الفنان كما يلمس شخصية الباحث ، بل ان كثيرا من هذه المقالات كانت سراجا يضىء للفنان حين يهتدى بعمق الدارس ، وبعد غوره ، وفى احداها رسم جيد لخطته المستكنة فى عالم الغيب .

● وكأنه بما نشره بالعدد الثامن من المجلة الجديدة (أغسطس سنة ١٩٣٦ ، تحت عنوان (الفن والثقافة) يحدد موقفه حين يتساءل : أينبغي للفنان أن تبقى أعماله خالصة لوجه الفن بريئة عن التغلغل الفكرى ؟ أم يجوز له أن يطرق الموضوعات العقلية والأفكار الفلسفية !! ثم يجيب على هذا التساؤل بأن الفنان اذا اراد باطلاعه الثقافي أن يزيد آفاقه وأن يهيىء لنفسه شعوراً بالتسامى الفكرى معبرا عن خواطره الذاتية فى ضوء معرفته الهادية .. فانه بذلك يخلص لفنه ويأتي في عالم الابداع بما يعجز عنه سواه .. أما اذا اراد الفنان بالاطلاع الثقافي أن يشرح عن طريق فنه نظرياته العلمية فقد ضل عن غايته وتنكب طريقه لأن الفن هو التعبير عن الشعور ، والشعور امتزاج للوجدان والفكر معا !

هذا لباب ما اهتدى اليه نجيب محفوظ فى خطواته الأولى ، وعلى ضوئه سار فى إبداعه القصصي اذ كانت إحاطته الفكرية بدروب الفلسفة في شتى اتجاهاتها مناراً يضيء له ظلمات النفس البشرية ، ويكشف له مسار التيار الاجتماعي في عالمه ، فهو يرى الأحداث بمنظار مكبر يشهده أدق الخفايا ، ويهديه تلقائيا الى البواعث الكامنة دون اعتساف ، لذلك كان الفنان الكبير ناقداً ممتازاً ، واذا كانت آراؤه النقدية سياسة واجتماعاً ودينا ، مما يتسع المجال لتحليله فى كتب مستقلة ، فانني في هذا المقال سأخص آراءه الادبية الخالصة بعيداً عن جو الابداع القصصي ببعض التعقيب لأن فى هذه الآراء مايساعد الناقد على الاحاطة بفكر


د / طه حسين


د . حسين هيكل


عباس محمود العقاد

نجيب محفوظ ناقد مثقف

هذا الفنان المبدع ، وهو فكر حي منير

● زعماء الادب

كان نجيب في دور التكوين يعي كل الوعي مايحيط به من تيارات فكرية ويخص باهتمامه زعماء الأدب في مصر اذ هم أقرب المثل الناهضة أمامه في ميدان الابداع ، وكان ممن تصدروا القيادة الأدبية عباس محمود العقاد ، وطه حسين ، وابراهيم عبدالقادر المازني ، ومصطفى صادق الرافعي ، وسلامه موسى ، ومحمد حسين هيكل ، وعبدالعزيز البشرى ! وطبيعي أن يقراهم نجيب وأن يعرف اتجاهاتهم الابداعية ، وقد اختار أن يتحدث عن ثلاثة بالذات هم عباس محمود العقاد ، وطه حسين ، وسلامه موسى حديث من نفذ الى ادق الشعاب في نتاج هؤلاء ، ومن المعقول أن أن يغفل نجيب الحديث عن الرافعي والبشري وهيكل ، ولكني عجبت كيف نسى المازني وهو رائد القصة حينئذ ، لأن الدكتور هيكل لم يصل الحبل بعد قصة (زينب) ونجيب قد يكون غير متفق مع اتجاه المازني التصويري في ابداعه الفني .. ولكن ذلك لايعني عدم التأثر به في فن هو منه موضع الاحتفاء والاقبال ، اتراه خشي أن يقسو عليه بخلاف لاداعي لاثارته ؟ ان عهدنا بالمازني ان يحتضن مؤيديه ومعارضيه معا ! مهما يكن من شيء لقد تحدث نجيب عن العقاد وطه حسين وسلامه حديثاً جمع على إيجازه مايراه من السمات الدقيقة لهؤلاء ، وقد بدأ بالعقاد فذكر انه رجل البداهة ويقصد بها الفطرة البصيرة أو الاحساس الصادق أو الطبع السليم مما ينفذ به الى صميم الحقائق وتلك درجة من الكمال يبلغها الصوفي باجتهاده ويحوزها الفنان بفطرته ! هكذا يقول نجيب ولا أدرى لماذا لايكون الصوفي ذا فطرة أيضا وتكون هذه الفطرة باعثة له على الاجتهاد الذى يصل به إلى مستواه ! والعقاد عند الناقد شاعر فنان قبل كل شيء ، فشعره ليس قشورا لفظية ، ولكنه معنى عميق نذوقه ونحسه ونعرف فيه روحاً يكاد يتحرك ويتغير كلما قرىء ، والتجديد لدى العقاد ليس ثورة على القديم ، ودعوة للجديد ، ولكنه تحرير للعقل والشعور معا ! اعقل بعقلك واشعر بشعورك ! ومثل هذا المبدأ يتناقض مع الدعوة الى مذهب معين ، لأن الدعوة الى هذا المذهب نوع من التقليد ! وهذا الفهم دقيق في بابه وصادق كل الصدق في انطباعه على العقاد .. ولكن أليس تحرير العقل والشعور معاً ! مما يعتبر مذهباً خاصا ينتحيه العقاد ويعمل على ، ويحمل على تطبيقه ما استطاع فهو اذن صاحب مذهب معين ! وقد يريد الناقد بنفى المذهبية عن صاحبه عدم تمسكه بمذهب غربي محدد يتابعه خطوة خطوة ويصبح من حوارييه ! وذلك صحيح .

اما الدكتور طه حسين فهو رجل الذكاء في بساطته وسخريته ومن مظاهر هذه البساطة انك تقرؤه فلا تعثر على كلمة شاذة أوفكرة غامضة أو جملة معقدة ولنما تفهم ما يريد الكاتب وأنت مرتاح سعيد وليست هذه السهولة مما يدل على سهولة الموضوع أو على ابتذاله ولكنها اثر الذكاء

الناقد ! وهذا حق فى بعض مراميه ولكنه ليس كل الحق لأن الدكتور طه لايعالج من البحوث الدقيقة ما يعالجه العقاد بل يؤثر فى اكثر اتجاهاته أن يكون أديبا فحسب ! ولذلك جاءت هذه السهولة الممتعة حقا ! اما إذا تغلغل فى الظلمات الداجية فهذا مالايلتئم مع منحاه ولذلك بقى سهلا عذبا . والسخرية واضحة لدى طه حسين وهى كما يرى نجيب محفوظ فى ماهيتها جمع للمتناقضات عن طريق الاشارة الخفية واللمحة البعيدة وقوامها قوة الملاحظة والذكاء يؤدى الى الشك والشك أساس البحث عند طه حسين .

واقول : وعند سواه من قبل ومن بعد !

وسلامة موسى يمتاز عند الناقد بتفكير عملي ومن شأن هذا التفكير الا يكترث كثيراً للنظريات ، والا يركن الى النظر المجرد ، والتأمل الفنى ، لأن همه منصب على الحياة وعلى الكمال فى الحياة ، وأهم شاغل له هو الاصلاح الاجتماعى فله جولات عظيمة فى سبيل التجديد الدينى ، وتحرير المرأة ورقى الفلاح والعامل !! وهذا مسلم لاشك فيه ولكن القالب الذى يصب فيه الأستاذ سلامه موسى آراءه الاصلاحية ، ماسماته ؟ وماخصائص الأديب التى تستنبط منه ؟! لقد سكت نجيب عن ذلك فبقى السؤال فى حاجة الى جواب .

● العقاد والقصة

كان نجيب يتابع المعارك الأدبية بذهن ناقد ، ولحظ بصير وكان له رأيه الذى يحتفظ به لنفسه ، او يدلى به لجلسائه دون أن ينزل الى الحلبة ناصراً بعض الاتجاهات ، لأنه التزم بفنه الروائى التزاماً جعل المسرح الأوحد لايضاح آرائه وهو فى اقتداره الفنى يناقش أعقد الأمور وادسمها فى بساطة سهلة ، بساطة الحوار المتجاذب بين رفيقين يتسامران وفى أيديهما قدحا الشاى ! ولكنه اخطر الى مواجهة العقاد مواجهة يقظة تحمل معنى التخطئة دون لبس حين وازن العقاد الكبير بين الشعر والقصة ، فأكد أنه لايقرأ قصة حين يسعه ان يقرأ كتاباً او ديوان شعر ، لأنها ليست من خير ثمار العقول بناء على قضية جزم بها العقاد عن يقين ، وهى انه كلما قلت الأداة وزاد المحصول ارتفعت طبقة الفن والأدب ، وكلما زادت الأداة وقل المحصول مال الى النزول والاسفاف وما اقل المحصول واكثر الأداة فى القصص لأن خمسين صفحة من القصة لاتعطى المحصول الذى يعطيه بيت كهذا البيت .

وتلفتت عيني فمذ خفيت
عنيَّ الطلول ، تلفت القلبُ

وامثلة أخرى من الشعر استشهد بها العقاد ..

هذا رأى العقاد ، وقد عورض من أقلام كثيرة .. ولكن أكثر المعارضين كانوا يستشعرون هيبة داخلية تجعلهم يتحدثون فى همس مهذب فلا يكادون يهاجمون الرأى حتى يشفعوا القول بتحفظ هو أقرب الى الاعتذار ، ولكن نجيب محفوظ صمم على النقد الصريح دون جمجمة ، فبدأ نقده بتعريف للفن فى شتى اتجاهاته مؤكدا أن الفنون جميعها تتفق فى الغاية وتتساوى فى السيادة اذ تعيش فى وفاق تام لايكدره مكدر .. ولكن العقاد عمد الى دنيا الفنون المطمئنة فرمى بحيرتها الساكنة بحجر ثقيل كدرها تكديرا وهو فى

نجيب محفوظ ناقد مثقف

نظرته الى القصة خصم لاحكم لان القصة التى تتضاءل مكانتها فى مكتبة العقاد تكون موضع الكراهية ، فالحكم إذن عن هوى .

أما اتخاذ الأداة والمحصول مقياساً للتفضيل ، فموضع المؤاخذة لدى نجيب لأنهما شيء واحد فى كل فن رفيع ، ففى الشعر الجيد كما فى الأداة الجيدة تتحد الأداة والمحصول ، وقد يكون هذا المقياس صالحاً للتمييز بين الجيد والرديء ، فى فن واحد ! ولكنه لايصلح للموازنة والتفضيل بين فنين مختلفين كالقصة والشعر ، وكان العقاد بذلك يعد التفاصيل فى القصة زيادة فى الأداة ، وهى فى جوهرها لاترمى لمغزى موجز ، ولكنها صورة للحياة وفى كل جزء منها مايمثل ناحية منها حرفاً وكلمة وجملة ونمو القصة نتج عن نمو العلم لان العلم هو الذى وجه الانتباه الى الأجزاء والتفاصيل بعد أن اهتمت الفلسفة بالكليات .

أما قول العقاد إن قراء الشعر أرقى طبقة من قراء القصة ! فهو قول وجيه فى الظاهر ، ولكنه لاينتج شيئا هاما ، لأن الموسيقى تنتشر فى جميع الطبقات والنحت لاينتشر الا لدى طبقة خاصة هى رواد المتاحف ، فهل يقال إن فن النحت أرقى من فن الموسيقى الذى لايتذوقه غير القليلين .

هكذا استمر الأستاذ نجيب فى دفاعه عن مكانة القصة .. وهو دفاع مؤيد بالمنطق الجاد .. ويخيل الى أن الناقد الكبير قد فهم أن العقاد يهوى بالقصة مستهيناً برسالتها ، ولكن الواقع أن العقاد يقدر رسالة القصة ، وقد كتبها فى أرفع مجالاتها التحليلية ذات العمق النفسى حين كتب قصة سارة .. ولكنه يوازن بينها وبين الشعر ليجعلها دونه فحسب ، لايجعلها تهوى الى الحضيض والمسألة لدى ليست مسألة قصة وشعر ، ولكنها مسألة ابداع وافتنان فالقصاص الممتاز ، افضل من الشاعر المتوسط ، والشاعر الممتاز أفضل من القصاص المتوسط ، فاذا اتفق الاثنان فى جوهر الموهبة ، فهما على حد سواء على أن العقاد قد رد على كثير من معارضيه فى هذه القضية ولم يشأ أن يعقب على نقد نجيب ، وكأنه رآه اعز لديه من أن يقارعه الحجاج .

• التصوير الفنى للقرآن

تولى الشهيد الأستاذ سيد قطب تحرير باب النقد فى مجلتى الرسالة والثقافة امدا غير قصير ، وقد حظيت روايات الأستاذ نجيب محفوظ باهتمامه الجاد ، وقطب رحمه الله كان ضنينا بالثناء لا يجازف به دون استحقاق وهى سمة اخذها عن العقاد ، وكان لها الأثر القوى فى ذيوع فصوله النقدية ، واهتمام المثقفين بها ، حتى الكبار ممن تسنموا الصدارة الأدبية كانوا يتابعون ملاحظات الشهيد فى يقظة واهتمام ! وحين أصدر كتابه (التصوير الفنى فى القرآن) فاجأ القراء بنمط غير معهود من أنماط التحليل القرآنى ، ونجيب محفوظ لم يغفل عن الجديد الطريف فى كتاب التصوير ، فكتب مقالا نقديا عنه ، فى صورة خطاب وجهه الى المؤلف الناقد ، يصرح فيه بأن كتاب التصوير كان تفسيرا لهذا السحر الغامض المغلق

الذى نحس به دون أن ندرك مأتاه حين رأيت أن التصوير هو الأداة المفضلة فى أسلوب القرآن فهو يعبر بالصورة المجسمة المتخيلة ، عن المعنى الذهنى ، والحالة النفسية ، والحادث المحسوس ، والمشهد المنظور ، وعن النموذج الانسانى والطبيعة البشرية ثم يرتقى بالصورة التى يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة فاذا المعنى الذهنى هيئة وحركة واذا الحالة النفسية لوحة ومشهد ، واذا النموذج الانسانى شاخص حى ، واذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية .

وبعد هذا التمهيد الجيد توجه نجيب بسؤالين دقيقين للمؤلف ، أولهما انه تحدث عن التصوير والتخيل والتجسيم والتنسيق الفنى ، وكل أولئك روح الشعر ولبابه قبل كل شىء ، افلم يخطر للمؤلف ان يحدد نوع البيان القرآنى فى ضوء هذا الاتجاه ؟ أما السؤال الثانى فعن الفصل الذى خصه الشهيد سيد قطب للنماذج الانسانية حيث استشهد بآيات كريمة تدل على الطبائع البشرية لا النماذج الانسانية ، لأن النموذج الانسانى بمعناه العلمى أشمل من هذا ، اذ يحوى الكثير من الطبائع كما يحوى غيرها ، والنماذج الانسانية محدودة معروفة ، اما الطبائع فلا حصر لها .

فلعل المؤلف أراد الطبائع لا النماذج .

هاتان الملاحظتان الدقيقتان ، قد وجدتا اسراعا عاجلا بالرد من المؤلف الناقد ، فقال عن الملاحظة الأولى ان النسق القرآنى قد جمع بين مزايا النثر والشعر جميعا ، فقد اعفى التعبير من قيود القافية الموحدة ، والتفعيلات التامة فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة ، واخذ فى الوقت ذاته من الشعر الموسيقى الداخلية ، والفواصل المتقاربة فى الوزن ، والتقفية المتقاربة التى تغنى عن القوافى ، وضم ذلك كله الى الخصائص التى ذكرنا ، كشأن النثر والنظم معا ، هو اذن ليس شعرا ، وان اخذ من الشعر خصائصه الفنية ، فهو نثر ، ولكنه النثر الذى يرتقى فيه التناسق الفنى افاقا وراء الافق ، وهى افاق لم تبلغ فى القديم والحديث بلا ارتياب .

أما الملاحظة الثانية فقد عقب عليها الشهيد بقوله : ان اختيار كلمة نماذج أقرب الى ما يفهم من طبيعة التعبير القرآنى حين يقول مثلا (ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خيرا اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة) . وحين يقول (ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما فى قلبه ، وهو أشد الخصام ، واذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ، ويهلك الحرث والنسل) فقوله "من الناس" يعنى "وفريق من الناس" أو صنف من الناس أو نموذج من الناس" .

وفى رأيى ان القرآن جمع النماذج والطبائع معا ، فهو فى اللقطات القصيرة الموجزة يشير الى الطبائع ، وهو فى المشاهد المكتملة يشير الى النماذج ، فقصة (ان قارون كان من قوم موسى) تدل على نموذج شاخص وآية (ومن الناس من يعبد الله على حرف) تدل على طبيعة محددة ! والأمر قريب من قريب .

• أصول الترجمة

نجيب محفوظ يتسم دائما بالهدوء فى

نجيب محفوظ ناقد مثقف

حواره القصصي ، فقد يكون الموقف مما يتطلب الفرقعة الصاخبة ، ولكن القصاص لايزال به تلطيفاً وتهدئة حتي تخفت بواعث الضجيج ، إلا إذا كان البطل شاذا لاحيلة للكاتب في تحويل مجراه ، فهنا تنبعث الضجة على لسان نجيب ، وكأنه في ذلك يسلم أمره لله ، اقول ذلك لانى شاهدت لدى نجيب الناقد موقفاً ارتفع فيه صوته اكثر مما كان ينتظر من مثله ، فقد قرأ ترجمة مختصرة لكتاب (الوسائل والغايات) لألدوس هكسلى ، ولم يكن مترجمه الأستاذ محمود محمود ملتزما بالنص ولكنه حذف واختصر ولخص ونجيب ممن يحبون البحث الفلسفي ويزيد له حبا اذا كان كاتبه من طراز الدوس هكسلي ، فما كاد يقرا الترجمة المختصرة حتى انبعث على صفحات الرسالة ينحو باللائمة على الأستاذ المترجم ويقول ان روح الأمانة الدقيقة يجب أن تسود النص وبخاصة اذا كنا نستقبل نهضة علمية ذات تأثير والمترجم حر فيها يختار من الكتب ، ولكنه اذا اختار فلابد من اداء الأمانة على وجهها وإلا صار عمله افتياتا وتشويها ، ثم انه حذف ثلاثة فصول ذكر انها تتضمن مبادىء هامة ، وهي أشد فصول الكتاب خطرا باعتراف المؤلف الدوس هكسلي ! فكيف نحرم القارىء مما قال ؟!

هذا لباب ماقال الأستاذ نجيب محفوظ ، وقد رد عليه المترجم الفاضل فذكر أن الترجمة في شتى اللغات إما أن تكون حرفية أو تكون ملخصة ، وقد اختار الثانية واعلن عنها في مقدمته دون خفاء .. وقد كان مضطرا للاختصار مراعاة للحجم الذى لايتجاوزه الناشر ، وليس المترجم ببدع في منحاه ، فالمترجمون الانجليز ينقلون عن اليونانية بتصرف شديد ، ولم يقل احد انهم تجنوا على الأصل .

وارى أن نجيباً كان مثاليا فيما نشد ، وكان الأستاذ محمود محمود واقعيا وقد حذف الفصول التى تثير القارىء العربى المسلم ، وهو احتياط له ما يبرره ، واذا كان القارىء لم يلم بجميع افكار الكاتب ، فقد الم بالكثير منها ، واحب ان اضيف ان الترجمة في البحوث العلمية تحتمل التلخيص ، ولكن الترجمة الشعرية والروائية لا تتحمل ، ومع ذلك فقد رأينا في الفرنسية والالمانية من لخص روايات شكسبير لان شيئا افضل من لاشىء ..

● مثل يحتذى

بعد هذه الشذرات الدالة ، تقرر ان نجيب العظيم اصبح مثلا يحتذى ، فهو بدراساته الفلسفية والعلمية يقدم لروائيي اليوم مذهبا واجب الاحتذاء ، حيث امتلات المكتبات بروايات لاسماء لامعة ، خاوية المغزى ركيكة العبارة ، ضيقة الخيال ، وقد راجت اكبر رواج ، وتعددت طبعاتها حتى ظن اصحابها انهم على شيء ولم لايظنون ، والقصة ـ على تهافتها ـ تطبع ، ويتكرر طبعها ، وتعد للسينما ، وتحور للمسرح ، والجمهور يقرا ويشهد ، ثم لايجد ناقدا يعترض ، او جرسا يصلصل ، ان هؤلاء جميعا في حاجة الى ان يأخذوا دروس الجدية الهادفة والكفاح الجاد ، عن عملاق سباق هو الاستاذ نجيب محفوظ ..

قصيدتان

شعر: حرز الله بوزيد



١ - الحارس :

ما زال يحلم بالطفولة
والشواطىء والنوارس ..
مازال يرسم لعبة او ملعبا
ثم انتهى حكما وحارس .



٢ - البحر :

حينما اوصدت بابها
فتحت موطنا للجراح .
غرق البحر فى ملحه صامتا
واحتسى رمله
حلمه المستباح
لم يعد ممكنا حينها
ان تحركه ثورة للرياح

رســالــة لـنـدن

مائة عام على ذكرى ميلاد عميد الأدب العربي

أيام طه حسين في ميزان النقد

بقلم: د. رشيد العناني

تطالعنا الدكتورة فدوى ملطي - دوجلاس في تقديمها للكتاب بعبارة قالها العلامة المستشرق جيب في تعليقه على الجزء الاول من « الايام » ، السيرة الذاتية لطه حسين . اما نص العبارة فهو ان (الايام) بامكانها « ان تدعى لنفسها انها ارفع عمل فنى خرج من جعبة الادب المصرى الحديث حتى اليوم . » وفى راى المؤلفة ان هذا الحكم لا يزال سارى المفعول الى يومنا هذا . وحماس المؤلفة « للايام » مفهوم ، الا ان فهمنا له يشوبه شيء من الاستغراب . ومبعث الاستغراب هو علمنا ان قول العلامة جيب يرجع الى عام ١٩٢٩ عقيب نشر الجزء الاول من « الايام » ، وذلك فى سياق مقال له يتعرض فيه المجددين فى الادب المصرى عامة .

وحماس العلامة المستشرق مفهوم فى سياقه الزمنى ، حين كانت حركة التحديث فى الادب العربى ما زالت فى يفاعة الصبا ، وكان النثر العربى ما زال يحاول على أيدى طه حسين وجيله العظيم ان ينفض عن نفسه غبار قرون من الجمود والركاكة والتقليد الردىء والولع بالسجع والبديع ... الخ . اما القول بان الاعوام الستين الماضية لم تغير من الامر شيئا ، وبان مكانة «الايام» لم تتأثر بما حققه الادب العربى من نمو وتطور وتنوع فى القرن الحالى ، فهو اقرب الى الحماس الانفعالى من قبل الناقد لنص طالت عشرته له وانكبابه المشغوف عليه منه الى الحكم الموضوعى . ولسنا نريد



د. طه حسين

بهذا أن نغض من شأن « الأيام »، وانما نريد أن نقول ان الادب العربى الحديث قد شب عن الطوق ، وانه قد مضى الزمن الذى يمكن أن يعمم فيه القول بأن هذا العمل أو ذلك هو أفضل نماذج النثر الحديث أو الشعر الحديث أو غيرهما من فنون الكتابة . وانما القول الصحيح هو أن « الأيام » قد أضحت واحدة من كلاسيات النثر العربى الحديث ، وهى مكانة سامقة تشاركها فيها روائع أخرى كثيرة تستعصى على الحصر . واننا لنود أن نرحب بهذا الكتاب الجديد ترحيبا حارا (وان لم يخل من تحفظ كما سنرى) فهو اضافة جديدة للرصيد النقدى المكرس لطه حسين فى اللغات الاوربية ، وهو رصيد فى تنام متواصل بما يتناسب مع أثر طه حسين الجليل فى الثقافة العربية الحديثة .

ينقسم كتاب د. ملطى ـ دوجلاس الى قسمين ، أما الاول منهما فيتناول بالتحليل موضوع العمى فى « الأيام» من حيث كونه محنة شخصية ومشكلة اجتماعية فى آن . أما القسم الثانى فتعرض فيه المؤلفة للسيرة الحسينية من حيث كونها نصا أدبيا يخضع لكون مؤلفه (أى طه حسين) وبطله (أى طه حسين أيضا) كليهما مكفوف البصر . تنتهج المؤلفة فى دراستها نهج المذهب البنيوى وتعمل مباضعه النقدية الحادة فى غير رحمة فى جسد النص الادبى المسجى على طاولتها بلا حول ولا قوة. وسوف نرى أنها على براعتها فى التحليل والتفسير لا تنجو من العثرات المهلكة التى قلما ينجو منها السالكون للسبيل البنيوى .

● الغوص .. الى أعماق النص

ولنقرر من البدء أن تحليل المؤلفة يحاول دوما الغوص الى أعماق النص وانها كثيرا ما تطفو على السطح حاملة جوهرة ثمينة ، وأن من يقرأ كتابها يبقى مبهور الانفاس ، زائغ العينين طوال الوقت ، فى انتظار كشف جديد يتلوه كشف جديد عن حقيقة ما كان يتصور فى وهمه الساذج أنه نص جميل ، جماله فى بساطته .

ولكن ما أسرع ما تتبدد الاوهام ، وتنقشع السذاجات ، ويفقد النص براءته الى الابد . حتى عنوان السيرة « الايام » ، ليس بالبراءة التى يوحى بها للعين العابرة ، الناظرة فى غير تفكر . ذلك أن حياة طه حسين كما تتكشف لنا فى « الايام » بأجزائها الثلاثة ، انما هى قصة نضال، وسلسلة من المعارك والانتصارات ، ولذلك فالعنوان — فى عرف المؤلفة — انما هو استيحاء « لايام العرب » القدماء التى هى سجل لوقائعهم الكثيرة قبل الاسلام ، فكلمة « الايام » على معناها الظاهر الدال على مرور الزمان، تشير أيضا الى « أيام طه حسين » بالمعنى المهجور فى المصطلح الحديث لتلك الكلمة ، أى معاركه التى خاضها ،او مواقعه التى اشتبك فيها مع الافراد والمؤسسات والتقاليد العاشية والفكرية منذ حداثته فى القرية وحتى رجوعه من البعثة الفرنسية وتبوئه أعلى المناصب فى الدولة .

لعل أصلح ما نصف به أسلوب المؤلفة فى درس موضوعها أنه ضرب من التحليل المجهرى ، أو أنه تفتيت النص الى أدق عناصره الاولى ، الى جزئياته غير القابلة لمزيد من الانشطار

.. فليس من تفصيل مهما دق ، أو وصف مهما كان عابرا ، أو واقعة من وقائع الحدث صغرت أو كبرت ، الا ومن اللازم أن يكون له تفسير خاص وغرض فنى علوى وموضع مقدر له فى الزمان السرمد أن يحتله والا يحيد عنه قيد أنملة ، والا اهتز المجال ، واختل البناء ، وانهار صرح النص المشيد انهيارا لا قائمة له من بعده . وكأن النص بعنصره الروائى الواضح لا يجوز أن يحوى تفاصيل واقعية لا غرض منها الا أن تكون تفاصيل واقعية ، أى سياقا يجرى فيه الحدث الاساسى الذى هو سيرة حياة المؤلف . فى عرف الكاتبة هذا غير وارد وغير مشروع ، فكل كلمة فى « الايام » بأجزائها الثلاثة ابتداء بالعنوان وانتهاء بالكلمة الاخيرة من الجزء الثالث هى طلسم مستغلق لا يستقيم فهم النص قبل فك سحره الدفين . بل ان المؤلفة لا يهمها قصد الكاتب الواضح فى النص ، فما لا يمكن نسبته الى وعيه الظاهر ، هو لا محيص مردود الى وعيه الباطن . وهى أيضا لا يعنيها فى شىء أن تتصدى لتفسير ما « لم » يقله الكاتب أصلا فى النص ، فما تتصور هى أنه يجب أن يوجد فى النص ، فتبحث عنه ولا تجده ، تنتهى الى أنه حذف مقصود وذو مغزى من النص . والقصد طبعا قد يكون واعيا أو غير واع حسب الحال .

منهج « مضخم »

حين يحتط المرء فى انتهاج مثل هذه الاساليب النقدية ، فان ما يخرج به لا يعود يصبح نقدا أدبيا يستهدف تنوير النص المنقود ، وانما يتحول الى نوع من الرياضة الفكرية ، أو — ان شئت — « الاكروبات » التحليلية التى تهدف أساسا الى الامتاع العقلى



الذاتي للناقد · ولابد أن نقرر هنا أن هذه الشطحات النقدية هي من الاخطار الكامنة دائما في صلب النهج البنيوي· ولسنا هنا بصدد دحض مبدأ النقد البنيوي أو رفضه بقضه وقضيضه ، فليس أبعد عن غرضنا من هذا ، وانما كل ما ينبغي قوله هو انه منهج « مفخخ » – ان صح التعبير – وأن من لا يحتاط غاية الاحتياط فيتطبيقه، فهو حرى بأنينفجر بين يديه ويحيل النص الادبي الى أشلاء وفتات يصعب التعرف عليها ، ناهيك عن التمتع بها· الدكتورة ملطى – دوجلاس لا تحتاط للاسف الاحتياط الواجب اذ تستخدم عدتها البنيوية ، ولذلك فان كتابها خليط من اللفتات الذكية والتفسيرات الاصيلة من ناحية ، والشطحات الجامحة من ناحية اخرى ·

على الصعيد الايجابي هناك مثلا تحليلها الثاقب لموضوع « القوة » في « الايام » ، وهو ما تقوم به في الفصل الرابع من كتابها · تقول الكاتبة ان موضوع العمى المطروح في «الايام» لا يقتصر على كونه عرضا للمشاكل الشخصية والاجتماعية التي تحيط بهذه الآفة ، وانما الموضوع يوظف في السيرة باعتباره « قناة أدبية » يستغلها الكاتب لتناول « تيمات » أخرى تتصل على نحو أو آخر بتيمة العمى ، احدى هذه التيمات هي تيمة « القوة » · تطرح المؤلفة تصورها لمعالجة طه حسين لهذا الموضوع على النحو التالي (وما يلي هو ترجمة عن النص الانجليزي ، ص ٦٦) ·

«بالامكانالقول بان«الايام» اذ تؤكد قدرة البطل على التغلب على آفته الجسدية ، انما تبرز موضوع القوة ، أى القوة بصفتها غاية نهائية ، بمعنى سيطرة طه على مقدرات حياته منخلال تحدى المعطيات الاجتماعية المصطلح عليها وخلق دور اجتماعي خاص به · الا أن القوة يمكن أيضا التعبير عنها بصفتها عملية متواصلة ، أو نشاطا يوميا ، أو عنصرا غالبا في العلاقات البشرية · وهذا معنى اخر يمكن النظر به الى « الايام » باعتبارها كتابا موضوعه « القوة » · وهو ما يتبدى أجلى ما يكون في علاقة البطل بممثلي السلطة ، أولئك الاشخاص الذين يودع المجتمع فيهم رصيده من السلطة الاجتماعية التقليدية · فنحن نرى طه في الكتاب اما منكرا لسلطان أولئك الاشخاص عليه ، أو متحديا لهم جهرا، ساعيا لازاحتهم من مواضعهم السلطوية » ·

متعة التحليل

تمضى المؤلفة فيما يلي ذلك تتقصى معالجة «الايام» لهذا الموضوع وتصور علاقة البطل القوية مع ممثلي السلطة ابتداء من « سيدنا » الذى كان يحفظه القرآن صبيا في « الكتاب » الى شيوخ الازهر الذين يدرس عليهم في صدر شبابه قبل انتقاله الى الجامعة الاهلية العلمانية · وتفرق المؤلفة تفرقة أريبة مشربة بالمعنى بين علاقة البطلالمتحدية الرافضة الشاكة المشككة باساتذته الازهريين وبين علاقته المتقبلة الراغبة في التعلم والمنطوية على الاعجاب

أيام طه حسين

بأساتذته من المستشرقين فى الجامعة المصرية أولا ثم بأساتذته الفرنسيين بعد بعثته الى فرنسا · هذه المقابلة التى توفيها المؤلفة حقها من المناقشة والاستشهاد فى كتابها تدعمها وقائع « الايام » ذاتها ، وكذلك ما نعرفه من اتجاهات طه حسين من مجمل تراثه الفكرى ودوره الحضارى ·

الا أن المؤلفة ليست دائما على هذا القدر من التوفيق فى استدلالاتها ، وهى كثيرا ما تنساق وراء متعة التحليل من أجل التحليل ، تحفزها رغبة آسرة فى تفسير ما هو واضح بذاته ، وفرض معان جامحة على النص المستكن بين يديها · هى ـ ان شئت ـ مثل طبيب التشريح الشهير الذى قال عنه ت· س· اليوت ـ معرضا بالنقد الانطباعى ـ انه لا يفى ينزع من جثته أعضاء يلصقها بالجثة (النص) التى يشرحها ! اليك مثلا هذه الواقعة فى نهاية الجزء الاول « للايام » ، حيث يقص البطل على ابنته الصغيرة حكاية « الملك أوديب » · حين يصل الى الموضع الذى يفقأ فيه الملك عينيه فيكف بصره وتقود خطاه ابنته انتيجونه تجهش ابنة البطل بالبكاء ، اذ تقيم الصلة بين الملك الاعمى وبين أبيها ، قرينه فى العمى · هنا تجد الناقدة ـ بنيوية العقيدة ـ سلبية الارادة ، منهارة المقاومة ، لا تملك ردا ولا دفعا لهذا الاغراء العارم ! ما هو اسم « أوديب » بتداعياته الفرويدية الخلابة يأتيها حتى بابها على طبق من فضة ، فهل تتركه يذهب ؟ كلا ، وألف كلا · بل انها لتفتح له الذراعين ، وانه ليوحى لها رؤى علوية عن المغزى الاخلاقى لعمى أوديب ، فهو عقاب من الاقدار لمضاجع أمه وهو « اخصاء رمزى »

ـ العمى والسيرة الذاتية : « الايام » لطه حسين ·

تأليف : فدوى ملطى ـ دوجلاس ·

١٨٤ صفحة + قائمة ببليوجرافية وفهرس ·

الناشر : مطبعة جامعة برنستون ، نيوجرسى ، الولايات المتحدة ·

تاريخ النشر : ١٩٨٨

السعر : ٣٠ دولارا أمريكيا ·

Blindness and Autobiography Al-Ayyam of Taha Husayn by Fedwa Malti - Douglas

P A R GIBB.

(ص ٣٠) • فكيف لمثل هذه المعاني الاوديبية الفرويدية أن تكون ذات صلة بطه حسين و « أيامه » ؟ الواقع أنها ليست ذات صلة، والمؤلفة من الانصاف بحيث انها تذكر ذلك ، وتقول « ان التماهي بين البطل وأوديب في الكتاب يرد الى أسباب أخرى » ، ولعلها تقصد أنه يقتصر على تماه في طبيعة الآفة فقط ، ولا شيء مما وراءها في حالة أوديب • فهل تقف عند هذا الحد ؟ لا ، فانها ان فعلت لا تكون بنيوية أصيلة ، صحيحة الايمان ، كاملته ، ولذلك فهي تمضي قائلة ان هذا التماهي في العمى بين أوديب وطه حسين يحمل في طياته « مذاقا من الاحساس بالذنب على مستوى اللاشعور » • (كذا !) في دعاوى بعض البنيويين أن الفهم الكامل لعمل ما لا يتأتى الا بنقد النص ، ونقد النقد ونقد نقد النقد وهكذا ، وما دامت هذه السطور نقدا لنقد — شئنا هذا أم أبينا — فما قول المؤلفة اذا ما خطر لنا أن نتطفل على محراب البنيوية الذي لا يلجه الا المتطهرون فنقول ان تفسيرها الفرويدي لواقعة عابرة ، ظاهرة العمى في « الايام » يشي بما يشي به في رموز وأحاسيس بالذنب دفينة في غياهب العقل الباطن للناقدة ذاتها ؟

● بين البطل وأبي العلاء المعري

من المحاور الهامة في دراسة د• ملطي — دوجلاس « للأيام » محور التماهي بين البطل وبين الشاعر العباسي الضرير أبي العلاء المعري ، ولما كان منطلق دراستها هو تناول السيرة الشخصية من حيث كونها سيرة ضرير كتبها ضرير ، فانها تميل الى تفسير هذا التماهي من حيث كونه تماهيا بين ضريرين ، ويغيب عنها أنه من الجائز أن يكون تماهيا مزاجيا ألا يجوز أن يكون المرء متشائما دون أن يكون ضريرا ، كما هو الحال مع شوبنهاور ، وتوماس هاردي ، وفرانز كافكا ؟ وألا يجوز أن يتعاطف الناس مع نظرة المعري لأحوال البشر دون أن يشاركوه عاهته الجسدية ؟ وكيف نفسر أن طه حسين لا يتعاطف مع شاعر عباسي ضرير آخر هو بشار بن برد ، اذ لا يرد له ذكر في « الايام » ، الى جانب علمنا من « حديث الاربعاء » (ج ٢) أن طه حسين يكن له احتقارا وكراهة شخصية على تقديره لبعض شعره ؟

تلك كانت بعض التساؤلات والتأملات التي تثيرها هذه الدراسة الجديدة الجادة والتي نرجو أن تجد من يتصدى لترجمتها ونشرها في اللغة العربية ، فهي قمينة أن تكون ذات نفع وامتاع بمحاسنها وعيوبها معا ، وهي على هذا وذاك — فيما نعلم — الدراسة الوحيدة في أي لغة من اللغات ، بما فيها العربية ، المكرسة بكاملها لدراسة « الايام » ، أشهر التراجم الذاتية ، وأعلاها ذكرا في الادب العربي الحديث •

الانتفاضة

انتفِض .. ايقظ القلوب الغوافي ... أنتفِض زلزل الرُّبى والفيافي
انتفِض .. اعلن الوجود جميعا ... هذه "غزتي" .. وهذي ضفافي
صِح بهم .. ان هذه القدس قدسي ... مُذ تجلّى بها ابو الاحناف[1]
قل لهم .. إنني هنا في دياري ... ثابت .. صامد .. كطود نياف[2]
رافض ما حييت تهويد ارضي ... راجم كل بغيكم بالأثافي[3]
واثق بالذي احل عليكم .. ... كل لعناته .. بكل الصحائف
لا أملُّ الهتاف باسم فلسطيـ ... ـن وروحي فداء هذا الهتاف



ريشة الفنانة : اماني امين

الوعد الحق

شعر :
ابراهيم صبري

سوف امضي و "الله اكبر" درعي ... وسلاحي لكل باد وخافي
انها منكمو تصيب دواما ... ما اصاب الكماة من "عساف"(٤)
وهي حتما مبيدة ما اقمتم ... فوق ارضي بفاجر الإجحاف
وادعيتم .. وافحش الناس زعما ... سارق يدّعي جنى الأعراف !
غاصبٌ قال ان غصبي حق ... خاطف قال ثبتوا خطافي !
باطش يدعي التماسا لأمن ... ظالم قال .. حاولوا انصافي !
بالفجر اللعين من عهد موسى ... سامري .. يُضل اني يوافي !

• • •

فليقل مايشاء زورا .. فإنا .. ... قد اطحنا بالاربعين العجاف !
ايقظ الصحوة النبيلة فينا ... بطلٌ صاعدٌ على الاكتاف
يتلقى الرصاص من كل صوب ... كالتحيات غبّ حفل زفاف !
انه عرس الانتفاضة والعز ... م وطيّ الطريق للاهداف

• • •

فاطو كل الذى مضى وتقدّم ... وذر القاعدين في الاكناف
إنك الان فاعل ما انتظرنا ... عمرا في تقاعس واختلاف
إنك الان فاعل ما ارتقبنا ... وكلانا مابين لاه وغافي
لا تلمنا اذ كنت فينا عجيبا ... عجب الصدق في دُنا الإرجاف
عجب الطفل انجبته عقيم ... بعد عقدين من غصيّ الجفاف
زمنا فيه عن قوانا التفتنا ... وانشغلنا بليّن الاعطاف
لا تلمنا .. فاننا ما برحنا ... اخوة اللهو في مغاني السلاف
لا تلمنا .. فاننا ما فتئنا ... نتغنى بالنهد والأرداف
لا تلمنا .. فنحن ابناء سعي ... أوكل الغيب فيه للعراف
لا تلمنا ..فنحن ابناء جيل ... منتهى قصده يَدُ الصراف
وانصرفنا من ان نحرّر .. الا ... شعرنا من بحوره والقوافي
فانتقصناه .. وانتقصنا حمانا ... وكانا بالنقص اهل احتراف

• • •

فاكمل الشوط يا اخا العزم واحذر ... من نكوص وَرِدّةٍ وانعطاف
وانتفض كل لحظة .. كل يوم ... انتفض .. زلزل الرُّبى والفيافي
واستعن بالذى احل عليهم ... كل لعناته .. بكل الصحاف
وعده الحق يا اخي فتقدم ... ان يوم الخلاص آتٍ موافي

(١) ابراهيم عليه السلام (٢) جبل شامخ
(٣) الاحجار (٤) القائد الاسرائيلي الذى اسرته مصر

قصيرة

تفسير جديد لنظرية النسبية

شحاته عزيز جرجس

لا أحد في القرية يجهل سعدية بنت عبد الوارث، أو يجهل حكايتها وما جرى لها ذات يوم. وشهرة سعدية لا مثيل لها من حيث أنها ليست كشهيرات القرية نحيبة الندابة ورسمية الداية وام السعد الخبازة وحمدية بائعة الجوافة والملوحة والطعمية، وهي أيضا ليست مثل نجفة بنت عبد الغني التي انجبت طفلا نصفه حيوان وفاطمة بنت ريحان النجار التي قاومت الفقر طويلا بعد رحيل زوجها فجاهدت لتجعل من ابنائها اعلاما، وراوية بنت محمد الشاذلي التي تحدت - رغم ضعفها وفقرها - بطش سيادة القرية واستبدت عليهم محاولات نيلها الى أن قتلها صياد سمك حقير فشل في اغتصابها. سعدية بنت عبد الوارث غير كل هؤلاء. وما ورد ذكرها مرة على لسان الا وانبعثت الضحكات، فهي موضوع لكل حديث يتناول خيبة الامل وسوء الطالع والسذاجة والبلاهة والغباء، وقليلون هم الذين انصفوها، مثل الشيخ عبد البر الذي ما انفك يردد:

- والله مظلومة، سعدية بنت عبدالوارث.

وأيضا عبد الودود شقيق سعدية الذي طالما ردد:

- أنا السبب فيما جرى.. أختي مظلومة.

ثم يروي بكل ما أوتي من سذاجة وصراحة كل ما جرى الى أن يردد في النهاية:

- سعدية مظلومة، أنا السبب..

وسواء كان عبد الودود هو السبب أم غيره فالنتيجة طبعا واحدة، وهي أن سعدية أضاعت على نفسها فرصة نادرة تقدمت منها فراستها، وكان من الممكن أن تتحول في طفرة من الفقر الى الغنى في لحظة يوم سافرت الى العاصمة لأول مرة يوليدها عبد التواب بالرمد في عينيه لزيارة أولياء الله الصالحين. آنذاك كان حجاب الشيخ سالم قد عجز عن دفع الأذى، والقرش المثقوب المعلق في خيط من عنقه عن دفع الحسد، ونصائح رسمية الداية لعلاج الرمد، فشدت الرحال الى


بريشة الفنان صلاح بيصار

تفسير جديد

لنظرية النسبية

• • •

العاصمة لتنشد الشفاء ببركة الاولياء .

ولان سعدية من غير اهل ، الا شقيقها عبد الودود ، الحى الاوحد الباقى ، ولان زوجها فراج يرقد بذراع مشروخ وكتف مخلوع وقدم مكسور اثر مغامرة فى دار عمران البقال خلال غيبة اصحاب الدار ، ولان - ثالثا - سعدية لم تبرح القرية قط من قبل ، فقد كان لزاما على الشقيق ان يرافق اخته . وعبد الودود اجهل من الجهل ذاته . ودرايته بالعاصمة تقل كثيرا عن دراية العمدة بانسان نياندال ، وشيخ الخفراء بفلسفة الاغريق ومحمود المزين بابن خلدون ، ولكن الجهل شىء والمروءة والشهامة والواجب اشياء اخرى . والشم الشقيق برحمة الموتى وحياة الاحياء وعظمة الجدود ان يصحب الاخت . وعلى الله الاتكال وصلاح الاحوال ، وهو المعين ، سبحانه وتعالى ، القادر على كل شىء . ولا مانع من اللجوء الى الشيخ جمعة الذى نزح من القرية واستوطن العاصمة ازهريا شهيرا ، فبالقطع سيكون عونا ، والوصول الى الشيخ جمعة امر يسير ، هكذا قال شقيقه طه المتمسك بالفلاحة مقيما فى القرية ، وقال طه ايضا :

- اخى الشيخ جمعة سيدبر لكم كل شىء ، فقط اذهبوا اليه ..

ثم راح يصف لهم فى حماس كيف يصل الناس الى شقيقه ، فلم تع سعدية ولا شقيقها سوى ان الشيخ جمعة يقطن قرب سوق تفوق قليلا سوق الثلاثاء ، اما الورقة المدون بها العنوان بخط يد الولد عبدالرحمن واملاء ابيه طه فقد ضاعت فور اقلاع القطار فبكت سعدية ، وانفعل الاخ قليلا ثم نسى الامر كله فور ظهور الفطير والبيض والجبن ، فتكورت الاصداغ ، وكان الصبى ايضا يأكل ويبكى ثم ينام ، ويصحو



لياكل ويبكي وينام ، ويختلط الدمع بافرازات الأنف السائلة دوما لتكون فوق الوجه بؤر استيطان للذباب لذيذة وممتعة، ذباب أب معهم ، واخر وافد ، ثم في النهاية بلغ القطار مرساه في العاصمة بالضبط بالضبط بعد اغفاءتين لعبد الودود وخمس وجبات وشروع في السادسة ، فراحوا يسيرون بصعوبة بالغة وسط بحر البشر والسيارات الذي اصاب اعينهم بالزغللة ، واجسادهم بالارتعاش ، وامخاخهم بالدوار الى ان ساعدهم رجل كشف لهم في حبور انه من ذات بلدتهم ، وانهم اهل، فتضاعفت سعادتهم خاصة حين عرض « قريبهم » استعداده لتوصيلهم الى الشيخ جمعة بل والى اى مكان اخر ، بيد انه سرعان ما اغتال سعادتهم بعد ان سطا على كل ما معهم – عدا القرش المثقوب في عنق الصبي – وتركهم – ياعيني – وسط زحام بشرى هائل في مكان واسع ذي سور عال وباب كبير اقتادهم اليه الرجل وزاغ دون ان يعرفوا كنه هذا المكان ، فانتحبت سعدية ،وسبت عبد الودود والقت عليه باللائمة واتهمته بالجهل، فرد الشقيق بان النية حتما لم تكن خالصة ، وانها بالقطع اغضبت الله – وطبعا الاولياء – بفعل ماض وقت ما فحلت عليها اللعنة واصابته معها ، ثم تطور الامر حين اتهمته المرأة بانه لا يساوى شيئا وان وجوده في الحياة كعدمه، ثم تحسرت على ان زوجها لم يصحبها لانه اكثر منه فلاحا ، فرد الرجل بصفعة ثم باتهام لزوجها بانه هو الذي لا يساوى شيئا ، وذكرها بلصوصيته وايضا سلوكه الشائن ، ومهاتراته مع حميدة بائعة الجوافة والملوحة والطعمية ، ومشاغباته مع نور الهدى زوجة جارهم فرحات ، ومعاكساته لتجار زبل الحمام الوافدين من بلاد الغروب ، وباعة «البوح» المحليين والوافدين ، كما اتهمه انه وراء كل مصيبة في القرية ، بل وابدى استعداده التام لان يقطع ذراعه من عند الكتف ان لم يكن فراج زوجها وراء مقتل عبد النعيم ابي راشد . وطال النقاش والاشتجار، والطفل يبكي وسعدية تنتحب ، وعبد الودود منفعل ، والزحام يتزايد ، والاصوات تتعالى والنداءات ، فلم يلتفت اى منهما الى ما يجرى ، كما لم يلحظا ذلك القصير الاسمر الذي كان يرقب شجارهم عن كثب فهم كل امورهم ، بل ولم يلتفتوا ايضا الى الرجل الضخم الذي تحرك ببطء وتقدم ليغلق باب المكان الواسع ثم يتوسطه ليثب فوق نضد كبير صائحا بقوة :

– اسمعوا يا سادة: جاء الان وقت لعبة الحظ ..

ثم بصوت اعلى :
– مفاجأة المعرض ..
سيارة من اخر طراز ..
ثم صمت برهة لضمان اجتذاب الانظار وعاد يصيح :

– ترى من هو المحظوظ الذي سوف يحصل عليها ؟! ..
سرت الهمهمات ثم تعالت الاصوات ، اما سعدية فكانت في عالم

تفسير جديد

لنظرية النسبية

• • •

اخر ، وعبد الودود يضرب كفا بكف ويلعن اليوم الذى صار فيه اخا لهذه المراة فلم يسمع ولم يفهم ما يدور ، والطفل يلعق ثدى الام ويبكي فيهتز جسده بالقرش المثقوب المتدلى من عنقه ، والقصير الاسود يتابع، اما الرجل الضخم فعاد يصيح :

- شرط واحد للفوز في لعبة الحظ ··

ثم اردف بصوت اعلى :

- قرش مثقوب وسيارة من اخر طراز·· ترى من هو المحظوظ ؟!

واعادها عدة مرات فتحركت تموجات الناس - عدا سعديةوشقيقها - وعم اللغط - وزاغت الابصار ، وتضاحك البعض فيسخرية مريرة، وضرب اخرون كفا بكف تحسرا ، اما سعدية فكانت لا تزال تنتحب مرتكنة الىجدار ووليدها الى صدرها،وعبد الودود يزفر غيظا ، والاسمر القصير يسمع ويتابع في تنمر كل شيء ، فتقدم من سعديةواتفا لاهثا مشيرا الى القرش المثقوب المتدلى من عنق الطفل :

- اعطني هذا اعطيك ما يعيدكم الى بلدكم··

فبدا البشر على وجه عبد الودود ، اما سعدية فضمت وليدها الى صدرها تخفيه وتحميه وقد قطبت جبينها وتهيات للدفاع معلنة بتعبيرات الوجه رفضها القاطع ، ثم اعلنتباكية انها مستعدة للعودتسيرا على الاقدام دون ان يمس احد وليدها او ما يحمله وليدها ،لكن الشقيق وهجم عليها واعتلى جسدها وانتزع الطفل ثم اعتقل وانتزع بقسوة القرش المثقوب ورفعها بالقدم وسكب في الدنيا سبابا سوقيا خارجا، ثم واجه الاخر بوجه اخر ، وابرم الصفقة بسرعة ، فمضى القصير الاسمر مسرعا بالقرش المثقوب، واقتاد عبدالودود الاخت الباكية وسار في زهو الذكي وخيلاء المنتصر صوب الباب الذى انفتح الان ، ولنلحق بهم عند الباب - الذى انفتح الان - امراة بدينة يقترب جسمها من جسم رسمية البداية ، وكانت تقف بالقرب منهم وتابعت كل شيء ، فراحت تشرح لهم - عند الباب - حقيقة ما حدث وهي تضرب كفا بكف وتزفر في سخط ،ثم نعتتهم بالجهل،ثم بالغباء ثم تضاعف انفعالها فتمنت ان « يغوروا في داهية » لانهم « منقوع فقر » ، ثم بصقت فوق الارض ثم في الهواء،ثم انصرفت ، وعندئذ اندفع عبد الودود بعينين زائغتين وجسد مرتعش وراح يبحث عن الرجل الذى كان قد اختفى تماما ، اما سعدية فكانت تضم وليدها الراقد الى صدرها وتبكي وتسب شقيقها مقررة في حسم انها منذ الآن هي في طريق وهو في طريق اخر ، وانه لن يعود بعد اليوم شقيقها، فبكى عبد الودود في انكسار وذلة، وظل يبكي الى ان عاد الى القرية ليروى بكل ما اوتي من سذاجة وصراحة - وغباء - تفاصيل كل ما جرى ·

لغويات

● يخلط بعضهم بين كلمة « فيّاح » وكلمة « فوّاح » .. وبينهما فرق كبير . فيقال « هذا وادٍ فيّاح » أى واسع . ويقال « فوّاح » .. أى طيب الرائحة ..

● « السلحفاة » تسميها العامة « زحلفة » .. ولكن الزحلفة دابة صغيرة تشبه النمل وجمعها « زلاحف » . وأما السلحفاة فهي الدابة المعروفة .. والفرق كبير جدا بين حجمها وحجم الزحلفة . ولكن التقارب في حروف الاسمين جعل العامة تخلط بينهما .

● استشعر الرجل الشيء : جعله شعارا له . ويقال استشعر أيضا بمعنى شعر بالشيء .

● تقول « استروحت الروضة » أى تسممت رائحتها . ولا داعي لأن تقول : استروحت رائحة الروضة لأن الاستروح هو تشمم الرائحة .

● من عبقرية الألفاظ العربية اختلاف بعض حروفها مع تقارب معانيها . مثل « سجع الطائر » .. « وسجح الطائر » ولا فرق بين سجع « بالعين » وسجح « بالحاء » إلا في الدلالة على طبقة الصوت .

وتقول « يرضخ » بمعنى « يتكسر » وتقول أيضا « يرضح » والفرق بين « الخاء والحاء » نقطة . ولكن المعنى واحد .

● وبعضهم يستعمل « الرضوخ » بمعنى الخضوع والاستسلام . وهو غير صحيح ولكنه شائع الآن ويؤخذ على سبيل الاتساع في استعمال اللفظ .

● يستعملون كلمة « مرحى » بمعنى « مرحبا » .. وليس بصحيح . فإن أصل « مرحى » أن تقال تعجبا وتشجيعا لرامي السهم إذا أصاب المرمى . ويمكن أن تقال لأن للاعب كرة القدم إذا أصاب المرمى كما يمكن قولها لكل من ينجح في عمل من الأعمال . أما « مرحبا » فمعناها معروف ...

● كانوا قديما إذا كتبوا إلى السلطان قالوا « نرفع شكوانا إلى جنابكم » .. أى إلى الفناء أو الحوش المحيط بقصركم . تعظيما للسلطان وتنزيها له من أن يتسلم شكواهم بيده الكريمة .

ك . ن .

نظـرة طـائرة

على سينما المواجع والفواجع

بقلم: مصطفى درويش

كم كنت اود أن يجرى الحديث عن ظاهرة اعادة عرض "الامبراطور الاخير" رائعة المخرج الايطالى "برناردو برتولوتشى" فى أغلى دار سينما بعاصمتنا القاهرة .

وكم كنت اتمنى ان اتكلم ، ولو قليلا ، عن تلك الرائعة التى اراها صعبة على الفهم والهضم ، لا لشىء سوى انها تتناول تاريخ الصين الحديث من خلال مأساة آخر اباطرتها على امتداد ستين عاما من عمر الزمان .



وان اعرض فى كلامى الى مشاهد تلك الرائعة بما فيها من لقطات جريئة ، غير مألوفة ، كيف مرت امام الناظرين فى دار مكتملة العدد دون ان تثير صرخة من حلق أو دبدبة من قدم .

وكيف كانت الأعين مشدودة الى سحر ثقافى تشعه الشاشة على الدوام دون أى انقطاع . سحر مبهر للسمع والبصر لأنه يعكس معاناة صانع افلام ذكى ، بل قل شاعر مبدع فى جعبته الكثير المفيد مما يجب ويستحب أن يقال ولكنى سرعان ما تذكرت ما تتصف به أكثر افلامنا من مباشرة ممجوجة وجنوح الى الاستسهال .

واذا بشريط الذاكرة تعيد اليه العين كل ما التقطته من تلك الافلام على مدى الأشهر الثلاثة الأخيرة ، وكان فى معظمه مخيبا للامال .

ثم وجدتنى مؤثرا الحديث عن افلامنا تلك بدلا من الحديث عن رائعة اجنبية اخذت حظها الوفير من جوائز الأوسكار ، ومن النقد الجاد ، وان كان فى غير لغة الضاد .

والآن ، الى ما يستحق الاهتمام مما عرض من تلك الافلام فى غضون هذه الأشهر الثلاث ، وهو يتجاوز لصابع اليد الواحدة بالكاد ، وذلك رغم ان الموسم السينمائى اوشك على الانتهاء .

وهى بالتحديد حسب ترتيب عرضها على الجمهور العريض "سمك . لبن . تمر هندى" ، "ملف سامية شعراوى" "يوم مرّ .. يوم حلو" ، "ياعزيزى كلنا لصوص" ، "صراع الاحفاد" و"عتبر الموت" اى ستة افلام لا تزيد .

وجميعها فيما عدا فيلم "رأفت الميهى" "سمك لبن تمر هندى" من نوع الميلودراما .

وجميعها ـ ومرة اخرى فيما عدا فيلم "الميهى" ـ قد خلت لغتها السينمائية من اى تجديد .

وجميعها فيما عدا فيلم "نادر جلال" "ملف سامية شعراوى" تجرى احداثها فى العصر الحاضر .

وعند فيلمى "الميهى" و"جلال" اقف قليلا .


● مستشفى مصر

"سمك . لبن . تمر هندى" فيلم فكاهى ، خفيف الدم ما فى ذلك شك .

واغلب الظن أن صاحبه كان متأثرا وهو يخرجه "باخوان ماركس" فى "شربة بط" ذلك الفيلم السريالى الصاخب فى عقرية متقطعة التظير و"بمستشفى بريطانيا" ذلك الفيلم الذى هجا فيه المخرج الانجليزى "لندسى اندرسن" نقائص الحياة فى بلده على وجه يدفع المرء الى الابتسام .

وفى الحق ، فما أن تبدأ العناوين فى الظهور ، إلا ويكون "الميهى" قد حدد اسلوبه المتميز .

فاذا بفيلمه عمل سينمائى قائم على المفارقات الكاريكاتورية ، وعلى توديع المنطق ولو الى حين .

فها هو ذا "محمود عبدالعزيز" يوجه القول الينا ، والى الرقابة فى هذه الكلمات :

"حضرات المشاهدين ، هذا الفيلم لا علاقة له بمجتمعنا . الاطباء والبوليس فيه لا هم باطباء ولا هم ببوليس .

سينما المواجع والفواجع

والحكاية من اولها الى اخرها جنون فى جنون"

بعد ذلك تنتقل الكاميرا الى بقرة نسمعها تنكر انها بقرة .

فإذا ما جاء الدور على "معالى زايد" سمعناها تتهم المخرج بقلة العقل ثم تقدم نفسها قائلة :

"انا معالى زايد ، وكل شىء تمثيل فى تمثيل"

الوحيد الذى يقدم لنا شخصه الكريم دون أن يحاول إنكار صفته هو الحمار الذى يقول فى تباه وفخار "اما انا فحمار" .

وهكذا ، ومنذ البداية ، يفصح الفيلم عن طبيعته ، عن أنه بحق وحقيقى "سمك . لبن . تمر هندى" اى من نوع الهراء الهازل ، الهازىء ، بلا حدود .

وفيلم هذا شأنه ، يصبح مجرد الحديث معه عن الانضباط واتباع مقاييس المنطق نوعا من الحديث فى غير مجال .

ومن أخطاء الفيلم فى رأيى انه وهو يصور قلق الانسان المعاصر الذى يوشك أن يبلغ اليأس ، وحيرته التى لا تنقضى بين زحام المخترعات واغراء الاشياء ، قد صوره ببعض الغموض الذى يدفع المتفرج إلى كثير من المذاهب فى فهم وقائع الفيلم وتأويلها ، وحل ما تشتمل عليه من الغاز ورموز .

وربما لو كان قد أتيح لصاحبه أن يرى الفيلم الفكاهى الأمريكى "اختطاف اريزونا" (١٩٨٦) لاستطاع ان يتخلص من هذا الغموض ، ولرأى انه من الضرورى ان يضع لفيلمه نهاية معقولة ، كان من الممكن ان تجعله حدثا سينمائيا جليلا .

اما فيلم "ملف سامية شعراوى" فالحوادث فيه تتراجع الى الوراء حوالى خمسة وعشرين عاما ، الى ما قبل هزيمة الخامس من يونيه بأعوام ، وبالتحديد أيام حرب تحرير اليمن من حكم الامام .

وهو مأخوذ عن قصة للصحفى "وجيه ابو ذكرى" واذا كان الفيلم أمينا فى ترجمته لتلك القصة الى لغة السينما ، لم يشوهها بأى حال من الأحوال ، فما أظن انى سأكون واحدا من المستمتعين بها فى يوم من الأيام .

وبطلته "نادية الجندى" أرملة فقدت فى هضاب اليمن زوجها الشهيد .

انها واحدة من ضحايا حرب اليمن التى ذهبت بحياة "شوية ولاد عتاولة" .

ومن منطلق انها الزوجة الثانية للشهيد بموجب عقد عرفى ، وبالتالى فلا حق لها لا فى ارث ، ولا فى معاش ، فقد ذهب بى الظن فى بادىء الأمر الى ان مأساتها باعتبارها الزوجة الثانية المخدوعة ، ستكون هى العمود الرئيسى لفيلم "نادية الجندى" الأخير .

● سياسة وخساسة

ولكن سرعان ما خيبت نجمة الجماهير ظنى ، عندما انزلقت بفيلمها الى التاريخ تحكيه بما عرف عن جميع الأعمال السينمائية التى ظهرت فيها من إسراف فى الابتذال .

ولن ادخل فى تفاصيل كيف تحوّل الفيلم بنادية الجندى من موظفة صغيرة

مهضومة الحق ، الى امرأة ذبلحة ، واسعة الحيلة والدهاء .

ولا كيف اوقعت فى شباكها ضابطا (فاروق الفيشاوى) يعمل فى مكتب القائد العام ، فاذا به ، ومن أول نظرة ، يسقط صريع حبها ، ويبادر بعقد قرانه عليها ، وذلك رغم انه متزوج وابو عيال .

ولا كيف بهرت المشير الخطير بهز وسطها المثير فى الشقة الفخمة المهداة منه الى زوجها الضابط الحلو اللذيذ .

ولا كيف تبادلت معه اطراف حديث هام حول اغلاق خليج العقبة فى وجه السفن الاسرائيلية ، فاذا به يطمئنها وهو يشير الى الخروف المشوى الذى كان يزين مائدة الطعام العامرة بما لذ وطاب قائلا :

"هذا الخروف لو تحرك فلن اسرائيل

نور الشريف فى عنبر الموت .. قصة يوسف ادريس



سينما المواجع والفواجع

ستتحرك ، ولو تحركت فالويل لها لاننا حتما سنهزمها" .

فذلك شيء أو بمعنى اصح هراء يطول وانما اكتفى بأن اقول عن هذا الفيلم الرديء الذي جرؤ على دق أبواب السياسة والتاريخ القريب على وجه يتسم بالغلو في الاستهتار بكل القيم والمقدسات ، انه ما ان نصل لبيوتنا – بعد معاناة مشاهدته – الا ويكون كل اثر له قد تبخر من ذاكرتنا ، وذلك من فرط انحطاط تناوله لماساة الهزيمة التي حاقت بالوطن . وهي هزيمة لانزال نعاني بعضا من اثارها حتى يومنا هذا .

● الكل سارق

واذا ما انتقلنا الى الافلام الاربعة الباقية لوجدناها من نوع الميلودراما الزاعقة ، وذلك فيما عدا فيلم "احمد يحيى" "ياعزيزي كلنا لصوص" . فالميلودراما فيه مخففة .

وهذا أمر متوقع في أي فيلم مأخوذ عن قصة لاحسان عبدالقدوس وبالذات قصة "ياعزيزي كلنا لصوص" التي لها وجهة مرسومة وخطة معلومة هي التأكيد على ان الضباط الاحرار الذين رفعوا رءوسهم فوق اكفهم ليلة الثالث والعشرين من يوليو ، هؤلاء الضباط قد تحولوا بنا جميعا الى لصوص .

والذي يريد "إحسان" ان يذكرنا به في قصته تلك هو انه لا مكان تحت الشمس للصوص الصغار في مجتمع يتحكم فيه اللصوص الكبار ، لا لسبب سوى ان الصراع بين الكلاب والذئاب غير متكافيء ، ولابد ان ينتهي بالشطار الصغار الى الانهزام .

والعجيب ، ان سيناريو الفيلم الذي كتبه "مصطفى محرم" اقحم على القصة تعديلا بموجبه أصبحت الغلبة لصغار الشطار في نهاية المطاف .

وليس من شك أن هذا التعديل المقحم ، انما يشكل تجاوزا لقصة احسان التي اراها تأبى ، رغم سذاجتها المفرطة ، نهاية ساذجة من هذا القبيل .

والشيء الذي يجمع بين افلام الميلودراما الزاعقة هو كثرة الفواجع .

● عرابي مفترى عليه

ففي فيلم "خيري بشارة" "يوم مرّ .. يوم حلو" تفقد الام الخياطة "فاتن حمامة" صغيرها الوحيد واحدى بناتها الاربعة (عبلة كامل) ، فكلاهما يخرج من البيت ولا يعود الا قريبا من نهاية الفيلم المفتعلة كل الافتعال .

وطوال الفيلم تواجه الشرير "عرابي" (محمد منير) خطيب ابنتها الكبرى (حنان يوسف) بمكائده الصغيرة والحقيرة التي تتسم بنذالة منقطعة النظير .

فهذا الشخص السافل الذي اختار له المخرج صاحب القصة اسم بطلنا القومي "عرابي" لا يكتفي بتعليق زواجه على شرط شراء حماته ثلاجة كهربائية ضمن الاثاث اللازم لعش الزواج .

وانما يستولي على حجرة من مسكن حماته الصغير ، ثم يتسلل الى جسد

شقيقة زوجته "سيمون" حيث يعث فسادا .

حتى اذا ما ضبطته زوجته مع شقيقتها متلبسين باقتراف الفحشاء فى فراش الزوجية ، شعرت الأخت الخائنة بهول العار ، فاشعلت فى نفسها النار .

اما "صراع الأحفاد" لصاحبه "عبداللطيف زكى" و"عنبر الموت" لصاحبه "أشرف فهمى" ، فكلاهما ينافس الاخر فى عدد الفواجع .

فالأول ابطاله ـ وهم اشقاء ثلاثة ـ أحدهم "نور الشريف" ـ وهو ملك من ملوك المال المتحكمين فى توظيفه ـ يموت مقتولا بعصى وهراوات المستثمرين الغاضبين بعد ان تكشفت لهم الاعيبه والاعيب بطانته وامرأته الفاجرة اللعوب .

فاتن حمامة .. يوم مر يوم حلو



وثانيهم "أشرف الكنزى" يسقط امام ضربات خصمه الملاكم الأسود فى حلبة الملاكمة حيث يسلم الروح متأثرا بالجراح وثالثهم "صلاح السعدنى" وان كان لا يجيئه الموت ، الا ان الفيلم ينتهى به مصابا بما هو اشد وانكى ، ينتهى به مجنونا .

● عرس الدم

و"عنبر الموت" هو الاخر تغلب عليه الفواجع ولا غرابة فى هذا ، فمن المعروف عن "أشرف فهمى" انه من فئة المخرجين الذين تستهويهم الفواجع الدامية .

بل هو اشد اسراعا وغلوّا فى الوقوع فى مخالبها ، ولعل هذا هو السبب فى أن أحدا فى فيلمه لم يسلم من مصيبة تميد لها الجبال .

وان الفيلم ينتهى ببركة من الدماء .. دماء "يحيى الفخرانى" و"عايدة رياض" وشلة الانس من مهربى الكوكايين والالبان الملوثة بالاشعاعات الذرية ، تسيل عندما يجيئهم الموت بغتة وهم يحتفلون بانتصار الفساد ، من فوهة مدفع رشاش يصوبه اليهم "نور الشريف" انتقاما لصغيره الوحيد الذى راح ضحية هذه الالبان .

و"عنبر الموت" انجح الافلام الخمسة تجاريا بسبب وصول حرفة الميلودراما فيه الى ذروة عالية من البراعة .

وهو مثل بديع لقصة قصيرة لاديب موهوب "يوسف ادريس" تتحول الى سيناريو محكم بفضل كاتب سينمائى متمرس "مصطفى محرم" ثم تترجم الى فيلم ناجح جماهيريا .. فيلم مهما اختلف حكمنا عليه ، يبقى فى الاذهان .



محمود بقشيش

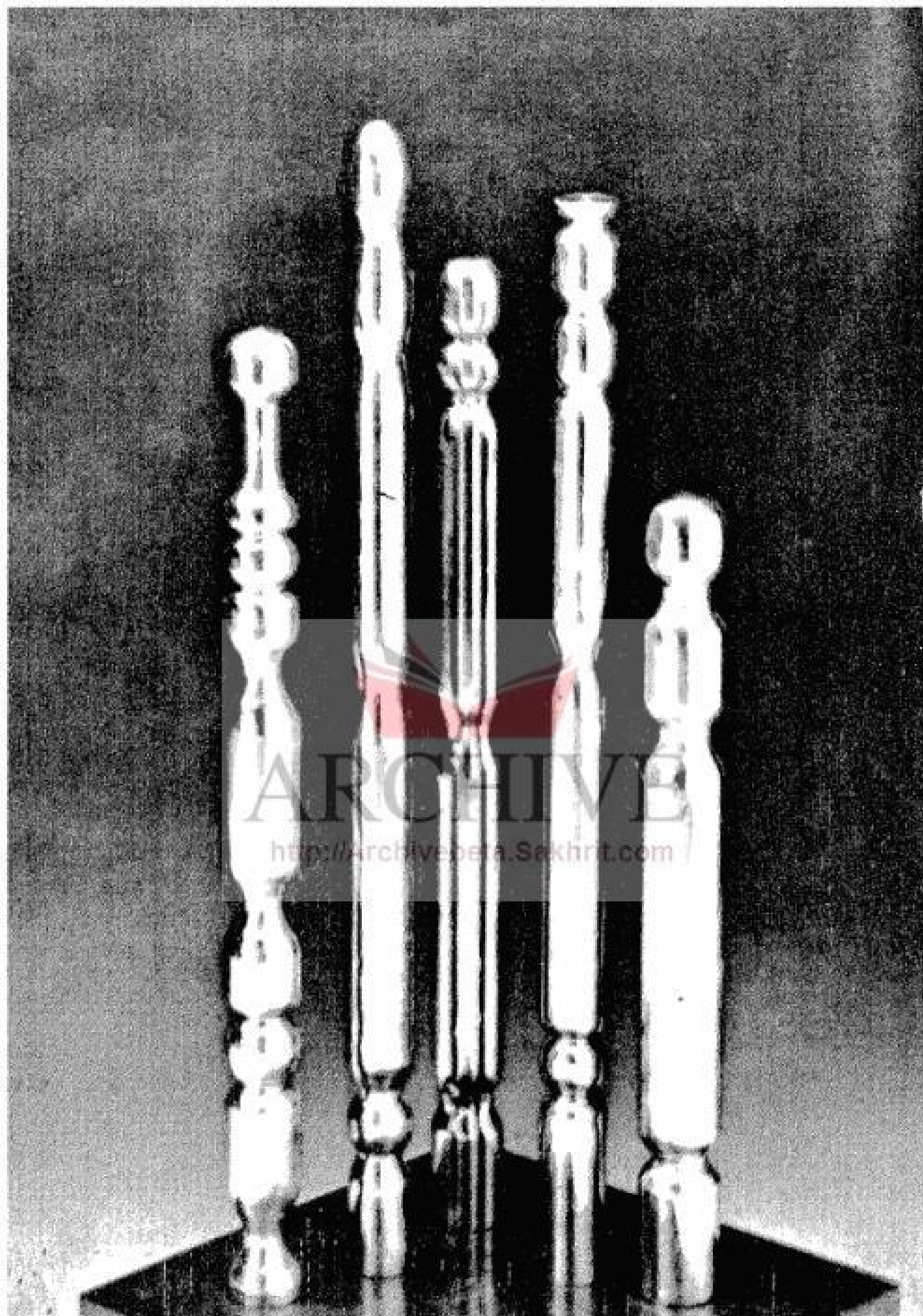
خطوط الاتصال والانفصال في معارض الشهر

اخترت لقارىء « الهلال » عددا من المعارض ، رأيت فيها ـ رغم اختلافاتها الظاهرة ـ شيئا من الاتصال ، وأزعم أن هذا المتصل .. يتمثل فيما تكشفه تلك المعارض من حرص فنانيها على أن تتحلى أعمالهم ، وبدرجات متفاوتة ، « ببعض » ملامح فن مصرى / انسانى ، مستقل .. مؤكدا ـ بهذه المناسبة ـ تعاطفي مع التصور الذى يعد تلك الخصوصية ، التى تتجلى بصور مختلفة، مضمرة فى القيمة الجمالية للعمل الفنى الأصيل .

• منحوتات وخزفيات صالح رضا

قدم الفنان « صالح رضا » معرضا فى مجال النحت والخزف بقاعتى مجمع الفنون رقم (١) ورقم (٤) ، وضم ثلاث مجموعات : مجموعة مجسمات خشبية عرضت فى الهواء الطلق ، ومجموعتين احداهما منحوتات برونزيه ، والاخرى خزفيات وعلى الرغم من الاختلاف المتوقع ـ لاختلاف الخامات وطرائق العلاج الفنى ـ فان هناك ملامحا مشتركة تربط هذا التنوع ، وتدل على أن مبدعها فنان واحد . أن الانطباع

خزفة خشبى يلبس قناعا ذهبيا ، للفنان صالح رضا


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الأول الذى يصل المتلقى – فيما أظن – بعد مشاهدته كل المعرض هو ميل الفنان الى « الحركة » ، والاحتفال بالقيمة الخطية للمجسمات · تفصح مجسماته الخشبية عن ميل الى استلهام أشكال الخرط العربى ، وعن ميل الى استلهام الحروف العربية فى منحوتاته البرونزية ، وعن استلهام لاحدى طرائق الاسلوب « المستقبلى » الاوربى ، وهو تكرار عنصر أو أكثر ، بصورة تراكمية ، وقد شملت تلك الطريقة معظم أعمال المعرض · نلمح فى معرضه بعض التعارضات المزاجية ، ففى الوقت الذى تكشف فيه مجسماته الخشبية عن ميل صريح الى الفخامة والاناقة بالحرص على تغطية خامة الخشب بطبقة محكمة من البريق المعدنى الذهبى ، اتجه وجهة معكوسة فى المجسمات النحتية البرونزية ، فغطى الخشب بالقناع الذهبى ، وأعطى معدن البرونز حسا (كرتونيا) !·· غير أن تلك المراوغة لم تحل دون وشاية « الخامة » بحقيقتها ، وحقيقة أدوات التجسيم : فهى « المخرطة » فى الخشب وهى « سن » قاطع فى التركيبات البرونزية !

يتسم أداؤه فى الخشب ، أو بمعنى آخر : أداء المساعد – الخراط ، والمخرطة ·· بالاحكام الآلى البارد ، مما برر لطبيعته القلقة التمرد ، وكان تمرده انقلابا يكاد يكون كليا ·· ففى « البرونز » نلتقى بنبض التحريك والارتجال ، والسلاسة ، والفرح الطفولى بامكانات الخامة ، وبانتباه – لا أظنه ظهر بالمصادفة – الى الامكانات التعبيرية والجمالية لشكل الحروف والكلمات العربية ، مع حرص على الانفلات من أن تكون مقروءة ومهما كانت الدوافع التى جعلته يسهم فى هذا التيار الفنى العربى ، فهى أعمال تؤيد التوجه الجمالى الخاص ، وربما أدرك أن هذا قد يوقعه فى « الشكلية » ، فعرض قليلا من الاعمال تتسم بالروائية · لقد نجح « صالح رضا » فى اختيار الخامة المناسبة لطبيعته وهى خامة يستعان بها فى التغليف ، ولا يكلفه التعامل معها الا بسن كهربائى صغير يرسم به فوق مسطحات هذه الخامة ، ويقوم بالفصل بين الاجزاء وتجميعها ليقوم المسبك بالمهمة الاخيرة ، لكن عيب هذه الخامة – بالنسبة للنحات أنها لا تسمح بشكل يدور فى الفراغ بل بشكل مسطح ·· لهذا رجحت القيمة الخطية على كل القيم الشكلية الاخرى · ويشترك « الخزف » فى دائرة التعارضات « المزاجية » ، فتظهر بعض قطعه الزخرفية متقشفة اللون ، وبعضها يتألق بالألق اللونى المعدنى ·· واستعارت خزفياته من المنحوتات الاكتفاء باستقلالها ، ولكى يؤكد هذا فقد توج قدوره وزهرياته بشكل مراوغ ، أشبه بتاج الديك ، ليحول دون اقتحامها ·· حتى لو كان وسيلة الاقتحام زهرة !



عرض مسرحي للفنان صالح رضا



الموسيقيون الثلاثة للفنان صالح رضا





حروف تتراقص فى الفراغ للفنان صالح رضا

وجـــه يحـــاورنا
للفنان شوقى زغلول



● شوقى زغلول بين الغياب والحضور

أقيم باتيليه القاهرة معرض لاحياء ذكرى الفنان « شوقى زغلول » ضم نحو اربعين لوحة تنتمى الى فتــرات زمنية مختلفة . وكان « شوقى » من الفنانين الذين يرون ان حــــرارة التعبير وصدقه أهم من الوســـائط التى تتجسد بها تلك الشـــحنة التعبيرية ، فلم يحفــــل بالبريق الاخراجى ، ولكنه .. رغــم ذلك .. اختار الوسائل التى تسعفه عندمـــا تلح عليه خاطرة فنية ، فكانت أوراق كراسات الرسم والوان « الباستيل » و « الجواش » تتسق مع رغبته الدائمة فى البوح ، وكان يتسم هذا البـــوح



وجـــه
للفنان شوقى زغلول

بالسلاسة والبساطة .. كأنمـــا يهمس لصديق حميم لا يحتاج معـــه الى حبك العبارة ، ودقة التجـــويد ، بل الى اقل الايماءات للتواصـــل ، لهذا جاءت لوحات معرضه مغلفـــة بطابع الالفة ، والرقة الهـــادئة ، والدعابة الطفولية التى لا تخلو من حزن شفيف . انه يستلهم مثيـــرات جمالية مألوفة مثل : « الطبيعـــة الصامتة » او موضوعات انسانيـــة مثل « الامومة » .. « الطفـــل والعصـــفور » .. غيـــر ان تلك الاعتيادية ، ذات اللون الرمـــادى . تكشف عن أبعاد اخرى يسهل الاهتداء اليها .. سواء على المســـتوى الاجتماعى والانسانى والجمـــالى : فالتقشف الشديد فى اللون ، ونوعية واشكال « الطبيعة الصـــامتة » ، والجزئيات التى تتسلل من العمارة الشعبية الى اللوحات ، تفصـــح عن انحياز الى مثيرات جمالية وتعبيرية تحتل مواقع مرموقة فى الازقـــة القاهرية الفقيرة .. ولان تلك الازقة خالية الا من سيطرة اللون الرمادى ولان « شوقى » من ناحية اخرى ليس فنانا « دعائيا » بل فنانا صـــادقا ، لهذا احتفظ بالنبرة الرمـــادية — ان صح التعبير . وجـــاءت رمـــادياته شفافة تقوم بتذويب اشكال « المقدمة » ودرجات « الخلفية » فى كيـــان تصويرى متوازن . ويقوم « الفراغ المادى » .. فى لوحاته بدور تعبيـــرى بارز . ان هذا العنصر الذى يصطنعه بعض السيرياليين لتأكيد الوحشـــة والغربة والضياع ، يقـــوم بدور معكوس عند « شوقى » كما فى لوحة « امومة » فقد قام « الفراغ » المحيط بالام وطفلها بتأكيد التماسك والحماية بين « أم » متينة البنية وطفل مسترخ فى استمتاع على وسادة الصدر !..

ويجعلنا هذا الفراغ ، فى لوحـــة أخرى ، ننتبه اشـــد الانتباه الى تلك اللمسات الرشيقة الخضـــراء التى نجحت بضربة واحدة ، فى ان تصف وتوحى بأوراق نباتيه صغيرة يعابثها الضوء !

ان البساطة هى ابرز معالم اسلوب « شوقى زغلول » ، ويبدو استلهامه رسوم الاطفال مؤكدا ، ومتجليـــا فى الملامح التشريحية .. فى الوجـــوه والاطراف بالذات ، ويكاد أن يســـود كل الوجوه وجه قناعى واحد جميـــل كما تبدو البساطة ايضا فى انصرافه عن شبهة الثرثرة ، فلا يستدعى الى لوحاته الا اكثر العناصر جوهرية ، فلوحات الطبيعة الصامتة لا تتســـع لاكثر من « زهـــرية » او بمعنى أدق « علبة » بها فرع يتيم ، ولوحـــة « أمومة » ليس بها غير « أم وطفل » ولا شىء بعد ذلك غير الفـــراغ .. وهكذا .. أما لمساته فانها لا تعـــرف التردد او التلكؤ .. فان فعلت عن عمد فلضرورة زخرفية .. وفى حـــدود ضيقة . ان تلك اللمسات كانت تتمتع بهذا الدفق التعبيرى والجمالى الذى لم يوقفه غير عبث الموت !



الحصان والطائر باتيك
للفنان علـى دسوقى

● على دسوقى ودعوة صريحة الى الحب

قدم الفنان « على دسوقى » مختارات من لوحاته فى مجال « الباتيك » اوا الرسم على القماش مع استخدام عازل الشمع) بالمركز المصرى للتبادل الثقافى بالزمالك . وتعكس تلك المجموعة المختارة ما تعكسه مجمل مراحله الفنية من ثبات فى الرؤية والاسلوب الفنى ، وثبات — نسبى — فى اعجاب الناس بلوحاته فى الشرق والغرب ، وتعد أعماله من بين اكثر المبيعات الفنية ، واكثرها انتشارا . ان اعماله تكشف ، للوهلة الاولى ، عن اختيار منحاز الى طابع مصرى — انسانى ، وهو ينسج هذا الطابع بدأب والحاح من مصادر متنوعة : مظاهر الحارة الاجتماعية تاركا للمرأة والطفل المحاور الرئيسية والمصدر الثانى هو التراث الفرعونى والقبطى والاسلامى ، ويلتحم هـذا التراث المتنوع التحاما لافتا للنظر فى لوحاته ، فالمتلقى لا يجد تعسفا عنده فى التقاط بعض ملامح من كل لون ، بل يجدها جميعا مذابة فى وجدان عاشق ، يتوجه برسالة تعبيرية انسانية تدعو الى الصفاء والحب . يقدم لنا لوحات مصفاه من عبثية الواقع وهمومه .. تحتفل بالرقة ، والسلام ، والجمال الخالص .. ففى لوحة بعنوان افتراضى — لنقل (حاملات الجرار) نصافح وجوها قناعية ، خرجت من المتحف القبطى ، تشترك جميعا ، وبنفس الدرجة ، فى مصافحتنا بوداعة لا تخلو من الدهشة ونكتشف ان الفنان قد أهمل الترابط السببى . المنطقى « بين » موزع المياه الجالس القرفصاء مثل « الكاتب المصرى » وبين طالبات المياه .. ليرحب بنا ، فكل الوجوه والاجساد : الاطفال والفتيات والرجل الوحيد يتموضعون فى مواضع الاجلال لنا نحن الشاهدين ! . حتى النوافذ ، والابواب ، والحوائط ، والثياب ، يزينها بما يناسبها من الزينات لاستقبال ضيوفه !..

اختار لنا بعناية عناصر تكوينه الاحتفالى . لا فرق عنده بين عنصر رئيسى او عنصر مساعد ، فالخلاخل والاقراط الضيقة والجرار تقوم بايقاعات تربط العناصر الانسانية المصطفة فى ارجاء لوحاته ، ملتفة حول شخص « الكاتب — موزع المياه » تبدأ وتنتهى تلك الصفوف بعفريات البراءة : الاطفال ! .. ويقوم الخط السلس بدور رصفى ، فهو يرسم لنا جلابيب الاطفال خالية مما يمنحه لجسد النساء من طراوة وليونة ، وان غلفت تلك الحسية بما تتسم به الوضعة « الفرعونية » من وقار .. وقد لا يكتفى بمظهر الوقار الفرعونى بل يأخذ بصراحة بعض المبادىء التصميمية مثل مبدأ التتابع الافقى .. غير انه — كما اشرت — « يستلهم » فى اكثر الاحوال « ويختار » .. لا ان ينقل . هل اكون قد استطعت ان اجيب عن سر اقبال المتذوقين ، متعددى المشارب ، على لوحات « على دسوقى » .. ربما !


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جولة المعارض

• تحية للحجارة المقدسة !

اقامت الفنانة « فاطمة عرارجى معرضا باتيليه القاهرة فى مجال الرسم بالحبر الصينى والجاف ، وبهذا المعرض تقدم اسهاما جديدا فى توكيد الاهتمام بفن « الرسم » الذى تألق خلال العشر سنوات الاخيرة ، مما حفز الى الاعتراف به فى جوائزالدولة باعتباره فنا مستقلا ، بعد ان كان هامشيا « يتبع » نصا ادبيا او « يسبق » لوحة زيتية ، مكتفيا بدور

احجار واحجار
للفنانة فاطمة العرارجى



الاعداد والتحضير . والرسم عند الفنانة « فاطمة المرارجى » ، وعلى حد تعبيرها (خطوط سوداء تتحرك فى الفراغ) وخطوطها لا تصف وصفا باردا اشكالا متعينة ، بل توحى بشحنات تعبيرية وموقف جمالى وانسانى . وهى من الفنانين الذين لا تستدرجهم « التعبيرية » الى دوائر الذوات المغلقة ، بل تصلهم بأحداث انسانية ، مصيرية .. وكانت الاحداث المصيرية التى شكلت مثيرات جمالية وتعبيرية للوحاتها هى « الانتفاضة الفلسطينية » ، ويعد هذا المعرض الاستجابة الاولى ، المكتملة ، لتلك الاحداث ، دون ان تسقط فيما وقع فيه الكثيرون فى الهتافية والركاكة .

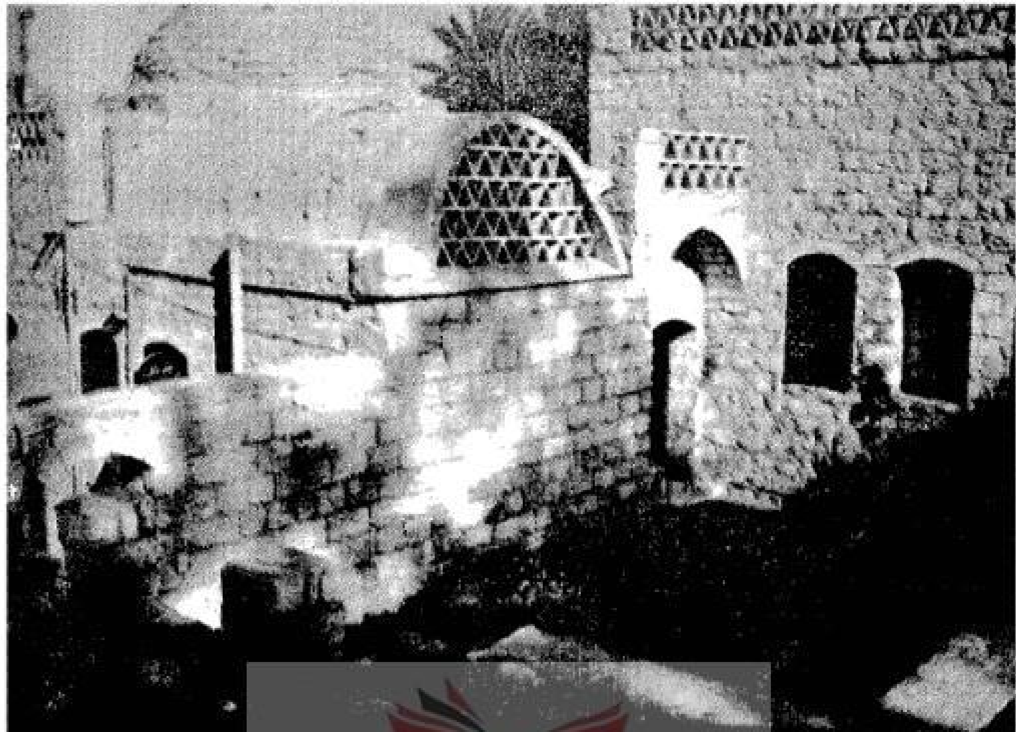
ولقد وفقت - من وجهة نظرى - فى اختيار الوسائط التى تيسر التدفق التعبيرى : اقلام « الرابيدوجراف » على مسطحات ورقية بيضاء فى حجم كراسات الرسم ، لا تحتاج من الرسام الا ان يكون صادقا ، وبارعا ، وعميق النظرة .. ولا اهمية بعد ذلك فى ان يكون مكان الرسم مرسما او مقهى او حديقة عامة (ان وجدت) !

ان اختياراتها لم تسمح بأى ثرثرة فى العناصر ، وهى لا تحتفظ الا بثلاثة عناصر ضرورية :

١ - كيانات انسانية ملتحمة .

٢ - اشكال موحية بالطوب والزجاجات الحارقة (قنابل الفقراء

٣ - الفراغ . وتظهر تلك العناصر فى حالة تفاعل ، ويكتسب كل عنصر من الاخر بعض خصائصه ، فتستعير الكيانات الانسانية من الاحجار صلابتها بل توشك ان تكون منحوتات حجرية فى طور من اطوار الانشاء والاكتمال ، او اثرا ، فطريا ، مكتشفا بعد ان تفاعلت معه عوامل التعرية ، فتركته بلا ملامح تدل على زمانه وبيئته كما اخرجته من اطار الارتباطات السببية الواقعية ، لهذا لم تكن فى حاجة الى « ميكانيكية » وظائف الاعضاء ، بل الى ايماءاتها الرمزية . وربما شاءت الفنانة بهذا التعميم ان تخرج لوحاتها من الارتباط التابع لموضوع بعينه الى ان تكون لوحاتها رسالة احتجاج ، احتجاج ضد حالة ، هى بالضرورة تكمن خارج اللوحات . وهى تضع التجمعات البشرية فى حالة « فعل » احيانا ، وحالة « رد فعل » احيانا اخرى . وعندما تكون العناصر فى حالة « فعل » يتجلى فى اللوحات التحام يذوب الكيانات الفردية فى سبيكة واحدة ، تبرز منها الرءوس والايدى الممتدة الى الحجارة ، وعندما تكون العناصر ردا ونتيجة لفعل خارجى ، تظهر الكيانات البشرية ممزقة ، ويقوم « الفراغ » بدور يتسق اشد الاتساق مع العناصر المرسومة فى انشاء تكوينات محكمة ، ويقوم فى معظم الاحوال بتأطير عناصر الدراما ، واحيانا يتغلغل « الفراغ » الى المساحات البينية عندما يتاح له ذلك ، وهو لا يتاح ، غالبا ، الا فى اللوحات التى تظهر فيها الكيانات الانسانية ممزقة ! .. اما خطوطها فهى تتنوع فى اطار الجرأة والانطلاق وتشبه ضربات الازميل : تارة تكون موجزة الى حدها الادنى ، وتارة تتداخل لتشكل نسيجا ظليا فى مواجهة الفراغ الابيض .. واحيانا يبدو ذلك النسيج كما لو ان رعشة قد اصابته وامتدت الى خطوط الوجه والاطراف ، وهى تنقلنا ، بكل هذا التنوع ، الى مايتسق به من حالات تعبيرية متعددة .. اما العيون فتحتفظ لها بتعبير ثابت .. هو التحدى .



حسن فتحي شيخ البنائين !

بقلم : د. منى زكريا

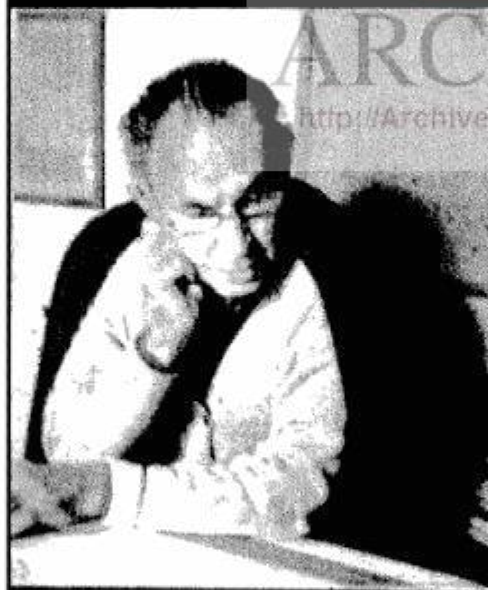
● لا شك ان المهندس حسن فتحي لم يكتسب لقب « شيخ البنائين » من فراغ ، فهو صاحب بصمات عميقة على الطفرة العمرانية في مصر التى انجبت على مر التاريخ اعظم من شيدوا صروح الحضارة فى العالم القديم ، وهو فى نفس الوقت صاحب تلك الشهرة العريضة فى دول العالم الثالث ، بعد أن أخذوا يستعينون بأفكاره البارزة عن عمارة الفقراء !

ان المهندس حسن فتحى فى مشواره الطويل مع فن العمارةهو صورة مجسمة للفنان الصادق المرتبط باصالة وبساطة فن العمارة الاسلامية ، ولأنه لم يهمل جذوره العربية أثناء رحلته فى الحياة ، فقد اعتبره عشاق فن العمارة العربي واحدا من ابرز رواده الكبار الذين أعطوا لهذا الفن الشامخ كل الحب والعطاء ..

تجمع معمارى . زاوية جنوبية



نافورة فى فناء صغير



حســن فتحـى
فى لحظة تأمل

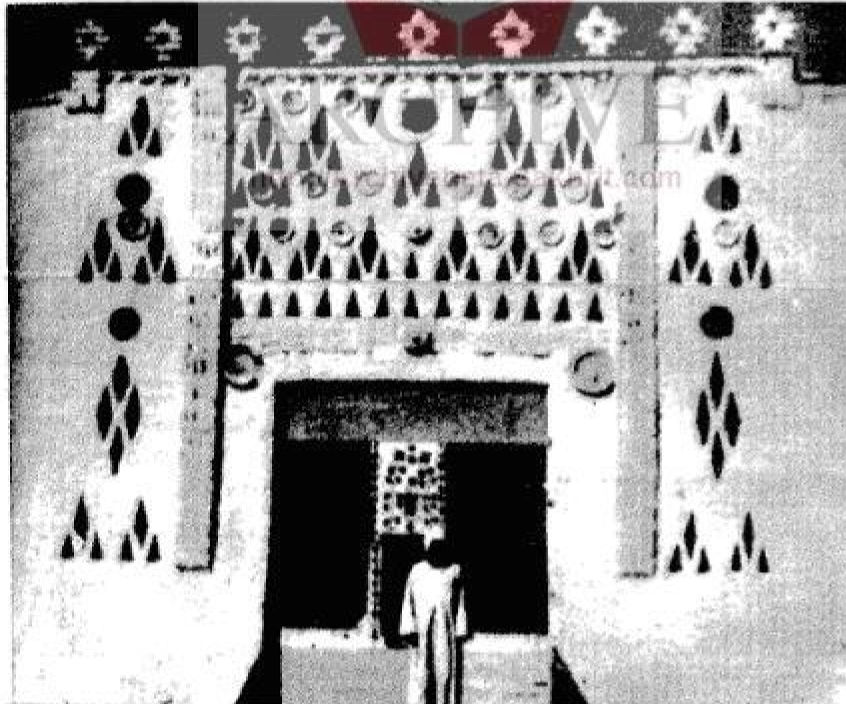
حسن فتحى
شيخ البنائين !

وقبل أن نتعرف على الملامح الفنية لاعمال هذا المهندس النابغة ، أحب أن أوضح أولا أن العمارة فن صعب ومثير ، وعناصرها التى تكون فى النهاية المبنى هى فى حقيقة الامر متداخلة ، وعلى المعمارى أن يقيم من خلال ذلك التوازن الدقيق بين رغبات المالك الغامضة عادة ، وقدراته المادية المحدودة غالبا والمستوى الاقتصادى والثقافى للمجتمع ككل ذلك المبنى الذى يحلم به ·

ومع حسن فتحى تتعاظم الاثارة المعمارية حين وجد المعمارى الشاب أن ذاكرة الناس المعمارية تتعلق أساسا بالبناء الغربى ، بينما حنينه وحلمه يتعلق بالبناء المصرى والاسلامى القديم ·· حين يجد أنه يصطدم بفقر شديد مادى وثقافى للريفيين الذين يرغب حقيقة فى البناء لهم ·· وبتطلع الاغنياء للغرب ثقافيا ومعماريا ، بانقراض الحرفيين القادرين على تحقيق حلمه الغامض بإستلهام العمارة البيئية والاسلامية التى برع فيها اجدادنا من النوبة الى القاهرة ·

رحلة طويلة شديدة الوحدة ، عانى فيها من المشاريع التى تتوقف عند مرحلة الرسوم خاصة المشاريع

مدخل احد بيوت النوبة .. البساطة فى التصميم والزخرفة



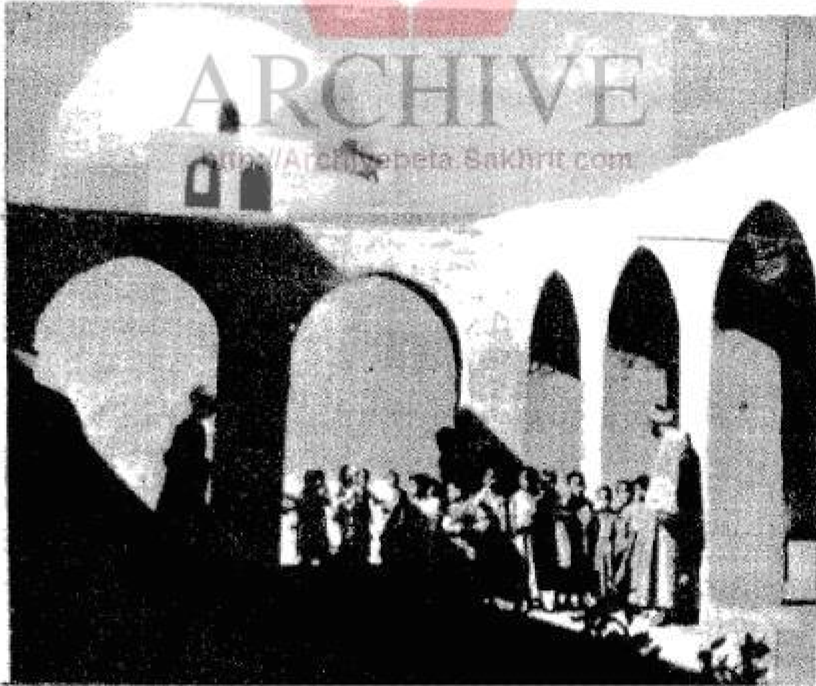
التى لم يتم تنفيذها ، والمشـــاريع المنفذة وغير المستخدمة واخيرا القبول والاعتراف من عدد محدود ، ثم فى النهاية التتــــويج كشيخ للبنـــائين المصريين على المستوى العالمي انهـا رحلة طويلة وشاقة خاضها بشـجاعة وصــبر وبعثرات الباحثين عن حلم كبير ضد التيار السائد ٠

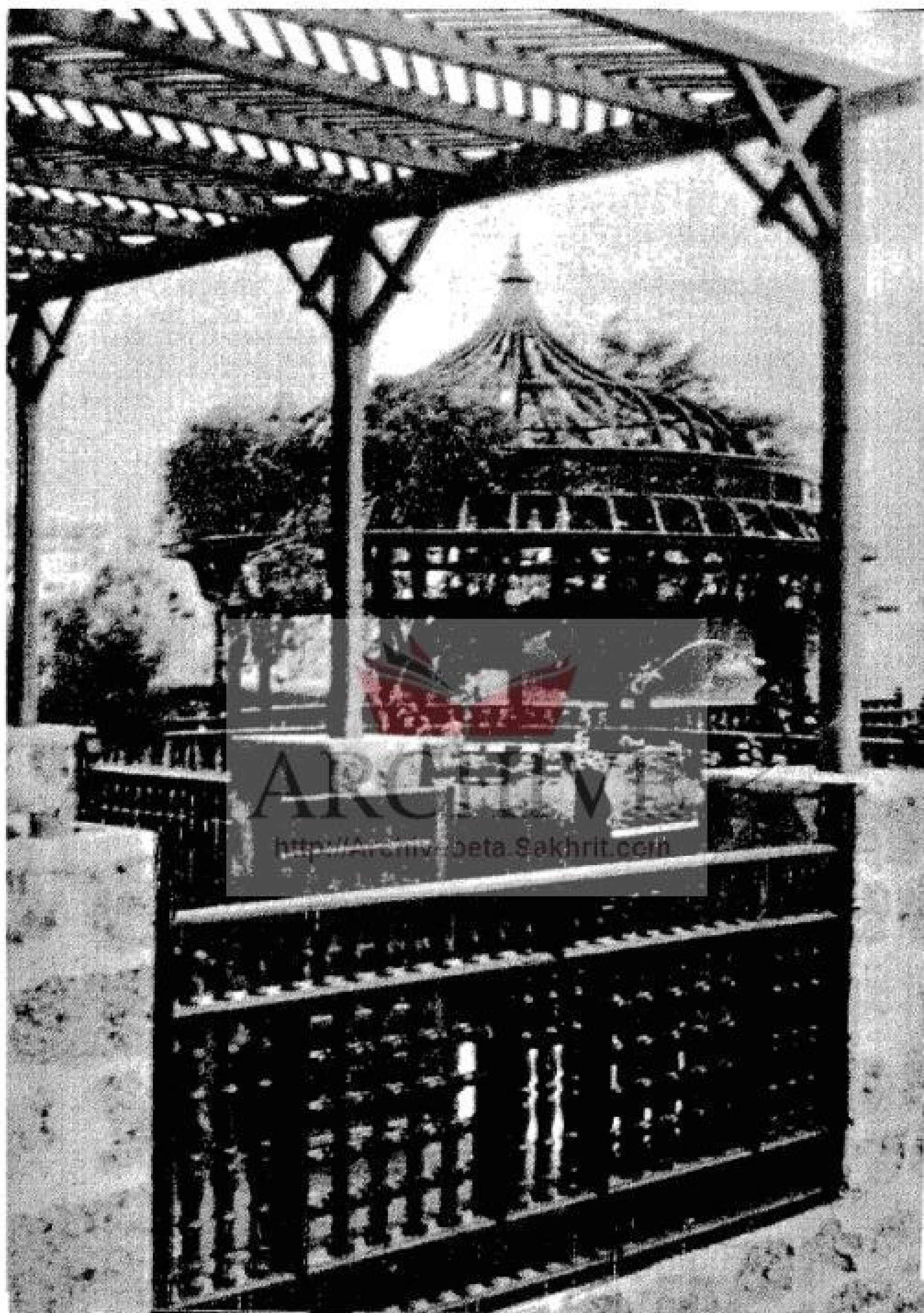
● اتجاه نحو الاصدق

حين بدأ حســن فتحى فى نهـاية الثلاثينيات ، كان الاتجـاه الســـائد لعمارة الدنية يعتمد على العمــارة الغربية من خــلال معماريين أجـانب والمعماريين العائدين من البعثـات ٠ وكان ذلك مقبولا من الملاك وكان ذلـك المناخ العام لهذه الفترة ٠ فبنى شـارل عيروط محطــة باب اللوق ومصـانع الشوربجى وبعض المساكن الخـاصة باستخدام الطوب كواجهـــات بدون بياض وكان ذلك اتجاه سائد فى الغرب ولم يستطع شارل عيروط اكتشاف العلاقة بين هذا الاسلوب فى البناء وأسلوب اكثر أصالة فى مبانى رشيد وقوص الا بعد ان اتم تجربته ٠ كما أن عـلى لبيب جبر اســتخدم اخر صيحة فى الشرفات الدائرية والفتحات العريضة الكبيرة المغطاة بالزجاج دون الاخــذ فى الاعتبار بشدة الضوء ودرجــات الحرارة القارية ٠

وقد تزامن مع ذلك اتجاه أصـولى اخر ينقسم الى قسمين ٠٠ الاتجــاه

بناء احدى المدارس الابتدائية التى شيدها حسن فتحى







القباب الإسلامية في حدائق عامة

نحو التراث الاسلامي في زخارفه وأشكاله الخارجية دون مضمونة وأبرز معمارية مصطفى فهمي . فاستخدم واجهات من عناصر العمارة الاسلامية لتغلف داخليا حلا أوروبيا كلاسيكيا . مثل مباني جمعية الهلال الاحمر ومبنى معهد الموسيقى العربية . كما اتجه عثمان محرم لطراز فرعوني تمثل في محطة سكة حديد الجيزة وكلية الهندسة جامعة الاسكندرية وكذلك بعض استراحات القصور الملكية .

كانت هذه الاتجاهات تتعلق بعمارة المبنة فقط وبالشكل الخارجي للمباني دون الغوص في ابتكار طرق انشاء او حلول داخلية تراثية . وكان تردد السؤال في مجلة العمارة المصرية التي انشأها سيد كريم في الثلاثينيات يتعلق بفكرة الهوية المعمارية ولم يترجم ذلك لتطبيق معماري حقيقي .

في هذا المناخ كان اتجاه حسن فتحي نحو الاصعب والاعمق : عمارة الريف والحلول الداخلية القديمة وأسلوب الانشاء وتغطية الاسقف بالطوب النيء الرخيص كانت الفكرة تبدو مستحيلة وخارج النطاق العادي .. ودائما ما تحمل الافكار الكبيرة الحلم المستحيل .. كان الاكثر صدقا والاكثر شاعرية ولذلك استطاع على المدى البعيد أن يكون الاكثر اهمية .

وقد بدأ مع حسن فتحي فنان معماري هام وهو ويصا واصف ، ومن أهم أعماله على قلتها قرية الحرانية والتي كان وراءها فكرة عمل السجاد المصري الشهير من خلال تجربة عميقة مع فلاحي قريته .. وقد نال ويصا واصف في حياته التقدير على صناعة السجاد المتميز وتجربته التربوية وبعد مماته نال مبناه الصغير الجميل لمتحف حبيب جورجي جائزة آغاخان في العمارة الاسلامية .

● سمات مميزة للمبنى

ان أهم ما يمكن أن تثيره تجربة حسن فتحي محاولة الارتباط مباشرة بعملية البناء من خلال علاقة مباشرة بين المهندس والحرفي والمالك . وحاول دائما استخدام الاسلوب المباشر في البناء بالخامات المتاحة محليا . بحثا عن تكلفة اقل وعلاقة اقوى بمستخدم السكن . ان عمارة حسن فتحي ليست ذهنية خارجية ولكنها تطبيق مباشر وخلاق ينتج عمارته مباشرة . ولذلك كانت دائما متابعة التصميم الاولى وتعديله اثناء العمل احدى سمات مباني حسن فتحي .

ولكن ماذا عن حياة حسن فتحي إنه الى سن السابعة والعشرين كانت علاقته بالريف من خلال نوافذ القطار والقصص التي تحكيها له والدته .. اختلطت صورة الجنة بصورة الريف في خيال المعماري الشاب الذي فشل في دخول كلية الزراعة فقرر دخول كلية الهندسة ليبني في الريف . وبعد تخرجه كان الاشراف على تنفيذ مبنى مدرسة بطلخا بداية التعرف الحقيقي له على الريف المصري . أدرك مدى فقر تلك المباني الطينية الخالية من فتحات التهوية ودورات المياه كما ادرك مدى فقر السكان ومدى اهمية تكاليف المبنى وضرورة اعتماده على الخامات المحلية وأساليب البناء البسيطة .

كان سقف المبنى أحدى

حسن فتحى
شيخ البنائين !

المشاكل المادة ، واتجه حسن فتحى لحل هذه المشكلة الى بناء الاقبية .. بدأ بالشدات الخشبية التى يحمل عليها الطوب ولكن التكاليف وقفت عائقا بسبب ارتفاع سعر الخشب .. وفى عام ١٩٣٧ كان المعرض الاول بالمنصورة لتصميمات منازل ريفية من قوالب الطين .

وفى مشروع للجمعية الملكية الزراعية حاول بناء قبو بدون الاستعانة بالقالب الخشبى وفشلت التجربة وسقط القبو .. وفى زيارة لاسوان فبراير ١٩٤١ أدرك حسن فتحى أن سر بناء الاقبية بدون شدات مازال يحمله أبناء النوبة ، واستطاع من خلال علاقة طويلة بهم أن يبدأ رحلة طويلة صاغ خلالها عناصر مبناه البسيط باستخدام السقف المبنى . وكانت البداية تجربة بيت طاهر العمرى فى صحراء الفيوم .

وحينما دمرت السيول قرية عزبة البصرى ، وقرر الصليب الاحمر المصرى اغاثة عشرين عائلة أضرتها السيول وصلت التكاليف الى ثلاثة الاف جنيه لبناء تلك المساكن ، وتعثرت محاولات اقناع سيدات الصليب الاحمر لدفع هذا المبلغ وتبرع عبود باشا بمبلغ ١٥٠ جنيها لبناء النموذج الذى تكلف ١٦٤ جنيها وكان القرار الغريب من سيدات الصليب الاحمر المصرى بهدم المنزل الجميل واعطاء مهمة التنفيذ لمهندس اخر ووصلت تكاليف بناء المنازل ٢٢ الف جنيه .

كانت التجربة قاسية ولكنها مفهومة .. ان الوقت لم يحن بعد وكان من السهل تحول المعمارى الشاب ليسير فى الطريق الذى يسلكه عشرات المعماريين القادرين على الكسب المادى من خلال اعمال معتادة ومقبولة اجتماعيا .

● قرية الجرنة .. !

ثم كان المشروع الكبير فى حياة حسن فتحى ، قرية الجرنة الشهيرة.. الناجحة والفاشلة فى آن واحد ، فقد طلبت مصلحة الاثار بناء مساكن لسكان جبل الجرنة فى الوادى .. كان الهدف ابعادهم عن كنوز الفراعنة .. وابدع حسن فتحى قرية الجرنة مستلهما تراث النوبة والتراث الاسلامى ومبتكرا جماليات خاصة به من خلال بناء جميل من الطوب اللبن وباستخدام الاقبية والقباب .

رفض اهالى الجرنة النزول من على عرشهم ومورد رزقهم بالجبل.. وظلت القرية الجديدة مهجورة ، كان الجمال المعمارى الخاص جدا لقرية الجرنة دافعا للكثير من المثقفين ولدارسى العمارة للتوقف والتفكير.. وزاد عدد المريدين لحسن فتحى سواء بمصر أو فى العالم . لكن هذا الجمال المعمارى لم يستطع اقناع اهالى جبل الجرنة فى النزول من على عرشهم وكنوزهم بالجبل .. كتب فتحى غانم قصة مهمة عن الجرنة .. وفى حوار لى فى مارس ١٩٧٤ مع الحاج سيد أحد سكان الجبل .. كان اعتراضه المعلن أن حسن (بك) أراد لنا أن نعيش تحت القباب ونحن أحياء .. ان موتانا فقط هم الذين يعيشون تحت القباب .. لقد أراد لنا حسن (بك)

أن نعيش في الوادي الرطب والحار ولكن الجبل هو مصدر رزقنا والمكان الملائم لسكنانا .

أثمرت التجربة عن المدرسة المعمارية لحسن فتحي ، المحلية العالمية ، وفشلت في اقناع أهالي الجرنة بالمعيشة بها . كانت نقطة انطلاق حقيقية ومؤثرة لحسن فتحي بالرغم من هذا الرفض من السكان المتعلق أساسا بأسباب ليس لها علاقة بالتجربة المعمارية البحتة .. وحدث نفس الشيء في تجربة الواحات وهي قرية كبيرة من المباني شديدة الجمال المعماري ولكنها أيضا غير مسكونة .

لقد استطاعت هذه المدرسة من خلال محاولات طويلة للبناء للفقراء .. تأسيس نوع جديد قديم من المباني المعمارية الجميلة الصالحة للمثقفين وللأغنياء الراغبين في التمييز الحضاري .. وبنى الفقراء في القرى والمدن الصغيرة بيوتهم بالخرسانة المسلحة الكثيبة وبدأ بعض الأغنياء الاستفادة من العناصر الجديدة التي أعيد اكتشافها والنسب الجمالية الخاصة جدا بعمارة حسن فتحي في بناء قصورهم الريفية ومنازلهم أعلى أسطح بعض عمارات القاهرة .

لقد بث حسن فتحي الحياة في كثير من عناصر العمارة الاسلامية المرتبطة بالمدن أي الحضرية .. فاستعمل الكثير من عناصرها المقعد والحوش ، وأصبحت هذه الطريقة نمطا جديدا من العمارة أقدم عليها بعض الأغنياء المرتبطين بالتراث القديم أو بعض المثقفين المدركين للحيوية المطلوبة داخل الفراغ الداخلي حيث يمثل الفراغ الداخلي للمبنى امتدادا لعضوية جسم

المسجد .. نموذج معماري شيد عام ١٩٦٨



حسن فتحى
شيخ البنائين !

إتساع الفناء .. سمة للعمارة الحديثة عند حسن فتحى



الانسان ان تحويل الاثاث الى جزء متكامل من العمارة عنصر ينتمى لنا استعمله حسن فتحى وكذلك استعمال المستويات المرتبطة بوظيفة الفراغ وخصوصيته المرتبطة بالانسان المستغل لهذا الفراغ ·

ان حمام حسن فتحى هو نفس حمام قصورنا وبيوتنا القديمة المضاء من السقف والمحتوى على المغطس ·

لقد قطع حسن فتحى رحلة طويلة فى محاولة لاعادة بناء أجزاء من الماضى ·· رافضا تماما وبحدة خامة الخرسانة المسلحة والحديد ·· وقد وصل الى حلول كثيرة لاستخدام الاسقف المقبية والعقود الحاملة ·· وصل الى نسب وجماليات للمبنى من الخارج والداخل والى فراغات انسانية وعضوية تماما ·

لكن كيف نبنى فى المدن ، ان ذلك بحث اخر قد يستطيع الباحثون فيه الاستفادة من جماليات وفراغات العمارة الاسلامية فى تطوير المبانى الخرسانية لمبانى المدينة · لقد استوعب الغربيون مثل المعمارى كوربيوزيه مثلا فكرة الميزانين فى الربوع العربية وعلينا حتى يكون النجاح كاملا أن نعيد رسم التاريخ على خريطة الواقع الفعلى بخاماته واقتصادياته الحقيقية ·

المطلوب الان معادلات جديدة لتوائم ظروف جديدة أشد صعوبة وأكثر تعقيدا ·· نستطيع من خلالها ربط تراثنا بواقعنا ·

ملاحظات لابد منها حول معـــرض الكتـــــاب



لاشك أن ماجرى على أرض معرض الكتاب هذا العام كان دفعة قوية للأمام، إن يكن فى مجالى النشاطين الثقافى والفنى المتوازيين، أو بالنسبة لاتساع رقعة المشاركين من الناشرين العرب والأجانب ..

ولابد قبل أى شىء من أن نعمل التهنئة للدكتور سمير سرحان على ماجاء عليه تنظيم المعرض هذا العام، فقد كان ولاشك أفضل من العام السابق بكثير، كما تلاشت كثير من السلبيات التى تحققت بنظافة السرايات وخلوها من الغبار الكثيف الذى كان يدفع الزائرين فى الأعوام الماضية إلى الهرب من المعرض ..

ومع ذلك كله . (ويصبح من المحال أن نعدد ماجرى من نشاطات ثقافية كتبت عنها كل المجلات والصحف المصرية والعربية) تبقى هناك عدة ملاحظات نعتقد بضرورة عرضها من باب الحرص على هذا المعرض العريض، وعملا على تجديد شبابه بالأفكار الجديدة ..

الملاحظة الأولى : تتعلق بعدد الناشرين العرب المشاركين فى المعرض هذا العام ..

فلاشك أن عدد الدول العربية (أى الأجنحة الرسمية التى تكتظ عادة بالمطبوعات الدعائية أو شبه الدعائية) ، كان أكبر من العام الماضى بحكم عودة العلاقات الرسمية بين مصر والبلدان العربية، لكن لوحظ تقلص عدد الناشرين اللبنانين الذين اعتادوا الاشتراك فى الأعوام الماضية، والشكوى التى سمعناها منهم تتعلق أساسا بالبيروقراطية التى تتسبب فى عدم وصول الكتب فى المواعيد الضرورية مع إفتتاح المعرض، وارتفاع قيمة التخليص والجمارك وأسعار الأجنحة الأمر الذى اشتكى منه جميع المشاركين، والزائرين دون إشتراك من الناشريين ..

ولربما كان توجيه الاتهام لادارة المعرض بالهيئة فيه بعض الإجحاف، لأن الجمارك وإجراءات التخليص أمور تتعلق بالسياسات العامة التى تنطبق على الهيئة كما تنطبق على الجميع .. وهنا لابد من التأكيد على ضرورة إعادة النظر فيما يتعلق بفرض جمارك على الكتب، الأمر الذى لم يحدث طوال تاريخ مصر الحديث إلا فى العام الماضى ..

الملاحظة الثانية : تتعلق ببحث أمر وجود كتب المغرب العربي (المغرب ، الجزائر ، تونس .. الخ) الذى اثير حوله لغو كثير قبل المعرض ، فإذا بنا نفاجأ باقل من القليل الذى كنا نتوقعه ، خاصة وأن انتاج الكتب فى هذه البلدان قد نشط جدا فى الأعوام الماضية ، وكذلك الأمر بالنسبة للكتاب الخليجي بوجه عام بالاضافة إلى الكتاب السورى واليمنى ، وهناك نشاط هائل فى سوريا بهذا الخصوص ، وكذلك هناك نشاط ملحوظ فى مجال النشر فى اليمن الشقيق علينا ان نعرفه ونتابعه بحكم المسئولية الملقاة على عاتقنا ..

الملاحظة الثالثة : تتعلق بعدد المدعويين من الكتاب والأدباء فى ندوات المعرض ، فليس من المعقول أن يكون عدد المشاركين فى ندوة خصصت لها ساعة ونصف الساعة من الوقت اكثر من ١٥ متكلما ، وهنا يمكن أن تكون الحجة هى كثرة عدد الكتاب ، والرغبة فى عدم إغضابهم ، لكن المشكلة فى تقديرنا ستظل قائمة مادامت هناك أسماء عديدة مقررة على المشاهدين كل عام ، بالأضافة إلى أن التقسيم النوعى لموضوعات الندوات هو الذى يضع الهيئة فى هذا المأزق ، وفى تقديرنا انه بالأمكان تجاوز هذه المشكلة لو كان هناك موضوع واحد أساسى يشمل جميع الجلسات تشارك فيه وجوه جديدة كل عام من المختصين فى هذا الموضوع كما يحدث فى المؤتمرات النوعية ..

بالأضافة إلى أنه يمكن أن تتوزع مسألة إدارة الجلسات على عدد اكبر من المشاركين بدلا من أن نرى وجها واحدا يتكرر فى عدة جلسات الأمر الذى أصابنا بالملل فى كثير من الحالات ..

نعود فنقول أن هناك خطوات إلى الأمام تحققت هذا العام ولاشك ، لكننا نجد واجبا علينا أن نعرض بعض المشكلات القائمة من اجل مزيد من التقدم ..

فتحي سعيد . ومدحت عاصم وداعا ..



فتحي سعيد — مدحت عاصم

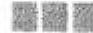
إن كانت وفاة الموسيقار والكاتب المخلص المتميز مدحت عاصم قد حزت فى قلوبنا كما يحدث عند وفاة عزيز اعتدنا وجوده بيننا ، فإن وفاة الشاعر النبيل فتحى سعيد حملت فى طياتها مفاجأة ، لا فقط لاصدقائه وزملائه الأدباء والشعراء والكتاب ، بل ، وأيضا لقرائه وعشاق كلمته

التى تميزت بروح من الاخلاص والدفء وحب الوطن ، طوال حياته ..

مدحت عاصم كان واحدا من فنانينا الشاملين ، لم يتوقف نشاطه عند التلحين الموسيقى الذى بدأه وهو فى سن الرابعة عشرة ، ولم يتوقف عنه حتى الشهر الأخير من عمره الذى ناهز التاسعة والسبعين ، بل مارس الكتابة ، كما مارس قيادة مواقع فنية وثقافية عديدة ، وفى كل موقع كان الأساس عنده : الأمانة ، فالاتقان ، ثم الاخلاص من أجل الهدف العام ..

وشاعرنا فتحى سعيد الذى كان واحدا من ظرفاء عصرنا وإنه وإن مارس كتابة المقالة ، كما مارس رئاسة تحرير مجلة الشعر ، وعدد آخر من المهام القيادية إلا انه كان يرى فى كونه شاعرا أهم ما مارس فى حياته ، عن الشعر كان كلامه يتدفق دائما ممتلئا بالفخر ، وبالشعر كان حديثه فى جلساته التى كان يجب أن يخلو فيها إلى اصدقائه كواحد من عظماء « الندماء » الذين ينقرضون فى عصرنا ، من عالمنا العربى الذى كان « نديم » الجلسة الاخوانية أحد مظاهره الثقافية المتميزة ..

رحم الله مدحت عاصم فنانا مخلصا وجادا ، ورحم الله فتحى سعيد شاعرا وصديقا عزيزا افتقدناه وسنظل نحس بفقدانه طوال العمر ..



قصص عربية

زمن الحصـــار ..

تاليف : محمود العزب



محمود العزب ، قاص يعشق الحرية ويتوق إلى عالم تسوده البهجة والعدالة والرخاء والحب والامان . هامس النبرة ، لايبوح بل يضمر ولا يكتب وإنما يشدو بترنيمة عن الغربة والاغتراب ، شاديا للإنسان والطبيعة والجمال ، والغربة هنا ليست غربة البدن والمكان فقط إنها غربة الوجدان والشعور والنفس بكاملها .

وتأخذ معاناته ثلاثة أشكال : اغتراب مكاني باطني (حصار ، محاكمة ، الصمت يتطاير في الدفق ، سحب الجدار الخامس) والشكل الأسطوري المعبق بروائح الماضي الفرعونية (صوت النهر) والشكل الكاريكاتوري الاجتماعي الساخر (زائر الميدان) ويربط بين «الاناء و «الهو» في القصص الأربع الأولى وبين الذات الفردية والذات الجماعية في (محاكمة ، زائر الميدان ، صوت النهر) . وبين غربة الداخل واغتراب الخارج يمضي القاص مؤرقا ، معذبا ، أسيانا : بكفاحه في سبيل حياة كريمة ، بحصاره الشعوري والنفسي والاجتماعي الذي يرزح تحت عبئه باحثا عن عالم ينتفي فيه الظلم والهوان واللامبالاة والاستغلال والفردية البغيضة عن «عودة الأيام الخضر لعيون الصبايا» طارحا أسئلته :

الفاعل ضمير غائب لم غاب ، متى يحضر؟ ص ٦٤

غرقة أم غربة ؟ ما الفرق ؟

أبوالهول يتحسس انفه المجدوع يتجول في ميدان التحرير ويحاول أن يسأل ويحتج على مالحقه من إهمال فيوئد السؤال ؟

وتدور قصصه الأربع الأولى (حصار ، محاكمة ، الصمت ، سحب الجدار الخامس) في حجرة بمدرسة على حافة الصحراء يحيطها الصمت والخلاء حيث يعيش احد المدرسين مع بضعة من زملائه يتبادلون كلمات قليلة ويغرقون في جو من الوحشة والحنين والعزلة وحسية التناول ومحاولة ملامسة الأشياء بالفعل او بالشعور تجعل الأشياء تثقله وتنفيه (المكان ، المنضدة ، النافذة إلخ) تنكره ، تتحلق حوله وتسجنه (حصار) تضغطه وتسحقه (سقوط الجدار الخامس) تعريه وتسخر منه (محاكمة) ، تعتقله وتثقل كاهله (الصمت يتطاير في الأفق) .

اشخاص محمود العزب ليسوا من لحم ودم بل هي «روحية ونفسية» توشك ان تكون اطيافا وقصصه الخمس الأولى (حصار ، محاكمة ، الصمت يتطاير في الأفق ، صوت النهر ، سحب الجدار الخامس) ذات منحى تعبيري و[لغة التعبير هي لغة تحمل قيمتها في نفسها وتحاول أن تحمل اشواق اصحابها وصراخهم واحتجاجهم وغضبهم إلى الأخوة البشرية والمجتمع الإنساني نقلا حيا مباشرا ولذلك نجدها تجمع بين الشعر والنثر وتستخدم الديالوج والمنولوج وتتارجح بين الحلم والواقع وتلجأ إلى طريقة المشاهد والمواقف واللوحات المتتابعة التي تساير التجربة ولاتلتزم بالبناء الدرامي التقليدي وتتأثر بأسلوب الفيلم .

تتابع المواقف والأزمنة ، تتناوب الحضور وتمتزج ببعضها والكاتب يستبدل الذكريات والتخيلات بما هو حس وما هو حسي بما هو معنوي عبر تداعياته والحوار عنده من طرف واحد (صوت بلا صدى ..

انها العزلة) عبر جو الحلم والموسيقى اللغوى والأوراق القديمة والصور والتأملات والنجوى .

ولب التجربة عند الكاتب هى المرئيات والصوتيات والمحسوسات والصورة القصصية عنده قوامها الحس البصرى القوى والغنائية والملاحظة القوية وعلاقته بالطبيعة هى علاقة شغف وافتتان ينعطف إليها ويمتزج بموجوداتها (كالقمر ، الصمت ، الفراغ ، الضوء ، الجماد ، الطير ، الحيوان) فهى متنفسه وملاذه ، تشخص مايمور فى ذهنه وما يعتمل فى اعماقه يجد فيها حريته وسعادته وسلواه والرمز عنده شفاف ومشع إلى أقصى الحدود (فالمرآة والنافذة والثقب والضوء) نافذة على النفس والعالم وأحيانا يمزج الرمز بالاسطورة كما فى صوت النهر (اسطورة أخيل واسطورة ايزيس) : الخصوبة والمعاناة .

ولا تخلو زمن الحصان من لمسة السخرية : هل السعى نظام البريد من نظام الدول (سحب الجدار الخامس) ؟ وابوالهول (زائر الميدان) يود أن يسأل سؤالا محددا راح يشغله فى السنوات الأخيرة .

هل يخاطب به الهواء ؟ !

أنه من النادر أن يطالع المرء مجموعة قصصية بانشراح وابتهاج كهذه المجموعة لغة هى ندى الصباح وطزاجة تشهيك وجمال يغمرك فإذا انت فى قلب هذا العالم البهيج مسحورا مبهورا ..

مصطفى كامل سعد

« أهلا يابكوات »
عودة مسرح الأفكار



ما أكثر مايثيره عرض مسرحية « اهلا يابكوات » الذى يقدمه المسرح القومى حاليا ، من تأليف لينين الرملى واخراج عصام السيد ، من قضايا هامة وحيوية ، أولها : عن علاقة مسرح الدولة بالمسرح التجارى ، وماهية مايقدم فى كل منهما ، وثانيها : عن الوقوف الحتمى ضد دعاة التخلف والرجوع الى الوراء ، وهى القضية التى طرحها والح عليها العرض فى جمله وتعبيراته المباشرة والشكلية والموضوعية ..

القضية الأولى مطروحة بشدة حاليا ، إذ تشهد الساحة المسرحية تحولات جذرية فى مفهوم وبنية مسرح الدولة والمسرح التجارى ، وقد دأب المتابعون دائما على وصم مسرح القطاع الخاص

الهلال
تنصريات

بانه يجرى وراء الربح بمختلف الوسائل ، حتى تبدد أى امل فى اصلاح هذا المسرح ، بعد ان تحولت خشباته إلى مباذل الملاهى والكباريهات ، وتمتلىء جنباته بضحكات يثيرها فى الغالب كم الافيهات الفاحشة والحركات المبالغ فيها ..

وتحول مسرح الدولة لكى يجارى المسرح الهابط ، فنجح مرة ، وفشل عدة مرات ، واخذ سدنة الروتين يبحثون عن الوسيلة الفعالة لكى يغيروا من سياسات ومبادىء قامت عليها كل هذه المسارح ، حتى اضاعوا كل مايملكون ..

ولندع الآن هذا وننطلق إلى عرضنا ، الذى يطرح - بالمصادفة - قضية التخلف عن ركب الحضارة :

نحن أمام تيمة قديمة براقة عن رحلة فى الزمن يقوم بها عالم ومدرس تاريخ إلى الماضى ، وإلى ماقبل دخول الحملة الفرنسية مصر بسنوات ، ليناقش العرض هذه القضية من منطلق الازدواجية التى نمارسها فى حياتنا - نحن العرب أو المصريين - فنعيش الماضى الجاثم بموروثاته ، فى قلب الحاضر بمنجزات العالم الأول المستجلبة ، ومن استجلاب هذه المقدمة يأخذنا العرض ببطليه المعاصرين ، الى عهد المماليك والبكوات ليؤكد لنا مدى الغياب الذى نعيشه ونحن مازلنا نتمسك بقيم بالية ، بعد ان يرصد لنا صور التخلف ، فنراها من مرآة الحاضر ، بكل ابعادها واشكالها واساليبها .

العالم : موصوم من البداية بنزوله بقيم المدنية الى منطلقات نفعية ، ويقدم النموذج المعتاد الذى نلقاه دائما فى وطننا ، الآخذ من الحضارة الغربية منجزاتها المادية فقط ..

مدرس التاريخ : المثالى النزعة ، الباحث عن الحقيقة والذى يريد ان يغير مجتمعه من اجل دفعه الى الأمام لكى يلحق بركب الحضارة ، فينبه ويحذر وينتقد السلبيات ، وذلك من اجل حاضر متقدم ..

ويختار لينين الرملى من الماضى ، كل سوءاته وكل مافيه من تخلف عقلى وخواء روحى ، لكى يمنطق فكرته التى تلح وتكرر : إننا مازلنا نعيش اسر الماضى ، بنفس الأفكار ، وبنفس طرق التفكير ..

ودع عنك كل الأحداث الدرامية ، فهذا عمل تنظيرى بحت ، أو هو مسرح افكار ، صراع بين رؤى مختلفة من اجل الوصول إلى الحقيقة ، وصنعة الدراما ليست عسيرة على مؤلفنا الذى شبع من الخوض فى معتركاتها ، ولذا فهو يرمى ببطليه فى اتون الماضى المعلوم للكافة ..

وقد تختلف مع بعض الأطروحات الفكرية أن شئت ، فهناك كم كبير منها ، ولكنك لايمكن ان تقبل كل هذا فى عمل واحد ، يرهقك ويعذبك ، والحديث عن فقدان الهوية والتخلف والردة الفكرية التى يعيشها الحاضر ، حديث جد ممتع ،

ولكن من أى منطلق يمكن ان نتحدث .. ان الحديث الذى يجب ان يعيه مجتمعنا النامى لايمكن أن يجور على خصوصية الشخصية وهويتها وقناعتها بالاستقلال والنضال ..

هذه معان لم نجدها فى العرض الذى لم يتحدث الا عن القيم المجردة حول التعلق بركب الحضارة ، أو هى معان لم ندركها من فرط الاجهاد الذهنى الذى يصيبنا ، من فرض الكلمات المتلاحقة ..

وقد جاء اخراج عصام السيد لهذا النص الفكرى ترسيخا لاسلوبه المعتاد فى تحريكه الممثلين بطريقة لاهثة ومجهدة ، تخلق بدورها صراعا من جراء عنفوانها وسرعتها ، واستخدامه التعبيرات الأدائية المختلفة من فنون التمثيل والصياغة الموسيقية والشريط الصوتى الموازى .. والمعادل المرئى التشكيلى للمعنى ، ومحاولاته المستمدة من الفنون الارتجالية المضحكة ..

اسوأ مافى العرض هو هذا الديكور الذى صممه عبد المنعم كرار بأسلوب الكلفتة التى لاتليق بالمسرح القومى ..

عزت العلايلى ، رغم احادية الدور ، وعدم التباين فى مواقفه ، والنغمة الواحدة المتكررة ، إلا انه طاقة كبيرة نفتقدها دائما على خشبة المسرح حسين فهمى مختلف عما عرف عنه فى ادواره السينمائية ، هو يجتهد ويبذل جهده من اجل الانتصار على هذا البيت الجديد الغريب الذى يقف فيه لأول مرة . مخلص البحيرى ، اداء متمكن يثبت تفوقه واجادته خليل مرسى هو الغول الذى يبتلع كل شيء حوله ولا يبقى الا هو ، السيد خطاب ، فاتن انور ، اداء نمطى ليس فيه جديد ، مصطفى طلبه ..

هذا عرض افكار جميلة جلب لنا كل هذه الآراء وطرح لنا كل هذه القضايا ، فما الذى بقى للعروض القادمة ؟ ! ..

محمد الشربينى

فى الذكرى المئوية لميلاد عبد الرحمن الرافعى مؤرخ مصر الحديثة



مما لاشك فيه ان المؤرخ عبد الرحمن الرافعى يقف فى طليعة المؤرخين الأفذاذ الذين ارخوا للحركة الوطنية المصرية ، ويتفرد منهجه فى كتابته التاريخية بسمات بارزة ، يجب ان نضعها فى اعتبارنا عند الحكم عليه وعلى كتابته ، إذ ان المنهج التاريخى ليس فقط الوسيلة التى ينتهجها المؤرخ فى كتابته ، دائما هى رؤيته للتاريخ وموقفه من الاشخاص والأحداث والمواقف التى يؤرخ لها ، وان دراسة

الهلال تنشر

حياة عبد الرحمن الرافعي واعماله تكشف بجلاء عن المزايا والمواهب التي تفرد بها ولم تتوافر الا في الأقلين ممن يظهرون على اطراف السنين ، وان عرض جهوده واعماله وتراثه في الذكرى المئوية لمولده ، واجب يقتضيه تاريخ مصر الحديث ..

لقد عاش الرافعي حياة ثرية خصبة منذ ان ولد في ٨ فبراير سنة ١٨٨٩ في بيت قديم بعطفة « ابو داود » في شارع درب الحصر بقسم الخليفة بالقاهرة الى ان توفي ٤ ديسمبر سنة ١٩٦٦ ، ولانه اراد ان تكون حياته ذات مغزى في مساهمته في الحركة الوطنية فكرا وعملا ، شارك في صنع التاريخ وكتابته ولعل هذا ماعناه بقوله « وعيت ثلاثة ارباع قرن من حياتي اكتشفت فيها ان وطنيتنا في فترات كثيرة كانت محل شك وجدل .. ومجتمعنا كان مفتتا كقطع الة مفككة .. وكانت ثقافتنا عديمة اللون والأصالة والاتجاه .. واخلاقنا تحترق بنار الضياع والانحلال .. ووجدت في التاريخ علاجا لكل هذه النقائص .. اردت ان اجعل من التاريخ مدرسة يدرس فيها اساتذة ماتوا عبر الماضي للأجيال التي تعيش .. ومن هنا كانت مشاركته بجهده الضخم في كتابه تاريخ مصر الحديث في سلسلة مجلداته تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم ، ويشتمل هذا التاريخ على الحملة الفرنسية في جزءين ، وعصر محمد على في جزء ، وعصر اسماعيل في جزءين ، ثم الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي ، ثم أرّخ للفترة التي اعقبت الاحتلال بثلاثة مجلدات وهي مصر والسودان في اوائل الاحتلال ومصطفى كامل ومحمد فريد ، وافرد لثورة ١٩١٩ إلى سنة ١٩٥١ ستة مجلدات غطت هذه الفترة ، وخصص لثورة ٢٣ يوليو مجلدين الأول تناول فيه مقدمات الثورة ، والثاني تناول فيه تاريخ مصر القومي في سبع سنوات (١٩٥٢ - ١٩٥٩) .. ثم عاود الكتابة مرة اخرى فاصدر كتابه تاريخ الحركة القومية في مصر القديمة من فجر التاريخ الى الفتح العربي سنة ١٩٦٣ وترك من تراثه مخطوطا يتناول « مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي حتى الغزو العثماني - حققه واصدره الاستاذ سعيد عبد الفتاح عاشور في طبعته الأولى سنة ١٩٧٠ .. والرافعي بهذا الجهد الضخم كان له قبل السبق في التأريخ للحركة الوطنية ، حيث اصدر اولى حلقات هذه السلسلة في سنة ١٩٢٩ بعد ان انتهى من تدوين مذكراته المخطوطة عن تاريخ مصر سنة ١٩١٤ .. وقد اتسمت كتابته عن الحركة الوطنية المصرية بالطابع القومي الذي يستهدف تحقيق الاستقلال والدستور معا في وقت فقدت فيه مصر بالاحتلال البريطاني من ناحية الواقع مقوماتها كدولة ذات استقلال داخلي ، واندمجت في ضميرها الجماعي الحركة الدستورية في الحركة الاستقلالية ، وكان جهده يمثل محاولة من المحاولات الناجحة

والمبكرة والعنيدة الى تاكيد الشخصية المصرية ، وفكرة القومية المصرية كرد فعل مقاوم للاحتلال والاستبداد بعد نكسة الثورة العرابية والاحتلال البريطاني وفي ظل مصطفى كامل وبعثه الوطني لروح مصر من الحزب الوطني والرافعي من اشد المقربين الى زعيميه مصطفى كامل ومحمد فريد ، بل ان كتابته لتاريخ الحركة القومية انبثقت من محاولته كتابة سيرة مصطفى كامل والتأصيل التاريخي للنضال الوطني ..

ويكتب الرافعي تاريخ مصر القومي الحديث على اساس ان التاريخ لايستكمل مداه الا اذا كان مدروسا ومعروضا على ضوء الحركة القومية فهي اساس وجودها ومبعث نهوضها وتطورها .. وتتجه عنايته الى التاريخ في كتابته بشمول للتاريخ الكامل على حد تعبيره يشمل النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية ..

فالسياسة ترتبط لذلك بالاقتصاد .. والاقتصاد يرتبط بالمجتمع .. وهو لذلك حلقات متكاملة لايجوز للمؤرخ ان يغفل احداها واتجاهه الى التاريخ لمصر الحديثة على اساس فكرة القومية هو اتجاه غير مسبوق في اتجاهات المؤرخين السابقين عليه ، وان كان هذا الاتجاه وجد من يتبعه من المؤرخين اللاحقين عليه ..

وانصرف مؤرخ مصر الحديثة الى تحمل مسئوليته كاملة في هذا الاتجاه ، فزود المكتبة التاريخية باكثر من ثلاثين كتابا تدور كلها حول التاريخ والاقتصاد والادب والنظم السياسية ، فكتب حقوق الشعب والتعاون الزراعي وشعراء الوطنية ، عدا التراث الضخم من المقالات المنشورة في الجرائد والمجلات المختلفة .

عمرو عبد المنعم حموده

• مكتبة الهلال .

الكتاب : تنظم المعلومات في المنظمات المعاصرة
تأليف : د . محمد الهادي

الناشر : دار الشروق
٤٤٤ ص ٧ ج م
السؤال الذي يطرحه هذا الكتاب هو كيف يمكن تهيئة المناخ والبيئة .



الملائمة لانشاء نظم وقواعد وشبكات المعلومات التى أصبحت تؤدى دورا جوهريا وهاما فى اداء الأعمال وادارة المنظمات بفعالية وكفاءة ، وزيادة فاعليتها وقدراتها حتى تستخدم للصالح العام ..

هذا الكتاب إذن يدعو ، وبشكل علمى متعمق ، إلى تطوير الادارة فى مجال تنمية المجتمع المصرى لمجابهة تحديات المستقبل ، حيث يرى المؤلف أن تحقيق ذلك يتطلب مراعاة الثورة الصامتة غير المرئية التى تحدث فى مجال المعلومات وتأثيرها المتزايد على النمو الاقتصادى والتنمية الاجتماعية والاقتصادية والروحية المؤثرة على حياة المواطنين بصفة عامة ، كما يرى أن الكيفية التى تتداول بها المعلومات فى اى دولة تقرر إلى حد كبير جودة العمل والقرارات المتخذة ..

إن « المعلومات قوة » هذه حقيقة كانت ولازالت حكمة الأمم خلال التاريخ ، والآن ، كما يقول الكاتب ، أصبحت واقعا ملموسا ، حيث ينظر إلى المعلومات كمورد من موارد الإنتاج ، فصناعة المعلومات أصبحت الآن ثورة كاملة تتراءى للبشرية ..



الكتاب : لمن أبيع العمر
شعر : فاروق جويدة
الناشر : مكتبة غريب
١٢٠ ص ، ٢ ج . م

هذا هو الديوان الحادى عشر للشاعر الرومانسى الرقيق فاروق جويدة ويحمل رقم ١٦ فى سلسلة كتبه المتنوعة مابين المسرحية الشعرية ، وأدب الرحلات ، والدراسات المتنوعة .

فى هذا الديوان يبدو فاروق جويدة وقد تنوعت أدواته ، فأبحر فى أراض أخرى ، وعوالم مختلفة تنبىء بدخوله فى مرحلة جديدة أكثر نضجا ، إن يكن من زاوية اهتماماته العامة التى اخذت ابعادا اكثر شغفا بقضايا الوطن أو فى مشاعره التى بدأت تتبين قسمات انسانية اكثر عمقا فى العلاقة الأزلية بين الحبيب والمحبوب .

لاشك أن الموضوع المفضل للشاعر ، هنا كما كان فى أعماله السابقة هو هذه العلاقة الخالدة ، لكنه هنا يغزل منه خيطا رفيعا يربطها بالحب الاكبر ، حب الوطن .

وتقف قصيدة « بعض العشق يكون الموت » .. التى يهديها إلى سناء محيدلى شهيدة الجنوب اللبنانى شاهدا على هذا التوجه حيث يقول :

كانت تعلم .
أن الموت ضريبة عشق للأوطان

ان الحب سيصبح يوما اجمل وشم للاكفان .



الكتاب : هنرى كورييل ضد الحركة الشيوعية العربية فى القضية الفلسطينية
تاليف : ابراهيم فتحى
الناشر : النديم للصحافة
١١٢ ص ، ٣ ج . م

لاشك أن هذا الكتاب سيثير كثيرا من الجدل حوله ، ليس فقط لانه معارضة صريحة لمن اسماهم حزب هنرى كورييل من اليساريين المصريين ، بل وأيضا للهجته اللاذعة التى تضرب فى اتجاه محدد بقوة ، وابراهيم فتحى يقدم من خلال استعراضه لأراء هنرى كورييل وصحبه خاصة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية ، ويوثق مواقف كورييل التى يراها كانت وبشكل صريح ضد القضية الفلسطينية ، وبالتالى ضد الحركة اليسارية العربية كما يتصور مواقفها الكاتب .

وليس من شك فى أن زاوية النظر الخاصة التى ينظر منها الكاتب هنا لموضوعه والأحداث التى جرت فى الفترة التى يتناولها تأتى من خلال قراءة وتحليل حادين لاذعين سيجعل الكثيرين يختلفون اختلافا كبيرا حول مايقول .

الكتاب : سنوات الدم
تجربة الثورة الجزائرية
تاليف : فايزه سعد
الناشر : مكتبة روز اليوسف
٢٧٣ ص ، ٦ ج . م

يعد هذا واحدا من الكتب الوثائقية النادرة التى تصدر وهى تعتمد على الوقائع والأحداث المستندة الى اوراق ووثائق معتمدة ، تحكى فيه المؤلفة برشاقة أسلوبها المعهودة ماجرى من أحداث تخص الثورة الجزائرية فى نضالها من اجل طرد المستعمر الفرنسى ، ونضالها من اجل تعريب الوطن الذى عمل المستعمر على فرنسته ، بالأضافة الى علاقة الكفاح المشتركة ، والمساندة البناءة التى قدمتها البلدان العربية وخاصة مصر للثورة الجزائرية ..

يضم الكتاب بين دفتيه مجموعة ضخمة من الصور ، والوثائق التى تعد سندا لهذا البحث ، واى بحث جديد قد لا يتوفر لصاحبه الأطلاع عليها كما توفر للكاتبة ..



عناق الأدب والسينما

بقلم:
رأفت الخياط

منذ نحو ثمانين عاما ، والسينما فى بداياتها الاولى، واجهت قاعات العروض السينمائية .. برودة فراغ مقاعدها من المتفرجين، وخيم شبح الموت على الصناعة الوليدة ولكى تخرج السينما من ازمتها ، كان لابد من البحث عن مواطن العلة وطرق العلاج ، وادرك العاملون فى الحقل السينمائى الوليد ـ فى ذلك الوقت ـ ان العلة فى الموضوع ، ولذلك اتجهوا الى اقتباس اعمال الروائيين الكبار امثال هيجو وراسين وزولا وبلزاك وغيرهم، لكى ينقلوا السينما من ازمتها. وربما كانت هذه الخطوة ـ آنذاك ـ هى اول عناق فنى بين الاعمال الادبية والسينما العالمية .

● اما فى مصر .. فالامر كان مختلفا بصورة او باخرى ، فقد اقتربت السينما المصرية فى بداياتها الاولى من الادب .. حين اتجه المخرج محمد كريم فى الثلاثينيات الى قصة « زينب » للدكتور هيكل ، ثم لحقته بهيجة حافظ بانتاج « شجرة الدر » لجرجى زيدان .. وبعد ذلك بنحو عشر سنوات ، اختار محمد كريم مسرحية « رصاصة فى القلب » لتوفيق الحكيم فى فيلم حمل نفس العنوان ، بطولة محمد عبد الوهاب .

وتوالت بعد ذلك عمليات انتاج افلام سينمائية ، تعتمد على اعمال روائية لمحمد عبد الحليم عبد الله وباكثير وطه حسين ويوسف السباعى (حسب الترتيب الزمنى للانتاج) .. والطريف ان نجيب محفوظ ، الذى بدا يتالق كروائى فى تلك الفترة .. لم تلتفت السينما لواحد من اعماله الروائية ، بينما التفت اليه المخرج صلاح ابو سيف مثلا ، ليستثمر مواهبه الابداعية فى كتابة السيناريو لافلام مثل « ريا وسكينة » اعتمادا



حسن الامام



محمد كريم



احسان عبدالقدوس

على وقائع الحادثة التاريخيــة المشهورة ، وليس من خلال عمـل ادبي !!

ولعل نجيب محفوظ هو الــروائي الوحيد الذى قدم للسينما اعمـالا ادبية واعمالا اخرى ليست مـكتوبة فى نصوص ادبية !

وفي منتصف الخمسينيات ، بـدات السينما المصرية تتجه بثقل متـوازن الى اعمال احسان عبد القدوس،وكانت البداية ايضا مع المخرج صـلاح ابو سيف ، الذى التفت بعد فترة الى ادب نجيب محفوظ ، لكى يقدم روايتيه « القاهرة ٣٠ » و « بداية ونهـاية » فى اعمال سينمائية ، والفيلمـان من اكثر الاعمال السينمائية التصـاقا بادب نجيب محفوظ قيمة وعمقا ٠

والتقط حسن الامام الخيط ، وبـدا يغترف بغزارة اشهر الاعمال الروائية لنجيب محفـوظ ، ومن ابرزهـا « الثلاثية » اخرجها الامام فى ثـلاثة افلام انتجها القطاع العام (هيئـة السينما ـ فيلمنتاج) ٠

وفي الخمسينيات بدات اعمال كبار الروائيين مثـل : حقي وادريس والشرقاوى وغراب وغانم والسحار ومصطفى محمود تغزو الانتـاج السينمائي (عام وخاص) ، كما بزغ الى جوارهم اعمال مجمـوعة من الروائيين الشبان الواعدين فى ذلك الوقت مثل مجيد طوبيا وصالح مرسي واحمد عبد الوهاب ورأفت الميهى ٠٠ صاحب فكرة سينما المخرج فى مصر ٠

وخلاصة القول بعد هذه المقدمة ، ان السينما المصرية ، وان اعتمـدت فى غالبية انتاجها الحـديث ، على الاعمال الادبية لكبار الروائيين ، الا عمليات الاقتباس من الاداب العالميـة وتمصيرها ، ظلت على اشدها ، سواء أخفى المخرج عورة اقتباسه ، او التزم الامانة فى الافصاح عن المصدر الادبى لعمله السينمائي !!

ومن هنا تبرز عدة تساؤلات :

● ما هو حجم استفادة السينما المصرية فى اعتمادها على الاعمـال الادبية ؟

● ما هو تاثير فكر الروائي الاديب على عقلية المخرج ؟

● هل يمكن التسليم بمقولة نجيب محفوظ ان الجمـاهير العريضة لم تعرفه كروائي ، الا بعد ان قـامت السينما بانتاج اعماله الادبية ؟

والمقولة الاخيرة تحفزنا الى طرح سؤال اخر

● كيف وصلت افكار ورؤى نجيب محفوظ وغيره من الروائيين والادباء الى الجمهور ، من خلال الاعمال السينمائية التي عالجت اعمالهم الادبية ؟!

والاجابة على هذه الاسئلة ، تحتاج الى دراسة عميقة متانية ، تمقينا من حرج اصدار احكام عامة ، كما يحلو لبعض الباحثين المتعجلين ، الذين افضت بحوثهم ودراساتهم الى ان ما وصل الجماهير العريضة من فكر الروائيين والادباء ، هو القرب الى الفتات ، الذى يتبقى على موائد كانت عامرة بالاطباق الدسمة الشهية ، وربما كان اقرب سؤال الى موضوعنا هو :

● هل استثمار الاعمال الروائية الادبية فى افلام سينمائية اخرج السينما المصرية من ازمتها ، كما حدث للسينما العالمية فى بداياتها ؟!

النفى هو الاجابة الامينة على هذا السؤال .. بدليل ان اكثر الافلام رواجا فى فترة ما بعد الستينيات ، والتى ضربت الارقام القياسية فى عدد اسابيع العرض ، بصورة لم تعهدها السينما المصرية من قبل ، بلغت ذروتها فى عام ١٩٨٦ حين تم عرض ٩٥ فيلما فى ذلك العام .. استمر عرض الكثير منها الى اكثر من خمسين اسبوعا ، وهى ظاهرة لم تحدث فى السينما من قبل .. حين كان الرقم القياسى لعدد اسابيع العرض لا يتعدى الاسابيع الخمسة فى الستينيات ، بما فى ذلك الافلام المنتجة لاعمال كبار الروائيين .

والمحزن حقا ان الافلام التى ضربت ارقاما قياسية فى عدد اسابيع العرض كانت جميعها - بلا استثناء - من المستوى الهزيل فكريا مع ضعف المستوى الفنى .. ولم تكن ماخوذة عن اعمال لروائيين او كتاب !!

وربما كان السؤال الاكثر الحاحا من كل ما سبق من اسئلة .. والذى يميط اللثام عن اجابته لمجرد طرحه .. هو :

● ما هو الفيلم الذى اثار قضية من بين هذه الافلام ؟!

لو دققنا النظر بعمق ، والبحث بامانة ، لوجدنا ان هناك قلة قليلة لا تعد على اصابع اليد الواحدة .. نجحت فى اثارة بعض القضايا الفكرية والسياسية ، ولكن .. من خلال اراء النقاد ، وليس من خلال استجابة الجماهير !!

وقد يلم اسرافى فى طرح الاسئلة ، عن رغبة فى الوصول الى نتيجة حتمية متعجلة .. وهذا غير صحيح !

لان حسبى هنا .. ان اطرح واثير، لعل باحثا متخصصا ياخذه الحماس، فيمسك بالخيط ، ويؤكده فى رؤية وتوثيق ، ما عجز السينمائيون عن اثباته او رصده ، دون ان نغفل حقيقة بسيطة ، ان الكلمة هى وحدة التعبير عند الكاتب ، والصورة هى اداة التعبير عند السينمائى ، وقد يكون الخلط ناجما عن قلة حيلة السينمائى فى فهم وتوضيح وتوصيل رؤية الكاتب ، او يكون اختيار النص الادبى .. فى حد ذاته منصبا على اسم الكاتب وذيوع شهرته ، وليس قائما على القضية التى تناولها العمل الادبى الروائى !!

على كل حال .. لقد اثارت هذه

المسألة ، قلق عدد من كبار السينمائيين العالميين ، وهذا في حد ذاته يكشف عن بعد جديد في القضية ، وهو ان المسألة – اصلا – ليست محلية فقط ، ولكنها مسألة عالمية بالدرجة الاولى ، بمعنى ان واحدا من كبار مخرجي السينما المشهور بحرصه الشديد على الاحتفاظ بروح العمل الادبي وجوه العام ، واكد بذلك استحالة تحويل احدى الروايات الادبية الى عمل سينمائي دون ان تفقد شيئا من ذاتها .. هو المخرج الالماني فولكر شلوندروف

فعندما قرر اخراج مسرحية ميللر « وفاة بائع متجول » سينمائيا ، حدد المخرج قراره بمعايير معينة كان قد وضعها من قبل لاعماله السينمائية المأخوذة عن نصوص ادبية ، واحدهذه المعايير .. هو ان للكلمة المنطوقة ، الافضلية في كل اعماله .. واوضح ذلك بقوله حين اجتمع بالمؤلف ارثر ميللر ومجموعة العاملين في الفيلم « لقد حاولنا اخراج النص الادبي المسرحي سينمائيا ، اى النص باكمله ، وليس هناك ما يتعارض مع اخراج النص .. كنص ، واهمال العرض والسرد ، لسبب بسيط .. هو انه ليس هناك اسهل بل ولا اكثر اثارة في نفس الوقت من اظهار صورة مكبرة تملأ الشاشة ، لشخص ما ، يروى شيئا ما ، قد يكون مأخوذا عن حياته !! » .

ومن ناحية اخرى .. يوجز المخرج الايطالي انطونيوني ، علاقته بالعمل الادبي في عبارة قالها : « ان القراءة توحي لي بافكار للافلام .. ولكن الادب وحده لا يكفي »

اما فيلليني ، وهو من الصناع ومبدعي سينما المؤلف ، فيؤكد ان العمل السينمائي لا يتحقق من كتابة السيناريو ، مهما حافظ على احترام الرواية ومؤلفها وتجنب العبث بها ، وانما هناك مخرج له رؤيته الابداعية الخاصة ، التي تجعل من الفيلم ما يشبه اللوحة او السيمفونية » .

وينسف المخرج الايطالي روسيليني بعض نظريات ايزنشتاين .. حين يتهم عنصر « الايهام » بالتزييف ، ومناقضة الواقع ، ويعلن التزامه بوسائله الخاصة والمبتكرة لتجسيد الواقع بكل ما يتضمنه من حيوية متناقضاته وليس عن طريق « الايهام » به !!

يبقى بعد كل هذا .. ان انبه لمسألة في غاية الاهمية والخطورة ، لا تتصل بقدرة المخرج .. اى مخرج .. على احترام النص الادبي والالتزام برؤية المؤلف فحسب ، بل وتتصل بالانفصام الكامل بين موقف المخرج الفكرى او السياسي ، وموقف الروائي الذى اختار المخرج احد اعماله لتحويلها الى عمل سينمائي .. هنا مكمن الخطورة ولا تخرج نتيجتها عن واحد من اثنين :

١ – ان يكون المخرج على درجة قليلة من الثقافة ، فيتعذر عليه فهم افكار الروائي ، وبالتالي تعبث في استلهام ابعاده الجوهرية في عملية « ترجمة » النص من لغة الادب الى لغة السينما !!

٢ – ان يكون للمخرج موقفا فكريا مناقضا لموقف الاديب الروائي الفكرى فالطبيعي في مثل هذه الحالة ، ان يرفض المخرج اخراج عمل لا يتفق مع افكاره ، ولكنه كثيرا ما يضطر امام ضغوط الانتاج ومغريات سلعة التوزيع ، الى الرضوخ .. وبالتالي يصبح العمل الادبي هو الضحية !.. حيث تنتهك افكار الاديب الروائي وسط ضبابيات ومعميات .. تظهرها في مشاهد الفيلم .. متعمدة ومع سبق الاصرار .

يرجع استخدام مصر للطاقة النووية الى عام ١٩٥٤ وتعتبر مصر من أوائل دول العالم التى استخدمت الطاقة النووية فى المجالات الطبية والبحث العلمى ، ومنذ أوائل الستينيات وحتى اليوم هناك جهد كبير للدخول فى واحد من أهم استخدامات الطاقة النووية وهو إنشاء المحطات النووية لتوليد الكهرباء كأحد المصادر الرئيسية لتوفير هذه الطاقة الحيوية لبرامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

بقلم : د . على فهمى الصعيدى

مستقبل الطاقة

● والطاقة النووية هى الطاقة الكامنة فى نواة الذرة ، وتستخدم هذه الطاقة فى إحدى صورتين :

الأولى : فى صورة اشعة منبعثة من نويات الذرات المشعة وهذه الاشعة او المواد المشعة تستخدم فى المجالات الطبية والزراعية والصناعية وغيرها . وقد قطعت مصر فى هذه الاستخدامات شوطا طويلا منذ الخمسينيات بل تعتبر مصر سابقة لدول كثيرة فى بعض المجالات مثل التشعيع فى مركز تكنولوجيا الاشعاع وفيها يتم تعقيم الادوات الطبية والبطاطس والاجهزة التعويضية الداخلية وتشعيع الحاصلات لإطالة عمرها التخزينى وغيرها .

الثانية : فى صورة حرارة ناتجة اما عن تفاعل نووى انشطارى تنشطر فيه نويات الذرات الثقيلة مثل اليورانيوم ـ ٢٣٥ او البلوتونيوم ـ ٢٣٩ الى نويات ذرات اخرى اخف وزنا مع انطلاق طاقة حرارية كبيرة ، واما ناتجة عن تفاعل اندماجى تندمج فيه نويات الذرات الخفيفة مثل الهيدروجين الى نويات اخرى اثقل وزنا مع انطلاق طاقة حرارية كبيرة .

● الأفضل اقتصاديا

ولقد كان وراء الاهتمام بالطاقة النووية كأحد المصادر الرئيسية لانتاج



النووية فى مصر

الكهرباء عدة اعتبارات اساسية اهمها :

ـ حوالى ٨٠٪ من احتمالات الطاقة المائية على النيل قد تم استغلالها فى السد العالى وخزان اسوان واذا امكن استغلال كل الاحتمالات الممكنة للطاقة المائية المتبقية فانها لن تضيف الا القليل .

ـ احتياطيات الفحم فى مصر محدودة ، والتقديرات الحالية للاحتياطى من الفحم تتراوح بين ٢٥ ـ ٥٠ مليون طن وهو لايكفى كمصدر يذكر فى انتاج الكهرباء وعلى ذلك فانه لابد من الاعتماد على الفحم المستورد اذا تم تشغيل محطات فحم لتوليد الكهرباء .

ـ البترول والغاز امكانياتهما محدودة ويمثلان ثروة ناضبة بالاضافة الى ان الاعتماد على البترول لتغطية الزيادة فى انتاج الكهرباء سيكون على حساب مايمكن تصديره وهو مايمثل موردا لتمويل خطط التنمية ، فضلا عن ان الغاز يمكن ترشيد استخدامه فى مجالات اخرى اكثر حتمية وفائدة وكفاءة .

ـ مع ان مصر تمتاز بمعدل عال لسطوع الشمس فان الطاقة الشمسية كتكنولوجيا جديدة مازالت فى مراحل تطويرها الاولى كمصدر للكهرباء وتكاليفها الرأسمالية عالية جدا وغير مجدية اقتصاديا حاليا .

- ان الطاقة النووية قد اثبتت من كل دراسات الجدوى التى تمت فى مصر وغيرها من الدول انها الافضل اقتصاديا من كل المحطات التى تعمل بالبترول او الفحم .

وبالاضافة الى اعتبارات النظرة المستقبلية لمصادر الطاقة المتاحة والتى تشير الى ضرورة الاعتماد على الطاقة النووية فى انتاج الكهرباء فضلا عن ميزات المحطات النووية الاقتصادية ورخص انتاج الكهرباء المنتجة منها مقارنة بمحطات الفحم او البترول او الغاز ، فان هناك اعتبارات اخرى تجعل دخول مصر عصر استخدام الطاقة النووية فى انتاج الكهرباء خيارا لابد منه خدمة لاغراض التنمية بكافة اشكالها ، ومن هذه الاعتبارات .

- ضرورة الدخول فى التكنولوجيا النووية حتى يمكن استيعاب التكنولوجيات النووية المستقبلية ومنها المفاعلات المولدة السريعة والمفاعلات الاندماجية .

- الحد من تلوث البيئة الذى يصاحب محطات الفحم والبترول اذا ما انتشرت على نطاق كبير كبديل للمحطات النووية فى تغطية الاحتياجات الكهربية المتزايدة والمستقبلة .

- الاستفادة من مصادر خام اليورانيوم المحتملة فى مصر والتى اظهرت بشائرها عمليات الكشف والتنقيب .

- تطوير الصناعات المحلية وخبرات البناء والتشييد الوطنية بتغطية المشاركة المحلية فى اقامة وتصنيع المحطات النووية .

- امكانية توفير مخزون استراتيجى من الوقود النووى للمحطات النووية يكفى عدة سنوات تشغيل مما يشكل امانا استراتيجيا لاستمرارية تشغيلها فمحطة نووية بقدرة ١٠٠٠ ميجاوات يحتاج معها الى حوالى ٣٠ طنا فقط وقود نووى سنويا خلافا لمحطة فحم من ذات القدرة فانها تحتاج سنويا الى حوالى ٢ ملايين طن فحم مما يستحيل معه توفير مخزون استراتيجى من الفحم لاكثر من عدة شهور فضلا عن ان المصادر المتاحة للحصول على الفحم مثل استراليا وكندا والصين وشمال اوربا كلها بعيدة عن مصر ومن السهل قطع خطوط مواصلاتها .

● تنويع مصادر الطاقة

كل ذلك يقودنا الى النتيجة المنطقية وهى ضرورة الدخول فى التكنولوجيا النووية لانتاج الكهرباء مع استخدام محطات فحم تحقيقا لهدف تنويع مصادر انتاج الطاقة وتأمين مصادرها .

وفعلا تم التخطيط لتنفيذ برنامج القوى النووى المصرى منذ اوائل الثمانينيات فى ظل اهداف محددة على المستوى الدولى والمستوى المحلى وهذه الاهداف تتمشى مع المتطلبات المتعارف عليها دوليا لدخول اى دولة فى برنامج قوى

نووى من خلال التقارير والمعلومات المتوفرة من خبرات الدول المختلفة فى تحقيق برامجها النووية لانتاج الكهرباء .

اما الاهداف على المستوى الدولى فتشمل :

- ازالة العقبات الدولية امام الحصول على التكنولوجيا النووية
- تنويع مصادر الحصول على التكنولوجيا والمهمات والمواد النووية تفاديا للخضوع تحت اى احتكار .
- الاستفادة من المنظمات الدولية والتعاون المستمر معها وعلى الاخص الوكالة الدولية للطاقة الذرية
- توفير مصادر التمويل الخارجية

اما الاهداف على المستوى المحلى فهى :

- توفير التنظيمات والتشريعات اللازمة لحماية الانسان والبيئة والتأمين ضد المخاطر النووية .
- توفير الكوادر الفنية والعلمية القادرة على استيعاب تلك التكنولوجيا والاضطلاع بالبرنامج النووى والحفاظ على تلك الكوادر .
- زيادة الاسهام المحلى فى تصميم وتنفيذ المحطات النووية بزيادة اسهام الصناعة والامكانيات المحلية .
- الاكتفاء الذاتى فى تشغيل وصيانة المحطات النووية .
- الاعلام والتوعية الجماهيرية بالطاقة النووية واستخداماتها ومحاذيرها .
- توفير اكبر قدر من المعلومات حول مايجرى فى العالم فى مجال القوى النووية .

وهذا ماتم لتحقيق هذه الاهداف :

وفيما يختص بالاهداف على المستوى الدولى فقد تم اتخاذ الاجراءات التالية :

- ازالة العقبات الدولية امام الحصول على التكنولوجيا النووية بالانضمام الى اتفاقية عدم انتشار الاسلحة النووية وتوقيع اتفاقيات الضمانات والتفتيش مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية فى عام ١٩٨١ .
- تنويع مصادر الحصول على التكنولوجيا والمهمات والمواد النووية تفاديا للخضوع تحت اى احتكار .
- الاستفادة من المنظمات الدولية والتعاون المستمر معها وعلى راسها الوكالة الدولية للطاقة الذرية ومنظمة المجموعة الاوربية . اما فى تدريب الكوادر او فى الجهود القائمة لاقامة انظمة الامان النووى . او الاعمال الاخرى المتصلة بالتعاقد ومراجعة التصميمات .
- توفير مصادر التمويل الخارجى ولتحقيق ذلك كان لابد من وجود مايشجع الدول المختلفة والمؤسسات التمويلية على المشاركة فى التمويل وذلك باظهار جدية مصر فى الدخول فى هذا المجال ومشاركتها الفعالة .

اما فيما يختص بالاهداف على المستوى المحلى فقد تم :

● توفير التنظيمات والتشريعات

اللازمة لحماية الانسان والبيئة والتأمين ضد المخاطر النووية وتم فيها :

ـ انشاء جهاز التنظيم والامان النووى كأحد مراكز هيئة الطاقة الذرية الرئيسية ليتولى اختصاصات الرقابة على المحطات النووية وترخيصها فى التصميم والانشاء والتشغيل وتم عمل برامج تدريب .

ـ اصدرت هيئة الطاقة الذرية عدة تنظيمات وقواعد تبنت فيها القواعد والتنظيمات التى اصدرتها الوكالة الدولية للطاقة الذرية والتى تنظم جميع النواحى المتصلة بالمحطات النووية ونقل المواد النووية

ـ اصدار مشروع قانون التأمين ضد المخاطر النووية تطبيقا لاتفاقية فيينا فى هذا الخصوص التى انضمت اليها مصر فى عام ١٩٦٤ .

● برامج لإعداد الكوادر الفنية ●

● توفير الكوادر الفنية والعلمية القادرة على استيعاب تلك التكنولوجيا والاضطلاع بالبرنامج النووى ، وتم فى هذا الشأن :

ـ بالاشتراك مع خبراء الوكالة الدولية للطاقة الذرية تم وضع برنامج شامل لتنمية الكوادر المصرية اللازمة للبرنامج النووى حدد له التخصصات والاعداد واماكن التدريب فى الدول المختلفة .

ـ قامت الوكالة الدولية للطاقة الذرية بعمل برامج تدريبية فى مصر بالاشتراك مع هيئة المحطات النووية وهيئة الطاقة الذرية فى موضوعات الامان النووى وضمان الجودة وادارة مشروعات المحطات النووية .

ـ من خلال الاتفاقيات الثنائية للتعاون النووى تم توفير منح للتدريب فى كل من الولايات المتحدة الامريكية والمانيا الاتحادية .

ـ ايفاد عدد كبير من المهندسين فى البرامج التدريبية التى تنظمها الوكالة الدولية مع الدول النووية وخاصة فى الولايات المتحدة الامريكية وفرنسا والمانيا الاتحادية والارجنتين .

● زيادة الاسهام المحلى فى تصميم وتنفيذ المحطات النووية بزيادة اسهام الصناعة والامكانيات المحلية :

ـ تم عمل مسح للصناعة المحلية لتحديد امكانياتها ومدى مايمكن ان تساهم به فى تصنيع مهمات واجزاء المحطة النووية . وهذه الدراسة تتخذ اساسا الان لخلق اجهزة محلية لتصميم وتصنيع المهمات الهندسية وبعض مكونات المحطات النووية وكذلك نقل التكنولوجيا فى مجالات التصميم وادارة المشروعات .

● الاكتفاء الذاتى فى تشغيل وصيانة المحطات النووية وهذا الموضوع له اهمية قصوى فى التخطيط الاستراتيجى لمصر حيث ان ضمان تشغيل المحطات النووية طوال عمرها الافتراضى هو ٣٠ سنة وقد

تزيد يعتمد اعتمادا كليا على ضمان توفير متطلبات التشغيل والصيانة وخاصة الوقود النووى وقطع الغيار . وعلى ذلك فانه فى سبيل تحقيق هذا الهدف تم مايلي :

ـ دفع وتشجيع الجهود الجارية فى مصر للبحث عن اليورانيوم والخامات النووية الاخرى وسوف يساعد على ذلك انضمامها لقطاع الكهرباء .

ـ السير بخطى اسرع فى المشروعات القائمة لتطوير تصنيع الوقود النووى محليا على النطاق المعملى ثم النصف صناعى تمهيدا لتطويره ليصبح على المستوى الصناعى حينما يبدأ تشغيل المحطات النووية .

ـ دعم البحث والتطوير فى المجالات المتعلقة بالبرنامج فى هيئة الطاقة الذرية ، وهيئة المواد النووية لتنمية الاعتماد على الذات .

● الإعلام والتوعية الجماهيرية للطاقة النووية واستخداماتها ومحاذيرها :

ـ تقوم الهيئات النووية فى مصر بعمل ندوات مستمرة عن استخدامات الطاقة النووية ومحدداتها ومخاطرها وفوائدها .

ـ طبع كتيبات للتعريف بالمحطات النووية والطاقة النووية والموضوعات التى تتصل بها والتساؤلات المثارة حولها هذا بالاضافة الى اصدار نشرات شهرية ثقافية عن اخبار الطاقة النووية العالمية ومعلومات مبسطة وردودا عن تساؤلات حول الطاقة النووية .

● توفير اكبر قدر من المعلومات حول مايجرى فى العالم فى مجال القوى النووية .

ـ فتح قنوات الحصول على المعلومات من كل الدول التى لدينا معها اتفاقيات .

ـ فتح قنوات المعلومات مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية والاشتراك فى نشاطاتها .

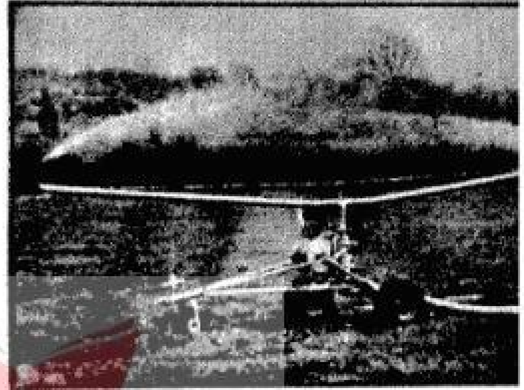
ـ الاشتراك فى الدوريات المتخصصة فى هذا المجال .

ـ التحضير لمركز معلومات على اعلى مستوى فى هيئة المحطات النووية

وجدير بالذكر ان الوكالة الدولية للطاقة الذرية شكلت فريقا من كبار الخبراء الدوليين فى يوليو ١٩٨٦ لبحث وسائل تشجيع دخول الدول النامية فى برامج لاستخدام الطاقة النووية فى انتاج الكهرباء ودراسة المشاكل والمعوقات ووسائل التغلب عليها وانتهى الفريق من تقاريره فى مايو ١٩٨٧ وشمل المتطلبات الواجب توافرها فى اية دولة نامية لضمان نجاح برنامجها النووى لانتاج الكهرباء ويتبين منه بوضوح ان مصر فى تخطيطها منذ اوائل الثمانينيات قد سارت بخطى سليمة ومدروسة . وفرت فيها كل المتطلبات والتجهيزات .

العالم غدا

● هل نشرب ماء البحر ●



تنبأ مركز الدراسات الاستراتيجية الامريكى (واشنطن) بأن بلدان الشرق الاوسط ستواجه ازمة حادة فى الميـاه ابتـداء من منتصف التسعينيات وبأن هذه الازمة سيكون لها ابعاد خطيرة على وتائر التنمية ، كما ان التنافس على موارد الميـاه سيكون مصدر توتر متزايد فى المنطقة .. وقد تطرقت دراسات المركز الى الاوضاع الخاصة بمياه انهار النيل والاردن ودجلة والفرات على وجـه التحديد .

وتشير دراسات المركز الامريـكى الى ان ازمة موارد المياه ترجـع اساسا الى تزايد عدد السكان ، وسوء استغلال هـذه الموارد ، والتلوث المتزايد لمياه هذه الانهار ، مما يؤدى الى تقليل كميات المياه الصالحـة للشرب .

وتتوقع دراسات المركز أن الازمة ستتفاقم فى اواسط التسعينيات حيث ستتجاوز احتياجات المنطقة وموارد المياه المتاحة بنسبة ٣٠٪ واذا استمر الحال فى الاطـار الدينامى الذى يتحرك فيه فلن يأتى عـام ٢٠٠٠ الا والملايين يعانون من المجاعة نتيجةلعدم وفاء ما يتوفر منمياه بحاجاتالزراعة واغراض الحياة . ويرى أصـحاب الدراسة ان مشكلة التلوث بالنسبة لنهرى دجلة والفرات اشد خطـرا من نقصان الموارد ، وان لم يسـتبعدوا نشوء النزاعات الاقليمية بسببهـا ، كما سيحدث بالنسبة لمياه الانهـار الاخرى .

وبديهى ان استراتيجية المواجهـة المفروضة ترتبط ارتباطا اسـاسيا بطبيعة اسباب المشكلة فالى جـوار اجراءات مثل ترشيد ادارة مـوارد المياه ، والاهتمام بحلول مشـكلات التلوث التى تهدر كميات كبيـرة من هذه الموارد ، والتفكير فى الاعتماد على وسائل الرى الاقتصادية الحديثة الى جوار ذلك كله يلزم التفكيـر فى مصادر للمياه غير الانهار وبالتحديد .. اللجوء الى ميـاه البحار ، رغم ان عمليات تحلية مياهها مازالت باهظة النفقات ..

ومع ميلاد التجمع الاقتصـادى العربى الذى تقع كل هذه الانهـار فى اراضيه هل يمكن ان نطمع فى دراسة

ذاتية تبعدنا عن اطماع الاخرين واستراتيجيتهم الخاصة ، وتتيح لنا الشروع فورا فى مواجهة الموقف من منظور قومى بدلا من الانتظار حتى نفاجأ بالصعوبات والمخاطر ولا نجد امامنا مناصا من تبنى استراتيجيات سبقنا الاخرون الى اعدادها ••

الخضراوات علاج ومصانع الدواء

اكتشف الباحثون فى مراكز مختلفة ان المواد الكابحة للانزيمات الهضمية ، الموجودة فى الخضراوات تبطل على ما يبدو مفعول المواد المسببة للسرطان ، كالاشعاعات الترية والغازات الضارة ، وغيرهما وقد أكد ذلك توقعات العلماء الخاصة بوجود عناصر فى غذاء الانسان تعمل على وقايته من السرطان • وكانت بعض الدراسات السابقة قد اكدت ان اتباع نظام غذائى غنى بالخضر يساعد فى الوقاية من امراض السرطان ••

الطريف ان العلماء لا يكتفون بما يكتشفونه من صفات الخضراوات الطبيعية بل يسعون الى الحصول منها على فوائد طبية اضافية فالمعروف ان البطاطس مثلها مثل اى كائن حى معمل للبروتينات ، وان البروتين الذى تنتجه وتخزنه فى درنتها هو البوتاتين • ويجرى انتاج البروتين بموجب الشفره الوراثية الخاصة للبطاطس •• وفى تجربة هامة غير الباحثون فى جامعة كمبردج جزء المادة الوراثية الذى يعطى التعليمات بانتاج بروتين البوتاتين بجزء اخر ماخوذ من احد انواع البكتريا وغرست خلايا البطاطس البكتيرية ، فى المعامل ، ثم نقلت الى الحقول بعد بروز سيقانها وعند تمام نمو المحصول تبين ان الدرنات صنعت وخزنت بروتين البكتريا وليس البوتاتين •

وانتاج البطاطس لبروتين لا تنتجه فى العادة اشارة الى قدرتها على انتاج كثير من البروتينات الاخرى المادة الوراثية للبطاطس ، وهكذا عن طريق نقل تعليمات انتاجها الى المادة الوراثية للبطاطس ، وهكذا لن يكون على منتجى العقاقير الا تعميم المادة الوراثية للبطاطس ، وهندستها وفق مطالبهم ، ثم جنيها واستخراج مادة العقاقير منها ••

الجنين وحضن الام



من سمات عصرنا المبالغة فى التأويل العلمى لظواهر يصعب ضبطها فى دراسات منهجية محكمة • وقد ذهبت دراسة لفريق من الاطباء الانجليز الى ان احتضان الام لوليدها فور ولادته له اثر « السحر » بالنسبة للوليد لا فى مرحلة الطفولة فقط بل وفى مراحل حياته المختلفة •

وقد استغرقت الدراسة الانجليزية عامين تقريبا واجريت على ٦٠٠ أم (وطفل) ممن ولدن فى المستشفيات على مدى العامين ، وبعد ولادة كل طفل كان يتم تسجيل تفاصيل الدقائق الاولى من حياة الطفل ، وما اذا كان قد امكن للام ان تحتضن طفلها وتقبله ساعة خروجه للحياة ..

وبعد بضعة اشهر قام فريق من الزائرات الصحيات بزيارة الامهات فى بيوتهن وراقبوا سلوك الاطفال واستقصوا من الامهات عاداتهم اليومية من حيث الرضاعة والنوم والبكاء و ..

وتوصل « العلماء » من ذلك الى نتيجة مؤداها ان الاطفال الذين احتضنتهم امهاتهم لمدة تتراوح بين دقيقتين وعشرين دقيقة ، فور رؤيتهم للنور ، اصبحوا فيما بعد اطفالا مثاليين من حيث الانتظام فى مواعيد النوم والرضاعة على سبيل المثال ..

وحتى هنا يمكن النظر الى المسألة على انها امر طبيعي ومنطقى من زاوية ابتهاج الام بوليدها مما يشى بمواصلة الاهتمام به . لكن نتائج الفريق الطبى اضافت الى بروتوكولاتها وذلك عكس اولئك الاطفال الذين لم يسعدوا بحنان امهاتهم بعد ولادتهم مباشرة .

ان لمسة الحنان الصادقة الدافئة لها تاثير السحر على الانسان فى كل اطوار حياته ، وهى كذلك فى الدقائق العشرين الاولى من ولادته لكن هذه الدقائق لا تصلح بديلا لحنان طول العمر كما انها لا يمكن ان تكون حكما قاطعا لمن حرم منها .

وليس عما ذلك الذى يكرس بخشونة وغشم بالغين حكما بالشقاء وعدم المثالية على اطفال شاءت ظروفهم ان يوضعوا فى حضانات فور ولادتهم او ولدتهن الامهات بعمليات قيصرية او فاتهم حنان العشرين دقيقة الاولى لاى سبب من الاسباب .. ولا يمكن ابتسار المعرفة (تخريجات جزئية) او الحنان فى كلمات شبيهة بكلمات الاعلانات التجارية ، ولا يخرج فحواها عن : « مثلى احتضان طفلك طوال الدقائق العشرين الاولى من ولادته ، ليصبح طفلا مثاليا ..

● نوم العافيه يا خزق



طريق طويل قطعته مادة الفخار منذ كانت تستخدم في صنع أواني الطبخ في العصر الحجري وحتى باتت واحدة من اهم المواد التكنولوجية الحديثة ، وقد ساعد على ذلك ان الخزف مادة متوفرة بصورة غير محدودة عمليا كما انها رخيصة التكاليف بصورة لا تصدق ..

وبعد طب الاسنان وجد الخزف طريقة الى صناعة الاجزاء التعويضية لهيكل الانسان العظمي ، كما صار يستخدم بعد انتشار عمليات القلب المفتوح في الصمامات المستبدلة ، والطريف ان هناك نماذج مصنوعة منه توفر العلاج الدوائي المستمر الذي يجب ان يتلقاه من يحمل صمامات قلبية مصنوعة من مواد اخرى .

وبالاضافة الى الصناعات التقليدية الكاملة مثل صناعة الخزفيات الكهربائية توجد صناعات مستحدثة مثل صناعة الولاعات التي لاتستخدم وسيلة اضافية للاشعال (احجار قدح او غاز) لان الخزف قادر على فعل ذلك بطريقة ذاتية ، ذلك بالاضافة الى مفاتيح الضغط الحديثة ، واغشية المتكلم والسماع في اجهزة الهاتف الحديثة ، والى دخول الخزف في صناعة طابعات الحبر السريعة العديمة الصوت ، واجزاء محركات السيارات (المكابس ، الصمامات ، و ...) ..

ولعل اطرف صفاته الخزفية الجديدة المبنية على الاستفادة من صفاته المميزة . (مثل تحمل درجات الحرارة المرتفعة ، وعدم تعرضه للصدأ وقدرته على العزل الكهربي ، و ..) هي استخدامه في صناعة الحاسبات الالكترونية الصغيرة السريعة جدا بعد ان مكن الخزف المتعدد الطبقات من اختصار المسارات الطويلة للوصلات الكهربائية واستخدامه في صناعة المحركات الصاروخية (!) واسطح المركبات الكوكبية ، التي تخرج الى الفضاء الكوني وتعود منه الى جو الارض ككراة نارية ملتهبة يمكن - دون خزف - ان تذوب معادنها ..

ترى هل توجد في مصر صناعة خزف ؟ وماذا تنتج هذه الصناعة يا ترى ؟ لعل المسألة ليست في تقدم او تخلف تكنولوجي ورثناه عبر الاجيال ، بقدر ما هي توجه نصنعه نحن ، « وتدفن » به انفسنا بالحياة ، في « توابيت » سيراميكية ..

● عودة الاوربيات للبيت !

بحجة ان المرأة مظلومة عملت حركات تحرير المرأة عشرات السنين على خروج المرأة من البيت ، والتحاقها بالعمل على قدم المساواة مع الرجل . ولم يجد انصار ذلك اي صعوبة في التاكيد على انه لا فرق بين طفل تتفرغ امه لتربيته وبين طفل المرأة العاملة الذي ترعاه مؤسسات الاطفال والحضانات ، ولا في التاكيد على ان الطفل الاخير كان وفق عديد من الدراسات العلمية وهو الطفل الاكثر صحة وتفوقا .

وهذه الايام ترتفع في اوربا صيحة مدوية بعودة المرأة للبيت فقد اعلنت اللجنة الاوربية لتكافؤ الفرص في تقرير غاضب لها ان المرأة الاوربية تتعرض لظلم فاحش ، وبين التقرير

ان كثيرا من البريطانيات يفضلن التفرغ لرعاية البيت والابناء عن المزاحمة في المواصلات والمكاتب ويؤيد اصحاب وجهة النظر هذه (ناهيك عن الازواج كل الجماعات التي اعتادت على لوم الام العاملة فيما يخص كل المشاكل التي يعاني منها المجتمع ، من تزايد الاقبال على المخدرات ، وحتى شيوع القلق والانهيارات العصبية بل والامراض العضوية المختلفة ٠

ويبدو ، والله اعلم ، ان ديناميات ومطالب سوق العمل هي التي تحكمت في حركة تحرير المراة السابقة وهي التي تتحكم في حركة الشكوى من ظلم المراة » حاليا ، بالذات مع التقريظ الذى يحظى به قرار العودة للمنزل من قبل الاقتصاديين ٠

والطريف أن سوق العمل يرتبط بموجات من التذبذب السكاني التي كانت الحروب تصنعها في الماضي ٠ وموجة البطالة الموجودة حاليا ترجع في جزء كبير منها الى عبور النار العالمية الثانية ، وعودة الانجاب الاوربي الى عافيته ٠٠ لكن الخبراء يتوقعون ان تشهد سوق العمل في اواسط التسعينيات نضوبا في اليد العاملة لم تشهد له اوربا مثيلا ، وذلك كنتيجة حتمية لتراجع شباب هذه الايام عن التزامات الزواج اضافة الى انتشار وسائل منع الحمل ٠

وجدير بالذكر انه ظهرت اخيرا حتى في الاتحاد السوفيتي بلد الاشتراكية الاكثر ازدهارا (!) اتجاهات عديدة تحبذ (وتدعو الى) عودة المراة وخاصة الام الى البيت ٠

حكايات طبية

رقص ايقاعي داخل الانسان

د . هشام قاسم

تصوروا الفي مليون راقصة بسنتيمتر واحد يرقصن معا بحركة واحدة منتظمة ودقيقة ٠ اى مدرب عبقرى قد استطاع أن يحرك تلك المجاميع الرهيبة في وقت واحد ٠ تصوروا مدى قدرة مدرب استطاع أن يجمع سكان الارض كلهم في مكان واحد وجعلهم يؤدون حركات واحدة متسقة باحساس فني ٠ شيء لا نستطيع أن نتصوره ، ولا يمكننا تصوره لو جلسنا العمر كله محاولين ٠ لكن هذا المستحيل يحدث مثله ، بل واكثر ، اكثر منه بداخل الجهاز التنفسي للانسان ٠

الراقصات يملان ممرات الجهاز التنفسي للانسان من اوله الى اخره فيما عدا مناطق محدودة بالبلعوم والحنجرة ٠ تخرج من نوع معين من الخلايا المبطنة لتجويف ممرات الجهاز التنفسي زوائد هدبية ٠ وعدد تلك الاهداب حوالي المائتين لكل خلية ٠ يصل طول الهدب الواحد حوالي من

٦ ـ ٧ ميكرون (الميكرون يساوى واحد على الف من الملليمتر) . يبلغ عدد تلك الاهداب بالسنتيمتر المربع الواحد ما بين ١٥٠٠ ـ ٢٠٠٠ مليون هدب . تتميز حركة تلك الاهداب بحركة أولى سريعة وتكون نحو الامام ، والثانية بطيئة لتعود الى الوضع الاول . يبلغ عدد تلك الحركات الايقاعية نحو العشرين للثانية الواحدة ، والحركة الواحدة تحدث حركة موجية طولها حوالى عشرين ميكرون .

تحمل تلك الزوائد فوقها بساطا من المخاط الرقيق يبلغ سمكه خمسة ملليمترات . تعززه الخلايا المخاطية التى تملأ الجهاز التنفسى تحت تأثير العصب الحائر . ومع حركة الزوائد الهدبية يتحرك هذا البساط حركة رأسية الى أعلى من الشعب الهوائية حتى يصل الى القصبة الهوائية لينتهى عند الحنجرة فالبلعوم ليصب فى المرىء . تبلغ سرعة تحرك البساط من ٥ر٢ ـ ٥ر٣ ملليمتر فى الدقيقة الواحدة . ويحمل البساط أثناء تحركه الاجسام الغريبة ليطردها ويخلص الجهاز التنفسى منها .

وتتأثر حركة الاهداب بالتدخين الذى يجعلها أقصر ، مما يعطل طرد الاجسام الغريبة كالاتربة والميكروبات ودخان السجائر نفسه . ويؤدى ذلك بالتالى الى سهولة تعرض جسم الانسان للنزلات الرئوية الحادة والاصابة بخراريج بالرئة ، وللالتهابات الشعبية الحادة والمزمنة . كما أن التدخين يؤدى الى الاصابة بالالتهاب الشعبى المزمن الذى يؤدى الى ازدياد حجم الافرازات ، وزيادة سمكها ، وبالتالى لا تستطيع الزوائد تحريك تلك الافرازات لطردها ، وتصبح حركتها مضطربة غير ذات نفع ، ويصبح البساط المخاطى لا وجود له .

نفس الاثر الذى تحدثه السجائر يحدث مع تناول المشروبات الكحولية وبعض العقاقير وادمان المخدرات .

دعك من حساب الفوائد والمضار وتعال معى ننظر من خلال منظار الجهاز التنفسى المكبر لنشاهد عرضا راقصا جميلا . ملايين .. ملايين الراقصات يملأن ساحة العرض من أول الانف مرورا بالقصبة الهوائية والشعب الهوائية حتى الحويصلات الهوائية .. يتحركن حركة سريعة أمامية ، ثم انبساط الجسد وتراجعه بحركة متموجة بها ارتعاشة الاحساس ، وبساط من الحرير محمول فوق أيديهن يتحرك مهفهفا مع حركاتهن .

عرض راقص رائع خصوصا لو صاحبته موسيقى تشايكوفسكى .. يؤدى بمفرده دون تدريب أو يد يوجهه .. سوى يد عليا خفية تقدر الجمال وتحمل اسمه . ثم يأتى الينا بعد ذلك من ينكر الرقص ، ويعتبره ضلالا .. ما رأيه اذن فى عرض الباليه الراقص هذا الذى يحدث كل يوم فى الحياة .. بل فى كل لحظة .. وفى كل انسان ، قد يقول قائل منهم تلك حركة ، وليست رقصا ؟ ما هو الرقص اذن .. أليس حركة تلتزم بالايقاع .. أم الرقص مسموح به اذا أتته الطبيعة ، واذا ما أداه الانسان فغير مباح .

المائة الأعظم

بقلم: حسين أحمد أمين

ابن بطوطه

١٣٠٤ - ١٣٦٩ م

اشهر واخر رحالة عربى كبير ، ومنافس معاصره الاكبر منه سنا ماركوبولو البندقى . انتظم محيط رحلاته العالم الاسلامى باجمعه ، وجاوز تجواله مائة وخمس وسبعين الف ميل ، بادئا من طنجة مسقط راسه ، وهو فى الثانية والعشرين من العمر « عام ١٣٢٦ » ومنتهيا بفاس عام ١٣٥٣

وقد شملت رحلاته كافة المدن الكبرى بشمال افريقيا ، ثم الاسكندرية ودمياط والقاهرة واسوان فى مصر ، وفلسطين والشام ، فمكة والمدينة ، فالنجف والبصرة ، فشيراز بايران ، فالموصل وديار بكر والكوفة وبغداد ، فجدة والساحل الشرقى لافريقيا ، فاليمن ، فعمان وهرمز والبحرين ، فاسيا الصغرى ، فشبه جزيرة القرم وروسيا الجنوبية وبلغار الفولجا ، فاستراخان والقسطنطينية وسراى ، فبخارى وافغانستان ، ثم دلهى بالهند حيث تولى منصب القضاء لمدة خمس سنوات ، فجزر المالديف والصين ، فسيلان والبنغال واندونيسيا ، ثم ايران والعراق وفلسطين مرة اخرى ، فمصر وتونس وسردينيا ، ثم المغرب فالاندلس ، ثم متوغلا فى افريقيا حتى تمبكتو بمملكة مالى ، ثم فاس حيث امضى السنوات الاخيرة من حياته تحت رعاية السلطان ابى عنان .

والغريب ان ابن بطوطة لم يخلف وراءه اى انتاج ادبى ، ولا هو دون مذكرات منظمة ، وانما كان يقص على سامعيه حوادث معينة ، واخبارا متفرقة عن اسفاره . وقد كان للسلطان ابى عنان الفضل الاول فى ظهور كتاب « وصف رحلة ابن بطوطة » ، اذ عين له محررا اديبا هو ابن جزى الغرناطى ،

في التاريخ الإسلامي

وطلب من ابن بطوطة ان يقص على ابن جزى « ما شـاهده في رحلته من الامصار ، وما علق بحفظه من نوادر الاخبار ، ذاكرا من لقيه من الملوك والعلماء والاولياء الابرار » ، ثم قام ابن جـزى بتنقيح وتهذيب احاديث ابن بطوطة ، واعادة صياغتها في صورة متكاملة الجوانب ، مراعيا الترتيب الزمني لمراحل رحلاته ، والربط بين قصصه في رواية متتابعة ·

والواقع ان ابن بطوطة لم يكن جغرافيا ولا اديبا ، وانما كان شخصا عاديا للغاية ، لا يتمتع باية مواهب خاصة ، ولا تنعكس في رواياته افكار عميقة · وكثيرا ما تصادف في الكتاب عن رحلته امثلة لتصديقه اكثر الروايات اغرابا في الخيال ، وخلطا في تسجيل الوقائع ، واهتماما مبـالغا فيه بكرامات الاولياء والدراويش ، وبعض المبالغات التي ينساق اليها جميع الرحالة في كل العصور · ومع ذلك فهو رجل شاهد الكثير ، وعرف كيف يصور ما شاهده بدقة وبساطة · وقد جعل منه القدر جغرافيا على الرغم منه ، ونوعا من الرحالة نادرا عند العرب : وهو الرحالة الذي يستهدف السفر لذاته ، ويضرب في مجاهل الارض استجابة لعاطفة لا تقاوم ، ورغبة جارفة



في التعرف على الاقطار والشعوب • وهو على نقيض الغالبية العظمى من الجغرافيين العرب لم يجمع مادته من صفحات الكتب ، بل جمعها عن طريق التجربة الشخصية ، وعن طريق محادثاته مع شخصيات تعرف عليها عرضا في خلال رحلاته •

وقد شغل اهتمامه بالمواضيع الجغرافية مكانة ثانوية بالنسبة لاهتمامه بالبشر • لذا اصبح كتابه نسيجا وحده كوصف للمجتمع الاسلامي والشرقي عامة في القرن الرابع عشر • فهو خزانة تحفل بمادة غنية لا في مجال الجغرافيا التاريخية او تاريخ عصره فحسب ، بل عن جميع مظاهر حضارة ذلك العهد • فتراه يعرض لكافة الظواهر الاجتماعية بالسرد ، حتى تلك التي يهملها المؤرخون عادة ، فتمر امام انظارنا مراسيم البلاطات الاجنبية ، وازياء الشعوب المختلفة ، وتقاليدها وحرفها ، واصناف الاطعمة والاغذية • فهو بهذا ليس كتابا نظريا جافا ، وانما يفيض بالانسانية والحيوية ، ولا يبخل فيه المؤلف بملاحظاته وتعليقاته في اية مناسبة تعرض • وهو لا يمثل وثيقة ممتازة لتجربة فردية فحسب ، بل يقدم كذلك نموذجا صادقا لافكار وتصورات مواطن اسلامي من اهل القرن الرابع عشر •

وبالرغم مما يغلب على الكتاب من اسلوب ثقيل ، ومن السجع والحشو والتكلف ، (وهو اسلوب ابن جزى) ، فمن حسن الحظ ان هذا الاسلوب لا يسير في جميع الصفحات على وتيرة واحدة ، اذ كثيرا ما تتخلل العرض لغة ابن بطوطة القصصية البسيطة التي تميل احيانا الى لغة الحديث ، محتفظة في ذات الوقت برزانتها وغناها بالتفاصيل ، بالاضافة الى الحيوية الدافقة والعاطفة الجياشة • وقد تشكك اهل زمانه والناس بعدهم في صحة الكثير من الاخبار والمعلومات التي اوردها ، وارجعوا اخطاءه الى ضآلة حظه من الثقافة ، واعتماده المطلق على ذاكرته وقت املاء الكتاب ، وجهله بلغات البلاد العديدة التي زارها ، مما الجاه الى الاستعانة بالمترجمين ، والقبول لكل او جل ماينقلونه اليه من اخبار وقصص• غير ان الجغرافيين في زمننا هذا يميلون الى اعتبار روايته بوجه عام جديرة بالثقة • وانه على الاقل لم يرو الا ما اعتقد انه الحق ، وان كتابه مرجع اساسي لاي باحث في تاريخ آسيا الصغرى وجنوب شرقي اسيا ، وان وصفه لاقطار غرب افريقيا ظل حتى عهد الرحلات الاوروبية في القرن التاسع عشر افضل وادق وصف لهذه المنطقة من العالم •

الحريري

١٠٥٤ - ١١٢٢ م

علم من اعلام فقه اللغة والادب العربي• ولد ونشأ في البصرة • واشهر مؤلفاته « المقامات » التي ظلت لمدة تزيد على سبعة قرون تحظى بتقدير عند

العرب يلي القرآن مباشرة باعتبارها كنز اللسان العربي . وكانت دراسة بلاغته المذهلة ، وسبر اعماق علمه ، وفهم تورياته المتنوعة التى لانهاية لها ، هي الغرض الاسمى للمختص بالاداب، ليس بين الشعوب الناطقة بالعربية فقط ، بل حيثما درست اللغة العربية دراسة علمية . وقد ظل العرب حتى مطلع القرن العشرين يرون في مقامات الحريري وقصائد المتنبي اكمل تعبير عن روحهم ، وارقى اشكال ادبهم .

والمقامات مجموعة من خمسين مقامة (او ما يشبه القصة القصيرة) احتذى فيها الحريري مقامات بديع الزمان الهمذاني . وفيها يقص الراوي ، الحارث بن همام ، مغامرات رجل افاق ظريف يدعى ابا زيد السروجي « يغير في كل مكان يقصده زيه وشكله ، ويظهر في فنون الحيلة فضله » . ولم يكن الهدف الاول عند الحريري جمال القصص او تصوير الشخصيات ، وانما اراد استعراض الامكانات اللامتناهية للعربية ، وان يجعل من مقاماته قطعا ابية فنية تجمع شوارد اللغة ، ونوادر التركيب ، وفنون البديع كالجناس والطباق ، وانواع الكنايات ، والاحاجي النحوية ، والفتاوى اللغوية ، وعلى الرغم من انه كان دون بديع الزمان في القدرة على التخيل ، فقد فاقه في اصطناع الانشاء البديعي وفي السجع اللذين اصبحا منذ ذلك الحين صفة لازمة للنثر الفني العربي حتى تخلص منها في السنوات الاولى من القرن العشرين .

وكانت مقامات الحريري تعتبر منذ ظهورها عملا لا يجارى ، حتى قال



عنها احد المؤرخين العرب انه « حتى لو ادعى الحريري بها الاعجاز لما وجد من يدفع في صدره أو يرد قوله » · فان كانت غالبية العرب وجدوا قيمتها الرئيسية في مؤهلاتها اللغوية والادبية ، فان الاشارات باللغة الوفرة فيها الى جميع فروع المعرفة وكافة مناحي الحياة ، جعلت من المقامات عملا فريدا وفذا بصرف النظر عن كمالها الشكلي · والدليل على هذا ان كل من حاكاها من المؤلفين بعده (وهم كثيرون) ، حتى مع تمتعهم بقدرات لغوية وادبية لا تقل كثيرا عن قدرات الحريري ، لم يكتب المؤلفات اى منهم ما كتب لمقامات الحريري من الخلود ·

فمقاماته ، علاوة على ما فيها من فنون الامتاع والتسلية ، وحصافة الوصف والحوار ، وجودة الاشعار ، تتمتع بحيوية ضخمة نابعة عن كونها صورة دقيقة للحياة العامة في العالم الاسلامي ، ووثيقة اجتماعية ثمينة لحضارة العصر الوسيط · على انه لا مفر من الاقرار بان براعتها اللغوية هي التي حدت بالكثيرين في الشرق والغرب الى قبول التحدى ومحاولة ترجمتها او محاكاتها ، سواء في اللغة العبرية او السريانية او اللاتينية او الفرنسية او الانجليزية او لغات غيرها · غير ان اشهر ترجمة لها على الاطلاق هي ترجمة فريدرش ريكارت الى اللغة الالمانية ، وهي الترجمة التى لقيت من الشاعر الالماني جوته ثناء عظيما ، ووصفتها المستشرقة المعاصرة انا مارى شيميل بانها اروع من الاصل العربي ، ومن اجمل الاعمال في الادب الالماني·

الإمام الشافعي

٧٦٧ - ٨٢٠ م

مؤسس ثالث المذاهب السنية الأربعة في الإسلام ، وواضع أصول علم الفقه . وأول من بلور نظرية الاجماع الذي هو أحد مصادر الشريعة وأول من بين أصول علم الحديث وأحكامه .. قال عنه ابن حنبل : "ظل الفقه علما مغلقا حتى جاء الشافعي بمفتاح له"

وعلم الفقه هذا علم عربي أصيل لم يكن للفرس أو البيزنطيين أو غيرهم اثر فيه . ولا تاثر الشافعي في تاسيسه بالفلسفة اليونانية ولا المنطق الأرسطوطاليسي .. وقد خالف الشافعي المالكية في قولها بالأخذ عن الصحابة والتابعين في بيان أحكام الشريعة ، وخالف المذهب الحنفي الداعي إلى الأخذ بالرأى لملء الفراغ في التشريع حيث لا نص قرآني . وعنده أن السُنّة النبوية إذا صحت وجب وضعها مع القرآن في مرتبة واحدة باعتبارها مبينة له ومفصلة لمجمله . ومن هنا جاء حرصه على التأكد من صحة الأحاديث المنسوبة إلى النبي . وأوضح ضرورة أن يكون الاسناد صحيحا غير منقطع ومتصلا بالرسول ، وألا يكون ثمة تناقض بين حديثين . ولا أن يناقض الحديث القرآن ،

وغير ذلك من احكام وشروط علم الحديث التي حرصت مجموعات الأحاديث التي ظهرت بعد وفاة الشافعي بوقت قصير على الالتزام بها .

وتعرض الشافعي للقياس الذى أخذ به ابو حنيفة قبله ورفضه ابن حنبل بعده كمصدر من مصادر الشريعة . فوضع له شروطا اخرى غير شروط المشابهة والمماثلة ، منها النظر في العلة التي تكمن وراء النص القرانى او السنة . غير انه جعل القياس ثالثا في الاهمية للإجماع . وهو مبدأ معروف لدى المسلمين قبل الشافعي ، غير انه لم يكن بين الفقهاء انفسهم اتفاق على تحديد شروطه . هل الإجماع إجماع جماعة معينة (علماء الدين) أم إجماع المسلمين كافة ؟ وهل راى الفقهاء كافة أم راى الغالبية منهم ؟ وقد رفض الشافعي في كتابه "الأم" نظرية مالك في الإجماع المحلى او الإقليمى ، وعرفه بانه إجماع اهل الراى في كل عصر ، ويتحدد تلقائيا عند علماء كل جيل من الأجيال ، كى يظل المجتمع الإسلامى مجتمعا متطورا وفق احتياجات الزمن . واستند في تبرير ذلك إلى حديث "لا تجتمع امتى على ضلالة" ، إذ لو كان فيما أجمعت عليه الأمة باطل او ضلالة لا نثلمت به او بها عدالة الامة ، وهو ما يناقض القران إذ يقول (وكذلك جعلناكم امة وسطا)

وقد لقيت القواعد التى سنها الشافعي للفقه الإسلامي قبولا عاما لدى المسلمين ، وبفضل علمه وقوة قريحته استطاع ان يجتذب إليه طلابا واتباعا من أصحاب الراى واصحاب السنة على سواء ، وممن لم يكونوا قد اعتنقوا بعد مذهبا معينا . وقد تقبله الناس على انه الإمام الموعود على راس كل مائة عام لكي يقيم للأمة دينها .

وقد كان الشافعي إلى جانب كل هذا شاعرا وصاحب أسلوب نثرى فصيح انيق ، بسيط واضح ، غنى بالفكر . وكان لكتابه الهام "الرسالة" ، الذى صاغ فيه اصول الفقه ، فضل قلما التفت إليه الباحثون ، الا وهو إرساء اسس نثر جدلى وتعليلى اعان الأجيال التالية على ترجمة النصوص الفلسفية اليونانية إلى لغة عربية سليمة فصيحة ، بأن اوجد المفردات والمصطلحات العربية القادرة على التعبير عن افكار لم تكن بعد مألوفة لدى العرب .



ابن النفيس

١٢١٠ - ١٢٨٨ م

طبيب وكاتب عربى ، ولد فى دمشق ، وتوفى فى القاهرة التى كان فيها رئيسا للاطباء ، وحجة مبرزا فى الفقه الشافعى وفى المنطق والنحو . ومع ذلك فاننا لانعرف عن حياته الا النزر القليل ، كما انه من الغريب جدا الايذكره ابن ابى اصيبعة ـ وكان من معاصريه ـ فى كتابه ((طبقات الاطباء)) التى اورد فيه ترجمة للكثيرين ممن لاترقى اهميتهم الى اهمية ابن النفيس .

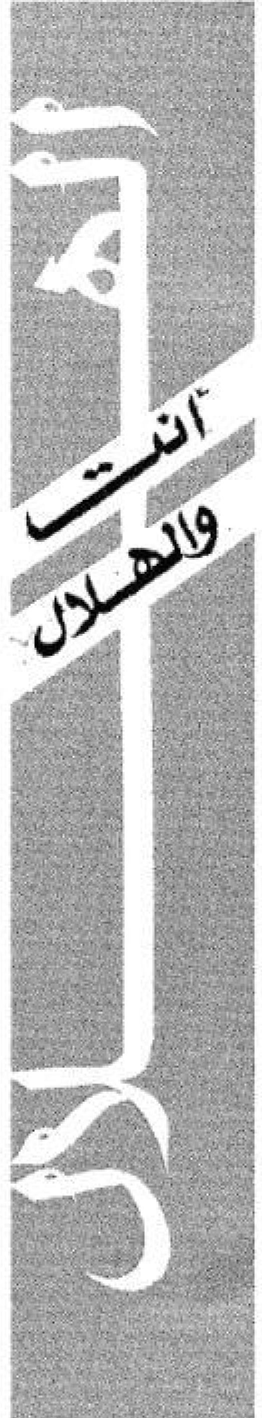


فاما عن اسهامه الطبي ، فقد ظل الناس حتى بداية القـــرن العشرين يحسبونه كامنا في موسوعته الضخمة « الشامل في الطب » الذي صمـــد اتمامها في ثلاثمائة مجلد لم ينجز منها غير نحو ثمانين وصلنا بعضـــها ، وفي كتابه الهام في أمراض العيون بعنوان « المهذب في الكحل » ، والموجـز الذي أعده لكتاب القانون في الطب لابن سينا • غير انه حدث في اوائل قرننا هذا ان اكتشف طبيب مصري هو أمين اسعد خير الله أن لابن النفيس مخطوطا بعنوان « شرح تشريح القانون لابن سينا » واورد فيه اول وصف صحيح للدورة الدموية الرئوية (او الدورة الدموية الصغرى) يخالف وصف جالينـــوس ووصف ابن سينا لها كل المخالفة ، واول اشارة الى الحويصـــــلات الرئوية والشريان التاجي • وقد ترجم كتاب ابن النفيس هذا الى اللاتينية في اوربـا حوالي عام ١٥٢٠ م (ترجمة اندريا الباجو) ثم سطا على فكـرته ونسبها الى نفسه كل من ميجويل سيرفيتو سنة ١٥٥٦ ، وريالدو كولومبو سنة ١٥٥٩ ، وسيزالبينو سنة ١٥٧٩ ، ثم توج جهودهم جميعا العالم البريطاني الشـــهير ويليام هارفي الذي وصف الدورة الدموية وصفا شاملا عام ١٦٢٢ •

وقد ذكر ابن النفيس في ديباجة كتاب « شرح التشريح » انه لن يعتمـد في حديثه عن وظائف اعضاء الجسم الا على منهج البحث العلمي الســـليم « وافق ذلك رأى من تقدمنا أو خالفه » •والواقع انه سلك في الكتاب نهجـا جديدا جعله من مبتكري التشريح بوصفه علما مستقلا ، اذ قصر حديثه على وصف شكل الاعضاء ووظائفها ، دون التعرض الى امراضها ، بينما كان سابقوه ، وعلى رأسهم ابن سينا ، لا يذكرون التشريح الا في سياق الحـديث عن الامراض والعلاج ، فوزعوه بذلك في شذرات مبعثرة من كتبهم •

كذلك تتمثل أصالة ابن النفيس في رفضه بعض أقوال جالينوس الخاصة بالقلب ، وهي أقوال وقفت حائلا دون تقدم الطب في هذا المجال أحـــد عشر قرنا ، ويمكن تلخيصها في أن الدم بعد وصوله من منشئه في الكبـــد الى البطين الايمن ، يمر عبر الحاجز بين البطينين عن طريق مسام الى البطيـن الايسر ، حيث يمتزج بالهواء القادم من الرئتين • وقد انكـــر ابن النفيس وجود هذه المسام (قائلا : « التشريح يكذب هذا ») ، واثبت أن الدم ينفذ من بطين الى آخر عن طريق منافذ توصـــــل بين الشريان الرئوى والوريد الرئوى في الرئة ، وأن الدم يجرى منالرئة الى البطين الايسر وليسبالعكس• وبهذا كان أول من عرف الدورة الدموية الرئوية •

وقد كان ابن النفيس كريما بمعلوماته ، دائم الاجتماع باهل العـــلم والطب ، يباحثهم في العلوم حتى الصباح • وكان يكتب حتى في الحمـام ، وبسرعة فائقة ، ودون الرجوع الى المراجع لقوة حافظته • كما كان شـديد الثقة في قيمة انجازاته ، ويقول : « لو لم أعلم أن تصانيفي تبقى مدة عشرة الاف سنة ، ما وضعتها » !



● كيف تنهض الامم ●

رد على مقال الأستاذ احمد بهاء الدين

● عجبت كيف يغيب السبب في نهضة الأمم عن الأستاذ أحمد بهاء الدين ، فيتساءل في مقاله بالهلال (عدد يناير سنة ٨٩) : إن لم تكن الديمقراطية هي السبب ، فماذا يكون ؟

السبب قاله ممثل مسرحي مرة ، عندما سئل : « لماذا لاتقدم المسرحيات الكوميدية الراقية ، كما كنت تفعل في الماضي ؟ ولماذا يتهمك النقاد الآن بالاسفاف والتهريج ؟ قال : انظروا الى أي من الناس تتدفق الأموال الى جيوبه في زماننا . ثم تعالوا واسألوني سؤالكم» .

ويُحكى أن أحد ملوك الفرس القدماء ، كان اذا أراد غزو أحد البلاد ، بعث اليها أولا أحد عيونه ، وكان يقول له : « أنظر إلى الأغنياء في هذا البلد ، هل هم من علية القوم وخيارهم ، أم هم ممن اشتد شرههم ، وشغلهم يومهم عن غدهم ؟ » فإن قيل للملك أنهم من الصنف الأول قال : « اشتغلوا عنه بغيره » وإن قيل إنهم من الصنف الثاني قال : « نار كامنة تنتظر موقدا ... اقصدوا إليه » .

« كيف تنهض الامم ؟ » الاجابة إذن سهلة بسيطة : «بأن يكون أغنياؤها هم افضل الناس فيها » . ولن نختلف كثيرا على تعريف كلمة (أفضل) ، فنظرة سريعة واحدة الى الأغنياء من حولنا ، تكفي لأن ندرك أننا بعيدين جدا عن تطبيق هذا المقياس .

فإذا كان هذا المقياس بسيطا واضحا ، فكيف غاب عن الكثيرين ، بما فيهم الأستاذ أحمد بهاء الدين ؟

السبب في رأيي أننا نشغل أنفسنا بالأسئلة غير الصحيحة عندما نعالج مشكلاتنا : إذا تكلمنا عن أزمة التعليم - مثلا - تساءلنا : « أيكون بالمصروفات أم بالمجان ؟ » ، « وكم تكون المصروفات في كل مرحلة ؟ » ... بدلا من أن نتساءل : « إذا لم نستطع أن نبدأ بتقديم أفضل ألوان التعليم للجميع ، فمن هم التلاميذ الذين يستحقون أن ينالوا أفضل التعليم ؟ » .

وإذا تكلمنا عن الأزمة الاقتصادية تساءلنا : « كيف نذيب الفوارق بين الأغنياء والفقراء ؟ » بدلا من أن نتساءل : « كيف نضمن أن يكون أغنياء أمة أمثلة صالحة يقتدي بها المواطنون ؟ » فالمعروف أن الشخص من (العلية) إذا نال مالا نفع به وانتفع ، وإذا ناله شخص من (السُّفلة) فليس الا الفساد والافساد » .

قل لي إذن : إلى أي الناس تتدفق الأموال ، أقل لك مقدار رقي الأمة أو انحطاطها . فما علينا إذن - اذا أردنا أن نرتقي ببلادنا - الا يشغلنا إلا شيء واحد ، هو كيف نوقف تدفق الأموال إلى سفهاء البلاد وسفلتها .

حافظ احمد امين

● رسالة فلسطينية ●

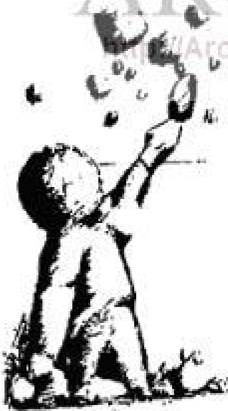
إليكم قصتى ..
أنا إنسان عربى ..
سلبوا منى الحرية ..
أنا شيخ فى السبعين ..
أهانوا شيبته .. وأهالوا الترب على وجهه !
فلتعلموا ياعرب المحيط والخليج ..
مايفعل اللئيم فوق قطعة من أرضكم
الصهيونى المجرم الأثيم
هم يدفنوننا أحياء فى الأخدود
وهم ذئاب هتكوا ودنسوا الأعراض
هم يسكرون فى المساجد ، ويبصقون فى الكنائس
ويقتلون الناس أجمعين ! ..



محمد موافى إمام
مدرسة الفسطاط الثانوية

● لغـة الحجـارة ●

حبّـات الرمال حجارة
قطرات مياه البحر حجارة
وسيول مياه المُزن حجارة
وحبوب لقاح الزهر حجارة
يا أبناء الثورة ضد القهر الصهيونى
يا أطفال الحلم الآتى
أحفاد صلاح الدين
ياطرح معارك حطين
ياعنوان الدرس الأول
بزمان محتل الآخر
فالدرس ومفرده حجر
والجمع يصاغ حجارة
صبرا صبرا ياأبطال ..
فالجنة خير بشارة

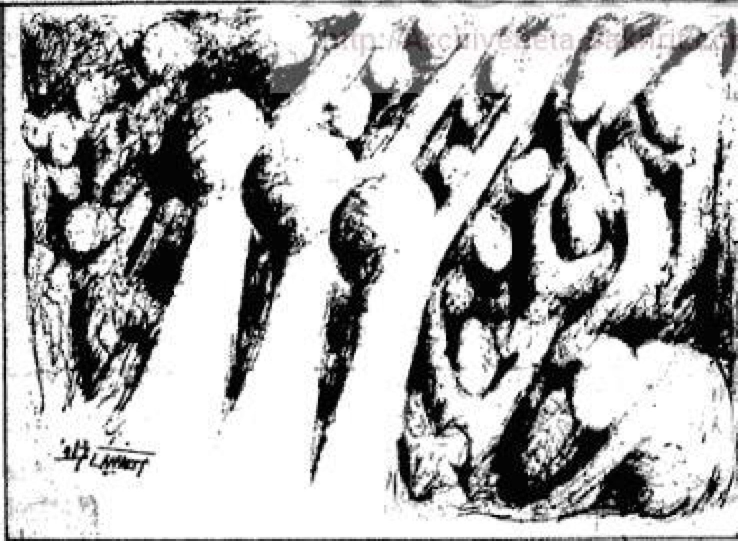


رفعت عبد الوهاب محمد المرصفى
القاهرة ـ شبرا

● اطفال الحجارة ●

فأنتم الجنود في غياهب الحروب
تسرجون نصرنا الذى خفت !
وتثقلون المحمل القديم
بالغنائم ..
تدحرجون البشريات العاطرة !
وتهرقون السأم - المحقون في عيوننا - ...
ستذبحون صبرنا - العقيم في الدروب المستكينة -
.. - خلف الخنادق العربية - ..
وتزرعون في فيافي مجدنا السقيم ..
أنشودة البراعة المجيدة !
من دنس الخنوع والمهانة !
سينجلي ركود سيفنا الصدىء !
وتسقط المقولة ..
بنفور خيلنا الأصيلة !
من ساح «حطين» الجديدة !!! »

يوسف عبد العزيز علي
قنا - كفر عمران



● نجيب محفوظ وأولاد حارتنا ●

● يجب علينا الا نسرف فى محاسبة كاتبنا ـ الكبير نجيب محفوظ من اجل ما جاء فى روايته « أولاد حارتنا » ولقد كتبها وهو تحت تاثير ميول معينة سيطرت عليه فى فترة من حياته ، وهذا أمر مألوف بالنسبة للأدباء والكتاب والمفكرين اذ يجد كل منهم ـ فى فترة ما ـ فى نفسه حاجة الى التعبير الحر منطلقا من شتى القيود متخذا من عقله اماما وهاديا غير مبال ، بما قد يؤدى به هذا النهج الى شطط وبعد عن المألوف ... لقد مر بهذه المرحلة عدد من مفكرينا منهم طه حسين وعلى عبد الرازق وقاسم امين ويمر بها الآن عدد من مفكرينا الحاليين ، فلا بدع ان يمر بها نجيب محفوظ .

ولو رجعنا الى ماقبل عصرنا الحديث لوجدنا شعراء معروفين مروا بهذه المرحلة منهم : أبو العلاء المعرى الذى قال :

كَذَبَ الظَّنُّ لا إمام سوى العقـل «م» مشيرا فى صبحه والمساء

والذى قال :

ولست بصائم رمضان عمرى ولست بآكل لحم الأضاحى

ولست بقائم كالعير ادعو قبيل الصبح .. حى على الفلاح

وهو ـ أيضا ـ الذى قال :

جاءنا خلق الناس للبقاء فضلت أمة يحسبونـهم للنـفـاد

وكما ينقلون من دار أعمال «م» إلى دار شقوة او رشاد

ومنهم أبو نواس الذى قال :

ملجاءنا أحد يخبر انه فى جنة من مات او فى النـار

ثم هو بعد صاحب « السجادة » المشهورة .. وابيات التصوف المشهورة ايضا فلنرفق بكاتبنا الكبير فانه ـ ولاشك فى ذلك ـ يؤمن فى قرارة نفسه بالقيم الدينية السماوية كما انه مسلم يشهد انه لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله .

أحمد قاسم أحمد
قنـــا

● رسالة إلى الجميع ●

● فى الوقت الذى تقوم فيه مؤسسة دار الهلال بدورها الريادى فى اثراء الثقافة والفكر العربيين يجدر بنا ان تنتبه لأهمية دور مجلة « الهلال » فهى كما هو معروف للجميع أعرق مجلة ثقافية عربية على الاطلاق وهى على وشك ان تتم القرن الأول من عمرها المديد ومن الطبيعى أن يلتقى عندها كل رموز الفكر والثقافة والأدب ولكى تستطيع ان تمتد بظلالها الى كل أرجاء الوطن

الكبير لابد ان يدرك ذلك كل المسئولين مرورا بادارة المؤسسة والمجلس الأعلى للصحافة وكل المعنيين .

وليس من المعقول ان تتوافر بكثرة بين يدى القارىء فى كل مكان مجلات مطبوعة على ورق فاخر وأحجام كبيرة لكنها متواضعة المستوى بينما مجلة (الهلال) بكل تاريخها مازالت تستجمع قواها وامكاناتها وإصرارها ودابها لكى تصل بثقافتها الرفيعة وفكرها المتجدد الى القارىء العربى .

إن « هلال » الثقافة العربية دون مبالغة فى حاجة الى وقفة امينة على كل المستويات تجىء بعدها رغم شموخها فى ثوبها اللائق لتقول ان هذه هى مجلة الثقافة العربية الأولى وهذه هى ثقافة العرب التى انتزعت (نوبل للادب) بعد طول تجاهل وانكار ، فالهلال مجلة المثقفين وعموم الناس ومن حق كل الشعراء العرب اينما وجدوا ان تصلهم بالمستوى والقدر المعقول الذى يتماشى مع كل المستويات .

صبرى عبد الله قنديل
كفر الزيات

● جائزة نوبل مرتين ●

● لماذا منحت جائزة نوبل لمدام كورى مرتين ؟! .. ماهى اعمالها ؟ .. وماهى قصتها ؟! ..

سنية على رمضان
اسيوط

ـ مدام كورى .. اسمها « مارى سكلودوفسكا كورى » .. عالمة فيزياء وكيمياء ، بولندية الأصل ، ولدت فى وارسو سنة ١٨٦٧ ودرست الطبيعيات فى فرنسا وتزوجت عالما فرنسيا هو بييركورى فحملت اسمه واكتشفت معه عنصرى الراديوم والبولونيوم سنة ١٩٠٢ فمنحا ـ ومعهما العالم بيكيريل ـ جائزة نوبل عام ١٩٠٣ ، وبعد وفاة زوجها عام ١٩٠٦ واصلت ابحاثها منفردة وتمكنت من فصل فلز الراديوم فمنحت جائزة نوبل ـ وحدها هذه المرة ـ سنة ١٩١١ وتابعت ابحاثها حتى توفيت سنة ١٩٣٤ .

● تباشير ●

● القصوصة :

(١)

جلبة ، تزداد .. وتتدرج الغبرة فى الافق .. رويدا ، رويدا .. نفذت الجحافل من الحاجز .. مهللة : الله اكبر .. الله أكبر .



السواعد تحمل نعش طفل .. تلتصق الاكتاف .. تنداح الخطا متوحدة ..

(٢)

من التلال .. بزغ « كائن » على أربع .. معترضا .. ثائرا .. متحديا .. بنظراته ، الدنية ، وزار .. رافعا ذراعيه الى أعلى .. ودك بساقيه الاديم .

(٣)

تقدمت الجحافل .. ملتصقة الاكتاف ، متوحدة الخطا .. انزوى الكائن .. اضمحل عنفوانه .. غشى عليه .. ودهسته الأقدام .

(٤)

دنوا .. من القبر .. مهللين : الله اكبر .. الله اكبر .

(٥)

ينبلج شعاع الغد ، وتعلو صرخة الوليد ، وأصابعه قابضة على الحجر .

وائل وجدى
الدقى ـ الجيزة

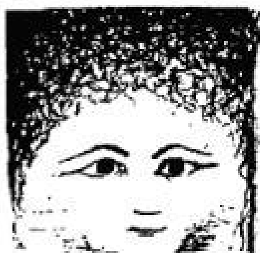
● ابن القيم الجوزية ●

● يتردد فى هذه الايام مع انتشار الكتابات الدينية وكثرة الكلام عن المتطرفين ، اسم ابن القيم الجوزية ولايعرف عنه الكثيرون الا انه من تلاميذ العالم الحنبلى المشهور ابن تيمية الذى يستمد بعض المتطرفين الآن افكارهم من كتبه ، فمن هو ابن الجوزية ؟! ..

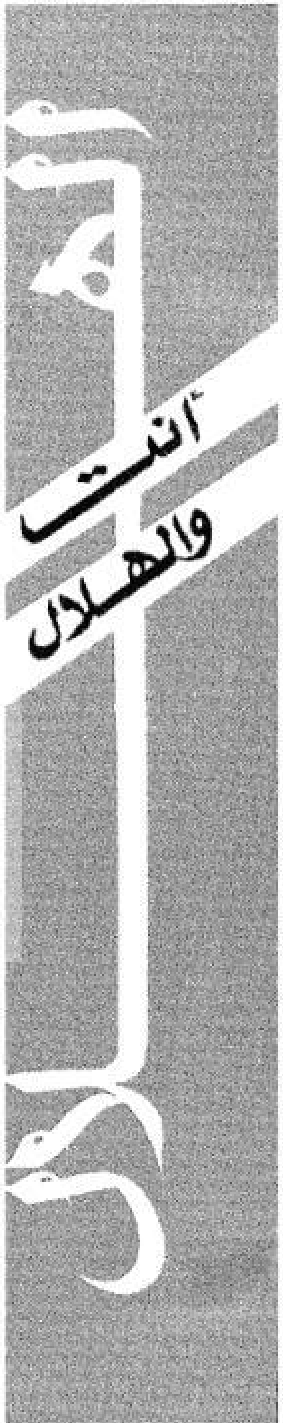
على رجب شمس
الاسكندرية

ـ ابن الجوزية هو الشيخ ابو عبد الله شمس الدين محمد بن ابى بكر ايوب المعروف بابن القيم الجوزية ، عاش فى عصر المماليك البحرية بين سنة ٦٩١ هـ و ٧٥١ هـ ، وكان أشهر تلاميذ ابن تيمية وأكثرهم تعصبا له ولمنهجه الحنبلى ، واشتهر بالعبادة والفقه والتفسير ، وله شعر لابأس به فى التصوف وغيره .. بقى أن نقول لك ان المتطرفين يظلمون الآن الفقيه ابن تيميه وتلميذه ابن القيم لأنهم يأخذون اقوالهما بلا فهم صحيح لفارق الزمان والمكان وتغير الأحوال ..

● النهر يازينب ●



النهر يازينب .. والحب
يخالطان ثيابا ..
لـــك وحـــدك ..
النهر يدعو الماء بأن يتعبد
حين تهلين
والحـــب ..
يتطهر فى كفيك
ويصلى .. يازينب



الليل بلا ثوب
عار الا من عشق لقاءاتك
فى عينيه بريق
شوق ان يرسم وجهك
تاجا من عشق ابيض
يازينب ! ..
والقلب بلا رمق
الا من دمع .. عن حلم وهمى
للنهر وبالحب وفى الليل
اموت ! ..



السيد ابراهيم عطية
كفر صقر ـ شرقية

● عدد فن التصوير ●

● نشكركم على عدد فبراير الماضى من الهلال الذى نشرتم فيه صورا نادرة جدا كنا فى اشد الحاجة الى رؤيتها والاحتفاظ بها نحن أبناء الجيل الجديد الذين لم يتح لنا الاطلاع من قبل على هذه الصور . ولو اننا كنا نود ان تكون الصور اكبر مما نشرتم لأن دار الهلال مشهورة بأرشيفها الضخم من الصور التاريخية .

سميرة عبد النبى شهدى
دمنهور

● الصور صغيرة الحجم ●

● فى عدد يناير من الهلال صور قيمة نادرة ولكن بعض الصور تشتمل على خمسة او عشرة أشخاص ولهذا ظهرت هذه الصور فى حجم طابع البريد ولايمكن رؤية اى تفاصيل فيها كأن الذى نشر هذه الصور يريد ان يعرف القراء ان لدى دار الهلال صورا بهذا الشكل فقط وليس مهما ان يتمتع القارىء بالصور ، بالاضافة الى ان تلوين بعض الصور أفسدها ولو تركت كما هى فى الاصل « ابيض وأسود » لكانت أوضح من ذلك بكثير .

محمد عاصم انور جاد
المعادى

● مع أصدقائنا ●

● أحمد محمود مبارك ـ الاسكندرية :
ـ نأسف لما توهمتموه من أن نشر أبيات لكم في هذا الباب هو انتقاص من مكانتكم .. والحقيقة اننا اردنا تكريمكم ، وانما الاعمال بالنيات ، ولاشأن لنا بالمجلات التي ذكرتموها في رسالتكم ، فإن هذه المجلات التي تنشر كل مايحمله البريد اليها هي من اهم أسباب انحطاط الشعر والأدب في هذا الزمان ! .. ومعذرة ..

● السيد محمد علي عصر ـ مسلكن السكة الحديد ـ الواسطي :
ـ لم نستطع ـ للأسف ـ قراءة ماأرسلتموه الينا من شعركم لأنه نسخة ثانية او ثالثة من النسخة الأصلية ، ولهذا فهي باهتة جدا ، ونظرنا لايحتمل التحديق في الحروف الباهتة والمطموسة ! ..
● سمير رمزى المنزلاوى ـ منية المرشد ـ مطوبس :
ـ قصتكم التي عنوانها « يوميات النبأ العجيب » قصة جيدة ، ونرجو ان ننشرها في اقرب فرصة .. اما عنوان زميلنا القعيد فهو : « مجلة المصور بدار الهلال » .. وليس في « الهلال » باب خاص اسمه « باب القصة » .. ولكننا ننشر كل قصة صالحة للنشر ..
● عاطف نجم محمد علي ـ طالب بمعهد شبين القناطر الديني :
ـ قصيدتكم « إلى متى » ليست شعرا لأنها تفتقر الى الوزن افتقارا تاما .. حاول ان تهتم بدراستك في هذه المرحلة من حياتك ، ونأسف للظروف السيئة التي مررتم بها وتحدثتم عنها في رسالتكم

● عماد رفعت السيد ـ طالب بمدرسة ابو بكر الثانوية ـ بنها :
ـ نقول لك كما قلنا لزميلك عاطف نجم : حاول ان تهتم بدراستك في هذه المرحلة في حياتك ! .. ليس في قصيدتك التي أرسلتها الينا مايدل على وجود موهبة شعرية لديكم ، مع الأسف ! ..
● ونشكر اصدقاءنا الأساتذة : محمود عبد المجيد أحمد .. عاصم فريد البرقوقي .. عبد الرحيم الماسخ .. ابو بكر محمد محمد حسانين .. عادل جندية .. ايمن فاروق فؤاد .. اشرف محمد عبده البكلاوى .. اشرف أحمد علي السيد .. عبد العزيز الشراكي .. رفعت محمد بروبي .. محمد فتحي غريب .. ابو الهيثم المجدلي .. هويدا عمر عبد العزيز . رضا ابراهيم عبد المعطي .. احمد عبد الحميد عرابي .. وائل وجدى .. كريمة ثابت ..

الكلمة الأخيرة

المسالة قديمة .. كان ابى يتندر وانا صبى برواية اللورد كرومر حاكم مصر الفعلي فى اوانه .. حضر حفل عرس فطلب من جاره ان يترجم له معنى اغنية ، مطرب الحفل وكلماتها :

، هاتولى حبى يانلس .. هرب وفي ايده الكاس ،

فتعجب كيف يرضى هذا الفتى العاشق المصرى ان يجلس يدخن الترجيله ويطلب من جميع الناس ان يجروا فى الشوارع والازقة لاعادة حبيبته اليه ولو بالقوة ..

كان حينئذ لاغزل بلا كاس ، سلو كئوس الطلى ، ثاب الفتى بعد جيل من شرب الخمر ولكنه يفلجك اذا قابلته بانه ، مسكين وحاله عدم ، .. ثم بعد جيل اخر تدخل عليه فيقول لك وهو يئن انه ذاب كالشمعة من هجر حبيبه مع ان جحده يملأ الفراش ..

ثم يئن ويقول انه مجروح مع ان جلده صاغ سليم . من الذى جرحك رمش عينه .. والطامة الكبرى اننا نراه ذات ليلة واقفا تحت شرفة يعلن انه شحاذ يتوسل الى حبيبته ان ترمى له بقبلة ، وان لهذه القبلة ثوابا كبيرا عند الله ثم يظل لازقا كالذباب تحاول البنت ان تهشه فلا تفلح .

لاتحتمل اعصابى هذا المنظر وحدثت بعض اصدقائى عن ضجرى به فاذا بهم يقولون لى :

ان هذه الاغنية بعد ملاحظتى قد طغت على جميع الاذاعات كاننى نفخت الرماد فاصبح نارا .. ليس فى كلامى علم الله مساس بالملحن الذى انصفه الشعب بعد وفاته فاعترف بفضله فى التزام الصدق والبساطة ..

استرجع ذكرى «مارجو» الفتاة الانجليزية الارستقراطية التى صدمت العصر الفيكتورى بنزواتها الجريئة وانتهت بزواجها من رئيس وزراء بريطانيا مستر «اسكوث» ..

جاءها يوما شاب فى قمة الوسامة والثراء والمجد وركع امامها وقال لها : اذا رفضت الزواج منى سانتحر فاجابته على الفور :

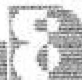
لهذا وحده ارفض زواجك ولو كنت اخر رجل فى الدنيا لاننى احب لمن يعشقنى ان يكون صامدا لاقسى خطوب الحياة .. لا ان ينتحر بسبب ان فتاة رفضته ..



يحيى حقي

صخر

يوفر برامج تعليمية شيقة للأطفال



العالمية al Alamiah

الكويت: الشركة العالمية تلفون [illegible]
الإمارات: اليوسف إنتلجنت كمبيوتر تلفون [illegible]
البحرين: الزياني للخدمات التجارية تلفون [illegible]
ابرقة الكمبيوتر العربية تلفون [illegible]
مسقط: للمعلومات تلفون [illegible]

اليمن: المكتبة للحاسبات الالكترونية [illegible]
الأردن: مركز الكمبيوتر الأردني تلفون [illegible]
السعودية: العالمية الرياض تلفون [illegible]
العالمية جدة تلفون [illegible]
العالمية الخبر تلفون [illegible]

العراق: المنشأة العامة للأجهزة الدقيقة تلفون [illegible]
سوريا: مركز الكمبيوتر العربي تلفون [illegible]
لبنان: صخر للكمبيوتر تلفون [illegible]
مصر: الشركة الاستشارية (بكو) تلفون [illegible]
ليبيا: مؤسسة تنمية العربية الطفل الآلي تلفون [illegible]

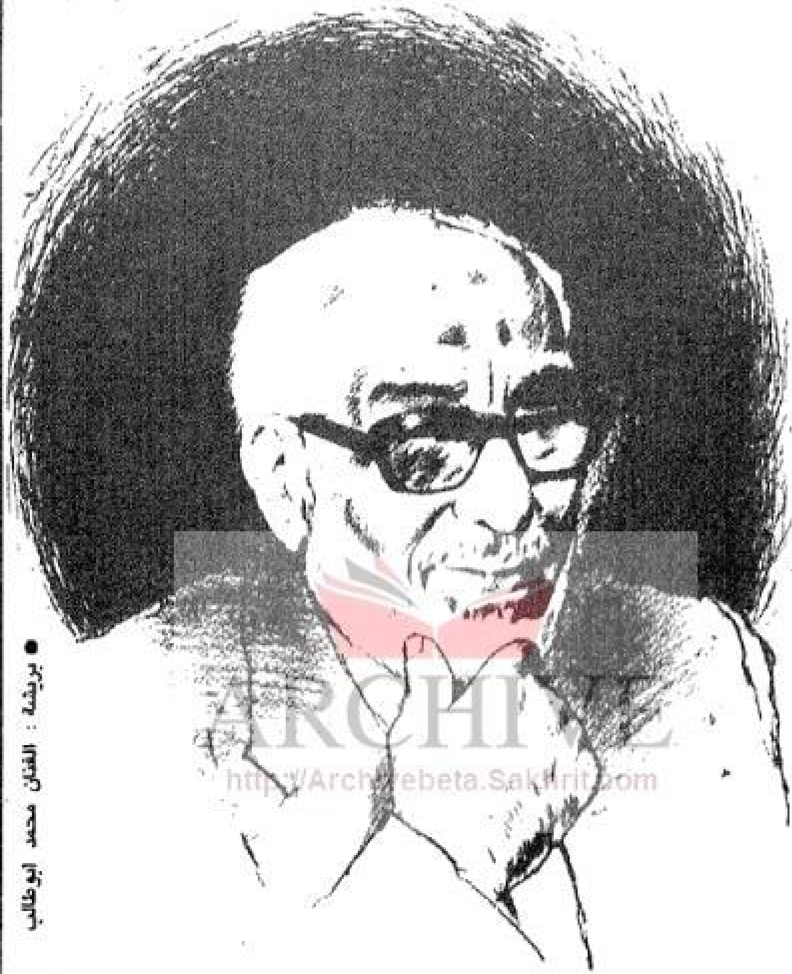
تونس: شركة الكمبيوتر والبرمجيات تلفون [illegible]
الجزائر: المؤسسة الوطنية [illegible] تلفون [illegible]
المغرب: [illegible] تلفون [illegible]
فرنسا: [illegible]
الصومال: [illegible] تلفون [illegible]
موريتانيا: مؤسسة [illegible] تلفون [illegible]

الهلال

أبريل ١٩٨٩ ● الثمن ٧٥ قرشا



قمم عربية



الأستاذ محمود محمد شاكر

الهلال

مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجي زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

السنة السادسة والتسعون • أبريل ١٩٨٩م • شعبان ١٤٠٩هـ

محمود محمد شاكر فنان وعالم. عشق اللغة العربية ودافع عنها بكل كيانه ووجدانه. وسهل عليه الجمع بين الفن والعلم.. منهجه تذوقي.

هو كاتب وشاعر ومحقق وسياسي ومؤرخ. ساعده على ذلك نشأته في بيت حافل بمجالس العلماء والأدباء ورجال السياسة. تفتحت عيناه على ثورة ١٩١٩، وعلى دار تموج بالثوار. وعاش فترة الصبا يشهد التناقضات والصراع حتى غدا عاشقه يحس في صدره تحتدمه الذات ومن ثم شدة تطرف في شعوره نحو حب العلم والتحصيل.

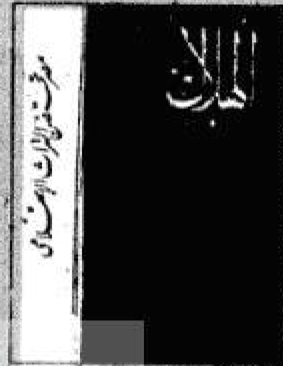
عرف الكثير بعد التحاقه بكلية الآداب وخاصة عن عبقرية اللغة العربية بعد قراءة لسان العرب وإعادة قراءة كتاب الأغاني وحفظ عشرات الدواوين لشعراء العربية بجانب قراءاته الواسعة في الفقه والتفسير والحديث والتاريخ.

عاش فترة متفرغا للكتابة في الصحف والمجلات الأدبية. وقد بحرفه أكد على نشر روائع التراث بتحقيق علمي ومنهجي مستقل. يحظى بالتقدير في أوساط العلماء والمفكرين.

في مقال.. شكري عياد ص ٣٢

فى هذا العدد

فكر وثقافة



الغـــــلاف
تصميم الفنان
محمد أبوطالب

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوى . وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية . وفى الخارج بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة بعاليه عند الطلب .

دائرة الحوار

فنون

قصة وشعر

● الأبواب الثابتة

دار الهلال

١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٦٢٥٤٥٠ سبعة
خطوط مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨١
رقم التلكس 92703 Hilal . U . N

ثمن النسخة

سوريا ٤٠ ليرة . لبنان ٥٥٠ ليرة . الأردن ٥٠٠ فلس . الكويت ٤٠٠ فلس . العراق ٣٥٠٠ فلس . السعودية ٥ ريالات . عدن ١٢٥ سنتا . البحرين ٨٠٠ فلس . الدوحة ٦ ريالات . دبى ٦ دراهم . لوس انجلوس ٤٠٠ سنت . ابوظبى ٦ دراهم . مسقط ٦٠٠ بيسه . تونس ١٤٠٠ مليم . المغرب ١٥ درهما . غزة والضفة ٧٥ سنتا . داكار ٦٠٠ فرنك . لندن ١٢٥ بنسا . ايطاليا ٢٥٠٠ ليرة . نيويورك ٤٠٠ سنت اليمن الشمالية ٦ ريالات . كندا ٥ دولارات

ربيع القلوب

عزيزي القارئ

في الأسبوع الأول من هذا الشهر ـ ابريل ـ يبدأ شهر رمضان المعظم ، فيجيء مع شهر نيسان ـ وهو شهر الربيع ـ ليكون شهرا لربيع القلوب والأرواح ، فإن شهر رمضان هو شهر القرآن ، والقرآن ربيع الأرواح والقلوب ، به خرجت الأمة العربية منذ أربعة عشر قرنا من جاهليتها الى نور حضارتها وريادتها العلمية والفكرية للعالم القديم كله !

كان العالم القديم منذ أربعة عشر قرنا يضم امبراطورية الفرس وامبراطورية الروم وامبراطورية وسط وجنوب أوربا التي تضم شعوبا كثيرة .. فضلا عن امبراطورية الهند وامبراطورية الصين ! ..

وفي وسط هذه الكتل الدولية الهائلة ، وثبت هذه الأمة الفقيرة القليلة العدد ، أمة العرب ، التي اختارتها عناية السماء لحمل رسالة التوحيد والتنوير لهذا العالم كله ! ..

وقد حملت الأمة العربية القليلة العدد والعدة ، هذه الرسالة السماوية كأحسن ما تحمل أمة عريقة راقية رسالة كبرى تنهض بها لتنوير العالم وتغيير خط سيره من الضلالة الى الهداية ، ومن الظلام البهيم إلى الضوء الساطع ! ..

ولكن انقضاء أربعة عشر قرنا على هذه الأمة ، يلفتنا بقوة الى التساؤل :

ـ ماذا جرى لهذه الأمة التي كانت خير أمة أخرجت للناس في قديم الزمان ؟ ! ..

سؤال مناسب لشهر الصوم المعظم ، لأن هذا الشهر الذي أنزل فيه القرآن ، هو خير موسم للذكرى ، والذكرى تنفع المؤمنين ، وينبغي للمؤمنين أن يتذاكروا في موسم شهر القرآن تاريخهم المجيد ، ويتأملوا كيف أصبحوا في ذيل الأمم بعد أن كانوا في مقدمتها ؟ ! ..

لقد انحدر المسلمون من مكانتهم الرفيعة منذ تحولوا من التفكير العلمي الذي حضهم عليه كتابهم الى الجمود على مجموعة من المسلمات لم يأمرهم بها الكتاب ولا السنة ، وإنما ساقتهم إليها شطحات أصحاب المذاهب المختلفة ..

وها نحن أولاء نرى ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين أمة الاسلام مشغولة بقشور تتقاتل عليها بالسلاح ، ويتحزب فريق منها ضد فريق ، ويرمي بعضها بعضا بالكفر والمروق ! ..

إن العالم كله ـ بما فيه الكثير من دول العالم الثالث ـ يغذ السير إلى حضارة المعلومات وحضارة عصر الفضاء ، بينما ينقلب كثير من المسلمين عائدين القهقرى الى القرون الوسطى ، وكأننا مازلنا في عصر الباب العالي وسلطان استانبول والمماليك الجراكسة ، العثمانلية ، ! ..

كيف يصح في الذهن أن يثب اتباع مذهب الاثنى عشرية في إيران ، على بلد اسلامي هو

والأرواح في شهر الصيام

العراق ، ويشنوا عليه الحرب ثماني سنوات بلا انقطاع ، تحت لافتات مذهبية لا تحتوى إلا على التعصب المذهبي ولا تمت إلى الاسلام بأدنى صلة من قريب او بعيد ؟ ! ..

لقد وضعت هذه الحرب أوزارها ، وهذا اول شهر من شهور رمضان منذ ثمانية اعوام ، ترتاح فيه أسماع المسلمين من دوى المدافع، وهدير الطائرات ، وانفجار الصواريخ ! ..

ولكن المشكلة الاسلامية مازالت قائمة ، وشهر رمضان يشهد عليها ، وسوف يستدير العام ويجيء شهر رمضان مرة أخرى ليشهد من جديد على ان مشكلة المسلمين مازالت قائمة ! ..

ومن افغانستان انسحبت القوات السوفييتية ، فعلام يتقاتل الافغان هناك ؟ ! ..

فى السنوات الماضية كانوا يقاتلون الغرباء ، فلماذا يستمر بعضهم في قتال بعض حتى الآن ، وينقسم بعضهم على بعض ، ويكفر بعضهم بعضا ، ويدعي بعضهم لنفسه الاسلام والايمان ، ويرمي أخاه بالفسوق والعصيان والمروق من طاعة الرحمن ؟ ! ..

إن اعداءنا العالميين من استعماريين وصهيونيين وغيرهم ، هم الذين يشعلون النيران فى صدورنا لكى تتناحر صفوفنا بدلا من ان تستقيم وتتراص وتلتئم فى اتجاه واحد صحيح ! ..

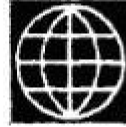
وهؤلاء الأعداء الذين يؤرثون نار العداوة والبغضاء بين المسلمين هنا وهناك ، هم الذين يضربون العرب والمسلمين فى فلسطين بكل غلظة وحقد مجنون ، وهم الذين لايرضيهم إلا ان تصبح أرض فلسطين العربية كلها مستوطنة كاملة لشذاذ الآفاق ممن يدعون انهم من ابناء سام وهم لايحملون فى عروقهم قطرة واحدة من الدم السامي لانهم اوربيون اقحاح او خزريون من فلول القبيلة الثالثة عشرة ..

عزيزى القارىء

إن هموم المسلمين كبيرة ، والطريق إلى الخلاص منها طريق صعب طويل محفوف بالمكاره ، ولكننا نستمد من نورانية شهر رمضان الكريم وروحانيته قوة امل ، وقوة عمل ، ونقتبس نورا هاديا إلى سواء السبيل ..

إن شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن ينادى قومه ويقول لهم : لقد شغلكم خصومكم بالقشور ، وحرضوكم على الاهتمام بسفاسف الأمور ، فانقدتم إليهم ، فمتى تفيقون إلى انفسكم ، ومتى تتذكرون قوله تعالى : إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ؟ ..

المحرر



العالم في سطور

فيينا

● المرض .. هو سر الإبداع المتدفق

الأدب هو نوع من الإخـراج السينمـائـي للموت ..

هـذه الجملة قـالهـا الكـاتـب النمسـاوي المعروف توماس برنارد الذي مات في أول مارس الماضي عن عمر يناهز الثامنة والخمسين .

وبرنارد هو أحد الأدباء الـذين شغفوا بـالموت وأحبوه قبل ممارسته وفي كتاباته كان يهتم ، في المقام الأول ، بالجنون والانتحار والمرض .. وهي أشياء يحملها المرء دائما على ظهره شاء أم أبي ..

كما أن برنارد هو أحد أبرز الأدباء الذين يكتبون بـاللغة الألمـانيـة عقب الحرب العالمية الثانية فهو يكتب الرواية والمسرحية والدراسة الأدبية .. وقد ترجمت أعماله الى العديد من اللغات ، ونالت جوائز عـديدة داخـل وخـارج بلاده ..

وفي أدبـه انعكست همومه الخاصة على لغته الأدبية ، وعلى الحكايات التي يرويها فأغلبها يدور فـي المستشفيـات والمصحـات النفسيـة وأبطالها هم غالباً من المرضى الذين يعانون من داءات عضال ويعرفون الآلام الشديدة .

وقد عرف توماس برنارد بغزارة إنتاجه في مجالات الإبداع المختلفة .. ولذا فإن عناوين كتبه تفوق كثيراً أبناء جيله من الأدباء . ومن هـذه العناوين المنشورة فـي السنوات الخمس الأخيرة من حياته نجد "النَفَس" و"بيتون" و"جيلو" "أشجار قابلة للقطع" و"طفل" .. وهذا الكتاب الذي نشره عام ١٩٨٤ يعد بمثابة سيرة ذاتية لحياة شخص ولد عام ١٩٣١ في هولندا من أم تعمل راقصة باليه . أما الأب فلم يكن سوى عشيق عـابر في حيـاة هـذه الراقصة ثم اختار أن يدخل الدير وقد رحلت المـرأة بعد ذلـك الى النمسا .

ولابد لطفل مثل برنارد أن يرتبط بأمه بشكل حاد « كان حب أمي الشديد لي يجعلني أنفر من وجود أب لي .. بـل وأب لكـل الأطفال » .



توماس برنارد

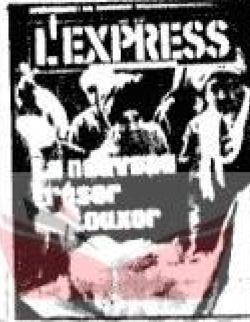
هذه الأم هي التي علمته كل الأشياء التي تلقاها في حياته .. خاصة في طفـولته .. ركـوب الـدراجـة واللعب مـع الأطفال وكيفية الوقاية من أخطار الحرب .. وظلت تـرقبـه دائمـا بعينيهـا الحريصتين حتى أصبح رجلاً بالغاً .. أو طفلاً كبيرا كما كانت تراه ..

الأقصر

● كنز الأقصر الجديد ●

لايمكن لأى مصرى غيور على حب بلاده إلا أن يشعر بالغيرة ، وفى نفس الوقت بالاعتزاز ، من ذلك التحقيق الذى نشرته مجلة الاكسبريس الصادرة فى ١٠ مارس الماضى تحت عنوان "فرعون فى قلب الحوش" حيث تصدر هذا الموضوع غلاف المجلة تحت عنوان آخر هو "كنز الأقصر الجديد" حول الاكتشافات الجديدة التى تمت فى مدينة الأقصر فى الفترة الأخيرة حيث تم العثور على خمسة تماثيل بحالة جيدة لأمنوفيس الثالث أحد أشهر الفراعنة فى الأسرة الثامنة عشر . ينبع الإحساس بالغيرة هنا ، أن الصحافة المصرية لم تول هذا الموضوع من الأهمية ما يستحقه . وانها تركت مجلة فرنسية تقوم بهذا الدور بل أن الموضوعات التى نشرت أخيرا حول هذا الاكتشاف الهام قد جاءت فى إطار اهتمام زيارة الرئيس حسنى مبارك لمواقع الاكتشافات .

وفى الوقت الذى لم تنشر فيه الصحف الكثير من الصور حول هذه الاكتشافات فإن المجلة أفردت مجموعة من الصور تنشر لأول مرة لأحد الاكتشافات الأثرية الهامة فى القرن العشرين بعد



اكتشاف كارتر لمقبرة توت عنخ آمون عام ١٩٢٢ ، ثم اكتشاف كنز الطود عام ١٩٣٩ . ومراكب الشمس فى الخمسينيات .

وتقول الصحفية الفرنسية فرانسواز مونتييه أن التماثيل الخمسة رقدت فى مكانها آلاف السنين وقد خبئت معها اسرارها . ولايعرف أحد حتى الآن لماذا وضعت هذه التماثيل فى ذلك المكان الخفى . ولا كيف حدث ذلك . وترى أن الملك امنوفيس الثالث قد تولى عرش مصر بين عامى ١٣٩١ و ١٣٥٣ قبل الميلاد بعد الملكة حتشبسوت وفى تلك الفترة كانت السيادة المصرية تبدأ من الفرات وحتى ليبيا فى الغرب وكانت طيبة أبرز عاصمة فى العالم آنذاك .

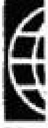
وقد آمن امنوفيس الثالث بدور الفن المعمارى فى التقريب بين الإنسان والآلهة . وقد حكم مصر من بعده ملوك من طراز اخناتون وتوت عنخ آمون .

وتكشف التماثيل التى تم العثور عليها عن وجه الملك الشاب الجميل . ولذا فمن المتوقع أن تعيد الى الناس اسطورة الملك الشاب توت عنخ آمون ..

موسكو

الحرية .. والطفولة .. فى العالم

تحت عنوان "دورة الحرية فى العالم" نشرت مجلة لوبوان تحقيقاً صحفياً فى عددها ٨٥٧ كان ابرز ما فيه هو تلك الرسوم التوضيحية التى تكشف عن دورة الحرية



في العالم فقد تدرجت الحرية إلى خمسة اقسام في كافة انحاء الدنيا . واعتبرت المجلة أن هناك مناطق بعينها تشهد حالات جيدة من الحريات مثل امريكا الشمالية (عدا المكسيك) ودول شرق امريكا اللاتينية كالبرازيل والارجنتين وفنزويلا ثم استراليا . وغرب أوروبا ..

وفي الدرجة الثانية هناك دول تتمتع بحريات جيدة . لكن هناك بعض القلاقل المحلية . ونقص في قدرات وسائل الاعلام . ومن بين هذه الدول : مصر والسودان ، والهند وباكستان وبيرو والمكسيك واندونيسيا ، وجنوب افريقيا .

أما النوع الثالث من الدول فهي تعاني من مشكلات التعددية . والانتخابات ودور المرأة الانتخابي وتعتبر بوليفيا وتشاد من أبرز الأمثلة على هذه الحالة ..

وهناك دول تدعي انتهاج الديمقراطية لكنها لا تمارسها .. وإنما تحاول أن تفعل ذلك من خلال بعض النوايا مثل تركيا ويوغسلافيا واوغندا ..

أمّا النوع الخامس من الدول فهو حسب الخريطة المنشورة الأكثر سيادة وشمولاً في العالم .. وفي هذه الدول فإن هناك نقصا واضحا في حرية التعبير والاعلام مثل دول المعسكر الشرقي والصين والعديد من دول افريقيا منها انجولا ومالي واثيوبيا ثم شيلي في امريكا اللاتينية .

وفي خريطة أخرى نشرت المجلة بياناً عن حقوق الطفل في العالم . فإن آسيا هي أكثر المناطق التي يتعرض فيها الطفل للطحن لدرجة أن نسبة الدعارة تنتشر بشكل واضح لدى فتيات في سن الطفولة ..

أما مصر فإنها تدخل في إطار الدول التي يعاني فيها الأطفال من مشاكل جسيمة ولكنها ليست سائدة بشكل عام وهناك ايضا عدة دول في غرب امريكا اللاتينية وجنوب افريقيا .

وفي دول المعسكر الشرقي يعيش الأطفال في حال افضل . ويدخل في هذا الإطار ايضا كل من السودان والولايات المتحدة واستراليا والنيجر وغانا .

ومما سبق يتضح ان حرية البشر لا ترتبط شرطيا في خريطة العالم بحقوق الطفل .. الذي هو ايضاً من البشر .. او بالاحرى هو صانع الغد .. وحريته .

نيودلهي

نهرو مرة أخرى



"م . ج اكبر" مؤلف كتاب "نهرو : صنع الهند" (٦٠٩ صفحات) لم يكن له من العمر سوى ثلاثة عشر عاما عندما مات "نهرو" .

وهو ينحدر من أسرة مسلمة ذات ماض فريد فعائلة امه فرت إلى

باكستان عام ١٩٤٧ .

وجده لأبيه ترك الهندوسية واعتنق الاسلام دينا ومع ذلك احتفظ بولائه السياسى لحزب المؤتمر تحت زعامة غاندى .

وابرز زعيم فى الكتاب بعد نهرو وغاندى هو "محمد على جناح" .

وتقسيم الهند فى رأى "اكبر" صاحب الكتاب إنما يرجع إلى مؤامرات الاستعمار البريطانى وطموح "جناح" الشخصى .

وثمة تناقض بين هذا الرأى وبين ما جاء فى أجزاء أخرى من الكتاب عن فشل غاندى ونهرو فى تحرير حزب المؤتمر من العناصر المعادية للمسلمين المعششة فى جميع مستويات الحزب من اعلى إلى أسفل ، والتى ساهمت بوجودها هذا فى إيقاظ تخوف المسلمين من الاضطهاد ، بل وفى إشعال نار الفتنة الطائفية .

ومن عيوب الكتاب عدم مراعاة مؤلفه الدقة فى سرد الوقائع .

فمثلا نسبة المسلمين للهندوس كانت واحداً لثلاثة فى الهند قبل التقسيم .

ومع ذلك فهى فى بعض صفحات الكتاب واحداً لأربعة وفى بعضها الآخر واحداً لثلاثة .

فأى الصفحات نصدق ؟

لندن

لير .. اوبرا

واخيرا ها هى مسرحية "الملك لير" اصعب مسرحيات شكسبير تستحيل إلى اوبرا من إبداع الموسيقار الالمانى "اريبرت رينمان" .

ولقد كان الباريتون الالمانى الشهير "ديترش فيشر ديسكاو" أول من غنى دور الملك مع اوبرا الدولة البافارية (١٩٧٨) .

والغريب انها لم تعرض خارج أوروبا إلا فى سان فرانسيسكو ، وذلك بعد إعادة ترجمتها إلى الانجليزية !! .

والأغرب انها لم تعرض فى انجلترا - وطن شكسبير - إلا منذ أسابيع .

وصعوبة إبداع اوبرا مستوحاة من "الملك لير" إنما ترجع إلى عدم إنسانية القصة ، فضلاً عن حظ المسرحية الكبير من ثراء اللغة .

ورغم غلبة الرعب عليها ، فقد لاحظ "دافيد هير" الذى اخرجها للمسرح القومى (١٩٨٦) ان الأطفال يحبونها ، واحد منهم لا يعرف سبب ذلك .

ولكن ثمة شيئاً فيها يدور حول رجل عجوز يلعب قريباً من الشاطىء مع رجل اعمى .

وهذا الشيء هو الذى يجذب انتباه الأطفال .

ويقول الموسيقار "رينان" إنه هو الآخر قد وقع فى حب المسرحية عندما كان طفلاً .

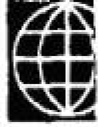
ولقد كانت مشاهد العاصفة اكثر المشاهد إثارة لحواسه وقتذاك .

ومن هنا بناؤه موسيقى الأوبرا حول العاصفة متخذاً منها فرصة للتعبير عن فراغ العالم المحيط "بلير"

باريس

مأساة كلوديل

نال فيلم "كاميل كلوديل" جائزة سيزار



لأحسن عمل سينمائي فرنسي وهي تعادل عند الفرنسيين جائزة اوسكار كما فازت « إيزابيل ادجاني » بسيزار أحسن ممثلة .

ومن المعروف عن ادجاني أنها تنحدر من أصل جزائري بفضل الأب .

وهي اشهر ممثلات السينما الفرنسية المعاصرة ولعلها أعظمهن شأناً .

ولقد اعتزلت التمثيل السينمائي والمسرحي في فرنسا منذ اربعة اعوام او يزيد .

ولما طال الاعتزال ، انطلقت شائعات مغرضة تقول فيما تقول انها تعاني سكرات موت اكيد .

ومع ذلك ظلت معتزلة ، رغم ذهاب الشائعات الى حد القول بأنها مصابة بمرض "الايدز" إلى ان فاجأت الوسط الفني الباريسي باختيار المصور الموهوب "برونو نوتون" كي يخرج أول فيلم من ابداعه وحده ، وتكون هي ممثلته الأولى .

و"كاميل كلوديل" هو الفيلم الذي انتظرته "ادجاني" اكثر من اربعة اعوام ، حتى لا تعود إلى الشاشة إلا به .

وهو يحكي مأساة المثالة كاميل شقيقة الأديب الفرنسي الذائع الصيت "بول كلوديل" .

كيف كانت الايام والحوادث اشد منها حزما وعزما ، كيف أغرت بها المثال "ارجوست رودان" واغرت بها شقيقها الأديب والسفير ، وافقدتها حب امها .

وكيف ادى بها كل ذلك إلى مستشفى المجانين حيث مكثت ثلاثين عاما معزولة عن عالم الأصحاء إلى ان جاءها الموت بسبب الجوع والبرد في خريف ١٩٤٣ .

واشنطن

عودة لورنس



في أوائل شهر فبراير الماضي أعيد عرض فيلم "لورنس العرب" في إحدى دور العرض الكبرى بالعاصمة الأمريكية حيث رآه الجمهور لأول مرة على شاشة عريضة (سبعين مللي) وبصوت مجسم دولبي ولمدة ثلاث ساعات ونصف .

ومن المعروف أنه فاز بأهم جوائز اوسكار عندما عرض منذ سبعة وعشرين عاما .

ومع ذلك فهذا الفوز المبين لم يقف حائلاً بين منتجه الصهيوني "سام سبيجل" وبين حذف عشرين دقيقة من "لورنس العرب" حتى يتمكن من عرضه اربع حفلات يومياً ، فيحقق بذلك مزيدا من الربح السريع .

وبعد ربع قرن من الزمن سيطرت على "روبرت هاريس" - وهو من المتخصصين في أرشفة الافلام - فكرة إعادة تلك الدقائق المحذوفة إلى الفيلم ، وفي ظنه ان ذلك لن يستهلك من وقته إلا بضع ساعات .

وإذا بها تستحيل إلى ملحمة مؤلمة تستهلك من عمره عامين أو يزيد .

وجميع العرب في

الفيلم ، وفي مقدمتهم "عمر الشريف" ذوو بعد واحد ، وذلك فيما عدا "الأمير فيصل" (اليك جينيس) الذي روعي في رسم شخصيته أن تكون متعددة الأبعاد .

أما "لورنس" (بيتر اوتول) فقد تصوره المخرج "دافيدلين" في صعوده وسقوطه وكأنه بطل من أبطال الأساطير .

وطبعاً لم يعرض بالذكر لواقعة معروفة الآن ، وهي انه كان من عتاة جواسيس الامبراطورية التي لا تغرب عنها الشمس .

وإن كان ثمة ذكر هامش في الفيلم لشذوذه الجنسي ومعاناته من الوان من السادية والمازوكية يشيب لهولها الولدان .

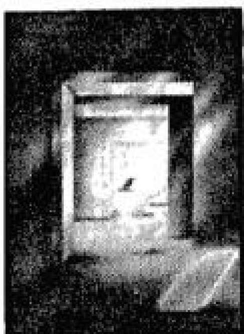


برلين

عودة إلى الجذور

مرت السينما الالمانية بفترات صعود وهبوط مروعة خلال العشرينيات والثلاثينيات وجنب ابان عقد الخمسينيات ، مدرسة ظفرت بشهرة عالمية فاقت كل تصور .. رينر فيرنر فاسبندر ، فيم فندرز ، فيرنر هرتزوج ، الكسندر كلوج ابان السبعينيات .

اعقبها رحيل معظم أصحاب الأسماء اللامعة





بحثا عن عمل خارج البلاد ..

والآن يبدو أن موجة الصعود قد بدأت تعلو من جديد ، بفضل "ارض الوطن" لصاحبه "ادجار رايتز" وهو فيلم يمتد عرضه ساعات تكاد تصل إلى أكثر من نصف يوم .

ولا غرابة في هذا ، فهو يعرض لحياة أسرة في إقليم السان قبل الحرب العالمية الثانية واثنائها ثم بعد انتهائها وحتى يومنا هذا .

ولقد عرض في مهرجان برلين السينمائي الأخير عدد من افلام المخرجين الالمان المنتمين للجيل الجديد .

وهي في مجموعها تتناول تاريخ المانيا المشاوى ابان النصف الأول من القرن العشرين متشابكاً مع رغبة عارمة في العودة إلى وطن تمتد جذوره في الأرض الأسرة ، التقاليد ..

وكل ذلك تحت تأثير فيلم "ارض الوطن" الذي شق طريقه إلى وعي الألمان الوطني .

وقد يكون فيلما "مسيرة والار الأخيرة" لكريستيان فاجنر و"لبن الخريف" لجوزيف فيلسماير أكثر افلام ذلك الجيل نجاحاً في مجال استغلال تقاليد الزراعة والريف .

ولا ريب أن هذا التطور اليسير لابد أن يؤدي بالسينما الالمانية إلى تحول خطير .

أزهى عصور التراث الشعبي في رمضان

بقلم : كمال سعد

ظل الاحتفال بشهر رمضان لمذاق خاص فى مصر على مر العصور ، الا أن ازهى تلك الفترات واكثرها ابهة وجلالا تلك التى جرت في عصر الفاطميين : فقد اعتبروا شهر رمضان هو موسم الكرم والبذل والعطاء ، ولذلك خرج الخليفة من اجله فى مواكب مهيبة لاداء الصلاة فى ايام الجمع الثلاث الاخيرة من رمضان ، مرة فى جامع الحاكم والاخرى فى الجامع الازهر والثالثة فى جامع عمرو ، وكان الهدف من زيارة المساجد الثلاثة - بالطبع - فى نهاية هذا الشهر المبارك هو اظهار الخليفة بمظهر الامام الدينى للمسلمين ، فكنت ترى الخليفة فى ذلك اليوم متحليا بالملابس الغالية اثناء خروجه من باب الذهب احد ابواب القصر الفاطمى الكبير، بينما يحف به الوزراء بأزيائهم المزركشة وخيولهم المطهمة، وفى ايديهم الرماح والاسلحة المكفتة بالذهب والفضة وكذلك الاعلام الحريرية ذات الالوان الخاطفة للأبصار !



الأحياء الشعبية اكثر الاماكن ابتهاجا برمضان

ازهى عصور التراث الشعبى

وامام موكب الخليفة الفاطمى كان يتقدم الجنود الذين تصاحبهم نغمات الموسيقى ، بينما يتبارى التجار فى تزيين حوانيتهم ويتفننون فى زخرفتها من اجل لفت انظار الحاكم اثناء سير موكبهالذى يخترق بينالقصرين ويخرج من بابالفتوح ليدخل بابالنصر عائدا الى باب الذهب فى قصره ، الذى ما ان يصله حتى يغير ملابسه ويأمر بتوزيع الدنانير والهدايا ، ليتوجه عقب منح الصدقات للفقراء والمساكين لزيارة قبور آبائه ، ويعود مرة اخرى الى قصره ليكتب للولاة والنواب بحلول شهر رمضان !

وقد ظلت عادة هذا الموكب وغيرها سائدة طوال حكم الفاطميين ، فكان مثلا الخليفة الفاطمى العزيز بالله هو اول من اقام مائدة فى شهر رمضان ليفطر عليها اهل الجامع العتيق « عمرو بن العاص » ، كما اقام موائد اخرى فى الجامع الازهر وكان يخرج من مطبخ قصره فى شهر رمضان - وحده - ١١٠٠ قدر من جميع الوان الطعام .

الكنافة والقاتى بنت السلطان

ولقد جند الفاطميون كل امكانيات الدولة الدينية والثقافية لابراز مظاهر الاحتفالات وفخامتها ، حتى يشعر كل المسلمين فى كافة انحاء المعمورة بمدى اهتمام الخليفة بالمناسبات الدينية وتقديرها اعظم تقدير ، ولذلك شجعوا الشعراء على التنافس فى التعبير عن مشاعرهم نحو مباهج الشهر ومدى تأثرهم بمظاهر الحفاوة البالغة بحلول شهر التقوى والايمان .

بل وسرعان ما عمموا الفانوس كعادة ملاصقة لرمضان ، لمجرد أن المعز لدين الله الفاطمى عندما دخل الى القاهرة يوم ٥ رمضان عام (٣٥٨ هـ) خرج الاهالى لاستقباله وهم يحملون المشاعل والفوانيس ويرددون الاناشيد ، فقد تسابق الصناع عقب ذلك لاعداده بصورة هندسية بديعة وعلقوه على على منارات المساجد لتظل مضاءة حتى السحور كما حمله الاطفال فرحين بحلول الشهر المبارك ، ومنذ ذلكالوقت أصبح عادة سنوية لا نطيق الاحتفال برمضان دون رؤيتها طوال الشهر ، لدرجه أن منطقة « تحت الربع » بالقاهرة تصنع فى شهر رمضان ما يقرب من ثلاثة ملايين فانوس مختلف الاشكال والاحجام والالوان !

ولعل ابرز الشعراء الفاطميين الذين وصفوا فانوس رمضان الشاعر « ابو العز مظفر الاعمى » الذى قال :

ارى علما للناس فى الصوم ينصب
على جامع ابن العاص اعلاه كوكب
وما هو فى الظلماء الا كانه
على رمح زنجى سنان مذهب
ومن عجب ان الثريا سماؤها
مع الليل تلهى كل من يترقب
فطورا تحييه بباقه نرجس
وطورا يحييها بكاس تلهب .
وما الليل الا قانص لغزالة
بفانوس نار نحوها يتطلب

لم ار صيادا على البعد قبله
اذا قربت منه الغزالة يهرب

ولا يكتفى الفاطميون بما أدخلوه من عادات على هذا الشهر ، ولكنهم يتسابقون على احياء كافة العادات الاخرى المصاحبة للشهر المبارك والتى توارثها المصريون ابا عن جد على مر العصور ، وفى مقدمة تلك العادات افران اعداد الكنافة والقطائف التى نراها متناثرة فى كافة الاحياء الشعبية طوال رمضان ، تحيط بها الاضواء والزينات التى تبهج الانظار ، ويقال أن تلك العادات لم تعرفها الا عندما أعدت خصيصا لاول مرة لسليمان ابن

السقا : من مظاهر التراث الشعبي



عبد الملك ليتسحر بها فى المائة عام الثانية من الهجرة ، لنتوارثها عقب ذلك ونولع بها ويخلدها الشعراء فى اشعارهم بمن فيهم « أبو الحسن يحيي الجزار » الذى سال لعابه عندما رأى صوانيها فقال :

ومالى ارى وجه الكنافة مغضبا
ولولا رضاها لم ارد رمضانها
عجبت لها فى هجرها كيف اظهرت
على جفاء صد عنى جفاءها
ترى اتهمتنى بالقطائف فاغتدت
تصد ، اعتقادا ان قلبى خانها

ولم تكن الاغنية الرمضانية معروفة قبل ذلك العصر ، حتى سمعنا الاطفال يطوفون بفوانيسهم فى الاحياء والازقة وهم يغنون « احوى احوى .. اياها .. بنت السلطان .. اياها .. لابسة قفطان .. اياها .. بهلاليه .. اياها .. ياللا تجيبه .. لياها » وظلت الاغنية سائدة الى أن انتشر الى جوارها اغانى الملاحم الشعبية وقصص البطولة والمواويل فى أيام المماليك والعصر التركى ، وكان الرواة ينشدون تلك الملاحم فى مقاهى حى الحسين ، متخللين عليها بعض العظات التى تذكر بأهمية الصيام مثل « ياللى عليك الفرض يوم العرض مش منسائل بكره عليك تنسئل والرب لك سائل .. احسب حساب وقفتك وانت ذليل سائل .. وخجلتك فى القيامة بين أيدين الله .. من العرق فى غرق والدمع لك سائل » .

وفى عصرنا الحديث سرعان ما انتشرت الاغنية التى لحنها أحمد الشريف منذ خمسين عاما وغناها أحمد عبد القادر ، وكانت تقول :

وحوى وحوى اياحه
رحت يا شعبان اياحه
وحوينا الدار

أزهى عصور التراث الشعبي

جيت يا رمضان
وحوى يا وحوى
هل هلالك والبدر اهو بان
شهر مبارك وبقاله زمان
ما احلى نهاره بالخير مليان
جيت بجمالك سقفوا يا عيال

ومنذ ذلك الوقت انتشرت الاغنية الرمضانية ، وأصبح يتبارى المؤلفون والملحنون والمغنون لتحويل ايام رمضان الى ايام بهجة وعيد وفرحة تملأ كل قلوب المسلمين ·

حقائق واشعار ونوادر

وتجمع كتب التراث على ان القاضي ابن عبد الرحمن عبد الله بن لهيعة الذي تولى قضاء مصر عام (١٥٥ هـ) هو اول قاضي ينظر الهلال في شهر رمضان ، وظل القضاة من بعده يخرجون مع الناس الى جامع محمود بسفح المقطم لرؤية الهلال في رجب وشعبان احتياطيا لشهر رمضان ، ومع استمرار خروج القضاة في هذه المناسبة اعدت لهم دكة خاصة عرفت بدكة القضاة على مكان بالجبل يرتفع عن المساجد ، الى ان بنى مكانها مسجد في العصر الفاطمي ·

واستمر الاهتمام بتلك العادة الى ان وصلت الى ذروة الاحتفال بها في عصر المماليك ، عندما كان يخرج قاضي القضاة ومعه اربعة قضاة وشهود يحملون الشموع لرؤية الهلال ، وكان يشترك معهم محتسب القاهرة وتجارها ورؤساء الطوائف والصناعات وبقية فئات الشعب ، وكانوا يشهدون الهلال من منارة مدرسة المنصور قلاوون بالنحاسين

ومما يروى عن شهر رمضان ـ ايضا ـ ان البخاري كان يقرأ طوال هذا الشهر في الازهر ، وأن الشعراء العرب المشهورين وبخاصة الاخطل وابن الرومي وأبو نواس كان شهر رمضان يرهقهم فكانوا دائما في اشعارهم يشيرون الى ذلك على استحياء ، الا ان اظرف هؤلاء الشعراء هو بشار بن برد الذي قال :

قل لشهر الصيام انحلت جسمي
ان ميقاتنا طلوع الهلال
اجهد الان كل جهدك فينا
سترى ما يكون في شوال

ومن الحكايات التي تروى عن « اشعب » المشهور بالطمع انه دخل على احد الولاة في اول ايام رمضان وطلب الافطار ، فجاءت المائدة وعليها « جدي » فنظر اليه اشعب نظرة تدل على انه يريد التهامه كله ، وعندئذ اراد الوالي ان ينتقم منه وأن يحرمه من الطعام ، فقال له : اسمع يا اشعب ان اهل السجن سألوني ان ارسل اليهم من يصلي بهم في شهر رمضان فامض اليهم وصل بهم واغنم ثوابهم، فقال اشعب بعد ان ادرك المؤامرة من حوله : أيها الامير تعفيني من هذا فاني ان احلف لك بالطلاق انى لا اكل لحم الجدي ما عشت ابدا ·· وضحك الوالي ، وأعفاه ، وجعله يلتهم ما يريد من الطعام !

مهرجانات الحملة الفرنسية

اما عن الاحتفالات برمضان خلال فترة الحملة الفرنسيه ، فقد ارتبطت في مجملها بهدف سياسي يرمي الى

التقريب بين المستعمر والشعب المصرى من خلال المعتقدات والعادات والتقاليد ، خاصة بعد أن تأكد الفرنسيون بأن جهودهم العلمية لم تستطع أن تقلل من موقف المصريين العدائي من الحملة الفرنسيه ، ولهذا تظاهر بونابرت بأنه مسلم من قمة رأسه حتى اخمص قدميه ، فتظاهر باعتناق الاسلام ، وارتدى العمامة والجبة والقفطان ، وتردد على بيوت علماء الازهر ليجلس القرفصاء ويأكل الطعام معهم بيديه تماما كما يفعلون ، وهذا اضافه الى مشاركته للمصريين فى احتفالاتهم الدينيه بما فيها الاحتفالات بالشهر الكريم .

ولكن هذه « البهلوانيه السياسية » لم تستطع أن تصل الى قلوب المصريين الذين ادركوابفطرتهم انهم لايستطيعون بأى حال من الاحوال أن يسلموا بلادهم لمستعمر مهما حاول أن يحيط نفسه بجبل من النوايا الطيبة !

ويذكر الجبرتي احدى صور الاحتفالات بشهر رمضان أيام الحملة الفرنسيه ، عندما جاء المحتسب حسن أغا محرم ليعرض على نابليون ما تعودوا عليه من مهرجانات أثناء المركوب المعتاد لاثبات هلال رمضان ، ولان الاحتفال عادة قديمة فقد تحمس له نابليون ، وطلب منه أن يضفي اهتماما كبيرا بهذا الاحتفال ، ولهذا احتفل المحتسب بالمناسبة احتفالا زائدا وعمل وليمه عظيمة فى بيته اربعة أيام ، فدعا فى أول أيامها رجال العلم والفقهاء والمشايخ والوجهاء وغيرهم، وفى ثاني يوم التجار والاعيان ، وفى اليوم الثالث والرابع دعا اكابر الفرنساوية واصاغرهم ، وفى اليوم الخامس ركب بالابهة الكاملة زيادة عن العادة وأمامه مشايخ الحرف بالطبول والمزامير ، وشق القاهرةعلى الطريق المعتاد ، فمر على القائمقام وأمير الحج والسارى عسكر بونابرته، ثم رجع بعد الغروب الى بيت القاضي فى بين القصرين فأثبتوا هلال رمضان ، ليركب من هناك حصانه وامامه المشاعل العديدة والطبول والزمور والنقاقير والمناديه بالصوم ، بينما خلفه - كما يقول الجبرتي بالضبط - عدة خياله عاريه رءوسهم وشعورهم مرخيه على اقفيتهم بشكل بشع مهول !

وفى كتاب « وصف مصر » الذى أعد عقب فشل الحملة الفرنسية على مصر ، نرى « ج . دى . شابرول » مؤلف الدراسة الخاصه « عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين » يتجرد من النفاق السياسى لرجال الحملة الفرنسية ويخلع ثوب المثل الذى ارتديته لتحوز على اعجاب المصريين ، لنراه على حقيقته ، بنفس النظرة الغربية التي تكره كل ما يمت للاسلام بصلة ، وتعمد دائما الى التركيز على التقاليد الغريبة الدخيلة التى تشوه ديننا بكافة السبل ، فشهر رمضان فى رأيه ليس فريضه لتربية النفوس وتطهيرها ولكنه لا يخرج عن صيام وكسل فى النهار وطعام ومهرجانات وانغماس في المسرات وضروب اللهو بالليل !

لقد بحث عن الحالات الشاذة فى مدينه القاهرة طوال هذا الشهر ، واعتبرها مقياسا لكل تقاليد المدينة ، فالمصريون الذين يعانون الحرمان من الطعام والشراب ابتداء من شروق الشمس حتى غروبها ، سرعان ما ينهضون على عجل ويهرعون الى مكان مرتفع بينما يتجمع النساء فى شرفات المنازل ليرين حركه اختفاء الشمس

أزهى عصور التراث الشعبى

التى باحتجابها ترتفع أصوات المؤذنين من كل المساجد ويتفرق الناس سواء الى المقاهى أو البيوت أو المساجد أو الميادين العامة ليأكلوا بشراهة ولتبدأ احتفالاتهم وألعابهم عقب الطعام ، ولتسيطر الخلاعة على تلك الاحتفالات وخاصة القامة فى الحمامات أو فى الميادين العامه التى يقدم فيها بعض الحواة والمشعوذين مشاهد خارجه تنتهى بلوحات بالغة الانحطاط والفساد ، فالممثلون الرئيسيون فى هذه اللوحات هم على الدوام شيخ وطفل !

ومادام هناك شرق فلابد أن يركز المؤلف على « الحريم » حتى فى شهر رمضان ، فمباهج رمضان فى رأيه تصل الى معاقل الحريم ، حيث يسمح للسيدات باستدعاء العوالم وبعض الموسيقيين ، بينما يجلس الزوج باسترخاء ولامبالاة على أريكته ومبسم الارجيلة فى فمه والى جانبه أحب زوجاته ليستمتع معها ومع الحاضرين من العبيد والجوارى والاقارب بأغنيات العوالم ودقات الموسيقى وحركات الراقصة التى تتلوى فى مجون !

● المسحراتى وصوانى الطعام

وفى مطلع القرن العشرين جاء الى مصر مرتين المستشرق الانجليزى ادوارد وليم لين ، وتكون حصيلة تلك الزيارة كتابه المشهور « المصريون المحدثون – عاداتهم وشمائلهم –

ويتحدث فى هذا الكتاب عن أهم الاعياد الدينيه ، فيتطرق بالطبع الى الاحتفال بهلال رمضان أو ليلة الرؤية ، حيث يذهب نفر من الناس عصر اليوم السابق للمناسبة ليقضوا بضع ليال فى الصحراء لرؤية الهلال فاذا تعذرت رؤيته بسبب السحب بدأ الصوم عندما يتم شعبان ثلاثين يوماً، وفى مساء يوم الرؤية يسير من القلعه الى مجلس القاضى موكب المحتسب ومشايخ الحرف المتعددة : الطحانين والخبازين والجزارين والبدالين وباعه الفاكهه وغيرهم مع الفرق الموسيقيه ولفيف من الفقراء والجنود ، وينتظرون المبشرين برؤية الهلال ، ليطوفوا عقب الرؤيه مهللين « يا أمة خير الانام .. صيام صيام » .

ويصف ادوارد لين مظاهر الاحتفال بالشهر المبارك باضاءة المساجد وتعليق المصابيح عند مداخلها وفوق شرفات المآذن .

أما الناس فأغلبهم يسيرون فى الشوارع حاملين عصا أو مسبحة ، وتراهم عابسين فى حديثهم عموما أثناء النهار عندما يصومون وفى الليل بعد الافطار يمرحون ويلبسون بطريقة غير عادية !

واذا كان كبار الاتراك فى القاهرة يفضلون الذهاب الى مسجد الحسين للصلاة والاسترخاء وليعرض بعض تجارهم على الناس فى ساحة الميضأة مجموعة من البضائع الجذابه ، فان عامه الناس تزدحم بهم المقاهى بينما تجار الحوانيت يجلسون أمام دكاكينهم وهم يتلون القرآن والادعيه أو يوزعون الخبز على الفقراء .

ويتحدث عن عادة الافطار وأنواع الطعام التى تأتى فى صحاف عديدة



فانوس رمضان : من ابرز المظاهر الشعبية فى مصر

تحوى انواعا مختلفة من الفاكهة المجففة وقلل من الماء المحلى بالسكر ، ليبدأ بعدها تناول طعام وافر من اللحم وغيره ، ثم يتحدث عن كيفية انقلاب الليل نهار فى كافة أنحاء المدينة ، وبخاصة عند الاغنياء الذين ينام اكثرهم معظم النهار ، ويقيم بعضهم ذكرا فى منازلهم كل ليلة من ليالى الشهر المبارك !

اما المسحراتى فهو المجوال بعد صلاة العشاء لايقاظ الناس للسحور وفى شماله طبلة صغيرة تسمى « باز » وبيمينه عصا صغيرة أو سيرا يضربه محددا ايقاع الطبله ، ويصحبه غلام يحمل قنديلين فى اطار من الجريد ، ويقفان امام منزل كل مسلم غير فقير ، وفى كل مرة يضرب المسحر الطبلة ثلاث مرات منشدا بعبارات مثل « لا اله الا الله » « محمد رسول الله » « اسعد لياليك يا فلان ... » « الله يحفظك يا كريم كل عام » الى اخر العبارات التى يتناول على اثرها من منزل الطبقة المتوسطة قرشين او ثلاث أو أربع عند انتهاء الشهر وحلول العيد الصغير ، بينما يدفع له عليه القوم أضعاف أضعاف هذا المبلغ !

ويقول المستشرق الانجليزى أن بعض اتقياء المسلمين يقضون العشرة أيام الاخيرة من رمضان ولياليها فى مسجد الحسين أو مسجد السيدة زينب ، ليظهر الناس بعد انتهاء الصيام وفى حللهم الجديدة ويجتمع الرجال فى المساجد ويتعانق الاصدقاء مهنئين بعضهم البعض بحلول العيد الصغير .

وهكذا نرى أنه كلما جاء شهر رمضان المبارك ، كلما جعلنا نتذكر الايام الخوالى ، ونعود الى الاحتفاء به فى كل زمان ومكان .



هل وصلت أمريكا في التطور إلى حدودها القصوى؟

بقلم: د. السيد أمين شلبي

رؤيتان فرنسيتان لأمريكا يفصل بينهما مائة وخمسون عاما . ورغم اتفاقهما في الهدف وهو الدراسة النقدية للحياة الأمريكية والمجتمع الأمريكي ومؤسساته ، إلا انهما يختلفان في مراحل التطور التي يدرسانها ، وايضا في المنظور الاجتماعي والوضع الطبقي لكل منهما . فصاحب الرؤية الأولى هو الكسيس دي توكفيل ALEXIS DE ToCQUEVILLE وهو أحد ابناء الارستقراطية الفرنسية . قام برحلته الأمريكية عام ١٨٣١ حينما جذبته هذه التجربة التاريخية التي تاسست في العالم الجديد .

اما صاحب الرؤية الثانية فهو عالم اجتماع فرنسي اخر هو مايكل كروزيير MICHEL CROZIER بدأ رحلاته الى الولايات المتحدة في نهاية الاربعينيات واستمرت على فترات متقطعة حتى أوائل الثمانينات اتاحت له الدراسة المقارنة لمراحل التطور الامريكي وما واجه نظامها من متاعب وتحديات . واذا كان الكسيس دي توكفيل قد درس النظام الأمريكي من موقع الارستقراطية الفرنسية ، فان مايكل كروزيير يعتبر نفسه ممثلا لهذا الفريق النادر من اليسار الفرنسي الذي يحب أمريكا !

● دى توكفيـــــــــل
والديمقراطية فـى أمريكا

وصل توكفيل إلى الولايات المتحدة فى مايو عام ١٨٣١ ثم عاد إلى وطنه فرنسا فى فبراير ١٨٣٢ . ورغم قصر فترة اقامته التى بلغت اقل من عام فان خلاصة هذه المرحلة التى صدرت فى كتابه "الديمقراطية فى أمريكا" قدمت لقرائه ودارسى الشئون الأمريكية وصفا ضافيا تحليليا وتنبؤيا فيما يتعلق بكل جانب من جوانب الحياة الأمريكية . ورغم مضى أكثر من مائة وخمسين عاما على صدوره - حيث صدرت طبعته الأولى عام ١٨٣٥ - فانه يعتبر الآن من أهم ، إن لم يكن أهم كتاب كتب عن النظام الأمريكى . ونستطيع أن ندرك عمق تأثيره ومدى الاحاطة التى تميز بها من أنه ما من تطور سياسى أو اجتماعى أو دستورى يمر بالولايات المتحدة اليوم الا ويستشهد المحللون بما ورد فى الكتاب من وصف وتحليل وتنبؤ ، بل أنه فى فترات انتخابات الرئاسة الأمريكية نجد أن المرشحين لها يضمنون بياناتهم وخطبهم فقرات من الكتاب .

ويشمل الجزء الأول من هذا العمل الكلاسيكى النقدى عرضا مختصرا للأبعاد المادية للعالم الجديد ولأصوله الأنجلوسكسونية ، ثم لأكثر خصائصه جذبا للانتباه الا وهى النظام الديمقراطى وما يعنيه من سيادة مطلقة للشعب ، وهو ما ينتهى منه إلى الفكرة المحورية لكتابه والتى يناقش من خلالها تفاصيل الحياة الأمريكية الا وهى ما يسميه باستبداد أو طغيان الاغلبية .

ويعالج الجزء الثانى من الكتاب اثر الديمقراطية أو حكم الاغلبية على هيكل



لقطة للبيت الابيض

وديناميكية المجتمع الأمريكى ، وعلى الطريقة التى يفكر بها الأمريكيون ويشعرون ويتصرفون ، وعلى جوهر الحريات الأمريكية ، فى هذا المجال يقدم توكوفيل فى الواقع أكثر اضافاته التنبؤية الفريدة للفكر المعاصر ، ونظراته النافذة للقيم ومبادىء السلوك الأمريكى ، وفى هذا يسجل توكوفيل كيف أن الأمريكيين يخضعون اهتمامهم بالحريات الفردية لاحترامهم وربما خوفهم من الاغلبية أو ما يطلق عليه توكوفيل "الصورة المهيبة للشعب" . ويلاحظ انه بدلا من أن تسير المساواة الديمقراطية جنبا الى جنب مع

أمريكا

الحرية الا انهما ـ وباسم الأغلبية المقدسة ـ "قد مارسا استبدادا على العقول يفوق أى استبداد ظهر فى التاريخ" . وذهب توكوفيل فى هذا الى حد القول " أنى لا أعرف بلدا فيه قدر صغير من استقلال الفكر والحرية الشخصية للنقاش كما فى أمريكا" !

غير أن توكوفيل لم يكن يقصد بذلك ادانة الديمقراطية الأمريكية ، ولكن كان تحليله أساسا ينصب ، على اكتشاف مواطن الضعف والقوة فيهما .

● حب الثروة الحاد

ومن ملاحظات توكوفيل الحكيمة ما أورده عن اتجاهات الأمريكيين ونزعاتهم الاقتصادية ، وحول حبهم الحاد للثروة ، وتفضيلهم للتجارة والصناعة ، وقدراتهم وامكاناتهم على النجاح المادى . ويفسر ما حققه الأمريكيون فى هذا بطموحهم البالغ ، وتكرسهم ، وتركيزهم على النشاط القائم على الربح ، وفى هذا تنبأ بظهور ارستقراطية صناعية لا ترحم RUTHLESS ومع هذا فقد تنبأ بملامح الاقتصاد الأمريكى الذى لم يستطع من جاءوا بعده من النقاد الماركسيين أن يستوعبوه ، فقد اعتبر انه "فى الوقت الذى تعتبر فيه الارستقراطية الانتاجية التى تنمو أمام أعيننا واحدة من أمس الارستقراطيات التى ظهرت فى العالم .. الا انها فى نفس الوقت أقلها خطرا " ويفسر توكوفيل هذا بأن ثروة هذه الارستقراطية الانتاجية ليست مقصورة عليها وأن نجاحها ليس مصحوبا بانتشار الفقر الزائد ، أو باستقطاب المجتمع بين الأغنياء جدا والفقراء جدا .

وفى فصل لامع يحلل توكوفيل ويتنبأ بامكانيات التطور السلمى داخل النظام الأمريكى بشكل يستبعد التطورات العنيفة والثورات ويعتبر أن الثورات انما تقوم لتنظيم المظاهر الصارخة لعدم التكافؤ ، ورغم أنه فى أمريكا الديمقراطية التى تقوم على المشروع الفردى وحب الثروة سوف تنتج طبقات تمتلك ثروات ضخمة ، فإن الفقراء جدا سيكونون ايضا قليلى العدد ، وسوف تتميز الأغلبية بعدم الغنى وعدم الفقر بحيث سيكون فى يدها الميزان الذى سيقيم التوازن الاجتماعى . فالثروات ستكون موزعة بشكل حسن فى أمريكا وليست مركزة ، كما سيتميز الهيكل الطبقى بالمرونة fluditiy والتداخل لا بالجمود والثبات الطبقى stratification .

ويواصل توكوفيل تنبؤه بالوضع الطبقى والعلاقات الاجتماعية فى المجتمع الأمريكى بقوله أن هذه الأغلبية سوف تمتلك "الثروة الكافية التى تجعلها حريصة على المحافظة على النظام ، وعدم اثارة الضغينة ، واستقرار السلام الاجتماعى . وأبناء هذه الأغلبية هم الأعداء الطبيعيون للعنف" .

كذلك توقف توكوفيل فى مسحه الحياة الأمريكية عند ولع الشخصية الأمريكية بالعلوم العملية لا النظرية واهتمامها بالعمل ، لا فى بلوغه حد الكمال ، وانما فيما يحققه من فائدة ونفع سريعين ، وفى هذا تفضل المفيد على الجميل ، وان تطلبت أن يكون الجميل مفيدا . أما ما

يميز الشخصية الأمريكية من طموح وقلق وعدم استقرار فهو ما "يجعل حياة الأمريكيين كلها تمر مثل لعبة الحظ ، أو كأزمة ثورية أو معركة" فذلك الذى كرس قلبه الى السعى الى الرفاهية المادية فقط "هو دائما متسرع ، وفى عجلة من أمره ، وليس لديه الا وقت محدود لكى يحقق ما يريد ويستوعب ويستمتع" .

ومن الفوارق الدقيقة التى سجلها توكوفيل فى الوضع الأمريكى هى الحدود التى تتوقف عندها الحرية الكاملة . فمثل هذه الحرية قائمة طالما كانت الاغلبية آخذة فى تقرير الطريق الذى ستسلكه ، ولكن ما ان تحزم الاغلبية امرها ، فعندئذ يجب على كل فكر معارض ان يتوقف ، وان ينبذ كل خلاف ، ولا يتم هذا بفعل ارهاب او خوف من عقاب ، وانما خوفا من الم لا يحتمل وهو أن يبدو المرء منبوذا من المجتمع أو معزولا عن اقرانه ، لذلك فانه مع الغربة الملحوظة فى المجتمع الأمريكى ، فان ثمة ضربا من التوافق بل ربما التوحد والتشابه الذى يبلغ حد الرتابة"

● عوامل توحيد

ويتطرق توكوفيل من هذا الى تحليل الديمقراطية الحديثة . فيستخلص ان سعى الناس فى الأصل الى الحرية كان لكسر اغلال عدم المساواة التى فرضتها الملكيات والارستقراطيات فى الماضى ، الا انه ما ان أصبحت ظروف الناس متشابهة وتحققت لهم المساواة النظرية والعملية ، فان أهمية المجتمع واقداره قد زادت عن أهمية الفرد ، وأدى هذا الى انه فى مجتمع الديمقراطية القائم على المساواة اصبح الناس معرضين لأن "يفقدوا فى الزحام" بين اقرانهم ، ويتناقص الاحترام لحرياتهم الشخصية وفرديتهم ، ويصبحون غير مبالين بالتعبير الحر عن الفكر الفردى أو بأذواق أو رغبات الاخرين . وهكذا تتحول الديمقراطية والمساواة الى عوامل توحيد ، ويصبح من المستحيل على رجل واحد أو بضع رجال قهر الكثرة ، وفى نفس الوقت يصبح من المستحيل ايضا على فرد واحد أن يتحرر من قهر الأغلبية ، ومن هنا يصل توكوفيل الى فكرته المحورية والتى مفادها أن الأغلبية الديمقراطية يمكن أن تصبح أكثر اشكال الاستبداد المطلق .

ويوجه توكوفيل نظرة فاحصة للحياة السياسية الأمريكية والقوى التى تحكمها ، وتكوين الرأى العام فيها والدور الحاسم الذى تلعبه الصحافة . فيلاحظ انه اذا كانت الحياة السياسية الأمريكية تتميز بالنشاط بل والاثارة ، فإنها نادرا ما تتأثر بالمشاعر العميقة التى لا تثور الا حين تتعرض المصالح المادية للضرر ، ويكفى القاء نظرة على جريدة أمريكية وأخرى فرنسية لكى يتضح الفارق فى هذا الشأن بين الأمتين . ففى فرنسا نجد أن المساحة المخصصة للاعلانات التجارية محدودة جدا فى الوقت الذى يخصص الجزء الرئيسى من الجريدة لمناقشة سياسات وأحداث اليوم ، أما فى أمريكا فسنجد أن ثلاثة ارباع الجريدة تمتلىء بالاعلانات ولا يبقى للمناقشات الجادة مثل تلك التى تقدمها صحافة فرنسا لقرائها الا ركن صغير . ومن ناحية أخرى نجد أن الروح الطبقية للصحفيين الفرنسيين واضحة فى مناقشاتهم لمصالح الدولة

أمـــريكـــا

الكبرى ، أما الصحفيون الأمريكيون فهم يخاطبون بشكل مكشوف فج عواطف قرائهم وغرائزهم ، وهم فى هذا يتخلون عن المبادىء لكى يهاجموا شخصيات الأفراد ويتابعون حياتهم الخاصة والكشف عن ضعفهم ورزائلهم .

غير ان هذه الجوانب السلبية فى الصحافة الأمريكية لا تجعل توكوفيل يغفل عن النفوذ والتأثير الضخم الذى تمارسه على الحياة السياسية الأمريكية . وينتهى الامر بالرأى العام الى الاستسلام لهذا التأثير . وهكذا ، فان كل صحيفة منفردة قد لا تمارس الا نفوذا صغيرا ، اما قوة الصحافة مجتمعة ، فهى تتلو فقط قوة الشعب .

على انه على الرغم من نظرات توكوفيل النافذة فى جوانب الحياة الأمريكية ، فإن ثمة موضعين مال فيهما الى التعميم ، وفشل فى ادراك قوى التغيير التى تحدث فيهما . اما الموضع الاول فهو رؤيته لقوة وسلطة الرئاسة الأمريكية حيث اعتبرها تقريبا بلا وظيفة وبلا سلطة ...... وقد أصدر توكوفيل هذا الحكم فى وقت كان فيه رئيس امريكى هو اندرو جاكسون يتحدى المحكمة العليا ، ويفرض بقوة ارادته على الكونجرس ، ويؤسس نمطا من الرئاسة القوية التى سيتبعها بعده رؤساء مثل لينكولن ، وتيودور روزفلت ، وودرو ولسون وفرانكلين روزفلت . اما المجال الاخر الذى فشل توكوفيل فى ادراك التغييرات التى تحدث فيه فهو فى تقديره لسلطة الولايات حيث بالغ فى تقديرها واعتبرها نقطة ضعف كامنة فى النظام الاتحادى . غير ان ما يشفع لتوكوفيل ان زيارته لأمركيا قد جاءت فى وقت توافق مع بروز النزعة القطاعية وظهور صرخة الجنوب عن "حقوق" الولايات ، كما جاءت فى وقت كان العداء بين الشرق والغرب ، والشمال والجنوب مريرا بوجه خاص ، وعلنيا . ومع هذا فإن النقاد يأخذون على توكوفيل انه قد فاته الانتباه الى قوى التماسك التى سوف تربط بين المائتى مليون امريكى فى القارة باكملها ومن هذه القوى الثورة الصناعية ، ونظام المصنع وانتشاره الواسع ، وشبكة المواصلات والسكك الحديدية المنتشرة عبر القارة ، والطرق التى لا نهاية لها ، بل ان نظام الغذاء والمسكن والافكار كانت من عناصر التوحيد التى ربطت ووحدت بين الأمريكيين .

والواقع ان دراسة توكوفيل النقدية والتنبؤية لم تقتصر فحسب على جوانب امريكا الداخلية وانما ايضا لمستقبل الوضع الدولى للولايات المتحدة وكيف ستتقاسم المكانة الدولية مع امة قوية أخرى هى روسيا . ففى الوقت الذى وضع فيه توكوفيل كتابه ، وحيث لم تكن أوضاع امريكا او روسيا تنبىء عن ما سوف تتطوران اليه بعد فترة من الزمن كاقوى قوتين على المسرح الدولى ، يكتب توكوفيل :

"هناك فى الوقت الراهن امتان عظيمتان فى العالم ، بدءا من نقاط

مختلفة ، ولكنهما يتجهان الى نفس الوجهة ، انى اشير الى الروس والأمريكيين ، فكلاهما قد نما دون ان يلحظهما أحد بينما كان انتباه البشرية متجها الى وجهة أخرى ، وفجاة وضعا انفسهم فى مقدمة الصفوف بين الأمم ، وعلم العالم عن وجودهما وعظمتهما فى وقت واحد تقريبا .

"وتبدو كل الأمم وقد وصلت تقريبا الى حدودها الطبيعية ، ولم يعد امامهم فقط الا الاحتفاظ بقوتهم ، اما هاتان الامتان فهما مازالا فى مرحلة النمو ، وبينما توقف كل الاخرين ، او استمرا فى التقدم بصعوبة بالغة ، فان كلا من روسيا وامريكا يتقدمان بسهولة ووضوح عبر طريق لا يمكن تصور حدوده ، ويناضل الأمريكى ضد عقبات وضعتها الطبيعة امامه ، اما خصوم الروس فهم الرجال ، ويحارب الأول الفقر والوحشية بينما يحارب الاخر المدنية بكل اسلحتها ، ولهذا فان مكاسب الأمريكى تتحقق عن طريق المحراث ، اما الروسى فان مكاسبه يحققها السيف ، ويطلق توكوفيل نبوءته العجيبة حول مستقبل ادوارهما فى الحياة الدولية " .. ورغم ان نقاط بدايتهم مختلفة ، وطريقهم ليس واحدا ، ومع هذا فان كلا منهم يبدو وكأن العناية الالهية قد اختارته لكى يقرر مصائر نصف البشرية" .

● مايكل كروزيير ومتاعب امريكا

على عكس توكوفيل الذى زار الولايات المتحدة مرة واحدة ، تمت زيارات كروزيير على فترات ولمدد متباعدة نسبيا ، اعطته الفرصة لكى يسجل ويقارن بين مراحل وتطور الحياة والمجتمع والفرد الأمريكى ، ويراقب القيم والمثل والدوافع التى وجهت وحكمت اتجاه المجتمع الأمريكى فى كل مرحلة . ومثلما سجل توكوفيل تجربته فى كتابه عن "الديمقراطية فى أمريكا" سجل كروزيير تجربته فى مراحلها المختلفة فى كتابه " The trouble with America .

فقد بدأ كروزيير اتصاله بالحياة الأمريكية عام ١٩٤٧ حيث قضى عاما ونصفا بناء على منحة دراسية لكى يضع كتابا عن اتحادات العمال الأمريكية ، ثم عاد اليها اعوام ١٩٥٦ ، ثم ١٩٦٠ ، فى هذه الفترات بدت له أمريكا كأرض سعيدة وبيت للتقدم والثقة ولا يملك الفرد الفكاك من جاذبيتها التى لا تقاوم . وكان ما خرج به من هذه الفترة هو الأمل الذى لا حدود له ، وهو أمل كان خاليا من العنف . وكانت قطاعات المجتمع التى يتصل بها يحكمها جميعا ويسيطر عليها نفس الحماس والكرم والمثل العليا الباحثة عن الكمال ، وفى هذه الفترة أيضا اكتشف وتعرف على امريكا الاكاديمية وجامعاتها المتميزة ومراكز البحث فيها والدور الذى تلعبه فى بناء التقدم ، والقيم والمعايير العلمية والاكاديمية الخالصة التى كانت تتوج حياتها حيث توفرت حرية البحث بلا شروط أو قيود الا شرط واحد هو احترام معايير العمل العلمى .

فى هذه الفترة ايضا شاهد كروزيير ظهور دور ومكانة ما سوف يعرف فى الحياة الفكرية والثقافية الأمريكية بمراكز البحث Think tanks والتى قامت على اساس اكتشاف عدد من المثقفين الذين

أمريكا

اثبتوا أنفسهم وجمعهم معا وتحريرهم من القيود الادارية والاجتماعية بقدر الامكان ، والانفاق عليهم بوفرة ، وتركهم يفكرون بحرية وانتظار ما سوف يخرجون به ، وكان نتيجة هذا هو المكانة الفائقة التى اضفتها هذه المراكز على عملية التفكير ، مثل راندر Rand حيث بدأ هرمان خان حياته الاكاديمية واصبح "بالتفكير فيما لا يمكن التفكير فيه" اسطورة عصره .

وبعد فترة انقطاع عن أمريكا امتدت من ١٩٧٠ ـ ١٩٨٠ ، عاد كروزيير الى زيارتها فى ربيع عام ١٩٨٢ للتدريس فى جامعة هارفارد ، وهى الزيارة التى يقول انه واجه فيها تجربة مرعبة . فمع ان كل شيء كان كما هو فإن الوضع قد اختلف فى جانب خطير وهام ، وكان الذى اعتراه التغير هو معنى وهدف الوجود الأمريكى حيث تبدد الحلم ولم يخلف وراءه الا البلاغة المنمقة والخالية من اى مضمون ، وحيث انخفضت معنويات الاوساط الجامعية ، والشباب ، ودخلت اتحادات نقابات العمال مصيدة المفاوضات العقيمة ، وفقد صناع القرار سيطرتهم وادراكهم للواقع ، وبات الاقتصاد تحت رحمة الريح المتغيرة ، وعاقت البيروقراطية تقدم المؤسسات الكبيرة ، بل ان احصاءات مكتب الاحصاء لم يعد يعتمد عليها ، وبدت أمريكا واكنها قد فقدت اتجاهها .

وفى أوساط هارفارد ـ أبرز المراكز الأكاديمية وجد الطلاب ـ على السطح ـ كما كانوا دائما ، منكبين على العمل متفتحين وأذكياء ، الا انه لمس فيهم الحزن وكأن المستقبل يبدو امامهم موصدا لا يوصل الى شيء وربما كان فى الامكان اقامة نوع من الحوار معهم واقناعهم أن فى بلادهم لا يكفى فيها ان يكون المرء مثقفا ولكن هناك دائما مكان للقادر على أن يحارب . غير أن هذا لا يعنى انهم سوف يستجيبون اليك تلقائيا ، فاذا اعتمدت على ذلك فلن تصل الى شيء ، فقد شبوا فى عالم رنى عليه القدم ومن ثم فقد فقدوا اقدامهم ، بل تعداه الى اللامبالاة وفتور الشعور . وربما الى الاحساس بالفشل وطعم السخرية . كما لاحظ كروزيير رد فعل معاكس من الشباب يتجه بهم الى تحطيم الرموز التى عبدتها أمريكا يوما والى أن يطأوا صورها الايجابية وأن يتبنوا بدلا منها وجهات نظر ، تقوم على العداء والاشمئزاز تجاه كل شيء . من ناحية أخرى وجد أن الطلاب الموهوبين لم يعودوا ينجذبون الى مجالات البحث ، وهؤلاء الذين بقوا فيه فقدوا الشعور القديم بالاثارة ، أما الأساتذة الكبار ، فقد اعتزلوا فى أبراجهم العاجية وشغل مناصب مساعديهم مرشحون متوسطو القدرات ، وكان نتيجة هذا أن انخفض المستوى الخلاق للبحث ، ولم يعد يجذب الا القدر الضئيل من الدعم المادى الأمر الذى أبعد كثيرا من العقول المبشرة بعيدا عن الجامعات .

ويقول كروزيير انه كان يتابع هذا التطور بادراك للمشكلات الجديدة التى واجهت المجتمع الأمريكى ، فقد عاش تجربة فيتنام بكل اضطراباتها وتفاعلاتها

فى المجتمع الأمريكى . وكذلك تجربة ووترجيت . ورغم هذا فقد استمر ينظر الى الولايات المتحدة على أنها قوة لا يصيبها الاجهاد ولا ينضب معينها ، الا انه فجأة بدأ يدرك أن أمريكا وصلت الى حدودها القصوى ، وانه من الان فطالع سوف تصبح بلدا قديما شأنها شأن الاخرين تحاول أن تجد طريقها ، وبدأ هذا يحدث فى وقت اخذت فيه قوى مثل أوربا الغربية واليابان تستعيد قواها التى كانت قد تصدعت بفعل الحرب الثانية ، ورغم ما كانت توحى به المظاهر ، أخذ النفوذ الأمريكى فى الشئون الدولية يتراجع ويضعف ، وقدمت الأرقام معانى بليغة فى هذا الشأن ، ففى عام ١٩٥٠ كان متوسط المعيشة الأمريكى أعلى مرتين ونصفا من مستوى المعيشة الفرنسى والألمانى ، وأعلى خمس مرات من اليابان ، اما فى نهايات السبعينيات فقد لحقت بها أوربا ، وحققت ذلك اليابان بعد هذا بوقت ضئيل .

ويتوقف كروزيير لكى يتساءل ويفحص كيف كان هذا التحول ممكنا ؟ وقد ركز كروزيير فى بحثه هذا بوجه خاص على الحياة الثقافية والفكرية الأمريكية وخاصة فى قطاع الشباب ، واكتشف أن ما يسيطر على الشباب الأمريكى هو افتقاد الدافع والالهام وغياب هذا البريق والتطلع فى العيون ، والاحساس العام بالعجز ، فخلال السنوات الطوال من عدم الاستقرار والاضطرابات الطلابية والغليان الثقافى حارب الشباب الأمريكى من أجل قضايا ليبرالية ضد القهر فى كل مكان ، وكذلك من أجل حرياتهم الشخصية ، أما اليوم فان خلفاءهم يستمتعون بنتيجة هذا النضال ، الا أنهم بلا قضية أو حركة وليس هناك رابطة حقيقية بينهم وحيث لكل فرد الحرية فى ان يفعل أى شىء يخصه ولكن دون اهتمام بالاخرين ـ ويفسر كروزيير هذه الظاهرة المحافظة بين الشباب الأمريكى بأنها ليست ظاهرة سياسية وانما هى ظاهرة ثقافية ، وأزمة فى القيم فرغم أن الشباب الأمريكى استمر يبحث عن الثروة واستمرت صيغة المشروع الفردى ، فإن القيم الأساسية التى كانت وراء ازدهاره من احترام المجهود ، وارادة النجاح ، والانجاز الشخصى ، والتطلع لان يذهب الانسان الى أبعد من حدوده ، كل هذه القيم قد تراجعت على الأقل مؤقتا ، فلم يعد هناك روح نضالية ، أو اندفاع لتطوير العالم ، وقد يبتهج الليبراليون فيهم لاختفاء النزعة الامبريالية ، ولكن معها أيضا اختفت المشاعر الغيرية لمساعدة الاخرين ، والاحساس بالخير العام والكرم الانسانى .

● تراجع الاتجاه الثقافى

غير أنه وسط هذه الغيوم التى تحيط بالحياة الأمريكية ، يرقب كروزيير علامات تبشر بامكانية استيقاظ الروح الأمريكية فيسجل أنه مع وضوح هذا الاتجاه العام نحو اللامبالاة والانانية والروح الانهزامية ، فان الأمر لا يعدم هنا وهناك علامات على التفانى ، والأعمال المشبعة بالروح العامة ، وقد لا يمتلك هذا الاتجاه جذورا عميقة فى المجتمع الأمريكى فهو الموجة الثقافية الأولى التى تنشأ عادة بين النخبة شأن كل الحركات الطليعية ، ويلاحظ ان الاتجاه الثقافى المتمثل فى الافكار والعادات التقليدية الذى ساد حتى السبعينيات يتراجع الان مخليا السبيل

أمـــريـكـا

الى مزاج ثقافى يأخذ وجهة اكثر واقعية ولم يعد ينظر الى ذاته ، كما اصبح اقل شكوى وادانة مبتعدا عن النمط الانهزامى ، كما بدات الأفكار التقليدية حول المؤسسات والمبادىء تتعرض للتساؤل ، ففى مشكلات التعليم بدا الكتاب يتساءلون عن النظم الفعالة والتى يمكن ان تعمل وبشكل افضل ، وفى السياسات الاجتماعية فان الاتجاه الان يبتعد عن الجوانب النظرية ويركز على النتائج والآثار ، ويرمز على هذه الروح بكتابين هامين ، صدر الأول عام ١٩٨٢ تحت عنوان :

In search of excellence

ويقدم حالات من النجاح لا يعتمد فيها اصحابها على النموذج التنافسى التقليدى للمدير ، وانما يقدم نماذج تكرس جهودها للمنفعة العامة . اما الكتاب الثانى والذى لاقى اقبالا واسعا ويبحث الأساليب والطرق الأمريكية فى الصناعة ، فهو كتاب ازرافوجل :

The japanes number one

فروايته المتعاطفة لاسباب نجاح اليابان تشير بوضوح لعوامل الفشل الأمريكى فى هذا المجال ، فاليابان تحترم المعرفة والتعليم . وتنظامها فى المعلومات ، وانشغالها الدائم بالمدى الطويل . ففى صناعة السيارات مثلا تمكن اليابانيون من انشاء اكثر الصناعات كفاءة فى العالم خلال عشرين عاما بسبب قدرتهم على وضع الاعتبارات طويلة الأجل فى قراراتهم ، بينما ركدت صناعة السيارات الأمريكية لأن صناعة القرارات المتعلقة بها كانت تتجه الى المدى القصير .

وعلى هذا يتصور كروزيير ان ثمة حرية جديدة للفكر نشأت فى هذا الجزء الحساس من الثقافة الأمريكية ذلك الجزء الذى ينبع منه الأفكار وانماط السلوك فى العمل ، ويبدو معه ان شيئا ما فى العقل الأمريكى قد تحرر أخيرا ويعود الى حياته الطبيعية .

على ان مثل هذا الأمل الجديد فى تحرر العقل الأمريكى مازال يواجه مشكلة اساسية وسؤالا جوهريا يحاول تفادى الوصول الى الاجابة الصحيحة عليه ، هذا السؤال هو كيف يتأتى ان يختار الشعب الأمريكى والقادة الامريكيون بوجه عام الطريق الخطأ مرة بعد أخرى وحول نفس المشكلة ؟ . وتقدير كروزيير انه فى هذا فان كل شىء يبدا وينتهى بحرب فيتنام . فقد كان هذا هو التحدى الحقيقى الأول الذى امتحنت فيه الأمة الأمريكية ولم تكن فيه على المستوى المطلوب . والقضية الحقيقية هنا كيف يمكن لأمة وهى فى قمة قوتها وتدعى أنها تمتلك افضل الاساليب والعقول ان تقحم نفسها فى مثل هذه المغامرة العبثية ؟ . ويستخلص كروزيير أن هذا هو الوقت الذى امام امريكا لكى تتعلم من جديد ، ولكى تفعل هذا عليها أن تنسى احلامها فى التفوق ، وأن تصبح متواضعة بما فيه الكفاية، وأن تتقبل أن هنا دروسا عليها أن تتعلمها من بقية العالم ، ومن الحقائق ، ولكى تفعل هذا فان الأمة الأمريكية يجب أن تكون مستعدة لان تعمل بشكل اكثر على فهم طريقها الخاص .




رونالد ريجان

●● « الحكومة ليست الحل لمشاكلنا ، انما الحكومه هى المشكله » !

رونالد ريجان

الرئيس الامريكى السابق

●● « الحـزب الشيوعى نظم كل شىء فيما عدا الحزب الشيوعى » !

لوى بينيان ـ الاديب الصينى

●● « تسعون فى المائة من الحيـاة عبارة عن « منظرة » ! »


دى كويلار

وودى آلن

الممثل الامريكى

●● « ينبغى أن يوجد توازن بين احترام العقائد الدينية وبين حريه التعبير » .

بيرز دى كويلار

الامين العام للامم المتحدة

●● « ليس دور الولايات المتحدة أن تضغط على اسرائيل » .

جيمس بيكر

وزير خارجية الولايات المتحدة

●● « لا أحد يمكنه رفض امرأة رجل اخر » .

فيدل كاسترو ـ الرئيس الكوبى

●● « امثل فى افلام هوليوود حتى أستطيع ان امول افلامى العادية لهوليوود » .

جون كازافيتس ـ المخرج الامريكى

●● « لولا عجز الميزانية الذى يظل مصدرا لكل شىء لشعرت وكأنى مهر ربيع » .

الرئيس جورج بوش

نجيب محفوظ


●● « يجب الا تعتذر المانيا عن ماضيها »

فرانز شنوبر

رئيس الحزب الجمهورى الالمانى

●● « أشعر ان التكريم قـد زاد عن حده » .

نجيب محفوظ

عاشق العربية

بقلم: د. شكري محمد عياد

أحيي محمود محمد شاكر ! أحيي عاشق اللغة العربية ! متى وجد نفسه أسير هواها ؟ أظنه وجد هواها في نفسه حين وجد نفسه ! كأنه قيس إذ يقول في ليلاه :

تعلقت ليلى وهي بعد صغيرة
ولم يبد للأتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى البهم ياليت أننا
صغيران لم نكبر ، ولم تكبر البهم !

● فنحن نلقاه في السابعة عشرة من عمره قد حفظ ديوان المتنبي وحفظ المعلقات العشر ، لا غرابة ، فقد نشأ في بيت علم ودين ، ولابد أنه حفظ القرآن في طفولته فأخذ بحلاوة أنغامه قبل أن يتعلم الغوص في عمق معانيه ، وانتظم في التعليم « المدني » كمعظم أبناء جيله ، حتى أبناء الشيوخ ، فكادت الرياضيات تغلب على هوى العربية في نفسه ، ولعله لو أطاع هذا الميل الجديد لكان لنا منه خوارزمي آخر ، ولكن قدر الله غالب ،

وعاند الفتى نظام القبول في الجامعة - آنذاك - حتى التحق بقسم اللغة العربية في كلية الآداب ولم يدخل كلية علمية كما فعل أترابه .

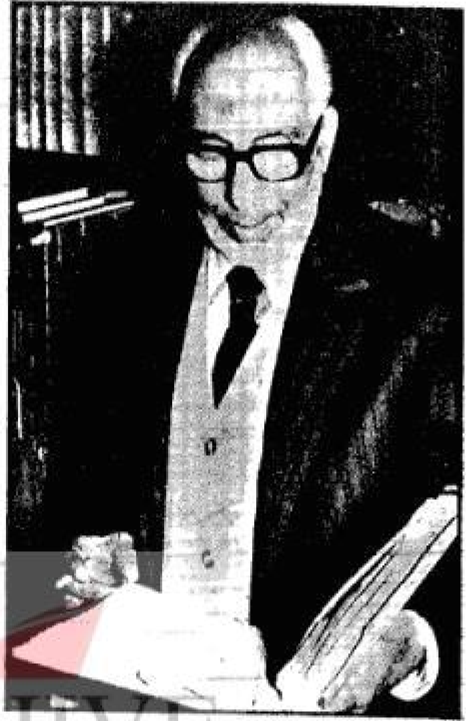
كان يحسب أنه سينعم بقرب المحبوبة في تلك الديار ، ولكن الفجيعة كانت هائلة ، فقد وجدها تسام الذل في وطنها وبين أهلها ، ويحكم فيها من يعرفون قدرها من الأعاجم ، فقد وافق دخوله ذلك المعهد محاضرات الدكتور طه حسين عن الأدب

العشرين نحو أولئك الشعراء الذين عاشوا قبل خمسة عشر قرنا ، قريبين من فطرة اللغة العربية ، يتحدثون الى الطبيعة بدون حجاب ، وينطقون عن ذات أنفسهم بغير تصنع ، عرفهم من خلال دواوينهم واحدا واحدا ، الكبير منهم والصغير ، فكلهم يصدر عن ذلك النبع الصافى ، ولكل واحد منهم ـ رغم ذلك ـ ايقاعه الخاص ، ومذاقه الخاص .

من خلال تلك الدواوين لمح الفتى جمال محبوبته الخالد ، وفى قاعة محاضرات فى كلية الآداب رأى ذراعا غليظة تزيح تلك الدواوين نفسها من على منضدة الدرس ، لتسقط فى فراغ العدم ، أو فى سلة المهملات ، بحجة انها « منتحلة » صنعها الرواة ، ولعل أصحابها المزعومين لم يعيشوا قط . كيف وكل بيت فيها ينبض بالحياة ؟ ريع الفتى ، وانكر : وهم بأن يعترض ، فأخرسه احترام السن ، وهيبة الاستاذية ، وشبه يقين بأنه لن يجد سميعا وهو الطالب الصغير أمام ذلك الأستاذ الذى يلقى ما يلقيه من علياء شهرة ملأت الأسماع ، ثم غلب الغيظ على الكتمان ، ونطق الفتى .

نقطة صغيرة فى كتاب التاريخ ، غيرت المعنى كله :

فهذه الحادثة التى لم تعد فى نظر شهودها آنذاك مايقع كل يوم فى قاعات الدرس ، وان تكن جراءة الطالب وعظمة الأستاذ قد زادتا من تأثيرها نوعا ما ، وتكرارها حوّلها الى مشكلة فى حياة ذلك الطالب لم يكد يشعر بها الأستاذ ، هذه الحادثة التى لم يلبث أن طواها النسيان ، الا من سيرة ذلك الطالب اذا ذكره بعض أصدقائه القليلين ، وقد ضاق ذرعه



الشيخ محمود شاكر

الجاهلى ، وكان الفتى محمود قد شغف بالشعر الجاهلى شغفا شديدا ، وتبين له ، فى طراءة سنه ، جماله العجيب الذى يجمع بين قوة الفطرة ودقة الصنعة ، ربما انتقل اليه هذا الاعجاب من عكوفه على كتاب «رغبة الأمل فى شرح كتاب الكامل» للشيخ سيد بن على المرصفى ، أستاذ طه حسين أيضا فى الأزهر ، ولكنه لم يلبث أن أصبح اعجابا أصيلا وذاتيا ، أشبه بعلاقة شخصية حميمة يجدها ذلك الشاب المصرى الذى تفتح وعيه فى مطالع القرن

عاشق العربية

بالموقف المستحيل ، وضاق صدره بالجامعة كلها ، ومل المقام فى وطنه واهله فانصرف مغاضبا الى مهبط الوحى ـ هنا الحادثة الصغيرة الهينة كانت ـ فى نظرى أنا على الأقل ـ نقطة تحول فى تاريخنا الثقافى ، وقبل أن تستكثروا منى هذا الوصف ، أرجو أن تتذكروا ما تعلمتموه جميعا فى المدارس من أن ابتداء الفكر المعتزلى كان حين اعتزل واصل بن عطاء مجلس الحسن البصرى .

ومن الأمانة ، وأنا بصدد تقييم هذه الحادثة ، أن أكشف عن نفسى قليلا ، حتى نعلم الظروف التى تحيط بهذا التقييم ، فيقبله أبناء الجيل الحاضر أو يرفضونه .

الأديبان محمود شاكر ويحيى حقى يتحاوران





● اعجاب بطه حسين

فأنا أيضا من تلاميذ طه حسين (محمود محمد شاكر يكبرني باثنتى عشرة سنة)، وقد أتيح لى أن أقرأ الشعر الجاهلى وهو مصادر وقبل أن ادخل كلية الآداب، وقرأت عقيبه النقد اللاذع الذى كتبه عنه المازنى، وضمه الى مقالاته فى «قبض الريح» وفى الصيف الذى سبق التحاقى بهذه الكلية وقع فى يدى كتاب «البدائع» لزكى مبارك، وفيه مقالات عنيفة فى نقد طه حسين، اتهمه فيها بالسرقة من المستشرقين، ومنه هو ايضا فى رسالته عن عمر بن ابى ربيعة. وكل ذلك النقد لم يقلل اعجابى بطه حسين ولا سعادتى بانى استطعت اخيرا ان اجلس فى مقاعد الدرس بين يديه، فقد كان طه حسين أستاذ جيله الذى كان غنيا بالأساتذة.

طه حسين وجيله وصلونا بثقافة الغرب كما وصلونا بتراثنا والهبوا حماسة الطامحين منا لاتقان لغة او اكثر من لغات الثقافة الغربية، وعلمونا أن نقرأ ادبنا القديم على انه ادب انسانى، لا مجرد «بلاغة» أو «لغة». وهنا بالذات كانت المشكلة، او على الاصح كانت نهاية مشكلة وبداية اخرى، لقد تخلصنا من النظرة الجامدة الى الأدب العربى، التى لم تكن ترى فيه الا قوالب محفوظة، أو على الاصح لمحنا طريق الخلاص منها (فقد كنا ندرس فى كلية الآداب ايضا كتابا مثل «زهر الآداب» بما حواه من خليط عجيب فيه الشعر الرائع والنثر البليغ وفيه أيضا قوائم طويلة من الأوصاف المحفوظة)، تعلمنا أن للشعر والنثر الادبيين علاقة بالنفوس التى يصدران عنها والحياة التى ينغمسان فيها، مثل الشعر والنثر اللذين يكتبان فى ايامنا، بل مثل الكلام الذى نقوله لأنفسنا، ولكننا نسينا أن فى الكلام الفنى سرا لا نجده فى الكلام العادى، وتعلمنا أن الادب يمكن أن يدرس كما يدرسه «الاساتذة المستشرقون» على أنه تاريخ من التاريخ وجهلنا أن وقائع التاريخ حلقات فى سلاسل متصلة ومتشابكة، تكمن البراعة كل البراعة فى تمييزها ثم رؤية العلاقات بينها، اما وقائع الأدب فهى اعمال لغوية فنية، تتلألأ فى شبكة التاريخ، كما تضيء اللؤلؤة بين آلاف الأصداف الفارغة.

كيف ندرس هذا الأدب، او بالأحرى كيف نقرؤه (فيالها من وقاحة، أن نسمى انفسنا دارسى أدب ونحن لا نقرأ منه - ان احسنا القراءة - الا حروفا وجملا!) كانت المشكلة مشكلة «منهج» وما اكثر ما رُددت هذه الكلمة حتى سئمناها اذ كانت لاتزداد على الترديد الا غموضا، أو هبوطا من علياء الفكر الى سوقية «الابواب والفصول». **كانت خصومة محمود محمد شاكر مع استاذه واستاذنا طه حسين حول «المنهج» وكان شاكر يسمى منهجه «التذوق» ويعنى به معايشة النص قبل الحكم عليه.** ولم يكن بحاجة الى أن يسمى منهج أستاذه،

عاشق العربية

فقد سماه هو بنفسه « تاريخ الأدب » ، وجعل « النقد » وهو اسم أقل وضوحا فن « التذوق » ، ملحقا بالتاريخ او ذيلا له ، واصبح هذا المفهوم للمنهج نبراسا لتدريس الادب فى كلية الآداب (أتُراه الى اليوم .... ؟) فدرسى تاريخ الادب الذى يتولاه الأساتذة الكبار يلحق به درس « النصوص » الذى يتولاه المدرسون أو المعيدون الصغار .

لقد تكلم محمود محمد شاكر عن منهجه فى مقدمة الطبعة الثانية لكتاب « المتنبى » (وقد أعيد نشرها فى كتاب الهلال) وهو مطبق فى كتابه هذا الذى يمكننا أن نجمل صفته فى أنه ترجمة حياة عورضت فيها الأخبار بالشعر كما عورض الشعر بالأخبار ، ثم هو مطبق ـ من وجه أخر ـ فى دراسة فنية نفيسة للامية تأبط شرا نشرتها مجلة « المجلة » القاهرية فى أواخر الستينيات ، والقارىء المتطلع الذكى لن يفوته الرجوع الى هذين المصدرين ، أما أنا فليسمح لى استاذى بأن استكشف ما وراءهما ، وقد تكون فى الاستكشاف مغامرة ، وقد لا تنتهى بى المغامرة الى شىء ، ولكننى أرجو على الاقل ، أن أزيح وهما رسخ فى بعض الأذهان حول هذا التذوق ، أنه نوع من الاعجاب أو النفور بلا هدى ولا دليل ، فذلك أبعد شىء عما أراده شاكر بالتذوق ، وان يكن مناسبا لصنيع من يجعلون « العلم » فى الأدب مقصورا على التاريخ وما عداه لا يضبط ولا يقوّم ، التذوق عند شاكر وفى الثقافة العربية الاسلامية قمة العلم ، هكذا رآه علماء البلاغة ، بل هكذا رآه علماء الحديث ، الذين جعلوه معيارا فى رد صنف من الأحاديث الضعيفة سموه المعلّل وهو الذى يدرك العالم بالحديث ضعفه ولو لم يكن فى سنده أو متنه عيب ظاهر ، على أن عيبه يظهر بعد ذلك عند التفتيش .

هذا « التذوق » هو إذن لب المنهج العربى الاسلامى ، وتمام بالسمعيات التى تحدث عنها ابن تيمية فى كتابه « الرد على المنطقيين » ، أما معرفته على وجه التفصيل والتقنين فتحتاج الى جهود مخلصة صابرة امينة لمجموعات من الباحثين فى شتى فروع الثقافة العربية الاسلامية ، ومنها العلوم الطبيعية ، واياكم والتعصب ، فإنما نحن طلاب حقيقة !

وأما سره فكامن فى تلك المعشوقة التى تدله شاكر فى هواها فتى يافعا ، وهجر الديار والأهل ليبحث عنها فى أودية الحجاز وفيافى نجد ، ووقف العمر على خدمتها صابرا راضيا ، فى تلك اللغة العربية ! ولا جدوى من ترديد ما يقال من أن اللغة مرآة الفكر ، فهذا كلام تمضغه الافواه و « الفكر » نفسه وراء ذلك ، اللغة ابداع العقل والوجدان جميعا ، واللغة طريق المعرفة الكاملة ، والذين قالوا إنها توقيف من الله تعالى لم يبعدوا عن حقيقة انها مساوية لأثمن ما فى الانسان ، للروح التى نفخها الله فيه ولا تفسير لضعف شوكة العرب وانحلال هممهم الا انحلال لغتهم ، والمعانى التائهة البلهاء ضرب من



جلسة عائلية بين اسرتي الشيخ شاكر ويحيى حقي

الانحلال ، والشقشقة اللفظية التى تسمى خطأ بلاغة ضرب آخر .

عشق مثالى

لذلك سمينا أخانا وحبيبنا وأستاذنا محمود محمد شاكر فى عنوان المقال عاشق العربية ، وفي صدر المقال عاشق اللغة العربية ، فلا فرق عندنا بين اللغة العربية وبين معنى العروبة نفسه ، بل لا فرق عندنا بين اللغة العربية وبين الفن العربى والعلم العربى والفلسفة العربية والناس يحسبون التعمق فى اللغة العربية حفظا للغريب ومهارة فى حل الألغاز

عاشق العربية


الشيخ شاكر .. مفكر .. وعالم

الاعرابية ، ولعلهم حين يسمعون مثل تلك التسمية لا يفكرون الا فى شاكر العالم اللغوى أو محقق الكتب القديمة . ولعلك عرفت الآن من سيرة هذا العالم المحقق أن الأمر عنده أخطر من ذلك : أنه عشق مثالى ملك منه كل جوانب الروح ، وانه لأمنه مسالة حياة أو موت .

وههنا ملحظ لطيف قد يكشف لنا عن شىء من معنى « التذوق » الذى كنا نتحدث عنه .

فقد تعودنا أن نقيم حاجزا بين العقل والوجدان ، وبين العلم والفن : فبين كل نقيض ونقيضه ما يشبه العداء ، يخالسه ليخطف منه ، أو يغالبه ليسيطر عليه ، نوع من تلك العلاقات العدوانية التى أخذناها ـ فيما أتصور عن الغرب وأصبح الكثيرون منا لا يحسنون أن يجمعوا بين طرفى العقل والوجدان ، أو بين طرفى العلم والفن . ومن خصائص التذوق أنه يجمع بينهما حتى لايبقى ثمة تنافر . وليست العبرة بأن يكون لأحدهما المكان الاول والآخر المكان الثانى ، أو يكونا متكافئين متساويين ، فأعمال البشر تتنوع الى غير نهاية . إنما العبرة بكنه العلاقة بينهما : فهى فى التذوق علاقة تساند وتعاضد ، لا تحكم وغلبة .

ومحمود محمد شاكر فنان وعالم ، وقد سهل عليه الجمع بين الفن والعلم لان منهجه تذوقى ، ولم يسهل ذلك على غيره ممن لم يتمرسوا بذلك المنهج ، فتجدهم إذا كتبوا فنا جنحوا الى تفيهق العلماء ، وإذا كتبوا علما شطحوا كما يشطح أصحاب الفن . على أنى أرى الفنان فى شاكر أكبر من العالم ، وأراه فى عرضه لمسألة « التذوق » نفسها ـ وهى مسألة علمية بحسب بروز جانب العالم فيها حسب ما وصفناه ـ يشوق ويخلب بصنعة الفنان . على أنى لا أراه يخل بشىء من حق العلم فى هذا الحديث ولا فى كتاب « المتنبى » نفسه وهو قصة تملك عليك نفسك مثلما انه كتاب علم . والفن اجتراء واجتراح ، والعلم تثبت واطمئنان ،

والتذوق يحدث بينهما من التناغم ما يستقيم به أمرهما جميعا ، وهذا هو نهج « المتنبي » (لا أكاد أتوقف الا في أمر غرام المتنبي بخولة أخت سيف الدولة ، لقد شعرت منذ قرأتها أن الفنان هنا تحكم في العالم . بل لقد شعرت أن الفنان ربما تحكم في المحقق نفسه ، وذلك في الطبعة الأولى من طبقات الشعراء ، ولعل شعور المحقق بذلك كان سببا من الأسباب التي دعته إلى إعادة تحقيق هذا الكتاب) .

● شاكر .. فنان وعالم

أما شاكر الفنان ، أما شاكر الذي استصحب علمه في رحلة الفن ، فتراه في تلك القصيدة الفريدة في الأدب العربي قديمه وحديثه ، المظلومة أيضا بين كل ما كتب في القديم والحديث : « القوس العذراء » .

تذكرني هذه القصيدة ببيتين قديمين :

وقصيدة قد بت أجمع بينها
كيما أقوّم ميلها وسنادها
نظر الملقّف في كعوب قناته
حتى يقيم ثقافة منآدها

فالشاعر القديم عرف عناء الفن ، والفن كله عناء . والشاعر القديم - الشاعر الجاهلي على الخصوص - كان فيه حياء فطري يمنعه في معظم الأحيان أن يتحدث عن نفسه حديثا مباشرا كما فعل هذا الشاعر . وقد اختار شاكر إحدى الصور غير المباشرة التي عبر بها شاعر مخضرم - الشماخ - عن عناء الفن : صورة صانع القوس . هكذا قدم العالم للفنان مادةً نفيسة يمكنه أن يتصرف فيها حسبما يشاء فنه . واختار الفنان عاشق العربية أن يعبر عن عشقه باعادة صياغة هذه القصيدة ، فأدخل في القصيدة القديمة قصيدته الخاصة ، وجعل النص الجديد يراوح بينهما ، وسبكهما معا في قالب رسالة الى صديق ، بمناسبة حديث جرى بينهما عن « إتقان العمل » . أتقول أنه قالب « الرسالة الاخوانية » المعروف ؟ حسنا ، ولكن هل كان العيب في هذا القالب أو في المناسبات التافهة التي كانت تكتب فيها كشراء دار أو ختان مولود ؟ الشعر والنثر حول قصيدة الشماخ كأنه مرايا تكبّر وتصغّر وتقرّب وتبعّد والعمل في مجموعة عمل جديد في قالب جديد يضاف الى قالب المعارضات الذي لم يستنفد امكانياته بعد (أردت أن أقول إن القالبين يمكنهما أن يبدا طورا جديدا - وحديثا كل الحداثة - من أطوار الشعر العربي .. وليت الذين يتحدثون عن « التناصّ » أو « تداخل النصوص » من نقادنا الجدد يلتفتون اليهما) والشاعر الحديث يملأ قصيدته بالتفاصيل حيث يكتفي الشاعر القديم باللمحة ، ومن خلال هذه التفاصيل تتراءى عاطفة الشاعر الحديث ، بل قصة حياته في عشق العربية !

كان.. ياماكان

سر ماجرى سنة ١٨٨٢

كيف تحول المثقفون

من تأييد الثورة العرابية إلى الهجوم عليها ؟!

بقلم : مصطفى نبيل

لم تكتمل الهزيمة التى اصابت مصر عام ١٨٨٢ بمجرد الهزيمة العسكرية ، وانما اكتملت عندما عصفت بالعقول جيوش غير مرئية اسلحتها سموم الافكار ، وبعد ان تمكنت هذه الافكار من الصفوة وانتقلت الى العامة ..

وعادة .. يهتم المؤرخون بفترات النهوض والانتصار ، وتتوارى فى دراساتهم فترات الهزيمة والانكسار ، رغم ان اهم مافى الهزيمة دروسها وماتكشفه من قضايا بالغة الدلالة ..

فلم يكن ممكنا بقاء الاستعمار البريطانى مايزيد على سبعين عاما ، الا بعد نجاحه ، ليس فى اقتحام الحصون وحدها وانما فى اقتحام العقول ..

ونرصد هنا مواقف القادة والمفكرين ، الذين وقفوا الى جانب الحركة الوطنية يؤيدونها ، ويبشرون بافكارها ، ثم عادوا وتنكروا لها وانقلبوا عليها ..

في يوم صيف قائظ ، عند شروق شمس الثلاثاء ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ اطلق الاسطول البريطاني مدافعه على مدينة الاسكندرية ، ايذانا بمرحلة مظلمة من تاريخ مصر ، واستمرت مقاومة الجيش المصرى حتى وصلت جيوش الاحتلال الى القاهرة يوم ١٤ سبتمبر ، وبدأ عهد جديد مازلنا نعيش بعض اثاره باعتبار التاريخ المصرى الحديث تجمعه وحدة من نوع خاص ، وفيه تسجل الثورة العرابية بداية تحرك جموع الشعب من اجل قضايا رقى الوطن وتقدمه ، وجاء الاسطول البريطاني ليحسم الصراع المرير بين حركة نهوض وطني في مواجهة المد الاستعماري ، بعد ان اعيته الحيل وفشلت كل مناوراته السياسية في وقف زحف اول ثورة وطنية في الشرق وفي ظل ذروة السيادة الاوربية ، واستهدفت قوات الاحتلال تصفية ثورة تتمتع بتأييد الشعب بكل فئاته ضد طغيان الحكام وضد التدخل الاجنبي ، وتنادى بالحرية وتطالب بالدستور ، وحقوق الوطن والمواطن ، بعد ان انجزت رحلة طويلة شاقة . نجح خلالها رواد النهضة وقادة الاصلاح ، في بث الحيوية في كافة طوائف الشعب ، وقامت معالم حياة جديدة منذ نهضة محمد على ،


لقطة للزعيم احمد عرابى بين احفاده

كان .. ياما كان

وعودة رفاعة رافع الطهطاوى من اول بعثة ارسلها محمد على الى فرنسا ، واذهله مايعانيه الشرق من تخلف ، ويشر بافكاره التى تناولها فى كتابه « تخليص الابريز فى تلخيص باريز » سنة ١٨٢٤ تأمل فيه احوال بلاده ، واخذ يقارن بينها وبين العالم المتمدن ، ويقدم للقارىء الافكار المتداولة حول الدستور وحقوق المواطن ومبادىء ثورة الشعوب ، واهمية حرية التعبير ، فقد حكمت عقولهم بان العدل والانصاف من اسباب تعمير الممالك وراحة العباد .. وانقاد الحكام والرعايا لذلك حتى عمرت بلادهم وكثرت معارفهم ، وتراكم غناهم ، وارتاحت قلوبهم » وبيّن كيف ان هذه القيم الجديدة التى ادت الى نهضة البلاد الاوربية هى جزء اصيل من تراث الشرق الذى طمسه التخلف والاستبداد .

● الفكرة والحركة

ووصل جمال الدين الافغانى الى القاهرة ، واخذ يسعى فى تحويل الافكار الى حقائق قائمة وحركة مؤثرة ، وراح يحض تلاميذه على الكتابة والخطابة وتاليف الجمعيات ، واخذت الحياة تفيض بالحركة ، وتموج بالجديد تاليفا وترجمة واقتباسا ، تعقد الندوات وحلقات العلم والادب والسياسة فى العاصمة وفى منادر الاعيان فى الريف ، ويقدم الشيخ محمد عبده صورة عن هذه الايام بقوله : « كانوا ينتقلون بما يكتبونه من تلك المعارف الى بلادهم ، والزائرون يذهبون بما ينالونه الى احيائهم ، فاستيقظت مشاعر ، وانتبهت عقول وخف حجاب الغفلة فى اطراف متعددة من البلاد ..»

ويصف احمد شفيق الحالة الفكرية بقوله .. « وانقلبت مصر مسرحا للخطباء فى كل مجتمع وناد ، حتى فى المساجد ، ولم يبق مجلس للسمر أو احتفال بعرس او غيره ، الا اقتحمه الخطباء ، واعتلوا منصة المغنين بعد اقصائهم ، .. حتى لقد سمعت ان محمد عثمان المغنى الشهير كان اذا سئل فى اى فرح تغنى الليلة ؟ اجاب : فى الفرح الفلانى مع النديم ..»

وقامت حركة واسعة لانشاء الجمعيات التى جذبت العناصر الشابة والنشطة التى تتوق للعدل والتغيير ، وقامت جمعية مصر الفتاة (سنة ١٨٧٩) وضمت كلاً من عبد الله النديم ويعقوب صنوع واحمد عرابى والروبى ، وكانت تهدف الى المطالبة بالحريات العامة ، وتشكلت جمعية حلوان تعبيرا عن طموح عدد من الاتراك المستنيرين الذين رأوا فى الدستور مطلبا حيويا ، حتى يشاركوا الخديو سلطته ، وقامت جمعية « اتحاد الشبيبة المصرى » واخذت تنادى بانشاء بنك وطنى قومى لانقاذ البلاد وحمايتها من التسلل الاقتصادى الاجنبى ، وقامت الجمعية الخيرية الاسلامية (عام ١٨٧٨) ، بنشاطاتها المتعددة التى تشمل المستشفيات والتعليم وتدريب الحرفيين ، وجذبت هذه الجمعيات حتى الامراء ، فاشترك الابن الاكبر للخديو توفيق فى « جمعية المقاصد الخيرية » ، وكان نائبه محمد سلطان باشا ، واقلم الابن

الاصغر « جمعية التوفيق الخيرية » وكان نائبه محمود سامى البارودى ..

واتجهت الجهود الى عقل الامة ، البداية الطبيعية للتغيير ، وشهدت هذه الفترة انتشارا واسعا لنشر الكتب ، واقيمت اول جمعية علمية لنشر الثقافة هى جمعية المعارف (سنة ١٨٦٨) وانشئت الجمعية الجغرافية (سنة ١٨٧٥) واقيمت دار الكتب التى قدم لها المثقفون الكثير من المخطوطات الهامة . واعدت قاعات للمحاضرات العامة .

وهكذا انطلقت حركة التنوير فى كل انحاء البلاد ، ونجحت الحركة الوطنية فى نشر افكارها ، وقامت الصحف بدورها فى التنوير ولعل صدور الصحف وتعطيلها وانذارها تكشف عمق النهضة ومحاولة حصارها ، ففى عهد وزارة توفيق يحصى عبد الرحمن الرافعى قائمة طويلة للصحف التى عطلت وانذرت ، وعرفت البلاد الاحزاب والمجالس النيابية ، ووضع دستور حديث عام ١٨٧٩ وافتتح مجلس شورى النواب سنة ١٨٦٦ والذى استمر ستة عشر عاما . ويذكر عبد الرحمن الرافعى .. « ان اسباب الثورة العرابية ، هو ماكانت تمر به البلاد من حالة ثورية فالسخط قائم ، من سوء نظام الحكم ، ورغبتهم فى التخلص من استبداد الحكام واضطهادهم للاهالى ولم يكن هناك ثمة عدل او قانون ، ولا قضاء ينتصف للمظلوم ويعطى صاحب الحق حقه ، ولا ضمانات قانونية تكفل للناس حقوقهم ، وكان الجلد بالكرباج شائعا ـ رغم ادعاء بطلانه ـ وكانت السخرة مضروبة على البلاد التى كانت تستخدم لاستصلاح اطيان ذوى السلطة والجاه ، وكان النفى الى اقاصى السودان عقوبة الكثيرين لمجرد الشبهة او النكاية »

ويذكر شيخ المؤرخين شفيق غربال .. « ان خلايا الوطن تجمعت فى القرن التاسع عشر فى امة واحدة واجهها الانجليز سنة ١٨٨٢ »

● الاستيلاء على مصر

وعلى الضفة الاخرى من النهر ، كانت القوى الدولية المتربصة لاتكف عن محاولة الاستيلاء على مصر ، كانت انجلترا وفرنسا ـ الدولتان العظميان ـ ايامها تتسابقان على النفوذ فى مصر ، وسبق وفشلت الحملة الفرنسية على مصر . وهزمت القوات المصرية القوات البريطانية الغازية فى رشيد ، ولكنها نجحت بعدها فى تحقيق اهدافها بتدبير جيش مصر واسطولها ايام محمد على وفرضت عليه معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ وعادت مرة اخرى ودمرت الجيش المصرى ، فى افريقيا ايام الخديو اسماعيل ، ثم تسللت اقتصاديا عن طريق الدين ، ودخل وزيران اجنبيان للوزارة احدهما بريطانى والاخر فرنسى ، وخلعت تركيا اسماعيل منتصف سنة ١٨٧٩ استجابة لمطالب انجلترا وفرنسا .

واخذت السياسة البريطانية تقترب من اهدافها ، وتستكمل بقواتها المسلحة مالم تستطع انجازه بالمناورات السياسية ، وكانت حملتها على مصر التى تكشفت كل ابعادها ، وظهر زيف ادعائها من ان

الاسطول البريطاني ماجاء الى الاسكندرية الا من اجل حماية الخديو السلطة الشرعية ، وان سبب انطلاق المدافع هو ترميم القلاع والحصون وطوابى الاسكندرية . وكشفت الايام رسالة ماليت قنصل بريطانيا العام فى مايو سنة ١٨٨٢ وقبل الغزو ، ذكر فيها .. « ان **الثوار يهدفون الى تقويض اركان الحماية ، وان النفوذ الاجنبى اخذ فى الانحسار ، وان بريطانيا لن تصل ماكان لها من تفوق دون تحطيم تلك الطغمة العسكرية** »

بعد ان ظهرت لنا ابعاد حركة النهوض الوطنى فى مواجهة القوى الاستعمارية ، والتى كانت تمهيدا ضروريا للانتقال الى الآلية التي ولدتها ، وكيف اكتملت ووصلت الى عقل الامة ووجدانها ؟ وكيف نجح الغزاة والخديو فى لى عنق الحقيقة ؟ وكيف تم انتزاع قيم راسخة يلتف حولها الاهالى ؟ وزرع بديل عنها قيم ومفاهيم اخرى ؟ وكيف اكملت الكلمات المزيفة والمناورات السياسية مابدأه السلاح ؟

وكيف نجحت الحملة التى شنت على زعيم الثورة احمد عرابى ، الذى قام برحلة جهاد شاقة لتحرير البلاد واصلاح العباد ؟ وبعد ان وقفت البلاد كلها تسانده ، وحمل شعار « مصر للمصريين » وكان تعبيرا مبكرا عن جهاد شعب صمم على ان يملك ارادته فى مواجهة « مكائد الاوربيين »

فاذا كان النصر له الف لسان ، فالهزيمة لا لسان لها ، وفى زمن الهزيمة تختلط الامور ، وتهتز حتى المسلمات فتظهر من يرى ان الزود عن الوطن حماقة والتضحية فى سبيله احد صور التخلف الشرقى ، وخلال الهزيمة يعلو صوت « المرتدين » المتخاذلين ، الذين يبحثون لانفسهم عن مكان فى ظل النظام الجديد ، عن طريق لعن الماضى ، والخلط المتعمد بين الثابت والمتغير ، ومايتعلق بالوطن ومايتعلق بزعيم من الزعماء او نظام من النظم ، فبعد ان استقرت معادلة صحيحة بين التراث والمعاصرة منذ الطهطاوى ومحمد عبده ، جعلتهما ابواق الاستعمار كنقيضين ، وتزايدت الازدواجيات المزيفة بين الوطنية والاسلام ، والخبز والحرية ، بين الماضى والمستقبل ، بين كفاءة الاداء والوطنية ، وهى ازدواجيات مزيفة الهدف منها ، اعلان الولاء الصريح للسادة الجدد !

ويعلق الجميع الهزيمة على كاهل زعيم الثورة ، **ينتقدون خطط عرابى العسكرية وتقاعسه عن اغلاق قناة السويس ، وافتقاره للحكمة ، وعدم معرفته بحركة القوى الدولية ، وكثرت السعايات والوشايات فاخذ المغرضون يشون بخصومهم بتهمة انهم كانوا من الخارجين على الخديو ، حتى امتلات السجون ، وبلغ عدد المقبوض عليهم اكثر من ٢٩ الف سجين « عبد الرحمن الرافعى ..**

واستخدم للدعوة لافكار النظام الجديد مضافا الى المتخاذلين عدد من الشوام والاجانب . واصدر الخديو قرارا بتسريح الجيش ، بعد ان تم التشكيك فى الثورة ومبادئها .

ثم جاءت الفرصة خلال مهزلة المحاكمات لتجريد الثورة من كل قيمة ومعنى ، حتى يتعلم الاخرون فضيلة الخنوع ، بعد ان عاشوا مع عرابى زهو الثورة ، وحتى يتحول حلم الثورة الى كابوس ، ويتحول البطل الى خائن ، فيغدو الخائن بطلا !!

وكان نجاحهم الكبير ، عندما لم يجد عرابى محاميا مصريا للدفاع عنه ، فارسل له مستر بلنت محاميا بريطانيا للدفاع عنه وعن بعض رفاقه ، وعندما لم يجد طفله المريض عناية طبية من ابناء بلده ، وتقدمت سيدة بريطانية لعلاج ابنه .

● مصر الحديثة

وتمكن اللورد كرومر من ان يصبح حاكما مطلقا للبلاد ، بعد ان ازاح الخديو وحقق الاستقرار الذى تنشده بريطانيا وسجل خبرته فى كتابه « مصر الحديثة » ويكشف عنوانه عن رؤيته ، عندما يدعى بايجاز ان الاحتلال البريطاني خلق مصر الحديثة، وحقق الرسالة الحضارية للرجل الابيض فى بلد شرقى متخلف ، بعد ان كان خاضعا للسيطرة العثمانية ، يستبد به الترك والشركس داخليا ، ويستأثرون بخيراته ، يعيقون الصفوة المصرية عن الصعود فى سلم الادارة ومراتب الثراء ، ويسومون فقراءه العذاب ، ويشيعون فيه الظلم والفوضى وسوء الادارة ، فى ذلك البلد الهام على الخريطة العالمية .

ويكتب اللورد .. « ان الاضطراب والفساد والمظالم التى كانت ستتعرض لها البلاد على يد اولئك النفس **(الثوار) تفوق كل ماتعرضت له مصر . لان انصارهم كانوا سيقيمون الحكم على دعائم من العقيدة المحمدية ـ التى عفا عليها الزمن (!!) والتى اصبحت لاتساير افكار العصر الحديث .**

ووجد اللورد من يصدقه من المصريين ، وظهر ان سلوك ومواقف الفريق الاكثر تأثيرا فى الصفوة ينحاز لافكاره ، ورأينا تيار الاعيان يتغير بعد ان نالت منهم الهزيمة واستبد بهم اليأس بالانكسار العسكرى للحركة الوطنية وكان لديهم ذرائعهم فى الاقتناع بمنطق كرومر ، والقبول بالدور الذى رسمه لهم تحت المظلة الاستعمارية ، ونشطت السياسة البريطانية فى مجال التعليم وايفاد البعثات لتؤكد افكارها ، وفى الاحتواء الحضارى للصفوة ، وكما فرضوا على البلاد افكارهم ، فرضوا على البلاد تكاليف حربهم ، فى صورة غرامة يدفعها الاهالى .

ونتساءل .. كيف تمت هذه العمليات الجراحية البالغة الدقة والتعقيد !! ولماذا تفتتت الحركة الوطنية واخذت تنسلخ منها قيادات وتنتقل الى الطرف الآخر ؟

لقد تزاحمت مواقف البطولة ومشاهد التضحية ، ويقف فوق ذرى عالية البطل الصلب محمد عبيد الذى دفع حياته دفاعا عن الوطن ، واختلطت مواقف البطولة مع مواقف الضعف والتسليم بالامر الواقع ، ومواجهة المصاعب بالكلام واساءة الظن بالوطنية ، وايدت بعض شرائح المجتمع الخديو لمصالح شخصية مما دفع بها الى الانضمام الى القوات البريطانية وابلاغها بمواطن الضعف فى صفوف العرابيين .

ووقف الشعب في مجموعه يجود بما لديه في سبيل نصرة الوطن وهو يواجه غزوا عسكريا . وتطوع الكثيرون للدفاع وقاموا بتقديم كل مايستطيعون . ويذكر جون نينيه انه كانت ترد الى معسكر العرابيين فى كفر الدوار كل يوم التبرعات العينية والمالية . حتى انه تبرعت والدة الخديو اسماعيل بجميع خيولها . ويذكر عرابى ان من الاهالى من تبرع بنصيب مما يملك من الغلال والماشية .

وفي الوقت الذى خرج فيه الاهالى من سكان باب الشعرية والحسينية يحملون العصى والهراوات دفاعا عن الوطن ، سارع عدد من اطراف الحركة الوطنية للبحث لهم عن مكان فى الاوضاع الجديدة . وبدأت مواكب « المرتدين » و« المتخاذلين » في الظهور هذا بخطبة وذلك بقصيدة شعر ، نفاقا للخديو وسلطات الاحتلال تقديما لعربون الولاء للسادة الجدد .

ولقد اشترك فى الحركة الوطنية صنفان من الناس ، اصحاب المواقف الاصلية الذين شاركوا بجهدهم وجهادهم من اجل العدل والحرية . واخرون سايروا الثورة وقادتها وعندما وقعت المواجهة كانوا كالجرذان اول من فر من السفينة عندما شارفت على الغرق . وتحول جانب من رجال الثورة الى صفوف الاعداء حتى انه خلال المحاكمات كان اسماعيل باشا ايوب قاضى عرابى احد زملاء عرابى فى وزارة شريف باشا . وسبق لاسماعيل ايوب ، ان اشترك فى وفود التهنئة على صد الجيش للغزاة فى كفر الدوار واستقبله عرابى فى خيمته ، و أحد اعضاء المجلس العرفى الذى تشكل عندما قامت فى البلاد سلطتان ، احداهما للخديو وتؤيده قوات الاحتلال البريطانى ، وسلطة الثورة الممثلة فى المجلس العرفى ، وقام المجلس بعد عزل الخديو لعرابى باعتباره عاصيا ، فاجتمع خمسمائة من الامراء والعلماء والاعيان وقاضى القضاة وشيخ الازهر والمفتى وبطريرك الاقباط وحاخام اليهود . وتليت عليهم اوامر الخديو واعطى المجلس الشرعية لعرابى واعتبار الخديو مارقا وهو المقيم فى الاسكندرية ، تحت سيطرة القوات الغازية وتليت فتوى شرعية بمروق الخديو وانحيازه للاعداء .

وبعد الهزيمة انحاز العديد من اعضاء المجلس لسلطة الخديو والانجليز . ومنهم اسماعيل ايوب الذى انتقل بعد الهزيمة بالكامل الى الجانب الاخر .

● بشارة تقلا

ونستعرض مواقف عدد من الشخصيات التى قامت بدور بارز فى هذا الفصل من التاريخ والذى يقدم اغلى الدروس والعبر . واحد هذه الشخصيات بشارة تقلا (١٨٥٢ ـ ١٩٠١) الذى انشا مع شقيقه سليم جريدة الاهرام فى الاسكندرية (١٨٧٥) . والذى ايد الثورة بحماس عند قيامها . وحتى وصلت الى مرحلة الصدام . فاختفى وغادر الديار الى لبنان . وظهر مرة اخرى بعد الهزيمة لكى يؤيد سلطة الخديو والاحتلال ونشر فى الصفحة

الاولى من الاهرام صورة القائد البريطاني الجنرال ولسلى على صهوة جواده ، كما نشر عقب انتهاء المحاكمات مقالا يؤكد فيه على وجود اتفاق مسبق بين عرابى والانجليز (!) تم فيه بيع نصر ، التل الكبير ،

وليس لدينا مايكشف بالدليل القاطع هل قدم تقلا الى مصر في مهمة خاصة ظهرت بعد هزيمة الثورة العرابية ، ام انه مجرد انتهازى يختار المواقف التي تتناسب مع مصالحه ؟ .

ويروى برودلى المحامي البريطاني نقلا عن عرابى .. « فتح على باب الزنزانة فجأة ، واذا بمحرر جريدة الاهرام المدعو بشارة تقلا يدخل علىّ ، فتصورت انه جاء لزيارتي والتخفيف والتهوين عنى ، فقد كان معنا قبل الحرب ، وكان يقسم بدينه وشرفه انه واحد منا له مالنا وعليه ماعلينا ، وانه من دعاة الحرية ، وكنا نجله ونكرمه ، ولكن اذا به اتى ليشمت بوقاحة فيما يجرى لنا ، ويتساءل بفظاظة : عرابى ماهذا الذى فعلت ؟ هل رأيت نتيجة افعالك وما آل اليه حالك ؟

فعلمت - يعلق عرابى - انه ذو وجهين وانه لاشرف له »

وينشر تقلا بعد هذا اللقاء في الاهرام يوم ٩ - ١٠ - ١٨٨٢ يطالب بسرعة انزال العقوبة بزعيم العصاة .. « يستلفت الراى العام مجلس التحقيق العسكرى والمجلس الحربى الى اصدار الحكم على العصاة بالوجه السريع لان الوقت ثمين ، فلا يضاع باطالة التفحص فيماهو واضح من جميع الوجوه !!.. وما عرابى ورفاقه الا عصاة كما تشهد اعمالهم وما عقاب العصاة في جميع القوانين العسكرية الا الاعدام .

واتبت بشارة تقلا انه ليس اكثر من مغامر يبيع نفسه لمن يدفع اكثر .

● الشيخ حسن العدوى

واذا كان قد ظهر امثال اسماعيل ايوب وبشارة تقلا ، فقد ظهرت مواقف بطولية حفظها لنا التاريخ ومنها موقف الشيخ حسين العدوى .

« كان الشيخ واهنا كبير السن ، يئن تحت ثقل سنواته الثمانين يبلغ طوله خمسة اقدام اجهدت وجهه الايام والاحداث وتكاد عيناه لاتبينان ، وتحت هيكله الراهن كانت شخصيته الصلبة ، شخصية باحث صادق عن العدل ورقى الوطن وعندما قدم للمحاكمة وبدأ اسماعيل ايوب استجوابه سأله بغتة وباسلوب مسرحى وبصوت كالرعد .. هل تجرأت ووقعت او ختمت على قرار يعلن ان صاحب السمو الخديو يستحق العزل »

وفجأة .. تجرى الدماء في عروق الشيخ ويستعيد حماس شبابه القديم ، ويميل بجسمه الى الامام ، ويبسط يده ، وينظر في ثبات الى رئيس المحكمة ويقول : آه .. ياباشا ، لايمكن لى بدون رؤية الوثيقة التي تتكلم عنها ان اقول اذا كنت قد وقعت او ختمت عليها . ولكن اذا كنت تسأل عن رأيى ، فهذا هو ما اعتقده بالفعل . اذا احضرت لى وثيقة بالمعنى الذى تذكره ، فسأوقعها واختمها هنا امامك فهل تنكرون

اذا كنتم مسلمين ان توفيق باشا قد خان بلده ولجأ الى الانجليز وهل بعدها يصبح جديرا بان يحكمنا ؟

وساد القاعة صمت رهيب واصبح الجميع وكأن على رءوسهم الطير ، واذا انفجرت قنبلة فجأة وسط القاعة ، ما احدثت الذعر الذى احدثه كلام الشيخ .

وطلب رئيس المحكمة من الشيخ مغادرة القاعة ليستريح ولم يستدع مرة اخرى وقررت المحكمة نفيه الى قريته ومسقط رأسه . [كتاب كيف دافعنا عن عرابى وصحبه - ا . م برودلى]

ومن الملاحظات الهامة ، انه اذا كان الباشوات قد اتخذوا اثناء التحقيق موقف انكار وطعن الثورة ، وان اشتراكهم جاء نتيجة التهديدات التى تعرضوا لها من عرابى وممن ارتكب العصيان معه ، الا ان الشيوخ الذين قدموا للمحاكمة وعلى رأسهم الشيخ العدوى كانوا اكثر صلابة لانهم اقرب الى عامة الشعب .



الشيخ حسن العدوى رغم دوره إلا انه لاتوجد له اى صور سوى هذه الصورة المتخفية

● محمد سلطان باشا

محمد سلطان باشا احد نماذج السقوط عند لحظة الصدام والمواجهة .. فكان احد قادة الحركة الوطنية ثم اصبح عدوا لها ، وانتهى به الحال فى « خانة » الاعداء ، جاء من بين الفلاحين ، وبدأ حياته عمدة لبلدته زاوية الاموات ، وارتقى مأمورا لمركز قلوصنا ، حتى اصبح مفتشا عاما للوجه القبلى .

ومن ايامها برز سلطان باشا ، كأحد الوجوه الداعية للحركة الوطنية ، والمطالبة بالدستور والحياة النيابية ، وكان احد المؤسسين للحزب الوطنى مع كل من اسماعيل راغب وعمر لطفى ، واحمد عرابى وعبد العال حلمى ، وعلى فهمى ومحمود سامى البارودى .. وكان سلطان باشا يطمع فى رئاسة هذا الحزب لثرائه الواسع ، فكان يمتلك نحو ثلاثة عشر الف فدان .

وساهم فى الدعوة الى تكتل الجهود وراء عرابى واخذ يحث اعيان الوجه القبلى والوجه البحرى على الاجتماع لتأليف وفد للمطالبة باستدعاء مجلس النواب ، وعندما تعطلت الحياة النيابية ذهب سلطان باشا الى شريف باشا رئيس الوزراء ومعه عريضة وقعها الف وستمائة من الاعيان يطلبون استئناف الحياة النيابية وعند نشوب ازمة الضباط الشراكسة ، الذين تآمروا على اغتيال عرابى والبارودى دعا المجلس للاجتماع فى بيته ، ورفض الانذار الذى وجهه الاسطولان البريطانى



محمد سلطان باشا



بشارة باشا تقلا

والفرنسى الذى يطالب بضرورة اقالة الوزارة ونفى عرابى ، واصر سلطان باشا على ضرورة ان يتولى عرابى وزارة الجهادية « لحسم الشر ، واتقاء الهياج »

وابنته هى هدى شعراوى رائدة الحركة النسائية التى لم تحمل اسمه .

يروى عنه الشيخ محمد عبده فى مذكراته .. « سلطان باشا لم يكن من اغبياء الاغنياء بل كان فيه شىء من الفطنة يزينه الغنى ، وتعلى قيمته مظاهر الثروة .. عندما أحس ان عرابى يتلمس المعين فى انشاء مجلس النواب ، ظن وصدق ظنه ان عرابى لابد ان يصل الى مايريد ، ومن الحزم ان يتفق معه فى البداية ليكون له النصيب الاشرف من الفائدة فى النهاية .. وحالف عرابى على ان يجمع له اعيان القطر من الوجهين البحرى والقبلى .. وعند اشتداد الاضطراب وتلاحم القوى بارح القاهرة وتوجه الى المنيا »

● سقوط الباشا

فما ان احتل الانجليز الاسكندرية حتى ارسل الخديو توفيق برقية الى سلطان باشا يأمره وهو المصرى الفلاح بالتوجه الى القاهرة « وتكونوا بالنيابة عنى محافظا على البلد ، وكافة الاجراءات هناك تكون مطلوبة منكم ، واعطى الاشعار اللازم من ذلك للجنرال ولسلى ».

وسارع الباشا للعمل وجند شبكة فى كل انحاء البلاد للعمل معه ، واخذ يردد فى كل مكان ان الانجليز ليس فى نيتهم احتلال البلاد ، ولا التعرض للاهالى ولكنهم حضروا لتطبيق الشرع وتأديب العصاة ، واتصل بمشايخ العربان بناء على طلب الجنرال لابعادهم عن عرابى وجلبهم لجهة الانجليز باى مبلغ يطلبونه ،

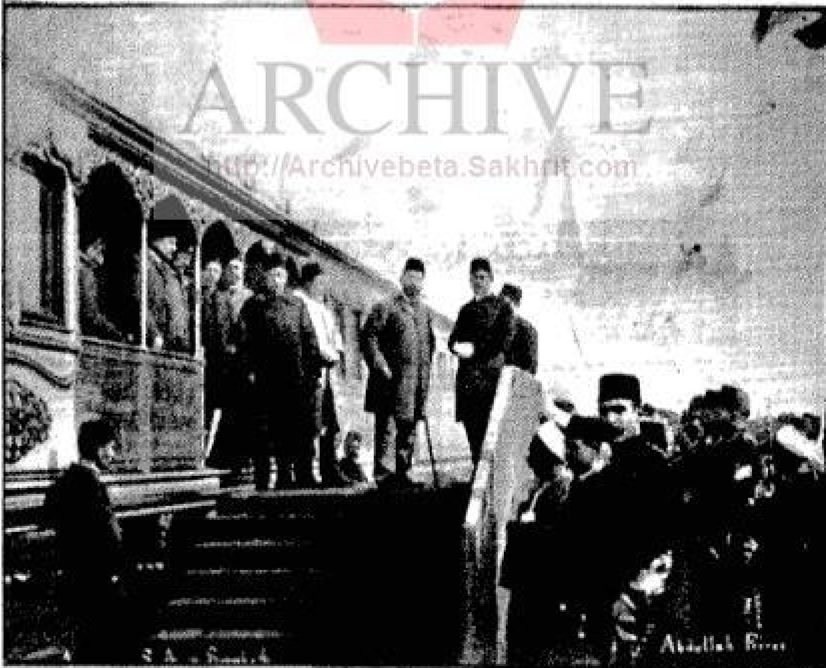
واخذ سلطان يقوم بنفسه باستجواب الجرحى من المصريين ، وكان لديه مبلغ كبير من المال ينفق منه لكسب الانصار والاعوان .

ولعب الباشا دورا بارزا فى تدعيم العناصر المناوئة للثورة فى أحرج ساعاتها وقدم الباشا للجنرال ولسلى والاميرال

سيمور والجنرال لو ، هدية من الاسلحة النادرة القديمة الموشاة بالذهب والمرصعة بالماس ، مع كتاب شكر على « انقاذ البلاد من غوائل الفتنة العاصية » .

ويذكر الشيخ محمد عبده فى المذكرة التى قدمها الى محاميه برودلى « ان وطنيتى ووطنية سلطان باشا واحدة ، وكلانا عمل وفكر تفكيرا واحدا ، وحصل سلطان على لقب سير من ملكة بريطانيا وحصل على مكافأة قدرها عشرة آلاف جنيه استرلينى ، اى ان وطنيته حسنة ، واهل للثناء » ، ويضيف ساخرا .. « اذا كان سلوك كلينا اهلا للثناء ، فلماذا يزج بى فى السجن بينما يصبح الباشا حائزا على رتبة الشرف البريطانية ، وحاصلا على تلك المكافأة ؟! » .

صورة نادرة يظهر فيها الخديو توفيق



وذهب المؤرخون في دوافع تحول سلطان باشا مذاهب شتى .

● يتوقف البعض عند احد المناقشات الحامية التي دارت في المجلس العرفي ، عندما رد احد الضباط على تثبيط سلطان باشا للمجلس .. « لا ناقة لنا فيها ولا جمل » فرد احد الاعيان بغضب « اذن اتركوا القرارات لاصحاب النياق والجمال » .

اى ان سلطان باشا يمثل الفعاليات الاقتصادية التي لابد ان تتوام من اجل مصالحها مع اى نظام حتى لو كان من تخطيط الانجليز اعداء البلاد .

● ويرى البعض .. « انه **منذ البداية وينظر الباشا** الى عرابي من اعلى ، **مجرد اداة طيعة** لتحقيق اغراضه ولم **يتوقع ان يحتل** عرابي ما احتله من **مكانة** ، **وسجل** في محاضر التحقيق ، **انه عندما الفت** وزارة شريف باشا سنة ١٨٨١ استاء لانه لم يكن احد الوزراء ، وعاد وتكرر الموقف عندما الفت وزارة البارودى سنة ١٨٨٢ وشعر ان الحركة الوطنية تسلبه حقه .

● ويذكر بلنت ان ماليت القنصل البريطاني قد اغرى الباشا وهدده - اى استخدم معه سياسة العصا والجزرة - حتى أعلن موافقته على كل المطالب البريطانية .

ويذكر احمد شفيق في مذكراته .. انه « مما ساعد على نجاح الانجليز ان الخديو عين محمد سلطان باشا مندوبا خديويا وبمعيته بعض ياوران سموه لدى الجنرال ولسلى ، وناط به نشر الدعوة - خصوصا بين الاعراب - لمساعدة الجيش الانجليزى الذى يحارب العرابيين باسم الخديو » .

ويفسر بلنت مرة اخرى موقف الباشا بقوله « كان رجلا ذا كبرياء له ثروة واسعة وجاه عريض ، وكان له صدر المكان في كل الاجتماعات ويطلق عليه ملك الوجه القبلي ، وكان يرى من حقه زعامة الفلاحين » .

وكافأه الخديو على موقفه ، وانعم عليه بالنيشان المجيدى من الطبقة الاولى ، بالاضافة الى لقب سير الذى قدمته ملكة بريطانيا ، وعين رئيسا لمجلس شورى القوانين سنة ١٨٨٣ واعتلت صحته وقيل انه ندم على موقفه وعن انضمامه الى البريطانيين وشعر بنقمة الشعب عليه ، وسافر للعلاج في جراتس بالنمسا ، وتكتمل المأساة وهو على فراش الموت ، يستعرض من حوله ما آل اليه حال وطنه ، ويقول .. « ليس المرض ما ارقدنى ، ولكن شعورى بانى بعت بلادى للانجليز » وجاء اعترافه بعد فوات الاوان ..

وبقيت العديد من **المواقف لم يتسع المجال لتقديمها . ففي مقدمة هؤلاء خطيب الثورة عبد الله النديم ، والذى اختفى بعد الهزيمة واحتضنه جموع الشعب تسع سنوات عندما اختفى رغم المكافأة والتهديد .**

كما بقيت مواقف كل من الاستاذ الامام محمد عبده وعلى باشا مبارك ، والتي تحتاج لتحليل ادق ، فهي ليست مثل خيانة سلطان باشا ، وليست في نقاء الشيخ حسن العدوى .

وهو ماسنعالجه في مقال قادم .

تفسير القرآن

عند الأستاذ الأمام محمد عبده

بقلم: د. محمد رجب البيومى

إذا كان من المقرر الآن أن القرآن مصدر هداية للناس، وقانون سماوى لتنظيم الحياة، وإخراج العالمين من الظلمات إلى النور فإن تفسير القرآن الكريم فى التراث المتداول، لم ينهض بإيضاح هذه الرسالة القرآنية على وجهها المنشود، حتى نهض الامام محمد عبده، بتفسير كتاب الله ليكون باب الانقاذ من تدهور الشرق واندحاره، وسلما لرقى المسلمين، كى يعود إليهم استقلالهم السليب وعزمهم الضائع.

● ولكى نعرف هذه الحقيقة صادق المعرفة نذكر أن حاكم مصر فى سنة ١٨٩٢ رأى أن تعقد جلسات لتفسير كتاب الله فى قصر القبة وأن يقوم بالتفسير عالم جهير من كبار علماء الأزهر هو الشيخ أحمد الرفاعى فأخذ يتابع الدروس على نحو لايقنع حيث يقول الأستاذ أحمد شفيق باشا فى كتابه (مذكراتى فى نصف قرن) إنه كان كثير الاسهاب فى إيراد أقوال المفسرين، وإيراد بعض الأقوال الغريبة، وقد تحدث عن إرم ذات العماد فذكر أنها مدينة شيدت بطوبة من ذهب، وطوبة من فضة، وإنها معلقة بين السماء والأرض، ثم توسع فى هذا المجال على نحو يثير الاشفاق.

فهذا عالم كبير ينتدب للتفسير، فيملا درسه بأقوال السابقين، وغرائب الاسرائيليات، وهو بعد يمثل منحى مشتهرا لدى فريق من زملائه يجعل دقاق الأعراب ومعضلات البلاغة، وغرائب الأسرائيليات مدار حديثه، أما شرح الأيات الكريمة على نحو يبرز أسرارها الدقيقة، ورسالتها الأمينة فى هداية الناس، وإصلاح المجتمع، فهذا مالم يتجه إليه هذا الفريق، حتى جاء الشيخ محمد عبده بنمط هاد سديد.

ولم تكن دروس التفسير بالأزهر فى الرواق العباسى هى البدء الأول فى حقل التفسير، إذ أن الامام محمد عبده فسر جزء عم من قبل، حين كان منفيا بلبنان

غب أحداث الثورة العرابية ، فأظهر الناس على نمط جديد من الدرس القرآنى لم يألفوه من قبل إذ كان الهدف الأكبر من دروس الأستاذ الأمام هو الاصلاح الذهنى على نحو ماجاء فى الكتاب الكريم .

وقد جاء فى مقدمة تفسير المنار ما يحدد الاتجاه الهادف الى التفسير المنقذ الذى اتجه اليه الأستاذ الأمام ، فكان فاتحة جديدة للمفسرين من بعده، حيث قال صاحب المنار علم معا ذكرنا أن التفسير قسمان . أحدهما مبعد عن الله وعن كتابه ، وهو مايقصد به حل الالفاظ ، واعراب الجمل ، وبيان ماترمى اليه تلك العبارات والاشارات من النكت الفنية ، وهذا لاينبغى أن يسمى تفسيرا ، وإنما هو ضرب من التمرين فى الفنون كالنحو والمعانى وغيرهما .

ثانيهما ، وهو التفسير الذى يذهب فيه المفسر الى فهم المراد من القول وحكمة التشريع فى العقائد والأحكام على الوجه الذى يجذب الأرواح ، ويسوقها الى العمل والهداية المودعة فى الكلام ، ليتحقق فيه معنى قوله تعالى (هدى ورحمة) ونحوهما من الأوصاف ، فالمقصد الحقيقى وراء كل تلك الشروط والفنون هو الاهتداء بالقرآن .

قال الاستاذ الامام ، وهذا هو الغرض الأول الذى أرمى اليه فى قراءة التفسير .

الامام محمد عبده



● رسالة الإنقاذ

كان الوضع الحرج للعالم الاسلامى فى زمن الاستاذ الامام مدعاة تفكير متصل بنفسه لايكاد ينقطع عنه ، فقد عز عليه أن يتقهقر المسلمون فى كل مكان ، وأن يكونوا طعاما سائغا للمستعمرين ، وقد وازن بين امسهم المشرق ويومهم الدامى ، ليتأكد أن الأمس لم يسطع بأضواء العزة إلا بالالتزام بهداية القرآن ، والتمسك بشريعته وآدابه ، وأن اليوم لم يدلهم بظلماته إلا حين ترك المسلمون كتابهم ظهريا من ورائهم ، ولذلك صمم على أن تكون دروسه العلمية شرحا للقرآن ، يوضح ماخفى عن الناس من تعاليمه الهادية وأضوائه المنقذة ، ففاجأ طلبة العلم بتفسير لاعهد لهم به فيما يقرءونه من كتب التفسير ، وقد بدأ ذلك فى دروس لبنان بدءا مبكرا ، يجزم بأن دروس تفسير المنار برواق الأزهر كانت امتدادا لعهد سابق ، بل كانت ريعانا لحياة بدأت طفولتها السعيدة من أمد ، وننقل هنا من النماذج مايحدد اتجاه الأمام فى تفسيره التوجيهى الذى أصبح من بعده وجهة النابهين من المفسرين .

١ ـ يشرح الامام سورة الانفطار فيقف

تفسير القرآن

وقفة توجيهية عند قول الله عز وجل (إن الأبرار لفى نعيم) ليحدد البر ومن يتصف به من الناس فيقول (لايعد الشخص بارا حتى يكون للناس من كسبه ومن نفسه نصيب ، فلا يغترن أولئك الكسالى الخاملون الذين يظنون انهم يدركون مقام الأبرار بركعات من الخشية خاليات ، وبتسبيحات وتكبيرات وتحميدات ملفوظات غير معقولات ، وصيحات غير لائقات بأهل المروءة من المؤمنين والمؤمنات ، ثم يصوم أياما معدودات لايجتنب فيها إيذاء كثير من المخلوقات .

٢ ـ وينتقل الامام الى شرح سورة الماعون ، فيقف عند قول الله عز وجل (ولايحض على طعام المسكين) ليقول . "والحض على طعام المسكين ، الحث عليه ، ودعوة الناس اليه ، والذى لايحض على طعام المسكين لايطعمهم فى العادة فقوله (لايحض على طعام المسكين) كناية عن الذى لايجود بشىء من ماله على الفقير المحتاج الى القوت ، الذى لايستطيع له كسبا ، وليس المسكين هو الذى يطلب منك أن تعطيه وهو قادر على قوت يومه ، فذلك هو الملحق الذى يجوز الأعراض عنه وتأديبه بمنعه مايطلب ، وإنما جاء بالكناية ليفيدك أنه اذا عرضت حاجة المسكين ، ولم تجد ما تعطيه فعليك أن تطلب من الناس أن يعطوه ، وفيه حث للمصدقين بالدين على إغاثة الفقراء ولو بجمع المال من غيرهم ، وهى طريقة الجمعيات الخيرية فأصلها ثابت بالكتاب" .

٣ ـ وفى تفسير سورة العاديات يصيح الامام بملء فيه قائلا بعد أن يسرد النص الكريم (والعاديات ضبحا ، فالموريات قدحا ، فالمغيرات صبحا ، فأثرن به نقعا ، فوسطن به جمعا) وكان فى هذه الآيات القارعات ، وفى تخصيص الخيل بالذكر فى قوله . (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) وفيما ورد فى الأحاديث التى لاتكاد تحصر مايحمل كل فرد من رجال المسلمين على أن يكون فى مقدمة فرسان الأرض مهارة فى ركوب الخيل ، ويبعث القادرين منه على قنية الخيل الى التنافس فى عقائلها ، وأن يكون فن السباق عندهم يسبق بقية الفنون اتقانا ، أليس من أعجب العجب عندهم أن ترى أمما هذا كتابها قد اهملت شأن الخيل والفروسية ، إلى أن صار يشار راكبها بينهم بالهزء والسخرية ، وأخذت كرام الخيل تترك بلادهم إلى بلاد اخرى ؟ أليس أغرب ما يستغرب أن اناسا يزعمون أن هذا الكتاب كتابهم ، يكون طلاب العلوم الدينية منهم أشد الناس رهبة من ركوب الخيل ، وأبعدهم عن صفات الرجولية ، حتى وقع من أحد أساتذتهم المشار اليه بالبنان عندما كنت أكلمه فى منافع بعض العلوم ، وفوائدها فى علم الدين أن قال (إذا كان كل ما يفيد فى الدين نعلمه لطلبة العلم كان علينا إذن أن نعلمهم ركوب الخيل) يقول ذلك ليفحمنى وتقوم له الحجة على ، كأن تعليم ركوب الخيل مما لايليق ولا ينبغى لطلبة العلم ، وهم يقولون إن العلماء ورثة الانبياء ، فهل هذه الأعمال ، وهذه العقائد تتفق مع الايمان بهذا الكتاب ، انصف ثم احكم .

● تفسير المنار

عاد الامام الى مصر ، وقد طوف فى

الشرق والغرب ، ولمس في انجلترا وفرنسا ما يلصق بهتانا بالاسلام . إذ قيل عنه إنه سر تأخر المسلمين ، وأنه يحارب حرية الفكر ، ويقف دون انطلاق العقول ، كما يدعو الى التواكل والتكاسل والزهد ، ويفسح للخرافات مجالا واسعا تحتل به العقول فتفكها عن ربط الأسباب بالمسببات ، كل ذلك وأكثر منه قد شاع افتراء على الاسلام ، ولما كان القرآن الكريم كتاب الاسلام الذى ثبت نصه دون تحريف ، فإليه الفيصل في تبديد الأراجيف وتحقيق البينات من القواعد والأصول لما كان القرآن كذلك ، كانت دروس الأزهر فى التفسير التوجيهي رجوعا للحقائق الاسلامية ، وارتواء من نبعها الصافى الذى لايأتيه الباطل ، وسنضرب الأمثلة الدالة على ما نريد .

رمى المستشرقون زورا بالتهم فى أصول الحكم الاسلامى وقرروا أنه استبدادى فردى لايزعن لغير مشيئة الحاكم وحده ، ففند الأستاذ الأمام هذا الباطل فى تفسير قول الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله والرسول وأولى الأمر منكم)فقال - رحمه الله - إنه انتهى به الفكر الى أن المراد بأولى الأمر أهل الحل والعقد من المسلمين ، وهم الأمراء والحكام والعلماء ورؤساء الجند وسائر الرؤساء الذين يرجع اليهم ناس فى الحاجات والمصالح العامة ، فهؤلاء إذا اتفقوا على أمر أو حكم وجب أن يطاعوا فيه بشرط أن يكونوا منا ، وألا يخالفوا أمر الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - التى عرفت بالتواتر ، وأن يكونوا مختارين فى بحثهم فى الأمر واتفاقهم عليه وأن يكون مايتفقون عليه من المصالح العامة وهو ما لأولى الأمر سلطة فيه ووقوفا عليه فأهل الحل والعقد من المؤمنين إذا اجمعوا على أمر من مصالح الأمة ليس فيه نص من الشارع ، مختارين فى ذلك غير مكرهين عليه بقوة أحد . ولا نفوذه فطاعتهم واجبة ، وأن اختلفوا وتنازعوا فقد بين الله الواجب بقوله (فإن تنازعتم فى شيء فردوه الى الله ورسوله) وذلك بأن يعرض على كتاب الله وسنة رسوله وما فيهما من القواعد العامة ، والسير المطردة . فما كان موافقا لهما علم أنه صالح لنا ووجب الأخذ به ، وما كان منافرا علم أنه غير صالح ، ووجب تركه ، وبذلك يزول التنازع وتجتمع الكلمة . واستند الامام فى رأيه إلى مفسر سابق هو الامام النيسابورى ، ليكون له سلف كريم فيما

وكان التقاطع بين الاقرباء والبعداء فى الأمة الاسلامية مما يعزى الى الاسلام زورا بحيث أصبحت الدعوة الى التكافل الاجتماعى مفهوما غريبا لاعهد للناس به من قبل ، فوقف الاستاذ الامام عند قول الله عز وجل (واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ، وبذى القربى واليتامى ، والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لايحب من كان مختالا فخورا) وقف الامام أمام هذا النص الكريم ليقول فى تفسيره "إذا قام الانسان بحقوق الله تعالى ، فصحت عقيدته وصلحت أعماله ، وقام بحقوق الوالدين ، فصلح حالهما وحاله ، تتكون بذلك وحدة البيوت الصغيرة المركبة من الوالدين والأولاد ، وبصلاح هذا البيت الصغير يحدث له قوة فإذا عاون أهله البيوت الأخرى التى تنسب الى هذا البيت

بالقرابة ، وعاونته هي أيضا يكون لكل من البيوت المتعاونة قوة كبرى يمكن أن يحسن بها الى المحتاجين الذين ليس لهم بيوت تكفيهم مؤنة الحاجة الى الناس الذين لايجمعهم بهم نسب ، وهم الذين عطفهم الله على ذوى القربى بقوله (واليتامى والمساكين) فإن الله تعالى يوصى باليتامى فى مثل هذا المقام ، لأن اليتيم مهمل امره بفقده الناصر القوى الغيور وهو الاب ، او تكون تربيته ناقصة بالجهل الذى هو جناية العقل أو فساد الاخلاق الذى هو جناية على النفس ، وهو بجهله وفساد أخلاقه يكون شرا على الناس يعاشرهم فيسرى اليهم فساده وكذلك المساكين لاتنتظم الهيئة الاجتماعية إلا بالعناية بهم واصلاح حالهم ، فإن أهمل امرهم الاغنياء كانوا بلاء ووباء على الناس وقلما ينظر الناس فى المسكنة الى غير العدم وصفر الكف ، والمهم معرفة سبب ذلك فإن من الناس من يكون سبب عدمه وعوزه ضعفه وعجزه عن الكسب ، أو نزول الجوائح السماوية تذهب بماله من غير تقصير منه ، وهذا هو المسكين الحقيقى الذى يجب مواساته بالمال ثم أفاض الامام فى ضروب أخرى من المسكنة لها اعتبارها الأكيد فى مضمار التكافل الاجتماعى ، وهو ما عناه الأستاذ بقوله (الهيئة الاجتماعية) .

وفى تصحيح الفهم الخاطىء الذى اتجه ببعض الوعاظ ـ وكثير ماهم فى عهد الامام ـ الى التزهيد فى الدنيا والرغبة عن تحصيل وسائل العيش حتى صارت جمهرة المسلمين كالعاجزة المتكففة ، أردف الامام تفسيره للآية الكريمة (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا) "أردف الامام هذا النص بقوله .

فى هذه الجملة (ولا تؤتوا السفهاء) تحريض على حفظ المال ، وتعريف بقيمته ، فلا يجوز للمسلم أن يبذر أمواله ، وكان السلف من أشد الناس محافظة على ما فى أيديهم ، واعرف الناس بتحصيل المال من وجوه الحلال ، فأين من هذا ما نسمعه من خطباء مساجدنا ، من تزهيد الناس ، وغل ايديهم واغرائهم بالكسل والخمول ، حتى صار المسلم يعدل عن الكسب الشريف الى الكسب المرذول من الغش والحيلة والخداع ، ذلك أن الانسان ميال بطبعه الى الراحة ، فعندما يسمع من الخطباء والعلماء والمعروفين بالصلاح عبارات التزهيد فى الدنيا ، فإنه يرضى بها ميلا الى الراحة ، ثم أنه لابد له من الكسب ، فيختار اقله سعيا وأخفه مؤنة ، وهو أخسه وأبعده عن الشرف ، على أن هذا التزهيد فى الدنيا من هؤلاء لم يأت الى ما يساق لأجله من الترغيب فى الآخرة ، والاستعداد لها ، بل إن خطباءنا ووعاظنا قد زهدوا الناس فى الدنيا وقطعوهم عن الآخرة ، فخسروا الدنيا والآخرة ، وذلك هو الخسران المبين "

● دروس الرحلات

بعد أن تقلد محمد عبده منصب الافتاء فى مصر ، وازدهرت آراؤه الدينية ، وشاعت حركته الاصلاحية فى العالم الاسلامى تعددت رحلاته العلمية الى كثير من مواطن الاسلام كالسودان والجزائر وتونس ، حاملا مشعل الهداية ، وكانت دروس التفسير القرآنى الموجه مجمع أهل العلم من واردى نبعه ، وعارفى فضله ،

وهو فى هذه الدروس يطنب ويسهب مستوحيا النص القرآني الكريم ليحارب به ماتراكم على العقول من معاني تلبس ثوب الاسلام وهو براء من زيفها المريض وهكذا صار كتاب الله بتفسير إمام العصر مبدأ الاصلاح فى جاهلية هذا العصر، كما كان مبدأه يوم نزوله على الرسول الأمين فى جاهلية العرب الأقدمين، بل فى جاهلية العالم الأكبر حين احتاج الى منقذ أمين ..

ونضرب المثل بتفسير سورة العصر الذى القاه الامام فى اكبر مساجد الجزائر فى محفل من وجهائها قبل انتقاله الى جوار ربه بعامين اذ كان هذا التفسير نقطة انطلاق بالسامعين الى آفاق الاصلاح الاسلامى نفسيا واجتماعيا وسياسيا، وأهدافه الباهرة لفيضها لايكفيها مقال موجز كهذا المقال، ولكنى أنقل عنه بعض البوارق الدالة على أسلوبه القويم.

لقد وقف الامام امام قول الله عز وجل (وتواصوا بالحق) ليقرر أن التواصى ليس بالقول وحده دون العمل، فقد ظن بعض الناس أن النجاة تقف عند القول وحده. وحسب المسلم أن يوصى، وهو ظن واهم، إذ كيف يعقل منطقيا أن يلبس القاتل لباس المصلحين وهو بمنأى عن الإصلاح، وكيف يدعو الى امر بالمعروف من لاتكون له من هذا المعروف حلية يزدان بها، وما نراه من قوم يدعون الى الحق وهم يقيمون على المنكر نعده ارتكاسا فى مضمار الدعوة، لأنهم بذلك ينفرون الناس عن شريعة الحق، إذ يقول مالا يعتقدون!

أما الصبر فما أحوج الأمة الاسلامية الى فهم معناه الصحيح، لأن ضعفها فى شتى الميادين ناشىء عن فقد الصبر، فطالب العلم لايجد من نفسه صبرا على التوسع فيه والتعب فى تحقيق مسائله، يقلد دون أن يجدد، ولو كان عنده احترام لسابقيه من العلماء لحذا حذوهم وابتكر ابتكارهم فلا يقف عند الترديد. ثم هو إذا تعلم لايجد صبرا على مشقة الدعوة لما يعلم، ولا جلدا على تحصيل الوسائل لنشر مايعلم، بل يخور عند أدنى معارضته، ويلجأ الى السكوت.

وأما التواصى بالحق، فهو حياة العلم، لأن العلم مصدر الحقائق، ومطمأن النفس الى إيمانها الصحيح، والايمان طور أعلى من أطوار النفس البشرية ارتقت اليه لتخلص من سوء سيىء كانت عليه، فالنفوس البشرية دون ايمان تنحدر الى الشهوات كالعجماوات ولا تفرق بين الشر والخير حين تعكف على اللذة المريضة من غير هدى مستنير، وأى شقاء يصيب النفس البشرية اذا لم تميز بين الخير والشر، فتقبل على تحصيل ملذاتها دون نظر الى العاقبة، اذ المراد ما تبتغيه من الشهوات دون حساب.

● التفسير التوجيهى

بهذا الاتجاه الجاد نحو حقائق القرآن الكريم أصبح كتاب الله مصدر الاشعاع الحقيقى للمسلمين، وأصبح من واجب المفسر أن ينزع عنه ركام الاقاويل الحمالة، والوجوه المتشعبة ليخلص الى اللباب النقى من أوجه الهداية الربانية، وقد جد تلاميذ الأمام فى سلوك نهجه، وأصبح التفسير القرآنى من بعده باب الانقاذ، وطوق النجاة. ولا ننكر أن قضايا العلوم الفلسفية واللسانية تجد حظا لدى المتخصصين فى ضوء النص القرآنى، ولكن الاشعاع المصلح قد وجد طريقه الى اكتساح الظلمات فى دوائر التوجيه الدينى، والتفسير الحقيقى لكتاب كريم، تنزيل من حكيم حميد.

الرسول ﷺ في عيون غربية

بقلم : د. الطاهر أحمد مكي

لم يختلف الكتاب والمؤرخون في العالم كما اختلفوا حول شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام .. !

لقد تناوله المفكرون على امتداد العالم كله : من مختلف الامم والعقائد والعصور ، بعضهم تحامل عليه جهلا او لدوافع دينية او سياسية ، وآخرون ناقصوا عنه ، واعلوا شانه، وكلهم درسوه ، وحللوا ما جاء به ، واحترموه حتى لو لم يقبلوه او يرفضوه. ودوره في تحقيق المجد لامته ، على حد تعبير جوستاف ليبون : وكانت من افقر اهل الارض ، واشدهم تخلفا وانزواء ، اضفى عليه : دون شك ، اهتماما خاصا ، وهو ما يعترف به اهل العلم ، وصرحوا به علانية ..



لقد استطاع هذا الانسان الممتاز أن يخضع شعبا شديد المراس لم يستطع أى غاز أن يطأ أرضه من قبل، ورياسـة ، وتحت رايته ، هـزم المسلمون أعـرق الامبراطوريات وأعظمها ، وهو حتى اليوم ، جسـدا مسجى فى قبره يمارس سلطانا عظيما على ملايين الرجال الذين يؤمنـون بشريعته •

ويرى برتيلمى فى كتابه « محمـد والقرآن » ، وصدر فى باريس عـام ١٨٦٥ ، أن « محمدا أحـد الرجال الممتازين ومن بين أكابر الرجال الذين ظهروا على وجه البسـيطة وتتطلب النصفة أن نحترم عمله كما احترمنا عمل غيره والا نتناوله ، كما يحـدث كثيرا ، فى سخرية أو استهانة ، وهى أمور تؤدى من يوجهونها اليه أكثـر مما تؤذيه هو نفسه » •

ويمضى ثريل ديسفرجيه بالأمر الى أبعد من هذا فى كتابه حياة محمـد وصدر فى باريس عام ١٨٣٧ ،واعتمد فيه أساسا على تاريخ أبى الفـدا ، فيرى أن « الرجل الذى انتصر بذكائه على الخرافات المبتـذلة التى كانت رائجة فى بيئته ، واستطاعت حميتـه أن تجمع تحت قانون واحد مشـترك كثيرا من القبائل التى كان يفرق بينها البغض والشك ، وأحل بدل الصراع الدموى فكرة الايمان بالله واحـد ، وامتلأت قلوبهم حماسة لنشر عقيدته، مثل هذا الرجل يستحق أن ندرسـه بعناية ، ولا شىء فى أعماله يمكن أن ننظر اليه باستهتار ، لأنها كلهـا تصدر عن ارادة واحدة ، وتسير فى نفس الاتجاه » •

الرسول

فى عيون غربية

ويلتقى معه فى هذا الرأى الكاتب الانجليزى ميلز ، فى تاريخه عن الاسلام ، لان « تاريخ انتشار الاسلام يقدم لعالم الاخلاق والفيلسوف مشاهد عديدة بالغة الاهمية ، ويعرض الوانا من العلاقات الاجتماعية فى امتدادها وتشعبها ، تدهش اولئك الذين يقارنون بين الدينين المسيحى والاسلامى ،وهذا التاريخ ، واؤكد على هذا ، كثيرا ما كان موضع تأمل العلماء ، وحياة صاحب هذه الثورة القوية ، وممالك خلفائه ، ومن جاء بعده من أمراء ، تفتح مجال الدراسة واسعا امام من يتأمل تقدم الدول وسقوطها » .

● **البداية كانت مختلفة**

والواقع أن هذه الدعوات الحديثة الى الوضوعية كانت رد فعل لصمت ثقيل او هجوم شرس لا يعرف شيئا من الموضوعية او النصفة ، ذلك أن بلاد العرب قبل الاسلام لم تكن تدخل فى حسبان احد من رجال الحكم أو السياسة فى أوربا ، وبقيت يكتنفها الغموض ، ولا يعرفون عن أهلها سوى أنهم يتعاطون قليلا من التجارة مع مصر والشام ، وأن ابناءيمارسون الجندية ارتزاقا فى الجيوش الفارسية والبيزنطية ، وفيما عدا ذلك فهى قفار مجدبة ، ولم يدر بخلد أحد أن تلك الصحراء اللافحة تستطيع أن تحدث أمرا تتأثر به أوساط دمشق والاسكندرية ، وليس فى استطاعةاهل البادية الا أن ينهب بعضهمبعضا،وأن يقتل بعضهم بعضا الى يوم يبعثون ، ولم يكن ثمة اثر لدولة عربية ، أو جيش نظامى ، أو هدف سياسى عام .

وقصارى ما يمكن أن يقال عن العرب اذ ذاك انهم شعراء ، أرباب خيال وطعان وتجارة ، ولم يفكروا أبدا فى أن يجعلوا من الدين أداة وحدة سياسية او حياة منظمة ، ولم يعرفوا فى جملتهم غير عبادة الاوثان .

لكن الاسلام استطاع أن يصنع من هؤلاء البدو الرحل دولة ، وأنيجمعهم تحت راية واحدة ، وأن يفتح مصر والشام ، وأن يتغلب على فارس ،وأن يحول اهلها الى الاسلام ، وأن يبلغ تركستان الغربية وجزءا من البنجاب، وأن ينتزع شمال افريقيا من البيزنطيين ، واسبانيا من القوط ،وأن يهدد فرنسا فىالغرب ، والقسطنطينية فى الشرق ، وأن يتحدى الامبراطورية البيزنطية ، واخذ الناس يتساءلون عما اذا كان لهذه الفتوح الاسلاميةمن نهاية ، أو فى وسع احد أن يوقفها ، وامست الدول الاوربية المسيحية امام حضارة شرقية جديدة تقوم على عقيدة الاسلام .

وامام هذا الدين الجديد ، فى قوته وفتوحاته وأسراره، انكمشت الكنيسة، وانطوت على نفسها ولم تحاول أن تتفهم الظاهرة ، وحاولت أن تقيم بين الاسلام واتباعها حواجز عاليةمن التنامى ، وعدم المبالاة ، ورأت الخير فى الا يعرفه أحد ، فاذا تحدث عنه أحد من رجال الدين ، فلكى يشوه صورته تماما ، ويلصق بنبيه كل النعوت الشريرة ، دون أن يعرفه ، او يعرف به ، أو أن يقول من هو صدقا وبماذا جاء . وبعد هزيمة الاوربيين فى الحروب الصليبية بلغت الحملة على الرسول الكريم أقصى غاياتها شراسة وافتراء .

وفى نطاق هذه الاكاذيب تقع على



سيلفستر دى ساسى



ارنست رينان

ما يضحك ويسلي ، لانه لا يحتاج أي اى تفكير لكى يعرف قارئوه أو سامعه أنه اختراع وتوليد ، فبعض المدونات الغربية تشير الى أن النبي كـــان معاصرا لســـان اسيدور (٥٦٠ ـ ٦٣٦ م) أسقف اشبيلية ، والعـــالم الوحيـــد ذى الاهمية فى اسبانيا القوطية ، فذهب الرسول الى الاندلس ولكن كان عليه ان يهرب بسرعة ، لان عالم اســبانيا وقديسها ، وقصة أمجادها ، اكتشف للوهلة الاولى كل اخطائه واكاذيبه .

وهو كلام تردد فى المدونات الغربية الوسيطة زمنا ، ووجد من يصـــدقه ويبنى عليه أحكاما ! . .

وسط هذه العداوات والتقـــاتل بالسلاح والاكاذيب ، ســوف نلتقى للمرة الاولى بفيلسوف اسبانى مـــن جزيرة ميورقة ، هو رايموند لل تعلم العربية ، وكتب فيها بعض مؤلفاته ، ويعدونه أكبر كاتب وفيلسوف مسيحى فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر، واستمد جانبا كبيرا من فلسفته مـــن ابن عربى ، يرى ويعلن أنه لا يـكفى أن يشهر المسيحيون الســلاح علـى المسلمين فى ساحة القتال ، وانمـــا لابد من مواجهتهم أولا بســلاح العلم والبلاغة وهما لا يقهران ، ولكن دعوته هذه لم يكن لها من صـــدى غير التوصية بان يتعلم الرهبان الاوربيون الذين يتعاملون مع المسلمين اللغـــة العربية .

ورغم ذلك ظل القرآن ، والحـــديث عن الرسول ، مرعبين ومخيفين،وحين قام بجنينو دى بريشيا بطبع القرآن للمرة الاولى باللغة العربية فى مدينة البندقيـــة عام ١٥٢٠ ، أمر البابا باحراق كل هذه النسخ ، ولم تنج من هذه النهاية الاليمة ولا نسخة واحدة.

يقول خوسيه دى مونتيرو فىكتابه عن « محمد ، حيـــاته والقـــرآن » : « كانت الفكرة عن محمد فى العصور الوسطى مضحكة حقا ، ولم يحدث أن تعرضت شخصية للهجوم والتحـــامل مثل ما حدث لمحمد ، وكثرة الاساطير التى صاغها رجال الدين والكتـــاب الكاثوليك ضده ، وقد أعماهم الحقـــد الاسود ، تتناول شخصه ودينـــه ، وتحتاج الى عدة مجلدات » .

« ومن الحق أيضـــا أن نقرر أن

الرسول

فى عيون غربية

مادحيه من العرب اساءوا اليه بقوة، فى اعجابهم به نبيا ، وذلك بخيالهم وخرافاتهم ، فيقدمون دائما الجانب غير المقبول فى صورة معجزات مضحكة ، فتلقى معارضوه هذا الكلام على انه حق دون أن يدرسوه » ·

● اساطير فارسية

ويرى « أن الاساطير الفارسية بالغت فى ادق شىء يتصل بحياة محمد ، وعلى النقيض منها كانت الروايات العربية فيما كتب له من تراجم وسير · فالروايات الفارسية، كما فى كتاب حياة القلوب ، هى التى تحكى أن سبعين الف قصر من الياقوت بنيت فى الجنة ليلة ولد محمد ، وانه ولد مختونا ،وخرج من ثدى امه عند ولادته نور اضاء الجزيرة العربية ، ولم يكد يولد حتى جلس وصاح : « لا اله الا الله وأنا رسوله » وان الملائكة فتحت صدره فى عامه الثالث وغسلت قلبه ، وغير ذلك كثير ·

« ولم يقف الامر عند هذا الحد ، فمضى اتباعه بعد وفاته يقصون عنه كثيرا من المعجزات ، ويؤكدون أنه عالج فى الحلم عددا من المرضى ، ويؤكدون أن ذلك كان وراء قصيدة البردة التى نظمها البوصيرى » ·

ويرى بيل أنه « اذا كان الكتاب المسلمون قد اخترعوا الف حكاية وحكاية لتمجيد النبى، فليس ثمة شك فى أن خصومه كانت لديهم القدرة ليخترعوا الف اكذوبة واكذوبة » ·

ويرفض بيليه « الكثير من الخرافات والاساطير التى ينسبها بعض المؤرخين الاوربيين الى الرسول ، ويزعمون انها معجزات له ، معتمدين على اية كتابات تصادفهم دون مناقشة لها ودون توثيق ، أو على اية رواية شفوية ممن لا يعرفون ، ويرى أن هذا الاتجاه وليد غيرة شديدة عن الكتاب الكاثوليك ، ولذلك مضوا مع خيالهم السقيم الى مالا نهاية ، والصقوا به صفات والقابا تسىء اليهم اكثر مما تمس شخصه ، والا فبماذا يسمى الانسان قول بعضهم: ان محمدا مجرد كاردينال لم يستطع أن يجعل اتباعه يختارونه بابا ، فاخترع دينا جديدا لينتقم من رفاقه · وهى كذبة بلهاء لا تحتاج الى تكذيب » ·

● معجزة شق القمر

كانت القصة التى ركز عليها خصوم الاسلام والمتعصبون ضد النبى ، وكرروها كثيرا ، واشبعوها ترديدا ، واشاعوها فى كل مايقولون ويعيدون، هى التى تقول ان القرشيين طالبوا النبى ببرهان على انه رسول من عند الله فشق لهم القمر ، ورأوا الجبال من ورائه ، وان الاحجار والاشجار كانت تسلم عليه ، وينسبون اليه معجزة ان القمر سقط فى كمه ، وانه قام برده الى السماء ·

ولكن الباحثين المحدثين منهم يرون أن الرسول نفسه لم يتحدث عن اية معجزات قام بها ، ويقول المستشرق الفرنسى ارنست رينان : « لم تكن غاية محمد أن يكون صاحب معجزات،وانما اراد أن يكون نبيا رسولا ، وكرر القول دائما بانه بشر يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق ، وهو مثل الاخرين يمكن أن يخطىء ، ومن ثم فهو كأى انسان اخر محتاج الى رحمة الله »

• وباختصار نحن نلتقي بالرسول لطيفا حساسا ، صادقا وفيا ، مبرءا من الحقد والكراهية » . « ولم يفكر في اية مرحلة من مراحل حياته ان ينسب لنفسه صفة ذات طابع الهي مهما صغرت ، ولم يتوقف ابدا عن القول بانه من نفس طبيعة الاخرين » .

• وباستثناء رحلته العظيمة الى السماء السابعة ، واعنى بها الاسراء والمعراج ، واشار اليهما القرآن في ايجاز شديد ، ودون ان يقدم اية تفصيلات ، فان الرسول نفسه لا يتحدث عن معجزات له في حياته ، وبداهة بعيد تماما عن كل ما تناثر منها بعد موته ، ولكن بعض اتباعه ، مبالغة في الحب ، وربما في التقى ، بالغوا في اضفاء صفات كثيرة عليه تجعل منه كائنا غير طبيعي ، فهو اسمى من كل الانبياء ، ومن النوع الانساني كله ، ويجيء الكاثوليك ، وخصوم الاسلام ، في مواجهتهم ، فاخترعوا بدورهم كثيرا من القصص غير المعقولة والصقوها به .

● بداية الاعتدال

اخذت موجة الحقد الشديد لمحمد نبيا وللاسلام دينا ، تنحسر حين بدا ان حركة الاسلام اخذة في الانحسار، وان حضارته تاخذ طريقها نحو السفح، وان الزمن يعمل لصالح المسيحية ، وعندها بدات حملة التشويه تخف ، ويمكن ان نعد قرار المجمع المسكوني الذي عقد في فيينا عام ١٣١١ م ، واستجاب لاقتراح الفيلسوف الاسباني رايموندلل بتدريس اللغة العربية في الجامعات الاوربية بعامة، وفي معاهد اعداد القسس والرهبان بخاصة ، بداية هذا الاتجاه .

وحين سقطت دولة الاسلام في الاندلس عام ١٤٩٢ م ، واحتل ملكها المعاقل الاول فيها بعد سواحل شمال افريقيا الاسلامية ، كان واضحا ان الامر حسم تماما لصالح اوربا المسيحية ، وها هي معاقل الاسلام في عقر داره ، ولم تعد تخشى امره ولا تراه خطرا عليها .

وفي هذا الوقت بدت الحضارة الاندلسية ، المسلمة دينا ، والعربية لغة ، ولم يعد لاهلها خطر يخشى، تمثل ظاهرة فذة ، واصبح توهجها وتقدمها حين كانت اوربا المسيحية في الحضيض فكرا وطقوسا وتقاليد ، شيئا جذابا يستلفت اهتمام العلماء والرحالة والدارسين والفضوليين ، فاندفع لدراستها كثيرون ، جاء الفرنسيون في مقدمتهم ، ويليهم الاسبان ، وتميزت دراسات الفرنسيين بشيء من الموضوعية لانهم لم يكونوا طرفا مباشرا في الصراع ، ولئن كان يعنيهم لارتباط الاندلس وشمال افريقية بروابط قوية طوال العصور الاسلامية .

ورغم ان الصراع بين اوربا المسيحية والخلافة العثمانية أجج روح العداوة القديمة من جديد للاسلام وأهله ، الا أن روح البحث العلمي الموضوعي الجديد قد اثبت اهميتها ، ووضحت فائدتها ، حتى في التعامل مع الاعداء ، ثم عرفت فرنسا مستشرقا عظيما هو سلفستر دي ساسي (١٧٥٨ ـ ١٨٣٨) ، فنشط الدراسات العربية فيها بمقالاته وكتبه وبحوثه في الصحف والمجلات ، وبخاصة في المجلة الاسيوية ، مما اكسبه شهرة واسعة في دوائر المثقفين على ايامه فاحتذوا نهجه في الاهتمام بالمواضيع العربية والاسلامية ، ومنذ تلك اللحظة شاعت في فرنسا اولا ، وفي بقية اوربا من بعد ، الكتابة عن محمد وعن الاسلام، انطلاقا من الرغبة الصادقة في الدراسة

ومعرفة الحقيقة ، والاحاطة بالتاريخ العربي ، والتعمق في الشريعة الاسلامية ، وليس استجابة لدوافع دينية مناوئة ، او رغبة في الكيد والتشويه ، ولو أن الامر مع ذلك لا يخلو من استثناءات .

وجاءت الدراسات الاسبانية في البدء تنضح حقدا وكراهية ، فقد كان يقوم عليها رجال الكنيسة الكاثوليكية ، ويضطلعون بالجانب الاكبر منها ، وكانت تعمل ، وحتى نهاية القرن التاسع عشر ، تحت مفهوم أن العرب يمكن أن يعودوا الى الاندلس من جديد ، والان فلابد من تشويه صورتهم ، وتنفير عامة الشعب الاسباني منهم .

ولكن ما ان بدا الصراع قويا بين فرنسا واسبانيا ، والتنافس حول نصيب كل منها واسهامه في الحضارة العالمية ، وقال الكاتب الروائي الكسندر ديما كلمته الشهيرة معرضا باسبانيا : « ان أوربا تنتهي عند جبال البرنس » حتى تأمل الاسبان حاضرهم فاذا هو لا شيء ، وماضيهم ليس فيه غير نصف قرن من الزمان ، اضاع فيه ملكهم المتعصب فيليب الثاني كل ما ورثوا من ثراء وأمجاد عربية في محاربة حركات الاصلاح الدينية في هولندا وألمانيا وبلجيكا ، وملاحقة البروتستانت أينما وجدوا ، واذا بالفترة الوحيدة الزاهية التي يمكن أن يطاولوا بها استعلاء الاوربيين عليهم هي العصر الاسلامي ، وهكذا بدأت مرحلة ما يمكن أن ندعوه : اسبانية ، أو قومية، التراث الاندلسي، ويعنون به أن الحضارة العظيمة التي ازدهرت في اسبانيا خلال العصر الاسلامي انما قام بها اسبان يتكلمون العربية ، ويدينون بالاسلام ، ولكنهم اسبان أولا وأخيرا .

ومنذ تلك اللحظة أخذت دراسة التراث الاسلامي في الاندلس بخاصة، والاسلام بعامة ، والرسول على نحو أخص ، تأخذ منحى جديدا ، فيه كثير من الموضوعية ، وحتى التعاطف مع العصر العربي أحيانا .

وأدى استعمار أوربا لكثير من البلاد الاسلامية الى ازدهار الدراسات العربية والاسلامية على نحو لم يعرفه التاريخ من قبل ، فكثرت البحوث المتعمقة التي تدرس الاسلام وأهله ، والرسول وشريعته، والعربية ولهجاتها، والفرق الدينية ، وتميزت كل دولة بجانب :

ذهب الالمان بالدراسات الجاهلية والسامية انطلاقا من اعتنائهم بالتوراة تاريخا ولغة ، وحاجتهم الى العربية القديمة لحل ما قد يعترضهم من فجوات وهم يدرسون العبرية أو السريانية ، والوقوف على ما بين هذه اللغات من علاقات .

ووقف الاسبان بجهدهم كله عند الحضارة الاندلسية في جوانبها المختلفة .

وتعمق الفرنسيون في كل ما يتصل بالشام وشمال افريقيا، فدرسوا عصر بني أمية دراسة وافية ، وتعمقوا في المذهب المالكي بلا حد ، وترجموا موطأ مالك ، ومدونة سحنون الى لغتهم .

واختص الهولنديون بالمذهب الشافعي لانه السائد في اندونيسيا ،

وينشر كتب التراث ، ولا تزال مطبعة بريل فى ليدن حتى يومنا هـذا الدار الاولى خارج العالم العربى فى نشر الكتب العربية ٠

واهتم الانجليز بتاريخ العــــراق ومصر ، قديما وحديثا ، ولم يتـوقف مؤرخوهم ولا لحظة واحـدة ، لكى يبرهنوا عند ساعات الخلاف العارضة بين الشعبين ، أن ذلك ليس امـــــرا طارئا ، وانما يعود الى ازمان سحيقة، ترجع الى زمن الفراعنة السومارييين٠

وكان الامريكيون عمليين كعادتهم ، فتركوا الماضى لمن يحب ، واقاموا من كل هذه الدراسات ، وركزوا جهدهم على الحاضر ، وما يعتمل فى العالم الاسلامى من تيارات ٠

● الرسول بشرا سويا

الاتجاهات السابقة اثمرت كثيرا من الموضوعية فى البحث ، والصدق فى النتيجة ، ومع ذلك فهى ليسـت مبرأة من الخطأ ، لان المقدمات حين تكـون خاطئة تجىء النتائج بداهة هكـــذا واذن فلا نتوقع من دراسات الاوربيين للاسلام او الرسول شـــيئا مبرأ من الخطأ على الدوام ، ذلك امر خـارج عن طبيعة البشر ، ونجـــده عنـد الباحثين المسلمين ايضا ٠ ولكــــن الشىء الذى نؤكد عليه ان المستشرقين حين يبحثون ويكتبون يصنعون ذلـك لانفسهم ولشعوبهم وليس لنا ، وتنفق الدولة على ابحاثهم ، واذن فمـــن السـذاجة ان نتصور انهم يخطئون متعمدين، لانهم فى هذه الحالة يخدعون انفسهم ويكذبون على قومهم ٠

هؤلاء المحدثون ، ويحكمهم منهـج علمى كما قلت ، ينظرون الى الرسول عليه السلام على انه بشر ، ولكنـــه انسان متميز ونادر ، واشـباهه فى التاريخ قليلون ، وهم يقفون طـــويلا



عند فضائله ويؤكدون عليها ٠ وربما كانت اشهر هذه الدراسات تناول كارليل له فى كتابه « البطل وعبادة الابطال» فهو يرى « أن محمدا أحد الـــذين يقتربون من الالهة،أحد أولئكم الرجال الذين جاء بهم القدر ، فقادوا النـوع الانسانى الى الخير وفتنوه بحق » ٠

ويضيف فياردوه : « عبثا نفتش فى تاريخ الشعوب عن رجل غيره استطاع وحده ، على نحو ما ، أن يكون سيد نفســه ومبادئه وغاياته ، ولا يدين بشىء لغيره من البشر » ، ويقـــول جون ٠ ف : « أعتقد أن محمدا لــم تشب حياته اية رذيلة على الاطلاق ، ومهارته فى الحرب،وفضائله الخلقية، وفطنته تضعه فى مصاف عظمــــاء الرجال » ٠

وفيما يرى لاكروا دى ماريليه : « لا يمكن للمرء أن يتحدث عن محمد دون أن تجتاح داخله مشاعر اعجاب قوية ومتوهجة، اجلالا لهذا الرجل الممتاز٠ لقد كان نبيا مشرعا وجنديا فى الوقت نفسه ، وانتزع جمعا من رعاة بـدو من استقلالهم لينضموا تحت رايـــة دينه الجديد ، وكون منهم جيشـــا

الرسول
في عيون غربية

لا يقهر ، وربما تعمق بعضهم في العلم العسكري وفن السلاح ، ولكن الاخرين كانوا رجال شريعة متفقين ، وعلماء منهجيين ، فاى رجل اخر ولد في قلب صحراء قاحلة ، في القرن السادس الميلادي ، جمع بين بلاغة الشاعر ، وأمجاد المشرع وانتصار المحارب » ؟ .

ولم يخف وليم موير ، رغم أنه انجليزي محافظ ، اعجابه بالنبي ، رغم أنه ألف كتابه عن « حياة محمد » في كلكتا في الهند ، وقصد به أن يعاون المبشرين المسيحيين ، ولكن بمواد يقبلها المسلمون ، يقول :

« لقد قضى محمد والى الابد على كثير من الخرافات التي سادت الجزيرة العربية قرونا عديدة ، واختفت عبادة الاصنام أمام صيحة الجهاد ، وعقيدة التوحيد والكمال المطلق لله ، والايمان بالقضاء والقدر ، خيره وشره ، حلوه ومره ، وأصبح ذلك مبدأ حيا في قلوب اتباع محمد ، والشرط الاول الذي يتطلبه الاسلام ، وكما يهدى الى ذلك اسمه ، هو الاستسلام المطلق للارادة الالهية ، ولا تنقصه الفضائل الاجتماعية ، فهو الذي أشاع الحب الاخوى بين أتباع عقيدته ، وحمى الايتام .. ويستطيع الاسلام أن يفخر باعتدال لا يوجد في اية عقيدة أخرى » .

وأخيرا جاء الكاتب الفرنسي أميل دير مينجهام فقدم لنا « حياة محمد » في شكل روائي محكم ، ولغة فرنسية عذبة ، مستمدة من النصوص العربية ، بريئة من التحامل ، وبعيدة عن الاوهام ، وتجد من القارىء الغربي اقتناعا واقبالا .

● نحن والرسول والغرب

يموج العالم الاسلامي شرقا وغربا بمئات الجمعيات الاسلامية ، علمية واجتماعية ، كلها تتمسح في الرسول ، وتعيش عالة على جهارة الصوت دفاعا عن الاسلام ، ولكنها لا تعمل شيئا علميا نافعا ملموسا . وهي على كثرتها ، أقول كثرتها ، وأؤكد على ذلك لانها اكثر من الهم على القلب ، لم تستطع أن تقدم لنا قائمة وافية بما كتبه الاخرون عن الرسول ، سيرة ودراسة وترجمة من العربية ، في مختلف بلاد العالم ، بمختلف اللغات ، في مختلف العصور ، وهي قائمة صنعها الايطاليون لدانتي ، والالمان لجوته ، والفرنسيون لفولتير ، لشكسبير ، والاسبان لثربانتيس والسيد القنبيطور ! .

ودراسة ما قاله الاخرون ، حقا أو تحاملا يمهد السبيل لكي نتخذ بازائه خطوة ، ونقول فيه رأيا ، ولا يجد اى داعية حرجا ، مهما كان حظه من الثقافة ، في أن يرفضها ، وان يردها الى أساطير ابتدعها خصوم الاسلام ، أو الجهلة من أنصاره ، وبذلك نقدم الرسول الى غيرنا بشرا سويا ، ونعرض الاسلام ليس دينا سماويا فحسب ، وانما هو دين يحترم العقل أيضا ، ويعمل لخير الناس جميعا .

آيات شيطانية

والصدق مع الواقع الخارجي والواقع التاريخي

بقلم: محمد روميش

على المستوى الفكرى ، تثير رواية (آيات شيطانية) لسلمان رشدى، قضايا عديدة ، حرية الفكر ، وما اذا كان قد وصل بها تاريخها الى اطلاق ، ام ان القيود والشروط بنيه فى قوانين الكون وحركة المادة، قبل حركة الفكر ، واذا ما كانت ـ حرية الفكر ـ قد قطعت شوطا مقبولا ، وترسخت ، كقيمة اجتماعية ، فى حضارة ، وفى مدينة ، وفى نظم اجتماعية ، بعينها دون البعض الاخر ، فالى اى الاسباب يرجع التباين .

● والحق ، ان الحضارة الغربية ، فى تقدمها المطرد ، قد حققت مكاسب حقيقية ، لانعتاق الانسان ، من اسار البدائية ، والعصور الاوربية الوسطى ، مثل الاعتراف لابنائها بحرية الضمير ، وما يتبعها من حرية الفكر ، وحرية العقيدة ، والتسامح ، مما اصطلح ـ عموما ـ على تسميته بحقوق الانسان . وقد اكتسب الفرد الاوربى ، هذه الحقوق ، عبر كفاح طويل ، دفع ثمنه حياته ، تنكيلا وحرقا ، فى احيان كثيرة ، بحيث يصح ان يقال ، انه انتزع هذه الحقوق ، من انياب الدولة السياسية ، ومن طغيان المجتمع .

والحق ـ ايضا ـ ان الانسان الاوربى ـ ومن ثم الدولة الاوربية ـ قد قصر هذه الحقوق ، على نفسه ، دون امتلاك القدرة على الاعتراف ، للآخرين ، بمثل هذه الحقوق . وما الحروب الصليبية ، وما حركة الاستعمار فى العصر الحديث ، وما التفرقة العنصرية ، فى جنوب افريقيا ، وفى الولايات المتحدة ، وفى اسرائيل، الا امثلة ، على عجز الانسان

آيات شيطانية

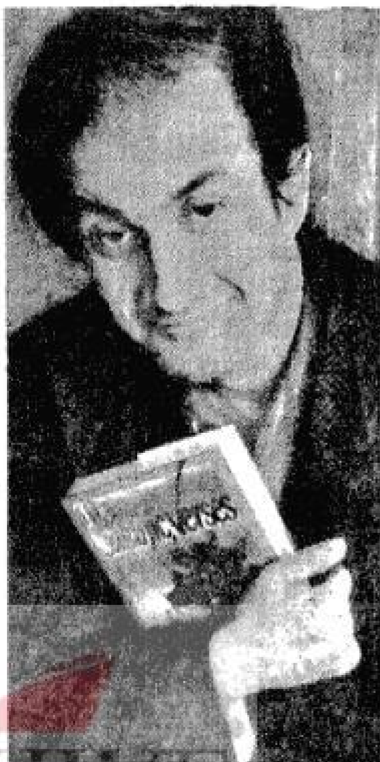
الاوربى ، عن أن يعتــرف لغيــره بالمتفوق التي اكتسبها لنفسه ·

هل يدخل فى مثل هــذه الاطر ، السـماح بنشر « رواية » (آيات شيطانية) بما حوته من مغالطات ، وخروج عن واقع تاريخى يكاد ان يكون موثقا ، وكان سببا فى ايذاء مشاعر ملايين البشر ، ايذاء بشعا لا شك فيه ، دون اى هدف انسانى ، فضـلا عن خروجها على مبـادىء « الفن الروائى » ؟

فعلى المستوى الفنى ، قد استقر مذهب الواقعية الاجتماعية ، القائل ، ان الروائى لا يحـاكم بسـطوره وصـفحاته ، او « المنطق الـذاتى » للعمل الادبى ، انمـا يوجد عنصر خارج العمل الادبى ذاته ، يتمثل فى شرط ان يتـوافر للعمـل الادبى مصداقيته للواقع الخارجى · فحين تكتب يائيل دايان رواية « غبـار » وتصور أرض فلسطين ، قبل الاحتلال الصهيونى ، مجـرد مستنقعات فى الشمال ، ورمال فى الجنوب ، فنحن لا نكتفى فى تقييم هذا العمل الروائى ، بما قام عليه من بنـاء وشخصيات ولغة · لكن يبقى التساؤل الهام ، عن مدى الصدق فيما قالته الرواية ، مع الواقع الخـارجى ، واذا لنرجع الكاتبة الى الرواية / الوثيقة « خربة خزعة » وهو اسم قرية فلسطينية ، وقد سجل الرواية ، كاتب صهيونى اخر « يزهار سميلانسكى » وكـان ضابطا فى بعض وحـدات الجيش الاسرائيلى التى كلفت فى السـابع والعشرين من ديسمبر ١٩٤٨ بمهاجمة مجموعة من القرى الفلسطينية الواقعة بين المجدل وبيت حانون ، والقيـام « بتطهير » شامل لهذه القرى ، من «محتليها» الفلسطينيين ، حيث الارض حقول يانعة « كنا نلتف حول القرية من جنوبها ، ونصعد التلة ، حين تكشف السهل على حين غرة عن يميننا ، فى بواكير ضوء النهار الشتوى ، المنهلى اخيــرا ، اللازوردى المتــذهب ، الجارف كريح متقاطعة ، كبحر ممتد ، فتتدفق الخضرة والسمرة والصفرة ، بقع فرح واتسـاع صدر ، فسيفساء حقول ، مسالك خطوها ، بساط حكمة فلاحين نسيج أجيال ·· سرنا قدما » (ترجمة توفيق فياض ـ نشر دار الكلمـة ص ٥٧) · لم تكن أرض فلسطين مستنقعات مهملة ، لذلك ، فدون مصادقة العمل الادبى ، للحقيقة الخارجية ، يصبح الادب نوعـا من الاعلام الدعائى الرخيص ، الـذى يحاول أن يتسلل الى القـارىء فى غفلة من وعيه ·· عشرات الاعمال الروائية ، تنهار قيمتها لافتقادها الى الصدق الموضوعى الخـارجى · بل أن كاتبا مثل فرانز كافكا ، وهـو يكتب الرواية الفكـرية ، نلاحظ أن جزئياتها واقعية ، وفى هذه الناحية ، ممـا يذكر بالخيـر للاستاذ نجيب محفوظ ، انه ابتعد تماما عن أن يتخذ « القرية » موضوعا لاى عمل روائى ، ولا شك أن السبب يعود الى احساسه بضرورة الالمام الدقيق بحياة القرية ، والا افتقر ابداعه صفة الصدق فالعمل الروائى اذن يخضـع فى تقييمه الى شرط أن يكون صـادقا مع الواقع الخارجى الذى يقام العمل الادبى به وفيه ··

والرسل وضوحا وتوثيقا ، وأن حياتها الذاتية والعامة تكاد أن تكون موثقة ، بحيث حين يتضمن عمل روائى كبير هو « دون كيخوته » لميجل دى ثربانتس ، اشارة الى أن النبى محمد كان له تمثال من ذهب ، فان افتقاد هذه المعلومة الى الصدق التاريخى يسيء الى العمل الروائى ، ونقرأه بروح التدقيق والتشكك ، لان رسالة الاسلام ، فى بدء الدعوة ، فى واحد من جوانبها ، تطلبت هدم التماثيل ، وليس اقامتها من ذهب ، ولعل هذا ما حدى بالدكتور عبد الرحمن بدوى ، وهو يترجم الاشارة الى الذهب ، أن يعلق « كان هذا مدى ادراك القوم فى ذلك العهد ... للاسلام وللنبى محمد .. وسنرى شواهد هذه العقلية فى ثنايا الكتاب كله ، مما يصور مشاعر التعصب وما انطوى عليه من جهل وافتراء واختراع واكاذيب (دون كيخوته - المجلد الاول - هامش ص ١٧) .

بهذا المعيار الفنى ، نحاكم ونقيم رواية « آيات شيطانية » وما تضمنته من افتراءات واختراع واكاذيب عن زوجات الرسول ، وغير ذلك مما يتصل بحياته ، ليس فقط مما يدفع الدم للفوران ، فوق ذلك ، فان مخالفة « وقائعها » للحقائق التاريخية .. والتى عرضها بدقة وأمانة ، ليس فقط ، الفكر العربى الاسلامى ، بل كتاب أجانب آخرون ، مثل المستشرق الاسكتلندى « مونتوجمرى وات » فى كتابيه « محمد فى مكة » و « محمد فى المدينة » .. دليل على أنها رواية هابطة عن عمد .. مع سبق الاصرار والترصد .

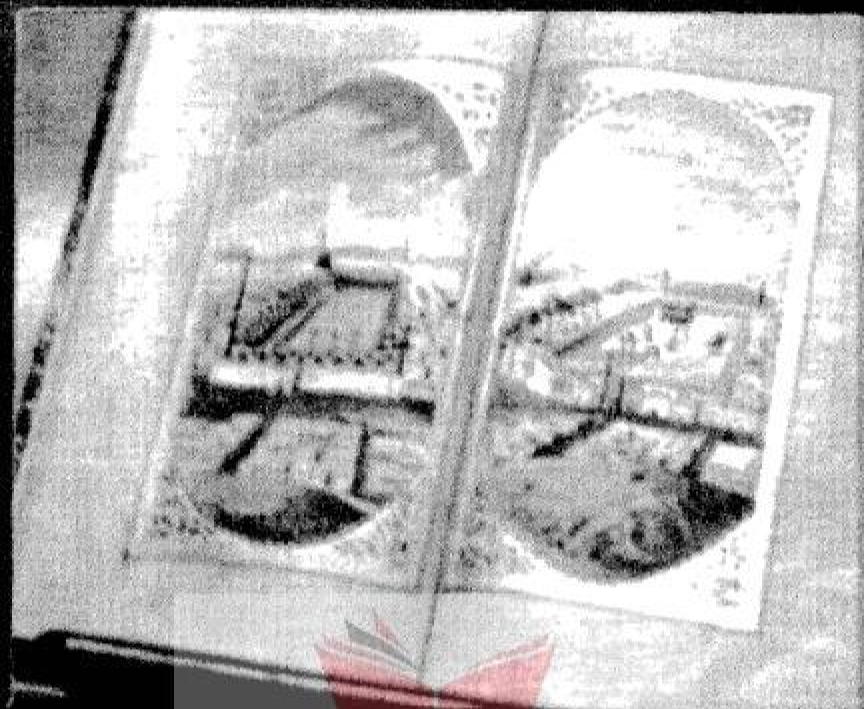


سلمان رشدى .. يحتضن كتابه الملعون

والحقائق التاريخية ، ليست بعيدة عن حقائق الواقع ، فالرواية التاريخية ، أو التى تتخذ من التاريخ تكئة لها ، أو تقيم بعضا من شخصياتها الروائية عن شخصيات تاريخية ، عليها أن تلتزم ، وتخضع فى تقييمها على اساس ، توافقها مع الصدق التاريخى الواقع خارجها .

ومن المعروف ، أن حياة النبى محمد عليه السلام ، لكونها أقرب الشخصيات الدينية ، تاريخيا ، الينا ، من اكثر شخصيات الانبياء

تصوير : فارس حماد



دور مصر في الحضارة الإسلامية

أ. د. نعمات أحمد فؤاد



دور مصر في الحضارة الإسلامية

ولمصر في هذه الحضارة عطاء جذري يتمثل في :

- العلوم الإسلامية
- التصوف
- البيئة الحضارية
- جمع الحديث
- الفقه
- علم القراءات
- تفسير القرآن
- تجويد القرآن
- الأزهر
- الفن الإسلامي
- الأدب العربي بشقيه
  - الفصيح
  - الشعبي

- الوقفة الحاسمة في المعارك الحاسمة
  - الصواري
  - عين جالوت
  - حطين
- تأمين العلماء في المحنة
  - عندما دالت دولة العرب في الأندلس
  - عندما اجتاح التتار بغداد
- نشر الإسلام والتمكين ، له .

- حفظ التراث الإسلامي فنصفه في مصر وحدها والنصف الآخر موزع في الشرق والغرب . خطوط عريضة كبيرة الدلالة في تاريخ الإسلام ومسيرته وعلامات مضيئة لمصر الإسلامية .

ومع أن الموضوع كبير واسع متعدد الجوانب فإنه يحتاج إلى طواف رابط لهذه الخطوط العريضة في حياة مصر وتاريخ الاسلام في محاولة تعميق وتفسير العطاء المتبادل بينهما تصح به النتائج حين ترفدها وتؤصلها مقدمات دارسة تتعمق الأسباب ولا تكتفي بظواهرها حتى ولو قام عليها ، دليل .

بداية : كيف ولماذا اسلمت مصر ؟

ارفض جملة وتفصيلا ، عزو إسلام مصر إلى التخلص من الجزية ارفض هذا رفضا قاطعا ...

فالجزية كانت دينارين في العام على رب الأسرة فقط ويعفى منها النساء والأطفال والمرضى والشيوخ ... وهي بعد هذا مقابل حماية الثغور اى الانتظام في سلك الجندية أي «بدل عسكري» بينما الاسلام الزكاة فيه احد أركانه الخمسة تفرض ربع العشر على الأسرة المسلمة جميعها حتى من ولد ليلة العيد ... هذا غير زكاة المال . وهذا كله أضعاف الجزية

- **إيمان بالإسلام**

لو أن المسألة «مال» فإن الإسلام يفرض على معتنقه أعباء مالية ودفاعية فالذي يقبل عليه ، وراءه ، إيمان عميق به ، تهون معه التضحيات بألوانها ... إن الجزية ضئيلة بالقياس إليها .

لو أن المسألة مادية لأحجم عن دخول

الإسلام ، الحريصون على المال حيث يرون الجزية ، أهون

كما ان الإسلام يلزم المسلم بحماية الثغور أى «الجندية» والجندية عند كافة الشعوب ليست أمنية لمخاطر الحرب على الأبناء .. من وجهة نظر الأهل فضلا عن مشاقها الأخرى . وقصة «نلسن» لحمل الشباب على التطوع للبحرية الانجليزية ، معروفة ..

اذن الإسلام مع الزكاة والجندية ، إيمان بالإسلام لاتقية ... إخلاص لاتخلص ... وخلوص لانكوص

ومصر حين دانت بالإسلام لم تكن تدين بشيء غريب عليها بل مالت إليه بما ، فيه ، منها ... من ماضيها ومن طبيعتها ومن مسيحيتها . ففيه من ماضيها وطبيعتها البساطة وعدم التعقيد والتركيب . وفيه من مسيحيتها قصة عيسى ومريم ، وزيجة مارية أم إبراهيم من النبي عليه السلام كما كانت «هاجر المصرية أم إسماعيل والد عرب الحجاز ... وكان عبدالله القبطي وأبو رافع القبطي من صحابة الرسول . وفى الإسلام من مسيحية مصر ، إحساس التعاطف مع النصارى أقرب الناس مودة إلى المسلمين (ذلك أن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لايستكبرون) .

وفى الإسلام لمسيحية مصر ، تحية طالما رددها الرسول القائل (استوصوا بالقبط خيرا فإن لهم ذمة ورحما) ومن قوله عبدالله بن عمرو بن العاص الذى كان يقول : (أهل مصر اكرم الأعاجم كلها واسمحهم يدا ، وافضلهم عنصرا ، واقربهم رحما بالعرب عامة وبقريش خاصة) .

هذه النغمة الاسرة الرءوم تلين صلابة العناد ، وتذيب رهبة الخوف والتهيب فى جو تضاربت فيه مذاهب المسيحية مما صوره كتاب ارنولد Preaching Of. isiam

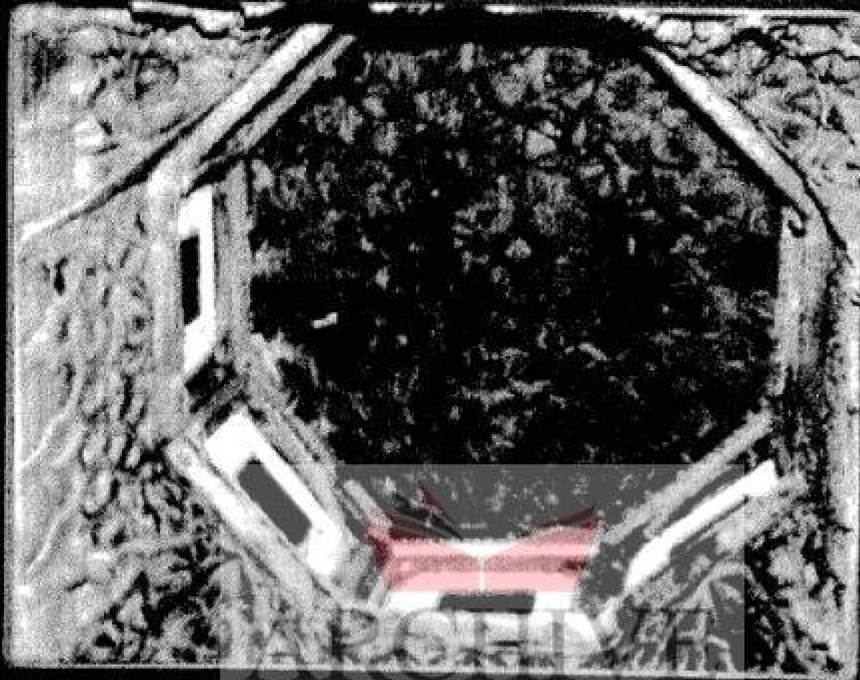
واشتد الصراع بين أصحاب الطبيعة الواحدة والطبيعتين حتى رأى بعض المسيحيين فى الإسلام مخرجا من التيه وعنف الاضطهاد للمسيحيين المصريين حتى أتى على كنائسهم فلم يعد فى كثير من النواحى كنيسة أو راع ... كل هذه العوامل أخلت أمام الإسلام الميدان الحسى والمجال النفسى خاصة فى القرى والنواحى البعيدة ـ إذ كانت المسيحية ذات شأن فى الاسكندرية باعتبارها معقل الرومان الذين اتخذت مصر المسيحية نكاة وتعلة لحربهم منتهزة فرصة حرب الرومان المسيحية ... فكان اعتناقها المسيحية فى البداية حركة سياسية ، ثم لونا من المخالفة لهم والتعبير عن المقت والعناد ولتأكيد وجودها واظهار شخصيتها بحرية الاختيار والمغايرة وبذا اتسعت شقة الخلاف بين مصر والرومان إذ أصبح سياسيا ودينيا معا وإن كان فى الحقيقة شيئا واحدا ، فطالما لجأت مصر إلى المقاومة الروحية فى نزاعها السياسى

وفى ظل هذه الظروف نفسها انتشرت العربية فهى بحكم القرآن الكريم متداخلة فى الدين فهى كما يقول الاستاذ الزيات (جزء من حقيقة الإسلام ... فالقرآن ليس قرآنا إلا فيها ، والصلاة لاتكون صلاة إلا بها) .

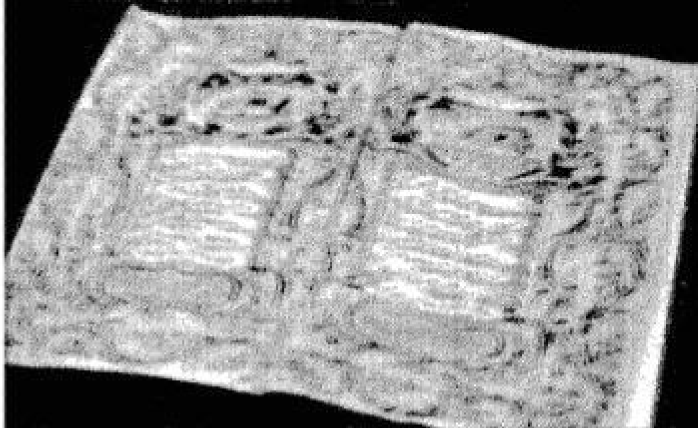
يضاف إلى هذا ، أمر عبدالملك بن مروان سنة ٨٧ هـ بتعريب الدواوين .

دور مصر في الحضارة الاسلامية

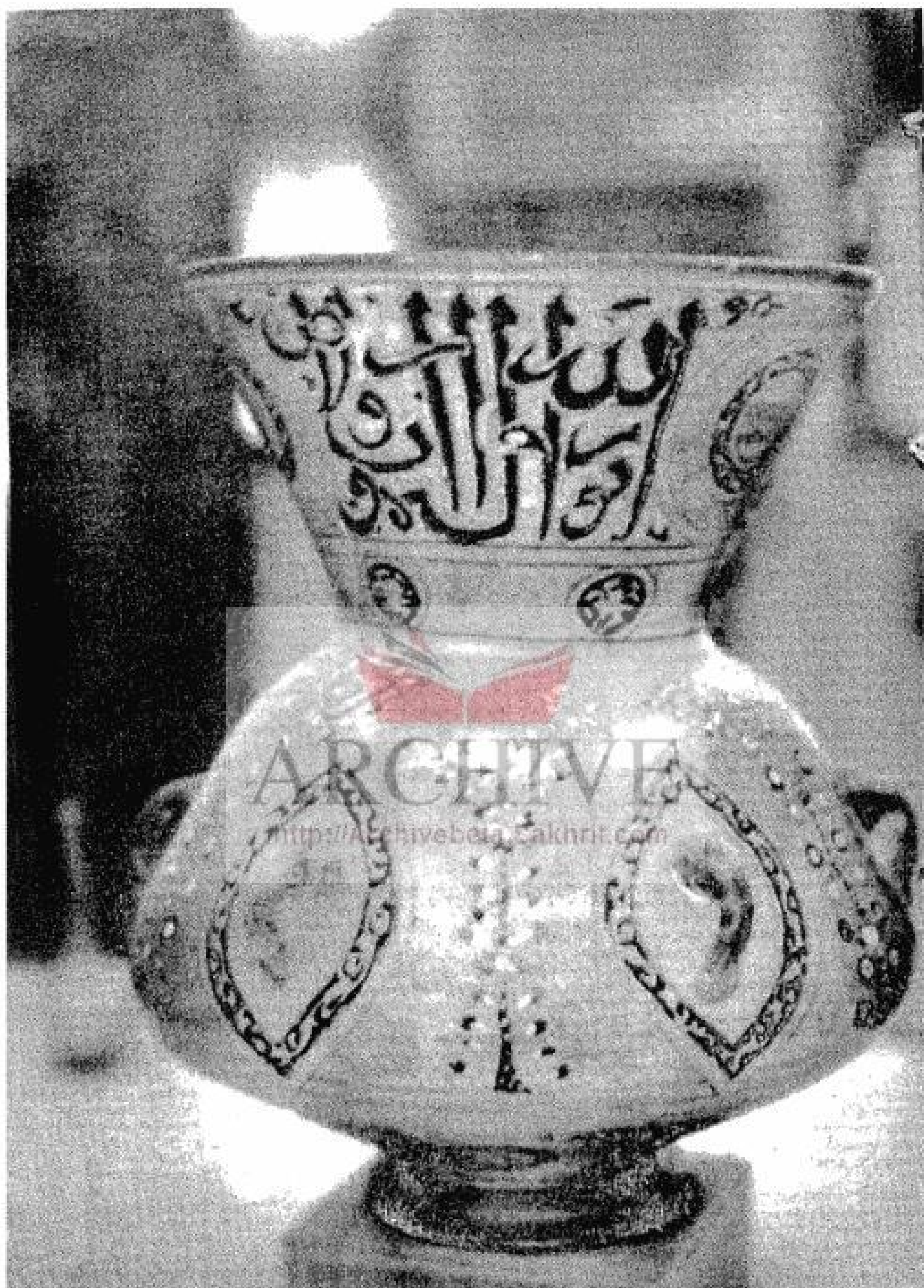
مشكاة من عصر السلطان الناصر حسن بن محمد قلاوون بتاريخ ٧٦٣ هـ



طراز معماري اسلامي يمثل تحويل الشكل المربع الى المثمن بواسطة الحطاط وذلك لبناء جسد القبة الدائرية



مصحف شريف بخط النسخ المحقق كتبه ابوالحسن محمد السياطي سنة ٩١١ هـ ١٥٠٢ م



دور مصر في الحضارة الإسلامية

ومصر لاتطيق العزلة عن مسرح الأحداث ... ومن يريد أن يأخذ دورا على المسرح ، لابد أن يتكلم لغة الرواية التى تدور عليه .

● **الإله الحقيقى**

كانت الديانة المصرية القديمة فى جوهرها الأصلى إدراكا للخالد ، خلال العابر ... وقد وصل الخاصة عندهم إلى التجريد وإلى فكرة الإله الواحد . وقد رأيت بنفسى فى متحف لندن لوحة كتب عليها اثنان من رجال العمارة فى عهد امنحتب الثالث ، ترنيمة ، نقتبس منها هذه السطور :

انك صانع مصور لأعضائك بنفسك
ومصور دون ان تصور
منقطع القرين فى صفاته مخترق الأبدية
مرشد الملايين إلى السبل .

وكانت مصر القديمة تقول : اطع الإله الذى فى قلبك)

إذن الإله الحقيقى ليس «امون» أو «رع» . إن هى إلا أسماء ترمز إلى الإله الحقيقى ... وابن الفارض يقول :

إن الإيمان هو الرحمة ...

وحيثما وجدت الرحمة فوراءها إيمان ...

ومصر القديمة قالت فى أدبها من رحمة :

(كن مرضعا للمريض وأبا لليتيم) .

(مرضعا للمريض) تعبير لم تسبق إليه ولم تلحق فيه . إن التمريض الحديث والعلمى حتى وإن ارتفع الأداء لايبلغ شأو هذا التعبير وكنهه ومداه ... لأن الرضاعة ليست عملا فحسب ولكنها «إنسانية» سكب روح فى روح .... دافق من عطاء نفس ....

قالت مصر القديمة ب (معات) أى العدل والحق والخير .. أى الضمير ولهذا رشد سلوكها واستقامت أعمالها إلى حد ، دخلت معه ، الخلودلأن الرقيب كان داخل النفس المصرية ... والضمير أقوى من القانون الوضعى الذى كثيرا مايتعطل إذا غاب الرقيب الخارجى ....

تقول مصر القديمة (إن فضيلة من يؤثر الحق لأحب عند الله من الثور الذى يقدمه المذنب ، قربانا) .

وسفر الأمثال (٢١ ـ ٣) يقول (فعل العدل والحق أفضل عند الرب من الذبيحة) .

والمصرى عند الحساب يتشفع قائلا :

انا لم ارتكب مايغضب الإله
أنا لم الوث ماء النيل
أنا لم أصد الماء فى موسم جريانه
ولم اقم سدا فى مجراه
انا لم اتسبب فى حرمان إنسان من حق له
ولم اتسبب فى بكاء احد
لم انقص المقياس
ولم أطفف فى الميزان
ولم أختطف اللبن من فم الرضيع
ولم اطرد الماشية من مراعيها
ولم اطفىء شعلة فى وقت الحاجة إليها
ولم اعترض على إرادة الله .

ليت الإنسان فى كل مكان فى شرق وغرب

ليتنا بعد الاف السنين نلتزم هذا أو بعضه ... لتقل الحروب ، وتعود المطلق ، وتخف امراض القلق والأعصـــاب ، ويتراحم البشر وتهدأ حدة الصراع ، وترشد اسباب النزاع . لتهنأ الحياة

على الديانة المصرية القديمة قامت اليهودية فالمسيحية . اللتان اترهمـا الإسـلام . وإن مصـر حين دانت بالمسيحية ، فإنما دانت بها لأنها تعبر عن ضميرها بل إن الديانة المصرية القديمة اوشكت فى آخر عهدها أن تكون مسيحية قبل المسيح بما نزعت إليه من رغبة الخلاص والتماسه داخل النفس حين يئست من العالم الخارجي واوت إلى العزلة للتامل والتبتل .

يقول جان مارتان فى كتابه عن الفلسفة المدرسية

(الفن المصرى نبوءة بالمسيحية) .

كان فرعون ، مثل المصريين الأعلى بما هو ملك مصر وسيد النيل فلما اصبح الحاكم أجنبيا أزوروا عنه وقاطعوه بل كرهوا العيش يشوب صفوه دخيل ويكدر هنائه واغل . حتى البطالمة حين تمصروا أو تظاهروا بالتمصير وبنوا المعابد على مثال المعابد المصرية ، كان الفنان المصرى يترك الخرطوشة المخصصة لاسم الملك بانى المعبد ، خالية من الاسم فى احساس صامت رافض للاجنبي .. اما رجال الدين المسيحيون المصريون فقد تركوا الوادى إلى الصحراء مما تشهد به مدينة (البجوات) فى الوادى الجديد فرد الاسلام (المصرى) إلى الوادى وعقد صلحا بينه وبين الدنيا بما فيه من واقعية والحلرة إلى الدنيا والآخرة فى وقت واحد .

● مصر .. العقيدة الراسخة

جاء الإسلام ولم يكن جديدا على مصر كل الجدة فمضامينه ومفهوماته وقيمه نفذت مصر إليها بصورة ما ، بالفطرة السليمة والدفع الحضارى معا . إن الجنة والنار والثواب والعقاب والبعث مفاهيم مصرية قديمة ، بل إن بعض الباحثين يرجع المعبودات الوثنية العربية فى اصلها إلى معبودات مصرية فاللات (ايليت) ، والعزى (ايزيت) التى هى إيزيس ، ومناة ، مانى إله التناسل عند مصر القديمة .

لقد قامت فى مصر أول ثورة شعبية فى الدولة القديمة بعد عصر بناة الأهرام واضطر اغنياء (منف) أن يعبروا سيناء إلى صحراء الجزيرة العربية ونزلوا فى (المدينة) ثم اقاموا بها ... ومع الإقامة ، بنوا فى حياتهم الجديدة ، ماالفوه من معتقداتهم ، فى الوطن الأم ....

ولايزال اهل المدينة المنورة ، إلى اليوم ، يتميزون بالدماثة والسلاسة والخلق الرضى السمح والودادة ولطف الأسلوب فى المعاملة والحديث على السواء .

وفى المدينة ضاحية كبيرة تسمى اليوم (طيبة) .

اليست عقيدة البعث وراء فن العمارة المصرية بما خلدته من اهرامات ومعابد بما عليها من نقوش وتلوين وماضمته من تماثيل ؟ اليست عقيدة البعث وراء علم التحنيط المصرى ؟

ومن الطريف أن مصر قبل الإسلام حرمت لحم الخنزير منذ اتخذ «سيت» هيئة خنزير وقفا عين «حورس» فحرمت الديانة


دور مصر
في الحضارة الإسلامية



دور مصر في الحضارة الإسلامية

المصرية أكل لحم الخنزير واعتبرته حيوانا نجسا ... ومع هذا جاء رسم الخنزير فيما رسموا من حيوانات وأمامه ساق يقدم له إناء نظيفا يسقيه منه وعليه مايشبه الشال ليقيه برد الشتاء ... فعلوا هذا احتراما للروح ولو حلت في حيوان يكرهونه

وفي القرآن الكريم (ولايجرمنك شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى) ٨ م المائدة ٥

وكان المصريون القدماء يعنون بفحص طهارة الذبائح ومطابقتها لمقتضيات الطقوس الدينية .

والطهارة في مصر القديمة كما جاء في كتاب (الحضارة الطبية في مصر القديمة) امر ليس بالغريب خاصة وأنه تابع عقائديا]

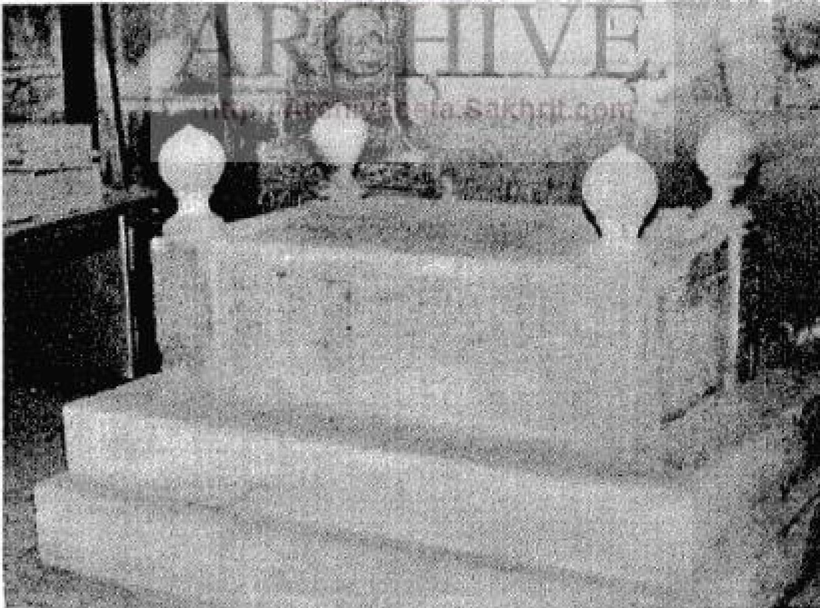
كما يقول هذا الكتاب إن [النظافة كانت عندهم عقيدة قبل أن تكون سبيلا للصحة القويمة] .

وهكذا كان الإسلام فيه الكثير من مألوف مصر الكثير .

هذه أمثلة فحسب .. قليل من كثير ..

ولولا أن اخناتون حمل على الماضي كلية بما يتنافى مع الطبيعة المصرية المحافظة ، ولولا أنه جاء في لحظة حضارية غير مناسبة ، ولولا أنه لم يكن رجل سلاح حين كان المثال لفرعون ، أنه في وقت واحد ، رجل سلاح ورجل قانون

تابوت من الرخام يرجع الى العصر المملوكي



ورجل بناء . . لولا هذه الاعتبارات لنجحت دعوة اخناتون العظيم ولكن حسبه ان يكون ارهاصة لكل ماجاء بعده من ديانات المنطقة .

يقول جيمس هنرى برستد فى كتابه فجر الضمير : (ولامر ما ، ظهرت الديانات السماوية جميعا فى المنطقة التى تحيط بمصر)

● حضارة عريقة

إن حضارة مصر أشد الحضارات احتفالا بالدين لقد عرفت مصر الدين برؤيتها القلبية هناك انبياء لانعلمهم .... وفى القرآن الكريم : (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) ٧٨ ك غافر ٤٠

وكان الرسول الكريم يسمى الذين نأى بهم خلقهم عن أفعال الجاهلية (الحنفاء) .

وعندما سمع أبيات زهير بن ابى سلمى من معلقته تقول :

ومهما يك عند امرىء من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تعلم
والظلم من شيم النفوس فإن تجد
ذا عفة فلعلة لايظلم

قال عليه السلام (لو كان ادركه الإسلام ، لأسلم) .

وحضارة مصر أشد الحضارات احتفالا بالعمل ... العمل الرائع والجميل ...

دين ، كل عكوف على عمل عظيم .

اننا فى سقارة نرى : العمل فى حركة دائبة

والحركة فى همة فائقة . والهمة فى يقظة عجيبة

ومع هذا ليس هناك نص دينى إلا قليلا .

ولكنك أمام الطرح الرائع للعمل الفنان ، تحس الغائب الموجود ... تحس الوعى بمعنى الوجود .

لهذا كله عندما جاء الإسلام ، شربته مصر وتمت به ونمته فلم يمح شخصيتها بل أضاف إليها عمقا جديدا ، وأضاف لها فضلا جديدا يوم حملت مسئوليته فى السلم والحرب فدافعت عنه فى مواقعه الكبرى ، وحمت حضارته التى تهددها هولاكو والصليبيون ، فوق ما عملته على ارضها برصيدها الكبير فى صناعة الحضارة .

إن الحضارة المصرية هى القاعدة الكبيرة للديانات السماوية بشوقها إلى المطلق ، ونزوعها إلى التجريد ، وولوعها بالقيم فى الفكر والروح .

وهى القاعدة الكبيرة للحضارات الإنسانية بما هى أقدمها وأحفلها بالريادات فى العلوم والفنون بل فى الفكر والروح .

وبعد فهذه مقدمة فقط لموضوعى الذى اعلنته فى بداية هذا المقال وهو (دور مصر فى الحضارة الإسلامية) مقدمة لابد منها فضرورتها للحديث عن هذا الدور ، كضرورة الاساس للبناء

بناء يتكون من خمسة عشر طابقا اشرت إليها فى البداية كل منها يفرد له الحديث .


اللوحة بريشة الفنان :
حلمى التونى

سلطان العاشقين

وسلطانة الطرب

فى ليالى رمضان

بقلم : كمال النجمى

اول مرة سمعت بعض اقاربى فى القرية يتحدثون عن المطربة القديمة منيرة المهدية وزميلها المطرب عبد اللطيف البنا ، منذ ستين عاما تقريبا ، وانا طفل صغير تلتقط اذناه كل ما يستمع اليه من كلام الكبار رجالا ونساء ..

سمعتهم يقولون انهـــا سلطانة الطرب ، فلم افهم بوضوح معنى هذا اللقب ، وظل معناه غائما فى ذهنى حتى انقشع عنه الغيم بعد حين ..

سمعتهم ايضا يسخرون منها ويقولون ان دولتهـــا قد دالت بظهـــور المطربة الجديدة الشابة ام كلثوم ، ولم تكن ام كلثوم قد بدات تغنى عــــلى ((التخت)) وترتدى الملابس ((الافرنجية)) الا منذ ثلاث سنوات فقط.

سلطان العاشقين وسلطانة الطرب

● أما المطرب عبد اللطيف البنا فحين سمعت اسطواناته فى أيام الطفولة الاولى ظننته مطربة ، لان صوته مؤنث النبرات ، واداءه أشد تأنيثا ! ...

ولم اكن أظن أنى أستطيع رؤية منيرة والبنا رأى العين ، لانهما كانا فى خيالى مجرد اسطوانات تدور فوق قرص الفونوغراف ، وتغنى كالجن من وراء حجاب ! ..

لكن شهر رمضان كان له فضل تغيير نظرتى تلك الى منيرة المهدية وعبد اللطيف البنا وغيرهما من اهل الفن فى ذلك الزمان ! ..

كنت قد كبرت سنتين او ثلاثا ودخلت كتاب القرية وتعلمت مبادىء القراءة والكتابة والخط والحساب ، وحفظت « جزء عم » من القرآن الكريم ، توطئة للالتحاق بالمدرسة الاولية ، وصرت اجلس الى كبار أهلنا باعتبارى من « حفاظ كتاب الله » ! .. وكان بعضهم يناديني متلطفا : « يا سيدنا » كما جرت العادة بمناداة حفاظ القرآن !..

كان شهر رمضان يقترب ، اذ جلست الى هذه الجماعة من قومنا ، فكان حديثهم كله يدور حول نذر من أعظم النذور فى رأيهم ، قطعة أحد كبرائهم على نفسه حين كان مصابا بداء عضال : لئن شفاه الله من هذا الداء ليقيمن احتفالا موصولا لا ينقطع ليالى شهر رمضان كلها !

وشفاه الله فآلى على نفسه ليكونن على رأس نجوم تلك الليالى أم كلثوم وفتحية أحمد والشيخ على محمود ومنيرة المهدية وعبد اللطيف البنا والشيخ أمين حسنين ! ..

وهكذا اقترب شهر رمضان ذلك العام ، واعدا قريتنا وما حولها من القرى ، بليال مضيئة ، وطرق مأنوسة عامرة ليل نهار ! ..

لكن صاحب النذر عاد من القاهرة وفى صوته رنة أسف ، يقول لاصحابه :

ـ أم كلثوم رفضت أن تخطو خطوة واحدة وراء أسيوط ، لان تجاربها فى « مديرية قنا » التى تتبعها قريتنا لم تكن تجارب طيبة ..

قالوا له :

ـ وماذا عن بقية النجوم ؟!

قال برنة أسف أيضا :

ـ فتحية أحمد والشيخ على محمود اعتذرا ، وكذلك عبد الوهاب .

ـ ومن سيجىء اذن ؟!

ـ منيرة المهدية وعبد اللطيف البنا . وربما الشيخ أمين حسنين أيضا ، وقد دفعت لكل منهم مائة جنيه ..

● فى الليالى العشر الاولى أقبل الشيخ صديق المنشاوى الكبير ـ والد الشيخين محمد ومحمود اللذين يتردد صوتاهما فى اذاعات القرآن الآن ـ وجاء معه الشيخ جلال ، وهو صيت وقارىء جهورى الصوت ، متين الفن ، ضرير ، جسيم أكول ، لا أتذكر اسمه كاملا ..

وحضر الشيخ «أبو حقيق» ومشايخ آخرون مازلت أتذكر وجوههم وأزياءهم وان نسيت أسماءهم ! ..

كان هؤلاء مشاهير قراء الصعيد الاعلى ورؤساءهم . ولم يكن لي عهد بسماع المقرئين يتغنون بالقرآن بالتلحين والتطريب .. فمبلغ علمي حتى ذلك اليوم كان مجرد قراءته بلا تلحين أو تغن . فظننت أول ما سمعت القراء يتغنون أنهم فريق من أهل الغناء المرتجل بلا آلات موسيقية ..

ثم لاحظت أن الكلام الذي يتغنون به قرآن لا شعر ولا زجل . فأصغيت اليهم لأتبين الامر . ثم أخبرني العرفاء أن التغني بالقرآن فن جميل لا يملك ناصيته الا القلائل من الموهوبين ! ..

كان موقفي ذاك اشبه بموقف علماء الموسيقى الفرنسيين الذين صحبوا حملة نابليون بونابرت العسكرية الاستعمارية على مصر سنة ١٧٩٨ فانهم تمكنوا ببراعة من فهم جميع ألوان الغناء في مصر أيامئذ الا قراءة القرآن لم يفهموا بالضبط ما هي !.. وكتبوا عنها في تقريرهم : « يحترف الناس في مصر الغناء او الانشاد امام اجساد الموتى ، ويعرف هؤلاء المغنون او المنشدون بالمقرئين » ! ..

ظن الموسيقيون الفرنسيون ـ وكانوا من أعلم أصحاب الصناعة ـ أن « التلاوة » تشبه الخطابة المنغومة عند قدماء الاغريق ، فقد كان خطباء الاغريق في سالف الاوان يترنمون بالكلمات كأنهم يتغنون بها ، وصولا الى التأثير المضاعف في قلوب المستمعين ، وكذلك كانت طريقتهم في كثير من حوار مسرحياتهم ! ..



● وفي الليالي العشر الثانية ، جاء المغنون و الشعبيون ، وهم بقايا طائفة الغجر والغوازي التي انقرضت وبقيت صناعة الغناء في أحفادهم وحفيداتهم .

هؤلاء هم الذين نسميهم في أيامنا الحاضرة بالمطربين الشعبيين ، وينسج على منوالهم بعض محترفي الغناء والتلحين الان .. والحقيقة أن ما يسمى الان بالفلكلور أو المأثورات الغنائية ، هو من أغاني الغجر والغوازي وسلائلهم ، وليس للشعب المصري ، فلاحين وعمالا وتجارا وطوائف اخرى ، اثر يذكر في تأليف تلك الاغاني الفلكلورية أو تلحينها .. ولكن الشعب كان مجرد مستمع لها فلم يكن لاحد من أولئك المغنين الفلكلوريين نسب في الفلاحين ولا في

غيرهم من الطبقات ، لان طائفة الغجر أو « الحلب » ـ بلغة الصعيد الاعلى ـ كانت طائفة هامشية خارج المجتمع وتقاليده وانسابه ، تعيش حياة البدو الرحل على ضفاف النيل ! ..

رأيت من حضروا عندنا من أولئك المغنين والمغنيات « الشعبيين » يفطرون في رمضان ، ولا يؤدون أية شعائر دينية في ليل أو نهار ، واذا قاموا للغناء في السهرة كان غناؤهم غزلا يختلط فيه التصريح بالتلميح ، ولكن التلميح يشف عما تحته كأنه التصريح!

لم أتذوق هذه الاغاني حين سمعتها أول مرة ، ولكني حين كبرت وعاودت سماعها بنظمها البديع ، ولحنها الشجي ، عرفت قدرها ، وأدهشني ما تحتويه من رقة وشجن وشاعرية ورموز موحية ظليلة .

وكان من أحسنها ما غناه مطرب اسمه « عزب » يضرب على « الدربكة» بقوة ويغني منفردا بصوت أجش عريض يملأ الساحة متحديا كل ما يغرقه به صاحبه يوميا من دخان « الجوزة » والافيون والخمر ! ..

كان« عزب» يشنف أسماع أكثر من الف مستمع يضجون مستحسنين مستعيدين :

فتنا على كوبرى اسنا
ضربنا الهوى نعسنا
واللى شبكنا • يخلصنا
واللى خلقنا .. ينصفنا
ويخلص القلب المشغول
غرامك شغل بالي ! ..

● وفي أول الايام العشرة الاخيرة، رأيت بعد صلاة العصر حشدا من أتباع صاحب « النذر » يسوقون بغالا وحميرا ، وفي المقدمة « عربة حنطور» جميلة يجرها حصانان ! .. .

سألت بعض الكبار :

ـ الى أين هم ذاهبون بهذه الركائب، وهذه العربة الفخمة ؟!

قال :

ـ الى محطة السكة الحديد ، ليحضروا منيرة المهدية وعبد اللطيف الينا ومن يصحبهما من البطانة والآلاتية ، أي من المنشدين أو «الكورس» وعازفي الالات الموسيقية ..



كانت المحطة تبعد اكثر من خمسة كيلو مترات ، ولكن سرعان ما عادت عربة الحنطور تحمل منيرة المهدية وعبد اللطيف البنا ، ووراء العربة صف طويل متعرج من البغال والحمير تحمل المنشدين وعازفي الالات الموسيقية ..

كان الكثير من المنشدين القادمين من القاهرة يلبسون القفاطين والعمائم، لا فرق بين منشدي منيرة ومنشدي عبد اللطيف ، وبدت على الجميع علائم الارهاق من السفر الطويل بالقطار اكثر من ستمائة كيلو متر ، يقطعها في اثنتي عشرة ساعة ! ..

لكن الحياة كانت سهلة في ذلك العهد ، والريف تغمره الخيرات ، وكل شيء يمكن تدبيره ، والناس طيبون ، والقليل يكفي كالكثير ، بالرغم من الازمة العامة الاخذة اياميئذ بخناق النظام الرأسمالي العالمي ، ومن بينه مصر ...

● اختفت منيرة بسرعة داخل بيت صاحب النذر ، وقامت النساء بخدمتها وازالة غبار السفر عنها ، واعدادها للسهرة ، وراقبتهن - وأنا طفل غير ممنوع من الدخول عليهن - وهن ينظرن باعجاب شديد الى محاسن سلطانة الطرب ومفاتنها .. وكانت منيرة حينذاك في الخامسة والاربعين من عمرها ، ولكنها تبدو أصغر سنا من جميع الشابات القرويات من حولها .

وجلس عبد اللطيف البنا في « الدرة » الكبيرة وقد استبدل بملابس السفر ملابس غيرها ، والحضور من حوله يسامرونه ويرحبون به ويقولون له : رمضان كريم ! .. ولم يكن قد بقي على الافطار الا ساعة ! ..

● في السهرة ظننت أن منيرة المهدية ستغني طقطوقتها « اسمر ملك روحي » أو غيرها من الطقاطيق الغزلية المشهورة .. وكنت احفظ في تلك السن - وانا دون العاشرة - طقطوقة « اسمر ملك روحي » حفظا دقيقا فوددت سماعها من منيرة « شخصيا » ، كما اسمعها من اسطواناتها ! ..

وقفت منيرة في بهائها وجمالها فملأت تلك الليلة من ليالي الشهر المبارك حلاوة وطلاوة .. وغنت قصائد الغزل الصوفي والزهد والقربى الى الله والرسول ، كأنها تقول للمستمعين : هذه الليلة للسماء وحدها ، ليس فيها نصيب للاسمر ولا للاشقر ممن ملكوا روحها ! ..

ورققت منيرة نبرات صوتها - هكذا اتخيلها الان ولا ادري اكانت كذلك ام لم تكن - وكان معنى هذا الترقيق انها تخاطب في المستمعين رقة أرواحهم وقلوبهم ، وفي كل نبرة من صوتها همسة تقول : أعطوني قلوبكم ! .. اسمعوني بأرواحكم .. دعوني هذه الليلة أغني ولا اقترف ذنبا بل اكسب ثوابا ! ..

كانت منيرة في تلك الليلة - كما تبدو لي الان بعد تجارب السنين - تغني بنصف أوتار صوتها ، بل بوتر

واحد ، وربما بنصف وتر ـ لو أمكن ذلك ـ حتى كاد الغناء يحجب صوتها الكبير ، فقد كانت تخاطب روح الانسان ، والروح خافية لانها من أمر ربى ! ..

وارتفع صوت منيرة بقصيدة سلطان العاشقين الشاعر الصوفى عمر ابن الفارض التي لحنها الشيخ أبوالعلا محمد :

غيرى على السلوان قادر
وسواى فى العشاق غادر
لى فى الغرام سريرة
والله اعلم بالسرائر

وكأنما انفجرت مرائر المستمعين طربا ووجدا ، فهتفوا فى صوت واحد: الله أعلم بالمرائر ! .. وقال العالمون ببواطن الامور منهم : هاهى ذى سلطانة الطرب تغنى كلام سلطان العاشقين ، قدس الله سره !.

ولبث دوى الاعجاب يهز المكان ، ومنيرة رافعة عينيها ترنو الى السماء فى نصف اغماضة ، حتى هدأ المستمعون وتواصوا بالصمت والاصغاء ، ثم أخذوا يستحثونها :

ـ كمان والنبى ياست ! ..

عادت منيرة تغنى :

ومشبه بالغصن ، قلبى « م »
لا يزال عليه طائر
حلو الحديث ، وانها
لحلاوة شقت مرائر

ولو جاءت منيرة بسكين حادة فشقت مرائر هؤلاء المستمعين ، لما صرخوا طربا وهى تقول بملء صوتها : « .. وانها لحلاوة شقت مرائر » ! .. وصاح أحدهم :



يا سلطان العاشقين ، ما احلى كلامك فى فم سلطانة الطرب !..

سكر المستمعون بخمر الغناء وأنداء الليل ، وهداوا هداة الشبع والرى والاستسلام للدعة والحبور ، وكان كل كلام يقولونه عن حلاوة لقائهم بشعر عمر بن الفارض وأداء منيره المهدية وألحان أبى العلا محمد ، لا يفى بما يحسونه من وجد الطرب وما أثمره فى قلوبهم من الروح والريحان وجنة النعيم !..

● فى آخر الليل وقف على المنصة عبد اللطيف البنا ، وقال المستمعون : ليته يغنى القصيدة النونية ! ..

سألتهم :

ـ وما القصيدة النونية ؟!

أجابوا :

ـ أصبر حتى تسمعها ! ..

ولم يكد عبد اللطيف البنا يقول : « الهى ليس للعشاق ذنب » .. حتى ضج المستمعون استحسانا ، فهذا هو مطلع القصيدة النونية التى يطلبونها

وانطلق البنا يغنى بصوته الرفيع الشبيه بصوت الانثى :

الهي ليس للعشاق ذنب
فلا خوف ولا هم يحزنونا
ولا لوم عليهم في غرام
لانك انت تبلو العاشقينا

وصاح الذين مسهم العشق الالهى والحب الصوفى ، وسالت دموعهم حتى اخضلت اللحى ، واحمرت العيون ، ثم أعجزهم الوجد عن الصياح ، فأومأوا الى المطرب بأصابعهم يستزيدونه ، فانطلق وقد تسلطن وفاض بالنغم فى سخاء دافق :

فتخلق كل ذى وجه جميل
له لحظ يصيد الزاهدينا
وتودع جفنه الفتان سحرا
به يسبي عقول الناظرينا
وتأمرنا بغض الطرف عنه
وقد اضحى الفؤاد به رهينا

لم يكن ثمة ستار ينسدل على المطرب بعد أن أتم غناءه ولكن ستار الطرب انسدل على مستمعيه ولم يفيقوا الا على صوت جهورى يدعوهم الى طعام السحور ..

● لم يحضر الشيخ أمين حسنين الا فى الليلة الاخيرة من رمضان .. كان جميلا أنيقا ، تزيده العمامة جمالا ، وتحسبه بزيه الازهرى أحد علماء الازهر الراسخين فى العلم !..

كانت الليلة الاخيرة هى ليلة الشيخ أمين حسنين ، وليلة قصيدة البردة للبوصيرى ..

والبردة فى الصعيد ـ وربما فى بلاد عربية كثيرة ـ تشبه أن تكون كلاما مقدسا .. لهذا يصغى اليها المستمعون كما يستمعون الى الكلام المقدس ..

ارتفع صوت الشيخ أمين :

امن تذكر جيران بذى سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
ام هبت الريح من تلقاء كاظمة
واومض البرق فى الظلماء من اضم

اشتد طرب المستمعين للفصل الاول من البردة فى الغزل وشكوى الغرام ، ولكن طربهم تحول الى ما يشبه « الهرين » فى ميادين القتال عندما انتقل الشيخ الى الفصل الثالث فى مدح النبى عليه السلام :

محمد سيد الكونين والثقلين « م »
والفريقين من عرب ومن عجم
هو الحبيب الذى ترجى شفاعته
لكل هول من الاهوال مقتحم
فمبلغ العلم فيه انه بشر
وانه خير خلق الله كلهم ..

كانت ليلة الشيخ أمين حسنين مسك الختام ، وفى صبيحة عيد الفطر ، جلس الشيخ فى « المندرة » ومعه عبد اللطيف البنا ، واقبل عليهما الناس مهنئين بالعيد .. وفى داخل « البيت » كانت نساء القرية والقرى المجاورة يحتشدن حول منيرة المهدية، يتبركن بها ، كأنها شيخة طريقة،وكيف لا تكون وقد غنت شعر العارف بالله عمر بن الفارض ، واحيت بالزهد والورع ليالى شهر رمضان ؟! ..

بلاغة المتكلمين

تقرير : د . محمد عمارة

● لست ادرى ـ على وجه اليقين ـ فعلمى محدود جدا فى ميدان رصد المباحث البلاغية .. لست أدرى إذا كان المشتغلون بمباحث البلاغة العربية ، من المحدثين والمعاصرين ، قد طرقوا هذا المبحث الذى تشير اليه هذه الصفحات ؟ .. أم انه مازال غائبا عن دائرة الاهتمام ؟ ...

صحيح أن مباحث مثل : الاعجاز القرآنى .. والمجازات النبوية .. والتفسيرات « الاشارية ـ الصوفية » .. والتأويل .. قد حظيت بالعديد من الدراسات .. لكنها دراسات تناولتها من منظور بلاغى خالص .. أو كلامى خالص .. واغلب الظن ان هذه الدراسات لم تتناول هذا المبحث كفن متميز قامت فيه البلاغة اداة لتحقيق المقاصد الفلسفية للمتكلمين الاسلاميين ..

والامل الذى يراودنا هو أن تكون هذه الصفحات ـ التى سنحشد فيها ـ لهذا السبب ـ العديد من النصوص ـ حافزا يثير انتباه علماء البلاغة العربية ـ ولست منهم ـ ليضعوا فى المباحث « البلاغية الكلامية » معالم هذا الفن المتميز ـ فن بلاغة المتكلمين ـ مبرزين دور هذه البلاغة فى علم الكلام الاسلامى ، المجسد لابداع امتنا العربية الاسلامية فى الفلسفة المتميزة عن فلسفة اليونان .

● بلاغة المضمون

وبادىء ذى بدء ، فنحن نلفت النظر الى تميز فن البلاغة عند المتكلمين من فلاسفة الاسلام ، بالاهتمام بالمعنى والمضمون والمحتوى ، دون الوقوف كثيرا عند الشكل والالفاظ ، فضلا عن الاستغراق ـ حتى الغرق ـ فى المحسنات اللفظية ، على النحو الذى أصاب البلاغة العربية فى عصر التراجع والجمود وضمور الابداع ! .. فعلى حين تتوجه مباحث البلاغة ، المتعارف عليها ، إلى الالفاظ والصياغات والتراكيب والأساليب ، نجد الهم الأكبر والأول ، بل وشبه الوحيد ، للبلاغة عند المتكلمين للفكر والمعنى والمضمون ، مقررين ، فى حسم ووضوح ، أن « المعنى » هو العامل الأول والأفعل فى تحديد صورة الألفاظ والتراكيب والأساليب .. فبلاغة المضمون هى السبب فى بلاغة الشكل والأسلوب ...

سئل المتكلم المعتز عمر بن عبيد [٨٠ - ١٤٤هـ ٦٩٩ - ٧٦١م] عن البلاغة ؟ ..
- فقــــال :
« إنها تقرير حجة الله فى عقول المكلفين ، وتخفيف المئونة على المستمعين ، وتزيين تلك المعانى فى قلوب المريدين ، بالألفاظ المستحسنة فى الآذان ، المقبولة عند الأذهان ، رغبة فى سرعة استجابتهم ، ونفى الشواغل فى قلوبهم ، بالموعظة الحسنة ، من الكتاب والسنة ! .. »

ولابن جنى [٣٩٢هـ ١٠٠٢م] - وهو معتزلى - فى رائعته - [الخصائص] - التى اجادت الابانة عن « فلسفة العربية » - الكثير من النصوص التى طرقت هذا الميدان .. فهو يرى ان أولية المعنى على اللفظ مذهب تميز به العرب وامتازت به العربية ، ذلك « أن العرب - فيما أخذناه عنها ، وعرفناه من تصرف مذاهبها - عنايتها بمعانيها أقوى من عنايتها بألفاظها .. » .

وهو يرجع بلاغة الألفاظ والأساليب عند العرب الى عنايتهم ببلاغة المعانى والمضامين .. « فاذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظها وحسنوها ، وختموا حواشيها وهذبوها ، وصقلوا غُربها «اى ارائلها» وارهفوها ، فلا ترين أن العناية إذ ذاك إنما هى بالألفاظ ، بل هى عندنا خدمة منهم للمعانى وتنويه وتشريف . ونظير ذلك إصلاح الوعاء وتحصينه ، وتزكيته وتقديسه ، وإنما المبغى بذلك منه الاحتياط للموعى عليه .. » .

ثم يمضى ابن جنى ليضرب على هذه الحقيقة الأمثال :

أ - فعناية العرب بالمعنى والمضمون هى التى جعلت لغتهم متميزة ألفاظها .

ب - وهذا التقديم الذى نراه « لحروف المضارعة » فى أول الفعل ، إنما حتمه الاهتمام بالمعنى والمضمون فى الحرف العربى .. فمما « يدلك على تمكن المعنى من أنفسهم ، وتقدمة اللفظ عندهم ، تقديمهم لحرف المعنى فى أول الكلمة ، وذلك لقوة العناية به ، فقدموا دليله ليكون ذلك أمارة لتمكنه عندهم .

جـ - وهذا « التكرار » الذى يتمثل فى « التضعيف » - اللفظى - بالمصادر الرباعية ، قد جاء ليعلن عن « المعنى » المكرر .. فأنت « تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتى للتكرير ، نحو : الزعزعة ، والقلقلة ، والصلصلة ، والقعقعة ، والجرجرة ، والقرقرة ... فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر .. » ..

د - وهذا التوالى السريع فى حركات المصادر والصفات انما يفصح عن سرعة الفعل وتوالى حدوث المعنى .. فصيغة « (الفَعَلَى) - فى المصادر والصفات - انما تأتى للسرعة ، نحو : التشكى ، والجمزى ، والوَلَقَى .. فجعلوا المثال الذى

بلاغة المتكلمين

توالت حركاته للأفعال التي توالت الحركات فيها ... » .

هـ ـ والقوة والضعف التي تتميز بها أصوات الحروف بعضها عن البعض الآخر ، انما هي أثر من آثار القوة والضعف للمعنى المراد من الألفاظ التي تشتمل هذه الحروف .. فالمعنوى هو أصل الحسى .. كما في « قولهم : صعد ، وسعد . فجعلوا الصاد ، لأنها أقوى ، لما فيه أثر شاهد يرى ، وهو الصعود في الجبل والحائط ، ونحو ذلك .. وجعلوا السين ، لضعفها ، لما لا يظهر ولايشاهد حسا ، إلا انه مع ذلك صعود الجد ، لاصعود الجسم .. » .

و ـ والتفاوت المعنوى في الأحجام هو الذى يقف وراء تنوع حروف الكلمات الدالة على هذه الأحجام .. فمثلا : « سد ، وصد . فالسد دون الصد ، لأن السد للباب يسد والمنظرة ونحوها ، والصد جانب الجبل والوادى والشعب ، وهذا أقوى من السد الذى يكون لثقب الكوز ورأس القارورة ونحو ذلك . فجعلوا الصاد ، لقوتها ، للأقوى ، والسين ، لضعفها ، للأضعف ..»

هكذا توجهت عناية المتكلمين العرب المسلمين الى بلاغة المعنى ، فكان الوعاء وكانت الألفاظ والأساليب ، عندهم ، تابعة للمحتوى والمعنى والمضمون ... ولم يقفوا عند الشكل ، فضلا عن الاستغراق في المحسنات اللفظية والزخرفة الأسلوبية ، كما صنع ذلك آخرون ، حسبوا ـ ظلما ـ على البلاغة والبلاغيين ؟! ..

● المحكم .. والمتشابه .. والنقل .. والعقل :

ولم يكن هناك بد للمتكلمين الاسلاميين من خوض هذا المبحث ، مبحث بلاغة المعنى والمضمون ، الباحثة عن « تقنين بلاغى » للألفاظ والتراكيب والأساليب ... ذلك ان القرآن الكريم قد اشتملت آياته على ما هو « محكم » الدلالة .. وما هو « متشابه » ، لابد من إعمال العقل كى يرد إلى « المحكم » ويرتبط به ، تحقيقا للاتساق في الأحكام المستمدة من القرآن ... فكانت « البلاغة » ، بمعناها العام ، مبحثا من مباحث المتكلمين ، وأداة من أدواتهم ، لاغنى عنها لنفى التعارض الظاهر بين نصوص قرآنية ، بعضها مع البعض الآخر ، وتحقيق المؤاخاة بين « النقل » وبين « العقل » ، على النحو الذى امتاز وتميز به الاسلام ...

وإذا كان تعريف « المحكم » هو : « ما أحكم المراد به عن التبديل والتغيير ، أى التخصيص والتأويل والنسخ ، مأخوذ من قولهم : بناء محكم ، أى متقن مأمون الانتقاض ، وذلك مثل قوله تعالى : «إن الله بكل شيء عليم» ، والنصوص الدالة على ذات الله تعالى وصفاته ، لأن ذلك لايحتمل النسخ ... » .

وإذا كان تعريف « المتشابه » هو ما خفى بنفس اللفظ ولايرجى دركه اصلا .. «بالنسبة للعامة والجمهور .. فلقد سلك المتكلمون المسلمون سبيل العقل ، بواسطة البلاغة ، لتحقيق الاتساق بين المتشابه وبين المحكم ، تحقيقا لتآخى النقل والعقل في بناء علم الكلام الاسلامى : فلسفة الاسلام ..

لقد جاء فى محكم القرآن الكريم بيان انتفاء التناقض والاختلاف عن أياته ومعانيه ، ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ وكان ذلك تكليفا إلهيا للراسخين فى العلم أن يلحقوا المتشابه - بالتأويل - يلحقوه بالمحكم ، إثباتا لاتساق احكام القرآن ومعانيه .. وكانت البلاغة اداة المتكلمين فى تحقيق هذا الاتساق ..

إن قارىء القرآن يقرأ فيه : ﴿ إن الله لا يأمر بالفحشاء ﴾﴿ ولايرضى لعباده الكفر ﴾ وغيرهما من الآيات الشاهدة على عدل الله الذى اذا حاسب وأثاب وعاقب فإنما يكون حسابه وثوابه وعقابه على افعال هى من صنع الفاعلين ... لكن هذا القارىء يقرأ - مع هذه الآيات المحكمات وامثالها - ايات أخرى من مثل : ﴿ وقضينا إلى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض ﴾ .. وفى ظاهرها مما يفيد ان إفساد بنى اسرائيل - الذى سيحاسبون عليه ويعاقبون - هو قضاء الله .. فكان لابد من التأويل - ووسيلته البلاغة - لنفى التناقض والتعارض والاختلاف ، وتحقيق الاتساق القرانى فى المعانى والأحكام ..

● التــأويــــل :

وهذا السبيل - سبيل التأويل - لم يبتدعه تيار المتكلمين ابتداعا .. بل لقد صدر فيه عن القرآن والسنة -

● فالقرآن يعلمنا أن « التاويل » هو سبيل الراسخين فى العلم لرد المتشابه الى المحكم ﴿ هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا ، وما يذكر إلا اولو الالباب ﴾ .

ونحن نتعلم من هذه الآية القرآنية الكريمة أن هناك تأويلين : « تأويل اهل الزيغ » الخارج عن قوانين التأويل التى تحددت له فى العربية والمقبولة من علماء بلاغتها .. و« تأويل الراسخين فى العلم » ، الملتزم بهذه القوانين ..

● وفى السنة النبوية الشريفة ، يتحدث الصحابى جابر بن عبد الله ، عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم - فى سياق حديث يرويه - فيقول : « .... ورسول الله بين أظهرنا ، وعليه ينزل القرآن ، وهو يعرف تأويله ... »

فالتأويل من مهام السنة النبوية ، لانها بيان للقرآن الكريم ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ﴾ ... وهو من مهام العلماء ، حملة ميراث الانبياء ..

وإذا كان أصل معنى مصطلح « التأويل » هو « الترجيع » .. فإن معناه فى الشرع الاسلامى هو : « صرف اللفظ عن معناه الظاهر الى معنى يحتمله اذا كان المحتمل الذى يراه موافقا بالكتاب والسنة . مثل قوله تعالى : ﴿ يخرج الحى من الميت ﴾ . إن أراد به : إخراج الطير من البيضة كان تفسيرا ، وإن أراد إخراج المؤمن من الكافر أو العالم من الجاهل كان « تأويلا » - هكذا عرف التأويل ، ومثل له الشريف الجرجانى [٧٤٠ - ٨١٦هـ ١٣٤٠ - ١٤١٣م] فى كتابه « التعريفات » ... فالتأويل مرتبة من « البلاغة العقلية » تتجاوز التفسير الذى لايتجاوز حدود « البلاغة اللفظية » .



قبل أن تقطع العصابات علينا الطريق :

الموسوعة العربية الشاملة

تمثل فى القيمة والأهمية قيام الصناعات الثقيلة

بقلم: رأفت الخياط

فى عدد يناير من «الهلال» تصدى الاستاذ مصطفى نبيل لقضية من اخطر قضايانا الحضارية .. وليس فيما اقول شبهة مغالاة ، لأن الدعوة الى انشاء موسوعة عربية شاملة ، لا ينبغى ان تؤخذ على انها مشروع ثقافى فحسب ، بل انه يمثل من القيمة والاهمية فى نظرى .. اهمية وقيمة انشاء الصناعات الثقيلة ، فهى وان تساوت واتفقت معها فى استراتيجية الخطط والدراسات والجهود والتكلفة وما اليها ، فهى ايضا تتفق معها فى الاهداف ، فكما تنقل الصناعات الثقيلة المجتمعات من الفقر والضعف الى الثراء والقوة .



فالموسوعة كمشروع ثقافى كبير تسهم فى القضاء على بذور التخلف والجهل فى مجتمعنا ، باعتبارها المعيار الحقيقى للنهضة الفكرية والعلمية والثقافية التى بلغها شعب من الشعوب .

وكما ان الصناعات الثقيلة هى الترسيخ الفعلى للاستقلال والسيادة الاقتصادية لأمة من الامم ، فإن الموسوعة العلمية هى الرافد الفكرى والثقافى لهذه السيادة وهذا الاستقلال !

والمشروع رغم ماشاب تنفيذه من ركود وجمود وتعثر ، فإن حرارته لم تخبُ ، بل هى تزداد سخونة والتهابا فى صدور المتحمسين له ، والانصاف هنا يقضى الاشادة بحماس الاستاذ مصطفى نبيل ، الذى لم يفتر ايمانه ودفاعه الحار عن هذه القضية ، فقد سبقت دعوته المشار اليها فى صدر هذه السطور ، دعوات سابقة مماثلة ، اذكر من بينها دراسة له بعنوان "الا يكفى ٢٠ عاما لدراسة مشروع الموسوعة العربية" [●]

تصدى فيها للقضية بمختلف جوانبها التاريخية والسياسية والعلمية بشمولية مركزة ، كانت بمثابة الاشارات الضوئية التى تنير جوانب الطريق لمن يريد ان يسهم باضافة لهذه القضية الحيوية الهامة ، فى فترة زمنية حرجة ، دنت فيها

دائرة الحوار

المبتكرات الالكترونية ، واقتربت اجهزة الكومبيوتر من عقول وتناول الصغار قبل الكبار ، وصحبتهم الى عوالم مثيرة من المعلومات المسجلة وفتحت امام عيونهم وعقولهم افاقا واسعة من التجارب العلمية والمصرفية واخترقت بهم ساحات القواميس الالكترونية [*]

● عصابات التزييف

ومع اهمية التسليم بالدعوة الى توسيع مساحة تداول هذه "الادوات" بين ايدى الشباب ، فإن هذا "التداول" لا يخلو من خطورة تهدد رصيد شبابنا وحصيلتهم القومية من الحقائق التاريخية ، فقد لوحظ ان هناك خطة متعمدة ومحكمة لتزوير تلك الحقائق وتزييفها ، والاحتيال بنسبها الى غير اصولها وجذورها التاريخية ، سواء كانت اسلامية او عربية ، واقرب الامثلة الى ذلك ، ماتروجه بعض هذه "المبتكرات" المعرفية الالكترونية ، من ان مكتشفى الدورة الدموية الرئوية هما : مايكل سرفتوس الاسبانى ووليم هارفى الانجليزى ، متجاهلين ان العالم العربى ابن النفيس ، سبقهما بعشرات السنين الى هذا الكشف العلمى الهام ووصفه وصفا علميا دقيقا .

وللتأكيد على اصرار عصابات التزييف على استمرار تزويرها للحقائق التاريخية .. اذكر ان هيئة تحرير مجلة الجراحة البريطانية "لانسيت" والتى تضم علماء اجلاء ، اعترفت منذ سنوات بهذه الحقيقة التاريخية ، واعادت الاعتبار الى ابن النفيس ، ونشروا هذا الاعتراف فى مجلتهم ، الا ان النوايا السيئة لعصابات التزوير والتزييف ، تجاهلت كل هذا ، ومازالت تنسب هذا الكشف العلمى الهام لغير ابن النفيس !!

ومن امثلة التزييف الاخرى المدسوسة ، سواء فى مخازن المعلومات الالكترونية المتاحة للشباب ، او فى المعاجم ودوائر المعارف الاجنبية المطبوعة ، اغفال فضل رائد البصريات العربى الحسن بن الهيثم فى كشف النظرية العلمية لفن التصوير السينمائى والفوتوغرافى ، ونسبها مرة الى من يدعى "كيلر" ومرة اخرى الى من يدعى "باكون" !

والامثلة كثيرة .. وان تعددت اساليبها ، فهم فى معجمات ودوائر معارف الغرب مثلا ، يتعمدون التعريف بعباقرة العلماء العرب باسماء لاتينية ، ليخفوا وراءها جريمة التزييف ، فيطلقون اسم "بولكاسيس" بديلا لاسم الجراح العربى العبقرى ابوالقاسم الزهراوى .. صاحب الموسوعة العلمية "التصريف لمن عجز عن التأليف" ، التى فتحت ابواب اسرار الجراحة على مصراعيها امام اطباء النهضة الاوربية على مدى خمسمائة عام ، كما انه صاحب اكتشافات علمية .. لم يسبقه اليها احد .. ومع هذا يتعمدون ذكر اسمه على هذا النحو .. كنوع من التجهيل او التعتيم .. او صرف الذهن عن "عروبته" ..

والطريف .. اننا فى مصر .. نحرص على جلد انفسنا عتابا ولوما .. لان مذيعا قرأ اسم "داج هامرشولد" خطأ .. حيث

كان ينبغي ان ينطقه المذيع المصرى العربي تماما كما ينطقه "الخواجات" !! .. فإلى هذا الحد كنا نحن حريصين على المحافظة على النطق الصحيح لاسماء البلاد الاجنبية والاشخاص الاجانب .. مهما بلغت صعوبة نطق هذه الاسماء .. بينما نقف موقفا مغايرا .. اذ العصابات زيفت اسما لعالم عربى قدير .. ونبتسم .. بل ونداقع عن حق "الخواجات" فى عدم قدرتهم على نطق الاسماء العربية مع انهم .. قادرون .. وهم يتعمدون !!

● رموز الاستعمار

وقد سادت هذه الجرائم وامثالها .. منذ عصور التخلف والاستعمار ، ولان المصالح الاجنبية بمؤثراتها "العصرية" ، ليس من مصلحتها تصفية الاستعمار بل الابقاء على رموزه ، واستبداله بصيغ عصرية لغزوات ثقافية وفكرية تتستر وراء عبارات العصرية والتحديث ، المقصود من ورائها طعن اللغة العربية فى الصميم ، واظهارها بالتخلف والعجز بعدم القدرة على استيعاب علوم العصر ، وبالتالى .. وهذا هو المهم .. بعثرة كل الجهود المخلصة الساعية الى انشاء موسوعة عربية ، وتبديدها فى مواجهة هذا التزييف التاريخى والاحتيال العلمى .

فنحن اذا نظرنا من حولنا ، سوف نجد حقيقة بادية امامنا للعيان تقول ان مجمع اللغة العربية ، حينما انشىء فى مصر فى ١٩٣٢/١٢/١٣ ، اى منذ ٥٧ سنة ، كانت المادة الثانية فى المرسوم الملكى بانشائه تنص على ان :

"يقوم المجمع بوضع معجم تاريخى للغة العربية ، وان ينشر ابحاثا دقيقة فى تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها" ، كما قضت المادة الثالثة للمرسوم بان يصدر المجمع مجلة تنشر ابحاثه التاريخية" .

ومع التقدير الكامل للدور التاريخى والعلمى الذى قام ويقوم به مجمع اللغة العربية ، فإن "المعجم الكبير" الوارد ذكره فى المادة الثانية من مرسوم انشاء المجمع ، لم يظهر الجزء الاول منه "حرف الهمزة" الا فى عام ١٩٧٠ ، وصدر الجزء الثانى "حرف الباء" سنة ١٩٨٢ ، أى ان الفترة الزمنية بين صدور الجزء الاول وبين صدور الجزء الثانى بلغت ١٢ سنة ، والفترة الزمنية بين انشاء المجمع وظهور الجزء الاول من "المعجم الكبير" بلغت ٣٨ سنة !

وهذا امر لا يعيب المجمع ، ولا ينتقص من قدره ورسالته ، وانما يدل على ان اصدار المعاجم او الموسوعات ، امر ليس بالهين ، وانه يحتاج الى جهود خارقة والى وقت طويل ، وهو نفس الشيء الذى حدث مع اعظم معجم لاتينى انجليزى صدر حتى الآن ، وهو معجم اكسفورد ، فقد استغرق اصداره نحو ٧٠ عاما ! وقد ضربت المثل بهذا المعجم .. لان ادارته .. اقرب الى ما نقول عنه اليوم "قطاع خاص" .. وان معظم العلماء والمتخصصين فى مؤسسة اكسفورد لا يتناولون اجرا مقابل اعمالهم .. وانما يقومون به على سبيل التطوع ، خدمة للعلم والثقافة والمعرفة .

اما الموسوعة البريطانية الشهيرة المعروفة باسم "البريتانيكا" فقد صدرت طبعتها الاولى عام ١٧٧١ فى ٣ مجلدات ، ظلت تنمو وتتطور ويضاف اليها الملاحق



السنوية ، حتى تجاوز عدد مجلداتها حاليا ٣٠ مجلدا ، وهذا يعنى ان هناك ما يقرب من ٢٠٠ سنة مضت ، قبل ان تصل "البريتانيكا" الى هذا التكامل الذى تصدر فيه !

وبعد صدور المجلد الاول للبريتانيكا بعام واحد ، ظهرت دائرة المعارف الفرنسية ، وتلتها فى الظهور الموسوعة الالمانية ثم الامريكية ، واتسع نطاق الموسوعات .. وحرصت كل دولة على ان يكون لها اكثر من موسوعة ..

واثناء ذلك قامت محاولات عربية كثيرة لاصدار موسوعات ودوائر معارف منها "البستانى" و "الاسلامية" و "القرن العشرين" وغيرها .. ورغم الجهد الملحوظ فى اصدار هذه الموسوعات ، فإنها لم تتوفر لها عناصر الاستمرار والتكامل ، وكان اخرها ١٩٥٩ ، تلك الموسوعة قليلة الحيلة التى سميت "الميسرة" فى ٢٠٠٠ صفحة مترجمة بالتعاون مع مؤسسة فرانكلين الامريكية ، ظهرت منها طبعة وحيدة ، لم تتغير ولم تتطور ، ومع هذا جرت على مدارها موسوعة اقل منها حيلة وشأنا .. ظهرت فى ١٠٧٥ صفحة تحت اسم "الموسوعة الثقافية" !

● بعثرة الجهود

ومنذ ذلك التاريخ .. حدثت ظاهرة غريبة .. هى ظهور دوائر معارف صغيرة .. وموسوعات لمادة واحدة محدودة ، ومعاجم منفصلة لعدد من المهن والتخصصات (بعضها مترجم وبعضها موضوع) اذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر :

فى عام ١٩٦٢ صدرت "دائرة معارف الشباب" فى ١٢٠٢ صفحة من القطع المتوسط بمجهود فردى لفاطمة محجوب ، وبعد ذلك صدر عن "الالف كتاب" ترجمة "الموسوعة الفلسفية المختصرة" ، واصدرت دار الهلال "موسوعة الاشتراكية" عام ١٩٦٨ ، وقبلها اصدر مجمع اللغة العربية معجم "الجيولوجيا" سنة ١٩٦٥ ضم ٤٥٠٠ مصطلح ، وفى عام ١٩٧١ صدر عن دار الشروق "فى سبيل موسوعة علمية" ، وفى ١٩٧٤ اصدر مجمع اللغة العربية "المعجم الجغرافى" وفى ١٩٧٥ صدر عن الاهرام موسوعة "الغد ـ فى علم الحيوان" ظهر منها جزءان فقط ، كما ظهر فى نفس العام "معجم العلوم الاجتماعية" عن هيئة الكتاب بالتعاون مع اليونسكو ، وبعد ذلك باربعة اعوام اصدرت هيئة الكتاب قاموس "علم الاجتماع" ، وفى عام ٨٣ اصدر مجمع اللغة العربية "معجم الكيمياء والصيدلة" ، وقبلها ١٩٨٠ صدر "قاموس النهضة للمصطلحات الدبلوماسية" وفى عام ١٩٨٤ اصدرت هيئة الكتاب "معجم اعلام الفكر الانسانى" لم يصدر منه سوى جزء واحد فقط .. كما اصدرت هيئة الكتاب عام ١٩٧٨ "معجم تيمور الكبير" صدر منه جزءان فقط توقف عند حرف "التاء" .

وذلك بالاضافة الى محاولات دار الشعب ودار الجمهورية فى اصدار "دائرة معارف الشعب" وجهود الباحث اسماعيل شوقى فى سلسلة "العلم للجميع

مع ظهور ترجمات لسلاسل "المعرفة" و "الهدف" و «التكنولوجيا"

ومع التقدير الكامل لاصحاب هذه الجهود الرائعة .. فان "بعثرتها" على النحو السابق ذكره ، شجع عصابات الاحتيال والتحايل - التى اتخذت لها من بيروت مركزا لنشاطها - فرصة هذه "البعثرة" ، وخلو الساحة العربية من الموسوعات الكاملة والمعاجم الوافية ، وراحت هذه العصابات ، تعبث وتلهو وحدها فى الميدان ، باغراق الاسواق العربية بترجمات هزيلة لتوعيات غربية منفصلة من المعاجم الصغيرة المحدودة ، وكان واضحا من ضآلة حجمها وضحالة قيمتها العلمية ، واقترابها من كتب المطالعة ، ان الهدف من اصدارها لم يكن وجه الثقافة او المعرفة ، وانما كان الهدف من وراء اصدارها الكسب والربح على حساب تشويه وتلويث ما اكتسبته المعاجم والموسوعات ودوائر المعارف ذات القيمة من شهرة واحترام ، وقطع الطريق امام اى نتاج تصدره المؤسسات الجادة المعنية باصدار مثل هذه الاعمال !!

وامام هذه الصور المتداخلة لانشطة متضاربة ، سعت كل منها فى اتجاه مضاد ، ليس هو طريق الموسوعة المتكاملة الشاملة التى ندعو اليها .. مع ان هذه الانشطة ذاتها .. والتى صدرت فى مصر بالذات ، كان من الممكن لو تحدث جهود وانشطة القائمين على اصدارها ، مع اضافات من انشطة مؤسسات جادة وهيئات معنية اخرى .. ان يكون بين ايدينا الان "موسوعة ما" لا تقل عدد صفحاتها عن العشرين الفا ، ولايقل عدد مفرداتها عن المليون !

اقول هذا على افتراض - أختلقه اختلاقا وان كنت ارفضه - لانه قد يخالف منهج الدعوة الصحيحة الى "موسوعة شاملة ومتكاملة" .. ولكننى افترض .. ان هذا قد حدث .. أليس من الافضل الف مرة .. من تفتيت التجارب وبعثرة الجهود وتحطيم الحماس ، ووأد كل بادرة ان تبقى الساحة الثقافية العربية خالية من موسوعة شاملة ؟ !

قد يكون من الافضل ان يصدر المجلد الاول من الموسوعة العربية الشاملة ، بنصيب ولو قليل من الكمال الذى نرجوه ونأمله ، وبعد ان تكون الموسوعة المرجوة قد استقرت شكلا ومنهجا ، لتأتى بعد ذلك مراحل التعليل والإضافة والتطوير فى الطبعات التالية ، التى سوف يصاحبها - كما حدث فى كل الموسوعات العالمية - التوسع فى عدد المجلدات .. واصدار الملاحق السنوية .

بقى .. وقد اوشك حديثى على نهايته ، ان اطرح فكره لاصحاب رءوس الاموال العربية ، بان اصدار موسوعة عربية شاملة ، مشروع مربح من الناحية الاقتصادية ، فوق ان الاسهام فيها ، خدمة جليلة يقدمها اصحاب رءوس الاموال للارتقاء بالنهضة الفكرية والعلمية والثقافية لمجتمعنا العربى .. وهى وان اعتبرناها "خدمة" .. فإنها فى نفس الوقت ، جزء يسير من "ضريبة قومية" فإنها واجبة السداد فمن ذا الذى يستطيع ان يتحمل عبء هذا المشروع الجليل غير ابناء الامة التى انجبت الفراهيدى وابن دريد .. صاحبى اول وثانى عمل موسوعى عربى فى تاريخ الامة العربية ..

دائرة الحوار

موسوعة المجهول العربية

وكفاءة الدورة الدموية للمعرفة

بقلم: محمد فتحى

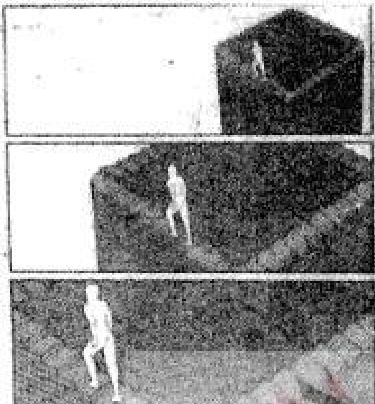
●● حين كتب الاستاذ احمد بهاء الدين (الهلال - يناير ٨٩) انه لم يتوصل الى إجابة سؤال من اهم اسئلة الوجود البشرى (ما الذى يجعل شعبا ما ينهض ويتقدم او يضمحل ويتقهقر ؟) ولعل احدا يحاول الاجابة عن هذا السؤال .. حين كتب الاستاذ بهاء ذلك ، كان قد حث بذكاء نادر على وضع السؤال فى دائرة الحوار ..

وفى محاولة الهلال (فبراير ٨٩) تقديم اجابة عن السؤال شكلت المعرفة .. تقديرها وتناميها وتوظيفها فى حث العمل الجماعى المبدع ، شكلت المحور الاساسى لهذه الاجابة .

والطريف ان عدد الهلال المستقبلى (يناير ٨٩) تضمن موضوعين وثيقى الصلة بقضايا اشاعة المعرفة ، اولهما ، نحو موسوعة عربية ، تشكل عصبا لحركة معرفية فعالة ،

The Encyclopaedia of Ignorance

Everything you ever wanted to know about the unknown



موسوعة الجهل



The Planet We Live On

An Illustrated Encyclopedia of the Earth Sciences

موسوعة للكوكب الذى نعيش فوقه

بقلم الاستاذ مصطفى نبيل والثانى ، الجامعة المفتوحة ، كمعرض عظيم للثقافة الانسانية بقلم الدكتور شكرى عياد ..

وهكذا تكون الهلال قد اخذت منحاها نحو طرح متكامل لعناصر اشاعة المعرفة .. وهذه سابقة تستحق التعزيز ، بعد ان بات العلم الحديث يعالج اى ظاهرة معقدة بصفتها منظومة (System) ويكد فى تناول عناصرها الأبسط ، وفهم العلاقات بين هذه العناصر ، وكيفية السيطرة عليها ..

ولا باس من تاكيد الطرح المنظومى لقضية المعرفة ببيان اهمية وجود موسوعات مجهول عربية وتكوين شبكة سليمة من الاوعية المعرفية (مثل شبكة الاوعية الدموية) تتمثل فى المكتبات العامة ●●

دائرة الحوار

● قبل ١٥ سنة ، ومع بداية إقامة طويلة بموسكو وجدتني ، في ارتباط بظروف العمل الصحفي ، مستغرقا على عجل في تكوين مكتبة وافية ، في فروع المعرفة المختلفة ، واستغرب زملاء المهنة ، وهم من جنسيات اوربية وامريكية مختلفة ماكنت افعله .. وحين استوضحت مايستغربونه ، صارحوني بعدم حصافة مسلكي بينما يحوى المنزل المجاور لمنزلي (ناهيك عن مقر عملي) مكتبة عامة ..

ساعتها ضحكت من زملائي فالكتابة في مجال المستقبليات لاتحتمل بعض خواء - ناهيك عن الخواء الكامل - المكتبات العامة ، كما لاتحتمل تدلل العاملين في مثل هذه المكتبات ، و ..

لكن زملائي الاوربيين والامريكيين قابلوا كل ذرائعي باستغراب اكبر ، مؤكدين لي ان زيارة واحدة للمكتبة العامة سوف تغير من هذه التصورات المغلوطة .
ولما كانت المكتبة مفتوحة على مدار النهار فقد قررت أن اجرب نصيحتهم بالذات بعد ان فشلت في اقتناء عدد من الموسوعات الكبرى التي يحتاجها العمل لانها ليست متيسرة هكذا للاقتناء ، لمن يدفع وساعة يريد ، وان كانت موجودة في كل المكتبات العامة (!) وياللعجب فقد قلبت الزيارة تصوراتي عن المكتبات العامة ، رغم اني مدين بتكويني الأول لدار الكتب المصرية ، حيث كنت اقضي بعض يومي فيها ، ولم يكن قد طرأ عليها (قبل ٣٠ سنة) ماطرأ على المكتبات المصرية العامة هذه الايام .

● شرايين المعرفة

ولا أود أن اثقل على القارىء بالحال التي وصلت اليه مكتباتنا العامة هذه الايام ، فلاشك في ان اى مهتم جرب يوما ارتياد احداها .. لذا فالاجدى الانتقال مباشرة الى مجموعة من الاشياء التي هالتني في المكتبة العامة الاوربية - لان الامر كما خبرت ليس مقصورا على موسكو - ، الصغيرة جدا ، لانها تخدم ، ربما ، لايزيد على عشر عمارات (٣٠٠ شقة) ، علما بانها موجودة (ناهيك عن مكتبات مؤسسات العمل والدرس) في سلم من المكتبات يرتقي من مكتبة الربع الى مكتبة الحى الى مكتبة المدينة الى المكتبات المركزية ومنها مكتبة كاملة مكرسة للاداب الاجنبية ، عثرت فيها حتى من الكتب العربية ، على مالم استطع الوصول اليه في دار الكتب المصرية ..

كان اول ماهالني ان المرء يستطيع ارتياد المكتبة واستعارة ماليريد من كتبها بضمان رقم بطاقته الشخصية ، ودون اى تعقيدات بيروقراطية .

وكان ثاني ماهالني ان المكتبة تتيح الاطلاع على (واستعارة) اى كتاب اريد ، حتى اذا لم يكن بين مقتنياتها وذلك بعلاقة او اتفاق مقنن بين شبكة المكتبات العامة وهي علاقة تعمل بانتظام وسرعة بارقة ..

وكان ثالث : ماهالني كثافة مرتادى المكتبة للاطلاع وتبديل الاستعارة .. بدءا

من تلاميذ المدارس وحتى من يحضرون لنيل الدكتوراه ، ومن الاطفال وحتى المسنين الذين يقطع مظهرهم بأنهم باتوا على المعاش (كثير من مكتباتنا القليلة ليست مجرد مخازن للكتب ، وانما مراتع « للفئران »)

وكان رابع ماهالني دور أمينة المكتبة التي لم يلفت مظهرها نظري للوهلة الاولى ، وان بهرتني مع الايام ، بانه يكفي ان تذكر لها الموضوع الذي تود الاطلاع (او حتى الدرس المتعمق) في بابه ولن تمر دقائق حتى تجد امامك عشرات الكتب التي تتناول موضوعك ، وهي لاتكتفي بذلك ، في كثير من الحالات ، بل تنصحك باستشارة هذا او ذاك ممن يرتادون المكتبة ، لانه مهتم بموضوع له علاقة بموضوعك (!)

● الموسوعات وإبداع المعارف

قائمة طويلة من الأشياء التي هالتني في المكتبة العامة الاوربية ، لكن لا بأس من وقفة عند طفل صغير كان قد لفت نظري حين اكتشفت من نافذتي مواظبته في التدريب على الرياضة واداء الحركات الايقاعية بصورة يومية منهاجية عنيفة (كما لاحت لي للوهلة الاولى) في الباحة الخضراء التي تتوسط عماراتنا السكنية .

بالكاد كان عمره يؤهله للوصول الى الصف الثالث في المدرسة الابتدائية ، رفوجئت به يوما يدخل المكتبة في اعتداد ، ويستأذن في تناول المجلد الثامن عشر من الموسوعة الكبرى ويذهب الى تناوله من موضعه ، ثم يجلس مقلبا الصفحات حتى يصل الى نقطة يستغرق عندها في القراءة بعض الوقت ، ثم يعيد مجلد الموسوعة الى مكانه وينصرف .

كان لفعل الطفل الصغير الذي يتعامل مع الموسوعة الكبرى رغم وجود موسوعة للأطفال تناهز مجلداتها العشر وموسوعة للشباب و .. كان لفعل الطفل وقع الصدمة عليّ اذ وجدتني افكر بصورة اوتوماتيكية في العمر الذي يتناهى الى معرفة مواطني فيه ان المعلومات مصنفة في موسوعات ، ناهيك عن توافر مقومات توظيف معلومات هذه الموسوعات في ابداع معارف الامة (بالمناسبة مخترع ترتيب المعلومات وفق حروف ابجدية هو العالم العربي الخليل ابن احمد صاحب « كتاب العين ») كما وجدتني افكر بالوجهة التي تدفع بها رياح المناخ العام شراع الناشئة واستعيد وقائع ابتلاع مطالعة « اخبار الاهلي والزمالك .. » لاي اهتمام للنشء بالقراءة .. و...

ويستطيع القارىء ببعض الخيال تصور كيفية عمل منظومة اشاعة المعارف في المجتمعات الناهضة .. من تفاعل محفزات الجو العام مع حركة اصدار الكتب والموسوعات وانتشار شبكة المكتبات العامة والجامعات الحرة .. لكن مايعطي المنظومة المعرفية وجهتها الابداعية حقيقة تلك الحلقة التي تمكن من توظيف الخبرات والمعارف المعبأة على الورق ، وتجعلها معارف حية تمارس فعلها في جسد المجتمع وتنهض بنتاجه الابداعي الجماعي (اول نصيحة يتلقاها من حصل



اى برنامج معرفى فى بلادنا : انس كل مادرسته ولنبدأ ..) واستأذن فى ايضاح طبيعة هذه الحلقة بنفس المنهج التمثيلى ..

● موسوعات مجهول عربية

لقد اصبحت منذ مشاهدتى الطفل الصغير يتعامل مع الموسوعة الكبرى بما يمكن ان اطلق عليه مرض الاهتمام بالموسوعات .. وعرض لى فى دنياها الواسعة مايسمى بموسوعات الجهل او المجهول (Ignorance) وكانت المرة الاولى التى اعرف فيها انه حتى القضايا التى لم يتعرف عليها الانسان وبصورة كاملة بعد ، باتت تصنف هى الاخرى ، تسهيلاً على الباحث والمبدع والمفكر ، وفى سبيل النمو المعرفى الفعال ..

واستجابة لتساؤل لابد انه لاح فى ذهن القارىء عن ماهية هذه الموسوعات لابأس من مثال تطبيقى يوضح بيت القصيد من التطرق الى موضوعها واهمية الدعوة الى اصدار موسوعات مجهول عربية ..

لقد اشتهرت مصر بخصوبة اراضيها وبالمناخ الذى يحسدنا عليه العالم ، ناهيك عن وجود مياه النيل ، ورغم كل هذه الظروف المواتية بتنا نستورد كثيرا من احتياجاتنا الزراعية الاساسية ، من بلدان فى ظروف طبيعية اسوأ من ظروفنا بكثير (!) وهذه مفارقة لابد وان تدفع الى التفكير فى الاسباب ، بالذات اذا وضعنا الى جوارها مفارقة اخرى تتمثل فى ان بمصر اكثر من عشر كليات للزراعة تمنح من درجات الدكتوراه - مثل غيرها من كلياتنا الجامعية - مايفوق كثيرا النسب المثيلة فى جامعات الدول التى نهضت زراعاتها ..

وعند التفكير فى اسباب تردى الاداء على هذا لايحتاج الامر الى كثير من العناء حتى ندرك ان للزراعة - كما لغيرها من الانشطة - وجهها الخاص فى كل مجتمع وان ماتحتاجه فى مصر كى تتطور غير ماتحتاجه فى بلد اوربى مثلا ، وان حركة البحث العلمى المنوط بها تمحيص الوجه الخاص لزراعتنا تعمل بعيدا عن هذا الوجه .

ان نواميس تطور المعارف تعلمنا ان الانسان يقع فى اسر اول مايحصله من معارف ومعلومات وانه يحتاج الى وقت وخبرات متعمقة لتجاوز دائرة هذا الاسر ، والتعرف على الوجه الخاص لمشاكله وابداع مايفيده فى حلها .

ولعل المشكلة وفق نواميس تطور المعرفة هذه هى وقوع حركتنا العلمية فى اسر مايصل الينا من معارف خارجية حتى اننا نتعثر كثيرا فى حبائل النقل المباشر (وليس مجرد الاستفادة التى لاعيب فيها) من المدارس العلمية الاجنبية بدءا من نقل المشكلات التى نبحثها وانتهاء بالحلول التى نمحصها مرورا بمناهج البحث التى نستخدمها .. كما اننا كثيرا مانبحث مشكلات ما على انها مشكلاتنا الاولى لمجرد انها طرحت على هذا النحو


احمد بهاء الدين

في الخارج ، رغم عدم صلاحيتها لاحتلال المرتبة العاشرة في قائمة اولوياتنا بينما تبقى مشاكلنا الحقيقية دون تناول حقيقي .

فلاشك ان ابحاث استصلاح وتعمير الاراضي في بلاد تعيش على ٥٪ من رقعتها لايمكن ان تكون ضمن المشاكل الاوربية التي ننقل عنها ، وقس على ذلك مشاكل مثل ضرورات وامكانات الميكنة الزراعية في بلادنا ، واختلاف متطلباتنا من الهندسة الوراثية من حيث ضرورة التوصل الى محاصيل تتلاءم مع مناخنا غير الاوربي ، ومع الاستغلال المكثف للاراضي ، على نحو لاتتيحه الثلوج الاوربية ، وحتى الوصول الى الاطارات الادارية الملائمة لظروفنا ولحركتنا العلمية ، والقادرة على تجاوز بيروقراطيتنا المتأصلة وتكاسلنا القاتل .

وهذه مجرد امثلة ، كما ان اختيار الزراعة نفسها ليس سوى مثال ، وان كان لنا فلا بأس من مثال فاضح في هذا الصدد يتمثل في تلك الرسالة العلمية (!) التي تعد في احدى كليات الهندسة في بلادنا (!) حول ظروف الاسكان في الفضاء الكوني (!) بينما تأخذ مشكلة الاسكان بخناق الغالبية ـ العظمى من المصريين وليت لدى من يعدها مايؤهله حتى للوحام على تطوير مسيرة الحضارة البشرية ذلك انه يسعى في عداد مراجعه الى مادة تليفزيونية متهافتة اعدت حتى يشاهدها المرء وهو يثرثر ..

والامثلة علي « توهان » حركة البحث العلمي في بلادنا لاتحصى في مختلف المجالات الامر الذي يقطع به واقع الحال في الشارع العربي ، لكن هدفنا هنا ليس سرد الامثلة ، وانما الوصول الى اهمية تأليف موسوعات مجهول عربية ترشد من مسيرة حركة البحث في بلادنا .. ذلك ان لدينا علماء اجلاء اجتازوا مرحلة تكبيل المعارف الاوربية الاولية لعقولهم وامتلكوا من القدرات النقدية الى جوار الخبرات المتعمقة بظروفنا مايمكنهم من ادراك المشاكل الحقيقية التي مازال علينا حلها ، حتى ننجح في توظيف المعرفة للنهوض بمجتمعنا والاطلاع عن طريق ذلك بدورنا الحقيقي بدلا من الهرب الى اوهام ..

لكننا جريا على عادات تكاد تكون قد تأصلت فينا ، نهدر خبرة هؤلاء العلماء لتظل حركة البحث العلمي لدينا ، على

دائرة الحوار

هزالها او على اختلاط سلم اولوياتها .. لنأخذ مثلا خبرات الدكتور مصطفى الجبلي ومشكلات الزراعة المصرية ، وخبرات الدكتور حماد يوسف حماد ومشاكل الرى المصرى وخبرات الدكتور عبد السميع مصطفى ومشاكل مصر فى عصر الالكترونيات .. وبالطبع خبرات عشرات من العلماء الاخرين ، يستطيع اصحابها ان يقوموا بعملية احياء حقيقية لحركتنا المعرفية ولحركة البحث العلمى فى بلادنا لو رسموا لنا الطريق الصحيح فى موسوعات « المجهول فى عوالم تخصصاتهم » وحددوا لحركتنا العلمية المشاكل التى تحتاج الى حلول فى ارتباط بظروف مجتمعنا .

● القضية قضية وجود

بقيت اشارة الى ان مسألة الطرح المنظومى المتكامل لموضوع شبكة الاحياء المعرفى (الموسوعة الكبرى - موسوعات المجهول - المكتبات العامة - الجامعات الحرة ..) ليست ترفا نقصد منه وجاهة مافى عصر المعلومات بقدر ماهى محاولة لمواجهة مخاطر كثيرة تهدد وجودنا ذاته ، ولا امل فى تصدينا لها بغير التفكير المبدع الذى يلتزم ظروفنا الخاصة ولايمكن ان نشتريه جاهزا ، او نؤجر من يقوم به عنا .

وان كان البعض يرى ان التكاليف المادية تشكل عقبة فى سبيل انشاء موسوعة عربية كبرى ، فالمؤسف اننا نحن العرب ننفق على مطبوعات هائلة الحجم ولا قيمة لها فى نفس الوقت ، مايكفى لصنع عشر موسوعات وليس موسوعة واحدة ، رغم ان هذه الموسوعة ستشكل إن انجزت اهم المنطلقات الثقافية العربية على الاطلاق .. ولعله من فضل القول الاشارة الى ان امورا من قبيل تاليف موسوعات المجهول (تصدر فى مجلد واحد كالكتاب) وتحريك شبكة المكتبات العامة لاتحتاج الى امكانات مادية قدر ماتحتاج الى الوعى والارادة والعمل الذى يؤدى غيابه الى سقامنا

وحين نقول ان المسألة مسألة وجود ومصير فليس الامر تعميمات تطلق على علاتها .. ولا بأس هنا من مثال اخير .. فخلال نوبة الولع باقتناء الموسوعات وقع فى يدى يوما موسوعة رائعة فى مجلد واحد عن كوكب الارض ، وحين جلست اتصفحها فوجئت بانها مطبوعة فى اسرائيل وانها معدة رغم احكام معارفها وحسن اخراجها ، على مستوى طلاب المدارس الثانوية هناك (!!) و ..

هذا كما انه ليس هناك مايمنع ان يكون الطفل الذى طالعنا بثقافته الموسوعية ورياضته المنهاجية فى بداية هذا المقال .. ان يكون هو هو بذاته - ان لم يكن شبيها له تمتع بنفس الامكانات - من يدير المعركة الحضارية ضدنا ، ليس من موقعه الاوربى القصى فقط ، وانما من موقع اكثر قربا بعد ان نزح الى « ارض الميعاد » التى لم تنقطع عنها قوافل المهاجرين الاوربيين .

الأديب والكتب

شعر: أحمد قاسم أحمد



ويح الأديب طعامه … وشرابه حلو الكلام
اكل وشرب لاينمّى الجسم مقدار الجرام
انفقت مالى فى اقتنا … ء الكتب .. يابئس الغرام
ماذا افدت بحكمتى … وبارفف الكتب الضخام ؟
اقوت صبيتى الصغا … ر بقول كتاب عظام ؟
قول إذا احيا القلو … ب امات نابتة العظام
وبنىّ كل نشاطهم … كرة تصاحب بانتظام
لا يقرءون سوى الدرو … س وبعد إيلام السهام
لا يعرفون « البحترى » … ولا الجهابذة الكرام
وَا لَوْعتاه وقد غدا … ميراثهم هذا الركام
طن يقرش فى المزا … د وليس يدفع بالتمام

••

ابنى لاتتعجلوا … إن غالنى الموت الزؤام
ابقوا على ميراثكم … فالكتب مصباح الظلام

ـ مائة عام على ذكرى ميلاد العقاد ـ

العقاد والهلال

بقلم: أحمد حسين الطماوى

إذا كانت ولادة عباس محمود العقاد الصحفية تمت في جريدة «الدستور» لفريد وجدى . فإن ولادته الأدبية والفكرية كانت فى الهلال منذ أول الشباب . فقد أخذت الهلال بيد العقاد عندما كان شابا صغيرا . ولم تنشر له أعماله . بل طبعت له أول كتبه .

يحدد العقاد تاريخ معرفته بجورجى زيدان فى كتابه «رجال عرفتهم» بعام ١٩٠٥، عندما توجه إلى مكتبة الهلال فى الفجالة ليسأل عن كتب يتناول فلسفة الجمال ، وقد أفاده زيدان (الذى كان موجودا بالمصادفة فى المكتبة) بأنه ليس فى العربية كتاب يتناول هذا الموضوع .

ولكن العقاد الذى كان يعمل فى الزقازيق ـ فى ذلك الوقت ـ لم تنقطع صلته بالهلال وجورجى زيدان ، فكان يتردد عليه فى المكتبة والمطبعة والبيت ، وكان يدور بينهما حديث حول قضايا الفكر والحياة . العقاد يسأل وزيدان يجيب .. ومما دار حوله كلامهما فلسفة التفاؤل والتشاؤم . وتمضى الحياة بالعقاد فينبذ الوظيفة ويعمل مع فريد وجدى فى الدستور فى الفترة من ١٩٠٧ إلى ١٩٠٩ ، ثم يصاب بمرض صدرى فيسافر إلى أسوان . وكانت قد تكونت عنده مجموعة من الملاحظات سجلها فى دفتر على هيئة يوميات تتناول الفكر والوجود والعدم والأدب والروح والمادة والنفس ، وأطلق عليها «خلاصة اليومية» ، ولما كانت ظنونه تساوره بعدم الشفاء والانتقال إلى العالم الآخر ، فقد سلم جورجى زيدان «خلاصة اليومية» لنشره من أجل بقاء ذكره . وقد طبعت دار الهلال الكتاب عام ١٩١١ وهو أول ما طبع من كتب العقاد ، ومن حسن الحظ أن ينفد الكتاب فى ستة أشهر ، فترتفع معنوياته ويتفاءل بالحياة .

وتعد موضوعات «خلاصة اليومية» بذور أفكار العقاد التى تفتقت ونمت وأثمرت فيما

مائة عام على ذكرى ميلاد العقاد



عباس محمود العقاد



جورجى زيدان

بعد ، فقد تحدث عن شعر العواطف ومدى تأثيره فى النفوس ، وانتقد شعر شوقى ، وانتقص من القصص ، واتهم القصاصين بالمغالاة فى وصف أبطال قصصهم ، واهتم بفلسفة الجمال وفرق بين الجميل الذى يحبب الناس فى الحياة ، والجليل الذى يحرك الوحشة فى النفوس ، وكتب عن الأديان والتعصب الدينى ، وعن الحرية الشخصية وعلاقتها بتقدم الحركة الاقتصادية ، وبحث فى اللغة ، ولم يعر أدب الاعتراف أهمية ، كما تناول موضوعات اشتراكية واقتصادية بعضها لا يتفق مع مبادىء الدين وجميع هذه القضايا هى التى اعتنى بها العقاد فيما بعد ، وقد ظل العقاد يذكر كتابه هذا فى ثنايا مقالاته وبعض مؤلفاته ، ويرد اسمه فى ندواته ، وقد سمعته فى أواخر أيامه وهو يعلن موافقته على كل ما جاء فى «خلاصة اليومية» ، ماعدا أشياء تتعلق بالعقيدة .

وفى عام ١٩١٢ يطبع العقاد فى دار الهلال كتابه الثانى «الإنسان الثانى» وهو عن المرأة وظل العقاد بعد هذا التاريخ يذكر جورجى زيدان بالثناء ويكتب عنه ويطريه ، ففى ١٩١٩/٩/٥ يكتب عن «مختارات جورجى زيدان» فى جريدة الأهالى ، وفى مناسبة مرور ربع قرن على وفاته يكتب فى أغسطس ١٩٣٩ بمجلة الهلال مقاله «جورجى زيدان المفكر» ويخصه بفصل فى كتابه «رجال عرفتهم» يقول فيه : «كان على اطلاع واسع فى العلوم التجريبية كاطلاعه على بحوث التاريخ والاجتماع ، ولكنه كان فى سماحة

العقاد والهلال

الفكر وسهولة النظر بحيث يحس كما يفهم ان العقل قد يكون علميا وهو يخوض فى كلام لم يقرره العلم ولم يقرر نقيضه كذلك» .

● أول مقال

بعد صدور كتابى العقاد «خلاصة اليومية» و «الانسان الثانى» عن دار الهلال ، ومقالات أخرى فى «الدستور» وفى «البيان» «للبرقوقى» ينطلق العقاد فى دنيا الثقافة والسياسة وتتشعب امامه الطرق ، وتتعدد الميادين ، ويتألق مجده ، ويلمع اسمه ، ويكتب فى اكبر الصحف مثل «الأهالى» و «البلاغ» و «كوكب الشرق» ، وغيرها وهى صحف ناصرت الثورة ، ودافعت عن آمال الأمة ، وتنقطع الصلات بينه وبين الهلال فترة غير قصيرة ، ثم لايلبث أن يعود .

وكان أول مقال للعقاد فى مجلة الهلال فى عدد نوفمبر ١٩٢٤ عن «المرأة الشرقية» وكان آخر مقال نشرته الهلال فى حياة العقاد عن المرأة كذلك فى عدد مارس ١٩٦٤ إذ جاء تحت عنوان «اربع نساء كاتبات» وبين المقال الأول والأخير حوالى اربعين سنة نشر فيها العقاد ما يقدر بـ ٢٣٠ مقالة وأربع قصائد . وقد جمع من هذه المقالات فى حياة العقاد وبعد موته ما يقرب من ٩٥ مقالة فى عدة كتب منها «مراجعات فى الآداب والفنون» «ساعات بين الكتب» «المرأة ذلك اللغز» «خواطر فى الفن والقصة» «عيد القلم» «دراسات فى المذاهب الاجتماعية والسياسية» . وغير ذلك .

وقد كان العقاد يقترب أو يبتعد عن الهلال طبقا لظروفه . فلم يكن منتظما فى الكتابة للمجلة ، وإنما كان ينقطع فى بعض الأحيان بالسنوات وعلى سبيل المثال لانجد له مقالات فى أعوام ١٩٢٥ ، ١٩٢٦ ، ١٩٢٨ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣١ ، ١٩٣٢ . ومن يتأمل حياة العقاد فى هذه السنين يجد أنه كان مشغولا بالكتابات السياسية فى جريدة البلاغ حتى مطالع عام ١٩٢٩ ثم فى «جريدة مصر» و «كوكب الشرق» و «المؤيد الجديد» . بعد ذلك وفى عام ١٩٣١ يسجن بتهمة العيب فى الذات الملكية . وفى عام ١٩٣٢ تجاذبته جريدتا «كوكب الشرق» و «الجهاد» . لذلك لم يكن مهتما بالكتابة فى الهلال . وقد بلغ مجموع ما كتبه فى مجلة الهلال فى الفترة من عام ١٩٢٤ وحتى ابريل ١٩٣٣ سبع مقالات فقط .

ولكن كتابات العقاد أخذت تظهر فى الهلال بوضوح بعد خروجه من الوفد عام ١٩٣٥ . وعلى وجه العموم فإن نتاج العقاد حتى لحظة انشقاقه على الوفد كانت تغلب عليه السياسة والصحافة أما بعد ذلك - وبالرغم من ممارسته للسياسة والصحافة - فإنه غلبت على نتاجه الثقافة بمختلف مستوياتها ، وأخذت كتبه الأدبية والدينية والفلسفية تظهر تباعا . وما كتاباته فى الهلال بعد عام ١٩٣٥ إلا من هذه الألوان الثقافية التى تناسبها .

ولعل من الصواب أن نشير - ونحن نتحدث عن العقاد بالأرقام والاحصاء مستأنسين بكتاب عباس محمود العقاد للدكتور السكوت - إلى أن العقاد نشر حوالى ثلاثين مقالا فى الهلال عن سيرته الذاتية وجوانبه الشخصية عرج فيها على أسرته وطفولته وأساتذته وتطرق إلى فلسفته فى الحب والحياة ، والكتب التى أفادته والأشياء التى جعلته كاتبا وأجمل

ايامه وغير ذلك مما يكون نسيج ترجمته الذاتية .

وقد جمع طاهر الطناحي معظم مقالات العقاد المنشورة في الهلال والتي تشكل ترجمته الشخصية واصدرها في كتاب الهلال عدد ١٦٠ تحت عنوان «انا» فكان اول كتاب يحدد ملامح العقاد بقلمه . وفي اواخر عام ١٩٦٤ جمع الطناحي مجموعة اخرى من مقالات العقاد تصور اتجاهات كتاباته ، ونشرها في كتاب الهلال عدد ١٦٥ تحت عنوان «حياة قلم» .

وفي هذا المجال نذكر ان عشرات من كتب العقاد صدرت لأول مرة او اعيد طبعها في سلسلة «كتاب الهلال» او في طبعات خاصة ومن بينها «عبقرية محمد» «سعد زغلول» «ابوالشهداء» «الله» «الفلسفة القرآنية» «الإنسان في القرآن» «مطلع النور» «الشيوعية والإنسانية» «معاوية بن ابي سفيان» «رجال عرفتهم» وغير ذلك .

● موضوعات العقاد

الممحنا فيما سلف ان العقاد بعد انشقاقه على الوفد اتجه نحو الثقافة الإنسانية في اشكالها الادبية والفنية والدينية والتاريخية والنفسية .. ومن يتجول في مجلة الهلال يجد مقالات العقاد لاتتجاوز هذه الاجناس إلا في ظروف اجتماعية او مناسبات سياسية . مثل مقالاته التي حررت في الفترة من (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) فقد طبعت بطابع الفكر السياسي . وإنه من الطبيعي ان تأتي مقالات العقاد في تلك الفترة حاملة انطباعاته عن الحرب العالمية الثانية ومن مقالاته في تلك الحقبة : «لو انتصرت المانيا لخرب العالم» (هلال نوفمبر ١٩٣٩) «الحياة البرلمانية والحرب» (هلال يناير ١٩٤٠) «اغراض السياسة الروسية في الحرب» (هلال فبراير ١٩٤٠) «البلقان بين مطامع الدول الكبرى» (هلال . مارس ١٩٤٠) «الانجليز في الشرق العربي» (هلال فبراير ١٩٤١) «حرب الباسفيكي وتأثيرها في الشرق» (هلال فبراير ١٩٤٢) «هل يمكن إنشاء حكومة عالمية بعد الحرب» (هلال مايو ١٩٤٤) . وتدل هذه المقالات على تتبع العقاد لسير الحرب وكشف سياسات الدول المختلفة من ورائها . وتأثير هذا كله في الشرق العربي والدروس المستفادة منها . ومع ان الهلال ليست مجلة سياسية فانه في اوقات الحروب التي يتعرض معها العالم للفناء يتطلع الإنسان إلى ملاحقة المواقف العسكرية ، ويتلهف على تحليل سياسي لها ليكون تصورات للمستقبل . ومن ثم فإن العقاد والهلال يعملان على تبصير القارىء ويشبعان نهمه في هذا المجال .

وعلى اثر قيام ثورة ١٩٥٢ هاجم العقاد النظام الملكي ورأى ان الاديان الكتابية نظرت إلى الملكية نظرة الريب والكراهية ، وذهب إلى ان اختيار النظام الملكي الوراثي في العصر الحديث كان مسالة ضرورة او مسالة شكل وصورة . وقال ان الملك في لغات اهل الشمال معناه «الجمهور» او «القومي» وكان ينتخب وليس له حق توريث العرش . وفي مقال عن «الجيش وقائده» (هلال ديسمبر ١٩٥٢) انتقد سياسة الملك فاروق . ويبدو ان العقاد كان يثق بحركة الجيش فكتب ما اشرنا إليه . ولكنه بعد ذلك امسك عن الحديث إلا نادرا وكان في ندوته يهاجم في عنف الحكم المطلق .

ولم تكن مقالات العقاد كلها في الهلال

العقاد والهلال

جادة أو من الموضوعات التي لانطالعها إلا بعد التسلح بالعزيمة وإنما كثير منها خفيف لطيف يلذ قراءته مثل «ياليل ياعين» «صاحب الجلالة المال» «صاحب الجلالة الحظ» «روح الفكاهة عند شوقي» «كذبة ابريل» «هل يباح الحشيش» «دفاع عن الكسل» .. وغيرها وهذه المقالات فيها تعليم وتثقيف كما فيها ترفيه وتفكيه . ففى مقالته «ياليل ياعين» (هلال اكتوبر ١٩٤٩) يذكر مختلف الروايات فى أصل الكلمتين ، فمن قال أن سيدا أسمه ليل ضرب جاريته فأصاب عينها ، ولما اشتد الضرب عليها راحت تستعطفه قائلة : ياعيني ياليل ياعيني ثم دخلت الغناء ، ويروى العقاد مقالات اخرى فى موضوعه ويعلق عليها بما يفيد . وهذا يعني أن أفاق المقالة عند العقاد يتسع لموضوعات أرخى للنفس ، واطرب للفؤاد . ومع فائدتها وقدرتها على التاثير وتنبيه الوعي وهذه المقالات دعوة إلى الثقافة والفكاهة يلبيها القارىء عن طيب خاطر .

وفى مجموعة أخرى من مقالاته فى الهلال يناقش أدبنا فى ضوء عالمية الأدب مثل «هل يصبح لنا أدب عالمى» (هلال نوفمبر ٣٣) و «أدبنا العربى سيكون أدبا عالميا» (هلال يناير ٥٩) ويباهى بأدبنا ويقول «الأدب العربى المطبوع تطور قبل القمر المصنوع» (هلال يناير ٥٨) . كما يتناول عددا من الحاصلين على جوائز نوبل مثل باسترناك الروسى وسفريس اليونانى وشو الايرلندى كما يتناول أربعا من الكاتبات اللائى حصلن عليها هن : سلمى لاجرلوف (السويد) وجرازيادا (إيطاليا) سويجريد اندسيت (نرويج) وبيرل بك (أمريكا) .

هذا إلى جانب مقالاته عن المرأة والطبيعة والكتب والنفس والنقد والشخصيات . وعلى وجه العموم كانت مقالات العقاد رائعة الأسلوب ، هادئة العبارة . تتأمل ظواهر الطبيعة وتستجلى معانيها ، وتلحظ النفس فى تقلباتها ، وتتبع بعض الدول فى سياساتها ، وترافق الكتب فى رحلتها الثقافية . ولم يكن من أهدافها ـ بصفة عامة ـ القرص واللسع ، ولا الهدم واللوم لذلك لم يستعر حولها النقاش كثيرا ، ولا شب بسببها العراك طويلا . وقد نذكر فى هذا المجال ملاحاة بين حنا خباز والعقاد حول كتاب «الفلسفة فى كل العصور» لخباز فى هلالى يناير وفبراير ١٩٣٤ ، ونخبر عن رد عبدالرحمن شكرى على العقاد عندما نشر الأخير مقاله «هل تنجح الديكتاتورية عندنا» (هلال فبراير ومارس ٣٩) . ونشير إلى مقال العقاد «الحرب الحديثة وما تلقيه على الشرق العربى من دروس» التى عقب عليها أحمد أمين بمقال «دعوة إلى الكتاب» فى أهرام (١٩٤٠/٧/٧) . وفيما عدا هذا لم تكن مقالات العقاد فى الهلال مثيرة للجدل . مهيجة للخواطر .

● الهلال والعقاد

وإذا كنا قد عرضنا لمقالات العقاد فى الهلال فإننا استيفاء لموضوعنا نشير إلى ما كتبته الهلال عن العقاد واحتفالها به منذ عرفته . فقد كانت سباقة إلى التعريف بنتاجه الشعرى والنثرى منذ العقد الثانى من القرن العشرين . واستنادا إلى الببليو جرافية التى أعدها الدكتور السكوت فإن جملة الكتب التى قرظتها وقدمتها الهلال للعقاد بلغت ٢٧ كتابا . وكانت هذه النبذ

العقاد والهلال

والمقالات بقلم المحرر أو بدون توقيع وقليل منها بأقلام كتاب معروفين . ومن هذه الكتب «ابن الرومي» «ساعات بين الكتب» «سعد زغلول» «دبجة» «عبقرية محمد» «غاندي» .. وغيرها اما اول ما كتبته الهلال عن العقاد فكان في عدد يوليه ١٩١٦ عندما اصدر العقاد ديوانه «يقظة الصباح» وتضم الهلال طائفة كبيرة من المقالات والدراسات عن العقاد بأقلام كبار الكتاب من امثال «سلامة موسى» (هلال . ديسمبر ٢٣) ونقولا حداد (هلال اكتوبر ٤٣) والمازني (ديسمبر ٤٨) وما دبجة ابراهيم بيومي مدكور عن إيمان العقاد (هلال مايو ٦٤) وعبدالرحمن صدقي الذي وصفه كما عرفه (هلال مارس ٦٠) ورثاه شعرا (هلال . ابريل ٦٥) وحلله بالصور (هلال نوفمبر ٦٤) وعلى ادهم الذي كتب عن العقاد السجين (هلال يناير ٧٣) والعقاد المحب (يولية ٧٣) وطاهر الطناحي الذي صور العقاد عاشقا وغير هؤلاء من امثال الدكتور عبدالعزيز الدسوقي وصوفي عبدالله وصالح جودت وكمال النجمي ومحمد سيد كيلاني . ود. الديدي وغيرهم .

وكانت الهلال تتضمن بين الحين والآخر قسما خاصا عن العقاد في حياته وبعد وفاته تعرض فيه لجلسة من اتجاهاته الفكرية المختلفة . ففي عدد سبتمبر ١٩٥٨ احتفلت الهلال ببلوغ العقاد السبعين . وفي ابريل ١٩٦٧ اصدرت عددا كاملا عن العقاد . وإلى جانب ذلك كانت الهلال تعرض الكتب التي تصدر عنه أو تتيح الفرصة لمناقشتها مثل عرض طاهر الطناحي كتاب «العقاد دراسة وتحية» (هلال اكتوبر ١٩٦١) كما ناقش ممدوح المغربي كتاب «لمحات من حياة العقاد المجهولة» (هلال فبراير ١٩٧٤) .

وقد تناولت كل هذه الدراسات جوانب مختلفة في العقاد . ونواحي عديدة في تراثه . وأرشدت إلى قيم إنسانية وفنية باقية فيه .

خصائص مقال العقاد

ومقالة العقاد في الهلال لاتختلف كثيرا عن مقالاته الثقافية في الدوريات الأخرى . فهي تتناول فكرة أو ظاهرة . أو خاطرة . أو ملاحظة . أو موقفا . أو موضوعا يدور حوله الحديث ثم لايلبث ان يتسع ويتشعب دون أن يخرج عن الفكرة والخاطرة وإنما ينتظم حولها ويلتئم مع عناصرها .

والأستاذ العقاد من كتاب المقالة وله الاف المقالات وكأنه متفرغ لها . ولقد اثار من خلالها قضايا هامة ومشكلات عديدة بطريقة تجمع بين الجد والطرافة . وموضوعاته يستمدها من احداث الساعة مثل المقالات السياسية . أو من الطبيعة مثل مقالاته عن الربيع والصيف والشتاء . أو يستعيد فيها قديما .

وتمتاز مقالاته بالتعبير المصقول الطليق وإن لم يكن يخلو احيانا من تحسين وتجميل ولكنه على وجه العموم يصوغ عبارته بأسلوب يفهمه قراء المجلات الثقافية على مختلف اذواقهم دون الترخص في اللغة . ومقالات العقاد في الهلال متوسطة بين الطول والقصر وتجمع بين الذاتية والموضوعية وتجنح إلى التركيز ولا تعدم التفصيل عند اللزوم . وتتميز باستيفاء موضوعاتها حيث تتدفق فيها المعارف المستقاة من مظان موثوق بصحتها . مع التمهر في توظيفها والقدرة على تنقيحها وتوضيحها ثم تحليلها والاستنباط منها تحت رقابة عقلية صارمة .

قصة قصيرة

بقلم: د. شريف حتاته



يوميات مرشح

ظل يفكر عدة اسابيع دون ان يتخذ قراره ... حتى اللحظة التى صعد فيها الدرجات لم يكن يعرف لماذا عاد ... ما جدوى الجهود التى بذلها؟ وما جدوى ضياع الوقت وحرق الاعصاب؟ لن يتغير الوضع ، ولن يجنى سوى التنافس ، والبغضاء .. ومع ذلك وجد نفسه يصعد الدرجات .. فى بهو العمارة شاب نحيل يرتدى سترة بيضاء .. اصابعه ناعمة ، وشعره يلمع فى ضوء الكهرباء .. كان يتحدث الى امرءة فى مقتبل العمر تزاحمت الاساور حول ذراعيها الممتلئة باللحم ، ومن عينيها الجاحظتين قليلا اطل الشبق الراقد فى الاعماق .. استسمح الشباب فى ان يفسح له الطريق فالتفت اليه بازدراء ، ولم يتحرك قبل أن مرت بضعة لحظات.

استانف الصعود حتى الدور الثانى .. فى انفه رائحة طعام يطهى فى المطابخ ، وفضلات القطط المنزوية فى الاركان .. توقف امام باب من الخشب مدهون بطلاء حفرت عليه كلمة «الله» داكن يتوسطه مقبض .. اعلى الباب مصباح

يرن بغلظة مثل الفتق في الجدار .. دق على الجرس وانتظر . بعد لحظة فتح باب الشقة المجاورة ليخرج منها رجل يرتدى عباءة ، وعقالا اسود تدلت من تحته فوطة حمراء .. احس بسواد العينين البارد كعيني ثعبان تجريان على وجهه قبل ان تلف وراءه ليهبط على الدرج ...

ضاق من الانتظار فدفع الباب الموارب بيده ودخل ... المنضدة الطويلة تحيطها مقاعد جلدية ظهورها منتفخة ، والدخان مازال يرتفع في الهواء ، وبدت الحجرة خالية من الناس.. صعد الدرج الداخلى المغطى « بالموكيت » الاخضر.. رفعت السكرتيرة رأسها المنكبة على الالة الكاتبة. عندما حياها ابتسمت ناحيته بود هادىء ثم عادت الى اوراقها ... سحب استمارة من رف « البلاكار » الابيض وانحنى يملا الفراغات بقلم جاف ... بعد ان انتهى من الكتابة ظل يفكر بعض الوقت ثم شد على كتفيه كأنه حزم امره ، وتوجه الى حجرة كتب على بابها كلمة «الادارة» ..سلم الاستمارة للفتاة الجالسة خلف المكتب تضع امامها كوبا من الشاى وتحملق من زجاج النافذة على حركة الشارع . تاملته بضيق، وسحبت نفسا عميقا من لفافتها الطويلة قبل ان تتناول الاستمارة من يده الممدودة اليها .. قامت ببطء ، وشدت على ثوبها وتثاءبت ثم اتجهت الى الة التصوير القابعة فى ركن الحجرة .. العين الالكترونية تتفرس فيه صفراء، والصورة تهمس قبل ان تسقط فى الدرج.. افاق على نفسه واقفا فى وسط الحجرة بينما حشرت الفتاة جسمها المربع فى المقعد وعادت تطلق سحبا من الدخان الازرق .. مطت شفتيها بحركة كسولة ، وقالت فى صوت مبحوح ... « تفضل ... صورة ممضاة تفيد استلام ورقة المرشح ... » .

هبط الدرجات ... مازال الشاب والمرأة يتحدثان عند مدخل العمارة .. تسلل من المساحة الضيقة التى تركاها الى جوارهما ، وخرج الى الشارع .. قاد سيارته ببطء غير عابىء بالابواق الزاعقة وراءه .

عند الاشارة ظل يحملق فى الضوء الاحمر ... جاءه احساس كالريشة تمر فوق خده تمسح مكانها بابهامه والتفت ... لمح شبح وجه يطل عليه من خلف زجاج السيارة التى توقفت الى جواره . بداله ان الانف مستقيم ، وان الحاجب فوق العين بارز .. وبداله بعد ذلك انه التفت اليه واطلق ناحيته ابتسامة ، ومض بياضها فى الليل . خفق قلبه ، وزال عنه شعور بالوحدة سيطر عليه منذ ان استيقظ فى الصباح. خطر له انها امراة ، وانه لفت انظارها .. فراق له هذا الخاطر .. ولكن ربما يكون رجلا.. احد اصدقائه عرفه وهو جالس خلف عجلةالقيادة ..اصابه احساس بخيبة الامل ، كان باب السعادة فتح امامه ثم اغلق دون انتظار .

.. ما زال يهتم بالتوافه .. لماذا هذا الاهتمام الزائد بالمراة وما اهمية الجنس فى العواطف ..؟

اكتشف فجاة ان النور الاحمر انطفا ، وان السيارة التى كانت الى جواره انطلقت فى الشارع امامه ... داس على البنزين ليقتفى اثرها ولكن سرعان ما تاهت .. احس فجاة ان تصرفاته اصبحت غريبة

•• ترى هل هو السن ام شيء آخر ؟•• رتـابة الحياة اليومية وتكرارها •• المجهـول فيه شيء مثير للغاية ••• ولكن لماذا مع النسـاء دون سواهن • المسالة كلها لم تتعد خطوط الانف ، والحـاجب البـارز ، وابتسامة ربما لم تكن ابتسامة وانما مجـرد لحظـة انفرجت فيهـا شفتاها فلمع الضـوء الابيض علـى سطحهما المبلل بلعابها ••

لا •• لم تكن امرأة وانما رجل •• الدليل هو ذلك الانف القوي المستقيم والحاجب البارز ، وحتى ان كانت امرأة •• داس علي الفرامل ليتفـادى كلبا انطلق يجـرى في الشارع • استانف السير عائدا الى الافكار التي كان منشغلا بها قبل ان يقحم الوجه الغـامض نفسه على خياله •••

تردد طويلا قبـل ان يضيف اسمه الى كشف المرشحين •• اليس مـن الافضـل ان يتفـادى الاعباء التي ضاق بها ؟ •• في اعماقه امل يراوده احيانا • لو سـقط في الانتخابات • احتمـال وارد ولكن هل يمكن ان يحب لنفسه الفشـل ؟ لماذا لم يحسم الامر منذ البداية ويمتنع •••؟ بقايا امل •• ؟ في ماذا ؟ •• ربما استهوته لعبـة السياسة ، يحقق فيها ذاته •• يشعر بالرضـا عندما يمتحن امكانياته، •• ويتحدى ، ويخاطر •

قرر ان يذهـب الى الاجتماع متأخرا حـتى يظهر عدم اهتمامه ، ثـم غير رايه • مـازال هو « الامـين » ولابـد من الاطمئنان على الترتيبات •• هذا الشـعـور بالمسئولية غرسته فيـه امه ، فاصبح كالطـوق الحـديدى لا يسـتطيع اختراقه •••

دلف بسـيارته مـن الباب المطل على شارع « رمسيس » واوقفهـا بالقرب منه حتى يستطيع ان ينصرف في اى وقت دون عـائق •• لمح سيارتين تقفان في صف واحد •• لابد انهمـا يتبعـان الموظفين في المعهد ، فليس من المتوقع ان يحضر احـد في هذا الوقت المبـكر ••• صعد الدرجات وتوقـف امام لوحة الاعـلانات • ندوة بعـنوان « دور شركات توظيف الاموال في تنمية المجتمـع » ، وبضعة اوامـر ادارية خاصة بالمعهد •• سار حتى باب القاعة المفتوح على مصراعيه • فوجيء بوجود مجمـوعة من الناس احتلت المقـاعد الامامية•• خطر في باله ان يتقدم نحوهم ليسـلم عليهم ، ولكنـه توقف وحيـاهم من بعيد •• فلتذهب الانتخابات الى الجحيم !! نادى عـلى الفراش النوبي العجـوز ومر معه ليختبر الاضاءة والتكييف والميكروفونات التي تطل باعناقها فـوق المنصة ، ثم بحـث عـن السكرتيرة المنوط اليهـا تسجيل الحـاضرين ، وتوزيع بطاقات الانتخاب •• وجدها جالسة خلف احد المكاتب ترشف مـن قدح للقهوة وتدخن احدى لفائفها بشراهة ••جلس الى جوارها شاب مفتول العضلات عريض المكنبين يشخص اليها في اهتمام بينما ادارت هي وجههـا بعيدا عنه • بين الحـين والحين يميل ناحيتها ، ويهمس في اذنها دون ان تلتفت اليه •• سالها عن البطاقات ، والسـجل فردت عليه بغمغمة مبهمة تكاد لا تسمع • عاد الى قاعة الاجتماعات وانزوى على مقعد في الصـفوف الخلفية •• عندما يحييه احد الاشـخاص يـكتفي بهزة مـن الـرأس ، وابتسامة سريعة • مـر بعض الوقـت وامتـلأت القاعة بالنـاس • مـن طرف عينه لمح المتاولين

له يلقون ناحيته بنظرات خاطفة ويتبادلون العناق والقبلات ، ويشدون على الايدي بحرارة ويشعلون اللفائف ثم يسعلون ويضحكون برعشة عصبية في الاكتاف .. او يقفون في الاركان ، ويهمسون ، او يبتسمون ابتسامات توحي باشياء. او يقفزون بنظراتهم القلقة حول القاعة . او يقهقهون بصوت عال .. فجاة انصرفوا عما هم فيه. ووزعوا انفسهم في القاعة ، فادرك ان رئيس الجمعية وصل الى الباب الخارجي .. انتظر حتى دخل ، وصعد فوق المنصة ليجلس على مقعد له ظهر عال ، فتقدم شاقا طريقه وسط الزحام . واحتل مكانه الى جواره على مقعد اقل فخامة .

القى رئيس الجمعية كلمة باهتة قوبلت بالتصفيق الحاد .. لم يطلب احد الكلمة ، فاخذ يقرأ في التقرير الذى اعده عن نشاط السنة الماضية .. وبين الحين والحين يتوقف ، او يعلق ، او يحكي بعض التفاصيل فيرى الوجوه الجامدة شاخصة اليه .. انتابه الاحساس بانه يشارك في تمثيلية قديمة تكررت من قبل ، فاصبح قادرا على التنبؤ بما سيحدث فيها .. مع ذلك يندهش كلما عاشها من جديد كانه لم يفقد بقايا حلم قديم مازال قابعا في اعماقه.

ظلوا صامتين حتى انتهى من قراءة التقرير، ثم فجاة علت اصواتهم بالصراخ ، وارتفعت ايديهم في الهواء بحركات تشبه الاستجداء ، او التهديد. ابتسم ناحيتهم فلم يكن يرى المبرر لكل هذا الضجيج. ابتسامته فيها حياء كانه يعتذر عن وجوده فوق المنصة انه يحب الاماكن العالية ولكن المنصات ارتبطت في ذهنه بالاكاذيب .. كانت ابتسامته مجرد رعشة في الشفتين مثل الانفراجة التي تحدث مع الشهيق ، ولكن بعدها لسبب لم يفهمه تضاعف الضجيج ، وارتفعت الاذرع في الهواء مثل الغابة .. فتحولت حركة الشفتين الى ما يشبه الابتسامة العريضة علت بعدها صيحات المجتمعين في القاعة كانهم يتاهبون لترك المكان ، والسير في مظاهرة صاخبة تخترق شوارع المدينة ..

وفي تلك اللحظة بدا له ان سائلا دافئا اخذ يسيل تحت سرواله ، فرفع جسمه من فوق المقعد ودس اصبعه تحت الاليتين ليكتشف ان مسمارا طويلا كان يبرز من مقعد الرئيس ، وان المسمار مزق بنطاله ودخل فيه .. عاد الى الوجوه المتراصة في القاعة محاولا التركيز ، واستقرت على ملامحه علامات الاهتمام ، فتلاشت الاصوات واستغرقوا في صمت عميق كانه اصابهم قلق مفاجىء .. قرا الفشل في عيونهم .. نظرة فيها استجداء .. تتحرك حول القاعة .

ندت منه ضحكة متقطعة سريعة عندما تخيل نفسه ينصرف من الصالة واضعا يده على الثقب الذى صنعه المسمار في جسمه ، فتحول الصمت المخيم على القاعة الى زئير .. لم يكن احد منهم يدرك السبب ومع ذلك ظلوا يصرخون.. لم يكن احد منهم يدرك انه يضحك على نفسه وليس على الاخرين .. وان هذه هي وسيلته في اخفاء الامه ..

قفز احدهم الى قدميه .. شاب قامته طويلة يرتدي عوينات تشبه قاع الزجاجة التي يضعون فيها البيرة .. عوينات سميكة يطل من خلفها بريق عينيه كانوا يبحثون

عن شخص يحرك الركود القابع منذ سنتين .. راقت له الفكرة حتى يخرج من العزلة ويحرك الدماء الساكنة في وريده .. يبحثون جميعا في دائرة صغيرة لينقضوا على الشيء الجاهز ... لمح الشاب يلوح .. ذراعه طويلة مثل كل شيء فيه .. قامته وانفه ، وعنقه ، يحمل رأسه الصغير ويجعلها تتارجح ذات اليسار ، وذات اليمين .. ولسانه الذى يبرز من بين شفتيه ثم ينسحب بحركة سريعة .. يذكره بالحرباء عندما ترقد في شمس الظهيرة .. تحملق فيه بنظرة جانبية غريبة ، وتخرج لسانها كل حين لتصطاد احدى الحشرات الصغيرة .. نظرتها العمياء الكريهة تسبقها قبل ان تزحف عليه في الكوابيس وتصبح في حجم التمساح الكبير .

عاد الشاب يلوح بذراعه الطويلة ، ويشير اليه ... كان زوج امه يمتلك ذراعين طويلتين تتزود كل منهما بكف غليظة .. وكان يستطيع ان يناله بها من اى مكان في الحجرة .. يتوجس خيفة عندما تختفي خلف ظهره ، ويتصورها تتسلل حول جسمه لا تحت اغطية السرير ... اصابعه هو طويلة ونحيلة .. احب امراة وهو مازال شابا صغيرا .. كانت تكبره بعشر سنين .. تمسك باصابعه بين يديها وتقول ... ستكون فنانا ، او جراحا عظيما .. لكنه لم يصبح لا هذا ولا ذاك .. دخل في السياسة وصار يكره الايدى الصغيرة .. اول مسئول في الحزب الذى انتمى اليه كانت يداه صغيرتين .. سادي يهوى تعذيبه .. يغرس فيه عدم الثقة في النفس ، وتانيب الضمير .. يقول عنه انه « بورجوازى » ولابد ان يتطهر من ادران البيئة التى نشأ فيها .. وعندما دخل المعتقل واوقفوه عاريا امام المدير لاحظ ان يديه صغيرتان كالخنثى .. لم يرمش غاضبا ابدا .. الوحشية الناعمة التى ترتكب الجريمة دون ان يرمش لها جفن .. ولكن هذا الشاب الطويل ينتفض غضبا على لا شيء ... يقولون عن اللص ان يده طويلة تمتد الى جيوب الاخرين لتنتزع ما فيها او الى اجسام النساء في « الاوتوبيس » .. ربما المشكلة في هؤلاء السياسيين انهم لم يعرفوا الحب الحقيقى .. ان تعشق امراة في عقلها وجسمها وتتوحد في الاثنين ... ما الذى دهاه ؟ هذا الشاب يثير فيه افكارا غريبة .. يحمل في يده كتابا صغيرا .. ترى هل هو القرآن ، ام الانجيل ... ربما يكون الميثاق ، او « مختارات من لينين » .. شاب فيه عصبية المدافعين عن القضايا الخاسرة ..

التقط بعض الكلمات تتردد وسط الضجيج .. تعلو تحت القبة العالية ، ثم تعود اليه .. كلمة « ديمقراطية » تتردد اكثر من غيرها .. ثم كلمة « العدالة » .. رفع عينيه ليتتبع صداهما تحت القبة العالية المزدانة بالشموس ، والاقمار ، والنجوم ، وملائكة ، وشياطين ، وملوك وملكات يختالون .. عادت نظراته الى الجالسين .. اغلبهم يتطلعون الى المنصة في صمت .. ملامحهم جامدة لا تنم عن شيء .. لا عن الرضا ولا عن الضيق ، ولا عن افكار ربما تعتمل فيهم كان كل ما يدور لا يعنيهم .. ما عدا الذين وزعوا انفسهم على القاعة ليخوضوا معركتهم باسم حقوق الانسان ، او الدين ، او مقاومة الفساد

او البيروقراطية ، او التغيير .

الجو حار ، ودخان السجائر ملأ القاعة ، فالنوافذ كلها مغلقة ومغطاة بستائر من القطيفة الوانها باهتة ، والعتة تركت ثقوبا متآكلة ، متعرجة فيها .. اخذ نفسا عميقا .. وفي تلك اللحظة رآها .. لم يكن قد لاحظها من قبل .. ربما لانها كانت تجلس في الصف الاول تحت المنصة مباشرة .. فالنظارة التي يرتديها تجعله يرى الاشياء البعيدة .. رفعها عن عينيه في بداية الجلسة ليقرأ التقرير ، ثم اعادها على عينيه من جديد ، فوقعت بين مجالي الرؤية البعيدة ، والقصيرة ... مرت نظرته عليها اول مرة مرورا عابرا لا قصد فيه .. ولكن سرعان ما عادت اليها ، واستقرت على وجهها بطريقة مباشرة كاد يمكن ان توحي بشيء من الوقاحة ، ولكن مع ذلك لم تكن ثمة وقاحة فيها .. هكذا احست هي .. ولذلك بادلته النظرات بذات الطريقة كانها ليس لديها ما تريد ان تخفيه .. لاحظ ان حواجبها بارزة كثيفة ... وان بياض عينيها فيه زرقة الثلج فوق جبال « الهيمالايا » .. ثم لاحظ ان السواد عميق يلمع وسط البياض كالمغناطيس . ثم لاحظ اخيرا ان هناك شعلة في النني تجتاز المسافة بينهما لتصل اليه .. لم يلاحظ شيئا اخر .. ولم يتساءل ان كانت جميلة .. احس ان اطلاق هذا الوصف عليها لا يكفي ، ولا يرضيه .. هناك وصف اخر يجب ان يهتدي اليه .. فظل يبحث عنه الى ان انتهت الجلسة ..

سرت في الصفوف موجات من الحركة تروح وتجيء ولكنها لم تكن مثل حركة الريح في حقل من البرسيم .. كانت حركة فيها فوضى وزعيق خالية من انسجام الطبيعة .. ثم التوا بالصنابيق ... وبعدها اختفى الثوب الابيض الذي كانت ترتديه وسط الزحام قبل ان يستطيع ان يلحق به ..

كان يقود سيارته خارجا من الحوش الداخلي عندما لمح صديقه « ابراهيم » يندفع هابطا فوق الدرجات ، ملوحا اليه بورقة صغيرة ، فتوقف .. ادخل راسه من النافذة المفتوحة على الجانب الاخر ، وترددت ضحكاته تشبه النهيق المتقطع ، السريع . اكل عليه وجه الطفل الكبير ، وضغطت يده بحرارة على كتفه ... سمعه يقول :

« مبروك ... مبروك ... نجحت بصعوبة ... كنت اخشى عليك من ولاد ... ولكن ربنا ستر ..

يبدو انك متعب وتريد ان تعود الى البيت ، والا دعوتك على شاي اخضر « ويورى » في « الحسين » سامر عليه غدا لنذهب معا .... » .

لمح الشاب الطويل يهبط على الدرجات وعويناته تبحث هنا وهناك .. من خلفه مجموعة علت اصواتها وهي تهرول وراءه .. فلوح بيده الى « ابراهيم » وانطلق بسيارته مخترقا الباب الحديدي ..

تحت المجلة جانبا عندما دخل عليها ، وقامت واضعة يدها في يديه .. سألته فاجاب .. وبينما كان يتحدث اليها اخذ يتأمل الانف المستقيم والحاجب البارز قليلا .. واكتشف في بياض عينيها زرقة الثلج فوق « جبال الهيمالايا » ... تنظر اليه بسواد عينيها العميق .. ويلمع في بؤرة النني ذلك اللهب الصغير الذي لم ينطفيء .



عندما سألنا (نجيب محفوظ) فى ندوة «المصون» عن « التكيـة » فى (الحرافيش) قال انها الواحة التى يأوى اليها الجميع ، ويلجأ اليها الطيب والخبيث ، ولا ترد احداً تشبث بالآمال فى اتجاهه اليها .. انها الدين .. بداية الخلق ، ونهايته .. الجنة ، والنار . . الثواب . والعقاب . . . الرحمة والعذاب . . . !

نجيب محفوظ

● والذى يعيد قراءة (الحرافيش) وهى لابد أن تقرأ اكثر من مرة يجد أن (نجيب محفوظ) يجيب على أسئلة موجهة اليه من وجدانه الى وجدانه .. انه يسأل ويجيب فى وقت واحد ، ولكنه ينتقى الاسئلة ، ويختارها بعناية .. يلتقطها من أعماقه المزدحمة الجياشة .. كواحد من أبناء عصره .. خالص الود لجيله .. يرقب تفاعلاته من منارة .. تشرف على القاهرة .. تتيح له أن يرى الامهات وهن يرضعن اطفالهن فى ظلمة الليل ، ويسمع آهات العشاق ، وانين المظلومين .. وهو يجلس خلف مكتبه ، وقلمه بين أصابعه .. يصيغ كل ذلك فى أناة وصبر ، وايمان بما يعمل .

● **الخير والشر .. !**

ولعل السؤال الكبير الذى كان يزاحم الكبار الخاصة فى رحاب وجدانه هو : هل يستطيع الخير أن يصمد للشر واساليبه ، وكم من الوقت يظل صامداً ، والى متى ؟

ويضع فى أول (الحرافيش) فى الصفحات الاولى منها درويش شقيق الشيخ عفرى الذى تبنى عاشور الناجى بطل (الحرافيش) . والتقطه من الحارة ، وهو فى طريقه لصلاة الفجر ، ولم يكن درويش راضياً عن هذا التبنى ، وكان لا يفتأ ينكد عليه عيشه ، ويهينه بهذه النقطة كلما سنحت له الظروف ، ويختفى درويش فى السجن سنوات .. ثم يخرج ليجد عاشور صاحب عربة كارو

■ هل يستطيع الخير أن يصمد امام الشر وأساليبه ؟

■ ماذا عن احتواء الخير للشر ؟

■ هل يغنى الحذر عن القدر .. ؟

■ هل يمكن أن نتجاهل كلام الناس ؟

يحـــاورنفســـه!

بقلم: عبد المنعم الجداوى

ومهابا بين الناس . يتمتع باحترام أهل الحارة لاخـــلاقه ، وتضحياته المستمرة فى سبيل الاخرين ، ولا يجد عاشور بدا من ان يأوى الرجل الذى فى مكان عمه .. لكن درويش يسخر منه ، ومن عيشته المتواضعة ، ويطلب منه فى تهجم قرضـــا يرده اليه اذا تيسرت أحواله ، ويقدم له عاشـور القرض .. ثم يطلب منه أن يستضيفه فى غرفته ، فيعتذر عاشور بأن غرفته لا تتسع الا له .. وفى اليوم التالى يفاجأ بأن درويش يجمع الصفيح ، والبوص ، وبقـــايا الــديش ليبنى (برظة) ويتألم عاشور لانه ساهم بحسن نية فى بناء خمارة بنقوده !.. يتألم لكنه لا يهدم البوظة ، لانه لا يريد صداما مع درويش وان كـان على يقين من أن البوظة سوف تفسد الكثير من أهل الحارة .. هكذا ، الخير دائما يقف عاجزا أمام أساليب الشر الذى يســلك الدهــاليز ، والسراديب .. لكى يلتف حول الخير ليحبطه .. أول من أفسدتهم البوظة أولاده .. سكروا وقامروا .. ثم تشاجروا ، وخـرج على شجارهم ، وزكمته رائحة الخمر فى أفواههم .. فأدرك أن الشر انتصر عليه !

● هل يحتوى الخير الشر ..؟

والسؤال الذى لابد انه كان يعتمل فى صدر نجيب محفوظ بعد ذلك هو : هل يمكن أن يحتوى الخيــر الشر ، ويسيطر عليه ؟ وهل ينجح ؟

كان جوابه أن جعل عاشور بعـد أن أقلقه أن يتقاتل أولاده على (فلة)

نجيب محفوظ يحاور نفسه

البغى الشابة التى استولى عليها درويش وجاء بها الى بوظته ليغرى بها ندامى الكاس .. يتقدم بنفسه ، وهو رمز الخير، والطيبة،وفتوة الحارة ليتزوج من (قلة) ، وكانت صدمة للجميع .. لكنه اراد ان يريح ، ويستريح .. أن يلتقط (قلة) ويرفعها من مستنقع الفسق .. الى بدروم يؤجره لها وحدها ، ويعيش معها ، ويبسط عليها حمايته .. وترتاح هى الى انها أصبحت ربة فى بيت .. يحميها سيد الرجال .. وكابد هو تقولات الجميع عليه .. لكنه فى النهاية حول الشر المستطير الى خير ينجب له شمس الدين .. والذن فاحتواء الشر ، والسيطرة عليه ليس شيئا عسيرا .. فقط يحتاج الى رجل له قوة عاشور البدنية والنفسية .. وذلك هو الذى لا يمكن أن يوجد فى بعض شرائح المجتمع !.. وقد يكون هناك من يعارض هذا الرأى عملا بمبدأ من (حام حول الحمى وقع فيه) .. غير أن الذين يديرون ظهورهم للشر على اعتبار (ابعد عن الشر وغنى له) .. هؤلاء يقفون من الشر موقفا سلبيا ، ونجيب محفوظ لا يحب ان يكون سلبيا ، ولا يرضى بالسلبيات ، ويفضل المقاومة ، والمصادمة او المحاولة ، وذلك أضعف الايمان .. فهو يرى أن على المرء أن يسعى ، أما ادراك النجاح فشىء يقدره الله !



● كلام الناس .. !

سؤال أخر كانت تجيش به أركان كيان نجيب محفوظ كواحد عاش فى بيئة شعبية ، ولابد انه كان يثور فى أعماقه بين الحين والحين .. هل الاقوياء هم الذين يقيمون وزنا لكلام الاخرين أم الضعفاء ؟ وهل على من يسير فى النور أن يعمل حسابا لمن يهمسون فى الظلام ؟ ان هذا السؤال بكل جوانبه يثير عشرات الاسئلة ، والاجوبة فى كل شريحة من شرائح المجتمع ، وقد يكون الكاتب نفسه تعرض لموقف من تلك المواقف ، ولا أعتقد أنه ما من انسان يعيش فى مجتمعنا الا وتعرض لمثل هذا الحرج .. فالناس ، وما يقولون جزء هام يجثم على صدر تصرفاتنا ، ومهما كانت درجة ثقافتنا فنحن فى النهاية لسنا وحدنا .. ولابد أن نصب فى قوالب مجتمعنا التى نجدها جاهزة ، والا كنا شاذين .. بنا نتوءات ، لا تريحنا ، وتخرجنا عن التكيف مع المجتمع !.

ومن أجل الاجابة على هذا السؤال .. يضع فى صلب (الحرافيش) مشهدا رائعا بين (زهرانه

الشوربكشى) و (خضر الناجى) ·
وهى زوجة شقيقه المختفى ، والذى طال اختفاؤه وكانت تعشق خضر ، وتطمع ان تناله ، وحاولت اغراءه وتطمع ان تناله ، وحاولت اغـــراءه وهى مع شقيقه (بكر) ، فلما فشلت ·· ادعت ظلما انه راودها وانها استعصمت ، ونقلت ذلك فى طبق من الدموع المزيفة الى زوجها الذى حاول فى ثورته أن يقتل اخاه ·· وتدور الايام ، ويختفى الزوج (بكر) هربا من الديون ، والخراب ، ويتقدم (خضر) فى شهامة ، ونخوة ليحمل العبء عن (رضوانة) ينفق على ابناء اخيه ، ويكفل لهـا بكل ما يجعلها تحيا حيـاة طبيعية ·· وتطول الغيبة ، وبين الحين والحين ترسل (رضـوانة) الشكر الى (خضر) ، وهنا تتعالى الهمسات ·· ان (خضر) ، و (رضوانة) سوف يتزوجان لكى تزيد قصة حبهما القـديم توهجا ، واذن فالزوجة الخائنة تبرت غيبة الزوج الغادر ، وانسكبت الشائعة فى الحارة ، على السنة النساء ، ثم مع فناجيل القهوة فى الشارع ·· ويسمع جميع الاطراف ·· ويثور (ابراهيم الشوبكشى) الذى يعمل وكيلا (لخضر) ، وهو شقيق (رضوانة) فى نفس الوقت ليضمر فى نفسه امرا ··

ويبدأ المشهد بلقـاء عاصف بين (خضر) و (رضوانة) فى منزلها ·· وتعترف هى بأنها ظلمته سابقا لكنه يغلق الماضى بلا عنف ·· فتقول :

ـ لا احد يعترف للعواطف بحق ·· ولو كانت صادقة !··

ثم يعترف هو ·· انه كان يحبها ، ومـازال ·· لكن الموقف تغيـر ·· (واستقر الصمت بارادة الطرفين فى وقار الليل ، وفى الصمت عزفت فى الاذان دقات القلوب) ·

لقد جاء متعـللا بانه يريد شراء الدار ، وهى تقول له (انه يعلم انها ملك (بكر الغـائب) الدار ملك (بكر) ، وهى نفسها مازالت ملك (بكر) الغائب الشقيق الذى هرب أو اختفى او نقل ·· ويرتبك لحظة او لحظات ، ثم يقول (لابد اننا سـوف نجد حلا) ·· وترد هى (على الاقل لاكون فى خدمتـك) ·· فهل تخـدمه فى اسـتيلائه على الـدار المليئة بالتحف ؟ أم تخدمه فى تسليمه نفسها ·· هذه المرة على سنة الله ورسوله !

وتسكب زيارته لها النـــار على البترول فى الحارة ·· فيذهب اليها شـقيقها (ابراهيم الشـوبكشى) ويناقشها فتقول له أنهـــا اتصلت بالمحامى الذى قال لها ان فى وسعها أن تحصل على طلاق ، ويستقر فى اعماقه انها تسعى الى الطلاق لـكى تتزوج من (خضر) ، واذن فكل ما يدور على السنة الناس حقيقة ، وان العار قد لحقه لا محـــالة ·· ويرفض أن يفهم ، وترفض هى أن تعترف بخطأ لانها تسـعى الى زواج مشروع ، وتصرخ فيه انها ليست فى حاجة الى ولى امر ·· ويرد عليهـا بان المرأة فى حـاجة الى ولاية من المهد الى اللحد ·· ويطبق على عنقها فيقتلها خنقا ·· وهو ثمل بالعنف ·· نشوان بالقتل ·· يقوم بعمل طالما اشتاق اليه !

وينتصر كلام النـــاس ، ويتاكـد (لنجيب محفوظ) ان كلام النـاس هو الذى يخيف الناس ، وهو الذى يفرض عليهم احيانا الاخلاق ، وهو ما يسمى احيانا بالواجب ، واحيـانا بالعرف ، والناس جميعا يحترمونه ، ويعظمونه ، لانهم يخافونه ، ويعملون له الف حساب !

● هل يغنى الحذر عن القدر ··؟

والسؤال الذى يعد اكثر الحـاحا

دائما على الذين يعيشون فى منطقة الشرق الاوسط ، ونحن منهم لالف عامل وعامل ، تدخل فى صلبها النزعة الدينية التى تتحكم فينا جميعا ، ولكنه يدق أعماقنا بعنف ، و (نجيب محفوظ) واحد منا ، لابد انه تساءل كثيرا بينه وبين نفسه .. هل ياترى يستطيع الحذر أن يرد القدر ؟ وأن الجهود اذا ما كثفت ، وتكاتفت يمكن أن تدفع بالانسان الى مسيرة اخرى .. تجعله يتفادى الصدام بما كان يحتمه عليه القدر ؟

الجواب يسوقه (نجيب محفوظ) عندما يحاول (خضر) الذى راح يرعى أولاد (رضوانة) بأبوة مختالة ، بعد أن ماتت امهم على يدى شقيقها (ابراهيم الشربكشى) واختفى والدهم ، وشرد من بينهم (سماحة) وانضم كواحد من افراد عصابة الفتوة (القللى) طمعا فى أن تؤول اليه الفتونة حتى يعيد عهد جده (عاشور الناجى) ، وحاول (خضر) أن يتدخل ، فهو يخشى عليه من مصائر الفتوات ، ويخشى عليه من (القللى) نفسه .. فهو يحب ال (ناجى) لكنه يخاف انتزاع عرش الفتونة منه .. ولكى يستعيد ابن اخيه من خيوط العنكبوت (القللى) قرر أن يزوجه زيجة كريمة من أسرة تفرض عليه الاحترام .. وتقدم الى (محمد البسيونى العطار) يجس نبضه ، وسره أن يجده مرحبا ، ونقل الخبر فى شبه زفة الى ابن اخيه (سماحة) ، واذا به يقول له .. ان العرض تأخر أياما ، فقد خطب (مهلبية) ابنة كودية الزار (صباح) .. ويبتلع العم الاشواك ، ويعرف فى يقين أن الحذر لا يمنع القدر ، ولا يؤخره ، وانه كمواعيد ظهور الشمس ، وقدوم الليل ، وفصول السنة ، لا يتأخر ولا يتقدم عن موعده .. ويريد (القللى) أن يستذل (سماحة) فيأمره أن يذهب ليخطب له (مهلبية) ، وأن يحدد موعد الزفاف .. رغم انه جاءه يستأذنه فى زواجها .. ويرفض (سماحة) ذلك ، ويتفق مع (مهلبية) على الهرب .. لكن (القللى) يعلم بكل شىء ، وينقل (سماحة) ذلك الى عمه (خضر) فيقول له : (ما هو يدفع بك الى مأزق لا مخرج منه الا بضياع الكرامة أو فقدان الحياة نفسها) ، ويلوذ (سماحة) بالصمت فيعقب (خضر) بحزم ووضوح قائلا : (احذر أن تفكر فى أى نوع من المقاومة) كأنه القدر لا يعاند .. ولا يغنى الحذر منه أبدا .. يلتقى فى ظلمة الليل بـ (مهلبية) لكن أعوان الفتوة (القللى) يذبحون (مهلبية) ذبح الشاة ، أما هو فيستطيع الهرب ، والاختفاء فى مخازن عمه .. لكن كل أعوان (القللى) يشهدون أنه قتلها ، وأمها نفسها تشهد بذلك تحت ضغط (القللى) ، ويحكم عليه بالاعدام .. فلا يجد بدا من الهرب ، فهو مطلوب من الشرطة ، ومن (القللى) للقضاء عليه .. ويختفى بعد أن يزوده (عمه) ببعض المال ، ويلقى نفس مصير والده !

● هل الانسان .. ام مخير ؟

وقد يخدع الناس الهدوء الذى يبدو على الكاتب الكبير ، والبسمة التى لا تفارق وجهه ، الا حينما ينفعل لموقف معين أو لذكرى بذاتها .. الا

ان أعماقه لا تكف عن الفوران ، والدوران كثير يغلى ، وفى هذا الدوران ، والغليان تطفو الاسئلة الجادة الصعبة ، وتدفعه الى الاجابة أحداثا واشخاصا ، واقتدارا على المزج ، والخلط ، لا يجيده الا هو وحده دون بقيه الذين يمسكون بالاقلام ، وقد يجيب على السؤال الواحد اكثر من مرة ، ولكنه ليس تكرارا ، وفى اكثر من موضع .. لكنه باختلاف ، وخلاف فى البيئة ، ومكونات الاشخاص النفسية ، وتباين فى الثقافات المحصلة ، والمكتسبة ، يخضعها فى اقتدار لمقتضيات السياق الروائى دون تعسف .. يفيق القارىء من نشوة المتابعة او يصدمه بتصرف شاذ حسن او مساء من شخصية ينافى الفعل طبيعة تكوينها .. وفى النهاية يضع الاجوبة لاعتى الاسئلة التى تقلق ابناء ادم منذ الخليقة .. انظر كيف يجيب على السؤال الازلى .. هل الانسان مسير أم مخير ؟.. فى (الحرافيش) ، وبعد أن يظل (سماحة) هاربا ما يقرب من عشرين عاما ينتظر سقوط الجريمة عنه ، واعفاءه من العقاب بحكم القانون .. اقرأ معنا كيف كتب (نجيب محفوظ) الجواب ..

لم يبق الا يوم واحد .. صباح الغد وينتهى كل شىء .. سينطلق الى العمل لكى لا ينسى ، ولكنه عجز عن أى شىء الا معانقة الزمن ، عزيمته تتبدد وتتبخر ، ويقول بصوت مرتفع كأنما يستمد من ارتفاع الصوت قوة .

ــ سأبيت ليلتى هنا ثم اذهب مع الصباح الى البيت ..

ولكن تمردت أعصابه على حيلته ، هزئت بتعهده ، ارسلت أوامرها الى أعضائه فكفت عن العمل ، فلا طعام ، ولا شراب ، ولا حلم ، راقب قرص الشمس المتقوت فى السماء ، جفت اخر قطرة للصبر ..

سيبيت الليلة فى حضن أسرته .. وقذف بنفسه صوب الامل

كان يريد شيئا ، وكان الذى سجله القلم وسطره عليه فى الغيب غير الذى يريده .. ومن أجل ذلك تمردت عليه أعصابه .. هى ليلة لو أنه قضاها كما قضى السنوات الطويلة التى مضت .. لحقق حلمه فى الحرية .. وفى العودة الى أسرته .. لكن حتى يمضى فى الطريق المرسوم له . لا الذى رسمه ، ولكى ينفذ المكتوب عليه . لا الذى يريده لنفسه .. خانته عزيمته .. وقفز من المخبأ الذى كان فيه الى مصيره ، وذهب لا صوب الامل . كما كان يعتقد ، وانما صوب المصير الذى لم يكن يعرفه .. وتلك هى القضية . قضية المصير المجهول لنا جميعا ، ومع ذلك يريد كل منا أن يصنعه على هواه .. ذهب (سماحة) الى بيته ، الى زوجته .. الى أولاده .. ليجدها تعيش مع (حلمى عبد الباسط) المخبر بعد أن تزوجته .. وتفاجأ هى ، ويهم (حلمى) بالقبض على المتهم الهارب .. فيقذفه بحديدة .. يسقط مضرجا بدمها فى دمائه ، ويهرب من جديد .. فقد أصبح مطاردا فى جناية قتل تبدأ من الليلة .. تلك الليلة لو قضاها بعيدا لكانت نهاية عذابه .. لكن (نجيب محفوظ) يريد ان يجيب فى اقتدار ، وفى حزن ايضا على الانسان .. ان مصائرنا ليست بايدينا ، وان كل ما نبرع فيه من تخطيط او نضعه من حيل ، انما يؤدى بنا فى النهاية الى ما يراد بنا .. لا الى ما نريده .. وهكذا يؤكد دون أن يعلن .. ان الانسان مسير لا مخير !

الأدب العربى المكتوب بالفرنسية

البير قصيرى :

بقلم : محمود قاسم

انا مصرى منفي ، بشكل جبرى ، داخل لغة اخرى لايفهمها اغلب ابناء بلادى .

بهذه الجملة عبر البير قصيري عن حالة الاغتراب الادبى الشديد التي يعانى منها منذ ان كتب اول عبارة ابداعية فى حياته .. وهذه الجملة تعد مدخلا جيدا لفهم ادب البير قصيرى بصفة خاصة والادب العربى المكتوب بالفرنسية بشكل عام .



البير قصيرى .. واطلالة على النيل

وفى اعتقادنا ان مسالة اللغة التى يستخدمها الكاتب العربى فى التعبير ، ستظل محل نقاش الى أمد طويل دون حسم . حتى لو كانت هذه الكتابات من تاليف مبدع جيد من طراز قصيرى .

ومشكلة قصيرى فى الاغتراب تكمن فى عدة نقاط . ليس من بينها فقط اللغة الفرنسية التى يكتب بها ادبا عربيا . بل أيضا قلة أعمال الكاتب . رغم ان هذا ليس مقياسا للحكم على كاتب واهميته . بالاضافة الى عزوف الكاتب بشكل عام عن الانخراط فى الاوساط الصحافية ومصادقة صانعى الاخبار . حيث اختار الكاتب دوما ان يعيش على هامش الادباء ورجال القلم . مثلما اختار أبطاله على هامش المجتمع .

القاهرة لم تتغير .. بل انقلبت !

ومنذ أن بدأ قصيرى يكتب . اختار العمل الى جانب مجموعة من المفكرين الذين اضطهدهم المجتمع بشكل تعسفى مثلما حدث لجماعة «الفن والحرية» و «الخبز والحرية» ، ثم كتاباته المستمرة فى الاعداد القليلة من مجلة التطور . حيث ترجمت قصصه القصيرة على يد المترجم المبدع على كامل .

بالاضافة ان السينما عندما تناولت اعمال قصيرى فانها قدمت أفلاما اقل اهمية . مثل فيلم «شحاذون ومعتزون» الذى قام ببطولته جورج موستاكى عام ١٩٧١ . وفيلم «الناس اللى جوه» الذى قدمه جلال الشرقاوى عام ١٩٦٨ .

وقد ظل قصيرى فى حالات اغتراب وعزلة لتنسانيه ليس من الصعب الفصل بينها .. فعندما اختار أن يبتعد عن مصر . فان ذلك لم يجىء بمحض الصادفة . ولكن ذلك بدأ برحلة بحرية دامت عدة اشهر فوق سفينة تجارية مصرية تحمل اسم «النيل» . وعمل قصيرى فوق السفينة كبحار غير محترف .. وعرف الموانىء .. واختلط باقوام كثيرين .. قبل أن يختار باريس محطة نهائية للاقامة ..

● اوليس المصرى .. تائه

ورغم أن قصيرى اختار باريس .. ورغم صداقته للعديد من رجالات الادب الفرنسى فى الاربعينيات والخمسينيات . فان قصيرى لم يسع قط ان يوطد انتماءه الى الثقافة الفرنسية .. لا فى ازمنتها أو اماكنها حيث ظل لسنوات طويلة ينتقل بين الغرف الصغيرة فى فنادق حى مونمارتر .. وحتى الان ، وبعد نيف واربعين عاما من الاقامة فى المدينة . فانه لم يسكن خارج جدران هذه الفنادق البسيطة .. كما ان الكاتب لم يفكر قط فى ان يغير من هويته المصرية .. حيث ظل يحتفظ ، حتى الان ، بجنسيته المصرية .. وبجواز سفره الذى سافر به من القاهرة فى عام ١٩٤٥ .

وفى باريس ، يعتبرون الكتاب الذين يكتبون بالفرنسية ، فرانكفونيين ، غرباء دائما .. وذلك بحكم اللغة والثقافة . ومن هؤلاء جورج شحادة ، والبير قصيرى ، واندريه شديد ، وجويس منصور من مصر .. ومنذ عدة اشهر اجرت مجلة «اكسبريس» موضوعا عن «باريس فى عيون الغرباء» .. واختارت المجلة ان تتعرف على اراء الكثيرين من

البير قصيري :

هؤلاء الكتاب الذين اعتبرتهم ، شاءوا ام ابوا ، غرباء ..

كل هذا يوضح مدى التضارب الذى يعانيه الكاتب الفرانكوفونى من حيث انتمائه للوطن . وللثقافة .

ولا شك أن قصيرى عاش طوال تلك السنوات اشبه بأوليس الذى يتجول بين الموانىء . فلا يجد بنيلوبى التى طال بحثه عنها .. وبنيلوبى الكاتب موجودة فى مدينة القاهرة . التى ولد بها فى الثالث من نوفمبر عام ١٩١٣ . وبحثا عن هذه المرأة الخيـــال ــ بنيلوبى ــ كرس قلمه من اجل هذه المدينة . وما يحدث فى أروقتها . وعن البشر المنسيين فى حواريها ومقاهيها ودروبها . لذا كان عنوان مجموعته القصصية الاولى عام ١٩٤٦ هـــى « بشر منسيون » .. وفى هذه المجموعة ثم فى كتبه الاخرى ، كانت شخوصه دائما من بين الذين اختاروا الحياة طواعية على هامش المجتمع . فهجروا رفاهيته الكاذبة . وامنـــوا بأن المحكومات فى كل الازمنة يجب عدم التعامل معها .. وعندما عجزوا عن التعامل مع هذا المجتمع اصـــابتهم حالات من التغييب المتعمد . فتعاطوا المخدرات ومارسوا القتل المجـــانى وحلموا بالهجرة الى طوبوية فاضلة .

● **سعد زغلول .. بالفرنسية**

وقد كتب قصيرى ثلاث روايات عن مدينة القـــاهرة ، من بين رواياته السبع ، التى لم يكتب سواها على مدار خمسين عاما ، هذه الروايات هى « منزل الموت الاكيد » ــ طبعت بالفرنسية فى القاهرة فى عام ١٩٤٧ ثم « شحاذون ومعتزون » عام ١٩٥٥ . و « كسالى الوادى الخصيب » . اما روايته « العنف والسخرية » فتدور احداثها فى مدينة دميـــاط . وهى المدينة التى نزح منها ابوه قصيرى الى العاصمة وعن مدينة الاسكندرية كتب المؤلف روايته قبـــل الاخـــيرة « مؤامرة على بنك » ..

اما الرواية الوحيدة التى كتبهـــا قصيرى بعيدة فى احداثها عن مصر . فلم يبتعد فيها كثيرا عن وطنه العربى وهى « طموح فى الصحراء » التى استوحى وقائعهـــا من زيارته لدولة الامارات العربية المتحدة .

ومن واقع المجتمع اختـــار قصيرى نماذج شخصياته الروائية .. وقـــد حدثنا اثناء جولاته المتعددة فى القاهرة ان ابطال روايته « شحاذون ومعتزون » قد عاشوا فى مصر فى الثلاثينيات . وكان يلتقى بهم دائما فى مقهـــى الفيشاوى فى حى الازهر .. وخاصة شخصية الشاعر يكن . وهو شاعر شعبى يكتب الازجال . وكانت لـــه شعبية واســـعة تماثل شعبية بيرم التونسى . ولذا فقد عرف الســـجن والفقر . وهام عشـــقا بأزقـــة الازهر وحوارى المدينة .. وابنائها الفقراء . وكان يكن يعانى من املاق شـــديد وكثيرا ما سطا على اموال امه الفقيرة من اجـــل قوت يومه .. وكان يكن نسخة قريبة من قصيرى . فرغم ان لامه بيتا فى القـــاهرة . فانه كان يتخذ من غرف فنادق شارع كلوت بك مســـكنا له ينتقل بين اروقتها .. وامرتها المليئة بالحشرات والرطوبة .

وقد سافر يكن ، فيما بعد ، الـــى باريس ، والف كتابا هاما عن الزعيم سعد زغلول باللغة الفرنسية .

اما شخصية الكردى . فهى حول موظف الحكومة المتمرد ، الذى يتردد على احد بيوت الهوى من اجل امرأة يهوى جسدها .. وهو يدعى النضال من اجل الفتاة نايلة .. لكنه ابعد

ما يكون عن التمرد الحقيقي ..
ومن الصعب حصر العالم الرحب الذى عبر عنه قصيرى ، بصفة خاصة فى هذه الرواية فى مقال واحد . لذا يهمنا ان نربط بين قصيرى الذى ادهشنا ونحن نطالع روايته حين قرأناها للمرة الاولى وبين ذلك الرجل الذى جاء لزيارة القاهرة فى مارس الماضى .

فى رواية « شحاذون ومعتزون » وقف جوهر ، استاذ الجامعة الذى اختار أن يستقيل من وظيفته احتجاجا على تفاهة المناهج وسذاجتها ، يحادث احد الشحاذين . لم يكن لدى الرجلين ما يتبادلاه سوى النكات السياسية . وجاءت نكتة الشحاذ كالاتى « منذ أيام فى احدى القرى الصغيرة بالدلتا ، واثناء انتخابات العمدية ، عندما فتح موظفو الحكومة الصناديق ، لاحظوا ان أغلب البطاقات تحمل اسم برغوث . ولم يكن الموظفون يعرفون هذا الاسم . فهو ليس مذكورا فى قائمة أى حزب من الاحزاب . مما اثار جنونهم . ورجعوا الى المصادر ليكتشفوا ان برغوث هذا هو اسم حمار يلقى احتراما كبيرا لرجاحة عقله فى القرية . وقد صوت اغلب السكان من أجله .. » .

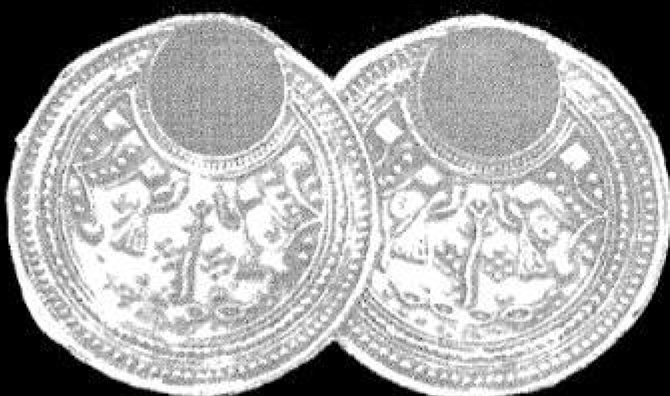
ترجع هذه النكتة فى تاريخها ، حسبما كتب قصيرى ، الى عام ١٩٣٩ وقد دونها فى روايته . أما حين التقيناه فى الاسبوعين الماضيين فقد راح يروى نكتة جديدة ، عن غير عمد ، ذات رائحة سياسية ايضا . وهو لم يؤلف هذه الرواية ، بل نقلها عن واقعة شاهدها بنفسه فى ميدان التحرير حين كان يعبر احدى اشارات المرور . وعند الاشارات تبدو العلاقة بين الناس والحكومة واضحة ... فالتفاهم مقطوع بين الطرفين . حيث يمشى الناس على هواهم دون مراعاة للاشارات التى خصصتها الحكومة للناس . وفى الاشارة وقف الشرطى مغلوبا على أمره لا يستطيع ان يفعل شيئا لتلك المرأة التى أصرت ان تخترق كل حواجز عبور المشاة . وهنا صاح أحد العابرين قائلا للشرطى ساخرا : « خذ نمرتها .. خذ نمرتها » .

تنتمى هاتان النكتتان فى جوهريهما وأيضا لغتيهما الى البيئة المصرية . واذا كان الكاتب قد صاغ نكتته الاولى فى لغته الفرنسية التى يجيدها . فانه راح يروى القفشة الثانية باللغة العربية . اثناء زيارته الى منطقة الازهر الشريف . وهى المنطقة التى ارتوت فيها ذكرياته بحنين جارف لا ينتهى . حيث راح يمسح بعينيه ذكريات الماضى الماثلة فى قهوة الفيشاوى . لقد ارتاد المكان ، منذ ان رحل قصيرى عن مصر ، ملايين الاشخاص . ومع ذلك توقع ان يلتقى هناك بكل من الكردى وجوهر .. ويكن .. وايضا بالضابط نور الدين .. الذى استقال من وظيفته كي ينضم الى زمرة هؤلاء الشحاذين المتكابرين .

وطوال رحلته الى منطقة الازهر ، كان الديب قصيرى يشعر بالاختناق . لان المدينة الحالية تختلف تماما عن القاهرة التى عشقها . لقد جعل الزحام الناس اكثر لهاثا . واكثر ابتعادا عن بعضهم البعض رغم التصاق جلودهم فوق الارصفة وداخل المركبات العامة . وايضا فى مقهى الفيشاوى المليئة بالمرايا .. كان ذلك يضفى على المكان اتساعا فيما قبل . اما الان فانه يجعل المرء يحس بمدى ضيق المكان . حيث تزيد حدة الازدحام بشكل واضح .

وعلق قصيرى قائلا : « لسمح من الغباء أن اتصور أن القاهرة لم تتغير طوال أربعين عاما . لكن هذه المدينة لم تتغير . لقد انقلبت على نفسها » .

زى من «حماه» ويلاحظ الشبه بينه وبين ازياء سيناء وفلسطين .. ثم بلورة من «الهنود الحمر» اهدتها امريكية لمتحف رعاية النمر



رعاية النمر

فنانة احبت تراثنا الشعبي وعاشت من اجله

نجوى صالح

● تصوير : فاروق عبدالحميد ●

من امتع الفنون نراها ، تلك التي يعايشها الانسان ، وتكون دائما في متناولنا ، نراها في كل لحظة ، ونتعامل معها .. وهذا ما نشهده في المتحف الذي اقامته الفنانة رعاية النمر بشكل دائم في بيتها ، سوف ترى حينما تشاهده .. فسلة ، صندوقا ، فستانا ، مسبحة ، مطحنة بن ، ربطة راس ، عقد فضة ، ثوب عرس ، طاقية موشاة ، اطباقا ، وملاعق ، واكوابا ..



رعاية النمر

فنانة احبت تراثنا الشعبي
وعاشت من اجله

● ومتحف رعاية النمر من المتاحف الشعبية النادرة فى الوطن العربي القائمة بجهدها الخاص بمنزلها بقرية « الحرانية » بالجيزة ، وحرصت على ان يضم الازياء الشعبية ، وبعض الصناعات والحرف التقليدية الشائعة فى واحات وصحراء مصر والعديد من الدول العربية التى زارتها الفنانة على مدى ثلاثين عاما ٠

عقد من النوبة



وهذا المتحف يعد بمثابة قراءة صريحة لتاريخ الشعوب بتلقائية وعفوية ٠

وقد جاء هذا المتحف بعد رحلة عاشتها الفنانة ، تعشق الاشياء ولا تبددها ، بل انها تجعلها جزءا من تكوينها ، انها ليست كمن يبددون الاشياء ، بل تحتفظ وتعشق كل ما تطوله يداها ٠

بدأت هوايتها فى جمع الوحدات الشعبية ودراستها منذ الصغر ، واتجهت الى دراسة الفنون الجميلة ، حيث تخرجت فى معهد التربية الفنية، وبعدها اتجهت الى العمل الصحفي ، ثم عملت بمركز الفنون الشعبية ، وكان من بين عملها انشاء متحف للفنون الشعبية وجمع النماذج المتميزة من مختلف محافظات مصر ، وحرصت خلال عملها علىتعلم الاسلوب العلمى فى دراسة هذه الفنون ، واختيار النماذج المناسبة منها وتوثيقها ، وكان عملها فى الثقافة الجماهيرية بعد ذلك ذا فائدة جيدة لها ، حيث استفادت من تنقلاتها بين قصور الثقافة الجماهيرية ، واهتمامها المركز بهذا الميدانلتستكمل مجموعتها من نماذج الفن الشعبى ، وعلى مدى اكثر من ٢٥ عاما كان حصيلة متحفها الخاص الوانا من الفنون الشعبية سواء كانت ملابس أو صناعات يدويةالى الحد الذى جعل مقتنياتها من أندر ما نراه فى المتاحف المتخصصة فى التراث الشعبى ، بفضل دأبها وحبها للاقتناء الذى كان محور حياتها منذ طفولتها حتى الان ، فضلا عن انها تحب البسطاء من الناس وتنحاز اليهم ، وتحترم ما يصدر منهم من فن وحس جمالي متدفق يتسم بالتلقائية ٠

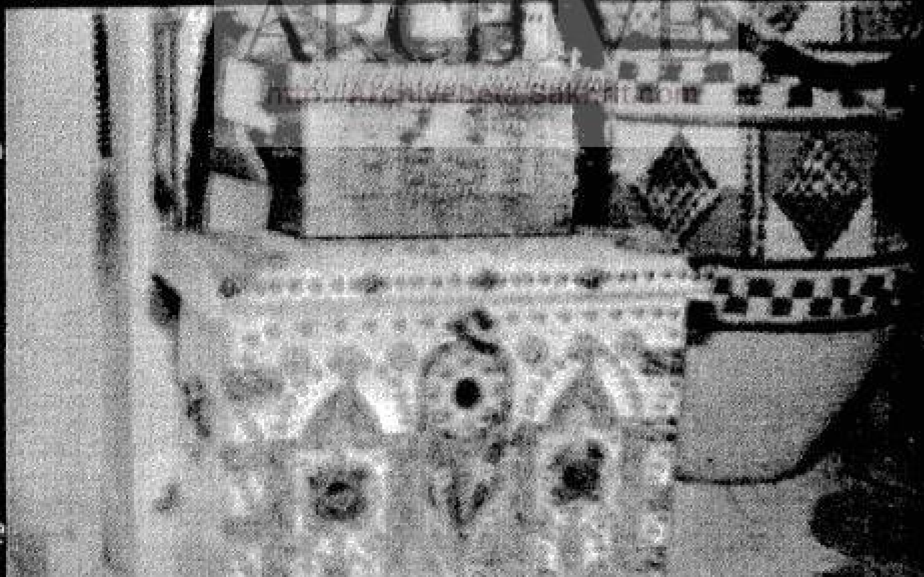


جزء من متحف رعاية النمر .. وتوليفة من التراث من البلاد العربية



حلى للرأس من العراق والمغرب واليمن

الصندوق التقليدي الكبير من تركيا والصغير من البحرين





رعاية النمر

فنانة احبت تراثنا الشعبي وعاشت من اجله

● البحث عن جلود الفن

ومن خلال رحلتها مع الفن الشعبى ، وتلك المقتنيات التى يضمها متحفها فاننا نقف أمام نموذج رائع يعشق كل ما يمت الى شعبنا العربى بالاصالة .

فى خلال رحلتها الفنية نجد أن المتحف الذى أسسته فى مركز الفنون الشعبية التابع لوزارة الثقافة لم يتسع ولم تضف اليه نماذج جديدة بعد أن تركته رعاية النمر عام ١٩٦٦ وتعمل فى متحف المسرح ثم الثقافة الجماهيرية ، كما انضمت الى اول جمعية أسسها د. عبد الرزاق صدقى الذى كان يشغل منصب وزير الزراعة فى ذلك الوقت ، وكان من هواة جمع التراث ، وبنات الجمعية فى عمل رحلات الى مناطق نائية فى محافظات مصر ، لجمع الاعمال الفنية التلقائية ، وهى أعمال تندرج تحتها الصناعات التقليدية ، والحرف والتى تعد بمثابة فن متوارث ليس له مؤلف ، ولكن هناك اضافات بشكل مستمر ومتصل من الحرفى الى تلك الاعمال الفنية واكتسبت رعاية النمر خبرة كبيرة فى هذا المجال .

وتمنت أن تتحقق فكرة الدكتور ثروت عكاشة فى الستينيات بأن تقام عند الاهرامات مدينة فنية تضم جميع الحرف الشعبية فى مصر ، حيث يقوم الحرفيون بأداء حرفهم اليدوية أمام السائح ، ويقام بجانب « تلك المدينة متحف للفنون الشعبية المصرية ، بالاضافة الى معارض خاصة للبيع .

وتقول الفنانة فى هذا الصدد : اننى أعتقد أن هذه الفكرة كانت صائبة للحفاظ على تراثنا الشعبى ، فضلا عن ترويج تلك الصناعات التقليدية ، ونرى ذلك فى الهند والتى تضم مدينة على هذا الغرار .

ولهذا فان حبى للحرف الشعبية والاشغال اليدوية ، دفعنى لتعلم كيفية جمع التراث وترقيمه ، وعمل أرشيف خاص تصور فيه كل قطعة ، ويتم ترقيمها وعمل وصف دقيق لها ، والخامة التى استخدمت فى صنعها ، ثم اسم العمل الفنى وتوظيفه ، وفى اى مناسبة يستخدم ، وقد نقلنا وسيلة الجمع والتوصيف من متحف رومانيا .

● هواية جمع الاشياء

كان عشق رعاية النمر لجمع التراث هو شغلها الشاغل .. تقول : « بعد أن تركت مركز الفنون الشعبية بدأت أسافر الى عديد من البلاد العربية والى أماكن متفرقة من العالم على نفقتى الخاصة ، ومن البلاد العربية جمعت مجموعة فنية لا بأس بها وخاصة من رحلتى الى اليمن ، وهذه البلاد ثرية — بشكل خاص — فى صناعاتها اليدوية التى تتسم بالقيمة الفنية والجمالية العالية ومن المعروف أن هواية جمع التراث من الهوايات المكلفة ، فكثير من القطع الفنية تصنع من خامات غالية الثمن، كالحلى المصنوعة من الذهب أو الفضة أو العاج أو الصدف والمرجان وغيرها ، مما يقتضى أن اقتطع من قوتى لاشباع تلك الهواية المكلفة بالاضافة الى السفر المستمر ، من أجل اقتناء قطع جديدة وقد كلفنى هذا الكثير .. ولا انكر ما قدمته لى



زى من سيوة .. وركن من المتحف

بعض الجهات الرسمية وبعض الافراد من قطع نادرة ٠

● وحدة الفن .. عربيا ..

وفي الثمانينيات اقتطعت جزءا من منزلنا ، واقامت عليه مبنى على الطراز العربي بقرية الحرانية ، التي اخترت موقعها لتكون ضمن مناخ متكامل مع مجموعة الفن الشعبي ٠

ويضم هذا المتحف نماذج للملابس والحلى ، وصناعات الخزف والفخار والنسجيات وصناعات الخوص والقش وتشكيل النحاس والمصنوعات الجلدية ، وقامت الفنانة بهذا المجهد المضني وحدها ، وشاركت فى عديد من المعارض والمهرجانات ومن بينها مهرجان بغداد للازياء الشعبية فى ابريل ١٩٨٦ ، وفى مهرجان الشباب للفنون الشعبية باسبانيا فى سبتمبر ١٩٨٦ ٠

وخلال رحلتها مع هذا الفن التلقائى ومعايشتها للفنون الشعبية فى البلاد العربية اكتشفت انها تتضمن نوعا من الوحدة فى الذوق العام ، لاتعترف بالحدود السياسية ، بل انها تستنتج من هذه الظاهرة وجود وحدة فكرية ، ووحدة المزاج العام للشعوب العربية ، تمثل اساسا مناسبا ، وتشير الى امكانية تحقيق درجات اخرى من الوحدة العربية فى عصرنا الراهن ٠

ومتحف رعاية النمر هو الوحيد فى مصر ، الذى يضم هذا الكم الكبير من التراث المصرى والعربى ، والذى





مجموعة من البراقع .. وزى كامل من سيناء

مجموعة من اغطية الراس .
من باكستان وتركيا والمغرب

يؤكد على وحدة الموروث الشعبى العربى ، وهذا يجعلنا نطالب بضرورة تبنى هذا المشروع والذى يعتبر نواة لعمل متحف للفنون الشعبية ، ويمكن أن تقيمه وزارة الثقافة في بعض الغرف الخالية بدار الاوبرا ، على غرار المعرض التشكيلي الدائم ، وليمكن لجمهور الاوبرا مشاهدة هذا اللون المحبب من الفنون الشعبية المحلية مصريا وعربيا ، ويمكن أن توجه الدعوة لمحبى هذا الفن للتبرع بما لديهم من مقتنيات حتى يكون على المستوى الذى ننشده ولا شك أن اقامة مثل هذا المتحف سيكون عنوانا على مدى تقديرنا لفنوننا الشعبية التى تضم نماذج من الملابس والحلى وصناعات الخزف وغيرها .

ان فكرة من هذا النوع حرية بأن نحترم هذه الفنانة ، التى لم تقتصر على عملها ، بل صممت على مواصلة الجهد وحدها ، وبمفردها ، ايمانا منها بضرورة الحفاظ على تراثنا ، وهذا ما يجعل مثلها يتميز بالتفرد وعشق العمل ، وذلك ما ينبغى أن نغرسه فى نفس كل مواطن يحب وطنه ولنصل الى سمو الافكار النبيلة التى تؤكد القيم الجمالية فى حياتنا .

حوار الاضواء

فى معرض محمود بقشيش

بقلم : د. صبرى منصور

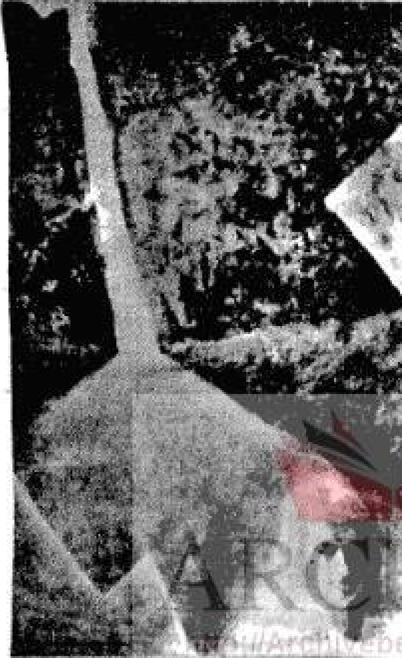
اقام الفنان محمود بقشيش خلال الشهر الماضى معرضا ضم احدث اعماله فى الرسم والتصوير ، متناولا فيها موضوعه المفضل خلال السنوات الاخيرة .. البيوت البدائية ذات التركيب المعمارى البسيط ، والصحراء بوديانها الممتدة ، وكثبانها المتموجة ، ولقد اكتسبت معالجته الفنية فى تلك الاعمال صيغا جديدة ، اعتمدت على والتضاد بين العناصر الفنية ، والتى تتمثل فى الصراع بين الضوء والظلام وفى التكوين الذى يميل نحو التجريد لكنه يحتوى عناصر تشخيصية واضحة، وكذلك فى الحوار بين الالوان الساخنة والباردة .

ولقد ظل الاهتمام بعنصر الضوء ملازما للفنان محمود بقشيش منذ بداية تجربته الفنية ، وفى معرضه الاخير يقدم لنا الفنان ضوءه الاخاذ، مخترقا ظلام اللوحات ، متخذا سمت البطولة ، ومتسيدا كل العناصر . ولا شك فى أن للضوء دورا اساسيا فى اللوحة التصويرية ، فعن طريقه تتكون الالوان ، وتتجسد الاشكال ، وتخف او تثقل العناصر ، كما أن للضوء اهمية فى الايهام بالبعد الثالث ، وهو يخطف البصر ويفجأه حين يكون مبهرا مناقضا للظلمات المحيطة ، او يضفره حين يتدرج فى نعومة ورفق . كل تلك العوامل احاط بها الفنان بقشيش ، واعمل فكره فيها ، ومن هنا كان تعامله مع عنصر الضوء مدركا لكل هذه العوامل ، فجاءت اعماله معبرة أصدق التعبير عما يمكن ان

يخلقه الضوء من اثارة بصرية للمتلقي سواء كان ذلك الضوء انعكاسات براقة كالشهب تلمع وسط الظلام (كما يتضح في حواف الفتحات الداكنة للمنازل والاشكال) ، أو كان ضوء الصحراء القوي وقد تناثرت عليه كتل البيوت المظلمة ٠

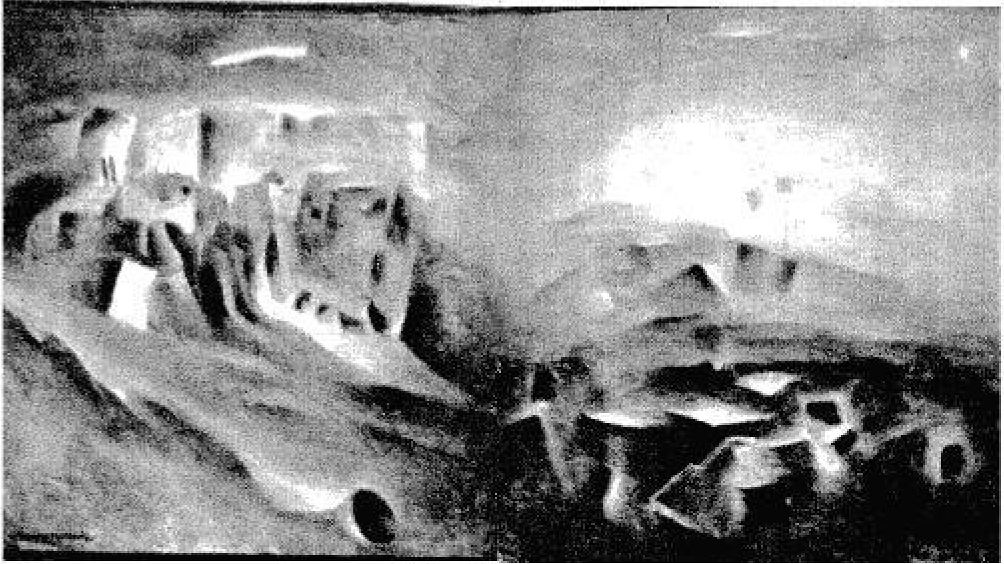
اما الحوار الثاني في اعمال الفنان فقد كان بين التجريد من خلال المساحات المبسطة التي تتداخل وتتآلف دون أن تفصح عن كنهها ، وبين العناصر المغرقة في التشخيص والتمثيل الطبيعي ٠ والفنان هنا يحاول أن يجد صيغة للتوفيق بين الاتجاهين ،ويرفض أن ينحاز كليا لايهما ٠ وهو من الفنانين القلائل الذين يمتلكون شحنة تعبيرية ، وموضوعات انسانية ذات دلالة ومعنى ، وصفته ككاتب قصص مازالت ماثلة ٠ وهو في نفس الوقت لديه من الحساسية الفنية ما يجعله واعيا بأهمية الجوانب التشكيلية وتفوقها على الجانب الادبي في التصوير ٠٠ وتلك المعادلة نعتقد أن الفنان قد جعلها محورا هاما من محاور تجربته الفنية ، وملامح تميزها بين التجارب المختلفة على ساحة الحركة الفنية التشكيلية المعاصرة في مصر ٠

اما الحوار الثالث في معرض بالشيش فقد أجراه بين الالوان الساخنة والالوان الباردة ٠٠ ولقد ظلت مجموعته اللونية لفترة طويلة تميل الى الرماديات ثم استهوته مجموعة الالوان الزرقاء بدرجاتها المختلفة ٠٠





وفي معرضه الاخير انضمت الى قائمة مجموعته اللونية طائفة الالوان الساخنة ٠ مثل الاصفر والبرتقالي والاحمر ٠٠ وأجرى الفنان حوارا بين المجموعتين هو اقرب الى الصراع والتصادم ٠٠ ونحن اذا اضفنا الى قوة هذا التضاد تأثير الضوء المبهر في اللوحات لادركنا سبب هذه المتعة البصرية المتعة الناتجة عن الالتقاء بأعمال الفنان في معرضه الاخير ٠




ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المتشرد الخالد..

مائة عام

بقلم : مصطفى درويش

لو لم يجئه الموت ليلة عيد الميلاد المجيد قبل اثنتين وعشرين عاما او يزيد ، لكان له فى منتصف الشهر من العمر مائة عام .
والغريب ان ثمة اختلافا حول يوم ميلاد هذا المتشرد الصغير الذى يسير فى الافق وحيدا ، مرتديا قبعته الطاسة ، وحذاءه المرتخى الكبير محاكيا مشية البطة او طيرا من هذا القبيل .

● فهذا اليوم حسب الاعلان عن مولده ببيان الى الناس نشر فى مجلة « الماجنت » اللندنية بعددها الصادر فى الحادى عشر من مايو لعام ١٨٨٩ هو الخامس عشر من شهر ابريل .

اما اذا رجعنا الى مؤلفه الضخم الذى ضمنه سيرته تحت عنوان « قصة حياتى » فسنجده مستهلا لها على الوجه الآتى .

● **الاقدار الساخرة**

« ولدت فى ١٦ ابريل ١٨٨٩ ، الساعة الثامنة مساء » .

والاغرب أن يجىء مولده فى نفس السنة ، بل وفى نفس الشهر الذى ولد فيه « ادولف هتلر » .. ، .. والا يكون ثمة فرق بينهما فى السن سوى بضعة ايام ، فالاخير « هتلر » يصغر « شارلز سبنسر شابلن » بخمسة ايام فقط لا غير .

والاكثر غرابة ان تلتقى حياتهما ، وهما فى سن الخمسين ، لا فى الواقع ، وانما فى الخيال عندما تقمص « شابلن » شخصية « هتلر » فى واحد من اكثر افلامه جرأة « الدكتاتور العظيم » .

وفى وقت كان كلاهما فى أوج المجد ، الاول اشهر فنان فى العالم يأسر بمتشرده الخالد قلوب الملايين والثانى اشهر طاغية يتوعد الانسانية بحكم استبدادى لو كتب لجيوشه أن تنتصر لدام الف عام .

وشهرة شابلن العالمية قد اكتسبها ـ والحق يقال ـ فى تاريخ سابق على اكتساب هتلر لها باكثر من خمسة عشر عاما ، لا بفضل دسائس


10

المتشرد الخالد ..

ومؤامرات دموية ، وانما بفضل لقاء نادر .. لقاء الحظ بالعبقرية ..كيف؟

● اللقاء السعيد

فى الثامن والعشرين من فبراير لعام ١٩١٤ ــ أى ولشابلن من العمر خمسة وعشرون عاما ــ جاء استديو « كيستون » بهوليود نبأ من « فينيس »

شارلى شابلن الستينيات



فى ضواحى « لوس انجلوس » مفاده ان ثمة سباقا لسيارات الاطفال .

وطبعا سارع « ماك سينيت»ساحر السينما الضاحكة الصاخبة وصاحب الاستديو الى استدعاء « شابلن » الممثل الناشىء ، طالبا اليه أن يبحث عن ملابس هزلية يتسكع بها ــ وهو مرتديها ــ امام الكاميرا ، وهى تصور ذلك السباق

وهمست الاقدار فى أذن « شابلن » أن يتوجه الى ثلاثة من زملائه فى الاستديو وهم « ارباكيل » المشهور بالسمين و « مارك سوين » و « فورد سترلنج » ، فيستعير من الاول سرواله الواسع الفضفاض، ومن الثانى شاربه القصير الصغير ، ومن الاخير حذاءه المرتخى الكبير .

وما لبثت الاقدار أن أخذت بيده ظهر نفس اليوم الى مخزن للملابس بالاستديو حيث اختار قبعة طاسة ومعطفا ضيقا وعصا .

وهكذا ، وبفضل هذه الملابس ، وبفضل هذا الشارب والعصا خرج الى النور متشرد شابلن الذى سيكتب له الخلود فى عالم الأطياف .

● مولد متشرد

ونحن لو رأينا « سباق الاطفال فى فينيس » ــ وهو ثانى افلامه ــ ولم نكن على علم بانه لشابلن لتعرفنا عليه فور ظهوره على الشاشة البيضاء ولاحسسنا أن أمامنا بعضا منه،هذا البعض الفوضى الذى لا هم له الا المشاغبة والمداعبة والسخرية من رجال الشرطة والمصورين والاطفال المتسابقين .

ولو اتيحت لنا فرصة مشاهدة فيلمه الرابع « بين الامطار » لظهر امامنا المتشرد شابلن بملابسه الرثة

المزقة ، وهو يتعارك مع رجل متواجه متأنق من أجل شمسية وقلب حسناء .
فاذا ما فاز بالاثنين معا ، رأيناه يستدير فجأة ، يمشي مشية البطة مبتعدا والشمسية بيمينه وظهره الينا نحن المتفرجين .
ولاستطعنا ـ بعد هذا المشهد ـ أن نقول وكلنا ثقة .. .. لقد رأينا مولد شابلن بتكوينه الخارجي ، بظاهره الاسطوري الذي يظل متواصلا دون انقطاع الى أن تمر الانسانية بمحنة حربين عالميتين .

والحق ، انه ما كان في امكان « شابلن » أن يكتمل مظهرا وروحا خلال السنة الاولى من عمره السينمائي .
فهو كان يعمل عند مكتشفه « سينيت » .
وهو كان مطالبا بأن يمثل ويخرج فيلمين من ذلك النوع المضحك الذي عرف تحت اسم « كوميديات كيستون » وفي مدة لا تزيد على سبعة أيام .
وهو كان ملزما باتباع أسلوب في

سنة اولى شابلن



المتشرد الخالد ..

الاضحاك لا يختلف فى كثير أو قليل عن أسلوب الشخصيات الاخرى التى تمثل فى افلام « كيستون » .. وهى افلام قوامهـــا المطاردات وتبـــادل الضرب بالعصى وبفطائر الكريم .

افلام تسخر من كل شيء ، تحطم ، تدمر ، تعربد فى ايقاع سريع صاخب، الى الجنون اقرب .

وعن طيب خاطر قبل « شـــابلن » المشاركة فى لعبة التحطيم والتـدمير والعربدة هذه .

ولعله بهذه المشاركة كان مستجيبا لصوت من الماضى يريد أن ينتقـــم ، بطريقة فوضوية ، لطفولته فى لندن ، وقت ان كان طفلا يتيما ، معـــذبا بالفقر .

● افلام شيطانية

« فشاز شابلن » ـ وهو الاســم الدعائى الذى اختير له بداءة ـ فى افلام سنة أولى سينما ـ على النقيض تماما من شابلن الرقيق ، الضعيف .

انه ممسوس بالشر والغضب ، يضرب بعنف الازواج ورجال الشرطة والاقوياء .. ولا يهزم أبدا .

وهو كسول ، محب للترف ،بخيل، سريع الغضب وفوق كل هذا جبان .

ولو جمعنا الافـلام التى مثلها « شابلن » الشاب خلال ســـنة أولى سينما لكونت كلا واحدا متجانسا ، سواء أكان هو الذى أخرجـــــها أم « سينيت» أم واحد من أعوان الاخير.

بل انها لو ضمت لبعضها البعض لخرج منها فيلم يدوم عرضـــه بضع ساعات .

ولامكن أن يطلق عليه « مغـامرات شاز شابلن البهلوانية » ذلك الاســم الذى اختاره الناقد « جورج سادول» عنـوانا لجميـع افلام شابلن فى سنته الاولى مع السينما ، وهو اسم يعبـر بحق عن جوهرها ، فهى لا تنهض الا بفضل حضوره السينمائى ومطارداته وبهلوانياته وحركاته التقليـــــدية الصامتة .

● التحرر كيف

أما الواقع الاجتماعى ونقده فليس فيها منه الا نزر يسير نراه أكثـــر ما نراه فى « حياته الرسيقية »حيث يجر شابلن وهو على منحدر تل،عربة تحمل بيـانو وكأنه حمـــار فقـير معبرا بهـذا المشـهد الاليم عن معاناة الرجل الصغير . غير أن هذا النغـم الانسانى خافت يكاد لا يسمع وكـان لابد لسماعه سائدا من أن يتحـــرر شابلن من عالم الاضـــــحاك غير الانسانى ، كما تتحرر الفراشة مـن الشرنقة .

أن يتحرر شابلن من المهرج الساخر من كل شيء المحطم المدمر لكـل شيء حتى يولد شابلن الذى نعرفه شابلن الانسان .

وعلى كل ، فمع فيلم « شـــارع الهوى » (١٩١٦) نستطيع أن نقول أن شابلن قد ولد من جديد .

ولو تتبعنا افلام «شابلن» اللاحقـة لهذا التاريخ لوجدناها تزداد عمقـا وانسانية على مر الايام .

● الحرب والسلام

وفى الحق ، فكل واحد منـــــها يستحق منا وقفة طويلة غيـــر أننى ساكتفى ـ لضيق المجـال ـ بالوقوف وقفة قصيرة عند فيلمين من مجمـوع ابداعه فيما بين « شارع الهـوى » و « الكونتيســـة من هونج كونج » (١٩٦٧) .

والفيلمان هما « الدكتاتور العظيم » ١٩٤٠ ، و « مسيو فيردو » ١٩٤٧ .

من المعروف أن « شابلن» قد تقمص في الفيلم الاول شخصيتين احداهما شخصية دكتاتور اسماه « هينكل » قاصدا به « هتلر » .

والاخرى شخصية حلاق من المستضعفين في الارض ينتهى الفيلم به حالا محل الدكتاتور ، مرتديا ملابسه العسكرية موجها الخطاب من المنصة بوصفه الزعيم الى شعب « تومانيا » (المانيا) .

وهو في خطابه هذا لا يعلن الحرب كما كان الزعيم مخططا وانما يعلن السلام .

والعجيب انه وكما اختفى الطاغية فجأة من فيلم الدكتاتور العظيم ، اختفى المتشرد هو الآخر من جميع ما اخرج شابلن بعد ذلك من افلام .

● القاتل الفاضل

وظهر بدلا منه بادىء ذي بدء « مسيو فيردو » ذلك الرجل المزدوج الشخصية الذى عبر به شابلن مجازا عن محنة الانسان المعاصر .

فهو رب اسرة فاضل يعول زوجة مشلولة وطفلا جميلا . وهو في نفس الوقت زير نساء يتزوج في الخفاء أرامل مسنات واسعات الثراء بغرض الحصول على ثرواتهن بعد التخلص منهن بالقتل حتى يتمكن من توفير وسائل الراحة لاسرته ، ويجعلها بمنجاة من الشقاء .

فاذا ما حكم عليه قريبا من نهاية الفيلم بالاعدام رأيناه، وقبل ان يذهبوا به الى المقصلة، يتوجه الينا بالخطاب ساخرا .

« جريمة قتل واحدة تصنع شريرا، وملايين الجرائم تصنع بطلا » .



دكتور .. ام حلاق

وقد يبدو انه ليس ثمة علاقة بين شابلن المتشرد وبين « فيردو » القاتل المحترف .

وفى الحقيقة فالاخير لا يعدو أن يكون استمرارا للاول ، ولكن في ازمنة اكثر اجراما ، ازمنة ما بعد كارثة هيروشيما .

بل انهما وجهان لشخصية واحدة، شخصية مبدعهما الذى اطل على العالم منذ مائة عام .

ولم يتركه الا وكان قد ترك في الفن السابع اثارا بعيدة عميقة ليس الى محوها سبيل .

أقصوصة

بقلم : عبد الحكيم قاسم

حالات الجسد



ركب عربة عسكرية يقودها جندي ، واثنان اخران يجلسان في المقعد الخلفي ، صامتين ملتبسي الوجهين بمشاعر غامضة . أمامه تسير ناقلة وقود ، هو في حراستها . يعرف أن طائرات العدو تغير على طرق النقل التي تسير عليها قوافل الامداد . ويعرف أن الفترة التي تمتد بين اغارتين عميقة الصمت وشديدة الاملال ، تفصل بين بأساء الحرب .. وهو بذلك يكره العدو حين يهجم وحين يتركه ينتظر الهجوم . لكن اى نوع من الكراهية تتملكه ..؟ ليست أبدا هي التي سودت قلبه يافعا وشابا في قريته البعيدة عن مرامي النيران .

الان يعرف جيش الاعداء ، يعرف افراده ، يرى وجوههم ، الايدى تحرك الات الهلاك ، الاجساد الغضة تردى بالرصاص وتطعن بحراب البنادق . المعرفة اذن حميمة ، كيف يقتلهم

ايضا ، ويخاف بالي الرعب ان يقتلوه ·

عربته العسكرية تسير خلف ناقلة الوقود ، يئز دواليب العربات في جوف الصمت · ثم الان ينقسم بين ازيز العربات صفير طائرة مغيرة · تنبه جسده · اليقظة تسري في عضله امشاجا مشاجا على قد الصفير الحلق · التفت الى جنوده الثلاثة، يسمعون ويقتم الوجود وتزم الشفاه وتضيق العيون· امامه تدب الناقلة · هل تارق سيرها ؟ والطريق آت من عمق سحيق ، مرسوم مجراه بالاسفلت ·· وحواليه فراغ من حوم بتلال الرمل · والصفير يجيء من خلف السحب، يرطم القمم الرملية ، ويتردد مضطربا لاصداء ·· تصلب جسده · انتباه · زفر · تحكم في المشهد على جانبيه وامامه · ياتي من خلف الناقلة ، يوغلان في الافق بطيئا · بنتفخ قلبه والمخ بالصفير من ثقبي الاذنين اللذين اتسعا بآلة الخرم المدوية · انقضت الطائرة وقفز الجنود ولحق بهم ، انبطحوا ·

دفن وجهه في الارض خلف نبتة جعضيض ملتفة · انفاسه تجذب له ريحها وذرات من الرمل الذي يربح عليه خده · تقبب راسه ، وعلت قبتها ، حتى لتصيبها رصاص الطائرة التي تحلق وتهبط في دورات متتالية · وقشرة راسه تعلو كل مرة لتستقبل الطلقات ، ترن في التجويف ، في كل جسده· لكن قدميه اوغلا في البعد ، مرحا في الافق من وراء ظهره ، فلا طاقة له على ان يحركهما ، ولا طاقة له على يديه ان يمدهما يستر بهما قمة راسه من القذائف ، والقذائف تنتشر ، تصيب كل خلية من خلاياه ، يحس بها ، يحس الوخز في كل واحدة على حدة· وسط الالم ، وسط كل هذه الضجة كان يحلم بما حصل ·

هجوم الطائرة كابوس يعاني منه الجسم· يرقبه في صفيرها خلف السحب ·· يشتد الصفير · انقضت · صرخ في جنوده ، ولحق بهم ، انبطح على الارض وفي اذنيه الضجيج ، وفي عينيه خيال الناقلة وجسمها مرشوق بالقذائف ، تميل من على الطريق وقد تخلى عنها سائقها وزملاؤه · تمضي مترنحة ، جراحها التهبت نارا ، حتى رست على تل من الرمال · صارت كتلة لهاية · متى تنفجر ···؟ والطائرة تذهب وتجيء ، وفي كل مرة تفرش الارض بوابل من الجحيم · ثم تنكشح ،يغيب صفيرها، ثم يسفر وجه الارض عن تشوهاته ، عن النار والدم ، عن البقايا من الحديد والاجساد · ثم يسفر وجه الوقت عن الانتظار الممل للغارة المقبلة ·

ثم قام ، وقام من حوله من بقي من جنوده ·· تامل حوله · مطروحون على الارض قتلى ومجروحون يتاوهون من الالم · انها تلك حالات الجسد . مقتول او مجروح ، او مسلم ، يعيش يرقب الضرب ·

• رأى فى الثقافة •

• شعراء جدد •

بعد متابعة متأنية لنتاج عدد لا بأس به من الشعراء المصريين الشباب اجد - الآن - المقولة التى روج لها البعض لفترة ، داخل مصر وخارجها ، بأن الشعر قد انتهى فى مصر ، هذه المقولة استطاع هؤلاء الشباب أن يجعلوها مجرد كلام فارغ ·

واذا كان المرء لا يملك فى مثل هذه الاشارة القدرة على الدرس أو حتى مجرد العرض ، فاننا ندعو السادة النقاد الى العودة لنتاج شباب الشعراء المصريين نفسه ، والوقوف أمامه ، فلابد انهم واجدون شيئا مذكورا ·

ولاننى متحيز بطبعى لمنحى معين فى الكتابة الابداعية فاننى اعتقد ان ماحققه كل من حسن طلب، محمد صالح، حلمى سالم ، محمد سليمان ، احمد طه ، جمال القصاص ، امجد ريان ، شادى صلاح الدين ، محمد بدوى ، منير فوزى ، عبد المنعم رمضان ، عبد المقصود عبد الكريم ، محمد عيد، وغيرهم ممن لابد نسيت اسماءهم فى هذه العجالة ، اقول أن هؤلاء الشعراء هم وجوه نيرة من وجوه الابداع الجديد والمتجدد فى وطننا الذى لا يكف عن العطاء ·

ولست قط من اولئك الـذين يتسولون السادة النقاد للالتفات للمواهب ، ولكنى اعتقد بأن أى ناقد يكف عن النظر الى كل جديد وحقيقى فى ثقافتنا فانما هو مجرد من اهم صفات الناقد الكبير ، الا وهى صفة العدل التى هى أساس النظرة الصحيحة لحركة التاريخ ·

عبده جبير

• ذكرى •

الذكرى المئوية لطه حسين فى مهرجانه بجامعة المنيا

اقامت كلية الدراسات العربية بجامعة المنيا مهرجانها السنوى هذا العام تحت شعار الذكرى المئوية لعميد الادب العربى طه حسين الذى يحمل اسم المهرجان ·

ونظرا لاهمية هذه الذكرى رشحت الجامعة الاستاذ الدكتور ناصر الدين الاسد وزير التعليم العالى بالاردن ليكون ضيف شرف المهرجان هذا العام ·

وقد دارت محاور ابحاث المهرجان حول ثلاث نقاط اساسية ·



د . طه حسين

١ - الفلسفة والادب .
٢ - فكر ناصر الدين الاسد .
٣ - جيل ما بعد طه حسين .

كما أعلنت الجامعة عن جائزة سنوية باسم « جائزة طه حسين » وقد رشحت لها هذا العام من القصاصين الكاتب المعروف ابراهيم اصلان ، وهي اول جائزة يتالها الكاتب من الهيئات العلمية في مصر .

الادبي والفني يرمز لها باسم « ابداع »

مهمة هذه المؤسسة الجديدة ستكون انتاج الاعمال الابداعية العربيــة والدولية وتوزيعها بالشكل الذي يحقق اهدافها في :

١ - التعريف بالحضارة العربية في مجالات الثقافة والاداب والفنــون والعلوم .

٢ - تنشيط وتشـجيع القدرات الابداعية للانسان العربي ، والعنـاية بالمواهب الشابة في مجـالات الابداع العلمي والخلق الفني ، ونشر انتاجهـا على أوسع نطاق في اطار فني راق ، يبرز الحس الجمالي العربي ويساهم في العملية التربوية بترسيخ الفــكر القومي ، وتنميــة الذوق الجمــالي والتفكير العلمي .

٣ - العمل على تأصيل الفــكر والثقافة العربية .

٤ - تعزيز التعامل باللغة العربيــة الفصحى بديلا للهجات المحلية .

• اشارات ثقافية •

مؤسسة جديدة للانتاج الفني

اعلن المجلس القومي للثقـــافة العربية ، الذي يتخــذ من المملكة المغربية مقرا له ، عن انشـاء مؤسسة جديدة للانتاج الفني الســينمائي والتليفزيوني والاذاعي والمسرحي باسم « المشاركة العربية لانتــاج الابداع

• ندوات •

مع ندوة « أدب الحرب » في العراق

اقامت وزارة الثقافة والاعلام العراقية ندوة عن « قصة ورواية الحرب » وذلك في الفترة من ١٥ حتى ١٩ فبراير .

وقد دعت الوزارة وفودا من كتاب القصة والرواية والمسرح من الاقطار العربية ، ولعل اكبر الوفود المدعوة عددا كان من مصر .

وفي قاعة « بابل » بفندق المنصور ببغداد ، افتتح وزير الثقافة والاعلام العراقي ، الندوة واستمرت على مدى يومين ببغداد تنعقد مرتين يوميا ، في جلسات استماع الى شهادات الكتاب والفنانين العراقيين الذين اشتركوا في الحرب ، اشتراكا فعليا كجنود مقاتلين وقد سجل عدد منهم تجاربهم في روايات وقصص قصيرة ودواوين شعر ، وحسب الكراسة الموزعة على اعضاء الندوة ، فان عدد الكتاب والفنانين العراقيين ثمانية وثمانون .

وليس من يكتب عن الحرب من منازلهم كمن يخوض لظاها ، وفي تراثنا الادبي فقد سجل « الشعر » حروب العرب مع الروم « الدولة البيزنطية » وفي هذه الحروب قال ابو تمام شعرا للخليفة المعتصم ، وقال البحتري شعرا للخليفة المتوكل وقال المتنبي شعرا لسيف الدولة الحمداني الا ان ابا تمام والبحتري قالا شعرهما من مجلس الخليفة ، ولكن المتنبي شارك في الحرب وذاق بشاعتها ، فجاء شعره يحمل صدق التجربة ، وصدق المعاناة الشخصية ، فصور نفسه ، وصور سيف الدولة المحارب ، وصور الجيش العربي ، وصور الجيش البيزنطي ، تصوير العارف ، الممارس ، وليس تصوير الجالس الذي يُعمل خياله .

ومن هنا اهمية اشتراك الفنان في المعارك التي تخوضها بلده ، اذ في ذلك اثراء لتجربة الفنان وتوثيقا للثمن الذي يدفعه الوطن لحماية حدوده .

وعلى مدى اليومين سمعنا شهادات عديدة من كتاب مقاتلين . وكانت اعمال بعضهم منشورة بين ايدينا ، وكانت المناقشات والتقييم والحوارات ، تضع امام اعضاء الندوة التحذير للتفرقة بين "فن الادب" وبين "الاعلام" وعلى المستوى النظري ، كانت هذه التفرقة واضحة امام الكتاب العراقيين وغيرهم من اعضاء الندوة .

وفي اليوم الثالث ، حملت الطائرة اعضاء الندوة جميعا الى مدينة « البصرة » حيث الجند الذين حاربوا دفاعا عنها ، يعيدون بناء ماتهدم منها ، وقد حملتنا السيارات الى مقر قيادة احد الفيالق بالجيش العراقي ، وكان قائد الفيلق في استقبال اعضاء الندوة ، وفي مقر القيادة الحصين ، تحدث القائد عن معركة « الفاو » وعن نفسي لست رجل حرب ، الا ان يقيني ان امة لاتحارب ، هي امة منقرضة او ذليلة وافتح قوسي ، لاسجل اني عن نفسي - ايضا - لا اغفر للفرعون اخناتون ، رغم عظمته الفكرية ، وما قادته إليه تاملاته الذاتية إلى فكرة الاله الواحد ، لأول مرة في التاريخ البشرى ، لا اغفر لأخناتون على الاطلاق ، انه تخلى عن عجلته العربية ، واصم اذنيه عن استنجاد بعض الحكام "الاموريين" الموالين لمصر ، حتى قد "قيل انه بدد الامبراطورية المصرية العظيمة التي انشاها تحتمس الثالث في فلسطين وسورية بسبب تراخيه وكراهيته للحرب ، رغم التوسلات اليائسة التي كان يبعث بها "ريب ادى" نائب الملك في "بيبلوس" طالبا العون ضد أعداء مصر من الحيثيين وقبائل الخابيرو او العابيرو "تراجع" رسائل تل العمارنة في احمد فخرى في مصر الفرعونية ص ٤٧٤ وعبد

العزيز صالح فى الشرق الأدنى القديم جـ ١ مصر والعراق ص ٢٢٥ وألن جاردنر فى مصر الفراعنة ترجمة نجيب ميخائيل ابراهيم وعبد المنعم ابو بكر ص ٢٥٦ ومابعدها" .

واقفل القوس واعود إلى كلمات القائد العسكرى العراقى ، التى استمعت إليها بوجدان متيقظ ، فإن الجندى الذى يقف على حدود بلده مدافعاً ، لهو اولى الناس جميعاً بالتجلة والاحترام ، ولقد دافع الجيش العراقى عن ارض العراق والتى يحلو لهم ـ وانها لكذلك ـ ان يسمونها البوابة الشرقية للوطن العربى ، ثم تابعت السيارات طريقها إلى الحدود الشرقية ، مئات الافدنة من اشجار النخيل ، محترقة ، لم يتبق منها سوى جذوعها ، مسودة هى الأخرى ، إنها اثار الحرب ، ولقد سمعنا فى مودة شديدة ان ضيوف الندوة ، ليسوا غربا فى بلدهم العراق ، وان الكتابة قد تتضمن امرا لايحسن نشره من جهة الأمن العسكرى .

ووصلنا الى ارض « الفاو » اثار الحرب الشرسة الرهيبة متبدية البيوت باكملها سواه بسطح الارض ، بعض الاهالى يعودون بيوتهم المهدمة . المسجد الذى استعمله الايرانيون كمخزن دون مراعاة حرمة بيت من بيوت الله ، المستشفى الحصينة التى كان قد اقامها الايرانيون ، والتى قال مرافقنا انها من بين الادلة على ان الايرانيين كانوا يخططون للمدى البعيد للبقاء فى منطقة « الفاو » ومن يدرى لعل التخطيط كان يشمل منطقة البصرة . ايضا فى صدر ارض « الفاو » ترتفع لوحة اعلانات . لوحة سمراء بطول ثلاثة امتار ، بعرض مترين ، مكتوب عليها بحروف عربية بارزة المعلومات الاساسية عن معركة « الفاو » وتتبين منها ان الشعب العراقى ، قدم من ارواح ابنائه اثنين وخمسين الفا وتسعمائة وثمانية واربعين شهيدا . فى مقابل من فقدهم الجيش الايرانى ، مائة وعشرون الفا كنت اقف لاقرا البيانات ثم اعود لقراءة الارقام حتى حفرت فى مخيلتى .

كان اليوم الثالث قد انتهى وعدنا فى المساء الى قاعدة اخرى من قواعد قيادة الفيالق العراقية القائد الكبير فى استقبال اعضاء الندوة . قال فى رقة بالغة حسن انكم نعيتم هذا اليوم لتشعروا بجزء من معاناة الجندى المقاتل . فى داخل القاعدة ، لقاء حديث عن الحرب . عن معركة « الفاو » عن استردادها عبر المعارك الحربية ، ومرة اخرى اعبر عن احترامى للجندى الذى يقف مدافعا عن حدود وطنه . يقدم حياته ويقدم جسده وهو ما يكاد ان يكون اغلى من الحياة نفسها . وقضينا امسية جميلة . وعند الانصراف كان « اللواء » فى وداعنا يقف منتصبا خارج القاعدة .

فى منطقه ظل ، يصافحنا واحدا ، واحدا ، ولا ادرى حتى الان ، كيف حدث ذلك . كانت يدى فى يده اهزها بشدة ، ودون سابق اعداد او تفكير او تهيؤ وكانى اختلس شيئا وافر به هاربا اتلفت قبل ان اسحب يدى من يده . ارمى اليه بتساؤل ساذج : ترى متى تحرر حيفا ياسيادة « اللواء » ولم اقف انتظر جوابا كنت قد انطلقت سريعا هاربا ، حتى بدى صوتى ، وكانه مجرد هذيان ، او خيال محموم مرهق يخلط بين الواقع الغليظ والحلم المتابى .

كان عبد الحكيم قاسم ـ سامحه الله ـ قد

طلب ان نرى فيلما عن الحرب العراقية الايرانية . وفي الفندق ، وقبل ان ناوى الى النوم . شاهدنا الفيلم المخيف . الحرب هى الحرب والمقتول في اخر الامر ، كائن بشرى ، ورغم اليوم الطويل . فقد كانت صور الجثث ببشاعتها تتطائر فى راسى طول الليل .

فى صباح اليوم الرابع من ايام الندوة كان اللقاء المباشر بين اعضاء الندوة وعدد من ضباط وجند الجيش العراقي يحكون تجاربهم في ميدان القتال وان كانت التجارب التى سمعناها فى بغداد تجارب كتاب وفنانين خاضوا الحرب فقد كانت تجارب « البصرة » ، تجارب مقاتلين بعبلها تلمح فيها ذكاء وخبرة المقاتل العراقي ، وايضا انسانيته فقد حكى مقاتل عن اسره جندى ايرانى اثناء المعركة وطلب الايرانى غالبا بالاشارة ان يشرب وتوقف المقاتل العراقى لحظة تذكر واقعة تاريخية : قيام صلاح الدين الايوبى بعلاج عدوه ، اثناء الحرب وابتسم المقاتل العراقي وقدم الماء لعدوه . وفي المقابل حكى مقاتل عراقى اخر ، عن وقوعه في الاسر . وكيف ان الايرانيين اوهموهم باطلاق سراحهم ثم اطلقوا عليهم النار ، سقط من سقط ، جرح من جرح .

وانتهت الجلسة بانذياح الكتاب الفنانين فى الجنود المقاتلين في لقاء عفوى مشترك . فقد تكونت مجموعات من الكتاب والمقاتلين فى لقاء حر ، ونقاش حر ، ينقل المقاتل تجربته للكاتب وكثير من الكتاب امسك بورقة وقلم وسطر غالبا مشروعات اعمال ادبية لا زالت في حضن الغيب

فى اليوم الخامس للندوة ببغداد ، اختتمت الندوة وحضر وزير الثقافة والاعلام واعلنت توصيات الندوة بانشاء جائزة ادبية عن روايات الحرب العراقية الايرانية ، مقدارها عشرون الف دينار مع جوائز اخرى

ان العراق خاض حربا ضروسا ، مع عدو يفوقه عددا وربما عتادا . واستطاع طوال ثماني سنوات ان يحافظ على ارضه وان يسترد عبر معارك قتال ماسبق ان احتله العدو . قدم فيها الشعب العراقى الكثير من حياة ابنائه ومن رفاهيته وكان الثمن ان تبقى الارض حرة ، فلا حرية لشعب تستلب بعض ارضه .

شوبوت بدون ترجمة

حين جاءنا خبر ان اوبرا هوستون فى طريقها الى القاهرة كى تشارك فى الاحتفال بمبنى الاوبرا الجديد ، وان مشاركتها ستكون بأوبريت «شوبوت» (استعراض القارب) للموسيقار الامريكي « جيروم كيرن » ، جاء مصحوبا بضجة اعلاميــة غير مألوفة عندنا مما أدى الى ارتفاع ثمن تذكرة الحفلات الستة المخصصة لها فى السوق السوداء الى ثمانين دولارا ، وهو ما يعادل اضعاف السعر المحدد رسميا .

ومن المعروف ان تلك الاوبريت الامريكية لحما ودما قد ترجمتها هوليوود الى لغة السينما ثلاث مرات (١٩٢٩ ، ١٩٣٦ ، ١٩٥١) .

ولعل افضل هذه الاعمال السينمائية فيلم الثلاثينيات الذى لعب فيه الممثل الامريكى الافريقى « بول روبسون » دور « جو » ، وغنى بصوته القوى للمسيسيبى وللمعذبين من السود فى ارض هذا النهر الخالد .

والعرض فى الاوبريت بدأ بالجوقة تنشد ، السود يشقون طول اليوم فى المسيسبى ، بينما يقضى البيض يومهم فى اللهو ،

ولا غرابة فى ان تبدأ الاوبريت بهذه الاغنية ، فجعلتها تجنح الى عرض الحياة على ضفاف المسيسبى ابان حقبة اعادة البناء فى اعقاب الحرب الاهلية الأمريكية .

وفى الحق ، فان عرض فرقة هوستون لها ، لم يخلف ظن الذين رأوها على الشاشة وارادوا ان يستمتعوا بها حية على خشبة المسرح هنا فى القاهرة .

فهو من الناحية الفنية كان ممتعا ، يفيض حيوية وبهجة والوانا .

وذلك رغم انه من ناحية الاخراج كان مسرفا فى التقليد ، لم يأت بجديد

يبقى ان اقول ان برنامج الاوبريت المطبوع جاء خاليا من كلمة عربية واحدة تعرف المتفرج بما سيرى ويسمع .

ويبدو ان نفرا من المسئولين قد تنبه الى هذا الاهمال للغة الاباء .

فاستدرك الامر بطبع ملحق للبرنامج على ورق اقل جودة مع تكرار نشر صورتى السفير والوزير .

وليس من شك فى ان هذا الاهمال خطير .

• مكتبة الهلال •

الكتاب : السادات القناع والحقيقة
تأليف : محمد عبد السلام الزيات
الناشر : كتاب الاهالى
٣٦٠ ص ، ٥ر٢ج٠م



يعد هذا ثالث كتاب عن أنور السادات صدر بعد وفاته ، بعد كتابى « خريف الغضب » لمحمد حسنين هيكل ومحاوراتى مع السادات » لأحمد بهاء الدين ، يصف فيه « الزيات » تحول السادات عن طريق عبد الناصر ، الى طريق الانفتاح على امريكا ، واللجوء الى كل ما يمكن وصفه بـ « ضد » مبادىء ثورة ٢٣ يوليو يصف الزيات هذا التحول فى خطواته الاولى التى عاصرها وعاشها عن كثب متعاونا مع السادات ، وزيرا لشئون مجلس الشعب ، وأمينا اول للاتحاد الاشتراكى ، ونائبا لرئيس الوزراء وهى فترة امتدت عاما واحدا ، لكنها غير مقطوعة ـ كما يقول د. فؤاد مرسى فى تقديمه للكتاب ـ عما قبلها ، عندما عمل الزيات امينا عاما لمجلس الامة الذى تولى السادات رئاسته منذ ١٩٥٨ .

يفسر الزيات معالم

شخصية السادات التى يلمسها الا اقرب المقربين اليه ، خاصة فى المواقف الصعبة ، تفسيرا شخصيا ، حتى يفاجأ بان الامر اكثر اصالة فى نفس السادات من ذلك ، حتى يرى منه عكس ما كان يبديه فى الماضى وهنا كانت الخديعة ، وكانت القطيعة ، التى يعود الزيات لينقد نفسه ، عبر هذا الكتاب ، نقدا مرا لاذعا ·



الكتاب : الاختراق
تأليف : عبد القادر شهيب
الناشر : سينا للنشر
٤٢٠ ص ، ٧جـ م

يجسد هذا الكتاب الدرامى المثيرة التى وضعت فصولها شركات توظيف الاموال ، والتى تمثلت ليس فقط فى ضياع الفلوس ، او الخراب الذى اصاب صغار المودعين ، او الثروات التى تم تهريبها الى خارج الحدود ·

انما أخطر ما اصاب مصر ، كما يقول صلاح حافظ فى مقدمته للكتاب هو الزلزال الذى هدم اعز قيمها الاجتماعية التى عاشت بها على امتداد عصور التاريخ فقيمة العمل التى بنت مصر تاريخها بها ، واقامت الاهرام والقناطر والسد العالى ، حلت محلها قيمة الكسل والعيش على مرتبة الريع

قيمة الشرف التى كان يلتزم بها رجل الدولة ، ويعتبرها رصيده الباقى لاولاده وأحفاده ، أزاحتها قيمة جديدة أسمها « المكسب » وأصبح الاولاد والاحفاد يطالبون اباهم بان يترك لهم فلوسا لا نياشين ·

قيمة « التقوى » التى كان الناس يستمدونها من فقهائهم ، ويلتزمون بها اقتداء بهم ، فقدت سمعتها وجلالها ، واصبح الشرع والدين بالنسبة لعامة الناس شيئا يخضع للظروف والمصالح ·

يحكى هذا الكتاب ، بالوثائق والارقام ، حكاية العصر ، حكاية شركات توظيف الاموال ، وما جرى فى فصولها المأساوية ·

الكتاب : المعونة الامريكية لمن ! مصر ام امريكا
تأليف : دينا جلال
الناشر : كتاب الاهرام الاقتصادى
٢٤٠ ص ، ١جـ ٠ م

تتناول الباحثة فى هذه الدراسة تدفقات المعونة الامريكية على مصر خلال الفترة مابين



عام ١٩٧٥ ، وعام ١٩٨٥ والمعايير السياسية والاقتصادية والاجتماعية لبرنامج المعونة الامريكية مبينة بشكل واضح الشروط المقيدة الواردة باتفاقيات المعونة الامريكية ·

وتعترف الباحثة بان المعونة الامريكية لمصر قد شكلت فى مواضع كثيرة حلا مطروحا يواجه بصورة مرحلية مشكلات وضعية قائمة ومستمرة لاجل غير قصير لكنها تؤكد على انه من الصعوبة بمكان ، على ضوء القيود الموضوعة، اعتبار المعونة الامريكية ترتبط ارتباطا مباشرا بالاهداف التنموية طويلة الاجل ، وخاصة تلك الاهداف ذات البعد الاجتماعى مثل التشغيل، استيعاب التكنولوجيا ، توزيع الدخل والاعتماد على الذات ·



الكتاب : اللغـــة والابداع

تأليف : د. شكرى عياد

الناشر : مطبعـــة انترناشيونال برس

١٤٤ ص ، ٥ر٢ج ·

« الكتاب الذى بين يديك الان غير مخصص للبحث فى الحداثة فى الابداع او فى النقد ، ولكنه مخصص للبحث فى اللغة حين تتخذ وسيلة للابداع الفنى » ·

هكذا يضرب الدكتور « شكرى عياد » ضربته الاولى فى كتابه الجديد الذى يعد الثانى فى سلسلة كتبه التى عمل على أن تكون خلاصة جهد العمر لبناء منهج للدرس الادبى ، مسبقه بالجزء الاول المعنون دائرة الابداع ، ووعيد بثالث تكتمل به الصورة ويقوم المنهج ·

وعلى اية حال فهو فى كتابه هذا يضع ما يراه مبادىء اساسية لعلم الاسلوب العربى « كما تحتاج اليه اليوم ، ومن ثم كان عليه أن يحفر عند الجذور ، ويوضح: « أى اننا سنبحث عن الخصائص الفنية للغة العربية من خلال كتابات اللغويين قبل أن نبحث عنها فى التراث البلاغى الصرف ، وستكون عيوننا فى الوقت نفسه على حاضر اللغة العربية وامكاناتها الفنيـــة ومشكلاتها الفنية أيضا»

انه كتاب هام للغاية نعتقد أنه سيكون مثار نقاش هام فى المرحلة القادمة فى مجال الدرس الادبى ·

عالم الغد

بقلم : د. عصام الدين جلال

المواد التقليدية والجديدة

منذ بدء الوجود كان التغيير هو الاصل فى طبيعة الكون . وكان الانفجار الاكبر الذى تفترض النظريات انه بدأ خطوات تكوين الكون اخذا فى الاتساع على مدى بلايين السنين تكونت فيها سحب المادة ثم تكثفت الى اجرام سماوية مشتعلة بالتفاعلات الذرية وتكونت الكواكب والاقمار تدور فى فلكها وانهارات نجوم وتفوق فى حجمها شمسنا الاف المرات وتكثفت مادتها حتى اصبح وزن القبضة منها مئات الاطنان واصبحت معروفة باسم ثقوب السماء السوداء لان كتلتها المتناهية فى العظم لا تسمح حتى للضوء أن يهرب من جاذبيتها .

وتطورت الحياة على الارض من خلايا بدائية الى انسان متحضر مفكر يتحكم فى الكرة الارضية وفضائها تعميرا وتخريبا .

وكما كان التغيير سنة الكون فهو كذلك سنة حياة الانسان منذ العصر الحجرى والقنص من خيرات الطبيعة ككل حيوان الى عصر العقول الالكترونية ومراكب الفضاء والهندسة الوراثية التى يصمم فيها المخترع خصائص فصائل جديدة من الكائنات .

وليس ما يميز عصر الغد بالا ان سرعة التغيير اخذة فى الزيادة بشكل لم يعرفه التاريخ من قبل كما ان عمق التغيير ومداه وحجمه يتصدى لكل تجربة أو حتى تصور سابق فقد لزم للانسان ملايين السنين لينتقل من قدميه الى عربة الخيول . وحوالى قرن لينتقل من قطار البخار الى الطيران ، ونصف قرن لينتقل من الطيران الى مركبة الفضاء .

واذا كان هناك لازمة لحياة الغد فهى لازمة التغيير السريع والعميق والضخم واذا كان هناك ضرورة لانسان الغد ومجتمع الغد فهى التعامل مع التغيير والمساهمة فيه والاستفادة منه وتوقى مخاطره والتميز فى الانتفاع بفوائده . وبدون هذه القدرة لن ينجح الفرد أو المجتمع مهما توفرت لهم من مميزات أخرى من عدد أو ثروات أو حضارة تاريخية .

وسنتناول فى سلسلة مقالات تحت عنوان هذا الباب عالم الغد بعض المتغيرات التى أصبحت تعايشنا وسيتضاعف دورها فى الغد .

ولنبدأ بالمواد التى تكون عالم الانسان فى التعمير والتشييد والصناعة

والزراعة والصحة والمواصلات والاتصال ، ويقدر ان احتياجات سد المطالب الاساسية للانسان على مدى ٥٠ سنة القادمة ستضاعف من احتياجاته من هذه المواد بين ١٠ و ١٠٠ مرة فاذا عرفنا أن العالم يحتاج الان ١٦ مليون طن نصيب الدول النامية منها لا يزيد عن ١٢ ٪ و٦٥٦ مليون طن حديد نصيب الدول النامية منها ١٤ ٪ ، و٩ ملايين طن نحاس نصيب الدول النامية ١١ ٪ ، ٥ر٦ مليون طن زنك نصيب الدول النامية منها ١٥ ٪ ، و ٥ر٥ مليون رصاص نصيب الدول النامية ١٢ ٪ فانه يمكن تصور الاستنزاف للموارد العالمية الذى يؤديه هذا النمو ، وبالاضافة فان تجهيز هذه الاحتياجات يستلزف فيضا هائلا من الطاقة لايمكن للموارد التقليدية للطاقة مثل البترول والفحم الاستمرار فى توفيرها كما انها تسبب تلويثا للبيئة يكاد يخنق هواء ويحرق تربة ويسمم انهار وبحار العالم كله ،

والمواد التى يحتاجها الانسان ليست المعادن فقط ولكنه يحتاج لمواد الانشاء مثل الجير والاسمنت والصيص وبدائلها وبدائل المعادن التى لها استخدامات ميكلية مثل الخزفيات الحديثة واللدائن والبلاستيكات والالياف والمركبات والمواد الوظيفية مثل انصاف الموصلات والالياف الضوئية والخلايا الشمسية والمواد المتناهية ، التوصيل للكهرباء التى يتسابق العلم لانتاجها ، والمواد المغناطيسية اللازمة للمحركات والمولدات ٠٠ والمواد الكيماوية ذات الاستخدامات الزراعية والحيوية والصناعية الخ وكلها مثل المعادن يتضاعف الاحتياج منها وانتاجها التقليدى واستخدامها يستنزف الموارد الطبيعية ومصادر الطاقة ويسمم البيئة ويحرم الفقراء من نصيب عادل منها ٠ ولهذا لابد للغد من مواد جديدة وطرق تحضير جديدة وطرق استهلاك جديدة ٠

وهدف ثورة المواد فى الغد تهدف الى أهداف هامة فهى تهدف الى ايجاد بدائل للموارد المحدودة مثل الياف الزجاج بدل اسلاك الكهرباء والخزفيات الحديثة التى لها صلابة ومتانة السبائك المعدنية والقادرة على تحمل درجات حرارة عالية لا يمكن للسبائك تحملها واللدائن والمركبات التى تحل محلها بكفاءة أعلى أغلى المعادن أحسن الاخشاب واقوى الصيص والالياف الصناعية والبلاستيكات التى تحل محل الالياف النباتية والحيوانية والجلود فى كل الاغراض الانتاجية والحياة اليومية ٠ كما تهدف ثورة المواد زيادة كفاءة المادة مثل العازلات والشحمات الصناعية التى توفر الطاقة بمنع الفاقد منها من المنازل والمنشآت وتحافظ على الآلات وتسمح لها بسرعات واثقال تفوق الحدود المتعارف عليها حاليا وتسمح لها باختراق بيئات لم تكن واردة مثل صواريخ الفضاء كما تهدف الثورة للاقلال من استهلاك الطاقة المحدودة فى تحضير هذه المواد مثل انتاج الصلب بالطاقة الذرية وانتاج الالومنيوم بالاختزال المباشر لتوفير الطاقة الهائلة التى تستهلكها اشكال التحضير الحالية ٠ والمواد القابلة للتحلل الذاتى بما يقلل من تراكم الفضلات وتلويث البيئة والمواد القابلة لاداء عمل المواد الحيوية فى جسم الانسان والقادرة على الحفاظ على صحة الكائنات وحمايتها ٠

وسنتناول فى الحلقة القادمة بعض ما يحمله الغد من وعود وآمال براقة فى مجال المواد الجديدة والطرق الجديدة لتوفيرها واستخدامها ٠

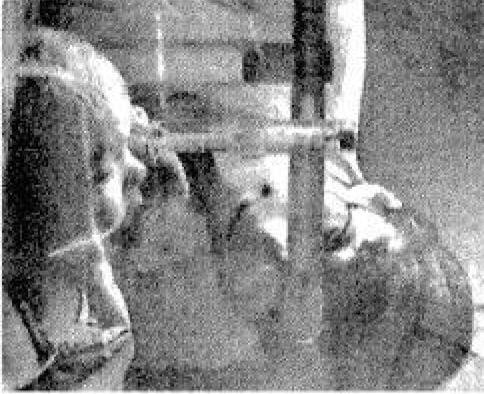
العالم غدا

• الحالة الصحية للمصريين •

أسبوع العمل في بريطانيا ٤٠ ساعة (بمعدل ٨ ساعات يوميا) لكن الاطباء هناك ، والجدد منهم على وجه الخصوص ، يعملون أحيانا ما يزيد على ٨٠ ساعة أسبوعيا ومنهم من يؤدى مهاما دقيقة خلال عمله الطويل، وقد احتج الاطباء ، ومنهم من أوشكوا على شغل مناصب المستشارين ، على أن عملهم لساعات طويلة يعرض المرضى للخطر بسبب الارهاق الذى يصيب الواحد منهم . ولان التكنولوجيا الحديثة التي يتعاملون معها تحتاج درجة عالية من التركيز والانتباه ، الامر الذى يتطلب مزيدا من الوقت للراحة والنوم .

ويناقش البرلمان الانجليزى حاليا قانونا يقصر عمل الاطباء على ٧٢ساعة أسبوعيا (!!) بحلول عام ٢٠٠٠ ، ويسمح للطبيب بليلة واحدة لا يدعى فيها الى علاج الحالات الطارئة كل اربع ليال ، وبعطلة نهاية أسبوع واحدة كل شهر ..

ويرى وزير الصحة البريطاني أن المطالب السابقة تتسم بالمغالاة . وقد أثارت تصريحاته فى هذا الصدد الاطباء المحتجين ، مما دفع بعضهم الى تقديم اعترافات بأخطاء ارتكبوها، نتيجة الاحساس بالارهاق ، ووصل

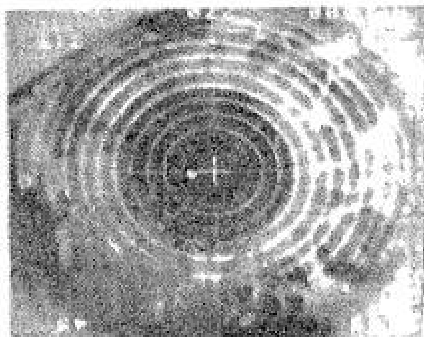


الامر الى أن قرر أحد هؤلاء بانه اضطر للنوم من الاجهاد ، خلال اجراء عملية جراحية ..

ومن جانب آخر كشف تقرير لهيئة الصحة البريطانية عن أن ٣٠ ـ ٤٠ ٪ من نسبة الاجازات المرضية فى بريطانيا يرجع الى الاضطرابات العصبية والعاطفية ، أو بالاحرى الضغوط النفسية ، وقد أرجع التقرير هذه الضغوط الى أسباب عديدة منها العمل المرهق المتواصل ، أو قلة العمل التي تجلب الملل ، أو ارتقاء الانسان الى منصب لا يتناسب مع قدراته المتواضعة ، أو الشعور بالاحباط لعدم احراز المنصب الذى يليق به ، وكثيرا ما يكون السبب هو العمل الرتيب الممل أو العمل غير المنتظم ، بل وحتى لون جدران مكان العمل ..

واذا أخذنا بعين الاعتبار هذه الاسباب المرضة ترى كم هى يا ترى نسبة المرضى فى ظروف العمل المصرية ؟

وإذا عدنا الى نضال الاطباء الانجليز للعمل ٧٢ ساعة فقط اسبوعيا (!) فكم ساعة يا ترى يعمل الاطباء الشبان فى مؤسساتنا العامة ؟ لا شك آن الرقمين الناتجين سيغريان بالتوقف ويثيران الدهشة ، والمفارقة بينهما الذى تردت اليه الحالة الصحية للمصريين ، مهما تجاهلنا أعراض « المرض » ، ورغم ما ندعيه جميعا من سواء (!!) ٠



• بدلا من النظارة •

فى حالة اصابة المرء بطول النظر تجمع أشعة الضوء عادة فى منطقة تقع وراء شبكية العين ٠ وقد توصل الاطباء السوفييت الى عملية صغيرة (تجرى فى العيادات الخارجية) لتشريط القرنية بهدف تغيير صفاتها البصرية ، بحيث تتجمع الاشعة بدقة على الشبكية ٠٠

وهذه العملية تعتمد كسابقتها (الخاصة بعلاج قصر النظر) على تشريط القرنية فى مواقع محددة ،بحيث يؤدى تفتل أو تليف جزيئات الكولاجين (زلال القرنية) على اثر التشريط ، الى تعديل درجة تكور القرنية ، الامر الذى يغير من خواصها البصرية فى الاتجاه اللازم ٠٠

ولتلافى المخاطر التى يمكن أنتحدث خلال العملية (مثل النزيف وثقب القرنية ٠٠) جرى تمحيص خطواتها على نحو معيارى دقيق ، بحيث يجرى تحديد مواقع التشريط بصبغات خاصة ، ثم تستخدم أجهزة دقيقة خاصة لتحديد عنق التشريط ومدته ودرجة حرارة المشرط بكل دقة ٠٠والى جانب التأثير الحرارى يجرى حاليا استخدام اشعة الليزر فى التشريط ٠

ويوصى المركز الذى أجرى ٢٠٠٠ عملية ناجحة من هذا النوع باجراء مثل هذه الجراحة لمن تتراوحأعمارهم بين ١٨ و ٦٠ سنة ، ويرتدون نظارات حتى ثمان ديوبتريات ، ويسعى الدارسون حاليا الى مضاعفة هذا المجال ٠٠

ويرى باحثو المركز أن طريقتهم تتميز كثيرا على النظارات السميكة التى يحتاج مثل هؤلاء المرضى استخدامها ، كما تفضل العدسات اللاصقة التى لا يجوز لبعض المهنين استخدامها ، ويلاقى كثير من الناس صعوبات فى استخدامها ٠٠ ناهيك بالطبع عن جراحة زراعة عدسات جديدة فى القرنية لانها جراحات معقدة ٠٠٠

وعملية التشريط تجرى فى العيادات الخارجية ، تحت تاثير قطـرة مزيلة للالم (وليس كمخـــدر) كما ينزع رباطها عن عين المريض فى اليوم التالى للعملية ٠٠ولا تلغى بساطة وســهولة عملية التشريط ضرورة اجادة الجراح لتقنيها اجادة كاملة ، وبلوغه درجــة عالية من المهارة ٠٠ والا فالنظـــارة أهـون !٠

• الغـــــذاء .. بدلا من الدواء •

كرد فعل لموجات اغارة الدواء علىٰ صحة الانسان انتعشت فى السنوات الاخيرة السبل التى عرفت بصـــفتها طبا بديلا مثــل المداواة بالاعشــاب والابر الصينية و ٠٠

وتعزيزا لهذا الاتجاه تجرى كثير من الدراسات تحت شعار « الغــذاء لا الدواء » تستهدف ترشيد عمليــة التغذية لتجنب الامراض بل واستخدام بعض العناصر الغذائية كعلاج ، الامر الذى كان شائعا قبل موجة التمـــدين الاخيرة ٠

وتجرى دراسات جزئية على نباتات ذات استعمال خـــاص مثل النعناع كشفت عن أن الزيت العطرى النــاتج عنه يحتوى على مكونات تستخدم فى علاج الزكام والرشح والسعال ، وفى تنشيط المعدة وازالة تقلصاتها العضلية وطرد غازاتها ، وفى التلطيف مـــن الازمات العصبية و ٠٠ كما بينــت أن شرابه المغلى يفيد فى تنشيط القلب وافرازات الكبد والصفراء وتخفيـــف حساسية الغشاء المخاطى للمعدة ٠

وتمتد الدراسات الى نباتات شائعة الاستعمال مثل الطماطم ، التى تدخـل فى أنواع كثيرة من الطعـام ، وتركز مثل هذه الدراسات على ضرورة أكـل ثمرة الطماطم بكاملها لفائدة القشر والبذور فى تسهيل حركة الامعاء، ولان العصير على سهولة امتصاصه غـنى بالفوسفور والحديد والاملاح المعدنية عــامة ، ناهيك عن الفيتامينات ، ممـا يجعل الطماطم غذاء مفيدا للمصابين بأمراض القلب والكلى وارتفاع ضغط الدم ٠٠

واضافة الى الدراسات الجزئيةهناك اتجاهات بحثية تتناول قضية الغذاء وصحة الانسان بشكل عام مثلالدراسة التى أصدرت منظمة الصحة العالمية نتائجها أخيرا فى كتيب دار حــول غذاء الاسرة وضمنته بدائل رخيصــة للعناصر الغذائية المرتفعة الثمــن ٠٠ وقد ركز الكتيب على أن القيمة الغذائية للوجبة تزداد كلما تنوعت أصنافها ، وبين خطأ اعتماد الوجبة على صنف واحد من الغذاء ٠٠

وبصدد الاطعمة التى يجب أن تتكون منها الوجبة الصحية فهى الحبــوب ، مثل الارز والقمح ، التى تعتبر أهـم عناصر الغذاء ، ويجب الا تخلو منها وجبة ، بالاضافة الى البقـــول ، مثــل العــــدس والفــول

● الشمس نعمة لا نقمة ●

تدرس بعض الشركات الالمانية الغربية ومنها شركة مرسيدس بنز استخدام الطاقة الشمسية في تكييف جو السيارات ، عند تركها في مواقف الانتظار ، خاصة في أيام الصيف ..
وقد أمكن التوصل بالفعل (أنظر الصورة) الى مولد شمسي لهذا الغرض يتكون من ٦٠ خلية شمسية وينتج قدرة كهربية تصل الى ٤٠ واط اعتمادا على كمية الاشعة الواقعة عليه ..

ان كان ذلك يحدث في أوربا الفقيرة في مجال الطاقة الشمسية فماذا يمكن أن نجني نحن العرب من توظيف شمس صيفنا الطويل لا في تبريد السيارات الخاصة فقط بل والمركبات العامة (مثل الاوتوبيسات وعربات القطارات) التي تتحول الى أفران حقيقية في فترات الصيف !!

بالمناسبة يشيع في أوربا صيفا أيضا استخدام مراوح عادية تعمل بالطاقة الشمسية وكل منها مزودة ببطارية يمكن شحنها خلال النهار حتى يستمر عمل المروحة بعد غياب الشمس ، ولا يوجد بديل لمثل هذه المراوح حين تستخدم في المناطق النائية التي لا تتوفر بها أشكال أخرى من الطاقة .



والفاصوليا ، التي تكمل الحبوب من الناحية الغذائية والخضراوات الداكنة اللون مثل السبانخ والخبيزة والملوخية ، والفواكه التي تميل الى الصفرة ، فهي تمثل مصدرا هاما للاملاح المعدنية والفيتامينات ..
والاطعمة الحيوانية مثل اللحوم والبيض والالبان ذات قيمة غذائية مرتفعة لكن الكتيب يرى ، لارتفاع أثمانها ، أنه ليس من الضروري تناولها يوميا في كل وجبة ، خاصة أن كميات قليلة منها تفي باحتياجات الجسم ..
الطريف أن دراسة حديثة أجراها فريق من علماء الاثار في جامعة دالاس برئاسة الدكتور فرويد ويندروف كشفت عن أن قدماء المصريين كانوا يتبعون في العصر الحجري نظاما غذائيا صحيا يمتاز عن النظام الغذائي الذي يتبعه الكثيرون في هذا العصر ، وأن غذاءهم كان يتمتع بالتوازن رغم عيشهم قبل ظهور الزراعة وحياة المدن المستقرة بآلاف السنين ، ورغم تذبذب مستوى مياه نهر النيل .. وت

تسلى بالكمبيوتر

لم يعد بمقدور الانسان في كثير من المجالات الاستغناء عن الكمبيوتر اليوم . لكنه لن تمضى سنوات الا ويصبح الجهاز الرئيسي الذى يعتمد عليه الثرى ، لا في العمل والتعليم فقط ، وانما في التسلية التي لن تقتصر على الالعاب البسيطة التي يتداولها أطفالنا اليوم ..

سيجلس الانسان المتعب المنهك القوى على الاريكة في منزله ويهمس للكمبيوتر « المحيط من فضلك » ، وفي الحال ستنبض الحياة في الجدران وتبدأ صور أمواج البحر تتدفق بالابعاد الثلاثة .. وتشيع حولك التأثيرات التي تجعلك تحس وكأنك تركب سفينة يتلاعب بها الموج من كل جانب ..

وعندما يضجرك مشهد البحر لن يتطلب الامر اكثر من همسة أو أمر للكمبيوتر « الغابة من فضلك » فيختفي مشهد البحر ويظهر مكانه غابة وارفة ساحرة الظلال ، ولا يتوقف الامر عند هذا الحد اذ سيكون في امكانك أن تأمر الجهاز أن يعرض عليك فيلما ما ، أو عرضا من عروض الباليه ، أو حفلا تعزف فيه القطوعة الموسيقية التي تحبها ..

واذا شبعت من ذلك كله وتذكرت أن سيارتك بحاجة الى اصلاح فما عليك الا أن تشير للكمبيوتر الذى سيشرح لك على التو ، بالصوت والصورة طبيعة الاصلاحات الواجبة وما تحتاج اليه من مواد و ...

الطريف أن الدراسات الاجتماعية بينت أن الناس يتمسكون اكثر بمظاهر الحياة الطبيعية كلما ازدادت الامكانيات التقنية ، وأن النزوع الاجتماعي والحاجة اليه تتزايد مع تزايد قدرات الفرد على الاشباع الذاتي ، وان مفارقات من هذا النوع قد تصبح مصدرا لمعاناة الانسان ، اكثر مما ستكون رافدا لرضائه وبهجته ، ومن هنا يمكن أن تكون التطورات الكمبيوترية نقمة على الانسان وحياته الطبيعية ..

لكن ذلك كله لا يكبح من تطور القدرات الكمبيوترية والمسألة مجرد أولويات فالتقنيات جاهزة وان كان الجندى الامريكي يستخدمها اليوم ليحارب وهو جالس في دبابته (داخل الولايات المتحدة) على مسارح عمليات مختلفة في أوربا وآسيا وافريقيا .. فانه لن يطول الوقت حتى تكون نفس التقنيات تحت أمرة الانسان العادى الذى يستدعى المحيط والغابة الى بيته ..

كانون عصرى

منذ أيام قدماء المصريين عرف الانسان الاستفادة من طاقة المخلفات الحيوية والروث و ... وكان ذلك يحدث بكفاءة منخفضة مما ساهم في انزواء هذا المصدر البسيط للطاقة ، مع

ظهور مصادر اكثر كثافة وفعالية .
لكن علماء المركز القومي للبحوث نجحوا في وضع تصميمات حديثة ، ملائمة للقرى المصرية الجديدة ، من الكوانين العصرية ذات الكفاءة المرتفعة ..

والتكنولوجيا المستخدمة في الكوانين الجديدة هي تكنولوجيا الغاز الحيوي الذي ينتج عن تخمير المخلفات العضوية الرطبة والجافة بمعزل عن الهواء ، ويشكل غاز الميثان القابل للاشتعال ٦٠٪ منه .

وهذه تكنولوجيا ملائمة لنا لان المناخ في مصر يتيح درجة حرارة مناسبة لعملية التخمير ، بالاضافة الى توفر المواد العضوية كالروث ، والمخلفات الادمية والطبيعية (الاحطاب والقش)، وبعض المخلفات الصناعية.

وتلقى تكنولوجيا ، الكوانين العصرية ، هذه اهتماما كبيرا لانها تسهم ، الى جانب ما تنتجه من طاقة، في حل مشكلة التلوث بالمخلفات في القرى ذلك انها تعد طريقة جديدة للصرف الصحي والتخلص من كل المخلفات الحيوية .. وبالاضافة الى ذلك فان السماد العضوي الناتج عنها يمكن أن يسهم في رفع انتاجية الاراضي الزراعية .

وقد تم تشغيل وحدات الغاز الحيوي في بعض القرى المصرية بالفعل ووفق توقعات خبراء المركز القومي للبحوث يقدر عدد الوحدات التيسر اقامتها حوالي مليون وحدة عائلية، بالاضافة الى ٢٥ الف وحدة جماعية و ٢٠ الف وحدة كبيرة ، وناهيك عما يمكن أن توفره مثل هذه الوحدات من الكيروسين سنويا فهي تساعد على حل مشاكل نقل الوقود بالنسبة للقرى النائية ..

حكايات طبية

مجرد ثقب بجدار القلب

د . هشام قاسم

كثيرون يتصورون ان مجرد ثقب بالجدار لا يسبب اية مشكلة ، وصاحبنا واحد منهم . حدث هذا عندما اخبره طبيب الشركة الذي قام بالكشف عليه ـ عند تسلمه عمله الجديد كمدير باحدى شركات المقاولات ـ بان لديه ثقبا بجدار القلب مابين البطين الايمن والايسر ، وان هذا العيب خلقي مولود به . فقام صاحبنا بوضع ساعده على كتف الطبيب وربت عليه :

ـ ولا يهمك يادكتور هذا الثقب الصغير بالجدار لن يزعجني .

اخذ الطبيب يعدد له المضار المتوقعة من هذا الثقب ونصحه باللجوء الى جراح القلب ليقوم بعملية تصلح هذا الثقب اخذ صاحبنا يفهمه هو الاخر انه خبير في

التعامل مع تلك الثقوب التى تقابله كثيراً فى حياته . وطالما ان بقية اجهزته سليمة تماما وبنيانه قوى فإن مثل هذا الثقب لن يؤثر عليه ابدا .

بعد تسلمه العمل الجديد اخبره مدير مكتبه واخرون ان هناك بالشركة بعض المهندسين المرتشين وانهم يسيئون الى سمعة الشركة وقد يصيبونها بضرر فى المستقبل فقال لهم وهو يستدير على مقعده :

ولا يهمكم تلك حفنة صغيرة لا تضر من صلابة البنيان الذى انوى اقامته بالشركة بعد التعديلات الجديدة التى قررتها .

بدا صاحبنا يقلل من اكل الحلويات والدهون والبصل والمقلية ويقلل من كمية الملح بالطعام والسكر يمارس الرياضة البدنية يوميا .

انزعجت زوجته من اسلوب حياته الجديد فقال لها : اننى احاصر الثقب الذى بجدار القلب بطريقتى .

بدا ينظم عمله بالشركة .. الحضور الساعة الثامنة ، الانصراف الساعة الثانية لا سماح فى دقيقة واحدة تاخير فى الحضور او تبكير فى الانصراف . دفتر الحضور والانصراف يمر عليه كل يوم ليتابع بنفسه حضور الموظفين والمهندسين . جميع الرسومات الهندسية تمر على مكتبه ليراجعها ، جميع العمليات يتابع مراحل تنفيذها بدقة . كل شىء اخر تمام سوى مجرد حفنة المهندسين المتلاعبين الذين لديه بالشركة .

وفى يوم صحا من نومه واشتكى من صعوبة فى التنفس . عندما قام من سريره شعر بتعب وهمدان بجسده ودوران . اسرع الى الطبيب الذى اخبره . ان كل تلك الاعراض ناتجة عن نقص كمية الدم الخارجة من القلب الى الجسم وانه لابد من العملية لسد هذا الثقب .. لكن صاحبنا لم يقتنع وقال لطبيبه :

لم يتاقلم القلب بعد على النظام الجديد الذى وضعته لجسدى بمجرد ان يتكيف هذا الثقب مع النظام الجديد ستسير الأمور طبيعية .

اضطر طبيبه نظرا لاصراره على موقفه ان يعطيه بعض العقاقير التى تهدأ من الاعراض التى اصابته .

مضت ايام وشهور ثم اكتشف صاحبنا ان لون جسده يغمق بزرقة داكنة وان اعراض الدوخة وصعوبة التنفس وعدم التركيز فى العمل عادت تعاوده .

قال له طبيبه انت الان فى مرحلة خطرة قد لا يصلح معها العلاج الجراحى وقد نصحتك ان تلحق العيب وهو فى اوله ولم تسمع كلامى .

الحقيقة ان الثقب بجدار القلب مابين البطينين مرض ليس بسيطا كما يظن صاحبنا ، ولكنه مرض تحدث مضاعفاته على مدى السنين التى احيانا تتاخر حتى بلوغ الإنسان العقد الرابع من عمره .

فى البداية ينتقل الدم من خلال هذا الثقب من البطين الايسر ـ الذى يقوم بتوزيع الدم المؤكسد الى جميع اجزاء الجسم ـ الى البطين الايمن ـ الذى يقوم بتوزيع الدم العائد من الجسم الى الرئتين لتقوم باحلال ثانى اكسيد الكربون الناتج من عمليات التمثيل الغذائى التى يقوم بها الجسم بالاكسجين الذى يمده بالطاقة اللازمة له ـ هذا الانتقال يحدث لان ضغط

الدم بالبطين الايسر اعلى منه بالبطين الايمن . ينتج عن هذا ان تقل كمية الدم الخارجة من البطين الايسر نحو الجسم مما يجعل المريض يشعر بالضعف وسرعة التعب والشعور ببرودة اطرافه . وعدم القدرة على التركيز وسرعة النسيان والدوران والدوخة نتيجة نقص كمية الدم الواصلة الى المخ . كما يصاب ببعض الاضطرابات المعوية كالامساك والانتفاخ .

ويحدث ايضا ان تزداد كمية الدم التى يدفعها البطين الايمن فى الشريان الرئوى مما يترتب عليه ازدياد فى ضغط الدم بذلك الشريان .

مع مضى الوقت تقوم الاوعية الرئوية بتضييق ممراتها لتقلل من كمية الدم المار بها مما يترتب عليه ازدياد ضغط الدم بتلك الاوعية . وبالتالى يزداد الضغط بالبطين الايمن وتقل كمية الدم القادمة اليه من البطين الايسر . فإذا زاد الضغط بالبطين الايمن عنه بالبطين الايسر يحدث ان ينتقل الدم فى الاتجاه العكسى اى من البطين الايمن نحو البطين الايسر . ويختلط الدم الاحمر القادم من الرئتين بالدم الغامق القادم من البطين الايمن .

هكذا يخرج من القلب الى الجسم دم مختلط يؤدى الى زرقة الجسد (Cyanosis)ويطلق على تلك الظاهرة ظاهرة ايزنمنجر . (Eisenmenger's Syndrome) .

عندما يصل المرض الى تلك المرحلة يصبح التدخل الجراحى باغلاق الثقب مستحيلا . لانه سوف يؤدى الى تحميل البطين الايمن عبء دفع الدم من خلال الاوعية الرئوية الشديدة المقاومة لضيقها دون المنفذ القديم "الثقب" الذى يسعفه بمرور الدم من خلاله .. مما يؤدى فى حالة اجرائها الى هبوط الجهة اليمنى من القلب وتراكم الدم باجزاء الجسم المختلفة .

ومن المضاعفات الاخرى لهذا المرض حدوث جلطات دموية باماكن مختلفة من الجسم كالرئتين او المخ . يرجع ذلك الى ازدياد عدد كرات الدم التى ينتجها الجسم (Poly Cythemia)ليعوض نقص كمية الاكسجين المحمول بالدم الى اجزاء الجسم - لاختلاطه بالدم غير المؤكسد القادم من خلال الثقب - مما يؤدى الى ازدياد لزوجة الدم وسهولة تجمع الكرات الدموية الذى ينتج عنه الجلطة . وهذا ما اصاب صاحبنا عندما اصابته اخيرا جلطة بالرئة جعلته ينزف ويبصق دما خالصا واقعدته بالفراش بغرفة الانعاش .

وازدادت حالته سوءا عندما اخبره مدير مكتبه عند زيارته بالمستشفى بان المشروع الاسكانى الضخم الذى تقوم به الشركة اصابته شروخ عدة وانه مهدد بالانهيار لتلاعب حفنة المهندسين المنحرفين اثناء التنفيذ .

تعجب من كل مايحدث له فنظر الى الطبيب الواقف بجواره بعينين مستفسرتين . وكمامة الاكسجين تغطى نصف وجهه . والاجهزة الحديثة من حوله تنبض نبضات مخيفة .. ثم كون دائرة ضيقة باصبعى يده .. هز الطبيب راسه وقال :

نعم كل ماحدث لك لمجرد ان هناك ثقبا بالجدار .



لماذا اتجه الفراعنة إلى بناء الأهرام

بقلم : زهير علي شاكر

ذكرنا في المقال السابق الاسباب التي نعتقد انها كانت الدافع الحقيقي للمصريين القدماء الى اقامة هذه الصروح الشامخة . وعددنا الوظائف الحضارية التي استخدموها فيها : من الفنارة الى البوصلة ، الى الروبير المساحي الخ .. مخالفين بذلك النظرية السائدة ، القائلة بان هذه الصروح لم تكن الا قبورا للملوك ، ورموزا لعظمتهم وتسلطهم على شعبهم .



هرم اللاهون



هرم ميدوم

● وإذا كنا قد زعمنا للقارىء اننا قد عثرنا على تفسير منطقى متكامل لهذه الظاهرة الفريدة فى التاريخ . فان من حقه علينا ان نقدم بضعة حقائق معروفة . سجلتها كتب التاريخ والاثار ، واشرنا الى بعضها اشارات مقتضبة فى المقال السابق ، بينما ضاق المجال عن ذكر بعضها الآخر .

اولى هذه الحقائق ان المدة الزمنية بين عصر بناة الأهرام وبين عصر « مينا » موحد الوجهين ، لاتزيد عن ٤٠٠ عام . وهى مدة قصيرة بمقياس التاريخ القديم والتاريخ المصرى على وجه الخصوص .

فقبل بناء الاهرام بهذه المدة . كان قد وقع اهم واول حدث عظيم فى التاريخ المصرى . وهو اتحاد ـ أو توحيد ـ مملكتى الشمال والجنوب فى مملكة واحدة . جاء مينا من الجنوب (حوالى ٣١٠٠ ق . م) بعد ان اكمل الجنوبيون زراعة واديهم الضيق على جانبى مجرى النيل . ثم جاءوا يحملون معهم تراثا طويلا من الخبرات الهندسية والزراعية . اكتسبوها من عمليات التسوية المتصلة للأرض . وشق القنوات ، وبناء الجسور . وحفر المصارف . وردم المستنقعات على مدى زمنى لايقل عن الفى عام . ويحملون معهم ايضا ـ القوة البشرية العاملة ، والقوة العسكرية التى فرضت على مملكة الشمال الدخول فى الوحدة .

وكانت مملكة الشمال لاتقل تقدما عن مملكة الجنوب ـ ان لم تزد ـ فى مجالات الصناعة والتعدين والفنون . إلا أنها كانت بطبيعتها الجغرافية التى تميّز مصابّ الانهار منطقة تتفرق فيها فروع النيل وتتوزع بغير ضابط . وتنتشر

لماذا عاد الفراعنة إلى بناء الاهرام ؟

فيها المستنقعات فلا تترك للزراعة المنظمة إلا مساحات قليلة بالمقارنة الى المساحة الهائلة للدلتا .

فكانما جاء قيام الوحدة على يد مينا ، كخطوة اساسية لابد منها ، ومقدمة لعملية تعبئة لجهود الشماليين والجنوبيين جميعا ، للقيام بمشروع قومي كبير ، لاستصلاح اراضي الدلتا الشاسعة ، وزراعتها بكفاءة لاتقل عن كفاءة الصعيد - او الوجه القبلي .

وكانت اهم الخطوات التنفيذية التي اتبعها مينا ، ومن بعده ملوك الاسرتين الأولى والثانية هي :

١ - اقامة حكومة مركزية قوية تنبع منها جميع السلطات ، ومايستتبعه ذلك من نظام إداري محكم .

٢ - انشاء عاصمة جديدة للدولة (منف) قريبا من منطقة المفصل ، او نقطة التقاء الوجهين ، لتحل محل العاصمتين القديمتين في الشمال والجنوب .

٣ - تحويل مجرى النيل عند منطقة مصر الوسطى ، وهو اول تغيير جغرافي معروف ، افتتح به المصريون السلسلة الطويلة من التغييرات الجغرافية التي ادخلوها على خريطة بلادهم ، والتي تكررت بعد ذلك عبر التاريخ ، كانها هواية قومية يمارسونها عند كل تحول كبير في تاريخهم (من استصلاح الدلتا - إلى الفيوم - إلى الاسكندرية - السويس - السد العالي ...) . وكانت عملية تحويل المجرى هذه ضرورية لتوفير المياه للري بدلا من ضياعها في الصحراء او تحولها إلى مستنقعات لايستفاد منها .

٤ - باكتمال أركان الدولة المركزية وانتهاء عملية تحويل المجرى ، بدا على الفور التخطيط للمشروع الكبير ، لاستصلاح الدلتا ، وكان الهرم المدرج في سقارة ثم الاهرامات التي تلته ، هي الركائز الاساسية للتخطيط والمسح والتصميم والتنفيذ لهذا المشروع الكبير ، وتركزت كما ذكرنا في منطقة واحدة هي منطقة مصر الوسطى ، وبالتحديد في مساحة يبلغ طولها حوالي ٣٠ كيلو مترا ، من ابو رواش شمالا إلى دهشور جنوبا ، كلها في هذه المنطقة ، الا هرما واحدا منفردا في ميدوم ، على بعد ٦٠ كيلو مترا جنوبي دهشور ، وكان آخرهم هرم معروف بنوه - هرما متواضعا في سقارة ، بناه الملك تيتي حوالي عام ٢٣٤٥ ق . م . ثم انصرف الملوك تماما عن بناء الاهرامات ، وكانها كانت « موضة » افتتنوا بها ثلاثمائة عام ، ثم اهملوها فجاة وعادوا يدفنون في مقابر عادية ، ومرت بمصر في نفس الوقت فترة من الازدهار ، والرخاء تعتبر من ازهى فترات تاريخها ، بفضل مشروع الدلتا العظيم .

● الحقيقة الثانية :

استصـــلاح الفيـــوم

مرت بمصر بعد فترة الازدهار هذه ، فترة اخرى من التدهور ، تفكك فيها نفوذ الدولة المركزية ، وقامت الحروب الاهلية من جديد بين الشمال والجنوب وعمت الفوضى مياه الري ، وقلت غلات الارض حتى عرف المصريون المجاعة اكثر من مرة .

ثم دخلت مصر عصرا جديدا يمكن

ان نسميه عصر الصحوة ، او « عصر ملوك الفيوم » فاعاد الجنوبيون توحيد المملكة شمالها وجنوبها مرة ثانية في عهد منتحنب الثاني من ملوك الاسرة الحادية عشرة (٢٠٤٠ ق . م) ايضا بالقوة العسكرية للجنوبيين تماما مثل عهد مينا .

كانت الفيوم حتى ذلك الحين . منطقة مهملة تكاد تكون معزولة عن الوادى ، أرضا بورا مترامية الأطراف ، مساحتها حوالي خمس مساحة الدلتا ، منخفضة عن بقية ارض مصر ، لاتستخدم إلا كمصرف لمياه الرى في الصعيد ، ولايسكنها إلا سكان قليلون ، يعمل اغلبهم في صيد الأسماك ، وقليل من الزراعة وتتعرض باستمرار لهجمات البدو من الصحراء التي تكاد تحيط بها من كل جانب ، تفصلها عن الوادى في اقرب نقطة منه مسافة من الصحراء عرضها ١٥ كيلو مترا ، او مسيرة يوم كامل بوسائل النقل والسفر المتاحة في ذلك الحين .

وإذا نظرنا إلى مواقع هذه الأهرامات الفيومية الجديدة ، نجد انها تمثل سلسلة متصلة كانها محطات على طريق واحد ، او مجموعة من الاسهم يشير اخرها إلى الفيوم ، ويبدأ اولها من منطقة الأهرامات القديمة .

١ - أولها في دهشور - حقل الأهرامات القديم - اضاف إليه ملوك الفيوم هرما جديدا ليكون هو نقطة الربط بين الاهرامات القديمة والجديدة .

٢ - الثاني عند اللشت - العاصمة الجديدة - الواقعة في منطقة « المفصل » بالقرب من مركز الأحداث ، على بعد ٢٧ كيلو مترا جنوبى دهشور .

٣ - المحطة الثالثة في ميدوم على مسافة ٢٠ كيلو مترا جنوبى اللشت ، حيث لم يبن ملوك الفيوم هرما جديدا مكتفين ، فيما يبدو - بهرم الملك هونى القديم المدرج ، الذى أحاله القدماء او ربما ملوك الفيوم انفسهم - الى هرم كامل بسد الفراغات بين درجاته ثم كسوته بالحجر المصقول .

٤ - المحطة الرابعة : هرم بنوه في اللاهون - على بعد ٤٠ كيلو مترا الى الجنوب الغربي من هرم ميدوم - بالضبط عند النقطة التي يصل فيها الوادى الى اضيق مسافة بينه وبين الفيوم .

٥ - الخامس والأخير وربما كان الاخير في الترتيب الزمنى ايضا (١٨٦٠ ق . م) في هوارة على حافة منخفض الفيوم مباشرة - بالقرب من قلب المنخفض على بعد حوالى ١٢ كيلو مترا من هرم اللاهون .

ونلاحظ على هذه الاهرامات الجديدة ، انها تختلف عن الاهرامات القديمة اختلافات جوهرية اهمها :

١ - انها كلها ذات شكل هرمى منتظم - لامدرج ولاناقص ولامدبب الخ .. بل كلها ذات وجوه اربعة منتظمة ، وكانهم استقروا على هذا الشكل للعلامة المساحية واعتبروه نمطا لايحيدون عنه .

٢ - انها اصغر بكثير من الاهرامات القديمة . ربما لاقتصار وظيفتها الرئيسية على وظيفة العلامة المساحية - أو « الروبير » - الذى ترصد منه واليه المسافات من مكان قريب او لضيق المدى الذى تستخدم فيه كمنارة او فنار فالمسافات بينها كما ذكرنا من ٢٠ الى ٤٠ كيلو مترا فقط .

واما الغرض من مد هذه السلسلة من المحطات او الثوابت المساحية الى

لماذا عاد الفراعنة الى بناء الأهرام ؟

منطقة دهشور ، وربطها ربطا وثيقا بالأهرامات القديمة ، فاعتقد انه كان لتحديد منسوب كل هرم بدقة تامة ـ بالنسبة الى الهرم الأكبر ، او « الروبير » الأكبر ، الذى ارجح انهم اتخذوه مقياسا مطلقا للمنسوب ، كما نتخذ نحن فى هذا العصر سطح البحر مقياسا مطلقا ، فيقولون مثلا : ان نقطة كذا تقع على ارتفاع ١٥ ذراعا من قاعدة الهرم الأكبر (أو قمته) كما نقول نحن : على ارتفاع سبعة امتار مثلا من سطح البحر . فبدون هذا المقياس المطلق لايمكن نسبة ارتفاعات وانخفاضات النقط الاخرى الى بعضها البعض ، او تحديد ارتفاع الماء مثلا فى مكان ما ، بالنسبة الى مكان اخر ، لغرض شق ترعة او بناء جسر بينهما .

فكان مصر ـ بعد تفكك الدولة الموحدة الأولى ـ قد وجدت نفسها فى نفس الظروف التى مرت بها قبل مينا (دولة ممزقة ، واد ضاق بمن فيه ، ازمة طعام طاحنة) فلجأت الى علاج هذه المشكلة بنفس « الوصفة » القديمة التى تداوت بها فى عصر الاسرات الأولى ، فاستخرج ابناؤها وثائق وتفاصيل تلك الفترة من مستودعات المعابد ، وطبقوها ـ بصورة مصغرة هذه المرة ، ولكن بنفس الخطوات ونفس التسلسل الزمنى :

ـ دولة مركزية موحدة .

ـ عاصمة جديدة قريبة من مركز الاحداث .

ـ اهرامات تستخدم اساسا للاغراض المساحية

ـ ثم مشروع زراعى عظيم ، هو الغاية الحضارية التى يهدف اليها هذا البرنامج ، وتكون اهم ركيزة مساحية وهندسية له هى هذه الاهرامات .

● **الحقيقة الثالثة : نظام هندسى ومنهج علمى**

الأمثلة لاتحصى على التقدم العلمى الذى وصل اليه الفراعنة وفى كل يوم تضيف الكشوف الاثرية شاهدا جديدا على هذه الحقيقة ، ولعل اشهر مثال لها هو علم التحنيط الذى مازال سرا مغلقا ، حتى فى وجه العلم الحديث .

ولكننا سنقتصر هنا على مثالين متعلقين بفن الهندسة والعمارة عامة ، وبناء الأهرام خاصة .

المثال الأول : عن الذراع المعمارى الذى استخدموه وحدة للقياس : وهو يساوى حوالى ٥٢ سنتيمترا ، وكان كل من يعمل فى الحقل الهندسى أو يحتاج الى القياس فى اى صناعة يحمل « مسطرة » خشبية طولها ذراع على الأقل ، مقسمة الى ٢٨ قيراطا ، كل قيراط منها طوله سنتميتران تقريبا . وكانت القراريط بدورها مقسمة الى كسور القيراط ، فالاول مقسم الى قسمين متساويين ، والثانى الى ثلاثة اقسام ، وهكذا ، حتى القيراط الخامس عشر المقسم الى ١٦ قسما متساويا لايزيد طول كل منها عن ملليمتر واحد الا قليلا . ومعنى ذلك ان كل حامل لهذه المسطرة الخشبية كان باستطاعته قياس الأطوال بدقة فلا يزيد الخطا فى قياسه عن ملليمتر واحد أو نصف الملليمتر .

وكانت هذه المساطر الخشبية تضبط ، مرة كل عام على الأكثر على مساطر عيارية من الحجر الصلد ، محفوظة فى اماكن امينة حتى لاتتعرض

للخدش والتجريح ، تماما مثل مقياس « المتر » البلاتيني المحفوظ في متحف اللوفر بباريس ، والذي كان يعتبر - حتى عهد قريب - المرجع الاخير لمعايرة « الأمتار » الاخرى ، نظام صارم من التوحيد القياسي ، يمثل لغة واحدة يتكلمها كل مشتغل بالاعمال الهندسية او الصناعات : ابتداء من المهندس المصمم الى الصانع المنفذ .

المثال الثاني : عن زاوية رأس الهرم

فمنذ قرر بناة الأهرام الانصراف عن الشكل المدرج ، ذي الخطوط المتعددة الرأسية والافقية الى الشكل الهرمي المبسط ذي الأربعة وجوه . واقتناعهم بأن هذا الشكل هو انسب الاشكال لاداء وظائف البوصلة والمنارة . بالاضافة الى وظيفة العلامة المساحية . واجهتهم مشكلة اختيار زاوية رأس الهرم . وكان عليهم ان يتوصلوا الى انسب زاوية تجمع في ان واحد بين اقصى ارتفاع ممكن للهرم . واكبر قدر من المتانة للبناء . وهذه هي الزاوية التي تسميها علوم الهندسة الحديثة : « زاوية الراحة » ANGLE OF REPOSE

فانت اذا سكبت كمية من المواد الحبيبية كالرمل او الزلط او الحجارة - بصورة عشوائية - تجدها تتشكل من تلقاء نفسها في صورة مخروط قاعدته دائرة تستقر على الارض ، وقمته نقطة في اعلى المخروط . ويشكل كل نوع من المادة - عند رأس المخروط - زاوية محددة لاتتغير بتغير حجم المخروط ، ولكنها تختلف من مادة الى اخرى - تبعا لتغير احجام الحبيبات واوزانها وشكلها بوجه عام ، زاوية « ترتاح » اليها المادة ومن هنا جاء اسمها . وكلما اقتربنا في البناء المخروطي او الهرمي من هذه الزاوية كان البناء اكثر استقرارا وثباتا .

وتوصل بناة الأهرام - غير مسبوقين - الى هذه الزاوية ، باستخدام منهج علمي تجريبي محكم ، فاقاموا في عهد سنفرو هرمين . احدهما تنحدر جوانبه بزاوية حادة الى حوالي ثلاثة ارباع الارتفاع ، ثم تتغير الزاوية في اعلى البناء (ويسمى بالهرم الأحدب) . والثاني ذو زاوية منفرجة (ويسمى بالافطح) . ولانعرف على وجه الدقة ماهي التجارب التي اجروها على هذين الهرمين . ولكننا نعرف انهم اهتدوا الى « زاوية الراحة » هذه بدقة عظيمة ، زاوية اكبر من الزاوية الحادة الأولى ، واصغر من المنفرجة الثانية . وطبقوا هذه النتيجة في بناء هرم خوفو (ابن سنفرو مباشرة) . فكانت هي الحل الامثل لهذه المسالة ، بدليل ما اثبته الهرم الأكبر من رسوخ وصمود على الزمن .

ثم سار بناة الأهرام الاخرون في كل العهود التالية لخوفو على هذا الدرب ، يختارون زاوية رأس الهرم مساوية او قريبة من زاوية هرم خوفو ، مع اختلافات طفيفة ربما كان سببها اختلاف احجام واوزان وانواع الاحجار المستخدمة - كاختلاف الحبيبات المسكوبة في شكل مخروطي كما ذكرنا .

قوم استخدموا هذا المنهج العلمي الدقيق ، وتوصلوا الى هذه النتيجة الرائعة وطبقوا نظاما صارما للتوحيد القياسي .. هل يعقل انهم وظفوا عبقرياتهم العلمية والهندسية رغم . من قواهم العضلية لمجرد بناء قبر ؟

● الحقيقة الرابعة :

أسئلة بلا اجابة

هي في الواقع مجموعة من الظواهر

لماذا عاد الفراعنة إلى بناء الأهرام

التى تجدها منطقية ومترابطة ، بل وضرورية احيانا ، فى ضوء النظرة الحضارية لبناء الأهرام ، نهديها الى اصحاب نظرية القبور ، فى صورة اسئلة على طريقة « الفوازير » وعذرا للاستاذ صلاح حافظ ، ونطالبهم باجابات واضحة عليها .

١ ـ لماذا توقف ملوك مصر عن بناء قبورهم على هيئة اهرامات بعد هرم « تيتى » وعادوا إلى نظام القبور العادية ؟ الأنهم « تعبوا » كما يقول بعض المؤرخين فاستراحوا مدة ٤٠٠ سنة ؟ ام لانهم اكتشفوا كما يقول بعضهم الاخر ، ان الهرم اسهل فى سرقة محتوياته من القبر العادى ؟ وايهما اسهل ان يتسلق اللصوص الهرم ليراهم ملايين الناس وهم يسرقونه ، ام ان ينشبوا قبرا مخبوءا فى الصحراء

٢ ـ لماذا عادوا الى بناء الاهرامات فى عصر الفيوم ؟ هل « نسوا » الدرس الذى اكتشفه اسلافهم فعادوا يعرضون محتويات قبورهم للسرقة فى الاهرامات ؟ ام انهم استراحوا كما قلنا ، فعادوا ثم تعبوا مرة اخرى فاستراحوا الى الابد ؟

٣ ـ لماذا بنى الملك « هونى » ـ اخر ملوك الاسرة الثالثة ـ هرما فى ميدوم ، مبتعدا مسافة ٧٠ كيلو مترا عن « جبانة » ابائه فى سقارة ؟ ولماذا بالذات على بعد ١٥ كيلو مترا من الركن الشمالى الغربى من منخفض الفيوم ؟

٤ ـ لماذا بنى سنفرو هرمين اثنين فى دهشور : احدهما احدب ذو زوايتين ، والثانى كامل الاستقامة وان كان افطح ؟ هل كانت لسنفرو جثتان فاحتاج الى قبرين ؟

٥ ـ لماذا بنى الملك « رزديف » ، وهو الملك التالى مباشرة لخوفو قبل خفرع ، هرما فى ابو رواش على مسافة ١٥ كيلو مترا ، الى الشمال الغربى من هرم خوفو ؟ ولماذا جاء هذا الهرم اصغر بكثير من الهرم الاكبر ، الانه كان رجلا متواضعا ، بعكس سلفه خوفو وخلفه خفرع ؟ ام انه اراد ان يبتعد بهرمه الصغير عن منافسة هرم خوفو الكبير ؟

٦ ـ لماذا جاءت حقول الاهرامات فى ابو رواش وزاوية العريان وابو صير ، واقعة على خط مستقيم واحد مار بالهرم الاكبر ، رغم تباعدها بمسافة ٢٠ كيلو مترا ؟ اهى صدفة خير ميعاد ـ نضمها الى القائمة الطويلة من « المصادفات » المتعلقة ببناء الاهرامات .

٧ ـ سؤال اخير ـ الفضل فيه لاخى الدكتور عبد الرحمن جابر ـ لماذا كانوا يكسون الأهرامات بطبقة مصقولة تجعلها تلمع فى الضحى تحت ضوء الشمس ، ثم فى الدجى على سنا القمر وبصيص النجوم فى سماء مصر الصافية ، فيراها من بعيد كل سار بالليل ، أو سار بالنهار ؟ اهى لمجرد الزينة ، ام ماذا ؟

هناك عبارة قديمة للمؤرخ هيرودوت (مصر هبة النيل) اعتبرناها طويلا من النصوص المقدسة التى لاتمس ، حتى خالفها عبقرى المكان : الدكتور جمال حمدان ، فاثبت ان مصر هبة الانسان المصرى اولا ، ثم النيل ثانيا .

ولاباس ان نضيف هنا ان الدلتا بصفة خاصة ثم الفيوم من بعدها ، هما هبة الانسان ، والنيل .. والهرم .

المائة الأعظم

بقلم : حسين أحمد أمين

معاوية

٦٠٠ - ٦٨٠ م

مؤسس الدولة الأموية التي شهدت الأمة الإسلامية خلالها تطورا بالغ الأهمية في فلسفة الحكم ، ومفهوم الدين ، والاتجاه الحضاري . وقد ظل معاوية حتى يومنا هذا رمزا لمفهوم "السيد" عند العرب ، ومضرب الأمثال في الحلم والدهاء والتسامح والشهامة وضبط النفس والعفو عند المقدرة . وكثيرا ما حاول الخلفاء والولاة من بعده ، سواء من الأمويين او غيرهم ، أن يحذوا حذوه ، ويقتدوا بسياسته .

ولا نعلم ان معاوية في حياته السياسية ، سواء كعامل على الشام للخلفاء الراشدين (لمدة عشرين عاما) أو كخليفة للمسلمين كلهم (لمدة عشرين عاما أخرى) اخفق في أمر أراده ، أو عجز عن بلوغ مرام قصد إليه ، غير فتح القسطنطينية . وكان يتطلع دوما الى الأمام ، ويستنكف أن ينظر إلى الوراء وان يلتزم بسياسة من سبقوه ، مما جعله أقل حكام المسلمين محافظة ، واكثرهم تحررا .

عرف كيف يستميل اعداءه ومعارضيه الكثيرين بحلمه وكياسته وهباته ، وذلك على نحو تعامل النبي مع "المؤلفة قلوبهم" ، وانطلاقا من اعتقاده أن نفقات الحرب وويلاتها اشد ضررا من توزيع الهبات والأعطية . وكان لا يبالي كثيرا بكلام المعارضين مادام لم يخرج عن نطاق الكلام إلى حد العصيان . وكان يقول : "إني لا اضع سيفي حيث يكفيني سوطي ، ولا اضع سوطي حيث يكفيني لساني ، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما إنقطعت ابدا . إذا مدّوها ارخيتها ، وإذا ارخوها مددتها" ! ولا تزال عبارة "شعرة معاوية" من العبارات الشائعة بين العرب إلى اليوم .

في التاريخ الإسلامي

جعل معاوية الشام أثناء ولايته له في عهد الخلفاء الراشدين اغنى إقليم بين اقاليم الخلافة ، واحسنها اقتصادا وتقدما . ونظم الجيش على أسس حديثه ، مستفيدا في ذلك بنظم البيزنطيين ، وهلجرا النظام القائم على الوحدة القبلية ، فاضحى جيشه اقوى جيش في الخلافة واصرمها نظاما واحسنها تدريبا . وقد حرص على أن يكون دفع الرواتب منتظما مما اكسبه ولاء الجيش وحب الجند له . وبنى أسطولا هو الأول من نوعه في الإسلام ، وأسس إدارة حكومية عظيمة الكفاءة ، كما ادخل نظام البريد الذى ربط بين أجزاء امبراطوريته مترامية الأطراف . وقد أدرك بثقب بصره أن فتوحات العرب قد نقلت مركز الثقل من صحراء الحجاز إلى الأمصار القريبة من فارس وأوروبا ، وأن الأوضاع في الدولة الناشئة تستلزم إدخال تعديلات جوهرية في نظم الإدارة والحكم . وكان من آثار هذه الرؤية عنده أن جعل الخلافة وراثية من أجل ضمان الاستقرار والاستمرار .

وقد عاش المسيحيون في عهده حياة كريمة خصبة ، وعاملهم معاوية أفضل معاملة ، وتزوج منهم امراته ميسون (أم يزيد) ، وكان شاعر بلاطه نصرانيا هو الأخطل ،



وطبيبه نصرانيا هو ابن أثال ، وجند السوريين المسيحيين في جيشه ، وأشركهم في الإدارة ، واستعان بال سرجون النصارى بأن ولاهم بيت المال وجعل هذه الوظيفة وراثية فيهم . وقد حذا سائر المسلمين حذو خليفتهم فاختلطوا بالنصارى اختلاطا بعيد المدى ، حتى لقد كانوا كثيرا ما يؤدون وإياهم الصلاة تحت سقف واحد . وقد حفظ النصارى لمعاوية وخلفائه من الأمويين هذا الجميل وهذا التسامح ، فتفانوا في خدمة الدولة التي اعتبروها دولتهم كما هي دولة المسلمين ، واخلصوا للدولة الأموية واعظموها إعظاما لا نزال نلمسه في الروايات النصرانية عن هذه الحقبة من تاريخ الإسلام .

المأمون

٧٨٦ - ٨٣٣ م

رغم مثالبه ، واكبرها مسئوليته عن تدشين "محنة خلق القرآن" التي كانت بمثابة أول محكمة تفتيش في تاريخ الإسلام ، ورغم أنه لن يذكر في التاريخ على أنه قائد عسكري فذ ، ولا كان سياسيا أو إداريا خارقا للمألوف ، فسنظل مدينين له بأنه كان أكثر الخلفاء رعاية للعلوم ، ومدشّنا لحركة من أروع وأخطر الحركات الفكرية في التاريخ ، والمشجع الأكبر لترجمة الكتب اليونانية والسريانية إلى العربية ، وهي الخطوة التمهيدية اللازمة للتأليف ، ولتمكين المفكرين والعلماء المسلمين من تقديم مساهماتهم الخاصة في التراث الإنساني . وبالتالي فإن مكانته في التاريخ تفوق بكثير مكانة والده هارون الرشيد ، رغم أن هارون يفوقه شهرة ، وهي شهرة إنما جاءته بسبب الأقاصيص والحكايات ، خاصة تلك الواردة في "ألف ليلة وليلة" ، لا بسبب إنجازات حقيقية كإنجازات المأمون .

أضحت بغداد في عهده أحد أهم مراكز التجارة والصناعة في العالم ، وأبرز عاصمة علمية وثقافية . وقد دفع المأمون الأمة الإسلامية دفعا إلى المشاركة في الحياة العقلية والروحية للتراث الإغريقي ، وحاول مخلصا إخراجها من طور التزمت والمحافظة ، عبر طور التقليد والترجمة والنسخ ، إلى طور الإبداع والخلق . لهذا فقد حرص على أن يعقد في قصره كل أسبوع حلقة تضم العلماء يتناظرون ويتناقشون . وبعث بالرسل إلى



القسطنطينية وصقلية وغيرها من اجل الحصول على المخطوطات . وقد تردد الامبراطور البيزنطى فى اول الأمر فى الاستجابة لمطلب المامون ، مصرحا بان المعارف التى كانت أساس عظمة الروم من الخطر ان تنتقل إلى امة من الهمج ، غير انه اضطر فيما بعد إلى تحقيق رغبة الخليفة وبعث مع الرسل بمخطوطات ثمينة ضمها المامون إلى ما حصل عليه من جهات أخرى ، وأودعها مبنى سماه "بيت الحكمة" ، صار يؤدى مهمة المدرسة والمكتبة العامة وديوان الترجمة فى آن واحد ، وعيّن حنين بن إسحاق مديرا له .

كان حنين ، ثقة فى الإغريقية والسريانية ، وكان يترجم النصوص اليونانية أولا إلى السريانية ثم يترجمها معاونان ، ابنه اسحاق وابن أخته حبيش ، إلى العربية . ويقال إن حنين كان يتقاضى مرتبا شهريا قدره خمسمائة دينار ، بالإضافة إلى وزن كل كتاب يترجمه ذهبا . وقد ترجمت فى ظل إدارته كافة كتب ابقراط وجالينوس فى الطب ، وكتب ارشميدس وإقليدس فى الرياضة والهندسة ، وكتب أفلاطون وارسطو فى الفلسفة . اما التراث الإغريقى فى التمثيليات والملاحم فلم يترجم ، لنفور المسلمين من أدب لصيق الصلة بآلهة غريبة وبخرافات واساطير يمجها الذوق العربى . وعلى أى حال فقد قيل إنه بينما كان حكام العالم الإسلامى وعلماؤه مشغولين بقضايا الفكر والفلسفة والعلوم الإغريقية ، كان امراء اوروبا ونبلاؤها يحاولون تعلم كتابة اسمائهم !

وبالإضافة إلى اهتمام المامون هذا بالعلوم ، وفضله الذى لا ينكر فى محاولة إفساح المجال للعقل لمناقشة أمور العقيدة المنزلة ، كان له فضل آخر بعيد الأثر فى أمة الإسلام وتاريخها . فقد نشطت فى عهده عملية الدمج العنصرى بين العرب وغيرهم من الأجناس ، وهى عملية أسهم فيها انتشار الزواج المختلط ، وتعدد الزوجات ، واقتناء الجوارى والرقيق . وكان من نتائج ذلك ان كاد يُقضى تماما على العصبية القبلية التى اضرت أعظم الإضرار بمصالح دولة الإسلام ، وأن ضاقت الهوة والخلاف بين المسلمين القدامى والداخلين الجدد فى الإسلام ، وأن تلاشت الأرستقراطية القائمة على شرف النسب وحده ، فى حين بدأت تقوى طبقة جديدة من التجار والأطباء والكتاب والأدباء والمعلمين والعلماء والصناع والمهنيين ، يتمتع أفرادها بما كانت الأرستقراطية تحتكره فى الماضى من امتيازات ورغد العيش وهو تطور اقتصادى واجتماعى ترك بصماته الواضحة على تنظيم المجتمع الإسلامى منذ ذلك العهد .

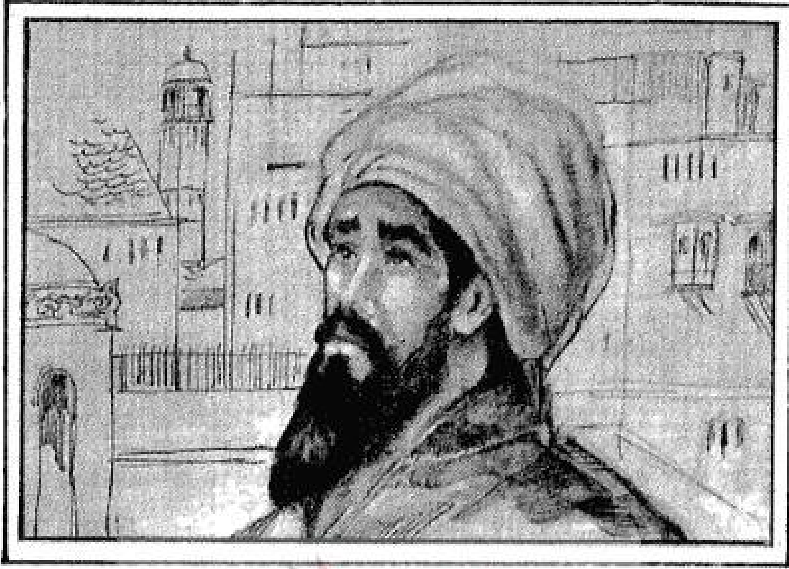
ابن سينا

٩٨٠ - ١٠٣٧ م

فيلسوف وطبيب فارسى ، ربما كان أشهر فلاسفة واطباء العالم الإسلامى . ويلاحظ بوجه عام ان الطب منذ نشاته ظل قرونا طويلة مرتبطا بالفلسفة . ويكاد يكون معظم فلاسفة العرب ، من الكندى حتى ابن رشد ، اطباء . وكان الخلفاء والسلاطين يعينونهم اطباء فى البلاط ، ومؤدبين لأولادهم ، ومستشارين سياسيين(١) .

وقد خلف ابن سينا من بين ٢٦٧ مؤلفا ثلاثة كتب (او موسوعات) خالدة : اثنين فى الفلسفة ، وهما "الإشارات والتنبيهات" و"الشفاء" . والثالث فى الطب ، وهو "القانون"

فاما فى الفلسفة ، فقد كان ابن سينا احد قلة قليلة من المفكرين المسلمين الذين حاولوا تحطيم القيود التى فرضها اللاهوت على البحث العقلى فى شئون العالم . وقد عنى اساسا بفلسفة ارسطو فيما وراء الطبيعة ، وفلسفة افلاطون كما اعاد الفلاسفة الإغريق تفسيرها ، وبتطبيق هاتين



الفلسفتين على العقيدة الاسلامية . وقد اعترف ابن سينا بحقيقة النبوة ووجوبها وضرورتها . غير انه ذهب إلى ان الانبياء - من اجل ان تفهم عامة الناس رسالاتهم وان يتقبلوها - يلجأون إلى الرموز والأمثال والمجاز ، وهو مايجب على العامة أخذها حرفيا . اما الصفوة فليس ثمة ما يضطرهم الى الأخذ بها . وعنده ان النعيم والجحيم روحيان لاجسديان ، لأن الجسد غير خالد والعالم قديم لا نهاية له ، أما بعث الاجساد فيعني ضمنا أن العالم ليس قديما بل له نهاية . وهو يؤمن بحرية الانسان ومسئوليته عن أعماله ، وبانه مخير لامسير . كما يرى أن أسمى درجات السعادة هي السعادة الفكرية الروحية لا الجسدية ، والتأمل فى الله بغية الاتصال به ورؤيته روحيا ، باعتبار ان رؤية الله هى الهدف الأسمى والغاية النهائية . غير انه مع هذه النزعة الصوفية ، لايؤمن بان التقشف والزهد سبيلان إلى السعادة . وكان هو نفسه شديد الولوع باطايب الحياة ، ويرد على نصح اصدقائه له بالاعتدال بقوله : "إنى اوثر عيشا قصيرا رحباً ، على حياة طويلة ضيقة"

وقد جلبت عليه هذه الآراء وغيرها نقمة علماء السنة الذين رموه بالزندقة ، وهى التهمة التى وجهوها إلى كل من حاول من المسلمين أن يجعل الفكر الفلسفى فكرا أصيلا فى الحضارة الإسلامية لا فكرا دخيلا ، وأن يبنى الجسور بين الفلسفة واللاهوت . ولهذا فقد حرص ابن سينا على أن يجعل كتاباته على مستويات ثلاثة : كتب للعامة (منها "الشفاء" و"النجاة") لا تتعارض تعارضا بينا مع المعتقدات الشائعة ، وكتب لتلاميذه (ومنها "الإشارات والتنبيهات") وكان فيها أكثر حرية وجراة ، وكتب فى العقيدة الباطنة (مثل "حكمة المشرقيين") أعدها لفئة خاصة محدودة تستطيع فهمها . وقد كان الغزالى أيضا يقول بهذه المستويات فى عرض الآراء ، غير أنه لم يطبق هذا المبدأ على النطاق الواسع الذى طبقه ابن سينا .

غير أن شهرة ابن سينا كطبيب (وكان يدعى بجالينوس العرب) فاقت شهرته كفيلسوف . وقد حاول فى كتابه الشهير "القانون فى الطب" أن يوفق بين طب أبقراط وطب جالينوس ، مضيفا إليهما ما عرفه عن طب فارس والهند والسريان والعرب ، وما دلته عليه خبراته الشخصية والتجارب التى قام بها بنفسه وقد كان لهذا الكتاب الفضل فى بيان العلاقة الوثيقة بين الحالات النفسية وأمراض الجسم ، وبيان تأثير التغذية وتأثير المناخ فى الصحة ، وبيان إمكان انتقال مرض السل بالعدوى ، وانتشار الأمراض بسبب القذارة والمياه الملوثة ، وكان ابن سينا دائما يوصى بأن تجرب الأدوية أولا على الحيوانات للتأكد من فعاليتها وخلوها من الضرر .

وقد حل كتاب "القانون" هذا محل كافة كتب الطب التى ظهرت قبله ، وظل الكتاب الطبى المعتمد فى العالم الإسلامى حتى مطلع القرن العشرين . أما فى أوروبا فقد ظل المرجع الرئيسى فى تدريس الطب فى الجامعات حتى القرن السابع عشر ، (أى ما يقرب من ستة قرون) ، وحتى قيل فيه إنه "ظل بمثابة الكتاب المقدس فى الطب أطول مما ظل أى كتاب آخر" .

كذلك اهتم الأوروبيون اهتماما بالغا بفلسفته التى تسعى إلى التوفيق بين الفلسفة الإغريقية والعقيدة الدينية (إسلامية كانت أو مسيحية) . وكان أول من أدرك أهمية مسعى ابن سينا وإمكان الانتفاع بأفكاره فى علم الكلام عند المسيحيين ، راهب ألمانى هو ألبرت الكبير (توفى عام ١٢٨٠) ، وتلميذه الإيطالى توما الأكوينى ، الذى يلقب بأمير المتكلمين وواضع أساس علم اللاهوت الكاثوليكى . وفى بريطانيا كان الفيلسوف روجر بيكون (توفى عام ١٢٩٤) يعتبر ابن سينا أعظم حجة فى الفلسفة بعد أرسطو ، ويروج لتعاليمه وآرائه ، حتى اتهم هو الآخر بالكفر والخروج على العقيدة ، وحكم عليه بالسجن فى باريس عدة أعوام .

سوناتا: أمسية صيف

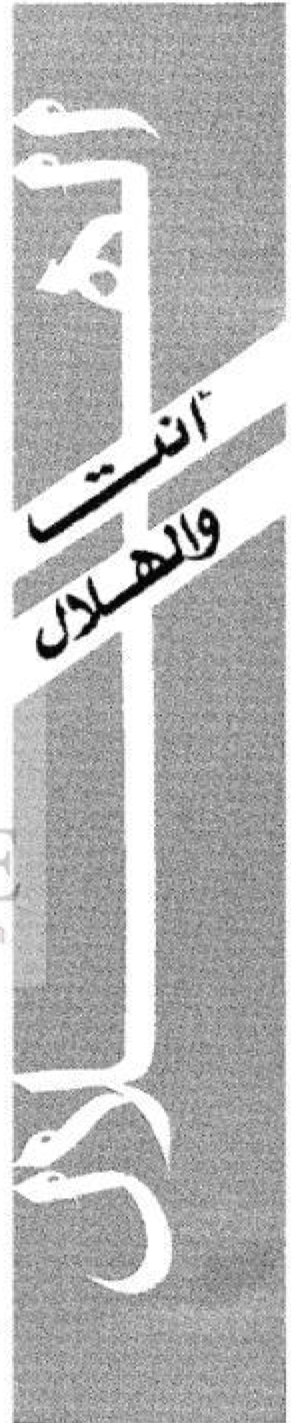
للشاعر الفرنسي: ألبير سامان

ترجمة: محمد محمد السنباطي

السماء ـ كبحيرة من الذهب الشاحب ـ تستشعر الإغماء
يبدو أن السهل الخاوى على بعدٍ ـ يتفكر
وفى الهواء الذى يضخمه الخواء والسكوت
تنسكب روح الليل الحزينة
وبينما تبرق الأضواء الهزيلة هنا وهناك
أخذت الثيران الضخمة المقرونة طريق عودتها
والمعمرون فى قلنسواتهم ، وذقونهم على أيديهم
يتنسمون المساء الهادىء على أبواب أكواخهم
المشهد ـ حيث تحن النواقيس ـ مفعم بالنواح وبسيط
كلوحة جميلة لرسام بدائى
حيث الراعى الصالح يقود الحمل الأبيض المتقافز
النجوم ـ فى السماء السوداء ـ تتلألأ
وهناك ـ جامدا ـ فى أعلى الساحل
يحلم خيال عتيق لأحد الرعاة

● ألبير سامان (١٨٥٨ ـ ١٩٠٠) من شعراء الاتجاه البرناسى فى الشعر والذى يرأسه وكونت دى ليل

●● البدائى primitif صفة تطلق على فنانى عصر النهضة الكبار الذين اتسمت أعمالهم بالبساطة والعفوية .



• الدين والعلم •

• أثارنى الى كتابة هذه الكلمة المقال القيم الذى كتبه الدكتور يس عبد الغفار بعنوان : "العقل البشرى يصل ما انقطع بين الدين والعلم" ونشر بهلال فبراير ١٩٨٩ .

وتعليقا على ذلك اقول إن الكون الذى نعيش فيه كان وسوف يظل دائما قائما فى سداه ولحمته على الصراع بين المتناقضات ، لأن اى موجود قائم بنفسه وله وظيفة ، هو فى علاقته بنفسه حصيلة الصراع بين متناقضاته الداخلية ، كما أنه فى علاقته بغيره حصيلة الصراع بين تناقضاته الخارجية . وكل التناقضات الداخلية والخارجية تتوحد وتحسم تماما عند الفعل ، أى لحظة اتخاذ القرار .

أن الوحدة التامة بين الأشياء ليست دائما خيرا ، بل قد تكون شرا . وتعددها وتناقضها فيما بينها ليس دائما شرا بل قد يكون خيرا .

وعندما نطبق هذه المبادىء على العلاقة بين الدين والعلم فهذا له ميدانه وأهدافه وذاك له ميدانه وأهدافه . ورغم هذا التناقض فانهم يتوحدان ويتوافقان لدى الشخص الواحد . فكل انسان له معتقده الدينى وفى نفس الوقت له عقلانيته العلمية . فعندما نسأل كم حاصل ضرب خمسة فى ستة ؟ تكون الاجابة من اختصاص العلم . وعندما نسأل : صلاة الظهر كم ركعة ؟ تكون الاجابة من اختصاص الدين وكلا الاجابتين ، من الممكن أن يقوم بهما انسان واحد .

والدين هو محاولة لفهم الكون "بعامة" فى علاقته بالخالق وفى المصير بعد الموت ـ الخ . بينما العلم هو محاولة لفهم الكون "بخاصة" فى مختلف جزئياته من انسان وحيوان ونبات وجماد وظواهر مختلفة ـ الخ . والمحاولتان من الممكن أن يقوم بهما شخص واحد . وهكذا يتوحدان ويتوافقان فى الشخص الواحد .

الدين هو علاقة بين الانسان وربه . والعلم هو علاقة بين الانسان ومختلف موجودات الكون ويمارس فى الجامعات ومختلف المدارس ومراكز البحوث . أما السياسة فعلاقة بين الحاكم والمحكوم .

ايران يحكمها اليوم رجال الدين فى ظل مبدأ "الدين الشامل" فلم يهيمنوا على أداة الحكم فحسب ، بل هيمنوا ايضا على أداة الحرب وعلى مختلف الأنشطة الانسانية من علوم وفنون واقتصاد وصناعة وزراعة ـ الخ ، فليتعظ المنادون بالدين الشامل بهذه التجربة الحية .

يقول الدكتور يس عبد الغفار :

"ان اللايقينية والنسبية عند اينشتاين هما فى حقيقة الأمر نقيضتان اساسيتان في شأن العلم اليوم" .

واقول : ان اللايقينية والنسبية هما معلمان جوهريان من معالم العلم اليوم ، بينما اليقينية والاطلاقية هما من سمات الدين . فالعلم لاينبغى أن يقول باليقينية والاطلاقية بينما الدين يقول بهما ويطلب من تابعيه التسليم الكامل .

ثم يقول سيادته . "ان العلم والدين وان اختلفا وسيلة وسبيلا فانهما يتفقان غاية ومقصدا . ان الغاية المشتركة لكليهما هى حياة افضل للانسان ."

واقول : اوافقه تماما فى ذلك ، ولكننى اناقضه اذ يقول :

مادامت الغاية واحدة ، ومادام احدهما يتمم الاخر ، فإن اندماجهما في مذهب واحد امر طبيعي . ان هذا الاندماج ليس ممكنا فحسب بل هو ضرورة حتمية لصالح كل منهما . فحينئذ يصحح الدين مسار العلم ويشد العلم ازر الدين . هذا هو المذهب الشمولي الذى ننادى به والذى نرى فيه خلاص البشرية اليوم وغدا ."

واقول : سيادته يعترف انهما مختلفان وسيلة ، فهل يمكن التوفيق بين المختلفين وسيلة ؟ ان وسيلة الدين (كالروحية والحدسية) لاتصلح للعلم ، كما أن وسيلة العلم (كالعقلانية والتجريبية) لاتصلح للدين . والوحدة التامة بين الدين والعلم لاتعنى سوى سيادة احدى الوسيلتين على الاخرى . ان سيادة وسيلة الدين على العلم تهدمه تماما ، كما ان سيادة وسيلة العلم على الدين تهدره تماما . هذه الوحدة اذن - سواء سميت اندماجا او شمولية - لن تصحح مسار احدهما أو تشد من ازر الآخر وانما سوف تهدم تماما احدهما .

أن الوحدة التامة بين اى كيانين ، كل كيان منهما مستقل تماما عن الآخر وله وظيفته الجوهرية هو نوع من الافساد .

هذه الوحدة الشمولية ، من الممكن أن تتحقق فى تصوراتنا وخيالنا ، ولكن ممتنع تحقيقها فى عالم الواقع . وأن افتعل الانسان هذه الوحدة في عالم الواقع فالنتيجة هى حتما نوع من الافساد .

أن مصدرا من مصادر بؤس البشرية هو بحثها الدائب عن حقيقة واحدة توحد بين كل الحقائق المتناقضة بالكون . أن هذا البحث يضيع دائما سدى لأنه نوع من المحال . ومن الطبيعي الا ينتج عن هذه الوحدة - أو هذا المذهب الشمولي - خلاص البشرية . فخلاص البشرية لاينتج عن الغاء الصراع بين المتناقضات . فهذا الصراع هو القانون الأزلي للوجود . ولايمكن بحال من الأحوال تخطيه أو تجاهله . اما الخلاص الحقيقى للبشرية فلن يكون الا باطلاق الحرية التامة لهذه التناقضات الطبيعية حتى تقوم بوظيفتها ، وحتى توصلنا

الى القرار الأفضل وبالتالى الى الحياة الأفضل .

أن الدين والعلم هما من ضرورات الحياة . واستقلال كل منهما بنفسه واجب .

وحيث أن التوفيق الكامل بين متناقضات الكون خطأ بحت ونوع من المحال ، فإن "التوفيق الكامل" بين التناقضات التى بين الدين والعلم هو أيضا خطأ ومحال .

ان الصراع بين الأديان المختلفة ، وكذلك بينها وبين العلم ، لاضرر منه ، بل فيه الخير كل الخير للانسانية .

أمين محمود العقاد
٦ شارع نور الدين - الزقازيق

• صخرة الحياة •



فى جلسة حب صافية
كنعومة ماء ابيض
قالت أمى :
ياولدى ...
لايحيا ابدا غير الصخر ! ..
وانا ..
من شدة حرصى أن احيا ابدا
خفت ..
ان يفلت منى الدهر ..
فانا .. فى حالة عشق ..
تتجمع فيه كل خيوط العمر ! ..

السيدابراهيم عطية - كفر صقر

• عتاب •

تساءلتْ :
لِمَ السحابُ منذ لفحة الهجير الماضية



لَمْ يعرف الطريق نحو موطني ؟!..
لِمَ المطرُ .. لَمْ يعشق الرمال ، والرمال أدمنته ؟!
لِمَ القوافل المسافرة ..
لَمْ تعرف الدروبَ المشرئبة القلوب لِلْخُطا
لِمَ العنادل المسافرة .. تواطات معك ؟
فهجرتْ سمائى الممتدة الغصون
وَلمّا لَمْ يُجِبْ .. توقفتْ ! ..

كريمة ثابت
كلية التربية ـ لغة عربية
أسيوط

● برقيـــــة ●

● وجاءنا من الآنسة كريمة ثابت أيضا الخطاب التالى ننشره بحروفه :

بعثت اليكم منذ شهرين او ثلاثة اشهر خطابا يحتوى على عتاب موجه الى الهلال بصفتها واحدة من المجلات الأدبية الرائدة فى مصر والعالم العربى .

المهم ـ كان هذا الخطاب يتساءل : لماذا ، ولصالح من قاطعت الصحافة الأدبية فى مصر مؤتمر ... الرابع والذى عقد فى دمياط والذى افتتحه السيد ... وكان يرتدى سترة بنية اللون فى منتهى الشياكة ، ويتعطر ببرفان زكم أنوف السادة المؤتمرين .

ويبدو أن هذا الخطاب المسكين التعس استقر فى قاع سلة المهملات . (وأنا واثقة أن هذا الخطاب ايضا سيلحق بأخيه)

عزيزى : محرر باب أنت والهلال : عندى مجموعة من التساؤلات التى يضيق بها صدرى وأتمنى من الله "ولايكثر على الله" .. ان أجد عندكم إجابات شافية لها

ـ ما القنوات التى تؤدى بالأديب الى النشر على الصفحات الداخلية للهلال ؟ وهل هى فنية أم شخصية (كوسة يعنى)

ـ لماذا تنشر لشاعر واحد ٣ قصائد خلال ٤ أشهر (فى باب أنت والهلال) وتتجاهل أخرين أو تكتفى بنشر اسمائهم مسبوقة بعبارة (ونرحب دائما بنفثات أقلام السادة ....)

- ولم تنفرد وحدك بالحكم على قصيدة بأنها غير مفهومة ؟ هل كل متذوقي الأدب في مصر والعالم العربي فوضوك لكي تعبر عن رأيهم ؟ لماذا لاتقول أنا لا أفهمها ؟

- وأخيرا لماذا لاتنشر اسمك حتى نتحادث وجها لوجه .

● تعليق الهلال :

- لانتذكر خطابك الذى تقولين إنك أرسلته الينا منذ اشهر

- لانعلم شيئا عن المؤتمر الرابع الذى تقولين إنه انعقد بدمياط ولانعرف عمن تتحدثين ، ولا من هو صاحب السترة البنية والعطر الفواح .

- لانلقي فى سلة المهملات اي خطاب ، حتى الخطابات التافهة التي يتحذلق علينا اصحابها ويتعالمون وهم من صغار الناشئين الذين تعلموا فك الخط منذ سنوات قلائل .. هذه الخطابات نحتفظ بها للذكرى !" ..

- الشعر الناضج الجيد يفرض نفسه على صفحات الهلال بغض النظر عن سن الشاعر ومهنته وشهادته الدراسية ، فقد يكون الشاعر الناضج في العشرين من عمره ، ومتعطلا ولايحمل شهادة ، وقد يكون الشاعر التافه فى الخمسين من عمره ، ويحمل الدكتوراه ، ويملك مليون جنيه .

- ليس عندنا "كوسة" .. نحن لانعرف أحدا من الشعراء الذين ننشر لهم ، وبعضهم من خارج مصر ، ولو التقوا بنا فى الطريق ماعرفونا ولا عرفناهم .. تماما مثلما يحدث لو رأيناك ! ..

- الترحيب بنفثات الاقلام ، والترحيب بالقراء ، تشجيع لابد منه للناشئين ، فلا نستطيع أن نعبس فى وجوههم ، وقد نلت انت بالذات تشجيعا خاصا ، ولم نتوان عن نشر تفعيلاتك الشعرية لاننا وجدنا فيها مايدل على موهبة مع انك مازلت فى السنة الثالثة بكلية التربية ، وقد سرنا انك تعرفين اللغة ولم نجد لك خطا فيها ولا فى العروض ، وهو امر نادر فى كليات اللغة العربية الآن ، مع أن الواضح من خطك انك من جيل "شرشر" المنكوب بالطريقة الأمريكية لتعليم اللغة العربية ..

- محرر هذا الباب مطلوب منه ان يقول رايه ، وليس معقولا جمع لجنة من أدباء العالم العربى لتحرير هذا الباب وإبداء رايهم فى تفعيلاتك التى توجد فيها اشياء جميلة واشياء رديئة ..

- انت - برغم "شطارتك" فى اللغة ، لاتعرفين أن الكاتب عندما يقول : نرى كذا او كذا ، فإنما يريد أن يقول : أرى كذا ..

وكان المرحوم العقاد يقول دائما نحن نقول كذا .. ويقصد انا اقول . على كل حال انت مازلت ناشئة فلا لوم عليك ! ..

ـ لاشأن لك بالأسماء . فكاتب هذا الباب أكبر سنا من اساتذتك الذين تتعلمين على ايديهم فى الكلية . وليتك تعلمت على أيديهم شيئا من الكياسة وادب الحديث الى من يكبرك فى السن اربعين عاما على الاقل . وكان يقول الشعر عندما كنت انت فى عالم الغيب . ولعل بعض اساتذتك من تلاميذ تلاميذه ! ..

ـ يا انسة كريمة .. إن لك موهبة . وانت طالبة "شاطرة" فحاولى أن تبتعدى عن الغرور والتطاول ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه ! ..

• إلى روح الشاعر فتحى سعيد •

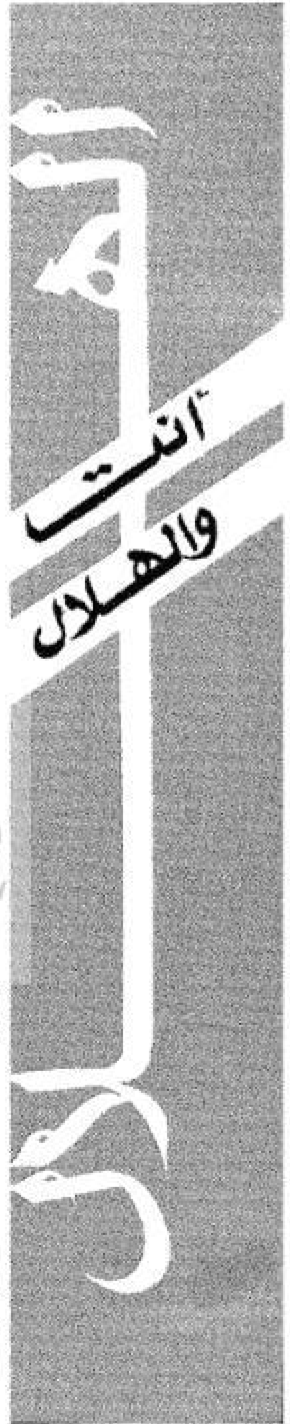


كنت ـ حين بدأت ـ انكسار الشموس بعينى . تبعد .. كيما أرى
وانتشيت لايقاعها سابحا فى محيط الصفاء الطفولى ..
لاينتهى بيننا الملتقى ..
قلبك الفرس .. قلبى الحصاد .. فكم اطعمتنى دماك النجوم ..
تسافر فىّ خيوطا من الصبر .. أستهلك الليل فى هدبها !!
حينما سكنتنى .. اعتمدت علىّ وحدث ...
قالوا : أ "فتحى سعيد" رجع
قلت : لا بل هو ظله يختفى من نهار المسرات مختزنا قلبه
كى يفرقه بينكم فى مساء الوجع !!!

عبد الرحيم الماسخ
المراغة ـ سوهاج

• ابن النفيس •

• يتعمد بعض الكتاب إبراز الأصل الفارسى أو الرومى أو التركى أو الهندى لمعظم كبار الباحثين والمفكرين والعلماء والأطباء والموسيقيين فى للتاريخ العربى والاسلامى . ومن هؤلاء الطبيب المشهور ابن النفيس الذى احتفل العالم منذ شهور بمرور



سبعمائة سنة على وفاته ، فهل كان هذا الطبيب المشهور من غير العرب أيضا ؟!

علي محمود زيدان

دمياط

● تعليق الهلال :

ـ ابن النفيس من أصل عربى ، واسمه علاء الدين ابو الحسن على بن ابى الحزم القرشى الدمشقى .. دمشقى المولد ، مصرى الموطن .. عاش فى القرن السابع الهجرى وشهد الحروب الصليبية وسقوط بغداد فى يد هولاكو ، ورحل الى القاهرة وهو فى السادسة والعشرين من عمره ولبث يعمل بها اكثر من خمسين عاما فى البيمارستان الناصرى ومستشفى قلاوون "الموجود حتى الآن فى القاهرة القديمة" .. وله كتب فى الفقه الاسلامى الى جانب كتبه فى الطب .. ويعتبر ابن النفيس من أعظم الأطباء العرب الذين ظلت كتبهم تدرس فى الشرق وفى اوربا عدة قرون ، ومازال الكثير منها مخطوطا .. وكل عظيم من عظماء التاريخ الاسلامى ، فهو عربى الثقافة وليس للثقافة الفارسية او غيرها اثر مذكور فى تكوينه العقلى والوجدانى ، حتى ولو كانت بعض الدماء الأجنبية تجرى فى عروقه ..

● المجلات الأدبية ●

أننى أرسل اليكم من وقت الى آخر قصيدة او قصة او مقالة فلا أجد لها أثرا على صفحات الهلال ، مع أننى نشرت شعرا ومقالات وقصصا فى المجلات العربية كلها تقريبا ، والمجلات المصرية أيضا .

محمد حسن الزين

الاسكندرية

● تعليق الهلال :

ـ لانتذكر اننا تلقينا منك شعرا او نثرا ، فمعذرة .. اما المجلات التى تنشر كل مايحمله اليها البريد ، فهى فى رأينا من اهم اسباب تدهور الشعر والأدب فى الوقت الراهن ، ونحن لنا ـ من قديم ـ ميزان خاص للانتاج الأدبى ، ولا نستطيع مجاراة المجلات التى ذكرت لنا أسماءها ! ..

عصام محمد فياض ـ نيوزيلاندا

ـ لقد كتبت إلينا من بعيد بحثا عن إجابة سؤال تجدها فى اى مرجع عندكم ، فأنت تسأل عن عادة حرق جثث الموتى ، فأعلم أن الإسلام يحرم هذه العادة ، ولكن هناك أديانا تبيحها ، بل إن بعض الأديان تجعلها من طقوسها ، مثل اديان الهند الوثنية وغيرها وبعض المسيحيين ـ غير الشرقيين ـ يوصون بحرق جثثهم ولايعترض رجال دينهم على ذلك ..

عاطف نجم محمد على ـ طالب بمعهد شبين القناطر الأزهرى :

ـ قصيدتك التى أولها : "اكتب وانا محصور .. بجمالك انا مفتون" ليست ذات أوزان ، فهى نثر لاشعر .. وفيها أخطاء لغوية ونحوية وإملائية مثل قولك "فرحمى" .. تقصد : "فأرحمى" .. وقولك "فطربى" .. تقصد : "فاطربى" .. فهذه من الاغلاط الاملائية مثلا .. وتقول : "أغير عليك" .. والصواب : "اغار عليك" .. وفى قصيدتك هذه تعبيرات غير مستحبة كقولك : "عندما أراك أهيج كالغول" .

● **محمد** عبد الباسط **زيدان ـ ابشواى**

ـ قصيدتك "الهدى" فيها أبيات موزونة وأخرى ليست كذلك ، وفيها اغلاط لغوية ونحوية كقولك : "وابتدينا" تقصد و"ابتدأنا" وقولك "مشاوير السهاد" وليس فى اللغة مشوار ومشاوير .. وقولك "هل تردى" تقصد "هل تردين؟"

● **يوسف** عبد العزيز على ـ كلية الاداب بقنا :

قصيدتكم "معاناة قمر" تحتاج منك الى إعادة نظر لازالة بعض التكلف واصلاح وزن بعض الشطرات .

● **ابو الهيثم المجدلى ـ غزة :**

ـ أنت تجد وقتا للحديث عن قصيدة "لاتكذبى" التى غنتها نجاة وعبد الحليم قبل ربع قرن .. كيف حال الانتفاضة الثورية العظيمة عندكم ، وماهو موقفك منها ؟!

● **عاصم فريد البرقوقى ـ ٣٧ شارع خليل مطران ـ الاسكندرية :**

ـ أنت تبحث عن "الابتسامة" على صفحات الهلال ، وعندك حق ، فأحيانا تطغى جدية الموضوعات على الابتسامة ، وينسى المرء فى زحام هموم الحياة أن يبتسم ! ..

الكلمة الأخيرة

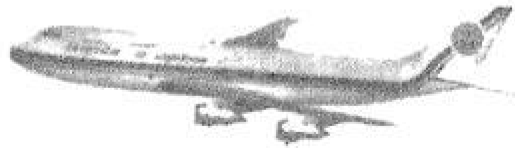
الصيام لون من التربية النفسية أساسه تدريب الإرادة على ترك ماتشتهي ، وجعل زمام الإنسان مع عقله لا مع هواه ، قد يتطلع امرؤ إلى حقوق الآخرين واخذ ما بايديهم وهو لا يحل له ! فهل نترك هذا التطلع يمضي فى طريقه ام نوقفه عند حدوده ؟ لابد من كبت هذه الرغبة إلى الأبد . والكبت هنا جزء من التربية الإنسانية التي ينشدها الشارع ولا يستغني عنها قانون ! بل إن الفارق بين الإنسان والحيوان هو فى وجود هذه الإرادة .. والصوم الذى شرعه الإسلام إنشاء للقدرة على الامتناع وتدريب لمدة شهر على ترويض اعتى الشهوات . فى الكيان البشرى . شهوتي الأكل والجنس . وبذلك يقدر المؤمن على اداء الواجبات مهما ثقلت ، وعلى ترك الآثام مهما حلت فى العين . وهو ما صرح به القرآن الكريم فى قوله تعالى : "يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون" والتقوى هى الضمير الرقيب على السلوك العام والخاص ومع يقظة هذا الضمير يؤدي المسلم ما امر الله به ويترك مانهاه الله عنه ..

ومن المحزن ان الصيام تحول عن خطه الصحيح او تنوسيت فيه الحكمة المقصودة منه : لأن جمهور الصائمين جعل من الشهر المبارك موسماً للمزيد من الأطعمة والمزيد من التسلية ، وتضاعف استهلاك المواد فيه ، واضحى مربكا للأحوال الاجتماعية والاقتصادية كما ان البعض قد يمتنع عن الطعام المباح ولا يمتنع عن اللغو والصخب والاستطالة فى حرمات الآخرين ، وفى الحديث الشريف "رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع . ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر" وفى حديث آخر "الصيام جنة - اى وقاية - ما لم يخرقها ! قيل : وبم يخرقها ؟ قال : بكذب او غيبة !"

وعلينا نحن المسلمين ان نجعل من الشهر الكريم شهر روحانية وبر . وموسم طاعة وتزكية وفرصة لإسعاف المحتاج وإغاثة الملهوف وإعانة المعسرين .. وليكن ذلك كله ابتغاء وجه الله ، وتساميا عن حياة الانانية والشح ، وادخاراً لما يحتاج المسلم إليه عند لقاء ربه "وما لأحد عنده من نعمة تجزى .
إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى .
ولسوف يرضى" !

محمد الغزالي





الهلال

مايو ١٩٨٩ • الثمن ٧٥ قرشا



ثقب في السماء

قبل أن يختفي الأخضر
تموت الزهور
ويتلوث الماء والهواء

شخصية عربية



محمد حسنين هيكل

الهلال

مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجي زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

السنة السادسة والتسعون • مايو ١٩٨٩م • رمضان ١٤٠٩

محمد حسنين هيكل من أبرز الصحفيين المصريين الذين مارسوا الكتابة على مدى سبعة واربعين عاما بكفاءة واقتدار.

عمل بالصحافة منذ عام ١٩٤٢ بمجلة آخر ساعة حتى أصبح رئيسا لتحريرها .. وبعد عمل دءوب متصل اصبح رئيسا لتحرير الأهرام عام ١٩٥٧، وطوال عمله بالاهرام عاصر مرحلة هامة شهدت تغييرات واسعة وعميقة فى تاريخ الصحافة المصرية، ومن أبرز البصمات التى تركها هيكل اتمام مشروع الاهرام الجديد الذى يعتبر من احدث المشروعات الصحفية فى العالم واكثرها تطورا.

اشتهر هيكل بمقاله الأسبوعى «بصراحة» وكان يفجر فيه قضايا سياسية واجتماعية اتسمت بالصدق والرؤية الدقيقة للمتغيرات التى تشهدها مصر والوطن العربى بل والعالم كله.

أصدر العديد من الكتب السياسية، وكان أولها الطريق الى رمضان، ثم «عند مفترق الطرق» «لمصر لا لعبد الناصر» . «آفاق الثمانينات» . «خريف الغضب» «بين الصحافة والسياسة» . «مدافع آيات الله» . «ملفات السويس» . «سنوات الغليان».

وهيكل يؤمن بالفكر الجديد دائما وبان الصحفى يجب ان يزاول السياسة كصحفى ويزاول الصحافة كسياسى.

الفرعون والكاهن ص (٣٤)

في هذا العدد



الغلاف
تصميم الفنان: محمد ابو طالب

فكر وثقافة

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحادى البريد العربي والافريقي والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى . وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .
والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية . وفى الخارج بشيك مصرفي لأمر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة بعاليه عند الطلب

دائرة الحوار

فنون

قصة وشعر

● الابواب الثابتة ●

دار الهلال

١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٦٢٥٤٥٠ سبعة
خطوط مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨١
رقم التلكس 92703 Hilal . U . N

ثمن النسخة

سوريا ٤٠ ليرة . لبنان ٥٥٠ ليرة . الاردن ٥٠٠ فلس . الكويت ٤٠٠ فلس . العراق ٣٥٠٠ فلس . السعودية ٥ ريالات . عدن ١٢٥ سنتا . البحرين ٨٠٠ فلس . الدوحة ٦ ريالات . دبى ٦ دراهم . لوس انجلوس ٤٠٠ سنت . ابوظبى ٦ دراهم . مسقط ٦٠٠ بيسه . تونس ١٤٠٠ مليم . المغرب ١٥ درهما . غزة والضفة ٧٥ سنتا . داكار ٦٠٠ فرنك . لندن ١٢٥ بنسا . ايطاليا ٢٥٠٠ ليرة . نيويورك ٤٠٠ سنت اليمن الشمالية ٦ ريالات . كندا ٥ دولارات

عزيزي القارئ

العيد.. والأسئلة

في الاسبوع الاول من الشهر الماضي « ابريل ـ نيسان » جاء شهر رمضان ، كريما كعادته كل عام .. وفي هذا الاسبوع الاول من « مايو ـ أيار » يجيء عيد الفطر المبارك ، فتجتمع لنا بهجة شهر الصوم وفرحة عيد الفطر ، كلتاهما ، في مطلع فصل الربيع ، بين شهري نيسان وأيار اللذين تغنى بهما شعراء العربية من قديم الزمان ! ..

ولكن أعياد الشعوب ـ في الواقع ـ لاتحددها شهور الربيع ولا شهور الصيف ، ولكن تحددها المعاني الخالدة التي تتمثل في اطراد قدوم هذه الأعياد عاماً بعد عام ، وجيلاً بعد جيل ، والأمة باقية راسخة على مر الدهور ، تحافظ على أرضها ومائها وسمائها وكيانها ووجودها القومي المتواصل الحلقات عبر القرون ، رغم تقلبات السراء والضراء ، وتأرجح الزمان بين الباساء والنعماء ! ..

وها نحن أولاء نستظل بغمائم الربيع الرقيقة ، ونستروح انسامه الندية ، ولكننا نوشك أن نستدعي من وراء الف سنة صوت شاعرنا ابي الطيب المتنبي يقول :

عيد بأية حال عدت يا عيد .·. بما مضى أم لأمر فيك تجديد ؟!

ذلك أن أمتنا العربية تقف أمام أعيادها الدينية والقومية والوطنية في هذه المرحلة الفاصلة من تاريخها متسائلة عن المصير : إلى أية حال نحن صائرون أيتها الأعياد المتعاقبة علينا بانتظام تعاقب الليل والنهار ؟! ..

أ إلى الماضي الذي رزحنا فيه تحت نير الاستعمار الأجنبي ، والاستيطان الصهيوني ، أم إلى مستقبل تتكسر فيه الأصفاد ، وتتجدد الآمال ، وتتغير الأمور من حال إلى حال ؟! ..

ماذا وراءك أيها العيد ؟! .. أهناك شيء في الوفاض جديد ؟! ..

ياعيد التراحم والمودة والتضامن .. هل ترى بين شعوبنا وأفرادنا تراحما ومودة وتضامنا وهدفا مشتركا وسعيا جادا على امتداد الأرض العربية والاسلامية بين المحيط الأطلسي والمحيط الهادي ؟! ..

قديما ـ ونحن أطفال ـ كنا نسمع بعض الوعاظ الطيّبين يقولون لنا ناصحين : ليس العيد لمن لبس الجديد ، إنما العيد لمن خاف يوم الوعيد ! .

وقولهم كان ومازال منطقياً صحيحاً ! .

المطروحة على البشرية

فمن أراد أن يعمل للآخرة ويبنى لنفسه قصرا فى الجنة ، فلن ينفعه أن يلبس ثوبا جديدا فى يوم العيد ، ولكن ينفعه أن يدفع حساب ذلك الأمل الأخروى الضخم قبل أن يقف فى ساحة الحساب يوم الوعيد ، أو يوم القيامة ..

وإننا لنستمطر سحائب الرحمة على أجداث أولئك الوعاظ الطيبين ، فإن كلامهم ذاك ينطبق أيضا على شئون الحياة الدنيا ، فليس العيد فى هذه الحياة لمن لبس ثيابا جددا زاهية يختال فيها كالطاووس ، ولكن العيد لمن وجد لنفسه مكانا تحت الشمس ! ..

والأمتان العربية والإسلامية ، تزهوان الآن بالثياب والأموال ، وتعجان بالبنين وزينة الحياة الدنيا ، ولكن العبرة بالأرض التى تقف عليها هاتان الأمتان الرافلتان فى الثياب الزاهية السابحتان فى بحر المال والبنين ! ..

إن عصرنا يهدده تمزق طبقة الأوزون فى الأجواء العليا ، وتلوث البيئة بالمحروقات الصناعية والمبيدات الحشرية ، والتجارب النووية والكيميائية .. وقد وصلت فيه سفن الفضاء إلى المريخ والزهرة بحثا عن علاج لأدواء الأرض ، ولكن قومنا مازالوا يختلفون كل الاختلاف حول بدايات الشهور العربية أو القمرية ، ويتضاربون حول الحلال والحرام فى كيفية معرفة بدايات هذه الشهور .. ويتفنن الحمقى والجهلاء من المتطرفين عندنا فى شغل الناس بالجدل العقيم حول هذه الأمور ! .. فكأنما صومنا وعيد فطرنا لا شأن لهما بالأسئلة الخطيرة المطروحة على البشرية فى عصرنا ، والمطروحة ـ بالبداهة ـ علينا نحن أيضا لأننا لانستطيع أن نجعل من أنفسنا جزءا منفصلا عن البشرية ونحن نعيش على كوكب صغير واحد تائه فى أطراف الفضاء الكونى ! .

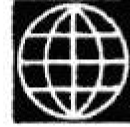
فيا أيها العيد المبارك ، مرحبا بك ، ولكنا نرجو منك أن تجيبنا عن هذا السؤال

ـ بأية حال عدت ياعيد ؟!

فإن كانت صيغة هذا السؤال لاتعجبك لأن أبا الطيب المتنبى حين صاغها قبل ألف سنة كان محتدا ساخرا ثائرا ، فإننا نعيد صياغتها لك ونسألك :

ـ ماذا وراءك أيها العيد السعيد ؟! ..

المحرر



العالم في سطور

اوكسفورد

القاموس الفريد

اعيد نشر قاموس اوكسفورد للانجليزية فى طبعته المنقحة الموسعة قبل اربعة اسابيع أو يزيد ...

ولعل هذا النشر اهم حدث ثقافى معاصر ...

بل لعله كما قال الأديب الانجليـزى : « انطونى بيرجس » أهم حدث وقع فى دنيا النشر خلال هذا القرن من عمر الزمن ...

وفى الحق ، فهذا القاموس الفريد يعتبر ، ومنذ اكتماله خلال عام ١٩٢٨ ، المرجع النهائى فى لغة شكسبير .

ولا يغير من هذه النتيجة قلة المتكلمين بالانجليزية الذين استلزم عملهم الرجوع اليه على امتداد وجوده الذى جاوز الستين عاما .

فما اكثر الذين عاشوا حياة ملؤها الثقة والاطمئنان ثقافيا لا لشىء سوى مجرد شعورهم بوجود ذلك القاموس الذى هو ثمرة جهد مدرسى شامخ شموخ ايفرست قمة جبال الهملايا ..

والطبعة الجديدة المكونة من عشرين مجلدا مهداة الى اليزابيث الثانية ملكة انجلترا ..

والمجلدات تنطوى على ٢١,٧٢٨ الف صفحة ، تعرف بمعنى ٦١٦,٥٠٠ الف كلمة ومصطلح ، مستعملة فى سبيل ذلك ستين مليون كلمة : وهو عدد من الكلمات اكثر بنسبة ٢٤٪ من الطبعة الاولى . والقاموس لكل ذلك يكلف الراغب فى اقتنائه غاليا . فالسعر المحدد له فى المملكة المتحدة الف وخمسمائة جنيه استرلينى ..

اما فى الولايات المتحدة فالسعر الفان وخمسمائة دولار وبمناسبة طبعته الجديدة تلك قال ناشراه « جون سيمبسون » و« ادموند فينر » من بين ماقالا ان الاختمار المولد لكلمات وتعبيرات جديدة فى اللغة الانجليزية قد جنح جنوحا شديدا من دنيا الآداب الى دنيا العلوم والاعمال والطب ، وانجليزية امريكا الشمالية العامية .

وغنى عن البيان انه ليس ثمة ، فى ذلك الجنوح اللغوى ، ما يلهم كيتس ومن يسير على دربه من الأدباء بالغناء شعرا .

وهنا قد يكون من المفيد التنبيه الى ان اللغة الانجليزية هى اكثر اللغات الحية نموا . فكلماتها تزيد فى المتوسط بمعدل اربعمائة وخمسين كلمة سنويا ..

ومن مزايا القاموس انه يعنى بتتبع اول ظهور معروف للكلمة وهى مطبوعة ، يأتى بجمل مبتغيا بها توضيح سياق الكلام الذى جرى استعمالها فيه ، وجميع التغييرات فى المعنى التى طرات عليها مع كر الاعوام ...

خذ مثلا كلمة « ايدز » ...

القاموس يعرفها ثم يتتبع تاريخها فى الماضى حتى اول ظهورها الافتراضى مطبوعة فى التقرير الاسبوعى عن المرضى والوفيات (٢٤ سبتمبر ١٩٨٢) .



وليم شكسبير

والمذهل في مغامرة اصدار القاموس هو قصر المدة فيما بين تصور الفكرة واخراجها الى حيز الوجود في عشرين مجلدا ، فهي لم تتجاوز من عمر الزمن سوى سبعة اعوام ..

والفضل في ذلك إنما يرجع إلى كلمة لم يكن لها أي وجود في طبعة القاموس الأولى ، الا وهي كلمة « كومبيوتر » ..

الامبراطورة الأخيرة

عاشت في ذلك العصر المسمى بالعصر الجميل لانه كان مفعما بالغنى والمتاع ، وبكل ما يثير الزهو الزائف ...

كان لها من العمر ستة اعوام عندما طعن فوضوى ايطالي « لويجي لوكيتي » امبراطورة النمسا « اليزابيث » (سيسي) بخنجر ، فاسلمت الروح متأثرة بجراحها في جناحها بفندق بوريفاج المطل على بحيرة ليمان (١٠ سبتمبر ١٨٩٨) .

كانت الأميرة زيتا وقتذاك لا تعرف انه لن يمر سوى ثلاثة عشر عاما على هذا الحدث الجلل ، الا ويعقد قرانها على « كارل » احد امراء الهابسبورج ، تلك الأسرة المتربع اباطرتها على عرش الامبراطورية النمساوية ستمائة عام او يزيد ...

ولن يمر سوى ثلاثة اعوام على هذا القران السعيد الا ويغتال ولي عهد النمسا « فرانسوا فرديناند » هو وزوجته « سونيا » في « سيراييفو » من اعمال البوسنة وهيرزوجفينا (٢٨ يونيه ١٩١٤) فيكون ذلك سببا لتأهل زوجها « كارل » وريثا وحيدا لعرش آل هابسبورج ، ولنشوب حرب عالمية لاتبقى ولاتذر على شيء من العصر الجميل ..

- الامبراطورة زيتا مع ولي العهد (١٩١٦)

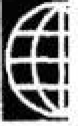


وما ان يجيء الموت الامبراطور العجوز « فرانسوا جوزيف » (نوفمبر ١٩١٦) بعد حكم دام ثمانية وستين عاما ـ حتى اعتلى زوجها « كارل الأول » عرش النمسا (٢١ نوفمبر ١٩١٦) .

واذا بها متوجه معه امبراطورة للنمسا وملكة لهانجريا وبوهيميا .

وطبعا في ذلك اليوم الموعود ، لم تشعر الامبراطورة « زيتا » انها تعيش في نهاية عصر .

وعلى كل ، فقد سقطت امبراطورة الهابسبورج في الثالث من ابريل ١٩١٩ ، اصبحت ماضيا تائها في مجاهل كتب التاريخ والموسوعات . ووجدت الامبراطورة الشابة نفسها مطرودة من أرض النمسا مع اسرتها المكونة من خمسة أولاد وامبراطور سابق ضعيف ، لم يقو على



احتمال صدمة النفي والتشريد ، وذل الفقر وبرد شتاء البرتغال فودع الدنيا بما فيها (٣ ابريل ١٩٢٢) تاركا وراءه زوجة ثكلى تواجه بمفردها مصاعب حياة قاسية لاترحم مع ثمانية أطفال .

وأغرب ما أعجب له في سيرة هذه الأمبراطورة الأخيرة هو امتداد العمر بها رغم المحن التي عصفت بحياتها الى عامنا هذا ، اذ هي لم تمت الا منذ شهرين لا اكثر ، ولها من العمر ستة وتسعون عاما

والمدهش في موتها هو ماصاحبه من استئصال لقلبها ليدفن بجوار قلب زوجها في سويسرا ، ثم نقل جثمانها الى فيينا حيث سجى في كاتدرائية سان ستفانو التي ترددت بين جدرانها العتيقة - ولأول مرة منذ سبعين عاما - اصداء السلام الامبراطوري القديم ...

وكان على رأس الوفد الرسمي النمساوي المكلف بتقديم فروض العزاء الى أسرة الامبراطورة رئيس الجمهورية « كيرت فالدهايم » ..

وعندما سئل المستشار النمساوي السابق « برونو كرايسكي » عن مخاطر احتمال استغلال جنازتها لاحداث تظاهرات تنادي بعودة الملكية .

أجاب قائلا : « حقا ستقوم تظاهرة ، ولكن كل واحد سيعود الى بيته بسلام » .

باريس

الموت .. أو الحرية

روبير هوسين حالة خاصة ..

فهو الآن اشهر مخرج مسرحي في باريس منذ قرابة عشرة أعوام .. ونقول انه حالة خاصة لانه وجد نفسه أخيرا في المسرح بعد أن كان نجما في السينما لسنوات طويلة .. لكن حالة هوسين الخاصة أكدت ان الفنان قد يكون عطاؤه عاديا في مجال .. لكنه في مجال آخر بعيد عنه تماما يمكن أن يكون عبقريا ..

فمن المعروف أن روبير هوسين بدأ حياته كممثل سينمائي منذ ثلاثين عاما .. وقام ببطولة عشرات الأفلام التي تعتمد على الحركة من أبرزها « عصر الذئاب » .. وفي منتصف الستينات جرب



الاخراج السينمائي فتميز الي حد ما في فيلمه « قتلت راسبوتين » .

ولكنه عندما جرب حظه في الاخراج المسرحي لمع بشكل منقطع النظير لدرجة انه اخرج أعظم العروض المسرحية الباريسية في السنوات العشر الأخيرة .

من « بوتمكين » الى « البؤساء » التي اخرجها أيضا للسينما و« مراسلات من ليون » و« كين » التي قام ببطولتها جان بول بلموندو منذ عامين .

نسوق هذا الكلام بمناسبة عرض مسرحيته الأخيرة .. « الحرية أو الموت » .. في قصر المؤتمرات بباريس حيث يشاهدها يوميا ثلاثة الاف وخمسمائة متفرج ، مما يؤكد تتويج هوسين على عرش الاخراج المسرحي في فرنسا هذه الأيام ..

وتجيء اهمية العرض من عدة زوايا .. فهي مسرحية تاريخية يشترك فيها الفنان في احتفالات بلاده بالعيد المئوي الثاني للثورة الفرنسية كما ان المخرج استعان بأكثر من ٨٥ نجما من نجوم المسرح الفرنسي على راسهم برنار فرسون ودانييل مزجوش وبيير جالون ..

وتدور المسرحية في عام ١٧٩٤ حول الثائرين المتحررين روبسبيير ودانتون اللذين انتهى الأمر بهما تحت المقصلة ، وهي تعتبر معالجة جديدة لمسرحية « دانتون وروبسبيير » التي كتب مادتها التاريخية المؤرخ المعروف الان ديكو .. وقام باعدادها دراميا ستانيد لورانتسو ..

أمستردام

الجمهور أكثر جنونا .. من الفنان

عندما اقيم معرض للوحات الفنان التشكيلي الروسي مالفتش في امستردام عام ١٩٠٨ لم يدخل صالة العرض طوال



مالفتش بريشته

اسبوعين سوى خمسة وثلاثين شخصا .. الا ان هذا لم يمنع ادارة المتحف ان تقيم معرضا جديدا للفنان خلال الشهر الماضي بيعت فيه احدى اللوحات بمبلغ خيالي اذهل كل المهتمين بالفن التشكيلي في العالم .

وتعكس حالة مالفتش هذه الجنون الذي يصيب عشاق الفنون في كل انحاء العالم .. فاللوحات نفسها لم تتغير ... والفنان (١٨٧٨ ـ ١٩٣٥) في كلا المعرضين هو في عداد الأموات .. وهي حالة لم يجد لها احد تفسيرا معقولا حتى الآن ...

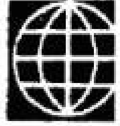
وتجيء اهمية مالفتش في انه أحد الذين تركوا بصماتهم في الفن التشكيلي الحديث .. وقد استوحى لوحاته من الفنون الفرعونية الفارسية وسبق في تجريديته وتجريبيه اساتذة هذا الفن المعروفين في القرن العشرين .

وقد آمن الفنان ، المولود في مدينة كييف ، بان النماذج الانسانية تمثل ركنا هاما في اللوحة التشكيلية حتى لو قام بتجريدها من وحدة الزمان والمكان .

وترجع عدم شهرة الكاتب خارج حدود بلاده انه لم يرحل ابدا عن هذه البلاد مثلما فعل اغلب الفنانين ، حيث ظل محبوسا مع لوحاته سنوات طويلة قبل أن يشعر به احد .. كما ساعد في ذلك أيضا ان الثورة الشيوعية كانت تنتبذ الفن التجريدي بشكل عدائي ، حيث آمن القادة الشيوعيون مثل ستالين ولينين أن دور الفنان هو أن يعبر عن مظاهر الحياة . لا أن يجرد الابطال من عوالمهم ..

وقد تعرض الفنان للكثير من المتاعب عندما سافر الى المانيا عام ١٩٢٧ لعرض لوحاته ، حيث قامت السلطات بالقبض عليه واستجوابه مما جعله لا يفكر أبدا في تكرار هذه التجربة ..

ورغم ذلك فإن مالفتش



العالم في سطور

لم يتوقف قط عن العطاء الغزير .. فقد اشترك في اعداد ديكور متحف الارميتاج .. وفي عام ١٩٣٥ وفي الشهور الأخيرة من حياته وبينما هو مريض بالسرطان ، كان يقوم بتصميم جدران محطات مترو الانفاق بين محطتي موسكو وكوزمو مولوسكيا ..

نيويورك

سطوة المال .. وسطوة الحكومة

« عشب الغرور » ..

هو عنوان أحدث رواية للكاتب الأمريكي توم وولف .. وتجيء أهمية هذا الخبر في أن وولف قد استطاع أن يجذب حوله الأنظار في العامين الماضيين لدرجة أنه تصدر العديد من أغلفة المجلات العالمية المشهورة ..

ويقول الناقد الفرنسي جان دافيد أن رواية وولف الأخيرة أشبه بحريق من الكلمات الملتهبة تنير الليل المعاصر . وتدور أحداث الرواية من خلال أربعة أشخاص في احدى العمارات الضخمة بمدينة نيويورك .. وبالضبط في حي سوق المال الشهير « وول ستريت » ... أحدهم رجل اعمال ... والآخر صحفي في جريدة انجليزية .. والثالث يعمل في القضاء .. والرابع هو احد المهتمين بالدفاع عن حقوق الفقراء من الزنوج ...

ويمثل هؤلاء الرجال الأربعة نماذج من مدينة نيويورك فجميعهم ينتمي الى بيئات اجتماعية متباينة ، حيث جاءوا من احياء نيويورك المتناثرة ، ولكل منهم ايدولوجيته وفكره المختلف تماما .. وهاهم يشتركون في هدف واحد ، هو مراقبة مايحدث في سوق المال ..



توم وولف .

لكن الأمور تتغير عندما يقع أحدهم ضحية لعنف يمارسه بعض الزنوج ... وهنا تتجسد اللغة التي يتكلم بها كل شخص . حيث يدافع البعض عن مصالحه الخاصة ، اما البعض الآخر فيرى ضرورة الرجوع الى أسباب قيام هؤلاء الزنوج بالاعتداء على صديقهم ..

ويقول جان دافيد ان الدرس المستفاد من هذا الكتاب ان اى مجتمع يضم العنف المتطرف الى جانب المشاعر الانسانية الطيبة .. وسطوة المال الى جانب سطوة الحكومة .. ولا يمكن لكل هذه التناقضات ، وغيرها ان تسير دون أن يكون هناك صمام يتحكم في درجات ارتفاع وانخفاض كل منها ..

باريس

عملاق عمره مائة عام

مدينة النور متعددة المعالم ، وأهمها « برج



ايفيل » ... مافى ذلك شك ...

وفى البدء لم يلق البرج الذى شيده « الكسندر جوستاف ايفيل » قبل مائة عام قبولا من قطاع كبير من الرأى العام ...

فجيران المكان الذى كان يجرى بناء البرج عليه هالهم هيكل العملاق القبيح ...

ونفر من المهندسين حذر من كارثة تؤدى بالبرج الى الانهيار ..

وبعض المواطنين الغيورين على المصلحة العامة سارعوا برفع دعاوى ابتغاء وقف البناء ...

وجريدة يومية راح الباعة الجائلون يصيحون بعنوانها المثير للهلع والفزع ... « البرج يغرق » ...

ورغم ذلك كله ارتفع برج ايفيل ناطحا السحاب ، وليبقى صامدا ابدا للامطار والعواصف ...

وليصبح الرمز النهائى لباريس ...

ومن المعروف انه وقت الانتهاء من بنائه كان اعلى مبنى فى العالم .

ولقد جرى تشييده على ضفاف نهر السين ، فى مدخل معرض باريس لدولى لعام ١٨٨٩ .

وهو بحديده (٩,٧٠٠ الف طن) ، ومساميره البرشام (اثنان ونصف مليون) ، وطلائه (٤٠ طنا) انما يعبر عن النهضة الفرنسية ـ رغم هزيمة الحرب السبعينية ـ بفضل الثورة الصناعية ، ويعكس براءة ورخاء واسترخاء العصر الجميل ...

وقبل مائة عام وبالتحديد فى تمام الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر يوم ٣١ من مارس صعد « ايفيل » مع نفر قليل الى قمة البرج حيث ثبت العلم المثلث الألوان منقوشا عليه بماء الذهب الحرفين الأولين من كلمتى الجمهورية الفرنسية .

وعن هذا الحدث التاريخى تقول حفيدته : « جانين باتمان » ... والتى لها الآن من العمر سبعون عاما ـ « لقد كان فخورا بالبرج » ..

وهى تتذكر انها رافقته فى زيارة الى البرج مرتين ..

وعن احدى هاتين الزيارتين تقول .

« سرنا بعض الطريق ، فحتى ، وهو فى سن التسعين كان يحب المشى ، كان زاخرا بالحيوية ، متميزا بشعره الأبيض ، باهتمامه الزائد بكل شىء ...

كان على حق ، فالمكان المشى فيه جميل ، وهواؤه نقى منعش ...

ومن عجب انه انتهى من بناء البرج خلال مدة لم تزد على عامين وشهرين ويومين ...

وبطاقم مكون من مائتى رجل فقط ...

وكل ذلك دون أن يتجاوز الميزانية المحددة بداية للمشروع ، وهى مليون وستمائة الف دولار ...

وقبل موت صاحب البرج « ايفيل » بقليل (١٩٢٣) قال : « يجب أن اغير من البرج ، فهو أشهر منى » ! ! .

الإبداع البشري

بين حرب أكتوبر وحجارة الثورة الفلسطينية

بقلم : د. محمد عبد الرحمن جوهر

هناك ابداعان بشريان معروفان تماما ولا يحتاجان لمزيد من الايضاح . أولهما الابداع الفنى المتمثل فى كل الفنـــون والاداب على اختلاف ضروبهما من مسرح ونحت وتصوير وشعر الى اخره . وهذا النوع من الابداع قديم قدم الانسان ذاته، تدل على ذلك الرسوم التى وجـدت فى الكهوف وكل ما تحمله تلك الاثار القديمة الموغلة فى القدم من فنون أما ثانيهما فهو الابداع العلمى متمثـلا فى كـل الاكتشافات العلمية للانسان واختـرعاته المبنية على العلم وتطبيقاته .

ولكن على الرغم من ذلك هناك نوع ثالث من الابداع البشرى لم تسـلط عليه أضواء كافية . وهذا النوع من الابداع لا يسهل تصنيفه ضمن اطـار الابداع العلمى ، فهو ابداع لا ينتمى الى الشعر وان كان له صفة الالهام ، وليس كالمسرح أو النحت ، كما أنـه لا يعد رسما أو تصويرا وليس عـلى وجه العموم من كل ما يندرج تحـت عنوان الفنون ، كما انه ليس مبنيـا على نظرية علمية ما محددة وواضحة، وان كان فيه بعض العلم ، ذلك الابداع البشرى يتمثل فى ايجاد حل عبقـرى لمشكلة أو مشاكل تواجه مجمـوعة أو شـعبا كالحـروب أو المجـاعات أو الكوارث وغيرها . هذا الحل الـذى يؤدى الى التخلص نهائيا من المشـكلة أو المشكلات يبدو وكأنه شيء بسـيط جدا على المستوى الصغير أو المحدود ولكنه على مستوى الجماعة أو الشعب يصبح حلا عبقريا وابداعا بغير حدود كما أن كل "الابداعات البشرية من ذلك النوع تعتمد على المعارف البسـيطة للانسان وتحدث فى لحظة تبدو وكأنها الالهام وان كانت نتيجة تراكم الخبرات فى تفكير البشر ووجدانهم .



العصافير مثلا قد لا تسبب مشكلة لدى كثير من الشعوب ، ولكنها كانت تسبب لشعب الصين مشكلة كبيرة حيث تلتهم كميات عظيمة من المحصولات التي يحتاجونها بشدة لغذاء البشر ولم يكن من السهل التخلص من العصافير في كل الارجاء الواسعة للصين وبالقطع ظل السؤال عن كيفية المحافظة على تلك المحصولات من العصافير ، يتردد كثيرا وبصورة ملحة على اذهان الذين يهمهم البحث عن حلول، الى ان وجدوا ضالتهم في فكرة عبقرية من ذلك الضرب من الالهام أمكنها أن تحل المشكلة تماما . حقا لقد كانت فكرة بسيطة تماما بل وفي منتهى البساطة. فكما يعرف أبناء الريف أو الذين يمارسون أعمالهم في الزراعة والحقول، أن الفلاحين يقومون بابعاد العصافير عن حقولهم ومحاصيلهم من خلال الطرق على شيء معدني مثلا أو الدق على طبول أو ما يشبهها لاحداث ضجيج مستمر حتى تخاف العصافير فتبتعد عن هاتيك الحقول . اذن فماذا يحدث لو أن جميع الافراد في كل الحقول وفي وقت واحد أحدثوا ضجيجا عاليا وازعاجا مقلقا

لا شك أن العصافير ستظل محلقة في الجو بصورة مستمرة حيث لا تجد مكانا هادئا تأوي اليه ، مما يؤدي بها في النهاية الى أن تسقط ميتة من الاعياء والاجهاد دفعة واحدة . حين تم ذلك على كل مرتفعات الصين ووهادها وعبر سهولها ووديانها وفوق حقولها ومزارعها مرة واحدة تم القضاء على العصافير دفعة واحدة وانقذت المحاصيل والمزارع ودون تكلفة اللهم الا جهد الذين قاموا بتلك التجربة .

ثمة نموذج اخر من ذلك النوع من الابداع البشري وهو أيضا من الصين.

فمن المعروف أن تعداد الصين يمثل رقما خرافيا لابد وأن يؤرق أى حاكم أو حكومة لديها اهتمام بشعبها . وحين قامت الثورة الصينية ورثت من العهد السابق تخلفا شديدا وفقرا مدقعا عبرت عنه رواية « الارض الطيبة » للكاتبة الامريكية « بيرل بك » . وأمام هذا العدد الرهيب والمخيف للسكان تصبح الحكمة فى الاستهلاك أمر حياة أو موت . من هنا كانت فكرة أن يرتدى زعيمهم « ماوتسى تونج » ذلك الزى البسيط والذى لا يحتاج الى ربطة عنق ، وكانت فكرة عبقرية من ذلك النوع الذى نتحدث عنه . فحين فعل ذلك ماوتسى تونج ومعه كبار مسئوليه ، قلدهم الشعب كل الشعب ، وبالتالى انتهت الحاجة الى رباط العنق ، وحتى فترة قريبة لا أتذكر أننى شاهدت مسئولا صينيا يرتدى ربطة عنق . وللمرء أن يتخيل مليارا من البشر أو أكثر يتخلون تماما عن ارتداء ربطة عنق . ان تلك الفكرة بلا شك هى فكرة ابداعية عبقريةوفرت للصين مليارا ـ على أقل القليل ـ من الجنيهات سنويا دون أن يبذل أى فرد أى مجهود على الاطلاق ودون أن ينقص من طعامه أو شرابه أى شيء ، فقط تنازل عن ارتداء ربطة عنق مثله فى ذلك مثل زعيمه ورؤسائه وكل المسئولين فى بلاده .

ولو توجهنا غربا نحو الطرف الاخر لكرتنا الارضية حيث كوبا بعد الاستقلال وحيث كانت مشكلة الامية ، ضمن المشاكل الكبرى التى قررت حكومة كاسترو التصدى لها .

ـ هناك لم تمسك الحكومة قلما وورقة لتفكر بها ولتصل من خلالها الى حلول لتلك المشكلة ، ولو فعلت كما تفعل غيرها من الدول لما تخلصت من مشكلة الامية بأى صورة ولا على أى شكل . لقد كانت فكرة الحكومة من ذلك النوع الابداعى الذى لا هو فن ولا هو علم ولكنه ابداع الشعوب الذى لا ينضب ولا ينتهى . فقد قررت الحكومة ايقاف الدراسة تماما لكل مدارسها وجامعاتها ومعاهدها لمدة عام واحد ، على أن يتفرغ الجميع طلابا وأساتذة وأماكن دراسة لحل مشكلة الامية . وماذا يفعل عام واحد توقف فيه الدراسة أمام حل مشكلة عاتية مثل مشكلة الامية ؟ وبالفعل حدث ذلك ونفذ القرار ، وحلت كوبا مشكلة تذوب دول العالم الثالث شوقا لحلها .

● الابداع البشرى وحرب اكتوبر

لو عدنا مرة أخرى شرقا الى منطقة لترسط ، سنجد من بين تلك الابداعات البشرية ، ما حدث أثناء حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ . ومع أن الابداعات البشرية التى حدثت ـ وعرفت ـ فى حرب أكتوبر كثيرة ، فان ابداعا واحدا منها يبدو مهما للغاية وفى منتهى الروعة والجلال . ذلك الابداع العبقرى هو بدون أدنى شك ازالة الساتر الترابى الكثيف الذى أقامته اسرائيل على الضفة الشرقية للقناة ، والساتر الترابى المقابل الذى أقامته مصر على ضفتها الغربية ، حتى تتمكن القوات البرمائية والدبابات وغيرها بعد العبور واجتياز القناة من الدخول الى ساحة المعركة . لقد كان هذان الساتران الترابيان على طول القناة ، كما كانت ثغرة واحدة فى أحدهما بعرض سبعة أمتار فقط تعنى ازالة الف وخمسمائة متر مكعب من الاتربة ، فما بالك اذا كان المطلوب هو فتح ستين ثغرة على طول القناة فى كمل

جانب ، كان معنى هذا ازالة تسعين الف متر مكعب من الاتربة من الساتر الترابى شرقى القناة وحدها، وبالطبع ازالة تسعين الف متر أخرى من الساتر الترابى المقام غرب القناة،ترى كيف يمكن ازالة هذا الكم الهائل من الاتربة من الناحية الشرقية فقط اذا علمنا أن الساتر يرتفع من عشرة الى عشرين مترا ، كما أن خلفه يقع خط بارليف بكل تحصيناته التى وضعت بعناية فائقة ؟ أكثر من هذا ، كيف يمكن ازالة هذا الكم الرهيب من الاتربة أثناء حرب عاتية ضروس، وعقب عبور مانع مائى فريد وليس له شبيه فى العالم وليس هناك خبرة سابقة فى التاريخ لعبور مثل هذا المانع ؟

هنا وهنا فقط يتجلى الابداع العبقرى هنا وهنا فقط تظهر قيمة الانسان وذكاؤه وعبقريته . هل ياترى يتم فتح تلك الثغرات وازالة هذا الكم الهائل من الاتربة بواسطة التفجير ؟ قد يكون ذلك ممكنا ، ولكن لعل هذا هو بالضبط ما توقعته اسرائيل ؟ كما أن ذلك قد يحتاج الى وقت أطول مما هو مطلوب ، بالاضافة الى ما يتجم من التفجير ، فهل هناك حل اخر .

نعم ، بل فى غاية البساطة ولا يحتاج سوى استخدام المياه المندفعة بشدة تحت ضغط عال فى ازالة تلك الرمال . ليس فقط فتح ثغرة ، بل وازالة الرمال فى نفس الوقت وبذات العمل والمجهود!! تلك الفكرة العبقرية الابداعية البسيطة ثبت بالتجربة، أنها أنجح وأفضل من فكرة التفجير .وهكذا من خلال فكرة بسيطة ولكنها عبقرية. أصبح فى مقدور القوات المسلحة المصرية أن تفتح الثغرة الواحدة فى مدة تتراوح بين ثلاث الى خمس ساعات ، اى انه أمكن فتح ثغرة وازالة الف وخمسمائة متر مكعب من الاتربة فى ساعات خمس بحد أقصى ، وفى التجربة العملية مع بدء المعركة قام المهندسون العسكريون المصريون بشق ستين ثغرة فى الساتر الترابى وأقاموا عشرة كبارى وما يقرب من خمسين معدية عبر القناة ، كل ذلك خلال فترة ما بين ست الى تسع ساعات فقط !! أما صاحب تلك الفكرة الابداعية فهو أحد الضباط المهندسين الشبان .

● الابداع .. وحجارة الثورة

يضاف الى تلك التجارب الابداعية السابقة ، تجربة ابداعيه أخرى ، بل فى قمة الابداع والعبقرية ، ومازالت، ورغم مضى ما يقرب من عام على بدايتها ، قائمة حتى لحظتنا هذه و تستمر الى ما شاء الله لها أن تستمر . هذه التجربة الابداعية العبقرية هى ثورة الحجارة التى تدور رحاها على كل البقاع المقدسة من أرض الرسالات فى فلسطين . ورغم أن هذه الثورة هى بالتأكيد ولاول مرة تمثل الكتابة الصحيحة والحقيقية فى القضية الفلسطينية التى مضى على وجودها اربعون عاما ، ورغم أن هذه الثورة جاءت فى الوقت الذى شعرت فيه اسرائيل بهيمنتها ليس فقط على فلسطين ولكن ربما على المنطقة ، ورغم أن طول المدة قد جعل الاسرائيليين ينسون أو يتناسون وجود شعب اسمه الشعب الفلسطينى ، بل وربما تصوروا أن هؤلاء الفلسطينيين فى الارض المحتلة قد نسوا هويتهم وكذلك على الرغم من أن هذه الثورة تكلف اقتصاد اسرائيل الكثير والكثير فهى تحدث بعد أن رتبت اسرائيل أوضاعها الاقتصادية اعتمادا على العمال والعمالة الفلسطينية الرخيصة ، وأيضا على

الرغم من أن هذه الثورة تشمل جميع المناطق المحتلة مما يوضح شمولها وتخطيطها والذكاء في كل ما يحيط بها ، اقول على الرغم من كل ذلك وهو عظيم ورائع وعبقري ، فان التجربة الابداعية الفائقة الروعة فيها بدون شك هي في استخدام الحجارة . فلاول مرة في تاريخ البشرية والحروب يستخدم شعب بأسره قطعا من الحجارة كأداة للدفاع ضد محتل غشوم بشع ، وتبدو عبقرية استخدام الحجارة فيما يلي :

اولا : تضاؤل امكانيات الشعب الفلسطيني في الارض المحتلة قياسا الى ما تملكه ترسانة اسرائيل العسكرية من معدات ووسائل قمع يبدو الحجر أمامها لا شيء ، ولا شيء على وجه الاطلاق .

ثانيا : تداخل الاوضاع في فلسطين ، فالاسرائيليون يحتلون وطنا بأسره وليسوا كالفرنسيين مثلا في الجزائر حيث كانوا على الرغم من كل شيء محتلين يحكمون باسم فرنسا ويتمركزون في اماكن بعينها ، اما في فلسطين فالامر جد مختلف حيث الاسرائيليون قد استوطنوا أرض فلسطين بعد اغتصابها ومنهم أجيال ولدت على أرضها .

ثالثا : من المؤكد أن احدا في العالم لم يتوقع أن يستخدم شعب بكل أطفاله وشيوخه وشبابه ونسائه وكل فرد فيه ، الحجارة كوسيلة واداة للثورة ، خصوصا وقد كانت دعاية اسرائيل تصوره شعبا قد انتهى .

رابعا : كان استخدام الحجارة هو الوسيلة الوحيدة التي تسمح لكل أفراد الشعب بما فيهم الاطفال في جميع الاعمار ، وربما الاطفال بالذات ، بالمشاركة في الثورة ، بما لذلك من أهمية قصوى ، حيث لا يحتاج أحد الى حمل سلاح فلا أحد لا يعرف كيف يستخدم الحجر .

خامسا : كان هناك ضمان أكيد لمعين لا ينضب لذلك السلاح الخطير ـ الحجارة ـ في كل مكان على أرض فلسطين فليس ثمة مكان يخلو من حجارة لا في فلسطين ولا في غيرها .

سادسا : أظهرت هذه الثورة باستخدامها الحجارة عجز اسرائيل وأوضحت بجلاء صورتها الحقيقية البشعة والقبيحة والمروعة أمام العالم كله وبلا استثناء حيث يقف الحجر وجها لوجه أمام أعتى الأسلحة .

سابعا : ان استخدام الحجارة كسلاح للثورة ساعد على استمرارها كل هذه الشهور وسيساعد على استمرارها أيضا في الشهور القادمة الامر الذي لابد أن يؤتي ثماره ، بل وبدأت بعض ثماره فعلا في الظهور .

لكل هذه الاسباب ولغيرها تكون فكرة استخدام الثورة الفلسطينية للحجارة فكرة عبقرية ابداعية بكل المقاييس . ولانها كذلك تحاول اسرائيل بشتى الوسائل والطرق أن تقضي على تلك الثورة الاسطورة بأي ثمن .

● استنتاجات وملاحظات

ثمة ملاحظات عديدة يمكن استنتاجها من تلك النماذج التي ذكرناها لذلك النوع من الابداع البشري ـ يأتي في مقدمة تلك الاستنتاجات أو الملاحظات أن النماذج السابقة يربط بينها جميعا أن الفكرة الابداعية هي فكرة بسيطة في حد ذاتها ، بل ربما في غاية البساطة ، وربما يكون الافراد في مختلف الشعوب قد مارسوها . فمن منا لا يعرف كيف يلقي حجرا ليصيب فردا أو شيئا آخر ، أو ليستخدمه كوسيلة دفاع ، اذ هو أقرب شيء الى

المرء الاعزل اذا ما هجمت عليه الكلاب والضوارى ؟ ومن منا لا يعرف أن المياه المندفعة بشدة عالية من خراطيم ، المياه يمكنها أن تزيل كومة من التراب ؟ هذه لا شك افكار بسيطة ومعروفة لدى كافة الشعوب ولكن لا تظهر قيمتها الحقيقية الا فى طريقة استخدامها على النطاق الواسع والكبير ، وتوقيت ذلك الاستخدام والنتيجة المرجوة منه . هنا فقط تتحول الفكرة العادية الى فكرة ابداعيه عبقرية . ولذلك نأتى الى ثانى الملاحظات حيث يلاحظ أن الذى ينفذ الفكرة ليس فردا واحدا ولكنه جمع غفير من الناس ، قد يكون جيشا أو فئة أو شريحة من شعب وقد يكون شعبا بأسره ، المهم أن تنفذها الجموع . ويوما ما كانت المقاومة السلبية لشعب الهند بأسره والتى ابتدعها غاندى العظيم سببا فى جلاء المحتل الانجليزى عن الهند .

يلاحظ كذلك أن هذا النوع من الابداع البشرى تلجأ اليه الشعوب حين تواجه كارثة أو مشكلة تحتاج الى تضافر الجميع . أما الملاحظة الرابعة فهى أن تنفيذ الفكرة يحتاج الى تضافر حقيقى وفعال وخلاق بين القيادة والشعب ، يحتاج الى ايمان كامل بها وتفاعل معها فالذين لا يؤمنون بقضية ما ليس فى مقدورهم القيام بأى انجاز مهما كان لديهم من امكانيات ومهما كان حديثهم ملىء بحسن النوايا وبالكلمات الطيبات . ثمة ملاحظة أو استنتاج أخير ، أن تكون القيادة على درجة عالية من الوعى والمسئولية وأن تكون هى فى المقدمة دائما حتى تحوز رضا الشعب الذى لابد بدوره أن يؤمن بها وبالاهمية القصوى لدوره العظيم . فلو لم يكن هناك قيادة واعية ومهمومة بالشعب فى الصين لما أمكن بحال نجاح أى فكرة من الافكار الابداعية التى جعلت حجم الانتاج الصينى يعادل حجم الانتاج اليابانى (أول السبعينيات) ولكن بينما تستهلك اليابان لكى تصنع حجم انتاجها ٢٤٠ مليون طن سنويا من البترول نجد أن الصين تستهلك سنويا ٢٥ مليون طن فقط من البترول . اذن فالالتحام بين القيادة والشعب هو الذى يحدد تماما نجاح تلك الافكار أو فشلها . وحتى لا نتهم بأننا من أولئك الذين يستخدمون التسميات الواسعة والفضفاضة حين يضعون كلمة قيادة بدلا من حكومة أو حاكم ، نقول اننا استخدمنا الكلمة فى موضعها تماما ، فحين تستطيع حكومة ما أن تقود شعبا لتنفيذ فكرة من تلك الافكار العبقرية يشترك فيها كل أفراده فهى لا شك قيادة وهى لا شك جزء من الشعب ، يفترق كثيرا عن مجرد حاكم أو حكومة . وخير دليل على ذلك ما يجرى أمام أعيننا منذ الثامن من ديسمبر ١٩٨٧ وحتى الان على ربى الارض المحتلة فى فلسطين ، وحيث انصهر الكل فى واحد .

هل هناك ثمة ملاحظة أخرى ؟ نعم هناك حاجتنا الملحة فى العالم العربى ودول العالم الثالث لمثل هذا النوع من الابداع البشرى ولكل ابداع آخر تشترك فيه الجموع وتختصر فيه المسافات بين التخلف والتحضر ، وبين القدرة على الفعل الواعى المتحضر الرشيد والعجز الفاضح المميت ، حتى يمكننا أن نحل مشكلاتنا التى لن يحلها غيرنا ، وحتى تكون لنا ارادة فى عالم الارادات الواعية المتصارعة حولنا ومن حولنا ، وحتى نساهم فى ركب التقدم الذى يغمر كوكبنا ، وحتى نستعيد دورنا الفاعل والعظيم .

مشكلات الشباب

بقلم: الشيخ جاد الحق علي جاد الحق
شيخ الأزهر

من هم الشباب :
انهم اصحاب مرحلة من العمر تمتاز بوفرة النشاط وقوة الجسد وسعة العمل والطموح .
هم : دون تعرض لتحديد السن ومشكلات بحوثه ــ قوة لا تعدلها قوة في الزام الحياة بالخير والنهوض بالمجتمع ...

● الشباب في كل جيل موضع الفخار والاعتزاز ومحط الامل والرجاء وقفوا في الصفوف الاولى في كل مكان . خاطروا بأرواحهم على متون الطائرات وبين امواج البحار في السفن الغائصات وبجهدهم استخرجت كنوز الارض وقامت النهضة ، وبطموحهم كانت حركات التحرير وصيحات الاستقلال .

واذا كان للشباب هذه المنزلة وتلك المهام في حياة الامة كان من الحتم احسان التوجيه في الرعاية والتربية في نطاق أحكام القرآن والسنة .

وحين نتابع أسباب مشكلات الشباب في عصرنا وانحرافاته نجد أنه يمكن اجمالها فيما يلي :

● الفراغ الديني وسوء فهم حقيقة الدين والتربية .

● الانسلاخ من القيم الدينية والاخلاقية .

● الاستهانة بالوالدين وبالمربين .

● المفارقة بين الوعي الاخلاقي وبين الوعي الديني مع أن الاسلام ربط بينهما .

● الانحراف بالمتدين لدى البعض الى الغلو ومحاولة فرض الرأي دون تفرقة بين الدين والتدين .

● الافكار الوافدة في صورة عادات أو ثقافات دون القدرة على تمييز ما لا يصلح لمجتمع المسلمين .

● ضآلة المعارف والمعلومات التى تمكن الشباب من مواجهة الافكار والوقوف على حقيقتها وانحرافاتها .

● سوء وقصور التوجيه الذى يتلقاه الشباب سواء فى المدرسة أو فى نطاق الاسرة أو فى الشارع أو فى وسائل الاعلام المختلفة .

● افتقاد القدرة الرائدة فى كل هذه المواقع .

● سوء فهم الوالدين والمربين لواجباتهم نحو الشباب حيث يقتصر الوالدان على توفير الايواء والغذاء والكساء ، ويكتفى المربون بشرح الدروس واملائها دون التحام بالشباب وتعرف دخائلهم ونصحهم وتوجيههم الى محاسن الاخلاق فى العادات .

● التركيز على الماديات والوصول اليها كمثل أعلى وهدف وحيد فى الحياة الامر الذى صرف الشباب الى هذه الغاية ولم يعد يختار الطريق السوى لتحقيق أهدافه المشروعة ، وانصرف بذلك عن الالتزام بالقيم الدينية والاخلاقية ، باعتبار ان تلك القيم من معوقات حصوله على ما يريد من ملذات وماديات .

● الشعور بالضياع وعدم الانتماء الى انه ذات كيان اجتماعى مترابط لما يبدو للشباب من تناقض بين الاقوال والافعال .

● سوء الفهم للحرية الامر الذى لم يجعل الشباب يستفيد من النصح والتوجيه .

● سوء فهم الحقوق والواجبات وانطباع الشباب على عدم الجدية فى التصرفات نتيجة القصور فى التوعية فى سن مبكرة وملء أوقات الفراغ بالنافع من المشروعات الفردية والجماعية .

● انغلاق الكبار عن الاجيال اللاحقة بهم واقفال باب الحوار وانقطاع الحوار مما أدى الى انفصال الشباب بفكر دينى واجتماعى فى الاغلب غير رشيد .

● قصور منهج التربية الدينية فى كل وسائل التربية مدرسية ومنزلية واعلامية .

فلا يكفى فى هذا المنهج التكليف بحفظ بعض النصوص القرآنية او الاحاديث النبوية دون تعريض بالسلوكيات والاداب والاخلاق - بما يعالج واقع المجتمع ودون المواءمة بين المعلومات وسن المتعلم .

● التثقيف العام - وهو واجب وسائل الاعلام - غير مواكب للتحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وشرحها وربطها بالدين بتوجيهات صحيحة بسيطة .

● تركيز الكثير من مواد الاعلام على الاثارة واخفاء الاهداف .

● الامراض الاجتماعية واهمال مواجهتها بقدر متفق عليه من العلم والمعلومات ثم التقليد الاعمى للغير دون مراعاة لسمات المجتمع الاسلامى

تلك أهم العناصر التى جنحت بالشباب عن الطريق السوى وفى القرآن والسنة وأحكام الاسلام بوجه عام تصحيح المسار .

بقلم: د. شكري محمد عياد

التعليم والحياة

عندما نقول إن البحث في « فلسفة » التعليم يجب أن يسبق كل بحث في مشكلات التعليم ، لا نعني إلا أن التصور الواضح للمبادىء هو الكفيل بهدايتنا إلى الاختيار الصحيح بين مجالات العمل وطرقه ، وهي كثيرة لا حصر لها ، وفي الإمكان دائما ابتكار الجديد منها . والبحث في المبادىء يعني معرفة ماهو التعليم . وكثيراً ما تكون معرفة الماهية مرتبطة بمعرفة السبب والغاية . والجواب عن هذه الأسئلة مجتمعة أو متفرقة يعتمد أولا على الملاحظة ، وسبيل الملاحظة هو البدء بالبسيط والانتقال إلى المركب .

● فالتعليم في أبسط صوره يلاحظ في الطيور مثلا . فالطائر يعلم فرخه الطيران عن طريق التقليد ، وبذلك ينقل إليه هذه الخبرة مع أن الفرخ مؤهل بطبيعته لأن يطير . التعليم إذن يساعد الطبيعة ، أو يحول الغريزة في المتعلم من القوة إلى الفعل ، وأبسط صوره هي انتقال الخبرة كما هي من جيل إلى جيل . فسببه قبول الفطرة ، وغايته استمرار الحياة . وكلما تدرجنا في سلم الأحياء وجدنا صور التعليم تزداد تنوعا وتعقيدا ، دون أن تخرج عن هذه الماهية ، أو هذا السبب ، أو هذا الغرض ، وجميعها داخلة في معنى الحياة نفسه .

ومرجع التنوع والتعقيد في عملية التعليم إلى اختلاف مفهوم الحياة سعة وضيقا ، واختلاف ظروف الحياة اختلافا يتجاوز حدود التغير داخل دورة الحياة نفسها (كاختلاف الفصول الذي تتبعه هجرة الطيور مثلا) ومن هنا أرجع الترابطيون قديما ، والسلوكيون حديثا ، عملية التعليم الى انتقال المعرفة والاستجابة من شيء ما الى ملابس له . فانت تبدأ تعليم القراءة - مثلا - بوضع الكلمة الى جانب الصورة ، ثم تتدرج الى عرض الكلمة بدون الصورة ، واهتم



شخصية الطفل .. وعقله .. هما جناحا عملية التعليم

الجشطالطيون بالتعليم الذى يعتمد على الابتكار ، أى تطوير سلوك سابق ليصبح ملائما لظرف جديد ، وتحدثت الأنثروبولوجيا البنيوية عن عمل "البريكولير" أو المقلفط ، الذى يسبق عمل المخترع ويؤدى الوظيفة نفسها ، فهذه كلها أنواع من التعليم الذاتي الذى ينشأ من الحاجة إلى التأقلم مع ظروف جديدة . ووظيفة المعلم فى هذه الحالة ليست القيام بسلوك معين امام المتعلم ليحاول هذا تقليده ، ثم ضبط التقليد وإحكامه بقدر المستطاع عن طريق الملاحظة والتنبيه إلى العيوب ، بل هى إعادة تشكيل الظروف أو خلق ظروف جديدة مع ايجاد الحافز للتعامل معها من أجل تحقيق غرض حيوى . وعنصر الحافز هو نفسه نوع من « رد الفعل المشروط » الذى يتحدث عنه السلوكيون ، إذ أن ارتباط الفوز بجائزة مثلا (وهو أثر محبوب يشبع نزعة فطرية) بالنجاح فى عمل ما يجعل هذا العمل محبوبا بالتبعية .

هذه أمثلة لأنواع مركبة من التعليم ، وهى لاتتحقق فى اتم صورها إلا لدى الإنسان ، والنوع الثانى منها وهو الابتكار الذى ينتج عن التعليم الذاتى لايوجد مطلقا إلا فى الحيوانات الأكثر ذكاء مثل

القرود ، ويقع فيه تفاوت شديد في الجنس البشري نفسه فيختلف في الدرجة والكثرة تبعا لعوامل كثيرة فردية واجتماعية . ولذلك يصح أن يتخذ معيارا لنجاح نظامنا التعليمي . على أننا نخطيء إذا حسبنا أن الابتكار ينظم العملية التعليمية كلها ، أو ينتظمها بدرجة واحدة . فلايزال للتقليد مجال كبير في العملية التعليمية ، ولاسيما تعليم اللغة في المراحل الأولى (وإن كان من الثابت أيضا أن الطفل في تعلمه للغة الأم يقوم بعمليات عقلية راقية ، فهو يستخلص القاعدة ويطردها دون أن يلقن ذلك) ، والطفل يتشرب القيم السلوكية من مجتمعه دون أن يشعر ، من خلال ماتسميه القدوة ، والاقتداء نوع من التقليد .

وهكذا تبنى شخصية الطفل من خلال محيطه الاجتماعي الى جانب العملية التعليمية ، ويبنى عقله من خلال العملية التعليمية وحدها (حتى لو تمت في المنزل) وهذه حقيقة ثانية يجب الا ننساها حتى لانحمل العملية التعليمية فوق طاقتها . وإذا تذكرنا أهمية الحافز لدى المتعلم لنجاح عملية التعلم ، ولاحظنا أن الحوافز اجتماعية في الجانب الأكبر منها ، وجدنا أن العملية التعليمية - حتى في جانبها العقلي الصرف - تتأثر بالمحيط الاجتماعي ، ووجب علينا أن نعترف بأن تعثر العملية التعليمية او قلة جدواها قد لايرجعان الى أخطاء في العملية التعليمية نفسها بقدر مايرجعان إلى أخطاء خارجية تفرض نفسها عليها وتعوق تقدمها ، على أن ذلك لايجب أن يسلمنا إلى دائرة مفرغة يتعذر معها الإصلاح ، بل يجب أن يدعونا الى تأكيد الوظيفة الاجتماعية للمعلم كفرد ، ومن خلال نقابة المعلمين ، مع ما يستتبعه ذلك من حقوق وواجبات .

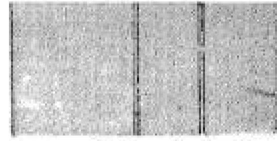
● اختلال امور التعليم

هذه هي المبادىء التي ننطلق منها إلى تحديد مجالات التعليم وطرقه ، اى إلى كل مايتعلق بالمراحل التعليمية وأنواع التعليم ماذا نعلم وكيف نعلم . وإذا كنا نرى أن الهدف الأسمى للتعليم العقلي هو تنمية القدرة على الابتكار ، للسيطرة على الظروف المتغيرة ، فإن أول مايجب على نظرية التعليم مراعاته هو أن تكون هي نفسها قادرة على الابتكار لمواجهة ظروفنا الخاصة . اين السبيل الى نظرية تعليمية مبتكرة تشجع على الابتكار ؟ هذا هو السؤال الكبير ، وهو الفيصل في الحكم على وجود تعليم حقيقي أو عدمه . وبمجرد طرحه يثور في نفوسنا الشك حول وجود هذا التعليم عندنا ، لا في الماضي ولا في الحاضر . إن الذين يتحدثون عن التدهور التعليمي في الوقت الحاضر قد يخيل إليهم - وإلينا معهم - اننا كنا نملك مؤسسات تعليمية صالحة قبل أن يبدأ التوسع العددي منذ أوائل الخمسينيات . ولكن النظرة المتأملة قد تدعونا إلى مراجعة هذا الحكم . فأولا : لم يكن النظام التعليمي في ذلك العهد - من المرحلة الجامعية - يشجع كثيرا على الابتكار لقد كانت سمته الغالبة هي حشد أكبر كم ممكن من المعلومات ومطالبة المتعلم بحفظها ، وقلما كان ينمى لديه الرغبة الحقيقية في المعرفة . وثانيا : إن النظر

الى التغير الحادث فى أحوال التعليم على ضوء ثنائية « الكم والكيف » يخفى عن عيوننا حقيقة ان العملية التعليمية كانت تتم - بيولوجيا واجتماعيا - بصورة ناقصة جدا ، فى الحقول ودكاكين الحرفيين . أى ان الخريطة التعليمية لذلك العهد لم تكن مؤلفة من « تعليم ولا تعليم » بل من تعليم تلقينى أساسا للقلة التى تذهب إلى المدارس والجامعات ، وتعليم عشوائى ، شيطانى ، تقليدى ايضا للكثرة التى تذهب إلى دكاكين الحرفيين أو تبقى فى الحقول ، وهى الخريطة التعليمية النموذجية لمجتمع زراعى تقليدى يربط بين التعليم والمكانة الاجتماعية ولايربط بينه وبين الانتاج .

اما اختلال أمور التعليم فى الوقت الحاضر فلا يختلف عليه اثنان . وما بنا ان نعدد أسباب الشكوى فهى معروفة ، وحسبنا انها جعلت الكثيرين منا ينظرون إلى الماضى - على مابه من عيوب - وكأنه فردوس مفقود . أما نحن فنقول - جريا على عادتنا من رؤية الخير مطويا فى ثنايا الشر - إن مساوىء التعليم فى الوقت الحاضر لها طبيعة تختلف عما رأيناه قبل الخمسينيات ، فهى مساوىء راجعة الى تضارب الاتجاهات ، واختلاط الرؤية وغموض الأهداف ، أى أنها مساوىء راجعة الى الرغبة فى التغيير ، وليست راجعة إلى الجمود . ومن ثم يمكننا القول إن سوأة كبيرة من سوءات التعليم القديم قد زالت أو هى فى طريقها إلى الزوال ، وأعنى ارتباط المستوى التعليمى بالمنزلة الاجتماعية . إلا أننا إذا قسنا حال التعليم اليوم بالمبادىء التى قدمناها لم يكن لنا بد من الاعتراف بأنه مقصر أشد التقصير فالتعليم اليوم ليس إعدادا للحياة ، أى نوع من الحياة ، بل هو إعداد للبطالة وحسبك انه أوصلنا إلى هذه النقيضة العجيبة : ان لدينا اليوم ، رغم الزيادة الضخمة فى أرقام التعليم ، كثرة هائلة من العاطلين ، وقلة مزعجة فى العمالة المدربة ! أى أن التعليم بصورته الحاضرة قد حول الرصيد البشرى فى مصر - وهو أعظم ماتملك - عن طريق العمل إلى طريق البطالة وحسبك بهذا خيبة ! .

وإذا قارنا هذا الوضع بالوضع السابق ، الذى كان فيه طفل القرية أو طفل الأحياء الفقيرة من المدينة يتلقى « تعليمه » البدائى التقليدى فى الحقل أو فى دكاكين الحرفيين ، فربما فضل الكثيرون منا الوضع السابق ، فقد ادى زواله إلى اختفاء الفلاح المصرى ، الذى كان مورد ثروة مصر الأول ، وإلى ارتفاع أجور الحرفيين بدرجة غير معقولة . ومن الخطأ أن نعد "الحكومة" مسئولة وحدها عن هذا الوضع ، فالحكومة ليست أكثر وعيا من المجتمع ، والمجتمع لايزال ينظر إلى العمل على أنه ضرب من السخرة ، والى التعليم على انه وسيلة للحصول على « الشهادة » والشهادة هى جواز المرور الى الحياة النظيفة المستقرة فى حضن البيروقراطية . والبيروقراطية تضع العراقيل أمام العمل لتثبت وجودها من ناحية ، ولتحصل على مكاسب لاتستحقها



من ناحية أخرى . حلقة مفرغة ثانية كالحلقة المفرغة بين التعليم والقيم الاجتماعية . وإذا كنا قد رأينا في الاعتراف بالدور الاجتماعي للمعلم مخرجاً من الأولى ، فإننا نرى في الاتجاه الى المشروعات الصغيرة مخرجا من الثانية . فميزة المشروع الصغير من الناحية الإنسانية - حتى إذا لم تكن له ميزة اقتصادية أخرى - هي وحدة رأس المال والإدارة ، وقلة عدد العاملين ، وقيام العلاقة بين الطرفين على أساس المودة والتعاون غالبا . ومن ثم يكون الحرص على نجاح العمل سبباً في حب العمل ، وتصبح المشروعات الصغيرة - ولاسيما حين تنتظم في اتحادات وتعاونيات - نقاط ارتكاز لمحاربة البيروقراطية ، وتغيير القيم الاجتماعية التي تتحكم في التعليم ، بحيث يصبح التعليم للعمل لا للشهادة ، ويتجه نحو الابتكار أكثر من الحفظ .

● **الاستفادة من الطلائع الرائدة**

وبوادر هذا التغيير ماثلة أمامنا . ولعل القارىء يسمح لي برواية مثال واحد يوضح ما أريده . حضرت منذ وقت غير بعيد اجتماعا عائليا من تلك الاجتماعات التي لم تعد تقام إلا للأفراح (بالفاء) أو الأقراح (بالقاف) كما يقول إخواننا الجزائريون . وسألت عن الابن الأكبر للقريب المتوفى ، ولم أعرفه إلا بالاسم الذي كانوا يدللونه به ، فإني لم أره مذ كان طفلا وإذا أمامي رجل مكتمل الرجولة . سألت عن عمله فقيل لي إنه يملك ورشة نجارة ، وانه بحال حسنة . ثم سألت عن تعليمه فقيل لي انه حصل على بكالوريوس في الزراعة منذ سنوات قد تبلغ العشر ولكنه رحل الى اليونان - لا أدري أتأخر عليه خطاب "القوى العاملة" أم لم تعجبه الوظيفة - وهناك التحق بورشة نجارة وأتقن الحرفة ، وعاد عندما جمع من مدخراته مايكفي لبدء مشروع صغير في بلده .

ولعلك تعرف أمثلة أخرى من هذا النوع

هؤلاء هم رواد المجتمع الجديد ، مجتمع العمل ، وأحسبهم سيكونون رواد نظام جديد للتعليم ، صالح لهذا المجتمع الجديد .

فقريبي الشاب هذا نشأ في القاهرة ، ولم تكن له علاقة بالزراعة إلا رؤية الحقول من بعيد حين يركب القطار . ولكن مكتب التنسيق أدخله كلية الزراعة ، ولما حصل على الشهادة ووجد انها لاتطعمه خبزاً ، احتسب عند الله ما أنفقه فيها من سنوات غالية ، وأقدم بشجاعة على إصلاح النظام التعليمي فيما يخصه ، وأصبح رجلاً ناجحاً .

ولو كان اليّ وضع نظام للتعليم يستفيد من تجارب هذه الطلائع الرائدة ، ويزيل الهم والكدر عن الأجيال الطالعة ، لجعلت التعليم في مصر مراحل ثلاثا ، كل مرحلة منها أربع سنوات ، تبدأ في سن السادسة وتنتهي في سن الثامنة عشرة ، حين تبدأ الدراسة العليا للصفوة القادرة على الابتكار . وفي ظروف مصر الحاضرة ، حيث تئن الدولة تحت ثقل الميزانية ، ويختلف الخبراء حول حكمة فرض ضرائب جديدة ، وحيث تضيق الفصول (رغم كثافتها) عن استيعاب جميع

الأطفال الذين هم في سن التعليم الأساسي ، ويهرب من مقاعد الدراسة بصورة مستمرة ما يقرب من عشر الذين يقبلون بالفعل - في هذه الظروف أرى من الجائز والمقبول أن تنتهي مرحلة التعليم ببعض الأطفال مع انتهاء المرحلة الأولى .

(سيغضب أقوام لهذا الاقتراح الرجعي ، ويلحقونه بالمحاولات المشبوهة لسحب المكاسب الشعبية ، وسيثور آخرون للإنسانية وعام الطفل ، ولكنني أقول لكم ، سيداتي وسادتي ، إنني من أمة يحارب أطفالها بالحجارة) .

اقترح أيضا أن تكون المرحلة الأولى مقصورة على تعليم القراءة والكتابة ومبادىء الحساب ، وأن تدرس المعلومات العامة الضرورية في ثنايا دروس القراءة . أما المرحلة الثانية فيتعلم فيها الصبي أو الصبية حرفة الى جانب التثقيف العام ، وأما المرحلة الثالثة فيستكمل فيها الصبي مهاراته الحرفية ، ويحسن أن يكون « تلميذا عاملاً » في مزرعة أو ورشة كبيرة أو صغيرة . وتتاح لذوي الاستعداد الفائق خلال المرحلتين الثانية والثالثة متابعة مناهج إضافية خاصة تؤهلهم للالتحاق بالجامعة . ويعمم هذا النظام ولايستثنى منه أحد من بني مصر وبناتها .

طبعا أنا لا أحلم بجمهورية فرحات تعليمية (مساء الخير يا يوسف إدريس) ولكنه اقتراح أطرحه على شعب مصر ، قبل أن أطرحه على وزارة التربية والتعليم المصرية .

واسمحوا لي أن أقول لكم بصراحة تامة ، إنني أثق بالشعب أكثر مما أثق بالحكومة ، وليس في هذا تقليل من هيبة الحكومة ولا من دورها . وإني والله لمشفق على كل من يعمل في جهاز الحكومة ، ذلك الجهاز المثقل بقيود البيروقراطية الى حد العجز ، الممزق بالمآرب الشخصية حتى أصبح مريضاً بانعكاس المناعة الذاتي

ومرة أخرى أعود إلى ذكر الانتفاضة . فهذا الغليان الشعبي المستمر قد أمد القضية الفلسطينية بحياة جديدة . لم يعد من الممكن حصر هذه القضية في المناقشات المغلقة أو المفتوحة ، أصبحت قضية الشعب الفلسطيني هي قضية شعوب الأرض جميعا ، تصرخ طالبة العدالة الدولية . وقد تمنى أعداء فلسطين أن يحدث نوع من الشقاق بين الانتفاضة ومنظمة التحرير ، ولكن الانتفاضة بقيت رحما شعبيا وراء منظمة التحرير وجهودها السياسية

هذا مثل لما يستطيعه الشعب . كل شعب عربي في كل ميدان من ميادين الحياة يتطلب تعديل الموازين ، وراء حكومته عندما تحاصرها القوى الخارجية ، أو تثبطها الأعباء الداخلية . فالشعب يستطيع أن يتحرك بسهولة أكبر .

وقد تحرك الشعب المصري حركة مباركة في ميدان التعليم عندما كان الأجانب مسيطرين عليه . فقامت الجمعيات التعليمية الحرة في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن لتعبر عن الشخصية الوطنية وتبث في النشء روح العزة الوطنية وهذا عصر جديد يقتضي من الشعب المصري أن يتحرك مرة أخرى في ميدان التعليم أيضا ليقوم المجتمع المصري الجديد على دعائم ثابتة من احترام العمل

التنزيه والتشبيه

بقلم: د. محمد عمارة

● ولما كانت ايات القرآن الكريم منها المحكم ومنها المتشابه .. ومنها ما تبدو ظواهر دلالاته متعارضة مع ظواهر دلالات ايات أخرى .. كان رد المتشابه الى المحكم .. وتفسير القرآن بالقرآن .. والنظر الى القضية فى ضوء مجموع الآيات التى عرضت لها ، وليس بالوقوف عند بعض هذه الآيات .. وكان التأويل ، الذى هو : صرف اللفظ عن معناه الظاهر الى معنى يحتمله – وفق ضوابط الشرع واللغة .. كانت تلك جميعها سبلا للنظر العقلى الذى يحقق الاتساق للفكر القرآنى ، ويفتح السبل أمام العقل المسلم كى يمد ظلال النصوص المتناهية الى ما لا يتناهى من المستجدات والمستحدثات ..

صحيح أن تيارات الفكر الاسلامى قد عرفت « جمود النصوصيين » الذين وقفوا – ببلادة ! – عند ظواهر النصوص ، والذين اتخذوا من أدوات النظر العقلى موقفا عدائيا أو غير ودى .. لكنهم كانوا فى مجرى الفكر الاسلامى « الاستثناء – الشاذ » وليس « القاعدة – العامة » .. وظلت العقلانية الاسلامية تسلك سبيل النظر العقلى لتنفى التناقض أو التعارض عن ايات القرآن الكريم .. صنعت العقلانية الاسلامية ذلك فى الكثير من القضايا الفكرية .. ومنها قضيتا : التنزيه والتشبيه .. والجبر والاختيار ..

● التنزيه .. والتشبيه

ولا يحسبن أحد أن هذا الافق الذى اتسع أمام العقل المسلم ، بالتأويل الذى قام على قواعد البلاغة العربية ، انما كان أثرا من آثار ترجمة الفلسفة اليونانية الى العربية ، والتأثيرات التى أحدثتها فى فلسفة المسلمين .. فتلك قسمة أصيلة فى تراثنا الفلسفى ، نمت وتبلورت فى مباحثنا الكلامية

● التنزيه : ـ فى عرف المصطلحات الاسلاميـــة ـ هو المغايرة الكامله والتـامة والمطلقة بين الذات الالهيـة وبين سائر المخـــلوقات والمحدثات .. ووفق عبارة القدماء : فكل ما خطر على بالك فالله ، سبحانه، ليس كذلك ؟ ! .. لانه ((ليس كمثله شيء)) ..

● اما التشبيه : فهـو المذهب المقـابل للتنزيه ، يثبت اصحابه للذات الالهية ما يجعل بينهـــــا وبين المخلوقات والمحدثات شبها، قريبا كان ذلك الشـــبه او بعيدا ، ماديا كان او معنويا ـ ويدخل فيه المماثلة .. والتجسد .. والحلول .. الى آخر مذاهب التشـبيه التى عرفتها فلسفـــات قديمـــة ، تسربت تأثيرات منهـــا الى بعض مـذاهب فلسفة المسلمين ..

قبل ترجمة فلسفة اليونان واستيعابها .. كما انها قد صيغت فى لغة لا اثر فيها للطابع الذى تميزت به صياغاتنا الفلسفية المتأثرة بمقولات فلاســـفة اليونان ..

فالامام ـ المعتزلى فى الاصـــول والمذهب الكلامى ـ الزيدى فى نظرية الامامة ـ القاسم الرسى (١٦٩ ـ ٢٤٦هـ ٧٨٥ ـ ٨٦٠ م) يستقصى فى كتبـه ورسائله ، تقريبا ، جميع الواطن التى توهم تشبيه الذات الالهية بالمخلوقات والمحدثات ، ثم يسلك سبيل البـلاغة العربية ، فيــــؤول جميع الايات المتشابهات لتلحق معانيها وتتـــآزر بالاخرى المحكمات ..

فاذا وقفت مدارك المشبهة عنــد ظاهر نص الاية القرآنية (وجـوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) فقالوا برؤية الله جهرة بالابصار يوم القيامة .. رفض أهل التنزيه ذلك ـ بلســان القاسم الرسى ـ منبهين على أن قوانين التأويل العربية تؤول هذه الآية بما يتفق مع الآية المحكمة التى تتحدث عن ذات الله ، سبحانه، تقول : (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصـــار) .. فالوجوه الناضرة ، هى : المشرقـــة الحسنة .. ومعنى أنها الى ربهـــا ناظرة : « منتظرة ثوابه وكرامتـــه ورحمته .. هكذا ذلك فى لغــــات العرب ، وبلغاتها ولسانها نزل القرآن . يقولون ، اذا جاء لخصب بعـــد الجدب : قد نظر الله الى خلقـــه .. يقولون ، اذا جـاء الخصب بعـــد ليس يعنون أنه كان لا يراهم ثم صار يراهم » .. ومثل ذلك معنى قــوله سبحانه عن أهل النار : (أولئـــك لا خلاق لهم فى الآخرة ، ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة) .. أى : « أنهم لا يرجون من الله ثوابا ـ ومثل ذلك معنى « الــــوجه »

فى القرآن الكريم عندما يرد فى حق الله (كل شيء هالك الا وجهه) .. (ويبقى وجه ربك) .. فليس المراد ظاهر النص الذي يثبت لله وجها ، حتى يشبه المحدثات - تعالى سبحانه عن ذلك ، فهو (ليس كمثله شيء) - وانما المراد « اياه ، لا غيره .. كل شيء هالك الا هو » .

ومثل ذلك معنى « اليد » فى قوله تعالى : (خلقت بيدى) .. أى بقدرتى وعلمى .. ومعنى « المجيء » فى قوله: (وجاء ربك والملك صفا صفا) .. أى جاءت آياته العظام فى مشاهد القيامة .. وهذا التأويل جار على سنن البلاغة العربية ، فالعرب « تقول : أسلم فلان على يدى فلان ، يريدون : بقوله وأمره » ويقولون :

● بيد الله عمرنا والفناء ●

يريدون : بالله عمرنا والفناء . ويقولون : نواصينا بيد الله ، ونحن فى قبضة الله ، يريدون بهذا كله : انا فى قدرته وملكه ، ليس يذهبون الى يد كيد الانسان أو غيره من الخلق .. »

وعلى هذا الدرب يسير الامام يحيى ابن الحسين بن القاسم الرسى (٢٤٠ - ٤٢٤ هـ ٩٥٢ - ١٠٣٣ م) عندما يؤول قول الله سبحانه : (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) بما ينفى التشبيه ويشهد للتنزيه ، مستخدما وسائل البلاغة العربية فى التأويل ، وضاربا الامثال من أساليب العرب فى هذا الميدان .. « فالعرش هو : الملك ، كما قال : (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) .. قال الشاعر :

تداركتها عبسا وقد ثل عرشها
وذبيان اذ زلت بأقدامها النعل

يقول : انه تهدم عزها وملكها . ومعنى (ويحمل عرش ربك) يقول : يتقلدون أمر الله ونهيه فى خلقه ، كما قال : (و ليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم) .. يقول : يتقلدون أمورهم ، وقال :

حملت أمرا جليلا فاضطلعت به
وقمت فيه بحق الله يا عمرا

يقول : قلدت أمرا جليلا . (فوقهم) : يقول : منهم ، قامت « فوق » مقام « من » . (ثمانية) ، يمكن أن تكون ثمانية أصناف ، أو ثمانية آلاف ، أو ثمانية أنفس .. »

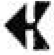
كذلك يؤول « الساق » فى قوله تعالى : (يوم يكشف عن ساق) بـ « الشدة » .. كما قال الشاعر العربي :

قامت بنا الحرب على ساقها

هكذا .. وعلى هذا النحو أفاض المتكلمون المسلمون فى مباحث « التنزيه » ، متخذين من التأويل ، وفق قوانين البلاغة العربية ، سبيلا الى نفى « التشبيه » عن الذات الالهية ، رادين الآيات المتشابهات الى الاخرى المحكمات فى القرآن الكريم ..

● الجبر .. والاختيار ●

وكما سلك المتكلمون هذا السبيل لاثبات « التوحيد » لله سبحانه ، بالبرهنة على « التنزيه » المنافى « للتشبيه » .. كذلك استخدموه



لاثبات « العدل » لله سبحانه،بالبرهنة على « اختيار » الانسان وحريته ومسئوليته ، حتى يكون حسابه وجزاؤه عدلا ، فنفوا شبهات «الجور» عن الذات الالهية ، تلك التى يوهم « الجبر » الحاقها بالله ·· تنزه عن ذلك سبحانه وتعالى ··

وفى الكتب والرسائل التى صاغ فيها المتكلمون مقولاتهم ومقالاتهم تناثرت التأويلات للآيات المتشابهات التى توهم « جبر » الانسان ونفى الحرية والقدرة والارادة والاستطاعة عنه ، والتى تثبت له فعلا حقيقيا لاعماله التى يأتيها بارادة وتقدير ··

فعندما يستدل « المجبرة » على « الجبر » بظاهر قول الله سبحانه : (ختم الله على قلوبهم) وبظاهر قوله : (طبع الله عليها بكفرهم)·· نجد أهل العدل ، القائلين « بالاختيار» يؤولون هذا الظاهر ·· فيرون هذا « الختم » و « الطبع » « تمثيلا » ·· فيقولون ـ بلسان الامام يحيى بن الحسين ـ :

« ان معنى الختم والطبع من الله هو على معنى التمثيل لهم والتقريع ، واثبات الحجة عليهم وتبيين ضلالتهم لهم ، فيقول سبحانه : ان امتناعكم من فعل الرشيد وقلة قبولكم له ، كمن طبع على قلبه بما منعه من لبه وحرمه من تمييزه ونظره ، وجودة فهمه ·· فمثلهم فى قلة تفهمهم وانصافهم لعقولهم وتركهم لرشدهم واتباعهم لغيهم بمن طبع على قلبه وختم ، عن التمييز . على سمعه وبصره ، عن أن تعلم ما يعلمون أو تفهم ما يفهمون من البهائم ·· ألم تركيف يقول :(أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) ·· »

وفى موطن اخر من المواطن التى توهم فيها « المجبرة » أن ظواهر الآيات القرآنية تشهد « للجبر » ، فقالوا ان الله هو الذى زين للعصاة عصيانهم ، مستشهدين بظاهر الآية : (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينالهم أعمالهم فهم يعمهون) ·· نجد أهل العدل يتصدون لهم قائلين ان هذا القول القرانى قد جاء على سبيل « المجاز » لا«الحقيقة » ·· ف «زينالهم: أى تفضلنا وأمهلنا وأحسنا فى التأنى بكم ورحمتنا ، وكذلك تقول العرب لعبيدها ، يقول الرجل لملوكه ، اذا تركه من العقوبة على ذنب من بعد ذنب وتأنى به وعفى عنه وصفح ليرجع ويصلح فتمادى فى العصيان ولم يشكر من سيده الاحسان ، فيقول له سيده : أنا زينت لك وأطمعتك فيما أنت فيه اذ تركتك وتأنيت بك ولم خذك ولم أعاجلك ·

فهذا على مجاز الكلام ، المعروف عند أهل الفصاحة والتمام ··

وعندما يستشهد « المجبرة » على « الجبر » بقول الله تعالى : (وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها) ·· قائلين ان :ان الله هو الذى « جعلهم مكارين ، وقضى به عليهم ، وركبه فيهم » ·· يرفض أهل

التنزيه والتشبيه

« العدل » هذا الاستدلال ، سالكين للتأويل قواعد البلاغة العربية التي « تنفي لفظا بينما تعني الايجاب معنى ، أو العكس » .. فيقولون : « ان جعل الله لهم هو خلقه لهم وتصويرهم في كل قرية كما صور غيرهم .

واما قوله : (ليمكروا) فانما اراد: لان لا يمكروا ، فطرح « لا » وهو يريدها ، استخفافا لها ، والقرآن عربي ، بلسان العرب نزل ، وهذا تفعله العرب ، تطرح « لا » وهي تريدها ، وتأتي بها وهي لا تريدها ، فيخرج اللفظ بخلاف المعنى ، يخرج اللفظ لفظ نفي وهو ايجاب ، ويخرج لفظ ايجاب وهو معنى نفي ، قال الله عز وجل : (لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شيء من فضل الله ، وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم) ، فقال : (لئلا) ، فخرج لفظها لفظ نفي ومعناها معنى ايجاب ، فأتى بـ « لا » وهو لا يريدها ، وانما معناها: ليعلم أهل الكتاب ،وقال : (انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين)، فخرج اللفظ لفظ ايجاب ومعناها نفي، يريد سبحانه : لئلا يزدادوا اثما .
وقال الشاعر :

ما زال ذو الخيرات لا يقول
ويصدق القول ولا يحول

فقال : لا يقول ، وانما يريد :يقول، فأدخلها ــ (أي « لا ») ــ وهو لا يريدها ، ووصل بها كلامه ليتم له بيته استخفافا لها . وقال آخر :

بيوم حدود لا فضحتم أباكم
وحاربتم والخيل يدمى شكيمها

فقال : لا فضحتم أباكم ، وانما يريد : فضحتم ، فأدخلها وهو لا يريدها . وقال آخر :

نزلتم منزل الاضياف منا
فعجلنا القرى أن تشتمونا

فقال : أن تشتمونا ، فخرج لفظها لفظ ايجاب في قوله : أن تشتمونا ، ومعناها ، أراد : لان لا تشتمونا....

تلك أمثلة قليلة العدد ، اشرنا اليها نماذج لمئات الأمثلة التي ساقها المتكلمون في اثارهم الفكرية شاهدة على استخدامهم أساليب البلاغة وقوانينها لتأويل الآيات المتشابهات واخراجها من الدلالات الظاهرة الى المعاني المحتملة ، نفيا لتناقض القرآن واختلافه ، وردا للمتشابه الى المحكم ، وانتصارا لتوحيد الله سبحانه ، بتنزيهه عن التشبيه والمماثلة والتجسيد والتحيز في المكان والحلول .. وتسليما بعدله ، جل وعلا، المقتضي تفويض الانسان ، بالارادة الانسانية والاستطاعة البشرية ، في خلق افعاله حتى يكون حسابه وجزاؤه جزاء وفاقا ..

فاذا قامت هذه النصوص ــ التي تعمدنا ايرادها كما تورد « الوثائق»! شاهدا على اهمية هذا المبحث القديم وجدارته باهتمام البلاغيين المعاصرين .. واذا اثارت هذه الامثلة شهية الباحثين لمزيد من التنقيب في هذا الميدان ، تحققت البغية من وراء هذه الصفحات .




بوش

● « لا أستطيع القول أنني مبتهج ازاء سير عملية السـلام فى الشرق الاوسط » .

جورج بوش

● « شعار السلام مقـابل الارض خدعة » .

اسحق شامير


شامير

● « أعرف كتـابا لم يقـرأوا حتى مؤلفاتهم » .

الصحفى بيار أبوصعب

● « انى مشمئزة مما يجرى فى الاراضى التى تحتلها اسرائيل ، واخجل من أن تقف بلدى – الولايات المتحدة – تساند بالاموال سياسة تقوم على الابادة الجماعية » .

الروائية الامريكية باتريشياهاى سمجنت

● « فى ديمقراطيه حقيقيه ، يوجد دائمـا من يخسر ، ومن يكسب فى الانتخابات ، هذا اول دروس الديمقراطية » .

جورباتشوف

● « لا نجد اليوم مضحيا يستطيع أن يدخـل السجن » .

محمد الفيتورى الشاعر السودانى

● « الشىء الوحيد الذى يمكن ان ينقذ البشرية ، ادراكنا اهمالنا للاجيال القادمة » .

اريك اريكون العالم الامريكى

يحيى حقى



● « الحياة ليست برنامجـا ثابتا ، بل محاولة متجددة » .

يحيى حقى

● «نادرة تلك الاشـياء التى لا نستطيع أن نحققها فى السينما » .

المخرج الفرنسى جان جاك آنو

[redacted]

محمد حسنين هيكل

تراجيديا

« الفرعون والكاهن »

بقلم : صلاح عيسى

لابد ان مؤرخى الأجيال القادمة سيحتارون طويلا إذا ما عن لأحدهم ان يقيم الادوار التى لعبها « محمد حسنين هيكل » على مسرح الصحافة والسياسة المصرية والعربية إذ المؤكد انهم سيضلون الطريق إلى « هيكل » بين جبال من التفاصيل ، وتلال من الأكاذيب ، ومتاهات من ادوات المكياج ..

● ومشكلة البحث عن « هيكل » أن فصل الذروة فى عمره ، كان مضيئا بشكل يعمى عن الرؤية ... ففى تلك السنوات الثمانى عشرة ــ التى انتهت فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ــ كان « هيكل » ملء السمع والبصر ، لا يغادر الخشبة ، ولا تخطئه اعين المتفرجين .. لا تكف تليفونات مكتبه عن الرنين ، ولا تخلو غرفة سكرتيرته الشهيرة « نوال المحلاوى » من الزائرين : ملوك ورؤساء جمهوريات وساسة ووزراء ومناضلين وسفراء وكتاب ومفكرين وطالبى حاجات . ينتظر بعضهم بالساعات ، بلا ملل ، ولا شكوى ، بل ويمتنعون باختيارهم عن التدخين لانه يضايق « نوال المحلاوى » .

كان باختصار يقف تحت كل اضواء الدنيا ، كما يليق برجل كان يوصف ــ انذاك ــ بأنه اقوى رجل فى مصر بل فى الشرق الاوسط . ولعل الوهج الزائد عن الحد ، الذى كان يشع منه وحوله فى تلك السنوات العجيبة ــ هو الــذى

[redacted]



جعل اكثر الفصول اضاءة في عمره ، اكثرها غموضا واحفلها بالظلال ومناطق العتمة .

وليست اصول صنعة التاريخ ، هي وحدها التي ستفرض على هؤلاء المؤرخين المساكين العودة الى الفصل التمهيدي الذي سبق دخول « هيكل » الى خشبة المسرح في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وهو فصل استغرق عشر سنوات بدأت في عام ١٩٤٢ ، كان « هيكل » خلالها مجرد صحفي بين صحفيين ، استهل حياته الصحفية ـ وهو في التاسعة عشرة ـ محررا عسكريا في « الاجبشيان جازيت » ، ثم انتقل منها بعد عامين ليعمل في « آخر ساعة » وبعد عامين اخرين ـ وفي عام ١٩٤٦ ـ يشترى أولاد أمين ـ التوأمان « على » و « مصطفى » ـ المجله من استاذهما « محمد التابعي » ، فينتقل الثلاثة ـ التابعي واخر تلامذته « هيكل » والمجلة ـ الى « دار أخبار اليوم » ، وهناك يستقر « هيكل » صحفيا بين صحفيين ، لا هو أشهرهم ، ولا هو أفضلهم .. لكنه كان بالقطع أذكاهم !

تلك عودة ـ لا مفر منها ـ للماضي ، سيقود المؤرخين اليها ـ فضلا عن اصول الصنعة ـ الامل في العثور على قبس من نور يضيء عتامة احداث سنوات الذروة ، وهو أمل لابد وأن يقود هؤلاء المؤرخين المتعساء الى فصل الختام ، الذى انطفأت بعده أضواء المسرح ، وأنوار الصالة ، ولم يبق سوى تصفيق بعض المتفرجين ، وصفير الاخرين ، وصمت الاغلبية التي عودتها المحن ، أن تداوى بالنسيان كل الجراح !

ومن سوء حظ هؤلاء المؤرخين أن حظ « هيكل » قد دفعه الى المسرح ليلعب البطولتين الاولى والثانية ، في مسرحية واحدة ، تنتمى لزمن واحد ، فكان « الجان بريميبه » في الصحافة ، و « صديق الشجيع » في السياسة .. وما أن أسدل الستار على المسرحيه ، حتى اختلف الناس على الزمن ذاته ، فقال الكارهون وطالبو الدم شامتين : هذا زمن الرعب النقى ، والقهر المصفى ..

[redacted]

محمد حسنين هيكل

وقال الوالهون غراما : بل زمن العظمة التى ام تلـد ولم تولد ·· وفى ضجيج المناظرة ، ضاعت أصوات خافتة ، اغتصب أصحابها نصف ابتسامة ، وذرفوا الدمع من عين واحدة ، وقالوا :

ـ انه زمن عبد الناصر ، آخر الفراعنة الافذاذ ، ذلك الذى كان عظيم المجد والاخطاء ، وليس « هيكل » سوى كاهن تعيس الحظ ، مات فرعونه قبل الاوان ، وتركه وحيدا بين جدران المعبد ، وقد انفض المرتمون ، وهرب المصلون ، وتغير اتجاه طوابير الذين جاءوا يوفون بالنـــذور ، ولم يبق سوى الكاهن الاعظم ، يطلق البخور ، ويتلو التعاويذ ، وينشر الوثائق ، ويعد أسانيد الدفاع ·· فسبحان الذى بيده الملك ، يؤتى الملك من يشاء ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، بيده الخير وهو على كل شىء قدير !

وهكذا يتعقد الطريق الى « هيكل » وتكثر نخاخه ، وتتداخل الحدود بين معالمه وعوالمه ·· مع أن « هيكل » ـ كظاهرة تاريخية ـ ليس اكثر من تنـويع على ثنائية مصرية شهيرة وكثيرة التكرار ، هى ثنائية « الفرعون » و « الكاهن » ·· فهكذا كان حظنا ، أو هكذا كانت عبقرية المكان الذى نحتله على خريطة الدنيا : أن يحكمنا دائما فرعون قد يأتى فيملؤها عدلا ونورا ، أو يأتى فيملؤها ظلمـا وجورا ، لكنه فى كل الاحوال معبود بقوة القهر أو قوة الحب أو قوة النهر الذى فرض علينا دائما أن نخضع لقوة مركزية جبارة ، تحفظ الاستقرار ، وتنظم تدفق المياه فى ملايين من قنوات الرى التى تخرج منه ، حتى لا يجتاحنا الفيضان أو يقتلنا الجفاف · لذلك كان منطقيا الا يستغنى « الفرعون » عن « كاهن » يعطى الروح لقوة القهر ، وقوة الحب ، ويبدع وينشد ويزين ويدافع ويهاجم ويحشد المصلين فى بهو المعبد ·

وهكذا كان « عبد الله النديم » كاهن « أحمد عرابى » وترجمانه الى قلوب الناس ، وكان بسيطا كزعيمه ، ومخلصا وسيىء الحظ مثله !

وكان « عباس العقاد » هو الكاتب الجبار للزعيم الجبار « سعد زغلول » ، يدافع عنه ، ويشن الغارات على اعدائه ، ويطلق نيران قلمه الجبـــار عليهم فتتناثر جثثهم على صفحات الصحف !

وكان « محمد التابعى » هو صحفى « مصطفى النحاس » ، حارب الى جواره بالمانشيت والخبر والمقال القصير والتعليق الساخر ·

وكان « هيكل » ـ كما قال هو نفسه ـ آخر تلامذة « محمد التابعى » ··

وخلال السنوات التى قضاها « هيكل » مع « التـــابعى » ، ثم مع « أولاد أمين » ، كان يراقب بذكائه المشع ، قوانين لعبة « الفرعون » و « الكاهن » ، يدرسها عن قرب ، ويحللها بعمق ، ويحفظها ظهرا عن قلب · وكان « محمد التابعى » قد لقن تلامذته أن الصحفى يمكن أن يكون « صاحب جلالة » حقيقية ، وملكا يملك ويحكم ، دون أن يغادر مقعد رئيس التحرير ، لان الصحافة صاحبة جلالة فعلية ، فطالما أن الفرعون لا يستغنى عن الكاهن ، ولا يعيش دونه ، فمن واجب الصحفى أن يرتقى بمهمته ـ ومهنته ـ من مجرد نشر الاخبار الى المشاركة فى صنعها ·· ومن حقه أن يكون طرفا فى تخليق الحدث ، الذى ستقع على عاتقه مهمة تزيينه امام الناس ، أو تفسيره لهم ·· وذلك ما كان يفعله « التابعى » ، المعجبانى ، المفتون بذاته ، الذى يعرف قيمة وتأثير وسحر كهانته ·· فكان يشارك فى تشكيل

[redacted]

الوزارات وفي حل الازمات ، وفي تدبير الانقلابات ·

وحين انتقل « هيكل » الى « اخبار اليوم » وعرف صاحبيها ـ « على » و « مصطفى أمين » ـ وجد نفسه قريبا الى الجيل السابق عليـــه من تلامذة « التابعي » ، وعاين عن قرب عالم الكهانة ·· وعرف صورة منها فى فتوتها ·· فقد كان « أولاد أمين » هم نجوم ذلك الزمن : يمرحان فى أبهاء القصر الملكى ، ويصادقان الحاشية ، ويتصـــلان بالوزراء · ويستقبلان السفراء والزعمـــاء ، ويعرفان أسرار المفاوضات ، ويحملان الرسائل بين أبطال المسرحية ، ويطلعان على ما يجرى فى غرف النوم وما يدور بين الفـــراعين من صراع على اللحم والدم والعواطف ، ويطلقان البخور بين أعمدة الهيكل !

وربما يدهش كثيرون ، لأن هذا الفصل التمهيدي من عمره قد انتهى ، وهو مجرد عضو منتسب فى نادى الكهانة ·· فانتصرت ثورة يوليو وهو لا يعـرف من فراعين « العهد البائد » سوى اثنين أو ثلاثة من فراعين الدرجة الثانية ، كان بينهم « على الشمسى باشا » و « نجيب الهلالى باشا » · لعله تعفف العاجز المغلوب على أمره ·· ففى تلك السنوات ، كان المعبـــد مزدحما بديناصورات الكهان : أولاد أمين وأولاد ابو الفتح وفكرى اباظه وكريم ثابت ·· وكان الصراع محتدما بين ديناصورات الفراعين : الملك فاروق والسفير البريطاني ومصطفى النحاس وأحزاب الاقلية ·

ولأن « هيكل » لم يكن يوما أحمق فانه لم يقتحم الحلبة ليصارع على مرتبة الكاهن الاعظم ، ربما لانه ادرك بواقعيه انه يكاد يخلو من كل الأســلحة التى تؤهله لخوض الحرب ، فهو لم يولد ـ كأولاد أمين ـ فى بيت « سعد زغلول » ، ولم يتعلم فى جامعة « جورج تاون » و « جامعة شيفلد » كما تعلما ·· ولم تحمله الملكة الوالدة ، وتهشكه ، وهو شرف ناله التوأمان وهما رضــيعان ، ولم يناله « هيكل » ، فكل مؤهلاته انه ابن أسرة مستورة ، تنتمى للشرائح الدنيا من الطبقة الوسطى ، وكل شهاداته ، هو دبلوم التجارة المتوسطة ، ودبلوم فى القـــانون والاعلان ، حصل عليه ، بالمراسلة ، من أحد المعاهد الأجنبية ، ودرس سنتين بقسم الدراسات الاقتصادية بمدارس الليسيه الفرنسيه ·· ولعله لم يقتحم الحلبة أيامها ليحصل على مكانة الكاهن الاعظم · لانه ادرك أن عرش الفرعون الاعظم خال ، وكان معنى ذلك أن الصراع الذى يدور على موقع الكاهن الاعظم ، هـو مجرد حماقة ، أما معناه الاعمق ـ طبقا لقوانين التاريخ المصرى ـ فهو أن قمر الزمن قد شك أن يدخل فى المحاق ·

وقـد كان :

هو قمر الزمن الماضى ليطمره المحاق · وزحف الفراعين الشـــائخون يتوكئون على عكاكيزهم ، وفى معيتهم زحف شيوخ وشباب الكهان ، وقبلة الكل هو معبد الفرعون الجديد ، فى ذلك المبنى الذى لايزال ـ الى الآن ـ يحمل اسم مجلس قيادة الثورة ، وشعار الجميع : مات الملك ·· عاش الضباط الاحرار ·· وبينهم كان « هيكل » أصغرهم سنا ، وأكثرهم ذكاء وطموحا وأبعدهم عن شبهات هؤلاء الضباط الشبان الخشنى الوجوه والملابس والكلمات ·· ولانه كان مجرد عضو منتسب فى نادى كهان الزمن المنهـــار ، فان الشبهات التى أحاطت بدار « اخبار اليوم » ـ مركز الكهانة الرئيسى للفرعون المخلوع لم تلحقــــه مع انه كان احد كواكبها اللامعين · وفى اليوم التالى للثورة ، كان كبيرا الكهنـــة ـ مصطفى وعلى أمين ـ يعتقلان بسبب وشاية لم يتثبت منها احد ، وكان «هيكل»

[redacted]

محمد حسنين هيكل

يذهب في صحبة الاستاذ « التابعى » ليتوسط للافراج عنهما ، ومع أن المياه قد عادت الى مجاريها ، وساد الوئام بين الفراعنة الجدد وبين « أخبار اليوم » وكهانها ، فان الشبهات التى أحاطت بالكاهنين الكبيرين ، كانت مؤشرا على أن فراعنة الزمن القادم ، يتطيرون بريبة الى كهنة الزمن المنهار ·

سبحانك اللهم ، تولج الليل في النهار ·· وتولج النهار فى الليل ، وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى ، وترزق من تشاء بغير حساب !

سقطت معظم الحواجز التى كانت تقف بين « هيكل » وبين عرش الكهانة ، الذى أصبح الان ـ ١٩٥٢ ـ خاليا !

كان الفراعين الجدد أولاد عائلات مستورة مثله ، ولم يكن أحدهم قد نال شرف تهشيك الملكة الوالدة !

وكان الكهنة القدامى قد خرجوا من السباق بعد أن قعد بهم الروماتيزم وقيدتهم الشبهات ، فلم يتحركوا من مكانهم على الخشبة !

وكان الزمن القادم يبحث عن كاهنه وشاعره ومغنيه !

أما المنافسون الحقيقيون ، فقد كانوا الفرسان الذين شاغبوا على الزمن القديم ، وشنوا الغارة ضده ، وكان بينهم ثلاثة على الاقل ، يعرفون كثيرين من أعضاء مجلس قيادة الثورة معرفة وثيقة ، ابان سنوات الاعداد لها ، ويصادقون عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم والاخـــرين · لمع من بينهم ـ في العامين السابقين على الثورة ـ « احسان عبد القدوس » ، صـــاحب معركة الاسلحة الفاسدة ، و « احمد أبو الفتح » ، بطل معـركة قوانين تقييــــد حرية الصحافة ، و « حلمى سلام » صاحب الحملة على فساد ادارة الجيش !

ذلك سباق لم يكن لهيكل مكان فيه . فقـــد قامت الثورة وتقـــارير القلم المخصوص ، تقول عنه انه « بلا لون سياسى » · ومع انه قد عمل فى « الاجبشيان جازيت » ـ ذات الصلة التاريخية بدار المندوب السامى البريطانى ـ وفى « آخر ساعة » ـ المجلة الوفدية المتشددة ـ ثم فى « أخبار اليوم » جريدة القصر ، فان دخل هـذه الصحف كلها وخرج منها وقد حافظ على « نقائه السياسى » ، فظل بلا « لون » ! ·

والغريب أن هذا السباق قد انتهى فجأة بعد عامين فقط من قيام الثورة ، فاذا بهيكل ـ الذى لم يشغب على العهد القديم ، ولم يصنف بين الثائرين عليه ، يفوز بمنصب الكاهن الاعظم ، أما « احمـــد أبو الفتح » فقــد أغلقت جريدته « المصرى » وهاجر ليعيش فى المنفى عشرين عامــــا ، وتحطمت ذراع وضلوع « احسان عبد القدوس » ابان تلقيه لدروس فى الكهانة في احدى زنازين السجن الحربى ·· وكان « حلمى سلام » يلهث هناك فى اخر الطابور ، حتى جاء اليوم الذى قادته فيه الرغبة في الانتصار على « هيكل » الى حماقة سارت بذكرهـــا الركبان !

فى تلك السنة ـ ١٩٥٤ ـ اثبت الفرعين الجدد ، أنهم « أولاد أمون » حقا ، وانهم يفضلون هؤلاء « الذين بلا لون » ، لانهم سيخلقون لونهم الخـــاص من ناحيه ، ولانهم ـ وهذا هو الاهم ـ لا يريدون شعبا يفسد عليهم الاستقرار الذى يريدونه . ليصنعوا مصر التى يريدون !

[redacted]

وهكذا بدأت سنوات المجد التي كان وهج « هيكل » خلالها يكــاد يعمى الابصار ، واحتل الفتى الريفي القادم من « باسوس » اقرب مكان الى القمة ·· وتخلق لاول مرة ، وبشكل يكاد يكون مثاليا ، حلم محمد التابعى فى أن يصبح الصحفى صاحب جلالة حقيقية ·· فجلس « هيكل » ـ اخر تلامذته ـ على مقعد بجوار عرش الفرعون الذى جاء من قرية « بنى مر » ليملأها عدلا ونورا بعدما « ملئت ظلما وجورا » !

لم يحصل « هيكل » على كرسى الكهانة بالصــدفة ، بل تطبيقــا لقوانين التاريخ ·· ولان عبد الناصر لم يكن فرعونا تافها فان كاهنه كان مقتدرا وذكيا وموهوبا بالفطرة ، ورث كل علوم الكهانة من عصر « مينا » ، فلم يبدد ما ورثه ، بل أضاف اليه وطوره ، وعصرنه ·· ولابد أن الذى ساعده على الاتقان ، احساسه الصادق بأن كهانته كانت ـ فى الاغلب الاعم ـ تدافع عن قضايا معظمــها حق وعدل · وسوف يمضى زمن أطول مما يقدر أكثرنا تفاؤلا ، قبل أن تتكرر ثنائية « الفرعون » و « الكاهن » بهذا المستوى الرفيع ، ذلك أن « هيكل » لم يمارس دوره بمنطق الكهنة الاجورين ، بل بروح العشاق المفتونين ، فسخر كل مواهبه فى خدمة الفرعون الذى جاء من هناك حيث الكل فى واحد : يصــــوغ له الخطب والرسائل ، ويؤلف له كتابا فى الفلسفة وميثاقا فى العمل الوطنى وبيانا فى ٣٠ مارس · ويقرأ عليه الكتب وبرقيات وكالات الانبــاء ، ويلخص له الصــحف والاذاعات ، ويسفر بينه وبين ساسة العالم ودبلوماسييه وصحفييه ومناضليه

محمد حسنين هيكل فى احد لقاءاته مع انديرا غاندى



[redacted]

محمد حسنين هيكل



هيكل لم يستطع أن يفعل أكثر مما فعل

وأفاقيه ، ويخرج له قراراته الكبرى ، بشكل يعجز عنه أكثر المخرجين المسرحيين اقتدار · ويكتب عنه وله ، كل أسبوع « ترانيم يوم الجمعة » ، فيزود المريدين بنشيد يترنمون به · وينحت له تلك الكلمات الاسفنجية التى تمتص دموع الكوارث ، وترفع من لعلعة زغاريد الانتصار ، فهو الذى سمى كارثة الانفصال « نكسة » ، وهو الذى أطلق الاسم ذاته على هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، وهو صاحب التعبير الشهير الذى نشر على لسان المشير « عبد الحكيم عامر » قبل الكارثة بأيام : نحن نملك أكبر قوة ضاربة ورادعه فى الشرق الاوسط ·

ويقبل الليل فلا ينام « هيكل » بل يظل قابعا بجوار التليفون الابيض الذى يصل بينهما ، فاذا رن جرسه الموسيقى ·· بدأت مساورة الليل بين الاثنين ·· وتواصلت لساعات ، كما يفعل الرومانسيون من العشاق ·

ولعل « هيكل » هو الوحيد ممن كانوا حول عبد الناصر ، الذى ظل نجمه يعلو فى اضطراد ، ولعله الوحيد الذى نجا من آثار المعارك الدموية التى كانت تدور فى كواليس القصور وبين مراكز القوى ومديرى المكاتب ، مع أن كل الذين كانوا حول عبد الناصر كانوا يحسدون « هيكل » على مكانته لديه ، ويكرهونه لذلك ، ويرفضون ــ بدرجة من التعالى ــ فكرة أن يكون هذا الصحفى المدنى ، أكثر قربا لعبد الناصر منهم !

وكان ما يرفضونه ، هو أحد أسباب تمسك عبد الناصر بهيكل ، اذ كان أقرب ما يكون لوجه مدنى لثورة ٢٣ يوليو ، أمام الذين لا يستريحون ــ أو لا يثقون فى الانقلابات العسكرية ·· ثم أنه كان نافذة أرحب على العقلية المدنية

[redacted]

التي تفتقدها الاجهزة الحساسة المعاونة لعبد الناصر • وبهذه العقلية الدنية ، وبقربه من عبد الناصر استطاع « هيكل » أن يوقف كثيرا من الهازل والمظالم والكوارث • واستطاع – وهذا هو الاهم – أن يثبت أن المجتمع المدنى المصرى ، لا يزال قادرا على أن يقوم بحكمة ، ويدبر برشد ، لذلك خاض ببسالة ، معركة تجديد شباب « الاهرام » ، فلم ينجح – خلال فترة رئاسته لتحريرها (١٩٥٧ – ١٩٧٤) – في وقف خسارتها فحسب ، بل نقلها الى الربيع ثم الازدهار ، ورفع توزيعها من مائة الف نسخة عام ١٩٥٨ الى ٥٣٠ ألف نسخة عام ١٩٧٤ •

في تلك السنوات جعل « هيكل » من « الاهرام » اشبه بسفينة نوح ، وحشد فيها ألمع ما في الوطن من عقول ومواهب وكفاءات وآراء ، وأضفى على العاملين بها بعض حصانته ، ومنحهم – على مسئوليته – جانبا من الترخيص الممنوح له ، فعبروا بشيء من الحرية ، وفي أحوال ليست كثيرة عن آرائهم • حتى تحولت الى مركز عصرى للكهانة يزدحم بالعلماء والادباء والمفكرين والفنانين وأصحاب المذاهب ومن كل صنف زوجين اثنين •

لكنها رغم كل ذلك ، ظلت كسفينة نوح – جزيرة صغيرة تائهة بين أمواج عالية كالجبال تحاصرها من كل الجهات لان « هيكل » لم يكن يستطيع – في ظل موازين القوى التي كانت تحيط به ، أن يفعل اكثر مما فعل ، ولعله ايضا لم يكن يريد !

والواقع ان « هيكل » لم يكن يوما من هؤلاء الشبان الطائشين الذين يتوهمون أن الواقع يمكن أن تغيره مظاهرة ، أو تهديد تشكيله خلية ثورية ، وكان هذا احد اسباب بقائه بلا لون سياسى حتى قامت الثورة ، مع ان اللعب بالبالونات السياسية الملونة ، كان الموضة السائدة في مصر الاربعينيات •• وبين جيله من الصحفيين والكتاب •• انه كان من ذلك النوع الذى يؤمن ان التأثير في القمة اضمن وأسهل وأكثر ادراكا للهدف ، من الاعتماد على تلك الكتل من الجماهير غير الواعية ، التي لا تعرف ما تريد ، والتي يصعب الاطمئنان اليها ، أما وقد جلس على مقعد الكاهن الاعظم ، وأصبح أقرب ما يكون الى التأثير في هذه القمة، فقد اكتفى بذلك •

وبعد ان مات عبد الناصر ، قال « هيكل » أن العلاقة بينهما كانت علاقة حوار مستمر ، لكنه لم يقل ان دائرة الحوار الكهربائية كانت مغلقة عليهما •• ولعلهما كانا الوحيدين اللذين يتحاوران في ذلك الزمن البعيد المجيد ! •

وقد خرج فيما بعد ، بنظرية تقول ان عبد الناصر لم يكن في حاجة الى حزب يعتمد عليه ، وينظم جيوش المريدين الذين تدفقوا بعشرات الملايين الى حضرته ، انه كان لديه هذا الحزب ، ممثلا في أجهزة اعلامه القوية التي كانت تقوم بما يقوم به الحزب • وتلك قمة كهانة هيكل ، فالشعوب في رأيه ، خلقت لتسمع وتقرأ ، لا لتتكلم أو تكتب ، والكاهن هو « حزب » الزعيم أو هو « شعب » الفرعون •• أما عبارات ومصطلحات •• مثل « الشعب المعلم » و « الشعب القائد » و « ارادة شعبنا التي هي بالنسبة لى أمر لا يرد » ، التي صاغها « هيكل » والقاها عبد الناصر ، فلم تكن سوى دليل على تفوق « هيكل » في كتابة الانشاء !

[redacted]

محمد حسنين هيكل

وهكذا تحولت العلاقة بين الفرعون والكاهن الى صداقة عميقة ـ واندماج فعلي .. وكانت الكهانة المقتدرة قد صنعت من الانتصارات التي توالت في سنوات المد ـ أساطير أحاطت رأس الفرعون بأكاليل الغار . وفي نهاية ذلك الزمن . بدا وكان الفرعون قد دمج نفسه في الكاهن ، وأن الاثنين قد دمجا الوطن فيهما ، وأن الذي جاء من هناك ، حيث الكل في واحد ، قد انتهى الى هناك ، حيث الكل ـ أيضا ـ في واحد !

وكانت النكسة تزحف ـ كالقدر ـ بخطى حثيثة لتهدم المعبد على رءوس الجميع ! .

وجاء اليوم الذي مات فيه عبد الناصر قبل الاوان :

خلا المعبد من الفرعون القوى القادر المعبود . انفض سامر المريدين وصمتت أصوات المرغين ، وبقي الكاهن وحيدا تحيط به عواصف من كراهية كل الذين احفظتهم مكانته من الفرعون الراحل . وفي ذكرى الاربعين لوفاة الفرعون ـ وهى تقليد فرعوني ـ كتب هيكل الشهير « عبد الناصر ليس أسطورة » ، الذي حكم فيه بأن الزعيم الخالد ـ هكذا كان عبد الناصر يسمى رسميا أيامها ـ كان واحدا من البشر ، وليس اسطورة من غيرهم ، وانه لم يترك معبدا ، ولم يعين للمعبد كهنة ..

وكان المقال واحدا من ذرى كهانة « هيكل » المقتدرة ، اراد أن يضرب به ثلاثة عصافير بحجر واحد ، فينزع من مجموعة « على صبرى » فضلا كانت قد نسبته لنفسها بزعمها أنها تضم تلاميذ عبد الناصر ومريديه والامناء على رسالته، ويرضي السادات الذي كان هذا الزعم في جانب منه ، يستهدف التقليل من مكانته ، وأخيرا فان المقال ينكر حق الكهانة على غيره ، ليحتفظ به لنفسه !

والواقع أن « هيكل » كان قد أدمن الكهانة ، لذلك راهن على « أنور السادات » رغم انه كان أكثر الناس علما بأن المسافة شاسعة بين الفرعون والمتفرعن ولم يكن أمامه مفر من أن يفعل ذلك ، فقد كانت عواصف الكراهية التى يحركها على صبرى وجماعته ، توشك أن تقتلعه ، أما السادات، الذى كان ـ طوال عهد عبد الناصر كامنا بين أعواد الذرة كأولاد الليل يتفرج على صراع السلطة ، فلم يكن بينهما ما يدعوه للخوف منه !

وكانت كهانة « هيكل » الدربة ، هى التى اقترحت على السادات ، أن يختار الحريات العامة والشخصية والاعتقالات الكيفية وغير القانونية، موضوعا للصراع مع علي صبرى ومجموعته ، الذى تفجر فى مايو ١٩٧١ ، بينما كان السادات يريد أن يعلن السبب الحقيقى للصراع ، وهو سعى المجموعة لمشاركته فى السلطة، ورفضها وشكلها فى محاولاته للتقارب مع أمريكا !

لكن « هيكل » لم يهنأ طويلا بالقرب من السادات ، فقد كان الرجل الذى ظل منزويا ومجهولا وبلا مكانة طوال عهد عبد الناصر، يريد أن يثأر لسنوات الاهمال التعمد ، التى كان فيها « هيكل » أقوى نفوذا ، وأعلى مكانة منه .. وكان يطمح أن يكون آخر الفراعنة ، ولذلك أراد كهنة لم يرتبطوا فى وجدان الناس بأحد سواه ، وخاصة بعبد الناصر ..

[redacted]



هيكل .. رجل ادمن الكهانة

ورفض « هيكل » بعناد كل محاولات السادات لتطويعه ، أو مساواته بغيره من الكتاب والصحفيين ، أو نقله الى حيث يصبح وزيرا من الوزراء ، أو نائبا لرئيسهم ، أو مستشارا للرئيس ، وأصر على الا يلعب غير الدور الوحيد الـذى عشقه وأتقنه وبرع فيه ، وحفر بسببه اسمه على أحجـار التاريخ دور الكاهـن !

وجرت فى النهر مياه كثيرة :

فى ٣ سبتمبر ١٩٨١ وجد هيكل نفسه سجينا فى احدى زنازين سـجن الاستقبال . حدث الذى لم يكن أحد يتخيله أو ينتظره أو يتوقعه .. وكـان الى جواره مباشرة ، بعض الذين نازعهم ونازعوه سدانة المعبد ، ممن كانوا يسمون بمراكز القوى !

وفى ٢٨ سبتمبر ١٩٨١ ، اعتذر « هيكل » عن الحديث فى احتفال كنا ـ على سبيل التحدى ـ قد قررنا اقامته فى ذكرى وفاة عبد الناصر ، واخفى وجهه تحت الغطاء ، واندفع فى بكاء ..

وفى ٦ أكتوبر ١٩٨١ ، سمعنا خبر مقتل « السادات » ، ورغم الاوجـه المتعددة للخبر ، فقد اختفى هيكل مرة ثانية ليبكى وحيدا فى ظلام الليل ..

وكان صوت جميل يأتى من بعيد يتلو قول الله عز وجل « سبحان الذى بيده الملك ، يؤتى الملك من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ، بيده الخير ، وهـو على كل شىء قدير » !

دائرة الحوار

عصا الشعايرى

بقلم : كمال النجمى

في القرن الثاني الهجرى نجح عبقرى اللغة العربية الخليل بن احمد في اكتشاف وتمييز بحور الشعر العربي الخمسة عشر التى هى اصول اوزان الشعر ، ومنها تفرعت المجزوءات كلها ، على كثرتها ، وتوالدت بين ايدى الشعراء حتى وصلت في عصرنا إلى طريقة شعر التفعيلة باتجاهاته المختلفة ..

وبعد الخليل بن احمد ، جاء الأخفش تلميذ سيبويه ، فاكتشف وزنا اعتبره البحر السادس عشر من بحور الشعر ، وسماه « المتدارك » .. كأنه تدارك به مافات الخليل بن احمد ، وهو أستاذ سيبويه ، أستاذ الأخفش ! ..

وعاشت بحور الشعر الستة عشر ، ومن حولها مجزوءاتها ، احقابا طوالا ..

فلما نجحت حركة « التفعيلات » في عصرنا ، حاولت في أول أمرها أن تكون إضافة إلى الشعر العربي ، ثم اقتحم هذه الحركة عدد لايحصى من الراغبين في قول الشعر ، استسهلوا النظم بالتفعيلة الواحدة أو التفعيلتين وهم يجهلون أصول البحور ، فأعجزهم هذا الجهل حتى عن إقامة التفعيلة الواحدة ، لأنها نغمة مفردة ضمن وزن متكامل ، فلايمكن إقامتها إلا من خلال معرفة هذا الوزن المتكامل ــ أو البحر ــ معرفة تامة .

ولا مفر للشاعر التفعيلي من المعرفة الصحيحه والإحاطه التامة بالبحور ، لايشوب معرفته وإحاطته أدنى نقص أو خلل ، وإلا انقلب النظم بالتفعيلة معضلة بين يديه يعييه الإحساس بها ، فضلا عن فهمها ، فضلا عن معرفة أسرارها والتمكن من حلها .. وفى نهاية المطاف تضيع منه التفعيلة كما ضاع البحر ! ..

ولعلي - بحكم عملى الصحفى فى النقد الأدبى من قديم - كنت أول من كتب فى مسألة الأوزان المتكاملة والتفعيلات منذ أربعين عاما تقريبا .. لم يسبقنا أحد - فيما نعلم - إلى الاتساع في نقد الشعر التفعيلي شكلا وموضوعا .. ولم يثابر أحد سوانا على هذه الخطة إلى يومنا هذا ، وإن كثر المتكلمون فى هذه القضية ..

وكنت - ومازلت - أرى أن الشعر التفعيلي بمختلف إتجاهاته هو إضافة للشعر العربى ، بشرط ألا يكون وجود التفعيلة إلغاء لوجود الشعر المتكامل البحور ، وبشرط أن تتوافر الأسباب للأجيال القادمة من شعراء التفعيلة ، لإقامة صلة وثيقة بالبحور والأوزان ، لاتنقطع أبدا ، لأن انقطاع صلتهم بالبحور يقطع صلتهم بالتفعيلات ، ويحيلهم إلى ناثرين يكتبون سجعا أسخف وأبرد من سجع الكهان ، فى قديم الزمان ! ..

ويرى أن التعايش اليوم وغدا بين الشعر المتكامل البحور ، والشعر التفعيلى سوف يمنع انقراض الأوزان كما يمنع انقراض التفعيلة ، ويشبه هذا من بعض وجوهه ،ماكان قديما من التعايش بين الشعر والموشحات ، فلم تكن الموشحات بديلا للشعر ، وكان الشعر سعيدا بوجود الموشحات ! .

كانت المسألة أيامئذ اختلافا فى الشكل ، وقد انقطع الآن نظم الموشحات وبقى الشعر .. والمسألة هذه المرة أيضا مسألة اختلاف فى الشكل بين لونين من النظم ، مع الفارق الجوهرى فيما كان من خلاف فى الماضى ، وما هو حادث الآن من خلاف هو أقرب إلى التناحر ..

إلا أننا نظن أن شعراءنا سوف يظفرون من خلال نشاطهم الفنى بحل لمشكلة الشكل ، فى سلسلة هادئة من التغيرات والتطورات لاتلغى البحور ولاتلغى التفعيلة .

محمود أمين العالم — أدونيس — صلاح عبد الصبور



ولاتمنع ظهور شكل آخر غير التفعيلات والبحور من داخل توزينات اللغة العربية ..

على أننا نعترف بأن هناك مايشبه الجبهة المتحدة ضد البحور والأوزان بين عدد غير قليل من الشعراء والنقاد .. فماذا يمكن أن يقال عن الأوزان ؟! ..

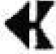
● لقد بدأ الشعر العربي حياته في الماضي البعيد بأوزان قليلة ساذجة ، تطورت حتى اكتملت فأصبحت أداة في أيدي الشعراء للإبداع في قصائدهم ذات البحور ، واستوى الشعر العربي منذ بضعة عشر قرنا ، فنا ناضجا ، شكلا وموضوعا ، شديد التركيب والتعقيد بالنسبة إلى الفنون الأخرى عند العرب ، فكان وحده ديوان حياتهم ..

وخدمت الأوزان المتكاملة الشعر العربي خلال مراحل متعاقبة طويلة من حياة الأمة العربية ، فهل تعجز الأوزان عن خدمة الشعر العربي في المرحلة التاريخية الراهنة ؟! ..

إن الأوزان العربية ليست ميراث طبقة عربية واحدة .. فعلى مدى الزمن المديد خدمت هذه الأوزان طبقات المجتمع العربي ، بدون أن تكون سلاحا في يد طبقة دون طبقة ، ذلك أن الأوزان العربية جزء من اللغة العربية ذاتها وهي لغة الأمة كلها ، والعروض هو أحد العلوم الجوهرية في اللغة العربية .. لايمكن إلغاؤه برأى شاعر ولا رأى ناقد ، ولا رأى جهة ثقافية أو أدبية رسمية ، لأن عوامل التاريخ العميقة التي جعلته جزءا أصيلا جوهريا من اللغة هي وحدها القادرة على فصله عنها ، ولايمكن أن يحدث ذلك ، إلا إذا تمزقت اللغة العربية كاللغة اللاتينية ، لهجات ولغات ، وذهبت كل لهجة ولغة بشعرها ونثرها ! ..

● الحقيقة أن من أخطر أسباب البلبلة في هذه المسألة أن النقاد سبقوا بتوجيهاتهم النقدية خطوات الشعراء في الخمسينات ، فسار النقاد في المقدمة ، والشعراء في المؤخرة ، وانعقدت بين هؤلاء وهؤلاء علاقة ذيلية ، جعلت الشعر التفعيلي في نشأته مقودا بأقلام النقاد لا بأقلام الشعراء ، فكان هذا أول أسباب ضعف هذا الشعر وفسولته ، ثم تدهوره وذهاب ريحه ! ... ولابد الآن من إعادة النظر في الآراء التي قادته إلى مأزقه الراهن ، وفي مقدمتها آراء الناقد الكبير الأستاذ محمود أمين العالم التي قاد بها الشعر التفعيلي من الخمسينات إلى مطالع السبعينات ، وربما إلى اليوم ! ..

إن الأستاذ العالم من أشد المثقفين المصريين والعرب نقاء وإخلاصا ، وقد ساقه النقاء والاخلاص في فورة الشباب إلى الظن بأن تحطيم البحور والأوزان هو تحطيم لصنم قديم يقف في طريق الفكر الجديد ، وكان لظنه هذا مايبرره في حينه ، ولكن الأيام أثبتت غير ذلك ، فليت الأستاذ الكبير العالم يقول لنا رأيه بعد أن تبدلت الأرض غير الأرض ، وأضاء في السماء نور جديد ! ..



● ماذا يحدث للشعر العربي إذا انقرض شعراء الأوزان والقوافي ولم يبق إلا شعراء التفعيلة ؟!

رأيي أن ذلك سيؤدى إلى عجز الجيل القادم من التفعيليين عن نظم الشعر موزونا بالتفعيلة ، لأن سليقة الشاعر العربي تقوم على استيعاب الأوزان الشعرية حتى تنطبع فيه كما تنطبع الألحان ذات الأصول الإيقاعية الراسخة .

والبحور المتكاملة هى الأصول التي تغرز (بالزاى لا بالسين) فى الشاعر مقدرته العفوية على النظم الموزون بالتفعيلة أو بالبيت ، فلا فرق بين شاعر التفعيلة وشاعر القافية فى الحاجة إلى المعرفة التامة بالبحور ، لتتكون فيه مقدرة عميقة الجذور كأنها جزء من طبيعته ، ويسمى عندئذ شاعرا مطبوعا لأنه ينظم بطبعه وعفويته كما يدق قلب الإنسان ..

والتفعيلة بمفردها ـ منفصلة عن البيت ـ عاجزة عن غرز هذا الطبع فى الشاعر العربى ، لأنها بمفردها لا تؤلف لحنا شعريا متكاملا ، ولاتتآلف منها فى السمع نغمة ذات أصول ..

وبدون المعرفة الكاملة بالبحور تتكسر التفعيلة ، لأنها جزء من البحر ، ولا تتم معرفة الشاعر بها إلا بعد معرفته التامة بالبحر الذى تنتمى إليه ..

إن الذين عرفناهم ينظمون بالتفعيلة فى الثلاثين عاما الماضية ، فريقان .. أحدهما يعرف البحور الكاملة ويقسمها إلى تفعيلات ، وهؤلاء هم الذين نظموا الشعر فى بداية أمرهم متكامل الأوزان ، ثم نظموا بالتفعيلة ، أمثال بدر شاكر السياب فى العراق .. وصلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطى حجازى فى مصر ..

ومهما قيل عن هذا الفريق ، فإنهم من أهل اللغة العربية بلا مراء ، ولهم بالشعر العربى صلة ظاهرة ، ومعرفتهم بالبحور تامة ..

أما الفريق الثانى ، فيتكون ممن نظموا الشعر أول مانظموه تقليدا للشعر التفعيلى الذى ينظمه الفريق الأول فلم تنشأ بين هذا الفريق الثانى وبين الشعر العربى وأوزانه صلة حقيقية ، ولم تدخل فى طبائعهم أوزانه المتكاملة التى هى أساس المعرفة بأوزان التفعيلات الجزئية .. وهكذا ثقلت التفعيلة على رأس هذا الفريق فهجرها أو كاد يهجرها ، عجزا عن النهوض بعبئها الثقيل ! ..

ولو مضى الشعراء الجدد ، جيلا بعد جيل ، فى هذا الطريق ، لانقطعت جميع العلائق بينهم وبين الأوزان ونعنى أوزان التفعيلات فقط ، لأن أوزان البحور مقطوعة أصلا .

وسوف يأتى بعد ذلك أو قبل ذلك جيل من شعراء التفعيلة يجهل أوزان التفعيلات ، ويراها ألغازا وطلاسم لاحل لها ، وكأنها النقوش الهيروغليفية قبل اكتشاف حجر رشيد ..

أما موسيقى البحور الشعرية فلن يكون لها أدنى أثر فى أسماع شعراء المستقبل التفعيليين ، وسوف تتساوى وتتشابه لديهم موسيقى البحور الستة عشر ، لأن تمييز الفروق بين هذه البحور ، إنما يجيء بانطباعها فى أعماق طبع الشاعر ، كجزء من موهبته الشعرية ، بعد المرانة والممارسة ! ..

وفى آخر الأمر ، يأتى جيل ممن يتعاطون التفعيلة ، يطالبون بإلغائها ، ويتنادون بعدم ضرورتها ، ويسوقون الأدلة على رجعيتها ووقوفها حائلا دون تطور الشعر العربى ! ..

وسوف تكون النتيجة موت الشعر العربى ، ثم موت اللغة العربية ، لأنها تصبح عندئذ كالديناصور ، كبير الجسم ، قليل الحيلة ، عاجزا عن الحركة ! ..

شعرور مهرج !

● وهذه النتيجة الجهنمية لايمكن أن تكون هدفا يسعى إليه شاعر عربى أو كاتب عربى أو صحفى عربى أو فلاح عربى أو عامل عربى أو مدرس للأدب عربى ، لأن موت الشعر العربى بانقطاع أجيال الشعراء الجدد عنه ، وجفاف بحوره الستة عشر ، وتحولها إلى نقوش هيروغليفية .. هذه النتيجة إنما يسعى إليها المستعمرون الجدد كما سعى إليها المستعمرون القدماء ، وهى التى يتحرق إليها الصهيونيون


بدر شاكر السياب


أحمد عبد المعطى حجازى

والشعوبيون وجميع الحاقدين على الأمة العربية ، ومن يريدون تجريدها من شخصيتها ومزاياها القومية .. ولا أظن أن أحدا ممن يكتبون بالتفعيلة ويقاطعون الأوزان ، يقصد إلى شيء من هذا ، ماعدا قلة ضئيلة جدا من الشعوبيين والباطنيين أمثال الشعرور المهرج الذي يسمى نفسه ، أدونيس ، وشرذمة على شاكلته ! ..

● هل ندعو إلى مقاطعة النظم بالتفعيلة ؟ .. كلا ، ولكن ندعو إلى أن يكون أصحابها على دراية تامة بالأوزان الكاملة ، لأن من يجهلها لايمكن أن يعلم شيئا عن التفعيلة ووزنها ! ..

وإذا انطبعت الأوزان ببحورها وتفعيلاتها فى وجدان الشاعر العربى انطبعت معها روح الأداء العربي في الشعر ، فكانت هى الأساس الذى يستند إليه فى كل تجديد يبتغيه ، وكل إضافة يحاول إضافتها ..

وإنه لمن العيب أن يكون شعرنا الجديد طفيليا فى أساسه وطابعه على أشعار الأمم الأجنبية وطريقتها في الأداء ، إلى حد التقليد القرودى الأعمى ، والنقل الحرفى القمىء ! ..

وقد انقضى زمن التوجيهات النظرية المتسرعة التى كانت تتوهم أن تحطيم الشعر العربي تحطيما تاما ، يفتح طريقا لخطوات متقدمة فى الشعر والأدب .. فقد صارت التفعيلة مطية ذلولا للعدميين والفوضويين والوجوديين والمهرجين والألغازيين والدجالين والجاهلين من جميع الاتجاهات ، وأصبح أصحاب الفكر المتقدم أقلية فى بحر هذه الأغلبية ..

إن أربعين سنة من النظم بالتفعيلة قد أنجبت ثلاثة أجيال من الناظمين .. كل جيل يجيء أنقص من الجيل السابق له معرفة بالبحور والتفعيلات ..

والعصر الذى نتلقى شعره التفعيلى الآن ، هو فى جملته وغالبيته عصر الشعارير الأدعياء ، ولايبلغ العارفون فيه بوزن التفاعيل مقدار المعشار من عدد الناظمين .. وأما الجيل القادم فلن يعرف شعاريره حتى التفعيلة ـ وسوف يصبحون عبيدا أذلاء للأسجاع البدائية التى يسمونها القصيدة النثرية ! ..

● ملحوظة

ـ الشعارير جمع شعرور وهو من يدعى الشعر ولا صلة له به .. وهو غير الشويعر ، وجمعه شويعرون ، لأن الشويعر هو شاعر صغير الموهبة ، قليل الإجادة ، وهو أرقى منزلة من الشعرور الذى لا موهبة له أصلاً ! ..



قراءة جديدة فى كتاب قديم

فى الثقافة المصرية

بقلم : محمد روميش

بعد اربعة وثلاثين عاما ، من صدور الطبعة الاولى ، اصدرت «دار الثقافة الجديدة» الطبعة الثانية من كتاب «فى الثقافة المصرية» للدكتور عبدالعظيم انيس والاستاذ محمود امين العالم .

والكتاب فى معظمه مجموعة من المقالات ، كتب بعضها فى الصحف المصرية ، وقد كان لهذه المقالات دوى ، تابعناها - المقالات - آنذاك ، بحماسة لاتقل عن حماسة الكاتبين ، كنا نحس ان فكرا جديدا يسعى ان يكون متكاملا ، ويتخذ من الصحف السيارة موقعا ، وما كانت تغيب دلالة ، افتتاحية مقال عبدالعظيم انيس ، وعنوانه ، « من اجل ادب واقعى » حيث يكتب « واقعية فى الأدب .. وواقعية فى الفن .. وواقعية فى السياسة .. وواقعية فى التعليم ..

هذه هى الصيحات التى فرضت نفسها فى المرحلة الأخيرة ، على الفكر المصرى الحديث ، وحين تضامت المقالات فى كتاب ، كان واحدا من الكتب الاثيرة ، التى نعود اليها ، للوقوف على هذه الفكرة او تلك . ثم تبينا ان الكتاب حوى مقالا لمناقشة واحدة من الأفكار المحورية ، التى عرضها الشاعر والمفكر الانجليزى ت . س . إليوت فى كتابه «ملاحظات نحو تعريف الثقافة» والذى ترجمه - بعد ذلك - الدكتور شكرى محمد عياد ، ونشرته وزارة الثقافة كما حوى - الكتاب - عددا من المقالات ، عرض الكاتبان فيها ، منهجهما فى نظرية النقد الادبى ، والذى عادا ، فأسمياه ، فى مقدمة




محمود أمين العالم


د . عبد العظيم انيس

الطبعة الجديدة «منهج النقد الجدلي» تمييزا له عن المناهج النقدية الأخرى ، والتي كانت ، ومازالت سائدة ، في حياتنا الادبية والاجتماعية والثقافية ، وفي تحديدهما ، لمنهجهما الجديد هذا ، تساول الكاتبان ، مع اثنين من مفكرينا الكبار ، هما ، طه حسين وعباس العقاد .

ولأن الكاتبين ، اذا كانا لم يبدأ منهجهما النقدي الجديد ، من الصفر - حسبما جاء بمقدمة الطبعة الجديدة - فقد كان اجتهاد العقاد ، الذي تجلى في كتاب «الديوان» وفي مقالاته النقدية ، وفي كتاب «شعراء مصر وبيئاتهم» وفي مناداته بنظرية وحدة القصيدة ، رغم ما نسلم به من تحفظات حولها ، كان العقاد ، في هذا كله ، وفي غيره ، لبنة هامة ، سبق اجتهاده ، اجتهاد كتاب «في الثقافة المصرية» .

وكان طبيعيا ، بعد أن أرسى ، الكاتبان ، او كادا ، منهجهما ، أن يضعاه ، موضع التطبيق ، ولقد فعلا ، حيث كتب عبدالعظيم انيس ، عن رواية «ابراهيم الكاتب» لابراهيم عبدالقادر المازني «الهارب من الحياة» كما كتب عن روايات «فضيحة في القاهرة» «خان الخليلي» «بداية ونهاية» «زقاق المدق» لنجيب محفوظ «المعبر عن مأساة الطبقة الوسطى المصرية الصغيرة في المرحلة الثانية للكفاح الوطني ، وهو يحرك نماذجه في إطار هذه الطبقة الاجتماعية ، في حدود فهمه هو ، وهو موقف عام بالنسبة لكل كاتب «ومن الرومانسيين اختار أن يكتب عن محمد عبدالحليم عبدالله «لأنه كاتب جاد ، يحاول ان يلعب دورا في حدود مفاهيمه في اثراء الرواية المصرية .. الا ان ابطاله تجمع بينهم الفجيعة الاجتماعية ، ويربطهم السخط على المجتمع والقيم الاجتماعية .. وينتهون بأن يهزمهم المجتمع ، ومن هنا لا يرفعنا المؤلف الى مستوى جديد من فهم الواقع والاحساس به «ص ١٣٢/١٣٣» ومن الأدب الجديد ، اختار عبدالعظيم انيس «الأرض» لعبدالرحمن الشرقاوي «باعتبارها اهم انتاج روائي صدر باسم الكتاب الاحرار - الكتاب صدر في سنة ١٩٥٤ - الذين آثروا ان يحتلوا البرج العاجي .. وان يجعلوا من الجماهير الغفيرة من الشعب مصدرا لالهامهم ، وفنهم ، وان



ينغمسوا فى المعركة الوطنية الديموقراطية ، ويعرفوا للفن دلالته الاجتماعية، ولم تطلق هذه الاحكام فقط من الخارج ، بل تشتق فى أحيان كثيرة من واقع احداث وشخصيات ولغة الأعمال الادبية التى كانت موضع التقييم ، فهو يأخذ على رواية الارض تقديم مجموعة من الشخصيات فى مستويات متقاربة من ناحية الاهتمام والتجربة ، وهو اتجاه غير سليم ، حيث كل مرحلة تقدم بطلها الثورى.

● فلسفة د . عبدالرحمن بدوى

اما محمود العالم ، فقد ناقش كتيبا صغيرا ، وهو فى حقيقته ملزمة منتزعة من كتاب ، وصفحاتها ـ الملزمة ـ تبدأ من ٢٢٩ الى ٢٤٨ ، وهذه الملزمة مغلفة ، ككتاب وتحمل عنوان «هل يمكن قيام اخلاق وجودية» للدكتور عبدالرحمن بدوى ، والعالم ، لم يكتف بمناقشة ، التساؤل عن إمكان قيام اخلاق وجودية بل إنه تصدى لمجمل فلسفة الدكتور بدوى ، ولعل ماحفز العالم ، الى اختيار الفلسفة الوجودية ، من بين الفلسفات المضادة ما أعلنه عبدالرحمن بدوى "من أنه يريد ان يتخذ من المذهب الوجودى العربى ، فلسفة شاملة لجيلنا فى هذا العصر، والدكتور بدوى الذى يريد ان تكون الفلسفة الوجودية ، فلسفة شاملة ، يقرر فى كتيبه ذاك ، ان الاخلاق تقويم ، والتقويم قياس الى معيار ، والمعيار ذاتى او موضوعى .. واذا كان ثمة تقويم ، وبالتالى اخلاق ، فيجب ان يكون التقويم موضوعيا ولما كانت الوجودية ، تقوم فى جوهرها ، على اساس فكرة الذات ، المنفردة ، المتوحدة ، المنعزلة ، فالتقويم لابد ان يكون ذاتيا ، والتقويم الذاتى مستحيل فالوجودية ينتفى معها التقويم الموضوعى ، وبالتالى لا يمكن قيام اخلاق وجودية (ص ٢٢٢/٢٣٢) . فى سبيل تعميم هذه النتيجة ، ينتقد بدوى المذاهب الوجودية الأخرى ، ويقرر أن أولئك الفلاسفة الوجوديين يضعون مقدمات لا يأخذون بنتائجها ، وهنا يتدخل العالم ويتساءل ، اذا كان الفلاسفة الوجوديون لا يأخذون بنتائج المقدمات التى يضعونها ، فلم لا تكون المقدمات نفسها خاطئة ، وبذلك تكشف عن فساد نسيج المذاهب الوجودية نفسها . واذا كان هذا المأخذ من داخل الفلسفة الوجودية ، او فلنقل من داخل الفلسفات الوجودية ، فإن المأخذ الآخر ، من خارجها «ففى الايام التى تتجمع فيها شعوب الأرض التى طال أمد استغلالها واستعبادها ، لتضرب الاستعمار العالمى الضربة الأخيرة القاتلة ، تبرز لنا فلسفة فردية منعزلة لتجعل من نفسها فلسفة شاملة لجيلنا فى هذا العصر ، ولعل المأخذ الثانى صحيح بالنسبة لوجودية عبدالرحمن بدوى ، فكما هو معروف ، فان الفلسفات الوجودية تتعدد بتعدد فلاسفتها .

كتاب "فى الثقافة المصرية" اذن ، يحدد خصومه ، ويخرج الى قتالهم ، فيقدم تعريفه للثقافة ويقدم منهجه فى النقد الادبى ، ويضع المنهج ، موضع التطبيق ، فى الراوية وفى الشعر وفى المسرح ، ثم يلتفت الى واحد من التيارات الفلسفية المضادة ، لان راعى هذا التيار فى مصر وفى البلاد العربية ، يريد ان يتخذ فلسفة شاملة ، لهذا الجيل ، ومنهج الكتاب بعامة ، هو الايمان بالحركة والتفاعل ، ورفض السكون والجمود ، ولعل الكتاب ، برفضه الجمود والسكون ، يرفض ان تظل الاوضاع العامة والعلاقات الانتاجية على حالها ، بما لايسمح للتفاعلات بين العوامل المتعددة من قوى الانتاج وغيرها ، ان تحدث التغيير المرجو فى المجتمع المصرى ، وفى المجتمعات العربية عامة ،

كما يذهب المفكر اللبناني حسين مروة . في مقدمة الطبعة الاولى . وكما اختار الكتاب . الفلسفة الوجودية لينازلها . فقد اختارت . س اليوت . لينكر عليه ان يتخذ من الدين اساسا مناوبا او كالمناوب للثقافة . واليوت يقصد بالدين . مجمل الاعتقاد . سواء كان المعتقد دينا سماويا . كالدين المسيحي . في انجلترا خاصة . واوروبا عامة . او كان الاساس المناوب للثقافة هو دين الوثنيين . الا ان اليوت . يعد الصراع داخل شخصية "انتيجونا" فى مسرحية سوفوكليس التى عرف باسمها . صراعا بين التقوى والطاعة المدنية . او بين الدين والسياسة والمعروف ان الدين في اليونان القديمة . كان دينا ارضيا . ويشعر القارىء . ان الاختيار لم يكن عفويا . او لمجرد الاختلاف حول تعريف الثقافة . بل . لان اليوت . كمفكر . حصن . يجمد الثقافة ويجمد الطبقات . التي تورث الثقافة . ويدافع عن النظام الاستعماري . مما عرضه د . شكرى عياد . وفي مقدمة ترجمته لكتاب اليوت . و "الثقافة المصرية" ينكر كل محاولة لاقامة الثقافة على عامل الدين . او الجغرافيا . او العرق . او حتى العامل الاقتصادي . فالعامل الاقتصادي . عامل حاسم . الا انه ليس هو العامل الوحيد . وحينئذ نلاحظ التماثل . بين عوامل تطور المجتمعات . وعوامل تكوين ثقافة هذه المجتمعات . ولذلك يقوم نفس الاعتراض على تحديد طه حسين للثقافة المصرية . على اساس العامل الجغرافي ويرى . كتاب "في الثقافة المصرية" ان الثقافة كتعبير فكري او ادبي او فني او كطريقة خاصة للحياة . انما هي في الحقيقة . انعكاس للعمل الاجتماعي الذي يبذله شعب بجميع فئاته وطوائفه . ومظهر لما يتضمنه هذا العمل الجماعي من علاقات متشابكة وجهود مبذولة واتجاهات (ص ٢٥) فالثقافة اذن لا تقوم على عامل ثابت وحيد وانما هي محصلة تفاعل عوامل متعددة (ص ٢٧) .

ولعل الجهد الاكبر . الذى بذله الكاتبان . كان محاولة تحديد العلاقة بين صورة الادب ومضمونه . وبالذات تحديد المقصود . بصورة الادب . وتحديد المقصود . بمضمونه . فالدكتور طه حسين . يرى ان اللغة هي صورة الادب . وان المعاني هي مضمونه . مع عنصر ثالث . وهو عنصر الجمال . وليكن - للامانة - واضحا . ان الكتاب يناقش مقالين . لطه حسين . ولا يناقش مجمل الاراء النقدية لطه حسين وبالتالي فالكتاب لايناقش اراء طه حسين الاخرى . وفى هذا النطاق . فالكتاب يقرر ان اللغة . مجرد اداة من ادوات تشكيل صورة الادب . فإذا كان الحديث مقصورا على اللغة . فنحن ازاء اسلوب . كذلك . فإن المعاني . احدى ادوات مادة الادب . ثم يتقدم الكتاب خطوة هامة . فيعرف صورة الادب . انها عملية داخلية في قلب العمل الادبي . لتشكيل مادته . وابراز مقوماته . هي حركة متصلة في قلب العمل الادبي . نتبصر بها فى دوائره . ومحاوره ومنعطفاته . ونتنقل بها داخل العمل الادبى من مستوى تعبيرى الى مستوى تعبيري . حتى يتكامل لدينا البناء الادبى كائنا عضويا حيا . ومادة العمل الادبي احداث وقعت بالفعل وتتحقق داخل العمل الادبى نفسه » .. ونحن نتساءل . اليست صورة الادب . ما اصطلح على تسميته بالشكل . واليست مادته . هي ما عرف بالمضمون . واننا بذلك امام المشكلة الخالدة .

ولعل هذا ما اتاح للدكتور جابر عصفور . ان يلاحظ ان تطبيقات هذه النظرية . نظرية النقد الجدلى . وان تحدثت عن العلاقة الجدلية بين الشكل والمضمون . فانها كانت تتحول في التحليل العملى إلى علاقة شبيهة بعلاقة اللفظ والمعنى عند طه حسين "المرايا المتجاورة - نقد طه حسين ص ١١١" الا ان

جابر عصفور في موضوع اخر من كتابه المشار اليه يقرر ان نظرية - خصوم الخمسينيات - وهو الاسم الذى يطلقه على صاحبى كتاب "فى الثقافة المصرية" يقدمان نظاما من التصورات يخالف نظام التصورات النقدية عند طه حسين، ونقترب من نظرية محددة، تختلف عن صيغته التوفيقية" "ص ١٠٦" . اما طه حسين نفسه، فقد سمى منهج النقد الجدلي، يوناني لا يقرأ، وسيظل من الاهمية بمكان تفسير، او شرح، هذه الكلمات التى تقترب من الغموض . والتى تقول ان صورة الادب، عملية داخلية فى قلب العمل الادبى .. وان مادة العمل الادبى احداث، ونقترب من الكاتبين وهما يقرران ان الادب بناء متراكم ينمو داخليا، ويصوغ واقعا اجتماعيا، صياغة متسقة، ولعل التفسير، فى ان هذا المنهج النقدى، يعلى من شان اختيارات المبدع، سواء كان هذا الاختيار، واعيا، او فى غفلة من وعى المبدع، والاختيارات ذات دلالة، والمبدع يبنى عمله يختار كلمة كلمة، وجملة جملة، وشخصية شخصية، علاقة وعلاقة، وكل اختيار له دلالته، وهكذا فالعمل الادبى، من الفه الى يائه، ذو دلالة وبالتالى فإن بناء الجملة والحوار، اختيار له دلالة، هل بناء الجملة عربى فصيح، هل بناؤها عامى، هل بناؤها يجمع بين الفصيح والعامى، كل شكل من هذه الاشكال اختيار له دلالته، والعمل الادبى ينمو، داخليا، باضافة الجملة، الفقرة، المشهد، الحوار، كل هذه اللبنات ذات دلالة، دلالة على موقف المبدع، وبتوالى اللبنات،

تتكامل امامنا صورة كاملة، عن كيف يفكر هذا المبدع، بماذا يؤمن موقفه من الحياة، من الناس، من العلاقات الاجتماعية والانسانية، بل ان موقفه من الطبيعة ذو دلالة "فالشيء الموجود بشكل مستقل عن وعينا هو المادة، اما الواقع فيضم جميع التاثيرات المتبادلة العديدة التى يمكن ان يدخل فيها الانسان بقدرته على التجربة والفهم .. وليس الفنان مجرد اداة مرتبطة بجهاز حسى يستطيع ادراك العالم الخارجي، بل انسانا ينتمى الى عصر معين، والى طبقة معينة، وامة بعينها، وله مزاجه الخاص، وشخصيته المستقلة ولهذه كلها دورها فى تحديد الاسلوب الذى يرى به ويعانى ويصور المنظر الطبيعى، "ضرورة الفن، ارنست فيشر/اسعد حليم/ ص ١٣٧"

منهج النقد الجدلى، يكشف لنا من داخل العمل الادبى، موقف المبدع، موقفه من القضايا الاجتماعية والفكرية والسياسية، موقفه من دور الانسان فى الحياة، وذلك باستقراء العمل الادبى نفسه، والمنهج الجدلى بهذا الوضع، هو توصيف للابداع القائم فعلا، سواء اتخذ هذا الابداع موقفا اجتماعيا ينمى وعى الانسان بذاته وبالعلاقات وبوضعه داخل الكون، او على العكس، يغيب وعى الانسان، ويسحبه الى الغيبوبة، ولهذا، فالمنهج الجدلى يضع منهجا جديدا فى النقد الادبى، وقد ثارت الزوابع من تطبيق هذا المنهج فقد كشف الغطاء عن مدلول العديد من الاعمال الادبية، التى لا تاخذ بيد الانسان فى مسيرة الوطن والحياة، لان ما يكتبه الكاتب اختيار، ونحن نستطيع ان نحدد عن طريق الاختيار - بالاضافة الى اشياء اخرى - موقف الفنان او الكاتب "ضرورة الفن/ص ١٧٢" ولقد وضع الاستاذ العالم هذا المنهج فى التطبيق، فى عملين كبيرين


د . عبد القادر القط


توفيق الحكيم


ابراهيم المازني

لوحة بانورامية للشعر المصرى والعربى احيانا ، على امتداد النصف الاول من هذا القرن ، نقد مسرحية "اهل الكهف" لراحلنا العظيم ، توفيق الحكيم ، وسنقتصر فى السطور التالية على مناقشة ، مسرحية "اهل الكهف" بين توفيق الحكيم نفسه ، ومنهج النقد الجدلى ، والمناهج النقدية الاخرى .

فكرة المسرحية بسيطة ، ثلاثة رجال ، من الذين اعتنقوا الدين المسيحى فى اول عهده ، حيث كان يلقى بالمسيحيين الاوائل الى الملاعب العامة ، تفترسهم الاسود ، فروا بدينهم الى كهف ، فاخذتهم سنة من النوم ، امتدت بهم ثلاثمائة سنة ، ثم استيقظوا ليكتشفوا المعجزة ، هم من الناحية العضوية اصحاء ، او بالدقة على الحالة العضوية التى كانوا عليها ، قبل نومتهم الطويلة ، تلك ، ومدار المسرحية ، هل يستطيعون ان يتغلبوا على احساسهم بمرور ثلاثة قرون ، وينصرفوا الى مباشرة حياتهم اليومية ، ام ان العمر الممتد الى ثلاثة قرون ، يشكل حاجزا نفسيا ، او احساسا عقليا يمنعهم من ممارسة حياتهم العادية وبلغة التجريد الفلسفى ، جوهر المسرحية هو ، موقف "الانسان" فى مواجهة "الزمن" - ماذا يقول استاذنا توفيق الحكيم نفسه عن فكرة المسرحية حملنى على كتابتها شيء واحد ، الرغبة فى كتابة ماساة مصرية ، على اساس عصرى .. اساس الماساة المصرية - كما اتصورها - "الزمن" اساسها ، ذلك النضال الهائل ، بين الانسان والزمن ، عند الاغريق الاساس هو القضاء والقدر ، عند المصريين الاساس ، هو "الزمان والمكان" فى مصر ، الامل فى انتصار الروح على الزمان والمكان ، انما هو "البعث" .. ان مصر كانت تؤمن ايمانا عجيبا بانتصارها على الزمن ، رمز العدم وذلك بالبعث الدائم . "توفيق الحكيم / تحت شمس الفكر ، سنة ١٩٣٨ ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٠" - اذا رجعنا الى المسرحية ذاتها ، سنقرا هذه الفقرة الملغزة ، على لسان ، مرنوش ، احد الرجال الثلاثة

- لافائدة من نزال الزمن ، لقد حاربت مصر من قبل الزمن بالشباب ، فلم يكن فى مصر تمثال واحد يمثل الشيخوخة .. لكن الزمن قتل مصر ، وهى شابة ، ولا تزال ، ولن تزال الى الأبد ، ولن يزال الزمن ، ينزل بها الموت كلما شاء ، وكلما ابتغى لها ان تموت «اهل الكهف» / الطبعة الأولى ، مطبعة الاعتماد ١٩٣٣ ص ١٠١ ، ١٠٢» -

- أما ، فى المسرحية ، فإن اهل الكهف ،



يعودون الى كهفهم ، ويموتون بين دق الطبول ، ونفخ الابواق ، واصوات التراتيل ، في طقوس تليق بقديسين .

ـ ثم يعود توفيق الحكيم الى نفس الفكرة بوضحها ، اذا اعتبرنا مصر الحديثة اليوم في طور الشباب ، له آمال واحلام . من اين ينبع حلمنا واملنا .. من قلب ارضنا .. وان كل شعور مصر ، منذ فجر التاريخ قائم على هذه الكلمة «البعث» .

ـ توفيق الحكيم ـ تحت المصباح الأخضر سنة ١٩٢٨ ص ١٣١» ـ هذا ما قاله توفيق الحكيم ، وهذه هي المسرحية ، وشتان بين القول والتنفيذ بالفن ، في المسرحية .

ـ أما طه حسين ، فيستقبل اهل الكهف على انها «حادث ذو خطر لا اقول في الادب العربي العصري وحده ، بل اقول في الأدب العربي كله .. ويمكن ان يقال انها اغنت الأدب العربي .. وأتاحت له ان يثبت للاداب الأجنبية الحديثة والقديمة «فصول في الأدب والنقد ص ٩٢ ، ٩٣» .

ـ كيف قيم ، كتاب «في الثقافة المصرية» مسرحية أهل الكهف .. ابطال اهل الكهف .. عندما استيقظوا .. افقدهم توفيق الحكيم كل ارتباطاتهم الحية بواقعهم الانساني الكبير .. لم تعد الحياة عندهم عملية وجهدا ومشاركة .. لم يثر سؤال بينهم حول معركة بناء المسيحية في طرطوس ، ومصر عندما اخرج توفيق الحكيم هؤلاء الثلاثة من كهفهم ، كانت تعيش اناذاك ، لحظات رهيبة من تاريخها القومي .. الحريات مكبوتة .. الصحف مصادرة . الدستور ملغى .. السجون مكتظة .. القتلى والجرحى والاعتقالات والمعارك في كل مكان كانت الأزمة تطحن فئات الشعب .. وفي هذا الوقت خرج ثلاثة من كهف توفيق الحكيم وسرعان ما عادوا ثانية الى كهفهم .. ولهذا كانت المسرحية من الأدب الرجعي .

ـ وأنت ترى أن هذا النقد يقوم على اساسين ، الأول من داخل العمل الأدبي نفسه ، وقوامه ، أن اهل الكهف الذين فروا بدينهم هربا من الاضطهاد الذي يتعرض له المسيحيون ، لم يقم بينهم تساؤل عما آل اليه امر المسيحية .. فضلا عن ان منطق العودة الى الكهف مفروض على المسرحية ، الثاني ، ان في عودة اهل الكهف هزيمة امام صراع الحياة الاجتماعية في مصر ، وكان عليهم ان يكافحوا الاحساس بالزمن ، ويكون مسلكهم هذا عضدا للمصريين ، في فترة كتابة ونشر المسرحية ، الذين كانوا يكافحون طغيان اسماعيل صدقي ومحمد محمود والاستعمار الانجليزي والملك فؤاد ، وان عودتهم الى الكهف «نكوص ورجعية وتعسف ، ويتفق مع مشاعر الهروب والهزيمة ، ويؤكد فلسفة التخاذل والهروب .. ويدافع عن الغيب واللا معقول ..»

النقد والارهاب ! !

وقد ذهب الدكتور جابر عصفور الى ان تطبيق هذا المنهج في النقد الأدبي ، ارهاب في معاملة الكتاب ، قرين نظرة واقعية في الظاهر ، لكنها غير واقعية في حقيقة الأمر ، لأنها تخون روح النظرية ، وتشوهها ، وتعرضها عرضا منفرا» المرايا المتجاورة (ص ١١١) . ومثل هذا الاتهام السطحي ، إن دل على شيء ، فإنما يدل على ان الكلمات المرسلة في الفراغ ، تجد سبيلها الى مراجع الاكاديميين ، دون معاناة التدقيق ، اذ ان نقد الاعمال الادبية في ضوء الأوضاع الاجتماعية ، والظروف التاريخية ، رغم كل شيء ليس بدعا في تاريخ النقد الأدبي المصري ، وبالنسبة لمسرحية «اهل الكهف» لتوفيق الحكيم بالذات ، ففي شهر فبراير ١٩٣٤ ، اي قبل عشرين سنة من مقال الاستاذ العالم ، كتب استاذنا يحيى حقي في مجلة «الحديث» التي كان يصدرها في «حلب» الاستاذ سامي الكيالي مقالا عن «اهل الكهف»

و «عودة الروح» جاء به بعد تلخيص المسرحية) يسهل الاستنتاج ان مذهب المؤلف هو التصوف . والسؤال هو . هل لنزعات التصوف محل فى مصر ؟ انها - اى مصر - فى ميدان قتال مادى يستلزم منها اقصى الجهاد . والشعور بقيمة هذا الشعب المظلوم المردوم فى الطين .. قد يكون التصوف مفهوما فى انجلترا وفرنسا فمن ورائه جيوش .. لكنه غير مفهوم فى مصر . فقصة «اهل الكهف» خطرة على شبابنا . لانها تزيغ ابصارهم عن هذه الحقائق» مؤلفات يحيى حقى . فجر القصة المصرية . ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

- ويتفق الدكتور عبدالقادر القط صراحة مع كتاب «فى الثقافة المصرية» من أن روح الهزيمة واضحة فى المسرحية .. كاشارة المؤلف الى فشل مصر فى مقاومة الزمن ، وان الهزيمة محتومة لالتماس الكاتب موضوعه من المعجزات والاساطير ، وان المؤلف مادام اختار اهل الكهف موضوعا لمسرحيته ، لم يكن يستطيع ان يدعهم يعيشون ، او ينتصرون على الزمن ، لما فى ذلك من مخالفة صريحة ، لأحداث القصة المعروفة «فى الأدب المصرى» نوفمبر ١٩٥٥ ص ٧٢ .

● ملاحظات

- أمام هذا الكم الهائل من النصوص / الوثائق ، والاراء المتعددة نبدى الملاحظات التالية :-

أولا : توفيق الحكيم قرر شيئا ، وكتب شيئا آخر ، هو بصريح ما كتبه والذى عرضناه تفصيلا ، اراد ان يصور انتصار مصر على الموت ، على الازمات ، اى على مايلم بها من نازلات ، فإذا العمل الأدبى ، الذى اختار موضوعه ، «اهل الكهف» واختار وسيلته الأدبية «الشكل التراجيدى» يصور هزيمة «الانسان» فى مواجهة «الزمن» مما اعطى النقاد الحق فى القول ان المسرحية تصور هزيمة مصر امام ازماتها الاجتماعية والسياسية .

ثانيا : ان «منهج النقد الجدلى» الذى طبق على مسرحية «اهل الكهف» لم يبدأ من الصفر فى تاريخ النقد المصرى / العربى ، انما هو مرحلة تخطو بالنقد الأدبى خطوة الى الامام .

ثالثا : ان التقييم الذى اخذ به منهج النقد الجدلى ، يتميز ويمتاز عن التقييمات الأخرى التى اتفقت معه سابقا أو لاحقا ، فى انه تطبيق لنظرية عامة ، لها مقولتها فى تعريف الثقافة ، وفى تحديد الفلسفة التى تأخذ بها .

- بقى ان نجد التفسير لموقف توفيق الحكيم ، الذى قرر ان يقول ان مصر لا يهزمها الموت ، وانها تنتصر عليه دائما «بالبعث» فإذا به فى العمل الأدبى الذى ابدعه يقول بعكس ما قرره . يقرر يحيى حقى ان توفيق الحكيم وقد التقيا كثيرا بعد مقاله النقدى ، لم يحدثه ابدا ، صراحة ، عن هذا النقد ، الا انه حدث . وكان الامر عرضا ، ان قال توفيق الحكيم ، انه يقصد بالمسرحية «لايحق للتراث» ان يحكمنا . التراث الذى يخرج من جوف التاريخ ، ليشاركنا حياتنا . لا يحق له ذلك . وعلينا ان ناخذ حياتنا بيدنا ، وان نعيد «التراث» معززا ، مكرما الى .. القبر . وهذا التفسير الذى قال به الحكيم ، لا يجد له سندا من المسرحية او من كتابات الحكيم عن المسرحية ، وقد تقترب من هذا التفسير ، فكرة غريبة ، قال بها الدكتور على الراعى . فبعد ان قرر ان خط الحركة الرئيسية فى المسرحية ، هو بلا شك الخط الفكرى ، الذى يقول ان الزمن يهزم الأفراد ، ولا مفر من ان يهزمهم ، وفى الهامش يعلق على الراعى "هذه فى الواقع هزيمة تقدمية بقدر ما ان الموت ، كما قال برناردشو ، ذات يوم ، هو اختراع تقدمى ، لانه يطوى الجمود ، ويسلمه الى الفناء ، ويبذر بذور التجدد مع كل ميلاد «توفيق الحكيم» فنان الفكر وفنان الفرجة كتاب الهلال - ص ٤١ / ٤٢» .

- هزيمة اهل الكهف امام الزمن ، هزيمة تقدمية ، يا لها من فكرة غريبة ، هل لها

دائرة الحوار

علاقة بما قاله توفيق الحكيم ليحيى حقى من انه اراد ان يقول بعودة اهل الكهف الى كهفهم، ايها التراث لا مكان لك بيننا، واننا، بكل اجلال واحترام .. نعيدك .. الى القبر .. على القارىء ان يفكر !! اما نحن فعلينا ان نجد التفسير، تفسير عجز توفيق الحكيم، ان يقول من خلال «الفن» ما قاله «بالفكر» اراد ان يقول ان مصر تهزم الزمن، فقالت المسرحية، ان الزمن يهزم مصر، فى راينا، ونحن نقترب من الدكتور عبدالقادر القط، ان توفيق الحكيم اختار «الموضوع» وهو انتصار مصر على الموت، ثم اختار «الشكل» وهو «الشكل التراجيدى» ليتبدى فيه الموضوع الذى اختاره وقد اخذ موضوعه من التاريخ المصرى ومن احساسه العظيم بمصريته، فى مواجهة التبعية العثمانية ولباسها الدينى الذى كانت ترتديه، بل فى مواجهة الانتماء العربى نفسه، ثم اختار «الشكل» الاغريقى، تراجيديات الانسان الذى يصارع القدر، او يصارع الالهة، والتراجيديا الاغريقية تلائم الموضوع الاغريقى هزيمة الانسان فى صراعه ضد القدر او الالهة، والا لما قامت تراجيديا اساسا، فلو ان «اوديب» لم يتمرد على القدر، واستكان الى نبوءة عراف معبد دلف، وبقى حيث كان، لما قتل اباه، ولما بنى بامه، لكنه عرف النبوءة التى قررتها الالهة، فقرر ان يهرب من تنفيذ النبوءة، وفى هروبه، قتل اباه، وتزوج امه ولو انه لم يتمرد، ولم يصارع النبوءة، لما تحققت النبوءة، ولما قامت التراجيديا، «فالشكل» الاغريقى «التراجيديا» يناسب «الموضوع» اما «الموضوع» المصرى وهو ان مصر تهزم الموت بالبعث فلا يناسبه الشكل الاغريقى، وهذا تطبيق فريد، لاهمية «الشكل» الذى يجب ان يتبدى فيه الموضوع، لقد عاند «الشكل» الفنان، وهزمه، ولو ان اهل الكهف، تغلبوا على احساسهم بالزمن، وساحوا فى الارض، كل منهم يقيم حياته الحديثة، لما كنا امام ماساة، وانما نكون امام قصة يومية بسيطة، قصة تعليمية، تدعونا الى الانتصار على الواقع، والى مقاومة الظلم، وهذا هو الشكل الذى اختاره نعمان عاشور وتلاميذه والذى لاءم اختيار الموضوع من الناس العاديين.

- الابداع اختيار، اختيار فى الصورة اواختيار فى المادة، ويتحدد موقف المبدع من اختياره، سواء اختار بشكل واع، او فى غيبة من وعيه، ومناهج النقد الادبى، تحاسب الفنان على اختياره، وقد حاسب كتاب "فى الثقافة المصرية" توفيق الحكيم كما حاسبه نقاد اخرون، وما قال به المؤلفان فى مقدمة الطبعة الجديدة من ان الجوهر الفكرى للكتاب لا يزال صحيحا من الناحية النظرية العامة الخالصة، ومن حيث الدلالة الاجتماعية العامة، للعمل الادبى، ومن حيث العلاقة العضوية بين الصياغة والمضمون، وهو قول صحيح، ونحن مع المؤلفين فى قولهما ان العناية بالدلالة الاجتماعية والوطنية للعمل الادبى تغلبت على العناية بالقيمة الجمالية .. وحسب هذا الكتاب المنهج النظرية، انه ادى رسالته وقت ان صدر اول مرة، وحسبه ايضا - ان رسالته الثقافية والاجتماعية والادبية مازالت ممتدة .. لقد لاقت الطبعة الاولى مناخا ملائما هو تحقيق الاستقلال وتمصير الاقتصاد المصرى وتاميم الاحتكار وقاعدة صناعية، وجيل من الكتاب عرف بجيل الستينيات الا ان الطبعة الجديدة تصدر، وقدرها معاكس تماما، ومن هنا فالحاجة الى الكتاب اشد.

لغويات

● كلمة « العقيدة » .. اصطلاح دينى وسياسى وعسكرى فيقال اعتقد الرجل عقيدة دينية أو سياسية أو عسكرية ، ونحو ذلك ، وللكلمة استعمال آخر ، يقول الجاحظ : « اجعل محاسبة نفسك صناعة تعتقدها ، وتفقد حالاتك عقدة ترجع إليها » .. ويقال : اعتقد الرجل اموالا ، اى اقتنى أموالا .. وكل ما يعتقده المرء من مال وعقار فهو « عقدة » له ، أو « عقيدة » ! .. وبين الاصطلاح والكلمة بون كبير ، والأصل واحد ! ..

● يخطىء بعض المتحدثين فى كلمة « المنة » بكسر الميم ، وجمعها « منن » فينطقونها بضم الميم ، وإنما « المنة » بالضم هى « القوة » .. اما بالكسر فمن معانيها « النعمة » .. قال الشاعر حافظ ابراهيم يصف مظاهرة نسائية فى ثورة ١٩١٩ تصدى لها العسكر فخافت النساء وتفرقن :

فتضعضع النسوان « م »

والنسوانُ ليس لهن مُنَّةْ

والمنة هنا بالضم .. والمعنى : ليس لهن قوة ! ..

● إذا استفهمت عن تكوين شيء قلت : مم يتكون هذا الشيء ؟ ! وإذا سألت متحدثا قلت له : عم تتحدث ؟ ..

وبعضهم يمد الميم فى « مم » و « عم » فيجعلهما « مما » و « عما » .. مع أن المد لايجيء عند الاستفهام ، غير أن إثبات الف « ما » الاستفهامية المسبوقة بحرف جر ، لغة من اللغات وإن كانت قليلة ، وبها قرا بعض قدماء القراء : « عما يتساءلون » فى قوله تعالى : « عم يتساءلون » .. وقال حسان بن ثابت :

« علاما » قام يشتمنى لئيم

كخنزير تمرغ فى رماد ؟ !

والأصل « علام يشتمنى ؟ » .. فمدها حسان ، ونظنه مدها للوزن لا لتلك اللغة القليلة !

في ذكرى مرور ١٠٠ سنة على ميلاده

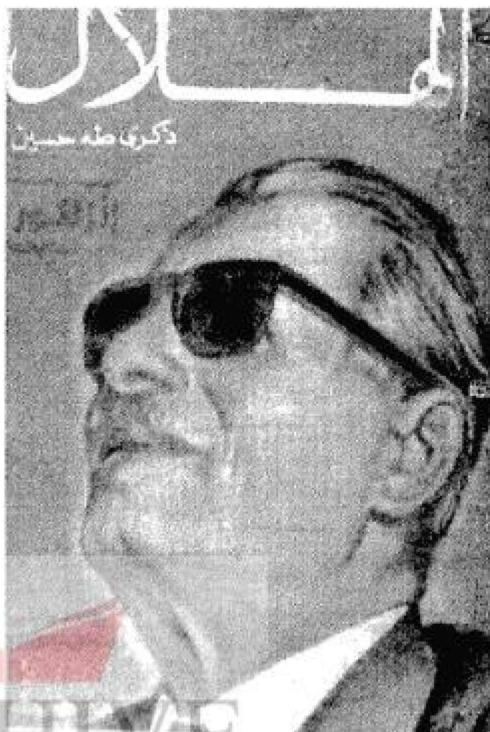
طه حسين والهلال

د. مصطفى عبد الغنى

كان بين طه حسين وبين أصحاب (الهلال) أكثر من هذه العلاقة التي يجمعها العمل في مجال واحد ، كما كان بينه وبين مجلة (الهلال) ، خاصة أكثر من هذه العلاقة بين كاتب وبين المجلة التي يؤثرها على غيرها .

أما ما بينه وبين أصحاب الهلال فقد تبدى فى شيء كثير من الود الذى يقترب من النفوس فيحولها الى أرواح عذبة مؤتلفة وهو ما ظهر فى أكثر من مرة : فقد قام ، عن طيب خاطر ، بنقد كتاب أميل زيدان (قادة الفكر البشرى) ــ فبراير ١٩٢٥ ، وهو ما فعله فى شيء أكثر من الرضا مع فكرى أباظة حين أهداه كتابه (الضاحك الباكى) مؤكدا فى صحيفة الوادى أن ما يفعله الان بمثابة « أديبا يجامل أديبا ، وحديثا يعرف للحق صديقه » بل بلغ من تقدير طه حسين لفكرى أباظة أن راح ــ أثناء تجميع بعض مقالاته فى الجزء الثالث من حديث الاربعاء ــ يحرص أن يتضمن هذا الجزء تلك المقالة ، وهو ما فعله بشكل ما مع عديد من أصحاب الدار وكتابها ومن أظهرهم جورجي زيدان حين كتب عنه فى بداية الستينيات فى شيء شديد من الرضا (الادب ١ / ١٩٦٣) .

أما الهلال ــ المجلة ــ فقد خصها بكثير من مقالاته فى الثلاثينيات والاربعينيات والى وقت قريب قبل رحيله . غير أن الاربعينيات كانت أكثر الاعوام لفتا للنظر فى علاقة طه حسين بهذه المجلة ، وهو ما يعود



الى طبيعة هذه الاحداث التى كانت تمر بها مصر فى هذه الحقبة ·

واذا أردنا أن نختار عاما حافلا بالنسبة لطه حسين وللهلال ، فسوف يكون عام ١٩٤٧ أكثر هذه الاعوام لفتا للنظر ، ففى هذا العام كانت مصر مازالت تعانى من القهرين السياسى والاجتماعى عقب الحرب العالمية الثانية ، خاصة ، وأن وباء الكوليرا كان يهاجم مصر هجوما عنيفا فى وقت كان الانجليز مازالوا يماطلون فى الاستقلال التام ، وكانوا يراوغون للحصول على حلف يكونون فيه الطرف القوى ، غير أن أكثر هذه الاخطار حينئذ تمثلت فى سلطة الملك الاوتوقراطية) التى كان يسعى دائما السيطرة بها على كل شىء ·

ولنتوقف ، أكثر ، عند صور من استبداد القصر قبل أن نتصل الى الازمة التى أثارها على أثر بعض مقالات طه حسين ·

● هيمنة القصر

عقب الحرب العالمية الثانية تزايد نفوذ القصر فى الوقت الذى كان ينحسر فيه نفوذ الانجليز ، ومن ثم ، فبعد ان كانت مقاليد الحكم فى يد قوى الاحتلال فى العشرينيات تنحت الان لتخلى الامر للملك الذى حاول الاستحواذ على مساحات نفوذ كبيرة من خلالها · ودارس تاريخ هذه الفترة يلحظ كيف ان الملك كان يهتبل الفرصة ـ أية فرصة ـ للسيطرة على كل شىء الحركات القضائية من فصل وتعيين ، حركات المديرين ، ومن اليهم من وزراء الداخلية خاصة ممن يحتاج الامر بشأنهم الى صدور مرسوم ·

وهذا يفسر كيف أن رجلا قويا مثل اسماعيل صدقى فى وزارته الثالثة (١٩٤٦ ـ ١٩٤٨) راح يمالىء الملك ويطامن من غضبه ويحقق رغباته غير المشروعة · وعلى سبيل المثال ، فان صدقى لم يحرك ساكنا لسعى الملك ، فى كل مرة ، فى الطريق المضاد للحياة النيابية وزيادة سلطته ، حتى أن سياسيا ومثقفا كبيرا مثل د · محمد حسين هيكل اكد فى (مذكراته) انه قد أصبحت وزارات كاملة تتبع القصر بتعيين ، شبه رسمى ، (انظر الجزء الثانى) ، كما أن حسن يوسف نائب الديوان الملكى يذكر الكثير من صور ولع الملك بفرض سيطرته على كل ما من شأنه أن يقوى قبضته الاستبدادية على أجهزة الحكم وتنظيماته التشريعية (انظر : القصر ودوره فى السياسة

طه حسين والهلال

المصرية ١٩٨٢) . كما أن مراجعة وثائق عابدين تؤكد لنا في كثير من المواضيع أن الملك ما كان يترك كبيرة أو صغيرة الا ويتدخل فيها .

وبدهي انه كلما كانت ارادة الحكومة ضعيفة زادت شهوة الملك للسيطرة والاستحواذ على مساحات شاسعة من المناصب والاجهزة الرسمية .

فاين كان طه حسين من هذا كله ؟ وبشكل أدق : ما هو موقف طه حسين من القصر ؟

● بين الصمت والرمز

في هذه الفترة تحدد موقف طه حسين ـ حسب انتمائه للوفد ـ في أمرين :

ـ اما محاولة ارضاء الملك
ـ واما محاولة ارضاء الحزب

غير أنه حاول أن يرتبط بموقف الوفد الذي كان آخذا ـ حينئذ ـ في الاقبال على الملك ، وهو موقف تأرجح بين الصمت مرة والرمز مرة أخرى ، ولأن طه حسين كان متمردا بطبيعته فقد بدا ارتباطه بالموقف الاخر ـ الرمز ـ أكثر من سواه .

وقد تغير موقف طه حسين في أكثر من مرة في عقد الاربعينيات ، غير أن موقفه الاخير وارتباطه بالقصر تمخض عن عدة خيارات تالية لم تختلف كثيرا عن سابقتها .

كان عليه أن يواجه الملك وفي الوقت نفسه يهادنه ..

وتعددت الاستجابات : الصمت ، التردد ، الرمز .

وتحددت في ثلاث طرق :

● أما مهادنة الملك ، ومن ثم ، التزم الصمت .

● واما موقف التردد ومن ثم اثر أن يرسل اليه كتبه في بعض الاحيان ، فيلتزم بعدم اعلان موقف محدد منه .

● واما بتصنع الرمز وتلمس الرمز والتلغيز .

والعودة الى مراجعة هذه المواقف في ضوء (ديناميكية) المثقف فسوف نرى أن مهادنة الملك تبلورت الى مصانعته ، ولم يتردد أن يمارس هذا خلال القاء أكثر من خطبة اضطر اليها ، فوقف ليمدح الملك أو أباه في مناسبة عقد القران الملكي والعيد الفضي لجامعة الملك فؤاد وافتتاح معهد الصحراء .. الخ .

ويمضي في هذا السياق ما تشير اليه بعض وثائق دار الوثائق المصرية من أن طه حسين أرسل بأكثر من اهداء لكتبه الى الملك وراح يبادله ـ الرد ـ بالفعل ـ .

أما عن استخدام الرمز والتلغيز ، فقد زخرت به مقالات هذه الفترة وبعض الكتب التي كان قد نشرها ـ منذ البداية ـ متفرقة .

وقد كانت هذه هي الفترة التي زخر فيها كتاب جديد في فن (الا بيجراما) وهو (جنة الشوك) عام ١٩٤٥ بكثير من الرمز ضد الملك ، كذلك واصل ذلك الاتجاه في كتب أخرى من أمثال : مرآة الضمير الحديث ـ ١٩٤٨ ، وبين بين ١٩٥٢ ، والمعذبون في الارض ١٩٤٩ ، وروايته الناقصة ما وراء النهر وفولتير : زاديج والقدر ١٩٤٧ وبعض المقالات الاخرى التي أعاد نشرها في كتاب (الوان) .

غير أن كتابات مجلة (الهلال) كانت أكثر هذه الكتابات التي تحت على الرمز، وتدفع الى الغضب وتدعو اليه .

● دور الهلال

ويبدو أن هذه الكتابات التي نشرت في الهلال كانت من القوة بحيث أن طه حسين راح يجمعها في نفس العام ليضمها في كتاب واحد ينشر تحت عنوان (نفوس للبيع) أو ـ عنوان تال ـ مرآة الضمير الحديث .

وهنا نصل الى طبيعة كتابات طه حسين ضد القصر .

وقد يكون من المفيد أن نشير ـ كذلك ـ انه ليس الضغط الشعبي ، وحده ـ كان دافعا لطه حسين ليتخذ هذا الموقف ، وانما كانت ظروفه الخاصة أيضا تدفعه الى مثل هذه (التقية) التي كان يضطر اليها ، فمنذ عام ١٩٤٤ (بعد اقالة وزارة الوفد) وجد طه حسين نفسه مقالا ، وبعد أن كان مستشارا فنيا بوزارة المعارف أصبح الان لا يعمل في أى منصب رسمي ، وبقيت له الكتابة ، وقدر كبير من الذكاء والوعي ليمارس بهما دوره هنا .

فلنعد الى مقالاته التي نشرت في (الهلال) ونشرت في كتاب حينئذ .

اننا في هذا الكتاب نستطيع أن نرصد صورا كثيرة من الرمز المباشر ضد القصر ، وهي درجة وصلت من الكشف والمباشرة حتى دفعت بالملك الى الثورة ضده ، ثم يحول هذه الثورة الى غضب يصبه صبا على أصحاب الهلال .

ومع أن هذه المقالات تزخر بالحديث عن الفقر والشقاء والوباء والالم الانساني ، فان مقالاته التي نشرت خاصة بالهلال بعنوان (قلب مغلق) في فبراير ١٩٤٧ تعد من أهم هذه المقالات قاطبة فأضاف بها الى كل هذه المعاني الرمز الذى حاول من خلاله النيل من القصر ومحاولة الحد من سلطاته المطلقة في وقت يغلق فيه الملك على قلبه ـ حصنه كل الدروب

وقبل أن نصل الى موقف الملك من موقف طه حسين حينئذ ، قد يكون من المفيد أن نشير ، الان، الى أهم ماجاء في هذه المقالة (قلب مغلق) لتدرك السبب الذى من أجله وصل القصر فيه الى درجة عالية من الغضب .

● الحصن : القلب

كان أول ما يلاحظ في عدد الهلال الذى نشرت به هذه المقالة انه كان ذا غلاف أحمر ، وتماوجت فيه درجات اللون الاخضر وقد توسطته صورة الملك فاروق، وهو يرتدى الزى العربي، وتحت الصورة التي تغطي مساحة الغلاف كله هذه العبارة (فاروق الملك العربي ـ بمناسبة المهرجان السابع والعشرين لميلاده السعيد) ، وحين نقلب في العدد نجد مقالة طه حسين تبدأ ببنط كبير وبفقرة ذات بنط اكبر قليلا من الجمع العادى للمقالة ، والعبارة تقول :

« ان حصنك يا سيدى ليس الا قلبك المقفل الذى لا تصل اليه رحمة حين يحتاج الناس الى الرحمة ، ولا رفق حين يحتاج الناس الى الرفق » .

وتتوالى سطور المقالة الساخطة في شيء من الهدوء المصطنع ، اللغز في شيء من المباشرة الشديدة ، وتتوالى السطور في ضمير المخاطب ، حيث يتجه الحديث بشكل مباشر الى الملك (لا تغضب ، فلم أرد الى اغضابك ، ولو قد أردت اليه لما استطعته ولا قدرت عليه) .

ولان الكاتب يعلم أن المخاطب ـ الملك لا يهمه من أمره شيئا ، فان الكاتب يؤثر أن يتجه الى الشعب ليبثه ما يحس به ، انه يتجه اليه وكأنه يوجه خطابه الى الناس حتى يكشفوا هذه الاستار البالية والتي لا تزال تحجب شيئا من ضوء الحقيقة ،يقول:

« فما ينبغي أن يظل الناس من أمرك

طه حسين و الهلال



د. طه حسين



جورجي زيدان

فى هذه الحيرة المتصلة، يرونك واحدا منهم ويقدرون انك متضامن معهم فى حمل اثقال الحياة والنهوض بأعبائها ، حتى اذا جد الجد ، افتقدوك فلم يجدوك ، واذا أنت سراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجد شيئا ، ووجد عنده الحزن واليأس وخيبة الامل وكذب الرجاء .. و .. أنت شريكهم فى العيش الرضى والحياة المقبلة ، وأنت أبعد الناس عنهم حين يغلظ العيش ، ويعظم البأس ، وتدبر الحياة . تسرع اليهم حين ينعمون لتشارك فى نعيمهم .. الخ » .

وينتقل طه حسين من هذا كله الى حصنه او قلبه ، سيان ، وهو حصن (أو قلب) مغلق عن أوجاع الناس وهمومهم ، يضيف :

« ان حصنك هذا المؤشب يا سيدى، ليس الا قلبك المقفل الذى لا ينفذ اليه شعور بالتضامن أو حاجةالى التعاون، والذى لا تصل اليه رحمة حين يحتاج الناس الى الرحمة ، ولا رفق حين يحتاج الناس الى الرفق ، ولا رثاء حين يحتاج الناس الى الرثاء .. انه قلب قد صور من صخر مجوف..الخ»

وبعد أن يسهب طه حسين طويلا فى هذه المقالة ، واصفا قلبه بأنه رشيق أنيق « قفل من ذهب نضار » ومن ثم فانه لا يرى أبعد منه ، ولا يسمح بمغادرته قط ، ولن يسمح له برؤية الاحداث الآتية ، فمهما يكن من حظه من الجمال والصلابة فانه :

« لن يستطيع أن يقاوم الاحداث ، ولا أن يثبت للخطوب ، ولا أن يحتفظ بهذا القفل الذهبى الرصيع .. »

ومن هنا ، فان طه حسين يكون صريحا غاية الصراحة حين يحذر محدثه بما سوف تأتى به الايام بما فيها من حوادث وخطوب ، لنستمع الى حدس طه حسين مرة أخرى :

« ان الحوادث والخطوب تعبث بالقلوب مهما تكن قسوتها ومهما تكن اقفالها ، وان ساعة من الدهر تأتى على هذه القلوب الصلبة المصلدة المصمتة القاسية فتذيبها ، أو تحيلها هباء تذروه الرياح » .

ثم يصيح طه حسين محذرا من هذه الساعة الاتية لا محالة :

« هذه الساعة آتية عليك وعلى قلبك فذاهبة بك وبقلبك الى حيث يذهب الناس ثم لا يرجعون .. (و) ..

صدقنى أن من الخير الكثير لك ولغيرك أن تصدع قلبك قبل أن تصدعه الاحداث ، وأن تفتح قلبك قبل أن تفتحه الخطوب ، وأن تشعر من حولك من الناس بأنك تجد بعض ما يجدون ، وتعتقد مثل ما يعتقدون ، انك مثلهم قد خلقت من تراب وستعود الى التراب، وان الذين يستترون قبل أن يدخلوا الحياة ويستترون بعد أن يخرجوا من

الحياة ليسوا فى حاجة الى أن يتمايز بعضهم من بعض ، ويبغى بعضهم على بعض ، فى هذه الطريق القصيرة التى يسلكونها بين المهود واللحود » .

ويعجب المرء من هذا التلغيز الواضح لدى طه حسين ، أو هذا الوضوح فى الرمز فى هذه السنوات التى سبقت ثورة ١٩٥٢ ، فلم تكن هذه السطور الا تحذيرا للملك من هذا المصير التعس الذى لاقاه بعد ذلك بسنوات قليلة .

● بين الهلال وطه حسين

وتنتهى مقالة طه حسين ، ويبدأ غضب القصر ، اذ سرعان ما تبدأ وفود القصر تصل الى دار الهلال ، غاضبة عاصفة بكل ما من شأنه أن يدافع عن صاحب المقالة ، فقد فطن الملك لما أراد أن يقوله طه حسين ، وهو وان بدا فى شكل غامض ، فان غموضه كان كفيلا بتحريك الافهام لدى شعب يئن تحت سطوة الملك وأجهزته الفاسدة .

ولعلنا أكثر من رواية رد فعل لدى أصحاب الهلال فى هذا الوقت (على سبيل المثال فقد عاد طه حسين الى الحادثة لأكثر من مرة مع د . محمد الدسوقى فى كتابه عنه ، ومع الاستاذ سامح كريم فى حواره معه لمجلة الاذاعة والذى نشر فيما بعد) ..

وتفصيل ذلك كله أن أصحاب الهلال وجدوا أن الأزمة التى نشبت حينئذ بين الملك والمجلة تعود الى طه حسين ، ومن ثم ، رأوا أن غضبة القصر لابد أن تواجه بالحكمة ، ومن هنا توجه اثنان من أصحاب دار الهلال فى هذا الوقت وهما اميل زيدان وفكرى اباظة الى حيث يقطن طه حسين ليقابلاه ، فلما تم اللقاء ، قال أصحاب الهلال لطه حسين فى وضوح شديد :

- أن السراى فهمت أن الملك هو المقصود فى المقال فقال طه حسين فى مراوغة :

- ليس فى المقال تعريض بالملك ولا أعنيه بما كتبت وتشير كثير من المصادر الحية الى أن طه حسين كان كلما تذكر هذا الحديث ، صمت قليلا قبل أن يقول - فجأة - كأنه نسى شيئا :

- الله يشهد اننى عندما كتبت المقال لم أفكر فى أحد الا فى الملك . ولم أقصد أحدا سوى ذاته الملكية التى لا تمس !

على أية حال فان رسالة الملك الى أصحاب دار الهلال كانت واضحة وصريحة :

(يجب الا يكتب طه حسين أو يستكتب قط فى دار الهلال) ، ورغم أن أصحاب الدار أبلغاه بهذه الرغبة رغم وجود عقد بين الكاتب والمجلة ، فانه يبدو أن أيا منهما لم يلتزم بذلك ، اذ سرعان ما نعثر فى العدد التالى مباشرة (مارس ١٩٤٧) على مقالة أخرى عليها توقيع طه حسين تحمل عنوان (من بعيد) تحوم حول أفكار العميد من بعيد ، وان كانت تقترب من الرمز والاشارة الصريحة كشأنه فى هذه الفترة ..

ولم تمض سنوات الاربعينيات حتى كانت الخمسينيات تحمل تحقيق نذير طه حسين ، اذ سرعان ما قامت ثورة ١٩٥٢ ، وأجبرت هذا القلب الذى (صور من صخر صلب صلد مصمت على أن يفتح وتذهب به الرياح .

ولم يكن طه حسين الا واحدا من هؤلاء الذين أسهموا فى صنع هذه الرياح وافساح المناخ لها حتى تعصف بمثل هذه القلب الفاسد وهذه القلوب الفاسدة حينئذ ، وما أكثرها .

من ذخائر
الكتب العربية

السيرة الذاتية للمؤيد في الدين داعي الدعاة

تفاصيل عن مرحلة الخفاء وماحفلت به من الاثارة والغرابة

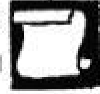
بقلم: مصطفى نبيل

كتب هذه السيرة المؤيد لدين الله داعي الدعاة ، في القرن الخامس الهجري ، قدم خلالها حياة أحد دعاة الفاطميين اتباع المذهب الاسماعيلي ، وتتناول السيرة مرحلة تاريخية تزخر بالإثارة والغموض ، خاصة ، وانه في عصرنا الراهن تعيش الطبقات الجيولوجية التاريخية جنبا الى جنب ، وتقف افكار القرون الوسطى مع افكار القرن العشرين .

وليست هذه السيرة مجرد تاريخ ، فهي ترد بالوقائع على أولئك الذين يدعون إلى صب الحاضر والمستقبل في قوالب الماضي ، ظنا منهم أن هذه القوالب هي الدين ، بينما الإسهام الضروري في طريق المستقبل يكون بالمعرفة والوعي بحقيقة تيارات الماضي .



منارة مسجد الحاكم بأمر الله



من ذخائر الكتب العربية

أول مايدعو اليه المذهب الاسماعيلى ، الذى كان سائدا فى مصر فى العصر الفاطمى ، هو الستر « الكتمان » فكيف يكتب داعى الدعاة سيرته الذاتية ، والى اى مدى يفصح عن أسرار الدعوة وتنظيم الدعاة ؟! .

إن قراءة سيرة المؤيد فى سياقها التاريخى تفصح عن الكثير من الحقائق والأسرار ، لذلك استمرت فى طى الكتمان كجزء من ستر علومهم وأسرار مذهبهم ، ومازالت أشد الكتب سترا عند البهرة ورثة المذهب الفاطمى فلم يقصد المؤيد من كتابتها العلم أو التاريخ ، بقدر تحقيق غاية محددة ، وليس للبعد الشخصى سوى مجال ضيق ، فلم تتناول طفولته أو أفراد عائلته أو أصدقاءه أو شيوخه ، ولم تكن نقطة البداية فى كتابة سيرته التعبير عن إدراكه لأبعاد الحياة من حوله ، بل شرع فيها سنة ٤٢٩ هـ ، لكى يشرح العلاقة بينه وبين السلطان كاليجار البويهى فى إمارة شيراز ، ومن يومها وهو يسجل الأحداث التى تعرض له ، وتصل إلى نهايتها بعد نجاحه فى اقتحام مقر الخلافة العباسية والدعاء للخليفة الفاطمى على منابر مساجد بغداد .

وتتعرض هذه السيرة الى الحياة السياسية فى مصر ، وما أحاطها من مؤامرات .

وحقق وقدم هذه السيرة الدكتور محمد كامل حسين وتمكن من الحصول عليها رغم حرص أبناء المذهب الاسماعيلى على إخفاء كتبهم ، وتعتبر هذه السيرة من أوائل السير الذاتية فى التراث العربى .

فقد ظل الغموض والإثارة يحيطان بالمذهب وبالفرق الكثيرة التى خرجت من عباءته ، والتى يكاد بعضها أن يكون مثل الاحاجى والالغاز التى تبحث عن من يكشفها ، مما جذب اهتمام عدد من الدارسين ، ومن هؤلاء إيفانوف وبرتولد الروسيان ، وبرنارد لويس البريطانى ، وفلهوزن الألمانى وغيرهم ..

نشأ وترعرع صاحب السيرة هبة الله ابن موسى بن داود فى شيراز حوالى سنة ٣٩٠ هـ ، وكان والده أحد دعاة المذهب الفاطمى ، وتدرج فى مراتب الدعوة حتى أصبح حجة فارس ، وصل إلى أعلى مراتب الدعوة ، فأصبح داعى الدعاة وحجة الامام سنة ٤٥٠ هـ ، ونفاه الوزير عبد الله بن يحيى من مصر ، فرحل الى القدس ثم عاد الى مصر مرة أخرى ، واستضافه فى بيته ملك ابن مالك قاضى الصليحيين فى اليمن مدة خمس سنوات ، تتلمذ خلالها القاضى على يديه وأخذ أسرار الدعوة منه ، وأصبح المؤيد أستاذا للدعوة فى اليمن .

ووصول المؤيد إلى تلك المرتبة التى لم يصل اليها فى تاريخ الاسماعيلية سوى عدد قليل من الدعاة ، يزيد من قيمة سيرته ، ويتمتع صاحب السيرة بثقافة واسعة ، واعتداد بالنفس ، ووصفه أبو العلاء المعرى الذى كثيرا ماناظره ، « لو ناظر اسطاليس لجاز أن يفحمه ، او افلاطون لنبذ حججه خلفه » ، ويصف المؤيد نفسه ، "انا شيخ هذه الدعوة ويدها ولسانها ، ولايماثلنى أحد فيها" .. وهذا الاعتداد الشديد بالنفس شرط لقوة وتأثير

سيرته ، فتأتى كتجربة إنسانية حية ، وتشخيص وتصوير صادق لعصره ، أفكاره وقيمه وأبطاله ، تتميز بوحدة عمر صاحبها ، وتصيغ حكاية لها بداية ونهاية ، وتكشف الظلال والألوان التى قد تغيب عن المؤرخ .

وهذه سيرة من نوع خاص فهى لاتزدحم بالأحداث والمغامرات ، ولكنها سيرة عقلية تزدحم بالعمل والحركة ، وتذخر بالمناظرات الفقهية بين صاحبها وخصومه ، يدحض حججهم ، ويكتب الرسائل رداً عليهم ، ويؤدى المهام الصعبة ، ويتنقل بين شيراز والشام والعراق ومصر والقدس .

● قضايا القرن الخامس

ومسألة بدء شهر رمضان ، هى التى ادت لمحنته فى شيراز ، تلك المحنة التى دفعته لكتابة سيرته ، عندما وقعت اول ازمة بينه وبين السلطان سنة ١٠٣٧ م ـ ٤٢٩ هـ ، ويسجلها بقوله .. "زعم البعض أن شهر رمضان يتم تارة وينقص أخرى ، وان الصيام بنى على رؤية الهلال ، ويقول الله سبحانه "أياما معدودات" ، والأيام المعدودة هى التى لاتزال معدودة ، فلو كان يحمل أن يكون شهر رمضان تارة ثلاثين يوما وتارة تسعة وعشرين يوما ، لما ذكر أياما معدودات قطعا" .

والغريب أن هذه المسألة مازالت مطروحة ومحل خلاف منذ مايزيد على الف عام ، وكانت أيضا من اهم أسباب النهضة العلمية فى مصر فى علوم الرياضيات والفلك ، وعرف المصريون الاهتمام بدراسة النجوم وحركاتها ، وأقاموا لها المراصد .

ويقول "إن بعض الناس خاضوا فى حديث الفورة التى جرت فى شيراز .... واتهمت برفض السنة ونشر البدعة ، وان الكاتب يستعد مع جماعته للهجوم على دار السلطان بالقلع والحرق والقتل" .

ويؤكد المؤيد أنه .. "من عمل بالباطن والظاهر معا فهو منا ، ومن عمل بأحدها دون الآخر فالكلب خير منه وليس منا" .

ويروى أنه رغم خروجه هاربا من شيراز ، فإنه نجح فى التقرب من السلطان ، وأقنعه بدعوته بعد عدة مناظرات ، وأصبح السلطان تلميذا له فى أمور الدين .. ".. **فدعاة الاسماعيلية اقدر الناس حجة والسنهم فصاحة ، واكثرهم موهبة فى المناظرة ، ويعود ذلك للنظام الدقيق المتبع فى إعدادهم وتدريبهم** ... وجرت المناظرة مكاتبة لا مشافهة ، لأنى تحرجت من المشافهة صونا للعرض ، مما يخلط بالمشافهة فى المناظرة من سوء الأدب ، وقصدت أن يكون مايدور بيننا من الكلام يتجسم بالكتابة لتبقى فائدته لمتأمله ، فسكن جأش السلطان واطمأن قلبه ... وقال : إنى أسلمت نفسى ودينى إليك .. واستقر الأمر على أن أجتمع به كل ليلة جمعة .."

ولاتدوم الدنيا على حال ، وسرعان ماتتغير الأحوال ، وينقلب السلطان على المؤيد تحت ضغط الأهالى ومبعوث الخليفة العباسى ويبتعد عنه السلطان ويمنعه من الاتصال بالناس .. "ونجح سعى مبعوث الخليفة باقتلاعى من تلك الديار وقصدنى بالتشرد منها .. وكنت إلى حين إنصرافه لا أعد نفسى فى غمار الأحياء خوفا من تسليمى إليه ، وما بعد ذهابه ، ما كنت أمن المكائد التى لم يزل الخصوم عاكفين عليها بحضرة السلطان ،

فكنت إذا أصبحت لأرجو أن أمسى ، وإذا أمسيت أرجو أن أصبح ، لما كنت بصدده ، من قصد العوام وبغتاتهم وكبساتهم فى الليالى والأوقات الغامضة ، لاسيما وقد ثبت فى نفوسهم أن السلطان خصمى ، وإنما تتكف عوادى العامة عن امثالى .. وكان يبلغنى كل يوم من البلاغات فيما يقع من التظاهر على ، والإغرار بى ماترجف الأرض من بعضه" .

● القرامطة والدروز !

وتكشف كلماته عن الصراع الذى دار على أرض شيراز ، بين الخلافة العباسية والخلافة الفاطمية ، وهو صراع أعنف من الصراع الذى يدور بين الاسلام وخصومه ، رغم أنه مجرد صراع سياسى يلبس لباسا فقهيا أحيانا ومذهبيا أحيانا أخرى !

وحان الوقت قبل المضى مع المؤيد فى سيرته أن نلم بلمحات عن المذهب الاسماعيلى ، الذى يدعو إليه المؤيد ، وأبعاد هذا الصراع الذى شهده عالم الاسلام .

بعد جهود ومحاولات كثيرة نجح المذهب الاسماعيلى فى إقامة دولة فى المغرب وأخرى فى مصر وثالثة فى اليمن ، بعد ملاحقة الأمويين ومن بعدهم العباسيين لفكرة التشيع لأهل بيت الرسول (ﷺ) . وينسب الاسماعيليون إلى اسماعيل بن جعفر ، ويعرفون بالسبعية تمييزا لهم عن الاثنى عشرية ، وقامت حركتهم على الاستتار وعلى تنظيم سرى محكم وكفء ، فبعد أن أجبر محمد بن اسماعيل على ترك مسقط رأسه فى المدينة ، والهجرة إلى خوزستان بأواسط اسيا ، ومنها إلى بلاد الديلم جنوب بحر قزوين ، يسجل مؤرخو الاسماعيلية أن أسرة محمد بن اسماعيل قدمت إلى الشام ، واستقرت فى مدينة سليمة القريبة من حمص فى القرن الثالث الهجرى ، وقد وصلوها متنكرين خوفا من بطش أعدائهم ، واستمرت الفترة مابين سنة ١٤٧ هـ عند وفاة جعفر الصادق حتى سنة ٢٩٦ هـ السنة التى ظهر فيها عبيد الله المهدى فى المغرب غامضة بسبب ستر الأئمة ، وقد أعطى هذا الستر فرصة لعدد من المؤرخين للتشكيك فى نسب ائمة الاسماعيلية ...

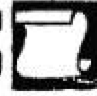
ويسجل تاريخ الدولة الفاطمية فى مصر أن نسبة الأئمة كانت دائما محل بحث ، فعندما دخل قادة وعلماء مصر على المعز لدين الله ، سألوه عن نسبه ، فجرد حسامه وقال : هذا نسبى ، ونثر عليهم قطع الذهب ، وقال هذا حسبى .

وصاحب قيام الدولة الفاطمية عصر الخفاء ، بنزعة استكشاف الغيب واحياء عصر الخوارق ، ودراسة الفلسفة ، وقيام الفرق الدينية السرية ، مع التعلق بالمجهول وتهكم المصريين على ادعاء معرفة الغيب ، ويروى أن العزيز بالله صعد المنبر ذات يوم ، فرأى رقعة كتب عليها :

بالظلم والجور قد رضينا
وليس بالكفر والحماقة
إن كنت أعطيت علم الغيب
فقل لنا كاتب البطاقة

ويلاحظ نجاح فقهاء المذهب الاسماعيلى فى تقديم تصور متكامل ،





من ذخائر الكتب العربية

لكسب تأييد المستويات المختلفة من الأهالى ، فقدموا لأهل الورع والتقوى دعوة تقوم على تبجيل القرآن الكريم واحكام الشريعة الاسلامية ، وقدموا لأهل الفكر والتأمل تفسيرا فلسفيا للكون ، استمدوه من مصادر القدماء ، وقدموا لأصحاب الأرواح الرقيقة والحس المرهف افكارا عاطفية دافئة تغذيها العبرة المستمدة من آلام آل البيت ، وقدموا للمظلومين والمقهورين المتطلعين إلى العدل ، حركة معارضة سرية جيدة التنظيم ، تهدف إلى هدم القائم وإقامة مجتمع جديد يقوده الامام ويملأ الدنيا عدلا بعد الجور والظلم ..

وشهد عالم الاسلام فى هذه المرحلة التاريخية ظاهرتين خطيرتين :

● **ظاهرة قيام تنظيمات سرية** تقوم على الستر والكتمان وانتشارها فى أرجاء عالم الاسلام ، وإذا كان للستر والكتمان هدف وهو الخشية على الامام ، فإن السرية والكتمان لهما آلية خاصة ، ويمكن اختراق التنظيم السرى من احدى حلقاته ، وتوجيهه بعيدا عن هدفه الأصلى ، وهو ماوقع بالفعل .

● **ظاهرة الانقسامات والعنف** ، وخرج من الكتمان والسرية مذاهب مثيرة ، ويكفى أن نعرف أنه عند لحظة انتصار المعز لدين الله ، خرج عليه القرامطة ، فى شرق شبه الجزيرة العربية ، وانقلبوا عليه ، ثم عادوا مرة أخرى بقوة السلاح الى الولاء الفاطمى ، وفى ذروة عصر الخفاء فى اواخر عصر الحاكم بأمر الله ، حاول بعض الدعاة نشر افكارهم التى تضفى على الحاكم قدسية خاصة ، وثار عليهم المصريون وفتكوا ببعضهم ، وفر البعض الآخر واستطاعوا أن يقيموا طائفة جديدة هى الدروز القائمة حتى اليوم فى كل من سوريا وفلسطين ولبنان ، وزعم بعض الغلاة منهم أن الحاكم قد رفع إلى السماء !

ونعود الى المؤيد لدين الله وهو يلجأ الى مصر متخفيا سنة ٤٣٨ هـ ، ١٠٤٥ م . ويروى ايام شدته قائلا : « رأيت أننى اذا بقيت مكانى ، لم آمن ما يتم على بغيتهم من حيلة ومكيدة ... وعملت على تنكير الزى والهيئة ، والدخول فى أطمار رثة ، واستبعت غلامين مجهولين ، وسلكت فى بعض المجاهل من الطرق ، أكترى من مرحلة الى مرحلة حمارا اركبه ، او جملا او ثورا على حسب ما يتفق ، واتحمل مشقة المشى وخوض الأودية والوحول ، والصبر على مضض البرد والنزول على المواضع القذرة ما يكون الموت عن دائه شافيا ... وكنت أحل فى صوب الطريق بأقوام الربافة واهل السواد ، فاسمعهم يذكروننى من القبيح بما أعلم أنهم لو شعروا بى لكانوا يتطهرون بدمى ويصلون ... وبعد مقاسات الأهوال التى رأيتها عيانا .. بلغت بشق النفس الباب الطاهر ، مترجحا بين أمل ويأس ، اما اليأس فمن حيث علمت أن المقصود شمس توارت بالحجاب ، ووجه نهار تبرقع بالسحاب ـ ويقصد أن الحكم لم يكن فى يد امامه المستنصر انما فى يد أمة ورجالها ـ » ، ويعكس حديثه مع التسترى حالته النفسية وخيبة امله .. يقول : « اعلم ، أنه ما مجتنى ديارى من فمها الا

تكشفنا بخدمة هذه الدولة العلوية ، وتخوفنا من الجهة العباسية ، وتسللا من فتنة كاد شرها يهلكني . فما الداعي الى قصدي هذا غير داعي الايمان ، وما المقصود الا صاحب القصر الذي هو امام الزمان ، فان كان المقصود - الخليفة - يعلم انني انا الرجل الذي فيه أخرجنا من ديارنا وابنائنا ، وهو يأنف من لقائه بلحظه ، ومن خطابه بما يشرح الصدر بلفظه » ..

وتكشف كلماته انه لم يستقبل كما يتوقع ، ووجد الامام ومن حوله عنه لاهين .

● المؤيد وناصر خسرو

ونلاحظ أنه وصف لقاءه الأول بكل تبجيل واحترام مع قصر الامام ، فقال : « ادخلوني من القاهرة المعزية الى قصر الخلافة .. ولمحت الثريا ترابا تحت قدمي ، اذ ترشفت ذاك التراب ، واجلسوني هنيهة لافيق من غشية الهيبة التي ملأت جوانحي لما غشيت الحسرة بمشاهدة ذلك المقام قلبي وجوارحي » ..

وهو هنا يسيطر على جوانحه الموقف المذهبي ، ولا يقدم لنا وصفا لقاهرة تلك الايام ، والتي كانت جليلة شامخة ، والتي وصفها ناصر خسرو في تاريخ قريب سنة ١٠٤٩ - ٤٤١ هـ ، ويذكر عن ذات القصر : « كان القصر وسط القاهرة ، بينه وبين الأبنية المحيطة فضاء ، يحرسه في الليل خمسمائة حارس من الفرسان ، وخمسمائة حارس من الرجالة ، أسواره عالية ، لا يستطيع أحد رؤية ما بداخله ، وقيل أن عدد من يقيمون بالقصر ٣٠ الفا من بينهم ١٢ الف خادم ، وللقصر عشر بوابات فوق الأرض ، وباب يقود الى ممر تحت الأرض يعبره الخليفة راكبا ليصل الى قصره الآخر ..

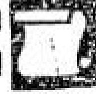
ويوجد بالقاهرة ما لا يقل عن عشرين الف دكان كلها ملك السلطان ، وكثير منها يؤجر بعشرة دنانير في الشهر ، وفيها من الخانات والحمامات ما لا يمكن حصره ، وهي جميعها ملك للسلطان ، وفي القاهرة والفسطاط عشرون الف منزل يملكها ويؤجرها السلطان ... وللقاهرة خمسة ابواب ، هي باب النصر وباب زويلة وباب الفتوح وباب القنطرة وباب الخليج ، والبيوت مبنية بناء نظيفا محكما ، ومفصولة عن بعضها بالحدائق التي ترويها الابار ، ويؤخذ ماء الشرب من النيل يحمله السقاءون على جمال يبلغ عددها ٥٢ الفا ، ويحمل الرجال القرب حيث سيتعذر على الجمال دخولها ، وفي الفسطاط بيوت من أربعة عشر طابقا ، وبعضها من سبع طوابق ، وثمة رجل انشأ حديقة على سطح بيت من سبعة أدوار ...

ويصف في موضع اخر موكب المستنصر بقوله : « انه شاب لطيف المحيا حليق الذقن يرتدي في بساطه قفطانا أبيض وعمامة ، وعلى رأسه مظلة مرصعة بالجواهر الثمينة ، واللائي يحملها كبير الموظفين ، ويتحدث عما شاهده في مصر من ثروات واموال ، قائلا : انه يخشى ان لا يصدقه أحد من بلاد العجم اذا حاول وصفها » ..

وكان لابد أن تبعث القاهرة الرهبة في نفس المؤيد وهو يزورها لأول مرة .

● الظلمة اليهودية

ولم يجذبه وصف القاهرة وحياة أهلها ، بل جذبه وهو الداعي الفاطمي الفارق



الكبير بين الدولة الحلم التى يحلم بها المضطهدون والمقهورون وبين الواقع من حوله الذى يتحكم فيه الهوى والطموح الشخصى

ويلحظ موقف المصريين من الحكام ... « وعاداتهم فى الاستخفاف بملوكهم معروفة ، اما الوزراء فهم اغنام عندهم للنزع معلوفة .. » ، ويتكشف له حقيقة ما يدور ، فأم المستنصر كانت جارية مملوكة لابى سعد التسترى التاجر اليهودى ، قبل أن تنتقل للخليفة الظاهر ، وعندما أصبح ابنها خليفة استعانت بسيدها القديم ، واتخذت منه وزيرا لعله يساعدها على السيطرة على الدولة مع صغر سن وليدها ، كما تولى الوزارة يوسف الفلاحى (١٠٤٤ م ـ ٤٣٦ هـ) ، وهو ايضا يهودى اسلم ، يقول عنه المؤيد بعد أول لقاء : « رأيت شيخا عليه من الوقار سمة ، ومن الانسانية سمة ، فأدنى وقرب واكرم ورحب .. » .

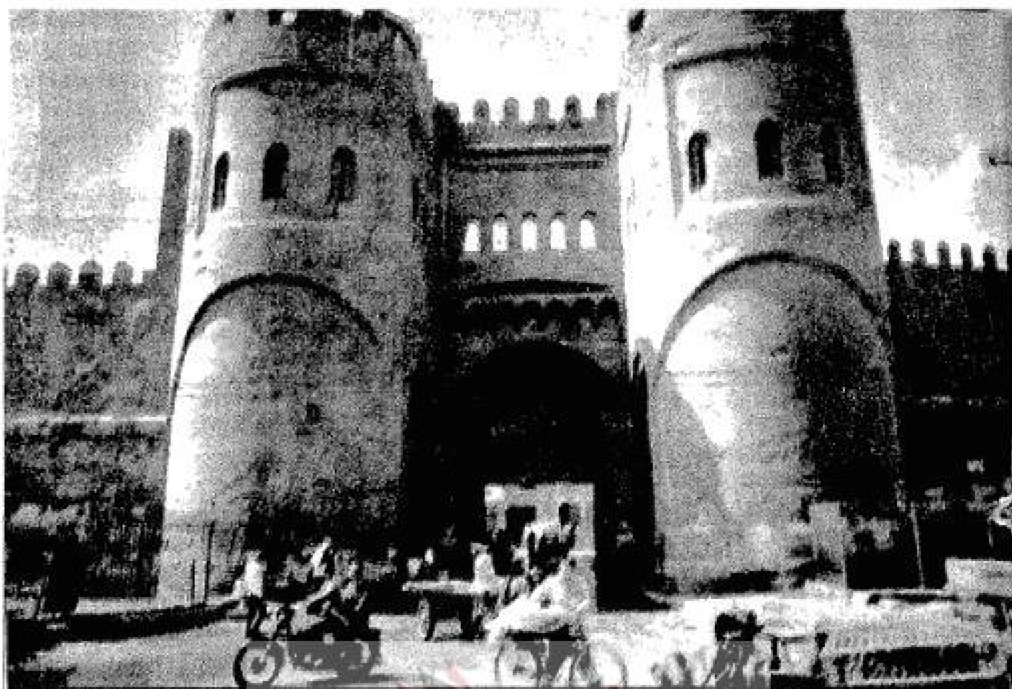
وسجل لنا التاريخ تولية ثلاثة وزراء من اليهود فى العصر الفاطمى ، اشهرهم يعقوب بن كلسى ، وثانيهم صدقة بن يوسف الفلاحى ، الذى كان من يهود حلب ، اما الثالث فهو الحسن بن ابى سعد التسترى ، الذى لم يستمر فى الوزارة اكثر من عشرة أيام ..

وعبر الرأى العام فى مصر عن هذه الظاهرة على لسان الشاعر ابن ميبسرة بقوله :

يهود هذا الزمان قد بلغوا
غاية آمالهم وقد ملكوا
العز فيهم والمال عندهموا
ومنهم المستشار والملك
ياأهل مصر انى نصحت لكم
تهودوا قد تهود الفلك

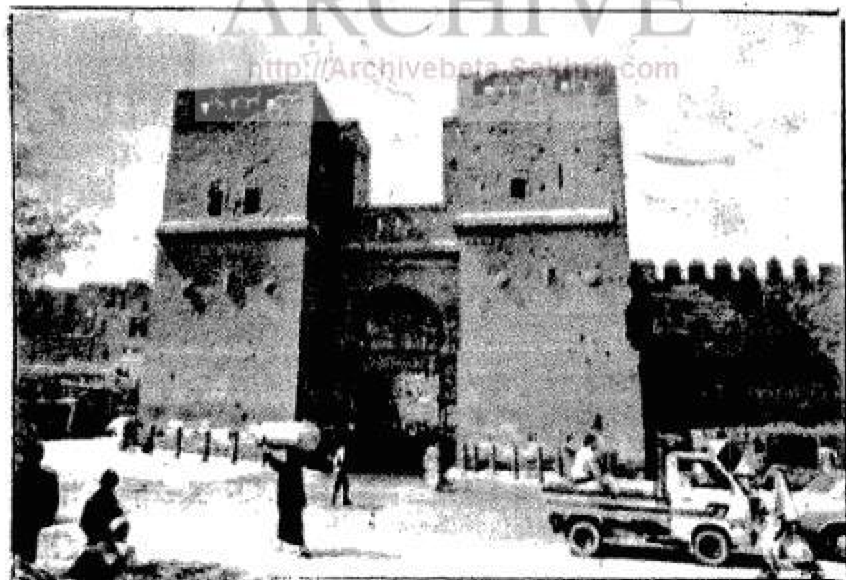
فكيف عبر المؤيد لدين الله عن هذه الأحداث ، وهو الفاطمى المتحمس .. ؟!

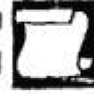
يروى فى سيرته الذاتية : « قيل أن هنا يهوديا يكنى ابا سعد التسترى ، كان تاجرا ومولى أم المستنصر ، أصبح هو المتصرف فى شئون البلاد ، وأصبح الوزير الفلاحى يأتمر بأمره ، وهو لأمور المملكة كلها الأساس والمبنى ، توجهت اليه ، فرأيت منه اهتزازا لرؤيتى ، وخرجت من عنده بثياب ودنانير خرجت لى من خزانة السلطان ... وعندما توجهت الى الموسم بالقضاء والدعوة ونحن بالبعد ، والواسطة بيننا وبين مجلس الامامة ، فرأيته رجلا يصول بلسان نسبه فى الصناعة التى وسم بها دون لسان سببه ، فارغا مثل فؤاد أم موسى عليه السلام ، وفيه جنون يلوح من حركاته وسكناته ، وموتور متى بما اوحى اليه بعض شياطين الانس من أننى ربما زاحمته فى مكانته ، وتذكرت قوله تعالى : « انى وجدت امرأة تملكهم ، واوتيت من كل شىء ، ولها عرش عظيم » ـ يقصد أم المستنصر ـ وكان اليهودى ـ التسترى ـ يلقانى بنشر وجهه ، ويخاطبنى بكل خير لسانه ، ويعدنى ان يصطنعنى لسانه ، ويجعلنى خدمه ومصاحبه ومكانته ، ويمنعنى ان اتعقب باب احد من المصطنعة والاكابر ، فيكون ذلك وكسا علىّ فيما يريدنى له ، ويشوقنى اليه من المنزلة الجليلة ، فلما استفاض من الذكر من جهته ، وملأ



باب النصر

باب الفتوح





الاسماع من لفظه ، قامت الحسدة من الشياطين المردة ، فدخلوا فى عقل اليهودى ، وقالوا : كيف تطوع لك نفسك ان تأخذ بهذا الرجل العجمى الدخيل الى المقام الذى انت مخصوص به ومرتب له ، وما يؤمنك انك اذا ادخلته اخرجك ، واذا قدمته اخرك ، وهو ابسط منك لسانا ، واقوى جنانا ، وهو يدلى بعزة الاسلام ، والتخصيص بالدعوة والخدمة ، وفيك من العلامات كلها خمول اليهودية ، ولم يزل هذا الحديث يتوارد على سمعه حتى تشربه قلبه » ..

ويصف متاعبه ومعاناته مع بلاط خليفته وامامه . يقول : ولا خير فى المقام عند باب من يكون محجورا عليه ، ويكون مقاليد أموره بيدى غيره لا بيديه .

وعندما سمع اليهودى القول ، وانني كشفت من الأمور مستورا ، هاج كما يهيج الجمل نفورا ، ثم لم يزل دأبى ودأبه المماحكة والمعاركة والاحراق به فى مجالسه ومواكبه ، .. حتى اتفق من قتله .. وقالوا ان الفلاحى دس من قتله .. وان بعض الجهات الجليلة التى كان اليهودى مرتسما بخدمتها فى الظاهر ، وان كان مستوليا على المملكة كلها فى الباطن .. فلما تجلت الظلمة اليهودية ، مددت باع طلبى لملاقاة السلطان .. » .

● لقاء الإمام

وأخيرا دخل مجلس الخلافة فى آخر يوم من شعبان ٤٢٩ هـ .

وبعد أن رأى عجز الإمام ، ولمس سيطرة مؤامرات القصور التى كاد يذهب ضحيتها ، وشاهد الفارق بين الحلم والواقع ، وسجل كل ذلك بشجاعة المؤرخ لا تحيز صاحب المذهب ، وعند اللقاء يعود ويسيطر عليه الموقف المذهبى ، وينسى عند وصفه لهذا اللقاء كل متاعبه ، يقول : « لم يقع عينى عليه إلا وقد أخذتنى الروعة ، وغلبتنى العبرة ، واجتهدت عند وقوعى الى الأرض ساجدا (!) لولى السجود ومستحقه ، .. ولما رفعت راسى من السجود ، وجمعت على اثوابى العقود ، رأيت بنانا يشير إلىّ بالقيام ، ومكثت بحضرته ساعة لاينبعث لسانى بنطق ، ولا يهتدى لقول .. وهو يقول .. دعوه حتى يهدأ ويستانس ، ثم قمت وأخذت يده الكريمة فترشفتها وتركتها على عينى وصدرى وودعت وخرجت » ..

ويعود المؤيد ويلعب دورا نشطا فى الدعوة ، ويصبح طرفا هاما فى صراع جديد بين الخلافتين العباسية والفاطمية ، ويقوم بمهمة دقيقة فى شمال الشام والعراق ، مكلفا بالتأثير على الأمراء الذين استقلوا بإماراتهم فى ظل ضعف الخلافة العباسية فى بغداد والتهديد السلجوقى ، وبعد دخول طغرلبك التركمانى مدينة الرى سنة ٤٤٦ هـ ، وتأرجح الأمراء بين القاهرة وبغداد ، ويسافر المؤيد الى الشام وسلاحه ليس السيف بل القلم ، وأداته الكلمات والعطايا ، ونجحت رسائله فى إقامة تحالف ضد التركمان فى سنجار بين أرسلان التركى المعروف باسم البساسيرى وبنى مزيد فى الحلة ، وبنى مرداس فى حلب ، وقريش بن بدران صاحب الموصل ، ونجح البساسيرى فى دخول بغداد يوم الأحد الثامن من ذى

القعدة سنة ١٠٥٨ م ـ ٤٥٠ هـ .

وهو يحمل الرايات البيض المصرية وعلى رأسهم أعلام مكتوب عليها اسم المستنصر بالله ابوتميم امير المؤمنين ، وخطب له فى مساجد بغداد ، وضرب السكة الذهب والفضة باسمه ، وأرسل البساسيرى الى الخليفة المستنصر فى القاهرة بثياب الخليفة العباسى وعمامته ، فازدانت مصر ، وأقيمت الاحتفالات ، وخطب باسم الخليفة الفاطمى فى الموصل والبصرة وواسط .

وتكشف هذه الأحداث التاريخية ، أن الصراع الداخلى بين أطراف الأمة الواحدة ، ظاهرة قديمة ، وإذا كان مفهوما بعض جوانب الصراع المذهبى ، فغير المقبول ، أن يكون الصراع الأساسى بين أطراف كل منهم يتعرض لتهديد عدو واحد ، وكما رأينا أن الصراع اشتد ضد الرؤساء وليس ضد التهديد الخارجى وربما تحقق الحركات السرية بعض النجاح فى صفوف المعارضة ، ولكنها تواجه الفشل عندما تصل الى الحكم .

فسرعان ماتحول الانتصار الذى انجزه المؤيد الى سراب ، وعاد السلاجقة للاستيلاء على هذه المناطق .

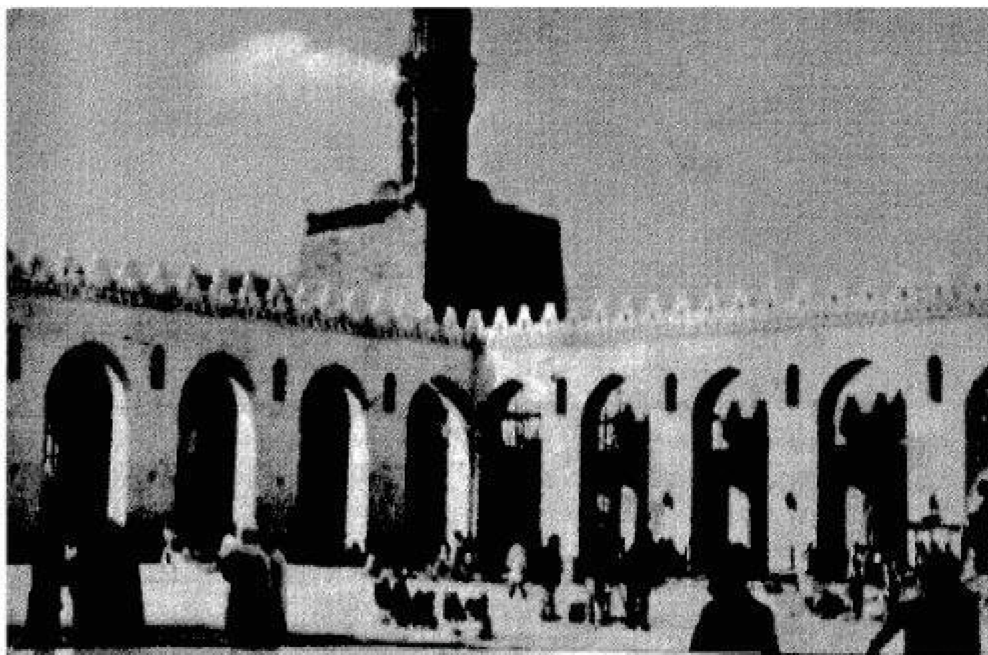
الشدة المستنصرية

ولكى يوضع الصراع الذى شارك فيه المؤيد فى سياقه التاريخى ، نتعرف على طبيعته وأبعاده ، ونعود الى الحكم الفاطمى فى القاهرة ..

حكم المستنصر بالله فترة تزيد على ستين عاما ، ووصلت الدولة الفاطمية فى عصره الى أعلى ذراها ، ثم تهاوت الى الإنحلال السريع ، وقدم لنا المؤيد فى سيرته الظروف والحيثيات ، ومؤشرات هذا الانحلال ، بما ألقى عليه الضوء مما أطلق عليه « الظلمة اليهودية » ، وعرض مؤامرات البلاط وعجز السلطان ، وكان من نتائج ذلك ماعرف بالشدة المستنصرية الكبرى ١٠٦٣ م ـ ٤٥٧ هـ ، ومن جانب آخر أدت الى مزيد من تشرذم المذهب الاسماعيلى ، عندما تضافر القحط مع اختلال الأمن ، وتقدم رجال السيف وتراجع رجال القلم ..

مما أدى فى النهاية الى انقسامات عميقة تناولت الأسس الفكرية للمذهب الاسماعيلى ، فعقب وفاة المستنصر ، اختار الأفضل بن بدر الجمالى الابن الأصغر للخليفة المستعلى خليفة وإماما ، بدلا من نزار الابن الأكبر الأحق بالامامة على ما يقتضيه المذهب الاسماعيلى ، وانشق المذهب الى قسمين ، واستمرت جيوب القسمين قائمة حتى اليوم .

وكان من أول نتائج هذا الانشقاق ، خروج حسن الصباح من القاهرة ، والذى كان يرى أحقية نزار بالامامة والذى قتل ، ويؤسس فرقة الحشاشين فى فارس ، ويقيم الحصون ، ويبنى قلعة الموت ، ويقوم مذهبه على الولاء والطاعة المطلقة ، وامتزجت طبيعة المنطقة الجبلية النائية بأفكار المذهب الاسماعيلى ، وبالأفكار والعقائد السائدة بين الفلاحين وسكان الجبال ، وتحول تنظيمه الى أداة فعالة فى يد المعارضة السرية ، وكانوا أول من حقق أهدافهم السياسية عن طريق اشاعة الفوضى وتقويض أركان الكيانات السياسية القائمة ، واعتمدوا على الاغتيال السياسى كأداة أولى للوصول الى أهدافهم ، واقترن لفظ « الحشاشين » فى اللغات الأوربية بمعنى الاغتيال ، وقامت



وظهر البهرة فى مصر من جديد بعد ما يزيد على ثمانمائة عام من خروجهم منها

حركة سرية لها قسمها وشعائرها ، وكانوا الارهابيين الأول الذين طوعوا الارهاب لتحقيق أهدافهم السياسية .

ومازالت بقاياهم قائمة حتى اليوم فى سوريا وفى الهند ، ويمثلهم اتباع اغاخان ، وقام بينهم سلسلة من الأئمة وصل فى القرن التاسع عشر الى أسرة اغاخان ، ووصل هذا الأمر الى المحاكم البريطانية فى الهند عام ١٨٦٦ ، والتى كان عليها أن تبحث الحجج وتدرس الأنساب ، لتحكم فى أحقية أغاخان فى زعامة الطائفة .

● البهرة ومسجد الحاكم

ويمثل اتباع البهرة ماتبقى من القائلين بامامة المستعلي ، وكان المذهب قد انتقل الى اليمن على أيدى ملك بن مالك قاضى الصليحيين ، والذى سبق وذكرنا أنه تتلمذ على المؤيد لدين الله مدة خمس سنوات ، فبعد قضاء صلاح الدين الأيوبى على الخلافة الفاطمية فى مصر ، غادر فلول الاسماعيليين البلاد ورحلوا الى اليمن ، ثم انتقل المذهب عن طريق التجارة بين اليمن والهند ، وقام المذهب فى ولاية جوجرات جنوب بومباى ، وأطلق عليهم لفظ « البهرة » وهى كلمة هندية قديمة تعنى التاجر ، وانتقل رأس الدعوة من اليمن الى الهند فى القرن العاشر الهجرى ، من نسله حتى اليوم ، ويعرفون بملابسهم المميزة ولحاهم الطويلة ، ونسائهم المنقبات ، وظهر البهرة فى مصر من جديد بعد مايزيد على ثمانمائة عام من خروجهم

منها ، عندما قاموا باهداء المقصورة الفضية لضريح سيدنا الحسين ، وتجديد جامع الحاكم بأمر الله الذى يعتبر لديهم من اكثر الاماكن قداسة ، وهم لا يؤدون فريضة الصلاة سوى فى « الجامع خانة » ، ويرفضون إقامة الصلاة فى غير مساجدهم ، واقام أصحاب هذا المذهب فى مدينة سورات فى الهند « الجامعة السيفية » لتعليم اللغة العربية والمذهب الاسماعيلى .

ولدى دعاة البهرة شطر كبير من مؤلفات الاسماعيلية التى وضعت فى مصر الفاطمية ، بينما فقد عدد كبير منها من مصر ، وكلما ظهر لهم كتاب جديد ، اثار من جديد قضية الملل والنحل فى الاسلام .

وبعد هذه الرحلة الطويلة مع المذهب الاسماعيلى وانشقاقاته ، وما تبقى منه حتى اليوم ، والذى كانت سيرة المؤيد لدين الله بمثابة الجزء الظاهر من جبل الجليد المختفى تحت الماء ، نعود لنصاحب المؤيد فى عودته إلى القاهرة ، ونتعرف على ماجرى له بعد انتصاره الكبير فى العراق والشام .

وندعه يتم قصته .. يقول .. « سرت الى مدينة صور ، فلما حصلت موضع يسمى البواقير ، لقينى صاحب بسجل يؤكد على فى النكوص على عقبى الى حلب ، فملكنى التحير والدهش ، ووجدت الرجوع ممتنعا ، والوفادة على الباب (الخليفة) بعد تحريمها خطة شديدة ، ورجحت بين الأمرين ، فرأيت أن الاتمام خير من الرجوع ، وأن الذى اقتضى انشاء ذلك السجل ، هو تلفيق من بعض المفسدين ، أو ظن ظان أننى اذا دخلت تعرضت بوزارة ، او زاحمت أحدا فى



مجموعة من البهرة المعروفين بملابسهم المميزة ولحاهم الطويلة فى مسجد الحاكم بامر الله

رتبته ، وقلت ياسبحان الله بما يستحق من كان هدفا لسيوف التركمانية وسهامهم ، واقام بزهائهم سنة جرداء يعاين فيها كل ساعة حتفه .. أن يكون جزاؤه المنع من العودة الى الباب ، فرأيت أن أنكب عن الطريق الجادة الى البرية والمجاهل فما شعروا بى حتى اطلعت راسى بالجب ـ جب عميرة ـ عند باب القاهرة ، ودخلت ، دخول المهزوم لا الهازم ، والمكسور لا الكاسر »

ثم يتولى منصب داعى الدعاة ، **ويتوفى سنة ٤٧٠ هـ ، ويدفن فى دار العلم بالقاهرة ، بعد ان يصلى عليه المستنصر بالله .**

ثقب في السّماء

والمخاطر التى يتعرض لها الانسان على الأرض !!

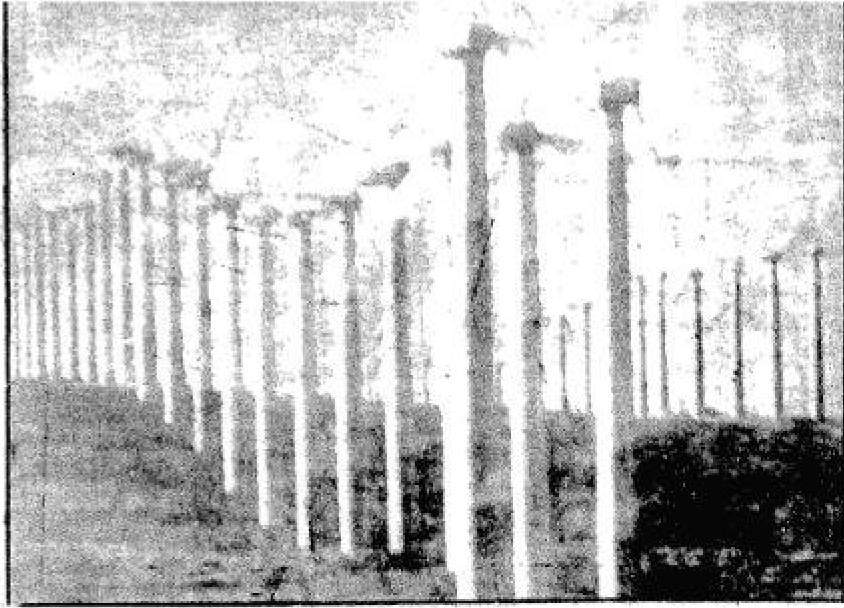
بقلم : محمد فتحى

تشهد الساحة العالمية نشاطا محموما فيما يخص قضايا البيئة ، حتى بات من الممكن القول أن العالم امسى اسيرا لانفجار فى الحديث عن الانشطة البيئية ..

وحتى لايكون الامر مصداقا لخبرة تجسدت فى القول العربى المأثور : « جعجعة ولانرى طحنا » لابأس من طرح شامل للمشكلة نخلص منه الى مجموعة من المفاتيح الاساسية لعلاج امراض البيئة ، مفاتيح يمكن بدونها الا يتبقى لنا شىء أبعد من هرج الانفجار ..

● شاع فى ثقافات الحضارات القديمة تصور مؤداه أن هناك « ثورا يحمل الارض فوق قرنيه » ، وأن تعثر أحد اقدام هذا الثور خلال سيره كفيل بتعريض توازن الارض للاهتزاز .. الامر الذى يسفر عن كوارث طبيعية مدمرة تضرب أرجاء المعمورة ..

وعلى الرغم من المسافة الشاسعة التى قطعتها المعارف الانسانية ، فى فهم تحرى التغيرات البيئية ، بات الجنس البشرى يقف على عتبة انقلاب بيئى ، لا يهدد المنجزات التى حققها الانسان على مدار تاريخه فقط ، ولا يعيد للصورة « الهزلية » الخاصة باهتزاز التوازن فوق قرنى الثوربعض



اختراع امريكي بسبب القليل جدا من الدفئة للكرة الارضية

المصداقية (من حيث تخلف معارف الانسان) فقط ، و ... ذلك انه يفتح الباب عن حالق ، لاغتيال الاخضر واليابس ، فى جوانب كثيرة من كوكبنا ..

وحتى نفهم طبيعة المخاطر التى تتحلق حول مظاهر الحياة على الارض لابد من المامة سريعة بظروف التوازن التى لفت هذه الحياة ، منذ اللحظة الاولى لوجودها .

● التوازن الحيوى للأرض

المعروف أن الارض تحتفظ حولها بغلاف غازى ـ الجو ـ يمتد لبضعة كيلو مترات ، ويبلغ اقصى كثافة له عند سطحها ، وتقل كثافته تدريجيا ، حتى يتلاشى فى الفضاء الكونى الفسيح ..

ويحكم مكونات هذا الغلاف الجوى توازن حيوى بالغ الحساسية ، يلعب دورا هاما فى تامين وحماية شتى صور الحياة على الارض ، اذ يوفر غازا لا تستقيم حياة الانسان والحيوان بدونه ، هو الاوكسيجين ، من خلال تحويل النبات ثانى اكسيد الكربون الناتج عن التنفس ـ اليه عبر عملية التمثيل الضوئى .. هذا كما يحتوى الجو على بخار الماء ، الذى يلعب دورا رئيسيا فى تغيرات الطقس ، وتشكل السحب ، وتكون الجليد ، وهطول الامطار ، وتكاثف الضباب .. وذلك ناهيك عن درع رقيق لا يزيد سمكه على مليمترات ، ينتشر عبر طية سمكها ثلاثة كيلو مترات ، فى منطقة الغلاف الجوى التى تسمى بالاستراتوسفير ، على بعد يناهز ٤٠ كيلو مترا من سطح الارض .. وعلى رقة « الدرع الاوزونى » فقد اثبت متانة متناهية ، على مر العصور ، فى صد الاشعة الكونية القاتلة عن رحاب كوكبنا ، وفى امتصاص نسبة كبيرة من الموجات فوق البنفسجية التى تحملها اشعة الشمس ، حتى لا تدخل جو الارض ، الا بالقدر الذى



يلائم استمرار الحياة فى ربوعها .

وقد خلصت دراسات كوكب الارض، والدراسات التى قارنته بالكواكب الاخرى ، الى أن الحياة على سطح كوكبنا مدينة بوجودها ناهيك عن توافر هذه المكونات (الاوكسيجين وثانى اكسيد الكربون ودرع الاوزون) الى التوازن القائم فيما بينها ، فذلك هو مايفرق بين الارض وغيرها من الاجرام السماوية القاحلة الميتة ، التى لا تعرف مظهرا من مظاهر الحياة ..

● خلل التوازن الحيوى

لكن السنوات الاخيرة كشفت عن خلل أصاب التوازنات القائمة بين هذه المكونات ، كما كشفت أن الخلل آخذ فى الاطراد .. فقد اعتاد الانسان منذ فجر التاريخ استخدام الوقود ، وكانت الاشجار والمواد النباتية عامة هى مصدر هذا الوقود ، وكانت المسطحات الخضراء الهائلة قادرة على امتصاص كميات ثانى اكسيد الكربون الناتجة عن احتراق الوقود (ناهيك عن الكميات الناتجة عن التنفس) لتعزز الاوكسجين بدلا منها ، فى دورة تحفظ على الجو تكوينه الطبيعى .. لكن الانسان عرف وثبات هائلة ، فى استخدام الوقود ، مع اكتشاف مكامن النفط والفحم التى تكونت على امتداد الاف وملايين السنين ، وباتت تستهلك فى لمح البصر ..

ومع التوسع فى التجمعات الحضرية، واستخدام السيارات (والمحركات عامة) ومع قطع الغابات وتزايد عدد سكان الكوكب .. مع ذلك كله تصاعد بصورة مطردة الخلل فى الدورة الطبيعية فلم تعد المساحات الخضراء كافية لتحويل ثانى اكسيد الكربون الى اوكسجين ، مما ساهم برفع نسبته فى الجو ، وهو غاز يساعد على امتصاص الاشعاع الشمسى ، ولا يسمح باعادة اطلاقه (تأثير الصوبة الزجاجية) ، الامر الذى ينجم عنه ارتفاع متزايد فى درجة حرارة الارض ..

وتؤكد الدراسات أن ارتفاع درجة حرارة الارض رويدا لابد وأن يؤدى الى تغيرات مناخية ، تتحول معها بعض المناطق المعتدلة الى مناطق قاحلة، والى ذوبان أجزاء من القشرة الجليدية القطبية ، ليرتفع مستوى المياه فى البحار رويدا ، وهو ما يعنى طغيان المياه المالحة على أجزاء كبيرة من اليابسة ، وغرق المناطق الساحلية ، وهى اكثر مناطق عالمنا ازدحاما بالسكان ، .. ناهيك عما سينتج عن ذلك من تبوير مساحات واسعة من الاراضى الزراعية بسبب زيادة الملوحة، وعما يسببه تغير أنماط الطقس من إفساد مساحات شاسعة أخرى ، بالاضافة الى ما يصحبه فقدان التوازن من موجات جفاف وفيضانات وأعاصير وزلازل ..

وكل ما سبق ليس سوى تجل واحد من تجليات عامل واحد من تأثيرات الانسان على البيئة ، وهى كثيرة ، تتراوح بين افراغ النفايات الضارة والسامة فى الانهار والبحار ، وبين تسميم الاراضى بالمبيدات الحشرية واستنزاف موارد الكوكب ..

وان كانت هذه كلها تجليات تؤكد انه بات بمقدور الانسان أن يمارس تأثيرا محسوسا ، بل وفظا ، على أحوال الكوكب فربما كان الاخطر أن هذا التأثير يفوق كثيرا مستوى المعارف البشرية فى الوقت الراهن .

● التخلف العملى والاخلاقى

فعلى سبيل المثال حين اكتشفت « ثقوب » طبقة الاوزون للمرة الاولى تصور بعض الدارسين أنها نتجت عن النشاط البركانى الذى شهدته المكسيك عام ١٩٨٢ . كما تصور دارسون آخرون أن لها علاقة بدورة الكلف الشمسى ، أو نشاط البقع الشمسية . بينما القى فريق ثالث باللائمة على عوادم الطائرات الاسرع من الصوت، واختراقات الصواريخ للغلاف الجوى .. وراح فريق رابع يلوم التجارب النووية ، و .. ولا جدال فى ترابط الظواهر الطبيعية التى تحكم عالمنا ، لكن المعارف البشرية غير قادرة بعد على تحديد الثقل النوعى لهذا العامل أو ذاك حتى نستطيع تحديد أولوية المواجهة ..

ولا يقتصر الامر على جزئيات مثل سبب تاكل طبقة الاوزون ذلك انه يمتد حتى الى التصورات الكلية ففى مقابل « سيناريو الطوفان » : ارتفاع درجة حرارة الكوكب ، وذوبان الجليد ، وارتفاع مستوى مياه البحر ، وحدوث الطوفان .. توجد مؤشرات تؤكد على أن العالم مقبل على حقبة تنخفض فيها درجةحرارته بشكل يبشر بعصر جليدى جديد . ولا يقل السيناريو الخاص بهذا التصور ، لا يقل متانة واحكاما من الناحية العلمية عن سيناريو الطوفان ..

ولعله من الضرورى الاشارة الى أن ما يدور الحديث عنه من نتائج ، يجرى التوصل اليه ، وفق دراسات اغلبها نظرى ، واقلها قائم على قياسات محددة ودراسات معملية .. وهى تتم أساسا عن طريق عمل نماذج حسابية كمبيوترية للظواهر الطبيعية ،ترشدنا الى ما يمكن أن يحدث للظاهرة ، فى حالة هذا التغير أو ذاك ..

والنماذج التى توصل اليها الانسان لظواهر معقدة ، مثل ظواهر البيئة ، هى نماذج تقريبية مبسطة ، لذا فان المؤشرات الناتجة غير مؤكدة ، وهى من قبيل التوقعات الحسابية المحتملة الحدوث ، وربما مثلها مثل اضدادها تماما ..

كما انه لا يمكن اغفال عوامل مثل تحكم الاقوياء المتقدمين حتى فى نتائج البحوث العلمية (!) مما يجعلهم يطوعونها لمصالحهم ، أو يغضون النظر على اقل تقدير عن النتائج والاحكام التى تؤثر على هذه المصالح. وحتى يتضح بجلاء مدى تاثير هذا العامل او ذاك (مثل استخدام المرذذات) يتهرب الكثيرون من من تشريعات الخطر الواجبة ، أو يتهاونون فى تطبيقها اذا سنت ، جريا وراء مصالح تجارية ضيقة الافق ..

وقبل الانتقال من هذه النقطة ينبغى التأكيد على أن مانقصده منوراء ذلك كله ليس التقليل من الاستجابةالواجبة، وانما التأكيد على أن المستويينالعلمى والاخلاقى للجنس البشرى لم يرق الى المستوى الذى وصلته قدرته على التأثير ، وهذا أخطر من كارثةالطوفان ذاتها .

● الجوهر الاجتماعي للمشكلة

ولا بأس بعد ذلك من التأكيد على الابعاد الاجتماعية لقضايا البيئة ذلك انها ليست معزولة عن مشاكل عالمنا الاخرى ، فلها صلات وثيقة

ثقب في السماء



بالانفجار السكاني ، وضغط السكان الجدد على موارد الكوكب ، وبالسفة الاستهلاكي لقطاعات متزايدة ، والعوز المتزايد لقطاعات أخرى ، و ٠٠ ولا بأس من اختيار موضوع الغابات الاستوائية كمثال للوصول الى الجوهر الاجتماعي لمشكلة البيئة في عالمنا والى كيفية التصدي لها في نفس الوقت ٠٠

لقد بات من المسلمات البيئية حاجة عالمنا للابقاء على الغابات المنتشرةفي عديد من المناطق (والاستوائية منها بالذات) ، بل ومحاولة استعادة ما قطع منها قبلا ، وذلك لمواجهة ثلاثة بلايين طن تضيفها البشرية الى الغلاف الجوي كل سنة من ثاني اكسيد الكربون والميثان والكلوروفلوركربون وغيرها من الغازات الضارة ٠

ومعظم الغابات المتبقية في عالمنا موجودة فيما يسمى بالعالم الثالث ، وتقطيع مثل هذه الغابات يمضي على قدم وساق : لان أصحابها يعيشون في عوز ، ولانها تمدهم بالاحتياجات الاولية اللازمة للبقاء على قيد الحياة ٠٠ وبدون بعض الفائض الذي تتيسر معه الحياة لهؤلاء الناس يصبح الحديث عنحفاظهم على الغابات لغوا لا طائل من ورائه ٠٠

لهذا بات على المجتمع الدولي أن يسعى الى حماية ثروات الفقراء الطبيعية من المغامرين الغربيين(الذين يبحثون عن الثروة والغراء والعاج والذهب ٠٠) والاهم من ذلك الى أن ينظر لمثل هذه الغابات على انها خدمة عامة للحفاظ على مناخ الكوكب ٠٠ ينبغي دفع ثمنها لاصحاب هذه المساحات وعلى الدولة الغنية التي استهلكت مواردها قبلا ، واثرت بذلك على مناخ الكوكب — وهو ملكللجميع — تعويض البلدان النامية لقاء ما تحملته من خسارة ٠ كما يجب على من لا تصلح اراضيه لزراعة وزيادة مساحات الغابات تمويل الزراعة حيث يتيسر ذلك ، فالمناطق الخضراء الجديدة تقوم بخدمة عالمية النطاق ٠

وينبغي تجاوز الطروح المبتسرة للقضية من قبيل : « ديون الدول النامية مقابل حماية البيئة » ، « ضرورة التحكم في اقراض الدول النامية بمعايير مراعاة مشاريعها للبيئة ٠٠ ينبغي تجاوز مثل هذه الطروح ذلك أن الدرس الحقيقي الذي يجب استخلاصه من الوضع الراهن هو أن المساهمة في تنمية العالم الثالث لم تعد مجرد اختيار ضمن اختيارات أخرى مطروحة ، اذ باتت مسئولية حتمية على الاغنياء لان القضية كما تتجلى من مثال حفاظ الفقراء على غاباتهم يمكن أن تصاغ دون أدنى شبهة للابتزاز : « **ايها الرجل الغني عليك ان تدفع لي وتعاونني على الخروج من مازقي لانه دون ذلك لن يكون امامي الا تدمير الغابات والموارد ٠٠ ومعها الكوكب الذي نعيش عليه** »

● مشكلة كوكبية النطاق

هكذا يجب أن تصاغ خطة حماية الارض على هدى شعور دولي بالمصلحة المشتركة ، لانه بالنسبة لغالبية المسائل المتعلقة بالبيئة فان

محاولة علاجها على مستوى هذه الدولة أو تلك محاولة عقيمة ٠٠ اذ ما الفائدة التي يجنيها بلد يعمل على خفض نسبة غاز ثاني اكسيد الكربون المنبعث داخل حدوده ، اذا كان البلد المجاور له يقابل هذا الخفض بزيادة نصيبه من نفس الغاز ؟ ٠

لقد بات على البشر وضع الارض موضع عنايتهم المركزية ، عن طريق برنامج دولي تتجمع فيه جهود مئات من المؤسسات المبعثرة ، التي تلتزم حتى الان بسياسات اقليمية قصيرة المدى ، على حساب السياسات طويلة المدى ذات الابعاد الكونية ٠

ومن الضروري اللجوء الى الوسائل الجديدة التي تتوائم مع النطاق الذي تتخذه المشكلة ، اذ يجب الاستفادة ، على نطاق واسع ، من تكنولوجيا الاستشعار عن بعد،أي دراسة الكوكب باستخدام الاقمار الصناعية ، كما ينبغي عدم استنفاد الامكانات في انشاء كيانات تنظيمية جديدة دوما لها مقار وموظفون و ٠٠ اذ ان الاجدى هو تركيز الامكانات في مشاريع تطبيقية

● **الحفاظ على التوازن**

وقبل انهاء الدراسة ينبغي الاشارة الى مسألتين الاولى تتعلق بالانفجار الاعلامي الذي يحيط بانشطة البيئة ٠ فقد اثر على هذا الانفجار أن الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة قد أسقطا الاعتبارات الايديولوجية في الحديث عن هذه المشاكل ، بل واستخدما هذا الحديث في تمرير أو تبرير سياسة الوفاق التي يرسيان أساسها ، وذلك بعد أن قررت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي : « أن تكون قضية حماية البيئة هي القضية العالمية رقم (١) بعد نزع السلاح » ٠ وبعد أن اكد جورباتشوف خلال خطابه في الامم المتحدة (ديسمبر ١٩٨٨) أنه لا يمكن تصور قيام امن اقتصادي دولي ، لا يرتبط بالقضاء على الخطر الذي يتهدد البيئة العالمية ناهيك عن نزع السلاح ٠

ويحاول الكرملين الاستفادة من هذا الموقف الى أقصى حد في مجال انتزاع موافقة الغرب على وقف سباق التسلح بدعوى انه سيعيد توجيه النفقات العسكرية للتحديث الاقتصادي المدني (بما في ذلك مراعاة العوامل البيئية)، وفي مجال اقناع الغرب بتخفيف القيود المفروضة على تصدير التكنولوجيا الى الاتحاد السوفييتي ، بدعوى أن التكنولوجيات السوفييتية قديمة الطراز ، تستهلك كميات غير عادية من الطاقة ، مما يزيد من تلوث الكرة الارضية ٠

وينبغي في النهاية التأكيد على أن كوكب الارض في حالة تغير مستمر ، منذ أن كان كتلة منصهرة من الصخر والغاز قبل ما يقرب ٤٫٥ مليار سنة، اذ تشكلت اليابسة معا ، ثم انفصلت في قارات متباعدة بعد ذلك ٠٠ وتعاقبت عليها العصور الجليدية ، والتغيرات الجيولوجية التي رفعت سلاسل الجبال من باطن المحيطات ، واخفت كتلا أرضية شاسعة تحت المياه ٠٠ ان ذلك يعني أن الارض « مخلوق حي » يتطور باستمرار ، والمطلوب اليوم ليس وقف تطور الارض أو الجنس البشري ٠٠ بل الفهم الاعمق لطبيعة التوازن الذي يربط مختلف العناصر خلال تطورها ، والعمل في سبيل الحفاظ على هذا التوازن من خلال الحركة والتنمية والتطور

رسالة لندن

مجدى نصيف

الحفاظ على البيئة

التحدى الجديد الذى يواجه اليسار واليمين !!

جماعات « الخضر » الان تكتسب اراضى جديدة ، وتنضم اليهم فئات اوسع فى المجتمعات الصناعية المتقدمة ، بعد احداث السنوات الخمس الماضية التى اكدت اقوالهم . فى المانيا الغربية دخلوا البونديستاج (البرلمان) الاتحادى والمجالس المحلية وبرلمانات عدد من الولايات ، وفى النمسا دخلوا البرلمان وحققوا انتصارات فى عدد من دول اوربا الغربية الاخرى . وهناك جماعات مماثلة فى اوربا الاشتراكية ظهر تاثيرها على وجه الخصوص بعد البيريسترويكا الجورباتشوفية .

وتسمى جماعات « الخضر » باسماء مختلفة « الخضر » و« انصار البيئة » و« أصدقاء الارض » وكلها تعبر عن نفس المعنى ، كلها تدافع عن البيئة الطبيعية التى لوثها التقدم الصناعى بلا مبالاة للحفاظ عليها .

وتجذب سياسات « الخضر » الان فئات من طبقات وثقافات مختلفة ، وهى تهز فى نفس الوقت السياسات التقليدية الراسخة للاحزاب السياسية التى تقوم برامجها على التقدم الاقتصادى والصناعى وبعد ان كانت الاحزاب اليسارية تعتبر « الخضر » حلفاء بدأت فجوة واسعة تظهر ، ذلك ان سياسات اليسار تقوم على التصنيع والدعوة الى التقدم المادى . ولم تكن هذه الاحزاب تضع فى سياساتها نقاطا محددة للحفاظ على البيئة وبذلك اصبح تقدم « الخضر »



عندما تأتى الزبالة تذهب الخضرة

يشكل تحديا بالمثل لليمين واليسار على السواء .

وينبع نمو النزعة البيئية كحركة شعبية فى الدول الصناعية المتقدمة الى شيئين .

الأول : صدمة التهديدات المهولة على مستوى العالم ، والتى تحاول هذه الحركات الاستجابة لها .

والثانى . قوة الهدف الذى تتبناه على مستوى كوكبنا الارضى .

وفى نفس الوقت تستمر التهديدات فى تشكيل وعى سكان الارض جميعا سواء من سكان العالم الصناعى ام العالم الثالث فكارثة تشيرنوبيل حولت وبطريقة صادقة الرياضيات التجريدية للمخاطر النادرة التى تتعرض لها البشرية ونقصد هنا رياضيات الفيزياء النووية المعقدة ، حولتها الى كارثة اشعاعية حقيقية ، لم تحترم سحابتها اى حدود دولية وفجأة

اصبحت قطعة اللحم (الروستو) التقليدية التى تقدم على موائد العشاء البريطانية يوم الاحد ، مرتبطة بعدم كفاءة تصميم المفاعلات النووية السوفييتية ، وادارتها . وبالمثل القى الاكتشاف الدرامى لثقب فى طبقة الاوزون ، الضوء على ماكان من قبل نزاعا حول كيمياء الكلورو فلورو كربونات CFCS هكذا القى اللوم على علبة « الايروسول » التى تستخدم يوميا لانتهاك تكامل الغلاف الجوى وتأثيراته العالية .

والجفاف المدمر الذى حدث فى الغرب الاوسط الامريكى يعطى اشارة عن امكانية انتهاك ثوابت حول المواد الغذائية حتى فى العالم المتطور الذى يتغذى جيدا ويتاجر بالحبوب سياسيا ، بسبب تغييرات الطقس ، ولقد كان مؤتمر تورنتو لعلماء البيئة ينعقد انذاك بمدينة تورنتو الكندية ووجه انذاك انظار العالم كله الى « تأثير الصوبة » والذى من نتيجته ارتفاع درجة حرارة الكرة الارضية .

وتلعب كل هذه الاحداث دورها فى التأثير على الوعى العام للناس ، لكنها تضخم من الدور « السياسى » لحركات البيئة خاصة وأن « البيئيين » قد نبهوا العالم الى مخاطر الطاقة النووية والايروسول قبل عقد كامل من حدوث الكوارث الاخيرة فى بيئة كوكبنا ، لكن الناس لم تنتبه الى ماكانوا يقولونه لان الاحزاب التقليدية كانت تدفعهم الى « هامش » الحياة السياسية انذاك بل لقد لعبت هذه الانذارات المبكرة دورها الان ، اذ قوت من الاحساس العام بتلك الكوارث وقدمت دفعة ضخمة الى الامام للخضر ، لانه ثبت « مصداقيتهم » . على ان نمو حركات « الخضر » لايمكن ارجاعها ببساطة الى قدرتهم على « التنبؤ » لكن السبب الاساسى لجاذبية الخضر ، انهم قدموا رؤية اخلاقية واجتماعية ايجابية فى عصر طغت فيه المادية والفردية على كل شىء بما فى ذلك البرامج السياسية للاحزاب ورؤية « الخضر » تضع الموضوعات الواسعة لنوعية الحياة وتكامل الطبيعة فى بؤرة اهتمامهم ، لقد تغير التعبير عن هذه النزعة الاخلاقية الى نزعة سياسية فى العقدين الاخيرين فقط ، ولعبت ثلاثة عناصر دورها فى ذلك التغيير .

الأول : بزوغ نشاطات بيئية على مستوى العالم ، تجمع بين شيئين : سياسات حديثة لجماعات الضغط فى مسائل بعينها وتبنى نظرة واضحة للعالم ، فجماعة « اصدقاء الارض » وجماعة « جرين بيس » اى « السلام الاخضر » هما جماعتان فى مقدمة انصار البيئة وهما منظمتان دوليتان ، نشاطاتهما موجهة الى المنابر الدولية التى تتعامل مثلا مع « المطر الحامضى » انها تقدم سياساتها على المستوى الدولى ولكن من « اسفل » اذا صح القول اى تتناقض بشكل ملحوظ مع بيروقراطية المنظمات الدولية ، وهى تبدو للجميع كالمثال المعاصر الاوحد لتعاون دولى ناجح ، وعلى سبيل المثال قام علماء من حركة « جرين بيس » الى المكان الذى تصطاد فيه السفن اليابانية الحيتان ، وفضحتها من الناحية العلمية

على اساس انها تقوم بصيدها لاغراض تجارية وليس لاغراض علمية كما تنص الاتفاقيات الدولية وهكذا .

والثاني : دور وسائل الاعلام التي وجهت الانتباه بشدة الى مشاكل البيئة وخطورتها على الجنس البشري - الصحف اليومية تناقشها بصراحة والمجلات الاسبوعية مجلة تايم الامريكية خصصت عدد رأس السنة ١٩٨٩ ، وجعلت موضوع الغلاف « الارض المتعبة » لكن اهم الوسائل الجماهيرية هو التليفزيون دون شك وبرامجه المؤثرة في بريطانيا هناك برامج « الطبيعة » و « عالم الحيوان » و « البيئة » و « الايكولوجيا » وحتى البرامج الجماهيرية المتخصصة مثل « بانوراما » و « وورلد ان اكشان » (اى العالم يتفاعل) تخصص اعدادا منها لمناقشة عدد من مشاكل البيئة انها كلها سياسات « الخضر » وبرامجهم تتحرك من الهامش الى « التيار الرئيسي » .

والثالث : هو بروغ احزاب للخضر وفي بعض البلاد الاوربية مثل المانيا الغربية ، لهم تمثيل برلماني فعلي مؤثر ولذلك مغزى مزدوج فالتحول من جماعات ضغط الى حزب سياسي هو تحول للنفوذ السياسي من شكل غير مباشر الى شكل مباشر هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى يشير هذا الى اتساع الفلسفة وتماسكها ، وهذان عاملان يعطيان استمرارية لشكل الاحزاب السياسية . لقد نشأت بعض مشاكل من التحول من سياسات خارج التيار الرئيسي الى سياسات داخل التيار الرئيسي والاطار العام للسياسات من بينها الصراع الذي نشأ بين الواقعيين والمبدئيين داخل حزب « الخضر » في المانيا الغربية . وهي مشكلة ابدية استراتيجية بالنسبة للخضر كما هي بالنسبة لاى تجمع سياسي في مرحلة تحول . فالى اى درجة يمكن الجمع فيها بين انصاف الحلول الشرعية وبين الالتزام المبدئي بالاهداف الراديكالية التي تعلنها سياسات البيئة .

وعندما تشابكت هذه العناصر الثلاث ، اصبحت مشاكل البيئة على راس قائمة البرامج السياسية لدرجة ان بعض الاحزاب المحافظة العريقة في محافظتها اعلنت عن تبنيها لحل مشاكل البيئة السيدة مرجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا اعلنت - على سبيل المثال - في اواخر عام ١٩٨٩ عن نية حكومتها في التعاون مع حكومات دول « السوق الاوربية المشتركة » لحل مشاكل البيئة . بل امست مشاكل البيئة تحدد مصير حكومات اوربية . عندما تم استفتاء في النمسا حول الاعتماد على الطاقة النووية . وهكذا بدأت تلك المشاكل تظهر في الحسابات السياسية الروتينية .

والسؤال اين نحن من هذا كله ؟

لا احد يستطيع ان يقول اننا بعيدون عن الموضوع فالكوارث البيئية تؤثر على جميع سكان الكرة الارضية ولدينا خطة لتوليد الكهرباء من محطات طاقة نووية . والنفايات السامة للدول الصناعية تدفن على مرمى حجر منا ، والاحزاب السياسية لا تضع في برنامجها اى نقطة خاصة بالبيئة .

او ليس كل مايحدث حولنا ، يدق ناقوس الخطر ؟

الحلم .. التنبؤ .. الواقع

بقلم : محمود قاسم



لا شـــك ان الادباء والفنانين قد ســبقوا العلماء ، والبشر جميعا فى التنبؤ بما يمكن ان تحققه البشرية من مكاسب وخسارات فى المستقبل . سواء القريب منه او البعيد

وان الأدباء ظلوا يتطلعون الى أغوار الكون من حولهم يستشفون من آفاقه مالم يستطع احد أن يتوصل اليه من قبلهم ، حيث راحوا يحذرون بما يمكن ان يأتى به البشر لانفسهم من ويلات متعددة الأشكال خاصة بشأن ما يمكن أن يصيب البسيطة من تلوث .

ولم يهتم الادباء بالتركيز على التلوث البيئى المحدود الذى يمكن أن يأتى فقط من ثقب فى طبقة الاوزون الهشة التى تحيط بكوكب الارض ، بل راحوا يعددون ما يمكن أن يحدثه البشر من تلوث اكثر خطرا ، الا وهو التلوث النـــووى الذى سيأتى ، حتما ، على كل صروح الحضارة الانسانية .

وفى القرن العشرين برز العديد من أبناء الخيـــال السياسى الذين اهتموا بتأسيس كافة مظاهر الحياة ووضعوا أعينهم فى المقام الاول على خطر التفجيرات النووية المستقبلية التى سيأتى بها حاكم فى منتهى الجنون الرعونة .. أو لعله سيكون فى غاية الحكمة والتعقل ..

وفى دراسة عن الخيال العلمى نشرتها مجلة اكران ــ يوليو ١٩٧٧ ــ يقول رولان لاكورب ان نهاية العالم قبل عام ١٩٥٠ كان يمكن حدوثها عن حادث كونى غير محتمل رياضيا قبل عدة ملايين من السنين · الا أنه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية أصبحت فكرة نهاية العالم قريبة جدا من اذهان البشر · وبدأت هيروشيما تسيطر على



عندما تحولت نيويورك الى مدينة ملوثة بالسكان فى فيلم « سويلنت الاخضر » بطولة شارلتون هستو

الأذهان • ولم تعد نهاية العالم تأتى الان الا بسببكارثة تلوث•سواءنووى او اشعاعى • خاصة ان العالم يتطور، يوميا ، نوويا • على صورة متوالية هندسية • ويزداد الصراع على ملكية الاسلحة الاشد تدميرا فى العالم كله• ويصبح الاغبياء هم الاقل ملكية لهذه الاسلحة • فقد وعى الناس ، اليوم ، فجأة بخطر أكثر توقعا • الا وهو التلوث ، والمجاعات ، والانفجار السكانى • ومن الان فصاعدا سوف يتصارع الناس على قطعة أرض لاتزال قابلة للزراعة ••

● انه قادم •• لا محالة

ويمكن ايجاز مجموعة من السمات العامة البارزة فيما يتعلق بالروايات المكتوبة حول خطر التلوث ، بشتى انواعه ، فى عدة نقاط منها :

● لان التلوث قضية انسانية عامة فى المقام الاول • فقد أرقت الادباء فى جميع انحاء العالم • وراحوا يبدعون رواياتهم عن مخاطر التلوث • فهناك من الولايات المتحدة مثلا كيرت فنجوت وهارى هاريسون • ومن مصر صبرى موسى ونهاد شريف • ومن فرنسا بيير بول • ومرجريت دوراس • ومن بولندا ستانسلاف ليم • وغيرهم من الادباء فى شتى انحاء البسيطة ••

● التلوث أمر واقع لا محالة • سواء بأشكاله المحدودة البسيطة



الحلم.. التنبؤ.. الواقع

التى يمكن تداركها وعلاجها مثل ثقب فى منطقة الاوزون · أو الناتج عن مخلفات الحضارة الحديثة · وانتهاء بالتلوث الاشعاعى النووى الناتج عن انفجار قنابل الكوبالت ·

وهذا النوع الاخير من التلوث ، فى رأى أدباء الخيال السياسى ، حادث لا محالة ، مهما حاولت البشرية تفادى حدوثه · فالعالم فى منظورهم يسبح فوق بركان من المخزون النووى الذى لا يمكن التخلص منه الا بانفجاره · والمسألة تتعلق بالتوقيت الزمنى فيما يتعلق بهذا الانفجار · فقد راح بعض الادباء يتصورونه قريبا كحبل الوريد ·· وراح البعض الاخر يؤجله الى قرن قادم ·· أو الى قرون بعيدة للغاية ··

● التلوث فى منظور الادباء مشروع انسانى مضاد للحضارة ·· أى أنه من صنع البشر الذين صنعوا التقدم · وكلما تقدمت البشرية فى عطائها زاد ، معدل التلوث · والانسان هو الذى يجنى ثمار صنيعه ·· أما الكائنات الارضية الاخرى ، فسوف تدفع بالتالى ثمن غباء الانسان فيما صنعه للبيئة بحضارته ذات الحدين · ولعل أشهر رواية فى هذا المضمار هى « سويلنت الاخضر » التى كتبها هارى هاريسون فى أواخر الستينيات · وأخرجها ريتشارد فلاشر للسينما عام ١٩٧٣ وقام ببطولتها شارلتون هيستون ·· وفيها يتصور المؤلف مدينة نيويورك عام ١٩٩٩ وقد زحمت بسكان وصل عددهم الى أربعين مليون نسمة · مما أدى الى اصابة المدينة بتلوث لابراء منه ·· فانعدمت الخضرة والمزروعات · وتكدس الناس فى الشوارع · مما يدفع بالسلطات أن تصنع الطعام المسمى « سويلنت الاخضر » من أجساد الموتى ·

والتلوث فى هذه الرواية ناتج فى محيط الارض ، أى انه ليس نوويا ، ولا شك أن التكدس السكانى وانعدام المساحات الخضراء كان السبب الرئيسى فى نهاية العالم عند هاريسون ، لذا عاش الناس فى رعب حقيقى وهم يتغاضون عن حقيقة الاطعمة الغريبة التى يأكلونها ·

● بلاد السبانخ .. غير ملوثة

● وتجىء أهمية التركيز على ما أصاب العالم من تلوث بيئى ونووى ، من خلال النتائج التى يحدثها هذا التلوث على البشرية · فاذا كانت الحرب النووية كفيلة بالقضاء على ملايين البشر · لكن الخطر الاشد تأثيرا يبدو ماثلا فى هؤلاء الذين اختارتهم الحياة للبقاء بعد الحرب · وهؤلاء البشر كما صورهم الادباء مشوهون ، غالبا فى أجسادهم وأرواحهم ونسلهم ، بتشوهات لابراء منها مثلما حدث لابطال رواية « هيروشيما حبى » لمرجريت دوراس التى تناولت فيها وقائع أسرة يابانية عقب انفجار هيروشيما الذرى ·

ومن النماذج الهامة فى هذا المضمار رواية « السيد من حقل السبانخ » لصبرى موسى التى تدور احداثها فى القرن الرابع والعشرين ، وفى تلك الاونة فان تلوثا بشعا يكون قد أصاب أمنا الارض عقب اندلاع حرب نووية ·· ويكون من المستحيل ، بالمرة ، اقامة

أى شكل من اشكال الحياة فوق هذا الكوكب .. ويبدو هذا الامر واضحا فى الفصول الاخيرة من الرواية بعد أن يخرج بعض المتمردين من بلاد حقول السبانخ الى كوكب الارض فيكتشفون الكارثة المهيبة التى حاقت بالارض .

وفى رواية «مالفيل» للكاتب الفرنسى روبير ميرل يتصور أن توحشا خاصا يصيب البشرية عقب الحروب النووية، وتتصارع مجموعتان ادميتان من أجل امتلاك قطعة صغيرة من الارض لم يصبها التلوث بعد .. فيكون الصراع دمويا وتتسال الدماء بغزارة فوق الارض التى لم تتلوث .. مما يجىء على اخر حلم فى حياة البشر ..

● رغم أن مشكلة التلوث عالمية ومملوكة للبشر أجمعين فان بعض الكتاب قد حاول استغلال ايدولوجيته السياسية والفكرية من أجل التأكيد على بقاء ابناء عشيرته وحدهم بعد أن يأتى التلوث على العالم . ومن أبرز هذه الامثلة رواية « كرم الله » للكاتب اليهودى الامريكى برنارد مالامود .. وفيها يتصور أن التلوث الاشعاعى قد أتى على العالم . وأن الله قد غضب على عباده . فأبادهم تماما عدا شخصا واحدا .. يستطيع أن يختبىء وحتى تنتهى حالة التلوث فيسبح الى احدى الجزر الطوبوية وهناك يلتقى بالعديد من القرود .. فيصادقهم . ويلقنهم مبادىء الديانة اليهودية كما يطلق على القرود أسماء يهودية مثل ايصار ، واسترهازى . ويحاول اقامة حياة جديدة .. الا أنه يفاجأ انه فى الجيل الاول بين سلالات الغوريللا يقتل ذكر الغوريللا أخاه من أجل انثى .. وعندما يواريه التراب ينشد بعض التراتيم اليهودية . وهنا يشعر البطل كوهين أن كرم الله قد حل يا بشر من خلاله بعد أن لعنهم وجعلهم يدمرون العالم ويلوثونه ..

● لا نجاه لاحد فى الكون

هذه بعض من السمات العامة للروايات التى اهتمت بمسألة التلوث الجوى والكونى الذى يمكن ان يصيب العالم ، ولعل بعضه قد اصابه بالفعل، مما يعكس مدى الهموم التى يحملها الكاتب على كواهله من أجل تحذير العالم بما يمكن ان يأتى به اليوم وغدا ..

وقد اتفق اغلب الادباء فى رواياتهم، وأيضا فى الافلام الكثيرة المأخوذة عن هذه الروايات ، أن التهديدات التى تتجمع فى الافق ، هى من الضخامة بحيث لا يمكن لمبدأ القومية الذى عفا عليه الزمن ، كما يقول رولان لاكورب ، أن ينتصر عليها بسبب ضيق افق هذا المبدأ . ويرى الكتاب أن أهم هذه التهديدات تتمثل فى تلوث البيئة وسوء استخدام الاراضى الزراعية والمساحات الخضراء فى شمال العالم والقارة الامريكية . بالاضافة الى نقص متوقع فى مياه الشرب . والاكسجين الذى يتنفس به البشر . ولن يكون أحد فى مأمن من الاوبئة التى ستنجم بالضرورة عن نقص الوسائل الصحية .

الجدير بالذكر انه اذا كان قراء مجلة تايم قد أصابهم الانبهار حين خصصت المجلة عددا خاصا عن تلوث الارض فى أواخر العام الماضى . فان قراء أدب الخيال السياسى قد سبقوا قراء التايم بعدة سنوات ، لان كتاب هذا النوع قد نجحوا فى نقل مخاوفهم الى العالم .. وهكذا فان أهمية الادب انه عين ناظرة الى الغد بتدقيق شديد يجعل من الحلم الوردى كابوسا .. ومن التنبؤ واقعا لا يمكن احتمال جرائره .



المسئول عن



في السادس والعشرين من ابريل عام ١٩٨٦ وقعت حادثة نووية بالوحدة الرابعة من محطة تشيرنوبيل النووية بالاتحاد السوفييتي ، وبعد مرور عامين - وفي السابع والعشرين من شهر ابريل عام ١٩٨٨ - اقدم العالم الذرى السوفييتي " فاليرى ليجاسوف " على الانتحار لاصابته بحالة اكتئاب شديد بسبب الحادث تاركا خلفه مذكرات يروى فيها قصة الحادث كما عايشها كعضو في اللجنة الحكومية التي اشرفت على احتواء آثار الحادث . لقد قامت جريدة البرافدا السوفييتية بنشر هذه المذكرات وتمت ترجمتها الى العديد من لغات العالم ونحن ننقلها الى العربية من مجلة " نيوكلينكس ويك " الدولية لتكون تحت ايدى من يرغبون الوقوف على ملاحظات هذا العالم الفذ كما رواها .

كارثة تشيرنوبيل

انفجرت وتركت هذه المذكرات

بقلم: د. ابراهيم العسيري

● يقول ليجاسوف في مذكراته « حدثت مأساة تشير نوبيل صباح السبت ٢٦ ابريل وقد اخبرت صباح ذلك اليوم بما يفيد وقوع حادث فى المحطة النووية يتضمن تسربا اشعاعيا وحرائق واحتمال حدوث انفجار · كما علمت بتشكيل لجنة حكومية منوطة بالاشراف على احتواء آثار الحادثة وكنت أحد أعضائها وعلى الفور توجهت الى منزلى ومنه الى المطار حيث اقلتنى الطائرة الى مطار مدينة كييف ـ ومن المطار تحركنا بالسيارات الى موقع الحادث » · ويضيف ليجاسوف :

● انعدام التنسيق

« لقد بدا الاحساس بالخطر فى مدينة بريبيات ـ حيث اخبرنا القادة المحليون بانه واثناء اجراء اختبار (غير رسمى) لوظائف المولدات التوربينية بالوحدة الرابعة من المحطة النووية حدث انفجاران احدهما تلو الاخر ـ وتدمر مبنى المفاعل وتعرض مئات الناس للاشعاع · واخبرنا ايضا المسئولون بموقع المحطة بوفاة شخصين ونقل المئات الى مستشفيات المدينة ، وان المستوى الاشعاعى بالوحدة الرابعة ينذر بالخطر اما بالنسبة لمستوى الاشعاع بمدينة بريبيات فهو اعلى من المستوى الطبيعى غير انه لم يصل الى درجة وجود خطر حقيقى على السكان بعد · مجموعة كان عليها عبء القيام بقياسات معينة للوقوف على التاثيرات الناجمة عن الحادث · وفى الطريق الى المحطة · وعلى بعد حوالى عشرة كيلو مترات ، شاهدنا وهجا وبدت المحطة وكانها مصنع كيماوى يعتليه وهج هائل · ومنذ اللحظة الاولى

المسئول عن كارثة تشرنوبل



بات واضحـــا افتقاد التنسيق بل وانعدامه بين ادارة المحطــة ومسئولى وزارة كهرباء ـ التابع لها المفاعل ـ الذين كانوا موجودين بالموقع . غير انه من الناحية الاخرى قد تصرف كل افراد الجانبين بكل شجاعة فقد ظلت اطقم تشغيل الوحدات النووية الاولى والثانية والثالثة باماكن عملهم ، مع العلم بأن الوحدة الثالثة تقع فى نفس مبنى الوحــدة الرابعة . خلاصة القول : انه وحتى مساء يوم ٢٦ ابريل ، موعد وصول اللجنة المركزية ، لم تكن هناك خطة بشأن كيفية التصرف حيال مثل هـذه المواقف .

« بداية الاوامر كانت للوحـدة الثالثة بوقف المفاعل وتبريده كاجراء اولى مع استمرار العمل بالوحدتين الاولى والثانية . تلا ذلك استدعاء فـرق المكافحة الكيماوية ووحدات الهليكوبتر والبدء فى اجراء عمليات الاستطلاع والفحص الخارجى للوحدة الرابعة . وظهر جليا ومن الطلعـة الاولى أن المفاعل قد دمر باكمله مع تناثر قطع الجرافيت فى أرجـاء المكان » .

ويستمر ليجاسوف فى قوله« كانت المشكلة الاولى التى اقلقتنا جميعــا هى استمرار انطلاق نواتج التفـاعل النووى . وفى سبيل اخماد النيـران ومكافحة انتشـارها . تمكن رجـال الاطفاء من احتواء النيران ومنـع انتشـارها أو وصـولها الى مبنى التوربينات المحتوىعلى كمية كبيرة من الزيـت والهيدروجين والتى كـان اشتعالها كفيلا بتدمير الوحدة الثالثة ايضا . لقد تعـرض رجـال الاطفاء لجرعات عاليــة من الاشعاع نظـرا لاتخاذهم مواقع معينة . **وحقيقة الامر ان رجال الاطفاء لم يقوموا بعمـل بطولى فقط بل اتسم اداؤهم بالذكاء والفعـالية وذلك بتطبيقهم المقـاييس الدقيقة لمكافحةالنيران واحتوائها ومنع انتشارها** » .

« لقد كانت المشكلة الثانية بالغـة التعقيد ، وهى البحث عن حلول غير تقليدية لمواجهة انبعاث السـحابة المشعة من فوهة الوحدة المدمرة حيث كان الجرافيت الملوث بالمواد المشـعة مازال يحترق فىضوء عدمتوافر المواد والمعدات الصـالحة لاخماد حـريق الجرافيت بالاضافة الى انه لا يمكن اجراء عمليات فعالة الا مـن الجو فقط . وتم التوصـل الى اسـتخدام عنصرى الرصـاص والدولـوميت كمثبتات للحرارة » .

« كانت المشكلة الثـالثة والاكثر أهمية هى اخلاء مدينة بريبيات. وفى خلال ثلاث ساعات من صباح ٢٧أبريل تم تدبير وتجميع وسائل الانتقـال وتحديد مسـاراتها وسارت عمـلية الاجلاء بمنتهى الدقة والانضـباط ووافقت اللجنة على استخدام السكان لسياراتهم الخاصة .. ولم يكن هذا سليما لتلوث بعض هذه السيارات ، غير ان عملية الاجلاء تمت فى الوقت الذى كان فيـه معـدل التلوث مازال منخفضا ، وظهر فيما بعد عدم اصـابة أى من أفراد المدينـة البالغ عددهم خمسين الفا باصابات صحية خطيرة .

ولكن الذى ينبغى فعله فى مثل هـذه الحالات من تخطيط وتنظيم العمل هو ما لم يتوافر لدى أى من العاملين

بالمحطة أو مندوبي وزارة الكهرباء .

« خلال الايام الاولى كانت هناك فوضى وارتباك شديدان ولم يكن متوفرا كميات كافية من اقنعة التنفس الواقية أو من أجهزة قياس الاشعاع التى يستعملها الافراد عادة ، ولم تكن المحطة مزودة بأجهزة قياس خارجية لرصد الاشعاع اتوماتيكيا كما لم تتوافر طائرات موجهة لاسلكيا ومزودة بأجهزة رصد وقياس الاشعة . لقد حدث بالفعل تلوث لمباني مدينة بريبيات ولم تراع القواعد الصحية الواجب اتباعها في مثل هذه الحالات . واعتمدت اللجنة أساسا على رأى الخبراء ولهذا سار عمل المجموعة منظما ومنسقا مثله مثل أى مجموعة علمية » .

« لقد أدت القواعد الجوية ومجموعات الهليكوبتر مهامها بكفاءة عالية وكان عملهم مثلا للتنظيم الراقي والاستهانة بكل الاخطار ، لقد شارك الضباط في تحميل أكياس الرمل في الطائرات ثم الطيران بها والقائها على المفاعل ثم العودة مرة أخرى مكررين نفس العمل . وتم القاء مئات الاطنان من المواد على قلب المفاعل حتى تم وقفه عمليا يوم ٢ مايو . ولم يكن هناك منشور واحد متوافر يمكن توزيعه وبشكل سريع على الجمهور كي يشرح لهم كيفية التصرف في مثل هذه الحالات

اتهام صريح

وعن صناعة الطاقة النووية وكيف عايشها وكيف رآها يقول « ان ما حدث في تشير نوبيل لم يكن من قبيل المصادفات البحتة بل ان المأساة تكمن في الخلفيات التى تراكمت وأدت في النهاية الى ما حدث . لقد كنا نرى ما يحدث كحلقات منفصلة لمسلسل واحد لم تكتمل صورته الا بعد تشيرنوبيل . اننى اتهم السياسات الاقتصادية غير الصحيحة والمطبقة في بلادنا منذ عشرات السنين بأنها كانت وراء ما حدث . لقد كان واضحا وضوح النهار تخلف معداتنا عن المعدات الغربية وكنا نعلم أن نظم الامان والوقاية بالمفاعل بها عيوب . ان في المفاعلات من طراز مفاعل تشيرنوبيل يمكن للقائم بالتشغيل ــ وحده ــ تحريك قضبان التحكم لحالات الطوارىء سواء كان ذلك يدويا أو اتوماتيكيا . ويمكن للالات ان تعمل بعد ذلك بكفاءة أو بقصور ، فلم تكن هناك أجهزة أمان مستقلة . لقد قدم المتخصصون اقتراحات عدة بشأن تعديل هذه النظم . وهذه الاقتراحات لم ترفض بل طورت ببطء شديد جدا ، ويستمر ليجاسوف في قوله « انه وعلى مدى عشر سنوات ومن خلال مناقشات عديدة ظهرت الحاجة الملحة الى اقامة المماثلات وتزويد المحطات بأجهزة خدمة وتشخيص ولكن شيئا من ذلك لم يحدث . لقد بدت المحطات ــ في بادىء الامر ــ بالفعل في وضع يمكن الاعتماد عليه ، وانها تعمل بأمان في تلك الايدى الماهرة والمدربة وكنا مقتنعين بأن مسائل الامان يمكن حلها بشكل قاطع اعتمادا على مهارة ودقة التعليمات لدى العاملين غير أننا في الآونة الاخيرة بدأنا نشعر بالقلق بشأن مستوى تدريب وخبرة أطقم العاملين بالمحطات النووية . **ان الصناعة النووية تحتاج الى عمالة مدربة يتسم أداؤها بالدقة والحذر حيث ان اى عمل غير متقن (وتحت دعاوى الانتاج) قد يؤدى الى حوادث**

المسئول عن كارثة تشرنوبل

لا تحمد عقباها » .

« لقد صاحب انشاء المزيد من المنشآت النووية زيادة العمالة التي ليس لها صلة مباشرة بهندسة الطاقة النووية . لقد بدأت قوة المنظمات العلمية في الاضمحلال وتقدمت اعمار العاملين وأصبح ايقاع العمل روتينيا .

« لقد أدى هذا الازدواج الى غياب تحديد المسئولية وشيوع المسئوليات وافتقار النظام الى عدم التحديد الدقيق لمسئوليات كل عامل .

● خطأ فادح

ويستمر ليجاسوف قائلا « وعلى الرغم من العلم بمساوىء نظام التحكم في المفاعل ، فانه لم يتم تطوير هذا النظام .. قد تم تخطيط تجربة المفاعل واجراؤها باهمال شديد وبطريقة غير محكمة ولم يسبقها اى تحليل عن احتمالات الاخطار التى يمكن حدوثها لقد ارتكب المشتغلون خطأ فادحا عندما أصروا على استكمال التجربة رغم كل المؤشرات والقواعد التى تلزمهم بالتوقف عن التجربة وضرورة وقف المفاعل . غير انه فى النهاية يجب عدم القاء اللوم على عاتق المشغل وحده فهناك من وضع البرنامج وشطب جزءا منه ، وهناك من وقع على البرنامج ، وهناك شخص ثالث لم ينظم هذا البرنامج . كما كان موجودا بالمحطة ممثلون عن اللجنة الخاصة بالاشراف على امان المحطات النووية غير انهم لم يكونوا على علم بالتجربة المزمع تنفيذها ، تلك كانت الحال ليلة الحادث .

هذه هى مذكرات العالم السوفييتى ليجاسوف عن الحادث وهى توضح بجلاء ان حادثة هذا المفاعل المروعة كانت نتيجة اسباب ادت الى هذه النتيجة الحتمية . وهى :

ـ قصور عوامل الامان فى تصميم هذا النوع من المفاعلات .

ـ قصور قواعد أمان تشغيله .

ـ قصور المشغلين فى الالتزام بقواعد التشغيل وتطبيق قواعد الامان .

ـ قصور التدريب على التشغيل الكفء للمفاعلات .

ـ لا معقولية تصرفات المشغلين وثقتهم المبالغة فى أنفسهم وأصرارهم على استمرار تشغيل المفاعل رغم المحاذير التى وضحت تماما لهم والتى كانت تستلزم منهم وقف المفاعل .

ـ قصور برامج ودراسات اطفاء حرائق الجرافيت فى المفاعلات وعدم توافر خطط الطوارىء الاشعاعية والتعامل مع حوادث المفاعلات النووية والتسرب الاشعاعى .

● آثار صحية طفيفة

أما عن آثار الحادث الصحية فقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك التهويل الكبير لآثار الحادث حتى صوره البعض وكأنه نهاية لحياة البشر فوق كوكبنا لقد توفى من جراء الحادث ٣١ شخصا معظمهم من رجال اطفاء الحريق . وأعلن فى الاتحاد السوفييتى أن جميع المواليد خلال عام من وقوع الحادث بصحة تامة . أما عن توقعات الاصابة بالسرطان بسبب تسرب المواد المشعة

للبيئـــة الخـــــارجية ، فقد أعلنت اللجنة الاوربية ، توقعـــات نســـبة حالات الاصابة بالسرطان نتيجة لاثار حادث مفاعل تشيرنوبيل الى حـــالات الاصابة بالسرطان نتيجة التعــرض للمصادر الطبيعية والطبية للاشعاعات وغيرها من عوامل تلوث البيئة تمثل هذه النسبة واحدا الى عشرين الفا . وذلك خلال ســـبعين عاما من وقوع الحادث . وهذا يوضـح تفاهة آثـــار حادث تشيرنوبيل البعيدة المدى عـلى صحة الانسان .

ونختم حديثنا بخبرين لهما دلالتهما وهما :

ـ المطالبة فى اجتماعات الجمعيــة العامة للامم المتحـــدة فى ٢٧ اكتوبر ١٩٨٨ بزيــادة الاعتمــاد على الطاقة النووية كوسيلة فعالة للحد من الامطار الحمضية وتلوث البيئة نتيجة انبعاثات غازات اكاسيد الكربون والكبريت من محطات الفحم لانتاج الطاقة مما يؤدى الى الارتفاع المستمر فى درجة حرارة الغلاف الجوى .

ـ شهد عام ١٩٨٨ تشغيل ١٢ وحدة نووية جديدة لانتاج الكهرباء ليصـل عدد الوحدات النووية الشغالة عـــلى مستوى العالم لانتاج الكهـرباء ٤٢٨ وحدة نووية بالاضافة الى١٠٩وحدات نووية تحت الانشاء .

كما بلغت نسبة مساهمة الطـــاقة النووية فى انتاج الكهرباء على مستوى العالم اكثر من ١٦٪ وتتراوح فى بعض الدول بين ٥٠٪ ، ٨٠٪ ، جاء ذلك فى البيانات الاولية الواردة من الوكـــالة الدولية للطاقة الذرية عن الفـــاعلات النووية الشغالة والتى تحت الانشـاء



كانوا يعلمون مساوىء المفاعل . ولم يتم تطويره

وطبقا للاحصائيات حتى نهاية عـام ١٩٨٨ .

من ذلك يتضح جليا خصوصية حادث مفاعل تشيرنوبيل وان سحابة التهويل من اثار الحادث الصحية قد انقشعت واتضح للعالم تماما المبـالغة الكبيرة التى تم بها تناول الحادث ، وبات العالم كله مقتنعا تماما بأهمـــية الدور الذى تلعبه الطاقة النووية فى انتاج الكهرباء وهو ما يتضح جليا من التزايد المستمر فى الاعتماد عـــلى الطاقة النووية فى تغطية احتياجات العالم الكهربية نظرا لمزايـاها الاقتصادية والبيئية ومزايـا امان تشغيلها .

البيئة المصرية

هى الخزان الأعظم للثروة

ماذا أعدت مصر لحماية البيئة من التلوث ؟

إن ضرورة الوصول الى توازن متطور لعناصر صحة البيئة تنطبق على حالتنا فى مصر ، أكثر مما تنطبق على أحد فى عالمنا ، إذا اخذنا بعين الاعتبار مستوى الوعى بالمشكلة البيئية التى تهددنا ، والامكانات المكرسة لمواجهتها !

ماهى المخاطر البيئية التى تواجهها مصر ؟ وماهى الجهود المبذولة فى التصدى لهذه المخاطر ؟ والأهم ماهو الصدى الذى نراه لهذه الجهود فى الشارع المصرى ؟ ..

البيئة - وحمايتها - ليست مفهوما تجريديا .. فهى فى نهاية المطاف المياه التى نشربها ونأكل احياءها ، والهواء الذى نتنفسه ، والتربة التى تغذى ما نتغذى به ، كما انها درجة الضوضاء التى تمكنا - او تعوقنا - عن العمل المثمر وتسهم فى تحديد مستوى صحتنا النفسية والعضوية فى نهاية المطاف .. ذلك بالاضافة إلى المظاهر الجمالية التى تحيط بنا والمساحات الخضراء و ...

وتتعرض البيئة لمتغيرات سريعة وشديدة الاثر على الحياة ككل ، وعلى الانسان بصفة خاصة ، بالذات منذ ظهور الحركة الصناعية وانتشار ظاهرة الانفجار السكانى و ...

● مشاكل البيئة

وتتمثل اهم مشكلات البيئة فى مصر فى زيادة درجة التركيز السكانى بوادى النيل

والدلتا ، مع قلة استصلاح الأراضي ، الامر الذي أدى إلى تناقص الأراضي الزراعية في مواجهة التوسع العمراني والحضاري . وبسبب التركيز السكاني - مع الأسباب التي سنذكرها بعد - ازداد حجم ونوع المخلفات (الصلبة والسائلة والغازية) الواجب التخلص منها ، وبدرجة تزيد على الطاقة الاستيعابية للبيئة ، وعلى وسائل التخلص من هذه المخلفات ومعالجتها .

ويتسبب ذلك في مشاكل صحية فالمخلفات مصدر لنقل وانتشار الامراض المعدية ، وهي أكبر مصادر تلويث المجاري المائية : «مياه الشرب» . كما ان عدم القدرة على التخلص منها يتسبب في العديد من مظاهر الانتكاس الاقتصادي وعدم القدرة على استيعاب الامكانات الاقتصادية والاستثمارية المتاحة ، بالطريقة المثلى . وذلك بالاضافة إلى المشاكل الاجتماعية التي تتمثل في مشاعر السخط والقلق على الصحة العامة ، ناهيك عن قلة فرص الاستمتاع بالقيم الجمالية والحضارية المختلفة ..

ولعل المشكلة الثانية من مشاكل مصر البيئية هي عدم توافر الدراسات المتكاملة عن الآثار البيئية لمعظم المشروعات التنموية ، في مجالات التصنيع والاسكان واستصلاح الاراضي والطاقة ، مع غياب التشريعات التي تفرض ذلك ، او عدم القدرة على تنفيذها (إن وجدت) .

والتجاوزات في هذا الصدد لا تقتصر على غياب الاعتبارات البيئية في التخطيط العمراني للمناطق السكنية وفي تصميم الوحدات السكنية ذاتها ، بل تمتد إلى عدم المواءمة بين الأوضاع البيئية والعوامل الاجتماعية ، وعدم وجود معايير - على سبيل المثال - للفصل بين المناطق السكنية ، وغيرها من المناطق السياحية والصناعية (الاسكان الشعبي حول القاهرة مثلا) وهو ما ادى إلى قيام العديد من المشروعات الكبرى ، في مناطق مكتظة بالسكان ، مما ارهق شبكات الصرف الصحي ، وغيرها من المرافق ، وزاد من احتمالات تلوثها بالمخلفات الصناعية (منطقة حلوان مثلا) ..

ويمكن ان نذكر في عداد مشاكل البيئة المصرية تلوث المياه الاقليمية ، في كل من البحر المتوسط والبحر الأحمر ، بسبب زيادة حركة الملاحة البحرية ، وعمليات استخراج ونقل النفط ، بالاضافة إلى استخدام مياه البحر والبحيرات ، كمصرف للتخلص من المخلفات السائلة للتجمعات السكانية . وفي هذا المجال تبرز ايضا مشكلة ارتفاع درجة تلوث مجرى النيل ، في الريف والحضر ، بسبب نقص إمكانات شبكة الصرف الصحي عن استيعاب المخلفات السائلة ..

وهناك ايضا مشكلة تعرض التربة الزراعية للتلوث بسبب عدم فعالية استخدام المخصبات الكيميائية والمبيدات الحشرية .. كما أن هناك زيادة مطردة في الاستخدامات السلمية للاشعاعات المؤينة والنووية ، وانتشارا للضوضاء ، بما تسببه من ضغوط على الحالتين النفسية والصحية للانسان ، بسبب التوسع في استخدام تكنولوجيا الاتصالات في الحياة اليومية ، ويتساوى في التعرض لهذه الظاهرة كل من سكان الريف والحضر ..

● انشطة حماية البيئة

ولاشك في ان موضوع البيئة موضوع متشابك تتعدد فيه الجوانب ، وتتطلب حماية البيئة مواجهة مختلف الجوانب بصورة شاملة ومستمرة .. وقد ادى ذلك إلى تزايد الاهتمام في السنوات الاخيرة بموضوع حماية البيئة .

وقد تبلورت الجهود المصرية في خطة قومية للبيئة ، وخطط خمسية وسياسات وبرامج تنفيذية سنوية لهذه الخطط ،



البيئة المصرية

يشارك في اعدادها الخبراء المتخصصون من أساتذة الجامعات والمركز القومي للبحوث والوزارات المختلفة ، بإشراف اكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا وذلك ناهيك عن انشطة مجلس بحوث البيئة ، والشعب الفرعية التي تشكلت في إطاره ..

وقد تطرقت مخططات الأنشطة البيئية الى مختلف الجوانب فشملت :

- الأنشطة التنفيذية والادارية .
- عمليات الرصد والقياس والتقويم .
- البحوث والدراسات العلمية والتكنولوجية والاجتماعية والاقتصادية
- التعليم والتدريب (تطوير القوى العاملة)
- الاعلام والوعي البيئي .

وعمت هذه الأنشطة على مجالات هامة وحيوية مثل :

- حماية نهر النيل من التلوث .
- حماية الشواطيء المصرية .
- حماية البيئة المائية والثروة السمكية من أخطار التلوث
- تلوث الهواء .
- الضوضاء .
- المحافظة على التربة الزراعية وحمايتها من التبوير والتجريف .
- تلوث الأماكن العامة بالقمامة والاتربة .
- حماية الريف من التلوث بالمبيدات والاسمدة .
- المحميات الطبيعية .
- حماية الشواطيء من البحر
- تامين المواطنين من الانشطة النووية والمواد المشعة

● فعالية الانشطة البيئية

وكما هو واضح فإن دائرة التخطيطات تشمل معظم مشاكل البيئة المصرية لكن الفيصل في نهاية المطاف ليس التخطيط او الاهتمام بانشطة البيئة ، كانشطة في حد ذاتها ، وانما بالنتائج الملموسة التي يمكن ان يلمسها ويحسها المواطن العادى ، والاتجاه الذي تتخذه المشاكل في ارض الواقع . وهل تتحرك في اتجاه الحل أم في اتجاه التفاقم والتعقيد .

وقد يروق للبعض وهو يتحدث عن مشاكلنا البيئية ان يثير قضايا مثل غرق دلتا النيل والسواحل المصرية ـ مع غيرها من المناطق ـ بفعل ارتفاع مستوى البحار نتيجة للتخريجات العالمية حول إرتفاع درجة حرارة جو الكوكب .. او ان يثير قضية الشح المنتظر في موارد مياه النيل مع التغير الذي يطرا على جو العالم او .. ولاشك في اهمية ذلك . لكن مثل هذه التخريجات ، إذا ابتعدنا عن شيطان الاثارة الصحفية والعلمية . امور من قبيل الاحتمالات والتوقعات الحسابية غير المؤكدة ، لما يمكن ان يحدث على إمتداد مئات السنين القادمة .. ولهذا يجب الالتفات عنها لان الاوضاع البيئية القائمة في مصر تشكل سرطانا قاتلا يحث خطاه في جسدها ، على نحو يمكن أن يقودنا ، لو استمر الحال على ما هو عليه . وفي ظل التزايد السكاني الرهيب ، الى مواجهة كارثة بيئية لاعلاج لها . وفي مدى عشرات السنين القادمة وليس مئات السنين التي تستغرقها التغيرات العالمية المثارة ناهيك عن ان قضايا مثل ترشيد استهلاكنا للمياه والكهرباء وحماية سواحلنا المتآكلة باتت ضرورة ، حتى دون تغير المناخ العالمي ، ودون ارتفاع مستوى البحر .

● حلول غير تقليدية

ولسنا هنا بصدد تكرار اقوال مدرسية

معادة عن مدى تلوث الهواء والماء والتربة و .. لا لعدم أهمية ذلك ، وإنما لأن تجنب الكارثة البيئية بات يستوجب تجاوز التصورات التقليدية

فعلى سبيل المثال بلغت نسبة تلوث هواء القاهرة أضعاف المستوى العالمي وبين أسباب هذا التلوث أن أكثر من ٥٠٪ من سياراتنا تلفظ من الملوثات أكثر من ضعف النسبة العالمية المسموح بها (دراسة لكلية الهندسة - جامعة القاهرة) ذلك بينما تنصب مذابح يومية للأشجار والمساحات الخضراء (نصيب القاهري منها سنتيمترات قليلة ' ') . و ..

وإذا ابتعدنا عن العاصمة هالتنا كمية السموم التي تترسب في التربة الزراعية ، وتنتقل مع الغذاء لتضر بصحة الانسان ، نتيجة للرصاص الموجود في عوادم البنزين ، والكادميوم الموجود في عوادم الديزل ..

وحتى ندرك حجم الخطر المحدق بأراضينا الزراعية يكفي معرفة أن المساحة الملوثة حول طريق «مصر - اسكندرية» الزراعي وحده بلغت ستة آلاف فدان (دراسة لكلية الزراعة جامعة القاهرة) .

واغرب مافي الأمر أن ، الوباء السياراتي الانتقالي ، الذي يصنع ذلك كله ليس له أية فعالية اقتصادية أو حضارية منظورة ، رغم أضراره الهائلة ، انطلاقا من مسلمة تؤكد أن البيئة هي الخزان الأعظم للثروة ، ومن الدمار الذي يوقعه بالآثار المصرية و ...

والتصور التقليدي حول تطبيق قوانين عوادم السيارات مفيد بلا جدال ، لكن المسئولين عن تطبيقه يرون استحالة في ذلك .. ومن هنا الدعوة إلى تصورات غير تقليدية تمضي في أثر الظواهر الى أبعد من تجلياتها القريبة ، مثل التفكير في علاج لحالة «المبالغة الانتقالية السياراتية» مثلا ..

ويجب الاستفادة في هذا الصدد من المنجزات العلمية الحديثة مثل تقنيات الاستشعار عن بعد ، ومن إمكانات المنظمات الدولية ، والأمم المتحدة ، ومنها بنك المعلومات والموارد ، الذي يوجد مركزه الرئيسي في نيروبي ويقوم بتحليل وإعداد معلوماته في جامعة جنيف ، ويعتمد على تكنولوجيا وكالة الفضاء الأمريكية ، وهو يهتم بقضايا المناخ والموارد المتجددة وعمليات التلوث الطويلة الأمد و .. ومن حظ مصر في هذا الصدد وجود كوادر علمية أكثر من ملمة بهذه الابعاد مثل د . مصطفى كمال طلبه ، د . محمد عبدالفتاح القصاص ، د . عاطف عبيد

وجوانب المواجهة غير التقليدية كثيرة لكن لعل الأهم إطلاقا أن يتم ذلك في إطار تصور استراتيجي غير مدرسي يعي ظروف مصر قدر ما يعي الامكانات العالمية ، يحثه ويشجعه عن وعي أو بعد نظر إنفاقي من المسئولين ، ويقوم على تنفيذ سياساته وخططه جهاز له ملامح عضوية ووظيفية واضحة ، يجمع أشتات العاملين حاليا في مجالات متفرقة تتصل بالبيئة ، يملك مركزا بحثيا طليعيا ، ويعتمد على بنك معلومات غني وقادر .. غير أنه لا سبيل إلى إنجاز له قيمة تذكر دون جهد دءوب في إشاعة الوعي البيئي من خلال كل القنوات الاعلامية والتعليمية و .. يفلح في النهاية في إشراك الجمهور بحلول المشكلات البيئية ، ذلك أن معظم مصادر التلوث في مصر مرتبطة بالنشاط المباشر للانسان .

بقيت في النهاية إشارة الى أن أجهزة البيئة في مصر ليست في الموقف الذي يتيح لها أن تتفاخر - وروما تحترق - بأننا أول من فطن لمشاكل البيئة ومن أول من سنوا قوانين منع تلوث الهواء ، وشكلوا أجهزة ، و ..

ذلك أن العبرة في النهاية بما نرى من صدى في الشارع المصري



ومن الطعام

الغذاء أحد المقومات الاساسية لحياة الكائن الحى بعد الهواء والماء ، فالانسان والحيوان وحتى النبات يحتاج إلى غذاء أى يحتاج إلى أن نمده بمواد تساعده على بناء نفسه وعلى القيام بكل الوظائف اللازمة لحياته .

ومواصفات الغذاء السليم للانسان أن يكون متنوعا ، يفي باحتياجاته التى تتغير تبعا لمرحلة نموه ولعمره ولطبيعة عمله وظروف حياته ، وأن يمد الانسان بكل العناصر اللازمة لحياته بما فى ذلك العناصر الدقيقة والنادرة ، وأن يكون فى صورة مقبولة ترضاها نفسه ، وأن يكون خاليا من المواد الضارة ومن التلوث والجراثيم القاتلة للأمراض والمواد الكيماوية الخطرة .

بقلم : د. شفيقة ناصر

ويعتبر خلو الغذاء من التلوث شرطا اساسيا لسلامة الغذاء خاصة ان الغذاء يسهل تلوثه فى مراحل متعددة تبدأ من انتاجه ، وأثناء اعداده ونقله او حتى أثناء تقديمه وحفظه . فما هى الملوثات الاساسية التى تصل الى الانسان عن طريق تلوث الغذاء .

١ - قد يكون الغذاء ضارا او ساما بطبعه ، فهناك كثير من النباتات والاحياء المائية والحيوانية السامة مثل بعض الاسماك السامة ، وبعض انواع الحبوب التى تنمو مع حبات القمح ، او بعض الخضراوات التى تنمو فى الحقل ، او بعض انواع الفطر وعش الغراب التى تنمو فى الطبيعة او قد يسبب نوع معين من الغذاء اعراض حساسية او اعراضا مرضية ، عند بعض الناس دون الآخرين ، وهذه

● استاذ طب المجتمع بكلية طب القصر العينى ، وعضو مجلس الشورى .

ما قتل !!



الأطعمة السامة يعرفها الناس ويتوارثون هذه الخبرة فمثلا يعرف الفلاح أيا من الخضراوات الشيطانية يأكلها مثل السريس وأيها يتجنبها ويعلم أولاده ذلك ، كذلك يعرف الصيادون الاسماك السامة يعيدونها للبحر ولايبيعونها ، وتعرف الفلاحة الحبات الدخيلة على القمح فتنزعها قبل اعداده للطحن وهكذا يكتسب الانسان من الخبرات مايهديه الى تجنب هذه

المواد الموجودة في الطبيعة

٢ - وقد يتلوث الغذاء بالمواد الكيماوية عن طريق استخدام المبيدات المختلفة او عن طريق التلوث الصناعي او عمدا بإضافة مواد ملونة أو مواد حافظة او غيرهما مما قد يحتوى على مواد ضارة وسيتم شرح ذلك فيما بعد ، ويدخل في هذا المضمار ايضا تلوث الغذاء بالمواد المشعة .

٣ - التلوث البيولوجى للغذاء والتسمم الغذائى

وسابدا من حيث انتهيت بالتلوث البيولوجي للغذاء والتسمم الغذائي ، فنجد الأمراض التى تنتقل مباشرة بالغذاء .

اولا : التسمم الغذائي : التسمم بالسالمونيلا : وينتقل عن طريق البقر ، والآن عن طريق الدواجن والبيض والإنسان .

ثانيا : التسمم بالميكروب العنقودى : وعادة ينتقل من الإنسان حامل العدوى الى الطعام .

ثالثا : التسمم بالكلوستريديا وتنتقل من حيوانات الحقل الى الطعام

وهناك امراض تنتقل عن طريق اللبن :

البروسيلا والسل . وتنتقل من حيوانات الحقل .

وأمراض تنتقل عن طريق اللحوم مثل الدودة الشريطية ، والتريكنوزس ودودة الديفلوبوثريم وهذه تنتقل عن طريق الأسماك .

وهناك مجموعة اخرى من الأمراض تصلنا عن طريق الطعام والشراب أى تصل إلى الغذاء عن طريق اليد الملوثة او السماد أو الذباب أو رى الطعام بمخلفات آدمية وحيوانية وهي متعددة



ومن الطعام ماقتل ؟ !

وتشكل اكثر من ٥٠٪ من مجمل الأمراض التي تصيب الانسان ، وإذا وضعنا امثلة نجد النزلات المعوية والإسهال ، والدوسنتاريا ، والتهاب الكبد الوبائي ، وشلل الاطفال ، والكوليرا ، والتيفود وكثيرا من الطفيليات مثل ديدان الاسكارس والتركيبورس والدودة الدبوسية والدودة الشريطية القزمة وكل هذه الأمراض تنتقل من الانسان الى الانسان عن طريق الطعام الملوث او اليد مباشرة أو عن طريق تلوث المياه .

وساقف ببعض التفاصيل عند بعضها :

التسمم بالسالمونيلا : السالمونيلا هو ميكروب معوي وانواعه متعددة ، والنوع الذي يسبب التسمم هو سالمونيلا تيفي ميوريم ، وهذا يلوث اللحوم او احيانا اللبن من الحيوانات والطيور المصابة ، وهو لكي يسبب التسمم يجب ان يصل إلى الانسان وهو حي ، فإذا تم طهو الطعام جيداً لايحدث التسمم بالسالمونيلا . ومن خصائص هذا الميكروب قدرته على المعيشة خارج جسم الحيوان لفترات طويلة ، لذلك يمكن ان يظل في اللحوم والدواجن المجمدة لفترات دون ان يموت فكيف يحدث التسمم ونحن لا تتناول اللحوم او الدواجن دون طهو ..!

يحدث ذلك إذا وضعنا الدواجن على مائدة اعداد الطعام فتلوثت بدمائها او مخلفاتها ، ثم وبدون وعى من يعد الطعام وصلت هذه المواد الى انواع اخرى او إلى نفس الطعام بعد اعداده ، كذلك في الأطعمة التي لايتم طهوها جيداً مثل الهامبورجر وانواع السجق او عند شوى الفراخ دون ان تصل الحرارة إلى كل أجزائها الداخلية في كل هذه الحالات تصل السالمونيلا الى الشخص السليم فتصيبه بأعراض التسمم من قيء وإسهال وخلافه وعادة تصيب كل من يتناول الوجبة وقد تسببت السالمونيلا في مشكلة اقتصادية ضخمة في نهاية عام ١٩٨٨ حين اعلنت وزيرة الصحة السيدة كاري أن معظم البيض في بريطانيا يحتوى على السالمونيلا وحذرت من تناول البيض النيء والبيض يستخدم نيئا عند اعداد المايونيز أو تعطيه بعض الأمهات للاطفال نيئا مع اللبن ، ولكن هذا التحذير اضر بصناعة البيض ضررا بالغا حيث تجنب الناس استخدام البيض لأسابيع مما اسفر عن ملايين الجنيهات من الخسارة لهذه الصناعة في بريطانيا وادى الى استقالة السيدة كاري من الوزارة .

وعن انواع التسمم الغذائي الاخرى هناك التسمم بسموم الميكروب العنقودى وقد تعمدت أن اذكر انها السموم وهذه قادرة على مقاومة الحرارة اى انها تظل في الطعام حتى بعد طهوه او غليه ، وهناك حوادث يومية في مصر من هذا التسمم

والأطعمة المثلى لنمو هذا الميكروب هي الأطعمة التي تصنع ثم تترك فترة ينمو فيها الميكروب ويفرز سمومه مثل الكسكسى الذى يعد فى الريف للمناسبات ويترك اكثر من ٢٤ ساعة ، ومثل بعض المشروبات ومثل الكريمة المستخدمة في الحلوى كل هذه اوساط مناسبة لتكوين السم اذا لم تراع القواعد الصحية والنظافة وخاصة نظافة اليد عند الاعداد وايضا تكون الاعراض هى القيء والاسهال بعد ساعات قليلة من تناول الوجبة .

واخطر انواع التسمم الغذائي ذلك الذي يصيب الجهاز العصبي وهو التسمم بالبوتيوليزم ، وهذا النوع بدأت تظهر حالات منه في مصر في الاعوام الماضية نتيجة استخدام بعض الاسماك المستوردة في عمل الفسيخ ، وعلينا ان ننتبه وننشر الوعي للتبليغ عند حدوث حالات اخرى حتى يمكن حصر حجم المشكلة والتعرف على ابعادها .

لن اتوسع في الحديث عن الأمراض التي تنتقل بالطعام والشراب وقد ذكرت بعضها ولكنني انتقل إلى تلوث الطعام بالمواد الكيماوية .

● التلوث والأسمدة والمبيدات

تلوث الطعام بالمواد الكيماوية اصبح يأخذ ابعادا تختلف عن التسمم الغذائي فقديما كان التسمم الغذائي يحدث في ظروف حادة اى يحدث تسمم لأفراد نتيجة تناول طعام يحتوى على املاح المعادن الثقيلة اما عن طريق الخطأ او عن طريق العمد ، وكان التسمم بالزرنيخ والرصاص والزئبق هو مانسمع عنه ، وهناك حوادث شهيرة لذلك فمثلا في عام ١٩٠٠ أصيب ستة الاف شخص وتوفى منهم تسعون نتيجة التسمم بالزرنيخ الذى كان يلوث المواد المستخدمة في صناعة البيرة في لانكشير بانجلترا ، اما في مكناس في المغرب فقد أصيب ٢٠٠٠ بالشلل في عام ١٩٥٩ حين استخدم زيت معدني به فوسفور عضوى في غش زيت الزيتون فتسبب في هذا الحادث . هناك ايضا حوادث أخرى تسببت من وصول المعادن الثقيلة مثل الزئبق والرصاص الى الطعام فقد حدث في عام ١٩٧٢ ان تسمم ٦٥٠٠ شخص في العراق نتيجة تناول الحبوب التي عوملت بالزئبق والتي غطيت بمادة ملونة ووضعت تحذيرات تقول انها تستخدم كمبيدات فقط وليست للطعام ووزعت على الفلاحين للزراعة .

ويحدث التسمم بالزئبق نتيجة وصول الزئبق الى المجارى المائية والبحيرات وتركيزه عدة مئات من المرات في لحم الاسماك والاحياء البحرية . واشهر حوادث التسمم بالزئبق وتلوث الطعام ماحدث في خليج ميناماتا باليابان حين نجم عن تناول السمك الملوث ظهور عدد كبير من حالات الاطفال المصابين بعيوب خلقية وبالدراسة وجد ان الأمهات يعشن على حافة الخليج ويتناولن الكثير من الأسماك الملوثة بالزئبق ، وقد تم تحديد مصدر الزئبق من مياه صرف المصانع المحيطة بالخليج ومعاملتها بعد حدوث هذه الكارثة .

اما الخطر الداهم ، والذى يتعرض له الانسان الان فهو ليس التسمم الحاد سواء بالمعادن الثقيلة او بالمبيدات التي تصل بطريق الخطأ الى الطعام



ومن الطعام ماقتــل ! !

فتسبب التسمم الحاد الملحوظ والذى يحتاج تدخلا سريعا ومواجهة .

ولكن الخطر يكمن فى تلوث الغذاء بكميات قليلة أو آثار من المبيدات أو المعادن أو الاشعاع على مدى سنوات طويلة ، تترسب فى انسجتنا وتسبب الأمراض والعاهات ، بما ليس لجسم الانسان من قدرة على مواجهتها ، والتعامل معها ، والقائمة طويلة ومتعددة ، والسبب المباشر هو اننا اصبحنا نعيش عالما يتركز فيه الملايين فى المدن بعيداً عن مصادر انتاج الطعام . واصبح من الضرورى أن يتحول انتاج الطعام الى عملية علمية صناعية اقتصادية . تستخدم فيها الوسائل الحديثة لانتقاء المحصول وتغذيته وريه ثم تستخدم المواد المخصبة والمبيدات لاكثار المحصول والمحافظة عليه ، ثم تستخدم المواد الحافظة لحفظه ونقله وتغليفه وتوزيعه ، ثم تستخدم المواد الملونة ومكسبات الطعم ومحسنات الدقيق ، ومسيلات الدهون وغيرها من قائمة ضخمة من المواد الدخيلة فى صناعة الطعام وكما ذكرت فبعض هذه المواد تصل إلى الطعام بطريق الخطا أو تلوث البيئة مثل استخدام مبيدات القطن فى رش الخضراوات . أو مثل ترسب الرصاص على الخضراوات المزروعة على جانبى الطرق المزدحمة بالسيارات حين يخرج الرصاص من عوادم السيارات فيتساقط على الخضر والفواكه ، ومثل تركز المبيدات فى البان ودهون الحيوانات التى تتغذى بطريق الخطا على زراعات مرشوشة . والقائمة طويلة كيف يؤدى تلوث البيئة وتلوث الهواء والمياه والتربة لوصول هذه الملوثات الى طعام الانسان . أما الطريق الآخر فهو تلوث الغذاء بهذه المواد نتيجة استخدامها عن عمد لحفظ الطعام ، أو زيادة انتاجه فمثلا تستخدم المضادات الحيوية والهرمونات لزيادة انتاج اللحم . وتستخدم المواد الملونة ومكسبات الطعم لتحسين لون ومظهر الطعام عند بيعه ، ولم تسلم المواد المستخدمة فى التغليف والتعبئة من ان تكون سببا فى تلوث الطعام . وقد استبعدت مواد بترولية وبعض انواع البلاستيك لضررها على الصحة . أما التلوث الاشعاعى فقد بدأ يأخذ حجما اكبر واضخم فى مشكلة تلوث الطعام مما كان يحدث فى الماضى . والطعام قد يتلوث نتيجة وصول مواد مشعة عند اجراء الاختبارات النووية ، أو نتيجة تفجيرات نووية متعمدة ، أو نتيجة حوادث مثل حادث تشيرنوبيل أو نتيجة تسرب مواد مشعة من مفاعلات أو من مصادر معملية أو غيرها . وخطورة هذا النوع من التلوث انه قد يظل سارى المفعول لعدد كبير من السنوات بعد الحادث أو بعد التسرب مما يستوجب عمل مراقبة مستمرة للاغذية لتحديد نسبة التلوث الاشعاعى بها وخاصة عند انتقال

الطعام من دولة الى اخرى فى التجارة الخارجية .

● مقاومة التلوث

ماهي الاجراءات المحلية والدولية التى تتبعها الدول للتخفيف من مشكلة تلوث الغذاء ؟

لقد عمدت الدول الى سن القوانين التى تنظم عملية انتاج الطعام ونقله وبيعه ومنع غشه وكما شاهدنا من الاستعراض ان مراقبة الطعام يجب أن تشمل فحص الطعام للتاكد من جودته اى انه فى حالة صالحة للاستخدام وغير تالف . ثم فحصه من الملوثات البيولوجية اى الميكروبات وسمومها ، وفحصه من الملوثات الكيماوية من معادن ثقيلة ومن مبيدات ، ومضافات ثم فحصه من التلوث الاشعاعى . ونظرا لتعدد العناصر والمواد التى يمكن ان تلوث الغذاء كان لزاما على كل دولة أن تحدد المخاطر التى تتهددها والفحوص التى يستوجب عملها عند فحص عينات الغذاء التى تؤخذ فى الداخل اى فى الأسواق والمتاجر أو عند استيراد الأطعمة من الخارج .

وهناك قوانين واجراءات دولية تنظم ذلك بين الدول . وقد انشات منظمة الصحة العالمية ومنظمة الاغذية والزراعة لجنة تسمى لجنة (الكودكس المنتريس) ، وتجتمع هذه اللجنة التى تحضرها الحكومات لتحدد المواد التى يمكن استخدامها ، وشطب المواد التى ثبت ضررها من قائمة مايصرح به فى الطعام ، كذلك تحدد اساليب التغليف والإعلان الصريح وبلغة البلدة عن مكونات الغذاء وماأضيف إليه من مواد ، وتحدد الكمية المسموح بها من بقايا المبيدات او المعادن .

● الآثار الاقتصادية للتلوث

بعض الجوانب الصحية والاقتصادية لتلوث الغذاء .

اصبحت مشكلة تلوث الغذاء من المشاكل الملحة التى تتسبب فى كوارث اقتصادية دولية ، فمثلا خلال شهر مارس ١٩٨٩ امتنعت الولايات المتحدة الامريكية عن استيراد العنب من شيلى لوجود آثار سيانيد ببعض العينات ، وتسبب هذا فى كارثة اقتصادية نظرا لأنه المحصول الرئيسى لشيلى . وقبل ذلك باشهر قليلة ظهرت مشكلة تلوث البيض بالسالمونيلا فى انجلترا وإعلان ذلك وما ادى إليه من خسارة بمئات الملايين من الجنيهات لصناعة البيض ، ومايظهر كل فترة من إعادة حاصلات زراعية للبلدان النامية نتيجة ارتفاع كمية المبيدات او المعادن الثقيلة المتبقية عليها ، مما يسبب خسارات اقتصادية فادحة وخاصة لاقتصاد هذه الدول المثقل بالديون اصلا .

اما إذا وضعنا فى الاعتبار الخسارة الاقتصادية الناجمة عن المرض ، وفقد ايام العمل ، والعلاج ، والوفيات الناجمة عن تلوث الغذاء ندرك مدى خطورة الموضوع واهميته وندرك أن علينا دورا هاما فى ان يكون الطعام طيبا سليما خاليا من التلوث وأن نتبع الإجراءات السليمة عند انتاجه وتغليفه واعداده وحفظه وتقديمه حتى نستمتع بالصحة والسلامة .

في نهر النيل تموت الأسماك من التلوث ! !



نداء أخير .. لحماية مياه نهر النيل

بقلم : د. فاطمة الجوهري

حتى شربة الماء التي نشربها تتعرض للتلوث .. وغدا الخطر يهدد مياه النيل ، هذا الماء القراح الذي انعم الله به على أهل مصر ، واصبحت الاسماك تموت في بعض اجزاء النهر .

ولم يعد امامنا سوى ان نعالج آثار التلوث ونحافظ على مياه النهر او الموت البطيء ! !

والذي لا شك فيه انه خلال الاربعين عاما الماضية قد حدثت طفرة صناعية كبيرة تمثلت في انشاء الصناعات الحديثة مثل صناعة الحديد والصلب والالومنيوم والاسمنت وتكرير البترول والادوية . ومن اهم ملامح التنمية المصرية خلال هذه الفترة تطوير النشاط الاقتصادي ، وتغيير هيكله من الاعتماد على النشاط الزراعي التقليدي الى التركيز على النشاط الصناعي والتعديني ، والتحول للنشاط الزراعي الاكثر تقدما باستخدام الميكنة والاسمدة الصناعية والمبيدات .

وللاسف لم تحظ مشكلة التلوث بعين الرعاية التي أوليت لتنمية القطاعات الاقتصادية ، فالهواء الذي يحيط بنا لابد أن تتوافر فيه مستويات معينة من النقاء . الامر الذي يلقى منا حتى الان الرعاية الكافية . فمازالت مداخن المصانع تلقى بنفاياتها الغازية والصلبة الدقيقة في الجو . ولازالت السيارات تنفث بسمومها مع العادم الخارج





ولايزال مسلسل تلوث نهر النيل .. مستمرا

منها دون ما رقابة تذكر .

ورغم أن مصر قد حباها الله نهر النيل العظيم ، فلا تزال مياه الشرب الصالحة للاستعمال الآدمى غير متوافرة فى بعض مناطق الجمهورية .

● كوب الماء الملوث ..!

ولقد أوضحت الدراسات التى أجريت بقسم بحوث المياه ، بالمركز القومى للبحوث أنه فى معظم المحافظات تتجاوز الشركات والمصانع فى مواقعها مكونة مناطق صناعية تتركز فيها الصناعات الانتاجية المختلفة . ولقد اقيمت جميع هذه النشاطات الصناعية دون أى سند علمى سواء بالنسبة للتخطيط الصناعى نفسه ، أو بالنسبة للتخطيط البيئى بصفة عامة . كذلك لم تتخذ مسبقا أى من الاجراءات الواجب اتخاذها فى مثل هذه الحالات خاصة فيما يتعلق بتقدير حجم الخدمات الضرورية اللازمة للمناطق الصناعية وتوفيرها فى الوقت المناسب أو ادراج مايلزم سنويا من اعتمادات مالية من



نداء الخير.. حماية مياه نهر النيل

ميزانيات الدولة والشركات الصناعية لمداركة هذه الخدمات واتخاذ ما يلزم من اجراءات للتحكم في ملوثات البيئة المختلفة عن النشاط الصناعي بهذه المناطق مشكلة بذلك مركز تلوث صناعي من خلال صرفها لمخلفاتها غير المعالجة في أقرب مجرى مائي سواء كان ذلك نهر النيل أو ترعة ، أو مصرفا زراعيا ٠ ولقد أدى هذا التوسع العشوائي الى ظهور آثار سلبية على البيئة ٠

وينعكس أثر التلوث واضحا عند مواقع صرف هذه المخلفات ، ويمتد الأثر الى مسافة تعتمد على حجم المخلفات المنصرفة ٠ ودرجة تركيز الملوثات بها ٠

ولقد أمكن حصر أهم مصادر التلوث على طول النهر ، وتحديد مناطق التركيز الصناعي والتي تؤثر تأثيرا واضحا على جودة مياه النهر والترع والمصارف الزراعية وبيانها كالآتي :

١ ـ في منطقة أسوان يمثل مصرف السيل الذي تتجمع فيه المخلفات الادمية والصناعية والزراعية نقطة تلوث هامة لمياه نهر النيل عند موقع الصرف ٠

٢ ـ مجموعة مصانع السكر كوم امبو ، وادفو ، ودشنا ، وقوص ونجع حمادى ٠

٣ ـ مصنعي شركة النيل للزيوت والصابون وشركة النصر لتجفيف البصل بسوهاج ٠

٤ ـ مصنع الشركة المالية والصناعية بأسيوط ٠

٥ ـ يوجد بمنطقة حلوان ما يقرب من ٣٥ مصنعا معظمها يلقى بمخلفاته في نهر النيل عن طريق مخرات سيول بالمنطقة ٠

٦ ـ مصانع التقطير والكيماويات بالحوامدية ٠

٧ ـ في فرع رشيد عند كفر الزيات ، المخلفات المنصرفة من شركة الملح والصودا المصرية وشركة كفر الزيات للمبيدات والكيماويات والشركة المالية والصناعية ٠ أسمدة

٨ ـ في فرع دمياط عند طلخا مخلفات مصنع شركة النصر للاسمدة والصناعات الكيماوية ٠

وجميع هذه المصانع تلقى بمخلفاتها دون معالجة الى مجرى النهر الرئيسي ٠

ويعتبر القصور الشديد في ترشيد استخدام المياه داخل المصانع ، مع عدم القيام بأعمال الصيانة الدورية للآلات والمعدات ، مسئولا الى حد كبير عن ارتفاع درجة تركيز الملوثات خاصة الزيوت والشحوم في المخلفات الأمر الذي يمكن تجنبه بدون أعباء مالية اضافية ٠

ولا يقتصر خطر التلوث على المخلفات الصناعية بل ان قصور شبكة المجارى ٠ وعدم قدرتها على استيعاب التصرفات من المدن ٠ قد أدى الى التخلص من مياه المجارى اما بالقائها في النهر مباشرة ، أو في المصارف الزراعية التي ترفع مرة أخرى لمجرى النهر الرئيسي ٠ مما يضاعف الخطر لان مياه المصارف تكون محملة بالمبيدات الحشرية المتسربة اليها من الاراضى الزراعية ٠ مما أدى الى تدمير الحياة المائية بالنهر ٠ وتعريض الصحة العامة للخطر ٠

نوجز فيما يلي بعض الآثار التى ترتبت على التخلص من المخلفات الصناعية دون معالجة فى المجارى المائية أو على التربة ٠

● التلوث الكيميائى والبيولوجى للمياه مما أثر على الثروة السمكية، وأدى الى افساد المياه فى بعض الترع بدرجة أصبحت معها لا تصلح كمصدر لمياه الشرب أو للأغراض الزراعية ٠

● تلوث مياه الشواطىء المطلة على البحر الابيض المتوسط الى درجة خطيرة فى بعض المناطق مما أثر على استخدامات الشواطىء فى الأغراض السياحية والترفيهية ٠

● تلوث المياه الجوفية فى بعض المناطق ٠

● المقاومة أو الموت

منذ الستينيات تنبهت مصر الى التأثيرات المختلفة للنشاط الصناعى على البيئة مثلها فى ذلك مثل بقية دول العالم فأصدرت التشريعات وسنت القوانين التى تحمى مختلف أوجه الحياة من آثار الصناعة ومنها قانون صرف المخلفات السائلة على شبكات الصرف الصحى والمسطحات المائية رقم ٩٣ لسنة ١٩٦٢ ولائحته التنفيذية بقرار وزارة الاسكان رقم ٦٤٩ لسنة ١٩٦٢ والقرار الجمهورى رقم ٣٧٠ لسنة ٦٦ بانشاء اللجنة العليا للمياه والقانون ١٥٢ لسنة ١٩٥٩ م ٠٠ الخاص بحماية أماكن العمل ، والقانون ٢١ لسنة ٥٢ ، والقرار الوزارى رقم ٨٦٤ لسنة ١٩٦٩ م ٠ بانشاء اللجنة العليا لحماية البيئة من التلوث والقرار الوزارى رقم ٤٧٠ لسنة ١٩٧١ ٠٠٠ بالحدود القصوى للكيماويات فى أماكن العمل وغير ذلك من القوانين ومنها القانون رقم ٣٨ لسنة ١٩٦٧ والقرار الوزارى رقم ١٣٤ لسنة ١٩٦٨ الخاص بالمخلفات الصلبة وكذلك القرار الجمهورى رقم ٥٠٩ لسنة ١٩٥٩ والقانون رقم ٥٠ لسنة ١٩٦٧ بانشاء اللجنة العليا للمبيدات والقانون رقم ٥٩ لسنة ١٩٦١ الخاص بالوقاية من الاشعاعات النووية والقرار الوزارى باللائحة التنفيذية لهذا القانون رقم ٧٠ لسنة ١٩٦١ ٠

غير ان تطبيق هذه القوانين واجه صعوبات بالغة بسبب اعتقاد خاطىء بان اهداف اليقظة البيئية قد لا تتمشى مع السرعة المطلوبة فى تنفيذ برامج التنمية الاقتصادية ٠ مما ادى الى تفاقم المشكلة ٠

واخيرا صدر القانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٨٢ الخاص بحماية نهر النيل والمجارى المائية من التلوث ٠ ويعتبر صدور هذا القانون خطوة ايجابية على الطريق اللازم لمواجهة مشاكل البيئة المتفاقمة والتصدى لها علاوة على انه يواكب ويتمشى مع ما ذهب اليه كثير من دول العالم المتحضر من اصدار التشريعات البيئية حماية لمصادرها المائية ومع ما تنادى به المؤسسات والمنظمات الدولية المعنية بشئون البيئة لمواجهة آثار سلبيات النمو الصناعى والتزايد السكانى على المجارى المائية ٠

غير أن تطبيق هذا القانون مازال يواجه بعض الصعوبات بسبب عدم توافر الاستثمارات الضخمة المطلوبة من القطاعات الصناعية المختلفة لمعالجة مخلفاتها قبل صرفها من ناحية ومن ناحية أخرى بسبب الاتجاه الى معالجة المخلفات الصناعية بمعزل عن مياه الصرف الصحى مما ادى الى رفع التكلفة المطلوبة وصعوبة توفير المبالغ المطلوبة ٠



● العلم هو الملجأ

مما لا شك فيه أن البحث العلمى له دور رائد فى حماية البيئة المائية من التلوث . لذلك تضمنت الخطة الخمسية الاولى لمجلس بحوث البيئة، وهو أحد المجالس المتخصصة بأكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا العديد من المشاريع التى تحقق هذا الهدف .

واذكر على سبيل المثال مشروع : دراسة أنسب الطرق لمعالجة المخلفات السائلة بمدينة شبرا الخيمة قبل التخلص منها فى المجارى المائية . ولقد تم اختيار مدينة شبرا الخيمة نظرا لان الجزء الاكبر من مياه الصرف الصحى ومعظم المخلفات الصناعية يتم التخلص منها بدون معالجة فى عدد من المصارف المكشوفة . مما يؤدى الى مشاكل بيئية وصحية بالمنطقة . وللاستفادة من نتائج هذا المشروع ، تم الربط بين الدراسة ومشروع الصرف الصحى بالمنطقة والذى مازال تحت التنفيذ .

وبصفة عامة يمكن ايجاز دور البحث العلمى فى هذا المجال فى النقاط الاتية :

١ ـ تطوير طرق القياس والرصد
٢ ـ دراسة الطرق التى تؤدى الى الاقلال من حجم المياه الملوثة ودرجة تركيز الملوثات بها .
٣ ـ وضع المعايير لمخلفات الصناعة التى يمكن استقبالها فى الصرف الصحى أو المسطحات المائية ، على ان يؤخذ فى الاعتبار نوعية الصناعة . والنواحي الاقتصادية .
٤ ـ وضع معايير للمياه بالمسطحات المائية . على أن يؤخذ فى الاعتبار استخدامات هذه المصادر .
٥ ـ وضع الاسس العلمية لانشاء شبكات لرصد نوعية المياه .
٦ ـ وضع الاسس العلمية للتكنولوجيا المناسبة لحسن أداء هذه المخلفات .
٧ ـ الاستعانة بالنماذج الرياضية التى تساعد فى مواجهة المشكلة .
٨ ـ اعداد الكوادر العلمية اللازمة لتغطية العجز فى بعضها .
٩ ـ اعداد دورات تدريبية للعاملين فى هذا المجال . على أن تغطى جميع المستويات والتخصصات اللازمة .

من واقع الدراسات التى اجريت ، يتضح أن الصلاحية النسبية الحالية لمياه نهر النيل وفروعه أصبحت مهددة باستمرار صرف المخلفات الآدمية والصناعية والزراعية بالنهر . لذلك علينا :

١ ـ الاهتمام بعمليات التجديد والاحلال بالمصانع . حيث ان أكثر من ٥٠٪ من الملوثات المنصرفة من المصانع سببه تهالك وقدم المعدات . مع الاهتمام عند التحديث بتطبيق التكنولوجيا النظيفة والمستخدمة فى معظم دول العالم وفى بعض المصانع الحديثة بجمهورية مصر العربية .

٢ ـ نظرا لان مشروعات الصرف الصحى الجارى تنفيذها فى بعض المناطق يتم مرحليا وفقا لخطة الدولة ، وحيث قد روعى فى تصميم هذه الشبكات استيعابها للمخلفات الصناعية بعد المعالجة المطلوبة ، لذلك فمن الضرورى الربط الزمنى بين أعمال معالجة المخلفات الصناعية والانتهاء من هذه المشروعات حيث سيتم فيها معالجة هذه المخلفات الى



على طول خطى النهر أصبح هذا المشهد مألوفا

المعايير والضوابط التي حددها القانون وذلك منعا لازدواج التكاليف والتمويل مع العمل على توجيه جزء من الاعتمادات المالية المتاحة حاليا لتمويل اعمال المعالجة الابتدائية والصيانة والتحسين لأكبر عدد من المصانع وفقا لحاجتها الى مثل هذه الاعمال وفقا لنوعية وطبيعة مخلفاتها ٠

٣ ـ الزام ملاك العائمات السكنية السياحية وغيرها الوحدات النهرية المستخدمة في النقل والسياحة باستخدام وحدات المعالجة المخصصة لمثل هذه الاحوال وفقا لعدد قاطني ومستخدمي المنشآت وتبعا لحجم مخلفاتها دون انتظار غير مبرر اكثر من هذا حيث أن الكثير من الدول تستخدم مثل هذه الوحدات في المعالجة المشابهة بنجاح ٠

كذلك حظر القاء أية مخلفات من هذه المنشآت اثناء سيرها في نهر النيل وغيره من المجارى المائية دون معالجة واتخاذ الاجراءات التي من شأنها ان تؤدى الى خفض حدة التلوث كالتفتيش الدورى على الناقلات النهرية والزامها بأعمال الصيانة لمنع تسرب الزيوت والوقود منها كشرط لمنح التراخيص أو الغائها ٠

٤ ـ الاهتمام بدراسة بدائل الصرف الى المجارى المائية بالنسبة للمناطق غير المتصلة بشبكات المجارى العمومية وذلك تخفيفا لحدة تلوث المجارى المائية لحين تدبير الشبكات العمومية القادرة على استيعاب كل من مخلفات الصرف الصحى والمخلفات الصناعية معا ٠

٥ ـ انشاء شبكة وطنية لرصد التلوث ٠

٦ ـ يجب أن يتم الربط بين التشريعات البيئية والتخطيط الانمائى بأن تنص التشريعات على أن يتضمن التخطيط الانمائى عنصر التقييم البيئى للمشروعات مع وجوب تقديم تقرير تفصيلى للآثار البيئية لاى مشروع حتى يمكن التعرف أو التنبؤ والتفسير للعواقب البيئية للمشروع الانمائى ، وأن يصدر القرار النهائى بشأن تنفيذ المشروع على أساس سليم يحافظ على البيئة من التدهور

٧ ـ الاهتمام بالدراسات والبحوث البيئية وخاصة فيما يتعلق بدراسات التنمية الصناعية ٠

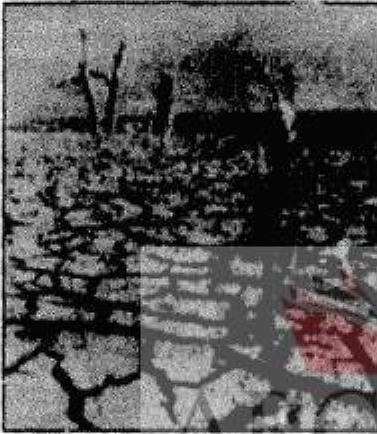
اعتمدت مجلة « الهلال » أساسا على العدد الذى خصصته مجلة « تايم » الامريكية للمشاكل البيئية ، حين اختارت كوكب الارض شخصية لعام ١٩٨٨ ، وذلك باعتبار هذا العدد اشمل دراسة صحفية حديثة فى هذا الباب ..

السكان وموارد الأرض

يرى كثير من الباحثين انه ليست ثمة مشكلة تهدد بيئة الكرة الارضية اخطر من مشكلة تكاثر البشر ، وضغطهم المطرد على موارد الكوكب، وقد تجاوز عدد سكان الكوكب اليوم ٥ مليارات نسمة ، والمتوقع أن يتضاعف هذا العدد خلال القرن القادم وأن تكون ٩٠٪ من هذه الزيادة فى البلدان الاكثر فقرا ..

والملاحظ أن معدلات النمو فى أفقر البلدان تعجز عن توفير ضروريات الكفاف (الغذاء والمسكن والوقود ..) حتى بات الباحثون يؤكدون ان التكاثر المجنون صار وسيلة ، او سبيلا ، لانتاج سلالة جديدة من نوع « دون بشرى » ليس فى حوزته ما يؤهل لاى دور ابداعى ، يتجاوز ضرورات البقاء

ورغم ذلك تبدو آفاق خفض معدلات نمو السكان شاحبة لان الكثيرين من امم العالم الفقير ابتعدت خلال السنوات الماضية ، عن فكرة تنظيم الاسرة (بل وذهب البعض الى ادانتها باعتبارها خطة امبريالية عرقية يروج لها العالم المتقدم .. هذا كما



الجفاف والحرارة القاسية والخوف من ارتفاع حرارة الكرة الارضية

أن الرجال فى كثير من البلدان النامية مازالوا ينظرون الى الموانع الذكرية كمصدر تهديد لصورتهم الذكرية ، والى كثرة النسل بصفته دليلا على الرجولة ..

هذا وقد اثبتت البرامج القسرية عدم جدواها فقد اقرت الصين عام ١٩٧٩ ، على سبيل المثال ، سياسة سكانية اتخذت شعار : « طفل واحد لكل أسرة » وسرعان ما أدى الالتزام بها الى تفشى ظاهرة الاجهاض ، بل وتفش قتل الاسر للمواليد(!)لان الاباء

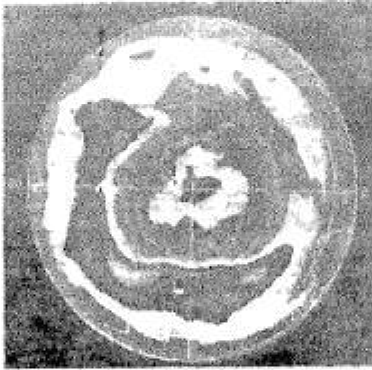
اصروا على ان يكون الابن الواحد ذكرا ..

ويقدر عدد حالات الاجهاض فى عالمنا اليوم بـ ٢٨ مليون حالة فى بلدان العالم الثالث علاوة على ٣٦ مليون حالة فى الدول الصناعية ، نصفها تقريبا يتم بصورة غير شرعية لهذا يجمع الدارسون على انه ثمة حاجة الى سبل جديدة لتنظيم النسل على غرار حبوب الاجهاض التى تسهل كثيرا من العملية والى وسائل تمنع تكون الجنين لتجنب معارضة مناهضى الاجهاض ، على ان تكون هذه الوسائل رخيصة فى متناول الفقراء .. كما ان هناك حاجة الى التوعية باساليب منع الحمل والوسائل الطبيعية منها بالذات مثل التزام فترة الامان وارجاء فترة الاخصاب باطالة فترة الرضاعة الطبيعية غير ان الفيصل فى حل المشكلة يعتمد على تحسين اوضاع المرأة وتوسيع فرص التعليم ، العمل امامها .

تاكل الأوزون يهدد الحياة

طبقة الاوزون هى الطبقة التى تحمى البشرية من تاثير الاشعة فوق البنفسجية (احد مكونات اشعة الشمس) ولها تاثيرات ضارة على الانسان فهى تساعد على اصابته باعتام فى عدسة العين (الكاتاراكت) وبسرطان الجلد . ناهيك عن كونها تضعف جهاز المناعة عامة

وقد حذر العلماء منذ السبعينيات



من تاثير الكلورفلور كاربونات ، التى تستخدم فى عمليات التبريد والترذيذ: الثلاجات والتكييف والايروسولات ، حذروا من تاثيرها السيء على طبقة الاوزون . وبات الخطر اكثر وضوحا عام ١٩٨٥ عندما اكتشف الباحثون وجود « ثقب » فى طبقة الاوزون فوق القارة القطبية الجنوبية وبالرغم من تغير حجم هذا الثقب ، فان التآكل بلغ فوق بعض المواقع نسبة ٥٠٪ .

ونتيجة لهذا التطور الخطير اجتمعت وفود ٢٤ دولة من بينها الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى فى مونتريال ، منذ عامين ، واجمعوا على ضرورة خفض استخدام الكلورفلور كربونات ، واستهدف ما عرف باسم بروتوكول مونتريال ان يكون صافى الخفض ٣٥٪ من مجمل انتاجها على نطاق العالم كله قبل ١٩٩٩ ..

وتعمل الشركات على التوصل الى بدائل عن الكلورفلور كربونات وقد اعلنت بلدان عديدة ، منها كندا والاتحاد السوفييتى ، عن التوصل الى مواد يمكن استخدامها فى عمليات

التبريد والترذيذ ، ولا ينتج عنها اى اضرار للبيئة ..

ولقد تطرقت الى بحث مشكلة الاوزون ومخاطرها مؤتمرات عديدة خلال الفترة الاخيرة ، لعل ابرزها اجتماع لاهاى الذى حضره مع الرئيس حسنى مبارك اكثر من ٢٠ رئيسا . ووفق ما نص عليه اعلان لاهاى جرى الالتزام بتأسيس هيئة ضمن اطار الامم المتحدة تحدد معايير الحفاظ على الغلاف الجوى كما تحدد الوسائل والجزاءات التى تساعد على تنفيذ قرارات هذه الهيئة ، من خلال الاحتكام الى محكمة العدل الدولية ..

هذا وسيعرض الاعلان العالمى الذى صدر عن مؤتمر لاهاى فى الامم المتحدة خلال دورتها القادمة (سبتمبر ٨٩) بهدف اجتذاب الدول للمشاركة فى التوقيع عليه وجدير بالذكر ان جدول اعمال الامم المتحدة عام ١٩٨٨ تضمن مناقشة قضية المناخ الدولى ، لاول مرة بوصفه ميراثا عاما للبشرية ..

العالم يحمى البيئة

مع تفاقم المشاكل البيئية انخرطت بلدان كثيرة فى ممارسة انشطة بيئية توزعت على مستويات متعددة فقد اصدرت البرازيل تشريعا جديدا حول حماية غابات الامازون ، وشرعت جواتيمالا فى زراعة ٥٢ مليون شجرة، كما انهمكت الصومال فى حملة ضد التصحر ، تتضمن حظرا على تقطيع الاخشاب لاستخدامها كوقود ، وعمل القرويون فى بوركينافاسو على مواجهة التضاؤل المستمر فى معدل الامطار ببناء سدود سمالجة صمموها ونفذوها بايديهم ، كما استخدموا تقنيات بدائية لتجميع المياه عن طريق حجزها بالاحجار ! . هذا كما احيت بيرو نظاما زراعيا قديما (كان يستخدم فى كولومبيا) لتوفير المياه وتزويد التربة بالمخصبات عن طريق الترسبات الغنية بالنيتروجين ..

ولقد شرع الصينيون فى مواجهة مشكلة التصحر (٦٠٠ ميل مربع كل عام) بزراعة سور اخضر عظيم من الشجيرات والاشجار يبلغ امتداده ٤٣٥٠ كيلو مترا ..

هذا كما لجأت مجتمعات كثيرة فى مواجهة ازمة مياه الشرب الى اقامة محطات تحلية مياه البحر كما لجأت بلدان أخرى الى محطات تحلية مياه الصرف الصحى ، وافتتحت فى مدينة وينلر عام ١٩٨٥ محطة تجريبية لانتاج مليون جالون من مياه الشرب يوميا بمعالجة نواتج الصرف الصحى

وفى الدول الكبرى اتخذت انشطة حماية البيئة ابعادا هائلة فقد اعتمد الاتحاد السوفييتى ٢٤ مليار دولار لهذا الغرض (عام ١٩٨٨) على ان تزاد تدريجيا لتصل الى ٦٤،٤ مليار دولار سنويا ابتداء من التسعينات واتخذت اجراءات صارمة ضد المتسببين فى مضار بيئية ، فجرى تحويل ٢٠ حالة من حالات انتهاك المعايير الايكولوجية حول بحيرة بايكال الى النائب العام،واغلقت عشر قواعد فى تيجنى تاجيل لانها لم تراع قواعد التحكم فى النفايات السامة ، و ....

وفيما يخص الولايات المتحدة الامريكية اكبر الدول استخداما للموارد الطبيعية واكثرها اساءة

البيئة ، وتخلصا من السجل البائس لادارة ريجان فى مجال حماية البيئة ، حول بوش قضية تلوث خليج بوسطن الى ورقة رابحة فى حملته الانتخابية ، واكد عزمه على تغيير الصورة حين عين ويليام ريلى ، الداعية المخضرم للحفاظ على البيئة، رئيسا لوكالة حماية البيئة فى الولايات المتحدة . وقد وعد ريلى (٤٨ سنة) ، وهو رئيس البنك العالمى للحياة البريه ، باتخاذ مسار جديد وبناء فيما يتعلق بمشكلات البيئة .

وتناقش فى الولايات المتحدة حاليا اجراءات لرفع ضريبةالجازولين وتشجيع اعادة استخدام النفايات ، وتشجيع استخدام الغاز الطبيعى ، وتنظيم الاسرة ، والتصديق على قانون أعالى البحار ، وزيادة كفاءة وقود ومحركات السيارات ..

ويرى الخبراء ان واجب اليابان (اكبر قوة مالية فى العالم) الاضطلاع بدور رائد فى تمويل حلول مشاكل البيئة . ويعوق ذلك ، رغم رغبة اليابان ، جهود الولايات المتحدة الساعية الى عدم زيادة نفوذ اليابانيين فى المؤسسات الدولية المعنية . ويرى الخبراء حلا للموقف القائم انشاء كيان مالى جديد تحت تسمية « البنك الدولى لحماية البيئة » تتحمل اليابان المسئولية الاساسية عن تمويله وادارته .

هذا كما طرح اقتراح بتخصيص واحدة من جوائز نوبل لعلماء البيئة، لتكريم العاملين فى هذا المجال الحيوى ، بالذات وقد اضاف



الموت فى بحر الشمال

القيمون على الجائزة فرعا جديدا هو الاقتصاد (لم يكن ضمن الفروع الخمسة التى حددها نوبل) عام ١٩٦٨ . وهناك اقتراح بأن تمنح أول جوائز نوبل للبيئة للعالمة الراحلة راشيل كارسون التى ساعد كتابها « الربيع الاخرس » الصادرعام ١٩٦٢ على اثارة انتباه العالم للاهتمام بخطر التلوث .

الانسان يدمر الأحياء

بدافع الفقر والنمو السكانى والسياسات الخاطئة وضع البشر انفسهم فى مواجهة انواع كثيرة ، من النباتات والحيوانات ، التى تشاركهم سكنى الكوكب ..

ويتنبأ بيتر رافن مدير معهد ميسورى للنباتات بان الانسان على مدى العقود الثلاثة التاليةسيدفع الى هلاك وانقراض مائة نوع من انواع الحيوانات فى المتوسط كل يوم (!) .. حقا ان الانقراض

العالم غدا

جزء من عملية التطور ، ولكن المعدل الراهن له يزيد ألف مـــرة ـ على الاقل ـ عن المعدل الذى كان سائدا منذ عصور ما قبل التاريخ ٠

ويرى ٠أ ويلسون عالم البيولوجيا بجامعة هارفارد ان حـــــالات الانقراض الشـــاملة التى جرت من قبل ، وأهلكت أعدادا لا حصر لها من أنواع الحيوانات ، لم تؤثر كثيرا على عالم النبـــاتات البرية ، لكن أنواع هذا العالم بدأت فى الاختفاء بالفعل ٠

وان كانت الدراســات ترجع أن سبب انقراض عـــدد من الكائنات الحية ، ومنها الديناصورات ، كان نتيجة تحول جذرى فى ظروف البيئة، يقع اللوم فيه على الظروف الطبيعية (اصطدام نيزك ضخم بالارض) ، فان الانسان نفسه ، وليس النيـــازك أو البراكين ، هو الملوم اليوم فيما يقع للاحياء من هلاك ودمار ٠

لقد باتت مواطن كثيرة للأحيـــــاء عرضة للاخطار فغابات نصف الكرة الشمالى يجرى تقطيعهـــا (ضمن العمليات التنموية) ناهيك عما تنزله بها الامطار الحامضية من أخطار ٠ هذا كما يتهدد انساق البيئة البحرية فى مختلف انحاء العـــالم التلوث والاسراف فى صيد الاسماك ، اضافة الى مخلفات الاعمار الساحلى ٠

وهكذا تركزت الانظار على المناطق الاستوائية التى يراها العالم ورقة رابحة فى كسب أو خسران معركة الحفاظ على التباين والتنـــوع فى أحياء كوكبنا ٠ والمعروف ان الغابات الاستوائية تغطى ٧٪ من ســـطح الكوكب ، لكنها موطن ٥٠ ـ ٨٠٪ من أنواع النباتات ٠٠ ولا يمـــكن تعويضها باقامة محميات لان هـــذه الاخيرة تواجه مشكلة هـــامة هى معرفة الحجم الامثل الـــذى تدعم المحمية نفسها عنـــده ، وتواصل الازدهـــار ٠ وقـــد أثبتت بعض الدراسات انه كلما كانت المحميـة أصغر ازدادت سرعة اندثار الحشرات والطيور والثدييات ٠

الخطر يهدد الاحياء







برامج كمبيوترية وفضائية

شيدت الامم المتحدة شبكة كمبيوترية تتعامل ، على نطاق واسع .. مع المعلومات العلمية الخاصة بالتغيرات البيئية التي تصيب كوكبنا، وذلك من أجل مساعدة مخططي التنمية ومختصيها على اتخاذ قرارات رشيدة . ويستخدم بنك المعلومات المعتمد على هذه الشبكة أجهزة كمبيوتر قادرة على القيام بـ ١٢ مليون عملية حسابية في الثانية الواحدة .

ويسعى بنك المعلومات الى الحصول على الاعتراف العالمي باعتباره ضرورة علمية وتنموية في نفس الوقت . وقد تلقى البنك مساعدات كثيرة من المنظمات القطرية والدولية بل والمؤسسات الخاصة والجامعات ، الامر الذي ساعد على اتمام مرحلته الاولى بتكاليف لا تتجاوز ٢ر٠ مليون دولار ..

وسيساعد البنك الجديد البلدان الاشد فقرا على ادارة وتنمية مواردها واتخاذ قرارات بيئية رشيدة ، كما انه سيكون في خدمة العلماء الراغبين في فهم افضل للظروف البيئية .

والمجالات التي يهتم بها البنك تتضمن صحة الانسان ، ومياه المحيطات ، والموارد المتجددة ، والمناخ ، وعمليات التلوث الطويلة الامد .. لكن الجديد في نشاط هذا



البنك ليس المعلومات التي كانت موجودة ومتاحة قبل انشائه ، وانما عمليات تحليل المعلومات ومعالجتها بشكل يساعد على استخدامها ميدانيا والمركز الرئيسي للتحكم في عمليات البنك موجود في العاصمة الكينية نيروبي (مقر برنامج الامم المتحدة الخاص بالبيئة) اما مركز اعداد وتحليل المعلومات فيوجد في جامعة جنيف في سويسرا ، وتقدم وكالة الفضاء الامريكية (ناسا) مساعدات فنية وهندسية للبنك الكمبيوتري .

ومن الجدير بالذكر أن رائدة الفضاء الامريكية سالي رايد تقترح حاليا القيام ببرنامج رحلات فضائية يستهدف في الاساس دراسة كوكب الارض ، يمكن أن يكون نواة برنامج دولي للعناية بمصيرالارض والبشرية معها .

تقاسيم على وتر الغربة

قراءة في كتاب صافي ناز كاظم



عن السجن والحرية

بقلم: جمال سلطان

القلق والغربة والترحال ، اوتاراساسية فى قيثارة صافى ناز كاظم او هى المفاتيح الاصلية لعالمها ،والغائرة خلف سطور كتابتها والتى لايستطيع الناقد او الدارس لها ، ان يدخل الى عالمها بدونها .

ولعل حديث « الكآبة » ، ذلك المناخ النفسى والمزاج الاجتماعى والحس الحضارى الذى يشكل النغمة الاساسية فى معزوفتها ، لعله يخدع - بل خدع فعلا - من تامل الاوتار التى نظمت لنا ذلك النشيد الحزين ، والذى يتردد فى خطاب صافى ناز كاظم مالا يتردد فى خطاب ادبية اخرى ، على امتداد ساحة الادب العربى المعاصر .


بريشة الفنان: عز الدين نجيب
ع. نجيب



عن السجن والحرية

فى تقديمه لمجموعتها « رومانتيكيات »، التى صدرت منذ قرابة العقدين « ١٩٧٠ » كتب الاستاذ « أحمد بهاء الدين » يقول : « أقوى ما يشعر به من يعرف صافى ناز ، هو أن رحلتها لم تتم ، انها لم تصل بعد الى ذلك المرفأ الذى يهدأ داخله الموج ، ولا تصبح فيه العواصف غير أصوات تأتى من بعيد، فيمكن القاء المرساة ، والاطمئنان الى السكون » فهل يمكننا نحن الان ، أن نعتمد كلمة « بهاء » هذه ، عندما نتحدث عن اخر ما كتبت «صافى ناز»، وذلك فى كتابها «عن السجن والحرية»، رغم هذه السنوات السبع عشرة التى تفصل بين الكتابين ، حيث صدر الاخير سنة ١٩٨٧ ؟

والحقيقة أننا مضطرون الى أن ناخذ من كلامه وندع ، فالذى يقرأ « عن السجن والحرية » يستشعر ثقة واطمئنانا كبيرين ، لم يعهدا فى كتابات « صافى ناز » الاولى ، اننا نحس أنها قد وصلت فعلا الى « المرفأ » ، والقت « المرساة » ولكن رغم ذلك ، فان رحلتها « لم تتم » ، بل يمكن القول ، بأن رحلتها الحقيقية والجادة قد بدأت!

فى حديثها « عن السجن والحرية » تتحول « صافى ناز » فى بحر الحياة الزاخر بالاحداث والمواقف والشخوص والتحولات ، تنتقل من حديث الثورة الى حديث الشعر ، ومن قضايا الحجاب الاسلامى الى مشكلات الفن المسرحى المعاصر ، ومن أرق اللحظة الانية بصخبها وضغوطها ، الى فسيفساء الذاكرة » وتسرباتها الحانية فى شغاف القلب ، ومستودع الشعور ، نقلات بعيدة ، وفجائية ، قد ترهق القارىء ، وتعيق انسيابية متابعته لرؤية الكاتبة، الا أن المتأمل فى كتابها ، لن يخطىء حسه وادراكه ، أن تلك النقلات البعيدة والتحولات المفاجئة ، هى بمثابة التقاسيم التى تنوعها « صافى ناز » على وتر « غربتها » ، هى الدلائل الصامتة ، التى تسوقها لنا لكى ندرك، لماذا اغتربت عن جيلها ، ولماذا لفظت كل المرافىء « السهلة والمأمونة !؟ » قبل ان تصل الى مرفئها الاصيل، والوحيد، مرفأ الاسلام .

● أزمة جيل

عبر مقاطع صاخبة وعنيفة ، كأنها طلق الرصاص، تسجل لنا «صافى ناز» شهادات وجدانية عميقة ، على أزمة جيلها ، حيث نخلص من تلك الشهادات بادراك ما يشبه حالة « فصام نفسى حضارى » ، أرهق أبناء ذلك الجيل ، وفرض عليهم فرضا ، مسارات التيه، والترحال المضنى فى دوار فارغ .

تقول احدى تلكم الشهادات : «وعندما ظهرت وقتها – فى الخمسينيات – كاتبة فرنسية شابة ، اسمها « فرانسواز ساجان » ، أصدرت وعمرها ثمانية عشر عاما ، رواية « صباح الخير أيها الحزن » ، تحكى فيها تجربتها العاطفية والجنسية الجريئة ، ازعجونا لسنوات – تعنى بعض رموز الفكر والادب فى مصر – تبكيتا ومعايرة ، لان مصر لم تخرج من ذلك الحين ، نصف أو ربع « فرانسواز ساجان » ، حتى أننا كنا





لقطتان للاديبة صافى ناز كاظم الاولى بدون حجاب والثانية بعد ارتدائها للحجاب

نسير مطاطات الرأس ، يشملنا شعور بالخيبة و « الخيانة الوطنية » ، عندما تعدينا الثامنة عشرة ، وشارفنا العشرين ، من دون أن نمر بتجارب « فرانسواز ساجان » ، وبالتالي ، لم نكتب أى صباح خير للحزن أو حتى مساء خير ! ، واكتفينا بأن نقص شعرنا ونرتبه منوشا نازلا على أعيننا التى نرسم فيها تعبير حزن وهم ، بلا سبب ، اللهم الا سبب أن أنوفنا ليست طويلة بما يكفى لاستحضار شبه « فرانسواز » كاملا (ص ٣١) » انها شهادة قاسية ، تمتزج فيها الحرقة بالنبضة الساخرة الهازئة ، والشهادة هنا ليست تدليلا على سرقة فكر جيل، أو « غسيل مخه » وحسب ، بل هى شهادة على « سرقة وجدان » ، وعندما تنجح عملية « سرقة الوجدان » يقع بالحتم « الفصام الحضارى » بين الجذور والروافد ، بين العقيدة الغائرة والسلوك المتدافع المحموم ، وذلك ما تصرح به « صافى ناز » من تعقيبها على رحلة « الاوتوستوب » التى قامت بها فى مطلع الشباب عبر « أوروبا » ،

ونشرت فصولها فى مجلة « الجيل الجديد » أواخر الخمسينيات ، فتقرر فى تعليقها : « اننى أنظر الى هذه التجربة نظرة نقدية ، للاستفادة والعبرة ، وأجد رغم اننى كنت مسلمة بالايمان والعقيدة فى كل لحظة من حياتى ، الا اننى كنت مسروقة من اسلامى ، كانت عقيدتى الاسلامية منفصلة عن سلوكى . كنت أعانى على المستوى الفردى من الانفصام بين العقيدة والسلوك ، وهو الانفصام ذاته الذى يعانى منه مجتمعنا ككل » (ص ٣٣)

وواضح أن « صافى ناز » تسجل موقفها الفردى وتجربتها ، كدلالة نفسية اجتماعية ، تصلح كشهادة على جيلها كله ، بوصفها نبتا طبيعيا للمناخ النفسى والالحاحات الثقافية التى هيمنت على مشاعر جيلها ، وصبغت توجهاته الفكرية ، ومن ثم ، نجدها تتجه فى كتابها الى تسجيل « اتهامات » قاسية لجيلها ، فى عبارات هادرة ،وكلمات متدافعة :

« فنحن الجيل الذى تم تمجيده من حيث كان هوانه ، وأعلن انتصاره



عن السجن والحرية

من موقع هزيمته ، وتصور حريته ، وهو يتنازل عن رأسه ويديه وقدميه ، لتكبلها بسلاسل التبعية وثقالات التقليد نحن الجيل الذى سمى الابداع تقليداً ، وسمى التقليد ابداعا ومعاصرة ، فكان الذى يبدع من تراثنا الاسلامى ، ويسهم فى استمرار امتداد الحضارة الاسلامية ، كان يسمى رجلا تقليديا محافظا ، وكان الذى يقلد وينقل عن الغرب ويحول نفسه الى مندوب مبيعات لكل فكرة غربية ، كان يسمى : رجلا مجددا مبدعا خلاقا » (ص ٣٤)

وعندما تضيق مساحة الرقعة التى تقدم « صافى ناز » شهادتها فيها ، وعندما تتحدد شرائح ذلك البناء الاجتماعى « المقصوم » لا تهدأ نبرة الصوت ، ولا تتراجع لهجة الحسم فى الاتهام ، بل ربما زادت قسوة ومرارة .

فعندما تتناول وجه الأزمة فى مجال « الادب والفكر » فهى تصرح لنا بما تصفه « مؤامرات الاغتيال للمواهب الفنية والعلامات الثقافية التى يتم الاتفاق على قتلها ، بواسطة احكام الصمت حولها ، بحذفها من قائمة الترديد الاعلامى » (ص ٥٨) .

وتضبط لنا أكثر معالم هذا « الاغتيال » فتقول : « يصبح من السهل على اى متمكن من مساحة نشر فى الصحف السيارة ، وغيرها من أبواق الاعلام ، ان يقرر بحسم نهائى من هم أدباء العصر ، ورواد الزمان ، وأعمدة التنوير ، وقادة الشعب الروحيين ، ونتيجة لذلك ، لا يتم تصعيد دور « سلامة موسى » الثقافى والفكرى والحضارى ، فوق « سيد قطب » فحسب ، بل نصل - بالصمت والخوف - الى اعتبار مجهودات « سيد قطب » صفرا الى جوار ما قدمته الراقصة « فريدة فهمى » وأحرزته برقصها ، لمصرنا المحروسة ! » (ص ٥٨) .

والمرارة بادية من لذعة الكلام ، والحقيقة ، فانه اذا جاز لرأى ان يخالف أو يحجم شيئا مما تسجله الكاتبة هنا ، فانه لن يسعه بحال ان ينكر « كاريكاتورية » اللوحة الحضارية التى تشهد عليها - بصدق - صافى ناز ، كما لا نزال نحن نشهد عليها فى الواقع الحى ، ولن يسعه الا ان يشارك الكاتبة فى « كآبتها » من معالم « الظلم » و « القهر » الذى يشعر به - بالضرورة - قطاع واسع من فعاليات الامة الادبية والفكرية .

وعندما تهدأ ريح الثورة ، وصخب الاتهامات ، تخفت نبرة الكلام ، وتأتى ترنيمة الحزن الشجية ، لتهيج فينا ارسخ أوجاع الضمير المصرى المعاصر:

« هل غير الخجل أرتديه ، وأنا سائرة وحدى ، أتنفس الهواء المنبعث من النيل ، الكتوم الطيب ، واتكوم مستندة الى الحاجز الحديدى ، وأصب فى النيل ما لا اقدر على البوح به لاحد انه القهر الذى يمنعك انت ابن المرحلة من التعبير عنها ، والخدمة فيها ، ويكون قهرك تحت الشعار الذى حاربت انت اولا لترفعه ، وثانيا لتحققه وتحافظ عليه ، انت مقهور فى مرحلة القهر ، ثم أنت مقهور فى مرحلة

شعار « قهر القهر » ،لان المرحلةتحولت الى قهر القهر بالقهر ، وتنفيذ العملية بالقصر والعميان والانذ ٠٠٠ ، وتفتح عينيك لتجد انك مازلت انت المقهور فى المحصلة النهائية » (ص ١٨٨) .

● ايمان بالحرية

واذا كان عشق « صافى ناز كاظم » للمداد ، هو المفجر لثوراتها المتتالية، على كل وجوه الزيف والتميع والظلم ، التى سجلتها فى شهادتها على جيلها، فان ايمانها « بالحرية » ، ذلك الايمان الشفيف الرقراق ، هو بمثابة المدد الروحى الفطرى الاصيل الذى يشحذ همتها ، ويضمد جراحها ، فى رحلتها الجهادية الشائكة ، نحو قلاع الحق والخير والجمال . والحرية فى رؤية « صافى ناز » ، لا تقف عند العتبة الخارجيةلبوابة المعتقل ، والذىكابدته اكثر من مرة ، وانما الحرية عندها ، هى تلك الروح اللطيفة التى تتغلغل فى حنايا الانسان ، وتذوب فى ضميره ، لتبعث فيه انطلاقة الابداع الاصيلة ، وتفجر فيه طاقات البذل والعطاء فى شتى ميادين الحياة ، أو كما تعبر هى بنصها : « تظل الحرية هى معيار الحضارة ، واساس المدنية والتقدم ، وكلما ازدهرتالحرية ازدهر الانسان، وحين يزدهر الانسان يطلق لحماسه العنان تتفجر امكاناته ورؤاه، ويتدفق التعبير الفنى فى كلاتجاه فياضا حيا نابضا،ويتالق ذكاؤه بالعلم والابتكار، ويغمر الجميع الحب والرضاء » (ص ١١٧) .

حتى تدينها الشديد ، انما تؤسسه على « الحرية » ، وتنطلق من الحرية نحو « محبة الله » ، ففى رسالة لها قديمة ، كتبت تخاطب مراسلها : « انت لا تعرف مدى غور الدين لدى ٠٠٠ لا تدرى أن انطلاقى وجسارتى ومحبتى وثورتى وحماسى كله منبثق من نبع الاسلام ، الذى كرمنى الله فتفجره داخلى ، وله الحمد ، لعلك تضحك ، ولكنى حزينة ومتألمة ، لماذا تريد أن تفسر تدينى كأنه قصور ، كأنه مهرب، كأنه مصدات رياح ؟ أنا أفضل كثيرا مما تظن، ليس هناك شىء أفعله لا أفعله بحرية ، كما انه ليس هناك شىء أمتنع عنه ، لا أمتنع عنه بحرية ، أنا أحب الله باختيار وعمق » (ص ١٨٢) .

وعندما تتحدث « صافى ناز » عن ازمة المسرح فى واقعنا المعاصر ، فان تخصصها « الاكاديمى » كناقدة مسرحية ، لا يحول بينها وبين الافاق الرحبة للاشكالية ، فتربط أزمة المسرح بازمة البناء الاجتماعى ككل ، وترد الجميع الى « شرط الحرية » ، فى لفتة جميلة بارعة : « مع الحرية يدق المسرح أوتاده ، حيث يجب أن يكون فى قلب الناس وباختيارهم ، ويهب النقد ندا الى جواره ، فكلاهما فرعان لبذرة الحرية الخصبة ، النقد لا يلد المسرح، والمسرح لا يلد النقد ، لكنهما يتوالدان سويا من رغبة البناء الجياشة ، ورغبة السعى نحو التواصل مع أمانى الامة » (ص ١١٧) .



والشهادات التى سجلتها « صافى ناز كاظم » فى حديثها « عن السجن والحرية » ، لم تخف — على صخبها وضجيجها — اللفتات الفنية الرفيعة التى حملها لنا كتابها ، سواء فى الاسلوب أو فى « البناء الفكرى » ، ونجتزىء من ذلك بمثالين — لضيق المقام — يكشفان لنا عن بعض وجوه تلك اللفتات .

ففى استعراض بديع لرائـة



عن السجن والحرية

شكسبير « هاملت » ، تحاول « صافى ناز » أن تصحح المدلول الدينى والاجتماعى لوصف «الشهيد»، وتكشف عن أوجه المغالطة فيما شاع أخيرا من استعمالات ممجوجة له ، افقدته قدسيته وبريقه ، حتى تصل بنا الى الربط بين عطاءاتنا التراثية القديمة ، وبين الابداعات الفنية الاجنبية ممثلة فى « هاملت » وفى تذييل جيد على استعراضها «لهاملت» تقول : « واذا كان الناصح من تراثنا يقول « ان لم تكن حسينيا فكن زينبيا » ، بمعنى : اذا لم تكن مستشهدا دفاعا عن الحق مثل « الحسين » ، فكن شاهدا على الظلم مثل السيدة زينب - رضى الله عنها وعن أخيها - راويا للبطولة والفداء الفذ ، فاننا نجد شكسبير بتقديمه لشخصية « هوراشيو » (١) ، كأنه قد استلهم القاعدة نفسها ، عندما بدت وصيته واضحة تقول فى نهاية مسرحية « هاملت » : اذا لم تكن « هاملتيا » ، أى مجاهدا مستشهدا دفاعا عن الحق وفاضحا للفساد فكن - على الاقل - « هوراشيا » أى مراقبا ، شاهدا ، راويا للبطولة والفداء » (ص ٩٠) أما على مستوى الاسلوب الفنى ، فلسنا نبالغ اذا قلنا ان الكثير من لقطاتها فى هذا الكتاب قد جاء شاهدا على موهبة شعرية شفيفة ، ربما تغيب أحيانا - أو كثيرا - خلف ركام المعارك ومجاهدات الرحلة ، الا انها - بالرغم من ذلك - تومض من بين الركام زاهية قوية ، كما أومضت فى تشيدها الى « سناء محيدلى » الرمز الفلسطينى الشهير :

كم كان عمرك يوم أن زوروا باسمنا التاريخ .. ومنعونا البكاء ؟
كنت فى ظهر أبيك غيبا اسلاميا :
يختزن البشارة ،
ويكتنز الألق ،
ويهدينا المسرة ...
آه يا توشيحة النواح الممتدة من « غرناطة » حتى « طشقند » و « سمرقند » :
تجددى فوق كابول ، وتعالى صوب القدس
واجلدى النوم الهاجعين وسط القتلة !

(ص ١٤ ، ١٥)

والحاسة الشعرية واضحة ، فى اختيار الالفاظ ، واختزال الدفعة الشعورية عبر نسق العبارة الخاطفة، وكذلك فى التقسيم الموسيقى - وليس الكمى - للسطر الشعرى ، كما فى تنويع أواخر الاسطر الشعرية ، بين القطع والاستداد .

بيد أن هذه اللقطات الفنية الرفيعة، لا تمنعنا من أن نسجل على كتاب « صافى ناز » الاخير ، استعلاء الفكرة - بوجه عام - على الاسلوب ، ولجوئها - احيانا - لاستعمال اللفظ الدارج ، وان كان السياق العام ، وما يظله من تداعيات وجدانية حية وصادقة ، ربما جعلنا نلتمس لذلك المخارج ، كما أن قسوة الشهادات التى يسجلها لنا « عن السجن والحرية » ربما استدعت قعقعة السلاح ، لا رقص الكلمات .

(١) - هوراشيو - : الشخصية الشعبية الحكيمة العاقلة والنبيلة، التى تدمها شكسبير فى المسرحية كصديق حميم لهاملت ، والتى اختارها هاملت - لتكون راوية قصته ، وشاهدة نضاله .



كتاب الهلال
يقدم :
مذكرات
الزعيم أحمد عرابي
بقلم : زعيم الثورة العرابية
أحمد عرابي
يصدر
٥ مايو
١٩٨٩
روايات الهلال
تقدم :
امبراطورية الشمس
تأليف : ج . ج بالارد
ترجمة : محمود مسعود
تصدر في
١٥ مايو ١٩٨٩

البوح و الشهادة

شعـــر

ماجـــد منصور البراك

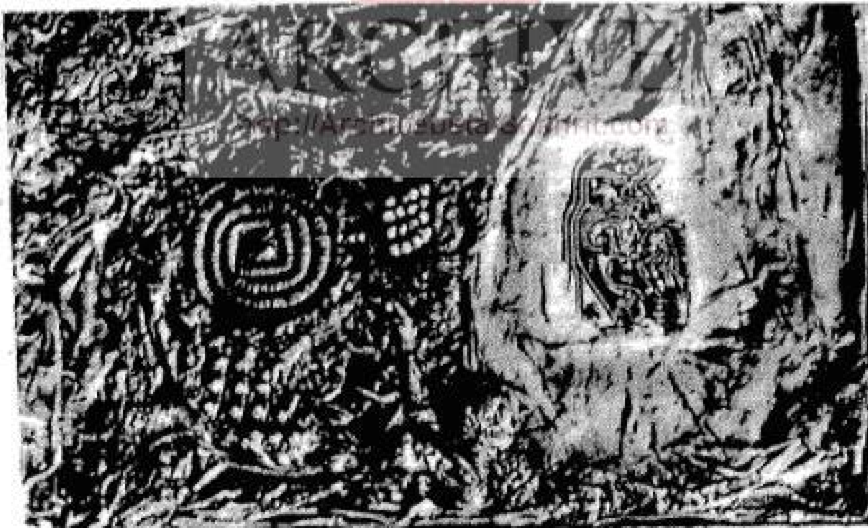
ينغرس المسمار بكفى
اصـــلب
متدثرة فى دمى المسفوح
احلم كونا
يتولد ، يتدحرج من بطن الجنيه
سوف تكون الكلمـة للصمت
فى هذا الكون المتكسر بالكلمات
ستمارسنى الدنيا وأمارسها بالحق
وتضفرنى فى كل خلاياك
انتفض سيوفا .. انتصب جبالا
اتمطى فيئا فى عين الشمس
ساشكل ضلعى متراسا
فساجهر
اشد وقصتى الاولى معك
بنشيد فى لون خطايانا المحبوبة
بنشيد فى لون الغربة عنك
او حزنك اذ اغفو
فوق اسنة السنة الناس
او قلبك اذ يتشرب ظلى
ويمارس فى تمرده وتشرده
قبل لقائك قلت :
من يحلمنى فى ليل الاقمار الفضة
انفجـر نخلة .. فى قلبـه
فاطاول سقف الدنيا
اهدمـه
واهدم كل ضلوع الديناصور الصدئة
فيفور الذهب الكونى وينثال
يملأ حدقاتى بالعسل وصوتى بحنين الموال
فلتصبح كل صبايا الكون
تيجانا كرجال الدنيا
القـــاك
يتاثرينى الصمت
اشبع من نظرتك المشحونة بالرى
وجلال الســـمت
يسقط من كفى المسمار
ينبت فى كفى المزمار
واحيـــا ،


حلمى التونى ٨٩



محمود بقشيش

موسم حافل بالابداع والاثارة



لوحة للفنان عبد السلام عيد

شهدت قاعات العرض الشهر الماضي ارتفاعا ملحوظا في مستوى الأعمال الفنية . ولست أبالغ إن قلت إن كل فنان قدّم أفضل ما عنده ، وفي ظني ان أحد أسباب تلك الحالة يأتي من مصدرين . أحدهما ذلك الإسهام الفعال لفناني الاسكندرية ، الذي تمثل في غزوات فردية وجماعية متلاحقة ، وناجحة ، لقاعات العاصمة ، والثاني يأتي من رد الفعل لعدد من ابرز فناني القاهرة !..

● ومن السكندريين لمعت أسماء منها : فاروق وهبه . عبد السلام عيد . محمد شاكر .. طارق زبادى . أحمد عزمي . عادل المصرى . بكرى محمد بكرى . عصمت داوستاشي . فاطمة العرارجي . ومن القاهرة شارك "صبري منصور" بمعرض هام ، اكد به الطريق الذى انتهجه مذ عرفناه : الطريق إلى فن مصرى ، مصاحباً في رحلته زاده من المفردات الحميمة ، المحملة بالدلالا والرموز ، الموصولة بالحلم ، وبالإضاءة القمرية ، الباردة ، التي تداعب عماراته القطرية ، وتستضيف مسوخه البشرية "الأليفة" ! .. يبتكر لكل عناصره أشكالاً وتصميمات لا تلتزم المألوف من أسس التصميم ، وإن احتفظت بتوازن وتماسك واضحين . وقدم "فرغلي عبد الحفيظ" ما يؤكد التوجه نحو نفس الهدف .. اى نحو فن مصرى ، وشارك "صبرى" في الطابع البنائى العام . السكونى . وإن خالفه في الطريق إلى تحقيق ذلك . استلهم "فرغلى" الإيحاءات المعمارية لدهشور ، واستعان بخامات ورقية ذات ملمس مخملى ، كما صاحب في رحلته مفردته الحميمة - العروسة ، وإن اضاف إليها هذه المرة عددا آخر من المفردات مثل السمكة والتمساح ، وتوجه بكل هذا الحشد إلى منطقة تتسع للرمز كما تتسع للشكل الجميل . وشارك في المعركة الجمالية الفنان "يسرى حسن" الذى ترعاه السيدة "عايده ايوب" واثار بمعرضه عديداً من التساؤلات .. لم تجد لها إلا إجابة واحدة هي - الدهشة ! فقد فاجأنا هذه المرة بصفة جديدة عليه : صفته كنحات .. للخامات الصلبة ، الصعبة .. كالجرانيت والرخام وغير ذلك ، والمدهش اننا لم نسمع بميله إلى النحت فضلا عن ممارسته إياه إلا منذ بضعة اشهر !.. فقد عرفناه مصوراً سيريالياً ، تكشف لوحاته عن تعاطف شديد مع لوحات "سيلفادور دالى" ، وإذا به يفاجئنا بكمية ضخمة من المنحوتات تحتاج إلى سنوات للتنفيذ . وبرغم عدم إعلانه عن سر هذا التحول أو عن الكيفية التي أنجز بها هذا الكم الكبير .. فإن منحوتاته تكشف عن بصمة الحنين إلى منحوتات بعينها للفنانين : محمود مختار . محمود موسى . عبد البديع عبد الحي . وربما



أراد لها الفنان "يسرى حسن" أن تكون تلك المنحوتات قراءة إبداعية لبعض منحوتاتهم الهامة .

وشارك فى الحلبة ـ من القاهرة أيضاً ـ فنانون آخرون أمثال : "سيد محمد سيد" الذى قدم مفاجأة أثبت بها أن الموهبة الحقيقية يمكن أن تولد وتتألق بعيداً عن الدراسة المعهدية . ضم معرضه لوحات استلهمها من شكل العمارة الفطرية ، وجسّد بها رؤيته ، واطلعنا بواسطتها عن عالمه الداخلى الذى يتصارع فيه التشاؤم والتفاؤل ! لهذا امتلأ معرضه بالأطلال والصدوع والسواد ، كما ازدحم بالعمائر المشرقة كل الاشراق . العمارة لديه ، والأطلال بديلان عن حضور الإنسان .. لهذا اختفى الانسان بهيئته المباشرة ، واكتفى بأن كشف لنا عن ظاهره وباطنه بثنائية "العمائر والأطلال" : من الخارج مشرقة ، ومن الداخل حزينة . تائهة . تظهر بها سلالم طويلة لا تفضى إلى شىء . وشارك فى تلك الاحتفالية الفنان الشاب "رفقى" برسوم ملونة بالألوان المائية والحبر الصينى ، كشفت عن درجة عالية من المهارة والحساسية ، جسد بهما عالماً كابوسياً .. "ممتعاً" ! .. يضعه بجدارة بين فنانى الصف الأول !

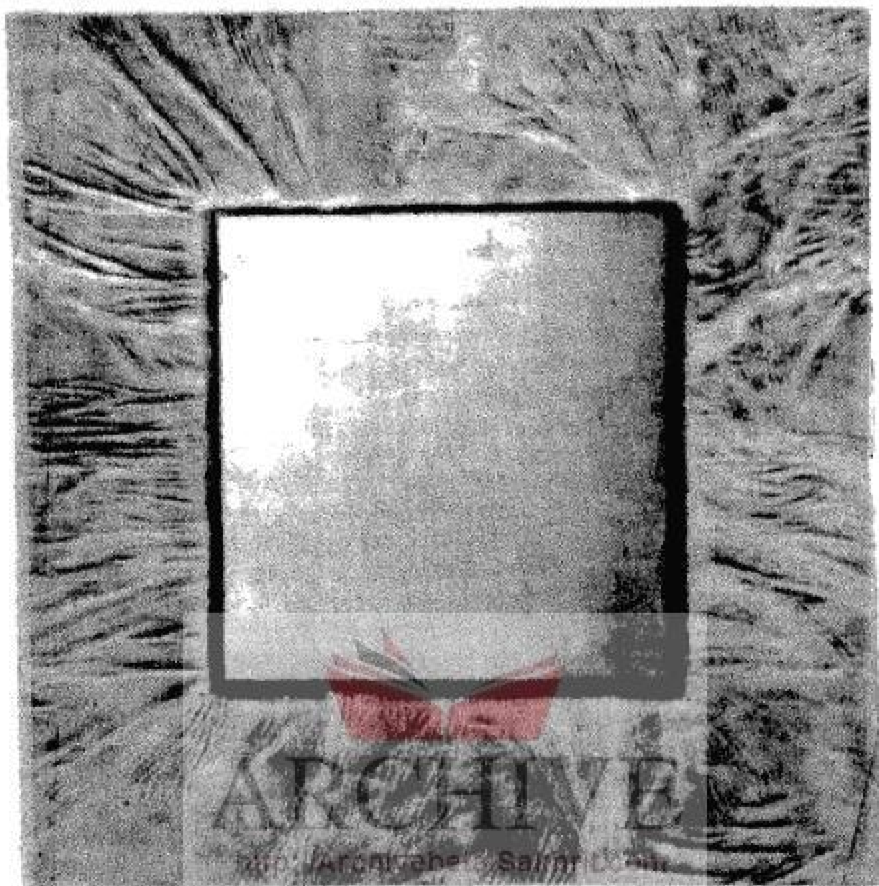
وشارك الفنان "محمد عبله" بكوابيس أخرى مغايرة .. ذات نكهة هجائية مباشرة ، ونبرة زاعقة .. يحتج بها ضد تشوهات الواقع المصرى .. ولم يحفل بأناقة الأداء بل اهتم أساساً بأن يكون صادقاً مع نفسه ، ولم يستخدم غير أقلام الفحم وورق "الكلك" الشفاف .

وقدم الفنان "طه حسين" أكبر تظاهرة فنية تستحق وقفة خاصة لا تسمح بها تلك العجالة ، فقد قدم ثلاثة معارض فى وقت واحد .. فى مجمع الفنون وقاعة "جوته" وذلك بمناسبة بلوغه سن الستين !

إن تلك المعارض وغيرها مما لم أتمكن من متابعتها يحتاج ببساطة إلى إعادة تشديد الدعوة إلى مجلة تشكيلية متخصصة ، تقوم برصد وتقويم تلك الإبداعات التى تألقت هذا الموسم .. لهذا لا مفر من الانتقاء : تارة من بين المواهب المرموقة ، وتارة من بين المواهب المغضوب عليها !

• دراما الحبال .. فى معرض عبد السلام عيد

يفاجئنا الفنان السكندرى الكبير "عبد السلام عيد" فى كل معرض بالجديد . المبهر . المحرك لنوازع الخلق . كاشفاً عن قدرات ومهارات هائلة فى التعامل مع وسائط كانت تُعد غير فنية قبل ثورة الفن الحديث . ويركّب ، ويبنى ، ويشكل بشتات



نوال معالج على ابلاكاج .. للفنان عبد السلام عيد

الخامات والملامس وحدة عضوية متماسكة أشد التماسك . وإذا كان الفنان "صلاح عبد الكريم" قد شكل من نفايات تنتمى إلى خامة واحدة هى "الحديد" فقد لجأ "عبد السلام عيد" - أحياناً - إلى خامات متناقضة كالحديد والخشب والقماش .. غير أن شاعريته تألقت عندما اختار العزف على الملامس المتباينة لأنواع القماش ، وحاورها بالأصباغ المختلفة . وأحيت تلك التكوينات العجيبة فى الذاكرة صوراً لبراكين ، وعوالم مبهمة ، مشحونة بإيحاءات عميقة تستحيل على قبضة الكلمات . تواجهنا أحياناً نوافذ مفتوحة



عن آخرها لتسكب في عيوننا وحواسنا فضاء عميقاً غامضاً . إن لوحاته تمسك دائماً بما لا يستطيعه غير الشعر ، حيث تذوب وقائع العالم المألوفة ومفجعاته في خلايا اللوحة .

في معرضه الأخير ، ومحوره أعمال صيغت بجدائل الحبال البيضاء .. خلتها تحدثني قائلة : لقد شاهدتم "العُقَد" في أعمال الزينة مثل "المكرمية" وحبال البحارة ذات الطابع العملي .. اما الآن فهاهي للمرة الأولى في مصر حبال تشكل فيما بينها اعمالا درامية !.. جاءت من حبكة البناء ، والتنوع ، والتداخل الثعباني ، والمفاجآت .. فهاهو ذا ملمس ولون الثعبان يتغلغل في تداخلات الحبال المحبوكة حوله !.. فأي معركة تلك ؟!.. وأي صراع مخيف ؟!.. وفي عمل آخر تتمدد الجدائل في انبساط ، لتسمح بوجود مساحة صريحة ، وخطوط صريحة ، أقرب إلى خطوط المؤلف الموسيقي الذي اكتفى بافتتاحية قصيرة .. تنتظر تفاعلاتها .. منك !.. وهاهي ذي الشجرة ، الوارفة ، العملاقة ، تخطف الأبصار بجلالها .. وتدعوك إلى الخشوع في حضرتها . وهاهو ذا الإطار الدائري ، والإطار البيضاوي الذي يحيي في ذاكرتك أطر الصور التذكارية القديمة .. ثم هاهي ذي الكرة الأرضية المشتعلة والمعلقة في فضاء القاعة ، يدعوك إلي الالتفاف حولها .. تستقرىء التضاريس المبهمة ، فلا تجد في نهاية الأمر إجابة تشفي الغليل !

لقد نجح "عبد السلام عيد" في هذا المعرض في إيجاد صيغة متماسكة بين العمل الذي يصلح للزينة ، دون ان يفقد الضرورة الدرامية للعمل الفني الجيد ، كما يحفز بالمستوى الرفيع في الأداء فنانين آخرين لاكتشاف إمكانات تعبيرية وجمالية كخامات أخرى .

● الجديد في معرض حسن غنيم

إقام الفنان "حسن غنيم" معرضاً بالقاعة المستديرة بنقابة الفنانين التشكيليين ، وينتمي إلى قافلة الفنانين الذين يستلهمون الفن الإسلامي بأشكاله المختلفة والمتنوعة ، استلهم ، فترة ، شكل "المشربية" كما استلهم "الخرط العربي" ، وظهرت المشربية على شكل دوائر تتنامي وتتكاثر أو تتداخل .. وشهدت معارضه تنويعات لا حصر لها من وحدة "الدائرة" .. مضيفاً إليها بعض ما تعلمه من فن "الأوب" . والطريف انه اعترف ذات مرة بان تلك الدوائر وإن أوحت بشكل المشربية فإن مثيرها الحقيقي كان شكل "البرتقال" !.. فقد لفت نظره الشكل الهرمي المنتظم لشكل البرتقال عند أحد الباعة ، فصاح صيحة أرشميدس :

وجدتها !.. فقد فتنه الدور البنّاء الذى تقوم به (وحدة) ثمرة البرتقال . فنقلها بهيئتها المباشرة قبل ان تتعرض لدرجات عن التلخيص بلغت اقصاها فى معرضه الاخير .. فدوائره الاخيرة مجرد مساحات ذات بعدين ، تقترب أو تبتعد تبعاً لدرجاتها الضوئية ، كما تألقت بالألوان الصريحة . الساخنة . دون ان تفقد عبق الإيحاءات الروحية .. التى بررت الكثير من لوحاته السابقة .. خاصة فى المرحلة التى انحاز فيها إلى اللون الأبيض ، حيث غلف عناصر لوحاته بغلالات بيضاء .. أشبه بدخان البخور ! وتظهر فى معرضه الأخير معالم جراة لفتت إليه الأنظار فى صياغة التصميمات .. منها على سبيل المثال لوحة يشقها خط حـاسم ، ويقسمها إلى مثلثين متساويين ، ويقوم هذا الخط المحورى بدور الحمالة لنوعين من الخطوط : خطوط مستقيمة تتجه بميل إلى الداخل ـ أى إلى الخط المحورى المائل ـ وخطوط مقوسة فى النصف السفلى .. وتم الانتقال برفق بين نوعى الخطوط المتناقضة ، وتجلت فى اللوحة صورة معبدية مؤثرة .

قباب . للفنان حسن غنيم



لحن شرقي للفنان حسن غنيم





تكوين زيتي .. للفنان راغب اسكندر

● راغب اسكندر .. والتجريد اللاشكلي

هذا هو المعرض الفردي الحادي والعشرين . وشارك في كل المعارض الجماعية الرسمية في السنوات العشر الأخيرة على الأقل . واقام العديد من المعارض في قاعات غير مجهزة للعرض مثل مراكز الشباب ، ومحطة القاهرة للسكك الحديدية .. ورغم هذا الحضور الدائم فهو غائب دائماً .. عندما تكون



هناك نية رسمية لاقتناء أعمال فنية من الفنانين ، وغائب ايضاً عن التمثيل فى المعارض الدولية !.. ورغم ذلك فإن إصراره على الانتاج الفنى يدعو إلى الدهشة ، واصراره على اسلوبه الفنى مستمر !.. إن اسلوبه الفنى يمكن إدراجه فى إطار "التجريد اللاشكلى" .. وهو يشارك فنانى هذا الاسلوب فى كونهم صيادين لومضة فى العمل الفنى الذى يتم انجازه فورياً أو تلقائياً فى معظم الأحوال . لهذا تتسم لوحاته بدفء المصادفة السعيدة .. الناشئة من امتزاج الألوان بالألوان ، وبالآثار التى يستحيل على لمسة الفرشاة أن تأتى بها . أما معرضه الأخير فقد كشف عن درجة ملحوظة من الاتقان فاقت معارضه السابقة .

من مجموعة السحر للفنان راغب اسكندر



راقصة كونيه .. للفنان بابلودى جيفنوا

● معرض «بابلو دى جيفنوا»

لقد حررت ثورة الفن الحديث "التصوير الفوتوغرافى" من الطابع الميكانيكى البسيط .. وتحول إلى فرشاة تتحرك بناء على الاسلوب الفنى للموّجه الكامن خلف العدسة !.. وانقلبت الآية .. فبدلاً من حرص فنان عصر النهضة على أن يكون بديلاً عن "الكاميرا" صارت (الآلة) تقلد أكثر الاتجاهات الفنية جموحاً وجنوحاً إلى التجريد والمذاهب التى تتجاوز المألوف للعين !.. وتكاد بعض صور الفنان الاسبانى "بابلو دى جيفنوا" الذى اقام معرضاً بقاعة السلام .. تكاد أن تكون لوحات مرسومة لا مصورة .. عن طريق تمكنه من الحيل المعملية المختلفة .. مثل طبع عدد من الصور السالبة دفعة واحدة .. وغير ذلك من طرق الحذف والإضافة .. ومن اجمل لوحاته تلك التى صورها لراقصات الباليه والجسد الإنسانى العارى .. فقد بلغ بها حد التصور بانها رسوم مائية . إن اسلوبه الجانح إلى التجريد من شانه تمديد مساحة الإيحاء .. فراقصة الباليه غريبة . (الذى احتفظ لها بالنيجاتيف) تبدو كما لو كانت راقصة كونية . تطل على عالم فيه الكثير من الوحشة ، وقد يظهر الجسد الإنسانى عبدداً فى الفراغ ولا يحتفظ إلا بما يبقيه فى هيئته الشبحية .



شتات الشقائق

قصـــة :
جمال الغيطاني
ريشـــة :
عادل ثابت

فانتبهت بلهفة ، بعد ان وصلت بالمطان .. تمنى مواصلة النوم الى ما بعد الموعد . الا تتمكن من ايقاظه ، في الخامسة يجب ان يكون في المطار ، عربة الاجرة ستجيئه في الخامسة ، الشـــوارع خالية في الصباح الباكر ، قدر السائق ساعة للوصول الى المطار ، هذا مـــا حدده عند الاتفاق معه ، انه جارهم ، ويســـكن الناصية القريبة ، حين توقيت المفارقة ، تمـــام الخامسة ، لكنه يجب ان يصحو في الرابعـــة والنصف ، بالفعـــل ،

شتات الشقائق

يصلى ، يرتدى ملابسه، لكن الأهم تناولهما لقمة معا لآخر مرة قبل الرحيل . آخر افطار بصحبته ..

آخر افطار ؟

لماذا ؟ لماذا تقترن النهاية باللحظات المنتظرة قال فال سيىء ينبغى تحاشيه ، صحيح .. انه سيغيب سنة ، لن تراه قبل اثنى عشر شهرا ، سنة ستتبدل خلالها أحوال ، تقوم اوضاع وتحيد مصائر ، لكنه سيرجع ، ستراه مرة أخرى ، لماذا يرتد خاطرها ، آخر افطار ، آخر مرة .

صحيح .. الغياب صعب ، ولكنها يجب أن تبدى الجلد، الا يذكرها طوال الشهور القادمة دامعة ، يجب أن تبتسم، اما أن تدمع فى حضوره فهذا شؤم غدا ستجلس الى المائدة بمفردها . ستعد كوبا واحدا من الشاى بدلا من اثنين ، ستضع رغيفا بدلا من رغيفين، ستأكل بعد دهاء، ستشرب الشاى مطرقة الى الارض .

يا عالم .. متى يلتقى الحى بالحى ؟

فى مثل هذه الساعة غدا ، سيكون هو فى ناحية ، وهى فى ناحية، سينزل أرضا غريبة يطؤها لاول مرة ، وستمسى هى غريبة فى موطنهما ، حذرة ، منقطعة ، فما أبعد الاقارب الذين يعيشون فى الصعيد الاعلى ، وهنت الصلات التى كانت يوما وثيقة ، خاصة بعد رحيل الوالدين .

تقعد عند حافة السرير ، تدنو من ذرى الشجن ، توشك أن تدمع ، تحوش نفسها ، يجب الا يلمح طيف حزن فى عينيها ، يجب الا تحمله هما فوق همومه يكفيه قسر الغربة، ومشقة الرحيل ؟

ثم انها ليست المرة الاولى التى ستبقى بمفردها ، الم يسافر خارج القاهرة مرارا الم تختلف مواعيد خروجهما الى عملهما ؟

لكن .. فرق بين سفر قريب ، ورحيل طويل ، فى رحلاته القصيرة تدرك بشكل ما انه هنا . وهنا تعنى هذه الصالة والشوارع المحيطة والضواحى ، والبلاد التى يمضى اليها يوما او يومين ان فى بحرى أو فى قبلى ، لكنه غدا سيكون بعيدا ، سيغيب نفسه من البيت ، سنة كاملة لن تسمع صوته الا عبر الهاتف ، هكذا يقضى العقد الموقع بينه وبين صاحب العمل ، عام متصل .. ثم انها يجب عليها اعتياد البقاء بمفردها ، لن يظل معها الى الابد،يوما ما سيذهب الى بيته ، سيتزوج ، يطل عليها بين الحين والاخر ، هى شقيقته الاكبر منه ، التى مال حظها ، وقضى عليها ان تعيش بمفردها ، سيجىء اولاده الصغار اليها ، ستحنو عليهم ، ستجهز لهم الحلوى ، سيملئون البيت صياحا،وضجيجا، ودفئا ، ثم يمضون .

يجب ان تعد لايام وحدة مقبلة ، لكن الايام التالية لرحيله ، الايام الاولى ستكون صعبة ، قاسية ، هذا مفروغ منه، ولا لوم عليها لان قلبها يفيض شجى ، لكنها يجب أن تحجب ، ان تدارى عنه .

تقوم ، يجب ايقاظه بعد قليل ، تقف عند الباب المطل على الصالة الضيقة ، المائدة ، المقاعد الاربعة ، بجوار باب الشقة حقيبة سفره بنية اللون ، مرتفعة ، اقفالها صفراء نحاسية المظهر ، تلمع فى الضوء الخافت ، على حافتيها ورقتان مستطيلتان ، كتب عليهما اسمه وعنوانه ، حقيبة أصغر،

سوداء ، سيحملها بيده، دفعها مرارا قبل نومه ، دعاها لتجرب ثقلها ، سعى الى اشراكها فى كل خطوة ، لم تتردد ، لم تتقاعس ، لم ترجف تأثرا ، بل اقبلت مبدية حماسا مضاعفا ، قالت ان ما يثقلها الكتب ، لكنه وزن معقول ، كلا الحقيبتين اشترياها من الدرب الجديد قرب العتبة الخضراء ، لم يمتلكا الا حقيبة قديمة استخدمها فى أسفاره القريبة .

تجتاز الصالة ، تقف أمام باب غرفته المواراب قليلا ، صعب عليها الوقوف على حاله ، نائم مستيقظ ؟ ، الليلة القادمة ستخلو هذه الحجرة منه ، لن تغلقها، ستبقيها مفتوحة ستنظفها يوميا و تفتح النافذة لتهويتها، وترتب ما تركه من أوراق وتنفض الغبار عن الكتب، تعاود النظر الى الحقيبتين ، الى جواز السفر الموضوع على حافة المنضدة ، تطل منه بطاقة الطائرة ،تتجه الى المطبخ، رائحة غاز؟ لكنها احكمت اغلاق الصمام قبل النوم ، أوصاها مرارا خلال الايام الماضية بضرورة اغلاق باب الشقة جيدا، وحبس الغاز ، تفتح الصنبور ، تملأ كوبا ، تفرغه فى البراد المعدنى، كوبا آخر ، اثنين ، بعد ذلك لن تعد الا واحدا ... حتى عودته سالما .

تشعل الموقد الغازى، النيران خفيف خافت ، بعد أن يغلى الماء تضع الشاى ، تتركه قليلا ، كوب مضبوط ، معطر بالنعناع ، اعتاد شربه قبل خروجه الى عمله .

تضع طبق الجبن ، طبق الفول ، الخبز تصلب قليلا ، ستضعه على النيران ، لم تعد تتحرك بحذر ، حان موعد صحوه ، تقف بالباب .

ـ انا صاحى ..

ـ صباح الخير ..

الساعة الرابعة والربع .

يزيح الغطاء ، يشعل الضوء، عيناه مزرورتان

ـ اذن الفجر ؟

ـ اذن الصلاة بدأت

تتجه الى المذياع ، ينبعث صدى الفراغ ، انها لحظة الركوع ، او السجود ، لحظة صمت الامام ، شخص ما يسعل ، ترى . من هو؟ الله اكبر .. تذاع الصلاة من مسجد الامام الحسين ، عاشا بالقرب منه طفولتهما وصباهما، وصدر فتوتهما . بعد انتقال الاسرة الى تلك الضاحية ، وحتى غياب الوالدة ، اعتادا صحبتها اسبوعيا لزيارة ضريح الحبيب الشهيد ، ثم العروج على الصحب من جيران العمر .

كانت المرحومة تقول انها لا تستطيع العيش بعيدا عن الحسين ، وافقت من اجل راحتهما، فالبيت عتيق وضيق ، لكنها من الضرورى ان تطل بين الحين والحين على الاحباب القدامى، جيران العمر ، كانت تقول ان عمرها تفرق هناك على النواصى ، الحوارى ، والمتاجر التى اعتادت شراء حاجاتها منها،اسماعيل الخضرى نصرى الجزار ، عبد الهادى البقال .

بعد رحيلها بغتة ، سعت الى الاماكن التى احبتها المرحومة ، الى الارض التى مشت فوقها بعد احدى زياراتها ، قالت لشقيقها انها رأت المتقدمين فى العمر يسعون، كلهم هناك .. فلماذا غياب امها المبكر؟ لماذا وهى اصغر سنا من كثيرين مازالوا ..

يومها قال انهما يجب الا يكفرا بالقضاء ، انه اجل ، ولكل اجل كتاب .

تعرف ان امها رحلت محسورة ، لم تطمئن عليها ، لكم ودت ان تراها فى بيتها ، لكم تمنت أن تداعب احفادها منها ، كثيرا ما عادت اليها بأدوات تجميل ، وقماش جديد ، تتطلع

شتات الشقائق

اليها صامتة ، لم تقل كلمة . لكنها ادركت نظراتها ، وجرى حوارهما بالصمت ، حادا عن الخوض فى أسباب الحظ المائل ، والبخت الوحش ، كانت تقول انها زينة البنات ، فهى هادئة الملامح ، خفيفةالحضور ،متناسقة لم تحد قط ، لكنه الحظ المائل ، وصعوبة الوقت ، وتعثر الاحوال !

لو انها بالقرب منها الان ، لو ان نفسها يتردد فى البيت لاطمأنت ، ولما خشيت الليالى المقبلة ، لكنه الاجل ، لكنه النصيب . لا تستمر . فتتوالى الصور ، وانبعاثات اللحظات الشاردة ، أمر جالب للتأثر ، للدمع ، مثير للحنقة ، وهذا ما يجب تحاشيه وتجنبه حتى خروجه وسفره بالسلامة .

يقف فى الصالة ، يحلق وجهه . يتطلع اليها ..

ـ الدنيا برد ..

ـ اخر الليل .. وبرد السنة صعب ..

بعد لحظات تساءلت ..

ـ وهناك ؟

ـ النهار معتدل ، ولكن برد الصحراء شديد ليلا ..

ـ تفرجت على النشرة الجوية فى التليفزيون ، عاصمة البلاد العظمى فيها اثنتا عشرة والصغرى صفر ..

لم تقل انها تساءلت دائما عن جدوى عرض درجات الحرارة فى عواصم الدنيا وهذا يوم يجىء تهتم فيه بطقس بلد لم تره أبدا ، سيسعى شقيقها فى نقطة نائية منه .

ـ انا كتبت ارقام عداد الكهرباء ، علقت الورقة على الباب .. يستحسن هذا دائما ..

تومىء ، طوال الايام الماضية يوصيها ان تنتبه ، الا تفتح الباب لاى انسان الا بعد رؤية شخصه من العين السحرية ، أن تعود من ناحية العمارات بعد نزولها محطة الاتوبيس ، صحيح المسافة أطول لكنها اكثر امنا من الطريق المجاور لسور النادى ، يردد أن الدنيا صارت وحشة ، والامان شحيح ، تبتسم وتوصيه أن ينتبه هو الى نفسه ، الا يعول هما كل ما اوصاها به ستنفذه بحذافيره .

انه يحوش نفسه عن النطق بوصاياه ، تكرار ما قاله مرارا خلال الايام الماضية ، الان .. والوقت يعبر ويدنو يتحاشى معانى لها وثيق صلة بغيبته الطويلة ، بسفره ببقائها وحيدة .. ، يقف مرتديا قميصه ، وبنطلونه ، لم يرتد الحذاء بعد ، اخرجه من تحت سريره ، وضعه أمام المقعد المجاور للمائدة .

ـ تأخرت سهرة التليفزيون امس ؟

تلتفت اليه ، وضعت طبق الجبن الابيض ، والفول ، وبراد الشاى .. ثم طبق البيض المقلى ..

ـ لم اكمل التمثيلية

ـ لا يضعون فى الاعتبار ذهاب الناس مبكرين الى اشغالهم ..

ـ صحيح .. لكنه يسلى الخلق .. ينظر الى المائدة

ـ غذاء او افطار ؟

ـ امتد نفسك اليوم طويل ..

نفس العبارة كانت تقولها المرحومة للوالد عند شروعه فى السفر الى البلدة زمان . كان يركب قطار الثامنة ، يغادر البيت فى السادسة او بعد صلاته الفجر مباشرة .

يجلس الى المائدة

الصغيرة ، يمضغ بسرعة ، هذه لحظات سوف تستعيدها مرارا، من بين كل مرات افطاره لن تتذكر الا تلك اللحيظات ، يتطلع الى الساعة ، لم تصل العربة بعد ، ايقاع الدقائق الان اسرع ، الصمت بالغ مداه ، وثمة طنين غامض مجهول المصدر ، صوت الصمت ذاته .

– تغير طعم البيض

ملاحظة ابداها من قبل مرارا . تجيبه بنفس الكلمات ..

– من الصعب الحصول على البيض البلدى ..

ثم تقول :

– كل شيء تغير طعمه

يطوف بعينيه حول الصالة ، كأنه يدقق معالمها ، يتحاشى مثلها تلاقي نظراتهما . ترى .. اى الصور تتوالى عليه الان ؟ الان بالذات؟ تحجم عن النطق بالسؤال ، اوقات جلوسهما الى بعضهما محدودة ، قصيرة ، تعقب دائما اوقات الطعام ، وهذه المرة تتقلص ، فبعد ان يفرغ سيفارق مباشرة ، وربما لن يتم شرب كوب الشاى ، كان حديثهما اليومى يدور حول موضوع بعينه ، الان يحومان حول بعضهما، فى لحظة يدنوان ، وفى اللحظة عينها يتأيان . لا تذكر من قال امامها انه يفضل السفر والاهل نيام ، اللحظات الاخيرة مرهقة .

انها ترى لحظات استعادتها هذا الوقت القصير ، الفاصل ، ستتذكره متمهلة والحنين اليه يهمس ، يفرقهما ، هو فى ناحية ، هى فى اخرى ، لكم جلس الى المائدة ، لكم تناول افطاره ، لكم رشف الشاى ، لكن هذه اللحيظات بالذات ، هذا الحضور !

محرك السيارة ، يتزايد ، يعلو ، يتوقف

– وصل ..

يقوم ، مستنفرا للاقلاع ، حركته الان أسرع ، لفتاته ، ارتدائه الجاكتة .

– معك تصريح العمل ..

يومىء . يشير الى حجرته

– التوكيل فى الدرج الايمن ..

– ياه .. لا تذكر هذا التوكيل ..

تواجه ابتسامته الهادئة ، ابتسامة تبرر قولا ، او تخفف امرا لا تود سماعه ..

– الحياة علمتنا أن نحتاط ..

– اذكر خيرا ..

يقول خافت الصوت

– كله خير باذن الله

– دعنى اصحبك

– معقول ؟ وكيف ترجعين من المطار .. الدنيا شتاء والظلام يستمر حتى السابعة صباحا ..

لا تدرى ما يجب القيام به ، تبذل جهدا حتى لا تدمع عيناها ، لن يذكرها باكية ، هو من بقى لها فى الدنيا ، وها هو يرحل، تميل على الحقيبة الكبيرة . يربت كتفها

– ستبقين هنا ..

– لا .. حتى الباب

– طيب .. هذه ثقيلة عليك ..

تصر ، وكأنها تشارك بقدر فى حمل عبء الرحيل ، تنزل درجات السلم . هل ازداد اطراقه .

– يكفى هنا

– حتى العربة ..

لكنه يقف امامها ، هذا كاف جدا ، لاداعى لخروجها الى الطريق، برد الدنيا شديدة وملابسها خفيفة . يمد يده ، يلمس شعرها ، تنحنى ممسكة بيديه ، تقبلهما . تماما كما كانت تفعل عند بدء غياب ابيها فى الزمن القديم الذى لن يتبدد ابدا ..

أوسكار التحريف للتاريخ



والتعصب المقيت !

بقلم :
مصطفى درويش

اوسكار تمثال برونزى صغير ، يقرأ اسمه على صفحات مئات الجرائد والمجلات ، تشاهد صورته على مئات الملايين من الشاشات، وهو يسلم الى كل من كان من نصيبه الفوز به من مبدعى الافلام على مدار العام السابق ، وذلك فى حفل او استعراض كبير يقام فى عاصمة السينما « هوليوود » قريبا من نهاية شهر مارس من كل عام .

ومن هنا جاءت شهرته التى تجاوزت وطنه الولايات المتحدة الى جميع ارجاء المعمورة بلا استثناء .

بل لعله الان ، اشهر تمثال فى العالم .

ولعل جائزته تفوق فى الاهمية والمكاسب المادية جائزة نوبل فى اكثر الاحيان .

وغنى عن البيان ان « اوسكار » خير داعية لما ينتجه مصنع الاحلام فى هوليوود من افلام

وعادة يجرى التمهيد لاوسكار بجوائز اخرى توزع فى احتفالات ومهرجانات سينمائية عديدة تقام فى امهات المدن الامريكية مع بداية العام ، وتعلن نتائجها قبل الترشيح للاوسكار بأيام .

وقد لا اكون بعيدا عن الصواب . اذا ما خلصت إلى القول بأن جوائز الكرة الذهبية ، هى أهم هذه الجوائز جميعا .

● عادات وتقاليد

فعندما يفوز فيلم بعدة كرات ذهبية، يكون ذلك ايذانا بترشيحه للاوسكار ، وبفوزه بها ، هو وبعض مبدعيه فى أغلب الاحوال .

هذه الظاهرة التى كادت تصبح تقليدا اراها تتكرر على مر الاعوام .

« فغاندى » ما ان خرج من حلبة الصراع على تلك الكرة فائزا بجوائز افضل فيلم اجنبى ومخرج وممثل وسيناريو ، حتى رأيناه بعد ذلك بأيام مرشحا لعدد كبير من جوائز اوسكار، ثم فائزا منها بنصيب الاسد .

نفس الشىء تكرر بعد أربعة أعوام مع « الامبراطور الاخير » (١٩٨٨) عندما كتب له ان يفوز باربع كرات ذهبية من بينها الكرات المخصصة لافضل فيلم ومخرج وسيناريو درامى فاذا ما جاءت الليلة الكبيرة .. ليلة اوسكار رأيناه منتصرا على جميع الافلام الاخرى بالضربة القاضية ، متوجا ـ رغم انه فيلم اجنبى ـ بتسع جوائز اوسكار .

وهو عدد لم يفز به او باكثر منه فى تاريخ الاوسكار الطويل سوى ثلاثة افلام .

لذلك عندما فاز « رجل المطر »



بالكرة الذهبية باعتباره أفضل فيلم درامي منذ ثلاثة أشهر أو يزيد ، كما فاز بها « داستن هوفمان » عن ادائه في الفيلم المذكور لدور « رايموند بابيت » ، اعتبر هذا الفوز دليلا لا يتسرب اليه الشك على أن « رجل المطر » فيلم مبشر بأوسكار ، وان فوزه بها ، هو ونفر من مبدعيه أمر شبه أكيد .

وكما كان متوقعا، فقد جرى ترشيحه لثماني جوائز أوسكار .

وقبل ليلة توزيع الجوائز بقليل تحمست جريدة « الجيروسالم بوست » الاسرائيلية لكل من الفيلم وصاحبه المخرج « باري ليفنسون » وبطله « داستين هوفمان » حماسا شديدا .

وما أن ذاع خبر فوز الفيلم وصاحبه وبطله بالاوسكار الموعود حتى نشرته تلك الجريدة في مكان بارز من عددها الصادر في ٣١ من مارس ١٩٨٩ مباهية الامم بانتساب الفائزين « ليفنسون وهوفمان » الى يهود هوليود .

والان الى ما يحكيه « رجل المطر » الذي خرج من مضمار أوسكار متوجا بأربع جوائز بينها أوسكار احسن سيناريو مبتكر « رولند باس » و « باري مورو » .

يحكي هذا الفيلم قصة شاب وسيم مهلوى « شارلي بابيت » (توم كروز) يعمل بلوس انجلوس في تجارة السيارات .

● الحرمان والعصيان

والحكاية تبدأ به ، وقد تلقى ذات صباح مكالمة هاتفية تخبره بوفاة والده الذي لم يلتق به منذ ان كان شابا يافعا ليس له من العمر سوى ستة عشر عاما .

وسرعان ما يكتشف ان والده قد اوصى بكل ثروته التي تقدر بثلاثة ملايين دولار الى شخص مجهول لا يعرف من أمره شيئا .

وبعد قليل ، يعرف ، وهذا هو الاغرب ـ أن ذلك الشخص المجهول اقرب اليه مما كان يتصور ، انه شقيقه الاكبر .

والسبب في اخفاء أمره عنه انه متخلف عقليا ، يعيش في مصحة للمعوقين على الساحل الشرقي ، بعيدا عن الناس ، وما يحمله القرب منهم لمن كان في مثل حالته من أخطار جسام .

وعلى كل ، فما ان التقى بشقيقه في تلك المصحة ، حتى تبين له مقدار تخلفه .

فكان ان فكر في خطفه ابتغاء الاستيلاء على ما أوصى له من ملايين .

ولم يمض وقت طويل ، الا وكان قد اختطفه فعلا .

وها هو ذا في طريقه الى الساحل الغربي ، ومعه في السيارة شقيقة المعوق الذي رفض السفر بالطائرة لانه يهاب الانتقال بين الاماكن معلقا في لفضاء

● عبقرية الأقلية

واثناء السفر يكتشف « شارلي »

ان شقيقه عبقري في لغة الارقام ·
ومن هنا توقفه في « لاس فيجاس» مدينة القمار حيث استغل عبقرية شقيقه تلك في الفوز من خلال المقامرة بثروة طائلة فاقت الملايين الموصي بها ·
ولقد كان في امكانه ، لو شاء ،أن يكسب المزيد ، لولا أن أصحاب نوادي القمار في مدينة الشيطان الاصفر قد تنبهوا لخطورة عبقرية شقيقه المعوق، فحالوا بينه وبين الاستمرار في المقامرة ·
الاهم من هذا كله ، والذي يريد الفيلم أن يركز عليه ـ هو ذلك التغير الذي طرأ على شخصية « شارلي » بفضل تعايشه مع شقيقه الاكبر خلال الرحلة ، واستحالة علاقته به الى حب اكيد ·
ففي البدء حين لقيناه في لقطات الفيلم الاولى ، كان أنيقا في ملبسه ، حاد التقاطيع ، جشعا ، طامعا في ملايين شقيقه المحروم منها ·
غير أنه عند اقتراب الفيلم من النهاية ، نراه وقد استحال شخصا اكثر انسانية في التعامل مع شقيقه ومع الاخرين ·
وفي الحق ، فرجل المطر يسلط الاضواء لا على « رايمون » المعوق ، وانما على « شارلي » الفتى الطموح، المستلب بعبادة المال ·
وهو ، من خلال الاحداث ، يخطو به نحو الحب شيئا فشيئا ، حتى ولو لم يكن ثمة أمل في أن يبادله الشقيق المعوق حبا بحب ·



ميلاني جريفيث .. فتاة عاملة

لقد تصوروا من منطلق خاطيء في تقدير الامور أن الدور المناسب له هو دور « شارلي » الشقيق الاصغر ·
ولكن « هوفمان » بفضل حاسته الفنية التي لا تخيب الالماما ، وبفضل حاسته التجارية التي لا تخيب أبدا ، وقع اختياره على دور « رايمون » الشقيق المعوق ، وذلك رغم انه أصغر من الدور الاخر المعروض عليه ابتداء ·
وأغلب الظن انه لو كان لم يسمع سوى صوت الطمع فاندفع الى الوقوع في فخ ايثار الدور الاكبر على الدور الاصغر ، لما فاز بجائزتي الكرة الذهبية واوسكار ·

● بعد نظر

وهنا ، قد يكون من المفيد أن اذكر ما تصوره أصحاب الفيلم عندما اتصلوا « بهوفمان » ،لاقناعه بالتمثيل في « رجل المطر » ·



يبقى أن أقول أن « رجل المطـــر » لا يستحق كل الضجـــة الكبرى التى اثيرت حوله باعتباره فتحا فنيا مبينا، ولا كل الجوائز التى امطروه بها ٠

فهو فيلم قائم على سيناريو مفتعل أشد افتعال ، أحـــداثه وشخصياته مرسومة حول معان غامضة لم يستطع المخرج أن يقدمها لنا بجلاء ٠

ومع ذلك ، فمما يحسب « لرجـــل المطر » ان التوقعات القائمـــة عـــلى الاعتقاد الشعبى بأن المرض العقـــلى لا يعدو أن يكون شكلا من اشـــكال القداسة فى بعض الاحيان ٠ ومن ثم فقد يكتب « لريمون » العوق الـــولى الشفاء ، هذه التوقعات لم يتحقق منها شيء بفضل امتناع أصحاب الفيلم عن أن ينتهوا به تلك النهاية الســـعيدة البلهاء ٠

● شيخوخة مبكرة

ولو انتقلنا بعد ذلك الى الافـــلام الاخرى التى دخلت بشكل أو بآخر فى عداد الافلام الفائزة بالجائزة المشتهاة مثل « الارنب روجر » الذى افتتح به مهرجان القاهرة السينمائى الاخير أو « الفتاة العاملة » لصاحبه « مـــايك نيولكس » أو « الســـائح بالمصدفة » لصاحبه «لورانس كازدان» أو « حرب القاصوليا لصاحبه المثل المخـــرج والمنتج « روبرث ردفورد » أو « فندق ترميموس حياة وازمنة » كلاوز باربى» لصاحبه « مارســـيل أوفلس » أو «المتهمون» لصاحبه «جوناثان كابلان» أو « المسيسبى يحترق » لصـــاحبه « الان باركر » ٠

والقينا عليها نظرة طائرة لوجـــدنا أنفسنا أمام ظاهرة غابت عن أنتباهنا طويلا ، هى أن هوليوود قد شاخت ، وليس فى استطاعتها أن تقدم جديدا نافعا ٠

ومهما يكن من أمر هذه الظاهرة ، فقد يكون من المفيد الوقوف عند الافلام الثلاثة الاخيرة ولو قليلا ٠ « فندق ترمينوس » فيلم وثائقى طويل يـــدور حول جرائم « كلاوز باربى » ذلـــك الالمانى النازى الملقب « بسفاح ليون» والفيلم عماده لقاءات أجرى فيـــها المخرج حوارات مع ضحايا هـــذا السفاح سواء أكانوا من رجـــال المقاومة الفرنسية أو ممن جرىشحنهم الى معسكرات المـــوت ومعظمهم من اليهود !!

● جرائم وقحة

أما « المتهمون » فيبدأ ببطلتـــه « سارة توبياس » (جودى فوستر) مندفعة من باب بار الى الشارع وهى ممزقة الثياب ، صارخة فزعا،ملتمسة النجاة ٠

وفى الظلام شاب على الرصـــيف يرتعد خوفا ، وهو يصرخ فى سماعة التليفون ملتمسا من الشرطة انقـــاذ هذه المراة المبتلاة ٠

وسرعان ما نعرف سبب صراخـــها على هذا الوجه الذى يثير الرعب فى القلوب ٠

لقد اغتصبها شبان ثلاثة أمام أعين رواد البار والعجيب أن أحدا من هؤلاء الرواد لم يحرك ساكنا لحمايتها من الاغتصاب ٠



روبرت   مخرج ومنتج حرب الفاصوليا

واغرب العجب أنهم ـ فيما عدا قلة صامتة ـ كانوا بمشهد الاغتصاب البشع الذى أمام أعينهم فرحين ، مصفقين بل قل مشجعين ·

ولكن ما الذى حدا بالشبان الثلاثة الى اغتصاب « سارة » هكذا علنا فى محل عام ، وبهذا الشكل المشين ؟

فى تلك الليلة ـ وقبل ذهابها الى البار ـ تشاجرت « سارة » مع صديقها الموسيقار الذى يشاركها العيش فى منزل متحرك ·

وكعادتها ذهبت الى بار قريب كى تحتسى بضع كئوس ·

لعلها بها تنسى المشاكل ، وتتخفف من الهموم ·

وفى هذه المرة ، وقبل توجهها الى البار بصحبة صديقة تعمل معها على خدمة الزبائن فى أحد المطاعم ، تعاطت أنفاسا من الحشيش ·

وهاهى ذى داخل البار مرتدية ملابس فاضحة ، غير مكتفية بعربدة السكر علنا ، بل ذهبت الى أبعد من ذلك بتبادل النظرات مع شاب جذاب ، ما أن دعاها الى مشاركته الشراب حتى قبلت بلا تردد ، وأخذت تتجاذب معه أطراف حديث مملوءة الغزل والايحاءات ·

وبينما هو محتضنها فى حلبة الرقص يمطرها القبلات ، اذا به يطلب



منها أمرا لم يكن في الحسبان .
وكلما رفضت أمر لانه من نلك الصنف من الشبان الذى لا يقبل من فتاة أن تمتنع وتقول لا وبمساعدة اثنين من رفاقه دفعها الى جهاز لعبة الكرة والدبابيس حيث اقترفت جريمة الاغتصاب .

● من الجاني ؟!

وهذا السلوك المبتذل من قبل «سارة» في مكان لهو ولعب في تلك الليلة الليلاء ، كان لابد ان يقف عقبة كئود أمام محققة الادعاء «كاترين ميرفي» (كيللي ماكجيلليس) .
فادعاء فتاة عاملة من الطبقات الدنيا ، تسكر وتعربد وتحشش بأنها قد اغتصبت ، هذا الادعاء لا يؤخذ مأخذ الجد أمام القضاء .
كل ذلك اضطر المحققة الى اسقاط تهمة الاغتصاب وبدلا منها توجيه تهمة تهديد الارواح والاموال الى الشبان المعتدين .
وهذا ما أغضب «سارة» التي كانت تتوقع أن تحكى مأساتها أمام المحكمة حتى تنتصف لها العدالة مما وقع على جسدها من اعتداء اثم مهين .
ولم يكن أمام المحققة حتى تعيد المحاكمة استجابة لرغبة سارة ، بعد أن بدأت تتعاطف معها ، الا حلا وحيدا هو توجيه الاتهام الى الذين شاهدوا الاغتصاب ، ولم يحركوا ساكنا .
ولن أحكى التفاصيل التى بها استطاعت المحققة أن تضيق الخناق على شهود الجريمة التى ما كانت لترتكب فيما لو اتسم سلوكهم بالمبالاة والاقدام .
فذلك شيء يطول
وانما اكتفى بأن أقول بأن «جودى فوستر» برزت فى دور «سارة» المغتصبة ممثلة عظيمة ، ومن هنا فوزها بجدارة عن أدائها لهذا الدور بالاوسكار .
وبأن منتجة الفيلم «شيرى لانسينج» لم يفتها فى حديث لها مع جريدة «دالاس أوبزرفر» ، (٢٠ اكتوبر ١٩٨٨) أن تجرى مقارنة بين موقف الجمهور اللامبالى فى فيلم «المتهمون» وبين موقف الشعب الالمانى غير المكترث بما حدث فى المانيا الهتلرية لشعب الله المختار !!
والآن الى الفيلم الثالث والاخير «الميسيسبى يحترق» .

● سود وعبيد

هذا فيلم يعرض لنضال السود من أجل المساواة مع البيض فى الولايات المتحدة خلال العام الذى حصل فيه «مارتين لوثر كنج الصغير» على جائزة نوبل للسلام (١٩٦٤) ولكنه يعرض لهذا النضال لا من منطلق أن السود هم الذين كافحوا وضحوا حتى اضطروا الكونجرس الامريكى الى اعادة حقوقهم السليبة فى الحرية والمساواة اليهم وذلك بعد رحلة طويلة من المعاناة والعذاب .
ولكن من منطلق اخر يقلل من

كما عثر على جثة « جيمس شانى» وهو من سود الجنوب .

والثلاثة ـ وهم مناضلون من أجل الحقوق المدنية ، كانوا قد اختفوا قريبا من فيلادلفيا ـ مسورى قبل أسابيع وبعد العثور على جثثهم بأربعة شهور ألقى القبض على تسعة عشر رجلا بتهمة الاشتراك في قتلهم .

وخلال عام ١٩٦٧ صدر الحكم على سبعة منهم كان من بينهم نائب الشريف لما ثبت فى حقهم من تآمر على المناضلين الثلاثة ابتغاء تصفيتهم بالاغتيال .

● الخطايا

وأحد عيوب الفيلم الجوهرية امتناعه حتى عن التلميح الى عداء رئيس المباحث « هوفر » المتأصل للسود ولزعيمهم « كنج » ، ذلك العداء الذى وصل الى حد التصنت على « كنج » بموافقة « روبرت كيندى» سعيا الى دليل يثبت انه واقع تحت نفوذ الشيوعيين ، فضلا عن قيام عملاء المباحث بارسال خطاب وشريط تسجيل لعلاقاته الغرامية الى زوجته بأمل دفعه الى الانتحار .

والاخطر من كل ذلك امتناع مباحث « هوفر » عن تنبيهه الى ما كان قد وصل الى علمها من تهديدات له بالموت. وذلك الى أن لقى مصرعه برصاصات انطلقت من غدارة أحد غلاة المتعصبين (١٩٦٨) .

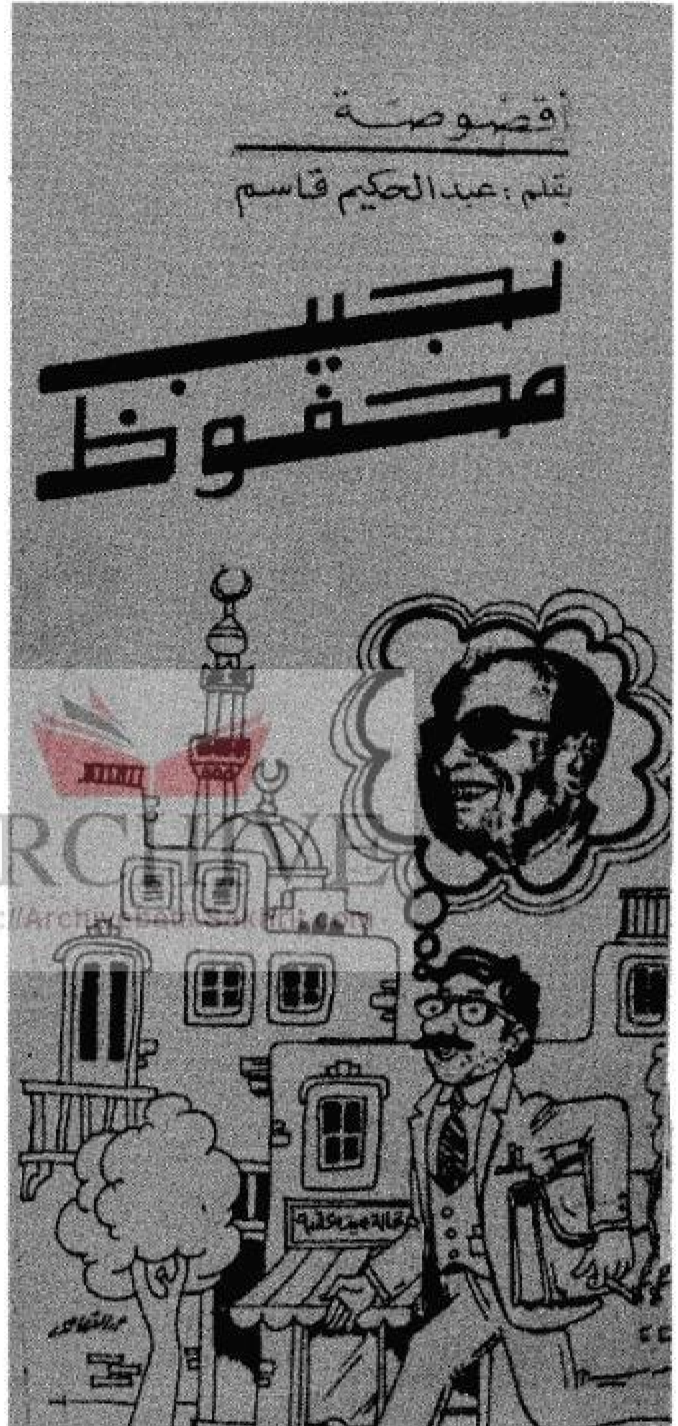
وان شئت أن تعلم شيئا يفيد فى فهم « المسيسيبي يحترق » الحاصل على أوسكار التصوير ، فاعلم أن صاحبه « باركر » قد سبق له أن أخرج «قطار منتصف الليل المريع »(١٩٧٨)، ذلك الفيلم الذى ينفث عداوة عنصرية متوارثة للاتراك ، وبغضاء طائفية متأججة للاسلام .



داستن هوفمان مع توم كروز فى رجل المطر

دورهم فى هذا النضال الباسل بقول انهم كانوا متفرجين سلبيين ينتظرون الخلاص على أيدى رجال . روبرت كيندي ، النائب العام أو بمعنى أصح على أيدى بطلى الفيلم «جين هاكمان» و « ويلم دافو » ، وكلاهما محقق من رجال « هربرت هوفر » رئيس المكتب الاتحادى للمباحث ، والذى كان معروفا عنه انه يمقت « مارتن لوثر كنج » مقتا شديدا .

فبفضل هذين المحققين ـ وكلاهما من البيض ـ عثر على جثتى « مايكيل شفرنر » و « اندرو جرمان » والاثنان من بيض الشمال .



أنا كاتب . اقطن فى ميت عقبة ، وأعمل فى المعاشات فى لاظوغلى ، واقطع المسافة بين عملى ومسكنى - كل يوم ذاهبا وآيبا - على قدمى . ورئيسى الأستاذ عبد العظيم جبران قال لى يوما :

- أنت يابنى تصون كرامتك ، بأنك تتجنب الزنقة بين خلق الله فى زحام المواصلات .. !

ارتجفت خفيفا ، لكنى كنت امشى صباحا وارجع بعد الظهر ، وأفكر فى الكتابة ، مهنة اخترتها واتخذتها سبيلا لمعرفة نفسى والدنيا التى اتقلب فيها . ثم انها معراج لمعرفة نجيب محفوظ ... آه يا سلام .. !

يأتى كل يوم جمعة من الأسبوع ، ساعات بعد الظهر الى مقهى ريش تسرى فى جمعنا نحن الكتاب الحمى ... ننهض من فورنا ، نحيّ الرجل ونبييه ، وهو يفيض وجهه ابتساما ونورانية ... نعم .. ولكنى لست من

الذين يجلسون يعرفون به ... لا .. إنما على مسافة تريني السحب تغيم تشوب إشراقه وتكدر الجبين . وتمنيت أن أجالسه وحدنا ، أو أن نسير معا في الخلاء ، وينطلق هو في الحديث ، وأنا أسمع ، لكن هذه الأمنية لم تجد لها صرفا بالحقائق في سوق هذه الدنيا .

وأمشي راجعا من عملي . وساعات تنقلت قدماي من إرادتي ، وتحملاني الى ريش ، أجلس وحدي الى شرودي وأشرد . وذات يوم إذ بي أقدم على القهوة أراه . نعم هو وقدامه فنجان يجلس وحده . هبته ، وسماء وجهه معتكرة ، وقفت لا أريم ، أأقبل عليه ، أم أنصرف عنه ؟ حتى أطلت ابتسامته عليَّ تغالب طبقات من الاعتكار .

هانذا جالس معه وحدنا وهو لايقول ، وأنا لاأجد من سبيل للكلام . وجلسنا صامتين ، تستغرقه شئونه . وهو شأني الذى يستغرقني . حتى جاء رجل طيب الوجه مليء بالحنان والحدب ، سلم وجلس الينا ، وران الصمت على ثلاثتنا . غرقنا في غيابة بئره لاتسحبنا من عمقه ضجة المقهى حولنا . يأتي الخادم ، يسحب الفنجان الذى فرغ ، فيشير له السيد بأصبعه فيأتي بواحد جديد ، والصمت مستقر .

حتى سأل القادم علينا ، وعيناه عالقتان بوجه السيد . قال له :

ـ ألن تأتي ؟

قال له :

ـ لا .. !

موجزة قاطعة . التفت الرجل لي وقال يحدثني !

ـ إن الرئيس يرتاب في الفيلم ، وحديث ضد الثورة فيه . فقد أرسل السادات ليرى ويقرر .. ! ألا يحسن أن يكون هناك مؤلف الكتاب ... ؟ ربما .. !

قال السيد :

ـ لا .. !

موجزة قاطعة . ارتجفت . شرعت بصري فيه . وأنا في عمق الصمت ، ولا أسمع الا صوته . ولا أرى الا وجهه ، قلت له كالهامس

ـ ألا تذهب ياسيدى ؟

قال :

ـ إنهم سيحسنون القول .... اذا رأى الفيلم .. وسأل .. !

ثم قام : مشى نحيلا تساوق حركة أكتافه خطوه الوئيد . تلفت . عبر الشارع . مضى . دارته البناية خلفها ، لكنني بقيت أراه ، لايتوه مني في غمار الناس ، يمشي وعيني عليه ، في الشارع ، في الميدان ، ثم يعبر النيل الى الضفة الأخرى .



قشتمر

نجيب محفوظ

بقلم: د. أمين العيوطي

● يقدم لنا نجيب محفوظ في قشتمر خمسة فتية نتعرف منهم على أربعة ، نتابع سيرتهم ومصائرهم وما يدثرهم به الدهر على امتداد سبعين عاما ، ويبقى الراوى غفل الاسم والدور ، هو الراوى فحسب الذى يلملم سيرة الشخصيات وينسجها ، ويظل هو مستترا خلفها أو بينها يرصد ويقص قصصهم وهو لايكاد يظهر رغم وجوده المحسوس. من خلال عينيه نرى كل شيء ، ومن خلاله يتحرك خيالنا يلاحق معه مآل كل شخصية أو مآلها جميعا . ولعل الراوى فى هذا هو كل الشخصيات معا ، وربما كان هذا ما يعنيه بقوله أن "الخمسة واحد والواحد خمسة . منذ الطفولة الخضراء وحتى الشيخوخة المتهاوية ، حتي الموت ، فمصيره هو مصيرهم جميعا .. هو لا دور له سوى الروى ، وهو كل الأدوار .

ولعل هذا يعني في التحليل الأخير أن محفوظ قد آثر أن يؤدى دور الراوى الموضوعي المحايد الذى يقف متباعدا عن الشخصيات والاحداث ، ويروى من خلال علمه الأوسع بكافه الاشياء دون أن يأخذ صفا واحدا ضد الآخر ، لايفسر شيئا ، أو يعقب على شيء . واحدا ويدع القارىء يراقب أفعال الشخصيات ويستشف دلالتها ، ومثل هذا العمل يكتسب اهميته من أنه يحدث تأثيره من خلال دراسته للشخصيات وهى تحاول

اثار "الثرثرة" وهم فترة او مرحلة كل واحد منهم حالة . وهم كل المجموع هم عمومية يركز عليها محفوظ حدقته الواسعة ليطرح رؤيا . لكننا نستبق الأشياء

هم عمومية اجتماعية في المقام الأول ، او عمومية طبقية على وجه التحديد ، يجمع بينهم ، رغم اعتراض بعض الأهل الأوسع ثراء . التفاوت الطبقي . فهم جميعا شرائح من الطبقة الوسطى من ادناها الى اعلاها تضم فيما بينها شمل طبقة باسرها ومحفوظ حريص على تاكيد هذا الجانب عند تقديم شخصيات واحدة تلو الأخرى صادق صفوان ابن موظف الأوقاف الذى بحث ابنه على أن يجعل الشهادة طريقه إلى الوظيفة فلا مستقبل للفقير بغير الوظيفة . اسماعيل قدرى ابن موظف السكك الحديدية الذى يضع أمام عيني ابنه دائما أن مستقبله بيده ، طاهر عبيد ابن الدكتور الارملاوى باشا مدير معامل وزارة الصحة الذى يحتل منزلة أعلى من صديقيه وان كانت أدنى من منزلة حمادة الحلوانى ففيلا الأرملاوى باشا دون السرايات ضخامة وهو دون الحلوانى باشا ثراء . اما حمادة الحلوانى فإنه يقف على قمة السلم الاجتماعي فابوه نشا نشاة ملكية في السراى وهو صاحب اكبر مصنع للحلاوة الطحينية فى مصر وسراياه تقف قلعة شامخة . هم فيما بينهم يضمون طبقة وسطى كاملة

● تفرد في الشخصية وتميز حيوى

هذه السمة تعكس نفسها في تكوين



ان تجد معنى لحياتها او أن تعطى تفسيرا للعالم من حولها وللاحداث التى تقع منها أو تدور حولها .

الراوى إذن موجود حضورا محسوسا ، وهو أيضا متسام بوجوده فوق الشخصيات والاحداث في آن واحد . ولعل مادفع محفوظ الى تبنى هذا الخط في الروى هو أننا لانتابع كل شخصية على حدة ، بل نتابعها كلها معا ، دائما معا ، على امتداد العمل كله ، بحيث كان من اللازم ان يكون هناك عقل مسيطر واحد ، وعين حساسة واحدة تلتقط الأشياء وتلملمها ، وذاكرة واحدة تختزن لتروى ما كان من امر الفتية الأربعة . هم فتية أمن كل واحد فيهم إما بالثراء او التفوق او الفن او أثر أن ينعم بكل ما اتاحته له الحياة من امكانيات وفرص فضاع وكان أثرا من



قشتمر

الشخصيات الأربع ووعيها بالتفاوت الطبقي . كل منهم نتاج البيت الذى خرج منه والبيئة المنزلية التى تربى فيها . صادق ينشا مؤدبا مهذبا يصلي ويصوم ، طاهر عبيد ينشا فى رحاب الفيللا العلمانية المترعة بثمار الفكر والأدب نشاة ، وثنية لادينية مجردة" حيث لا ذكر في البيت للدين او ممارسة للشعائر ، إسماعيل قدرى افقرهم واكثرهم تميزا فى المدرسة يعشق الشعر "ولايكف عن تصور الله فى هيئة جليلة لاحدود لعظمتها" ، وحمادة الحلوانى يتربى فى السراى على الا قيمة للمال الا بالمركز والعلم ويشب لاقيمة عنده إلا للمال والملذات الحسية . وكلهم بلا استثناء تحركهم نوازع طبقية . فما ان يزور صادق صفوان سراى قريب أبيه الباشا الذى بدا حياته من صغار الأغنياء ثم انشا مصنعا للنحاس "ومد حباله الى الكبراء والسادة والانجليز ثم نال رتبة الباشوية" حتى تبهره حديقتها وبهلاملكها وبهوها الأزرق فتغذى فى نفسه حب الثراء والصعود . وصادق واسماعيل يتملكها الفخر" وهما يعلنان صداقتهما بإثنين من أولاد الذوات . الأرملاوى باشا لايرحب باختيار طاهر لاصدقاء من العباسية الغربية . حمادة باشا الحلوانى رجل المال والأعمال يرى ان يحسن ابنه اختيار أصدقائه فيرد عليه قائلا "جميع أصدقائى من الطبقة التى ينتمى اليها زعيمنا سعد" وطاهر يسأل حمادة "كيف يجرى الشجار الزوجى فى طبقتكم ؟" وربما كان فى بعض هذا اشارات مباشرة الى مايحرك وعى الصبية ، لكنه عنصر يدخل فى تركيب شخصياتهم بحيث يقفون جميعا نماذج وانماطا فى تركيبهم النفسى ووعيهم الطبقي . وان لم يخل اى منهم من تفرد فى الشخصية وتميز حيوى .

وتشارك البيئة المنظرية الشخصيات فى هذه الخصوصية . بيوتهم تقدم دليلا عليها . فبيت اسماعيل مثله مثل بيت صادق صغير له حديقة خلفية صغيرة يزرع فيها البصل ويسقى الزرع ويجمع الجوافة والعنب ويصطاد الضفادع . وحديقة سراى الحلوانى باشا حديقة مترامية بروائحها الطيبة وخضرتها المغسولة وبيتها الصغير المستقل تتحرك الأغصان خارج نافذته كالمراوح . ولعل عين محفوظ الحاذقة تعرض دلالات هذه البيئة الطبقية فى واحدة من أجمل لوحاته الشعبية حين يصف سطح بيت اسماعيل حيث تربى الأرانب والدجاج التى يتعهدها اسماعيل بالماء والغذاء وتفقد المواليد وجمع البيض وحيث حجرة الخزين عامرة بالسمن والمش

والجبن والعسل الأسود ، وحيث تتاح له أجمل الفرص لدى استقبال بنات الأقارب والجيران

وكلها بيئات تضمها البيئة الاعم . العباسية في شبابها المنطوى بثكنات الانجليز وسراياتها البرجوازية كالقلاع ، وبيوت الشرائح الادني الصغيرة مزهوة بجدتها وحدائقها الخلفية ، بيئة تكتنف البيئات الأصغر من كل ناحية بالحقول الخضر والنخيل واشجار الحناء وغابات التين الشوكي ، وتحف بها الصحراء بهوائها الجاف يهب محملا باطياب الحقول . هي بيئة اجتماعية وتاريخية ايضا ، يحملها الراوى بحسه التاريخي الذكي بما كانت عليه الاشياء وما صارت اليه في سياق حركة تاريخية اكثر عمومية .

هذا الملمح الطبقى التاريخي يكتسب بعدا اعمق من خلال تناول العمل لثلاثة اجيال : جيل الآباء ، وجيل الأبناء وجيل الأحفاد ، بل يكتسب بعدا اكثر من هذا عمقا ونحن نتابع مسار الأجيال الثلاثة في سياق تاريخي بدءا من الثورة الوطنية ضد الاحتلال الانجليزى ، فثورة التحرير بدءا من مرحلة عبد الناصر ، مرورا بمرحلة السادات ، ووصولا الى مرحلة الرئيس مبارك ، وبهذا لايضفر محفوظ المصائر الشخصية فحسب ، بل يجدلها مع المسار التاريخي الأعم بحيث تصبح المصائر الخاصة انعكاسا للمصير العام .

● احداث ثورة ١٩١٩

وجدان الفتية الأربعة تشكله أحداث ثورة ١٩١٩ وهم بعد صبية في التاسعة إذ ينبض حسهم الوطني لأول مرة وسط اجواء الاضراب ، هدير فناء المدرسة بالخطب الحماسية ، تدفق التلاميذ في تظاهرة عاصفة ، التقاء الاباء والأبناء والامهات في عاطفة متاججة ، زلزلة الأرض ، المنشورات ، اخبار القتال والضحايا التي تغطى على الحياة المدرسية الاعتيادية ، وليس من الغريب في شيء ان تلتقى الثورة في الخارج مع الثورة التي تدق اجساد الفتية الأربعة وعقولهم وتنفجر بنذر البلوغ وبشائر النضج . فثورة البلوغ لاتعدو أن تكون مطارق تدق الاجساد الفتية الشابة وتفتح عيونها على أوجه الحياة المتعددة التي تحدد لكل منهم مساره . فوسط هدير الأصوات وفرحة الجماهير المميزة تندلع شرارة الشعر المقدسة في روح طاهر عبيد ، وتشمل "اليقظة العقل والقلب والارادة ، ويدخل مقهى قشتمر حياتهم ليصبح البوتقة التي تصهر فيها حياتهم ، ويدخل حياتهم الجنس والحب والزواج ، وتتعدد معتقداتهم السياسية بين الاسلام المعتدل والوفدية الوطنية والتقدمية والراسمال الخاص والفوضوية .

بل انهم حين يشكلون حياتهم فإن اختياراتهم تتفجر من منابع تشكيلهم الخاص والعام . فإذا كان صادق صفوان ظل طوال عمره يحلم بالثراء فإن اختياره ان يفتتح محل خردوات انما ينبع من رغبة في توطيد اقدامه في البرجوازية الصغرى املا في التدرج الطبقى حتى يصل الى مثله الأعلى في

قشتمر



الزين باشا يختار طاهر الخارج على كل الطبقات الشعر طريقا . يسلم حظ الأسرة العاثر والأشتراك في تظاهرة خارج أسوار الجامعة ، اسماعيل قدري الى عالم الوظيفة في دار الكتب "موت أبيه غير مجرى حياته وبدد آماله وها هو الجهاد يقضي على البقية الباقية" يغرق حمادة الحلواني ابن الذوات في الملذات الحسية والحرية المطلقة . وتصبح مصائرهم لامجرد مصائر شخصية بل مصائر عامة اختارها كل واحد منهم حسب تكوينه النفسي ووضعه الطبقي . بل لعلنا لانبالغ اذا قلنا ان قدر كل منهم كان محدودا سلفا بوضعه الطبقي وبتيار الأحداث العامة ، حتى ليمكن القول ان محفوظ يكشف هنا عن جانب من القدرية الاجتماعية التي تميز المدرسة الطبيعية . فحتى الاختيار الحر يخضع للطريقة التي يشكلنا بها المجتمع .

● بر الأمان

ويرقم محفوظ هذا المسار بعدة احداث مثيرة تنهمر على ركن قشتمر "مصرع أحمد ماهر ، حرب فلسطين . مصرع النقراشي . الحرب بين ابراهيم عبد الهادي وبين الاخوان المسلمين . عودة الوفد ، حريق القاهرة ." يمر عليها مرورا سريعا ، لايقف عندها فهو مشغول فيما يبدو بتاريخ موجز . هو تاريخ الراوي الذي يتعجل الأحداث ويتعجل مصائر الشخصيات ، ويستبق الزمن الى ٢٣ يوليو الذي يهل على الفتية "كالسحر المبين" حيث يصبح المستحيل ممكنا . لكن يظل الفتية يتقلبون بين الوفدية والثورة ، بين الرفض والقبول ، بين المناخ الذي يتيح لهم تاكيد ذواتهم والمناخ الذي يتهدد فرديتهم ومصالحهم . حمادة الحلواني "يحتدم حماسه وكأنه أحد الضباط الأحرار" لتترامى اليه اشاعة فيتهم الثورة بالعمالة لأمريكا . اسماعيل قدري يرحب بالأفعال ويرفض أصحابها . طاهر عبيد تشتعل حماسته لها "يرقص طربا ويتغنى بالمجد" وقد وجد في الثورة حلمه . صادق صفوان الذي ازدهرت تجارته يرى الثورة عدوا سافرا للناجحين . وابنه الأخواني يصاحب الثورة ثم ينقلب عليها ويفقد الثقة في كل شيء فيهاجر الى السعودية . ويظل حمادة الحلواني يجد من فضائل الثورة انها تمده "بعجائب لايعيش معها الملل" ، ويعيش مثالا للفوضى الكاملة احيانا وللناقم احيانا أخرى . اسماعيل قدري بوفديته يراها ثورة ذات اهداف جليلة عهد بها الى شلة من قطاع الطرق .

وحين يتجرع الجميع كأس ٥ يونية يتنفس صادق صفوان الصعداء . فلم يعد يخشى فكا مفترسا فقد أسنانه الحادة وتأتى مرحلة السادات والانفتاح ونصر اكتوبر وينفعل بها كل منهم بطريقته . حتى الشاعر الثورى يبدأ باللعب على الطريقة العصرية بكتابة الأشعار لمسارح الانفتاح . ويطغى القطاع الخاص وارتفاع الأسعار ويرتفع اغنياء الانفتاح . وعلى الرغم من انهم جميعا كانوا في نهاية الأمر غير مشاركين او فعالين ، يرقبون ولايشاركون ، ويجنى منهم الثمرة من يجني ، والأحداث أكبر منهم ، فإن الطبقة قد استقرت أخيرا وسادت ويستطيع الجميع أن يذهبوا "متوكئين على العصى الى مركز الاستفتاء بين الجانبين لننتخب الرئيس الجديد الذى تعلقت امالنا بقدر تعلقها بالأمان والحياة أخيرا وصلت الطبقة الى بر الأمان .

ومرة اخرى تؤكد البيئة المنظارية زحف الطبقة فتباع السرايات فى العباسية الشرقية لتقوم على انقاضها عمائر شاهقة ويبرز حى جديد مكتظ بالسكان والدكاكين "يطوى فى نموه الصاعد الحى القديم بسراياته المعدودة وبيوته الصغيرة الأنيقة وسكانه المعدودين الذين تربط بينهم روابط الأسرة الواحدة فتتساوى العباسية الشرقية والغربية لأول مرة فى التاريخ ، وتختفى الحقول والحدائق والنخلة وغابة التبر الشوكى والسرايات والقلاع والهوانم لتحل محلها ، » غابات من الأسمنت المسلح وتظاهرات من المراكب المجنونة" لم تستقر الطبقة فقط بل اتسعت دائرتها

ولعلنا نتبين من هذا العرض أن العمل لم يكن يطرح مشكلة شخصية بل مشكلة عامة فى إطارها الطبقى التاريخى .

ولعل هذا العرض يطرح ايضا سؤالا . الى اى مدى يمكننا أن نعتبر هذا العمل عملا راوية ؟ هناك راوية حاذق اسر ، لكن هل هناك رواية ؟ هل هناك مثلا حبكة . ام استغنى نجيب محفوظ عنها رغم انها عمل تقليدى لاتجريب فيه ؟ أن تتبع الخطوط التى نسج منها العمل لاتكشف عن مشكلة تتأزم لتصل الى تسوية مافى النهاية . فيما عدا تسوية الوضع الطبقى من خلال مايجرى من أحداث خارجية فالعمل فى الحقيقة لايعدو أن يكون سجلا لتاريخ حياة يمتزج فيها العام بالخاص ، التاريخ الشخصى من مرحلة الى مرحلة ومن جيل الى جيل بمراحل النضال من مرحلة الى مرحلة ومن نظام الى نظام ، لهذا تتدفق حركة الأحداث كأنها تيار يتدفق بين ضفتين ، يمور ويفور ويثور مرة ويجرى مهدهدا مرة اخرى قبل ان يستجمع نفسه ليبلغ نقطة وصول . ولعل هذا هو مايجعل من العمل فى النهاية سيرة حياة أكثر منه رواية .



هذه النزعة الغريبة

• رأى فى الثقافة •

تحت حجة تاصيل حركة الحداثة الأدبية يشتم المرء هذه الأيام من كتابات البعض نزعة غريبة نحذر منها قبل ان ندينها .

ولولا تكرار أسماء معينة ، هامشية في ثقافتنا ، باعتبارها الاساس الذى تقوم عليه حركة الحداثة في الأدب المصرى الحديث وهو ما ترمى إليه هذه الكتابات لما كان هذا الهاجس الذي نرجو ان يكون مجرد خيال جامح !

لكن التاكيد على اسماء بعينها ، فى هذه الكتابات منذ الأربعينيات وحتى الآن ، وتتويج بعضها باعتبارهم كهنة هذه الحداثة ، دون وجه حق (وهو ماستثبته الأيام) هو الدافع لهذا التحذير .

إننا لا ننكر حق بعض الفئات فى تخوفاتهم تجاه ما يجرى من حركات متطرفة (تضعنا فى الواقع جميعا فى خانة واحدة) لكن اذا وصل الأمر الى حد التزوير من جهة ، أو الافتئات على حقوق اسماء ساهمت وتساهم فى الحركة الادبية فى مصر ، فإن هذا لابد يجعلنا نقف هذه الوقفة محذرين من هذا التمادى فى اتجاه ترسيخ النزعة الطائفية فى مجال الأدب والفن ، بدل النظر الى الواقع الثقافى بعين العدل والحق التى تقتضى التخلى ، خاصة من قبل النقاد ، عن هذه النظرة الضيقة الى نظرة موضوعية لا تندفع الى الجانب الآخر من التطرف ، وإن تسلحت بالتعالم والتقية ، لأن هذه خطوة جديدة ، نقول ونكرر ، فى طريق التهلكة المفروش بالأغراض شبه النبيلة .

● عبده جبير

• إشارات ثقافية •

سينما الفراعنة

يبدو ان المنابر الثقافية الموجودة لا تزال تضيق بكتابات الشباب ، وان هؤلاء الشباب يرون فيما هو قائم بالفعل غربة لا يستطيعون ان يجتازوها بانتاجهم ، وذلك له معنى فقدان الديمقراطية فى هذه المنابر القائمة ، أو لنقل فقدان روح التبنى التى يجب ان يتحلى بها القائمون على هذه المنابر ، وهو ما يجعلنا هنا ، على صفحات

الهلال ندعو الى بحث الامر بجدية اكبر ممن يهمهم الأمر من المثقفين

فلا يزال عدد كبير من الادباء والفنانين والشعراء يصدرون مطبوعات على نفقتهم الخاصة ، نجد هذا فى العاصمة ، كما نجده فى الأقاليم . وهى ظاهرة تدعو للنظر .

فمن الناحية العامة لا ينكر احد الآن ان المستويات الأعلى من القيادات لا تضيق ابدا باى اتجاه او صاحب قلم ، لكن على مستويات اخرى نجد عطبا يمنع هذه الديمقراطية المتاحة من أن تنفذ او تجد تطبيقها الفعلى ، ونعتقد ان هذا التطبيق يحتاج الى اعادة نظر ومناقشة بين وقت واخر لدراسة ماهو موجود من ظواهر وهو مالا يحدث او يطبق ، وهنا على المجلات الثقافية الموجودة المخصصة للشباب ان تقف وقفة مع الذات لمناقشة هذه الظاهرة ، وتجد لها الحلول ، هنا علينا ان نشير



الى دور الثقافة الجماهيريه بالذات ، ثم دور رؤساء تحرير ابداع ، والقاهرة ، وغيرهما من المجلات التى تصدرها المؤسسات العامة الموكلة اليها هذه المهمة .

طبعا هناك مطبوعات عديدة من هذه المطبوعات التى يصدرها البعض من الشباب لا قيمة لها . لكن هناك مطبوعات جادة وبين اغلفتها نجد مواهب حقيقية لافتة للنظر عرضنا لبعضها فى هذا المكان شهورا وراء شهور ولا شك ان سينما الفراعنة ، على ما فيها من عيوب هى احدى هذه المطبوعات الجادة .



مذكرات سيد عويس بالفرنسية

مذكرات الرائد الاجتماعى الكبير الدكتور سيد عويس «التاريخ الذى احمله على ظهرى» التى كانت قد صدرت فى كتاب الهلال فى ثلاث اجزاء صدرت اخيرا ملخصة فى جزء واحد مترجمة الى الفرنسية .

قام بهذه الترجمة «نشوى الأزهرى» ، «والبرت ديلون» ، «والان رومسيون» ، وصدرت فى ٢٢٨ صفحة من القطع المتوسط عن المركز الثقافى الفرنسى (السيداج) بالقاهرة

● رخا .. وداعا ●





في الثانى عشر من ابريل الماضى رحل عن دنيانا فنان الكاريكاتير الرائد «محمد عبد المنعم رخا» .. الذى كان هو .. «وصاروخان» و«عبد السميع» يشكلون مدرسة فنية رائدة ، يمكن ان نقول عنها بكل ثقة انها مدرسة النقلة الكبيرة لفن الكاريكاتير من أيدى الخواجات (جورمانوس ، برنى ، فانتسيل) وغيرهم الى أيدى المصريين فالعرب .. وهذه النقلة ، نعتقد ان التاريخ سيقف عندها طويلا .

تميز رخا ربما اكثر من صاروخان بقصد واضح في هذا التمصير ، او لنقل التعريب ، الذى دفعه لخلق شخصيات من الشارع المصرى استمد مادتها وروحها ، وإن كانت ريشته قد جعلت منها عملا فنيا خالصا ينسب الى صاحبه ويعبر عنه .

ولد محمد عبدالمنعم رخا في ٧ نوفمبر ١٩١١ بإحدى قرى القليوبية (سنديون) وتلقى تعليمه في المدرسة الخديوية ذائعة الصيت ، ثم التحق بمدرسة ليوناردادافنشى التطبيقية ليتعلم الرسم . عمل في العديد من المجلات بدءا من مجلة «الفنان» للشيخ يونس القاضى صاحب كلمات نشيد بلادى بلادى ، ومجلة روزاليوسف والستار ثم في أخبار اليوم التى استمر فيها حتى اخر فترة من حياته .

وكفنان مخلص وجد رخا نفسه في قلب اتون المعركة الوطنية التى كانت









تطالب بالاصلاح فقضى وعمره ٢٢ عاما أربع سنوات كاملة فى السجن . يقال انه لم يتخل لحظة فيها عن طبيعته الساخرة التى تفجرت فى رسومه النبيلة طوال عمره ، وعلى مدى انتاجه الغزير العريض .

رحم الله عبدالمنعم رخا واعطى اولى الأمر منا الهمة لاصدار اعماله فى مجلدات تليق بمقامه الرفيع ، وتحفظ انتاجه من التشرذم فى بطون المجلات والصحف ليكون بين ايدى الأجيال الجديدة حتى لا تفقد انتماءها .

● فى الذكرى الثانية والعشرون لرائد الرواية التاريخية محمد فريد ابو حديد ●

فى ١٨ مايو ١٩٦٧ رحل عن
● عالمنا عملاق من عمالقة
الادب العربى فى مصر خلال
هذا القرن ارتبط اسمه بريادتين : ريادة فن الرواية التاريخية ، وريادة الدعوة لنصرة قضية الشعر المرسل، ذلكم هو الاديب المغفور له محمد فريد ابو حديد . ولد الاديب محمد فريد ابو حديد فى اول يوليو ١٨٩٣ اى بعد عام واحد من مولد مجلة الهلال عام ١٨٩٢ ، وارتبط اسمه فى الدراسات النقدية باسم جرجى زيدان مؤسس دار الهلال اذ يقول الناقد الاستاذ عبد العزيز الدسوقى فى دراسة عن ابو حديد نشرتها الهلال فى يوليو ١٩٧٢ :

« ولا شك أن محمد فريد ابو حديد من ألمع رواد التيار التاريخى فى الرواية العربية الحديثة ، بعد رائده الاول جرجى زيدان ، بل لعله هو - اى ابو حديد - الرائد الاول من الناحية الفنية اذا قصرنا ريادة زيدان على المسبق التاريخى ، لان روايات ابو حديد تعتبر من الناحية الفنية شيئا جديدا ... » .

ومع اتساع آفاق انتاجه الادبى الذى شمل مع الرواية القصة وقصص الاطفال والمسرح والشعر والترجمة والتراجم ، لم يهمل ابو حديد فنا فى الكتابة ازدهر فى عصره وهو فن المقال ، اذ كانت له اسهاماته الغزيرة التى عرفتها مبكرا مجلة الهلال والسياسة الاسبوعية والسفور .. ولكون محمد فريد ابو حديد - كما اسلفنا - من اول الذين اقتنعوا بأهمية ادخال الشعر المرسل الى آفاق الشعر العربى فقد كرس جانبا كبيرا من مقالاته المبكرة فى صحيفة السفور لشرح نظرية الشعر المرسل وقوانينه وابراز الحجج والبراهين للرد على المعارضين والمهاجمين بضرب الامثلة بنماذجه الكثيرة وألوانه الجديدة ، وقد كتب فى السفور سنة ١٩١٨ عدد ١٧١ وعدد ١٧٣ يقول : « الشعر : الابانة عن نزعات النفس وتصوير العواطف تصويرا يغذى نفوس السامعين أو القارئين بتلك العواطف . والشاعر اذا كان مطبوعا قادرا توصل الى ذلك بغير تكلف ، ولكننا اذا حللنا ذلك التاثير وأردنا معرفة سره ، رأيناه أنه ينشأ من أمرين لا ثالث لهما ، الاول وضوح الصورة ، والثانى جمال القالب الذى توضع فيه الصورة وملاءمته لها . أما الامر الاول فتابع لمادة الشاعر ذاته وحدة تصوره ووضوح معانيه فى نفسه الى غير ذلك مما لا يتأتى الا طبعا ، وأما الامر الثانى فهو القالب وذلك هو الوزن والقافية وكل القيود والصور الشعرية المعروفة . ليست الاوزان الشعرية كلها سواء ، أعنى انها ليست يحل بعضها محل بعض ، وانما هى صور للاهتزاز الداخلى بنفس الشاعر ، أو هى قوالب موسيقية توقع عليها المعانى الشعرية كما توقع الالحان على النغمات الموسيقية المتعددة ، فكل معنى له



محمد فريد ابو حديد

وزن أو بعض أوزان لا يمكن أن يكون واضحا قويا الا فيها ·

والشاعر اذا قال شعرا ذهب قوله بطبيعته على الوزن الملائم له · هذا من جهة الوزن ، اما من جهة القافية فلا ننكر أن رنة تكرارها تؤثر فى السامع تاثيرا حسنا فى كثيــر من الاحيان ، ولكن التقيد المطلق بهــا لا معنى له لاسيما اذا كانت القصيدة من ذوات المــائة أو المــائتين فان التمسك بالقافية عند هذا لا يكون منه الا غل ذهن الشاعر وتقييده وقد ينشأ من ذلك تحوير المعنى الــذى يريد التعبير عنه · وقد فك الشعر العربى تلك القيود فتصرف الشعراء فى القافية وذهبوا فى الموشــحات مذاهب شتى ، وابتدعوا المزدوجات والرباعيات والمخمسات وغير ذلك · فلم يوفق شاعر عربى الى ابتداع طريقة مثلى يستطاع بواسطتهــا التخلص من القافية وارسال الشعر كما يرى الغــربيون · ان الاذن العربية لاتزال على ما ألفت فلو أنها سمعت شعرا مرسلا لنفرت منه ولم تستسغه ، ولكن اذا كان فى الشاعر قدرة جعل الصورة فى شعره واضحة والهى الاذان بهــا عن اللفظ وعن انتظار القافية ··· ولسنا نرى أن الشــعر المرسل يمكن أن يركب من شطرين بل من شطر واحد · وليس كل وزن لائقا له ، بل لابد من توافر شروط فيه حتى يمــكن أن تقبلــه النفس ··· » واستمر فى مقال اخر يقول حــول نفس موضوع الشــعر المرسل : « واننا نعتذر للقارئ لو اننا اوغلنا به قليــلا فى اصطلاح الاوزان فقلنا ان اليق الاوزان للشعر المرسل حسب اعتقادنا ثلاثة أوزان :

الاول : الرمل بأنواعه ···

والثانى : السريع ···

والثالث : الخفيف ···

وقد يمكن أن يستعمل المسرح ·

وتأييدا لدعوته الى تجربة الشعر المرسل قدم للمكتبة العربية أوبريت ميسون الغجرية · ســنة ١٩٣١ ومسرحية « خسرو وشيرين » سنة ١٩٢٤ وترجم مسرحية زهراب ورستم بالشعر المرسل سنة ١٩١٨ وكــذلك مسرحيــة ماكبث لشكسبير ســنة ١٩٥٧ ·

ومنذ مطلع مشواره الادبى ـ الذى يمكننا تحديد بدايته المتبلورة بعام ١٩١٨ ـ وعلى مدى خمسين عاما حتى تاريخ وفاته كرس أبو حــديد حياته الادبية لهدف أن : يعــرف الانسان المصرى نفسه عربيا عزيزا من خلال تاريخه العظيم لكى يحبه تلك النفس فتثمر وتعطى تاريخــا مستقبليا أعظم ·

● رسالة جامعية ●

المثقفون المصريون ودورهم فى السياسة من ١٩٤٥ وحتى الستينات

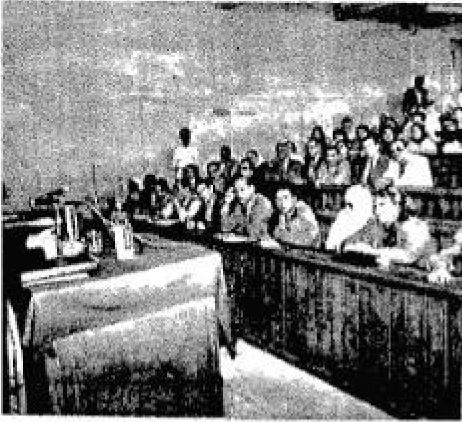
نوقشت اخيرا بجامعة عين شمس ـ كلية البنات رسالة الدكتوراه المقدمة من مصطفى عبد الغنى ، وكان المناقشون كل من د . يونان لبيب رزق والأستاذ أحمد بهاء الدين ، ورئيس اللجنة والمشرف د . صلاح العقاد .

بعد ان قدم الباحث ملخصه قدم د . صلاح العقاد الاستاذ أحمد بهاء الدين للحاضرين ، فأكد فى مناقشته ، ان مهمة مناقشة هذه الرسالة مهمة صعبة للغاية ، اذ تختلط فيها الأحداث التى يقررها المؤرخ ، والاحداث التى عاشها الانسان ، (الاستاذ بهاء كان احد المثقفين الذين كانوا موضع بحث الدارس) كما اشار الاستاذ بهاء الي ان الرسالة بها كم هائل من الاحداث والاسماء غير انه ركز على كلمة مثقف مع ان الباحث ـ كما اكد بهاء ـ قام ببحث مفصل حول كلمة مثقف ، فإن المشكلة حتى الان تظل انه لايوجد تعريف مانع جامع (اى تعريف علمى لهذا المثقف) فالمثقفون هم طبقة غريبة يختلف حولها ، فكل الملاحظات عن مشكلة المثقف تظل نوعا من الاجتهاد ، كما ان التعريف يقع فى دائرة الذات المعرفة ، فاليسارى يرى ان اليساريين مثقفون واليمينى لايرى غير اليمينيين هم المثقفين .

والمشكلة الأخرى التى اشار اليها الاستاذ بهاء هى حين يصبح المثقف فى السلطة كيف ينظر اليه ؟ الرسالة تركز على هذا المثقف غالبا وهو خارج السلطة ، ولكن السؤال الذى يطرح نفسه ، وهو اذا تحول هذا المثقف خارج السلطة الى داخلها ، اى من محام او اقتصادى الى وزير عدل او وزير اقتصاد على سبيل المثال (كان وزراء الداخلية قبل ثورة ٥٢ من المحامين هل نعتبر ان هذا لم يعد من المثقفين) ؟

اذن ، المثقف داخل السلطة غيره خارجها .. وكذلك اشار الاستاذ بهاء الى ان الباحث وان كان جادا واعيا ، فإنه لم يسلم من كونه كان قاسيا فى الحكم على المثقفين .. كما اشار الاستاذ احمد بهاء الدين الى ان المثقف ليس ضروريا ـ ان يكون هو (المعارض) دائما ، لكنه قد يتحول من مثقف الى حاكم ، وراح يضرب مثلا باسماعيل (باشا) صدقى الذى كان رغم كونه وزيرا ورئيسا للوزراء يحمل افكارا غير متقدمة وهو داخل السلطة ومواقف صدقى التى قد نختلف فيها معه لا تقلل من وجوده داخل دائرة المثقفين ، فإنه ليس من الضرورى ان يظل الموقف التقليدى من المثقف ان يكون هو المثقف التقدمي ، كما انه ليس من الضرورى ان يكون المثقف هو المثقف المعارض .

وراح يضرب بأمثله كثيرة للمثقفين داخل التاريخ المتنبى ، موزار ، جان جاك روسو .. الخ ..



احمد بهاء الدين اثناء مناقشة الرسالة

ورغم ان احمد بهاء الدين اكد منذ البداية ان كلمته لاتزيد على كونها (عريضة دفاع) عن المثقفين فإنه راح يبرر مواقف المثقفين المفكرين بعاملين ، احدهما ان المثقف ليس فارسا قويا مدججا بالسلاح ضد السلطة ، وانما المثقف هو - بالتأكيد - داخل اطار السلطة وتؤثر هي فيه كما راح يبرر موقف المثقفين المنكسر ايضا بعامل السن ، فراح يضرب امثله بموقف طه حسين من ثورة يوليو ، وهو موقف كان قد عراه الباحث لتهاونه مع النظام الجديد ، من ان طه حسين كان قد بلغ من السن ارذله ، فضلا عن مواقفه الفكرية الراديكالية في شبابه كما راح يضرب امثله بمواقف كل من على عبد الرازق وعبد الرازق السنهوري .. وغيرهما .

ولم يقبل رئيس لجنة المناقشة في نهاية كلمة بهاء اعتذاره للاطالة ، فقد نقل احساس الحاضرين من ان احدا لم يمل حديث هذا المثقف ، ولا استعراضه الشائق للاحداث ولا دفاعه الجيد عن المثقفين .. ثم راح يقدم د . يونان لبيب رزق - المناقش الثاني - فراح د . يونان من بداية الكلمة يؤكد انه لن يخرج في مناقشته عن تقديم مذكرة توضيحية لما قاله الاستاذ بهاء . ثم اشار د . يونان لبيب رزق الى قضية الموضوع ، فنحن لا نقدم على اختيار مثل هذه الموضوعات غير التقليدية فهو يتعامل مع شرائح وافراد مازالوا على قيد الحياة ومن هنا ، فقد وقعت بين كاتب ومكتوب عنه ، مصطفى عبد الغنى كاتب الرسالة واحمد بهاء مكتوب عنه .

، واذن الموضوع جديد - يستطرد - فترة قريبة للغاية كذلك اشار د . يونان الى ان الباحث اهتم بالكليات لا بالجزئيات وهو بهذا كاتب متمرس ، كذلك فان للباحث شخصية مستقلة فهو لم يكن عبدا للمادة التي جمعها وانما طوعها كما اراد ، ايضا يضاف هذه النقلة المريحة كلها انتقل من موضوع الى اخر ، ولعل هذا يعود الى تمرسه للكتابه خاصة الكتابة الصحفية .

هذا عن الايجابيات ، اما السلبيات - اضاف د . يونان - فان الباحث استخدم نهج العلوم السياسية اكثر من النهج التاريخي ، خاصة ان الدراسة كانت تناقش في قسم التاريخ بعين شمس ، وهو مايعني ان الباحث كانت لديه رؤية معينة لم يقدمها خلال التراكم التاريخي دائما حاول تقديمها خلال المناهج السياسية .

• مكتبة الهلال •

الكتاب : مراكب خوفو
حقائق لا اكاذيب
تاليف : مختار السويفي
الناشر : الدار المصرية اللبنانية ٢٨٤ ص . ٧٠ ج م .

مختار السويفي

مراكب خوفو
حقائق لا أكاذيب

الدار المصرية اللبنانية

يكاد يكون هذا الكتاب واحدا من أخطر الكتب التى صدرت فى السنين العشر الأخيرة . واكثرها سخونة واهمية ، فهو يتعرض لقضية عامة فى غاية الاثارة من ناحية كونها تكشف كيف يمكن ان يتم تضليل الراى العام من قبل بعض الاعلاميين الذين يستغلون مناصبهم ، وكيف يمكن ان يسود هذا التضليل ، حتى فى مسالة علمية ، «تتكمم» فيها افواه العلماء والعارفين كل هذه السنين الطوال .

هذه القضية هى مايسميه المؤلف قضية الادعاء الذى قال به الصحفى المرحوم كمال الملاخ واكتشافه لما أسماه مراكب الشمس ، التى يؤكد السويفى من جهة انها ليست من اكتشاف الملاخ ، كما انها ليست مراكب الشمس ، وانما مراكب جنائزية .

ويقول عما جاء فى كتابه : لقد قصدت الاطناب فى ذكر أطراف وابعاد تلك الحكاية الطريفة والغريبة ، ولكنى ما قصدت بذلك طرافة او غرابة ، وإنما أردت ان اشير فقط الى بعض الدوافع التى حفزتنى على تجميع كل مالدى من معلومات ووثائق ومراجع تتناول «مراكب خوفو» . بالدراسة الجادة والتمحيص العلمى ، وان اعارض بها كل ما قيل من تهويمات غير صادقة وغير علمية ، بل وتتعارض تماما مع الضمير العلمى الذى يجب ان يكون هو المعيار الوحيد فى كتابة تاريخ الآثار المصرية .

وهذا الكتاب ، فى حقيقة الامر - تكريس لهذا الهدف - يقول الكاتب - فقد حاولت بكل جهد ممكن ان اعلى كلمة الضمير العلمى الحق فوق كل اساليب الكذب والانتهازية والبهتان ، وان اضع الحقائق كاملة امام كل من يريد ان يعرفها ، سواء من دارسى الآثار المتخصصين ، او هواة التاريخ المصرى القديم ، او الراغبين فى الاستفادة بنور المعرفة واليقين .

ونحن ندعو كل من له راى فى القضية ان يمدنا بما لديه من اجل الكشف عن وجه الحقيقة الجميل .

الكتاب : فى الدبلوماسية المعاصرة
تأليف : د . السيد امين شلبى
الناشر : عالم الكتب
٢١٢ ص ، ٧ ج م .



يعرض هذا الكتاب لموضوع الدبلوماسية من وجوهها المتعددة سواء تلك التى تتصل بمفهومها التقليدى كأداة للحوار بين الامم وقنوات هذا الحوار ، او تلك التى اكتسبتها فى تطورها المعاصر وتعدت بها نطاقها التقليدى الى ميادين اخرى ، اصبحت هى النسيج اليومى للتعاملات الدبلوماسية .

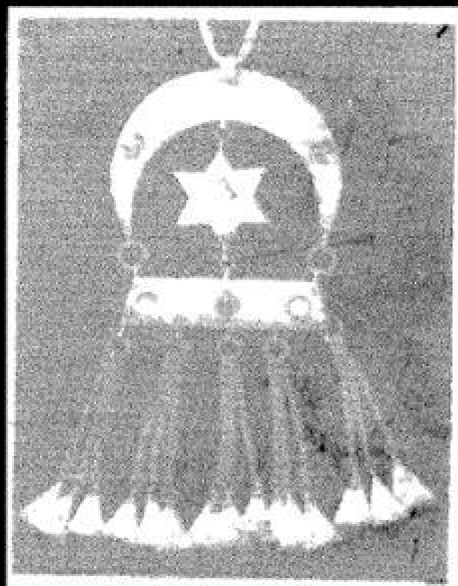
كما يناقش الكتاب تناقض الدبلوماسية كعملية متمدينة تقوم على احترام كل امة لمصالح وامانى الامة الأخرى ، وما يستلزمه هذا من حوار رشيد بادوات رشيدة ، وتبحث فى قنوات العمل الدبلوماسى وتناقش سؤالا مركزيا يتصل بمهمة السفير وهل مازال دوره جوهريا فى ضوء التغيير الذى حدث فى وسائل الاتصالات المباشرة بين الدول .

الكتاب : الشعر فى موسيقى عبد الوهاب
تأليف : مصطفى عبدالرحمن
الناشر : أخبار اليوم



جانب من سيرة الموسيقار محمد عبدالوهاب يعرضها الشاعر الغنائى المعروف مصطفى عبدالرحمن مستعينا فيها بسرد الاحداث الكبرى التى قام فيها الموسيقار بعمل الحان كانت مادتها الشعر بدءا مما كتبه له امير الشعراء احمد شوقى وحتى اخر القصائد التى غناها

يضم الكتاب ايضا اهم ما يخص حياة عبدالوهاب الفنية ولقاءه مع عمالقة الغناء ، والتمثيل والشعراء فى سيرة تنطق بالاحداث وموسوعة تضم أهم النصوص التى غناها الموسيقار الكبير .



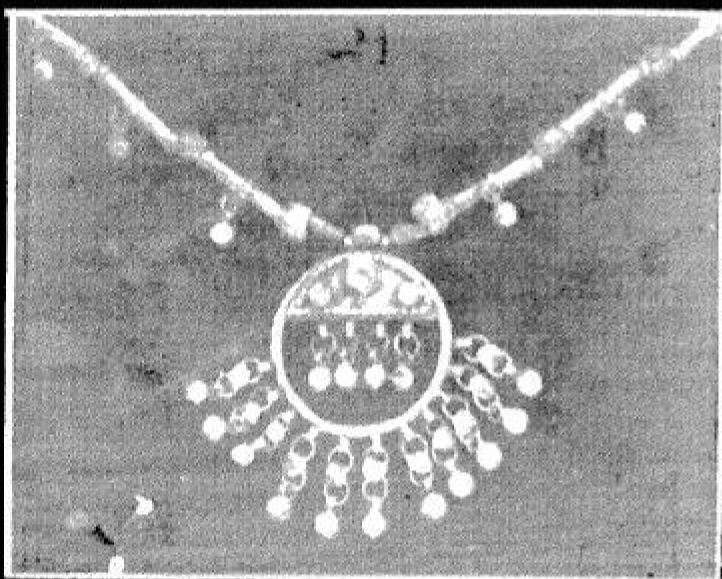
الحلى النوبية

من المصاغ النوبية المشهورة (الهلال)
وهى من تاثير المد الاسلامى

سر « التعاليل » التى تطرد الاشباح

نجوى صالح

اذا اردت ان تقرأ التاريخ الحقيقى لشعب فتابع ما انتجه على مر التاريخ من حلى ..
فلأن الحلى هى اندر مقتنيات البشر فلا شك ان الانسان قد تعامل معها ، على مر العصور ، بحساسيه مرهفة فى سباكتها وتصميمها والاحتفاظ بها فى احلى صورة .. ثم توريثها الى ابنائه .. والاجيال اللاحقة له ..



استخدمت الحلي، غالبا، لاغراض درء السحر ومنع الحسد



الحلى النوبية

ولاشك ان الحلى النوبية هى ميراث التاريخ المصرى منذ الاف السنين · لذا فقد حققت صيتا واسعا لما اتسمت به من دقة فى الصناعة ·· وحسن فى التصميم · وتفرد فى الشكل · فهى الحلى الوحيدة التى حفظت التاريخ ، فى اشكالها المختلفة · وحافظت على الموروث الشعبى المصرى الذى ظل يسرى فى دماء الشعوب واصولها العتيقة ، مجتازا الوف السنوات دون أن يفقد رونقه وبهاءه ·· بل ظل يتبلور يوما ما وراء اخر ·· حيث تزداد قيمة هذا الفن من ناحية ومهارة الصائغ المصرى من ناحية أخرى ··

وطوال التاريخ ، فان الحلى النوبية لم تقتصر اهميتها على اغراض الزينة · والتجميل · بل ان الكثير من هذه الحلى قد استخدم لاغراض درء السحر ومنع الحسد · أو استجلاب الحظ · أو بهدف الاخصاب والانجاب ·

وقد اشتهرت هذه الحلى فى القرن التاسع عشر باستخدامها فى حفلات « الزار » الشعبية حيث كانت تستخدم شخاليل هذه الحلى من خلاخيل وكردانات فى طرد الارواح الشريرة والشياطين كما كان يكتب عليها بعض التعاويذ من اجل البركة · أو الحفظ من الشرور · فضلا عن الرسوم الرمزية التى تصاغ حول هذه الحلى فى اشكال مختلفة (سمكة ، امرأة ، رجل أو حيوان) حيث يرمز كل منهما الى رمز ما ؟

* البيئة مزجت كل العناصر

الجدير بالذكر ان الفنان النوبى قد شغف منذ بداية التاريخ بتسجيل وقائع حياته وافكاره ومشاعره من خلال رسوم مختلفة · يرمز كل منها الى معنى خاص · فهناك رسومات أزلية فوق حوائط البيوت · وأخرى منقوشة بالدانتيل الابيض فوق الاسرة وبين غرف المنزل · مما يعكس مدى الاحساس المتفتح لدروب الجمال فى عقل ووجدان هؤلاء البشر الذين يسكنون على مسافة عشرات الكيلو مترات جنوب أسوان ·

وقد اكدت الدراسات الانثروبولوجية والاركيولوجية (الاثرية) لهذه المناطق مدى انتماء الكنوز ، وهم يمثلون النسبة الغالبة من السكان ، ثم النوبيين المنتمين الى الاصل العربى ، الى سلالة واحدة وهى السلالة القوقازية · كما اكدت هذه الدراسات ان الغزوات والهجرات المختلفة التى تعرض لها سكان بلاد النوبة على مر العصور ، لم تقض على الخصائص الفيزيقية للسكان الاصليين للنوبة · وهم خليط من سكان عاشوا فى مصر العليا والسودان واثيوبيا حيث تجد أن النوبى ذو لون أسمر جميل وله تقاطيع رقيقة وجميلة · اما المهاجرون الى بلاد النوبة من اماكن بعيدة ، فقد استقروا فى القرى وتزوجوا من النساء النوبيات ·

ولم تشهد منطقة النوبة أيا من انواع الهجرة الجماعية ، التى تشتمل على الرجال والنساء معا ، الا فى اندر الحدود · الامر الذى ادى الى امتصاص المجتمع النوبى لتلك العناصر الغريبة دون التأثير على لغته وثقافته حيث لعبت المرأة الدور الاساسى فى انصهار هذا المجتمع · فهى الام والزوجة والابنة · وهى التى تحافظ على التقاليد النوبية

الاصيلة من لغة وثقافة . وتجعل ابناءها يتشربون العادات القبلية من تلك الامهات

ولاشك ان هذا قد ادى الى تعدد القبائل وكثرتها . واختلاف اصولها القبلية . والتى تعتبر من المميزات الاساسية التى يتمتع بها المجتمع النوبى

حالة من التكيف

ولاشك ان للحلى دورا كبيرا فى الدلالة على طبيعة العلاقات بين الكنوز والنوبيين بصفتهما الابناء الاصليين لبلاد النوبة ، وما بينهما من تباعد ونفور متوارثين ، ليس له من مبرر اكيد . رغم كل ما قيل عن اختلاف القبائل واصولها . وغير ذلك من الاسباب الظاهرة . ذلك التباعد الذى يبدو وكأنه يرجع الى اسباب دفينة لا شعورية . قد يفصح عنهما استخدام احدهما او كليهما لانماط واشكال معينة من الحلى .

ومن المعروف ان بلاد النوبة قد عاشت فى ظل المسيحية ردحا طويلا من الزمن استمرت حتى القرن الرابع عشر الميلادى . وقد بدا ان الجنوبيين كانوا اشد تمسكا بدينهم القويم ، اكثر من الشماليين ، الكنوز علما بان سكان الجنوب المعروفين باسم الفاترجا قد جاء اكثرهم من جنوب بلاد النوبة .

ومن هنا تولد النفور بين كلتا الجماعتين : الجماعة الاولى التى كانت اسرع مبادرة نحو الاسلام و (الكنوز) والجماعة الثانية التى اختارت البقاء على دينها القديم (الفاترجا) ، علما ان الجميع الان متمسكون بالاسلام تمسكا كبيرا او يحافظون على شعائره وتعاليمه .

ويبدو ان العامل النفسى قد ترك اثاره فى لا شعور النوبيين الاصليين (الفاترجا) اذ ظهر فى بعض قطع الحلى التى يستخدمونها . فعندما نتأمل «مقصة الرحمن» نجد انها شديدة الشبه بمشبك الصليب الثائى الذى كان يستخدمه مسيحيو اوروبا الرومانسيكية فى العصور الوسطى وفى العصر البيزنطى . وبخاصة اذا لاحظنا الزخرفة البارزة التى تمثل هذا الصليب تماما . ويظهر هذا التماثل ايضا فى الخط الخارجى لنفس الحلى التى تتحلى بها العروس النوبية . كما ان هناك قطعا اخرى من الحلى لها سمات الحلى المسيحية او البيزنطية لدى النوبيات . وذلك مثل حلية « الرمان » وهى تشبه احد العقود المسيحية البيزنطية ووحدتها على هيئة ثمرة الكمثرى . او على شكل دمعة العين . الا ان هذا الشكل يعود الى تاريخ ابعد من العصر المسيحى . او البيزنطى . بكثير ..

الفن ضمير الشعوب

وقد تم العثور على الكثير من الحلى المتماثلة والمشتركة بين الكنوز والنوبيين مثل « البيبة » و «الساقاء» و « الحكة » و « الشاشا » و «الهلال» وغيرها مما يدل على تقارب المشارب بعد حالة من الانصهار الثقافى والحضارى ادى الى حدوث حالة من وحدة المزاج والانتماء الاقليمى الواحد او كما قال العالم يونج ، احد أهم كتاب «سير الشعوب – والفن الشعبى» ان اللاشعور الجماعى يتوارث ويعيش طويلا فى ضمير الشعوب ، ويظهر فى كثير من الرموز التى يستخدمها افراد هذه المجتمعات او الشعوب . تلك الرموز التى قد تشير فى كثير من الاحيان ، من جانب خفى الى عقيدة قديمة . يحملها اللاشعور الجماعى جيلا بعد جيل رغم انقطاع الصلة فيما بينها . وبين القوم الذين كانوا يمارسونها . وتظهر بشكل واضح فى فنونهم الشعبية .

المائة الأعظم

بقلم: حسين أحمد أمين

جمال الدين الأفغانى

١٨٣٩ - ١٨٩٧ م

فيلسوف وكاتب وخطيب وصحفى ، وصاحب شخصية فذة كانت محورا للعالم الاسلامى فى القرن التاسع عشر . غير انه كان قبل كل شيء من رجال السياسة ، ينظر اليه محبّوه نظرتهم الى وطنى كبير ، وينظر اليه خصومه على انه مهيج خطير ، ويتفق الكافة على انه اول فصل من فصول الحركات الاسلامية المعاصرة ، ومصدر الالهام للمسلمين فى موقفهم من الحياة العصرية والتجديد ، وصاحب التأثير الأكبر فى الحركات التحررية والدستورية التى قامت بعده فى الدول الاسلامية .



فى التاريخ الإسلامى

شمل نشاطه ايران وأفغانستان والهند والاقطار العربية وتركيا ، وكذا الغرب الأوروبى . وكان بمثابة المسلم الكامل فى عصره فقد جمع الى علمه الاسلامى التقليدى معرفة واسعة بالشئون الأوروبية ، وإلماما بالافكار الحديثة . ومع ذلك فهو لم يخرج بفكر مبتدع ، ولا كان منظما أو مخططا ، ولا خلّف وراءه كتابات ذات قيمة كبيرة في الدين أو الفلسفة الاسلامية رغم تعمقه فيهما . فكتاباه الصغيران "الرد على الدهريين" و "تتمة البيان" فى تاريخ الأفغان ، هزيلا الشأن . غير أنه صرف معظم جهده فى نشر مقالات سياسية مهيجة للخواطر (خاصة فى صحيفة "العروة الوثقى" ومجلة "ضياء الخافقين") ، مثيرا بها وبخطبه وأحاديثه الخاصة والعامة حمية الثوريين السياسيين وعلماء الدين الموقرين على السواء ومنافحا عن الحركات الوطنية المحلية ، وحركة الجامعة الاسلامية ، بحيث يمكن القول بأن القليل القليل من الحركات الاسلامية فى القرن العشرين لم يتأثر به .

تعود أهميته فى المقام الأول الى أنه جمع فى شخصه شتات العالم الاسلامى وعبر عن المشكلات والمصاعب التى يعانيها المسلمون فى زمنه ، وراح يعمل ضد تلك المصاعب بطاقة هائلة . وإذ كان أدرى المسلمين بعصبية إخوانه المسلمين ، فقد راح يحضهم بحماسة وثابة نارية على محاولة فهم وضعهم ، والعزم على إصلاحه وتغييره ، مؤكدا أن انبعاث الاسلام هو مسئولية المسلمين أنفسهم لامسئولية الخالق . فمستقبل المسلمين لن يكون عظيما إلا أن جعلوه هم عظيما .

وعليهم أن ينهضوا وينفضوا عنهم الذهول ، ويعملوا ويتخلوا عن التسليم بواقع الأمور ونبههم إلى آية (إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وهى اية ظلت قرونا طويلة لا توحى للمسلمين بأى معنى ، حتى جاء جمال الدين فأنشأ حولها الكثير من الخطب التى دعاهم فيها الى أن يجددوا بأنفسهم التاريخ الدنيوى لمجتمعهم قبل أن يدخل النزع الأخير ، وإلى التحول من حالة الخمول الى مرحلة العزم والتصميم .

وبالرغم من أنه هو نفسه لم يكن لديه برنامج واضح أو فلسفة منظمة ، فقد كان القوة الدافعة للآخرين الى العمل بحماسة بحيث أصبح النشاط الفعال من سمات حركات النهضة الاسلامية منذ ذلك الحين . وقد كان له الفضل

أيضا فى بيان أوجه الخلل الداخلى ، وايضاح أن العالم الاسلامى كله (وليس هذا الجزء منه او ذاك) هو المهدَّد ، وأن مصدر التهديد هو الغرب بقوته الديناميكية .. وقد كان المصلحون الاسلاميون قبله يعللون ضعف العالم الاسلامى تعليلا دينيا وقدريا ، فجاء هو يفسره تفسيرا حضاريا ، ويدعو الى الاصلاح الداخلى وتنمية القدرة الدفاعية وتبنى ثمار الحضارة الغربية ، خاصة العلوم والتكنولوجيا ، من أجل استعادة عظمة الاسلام فالغرب لابد أن يقاوَم لانه يهدد الاسلام ، غير ان مقاومته إنما تكون بتقليده فى جوانبه الايجابية ، وتبنى نظمه الحرة وديمقراطيته .

كان أول مصلح مسلم يستخدم تعبيرى "الاسلام" و "الغرب" كظاهرتين متخاصمتين بالطبيعة ، (وهو تناقض أصبح من معالم التفكير الاسلامى كله منذ ذلك الحين) . وهو من أجل تحرير المسلمين من النفوذ والاستغلال الأوروبيين ، جعل من اهم أهدافه جمع كلمة الأقطار الاسلامية ـ بما فيها فارس الشيعية ـ تحت راية خلافة واحدة ، وإقامة امبراطورية اسلامية قوية تستطيع الوقوف فى وجه التدخل الأوربى ولذا فقد دعا بقلمه ولسانه الى فكرة الجامعة الاسلامية ، واستطاع بخطبه الثورية البليغة التى لم يكن يكل او يمل من إلقائها أن يهيج الخواطر ويلهب الجماهير فى الاقطار الاسلامية قطر بعد قطر ، وأن يوقظ فيها الوعى بما كانت عليه فى الماضى من قوة ووحدة ، وما هى عليه فى الحاضر من ضعف وتفكك .

البتانى

٨٥٨ - ٩٢٩ م

عالم عراقى هو اكبر علماء الفلك عند العرب وقف نفسه على رصد الأفلاك وهو فى حوالى العشرين ، واستمر على ذلك ، فى داب بقية حياته وقد عدّه "لالاند" الفلكى الفرنسى الكبير واحدا من اعظم الفلكيين العشرين فى تاريخ البشرية ، ووصفه سارتون فى كتابه "تاريخ العلم" بانه اعظم فلكيى جنسه وزمنه ، ومن اعظم علماء الاسلام .

كان علماء الفلك قبل البتانى يعتمدون فى دراستهم وعملهم على علم الفلك اليونانى ـ خاصة مؤلفات بطليموس ـ وعلى علم الفلك الهندى ، وكان النص

النظرى الاساسى عندهم هو كتاب بطليموس المعروف لدى العرب باسم "المجسطى" وقد تبع الفلكيون العرب بطليموس فى اعتقاده بسكون الارض التى تدور حولها ثمانية أفلاك ، هى الشمس والقمر والكواكب الخمسة والنجوم الثابتة . وللتوفيق بين هذا النظام وبين الظواهر المرصودة ، أضحى متطلبا وضع نظام من التداوير والحيل الرياضية الأخرى . وبمرور الوقت ادرك العرب أوجه ضعف نظام بطليموس ، فانتقدوه دون أن يخرجوا ببديل مرض له .



وقد تركز نشاط البتانى على ما يسمى بالزيج (أى مجموعة الجداول الفلكية) ، فوضع حوالى عام ٩٠٠ م جداول دقيقة للغاية ، فى حين ظلت ملاحظاته الصائبة عن كسوف الشمس اساسا للمقارنات المعقودة حتى عام ١٧٤٩ . وقد حدد ميل دائرة فلك البروج (أى الدائرة الكسوفية) بـ ٢٣ درجة و ٣٥ دقيقة . وهذا قصارى ما كان يمكن أن يصل اليه محقق من الدقة فى زمن لم تكن الآلات الفلكية قد عرفت او أخترعت فيه ، وهو ما يزيد من قدر البتانى . فقد قام الفلكى (لالاند) بحساب ذلك الميل بعد الف سنة تقريبا من وفاة البتانى فوجد أنه ٢٣ درجة و ٣٥ دقيقة و ٤١ ثانية ، أى بزيادة هذا الفرق من الثوانى حيث أنه أضاف الى تقدير البتانى ٤٤ ثانية للانكسار ، ثم

طرح منها ثلاث ثوان للاختلاف الأفقى ، ولم يكن البتانى قد عمل لهما حسابا .

وكتابه "الزيج" الذى ضمنه نتائج رصوده للكواكب الثابتة ، والذى ترجم مرارا الى اللاتينية والاسبانية ، هو أهم تصانيفه . ولم يصل الينا غيره من كتبه الأربعة . وقد كان له اثر كبير لا فى علم الفلك عند العرب فحسب ، بل فى علم الفلك وحساب المثلثات الكرّى فى أوروبا خلال العصور الوسطى وأوائل عصر النهضة . وقد حدد فى كثير من الدقة طول السنة المدارية والفصول ، والمدار الحقيقى والمتوسط للشمس ، كما فند قول بطليموس بثبات الأوج (أى موضع الأرض فى أقصى ابعادها عن الشمس) : مقيما الدليل على تغيره عما كان عليه أيام بطليموس (فى حين كانت قياسات بعض المعاصرين له مطابقة لما وجده بطليموس) ، وعلى تبعيته لحركة المبادرة الاعتدالية ، واستنتج من ذلك أن معادلة الزمن تتغير تغيرا بطيئا على مر الأجيال . كذلك أثبت – عكس ما ذهب اليه بطليموس – تغير القطر الزاوى الظاهرى للشمس واحتمال حدوث الكسوف الحلقى ، وصحح البتانى جملة من حركات القمر والكواكب السيارة ، واستنبط نظرية جديدة تشف عن قدر كبير من الحذق وسعة الحيلة لبيان الأحوال التى يرى بها القمر ، وضبط تقدير بطليموس لحركة المبادرة الاعتدالية . وله رصود جليلة للكسوف والخسوف اعتمد عليها "دانثورن" عام ١٧٤٩ فى تحديد تسارع القمر فى حركته خلال قرون من الزمان ، وأعطى حلولا رائعة بوساطة المسقط التقريبى لمسائل فى حساب المثلثات الكرّى .

وفى مجال الرياضة ، كان البتانى – على القول الأرجح – أول من أدخل الجيوب فى الرياضيات ، إذ استعمل (الجيب) بدلا من (الوتر) الشائع عند الأغريق ، وأكمل تعريف الظل وظل التمام (تحت اسم الظل المعكوس والظل المستوى) ووضع جداول لهما ، وينسب اليه اكتشاف قانون جيب التمام فى المثلث الكروى . كما بحث فى بعض المسائل التى تناولها الأغريق بالطرق الهندسية ، محاولا الوصول الى حلول جبرية لها .

لقد كانت النتائج التى وصل اليها فى علم الفلك على الأخص بالغة الخطورة فى تاريخ العلم . وقد حقق كفلكى راصد رياضى أكثر ما كان ممكنا تحقيقه بغير الاستعانة بالآلات الحديثة التى اكتشفت بعد القرن السابع عشر ، وبوسعنا أن نعلل نجاحه الباهر بأمرين :

الأول : استخدامه لمناهج وآلات رصدية أكثر تطورا مما كان لدى الأغريق وبعضها كان مجهولا تماما لديهم .

والثاني استخدامه لوساطة رياضية فى حساب المسائل الفلكية هى أرقى مما استخدمه اليونانيون ، وكذا استخدامه لحساب المثلثات الذى لم يعرفوه والذي تسبب جهلهم به في اضطراب دراساتهم الفلكية والجغرافية ، وفي لجوئهم الى حساب معقد أساسه ملاحظة نسبة أقواس الدائرة الى نصف قطرها .

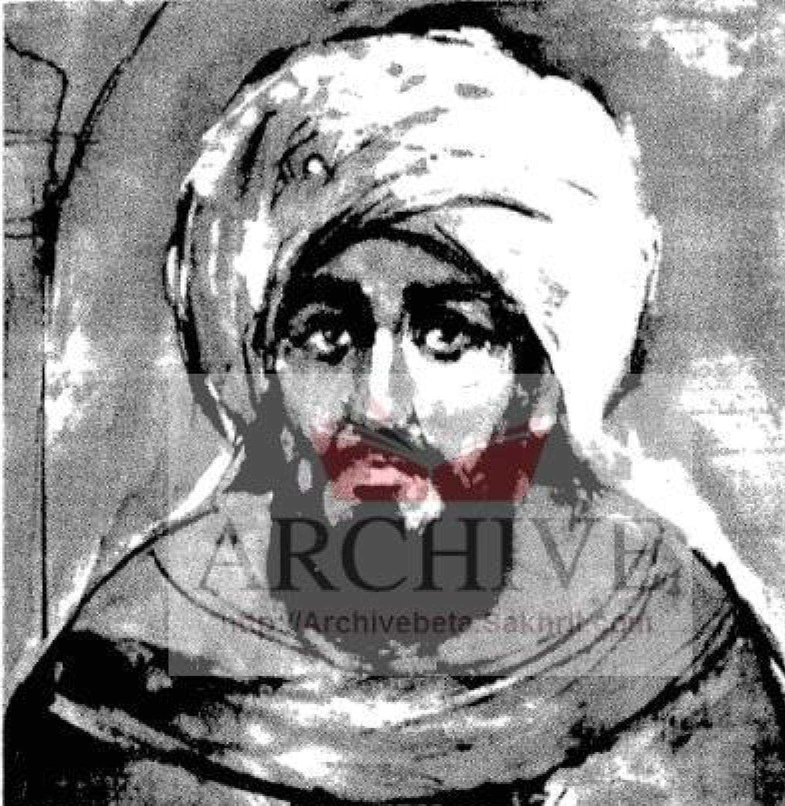
المسعودى

توفى عام ٩٥٦ م

من ألمع المؤرخين والجغرافيين العرب ، وصاحب كتاب "مروج الذهب" الذى وصفه المستشرق البريطاني سير هاملتون جيب بانه "ليس ثمة فى العربية كتاب أكثر منه إمتاعا ، جمع فيه بين التاريخ والجغرافيا وعلم أصول السلالات البشرية والدين والطب وغيرها جمعا يدل على سعة افقه ، وملاه بنوادر لاتحصى تهيىء للقارىء لذة وتسلية لا حد لهما وهو رأى شاركه فيه إرنست رينان .

ولد في بغداد ، وأحاط فى شبابه إحاطة تامة بكل التراث الادبى لعصره وبمختلف نواحى العلوم . غير أن ميدانه الحقيقى فيما يبدو كان الرحلات الواسعة ـ برا وبحرا ـ التى شملت جميع البلدان من الهند الى المحيط الأطلسى ، ومن البحر الأحمر الى بحر قزوين ، كما أنه من المحتمل أن يكون قد زار الصين وأرخبيل الملايو . وقد كان للسنوات العديدة التى قضاها فى السفر أثرها فى اتساع افقه ، وبعد نظرته ، وعمق خبراته المستقاة من اتصاله بالشعوب المختلفة ، وتعطشه الشبيه بتعطش الاغريق الى المعرفة من أجل المعرفة ، وفي كافة المجالات ، تاريخية كانت او جغرافية او علمية أو فلسفية أو طبية أو دينية .

لم يكن بحكم تكوينه عالما بحّاثة على غرار البيرونى ، ولا متخصصا فى الجغرافيا أو التاريخ ، وإنما كان قبل كل شىء أديبا وناشرا للمعارف على منهج الجاحظ وابن الفقيه ، مع ميل أوضح من ميلهما الى الجدية والى الأسلوب القصصي . فهو قاص بارع ، وفى أسلوبه شبه غريب بأسلوب الصحافة الراقية الحديثة كما كان فى شخصه انموذجا للمراسلين الصحفيين



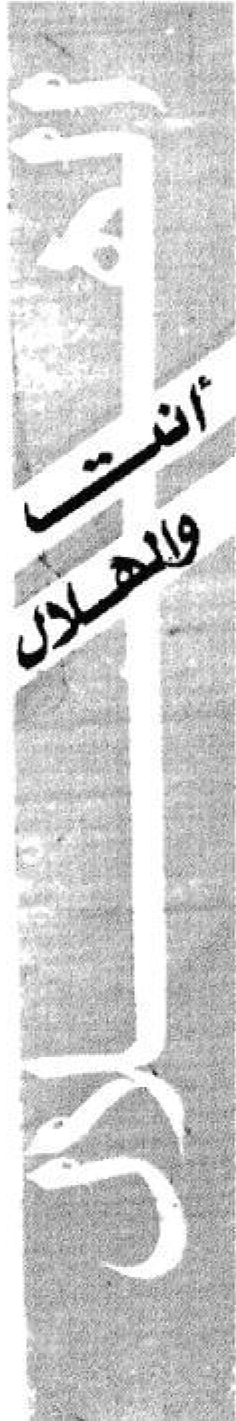
المعاصرين الجوابين للأرض .

وقد اتسم نشاطه العلمى المتنوع بالموضوعية فى الحكم على الشعوب والاديان . فهو يسأل باهتمام ممثلى مختلف العقائد ، ويفحص كتبهم بانتباه فائق ، ويتعرف جيدا على آدابهم . وكان موقفه محايدا إزاء النصارى واليهود والصابئة . وفى أثناء استعدادات القرامطة للهجوم على بغداد ، شغل

المسعودى نفسه بالاطلاع على كتبهم ، ومحادثة دعاتهم الرافضين لمذهب اهل السنة . وقد بلغ به التعدد الفذ لنواحى اهتمامه درجة الاقبال فى همة على جمع المعلومات عن البحر الأسود وبحر قزوين ، ومسألة ما إذا كان يمكن لوحيد القرن أن يمكث سبعة أعوام فى بطن امه ، وحادث انهيار منارة فاروس المشهورة فى الاسكندرية فى زلزال سنة ٩٥٥م ، وهو فى سجستان يورد أول خبر معروف عن طواحين الهواء ، وفى المنصورة بالهند يدرس حياة ثمانين فيلا ملكيا . وكان دائما يسعى الى الحصول على أحدث المعلومات عن البلاد التي لم يتمكن من زيارتها بنفسه .. غير أنه مع ذلك ، ربما بسبب مزاولته لعمله بعجلة فائقة ، تعذر عليه أن يتمكن دائما من تحليل المادة الضخمة المتنوعة التي جمعها من مختلف المصادر والطبقات عن الشعوب نائيها ودانيها .

وقد كان المسعودى مجددا فى ميدانى الكتابة التاريخية والكتابة الجغرافية معا : ففى التاريخ ، تحول عن "الحوليات" التى أرخ فيها اسلافه ـ كالطبرى ـ للحوادث سنة بعد سنة ، الى سردها فى رواية واحدة متواصلة ، ذات طابع أدبى ، استغنى فيها عن الاسناد ، بل وعن ذكر المصادر إلا فيما ندر . كما أنه ـ هو واليعقوبى ـ حققا تحرير الكتابة التاريخية من قالبها الديني ، وجعلها علما مستقلا . فإن كان الطبرى قبله قد اهتم الى جانب تاريخ العرب بتاريخ إيران القديم ، فقد وسع المسعودى فى تاريخه من نطاق اهتماماته بحيث شمل الى جانب التاريخ الايرانى ، تاريخ اليونان والرومان والبيزنطيين ، بل وحتى تاريخ الكنيسة المسيحية .

وفى الجغرافيا ، احتل المسعودى المكانة الأولى دون منازع بين جغرافيي القرن العاشر الميلادى . إذ نقل الكتابة الجغرافية من مجالها التقليدى الذي كان الدافع الأساسى فيه هو خدمة الادارة بتنظيم البريد ووسائل الاتصال وجمع الخراج الى آخره ، الى كتابة مشربة بالروح الاغريقية ، تحوى استطرادات مطولة عن البحار والانهار ، وقبائل العرب والكرد والترك والبلغار ، وهجرات القبائل وطبائع الهنود والزنج ، وتأثير المناخ فى أخلاق وعادات الشعوب ، بل ونجده يتحدث عن فكرة وحدة الشعوب السامية قبل زمن طويل من ظهور هذه الفكرة كنظرية علمية فى أوروبا . فهو إذن يقف على قمة المعارف الجغرافية لعصره ، خاصة فى كتابه "التنبيه والإشراف" اما "مروج الذهب" فمن المؤكد أنه يحوى افضل وادق صورة للحياة الاجتماعية والثقافية فى عصر الخلافة الاسلامية .



• النقد الادبى •

• اصبح النقد الأدبى الذى تنشره الصحف اليومية غير مفهوم ، رغم كثرة الذين يكتبون هذا النقد ، ويبدو لنا الأمر كأنما فتح القطاع العام "نافذة" لكل واحد من هؤلاء الكتاب والنقاد فى احدى الصحف الكبيرة ليطلع علينا منها بنقده الذى لا يطالعه أكثر من نصف فى المائة من القراء ، لأنه نقد شخصى جدا ، يناجى فيه الكاتب او الناقد نفسه ، أو يرمى إشارات مقصودة يحاول إيصالها إلى هذه الجهة أو تلك .. وقصارى القول إن نوافذ النقد والأدب فى الصحف اليومية صارت أسوأ من نوافذ بيع مواد التموين فى هذه الأيام ، فما رأيكم دام فضلكم ؟!

حسن رجب عبدالرحمن
اسيوط

• تعليق الهلال .

ـ ان مواد "التموين الأدبى" التى يتلقاها القراء من النوافذ التى تشيرون اليها ، يوجد فيها الجيد والردىء ، وعليك انت ان تختار الجيد الذى ترضى عنه ، ولا عليك من الردىء برغم كثرته التى تضايقك وتضايق غيرك من القراء .

• موطن العجائب •

يا زائر الأرض قاصيها ودانيها
عرّج على مصر يستهويك ما فيها
ومتع النفس حينا بعدما بهرت
بحسن آثارنا حتى توفيها
وقف طويلا على اهرامنا لترى
آيات فن تزكى علم بانيها
آيات فن من الابداع شاخصة
هى الأعاجيب فى أسمى معانيها
كم اعجب الناس من اتقان صنعتها
وحيرتهم امور فى نواحـ...
وقف على "الأقصر" الشماء حيث ترى
ما ابدعته الأيادى فى مبانيها

كـأنـمـا زخــرفـت بـالأمــس زينتهــا
فـالنقــش زاه كمــا كانـت بماضيهـا
والنــاس يــدفعهــم شــوق لرؤيتهـا
ومــن يــراها سيمســي مــن محبيهـا

عبده محمد سلطان
صقيل - اوسيم - جيزة

● العقاد فى الذكرى المئوية ●

● فى ١٢ مارس الماضى مر ربع قرن على رحيل العقاد العظيم الى عالم الخلد ، وفى ٢٨ يونيو القادم تحل الذكرى المئوية لميلاده ، ومع مسيرة العقاد بدأت مرحلة جديدة فى تاريخ الأدب والفكر العربى ابداعا وتجديدا ، وبانتاجه الخصب اسهم فى ارساء قيم العقل والحرية فى ادبنا وفكرنا المعاصر ، واستشرف افاق المستقبل لوطنه وامته والانسانية .

وقد كان للعقاد رؤيته المستقبلية فى التاريخ والحضارة ومستقبل الانسانية بسطها فى كتابه "القرن العشرون ما كان وما سيكون" عالج فيه قضايا الطعام والطاقة والتعليم والفضاء وحكم التاريخ وغاية النوع والفرد والطوائف والجماعات والآله وخواص المادة والنظرية المادية والايمان والعوالم الاخرى ، وينتهى فى رؤيته المستقبلية الى انتصار الانسانية وانتصار قوة البصيرة وقوة العدل والحرية ، وهزيمة قوة الحديد والنار ، وفى اطار هذه الرؤية المستقبلية يرى ان القرن الحادى والعشرين سوف يأتى من الانجازات العلمية بما يقرب الشقة بين علوم الذرة وعلوم النفس ، وكان يتطلع الى ان يرى اختراعا واحدا هو نتائج التجربة الجديدة فى العلم الجديد "باراسيكولوجى" وينتظر الدلائل العلمية التى تثبت امكان انتقال الحس والشعور بغير وسائل محسوسة .

واذا كانت الدولة قد كرمت العقاد مرتين فى حياته بمنحه جائزتيها التشجيعية والتقديرية ، واذا كان تلاميذه واصدقاؤه قد كرموه عند بلوغه السبعين باصدار كتاب تذكارى هو العقاد : دراسة وتحية فإننا قد حرصنا على ان ننبه الى واجب احياء الذكرى المئوية لميلاد العقاد بالصورة اللائقة التى تتفق ومكانته فى حياتنا الثقافية والفكرية ، فلعل العارفين بفضله ممن بيدهم ان يفعلوا شيئا لاحياء هذه الذكرى يقررون شيئا ، فحق هذا المفكر والأديب الكبير علينا عظيم . ونحن مدينون له بما خلفه لنا من ثروة قومية تشهد له ولنا بقدرة العقل والوجدان المصرى على الريادة والعطاء .. لقد احتفل العقاد برواد الفكر الانسانى ونوابغ

الفكر الغربي واعلام الاسلام واصحاب العبقريات من الشرق والغرب، فكيف لا نحتفل بذكراه المئوى بالصورة المشرفة اللائقة. لقد شارك العقاد بجهوده الخلاقة في اعمال مؤسسات ثقافية وادبية كبرى منها المجلس الأعلى للآداب والفنون، ومجمع اللغة العربية، والصحافة، فلماذا لا تتضافر جهود هذه المؤسسات وتبارى في اعداد برنامج كامل وشامل للاحتفال بذكرى العقاد، وتظل التبعة الكبرى ملقاة على عاتق وزارة الثقافة كجهة رسمية تهيمن على شئون الفكر والثقافة. واذكر بهذه المناسبة كيف كانت علاقة مجلة الهلال بالاستاذ العقاد، وكيف انها خلدت ذكراه باصدارها عدد خاص عنه في ابريل عام ١٩٦٧ باقلام تلاميذه واصدقائه، ونرجو ان يكون مهرجان العقاد في ذكرى ميلاده المئوية، مهرجانا للفكر والادب العربيين واحتفالنا به انما هو تكريم بكل القيم والمعاني النبيلة التي عاش من اجلها مناضلا بقلمه وفكره من أجل احترام انسانية الانسان. وحقه في الحياة الحرة الكريمة.

عمرو عبدالمنعم حمودة

● حياتي ●

سرت في كل الدروب
أرتجي فيها طريق
سرت اشكو من غرام
يتلظى كالحريق!
حينما ضاع طريقي
وتصباني الحنين
عشت بالحلم وعاشت
فيه أشواق السنين
لا تسل أين حياتي
أين في الدنيا الأمان؟
عمري قد ضاع مني
في سراديب الزمان!

وجدى حسن
مدرسة الفسطاط الثانوية ـ القاهرة



● صبح الأعشى ●

● امتدح لي أساتذتي كتاب «صبح الأعشى» للقلقشندى فذهبت أبحث عنه فلم اجد إلا نسخة قديمة ناقصة بعض الأجزاء وطلب البائع

أنت والهلال

عشرة جنيهات عن كل جزء فعدلت عن شراء الكتاب لأن ثمنه يزيد على مائة وخمسين جنيها . فمن هو القلقشندي وهل هو عربي أم فارسي . وما هو كتابه وأين يمكن الاطلاع عليه ؟!

علم الدين محمد الذهبي
الإسكندرية

● تعليق الهلال :

ـ اشترينا ـ والحمدلله ـ هذا الكتاب الموسوعة فى الستينيات بعشرين قرشا للجزء الواحد ، فلم يزد ثمن الكتاب كله على ثلاثة جنيهات او اكثر قليلا ، وكان ذلك فى أيام إحياء التراث العربى فى النصف الأول من الستينيات ..

والقلقشندى كاتب عالم مصرى عربي موسوعي عظيم اسمه ابو العباس احمد بن على القلقشندى ، من قرية قلقشندة التى مازالت تعرف بهذا الاسم .. وتستطيع أن تطلع على الكتاب فى دار الكتب المصرية ، ولا أدرى هل يوجد فى مكتبة الاسكندرية أم لا ..

● فقيد الشعر فتحى سعيد ●

رحل الشعور عن القوافى الهائمة
كيف القصيد بدونه يتنغم ؟
رحل الأريج عن الزهور الحالمة
كيف الزهور بدونه تتنسم ؟
رحل الربيع عن الوجود فاعتمه
كيف الوجود بدونه يتبلسم ؟
نم يا سعيد ودع همومك جانبا
إن الرقاد هناك فيه المغنم
فى البعد مثل القرب انت معلم
تثرى المشاعر والشعور وتلهم

رفعت عبدالوهاب المرصفى
ـ شبرا ـ القاهرة

● مى القديمة ●

● تنشرون فى « الهلال » بين الفينة والفينة مقالات عن الاديبة الآنسة مى ، ولكن فى الشعر العربى القديم « مى » أخرى لا يتحدث

عنها أحد الآن وهى « مى » التى كان الشاعر ذو الرمة يقول فيها الغزل . فمن هى مى هذه ، وما معنى اسمها واسم «ذو الرمة» ؟!

ليلى حسن شعبان
دمنهور

● تعليق الهلال :

- من الطبيعي ان يتكلم الأدباء فى عصرنا عن «مى» الاديبة المعروفة لأنهم عاصروها ، ولا يتحدثون عن مى التى كان يحبها الشاعر ذو الرمة لانها ماتت منذ الف ومائتى عام .. ومعنى كلمة «مى» : الخمر ، ويقال ايضا «مية» ، بفتح الميم وبعضهم ينطق الميم ثقيلة ضخمة والصواب أن تنطق خفيفة رقيقة .. اما «الرمة» فهى قطعة الحبل ، ويقال إن ذا الرمة كان يضع فى يده أو على كتفه قطعة حبل فنادته مى قائلة : «ياذا الرمة» .. فذهبت مثلا ، وصارت اسما له .. وكانت «مى» هذه امرأة عربية عادية تغزل بها ذو الرمة ولم يتزوجها وارجعى إلى كتب الأدب لتعرفى المزيد عنها .



● من انا ●

انا من انا يا مغانى الربيع
انا من انا ياعصوف الشتاء
وليد الطبيعة ام ربها
ام ابن السماء بحق الدعاء
اقطرة ماء تجوب البحار
ام النجم تاه بعرض الفضاء
انا ومضة فى ضياء الوجود
انا نفخة فى تراب وماء
صلاة وفجر وحق وإثم
وخير وشر بحد سواء
وعمر به امل فى نهار
ويأس عميق بكل مساء
قليل الوفاء كثير الجهود
ضئيل السعادة جم الشقاء
وبالفكر ابنى حياة اغنى
وبالحب اغلب كل عناء
بدون حروب تذل الورى
ودون قتال يسيل الدماء

ودون وبـــاء وجهـــل وفقـــر
تصيـــر البـــرارى بحـق سماء
فيــارب هيــيء لنــا رشــدنا
ويارب انعــم لنــا بالــرخــاء
فنحـــن عبـــادك فـــى ارضنـــا
ونحــن لفضلك لحــن الــوفــاء

زغلول توفيق
ـ بنى سويف

● عائد من الحج ●

نسحـــت فيـــه ، وقبـــلته
وبللـــت جبهتـــه بالدمـــوع
والفيـتنى فى انجـذابى اليـه
اغـالـب نفسـى ، فـلا استـطيع
تطـول الـى وجهـه نظـرتى
كانى أرى فيه حلمى الرفيع !
اقول : ادعون لى .. فبى حاجة
إلى دعـوة منـك بعـد الرجـوع
فـدوى دعــاء ، ورنـت صــلاة
تقول : استجب يا إلهى السميع
فـذا مطمـــح ، جئته من اجله
وكــل رجــاء بالا يضيـــع !
إلهـى ، اقــدرت يا خـــالقى
مزارى ، لا صنع هذا الصنيع ؟!
لقـد طـــال شـوقى الـــى عـودة
كهذى ، وقلب ينير الضلوع !!
وقـــوم يقـــولون عنـــد اللـقا
دعـاءك ـ عجـل ، ففينا نـزوع
وفـى يـومها سـوف يعلو نـدائى
يقـول : اكتـبن ربنـا للجميـع

رمضان ابو غالية
وكيل قويسنا ث للبنين



• الحلم •

تدخلين الآن من بوابة التفاح،
والرمل الندى
آه يا هادئة العينين،
يا حلم البحيرات الشهى .
يا ضياء راسيا فى هداة الميناء،
ما بين الهواء الطفل،
والفجر الفسيح اللؤلؤى
تدخلين الآن من بوابة التفاح
فى قلبى ، ولا أعرف شيئا
اى شىء
وبين الحلم والتهويم
بين القادم المحمول فوق ملاحة،
الخدين والمطر .
توزعت الدنا الاولى ، وضاعت روعة اللحظات
وضاع الهاطل المجنون فوق ملامح الشجر .
قيل ، فى الحلم ، الفسيح المخملى :
أيها العابر من بوابة الليل،
أسميك : حبيبى
أيها التائه فى الرمل الخرافى
اناديك : حبيبى
من ترى يزرع خديك بوعد،
من حكايات الغروب ؟
من ترى ألف عينيك مع الألوان ؟
حتى أننى اذنبت فى عشقك
يا حلو ذنوبى
أيها الداخل فى قلبى
أسميك : حبيبى

عبد الناصر عبد الرحيم احمد
السويس

● محمد على الخوربى ـ صنعاء ـ اليمن
قصيدتكم عن "مصر" مست أوتار قلوبنا .. نشكر لكم هذا الوفاء .
● خليل ابراهيم الحاج محمود ـ غزة .
ـ ليس لاسم سراج الدين صلة على الاطلاق بالأسماء التاريخية التى ذكرتموها كيف الانتفاضة عندكم ؟! ..
● جميل محمود عبد الرحمن
ـ نأسف لما شعرتم به من ضيق لعدم نشر قصيدتكم داخل العدد ، بالرغم من أن الشعر الذى ننشره فى «انت والهلال» من أجود ما نتلقاه .
● محمد محمد القاضى ـ سرس الليان :
ـ تقولون ان عنوان «المائة الأعظم» الذى يكتب تحته الأستاذ حسين احمد امين ، غير صحيح لغويا ، وأن الصواب هو «المائة العظمى» .. وقولكم خطأ ، لأن الأستاذ حسين لا يصف المائة المؤنثة ، بل يصف الرجال الذين يبلغ عددهم مائة رجل ، فهم المائة الأعظم من الرجال ، ولا توجد صلة لغوية بين قولك : "الدول الخمس الكبرى" وبين قول حسين أمين «الرجال المائة الأعظم» ..
. ولم أفهم معنى قولك : «ليس بغائب عنكم جملة الفتنة الكبرى التى جعلها الدكتور طه حسين عنوانا لكتابه المعروف» ..
فما هى الصلة بين المائة الأعظم والدول الكبرى ، والفتنة الكبرى ؟!
إن العرب تؤنث اللفظ أو تذكره للمعنى ، واللغة بحر لا ساحل له ، فلا تقف على الساحل وتتحدث عن البحر ! ..

● زغلول توفيق ـ بنى سويف :

ـ كلمتكم عن «أول ابريل» زجل عامى ، ونحن ننشر ما يكتب باللغة العربية فقط ، لأن الهلال هو رسالة الأقطار العربية بعضها إلى بعض ، ولا تصلح العامية لأداء هذه الرسالة ! ..
● **ونشكر السادة : يوسف عبد العزيز على .. ابو القاسم حسن خليل .. محمد عباس على .. نادية كيلانى ، ونرجو أن تكتب على وجه واحد من الورقة ، .. سمير يوسف .. عاصم فريد البرقوقى .. أبو بكر محمد محمد حسانين .. عبد الرحيم الماسخ .. محمود عبد المجيد احمد .. يس محمد ضوى .. رفعت محمد بروبى .. رفعت عبد الوهاب المرصفى ..**

ذكريات الاسكندرية

إسكندرية أيها الثغر الجميل أنا هنا .. !
أهفو إلى الماضي البعيد وأستعيدك موطنا
يالهف نفسي . كم أحن إليك ، أعشق فيك امسى
ولكم وكم ناداك عبر حنينه المشبوب حسىّ

● ● ●

أنا إن هجرتك إنما أحيا وطيفك فى خيالى
وأظل أسأل هل أراك غدا وأحظى بالوصال
أنا قد أغيب وإنما أستاف « يودك » فى انتشاء
وأمد عينى من بعيد نحو بحرك فى رجاء

● ● ●

أنا فى رباك صبية تنهلّ من نبع المنى
تغزو الشطوط الشُقّر تبنى من رمالك مسكنا
أنا فى رباك شجيرة نهلت عصارات الحياة
أخت الأزاهر والحدائق والزوارق والمياه

● ● ●

أنا كالطيور على رباك رفيقة الفجر الندىّ
أحيا مع الحسن المهيمن والجمال العبقرىّ
آه وآه من نسيمك حين يسرى فى ضلوعى
قلبى الذى ألف الصراع لديك كالحمل الوديع

● ● ●

إسكندرية ! تحت خطوك افرش القلب الأمين
فخذيه فى الحضن الدفىء وكفكفى دمع الحزين
من أجل حبك لم أعد أهوى حياة (القاهرة)
ياقطعة من قلب مصر ، وكل قلب الشاعرة ،

جليلة رضا



اليساريون والسلطة

كيف حول اسماعيل مجرى النيل ؟

يونيه ١٩٨٩ • الثمن ٧٥ قرشا

أخبار اليوم





أحمد بهاء الدين

الهلال
مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجي زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية
السنة السادسة والتسعون • يونيه ١٩٨٩م • شوال ١٤٠٩ هـ
رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد
رئيس التحرير
مصطفى نبيل
المدير الفني
محمد أبو طالب
مدير التحرير
عاطف مصطفى
المشرف الفني
محمود الشيخ
سكرتير التحرير الفني
عيسى دياب

لا اعرف كيف يوجد بيننا الاستاذ احمد بهاء الدين ، ولا يكون له دور اساسى فى حياتنا الثقافية والصحفية ، ولايكون مثلا عضوا فى المجلس الأعلى ، لكى يدلى برأيه فى المهنة التى اعطى لها عمره ، حتى أصبحت افكاره ولمساته جزءا من الصحافة المعاصرة ، وهو يكاد يكون الوحيد الذى عمل فى اغلب المؤسسات الصحفية القائمة ، فقد عمل فى مؤسسات ، روزاليوسف ، ودار الهلال ، واخبار اليوم ، والاهرام ، وتولى كافة المناصب من رئاسة تحرير صحف يومية ، الشعب ، والاخبار ، والاهرام ، ومجلات اسبوعية ، صباح الخير ، اخر ساعة ، والمصوّر ، .

واختاره الصحفيون نقيبا ورئيساً لاتحاد الصحفيين العرب ، وعرف خلال كل هذه المسئوليات انه الكاتب العقلانى الذى لايحركه الهوى ، ويمثل الضمير العام بكل النقاء والاخلاص .. فكيف لايستفاد بكل هذه الخبرة فى التخطيط لمستقبل الصحافة المصرية .

عندما يختفى عموده اليومى فى الاهرام ، يفتقد القارىء عقلا رائقا وتفكيرا سديدا ، ورؤية شاملة لحياتنا ومستقبلنا ، فهو يكتب ، بقلم فنان ، وعاطفة شاعر ، وعقلانية عالم .

وجمع ، بين الرؤية الكلية والتفاصيل الدقيقة بين الفكر والفن والثقافة ، فملك عقلانية الأستاذ الامام محمد عبده ، وجمال أسلوب توفيق الحكيم ، واستنارة الدكتور طه حسين .

وهو صاحب المدرسة الصحفية التى تبعد عن الاثارة ، ولاينقصها التشويق ..

إقرأ .. احمد بهاء الدين ... القلم .. والأسلاك الشائكة ص ٣٢

في هذا العدد

فكر وثقافة



الغلاف : تصميم الفنان : محمد ابو طالب

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحاد البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى . وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية . وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة بعاليه عند الطلب .

دائرة الحوار

جولة المعارض

فنون

قصة وشعر

● الأبواب الثابتة ●

دار الهلال

١٦ ش محمد عز العرب
القاهره تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة
خطوط مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨١
رقم التلكس : 92703 Hilal U.N

ثمن النسخة

سوريا ٤٠ ليرة . لبنان ٥٥٠ ليرة . الاردن ٥٠٠ فلس . الكويت ٤٠٠ فلس . العراق ٣٥٠٠ فلس . السعودية ٥ ريالات . عدن ١٢٥ سنتا . البحرين ٨٠٠ فلس . الدوحة ٦ ريالات . دبى ٦ دراهم . لوس انجلوس ٤٠٠ سنت . ابوظبى ٦ دراهم . مسقط ١٠٠ بيسه . تونس ١٤٠٠ مليم . المغرب ١٥ درهما . غزة والضفة ٧٥ سنتا . داكار ٦٠٠ فرنك . لندن ١٢٥ بنسا . ايطاليا ٢٥٠٠ ليرة . نيويورك ٤٠٠ سنت . البلاد الشمالية ٦ ريالات . كندا ٥ دولارات

عزيزى القارئ

٥ يونيو

اثنتان وعشرون سنة تمر في شهر يونيو الحالي على هزيمة ٥ يونيو المروعة التى تتذكر مصر معها هزائمها التاريخية الكبرى ، مثل هزيمتها فى معركة امبابة أو الأهرام ، امام الحملة الفرنسية الاستعمارية بقيادة بونابرت سنة ١٧٩٨ ، ثم هزيمة الزعيم احمد عرابى سنة ١٨٨٢ فى التل الكبير وتسليمه مصر للبريطانيين ! .. وقبل هذه وتلك ، هزيمة السلطان قنصوه الغورى سنة ١٥١٧ فى معركة مرج دابق التى فتحت مصر للاحتلال العثمانى

ولقد امكن فى ثلاث سنوات فقط تصفية نتائج معركة إمبابة أو الاهرام التى صاح بونابرت فى جنوده قبيل نشوبها : «ان اربعين قرنا تنظر اليكم من قمم هذه الأهرام» ! .

وانتصرت على الحملة الفرنسية الاستعمارية ثورة الشعب المصرى التاريخية فى القاهرة والاقاليم ، وتوازنات القوى العالمية حينذاك بين الامبراطورية البريطانية والامبراطورية العثمانية ..

ولكن هذه التحالفات نفسها اجتمعت فى معركة التل الكبير لتهزم احمد عرابى وتفتح ابواب مصر ثم السودان ، لاحتلال بريطانى استمر اكثر من سبعين عاما ! .. وفى خلال الحرب العالمية الأولى صارت مصر طريق الانجليز وحلفائهم لاحتلال فلسطين وسوريا ولبنان والعراق ، وتصفية الامبراطورية العثمانية ..

اما معركة مرج دابق فقد فتحت مصر للسلطان سليم ليمتد احتلاله لمصر ، واحتلال خلفائه لها اربعمائة عام تقريبا اوشك الشعب المصرى تحت وطأتها الرهيبة ان ينقرض ويتلاشى من الوجود ! ..

فهل يمكن ونحن نتذكر هزيمة ٥ يونيو ، أن نضم اليها هذه الهزائم الثلاث التاريخية الكبرى ونتائجها التى سجلها التاريخ المصرى بين سنة ١٥١٧ وسنة ١٩٦٧ .. اى فى ٤٥٠ عاما فقط ، بمعدل هزيمة كبرى فاصلة كل قرن من الزمان ؟ !

لا يمكن بطبيعة الحال ان نقارن بين الماضى والحاضر مقارنة حرفية ، فالزمان لا يتوقف ، والدنيا تتغير ، والشروط التاريخية تتبدل وتأتى بقضايا جديدة لا يمكن احصاؤها ..

ولكن ثمة بلا شك تشابها بين المدى الذى بلغته النتائج ـ على اختلافها ـ عقب كل هزيمة من هزائمنا العسكرية الكبرى خلال القرون الأربعة الماضية ..

ففى كل مرة تحكمت نتائج الهزيمة فى مجرى الصراع مع العدو النازى امدا طويلا ، فتطاولت النتائج واتسعت افاقها ومضاعفاتها بعد معركة مرج دابق ، قرابة أربعة قرون ، وشملت مصر والشام والعراق والجزيرة العربية وليبيا والشمال الافريقى والسودان وما

وانتظار نهاية الصراع !

حوله .. ولو انتصرت مصر فى مرج دابق لتغير تاريخ هذه الأرض العربية الشاسعة خلال اربعمائة سنة !

ولكن هذا الصراع انتكس بعد هزيمة التل الكبير ، ثم نشبت ثورة ١٩١٩ لتجديد الصراع باساليب اخرى ، ثم جاءت ثورة ٢٣ يوليو لتحقيق وتكميل خطوات واهداف ثورة ١٩١٩ والمضى بعدها قدما لتعويض ما فات فى سنوات التوقف ! ..

ومن عجب ان ثورة ٢٣ يوليو التى استكملت جلاء القوات البريطانية واقامت الاستقلال التام ، قد ارتطمت فى هزيمة ٥ يونيو التى اوقعت مصر تحت احتلال لم يكن يخطر على بال ثوار ٩ مارس سنة ١٩١٩ ولا ثوار ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .

حقا .. لقد انسحب المحتلون الاسرائيليون ، فهل انتهى وجودهم ، أم أن عناصر الصراع العربى الاسرائيلى قد نقلها الاسرائيليون المتعصبون امثال شامير وشارون وارينز الى الاعوام القادمة ، وهم جادون منهمكون فى نقلها الى القرن القادم الذى يبشرنا بعض دعاتنا الكرام المتفائلين بأنه سيكون قرن السلام والإخاء البشرى الحميم ؟! ..

يبدو ان المبشرين بانتهاء الصراع ، لم يكونوا على صواب فيما اعلنوه بالامس ، وليسوا على صواب فيما يقولونه اليوم .

وفى غمرة حسن الظن بالمستقبل ، انخرط بعض المثقفين من جميع الاتجاهات فى التبشير بانتهاء الصراع .. وانضم اليهم .. ويا للعجب وطرافة المفارقة ـ عدد من المتطرفين الدينيين الذين يرون الصراع الحقيقى انما هو بينهم وبين مواطنيهم ومؤسسات بلادهم ، ولا يستطيع هؤلاء الحمقى ان يروا صراعا اخر ولا ان يفهموه .. وهؤلاء المتطرفون لا يبالون ان يركعوا ويسجدوا فرحا بانتصار الاعداء ، وسرورا بهزيمة المواطنين الاقرباء ! ..

ان هزيمة ٥ يونيو ، تمشى بنتائجها من سنة الى سنة .. وسوف يلتقى ابناؤنا فى القرن القادم بما تبقى من هذه النتائج ومضاعفاتها لان جميع عناصر الضعف والفساد والجهل والعجز مازالت تأخذ بخناق المجتمع العربى كله من الاطلسى الى الخليج العربى ومن الانصاف ان نقول ان هذه العوامل قد شملت شعب ٥ يونيو كله لا قواته المسلحة ولا قياداتها فقط ، وباء الجميع بوزر الهزيمة ، من رجل الشارع ، الى رجل القصر .

ان ادارة الصراع فى المستقبل تحتاج الى اناس لا يسجدون فرحا بالهزيمة ، ولا ينتحبون يأسا من الهزيمة ، ولا يخدعهم خمود النار ويلهيهم عن الجمر تحت الرماد .. ذلك الجمر الملتهب الذى تحرص الاطراف الأخرى التى اعماها جنون التعصب على ابقائه ملتهبا !

المحرر

أسرار الحريم في الشرق

الحريم هى الكلمة السحرية التى يرددها الغرب لكى ينال من صورة الشرق وسمعته عندما يقدم عالما مثيرا محاطا بالغموض والتشويق . عالما مليئا بالغرائز والمتعة الحسية . وباعتباره نقطة الضعف فى الشرق ومعيار تخلفه . وموضوع الحريم هو مدخلهم لدراسة وضع المراة الشرقية فى الماضى والحاضر

وسرعان مايتبين لاى باحث منصف ان عليه الا يغفل وهو يعالج كل مظاهر الحياة فى القرون الوسطى مقارنة حياة المراة فى الشرق بوضعها فى الغرب وعندها سيجد ان الغرب لم يكن يفرق بين الحرائر والجوارى . ولايعتبر المراة ككائن بشرى تتمتع باى حقوق ويعاملها كناقصة الاهلية .

وفى هذا المقال ننتقل من الديالوج اى الحوار مع الغير . الى المونولوج اى الحوار مع الذات . حتى نتعرف على عالم الحريم فى الشرق وحتى نتخلص مما ترسب فى وجدان الرجل الشرقى من بقايا هذا العصر . ولكى نتخلص مما تبقى من قيود لانطلاقنا نحو افاق المستقبل .

المراة هى
المراة تستطيع ان
تحطم كل القيود



اسرار الحريم في الشرق

يزخر التراث العربي بحكايات الجواري والحريم ، وتحفل المكتبة الغربية بكتب تقدم عالم الحريم السحري ، وتسجل الكاميرا بقايا هذا النظام الذي ادركته قبل ان يندثر ، كما تحفل هذه الكتب بلوحات فنية رسمها كبار الرسامين ، وابرز هذه الكتب اطلق عليه HARIM الحريم ، ويضم هذا الكتاب ماتبقى من الصور واللوحات ، وقد اعدته سيدتان احداهما شرقية والاخرى غربية ، والشرقية هي نادية النازى من المغرب ، والاخرى إيطالية هي انابيل ديوارت .

ويحفل الشرق بصور الحريم ، كنظام اجتماعي يفصل عالم الرجال عن عالم النساء ، وتتوالى مشاهده في الدولة الاموية ثم الدولة العباسية وفي مصر الفاطمية والمملوكية ، ولكنه تبلور وشهد اوجه في الدولة العثمانية .

● روكسلانة

لاتصدقوا الغرب عندما يتحدث عن الحريم ، فالمرأة هي المرأة دائما ، تستطيع بأنوثتها وجمالها ورقتها ان تحطم كل القيود ، وتقفز على كل النظم ، بل وتصل بنفوذها الى عزل واختيار السلاطين .

وقصة روكسلانة التي بدأت كواحدة من حريم السلطان ، خير شاهد على مدى سيطرة المرأة حتى لو كانت داخل قفص من ذهب . لقد نقل قصتها القناصل وسجلتها كتب التاريخ .

فرغم القيود الرهيبة التي فرضت على الحريم ، وبرغم النظام القاسي الذي خضعت له ظهرت في تاريخ الدولة العثمانية تأثيرات سياسية كبيرة لبعض ساكنات « الحرملك » ، واكثر القصص اثارة، هي قصة غرام السلطان سليمان القانوني ، اقوى سلاطين الدولة العثمانية ، وروكسلانة التي تعني باللغة التركية « الروسية » ، فقد اختطف النخاسون روكسلانة من وسط اهلها في بلاد القوقاز ، وكانت ابنة احد رجال الدين ، ولم ترض بحياتها في القصر كمجرد جارية ، وهي التي حباها الله - علاوة على الطموح والذكاء - الجمال والرقة وخفة الروح ، ورهافة الشعور ، وكانت ذات دلال واغراء ، وكان لاغرائها تأثير مدمر على مصالح الدولة فقد هام بحبها السلطان ، وخضع لها ، فاستمدت قوتها وسيطرتها من ضعفه ، ووصل السلطان الى الشيخوخة ، فسيطرت على قلبه وعقله ، وهو يسعى معها الى استعادة ايام الشباب وعنفوان الصبا ، فبلغ نفوذها الذرى ، ووجهت البلاد على النحو الذي تريده ، كل ذلك من مقصورتها ، التي اطلق عليها اسم « القفص » ومحرم عليها الاتصال بالعالم الخارجي وعندما انجبت له البنين والاناث اعتقها واصبحت كلمتها هي الأولى في شئون الدولة ، بعد ان احتجب السلطان لديها فلم يعد يطيق بعدها ، وحتى تخلى عن احد تقاليد السلاطين في قيادة الجيوش ، وادركت الدول الأوربية نفوذها ، وعندما رأت الخيوط السياسية تتجمع بين أناملها ، وتجاوزت كل النظم الموضوعة ، أخذت تسعى الى ان يصبح ابنها سليم وليا للعهد بدلا من مصطفى الابن الأكبر للسلطان من زوجة اخرى ، وعملت على افساد العلاقة

بين السلطان وام مصطفى ، وتحرشت بغريمتها وتشابكت معها بالايدى وتركت غريمتها تكيل لها اللكمات وتنزع بعض خصلات شعرها الذى يهيم به السلطان ، وظهرت الخدوش على وجهها الباسم الجميل ، وكان ماحدث الخطوة الأولى من خطة اعدت لها باحكام ، واحتجبت وامتنعت عن السلطان وهى تدرك اثر هذا الاحتجاب وكلما أرسل فى طلبها ، قالت "انها ليست جديرة بالمثول بين يديه ، فهى مجرد لحم يباع ويشترى" وهى العبارة التى وجهتها إليها غريمتها ، وبعد تمنع جاءت الى السلطان على استحياء وخفر ، وعيناها الجميلتان تمتلئان بالدموع ، وروت له سبب تأخرها ، فجن جنون السلطان ونقل الامير مصطفى ولى العهد بعيدا عن العاصمة ، وحاكما على اماسيا وتتابعت الخطة ، فسعت الى عزل الصدر الاعظم ، لما له من تاثير على السلطان ، فهو زوج شقيقته ، وله حظ كبير من العلم والثقافة والنفوذ ، ويقف حجر عثرة أمام أهدافها ، فعزل الصدر الأعظم بل وامر السلطان باغتياله وهو يدخل القصر استجابة لدعوة على العشاء على مائدة السلطان ، ثم وقع اختيارها على احد الباشوات هو رستم باشا ليكون عونا لها فزوجته ، محرمة ، احدى بناتها الجميلات ، تمهيدا لاختياره صدرا اعظم ، وضربت ضربتها بعد ان أحكمت خطتها ، وادعت ان مصطفى يطالب بتنحية والده الطاعن فى السن عن العرش ، فلم يعد يقود الجيوش ويخوض المعارك القائمة بين الدولة العثمانية ، والدولة الصفوية ، عام ١٥٤٨ ، بل وقيل ان هذه الحرب كانت



السلطان سليمان القانونى

بتدبير روكسلانة ، وانها كانت تتبادل الرسائل السرية مع الشاه .

وسرعان ماتخلص سليمان القانونى من ابنه وولى عهده بقتله ، وتم ذلك بفتوى مزيفة من شيخ الاسلام ابى سعود ، فقد حصل السلطان على الفتوى بان سأله على النحو التالى :

● غاب تاجر ثرى عن العاصمة ، وعهد الى عبده الاشراف على اعماله ، ولم يكد التاجر يسافر حتى سعى العبد لسرقة اموال سيده ، وتدمير تجارته وتآمر على حياة زوجته واولاده ، فما هى العقوبة التى

أسرار الحريم في الشرق

● الزوجة المخلصة تقدم لزوجها الجوارى الحسان تقربا من الله

تدفق على قصر السلاطين أجمل الجوارى الحسان من مصادر عديدة




SOLYMANNI

أسرار الحريم في الشرق

يستحقها هذا العبد ؟ فاجاب شيخ الاسلام ، انه يستحق الاعدام ، فاعدم السلطان ولده عندما دخل على ابيه فى خيمته فانقض عليه ثلاثة من الجلادين وقتلوه امام السلطان الذى اعماه الحب عن عاطفة الابوة .

وقد روى هذه القصة السفير الفرنسي فى اسطنبول ، وعلق عليها المؤرخ الامريكى ليبير LYBYER بقوله : ان هذه الفتوى جعلت السلطان يزداد تصميما على قتل ابنه ، قياسا على ان خيانة الابن لابيه لاتقل عن خيانة العبد لسيده .

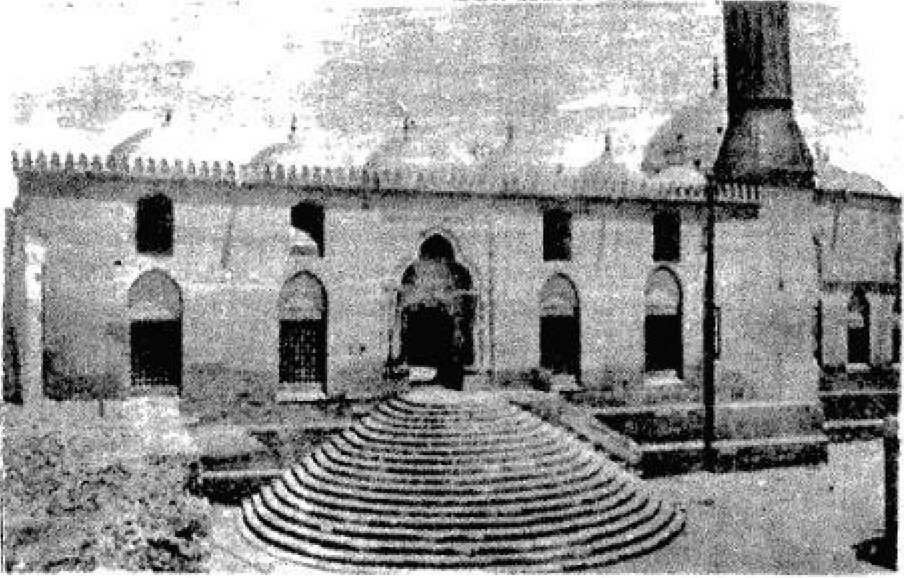
واشعلت هذه الحادثة الحرب الأهلية فى الدولة العثمانية عندما رفض ، الانكشارية سليم ابن روكسلانة كولى للعهد ، وانقسمت البلاد بين مؤيدين لسليم ومؤيدين لاخيه ابى اليزيد .

وتوفيت روكسلانة قبل نهاية الحرب وقبل اطمئنانها على تحقيق هدفها ، وحزن عليها السلطان ، وتقرب لذكراها عندما سار على رأس جيشه ، وهو فى شيخوخته لمحاربة ابنه ابى اليزيد ، وهزمه عام ١٥٥٩ وذبحه هو واولاده الخمسة . وتحقق هدفها بعد وفاتها وتولى السلطان سليم عرش ابيه ، واطلق عليه الاهالى سليم السكير وسليم الروسى نسبة الى امه الروسية .

● اربع نساء

ولم تكن روكسلانة وحدها صاحبة النفوذ المدمر والتى دربت وخرجت من الحريم ، فيذكر المؤرخون ان الدولة قامت فى عهد مراد الثالث (١٥٧٤ ـ ١٥٩٥) على اربع دعائم كلها من النساء ، وهن والدة السلطان اى « سلطانة والده » واسمها نور بانو اى سيدة النور ، والتى تمتعت بنفوذ لايقل عن معاصرتها كاترين دى موتشى ملكة فرنسا الوالدة ، والدعامة الثانية هى صفية زوجة السلطان ، التى لايزال فى القاهرة مسجد يحمل اسمها ، وكانت تنتمى الى اسرة نبيلة من فينسيا « البندقية » وكان والدها حاكما على جزيرة كورفو ، وخطفها القراصنة ، عندما كان عمرها اربعة عشر ربيعا ، ودخلت الحريم كجارية ، وانتهت زوجة السلطان وام اولاده ، ولم تنس يوما عائلتها ولا اصلها فعملت على التأثير على السياسة الخارجية للدولة على نحو يخدم مصالح البندقية ، اما الثالثة فعصمت اخت السلطان مراد بزوجة الصدر الاعظم ، والاخيرة سيدة عجوز تسمى جانفيد خاتون ، وهى المسئولة عن الحريم ، معظم الليالى للسلطان وتوفر له اسباب المتعة ، وقيل ايامها ان مشتريات القصر فى الجوارى زادت زيادة لم تحدث من قبل .

وعندما نشب الصراع بين والدة السلطان وزوجته صفية ، احاطت الام ابنها بعدد من الجوارى الفاتنات ، لعله ينصرف عن صفية وهو الشغوف بالنساء والجمال والمتعة ، وتستأثر هى بالنفوذ وينصرف السلطان للهوه ومتعه ، وتحفل أوراق السفراء بتفاصيل هذا الصراع ، فيكتب دى جير مينى السفير الفرنسي



مسجد صفية بالقاهرة .. وصفية من فينيسيا وقد لعبت دورا هاما فى حريم السلطان

مذكرة لحكومته .. "ان الحريم يقمن بدور كبير ، فى حكم الدولة ، تقودهم السلطانة الوالدة ، وهى تسيطر على الباشوات وتضفى عليهم العديد من مظاهر الرعاية" ، ويعلق القرية دامبو احد المؤرخين الفرنسيين ، ان السلطان مراد يعتبر من السلاطين التنابلة ، ويأتى ترتيبه الثانى بعد والده السلطان سليم الثانى .

ولم ينتهِ نفوذ صفية عند موت السلطان فقد ارتقى العرش محمد الثالث (١٥٩٥ ـ ١٦٠٣) وهو احد اولادها ، واطلق عليه الاهالى السلطان نصف البندقى ، وأصدرت صفية بدورها اوامرها بتقديم الجوارى الفاتنات لابنها السلطان ، وتقوم هى بتصريف شئون الدولة بينما يتصرف الابن للفاتنات ، وعند وفاة السلطان ، قام السلطان الجديد ، بتجريد جدته العجوز صفية من كل نفوذها وامر بحبسها ومنع الاتصال بها .

يلاحظ ان التغريب تم من خلال الحريم ، فالسلطانة مرة يونانية ومرة ايطالية وثالثة روسية .

وكثيراً ماينشب الصراع بين اليونانية والروسية على التأثير على الدولة العثمانية .

وجميع السلاطين الذين حكموا بعد محمد الفاتح سنه ١٤٨١ ، تركوا الزواج من الحرائر وانصرفوا الى الجوارى اللائى يمتلىء بهن القصر وتزوج عدد من السلاطين من الاجنبيات ، فكان الحريم السلطانى يضم غالبا زوجة أجنبية إلى جانب الزوجات العثمانيات ، وبدأ الزواج من الاجنبيات منذ عهد عثمان الأول (١٢٩٩ ـ ١٣٢٦) ، واختار عثمان

وحفلت حياتهن بالترف ، يرتدين الثمين من الملابس ويتفنن في الزينة





أسرار الحريم في الشرق

لنفسه زوجة مسيحية من فيليقيا ، ورشح سيدة يونانية رائعة الجمال زوجة لابنه أورخان وكان يطلق عليها زهرة اللوتس ، ومن وقتها وهناك تقليد للأبناء والأحفاد وهو الزواج من الأجنبيات ، وأنجب السلطان أورخان من زهرة اللوتس ابنا تولى العرش هو السلطان مراد الأول (١٣٥٩ - ١٣٨٩)، وتزوج مثل أبيه وجده من ابنة ملك بلغاريا بعد حصاره فى نيقوبوليس على نهر الدانوب ، فوافق على أن يزوج ابنته للسلطان مراد ويدفع الجزية ، وعندما تولى العرش أبو يزيد الأول (١٣٨٩ - ١٤٠٢) ، أراد أن يتقرب من دولة الغرب ، فتزوج من أوليفيرا ابنة لازار ملك الصرب ، وصار على ذات الدرب مراد الثانى (١٤٢١ - ١٤٥١) فتزوج من مارا ابنة أمير الصرب جورج برانكوفتش ، واستمر الحال على هذا النحو ، وهناك مثل آخر صارخ ، عندما تزوج السلطان أحمد الأول (١٦٠٣ - ١٦١٧) من سيدة يونانية ، وأنجبت منه ولدين تربعا على العرش الواحد بعد الآخر ، وهما مراد الرابع (١٦٢٣ - ١٦٤٠) وابراهيم الأول (١٦٤٠ - ١٦٤٨) .

وهذه الحكايات الواقعة التى سجلها المؤرخون داعبت فى نفس الوقت خيال الكتاب والفنانين ، وبدا لهم عالم الحريم كأنه سر الأسرار ، ورويت الاساطير عن السلاطين الكبار ، الذين غرقوا حتى اذانهم فى قصص حب الجوارى الحسان ، او كما قالت شهر زاد فى ألف ليلة وليلة . « الا تعرف يامولاى ان السلاطين والملوك والامراء . هم عبيد النساء المليحات التى ترى فيهم مجرد ادوات لتحقيق طموحهن ، وكم عدد العشاق الذين احنوا هاماتهم من تأثير سحر النساء ؟ وكم عدد العشاق الذين تخلو عن ثرواتهم واوطانهم وابائهم وامهاتهم من اجل لحظ امراة ، وكم ممالك ضاعت من اجل امراة ، فالجنس الناعم اللطيف سيطر دائما على القصور ، ومن اجل الجميلات طرزت احلى المنسوجات وعزفت اجمل الالحان ، ومن اجلهن جاب الرجال العالم يبحثون عن العنبر والمسك ، فالنساء سر الجمال فى الحياة ، يملأن العالم بالبهجة والمتعة .

● مصدر الحريم

الجارية ، هى كل امراة أخذت اسيرة فى الحرب ، او نقلت غصبا ، من بلاد الاعداء ، ولايجوز ان تسبى المسلمة او تسترق ، كما ان الجارية هى التى تنجبها امة ، او تشترى من الاسواق ، واشتدت ظاهرة الجوارى بروزا فى عهد الدولة العباسية ، وبعد توقف الحروب اتجه الراغبون فى الحصول على الجوارى عن طريق الشراء ، وقد حفلت حياتهن بالترف ، يرتدين الشفيف من الملابس ، ويتفنن فى الزينة ، وفى تعطير اجسامهن ، وابراز محاسنها ، ويتناولن اشهى الاطعمة ويتمتعن بقدر كبير من الاعزاز والاكرام ، ومن اجلهن اهدرت الأموال وقيل عنهن « سلع الجمال والمتعة » وكان عدد الجوارى يفوق الحرائر فى القصور ، ووصلت الجوارى الى بلاط الخلفاء وقصور الامراء والقادة ومنازل الاثرياء ويقدم الجوارى الوانا

مختلفة من الفنون وتنحصر مهمتهم فى بعث البهجة في قلوب اصحابهن بما يتقنه من الرقص والغناء ، وسعى بعض الخلفاء الامويين وخاصة معاوية إلى إقصاء الجوارى عن النفوذ وحصرهن فى الخدور .

بينما كان الخليفة الاموى الوليد بن عبدالملك هو اول من ابتكر نظام عزل النساء في مكان خاص سرعان ماتسللت الجوارى الى نسيج المجتمع الشرقى ، واعتقد البعض ان زواجهم من الجوارى يؤدى الى انجاب اولاد اشداء اقوياء وظهور اجيال صاعدة واخذ نفوذ الجوارى يزيد فى بلاط الخلفاء ، واخذ الخلفاء يستجيبون لرغباتهن واصبحن مركز قوة ، وكان هارون الرشيد اول من اسرف من العباسيين فى تقريب الجوارى اليه . واسهمت الجوارى فى مؤامرات البلاط التى تحاك لخلع خليفة وتعيين اخر .

● جوارى السلطان

كان يتدفق على قصر السلطان العثماني اجمل الجوارى الحسان . ويحصلون عليهم من مصادر ثلاثة ، شرائهن من السوق وكان أمين جمرك العاصمة يأخذ حاجة القصر السلطانى من الفتيات التى تتراوح اعمارهن بين العاشرة والحادية عشرة ، واسيرات الحروب ، والمصدر الثالث الهدايا التى يتلقاها السلطان ولم تكن هذه الهدايا سوى جوار اية فى الجمال يقدمهن كبار موظفى الدولة ، او حكام بعض الدول الأوربية بعد أن يحضرن دراسات تكسبهن مهارات شتى .

ويأخذ السلطان حاجته من اولئك الفتيات ليكون لديه رصيد نسائى كبير ،



السلطان محمد الفاتح

ولكى يشبعن كل الأذواق والفنون ، ويصبحن ملك يمين السلطان ويعشن عيشة رغدة ، وينتظرن مستقبل هانىء .

● إعداد الحريم

بعد التحاق الجوارى بالقصر تعد لهم دراسات فى الثقافة والسلوك وفى اللغات ، وإذا كان لدى الجارية استعداد عقلى اضيفت دراسات خاصة ، ثم دراسات اخرى فى التاريخ والجغرافيا . والبعض الاخر من ذوى الاستعداد يدرس الموسيقى والغناء والرقص ، وكانت الجوارى تنتظمن فى مجموعات قوام كل مجموعة عشر جوار ، وتشرف رئيسة على كل مجموعة . ومع مضى الايام تزداد الجارية جمالا فى الخلق ، ورشاقة فى

أسرار الحريم في الشرق

الجسم ، وعمقا في الثقافة وادبا في الحديث ورهافة في الحس ، وكان لابد ان يتحدد مستقبلها عند سن الخامسة والعشرين فيعتقها السلطان ، ويأذن لها كسيدة حرة في الزواج من احد كبار العسكريين او المدنيين وكان السلطان هو الذي يختار لها الزوج . وقد تجذب الجارية انتباه السلطان ويعتقها وتنجب منه ولدا او بنتا وتصبح اما لاولاده فيعلو مركزها ، فالحريم السلطاني تعني مدرسة لاعداد الجاريات ، وزوجات كبار قادة الدولة .

وقد كان هذا النظام قائما في مصر حتى عصر الخديو اسماعيل ورأينا ان سبعة من قادة الثورة العرابية ، كانت زوجاتهم من حريم الخديو اسماعيل .

● العصر المملوكي

وانتعش نظام الجواري في العصر المملوكي في مصر ، فنظام الحكم قائم على الرق ، وشغف الناس باقتناء الجواري ودفع الاموال الطائلة ثمنا لهم ، فوصل عدد جواري الظاهر - بيبرس الى مائتي جارية - ابن اياس - وبلغ عدد جواري الناصر بن قلاوون اكثر من الف ومائتي جارية وهو الذي بنى لهن القاعات السبع التي تشرف على ميدان القلعة ، اما برسباي سنة ٨٤٥ هـ ، فكان لديه اقل من مائتي جارية .

والذي يحسن قراءة هذا العصر يلاحظ ان الجارية او العبد كان يعتبر احد افراد العائلة ، تحدد الشريعة حقوقه وواجباته ، وسبق المماليك العثمانيين في زواج سلاطين المماليك للجواري وكانت الزوجة الأثيرة لدى السلطان الناصر بن قلاوون هي طغاي الجارية ، ويروي ابن تغر بردي في حوادث سنة ٨٧٠ هـ ايام السلطان خشقدم الذي تزوج جاريته سورجاي الشركسية . وجعلها خون الكبرى صاحبة القاعة .

ويبين مكانة الجارية المقريزي بقوله عند حديثه عن احد حمامات القاهرة . "في هذا الحمام حصة وقفها الشيخ الضرير برهان الدين على امته" كذلك ماتشير اليه بعض وثائق الوقف من حرص السلاطين وكبار القادة على توفير مورد ثابت للرزق لجواريهم عقب وفاتهم ، مثل ماجاء في وصية احدى السيدات لزوجها وهي على فراش الموت ، تقول : "ان جاريتي قامت برعايتي في مرضي كما لو كانت أكثر من امي او اختي ، وارجوك الا تبيعها او ان يشتريها احد والا تهان في اي صورة" .

● يهود الاندلس

ويذكر المسعودي في مروج الذهب ان الدولة العباسية اعتمدت على النخاسين الجوابين في اطراف المعمورة لشراء الجواري .. وكان يهود الاندلس يتوغلون . في مجاهل اوربا وينتقلون الى روسيا ، ويحملون من هناك جماعات من الجواري السلافيات والجرمانيات اللائي عرفن في بلاد العرب باسم الصقلبيات وقد صادفن سوقا رائجة لبياض بشراتهن . وطول اجسامهن وبما تحلين به من الجمال ، فترقن في معيشتهن .. وتوغل بعض النخاسين في بادية تركستان واشتروا



وارتبط عصر الحريم فى ذهن العالم ، كذبا ، بالترف الحسى

هناك الفتيات من ابائهن وينقلوهن الى سمرقند حيث عنوا بشئونهن وهذبوهن وكان بعض العمال يجعلون فى خراج الاقطاع جماعات من السبايا ، يوجهونهن الى الخليفة ، منهم ابن طاهر الذى اهدى إلى الخليفة المتوكل هدية فيها مائتا وصيفة ووصيفة .

ومن أجل الجوارى غالى البزازون والعطارون فى أسعار سلعهم ، وحيكت المؤامرات ، وتدله بهن العمال والأمراء والقواد والخلفاء ، وتفنن النخاسون فى تزيينهن وتعطيرهن لما يحصل من ورائهن من مال . حتى وصل عددهن فى العصر العباسى ما يفوق كثرة الحرائر ، أو كما يقول الجاحظ بمنزلة الشام والتفاح الذى يتناقله القوم بينهم ، وقد أحصى عدد الرقيق فى قصر الخليفة فإذا به يزيد على ألف ، ويذكر المسعودى انه كان للمتوكل إثنا عشر الف سرية ، وعندما انتصر صلاح الدين الأيوبى على الفاطميين وجد فى قصورهم اثنى عشر الف نسمة كلهم من النساء ، ليس فيهم من الذكور سوى الخليفة وأبنائه ، حتى قال ابن حزم : "لم يل الخلافة فى الصدر الأول من أمة أمه حاشا يزيد وابراهيم ابنى الوليد ، ولا وليها من بنى أمية بالاندلس من أمة حرة أصلاً" .

ومن أغرب ما نقرأه عن هذه العصور ، أن من مميزات الحرائر الكاملات الصفات إهداءهن أزواجهن الجوارى المليحات من

مالهن الخاص ، وروى عبدالرحمن الجبرتي عن إحدى زوجات أبيه أنها كانت ، لصلاحها وبرها بزوجها ، تشترى له الجوارى من مالها وتحليهن بالذهب والثياب وتقدمهن لزوجها طلباً للأجر والثواب .

وكلما زادت الجوارى خلاعة ، وتعلمن الفن والغناء وتطيبن وتزين ، ازدادت الحرائر تحفظا لكي يتميزن عن الجوارى .

● في العصر العثماني

تأخذ الدولة الاسلامية في العصر العثماني صورة جديدة مع وصول الاسلام حتى قلب اوروبا ، وبانتقال مركز الحكم إلى تركيا ، ويعتبر البعض هذا العصر ، العصر الذهبي لنظام الحريم ، بعد أن أصبح له قواعد ممكنة ودقيقة ، وله تقاليد كثيرة ومعقدة ، فقد وقع تطور هذا النظام في ضوء تأثير العادات التركية القديمة ، حتى وصل حريم السلطان إلى عدة مئات ، وكان حريم السلطان اللائي وصلن إلى عدة مئات ، لايخرجن من القصر ، سوى مرة واحدة في فصل الربيع في معسكر يقام خارج المدينة ، يصلون اليه في موكب كبير ومهيب وفى احتفال يحرص الجميع على مشاهدته ، عندما يخرج من القصر ويعبر المدينة ويسير أمامه عدد من الرجال الأقوياء .. يطلق عليه باللغة التركية « بلطجى » ، والذى يحمل عصاه لكى يعرق الناس ويوسع الطريق لموكب الحريم ، بل ويمنعهم من إطالة النظر في حريم السلطان !

● الحريم السلطاني

اخذ سلاطين آل عثمان بنظام الحريم في قصورهم ، وكانت أسرة السلطان هي مركز الدائرة والحكم بالنسبة إلى جميع الهيئات والطوائف التي تعمل في منطقة الحريم ، وكانت تخصص عدة أجنحة في القصر لسكنى والدة السلطان إذا كانت على قيد الحياة ، ومعها زوجات السلطان ، ثم بنات السلطان وأولاده الصغار ، ثم الجوارى اللاتي يعشن في القصر ، ويشغل بعضهن عددا من الوظائف في القصر ، يضاف إلى الجوارى فئتان كثيرتا العدد من الخصيان البيض والخصيان السود ، وعليهم رؤساء يطلق عليهم رؤساء أو أغوات الخصيان ، ويوكل اليهم حراسة « الحرملك » وخدمة ساكناته ، وأجنحة الحريم هذه كانت عبارة عن مبان مستقلة في عمارة فخمة بها العديد من الحجرات والقاعات المزخرفة ، ويطلق على كل مبنى « دائرة » ، وكثيرا ما تخصص دائرة لكل سيدة من أم أو زوجات أو بنات السلطان ..

ويعيش الحريم السلطاني وراء الأسوار العالية بعيدا في عالم السحر والخيال ، ويذكر المؤرخ دوسو أنه واجه مصاعب كبيرة في الوقوف على تفاصيل حياة الحريم ، وأنه اتصل بعدد من زوجات السلاطين اللاتي غادرن القصر بعد وفاة أزواجهن وكل من كانت لها صلة بالحريم ، وقدم الهدايا خلال اقامته في اسطنبول مابين عامي ١٧٨٨ ـ ١٨١٨ ، وأن هذا



نماذج من الحريم في المغرب ..

الجانب من بحثه ، استغرق جهدا طويلا وحصيلة ضئيلة ..

● « الحرملك »

تحاط منطقة الحريم بأسوار عالية تقوم عليها حراسة مشددة ، يصل إليها ممر طويل به أربعة أبواب اثنان من الحديد وبابان من البرونز ، يحتفظ بمفاتيح هذه الأبواب ليلا ونهارا الخصيان السود ، وتعد منطقة الحريم منطقة مغلقة ومحرمة لايسمح لاحد بدخولها أو الاقتراب منها أو النظر إلى ساكناتها الا لرجل واحد هو السلطان والخصيان وحدهم الذين استؤصل من أجسامهم أعضاء التناسل يقومون على خدمتهم ، وبذلك يطمئن السلطان من أى شبهة خطر ، وحدث فى عهد السلطان مراد الرابع (١٦٢٣ ـ ١٦٤٠) ، أن تجرأ مواطن من البندقية وحاول أن يرى الحريم من خلال نظارة مقربة ، فأمر السلطان بشنقه ، ودفع حياته ثمنا لفضوله . وكرر المحاولة أرمنى كان يعمل مترجما للسفير الفرنسى ، فأسرعت السلطات العثمانية بشنقه قبل أن يتدخل السفير الفرنسى

ويلاحظ أن عزلة النساء هى أحد التقاليد الشرقية ، وتأكدت فى الدولة العثمانية ، ولم يكن يسمح لأية سيدة من زوجات السلطان حتى الخادمات بالخروج من القصر إلا فى حالات نادرة ، حين يصحبها السلطان لزيارة أحد القصور الصيفية ، وإذا أرادت ساكنات الحريم التنزه فى حدائق القصر ، كان عليها أن تحصل على إذن السلطان ، وعندما تتخذ سلطات القصر احتياطات لمنع أى شخص من النظر إليها ، وأصبحت كلمة « الحريم » ... تعنى الممنوع والمقدس

● السلطان والحريم ●

توجد قصور الحريم وسط حدائق غناء منسقة ، وبها عدد من الساحات المكشوفة ، وكان للسلطان مقصورة خاصة وسط أجنحة الحريم ، وبها غرفة نومه وحمام وقاعة استقبال يؤدى فيها فروض الصلاة ، تصحبه الكايا ـ كبرى موظفات الحريم ـ وهى التى تنظم الأوقات التى يقضيها السلطان مع ساكنات الحريم ليلا ونهارا ـ حتى لا يغفل عن شئون البلاد ـ كما تنظم أوقات تنزهه فى حدائق الحريم ، ويطلق على هذه الزيارات « خلوت همايون » أى الخلوة السلطانية ولدخوله طقوس فلابد أن يلبس صندلا ـ فضة كى يحدث رنينا على الأرض المكسوة بالرخام .

الحياة على النيل

رواية انجليزية فى حب مصر

بقلم : د. على الراعى

حب مصر يضوع ويتالق فى رواية انجليزية معاصرة : « الحياة على النيل» للكاتبة جانيس اليوت .





● نظرت شارلوت الى زوجها ليو وقالت : «هل يعمل «هال» لحساب المخابرات الأمريكية ؟ » قال الزوج وهو يتثاءب : اظن ذلك . وان كنت لا اقطع ، كانت قنبلة قد انفجرت خارج فندق هيلتون النيل . وقال «هال» : ان تنظيم ثورة مصر هو اخطر من تنظيمات الأصوليين . انهم ينادون بعودة ناصر .

وهال هو المثل المجسم للأمريكى ذى النفوذ ـ السرى خاصة ـ الذى يعيش فى دول العالم الثالث . فى مصر يتحدث

بصلف وقحة عن مصر والمصريين مشاكلهم عديدة. السكان خمسة وستون مليونا في منتصف الحقبة القادمة مشاكل الاسكان وموارد المياه. مشاكل مع دول الجامعة العربية. مشكلة اسرائيل. الطبع المصري. لديمقراطية الصورية. يريدون عودة ناصر. لولا الولايات المتحدة لعاشوا في صناديق من الكرتون. سكان القبور. النيل شح ماؤه. يخدعون انفسهم ويعلنون براءتهم في حادث «اكيلي لاورو». يريدون ان ينشئوا العلاقات مع امريكا والاتحاد السوفييتي ويحتفظون بشرفهم. انظر ما فعلوه بالروس. بنوا لهم السد، ثم طردوهم من بعد !

ويمضي هال فيقول: صاروخان من ليبيا كفيلان بتدمير خزان اسوان، ومن ثم تخرج مصر من اللعبة. عندما كانت حرب الخليج مشتعلة كانت الدول العربية ترسل القبلات لمصر. طمعا في الجيش المصري طبعا. إن مصر جائعة وهذا موقف يلائم الاصوليين ثم ان بعض الرسميين يتعشقون امريكا... وهناك خط لوتوبيس مباشر من هيلتون النيل حتى تل ابيب.

وتسأل شارلوت عميل المخابرات الامريكية هذا: " مادمت تحتقر المصريين الى هذا الحد، فلماذا تعيش بينهم ؟

فيرد: اكتشفت انهم اطفال، ومن ثم احببتهم ! فتحاوره شارلوت: هذا هو موقف المتفضل. وهو موقف لا يطاق. ولا اظنك تؤمن انت نفسك بما تقول. ويرد هال: وما هو حالكم أنتم ايها الاستعماريون الانجليز القدماء، تظنون ان المصريين يحبونكم ؟

فترد شارلوت. لا اظن انما اردت أن أوضح أن عهد الامبراطوريات قد ولى

وكانت شارلوت قد سألت «ماكس ستيلر» ـ يهودي انجليزي انفق سنوات في بحث عن يوسف الصديق. سألته عن رايه في هال فقال: ومن يعرف هال حقا ؟

لم ار من قبل رجلا له كل هذا الجمع من المعارف. إن الامريكان هم رومان العصر الحديث. يتبخترون في العالم كله ـ لهم طبع بربري في قسوته واقوالهم اقوال المنافقين.

وتسأله شارلوت: هل حقا يدعم الامريكيون مصر اقتصاديا ؟

فيقول: نعم. إن للامريكيين اقطاعية تضم معا أبناء اسرائيل وعباد الله المسلمين.

ومن فورنا ندخل في خضم جماعة من السواح من اجناس مختلفة تمتد من اوروبا الى استراليا، كلهم جاءوا لمشاهدة آثار الفراعنة في الصعيد. يستضيفهم الامريكي هال ويرعى شئونهم. يفعل هذا «لمعاونة» السياحة المصرية ان الرسميين المصريين يريدون ان يقنعوا السواح بأن مصر بلد أمن، فيتقدم لهم هال بفكرة استخدام لافتة المركز الامريكي في مصر على ان يتساهل المصريون في إدخال السواح وينفقوا عليهم من اموال المساعدات الأمريكية ـ ولايدققوا في المبالغ المدفوعة. فيخرج هال من عمله هذا بنصيب.

ليس «هال» وحده هو الذي يعادي المصريين. هناك امراة أوقح منه واشد عداء. الفرنسية اللبنانية المولد: نينا فهمي التي تزوجت من قبطي طبيب القلب، اهلكت من قبله عددا غير معروف من الازواج. كانت في حاشية فاروق.

وتعرفت الى السادات وزوجته . وتعرف من أين تشترى جيهان ملابسها إنها امرأة نجت من كل الثورات

تقول شارلوت من أسف أن رؤية السرابيوم قد فاتتنا . فترتعد نينا فهمى وتقول : مكان فظيع رأيته فكدت أفقد عقلى . توابيت حجرية لموتى الثيران . هؤلاء القدامى وكل هذا الهوس بهم - لم يكونوا إلا مجرد برابرة . والا فما السبب فى الغزوات المتتالية التى اجتاحتهم ؟ وتريدين أن تركبى النيل ؟ أرجوك . لاتفعلى أبدا . أبدا . أبدا . لاتضعى فيه ولو أصبع قدمك الصغير .

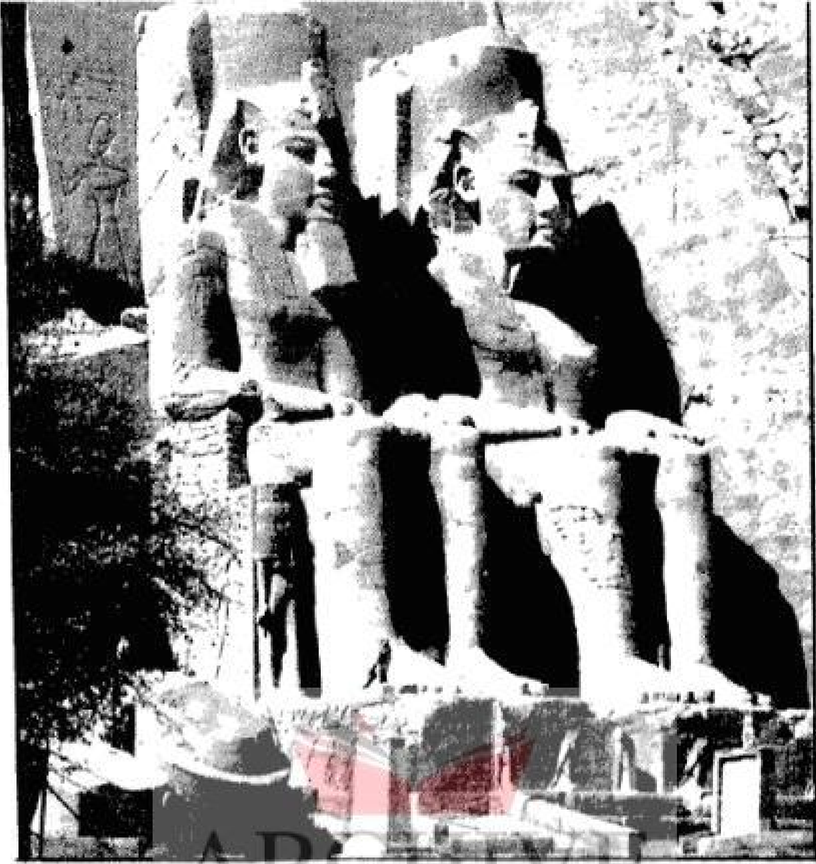
وتسأل شارلوت أهو قذر الى هذا الحد ؟ فتقول نينا : انه مجرور ، غير أننى اتحدث عن البلهارسيا . الدودة التى تدخل جسدك حتى من خلال اصبع صغير ، وتدمر كبدك .

وتصف الكاتبة اجتماعا لوزير السياحة بزوار مصر . رحب الوزير بالسواح ونوه مساعد له بالمشروعات الجديدة : مترو الانفاق ومشروعات الرى ، والمدن الجديدة ومصانع النسيج الصغيرة فى الريف المحيط بالقاهرة وما تقدمه الدولة لها من دعم وفيها يدرب عمال الريف على الصناعات التقليدية وذكر متحدث اخر آثار مصر ، اعرق آثار العالم . والنيل العظيم . ومركز مصر كقائد طبيعى للأمة العربية ، كقوة طبيعية للسلام والاستقرار فى المنطقة يستطيع الشرق والغرب معا ان يعتمد عليها

لايحب مصر ويحنو عليها الا «عديلة» الشابة المتحمسة التى لم تركن لشرائها وفضلت ان تعمل مرشدة سياحية . وهى ابنة اخت نينا فهمى . تركت دراسة السربون ومباهج الاقامة فى باريس ووجهت جهودها لخدمة السياحة فى مصر . إنها تلوم خالتها على الكلام الفظيع الذى تقوله الخالة ضد مصر وتحذر شارلوت من أن تصدقه قائلة ان خالتها ليست مصرية . وان مهنة الارشاد السياحى التى انفقت اربع سنوات فى تعلمها هى مهنة مفيدة ومحترمة .

ويحب مصر ايضا شارلوت التى تصبح شخصية محورية فى الرواية ، بحكم موقفها الموضوعى المشرب بالعطف على مصر : الحديثة والقديمة معا . وبسبب المهمة التى ندبت نفسها للقيام بها فى مصر . ذلك أن شارلوت تعمل فاحصة للنصوص لدى احدى دور النشر . وقد تجمعت لها بحكم عملها خطابات عائلية ونتف من مذكرات ارسلتها وكتبتها سيدة بريطانية تدعى فيبى ، زوجة احد العسكريين الانجليز الملحقين بدار المندوب السامى فى القاهرة ، وقد عاش الاثنان فى اوائل العشرينات وحدث أن قتلت الزوجة فى مسكنها فى جزيرة فيله باسوان ، واحيط مقتلها بغموض شديد : هل قتلها بعض النوبيين ، أم نفر من الثوار المصريين الذين كانوا يطالبون باستقلال بلادهم ، أم ترى كان للبريطانيين انفسهم ضلع فى المؤامرة لأسباب سياتى شرحها ؟

تاتى شارلوت الى مصر ، لتحقق فى



معبد رمسيس الثانى فى ابو سمبل

هذا الموضوع . الشائك . كانت شارلوت قد قرأت الرسائل التى بعثت بها الاديبة البريطانية ليدى دف جوردون الى اهلها من مصر والتى جمعت من بعد على شكل كتاب أصبح احد المصادر الرئيسية لمعرفة الحياة الشعبية فى البلاد ابتداء من ستينات القرن الماضى . وكانت لوسى دف جوردون هذه احدى نجمات المجتمع البريطانى منذ اوائل القرن الماضى . كان ابوها محاميا معروفا واستاذا فى جامعة لندن . وكانت امها تكثر من حفلات الاستقبال فصادقت الكثيرين من كبار الادباء من أمثال ثاكراى وكينجليك وكارليل وديكنز . ومشهورى الفلسفة ورجال السياسة فى هذا الوسط المثقف نشأت لوسى جوردون . وكانت جميلة كبيرة الذكاء . ذات أصالة فى الرأى . وقد بلغ من إعجاب الناس بها أن خلدها الادباء فى أعمالهم فهى «الاميرة» فى قصيدة تينسون المعروفة بهذا الاسم . وهى ليدى جوسيلين فى رواية ميريدث

«ايفلن هارنجتون» كما انها تظهر فى كثير من المذكرات التى كتبت عن اواسط القرن التاسع عشر .

وقد تزوجت لوسى من سير الكسندر دف جوردون ، وانجبت منه . وعاشت فى لندن تترجم من الالمانية حتى مرضت بالسل عام ١٨٤٩ . واضطرت الى السفر الى الخارج انتجاعا للصحة . فامضت شتاء فى مدينة الراس . وجاءت الى مصر عام ١٨٦٢ وظلت فيها حتى ماتت على مركبها فى بولاق ١٨٦٩ وسط بحارتها ورجالها الذين احبتهم . وقد دفنت ليدى دف جوردون فى مقبرة البروتستانت بالقاهرة .

● حب وعلم نادران

فى السنوات السبع التى قضتها لوسى دف جوردون فى مصر تعرفت الى حياة الشعب المصرى من القاهرة حتى اسوان ، وعاشت مع افراده عيشتهم الفقيرة المتقشفة واحبتهم حبا لم يبده قبل أحد من الرحالة . لقد أصبحت « الست الانجليزية» واحدة من جمهرة الشعب ، ترعى شئون افراده ، تداوى المريض وتشارك فى حفلات الزواج والختان وتعمل بالزراعة ، وتدافع عن الفقراء بالقول والعمل . فلما وافتها المنية قالت والاسى يملا فؤادها : «اننى اعتقد مخلصة ان لدى علما نادرا سيموت معى . ولا غرو، فالعلماء يعرفون ما فى الكتب . أما أنا فأعرف الرجال ، بل أعرف من هو أصعب من هذا : النساء » .

وقد أعجبت مؤلفة الرواية بشخصية لوسى دف جوردون ، فرسمت بوحى منها شخصية فيبى دانكان ، وان كانت جعلتها اكثر انحيازا للشعب المصرى من لوسى دف جوردون . فهذه الأخيرة جاءت مصر قبل ان ترزأ بالاحتلال والاستعمار البريطانيين . لهذا وسعها ان تقدم الحب والعون لأهل البلاد وان تقيم الصداقات مع الكبار والمتواضعين معا ، منحازة طول الوقت الى أهل البساطة من الفقراء والمتواضعين .

أما فيبى دانكان ، فقد صادقت افرادا من المستفيدين بالحركة الوطنية التحريرية الذين هبوا يكافحون الاستعمار البريطانى ، بعد ثورة ١٩١٩ . ووجدت فى حزب الوفد تعبيرا طيبا عن طموح الشعب وتوقه الى التحرر فكان أن تعرفت الى الشابة المناضلة «نيرة» وأخيها المكافح أحمد ، الذى كانت قوات الملاحقة تطارده فى كل مكان لذلك رصدت فيبى فى مذكراتها قيام اللجنة الوفدية النسائية واستعدادات النساء المصريات لعقد اجتماعات حاشدة للاحتجاج على نفى سعد زغلول الى سيشل كما سجلت احتجاج النساء على سعد واتهامه بقلة الصلابة وتجنب المواجهة مع الانجليز ومضت فى تأييدها للوطنيين الى حد الاجتماع بكل من نيرة وأحمد فى السر . وقد اهدتها نيرة نسخة من قصيدة بول فاليرى : «المقبرة البحرية» وكتبت فى الاهداء : « الى صديقة القلب وصديقة الحرية» وتطلعت نيرة الى يوم تلتقى فيه مع فيبى فى باريس ، بعد أن يكون زوجها قد رقى الى منصب سفير . اذ ذاك سوف تخلع نيرة الحجاب ، وتختار فساتينها من

محلات شانيل . اما أحمد فسيصبح اوزوريس - أى سوف يموت .

ومما يجعل موقف فيبى حرجا بصفة خاصة أن زوجها كان يعمل فى التنظيم السرى للوجود الاستعمارى البريطانى فى مصر وفى الوقت الذى كانت تبذل فيه العون والتأييد للوطنيين المصريين كان هو يقوم بمهام سرية ، منها التجسس فى السودان لصالح الاستعمار البريطانى . كذلك يبدو أن فيبى قد وقعت فى غرام أحمد الى الحد الذى سمحت لنفسها بأن تعانقه وتقبله ، قائلة إن حاجته اليها اكبر من حاجة زوجها . وقد ألقى هذا الحب على قضية مقتل فيبى كثيرا من الغموض . هل قتلت انتقاما من نشاط زوجها فى التجسس ؟ انتقاما كان المقصود منه الزوج لا الزوجة ؟ هل هو عمل موجه ضد الانجليز من صفوف المناضلين ؟ هل هو جريمة عاطفية ، انتقم فيها زوج من زوجته لجريمتها المزدوجة - تصادق المناضلين ، وتحب أحدهم وتصرح بهذا فى مذكراتها ؟ هل قتلها الخادم أمير أم النوبيون ؟ هل سمحت السلطات البريطانية - عامدة - لأحمد حازم بالهرب ، حتى لايصبح هذا شهيدا فى نظر الثوار . عملت السلطات على التعتيم على مقتل فيبى فى سبيل تحقيق هذا الهدف ؟ احتمال «الجريمة العاطفية» تقول به نينا فهمى ، بينما تؤيد سيدة عجوز تدعى بانسى - هى ابنة فيبى التى انقذت من جريمة القتل ، القول بأن بريطانيا هى التى «قتلت» أمها .

● صورة فنية واقعية

تنتهى الرواية وشارلوت عاجزة تماما عن أن تقطع برأى . ولكن مؤلفة الرواية تكون قد نجحت فى رسم صورة فنية واقعية واخاذة لمصر اواخر الثمانينات ومصر أوائل العشرينات وأظهرت بساطة وبراعة ظاهرة فى الانتقال من المستوى الزمنى الاول الى المستوى الزمنى الثانى وطوال الرواية تحيط مصر القديمة بالاحداث وتبرزها فى مستوى زمنى ثالث خالد . لايتغير يحيى فيه رمسيس الثانى واخناتون وزوجته نفرتيتى وبناتها الست ، وتحيط الاضواء بالالهة الصابرة : ايزيس ، ملجأ كل حائر ومكروب .

تقول شارلوت قرب نهاية الرواية «المصريون ودودون . غير أن ثمة شيئا غريبا يلفهم جميعا . شعور بأن هناك ستارة غير مرئية تحجب الرؤية . شيء لم تفهمه فيبى نفسها . الانوار تبهرك فى مصر ، ولكن الجانب الآخر من الستارة مظلم . هل هذا لأننا اجانب ؟ الشعور بالغربة هنا اكبر مما نحس فى بلاد كثيرة أخرى» .

ومع هذا فقد استطاعت «جانيس اليوت» ان تقترب من مصر والمصريين بروح من الود والتقدير والموضوعية الفنية تستحق التقدير . نداءات عميل المخابرات هال ، تواجهها رغبة شارلوت فى البحث عن الحقيقة - ليس حقيقة اسباب الجريمة وحسب ، بل حقيقة مصر ، مصر الآن ومصر كل العصور . وتنتصب فى وجه العداء لمصر كلمات الشابة المتحمسة عديلة . ومن اغوار العشرينات تأتى اصداء الحب الكبير الذى احبت به فيبى مصر ، فكان فيه مصرعها . حب آمنت به فيبى رغم جهود من تسميهم «القبيلة» اى السفارة والجالية البريطانيتين ، اللتين

زعمتا انهما تعرفان مصلحة مصر أكثر من المصريين . وفى سبيل حب مصر ايضا ظل الطفل البريطانى هاوارد - قريب فيبى - يرجو ان يزور مصر ، وكبر الطفل وشاب ومات وهو على حب مصر مقيم . وان لم تتحقق الزيارة .

الى جانب الموضوع السياسى المصبوب فى قالب يشبه قالب الرواية البوليسية ، تزخر الرواية بشخصيات حية كثيرة . لعل ابرزها «نيكى» الروسى البريطانى الذى يعمل وكيلا لمكتب سياحى متواضع والذى كره تولستوى فى صباه واعتبره غولا يهدد حياته وكان جده دائم الحديث عنه قائلا انه وحشى ، مجنون عظمة ، وانه كان رغدا مع زوجته ، فاخذ نيكى يسب تولستوى بافحش الكلمات طيلة حياته . إنه يعيش عيش الطريد ، ويحن الى روسيا روسيا جده . يعيش فى فقر وتجوال دائم . يلبس البالى من الثياب ولكن قلبه جوهرة تتألق .

يقرأ نيكى سطورا من كتاب الموتى لشارلوت ثم يقول : كان المصريون القدماء شديدى الفزع من الموت ، ومن ثم جاءت الاناشيد والصلوات والشعر والمقابر والمعابد والتحنيط . وتقول شارلوت : أو لعلهم كانوا يحبون الحياة ؟ فيقول نيكى : جائز كلمة الموت الآن أصبحت قذرة . كيف يعيش المرء فى ظل حكم دائم بالاعدام ؟ الحياة قصيرة . فتقول شارلوت المخرج الوحيد ان نعيش كما لو اننا لن نموت ابدا » .

وهناك اليهودى الانجليزى ماكس ، الذى يقوم ببحث عن يوسف الصديق يقول انه انجليزى ويهودى معا ، له جنسيتان تحمس لاسرائيل فى ايامها الاولى ، ولكنها لم تعد الآن البلد الذى يود الاقامة فيه . هى يوتوبيا لطختها الاوحال مات ابن له فى الجولان .

وقرب نهاية الرواية يموت هو . فيحاول «هال» ان ينقل جثمانه الى اسرائيل . ويرد الصهاينة بالرفض . انهم يريدون يهودا احياء ، ولا يهمهم اليهود الموتى !

ولاترحم شارلوت الامريكى هال ابدا . تندد به فى كل مناسبة . تصفه مرة بممثل الاستعمار الامريكى الذى يلبس ملابس تغسل فتجف فورا . وتراه فى احدى المناسبات وهو يقرع احد المكاتب بقبضته فتقول يستند الى كونه امريكيا ، القوة فى صفه . بماذا يهددهم الآن ؟ بالصواريخ النووية ؟ بالاسطول السادس ؟ بفسخ عقود الكوكاكولا ؟

وتجعل المؤلفة عديلة تقول لشارلوت : حين كان رجال الآثار يأخذون مصاوات الفراعنة من بين شقوق الصخور ان النساء كانت تصطففن على جانب الطريق وتبكين ملوكهن الراحلين ، وهم ينقلون من مواطنهم الى اماكن الغربة .

حب مصر يضوع ويتألق فى هذه الرواية ويمجد ماضيها الزاخر ، ويحنو على كفاحها المعاصر ، ويقف فى صلابة ضد من يحاول الانتقاص من قدرها من امثال الفرنسية نينا فهى التى اكلت خيرها شابة وامراة وشيخة ، و «هال» الذى يعيش بين اهلها يكسب منهم ويضرهم ، ولايرحمهم لسانه السليط المنافق .

أقوال معاصرة



بنازير بوتو

● «ليس هناك فرق بين ان يكون رئيس الدولة امراة او رجلا . المسالة هى كيف تدار البلاد »

بينازير بوتو

رئيسة وزراء باكستان

● «قررت الاستقالة حتى اتحمل مسئولية انتشار عدم الثقة السياسية»

نوبور تاكشتا

رئيس وزراء اليابان

● «الحق في أن يكون المرء غبيا اكثر احتراما فى لندن منه فى أى مكان اخر»

الكوميديان الامريكى

جاكى ماسون

● «لن اعتذر ابدا نيابة عن الولايات المتحدة»

جورج بوش

جورج بوش

رئيس الولايات المتحدة

● «اشعر ان نجاح الفيلم او فشله انما يتقرر قبل ان يبدا التصوير»

الممثل الامريكى داستن **هوفمان**

● «ارسال السجائر إلى العالم الثالث ان هو الا تصدير للموت والمرض والعجز»

الجراح العالمى **ألريت كوب**

● «نحن بشر نحتاج إلى المعجزات ونامل انها موجودة»

بونوماريف

عالم الذرة السوفييتى

مرجريت تاتشر



● «لم اترك شيئا الا وغيرته»

مارجريت تاتشر

رئيسة وزراء بريطانيا

أحمد بهاء الدين

القلم... والأسلاك الشائكة

بقلم: كمال النجمي

أحمد بهاء الدين هو الكاتب الصحفي المصري العربي الثائر الذي لم تنقطع ثورته طوال أربعين عاما في سبيل الحرية والديمقراطية والتقدم لكل الأمة العربية .. ولكنه حرص دائما على توشيح معالم ثورته هذه والوقوف بها عند حدود أسوار الأسلاك الشائكة المقامة في البلدان الناطقة بالضاد حول الصحافة والصحفيين ، وحول كل حرف مطبوع ، أو صوت مسموع ! ..

● إن قلمه الثائر كثيرا مايلامس أشواك السور ، ولكنه لايفكر أن يقفز فوقه ، لأنه يكتب في صحف علنية لا في منشورات سرية ، وهو يلتزم حدود النشر في اتساعها وضيقها متذمرا ، ولكن في تسليم للمقادير ، مع قدرة فائقة على القفز بالتعبير اللبق فوق المحاذير ..

هذه الصورة للأستاذ بهاء الدين ، هي في الأصل من لمسات ريشته ، نقلنا خطوطها بأمانة ، لأنها ـ كما تبدو لنا ـ هي صورته التي تحكيه قلبا وقالبا ، وتحدد ملامحه كاتبا صحفيا ، ومفكرا سياسيا ، وداعية للحرية والديمقراطية والتقدم من أبرز دعاة هذا المضمار في الصحافة




أحمد بهاء الدين وابراهيم عامر

المصرية والغربية طوال النصف الثاني من القرن العشرين ..

لكن هذه الصورة - على صدقها - لاتفصح عن فضيلة نادرة يتحلى بها هذا الكاتب الداعية، وهي «الثبات على المبدأ» .. فهو من الكتاب القلائل الذين لم تزحزحهم تقلبات الدنيا عن توجهاتهم المبدئية، فلبث منذ اشتغل بالكتابة الصحفية يقبض بيده على الجمر في سبيل الا يتنكر لطريقته ورؤيته وفكره ..

ما أشبهه في هذا المجال بأساتذة الصحافة المصرية القدماء الذين كان «الثبات على المبدأ» فضيلة فيهم، تدل على مرونتهم كما تدل على فكرهم وعملهم، ولاتناقض مرونتهم وسماحتهم وتقبلهم للمتغيرات وتعبيرهم عنها بدقة وبراعة ..

ولما انتقل من «روزاليوسف» إلى «أخبار اليوم»، لم ينزع رداء «الأحرارية» السياسية والفكرية، ويدخل في ثوب «اليمينية» التي كانت تمثلها أخبار اليوم حينذاك، بل استمسك بفضيلته التي تدل على مرونته، وواصل فكره وعمله بلا أدنى تبديل، حرا مستقلا .. فردا في حريته واستقلاله ..

وبعد تأميم الصحافة احتفظ باستقلاله، وثابر على دعوته الى الحرية والديمقراطية والتقدم من وراء أسوار الأسلاك الشائكة، بدون أن تثبط الأسوار عزيمته فيتنازل عن شيء من جوهر دعوته، وإن كان قد خلع القديم ولبس الجديد مرة بعد مرة ..

وفي سنة ١٩٦٤ أصدر الرئيس جمال عبد الناصر قرارا بتعيينه رئيسا لمجلس ادارة دار الهلال ورئيسا لتحرير مجلة المصور، فتحولت «المصور» الى منبر

أحمد بهاء الدين

القلم ... والأسلاك الشائكة

للحرية والديمقراطية والتقدم ، وكاد بهاء الدين أن يكون فى تلك الأيام أقل الصحفيين الكبار حديثا عن الرئيس والثورة والاشتراكية ، مع أن الرئيس والثورة والاشتراكية لم تكن كلمات يعاب الحديث عنها ، ولكن فضيلة هذا الكاتب ومروءته أبتا عليه أن ينسى أنه يكتب من وراء أسوار الأسلاك الشائكة ، وأن الحرية والديمقراطية غائبتان وإن كان التقدم حاضرا ..

وفى تلك السنة أفرج عبد الناصر عمن كانوا فى سجـونه من الماركسيين واليساريين ، وعمل بعضهم فى دار الهلال وكتبوا فى مجلة « المصور » .. فأذكر أننى كنت أتأمل كتاباتهم وكتابات بهاء وأسائل نفسى : كيف يكون بهاء الدين رزينا حصيفا صادقا إلى هذا الحد فى تأييد النظام ونقده ، بينما ينطلق القادمون من سجون عبد الناصر إلى تأييده بلا قيد ولاشرط تقريبا ؟! ..

لعل عذرهم أنهم جاءوا من وراء الأسوار ، فشعروا أنهم أصبحوا فى سعة من الحرية ، فلهجت ألسنتهم بتلك الأمداح العجيبة ، وخيل إليهم أن عبد الناصر الذى يبنى الاتحاد الاشتراكى ، يبنى فى الـوقت نفسـه « صـرح الاشتراكية » ! ..

إن كثيرا من محبى الاشتراكية ودعاتها أيامئذ فقدوا قدرتهم على الرؤية ، ولكن بهاء الدين الذى كان اشتراكيا أيضا ـ وإن لم يكن ماركسيا ـ لبث هادىء التفكير ، ثاقب البصر ، مدركا لما يجرى حوله بكل تفاصيله ، وبلا تزويق أو تلفيق . وبكثير من التوتر والرغبة فى قول مالا يقال ..

ولقد كان بصره الثاقب يريه أحيانا مالا يستطيع أن يراه الكثيرون ، ففى سنة ١٩٥٥ ، عرضت إحدى دور السينما فى القاهرة فيلم « سقوط برلين » السوفييتى الذى يؤدى فيه ممثلون بارعون أدوار ستالين وتشرشل وروزفلت وغيرهم . فكتب بهاء يبدى دهشته من « تقديس » شخصية ستالين فى هذا الفيلم . ويبين أن تقديس الزعيم مخـالف لمبادىء الاشتراكية والديمقراطية ، وكأنما أراد بهاء أن يقول للذين كانوا يقدسون الزعيم عبدالناصر إنهم مخطئون ! ..

كانت كلمة بهاء عن تقديس ستالين ، أول كلمة تنشر باللغة العربية فى هذا المعنى ، ولم يسبقه أحد إلى التنديد بتقديس أو عبادة شخصية ستالين ولم يكن أحد يعرف أن خروشوف سيقف بعد عام كامل فى مؤتمر الحزب ليقول هذا الكلام نفسه ! ..

لم يكن يهمنى فى ذلك الوقت هجوم بهاء على تقديس الفرد أو الزعيم ، ولكنى كنت قد شاهدت فيلم « سقوط برلين » فأعجبنى كعمل فنى رائع عن الحرب العالمية الثانية ، فكتبت كلمة فى مجلة « العالم العربى » التى كان سيد قطب قد ترك رياسة تحريرها وتسلمها منه زميلنا أسعد حسنى رحمه الله ..

ناقشت فى كلمتى مسألة شخصية ستالين كما ظهرت فى الفيلم وقلت إن

السوفييت يرونها هكذا فلا شأن لنا بما يرون ، وانما الشأن كله بما تضمنه الفيلم من روعة فنية .

ويبدو أن كلمتى ـ كعادتى فى الكتابة ايام الشباب ـ كانت على شىء كثير من الحدة ، فامتشق بهاء قلمه ورد عليها بمقال ضخم جعل له عنوانا هائلا هـو : « الإرهاب » .. وتحدث فى هذا المقال ماشاء عن الإرهاب الذى يشنه « بعضهم » على المفكرين المستقلين أمثاله ! ..

اذهلنى هذا المقال فأنا لم اكن قط منتميا إلى حلقة فكرية أو سياسية أو فنية ، وكنت مستقلا فردى النزعة مثل بهاء ، فسألت صديقى اسعد حسنى عما وراء هذا المقال العنيف ، فاتصل بصديقه المرحوم الصحفى الفنان حسن فؤاد ووجده خالى الذهن من كل شىء ، فاتصلت بصديقنا الأستاذ محمد عودة ، فصحبنى الى بهاء فى مكتبه بدار روز اليوسف حيث تبين له أننى مثله رجل شديد الاستقلال اكتب فى الحدود التى تتيحها الأسوار الشائكة وإن كنت أحاول أحيانا أن أقفز فوقها ! ..

فانظر ـ أعزك الله أيها القارىء ـ كيف ادرك بهاء بقوة بصيرته واستقلال رأيه أن السوفييت غارقون فى تقديس الزعيم ، وذلك قبل أن يعلنوا هم براءتهم من تقديسه بعام على الأقل .. وانظر كيف ادرك أن « الإرهاب الفكرى » يمكن أن يواكب الدعوة إلى الاشتراكية ، وذلك قبل أن يقول عبد الناصر حرفا واحدا عن الاشتراكية ! ..

● **إن هذا الاستقلال الذى حافظ عليه بهاء قبل الثورة ثم فى عهد عبد الناصر ، كان خليقا أن يورده موارد لايسيغ ماءها ، لولا أن بهاء كانت له دائما ـ كما قدمنا ـ قدرة فذة على القفز بالتعبير اللبق فوق جميع المحاذير ..**

وأذكر أن المرحوم أنطون الجميل باشا رئيس تحرير الأهرام حتى سنة ١٩٤٨ كان يلقب الصحفى الكبير المرحوم محمد التابعى « بالكاتب اللبق » .. حين ينشر بعض مقالاته فى الأهرام ، وإنما أراد أنطون الجميل باشا ـ وكنت أعرف أساليبه لصلتى به ـ أن يتجنب تلقيب التابعى بالكاتب الكبير ، فهدته لباقته المبدعة الى تلقيبه بالكاتب اللبق ! ..

ولكن بهاء الدين ، الكاتب اللبق ، هو أيضا كاتب كبير ، وأنه ليبلغ فى كتابته أجواء فى البلاغة لايبلغها الا أكابر الكتاب الذين أنفقوا أعمارهم فى دراسة العربية واستيعاب أسرارها ..

وهو لايبلغ هذا الحد من البلاغة بأساليب قديمة . بل بأساليب بالغة الحداثة ، ولايبلغه بقوة اللفظ ، بل يبلغه بقوة الروح ، كأنه جمال الدين الأفغانى الذى كان يبلغ بقوة روحه فى الكتابة مالا تتيحه لسواه من أئمة العربية قوة ألفاظهم وبراعة أساليبهم ..

ولبلاغة بهاء جاذبية خاصة ، هى التى لفتت اليه حتى غير البلغاء ، أعنى الزعماء والرؤساء ، ومنهم الرئيسان جمال عبد الناصر وأنور السادات ..

ومع ذلك لم تستطع جاذبية قلم بهاء أن تبعده عن الخيل التى تجمح عادة فى طريق المارين بطريق السلاطين ، فناله من جماحها أذى كبير ، يعجب له كل العجب من يعرف قصته ! ...

فإن بهاء رجل هادىء لاتثيره الأمور بسهولة ، ومع ذلك لم يصمد فى الطريق

أحمد بهاء الدين

القلم ... والأسلاك الشائكة

السلطاني ، وناله منه ارهاق شديد أدى إلى ارتفاع السكر والضغط وجلطة فى أحد الشرايين قبل بضعة عشر عاما حتى اقترح عليه الأطباء أن يتقاعد طلبا للراحة وهو فى تلك السن الصغيرة ..

ولكنه لم يتقاعد ، وعاد إلى ثورته الدائمة فى سبيل الحرية والديمقراطية والتقدم ، جالسا القرفصاء ، سعيدا بجلسته ، يوشك أن يبتسم ، وإن كان جالسا على سطح صفيح ساخن ..

واقتضت لباقته أن يصمت فى أواخر عهد الرئيس السادات رحمه الله ، فلا يكتب مدحا ولاقدحا ، ولكن الصمت لم يكن مقبولا ، وكان المطلوب هو التأييد الصريح ، وإلا فلا كتابة ولاصمت .. وكان ذلك كما قال بهاء فى بعض أحاديثه : « أخطر صور الرقابة التى عرفتها مصر » ..

ولم يستطرد بهاء بطبيعة الحال ليقول إن هذه الصورة البالغة الخطورة من صور الرقابة ، كانت موجودة أيضا فى عهد الرئيس عبد الناصر ، وإن السادات إنما ورثها عن عبد الناصر كما ورث أمورا خطيرة أخرى ! ..

● وكانت هذه هى الأزمة الثانية التى تنتاب بهاء فى عهد الرئيس السادات ، بعد أزمته سنة ١٩٧٢ عندما نقله السادات مع تسعين صحفيا الى مصلحة الاستعلامات ، فلما اعترض بهاء على هذه الاهانة التى لحقت به ـ وهو الصحفى الكبير الذى يتردد اسمه من المحيط الى الخليج ـ كما لحقت بزملائه التسعين الأبرياء .. جاءه خطاب الفصل من العمل ! ..

ظل بهاء مفصولا من العمل الى ماقبل حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ إذ أعاده السادات الى العمل ، وطلب إليه أن يشترك فى كتابة « ورقة أكتوبر » المشهورة ! ..

● استأنف الكاتب اللبق الكبير عمله ، واشترك فى ورقة أكتوبر ، ثم وجد نفسه رئيسا لتحرير الأهرام ، وحوله زملاؤه الذين كانوا مفصولين معه من مصلحة الاستعلامات ومن الصحافة المصرية جملة وتفصيلا ..

ولبث مدة بين العمل والاستشفاء ، ثم هاجر إلى الكويت طلبا للاستجمام والعمل الهادىء فى بلد هادىء ومجلة شهرية ليس وراءها هزات سياسية ولايرتفع سور الأسلاك الشائكة حولها إلى أعلى من قمة الرأس ! ..

وهكذا مضى إلى تلك الرحلة الطويلة ذلك الرجل الذى لم يذهب فى صباه الى أية رحلة مدرسية ، ولو حتى الى الأهرام وأبى الهول ، وتعززت بهجرته فكرة تعدد مراكز الاشعاع الثقافى فى العالم العربى ..

ولكنهم قالوا : إنما ذهب فى رحلته تلك يطلب الثراء فى بلاد البترول ! ..

ولو كان الثراء مطلب بهاء لبادر اليه قبل ذلك بعشر سنوات أو عشرين ، وكانوا يلحون عليه فى الذهاب اليهم ، ولو كان الثراء مطلبه لظفر به منذ كان مرشحا للوزارة فى عهد « الوحدة » بين مصر وسوريا ، فأبى له افتقاره إلى



الرئيس مبارك يتحدث الى بهاء الدين ولويس عوض

« الإنتهازية » أن يدخل من باب الوزارة ، وهو باب يفضي بمن شاء الى الثراء ! ..

● إن أحمد بهاء الدين قد بلغ الآن المكانة التي تجعله في عيون قرائه ومحبيه أشبه بالضوء المعلق في الفضاء ، يراه الناس يلمع من بعيد ، كأنه رمز للمعاني التي تجسمت في اسمه الذي رن في أسماعهم وبرق في عيونهم عشرات السنين ، بلا انقطاع حتى عند انقطاعه ..

واسمه في أية صحيفة مصرية أو عربية شهادة لها بأنها استطاعت ان تقنعه ، وأن توفق بين أوضاعها وبين استقلاله الدائم وعمله الدائب في سبيل الحرية والديمقراطية والتقدم ولو عن طريق لباقته البليغة التي تتجاوز الشكل الى الجوهر ، وتأخذ كل قارىء ـ مهما يكن اتجاهه ـ صديقا لها ، مقتنعا بها أو متحفظا عليها ! ..

وقد قيل في بداية ظهور بهاء الدين وشهرته انه ابن النجاح السريع الذي يشبه ضربة الحظ ..

وقد مضت على ذلك خمسة وثلاثون عاما ، وانتهت ضربة الحظ الأولى ، وبقي كوكب النجاح يـدور بنفس سرعته ! ..

بقلم: د. شكري محمد عياد

التعليم
التربية
الثقافة

اخشى ان اكون قد اوقعت نفسي في "حقل اشواك" غير عادي، حين زعمت اني اتحدث عن «فلسفة» للتعليم، بل غلوت فذهبت إلى ان هذه "الفلسفة" يجب ان تسبق كل حديث عن مشكلات التعليم، وفاتني ان اعتذر للفلاسفة، وأساتذة الفلسفة، والمفكرين، واصحاب الأيدلوجيات، لأن ما تبجحت فسميته "فلسفة" ليس فيه شيء مما يعرفونه بذلك الأسم المهيب، وإنما هو كلام عادي بين اناس عاديين، لايبصرون إلا مايرونه باعينهم، ولايالمون إلا لما يوجعهم، ولايتوقون إلا لما يهيىء لهم في حياتهم الشاقة المضنية قليلا من الراحة، وبعضاً من الأمل في المستقبل. وحسبهم من الفلسفة ان يفكروا فيما يبصرون في الأساليب التي تمكنهم من تحقيق مايطمحون اليه.

● على انني لاادعي السذاجة، فقد قرأت - مثل غيري - من هذه الفلسفات والإيديولجيات ماوسعني أن اقرأه ولكنني كنت وإياها دائما كالزائر في البلد الغريب، مهما ظن انه اتقن لغة أهله فهو لا يعرف من لحن كلامهم ماهو الصق بدخائل نفوسهم، واخص باعراف مجتمعهم، وابعد جذورا في اعماق تاريخهم. أما عقلي فلا ينشط وأعصابي فلا تهتز إلا لصيحة في شارعي أو ضجة في بيت جاري. عندئذ فقط يمكنني أن اربط ماأراه أو اسمعه بأسبابه القريبة أو البعيدة، ولو كان من هذه الأسباب مايرجع إلى أولئك القوم الأبعدين في البلد الغريب.

وأول جرائمي في حق الفلسفة



والإيديولوجيات انى أدرت ظهرى للرجعية والتقدمية معاً ، وتجاهلت الأفكار السلفية والقومية والاشتراكية كأنها غير موجودة ، وهذه فى هموم المثقفين فى عالمنا العربى ، لايصلح الحديث عن التعليم أو غير التعليم بدون الخوض فيها ، حتى لو اعتذرت بأن الذى الهاك عنها هو هموم أخرى تشغل المثقفين وغير المثقفين ، مثل أننا أصبحنا نشترى الثلاجات ولانجد من يصلحها ، وأن ابن أخيك المتخرج فى كلية الآثار يذهب ليعمر الصحراء وهو لايفهم شيئا فى الزراعة ولايجد عمالاً زراعيين .

وجريمتى الثانية ـ ولا أدرى هل لحظها أحدكم أو لا ، فقد أقدمت عليها فى مقالاتى السابقة خفية كأى مجرم حقيقى ـ هى أننى أرفض الخلط بين التعليم والتثقيف ، بل وحتى بين التعليم والتربية ! وأتبجح أكثر ـ أيها الفلاسفة والمفكرون ـ فأقول أن هذا ركن أساسى فى "فلسفتى" التعليمية !

فأنا أزعم أن "التربية" عمل لاتنفرد به المؤسسة التعليمية ، ومادامت غير منفردة به ، فتخصيصها به ، دون سائر مؤسسات المجتمع ، مجافاة للواقع ، تستتبع حصر التكليف فى هذه المؤسسة ، وحطه عن غيرها ، إذا كنا متفقين على أن "التربية" تتناول الشخصية كلها ، وأن قوام الشخصية سلوكيات معينة ، تستند فى قوتها وصلاحها إلى دوافع راسخة ، فمن يستطيع الزعم بأن هذه الشخصية تبنى فى المدرسة وحدها ، أو أن للمدرسة من الأثر فى بنائها أكثر مما لسلوك الأبوين والمحيط الأسرى المباشر ، أو أكثر مما للنادى أو للشارع ، أو أكثر مما لوسائل الترفيه أو أجهزة الإعلام ، وعلى رأسها التليفزيون الذى يجلس أمامه معظم الأطفال مددا تقرب مما يقضونه فى

المدرسة او تزيد عليه ؟ وهذه الأجهزة تستخدم شيئا من الفن ، والفن ممتع ، ولايخلو من مضمون ، فهو يقدم دروسه بطريقة سهلة محببة ، وتأثيره فى الأخلاق عظيم .

وأمر التليفزيون ، وقريبه الفيديو ، يستلزم وقفة خاصة نظراً لما يقدمانه من "فن" فهذا الفن عادة فن ردىء ، مسلوق ، يتعمد الإثارة ، لأنها أسهل طريقة لإقبال المشاهدين عليه ، ولايبالى بالتأثير السيىء الذي يتركه فى نفس المشاهد ، ولاسيما إذا كان سهل الانقياد لجهله أو صغر سنه ، واقبح الأشياء أن يدعى مدع أن هذا "فن" ولن الأخلاق لادخل لها فى الفن ! على اننا نكتفى غالبا بان نترك المسائل تمر ، ولا من يسأل ولا من يجيب ، ثم يشكو الآباء والأمهات من أن الطفل ابن الأربعة - مثلا - قد أصبح عدوانيا بشعاً لأنه يقلد "جرند يزر" !

على أننا لانخص أجهزة الإعلام كما لانخص المدرسة فالتربية أعم من ذلك ، لأنها ترجع إلى ضوابط السلوك التى يترتب عليها الاستحسان أو الاستهجان ، وهى من شأن المجتمع كله ، ومدارها على التمييز بين الحرية الشخصية والواجب الاجتماعى ، وهذا بالضبط هو ماينقصنا . فحدود الحرية الشخصية عندنا هى الاستطاعة أو كون الفرد أمنا من تدخل الآخرين لمنعه ، وحدود الواجب هى قدرة جماعة أو فرد على فرض سلطانهم على الآخرين ، وقد أساء بعض الناس تصور القاعدة الشرعية "الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر" فاقتحموا على الناس مجالسهم ليقوموا مايرونه معوجاً من سلوكهم (والأمر يتعلق غالباً بنوع من فرط الحساسية نحو كل ما تشتم منه رائحة الجنس) ، ولكنك إذا زجرت طفلاً لأنه يتلف شجرة على جانب الطريق وجدت من ينظرون إليك بشيء من الدهشة ، وربما الاستنكار .

فأمر الاستحسان والاستهجان أو المعروف والمنكر ودرجاتهما وكيفياتهما يحتاج أولاً إلى تحديد أصل يضبطهما ، ثم إلى معرفة الصلاحيات التى يرجع إليها فى الحكم بهما وتقدير قيمتهما ، والجزاء عليهما بحسب درجاتهما وإذا كان تقرير ذلك كله والعمل بمقتضاه مرهوناً بارتقاء المجتمع كله فمن المستحيل أن تضطلع المدرسة به كله أو بمعظمه . بل إن مجتمع المدرسة سيكون صورة من المجتمع الخارجي بخيره وشره ، لايزيد عنه - ربما - إلا ببعض الأوامر والنواهى التى يمكن أن تبدو مضحكة ، وتحيل الشخصية النموذجية للمعلم إلى أحد اثنين : إما مثال للبلاهة وإما أستاذ فى النفاق .

● نوع من التثقيف !

هذا عن مهمة "التربية" ، وتبقى مسألة "الثقافة" .

منذ أيام رأيت حفيدتى ، وهى تلميذة فى السادسة الابتدائية "الملغاة" تدفع إلى خالها كتابا كبير الحجم قائلة له "سمع لى" "آفاق التنمية الاقتصادية فى مصر" .

قلت : ماشاء الله ! لابد أن هذا مقال في الأهرام . وهل كل ما ينشر في الأهرام مثلاً يصلح للأطفال في المرحلة الابتدائية ؟ ولكن الموضوع كان درساً من دروس "العلوم الاجتماعية" . وهذا نوع من "التثقيف" المفروض على تلاميذ المرحلة الأولى . والأمر لا يخرج عن أحد احتمالين : إما أن الموضوع وأمثاله مما يناسب مدارك الأطفال في هذه السن ، وفي هذه الحالة يكون لنا أن نتساءل : لماذا لايقدم - وبصورة أكثر - تشويقاً ، في برامج الأطفال أو الشباب في الإذاعة والتليفزيون ؟ وإما أن يكون موضوعاً بعيداً عن اهتمامات الأطفال ، وهنا يكون حشو أذهانهم به مضيعة للوقت والجهد ، ومدعاة للنفور من التعليم .

نعم ، ينبغي ، منذ هذه السن أن يعرف الطفل وطنه وعالمه ، أن يعرفهما بقلبه ووجدانه قبل عقله . وفي هذا يمكن أن يفيد التليفزيون أكثر مما يفيد مقرر العلوم الاجتماعية ، ويمكن أن يفيد كتاب مصور جميل أكثر مما يفيد التليفزيون ، لاسيما وأن الكتاب يقرأ ولا يشاهد فحسب ، وأن التلميذ قد لايكون في بيته جهاز تليفزيون ، ولا المدرسة أيضاً . ولكن المدرسة يمكنها ولاشك أن تملك نسخاً كثيرة من كتاب كهذا ، بحيث تكفي لأن يحتفظ به التلميذ مدة معقولة .

ولماذا أخص منهج العلوم الاجتماعية ؟ إن منهج المرحلة الابتدائية في جملته منهج مزدحم وتقدير الازدحام عندي لايرجع إلى مدة المرحلة بل إن الغرض منها . أقول هذا لأن اختصار هذه المدة من ست سنوات إلى خمس أثار ضجة كبيرة . فكيف بي اقترح إنقاصها إلى أربع ؟ المسألة لاترجع إلى أني موعز إليّ من قبل وزارة التربية والتعليم ، بل إلى أني أرى أن مهمة "التثقيف" أصبحت تضطلع بها مؤسسات أخرى ، ويمكن أن تزاد كفاءتها من هذه الناحية بحيث تتفوق على المدرسة كثيراً ، ويمكن أن يتكامل عملها مع عمل المدرسة - من حيث المادة والوقت - بحيث تتفرغ المدرسة لعملها الأساسي وهو إكساب المهارات وتنمية العقل . وتنمية العقل تنحصر في التدريب على مواجهة المواقف الجديدة وحل المشكلات . ولاشك أن هذا يقتضي النظر إلى التليفزيون على أنه جهاز للتثقيف الشعبي قبل كونه جهازاً للترفيه .

والهدف التعليمي للمرحلة الابتدائية هو إكساب مهارة القراءة والكتابة وتلحق بهما مبادىء الحساب ، أي أن يملك الطفل الوسيلة الأساسية للمعرفة ، أن يحسن استخدام الاختراع الأول والأعظم لانتقال المعرفة البشرية . هذا الغرض وحده - إذا تحقق على الوجه الأكمل - كسب كاف ومقدمة كافية - وضرورية أيضاً - للمراحل التالية . وهو يحتاج إلى مضاعفة الجهود والاعتمادات لتحقيقه (لأن العبرة ليست بعدد السنين) . وأول ذلك : الكتب الجيدة الجميلة التي تجعل القراءة متعة منذ هذه السن الغضة .

ولاتقتصر جريرة خلط التثقيف بالتعليم على إطالة أمد المرحلة الأولى بدون داع ، مع عجز هذه المرحلة عن الوفاء بغرضها الأصيل وهو إتقان القراءة والكتابة ، فقد كان لهذا الخلط في المراحل التالية تأثير أشد ضرراً وحسبك أنه فتح أبواب

المدارس على مصاريعها لحرب الدعاية بين النظم العربية المختلفة .

● تشرذم فكرى !

وأبادر إلى القول بأننى لااقصد بهذه الآراء فى التعليم (ولابد أن الحقها بفلسفة التعليم مادامت منطلقة من المبادىء) قصد الغلو أو الاثارة . ومن ثم فأنا لاامارى فى أن سيطرة الدولة على التعليم تؤدى بالضرورة (حتى لو كان هذا شراً لابد منه) إلى أن تنعكس إيديولوجية الدولة على التعليم ، كما أننى لاأمارى فى كون "التثقيف" عنصراً لا يجب إغفاله من التعليم ، بل أقول مع القائلين وأدعو مع الداعين إلى أن "الثقافة" هى طابع الحياة الاجتماعية وأن الوعى بها والعمل على ترقيتها فى شتى المؤسسات حاجة لازمة لترقية هذه الحياة ، ولاأنسى كذلك جهود رجال التعليم نحو توحيد مناهج التعليم العام فى الأقطار العربية المختلفة . ولكن هذه الجهود التى دعت إليها ضرورات عملية لم تمنع التشرذم الفكرى عوضاً عن أن يحد منه

وأقول إن قدراً من "التثقيف" ضرورى فى التعليم قبل غيره من المؤسسات . ولكن القدر الذى لاخلاف عليه بين النظم ولا بين التيارات والمذاهب . هل يمكن أن ننسى شيئاً أسمه "المناهج القومية" فى جامعاتنا المصرية ـ لاأدرى ماذا صنع الله به الآن ، ولعله ألغى أو أدخل على مفهومه شيء من التعديل حتى خرج عن غرضه الأصلى وهو الدعاية السياسية الصريحة ، ولكن هل يستطيع أى تعديل أن يجعل لهذه المواد فائدة أو معنى ، وهى التى تدرس دائما على حساب مواد التخصص المهنى أو التثقيف الحقيقى ؟ بل إن تأثيرها يتجاوز هذه الاضرار السلبية إلى ضرر إيجابى إن صح هذا التعبير . فقد ساهمت فى إشاعة لغة خطابية فضفاضة فى جميع الموضوعات التى تمس الحياة العامة ، والتى نحتاج أشد الحاجة إلى أن نعالجها بلغة علمية موضوعية .

وقد كان رد الفعل التلقائى إزاء هذه "المواد القومية" هو أن ظهرت لدى طائفة أخرى من الدول مادة تعليمية سميت "الثقافة الاسلامية" . ولايزال أصحاب هذه الثقافة الاسلامية حائرين فى تحديد الموضوعات التى يمكن أن تدخل تحتها . فالثقافة الاسلامية لا تعنى العلوم الدينية من فقه وتوحيد وتفسير وحديث ، ولاتعنى التعرف إلى منجزات الحضارة الاسلامية فى العلوم الطبيعية والفنون العلمية أو الفنون الجميلة ، ولكنها يمكن أن تعنى هذا كله مختلطاً بعضه ببعض فى سياق هجوم على "التغريب" تارة ، وعلى "القومية" تارة ، وعلى "الاشتراكية" أو "الشيوعية" تارة أخرى .

وقد أصبحت "للثقافة القومية" و "الثقافة الاسلامية" أدبيات ضخمة ، أغلبها إن لم تكن كلها غثاء كغثاء السيل ، لم تنتفع منها "الثقافة القومية" أو "الثقافة الاسلامية" الحقيقيتان بشىء ، ولكن أثرهما الفادح ظاهر بخرق العيون والآذان بشتى ألوان التطرف الفكرى . ولانقول إن فرض هذه المواد على مناهج التعليم من قبل الدول المهيمنة عليه هو

الذي أوجد التطرف الذي عادت تلك الدول (على أختلاف تصنيفاتها الإيديولوجية) تشكو من وجوده مجتمعاً في كل منها . لانقول إن الدولة زرعت بيدها ذلك النبات السام الذي عادت تحصده . لكننا نقول إن الدولة ، وسلطانها على الأفكار في عالمنا المتخلف ، من خلال التعليم وغيره ، ولايعلو عليه سلطان ، كانت من أقوى العوامل ، إن لم تكن أقواها على الإطلاق ، في خلق هذه الفوضى الفكرية التي بدأت جعجعة بلا طحن ثم عادت رحى تطحن الأبرياء .

● **تكوين المواطن الصالح**

والغريب أنك لاتجد في أمة من أمم الغرب ، وهي العريقة في أيديولوجياتها السياسية وتقاليدها الاجتماعية ، من يعني بإدخال مثل هذه المواد في مناهج التعليم . فهل يعني ذلك أنهم في غير حاجة إليها ، لتمكن آثارها لديهم ، وأننا في حاجة إليها لتنعم بآثارها في حياتنا ؟ لانبخل بحسن الظن على من مالوا إلى هذا النوع من التفكير ، إبتداء بمن جعلوا تكوين "المواطن الصالح" غرضاً من أغراض التعليم ـ ناسين أن هذه العبارة يمكن أن تنلتح عليهم في يوم قريب أو بعيد باب الاتهام من خصوم التغريب (فهي عبارة مترجمة عن قيم التربية وقيم الحياة في أمم الغرب) إلى من رأوا في مواد "الثقافة القومية" تمكينا لعرى الوحدة العربية ، ومن رأوا في مواد "الثقافة الإسلامية" دفاعاً عن أصالة الحضارة الأسلامية . ولكننا نقول إنه قد آن الأوان لكي ينتفع الفريقان من تجاربهم . وإن أول درس يجب استخلاصه من هذه التجارب هو أن حدة الفكر لاتفرض فرضاً من قبل الدولة . ولكنها تصاغ شيئاً فشيئاً من خلال الحوار . حيث لايصح إلا الصحيح . وأن الوحدة العربية لاتبنى بتكوين جيل من ماضغي الألفاظ . الببغاوات التي لاتحسن إلا الكلام ، بل لا تحسن حتى الكلام ، وإنما تبنى بالاشتراك في ميادين الإنتاج ، وتبادل المنافع والخبرات ، وتدعيم العلاقات الإنسانية ، القائمة أصلا على تقارب الأمزجة والأفكار ، بالاحترام المتبادل والأمانة في التعامل ، وأن الأصالة الإسلامية ليست كلاما يقال ، ولكنها واقع ظهر قديماً في شتى مناحي الحياة ولن يكون لها وجود في عالم اليوم إلا إذا ظهرت مرة أخرى في أسلوب الحياة .

والتعليم الذي تسيطر عليه الدولة ، وهو سبيلها لبناء المستقبل . ومعيار توجيهها نحوه ، يجب أن يكون موجها نحو بناء إنسان عربي قادر على تحقيق هذه المهام . غير أنني أصبحت على شبه يقين من أن الشعوب العربية هي اليوم أكثر وعياً وتقدماً من حكوماتها . ولذلك أرى أن للمبادأة الفردية والجماعية دوراً مهماً في إخراج التعليم من ضائقته الحالية ، التي ترجع في أساسها إلى ضيق الأماكن ، أو ضعف مستوى المعلمين أو الطلاب ، بل ـ ومعذرة للإلحاح ـ إلى انعدام الفلسفة .

ثقافة

البعد الواحد

بقلم : د. سعيد إسماعيل على

ارايت الى ذلك الطفل الصغير فى شهور عمره الاولى ، يواجه عالمه بنظرات زائغة مشتتة ، لاتكاد تستقر على اتجاه ، واذا تناول شيئا ، لم تتسق حركة يده مع حركة عينيه ؟.

ثم .. ارايته بعد ذلك ، عندما يتجاوز عاميه الاول والثانى ، كيف يولع بقذف الاشياء وخاصة من عل ولا يفتأ محاولا وضع اصبعه او اى شىء يستطيل بعض الشىء فى الفتحات المختلفة سواء فى وجهه مثل فمه او انفه ، او أذنيه ، او فى باب او فى جدار ؟

انه فى الحالة الاولى ، يفتقد تلك (الابعاد) التى تعطى الاشياء شكلها وحجمها وموقعها .. الاشياء تبدو امامه مسطحات بلا ابعاد !

لكنه فى حالته الثانية ، يكون قد وعى وادرك تلك الابعاد ، فيغرم باختبار الاشياء حتى يعى حجمها وشكلها وموقعها (الحقيقى) فيضع قدميه على طريق النمو العقلى والتطور الفكرى .

هكذا تبدو الثقافة عند الامم والشعوب فى مختلف الازمنة والعهود ، ككائن حى ، يخضع الى حد كبير لكثير من قواعد النمو ومبادىء التطور .

ومن عجب ، اننا مع هذه الدرجة التى صرنا اليها من التقدم والتطور ، تلك الدرجة التى جاوزت احلامنا السابقة ، مازلنا نشاهد ثقافات تقف عند ذلك المستوى الاول ذى البعد الواحد فى تناولها للعديد من القضايا والمشكلات ، فلا يرى أصحابها سائر ابعادها حتى يمكن أن يتوفر لديهم الوعى المستنير بحجمها وشكلها الحقيقى ! ولكن كيف ؟

ارايت الى هذه القائمة الطويلة من (الثنائيات) : المجتمع والفرد – الجسم والروح – الجبر والاختيار – الحرية والنظام – الشكل والمضمون – الكم والكيف .. الخ

كم من عهود وعصور ... وكم من صفحات وموجات الاثير .. وكم من أيام وليال انفقها الانسان مفكرا ،



ديكارت



كارل ماركس

وباحثا ، ومتحدثا ، ومحاورا فيها : فتارة نجد هذا ينتصر لذلك الطرف ، وتارة نجد ذاك ينتصر للطرف الاخر.. وكل فى فلك يسبحون ؟

وبالطبع ، فعندما يحكم مفكر بأن الانسان - مثلا - « مسير » فقط ، وأننا لا نملك من أمرنا شيئا ، وما نحن الا ريشة فى مهب الريح و « المكتوب على الجبين » لابد أن تراه العين ، وما الحياة فى جملتها الا أرحام تدفع وأرض تبلع ... هذا الذى ينظر الى تلك القضية من هذه الزاوية ، لابد أن يجد الطرف الاخر فى رأيه ثغرات يمكن أن يهاجمه منها ليجد أدلة وشواهد تؤكد وجهة نظره هو من حيث وجود حرية الاختيار لدى الانسان . لكنه هو بدوره ، عندما يرفض «كلية» وجهة النظر الاولى القائلة «بالتسيير» الجبرى ، يقع فى ثغرات أخرى ، يمكن لخصمه أن يهاجمه من خلالها.. وهكذا الامر فى سائر القضايا .

انها صورة من صور الثقافة ذات البعد الواحد التى تصر على النظر الى الامور من زاوية واحدة، دون أن تبصر الحقيقة ذات الابعاد المتعددة .

ولو شئنا الاستمرار فى هذا المثال لنؤكد تعدد الابعاد ، لتبين لنا أن هناك مجالات لا قبل بالفعل للانسان بتقرير أمره فيها .. فلم يكن لى خيار فى أن أولد من زوجين اسمهما كذا وكذا ، وهما والدى ، ولم اختر أن أولد مصريا ، وأن تكون اللغة الام لى هى اللغة العربية - وولادتى مصرية ، من الطبيعى أن تحيطنى بكم هائل من المؤثرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والجغرافية التى تلعب دورا كبيرا فى تشكيل شخصيتى بما تحمله من بصمات واتجاهات وقيم .. وكل هذا كان يمكن أن يتخذ مسارا آخر لو ولدت فى فرنسا أو استراليا أو الولايات المتحدة الامريكية أو الاتحاد السوفييتى أو غير هذه وتلك من البلدان الاخرى ... وكل هذا لابد أن « يكون » ويوجه ارادتى بطريق غير مباشر وأحكامى على مختلف القضايا والمسائل !

● نظام حياة

وكذلك لم اختر أن أكون مسلما ، وأن تكون النشأة الاولى فى بيئة ريفية

ثقافة

البعد الواحد

لها تقاليدها وعاداتها وأنماطها المعيشية ونسقها القيمى ، كما أن الاسلام « نظام حياة » يشيع فى جوانب حياة المسلم كما غير قليل من المعايير والاتجاهات وزوايا الرؤية والحكم على الامور ..

ولست انا الذى اخترت ان اكون « رجلا » لا « انثى » ولهذه الصفة او تلك نمط كامل من الحياة يفترق الى حد كبير عن الاخر وخاصة بالنسبة للثقافة العربية الاسلامية ..

ولست انا الذى اخترت لون عينى ولون بشرتى ، وأن يكون طولى كذا أو كذا ، وهذا وذاك أيضا له دوره لدى لا ينكر فى تكوين الشخصية ...

هل يستطيع أحد أن ينكر هذه الابعاد « الحتمية » . التى لابد ان يكون لها تاثيرها فى توجيه الارادة الانسانية ؟

لا أظن ...

لكننا نجد انفسنا أمام حقيقة أخرى تفرض نفسها . وتلك هى أن الايمان بالله وباليوم الاخر وما يرتبط به من « حساب » يفترض بالضرورة ، حرية الارادة ، لان هناك ارتباطا وثيقا بين « المسئولية » (و « الجزاء » ، اذ كيف يثاب انسان أو يعاقب على ما لم تكن له حرية ارادة اختياره ؟

بل انك اذا نظرت الى القوانين الوضعية ، فسوف تجدها جميعا قد اقيمت على قاعدة (المسئولية) : فالذى يسرق ، أو يقتل ، او كذا وكذا من الاعمال التى تشكل انحرافا واضحا له عقابه الذى يتناسب مع جنس وقدر الانحراف المرتكب وكيف تستطيع ان تنكر أننى أنا الذى اخترت تعلم الفلسفة فى كلية الاداب بجامعة القاهرة ، ثم اخترت بعد ذلك دراسة العلوم التربوية والنفسية بجامعة عين شمس ؟ واننى اخترت زوجتى واصدقائى .. الى غير ذلك من محيط ضخم من الافعال التى أتحمل مسئوليتها ؟

● صور متناقضة

وانظر بعد ذلك الى قضية أخرى تثير الكثير من الجدل لدى كتابنا المعاصرين ، الا وهى « تجربة ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ » ..

فلو جمعت ما كتب عنها ، وهو كم كثير ، فسوف ترى عجبا حقا ..

لكن الملاحظة الهامة هنا ، انك ستجد ما كتب ينقسم الى قسمين اثنين لا ثالث لهما ... ستجد قسما ينهال عليها بالسهام والنبال احيانا ، وفى الغالب يسلط عليها المدافع والقنابل والبوارج والقواصات ... فهى فى نظر أصحاب هذا القسم (قتلت) و (شردت) و (نهبت) و (أذلت).. الى غير ذلك من ألفاظ ومصطلحات تجتمع حول دلالة واحدة، وهى أن هذه الثورة كانت (كارثة تاريخية) !!

فاذا اتجهت الى القسم الاخر ، فسوف تجد صورة مناقضة للصورة السابقة تماما ، ستجد الورود والرياحين ، والبسمات والابتهالات ، والبركات وطيب الامنيات ، فهى فى نظر أصحاب هذا القسم هى التى « حررت » الانسان العربى لا فى مصر وحدها وانما فى معظم انحاء العالم العربى ، وهى التى طاردت الاستعمار

وكافحته في كل مكان . وهي التي حاولت أن تقف للصهيونية بالمرصاد وهي التي قضت على وسائل وصور الاستغلال الاجتماعي والاحتكار الاقتصادي الى غير ذلك من الفاظ ومصطلحات، تشير كلها الى دلالة واحدة ، وهي أن هذه الثورة ، كانت ذروة النصر العربي وصفحة مشرقة من صفحات التاريخ !

وليس هنا مجال التقييم الحقيقي لهذه الثورة ، وليس هذا هو هدفنا ، ولكن ما نسعى الى التنبيه اليه هو ان كلا من الطرفين ينظر الى (القمر) من ناحيته هو فقط متجاهلا أن هناك جهة اخرى تكون مع الاولى حقيقة القمر .. هؤلاء يقفون تجاه وجهه المنير ، وهؤلاء يقفون تجاه وجهه المظلم ..

فريق لا يرى من هذه الثورة الا افعال الاجهزة الامنية وخاصة المخابرات وما شهدته السجون والمعتقلات ، وما تم من مصادرات وتاميمات وفرض حراسات وهزيمة مدوية في يونية سنة ١٩٦٧ .

وفريق آخر تنجذب عيناه الى تلك الشعوب العربية التي كانت محتلة فتحررت والى تلك المشروعات الانتاجية العملاقة كالسد العالي والحديد والصلب وغير هذا وذاك ..

ومن المناقشات التي تدور بين الفريقين ، تجد لهجة « التكفير » هي السائدة : انه التفكير ذو البعد الواحد !!

ولو دققنا النظر في اقوال وحجج المعارضين ، فاننا لا نستطيع أن نسايرهم في منطقهم الى مدى بعيد ، اذ مما لا شك فيه أن قوى الاستعمار والصهيونية خططت كثيرا لاغتيال زعيم هذه الثورة الراحل جمال عبد الناصر ، والذي يقرأ الوثائق الخاصة بهذه الفترة يلمس بغير غموض أو لبس ، أن الكثير من التحركات الاستعمارية وخاصة من قبل الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا انما كانت تستهدفه هو بصفة خاصة . فاذا ما استحضرنا الى الذهن تلك المقولة المنطقية التي تقول « عدو عدوي صديقي » .. نستطيع التيقن ان هذا العداء الاستعماري والصهيوني المحموم تجاه زعيم هذه الثورة انما يدل دلالة قوية على اتجاه هذه الثورة على طريق التحرير والبناء لصالح الامة العربية .

لكننا من ناحية أخرى لا نستطيع ان نمنع أنفسنا من الاسى عندما يدفع الحب والاعجاب والتقدير بالانصار الى الدفاع عن عدد من الانحرافات الواضحة وخاصة فيما يتعلق بالقضية الديمقراطية في صورتها الفكرية . وان حب الثورة وتقديرها والاخلاص لها لا يقلل منه أبدا الاعتراف بالاخطاء والانحرافات ، والا فان انكار هذا انما يعني تفكيرا لا تاريخيا . لان التجربة التاريخية لاى ثورة من الثورات طوال مختلف القرون والعهود لا تدل أبدا على أن أيا منها قد سلم من الانحراف ومن الخطأ ، والا فبماذا نفسر عدم القدرة على الاستمرار ؟ صحيح ان البعض قد يسارع برفع راية العوامل الخارجية المضادة ، ومع اقرارنا بدورها الفعال ، الا اننا نؤكد من جانبنا ان العوامل الداخلية هي الاكثر فاعلية والاكثر حسما .

ونستطيع أن نسير على نفس المنوال بالنسبة لقضايا أخرى مماثلة ...

وهناك صور أخرى من صور التفكير ذي البعد الواحد ، الا وهي التي يبدى فيها القول بالعامل الواحد في تفسير الظواهر الانسانية على وجه العموم ان هذا اذا جاز بالنسبة للظواهر

البعد الواحد

المادية غير الحية بحيث ان الحرارة التي تسببت في تمدد هذه القطعة من الحديد أو ما شابه ذلك، فانه لا يجوز بالنسبة للظواهر الانسانية والظواهر الاجتماعية !

ان مصادر الفكر تحفظ لنا عددا غير قليل من المذاهب ذات البعد الواحد ، فهذا مذهب يؤكد فيه أصحابه انها جملة الظروف الاقتصادية وحدها، ومذهب ثالث يرى انها تكمن في العرق والسلالة والجنس ... وهكذا .

ولا شك انك اذ تقرأ الامثلة التي يسوقها أصحاب كل مذهب ، تلمس فيها وجاهة رأى ، وآيات صحة وصواب ، ذلك لانهم وقفوا عند (زوايا) و (مواقف) بعينها قد يصدق عليها تفسيرهم ، لكنك عندما تقلب البصر اكثر فاكثر ، سوف تواجه بأمثلة أخرى لا يقوى أى مذهب بمفرده على تفسيرها .

● اختلاف الاراء والاحكام

وليس هناك مجال مناقشة هذه المذاهب ، فهذا باب يطول الحديث فيه، اذ يحتاج ، لا الى صفحات أخرى ، وانما يحتاج الى بحوث ودراسات عديدة تستغرق شهورا وأعواما ، ويكفى أن نشير هنا الى ذلك المثال الشهير الذى ساقه (أبو حيان التوحيدى) من اننا امام الحقيقة ، كمجموعة من العميان ، التفوا حول (فيل) دون ان يعرفوا مسبقا ، أنه كذلك ، ثم طلب من كل واحد منهم ان يقول رأيه فيما هو أمامه ، فمد كل منهم يده الى الموضع الذى امامه من الفيل ، وبناء على ذلك قال انه كذا ...

وبطبيعة الحال ، فمواضع الايدى قد اختلفت ، ومن ثم ، اختلفت الاراء والاحكام ! فكل منهم صادق بالقياس الى موضع خبرته ، لكنه يكون غير صادق لو نسى (محدودية) ادراكه وحكم بأنه قد ألم بالظاهرة من جميع أطرافها ، ويحكم بأن رأيه هو وحده ، الصواب ، وأن الاخرين غير ذلك !

ان الحقيقة هى (جماع) تلك (الاراء) لكنها ليست مجرد حاصل (جمع) ، والا لجمعنا ـ مثلا ـ عينى الفيل بجوار ذيله ، واقدامه الاربعة بجوار بعضها على خط أفقى واحد .

أن هناك موازين ومعايير ونسبا وعلاقات ، يحتاج التوفيق فيها جهودا فكرية طويلة ، وتجارب وخبرات واجتماع عدة عقول .

ان النظرة الفاحصة لكثير من مظاهر (الكون) تؤكد بجلاء ووضوح، انه « منظومة » كبرى ، يرتبط بعضها ببعض ، لا ارتباط تجاور مكانى أو تتال زمانى ، وانما ارتباط تفاعل وجدل .. ارتباط علاقات ووظيفية ... هذه المنظومة الكبرى نفسها تتكون من مجموعات شتى من المنظومات الاخرى، التى يضم كل منها منظومات فرعية أيضا ... وهكذا حتى نصل الى الذرة .

وليس هذا القانون بقاصر فقط على الظواهر الكونية ، وانما هو أيضا كذلك بالنسبة للظواهر الاجتماعية (البشرية) بحيث يتحتم علينا التفكير فيها بنظرة (شبكية) تكاملية . وبقدر ما تكون ثقافتنا على الطريق بهذه النظرة بقدر ما تتجاوز مرحلة الطفولة

ذات البعد الواحد .

ومع ذلك ، تتبقى امامنا معضلة تحتاج الى تفكير ...

فاذا كنا نقول بأن التفكير ذا البعد الواحد انما يعبر عن (طفولة فكرية) فما القول فى تلك الحقيقة التى تقول أن عددا غير قليل من المذاهب والفلسفات والنظريات العلميةوالفكرية الكبرى هى التى يشيع لديها القول بهذا البعد وحدة أو ذاك . أليس افلاطون وديكارت - مثلا - هما اللذان قالا بأن الفكر هو الحقيقة الجوهرية فى عالم الانسان .. وسار وراءهما عدد كبير من الفلاسفة والمفكرين التالين ؟

أليس كارل ماركس هو القائل بالعامل الاقتصادى ، وفرويد بالعامل الجنسى الى غير هؤلاء من شوامخ الفكر وأعلامه ؟

اننا مع تسليمنا بعظمة هؤلاء وغيرهم وشموخهم الذى لا ينكر . الا اننا لا نعفيهم من خطأ المنهج ، ودليلنا الاساسى هو ان ايا منهم - كما سبق ان اشرنا - لم يستطع بنظرته أن يقدم « المفتاح » الذى يفتح به أسرار الكون والحياة ويدعم هذا أيضا اننا - على وجه التقريب - ومنذ القرن العشرين ، لم نر مثل هذا النموذج من المفكرين المغرمين بتصور القدرة على تفسير مظاهر الحياة الانسانية بالقول ببعد واحد ...

لقد ذهب هذا الزمن وولى ، لانه زمن الطفولة الفكرية البشرية حتى ولو كانت قد امتدت قرونا عبر قرون ..

واذا كان هذا قد زال بالنسبة لاعلام الفكر الكبار ، الا ان هذا النمط من التفكير مازال يمارس « جماعيا » فى بعض المجتمعات وبعض الثقافات مما يدل على ان هناك « جيوبا » ثقافية مازالت تعيش مرحلة الطفولة الفكرية ذات البعد الواحد .

ونحن نرتكب جريمة كبرى فى حق اطفالنا وشبابنا عندما نقدم لهم الكثير من المعلومات والمعارف فى ظل مثل هذا المنطق البدائى ، ونظرة واحدة الى مقررات التاريخ - مثلا - التى تدرس فى مختلف المدارس العربية ستجد أن ثلاثة أرباع كل منها على الاقل تكرس للتاريخ السياسى وحده اهمالا للتاريخ الاجتماعى والاقتصادى والفنى بل ان التاريخ السياسى نفسه ، لا نرى فيه الا سيرة الحكام الذين يتربعون على قمة السلطة السياسية . أما حركة الشعوب نفسها اما حركة الثورة ومواقف القوى المعارضة فتلك يهال عليها تراب الصمت والنسيان . واذا أشير اليها ، صورت على انها « عصيان » و « تمرد » ، لا على انها تمثل وجهة نظر أخرى .

وهكذا تنشأ اجيال لا ترى بالنسبة للرأى الا بعدا واحدا ، وتنشأ أجيال تتوهم ان التاريخ ملك فقط « للناس اللى فوق » أما « الناس اللى تحت » فهؤلاء يلقون فى سلة المهملات ...

ان صحة الجسم وسلامته ، السبيل اليهما « تنويع » العناصر الغذائية ، فالجسم لو عاش على عنصر واحد مهما كانت قيمته ، يصاب بالهزال والمرض ...

كذلك الشأن بالنسبة للثقافة ، انما يغذيها ويحفظ لها الحيوية والاستمرار والازدهار ان تتنوع العناصر المغذية لها ... ان تتعدد الاراء وتختلف الافكار وتتباين وجهات النظر!

الربيع الديمقراطى في الدول الاشتراكية

لماذا هاجمت الاذاعة البريطانية بوريس يلتسين ؟

بقلم : عبدالرحمن شاكر

لاشك ان شهر مارس من هذا العام (١٩٨٩) ، سوف يدخل التاريخ باعتباره شهر التحول الديمقراطى فى الاتحاد السوفييتى ، بعد اثنين وسبعين عاما من الحكم المطلق للحزب الشيوعي . فبالرغم من أن هذا الحزب لا يزال هو الحزب الوحيد المسموح بقيامه حتى الآن فى الاتحاد السوفييتى ، فإن سلطانه لم يعد مطلقا ، بل عليه قيد شديد من مؤتمر الشعب ، الذى جرت الانتخابات له فى مارس المذكور ، وسقط فيها عدد من مرشحى الحزب ، بل من ابرز قياداته فى المدن الكبرى موسكو ولننجراد وكييف ، ونجح عدد من المستقلين عن الحزب ، بل المغضوب عليهم من دوائره الرسمية ، وفى مقدمتهم بوريس يلتسين ، قائد الحزب السابق فى موسكو ، والذى عزل من منصبه ، ونحى عن موقعه فى المكتب السياسى للحزب ، ويدور التحقيق معه حزبيا ، للتاكد مما اذا كان قد خرج على الخط السياسى العام للحزب ، بتاييده للحوار حول إمكان قيام تعدد حزبى فى الاتحاد السوفييتى ، وهو التحقيق الذى لو ادين فيه يلتسين فربما يعاقب بالطرد من عضوية اللجنة المركزية للحزب ، وربما من صفوف الحزب كلها !

● على أنه من المحتمل ان يتوقف هذا التحقيق الآن ، بعد فوز يلتسين الساحق فى الانتخابات ضد المرشح الرسمى للحزب .

ولم يكن فوز يلتسين فقط رغم سخط الحزب الشيوعى عليه ، هو علامة الديموقراطية الوليدة فى ربيع موسكو الديموقراطى فحسب ، بل إن وقفة الجماهير إلى جانبه قبل الانتخابات ، وبشكل صريح هى علامة أخرى لا تقل اهمية عن نتيجة الانتخاب ، التى يشهد الجميع أنها كانت غاية فى النزاهة ، فهذه


بوريس يلتسين


جورباتشوف


جورج بوش


لينين


ماوتسي تونج


رئيسه جورباتشوف

الجماهير قد تظاهرت من أجل يلتسين ثلاث مرات ، المرة الأولى كانت بالرغم من القانون الذى يحرم التظاهر دون إذن من السلطات . والمرتان الأخريان كانتا بإذن ، لأن المتظاهرين أدركوا من سلوك الحكومة أنها لا تنوى قمع الجماهير المتحمسة لمرشحها بالرغم من أن بعض المتكلمين فى هذه المظاهرات قد استبقوا التحقيق الحزبى الذى كان يدور مع يلتسين ، وأعلنوا أنهم يؤيدون مطلبه فى قيام نظام تعدد الأحزاب فى الاتحاد السوفييتى بدلا من نظام الحزب الواحد .

ولعل ذلك يكون بالفعل هو الخطوة الديموقراطية التالية التي يمكن ان يشهدها الاتحاد السوفييتي .

ولكن اغرب ما فى موضوع بوريس يلتسين هذا ، هو التعليقات التى انطوت عليها بعض منابر الغرب البارزة ، فبالرغم من أنها بطبيعة الحال كانت تتوقع فوز يلتسين ، ولم يكن من غير المعقول أن تبدو متحمسة للمرشح الرسمى للحزب الشيوعى السوفييتى ، فانها لم تقصر فى الهجوم على يلتسين فى تصويرها لشخصيته ، على نحو ربما لم تقدم عليه

الدعاية الحزبية ضده ، والتى تظاهرت ضدها جماهير موسكو ! فقد تطوعت هيئة الاذاعة البريطانية بوصف يلتسين قبل ظهور نتيجة الانتخابات ، بانه شخصية غوغائية !! فلماذا كان هذا الموقف العدائى من اول وأبرز مرشح يتحدى سلطة الحزب الشيوعى السوفييتى فى اول انتخابات ديموقراطية تجرى فى هذه الدولة الكبرى ؟ أكبر الظن عندى ان السبب فى ذلك هو أن يلتسين يتحدى الطبقة الجديدة وسياستها واسلوبها فى الحياة ، فهو يدين مسئولي الحزب الذين يستخدمون فى تنقلاتهم السيارات الفارهة وسط شعب يعانى من الوقوف فى الطوابير ، وكان يلتسين ذاته ، حينما كان يشغل موقعه كرئيس للجنة الحزبية فى موسكو ، يستخدم مترو الانفاق فى تنقلاته أسوة بالشعب الكادح سواء بسواء !

هذا فى رأيى هو مصدر سخط الغرب على بوريس يلتسين ، ووصفهم له بالغوغائية ، بل ربما يرون أن تيار بوريس يلتسين على هذا النحو من التفكير ، يمكن أن يوصف بأنه شيوعى أكثر تطرفا من الحزب الشيوعى الحاكم ذاته ! والواقع أن الاصلاح الديمقراطى ، الذى يقوده ميخائيل جورباتشوف هو سلاح ذو حدين ، وملاءة الديموقراطية التى يبسطها شيئا فشيئا تحت اسمى "البيروسترويكا" أو إعادة البناء ، والجلاسنوست اى المكاشفة والمصارحة . هذه الملاءة إنما يتنازعها طرفان كلاهما يحاول الاستئثار بها :

١ ـ الأول منهما هو جماهير العاملين ، الذين يعبر عنهم امثال يلتسين ، والذين يعتبرون أن الطبقة الجديدة من البيروقراطية الحكومية والحزبية هى التى تحرمهم من مستوى المعيشة الأفضل . وتستأثر به لنفسها ، وهؤلاء يرون أن مزيدا من الديموقراطية يعنى مزيدا من العدل الاجتماعى او الاشتراكية .

٢ ـ أما الفريق الثانى ، فهم الذين يتطلعون إلى الديموقراطية ، باعتبارها عودة الى النظام الراسمالى فى الغرب ، الذى يعنى مزيدا من التفاوت الطبقى وليس العدل الاجتماعى ، وخاصة ان سياسة البيروسترويكا فى بعض جوانبها تدعو إلى إطلاق يد القطاع الخاص فى بعض جوانب الاقتصاد السوفييتى على غرار ماكان معمولا به ايام السياسة الاقتصادية الجديدة التى اتبعها لينين بعد حروب التدخل .

وواضح ان الغرب ومنابره الإعلامية تقف بشدة ضد الاتجاه الأول ، ومع الاتجاه الثانى ، بل إن نجاح الاتجاه الأول الذى يعبر عنه يلتسين سوف يكون كارثة بالنسبة للغرب ، فقد كانت دعايته ضد النظام الاشتراكى عادة تنصب على خلوه من الديموقراطية ، فإذا مانجح هذا النظام فى التخلص من الاستبداد واكتساب الديموقراطية دون أن يتخلى عن طبيعته الاشتراكية ، بل أن يحقق شعار (مزيد من الديموقراطية ومزيد من الاشتراكية) الذى يدعو إليه جورباتشوف فى كتابه عن البيروسترويكا ، فمعنى ذلك أن

الاشتراكية سوف تعلو سمعتها إلى مدى لا يحلو الغرب الرأسمالى بالقدرة على النيل منها !

● جورباتشوف .. مع من

لا يكاد يخلو تعليق على نتيجة الانتخابات الأخيرة في الاتحاد السوفييتي من التساؤل عن موقف ميخائيل جورباتشوف ذاته من نتيجة هذه الانتخابات ، خاصة ، أنه يجمع بين الصفتين ، أو أنه "ذو الرياستين" حيث يجمع إلى صفة السكرتير العام للحزب الشيوعي ، صفة رئيس الدولة ، وهو فى النهاية واضع النظام الجديد ، الذى يتضمن قدرا من المواجهة بين الحزب الشيوعى الحاكم ، والهيئة الجديدة المنتخبة تحت اسم مؤتمر الشعب ، التى لم تعد ، ولن تعود كما كانت فى الماضى . مجرد قفاز حزبى يملى عليها الحزب مرشيحه ، بل أصبحت كما دلت الانتخابات الأخيرة ، مجلسا نيابيا حقيقيا ، يمكن أن يسقط فى الانتخاب له من يرشحه الحزب ، مهما تكن مكانته فى الحزب أو الدولة ..

فريق من المعلقين ، يرى أن جورباتشوف سعيد بنجاح بوريس يلتسين ، الذى يوصف بأنه جورباتشوفى أكثر من جورباتشوف وأن معنى نجاح يلتسين أن يمضى جورباتشوف فى إصلاحاته بخطى أكثر وثوقا فى مواجهة معارضيه من المحافظين ، بالرغم من أن جورباتشوف قد خذل يلتسين فى معركته الحزبية وتركهم (أى المحافظين) يسقطونه من المكتب السياسى للحزب ، وبالمقابل فإن يلتسين ، الذى يقول إنه يريد لإصلاحات جورباتشوف أن تتم بإيقاع أسرع ، لم يتردد فى أن يوجه النقد إلى زوجة جورباتشوف ويأخذ عليها حرصها الزائد على الاناقة على نحو لايتاح لكل زوجة سوفييتية !

فهل يكون يلتسين عونا لجورباتشوف على المضى فى إصلاحاته أم يكون بمثابة احتياطى له ومرحلة لم يحن أوانها بعد فى الحلول محله بسياسة أكثر إصلاحا مما يطبق جورباتشوف ؟ ذلك مالا يمكن التكهن به حاليا ، على أنه يكفى بالنسبة لجورباتشوف أن يكتفى بالتزام ما يريده الشعب السوفييتى وليس الحزب الشيوعى سواء فى ذلك التطور بالديموقراطية إلى حد إقرار تعدد الأحزاب ، أو الحد من شراهة الطبقة الجديدة ، لقد قال جورباتشوف تعليقا على الانتخابات إن الشعب السوفييتى قد قال كلمته ، وهى أهم من كلمة الحزب ، وبالتالى من أى كلمة تطلقها أبواق الدعاية الغربية !

المائدة المستديرة

ولعل من أهم الأصداء الدولية لفوز يلتسين ومن على شاكلته فى الانتخابات السوفييتية هو ما حدث فى بولندا والصين فى الأسابيع التالية لتلك الانتخابات .

ففى بولندا عقد اجتماع المائدة المستديرة ، ما بين السلطات الحكومية بزعامة الحزب الشيوعى ، ونقابة تضامن العمالية المستقلة ، التى كان نشاطها محظورا لعدة سنوات ، وتم اللقاء بين ياروزلسكى رئيس الحكومة وسكرتير عام الحزب الشيوعى ، وليخ فالنسا زعيم نقابة تضامن ، الذى هو أكثر استقلالا عن

الربيــع الديمقرطــي
فى الدول الاشتراكية

الحزب من يلتسين ، بحيث يعلن ولاءه المذهبي للكنيسة الكاثوليكية التي يتبعها ، وأسفر هذا اللقاء عن اتفاق بين الطرفين على أن توسع الحكومة صدرها للمعارضة بشكل رسمي ، فتم الاعتراف القانوني بنقابة "تضامن" المستقلة ، وأفرج عن المسجونين السياسيين من انصارها ، واتفق على أن تخصص نسبة ٣٥ ٪ من المقاعد النيابية في الانتخابات المقبلة للمعارضين والمستقلين وعلى رأسهم نقابة تضامن ، ومعنى هذا الاتفاق ان نقابة تضامنت تقبل استمرار الحزب الشيوعي في الحكم ، ولا تسعى في الوقت الحاضر على الأقل للتخلص من حكمه ، شريطة ان يكون للمعارضة دورها في مراقبة أعمال الحكومة ، وحريتها في التعبير عن ذلك بشكل رسمي ، سواء من داخل المجلس النيابي ، أو عن طريق صحافتها المستقلة .. فليس عن طريق الحكم وحده تؤدي المعارضة دورها في توجيه سياسة الدولة ، وانما في مواقع المعارضة ذاتها يمكنها ان تكشف عن كثير من أوجه الفساد والقصور في الاعمال الحكومية ، وتجبر السلطات على تعديل مسارها خشية الافتضاح أمام الرأى العام من جمهور المواطنين . وهذا الاتفاق الذى تم في بولندا ، لا يخرج عن كونه صورة من الديموقراطية ، وإن اختلفت في مظهرها عن اقرار الحزب الشيوعي في المجر ، وبرلمانها ، تعدد الأحزاب وهو الصورة التقليدية للديموقراطية . وقد وجد الغرب نفسه مضطرا إلى الاعتراف بهذه الحقيقة . فلقد قرر الرئيس الأمريكي بوش أن يزور كلا البلدين ، وأن يقدم مساعدات اقتصادية لبولندا ، بعد أن كانت العقوبات الاقتصادية مفروضة عليها من الولايات المتحدة من أيام كانت خاضعة لقانون الطوارىء في مواجهة الاضطرابات العمالية التى قادتها منظمة تضامن . ومفهوم ان الرئيس الأمريكي يريد بزيارته أن يجعل من التطور الديموقراطى في كلا البلدين الاشتراكيين بولندا والمجر مدخلا إلى مزيد من الأخذ بالأساليب الراسمالية في الاقتصاد وبالتالى التقارب مع الغرب ، ولكنني لن أنسى كلمات المهندس البولندى الذى قابلته فى مدينة تشتاكوفا البولندية عام ١٩٨٢ ، والذى استقال من الحزب الشيوعي وانضم إلى نقابة تضامن ، حيث قال لى : "إننا لن نرد الأراضى إلى الاقطاعيين ولا المصانع إلى الراسماليين ، ولكننا سئمنا اشتراكية البلدان المتخلفة ، الاشتراكية التى تقوم على القهر ، ولا تستفيد منها إلا فئة محدودة ، وهى أعضاء الحزب الحاكم .. وإننا نريد اشتراكية حقيقية .. وديموقراطية حقيقية (١) .

● ٤ مايو من جديد :

أما الصين فقد شغلت العالم لمدة أسبوعين على الأقل بمظاهرات الطلبة فى مدنها الرئيسية وذلك بمناسبة وفاة "هو باو بنج" السكرتير السابق للحزب الشيوعى والذى كان قد عزل من منصبه بسبب اتهامه بالميول الليبرالية ! وقد


ياروزلسكى


دنج سياوبنج

استلهموا منها ، وخاصة فى يوم ٤ مايو ذكرى المظاهرة التى قامت فى نفس اليوم فى عام ١٩١٩ بقيادة شوان لاى من جامعة بكين العريقة ضد النظام الاستبدادى الذى كان قائما فى الصين آنذاك .. واليوم وبعد سبعين عاما يخرج الطلاب من ذات الجامعة ثائرين ضد استبداد الحزب الشيوعى ، الذى كان شوان لاى أحد زعمائه ومرؤوسيه وقادة الثورة الصينية بزعامته ، وحكام الصين باسمه .. بعد أن أدى الاستبداد إلى الفساد ، رغم الانفتاح الاقتصادى الذى قاده دنج سياو بنج ، بعد وفاة ماوتسى تونج ، والذى يستهدف تحديث الاقتصاد الصينى . ولكن مظاهرات الطلبة ، بزعامة اتحادهم المستقل ، على غرار نقابة تضامن العمالية المستقلة فى بولندا ، تقول بكل وضوح : إن الانفتاح الاقتصادى لا جدوى منه إذا لم يصاحبه انفتاح سياسى ، يسمح بحرية التعبير من خلال الصحافة والاجتماعات والمنظمات المستقلة ، بل حتى المظاهرات .. وهذه كلها أدوات الديموقراطية التى لاغنى عنها ، لكى تصبح الاشتراكية حقيقة ، وليست حكرا لبعض الأفراد أو الفئات فى مواقع الحكم .. لذلك تضمنت مطالب الطلبة فى مظاهراتهم التى صفق لها العمال وهلل لها الصحفيون ، الكشف عن ثروات وارصدة لزعماء الحزب وأسرهم ، وكثير منهم قد تورط مع الانفتاحيين الجدد فى أعمال مشبوهة تستهدف الاثراء الشخصى على حساب المصلحة العامة (١) ، فى الوقت الذى تزداد فيه أحوال العمال والفلاحين تدهورا ويعانى الشباب المتعلم من البطالة ، ولم ينس الطلبة فى بعض مظاهراتهم أن يعلنوا أنهم يريدون الاستمرار للنظام الاشتراكى بقيادة الحزب الشيوعى ، ولكنهم يريدون لهذا النظام أن يخضع للرقابة الشعبية عن طريق الاصلاحات الديموقراطية على غرار مايدعو اليه يلتسين فى الاتحاد السوفييتى ، وانصار نقابة تضامن فى بولندا . إنها إصلاحات ديموقراطية لصالح الاشتراكية ، وليست ضدها !

(١) راجع مقال [هل تولد الدولية الخامسة فى مدينة مقدسة] مجلة الهلال عدد مارس ٨٣

حقائق جديد عن :

الزيدية

الدعوة .. الثورة .. الدولة

بقلم : د. محمود اسماعيل

■■ عن الشيعة الزيدية كتب الكثير .. تستوى فى ذلك كتابات القدماء ودراسات المحدثين .. لكن اغلب ما كتب انصب على الجوانب الاعتقادية من جانب مؤرخى الفرق قديما ودارسى الفلسفة الاسلامية حديثا . ومن ثم اغفل هؤلاء الجانب السياسى فى تاريخ الزيدية ... بينما جاءت اخبار هذا الجانب السياسى عرضا فى حوليات القدماء وكذا فى دراسات المؤرخين المحدثين ، وذلك ضمن رصدهم العام لحركات المعارضة ضد الامويين ومن بعدهم العباسيين . وبالتالى نفتقر الى دراسة متكاملة عن التاريخ السياسى للشيعة الزيدية .

وهدف هذه الدراسة اكثر طموحا من مجرد وضع المعالم العامة لهذا التاريخ السياسى اذ تصبو الى تقديم هيكل هذا التاريخ المتكامل فى ضوء الفكر الزيدى عموما والفكر السياسى منه على وجه الخصوص .

هذا هو الجديد الذى نبشر به استنادا الى :

جدة المنهج الذى يجمع بين رؤية المؤرخ ونظرة دارسى الفكر فى وحدة لا تقبل التجزئة بحيث يستهدف فى النهاية تقديم التاريخ السياسى لا بوصفه حقائق على شكل احداث ووقائع . بل ينشد البحث عن الوشائج الداخلية بين تلك الوقائع ليقف عليها ويقدمها فى صورة مجموعة من الافكار الواضحة المحددة .

كما يستند الكاتب فى هذا الصدد الى عدد من النصوص الجديدة التى لم توظف سلفا فى بحث الموضوع ، رغم



الزيدية

وجودها ومرور الدارسين عليها مرور الكرام على اساس ان دارسي المذهب لم يحفلوا بالمعلومات خارج هذا الاطار. كما ان دارسي التاريخ لم يقتربوا من النصوص المتعلقة بالمذهب واعتقاداته إلالماما.

وننوه بان اشكاليات عويصة تعترض سبيل الباحث . لعل من اهمها الاختلاف البين في رؤى المصادر فالصراع بين السنة والشيعة عقيديا وسياسيا وعسكريا انعكس على الكتابات التاريخية ، بحيث اصبح ما يكتبه الخصوم عن الخصوم ضربا من الكذب والافتراء .

● معارضة العباسيين !

وتتجلى تلك المقولة خاصة اذا ما ادركنا ان تدوين التاريخ الاسلامي جرى في العصر العباسي الذى شكلت فيه فرقة الزيدية اهم قوى المعارضة للعباسيين والخلاف بين فرق الشيعة نفسها يعود الى نفس النتيجة خصوصا اذا ما تعلق الأمر بموضوع «الامامة» ، خصوصا والفكر السياسي بوجه عام . ناهيك عن صعوبة استخلاص الحقائق واستجلائها بالنسبة للمذهب الزيدي بشعبه المختلفة .

ويزداد الأمر صعوبة إذا وقفنا على اختلاط فكر ودعوة وتاريخ الزيدية السياسي بفكر ودعوة وتاريخ فرقة اخرى هي فرقة المعتزلة .

لكن سلامة المنهج قمينة بتذليل هذه الصعاب وفك طلاسم تلك الاشكاليات .

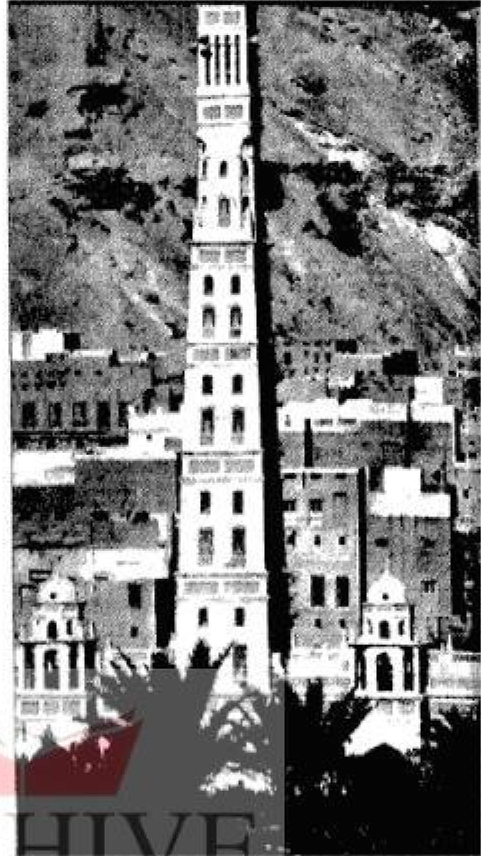
* * *

معلوم ان الزيدية فرقة شيعية ، وان المذهب الشيعي نشأ من خلال جدل وصراع سياسي - اجتماعي في صدر الاسلام حول قضية «الإمامة» . ومعلوم ايضا ان وصول الامويين الى الخلافة «مغالبة» ادى إلى تصدر الشيعة قوى المعارضة ومن خلال هذه المعارضة ولد المذهب الزيدى في ظروف عصيبة بعد استشهاد الحسين وفشل الشيعة الكيسانية ولجوء العلويين عموما إما إلى المهادنة الحذرة او العمل السياسي السرى بالاشتراك مع العباسيين .

ينتسب الزيدية الى الامام زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على ابن ابى طالب . وقد نشأ في المدينة وتنقل ما بين الكوفة والبصرة داعيا لنفسه حين ازمع اتباع الأسلوب الثورى لتحقيق مشروعه السياسي .

والجديد الذى نود اثباته في هذا الصدد ان الثورة كانت مسبوقة بدعوة ، وان الدعوة استندت الى اساس «ايديولوجي» ، ونلمس هذا الأساس يكمن في طبيعة الفكر السياسي الزيدى عموما ومشكلة الامامة على وجه الخصوص .

ومما يسترعي النظر أن هذا الفكر افاد من اخطاء التجارب العلوية السياسية السابقة ، فجنح نحو الاعتدال والوضوح خاصة بصدد الموقف من مسألة «الامامة» ، فبينما عول الشيعة عموما على مبدأ «النص والتعيين» ، جعلها الزيدية «شورى» في ولد الحسن والحسين .. وصدق ابن



احد المساجد المرتفعة (١٩٠) قدما عن الارض في جنوب اليمن - المدينة بها ٣٠٠ مسجد

جوزوا «إمامة المفضول مع وجود الأفضل

● الاعتدال العملي

هكذا اتسم الفكر السياسي الزيدي بالاعتدال استهدافا لأغراض عملية فحواها جذب المزيد من الاتباع والانصار وتوجيههم للكفاح المسلح تحقيقا لأغراضهم السياسية . ولم يجد الزيدية غضاضة في الافادة من الفكر السياسي لبعض المذاهب الاخرى كاهل السنة والخوارج والمعتزلة على نحو خاص .

وموضوع التأثر بالاعتزال قمين بوقفة متأنية لأنه من الأمور التي يستهدف الكاتب برهنتها .

فمعلوم ان واصل بن عطاء افاد من علم الأئمة العلويين كما افاد بدوره زيد ابن على مؤسس المذهب الزيدي ، إذ يؤكد الشهرستاني انه تتلمذ على واصل . ولا غرو فقد تأثر الزيدية بالمعتزلة في مسألة «الامامة» ، من حيث اشتراط عدالة الامام . كذا مجاراتهم في الدعوة « بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » .. وإن كان جولد تسيهر يرى أن هذه الافكار «علوية» أصلا إذ سبق أن بسطها على بن ابي طالب سلفا . ومهما يكن من امر ، فإن التمازج والتداخل بين الفرقتين حقيقة واقعة ليس فقط على الصعيد الفكري بل امتدت إلى العمل السياسي ، دعوة وثورة ودولة .

وفيما يتعلق بالدعوة الزيدية ، تثار اشكالية جديدة ، فحواها هل كانت الدعوة لزيد مستقلة ، ام انها اندرجت في سلك الدعوة العباسية ؟ وماذا كان موقف المعتزلة من الزيدية والعباسيين

خلدون حين قال : «ساق الزيدية الامامة على مذهبهم باختيار اهل الحل والعقد لا بالنص » . وحجتهم انها « لا تستحق على وجه الارث ولاجزاء على الأعمال »

كما رفض الزيدية مقولة «التقية» وأوجبوا ان يكون الامام عالما زاهدا شجاعا غير خوار ولا جزوع . عليه ان يشهر سيفه وعلى جماعة المسلمين ان يعرفوه ليمكنهم اجابته ونصرته . لذلك لم يقولوا «بعصمة» الامام ، ومن ثم

حقائق جديدة عن :

الزيدية

ابان مرحلة الدعوة ؟

الدعوة عند الزيدية ـ منذ البداية ـ شرط من شروط الامامة . فكسب الانصار وتجنيد الجيوش ومباشرة الحرب يجب ان تسبقه دعوة وإعداد . ومعلوم ان زيدا اعلن ثورته على الامويين سنة ١٢٤هـ . وهذا يعني ان الاعداد والدعوة للثورة تم قبل ذلك وفي وقت كان العلويون من الكيسانية والحسينية قد اندرجوا في الدعوة السرية التي تزعمها العباسيون ابتداء من عام ١٠٠ هـ .

ونحن نرى ان الزيدية قاطعوا هذه الدعوة لانهم لا يعترفون اصلا بإمامة الكيسانية ، كما انهم لم يعترفوا بقيادة العباسيين للدعوة التي آلت اليهم بعد تنازل ابي هاشم بن محمد بن الحنفية . والوقائع تثبت ان دعوة زيد كانت مستقلة وان رسله توجهوا الى البصرة والكوفة والموصل .. دون ان تكون لهم صلة بالدعاة العباسيين . وانه كان يتوخى الحذر من الامويين والعباسيين سواء بسواء .. لقد الحت دعوته على الجانب الاجتماعي . ذكر الطبري ان زيدا كان يدعو «الى كتاب الله وسنة نبيه وجهاد الظالمين والدفاع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين ، وقسمة الفيء بين اهله بالسواء ورد المظالم ونصرة اهل النبي » .

ولعل ذلك كان من أسباب إقبال جماهير الموالي على الدعوة الى جانب عرب الحجاز الذين حرموا من العطاء . كما انه كان من وراء تاييد الفقهاء كالامام مالك والامام ابي حنيفة فضلا عن واصل بن عطاء زعيم المعتزلة .

ويبدو ان هذا الاقبال الى جانب قطع خط الرجعة على الكيسانية والعباسيين ـ يفسران قيام زيد بالثورة على عجل قبل الاعداد الكافي لها .

وبعد فشل ثورة زيد سنة ١٢٤ هـ وكذا ثورة ابنه يحيى من بعده سنة ١٢٥هـ التامت الدعوتان : الزيدية «والعلوية ـ العباسية » حين آلت زعامة الزيدية الى محمد النفس الذكية خاصة بعد اتفاق كل الاطراف على ترشيحه للخلافة بعد نجاح الثورة . لكن بعد نكوص العباسيين واستئثارهم بالخلافة عاد الزيدية للاستقلال بدعوتهم وذلك بمؤازرة المعتزلة .

لقد تعاطف المعتزلة مع ثورة زيد بينما كانوا في نفس الوقت يقيمون دعوة اعتزالية مستقلة . إذ نعلم أن واصل بن عطاء ألف كتابا عن «الدعوة» وأنفذ دعاته بالفعل إلى خراسان واليمن والجزيرة وأرمينية وبلاد المغرب . فلما آلت زعامة الزيدية إلى محمد النفس الذكية انخرطت دعوة المعتزلة في دعوته وأعطوها دفعة قوية في معظم أقاليم العالم الاسلامي .. ولقد أفادت دعوة الزيدية من خبرات وتجارب دعوات زيد والعباسيين والمعتزلة من حيث إحكام أساليب الاستتار والبراعة في الاتصال وبفضل تكوين نظام بريد خاص وتطوير الفكر السياسي ـ بتجويز «التقية » والقول «بالمهدوية »



تطورت الدعوة السرية الزيدية وتحولت الى مرحلة الثورة
ولقد اغنانا الطبرى والاصفهاني عن الخوض في تفصيلات ثورات الزيدية . ونكتفي ببيان طابعها الاجتماعي والوقوف على اسباب فشلها في قلب الدولة الأمر الذي حدا بها الى معاودة الدعوة في الاطراف والنجاح في إقامة دول زيدية مستقلة .

● الثورة الاولى

انطلقت الثورة الزيدية الأولى في الكوفة عام ١٢٤ هـ بزعامة زيد بن علي . وبرغم كثرة اتباعها وانصارها من العرب والموالي وبرغم تاييد الفقهاء ، آل مصيرها الى الفشل والجديد الذى يمكن قوله أن اعتراف الزيدية بإمامة « المفضول » كان يعني ضمنا الاعتراف بخلافتي ابى بكر وعمر ' وهو أمر عمل عمله في بث الفرقة بين العلويين واشياعهم فعزف الكثيرون عن المشاركة في الثورة وآثروا الانضمام للدعوة العباسية .. هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فبرغم تعاطف العباسيين مع الزيدية نكاية في الامويين فقد خشوا سبقهم الى الانتصار والاستئثار بالسلطة وبالتالي حرمان العباسيين من الخلافة . لذلك لم يدخروا وسعا في وضع العراقيل أمام ثوار الزيدية .
بالمثل تنفس العباسيون الصعداء بفشل ثورة يحيى بن زيد بخراسان سنة ١٢٥هـ ، وربما كانوا من وراء اغتياله وجذب الزيدية الى الدعوة العباسية .
فلما نجحت الثورة العباسية سنة ١٣٢هـ في القضاء على الأمويين تفاقم الخلاف بين خلفائهم وبين العلويين الزيدية بزعامة محمد النفس الذكية . إذ تنكر العباسيون لشعار «الدعوة للرضا من آل محمد» واحتكروا الخلافة لانفسهم

وقد ادى ذلك إلى اندلاع حرب كلامية تطورت الى حرب حقيقية وذلك بعد اضطهاد العلويين الزيدية الذين اقاموا في الحجاز . فلم يتورع الخليفة المنصور عن قتل ابناء عمومته أمام ناظريه بعد فشله في استمالتهم بالأموال والمناصب .
لذلك عجل محمد النفس الذكية بالثورة في الحجاز والعراق في آن واحد . لكن جيوش الخلافة العباسية قمعت الثوار في عنف وقسوة .

حقائق جديدة من :

الزيدية

● الفشل الثاني

إن استقصاء أسباب فشل الثورة الزيدية الثانية يثبت الوقوع فى اخطاء استراتيجية . فإعلان الثورة من الحجاز عجل بمصيرها المشئوم وذلك لعجز الحجاز عن امداد الثورة بالرجال والأموال والعتاد . كما ان قيامها فى العراق بزعامة ابراهيم - اخ النفس الذكية - جعلها لقمة سائغة للجيوش العباسية الجرارة . فإذا اضيف الى ذلك آفة الانشقاق بين العلويين .

آلت زعامة الزيدية الى عيسى بن زيد وعلى بن العباس بن الحسن بن الحسن بن علي . اما عيسى فقد لجا الى الكوفة مؤثرا الموادعة الى حين - فلما ازمع العصيان سجنه الخليفة المهدى حتى مات .

اما على بن العباس فقد اخطا حين اتخذ من بغداد مقرا لدعوته السرية . اذ اكتشف أمره ودس اليه المهدى من دس له السم .

وبالرغم من ذلك استمرت الدعوة الزيدية بزعامة الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن علي . وفي عام ١٦٩ هـ تحولت الدعوة إلى ثورة بالحجاز ابان خلافة الهادى . وبرغم الحاح الثوار على «العدل الاجتماعي» آل مصيرهم الى الفشل ايضا للوقوع فى ذات الاخطاء الاستراتيجية السابقة . دارت الدائرة على الثوار وامعن العباسيون فى الزيدية قتلا ولم ينج من المذبحة الا يحيي عبدالله الذى هرب الى بلاد الديلم واخوه ادريس الذى هرب الى بلاد المغرب .

● دولة الادارسة

عندئذ آزر المعتزلة إدريس بن عبدالله ومهدله الدعاة أمر الهرب الى مصر فافريقية فبلاد المغرب الاوسط ليستقر به المقام في المغرب الاقصى .. واعلان قيام دولة الادارسة سنة ١٧٢هـ لم يأت عفوا .. انما مهد له الدعاة من المعتزلة - وحسبنا ان هؤلاء الدعاة قد جندوا مائة الف معتزلى يحملون السلاح . وان زعيم قبيلة «اوربة» الذى اخذ البيعة لادريس كان شيخا معتزليا .

وإذ قدر للعباسيين النجاح فى اغتيال ادريس الاول فإنهم عجزوا عن اسقاط دولة الادارسة التى أصبحت من اهم دول بلاد المغرب آنذاك ولعبت دورا هاما فى بث الحضارة الاسلامية .

ولسوف يتعرض الادارسة لاخطار الفاطميين وأموى الاندلس لكن ذلك لم يحل دون استمرارية نفوذهم فى المغرب الاقصى بل وحتى فى بلاد الاندلس عندما تأسست إمارة بنى حمود - من نسل الأدارسه - زمن ملوك الطوائف .

اما فى الشرق الاسلامى : فبرغم قضاء العباسيين على الامارة الزيدية بطبرستان . فإن المذهب الزيدى لم يندثر بل علا نجمه بعد قيام إمبراطورية البويهيين الذين كانوا شيعة زيدية . كما ترسخ المذهب الزيدى فى بلاد اليمن على نحو خاص ولا يزال انصاره يشكلون السواد الاعظم من اليمنيين المحدثين .

دائرة الحوار

اليساريون والسلطة

• كفارات ناقصة وليست نقدا ذاتيا
• قراءة جديدة لكتاب «السادات» القنــاع والحقيقــة

بقلم: د. فـوزى منصور

ليس هذا المقال مجرد تعليق على كتاب «السادات: القناع والحقيقة» الذى كتبه المرحوم الدكتور محمد عبد السلام الزيات ونشر أخيرا ..

ولكن هذا المقال فى حقيقته استعراض مستفيض لرأى كاتبه الدكتور فوزى منصور حول موقف اليسار المصرى عامة، والمثقفين اليساريين خاصة، من التعاون مع الرئيس الراحل أنور السادات بعد ١٥ مايو ١٩٧١ الذى استبعد فيه الرئيس الراحل جميع العناصر السياسية التى كانت معدودة من «اليسار الناصرى» .. حينذاك .. ويشير الكاتب الى ما كان من الآثار البعيدة المدى للتباعد والحساسية بين اليسار «الناصرى» واليسار «الماركسى» وعجز الفريقين معا عن تحويل مجرى الاحداث فى تلك الأيام ..

والدكتور فوزى منصور فى هذا المقال يعبر عن رأيه، كما يعبر عن أفكار مجموعة من المثقفين اليساريين حول ١٥ مايو والحقبة التى أعقبته حتى وفاة الرئيس السادات.

ولعل هذا المقال يفتح الباب واسعا لمناقشة موضوعية، يدلى خلالها كل الاطراف برأيهم حتى لاتندثر الحقيقة التاريخية.

من بين كافة أعضاء مجلس قيادة ثورة ٢٣ يوليو كان أنور السادات الوجه الوحيد المعروف على نطاق واسع قبل قيام الثورة . ولدى المعنيين بقضايا النضال الوطنى والاجتماعى أو المشاركين فيه من أبناء جيلى ، كانت ملامحه قبل الثورة واضحة سهلة القراءة لايخفيها قناع ، وبقيت هذه الملامح بعد قيام الثورة ثابتة الوضوح لايفلح قناع فى اخفائها ، وانتقلت المعرفة بها الى دوائر اوسع فأوسع من الذين اجتذبتهم الثورة الى المشاركة فى العمل السياسى أو حتى مجرد متابعته .

وقد ساعد على ذلك طبيعة المهام التى تولاها فى حياة عبد الناصر والتى وضعته تحت النظرة المجهرية لآلاف العيون الفاحصة : رئاسة جريدة الجمهورية ؛ سكرتارية المؤتمر الاسلامى ، رئاسة مجلس الأمة .. الخ .

كما ساعد على ذلك الكتب الأربعة وعشرات المقالات التى كتبها الرجل فى مستهل الثورة يمجد بها نفسه ويبعث ماضيه ، لكنها كانت فى الحقيقة تشى به من حيث لايريد .

● القناع والحقيقة

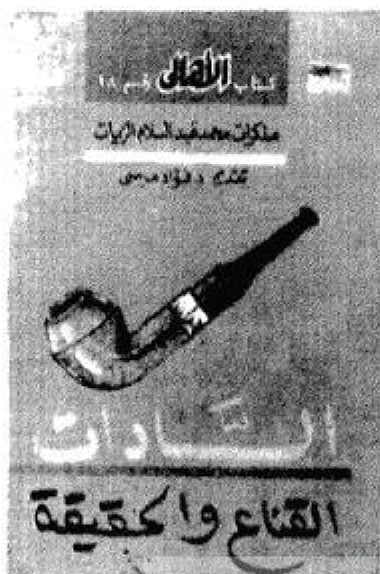
وقد ساعد على زيادة التحفظ العام على السادات أو على الاقل عدم أخذه مأخذ الجد حتى بين الناصريين ، بل وبخاصة بين الناصريين المخلصين ، تظاهر الرجل


عبد الناصر


هيكل

نحو شخص عبد الناصر . والشواهد والروايات عن هذه العلاقة متواترة وكانت معروفة فى وقتها : ابتداء من خطابات الولاء التى كان يقدمها بين يدى عبد الناصر فى كل افتتاح لمجلس الأمة ، حتى عرف بين أقرانه ومن دونهم باسم «صح ياريس» ، واصبح عبد الناصر يضيق ذرعا بذلك ويتندر عليه .

هذه العلاقة لايصح أن تخلط على نحو ما يفعل كتاب المرحوم الأستاذ الزيات تفسيرا لتعاون البعض مع السادات فى التحضير لأحداث ١٥ مايو وفى العمل معه بعد هذه الأحداث بأنهم توسموا فيه الولاء لعبد الناصر ، ومن باب أولى لايصح أن نخلط بالولاء للناصرية ، وبوجه أخص لايقبل هذا الخلط من المخالطين لشخص السادات القريبين منه ، فلم يكن الرجل ممثلا قديرا ، ولو كان فلم يخلق بعد الممثل الذى يستطيع أن «يلبس» دورا هو غير مقتنع به ٢٤ ساعة فى اليوم ويظل




عبدالسلام الزيات


على صبرى


عزيز صدقى


عبد العزيز حجازى

يواجه به مختلف المواقف والأشخاص على نحو ما يذهب إليه تفسير «القناع والحقيقة» الذى أصبح يروج له أخيرا.

وفى الكثير من الذى كتب عن السادات . وفى الأكثر من القصص والحكايات والنوادر التى كانت تروى عنه ، ما يؤكد ان «ناصرية السادات» فى حياة عبد الناصر لم تكن لتخدع : لا من يريد أن ينخدع بها . فأحمد بهاء الدين يروى عنه (فى كتاب «محاوراتى مع السادات») أنه فى أواخر الخمسينات ، قمة أعوام التحرر الوطنى فى أفريقيا وقيادة مصر الناصرية لحركة التحرر ، وبعد أن قام السادات «بتمثيل» مصر فى احتفالات ومؤتمرات التحرر المنعقدة فى غرب أفريقيا ، رد على سؤال له عما اذا كان سيعود الى القاهرة مباشرة «كلا اريد أن أذهب الى مكان لا اسمع كلمات الاستعمار والامبريالية وما الى ذلك . انا ذاهب الى النمسا فهى أجمل مكان فى العالم واحب مكان الى قلبى» . وقد حاول الأستاذ بهاء الدين ما وسعه الجهد الاحتفاظ بمسافة بينه وبين السادات والابتعاد عن العمل المباشر معه لمعرفته «بأن السادات له ظاهر وباطن» .

وكتاب «السادات : القناع والحقيقة» يمتلىء بالقصص والأحداث التى شهدها المرحوم الزيات بنفسه أثناء عمله مع السادت أمينا عاما لمجلس الأمة فى حياة عبد الناصر ، والتى نفى عن السادات تماما كل ما تقف كلمة الناصرية تعبيرا عنه . ولعل أخطرها جميعا وانبهاره الدائم

اثناء رحلته الى امريكا فى عام ١٩٦٦ ، بالحياة الأمريكية وبالثراء الأمريكى ، وبالفخامة والضخامة الأمريكيتين واجراء المقارنات بين عدد السيارات فى الدول الاشتراكية التى زارها وعدد السيارات فى الدول الراسمالية وخاصة امريكا ، كان هذا مقياس الرفاهية لديه ، ثم موقفه من هزيمة ٥ يونيو الذى تحول فى تتابع سريع خلال خمسة أيام يحكى قصتها الزيات من اللامبالاة المطلقة الى السلبية المترقبة الحاسبة لتوازنات القوة ثم الى القيام بدور لحساب عبد الناصر على «صديقه» الحميم وولى نعمه أيضا عبد الحكيم عامر (ص ٦٨ ـ ٨٢) .

ورغم هذه الشواهد وغيرها مما يرويه المرحوم الزيات فإنه ساهم مساهمة فعالة فى نجاح انقلاب مايو ٧١ (الاستيلاء على مبنى الاذاعة والتليفزيون فى ليلة الخميس ١٣ مايو وتعبئة مجلس الامة وراء الانقلاب «وتطهيره» من المعارضين فى يوم الجمعة ١٤ مايو) واحتاج الأمر لقرابة عامين من التعاون الوثيق مع السادات بعد الانقلاب ، كأمين أول للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ، ثم نائب لرئيس مجلس الوزراء ، لكى يدرك الزيات مغزى هذه القصص والاحداث التى كان شاهدا عليها فى الستينيات وأول السبعينيات ويربط بينها ، ويعيد اكتشاف ما كانت قد اكتشفته لنفسها مئات الآلاف من جماهير الطلبة والعمال والمواطنين العاديين وتظاهرت ضده فى القاهرة والاسكندرية وحلوان وغيرها وعرضت صدورها لرصاص السلطة وخاطرت بدخول سجونها ومعتقلاتها احتجاجا عليه : وهو أن السادات بطل ١٥ مايو لم يكن اشتراكيا ولا ناصريا ولا نصيرا جديدا للديمقراطية .

لم يكن لى شرف معرفة المرحوم الزيات معرفة شخصية ، لكن النتيجة التى يمكن استخلاصها من قراءة كتابه هى انه كان ولا ريب رجلا حسن النية طيب القلب نبيل المقصد الى أبعد الحدود ، والا لما كان قد ضمن كتابه كل هذه الأحداث والاسرار التى ترجع الى عهد ما قبل ١٥ مايو وتكشف عن حقيقة الرجل الذى سانده ولما أكد فى كتابه أن عبد الناصر كان يكرر انه «ليس حوله من اشتراكى غير على صبرى» ـ الرجل الذى كانت أحد أهداف الانقلاب الزج به فى غياهب السجون وكان السادات شخصيا يرغب فى اعدامه . وليس أدل على سلامة طوية الزيات وحسن نيته من تفسيره الخاص ـ الحرفى ـ لوصية عبد الناصر التى كان يلح بها عليه ، خصوصا عندما كان السادات يتورط فى فضيحة أو أخرى « ازاى سبته ـ اوعى تسيبه يازيات خليك دايما معاه .. » (صفحة ٩٨ و ٧٩) .

● حماية العمق الداخلى لمصر

لكن ـ لكى نعود إلى تساؤلنا السابق ـ لماذا احتفظ عبد الناصر بالسادات حوله رغم علمه بنواقصه ، ورغم ما كانت تسببه له هذه النواقص من حرج كان يدعوه من

حين لآخر الى الشكوى العلنية منه أو إبعاده ؟ ذلك تساؤل لانستطيع الاجابة عنه . لكن ربما كان بعض التفسير هو أن عبد الناصر ، بأسلوب حكمه المتميز القائم على التوازنات المتحركة الى الأمام لكن المحسوب دائما بدقة فائقة كان يشعر بالحاجة الى شخص ذى اقدمية رئاسية معينة ، يستطيع دائما أن يطمئن ـ لا الى ولائه ، فهذه كلمة كبيرة ، ولا الى اقتناعه بمبادئه فلم يكن عبد الناصر ليخدع عن حقيقة الخطابات التى كانت تكتب ليلقيها السادات أو التظاهرات التى يقوم بها ـ ولكن الى تأييده الأعمى لكل ما يريد وتنفيذه دون تردد لكل ما يعهد اليه به من مهام .

والروايات تتعدد فى تفسير اختيار عبد الناصر للسادات نائبا له .

والمرحوم الأستاذ الزيات يشير فى كتابه الى قصة تعجل عبد الناصر اختيار السادات نائبا له دون أن يؤيدها أو يفندها ، لكنه يضيف اعتبارا آخر هو أن الرئيس عبد الناصر اراد أن يضغط على الاتحاد السوفييتى لتقديم أسلحة وطائرات وطيارين سوفييت لحماية العمق الداخلى لمصر ضد الغارات الاسرائيلية التى كانت قد اتخذت فى ذلك الوقت أبعادا شديدة الازعاج والاذلال ، وكانت وسيلة الضغط هى التلويح بالتنازل عن الحكم لرئيس يكون مواليا لأمريكا بل ويمكن أن يستسلم لها ، ويتساءل الزيات عما اذا كان عبد الناصر يعد لشيء مثل هذا عندما بادر الى تعيين السادات نائبا له قبل شهر واحد من محادثاته التاريخية مع السوفييت . هذا التساؤل فى حد ذاته يكفى للافصاح عن ادراك الرجلين ـ عبد الناصر والزيات ـ لمدى استعداد السادات للقيام بهذا الدور الذى بدأ السادات فعلا فى الاعداد له بعد أقل من تسعة شهور من هذا التهديد ، عندما تولى رئاسة الجمهورية بصفة مؤقتة ، ثم أخذ فى تنفيذه بعد ذلك بأقل من عام ونصف ، عندما قام بالانقلاب الذى أطلق يده فى مصير مصر بعد أن قضى على القوى التى كان يمكن أن تقف فى طريق توجهه الجديد .

● تساؤلات ذات بال

على أن ظروف خلافة السادات لعبد الناصر ليست هى ما يعنينى بالدرجة الأولى فى هذا المقال ، وهناك بالقطع العديدون ـ بعضهم تكلم والبعض الآخر لم يقل بعد كلمته ـ ممن هم أقدر منى على تحقيقها . إنما الذى يعنينى الآن هو موقف اليسار من هذه الخلافة فى فترة الريبة أو الشك ، ابتداء من وفاة عبد الناصر وخلافة السادات المؤقتة له ؛ ثم بعد ١٥ مايو ، فذلك الموقف هو الذى يلح على الخاطر دائما عند قراءة كتاب المرحوم الأستاذ الزيات ، ويزداد هذا الالحاح عند قراءة المقدمة التى كتبها له الدكتور فؤاد مرسى .

وبالنسبة لليسار الناصرى فإن موقفه بعد ١٥ مايو لايثير فى الذهن تساؤلات ذات بال به لقد كان ١٥ مايو هو اداة السادات للخلاص منه جملة وتفصيلا ؛ وبعد الانقلاب القى بغالبية قادته ورموزه فى السجون وابتعد من لم يسجن منهم عن التعاون مع السادات ما استطاع الى ذلك سبيلا (ومن الواضح أننى لا أدخل فى

عداد اليسار الناصرى أو غير الناصرى) أشخاصا مثل الدكتور عزيز صدقى الذى استخدم صلاته الوثيقة بقيادات القطاع العام الصناعى صبيحة ليلة ١٥ مايو لاخراج عشرات الآلاف من العمال فى مظاهرات تلقائية للتأييد تذكر بالمظاهرات التى نظمها طعيمة والطحاوى فى مارس ١٩٥٤ ، أو مثل الدكتور عبد العزيز حجازى الذى ورث فيما بعد رئاسة الوزارة وأشرف على اصدار أول قوانين الانفتاح ، أو غيرهما من وزراء العهد الناصرى الذين كانوا يتصدرون قوائم «التنظيم الطليعى الاشتراكى» وكان استوزار عبد الناصر لهم بعد هزيمة ١٩٦٧ ومظاهرات الشباب فى ١٩٦٨ إحدى العلامات الهامة على أن عبد الناصر قد ارتأى أن السبيل الى حماية الجبهة الداخلية هو إعطاء المزيد من الضمانات والسلطة لقوى اليمين والوسط أو الى التكنوقراطيين والبيروقراطيين (وأغلبهم من أساتذة الجامعات) الذين غالبا ما يتخفى وراءهما اليمين والوسط أما هيكل فهو لغز أمة وحده يعز عن التوصيف ..

كذلك لايثير موقف اليسار الناصرى فى الفترة من وفاة عبد الناصر إلى ١٥ مايو سوى تساؤل وحيد : لقد كان هذا اليسار يملك كل شيء ، الشرعية الدستورية والسياسية (عن طريق أغلبيته الساحقة فى قيادات مجلس الامة والاتحاد الاشتراكى والسلطة) ولم يكن يخرج عن سيطرته سوى قلعة «الاهرام» التى كان يتحصن فيها هيكل ويبدأ يطلق منها قذائفه المتتابعة عليهم وعلى التراث الناصرى وعلى إمكان الانطلاق لتحرير الأرض بالقوة المسلحة . وكان اليسار الناصرى يعرف عن شخص السادات وتوجهاته كل شيء . لماذا إذن لم يتقدم هذا اليسار بمرشح منه لرئاسة الجمهورية وقد كان ذلك متاحا له دستوريا ثم لماذا ، بعد أن اختير السادات لرئاسة الجمهورية على أساس الالتزام بالمؤسسات الدستورية والشرعية القائمة ثم بدأ ـ رغم ذلك ـ على


ضياء الدين داود


ابراهيم سعد الدين


د . فؤاد مرسى

الفور في تخريبها والالتفاف حولها ، انحصر دور اليسار في رد الفعل لمبادرات السادات الهجومية الخاطفة والمتعددة الاتجاهات وانتهى به الأمر الى فقدان كل شيء وهو الذى كان يبدو كما لو كان يملك كل شيء ؟

هذا التساؤل الهام لقى محاولات متعددة للاجابة عليه ـ ربما كانت أهمها حتى الآن كتاب « غروب يوليو » للأستاذ احمد حمروش وكتاب «انقلاب ١٥ مايو» للأستاذ عبدالله امام ، ويأتى الآن من الجانب الذى ساعد فى التحضير لـ ١٥ مايو وتعاون معه فترة من الوقت قبل أن يكتشف الطريق المردع الذى كان قائده يدفع البلاد اليه ، كتاب المرحوم الاستاذ الزيات ليوثق احداثا فيه كانت من قبل غامضة أو موضع الحدس والاشتباه .

يبقى بعد ذلك موقف اليسار الماركسى قبل ١٥ مايو وأثناءه وبعده . وغنى عن الذكر ان أحدا فى هذا اليسار ، وبوجه خاص قياداته ، لم يكن بأى وجه من الوجوه غافلا عن ماضى السادات السياسى قبل الثورة أو طبيعة موقعه ومواقفه أو عن حقيقة أن السادات له ظاهر وباطن، على حد تعبير الأستاذ بهاء الدين . وعلى مدى سنوات خمس كانت احدى النوادر التى يسلى بها الف مسجون ومعتقل من اليسار الماركسى أمسياتهم هى كيف أرسل السادات فى أواخر ١٩٥٨ احدى سيارات السلطة الفاخرة لكى تحمل الى منزله فى الهرم واحدا من كبار كتابهم ومفكريهم لكى يناقشه ـ وسط مظاهر الاكرام والحفاوة البالغة ـ فى حل تنظيمهم . ولما عجز الكاتب الكبير عن الاقتناع طرده السادات قرابة الفجر من المنزل شر طردة وتركه يبحث فى الظلام عن وسيلة مواصلات تعود به الى القاهرة .

وفى السنوات القليلة السابقة على وفاة الرئيس عبد الناصر والشهور التالية لوفاته كانت الغالبية العظمى من اليسار الناصرى الموجودة فى السلطة تتخذ موقف الحذر الشديد ، إن لم يكن التباعد ، من اليسار الماركسى ـ وكان السيد على صبرى بوجه خاص شديد الحساسية ـ ولا أريد استخدام كلمة العداء ـ لكل من لصقت به «شبهة» الماركسية ، ربما باستثناء فرد أو اثنين لم يكن منهما كاتب هذه السطور . واذا كانت قد جرت ـ بتوجيه من الرئيس عبد الناصر ـ محاولات للاستفادة من الماركسيين فى عدد من المجالات المعروفة ، فقد كان ذلك يجرى فى نطاقات محددة المعالم مرسومة بدقة شديدة ، ولم يكن يسمح أبدا بتجاوزها . ويكفى للتمثيل على ذلك أن مديرى المعهد العالى للدراسات الاشتراكية ـ وقد كان أحدهما فى وقت من الأوقات عضوا فى الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى ـ وكذلك الماركسيين من بين اساتذته لم يسمح لهم قط بالحصول على عضوية الاتحاد الاشتراكى . ورغم ذلك فلم يكن الماركسيون بوجه عام غافلين عن حقيقة الصراع الذى بدأ يدور بين قيادات اليسار الناصرى من جهة وبين أنور السادات من جهة أخرى ولا عن أين يجب أن يكون موقعهم منه .

وصحيح أن قائدا ماركسيا مشهودا له بالاخلاص كتب بعد وفاة عبد الناصر يؤيد ترشيح السادات لرئاسة الجمهورية وسايره على ذلك آخرون ؛ لكن هناك آخرين يعرفهم كاتب هذه السطور حذروا من ذلك بمختلف الطرق ، وحمل بعضهم الأستاذ ضياء الدين داود رسالة بهذا المعنى إلى اللجنة التنفيذية العليا وألحوا على ضرورة ترشيح السيد على صبرى للرئاسة رغم علمهم بمواقفه المستقرة على التباعد الشديد عنهم . وعندما تصاعدت المواجهة بين اليسار الناصرى والسادات فى ابريل ومايو لم يكن هناك شك فى الجانب الذى يقف فيه غالبية الماركسيين .

وفى ١٠ و ١١ مايو ١٩٧١ دار أحد الماركسيين البارزين على عدد من زملائه ينبههم الى الانقلاب الوشيك الوقوع ويحذرهم من احتمال أن يلجأ السادات إلى ادخال اثنين من الماركسيين البارزين الوزارة «كمحلل» لكى يخفى طبيعة الانقلاب ، واستخدم فى وصف من يقبل القيام بدور المحلل هذا عبارة تسمح بها كتب الفقه الشرعى لكن تجفل من كتابتها الأقلام المعاصرة .

وفى الأيام السابقة مباشرة على الانقلاب اقبل بعض قادة اليسار الناصرى على التشاور مع أفراد من اليسار الماركسى . ويذكر كاتب هذه السطور أنه قد دُعى لمقابلة الأمين العام للاتحاد الاشتراكى ـ وكانت المرة الأولى التى يدعى فيها الى مكتبه رغم أنه كان مديرا للمعهد العالى للدراسات الاشتراكية ـ فى ١٢ أو ١٣ مايو ١٩٧١ مع الدكتور ابراهيم سعد الدين حيث دار حوار حول ما يمكن عمله لانقاذ الموقف البادى السوء دام ساعتين بين جدران مغلقة ، وعبرنا وقتئذ عن رأينا بصراحة كاملة مستخدمين عبارات شبيهة بما استخدمه الفريق أول محمد فوزى بعد ذلك فى كتاب حرب الثلاث سنوات فى مجال عرضه لأسباب هزيمة ٦٧ وقلنا أنه رغم وضوح الحق والشرعية والسلطة والقوة اللازمة فى جانب اليسار الناصرى فقد كان هناك وعلى مدى شهور «فشل فى أسلوب ونظام تعبئة القوات وعدم ممارسة لعملية القيادة والسيطرة» ورغم توقعنا للهزيمة فقد حاول البعض منا التصدى بطريقة مختلفة للانقلاب حتى بعد أن وضح نجاحه ، وكان ذلك من أسباب القبض على ابراهيم سعد الدين .

وأنا أذكر هذه الوقائع الآن لأن من الشائع فى الكتب الصادرة عن هذه الفترة أن يقال تصريحا أو تلميحا إن الماركسيين أيدوا انقلاب السادات وتعاونوا معه بعد الانقلاب كوزراء وقيادات فى الاتحاد الاشتراكى ؛ وأتت المقدمة التى كتبها الدكتور فؤاد مرسى لكتاب المرحوم الأستاذ الزيات لتعطى انطباعا مشابها وتفسر الظروف التى حدث فيها هذا التعاون .

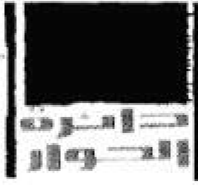
وينبغي التذكرة ابتداء بانه لم يكن هناك في ذلك الوقت تيار ماركسي موحد يعبر عن مجموع الماركسيين ، فعقدهم كان قد انفرط بعد خروجهم من السجون والمعتقلات في منتصف الستينات واتجهوا اتجاهات شتى وتكونت ، من ضمن ما تكون ، مجموعات أو « شلل» كان لكل منها كما يقول فلاحونا «بدويها» الذي تلوذ به من أعمدة السلطة الناصرية : في «الأهرام» وعلى اطراف الاتحاد الاشتراكي ، وغير ذلك ، واقتصر التعاون مع السادات بعد ١٥ مايو في الأساس على المجموعة التي تحلقت حول هيكل والأهرام ، وكان هيكل الوسيط الأول بينها وبين السادات . أما الباقون وخاصة بين الشباب فقد اتخذوا منذ البداية موقف المعارضة الفعالة او على الأقل التباعد .

● الانفصام بين الفكر والسلوك

ولست أريد أن أعرض الآن لموقف ـ أو لمواقف ـ الماركسيين الذين تعاونوا مع السادات بعد انقلابه ، لكنني أجد ضروريا أن أعرض للأسباب التي فسر بها الدكتور فؤاد مرسي ـ في مقدمة كتابه المرحوم الأستاذ الزيات ـ صراحة أو ضمنا تعاونه مع السادات بعد ١٥ مايو ، كأمين لبرنامج العمل الوطني بأمانة الاتحاد الاشتراكي التي أعيد تشكيلها ، ثم كوزير للتموين والتجارة الداخلية حتى اقال السادات وزارة عزيز صدقي في مارس ١٩٧٣ أجد ذلك ضروريا بسبب موقع الدكتور فؤاد مرسي المتميز في حركة التحرر الوطني والاشتراكي في مصر ، ولانه كان ولايزال من أكثر أبناء جيلي عطاء على كل مستويات العمل السياسي ومن ابعدهم عن البحث عن أبهة المناصب والألقاب والنجومية الكاذبة ، وعن الانفصام بين الفكر والسلوك والانغماس في ألعاب العلاقات العامة الرخيصة ومن ثم ينبغي أن تؤخذ الاسباب التي تقدم بها بكل الجدية اللائقة بقائلها .

ونحن نستبعد بداهة من هذه الأسباب فكرة الانخداع عن باطن السادات بالقناع الذي كان يخصفه على وجهه ، أو باعث الاستجابة الى «نداء الديموقراطية» الذي جعله السادات بإيحاء من الاستاذ هيكل محور بيانه الأول على الأمة بعد الانقلاب ، عندما لاحظ هيكل أن مشروع البيان الذي كان السادات قد عرضه عليه أتى خلوا من أي ذكر لها ومركزا على مؤامرات مراكز القوى واجترائها عليه وعلى مشروعات اتحاده ومبادراته مع الأمريكان ، فذلك كله ، إن صح أن أحدا انخدع به فلن يكون هو الدكتور فؤاد مرسي بخبرته السياسية الواسعة وقدرته على التحليل السليم للأشخاص والأحداث ، وبوجه خاص تحليل الظروف المجتمعة والسياسية التي تجعل تطبيق الديمقراطية أمرا واردا .

كذلك أود أن أستبعد من المناقشة الحاح الأصدقاء كسبب لقبول تحمل هذه المسئولية أو تلك ففي العمل السياسي يتحمل كل انسان في النهاية وحده مسئولية قراره المتعلق بموقعه الشخصي ، ومسئولية تقديره الخاص لاحتمالات النجاح في «الاستمرار في صد محاولات الردة» التي جعلها الأصدقاء اساسا لاقناعه بالبناء .



لكن هذه العبارة الاخيرة يمكن أن تقدم مفتاحا لفهم هذه الظاهرة الفريدة . ظاهرة قبول قائد يسارى بارز لمبدأ التعاون الوثيق مع قائد ١٥ مايو الذى كان ماضيه ، وكل الدلائل التى تحققت فيما مضى من فترة حكمه ، تدل بشكل قطعى على دوره المقبل .

فى مثل هذا الجو ، كيف يمكن لاقلية محدودة جدا ، معلقة من عرقوبها كما يقولون ، ودون أن يكون لها ادنى سبيل - كيف يمكن لها أن تعمل على «الاستمرار فى صد محاولات الردة» ؟

ان المقدمة التى كتبها الدكتور فؤاد مرسى ترصد لنا وسائل ثلاث ، اولها ادارة الزيات كأمين أول للاتحاد الاشتراكى الجديد معركة الانتخابات لاتحاد العمال التى جرت فى ظل حرية كبيرة وأسفرت عن تشكيل نقابى اقرب ما يكون الى تمثيل الحركة النقابية .

وثانيها هو الاشتراك فى كتابة واعداد البيانات التاريخية التى تصدر باسم السادات معبرة عن استمرار الثورة وتحقيق طموحات الشعب فى خلق ديمقراطية حقيقية .

والثالثة هى - بعد الاقرار بالفشل فى خلق حركة جماهيرية واعية من داخل الاتحاد الاشتراكى - أن الدكتور فؤاد مرسى نجح «بمعونة الزيات فى استصدار قرار باجماع الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى بدعوة الرئيس السادات لتشكيل حكومة قوية تعد البلاد للمعركة ورشحنا عزيز صدقى لرئاسة هذه الحكومة . وحمل الزيات القرار الى السادات لكنه لم يأخذ به الا بعد شهور وعندما ازداد تدهور الأوضاع الداخلية فى يناير ١٩٧٢ على أن هذه الوزارة ، كما نعلم ، قد وقفت شاهدة ، دون علم مسبق ، على طرد الخبراء السوفييت ، وبقيت بعيدة كل البعد عن قنوات اتصال السادات السرية والعلنية مع امريكا ، وتصاعدت فى عهدها مظاهرات الطلبة والعمال احتجاجا على التقاعس عن دخول المعركة .

ولست فى وضع يمكن من التعليق على المظهر الأول من مظاهر «الاستمرار فى مقاومة محاولات الردة» اذ لست أعلم الآن ما اذا كانت القيادات النقابية الجديدة اكثر قدرة او اقل من سابقتها على الدفاع عن مصالح العمال والمشاركة فى النضال الوطنى التحررى والاجتماعى .

كذلك لست بحاجة الى التعليق على «انجاز» تشكيل وزارة عزيز صدقى «القوية» .

ويبقى الانجاز الثالث ، وهو كتابة برنامج العمل الوطنى الذى لم ينفذ ، وبيان ١٠ يونيو وهو - كما يقول الدكتور فؤاد حرفيا بيان تاريخى مشهود ألقاه السادات من التليفزيون ليبدد أوهام الثورة المضادة التى كان يعد لها ويتزعمها (ص ٢١ من المقدمة) . ايضا لست أعرف ما اذا كان استنطاق الحكام برامج وبيانات كتبها لهم سياسيون تقدميون لكنهم لم يشتركوا حتى فى مناقشتها مع من كتبها لهم ، ويقول فيها الحكام بلسانهم عكس ما يظنون ، وقد

يرفضون بعد ذلك مجرد الاشارة اليها فى خطاباتهم اللاحقة هو من قبيل صد محاولات الردة أم التنكرية التى تساعد على نجاحها ...

ذلك سؤال ثقيل ، ربما يخفف بعض الشيء من وقعه اننى لا أبرىء نفسى ، فقد فعلت شيئا مشابها في الستينات وان يكن على مستوى اكثر تواضعا ، ولم اكن اعرف وقتئذ أن ما اكتب سوف يضاف اليه ملحق يحتوى على إجراءات عملية تتناقض معه ، وندمت على ما فعلت ، وتبت عن ذلك أبد الدهر ، ولا أزال ادعو الله أن يتقبل توبتى .

● التحول الاشتراكي ودفعه إلى الامام

إن التساؤل الحقيقى الجدير بالبحث هو ما إذا كان اشتراك التقدميين ـ ولو بصفة اسمية ـ فى حمل المسئولية مع قادة الثورات المضادة أو حتى فى الحكومات المحافظة أو الرجعية أدعى الى تحقيق أهداف هؤلاء أم اهداف أولئك ، خصوصا إذا كان هؤلاء التقدميون غير مرتبطين حزبيا أو جماهيريا بقوى اجتماعية تستطيع أن تمدهم بقوة من عندها .

وينبغى عدم المبالغة فى تقييم اثر تعاون بعض الماركسيين مع السادات فى تصفية الثورة ان قوى الثورة المضادة كانت قد بدأت تتجمع ومن داخل نظام عبد الناصر الثورى ذاته قبل ذلك بوقت طويل : منذ الخطة الخمسية الأولى ، عندما ركز برنامج التصنيع على إشباع نهم البورجوازية الجديدة باشكالها المختلفة الى سلع الرفاهية الاستهلاكية قبل أن يعد الآلات والمواد اللازمة لصناعتها ، وعندما القى في الوقت ذاته عبء تمويل هذا النمط المشوه للتصنيع على جموع الشعب وعلى القروض والمعونات الخارجية لا على هذه الطبقة الناشئة .

وزادت قوى الثورة المضادة تجمعا وانضمت اليها قوى جديدة فى اعقاب هزيمة ١٩٦٧ ، عندما رفض النظام الناصرى الاخذ باقتصاد الحرب وحرب التحرر الشعبية وتطهير أجهزة السلطة وعندما التف حول قضية الديموقراطية .

لكن حتى فى هذه الظروف فقد بقى خيار السير الى التحول الاشتراكى ودفعه الى الامام قائما بل ومفتوحا ، ولم يحسم الأمر نهائيا لصالح الثورة المضادة الا بتولى السادات السلطة واجهازه على القوى الناصرية .

وفى هذه الظروف الجديدة التى حسم فيها الأمر فإن تولى بعض رموز اليسار بعض المناصب فى اعقاب الانقلاب لم يكن له اثر يذكر على سرعة تقدم قوى تصفية الثورة لا بالابطاء ولا بالتعجيل ، فهذه السرعة كانت تحكمها حسابات أخرى بعيدة كل البعد عن مجال تأثير بعض الوزراء الهامشيين فى الحكومة أو الابناء فى الاتحاد الاشتراكى .

لكن الآثر الهام الباقى على المدى الطويل الذى تركته هذه المشاركة هو تأثيرها على نمو وتماسك ومصداقية اليسار بوجه عام واليسار الماركسى بوجه خاص . ذلك هو ما نرجو ان نتلقى دراسة وافية ، عنه من الدكتور فؤاد مرسى .

دائرة الحوار

دفاعا عن الشعر الجديد

بقلم : ابراهيم فتحى

يحذرنا الأستاذ كمال النجمى (الهلال مايو ١٩٨٩) من إنتاج « الشعارير » وادعاءاتهم الفكرية على السواء ، ويرجع بعض ضعف شعرهم إلى نقص معرفتهم بالأوزان وبحورها الكاملة وتفعيلاتها .

ولا جدال فى ان الجهل بتاريخ الشعر العربى ، وبتاريخ الدراسات العروضية نقيصة ، فلم يسبق ان خدم الجهل أحدا . ولكن المطابقة بين حركة الابداع الشعرى من جهة والمحاولات « العملية » لوصف هذه الحركة من جهة أخرى لا تنهض على اساس ، بل لقد سار الابداع الشعرى فى طريق خلق نماذج متعددة غنية للايقاع ، على حين سارت الدراسات العروضية أو لعلها توقفت عند القوالب الميتة المعقدة بغير طائل .

ولم تقدم الدراسات العروضية بعد النشأة العبقرية لهذا العلم فى القرن الثانى الهجرى جديدا يسهم فى الوعى بالايقاع الشعرى واضاءة الطريق أمامه ، بل كان الامر على النقيض من ذلك . فالعروضيون حولوا ما اكتشفه الخليل من وحدات الايقاع الى أطر متحجرة نهائية عاجزة عن التطور وعن ادراك التجربة الايقاعية الفعلية للشعر العربى .

وقد بلغ من سوء سمعة العروض ، أن قال الجاحظ عنه ساخرا من علمه: العروض علم مستبرد ، ومذهب مرفوض ، وكلام مجهول ، يستكد العقول بمستفعلن وفعول ، من غير فائدة ولا محصول (١) .

فلم يكن العروض ، ولم تكن أوزانه « جزءا أصيلا جوهريا من اللغة العربية ، ولم تخدم الاوزان المتكاملة، الشعر العربى خلال مراحل متعاقبة طويلة من حياة الامة العربية ،

(١) نقلا عن د. « محمد بدوى المختون » دراسة نظرية تطبيقية فى علمى العروض والقافية ـ القاهرة ١٩٧٥ ، ص ١٤ .

فالدراسات العروضية التى خنقت اكتشافات الخليل فى مهدها وتحولت الى « أحكام عرفية » ، وتشريعات لتقييد حركة الابداع كانت علامة على التكلف ، ويقول أبو فراس الحمدانى:

تكلفوا المكرمات كدا
تكلف النظم بالعروض

كما يقول ابن حجاج :

مستفعلن فاعلن فعول
مسائل كلها فضول
قد كان شعر الورى صحيحا
من قبل أن يخلق الخليل

فالنظم بالعروض بدلا من التدفق الايقاعى الشعرى بحق كان أيسر طريق لخلق زحام من المتشاعرين ، « والمتشاعر » هو الذى يتعاطى مقول الشعر كما جاء فى مختار الصحاح ، وهو أقل من الشعرور أى غير النابه من الشعراء كما جاء فى المعجم الوسيط .

ويقول شوقى واضعا المسألة وضعها الصحيح :

والشعر ان لم يكن ذكرى وعاطفة،
أو حكمة فهو تقطيع وأوزان .

القائمة السوداء :

وفى كتب العروض نجد قائمة « أصحاب السوابق » من الخارجين على القانون الخليلى ، وهى قائمة تضم امرأ القيس والمرقش الاكبر ، والمهلهل وعلقمة بن عبيدة ، وعبيد ابن الابرص من الجاهليين ، ومن المحدثين أبا العتاهيه (وهو يقول أنا فوق العروض) والبحترى وأبا الطيب المتنبى (٢) .

فقصيدة امرىء القيس التى مطلعها

عيناك دمعهما سجال
كأن شأنيهما أو شال

قلما يخلو بيت منها من حذف فى بعض تفاعيله أو زيادة ومثلها قصيدة المرقش الاكبر :

هل بالديار أن تجيب صمم
لو كان رسما ناطقا كلم

فهى من وزن « السريع » وخرجت شطور بعض أبياتها على هذا الوزن كالشطر الثانى من هذا البيت :

ما ذنبنا فى أن غزا ملك
من آل جفنة حازم مرغم

فانه من وزن الكامل

وهناك مئات الامثلة دون أن تكون امام مؤامرة ضد البحور الكاملة والالتزام الدقيق بها عند « العدميين والفوضويين والوجوديين والهدجيين والالغازيين والدجالين والجاهلين من جميع الاتجاهات » .

ان بحور الخليل لم يعتبرها تلاميذه المتزمتون مقدسة نهائية فالاخفش لم يقف عند اضافة بحر المتدارك الذى اعتبر البحر السادس عشر من بحور الشعر ، بل تعدى ذلك الى انكار بحرين من البحور التى رصدها الخليل

(٢) المصدر السابق ، ص ١٣ ، د. شوقى ضيف : العصر الجاهلى ـ ص ١٨٢ ـ ١٨٥ .

لانهما في رأيه لم يردا عند العرب وهما المضارع والمقتضب (٣) .

ويذهب كثير من الباحثين الى أن البحور الستة عشر ليست كلها جاهلية أو أموية ، فهناك بحور لم ينظم فيها الجاهليون مثل المضارع والمقتضب والمجتث والمتدارك ، فهي بحور استحدثت في العصر العباسي مع غيرها من ضروب الايقاع وبعد ذلك قام الابداع الشعري بتوسيع الاطار الموسيقي للشعر ، فما كان يعتبره الخليل بحورا مهملة حاول الشعراء تجسيدها .

وما معنى هذه البحور المهملة ؟ ان الخليل قدم أحيانا صورا مثالية للبحور لا وجود لها ولم يقف عند الصور الواقعية ، وهو يقدم لبحر « الوافر » مثلا صورة هي : مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن على حين أن وزنه في الاستعمال هو « مفاعلتن مفاعلتن فعولن »(٤) كل ذلك بالاضافة الى الفنون المستحدثة (القوما ، والكان كان ، والدوبيت ، والسلسلة ثم الموشحات وقد رصد المستشرق الالماني هارثمان ١٤٦ وزنا أو بحرا من بحور الشعر العربي التي رصدها الخليل والاخفش (٥) ، ليست هي البحور « المتكاملة » اننا حتى لو سلمنا بالاسس النظرية للخليل لما كنا مضطرين الى تقديس عدد معين من البحور أو قوالب متحجرة لها ، ووضع من يخرجون عليها في قائمة المارقين .

مشكلات في اسس نظرية الخليل :

حينما وجد الخليل البيتين التاليين في قصيدة لعنترة :

اني امرؤ من خير عبس منصبي
شطري ، وأحمي سائري بالمنصل
واذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت
الفيت خيرا من معمم مخول

(منصبي : اصلي والمنصل : السيف تلاحظت نظرت من يقدم على العدو) .

وجد أن البيت الثاني من بحر الكامل ، وعلى الرغم من أنه وجد البيت الاول مختلف التركيب(مستفعلن ٦ مرات بدلا من متفاعلن) فانه لم ينسبه الى الرجز التام بل الى الكامل ايضا . وانتهى من ذلك الى صياغة نظرية مؤداها ان بحر الكامل يمكن ان يكتسب عبر الزحاف (أى حين يدخله الاضمار وتصبح تفعيلته متفاعلن بتسكين التاء بدلا من تحريكها في الاصل ، اى تصبح مساوية لمستفعلن) صورة جديدة « قانونية »على الرغم من استحالة التمييز هنا بين هذه الصورة من الكامل وبحر آخر هو الرجز ان مطلع معلقة عنترة الشهيرة .

يا دار عبلة بالجواء تكلمي
وعمي صباحا دار عبلة واسلمي

يمكن اعتباره مثالا لمتفاعلن (بالتسكين) ٦ مرات أو مستفعلن ٦ مرات ويظل معلقا بين بحرين (٦)

فالاطار النظري للخليل ليس هو الواقع الفعلي للايقاع في الشعر العربي ، بل هو محاولة اولية لدراسة جوانب جزئية منه ، شديدة الجزئية ،

---

(٣) د. عبد العزيز نبوي : الاطار الموسيقي للشعر ــ القاهرة ص ٢٢٧ .
(٤) علي يونس : النقد الادبي وقضايا الشكل الموسيقي في الشعر الجديد ، هيئة الكتاب ١٩٨٥ ــ ص١٦ .
(٥) مصدر سابق .
(٦) د. كمال ابو ديب : في البنية الايقاعية للشعر العربي ــ بغداد ،

تقف عند الانتظام فى توالى الحركة والسكون ولا تتعداه الى موسيقى الشعر عموما ، تلك التى تتوفر بتتابع وتناوب وحدات زمنية محددة ، ثم ايقاعات تحدد مفاصل هذه الموسيقى، كذلك فضلا عن الانسجامات الصوتية وطرق التعبير الصوتى التى تنبع من طبيعة حروف اللغة ومخارجها واجتماع بعضها الى بعض فى اللفظة أو الفقرة وكل هذه الخصائص التى يدركها الشاعر باذنه ويدركها الدارس بتحليله (٧)

وعلى الرغم من ذلك فان نظام الخليل فيه الكثير من العيوب حتى فى مجال القدرة على اكتشاف النسق الصوتى فى توالى الحركة والسكون ان تفعيلاته وبحوره أى وحداته الكبيرة المركبة لا تصف الا انماطا معينة قليلة من التتابعات الكامنة اتخذت أطرا واضحة ، وقد أخفق نظامه فى ان يستوعب قصائد جاهلية عديدة فتركها خارج نظامه (قصيدة عبيد بن الابرص الشهيرة) واعتبر قصيدة تقبلها العرب واحبوها وعنوا بها شذوذا على الايقاع العربى فتصور الخليل للايقاع على انه يتألف من وحدات كبرى منعزلة لا تتفاعل بل هى نهائية التشكيل محددة الابعاد ، انما هو تصور جامد (٨)

ترديد آراء العقاد :

وننتقل الى شعر « التفعيلة» وكان العقاد يعتبره نثرا ويطلق عليه لشعر « السايب » .

ومن اغرب الاشياء ما ذهب اليه الاستاذ كمال النجمى من أن « النقاد سبقوا بتوجيهاتهم النقدية خطوات الشعراء فى الخمسينيات ، فسار النقاد فى المقدمة والشعراء فى المؤخرة وانعقدت بين هؤلاء وهؤلاء علاقة زبلية جعلت الشعر التفعيلى فى نشاته مقودا باقلام النقاد لا باقلام الشعراء . فكان هذا أول أسباب ضعف هذا الشعر وفسولته ، ثم تدهوره وذهاب ريحه » !!

واذا امسكنا بالقضية السابقة من ذنبها ادهشنا أن نقرأ أن اشعار صلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطى حجازى ، وأمل دنقل والبياتى يمكن أن توصف بالضعف والفسولة وللاسف لم يتكرم علينا الاستاذ النجمى باسماء « الفحول » المعاصرين من شعراء البحور المتكاملة ولا باعمالهم القوية البعيدة عن الفسولة (لم أفهم سياقا للفسولة هنا فالفسل هو المرذل الجبان) ولو فعل لما وجدنا الا متشاعرين . ولكن الاستاذ النجمى خير من يعرف أن أولى المحاولات لتحديد طريقة الوزن فى الشعر الجديد جاءت من شعراء ، من امثال بدر شاكر السياب فى تعليق على قصيدة «هل كان حبا» جاء فيه وهى من الشعر المختلف الاوزان والقوافى ... تجمع بين بحر من البحور ومجزوءاته أى ان التفاعيل يختلف عددها من بيت الى آخر ، ومن «نازك الملائكة» فى مقدمة « شظايا ورماد »

ثم مقدمة السياب لديوان « اساطير » (١٩٥٠) ، ونازك الملائكة شاعرة ناقدة ولها كتاب شهير

---

(٧) د. محمد مندور : قضايا جديدة ـ بيروت ١٩٥٨ ـ ص ٨٨ .
(٨) د. كمال أبو ديب : مصدر سابق ، ص ٩٦ ـ ٩٧ .

«قضايا الشعر المعاصر» تعددت طبعاته ومن ابرز دارسى الشعر الجديد، كذلك شاعر ناقد هو د. عز الدين اسماعيل فى كتابه المعروف «الشعر العربى المعاصر». ولم يعرف عن الاستاذ محمود العالم (وهو شاعر أيضا) كثرة الكتابة التفصيلية فى مسألة التفعيلة ولم يحاول تنظيرها بل سجل ظاهرة الشعر التفعيلى ومر عليها دون توكيد خاص، ولم يقل ابدا بأن تحطيم البحور والاوزان هو تحطيم لصنم قديم يقف فى طريق الفكر الجديد بل دعا الى تطور فى بنية القصيدة العربية يلائم العصر.

ونقف قليلا عند قول الاستاذ النجمى، «كنت اول من كتب فى مسألة الاوزان المتكاملة والتفعيلات منذ اربعين عاما تقريبا.. لم يسبقنا احد فيما نعلم الى الاتساع فى نقد الشعر التفعيلى شكلا وموضوعا».

وللاستاذ النجمى فضيلة انه لا يذهب مع المرحوم عباس العقاد الى النهاية، ولا يناصب شعر التفعيلة العداء او يعتبره غير موزون.

ولكن الاساس الفكرى واحد فالعقاد لا يعتبر التفعيلة اساسا للوزن لان «التفعيلة ليست بنيانا عروضيا متكاملا، فهى تكتسب الوزن من البحر. فتفاعيل بحر الطويل مثلا (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن والشطر الثانى مثله) قد تحل فيها «مفاعلن» محل مفاعلين الاخيرة، وتحل فعول محل فعولن الاولى، فهى تتغير على حسب الوزن.. والعقاد يشبه التفعيلة بحجر البناء، فمن قال ان التفعيلة هى تصميم البيت فهو كمن يقول ان الحجر الواحد هو تصميم المنزل. فلابد من «تصميم» يجمع بين التفعيلات.

(كتاب اللغة الشاعرة). وهذا الرأى للعقاد كان يردده منذ بدأت اولى محاولات ما يسمى بالشعر المرسل بعد الحرب العالمية الاولى واظنه اسبق واكثر تحديدا وتفصيلا

ومن الواضح ان رأى الاستاذ العقاد يقع فى دور منطقى، فنحن لا نعرف انتساب القصيدة الى بحر الا من تفعيلاتها، ثم نحن لا نعرف التفعيلة الا من البحر، وهكذا.

اما ما يطرأ على «التفعيلة» من تعديل فى واقع الامر فى مواضع منها فلا يكون لاغراض شعرية فى الكثير من الاحوال بل لضرورات مستكرهة. فالبحر ليس وحدة عضوية فى اساسه بل يعتمد على الاضافة الكمية للتفعيلات كل ما هنالك ان شعر التفعيلة لا يتقيد بعدد خاص من هذه التفعيلات فى الشطر الواحد.

ويرد «على يونس» (مصدر سابق) على كل الاعتراضات ومنها اعتراض الاستاذ العقاد الذى يردده الاستاذ النجمى

فليس الانتظام الهندسى الرتيب شرطا اساسيا فى الموسيقى الشعرية

ويذهب د. عز الدين اسماعيل الى ان النظام الدقيق فى الشكل الخليلى

مبـــاشر ظاهر للحواس وهو فى صرامته ثابت جامد
اما النظر (فى شعر التفعيلة ، فهو ليس اطارا فوسفوريا) فهو نظـــام داخلى ينبع من داخل القصيدة وليس شيئا تصوريا خارجيا مفروضا (٩) .

التجارب الجديدة .. الغنيـــة فى الايقاع .

وانا أعتقد ان الشعراء المجـددين النابهين (أى ليس منهم شعرور) على الرغم من اختلافى مع الـــكثير من « بياناتهم » شعراء مجيدون دفعـوا بالشعر الى الامام شعراء « اضاءة » ، « أصوات » ، وغيرهم .
ان النسق الايقاعى فى الشـــعر الجديد عموما لا يقف عند الاطـــار الخارجى ، اطار توالى الحـــركة والسكون ، بل هو النســق المهيمن الحاكم ، يؤثر فى المستويات الدلالية والصرفية والصوتية باحجبهـــا ، فانتظام النموذج الصوتى له مـــكانة مركزية حاسمة .
ولهذا الايقاع خاصـــية تكاملية تتغلغل فى جميع مستويات القصـــيدة (مستوى الفكر والانفعـــال والادراك الحسى) ، وتتجسد كلها فى البناء الايقاعى اللغوى .
فالتواتر والتكرار فى أصـــوات لغوية محددة عند اختيار الـــكلمات يجعل لهذه الاصوات فاعلية بنائيـــة تضيف الى الروابط الدلالية للكلمات تنظيما يجمع بين كلمات لا ترتبـط من حيث المعنى ، ويصبح للتنظيم الصوتى دلالة مباشرة وتعمل التشابكـــات الصوتية على تدعيم التمـــاثل فى المعنى .

وفى شعر المجيدين من شـــعراء الفصحى والعـــامية نجد التوزيع الموسيقى اللفظى مثل تكرار الصوت والكوكبات الصوتية المتساوية وأشكال التجنيس المختلفة وفقا لعدد الحروف الساكنة او المتحركة المـــكررة او عناقيدها ووفقا لنسق تكرارها

وثمة لقاء بين الحركة الايقـــاعية الصوتية والبناء النحـــوى والترتيب المنتظم للكلمات او التماثل الاعرابى لتركيب الجمل وقد تنشأ التنويعـــات الايقاعية من التـــوتر بين النبض الايقاعى وطراز التركيب النحوى .
وهناك طرق للتنغيم والترنيم مثـل اللازمة المتكررة والسؤال المتـــكرر فى مواضع عكسية .
وهناك أيضا العلاقة بين التنغيمات الاستفهامية وتنغيمات النداء والتعجب والارتفاع التدريجى فى علو الصــوت عند انفعال الامر وفى التعجب وتناوبه المنتظم مع انخفاض الترنيمات عنـــد مفاجأة النفس .
ويمكن ان نجد نظاما مـكتملا من التنغيم فى تضايف الصوت والمعنى (دراسة فى الاعمال الكاملة للشاعر سيد حجاب) .
وما سبق اشارة موجزة تـــكررت كثيرا عن الطاقات الموســـيقية فى الشعر الجديد
وفى الختام ان دراســـة البحور الخليلية واجب مفترض من أجـــل تطوير الشعر .

---

(٩) د . عز الدين اسماعيل : الشعر العربى المعاصر ص ٨٢،٨١ ـ علوى يولس : النقد الادبى وقضايا الشكل الموسيقى فى الشـــعر الجديد ص ٣٧٩ ـ ١٨٨ .

مرة واحدة فى ندوة العقاد



بقلم : د . غالى شكرى

□ لم يكن عباس العقاد يتمتع بشعبية ملحوظة بين أوساط الشباب خلال الحرب العالمية الثانية ، أو غداة انتهائها عام ١٩٤٥ .

يومها كانت القاهرة تموج بعشرات الحركات السرية ، من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ، ويتناثر النشاط الثقافى عبر المدينة كلها ، ويأخذ أشكالا مختلفة ، يعكس الاتجاهات السرية ويكون صدى لها أحيانا ، ومرتبطا بها فى الخفاء أحيانا ، ومستقلا عن الجميع فى أغلب الأحيان □

كان اليساريون يرفضون العقاد بقوة ، لأنه يقف شامخا وعنيدا وجبارا فى مواجهة الدعوات التى تؤمن بأن للأدب رسالة اجتماعية ، وتدعو إليها ، وتتحرك فى ساحة النقد الأدبى على هدى منها ، وكان الدكتور محمد مندور أوضح هؤلاء الدعاة ، والمعهم ، وأشدهم تأثيرا ، وقد سبقه فى هذه الدعوة سلامة موسى ، ولكن هذا الأخير كان كاتبا ومفكرا ولم يكن ناقدا أدبيا ، وانحصرت دعوته فى مجال السياسة وبين المفكرين أنفسهم ، ولم تتجاوز الجانب النظرى إجمالا ، والقى عليه ظلالا قاتمة حددت دوره ، وصرفت عامة الشباب عنه ، أنه كان يصدر أحيانا عن روح قبطية خالصة ، مما دعا أحمد رشدى صالح أن يهاجمه فى مجلة الفجر الجديد ، وكانت لسان حال إحدى الفصائل الشيوعية يومها ، فى مقال له بعنوان : « التهتك فى التفكير : سلامة موسى يناقض نفسه » ، لأنه تخلى عن منهجه الاشتراكى ، وعن تفسير القضايا والمشكلات ماديا ، وردها إلى التعصب الدينى وحده



جلسة أسبوعية كانت تعقد صباح كل جمعة فى بيت العقاد

وقد التف حول محمد مندور، وكان عائدا لتوه من مبعثه الى فرنسا، أولئك الذين يؤمنون بمذهبه، ووجدوا فى مقالاته فى الرسالة والثقافة مذاقا جديدا، ونكهة عصرية، لم يعهدوهما من قبل فيما يكتب غيره، وبدأ آخرون يسيرون على دربه. وقامت بينه وبين العقاد معركة صاخبة على صفحات الرسالة عام ١٩٤٢ حول مفهوم الأدب ورسالة الأديب..

وكان اليمينيون يقفون من العقاد أيضا موقفا مناهضا، لأنه درس الرسول بشرا سويا فى كتابه «عبقرية محمد»، وصدرت طبعته الأولى عام ١٩٢٤، وهم يرونه رسولا نبيا. ولم يكونوا يرضون منهج العقاد فى الفكر والحياة، لأنه كان علميا عقليا، وهم لايرتضون من أى مفكر إلا أن يكون مقلدا، يقرأ ويسمع فيؤمن ويوافق وأن يفهم الاسلام كما يفهمونه، وشتان بين الفهمين.

وحين وقع الصدام بين حكومة محمود فهمى النقراشى والاخوان المسلمين دافع عن موقفه بقوة،



فى ندوة العقاد

واشتط في الدفاع وغالى حين اغتال الاخوان النقراشى ، وكتب يومها فى جريدة السياسة ، لسان حال الحزب السعدى ، مايمكن أن نعتبره امتهانا لفكر حتى قرائه والمعجبين به ، فضلا عن خصومه وكارهيه .. فقد زعم أن حسن البنا كان متوسط القامة ، أفنى الأنف ، أبيض مشربا بحمرة ، يعمل والده فى صناعة الساعات وإصلاحها ، واحترفها الابن أيضا ، وأنه من مدينة السويس أصلا ، وكل هذه علائم تدل على أنه ينحدر من أصول يهودية ، ولليهود تاريخهم العريق فى التخفى والتخريب !

إلى هذا الحد من السفسطة والاستهانة بعقول القراء كان يكتب العقاد أحيانا !

فإذا تركنا القضايا المتصلة بالجمعيات الدينية إلى الأحزاب السياسية ، نجد العقاد قد أخذ جانب السعديين ، وأصبح المحرر الأول فى جريدتهم « السياسة » واتخذ منها ، أو من جريدة « الكتلة » ، منبرا للأطراء على الملك فى المناسبات المتصلة بعيد ميلاده ، أو عيد جلوسه على العرش ، والهجوم العنيف على الوفد ، وكان أكثر الأحزاب شعبية ، وأقربها إلى قلوب المصريين رغم ضيقهم الشديد به حاكما خلال سنوات الحرب ، ويحمدون له تطرفه فى مواجهة الانجليز ومواجهة القصر الملكى على السواء ، وهما قطبا الفساد ومصدره فى مصر ماقبل الثورة .. ومع أنه لا يمكن القول بأن العقاد كان ملكيا ، لكن عناده فى خصومة الوفد أركبه الشطط كما ركبه الأخوان ، فكتب فى مجلة روز اليوسف مقاله الشهير ، فى صفحتها الأولى ، وبعنوان على عرض الصفحة كلها : « ملك ديمقراطى وسوقة مستبدة » .

ورغم أن سلطات الملك دستوريا أقل بكثير جدا من أى رئيس دولة أو جمهورية جاء بعده فى حكم مصر ، وبخاصة حين تكون فى الحكم وزارة الأغلبية الوفدية ، فلا تهادنه ولا تصانعه ، فآخر مايمكن أن يوصف به أنه كان ديمقراطيا ..

ومع حرص الوفد فى ممارسة الحكم على أن تكون الوزارة التى يؤلفها وفدية خالصة ، وله تجاوزاته التى يمكن أن تقع فيها أية حكومة وبخاصة فى سنى الحرب ، وتحت الأحكام العرفية ولايمكن الدفاع عنها شعبيا ، فإن آخر مايوصف به رجاله أنهم كانوا سوقة ومستبدين .

وفى مثل هذا المناخ تحولت حتى حسنات العقاد إلى سيئات فى نظر الجماهير ، وحين أصدر كتابه « هتلر فى الميزان » عام ١٩٤٠ ، وهو دراسة علمية جيدة لطبائع الاستبداد والطغيان ، والكوارث التى يمكن أن يؤديا إليها ، واتسم بنظرة مستقبلية أثبتت الأيام صدقها ، لم تذكر العامة له إلا أنه هاجم هتلر عدو الانجليز ،

وهؤلاء أعداء مصر الألداء، وإذن فهو لم يكتبه عن اقتناع وعقيدة، وانما ملبيا رغبة أعداء هتلر، وبعد أن قبض الثمن .. والحق أن العقاد ابعد مايكون عن العمالة، وأن يخط حرفا لايؤمن به، وكراهيته للاستبداد والدكتاتورية بلا حدود، وحين كتب الزيات، وهو مبدع فنان اكثر منه مفكرا عقليا، يثني على هتلر في مجلته الرسالة بعنوان: «العظيم المنتظر» رد عليه العقاد في الرسالة نفسها، وفي الأسبوع التالي، بعنوان: «ماكل منتظر عظيم»، وثابت أنه لم يستفد من «هتلر في الميزان» ماديا، ولو اراد لكان له ما اراد ..

كان ذلك مناخ القاهرة فيما يتصل بالعقاد حين هبطتها للمرة الأولى، صباح الخامس من شهر اكتوبر عام ١٩٤٤، فتى صعيديا، غرا ساذجا، متيقظ المشاعر والأحاسيس، نهما إلى المعرفة والحركة، يطمع أن يكون مثقفا وكاتبا، وأن يتردد على دور الصحف والمجلات، وأن يتعرف إلى كبار الأدباء والكتاب.

لم أرتح إلى العقاد سياسيا شأن غيري من الشبان، ولم اهضم في هذه السن الفتية كتبه، أو اسغ أسلوبه، أو افهم مواقفه، فأدرت له ظهري قارئا ومعجبا ومهتما به أو مفكرا فيه ..

وتوالت الأحداث يومها صاخبة: اغتيل أحمد ماهر رئيس الوزراء في مبنى البرلمان، ومن بعده محمود فهمي النقراشي في مبنى وزارة الداخلية، وكان وزيرا لها ورئيسا للوزراء، والخازندار رئيس محكمة الاستئناف، واللواء سليم زكي حكمدار القاهرة (مدير الأمن). ذهبت بحياة هذا الأخير قنبلة ألقاها عليه طالب في كلية الطب، وهو يحاصر كلية طب قصر العيني بفرقته المدرعة، ونزلت الحكومة نفسها إلى الشارع تقتل المواطنين، فاغتالت حسن البنا المرشد العام للاخوان المسلمين أمام مبنى جمعية الشبان المسلمين ..

يومها كان الشبان هم صناع الحياة العنيفة، ومحور السياسة الوطنية النظيفة، وكانت الجمعيات والمنشورات، سرية وعلنية، تغطي كل جوانب العاصمة، وتتجاوزها الى المدن الكبرى، ولم تكن المنظمات والأحزاب كلها مريحة، أو توحي جميعها بالثقة. وكان علينا أن ننضم بدءا الى التي يستهوينا ظاهرها، حتى إذا سبرنا غورها وعرفنا حقيقتها تجاوزناها الى غيرها: الاخوان المسلمون، وشباب محمد، ومصر الفتاة، والوفد، والكتلة الوفدية، وجبهة مصر، والأحرار الدستوريون، والسعديون، والحركات الشيوعية المتعددة، والمتصارعة فيما بينها.

على أنه يحمد للعقاد يومها وسط كل الذي لا نتفق معه فيه، أنه كان عدوا لدودا للصهيونية، وادرك أخطارها منذ اللحظة الأولى، وكتب موعيا قرابة مائة مقالة، فيما بين انتهاء الحرب العالمية ١٩٤٥ إلى قيام الثورة ١٩٥٢، في جرائد الكتلة والأساس ومجلة الرسالة، وصنع ذلك حتى قبل أن يسفر الخطر الصهيوني للجميع، وقبل أن



في ندوة العقاد

يغتصب الصهيونيون فلسطين ، وقبل ان تدخلها الجيوش العربية مجتمعة ، وتهزم كلها ، في ١٥ مايو ١٩٤٨ ، على حين لزم الصمت كثيرون . فلم يكتب طه حسين - مثلا - كلمة عن الخطر الصهيوني ، وكان يومها كلتبا ملء السمع والبصر ، ونفس الشيء يقال عن توفيق الحكيم وآخرين .

وذات يوم من اوائل صيف عام ١٩٥٢ ، وكنت طالبا في دار العلوم ، وأعمل محررا في جريدة الكتلة ، جاءني صديقي ، وزميلي في العمل ، المرحوم محمد العرمان ، وكان طالبا في كلية اللغة العربية ، ومن زعماء الصعايدة فيها ، وكانت ساحات الأزهر يومها تشهد صراعا من لون آخر بين الصعايدة والبحاروة ، يستخدمون فيه العصي والنبابيت والشوم ، ويسقط ضحاياه جرحى فتستدعي لنقلهم الإسعاف الى المستشفيات ، وانبانى انه لقى العقاد في جريدة الأسلس وتعرف عليه ، واستاذنه في ان نحضر ندوته .

لا اذكر في اى تاريخ يقع اليوم الذى مضينا فيه إلى الندوة ، ولكنه على التاكيد بعد أن الف حسين سرى

العقاد يتوسط مجموعة من الادباء ومن بينهم جاذبية صدقي وكامل الشناوي



وزارته التي استمرت فترة قصيرة لم تزد على خمسة عشر يوما واختار فيها كريم ثابت المستشار الصحفي للملك وزيرا . لأن العقاد في ندوته هذه تحدث عن ثلاثتهم ، الملك ، وحسين سرى وكريم ثابت ، وسبهم سبا قبيحا ، بكلمات، لاتكتب ، وتقع تحت طائلة قانون العقوبات !

وصلنا في الساعة العاشرة صباحا .

واتخذنا مكاننا على استحياء ، وما لبثت الحجرة ان امتلأت ، وكان العقاد يتوسطها ، شامخا مهيبا .

وطوال الساعات التي قضيناها كان العقاد وحده هو الذى يتحدث ، وللآخرين حق السؤال فحسب ، يجيء في صورة مستفهم عما لايعرف ، ولايحمل تحديا او استنكارا ، او يعكس لحماسا زائدا بالذات . !

كان الحديث في الندوة ذا شجون ، يدور حول اى شيء بلا ترتيب او اعداد ، من سياسة وادب واجتماع وتاريخ وفكاهة وفلسفة وذكريات صحفية وادبية او حتى في الطب والعلم ، ويتحدث العقاد في كل هذا بطلاقة وافرة ، تواتيه ذاكرة قوية ، واطلاع واسع وفي لهجة ودود سمحة ، ويضفي على من يقدر من الشخصيات العامة المعاصرة له ثناء محسوبا ، وكان إعجابه بالأمام محمد عبده لا حد له ، وبجمال الدين الافغاني ، ويرى ان السباعي بيومي استاذ الأدب العربي في دار العلوم في تلك الأيام خير من هضم الأدب العربي في عصوره المختلفة وتمثله ..

وياويل الذين لايرضى عنهم ، انه يسلقهم بلسان حاد ، وينعتهم بأسوأ الألقاب ، ويضفي عليهم احط الصفات ، فإذا تحدث عن طه حسين فهو « اعمى الكلب » ، او عن الملك فهو « ابن .. » والحق بأمه صفة ، او صفات ، لايستطيع قلم أن يخطها دون حرج ..

وكان على اية حال مبهرا فيما يقدم من معلومات وحقائق وتحليل ، واعترف انني بهرت بعد لحظات من جلوسي ، ربما لانني كنت مجرد طالب في دار العلوم ، واذكر يومها انه افاض وهو يتحدث عن كثير عزة ، الشاعر الأموى الغزلي الشهير ، وكنت اعرف انه وفد إلى مصر في عهد واليها عبد العزيز بن مروان ، ولكن في ندوة العقاد فقط ، يومها ، عرفت انه كان واليا ، او محافظا إن شئت ، على اسوان .

ثم عرض للاسماعيلية مذهبا ، وجاء ذكرها بمناسبة الحديث عن اغاخان ، وان اتباعه يزنونه فضة او ذهبا او ماسا ، حسب سنه ، ثم يهدونه ملايزنون ، وقد تتبع اصولها ، وفسر التناقض الواقع بين سلوك الاغا والتعاليم الاسلامية ، وانهم يرون العامة وحدهم ملزمين باداء الطقوس الدينية لتهذيب عاداتهم وسلوكهم ، اما الخاصة فهم معفون منها ، ويورد قول فيلسوف يوناني ، ضاع مني اسمه ، حين حدثوه عن نبي ظهر في المشرق يدعو إلى الاصلاح : نحن قوم مهذبون ، فلا حاجة بنا إلى نبي ..

ويرى الدين ضرورة لامناص منها لكبح جماح العامة ، وضبط سلوكهم .



فى ندوة العقاد

ثم اثيرت قضية المساواة بين الرجل والمراة وتحدث العقاد فى ذلك طويلا .. وخلاصة ماقال انهما غير متساويين خلقة ، فلايمكن ان يتساويا عملا ، وأن تكوينهما الجثماني مختلف .

وكان معنا فى الندوة طالب فى قسم الفلسفة فى كلية الاداب بجامعة فؤاد الاول حينذاك ، ما إن سمع راى العقاد فى المراة حتى أخذ يتململ فى جلسته ، وحين سمع تعبير ، امتصاص الالم ، لم يستطع أن يكتم دهشته ، وانه يسمع التعبير للمرة الاولى فى حياته ولايفهم له معنى ، ولايوافق العقاد فيما يقول

وانفجر العقاد الهادىء كالبركان ، وبصوت مرتفع أخذ يوجه إليه الحديث : الا تعرف معنى امتصاص الالم ياجاهل ، فى الدولاب الذى وراءك ، فى الصف الثالث الكتاب الرابع من اليمين ، فى الفصل الثالث منه ، شرح لمعنى امتصاص الالم ..

ومضى العقاد فى هياجه : اسمع ياجدع يامهزا !

إنت ، مش كد ، العقاد ، انت هنا لتتعلم شيئا لاتتعلمه فى الجامعة ، ولاتجده فى الكتب ، وانا لو أردت أن اجادلك بالباطل لغلبتك .

وران على المجلس اندهاش مكتوم ، ولفة صمت ثقيل ، ولحظ العقاد هذا فتوجه بالحديث إلى الجميع : إن غايتى من هذه الندوة أن اكسر حدة العزلة مع الكتب طوال الأسبوع ، بحوار يصلنى بالناس ، فياتى شخص مهزا كهذا ويثيرنى ، ويفسد على متعة الجلسة ، انا لست مستعدا لأن أتلف أعصابى مع مثل هذه المخلوقات .

ولم تستجب ملامح الأغلبية لهذا التفسير وبخاصة أولئك الذين يردون الندوة للمرة الأولى مثلنا ، فظلوا فى دهشتهم ، فواصل قوله : انا عارف ، ان ثلاثة أرباعكم شيوعيون .. أو متعاطفون مع الشيوعية ، ومفتونون بما يرفعه دعاتها من شعارات المساواة بين الرجال والنساء ..

وصمت الشاب تماما ، وانقشع عجب الحاضرين تدريجيا وعادت الجلسة إلى طبيعتها ، وراح العقاد يهاجم أولئك الذين يربطون الأدب والفكر بغايات اجتماعية ، لأن الفكر أسمى من أن يسخر للدعوة إلى ملء بطون الجائعين ، وانه اهون عليه أن يقصف قلمه ، ويلزم داره ، قبل أن يسير فى طريق هؤلاء المخدوعين ..

استمر الحوار من طرف واحد فى الحقيقة ، أو إن شئت حديث العقاد ، وكان ذا شجون حقا ، حتى بلغت الساعة الواحدة تقريبا ، عندها بدأ الرواد ينفضون واحدا وراء آخر ، وبقيت جماعة فى عدد أصابع اليد لتتناول مع العقاد طعام الغداء ..

بقيت طوال الندوة مستمعا ، ولم اشارك شان بعض روادها باى سؤال ، ولكنها تركت فى نفسى أثرا عميقا ،

ولحظت ان الرجل يؤمن بدور العبقرية فى تغيير مسار التاريخ ومجراه ، ويرى نفسه على التاكيد عبقريا وهو كذلك بحق ، ولعل هذا الاحساس كان وراء تاريخه للعبقريات من كل جنس ولون وملة عربية واسلامية ومسيحية وبوذية وبلا دين .

ويجىء رايه هذا فى مواجهة اتجاه فرنسى فى علم الاجتماع تزعمه إميل دور كايم ، ١٨٥٨ ـ ١٩١٧ ، يرى ان الظواهر الاجتماعية تفرض نفسها ، وملزمة للأفراد ، وان المجتمع لايتقبل من الظواهر إلا مايرتضيه ، وانه الذى يخلق الزعماء والقادة ، فهم أداته وليسوا صانعيه ، وكان يبشر بهذا المذهب يومها ، ويتعصب له ، استاذنا الدكتور على عبد الواحد وافى .

وقد خلت الندوة من العنصر النسائى تماما ، ولست أدرى ما إذا كان ذلك صدفة أم ان هذا طابعها ، وهل تغير هذا الطابع فيما بعد ، ام استمرت المرأة غائبة عنها

لم يكن أحد فى الندوة يبدى رأيا ، أو يرفع صوتا ، أو يشارك ايجابيا فى حوار ، وإنما الواحد يسأل ، والكل يسمع ، وماكتب الآخرون غير هذا فهو محض خيال ، وعنتريات مفتراة ..

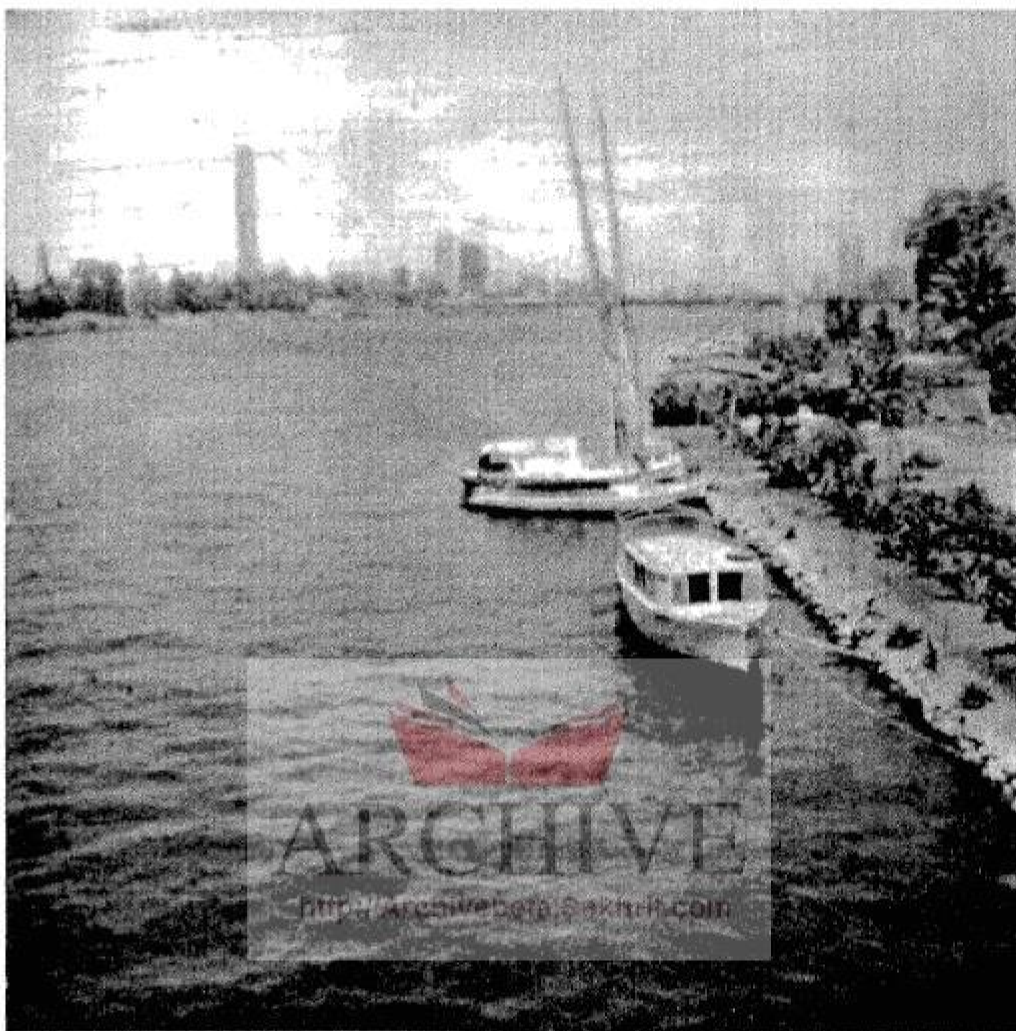
كانت مرة واحدة ، لم أعد بعدها إلى ندوة العقاد ثانية ، فقد قامت ثورة ١٩٥٢ ، وشغلتنا بأحداثها ، وشغلنا بها ، ثم سافرت فى بعثة ، وحين عدت منها كان العقاد قد رحل عن دنيانا ..



العقاد .. دورة كتب ..

واحسب اننى وقفت فيها على سر اتجاه العقاد وعظمته ، وبدون حضورها كان العقاد سوف يبدو لى فى الجانب الاكبر من تفكيره وسلوكه سرا مغلقا .

لم اشارك العقاد يومها أيا من أرائه ، ولكنى اكبرت فيه من تلك اللحظة ايمانه بالفكر ، واعتزازه بالثقافة ، وشموخه وكبرياءه . وخرجت من عنده مؤمنا بان مثله ، كاى بشر ، يخطىء ويصيب ، ولكنه لايباع ولايشترى فى سوق النخاسة الفكرية ، وما أكثر الذين حملوا أمانة القلم على أيامه وبعدها وباعوه بثمن بخس .. دراهم معدودة ، وكانوا فيه من الخاسرين ..



القاهرة والنيل

بقلم : د . سيد كريم

●● لايعرف الكثيرون انه تم تغيير مسار نهر النيل في القرن الماضي ، كجزء من تجميل القاهرة ، عندما نجح المهندسون في نقل الخيال الى واقع حي ، ونقل مجرى النهر من موقعه منذ آلاف السنين ، الى موقع جديد يخترق القاهرة ، وتحتضنه القاهرة ويكتب تاريخها الحديث .

ومن يومها عاش النيل في القاهرة ، فاحتضنته وارتبط بتخطيطها ، واصبح جزءا منها ، يهبها الحياة ، وتزدحم عمارتها على ضفتيه ، فكما يشق نهر السين باريس ، اصبح نهر النيل يشق القاهرة ...



● نقل مجرى نهر النيل : أكبر المشروعات العمرانية في القرن الماضي !

● مسار نهر النيل كان يمر بحديقة الحيوان وحديقة الأورمان ، ويصل إلى بولاق الدكرور والعجوزة وامبابة !!

القاهرة والنيل

● تبدأ قصة تحويل مجرى نهر النيل إلى عام ١٨٦٣ عندما تولى الخديوي اسماعيل الحكم . كانت القاهرة عاصمة البلاد نموذجا لمدينة من مدن العصور الوسطى التي تطوقها الاسوار وتحاصرها البوابات يبلغ عدد سكانها ٢٧٠ الف ساكن . تمتد حدودها من سفح المقطم والقلعة شرقا وتنتهي حدودها الغربية عند مدافن العتبة الخضراء والازبكية والمناصرة التي حاصرت امتدادها وحرمتها من الاتصال بالنيل او الوصول اليه . كانت المنطقة التي تفصلها عن مجرى النيل تتكون من سلسلة من المستنقعات ومجموعة من التلال تمتد عدة كيلو مترات حتى تصل الى شاطئه .

لم يكن النيل في موضعه الحالي بل كان مجراه الرئيسي يشق طريقه في المنطقة الغربية ممتدا من قرية الجيزة القديمة التي تقع عند نهاية كوبري عباس الحالي ويسير محازيا لشارع الدقي الحالي مارا ببولاق الدكرور والعجوزة وامبابة .

● كان لنشأة اسماعيل باشا في باريس وتشبعه اسباب الحياة الأوروبية بل اشدها تطرفا وهي الحياة الفرنسية الباريسية الأثر الأكبر في توجيه تفكيره فكانت رائده في كل ماقام به من مشروعات اصلاحية وعمرانية .

كانت باريس مدينة النور التي تعلم فيها وقضى فترة شبابه في اجواء ارجائها قد اصبحت حديث العالم عندما وضع المهندس العالمي « هوسمان » تخطيطها الجديد . ذلك التخطيط الذي جذب انظار العالم واقتدى به خبراء التخطيط في اعادة تخطيط كثير من العواصم والمدن الكبرى في أوروبا وامريكا .

عندما عاد اسماعيل باشا الى مصر هاله ماوصلت إليه عاصمة بلاده من الانحلال وماتعرضت له القاهرة من حملة ضارية ومغرضة تبنتها صحافة الغرب عندما انتشر وباء الملاريا وحميات الأمراض المعوية لاعتماد القاهرة على مياه الشرب التي ينقلها « السقاءون » من البرك والمستنقعات الراكدة والتي تختلط بمياه المجاري . فاستهدفت الحملة نهر النيل الذي يتغنى المصريون بالشعار الذي وصف به اميل لودفيج النيل بقوله :

«من شرب من ماء النيل مرة عاد اليه ثانية» فحرفوه في حملة دعايتهم بقولهم من شرب من ماء النيل مرة عاد الى بلده للعلاج . كما وصفوا مدينة القاهرة بانها المدينة التي يعيش سكانها داخل الناموسيات .

كان لتلك الحملة التي استمرت بضع سنوات اثارها في امتناع الكثير من زيارة مصر سواء للسياحة او التجارة .

فعندما تولى اسماعيل باشا الحكم كان اول عمل فكر فيه ليبدأ به حكمه هو اعادة تخطيط القاهرة وتعميرها من جهة ثم رد الاعتبار لنهر النيل الخالد الذي اطلق عليه المصريون القدماء نهر الحياة ليعيد الحياة لتخطيطها الجديد .

ولكي يحقق الحلم الذى طالما راوده ان يرى فى القاهرة صورة لباريس التجا اسماعيل باشا الى صديق شبابه الامبراطور نابليون الثالث طالبا منه ان يعاونه فى اعادة تخطيط القاهرة واعادة تعميرها بتكليف المهندس هاوسمان الذى قام بتخطيط باريس ليصنع تخطيط القاهرة الجديدة . وطلب اسماعيل باشا من هاوسمان ان يعكس تخطيط القاهرة وتعميرها صورة باريس أجمل عواصم العالم . فحقق هاوسمان له حلم امنيته وتظهر القاهرة فى زيها الجديد الذى يعكس معالم باريس بتخطيطها وعمارتها وحدائقها وميادينها وقصورها . بل زودها التخطيط بالمرافق العامة من شبكات للمجارى ومياه الشرب ورى الحدائق والانارة بالغاز لاول مرة فى تاريخها العمرانى واطلق عليها العالم اسم « باريس الشرق » . كانت فكرة نقل النيل ليشترك فى تخطيط القاهرة وتعميرها ضمن قائمة الرغبات التى قدمها اسماعيل باشا لمهندس التخطيط والمحفوظة بالمكتبة العامة بباريس .. وصفها احد الكتاب المعاصرين بانها « اليوم الذكريات » ذكريات شبابه المرتبطة باماكن خاصة ومعالمها العمرانية وطلب ان يخصص لكل منها مكانا تحتله فى التخطيط الجديد منها على سبيل المثال حديقة لوكسمبرج الباريسية الشهيرة لتصبح حديقة الأزبكية بجميع معالمها واسوارها واشجارها ومسرحي الأوبرا والكوميدى فرانسيز (الأوبرا والكوميديا وميدان كل منهما وغابة بولونيا (حدائق الأورمان) وغيرها مما ورد فى قائمة الرغبات) .

كان على راس قائمة الرغبات نقل نهر النيل ليتوسط تخطيط القاهرة الجديدة اسوة بنهر السين الذى يخترق باريس وتحتضنه المدينة بجناحيها واصبح جزءا منها تتعانق احياء المدينة وعمرانها على ضفتيه .

فحقق تخطيط القاهرة معجزة نقل مجرى نهر النيل من موضعه النهائى لينبض بالحياة فى قلب القاهرة الجديدة فيتوسط تخطيطها كما يتوسط نهر السين تخطيط باريس .

● كان نهر النيل كما هو مبين فى احدى خرائط الحملة الفرنسية القديمة ويظهر بها مجراه القديم الذى يمتد من مدينة الجيزة القديمة ويمتد بمحازاة شارع الدقى الحالى مارا بمناطق حدائق الأورمان والجامعة والدقى والعجوزة وبولاق الدكرور وامبابة .

بينما المنطقة الشرقية منه ومن شواطئه كانت عبارة عن سيالة ضيقة تنحسر عنها المياه اكثر فصول السنة لارتفاع منسوب قاعها وقد بدأ العمل فى اجراء عملية التحويل مع البدء فى تخطيط المدينة نفسها فى أواخر عام ١٨٦٣ .

اشتمل التخطيط لعملية التحويل اقامة حاجز خرسانى بالقرب من مدخل كوبرى عباس الحالى كمصد لتغيير اتجاه تيار مياه الفيضان ليتجه الى الشرق فى اتجاه مدينة القاهرة واقيم جسر ترابى بامتداده ليسد جزءا من مدخل المجرى القديم . كما اقيم حاجز خرسانى او مصد مماثل فى موقع فندق شبرد الحالى ليغير اتجاهه مرة اخرى

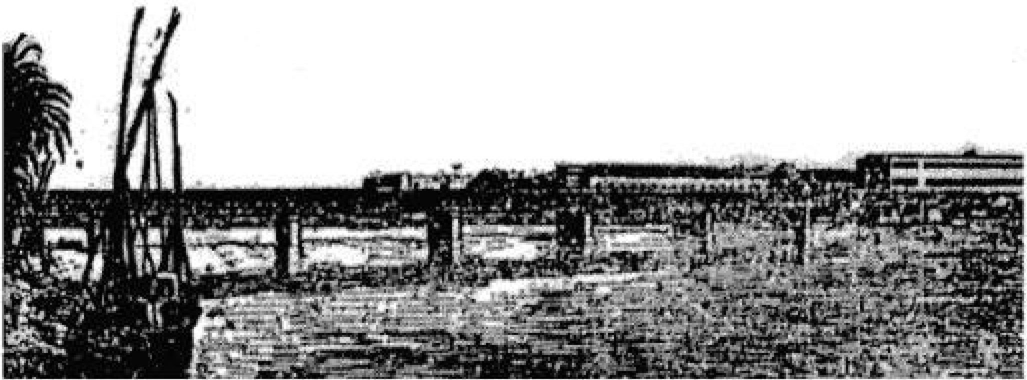
ليعود الى مجراه الاصلي عند منطقة امبابه وبولاق ولاتزال اثار تلك المصدات الخرسانية موجودة الى الآن .

لقد ساعد ارتفاع منسوب الفيضان المفاجيء وقوة اندفاع مياه تياره ، ساعد على تحقيق المعجزة فحفر النيل مجراه بنفسه في عام واحد وتمت عملية التحويل واتخذ نهر النيل موقعه الجديد في التخطيط المرسوم له في اواخر عام ١٨٦٥ اى ان عملية التحويل بالكامل استغرقت ١٨ شهرا .

● عندما تم تحويل مجرى النيل تخلف عن المنطقة الغربية من مجراه القديم الذي انحسر عنه الماء ، اراض واسعة بين شارع الجيزة الحالي وكورنيش النيل بخلاف المجرى نفسه فتقدمت احدى الشركات القومية بالاشتراك مع احدى الشركات الفرنسية التي ساهمت في تحويل مجرى النيل . تقدمت باستعدادها لردم المجرى القديم والمستنقعات المتخلفة عنه وبلغ ارتفاع الردم في معظم الاجزاء مايزيد على الثلاثة امتار اما المنطقة فقد طمت ارضها بتحويل مياه الفيضان عليها وتركها حتى يرسب ماتحمله من طمي .

وقد تم الاتفاق بين الحكومة والشركة التي قامت بعملية الردم وتسوية الأراضي أن تقوم الشركة بتسليم الحكومة الأراضي المخصصة للمشروعات العامة المحددة بالتخطيط وهي الأراضي التي اقيمت عليها غابة الأورمان وحديقة الحيوانات والجامعة ودور الاحصاء والمساحة والمدارس وغيرها من المشروعات العامة على ان تمنح الشركة بقية الأراضي لاستغلالها للاستثمار العقاري مقابل ماقامت به من

كوبري قصر النيل (رسم مأخوذ من شركة غايف ايزل)



اعمـال لـردم الأراضى وتمهيـدهـا وتخطيطها . وهى الشركة التى اطلق عليها اسم شركة تقاسيم اراضى الجيزة والروضة ولازالت تحتفظ به الى الآن .

● فى مقدمة المشروعات التى اشتمل عليها تخطيط الاراضى التى تخلفت من ردم مجرى النيل مشروعات القامة « اورمان » او غابة مماثلة لغابة بولونيا المشهورة خارج باريس ، وقام برسمها وتخطيطها المهندس باريل بك .. وتبلغ مساحة حديقة الاورمان ٤٦٥ فدانا . كانت تشمل حـدائق الاورمان الحالية وحديقة الحيوانات وتمتد إلى سراى الجيزة بمبانيها الفخمة والتى كانت تقع موضع مخازن الترام القديمة بشارع المدارس وقد جلب باريل بك اشجار حديقة الاورمان وحديقة الحيوانات بمختلف انواعها النادرة من آسيا ولوربا وامريكـا ومعظمها من الانواع التى استوردت خصيصا لغابة بولونيا الباريسية وحديقة الازبكية .

● كما كان من نتيجة حفر النهر لمجراه الجديد ان تراكم الطمى والرمل بالمنطقة الشمالية من الجزيرة وهى منطقة الزمالك الحالية التى تحولت الى شاطىء سياحى بلغت مساحته الفى فدان فلتخذه سكان القاهرة مصيفا ومكانا للنزهة والاستجمام والترفيه فاصدر اسماعيل باشا قرارا بالا تقام به اية مبان او منشات ثابتة سوى "الزمالك" والزمالك لفظ البانى معناه العشش او كبائن الشاطىء . ومنه اتخذت الزمالك اسمها الذى يطلق عليها الآن .

اما الجزء الجنوبى من الجزيرة فقد تحول الى مجموعة من الحدائق والبساتين لتزويد قصور القاهرة بما تحتاج اليه من اشجار ونباتات للزينة ولم يقم عليها من المبانى سوى قصر الجزيرة الذى يقع فى طرفها الشمالى المطل على منطقة الزمالك الذى اقيم عام ١٨٦٨ لنزول الامبراطورة اوجينى زوجة نابليون الثالث بمناسبة زيارتها

اول صورة فوتوغرافية اخذت لكوبرى قصر النيل - عام ١٩١٠



القاهرة والنيل

لمصر لحضور احتفالات افتتاح قناة السويس وزيارة القاهرة «باريس الشرق» التى وعدت اسماعيل باشا بزيارتها عند اتمام تخطيطها وظهورها فى ثوبها الجديد ـ وسراى الجزيرة هى التى تحولت الى فندق ماريوت حاليا .

● بانتقال مجرى النيل الى موضعه الجديد ليتوسط القاهرة وتمتد حدودها العمرانية الى ضفته الغربية لتغطى مساحات شاسعة من الأراضى التى كانت تغمرها مياه مجراه القديم ليشملها التخطيط وتصبح جزءا من القاهرة الجديدة نفسها ، كان من الضرورى وصل الضفتين ببعضهما ووصل شرايين المرور بينهما بالكبارى اسوة بالكبارى التى تعبر نهر السين بباريس . كان عبور نهر النيل القديم يتم على قنطرة من القوارب المتراصة والمصفوفة بعضها بجانب بعض والممدودة عليها الواح خشبية او فى المعديات الصغيرة التى لاتصلح للاستعمال فى المجرى الجديد لعمق قاعه واشتداد تياره . فاشتمل التخطيط الجديد اقامة أول كوبرى يعبر نيل القاهرة ويعانق ضفتيه ويعد فى نفس الوقت أول كوبرى أقيم على نهر النيل من منبعه إلى مصبه وكان يعتبر وقت انشائه من أجمل قناطر العالم من حيث هندسته وجماله كما ورد ذكره فى جميع المراجع الهندسية المعاصرة . كان طول الكوبرى ٤٠٦ أمتار وعرضه ١١ مترا وله فتحتان ملاحيتان يدار الجزء المتحرك منهما باليد وبنيت اسسه ردعائمه بالدبش العادى محوطا بطبقه من الحجر الجيرى الصلب . قامت بصنع هيكله المعدنى وتنفيذه شركة « فيف ليل » الفرنسية التى قامت بتنفيذ احد كبارى باريس التى تعبر نهر السين فى وقت معاصر . بدأت العمل فى انشاء كوبرى النيل عام ١٨٦٩ واتمته خلال عام ونصف .

ولما استحضر الخديوى اسماعيل المثالين لصناعة تماثيل ميادين القاهرة كلف أحدهم بعمل اربعة تماثيل لأربعة من السباع الضخمة فصنع أجمل صنع من البرونز واقيم كل اثنين منهما على مداخل الكوبرى من جهتيه المتقابلتين واطلق العامة على اسماعيل باشا اسم «ابو السباع» .

ولما كانت الجزيرة يفصلها عن الشاطىء الغربى القناة التى تخلفت من النهر بعد ردم مجراه وكان يطلق عليها اسم « البحر الاعمى » الذى لاتصل اليه المياه الا وقت الفيضان . فقد رؤى اقامة قنطرة او كوبرى صغير كاستمرار لكوبرى قصر النيل لوصوله الى الشاطىء الغربى فقامت احدى الشركات الانجليزية باقامته وتنفيذه عام ١٨٧١ وهو الكوبرى الذى لازال يطلق عليه إلى اليوم «كوبرى الانجليز» ويطلق عليه العامة اسم الكوبرى الأعمى نسبة الى سيالة البحر الأعمى التى اقيم فوقها .

● فى مقدمة المشروعات التى تدخل ضمن اطار الاعجاز الفنى من ناحية التخطيط والانجاز التى ارتبطت



إحدى الخرائط القديمة لمدينة القاهرة تبين موقع المدينة وحدودها القديمة قبل إعادة تخطيطها لتمتد إلى شاطىء النيل الذي انتقل إليها وتصل مساحتها على شاطئه الشرقي إلى ثلاثة أمثال مساحتها الأصلية بخلاف تخطيط الشاطىء الغربي وضمه إليها

القاهرة والنيل

القاهرة القديمة كانت تحددها اسوارها القديمة وبوابات داخلها . تمتد حدودها من القلعة والمقطم شمالا الى الازبكية جنوبا .

FORT EL MAKS

CANTON EL MAKS

BIRKET BATN EL BAKARA

BAB EL FOUTOUH

PLACE BEIN EL CASRAIN

AL AZHAR



احدى الخرائط القديمة لمدينة القاهرة - عام ١٨٦٩ - اثناء الاحتفال بافتتاح قناة السويس

بتحويل مجرى النيل وتعمير شاطئه الغربى مشروع مدخل القاهرة الغربى او طريق الاهرام الذى يصل القاهرة باهرامها الأثرية الخالدة احدى عجائب الدنيا السبعة والتى كانت تعتبر رمزا سياحيا لمصر وتصورها المطبوعات وهى تطل على النيل كانها جزء من القاهرة نفسها كما يربط طريق الاهرام او مدخل القاهرة الغربى بكل من الوجهين القبلى والبحرى عن طريق الصحراء الغربية .

وامتد تخطيط القاهرة ليشمل إنشاء طريق الأهرام الذى تم ردمه بارتفاع اربعة امتار عبر الأراضى المنخفضة والمستنقعات التى كانت تغمرها مياه الفيضان وتعزل الأهرام عن القاهرة وتم انشاء الطريق بعرض عشرين مترا وردمه بارتفاع اربعة امتار فى زمن قياسى عالمى لايتعدى ثلاثة اسابيع . كما تم رصفه وغرس الأشجار الباسقة على جانبيه خلال ثلاثة اشهر تم افتتاحه بعدها رسميا .

وقد علقت احدى الصحف الفرنسية العالمية على ذلك الانجاز الخيالى بقولها عند الافتتاح الرسمى لطريق الأهرام بقولها « ابناء بناة الاهرام يقومون بانشاء طريق لزيارة الاهرام طوله عشرة كيلومترات وعرضه عشرون مترا ويرتفع اكثر من اربعة امتار تم رصفه وزراعة جانبيه بالأشجار العالية فى ثلاثة اشهر حتى يمكن افتتاحه مع افتتاح قناة السويس ويقوم ضيوف مصر بزيارة اهرامها الخالدة .

رسالة موسكو

بقلم: يوسف القعيد

مـــاذا جـــرى
فى اجتماعات كتاب اسيا وأفريقيا
والكتـــاب السوفييـــت ؟

●● « ذوبان الثلوج » هو عنوان المناخ الذى تمر به موسكو هذه الايام .. وهو عنوان لما يجرى حتى فى ميادين السياسة والفكر والادب ، فى شوارع موسكو ، يذوب ثلج الشتاء الماضى ، فعلا وعلى اساس واقعى . وفى العقول والقلوب والضمائر مطلوب ان تذوب ثلوج زمان بريجنيف ، بل إنه حتى ثلوج ستالين مطلوب ان تذوب ايضا فى هذه الايام . ورغم تراكم ثلوج اكثر البلدان محافظة فى هذا العالم . فإن حرارة فكر جورباتشوف هى وحدها المطلوب منها ازالة كل هذه الثلوج ..

● « ذوبان الثلوج » عنوان رواية صدرت من قبل للروائى إيليا اهرنبورج عن فترة مماثلة لما يجرى الآن فى بلاد السوفييت . كانت الثلوج فى المرة السابقة ، هى ثلوج ستالين . والآن اضيفت إليها ثلوج بريجنيف . ما اكثر الثلوج فى بلاد الثلج والضباب ..

●● وصلت إلى موسكو فى السادسة صباحا ، كان العالم كله دائرة واسعة من اللون الابيض ، فى الجو ضباب جميل ، والأرض والاشجار والاشياء والمبانى مغطاة بالثلج ، وهذا حال يثير الاحساس بالشجن .

فى قصص الكتاب السوفييت وصف يتكرر دائما ويقول ، إنه ما ان ينزل ثلج الشتاء حتى يتسلل الاحساس بالكآبة إلي



لطفى الخولى | عبد العزيز حمودة | ادور الخراط | يفجينى سيدروف

النفوس . وما ان يبدأ ذوبان الثلوج ، حتى تأتى مقدمات الفرح الانسانى .

وبالنسبة لى ، كقادم من بلاد حارة ، تسبح فى العرق والسخونة والغبار ، فإن هذا الجو يبدو قريبا من الاحلام .

من الصعب ان تعرف فى موسكو الآن ، اين ينتهى الشتاء ولا اين يبدأ الربيع ، الشتاء يولى وان كانت علاماته تفرض نفسها ، تتشبث بالبقاء ، ومقدمات الربيع موجودة هنا وهناك ، وهذه الايام نفسها عنوان لرواية جميلة ، من عيون الأدب هى « ذوبان الثلوج » ..

كنا اربعة . لطفى الخولى الأمين العام لاتحاد كتاب اسيا وافريقيا ، والدكتور عبد العزيز حمودة عميد آداب القاهرة ، وسكرتير عام اتحاد الكتاب المصريين - وان كان لم يسافر معنا بأى صفة لها علاقة بالاتحاد المصـرى - وادوار الخراط ، الروائى والكاتب المعروف . واحـد مؤسسى التضامن الأسيـوى الافريقى واتحاد وكتاب آسيا وافريقيا منذ السنوات الأخيرة من الخمسينيات وحتى الآن .. وكاتب هذه السطور . وهكذا مثل الوفد مدارس وأجيالا واتجاهات مصرية مختلفة .

كنا نشكل وفد اتحاد كتاب آسيا وافريقيا . المسافر لعقد اجتماع تشاورى مع اتحاد الكتاب السوفييت .. يسبق اول لقاء دولى موسع لاتحاد كتاب آسيا وافريقيا والذى من المتوقع ان يعقد فى القاهرة فى خريف هذا العام .. مع افتتاح المقر الجديد للاتحاد .

عقدنا ثلاثة اجتماعات مع الجانب السوفييتى ، وكان تأثير عملية إعادة البناء التى يقودها جورباتشوف واضحا حتى فى ميدان اتحاد الكتاب السوفييت نفسه .. فالوجوه التى تعاملنا معها ، من الجانب السوفييتى كانت جديدة تماما علينا وعلى هذا الميدان .

وهذا الاجتماع مقدمة لاجتماعات اخرى سيعقدها الاتحاد مع الاتحادات الوطنية فى اليابان والهند .. وغيرها من



الاتحادات المؤثرة والأساسية .. فى دائرة اسيا وافريقيا ..

حضر هذه الاجتماعات من الجانب السوفييتى ، فلاديمير كاربوف .. السكرتير الأول لاتحاد الكتاب السوفييت الحالى .. وكان قد خرج لتوه من معركة الانتخابات البرلمانية الجديدة منتصرا .. ويفجينى سيدروف .. النائب الأول للسكرتير العام للاتحاد .. والمسئول عن الاتصالات مع آسيا وافريقيا .. وهو عميد معهد جوركى فى موسكو .. واحد الاسماء الطالعة فى سماء الدراسات والبحوث الأدبية فى الاتحاد السوفييتى .. وأوليك سيفرجين المسئول فى الاتحاد عن العلاقات الخارجية .. وكاميروف حكيموف من سكرتارية الاتحاد .

● إنجازات مصرية ..

كان هذا هو اللقاء الاول ، منذ المؤتمر الثامن والذى عقد فى تونس فى ديسمبر الماضى ، وكان من الطبيعى أن نتوقف أمام ما تم انجازه فى هذه الفترة .. فقد عاد اتحاد كتاب أسيا وافريقيا إلى مصر بعد عشر سنوات من الأغتراب وكانت هناك مهام محددة أمام الاتحاد فى مصر لكى ينجزها خلال هذه الفترة ..

ورغم قصر الفترة الشديد .. فإن هناك ماتم فعلا .. فقد وافقت القيادة السياسية المصرية على تخصيص مقر تاريخى للاتحاد ، هو عبارة عن كرمة بن هانىء ، فيللا أمير الشعراء العرب أحمد شوقى ، ذلك انه بعد العودة من تونس ، كانت حالة الاتحاد القديم بما فى ذلك المقر حاله يرثى لها . وكان من الصعب وراثة الاتحاد القديم . بكل مافيه .. وكان لابد من العثور على مكان جديد تماما يجرى تأسيسه بشكل جيد وقد قدمت الحكومة المصرية اكثر من مقر ، جرى اختيار فيللا شوقى لما تمثله من مكانة ادبية هامة ، ليس مصريا فقط ولكن على مستوى العالم كله ، وعلى الرغم من الظروف المالية الصعبة فى مصر .. وعدم حلول موعد الميزانية ، فان مصر قدمت للاتحاد مبلغ خمسين الف جنيه للبدء فى العمل فورا .. وذلك لحين حلول موعد الميزانية القادمة فى منتصف هذا العام .

من القضايا التى جرى العمل فيها بجدية ايضا تطبيع العلاقات مابين اتحاد كتاب أسيا وافريقيا واتحاد الكتاب فى مصر .. باعتبار ان الاتحاد المصرى ليس عضوا فى الاتحاد الدولى . بل وقد نشأ فى ظل نقل الاتحاد الدولى من مصر .. جرى عقد سبعة إجتماعات بدأت بالأجيال الشابة فى مصر ، وانتهت بالكتاب الكبار وتبلورت هذه المناقشات حول فكرة تأسيس رابطة لكتاب أسيا وافريقيا فى مصر ، تعمل هذه الرابطة فى ظل اتحاد الكتاب المصرى ، ومن داخله . وان كانت عضوية اتحاد الكتاب المصرى ليست شرطا لعضوية هذه الرابطة . وذلك نظرا لوجود عدد كبير من الكتاب المصريين ليسوا اعضاء فى الاتحاد .. ويجرى العمل حاليا من اجل اتخاذ الخطوات الأساسية لتأسيس هذه الرابطة فعلا ..

وجرى عقد لقاء مع ادباء عرب من كافة الدول العربية ، كانوا فى زيارة لمصر ، لحضور معرض القاهرة الدولى للكتاب .. حيث تم بحث القضايا العربية للاتحاد .

خاصة قضية عضوية الاتحاد والروابط الادبية .. في دول الخليج العربي في اتحاد كتاب أسيا وافريقيا حيث أن كافة الدول الموجودة في اسيا وافريقيا اعضاء في الاتحاد باستثناء اسرائيل في اسيا وجنوب افريقيا في افريقيا اللذين ليسا اعضاء ولايمكن ان يكونا اعضاء في هذا الاتحاد وكذلك فأن دول : الكويت ، البحرين ، قطر ، الأمارات العربية المتحدة ، سلطنة عمان . المملكة العربية السعودية ليست اعضاء في الاتحاد .. وقد أقيم الاتصال الأول من اجل بحث خلق وانشاء هذه العضوية التي لم تكن موجودة من قبل .

ذهبنا الى موسكو ومعنا مشروع ميثاق جديد للاتحاد . ذلك ان الاتحاد نشأ في سنة ١٩٥٨ . كابن شرعي لمنظمة تضامن شعوب آسيا وافريقيا . وفضلا عن أن العصر قد تغير تماما . وأولويات العمل في القارتين قد تبدلت كذلك فإن التنظيم الأبن قد كبر وترعرع واصبح كيانا مستقلا تماما .. له دوره الثقافي المختلف عن الدور الأول .. الذى كان سياسيا في الأساس . وبرنامج العمل خلال سنة ١٩٨٩ . وخطة للعمل حتى المؤتمر التاسع للاتحاد والذى يعقد بعد خمس سنوات من الآن .. واتصالات تمت مع جهات دولية سواء نادى القلم الدولى . أو معهد العالم العربي في باريس . او فكرة الانفتاح على امريكا اللاتينية . باعتبار ان فكرة اسيا وافريقيا فقط قد تجاوزها ايقاع الزمن نفسه ..

وكذلك فكرة عن بدء الاتصالات مع الصين لدخول الاتحاد التي جمدت عضويتها فيه منذ الخلاف السوفييتى الصينى الشهير وحتى الآن .. كذلك كان هناك تصور كامل حول الظروف المالية للاتحاد سواء من حيث المطلوب لتأسيس مبنى الاتحاد الجديد .. والذى يتطلب حوالى ربع مليون جنيه مصرى .. لابد من وجود نسبة منها بالعملة الصعبة من الاشتراكات السنوية للدول الأعضاء .. ذلك ان الاتحاد لكى يبدأ بداية قوية وفعالة ومؤثرة لابد وان تكون له ميزانية مالية ثابتة من خلال موارد مالية ثابتة ايضا ..

● افتتاح عالمى

كانت هناك حالة من الاعجاب بالانجاز المصرى وسرعته وحسمه .. ماكان أحد يتصور انه يمكن ان يتم هذا كله في شهور : يناير ، فبراير ، مارس فقط .. كان الحديث في مؤتمر تونس دائما عن العقبات البيروقراطية في كافة دول العالم الثالث .. والذى يعوق اى قدرة على العمل .. ويؤخر هذا العمل بقدر الامكان كلما امكن ذلك التأخير . ولكن كان هناك انجاز مصرى .

لم يكن هناك استغراب أو دهشة .. ذلك ان بناة الأهرام .. ومشيدى السد العالى يمكنهم عمل المعجزات ، كذلك فإن مصر ، في الأساس ترى نفسها دولة دور ، وانها تقدم لهذا الدور الكثير بصرف النظر عن كافة ظروفها التي ربما كانت صعبة في بعض الاحيان .. وربما قاسية ..

كنا قد ذهبنا بتصور أن يكون افتتاح المقر الجديد للاتحاد في خريف هذا العام .. وانه لابد من الانتهاء من كافة

التجهيزات واعادة البناء من الآن وحتى اغسطس القادم ..

وان يجرى الاحتفال بالافتتاح على مستوى عالمى يليق بمكانة مصر ودورها .. والاتحاد والمكان الذى جرى تخصيصه لهذا الاتحاد .. وألا يقتصر الامر على افتتاح المبنى ..

وأن تعقد ضمن فعاليات الافتتاح ندوة دولية كبرى عن الشعر الافريقى الأسيوى . حيث يجرى تكريم عدد من عمالقة الشعر فى القارتين : بوشكين من الاتحاد السوفييتى واحمد شوقى من مصر .. وأوجستينوانتيو من انجولا وطاغور من الهند .. وميخائيل نعيمه من لبنان .. وابو القاسم الشابى من تونس وفايز احمد فايز من الباكستان .. وجميل الزهاوى من العراق ..

وان يتم الاحتفال على النحو التالى :

١ ـ ان يلقى فنانون من هذه البلدان اشعارهم بطريقة جديدة ومبتكرة فى الاداء والتقديم خاصة لاجيال جديدة ربما لاتعرف الكثير عن هؤلاء الشعراء .. ولم تجد الفرصة بعد متابعة شعرهم بالقراءة والاطلاع ..

٢ ـ مناقشة عدد من الدراسات عن تطور الشعر الحديث فى افريقيا وآسيا ..

٣ ـ ان تجمع مواد الندوة وتصدر فى كتاب بلغات الاتحاد الاربع الرسمية وهى : العربية ، الانجليزية ، الفرنسية الروسية .

٤ ـ أن يحفظ سجل صوتى وبصرى للندوة (على شكل شرائط كاسيت وفيديو) .

● قضايا الترجمة ●

تقرر ايضا ، عقد ندوة ، قبل نهاية العام عن هموم الترجمة وقضاياها ، بالنسبة لآداب القارتين .. حيث انه من الملاحظ ان علاقات القارتين الأدبية انما تتم عبر لندن وباريس ..

واننا فى الوطن العربى تعرف آداب اسيا وافريقيا مترجمة إما الى الانجليزية والفرنسية اولا .. حسب لغة المستعمر السابق لهذه الدولة او تلك .. وهكذا تتأخر كثيرا عملية التعارف والتلاقى ..

المتصور والمتوقع لهذه الندوة ان تعقد فى المغرب وان تناقش قضايا ومشاكل الترجمة الحالية لآداب آسيا وافريقيا .. سواء من اللغات الوطنية الى غيرها .. او إلى اللغات العالمية .. وكذلك القضايا العلمية والعملية التى تطرحها عملية ترجمة الادب باعتباره نصوصا ابداعية من الصعب دائما ترجمتها بدقة مع الابقاء على الجوهر الاساسى للعملية الأبداعية .. فى النص ..

الندوة لن تقتصر على بحث القضايا العلمية .. ولكنها ستكون معنية بوضع خطة لترجمة آداب وابداعات الثقافة الافريقية الأسيوية من اللغات السائدة واليها .. مباشرة أو عن طريق اللغات التى لها ذيوع دولى . وجمع المعلومات عن هذه الترجمات . تمهيدا لانشاء بنك معلومات يعمل بالكمبيوتر فى هذا الميدان ..

وقد اكتشفنا وجود أربعة مجلدات فى موسكو عن ترجمات مابين الأدب العربى والادب السوفييتى فى العصر الحديث وحده .

وبحث تذليل العقبات أمام الترجمة .

وانشاء لجنة دائمة افريقية آسيوية على ان يحضر هذه الندوة من ١٥ إلى عشرين باحثا من المتخصصين فى الموضوع والمترجمين والنقاد والدارسين القائمين بابحاث ودراسات فى هذا الموضوع .

● طموحات ●

تصور الاتحاد للعمل لم يتوقف عند حدود هذا العام ، الذى يعد العام الاول فى عمره . بعد العودة الى مصر ، حيث ثبت بالدليل القاطع ان خروجه من مصر .. ادى إلى مايمكن ان يكون وفاته نهائيا .

هناك فكرة لعمل دراسة ميدانية عن « علاقة الكتاب الافريقيين والآسيويين بوزارات الثقافة فى بلادهم » ..

وذلك من خلال القيام بدراسة ميدانية عن انشاء ونشاط وزارات الثقافة فى مصر ، المغرب ، نيجيريا ، الاتحاد السوفييتى ..

والعمل على وضع ميثاق للدفاع عن حقوق الكتاب الافريقيين والاسيويين وحمايتهم من العدوان على هذه الحقوق وذلك سواء بالاضطهاد أو الاعتقال بسبب كتاباتهم .. وكذلك مصادرة كتبهم .

وان يجرى خلال ذلك محاولة توقيع بروتوكولات للتعاون مع وزراء الثقافة فى الدول الاسيوية والأفريقية وقد تمت اتصالات أولية مع وزراء الثقافة فى مصر وتونس والمغرب وهناك حالة من الترحيب من وزراء الثقافة فى هذه الدول فعلا ..

وفى ميدان الاتصالات هناك خطة شاملة لتنظيم تبادل المطبوعات والزيارات وإلقاء المحاضرات بين الأمانة العامة فى القاهرة .. وكافة التنظيمات فى دول اسيا وافريقيا ..

وكذلك توسيع نطاق التعاون والعمل مع اليونسكو والجامعة العربية ، والاليسكو ونادى القلم الدولى .. وقد بحث الاتصال معه .. خلال وجود الدكتور إدوارد سعيد من مصر اخيرا .. وانشاء واستئناف العلاقات مع الدول التى كانت لها عضوية منتسبة أو العضوية بدرجة مراقب من قبل .. مثل :

فرنسا ، انجلترا ، السويد ، الولايات المتحدة الامريكية ، استراليا ، كوبا ، شيلى .. يوغوسلافيا ، رومانيا وغيرها من الدول التى تقبل ميثاق الاتحاد وشروطه واهدافه التى يسعى من اجل تحقيقها ..

موارد الاتحاد المالية تـأتى من اشتراكات الأعضاء وهذه الموارد تلعب الدور الأساسى فى الوفاء بها مصر بـاعتبارهـا دولة المقـر .. والاتحـاد السوفييتى والدول الكبيرة فى الاتحاد ، ولكن فى المرحلة الجديدة .. ومن أجل السعى إلى اتحاد قوى يقوم بدور حقيقى ولايعتمد على الهبات من أحد ، تقرر ان يكون هناك اشتراك سنوى ، لكافة اشكال العضوية ، بما فى ذلك العضوية الفردية فى الاتحاد ، وان يكون هذا الاشتراك إجباريا ، ولابد من صدور قرار واضح بالاعفاء من دفع الاشتراك فى حالة عدم القدرة على الدفع أو وجود حالة استثنائية تبرر هذا الاستثناء .. والا يتم التوسع فى مثل هذه الاعفاءات .. ذلك ان العمل الحقيقى يتطلب دائما تمويلا حقيقيا لايعتمد على الصدقة أبدا ..

رسالة لندن

توفيق الحكيم



فى ميزان النقد الاستشراقى

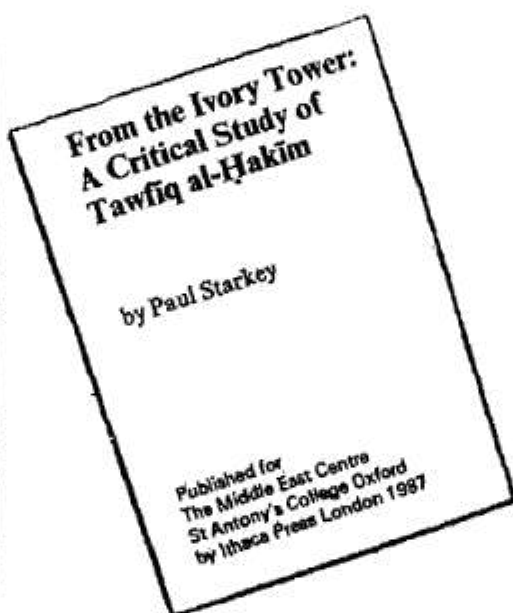
بقلم : د. رشيد العنانى

مراجعة لكتاب « من البرج العاجى : دراسة نقدية لتوفيق الحكيم »
تأليف : بول ستاركى . نشر : مطبعة إثاكا بلندن

From the I vory Tower : a Critical Study of Tawfiq al — Hakim , by Paul Starkey · (London : Lthaca Press)

يحظى الادب العربى الحديث بقدر لا بأس به من الاهتمام من قبل الدوائر الجامعية المتخصصة فى الغرب · وهو اهتمام يتبدى فى حركة للترجمة بطيئة وانتقائية ولكنها متواصلة ، وحركة للدرس والنقد اكثر بطئا وامعانا فى الانتقاء ولكنها ملحوظة · وقديما كان اهتمام المستشرقين ينصب على درس الاسلام والادب العربى القديم وكانوا يدرسون اللغة العربية فى معاهدهم الاكاديمية كما لو كانت احدى اللغات الميتة مثل اللاتينية أو اليونانية القديمة · فلما انتصف القرن الحالى وتصاعدت حركة التحرر الوطنى فى البلاد العربية فى أعقاب الحرب العالمية الثانية وبرزت الى الوجود مشكلة الصراع العربى الاسرائيلى وتدفق النفط من الآبار العربية جالبا معه ثروة تفوق الخيال وتكالبا على استغلال هذه الثروة من الاقتصاد الغربى ـ جعلت كل هذه العوامل (وغيرها) الغربيين يكتشفون أن للعرب لغة حية متوثبة وأن لهم أدبا حديثا ناهضا جديرا بالدرس والنقل والنقد · وهكذا فان اهتمامهم بأدبنا المعاصر ـ الى جانب كونه اهتماما





توفيق الحكيم .. هل كان فى برج عاج ؟

ادبيا اكاديميا ـ هى ايضا محاولة من جانبهم لفهم الانسان العربى الحديث حضاريا وسياسيا الفهم الضرورى للتعامل معه تعاملا ناجحا ، سواء كان هذا التعامل فى مجال الصداقة او العداء · ولهذا فانه يتعين على القراء والباحثين العرب أن يتصدوا لما يكتب فى الغرب عن ادبهم بالرصد والترجمة والتمحيص · وليس صحيحا أن نقول اننا فى غير حاجة الى أن يدرس المستشرقون ادبنا لنا ، فبعض هذه الدراسات جيد من الناحية الموضوعية الى جانب انها كلها ـ بجيدها ورديئها ـ مرآة ممتازة لصورة الذات لدى الآخر (اى لصورتنا كحضارة عربية لدى حضارة اخرى كثيرا ما نجد أنفسنا فى حال صدام معها) ، وهى لذلك فرصة لمطالعة الفكر العربى بعقول الآخرين ، أو للنظر الى ذواتنا من خارج ذواتنا ·

وقديما اهتم عباس العقاد وغيره بتفنيد الاراء الاستشراقية فى الاسلام واهتم طه حسين وغيره بفحص ارائهم فى الادب العربى القديم وذلك حين كان اهتمام المستشرقين منصبا على الاسلام وادب العرب الاقدمين فحسب · أما اليوم وقد أصبحوا يهتمون أيضا بادب العرب المعاصرين فجدير بنا أن نهتم باهتمامهم مشيدين بما نراه صائبا فيه ومنبهين لما نجده مجانبا للصواب ·

من الكتب التي تستحق الالتفات اليها كتاب جديد من تأليف الدكتور بول ستاركي ، مدرس الادب العربي الحديث بجامعة « درام » DURHAM بشمال بريطانيا . والكتاب كان في الاصل اطروحة دكتوراه قدمت قبل عشر سنوات لجامعة اكسفورد. ويصارحنا المؤلف في المقدمة ان الكتاب هو ذاته الاطروحة بلا زيادة ولا نقصان فيما عدا بعض التعديلات الشكلية الطفيفة هنا وهناك .

كتاب الدكتور ستاركي ليس أول كتاب يتناول توفيق الحكيم بالدراسة في اللغة الانجليزية على اية حال فقد سبقه بنحو ثماني سنوات كتاب اخر هو « توفيق الحكيم : كاتب مصر المسرحي من تأليف ريتشارد لونج» . الا أن كتاب ريتشارد لونج كتاب املته العاطفة والحماس اكثر من الرغبة في التقييم الموضوعي . فكاتبه معجب أيما اعجاب بالحكيم وكتاباته وفكره وهو يصارحنا في مقدمة كتابه أن دراسته تلك « ليست عملا من أعمال النقد الادبي وانما هي محاولة لوصف حياة الحكيم وكتاباته معا ... » ولذلك فاننا لا نجاوز الحق ان قلنا ان الدراسة الجديدة للدكتور ستاركي هي أول محاولة منهجية شاملة لتقييم توفيق الحكيم في اللغة الانجليزية . على انه مما يؤسف له أنها على الرغم من انه يفصلها عن الكتاب السابق ما يقرب من عقد كامل وأنها صدرت في أعقاب وفاة الحكيم بعد أن اكتملت أعماله اكتمالا لا اضافة له ، فانها لا تلتفت الى انتاج الحكيم في السنوات العشر الاخيرة من عمره . وهو انتاج قد لا يكون وفيرا ، الا انه جدير بالرصد والنظر .

ولنبدأ بتهنئة المستعرب د. ستاركي تهنئة حارة صادقة على الجهد الهائل الذي بذله في وضع هذا الكتاب . فانتاج الحكيم عظيم الكم ، شديد التنوع . فثم ما لا يقل عن مائة مسرحية وأربع روايات وعشرات القصص القصيرة ومئات المقالات التي تتناول من الموضوعات كل شيء يرد على البال . كما أن تجاربه الشكلية والموضوعية في الفن المسرحي تتراوح تراوحا مذهلا ما بين المسرحيات الاجتماعية والمسرحيات الفلسفية ،وما بين اعادة طرح موضوعات المسرح اليوناني القديم وتجاريب مسرح العبث في القرن العشرين . الا أن د. ستاركي استطاع أن يشق لنفسه دربا واضحا العالم وسط هذا الدغل الحكيمي المخيف الذي ينذر المقبلين عليه ان امامهم طريقا قد لا تكون منه أوبة . وهو ينجح من خلال مثابرة لا يدركها الكلال وتحليل ثاقب لا تعوزه الجرأة في الرصد والمقارنة والاستنتاج في رسم خريطة فكرية نافعة لانتاج الحكيم واضعا يده على بعض المفاتيح الاساسية لعالم توفيق الحكيم . فعنده مثلا أن الحكيم رومانسي النزعة يميل الى تغليب العاطفة على العقل في التصدي للحياة وأن شخوصه الفنية تنعم في حياتها بقدر ما تبتعد عن هذا المثال . وعنده أيضا أن التجاذب الصراعي المتواصل بين الواقع والخيال في الوعي البشري هو جزء أساسي من رؤية الحكيم الفنية للحياة .

يشير المؤلف كذلك الى بعض التأثيرات الاوروبية على فكر الحكيم وأسلوبه الدرامي ويخص بالذكر المسرحي البلجيكي « ماترلينك » والايطالي « بيراندللو » والالماني

« برخت » وبعض كتاب مسرح العبث (وهو فى كل هذا مسبوق من قبل النقاد العرب) ، على انه لا يفيض فى هذا ، فدراسته ليست دراسة مقارنة ، وانما هى دراسة علمية « تيمية » HEMATIC تعنى بتحليل الشواغل الموضوعية الاساسية لدى الحكيم ، كما تهتم أيضا فى القسام الثانى بمشاكل الشكل الفنى ومدى اصابة الحكيم أو اخفاقه فى هذا الجانب ·

لا شك اذن فى أن كتاب « من البرج العاجى » يمثل دراسة دسمة لا يندم القارىء على ما ينفقه فيها من وقت ، الا انها ككل دراسة جادة لا تخلو من نقاط خلافية · كما انها أيضا للاسف ـ وعلى عكس المألوف فى الدراسات الرزينة ـ لا تخلو من نبو فى التعبير واستعلاء فى النبرة الكتابية · ونسوق هنا مثلا للتدليل على هذين المثلبين معا · يقول المؤلف فى معرض التعليق على مسرحية « الملك أوديب » التى يقدم فيها الحكيم طرحا جديدا للاسطورة الاغريقية القديمة التى تناولها « سوفوكليس » فى مسرحيته الشهيرة ، والتى يبرز فيها الحكيم الاثر المدمر لمعرفة الحقيقة على حياة البشر ـ يقول ما ترجمته « تثير هذه المسرحية مرة أخرى التساؤل عن امكانية أن ننسب بجدية صفة « مثقف » الى كاتب ينبذ الواقع ويفضل عليه عالما وهميا يقوم على انصاف الحقائق » ! (ص ٨٤) ولسنا ندرى ما هو تعريف الكاتب « للمثقف » ذلك التعريف الذى لا يتسع لواحد من صانعى النهضة الادبية العربية الحديثة ، الا اننا على يقين أن تعبيره هذا غير « مثقف » بالمعنى العربى الاصيل للكلمة ، أى « غير مهذب » ! على اننا اذا اغضينا عن العجرفة الواضحة فى ذلك التعليق ، لوجدنا أنه على أى حال ينطوى على خلط يؤدى الى مجافاة الحكم الصائب ، والخلط هنا واقع بين الحكيم الرجل وبين رؤياه الفنية · فهو قد يطرح رؤيا فنية مثالية رومانسية مؤداها ان الحقيقة نكبة على الانسان وأن العيش فى براءة الجهل بها قد يكون أجلب للسعادة وأدعى للبال الهنىء ، ونحن كقراء أو نقاد قد نواكب الفنان فى رؤياه هذه او نخالفه مفضلين مبدأ العيش فى حقيقة تعسة على العيش فى كذبة سعيدة · الا أن هذا لا علاقة له باعتبار الفنان مفكرا مثقفا أو لا ، فالفنان يستمد صفة الفكر والثقافة ليس من محتوى رؤياه ، وانما من واقع انه قادر على صب هذه الرؤيا فى قالب فنى ·

وقد كنا نحب أن نغضى على سوء تعبير الكاتب ذلك باعتباره زلة قلمية ، غير أن الكتاب للاسف زاخر بأمثاله · وهكذا نرى الكاتب يحمل على الحكيم بسبب ما يسميه بـ « انعدام الروح البناءة فى مسرحه الناقد للمجتمع وعزوفه الواضح عن أن يزيد على تصوير الاوضاع القائمة ... » (ص ١٦١) وكأن الفنان الخالق فى عرف د· ستاركى ينبغى عليه ان يكون مصلحا اجتماعيا أو سياسيا صاحب برنامج عملى لحل المشكلات الاجتماعية ! ونرى المؤلف ينثر فى غير حرص ولا تدبر نعوتا من قبيل « سطحى » ، « سخيف » ، « ملتوى الاسلوب » ، « مغرب » على اعمال الحكيم · ونراه ينبذ جانبا مسرحيات باكملها فى جملة أو جملتين (« مصير

مرصار » على سبيل المثـــال !)
باعتبارها دون مستوى النقد ٠

ويقع المؤلف فى خطأ اخر حين ينعى على الحكيم ان شخصياته غالبا مـا تكون « رموزا لمفاهيم عقلانيـــة » (٢٠٦) اكثر منها شخوصا حيـة ٠ ولكنه يفوته ان هذا طبيعى مألوف فى النوع المسرحى الذى ينتمى اليه الكثير من أعمال الحـــكيم ، وهو نوع (المسرحية) ذات الاطروحة » كمـا تسمى فى المصطلح النقدى الغـــربى **Thesis Play**، أو « المسرحيـــة الذهنية » كما سماها الحكيم نفسه ٠ وهو النوع المسرحى الذى يندرج فيه على سبيل المثال كثير من أعمـــال الكاتب الايرلندى« جورج برنارد شو»٠

ومن امثلة التحـامل لـكاتبنا المستشرق على الحكيم ما يقـوله فى معرض التعليق على عمله المستقبلى التجريبى « بنك القلق » فهو يـرى أن فكرة الكتاب ـ أى فكرة مصرف يتعامل فى القلق وليس فى المال هى فكـــرة « سخيفة » ، مع أن امثال هذه الافكار يمتلىء بها القصص والمسرحيـات الغربية وخاصة من النوع الذى اصطلح على تسميته « بالخيـال العلمى » أو Science Fiction ، ولا يترفع عنه كبار الادباء ، وليس من يصفه « بالسخافة » أما التجريب الشـكلى الذى لجأ اليه الحكيم فى هذا الكتاب من ناحية مزجه بين شـكلى الرواية والمسرحية مداولا فصول الكتاب بيـن هذا وذاك ، وسبتدعا لفظة مركبة هى « مسرواية » للاشارة الى الشـــكل الجديد ـ هذه التجربة لو قام بـــها كاتب غربى كبير ، لقامت له الدنيـا

ولم تقعد تصفق وتهلل وتدعــــوه بالمجرب الاكبر والمبدع الاعظم والمجدد الاسبق ، ولظهر له أتبـــاع ومريدون ومقلدون ومحاكون ٠ لكن مستشرقنـا ـ الذى هو وليد حضارة تنفق فنانوها وأدباؤها القسم الاعظم من هذا القرن يجربون ذات اليمين وذات اليسار فى الاشكال الفنية والقوالب الادبيـــة ، وفى كثير من الاحيان يجربون بـــلا هدف سوى التجريب فى حد ذاتــه ـ ليس لديه ما يقوله تعليقا على هــــذه التجربة الحكيمية سوى انها تبدو بلا هدف واضح ! ص ٢١٥ ٠

علاوة على ما تقدم فانه من قصور العلم بتطور الحركة المسرحية فى مصر الزعم بأن الحكيـــم كان تأثيره على الجيل التالى من المسرحيين فى أضيق الحدود ٠ (ص ١٧٥) فالتأثيـــر نوعان اما مباشر أو غير مبـاشر ٠ فاذا بدانا بالتأثير غير المباشر ، فانه من المنافى للمعقول أن ينكر تأثيـــر الرجل الذى كان له فضل اكتســـاب الاعتراف لفن الكتابة المسرحيـــة باعتبارها أحد الفنون الادبيـــة المحترمة الصالحة للقراءة والـــدرس والتأمل وقبله كان المسرح فنا ترفيهيا أدائيا بعيداً عن الادب ٠ كمـــا أن التأثير غير المباشر يكون أيضا بخلق مناخ فكرى جدلى حى تثار فيه قضايا الفن والادب والنقد ٠٠ الخ وتتناقش بما يوقظ واعية الاجيال الناشـــئة للتفكير والابداع ٠ وهذا مجـال اخر كان للحكيم فيه تأثير فى غيـر حاجة الى اثبات ٠ فـــاذا ما انتقلنا الى التأثير المباشر ، والمقصود به تأثيـر الافكار أو الاساليب الفنية ، فيكفى أن نذكر تأثير الحكيم فى الفريد فـرج ،

أحد أعلام جيل المسرحيين التالي عليه. وهو تأثير يعتز به ويقر الاستاذ فرج في غير موضع (مقدمته لمسرحيته « الزير سالم » مثلا) . وهو تأثير يبدو في استخدامه للتراث الشعبي في طرح قضايا عصرية ، وفي اهتمامه بالقضايا الفلسفية في مسرحياته وفي سلاسة الحوار عنده ، الى غير ذلك . ولكن الفريد فرج لا ذكر له اطلاقا في كتاب د . ستاركي ، وانما هناك نفي لتأثير الحكيم على الاجيال التالية !

يفتتح د . ستاركي خاتمة كتابه بطرح سؤال بصدد التقويم النهائي والشامل لتوفيق الحكيم يقول بالنص « هل حقق لنفسه مكانا دائما في تاريخ تطور الادب العربي الحديث ؟ أم أنه متحذلق ، مفكر في الوزن الخفيف مقدور لشهرته وتأثيره أن يكونا قصيرى الاجل ؟ » ص ٢٢٦ وغني عن القول أن نبرة السؤال ذاته الى جانب ما عرضناه فيما تقدم من نماذج التناول المستخف لاعمال الحكيم تفيد بمضمون الاجابة المنتظرة من كاتبنا المستشرق وخاصة انه من وسط البحر الكتابي الزاخر الذي خلفه الحكيم لا يجد المؤلف في الختام الا رواية واحدة ومسرحيتين يسبغ عليهم من عليائه النقدي احتمال اجتياز اختبار الزمن . أما الرواية فهي « يوميات نائب في الارياف » ، وأما المسرحيتان فاحداهما « يا طالع الشجرة » والاخرى هي المسرحية الصغيرة أحادية الفصل « أغنية الموت » وكان الله بالسر عليما !

ان الدراسة موضوع هذه المراجعة على جديتها والجهد المبذول فيها تفشل في ادراك المغزى التاريخي لاسهامات توفيق الحكيم في النهضة الادبية العربية الحديثة وهي كذلك يفوتها قراءة البعد الانساني الشامل واللازماني في الكثير من أعماله وهو بعد يضعه في مصاف الكتاب العالميين.

وتميل الدراسة كذلك الى تسخيف المضمون الفكري لاعمال الحكيم والى التركيز على ما تراه اخفاقا في المعالجة الفنية . وينبغي أن نوضح هنا أننا في حكمنا هذا على الكتاب لا نتحدث عن جزئيات الكتاب مما قد نختلف فيه مع المؤلف أو نتفق فالرأي الموضوعي المبرهن عليه حق كل ناقد. وانما نتحدث عن الروح العامة السائدة في الكتاب ، وهي روح متحاملة متعجرفة ، غضيضة عن المحاسن ، متفتحة على النقائص ، ولا يمكن تفسيرها الا على أنها ضرب من الاستعلاء الحضاري الذميم الذي يتجاوز التلميح الى التصريح حين يقول الكاتب المستشرق في سياق التعليق على مسرحية « أشواك السلام »

– وهي مسرحية يتناول فيها الحكيم مشكلة السلام العالمي – أنها تمثل « معالجة ساذجة مما يتميز به كتاب العالم الثالث – للمشكلات الدولية.. » ص ١٠٤ وهكذا في جملة واحدة يسم الكاتب توفيق الحكيم والعالم العربي والعالم الثالث كله بالسذاجة !

اذا كانت الدراسات الادبية الرصينة التي يكتبها الخاصة للخاصة ليست بمنجاة من روح الاستعلاء الحضاري فما أبعد اليوم الذي تزول فيه هذه الروح من المجالات الاخرى في العلاقات بين العرب والغرب !

أقصوصة

بقلم: عبد الحكيم قاسم

تدريب ألماني



اليوم من أيام مهرجان الفيلم في برلين الغربية الميدان مضاء بالانوار الباهرة، لافتات مكتوبة بحروف براقة ضخمة، كابسة على ارواح الخلق، ينكسون رءوسهم ويمضون في اتجاه دار العرض الرئيسية • واجهتها مزينة بصور الممثلين بحجومهم الطبيعية، تتعقد فيما بينهم مشاهد مثيرة، ويكادون يتكلمون بالمقولات الرنانة، ولكن احدا لا يسمع منهم وعلى الارض تشغى الدنيا بالناس •

ضيوف العروض من الناس الالمان، كل صحب زوجته، او صحب صاحبته ليطرفها بفيلم من افلام المهرجان، يقفون في صفوف طويلة ينتظرون دورهم للحصول على تذكرة الدخول، يقفون صابرين وبعضهم يتسكع قدام لوحات عرض الصور او يستمتعون بقرطاس من الايس كريم، كل له شأن في الاستمتاع بمساءه لكن كلهم يتسامون مهذبون

وناس صناعة الفيلم، فاتنون في ملابسهم العجيبة، يتركعون بالضحكات، فيهم كثير من الاجانب، وعلى

الاخص سود وسمر وصفر حتى شابت البيض الالمانى بحبات سمراء غالبه ، ويلاحقهم جيش من رجال الاعلام ، يحملون الات التصوير وكشافات الضوء وسماعات اجهزة التسجيل ، يقتربون بحذر وكثير من الحشمة من رجال السينما ويسالونهم

هكذا يدور المهرجان وكثير من التفاصيل تسبت ـ على السده بصحبته ورباطه ، اذ انشق الميدان الغارق فى الضوء عن رجل اسود هائج ، شرب حتى ما عاد يميز الاحوال والتزام الادب ، دار يبرجس هنا وهناك ، يفيض الرغاء من فمه ، يقرض يديه ويرفعهما ، ويشتم ويسب ويصدم الناس بكتفيه ، يظهره ويدوس عليهم اذا مضى متقدما .

الناس الالمان يؤمنون اشد الايمان بتقسيم العمل ، فليس من شأن اى منهم ان يوقف الرجل الاسود ، انما يخشون ان يصدمهم ، يعكر مساءهم ،يتحاذرون يكتمون امتاتمهم ضد الاجانب ، ويصبرون وهم يتلفتون ينشدون رجل الشرطة ، فلا ياتى ابدا ، والرجل الاسود يصرخ ويعلن عن هويته « انه مناضل فى بلدة كذا ، وكم ضرب الاوربيين برصاص وكم عمل كذا وكذا ١٠٠ ! »

ثم يصرخ هنا وهناك .

الناس جاءوا الليلة فهذا المكان ليس مقصد شباب النازى الذين يمشون جماعات متخزبين جماعات متحزبين متعصبين ، كيف يعرفهم الناس ؟ بحلاقة رءوسهم وتكشيرة عميقة على وجوههم ، وطول قاماتهم ومشيتهم العسكرية ! ليس هذا المساء ، ولا هذا المكان مهوى لهم ، الا واحد يمضى صارما بين الجمع تتقدمه جهامته .

فاذا رآه الاسود تحفز ، وهو حدج الاسود بنظرة يتطاير منها الشرر ويريد ان يلزمه الادب ، فاذا راى الاسود قصده اقبل عليه وصرخ فيه وانقض عليه ينشب فيه اظافره ويضربه فى كل مكان من جسمه بيديه ورجليه .

اذ ذاك انفكت عزائم النازى وطار جريا من الاسود وراءه كنسر حتى انجاه الى ما تحت امام الاسود ، وطار صور العرض لدار سينما خاصة بالافلام العارية صورة العرض لامراة متهتكة ، تاتى بحركات مبتزلة ، والولد النازى متكوم عند اقدامها ، والاسود يركله ، ثم نظر للمراة، وضحك لها وهو يرفع يديه مقبوضتين،ويصرخ فيها بكل قوة ! والمراة لا تبالى به .

رست عربة الشرطة جنب الرجل الاسود ونزل منها جندى برلينى هادئا راسخا يعرف عمله ، وعلى بعد خطوات منه وقف زميله ويده على مسدسه ، نصب الشرطى حول الاسود شبكات نظراته ، اوقعه كحيوان فى فخ صياد ، ارتعب الاسود والشرطى زاد تمكنه من قلبه . طلب منه جوازه، اخرجه وهو يبربر بلغته القومية والشرطى لايهتم بذلك ، وضع الجواز فى جيبه وساله ان كان ضرب هذا الرجل ؟ وبين الكلمة والكلمة يهمس فى جهاز الارسال المعلق فى جنبه . قال له الاسود انه هو الذى بدا بالعدوان ! امره الشرطى بركوب العربة وهو محاط بشبكة نظراته حتى احكمت عليه . صحبته الى داخل العربة . فى اثناء ذلك جاءت عربة الاسعاف حملت النازى . ومضت العربتان وتبددا بلا صوت وعاد المهرجان يصل الى اوجه من غير ازعاج بعد .

أدباء مدمنون

وما خفى... كان أعظم!

بقلم: محمود قاسم

« راس بلا سيف .. تستحق قطع السيف »

قول مأثور يردده ، ويؤمن به الكثير من الناس الذين يميلون الى تعاطى المكيفات بكافة انواعها المسموح منها والممنوع .. كما ان هؤلاء الناس يرددون الكثير من الكلمات المتشابهة كان نقول ان راسا ما « عمرانه » او « متكلفة » .. وهى مقولات تعنى فى اغلب معانيها ان المرء الذى يملأ راسه بالكيف افضل مائة مرة من هؤلاء الذين لايتعاطون شيئا ..

ولدى بعض الكتاب منظورهم الخاص ، بان رءوسهم يجب ان تكون فى حالة « عمار » دائم ولذا فهم يملأونها بشتى انواع الكيف . بحجة ان هذا يساعد كثيرا فى ان يجىء ابداعهم افضل .. وتاليفهم اكثر صدقا .. وايضا تحت زعم ان الكتابة حالة انسانية .. خاصة جدا .. تلزمها اجواء غير عادية ..

ولان الكتابة · وتناول المخدرات، يتمـــان ، غالبا ، فى مكان مغلق ، فيكون المرء فى حالته الخاصة · وذلك بخلاف الكثير من الاعمال الانسانية الاخرى ولذا فان لبعض الادبـــاء طقوسهم الحـــياتية الخاصة · وهى كثيرا ما ترتبط بتناول عقاقير الكيـف بمختلف انواعها وتاثيراتها ·

واذا كانت الكتـــابة ، فى اغلـب الاحيـــان ، شرفا يتبـــاهى الكاتب وهو يعلن عنــــه ، ثم وهـــو يـــراه معروضا ، او منشورا على الناس · فان تناول المخدرات هو ، فى اغـــلب الاحيان أيضا ، عمـــــل غير مشرف للكاتب · يتناقض فى رأى القـــراء والجمهور مع الفضيلة التى ينشـــدها الادب والفن · ولـــذا فانه رغم كثرة الادباء الذين يتعاطون المخـدرات فى السر · فان القليل من هؤلاء الادبـاء قد أعلنوا عن تجربتهم فى هذا المضمار ·· وظلت عــــلاقة الاديب بتعـاطى المخدرات حالة من الطقوس السريـة التى لم تعلن بنودها ، ولا وقائعها ··

حتى أن عدد مجلة « لير » الـــذى صدر فى شهر فبراير الماضى، المخصص عن علاقة الادب بتعاطى المخدرات ، لم يضم فى قوائمه سوى الكتاب الـــذين كتبوا صراحة انهم تعاطوا المكيفـــات

لفترة قصيرة أو طويلة .. ولم تقترب المجلة قط من كاتب تحوم حوله شبهات التعاطي سـواء من الذين على قيد الحياة . أو الذين رحلوا عنها ..

● ازدواجية الكاتب المدمن

والكتابة عن علاقة الاديب بتعاطي المخدرات باللغة الحساسية . ولذا فان مجلة « لير » في عددها المذكور قد نشرت نصوص قانون العقوبات الواجبة التنفيذ على المتعاطي .. مهما كانت هويته .. والكاتب هو بشر .. وتسرى عليه كافة القوانين .. وأكد الناقد بيير أصولين ان المخدرات لم تكن ابدا ، أمرا شرطيا للابداع المتميز . الا في حالة واحدة هي الهلوسة ، ويقصد بها تعاطي عقار

فالكاتب هو اكثر الناس علما بمدى خطورة المخدرات ، ولذا فهو في حالة ازدواجية من الدكتور جيكل ومستر هايد . وقد جعلت هذه الظواهر الكثير من القراء يفقدون عامل المصداقية لدى الادباء .. وبدأوا ينظرون الى أدب الكاتب الذى أعيابه داء الكيف على انه حالة هلوسة .. ليس من الضرورى معايشته .. أو تصديقه ..

وحسبما نشرت مجلة « لير » . فان الادباء الذين تعاطوا المخدرات ينقسمون زمنيا الى ثلاثة اقسام . أدباء من القرون الماضية . واخرون من القرن العشرين رحلوا عن عالمنا . أما القسم الثالث فهم من الادباء الذين لا يزالون على قيد الحياة ولم يتوقفوا يوما عن الابداع .

من القسم الاول هناك الشاعر شارك بودلير والكاتب جي دي موباسان اما من القسم الثاني فهناك الدوس هكسلي ، وهنري ميشو ، وترومان كابوت . وجان كوكتو . وجان بول سارتر . وأرتو . وكوينيسى اما اشهر الادباء الذين لايزالون على قيد الحياة فهناك الروائي والفيلسوف الالماني ارنست يونجر ، وبرتران ديلكور . وفرانسواز ساجان . وفيلليب سوللر . ومازينف . ولوسيان بوادر .. واخرون ..

فرانسواز ساجان اصابتها الشيخوخة من التعاطي عام ١٩٨٦ (صورة نادرة)



أدباء مدمنون

ولكل كاتب من هؤلاء الادباء حالته الخاصة · فمنهم من اقتصرت علاقته مع تناول المخدرات على العقاقير المنشطة ومنهم من اسلم كيفه ، بكثرة، للخمور ، ومنهم من تعاطى الحشيش والافيون · ومنهم من شم الهيروين او حقن بالمورفين او عقار

كما أن علاقة كل منهم بما يتعاطاه تتفاوت من كاتب لآخر ·· فهناك من يتناول الخمر لزوم الابداع ·

ولعل الشاعر الرجيم شارل بودلير هو اشهر الادباء الذين كتبوا عن تجربتهم مع الحشيش · وذلك من خلال كتابه المشهور « الجنات الصناعية » الذى جاء فيه « اريد ان ابث ان الباحثين عن الفردوس يصنعون سعيرهم · ويبنونه بسواعدهم ، فيؤكدون ان النجاح يخفى وراءه دائما اشياء معتمة » ·

أما اكثر التجارب اثارة بين كاتب وبين المخدرات · فهى تجربة الكاتب الامريكى ترومان كابوت · فقد بدأ تدخين الماريجوانا فى عام ١٩٦٨ · أى بعد أن نشر كتابه الشهير «مع سبق الاصرار والترصد» بعامين · كما كان يتناول عقار ، والذى كان العقار المفضل للكثير من الشباب فى أوروبا والولايات المتحدة فى تلك السنوات ، وهو نفس العقار الذى أدعت غادة السمان انها تناولته فى أحد كتبها ·

ومن المعروف ان كابوت لم يكن شخصا سويا · رغم ابداعه المتميز · ورغم ولفه ضد جرائم العنف · ورغم كتاباته عن علاقة الجرائم بالدافع النفسى · الا انه كان شاذا · وقد وصل به الادمان فى أواخر حياته انه كثيرا ما تصرف بشكل غير طبيعى أمام الناس · وسقط يوما من الاعياء اثناء بث برنامج تلفازى ، على الهواء فى عام ١٩٧٨ · وقد مات الكاتب من اثر تعاطى المخدرات بشكل مكثف · ففى اواخر ايامه كان يذيب حبوب الفاليوم فى مشروب الفودكا · ورغم ان أسباب وفاته لم تعلن رسميا حتى الآن · فان باحثا امريكيا نشر كتابا فى العام الماضى اكد فيه أن كابوت قد تناول قبل وفاته بقليل شرابا وضع فيه ستة انواع من الحبوب المخدرة ·

وفى كتابه « أبواب الحسية » الذى نشره الدوس هكسلى فى عام ١٩٥٤ تحدث عن تجربته مع ادمان الخمور · كما كان يتناول مشروب المسكالين الذى يحدث هلوسات مكثفة · ويقول فى كتابه « انا مدين لشروب المسكالين لانه اعطانى القدرة على رؤية الاشياء ، والعيون مغلقة · وقد مكنتنى هذا من مراقبة أعماقى اكثر · لم يكن سوى نوع من الهروب بعيدا عن الواقع · ومع ذلك فقد قربنى هذا المشروب اكثر من الواقع » ·

وفى بداية حياته ، كان جان كوكتو يتعاطى الافيون بشكل مكثف · ولم يكن يخفى هذا ابدا · وعلل ذلك بانه مصاب بأمراض عديدة وان الافيون هو العلاج الاوحد لهذه الامراض · الا أنه توقف عن التعاطى تماما عقب وفاة صديقه ، وأيضا عشيقه ، ريمون راديجيه · وسجل تجربته هذه فى كتابه « افيون » عام ١٩٢٠ · وقال) « الافيون هو فصل من فصول السنة · ومدمن الافيون لا يعانى الكثير من

تغييرات الزمن • ولا تصيبه الانفلونزا ابدا • لا يعاني قط سوى من حاجته للمخدرات • فهو لا يقيس حياته الا بقدر تعاطيه للمخدرات » •

هذه هي حالات أشهر الادباء الذين رحلوا عن عالمنا من أصحاب الكيف •• أما الادباء الذين لا يزالون على قيد الحياة فاغلبهم من المغمورين • وتعتبر فرانسواز ساجان حالة خاصة • حيث بدأت في تعاطي حقن المورفين في نهاية سنوات الخمسينات • وما لبثت ان دخلت المصحة للعلاج • وفي عام ١٩٦٤ نشرت مقالا عن وقائع علاجها في المستشفى • وفي العام التالي جعلت من بطلة روايتها « خفقات قلب » مدمنة مثلها • وفي عام ١٩٦٩ اعلنت في حديث أجرته معها « المجلة الادبية الفرنسية » ان الشيء الوحيد الذي تؤمن به هو ان عليها ان تتخلص من سطوة الافيون • فهو بالغ الخطورة •

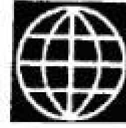
وقد تم القبض على ساجان مرتين • الاولى في عام ١٩٨٦ • والثانية عام ١٩٨٨ • وحول هذه التجربة كتبت : « حدث ان كنت اتعاطى القليل من الكوكايين مثلما يفعل بعض الناس • وقد جرني هذا الى الحاكم • وانا أرى أن هذا شيء ادعى للهلوسة » •

● غادة اكثر جراة

أما الاديب فيليب سوللر • فهو من انشط الكتاب المعاصرين • فهو غزير الانتاج • ثرثار بطبعه • وقد اوقعته ثرثرته في مأزق حين صرح يوما لاحد الصحفيين انه مدمن • ومنذ ذلك الحين سقط عنه وجه القديس البريء • ويقول الكاتب عن هذه التجربة ان كل شيء بدأ عام ١٩٦٨ • وانه قبل ان يتعاطى على سبيل ارضاء الفضول • وانه حاول ان يفعل نفس الشيء الذي مارسه من قبل كل من اندريه مالرو ، وآرتو ، وبودلير • ومنذ ذلك الحين وهو يتعاطى الحشيش بصفة منتظمة : ثلاث مرات اسبوعيا • كما جرب عقار • وتقول مجلة لير ان سوللر يعرف أن عمله ككاتب قد يسمح له بتعاطي المخدرات من أجل تجريب أحاسيس لم يشعر بها الاخرون « انها تعطي تأثيرا خاصا • وتسمح بمشاركة الافكار والكلمات بسرعة اكبر • وتجعل اكثر الاشياء جدية وكأنها هزلية » •

هذه هي حالات أشهر الكتاب العالميين مع المخدرات • الا أنه من الصعب الحديث عن تجربة الكاتب المعاصر في هذا المضمار • فالاشارة الى الاسماء ضمنيا أو صراحة قد تعتبر بمثابة بلاغ ضد كاتب • ولكن هذا لا يلغي أن هناك الكثير من الادباء والمبدعين في مصر والعالم العربي يتعاطون الكيفات بانواعها المتعددة • واذا كان الكثير من الادباء قد كتبوا عن الادمان وكأنه من تجارب الاخرين • فان قليلين من الادباء هم الذين عبروا عن تجربتهم الحية في علاقتهم بالمخدرات •• ومن أكثر هؤلاء الكتاب جراة : غادة السمان التي افردت مقالات ابداعية عديدة حول تجربتها في تعاطي عقار ونشرتها في أحد كتبها • وحسبما نعتقد فانها التجربة الاكثر اثارة • فقد راحت الكاتبة تكتب مقالاتها وهي واقعة تحت تأثير العقار •

هذه هي حالات بعض الادباء الذين ادمنوا المخدرات في العالم •• وهي حالات لكتاب عرف عنهم الادمان •• وفي رأينا ان ما خفي كان اعظم ••



العالم في سطور

باريس

● موسوعة الغد ●

هاهو ذا المجلد الاول من الموسوعة الفلسفية العالمية يخرج الى الناس في العالم المتكلم باللغة الفرنسية مطبوعا في ابهى حلة مع مقدمة للفيلسوف «بول ريكور» . وبثمن لايزيد عن الف وخمسمائة فرنك . اى ما يعادل سبعمائة وخمسين جنيها مصريا .

وتعتبر هذه الموسوعة عند اكتمالها في اربعة مجلدات خلال ثمانية عشر شهرا ، اهم عمل مدرسى في حقل الفلسفة يرى النور منشورا خلال القرن العشرين .

وغنى عن البيان ان إعداد موسوعة بمثل هذه الضخامة . وبمثل هذا الطموح الى تجديد مشروع «ديدرو» و «داليمبير» اللذين مهدت موسوعتهما الى الثورة الفرنسية قبل مائتى عام ـ هذا الاعداد لم يكن بالامر اليسير .

لقد اقتضى بذل جهد شاق دام اكثر من عشرة اعوام

وفى الحق . فليس ثمة قاموس او موسوعة فلسفية له ما لهذه الخريطة الفرنسية للفكر العالمى من اتساع الافق وشموخ البناء والجديد في الموسوعة لاينحصر في طرق عرض المواد . وانما يتضمن كذلك الموضوعات المطروحة للبحث .

فلاول مرة تجىء موسوعة وعلى كل المستويات (المشاكل . المفاهيم . الاعمال . النصوص) برؤية عالمية تشتمل التقاليد الثقافية غير الغربية . فضلا عن عرض لاشكال الفكر النابعة من ثقافات شفهية لم يكتب لها التدوين .

وتبريرا لاضافة كلمة العالمية الى العنوان تعرف الموسوعة نفسها بانها ـ وفى المقام الاول ـ انفتاح على الآخر . وعلى العالم .

فهى في الجوهر انما تقوم اساسا على الاعتراف بكل آخر . فالقرار بالتخلى ، حسب تسمية محرر الموسوعة «اندريه جيكوب» عن «المركزية الغربية» انما يعتبر شرطا مسبقا لضمان خروج الموسوعة منطوية على الثقافات الانسانية بكل اشكالها وتنوعاتها .

والمجلد الاول «العالم الفلسفى» ـ وعدد صفحاته الفان ـ مكون من جزءين رئيسيين متكاملين .

ويناقش الجزء الاول من خلال مقالات تبلغ الخمسة والتسعين عدا ، جميع المشاكل الاساسية للفلسفة المعاصرة ، بدءا من الميتافيزيقيات والصوفيات والجماليات ، وانتهاء بالقضية الحتمية التى تثار عند اى طرح لمشاكل الفلسفة الا وهى «لماذا الفلاسفة ؟» .

ومما يدل على جدية هذه الموسوعة العملاقة تخصيص الصفحات الاخيرة من المجلد الاول وعددها مائة وستون صفحة لسرد نقدى (ببليوجرافيا) بالكتب المتصلة بالموضوعات المنشورة . وخمسة فهارس من بينها «فهرس الفهارس» الذى عدد مداخل جميع الموسوعات الفلسفية الرئيسية بدءا من القرن الماضى وحتى يومنا هذا .

موسكو

● القيصر والملك

تزامن قبول اليزابيث الثانية ملكة انجلترا لدعوة «جورباتشوف» بزيارة الاتحاد السوفييتي مع زعم رجل شرطة سابق «جيلي ريابوف» العثور على الهيكل العظمي لآخر قياصرة روسيا «نيكولاس الثاني»

فقبل عشرين عاما التقى هذا الشرطي بابن الكابتن «يكوف يوزفسكي» الذى كان رئيس الفصيلة المنوط بها حراسة القيصر واسرته، تلك الفصيلة التي قتلت دون امر صادر لها بذلك القيصر وزوجته «الكسندرا فيودروفنا» وابنه الوحيد «اليكس» وبناته الاربع «اولجا»، «تاتيانا»، «ماريا» و «انستاسيا» وثلاثة من الخدم وكلبا (١٦ يولية ١٩١٨)

وبفضل المعلومات التى استمدها الشرطي من هذا اللقاء توجه مع نفر من الاصدقاء الى المكان المقول بان الجثث قد دفنت فيه على وجه الاستعجال.

وكانت المفاجاة عندما عثر هو ورفاقه - بعد حفر لم يدم طويلا - على هياكل تساوى فى العدد جثث



نيكولاس الثاني

افراد اسرة قيصر روسيا الاخير ومرافقيه

ولقد تبين له من فحص اسنان الجماجم ان اصحابها هم افراد تلك الاسرة التعيسة التى ضللتها الاقدار كثيرا وعبثت بها دائما.

وحجة «ريابوف»، وهو يكتب حاليا قصصا بوليسية مثيرة - انه ما كان باستطاعة احد ابان فترة الركود ان يصدق على اكتشافه رسميا.

ولو صحت الرواية، فان كل ما قيل مرارا عن نجاة «انستاسيا» احدى بنات القيصر، يصبح، والحالة هذه، مجرد سخف وباطل.

يبقى لن اقول ان هذه الرواية قد تلعب دورا فى رد اعتبار النظام السوفييتي عند الاسرة المالكة الانجليزية.

فبيت وندسور لاينسى، ولا يغفر للبلاشفة جريمة قتل قيصر روسيا الاخير واسرته.

ومما ينسب الى الملك جورج الخامس انه قال لرئيس وزرائه «رامزى ماكدونالد»، عقب اعادة العلاقات الدبلوماسية مع روسيا انه يامل «الا يضطر الى مصافحة قتلة اقاربه» (١٩٢٤)

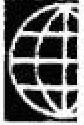
بعد ذلك بخمسة اعوام، وبمناسبة رفع التمثيل الدبلوماسي مع روسيا الى درجة سفارة، تمارض الملك تجنبا لاستقبال السفير «سوكولنيكوف»

واثناء حفلة فى حديقة وندسور وبخ الملك رئيس وزرائه (ماكدونالد مرة اخرى).. لماذا؟

لانه بالاحتيال والمناورة انتهى به الى مصافحة وزير الخارجية السوفييتي «ماكسيم ليتفينوف» (١٩٣٣)

ومع ذلك، فقد جاء فى سيرة الملك جورج الخامس التى كتبها «كينيث روز»، ان الملك هو الذى حال دون هروب قيصر روسيا الى بريطانيا (١٩١٧)

فعندما استجاب رئيس الوزراء «لويد جورج» لطلب الحكومة المؤقتة فى بتروجراد (لينينجراد) استضافة القيصر واسرته فى بريطانيا، اذا به يفاجا برفض الملك لاستجابته لا لشيء سوى تخوفه على شعبيته فيما لو استضاف اسرة القيصر المعزول.



نيويورك

● ظاهرة الاوديسا .. في الفضاء ●

« ٢٠٦١ اوديسا الفضاء »

هل هي استثمار لنجاح متميز حققته الروايات السابقة ؟ ام انها رواية جاءت في موعدها المحدد ؟ هذا هو السؤال المثار حاليا في عالم ادب الخيال العلمي . بعد ان صدرت رواية «٢٠٦١ اوديسا الفضاء» للكاتب الامريكي ارثر كلارك .

والحكاية كلها غريبة منذ بدايتها في منتصف الستينات . عندما اشترك كلارك مع المخرج السينمائي ستانلي كيوبريك في كتابة سيناريو فيلم «٢٠٠١ اوديسا الفضاء» .. اهم ما تميز به هو انه اول فيلم من نوعه تناول الصراع الفكرى بين الانسان ومخلوقاته من عقول الية وحاسبات إليكترونية .. وقد حقق الفيلم نجاحات كبيرة على كافة المستويات الفنية والتجارية . واعتبر من كلاسيكيات النوع . وسرعان ما فكر كلارك في الاستفادة من هذا النجاح ، فراح يكتب الفيلم في شكل



رواية . اى انه راح يحول وقائع السيناريو الى صياغة ادبية في كتاب .

ونجح الكتاب مثلما نجح الفيلم .. الا ان كلارك لم يكتف بهذا النجاح وحده فقام بعد سنوات بنشر كتاب اخر عن الظروف التى احاطت بتاليف كل من الفيلم والرواية تحت عنوان «كيف كتبت اوديسا الفضاء» .. وفى بداية الثمانينات احس بالحنين الى الاوديسا .. والى نفس النجاح . فنشر روايته «٢٠١٠ اوديسا الفضاء» التى تعتبر محاولة جديدة لادارة الصراع بين البشر وبين المخلوقات الحديدية وسرعان ما التقطت السينما الرواية ، اى ان الحال قد انقلب هنا ، واخرجها بيترهايمز علم ١٩٨٣ في فيلم جيد .. لكنه لم يطال ابدا فيلم كيوبريك .

وفى محاولة للاستفادة من النجاحات المتوالية التى حققتها رواياته قدم كلارك في الشهر الماضى الجزء الثالث من هذه الكتب التى تدور احداثها في عام ٢٠٦١ من خلال صراع جديد مشابه للصراعات القديمة . واذا كان كلارك قد سبق اقرانه في هذه النقطة فان محاولته تكرارها سوف يضعف من حيويتها .. واهميتها .

تجىء اهمية كلارك في انه احد ابرز العلماء الذين يكتبون ادب الخيال العلمي .. حيث انه في المقام الاول من رجال العلوم . فقد حصل على دكتوراه في العلوم الطبيعية . وتمكن من اختراع العديد من الاجهزة العلمية الدقيقة . وكانت رواياته بمثابة تطبيق لافكاره ودراساته .

وكلارك من مواليد لندن في عام ١٩١٨ . ومن اهم رواياته في ادب الخيال العلمى «المدينة والنجوم» و «الصف العميق» و «ابناء ايكاروس» ..

باريس

● القديمة أحلى ●

تحت عنوان الاختيار الابدى ، نشرت مجلة



ستندال

لوبوان الفرنسية في عددها الصادر في اول مايو الماضي نتائج الاستطلاع الذي اجرته المجلة بين مائة شخص من اعضاء الاكاديمية الفرنسية .

وقد جاءت نتائج هذا الاستطلاع في منتهى الغرابة وبدا ان العالم قد توقف ، بالنسبة لهؤلاء الاعضاء ، منذ خمسة وثلاثين عاما .. ولانه من المفروض ان هذه الاكاديمية تضم صفوة رجال الفكر في فرنسا فإنه يهمنا ان نطالع كيف يفكر اهل الصفوة .

انحسرت قراءات هؤلاء الاعضاء ومعارفهم على الابداع البشري الذي ظهر قبل عام ١٩٥٥ . فاذا كان الانجيل هو الكتاب المفضل لدى ٢٣٪ منهم . فان الكتب التي حازت على أعلى نسبة اعجاب هي : « ذكريات من وراء القبر » لشاتو بريان . و « البحث عن الزمن الضائع » لبروست ..

واعتبر الاستفتاء ان شاتو بريان وبروست وستندال هم اعمدة الثقافة . حيث حققت روايتا «الاحمر والاسود» و «ديربارم» اعلى درجات في الاعجاب . اما الكتاب المعاصرون في رأى الاكاديمية فهم البيركامي وروايته «الطاعون» وجورج برنانوس وروايته «يوميات قسيس في الارياف» .

وبالنسبة للأدب العالمي فقد انحصر إعجاب اعضاء الاكاديمية بثلاثة ادباء : هم هيمنجواي وتولستوي ودوستويفسكي . واعتبرت رواية «الحرب والسلام» بمثابة اهم رواية عالمية على الاطلاق .

وفي الفن التشكيلي حقق كل من رمبرانت وجويا ، وفيتش المكانة الاولى من بين الرسامين الكلاسيكيين . اما في الفن الحديث فقد حقق كل من بيكاسو ومونيه وجوجان كافة درجات الاعجاب .

حتى الافلام ونجومها . فإن اعضاء الاكاديمية قد حبسوا انفسهم في الماضي . حيث نالت الافلام القديمة وحدها كل الاعجاب مثل «الوهم الكبير» لرينوار و «ابناء الفردوس» لكارنيه .. وطريق الذهب لشابلن . «وذهب مع الريح» لفلمنج واعتبر ان نجوم الاربعينات هم وحدهم الجديرون بالاعجاب مثل لوى جوفيه . وجان جابان وريمو بطل فيلم «زوجة الخباز» .

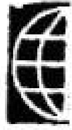
واعتلى باخ وبيتهوفن وموزار منصة الموسيقيين الكلاسيكيين المفضلين لدى اعضاء الاكاديمية . وفازت اعمال موزار وحده من اوبرات في الاستفتاء مثل «دون جوان» و «الناى السحرى» و «زواج فيجارو» .

يالها من نتائج .. ويالة من اسلوب في التفكير والاعجاب .. ولعل هذه النتائج تثير الكثير من الاسئلة والاجابات .. ليس في فرنسا او اوروبا وحدها .. ولكن ايضا في مصر .

مدريد

● أهلا .. بعصر التزييف ●

وسط جنون الاسعار التي بيعت بها لوحات بعض الفنانين الكبار في السنوات الأخيرة ظهرت في اسواق مزادات الفن التشكيلي ظاهرة جديدة



وغريبة تحت اسم «لوحات حقيقية مزيفة» . وهي تلقى انتشارا كبيرا وسط الشباب من الفنانين . وايضا بين هواة جمع اللوحات ممن لا يستطيعون دفع اثمان كبيرة لشراء اللوحات ..

تنحصر هذه الظاهرة في ان هناك بعض الفنانين ، واغلبهم من الشباب ، يستخدمون مواهبهم الخارقة في تقليد لوحات كبار الفنانين .. ويعرضون هذه اللوحات للبيع في صالات المزادات دون ان يخفوا قط انها لوحات مقلدة ..

والجديد في هذه الظاهرة هي ظهور فنانين «مقلدين» متخصصين .. بمعنى الا يرسم الفنان المقلد سوى لوحات فنان واحد بعينه .. فيتخصص في رسم هذه اللوحات دون غيرها .. ولاشك ان هذا سيساعده اكثر على الاتقان في التقليد .

وفي الشهر الماضي ، اقيم معرض للوحات المزورة التي رسمها كل من كيكي ولولو بيكاسو وهذه هي اسماء مستعارة لاثنين من الشباب المقلدين الذين تخصصا فقط في تقليد لوحات بابلو بيكاسو .

وفي هذا المعرض قدم



لوحة تقليد عن بيكاسو



بيكاسو

الفنانان مجموعة كبيرة من اللوحات التي ظلا يرسمانها طوال عشر سنوات . ولاقت المعروضات اقبالا ملحوظا من جمهور المعرض سواء الذين جاءوا للمشاهدة او الشراء .. فليست هناك اختلافات تذكر بين ما رسمه بيكاسو وبين ما رسمه الشابان اللذان اختارا ان يحملا اسمه واكد خبراء التزييف انه لو لم يذكر كيكي ولولو اسميهما فوق اللوحات لكان اكتشاف امرهما صعبا .

الاشخاص الوحيدون الذين ازعجتهم هذه الظاهرة هم ورثة بيكاسو . وعلى راسهم ابنته بالوما التي تقول انها قد التقت بالفنانين منذ سنوات . وقامت بتشجيعهما لان هذا احياء لذكرى ابيها . اما الآن فقد وصلت الحالة الى مرحلة خطرة فلا شك ان الاقبال على المعرض سيجعل هواة شراء اللوحات يفضلون ان يذهبوا الى الاقل رخصا .. وسيؤثر هذا بالتالي على اسعار لوحات بيكاسو العملاق .

نيروبي

● الخرتيت ●

الكلام هنا ليس عن الخرتيت الذي ابتدعه خيال الاديب الفرنسي المنحدر من اصل روماني «اوجين اونيسكو» في مسرحيته العبثية التي بنفس الاسم .

وانما الكلام عن خرتيت من لحم ودم يعيش وسط



غابات افريقيا السوداء ومهدد مع حيوانات اخرى بالفناء

فمن المعروف ان ثمة كارثة كبرى تلوح في افق القارة تهدد عزيز مملكة الحيوان

والسبب الصيادون الذين يطاردون الحيوانات الممنوع صيدها ابتغاء الربح السريع

حقا ما يزال الجاموس البرى موجودا بوفرة .

ولكن الاسود والفهود والافيال يتناقص عددها على نحو يثير القلق والاسى .

وثمة خطر حقيقي من انقراض الخرتيت خلال سنوات معدودات .

ولو حدث هذا فستنتج عنه ماساة اقتصادية وبيئية تصيب بعض دول افريقيا .

فمثلا السياحة اكبر مورد للعملات الاجنبية في كينيا . وذلك بفضل سبعمائة الف سائح قاموا خلال العام الماضي بزيارتها وانفقوا اربعمائه مليون دولار .

والاكيد ان هذا العدد الكبير لابد منخفض فيما لو حدث واختفى الخرتيت .

فتعليقات السواح في دفاتر زوار الاراضي المفروزة للصيد وللاستمتاع بالحيوانات على الطبيعة . تؤكد ان الخرتيت له مقام كبير عند السواح .

فهو من حيث درجة التفضيل ياتي تاليا مباشرة لملك الغابة .. الاسد .

ولكن الاحباط غالبا ما يصيب السائح المتعلق بوحيد القرن .

فلقد كانت غابات افريقيا مرتعا لخمسة وستين الف خرتيت اسود قبل عشرين عاما الا قليلا .

والآن هذا العدد قد تقلص الى اربعة الف خرتيت فقط لاغير .

أما الخرتيت الابيض فلا يعيش في امن و امان الا في قلب غابات جنوب افريقيا .

وهم يقتلون الخرتيت لا لشيء سوى قرنه الذى يباع بثلاثين الف دولار في اليمن الشمالية حيث تصنع منه مقابض الخناجر .

ويحصلون على نفس السعر في بعض انحاء شرق اسيا حيث يباع مسحوقا بوصفه دواء فيه شفاء للنفس من امراض عديدة لعل اهمها العجز الجنسي .

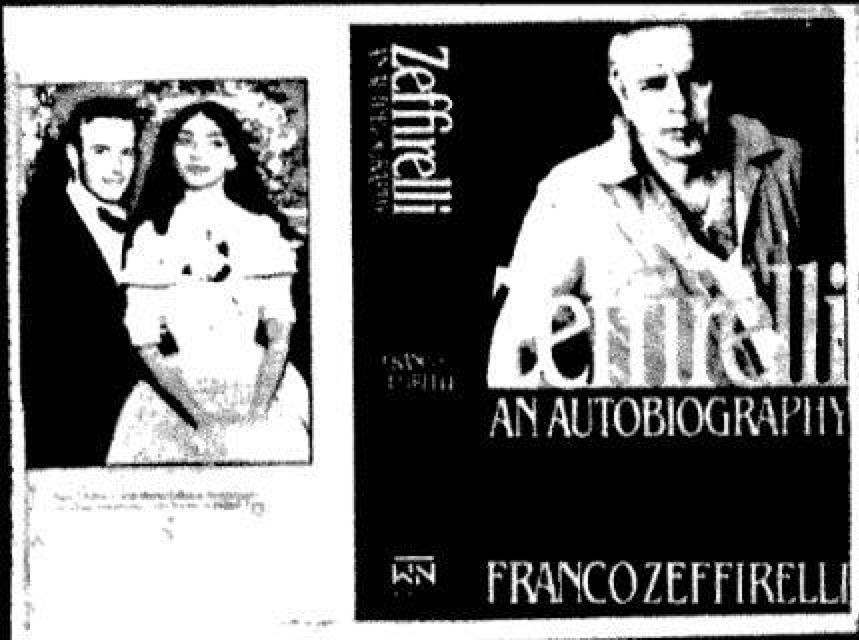
وحماية للخرتيت من الفناء لجأت الحكومة الكينية الى اجراءات مشددة تقوم في جوهرها على اساس التخلص من اللصوص المعتدين بالقتل .

اي انه في سبيل حماية الحيوان يقتل الانسان وهذا مأزق سياسي ولاشك .

ومن هنا التفكير في وسائل حماية للخرتيت اقل دموية ، من بينها جعل وحيد القرن بلا قرن .

حقا السياح يفضلون الاستمتاع بالخرتيب كما هو في الطبيعة اى بقرن وحيد .

ولكن اليس «خرتيت» بدون قرن خيرا من لا شيء ؟



سينما في أوبرا.. ومفاجآت أخرى!

بقلم : مصطفى درويش

لأول مرة نذهب إلى دار الاوبرا الجديدة لا لنرى مسرحا تتحرك عليه شخوص حية ، وانما لنرى شاشة فضية تشع أطيافا تنطلق من حناجرها ألحان سماوية .

ولعلها المرة الأخيرة التي يتاح لنا فيها أن نرى هذا النوع من الاطياف في حضور مبدعه ،فرانكو زيفريللي ، مخرج المسرح والاوبرا والسينما على امتداد العالم الفسيح .

فلقد جاء مصر قبل أسابيع ابن فلورنسا المنعوت من اليسار الايطالي ، ومعه جميع الافلام التي استوحاها من أعمال أوبرالية . وهي اربعة لا تزيد . وذلك ليشارك بنفسه في عرضها احتفالا بافتتاح دار الاوبرا

ولم تكن هذه اولى زياراته لمصر ، فهو كثير التردد عليها دائم الحنين اليها

وحسبما جاء في كتابه «زيفريللي .. سيرة ذاتية» ، كانت آخر مرة استنشق فيها هواء مصر عقب توقيع معاهدة كامب دافيد بعامين

في تلك الأيام صعد المخرج الى صعيد مصر في رفقة «طارق بن عمار» ابن شقيق زوجة الرئيس التونسي السابق «الحبيب ابو رقيبة» ، وقتذاك بحثا عن مكان لتصوير بعض أحداث فيلم مستوحى من اوبرا عايدة

● جنات عدن

«وفي يوم سعيد ، تركنا القارب وسرنا خلف مرشدنا بعيداً عن النهر لعدة ساعات

وشيئاً فشيئاً لاح بصفوف متراصة من النخيل تحيط بنا من كل جانب

لقد دخلنا مزرعة نخيل ليس لها مثيل عمرها مئات السنين نخيلها ضخم متراص في صفوف متوازية تمتد في كل اتجاه ميلا

حقا لقد كان واحدا من اكثر المناظر الاخاذة التي وقع عليها نظري

وفورا تأكدت أن هذا هو بالتحديد المكان الذي كثيرا ما تخيلته في أحلامي

كان ثمة طريق مركزي واسع يتقاطع معه طريق آخر

انه المكان الأمثل لتصوير موكب النصر عندما يعود جيش فرعون بقيادة راداميس ، وفي أسره «عايدة» مدفوعة بها الى مصيرها المحتوم

وعلى كل ، فما ان عاد هو «وطارق» الى القاهرة سعيدين بما اكتشفا ، حتى هيأ لهما والد «طارق» - وهو صديق حميم للرئيس السادات وحرمه - لقاء اولا مع حرم السادات في وزارة الثقافة ، اعقبه لقاء ثان معها هي وزوجها في مقرهما الرسمي حيث عبرا عن رغبتهما الشديدة في انهاء عزلة مصر عن اوروبا الناجمة عن الاستمرار غير المجدي للنزاع العربي مع اسرائيل

ورأيا في عايدة وسيلة لتوثيق الصلات الثقافية فيما بين شمال افريقيا وباقي حوض البحر المتوسط» (ص ٣١٣)

وشاءت الاقدار الدامية لمشروع «عايدة» الا يرى النور لا لشيء سوى اغتيال السادات ظهر السادس من اكتوبر لعام ١٩٨١ .

وبدلا من عايدة اتفق «زيفريللي» مع «طارق» على أن يقوم الاخير بتمويل فيلم اوبرالي آخر «لاترافياتا» (المرأة الضالة) وهو بدوره مستوحى من اوبرا «الجيسيبي فيردي» مبدع عايدة .

● انغام وهيام

والآن ماهو سر العلاقة الحميمة بين «زيفريللي» وبين الاوبرا ، تلك العلاقة التي كان من ثمارها قيامه باخراج حوالي ستين عملا اوبراليا على خشبة اعظم مسارح العالم الغنائية ومع اشهر نجوم النغم امثال «ماريا كالاس» و «جوان سوزرلاند» و «بلاسيدو دومنجو» .

وكذلك قيامه باخراج اربعة افلام مستوحاة من أعمال اوبرالية ، وهو عدد

سيمفاخ اوبرا..
ومغامرات اخرى!

يكاد يصل الى نصف ما اخرجه من افلام طوال مسيرته مع السينما ؟

جاء فى سيرته الذاتية أنه كان لا ينام ـ وهو فى المهد صبيا ـ الا على انغام اوبرالية تدندنها له امه او جدته او خالته .

وعن تأثير العادات المكتسبة فى الصغر قال «ليوناردو دافنشى» العلامة الفلورنسى العظيم فى بعض ما كتب «لا شفاء للمرء من طفولته» .

وفى الحق ، فان النغمات التى سمعها «زيفريللى» ، وهو صغير ـ لم يشف منها حتى يومنا هذا .

واغلب الظن ان عشقه للاوبرا اثر من اثارها ومظهر من مظاهرها .

ولو تتبعنا حياته الفنية لوجدناه دائم التنقل بينها وبين المسرح والسينما وتفسيرا لهذا يقول «انا متزوج الفنون الثلاثة ، انتقل بينها بحرية» .

ومما يلاحظ على انتاجه فى دنيا الاطياف انه جد قليل .

فهو على امتداد واحد وعشرين عاما لم يبدع سوى احد عشر فيلما .

وليس صدفة ان مشواره السينمائى المستقل قد بدأ بفيلمى «ترويض النمرة» (١٩٦٧) و «روميو وجولييت» (١٩٦٨) ، فكلاهما يعبر عن تعلقه الشديد بشكسبير ، ذلك التعلق الذى انتهى به مخرجا لفيلم «عطيل» (١٩٨٥)

اما فيلماه الثالث والرابع «فرانشسكو وطريق الشمس» ، (١٩٧٢) و «مسيح الناصرة» (١٩٧٨) فكلاهما يعكس تشوقه الى الفكاك بالروح من سجن الارض صعودا الى السماء .

والعجيب انه فور الانتهاء من «مسيح الناصرة» ، تغير حال «زيفريللى» فى السينما ، فاذا بنا نراه منتكسا الى الارض فى فيلمين تجاريين «البطل» (١٩٧٩) و «حب دائم» (١٩٨١)

ولقد حقق اولهما ـ وهو بكائى زاعق فى ميلودراميته ـ ارباحا طائلة لهوليوود ، فاقت الخيال .

وفى المرحلة الحالية من رحلته مع الاطياف نراه ، وقد اهتدى الى معشوقته الاوبرا وامكانية الانتقال بها الى لغة السينما .

فاذا به يخرج اربعة افلام مأخوذة جميعا عن اعمال اوبرالية ايطالية شهيرة وهى «الشرف الريفى» لماسكانى ، و «البلياتشو» لليون كافاللو و «لا ترافياتا» او «غادة الكاميليا» ، و «عطيل» .

وفيلما خامسا «توسكانينى الصغير» زاخرا بالمشاهد الاوبرالية لانه يدور حول حياة المايسترو الايطالى الشهير .

وكان متوقعا للافلام الاوبرالية الاربعة ان تفشل ، وان يكون فشلها من النوع الذريع ، لا لشىء سوى ان الاعمال الاوبرالية اذا ما علبت فى افلام قصت اجنحة حريتها ، وفقدت الكثير من قدرتها على الابهار .

فوق هذا ، فجميع الاعمال الاوبرالية التى جرى ترجمتها الى اعمال سينمائية لم يكتب لها نجاح ، او كان حظها منه اقل القليل .

ولكن حدث امر لم يكن في الحسبان .
اقبل الجمهور العادى ، ولاول مرة فى تاريخ السينما على مشاهدة افلام عمادها الغناء الاوبرالى ... فما السبب ؟

لان المخرج وكاتب السيناريو «زيفريللى » استطاع أن ينجو بافلامه الاربعة وبخاصة «غادة الكاميليا » و «عطيل » من عبودية المسرح ، فلم يجعلها مجرد اعمال اوبرالية مصورة ، وانما ابدعها افلاما متحررة من الجمود ، محلقة دون قيود .

وفضلا عن هذا ، فقد كان موفقا فى اختيار صاحب الصوت الذهبى «دومنجو » لاداء الادوار الرئيسية فى الافلام الاربعة ، وبالذات فى دور «عطيل » .

كما صادفه التوفيق فى اختيار مغنيتي السوبرانو «تيريزا ستراتسى » و «كاتيا ريتشياريللى » الاولى لاداء دورى «فيوليت » غادة الكاميليا و «ندا » فى «البلياتشو » .

والثانية لتقمص شخصية ديدمونة التى راحت ضحية نار غيرة «عطيل » .


جريتا جاربو ... غادة كاميليا

● ربات الجمال

وهنا وقفة لابد منها عند أجمل هذه الافلام الاربعة وهما «غادة الكاميليا » و «عطيل » .

لم يكن الامر سهلا مع هذين الفيلمين فقد سبق «لجريتا جاربو » أن ادت دور «غادة الكاميليا » ، وكان اداؤها له مثاليا غير قابل للتكرار .

ولقد جاء ضمن ما جاء فى كتاب «جاربو » لصاحبه الناقد الانجليزى « الكسندر ووكر » تفسير لظاهرة اتقانها تمثيل «غادة الكاميليا » على وجه ليس له مثيل لا من قبل ولا من بعد انه ، وقبل وقوفها امام الكاميرا لتصوير مشاهد الفيلم باشهر ، اصيبت شقيقتها الصغرى بداء السل ، كما اصيبت هى الاخرى بداء كادت من آلامه تبحث عن الخلاص فى غرفة العمليات باحد المستشفيات .

وها هى ذى بعد كل هذه الآلام والاوجاع تعود من السويد وطنها الى هوليوود ، كى تلعب دور «غادة الكاميليا » تلك الغادة التى عاشت معذبة بالحب ، وماتت ضحية داء السل يتسلل الى صدرها ويجعل منه بقايا شريدة وبحثا عن سر اجادة «جاربو » الدور واتقانها له يقول

سينما في أوبرا..
ومفاجآت أخرى!

«جورج كوكور» مخرج الفيلم انه لاحظ اثناء الاخراج نضج ادائها على نحو اصبحت معه قادرة على التعبير عن العواطف المتأججة الداخلية بحد ادنى من حركات خارجية متحكم فيها ولعل مشهد موت «غادة الكاميليا» بين احضان حبيبها «ارمان دوفال» (روبرت تايلور) في ختام الفيلم دليل على براعة «جاربو» في التمثيل باقل القليل من الحركات .

فها نحن أولاء نراها ، وقبل أن تسلم الروح ، تفتح العينين ، بدلا من اغماضهما كما هو معتاد في مشاهد الموت سينمائيا .

والاكيد انها بهذا الانقلاب المدهش في تصوير اللحظة الاخيرة من معاناة فقدان الحياة ، قد نجحت في التعبير مرئيا عن حركة الروح وهي على وشك التحرر من اسر الجسد .

وعلى كل ، فهذه الوقائع تعني فيما تعنيه ان «جاربو» قد اضافت قطعة من نفسها اثناء قيامها باداء دور «غادة الكاميليا»

● العيون والدموع

وهي بذلك تكون قد اعطت شيئا ثمينا الى الفيلم ، لعله السبب في عجز السينما العالمية عن صنع «غادة كاميليا» اخرى على مدى خمسين عاما الا قليلا

ولكن ها هي ذي «تيريزا» السوبرانو المنحدرة من اصل يوناني تؤدي نفس الدور تمثيلا وغناء في فيلم «زيفريللي» على نحو يفوق اداء «جاربو» في بعض الاحيان

وعن تاثير تقمصها لشخصية الغادة العليلة على الجمهور في حفل العرض الاول للفيلم بنيويورك (٢٠ ابريل ١٩٨٣) كتب «زيفريللي» :

« في ظلام السينما بدأت اتبين رويدا رويدا ان ثمة صوتا شبيها بمدٍ بعيد ات من المتفرجين كانوا يبكون جهارا ، ولم يكن البكاء مقصورا على النساء .

وفي الضوء الخافت ، كنت أستطيع أن أراهم يبحثون عن مناديلهم سعيا الى التحكم في عواطفهم .

وعدت اتطلع الى الشـاشة حيث «فيوليتا» تسعى جاهدة إلى اقناع «الفريدو» واقناع نفسها بأنها لا تودع الحياة ، بأنها تستطيع أن تنهض ، وبانهما يستطيعان العيش معا مرة ثانية .

وعندئذ عرفت أن «تيريـزا» قد استطاعت ـ ورغم كل العقبات ـ ان تبدع «فيوليتا» التي كنا جميعا نحلم بها .

تطلعت الى عينيها الواسعة السوداء وهي تتوسل وقتا ، اي وقت به تعيش ، به تحب وعندئذ اكتشفت انني بدوري كنت ابكي » !!

ومشكلة مشابهة واجهت «زيفريللي» قبل اخراج «عطيل»

فقد سبق لاثنين من جهابذة الفن السابع في العالم الامريكي «اورسون ويلز» (١٩٥٢) والسوفييتي «سيرجيني يوتكينفتش» (١٩٥٦) ان ابدعا فيلمين

مأخوذين عن مسرحية عطيل ، ذلك الرجل الذى لم يعشق بتعقل ، والذى دفع الغيرة عن نفسه جهده ، فلما تمكنت منه تمادى فيها الى النهاية الفاجعة .

ومن ناحية اخرى كان «زيفريللى» لايدرى الى اين سيشرد به خياله فى تناول الاوبرا المستوحاة من مسرحية المغربى الذى تجاوز الحد فى الحب ، وماذا ستوحى به هذه الصورة او تلك الاغنية وعلاوة على هذا ، فقد كان من اصعب الامور العثور على من يستطيع الجمع بين اجادة الغناء والتمثيل .

ومهما يكن من شىء فقد وفق «زيفريللى» كل التوفيق عندما اختار التينور الشهير صاحب الصوت الذهبى «دومنجو» والسوبرانو «ريتشياريللى» للدورين الرئيسيين .

وعندما اسند دور «ياجو» الحاقد للمغنى الباريتون من بورتوريكو «جوسيتو دياز»

وصادفه نفس التوفيق عندما صور بعض الاحداث الدامية فى قلعة «هيراكليون» بجزيرة كريت ، وصور البعض الآخر فى قصر بارليتا الساحر بربوع ايطاليا

ومما يعاب على اخراج «زيفريللى» لعطيل تعديه على الاوبرا بحذف عشرين دقيقة منها .

ورغم هذا نستطيع ان نقول إن الفيلم حافظ على روح اوبرا «فيردى» ، لاسيما المشهد الاخير منها ، ذلك المشهد الذى يقطر الحانا وجمالا وسحرا .

وهنا وقفة لابد منها .

● الموت حبا

فى هذا المشهد الحزين نرى «ديدمونة» وقد بدات تحس ان الحب بينها وبين زوجها «عطيل» والذى اودعته خير ما فيها ، هذا الحب يقلبه الموت قليلا .. قليلا .

فاخذت تنشد انشودة قديمة تعبر بها عن سوء بختها .

«غنوا على الصفصافة .. ليصنع تاجى من صفصافة خضراء .. لا تلوموه على الجفاء .. افديه»

ثم ودعت وصيفتها «اميليا» زوجة «ياجو» بصوت خافت فيه نغمة الفراق الاخير .

ولا تكاد تهدأ العاصفة خارج القصر ، وتنتهى «ديدمونة» من صلاتها وتذهب إلى الفراش حيث تستسلم الى النوم ، حتى يظهر «عطيل» عازما اطفاء نورها لان «موتها محتم والا خانت رجالا آخرين» ! ! وها هو ذا يقبلها ، فاذا ما استيقظت طلب اليها أن تعد نفسها للموت ، وأن تفكر فى خطاياها

● نوم العقل

وعبثا تحاول اثبات براءتها مما يصفها به .

عبثا تحاول انكار انها اهدت الملازم الشاب «كاسيو» المنديل الذى كان عطيل قد اهداها اياه .

عبثا تحاول تأجيل القتل إلى الغد او نصف ساعة بلا مزيد .

ولا يكاد يزهق روحها ، حتى تعود الوصيفة لتكتشف موت سيدتها مخنوقة . ولتكشف عن كيد وغدر زوجها الحاقد .

سينما في أوبرا.. ومفاجآت أخرى!

وعن طهارة «ديدمونة» التي كانت «أصدق من ابرار السماء»
وفى لحظة الحقيقة هذه، وبعد فوات

الاوان، لم يكن امام «عطيل» سوى أن يقول لراحة البال ولسائر الاشياء التى

تنجم عنها الكبرياء والعظمة والمفاخرة ـ يقول لها جميعا وداعا.

البطل .. اكثر افلام المخرج نجاحا تجاريا



بل ويقول للحياة نفسها وداعا الى الابد بان يغمد خنجرا فى قلبه، فيسقط بجوار جسم «ديدمونه» الرقيق.

وها هو ذا يزحف نحوها ليموت فى قبلة فاذا ما فارق الحياة رأينا يده ويد «ديدمونه» لا تلتقيان.

وكيف تلتقيان، وقد كان من امرهما ما كان؟

حب ثم استماع لوشوشات الشيطان، فغيرة كلها خناجر وسموم ونار ودمار تذهب بعقل عطيل الى تفضيل «ديدمونة» ميتة على «ديدمونة» غير نقية.

يبقى ان اقول ان «عطيل» كان الفيلم الوحيد من بين افلام «زيفريللى» الاربعة الذى لم يكتب له العرض فى دار الاوبرا لماذا؟

لانه استبان فى آخر لحظة ان الاخوين الاسرائيليين «جولان» و «جلوبس» هما منتجا «عطيل».

وفي اعتقادي انه لو كان قد استبان لاولي الامر في دار الاوبرا ان «مجموعة كانون» التي كان يتحكم فيها هذان الاخوان قد انتقلت جميع اصولها بما فيها عطيل الى الممول الايطالي «جيان كارلو باريتي» لاختلف الامر كثيرا، ولما حرمنا من الاستمتاع برائعة فيردي المستوحاة من مسرحية شكسبير مترجمة إلى لغة الاطياف.


كتاب الهلال
يقدم:
القيصر الأصفر
بقلم: د. عبد الغفار مكاوى
يصدر
٥ يونيه
١٩٨٩
روايات الهلال
تقدم:
أحمد داود
بقلم: فتحي غانم
تصدر في
١٥ يونية ١٩٨٩



محمود بقشيش

جولة فى المعرض الساهر!

لهذا لم يفاجأ المشاهد . المتابع . بما يثير التأمل او الحوار ورغم ذلك فانى اجد بعض العذر فى اضطرار بعض الفنانين الى اعادة عرض اعمالهم على جمهور الفن فى القاهرة (وهم الفنانون والنقاد وطلبة الكليات الفنية وبعض اصحاب قاعات العرض الخاصة .. الى قلة نادرة من الآلفين) ولا يشكل كل هؤلاء الا هامشا ضئيلا فى بنية المجتمع المصرى . فمهما اعاد الفنان تقديم اعماله وبالغ فى الاجادة فلن يزيد مشاهدوه فى احسن الحالات على بضع مئات .. ولا سبيل الى توسيع هذا الهامش وتعميقه الا بتدخل وسائل الذيوع والتأثير وفى مقدمتها « التليفزيون » . والالحاح على ذاكرة الشاهد والقارىء حتى ينتبه الى ان هناك مبدعين غير الذين يلتقى بهم من نجوم السينما والكرة . واذكر ، بالمناسبة ، اننى عندما كنت مشاركا فى بينالى بغداد الدولى الثانى ان سألنى سائق تاكسى عن اسماء الفائزين !.. وظننتها مصادفة .. غير انى وجدت اهتماما بهذا المعرض فى مواقع مختلفة داخل مدينة «بغداد» ومع مستويات ثقافية متباينة ..

وبالطبع فان هذا لا يمكن ان يتحقق على المستوى الشعبى لولا الغطاءان الاعلامى والاعلانى المؤثر .. اللذان جعلا من الفنان التشكيلى نجما متالقا ومعروفا على مستوى المتذوقين وغير المتذوقين فى نفس الوقت .

● الفنانون

شهدت بداية الستينيات بداية تالق الفنان « منير كنعان » عندما قدم اول معارضه وقد قوبل وقتها بما لم يشهده معرض من قبل من جدال . تراوح بين الرفض الكلى او القبول المتحفظ ، غير ان تلك الصدمة تركت آثارها فى اجيال لاحقة ، ربطت انتاجها بما يمكن تطبيقه من صيحات النموذج الاوربى فى الفن . وعلى الرغم من خروجه على ملامح المنهج « الدادى » ـ العبثى ـ الذى ظهر فى معرضه الاول فانه التزم بالاسلوب « التجريدى » حتى الآن ، وقد بقى من تلك الرحلة ما يكشف عن تعلق بالقيمة الملمسية ، للعناصر ، ووجدت هذه القيمة فى شطر من اعماله للدرجة التى توارى فيها « الشكل » كما فى مرحلة « الجداريات » ، وكانت لوحات

اقيم بقاعة السلام بالزمالك معرض لستة من الفنانين البارزين فى الحركة التشكيلية المصرية هم : منير كنعان - ابو خليل لطفى - سعيد عبدالرسول - حسين الجبالى - جاذبية سرى - مصطفى الرزاز . وجاء المعرض مصاحبا للسهرات الثقافية الرمضانية فاطلق عليه عنوان : "المعرض الساهر" .. وقد راعى منظمو المعرض . فيما يبدو . ان يضم ثلاثة من الفنانين التشخيصيين ، وثلاثة من الفنانين التجريديين . ويبدو ان المعرض قد اعد على عجل ، فلم يتمكن المسئولون من طبع "كتالوج" كما ان الاعمال قد عرضت من قبل مرات ومرات .

للفنان كنعان (كولاج + لمسات ملونة)



تلك المرحلة اقرب الى ان تكون صورا فوتوغرافية لحوائط قديمة متآكلة ، او مجتزءات من حوائط حقيقية ، ويشبهه فى هذا فنان عراقى هو « شاكر حسن آل سعيد » وان اختلفا فى ان « شاكر » حريص على توثيق جدارياته بالاحتفاظ بكتابات ابناء الحارة ورسومهم على الجدران الدالة على بيئة بعينها ووطن بعينه ·

وفى شطر آخر من اعمال الفنان « كنعان » نراه قد تخفف من المبالغة والتركيز على عنصر من عناصر التشكيل ، وفتح الطريق الى اشكال واضحة المعالم ذات طابع هندسى ، واذا كانت مرحلة الجداريات غير مقطوعة الصلة بجدران الحوارى والازقة الشعبية فان مرحلة « الهندسيات » كانت اعلانا صريحا على تلك القطيعة ، وانفلاتا الى عالم التأمل الجمالى · الشكلى · الخالص وقد شارك فى هذا المعرض بلوحات تنتمى الى هذا الجانب · واللوحات جميعها تنويعات على شكل الـ « X » ، وهذا الشكل بطبيعته مسيطر على سطح اللوحة المربع ، ويحتم وجود أربعة مثلثات متلاصقة · وظهر عنصر « الملمس » فى علاقات مختلفة تثرى مسطح اللوحة عن طريق لصق شرائح ورقية قام بتلوين بعضها قبل « القص واللصق » وتكشف لوحات « كنعان » عن براعة واخلاص كما تكشف عن اختيار لعالم « المباريات الشطرنجية » اطارا لفنه ·

ويقدم الفنان « أبو خليل لطفى » ما يؤكد « ميله » الى المنهج التجريدى وأقول « ميل » لا « انحياز » ·· لان المشاهد يلتقى احيانا بأشكال لبشر او طيور او حيوانات وان ظهرت جميعا كأطياف ، ذائبة ، واذا كانت لوحات « كنعان » تثير فى النفس ضمن ما تثير يقظة لاعب الشطرنج فان لوحات « أبو خليل لطفى » تجذبنا ، وتغرينا بأن نحلم ، وأن نلوذ بذواتنا ، وتمهد لنا طرق اختراق طبقات ألوانه الكثيفة · المتداخلة لنلتقى بأطياف حلمية مبهمة الرموز ، تارة ، وواضحة تارة أخرى ، لكنها فى كل الاحوال تفتح الطريق امام الخيال ، يصعب ترجمتها الى كلمات ·· غير ان لوحات « أبو خليل لطفى » تكشف عن عين مثقفة أحاطت بأساليب الفن المعاصر واختارت خليطا خاصا تلمح فيه التجريد ، والسريالية ، والاسلوب البصرى ، الى غير ذلك من الاساليب وفى « كتالوجه » الخاص يدفع عن نفسه شبهة « السيريالية » فيقول : (المحاولات ليس لها علاقة بأسلوب الاخراج السيريالى الاكاديمى ·· بل تستهدف خلق مواقع دخول واختراق ومواقع خروج على شكل فتحات ، تستهدف اثارة حضور غامض يعطى للصورة وجودا حيا خاصا بها · فى بعض الحالات فان الحضور الغامض ربما يسترجع خبرات لا واعية عتيقة) وتبدأ ملامح «الهوية» مع ثالث التجريديين : الفنان الحفار « حسين الجبالى » ، وتكشف لوحات « الجبالى » عموما عن ميل استلهام

نسر البحر (مقاس ٩٢ × ٩٢ سم)
زيت على توال للفنان ابو خليل لطفى





استكشاف اللانهائي للفنان
ابو خليل لطفي (١٩٧٧)



تكوين ثلاثي من ثلاث نسجيات
ملونة ـ المقاس ٧٠ × ٢١٠ سم
للفنان حسين الجبالي



بعض ملامح الزخارف الاسلامية والحروف العربية ، وشغل كل فراغ اللوحة ، ومثل كل المشاركين في المعرض فانه ينصرف عن البعد الثالث الوانه رزينه . وعلى الرغم من ان الثلاثة يجذبونك الى كل ما هو ذاتي وفردي فانك واجد اختلافات واضحة في اختياراتهم ، وان كان « ابو خليل لطفي » اكثرهم غوصا في هواجس الذات ، واكثرهم ائتلافا لروح المتلقي، وعندما نصل الى لوحات الفنان « سيد عبد الرسول » نكتشف اننا خطونا خطوتين : الاولى خطوة مؤكدة الى ملامح قومية ، والثانية خطوة الى رموز مشتركة ، وان لوحاته تستلهم مادتها من المألوف من الموضوعات مثل : صيد الاسماك ورقص الخيول وحاملات الجرار وما الى ذلك من الموضوعات ، وغير انها مؤداة بطريقة تكشف درجة تعلق الفنان بالجداريات المصرية القديمة حيث تصطف العناصر صفوفا صفوفا ، وهو كما اشرت ضمنا من قبل يتخفف من البعد الثالث (عمق اللوحة) .

وعلى الرغم من ان الفنان يستلهم مادته من الواقع - كما قلت - فانه يترجه بها الى منطقة التجميل والتزيين ، لهذا يختار من الاوضاع الانسانية والحيوانية اكثرها جمالا .. فما اجمل شكل « الحصان » الذي يرسمه ولا يمل تكراره دون ان يصيبه أو يصيبنا الملل ! .. اما التسطيح اللوني في لوحاته فهو معزوفات بارعة لفرشاة دقيقة تثرى مسطح اللوحات بتحركاتها الحكمة والمتنوعة .

ما تكاد تغادر عالم « سيد عبد الرسول » الرقيق وتزور لوحات « جاذبية سرى » حتى تكتشف انك قد سقطت في عاصفة هوجاء او بحر متلاطم لاحد له ! .. واذا كان « ابو خليل لطفي » يطلق على مسطح اللوحة تعبير « شاشة الاحلام » فان مسطحات لوحات « جاذبية سرى » في هذا المعرض ساحات للمعارك . كل العناصر في حالة اشتباك محتدم : بين الساخن والبارد من الالوان ، بين لمسات الفرشاة وسكين الالوان الحادة والمعترضة ، وامعانا في بث التوتر في كل جزئيات اللوحة فانها تنفي البعد الثالث ، فيختلط المألوف بغير المألوف ، ويتداخل المشخص في المجرد وبشكل كل هذا « حالة » لا تملك ازاءها الا ان تشارك الفنانة توترها لكن كيف ترى الفنانة نفسها ؟ كتبت « جاذبية سرى » في كتالوج معرضها الذي اقيم من قبل في قاعة مشربية (واللوحات المعروضة في قاعة السلام منتخبات من معرضها السابق) نثرا شعريا تصور به رؤيتها الفنية . تقول :

جذع امراة ويد طفل ووجوه ممسوحة
تخلق خلقا طبقات فوق طبقات
الوان مكهربة تتدفق في مبنى قديم كان جسدا
في لجاج البحر وعجينة الطين
وجلباب ينطوى تحت قبة
بينما تحتضن الفتيات الفضاء الاخضر
فتسمع الوتريات والارغول حتى الافق
طبقات فوق طبقات
تستبيح الخوض في فضاء اللوحة
فتنغرس في لحم البيوت مبقان بضة

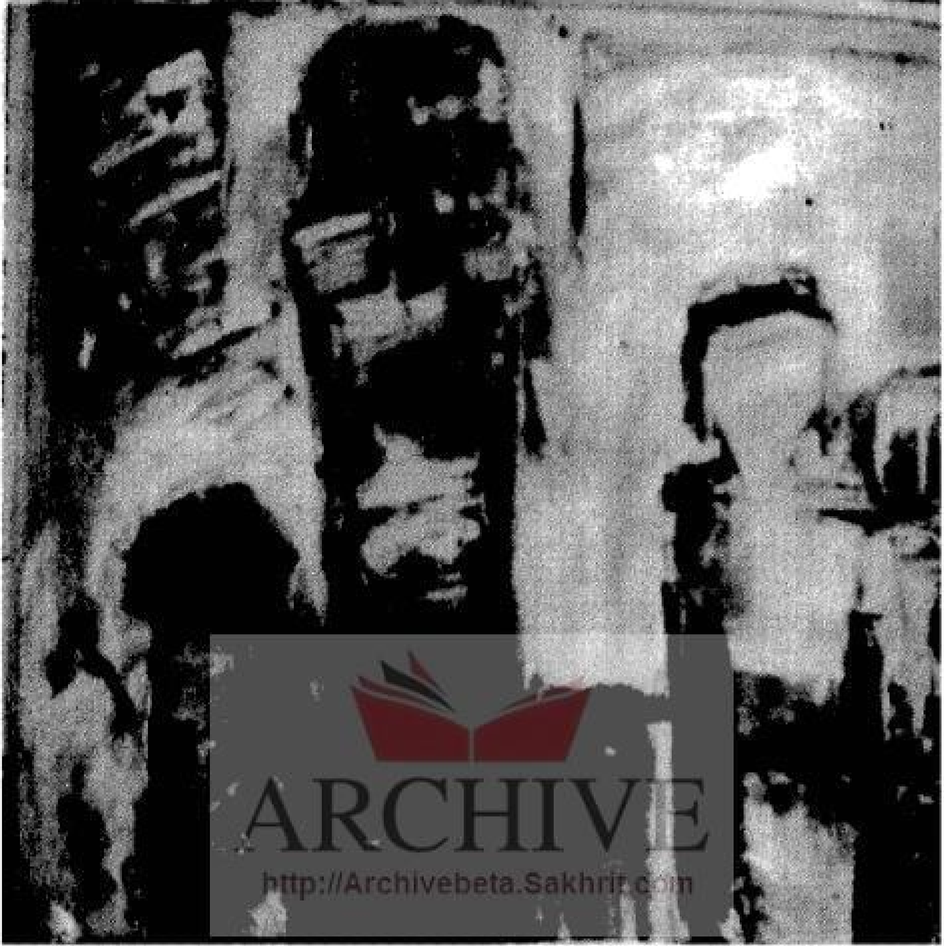


رقصة الخيل للفنان سيد عبد الرسول (زيت على توال)



وتنبت للنوافذ شوارب
كهاجس على اللوحة
اصفر شاحب هو قمر الزمان
في أعمق الاعماق
حيث الخوض في المكان محرم

فنتازيا الطائر
والحصان والفارس
للفنان مصطفى الرزاز



بقروبيوت (زيت على توال) للفنانة جلابية سرى

ويقدم الفنان « مصطفى الرزاز » لوحات تناقض عالم « جالابية سرى » .. فمعالم الاشكال عند « الرزاز » واضحة ومحددة ومرسومة بعنـــاية وسلاسة واناقة . لهذا كان عنصـــرا « الخط » و « المساحة » ركيزة محورية في صياغة اللوحات ، واتسمت الوانه بالصراحة والاقتصاد معا ، ولصاقتـه بها بلاغة الايجاز ، فبلمسات قـــلائل يتجلى الايحاء بالاستدارة والشفافية ، ويشكل حوارا مرهفا بين المساحات اللونية الصريحة ونقيضـــــها من العناصر التى تشكل مفرداته المألوفة: الطائر والحصان والانسان ، وتظهر محورة ومختصرة بالشكل الذى يسمح باسترسال الخطوط اللينة والمنحنيات الرقيقة . تتسم لوحاته بالاناقة والرقة والرموز الخاصة .



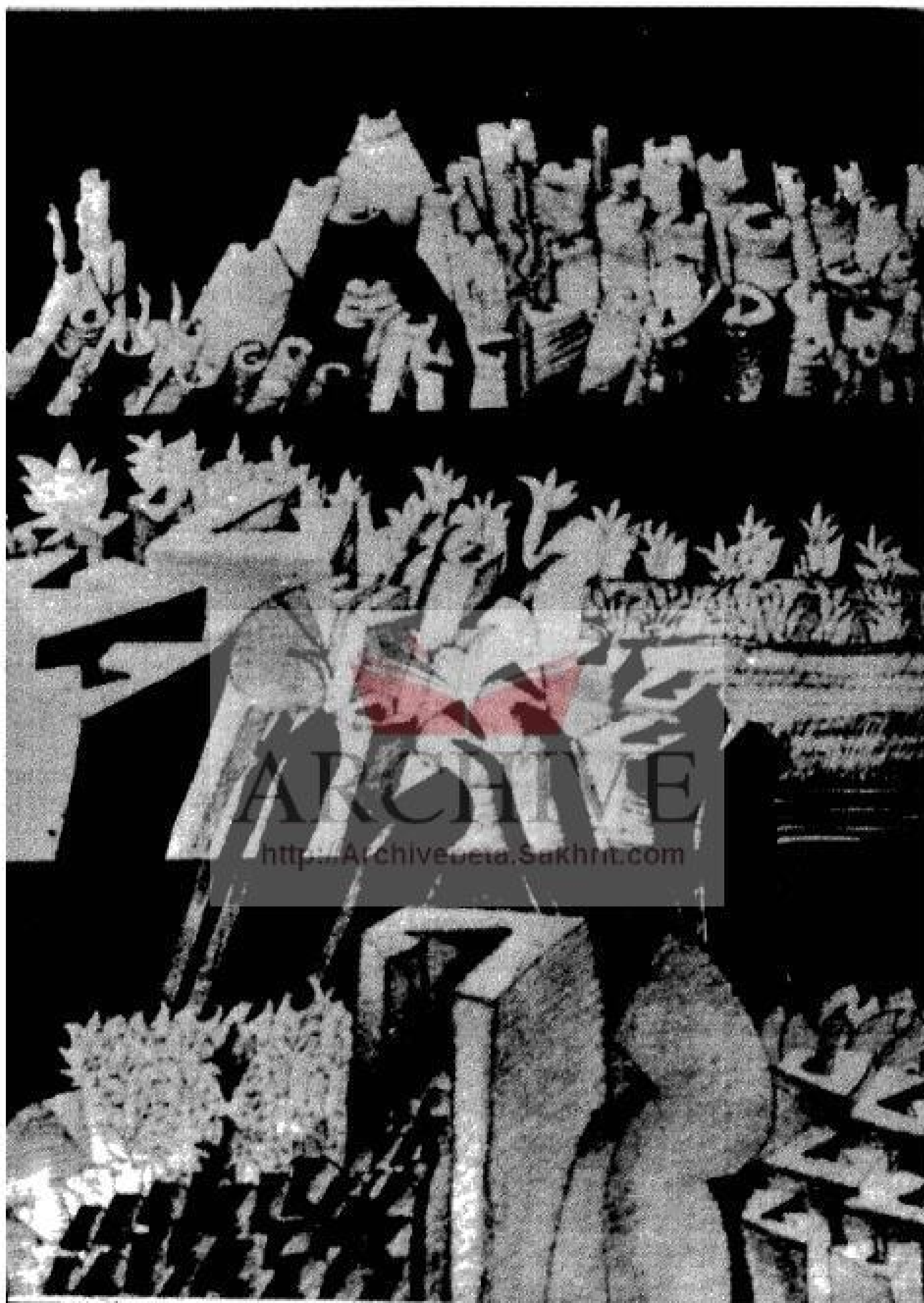
مظاهرة كونية . مقاس ٥٠ × ٧٠ سم ، اكليرلك على قماش للفنان : احمد عبدالكريم

جولة فى معرض أحمد عبدالكريم

اقيم بمجمع الفنون الجميلة بالزمالك معرض للفنان الشاب « احمد عبد الكريم » فى مجال الرسم بالحبر الصينى والجواش . كشف معرضه عن درجة ملحوظة من درجات التخلص من آثار ابداعات وآراء اساتذته ، واكتسبت مفرداته ملامح جديدة .. عندما خرج بها من اطار الاجترار الذهنى ، المثقل ، الى رحابة مثيرات الطبيعة الجمالية والتعبيرية. عودنا منذ معرضه الاول على مفردات تمثل بدائل دالة على اصولها الواقعية ، ومفرداته - أو بمعنى ادق مفرداه الرئيسيتان المشتقتان من اصول واقعية هما : الانسان والبيوت. انسان اشبه بشاهد القبر . مسطح . ورقى . وعماراته مقفلة على مثلثاتها الحادة . خالية من النوافذ.. غير انه كان يخلع عليها من الالوان البراقة ما يلطف ، أو يراوغ ايحاءاتها المأساوية ، وعلى الرغم من اعتراف الفنان بانه لم يعمد الى ايحاءات سوداء فان لوحاته الاخيرة قد تحدته (!) بعد ان خلصها من قناع الاصباغ البراقة واكتفى بالاسود ، وخلع عنها اناقتها الزخرفية السابقة فافصحت مكنون الايحاء المأساوى كان من نتيجة صلحه المتحفظ مع الطبيعة ظهور مفردات جديدة مثل : النخيل والنبات وفزاعة الطيور . حاول فى معرضه الاخير استلهام « الواقع المرئى » غير انه لم يستلهمه او يستنطقه حرا من قيد المحفوظات بل تمسك بكل ما هو محفوظ ، واقام علاقة بين محفوظاته وبين اشكال لم يجد لها شكلا افضل من شكلها الطبيعى مثل اشكال النخيل وفزاعة الطيور .. مما احدث كسرا فى سياق الاسلوب الفنى ، وحاول أن يثرى مسطحات لوحاته بعناصر متعددة فسقط فى الثرثرة ، واقتربت لوحاته من طابع الصور التوضيحية ، والاهم هو تفتت وحدتها البنائية .

بيوت . للفنان احمد عبد الكريم







نخلة سالمة

قصة بقلم : أليفة رفعت

ريشة الفنانة : صبيحة حسنين



معلقة بسلتيها على جانبي حمارها ، وبين أجراس خلخالها الفضي يشتعل بريقه رقصات المسار على قارعة الطريق الترابي . لم تلتفت سالمة وراءها وللغروب الساكن يلفها . ومن خلال برقع حال لونه ، وبين خوافر شديدة السواد تكمن عيونها نعسة كسلى مسحورة وانتفضت ، وعروسه المرجانية مرتكزة على أنفها تختنق .

هيه .. الله حي .. الله أحد :

ذات حولة للنعاج جابو المنشدين في مسحوله كتراشقة طابا لجسد

الغزال ، وبعد نظسه بين أقدام راعية صغيرة جدائلها السوداء المفروقة تتدلى بلا عدد على أكتافها ، ونطاقها الصوفي المشدود على جلبابها الأسود يبرز خصرا نحيلا ونهدين متكورين في الثلاثة ، ويتدلى من أنفها حلقة فضية تكاد تلامس شفتيها تمتد حتى ثغرها شفوه وشم ينصب سحرا ناعسا على ذقنها الحسن الفاتن في استدارته . شعر في مكانه متذنبا يتعمد استدارتها ، لكن شعاع الشمس الذهبي يتسرب من خلال سحائب أجفانها ، غرقت أطرافها تثير ولعه ومالت صغيرة ولا ...



الكلب . صرخت الفتاة محتجة وهي تهش الحصان بسواعدها . وضحك الحاج للعيون السوداء الوامضة بهياج الغضب ، من الحصان الثابت في وقفته يرفض امرها وهي المسيطرة على قطيعها كله ، ترعاه كل نهار بمشارف مضارب قومها . حملقت فيه بعيني قطة متوحشة ، سرعان ماارتخت أهدابها لما اصطدمت بوسامة الوجه الطيب المهيب . وفتنها جسده الراسخ على حصانه كوتد متين . عادت تبادله النظر وهو يمسح على لحية وشارب خطهما شيب الخمسين بأصابع رشيقة ، فطالت بينهما نظرة تداخلت فيها نفساهما تداخلا عميقا ، وانطلقت من عينيها زغاريد صامتة تعبر عن فرحتها بالعثور على الفارس الجدير بها . واجتهدت في السيطرة على النبض الراعش بجسدها وهي تعاني من حياء العذراء امام اول نظرة تجتاح جسدها من رجل يفتش عن ينابيع أنوثتها . ابتسم لها ابتسامة حلوة ولوى بعنان حصانه ومضى .

رجعت سالمة سارحة ، وفي الليل تقلبت مسهدة على فراشها المصنوع من الجريد بحشيته اللوف . ركلت الكليم الصوفي المغزول قديما بيدي أمها لاتطيق غطاء على ساقيها . سطعت في مخيلتها صورة أصابعه ، فتمنت لو أنه يربت عليها بهدىء الحرارة المنبعثة فيها من نظراته المكتسحة بنفس الرقة التي كان يربت بها لحيته . وكما كانت تفعل أمها قبل أن تنام عندما كانت صغيرة . نظرته أشعرتها أنها كبرت فعلا ، فتذكرت جاسر ابن عمها المفروض أن يتزوجها متى كبرت وتذكرت شحوب وجهه وهو ينظر لرجرجة صدرها حين يخض قربة اللبن قبالتها . وارتعاشة شفتيه بشعر شاربه الخفيف كزغب الكتكوت . ابتسمت لشعورها بسطوتها عليه ، واندهشت لشعور الوجل والاضطراب من سطوة الغريب عليها بنظرته السريعة . وتحيرت في السبب الذي جعلها تخفي مقابلتها له عن أبيها ، وقد تعودت مصارحته بكل مايصادفها في يومها

ترى ؟ لو ان امها كانت لاتزال تحيا ، هل كانت ستفضي بسرها الصغير لها ؟ وبم كانت ستنصحها ؟ هل كانت بيتها عن حب فلاح غريب عن عشيرتهم البدوية ؟ تقلبت معذبة . اتراه يعود ؟ حتى لاح الفجر كانت مسهدة معذبة مستمتعة في الوقت ذاته بشعورها الجديد وبالحدث الذي ايقظ أنوثتها .

قامت ترعى غنمها متجولة شاردة تتطلع متلفتة للآفاق ، وفي الأصيل خفق قلبها وهي تراه مقبلا عليها رامحا بحصانه حتى توقف أمامها بشوق تطلعت إليه ترقب الأصابع تتخلل اللحية وهو يقول :

ـ اسمك ايه ياصبية ؟

ـ وانت ياخي ايش بتكون ؟

ـ أنا الحاج جابر الجندوس من أعيان الشواشنة . رايدك يامليحة .

ـ ايه .. أنا سالمة بنت شيخ العربان عمران . قبيلتي من الهوارة الأشراف . روح كلمهم يابا : تروح لحالك ولاتشغل بالي الله يهديك .

ابتسم ومال بحصانه ناحية الخيام تلكأت تلملم غنمها حتى عادت بها من وراء الساتر الذي يفصل

خلوتها عن باقى الخيمة وقفت مسبلة الأجفان وأبوها يمرق اليها .

ـ الحاج جابر الحندوس من أعيان الشواشنة خطبك ياسالمة ، وأنا وهبتك له . إيش قولك ؟ ابن عمك جاسر جاهل وفقير حاتعيشي معاه عيشة ضنا . لكن الحاج مليان وحصن حصين ليكي من بعدي يابنيتي . وفتحى عينك ، حاتواجهى عيشة حضر وليكي ضراير على ذمته مابعرف حا تصبرى عليهم والا إيش حايكون حالك ياسالمة ؟

ـ الرأى رأيك الزين والشورة شورتك صح يابوى . إن شاء الله باصبر وباطول رقبتك .

ضحك الشيخ وقال وهو يخرج من عندها :

ـ على بركة الله .

عاد الحاج جابر فى الأصيل التالى ووراءه خادم يسحب حمارا محملا بأشولة السكر والأرز وصناديق الشاى مهر العروس الذى طلبه أبوها . ونحرت القبيلة الذبائح وأولموا فأكل الجميع وعندما دارت أقداح الشاى عقدوا القران فأصبحت حليلته من لحظتها . ارتدت ثوبا اسود مطرزا وأسدلت على وجهها النقاب فلم يظهر غير عينيها الكحيلتين وأردفها الحاج وراءه على حصانه ورمح بها بين زغاريد القوم . سلك الدروب بين تلال الرمال المتحركة دوما بمهارة خبير بالصحراء وفخاخها ووراء التلال كانت الشمس تغرب . وحيدان فى العتمة الصموت سار بهما الحصان واثقا ، والرياح الخفيفة تحمل لأنفها رائحة عباءته المعطرة بالمسك مختلطا بأريج رجولته . أسندت سالمة جبهتها على ظهره وشعور بالأمان والطمأنينة يغمرها . تبختر الحصان على الطريق المدكوك بالحجارة الجيرية الموازى لشاطىء بحيرة قارون فلذعت أنفها رائحة المياه الملحية الحريفة وتطلعت بشغف لطائر النورس وهو يحط على المياه يلتقط الأسماك ويعود للتحليق . ثم تثاقل خطو الحصان وهو يميل إلى الطريق الترابي المؤدى للبلدة ثقل الهواء على أنفاسها برطوبته ، وشعرت بالنبات يسدل ستارا كثيفا على رحابة الأرض الطليقة . وهما يمران بين البساتين والحقول . وتفتت الصمت الذى ألفته فى الصحراء لضجة المخلوقات الخفية المتعايشة بين أشجار الموالح والزيتون ، ووشوشة الطير فى أعشاشه ، والمياه الغرينية المنسابة فى القنوات المتفرعة من بحر يوسف .

قفز الحاج بحصانه مجتازا القنوات قفزات جعلتها تشد ساعديها حول خصره وتزداد التصاقا به محاذرة الوقوع . والحاج واقع تحت جاذبية الصدر المحتك بظهره أشار بيده قائلا :

ـ كل الأراضى دى ياسالمة على مدى الشوف أرضى .

فوجئت انه بكل هذا الثراء ، ولكنها لم تعلق كان تفكيرها منصبا على ليلتها وما سيجرى بها .

بدا الطريق يضيق ويلتف متعرجا حول بيوت لها أسوار من الطين وسعف النخيل ، يخرج منها دخان الخبيز والطبيخ . وأصوات ساكنيها . شعرت أن عيونا كثيرة ترقبهما ولكنها لم تبال ، فهى عيون فلاحين لا اكثر

عند بيت كبير تحوطه الأسوار والأشجار توقف الحاج . فتح خادم الباب



الخشبى الكبير وأخذ بعنان الحصان وهو يغض من بصره لحريم الحاج . قفز الحاج وأنزلها من على صهوة الحصان وتركها ومشى ناحية مندرة واسعة حيث ينتظره الرجال . تلفتت سالمة تشاهد الحديقة الواسعة التى تحوط الدار بأشجار الليمون والبرتقال ذات الأزهار العطرة ، وسرعان ماتقدمت لها فلاحة تقود بيدها وهى تقبلها قائلة :

- محسوبتك حسنات خدامتك . منورة ياست العرايس .

شدت سالمة يدها بسرعة وحسنات تطلق الزغاريد . قادتها إلى سلم جانبى يفضى إلى الطابق العلوى المخصص لحريم الحاج . ارتقت السلم المضاء بفوانيس نحاسية حتى بلغت شرفة دائرية حولها أبواب مغلقة يحوطها شيش خشبى مخرم . التقط نظرها الحاد عيونا تتلصص من وراء الشيش فى الجهة المقابلة لغرفتها وهى تدلف إليها . أدركت أن زوجاته الأخريات يترصدنها بحب استطلاع . وجدت فى غرفتها سريرا نحاسيا فرش بملاءة وردية وفى الجانب الآخر من الغرفة الواسعة فرشت سجادة عجمية كبيرة رصت عليها الوسائد القطيفة الملونة حول مائدة عربية واطئة عليها صينية نحاسية وعلقت فوقها لوحة من القطيفة الحريرية لصورة الكعبة الشريفة بأستارها السوداء وحولها يدور الطائفون بملابسهم البيضاء .. خلعت سالمة ثوبها الأسود وبقيت بقميص داخلى برتقالى اللون منقوش بزهور زرقاء وبنفسجية لها أوراق عريضة شديدة الخضرة . وتدلت على أكتافها العارية جدائلها بلا عدد وظهرت سيقانها من بين كرانيش الدانتيل البيضاء مدملجة بخلاخيلها الفضية وأقدامها عليها نقوش بالحناء .

عادت حسنات بالطعام وبنرجيلة الحاج فجهزت مجلس العشاء وأحضرت طبقا نحاسيا به جمرات الفحم والماشة وبراد شاى مغلى بالقرنفل . وسرعان مادخل الحاج ونسيا الدنيا . لأيام وليال مرت سريعا حولها خلالها لأنثى تعرف كيف تمتعه . ثم قال ذات صباح :

- لابد ياسالمة بقى التفت لرزقنا وأراعى مصالحنا . وانتى عارفة إن الله أمر بالعدل بين النسوان . من هنا ورايح حابات عند كل واحدة فيكم ليلة .

ابتلعت غصة الغيرة تحاول استساغة فكرة مشاركة أخريات لها فى حبيبها . ربت على كتفها مهدهدا وقبلها محتضنا لها على صدره حتى هدأت مستسلمة للأمر الواقع .

قال هامسا :

- الأيام اللى قضيناها سوا خليتك عزيزة عليه ياسالمة .

ابتسمت وقد استردت نفسها وقالت :

- ايه .. الشجرة اللى ماتضلل على أصحابها تستاهل الجز ياخى . اخرج فى حفظ الله وارجع تلاقينى على عهدك .

خرج وأقفلت الباب عليها وجلست فى الغرفة الخالية وحيدة . الصقت كفها المخضبة بالحناء على خدها ، مستندة عليها وهى تشعر بالخوف والتعاسة والوحشة . وثقل الهواء الرطب المحمل بأريج الليمون على أنفاسها ، وسرحت بأنظارها تطوف حول

الكعبة من الطائفين . شعرت أن رجلها كان معبدها في السجود في الليالى الفائتة . كانت تسجد على جسده تعتلى مئذنته فتسبح روحها فى مسرات اللذة العميقة . شعرت كأن وثنها قد انهار فى طرفة عين وتركها للوحدة والضياع .

فكرت كيف ستقضى الأيام التى سيغيبها ؟ ومع مَنْ مِن نسائه سيقضى ليلته القادمة ؟ استبد بها الفضول واضنتها الغيرة لتعرف . ولكن كيف وهى لم تفارق غرفتها او ترى واحدة منهن منذ قدمت ؟ كانت حسنات تجلب الطعام فى اوقاته وتضعه على المائدة ثم تأتى ببناء الفحم يرصه الحاج على فوهة نرجيلته ويلقى فى وسط التبغ بقطعة سوداء تتصاعد بدخان ازرق يملا الغرفة فتتنشق له سالمة وهى تشرب من قدح الشاى . قامت فصفقت اربعا وصدرها ضائق للاشارة بانها الرابعة . اتت حسنات على التو :

– نعم ياستى ؟

– باريد شاى بالقرنفل .

ابتسمت حسنات فى دهشة وظلت واقفة . قالت سالمة :

– إيش فيها ؟ مابيشربوا الحريم الشاى ؟

– لا .. بيشربوا على كيفهم بس بالنعناع . الشاى بالقرنفل مع الحاج بس .

– هاتى شاى والسلام .

أبه ... وحضرى الحمام .

ذهبت حسنات وجاءت بالماء الساخن ووضعته بجانب الطشت فى الحمام الملحق بغرفة النوم . كانت تجهزه كل صباح لهما . فيدخل الحاج يستحم اولا وتدلك له ظهره سالمة ثم تستحم بعده ولكن هذا الصباح ستدخله وحيدة . مرة اخرى لتهدىء من حرارة جسدها . خرجت فجلست تحتسى كوب الشاى من قدح مذهب الحواشى . جلست حسنات على طرف السجادة تنتظر سيدتها حتى تفرغ من تناوله . قالت سالمة بعد ان جاهدت طويلا لتتحكم فى صبرها :

– الحاج حابيات عند مين الليلة ؟

– عند الحاجة زكية بنت عمه طبعا . هى الاولنية . إنتى لسه ماعرفتيهمش . لكن حايزوروكى العصرية علشان يباركوا ليكى .

– أبه ... يزوروني ليش ؟ خبريني يابنيه كيف الاقيهم ؟

– سايقة عليكى النبى ياستى ماتقولى لحد إنى قلت لك على الستات حاجة ، احسن ينقطع عيشى .

– ليكى الامان يابنية . السر فى بير . انتى تبعى طول ما انا فى البيت ده .

– إن شاء الله حتعمريه على طول ياست الستات . شوفى بقى . مرات الحاج الاولانية بنت عمه الحاجة زكية ، ست اميرة وطيبة لكن بختها قليل . فى ولادتها الأولى مات العيل والحكيم شال بيت الولد . ومن ساعتها وهى تشتكى دايما . أما التانية ست سميرة الصعيدية تلاقيها رفيعة وعصبية ومن ساعة ماخلفت الصبيان وهى مناخيرها فى السما ولا حد بيعرف يكلمها . والتالتة الست فكيهة الاسكندرانية تخينه قوى كما الفيل ومخلفة خمس بنات زى القمر وهى المسئولة على المطبخ تعمل طواجن سمك لذيذة يحب الحاج ياكل من إيدها . لكن ماتخافيش انتى اللى فيهم سنيورة صغيرة ونفسك حلوة .

قامت سالمة فأعطتها شالا احمر هدية لها

وصرفتها وجلست تفكر مرة أخرى . يقينا قد شاهدنها يوم أقبلت بزيها البدوى . فكيف سيشاهدنها اليوم وبأى زى تقابلهن ؟ هل تتفندر وترتدى قميصها المنزلى ؟ أم ترتدى زيها البدوى أفضل وأحشم ، ؟ تناولت طعام الغداء ساهمة وشاى العصر سارحة فى انتظارهن . ارتدت ثوبها البدوى وأسدلت برقعها الذى أصبحت توشيه بضعة جنيهات ذهبية هدايا الحاج لها . يوم الصباحية أعطاهم لها وهو يقول لها اشترى بهم حليا وملابس . ولكنها فضلت تعليقهم ببرقعها وقد ضحك طويلا لفكرتها . وقال لها يوما ، ان الحلقة الفضية المعلقة بأنفها تفتنه ، ولكنها تخاف سخرية ضرائرها منها . واعتراها الخوف وهى تستمع لصوت النساء وهن يقبلن لحجرتها فوجئت بدخول نسوة كثيرين وعيال وبنات وامتلأت الحجرة بالزوار . جلست بينهم صامتة متهيبة . وعندما تمالكت نفسها والخدم يتبعن السيدات بالهدايا ويضعنها على المائدة أمرت حسنات أن تحضر الشاى وهى تقول للزوار :

– أهلا بالأضياف الكرام ومرحبا .

– هىء ها هىء شاى إيه ياعروسة ؟ إحنا حانشربوا الشربات .

وجسدها السمين يترجرج مع ضحكاتها قالت فكيهة وتلفتت تتغامز مع الجالسة بجوارها . وعلت ثرثرتهن وهن يصفن أنواع الاكلات وأخر مشترواتهن من الحرائر والأقمشة الغالية متباهيات . ثم أخذن ينهشن سيرة نساء البلدة واحدة بعد أخرى متندرات بأخر أخبارهن . ظلت سالمة جالسة بينهن تستمع لهن فى عجب ولاحظت أن سيدة مسنة متشحة بطرحة بيضاء منصرفة هى الأخرى عن لغوهن عرفت فيها الحاجة زكية . وفى التو تفتح لها قلبها فهشت فى وجهها مبتسمة وبادلتها الحاجة تحيتها الودود . ظلت تنتظر نهاية حديثهن ممتعضة تتفحصهن واحدة واحدة .

فكيهة بقميصها الستان المقور ، الفاضح للأخدود العميق بين النهدين الضخمين كضروع العنزة ، ومؤخرتها العظيمة المفروشة على الوسادة وذراعيها السمينتين اللتين انغرزت فيهما الأساور الذهبية تطرقع بلباناتها متشدقة لتظهر سنها الذهبية . ترى كيف يتناولها الحاج ؟ وهل من المعقول أن تعتليه بكل هذا الشحم ؟ ورائحتها التى تفوح بالدهن والطبيخ ، الا يتقزز منها الحاج ؟ ثم عادت تجول بعينيها بين الوجوه مفتشة عن سميرة حتى التقت بعينين كحيلتين حادتى النظرة فى وجه هضيم شاحب . ملتفة بروبها المنزلى المنقوش جالسة مربعة السيقان يبدو عرقوباها الناتئان وتشيح بيدها أثناء الكلام فتبرز العروق فى أصابعها المعقوفة المصبوغة بالنيكوتين . كانت تقول :

– كل النسا واصل بتقرب منى لاجل رجالى بدهم يجوزوهم لبناتهم . لكن الرجال طالبين العلام .

ردت عليها فكيهة

– ياختى صادقة ، مش حانكذبوكى فى قولك . أصل الحاج غنى والكل يود يناسبه هىء ها هىء .

فقالت سميرة وعيونها تبرق هياجا :

– قصدك ايه ياحرمة ؟ رجالى رجال يتوزنوا بالذهب من غير فلوس

الحاج والله إن حد هوب ناحية بناتك لاجل مايلخدوا بدل لبناتهم ....
- فشرتى دى بناتى ملظلظة والنعمة بتتمر فيها مش زيبكى انتى يامعضمة يامهكعة يامخلعة هىء ها هىء .
أشارت بيدها الحاجة زكية تامرهم بالسكوت . فمرت لحظة صمت . قامت الحاجة زكية فنهض الجميع وقالت :
- إبقى تعالى ياسالمة زوريني فى اوضتى ، اصلى - يابنتى - صحتى على قدى ومابنزلش المطبخ مع الستات . إلا إذا كنتى بتحبى المطبخ وعايزة تساعديهم .
- هىء ها هىء .. خيبة ابوكى ياعروسة كان فيها مطبخ ؟
لاذت سالمة بالصمت الصبور وقررت الا تدخل فى معركة كلامية . ردت سميرة :
- والله يافكيهة إن كان المطبخ حايخليها من صنف الجاموس الأبيض يبقى من لطف الله إن ابوها ماعندوش مطبخ .
- إنتى حاتلمى لسانك ياشابة والا نادبوكى ؟
تدخلت الحاجة زكية مرة أخرى فقالت :
- عيب ياجماعة ، الحاج لو درى يزعل . شرفوه قدام الضيوف وكل واحدة تروح لحالها .
كورت فكيهة قبضتها وصحنتها فى باطن كفها الأخرى قائلة :
- والنبى ياحاجة زكية علشان خاطرك بس حانسيبها كده مهرية ومفلقة منى . آه .. أصلها متكادة منى أكمن الحاج بيخرج من عندى وشه منور مش ليلتها بيقى شايل عبد القادر على كتافه وقرفان ؟
وسالمة مستمرة فى صمتها فكرت أنها قد اهتدت لعلامات تعرف بها اين كان يقضى ليلته ولما انفردت بنفسها عادت الغيرة تنهشها وظلت طويلا مسهدة قبل ان يواتيها النوم .
فى الصباح افاقت على الواقع المر . ان ثلاثة ضرائر أخريات يقاسمنها رجلها . شعرت بالاختناق وأن الحيطان تضيق عليها وعادت تفكر فى تحذير ابيها . لم تقدر من قبل مدى الألم الذى ستقاسيه ، وشكت فى قوة تحملها . وصبرها على الانتظار حتى يعود اليها ليلة يرجع فيها بعدها ليتقلب بين احضان الاخريات . وتحيرت كيف ستقضى الأيام وماذا ستفعل فيها وتقضيها فى الانتظار الممل . ؟
قامت فارتدت ثوبها البدوى وأسدلت برقعها وفتحت الباب . أطلت من الشرفة من بين خروم الشيش المنجمة . ارتفعت اليها ضجة النساء فى المطبخ ولعب العيال حول مرجيحة متدلية من فروع شجرة توت غليظة وحمل اليها الهواء عبير شجيرات الورد والفل والياسمين واعواد الريحان حول النافورة فكرت أن تهبط وتحاول الاشتغال مع النساء بأى عمل . ولكنها تراجعت سريعا عن الفكرة عندما تناهى لسمعها صوت فكيهة بلهجتها الاسكندرانية . ثم ظلت تراقب العيال فى لهوهم طويلا وودت لو تشاركهم لعبهم ولكنها خافت من السخرية . أشتاقت لعنزاتها ولأبيها ولقومها . مشت فى الشرفة المبلطة تتامل صور المشايخ معممين يحملون بعض سمات الحاج فعلمت أنهم أقاربه ومن بينهم صورة له نفسه معمم يرتدى ملابس شيوخ الأزهر . وهى تمر

على ابواب الغرف المفتوحة لاحظت انها تشبه غرفتها . ولمحت فى إحدها الحاجة زكية تجلس بفراشها .

دخلت عليها ووجدت ان غرفتها تطابق غرفتها هى الأخرى غير أن هناك رفوفا كثيرة مرصوصة بالكتب . قالت الحاجة :

- اهلا ياسالمة . اتفضلي يابنتى .

- صباح مبارك ياحاجة .

- يسعد صباحك يابنتى اتعدى . حاكمل الحزب اللى باقراه واقضى لك حالا .

جلست سالمة تنصت للسيدة وهى تقرا القرآن من المصحف بصوت رخيم متلفعة بوشاحها الابيض . اكبرتها فى نفسها وشعرت بحبها يزداد فى قلبها وفكرت أنها طريقة حسنة لأن يقضى المرء وقته فأرهفت السمع تحاول الفهم . اقفلت السيدة الكتاب وهى تقول :

- صدق الله العظيم . بتعرفى تقرى ياسالمة ؟

- لا ... هوانتى رحتى الأزهر مع الحاج ؟

- لا ... رحت الكتاب وانا صغيرة . أنا اعلمك علشان تتقربى من ربنا اكتر . بتصلى ياسالمة ؟

- لا ... ايه .. أمى ماتت وانا صغيرة وكنت بارعى الغنم لكن باسبح الخالق كما يذكره الطير فى السما والوحش فى الفلا ..

- اعتبرينى أمك تمام . لو كان ابنى عاش كان يمكن بقى فى عمرك او اكبر . وبعدها حجيت مع الحاج لبيت الله .

ده راجل طيب قوى ياسالمة يستاهل كل خير . وانا بنفسى اللى خطبت له سميرة وكانت حلوة وهى صغيرة لكن العصبى مسكها من ساعة الحاج ما اتجوز فكيهة . أصله بيخاف ربنا وعمره ما انكشف على حريم فى الحرام . لما واحدة تعجبه بيتجوزها وده حقه . لكن اطمنى ... انتى الجديدة الغالية وسيبك من الغيرة احسن يابنتى بتمقت وتطلق العقل . لما تلاقى نفسك زهقانة سبحى واذكرى الله . الدنيا ماتساويش نعيش فيها متنكدين . وابقى تعالى اقعدى معايا .

- والله كلامك زين ياخالة . احسبينى بنتك تمام . وانتى كل اهلى فى البيت ده وربنا يخلى الحاج .

- بعد هذا الحديث الهادىء شعرت سالمة بشىء من الامان فرجعت لغرفتها . وفى الأصيل كان الملل قد استبد بها . شعرت بحنين غامض لشىء فى باطنها العميق على وشك أن يتفجر . ظلت ساهمة للحظات ثم قامت فاسدلت ثوبها وبرقعها ونزلت على السلم مهرولة لاتبالى .

توقفت تستنشق نسائم العصر وتراقب العصافير وهى تحوم حول افنان شجرة التوت وضياء الشمس يميل للحمرة . ويضيىء بعض سحابات صغيرة كأنها مصابيح معلقة على صفحة السماء . وشعرت بحنين لصدر الحاج لتأوى اليه كما تأوى الطيور لأعشاشها . اجتازت الساحة بخطوات سريعة ووقفت تلهث بباب المندرة الداخلى . رأته يجلس فى الصدارة على أريكة من الحرير الأخضر وفوق الجدران نقشت حروف قرآنية بماء الذهب . وبين ذهول الحاضرين تقدمت حتى وقفت أمامه . قالت وعيناها تلمعان فى ثورة ٠

- اعطينى الاذن بالخروج ياحاج ماعدت

اتحمل الحبس بين الحيطان .

ـ ياعلوان شد البردعة الحرير على الركوبة البيضة وجهزها للجماعة .

ـ بهدوء أعطى الحاج الأمر وأشاح عنها وواصل حديثه مع الرجال . تراجعت سالمة بخطوات مضطربة وسرعان ما نسيت الحرج وهى تقفز على ظهر الحمار مسرورة تهز ساقيها لتحثها على البرطعة . وضحك العيال من حولها وخلاخيلها تشخلل .

رمحت طويلا بين الغيطان حتى شعرت بالسلام يغمرها . وتحت نخلات متشابكة لونت شمس الأصيل أطرافها توقفت . قفزت من فوق ظهر الحمار وتطلعت للأعالى فى اشتياق . وكما كانت تفعل قبل زواجها ، رمت بشبشبها وشلحت طرف برقعها وثوبها ولفت ساعديها تحتضن النخلة وثبتت أقدامها على نتوء الجذع وصعدت عليها واحدة بعد واحدة حتى وصلت لقمتها بخفة القرود . اقتلعت بيدها وأسنانها فرع سعف لين وحملته فوق كتفها تميل عليه بعنقها وهبطت جذلة . ركبت حمارها وعادت لغرفتها .

فى خلال اليوم الثالث لغياب الحاج كانت قد ضفرت الياف الغصن وصنعت منه مرجونة صغيرة لها غطاء لطيف من الصبر ظلت طوال يومها تجدل منهمكة فى العمل حتى تطرد الأخيلة الشيطانية التى تتصور لها الأوضاع التى يمارسها الحاج مع نسائه . ولم تستطع تخيله مع الحاجة زكية . وتساءلت هل يمارس الجنس كل ليلة كما يفعل معها ؟ وحتى الأصيل كانت قد فرغت من عملها وأتمته وأفلحت فى طرد الهواجس فخرجت متجولة بحمارها تحمل مرجونتها فساومت عليها تاجر فى أطراف البلدة على الطريق الزراعى حيث يمر المسافرون فباعتها له ووضعت الثمن فى جيبها فخورة بكسبها ورجعت بين الغيطان تجتلى سحر الكون فكأنه صفحة من كتاب جامع يفضى اليها بأسراره . وفكرت بما فى الكتب من كنوز المعرفة تمنت لو تعرفها . رجعت وفى نفسها شوق نهم . اقتربت من المصحف الموضوع على مسند خشبى مزركش . قلبت صفحاته تحاول فك رموز الخط ثم قبلته فى خشوع وأعادته مكانه . فى المساء أحضرت حسنات النرجيلة والطعام والشاى . فكرت وهى تتجمل أنها لو راقبت تنقلات النرجيلة بين الغرف لعلمت اين يقضى الحاج ليلته . مشطت شعرها بزيت الزيتون وقد حلت ضفائرها وارتدت قميصا زاهى اللون وتعطرت بالعنبر . وانتظرت رجوع الرجل . عاد وفى جيبه جنيه ذهبى ثبتته فى برقعها . راقبها فى عجب وقال :

ـ أنا ليه عتاب معاكى ياسالمة ، كيف تدخلى مجلسى بين الرجال ؟ دى فضيحة . والحريم كمان مايطرجوش للغيطان إلا إذا كانوا من الشغالات الغلابة . لكن انتى بقيتى هانم مراتى . ثم أنا عايز افهم لما انتى مش ناقصك حاجة ومش عارفة تعملى بالفلوس إيه غير انك تحطيها فى برقعك ، لزومه إيه تجرحى ايديكى فى الخوص وتبيعيه كمان ؟

ـ ايه .. ايه .. انا ياسيدى بنت الصحرا مانا هانم ومالى طاقة على

الحبس مع الحريم وسماع كيدهم ومسخرتهم طول النهار .

ـ طيب ياسالمة مافيش مانع تخرجى مدام محتشمة . لكن لزوم المراجين وبيعها إيه ؟ كل حاجة بتحصل بأدرى بيها فى الحال .

ـ أيه .. أيه .. والله ياشيخ ماعيب إلا العيب . واليد البطالة نجسة . لكن مثل الله مابيعطينى باعطى الغلابة من عرق جبينى .

لانت أسارير الحاج وجلس بجوارها يسترضيها قائلا :

ـ معاكى حق فى دى كمان ياسالمة . السيدة صفية زوجة الرسول كانت تغزل الأثواب وتنسجها وتبيعها وتتصدق على الغلابة وسموها ام المساكين . عندى نخل فى الحوض الشرقى . روحى خدى منه مابدا لك وخلى حسنات تبقى معاكى تشيل عنك الخوص .

ـ والله يازين كل مابتعطينى كل مابطمع فى حنيتك .

ـ أطلبى روحى فداكى ياغالية .

ـ الأولة ، تعلمنى الصلاة والقراية فى كتاب الله . والتانية تخرج معى . عندنا البدوى بخرج مع حليلته يرمح بها فى ارض الله الواسعة ولاملام .

ضحك الحاج طويلا . جلس على حشية مسترخيا فجلست بجواره وخلعت عنه عمامته وقبلت راسه وداعبت خصلات شعره كما كانت تفعل بدميتها التى صنعتها لها أمها من القماش . مسح على لحيته وقال :

ـ الأوله نقدر عليها . أعلمك الصلاة وأشترى لك راديو تسمعى فيه القرآن . أما القراية والكتابة فالحاجة زكية تعلمك لانها عايزة وقت طويل وانا مش فاضى ياحبيبتى . لكن التانية دى مستحيلة . يخلصك اهل البلد يمسخرونى بعد شيبتى دى ياسالمة وانا مركزى كبير فى وسطهم؟ ترضى يتندروا عليه ؟

نأت عنه جانبا وهى تشعر بخيبة أمل . أحضر المصحف وقرأ لها آيات من سورة النساء تحضهن على طاعة أزواجهن . نسيت غضبها وأقبلت معه على الطعام وارتشاف الشاى وهو يدخن نرجيلته وأويا الى الفراش .

وهكذا مرت الأيام بسالمة وهى لاتشعر بوطأتها . تخرج مع حسنات تهرول بجوارها وهى راكبة حمارها . وتذهب بدلا عنها للتاجر لبيع السلال . والمراجين التى تقضى وقتها فى صناعتها . وتزور الحاجة زكية فى غرفتها تقضى معها الساعات بغير ملل تعلمها القراءة والكتابة فى لوح اردوازى . وتتحاشى تحرش المراتين الأخرتين بها ، تتناول مايبعث اليها من أصناف الطعام فى رضا . وعندما تحين ليلتها تقضيها مع الحاج فى مداعبات متصلة .

وجاء الصيف وأثمرت اشجار الفاكهة وطالت ساعات الأصيل ، مما أتاح لها أن تطيل ساعات مكوثها بين الغيطان حتى ألف الناس ذلك ولم يعد احد يستنكره . حتى فكيهة اصبحت حلوة اللسان بعد أن حملت للمرة السادسة وتمنت أن يكون الجنين ولدا هذه المرة . وفى آخر الصيف أعلنت سميرة انها حامل هى الأخرى فرجع الشجار يدب بينها وبين فكيهة .

وكانت سالمة أحيانا تتندر عليهما فى حديثها مع الحاجة زكية ولكن الحاجة كانت تأمرها بالكف

عن الخوض فى سيرة الناس قائلة :

- إنتى ست محسنة ياسالمة فما تضيعيش عملك الصالح بالكلام فى سيرة الناس .

والواقع أن سالمة كانت تحاول التنفيس عن الشعور الجديد الذى بدأ يعذبها وخوفها من أن تكون عقيما لن تلد بنتا ولا ولدا . وكانت تكثر من الصدقات والدعاء . ولقد اسرت لها حسنات أن ضرائرها يسحرن لها ليوقعن البغضاء فى قلب رجلها وحتى لاتلد . ورغم انها بفطرتها السليمة كانت تشك فى صحة ماتقوله حسنات ، إلا انها كانت تسمح لها قبيل كل صلاة جمعة بأن ترش الماء بالرجلة الخضراء على عتبة غرفتها وتعلق البخور وتفرق النذور . تخاف إمكانية التأثير على الحاج بالقول وهو أمر من السحر إذا لم تنجب .

ولكن الحاج رغم انه يحب كثرة الذرية ويفاخر بها ، إلا انه كان رجلا متدينا تعلم بالازهر الشريف فى شبابه وإن لم يكمل تعليمه مات والده فاضطر للرجوع للبلدة لادارة أملاكه .

ومر الشتاء وهى تترقب كل دورة شهر أن تعلن البشرى بلا جدوى . وفى أخر الربيع التالى ولدت فكيهة بنتا سادسة وزغردت سميرة نكاية بها مطمئنة الى انها مازالت بصبيانها اكثرمن نصيبا فى إرث الحاج خصوصا بعدما ولدت للمرة الرابعة فجاء المولود ذكرا . وذات ليلة قال الحاج :

- إيه رايك يا سالمة تخلى الداية تكشف عليكى يمكن تقولك على وصفة مفيدة . ؟

- ابه .. ابه .. انا ياخى مابنكشف على مخلوق وكل شىء بارادة الله .. إيش بايدها الداية ؟ بتخلق ؟

عندما حل اول رمضان تغيرت الأحوال فى البيت الكبير . فلم تعد تسمع اصوات مشاحنات النساء ولا ضجة لعب العيال ولاحركة عمل الأجراء . وأجل الحاج اعماله خاليا الى ربه معتكفا بالمندرة طوال النهار والليل . حتى إذا ارتفع أذان المغرب خرج الى أهله يشاركهم تناول جرعة ماء وتمرة يغيروا بها ريقهم .. وفتح باب المندرة من ناحية الطريق ، وخرج الخدم بصوانى الطعام يدعون المارين الاغراب لطعام الحاج . وتحت شجرة التوت وحتى حافة النافورة تبسط سجاجيد الصلاة . ووقف الحاج يؤم افراد عائلته من الرجال والعيال والخدم ووراءهم تقف النساء مع خادماتهن مصطفا ليؤدى الكل صلاة المغرب جماعة ، حتى اذا انتهوا طويت السجاجيد سريعا وفرشت الحصر ورصت فوقها الوسائد حول طبالى تحمل صوانى الطعام . فتربع حولها افراد العائلة يدنون جانبهم الايمن من الصوانى وياكلون بأصابعهم ماتصل اليه من اصناف الاكل ويروح الشيخ يداعبهم متفكها فى سماحة ويحثهم على التهام الكنافة وارتشاف اقداح قمر الدين .

وفى انتظار صلاة العشاء والتراويح راحوا يجولون متسامرين بالساحة حتى يهضم الطعام وعندما ارتفع اذانه كانت الحصر والوسائد قد جمعت وبسطت سجاجيد الصلاة مرة اخرى فاصطفوا وراء الحاج يستمعون لصوته المرتجف خشوعا وهو يقيم الصلاة مكبرا وتاليا للذكر الحكيم

.. ادوا الصلوات كلها بنشاط بسجداتها الكثيرة . يكتمون الضحك كلما تأوهت فكيهة من ثقل ردفيها . وقال الحاج لها :

– ابقى اقعدى فى اخر الصف جنب الحاجة زكية وصلى وانتى قاعدة . ربنا مش عايزنا نشقى ونتعب فى الصلاة .

وبعد هذا رجع الحاج للمندرة حيث ينتظره الرجال ليقيم الذكر حلقات تتلو حلقات ويستمعون للتواشيح الدينية والمدائح النبوية يصل صداها للنساء وهن فى غرفاتهن فى انتظار طعام السحور ، وعندما يحين موعده تفرق عليهم الخادمات سلاطين الزبادى فياكلن وينزلن مرة اخرى للساحة فى انتظار صلاة الفجر وبعدها يأوين لمضاجعهن حتى ميعاد صلاة الظهر فينزلن يصلين وراء الحاج . وبعدها تفرغ سالمة لعملها فى غرفتها وتنشط فكيهة وبناتها وسميرة بالمطبخ اما الحاجة زكية فتجلس فى فراشها تقرأ ماتيسر من ايات الله .

هكذا مرت ايام رمضان سريعا وحل العيد فأدى الحاج الزكاة وفرق العيدية على افراد العائلة كلها والتهموا تلال الكعك والغريبة التى تفننت فى صنعها فكيهة .

وفى الليل والحاج يسامر سالمة قال لها :

– ياسالمة انا بقى عندى اسم الله عليهم محروسين محمد ، وابو بكر ، وعمر ، وعثمان ونفسى بقى تجيبيلى على

– بالله ياقرة العين يكفينى اعيش جارك ، خليهم يخلفوا الصبيان والبنات وانا متهنية بقربك .

– لكن ياسالمة انتى لاهيه عن الدنيا ومش دريانة ان الشرع يديكى ربع التمن فى املاكى من بعد موتى . ودة شىء بسيط مايكفيش . لكن لو بقيتى ام على يكتر نصيبك وتعيشى بعدى فى امان . سميرة وفكيهة عاملينه سبق مابينهم كل واحدة عايزة تخلف اكثر من التانية علشان يكبر نصيبها فى الميراث . وانتى ولاهمك .

– ايه .. ايه .. الله وحده هو اللى عنده الامان ياخى وهو الرازق .

– طيب يا ام على انا حاكتب الحوض الشرقى باسمك من الصبحية .

استهوت الفكرة سالمة فاحاطت عنقه بذراعيها وقالت :

– والله لاحوطه بسور وازرع النخل فيه صفوف صفوف ، واطلق على مرعاه غنم مالها عدد .

– بس ده بده مال كتير ، وانتى عارفه ضرايرك بيقولوا عليكى ايه ؟

– واعية لقولهم ومابيهمنى . طول مانت معايا والدنيا فى ايدى والكل عبيدى . وانا مدخرة من صنع يدى مال ، والجنيهات الدهب تنفع .

– لا ياسالمة خللى جنيهاتك مزينة برقعك وانا اديكى كل مايلزمك . بس خايف عليكى ، فلاحة الارض عمل صعب مايقدر عليه الا الرجال .

ايه .. ايه .. انا بدوية حرة فى البيت حرمة وفى الغيط راجل .

ضحك الحاج من كلماتها وقد قالتها فى مباهاة وحركات اختيال لتصرفه عن التفكير فى كلام ضرائرها وتأثيره عليه . وكثيرا مارددن قولهن امامها انها راعية غنم فقيرة . فسميرة من اسرة صعيدية عريقة ، وفكيهة ابنة تاجر ثرى اسكندرانى وزكية قد

سلمته أملاكها يديرها منذ أول زواجهما وكثيرا ما راقبت فكيهة فى عجب وهى تختلس المؤن والاقمشة الغالية وتكدسها بغرفتها متكالبة على زينة الحياة الدنيا بعد أن ايقنت من أنها هى وبناتها الست سيرثن أقل من سميرة وأولادها الأربعة .

وكثيرا ما غالبت هواجسها أن يفلحن فى الكيد لها عند زوجهن فيطردها ويطلقها بعد أن أصبحت متيمة به لاتستطيع تصور حياتها خالية من وجوده تتمنى من أعماق قلبها أن يهبها « علي » يربطه بها أكثر . لكن لحكمة لاتدركها لم تلد للآن ، وشكت فى أنه ربما يكون الحاج هو السبب وقد أصبح كهلا تهن قواه رويدا مع الأيام . فلم يسعها إلا أن تسبح بغراس الجنة . قالت التسبيحة فى صوت مسموع :

ـ لاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم .

ـ ونعم بالله يا أم علي . إنتى ست صبورة وصالحة ويتغلى عليه مع الأيام أكثر وأكثر . ودى كانت صناعة الانبياء . وإذا ذكرت الحديث المروى عن أبى هريرة للنسوان لما كتر غمزهم عليكى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ "مابعث نبيا إلا رعى الغنم" . فقال له أصحابه « وأنت ؟» قال : « نعم ، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة .»

ابتسمت فى رضا ونامت فى أحضانه .

. . . .

منذ أصبح الحوض الشرقي ملكها وهى تخرج من الصباح الباكر حتى آخر النهار ، تراقب الرجال وهم يخططون الأرض ويحرثونها بفؤوسهم ومحاريثهم تهيب بهم أن يتقنوا عملهم . كانوا يتضررون أولا من أن تقودهم امرأة ، ولكنهم احترموها ونفذوا أوامرها بعد أن تيقنوا من علمها بما تفعله . كانت لاتنى طوال ليلتها بعد أن يقضى الحاج وتره منها ، أن تسأله مستفهمة عن كل ما يتطلبه العمل . ثم جاءت بشتلات النخيل وزرعتها صفوفا مختلفة الأنواع . وغرست صبار التين الشوكى حول الأرض سياجا يحميها بأوراقه العريضة الشوكية الداكنة الخضرة . ونبتت حول القنوات المشقوقة أعواد الفلية والنعناع الجبلي . وعند الشادوف الذى يرفع بدلوه الماء من القناة الرئيسية الموصلة بالترعة ، اقامت خصا من الطين وسعف النخيل ، وسقفته بجذوع النخل القديم وفرشته بالحصير وحشية من اللوف فجعلته خلوة لها تقضى بها صلواتها وتراقب الرجال . وتعمل ايديها فى الخوص المراجين والسلال وهى تستمع من الترانزستور الى القرآن الكريم . تتقوت بالتمر وجرعات من اللبن تحلبه بنفسها من العنزات التى أطلقتها بلا عدد فى الأرض حتى تعود آخر النهار للبيت ويصحبتها خادمتها حسنات . وأصبحت أحاديثها متنوعة للحاج عن غنمها . فالكبش الأسود غاضب أبدا لايكف عن الشجار والمناطحة والنعجة الصفراء ذات العينين الوديعتين مسكينة قاست طويلا حتى وضعت ثلاث معزات صغيرات يتقمن أثداءها بشراهة ولايكففن عن الرضاعة وهى مستسلمة لهن بكل حدبها . يستمع اليها الحاج ويود لو يفاتحها فى

امر على ولكنه يعود ويمسك فلا جدوى من الكلام . فإيمانها بمشيئة الله يبطل كل حججه خصوصا أن السنوات تمر ولم تعد نساؤه الأخريات تنجبن . وبينما كانت تقوى جذوع نخلها وأولاد الحاج يكبرون ويلتحق الذكور منهم بالجامعات وبعض البنات يتزوجن كان الحاج يكبر ويشيخ وتهن قواه . حتى إذا اهل شهر رمضان الرابع عشر لزمت الحاجة زكية غرفتها وقد اشتد عليها المرض فكانت ام على تقضى بجوارها الليل تمرضها وتسهر على راحتها وتقرأ لها القرآن من المصحف بعد أن اصبحت تجيد القراءة وكثيرا ما ترك الحاج حلقة الذكر وصعد ليعودها فيشترك معها فى بعض ساعات من السهر ويتجاذب معهما الحديث عن معانى الآيات والحكمة من العبادات . وقالت الحاجة زكية ذات ليلة امام الحاج وأم على :

ـ أنا ياحاج وهبت ليلتى لحبيبتك سالمة . السيدة سودة بنت زمعة وهبت ليلتها للسيدة أم المؤمنين عائشة لما عرفت حب الرسول لها . وأنا عجزت وعيانة ياحاج . ووصيتى لك تاخد بالك منها .

ـ ياسلام على طيبة قلبك ياحاجة . ربنا يشفيكى وأنا ماليش بركة غير بأم على انتى عارفة إن نخلها بقى بيجيب ايراد كويس بيساعدنى على طلبات الحيلة اللى عماله تتقل عليه ؟

ـ المال مالك ياحاج وربنا يدى العافية للحاجة . والله هى فى غلاوة امى تمام .

قالت ام على ومالت على الحاجة تقبل جبينها .

وبعد العيد اصبح الحاج يقضى ليلتين مع ام على وليلتين مع زوجتيه الأخرتين . وكان لايزال مالكا لقواه الجنسية يمارس كل ليلة الحب مع ام على . وقد نشب فى صدره سعال مزمن من أثر المكيف ولكنه لم يكف عن تدخين نرجيلته . ومع ذلك لم تهدأ الغيرة فى صدر أم على فى الليالى التى يقضيها مع زوجتيه الأخرتين . كذلك لم تكفا عن الشجار والمكايدة رغم تقدم العمر بهما .

وفى ذلك اليوم الذى لسع دبور أحمر ام على فى وجهها وتسبب فى تورم عينها ، كاد الحاج يجن



خوفا عليها . وحملها على حصانة وهرع بها لطبيب الوحدة الصحية . وظل بعد ذلك ملازما لها يقرأ لها فى الكتب يسليها حتى نزعت الرباط عن عينها وعادت تذهب لعملها وألف الناس بعد ذلك أن يشاهدوا الحاج وهو يمر على نخل أم على يشاركها رعايته لساعات بخصها ويرجعان سويا فى الغروب يتهادى بحصانه حتى لايسبق حمارها ، تجرى وراءهما حسنات تحمل اناء لبن أو قفة بلح . وأحيانا كانت أم على تهدى إحدى الجديان للبيت فينحر وتدخل المطبخ تشرح لفكيهة كيف تنقع جذله فى اللبن قبل شيه . وقد اطمأنت تماما لحب زوجها لها ولكن الغيرة لم تهدأ وكانت تتذكر حديثا للسيدة عائشة تقول فيه أن من تتحمل غيرة الضرائر وتصبر فهى فى مصاف الشهداء . فكانت تتخلص من عذابها فى التفانى فى عملها . أقامت فى ناحية من أرضها تعريشة بسعف النخيل واستضافت بناتا وأولادا صغارا تعلمهم صناعة السلال يتكسبون منها مما جعل أهل البلدة يكبرونها ولايجدون فى سلوك الحاج معها شيئا غريبا .

وتجرأت أم على بعد أن أصبح الحاج لايقوى أياما على النزول للمندرة ، على أن تدخلها بدلا منه وتدير العمل نيابة عنه . حتى تعود أن تجلس بجواره تساوم التجار طويلا حتى ينزلوا على إرادتها ويوافقوا على السعر الذى تطلبه ودائما كان برقعها مسدلا على وجهها الذى أنضج جماله مر السنين وأصبح البرقع مرشوما بصفوف من الجنيهات الذهبية بلا عدد مما كان يضفى عليها طابعا خاصا مختلفا عن باقى حريم البلد . كما أصبح نخل أم على شهيرا من معالم البلدة التى يفاخر بها أهلها الزوار . ويخرج الأهالى للتنزه عنده طائفين حوله . وفى الشتاء توفت الحاجة زكية فحزن الجميع عليها وأعلنت الدار الحداد . وافتقدت أم على المسامرة مع صديقتها الوحيدة . كما سافرت سميرة لأولادها بالقاهرة لترعى مصالحهم . وبعد الأربعين صنعوا فطير الرحمة وتصدقوا على روح المرحومة فى المقابر وقرءوا على قبرها القرآن . وكانت هذه هى المرة الوحيدة التى خرجت فيها فكيهة متلفعة بملاءتها بصحبة أم على . وفى أول الصيف بدأ المرض يثقل على الحاج الذى بدى مهدما . فاستأذن فكيهة فى أن يرقد أيام مرضه بغرفة أم على . فكانت أم على تختطف ساعات قصيرة فى إدارة أعماله ورعاية نخلها ثم تعود لتقبع بجوار الشيخ المريض تحنو عليه كأنه طفلها وتدلله وتلح عليه حتى يرضى أن يتناول بعض الطعام والدواء .

وفى رمضان التالى لم يستطع الحاج الصوم وكان يصلى بفراشه وهو جالس . وعندما قارب من الواحد وسبعين سنة وافاه الأجل ومر به الطائف وهو متوسد لصدر أم على . أسندت الرأس الحبيبة على الوسادة وقامت فصلت عليه صلاة الميت وتذكرت نهيه النساء عن العويل واللطم عند موت الحاجة فأمرت الموجودين بالخشوع للموت . وارتفع صوت المرتل بالقرآن يضفى حرمة مهيبة على اللحظة الرهيبة التى تمر بهم . وبعد جنازته وخلو البيت منه أحست بالغربة

وطال بها النهار كدرب لانهائى فى صحراء قاحلة .

ويموت الحاج اشتعل الشجار واتخذ شكلا حادا بين النساء والأولاد على قسمة الأرض واتخذت أم على منهم مكانة القاضى فرضوا بحكمها بعد ان أعلنت تنازلها عن حقها فى البيت والاثاث والميراث . كما أعلنت أنها تهب نخلها للبنات يرثنه بعد موتها .

خلعت أم على من برقعها صفوف الجنيهات الذهبية واسلمتها لمحمد اكبر أولاد الحاج ليبيعها لها ويرتب رحلة تحج بها لبيت الله الحرام . وحين رجعت كانت قد تحولت لامرأة وقور تدرك حكمة الوجود . يخط شيب الاربعين فوديها وجدت ان الشجار مازال يدب بين نكيهة وسميرة فنصحت نكيهة بأن ترحل ببناتها للاسكندرية حتى تجد لهن الأزواج اللائقين وتترك ادارة ميراثهن لأخيهم الكبير . فوافقت فكيهة ورحلت وهدأ البيت . وفى اليوم التالى أعلنت أم على عزمها على المكوث نهائيا ببستانها بين الأولاد الذين اتخذتهم تحت رعايتها وبين قطيع غنمها الحبيب الى قلبها . لم تصدق سميرة أن البيت أصبح لها وحدها حتى راقبتها وهى تخرج راكبة حمارها بعد أن ودعت حسنات .

....

لم تلتفت أم على وراءها والغروب الساكن يلفها :

– "هيه اللـه جاب ... اللـه خد" .

ومن خلال نفس الطريق الذى أحضرها منه الحاج لبيته منذ سنوات طويلة ماضية ، وكانت وقتها فتاة صغيرة جميلة ترتدى ثوب الزفاف تحت ثوبها البدوى وبرقعها وتركب وراء الحاج على حصانه محتضنة خصره ، الآن ترجع أرملة ترتدى ثوبا باهتا أسود وبرقعا حال لونه وبقيت دوائر شديدة السواد مكان الجنيهات الذهبية المنزوعة وعروسه المرجانية مرتكزة على أنفها . مرت حياتها بين الرحلتين كخيط سريع من الذكريات . صعد حمارها نفس التعرجات بحوافره . فكرت أن الأعوام القادمة من عمرها لن تكون لها معنى أكثر من انتظارها حتى تتوسد الثرى فى سلام . وبين الرحلتين كانت الأعوام كلها سعادة ، فابتسمت للخاطرة . أمامها شاهدت أرض المقابر حيث يرقد حبيبها . نظرت عبر المصاطب الطينية المطلية بالجير والشواهد الحجرية المقامة عليها وتمتمت :

– السلام عليكم يا أهل المقابر ، أنتم السابقون ، ونحن اللاحقون .

عندئذ استدار الحمار تلقائيا ، واتخذ طريقه نحو الحقول ناحية النخل الذى تقف صفوفه مستقيمة خلف الأسوار الشوكية والتى اشتهرت ، بنخل أم على ، والتى ازمعت أن تكرس باقى حياتها وأيامها القادمة عندها .

– ايه ... ايه .. كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام "صدق الله العظيم" .

بينما كانت تقول ذلك بصوت عال ، أسرع الحمار فى خطواته وكأنه يعرف أنها نهاية رحلاته . وفى نفس اللحظة وفى سرعة مفاجئة اختفى قرص الشمس وراء الأفق مخلفا أشباح النخيل الداكنة ناشرا خلفها مسارات رائعة قرمزية على صفحة السماء بلون الدم .

ألبرت اينشتين

راهب فى محراب العلم

بقلم : د. صلاح خليل

« ان من المميزات المشجعة لهذا العصر ـ الذى عادة ما يوصف بانه عصر المادية ـ انه يختار ابطاله دائما من بين هؤلاء الافراد الذين تقع اهدافهم بالكامل فى دائرة الفكر والروح » .

« البرت اينشتين »

يعتبر البرت اينشتين (١٨٧٩ ـ ١٩٥٥) واحدا من أشهر العلماء الذين عرفتهم البشرية ، حيث يحتل مكانة فريدة فى التاريخ الحضارى لبنى الانسان ، وليس الهدف من هذه السطور تعريف القارىء بهذا العالم العظيم بقدر ما هى محاولة لالقاء الضوء على التكوين العقلى لهذا الرجل الفذ ، واظهار مدى تميزه بالنسبة لعلماء الفيزياء الذين عاصروه وأضافوا ايضا الكثير الى علم الفيزياء .

وربما يكون ما لفت نظرى الى هذا الرجل ، ليس اكتشافاته العلمية ، وليست نظريته الشهيرة عن النسبية وليس حصوله على جائزة نوبل فى الفيزياء ، ولكن هذا الرجل كان يتحدث عن العلم والفيزياء ، كما يتحدث رجل الدين عن العقيدة والايمان ، لقد كان اينشتين يقول فى تواضع « أن الفضل لا يرجع له فى اكتشافاته العلمية ، لانه كان يحس ان ما كان يتوصل اليه يكاد يشبه الوحى أو الالهام » .

اينشتين .. عملاق فى عصر العمالقة

برز اسم « اينشتين » كأعظم عالم فيزياء عرفته البشرية فى فترة ازدحمت بظهور عمالقة من العلماء فى نفس المجال ، فقد عاصر وجود مارى وبيير كورى مكتشفى الراديوم ، والعالم العظيم ماكس بلانك ـ مكتشف قوانين الاشعاع والتى كانت أساسا لنظرية الكم quantum theory

كان رجلا عاديا او مثقفا ، اما باقى هؤلاء العلماء ، فلا يعرفهم سوى المتخصصين فى الفيزياء · لماذا اذن يعتبر اينشتين أعظم عالم فيزياء فى عصره مع وجود كل هؤلاء العمالقة فى نفس الحقبة من الزمن ؟ ·

اينشتين .. لمحة من تاريخ حياته

ولد اينشتين ـ فى المانيا فى ١٤ مارس عـام ١٨٧٩ ـ ودرس فى المانيا وسويسرا وكان تلميذا مجتهدا (رغم ما يشاع خطأ انه لم يكن تلميذا بارزا فى دراسته) وتخرج اينشـتين فى الجـامعة الفيدرالية بسويسرا بدرجة فى الفيزياء ، ولاقى بعض الصـعوبات فى بداية حياته العلمية ، فلم يتمكن من الحصـول على عمل فى مجال اكاديمى الا بعد مرور أكثر من تسع سـنوات من حصوله على درجته العلمية الاولى ، ولكن رغم ذلك ، استمر فى ابحاثه مستقلا بنفسه ـ وهذه احـدى خصائصه ـ فحصل على الدكتوراه من الجامعة الفيدرالية بزيورخ ، عام ١٩٠٥ ، وفى نفس السنة نشرت له ٣ ابحاث فى الفيـزياء (هذا ليس معدلا عاديا للنشر) ويمكن تلخيص تلك الاوراق العـلمية المبكـرة له كالآتى :

● كانت الورقة الاولى له عما يسمى « بالحـركة البراونيـة » وفيها تعرض اينشتين لبعض عناصر النظرية الذرية والتى كانت فى ذلك الوقت مجرد فروض مشكوك فيها ·

● اما الورقة الثانية ـ فقـد تناول فيها اينشتين افكارا جديدة عن الفضاء والزمن وأسماها « النسبية الخاصة » ورغم أهمية هذه الورقةفانه



البرت اينشتين

وعاصر ايرنست رذرفورد ـ والـذى مهـد بعبقريتـه الى فهم تركيب الذرة فى اوائل هذا القرن ، وعاصر أيضـا ـ نيلز بوهر ـ العـالم الدانمركى الذى صـاغ بنظرياته ما امكن به تفسير تجارب رذرفورد ـ وعاصر اينشتين أيضا ـ لويس دى بروجلى ـ مكتشف الطبيعة الموجية للمـادة ـ وعـاصر أيضـا العبـاقرة الثلاث ـ هيـزنبرج وشرودينجـر وديراك ـ مؤسسى النظرية الحديثة للمادة والمعـروفة باسم الميكانيكا الموجية WAVEMECHANICS هؤلاء هم عمـالقة علم الفيزياء ـ الذين عاصرهم « اينشتين » ، وبرز اسـمه بينهم ، بل انه سبقهم فى الشهرة ، فالكل يعرف اينشتين سواء

ألبرت أينشتين

لم يستوعبها الا عدد قليل من علماء الفيزياء النظرية فى ذلك الوقت ·

● تناولت الورقة الثالثة الخاصية الازدواجية للاشعاع وقد أظهرت هذه الورقة التفكير العلمى الناضج لهذا العالم الشاب ·

وعلى الرغم من تجاهل معظم العلماء (العاديين) المعاصرين له فى ذلك الوقت لاعماله المنشورة ، لاسباب سوف نعود لها مرة أخرى ، فان قليلا من علماء الفيزياء (الكبار) استطاعوا تفهمه وتقديره، ومن هؤلاء العلماء ، العالم الكبير — ماكس بلانك — وغيره ، والذين بدأوا فى ضمه الى المجتمع العلمى فى ذلك الوقت وفى عام ١٩٠٩ ، منحته جامعة زيوريخ - التى تخرج فيها درجة الاستاذية ، وترك اينشتين وظيفته العادية خارج الجامعة ، الى جامعة زيوريخ · وفى عام ١٩١٣ ، تلقى دعوة من الاكاديمية الملكية البروسية للعلوم لشغل وظيفة رئيس قسم الفيزياء بمعهد بحوث كايزر ويلهم التابع لجامعة برلين ، ولم يكن هناك اكثر من هذا الشرف يمكن أن تمنحه له المانيا ·

واستمر اينشتين فى ابحاثه الخاصة بطبيعة الاشعاعات واستطاع اضافة الكثير الى فهم اعمق لتركيب الذرة ، وفى عام ١٩١٥ — ١٩١٦ — جاءت صياغته الثانية للنظرية النسبية — والمعروفة باسم النسبية العامة ، وبظهور هذه النظرية ومعادلات اينشتين الجديدة عن حركة الشمس والكواكب ، تقوضت اركان معادلات نيوتن ، وفى عام ١٩١٩ ، استطاعت مجموعة من العلماء الانجليز اثبات بعض ما تنبأ به « اينشتين » فى معادلاته الجديدة — وذلك عن طريق بعض القياسات الفلكية ، واحدث ذلك ضجة عالمية جاءت لاينشتين بشهرة فائقة تربع على اساسها على عرش الفيزياء النظرية فى ذلك الوقت ويعتبر عام ١٩١٩ عام بداية الشهرة العالمية لاينشتين The low of pholo electric effect

وحصل اينشتين على جائزة نوبل فى الفيزياء عام ١٩٢١ وذلك عن ابحاثه فى مجال التاثير الضوئى الكهربى

واعماله فى مجال الفيزياء النظرية والغريب أن « النظرية النسبية » لم تؤخذ فى الاعتبار عند منح اينشتين جائزة نوبل فى الفيزياء ·

● اينشتين .. اضواء على فكره .. عالم ام فيلسوف ام صاحب رؤية

وفى عام ١٩٣٢ غادر « اينشتين » المانيا نهائيا الى الولايات المتحدة الامريكية حيث انضم الى جامعة « برنستون » وتوفى هناك فى ١٨ ابريل عام ١٩٥٥ ·

على الرغم من صعوبة القاء الضوء على فكر اينشتين واثبات تفرده فى هذه السطور القليلة ولكننا سنحاول ابراز اهم معالم فكر هذا العالم العظيم وبيان انه كان « عالما » غير عادى على اقل افتراض ·

تدل الكتابات العديدة التى كتبت عن اينشتين بواسطة طائفة من العلماء الذين عاصروه او عملوا معه ان هناك شيئا فى بنائه العقلى يميزه عن العلماء العاديين ويجعله عالما لا نظير له ، ومما يؤكد هذا الاعتقاد كتابات اينشتين نفسه وطريقة توصله لنظرياته العلمية التى اكتشفها ، ولنتناول ذلك بشىء من التفصيل :



اينشتين . قبيل وفاته . والى استسلم لخبير فى قياس
تموجات المخ . لقياس مخه لمعرفة سر عبقريته

من المعروف ان عالم الفيــــزياء التجريبى يتوصل الى عدة نتائج مبنية على التجــربة ، ثم ياتى دور عالم الفيزياء النظرى لمحاولات ايجاد صيغ رياضية تتفق مع تلك النتائج العملية، فاذا كان محظوظا ، فانه يتوصل الى صيغة رياضية شاملة تناسب نتائج عدة تجارب معملية والى هنا ينتهى دور كل من عالم الفيزياء التجريبى والنظــرى . والمثال على ذلك .. ما فعــله « اسحق نيوتن » حــيث استخدم القياسات الفلكية التى حصل عليها « كبلر » وصاغ نيوتن منهـــا قانون جاذبيته الشهير .

« اما نقطة بداية اينشتين فقــد كانت مختلفة تماما ، فهو لم يتبــع فى التوصــل الى نظريتيــه فى النسبية الترتيب الشــائع الذى شرحناه انفا ، فلم تكن هناك نتــائج او ملاحظات تجريبية فى حاجة الى صيغة رياضية لوصفها ، ولم تكن وراء نظرية اينشتين قياسات جاذبية او فلكية جديدة ، لقــد قامت نظرية اينشـــتين على اسس تخمينيـــة بحتة . « احس اينشتين ان هذه الاسس انما تقوم على اكثر من مجرد علاقات صدفة ، وانها لابد وان تقوم على مبـــادىء اساسية تحكمها ، وبهــذا التفكير توصل اينشتين بمنطق رياضى قوى الى معادلاته المشهورة عن الجاذبية، لقد كان ما توصل اليه اينشتين فى ذلك الوقت ــ نوعا من الســحر الاسود ، ان الاقتراب المعتاد هــو عمل التجارب اولا ثم محاولة صياغة النتائج ــ ولكن اينشتين جاء ليعكس الامور ، متبعا ما حاوله الاقدمون لفهم الطبيعـــة على أســاس من الاستدلال المنطقى وذلك قبــل ظهور المدرسة التجريبيــة ، وقــد نجح اينشتين فيما فشل فيه الاقدمون » .

ألبرت أينشتين

لقد كانت النظرية النسبية الخاصة اكتشافا مدهشا – في ذلك الوقت – فتح بابا جديدا للفكر الانساني وغير العديد من المفاهيم عن الفضاء والزمن ، وقد توصل اليها أينشتين وهو بعد في السادسة والعشرين من عمره ، ثم جاءت الصياغة الثانية للنظرية النسبية وهي النسبية العامة – بعد عشر سنوات من الصياغة الاولى للنسبية الخاصة – لتغير المفاهيم مرة أخرى ، حيث استطاع أينشتين هذه المرة ادماج كل من الفضاء والمادة والزمن في علاقات مترابطة ٠

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام ، الاشارة الى أن « أينشتين » لم يكن فقط صاحب النظرية النسبية ، ولكنه اكتشف أيضا العديد من الاساسيات في الفيزياء النظرية مثل ابحاثه في طبيعة الاشعاعات والتأثير الضوئي للكهربية وغيرها ، ان أشعة الليزر والميزر اللتين مكنتا الانسان من ارسال ضوء الى القمر والحصول على استجابة مرتدة منه ، واللتين بفضلهما استطاع الانسان أيضا احداث ثقب دقيق في أكثر المواد صلابة وهي الماس ، ان هذه الامكانيات انما قامت على أعمال ونظريات وضعها أينشتين – كالعادة – قبل أن تجد تطبيقا لها بزمن طويل ٠

فاذا عدنا الى أوراق أينشتين العلمية وجدنا انه كان قادرا على التعبير عن نفسه بلغة رصينة راقية ، وكانت أوراقه تتميز – الى جانب خصوصيتها وتميزها اللغوى – انها لم تكن تحتوى على الكثير من الصياغات الرياضية ، لقد كان بها الكثير من التعبيرات اللغوية والشرح بالكلمات ، والاقل من التعبيرات والمعادلات الرياضية وفي النهاية ، يأتي الاستنتاج ، والذى يبدو بوضوح انه تم التوصل اليه بسهولة ومنطق لا يمكن ضحده كما تدل على ذلك طريقة صياغته ٠

والغريب انه كان يتوصل الى ما يتوصل اليه من نتائج دون الاستعانة بأية مراجع أخرى وكأنه أتى باستنتاجاته وكأنها وحى أوحى اليه ذلك قائلا في تواضع ، ان ما توصل اليه من اكتشافات لا يمكن ارجاعه الى فضل له ولكن الى ما كان يوحيه اليه عقله ، ولعل ذلك سبب استخدام لفظ تضمينات

في وصف طريقة توصل أينشتين الى العديد من اكتشافاته ٠

ولعل ذلك ما جعله في البداية – موضع شك العديد من العلماء المعاصرين له ، أن رجلا يكتب بهذا الوضوح ثم بالقليل من التعبيرات الرياضية التخصصية لا يمكن أخذه بجدية ، هكذا كان يظن بعضهم ، فقد كان غريبا عليهم أن يتم التوصل الى تلك الاستنتاجات الهامة ، وبهذه القوة في الحجة ، بدون مشقة واضحة بالاضافة الى عدم الاستعانة بمراجع أخرى ، ولكن هذا كان رأى العلماء « العاديين » الذين كان العلم بالنسبة لهم « حرفة » وليس « عقيدة » يؤمنون بها ويخلصون ويتفرغون لها كما كان العلم بالنسبة للقليل جدا من العلماء «الحقيقيين» مثل «أينشتين» لقد مارس «أينشتين» « لعبة العلم » اذا جاز هذا التعبير طبقا لقواعد أخرى ، تختلف عن القواعد التى مارس بها معظم معاصريه من العلماء نفس اللعبة لقد كان « العالم »

بالنسبة له هو المهم وليس « اللعبة » التى يلعب بها مع « العالم » .

« لقد كان لاينشتين اقتراب مختلف تماما – وكان هذا الاقتراب موجها الى الاكتشاف الاعمق والشامل لغوامض العالم الذى نعيش فيه ، ولعل هذا الاختلاف فى طريقة التفكير، هو ما فصل اينشتين فى المراحل المتقدمة من عمره عن العديد من زملائه علماء الفيزياء ، بل لقد اصبح « اينشتين » فى نظر البعض منهم ليس عالما فى الفيزياء ، بل عالما لما وراء الطبيعة Mitaphrsteist ولكن على الرغم من ذلك ، فان اينشتين ظل محتفظا بهيبته العلمية حتى اخر لحظة فى عمره ، وكان دخوله أى قاعة من المحاضرات ، لحضور مناقشة علمية ، مصحوب دائما بموجة صمت واجلال ونظرة احترام لم يحظ بها احد من العلماء فى هذا العصر ، اما بالنسبة لاينشتين ، فلم يكن يعبأ كثيرا بتلك الحواجز الظاهرية التى تقام بين مختلف الانشطة الابداعية للعقل البشرى ، ولعله كان يشبه فى ذلك سلفه العظيم – الفلكى العالم كبلر ، من حيث تقارب الاحساس والتفكير لقد كان اينشتين فى رأى الكثيرين ينتمى الى تلك الطائفة من البشر أصحاب الرؤية – الفنانين والكتاب والشعراء ، لقد كان ينتمى الى هؤلاء اكثر من انتمائه الى العلماء المحترفين

وفى رأى كاتب هذه السطور ، فان ذلك يعنى ببساطة انه كان عالما ذا رؤية متكاملة للعالم من حوله ، وقد انعكس ذلك على طريقة توصله لاكتشافاته كما انعكس على طريقة كتابته لابحاثه وقدرته اللغوية الفريدة على التعبير عن نفسه ، وقد تميزت مناقشاته أيضا ، كما يؤكد الذين عملوا معه عن قرب بوضوح رؤيته الى جانب استخدامه لالفاظ غريبة على التعبير العلمى الجاف ، فكان يتكلم عن « جمال » « وتناسق » بعض نظريات الفيزياء ، وكانت تناولاته العلمية تختلط دائما مع حسه الفنى وحبه للموسيقى ، وكان يؤكد دائما على اهمية القدرة على التخيل فقد كتب فى احدى المقالات عن العلم « ان القدرة على التخيل اكثر اهمية من المعرفة ذاتها » ، وكان احيانا ينتقد المعالجة الاحتمالية ★ Probabilistic لبعض نظريات الفيزياء – رغم انتشارها واستخدامه هو لها فى العديد من اعماله قائلا .. « ان الخالق لا يلعب النرد » ، وكان يؤمن ايمانا قويا بالخالق الجبار ، وكان يقول : ان هذا العالم لا يقوم على عشوائية رياضية بل انه قائم على رياضة عالية التنسيق خاضعة لحكمة كونية لخالق قادر عظيم .

اينشتين والقنبلة الذرية

ان القارىء لماكتب عن « اينشتين» واتجاهاته السياسية ، يلمح باستمرار وصفه بأنه كان انسانا مسالما ينادى بالسلام ويؤمن بالتعايش السلمى بين الشعوب ، فلقد

★ تغير فكر اينشتين بالنسبة للمعالجات الاحصائية والاحتمالية لمشاكل الفيزياء فى المرحلة المتقدمة من حياته

ألبرت اينشتين

كان اينشتين احد المنادين بالحكومة العالمية بعد الحرب العالمية الثانية ، كما كان على رأس المنادين بالاستخدام السلمى ، والسلمى فقط للطاقة الذرية، ولكن موقفه اثناء الحرب الثانية كان مختلفا بعض الشيء ، ويبدو أن كراهيته لالمانيا النازية ، وخوفه من سيطرتها على العالمدفعاه الى اتخاذ موقف مختلف عما كان ينادى به قبل وبعد الحرب ، ففى اثناء الحرب العالمية الثانية – قبل اينشتين ان يعمل « مستشارا » للبحرية الامريكية قسم الاسلحة ، ويذكر له قوله فى ذلك : « ان القوة المنظمة لا يمكن مقاومتها الا بالقوة المنظمة .. انى اسف لذلك ولكن لا يوجد حل اخر» ، اما موقفه من القنبلة الذرية ، فمن المعروف انه قبل ، بناء على اقتراح من اثنين من العلماء (ليوزيلارد ويوجين فيجز) ان يوقع على خطاب موجه الى الرئيس الامريكى «روزفلت» لتوجيه نظر الاخير الى اهمية الاسلحة الذرية واستخدام الطاقة النووية فى الحرب ، ثم عاد وكتب اليه مرة اخرى عام « ١٩٤٠» ، وبصرف النظر عن مدى تاثير هاتين الرسالتين على قرار الرئيس «روزفلت» ببدء الابحاث الخاصة بالقنبلة الذرية، وما قيل ان الرسالة الثانية لاينشتين وجدت مقفولة على مكتب روزفلت بعد وفاته فان كتابة هذه الرسائل توضح موقف اينشتين من هذا الموضوع ، وقد ذكر اينشتين فى سنين لاحقة فى هذا الخصوص .. ما يظهر ندمه على توقيع هذه الرسائل .. فقد قال « لو اننى كنت اعلم ان الالمان لن ينجحوا فى انتاج قنبلة نووية لما رفعت اصبعا . » ، ويبدو ان كراهيته لالمانيا النازية كانت دائما وراء مواقفه من العسكرية والحرب اثناء الحرب العالمية الثانية .

واخيرا فهناك الكثير فى حياة هذا العالم العظيم لم يتسع المجال لذكره هنا ، خصوصا عن حياته ومحاولاته العلمية فى الفترة الاخيرة من حياته ، ولكن ماحققه اينشتين خلال عمره الحافل يكفى ان يكون مادة للبحث العلمى لعدة سنين قادمة ، لقد اثبت اينشتين – عظمة العقل البشرى وامكانياته «اللامحدودة» واستطاع برؤيته الشاملة للعالم من حوله وتاملاته العميقة ان يضيف الكثير من المعرفة لاسرار الكون من حولنا ، لقد فعل ذلك ، بايمان عميق بخالق هذا الكون ، والذى كان يؤمن بوجوده فى كل خطوة يخطوها نحو اكتشاف روائع خلقه

اينشتين .. الموسيقى للروح .. والعلم للبشرية ..



لغويات

● سمعت السيد وزير الاوقاف أخيرا يقــول في خطبة مذاعة : « طفلان توأم » .. والصواب « توأمان » ..لانهما اثنان ، والواحــد « توأم » ، ولا يوصف المثنى بصفة المفرد .. والجمع « توائم » ولا تستطيع أن تقول : « أربعــة توأم » ، كما لا تستطيع أن تقول : « اثنان توأم » .. وهذا الخطأ شائع جدا في الصحف وأجهزة الاعلام ويقع فيه كثير مــن المتحدثين والكاتبين ، فلزم التنبيه والتنويه ! ...

● تقول العامة : « استحكمت فينا شدة الايام » .. أما « الادباء » فيقولون : « تحكمت » بدلا من « استحكمت » ويظنون أن العامة عــلى خطأ ، ولكن العــامة والادباء ـ جميعا ـ على صواب .. وقديما قال الامام الشافعي عن نوازل الايام وشدائدها :

ضــاقت فلما اســتحكمت حلقــاتها
فرجـت وكنــت أظنهـــا لا تفــرج

كأنما العامة في قولهم « استحكمت » يتبعــون « مذهب الامـــام الشــافعي » ! ...

● العامة تسمي شارب الرجل « الشنب » .. وانما الشنب هــو الاسنان أو بياضها وعذوبتها ، ويسمى الشعر الذي فوق الشفة العليا للرجل شاربا لانه يشرب الماء مع الشفتين ، والجمع « شوارب » .. وكانت عادة الناس قديما احفاء الشوارب .. أي : حلقها ، مع ابقــاء اللحيــة والفرة .. قال المتنبي يهجــو كافورا وحاشيته بمصر قبــل الف ســنة :

أغــاية الدين أن تحفــوا شــواربكم
يا أمــة ضحكت من جهلهـــا الامم ؟!

● وتقول نساء العامة حين يتشاتمن : « جاتك نايبــة » .. أي « جاءتك نائبة » ، وهي المصــيبة ، وجمعها « نوائب » و « نائبات » .. والمذكر « نائب » .. قال الامام الشافعي أيضا :

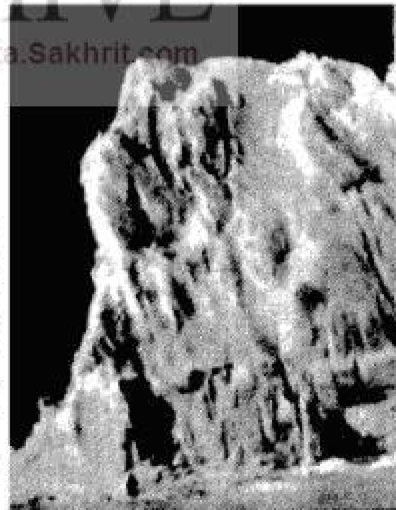
وما أكثــر الاخــوان حــين تعــدهم
ولــكنهم في النائبـــــات قليــــل

وللاسماء والافعال والمصادر في هذه المادة اللغوية معــان أخــرى كثيرة مختــلفة ...

● مياه عذبة للعرب ●

يعانى معظم البلدان العربية من نقص فى المياه العذبة ، فكثير من انهارها تتعرض للجفاف ، ونسبة الامطار المتدنية ، واحتياطيات المياه الجوفية المحدودة .

وفى سنة ١٧٥٠ دفع تيار المياه الى شواطىء فرنسا جبلا جليديا هائلا من جرونيلند ، واستمر ذوبان هذا الجبل ما يقرب من العام .. وبومها ذهبت الافكار الى الاستفادة من جبال الجليد لتلبية حاجات الانسان .. لكن احدا لم ياخذ هذه الافكار ماخذ الجد لسنوات طويلة . غير ان تفاقم النقص فى المياه



العذبة دفع الاختصاصيين فى كل البلدان المتقدمة الى دراسة امكان الاستفادة من الجبال الجليدية ، وفى عام ١٩٧٧ عقد اول مؤتمر عالمى حول هذا الموضوع ، ومنذ ذلك الحين تتوالى الحلقات الدراسية التى تبحث فى الجوانب العملية المختلفة للاستفادة من هذه الجبال .

وقد صدرت اخيرا دراسة طريفة عن فريق ضم مهندسين وهيدرولوجيين وجيوفيزيائيين وخبراء فى الطاقة والبرمجة والدبلوماسية وشؤون البيئة . ويبين التقرير ان نقل جبال الجليد ارخص من عمليات تحلية مياه البحر ، التى انفق عليها الامريكيون وحدهم ما يقرب من ١٥ مليار دولار ، دون ان يتوصلوا الى النتائج المنشودة .. اذ يزيد من صعوبة الامر ضرورة انشاء شبكة من المحطات الذرية الخاصة بتحلية مياه البحر لن يزيد الانتاج السنوى للواحدة منها على حجم جبل جليدى متوسط (١٠٠ مليون طن من المياه) .

وبينت الحسابات ان تكلفة الحصول على متر مكعب من الماء العذب من الجبل الجليدى اقل من ٥٠ ـ ٦٠٪ من تكلفة التحلية .. والدخل الصافى من جبل جليدى واحد ، حتى وان ضاع ثلثا حجمه فى الطريق ، يتراوح بين ٣٠ و ١٢٠ مليون دولار .. هذا مع العلم ان الجليد ماء مصفى ، الامر الذى يمكن من استعماله فى الرى بعد خلطه بمياه البحر ..

والطريف ان احتياطيات مثل هذا المصدر لاتنضب اذ تحوى الانتاركتيد

٧٠ ـ ٧٥٪ من مجمل الماء العذب في كوكبنا • وانه يسبح في كل مسائة كيلو متر مربع من مياهه زهاء ٦٠ ـ ٨٠ جبلا جليـــديا بالمقاييس التي تصلح لعملية النقـل (٢٠٠×٥٠٠×١٠٠٠ متر) •

وقد وضعت خطط متكاملة تبـدا برصـد احداثيات الجبال الجليدية الطوافة ، حتى « تصطادها » سفن مجهزة خصيصا وتنقلها خلال خمسة شهور عبر المحيط الهندى الى خليج عدن ، حيث يمكن اذابتها هنـــاك وتوزيعهـــا على بلـدان الجـزيرة العربية •

وقد ابتكرت مجموعة من الاجراءات الوقائية لتجنب خسائر الذوبان في الطــريق تصل الى ٩٠٪ ـ وذلك بتقليل سرعة الانتقال لتقليل الاحتكاك وباستخدام ستائر تصون الغــاطس من الاحتكاك ، وضخ خليط المياه الذائبة ومياه البحر وتخزينـــه في اوعية خاصة بالسفن الناقلة •

ويبلغ تفاؤل المجموعة التى اجرت الدراسة حدا دفعها الى التفكير فى تخزين ما يفيض ـ من المياه المنقولة ـ عن الحــاجة الآنية ، في الابار الفارغة حتى تظهر الحــاجة الى استخدامها •

• سرطان الثـــدى •

عجز الباحثون خلال ربع القـرن الاخير عن رسم صورة علميةواضحة تبين مدى فائدة العقاقير في علاج النســوة الــلاتى أصبن بسرطان الثدى •

لهــذا أسهمت مؤسسة أبحــاث السرطان العالمية ، ومجلس الابحاث الطبية البريطانى ، وصندوق حملة ابحاث السرطان ، في تنظيم دراسة عالمية مكثفة (أجريت على ما يقرب من ٣٠ الف امرأة) وأشرف عليهــا نخبة من الباحثين في عدد من اقطار العالم • وقد أشارت الدراسة الى الدور المتميز الذى تلعبــــه بعض العقاقير في انقاذ أو اطالة حيــــاة الالاف ممن أجريت لهن عمليـــــات جراحية خاصة بسرطان الثـدى • وقد علقت مؤسسة الابحـــاث على النتائج : « انها نتـــائج متواضعة لكنها نتائج حقيقية ، وهي تقــــدم البرهان النهائي على امكان تحصين العقاقير للمرض بقاء المريضات على قيد الحياة ، بما لا يقل عن خمس سنوات بعد العملية الجراحية » •

ومن الجدير بالذكر أن نسبة من النســـوة استطعن قهر جبـــروت السرطــان •• وان لم يتوصـــــل الباحثون الى الكيفية التى تم بهـــا ذلك بعد ، فانه بات مرجحا أن بين العوامل المساعدة على ذلك التحلى بشخصية متفائلة مرحة ، تتعايش مع الظــروف اليومية بشــكل واقعى ، وتواجه المنغصات برحابة صـــدر ، آملة في تجاوزها •

والمشكلة الرئيسيـة فيمـــا يخص سرطان الثـــدى أنه لا يتم تشخيصه للمرة الاولى الا بعد انتشار الخلايا السرطانية الخبيثة في أجزاء أخرى من الجسم ومن هنا أهمية الفحوص الذاتية والطبية المنتظمة •

وربما كان الاجدى فى نهاية المطاف العمل بالحكمة القائلة أن الوقاية خير من العلاج ، وفى هذا الصدد على المرأة تجنب التعامل مع المواد المسببة للسرطان (مثل دخان السجائر والرماد العالق بالمشروبات والطعام المحروق) وتجنب التوتر والاجهاد وعدم اهمال معالجة الامراض لعدم ارهاق جهاز المناعة واللياقة البدنية تقوى المناعة كما هى الحال مع العلاقات الاجتماعية ·

• باربى واطفالنا ومستقبلنا •

منذ وقت بعيد باتت العروسة الدمية الرفيق المفضل لبناتنا الصغار ·· وكانت العروسة تصنع يوما من الجبس الرخيص ، ثم باتت تصنع من البلاستيك غير القابل للكسر ·· ومع الزمن اكتشفوا قيمة أن تحاكي الدمية الاصل لتوهم الطفلة أن لعبتها شبه آدمية ·· وامعانا فى محاكاة الواقع جعلوا العروسة ناطقة تقول بابا فى وضع ، وماما فى وضع آخر ، وسرعان ما صنعوا عرائس تغنى وتضحك وتمشى بل وتبكى وتبلل ملابسها الداخلية ·

وحتى هنا والامر مما يمكن فهمه حتى بمعايير الترويج التجارى ، لكنى أستأذن فى الحديث عن غير الطبيعى باقتطاف هذه السطور من اعلان · « والان باربى الساحرة تتحرك : وجهى لها دعوة لحضور حفلك القادم لترى كيف تقوم بلمسة واحدة بحركات تنال اعجاب



صديقاتك ، ستقوم باربى وحدها برفع ذراعيها حتى لتبدو وكأنها تمشط شعرها ·· أليست فاتنة حقا ! » ·

بالطبع لان نجمة فقط مثل باربى ترتدى فستانا وحزاما براقين وجونلة طويلة ومعطف فرو على كتفيها ·

الحق ان باربى ستجعل من حفلك حديثا متداولا فى المدينة ·

باربى تتالق بفتنتها الرائعة ، وهى تحب أن تؤدى ايضا كل ما تحلمين بأدائه ·· تجرب ارتداء فساتين جديدة ، وتفرش بيتها ، تنزل فى مياه بركتها ، أو تسوق سيارتها الجديدة ، وحتى توجد لديها فرقة موسيقية خاصة بها (باربى وراقصو الروك) · انه عالم حافل بلعب باربى ومستلزماتها ·· اختارى منه » ·

هكذا ابتكر الامريكيون « باربى » عروسة عصر الفضاء التى تبدل ثيابها وسيارتها حسب الموضة ، وجعلوا لها صديقا اسمه كين وفرقة رقص و ·· وأصبح عليك أن تشترى لابنتك العروسة ، فالسيارة ، فأثاث البيت ، فالصديق ففرقة الروك ·

مفهوم أن يفعل ذلك أناس

يستثمرون ما يقرب من ٢٠٠ مليون دولار سنويا فى شئون « باربى » . لكن الغريب هو أن تنقاد - أكبر توزيع لهذه التحفة فى منطقة الشرق الأوسط بالقطع - الى مثل هذه العوالم الخبيثة المدمرة ، التى تختار لاجيالنا القادمة قيمهم وتربى فيهم عادات استهلاكية قاتلة و ..

والاغرب اننا نفعل ذلك بدافع الحب لبناتنا العزيزات .. والله زمان يا حب ، ويا عرايس كان يصنعها الاطفال بأيديهم ، ويجهزون لها كل ما تحتاج اليه بأيديهم .. والله زمان يا قيم ايجابية نفجرها بثرواتنا .

• بريطانية تعرض طب الفراعنة •

صدر فى بريطانيا (باللغة الانجليزية) كتاب « الاعشاب والتوابل فى حضارة مصر القديمة » ، ضمن مطبوعات المتحف البريطانى . وقد ألفت الكتاب العالمة الدكتورة ليز مانيش المهتمة بشئون مصر القديمة ، التى أصدرت من قبل كتابا مسهبا عن تقاليد العلاقات بين الجنسين فى مصر القديمة .

وترى المؤلفة أن هناك رابطة قوية بين استخدام قدماء المصريين للاعشاب والتوابل وبين ما شاع فى الحضارات التالية عن أستخدامها ، فعلى سبيل المثال ترتبط الاستخدامات الحالية لنبات الشوفان فى علاج أمراض القلب باستخدام قدماء المصريين لعصيدة الشوفان فى نفس الغرض .

وقد نوهت الباحثة الانجليزية بالقيمة الصحية الرفيعة المستوى للنظام الغذائى الذى كان قدماء المصريين يتبعونه ، بما يحوى من فاكهة وخضر والياف .. وقد امتدت الميزات الصحية لهذا النظام حتى الى اللثة التى كانت تتمتع بها أسنان قدماء المصريين رغم تعرضها للتآكل نتيجة للاحتكاك بالاتربة والرمال التى تختلط بغذائهم .

ومن رأى ليز مانيش أن الملك الصغير توت عنخ آمون كان مهتما بالاعشاب التى تؤثر على الخصوبة ، وقد عثر على بعض منها فى مقبرته بالفعل .

وقد صنفت ليز مانيش استخدامات الاعشاب والتوابل وفق الابواب العلاجية المختلفة ففى باب علاج المسكنات والمهدئات مثلا فصلت الحديث عن الشبث وفيما يخص علاج امراض القلب والاوعية الدموية نوهت ، كما سبق أن اشرنا ، بتأثير الشوفان الذى يتسبب فى تخفيض نسبة الكلسترول الموجودة فى الدم .

ونوهت الكاتبة بقيمة البلح والتين الغذائية بالذات اذا مزجا بالعسل والشمندر والشوفان .

ترى ما مدى اهتمام المصريين انفسهم بدراسة الجوانب المختلفة فى حضارة مصر القديمة ؟ وسؤال اكثر الحاحا : ترى ما هو صدى الافكار التى تحويها مثل هذه الكتب فى طبنا الحديث ؟ وما نقصده هنا طب « اساتذتنا دكاترتنا » المصريين المتغربين لا طب العطارين والشوارع الخلفية .

• حكايات طبية •

• إنقلاب •

بلغنى أيها الملك السعيد ذو الرأى الرشيد أن رجلا كان يعيش ببغداد اسمه راضى النجار انقلب حاله فأصبحت رأسه مكان القدمين ، وعظمت ساقاه فارتفعت مكان الرأس . من بعد انقلاب الوضع ، انقلبت حياته وصارت جحيما لا يطاق ، مع انه كان من قبل انسانا راضيا .. مرضيا عنه ليس بالسعيد ولا بالمتكدر ، ولكنه المطمئن ، يمضى بلا عواقب أو نزاعات تفزعه . كان يرى زوجته جميلة الجميلات وفى انفها المفلطح شموخا وعظمة ، وفى عينيها الضيقتين لمعة الذكاء ، وفى فمها الواسع قدرة على افتراس الطعام .. وارسال الكلمات .. اما معاملتها له فهى غاية النبل الانسانى سواء كانت تداعبه أو تسبه ، سواء لاطفته بوضع ساعدها عليه مربتة أو دبته على ظهره مزمجرة مهددة . ذلك لان لها طريقة فى نطق الالفاظ وتدليلها ، وتحريك الجسد وتليينه أعمته عن كل عيوبها .

كان يرى فى الاسطى صاحب دكان النجارة التى يعمل بها واحدا من أصحاب الضمائر العليا والكوامن الانسانية النادرة ، برغم انه يهضم حقه فى الاجرة ويسىء معاملته ويهدده بالطرد من حين الى اخر .. لامتلاك الاسطى وسائل تعزيز المحبة كان يدس فى جيبه مبلغا من المال عند الاعياد والمواسم ، أو يشاركه من حين الى اخر الطعام الشهى الذى يأتى اليه بالمحل ، ويحوى الكثير من اللحم . اما خليفة المسلمين فكان يرى فيه العادل .. الظاهر .. الراشد .. المأمون .. الكامن برغم الابهة التى كان يحيى بها والقصور التى كان يشيدها على الطريق لتريح جسده المرهق اثناء سفره وتجواله فى بلاد المسلمين . غير مهتم بتدهور حال الرعية وازدحامهم فى طوابير الخبز . ذلك لان الخليفة كان صاحب لسان معسول وفصاحة فى الخطابة ، يبلور الامل بالرخاء

بلغنى أيها الملك السعيد ذو الرأى الرشيد أن الداء الذى أصاب النجار هو اتساع الشعب الهوائية ، وان هذا الاتساع يعود الى :

١ ـ أسباب خلقية تعود الى غياب حركة الاهداب بالشعب الهوائية والجيوب الانفية مما يعرضهما للالتهاب الميكروبى . أو قد تعود الى سمك الافرازات بالشعب الهوائية فتسد تلك الممرات .

٢ ـ انسداد الشعب الهوائية بالافرازات المخاطية الناتجة من النزلات الشعبية الحادة أو الاجسام الغريبة القادمة من الخارج مع الشهيق مما يؤدى الى ازدياد ضغط الهواء قبل مكان السد (لعدم تمكنه المرور نحو التفرعات الطرفية)

٣ ـ الالتهابات المختلفة بالشعب الهوائية الناتجة عن النزلات الرئوية والحصبة والسعال الديكى والدرن

وفي جميع تلك الاحوال تدمر الغضاريف والعضلات المبطنة لجدر الشعب الهوائية مما يؤدى الى اتساعها ، وتفقد الاهداب ـ الطاردة للاجسام الغريبة والميكروبات والافرازات ـ مما يؤدى الى الالتهاب الميكروبي وتراكم الصديد بداخلها . هذه التغيرات غالبا ما تكون بالفص السفلى للرئة لصعوبة طردالافرازات منها بعكس الفص العلوى الذى تتحرك منه الافرازات بمساعدة الجاذبية باتجاه الشعب المتصلة به. لذلك يأتي المريض يشكو من الكحة والبلغم الصديدى الذى تزداد كميته تبعا لتغير وضعه . غالبا ما تكون كمية البلغم كبيرة قد تصل الى ربع أو ثلث لتر يوميا .

العلاج الطبي لهذا المرض استخدام المضادات الحيوية للقضاء على الميكروبات ، واللجوء الى الجاذبية لطرد كميات البلغم والافرازات المتكومة بداخل الشعب الهوائية المتسعة طالما أن تلك الشعب عاجزة عن طردها لضعف عضلاتها وفقدانها الاهداب أو لعدم فاعلية حركتها الطاردة . طالما ان تلك التغيرات غالبا بالفص السفلى فان الطبيب ينصح مريضة بأن يجعل جذعه في مستوى أقل من جسده لتتحرك الافرازات بفعل الجاذبية نحو الخارج فيتخلص منها الجسم.

هذا ما فعله راضي النجار بأن صنع سريرا خصيصا جعل موضع القدم عاليا وموضع الرأس منخفضا فبدأ يتخلص من كميات البلغم الجاثمة على صدره ، وبدأت نظرة عينيه للامور تستقيم فرأى ضيق عين زوجته دون الذكاء ، والانف المفلطح البعيد كل البعد عن اللؤلؤ ، وأن لسانها سوط مؤذ وأن ذراعها أقوى من القدوم الذى يستخدمه.لم يتحمل الاستمرار معها في الحياة أكثر من عدة أيام حتى طردها من منزله .

مضت عدة أيام حتى نصحه الطبيب أن يزيد من انحدار السرير أكثر فزاد من ارتفاع ساقيه عند القدم ، وازدادت كمية البلغم وازداد اعتدال الدنيا أمام عينيه . عند زيارة الاسطى له اكتشف أن زيارته تلك وأن الاموال التى يمنحها له ليست سوى مخدر ليستمر في استغلاله . قال له الحقيقة في وجهه « أنت رجل مستغل لا تعرف ربنا .. اريد حقي في الاجرة كاملا » . وانتهت المشادة بطرده من العمل .

أراد راضي النجار أيها الملك السعيد أن يعرف الحقيقة كاملة فترك السرير ورفع ساقيه على الحائط وارتكز برأسه على الارض ، وبدأ يهاجم الخليفة « انه يصرف أموال المسلمين على لذاته » « انه الظالم .. الجبار .. الجائر » بدأت الناس تلتف حوله وتردد ما يقوله ، اختفى في يوم وعاد مشوه الوجه .. ممزق الثياب .. مكسور الضلع .. يعرج في سيره .. توقف عن وضع الانقلاب وعاد الى حياته الاولى المطمئنة فرد زوجته ، رجع الى عمله مع الاسطى ، شارك في مدح الخليفة .. لم تمض فترة طويلة حتى أصيب باحدى مضاعفات مرضه .. خراج بالمخ ... مات بعدها .

د . هاشم قاسم

محنة الغلاء

شعر :

محمد أمين الجندى

ما للغلاء ازال الله غمته — احال أيامنا كربا وأهوالا !! ..
حتى غدونا ولا غير الغلاء لنا — من الهموم مصابا يشغل البالا
سحقا له من غلاء لا قيود له — من القوانين تحميه اذا مالا
سحقا له من غلاء كاد يسلبنى — عقلى ، ويطحنني غما وبلبالا
يأتى على راتبى كالوحش ينهشه — فى لحظة ، لم يدع لى منه مثقالا
اذاقنى غصص الحرمان اجرعها — صابا ، وغللنى بالدين اغلالا
والدين كالصل لا ينفك يلدغنى — لدغا يعذبنى هما واذلالا
ماذا اقول لارباب الديون وقد — اصبحت فى ظنهم لصا ومحتالا ؟
اكاد اصعق من خوفى ومن خجلى — اذا لمحت بباب الدار بقالا
وخلفه من ذئاب الدين شرذمة — وكلهم يبذىء السب قد صالا
فمن رآنى وهم حولى ، رأى شبحا — احاله الذعر والتهديد تمثالا
مسمرا فوق ارض اليأس منذهلا — كمن رأى فجأة جنا ورئبالا
يا للغلاء الذى اهوى بنخوتنا — دينا ودنيا ، واقوالا وافعالا



ويلاه مـن محنـة لكراء عاتيـة ... نصلى لظاها الـذى يزداد اشـعالا
لولا الغلاء لمـا استشرى الفساد، ولا ... تحـول الناس ذؤبانا واغـوالا
باعوا ضمائرهم فى سوق حاجتهم ... ورب ذى حاجة قـد ضـل واحتالا
فلا ترى غير غشـاش ومختلس ... ومرتش وقح فى سـلبه المـالا
وتاجر فاجر الاطمـاع محتكـر ... احـاله الجشـع الممقوت تشـالا
لا يتقى الله فى سـعر ، وفى سلع ... سـاءت صنوفا ، وميزانا ، ومكيـالا
والناس من يأسهم خـرس اطاح بهم ... هـم تنـوء بـه الاجبـال اثقـالا
بحت حناجر شـكواهم ، فلم يجدوا ... بعـد التصـبر الا الوهم والالا
بينا نرى عصـبة صـاروا ملايرة ... قد شـمروا بعد نهب المال اذيالا
هم اللصوص الالى طاروا بما سرقوا ... من قوت شعب ، يعانى البؤس انكالا
وهـذه محـن تخشى عواقبـها ... ان لم تجـد مسـعفا طبا وحـلالا
يارب رحماك من هذا البـلاء . فقد ... ضقنا بايامه السوداء احمـالا
فمن سـواك لدى الجلى نلـوذ بـه ... يفرج الكـرب مهما جل اوهالا ؟

المائة الأعظم

بقلم: حسين أحمد أمين

البيروني

٩٧٣ - ١٠٤٨م

اعظم عالم فى التاريخ الاسلامى ، قد اتفق اهل المشرق والمغرب على أن « يمثل اكثر من أى اديب آخر عبقرية العلوم الاسلامية » . كما يمثل كتابه « تحقيق ما للهند » مع كتاب الشهرستانى « الملل والنحل » قمة البحوث العلمية الموضوعية الدقيقة فى التراث العربى ..

كتب عنه ياقوت فى « معجم الادباء » أن يده لم تكن تفارق القلم، ولا عينه النظر ، ولا قلبه الفكر ، الا فى يومى النيروز والمهرجان من السنة • وقد أجازه السلطان لما صنف « القانون المسعودى » بحمل فيل من العملات الفضية ، فرده الى الخزانة بعذر الاستغناء عنه • ويروى أن القاضى كثير بن يعقوب زاره وهو فى فراش الموت ، فسأله البيرونى عن حساب الجبرات الفاسدة • قال القاضى اشفاقا عليه: أفى هذه الحالة ؟ فرد البيرونى : « يا هذا ، أودع الدنيا وأنا أعلم بهذه المسألة خير من أن أموت وأنا جاهل بها ! » فما خرج القاضى من عنده الى الطريق حتى سمع الصراخ عليه •

الف فى ميادين عديدة من المعرفة ، وترجم الكثير من الكتب الهندية الى العربية ، ومن المترجمات العربية عن اليونانية الى اللغة السنسكريتية • وقد ضاعت معظم مؤلفاته ، غير أنه خلف لنا ثلاثة من روائع الكتب •

في التاريخ الإسلامي



كتاب « الآثار الباقية من القرون الخالية » في التاريخ المقارن · وهو يتضمن حديثـا عن الأمم والأديان المختلفة وعادات الشعوب وأعيادها ولمحة من تاريخها ·

وكتاب « القانون المسعودي » ويحوي جميع علوم العرب الفلكية ·
وكتاب « تحقيق ما للهند من مقولة » ويحوي وصفا رائعا للحياة الروحية والفكرية في الهند ، هو في مادته وتحليله العلمي فريد في الأدب العربي ، خاصة وقد أثبت فيه استطاعته أن يرتقي فوق التعصب القومي والديني · وقد جاء هذا الكتاب ثمرة جهد دام ثلاثة عشر

عاما قضاها البيروني في الهنـــد يتعلم السنسكريتية ، ويدرس الادب الهندي ، ويراقب حيـاة الهنـــود وعاداتهم ٠

وألف البيروني وهو في العقـــد الثامن من عمـــره كتابا باســـم « الجماهر في معرفة الجواهر » في الاحجار الكريمة ومواطنها ومنافعها وقيمتها وأوزانها النوعية ، خالف فيه تماما ما هو مألوف في كتب علم التعدين عند المسلمين ، وتجاهل كل ما ذكروه عن الخواص الســـحرية للاحجـــار ، في حين أورد شروحا نقدية لما كتبه السابقون عليـــه من العلماء في هذا المجال ٠ والواقع أن البيروني أحـــد قلة من العلمـــاء المسلمين الذين لم تكن اقتباساتهم عن الكتب الاخرى مجـــرد نقول ، بل جاءت هذه الاقتباسات جزءا لايتجزأ من الموضوع الذي يعالجه ٠

وله كتب أخـــرى في الرياضيات والفلك والصيدلة والفلسفة والشعر والتاريخ : حقق في كل ميدان منهـا انجازات علمية أكيدة وهامة ٠

الفـــردوسي

٩٤٠ - ١٠٢٠ م

شاعر الفرس الملحمي الاكبر ، ومؤلف ملحمتي « الشاهنامة » (التي يبلغ طولها ثمانية اضعاف طول الياذة هوميروس) ، و « يوسف وزليخا » (التي تداني الالياذة في الطول) ٠ وهما كتابان يعتبرهما الفرس أعظم الروائع ٠٠ وقد ظل أسلوب الفردوسي مثلا يحتذى في شعر الفرس الملحمي برمته ، ثم في شعر الاتراك ايضا ٠٠

لقد ظلت الاساطير المتصلة بملوك الفرس وأبطـــالهم ، حتى عصر الفردوسي ــ تنقل بطريق الرواية في المقـــام الاول ، وان كانت لهـــذه الروايات جـــذور في مؤلفات نثرية فهلوية نقل عبد الله بن المقفع بعضها الى العربية ، واستعان بها مؤرخون فرس وعرب كالطبري ٠ وفي عـــام ٩٥٧ م عهد ابو منصور المعمري الى عدة مؤلفين أن يجمعوا هذه الاساطير والروايات كلهـــا ، وأن يعيـــدوا صياغتها في كتاب واحـــد باللغة الفارسية الحديثة ٠ وقد جاءت أول محاولة لاخراج هذه الثروة الأدبية

فى ثوب فنى جديد بهسا من قبل الشاعر دقيقى الذى لمع فى بلاط نوح ابن منصور السامانى . غير أن دقيقى هذا قتل ولما ينظم من الملحمة غير نحو الف بيت .. وفى حوالى عام ٩٩٠ اخذ الفردوسى هذه المهمة على عاتقه ، فأتم الشاهنامة (أى كتاب الملوك) فى احد عشر عاما وهو فى الحادية والستين . وهو كتاب يكشف عن روح الاسلوب الملحمى الفارسى فى قمة اكتماله ، وعن عبقرية شعرية فريدة ، رغم نمطية الكتاب ورتابته .

وقد رفع الفردوسى ملحمته هذه الى السلطان محمود الغزنوى الذى مجده الفردوسى فى مواطن كثيرة من كتابه ، واصفا اياه بانه اشد الملوك بأسا وأرأفهم بالعباد .. وطال انتظار الشاعر للجائزة المرجوة من هذا البطل الحربى الذى استولى على الحكم فى خراسان ، وفتح خوارزم فى الشرق ، وجيورجيا (الكرج) فى الغرب ، والهند فى الجنوب . غير ان هذا القائد العسكرى لم يكن بقادر على ان يفهم شيئا من شعر الفردوسى .. فلم تخرج منه الى الشاعر العظيم غير جائزة تافهة . وكان جواب الفردوسى ان نظم هجاء لاذعا لمحمود الغزنوى قدم به لملحمته



الخالدة ، ثم أسرع بالهرب خوفا من بطشه قاصدا بلاط بهاء الدولة البويهى فى بغداد ·

وفى العراق اتم الفردوسى ملحمته الاخرى « يوسف وزليخا » وهو فى حوالى الثمانين من العمر · وهى سن لم تحل دون تميز هذه الملحمة بالنضارة النادرة ، والسهولة والرشاقة اللتين تجرى فيهما أبياتها· ومع ذلك فانها تعتبر عند الفرس دون الشاهنامة جودة ومكانة ·· ولم يلبث الفردوسى أن ضاق ذرعا بالحياة فى بغداد واشتد حنينه الى بلده ، فأوفد من استرضى له السلطان محمود الغزنوى الذى عفا عنه وسمح له بالعودة الى « طوس » حيث توفى حوالى عام ١٠٢٠ م ·

السلطان محمد الثانى

١٤٢٩ - ١٤٨١ م

فاتح القسطنطينية الذى بلغت الجيوش العثمانية فى عهده حدود البندقية ما ان تولى العرش ١٤٥١ فى ادرنة (عاصمة الدولة العثمانية) ، حتى طالبه الامبراطور البيزنطى فى القسطنطينية بمضاعفة مبلغ الجزية السنوية التى كان والده مراد الثانى يدفعها للبيزنطيين · وكان رد محمد على هذه المطالبة هو المبادرة بتشييد قلعة « روم ايلى حصار » المنيعة على بعد سبعة كيلو مترات من أبواب القسطنطينية عند أضيق نقطة من البوسفور · وعندما بعث الامبراطور بسفرائه اليه للاحتجاج على هذا العمل ، كان رد محمد أن قطع رءوسهم. وكان ذلك ايذانا بقيام الحرب ··

ولم تستطع حصون العاصمة البيزنطية أن تثبت أمام هجمات جيش السلطان محمد الذى دخلها عام ١٤٥٣ وهو فى الرابعة والعشرين من العمر · وقد توجه فور دخوله الى كنيسة أيا صوفيا الشهيرة واستولى عليها رسميا باسم الاسلام ، وجعلها جامع العاصمة الرئيسى · فأما القبلة فقد أدخلت على تصميم هذا البناء الكنسى بواسطة محراب اصطنع فى



وسط جناح الكنيسة الجنوبي ، واقيم المنبر الى يمين المحراب ، كما بنيت في الخارج مئذنة أضاف اليها خلفاؤه ثلاث مآذن أخرى .

واذ اضحت القسطنطينية (استنبول) منـذ ذلك الحين عاصمة للـدولة العثمانية ومقرا للسلطان ، عمـل محمد الثاني على زيادة عدد سكانها بعد أن كان قد تقلص وتناقص بسبب هجرة المسيحيين منها عقب الهزيمة وقبلها . فدعا النازحين الى العودة مؤمنا اياهم على انفسهم وأموالهم ، فلما رجعوا اليها سمح لهم بالاشتغال بالتجارة ، واعتمد عليهم في اتصالاته بالدول الغربية ، وتمكن عدد غفيـر منهم من الوصول الى مراكز رفيعة بالدولة كذلك فقد تدفق عدد ضخم من المسلمين الاسيويين الى العـاصمة الجـديدة (التي ما لبث أن خضـع لها معظم المسلمين في العالم) لكي يستغلوا مزايا المدينة التجارية ذات الموقع الجغرافي الفـريد ، ولكي يفيدوا من الاوقـاف التي انشأها هناك محمد الثاني لخدمة العـلم وطـلابه . وسرعان ما أصـبحت استنبول المركز الفكـري الاول في العالم الاسلامي .

واهتم محمد الفاتح بتشييد منشآت جديدة في عاصمته . فعهـد الى المهندس اليوناني خريستو دولوس ببناء الجـامع المعروف باسم الجـامع المحمدي في قلب العاصمة ، وهـو أروع آثار العمـارة العثمـانية وأدناها الى الكمال . ثم بنى عشرة مساجد أخرى زود كلا منها بمكتبة

حافلة بكنوز من كتب التراث الفكرى العربى والفارسى والتركى ، والحقت بهذه المساجد معاهد للتعليم تتسع لسكنى الاساتذة والطلاب ، وكذا المستشفيات والخانات والحمامات والابار والمطاعم للفقراء . كما أعاد السلطان بناء الاسوار المحيطة بالعاصمة (وهى التى تهدمت أثناء حصاره اياها) ، وأنشأ أحواضا لبناء السفن ، ودور صناعة ومخازن للسلاح في الميناء ، كما شرع عام ١٤٥٤ فى تشييد قصر له على ربوة مرتفعة داخل المدينة .

وقد كان من أهم أهدافه العسكرية تعزيز سيطرة العثمانيين على شبه جزيرة البلقان (خاصة فى الشمال) تمهيدا للانطلاق منها لحرب المجر أخطر أعدائه فى أوروبا وأقربهم من حدود دولته . فكان لابد له من أجل ذلك أن يستولى على بلاد الصرب حتى يضمن لجيشه قاعدة ثابتة فيها وقد تم له ما أراد حين استولى عام ١٤٥٨ على بلغراد ، ثم على ألبانيا كلها عام ١٤٦٨ . وإذ استشعرت البندقية الخطر الاسلامى الذى بات يتهددها أعلنت الحرب على الدولة العثمانية ، فاذا بجيوش محمد الثانى تصل الى حدودها ، وترغم البندقية على عقد صلح معها عام ١٤٧٩ تنازلت البندقية بمقتضاه عن جميع ممتلكاتها فى ألبانيا .

وقد توفى محمد الفاتح بعد هذا الصلح بنحو عامين وهو فى الثانية والخمسين . والواقع أن هذا السلطان يمثل العثمانى القديم ، بكافة فضائله ونقائصه ، أصدق تمثيل .. فهو صاحب همة جبارة وسعى دائب الى أهداف جديدة ، اقترنا للأسف بوحشية تعدت حدود القسوة حتى بمقاييس ذلك العصر ، خاصة فى معاملته لاسرى الحرب الذين كان يقطع أجسادهم نصفين بالمنشار .. غير أنه كان فى نفس الوقت راعيا للعلوم الاسلامية وللكتاب والشعراء مغدقا عليهم الهبات السخية ، شديد الاهتمام بمتابعة مظاهر النهضة الأوروبية التى تفتحت أكمامها فى ايطاليا ، حريصا على جمع المخطوطات التاريخية والادبية ، عظيم الافتتان ببقايا التراث الهيلينى من فنى النحت والعمار فى اليونان (وهو افتتان دفعه الى الموافقة على منح اثينا استقلالها الداخلى) .. وقد تخطى محمد الثانى التحريم الاسلامى لفن التصوير بأن عهد الى الفنان البندقى الكبير بلينى أن يرسم له صورة زيتية لاتزال الى يومنا هذا محفوظة فى أحد متاحف البندقية

أبو نواس

٧٤٧ - ٨١٥ م

احد فحول شعراء العرب ، وهو اعظمهم عند جُل دارسى الأدب العربى من الافرنج . ويعده النقاد العرب ممثل شعراء المدرسة الحديثة ، ويحلّونه بين المحدثين مكانة امرىء القيس بين القدامى .

فمع بداية العصر العباسى فتح العرب الأقحاح الطريق للموالى الذين يجيدون العربية ويتمتعون بموهبة شعرية كبيرة ، حتى يخوضوا ميدان الشعر . ولم يلبث هؤلاء أن أهملوا القوالب القديمة من أجل التوفيق بصورة واقعية بين المعنى والمبنى . فلم يلتزموا بنظم القصائد الطويلة ، أو البكاء التقليدى على الأطلال ، أو وصف الناقة والحل والترحال فى الوادى ، وجددوا فى المعانى وفى قوالب النسيب . وقد أسفر الصراع بانتصار المحدثين ، بفضل بشار بن برد وأبى نواس وابن الرومى خاصة .

ولد أبو نواس فى الأهواز بلاد فارس ، ونشأ فى البصرة ثم تبدى وخالط العرب الخلص ففصح لسانه ، حتى قال عنه الجاحظ « مارأيت أحدا كان أعلم باللغة من أبى نواس ، ولا أفصح لهجة ، مع حلاوة ومجانبة للاستكراه » غير أنه مع سلامة لغته ، أكثر من استخدام الكلمات الأعجمية والعبارات الدارجة المعاصرة . وزل فى الاخطاء التى كانت شائعة من قبل بين أسلافه . وهى لغة سهلة سلسلة ، عبر بها عن معان



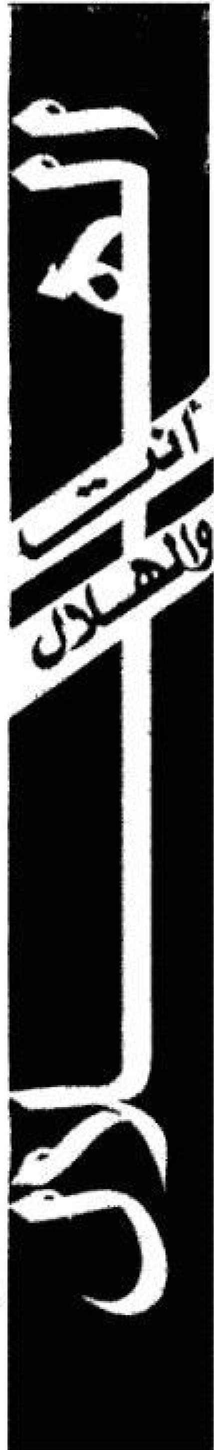
جديدة فيها نكتة حلوة وتعتبر مرآة لنفسه ولعصره خاصة فيما يتعلق بالاستهتار بالمعاصي .

فأما مدائحه فقليلة القيمة ، استخدم فيها القوالب التقليدية ، عكس مراثيه التى تلمس فيها عاطفة عميقة وحزنا مؤثرا . وفي اشعاره الغزلية من العاطفة والشاعرية الصادقتين بقدر مافيها من الاباحية والتبذل . وهو اجود مايكون فى تغنيه بالخمر واللواط ، يتغنى بمباهجهما فى جرس متجدد دوما . وقد صور مغامراته فى هذين الميدانين فى واقعية ساخرة ، ولم يتورع عن السخرية بنفسه أو ببدنه الذى هده المرض ، أو الاقرار بخطاياه فى صراحة ملحوظة ، طالبا لائميه أن يتركوه وشأنه إذ أن لومهم لايغريه إلا بالمزيد ، مبينا اعتزامه الا يصلح منهاجه حتى اللحد . وكان يباهى بأنه لم يترك شيئا مما يغضب الرب إلا الشرك به . والواقع أن أشعاره المنافية للاسلام ليست نابعة عن اسس عقلية وإنما عن حبه للمتعة التى رأى أحكام الاسلام تحول بينه وبينها . وكان يعقد آماله على مغفرة الله ، ويعد نفسه أهون شأنا من أن يؤاخذه الله بأعماله وله فى الزهد قصائد رائعة يرى البعض أنه كتبها فى شيخوخته بعد توبة منه ، بينما يرى آخرون أنها غير كافية للبرهنة على هذه التوبة ، وأنها نظمت عبر سنين طويلة ، وفى أحوال نفسية عارضة .

فأما قصائده في حب النساء فقليلة إذا قيست بما كتبه فى عشق الغلمان . وقد قيل إنه لم يقع إلا مرة واحدة فى حب فتاة جارية تدعى جنان .. وبالرغم من الاشارات الجمة فى شعره إلى ابطال التاريخ الفارسى ، وبما نلمسه من تأثير كبير للحضارة الفارسية فى هذا الشعر فإنه من الصعب أن نسميه شاعرا شعوبيا ، خاصة أن آثاره لايستشف منها غير العناصر الثقافية للعصر العباسى التى انتشر فيها شيئا قشيئا أثر الطابع الايرانى . وتكاد تكون شعوبية أبى نواس مقصورة على ثورته على الأدب القديم .

وينتظم ديوانه للمرة الأولى فى تاريخ الأدب العربى بابا خاصا يحتوى على طرديات مبتكرة (أو قصائد الصيد) تصف كلاب الصيد والصقور والخيل وضروبا شتى من الصيد فى أسلوب بدوى . وهو باب أنعشه أبو نواس وبعثه ثم نماه من بعده ابن المعتز .

هذا ولم يقم أبو نواس بمهمة جمع أشعاره ، ولذا فقد ضاع الكثير منها (خاصة تلك التى كتبها فى مصر) . ومن ناحية أخرى عزى إليه باطلا كثير من الأشعار ، ولا سيما فى الخمر وفى اللواط . ومازلنا إلى اليوم فى حاجة إلى طبعة من ديوانه جيدة التحقيق تستأصل منها الأشعار المدسوسة عليه كما اننا فى حاجة إلى سيرة جديدة له تستأصل القصص المخترعة عن مجونه ، خاصة تلك الواردة فى ألف ليلة وليلة وغيرها من القصص الشعبى ، وهى قصص أساءت إلى صورته عند القراء العرب وجعلته أقرب إلى العربيد المتهتك أو مضحك البلاط .



● الليدى تشاترلى ●

● أود أن أشكركم من أغوار قلبي حول ردكم الكريم لرسالتي في مجلة الهلال لشهر فبراير ١٩٨٩ في (أنت والهلال) فهذا يدل على اهتمامكم الفائق بكل ما يرد الى المجلة ..

اشتريت العدد ٤٨٢ من روايات الهلال (عشيق الليدى تشاترلى للروائي الانجليزى دى اتش لورانس وفرحت فرحا عظيما اذ ستتاح لي فرصة قراءتها لاول مرة في اللغة العربية وشرعت بتصفحها فلفت ناظرى شىء أدهشنى الا وهو اسم الرواية في لغتها الاصلية (THE FIRSTLADY CHATTERLY) حينئذ تذكرت أن هذا الاسم غير الاسم الذى تحمله النسخة الاصلية باللغة الانجليزية والتي أملكها في مكتبتي المتواضعة فسارعت الى احضارها فالفيت أن الاسم هو (LADY CHATTERLEY'S LOVER) انظر الحذف والاضافة في هذين الاسمين فجاءت الترجمه العربية صحيحة كما في النسخة الاصلية ، واذا شئنا ترجمة اسم الرواية كما ورد في العدد لجاء على هذا النحو : (السيدة تشاترلى الاولى) وأنا لا أطلب أن تكون الترجمة حرفية للرواية ولكننى أتساءل : من اين اضاف مترجمنا الدكتور أمين العيوطى كلمتين : (THE FIRST.) وحذف كلمة (Lover) .

وهل قام بترجمتها من نص آخر غير النص الانجليزى وباجتهاد ذاتي وضع لها هذا الاسم .. فأين هنا دور الناشر ورئيس التحرير في التدقيق والمراجعة وكيف غاب عن دار روايات الهلال والتيتتمتع بسمعة طيبة في وطننا العربي من سنوات طويلة أن تمر عليها هذه الهفوة مرور الكرام وأرجو أن لا تقع سلسلتنا صاحبة الشهرة الحميدة والرفيعة تارة أخرى في مثل هذه الهنات وأن كانت بسيطة. النسخة الاصلية الكاملة والتي في حوزتي صدرت أول طبعة منها في ١٩٢٨ عن دار PENGUIN BOOKS. تحت رقم ١٤٨٤ ومع مقدمة طويلة بقلم RICHARDHOGART. ، وكذا توطئة قصيرة للناشرين حول حرية اعادة نشر الرواية وفى الصفحة ما قبل الاخيرة وردت قائمة بالاعمال الكاملة للمؤلف والتى صدرت عن نفس الدار أيضا . وأنا لا أعلم لماذا لم يترجم الدكتور أمين كل هذا اذا كان ترجمها من اللغة الانجليزية ، ولو فعل ذلك لكان للرواية مذاق رائع وأدى الامانة الادبية على أكمل وجه ..

أرجو أن اقرأ ردكم النزيه في « الهلال » في صفحة (أنت والهلال) وسأكون لكم شاكرا اذا لبيتم ذلك ومع جزيل الشكر والتبجيل .

أخوكم : القاريء سعيد عبد الله سعيد
صندوق بريد ٧٢٠٩ المعمورة ٩٠٧
جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ـ عدن

أنت والهلال

● تعليق الهلال :

ـ نشكر الاخ المفضال الاستاذ سعيد عبد الله سعيد على هذه البرقية ، وقد اتصلنا بالدكتور أمين العيوطي فكتب الرد التالي موجها الى الاخ سعيد :

« ردا ، على برقيتكم الكريمة اقول : لعلكم قرأتم في نبذة الغلاف أن د ٠ هـ ٠ لورانس كتب هذه الرواية بثلاث صيغات فيما بين ١٩٢٥ـ١٩٢٨ ٠ ولعلكم طالعتهم في نفس النبذة أن روايات الهلال تقدم الصياغة الاولى ٠ وهذه الصياغة تحمل عنوان « الليدى تشاترلي الاولى » ، وهى اخر ما نشر من هذه الصياغات بعد نشر الصياغة الاولى أولا ثم الصياغة الثانية بعد ذلك ٠ وقد آثرنا ان نختار للصياغة العربية العنوان الاكثر شهرة ٠ وقد كان هناك تنويه عن هذا أيضا في نبذة الغلاف لم تتسع له المساحة٠ فيما عدا هذا، يا اخي العزيز ، لم يكن هناك اى اجتهاد ذاتي ، بل حرص على ترجمة تكاد تكون حرفية آخذين فى الاعتبار مدى استعداد شرائح من قراء العربية لتقبل الكلمات « ذات الحروف الاربعة » ، وحرص ايضا على الامانة الادبية٠ ولعلك تجد في هذا بعض ما يطمئنك ويرضيك ٠

● النسبة الى الاعداد ●

● ما هي النسبة الى الاعداد أمثال عشرين وثلاثين وأربعين . ولماذا يختلف الكتاب والادباء فيها الان ؟!

لطيفة عبد الرب الزيات
الاسكندرية

● تعليق الهلال

ـ بعد الاختلاف الكثير ، أقر المجمع اللغوى ٠ أو مجمع اللغة العربية في مصر أن يقال : العشرينات ، والثلاثينات ، والاربعينات ـ تخفيفا من قولهم العشرينيات والثلاثينيات الخ ٠٠ لان القول الذى أقره المجمع أخف على اللسان والسمع ، واكثر شيوعا ، ولكن القول الاصلي صحيح طبعا ، والمجمع لا يلغيه ، ولكنه يقر الى جانبه القول الآخر ويقول بصحته ! ٠٠

● قرية الشاعر الجرنوس ●

● فى عدد يونيو ١٩٨٧ من « الهلال » كتب السيد رجب عبد الحكيم بيومى من كلية دار العلوم نبذة يقول فيها انه ليس

صحيحا ما ذكرته الهلال في بعض مقالاتها من أن قرية الجرنوس التي ولد فيها الشاعر خالد الجرنوسي ، هي احدى قرى مركز بني مزار بمحافظة المنيا ، وان الصحيح هو أن قرية الجرنوس تابعة لمركز مغاغة ·· ولما كنت من قرية الجرنوس التي ولد فيها الشاعر خالد الجرنوسي ، فانى اقول ان هذه القرية تابعة فعلا لمركز بنى مزار كما ذكر الهلال بالضبط ، ولكن الامر التبس على السيد رجب عبدالحكيم لان هناك قرية اسمها « دير الجرنوس » تابعة لمركز مغاغة وهي غير قرية الجرنوس التابعة لبنى مزار كما لا يحتاج الى بيان ·· وقد تأخرت في ارسال هذا التصحيح لانى لم أطلع على تلك النبذة في حينها ·

السيد / رمضان البورصلي
الجرنوس - بني مزار

• الطفل الكبير •



في ساحة الذكرى أجول
أتنشق الماضي الخجول ؟
أتحسس العمر الطرى ··
واود لو عدت الصبي
أسترجع الأيام جذلى
تتوافد الاحلام سكرى
العمر يسرى ذاهبا ··
سقيا لأيام الصبا ··
لم يبق لى منها سوى
ذكرى ·· وان طال النوى !

يوسف عبد العزيز
قنا - كلية الآداب

• توفيق يوسف عواد •

● كتب نقيد الادب العربي توفيق يوسف عواد جميع الاجناس الادبية القصة والرواية والشعر واحتفلت الاوساط الادبية في لبنان منذ ستة اشهر بمرور خمس وسبعين سنة على ميلاده وبمرور خمسين عاما على صدور مجموعته القصصية الاولى « الصبي الاعرج » ·

ونجد في مجال القصة : الصبي الاعرج ، قميص الصوف ، العذارى ، مطار الصقيع ، وفي مجال الرواية : الرغيف ، طواحين بيروت ، وفي مجال الشعر : قوافل الزمان ، وفي مجال السيرة

الذاتية : حصاد العمر ، وآخر ما صدر له : غبار الايام ، فرسان الكلام .

وترجمت بعض كتبه الى الانجليزية والالمانية والروسية .

ولقد قرأ بعض أمهات الكتب «التراث» المعروفة مثل الاغاني لأبي الفرج الاصفهاني وجميع أعمال أدباء الرابطة القلمية ومنهم جبران ، ميخائيل نعيمه وإيليا أبو ماضي ونسيب عريضه وتوطدت صداقته بالادباء المصريين وقرأ للادباء محمد تيمور ، محمود تيمور وابراهيم عبدالقادر المازني والعقاد وطه حسين والملاحظ فى أدب توفيق يوسف عواد أن جميع أبطال روايته ثائرون .

ولقد نظم الشعر فى سن الرابعة عشرة وقصائده يضمها كتاب حصاد العمر وقوافل الزمان والذى ينظم الشعر يجب أن يكون عالما بأسرار الكلمات فلكل كلمة سرها .

رجب عبد الحكيم بيومى الخولى
ليسانس لغة عربية

● معنى هذا البيت ●

● أحفظ من قديم شطرين من شعر المتنبى فى أمثاله السائرة الحكيمة ، وهما عن السفن ، يقول فى الاول : « تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن » .. وفى الثانى « ان السفينة لا تجرى على اليبس » . فما هو الشطر الاول لكل بيت منهما ، وما هو الغرض من هذين المثلين ؟!.

أبو النور شوقى سليم
أسيوط

● الهلال :

– الشطر الاول من بيت للمتنبى يقول فيه :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه
تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن

أما الشطر الثانى الذى تذكره فهو للامام الشافعي وليس للمتنبى ، يقول فيه الشافعي :

تبغي النجاة ولم تسلك طريقتها
ان السفينة لا تجرى على اليبس

ومعنى البيت الاول باختصار : أن المرء يتمنى شيئا ولكن الزمن لا يساعده على بلوغه ، بل يعرقل مسعاه ، كما يعرقل ركود الرياح فى البحر جريان السفن .. ويستبدل بعضهم بقوله « تأتى الرياح » كلمة « تجرى الرياح » وهو تحريف لا يتفق والمعنى الذى أراده المتنبى .. ومعنى البيت الثانى : أن من أراد بلوغ النجاة فى الآخرة

فعليه سلوك الطريق المؤدية للنجاة والاخذ باسبابها ، وضرب الشافعى لذلك مثلا : سفينة تجرى على الارض لا على الماء ، فلو جرت فى الماء لبلغت وجهتها ، ولو رست على الارض اليابسة لما تحركت من مكانها ! ..

● رثاء ام ●



مضت فى سكون ودون انتظار
وليس لنا فى القضاء اختيار
بومضة عين نرى نقلة
من العيش نحو الموات المثار
فمن بعد صوت ، ونور حياة
ووعى انتباه وضوء النهار
تجىء الليالى خبيئة سر
وفى طيها وخزات كبار
فيارب رتب لها نومة
وهيىء لها مرقدا لا يضار
بقدر الجهاد الذى قدمته
الى جنبها فى كريم الجوار
وكم فى الحياة من الخيرين
لهم فى الدعاء هدى واصطبار
بناء الحياة على دعوة
ترجى ، وعمر كثير الثمار
وما مات مستبصر فى الورى
له فى الدنا حسنات كبار

عبد العزيز بيومى على
مدير بالمدارس الثانوية سابقا

● أنا شاعر ●



انا شاعر ..
استلهم الاشعار من قلب معنى ..
انا عازف ..
استنطق الكلمات الحانا تغنى ..
استعذب الاشعار من شتى الدنان ..
لا ارتوى شعرا وفنا ..
قطر القصيد يذوب فى الشريان ..
اضواء ومعنى ..
يا ايها الواحى ... تانى ..

فالشعر اكسير ..
ومن لا ينهل الاشعار جن .

رفعت عبد الوهاب المرصفي
١٠٨ شارع شبرا القاهرة

• أقصوصة : • المرتب •

● نظر الى الاتوبيس الذى مال على جانبه الايمن وهو يسير .. لاول مرة لا تضيق عيناه .. لا يغمغم بصوت كالفحيح .. ينظر الى المناكب التي تتدافع ، يبتسم وهو يختلق لهـا الاعذار ، ينظر الى اصحابها على انهم اناس مثله يعانون .

لحظات مرت قبل ان يغيب الاتوبيس عن عينيه .. مد يده يطمئن على جيوبه ... كان يتساءل كيف اندفع وسط تلك الكتل البشرية الى عرض الطريق .. ابتسم ثانية .. أكمل المسير .

لا بأس من العودة الى البيت .. لابد أن يبدأ من الان .. أن يكون لحياته برنامج جديد .. ان يقدم لوالدته النقود ، وليكن نصف راتبه.. لابد أن تشعر انه موجود ... ان تنظر اليه باكبار .. ان تركن اليه في وقت الضيق .

ولابد لوالده الشيخ الذى يرى فى عينيه ما لا يقال ، والذى يتحدث صمته بما يريد ان تعود ابتسامته . لابد أن تعود الحياة اليه من جديد . وتلك الرجفة أن لها أن تغيب ، وأن يزول الانطواء والشرود لقد حقق ابنه الحلم ، امتدت حياته فى ولده ... لابد اذن أن يستريح .

أخوه الصغير أيضا لن يذهب الى المدرسة بدون كراسات ، لن يضربه المدرس أو يلومه أمام الجميع .. سيأخذ الدرس الخصوصي الذى تحدث عنه .. سيقف على قدم المساواة مع الزملاء ... والدته لن تزجره ... لن تحادثه بصوت خافت أو تشرح له ما لا يعيه ... هو أيضا لن ينسى نفسه اليوم .. سيدور على المحلات ، يشاهد بنفسه ويختار ما يريد ، ولا بأس من اصطحاب بعض الاصدقاء معه ، لابد أن يشاركوه الاختيار ... اليوم من حقه أن يشعر بكيانه ، بوجوده ، بكرامته . اليوم من حقه أن يشعر بشيء من الفخار ، لقد وصل الى جيبه أول راتب من عمله الجديد .

نظر الى الناس ، الى اسفلت الطريق .. الى الخطوط البيضاء ذات الاسهم ... الى الاشارات الضوئية التي تلالا نورها الاخضر ... الى الشمس المتدفقة النور .. تبادل ابتسامة ودية مع شخص ما ... مد يده الى جيوبه يطمئن عليها . لم ينتبه الى احمرار اشارة المرور .

محمد عباس على
الاسكندرية

أنت والهلال

● يا ابن العصر ●

هل نعجب أن ابصرت الصدق له عينـــان ··
ام تعجب من اشراقة وجنـات الانسان ·
يا ابـن العصر واطيـاف المجهول ··
جسم الانســان تمزقـه سـكين ··
فيصبح أوصالا تبحـر عن اوصـال ··
لا يعرف بعضـا من اسم أو رسـم أو عنوان ··
ويطوف ·· يطـوف ·· هنـا وهنـا ! ··

ابو بكر محمد محمد

● مقبرة الأدب الحديث ●

طـلول لا تحـج · ولا تـزار
ولا لـوم عـلى ولا اعتـذار

فلا قصـد هنـاك ولا قصيد
ولا نقـد هنـاك ولا حـوار

ولا شـرف هنـاك ولا شريف
ولـكن ثـم الهـة صـغار

ابو جهـل توسـطهم وافـتى
بجهـل لا يشـق له غبـار

وصـور نفسه فى الصدر منهـا
لـه قرنـان : كـبر واغـترار

وقال : انا المـدير فصفقوا لى
فصفقت المقـاعد والجـدار !!

مزابـل يعـرف الخـنزير فيهـا
« بسـمنته » ونفس لا تغـار

وقالوا : نفحة هى مـن (ابوللو)
فهل اصل الغـراب هـو الكنار ؟!

ابوللو ما اصـابك يا ابوللو ؟
فاسـتذ نفسـه فيـك الحمار ؟!!

(···)

● ملحـوظة :

جاءتنا هذه الابيـات المنشورة اعـلاه ، بلا اسم ولا عنـوان ، فنسأل ناظمها : لماذا حجب اسمه وعنوانه ؟! وهل ظن اننا سنمتنع عن نشر كلامه ؟

آثارنا المصرية بين الهلال و « تايم » الأمريكية

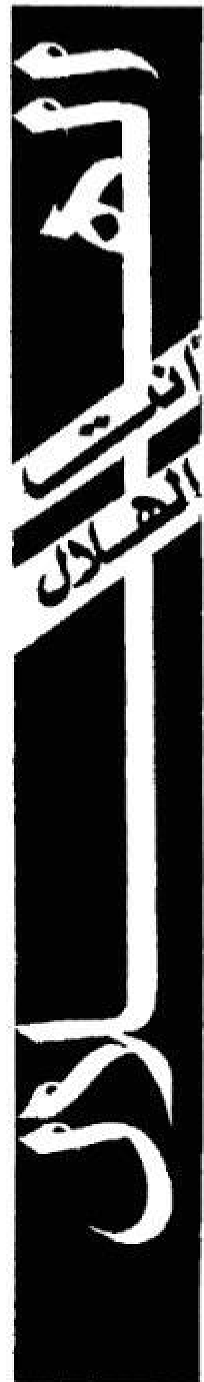
بعد أن نشرت مجلة « تايم » الأمريكية موضوعها عن أهرامات الجيزة « الزمن الصعب لأهرامات الجيزة» في ١٥ مايو الماضي، سيقوم الإعلام المصرى ويقعد تمشيا مع عقدة التغريب ! ذلك بينما مرت مرور الكرام دراسة عالم جليل هو الدكتور رشدى سعيد عن نفس الموضوع نشرتها الهلال في عدد مارس الماضي، ربما كانت هي الأعمق والأبقى وإن كانت بالتأكيد تعي الظروف المصرية على نحو أعمق.

أردت أن ألفت النظر إلى الدور الهام الذى تلعبه «الهلال» في إلقاء الضوء على القضايا الحيوية التى تشغل بالنا، وتحتاج إلى تأصيل في الدراسة والتناول.

عادل محمد منصور
ميت محمود - دقهلية







• مع الأصدقاء •

● **كريمة ثابت - أسيوط :**

- عندما كنا في مقتبل العمر مثلك كنا أكثر منك ميلا إلى الغضب والاحتداد والاعتداد بإنتاجنا من الشعر والنثر، ولهذا لم نغضب منك، ولكننا أردنا أن ننصح لك فقط، فهذا واجبنا، ونحن نرحب برسائلك دائما، ونرى أن المسافة بين أشعارك وبين صفحات الهلال باتت قريبة إن شاء الله ..

● عبد الهادى الصيفى : ـ

ـ أعجبتنا تجربتك فى نظم تفعيلات على شكل هرم ، فالسطر الاعلى أو القمة كلمة واحدة ، تحتها كلمتان ، فثلاث كلمات ، فاربع ، فخمس ، فست ، الى سبع أو ثمان أو اكثر ، حتى يتكون هرم راسخ من الكلمات فوق الورق ·· ان هذه يا عزيزى لعبة حسابية شعرية ظريفة حقا ، وربما تنتشر فى العالم كله ، مع أن العالم ملىء بالعاب فى الشعر والنثر والفن أشد من هذه غرابة ! ·

● عبد الرحيم الماسخ ـ سوهاج :

ـ قصيدتك التى عنوانها « التجربة الاولى » وتقول فيها : « كنت طفلا مع صحبه فى بلاد الشجر » لم نفهم أوزانها ولم نتبين فيها كلاما له وزن واضح الا قولك مثلا : « فللسمكات اشتهاء يناغم أحلى ليالى السمر » ·· وقصائدك تكون أحيانا واضحة الوزن ، وأحيانا مبهمة ومضطربة الاوزان !·

● السادة : أنور حافظ ·· عاطف نجم ·· فرج على ·· محمود بطوش ··

ـ المشكلة فى قصائدكم هى الاوزان ·· فلا يمكن للكلام ان يكون شعرا عربيا الا بالوزن ، سواء كان تفعيليا أو مقفى ·

● حسين علام ـ سوهاج :

ـ أنت تسمى نفسك « القصاص الكبير » وتضع هذا اللقب على راس الاقصوصة التى أرسلتها الينا ، ولكن غيرك يعطيك هذا اللقب اذا استحققته ، أما أقصوصة « المخبول » التى أرسلتها الينا ، فليست اقصوصة ، بل مجرد لقطة بسيطة ، والاغلاط النحوية واللغوية فيها كثيرة مثل قولك : ذهب المخبول لشراء « رغيفان » ولم يجد المخبول « مكان » ينام فيه ، وقد وضعتم كسرتين تحت « مكان » والصواب أن تضع فتحتين فوق الالف التى بعد النون ، أما « رغيفان » فصوابها « رغيفين » ·· فبالله عليك هل هذه معلومات « قصاص كبير » عن النحو ؟!

● عصام عبد المنعم زيان سريع ـ أبو قرقاص :

ـ نحن نحاول بقدر الامكان طبع الاصدارات القديمة من روايات الهلال وكتاب الهلال ·

● فاطمة الزهراء ـ الجزائر :

ـ معذرة فلم نستطع قراءة بقية اسمك ، كما انك تكتبين أن عمرك ٨٥ سنة (هكذا قرأناه) وتكتبين أن مهنتك طالبة ، ولم نستطع أن نقرأ الكلمة التى بعد « طالبة » ، فهل أخطأنا فى قراءة السن ؟ ·· ثم اننا لم نستطع قراءة اسم البلد والشارع ـ نرجو كتابة كل هذه الاشياء بخط واضح أو بالالة الكاتبة حتى نفهم ما تريدين ، ونرحب برسائلك دائما ··

الكلمة الأخيرة

وسط الزحام

من اخطار التضخم السكانى ايضا انه يجعل من المتعذر قيام تجمع القوى المحبة للخير بين افراد الشعب لأنها تكون مبعثرة شبه تائهة . كانت جمعية الرفق بالحيوان ذات مكانة مرموقة ايام صباى حين كنا ١٢ مليونا ، الآن ونحن خمسون لا أسمع عنها خبرا ولا ادرى هل هي موجودة ام اختفت . وهذه القوى المحبة للخير تمثل مايسمى بالرقابة الشعبية التى ترمق جوانب الغلظة والقسوة التى يتعرض لها الإنسان والحيوان اننى احلم بسفور مثل هذه القوى عندنا لتراقب مثلا ماذا يحدث فى مذابح الحيوان . هل يعامل برفق ام يتعرض لافظع انواع القسوة .

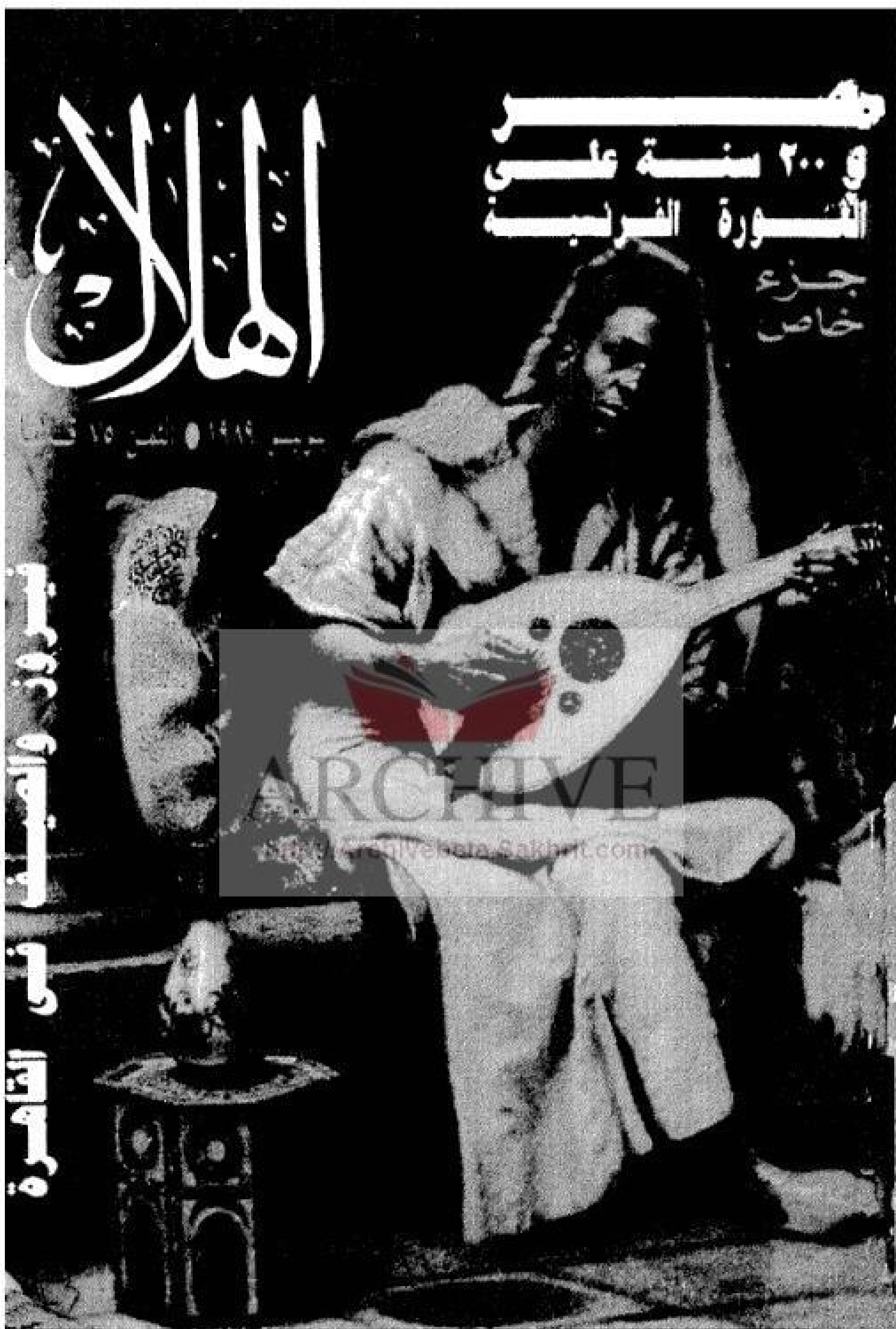
امر على دكاكين الدواجن والارانب ، فارى الدجاجة بمجرد ذبحها تلقى فى صفيحة وينتزع ريشها وهى نصف حية ، والأرنب يسلخ جلده وهو لايزال يرتعش .

تراقب هذه القوى ايضا ماذا يجرى في مستشفى الأمراض العقلية ، انه ليس بمصحة بل مقلب فيه قمامة .. اتتبع بوجل توالى حوادث القتل . داخل هذا المستشفي بين المرضى ان تراقب ماذا يحدث فى المؤسسات التى يزج فيها الصغار المنحرفون حين تقفل ابواب العنابر بدون حارس عليهم بالليل فلا نعلم ماذا يمكن ان يحدث بينهم .. بل اذهب إلى حد زيارة السجون .. حقا ان القانون يطلب من الهيئة القضائية ان يزور احد افرادها السجون ليتاكد اولا من ان كل سجين دخل فى حكم قضائى .

اقول هذا لأننى اعود بالذاكرة الى ماقبل ٦٠ عاما حين كنت اعمل معاونا للإدارة بمدينة منفلوط ، كنت يومئذ احقق فى مخالفة بسيطة ، واردت انتظار شاهد فقلت للجندى الواقف امامى خذ هذا المتهم وضعه فى الحجز ، لا ادرى ماذا حدث بعد ذلك من اننى انهمكت فى مشاكل اخرى ونسيت هذا الرجل كل النسيان . وبعد اسبوعين مررت بالصدفة بغرفة الحجز فوجدت هذا الرجل جالسا فى صبر ومسكنة لايدرى ماذا حدث له ، فانخلع قلبى من جريمتى بحبس هذا الرجل مدة اسبوعين بلا سبب .

يحيى حقى




الهلال
مصر
و ٢٠٠ سنة على
الثورة الفرنسية
جزء
خاص
١٩٨٩ • الثمن ٧٥
فيروز
في القاهرة
ARCHIVE

همسة عربية



فيروز

الهلال

مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجي زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المستشار الفني
محمد أبوطالب

مدير التحرير
عاطف مصطفى

المشرف الفني
محمود الشيخ

سكرتير التحرير التنفيذي
عيسى دياب

الغناء العربى المتقن كان ومازال توأم الشعر العربى ، وجزءاً أصيلا من مكونات وجدان الأديب العربى خاصة ، والإنسان العربى بوجه عام .. وقد اهتم "الهلال" دائما بنشر الكتابات والبحوث الجديدة عن الغناء العربى لأنها امتداد للكتابات القديمة الرائدة التى بدأها يونس بن سليمان الكاتب فى العصر الأموى ، ثم تلاه شيخ أهل الأدب جميعا ، الخليل بن أحمد فى العصر العباسى ، ثم الأديب الشاعر الموسيقار إسحاق الموصلى صاحب عشرات المؤلفات .. ثم لم ينقطع هذا النهر الجارى إلا قليلا طوال التاريخ العربى ..

وفى الأشهر القلائل الماضية قدم "الهلال" عدة قمم عربية فى الآداب والعلوم ، وهو يقدم فى هذا العدد قمة فى فن الغناء العربى المتقن المعاصر ، هى المطربة اللبنانية فيروز التى تعد أشهر المطربات العربيات وأبرزهن أثراً فى الغناء العربى بعد أم كلثوم ..

وفيروز متفردة فى صوتها وأدائها وفى أعمالها المسرحية الغنائية التى استمرت بلا انقطاع حتى صار لها أكبر رصيد من المسرحيات الغنائية فى مرحلة أوشك فيها المسرح الغنائى العربى أن يتلاشى !

وفى هذا الشهر تقيم فيروز حفلات غنائية فوق هضبة الهرم ، وفى ليالى صيف القاهرة ، وهى مناسبة طيبة يحتفى فيها الأدب والفن بهذه القمة المتميزة من قمم الغناء العربى ، توأم الشعر العربى ، والديوان الثانى ، بعد ديوان الشعر ، لوجدان الأمة العربية !..

اقرأ : فيروز .. النغم الحالم فى صيف القاهرة ص ١١٠

في هذا العدد



الغــــلاف
تصميم الفنان
محمد أبو طالب

● مصر و ٢٠٠ سنة على الثورة الفرنسية « جزء خاص » ●

فكر وثقافة

البريد العربي والافريقي والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوى . وفي سائر أنحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .
والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية . وفي الخارج بشيك مصرفي لأمر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الأسعار الموضحة بعاليه عند الطلب .

دار الهلال

١٦ شارع محمد عز العرب الرقم البريدي (١١٥١١) القاهرة تليفون : ٣٦٢٥٤٠٠ سبعة خطوط ـ مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨١ .
رقم التلكس : 92703 HILAL U.N

ثمن النسخة

سوريا ٤٠ ليرة ، لبنان ٥٥٠ ليرة ،الاردن ٥٠٠ فلس ، الكويت ٤٠٠ فلس ، العراق ٢٠٠٠ فلس ، السعودية ٥ ريالات ، عدن ١٢٥ سنتا ، البحرين ٨٠٠ فلس ، الدوحة ٦ ريالات ، دبي ٦ دراهم ، لوس انجلوس ٤٠٠ سنت ، ابو ظبي ٦ دراهم ، مسقط ٦٠٠ بيسه ، تونس ١٤٠٠ مليم ، المغرب ١٥ درهما ، غزة والضفة ٧٥ سنتا ، داكار ٦٠٠ فرنك ، لندن ١٢٥ بنسا ، ايطاليا ٢٥٠٠ ليرة ، نيويورك ٤٠٠ سنت ، اليمن الشمالية ٨ ريالات ، كندا ٥ دولارات .

يوليو ..

شهر يوليو فى مصر هو شهر « القيظ » او الحر الشديد ، ويوافق الشهر المصرى القديم « بؤونة » الذى مازال المصريون منذ خمسة آلاف سنة يضربون به المثل لشدة الحر ..

ومع أن شهور الربيع تمر فيها ايام من « الخماسين » اشد قيظا من ايام يوليو ، لكن يوليو ذهب بالشهرة العريضة فى هذا المضمار ، حتى زعم أحد الشعراء ان سكان مصر او القاهرة يموتون من حرارة يوليو نهارا ، ولا يعودون إلى الحياة إلا فى الليل عندما تهب عليهم الأنسام الرطبة من النيل .. قال :

أيها السائلون عنا بمصر
كيف نُضحِى بها وكيف نبيتُ
نحن فى هذه المدينة .. نحيا
حين نُمْسِى ، وفى النهار نموتُ

ولكن يوليو الذى زعم الشاعر ان الناس يموتون فيه نهارا ، ولايعودون إلى الحياة إلا مع هبوب انسام الليل .. يوليو الذى زعموه هكذا ، يكاد يكون احفل شهور السنة فى مصر وفى العالم بالأحداث التاريخية الجسام التى تتطلب اعظم قدر من الحركة والنشاط تحت وهج الشمس طوال ساعات النهار !

فى يوليو الحالى تمر سبع وثلاثون سنة على ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ والملك فاروق يصطاف فى الاسكندرية ، وظنها بعض الناس سحابة صيف لاتلبث ان تنقشع ، ولكن سحابة الصيف هذه بقيت فى سمائنا تمطر بلا انقطاع ، حتى غيرت وجه مصر والبلاد العربية ، وتركت أعمق الأثر فى إفريقيا وأمريكا اللاتينية والعالم الثالث كله .

لقد واجهت ثورة يوليو انتكاسات وهزائم كثيرة وكبيرة ، وتعاورتها الاختلافات ، وتكاثرت عليها الاختلاقات ، واصابها الانحراف فى الفهم والتطبيق ، وأحاط بها الأعداء فى ثياب الأصدقاء ، والأصدقاء الذين هم شر عليها من الأعداء ، ولكن هذه الثورة التى انطلقت منذ سبعة وثلاثين عاما فى عز حر « بؤونة » احتفظت بحرارتها الدالة على حياتها ، وصارت

ثورات الحرية فى شهر الحر !

دليل عمل للأمة العربية لايسهل على أحد أن يتجاهله أو يطمس معالمه ..

وفى يوليو الحالى أيضا يحتفل ممثلو العالم كله بمرور مائتى سنة على ثورة ١٤ يوليو الفرنسية الكبرى التى اندلعت فى باريس سنة ١٧٨٩ فقلبت أوربا الاقطاعية المتشبثة ببقايا القرون الوسطى ، إلى أوربا المتحررة التى قادت العالم إلى الحضارة المعاصرة ..

إن ثورة باريس الكبرى سنة ١٧٨٩ قام بها العمال الجياع والمواطنون الفقراء ، وفاز بثمراتها البورجوازيون والمغامرون والفاتكون من جميع الفئات ! .. وعلى انقاض شعارها العظيم : « الحرية والاخاء والمساواة » قامت دولة نابليون بونابرت العسكرية العدوانية الاستعمارية التى كان من بواكير أعمالها غزو مصر سنة ١٧٩٨ ثم انساحت جيوشها فى أوربا كلها حتى انهزم بونابرت وعاد النظام القديم المتعفن ، نظام ملوك البوربون ، ولكن روح الثورة لم تخمد ، فبعد أن تخلصت من بونابرت طردت البوربون وحطمت من جاء بعدهم من الملوك ، ثم نهضت بعد سقوط نابليون الثالث سنة ١٨٧١ فاشعلت ثورة « كوموتة باريس » الشعبية التى هزمها رجعيو أوربا وأبادوها ، ولكنها اقامت النظام الجمهورى من جديد ، وفتحت عصر الثورات الشعبية فى أوربا وفى العالم العربى وفى العالم كله ..

وهكذا لبثت ثورة باريس الكبرى سنة ١٧٨٩ تعمل عملها طوال مائتى سنة استقرت خلالها مبادىء الديمقراطية والحرية والمساواة ، وصارت ، ولو نظريا ، هى مبادىء عصرنا ..

إن يوليو هو شهر الحرارة اللافحة ، ولكنه أيضا شهر حرارة القلوب الثائرة .. وحسبه مجداً وفخراً أنه شهر الثورة الفرنسية الكبرى ، ثورة الحرية والاخاء والمساواة التى يحتفل العالم الآن بمرور مائتى عام عليها ..

أما نحن المصريين والعرب ، فلا ننسى أن نقول : إنه أيضا شهر ثورة ٢٣ يوليو ، بكل ماحملته إلينا هذه الثورة من آمال وآلام ! ..

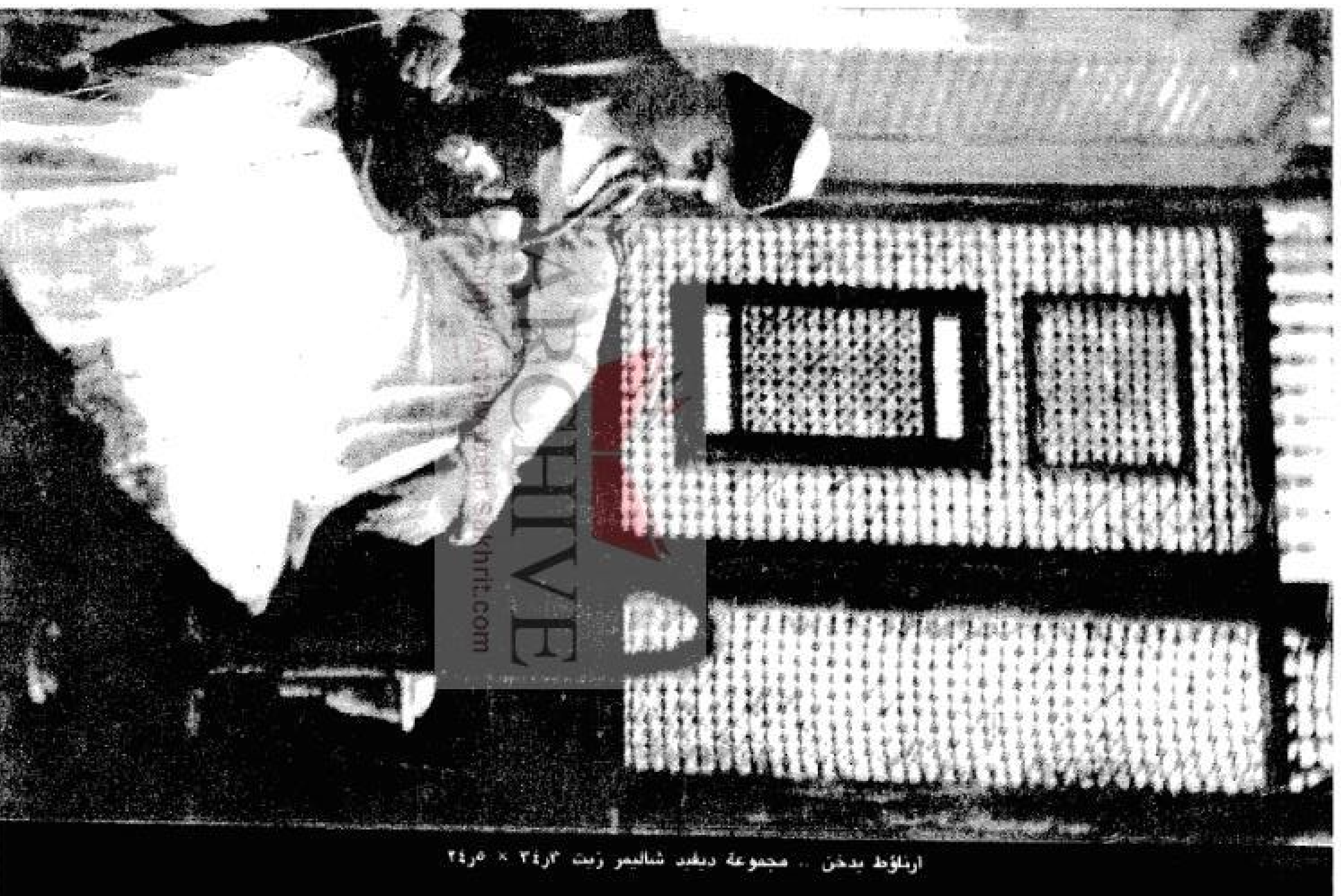
« المحــرر »





من رؤى استشراقية

بقلم: ماجدة الجندي



ارناؤط يدخن .. مجموعة ديفيد شالمر زيت ٣٤٫٣ × ٢٤٫٥

شذرات من رؤى استشراقية

لماذا الرحيل إلى الشرق .. .

في القرن التاسع عشر كان الشرق بمثابة الحلم بالنسبة لمجتمع الصفوة الأوربية .. كان هو ما يرضى الحنين الأوربى للخيال أحيانا وللحرية أحيانا أخرى .. كان الشرق للبعض يعنى عودة إلى نبع استندت إليه أوروبا حتى ولو لم تعترف أحيانا .. إنه كما قال فيكتور هيجو فى مقدمة شرقياته "الشرق "كلوحة" "وفكرة" و"خيال" "صار هما" لكل الصفوة الذكية .. إنه "الشاطىء الآخر" للسفر .." .

او كما لخص شعراء اخرون "كل هذه الغارة [يقصدون أوربا] تستند إلى الشرق" .

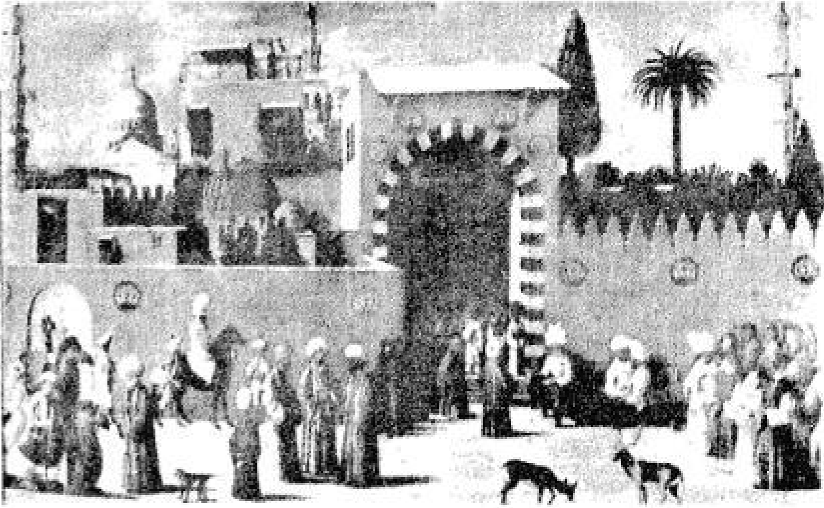
بدا الشرق للرومانتيكيين من الشعراء والفنانين الأوربيين "وطنا للعواطف الجياشة" وكما أن هناك مكتشفين اوائل لأى ارض جديدة .. كان هناك رواد أوائل للشرق الفنان .. المتوهج .. الغامض والسخى فى نفس الوقت .. اثارت رحلات هؤلاء الرواد او بمعنى آخر مغامراتهم مخيلة القراء .. انبتت رغبة عارمة لا تقاوم لفك أسرار الشرق عامة وشرق المتوسط خاصة ولم يكن وقتها قد باح باغلب مكنون روحه العامرة ..

هناك أربعة أسماء لشعراء تدين لهم الموجة الاستشراقية الفنانة بفضل "فض غلالة الاكتشاف" وهؤلاء الأربعة بيرون .. شاتو بريان - فيكتور هيجو - هنرى هين .

هناك سمة فريدة لما كتبه هؤلاء الأربعة هى قدرة كل شطر شعرى او جملة نثرية خطها احدهم على التعبير ليس عن الشرق كما هو بل عن شرق الفنانين عبر اللوحات والرسوم .. كانت كلماتهم هى مصدر الوحى لريشات فنانة انفعلت بالشرق وشكلت ما يمكن تسميته بالحركة الاستشراقية فى الفن التشكيلى فى القرن التاسع عشر .. وعلى رأسها المثلث الفنان دولاكروا - وفرومونتان وشاسريو .

● رؤى فنية

عشاق الشرق الفنانون أتوا من كل أوربا .. من انجلترا .. فرنسا سويسرا .. ايطاليا .. المانيا وحتى استراليا لكن تظل "فرنسا" هى صاحبة الرصيد الاكبر من الرؤى الفنية والفكرية الاستشراقية كان الانجليز يتسمون بالإقامة مدة طويلة



استقبال سفير فينيسيا فى القاهرة فيلليني زيت ٢٠٣ × ١١٨ متحف اللوفر

فى البلد الشرقى الذى يحطون اليه .. يغوصون فى حياة أهله .. يلبسون أرديتهم ويأكلون من طعامهم لكن الألمان الآتين إلى الشرق اختاروا "مروق السواح" كملمح لعبورهم فى المشرق بينما بدا الايطاليون ميالين للانتشار فى اكبر مساحة لأقل وقت اما الفرنسى فكان بشكل عام سواء أكان فنانا أو شاعرا أو مفكرا - اقرب إلى السفير غير العادى للابداع ممثلا له .. وباحثا عنه ..

★★★

كانت البداية نزعة رومانتيكية دفعت بعديد من السفراء والكتاب إلى الترحال بحثا عن زاد جديد للخيال .. لكن اعترافاً أوليا قد لا يفاجئنا كثيرا لابد من أن نورده فى البداية وهو ان أى تحفظ رسمى للحكومات الغربية إزاء فكرة رحيل البعض إلى الشرق اذا كان هذا الرحيل نحو بلدان "لها اهميتها الاستراتيجية والاقتصادية" ففى هذه الحالة بالذات كانت حكومات الغرب تشجع أو تستثمر بمعنى آخر نزعات الفنانين والكتاب الرومانتيكيين فتدفع بهم إلى ارض أحلامهم .. وأحلامها هى ايضا !

وربما يخفف هذا من المفاجأة حين نلمح على خارطة الاستشراق أسماء ليست لمجرد فنانين او كتاب بل اسماء عسكريين ومهندسين ورجال دين وأيضا مجرد مغامرين .

● ماذا أعطاهم الشرق ؟

إذا كان الرحيل إلى الشرق بدا بمجرد رغبة اكتشاف الغامض والمثير .. أو بحثا عن نوع آخر من الارتواء فإن فنانى أوربا استخلصوا منه زادا "متنوعا" .. فى البداية ألهب الحماس وأيقظته كلمات وأشعار غزلت شرقاً غامضا وكان لهذه الكلمات "قوة




اعة الصلاة بالمسجد الأزرق
لقاهرة زيت ٧٥٫٧ × ٧٣٫٦
١٨٧ صاحبها ولتر شارل هورسلي

شذرات من رؤى استشراقية

الرؤيا" لكن بعد ذلك تنوعت الأهداف التى أغرت الفنانين الغربيين بالإبداع فعكست لوحاتهم موضوعات عديدة أبرزها "الصحراء .. الحرب .. حياة الحريم .. السلطان" العنف ـ العمارة الاسلامية وخاصة مساجدها . الآثار .. ومع كل ذلك كانت النظرة الحسية الباحثة عن لون من المتع له نفس الصفة ! وفى هذا السياق قد يتردد اسم الشاعر "بيرون" الذى كان له الأثر الأعمق .. لقد بدأ شرق بيرون من اسبانيا التى زارها سنة ١٨٠٦ وبعدها زار اليونان ثم القسطنطينية وغيرها من بلاد الشرق وكان شرق بيرون حسيا لحد غير مفهوم .. وحشيا .. كان باختصار شرقاً "غربياً" .

فى سنة ١٨٢٢ نقلت أشعار بيرون فى ترجمة متواضعة إلى الفرنسية لتقلب الموازين ليس فى عالم الشعراء وحدهم بل أيضا عالم الرسامين بالذات الشباب منهم الذين هجروا الموديلات الباردة والأفكار الكلاسيكية إلى وجوه الجنود الأتراك والسلاطين .. ولم تكن كلمات بيرون وحده هى التى غيرت مصادر إلهام عالم اللون والريشة ولكن نلمح أصداء الشرق فى كلمات كوليردج وتوماس مور وشكسبير أيضا وفى مكانة خاصة وسط هؤلاء تحتل كلمات ادوارد لين مكانة لا ينازعه فيها أحد ..

فى رءوس معظم من اتجهوا إلى الشرق كانت الأراضى المقدسة أو القدس أحد الأهداف الرئيسية .. يتلوها مباشرة القاهرة خاصة لأصحاب الحلم والراغبين فى الخيال ..

كان كتاب "وصف مصر" الذى قدمته الحملة الفرنسية مسئولا عن بعث موجة حب استطلاع نحو الشرق عامة ويكفى ان نذكر اعتراف فيكتور هيجو نفسه فى كتابه "الشرقيات" او اغنياته الشرقية .

فى سنة ١٨٢٢ سار الشاعر الفرنسى الدقيق الرقيق على هدى شاتوبريان مصطحبا زوجته وابنته إلى القدس وكتب عن هذه التجربة قائلا "عبر كل حياتى كان الشرق هو حلمى الذى يبدد ظلمات العيش فى موطن راسى .

كان شرق لامرتين ارستقراطيا قريبا من عالم صاحب الريشة شاسريو .. وعلى عكسه كانت رحلة جيرار دى ترفال الذى كان فى تجواله بالقاهرة عام ١٨٤٩ يبدو وكأنه واحد من أبنائها .. وفى القسطنطينية وسوريا كان بسيطاً متواضعا وللوحاته ميزة الدقة فى التقاط العناصر الواقعية مع مسحة من "الفانتازيا" .

تيوفيل جوبتيه تعددت رحلاته نحو الشرق .. للجزائر ثم موفدا من لويس فيليب إلى تركيا وصاحب أخيراً

الامبـراطورة أوجينى فى رحلتهـا الشهيرة لمصر ولما زار أسبانيا شده اندلسها لدرجة غرزت فيه حنينا دائما للعالم الإسلامى .

زار الروائى الكسندر ديمـاس الشرق وله كتاب "خمسة عشر يوما فى سيناء" .. أما جوستاف فلوبير فله جولة شرقية طويلة استمرت من عام ١٨٤٩ إلى ١٨٥٢ واكثر ما اشتهرت به هذه الجولة "مسحة من الحزن غلفها إنه يقول بأحرف ولدتها جولته الشرقية .

"هنـاك الضـوء .. يـغمـر المساحات .. يفصل الأشياء أحيانا .. يتغلغل فيها" ..

لقد عاد فلوبير من الشرق أميل إلى الحزن والوحدة وكانت بصمات هذا المكفوف على كتابه "تأملات سانت انطوان" تموج بالاضطراب والتوهج وخليط غريب من المشاعر كان له نكهته فى أعمال الرمزيين فى الادب والفن .

ونستطيع أن نرصد نفس النغمة الحزينة عند الكاتب فرومونتان فى كتابين "صيف فى الصحراء" الذى ظهر عام ١٨٥٧ و "سنة بالساحل" الذى ظهر عام ١٨٥٩ .

هذان العملان يمثلان كلاسيكيات استشراق الفن .

الروائى الفرنسى "بييرلولتى بدأت معه موجة أخرى من الكلام عن الشرق ملخصها أن شرق الشعراء الفنانين غير موجود الا فى مخيلتهم وأن الاستشراق فى الفن فى خدمه نزعه استعمارية متخفية فى عباءة الفن ..

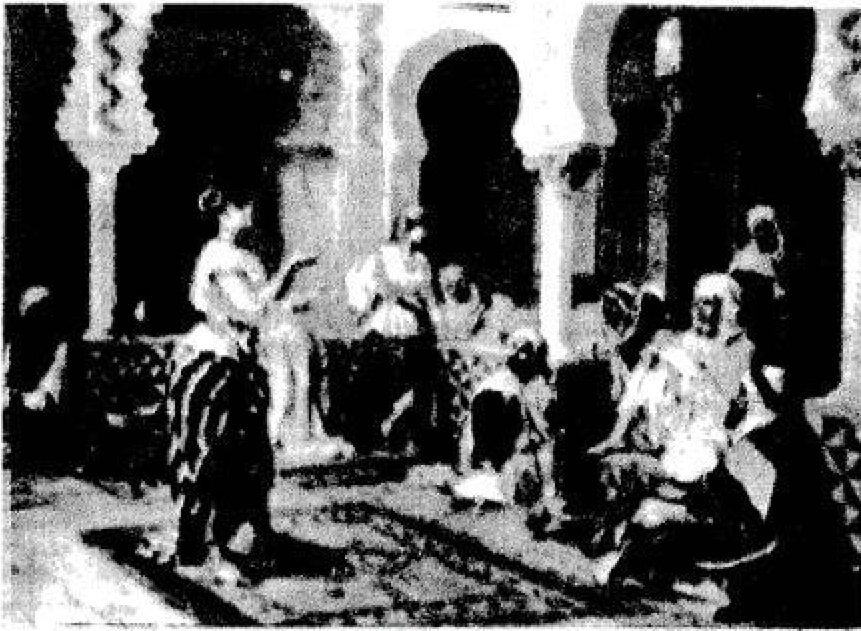
ولقد كان لهذا المعنى أرهاصات بدأت مع تاريخ فتح قناة السويس حين طغت أحلام الغزو والتجارة وتآكلت تحتها نوازع الفن !

● نظرة خاصة على مصر

من بين كل البلاد الشرقية التى شدت "القدم الأوربية" كان لمصر مكانة أو "معزة" خاصة فى وجدان المسافر الأوربى ووراء ذلك كانت تكمن أسباب لعل أبرزها ثلاثة يمكن القطع بها فى وضوح وهى أولا "مناخها" الأقرب إلى الاعتدال .. الرحيم بلا تطرف فى حره أو برده ثم "أصولها الفرعونية" .. المتفردة .. الغامضة والتى أشعلت مخيلة الغرب حتى قبل الوقوف على فك أسوارها ..

ثم ثالثا "شعبها "المضياف" فرحابة صدر هذا الشعب .. ووده حتى إزاء القادم الغريب صارت اقرب إلى "السمعة" أو الصيت" الذى يرجح كفة الزيارة لمصر التى قيـل انها كـانت اكثر "البـلاد المسلمة" فى الشرق التى تستقبل الزائر "بقلب مفتوح" .

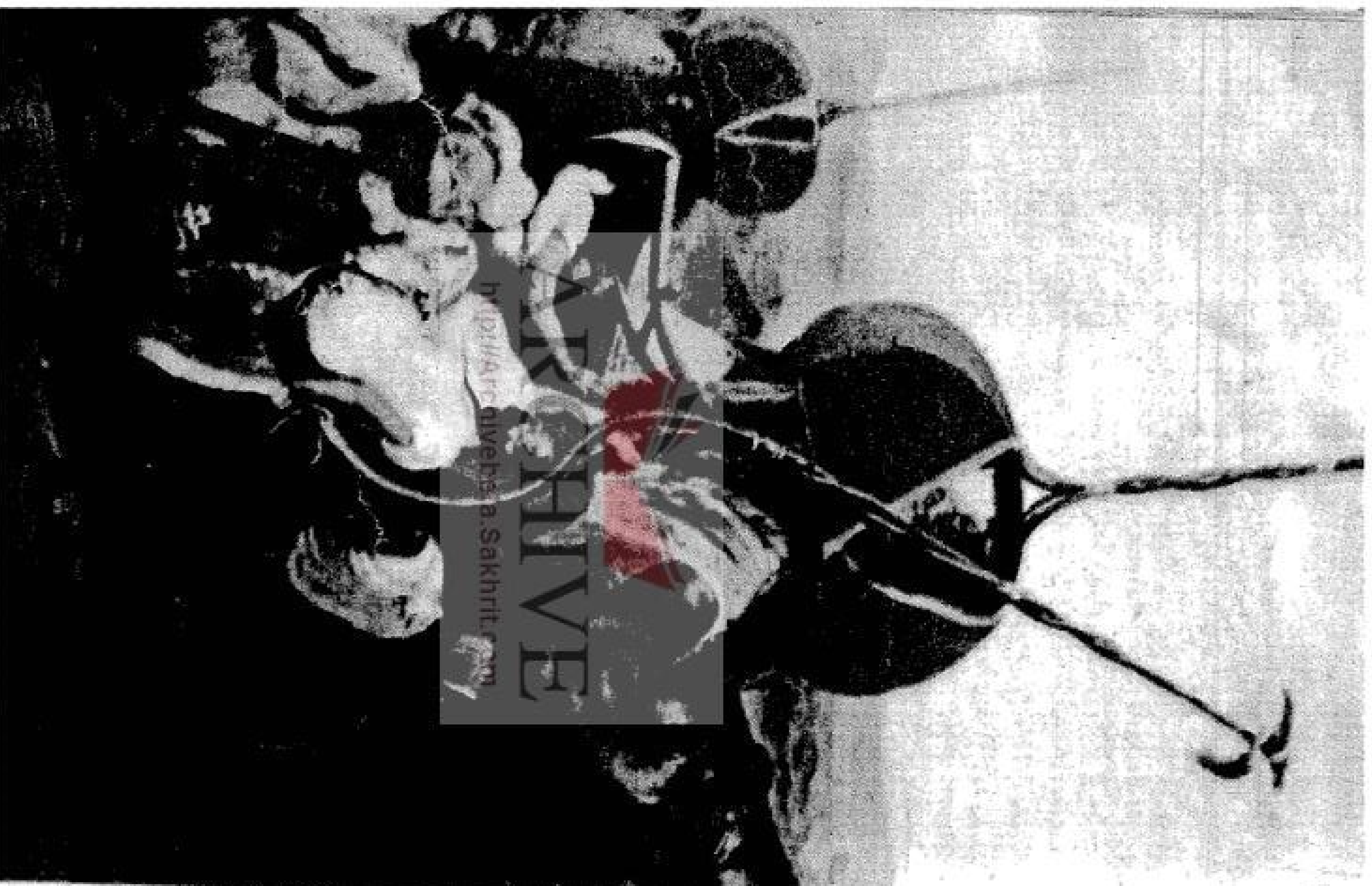
منذ ١٨٤٠ امتازت القاهرة بوجود عدة فنادق أتاحت فرصة "المأوى المريح" لزائرها وكان مركز هذه الفنادق منطقة الأزبكية وهاهو أحد "الاعلانات" المنشـور فى دورية فرنسية قرب التاريخ السابق يرسم لنا



استرخاء

نساء الجزائر أشهر لوحات يوجين ديلاكروا
زيت ١٨٠ × ٢٢٩ اللوفر بباريس ١٨٣٤





اسر فى معركة لعبدالقادر الجزائرى للرسام هوراس فيرنيه زيت ١٣٥ × ٨٨ من مجموعة نجيب عبد الله متحف فرساى ١٨٤٥

شذرات من رؤى استشراقية

صورة "للمكان المريح" الذى يسعى لإغراء الرحالة القادم .. يقول الإعلان : بالقاهرة ـ مصر ـ "الفندق الملكى الكبير" .. الفندق الفرنسى الوحيد بالقاهرة الذى يتمتع بامكانيات الدرجة الأولى بوليفار "الأزبكية" ..

وتحت صورة منشورة "للفندق الملكى الكبير" بالقاهرة عدة أسطر للإغراء .

"فندق معد خصيصا" للمسافرين إلى مصر (أو الراغبين فى زيارتها) .. موقع خاص فى قلب أجمل أحياء القاهرة ـ قريب من مكاتب البوستة والتلغراف والمسارح ومحطة القطارات ..

صالونات للقراءة .. للأسرة .. للاستقبال .. صالات مخصصة للسيدات وأخرى خاصة بالمدخنين .. أجنحة كبيرة وصغيرة حدائق داخلية جميلة .. حمامات .. دوش داخل الفندق جرائد فرنسية وانجليزية وموظفون يتكلمون أيضا الفرنسية والانجليزية .. عربات خاصة بالفندق منه للقطار كل صباح وأخيراً هو "أقل الفنادق تكلفة" .

وطبعا بعد كل هذا الكم من المغريات لم يفت مالك الفندق التوقيع باسمه Ramonol · y

● عيون فنانة

كانت لمصر بالنسبة للرحالة أيضا "خصوبة" ذات "نكهة" .. أو "خصوصية" فقد كانت قادرة على أن تعطى لكل ذوقه الخاص الذى يبحث عنه أو الذى يرضيه .. لم تكن هناك "مصر واحدة" يسعى اليها القادمون من الغرب .. بل استطاعتنا التمييز بين ثلاثة مناطق جغرافيا ـ داخل مصر الواحدة ـ كان لكل منها مريدوها وعشاقها هناك "القاهرة" واحة غنية للعين الفنانة ومرتعاً لا ينضب لأصحاب "الريشة" وعشاق اللوحة .. ثم مصر العليا أو الصعيد بنيله وانبساطاته ونخيله ، والصحراء للمتأملين والمفكرين وأصحاب المزاج الهادىء .. ووفق هذا المنظور الجغرافى تحتفظ لمنطقة السويس وما حولها بحقها فى كونها كانت الهدف الأول لفئة الرحالة العلميين .. والجغرافيين والصينيين والفضل فى ذلك أولاً "لقناتها" أو قناتنا الشهيرة .

العيون الفنانة رأت فى القاهرة مزيجاً وصفه أحدهم أخيرا بالمزيج من (النيويوركية) نسبة الى نيويورك الحالية والمراكشية فرغم القذارة أحيانا أو الفوضى التى حرص ابن الغرب القادم للقاهرة على الإشارة لها ثم التأكيد عليها فأنه هو نفسه لم ينكر أن القاهرة منحته ساعات رائعة المتعة .. رائعة الجمال .. وسطور جوستاف فلوبير ترشدنا حين كتب عبر

"العين الفنانة" المطلة على قاهرة المعز أو من فوق قلعتها :

"من هنا .. تبدو القاهرة أسفل نظرى .. على اليمين الصحراء .. وخطوات الجمال تنساب فوقها وظلها يؤنس مرافقيها .. فى المواجهة المروج والنيل والأهرامات .

النيل مرصع بالأشرعة البيضاء .. كل شراعين متعانقان كأنهما طائر "السنونو" محلقاً بجناحين غير محدودين .

السماء خالصة الزرقة تجوبها الصقور . والضوء يغمر المكان والأشياء .. يتغلغل فيها ..

زاوية اخرى مغايرة "للجمال القاهرى" فى عين القادم الغريب عنها يقدمها لنا "Fromentin" فرومونتان عام ١٨٦٩ عقب زيارته لمقابر الخلفاء . كتب :

"هذه الآثار الصامتة .. البيداء .. المذهبة اكثر من رمال الصحراء .. الداكنة حين تنفرج عنها أشعة الشمس .. المغمورة فى الوضوح عندما تصب فوقها خيوط النور ..

هذه القطع الرائعة ذات المذاق الصافى باسوارها ذات الخطوط الحمراء وقبابها المرصعة .. ومآذنها المفتوحة تخترق السماء .. هذه كلها قد تكون أجمل شواهد على العبقرية العربية فى ذروة زهوتها" .

نفس هذه الخلجات مترجمة إلى



المصرية الفلاحة للفنان شارل إميل هيبوليت زيت ٦٠ × ٤٢

خطوط لوحات قدمها الاسكتلندى Roberts روبرتس فى طلته التى سبقت فرومونتان بعشرين عاما واثمرت عدة البومات (حوالى ستة) تحولت خلالها العمارة الاسلامية باحجارها ونقوشها إلى شيء أقرب إلى نسيج الدانتيل

أما الشوارع .. شوارع القاهرة التى ملكت كما قال أحدهم "مسحة البكارة الأولى" بمشربياتها .. وعرباتها .. ووقع اقدام الدواب فوق

طرقاتها فقد تحولت أسواقها .. ومشاوير البشر فيها .. وأصوات البائعين إلى "ملهم" لخطوط مبكرة عند هنرى واليس وجون فرلي ـ وهذا الأخير هو ابن لواحد من أشهر رسامي المائيات واكثرهم رومانتيكية ـ عرض زيتياته في آخريات القرن الماضي بالأكاديمية الملكية وكان محور هذه الزيتيات شوارع القاهرة النابضة بالحياة وصفحة البحر السكندري المزروع بالأشرعة .

ومادمنا نذكر أسماء فلا يمكن أن نغفل عيون الانجليزى چون فردريك لويس الذى زار القاهرة فيما بين ١٨٤٢ ـ ١٨٥١ والذى حقق نجاحا عظيما في صالون مائيات عام ١٨٥٠ بلوحة عن الحريم . "لويس" قالوا عن أعماله القاهرية أنه بالامكان تحسس ملمس نسيج الحرير ونعومته وأنت تلقى بعينك على لوحاته .. بل إنه لو ضمن رسما له أحد السيوف لكان "الصليل" خلفية

احد ثمرات الاستشراق الفنية



مستمرة للمتلقى مادام يمعن النظر بلوحة لويس .

شوارع القاهرة ايضا اوحت إلى الاسترالى المستشرق "ليوبولد كارل موللر" الذى كان مغرما بالحياة الشعبية فى القاهرة بالذات وامضى عدة سنوات . يغوص فيها حتى خرج بدرة اعماله عن "اسواق القاهرة او التى وضع لها عنوان "الاسواق على ابواب القاهرة" .. وكان لها فضل احتلاله مكانة مرموقة بل حولته إلى موضع ثقة من رسامين زملاء له شدهم باعماله للقاهرة مثل (لنبتش وماكارات .

رصدت العين الفنانة للاوربى عناصر اخرى باللوحة القاهرية منها جموع البشر .. الدراويش .. الأعياد .. مواكب المحمل برع فيها ماكومسكى ١٨٧٦ ودوتش ١٩٠٩ .

بروسبير ماريلهات والذى امضى بالقاهرة عدة شهور من ١٨٣٠ دان فى اعماله للقاهرة بدين خاص فهى التى مدته بدفقة شعورية اضفت على رسومه صفاء شديدا دفع تيوفيل جونييه لإعلان اعجابه الشديد به وإلى حد القول [يكفى تامل واحدة من لوحاته كى تتمنى العيش فى الشرق] .

وعلى حدود القاهرة او عندها كانت تبدا الصحراء .. صحراء مميزة بابى الهول إذن فهى لا تشبه اى صحراء شرقية اخرى .

فرومونتان مرة اخرى بدون خصوصية النظرة لحدود أرض الوادي وتماسها مع الصحراء القريبة .. ["الصحراء" . الفضاء الواسع .. الأرض الطينية .. الرمادية الغامقة .. المراكب الشراعية على طول النظر .. النيل اللانهائي .. الهادىء . مرآة حقيقية . زرقة السماء الحانية .. الفلاحون باثواب رمادية او زرقاء] ملحوظة ساقها نفس الكاتب عن الفلاح المصرى اجدنى اشير إليها فلعلها كانت مفتاحا لأحد زوايا الصورة .. (الفلاح كان اقرب رمز الى النمط الفرعونية فى الحياة ..)

و "فودواركلير" كان احد الأسماء التى احتل الفلاح شاشة رؤيتها الفنية . فودوار زار مصر حول عام ١٨٣٦ صعد بخطواته نحو جنوب مصر .. الصعيد (باحثا عن الجنة المفقودة) رسم النوبة والتقط من الصعيد بطله او ربما مجرد فكرة (الله اعلم) لواحدة من اشهر لوحاته المعنونة (حذر مصرية) حيث رسم شابة تستحم فى النيل وتضع يديها على عينيها عندما فاجاها فارس ممتط جواده تاركه جسمها مكشوفا .

كلير له عديد من المائيات عن معابد دندرة والكرنك لكن الأهم ان له تاملاته عن "الفلاح" وتعد مذكراته من ادق ادبيات الرحالة فى وثائقيتها او فى نفاذ رصدها .. فى ورقة تقرا عن واحدة من اغرب

شذرات من رؤى استشراقية

المصاعب التي كان يلقاها رحالة أو مستشرق قادم لمصر .. يقول [لا اعرف إلى أين اذهب "لاتجنب الرسامين .. حولي على الأقل دستة منهم .. مليئون بالموهبة لكنهم يحيطونني !! يسرقون قاهرتي !" .

هل هي غيرة فنية تسعى للإستئثار بالرؤية ؟

المهم .. في ورقة أخرى كتب عن محمد على "ليس هناك مايثير القلق من ناحيته .. عجوز صغير .. عيونه حية .. لفتاته .. له انف مشربة بالحمرة .. لحية بيضاء وسيمة .. معتنى بها .. ثيابه من ابسط الثياب عمة بيضاء .. رداء رمادى" .

من معبد ابيدوس استمد إلهام اشهر لوحاته الكلاسيكية والتي جعل لها عنوان "الأحلام المفقودة" .. وفي ٦ يولية ١٨٣٥ زار ابو سمبل فكتب قبل أن يرسم "اي سلام .. اي صمت .. النهر العريق يجرى بجلال عظيم .

النخيل المهتز في وقار .. المعبد في رحم الجبل له "هالة" لا اعرف كيف احددها" .

دولاكروا .. شاسريو .

فرومونتان مثلث الريادة في فك سحر الشرق .

من فرنسا خرجت اشهر لوحات الاستشراق .. قدمها أولا دولاكروا في لوحة جمعت بين رائحة الموت والتاريخ لكنها افتقدت الشرق الاصيل مما دفعه للسفر عام ١٨٣٢ إلى المغرب ومن هناك كتب "إنهم أقرب إلى الصينية الف مرة .. في ملابسهم .. في اشكال حياتهم .. وحتى في اخذيتهم" وعند العودة توقف دولاكروا في الجزائر يستوحى اشهر لوحاته بل اشهر لوحات الغربيين عن الشرق وهى لوحة "نساء الجزائر" .

لقد احب دولاكروا الشرق في رحلته لدرجة انه قال بعد عودته لباريس "إن باريس تزعجني .. الناس الاشياء تبدو لى في ضوء نهار مختلف" .

اما شاسريو ثاني أضلاع المثلث في استلهام الشرق والوله به عند فقالة العرب فقد منحه حبا يكفي أن يحب به الشرق كله (كما قال) بدأ من عشق الخيل العربية وحتى رؤية سماء الشرق التي قال عنها "حتى ازرق سماء الشرق مشتعل" .

اما "فرومونتان" آخر الأضلاع فقد قالت جورج صاند عن أعماله .. "انها تأسرني .." .

وبهذا المثلث الغربي اخذ الشرق لب الغرب الباحث عن مذاق الحلم وعبق الشرق .



تحتفل فرنسا بمرور مائتى عام على قيام الثورة الفرنسية .

وقد دُعى الرئيس حسنى مبارك للاشتراك فى هذه الاحتفالات التى تقام فى ١٤ يوليو الحالى .

وتقدم « الهلال » بهذه المناسبة جزءا خاصا عن فكر وتأثيرات الثورة الفرنسية على مصر والشرق .

الثورة الفرنسية ... ثورة

لماركس كلمة مشهورة ، كثيراً ما اتذكرها ، مؤداها انه كما ان حكمك على شخص ما يجب الا يكون مبنيا على ما يقوله هذا الشخص عن نفسه فإن حكمنا على عصر ما يجب الا يكون اساسه ما يطلقه هذا العصر على نفسه من اوصاف . وقد طبق ماركس هذا المبدأ على الكثير من عصور واحداث التاريخ من بينها الثورة الفرنسية فذهب ماركس الى انه بينما صوّر اصحاب الثورة الفرنسية الهدف من ثورتهم على انه تحرير الناس جميعا من مختلف صور القهر والاستعباد فإنها في الحقيقة لم تكن تستهدف الا تحرير البورجوازية من سيطرة الاقطاع . فالثورة الفرنسية في نظر ماركس لم تكن الا ثورة الراسمالية الصاعدة لانتزاع حقوقها السياسية من الاقطاعيين الآخذين في الأفول .

● قال ماركس هذا بعد الثورة الفرنسية بنحو نصف قرن ، وكان ماركس قد شهد الثورة الصناعية في بريطانيا وبدايتها في فرنسا والمانيا ورأى ان الذى جنى ثمرات الثورة الفرنسية لم يكن الا الرأسمالية الصناعية التى استمرت رغم كل شعارات الثورة الفرنسية عن الحرية والاخاء والمساواة تخضع الطبقات العاملة لأقسى انواع الاستغلال

ثم مضى مايقرب من ١٥٠ عاما اخرى على إصدار ماركس لهذا الحكم على الثورة الفرنسية ، شهد العالم خلالها من الاحداث والتطورات ما من شأنه ان يلقى ضوءا جديدا على الثورة لم يكن ماركس في وضع يسمح له برؤيته . إن هذا الضوء الجديد ليس من شأنه أن يكذّب الرؤية الماركسية ولكنه قد يوضح جوانب لهذه الثورة اكبر مغزى بالنسبة لفرد يعيش قرب نهاية القرن العشرين ، مما كانت لفرد عاش وكتب في منتصف القرن الماضى .

لم تكتمل!

مصر و٢٠٠ سنة على الثورة الفرنسية



بقلم : د. جلال أمين

● الثورة الفرنسية والثورة الصناعية

لقد اقترن قيام الثورة الفرنسية فى ١٧٨٩ بالبدايات الاولى للثورة الصناعية فى اوروبا . وكان قيام الثورة الصناعية يعنى ، من بين ما يعنيه ، بداية مايسمى بنظام الانتاج الكبير الذى سمح ، عن طريق تخفيضه لنفقات الانتاج ، بتلبية حاجات شرائح واسعة ومتزايدة الاتساع من المستهلكين بعد ان كانت الصناعة لا تلبى فى الاساس الا حاجات اقلية مترفة يسمح لها دخلها بتحمل نفقات الانتاج العالية ان الثورة الصناعية قد دشنت حقا صعود طبقة الرأسمالية الصناعية ، اقتصاديا وسياسيا ، وكانت مبادىء الثورة الفرنسية هى التعبير السياسى عن هذا الصعود ، كما كانت مبادىء الاقتصاديين الكلاسيكيين ، فى نفس الفترة التعبير الاقتصادى النظرى عنه . وهذا هو ما تعلمناه من ماركس ولكن الثورة الصناعية دشنت فى نفس الوقت صعود مايمكن ان نسميه بالرجل العادى او المتوسط ، الذى تمكن بفضل الآلة الحديثة من استهلاك ما لم يكن يحلم من قبل باستهلاكه لم تكن الثورة الصناعية فى خدمة الرجل العادى فى البداية، ولكنها دشنت عصر هذا الرجل ومع مطلع القرن العشرين اصبح هذا الرجل العادى هو السيد الحقيقى الذى تدور الآلة لخدمته .



الكسيس توكفيل



ماركس

لقد كان من الطبيعى لمن يراقب ما يحدث من تطورات فى منتصف القرن الماضى ، أن يكون اكثر مايلفت نظره هو واقعة استغلال الرأسمالى للعمال ، فقد كانت اكثر الظواهر للنظر لفتا بالفعل ذهاب ثمرات الثورة الصناعية

الثورة الفرنسية ثورة لم تكتمل !

لفئة قليلة فى الوقت الذى يتحمل العمال اعباءها .

ولكن هذه لم تكن الا الثمرات الأولى للثورة الصناعية فمع مرور الوقت اتسع نطاق المستفيدين من النظام الصناعى الجديد حتى شمل العمال ايضا وظهر مع الوقت ان الوظيفة الحقيقية للثورة الصناعية لم تكن فى اثراء البعض على حساب الغالبية بل هى رفع مستوى المعيشة للجميع .

اقترن هذا الصعود التدريجى بالمستوى الاقتصادى للرجل العادى بصعوده سياسيا ايضا ، اذ اقترن ارتفاع مستوى المعيشة وانتشاره الى الشرائح الاجتماعية الدنيا ، باتساع نطاق المشاركة السياسية للجماهير وحصول الجميع على حق الانتخاب والترشيح ، واتساع فرص التعبير عن الرأى للرجل العادى فإذا بمبادىء الثورة الفرنسية التى لم يجن ثمراتها فى البداية الا شرائح البورجوازية ، تصل بالفعل مع مرور الزمن الى طبقات العمال والفلاحين .

● عصر الرجل العادى

فى ضوء هذه التطورات الاقتصادية التى تمخض عنها القرنان التاليان للثورة الصناعية والتطورات السياسية التى تمخض عنها القرنان التاليان للثورة الفرنسية ، تكتسب كلا الثورتين فى نظرنا اليوم مغزى مختلفا عن المغزى الذى استخلصه ماركس . وان كان لايتناقض معه . فبينما كانت الثورة الصناعية فى نظر ماركس تعنى فى الاساس اثراء البورجوازية الصناعية على حساب البروليتاريا وكانت الثورة الفرنسية تعنى بالنسبة له حلول السيطرة السياسية للبورجوازية محل سيطرة الاقطاع فان كلا الثورتين قد تبدوان لنا الآن وكأن وظيفتيهما التاريخية الأساسية هى تدشين "عصر الرجل العادى" اقتصاديا وسياسيا ، بعد قرون طويلة عاش خلالها الرجل العادى خاضعا لمختلف صور الاستغلال الاقتصادى والاستعباد السياسى .

دعنى اتوقف قليلا لابين ما أقصده بالضبط من وصف العصر الذى نعيش فيه "بعصر الرجل العادى" الذى اقصده هو انه فى العالم الصناعى المتقدم بشقيه المسميين بالرأسمالى والاشتراكى واصبحت عجلة الجهاز الانتاجى تدور اساسا لخدمة الرجل والمرأة متوسطى الدخل ومتوسطى الذكاء فاصبح ذوق هذا الرجل العادى او المرأة العادية وقدرتهما الشرائية هما اللذان يحددان طبيعة المنتجات واشكالها كما اصبح مستوى ذكائهما وثقافتهما هما اللذان يحددان مستوى

الثقافة السائد واصبحت الحياة السياسية بأسرها تدور حول هذا الرجل العادى والمرأة العادية لاتستهدف الا ارضاءهما او كسب ودهما . لم يكن الامر كذلك فى القرون السابقة على الثورة الصناعية والثورة الفرنسية حيث كانت السلع الصناعية المنتجة تستهدف فى الاساس ارضاء الارستقراطية وتتحدد طبيعتها واشكالها بحجم الفائض الذى تتمتع به هذه الارستقراطية ، كما كانت الحياة الثقافية تحكمها اذواق ومستوى ثقافة هذه الارستقراطية نفسها ، والحياة السياسية تدور حول تحقيق مصالحها . لقد بدأت الثورة الفرنسية والثورة الصناعية اذن شيئا لم نر نهايته بعد ، قد نسميه اطلاق الجماهير من قيودها السياسية والاقتصادية على السواء .

● الثورة الروسية

إن هذه النظرة لمسار التاريخ فى القرنين الماضيين والتى تختلف عن النظرة الماركسية وإن لم تناقضها قد تؤدى الى نظرة مختلفة ايضا الى الثورة الروسية فى ١٩١٧ . فالنظرة الماركسية الى هذه الثورة تعتبرها فى الاساس ثورة طبقة على إخرى ، لكى تحل الاولى محل الثانية وينتهى بذلك الاستغلال الى . الابد وكأن الثورة الروسية قد ادت للبروليتاريا ما ادته الثورة الفرنسية للبورجوازية كل منهما

مـــصـر
و ٢٠٠ سنـة
عـلـى
الثورة الفرنسية



ثورة تستهدف احلال سيطرة طبقة محل اخرى وان كانت الثورة الروسية تضع حدا للصراع الطبقى الى الابد اما النظرة الى الثورة الفرنسية والثورة الصناعية على أنهما تمثلان نقطة البداية فى رحلة طويلة يتحرر بمقتضاها الرجل العادى تدريجيا من الاستعباد السياسى والاستغلال الاقتصادى ، فإن من شأنها ان تؤدى بنا الى النظر الى ثورة ١٩١٧ على انها ليست اكثر من الخطوة الروسية فى نفس الاتجاه : اى محاولة روسيا للحاق بالغرب فى تحقيق الديمقراطية الاقتصادية والسياسية على اوسع نطاق وذلك بتمكين روسيا من تحقيق ثورتها الصناعية من ناحية ومن احلال ثقافة وسياسة "الرجل العادى" محل ثقافة وسياسة الارستقراطية من ناحية اخرى .

● ثورة كل خمسين عاما

للكاتب الفرنسى "الكسى دى توكفيل" المشهور على الاخص بكتابه العظيم "الديمقراطية فى امريكا" المنشور فى ١٨٣٥ ، كلمة جاءت فى

الثورة الفرنسية ثورة لم تكتمل ؟

هذا الكتاب يقول فيها :

"اذا نحن تأملنا ما يطرأ على فرنسا من تطور كل نصف قرن من الزمان ابتداء من القرن الحادى عشر فلن يسعنا الا ان نلاحظ أن المجتمع الفرنسي قد مرّ كل خمسين عاما بثورة ذات جانبين : النبلاء يتدهور مركزهم النسبى فى المجتمع والرجل العادى يأخذ فى الصعود ، واذا بكل منهما يقترب من الاخر وعما قريب يتلاقيان وليست هذه الظاهرة بمقصورة على فرنسا .. ففى كل مكان عملت الاحداث القومية فى النهاية على تحقيق درجة اكبر من الديمقراطية وساهم الناس جميعا بمختلف تصرفاتهم فى إعلاء شأنها سواء هؤلاء الذين كانوا يقصدون بالفعل العمل لصالح الديمقراطية وأولئك الذين كانوا يخدمونها عن غير قصد ، من حاربوا من اجلها ومن ناصبوها العداء كلهم دفعوا دفعا فى نفس الاتجاه : مزيد من الديمقراطية" .

وتفسير هذه الظاهرة التى يتكلم عنها توكفيل والتى يرجع بدايتها الى القرن الحادى عشر يكمن فى الاساس فى التطور التكنولوجى الذى شهدته اوروبا منذ البدايات الاولى لعصر النهضة فكلما ارتقت قدرة الانسان على الانتاج اتسع نطاق الاستهلاك تبعا لذلك ، وكأن حجم الفجوة بين الطبقات العليا والدنيا انما تحدده فى الاساس قدرة المجتمع على الانتاج وقد احدثت الثورة الصناعية قفزة هائلة فى قدرة المجتمع الانتاجية وقدرته على اشباع الحاجات ، واتضح معها لأول مرة ان من الممكن للانسان ان يصل الى عصر تختفى معه مشكلة الندرة . ومنذ الثورة الصناعية والمجتمع الغربى يحقق قفزة بعد اخرى فى ميدان التكنولوجيا تواكبها قفزة بعد اخرى فى توزيع الثمرات ،

اذ يقترن كل تقدم تكنولوجى كبير بوصول ثمرات الجهاز الانتاجى الى شرائح اوسع فأوسع من المستهلكين . وكثيرا ما يقترن هذا الاتساع فى نطاق الاستهلاك بظهور نظرته او افكار جديدة تروج أو تمهد لوصول ثمرات التقدم التكنولوجى الى شرائح اجتماعية جديدة او تدعو الى افساح مجال اكبر لهذه الشرائح الاجتماعية للتعبير عن نفسها . من الممكن ان ننظر الى الثورة الفرنسية على انها كانت اول دعوة من هذا النوع فى العصر الحديث وأن ننظر الى دعوات الاشتراكية التى بدأت تظهر منذ أواخر القرن الثامن عشر وحتى نهاية القرن التالى بما فى ذلك

الماركسية على انها خطوة تالية فى نفس الاتجاه ثم الى الثورة الروسية فى ١٩١٧ على انها تمهيد لقيام روسيا بتكرار ماحدث فى الغرب .. ومن الممكن ايضا النظر الى ظهور النظرية الكينزية فى الثلاثينات من هذا القرن ، بما دعت اليه من تدخل الدولة لاتخاذ مختلف الاجراءات لعلاج البطالة بما فى ذلك توزيع الدخل وانتشار دعوات مماثلة فى الغرب فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ادت الى قيام مايسمى "بدولة الرفاهية" من الممكن النظر الى كل هذا على انه انعكاس لتطورات تكنولوجية اصبحت تسمح بتوسيع نطاق الاستهلاك حتى يصل الى متناول يد "الرجل العادى" او "الرجل المتوسط"

● ثورة العالم الثالث

بل أن من الممكن ان ننظر الى مايسمى "بثورة التوقعات او ثورة الآمال" التى يستخدمها بعض الكتاب لوصف حالة دول العالم الثالث بعد حصولها على الاستقلال ، وعلى الاخص فى اعقاب الحرب العالمية الثانية من حيث تطلعها الى تحسين مستوى معيشتها وتضييق الفجوة بينها وبين الدول المتقدمة بتحقيق التنمية السريعة . من الممكن ان ننظر الى هذه "الثورة" على انها بدورها خطوة اخرى فى نفس الاتجاه : اتجاه

مصر و٢٠٠ سنة على الثورة الفرنسية



توسيع نطاق الاستهلاك والاستمتاع بثمرات التكنولوجيا الحديثة بتوصيلها الى شرائح اجتماعية جديدة فى دول العالم الثالث . الم تكن ثورة يوليو ١٩٥٢ فى مصر خطوة جبارة فى هذا الاتجاه ؟ ألم تكن وظيفتها التاريخية الاساسية فى الحقيقة توسيع نطاق الاستهلاك بحيث لايقتصر الاستمتاع بثمار التكنولوجيا الحديثة على فئة قليلة تتربع على قمة المجتمع ولا يفصلها عن غالبية المعدمين فى قاع المجتمع الا طبقة متوسطة شديدة الضآلة ؟ ثم ألم تحدث فى مصر فى السبعينات ثورة اخرى وإن كانت صامتة كانت اهم مقوماتها هجرة مئات الآلاف من المصريين الى دول النفط ومن اهم نتائجها اتساع نطاق الاستهلاك مرة اخرى ليشمل فئات اجتماعية جديدة كانت تنتسب الى طبقات دنيا من المجتمع فطفت لاول مرة على سطح الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية .

الايجوز لنا فى ضوء ذلك ان نقول ان الثورة الفرنسية كانت بداية لثورة لم نشهد نهايتها بعد ؟

الثـــورة الفرنســـــية ..

يحتفل انصار الحرية فى العالم ـ هذا الشهر ـ بمرور مائتى عام على قيام الثورة الفرنسية ـ ١٧٨٩ ـ والتى يعتبرها البعض اهم ثورة سياسية فى تاريخ البشرية ، لما احدثته من تغييرات اجتماعية واقتصادية وسياسية فقد الغت السخرة ، والغت حقوق النبلاء ورجال الدين بفرض الضرائب على الشعب ، والغت ما عرف بحق الملوك الالهى فى الحكم ، وقضت على النظم الاقطاعية ، والحقت باول دستور لها ـ ١٧٩١ ـ وثيقة حقوق الانسان التى اعطت الحرية لكل إنسان وحددت مبادىء لحماية هذه الحرية ●

● تميزت هذه الوثيقة عما جاء فى الثورة الهولندية والانجليزية والأمريكية ، خاصة ما أعلنته بريطانيا مما عرف باعلان الحقوق ١٦٨٩ ، تاكيدا لما جاء بالمجناكارتا التى اعلنته ١٢١٥ ، لان وثيقة حقوق الانسان ، قدمت مبادىء عامة للفرنسيين وللعالم ، ولم تقف داخل حدود وطنها ، كما حدث بالنسبة للثورات السابقة التى أشرنا اليها ، ولهذا كان العداء لها ومحاولة حصارها ، خاصة من الدول الأوروبية المحيطة بها ، الأمر الذى لم يحدث للثورات السابقة .

فقد التقت الدول المتعارضة المتصارعة على وجوب تصفية الثورة ، ووصل الأمر الى حد شن الحروب عليها حتى كان مؤتمر فيينا ـ ١٨١٥ ـ وأعادت الدول الأوروبية أسرة البوربون ، وعادت الملكية فى فرنسا ، بعد استمرار الجمهورية اكثر من عشرين عاما ، والاخطر من ذلك دأب اعداء الثورة ، سواء من داخل فرنسا أو خارجها على تشويه ما حققته

والفكر العربى



مصر و ٢٠٠ سنة على الثورة الفرنسية

بقلم : جلال السيد

الثورة ، فالثورة التى نقلت اوروبا من العصور الوسطى الى العصر الحديث ، والتى قضت على استعباد الانسان ، وقضت على استغلال الكنيسة ورجال الدين لأبناء الشعب وحرمتهم من العلم والمعرفة ، هذه الثورة فى رأى اعدائها ، انها ثورة الغوغاء ، وأنها لم تحقق سوى سفك الدماء ، وارخوا لمراحلها بما اطلقوا عليه : الأرهاب الصغير ـ الأرهاب الكبير ، وكانت الجمل الانشائية الموحية والتى قرأناها فى كتب عربية : «اصبحت الثورة تأكل بنيها ان لم تجد ما تأكله» ، وكان الشعار السائد ـ كما يزعمون ـ «قدم جارك للمقصلة ، قبل ان يقدمك» . وبالطبع هؤلاء الأعداء ، لا يشيرون الى مواجهة الثوار الى اعدائهم الذين كانوا يدافعون عن امتيازاتهم ، لا يشيرون الى مؤامرات الملكية ضد الجمعية الوطنية ولهذا كان العداء لها ، ومحاولة حصارها ، خاصة من الدول الأوروبية المحيطة بها الأمر الذى لم يحدث للثورات السابقة والتقت الدول المتصارعة على وجوب تصفية الثورة ، وشنت الحرب عليها ، واحتضنت النبلاء الهاربين وقدمت لهم المساعدات كي يغيروا على باريس للقضاء على الثورة .



روبسبير — رفاعة الطهطاوى

وبالطبع لم يقف الاعداء عند الاحداث التى جرت ، فهم لا يشيرون الى مؤامرات الملك والنبلاء ، وهروبهم خارج فرنسا والاستعانة ببعض الدول ، لعودة امتيازاتهم ، وإلى المؤامرات ضد الجمعية الوطنية ، وتجاهلوا ما اقدم عليه المارشال بروجلى ، يوم ان استخدم القوات المرتزقة من الالمان والسويسريين ضد الوطن وقد تصدت لهم جماهير

الثورة الفرنسية والفكر العربي

باريس ـ جماهير الثورة ، دفاعا عن الوطن ، كما حطمت هذه الجماهير فى نفس الوقت سجن الباستيل ـ رمز الاستعباد والظلم والقهر ـ فى ١٤ يوليو ١٧٨٩ ، وجعلت الثورة من هذا التاريخ عيدا لها ، ثم أصبح فيما بعد العيد القومى لفرنسا .

ولم يتوقف أعداء الثورة ـ حتى الآن ـ عن التشهير بها ، وقد أثارهم ان العالم يحتفل بمرور مائتى علم على قيامها .

فنجد أن الحركة الملكية الايطالية برئاسة السنيور سيرجو بوسكيرو ، قد شكلت لجنة لمحاربة الاحتفالات بذكرى الثورة الفرنسية ، وفى اجتماعاتها ، قال سيرجو :

أن الثورة الفرنسية كانت عبارة عن حركة معادية للشعب الفرنسى فى تلك الفترة ، كما أن أسطورة السيطرة الشعبية على سجن الباستيل لم تكن سوى عملية سطو على مخزن للأسلحة فى الباستيل ، الذى كان يستضيف سبعة مساجين فقط ، منهم ثلاثة مجانين ، وقال سيرجو ـ كما جاء فى وكالات الانباء على لسانه : إن الثورة الفرنسية قامت باكبر مجزرة فى حق الشعب الفرنسى ، حيث قتلت ٣٠٠ الف فلاح ، وان الثورة الفرنسية منبع «الأرهاب العالمى» إذ ولدت هذا الظاهرة ـ الأرهاب ـ من الثورة الفرنسية على حد زعمه .

اما روبسبير ـ احد زعماء الثورة ـ فهو فى راى سيرجو : ليس سوى وحش معتوه ، متعطش للدماء ، لا اكثر ولا اقل

وفى مايو الماضى وبمناسبة الاحتفال بذكرى الثورة الفرنسية ، اجرت مجلة «لوبوان» استطلاعا ، جاءت نتائجه ـ كما زعمت المجلة ـ أن ١٧ فى المائة من الفرنسيين يفضلون عودة الملكية الى بلادهم .

وفى فرنسا ، احتج عشرات الملكيين ـ مايو الماضى ـ على قرار اتخذته كنيسة جورسى ـ مقاطعة الون العليا بترتيل اناشيد الثورة الفرنسية فى الكنيسة ، ولم يسفر الاحتجاج عن شىء ، فقام الملكيون بتوزيع بيانات معادية للثورة الفرنسية ، والاحتفال بها ، ولكن الكورس فى الكنيسة ظل ينشد اغانى الثورة الفرنسية .

● الثورة والعالم العربى

وقد انتشرت مبادىء الثورة الفرنسية ـ حرية ـ إخاء ـ مساواة ، انتشارا سريعا ، واثرت فى كثير من الامم والشعوب ، ولم يكن العالم العربى منعزلا عما يحدث فى اوروبا فتاريخ الاتصالات والعلاقات بين العرب والفرنجة يمتد منذ فتح العرب لأسبانيا ووصولهم جنوب فرنسا ، حتى كانت الحروب الصليبية ، وكانت حركة

التجارة مستمرة فى حوض البحر الأبيض المتوسط .

ومن الوقائع التاريخية ما يرويه المؤرخ المصرى الشهير عبدالرحمن الجبرتي - اثناء فترة الثورة الفرنسية - فى كتابه «عجائب الآثار فى التراجم والاخبار» - الجزء الرابع ص ٢٥٥ - ٢٥٦ - طبعة لجنة البيان العربى - القاهرة يقول الجبرتي . «فى سنة تسع ومائتين والف هجرية - ١٧٩٥ ميلادية» .

« وفى شهر ذى الحجة وقع من الحوادث ان الشيخ الشرقاوى له حصة بشرقية بلبيس ، حضر اليها اهلها وشكوا من محمد بك الألفى ، وذكروا أن اتباعه حضروا اليهم وظلموهم وطلبوا منهم مالا قدرة لهم عليه ، واستغاثوا بالشيخ فاغتاظ وحضر الى الأزهر ، وجمع المشايخ وقفلوا ابواب الجامع ، وأمر الناس بغلق الاسواق والحوانيت ، ثم ركبوا فى ثانى يوم واجتمع عليهم خلق كثير من العامة وتبعوهم وذهبوا الى بيت الشيخ السادات وازدحم الناس على بيت الشيخ من جهة الباب والبركة بحيث رآهم ابراهيم بك وقد بلغه اجتماعهم فبعث من قبله ايوب بك الدفتردار فحضر إليهم وسلم عليهم ووقف بين يديهم وسألهم عن مرادهم . فقالوا له : نريد العدل ورفع الظلم والجور وإقامة الشرع وابطال الحوادث والمكوسات التى ابتدعتموها واحدثتموها» .

مصر و٢٠٠ سنة على الثورة الفرنسية



ويصف الجبرتي المشاورات والاتصالات بين العلماء وابراهيم بك ومراد بك ، حتى التمس الأمراء الصلح ويقول : «وفى اليوم الثالث حضر الباشا الى منزل ابراهيم بك واجتمع الأمراء هناك ، وارسلوا الى المشايخ فحضر الشيخ السادات والسيد النقيب والشيخ الشرقاوى والشيخ البكرى والشيخ الأمير ..

وطال الحديث (وانتهى الأمر بأن أعلن الأمراء) انهم تابوا ورجعوا والتزموا بما اشترطه العلماء عليهم وانعقد الصلح على ان يقدموا سبعمائة وخمسين كيسا موزعة وعلى ان يرسلوا غلال الحربية ويصرفوا غلال الشون وأموال الرزق ويبطلوا لرفع المظالم المحدثة والكشوفيات والتقارير والمكوس ماعدا ديوان بولاق وان يكفوا اتباعهم عن امتداد أيديهم الى اموال الناس ، ويسيروا فى الناس سيرة حسنة ، وكان القاضى حاضرا بالمجلس فكتب حجة عليهم بذلك وختم عليها الباشا ، وختم عليها ابراهيم بك ، وارسلها الى مراد بك فختم عليها ايضا ، وانجلت الفتنة ورجع المشايخ وحول كل واحد منهم وأمامه وخلفه جملة عظيمة من العامة وهم ينادون

الثورة الفرنسية والفكر العربى

حسب ما رسم سادات العلماء بان جميع المظالم والحوادث والمكوس بطالة من مملكة الديار المصرية ، وفرح الناس وظنوا صحته . ويتوقف الدكتور لويس عوض عند هذه الواقعة « تاريخ الفكر المصرى الحديث » ويرى ان هذا الاجتماع التاريخى والمظاهرات التاريخية اسفرت عن عقد أول ميثاق مكتوب فى تاريخ مصر الحديث بين الحاكم والمحكومين ونص فيه على بعض اصول الحكم ، اهمها ابطال الظلم وأعمال السلب والنهب وابطال الضرائب الاستثنائية والغاء الجمارك الداخلية . هذه الوثيقة التاريخية استخلصها الشعب المصرى من حكام الترك والمماليك ، قبل ان تنقضى ست سنوات على الثورة واعلان حقوق الانسان فى فرنسا ، وغير معروف ان كانت فكرة اخذ تعهد كتابى على الحاكم قد نشأت من تلقاء نفسها فى رءوس العلماء المصريين أم انها كانت صدى لما حدث فى الثورة الفرنسية ايام اعلان حقوق الانسان بلغ اسماع المثقفين المصريين فاهتزت له قلوبهم كما اهتزت قلوب الناس فى كافة ارجاء العالم المتحضره .

ومها كان التفسير لهذه الواقعة ، سواء جاءت من افكار العلماء المصريين ، او من تاثير الثورة الفرنسية ، فإن افكار الثورة الفرنسية وشعاراتها قد سمع بها العلماء والعلمة بعد ثلاث سنوات من هذه الواقعة من خلال منشورات نابليون حول الحرية والمساواة ، ولم يكن خافيا على المصريين خداع نابليون ، وطبيعة حملته الاستعمارية والتى قاوموها بشدة ، وقامت ثورات القاهرة ضدها حتى اضطرت للرحيل عن مصر عام ١٨٠١ ، لكن بقى فى اذهان العلماء والمصريين بعض الافكار . مشاركة العلماء فى الحكم عن طريق الديوان والموقف من المراة والاهتمام بالعلوم والفنون .

وقد اعتبر بعض المؤرخين والمفكرين العرب ان بداية عصر النهضة العربية ، او بداية التاريخ العربى الحديث هو قدوم الغازى نابليون الى الشرق ، ومن هؤلاء البرت حورانى - فى كتابه «الفكر العربى فى عصر النهضة» والدكتور لويس عوض فى كتابه «تاريخ الفكر المصرى الحديث» وبعض الابحاث التى جاءت فى كتاب «الفكر العربى فى مائة عام» - الجامعة الأمريكية - بيروت .

ويرى البعض مثل المفكر والأديب اللبنانى رئيف خورى ان الثورة الفرنسية لعبت دورا هاما فى تاريخ الفكر العربى وسجل ذلك فى كتابه «الفكر العربى الحديث - اثر الثورة

الفرنسية فى توجيهه السياسى والاجتماعى" واستشهد بنصوص عديدة للكتاب والمفكرين العرب .

وسنحاول متابعة تأثير الثورة الفرنسية على الفكر العربى من خلال كتابات المؤرخين والمفكرين والكتاب العرب .



مصر و ٢٠٠ سنة على الثورة الفرنسية

يقول المؤرخ اللبنانى الكبير نقولا زيادة – فى بحثه عن الفكر العربى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر «زحفت افكار جديدة الى العالم العربى ، جاءته بشكل خاص مع اولئك الذين تأثروا بالثورة الفرنسية من هذه الأفكار «الحرية» ، كانت الكلمة تستعمل فى الفكر الدينى الاسلامى من حيث علاقتها بقضية الجبر والاختيار وحرية الانسان ، لكن الذى وصل الى بلادنا (الشام) فى هذه الفترة هو المعنى المدنى لكلمة «الحرية» من حيث دلالتها الاجتماعية والسياسية ومن حيث علاقة الفرد بالسلطة والمجتمع» .

ويرى نقولا زيادة ان الذين ذهبوا الى فرنسا من العرب ، تأثروا بالثورة الفرنسية تأثرا عميقا ، حتى الذين لم يغادروا البلاد عرفوا الكثير عن الثورة الفرنسية عن طريق الخبراء والمعلمين كما ان المدارس التبشيرية الفرنسية التى قامت فى لبنان ، لم تستطع ان تتجنب الخوض فى الموضوع ولو بالتهجم عليه .


روسو


فولتير

وفى بداية النهضة المصرية الحديثة – فى عهد محمد على – جاء تأثير الثورة الفرنسية من خلال طلاب البعثات التى ذهبت الى فرنسا ، والذى تصادف وجودهم فى فرنسا ايام الثورة الثانية عام ١٨٣٠ فعايشوا هذه الثورة ووقفوا على المبادىء التى انطلقت من الثورة الفرنسية الثورة الأم ، والتى أعقبتها ثورات اخرى .

وكان ابرز هؤلاء الطلاب رفاعة الطهطاوى والذى ترك لنا كتابا هاما عن رحلته فى باريس وما تلقاه فيها من ثقافة وما شاهده وتأثر به ، تحت اسم «تخليص الابريز فى تلخيص باريز – الديوان النفيس بإيوان باريس» .

وصادف وجود الطهطاوى فى باريس ، عهد الملك شارل العاشر (كانت بعثة الطهطاوى من عام ١٨٢٦ حتى ١٨٣١) ووزيره بوليناك الذى كان يريد الغاء كل اثر من آثار الثورة الفرنسية الكبرى ١٧٨٩ وجاء الرد

الثورة الفرنسية والفكر العربي

بثورة ١٨٣٠ ، والتى شاهدها الطهطاوى فى باريس واستمرت ثلاثة ايام عرفت «بالثلاثة المجيدة» وسقط شارل العاشر وجاء لويس فيليب .

شهد الطهطاوى ثورة الايام الثلاثة المجيدة ووصفها وصفا دقيقا فى كتابه ، وعنى بالدستور الفرنسي ونقله الى العربية قبل التعديل زمن شارل العاشر وبعد التعديل زمن لويس فيليب .

وقد حاول الطهطاوى ان يبحث فى تراثنا العربى الاسلامى ما يقابل ما يطرحه الفرنسيون ، واشار إلى ذلك فى بعض القضايا ! « وما يسمونه الحرية ويرغبون فيه هو عين ما يطلق عليه عندنا العدل والانصاف » .

وقد أدرك المستشرق كوسان دى برسفال ـ استاذ رفاعه ـ ما كان يهدف إليه تلميذه من كتابة « تخليص الإبريز ... » وكان تعليقه أن رفاعة أراد أن يوقظ بكتابه اهل الإسلام ويدخل عندهم الرغبة فى المعارف المفيدة ويولد عندهم محبة اهل التمدن الافرنجي والترقى فى صنائع المعاش وما تكلم عليه من المبانى السلطانية والتعليمات وغيرها أراد ان يذكر به لأهالى بلده أنه ينبغى لهم تقليد ذلك .

وقد ترجم الطهطاوى العديد من الكتب الفرنسية واشرف على ترجمه كتاب فى تاريخ فرنسا ـ ترجمه حسن قاسم عن تاريخ شارل الثانى عشر ، وبرهان البيان فى استعمال واستخدام دولة الأمان لمونتسكيو وترجمه حسن الجبيلى .

وقد اهتم المفكرون والمثقفون العرب بالثورة الفرنسية ، وماطرحته من مبادىء حول الحرية والمساواة والحقوق الطبيعية والأمة والوطن والوطنية والقومية والجمهورية ، وتناقلها المفكرون والسياسيون فى ربوع الوطن العربى منذ القرن التاسع عشر ، وهم يضيفون إلى تلك المبادىء والأراء الكثير من تراثهم ومايفرضه عليه واقعهم .

وحين نتأمل الثورة العرابية فى مصر ، نرى تأثير أفكار الثورة الفرنسية التى ذاعت فى العالم ، وعبر عن هذه الأفكار مفكرو الثورة وقادتها ..

فالزعيم أحمد عرابى ، يتحدث فى مذكراته عن علاقته بسعيد باشا ـ حاكم مصر فى ذلك الوقت ـ فيقول : « ولشدة أعجابه بى أهدانى تاريخ نابليون بونابرت ـ باللغة العربية ـ طبع ببيروت ـ ولما طالعت هذا الكتاب شعرت بحاجة بلادنا إلى حكومة ثورية دستورية » .

وفى دستور الثورة العرابية - ١٨٨٢ - تظهر تأثيرات الثورة الفرنسية على مبادىء هذا الدستور، والتى منها: تقرير مبدأ المسئولية الوزارية أمام مجلس النواب وتخويل المجلس حق إصدار القوانين بحيث لاتصدر إلا بتصديق منه وتقرير الميزانية، والرقابة على أعمال الحكومة وموظفيها وإلزامها بعدم فرض اى ضريبة أو أصدار اى قانون أو لائحة، إلا بعد تصديق المجلس عليها، كما تضمن برنامج الحزب الوطنى - حزب الثورة العرابية، الكثير من الشعارات التى طرحتها الثورة الفرنسية عن الحرية: حرية العقيدة - حرية الرأى - حرية المطبوعات.

وقد تآمرت قوى عديدة على إخفاء ما اعلنته الثورة الفرنسية، ونسيت الدول أو تناست، ما أعلنته شعوبها وما اكدته الثورة حول حقوق الانسان، وأصبحت الدول الأوربية تتعامل مع الشعوب الاسيوية والأفريقية بمنطق السيد والعبد، وأعادت هذه الدول الاستعمارية ما حرمت منه من استبداد وسيطرة وتحكم، فذاقتها للشعوب، وكان الاستعمار الفرنسى للجزائر وتونس والمغرب، ثم كان انتدابه بعد الحرب العالمية الأولى لسوريا ولبنان، اما الاستعمار البريطانى فكانت مصر من نصيبه، بعد أن تآمرت الدول الأوربية مجتمعة

مصر و٢٠٠ سنة على الثورة الفرنسية



على مصر فى عهد محمد على - ١٨٤٠ - وعلى الثورة العرابية ١٨٨٢ - ودعمت الخديو الخائن توفيق، كما أعادت أوربا اسرة البوربون ثانية لحكم فرنسا لكن الاستعمار وكتابه لم يستطيعوا القضاء على الافكار التى تشبثت بها الشعوب من أجل حريتها، وظلت مبادىء الثورة الفرنسية علامة مضيئة فى تاريخ الفكر الانسانى، تستلهم منها الشعوب أفكارها وشعاراتها، ولم يعد النظام الجمهورى بعيدا عن الأذهان.

ففى مصر - وفى ظل الاحتلال البريطانى - كتبت جريدة المؤيد لصاحبها الشيخ على يوسف عن النظام الجمهورى فقالت عنه «إنه غريزة كامنة فى طبع الانسان لأنه يعنى حكم الانسان لنفسه بنفسه، ولايحركها إلا ظلم الملوك»..

وفى أعقاب حادثة دنشواى - ١٩٠٦ - وبعد عزل كرومر، أرادت بريطانيا أن تخفف قبضتها حتى لايحدث انفجار أو ثورة كالثورة العرابية، فأباحت تكوين الاحزاب، وظهرت عدة أحزاب مصرية، كان

الثورة الفرنسية والفكر العربي

أهمها : الحزب الوطني وحزب الأمة

ولكن الذى يعنينا فى هذا المجال هو ظهور أول حزب جمهورى فى مصر - عام ١٩٠٧ - برئاسة محمد غانم - خريج كلية الحقوق - وكان متشبعا بأفكار الثورة الفرنسية - ووصف الجمهورية الفرنسية بأنها أرقى نوع فى حكومات العالم »

وركز غانم على ضرورة تكوين حكومة جمهورية تجعل سيادة الأمة فى وادى النيل مصدر لكل سيادة فيه .

والغريب أن محمد غانم نشر آراءه وأفكاره وكتب الكثير عن مساوىء أسرة محمد على ، فى جريدة الأحرار - عام ١٩٠٨ - والتى كان يملكها ويرأس تحريرها زميله وصديقه محمد وحيد - الموالى للانجليز وللاحتلال - والذى كتب مقالات بعنوان « سلامتنا من سلامة المحتلين » .. وفسر محمد وحيد تقديمه لزميله أنه لم يجد مكانا يعبر فيه عن رأيه فأفسح له صفحات جريدته ، رغم اختلاف أفكارهما تماما .. وكان محمد غانم يردد شعار الثورة الفرنسية : حرية - اخاء - مساواة - وذكر أن هذه الكلمات الثلاث يجمعها لفظ الجمهورية ، كما كان حزبه يحتفل بيوم ١٤ يوليو - ذكرى سقوط الباستيل ، وشارك الجالية الفرنسية فى مصر فى احتفالها بهذا العيد ، وحث المصريين على الاشتراك فى الحفل الذى كانت تقيمه الجالية الفرنسية فى حديقة الأزبكية باحياء ذكرى عيد الجمهورية الفرنسية وكان يغنى معهم نشيد المارسيلييز - الذى كتبه روجيه دى ليل .

ومن المفكرين والأدباء الذين تأثروا بالثورة الفرنسية : أمين الريحانى - جبران خليل جبران - جرجى زيدان - روحى الخالدى - محمد كرد على .

وفى مصر تأثر بها كثير من الكتاب والمفكرين والأدباء ، وصدرت عدة كتب عن الثورة الفرنسية نذكر منها ماكتبه : حسن جلال - الدكتور محمد صبرى السوربونى - الدكتور محمد فؤاد شكرى - الدكتور محمد أنيس .

كما ترجمت أعمال مفكرى الثورة الفرنسية : روسو - فولتير - مونتسكيو .

ويقول الدكتور طه حسين فى تقديمه لمقال عن روسو :

« لم يقف تأثير روسو السياسى عند إنشاء الثورة ، فأنتم تعرفون أثر الثورة الفرنسية ، فى نشر الديمقراطية فى أوربا ، بل فى بلاد الشرق بعد

الحـرب الكبـرى ، فحيـاتنـا عن الديمقراطية ومذهبنا عنه في، فهم الحكم وفي ماتريد من المثل السياسي الأعلى تتأثر بهذه الفكرة التي كان روسو أول من أشاعها وأذاعها في كتابه « العقد الاجتماعي » .

ويقول سلامه موسى في كتابه « حرية الفكر » .

« ليست الثورة الفرنسية فرنسية إلا بالاسم ، أما حقيقتها فعالمية ـ وأنت أيها القارىء لو قرأت الدستور الذي وضع لمصر ـ دستور ١٩٢٣ ـ لوجدت عليه مسحة « حقوق الانسان »

لافاييت موسيس عبقرية الانسان



مصر و٢٠٠ سنة على الثورة الفرنسية



التي أعلنتها الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ ووجدت فيه ألفاظا وعبارات تنم عن هذا الأصل » .

وهذه المسحة نجدها في معظم الدساتير العربية ، كما نجد أفكار الثورة الفرنسية في العديد من برامج الأحـزاب فيمـا يتعلق بـالحـريـة والديمقراطية ، وما أضيف إلى هذه الأفكار ، الأفكار الأشتركية ، التي تتحدث عن العدل الاجتماعي وحق الانسان في الحياة .

فالافكار والآراء جهد إنساني متصل ، وليس وقفا على أحد ، كما ان الفكر نتيجة جهود بشرية ، وقد استوعبت الثورة الفرنسية الجهود السابقة في تاريخ الفكر الانساني ، وأضافت إليه وصاغته صياغة جديدة ، وأصبحت نقطة تحول في التاريخ ، وأثرت في كثير من الشعوب ، ومنها الشعب العربي ، لذا وجب علينا الاحتفال بمرور مائتي سنة على قيامه ، مشاركين بذلك أنصار الحرية في العالم ، ومازلنا نتطلع إلى فكر اكثر ديمقـراطية وأكثـر عدالـة وأكثـر إنسانية ..

أيام من الثورة

تقديم: مصطفى درويش

□ بعد وفاة لويس الخامس عشر بقليل وبالتحديد فى العاشر من مايو ١٧٧٤ ، سمع الحفيد وملك فرنسا الجديد لويس السادس عشر الذى لم يكن له من العمر سوى عشرين عاما ، سمع هو وزوجته الصغيرة مارى انطوانيت ، ضجة رهيبة مصدرها جماعة من الخدم عبرت مسرعة قاعة المرايا ، جاءت للتهنئة باعتلاء العرش ..

واذا بالملكين اللذين فى عمر الزهور راكعين متمتمين ..

« ربنا القدير ، احمنا ، قدم لنا يد العون لاننا شابان قاصران عن الحكم » ..

هذا الوجه الجديد لاسرتى البوربون والهابسبورج اكثر اسر اوروبا عراقة والذى استقبل فى كل ارجاء فرنسا والنمسا بحماس شديد .. ترى كيف انتهت به الاقدار ؟

لم يمر على هذا الابتهال سوى تسعة عشر عاما الا وكان لويس السادس عشر محكوما عليه بالإعدام ، مسوقا الى ميدان الثورة (الكونكورد) حيث تنتصب الآن بدلا من المقصلة مسلة رمسيس شامخة تناطح السماء ، مستنجدا بالجماهير الغفيرة صارخا فيها « ايها الشعب انى اموت بريئا » .

وماهى إلا لحظات ـ وبعد عذاب ـ حتى كان راسه فى قبضة الجلاد ، يعرضه على الجمهور المتعطش للدماء الزرقاء والذى كان هتافه « عاشت الامة » يشق عنان السماء .

ونفس المصير لقيته « مارى انطوانيت » بعد ذلك بتسعة شهور الا قليلا (١٦ اكتوبر) .

حين ساقوها الى نفس الميدان حيث ضرب عنقها .

فلما انفصل راسها عن جسدها ، عرضوه على حشود الجماهير التى هاجها الفرح وعلت حناجرها بنفس الهتاف .

وخلال تلك الحقبة الجدّ قصيرة الواقعة فيما بين التتويج والاعدام مرت بالعالم ايام واعوام لم يبق منها حيا على شاشة ذاكرة التاريخ سوى يوم واحد أغر الا وهو يوم ١٤ من يولية لعام ١٧٨٩ .

اما لماذا انفرد هذا اليوم بمثل هذا المركز فى ذاكرة التاريخ على امتداد قرنين من عمر الزمان ، فذلك ما تحكيه وقائع الاشهر القليلة السابقة عليه والممهدة له ، ووقائع الاعوام العشرة التالية له ، بكل احداثها الجسام .

من تاريخ الأيام



مصر و٢٠٠ سنة على الثورة الفرنسية

الفرنسية .. لها تاريخ

النبـلاء



الشرارة

■ المعتاد التاريخ للثورة الفرنسية من يوم الخامس من مايو ١٧٨٩ فتحت وطاة افلاس الدولة وازمة اقتصادية طاحنة اضطر الملك الى دعوة مجلس يضم ممثلين منتخبين من الطبقات الثلاثة : النبلاء ، ورجال الدين (الاكليروسى) وعامة الشعب ، الى الانعقاد فى فرساى ..

وكان قد مر زهاء قرنين على ذلك المجلس دون انعقاد (١٦١٤)

وبطبيعة الحال ترأس الملك اول اجتماع وكان لطبقتى النبلاء ورجال



مصر
و ٢٠٠ سنة
على
الثورة الفرنسية



الشعب يئن تحت حمل النبلاء والاكليروس

الدين ستمائة ممثل ولطبقة عامة الشعب عدد مماثل من بينه حوالي مائتي محام ورجل قانون ، ونحو مائة مصرفي ومليالقرب الخمسين من ملاك الأراضي ، فضلا عن نفر من العلماء والاساتذة والكتاب .

وسرعان ماقامت مشادة عنيفة حول طريقة الاقتراع ..

وكان السؤال المطروح .

هل ينبغي ان يكون الاقتراع حسب الأشخاص فيكون عدد الاصوات مماثلا لعدد اعضاء المجلس .

أم حسب الطبقات ، فيقتصر الامر على ثلاثة اصوات لاتزيد ..

في الحالة الأولى يصبح في امكان الطبقة الثالثة الاعتماد على عدد اصوات ممثليها ، مضافا اليهم اصوات بعض المنشقين من النبلاء ورجال الدين ، مما يؤمن لها الاغلبية في نهاية المطاف ..

وفي الحالة الثانية يصبح تفوق طبقتي النبلاء ورجال الدين ، بفضل اتحاد صوتيهما ، امرا اكيدا .

وقد عبر « الاب سييس » عن شعور الطبقة الثالثة (البرجوازية) الغنية بالأفكار وبالطاقة على العمل وبالمال ، عبر عنه حين كتب متسائلا :

« ماهي الطبقة الثالثة ؟ انها الدولة برمتها ماهو نصيبها من المهام السياسية ؟ لاشيء اطلاقا .

بماذا تطالب .. ؟

لن تصبح شيئا في الدولة » .



جمعية وطنية وتأسيسية

□ عندما باءت بالفشل جميع محاولات حل عقدة الاقتراع المستعصية ، استقر عزم ممثلى الطبقة الثالثة على حل جذرى .

فكان قرارهم بالانسحاب من الاجتماع الذى دعا اليه الملك وفى ١٧ من يونية ١٧٨٩ اعلنوا انفسهم جمعية وطنية .

وبصفتهم كذلك امروا المواطنين بالاستمرار فى دفع الضرائب ، اذا ما استمرت الجمعية فى الانعقاد .

وبحجة ان ثمة اعمال تصليح فى قاعة الاجتماع ، منع الملك ممثلى الطبقات الثلاث من دخولها ، مما اضطر ممثلى الطبقة الثالثة الى الاجتماع فى ملعب (تنيس) قريب (٢٠ يونية) حيث اقسموا على مواصلة المداولة الى يوم ان يوضع دستور للبلاد ..

بعد ذلك بثلاثة ايام حاول الملك فض الاجتماع .

فلما رفضوا الاذعان ، الا على اسنة الرماح ، (كونت دى ميرابو) تراجع الملك متنازلا عن امتيازاته الى مجلس تشريعى يضم ممثلى جميع الطبقات ، هو فى حقيقة الأمر جمعية تاسيسية منوط بها صياغة دستور مكتوب ●



مصر و ٢٠٠ سنة على الثورة الفرنسية

سقوط الباستيل

□ راقب الباريسيون بقلق الصراع في فرساي ، وهللوا كثيرا لخروج الطبقة الثالثة من معركة الاقتراع مكللة باكاليل الغار .

وعندما جاءهم خبر قيام الملك بابعاد وزير المالية المحبوب « نيكر » لانه من دعاة الاصلاح ..

وباستدعاء بعض القوات الموالية له وحشدها على وجه يتهدد العاصمة بسوء المصير ، تجمعوا مسلحين بالبنادق والرماح ..

وفي ١٤ من يوليو انفجرت الثورة ..

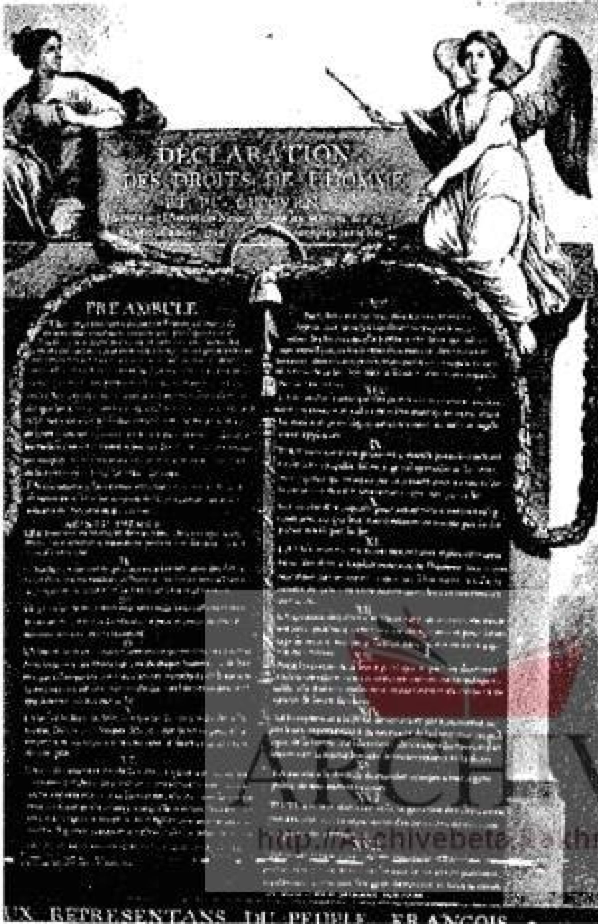
واذا بالجماهير تعصف بالباستيل ، تلك القلعة العتيقة التي كان العهد القديم قد تحول بها الى سجن غدا رمزا للقهر والاستبداد ..

ومن سخريات الاقدار انه لم يكن بين جدرانه يوم سقوطه سوى سبعة سجناء بينهم مجنونان !! ...

وما ان انتصر شعب باريس حتى تراجع الملك مرة اخرى واعاد الوزير المحبوب وزيرا ● ..

العصف بالباستيل

المبادئ الخالدة



إعلان حقوق الانسان

□ ازداد الغليان فى ريوع الريف حيث اندفعت الجموع تحرق بيوت النبلاء والمراقبين الماليين ..

وابتغاء احتواء هذا الغليان ، بادرت الجمعية التاسيسية اثناء جلستها المنعقدة مساء الرابع من اغسطس ١٧٨٩ الى الغاء حقوق الأشراف ، وفتح باب الترقى مدنيا وعسكريا امام افراد جميع الطبقات دون تمييز ..

وفى السابع والعشرين من نفس الشهر اعلنت الجمعية حقوق الانسان والمواطن .

وهى مستوحاة فى مجموعها من اعلان امريكى مماثل (١٧٧٦) .

وبموجبها اصبح لكل مواطن الحق فى الحرية والمساواة والملكية والأمان ..

واصبح على كل مواطن واجب الدفاع عن هذه الحقوق لا لنفسه فحسب ، وانما من اجل الآخرين ● ..

ثورة النساء

□ غدت باريس عاصمة مسلحة ، متذمرة ، يتهددها خطر الجوع وبرد الشتاء ..

وهاهو ذا شعبها يتدخل مرة اخرى لانقاذ الثورة .. كيف ؟ ..

ما ان انتشر خبر ان الملك يماطل فى التصديق على تشريعات ليلة الرابع من اغسطس المجيدة ..

وان الملكة باركت فرقة من المرتزقة الاجانب بمشاركتها العشاء ..

وان حناجر جنود تلك الفرقة علت بهتافات تحمل للاصلاح العداء ..

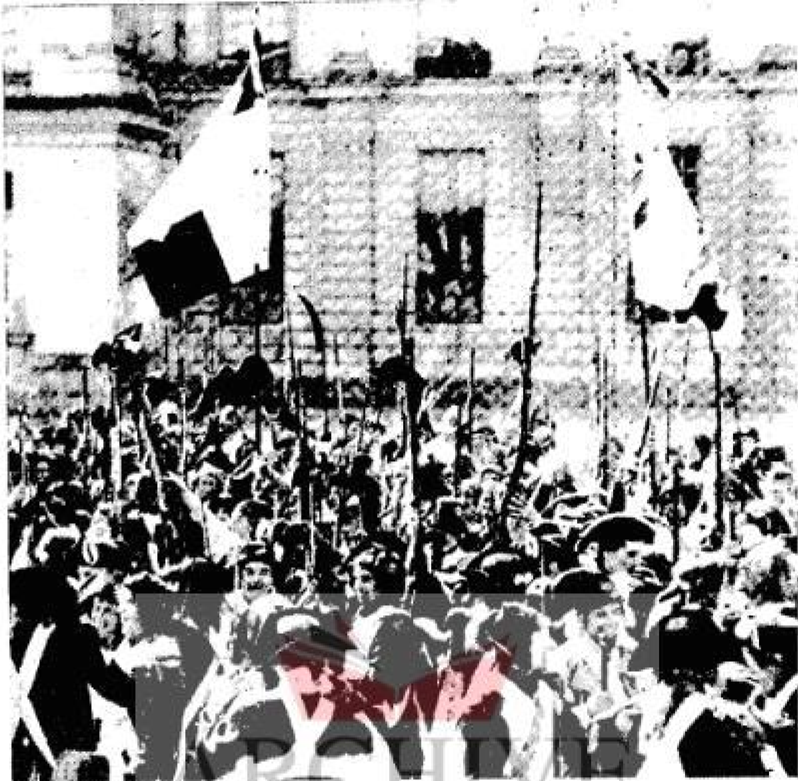
حتى توجه موكب من الاف النساء (١٧٨٩/١٠/٥) الى قصر «فيرساي» مطالبا ..

اولا بالخبز وثانيا بانتقال الاسرة المالكة والجمعية التاسيسية الى باريس ..

ومع الاستجابة الى الطلب الأخير ، وانتقال البلاط الى قصر التوليرى بالعاصمة ، اصبحت الاسرة المالكة رهينة فى ايدى الثوار ●






نشيد الثورة

النشيد

فى فجر العشرين من سبتمبر اى قبل اعلان الجمهورية بساعات معدودات ..

استطاع الجيش الفرنسى بمؤازرة الثوار دحر الجيش البروسى الرهيب قريبا من « فالمى » من اعمال مقاطعة شامبانيا ..

وعن هذا النصر كتب الشاعر الالمانى « جوته » الذى كان احد شهود المعركة ..

« اليوم ، ومن هذا المكان بدأ عصر جديد فى تاريخ العالم » ..

ومع هذا النصر اخذ فى الانتشار نشيد الحرب ، ذلك النشيد الذى اطلقوا عليه فيما بعد نشيد « المارسيلييز » ..

وهو من تاليف الضابط « روجيه دى ليل » الذى ابدعه فى مدينة ستراسبورج ..

وكان اول من انشده مجموعة من الرجال شدت الرحال من مارسيليا الى باريس حيث شاركت فى العصف بقصر التوليرى .



مصر و٢٠٠ سنة على الثورة الفرنسية



ماري انطوانيت

الهروب

□ في ليل الواحد والعشرين من يونيه ١٧٩١ ترك الملك قصر التوليري متوجها مع زوجته وطفليهما الى الحدود الشرقية حيث كانت تتجمع فرق من الجيش غير مشكوك فيما تحمله للملك من حب وولاء ..

وعندما ضبط الملك في « فارين » متلبسا بحمل جوازات سفر مزورة ، اعيد مقبوضا عليه ، هو واسرته ، الى باريس حيث اوقفته الجمعية التاسيسية عن ممارسة جميع ما له من سلطات

(١٧٩١/٦/٢٥) ..

هذا ولم يسترد تلك السلطات الا بعد ان وافق في الرابع عشر من سبتمبر على قبول الدستور ● .

نهاية عصر

□ لم يبق للاسرة المالكة وبالذات ماري انطوانيت سوى امل واحد ، الا وهو التدخل الاجنبي من جانب النمسا وبروسيا ..

وعندما علمت الجمعية التشريعية التي جرى انتخابها اثر

حل الجمعية التاسيسية فى خريف عام ١٧٩١ ، ان جيوشا يقوم امبراطور النمسا وملك بروسيا بحشدها على حدود فرنسا بغية اغاثة الملك « لويس الطيب » ..

بادرت باعلان الحرب على هاتين الدولتين .

وتحت تاثير الجوع والحرمان وخطب دانتون النارية زحفت على قصر التويليرى جموع مسلحة بعضها من باريس والاخرى من مارسيليا (١٧٩٢/٨/١٠) .

فما كان من الملك الا ان لجا الى الجمعية التشريعية التى لم تستطع حمايته .. وذلك لانها بدورها كانت تلفظ الانفاس الاخيرة .

وعلى كل فما ان انعقدت الجمعية الوطنية الجديدة عقب انتخابها حتى بادرت بالغاء الملكية واعلان الجمهورية .. وكان قرارها هذا بالاجماع (١٧٩٢/٩/٢١) .. سقطت دولة البربون وانتهى عصر ● ..



مارا مقتالا



اعداء الشعب

أعداء الشعب

□ بدا العصر الجديد والجمهورية مهددة بالغزو من الخارج وبالحرب الأهلية فى الداخل .

وكان ان انقسمت فى مواجهة هذه الاخطار صفوف الجمهوريين فى الجمعية الوطنية الى اغلبية معتدلة من الجيروند واقلية من الجبليين تستطيع ان تحرك الشارع .

وقد وضح هذا الانقسام بجلاء عند التصويب فى تلك الجمعية على اعدام الملك ..

فالرأى القائل بضرورة اعدامه لم يفز الا باصوات ثلاثمائة وواحد وستين نائبا من بين سبعمائة وواحد وعشرين نائبا اى ان اعدامه بتهمة الخيانة العظمى لم يرجح الا بفضل صوت واحد .

ومع اتساع هوة الخلاف بين الثوار وانهزام جيوش الجمهورية وخيانة بعض القواد والتضخم وانهيار الاقتصاد .. جرى تشكيل لجنة الأمن العام وبدا عصر الارهاب يكثر فيه الضحايا من النبلاء والثوار والعلماء على حد سواء ..

عصر باهر مفعم بالأمجاد ..

عصر مفعم بالاسى يغتال فيه صوت الشعب « جان بول مارا » بايدى « شارلوت كوردى » المخضبة بالدماء ..

عصر ينتهى بقادة الثورة « دانتون » ، « كاميل ديمولين » ، « سان جوست » ، « روبسبيير » وغيرهم كثير

ينتهى بهم جميعا الى المقصلة حيث تجتث رءوسهم وسط تهليل وتكبير الجماهير !!

الكورسيكى المفتون

ما ان انتهت مؤامرة ترميدور (٢٧ يولية ١٧٩٤) التى راح ضحيتها روبسبيير ورفاقه أجمعون ، حتى استبد بالجمهورية الفساد متمثلا فى حكومة الديركتوار (١٧٩٥ - ٩٩) ..

وبدا نجم ضابط شاب من جزيرة كورسيكا فى الصعود بفضل انتصاراته فى الحملة الايطالية ، ومغامراته فى الحملة المصرية ..

وفى التاسع من نوفمبر ١٧٩٩ (١٨ بروميير) قام ذلك الضابط بانقلاب عسكرى ..

ويعتبر التاريخ الاخير نهاية الثورة الفرنسية ، فمن بعده اصبح نابليون بونابرت قيصرا آمرا ناهيا ثم امبراطورا طاغية لاتطيق اذناه سماع كلمتى ثورة وحرية تردان على اى لسان ..



مصر و ٢٠٠ سنة على الثورة الفرنسية



...بليون .. بوجه مارلون براندو



ثم كانت غزوات ونزوات انتهت بواقعة « ووتارلو » وعزل ابن كورسيكا على صخرة سنت هيلانة الموحشة فى عرض بحر الظلمات ..

وعاد « البوربون » الى ملكهم فى فرنسا ، وعاد فى ذيلهم اشراف الاقطاع .

حاول « نابليون » ان يمحو عام ١٧٨٩ بعام نهاية الثورة ١٧٩٩ وفشل ..

فمن منا يتذكر عام الغروب .. ومن منا لايتذكر عام الشروق ، عام بداية تلك الثورة التى تركت فى العالم آثارا بعيدة عميقة ليس الى محوها من سبيل .

نابليون بونابرت



التنوير بين العرب

التنوير ظاهرة حضارية نشات في النصف الثانى من القرن السابع عشر على نحو مايرى بول هازار فى كتابه « أزمة الضمير الأوربى » او فى نهاية القرن السادس عشر فى انجلترا على نحو مايرى كريستوفر هلى فى كتابه « الأصول العقلانية للثورة الانجليزية » .

وهذا التباين فى تاريخ التنوير يلازمه تباين فى معناه . فهو قد يعنى وحدة المعرفة ، اى مزج اللاهوت بالفلسفة ، والايمان بالفكر الوثنى اليونانى والرومانى . وقد يعنى التبشير بالنزعة الانسانية ، اى البحث فى قيمة الانسان وشروط سعادته ، وقدرته على مواجهة القدر .

● وقد يبدو لأول وهلة أن هذه المعانى متباينة ، ولكن مع النظرة الفاحصة ندرك أنها تدور على علمانية الثقافة وبزوغ الانسان العقلانى . وقد كانت الثورة الفرنسية معبرة عن هذه العلمانية والعقلانية .

العلمانية (بفتح العين) هى تحديد للوجود الطبيعى والانسانى ببعدين هما الزمان والمكان ، أى هى تفكير فى النسبى بما هو نسبى وليس بما هو مطلق . اما العقلانية فهى عقلانية التنوير التى ترفض كل سلطان ماعدا سلطان العقل . ولهذا فان هذه العقلانية هى تتويج للعلمانية . ومن أجل مزيد من الايضاح أترجم هنا جزءا من مقال لفيلسوف التنوير عمانوئيل كانط :

« التنوير هجرة الانسان من اللارشد ، فاللارشد هو علة هذه الهجرة ، وهو عجز الانسان عن الافادة من عقله من غير معونة الآخرين . كما ان اللارشد سببه الانسان ذاته هذا اذا لم يكن سببه نقصا فى العقل ، وانما نقص فى التصميم والجرأة على استخدام العقل من غير معونة

والغــــرب

مـــصـــر
و٢٠٠ سنة
عــلــى
الثورة الفرنسية



بقلم: د. مــراد وهــبه

الآخرين . كن جريئا فى استخدام عقلك . هذا هو شعار التنوير . فالكسل والجبن هما السببان فى بقاء معظم البشر فى حالة اللارشد طوال حياتهم ، مع ان الطبيعة قد حررتهم من الاعتماد على الآخرين . بل هما السببان فى تسهيل الأمر للآخرين . انه يطيب لنا أن نكون من غير الراشدين ، بل يطيب لنا ان يكون الكتاب بديلا عن عقلى ، والكاهن بديلا عن وعى ، والطبيب مرشدا لما ينبغى تناوله من طعام . وليس ثمة مبرر للتفكير اذا كان فى مقدورى شراؤه . فالآخر كفيل بتوفير جهدى . ان

الشيخ محمد عبده



الغالبية العظمى من البشر تدرك ان الطريق الى الرشد ليس فقط وعرا بل محفوفا بالمخاطر » .

ولا أدل على هذه المخاطر من أن كانط نفسه قد وجهت اليه رسالة ملكية تعرب عن عدم رضا الملك لكتابه « الدين في حدود العقل الخالص » ، ويطلب منه الكف عن نشر أضاليله . بل إن هذه المخاطر قد لازمت فلاسفة التنوير فى فرنسا . فقد صدر أمر السلطة بأحراق كتاب فولتير « رسائل فلسفية » وحبس ديدرو ستة أشهر بسبب كتابه « خواطر فلسفية » ، وتوقف دالامبير عن الكتابة فى « الموسوعة » بسبب الحملات العنيفة من جانب المتدينين . وعلى الرغم من هذه الحملات اشتعلت الثورة الفرنسية بقيادة فلاسفة التنوير والطبقة البرجوازية الصاعدة على انقاض الطبقة الاقطاعية فى تلاحمهامع الحق الالهى للملك .

● ابن رشد ومفهوم التاويل

والغريب فى أمر التنوير الأوربى على الاطلاق والتنوير الفرنسى على

التنــويـــــر
بين العرب والغرب

التخصيص أنه لم ينشأ من فراغ فله جذور وفي الامكان الكشف عن هذه الجذور اذا تعقبنا مسار التطور الفكرى فى أوربا ابتداء من عهد فردريك بارباروسا فى القرن الثانى عشر عندما دخل فى صراع مع السلطة الدينية والطبقة الاقطاعية . وأشير عليـه بتكوين مجموعة من الباحثين لترجمة مؤلفات ابن رشد لتكون سندا له فى توجيه هذا الصراع . وقيمة ابن رشد كامنة فى مفهومه عن « التأويل » فى كتابه « فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » حيث يقول : « والمعارف التى قد يكشف عنها النظر البرهانى ، اما ان تمت الى ماقد سكت عنه الشرع أو ماصرح به . فاذا كان قد سكت عنه فلا اشكال فى الأمر ان شأنه فى ذلك شأن الأحكام الفقهية التى لم يتطرق اليها الشرع وانما استنبطت بالقياس الشرعى . واذا كان قد صرح به فاما ان يكون مما يتفق مع مايقضى اليه البرهان او لايتفق . فاذا لم يتفق تحتم تأويله ، أى اخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية الى الدلالة المجازية(١)

والتأويل ، عند ابن رشد ، يختص به « الراسخون بالعلم » دون سواهم : فاذا ذهب مفكر الى ان تقرير مايجوز تأويله ومالايجوز انما يكون باجماع المسلمين قلنا ان من ائمة النظر من لايقطع بتكفير من خرق الاجماع فى التأويل .(٢) **وانا أعتقد أن هذا المفهوم للتأويل هو السبب الحقيقى فى نقمة الخليفة المنصور والجمهور على ابن رشد** . فقد أمر الخليفة ابن رشد بالاقامة الجبرية بمدينة اليسانة مع عدد من المشتغلين بالحكمة والعلوم ، كما أمر باحراق كتبه وسائر كتب الفلسفة وحظر الاشتغال بالفلسفة .

أما فى أوربا فبعد ترجمة مؤلفات ابن رشد دار صراع حول أفكاره وانقسم الفلاسفة المدرسيين الى فريقين : فريق يأخذ بأقواله دون تحفظ ، وفريق ينعى عليه اصطدامه الصريح ببعض جوانب الحقيقة المنزلة وقد تزعم الفريق الأول سيجر دى برابانت حامل لواء الرشدية اللاتينية فى باريس فى القرن الثالث عشر . وتزعم الفريق الثانى القديس توما الأكوينى وبلغ من حدة الصراع بين هذين الفريقين أن اضطرت السلطات الكنسية الى التدخل فأدانت عام ١٢٧١ ، ١٢٧٧ عددا من القضايا الفلسفية الكبرى التى تلزم عن « تأويل » ابن رشد . ومع ذلك استمر اثر ابن رشد طيلة عدة قرون حتى القرن الثامن عشر ، قرن التنوير . وهكذا يمكن القول بأن من بين جذور التنوير فلسفة ابن رشد وعلى الأخص مفهوم « التأويل » .

● مفهوم العلمانية

اما عند العرب فلا أثر لابن رشد ، فقد انتهى منذ إحراق مؤلفاته . وحتى عندما أراد فرح انطون احياء ابن رشد فى كتابه « ابن رشد وفلسفته » الذى استخلص منه فرح انطون مفهوم العلمانية هاجمه الشيخ محمد عبده على الرغم من العلاقة الحميمة بينهما بحجة ان فصل الدين عن الدولة ليس فقط امرا غير مرغوب بل هو أمر محال .

اما رفاعه الطهطاوى فيبدو أنه قد وعى الدرس بدقة . ففى كتابه « تخليص الابريز فى تلخيص باريز » يضع تحفظات وتنبيهات وتحذيرات الى



مصر و٢٠٠ سنة على الثورة الفرنسية

القارىء تدور على السيئات التى يتسم بها العقل الأوربى ، وعلى الأخص عقل التنوير الفرنسى بالرغم من انه قد ترجم ، مدة اقامته فى فرنسا ، اثنى عشر كتابا ، وقرأ « روح القوانين » لمونتسكيو ، و« العقد الاجتماعى » لروسو ، ومعجم الفلسفة لفولتير . وكل هذا يعنى ان رفاعة ، وهو ينقل ثقافة التنوير كان يدعو فى نفس الوقت الى عدم تمثل هذه الثقافة .



والسبب فى ذلك ان روسو ومونتسكيو وفولتير كانوا يدعون الى تأسيس مجتمع لايستند إلى أسس دينية وانما الى أسس مدنية لأن المجتمع من صنع الانسان وحده . ولهذا أخطأ البرت حوراني حين قرر أن فكر التنوير الفرنسي قد ترك أثرا فى رفاعة وفى العقل المصرى بفضل رفاعة »[٣] .

اما الشيخ على عبد الرازق فقد كان جسورا فى الاعلان عن تأثره بالتنوير فى كتابه « الاسلام واصول الحكم » وعلى الأخص تأثره بنظرية العقد الاجتماعي وتأسيسا على هذا . التأثر انكر الشيخ عبد الرازق الخلافة من حيث هى مفهوم دينى . يقول « الواقع المحسوس الذى يؤيده العقل ، ويشهد به التاريخ قديما وحديثا أن شعائر الله تعالى ومظاهر دينه الكريم لاتتوقف على ذلك النوع من الحكومة الذى يسميه الفقهاء خلافة ولا على أولئك الذين يلقبهم الناس خلفاء . والواقع ايضا أن صلاح المسلمين فى دنياهم لا يتوقف على شيء من ذلك . فليس بنا من حاجة الى تلك الخلافة لأمور ديننا ولا لأمور دنيانا »

ثم هو ينكر الربط بين الدين والدولة . يقول « إن السلاطين قد


فولتير

روجوا لهذا الخطأ الذى ساد بين الناس ان الخلافة مركز دينى ليتخذوا من الدين درعا تحمى عروشهم وتزود الخارجين عنهم . ومازالوا يروجون له من طرق شتى حتى افهموا الناس ان طاعة الأئمة من طاعة الله ، وعصيانهم من عصيان الله . ولم يكتفوا بذلك بل جعلوا السلطان خليفة الله على ارضه ، وظله الممدود على عباده !!

● خطط سياسية

ويخلص من ذلك الى القول « والحق ان الدين الاسلامى برىء من تلك الخلافة التى يتعارفها المسلمون ، وبرىء من كل ماهيأوا حولها من رغبة ورهبة ، ومن عز وقوة ، والخلافة ليست فى شيء من الخطط الدينية ، كلا ولا القضاء ولاغيرهما من وظائف الحكم



ومراكز الدولة . وانما تلك كلها خطط سياسية صرفة ، لا شأن للدين بها ، فهو لم يعرفها ولم ينكرها ، ولا أمر بها ولانهى عنها ، وإنما تركها لنا ، لنرجع فيها الى أحكام العقل ، وتجارب الأمم ، وقواعد السياسة » !!

وإثر صدور الكتاب بهذا التوجه التنويرى حوكم الشيخ على عبد الرازق امام هيئة كبار العلماء بحضور اربعة وعشرين عالما من علماء الهيئة بدعوى ان كتابه يحوى امورا مخالفة للدين ولنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية واجماع الأمة . ومن هذه الأمور قوله ان الشريعة الاسلامية شريعة روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ فى أمور الدنيا . وقوله إن حكومة ابى بكر والخلفاء الراشدين كانت لادينية .

ثم صدر الحكم باجماع الآراء باخراج الشيخ على عبد الرازق من زمرة العلماء ، ومحو اسمه من سجلات الجامع الأزهر ، وطرده من كل وظيفة ، وعدم اهليته للقيام باية وظيفة عمومية دينية كانت أو غير دينية .(٤)

وقد أيد هذا الحكم الشيخ محمد رشيد رضا تلميذ الشيخ محمد عبده فى مجلة « المنار » متهما الشيخ على عبد الرازق بالالحاد والزندقة .

وفى بداية الأربعينيات تبلور قرار هيئة كبار العلماء ضد الشيخ على عبد الرازق فى صورة حزب اسلامى هو جماعة الاخوان المسلمين . وهذا الحزب جماهيرى بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة . وهو يقف ضد « التنوير » باعتباره ظاهرة غربية استعمارية تقع فى مجال مايسميه سيد قطب المنظر لهذه الحزب ، « المجتمع الجاهلى » . وانا اعتقد انه ليس ثمة حزب جماهيرى مناقض لحزب الاخوان المسلمين ، وبالتالى ليس ثمة تنوير .

مراجع

(١) ابن رشد ، فصل المقال : ص ٨
(٢) نفس المرجع .

3) Albert Hourani, Arbic thousht in the Liberal Age, Oxford University Press, 1970, p · 96

(٤) المقطم ، ٤ سبتمبر ١٩٢٥ .

ثورية الثورة

تثير احتفالات فرنسا بمرور مائتى سنة على قيام الثورة الفرنسية وعلى سقوط الباستيل يوم ١٤ يوليو عام ١٧٨٩ كثيرا من الجدل والنقاش فى الخارج ؛ ويعجب بعض الكتاب والمؤرخين وبخاصة فى أمريكا لذلك الاهتمام (المحموم) بذكرى سقوط الباستيل ويتساءلون عما إذا كانت أحداث الثورة الفرنسية وما صاحبها من عنف وإرهاب ومذابح تستحق كل هذا الاهتمام الذى تجاوز حدود فرنسا وامتد إلى كثير من دول العالم بحيث صدر فى العام الماضى وبداية هذا العام عدد كبير من الكتب والدراسات الجادة كما عقدت الندوات العلمية حول فلسفة الثورة وانجازاتها وتأثيرها فى مسيرة التاريخ العالمى.

● علاوة على الاستعدادات الهائلة التى تقوم بها الحكومة الفرنسية والفرنسيون أنفسهم للاحتفال بهذه المناسبة على نحو مهيب لم ير العالم فى الأغلب مثيلا له من قبل ، وهل تتميز الثورة الفرنسية عن غيرها من الثورات السياسية والاجتماعية الكبرى بميزات معينة تجعل لها (خصوصية) فريدة بين هذه الثورات وتبرر مشاركة العالم كله فى الاحتفال - أو على الأقل إبداء الاهتمام - بذكرى قيامها ، أم أن المسألة لا تتعدى رغبة الفرنسيين الجارفة فى الاشادة بأمجادهم وتذكير العالم بهذه الأمجاد .

وأن هذه الاحتفالات والمهرجانات التى تقيمها فرنسا بهذه المناسبة هى تعبير عن الشخصية الفرنسية وانعكاس لها أكثر مما هى دليل ومقياس لانجازات الثورة وأن الفرنسيين أفلحوا فى أن يسحبوا العالم وراءهم ويشبعوا بذلك بعض الرغبات الدفينة بالشعور بالعظمة خاصة فى الوقت الحالى بعد أن تراجعت فرنسا أمام قوى دولية أكبر



الفرنسية

مصر و٢٠٠ سنة على الثورة الفرنسية

بقلم: د. أحمد أبو زيد

وأكثر فعالية منها فى شئون السياسة والاقتصاد كما تزاحمها مزاحمة عنيفة فى أمور الثقافة ؟

والواقع أن فرنسا كانت دائما شديدة الاعتزاز بثورتها كما كانت تحرص دائما على الاحتفال بها بطريقتها الخاصة المميزة التى تكشف عن طبيعة العقلية الفرنسية الحضارية فقد احتفلت فرنسا عام ١٨٨٩ بمرور مائة سنة على قيام الثورة وأقامت فى هذه المناسبة برج إيفل الشهير ليصبح أحد المعالم الرئيسية فى العاصمة الفرنسية . ثم استعدت فرنسا عام ١٩٣٩ للاحتفال بمرور مائة وخمسين عاما على الثورة ولكن صادف



ميتران



جاك شيراك

ذلك بعض المتاعب والصعوبات لأن وزارة المالية الفرنسية كانت تعترض اعتراضا شديدا على ضخامة التكاليف كما كان رئيس الجمهورية نفسه يخشى من أن تتحول الاحتفالات الوطنية إلى مظاهرات ومسيرات يسارية ضخمة كما أن الشعب نفسه لم يظهر كثيرا من التحمس لهذه الاحتفالات نظرا للظروف السياسية العالمية والأوضاع العامة التى كانت تحيط بفرنسا فى ذلك الحين . ولم يكد الصيف يقترب من نهايته حتى كانت الحرب العالمية الثانية تدق أبواب أوربا وفرنسا .

ومع أن الاحتفالات بمرور مائتى سنة على الثورة الفرنسية خلال هذا الشهر (يوليو ١٩٨٩) تسير على ما يبدو فى طريقها الطبيعى الذى يتفق وجلال المناسبة فقد تعرضت هذه الاحتفالات أو الاعداد لها لكثير من المتاعب نتيجة للمنافسة والغيرة الشديدة بين الرئيس ميتران وجاك شيراك عمدة باريس والذى كان ينافسه على الرئاسة فى الانتخابات الأخيرة . وألقت هذه المنافسة بعض

ثوريسة الثورة الفرنسية

الظلال القاتمة على الاستعداد لهذه الاحتفالات ، كما أدت إلى أن يسقط الرئيس ميتران من خطته فكرة إقامة معرض دولى فى باريس أثناء هذه الاحتفالات ، فقد اعترض عمدة باريس بشدة على الفكرة على أساس أن باريس لن تستطيع أن تستوعب فى وقت واحد كل تلك الأعداد الهائلة من الزوار الأجانب الذين سوف يتوافدون عليها لحضور الاحتفالات ، ومشاهدة المعرض ، واتهم رئيس الجمهورية بأنه لا يأخذ فى اعتباره راحة سكان المدينة ولا يهتم بما قد تسببه كل تلك الأعداد الكبيرة من ضغوط نفسية على أهل (الدائرة الانتخابية) .

وبذلك لم يجد رئيس الجمهورية مفرا من إغفال الفكرة لأن المعرض لا يمكن أن يقام ضد رغبة (البلدية) .

● أحداث لها تاريخ ●

ولكن هذا كله لا يمنع من أن الاحتفالات تلقى كثيرا من الاهتمام والترحيب والحماس من الفرنسيين أنفسهم ومن العالم كله مما يثير حفيظة وغيرة بعض الكتاب والمؤرخين فى أمريكا وبريطانيا ، فلكل من البلدين ثورته الكبرى التى لم تحظ بمثل هذا الاهتمام . وقد انعكست هذه الغيرة فى كثير من الكتابات بما فى ذلك كتابات بعض كبار المؤرخين الذين يعرفون كيف يغلفون غيرتهم فى غلاف رقيق من أسلوب العرض الساحر الساخر للحقائق والوقائع التاريخية بحيث يبرزون الجوانب الضعيفة فى أحداث الثورة ويركزون على ما صاحبها من عنف وإرهاب ومبالغة فى القسوة وأحداث القتل . فالأستاذ روبرت دارنتون أستاذ تاريخ أوربا الحديث فى جامعة برنستون مثلا يقول إنه إذا كانت فرنسا تحتفل بمرور مائتى عام على سقوط الباستيل وعلى إزالة الاقطاع وعلى إعلان حقوق الانسان والمواطن فإن الوضع فى فرنسا فى الفترة التى قامت فيها الثورة لم يكن فى حقيقة الأمر على كل ذلك القدر من السوء كما يعتقد الكثيرون . فالباستيل كان خاليا تقريبا من السجناء وقت الهجوم عليه يوم ١٤ يوليو ١٧٨٩ كما أن الاقامة فيه لم تكن سيئة تماما كما يتصور الناس ولكن ذلك لم يمنع الرعاع والدهماء من أن يقتلوا مدير السجن لا لشىء إلا لأنه كان من النبلاء ثم طافوا بعد ذلك بجسده فى الشوارع . كذلك كان الاقطاع قد انتهى بالفعل وقت أن أعلنت الثورة عن إلغائه أو لم يكن له على الأقل وجود بمثل تلك الدرجة الفاحشة . وإذا كانت الثورة قد أعلنت حقوق الانسان والمواطن فإنها لم تلبث أن أهدرت هذه الحقوق بما ارتكبته من جرائم ومذابح وموجات إرهاب اجتاحت فرنسا كلها بعد خمس سنوات فقط من إعلان تلك

الحقوق ، لدرجة أن بعض المؤرخين البريطانيين مثل الفريد كوبان كان يصف هذه (الاعلانات) بأنها مجرد أسطورة . ولقد بلغت السخرية بكاتب مثل كونور كروز أوبريان أن ينعى على الروائى الفرنسى الشهير ستندال اعترافه بأنه شعر بكثير من السرور والانشراح البالغين لاعدام لويس السادس عشر (مع أن ستندال كان صبيا فى ذلك الحين) . ويقول أوبريان فى ذلك إنه لا يشك فى أن الكثيرين فى بريطانيا تقبلوا بكل الرضا الحكم بإعدام الملك شارل الأول بل وكانوا يودون من صميم قلوبهم لو أن إعدامه انتهى إلى نفس النهاية التى انتهى اليها اعدام لويس السادس عشر (أى انتهاء الملكية من بريطانيا) ولكن أن يشعر الانسان بالسرور والانشراح لاعدام أى شخص كان هذا هو الأمر غير المقبول وغير المريح .

بل أن السخرية التى تخفى وراءها كثيرا من الغيرة وصلت ببعض الكتاب الى درجة انتقاد الاستعدادات الهائلة التى يقوم بها الشعب والحكومة الآن للاحتفال بالمناسبة ويزعمون أن كل تلك الحفلات والمهرجانات والألعاب النارية والاستعراضات الراقصة سوف تجعل من باريس نسخة مزيفة من (ديزنى لاند) وأنها فى عمومها تكشف عن مدى فساد الذوق الذى يتفوق فيه الفرنسيون على بقية الشعوب . وهكذا .



وأيا ما يكون الأمر فإن السؤال الذى يختفى وراء كل هذه الانتقادات هو : ما خصوصية تلك الثورة الفرنسية التى تدعو إلى كل ذلك الاهتمام ؟ وهو اهتمام يكشف فى حد ذاته عن قدرة الثورة على البقاء حية فى أذهان الناس وعلى انها افلحت فى أن تفرض نفسها على تاريخ العالم والانسانية ؟ وما العناصر الثورية الخاصة التى تميز هذه الثورة وتلك التى أوجدتها الثورة بحيث يمكن الكلام عن (ثورية) الثورة إن صح هذا التعبير .

● عندما يتحول العنف من اداة إلى هدف

بدأت الثورة فى مايو ١٧٨٩ بعد أن تأزمت الأمور بالدولة ووصلت الى حافة الانهيار والافلاس . وقد بذلت «الجمعية الوطنية» ـ كما أطلق عليها حينذاك ـ كثيرا من الجهد لمحاولة الاصلاح مثل إعلان حقوق الانسان والغاء الامتيازات الاقطاعية وإعادة النظر فى كثير من الأوضاع الدستورية ولكن هذا النشاط السياسى المكثف الذى استمر لعدة شهور تخللته بعض (الفرقعات) ـ على ما يقول الاستاذ جونسون أستاذ السياسة فى جامعة اكسفورد ـ التى كان لها دوى هائل

ثورية
الثورة الفرنسية

ورسمت الطريق الذى سارت فيه الأمور بعد ذلك . وكان اقتحام الباستيل ـ رمز الطغيان فى عهد الملكية إحدى هذه الفرقعات . ثم حدثت فرقعة أخرى من هذه الفرقعات يوم ٦ أكتوبر من العام نفسه (١٧٨٩) حين اقتادت الجماهير العائلة المالكة من قصر فرساى للاقامة فى العاصمة . وقد ارتكبت مذابح كثيرة وسادت موجات عنيفة من الارهاب الذى لم يكن يحكمه أى تفكير عقلانى . ووصل الرعب مداه فى مذابح سبتمبر عام ١٧٩٢ والتى راح ضحيتها مالايقل عن الف شخص . ويعترف المؤرخون بأنهم لا يعرفون تماما حقيقة ما حدث لأن الوثائق الخاصة بهذه الأحداث دمرت تماما ولم يعد لها وجود . ولكن بعض المؤرخين البريطانيين يذهبون الى أن هذه المذابح (الجماعية) اتخذت شكلا طقوسيا ومأساويا كما أن المؤرخ الفرنسى بيير كارون الذى أصدر عام ١٩٣٥ كتابا عن مذابح سبتمبر يقول إن هذه المذابح كان لها طابع (شعائرى) جارف . وقد بدأت المذابح بالهجوم على بعض السجون بزعم القضاء على بعض المؤامرات التى كانت تدبر فيها للأطاحة بالثورة . واقام (الدهماء) من انفسهم محكمة وقضاة ومحلفين فى فناء أحد هذه السجون حيث كان السجناء يقدمون للمحاكمة واحدا بعد الآخر فتوجه إليهم التهم ويحكم لهم أو عليهم ليس تبعا للأدلة والشواهد وإنما تبعا لمظهرهم العام وسلوكهم وتصرفاتهم وشخصيتهم بل وتكوينهم الجسدى كما كان أى تردد او اى اضطراب يظهر على الشخص يعتبر دليلا على الادانة وعلى ثبوت التهمة فيحكم عليه بالاعدام . وكان الذى يتولى المحاكمة وإصدار الحكم شخصا عاديا كما كانت احكامه تقابل بالتصفيق والصياح من الجماهير الذين تجمعوا من الشوارع المحيطة وأصبحوا بمثابة محلفين . وكان الشخص الذى يحكم ببراءته يؤخذ بالاحضان والقبلات والتهنئة ببراءته ثم يحملونه على الاكتاف ويطوفون به فى الشوارع بينما كان الشخص الذى يحكم عليه بالادانة يتم إعدامه طعنا بالخناجر والسيوف والضرب بالهراوات الثقيلة ثم تنزع عنه ملابسه ويلقى بجسده فوق كومة من أجساد الآخرين الذين سبقوه الى الموت ، أو كانت تقطع أوصاله ويطاف بالجسد معلقا فوق سارية فى الشوارع والغريب أن الذين كانوا يقترفون هذه المذابح كانوا يرتكبونها باسم الثورة والدفاع عن الحضارة والحرية وتطهير الأرض من أعداء الانسانية .

وقد تختلف الآراء حول تفسير كل ذلك العنف والقسوة والارهاب . وقد

مصر و٢٠٠ سنة على الثورة الفرنسية



يكون ذلك كله نوعا من رد الفعل على المظالم التى كانت تسود وترتكب أيام النظام الملكى القديم بكل ما كان يحمله من شرور وآثام وإهدار لآدمية الناس من أفراد (الطبقة الثالثة) وأنه كان لابد ازاء ذلك كله من القضاء تماما على معالم ذلك النظام القديم والمحافظة على مبادىء الثورة من التعرض للخطر والانهيار ومقاومة أية محاولة للقيام بثورة مضادة من جانب الفئات التى كانت تريد المحافظة على الاوضاع التقليدية الراهنة ولذا لم يكن هناك طريق آخر أمام الثورة سوى استخدام العنف كوسيلة لتنوير الحياة ذاتها وقلب وتغيير كل الأوضاع القديمة وكل ما يذكر الناس بها . ولكن الظاهر ان العنف تحول من اداة الى هدف وزال بذلك الحاجز الفاصل بين الوسيلة والغاية ، فمعظم الأحداث الارهابية العنيفة وقعت نتيجة الخوف على الثورة من الحركات المضادة خلال الفترة بين عام ١٧٨٩ و عام ١٧٩٩ حين امسك بونابرت بزمام السلطة .

فكأن الظروف والملابسات العامة التى أحاطت بالثورة كانت وراء ذلك العنف الدموى خلال تلك السنوات العشر - أو بعضها على الأقل ، لأنه من الصعب رد مذابح سبتمبر ١٧٩٢ التى راح ضحيتها كثير من الأبرياء الى تلك الظروف والملابسات وحدها وإغفال المزاج العام الذى سيطر على الشعب الثائر وشهوته نحو الدماء وبعض المؤرخين يذهبون الآن الى أن ذلك العنف كان فى حقيقة الأمر امتدادا لمظاهر القسوة والميل الى الاجرام وسفك الدماء التى كانت تسود الشارع الباريسى وتميز الحياة اليومية فى العاصمة قبل قيام الثورة . وكما يقول هؤلاء المؤرخون وأساتذة السياسة من أمثال الاستاذ جونسون والأستاذ دارنتون أن الناس فى باريس فى القرن الثامن عشر لم يكونوا يستطيعون السير فى الشوارع دون أن تتلطخ أحذيتهم بدماء القتلى الذين كانوا يتساقطون لأوهى الأسباب ، كما أن الناس كانوا يألفون منظر إعدام المجرمين او تقطيع أوصالهم علنا . فالعنف والقتل والدماء كانت كلها عناصر مألوفة فى الحياة اليومية لدى الرجل العادى ، وكل ما فعلته الثورة هو أنها أطلقت العنان بدون قيد أو ضابط للرغبات الدموية الكامنة عند الناس ، والعيب الوحيد فى ذلك هو أن أحداث القتل والعنف والاعدام ظهرت بشكل اكثر تركيزا عما كان يحدث من قبل وأن الذى كان يتولى هذه العملية هم أفراد الشعب أو أفراد الطبقة الثالثة .

● تصور جديد لمفهومى الزمان والمكان

ولكن الثورة الفرنسية لم تكن مجرد مذابح جماعية وعنف وقسوة وارهاب واعدام والا لما دخلت التاريخ ولما اصبحت نقطة تحول مضيئة فى تاريخ الحضارة وتاريخ الانسان وبوجه أخص تاريخ اوربا الحديث . كذلك لم تكن الثورة الفرنسية مجرد حركة لاسقاط النظام الملكى او استبدال بشكل الحكومة والدولة شكل آخر ، فقد ادت الثورة بجانب تحقيق هذا كله الى قيام نظام اجتماعى جديد ومتكامل على انقاض النظام القديم ، كما عملت على ارساء قواعد وقيم ومعتقدات ونظم وعلاقات جديدة تماما ، اى انها غيرت المجتمع الفرنسى من اساسه وفى كثير من تفاصيل الحياة الدقيقة . فالثورة الفرنسية كانت ثورة اجتماعية بقدر ما كانت ثورة سياسية وهذا لايعنى بطبيعة الحال التهوين من شأن التغيير السياسى الذى طرأ على اسلوب الحكم . فقد كانت السياسة قبل عام ١٧٨٩ (تصنع) فى فرساى فى بلاط الملك ولم يكن رجل الشارع العادى يدرك خباياها او يفهم معنى مايتخذ من قرارات سياسية فضلا عن ان يشارك فى صنع هذه القرارات .

ولذا فحين وجد الناس أنفسهم أمام المشكلات السياسية التى لم يكونوا على وعى بها قبل الثورة اضطروا لأن يخترعوا كلمات ومصطلحات تتفق مع المقولات والاتجاهات والأوضاع السياسية التى أسهموا هم أنفسهم فى خلقها ، وظهرت ، مفاهيم جديدة ومصطلحات تتفق مع هذه المفاهيم مثل اليمين واليسار وهى مصطلحات وكلمات استمدوها من نفس طريقة الجلوس وتوزيع الأماكن والمقاعد فى الجمعية الوطنية ، وهذا معناه أن التجربة جاءت أولا ثم جاء المفهوم والتصور والمصطلح بعد ذلك .. بل إن كثيرا من هذه المفاهيم التى أدخلتها الثورة الفرنسية والتى كانت تعتبر بمقاييس القرن الثامن عشر انقلابا هائلا فى الفكرين السياسى والاجتماعى وفى النظرة الى العالم لم تكن واضحة تماما فى أذهان الذين كانوا ينادون بها وعملوا على صياغتها ونشرها وترسيخها فى أذهان الناس بحيث أصبحت من أهم مبادىء الثورة . فمفاهيم الحرية المدنية مثلا أو المساواة أمام القانون أو سيادة الشعب وما اليها كانت تعتبر ـ حسب التعبير الذى يستخدمه الأستاذ دارنتون ـ بمثابة متفجرات عنيفة المفعول عام ١٧٨٩ ، وإن كانت هذه المفاهيم والمصطلحات فى ذاتها تؤلف جزءا من القاموس السياسى المألوف والشائع فى الوقت الحاضر .. فلم يكن

معظم الناس فى ذلك الحين يعتبرون عدم المساواة فى الحقوق والواجبات مسألة غريبة وإنما كانوا على العكس من ذلك يعتبرون عدم المساواة أمرا طبيعيا ومقبولا لأنه يتفق مع النظام التدرجي الذى هو نظام طبيعي ، وكانت الحرية تعنى تحت النظام القديم حرية فئات معينة من المجتمع فى أن تعمل ما تشاء بفضل الامتيازات التى تتمتع بها والتى يمنحها الملك وحده لهم وهكذا . وقد حاول فلاسفة القرن الثامن عشر - أو عصر التنوير - مقاومة هذه الأوضاع وكشف زيفها وأفلحوا فى القاء بعض الظلال القاتمة الكثيفة عليها وعلى النظام الملكى وعلى التاج وعلى هالة القداسة التى كانت الملكية تحيط نفسها بها ، لعبت المنشورات السياسية دورا كبيرا فى الكشف عن زيف تلك الدعاوى وأسهمت بذلك فى تفجير الوقف وتحطيم الاطار الذهنى الذى كان يسيطر على تفكير الناس أيام ذلك النظام القديم .

بل أن الثورة تعمدت تغيير بعض المفاهيم والتصورات العامة المألوفة فى الحياة اليومية العادية والتى تعتبر من العموميات الثقافية التى تسود فى كثير من المجتمعات الانسانية ولذا تؤخذ هذه التغييرات على أنها دليل ومقياس لمدى (ثورية) الثورة الفرنسية - ان صح هذا التعبير الذى نستخدمه - هنا عنوانا لهذا المقال . وحاولت الثورة بذلك وضع تصور جديد



مصر و٢٠٠ سنة على الثورة الفرنسية

لمفهومى الزمان والمكان يختلف عن التصور العام الشائع ، وبذلك عمدت الى اختراع (تقويم) خاص بها ووضع (تاريخ) ثورة مغاير ومستقل عن التاريخ المتعارف عليه وتم ذلك عام ١٧٩٢ وظلت الثورة تعمل بهذا التقويم حتى عام ١٨٠٥ وبمقتضى ذلك التقويم يبدأ الزمان الثورى من نهاية النظام الملكى القديم فى ٢ سبتمبر عام ١٧٩٢ الذى أصبح حسب التقويم الجديد هو أول شهر فندميير سنة واحد ؛ كما تم تقسيم الزمن إلى وحدات زمانية كانت تعتبر فى نظر الثورة وحدات طبيعية وأقرب الى العقل والى المنطق والى طبيعة الأشياء ، وصار (الاسبوع) يتألف من عشرة ايام وليس من سبعة ، كما يتألف الشهر من ثلاثة (أسابيع) والسنة من ١٢ شهرا واعتبرت الايام الخمسة أو الستة التى تزيد على ذلك عطلة وطنية ، وأطلق على أيام (الاسبوع) العشرة أسماء جديدة تمثل التسلسل الحسابى كما كرست بعض الأيام لبعض مظاهر الحياة الريفية او النشاط الزراعى بعد ان كانت مرتبطة فى الأصل بأسماء بعض القديسين فى التقويم المسيحى . وبذلك أصبح يوم ٢٢

ثوريـــة
الثورة الفرنسية

نوفمبر مثلا المخصص أصلا للقديسة سيسيليا هو يوم (اللفت) بينما أصبح يوم ٢٥ نوفمبر المخصص للقديسة كاترين هو يوم الخنزير وهكذا . بل إن أسماء الشهور الجديدة جعلت الزمن يبدو كما لو كان يتطابق مع الايقاع الطبيعي للفصول . فأول يناير مثلا كان يعتبر هو اليوم الثاني عشر من شهر نيفوز ، ونيفوز هو شهر الجليد الذى يأتى بعد شهر الضباب (أو شهر بروميير) وشهر البرد (أو شهر فريمير) ولكنه يسبق شهر المطر (أو شهر بليفواز) وشهر الرياح (فنتوز) وما إلى ذلك .

● منطق الثورة والوضع الجديد

وبالمثل عملت الثورة على (تثوير) مفهوم المكان أو إدخال تعديلات (ثورية) عليه وذلك عن طريق استخدام المقاييس (المترية) باعتبارها هى أيضا نوعا من التنظيم الأقرب الى الطبيعة والى العقل وأصدرت الثورة حول هذا الموضوع مراسيم معقدة تدور حول العلاقة بين وحدات الأطوال وخطوط الطول بين القطب الشمالى وخط الاستواء وهى حسابات لم يكن فى استطاعة الرجل العادى فهمها أو تطبيقها ولذا كان يقنع باتباع المقاييس المترية . ولم يكن من السهل على أية حالة أن يتقبل الناس كل هذه التغييرات (الثورية) فى أمور الحياة اليومية خاصة وأن بعض التعديلات كانت تتعارض مع المصالح الشخصية

ولم يكن من المعقول أن يتقبل الشعب مثلا بسهولة فكرة الاسبوع ذى العشرة أيام بدلا من الأيام السبعة لان ذلك كان معناه أن الشخص سوف يحصل على يوم راحة كل عشرة أيام بدلا من كل سبعة أيام كما هو الشأن فى النظام الذى كان معمولا به أيام الملكية وقبل الثورة .

ووصلت الحملة الثورية التى قادتها الثورة الفرنسية على أمور الحياة المألوفة الى حد تغيير أسماء المدن والشوارع التى تشير إلى الدول والنبلاء ورجال الدين بل والقديسين لكى تحمل أسماء ثورية جديدة وتغيرت بذلك أسماء ما يقرب من الف وخمسمائة شارع من شوارع باريس وميادينها . فأصبح ميدان لويس الخامس عشر الذى شهد إعدام بعض الشخصيات الهامة المعادية للثورة هو ميدان الثورة ثم تحول بعد ذلك إلى ميدان الكونكورد حيث لايزال يحتفظ بهذا الاسم حتى الآن . كذلك تغيرت أسماء بعض الكنائس وحملت أسماء جديدة بعيدة كل البعد عن القداسة والقديسين . وهذه على أية حال أمور عادية ومألوفة فى كل الثورات بما فى ذلك الأحداث الثورية والانقلابات الصغيرة التى لا تكاد تترك أثرا فى

تاريخ الانسانية أو فى مسيرة الحضارة . ولكن الذى له دلالته العميقة فى الثورة الفرنسية هو اتساع نطاق هذه التغييرات الصادرة عن الشعب نفسه وليس عن الزعماء والسياسيين الجدد أو الانتهازيين الذين يحاولون التقرب لهؤلاء الزعماء الجدد عن طريق إطلاق اسمائهم على بعض المنشآت كما يحدث فى العالم الثالث بشكل واضح وفاضح وممجوج .

وقد بلغت بعض هذه التغييرات الثورية حدا من الطرافة قد تدعو الآن إلى السخرية وأن كانت هذه التغييرات والتعديلات تبدو منطقية ومقبولة تحت الظروف التى تمت فيها . فلم يعد هناك ما يبرر أن يحمل أحد (الثوار) اسما مثل لويس بعد الثورة وإعدام الملك ولذا غير هؤلاء الأشخاص أسماءهم إلى اسماء اخرى جديدة ذات دلالات تتفق ومنطق الثورة والوضع الجديد ، وظهرت بذلك اسماء طريفة مثل سبارتاكوس (محرر العبيد) وبروتوس (قاتل القيصر) كما تغيرت اسماء أخرى مثل (لروا) الذى يشير إلى الملك إلى (لالوا) الذى يشير إلى القانون أو (ليبرتى) أى الحرية . بل وصل الأمر بالثوار الى حد تغيير اسم (ملكة النحل) فأصبح يطلق عليها اسم النحلة الوالدة أو على الأصح (النحلة التى تضع البيض) حتى يختفى اسم الملكة تماما من

مصر و٢٠٠ سنة على الثورة الفرنسية



الأستعمال حتى فى المجالات العلمية ، كما تغيرت اسماء قطع الشطرنج وأوراق اللعب التى تشير الى الملوك والملكات والفرسان والقلاع وما إليها . فالثوريون المخلصون للثورة لايمكن أن يلعبوا مع الملوك والملكات .

وكتب التاريخ تمتلىء بمثل هذه الأحداث التى قد تعتبر الآن طرائف ولكن لها مغزاها العميق عن الرغبة القوية فى محو كل ما يتعلق بالنظام القديم وبالملكية . وكانت هذه الرغبة القوية العميقة العنيفة وراء العنف الثورى الذى اتسمت به الثورة الفرنسية الى حد ما على الأقل . ولكن رغم كل ما يؤخذ على الثورة فى هذا الصدد فقد كان لها بغير شك الفضل فى ظهور فكرة الأمة المتماسكة الموحدة اقتصاديا وسياسيا وعاطفيا ووجدانيا . كما أطلقت مشاعر القومية من عقالها ، وهى المشاعر التى تؤلف حتى الآن قوة دافعة ومؤثرة فى الحياة الفرنسية وتحكم علاقات فرنسا بغيرها من الدول فى المجالات السياسية والثقافية على السواء وتثير بذلك كثيرا من الضيق لدى الآخرين .

والدليل الواضح على هذا الضيق هو الكتابات الحالية التى تحاول النيل من الثورة بعد مرور مائتى عام على قيامها .

مجتمع من المتعلمين

بقلم: د. شكري محمد عياد

تمر على الكاتب أوقات يسأل نفسه فيها: لماذا أكتب ماأكتب؟ ماجدواه؟ أو ماذا أقصد أنا من ورائه بجانب ملء الصفحات؟ وهل يجد القارىء في هذه الصفحات - على الأقل - مايسرّى عنه، أو يضع بسمة على شفتيه، إن لم تستطع أن تحفزه على التفكير، أو تبعث فيه إرادة التغيير؟

هكذا كنت أسائل نفسي أياماً طويلة قبل أن أجلس لأكتب لك هذا المقال وقد جربت حيرة القلم مرات، جربت الشك الذي يقرب من الإحباط، ولكني لم أسمح لنفسي قط أن أكتب وأنا في مثل هذه الحالة. فليس من العدل أن تتناول هذه المجلة وتشرع في قراءتها بشيء من الثقة وحسن النية، لتلقيها من يدك بعد لحظات وقد ركبتك هموم الدنيا. إن كانت الأمور قبيحة حقاً إلى هذا الحد فلنضحك من قبحها. ولكن المشكلة هي أني لم أعد قادراً على الضحك من حالة التعليم. وكيف أضحك والناس حولي - صغاراً وكباراً - يبكون. يبكي الطفل حين تنزل عصا المعلم على يده أو على ظهره، ويبكي المعلم بغير دموع - وهذا أقصى أنواع البكاء - كلما تسلم مرتبه أول الشهر. ويبكي التلميذ - كبيراً أو صغيراً - حين تظهر النتيجة آخر العام فيجد نفسه راسباً أو ناجحاً بمجموع لايؤهله لدخول الكلية التي يرغب في دخولها. ويبكي أولياء الأمور طول العام من فداحة أجور الدروس الخصوصية التي أصبحت بنداً ضروريا في المصروف كالغذاء والكساء.

لا جرم أن الضحك من مثل هذه الأمور يعد نذالة.

لذلك حاولت أن أضحك من سياسة التعليم ولكن كان ضحكاً فاتراً لأني لم أكن صادق النية فيه. فأنا أعلم أن القائمين على سياسة التعليم يبذلون قصارى جهدهم وإن كان قتالاً في غير عدو. فالعدو الحقيقي ليس كثافة



الفصول ولا ضعف الكتاب المدرسي ولا سوء حالة المدرس مادياً ومعنوياً ، ولكنه فقدان الهدف من التعليم ونسيان طبيعة التعليم . وإدراك طبائع الأشياء وأهدافها أو وظائفها لايخص المشتغلين بها وحدهم ولكنه شأن المجتمع كله ، ولذلك يدخلان فيما يسمى فلسفة ، والفلاسفة كما هو معلوم يدخلون في كل شيء ، ولا يختصون بشيء معين ، وأكثر الناس يسيئون الظن بالفلسفة لهذا السبب ، وهم لاشك مخطئون ، ونتيجة خطئهم اننا لانملك فلسفة للتعليم كما لانملك فلسفة لأى شيء آخر ، واننا نبعث بأولادنا إلى المدارس دون أن نعرف الغرض من ذلك ، وأن الأولاد يجلسون في الفصول ولايعرفون ماذا يتعلمون ، ومادام هذا هو المناخ العام ، والمناخ العام لا يسأل عن هدف التعليم ولا طبيعة التعليم لأنه يكره الفلسفة ، فطبيعي الا يهتم من ينشيء المدرسة ومن يعلم فيها بهذه الأمور .

أخطاء التعليم عندنا ليست مما يمكن كشفه بالضحك لأنها ليست أخطاء فريق من الناس ولا هي راجعة إلى الانحراف عن طريق العقل السليم في التخطيط او التنفيذ ، ولكنها اخطاء بل خطأ واحد يشترك فيه المجتمع كله ومصدره الوحيد اننا لا نريد أن نفكر تفكيراً جذرياً في قضية التعليم الأساسية : ماذا نعلّم ولماذا نعلّم . وفي تصوري أن وجود المؤسسات التعليمية . المدارس والجامعات ، هو

الذي حجب عنا هذه الرؤية ، فغرقنا في التفاصيل ونسينا المبادىء ، أو قل وقفنا عند الوسائل ونسينا الغايات .

فلما تعذر عليَّ فضح أخطاء التعليم بالسخرية ، حاولت أن أعالجها بالحلم ، لأنى لا أريد ، ياصديقى القارىء ، أن أستسلم لقبح الواقع ، ولا أن أقف ، حين أقف ، ساخطاً شباكيا ، على أنى لم أحلم إلا بما يمكن تحقيقه في الوقت الحاضر ، وليس في المستقبل القريب أو البعيد فأحلامي لاتشتمل على الكومبيوتر الذى حدثك بعض الكتاب الواقعيين - بمزيج من التحقير والتيئيس - على أنه عنصر ضرورى في التعليم العصرى .

ولكنني أعترف أن في حلمي شيئا أعز منالاً من إدخال الكومبيوتر في المدارس الثانوية او حتى الابتدائية "فأنا أحلم بمجتمع كل من فيه يعلمون ويتعلمون" . ولو إننا تأملنا هذه العبارة قليلاً لما وجدنا فيها شيئا من الغرابة فالتعليم والتعلم وظيفتان من الوظائف الحيوية التى يختص بها الإنسان ولكننا تعودنا أن نربط التعلم بالمدارس والشهادات ، ولذلك جعلنا للتعلم مرحلة من العمر لا يتعداها ، ننطلق بعدها فى الحياة ، فننسى اكثر ما تعلمناه ، وجعلنا للعلم معنى واحداً لايتعداه ، وهو حشو الرأس بالمعلومات ، وما أشد مايسرع إليها النسيان . وهكذا تنحصر حياتنا بعد ذلك في السعي على أرزاقنا والبحث عن ملذاتنا ، وبالطبع مازلنا نتعلم - فالتعلم كما قلنا وظيفة حيوية - ولكننا نتعلم سلوكيات أكثرها فاسد مفسد .

فالتعلم - كغيره من الوظائف الحيوية - يمكن أن يكون صحياً ويمكن أن يكون مرضياً . وبين هذين النوعين من التعلم فرق كبير . فالتعلم المرضى معناه أن يأخذ الفرد اعتقاداً ما أو سلوكاً ما عن مجتمعه المريض ، فهو أشبه بالعدوى ، ينتقل بلا جهد ، بل الجهد إنما يكون في توقيه . والتعلُّم الصحى معناه أن تفهم الكون الذى تعيش فيه ، أن تفهمه بجملته وتفاصيله ، لتعرف مكانك فيه كإنسان ، له تاريخ وله شخصية ، وله إرادة تتشابك مع ملايين الإرادات ، وهذا الفهم يتطلب مجهوداً متصلاً ، ولايكفيه عمر ولا أعمار ، ولكنك بقدر ما تبلغ من هذا الفهم يكون شعورك بعمق إنسانيتك ، وهى السعادة التى ما بعدها سعادة .

إذا كنت صاحب مهنة فحسب فقد قنعت من حياتك بأن تعيش في قبو ، تؤدى فيه عملاً نافعاً ولكنك لا تخرج منه ولا ترى آثار عملك على الناس ، ولا تستمد من حياة الناس ما تنفث به الحياة في عملك . أما إذا كنت متعلماً أبديا فأنت لا تزال ترى في عملك الخاص أبعاداً تصله بكل شىء في الكون ، وأنت تجعل له بالفعل هذه الأبعاد .

صديقى القارىء ... أرجو ألا تسىء فهمى ، أنا لا أخاطبك أنت بالذات . أنا لا أحاضر ولا أعظ ، أنا أحلم فقط .

لو كنا مجتمعاً من المعلمين المتعلمين لما صرخ الآباء والأمهات من

حرقة الدروس الخصوصية . إذن لكان الآباء والأمهات جالسين مع ابنائهم وبناتهم يعانون معهم مشقة الفهم ولذة الفهم ، ينظرون معهم في كتبهم ، يصلون عقولهم بعقولهم ، يمدون إليهم أيديهم ليساعدوهم على التفكير ، كما تساعد طفلك الرضيع على المشي . لعلهم يقولون الآن إنهم مشغولون بالسعي في معاشهم . أقول فهلا اختصرتم ساعة أو ساعتين من جلوسكم امام التليفزيون ؟! لعلهم يقولون إن التعليم يحتاج إلى صبر وطول بال ، وإنهم لم يخلقوا ليكونوا معلمين ، وإنهم ربما حاولوا ذلك مرة او مرتين ، فضاق صدرهم لبطء الولد او البنت في الفهم ، فثاروا وصاحوا وضربوا واوقعوا فتنة في البيت . فاقول لهم : حيلة يعرفها الاباء جيداً . ضاقت امامكم الأعذار فاقمتم القيامة على الطفل المسكين حتى يصبح هو المجرم وانتم الأبرار ، واوهمتم الآخرين بذلك حتى كدتم تتوهمونه انتم انفسكم . لعلهم يكونون اكثر صراحة واكثر طيبة ، فيقولون إنهم لا يطيقون هذه الدروس ، لانها جافة ثقيلة على النفس ، كان الله في عون الصبي او الصبية ، ولكنه عذاب لابد منه ، يتحملونه في مرحلة من العمر كما تحملناه من قبلهم ، وحسبنا ما نحن فيه من هموم تشغل الذهن ، وترهق الأعصاب . فاقول لهم : هلا ابلغتم رايكم هذا إلى واضعي المناهج ومؤلفي الكتب المدرسية ، فانتم ولا شك اقدر على ذلك من هؤلاء الصبية المساكين ، ام تراكم تدربونهم على النفاق ، والتسليم بالخطا ، واحتمال الظلم ؟

هلا قلتم - مثلا - كما قال ذلكم المعلم العظيم :

« كنت استمع في الإذاعة إلى برنامج "اوائل الطلبة" واستمعت إلى اسئلة الكيمياء - وانا اساساً مدرس علوم - ولكني لم اكن قادراً على الإجابة على هذه الأسئلة لانها من نوع المعلومات التي تنسى كمعلومات ، ولكني مازلت اعتبر اني مدرس كيمياء وطبيعة لاني اعرف منطق دراسة الكيمياء : ماذا تعني كيمياء .. وماذا تعني طبيعة . واعرف المراجع التي ارجع إليها لو احتاج الامر ، ولكن ليس من الضروري ان اكون حاليا مستحضراً إجابات لكل سؤال من هذه الأسئلة وإن كنت افهم موضوع علم الكيمياء ويمكنني عمل التجارب وتحقيقها ، واعرف ماهي المشاكل التي يهتم بها علم الكيمياء ، كما اعرف شيئا عن تاريخ علم الكيمياء ، واي مشكل يمكنني ان احدد مراجعه ويمكنني دراسته وتحليله » (حامد سعيد "بناء الإنسان والتعليم" ص ١٣)

لعلك خائف الآن ؟ لعلك تقول : هبني فعلت كما تقول ، هبني حاولت ان اساعد البنت او الولد على "فهم" موضوعات المقرر ، من منطلق "فهم الكون" وهذه الاشياء ، فهل تظن انه سينجح ؟ إنهم في الامتحان يطلبون إجابات محددة ، وهذه لا سبيل إليها سوى الحفظ . والوقت لا يتسع للفهم -

بهذه الصورة الواسعة ـ والحفظ معاً . فأقول لك : فى العلم كما فى الحرب : اطلب الموت توهب لـك الحياة . الحفظ ، خوفاً من الامتحان ، كثيراً ماكانت نتيجته الرسوب فى الامتحان ، أما الإقدام على العلم برغبة فى الفهم فلابد أن تكون نتيجته القدرة على الإجابة ولو جزئياً ، وهذه خير على كل حال من إجابة خاطئة كثيراً مايتورط فيها التلميذ "الصمّام" . وأقول لك أيضاً : مادراك أن أمور الامتحان سوف تبقى سيئة كما عهدتها أو سمعت عنها ؟ ألا تخشى أن يجيء امتحان على عكس ماتتصور ، فيكون قياساً للفهم أكثر من الحفظ ، وهكذا يرجع ولدك أو بنتك من الامتحان ـ لاقدر الله ـ وقد خسر الدنيا والآخرة ؟

إننا كثيراً مانساعد على وضع المعايير السيئة أو بقائها حين نتصور أنها هى وحدها المقبولة أو الناجحة . الذين يقدمون الرشا ـ حتى دون أن تطلب منهم ـ مسئولون ولاشك عن شيوع الرشوة ، وما ذلك إلا لأنهم يتوهمون أن مصالحهم لن تقضى بغير هذه الطريقة . والذين يتوهمون أن التعليم جامد ومتخلف ، ويحاولون أن يطوعوا أنفسهم لجموده وتخلفه ، يساعدون بلا شك على بقائه جامداً ومتخلفاً ، ويضاعفون المصاعب أمام المخططين والموجهين الذين يحاولون تطويره ، وفى مواسم الامتحانات نسمع دائماً شكاوى . والشكوى من الامتحانات ، من الابتدائية إلى الجامعة ، تنصب دائماً على "غموض الأسئلة" أو أنها "ليست فى الكتاب المقرر" ولا تنصب أبداً على كم المعلومات المطلوبة .

نعم ، إن فى بلادنا نسبة عالية من البلادة والجمود . ولكن فيها أيضاً قدراً عظيماً من الاستنارة والرغبة فى التقدم ، وكل ذلك موجود فى أجهزة الدولة ، ومنها وزارة التربية والتعليم . أنا غير سعيد بدروس التليفزيون بوجه عام . إن الأستاذ ـ والمفروض إنه خيار من خيار ـ يدرس بطريقة ملء الفراغات ، أى بطريقة التحفيظ الشفهى أو الكتاتيبى كما كنا نقول قديماً . يقول الجملة وكأنه يقرأ من كتاب (ولكنه ـ والحق يقال ـ يحفظها عن ظهر قلب) ويتوقف قبل نهايتها سائلاً : أين ؟ أو يكتفون متى ؟ أو : من ماذا ؟ أو على ماذا ؟ ثم يكمل الجزء الناقص . هكذا تنزل المعلومات تنزيلا . سمعت ذلك حتى فى بعض دروس العلوم . ولعلك تتساءل : مافائدة هذا والكتاب موجود ؟ ولكن الحقيقة التى يمكن أن تكون غائبة عنك هى أن الكتاب موجود فى حكم المعدوم ، فتلاميذنا فى هذه الأيام لا يقرءون الكتب ، بل يكتفون بالسماع ، أو السماع مع مشاهدة صورة الأستاذ وهو "يشرح" .

متى ينتهى هذا المنظر؟ ولماذا لاتقتصر الإذاعة والتليفزيون على

تقديم النماذج الجيدة فقط ؟ وإذا حشر مكر جيد وسط طوفان من التفاهة فكيف يصل إلى من يمكنه الانتفاع به ؟ لقد استمعت في الإذاعة ايضاً إلى حديث من هذا النوع ، وكان موضوعه تدريس العلوم ـ استمعت إليه بمحض الصدفة ـ فكم ياترى من اساتذة العلوم استمع إليه ؟ كان الحديث عن طريقتين في تدريس العلوم : طريقة تعنى بالمعلومات وطريقة تهتم بكيفية التوصل إلى المعلومات (الملاحظة ـ التصنيف ـ القياس .. الخ) وقد رجح المتحدث الطريقة الثانية ، ولكن دون استبعاد الطريقة الأولى استبعاداً تاما . ولاادرى هل كان هذا الحديث حلقة في سلسلة ؟ فهو يحتاج إلى متابعة ، وإلى كثير من ضرب الأمثلة .

ليس في مقدورنا ـ انا وانت ـ ان نتجاهل مسئوليتنا ، فالتعليم ليس مسئولية وزارة التربية والتعليم وحدها . وزارة التربية والتعليم جزء من الحكومة والحكومة هي السلطة ، هي القانون . والسلطة والقانون يعملان لخدمة الشعب وبرضى الشعب ، ولكن الشعب يجب أن تكون له مؤسساته الأخرى في جميع مناشط الحياة عدا مايتصل منها بهذين : السلطة والقانون . فوزارة التربية والتعليم تضع المعايير التي على اساسها تمنح اعتراف الدولة بدرجات التعليم وانواعه . تضع المناهج وتنظم الامتحانات وتصدر الشهادات . ولكن التعليم اوسع من ذلك . وإن كان التعليم مسئولية من مسئوليات الدولة الحديثة فإن الأمة ـ التي هي انا وانت ـ اعطت الدولة التفويض وناطت بها المسئولية . فنحن معها حين نعلم وحين نضع المعايير للتعليم . ونحن نعاونها إن استطعنا ، ونحن ايضا نسبقها إن استطعنا .

ومشكلات التعليم في الوقت الحاضر ـ كما ونوعا ـ تجعل معاونة الأمة مطلوبة وواجبة .

وميراث الفلسفات التعليمية السابقة ، والسياسات التعليمية السابقة ، يثقل التعليم الحكومي ويعيقه عن متابعة متطلبات الحاضر ، كما ان تجربة حلول جديدة ـ ولابد من هذه التجربة ـ يمكن ان توقعه في مزيد من الاضطراب .

وإذا كان من الضروري ان نصبح مجتمعاً من المعلمين المتعلمين لكي نحافظ على وجودنا في عالم اليوم ، فلن يكون في استطاعتنا أن نظل كذلك ونحن افراد . مجتمع المعلمين المتعلمين سيتحرك دائماً نحو مزيد من العلم (ولا عمل ولا إنتاج بدون علم) ، وهذه الحركة تتطلب تنظيماً ، وابتكاراً في التنظيم ، وتتطلب فلسفة جديدة للتعليم . والدولة لاتضع فلسفات جديدة ، ولكنها تعتمد فلسفات ناجحة .

فهل نستطيع ذلك ، انا وانت ؟

هموم ثقافية

نحو نهضة فكرية

أداتها العقل والخيال !

بقلم : مصطفى نبيل

حان الوقت لكي نتوقف ونتأمل بعض همومنا الثقافية ؛ بعد ان تأكد لنا ، انه يستحيل تجاوز المصاعب التى تواجهنا ، وتحقيق التطور وملاحقة العصر الا اذا بدأنا بالعقل والخيال لننتقل منهما الى الواقع والحياة ، والمفروض ان المثقف هو الذى يسبق زمنه ويمهد الطريق للمستقبل ، وهذا يعنى ان مستقبلنا يتوقف على قدرتنا على تطوير حياتنا ، كى تتمشى مع ما استجد على العالم من تغيرات ، حتى لانتعرض لخطر عدم مسايرتنا للعصر .

والثقافة فى نهاية الأمر تعنى تكوين نظام عقلى دقيق يعتمد فى المقام الاول على غرس الروح العلمية .

وها هو ذا العالم من حولنا ، وهاهى ذى دروس الماضى بدلالتها التى لاتخطىء ، فلم نسمع عن مجتمع متقدم لم تسبقه او تصاحبه نهضة فكرية وثقافية ، ولم نر مجتمعا يرتفع مستوى الثقافة والفكر بين افراده ، ويعجز عن المبادرة والابتكار فى مواجهة ما يعترضه من تحديات ، ولم نسمع مطلقا عن مجتمع ارتفع اقتصاديا وتخلف ثقافيا ، فمن المستحيل ان تزدهر حضارة بدون ثقافة .

وفى هذا المجال لامحل لذلك الحوار الذى يدور بين وقت وآخر ويقارن بين الاهتمام بلقمة العيش او بغذاء العقل ، او يقارن بين البناء المادى والبناء الثقافى ، فالثقافة فى ابسط معانيها هى المعرفة بالعالم والعصر والانسان من حولك ، وهى معرفة لاغنى عنها لاى ازدهار اقتصادى او تقدم مادى ، فالتقدم يقوم على ركيزتين اساسيتين ، الابتكار فى العلوم التطبيقية وازدهار العلوم الانسانية ، اى على كل من العلوم الانسانية والتطبيقية معا ..

ولامحل لتساؤل البعض .. هل انفاق المال على الثقافة اجدى ام انفاق هذا المال فى القضاء على الامية ؟ او فى تطوير نظام التعليم فى المدارس والجامعات ؟! إن الثقافة وحدها هى القادرة على خلق الحافز الحقيقى لمحو الامية ، وتطوير التعليم واصلاحه ، باعتبار الثقافة هى التى تعالج الجوانب المعنوية للحضارة التى تتمثل فى مجموع القيم التى يقوم عليها المجتمع ، والثقافة وحدها هى التى تعالج امية المتعلمين الذين خرجوا من التعليم بالقليل من المعرفة ، وهى التى تساهم فى تنمية قدرة كل صاحب فن فى فنه ، فالقارىء يتحرك تفكيره بما يقرأ ، اذا كان ما يقرؤه يثير اهتمامه الشخصى ويقترب من حياته ومشاكله ، وعندما يزداد شغفه بالقراءة ستضعه قراءاته امام معرفة بلا حدود ، ولا تدعه عاجزا قليل الحيلة امام ما يواجهه من مشكلات .

وضعف الثقافة يؤدى الى تلك الحالة التى تصرف الافراد عن اليقظة لما يدور حولهم ، وعدم ادراك الاخطار التى تهددهم وعدم التنبه الى كل ماتتطلبه يقظة الذهن وملاحقة الاحداث ، ووهن الثقافة وراء اختيار اللحظة بديلا عن الغد ، وماتحت الاقدام بديلا عن آفاق المستقبل ، والذاتى بديلا عن العام ، والمبتذل الرخيص بديلا عن الفكر الرفيع ، وهذا ـ باختصار ـ مايقف وراء صور تبلد العقل والحواس التى كثيرا مانلمحها !..

وعندما التقيت اخيرا باحد اساتذة التاريخ العرب فى احدى الجامعات الامريكية والذى جاء فى زيارة سريعة للقاهرة ، استلفت انتباهه ، انه رغم جو الحرية الرحب الذى يعيش فيه المثقفون فى مصر فإن الكتاب منصرفون عن القضية الرئيسية لكل مثقف ، والمتمثلة فى قضايا العصر وهموم البسطاء ، وهو مالم يحدث مثله فى اى فترة تاريخية سابقة !

ولايشغلهم مثلا كيف يتوصلون الى افضل الوسائل للارتفاع بمستوى

هموم ثقافية

الثقافة ، وهم يعيشون على مشارف القرن الواحد والعشرين ، ولاتشغلهم الاساليب البسيطة والمبتكرة لنشر الثقافة ، والتى وصفها تولستوى الكاتب الروسى الشهير : « إن المعيار الحقيقى للفكر والفن ، ان يستطيع تذوقهما اقل الناس تحصيلا وأكثرهم تحصيلا على السواء »

●

لقد صاحب تراجع الكتاب فى حياتنا الثقافية ، تراجع النقد والمتابعة للاصدارات الجديدة ، فى الوقت الذى اصبح فيه القارىء فى اشد الحاجة لهذه المراجعة ، لكى تساعده على التمييز بين الغث والثمين ، وتقوده الى متابعة مايدخل فى اطار اهتماماته ، ويتعرف على القمم والسفوح فى الحياة الفكرية ..

كما غابت المنتديات والجمعيات الادبية التى تميزت بها منتديات مصر فى الماضى .

وكانت مصر دائما هى محور الفكر العربى وعموده الفقرى بما لديها من مفكرين وشعراء وادباء وعلماء وبما تصدره مطابعها من كتب ، وماتقدمه جامعاتها من اساتذة ودراسات وابحاث ، وماتعرضه مسارحها ومعارضها من فنون ، فـ « الأديب المصرى هو الآسى لجروح الشرق ، وهو القيثارة التى تصدح بافراحه » ، كما عبر زكى مبارك فى الخمسينيات ، ولهذا حصلت مصر على مكانة عالية وسط أمتها العربية ، ليس بما لديها من أموال ولكن بما تبثه من افكار ، يوم كانت قبلة المبشرين بالتقدم والاستنارة والعقلانية ، ويومها لعبت القاهرة فى التاريخ الحديث دورا بارزا فى بناء الوحدة الفكرية العربية ..

ومع الأيام بدأت هذه الوحدة الثقافية فى الانهيار ، وتراجع الثابت وتقدم المتغير من الأمور ، وتراجعت فى العلاقات العربية الثقافة وتقدمت السياسة ، فاذا اختلف حاكم مع آخر حول قضية سياسية سرعان مابنعكس هذا الخلاف على الروابط العربية ، فتقطع الاوصال الثقافية القائمة ، وتغلق الحدود ، وتوقف حركة انتقال البضائع والافكار وتوضع القيود على حركة المواطنين وتكاد الدورة الدموية الثقافية ان تتوقف ، وكان المستهدف من هذا كله حقيقة ان مصر اقدم واكبر بلد عربى زادها العلم والأدب والبيان .

●

ولايمكن فصل ازمة الثقافة عن ازمة المثقفين ، فكلاهما وجها عملة واحدة ، وازمة الثقافة ترتبط بوضع المثقف فى المجتمع ، ومدى نجاح المجتمع فى استيعاب جهد مفكريه .

ولم يعد الكاتب او الفنان قادرا على اشباع مطالب الحياة من فنه او انتاجه ، والازمة فى احد جوانبها ازمة اقتصادية ، عندما لايحقق الدخل الحد الادنى اذا اعطى جهده كله لفنه وفكره ، وخاصة ونحن امام ارتفاع كلفة العمل الثقافي وعجز الفرد العادى عن تحمل اعبائه ، فكيف يتاتى لمن تثقله مطالب الحياة ان يفكر وان يبدع ؟ انه يصبح اسيرا لاشباع احتياجاته ، ويبعد عن محراب فكره وابداعه ، وكثيرا ماتؤدى هذه الحال الى تجنب تناول امهات المسائل ، والانشغال بالرائج من الامور مهما كانت اهميته ، ويغلب على اعماله ممالاة الراى العام بصرف النظر عن علاقته بما يكتب ، ويندر فى ظل هذه الظروف وجود الكاتب الذى يرى فى انتاجه رسالة مقدسة عليه ان يؤديها متحديا ظروفه الاقتصادية ..

ولم يعد المجتمع يقدم العناية الكافية للمواهب الشابة القادرة على العطاء الفكرى الراقى ، فقد مضى عصر السلاطين والامراء ، واصبح للمجتمع المعاصر سلاطينه وامراؤه الممثلون فى مؤسساته الثقافية ، ويحق لنا ان نتساءل عن مصير نظام التفرغ الذى اتاح الفرصة لعدد من المواهب الشابة فى ان تقدم ابداعها ، واين لجنة المقتنيات التى تقتنى الاعمال الفنية الراقية ، التى يبدعها الفنانون التشكيليون ، لقد تحولت هذه النظم الى شكل بلا روح ، وغرقت فى البيروقراطية والمكتبية .

كذا جاءت حركة النكوص او التراجع فى التاليف والقراءة معا ، وخضوع الفكر للقيم السائدة بدلا من العمل على تغييرها واتباع التقاليد البالية ، ويتضاءل الابداع ويختنق ، فمن طبيعة الابداع ان يتطلع الى التغيير نحو الافضل ، ويرتفع فوق الهموم الصغيرة ، ويقدم للمتلقى القدرة على تذوق الحياة ، وكيف يفهمها ويطورها .

ومن جانب اخر يعانى المثقفون فى معظم البلاد النامية ، من دورهم الهامشى ، مما يثير لديهم صور السخط والكبت والشعور بالاحباط ، عندما لا يستفيد المجتمع من ثقافتهم وخبرتهم ، ولايجعلهم جزءا عضويا من نسيجه ، لذا يحكم على النظام الاجتماعى بمدى قدرته على الاستفادة من المثقفين والخبراء ومدى نجاحه فى جعلهم جزءا حيويا منه .

كما يحكم على اى مجتمع بحجم مؤسسات البحث والتفكير الفاعلة داخله ، التى يتمكن من خلالها المثقفون من المساهمة بالحلول المدروسة للعديد من المشاكل ، على ان يتجاوب المجتمع مع هذه الحلول .

وعلى العكس من ذلك يلاحظ فى مجتمعنا هبوط مستوى الجدل العام ، وتعثره فى قضايا قديمة ومستهلكة وعزوفه عن متابعة القضايا الحيوية ، وعودة الجدل الى قضايا قدىمة مستهلكة ، سبق حسمها خلال

مطلع القرن والقرن الماضي ، فاذا كان من المفيد المراجعة للافكار بين وقت واخر فإن المراجعة شيء والبدء من جديد شيء اخر ، ففي ذلك اهدار جهود جيل الرواد الذين قدموا عصير حياتهم وخبرتهم لاجيال لاحقة .

●

نصل الى اهم واخطر مظاهر ازمة الثقافة ، والمتمثل فى الشعور السائد بالعبثية واللاجدوى ، بين الكتاب والقراء على السواء ، فمن المفترض انه اذا طرحت فكرة على الراى العام طرحا صحيحا وفى الوقت المناسب ، وتمت مناقشتها وقبلها وتحمس لها الراى العام ، ان تجد الفكرة طريقها للتنفيذ على ارض الواقع ، عندها تسترد الفكرة والكلمة مصداقيتهما ، ويرتفع فى المجتمع صوت العقل والحكمة ، ويتحدد طريق المنافسة والابداع والمبادرة من اجل الوصول الى حلول المشاكل القائمة .

ولكن تسير الامور سيرا عكسيا ، فى اكثر القضايا التى طرحت للبحث والمناقشة وما اكثر الافكار والمقترحات التى قدمت ، وبقيت حبيسة الكلمات فى الملفات لاتلقى استجابة ، وتبقى مجرد افكار هائمة ويستمر الانفصال بين القول والفعل ، والانقطاع بين الفكرة وتنفيذها ، وبين رجال العلم ورجال العمل !

ولعل من الضرورى عند هذه النقطة ، الا نكتفى بالتعميم وان نقدم امثلة محددة من حياتنا الثقافية :

● كثيرا ماكتب الكتاب والباحثون حول التدهور الذى تعانى منه المكتبات العامة ، وما آلت اليه دار الكتب ولحق دورياتها القديمة وكتبها من تآكل ، وما اصاب ادارتها واصبح من العسير الحصول على كتاب او مخطوط قديم ، الا باجراءات معقدة ، كما تعانى من نظام عليل للفهرسة وحفظ كتبها النادرة وبُحَّ صوت الكتاب مطالبين بعودة دار الكتب الى مجدها القديم ، بعد استرداد شخصيتها الاعتبارية ، وبعد الفشل الذى منيت به عندما اصبحت جزءا من الهيئة العامة للكتاب ، وضرورة اشرافها على شبكة المكتبات العامة التى من المفروض ان تمتد الى كل مدينة وحى وقرية ونجع حتى يصل الكتاب الى كل من يحتاجه ، وطالب المثقفون بأن تشترى الكتب الجديدة لهذه الشبكة من المكتبات لجنة محايدة وموضوعية وان تختار المطبوعات ذات القيمة والمستوى الرفيع ، ففى هذا حل عملى لمشكلة الكتاب وتوفيره ، مما سيؤدى الى انتعاش الكتاب الجاد وحل مشاكله ، وعندها سيعود هذا السفير الذى كان يحمل اسم مصر الى كل بلد عربى .

وضاعت كل هذه الصيحات ادراج الرياح ، وبقيت دار الكتب والمكتبات العامة تعاني من الاهمال الجسيم .

● وقضية ثقافية ثانية .. كتب العديد من المقالات حولها وقررت العديد من اللجان توصيات بشانها وهى ضرورة انشاء موسوعة عربية تضم بين دفتيها جماع المعرفة باللغة العربية ، وشرح اصحاب القضية حيوية هذا المشروع وانه اجدى من العديد من المشروعات التى تستنفد الكثير من الاموال ، ورغم كل الصيحات بقى المشروع حلما لم يتحقق .. فاى احباط يصاب به الكتاب ؟!

واذا كانت قلة الاعتمادات وعجز الميزانية حجة صحيحة ينبغى اخذها ماخذ الجد ، فإنه يمكن تحقيق دفعة قوية فى شرايين الحياة الثقافية باقل اعتمادات ممكنة ، اذا تم مجرد التنسيق الجاد بين العديد من المؤسسات الثقافية القائمة ، واذا قامت سياسة التكامل بدلا من المنافسة الضارة ، وان تلتزم كل من هذه المؤسسات بجانب من خطة ثقافية مشتركة ، وان تتعرف هذه المؤسسات على نشاط غيرها ، وان يساعد بعضها بعضا لتحقيق اهدافها المشتركة .

وخاصة ان السائد فى الحياة الثقافية عكس ذلك تماما ، كل مؤسسة ثقافية تتجاهل المؤسسة الاخرى بدلا من ان تتكامل معها ، وكل منها تريد تاكيد ذاتها على حساب غيرها ، وكلما عجزت احدى المؤسسات القائمة على تحقيق هدف ما ، اقمنا مؤسسة جديدة لتحقيق ذات الهدف ، بدلا من البحث عن الاسباب الحقيقية للفشل ومحاولة علاجه .. وبدلا من ان يقوم المجلس الاعلى للآداب والفنون بدوره فى التنسيق بين نشاطات المؤسسات المختلفة ، اصبح واحدا من هذه المؤسسات الثقافية القائمة ، تقف الى جانبه وزارة الثقافة بمؤسساتها المختلفة ، ومجمع اللغة العربية ، الى جانب الجامعات ومؤسسات البحث ، وخرجت علينا لجنة الثقافة فى اللجان القومية المتخصصة ، ببيانات ودراسات منقطعة الصلة بواقع حياتنا الثقافية !

واذا اخذنا مؤسسات نشر الكتاب وحدها ، فسنجد مؤسسات النشر تتوزع بين مؤسسات النشر الخاصة ومؤسسات النشر الصحفية ومؤسسات النشر العامة ، فلذا تعاونت كل هذه المؤسسات على تحقيق هدفها فى اعادة الاعتبار للكتابة واستخدمت ـ فى توزيع الكتاب ـ منافذ التوزيع لها جميعا ، فاية دفعة ستنالها صناعة الكتاب .

وهنا سنبدأ السير فى الطريق الصحيح ـ فقط ـ عندما تنتهى القطيعة القائمة بين القول والفعل ، ويحل التنسيق محل التضارب فى الحياة الثقافية .


ماوتسى تونج


زهاو زيانج


لى بايانج

استردوا بكين..

بقلم: عبد الرحمن شاكر

ربما يكون حكام الصين، أو بالتحديد الجناح المتشدد من الحزب الشيوعى الصينى، والحكومة الصينية، قد أفلحوا حتى الآن فى السيطرة على العاصمة الصينية بكين بالحديد والنار، بالدبابات التى اجتاحت شوارعها وميادينها، وخاصة ميدان "تيان ان مين"، أو ميدان "السلام السماوى"، الذى تحول إلى ميدان "القتال الأرضى" أو الوحشى على الأصح، حيث راحت الدبابات تطلق نيرانها فى كل اتجاه على "بقايا" الطلبة العزل الذين كانوا لايزالون يتجمعون فى الميدان، بعد أن كانوا منذ أيام قليلة كتلة ضخمة من البشر، حينما انضم إليهم جموع سكان بكين من العمال وغيرهم بمن فى ذلك أعضاء الحزب الشيوعى أنفسهم، وكانت هذه الكتلة تسد الطريق أمام الدبابات وتقنع الجنود بأن عليهم ألا يقاتلوا إخوتهم المنادين بالديمقراطية، وألا يخرجوا على التقاليد التى وضعها "ماوتسى تونج" لجيش التحرير الصينى بأن العلاقة بينه وبين الشعب وجماهيره هى علاقة السمك بالماء، إن خرج منها أو عليها، فقد حكم على نفسه بالهلاك.


ياروزلسكى


جورباتشوف


دنج سياوبنج

ليخسروا الصين!

وبالفعل، فإن الحكومة الصينية تزعم في بياناتها الرسمية أن عدد القتلى والجرحى من الجنود كان أكثر بكثير من الطلبة الذين راحوا ضحية أعمال القمع! والواقع انه حينما بدأ الصدام بين الفريقين وهو لم يبدأ إلا عندما بدأت الكتلة البشرية فى الذوبان تمهيداً للعودة إلى الإيقاع الطبيعى للحياة .. كان من طبيعة الأمور أن يدفع الطلبة عن انفسهم، وأن يفتكوا بمن تقع عليه أيديهم من الجنود الذين يطلقون النار عليهم، وأن يحرقوا بقنابل صنعوها بأيديهم الدبابات والمصفحات التي تجتاح جموعهم وتسحق عظامهم!

لقد كانت تلك الكتلة البشرية، فى ذروة تجمعها وتلاحمها، هى القوة الحاكمة فى العاصمة الصينية العريقة، ولكن لم تبطش بأحد، أو تعمد إليه بأذى. كل مافعلته أيام "حكمها" أنها حالت دون الحكومة الصينية، واستقبال جورباتشوف فى الميدان الكبير للعاصمة، وإقامة مراسم الاستقبال هناك كما جرت العادة. وقتها راحت الحكومة تناشد جموع الطلبة الانسحاب من الميدان، إظهاراً للتضامن مع الحكومة الصينية أمام ضيفها الكبير، الذى جاء إليها كالمعتذر عن سياسة أسلافه خروشوف وبريجنيف إزاء الصين، ولكن الجماهير لم تستجب لهذا النداء بالعكس من ذلك فقد قلبت الآية على

الحكومة الصينية ، وأذلتها إذلالا صارخا أمام جورباتشوف ، حينما رفعت صورته بدلا من صورة الزعماء الصينيين ، وراح الطلبة يرقصون وينشدون : الاتحاد السوفييتى لديه جورباتشوف ، فمن لدينا ؟ ! يشيرون بذلك إلى انتقادهم للزعيم الذى يقود بلادهم على طريق الديمقراطية التى أصبحت الآن هى النغمة السائدة فى كافة البلدان الاشتراكية ، وعلى رأسها الاتحاد السوفييتى بقيادة جورباتشوف ! .

وحاول "زهاو زيانج" سكرتير الحزب الشيوعى أن يكون على نحو ما ، أو إلى حدما هو جورباتشوف الصين ، ذهب إلى الطلبة والدموع فى عينيه حزنا على من أصابهم الاعياء منهم ممن اضربوا عن الطعام حتى تجاب مطالبهم فى الديمقراطية ، ودعا إلى الحوار المفتوح معهم ، وحرية الحوار - هذه بما فى ذلك ما تكتبه الصحف - هى واحدة من هذه المطالب ، وربما يكون قد تناجى هو وجورباتشوف "السوفييتى" حول هذه المسألة ، ولكن قال له إنه مجرد "سكرتير عام" من ورق للحزب الشيوعى الصينى ! وأنه ومن سواه من الزعماء ، إنما يتحركون بأوامر من الثعلب العجوز "دنج سياو بنج" .. لذلك كان من حيثيات إقصائه عن منصبه أنه اذاع أسرار الحزب الشيوعى بذكر تلك الحقيقة عن الزعيم الصينى الذى يحكم البلاد من موقع رئاسة اللجنة العسكرية للحزب فقط ، ويحرك الباقين بمن فيهم سكرتير الحزب من وراء ستار ! وبذلك لحق زهاو زيانج ، بسلفه هوياويانج الذى سبق إقصاؤه من منصبه أيضا كسكرتير عام للحزب الشيوعى ، بسبب اتهامه بالتهاون مع ذات الحركة الطلابية المنادية بالديمقراطية ، أو "الليبرالية البرجوازية" كما يسميها المتشددون من حكام الصين ، وكانت وفاته فى شهر إبريل الماضى ، هى المفجر للحركة الطلابية العارمة من جديد خلال هذا العام .

وبدلا من زهاو زيانج المعتدل ، الذى قيل إن رئيس المخابرات قد خلفه فى منصبه كسكرتير عام للحزب الشيوعى ، ذهب إلى الطلبة "لى يانج" رئيس الوزراء المتعجرف ، الذى أعلن الأحكام العرفية ، وطالب الطلبة بالتفرق وإخلاء الميدان الكبير ، وأرسل الفرقة السابعة والعشرين من

الجيش لتحاصر العاصمة تمهيداً لاقتحامها ، وكان من طبيعة الأمور أن يهتف الطلبة بسقوطه ، هو ومحركه الكبير دنج سياوبنج . ثم بدأ الاقتحام حين بدأ التفرق ! وإذا كان التاريخ لم يغفر "لشيانى كاى شيك" زعيم الصين الوطنية ، الذى قهره ماوتسى تونج زعيم الصين الشعبية ، أنه كان يذيب أجساد معارضيه من الطلبة أيضا فى أحواض ملأى بحامض الكبريتيك المركز ، فإن التاريخ لن يغفر أيضاً لـ "لى يانج" أو حتى دنج سياوبنج ، رغم مايقال عن مرضه وشيخوخته واحتمال وفاته ، سحق عظام الطلبة العزل بالدبابات !

● هكذا يخسرون الصين !

إن التهمة التى يوجهها الحكام المتشددون فى الصين إلى الطلبة وحركتهم . منذ عام ١٩٨٦ ، انهم يدعون إلى "الليبرالية البرجوازية" ، رغم ان الطلبة لم يتنكروا لحكم الحزب الشيوعى ولا للاشتراكية ولكنهم يطالبون بإطلاق حرية الصحافة والنقد والاجتماعات ، وتطهير الحكم من الفساد ، ونشر ما خفى من معلومات عن ثروات كبار رجال الدولة وأسرهم وأرصدتهم فى البنوك .

وبفرض أن الطلبة قد وصلوا فى مطالبهم إلى حد المطالبة بإطلاق حرية الأحزاب على الطريقة "البرجوازية" فإن هذه لم تعد تهمة فى أى من دول المعسكر الاشتراكى ، وقد أقرت المجر بالفعل هذه الحرية ، بعد تجربة قاسية مع دكتاتورية الحزب الشيوعى ، تم فيها سحق الحركة الديمقراطية عام ١٩٥٦ بالدبابات السوفييتية ، ورغم كل ما شاب تلك الحركة من أن الغرب كان محركا رئيسيا فيها ، وأن عدة الوف من المتسللين عبر الحدود مع النمسا قد دخلوا المجر للفتك بأعضاء الحزب الشيوعى فإن قيادة الحزب الحالية ، قد أعلنت رد اعتبار "أوى ناجى" رئيس وزراء المجر الذى اعدمه السوفييت بعد تدخلهم المسلح ، وأقصى عن الحكم خليفته جانوس كادار ، رغم انه كان شديد الاعتدال ، وأدخل على سياسة المجر الاقتصادية والسياسية كثيرا من التعديلات التى كان يريد إدخالها "إوى ناجى" أيام حكمه ، وكانت المجر هى أول من حذر الحكومة الصينية من أستخدام القوات

المسلحة فى قمع الحركة الطلابية ، وكأنها تقول لها : عليكم أن تعتبروا بما حدث فى بلادنا !

ولكن الحكومة الصينية لم تعتبر ! لابما حدث فى المجر ، ولا بما يحدث فى الاتحاد السوفييتى ذاته ، حيث تتصاعد الموجة الديمقراطية منذ أقدم خروشوف فى عام ١٩٥٦ على إدانة ديكتاتورية ستالين وإرهابه ، حتى اصبحت الديمقراطية هى الشعار السائد فى عهد جورباتشوف ، أما بولندا فإن حركة التضامن التى حظرتها الحكومة البولندية طويلا ، قد اثبتت الانتخابات الأخيرة فى بولندا أنها تتمتع بتأييد الأغلبية الساحقة من الشعب البولندى ، إلى حد أن ياروزلسكى رئيس الحكومة البولندية ، وسكرتير الحزب الشيوعى بها ، قد أعلن أخيرا أنه من المحتمل أن يخرج الحزب الشيوعى من الحكم فى الانتخابات القادمة بعد أربعة أعوام ، لذلك ربما يسعى حاليا إلى الائتلاف فى الحكم مع منظمة تضامن ، إما ليضمن استمرار هذا الائتلاف إلى حين الانتخابات التالية أو يساهم على الأقل فى تدريب رجال منظمة تضامن على حكم البلاد تحت رعايته ، حتى يجىء أوان استلامهم لمسئولية الحكم بالكامل !

ورغم كل ذلك تتجاسر الحكومة الصينية على إعلان أن المنظمات الطلابية والعمالية المستقلة ، على غرار نقابة تضامن البولندية ، هى منظمات غير مشروعة ، وتحظر قيامها فى ظل الأحكام العرفية !

أية مشروعية هذه التى يتمتع بها حكام الصين وحدهم ؟

● إذا كانوا يريدون بذلك حق الحزب الشيوعى فى الاستئثار بالحكم ، باسم ديكتاتورية البروليتاريا ، فإن ماوتسى تونج من قديم الزمان ، قد أعلن أن النظام الذى يسعى إلى إقامته فى الصين هو "ديمقراطية جديدة" ، وأن الثورة التى يقوم بها هى ثورة الشعب المكون أساسا من الفلاحين ، بقيادة الحزب الشيوعى ، الممثل للبروليتاريا العالمية ، وليس للعمال الصينيين الصناعيين وحدهم الذين يعتبرون فى الصين أقلية ضئيلة بالنسبة للفلاحين .. وهاهى البروليتاريا العالمية بزعامة الاتحاد السوفييتى تميل الى الديمقراطية !



المصفحات تملأ شوارع بكين

● من اجل هذا الاختلاف بين وضع الثورة الصينية وسواها فإن الحزب الشيوعى الصينى خلافا لكل الأحزاب الشيوعية الأخرى ، لا يعلن تقيده بالماركسية اللينينية وحدها كعقيدة له ، ولكنه ينص فى برنامجه على إضافة أفكار ماوتسى تونج كجزء من هذه العقيدة .. ومع ذلك فإن دنج سياوبنج قد أعلن أكثر من مرة مع بدء برنامجه فى الاصلاح الاقتصادى ، أن الحقائق الاقتصادية أقوى الف مرة من كل ماقاله ماركس أو لينين .. وأكثر من ذلك قد غير كثيرا من سياسات ماوتسى تونج التقشفية ، التى كانت تستهدف الوصول السريع إلى مرحلة الشيوعية ، عن طريق الكوميونات الزراعية ، بما فى ذلك إلغاء التفاوت بين العمل الفكرى والعمل اليدوى .. فما هى العقيدة الملزمة للمجتمع الصينى ، التى تسوغ للحزب الشيوعى بأفكاره الحالية الاستئثار - ليس بالحكم فحسب - بل بكافة وسائل التعبير والتنظيم والعمل السياسى ، وهذه العقيدة ذاتها هى التغيير الواسع النطاق فيها ؟ !

● من المدهش حقاً أن تكون تهمة

الحركة الديمقراطية الطلابية ، أنها تدعو الى الليبرالية البرجوازية على طريقة الغرب ، فى الوقت الذى تدعو فيه سياسة دنج سياوبنج الاقتصادية المطبقة حاليا إلى تعلم كل شيء من الغرب ، وفى مقدمة ذلك التكنولوجيا الحديثة التى تفتقر إليها الصين ، ومن أجل ذلك تعدل فى كثير من أوضاعها الاقتصادية ، وتسمح بالعودة إلى سياسة السوق المفتوحة ، وقد سبقت بريسترويكا جورباتشوف فى ذلك بسنوات كثيرة ، وأقامت كثيرا من المشروعات المشتركة مع الدوائر الرأسمالية فى الغرب ، مما سمح بنمو رأسمالية محلية جديدة فى الصين ، جلبت معها كل مبتكرات الغرب من السلع الاستهلاكية ، بل بعض مظاهر الانحلال "البرجوازى" من موسيقى الديسكو والملابس والعروض الخليعة وما إليها .. إن الديمقراطية أو الليبرالية هى أفضل إفراز للبرجوازية الغربية حتى الآن ، وأفضل ما يمكن للشعوب الأخرى أن تتعلمه منها ، بدلا من أن تظل وصمة الاستبداد الشرقى عالقة إلى الأبد ، ويظل هذا الاستبداد ستارا على كثير من الفساد ! ويكفى أن "صن يات سن" مؤسس الصين الحديثة كان برجوازيا ليبراليا ، وهو الذى يرفع حكام الصين حاليا صورته إلى جانب صورة ماوتسى تونج فى عيد أول مايو ، بدلا من صور ماركس ولينين ، على حد ماروى الأستاذ محمود أمين العالم على صفحات جريدة الأهالى .

● أما القول بأن الطلبة قد جاوزوا حدودهم فى تلك المظاهرات التى اجتاحت شوارع بكين وغيرها من المدن ، بهتافهم بسقوط بعض الزعماء وتعليق ملصقات تدعو إلى ذلك ، فإن هذا الجيل من الشباب قد تعلم أن هذا عمل مشروع فى الصين الشعبية ، من أيام ماوتسى تونج ، لإسقاط من غضب عليهم من قادة الصين ، مثل ليوتشاوتش رئيس الجمهورية ، الذى كانت تهمته "البرجوازية" أنه يقرأ روايات شكسبير ويحب سماع الموسيقى الكلاسيكية ويفضلها على الصخب النحاسى ، المسمى بالموسيقى الصينية ! ومثل دنج سياوبنج ذاته من ضحايا الثورة الثقافية ، ولعل عقدة دنج من تلك "الثورة" وماحدث له أبانها هى التى جعلته يوافق ، أو على الأقل لايستطيع

الاعتراض على قمع حركة الطلاب بالقوة ، إزاء إلحاح المتشددين في ذلك !

● ربما يكون التجاوز هو قيام الطلاب بصنع تمثال من الجص ، على هيئة تمثال الحرية الأمريكي ووضعه في ميدان "تيان إن مين" في مواجهة الصورة الضخمة لماوتسي تونج ، مما أثار استياء بعض أفراد الشعب وجعلهم يقولون : نحن في الصين ولسنا في أمريكا . ولكن التخلص من هذا التمثال لم يكن يستحق سحق أجساد الطلبة بالدبابات ، وهو لا يعكس الشعور الوطني العام لديهم ، بدليل أنه قبل ذلك قد سلموا الى الشرطة من حاولوا تلويث صورة ماوتسي تونج ! ولا ندري اذا ما كان ذلك قد ارضى دنج سياوبنج أم زاد في مرارته !!

● أما أن الحكام الحاليين قد خسروا الصين ، أو في طريقهم الى خسارتها بعد أن نجحوا في استرداد بكين من ايدي طلابها وشعبها ، فالدليل على ذلك أن المظاهرات العارمة لاتزال تجتاح بقية المدن الصينية مثل شنغهاي ونانكين وسواهما ، ويزيدها غضبا ما حدث للطلبة في بكين . كما أن ما يقال عن الانقسام في صفوف الجيش الصيني لأن قسما كبيرا منه ، وربما معظمه يرفض أن يشارك في قمع الجماهير الثائرة التي يعتبر الجيش نفسه جزءا منها ، فذلك أمر وارد تماما ، وربما يكون قد وقع بالفعل ما رددته الأنباء عن نشوب قتال ما بين فرق مختلفة من الجيش ، ومن أدلة ذلك سحب الفرقة السابعة والعشرين التي اقتحمت بكين ، وساءت بذلك سمعتها ، وبالتالي معنويات جنودها ، واحلال فرقة أخرى محلها للسيطرة على العاصمة .

إن جميع الدلائل تشير الى أن النصر الذي أحرزه المتشددون في الحزب الشيوعي والحكومية الصينية هو نصر مؤقت ، وأن ثورة مايو الطلابية في بكين سوف تفتح صفحة جديدة في التاريخ الصيني ، صفحة من نوع الثورة الفرنسية ، والثورة الروسية ، والثورة الصينية ذاتها في سابق مراحلها ، مما يدخل في الباب الذي خلده شاعرنا الكبير احمد شوقي بقوله :

وللحرية الحمراء باب
بكل يد مضرجة يدق !

آفاق العمل العربي

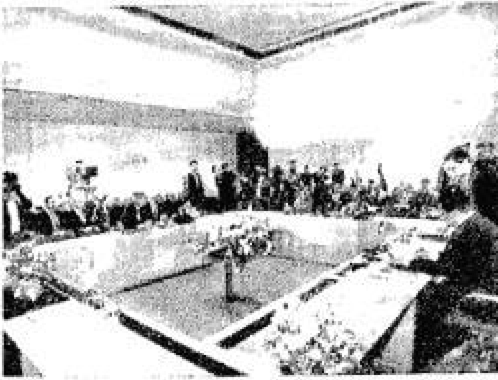
بقلم : قسطنطين زريق

لايمكن لاحد ان يحدد بدقة ماسيكون عليه مستقبل العمل العربي المشترك لان هذا المستقبل يتوقف على السياسات التي سيتبعها القادة العرب في سلوكهم الداخلي وفي علاقاتهم الخارجية وعلى مدى وعي الشعوب العربية للتحديات التي تجابهها في هذا العصر وعلى نوع ردودها على هذه التحديات .

● اما اذا سألنا ماذا يجب ان يكون عليه مستقبل العمل العربي المشترك فليس من شك أن هذا العمل يجب ان يسير حثيثا في طريق التوسع والتكسب وان يأتي يوما بعد يوم تعبيرا عن المزيد من التضامن والتلاحم بين الشعوب العربية وبين حكامها . ذلك انه اصبح بيناً دون حاجة الى دليل إن نعيش في عصر يستعر فيه التنافس بين الشعوب وبين الدول في سبيل الحفاظ على الاستقلال وحماية الذات .

لقد تضخمت نفقات الدفاع الوطني تضخما جسيما ، وتكاثرت الحاجات الانسانية الى حد لم يكن يُتخيل في الامس القريب ، وهذا راجع الى تفجرين اساسيين في قوى العصر الذي نحياه

الدكتور قسطنطين زريق احد الكتاب العرب المرموقين . نشأ في سوريا وعاش في لبنان وهو من المفكرين القوميين الذين تمسكوا بالاتجاه العقلي العلمي ومن اهم مؤلفاته : الوعي القومي ـ معنى النكبة ـ معركة الحضارة .



مجلس التعاون العربي



مجلس السوق الاوربية المشتركة

مجلس السوق الاوربية المشتركة

اولهما تفجر المعرفة والعلم ، هذا التفجر الذى يأتينا كل يوم بما يبهر ويذهل من المكتشفات والمخترعات والذى يدعو باستمرار الى تغيير الاجهزة التى نستخدمها فى الصناعات المدنية والعسكرية وفى الزراعة والادارة والنقل وسواها وكذلك الى تغيير اساليب الفكر ومحتوياته ومناهج العمل ومنطلقاته . اما التفجر الثانى فهو الذى يندلع فى صدور ابناء البشر حيثما كانوا فى الدول المدعوة متقدمة والاخرى المسماة "متخلفة" او "نامية" والذى يتجه نحو المزيد من المطالب فى تأمين الغذاء والكساء والسكن والصحة والتعليم والعيش الكريم بمختلف وجوهه ومعانيه ، ومع ان هذا التفجر يسود كما قلنا فى المجتمعات قاطبة فانه يشتد بصورة خاصة فى المجتمعات المتخلفة التى نهضت حديثا .

• هذان التفجران الاساسيان يتطلبان فى الدرجة الاولى التجنيد والتعبئة .

تعبئة الموارد المادية والبشرية المتاحة للمجتمع واخراجها من حيز الامكان الى حيز الفعل . لايكفى مجتمعا من المجتمعات ان تكون له اراض زراعية خصبة واسعة او موارد معدنية ثرية اومادة عزيزة وضرورية لتسيير حركته الصناعية ولتيسير سبل العيش كالنفط مثلا ، بل عليه ان يكون لنفسه القدرة على تحويل هذه الثروات الممكنة الى ثروات فاعلة وذلك بوسائل العلم والتكنولوجيا المتطورة . وكذلك لايكفيه أن يضم الاعداد الوافرة من البشر بل يتوجب عليه ان ينمى هذا المدد البشرى ليصبح ثروة حقيقية تسرى فى شرايين الحياة القومية . ولا تكون عبئا عليها او عائقا لتقدمها .

● تنمية الموارد

فكلما كانت الموارد القومية غزيرة وكلما كان المجتمع مجهزا لاستخراج

قدراتها وحشدها في معركة الحياة والمصير يغدو المجتمع مؤهلا لتوفية شروط البقاء والتقدم في هذا العصر العسير وفي العصر المقبل الذي يبدو اشد عسرا وابلغ تطلبا . ومن هنا نرى نزوع الشعوب في هذه الايام في اتجاهين رئيسيين ، الاول : تنمية الموارد الذاتية وحشدها . والثاني : التكتل مع مجتمعات مشابهة او مجاورة في كيانات اقتصادية او سياسية واسعة لتجميع الموارد المنماة والتنسيق بينها وحسن الافادة منها .

هذا مانراه مثلا في تاريخ الولايات المتحدة الامريكية التي تمثل اليوم المركز الاول بين القوى العالمية اقتصاديا وعسكريا : ان تلك البلاد تملك موارد طبيعية زاخرة ولكنها ما كانت لتحتل مكانها البارز بين الدول لولا مابذله اهلوها من جهود في تنمية هذه الموارد وتصنيعها باحتضانهم للعمل والتكنولوجيا ووضعهم اياهما في مقدمة اهتماماتهم والانفاق عليهما انفاقا سخيا . هذا من جهة ومن جهة اخرى فقد حظي مؤسسو تلك البلاد وواضعو دستورها برؤية صافية ونظر بعيد ، فشادوها على اساس اتحاد الولايات التي كانوا ينتمون اليها .

ولم يكن هذا الخيار سهلا ، اذ كان بين المؤسسين من تمسك باستقلال الولايات ، ولكن الفكرة الاتحادية تغلبت في النهاية بسبب يقظة اصحابها ومتابعتهم لحركة التاريخ ومسيرة الانسانية .

وهكذا تكونت اوسع سوق داخلية في العالم والقاعدة القوية للصرح الاقتصادي الامريكي الذي برز على سواه في الازمنة الحديثة ولا يزال

وهكذا يمكن للمرء ان ينتقل عبر الولايات المتحدة الخمسين في مساحة طولها الف وخمسمائة ميل وعرضها ثلاثة الاف ميل فلايوقفه احد ولايقوم في طريقه حاجز ، ولايحتاج الى سمة او يخضع لتفتيش جمركي ، بل يشعر انه في بلد واحد على اختلاف طبيعته وسعة ارضه .

وان الهدف ذاته تتجه إليه دول اوربا الغربية في هذه الايام فبعد قرون من التقاتل وعلى رغم اختلاف اللغات والاجناس كونت هذه الدول مجموعة اوربا الاقتصادية بقصد ان تكون سوقا مشتركة لاعضائها الاثني عشر .

وهاهي الان تسعى الى ان تتحول في نهاية عام ١٩٩٢ م الى سوق واحدة ، ينتقل فيها مواطنو هذه الدول كما يشاءون ويسكنون ويعملون حيثما يختارون ويقدر العارفون انهم سيصبحون اكبر كتلة اقتصادية متقدمة في العالم .

وهكذا نرى ان النزوع الى التكتل قد قوي في الازمنة الاخيرة بسبب ماتحتاجه الشعوب من قدرات لم يعد يتسنى وجودها لدى شعب واحد . فما أحرى الشعوب العربية التي يجمعها اواصر اللغة والتاريخ والثقافة والمصالح المشتركة ، ان تسعى الى

التضامن والتكتل لترشيد استخدام مواردها ولتجنب اهدار هذه الموارد .

فلماذا هذه الجيوش المتفرقة التى تبنى وتسلح دون تنسيق او تعاون بين الدول العربية المختلفة ؟ ولماذا هذه الخطط التى توضع هنا وهناك فى الأرض العربية والمصانع التى تشاد والمشروعات التى تنظم دون ربط او احكام يخفف اعباءها ويوفر فوائدها ؟

● التضامن والارادة القومية

ان الحاجة الى التضامن فى هذا كله واضحة للعيان . ولايحول دون تطبيقه سوى ضعف الارادة القومية عند الحكام بخاصة ، وغلبة المصالح الشخصية والفئوية والقطرية ، على انه لابد من القول ان التضامن العربى ليس وحده الدواء الوحيد لجميع العلل التى نشكو منها فى البلاد العربية انه لايؤدى فعله الإيجابى الا اذا جاء مقترنا بفكر تحررى تقدمى يسعى الى تحرير المواطن العربى والانسان العربى من قيود الظلم والجهل والفقر وسواها من معوقات التقدم .

اما اذا بقيت الشعوب العربية فى حالة التخلف التى ترسف فيها فان تضامنها لن يفيدها كثيرا ، لانه سيضم ضعفا الى ضعف وعجزا الى عجز ، بل انه قد لايحصل اصلاً لان دوافعه الاساسية هى القوى التقدمية التى تسعى الى مكافحة التخلف ومجاراة التطور .

واذا نظرنا الى حالنا اليوم نجد مع الأسف ان توجه الحكام العرب لايزال توجها قطريا ، بل انهم لايزالون عاجزين عن ترشيد استخدام الموارد فى القطر الواحد . ومافتئوا متفرقين رغم المصالحات التى تجرى بينهم .

ان التضامن المطلوب لايقوم على النزوات الآنية بل على فكرة قومية سائدة تدخل فى صلب السيادة وتوجه الجهود فى كل ناحية من نواحى النشاط الجماعى وليس هذا بالامر الهين لان السلوك القومى كثيرا مايتطلب التضحية بمصالح فردية او فئوية او قطرية فى سبيل المصلحة القومية العليا .

ولكن لابد من هذه التضحية فى سبيل النمو الطوعى والتقدم الثابت .

وقد بدت فى الايام الاخيرة تكتلات اقليمية كمجلس التعاون لدول الخليج العربى ، والاتحاد المغربى . ومجلس التعاون العربى وكثر التساؤل عما اذا كانت هذه التكتلات تعوق التضامن العربى الشامل او تدفع به قدما .

والواقع أن هذا أو ذاك يتوقف على مدى تغلغل الفكر القومى فى اذهان الزعماء وفى صفوف الجماهير .. فاذا ظل هذا الفكر ضعيفا غدت هذه التكتلات بدائل للاتحاد القومى المنشود ووقف التضامن ضمن حدودها . هذا لن حصل اما اذا اشتد الفكر القومى وانتشر فان هذه التكتلات تصبح وسائل ممهدة للاتحاد الشامل ومن هنا كانت اهمية الرأى

العام والمستنير منه بوجه خاص ان يكون يقظا لضبط سلوك الحكام وليوجههم الوجهة القومية الجامعة لا الوجهة الاقليمية او القطرية المفرقة على ان الرأى العام المنشود لايتكون ولايقوى الا بقدر نمو الديمقراطية .

وهكذا نجد ان هذه المطالب ـ التضامن والقومية والديمقراطية ـ مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا عضويا فهى تنشط معا وتخمد معا ولاغنى لاحدها عن الاخر .

● عوائق فى وجه التضامن !

ولما كان التضامن العربى سببا هاما من اسباب تكوين القدرة العربية وتمكينها فانه لايتفق ومصالح القوى المعادية للعرب . ولذلك فهى تضع الحواجز والعوائق فى سبيله ، وتدعم عوامل التجزئة والانقسام فى داخله فثمة القوى الاستعمارية ـ القديم منها والحديث ـ التى ترمى الى التسلط على موارد الدول العربية واسواقها ، ولايروقها ان تنهض هذه الدول وتستغل هذه الموارد لذاتها لمصلحة نموها وازدهارها . وثمة القوى الصهيونية التى ليس لها امل فى البقاء والسيطرة فى فلسطين وماحول فلسطين الا اذا ظلت البلاد العربية ضعيفة ومجزأة . ولذلك فهى تحارب اية بادرة من بوادر النهضة والتنمية فى هذه البلاد واى جهد لتمكين الاواصر بين شعوبها .

نعود الى السؤال ماذا سيكون مستقبل العمل العربى المشترك ونلخص جوابا عليه بتأكيد بعض الحقائق الاساسية :

١ ـ ان المقياس الحقيقى لنمو العمل العربى المشترك هو قدرته على مجابهة شروط الحياة فى هذا العصر ، لايكفى ان نقيس هذا النمو بالمقارنة مع الماضى .

فان وتيرته يجب أن تماشى وتيرة التغير وتصاعد المطالب المعاصرة فان لم تماش هذه الوتيرة تخلف التضامن عما يجب ان يكون ولم يحقق الغاية المرجوة حتى لو جاء اكثر سرعة وانجازا مما كان عليه فى الماضى .

٢ ـ ان نمو العمل العربى المشترك الى الحد المطلوب الذى فيه سلامة الشعوب العربية ككل وحصانتها وازدهارها ليس امرا مقدرا او محتما وانما هو نتيجة الإرادة الفاعلة والدافعة والجهد المبذول فى سبيله .

٣ ـ ان مستقبل العمل العربى المشترك مرتبط اشد الارتباط بمعركة التحرر العربى : التحرر من القيود الخارجية ومن العوائق والحواجز الداخلية وهى الاهم . انها معركة شاملة ترمى الى تحرير المواطن العربى والانسان العربى من كل مايكبت ويضعف والى تجديده وتجديد مجتمعه وتأهيلهما للعطاء الحضارى .

ولذلك فاذا دعونا الى تقوية التضامن العربى ، فاننا ندعو ايضا الى الثبات والتقدم فى معركة التحرر العربى فلا تضامن بدون تحرر والعكس كذلك صحيح .

أقوال معاصرة


كارلوس منعم


جورج بوش

● « الحكم هو توفير العمل »

كارلوس منعم
رئيس جمهورية الارجنتين المنتخب

● « الديمقراطية موجة المستقبل »
الرئيس الأمريكى (جورج بوش)

● « امريكا استعمرت عقلنا الباطن »
المخرج فيم فندرز
من المانيا الاتحادية

● « لا أحد يبقى فى مركزه الى الابد »
هو ياوبنج
امين عام الحزب الشيوعى الصينى السابق

● « لسنا قوة عظمى ، ومع ذلك فلسنا العوبة فى ايدى الاخرين »
ريتشارد فون وايزساكر
رئيس جمهورية المانيا الاتحادية

● « الفحولة يثبتها البقاء فى السلطة »
الجنرال البانامى « مانويل نوريجا »

● « الاسلحة التى عفا عليها الزمن لاتروع »
مارجريت تاتشر
رئيسة وزراء بريطانيا

● « التفكير الذى عفا عليه الزمن اشد خطورة على امننا من السلاح الذى عفا عليه الزمن »
هانز ديترش جنشر
وزير خارجية المانيا الاتحادية

اسحاق شامير


● « لن نعطى العرب شبرا واحدا »
اسحاق شامير
رئيس وزراء اسرائيل



هل يتحول النظام العربى بعد قمة الدار البيضاء ؟ !

بقلم : جميل مطر

من المبالغة القول بان قمة الدار البيضاء تمثل حدا فاصلا بين مرحلة ومرحلة . هناك تغير لاشك فيه ، ولكن لم يحدث تحول ، ولاينتظر ان يحدث تحول فى المستقبل القريب . المبالغون القائلون بالحد الفاصل والتحول يقدمون ثلاثة ادلة على بدء التحولات فى النظام العربى .

● الدليل الأول : أن النظام العربى قد تخلى عن عقيدته ، ويعرفون العقيدة بانها الايديولوجية القومية . فالنظام العربى كأى نظام او نسق يحتاج ليستمر الى ايديولوجية تحدد أهدافه وتوجه حركته وتمنحه طاقة الحياة والتطور ، يقولون أن النظام كانت لديه هذه الايديولوجية وتخلى عنها الى الواقعية . وبذلك صار التحدى الكبير من نظام يؤمن بعقيدة الى نظام اخر يفضل الواقعية ويرفض الايديولوجية . هذا النظام ـ حين كان يؤمن بالايديولوجية ـ سعى اعضاؤه سعيا متواصلا الى تحقيق الوحدة ، وحين ابتعد عن الايديولوجية واعتنق الواقعية بدأ يسعى الى تحقيق منافع اقتصادية عن طريق التنسيق الوظيفى بين اقتصاديات اعضائه .

فى هذا المنطق خلط كبير ، وعدم استيعاب لاسس تشكيل النظام العربى وتطوره ، ويتضمن ايضا رغبة اكيدة فى تمجيد وزخرفة التغيرات الراهنة ، وفيه قبل هذا ، وذلك انبهار بتجربة السوق الاوربية المشتركة مصاحبة



القمة الطارئة .. في الدار البيضاء .. حدث من اجل التحول

باحباط نتيجة الهزائم والنكسات العربية المتلاحقة . فالنظام العربى نشأ عربيا ولم ينشأ شرق أوسطيا أو إسلاميا ، أو شيئا آخر ، أو لاشىء على الاطلاق ، ولكنه نشأ بهوية عربية ، أى أن « عروبته » هى التى انشأته . ثم استمر هكذا . كان يمكن فى مرحلة ما ان « يتحول » فيصير شيئا اخر . ولكنه لم يتحول . أى انه حافظ على عروبته . ولم يزل . كيف يقال اذن انه تخلى عن عقيدته . او كفر بها ؟ اجابتهم تقول لانه اعتنق الواقعية واتجه الى التنسيق الوظيفى وتحقيق المصالح .

وهنا يتضح مدى الخلط ، اذ يبدو ان بعض المحبطين من تطورات الماضى القريب لهذه الامة يريد تحميل القومية والايديولوجية اكثر مما تحتمل ، أو يصورها على غير حقيقتها ، أو هم - وفيهم علماء - يتلاعبون بالمفاهيم فيقدمون لقراء الصحف ما لايقوون على الدفاع عنه فى قاعة علم . انهم يقدمون الايديولوجية نقيضا للواقعية . تبدو

الولايات المتحدة مثلا من خلال هذا التقديم للنقيضين وكأنهما بلا ايديولوجية ، والسوق الاوربية المشتركة بدون نسق ايديولوجي متكامل ، وتبدو العروبة مناقضة للمصالح ومعطلة للمنافع ومبددة للطاقات .

وينسى هؤلاء في غمرة تصعيدهم لهذا التناقض الحقائق التاريخية . فالعرب اسسوا من خلال جامعة حكوماتهم العربية اتفاقات ومنظمات ومؤسسات هي في الصياغة والدقة بين اولى محاولات التجمعات الوظيفية . ومايجرى الآن في الساحة العربية من انشاء تكتلات جغرافية تحت اسم الوظيفية ، ليس جديدا ، بل تكرارا لما سبق محاولته ولاتعنى بأى شكل التحول من التعاون السياسى او الالتزام الايديولوجى بالوحدة الى التعاون الاقتصادى او الالتزام بالواقعية وتحقيق المصالح . الاتجاهان تلازما منذ نشأة النظام العربى . وسيادة ايهما في اى مرحلة لم يكن سببا في منع تحقيق الاخر . الاسباب لا علاقة لها بالقومية والواقعية ولكنها اشباب على علاقة وطيدة باساليب الحكم وصراعات الحكام العرب .

والحقيقة التى لاتخفى على أحد ، ان المنظرين والممارسين الجدد للواقعية يمزجون عن قصد أو غير قصد بين الاتجاه نحو الوظيفية في العمل العربي المشترك والاتجاه نحو التنازل عن بعض حقوق ومقدسات وطنية وقومية . اذ قد يكون من الصعب ايجاد تبريرات كافية باسم الواقعية للتنازل في مجالات السيادة والسياسة بينما يصبح الامر اقل صعوبة لو ان هذا التنازل تم في اطار من واقعية اشمل . اشمل جغرافيا اى بانشاء تكتلات او تجمعات كل اعضائها مضطرون للتنازل في حق هنا او مبدأ هناك ، واشمل قطاعيا اى يجعل هذه الواقعية مذهبا يغطى تحولات وتنازلات اقتصادية تحت ضغط قوى الضغط والمال الدولية وقوى التبعية المتزايدة وقوى التفكيك الداخلية واختلال موازين القوى العسكرية في المنطقة . هذا المذهب الجديد الذى يروجون له لاعلاقة له بالواقعية كمذهب في السلوك الدولى الرشيد ، إنما هو في الحقيقة محاولة للتنظير والتبرير لحالة من الفوضى السياسية والاقتصادية تسود معظم قرارات وسياسات وسلوكيات اقطار المنطقة العربية .

الدليل الثانى الذى يستند اليه القائلون ببدء التحول الكبير في النظام العربى هو الادعاء بأن هناك تحولا محسوسا في انماط السلوك الخارجي

والداخلى فى الأقطار العربية ، هذا التحول فى رأيهم يتم تدريجيا عبر قناتين رئيسيتين . قناة المصالحات العربية وقناة التحولات الديمقراطية . قمة عمان عام ١٩٨٧ وصفوها بانها قمة المصالحة والوفاق والتضامن . ولكن جاءت قمة الدار البيضاء لتؤكد ان اهم واطول صراع عربى معاصر وهو صراع العراق وسوريا يزداد ضراوة وعنفا . وانه يتسلل مخترقا تحالفات ومصالحات تمت خلال قمة عمان او قبلها او بعدها ومثيرا للشغب والخلافات . واخر تسللاته كان فى قمة الدار البيضاء .

واذا افترضنا ان المصالحة العربية تتحول بالفعل الى حالة تهدئة فى الصراعات . فذلك لن يعنى تحول النظام ، فالصراعات العربية احتدت او هدأت - ليست بالعنصر الضرورى او الكافى لاحداث تحول فى النظام العربى . الصراعات التى تولد تحولا فى النظم الدولية هى تلك التى تفجرها مواجهات ايديولوجية عنيفة ، وهى تلك التى يمكن ان تؤدى الى اختفاء عضو او اكثر فى النظام . هذان الشرطان لايتوافران فى النظام العربى . فالصراعات العربية تشعلها وتهدئها وتطفئها علاقات بين اشخاص او عائلات او قبائل فى مناصب الحكم ، والصراع الوحيد الذى اتخذ صفة تقترب شيئا ما من نوع الحرب الايديولوجية هو الصراع الذى كان ناشبا فى الستينات بين ماسمى بالقوى التقدمية والقوى الرجعية فى العالم العربى . هذا الصراع لم تحسمه اطرافه انذاك ، وتدخلت اطراف اقليمية ودولية لحسمه . ولم يحسم ، لم يحسم انذاك ولم يحسم حتى اليوم لان كلا طرفيه احتويا على صراعات معقدة ، ولان تخلف الطرفين كان قاسما مشتركا بينهما لم يسمح بتوحد ايهما او بتطور الصراع .

ويتفاءل أصحاب نظرية التحول بقناة الديمقراطية . ومن حيث المبدأ لهم كل الحق فى هذا التفاؤل فالديمقراطية متغير جديد فى النظام العربى . وكل ما كتب عن هذا النظام كتب فى اطار غياب الديمقراطية ، وكثيرون اعتبروا هذا الغياب سببا مباشرا فى تخلف النظام فى نواحى التكامل والامن ، الديمقراطية قد تفرض على السلطة الحاكمة عدم النكوص عما اتخذته من قرارات تكاملية او امنية ، وربما تفرض عليها ايضا اتخاذ قرارات جديدة تنسجم مع مصالح الشعوب ، وقد تمنع السلطة الحاكمة من اتخاذ قرارات انعزالية او اتباع سياسات مثيرة للفوضى فى النظام العربى .

والمؤكد ان هناك اتجاها فى عدد من الدول العربية للسماح بشكل ما من

اشكال التعددية السياسية ومظهر ما من مظاهر حرية التعبير . هذا السماح فرضته ظروف معينة منها تفاقم الازمات الاقتصادية والاجتماعية ، وحاجة بعض الحكومات الى التخفيف من الاعباء الملقاة عليها . وضغوط خارجية لتحرير بعض الممارسات السياسية والاقتصادية .

وبالرغم من التفاؤل السائد ، وتفاؤل كاتب هذه السطور بمستقبل الديمقراطية فى الوطن العربى ، فإن الواقع يؤكد ان مسيرتها سوف تكون شاقة ومريرة ، فالسلطة التى تعودت على احتكار القرار تحضيرا وصناعة وتنفيذا يصعب عليها ان تقبل بالمشاركة الشعبية ، واذا اضطرت لذلك ـ كما هو الحال فى كل التجارب الراهنة ـ فانها لن تسمح بأى حال ـ وفى الاجل المنظور على الاقل ـ بأن المشاركة تمتد الى قطاع السياسة الخارجية والعمل العربى ، لا اتصور مثلا ان تلجأ السلطة الحاكمة فى العراق او فى سوريا الى السماح بمشاركة شعبية حقيقية فى اتخاذ القرارات المتعلقة بالصراع بينهما لا المواطن العراقى ولا المواطن السورى يقبلان بالمشاركة فى اصدار تشريع او اتخاذ قرار بتصعيد المواجهة بين دولتيهما او باغلاق الحدود ، أو بتدبير مؤامرات سياسية .

ثم ان القول بأن الاتجاه المتزايد نحو قليل من الديمقراطية يعنى تحولا فى انماط السلوك العربى قول مبالغ فيه . فالتعددية حيثما طبقت فى اى بقعة من بقاع الوطن العربى لم تغير من طبيعة صنع السياسة أو القرار ، بل وتكشف كل التجارب بدون استثناء انها لم تغير فى واقع احتكار حزب واحد للسلطة ولا فى فعالية المؤسسات الديمقراطية . فالحاكم مازال يحصل على اجماع اصوات الناخبين والحزب الواحد يحصل على جميع مقاعد المجالس المنتخبة .

ومع ذلك ، فقد وفقت مصر حين اعلنت على لسان رئيسها امام القمة العربية التزامها بالديمقراطية . بذلك تكون قد اضافت الى مفردات القمة العربية كلمة كانت الى عهد قريب من الكلمات المحرم النطق بها فى جلسات مؤتمرات القمة .

ـ والدليل الثالث الذي يقدمه القائلون ببدء مرحلة تحول النظام العربى ، هو وجود خريطة جديدة لتوزيع القوة فى هذا النظام وكل قائل لديه خريطة

تختلف عن الخرائط التي يقدمها بقية القائلين وهذا فى حد ذاته دليل مناقض للدليل الذى يقدمونه .

احدى الخرائط تضع منطقة الجزيرة العربية مركزا رئيسيا للقوة ، استنادا الى امكاناتها المالية . وتصور بقية اقاليم المنطقة افلاكا تدور حول هذا المركز فى دورات صراعية او تهادنية او وفاقية . خريطة اخرى تضع مركز القوة والفعالية فى الهلال الخصيب ، وبؤرته بغداد ، استنادا الى القوة العسكرية العراقية المتنامية ، وتصور بقية اقاليم المنطقة فى اوضاع اكثرها صراعى او توجسى ، خريطة ثالثة ، تعدل قليلا عن الخريطة السابقة ، وتصنع من القاهرة وبغداد مركزا جديدا للقوة ، مستندة الى موقعهما الجغرافى كطرفى كماشة يحيطان بمنطقة القلب المضطرب والمتوتر فى النظام العربى ، ومستندة ايضا الى تجمع قوتيهما البشرية والعسكرية فى شكل قوس حديدى يكاد يحيط بشمال الجزيرة العربية ممتدا من شط العرب ومنتهيا فى منطقة مابين السويس وجنوب البحر الاحمر ، وخريطة رابعة تتعدد او تتفتت فيها مراكز القوة ، يوازن بعضها بعضا ، ومن هذه الخريطة الرابعة تفرعت خرائط متنوعة احداها يصور مجالس التعاون الاقليمية الجديدة كمراكز قوى فى طور التكوين ، واخرى تجد لسوريا مكانا كمركز قوة رابع الى جانب هذه التجمعات الثلاثة ، او كقوة قابضة على التوازن .

ان الصخرة الكبرى التى تصطدم بها كل نظريات وخرائط توزيع القوة والنفوذ فى الوطن العربى هى حقيقة ان الامكانات والقدرات فى النظام العربى لها خصوصية يجب مراعاتها . فقد جرت العلوم الحديثة على قياس الامكانات والقدرات كمتغيرات مادية بينما فى الحقيقة تلعب الامكانات غير المادية او غير الملموسة كالدين والثقافة والتاريخ وغيرها دورا مهما فى النفوذ والقوة فى العالم العربى .

لذلك كله ، لن تكون قمة الدار البيضاء الحد الفاصل بين مرحلة واخرى فى تطوير النظام العربى كما يتمنى البعض او يتصور ، انما هو حلقة من حلقات حركة التغيير المستمر داخل مرحلة بدأت فى نهاية الستينات ولم تنته بعد او تتحول الى مرحلة جديدة .

لماذا ظلت مكة ملتقى العلم والثقافات ؟

بقلم : عبد المنعم الجداوى

الحج فريضة تتوج الفرائض ، واذا كانت قد جاءت الركن الخامس من اركان الاسلام . فقد اضيفت اليها عبارة وجوبها ، لمن استطاع اليه سبيلا ، ذلك لانها قد لاتتوافر لكل مسلم .. لكن مامن مسلم فى مشارق الارض أو مغاربها الا ويحرص قدر طاقته على تاديتها ، ومن خلال هذا الحرص على ادائها .. جاءت هذه الآثار الغنية تاريخيا ، وجغرافيا ، وسياحة فى الآداب ، والعلوم ، والفنون .. التى ذخرت بها المكتبة العربية ، وغير العربية .

● كان ذلك التواصل بين المسلمين ، والانفتاح الذى جعل اللغة العربية تصل الى بلاد لم تطاها قدم عربى من قبل ، وخلدت اسماء الرحالة ، والحجاج من الادباء المسلمين . من « ابن بطوطة » الى « تقى الدين القاسى » الى « المقدسى » الى « ابن خلدون » الى « ابن جبير » ، وكلهم كان مشوقا مشتاقا الى « مكة » تهوى اليها افئدتهم ، ولكن وهم فى زحمة الاشواق . يسجلون صورا مختلفة « لمكة المكرمة » .. كل حسب رؤيته .. الحالة السياسية . الجغرافية ، العمرانية ، الحركة الأدبية .. وهم فى توجههم الى الله . يضيفون الى ثواب العبادة . ثواب الكتابة ، ونصب عيونهم ان « مداد العلماء يوزن يوم القيامة بدماء الشهداء » . !!



كلهم يتوجهون الى الكعبة يضيفون الى عباداتهم آفاقا جديدة

وقد كانت « مكة » ومازالت تخطف العيون ، والقلوب ، وتظل العيون زائغة هائمة الى ان تلتقى بالكعبة فتثب عليها .. تود لو استطاعت ان تحملها بين جفونها ..

ولما كانت كتابات العلماء اختلفت ، وتنوعت ، وتباينت من عصر الى عصر . فان قراءة احدهم لاتغنى عن الآخر ، وحتى الذين كتبوا فى عصر واحد .. لابد ان يلم المهتم بما كتبوا فكل منهم قد اختار ، واسهب فى الزاوية التى تهمه أو كانت اكثر جذبا لاهتماماته .. وفى كتاب تاريخ مكة للعلامة الاستاذ احمد السباعى فصل شائق عن البلد الحرام فى الفترة التاريخية الزاخرة المزدحمة بالصراعات ، والتيارات التحتية ، والفوقية . ايام المماليك الاتراك ، والشراكسة .

● عملة قلاوون في مكة

و« مكة » على مدى الزمن يحكمها اشرافها فاذا غلبوا على امرهم . كان ذلك لفترات قصيرة .. يخضعون فيها للسلطان البعيد . ويؤدون له الضريبة السنوية ويرسلون اليه بالهدايا .. لشراء رضاه فيغمض عينيه عنهم او يؤيدهم . وفي عام ٦٤٧هـ كان على « مكة » شريف يدعى « الحسن وابنه ابو نمى الاول » . وقد ظلا بعيدين عن كل نفوذ وسار بها مستقلة خالصة « ابو نمى الاول » بعد ابيه حتى عصفت العاصفة بحكم الايوبيين في مصر . واجتاحت زوبعة المماليك الاتراك كل شيء في طريقها . فكان ان تطلعت عيونهم . بعد ان استقر لهم الحكم في القاهرة إلى بسط نفوذهم على مكة . واستطاع السلطان قلاوون عام ٦٨١هـ ان يفرض الدعاء له من على منبر الحرم . وجعل النقود المصكوكة باسمه هى عملة اهل الحرم .. لكن « ابو نمى » ثار على هذا الوضع . وطرد جنودهم خلف اسوار مكة .. لكنهم نجحوا في تحريك ثورة ضده من الداخل من ابناء عمومته الذين ينازعونه الحكم .. فلما شعر بالخطر قبل هداياهم التى ساقوها اليه . ورضى بالدعاء للسلطان قلاوون مرة اخرى .!

● ناظر للحرم ..

وحينما تسلم الشراكسة الحكم من اساتذتهم الاتراك . اقاموا حامية عسكرية مكونة من خمسين فارسا من فرسانهم بقيادة احد الضباط . وحجتهم حماية الحجاج . والقيام على شئون الامن .. لكن الشريف حاكم « مكة » اذ ذاك (حسن بن عجلان) قاومهم . واصر على ان يدخل الجيش « مكة » بغير سلاح . واستجاب الشراكسة .. الا انهم عينوا من قبلهم ناظرا للحرم تكون مهمته القيام بشئون الحجاج .

● الحجاج الذين جمعوا بين ثواب العبادة وثواب الكتابة .. !

عوضه ناظر الحرم « التاجي » كما ولى منصب الجيش ، فهو ولى نظارة الحرم ، والربط ، والأوقاف والصدقات ، وان يكون محتسبا لمكة] وهكذا خضعت مكة لحكم الشراكسة ، واصبح يدير شئونها امير مندوب منهم . اما امراء مكة واشرافها فيتلقون اوامر تعينهم من هؤلاء الشراكسة ..

● النســاء يطفن ليلة الجمعة .. !

لكن كيف كانت صورة مكة الجغرافية وقتئذ .. ان العالم « تقى الدين الفاسى » يصفها فيقول كانت مكة بلدة مستطيلة لها ثلاثة اسوار . سور المعلاة وفيه بابان وسور الشبيكة وفيه باب كبير ، وسور اليمن ، وهو فى المسفلة ، والسور هنا معناه « سد » بين جبلين . لان مكة تحوطها الجبال من باقى الجهات ..

وماذا قال ابن بطوطة وهو يصف ما كانت عليه مكة عام ٧٢٥هـ .. ؟ ان ابواب مدينة مكة ثلاثة : باب المعلاة ، وباب الشبيكة ، وباب المسفلة ، وهى نفس الابواب التى



المحمل المصرى فى طريقه إلى الكعبة

وتيسير الحج لهم .. وقد جاء فى كتاب « الاعلام للقطبى » ان ناظر الحرم عام ٨٥٢هـ كان يدعى « بيرم خوجة » ولم تدم نظارته سوى عامين ، ثم عزل ، وعين بدله بفرمان نصه [ان أمير الترك بمكة "الامير خانى" ، سافر فى عام ٨٥٦هـ ولى

● ابــن « بطـــوطـــة » يصـــف نـــاء مكـــة فـى الطـــواف ..

لماذا ظلت «مكة» ملتقى العلم والثقافات؟

ذكـرهـا ابن جبيـر في عهـد الأيوبيين .. يضيف ابن بطوطة انه شاهد بين الصفا والمروة سوقا عظيمة يباع فيها الحبوب واللحم ، والتمر ، والسمن ، وسواها من الفاكهة ، والساعون بين الصفا والمـروة . لايكـادون يخلصـون لازدحام الناس ، وعن يمين المروة دار امير مكة (عطيفة بن ابى نمى) ، ودار « رميثة » برباط الشرابى عند باب بني شيبة « باب السلام » وتدق الطبول عند باب كل واحد منهما عند صلاة المغرب ...

وأهل مكة لهم ظرف ونظافة في الملابس ، واكثر لباسهم البياض فتـرى ثيابهم ناصعة ساطعة يستـعملـون الطيـب كثيـرا ، ويكتحلون ويكثرون السواك باعواد الأراك الأخضر ، ونساء مكة فائقات الحسن رائعات الجمال ذوات صلاح وعفاف وهن يكثرن التطيب حتى ان احداهن لتبيت طاوية وتشترى بقوتها طيبا وهن يقصدن للطواف بالبيت في كل ليلة جمعة . فياتين في احسن زى ، وتغلب علـى المسجد رائحة طيبهن . واهل مكة لاياكلون في اليوم الا اكلة واحدة بعد العصر ، ويقتصرون عليها الى مثل هذا الوقت ، ومن اراد الاكل في باقى النهار اكل التمر ، ولذلك صحت أجسامهم ، وقلت فيهم الأمراض ، والعاهات واكلة العصر هى اكلة دسمة ولابد من وجبة الصبح او الضحى ..

وفى رجب تفد القبائل الموالية لمكة مثل « جبلة » ، و« زهران » و« غسان » ، ويشاركون اهل مكة الحفاوة بالعمرة ، ويجلبون معهم الكثير من منتجات بلادهم . فيعم الرخاء ، وهم يعتقدون ان بلادهم لن يزيد إنتاجها ، وتخصب زراعاتها ويكثر خيرها الا اذا بروا مكة واهلها ..

وهم فصحاء الألسن صادقو النية .. يتطارحون عند الكعبة داعين بادعية تتصعد لها القلوب ويتزاحمون عليها حتى يعجز غيرهم عن الطواف ، وهم شجعان امجاد ، ولباسهم الجلود ، واذا وردوا مكة هلت اعراب الطريق لمقدمهم ..

ويستقبل «رمضان» بالطبول ، وتجديد فرش المساجد ، ويكثرون فيه الشمع والمشاعل . حتى تتلألأ المساجد نورا . اما السحور فيتولاه المؤذن الـزمـزمى ، ويجيبـونـه المؤذنون الآخرون . فاذا انطفا قنديل المئذنة الزمزمية كان ذلك اعلانا بالامساك عن الطعام ، وكان اصحـاب الصنـاعـات يتخذون مقاعدهم في بلاط المسجد المتصل بدار الندوة كالخياطين ، وبجانبهم

القارئون والنسلخون ، وباعة الدقيق والعقيق ..

● الحركة العلمية لم تتوقف ابداً !

ولم تتوقف الحركة العلمية طوال تاريخ مكة لا في عهد الفاطميين ولا الأمويين ولا الأتراك ، ولا الشراكسة . فالعلماء وطلابهم لم ينفضوا ابدا ، ولم تتوقف حلقاتهم في الحرم وفي بيوت خصصت لهذه المهمة الجليلة تتولاها عائلات بعينها كانت تتوارث العلم ، وقد اشتهر من هذه المدارس علماء اجلاء تركوا الكثير من الآثار المكتوبة من آل القرشي وآل الطبرى ويسجل التاريخ ان سيدة من آل الطبرى برزت في تلك الفترة بعلمها ، وسعة اطلاعها ، مما يؤكد ان المرأة كانت تطلب العلم ، وتعلمه كالرجال سواء بسواء ، الا وهي ، ام سلمة بنت المحب الطبرى ، وكذلك طارصيت علماء من آل النويرى ، وكان منهم قاض بمكة كما اشتهر مجد الدين به يعقوب الفيروزيادى صاحب القاموس المعروف ، وقد كتبه في منزله بمكة بجوار الصفا .

● المحمل المصرى والمحامل الأخرى ..

وكان اول من نظم طابورا او قافلة الحج من مصر . هو ، جمال الدين ، الشركسى ، وكان قد خرج والده اميرا على قافلة الحج مع المحمل المصرى عام ٨٠٩هـ . فأمر بأن تتوقف القافلة عند عجرود بين السويس والقاهرة ، وان يثبت اسم كل حاج ، واسم اسرته ، في دفتر ، ويرصد ما معه من أموال ، ومكانه في القافلة ، وجعل العسكر في المقدمة ، والأموال ، والمؤونة في الوسط ، وتنتهي بحراس فداه .. حتى لاتهاجم القافلة من الخارجين على القانون واعتنى بوضع علامات على الطريق من الحجارة حتى لايضل الحجاج الطريق ، وكانت القوافل تقطع الطريق بين السويس والعقبة في عشرة ايام .

ثم ترتاح القافلة في مدينة العقبة ، وكانت بها قلعة مصرية بها حامية من العسكر المصريين . وفيها يلتقى الحاج المصرى بالحاج السورى القادم من دمشق . ويتبادل الحجاج البضائع ، والمعلومات ، ويتعرف بعضهم على بلاد البعض ـ ثم تمضي القوافل الى مدينة الوجه وهي ذات محافظ من الشراكسة ، وله جنود يشرفون على الامن في اسواقها .. وكانت ثمة طرق اخرى اكثرها برية تمضي فيها قوافل الشام ، والقدس اهمها طريق العريش وطريق العلا ، وهو الطريق الذى يقطعه (المحمل الشامي) .. من دمشق في مدة لاتقل عن اربعين يوما .. فقد كان يصل الى مكة تلك الايام عدة «محامل» كلها انشئت على غرار « المحمل

المصـرى » ، وهـى « المحمـل الشامى » و« المحمل العراقى » ، و« المحمل اليمنى » .. !

● نشأة المطوفين .. !

وقبل عهد الشراكسة لم تكن عرفت مهنة او حرفة التطويف فى مكة .. لكنها ابتدعت ايامهم لضعفهم الشديد فى اللغة العربية ، وميلهم الى الأبهة ، والبذل ، واعتمادهم على من يخدمهم ويدلهم على مشاعر الحج ، ويتلو عنهم الادعية او لكى يرددوها خلفه .

وحينما حج السلطان « قايتباى » عام ٨٨٤هـ . كان يلقنه الادعية ويرشده قاضى مكة ابراهيم بين ظهيرة فكان اول مطوف ، وبعده تزاحم الفقراء من طلاب العلم فى الحرم على احترافها للحصول على المقابل من الحجاج الشراكسة ..

وتفقد « قايتباى » اعيان مكة الذين استقبلوه خارج مكة فلما سال اذا كان احد من المسئولين لم يخرج للقائه .. فقال له الوشاة ان الشيخ محب الدين الطبرى المكى امام الحرم لم يحضر .. فلما التقى به فى الحرم . عاتبه لأنه لم يستقبله خارج مكة فأجابه بانه اراد ان يستقبله فى اشرف بقعة وهى المسجد الحرام .. فسر السلطان من الجواب وقال له امرت لك بمائة دينار شهريا مقابل امامتك .. فرد عليه الامام قائلا ان امامتى حسبة لله لا اقبل عليها اجرا .. ولما رجع الى مصر امر بتعيينه رئيسا للقضاة ، ومشيخة الحـرم ، والافتـاء والتـدريس والحسبة .. وجاء رسول يحمل اوراق التعيين الى الشيخ .. فلما بلغ بيته . سال عنه وهو يمنى نفسه بهدية عظيمة لقاء هذه البشرى .. فقيل له ان الشيخ حمل العجين ليخبزه فى فرن فى اقصى الشارع . فذهل الرسول .. وانتظره حتى عاد فقدم اليه الاوراق ، وهو يفرك يديه فرحا .. فما كان من الشيخ الا أن اعطاه رغيفين .. فصعب ذلك على الرسول ، وقال ان مكافاة مثل هذا الخبر الف دينار .. فرد اليه الشيخ الاوراق وقـال له .. اذهب الى السلطان وسلمه الاوراق فلا حاجة لى بها .. !! بقى ان اقول ان هذا الشيخ هو والد «ام سلمة» العالمة القـارئة التى اشتهـرت بعلمهـا واستماع الخاصة ، والعامة الى دروسها التى كانت تلقيها فى بيتها فى مكة .. اقول هذا لبعض الذين يقولون ان الاسلام لم يعط المراة حقها من الرعـاية ، والعنـاية ، والاهتمام . كما اعطى الرجل .. !!

● أم القرى والبلد الأمين

ان مكة البلد الامين جاءت عليها فترات لم تكن امنة .. لكنها لاتلبث ان تعود الى ما كانت عليه . بلد الأمن ، والدعة والخير يأتيها من كل مكان ، ويجد فيها الخائف امنا ، والعاطل عملا ، والجائع شبعا ، والتاجر رزقا وخيرا ... وذلك جعلها منطقة جذب لايقاوم ، وتدفق المسلمون اليها من الشرق ، والغرب ، ولهذا تجد فى مكة مناطق كثيرة حملت اسماء الذين اسسوها ، ولاتزال ذرياتهم تسكنها .. فيقال « جبل الترك » او « جبل الهندى » او حارة السليمانية ، او زقاق المغاربة ، وزقاق البخارية وهذه الجاليات نقلت الى مكة الكثير من عاداتها ، وتقاليدها ، والكثير من الصناعات ، وكانت مكة قادرة على استيعابهم ، واحتوائهم ، وطبعهم بطابعها .. رغم انهم ادخلوا على لغتها الكثير من كلماتهم ، ولهجاتهم .. مما اضعف اللغة العربية الأصيلة ، والتى تبحث عنها الآن فلا تكاد تعثر عليها ..

وقد بقيت العائلات القديمة ، وكأنها غريبة فى مكة واقدم العائلات هى عائلة « آل الشيبى » وهم ذرية « شيبة بن عثمان بن ابى طلحة الحجبى » من اولاد عبد الدار وقد ظل بينهم خالدا فى مكة كما



صورة قديمة للمحمل وهو فى طريقه إلى الأرض المقدسة

ظلت خدمتهم فى الحجابه خالدة مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام ، "خذوها يابنى عبد الدار خالدة تالدة إلى يوم القيامة لاينزعها منكم الا ظالم" وهؤلاء نسلهم لم ينقطع عن مكة .. ثم بقيت اسر العلماء الذين اثروا حياة مكة العلمية ..

ولم تتوقف هجرة المغاربة او السوريين او الاتراك او الاكراد او المصريين او السودانيين الى مكة .. اما العراقيون فهم اقل الاجناس هجرة اليها ، كذلك اهل ايران .. واوسع الجاليات هجرة اليها الحضارمة وتتربع عائلاتهم على عرش التجارة ، والمال فى بلاد الحجاز كلها .. !

أقصوصة

بقلم
عبدالحكيم قاسم

آه يا ولاد!



أخيرا جاء الماء، ورويت الارض التي حصد عنها قمحها، وتلك التي بقي بها زرعها المستحصد، به عجز اصحابها عن سداد الايجار، هكذا طفحت الشقوق، وامتلات الحقول بالمياه، وغمرت، فخرجت منها اسراب هائلة من الفيران، غيطانية بنية صفراء الظهور، تجرى يخبط بعضها فى بعض، يقفز بعضها فوق بعض فرار مذعور اعدى الجراد فطارت جماعاته فوق سيل الفيران المنحدر، والفراشات، والعناكب تتعلق بخيوطها، تتسلق الوهم صعدا، والعصافير تزقزق وتضرب بجناحها طاربة. ومالك الحزين ينشد مكانا رائقا يستمتع فيه بالماء، تزحم الفيران المكان بالجنون، ومالك الحزين ليسمع له ليعير، لم ينتظر اين يحط

سحب من فيران غيطانية، سمينة بما قرضت من سنابل القمح طوال الموسم، ينطلقون لا يلوون على شيء، من الحقول الى الاجران ازدحمت بها الارض، تزلزلها بركضها

الصموت وتسد الافق بسحب شفيفة فانتشر الفزع ، من ناحية القرية خرج العيال ، سحابة كثيفة ، عيال حفاة ، جلابيب على العرى ، سيقانهم ملتوية رفيعة ، وكروشهم منتفخة ، والوجوه ، والعيون تقرحت ، والشعر اشعث ، هجموا قابلوا هجمة الفيران ، كلما دفقت المياه فى الارض بها من جديد ، وجاء العيال على الصياح تخالط الجمعان صرخات الفرح وصرخات الفزع حتى كف الجرى واوقف الفرار وهمد العفار ، وما بقى فى القرية طفل ، الا وقد حاز فارين او ثلاثة او اربعة . والولد حويط .. ! اصطنع فتلات ، لكل فار منها ، فيرانه الاربعة . ربط الفتلة على الساق ربطا محكما ، وخلى لها الفتل طويلا ارخاه ومشى يمسك الاربعة حبال فى يده مسكا وثيقا ، وعند اخر الحبال تترقص وتتلعب ، يوقع لها بالارخاء والشد ، تنوى ان تفر فيرغمها الرباط ، وتستمر اللعبة ، رقصة رهيبة ، والطفل سعيد يشغبه وانتصاره .

تمادى ، فدق وتدا فى الارض ، واحكم فيه ربط الفتلات الاربع ، كل واحدة تنتهى بواحد من فيرانه ، تركها تجرى والاحبال ترغمها على الجرى فى دائرة مركزها الوتد ، والولد يجرى يطارد الفيران على محيط الدائرة . يصفق ويذكر ويتراقص والجرى دائب والدائرة لا تعرف الاكتمال ابدا . حتى تعب الصغير ، جلس وحيواناته واقفة جامدة ينبض فى كروشها النفس .

قال الولد لنفسه وفى يده الحبل الاربعة ، ان هذه الا ابقارنا ، لنعلق فى رقبة الواحد منها حجرا ، وتوثقه توثيقا شديدا ، واطلقها تسير والحبال معه ، وان ابت السير جذبها ، تعلو الساق المربوطة وتمشى الفيران ينقلون ثلاثا ويجرون الحجارة والولد يصيح بها صيحاته بالبقر ويضربها بالعصا ، ويسرف فى الضرب حتى ماتت . كل واحد منها داخ وانتفض وقاء دما ، فالصغير ضرب كلا ان اوانه منهم بالحجر فقد ملها .

هكذا ماتت فيرانه الاربعة ، فانطلق ينظر فى امر الاطفال ، ارض الجرن مغطاة بجثث الفيران ، يركلها ، بعض الصغار فى ايديهم بعض من فيران يلهون بها ، لقد ملها . لم يطل النظر ولم يتوقف بهم . مضى ، الحقول ملئت بالماء حتى فاض اندلق فى الجرن صانعا بركة وقف الصغار على الحافة يدورون بها ويقذفون الماء بالحجارة لحق بهم . البركة مملوءة فئرانا تقوم تخبطها قذائف الطوب تصيبها فتغوص ، او تطفو التصب القذائف عليها مرة اخرى ، والشواطىء محروسة ، كل فرار مدرك ، يضرب الفيران فترجع الى الماء . صاح الولد ان اه لو كنت اطلقت بقراتى هنا .. ! واخذ من الطوب يقذف الى ان غرقت الحيوانات فى الماء العكر .

والوقت صار الى اصفرار الشمس ، والمغرب وشيك ، اب العيال ، يمشون فى جماعات ، يضحكون ، ويلعبون شقاوة ، لكنهم التعبون ، يحكون عما كان من امر الفئران : اه ياولاد .. !!



فيروز النغم الحالم في صيف القاهرة

بقلم: كمال النجمي

الصيف المصرى فوق هضبة الهرم فى هذا الشهر، هو صيف «فيروز» مطربة لبنان ومطربة العرب .. يفتح لها ذراعيه، وسمعه وبصره، ويرطب بالأنسام الندية والنفحات الشذية لياليه القمراء، ويقطف من أغصان صوتها المثمر تفاحة الطرب، ويشعل وجدانه بالنشوة والوجد ! ..

يتذكر السامع في طربه لفيروز قول أحمد شوقي أمير الشعراء :

لبنان والخلد اختراع الله لم
يُوسَم بأزين منهما ملكوتهُ

فإن الصوت النغوم الذى تتغنى به فيروز ، هو تجسيد بالنبرات المغردة لجمال لبنان ، جبلا وبحراً ، وهواء وسماء ..

وهو صوت رقيق صغير المساحة مثل لبنان ، ولكنه قوى مثله ، وتمتد في هذا الصوت الرقيق الصغير شعرة ذهبية طويلة رفيعة متينة ، تلعب فوقها الألحان برشاقة وبراعة وقوة لاتملكها بعض الأصوات ذات الجهارة والعرامة وسعة المساحة .

قبل سبعين عاما كانت « البحة » الواسعة التى تأكل نصف الصوت ، هي مصدر الجاذبية في الغناء العربي ، وكانت منيرة المهدية هي صاحبة البحة الكبرى بين المغنيات والمغنين ، فانتزعت بهذه البحة سلطنة الطرب ! .

ولبثت منيرة تصعر خدها للناس تيهاً بهذه البحة التى خصتها بها الأقدار ، ولكن "فن البحة" استنفد أغراضه حين ظهرت أم كلثوم بصوتها اللامع كعين الشمس وسيطرت على ساحة الغناء ، فلم يبق من البحة إلا أثر ضئيل يتعلق به صوت أم كلثوم أحياناً على سبيل الذكرى ! .

ومن أيام منيرة إلى أيامنا ، وردت على أسماعنا أصوات لا حصر لها ، حتى جاء صوت فيروز ، فحل همسها الأبيض محل الجهارة البحّاء ، وتحرك تاريخ الغناء العربي ماشياً من مرحلة إلى مرحلة ، منتقلاً من حال إلى حال .

● في سنة ١٩٤٩ سمعت صوت فيروز لأول مرة من إذاعة بيروت ..

وفي سنة ١٩٦٩ رأيت فيروز وسمعتها تغنى على أحد مسارح دمشق ، فواجهتها بسمعي وبصرى لأول مرة ، وشاهدت فنها يتحدر من أصل ينبوعه ..

وها أنذا مع الناس في القاهرة سنة ١٩٨٩ ننتظر قدومها ، ونتهيأ للقائها فوق هضبة الهرم العالية ، وتحت ليل القاهرة السلجى ..

إن مياها كثيرة جدا قد انسابت في نهر الحياة من سنة ١٩٤٩ إلى سنة ١٩٦٩ إلى سنة ١٩٨٩ .. أربعة عقود من الزمان غيرت الكثير فينا وفيما حولنا ، ولكن فيروز بصوتها وفنها بقيت كأنها لا تتأثر بتقلبات الأيام ، فهى مطربة لبنان والعرب في السراء والضراء ، وحين اليأس ، أي حين الحرب ! . وقد ظل هذا البأس يتفجر طوال السنين ناراً ودماراً ، ولكن فيروز بقيت تحلق كالعصفور فوق الحريق ، مع أن هذا الحريق استلب منها في لهيبه ودخانه نصف عمرها الفني تقريباً ! .

بدأت فيروز حياتها الفنية سنة ١٩٤٥ في إذاعة بيروت ضمن فتيات الإنشاد أو الكورس ، وغنت في تلك الأيام نرددة "المذهب" وراء كل مطربة كبيرة أو شهيرة تقف أمام ميكروفون الإذاعة ، ولكن المطربات الكبيرات والشهيرات اللاتى وقفت وراءهن فيروز اختفين أو تقهقرن أو نالهن الإجهاد ، وانطلقت هى وحدها من وراء صفوف الكورس حتى طبقت شهرتها الآفاق !

وبرزت فيروز من أول أمرها في ثوب غنائي جديد ، فكانت ألمع المطربات في عصر

أم كلثوم الذى هو عصر تجديد الغناء العربى جملة وتفصيلاً .

والقانون الأساسى - إن صح التعبير - الذى كان ومازال يتحكم فى تطور ونمو الغناء المصرى ، والغناء اللبنانى من ورائه ، منذ الثلاثينات حتى يومنا هذا ، هو القانون الكلثومى إن صح التعبير ، مرة أخرى ! ..

فلم يكن من بد طوال العقود الخمسة الماضية وإلى اليوم ، أن تتمرس كل مطربة تبتغى النجاح ، بالعلوم الغنائية الحديثة المتطورة فى الغناء العربى ، وهى حصيلة غناء أم كلثوم وابتكاراتها الفنية واكتشافاتها الصوتية طوال السنين ، مع كوكبة ملحنيها العظماء على امتداد خمسين عاما ..

ولا توجد مطربة فى مصر أو فى أى بلد عربى - مهما كان لون غنائها ومعدن صوتها وحجمه ومساحته - لم تدخل مدرسة أم كلثوم وتتعلم منها شيئاً أو أشياء ..

ولكن المطربات تفاوتن فيما طبعن به أساليبهن فى الغناء حتى ليكاد أثر الغناء الكلثومى يكون خافيا فى بعض أساليبهن الغنائية .. وأبرز هؤلاء قديماً المطربة العظيمة أسمهان .. وأشدهن أثرا وسحرا الآن ، مطربتنا الفريدة فيروز ..

لقد تأثرت فيروز بالفن الكلثومى الذى هو فن العصر ، وأخذت منه ما يناسب صوتها وأضافت إليه إضافات أساسية جعلت من فيروز مطربة شديدة التميز فى عصر أم كلثوم ، بل أظهرتها أحيانا إلى جانب أم كلثوم ، وهذه طبقة فى النجاح لم تبلغها مطربة غير فيروز ، فكانت هى المطربة الواحدة إلى جانب أم كلثوم الوحيدة ..

وفيروز من أصوات الميزوسوبرانو الخفيفة ، فهى لاتصل إلى طبقة السوبرانو العالية ، وطبقة صوتها هادئة النبرات ، بطيئة الذبذبات نسبياً ، ولكنها تستخرج من خفة صوتها حركة درامية مؤثرة ، وتتفنن فى تطويع مساحة صوتها التى تنحصر فى ثمانى درجات موسيقية ، أو ثمانية مقامات ، لكل النغمات التى يصنعها ملحنو أغانيها الفردية وأغانيها المسرحية والجماعية ..

وصوت فيروز خافت نسبياً ولكنه لامع النبرات ، نقى من كل شائبة ، ساعدته تربيته الفنية الصحيحة على أداء الغناء العربى بلهجة حديثة تشبه فى الأسماع أحياناً لهجة الغناء الأوربى ، حتى إن بعضهم رشحها للغناء الأوبرالى على الطريقة الأوربية ، وهو أمر يشبه أن يكون مستحيلاً ، لأن صوت فيروز - برغم شكله الخارجى - هو صوت طبيعى وليس صوتاً مستعاراً ، والفرق كبير بين الصوتين فالغناء العربى لايمكن أداؤه على وجهه الصحيح نطقاً ولحناً إلا بالصوت الطبيعى ..

وللغناء الأوبرالى قواعد فى تربية الصوت غير قواعد تربية الصوت على الغناء العربى ، تشمل أجهزة النطق والتنفس والمضغ والبلع والحجاب الحاجز والرئتين وأوضاع البطن والرأس وأموراً أخرى كثيرة ..

والمغنى الأوبرالى - من هذا الطراز - عاجز عن الغناء العربى الصحيح .. كذلك

المغني ذو الصوت العربي لايستطيع الغناء الأوبرالي على وجهه الفني الدقيق .. وقد كانت أم كلثوم ذات الصوت الأعظم لاتستطيع أداء الغناء الأوبرالي ، ومثلها جميع مغنيات عصرها ، ومنهن فيروز التي يظن بعضهم انها تغني بصوت مستعار .. وهذا غير صحيح ، بل إنه جهل بمعنى الصوت المستعار ، ففيروز لم تغن قط إلا بصوت طبيعي ، وكان غناؤها ومازال غناء عربيا ، برغم ما قد يبدو على بعض الحانه من "تفرنج" !

ويمكن أن يقال إن للميكروفون فضلاً على مستمعي فيروز لأنه جلا لهم مرآة هذا الصوت الجميل الذى لولا الميكروفون لتغير طريقه إلى الأسماع ، ولفات الكثيرين منهم الكثير منه ، ولم يكن ممكناً ظهوره بنجاح فائق إلا في عصر الميكروفون الذى كان له الفضل في نجاح أصوات خافتة جميلة أو فائقة الجمال ، مثل صوت عبد الحليم حافظ ، وصوت القارىء العبقرى الشيخ محمد رفعت ..

وقد جاءت فيروز في الوقت المناسب فشغلت مكاناً لم تكن تشغله مطربة اخرى في البلاد العربية كلها ، وهو مكان المطربة ذات النبرات الرومانسية الحالمة التي يتضمن اداؤها الرومانسي ثورية فنية أو فورة دراماتيكية افتتن بها المستمعون ..

وقد غدت فيروز رمزاً من رموز الغناء العربي الحديث ، ولكنها ـ بوجه خاص ـ صارت رمزاً لفن الغناء اللبناني المتطور الذى كان له اثر في الغناء المصرى والغناء في كل بلد عربى تقريبا ، حتى في البلاد التي سجن مطربوها ومطرباتها اصواتهم في السلم الخماسي ، مثل اليمن وبلاد الخليج والسودان وليبيا وغيرها من البلاد العربية ، فضلاً عن مطربى البلاد العربية الأخرى الذين تأثروا بالغناء الهندى والغناء الفارسي ، حتى خفى علينا اثر الغناء العربى في حناجرهم .

وقد كان الغناء اللبناني إلى اربعين عاما خلت ، متخلفا عن الغناء المصرى مائة عام على الأقل ، ولسنا في الحقيقة أول من قال بهذا الرأى ، فقد سبقنا إليه المطرب اللبناني الكبير وديع الصافي ..


محمد عبدالوهاب


رياض السنباطي

ذلك أن مصر - لأسباب تاريخية كثيرة - قد سبقت شقيقاتها العربيات في المجالات العلمية والأدبية والفنية ، ومن بينها مجال الغناء والموسيقى .

فقد بدأت نهضة الغناء المصري في عهد محمد علي باشا الكبير قبل مائة وخمسين عاما ، حين ظهر الأديب الموسيقي الشيخ محمد بن اسماعيل فأزاح الستار عن الموشحات الأندلسية الدفينة ، وكتب عنها كتابه الفريد "سفينة الملك" الذى اشتهر باسم "سفينة الشيخ شهاب" .. واجتمع حوله تلاميذه وبدأت على أيديهم حركة الغناء المصرى بعد همودة الطويل ، وتبلورت الأشكال الغنائية الرئيسية : الدور والموشح والموال والقصيدة والطقطوقة ..

ثم قفز الغناء المصرى على أيدى أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب ومن عاصرهم من الملحنين والمغنين قفزات جبارة لم يعرف الغناء العربي مثيلا لسرعتها وعمقها منذ عصراسحاق الموصلى قبل الف ومائتي سنة . فانتقل الغناء المصرى إلى أفاق رحبة رفيعة لم يكن يحلم بها المغنون ولا الملحنون ولا المستمعون ..

ولم يستطع فن الغناء اللبنانى أن يلحق بهذه التطورات إلا بعد أن استقلت الدولة اللبنانية والتأمت الطوائف ، وسار لبنان فى طريق التطور وملاحقة الجديد فى العلوم والفنون ، فعندئذ أتيح للموسيقيين اللبنانيين أن يقفوا على أعمال أشقائهم الموسيقيين المصريين ويستوعبوها ويتعلموا منها ..

وكان عاصى ومنصور الرحبانيان فى طليعة الموسيقيين اللبنانيين الذين وثبوا ليلحقوا بركب الغناء المصرى المنطلق بأقصى سرعته ، ونجحا فى اللحاق به نجاحا عظيما ، وأضافوا إليه ما استطاعوا ..

ومن حسن الطالع أن قيضت لهما الأقدار صوت فيروز ليعرض فنهما فى التلحين ، فضلا عن فنهما فى الشعر الشعبى والشعر الفصيح ، وانتقل عاصى الرحبانى من وظيفته كشرطي فى بلدية بيروت إلى أروقة الإذاعة اللبنانية ، ليملأ الأثير بصوت فيروز ، ومعه شقيقه منصور الذى قاسمه كتابة أغاني فيروز وتلحينها . ولا أدرى فى الحقيقة كيف يمكن أن يتقاسم اثنان - ولو كانا أخوين - تأليف أغنية أو تلحينها ، فهذا لم يسبق له مثيل فيما علمنا من عجائب النظم والتلحين .

هل معنى ذلك أن هذين الأخوين النابغتين استطاعا أن يسدا فجوة المائة عام التى كانت تفصل بين الغناء المصرى والغناء فى لبنان والبلدان العربية الأخرى ؟! .

الحقيقة أنهما سدا الفجوة وتجاوزاها فى المسرح الغنائى اللبنانى ، أما فى الأغنية الفردية فإن جهدهما وقف - مع صوت فيروز - عند حدود لم يستطع أن يتجاوزها ، حتى بالاضافة إلى جهود الملحنين اللبنانيين الآخرين ..

وعندئذ ظهر فى "الورشة" الرحبانية الفيروزية موسيقار مصر محمد عبد الوهاب ..
لم يكن عبد الوهاب يريد المشاركة فى مسرح فيروز والرحبانية الذى بلغ غاية

النجاح ، وتفوق على المسرح الغنائى المصرى .. مع أن لعبد الوهاب تجارب فى التلحين للمسرح الغنائى منذ سنة ١٩٢٥ حين لحن لمسرح الريحانى ، ثم فى سنة ١٩٢٦ لمسرح منيرة المهدية ..

ولا أدرى الظروف النفسية التى دفعت عبد الوهاب فى الستينات إلى إحياء ماضيه الغنائى فى العشرينات بصوت فيروز ! .. لعل الظروف النفسية لم تكن وحدها ، فهناك أيضا الأرباح ! .. وهكذا غنت فيروز "ياجارة الوادى" و"خايف أقول اللى ف قلبى" وغيرهما من أغانيه بدعوى إظهارها فى شكل جديد من التوزيع الموسيقى .. فماذا حدث ؟! ..

لقد سجلت فيروز هذه الأغانى القديمة فى عز شهرتها وإقبال المستمعين على كل ماتغنيه ، ولكن الفرق كان كبيرا بين صوت عبد الوهاب القديم البالغ أربعة عشر مقاما ، وصوت فيروز المحدود بثمانية مقامات ، فضلا عن اختلاف تكوين الصوتين فى القرار والجواب ، مما جعل الرحبانية يقومون بتبسيط واختصار أغانى عبد الوهاب القديمة ، وتضييق حجمها ، وتقليص مساحتها ، وخفض طبقة الصوت فيها ، وإلغاء قراراتها الأصلية المؤداة بقرار صوت عبد الوهاب العميق الذى لا مثيل له ، فضلا عن جواباتها التى تزيد على جواب صوت فيروز بأكثر من خمس درجات أو ست ..

وبعد هذه العملية البائرة دخلت تلك الأغانى فى حنجرة فيروز ، فكانت هذه العملية الجراحية فى رأيى ورأى كل ذى ذوق أو معرفة بالغناء ، مسيئة إلى فيروز المطربة الموهوبة ذات الصوت الخاص ، اللطيف التكوين ، البديع النبرات ، المؤثر برقته ونعومته وخصوصيته ، لا بالجرى وراء أغانى أصوات الفحول من كبار مطربى العشرينات ! ..

ويبدو أن عبد الوهاب كان بينه وبين نفسه على هذا الرأى الذى كنا نحن ومازلنا عليه .. فسرعان ماتقدم إلى فيروز بثلاثة ألحان جديدة لثلاث أغنيات من تلحينه : "أسهار بعد أسهار" .. و"مر بى" .. و "سكن الليل"

أحمد شوقى — منيرة المهدية — أم كلثوم



إن هذه الأغنيات - ومنها قصيدتان - أثبتت بما لايدع مجالا للشك أن عبد الوهاب هو خير من يعرف المزايا الفريدة لصوت فيروز ، وانه يفهم بدقة تامة حدوده المقامية ، ومواطن إبداع نبراته .. فجاءت هذه الألحان فى صوت فيروز آية فى التلحين وفى الصوت وفى الأداء ..

وقلنا يومئذ وقال كل من سمعوها متسائلين :

- هل أراد عبد الوهاب بهذه الألحان التى التزم فيها حدود صوت فيروز ومزاياه ومواصفاته أن يعلن براءته من تجربة غنائها لألحانه القديمة المفصلة تفصيلا على صوته الذهبى القديم الجبار فى العشرينات ؟! ..

لقد استخرج عبد الوهاب بألحانه الجديدة هذه أجمل ما فى نبرات فيروز ، ومس فى صوتها مكامن لم يمسسها أحد قبله ، ولم يعرف أحد بعده كيف يمسها ، حتى جاء الملحن العظيم رياض السنباطى - رحمه الله - فلحن لفيروز قبيل وفاته لحنا لم تغنه حتى اليوم ، ويقال إنها ستغنيه فى حفلاتها هذا الشهر فى القاهرة .

فما الذى جعل فيروز تتردد فى غناء لحن السنباطى عدة سنوات ؟! .

أكاد أقول أنها ترددت فى غنائه لأنها وجدته غير مناسب لمقاييس صوتها ، فالسنباطى لايبدع فى التلحين إلا على مقاييس صوت ام كلثوم .. وقد صرح قبل وفاته - رحمه الله - أنه اكتشف مناطق عالية فى صوت فيروز لم يكتشفها أحد قبله ..

فليت شعرى ، أية مناطق هذه التى اكتشفها السنباطى ، وتجنبها عبد الوهاب فقصر ألحانه لفيروز على مناطق ودرجات صوتية بعينها ؟! .

هذا هو الفرق بين مذهبين فى النظر إلى صوت فيروز والتلحين لهذا الصوت

شادية الجبل .. فيروز



عبدالحليم حافظ



الجميل ذي الخصوصية الشديدة في جماله ! .. ولايخالجنا الشك في صحة مذهب عبد الوهاب !

إن السنباطي ظل يبحث في صوت فيروز عن جواب لم يصعد إليه أحد من الملحنين .. وليس المهم هو الجواب أو القرار لذاته ، بل المهم صياغة هذين صياغة جديدة .. وذلك هو ماصنعه عبد الوهاب ..

وبعد ، فإن المطربات اللبنانيات المشهورات جميعا ، لم يبلغن النجاح إلا بعد أن جعلن مصر مقر إقامتهن ، ولم يكن ممكنا أن ينجحن لو بقين في لبنان ، إلا فيروز ، فإنها أقامت في لبنان ونجحت هناك وانتشر نجاحها في العالم العربي كله وهي هناك ، بل كانت سببا في تقديم اللهجة اللبنانية إلى العالم العربي على أوسع نطاق لأول مرة ، فأحب المستمع العربي هذه اللهجة ، وجرت كلمات أغاني فيروز على الألسنة بين المحيط والخليج ، حتى إن المصريين نطقوا ـ للمرة الأولى ـ بغير اللهجة المصرية في الغناء .. وذلك هو سحر فيروز الذي تفردت به بين جميع مطربات العالم العربي ، فإنهن جميعا نطقن اللهجة المصرية تقربا إلى المستمع الذي يفضل هذه اللهجة في الغناء كما يفضلها في السينما والمسرح والتليفزيون ..

أما فيروز فإنها تقدم غناءها الفردي كما تقدم غناءها المسرحي باللهجة اللبنانية ، فتجد هذه اللهجة من الإقبال ـ على لسان فيروز وحدها ـ ماتجده اللهجة المصرية التي صارت منذ زمن بعيد هي اللهجة الغالبة على الأعمال الفنية في العالم العربي ، نظرا للسبق التاريخي الذي أحرزه الفن المصري في جميع المجالات ..

وفوق هضبة الهرم ، وفي مسارح القاهرة سيجتمع حول الفن الفيروزي خلال صيف القاهرة الحار ، مصريون وعرب من جميع الأقطار ، مستمعين ومستمتعين بفنها الرائع الذي جاءت به من لبنان ولكنه يهز وجدان الإنسان العربي في كل مكان ..

وفيروز تجيء إلى القاهرة وقد سيطر على ليالي ضفاف النيل غربان الملاهي الليلية الذين ركبوا السلم الخماسي البدائي في غنائهم الشائه ، وستجد فيروز فصيلا جديدا بين جمهور الغناء يريد أن يتسلى ويمرح ويتلذذ ، ولايعرف شيئا عن الفن الحقيقي ..

إن جمهور سياح الصيف سوف يملأ جانبا كبيرا من مقاعد حفلات فيروز وهو جمهور أفسده الفن الغنائي الفاسد .. وسوف تجد فيروز أن الغناء العربي يكاد أن ينقطع ويتلاشى .. فماذا تصنع فيروز ؟! ..

إن الغناء العربي سوف يجلس في سفح الهرم ، وقبالة أبي الهول ، ويستمع إلى فيروز ، ويحلم بالليالي الجميلة العاطرة التي كان فيها ملء الأسماع ! ..

وسيرى المستمعون في صورة فيروز وصوتها حلما يطبقون عليه أهداب عيونهم ! ..





أمسية حول أدب نجيب محفوظ في قصر الأمم بجنيف

بقلم : جميل عطية إبراهيم

اقيمت أمسية حول ادب نجيب محفوظ وحياته في قصر الامم بجنيف الشهر الماضي للدبلوماسيين العرب والاجانب والعاملين بالامم المتحدة وحضرها ايضا بعض المهتمين بالادب العربي من لوزان وبرن وغيرهما من المدن السويسرية .

أعد الأمسية واشرف عليها مكتب الاعلام بالبعثة المصرية في جنيف بالتعاون مع النادي العربي بقصر الامم وتبرع المترجمون المصريون بالترجمة الفورية للغات الفرنسية والانجليزية والعربية والعكس .

وكان في مقدمة الحاضرين الدكتور نبيل العربي سفير مصر لدى الامم المتحدة والأستاذ ممدوح عبد الرازق سفير مصر في برن والمستشرقان المعروفان هارتموت فاندريش الألماني الجنسية الذي سبق له ترجمة العديد من الأعمال العربية إلى الألمانية والسيد واندنبرج أستاذ علم الأديان في جامعة برن .

وقد تضمنت الأمسية ثلاث محاضرات حول ادب نجيب محفوظ وفيلما عن حياته .



نجيب محفوظ

وقد تحدث في الأمسية الأستاذ بهاء طاهر وقدم دراسة متعمقة لأدب نجيب محفوظ الذي يدور في الفترة الفرعونية من تاريخ مصر وروایاته : عبث الأقدار ، ورادوبيس ، وكفاح طيبة . وقد اهتم الأستاذ بهاء طاهر بابراز الأجواء العامة لهذه الروايات وربطها بالأحداث التاريخية ، كما أوضح الأستاذ بهاء طاهر مفهوم نجيب محفوظ للقدر الذي يختلف عن مفهوم اليونان كلية وكذلك مفهومي الجبر والاختيار مبينا ان مفاهيم الأستاذ نجيب محفوظ حول هذه القضايا منذ رواياته المبكرة نابعة من التراث الاسلامي وليس الثقافة اليونانية .

ثم تحدثت الدكتورة فوزية العشماوى عن العمل الروائى لنجيب محفوظ من واقع خبرتها فى ترجمة رواية ميرامار إلى اللغة الفرنسية وتخصصها فى دراسة ادبه وقد ركزت محاضرتها على الأجواء العامة التى تدور فيها رواياته متناولة بالتحليل بعض شخصياته الروائية .

ثم تناولت المستشرقة الانجليزية المعروفة هيلارى كيلباتريك ادب نجيب محفوظ من زاوية العالمية مستخدمة مناهج علم الأدب المقارن فى هذه المقارنة .

وهكذا فإن الحدث الأدبى الكبير فى العام الماضى اى فوز الأستاذ نجيب محفوظ بجائزة نوبل لاتزال اصداؤه تتفاعل فى دنيا الثقافة على امتداد المعمورة .



ضد فقه اللغة الألمانية وتراكيبها

الناطقات باللغة الألمانية ثائرات هذه الأيام ضد فقه اللغة الألمانية وتراكيبها وطريقة اشتقاق الأسماء بسبب تجاهل لغتهن للهوية النسائية وسيطرة الرجل على فقه هذه اللغة .

وتقول السيدة سنتا ترومل بلوتز فى كتاب لها صدر سنة ١٩٨٢ حول قضية سيطرة الرجال على اللغة ان الرجال يقدمون النغمات الرئيسية عند الحديث الى السيدات حتى شاعت مقولات مفادها ان السيدة الفاضلة هى التى تصمت ، ومن هذا الصمت المفروض على النساء تشكلت لغة خاصة بهن .

وتقول الباحثة انها بلغت الأربعين من العمر قبل ان تتاح لها فرصة تأمل لغة السيدات وهن يتخاطبن مع بعضهن البعض ، ودهشت ، وذلك إثر تجربة شخصية سنة ١٩٧٢ عندما عاشت بين مجموعة من السيدات والفتيات لالقاء مجموعة من المحاضرات فى إحدى الجامعات .

ومنذ ذلك الحين اهتمت بدراسة هذه الظاهرة للاجابة على عدة تساؤلات منها :

ـ هل يتحدث النساء مع بعضهن البعض بشكل مختلف عن مخاطبتهن

رسالة



جنيف

للرجال ؟!

- كيف يتحدث الرجال عن النساء وبأية لغة ، وكيف يعلق الرجال على أحاديث النساء ؟!

وقد قادت هذه التساؤلات الباحثة لدراسة وضعية النساء في البنية اللغوية الألمانية وأوردت العديد من الأمثلة الطريفة التي تتجاهل هوية النساء والتي ترى انها نتيجة لسيطرة الرجل وانسحاق المرأة . ومن هذه الأمثلة التي ترى انها تعبر عن انسحاق المرأة :

- مستمع هذه الأحاديث عليه كذا وكذا ...

- على كل مسافر أن ...

- نحن في حاجة إلى شخص يمكنه الاعتماد على نفسه ...

- الانسان يمر في حالة الوضع بظروف مختلفة كل مرة ...

وترى المؤلفة أن هذه الأقوال الشائعة في الحياة العامة على الرغم انها توجه الى الجنسين . فالمسافر قد يكون مسافرة والمطلوب للوظيفة قد يكون إمرأة إلا أن اللغة المستخدمة والشائعة في مثل هذه الأحوال في محورها توجه إلى الرجل . ومن المعروف ان الضمائر في معظم اللغات تشير فقط إلى المذكر وفي التمييز يجب المذكر المؤنث بغض النظر عن نسبة المذكر إلى المؤنث . فيقال عادة :

""مائة مغن : تسع وتسعون مغنية ومغن واحد""

ومن أطرف الملاحظات التي توصلت إليها الباحثة هي أن النساء عندما يتحدثن يملن عادة الى استخدام صيغة التصغير بطريقة تشبه حديث الصغار الى الكبار . كما ان المرأة الناطقة بالألمانية في زعم الباحثة تكثر من استخدام صيغة الشك في حديثها بطريقة تبرز خوفها من الادلاء برأى قاطع فتقول :

- أليس كذلك ، انه ...

- أليس حقيقيا ان ...

وهذه صيغ لا تعبر عن رأى المرأة . كما ترى الباحثة ان النساء يكثرن من استخدام صيغ تظهر الحسرة والأسف في الحياة اليومية مثل :

- انا لست إلا ربة بيت للأسف .

وتستشهد الباحثة بفقرة من دراسة لكاتبة أمريكية عن لغة الاعتذار عند النساء فتقول :

"يكثر النساء من الاعتذار وطلب السماح ويقلن ذلك بصورة دائمة ، والرجل يقول ايضا في بعض المناسبات : "اعذرني" او "انا آسف" ولكن الاعتذار وطلب السماح بالنسبة للسيدات طريقة حياة ولغة يومية" .

وتؤكد الباحثة على أن الانسان يصنع هويته بواسطة اللغة التي يستخدمها انطلاقا من اللغة التي

صنعها السود في الولايات المتحدة في مواجهة سيطرة الرجل الأبيض . ففي الولايات المتحدة كان من الشائع في السابق القول : رجل زنجي أو أدب زنجي فاستبدل السود هذه اللغة التي تحط من قدرهم بفرض استخدام تعبيرات مثل : رجل أسود أو أدب السود وذلك في مقابل القول رجل أبيض أو أدب البيض .

وترى الكاتبة أن أحكام الرجال المسبقة ضد النساء تدفع النساء إلى استخدام لغة وصيغ دونية . وهكذا تستمر سيطرة الرجال على النساء . كما استمرت سيطرة البيض على السود في الولايات المتحدة الأمريكية حتى اكتشف السود لغتهم الخاصة وفرضوها على البيض وطالبوا بالتغيير ورفضوا أن يطلق عليهم زنوج وقالوا : هم بيض ونحن سود . وقد نجح السود في اجبار البيض على الكف عن استخدام لغة دونية معهم في السنوات الأخيرة . وتؤكد الباحثة سنتا ترومل بلوتز أن المرأة لن تتحرر من سيطرة الرجل إلا إذا فرضت عليه استخدام لغة أخرى تؤكد هويتها .

وقد تلقفت الجماعات النسائية كتاب الباحثة فور صدوره سنة ١٩٨٢ وأصبح محورا لكثير من التعليقات والدراسات ، غير أن باحثة ألمانية أخرى هي السيدة لويزا بوش قد سارت على طريق الثورة خطوة أخرى أشد جرأة من رفيقتها وتستعد حاليا لاصدار كتابها القنبلة رافعة شعار "كل الناس أخوات" في مقابل القول المأثور كل الناس أخوة .

وقد قدمت السيدة لويزا بوش الى مدينة بازل لالقاء محاضرة في جماعة من السيدات لعرض فكرتها في المطالبة بتأنيث اللغة كلية . فيقال طبيبة ومدرسة في مقابل طبيب ومدرس وتبرر السيدة لويزا بوش ثورتها على التراكيب الألمانية قائلة أنها تود الانطلاق من النقيض إلى النقيض حتى يتولد النقيض الثالث الذى يحقق المساواة للطرفين ، ومن الجدير بالذكر هنا بيان أن كلمة انسان في اللغة الألمانية Der.Mensch لا تأنيث لها ، كما أن هذه اللغة تسمح بالقول : "هي تلميذ مجتهد" مما يثير ثائرة النساء اللاتي يبحثن عن هويتهن في اللغة ، وهذه صيغة غير شائعة فاللغة تسمح بالقول أيضا : "هي تلميذة مجتهدة" ولكنها صيغة صحيحة ومقبولة وفقا لقواعد هذه اللغة .

وعلى كل اللغة العربية أكثر رحابة في هذا الشأن من اللغة الألمانية فضمير المخاطب يفرق بين الرجل والمرأة فيقال : أنتَ ، وأنتِ . بينما في اللغة الألمانية يقال : Du التي توجه إلى الرجل وإلى المرأة على السواء .

وربما ثورة الناطقات بالألمانية تثير الباحثات في اللغة العربية حيث شاعت تراكيب مثل السيدة الوزير أو الدكتور علية ... عميد كلية ... أو الدكتورة فاطمة استاذ الأمراض الباطنية ... الى غير ذلك من الألقاب ، حيث لم تحسم هذه القضية والبعض يأخذها على محمل تكريم المرأة وليس الانتقاص من شأنها .

ندوة الهلال
السلطة
تقديم
عاطف مصطفى

□ عقدت الهلال ندوة بعنوان « بين الصحافة والسلطة في مصر » تحدث فيها د . أحمد حسين الصاوى أستاذ الصحافة وشارك فيها د . عبدالعزيز الدالى الأستاذ بجامعة الزقازيق ود . محمد الجوهرى نائب رئيس جامعة القاهرة ود . عونى عبدالرءوف عميد كلية الألسن والأديب فاروق خورشيد والباحث الأديب عبدالتواب يوسف ..

تناولت الندوة استعراضا لبداية الصحافة في مصر منذ دخول الحملة الفرنسية ومرورا بعصر محمد علي وازدهارها في عصر اسماعيل ومـاوصلت إليه الآن في ظل وجود صحافة معارضة .

وحرصت الندوة على مناقشة كل الجوانب التى مرت بها الصحافة من حيث الحرص على تمصيرها وتعريبها فى أيام الحملة الفرنسية وفى ظل حكم محمد على وابنائه ، وأهمية حرية الصحافة ، والدور الذى ينبغى أن تقوم به لمصلحة الشعب أولا .

تحدث الدكتور الصاوى بالتفصيل عن بداية الصحافة فى مصر وعلاقتها بالسلطة ثم فتح باب المناقشة والحوار الذى امتد لساعتين كاملتين .

قال الدكتور الصاوى : فى البداية يهمنى أن أتحدث أولا عن العلاقة بين الصحافة والسلطة بوجه عام ، فهذه العلاقة قديمة ، ومنذ نشأت الصحافة كان لابد أن تكون هناك علاقة ما بينها وبين السلطة ، لأن الصحافة وظيفة اجتماعية كبيرة ، نشأت بالمعنى الحديث ، بعد أن إخترعت الطباعة ، وعبر تطور الصحافة نشأت نظريتان بين الصحافة والسلطة .

الاولى : منها فى نظرية السلطة ، ومعناها أن الظروف التى تحكم صدور الصحافة تنبثق عن نظام الحكم السلطوى ، أى فى ظل الحكم الأوتوقراطى وفى ظل الحكومة المستنيرة بالمعنى السياسى ، وليس بالمعنى اللغوى ، توجد صحافة ترتبط بالسلطة من خلال هذا المفهوم .

فالحقيقة مثلا فى ماتراه السلطة الحاكمة ، والسلطة الحاكمة تحكم وتوجه والصحافة تنقل الرأى والفكر والمعلومة من أعلى إلى أسفل ، فالصحف تعلم

والصحافة



كشف الدكتور الصاوى عن العلاقة بين صحافة السلطة والصحافة الحرة

الناس بما تود السلطة أن يعرفه الناس .

وقد برزت هذه الفلسفة بتلك المقومات التى أشرت اليها بإيجاز بالذات خلال حكم أسرة تيودور وأسرة ستيوارت فى انجلترا حيث كان هناك مكتب للصحافة يتبع الملك رأسا ، وكانت عملية النشر عبارة عن اتفاق بين السلطة الحاكمة ، التى هى مصدر القوة وبين الناشر .

والصحف فى ظل هذا النظام تفتقد حقا بالغ الأهمية ، وهو حق مراجعة جهاز الحكم أو نقد السلطة ، والصحافة هنا تفتقد الحق الذى أصبح الآن حقا شائعا ، كما نعلم .

الثانية : وهى نظرية الحرية التى ازدهرت بفعل عدة عوامل مثل الاقتصاد الحر ، وظهور الأفكار الديمقراطية ، وعصر التنوير ، وهى تعتبر أن المواطن لم يعد يعتمد على الدولة فى كل شىء ، ولكنه يستطيع أن يميز بين الحقيقة والزيف ،

ولم تعد الحقيقة وقفا على السلطة الحاكمة ، ولذا فإن الصحافة أصبحت تشارك فى البحث عن الحقيقة ، ولم تعد أداة للحكومة أو السلطة بل هى وسيلة تقدم للناس الحقائق المختلفة لكل موضوع ، بحيث تترك الحرية للمواطن الذى يقرأ الصحيفة ، فى أن يشارك برأيه وينتقد ، ويمارس حقه فى نقد الحكومة !

وقد سارت هذه النظرية فى القرنين ١٩ ، ٢٠ وفى القرن العشرين ظهر تعديل لكل من النظريتين السابق الاشارة إليهما ، حيث تحولت نظرية السلطة إلى النظرية السوفييتية عندما حكم الحزب الاشتراكى الاتحاد السوفييتى ، وأصبحت هناك نظرية سوفييتية للاعلام والحرية هنا سلبية ، أما فى الاعلام الغربى فقد صدرت تعديلات خاصة فى الولايات المتحدة من خلال نمو الاحتكارات الاعلامية .

وهناك مجتمعات الآن فى العالم لاتخضع تماما لنظرية الحرية ، ولا لنظرية المسئولية الاجتماعية ، وإنما تأخذ من هنا بقدر ماتأخذ من هناك .

● بداية الصحافة فى مصر ●

وفى مصر بدأت الصحافة من خلال حملة بونابرت ، كسلاح إعلامى لشعب تختلف لغته عن لغة الشعب الفرنسى .

ورغم الظروف التى كان يعيشها الشعب ، والتى لم تكن تسمح مطلقا له أن يعبر عن نفسه بطريقة عصرية ، فإنه حاول أن يساهم فى هذه العملية ، مثل محاولات بعض المصريين فى أن يحرروا المنشورات ، عندما لاحظوا سوء لغتها وركاكة تعبيراتها .

وعندما تولى محمد على الحكم ، كان لابد أن يخاطب الشعب ، كى يعلمه بالدور الذى يؤديه لهذا الشعب ، فأصدر « الوقائع المصرية » والتى كانت عبارة عن قرارات وكان لابد أن تطعم المادة التى تنشر فيها وهى مادة جافة بشىء من الأدب الشعبى مرة ، ومن الشعر مرة أخرى .

وشهد عصر محمد على وأبنائه الصحافة السلطوية ، حيث جسدت صحيفة « الوقائع » السياسة السلطوية ، وحاول رفاعة الطهطاوى ربيب السلطة أن يجسد سياسة السلطة فى « الوقائع » إلا انه بعد أن عاد من بعثته إلى فرنسا بحوالى ١١ سنة تولى رئاسة تحرير « الوقائع » عددا واحدا !

وعندما انتهى عصر محمد على بدأ عصر اسماعيل ، وهو عصر ملىء بالمتغيرات حيث زادت نسبة المتعلمين وعادت البعثات من الخارج ، وفتح اسماعيل صدره للوافدين السوريين ، واضطر إلى عمل مجلس شورى النواب ، وأحدث كل هذا نوعا من الغليان وتدفق المشاعر الشعبية .

وفكر اسماعيل فى إحياء الصحافة والاهتمام بها ، واستفاد من مطبعة بولاق ، وساعد على إصدار مجلات عديدة وساعد ذلك على ظهور صحافة غير سلطوية ، وكان من أهم وسائل جمال الدين الافغانى فى الكفاح ، تشجيع الناس على إصدار الصحف ، وابتدأت الصحف الوطنية فى الظهور .

ولايمكن إغفال المد الشعبى الكبير .. مد شعبى وطنى ، ومد شعبى مصرى بعد

أن شعر الناس بمصريتهم فى مقاومة السلطة ، وفى محاولة أن يكون لهؤلاء الناس صحافة تتبلور عن وجود نوع من الازدواجية .

● فقد كانت توجد صحافة سلطة ، مقتصرة على نطاق الرسميات والقوانين والتثقيف والتعلم .

● وأيضا صحافة لاسلطة نسميها صحافة أهلية ، أو صحافة شعبية وهى قادرة على المقاومة وعلى النقد .

وعندما دخل الاحتلال مصر ، تغير وجه المجتمع ، وتغير وجه السياسة ، فقام الانجليز بإلغاء الصحف الوطنية ، وعهد إلى بعض السوريين بإصدار صحيفة « المقطم » التى كانت تستفز المصريين ، أما كرومر فقد خطط لكى تكون هناك صحافة سلطة ، ثم تسمح السلطة بإصدار صحف أخرى ، كى لايكون هناك فراغ ، ولم يكن كرومر يطبق قيود قانون المطبوعات على الصحف ، ولكنه كان يتخذه سلاحا يهدد به .

● حرية الصحافة ●

وفى العشرينيات والثلاثينيات عاشت الصحافة المصرية بنسبة لاتقل عن ٨٠ ٪ فى ظل نظرية الحرية .. كانت صحافة ليبرالية كاملة مهما قيل فى فساد ذلك العصر ، وقد تركت ثورة ١٩١٩ فى نفوس الناس آثارا لايمكن أن يتنازلوا عنها ، مهما اختلف المصريون ، لذا جاءت الاتجاهات الاصلاحية فى الأدب وفى النقد والتعليم ، وكانت بداياتها صيحات ودعوات حارة جدا فى الصحف فى ذلك الوقت .

وكانت هناك سلبيات فى العلاقة بين الصحافة والسلطة مثل المصادرات وإغلاق الصحف ، لكن قانون المطبوعات لعام ١٩٣٦ بمقارنته بمثيله فى أى بلد أوربى ديمقراطى كان أرجح كفة !

وجاءت فترة الحرب العالمية الثانية وهى فترة ظلام ، مثل الحرب العالمية الأولى إلا أنه بعد الحرب عادت الصحافة إلى مكانتها ، واستأنفت ازدهارها وانجازاتها وجهودها فى خدمة التنمية .

وفى الفترة مابين ١٩٤٥ - ١٩٥٢ تحدثت الصحف عن موضوعات عديدة من بينها ، الحياد الايجابى ، الاصلاح الزراعى ، ضرورة التصنيع ، وأرغمت الصحف المصرية الانجليز على الجلاء عن الاسكندرية والقاهرة ، فضلا عن أن الصحافة هى التى مهدت لقيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢ .

وبعد قيام ثورة يوليو بدأت مفاهيم جديدة فى الظهور ، وعلى وجه السرعة أوقفت الثورة صحفا ، وألغت الأحزاب ، وصادرت صحفها ، ثم أممت الصحافة عام ١٩٦٠ ، وأصبحت الصحف صحف سلطة !

وجاء التأميم من اجل إلغاء ملكية الصحف وإتباعها الى التنظيم السياسى الوحيد فى البلاد وهو الاتحاد القومى ، ثم الاتحاد الاشتراكى .

ومع حكم السادات أراد الا يتخلى عن مظاهر السلطة وجهاز الحكم ، ووقع فى مطب عندما ألغى الاتحاد الاشتراكى فأصبح هناك فراغ سياسى مرة أخرى ، مما اضطره إلى الاعلان عن فكرة المنابر ثم الاحزاب ، وأصبح للأحزاب جرائدها ، ثم فكر فى أنشاء مجلس الشورى الذى يمثل الدولة فى ملكية الصحف ثم انبثق عنه المجلس الأعلى للصحافة ، الذى أولى الصحف الحكومية عناية كبيرة .

أصبحت لدينا الآن صحف تتمتع

بامتيازات كبيرة ، وصحف الأحزاب وهي صحف ضعيفة مغلوبة على أمرها ولكنها لاتخرج عن نطاق السلطة ، فهي تحصل على معونة من الحكومة ، كما أن غالبية محرريها من الصحفيين العاملين بالصحف القومية وبعض هذه الصحف الحزبية تستفيد بكل الطرق من الامتيازات المتاحة لها .

وطالب د . الصاوي في نهاية مقدمته إلى ضرورة وجود حرية كاملة للصحافة حتى قبل أن تكون هناك ديمقراطية قائلا .. نحن لانريد العودة إلى عهد الرأسمالية الكاملة عندما كان الفرد يملك صحيفة .

● **دور خطير للصحافة الأجنبية !**

ثم بدأت المناقشة :

فاروق خورشيد : من ناحية منهج الندوة لي ملاحظة عن الصحافة المصرية وقد اقتصرها د . الصاوي على العلاقة بين الصحافة المصرية والسلطة ، وحصر السلطة في سلطة الحاكم القائم ، سواء كان حاكما فرنسيا أو عثمانيا أو انجليزيا أو مصريا .

وهناك بعد ثالث ، هو السلطة الخارجية ، وكنت أتمنى أن يتعرض د . الصاوي لهذا الجانب ، لأن الصحافة المصرية ، وبالتالي الصحافة العربية كلها تعرضت لضغوط خطيرة جدا منذ نشأتها لمراكز النفوذ العالمي ، خاصة وأن هناك سلطات أجنبية لها مصالح في المنطقة في أن تنشيء صحفا ، وقد أثرت هذه الصحف بشكل مباشر على الصحف المصرية والعربية ، فضلا عن أنها وجدت رواجا كبيرا ، وكانت ذات نفوذ ثقافي ، وتأثير إعلامي كبير على الناس ، وهذه نقطة هامة لأنها تدخل سلطة جديدة أخرى غير السلطة المحلية ، وهي السلطة العالمية وبالتالي تدخلنا في مراكز الصراع العالمي .

ووجود مثل هذه الصحافة وصدورها باللغة العربية ، ربما أثر تأثيرا كبيرا في التركيب الثقافي المصري والعربي ، وهذا يمتد بالطبع إلى الموقف السياسي الحزبي أو غير الحزبي والانتماء الاجتماعي والثقافي .

وفي اعتقادي أن هذه الدول حاولت التأثير من خلال المصاريف السرية والاعلانات المدفوعة ، سواء كانت إعلانا مباشرا أو غير مباشر .

أيضا أشير إلى نقطة هامة وهي أن عمل الصحفي في غالبية الأحيان - أصبح مجرد وظيفة يحصل عليها وترتبط بالمرتب وليس بموقف يريد أن يعبر عنه !

وهنا اختلفت رؤيتنا للصحفي بعد أن كنا ننظر للصحفي والصحيفة على أنها وسيلة للتنوير ولإيضاح الرأي الآخر ، في محاولة للاقتراب من الحقيقة ، إلا أنها أصبحت مجرد شيء يصدر بلا طعم أو موقف ، وهذا مؤشر خطير للاحباط الذي يصيب القاريء المصري بصورة عامة !

في الماضي لم يكن الصحفي يجرؤ أن يعمل في أية صحيفة إلا إذا كان صاحب هواية حقيقية في المجال الذي يتخصص فيه ، وصاحب موقف ورأي وفكر ثابت ، ولكن حينما تحولت المسألة إلى وظيفة ، فإن عليه أن يملأ الفراغ وبالتالي اختفت الصفحة الأدبية ، وأصبح لايوجد عندنا رأي اجتماعي ولا رأي سياسي ولا أدبي ،



فاروق خورشيد   د . محمد الجوهرى   عبد التواب يوسف   د . عوض عبد الرؤوف

وبالتالى اختفى النقد الحقيقى !

د . الصاوى : إن مسألة الفكر والرأى فى الصحافة مسألة هامة جداً وسبق للاستاذ فاروق خورشيد أن اثارها فى بعض كتبه .

اما قضية الأدب والصحافة فلم تحسم حتى الآن ، ولكننى أود أن أضيف بعض الحقائق ، وهى أن الصحافة الحديثة باعتبارهـا وسيلة الاعـلام والاتصال الأولى ، لاتقتصر اهميتها فى الحقيقة على الفكر أو الرأى فقط ، بل إن الصحافة إخبار فى فن الخبر وكيفية أن تنقل للناس مايحدث ، وكيف تستجيب لحق من حقوق الانسان فى العصر الحديث

● دفاع عن الصحافة

د . محمد الجوهرى : شعرت بانطباع من خلال الندوة أن الدكتور الصاوى يدافع عن الصحفى وربما يكون هذا الانطباع لدى خاطىء ، كما أننى اضم صوتى لفاروق خورشيد فيما أشار اليه من التدخل الخارجى من خلال الصحافة الأجنبية ، وعلينا أن ندرس بعناية ماحدث للبنان من خلال الوكالات التى تحولت إلى ميليشيات تحارب بعضها البعض .

وهذه فى رأيى نقطة تمثل انحرافا مباشرا وخطيرا لاستخدام قوة الصحافة ، اشير ايضا إلى أن لدينا صحافة حكومية وصحافة معارضة وما أعرفه شخصيا من مصادره الأصلية أن حوالى ٩٠ ٪ مما نشر فى صحف المعارضة مختلق وغير حقيقى .

أيضا فإن فكرة النقد أو مواجهة السلطة لاتصدر بناء على تدقيق وأمانة صحفية فى المقام الاول ، بقدر ماهى صادرة عن معارضة سياسية تقصد الاثارة المحمومة بدون هدف محدد !

إنى مندهش جداً مما يحدث فى بعض صحف المعارضة من هجوم على بعض الوزراء والشخصيات العامة ، والصمت الذى يتم فى مواجهة ذلك بحجة أن ذلك يدعم موقف المسئول ..

إن ضوابط الحوار ينبغى أن تكون فى صحافتنا ، فأنا استطيع أن اهاجم وانقد وأؤيد واعارض فى حدود تشريعات تحدد العلاقة وهى علاقة مركبة تكون نوعا من التفاعل بين الرأى والسلطة ، أو الصحافة والسلطة .

د . الصاوى : إن من بين مايتضمنه هذا السؤال هل أنا ادافع عن الصحافة وردى أن الصحافة قوة اجتماعية مؤثرة

وذات وظيفة ومفيدة جدا وضرورية أيضا .. لابد أن أدافع عنها ولكى أدافع عن الصحافة ، أطالب بحريتها ، ومهما قيل عن الديمقراطية ، فمن المبادىء البديهية المعروفة لاديمقراطية بدون حرية ولا أحد يقول إن الصحافة أو حرية الصحافة معناها التسيب أو اللاقيود ، فلا يوجد تجمع بلا قيود وهذه بديهيات نعترف بها ، ولكن شكل القيود يختلف فمثلا عندما تأتى غانية وتنشر مذكراتها فى صحيفة وتدفع الصحيفة لها مليون جنيه وتبدأ فى النشر ويثور الرأى العام ، يلجأ مجلس الصحافة البريطانى إلى التدخل فورا لايقاف الصحيفة والمذكرات وحدث ذلك خلال العقدين الأخيرين فى بريطانيا .

إن مايحدث الآن فى مصر ليست قيودا وليست حرية بالمعنى المحدد ومانعيبه جميعا على صحف المعارضة هو رد فعل القيد السلطوى وحينما يلغى قانون الصحافة الذى تطالب نقابة الصحفيين بكل فئاتها بالغائه ، ويعدل وتمنح الصحافة قدرا من الحرية سوف تتراجع صحف المعارضة عن هذه المهاترات والتطرف وسوف يصبح هناك نوع من التعقل فى معالجة القضايا مثلما يحدث فى بلاد أخرى وأود أن أذكر أمرا بالغ الأهمية وهو أن السلطات قد تدعم الصحف ، ولكن ليس معنى ذلك التدخل فى شئونها ، وهناك ست دول أوربية من أرقى الدول الديمقراطية تدعم الصحف من بينها السويد ونجد فى الصفحات الأولى لصحفها هجوما على رئيس الوزراء ..

إن العمالة وأدوات الطباعة والورق مكلف جدا ومرتفع فى أثمانه وينبغى أن نفرق بين دعم الصحف وبين التدخل فى توجيه الصحف .

ومن هنا فإن المطالبة بحرية الصحافة أعتبرها وسيلة إعلامية ولاتعنى إلغاء عطف الحكومة ورعايتها لها ، وأيضا لاتلغى وجود قوانين وضعية وقيود معقولة ولاتلغى فكرة أن هناك بعض وسائل الاعلام لابد أن تكون حكومية خالصة مثل الراديو .

ولكننى أفرق بين الصحافة المطبوعة وبين وسائل الأعلام الأخرى فلا أطالب بأن تكون الاذاعة حرة ، وقد يكون هذا موجودا فى دول أوربا .. كما أن دعوتى الى الصحافة لاتمنع مطلقا وجود صحف حكومية أيضا ، ووجود صحف حزبية .

إذا أردنا أن نعيش حياة ديمقراطية صحيحة فلنبدأ أولا بإعطاء الحرية الكافية للصحافة فى حدود المسئولية الاجتماعية والقوانين الوضعية .

● تأثير الفن الصحفى

عبدالتواب يوسف : هناك منظور خاص بالفن الصحفى .. و « روضة المدارس » تعتبر من الصحف والمجلات التى قدمت لونا فريدا من ألوان التنوير من خلال المعرفة ، وهو نوع من أنواع الفن الصحفى المطلوب باستمرار ، وبحيث لايصطدم بالسلطة بهدف خدمة قضية معينة على المدى الطويل .

واستخدام الفن الصحفى كان دائما « لعبة » تلجأ إليها السلطة أحيانا وتلجأ إليها بعض العناصر الراغبة فى التحرير ، وفى فرض الحرية والديمقراطية .

وقد « لعبت » السلطة فى ذلك الوقت دورا فى الضغط على الصحف من خلال

الاعلانات التى كانت تساعد فى ازدهار الصحيفة .

والفن الصحفى عموما والجمهور مدخلان لمعرفة تاريخ الصحافة مع السلطة فى مصر ، وكيف يمكن ان تواجه السلطة بصحافة حرة وديمقراطية حقيقية .

د . الصاوى : إن موضوع الفن الصحفى ، أو المستحدثات فى الصحافة مثل التدخل فى الصحافة ومواردها موضوع آخر ليس له علاقة بين الصحافة والسلطة ومن الممكن أن تكون الحكومة أو السلطة صاحبة فضل فى إدخال مستحدثات فى الصحافة ، ويمكن أيضا ان يكون الأفراد أصحاب فضل فى ذلك الأمر ، وهذه بلاشك اجتهادات متعددة سواء من جانب القوة أو من جانب الأفراد وهذا موضوع ليست له علاقة بما أقصده وهو الصراع بين السلطة والصحافة .

● لغة الحاكم

د . عونى عبدالرءوف : أتساءل عن ثلاث نقاط :

أولا : اللغة التى كتب بها الفرنسيون المنشورات المختلفة ، وهل كانت لغة المستشرقين آنذاك يغلب عليها الطابع العربى القديم ، وماهو نوع التجاوب من قبل الشعب المصرى ، وهل كان تدخل علماء الأزهر فى تصويب لغة المنشورات لأنها لغة مترجمة عن الفرنسية أو لبعدها عن لغة العصر الذى كانوا يعيشون فيه .

أيضا أتساءل عن كيفية كتابة المنشورات باللغة العربية أيام الحملة الفرنسية وهل كانت تفرض لغة الحاكم أيام محمد على لكى يتعلم المصريون اللغة التركية وماهى صلة مجلس الشورى بالصحافة ..

د . الصاوى : إن لغة المنشورات التى أصدرها نابليون بونابرت ، كانت تكتب بالفرنسية ، ويقوم مستشرقون بترجمتها .. وهذه تصلح لدراسة لغوية مستفيضة لمحاولات إدخال تغييرات ومصطلحات عربية جديدة مثل كلمة الجمهور التى تطورت إلى الجمهوريين على أيدى رفاعه الطهطاوى ، وهناك كلمات كثيرة أخرى لم تترجم كما ينبغى مثل فكر الشعب والدين ، وكلمات أخرى من الفرنسية ، مثل شعار الثورة الفرنسية (الحرية - المساواة - الاخاء) وكان بونابرت يحرص على أن يكتب العلماء المنشورات وحرر العلماء المصريون هذه المنشورات ، وحرصا على كتابتها باللغة العربية الرصينة .

وقد ظهر ازدواج اللغة في أيام الحملة الفرنسية ، وفى عهد محمد على ، وهو التعبير بلغة الحاكم ، ولغة المحكوم ، اشعارا أو كنوع من السلطة ، فالفرنسيون كتبوا المنشورات بلغتين ، وحرص محمد على على الكتابة فى الوقائع باللغة التركية .

وكان دور رفاعة الطهطاوى هاما فى الوقائع إذ حرص على تحريرها باللغة العربية وكتابة الموضوعات المصرية قبل الموضوعات التركية .

أما فيما يختص بعلاقة مجلس الشورى بالصحافة ، فقد انبثق عنه المجلس الأعلى للصحافة ويرأس هذا المجلس رئيس مجلس الشورى ، وهو صورة من صور الملكية وقد قدمت عدة اقتراحات سنة ١٩٨٠ لمناقشة ملكية الصحافة لمن .. وكان من الممكن أن تحل مشكلة الازدواجية بالملكية التعاونية أو بشركات قابضة و تمليك الصحافة للعاملين بها !

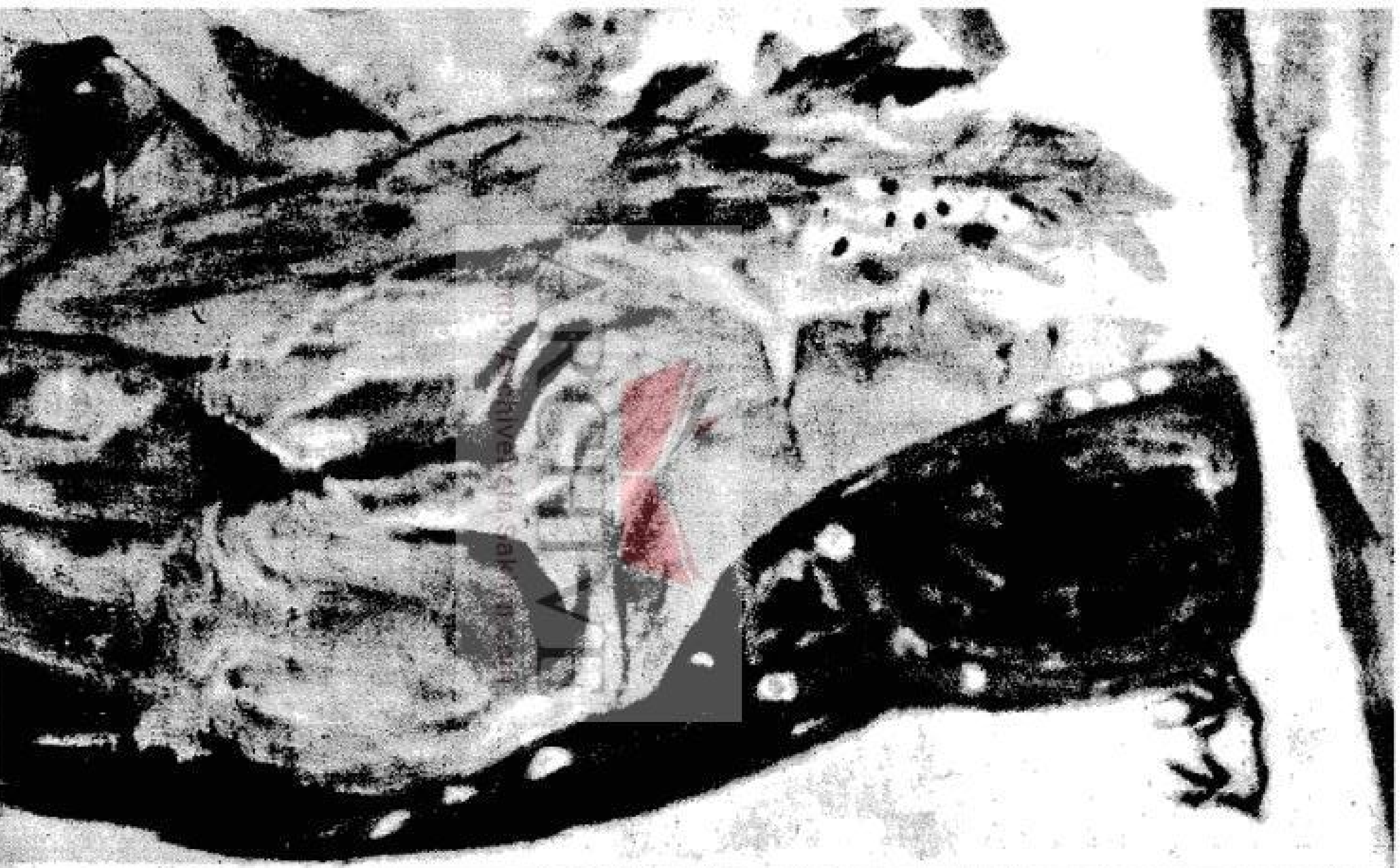


محمود بقشيش

الذكرى المئوية للفنان محمد ناجى وإعادة قراءته

نظم المركز القومي للفنون التشكيلية مهرجانا لتكريم احد رواد الفن التشكيلي فى مصر. ضم المهرجان معرضا شاملا لانتاجه بقاعة النيل، وندوات، وكتابا احتوى مختارات مما كُتب عن الفنان.. وعلى الرغم من الجهد الكبير المبذول الذى يستحق من أجله المركز القومى، ومُعدّ الكتاب الاستاذ «نبيل فرج» التهنئة.. فإن معظم مقالات الكتاب تكشف عن طريقة فى التفكير تُذوّب الحدود الفاصلة بين «التكريم» و«التاليه».

إن إحياء ذكرى فنان تعنى -فى تقديرى- إعادة قراءته، واستخلاص القيمة الباقية فى إبداعه. وقدرتها على التاثير والحوار مع ابداعات أجيال لاحقة.. أما فى حالة «التاليه» فليس هناك غير المصادرة والالغاء لكل انجازات الآخرين.. حيث لا تتسع الساحة الفنية لغير فنان واحد:



وجه من الأقصر للفنان ناجي



كان «ناجى» فنانا جادا بغير شك ، أمينا مع عصره ، أمينا مع قلقه الخاص ! يبحث عن نفسه ، أو عن اسلوب شخصى يميزه ، بين مدارس ومذاهب وتيارات انبهر بها فى لحظات التلاقى الأولى ، غير انه كان ينتقل من مدرسة إلى مذهب إلى تيار فى خفة الطائر فوق الاغصان .. فانتقل من «تأثرية» «مونيه» الذى كان قد التقى به شخصيا .. إلى «سورا» و «سينياك» و «سيزان» .. وقبل ذلك كان مفتونا بابداعات «عصر النهضة» ، ويعلق «رمسيس يونان» على ذلك بقوله :

كادت المرحلة الكلاسيكية فى فن «ناجى» تقتصر على زيارة المتاحف ونقل صورة أو صورتين من عصر الاحياء . ولا يبدو لنا من تأمل أعماله اللاحقة أنه قد أفاد كثيرا من هذه المرحلة ، سواء فيما يتعلق بالثروة اللونية أو من حيث براعة التأليف وروعة الألحان .

أن النموذج أو النماذج الشخصية التى تعلق بها فى بعض مراحله ، لم تؤثر - فيما أعلم - فى الأجيال اللاحقة ، فقد كان الطريق إلى «النموذج الأوربى» ميسورا أمام تلك الأجيال .. سواء بالاتصال المباشر بالمنابع ، أو بالاتصال غير المباشر بواسطة الكتاب . ولا شك أن الاتصال بالمنابع الأصلية افضل من نقل أو استعارة نماذج وسيط .. ومع ذلك فقد كانت دعوة عصر «ناجى» إلى تمصير النموذج الأوربى قد وجدت ولاتزال تجد لها صدى ، وفى حين اقتصر التعبير عن توجهات قومية فى فن «ناجى» على الموضوع فقط ، تجاوز بعض من أبرز فنانى الأجيال اللاحقة حدود الموضوع الوصفى . الخارجى إلى منطقة الأسلوب أو منهج الرؤية الفنية .

ومن الدعوات التى تركت آثارا دعوته الى الاهتمام بالفن الشعبى ، غير أنها كانت دعوات نظرية تركت آثارها على ابداع شقيقته الفنانة «عفت ناجى» وزوجها الفنان «سعد الخادم» بينما لا تجد فى مجمل انتاجه ما ينبئنا باستلهامه هذا الفن المعشوق . وحاول أن يقيم جسورا مع ابداعات الفن المصرى القديم .. غير أن الناتج لا يكشف عن عمق هذا الاتصال ، ولا يكاد يتجاوز حدود «النظرة العابرة» (على حد تعبير رمسيس يونان)

وربما تساءلنا ونحن نتذكر رحلته «الجوجانية» الى الحبشة : إذا كان «جوجان» قد هرب من الحضارة الاوربية الى حياة أقرب إلى الفطرة فى «تاهيتى» فما الداعى لفنان ينتمى الى العالم الثالث ، وبينه وبين فلاحى

عزبته فى أبى حمص بضع ساعات .. ما الداعى الى زيارته الحبشية ؟ .. يجيب « رمسيس يونان » :

لا نشك فى أن هذه النزعة الرومانتيكية هى التى حملت «ناجى» على الرحيل الى الحبشة ، ثم الرحيل - فى أواخر حياته - الى قبرص .

ولقد أشاد معظم نقاده بلوحات الحبشة ، لما بها من حرارة فى اللون ، وجرأة فى التنفيذ ، وفطرية فى الأداء .. وبعد أن تركت مرحلة الحبشة بعض الآثار على عدد من اللوحات أنجزها عقب عودته مثل «جنى القطن» و«عازف الارغول» و «الصيد بالشباك» ، و «بنات أمينوفيس الرابع» خفتت درجة الحرارة اللونية .

وإذا كانت رحلة «ناجى» الابداعية تضم عديدا من الاساليب المستعارة ، والموضوعات المختارة ، وتباينا فى المستوى الفنى ، فإن عجالاته اتسمت بصدق التعبير وحرارة الأداء ، والبراعة فى كثير من الأحيان ، ربما لالتصاقه المباشر بموضوعات واقعية قريبة الى نفسه مثل الفلاحين والحرفيين والحيوانات وخاصة «الحمار» الذى يرسمه بكثير من التعاطف .

أننى أعد تلك العجالات المرسومة بالقلم الرصاص والأقلام الملونة هى أفضل انجازاته ، ولا تزال رسالتها إلينا .. بالدعوة إلى الحوار مع الحياة .. قائمة وحية ، وأرى أن طموح «ناجى» الى «ابتكار اسلوب شخصى» مؤثر كان اكبر بكثير من حجم موهبته . ويشخص «رمسيس يونان» حالته بقوله :

لوحة الفنان - نماذج من القرية للناجى





لم يكن من الممكن إذن لناجى - لذلك الرجل المحتشم الذى لا يقبل حتى على ما يقبل عليه أمثاله من الفنانين من رسم (العارى) ، بل لذلك المتأنق المتحفظ الذى لا يخلع وهو يرسم حتى ربطة عنقه - أن يقدم على تلك الحركة المتمردة الفاجرة (يقصد حركة السيريالية والتكعيبية) التى تقضى ، أول ما تقضى ، بالتجرد حتى من القيود الخفية والأقنعة غير المنظورة .

ورغم ذلك فقد نجح «ناجى» فى التأثير فى الجانب الاجتماعى فى الفن ؛ فقد كان أول مدير مصرى لمدرسة الفنون الجميلة ، ومتحف الفن الحديث ، كما أنشأ أتيليه الاسكندرية والقاهرة ، كما حاول كسر الحواجز بين الفنان والجمهور بجدارياته الشهيرة ، وطالب الدولة بتخصيص مساحات من المنشآت للأعمال الفنية ، ولا تزال الدعوة قائمة حتى الآن .

منازل ونجيل للفنان ناجى



بورتريه الأستاذ ناجي الإيطالي



جوزيف فيننكر

وفن الإعلان فى العشرينات والثلاثينات

تجول ما شئت ـ أو بمعنى أصح ـ إن استطعت فى شوارع القاهرة ، لا لتتأمل فوضى الزحام والعمارة ، ولكن وجه ناظريك الى الاعلانات السينمائية .. ماذا يكون حكمك عليها ؟ ! .. ألن تقول معى : ما أقبحها ، وأبعدها عن الذوق ، وأبعدها عن تثقيف حواس مشاهديها ! .. وربما أضفت معى : هكذا كانت .. ولعلها ازدادت سوءاً ، فكان الملصق فيما مضى يكتفى بضم بطلى الفيلم مع واحد أو اثنين من المساعدين ، أما اليوم فإن مساحة الملصق صارت أشبه بسوق يضم الحابل والنابل فى زحام ينفر منه الذوق

السليم . إن مصمم الاعلان ليس هو «صانع القرار» فى عمله ، فالمنتج له شروط ، والمخرج له شروط ، والنجم له شروط ، وبوليس الآداب له شروط ، وعليه أن يوازن بينها جميعا ، والنتيجة هى ما نراه .. ولو عقدنا مقارنة بين ما نراه فى شوارع القاهرة ، وما تعرضه «قاعة اخناتون» بالزمالك ، لرائد فن الاعلان فى المانيا «جوزيف فيننكر» لأصابتنا الدهشة حقا . لقد أنجز تلك

الاعلانات بين الحربين العالميتين ، وكانت هناك رقابة مشـددة على الملصقات ، وتستطيع ملاحظة ختم الرقابة الالمانية على كثير من ملصقات المعرض ، ولاشك أن المنتج والمخرج ـ مثلنا ـ كان لهما دور ما فى انتاج الملصق ، ورغم ذلك فالنتيجة كانت ملصقات رفيعة المستوى .. فكيف نجح هذا الفنان فى العشرينات من هذا القرن فيما أخفق فيه كل مصممى الاعلان فى مصر ونحن على أبواب القرن الواحد والعشرين ؟ !

اترك الاجابة إلى مصممى الاعلان ، والمنتجين ، والمخرجين الذين استسلموا لشروط جمهور «عدوية» ! .

ضم المعرض أكثر من خمسين ملصقا إعلانيا ، يقدم كل ملصق لوحة تفسر طابع كل فيلم ، التزم فيها الفنان بالايجاز البليغ ، فى اللون والرسوم الخطية ، مع حبكة فى التصميم .. مما أعطى الملصق بعدا تجاوز به حدود الانتماء الى فيلم بعينه الى أن يصبح لوحة مستقلة ، تلفت اليها الانظار بسبب هذا الايجاز المركز ، ولا يضم



فتاة البار - للفنان فينتنر

الملصق من أسماء العاملين فى الفيلم ، إلا أكثرهم أهمية وبروزا .. بالاضافة الى ختم الرقابة ! ..

واسلوبه ، بشكل عام ، يمكن ادراجه فى إطار الاسلوب التعبيرى ، وأن تغيرت بعض ملامح تعبيريته باختلاف طبيعة الفيلم ، ففى لوحة فيلم «كارمن» (١٩١٨) ، و«فتاة البار» (١٩٢٢) تقترب تعبيريته من طابع «تولوزلوتريك» ، بينما يصل بها إلى درجة عالية من التحريف فى فيلم «أشباح» (١٩٢٠) ، وفيلم «أبناء الليل» (١٩٢١) بينما تبدو فى لوحة فيلم «الأب والابن» (١٩١٨) قريبة من طابع المحاكاة الواقعية ، وهو يطوِّع كل مهاراته التقنية لتجسيد طابع الفيلم ، ففى فيلم «فتاة البار» تكتشف للوهلة الأولى أنك انتقلت الى عالم الليل ، والهمس ، والحلم ، ومتعة الاسترخاء .

فتاة البار تتسيد مسطح اللوحة . غارقة فى الضوء . تحوطها مساحة داكنة من الخلف ، أما الطرف الثانى أو المساعد أو طالب المتعة ففى منطقة الدرجات الوسطى . الظلية . وقد احتلَّ موقعا سفليا ليؤكد شموخ البطلة ، ولا يكاد يترك عنصرا من عناصر اللوحة دون أن يمنحه دورا فى المشاركة فى تأكيد

جو الليل ، مثل الومضات التى وضعها فى عنوان الفيلم والتى بدت أقرب إلى النجوم ، ومع «كارمن» تشعر أنك أمام فتاة لعوب معتدة بنفسها . فاتنة . دقيقة التكوين . احتشد لها بكل ما يجسد شخصيتها ، باسلوب قريب من (تـولوزلـوتريـك) . أما فى فيلم «الاشباح» فيتجه اتجاها مغايرا . تتميز بتعبيرية لاذعة .. تميز التعبيرية الألمانية عن غيرها .



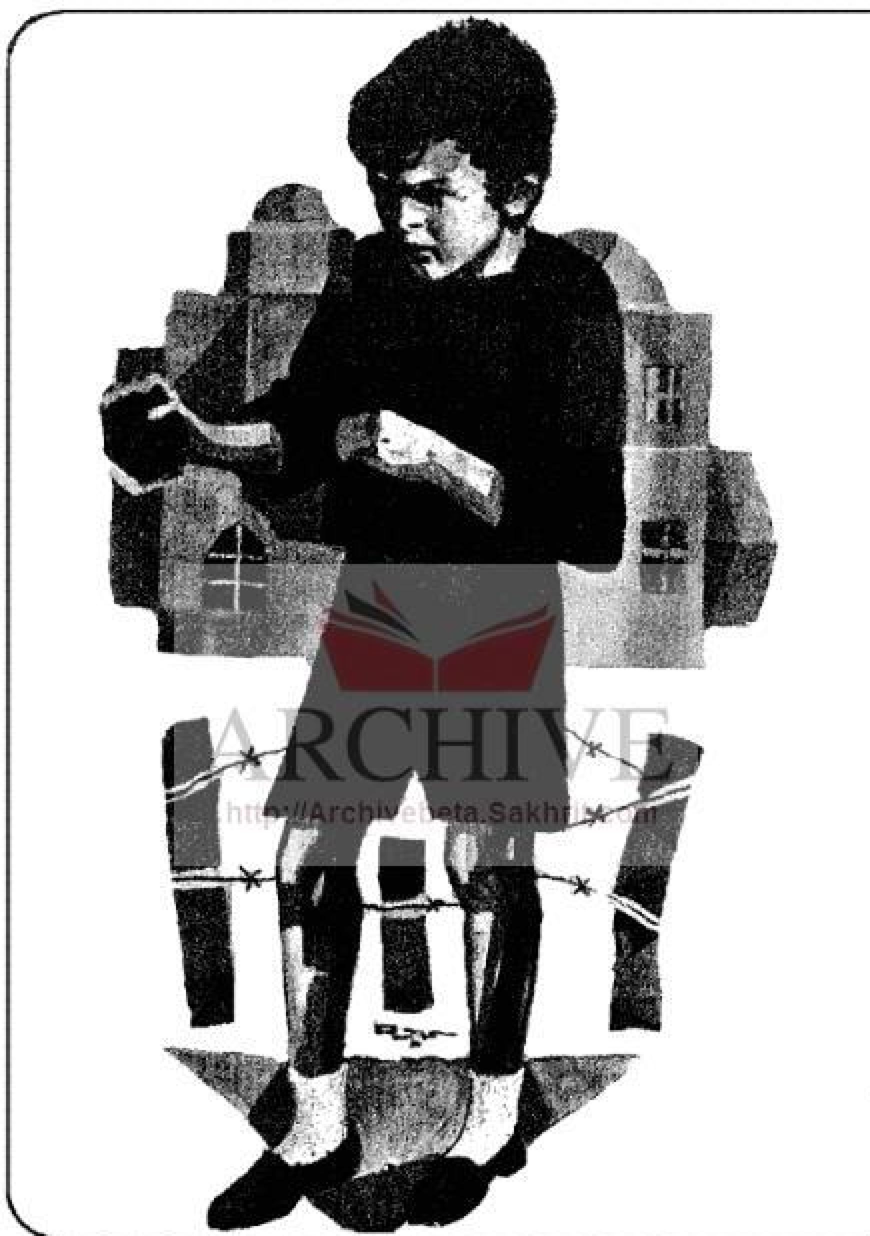
فيلم الاخوة كارمازوف ، انتاج عام ١٩٣١ اخراج اوزيب

من طفل فلسطيني

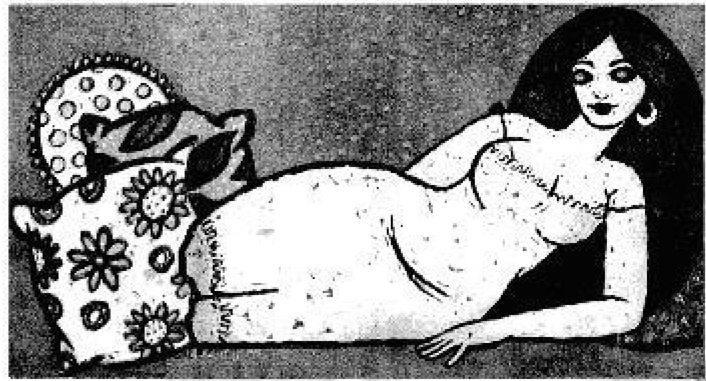
إلى شعراء العالم

شعر :
سمير أبو الحمد حافظ

يا أمراء الشعر
من منكم لا يعرفني
من منكم لم يمدحني وسط قصيدة
او يجعلني رمزا لصلاه
من منكم لم يتعلم منى
معنى الصد
الرفض
وكيف يكون الموت حياه
اعرف انى كنت صغيرا
يجهلنى تاريخ العالم
لكنى الآن
مكتوب فى كل الصفحات
وجهى محفوظ فى شاشات العرض
محفور فى كل العدسات
فانا يعرفنى شجر التين
وشجر الزيتون
وبيت المقدس
تعرفنى كل الطرقات
لم ترضعنى امى لبنا
لم يمنحنى ابتى سيفا
علمنى ان امسك حجرا
ان اجعل من ازمنة الشعر
زمنا للاحجار
علمنى كيف ابيع اللعبة
واشاكس مثل الثوار
اتشكل فى عمق الموت
واصادق وهج النار
علمنى حين تجف بحور بلادى
اجعل من دمى انهار
علمنى أن احفر فوق جبين الزمن القادم
ان الطفل تعلم
حين تموت الشمس
لابد وأن يولد
من احشاء الليل نهار



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



حكاية امرأة تريد كثيراً

قصة قصيرة

بقلم: فاروق خورشيد

لايدري متى حدث هذا ، ولا كيف .. انه غدا نجما ساطعا في مجتمع القاهرة الكل يتسابقون الى التعرف اليه ، والى دعوته على الغداء والعشاء والافطار — ان امكن .

ولكن هذا ماحدث ، وهذا ما اصبح واقعا بعيشه ، ويدير رأسه ، ويلقيه في دوامة متصلة لاتهدأ ولا تستقر .. ووجد نفسه في هذا المطعم الفاخر الذي لم يدخله قبل الآن قط ، بل لم يدخل مثله ابدا — وكان الداعي رفيقا ، فجمع مع الطعام والشراب ، مجموعة من الاصدقاء والصديقات .. وقال له :

— ان لم تشرب انت فلن يشرب احد ، فالكل هنا مدعو للاحتفال بك ، ومن اجلك ، فإن طلبت القرفة شربوا جميعا القرفة ، وان شربت كاسا شربوا جميعا في نخبك .

قال وهو يدير رأسه في المكان المعتم الضوء ، العطر الرائحة ، المفعم بموسيقى حالمة :

— في مثل هذا المكان تشرب القرفة ؟

ضحك صاحبه وربت على فخذه في الفة ، وقال :

— كل واشرب ما تشاء .

— اطرق برأسه وقال :

— ولكني لا استطيع ان ادعو احدا على كاس هنا ، فلم اكن مستعدا ، بمعنى ملئ الجيب .

عاد صاحبه يضحك وهو يربت على فخذه في الفة متزايدة ، ويقول :

— انت معزوم ، وكل هؤلاء معزومون من اجل خاطرك لانهم يريدون التعرف إليك فقط ، ولا حساب هنا لشرب فالحساب مدفوع ، انت تأمر ..

ضحك على استحياء وقال :

— انت تعرف انني احب ان اشرب .

ضحك الصديق ضحكة عريضة ، وصاح بالساقي وهو يقول :

— ونحن كلنا نحب ان نشرب ، فقط كنا نتحرج ان نرافق الشراب في مكان عام .. ولكن الشراب ينزل حالا .

وتلفت حوله في حذر كيف جاء هنا ، ولم هو هنا اصلا ؟ واحس بيد حانية تربت على فخذه في رقة فالتفت ، والتقت عيناه بعينيها .. وتاه .

ضحكت فتاة المكان كله بثغور ملامس ، لم يبق بينا ذراعي خصلة منهدلة عند حاجبيها فاهتز قلبه ، وقالت ، وفي صوتها حلم عميق ، عميق مفعم بروائح شرقية بهيجة غريبة .

— انت هنا ضيفي انا

قال في حيرة :

— والداعي !

ضحكت وهي تشتبك وتمد اصابعها الطويلة العارية الملمس الى خده ، لترفعه في حنو :

— هذه دعوتي انا — الهيت ؟ فانا وهو واحد فهو زوجي وان لم تقبل هذه الدعوة على العشاء لاكلته انا .

ضحكت ، وانفرجت شفتاها عن صفين من الاسنان اللامعة البراقة ، وشيء رقيق يمر بينهما في عذوبة ، وقالت :

- ولنا قادرة على الأكل .. الطعام والناس ايضا .

ثم قرصته فى فخذه .. ولحس بتيار من الكهرباء يمر بجسده كله ، فيهزه ، ويهزه .. ونظر حوله .. لم ير احدا كل ما حدث ، زوجها يضحك مع امراة الى جواره ، والاخر يميل على امراة يحدثها فى اذنها ، او ربما فى انفها ، وربما فى شفتيـهـا ، وهمس فى ضعف :

- انصرف الآن ، فهذه سهرة مشوقة ، وانا سعيد ، واشكر لكم ، اعني اشكر لك هذه الدعوة .

قالت :

- الى اين ؟ نحن لم نبدا الليل بعد ، هل انت جبان ؟

نظر اليها وصمت .. لم يكن يعرف هل هو جبان ؟ كل جبان يتصور انه شجاع ، بل ولحمق فى بعض الاحيان ، حين يندفع الى مواطن الخطر الحقيقية فتصبح حياته كلها فى خطر ..

هل هو جبان ؟ وطال صمته .. وقالت :

- بل انت جبان .

قال :

- امام عينيك ربما ..

وضحكت .. وشالت ذراعيها ، فانداح حاجز رقيق يكشف ابطيها ، وشعيرات خفيفة هناك .. ولحس راسه يدور من جديد ، وعاد يقول فى خوف :

- انصرف الآن .

ضحكت وقالت :

- انت مصر .. فاذهب إذن ، ولكني اريد رقم تليفونك ، وان تعدني بلقاء قريب .

هل قال ؟ وهل وعد ؟ هل اعطاها رقم التليفون ؟ كيف انصرف ؟ هو لايدرى .. كل ما يدريه انه فى الليل ، فى سريره ، جمع نفسه بصعوبة ، وتنفس فى عمق ، وهمس كانما يؤكد لنفسه شيئا :

- ليلة وانقضت .

★ ★ ★

جاءه الصوت عبر التليفون يضحك ويهمس ويسخر ، ويتاود ، ويقول :

- هل نسيت سهرة الامس .. انا لم انس .

همس فى اضطراب وحرج :

- هذا تليفون المكتب ، وينبغى ان يكون الكلام محسوبا ..

صاحت وهى تضحك :

- الم اقل لك ، انت جبان !

قال فى حرج :

- لست جبانا ، ولكن هذا تليفون المكتب .

قالت فى حدة :

- قلتها من قبل .

قال فى تخاذل :

- ونحن تعارفنا بالامس فقط كصديقين عابرين .

ضحكت فى خلاعة وقالت :

- كصديقين .. اهذا صحيح ؟ ام انت جبان وكذاب ايضا؟

قال :

- انت تهاجمينني فى عنف

قالت :

- انا لا احب المداورة ، ولا احب الضعف .

قال :

- ولكن زوجك صديقى ، وانت بعد زوجة زميل .

قاطعته الضحكة الناعمة المتفتحة وقالت :

- يالخيالك .. مازلت صديق زوجى ، ومازلت زوجة صديقك .. ومازلنا اصدقاء ، وانما اردت ان اعرف مدى شجاعتك فى عرينك .

قال فى دهشة :

- عرينى ؟

قالت وهى تعود الى ضحكتهـا الممطوطـة الساخرة :

- مكتبك اعني .. وعرفت كم انت شجاع فيه ، ولكن اصبر ، هذا رقم تليفونى ، وخاطبنى متى احببت ، فقط اريدك حين تخاطبني ان تنسى انك جبان ، او انك تدعي الجبن .

وضحكت وقالت :

- انت ولد شقى رغم شعراتك البيضاء .. ولم تخدع واحدة مثلى ..

ثم اغلقت السماعة .

وانتهت المكالمة .. وظل يضع السماعة الى اذنه فى دهشة ـ لم يعرف من قبل فى حياته شيئا كهذا . . ولا امراة لها كل هذه الجراة .. ودون ان يحس . وجد نفسه يدون رقم تليفونها امامه وهو يبتسم ..

★ ★ ★

كانت الليلة باردة الى حد جعل ساقيه ترتجفان واسنانه تصطك . وكانت امرأته قد اعطته ظهرها من زمن طويل . وكان مؤرقا لايعرف طريقه الى النوم وهب من رقدته فى شجاعة فائقة . وخرج الى حجرة مكتبه يبحث عن كاس .. ربما ادفات الخمر اطرافه الباردة . وحين شرب الكاس . عرف ان البرد ليس فى اطرافه وانما هو فى دمه نفسه .. كان يرتجف بحثا عن دفء لايقدمه له بيته . ولا الخمر . ولا هذا التسكع العقيم بين المسجل يبعث بموسيقى سقيمة . ومصباح المكتب يضيء صفحات سخيفة من كتاب بارد لاحياة فيه ولاحياة فى الفاظه . ولا فى معانيه .. هل ينام كالكلب متكورا على نفسه ؟ لم يسكر حتى ينسى نفسه ووجوده . وينخمر .. لم يقرا هذه السخافات التى لايحبها .. حتى الموسيقى اصبحت مملة وعقيمة .

ودون ان يحس وجد نفسه يبحث عن الورقة التى كتب فيها رقم تليفونها . واخذ يدير القرص فى إندفاع . ودون تحرز .. وفجاة سمع صوتا على الجانب الآخر من التليفون يضحك نفس الضحكة المليئة الساخرة العابثة . وسمع صوتها الهادر بالحياة يقول :

ـ هذا انت .. كنت اعرف انك ستتكلم .

قال متلعثما خجلا :

ـ اسف ان تكلمت فى هذه الساعة المتاخرة من الليل .

وقبل ان ينهى كلامه . قاطعته ضاحكة ساخرة . عابثة . ماجنة . وقالت :

ـ يااستاذ . ضع سماعة التليفون . وتعال ..

قال دون ان يدرك معنى كلماته :

ـ ماذا ؟

قالت فى ضيق كله دلال :

ـ يا استاذ البس ملابسك وتعال فورا .. وكف عن الكلام .

قال متلعثما :

ـ فى هذه الساعة ؟

ضحكت ثم ضحكت مرة اخرى وسكتت . فقال متلعثما :

ـ الساعة متاخرة :

قالت ساخرة :

ـ متاخرة عن اى شيء يا استاذ ؟ ..

قال وهو يجمع اطراف نفسه المتبعثرة :

ـ عن زمن النوم ..

صاحت وكانها تنهر طفلا شقيا عابثا :

ـ ياشاطر . ليس هناك وقت للنوم . ولا وقت للاستيقاظ .. المسالة انك تعيش او لاتعيش .. فهل انت تعيش الآن . ؟

تردد ووجم ثم وجد نفسه يندفع قائلا :

ـ لا .. لست اعيش . بل لست اوجد . كل شيء بارد وسخيف .

جاء صوتها عبر التليفون قائلا :

ـ ياسلام :

ثم سكتت . وسكت محرجا .. وحين طال السكوت قالت فى سخرية :

ـ يا استاذ .. عيب ..

قال فى حذر :

ـ عيب . ماذا فعلت ليكون عيبا ..؟

قالت فى انف :

ـ ماتقوله عيب .. وما تفعله عيب . انزل يارجل وخذ سيارتك وتعال .

قال :

ـ إلى .. اين ؟

قالت :

ـ خذ عنوانى . اكتبه حالا، والبس و انزل . انا فى انتظارك ..

قال متلعثما :

ـ ولكن الليل .. وظروفك . و

ضحكت ساخرة وقالت :

ـ جبان . الم اقل لك ـ

قصة قصيرة :

اترك كل شيء لي ، فقط تعال .. ولاتنس ، الدنيا برد ، البس معطفك .

لم يدر ماحدث له ، اغلق التليفون ، ومضى يدور في الغرفة كالمجنون ، يغلق المسجل ، يشرب كاسا او بقاياه حتى الثمالة ، يهرع الى حجرة النوم ، يرمي الروب والبيجامة ويرتدي ملابسه مسرعا .. يرقب زوجته النائمة في استكانة ، تصدر صوتا رقيقا وهادئا ، ومستقرا ، هي نائمة ، وستظل نائمة حتى الصباح .. وحين انتهى من ارتداء حذائه ، تلفت حوله ، واسرع

يطفيء نور الابلجورة ثم عاد الى دولاب الملابس ، ياخذ المعطف ، وغادر الحجرة والشقة ، والمنزل ، وركب سيارته ، وانطلق بها الى حيث الصوت الغريب .

★ ★ ★

حين وصل بعربته ، فتح له البواب الباب الخارجي ثم قال في ادب :

ـ هنا يابك ، العربة في امان .

لم يفهم كيف عرف البواب انه قادم ، ولا انه بك ، فقط اعطى البواب جنيها . ورد على تحيته ، ترك العربة وهو يلتف بمعطفه ، فقد كان البرد قاسيا ، وجرى البواب امامه ، وهو يحتضن الجنيه في كفه الى باب المصعد . وقال :

ـ اي دور يابك ؟

وارتج عليه ، لم يعرف كيف يقول انه لايعرف الدور ولا الشقة ، لكنه تذكر اسم زوجها ، فقال للبواب الاسم وهو يرقبه في حذر .. ولكن البواب رفع يده الى رأسه تحية واجلالا ، اغلق باب المصعد ، ووضع يده على مفتاح الدور المطلوب ، وسكن الى جواره في المصعد دون حديث .. وحين وقف المصعد ، فتح له الباب ، وهو يقول في ادب :

ـ هنا يابك .

وغادر المصعد ، واغلق البواب بابه .. ووجد نفسه في ردهة مضيئة ، وعدة ابواب .. وتملكه التردد من جديد ، وجعل يجيل نظره في الابواب في حيرة ، وكاد يمد يده يبحث في جيبه عن العنوان المكتوب ، ولكن



بـابا بعيـدا انفتح في صمت ، وخـرجت اليـه بابتسامتها المشرقة وهي تقول في صوت هامس :
ـ اهلا .. من هنا .
ولم يفكر ، فقط مضى مسرعا وكانما يخشى نور الردهة .. وحين وصل الى الباب امتدت يدها إلى ذراعه تقوده وهي تهمس ضاحكة :
ـ كنت انتظرك ، وحين سمعت صـوت المصعد عرفت انه انت .. تعال .
وكصـوتهـا الهـامس الغامض ، بدأ كل شيء هامسا وغامضا .. فحين اغلق الباب كانت الردهة التي قادته عبرها معتمة ، ضعيفـة الضوء ، ولكن رائحتها هي كانت نفاذة ومدلة ومخدرة .. وانساق وراءها عبر الردهة وقد تاه فـي الـعطـر الفـواح ، والصمت ، والضوء المعتم واليد التي تقوده في ثقة ..
كان كل شيء رائعا ، ومسترخيا . وقد ضاع برد الشتـاء خارج الشقـة ، وخارج هذا الوجود المعطر الرقيق .
وانحنـى فـي سيـره لضغطه يدهـا ، وفتحت بابا ، ودخل وراءها الى ردهة اخرى رقيقة الضوء رقيقة الرائحة ، ثم فتحت باب غرفة وقالت هامسة :
ـ تفضل .
وطالعته أصوات الموسيقى الحالمة ، كما طالعته رائحة العطر المرطب ، قبل أن يدخل الغـرفة .. ودخـل وقالت :
ـ هات معطفك .. هنا دفؤك ، وهنا تهدأ .
واخـذت المـعطـف ، ودخل الى عالم مخملى عجيب .. كان الضوء موزعا بطريقة هادئة ، وكـانت الموسيقى تنبعث من مصدر مجهـول ، وكـان العطـر الهادىء فواحا ، يهدهـد انفاسه ويحذر وجوده كله ، وكانت الحجرة الممتدة امامه كانها من الاحلام .. وكانما خرج من صقيع يناير الى دفء يونيو . وطوت المعطف ووضعته الى حافة مقعد ، وقالت :
ـ اتحس بالدفء ؟
ضحك ضحكة خافتة وهـو يقـول متلمسـا ملابسه الشتوية :
ـ نحن في الصيف .
قالت :
ـ تخفف إذن
ثم قادته الى الحجرة الرئيسية في الجناح .. بالفعل كان كانه في جناح مستقل في فندق عالمي الطراز .. الأضواء خافتة وموزعة بنظام .. وروائح ذكية تتصاعد من كل مكان ، والمقاعد مريحة في كسائها ، وفي لونها ، وفي شكلها العام ، وخلع الجـاكيت والبلـوفـر ، واسترخى في هدوء .. وعـادت تسوق أمـامه منضدة متحركة مليئة بـالزجـاجات الفـاخـرة النوع وقالت :
ـ شرابك المفضل ، قل تجد ..
نظر الى المنضدة وما عليها من زجاجات وتاه .. ثم قال :
ـ ماتشائين ..
قالت :
ـ فانت ملكي الليلة أسقيـك كمـا أحـب ، وأطعمك ما أريد ، وافعل ما أشاء .
ضحـك وهو يحس بخدر يلم باطرافه كلها ، وهمس :
ـ ياسلام ..
ضحكت هي ، ومدت يدها بالزجاجة ، فمد يده يملأ كاسه ، رشف منها رشفات ، وهدأت نفسه . كل تعب اليوم ، انزاح ، وراح .. وهو يغوص في المقعد الوثير ، وفي يده كاس رقيقة ، وموسيقى حالمة تحوطه وتبتلعه ، وتنسيه متاعب اليوم كله .
وفجأة سمع صوتها هامسا تعيده الى دنيا الواقع ، وكانت تقول :
ـ مولاى شهريار ياكل الآن ، أم فيما بعد .. ؟
كان صوتها ضاحكا وساخرا معا ، ورفع رأسه

اليها ، كانت قد غيرت ثوبها الذى لقيته به .. كانت في ثوب هفهاف ، عربى التطريز ، يكشف اكبر مما يكسو ، واستمر في استرخائه وهو يقول :

- مولاتي تامر فانا ملك لها الليل - أو ماتبقى منه

قالت :

- الطعام جاهز يامولاى .

ودفعت امامها بعربة صغيرة أخرى محملة باطباق متعددة ..

ولم ينظر الى المائدة او الاطباق ، عاد نظره الى للمائدة الاخرى المحملة بالزجاجات ، ثم رفع رأسه اليها وقال :

- كل هذه الضجة الا توقظ من بالبيت ؟

ضحكت ولوحت بساعدها ، فانكشف الساعد حتى ابطها ، اذ انزاح الثوب الشفاف عنه ليكشف تناسقه ولونه العاجي ، وقالت :

- الحوائط مبطنة بعوازل الصوت يامولاى .

وأسقط في يده .. ماهذا العالم السحرى الذى دخله ؟ وجعل يتلفت حوله كفار وقع في مصيدة .

وعادت ضحكتها تجلجل من جديد وهي تقول :

- مولاى شهريار ياخذ كاسه حتى لاينقله الطعام .

ولعن شهريار وشهرزاد والجنى ، والمصباح المسحور ، وكل مايتعلق بالف ليلة ، وهو ياخذ كاسه فى يده ، وقال :

- هذا كثير .

ضحكت وهي تمد يدها الى الحائط فإذا بالستار المسدل يتداخل الى بعضه ويختفى فى الحائط ، واذا هو امام حجرة صغيرة كانت مختفية ، الاضاءة الهامسة ، والسرير الوثير الغريب ، لم ير في حياته من قبل سريرا دائريا إلا الآن .. وذهل . فوجم وسكت .. وقالت :

- ايعجبك يامولاى .. ؟

وفجاة ضحك ، واغرق في الضحك ، ووضع الكاس امامه ، وعاد يضحك من جديد ، قالت مذهولة :

- مالذى يضحكك في السرير يامولاى ؟

توقف عن الضحك فجاة ، وعاد ينقل بصره بينها وبين الحجرة التى غدت واسعة جدا ، وبين منضدة الشراب ، ومنضدة الطعام ، ثم السرير الذى تكشفت عنه الستار وقال :

- كان سرير امى النحاسي عاليا .. وكانت تصعد إليه بسلالم خشبية ، سلمتين كهاتين السلمتين تماما .

ضحكت وهي تشرب من كاسها ، ثم تضعها فوق المنضدة امامها ، وقالت :

- مثلهما تماما .. ؟

قال :

- لا .. هذه السلالم مخملية ، وواطئة ، فليس لها ضرورة بالفعل ، فالصعود الى هذا السرير لايحتاج اليها .. وانها ..

صاحت وهى تقلع من مكانها ، لتحط فوق فخذيه :

- لكنها ذكرتك بالسرير القديم .

وضحكت وهي تعبث في شعره الكث الأبيض وقالت :

- انا لست امك ، وهذا ليس سرير امك ، هذا السرير يشترى أمك وكل ما ملكت ، وربما هي واجدادها ايضا .

واحس بيدها باردة

على راسه ، كان كل أصبع يشق لنفسه مجرى فى شعره حتى يصل ببرودته الى راسه ، ثم تشقها الى مخه نفسه .. وعاد احساسه بالبرد يشتد رغم دفء الغرفة ، وضحكت ، وقفزت تتاود امامه وهى تقول :

– هذه أذواق أوروبية ياسيد .

وقال وهو يستجمع ماضاع من شوارده :

– اين ذهب .. مولاى . هل تحول الى سيد بقدرة قادر .

قالت :

– ذهب مع افكارك التى انستك اين انت .. فهل انت مازلت هنا ؟

ضحك ، ورفع كاسه الى شفتيه يحتسى جرعة كبيرة ، ثم قال :

– بل انا هنا ، ولن ينسيني أني هنا ، انني تذكرت سرير أمي النحاس صاحب الدرجتين الخشبيتين .

شربت من كاسها ، وتاودت ، وضحكت .. ووضعت اصبعها فوق شفتيها فى تحذير ، وقالت :

– ينسى مولاى امه ، وانسى انا انه تجاوز حد الأدب ، فانا لست امه .

ضحك وقال :

– لو شاهدتني امي الآن لماتت بالسكتة القلبية فانا وسط الحرام الذى كانت تدعو لى دائما ان اتجنبه وان تجنبه لى الأيام .

وكانما احس بسخف كلامه ، فشرب من كاسه جرعة ، ثم ضحك وصفق بيديه ، وقال :

– لماذا كل هذا الكلام .. انا جائع .

قالت :

– الطعام جاهز يامولاى .

قال :

– عدنا الى مولاى . ونسينا ياسيد لو تنسين مولاى هذه .

قالت :

– كيف انساها ، وانت مولاى .

ودون أن ياخذ حذره ، مدت يدها الى ملابسه تنتزعها قطعة اثر اخرى ، وثقل الجو ، والموسيقى حالمة . والجو عطرى ، وكل شيء دافيء وهى شهية ، وغريبة ومتفتحة .. ونسى نفسه ونسى امه ، ونسى كل شيء ، فقط هو فى حضن هذا العطر ، وهذا الدفء ، وهذا الثراء .

★ ★ ★

حين دخل الى سريره نام فى عمق .. وبلا احلام .. وحين افاق فى النهار ، وضع المخدة فوق راسه ونام من جديد .. وظل ينام الى أن أيقظه قرع على الباب ، وصياح يقول ان العربة تحت تنتظر ذهابه إلى عمله ، وان السائق ينتظر ، وان البيت كله ينتظر ، وانه أن نام بعد هذا فحكاية وعبث ..

وفى مكتبه شرب القهوة ، وبعد القهوة ، قهوة ، ومضى يعمل فى تعثر اول الأمر ، وفى تردد بعد ذلك ، ثم فى ثبات واصرار .. وسرعان مانسى نفسه فى العمل .. وكان أمسا لم يكن .. وضرب جرس التليفون الاول ، فرفع السماعة وقال :

– حول كل التليفونات على صالة التحرير .. انا مشغول .

واغلق السماعة .. وعاد يندمج من جديد فى موضوع المقال الذى تحول من مجرد افكار عابرة الى مشروع واعد .

ولكن التليفون الثانى ضرب فى شدة ، ورفع السماعة وهو يقول :

- نعم ..

كان مستسلما ، فهذا التليفون مباشر ، ولايمكن إلا ان يرد عليه او يقطع المكالمة بنفسه ، وكان على وشك ان يقطع المكالمة حيث غاب عنه رد من يتحدث ، حين سمع صوتها المتأود الهادىء يقول :

- الا تريد ان ترد على أحد ؟

ووجم ... وعادت تقول :

- انا لن اكلمك .. ولكن يجب ان ترد علىّ حين اطلبك .

قال دون ان يفكر :

- انا مشغول بالمقال ، ولابد ان ينتهى بسرعة ، وإلا اخرنا طبع الجريدة كلها .

ضحكت ساخرة ، وتأود صوتها من جديد ، وقالت :

- يا استاذ انا قبل المقال .

قال فى حيرة :

- نعم .

عادت تضحك ، وقالت :

- أى نعم يا أستاذ ؟

قال فى حيرة :

- لم افهم .

قالت :

- انا احببتك ، الا تحبنى مثل ما احببتك .

قال :

- انت امراة عظيمة .

ضحكت وتأودت ، وقالت :

- امس كنت تقول كلاما غير هذا تماما .

قال فى حذر :

- يعنى ؟

قالت :

- يعنى انك نسيت نفسك ، وما فعلت ، وماقلت ، وما اعلنت .. انت قلت انك عبدى ، وانك لم تعرف امراة مثلى من قبل ، وانك شاكر لدنياك انك عرفتنى .

قال فى ضعف :

- حديث الامس انتهى مع الأمس ، فقد اثر فى الشراب والمكان ، وانك امراة جميلة ورائعة .

قالت فى زهو وهى تضحك :

- ارأيت انت لن تنسى الأمس ، سواء كانت تشغلك مقالة ام لم تكن تشغلك .

قال فى تشبث :

- بل هى تشغلنى الآن بالفعل ..

قالت :

- هذا لايهمنى فى شىء .. المهم انك اصبحت ملكى ، ومقالتك هذه ، اصبحت ملكى اليس كذلك ياحبيبى ..

ولم يفهم .. وأدار كلماتها فى رأسه ، ولم يفهم ، فقال :

- بالطبع .. بالطبع .. ولكن انا ساكلمك بعد حين .

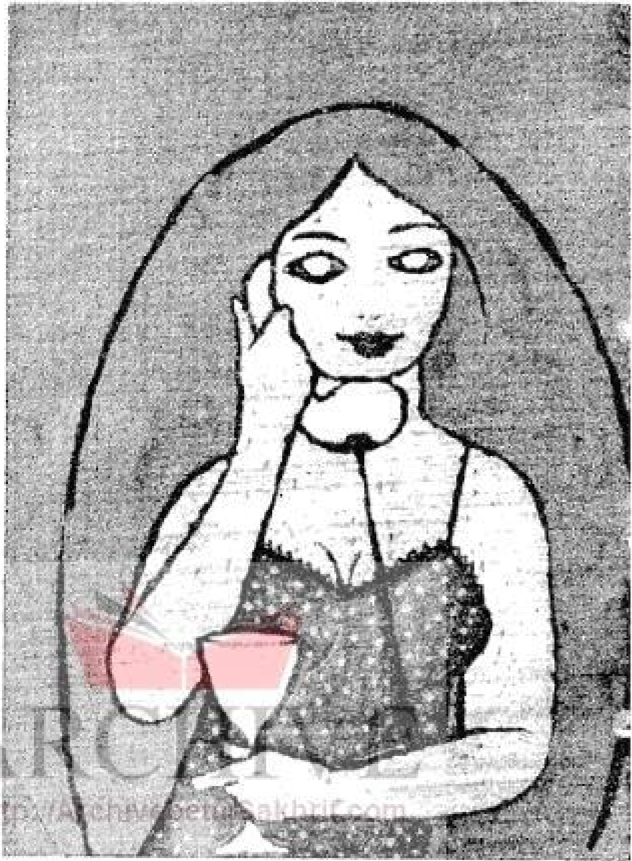
قالت فى حزم :

- بل ستكلمنى الآن ، انا اعرف ان مقالك الذى تكتبه ملىء بالاحصاءات والارقام فهو عن وزارة معينة .

وعن وزير معين بالذات .. وهو لعلمك ابن خالتى واحب أن تضع هذا فى اعتبارك وانت تعاود الكتابة من جديد ..

ووجم ، وضحكت ، وجاءه صوتها العابث من الطرف الآخر من التليفون يقول :

- اعجبتك شقتى أمس ، وأعجبك الجناح



الـذي اشغلـه منهـا ، واعجبتـك الغـرفـة ، واعجبك السرير .

وضحكت ، ثم قالت ساخرة :

ـ الم تدرك ان مثل هذه الغرفة ينقصها شيء هام في عصرنا يا استاذ ؟

ووجم ولم يرد فعادت تضحك ساخرة ، وتقول في صوت كله قسوة وعبث :

ـ ينقصه كاميـرات التليفزيون يا استاذ ، انت صورت امس ، كل ماحدث منك ، كل ماقلته ، كل ما كنته ، كان عاريا امامي وامام عـدسات الفيديو .

دارت رأسه ، وفجاة انطفأ النور امـامه ، وارتفعت صيحات من خارج مكتبه .

ـ النور انطفأ .

ـ الاستـاذ يكتـب الافتتاحية .

ـ اسرعوا بالبطاريات .

ـ ليبحث أحد عن النور ، لماذا انطفأ ؟

ـ أدخل شمعة الآن للأستاذ .

ـ دوامة مرت برأسه وهو يسمع كل الأصوات الآتيـة مـن المكتـب الصغير الملحق بمكتبه .. وفجاة قال له الصوت القاسي في التليفون :

ـ المقال يا استاذ ، انتبه ، هو ابن خالتي .

واغلقت التليفـون ، وانتهت المكالمة .

وسُحـب غـريبـة تجمعت في رأسه ، وهو لايرى الورق ولكنه يمسك بالقلم ، ويضغط بسنه فـوق الورق . وفجـاة انكسـر سـن القلـم ، وصمت كل شيء .

راى فى الثقافة

● لا اعتقد انها مكارثية ●

اتهام قاس جدا ساقته احدى الناقدات ضد زميل لها اشاع فى النفس غما وحزنا .

فانا لا افضل تسمية واقعة نشر الدكتور ابراهيم حمادة لنص « مسرحيات بن دانيال » ناقصا « مكارثية » علمية ، وانما افضل تسميتها رقابة علمية جاءت بالنص ناقصا و« مقصوص » الجناح .

وقد يقول البعض انها رقابة أقسى من رقابة الموظفين لأنها رقابة عالم بالقصد ، حتى ولو جاءت فى كلمة هامسة .

واعتقد أن هذه المشكلة يمكن أن تحل بطريقة واحدة : ان توجه هذه الطبعة لتلاميذ المدارس الاعدادية والثانوية ليقرءوها كجزء من تراث لابد أن يقرءوه .

اعتقد أن هذا حل عملى ، فلا نظن أن ابراهيم حمادة فكر فى أن يعمل رقيبا يوما ما ، كما لانظن انه فكر فى أن يعمل جزارا ، كل مافى الأمر ، على ما نظن ، أنه خشى الارهاب السائد فعمل عملته التى علينا مساعدته فى تجاوزها ، وان نطالبه الآن ، والآن بالذات ، بأن يصححها بنشر النص الكامل على أن يوجهه ، هذه المرة ، الى الباحثين والمثقفين والمبدعين ممن يرون ضرورة حصولهم عليه كاملا .

أليس مشروعا أن تكون هناك نصوص مخففة للتلاميذ ، ونصوص كاملة للذين امتلكوا الوعى بأهمية التراث الحى يقرءونه كما هو عليه غير منقوص ؟

أليس هذا مشروعا ؟ .

نحن فى انتظار هذا الحل الوحيد .

وإلا فإن أجيالنا القادمة ستتهمنا بان المكارثية اصبحت متغلغلة فى نفوسنا ، وقانا الله شر حكم التاريخ .

● عبده جبير ●

• إشارات ثقافية •

● مهرجان المسرح التجريبي على الأبواب

ها هو مهرجان المسرح التجريبي الثاني وقد أصبح على الأبواب ، واصبح على راسه هذه المرة عدد من العاملين في حقل المسرح المصري من اولئك الذين تعقد الآمال عليهم ليخرجوه لنا ، هذه المرة ، في صورة مشرفة ، وعلى درجة من الجدية ربما ساهمت في دفع حركة المسرح المصري خطوات للأمام ، بعد سيادة المسرح التجاري المبتذل طوال السنوات الماضية .

واملنا كبير في ان يكون وجود الدكتور على الراعي ضمن او على راس ، هذه الكوكبة من المسئولين دافعا ليصل المهرجان الى هذا المستوى الذي ننشده .

فلا يزال الأمل في المسرح المصري كاحد أهم الأشكال الفنية قدرة على الاتصال المباشر بالجماهير معقودا على لحظة يستيقظ فيها من سباته العميق وانها لمسئولية ضخمة ان يأتي هذا المهرجان والعلاقات المصرية العربية قد عادت مع جميع الدول العربية ، ونرجو ان تكون الفترة الباقية من الآن وحتى موعد انعقاده في الأسبوع الأول من سبتمبر القادم كافية لدعوة الفرق التجريبية العربية من البلدان العربية كلها ، وأن يكون برنامج العروض متوازنا مع برنامج الندوات واللقاءات الفكرية ، وكل ما نستطيع ان نقوله الآن : دعونا نامل ، فالأمل لا يزال في النفوس ، واننا والمتعطشين على اى حال ننتظر لنرى .

● فدوى – جرجي زيدان



جرجي زيدان

جرجي زيدان انسحب تاثيره على كل الآباء والأمهات العربيات في عصره .

هذه هي الحقيقة التي تخطر ببالك وانت تطالع السيرة الذاتية للشاعرة العربية الفلسطينية الكبيرة ، فدوى طوقان » .

تقول شاعرتنا في سيرتها الحية الجميلة ، كان أبي وأمي من مدمني قراءة روايات جرجي زيدان التاريخية ،

احبا شخصية البطلة فى قصة ، أسيرة المتمهدى ، (فدوى) واحتفظت ذاكرتهما باسمها ليعطياه لأول انثى تولد لهما فيما بعد ..

وهكذا تكتشف من هذه الواقعة كم كان تأثير الكاتب على الناس فى ذلك الوقت وهو ما يبدو اننا بدانا نفقده شيئا فشيئا .. أن يسمى أب وأم ابنتهما باسم بطلة الكاتب ، هذا هو التأثير الحق ، لأن معناه انهما تخيلا البطلة حية صاحية .

على أى حال تبقى هذه السيرة واحدة من اجمل السير التى كتبت فى تاريخ الكتابة العربية ، ليس فقط لتمكن صاحبتها وغنائية لغتها المشرقة ، بل لأنها تحكى لنا تفاصيل الحياة اليومية فى فلسطين (نابلس) لنعرف منها كيف كان الناس يعيشون ، وفيم يفكرون ، وكيف يتصرفون ، كما نعرف أن احدا من الشعب الفلسطينى لم يكن الا منخرطا بهذا الشكل أو ذاك فى قضية وطنه .

كما تعكس ذلك التداخل الانسانى اليومى بين أهل مصر وأهل فلسطين ، ليس فقط فى التبادل الثقافى الملحوظ ، بل وايضا فى عمق حياة الناس اليومية ، وعمق الروابط التى ربطت بين الفنانين والشعراء .

وفى هذه السيرة نرى حال المرأة العربية حتى تلك التى حققت وضعا متميزا بابداعاتها فى هذه المجتمعات المخلفة التى أصابت الكثيرات منهن بالام روحية لا نهاية لها .

وتحكى لنا فدوى طوقان عن الأوضاع التى عاشتها فلسطين منذ ما قبل الحرب العالمية وحتى ما بعد حرب ٦٧ ، وتفاجا عند ذاك بانقطاع هذا التسلسل الأخاذ للسير ، وكان نفسها نفسه قد انقطع عند الهزيمة .

(الكتاب طبع فى القاهرة ، دار الثقافة الجديدة ٤ ج . م) .

● هكذا يتكلم قادة الانتفاضة

لابد ان ايا منا يريد أن يعرف المزيد والمزيد من تفاصيل ما يجرى فى الأراضى العربية المحتلة فى فلسطين .

فهذه الملحمة التى يصوغها ، اطفال الحجارة ، وشباب وشابات فلسطين ، هى وحدها القادرة على حمل العلم الفلسطينى وغرسه فى مكانه الطبيعى . أرض فلسطين .

وعلى مافى هذا الكتاب من معلومات مهمة عما يجرى فى أرض الانتفاضة فإن اللقاءات الحية مع عدد كبير من قادة هذه الانتفاضة الذين نسمع أراءهم الحية وبشكل مباشر ، هى ربما ما يجعله هاما ومثيرا فى نفس الوقت .

إن شهادات مروان البرغوتى (رئيس اتحاد طلاب جامعة بيرزيت) ، وشهادات كل من شاهر سعد (رئيس اتحاد نقابات عمال الضفة الغربية)



وشحادة المنيلاوى (رئيس اتحاد العمال سابقا) وسميحة خليل (رئيسة جمعية انعاش الأسرة ، ود . محمد سعدى (رئيس مجلس أمناء جامعة بيرزيت) - توفى أخيرا - ود . سرى نسيبة (الأستاذ فى جامعة بيرزيت) ود . صائب عريقات (استاذ العلوم السياسية جامعة النجاح) ود . عبدالستار قاسم (استاذ مشارك فى العلوم السياسية) وابراهيم الدقاق (نقيب المهندسين ورئيس الملتقى الفكرى العربى بالقدس) ، وحنا سنيورة (رئيس تحرير صحيفة الفجر) وعلى الخليلى (رئيس تحرير الفجر الادبى) تقول ان شهادات هؤلاء ليست تنظيرا منبت الصلة بالواقع ، بل هو كلام حى يستحسن - ان لم يقل يجب - أن نستمع اليه ، فهو الصوت الذى نسمعه مدويا كل يوم .

لقد تناولت هذه الحوارات الحيه التى أجراها الكاتب الفلسطينى « توفيق أبوبكر » سبعة محاور أساسية دارت المناقشات حولها وهى :

١ - الفلسطينيون فى الداخل ونظرتهم للعالم العربى .
٢ - نضوج الشخصية الوطنية الفلسطينية : الوطنى والقومى والعلاقة بينهما .
٣ - النضال السياسى واطروحات الواقعية والاعتدال والتطرف .
٤ - دعم الصمود . مفهوم الصمود واحواله : الايجابيات والسلبيات .
٥ - البدائل السياسية المطروحة وامكانات نجاحها .
٦ - الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى الأرض المحتلة .
٧ - الانتفاضة . الحدث الذى يفرض نفسه .

(النص صادر عن مطابع القبس الكويتية)

الدكتور سيد عويس وداعا

رحل عنا المفكر الاجتماعي الكبير الدكتور سيد عويس بعد رحلة حافلة ، قدم خلالها دراسات بالغة الاهمية حول المجتمع المصرى ...

واستمد هذه الدراسات من عمله الميداني وجمع فى دراساته الاجتماعية بين العمل الميداني وسط البسطاء وبين دراساته الاكاديمية ، وجمع ايضا بين دراسة عميقة للتراث المصرى ودراسة جادة لتطور العلوم الاجتماعية في الغرب ·فجاءت دراساته ذات نكهة خاصة تتميز بالصدق والعمق ، وتحمل شحنة من الاعزاز والحب للمجتمع الذى عاش فى حاراته ومقاهيه وجوامعه واسواقه · يحمل افراده بين جوانحهم حلمهم الابدى فى العدل والتطور ·

ومن سواه بتركيبته الفريدة ، يبحث وينقب عن تلك الرسائل التى يبعثها بسطاء الناس الى الإمام الشافعى ، شاكين او متضرعين ، ويخرج من هذه الدراسات بنتائج هامة ترتبط بالخلود فى التراث الثقافى المصرى ، ومن غيره قدم دراسات ميدانية عن ظاهرة العنف فى المجتمع ، والحركات الصوفية ، والزار ، اويقدم تلك الدراسة الشائقة حول الجمل والعبارات التى تكتب على الحافلات وسيارات النقل والاجرة ، والتى تعكس قيم البسطاء واحلامهم ، وتمثل جهازا اعلاميا مستقلا ·

ويمكن رصد أبرز ما تميزت به دراسات الدكتور سيد عويس :

● توصل من خلال دراساته وابحاثه الى استمرارية وحدة الثقافة المصرية منذ الفراعنة حتى اليوم ·

● أعطى مكانا بارزا فى ابحاثه للدراسات الميدانية للوصول الى اغوار المشاكل الاجتماعية ·

● أيمانه بأن النهضة والتطور يبدأن من تغيير وضع المرأة فى المجتمع وهى البداية الضرورية للتقدم ·

● عمل مستشارا بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية وحصل على جائزة الدولة التشجيعية فى علم الاجتماع عام ١٩٦٥ ووسام العلوم والفنون من







الدرجة الاولى فى العام التالى ثم وسام الجمهورية من الدرجة الثانية عام ١٩٨٢ واخيرا جائزة الدولة التقديرية فى العلوم عام ١٩٨٦ .

كان بحكم منصبه وعمله يرصد ويتابع ويراقب ويحلل ويفسر باحثا فى الانسان المصرى تغيراته وتفاعلاته عوامل قوته وبواعث ضعفه وردود افعاله ازاء القوة الغاشمة سواء كانت استعمارية او محلية .

فهو واحد من العلماء المصريين الذين اتيح لهم التعرف على حضارة الغرب من مصادرها المباشرة الى جانب هضمه وتمثيله اصالة الفكر والتاريخ المصرى القديم والحديث فى مختلف احقابه وعصوره .

وهو واحد من جيل المؤسسين الكبار الذى ترك بصماته على مهنة الخدمة الاجتماعية والبحوث الجنائية والبحوث الثقافية .

كما انه من أوائل الاخصائيين الاجتماعيين الذين عملوا فى محيط الاحداث ومارس مهنته بحب وشغف .

وتميزت انجازات الراحل د . سيد عويس العلمية بالغوص فى التاريخ الاجتماعى المصرى والحرص على تتبع ودراسة العادات والتقاليد الشعبية ، واستطاع أن يكشف عن العديد من الظواهر الاجتماعية الثقافية . حيث كان يرى انه لا تقوم نهضة ثقافية فى هذا المجتمع الا اذا قامت نهضة تيسر التذوق الفنى فى محيط أعضائه والفنون كلها ويقصد بذلك الفنون التى تعكس ظروف المجتمع بصدق وهى فى رأيه تعبر عن الحقائق تماما . المهم ان يكون الفن او الفنون فنونا صادقة وأن تعكس الظروف سواء كانت ثقافية أو اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية بأمان حتى نعرف الغث من السمين فنحرص على الثمين ونواجه الغث مواجهة موضوعية وكان يتوقع أن يقوم الجميع ويقصد المثقفين والمسئولة واجباتهم نحو تشجيع الوان الفنون العديدة وذلك باطلاق الحريات التى تيسر للفنان العمل .

الهلال نشريات

أكثر من نصف قرن استغرقتها رحلة الدكتور سيد عويس وأمد الهلال بالعديد من المقالات القيمة وكتب خلالها ٢٥ كتابا ونحو ١٥٠ دراسة علمية واجتماعية من أهمـــها :

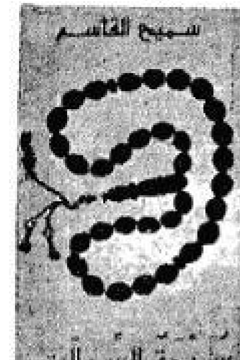
— الخلود فى التراث الثقافى المصرى
— حديث عن المرأة المصرية المعاصرة .
— التاريخ الذى أحمله على ظهرى .
— لا للعنف .

لقد وضع د . سيد عويس خبرته وعلمه أمام الاجيال القادمة ، عندما كتب سيرته الذاتية بقدر غير معهود من الصراحة والصدق ، والتى نشرت فى كتاب الهلال فى ثلاثة أجزاء .

وقال كلمته الاخيرة فى كتاب بعنوان « من وحى المجتمع المصرى » سيصدر فى كتاب الهلال خلال الشهر الحالى .

مكتبة الهلال

الكتاب : سبحة السجلات
شعر : سميح القاسم
الناشر : مؤسسة ا لـ ثـ قـ ا فـة الفلسطينية . ١١٦ ص



منذ ديوانه الأول « مواكب الشمس » الذى صدر عام ١٩٥٨ والشاعر الفلسطينى الكبير سميح القاسم لم يكف - على الرغم من شواغله السياسية العديدة - عن عطائه الشعرى ، وكتاباته النثرية التى تحمل روح شاعر محلق فى آفاق الخلاص من نير المستعمر حتى بلغت قائمة كتبه اثنين وثلاثين كتابا بالعد والحصر .

وديوانه الجديد هذا أشبه بعمل درامى واحد ، لم يتوقف فيه عند شكل قصيدة التفعيلة او القصيدة العمودية ، بل صاغ بناءه فى شكل جديد استلهمه من شكل بناء المنظومة الاسلامية ،

فالسبحة تكر ، لكن مدخل المنظومة يبدأ بـ

« الشرابة » .
خيوطك أم
شرابيني ؟ .
سألتك .
لاتجيبني .
ثم مقطع المآذنة المرتفعة كرسول على جبل غادرته القبائل فظل وحيدا يجادل .
ثم الشاهدان : الشرق والغرب ، والماء والنار .
الشرق والغرب : لا أهل ولا سكن ضاقت بكالروح ، فاخرج أيها البدن
والماء والنار : ضد الغد لازمه ولا فكاك
إذن فليقف الزمن
ثم ندخل الى رواقات السجلات الثلاثة والثلاثين ، لنجد أنفسنا في فيض شعرى دفاق ، من سجل الى سجل ، حتى يكتمل البناء في السجل الأخير ، سجل وردة الزمن الحاضر والأمل القادم .

الكتاب : عبدالناصر والمخابرات البريطانية
تأليف : محمد شكرى حافظ
الناشر : كتاب الحرية ، القاهرة
٢٠٢ ص . ٤ ج . م



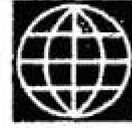
عمل مؤلف هذا الكتاب ضابطا ترقى حتى وصل منصب رئيس العمليات بهيئة الأمن القومى فى مصر .
وفى هذا الكتاب يحكى لنا حكاية مثيرة للغاية عن واحدة من أهم الإنتصارات التى قادها بنفسه وحققتها المخابرات العامة المصرية ، بكشف شبكة خطيرة للتجسس شكلها البريطانيون فى أعقاب قيام ثورة ٢٣ يوليو بقصد الإطاحة بنظام جمال عبدالناصر .
وبذكاء شديد يحكى كيف استطاع وبامكانات لاتكاد تذكر أن يعمل على كشف هذه الشبكة الخطيرة

الكتاب فصول من الصحافة الأدبية
تأليف : احمد حسين الطماوى
الناشر : دار الغرجانى ، القاهرة لندن ٣٤٠ ص .



هذا واحد من الجهود القليلة التى تناولت موضوع الصحافة الأدبية فى الوطن العربى مقارنة بعدد ما صدر من هذه الصحافة ، وخطورة الدور الذى قامت به .

يتناول المؤلف بالتحليل والعرض المجلات التالية ، واصحابها ، الموسوعات ، أنيس الجليس ، سركيس ، الزهور ، السياسة الأسبوعية ، المقتطف ، الأديب .
ثم يختم دراسته بدراسة تاريخية عن الصحافة فى الخليج .



العالم في سطور

كان

● ثورة وجنس وأكاذيب ●

كان ملصق مهرجان «كان» الدولي للفيلم (٤٢) هذا العام متفقا مع مناسبة الاحتفال بمرور مائتي عام على ثورة الرابع عشر من يوليه.

فقد استوحاه مبدعه «لودوفيك» من لوحة للفنان الفرنسي «ديلاكروا» معروفة تحت عنوان «الحرية تقود الشعب».

وهي في الملصق «ماريان» رمز الثورة الفرنسية تقود عشاق السينما رافعة بدلا من العلم المثلث الالوان، شريطا سينمائيا عليه لقطة من فيلم «نابليون» لصاحبه المخرج الفرنسي الراحل «آبيل جانس» الذي مثل فيه دور «سان جوست» احد مشاهير قادة الثورة.

ولو كان قد كتب «لجانس» ان يحيا حتى ايامنا هذه، لكان له من العمر مائة عام.

ومن ملامح المهرجان الأخرى في تحية الثورة فيلم «الحرية» وهو عبارة عن لقطات جمعها المخرج «لوران جيكوب» من خمسة وثلاثين فيلما عن الثورة انتجت في اوربا والولايات المتحدة على امتداد عمر فن السينما.

ولقد روعي في اختيار تلك اللقطات وتوليفها ان يتزامن تاريخيا ما تظهره من احداث مع احداث الثورة في الواقع.

هذا ولقد استغرق اعداد فيلم «الحرية» عاما او يزيد.



وربما كان من غرائب المهرجان أن السينما التي خرجت من حلبة المنافسة بنصيب الاسد من الجوائز الكبرى في عالم الثورة كانت السينما الأمريكية وليست السينما الفرنسية.

فجنس، اكاذيب، وشريط فيديو الذي فاز بالسعفة الذهبية، فضلا عن جائزة اتحاد النقاد العالمي، فيلم من اخراج شاب امريكي. «ستيفن سودر برج» ليس له من العمر سوى ستة وعشرين عاما.

وهذه هي المرة الأولى في تاريخ كان التي يفوز فيها فيلم من اخراج مبدع في مثل هذا السن المبكر بجائزة المهرجان الكبرى.

وكانت جائزتا احسن ممثل وممثلة من نصيب اولاد العم سام.

الاولى فاز بها "جيمس سبيدر" عن ادائه في «جنس.. اكاذيب..».

والثانية فازت بها «ميريل ستريب» عن دورها في فيلم «صرخة في الظلام».

وفوق كل هذا منح فيلم «القطار الغامض»

للمخرج الامريكي « جيم جارمش » جائزة احسن اسهام .

وما اعجب امر المهرجانات في سنوات الاحتفال بالثورات !!

باريس

● لوري الرقص يحيي الثورة ●

بمناسبة احتفالات الثورة .. كلفت الحكومة الفرنسية الفنان « موريس بيجار » بابداع باليه يتحدث عن الثورة بلغة الرقص .

ولقد افصح « بيجار » في احاديث مع اجهزة الاعلام ، عما في باله من خواطر وخيالات .

وفي الحق تخوف من سمعوا تلك الاحاديث من ان ينحدر الباليه الى مجرد محاضرة جافة عن البيئة ومايتهددها من اخطار ووعظ وارشاد حول العالم الثالث ومشاكله الجسام ، وتفسير لاعلان حقوق الانسان الذى اصبح في خبر كان .

حقا ثمة بعض من كل هذا في باليه



« ١٧٨٩ » .. غير انه .. بفضل براعة « بيجار » في الاخراج وحسه المسرحي الذى لايعلى عليه ، استطاع ان يوصل الرسالة الى الجمهور ، ويجعلهم مستمتعين بما انطوت عليه من مواعظ وارشادات .

فمثلا لم يقع في شرك اختيار « ماكسيميليان روبسبيير » او غيره من الثوار قادة للرقصات . وانما اختار مهرجين اثنين .

احدهما يهبط من السماوات .

اما الاخر فمرتد قلنسوة الثورة . وعلى طرف انفه مرسومة الكرة التقليدية بلون الدماء .

والباليه يبدأ بأصوات عاصفة رعدية مجسمة وبالاعيب ضوئية زرقاء . خضراء مسلطة من اربعمائة كشاف .

وليس من شك ان المؤثرات الضوئية الممتعة الاخاذة قد اسهمت في نجاح الباليه بنصيب كبير .

وبعد استهلال يبدأ برجال مرتدين سراويل عمالية قذرة ذات حمالتين ويدفعون الى امام بصناديق قمامة ينطلق من داخلها اطفال .

بعد ذلك يندفع الى خشبة المسرح صغار خلف مكنسة عملاقة .

وهنا يقوم المهرجان بوصف بعض احداث الثورة لهؤلاء الصغار .

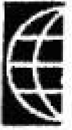
وسرعان مايختفي الصغار ولانرى لهم اثرا الا عندما نشاهدهم عائدين لاجتياح سجن الباستيل .

وطبعا في باليه كهذا كان لابد ان يظهر ممثلو الطبقات الثلاثة : البرجوازية النبلاء والاكليروس .

ثم لويس السادس عشر ينزل هو وماري انطوانيت درجات سلم القصر الكبير .

ويختلط الراقصون مرتدين ملابس الباليه او السراويل العادية بشخصيات الثورة المعروفة .

وبين الحين والحين



ينفرد الراقصون بالعرض ، فلا نشاهد الا رقصا مجردا على انغام مقاطع من سيمفونيات بيتهوفن الأولى والسابعة والثامنة والتاسعة .

ومن حسنات الباليه ان صاحبه « بيجار » لم يتح لروبسبيير فرصة الكلام طويلا .

لانه لو كان قد سمح له بذلك فاطال لاختل الايقاع ، واصاب الجمهور الاملال .

نيويورك

● ثورة حتى المقصلة ●



منذ مائتى عام والثورة الفرنسية تثير الكثير من القول كتب فيها المؤرخون القدماء ، وكتب فيها المحدثون واختلفوا فيما بينهم ، فبعضهم تحمس لها حماسا شديدا ، والبعض الاخر اتخذ منها موقفا معاديا .

وفى هذه الايام الاخيرة ، وبمناسبة الاحتفالات بالعيد المئوى الثانى لتلك الثورة اخرجت المطابع فى الولايات المتحدة مجلدا ضخما من تسعمائة وثمانى واربعين صفحة تحت عنوان "مواطنون" : وصف احداث الثورة الفرنسية ، من تاليف مؤرخ جامعة هارفارد « سيمون شماع » .

وبادىء ذى بدء احب ان الاحظ انه فى تفسيره لتلك الثورة يجنح الى التفكير المحافظ .

فهو يرى ان تجارة فرنسا وصناعات التعدين والمنسوجات ، كل ذلك كان فى ظل العهد القديم اى قبل الثورة فى حالة ازدهار على وشك الاثمار .

وفوق هذا فالعديد من المشروعات كان يدار بواسطة رجال من الارستقراطية اكثرهم اشترى الالقاب او حصل عليها بعرق الجبين .

وفى الحق . ان الطبقات العليا كانت متلهفة على الاندفاع بفرنسا نحو التحديث التكنولوجى .

ومن هنا ترحيبها بعقد مجالس الطبقات الثلاثة البرجوازية والنبلاء والاكليروس ، واقامة ملكية دستورية تستعين بها على تحقيق ماتريد من المارب والامال .

وعلى النقيض من ذلك كان الفقراء وقتذاك فهم الذين عادوا الجديد ، وبالتحديد قاوموا حرية التجارة والتسامح الدينى .

وربما كان من طرائف ماجاء فى كتاب « شماع » ان كلمة « ديمقراطية » كانت من الكلمات غير المستعملة فى اللغة الانجليزية قبل الثورة الفرنسية .

فهى لم تظهر فى لغة شكسبير الا بعد عام من العصف بسجن الباستيل .

كذلك كانت فكرة اليسار بمعنى مجموعة سياسية متميزة ، هذه الفكرة لم تظهر فى الحياة السياسية الواقعة الا عام ١٧٩٠ .

عقب ذلك بثلاثة اعوام ، واليسار قابض على زمام السلطة . والثورة قبل ان تدور بها

الدوائر منتصرة فى ذروتها . فى ذلك الوقت شبت ثورة فلاحين مسلحة فى شمال غربى فرنسا ، اجبرت جيش الجمهورية الجديد على شن حرب من نوع غير مألوف اسموها « الحرب الصغيرة » .

وهذه التسمية مصدر التعبير المستحدث « جيريلا » (مصغر حرب) بالفرنسية .

وهو تعبير نترجمه فى لغة الضاد الى حرب العصابات و« شماع » يقف فى سرده لوقائع الثورة فى تسلسل زمنى لايحيد عند اعدام « روبسبيير » (١٧٩٤) .

قبل تلك النهاية الماساوية تحدث صاحب الكتاب الملحمة عن قادة الثورة الذى اجتزت رءوس معظمهم بالمقصلة (الجيلوتين) تحدث عنهم بالاعاجيب .

فمثلا « كاميل ديمولين » الذى وهب نفسه للحرية والمساواة ، معبرا عن ذلك بقوله : (استطيع ان اموت وانا سعيد من اجل مثل هذا الهدف المجيد . واكتب بدمائى « فرنسا حرة ») .

كاميل هذا الذى خطب فى الجماهير مثيرا "الى السلاح .. الى السلاح الموت عندى افضل من الخضوع للعبودية » (١٧٨٩/٧/١٢) .

هو نفسه الذى كتب الى زوجته بعد ذلك بخمسة اعوام من غيابات السجن ، وقبل ان يذهبوا به هو وحليفه « دانتون » الى المقصلة ، فقال « حلمت بجمهورية لاحد الا ويقدسها لم يخطر ابدا على بالى ان الناس ممكن ان يكونوا على هذه الدرجة من الوحشية والظلم"

لندن

● ثورة ضلت الطريق ●

فى وصف ايام الثورة الفرنسية استهل الاديب الانجليزى « شارلز ديكنز » عمله الروائى الشهير « قصة المدينتين » هكذا :

« كان احسن الأزمان ، وكان اسوا الأزمان ، كان عصر الحكمة وكان عصر الجهالة ، كان عهد اليقين والايمان وكان عهد الحيرة والشكوك ، كان اوان النور وكان اوان الظلام ، كان ربيع الرجاء وكان زمهرير القنوط ، بين ايدينا كل شىء وليس بين ايدينا شىء فقط ، وسبيلنا جميعا الى سماء عليين وسبيلنا جميعا الى قرار الجحيم » .

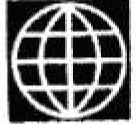


شارلز ديكنز

وقد يخيل ان هذه النظرة الى تلك الثورة قد تغيرت الان ، ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين .

ولكن نظرة يسيرة سريعة الى مايكتب فى الجرائد والمجلات الانجليزية بمناسبة عيدها المئوى الثانى تكفى لاقناعنا بان تلك النظرة لم تتغير .

او ان حظها من التغيير يوشك الا يكون



شيئا ولعل خير تاكيد لذلك تلك التاملات التى كتبها المؤرخ الانجليزى « روازى » بمناسبة ذلك العيد .

فماذا قال وهو يتامل ؟

قال من بين ما قال انها كانت حتمية ومرغوبا فيها اثناء مراحلها الأولى .

وفوق هذا فقد كانت ثورة لاتقاوم ، واية ذلك ماجاء على لسان « نابليون » من ان مقاومتها كان امرا مستحيلا .

وعلاوة على ماتقدم فهى لم تكن حدثا واحدا بسيطا .

بل كانت مجموعة من الاحداث المركبة ، اشبه بمد عارم مابرح يرتفع حتى غطت مياهه الارض ثم فاضت متجاوزة الحدود زاحفة على اراضى الشعوب الاخرى ، مستثيرة الحماس جنبا الى جنب مع الفزع والروع ، مستحثة التاييد والتنديد فى آن واحد .

ويشيع الان بين الشعوب المتكلمة باللغة الانجليزية الراى القائل بان الثورة الفرنسية كانت فى البداية حدثا له

مزايا اكثر من ان تحصى .

ولكن سرعان ماجرفها تيار العنف والتطرف والارهاب .

والسؤال هو متى حدث هذا التحول الرهيب ؟

ليما - بيرو

● الكاتب .. رئيسا للجمهورية ●

ترى ماذا يمكن ان يحدث لو اصبح كاتب رئيسا للجمهورية ؟

ماذا كان يحدث لو اصبح افلاطون رئيسا ، مثلا لجمهوريته . او توماس مور رئيسا للمدينة الفاضلة .. ترى هل كانت هذه الدولة ستقوم بصفاتها المنشودة .

الكاتب فى واد .. والسياسة فى واد اخر .. هذا ماأجمع عليه الكثيرون بشان انشغال الكاتب بالعمل السياسى التنفيذى .. لكن هذا الأمر قد يختلف كثيرا بشان الكاتب البيروقى المعروف ماريوبارجاس يوسا . فقد قرر ان يرشح نفسه رئيسا للجمهورية



ماريو بارجاس يوسا

فى الانتخابات الاخيرة فى بيرو .

ولاشك ان مثل هذا الحدث قد اثار العديد من التساؤلات . فالكاتب قد التزم فى اكثر رواياته بالواقع السياسى والاجتماعى فى امريكا اللاتينية وعرف المنفى والاضطهاد . ولم يتوقف يوما عن الابداع . ولاعن العطاء فى مجال السياسة .

وقد أجرت مجلة توفيل اويسرفاتور حديثا سياسيا مع الكاتب بهذه المناسبة قال فيه : "لم ادخل السياسة كى اصبح رئيسا للجمهورية . فهذه الوظيفة لم تعد شرفا فى بيرو . ولكنها اصبحت بمثابة خطيئة فهى محاطة دائما بالعنف . والفساد . ومن ناحية

اخرى . فانا اضحى بعالمى الادبى عند اقترابى من السياسة فغزو السلطة ، بل والسلطة نفسها ، يعنى تجاهل النشاط الادبى . وانا اعتبر نفسى دائما مفكرا فى مواجهة السلطة ولم اقف الى جانبها قط ، فهى التى تبعثنى على الكتابة بتصرفاتها غير الرشيدة . والايدولوجية صدقونى فاننى اعانى وانا اديب ، واعانى اكثر وانا رجل سياسة" .

ويقول يوسا انه قد اضطر الى قبول المغامرة . فقد ظل يكتب طوال ثلاثين عاما عما يحدث فى بيرو . عن امريكا اللاتينية عن الديمقراطية والحرية وقيم الغرب ، وعليه الان ان يطبق ماكتبه على الواقع الذى دافع عنه .

جنيف

● الديمقراطية والمسئولية فى الاسلام ●

احتفل الكاتب رجاء جارودى اخيرا بعيد ميلاده الخامس والسبعين . وبهذه المناسبة ، ووسط اهتمام الصحافة العالمية بالعد الاسلامى ، راحت مجلة « حدث الخميس » تجرى معه حديثا حول تحولاته العديدة فى حياته من الايمان بالشمولية الى الايمان بالاسلام ، وحصوله على جائزة الملك فيصل وفى سؤال طرحته المجلة لماذا انت اكثر اسلاما الان ؟ رد الكاتب :

اولا ، لان الاسلام القرانى وليس الاسلام الشائع عند الناس يعترف بجميع الانبياء السابقين كانبياء حقيقيين فى القرآن، يعتبر كل من ابراهيم وموسى . والمسيح من انبياء الاسلام ، وهذه امكانية كبرى لدخول كافة الاديان والثقافات فى عظمة الاسلام .

ويقول جارودى ان النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) قد تعرض مثل كافة الانبياء للمخاطر فقد كاد ان يقتل فى مكة ، وهاجر الى المدينة . وهناك اصبح زعيما بمعنى انه قام بسن القانون استلهاما من الله فهو يعلن دائما ان الله وحده اعلم .

وقد قارن جارودى بين القانون الاسلامى الذى جاء به القران الكريم وبين القوانين التى كانت موجودة فى تلك الآونة فى الدولة الرومانية ولدى المسيحيين كما اكد ان الاسلام هو فى المقام الأول دين مسئولية .

وفى سؤال عن الديمقراطية فى الاسلام ردا على ما قاله جان جاك روسو :

"لا يمكن ان توجد ديمقراطية فى بلاد الالهة » قال : لايمكن ان تتحقق الديمقراطية الا فى مشاركة الايمان بالقيم المطلقة . فالحياة غابة ، والمصلحة الشخصية تستخدم كمقياس . وماقاله روسو موجود فى القران . فقد احس روبسبيير جيدا ان الديمقراطية لايمكن ان توجد وسط جماعات ذات افكار مطلقة . ولكن وسط جماعات مؤمنة بفكرة . والدين هو اجمل واسمى الافكار .

مصر في الأدب العالمي

اجاثا كريستي

من عالم الجريمة إلى فلسفة الموت

بقلم: محمود قاسم

في احصائية ، نشرت اخيرا ، ثبت أن الكاتبة البريطانية اجاثا كريستي قد ترجمت اعمالها الى ٢٥٨ لغة . ولم يتفوق عليها في عدد اللغات سوى حكايات الرسوم المتحركة للفار ميكي ماوس ..

ولم تشر الاحصائية الى عدد المرات التي طبعت فيها روايات الكاتبة . ولاعدد الروايات المترجمة . لكن المعروف ان كريستي قد عرفت بغزارة انتاجها الروائي ، بالاضافة الى الاقبال الهائل على قراءة هذه الروايات في شتى انحاء العالم . ومهما اختلفت الاراء حول اهمية ما تكتبه كريستي . فانها تعتبر صاحبة اكبر رصيد في كتابة الروايات بين كتاب الرواية في جميع العصور قاطبة . حيث زادت اعمالها على الخمسمائة كتاب

● واذا تصورنا ان اية رواية من هذه الروايات قد طبع منها في طبعة واحدة ، باللغة الانجليزية ، ثلاثة ملايين نسخة ، لاستطعنا ان نتصور عدد النسخ المطبوعة في كل لغات العالم لكل هذا الكم الغزير من الروايات . ولأدركنا حجم القراء الذين يتعاملون مع ما تكتبه السيدة كريستي .

مثل هذا الامر يشير الى مدى ما


اجاثا كريستى وزوجها الاثرى ماكس مالوان

قراه العالم عن مصر والشرق العربى من خلال الروايات والمسرحيات المكتوبة فى اطار هذا العالم الرحب . وهى اعمال ادبية ، بوليسية ، بدا فيها مدى شغف الكاتبة بحضارة الشرق وواقعه المعاصر . ومدى حبها له وايمانها به .. بل وجنونها بما حققه الشرق للانسانية جمعاء ..

فمن المعروف ان اجاثا كريستى قد رافقت زوجها الاثرى ماكس مالوان الى منطقة الشرق الاوسط بين عامى ١٩٣٠ و ١٩٣٢ . فاقامت بصفة خاصة بين كل من سوريا والعراق ومصر وقد أحبت هذه المناطق بتواريخها القديمة والحديثة . واهتمت بقراءة التاريخ . ونقبت عن الاثار وشاركت فى جمع التحف الأثرية . ثم نشرت عن هذه البلاد قرابة سبعة كتب منها روايتان عن العراق هما "موعد فى بغداد" و "جريمة فى العراق" . وعن سوريا نشرت "موعد مع الموت" التى تدور احداثها بين عمان والقدس ودمشق . وعن مصر نشرت رواية "موت على النيل" عام ١٩٣٧ . و "الموت يأتى فى النهاية" ١٩٤٢ . ومسرحية "اخناتون" بالاضافة الى العديد من الروايات جاء فيها ذكر مصر بشكل مباشر

□ تدور وقائع الروايات البوليسية حول جريمة قتل واحدة . او جرائم متعددة متلاحقة . يرتكبها فى الغالب شخص واحد . لاتعرف هويته . او دوافعه للقتل سوى فى الصفحات الاخيرة من الرواية . ولذا فإن الغموض هو الكيان المهيمن على كل احداث الرواية . ولاينكشف قط من هذا الكيان سوى فى السطور الاخيرة للرواية ..

□ تدور احداث هذه الروايات ، فى اغلب الاحيان ، فى مجتمع مغلق ، ومن خلال شخصيات متعددة جاءت الى هذا المكان مصادفة أو جبراً . حيث تبدأ الشبهات فى ان تحط نفسها فوق اكثر من شخص . وتصور الروايات كلا منهم وكأنه الجانى الحقيقى . وعندما تظهر هوية هذا

الجانى ، فانه يكون ، غالبا ابعد الناس عن مواطن الشبهات .

وقد يكون هذا المكان قطارا ، او سفينة ، او عوامة ،أو منزلا ، او طائرة ، او مدينة صغيرة جدا .. وفى الروايتين اللتين سنتعرض لهما من اعمال كريستى . تبدو هذه السمات واضحة تماما . فهناك رواية تدور أحداثها ، فوق عوامة تنقل مجموعة من السائحين فوق نهر النيل . أما الرواية الثانية ، فتدور احداثها فى بيت الكاهن امحوتب إبان الاسرة الحادية عشرة بمدينة طيبة ، عاصمة مصر فى تلك الآونة .

□ نتيجة لغزارة إنتاج الكاتبة ، لم يكن بمقدورها ان تحصر جرائم ابطالها داخل البيوت اللندنية ، لذا راحت تستفيد من رحلاتها فى انحاء العالم كى تصور وقائع جديدة لجرائم فى كل من بغداد والاقصر وطيبة . واسطانبول ، وباريس . ورغم ذلك فان هذه الجرائم بريطانية الجنسية . بمعنى أن المدن المذكورة آنفا وغيرها ، لم تكن فى هذه الروايات سوى ديكور خارجى . قد لا يهم كثيرا . أما اشخاص هذه الروايات فهم من البريطانيين الذين جاءوا الى هذه البلاد فى رحلات عابرة . سواء فوق نهر النيل ، او دجلة . او فى قطار الشرق السريع ، وسوف نرى ان



موت على النيل

روايات "جريمة على النيل" و "موعد فى بغداد" و "جريمة فى العراق" و "موعد مع الموت" قد خلت تماما من اى اشارة او ذكر ، للوطنيين فى هذه البلاد ..

□ الكثير من الادباء الذين كتبوا عن مصر كانوا اسرى للتاريخ الفرعونى . حيث راحوا يتوغلون فيه على أساس انه ينفصل تماما عن مصر الحديثة . مثلما فعل ميكافالتاراى (فنلندا) ، بولين جدج (كندا) ، الا أن اجاثا كريستى قد كتبت عن مصر المعاصرة مثلما كتبت عن أرض الفراعنة ورغم انها تعاملت مع مصر الحديثة كأنها سائحة لم تشاهد من البلاد ، سوى النيل من فوق سطح عوامة تضم مجموعة من الاثرياء



ليست للموت نهاية

البريطانيين فى رواية "موت على النيل" ، فإنها فى رواية "الموت يأتى فى النهاية" ، المنشورة فى روايات الهلال تحت اسم "غادة طيبة" وأيضا فى مسرحية "اخناتون" قد دخلت البيت المصرى القديم ، وتوغلت فى اروقته ، وعاشت مع افراده الكثيرى العدد . وبدت كأنها واحدة منهم .

● عندما ماتت المليونيرة

هذه هى السمات العامة لروايات اجاثا كريستى بصفة عامة . وللروايات المكتوبة عن مصر والعراق بصفة خاصة . ويهمنا هنا ان نتناول كل رواية منها فى ضوء هذه الملامح ، فالشخصية الرئيسية فى رواية "موت على النيل" هى المليونيرة الشابة لينيت ريدجواى ، التى تتزوج من شاب لايملك سوى وسامته . وبعد ان اقتلعته من خطيبته التى كانت تتصور انها تملكه بكل ما لديها من عواطف جياشة . وفى رحلة شهر العسل التى قضتها بين اروقة المعابد ، وفوق باخرة متجهة من أسوان الى الجنوب ، تفاجأ انها محاطة باشخاص عديدين يكرهونها ويتمنون لها الموت .. منهم جاكلين خطيبة سيمون السابقة واندرو ، الوصى عليها ، وفرجسون السياسى المتطرف الذى لا يميل الى الاثرياء وآخرون وفى منتصف الرواية يجد المفتش بوارو نفسه امام جريمة منتظرة . تقتل فيها المليونيرة الشابة . ويبدأ فى التحرى . وكلما توغل فى البحث عن القاتل . تحدث جريمة جديدة حتى يتوصل الى المجرم الحقيقى ، كالعادة فى السطور الاخيرة من الرواية .

ولان رحلة المليونيرة الشابة بدافع السياحة فى المقام الاول فان الكاتبة تتحدث عن مصر وكأنها مجرد ديكور مسرحى جميل ، تحدث فوق نيلها جريمة بريطانية الجلد واللحم . فكل الاشخاص الذين يقلون المركب ليسوا سوى فوج سياحى بريطانى .. ويمكن لهذه الجريمة ان تحدث فى اى مكان آخر فى العالم بنفس وقائعها .. فوق صفحة اى نهر .. لكن الكاتبة اختارت مصر ، لما تكنه لها من اعجاب باد من ناحية ، ولرغبتها فى تغيير ديكور رواياتها من ناحية اخرى ..

وفى هذه الرواية ، مثل كل روايات



الكاتبة ، حرصت اجاثا كريستى على صناعة حبكة متقنة بصرف النظر عن سمات المكان او الاشخاص الذين يعيشون فيه . وهى تدرك تماما ان قارئى هذه الروايات قد لايهمهم كثيرا شكل الديكور الخارجى للأحداث . بقدر الاهتمام بدوافع او وقائع الجريمة . الا ان هذا الامر قد اختلف تماما بالنسبة للفيلم الذى اخرجه جون جيلرمين عن الرواية عام ١٩٧٩ . فقد حرص المخرج ان تدور أحداث الفيلم فى منطقة "الاهرامات وابو الهول" . وهى غير موجودة فى الرواية الا لماما .

وتختلف وقائع ، وعالم رواية "الموت يأتى فى النهاية" تماما عن الرواية السابقة . فهى تدور بأكملها فى التاريخ المصرى القديم . فى الفترة بين عامى ٢٠٦٠ و ٢٠٥٦ قبل الميلاد . وقد جاء فى مقدمة الطبعة الفرنسية من الرواية التى ترجمت الى "ليس للموت نهاية" ان الكاتبة قد استمدت هذه الرواية من بعض البرديات المتعلقة بالوزير المصرى ايبى . وعرفت ان هناك جريمة ما قد حدثت فى عهده . ومن هنا راحت تنسج خطوط الرواية التى تدور فى بيت الكاهن امحوتب ، الذى عاد ذات يوم الى منزله بصحبة فتاة تدعى نوفريت .

ورغم أن الرواية تنتمى الى النوع البوليسى . فان الكاتبة قد وضعت فيها كل ما استطاعت ان تحصله من قراءات عن مصر القديمة حيث وصفت العلاقات الاجتماعية بكل دقة ودور المرأة فى قيادة البيت المصرى . متمثلة فى رنزنب ابنة امحوتب التى مات زوجها . فكان عليها ان تعود الى بيت ابيها لتعيش فيه وتديره ، وقد كشفت الكاتبة ، من خلال منظورها ، عن العلاقات المتشابكة فى بيت مصرى قديم به العديد من الاشخاص ، كما استطاعت ان تعبر بكل صدق ووضوح عن مشاعرها تجاه مصر . فى عبارات واضحة .. من خلال ماردده حورى وكيل اعمال امحوتب .. وهو وطنى مخلص ومعجب بمصريته : « اننا ، نحن المصريين شعب عجيب اننا نحب الحياة ولذا نشرع مبكرين فى التأهب للموت ، وفيه تنفق ثروة البلاد . فى تشييد الاهرام . والمقابر وصرف هبات القبور .

ويقول حورى ايضا ، فى نفس الحوار الذى دار بينه وبين نوفريت "لانك مصرية صميمة فأنت تحبين الحياة . لانك تشعرين احيانا بظل الموت قريبا منك" . ثم قوله لها : «ان مصر كلها مشغولة بفكرة الموت . لأن لنا عينين فى اجسامنا . ولكن ليس لنا عينان فى عقولنا . ونحن لا نقدر ان نفكر فى حياة أخرى بعد الموت . وانما نتصور استمرار هذه الحياة التى نعرفها» .

وسوف نرى أن الكاتبة استخدمت

نفس العبارات والاجواء فى مسرحيتها عن اخناتون . كما انها وصفت شعائر الموت والدفن والتحنيط بشيء من التفاصيل فى روايتها . لدرجة كادت ان تبعدها عن الخط البوليسى العام للرواية . مثلما ابتعدت عن الحبكة الدرامية فى المسرحية وقد دفع هذا بالناقد موريس كونستنتان وبير أن يؤكد أن هذه الرواية ليست عملا بوليسيا بالمرة . ولكنها رواية نفسية ممتازة . حيث تم رسم الشخصيات بمنتهى الدقة وبإبهار بالغ . «أضيف أيضا اننى عندما ما قرأت هذا الكتاب ادركت السبب الذى تتمتع به اعمال اجاثا كريستى بأهمية . اسباب تفلت منا بصفة عامة لاننا اعتدنا ، ونحن نقرأ الروايات البوليسية الا نهتم سوى بالحبكة . اما هذه فقد فتحت عينىّ على تلك المواهب النفسية التى لايروح اليها فكر الانسان العادى . ولكننى لاحظتها رويدا رويدا . وكأن روحى قد اغتصبت من خلال رواية كبيرة .

ومن المؤكد ان هذه الرواية هى اكثر اعمال كريستى عمقا واهمية . فرغم ان كل اعمالها تدور حول الموت والجريمة . فأنها لم تناقش مسألة الوجود والعدم . والموت المتصل ، عنقوديا بالحياة الا فى هذه الرواية . وهكذا فأن قراءات الكاتبة فى تاريخ مصر قد جعل من ادب الكاتبة اكثر اهمية .. وقد بدا ان الكاتبة تود ان تستفيد من هذه القراءات فى مسرحية "أخناتون" حيث استعانت فى اغلب الحوار بالاناشيد الشعبية والتراتيل الكهنوتية المعروفة فى التاريخ المصرى . وفى هذه المسرحية بدا اعجاب كريستى ، ليس فقط بداعى التوحيد اخناتون .. بل بالشعب المصرى .. وحضارته مثل العبارة التى جاءت على لسان كبير الكهنة : «فمصر تحتاج الى مواهب شتى لدى ابنائها ، فهى تنشد لدى كهانها الحكمة والعلم ، اما لدى جنودها ، فتنشر الذراع القوية ..

وفى نفس الحوار يرد حور محب على الكاهن قائلا : «فمصر قد فتحت العالم ، والسلام يعم الامبراطورية بأسرها» وفى مكان آخر قد يردد نفس الشخص «... فنحن الآن متقدمون ، ومصر تقود العالم فى ركب التقدم ، والاستنارة ، ولنا امبراطورية ...»

والمسرحية مليئة بمثل هذه العبارات عن مصر والمصريين بشكل مكثف ، ربما اكثر من اى عمل روائى آخر للكاتبة .. وربما هى من المرات القليلة التى تبتعد فيها المؤلفة عن الكتابة البوليسية . وكأنها ارادت ان تعبر عن انطباعاتها تجاه اخناتون وفكره .. وجاء ذلك على حساب الحبكة من جديد

استطاعت كريستى ، اذن ، بهذا الحب ، والاعجاب ، ان تنقل للملايين من القراء فى العالم اجمع الوجه المشرق عن مصر .. وحاولت جاهدة ان تمحو بعضا من الصورة غير الحقيقية التى حاول الكثيرون إلصاقها بمصر ، سواء قديما ، ام حديثا ..

• مسحوق الايحاء الانساني

قام خبير « التخدير النفسي » اناتولي كاسبيروفسكي خلال جراحة كبيرة في ساقي احد المصابين ، بتخدير الساقين بالايحاء عن بعد !! والطريف ان المصاب لم يتناول اية مسكنات خلال فترة مابعد الجراحة بينما كان تناول المسكنات يستمر فترة اسبوع بعد الجراحات المشابهة لشدة الالام التي يعانيها المريض ..

وقد عبر كاسبيروفسكي عن سعادته لاختبار الافكار التي استخلصها خلال عمله مايزيد على ربع قرن في حقل الطب النفسي ، واكد على امكانية اتمام « الضبط النفسي » عبر مسافات هائلة مما يجعل فكرة الايحاء عبر القارات ، بل ودون اعتبار للخواطر اللغوية ـ امرا ممكنا !!

ويقول اناتولي كاسبيروفسكي ان مايهمني كطبيب ليس التخدير بالإيحاء بل التاثيرات العلاجية التي يمكن ان تنشا عنه ـ الايحاء ـ فقد سمعنا عن حالة السيدة المسنة التي اختفت الجلطة التي تعاني منها بتاثير الايحاء فما هي الالية العلاجية في مثل حالتها ؟ لقد اعتدنا الحديث عن « العقاقير النباتية » فماذا يأترى عن « العقاقير البشرية »؟ فالمعروف من قديم الزمان ان جسد الانسان يقوم بتركيب مواد مثل الانسولين والهرمونات والانتيرفيرون .. فماذا لو قمنا بالبحث عن اليات تكوين الجسم نفسه لبدائل الادوية التي نتناولها ؟

ويقوم هذا الطبيب حاليا بعلاج امراض مثل سلس البول والربو الشعبي والسمنة عن طريق الايحاء ، وهو يؤكد « ان مصنع الادوية » الموجود داخل جسد كل منا ثري للغاية ويمكن ان يكون وفير الانتاج ايضا .. فهل يفلح في الامتداد « بمساحيق الايحاء الانساني » حتى تزاحم المساحيق الدوائية الكيميائية التي تضر الجسد البشري ربما بقدر ماتفيده ٠

• اللغة العربية والكمبيوتر

تطور البحث عن المعلومات بواسطة الكمبيوتر من مجرد البحث عن معلومة رقمية ليشمل البعد اللغوي .. فيمكن الان البحث عن كلمة « مصر » في نصا ما ـ او مجموعة من النصوص ـ بصورتها المجردة وبكل اللواصق (مثل بمصر) واللواحق (مثل مصرا ، مصريون) كما يمكن البحث عن اي كلمة او كلمات اخرى .

وقد انجز « المعالج » الذي يمكن الكمبيوتر من القيام بهذه المهمة د .

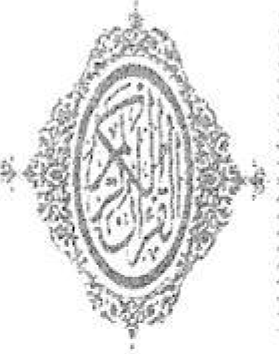
نبيل على ، واطلق عليه اسم المعالج الصرفي المتعدد الاغراض .. ويشكل هذا المعالج قفزة باهرة في مجال تعامل الكمبيوتر مع عمق اللغة العربية على نحو اصيل بعيدا عن السطحية الناتجة عن شف تجارب من لغات اخرى تفترق كثيرا عنها .

ذلك انه يراعي ماتتميز به الكلمة فى العربية عنها فى اللغات الاخرى ، وبالذات من حيث خضوعها للاشتقاق الصرفي او التشكيل النحوي فان كلمة (قرأ) مثلا يتفرع منها اشتقاق وجمع : قارئان ، قراء ، مقروء ، قارءات قرآن ، قراءة ، قارئيه .. الخ على عكس مقابلها في الانجليزية (read)اذ لايشتق ولايتوالد عنها الا عدد محدود مثل reader قارىء reading قراءة ، readable مقروء .

ومن يتمعن فى هذين المثالين يجد ان جذر الكلمة الانجليزية read ظل دون تغيير بينما انصهر جذر الكلمة العربية « قرأ » بالاضافة الى ماتعرض له من سوابق ولواحق .

ومن هنا كان من المستحيل ان يؤدى التزام الحلول التي جرى التوصل اليها مع اللغة الانجليزية لنتائج لها قيمتها مع اللغة العربية ، لعدم تعرض بنية الكلمات الانجليزية لتغييرات جذرية مثل العربية .

وتقوم فكرة المحلل الصرفى الذى توصل اليه « د . نبيل على » على تحليل كلمات اى نص تحليلا صرفيا

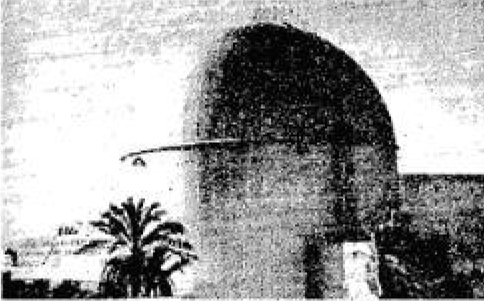


فيقوم بتفكيك كل كلمة منه فيفصل جذعها عما يتصل به من السوابق (الادوات والحروف) واللواحق (الضمائر المتصلة وزوائد التصريف وعلامات الاعراب) وكمثال فان كلمة « متشاكسون » يحللها الكمبيوتر فيحدد جذر الكلمة « شكس » كما يحدد انها مصوغة على وزن متفاعل بزيادة « ون » دلالة الجمع والرفع ويتم تخزين الكلمة بموجب رقم الجذر والوزن الصرفى مضافا اليه « ون » على شكل مجموعة من المعادلات الرياضية ، وعند الاستدعاء يحولها الكمبيوتر الى مقابلها اللغوى فيستدعى « شكس » ويصيغه على وزن متفاعل ثم يضيف الواو والنون ..

وقد اختبرت صلاحية هذا المحلل الصرفى من خلال تخزين نص القرآن الكريم واستعادته حيث امكن اختصار حجم حفظ نص القرآن بنسبة ٧٠٪

واسفر الاختبار عن نجاح باهر تمثل فى برنامج يتعامل مع النص القرانى بالبحث عن الكلمات والجمل والموضوعات ومعانى الالفاظ .. اقره الازهر الشريف .

وبتوفر هذا المعالج الصرفى اصبح دخول العربية عالم المعالجة الآلية امرا ممكنا فبالاضافة الى ضغط النصوص العربية وحفظها واسترجاعها سيمكن المحلل من تصحيح الاخطاء الاملائية وتحليل النصوص ودعم التشكيل التلقائى لها ، كما يتيح فرصة انشاء قواعد بيانات تتضمن النصوص الكاملة وفرصة ميكنة المعاجم العربية .



اللجوء الى المحطات النووية انها محطات الطاقة الوحيدة التى لاينبعث نتيجة تشغيلها غاز ثانى اكسيد الكربون وغيره من الغازات التى تلوث البيئة .

• المحطات النووية والبيئة

طبقا للاحصائيات التى اصدرتها الوكالة الدولية للطاقة الذرية شهد عام ١٩٨٨ تشغيل ١٢ مفاعلا نوويا جديدا لانتاج الكهرباء فى سبع دول ليصبح اجمالى المفاعلات النووية التى دخلت طور التشغيل على مستوى العالم ٤٢٨ مفاعلا نوويا تسهم فى انتاج الكهرباء بنسبة ١٦٪ من الانتاج العالمى (٥٠ - ٧٠٪ فى بعض الدول)

ووسط حملات المحافظة على البيئة يبرز بين العوامل التى تساق لتعزيز

• المشورة العلمية للرؤساء

صارت الاعتبارات العلمية التقنية جزءا لايتجزأ من كل قضايا عالمنا المعاصر ، سواء كان ذلك فى مضمار التعليم او البيئة او الرعاية الصحية او التنافس الاقتصادى بين الدول .

ومع موجة الحوادث التقنية المتصاعدة فى عالمنا : تشرنوبل ، مكوك الفضاء تشالنجر ، انفجار خط الغاز السيبيرى .. لابد وان يراود الناس تساؤل حول مدى سلامة سبل تقديم المشورة العلمية للمسئولين الذين يقرون البرامج التقنية .

وقد نشرت مجلة العلوم الامريكية دراسة حول تقديم المشورة للرئيس الامريكي كشفت عن غياب نظام فعال يمكن البيت الابيض من تلقي المشورة حول قضايا العلم والتقنية ، وبينت ان العمل في مضمار برنامج حرب النجوم استمر دون اعتبار لوجهات نظر الخبراء وان الحكومة احجمت عن اتخاذ الاجراءات اللازمة لحماية البيئة على الرغم من الادلة العلمية المتزايدة على التدهور البيئي وان كثيرا من البرامج التقنية الامريكية القومية الطابع ، تفتقر الى الاشراف العلمي المناسب ..

بل وكشفت الدراسة ان اقرار السياسات التقنية يجري تحت ضغط قيادات برامج تقنية كبيرة ، ومجموعات ذات مصالح في البرامج التي تقوم بها الادارة الامريكية وكلا الفريقين يفضلان الا يتلقى الرئيس مشورة علمية من خارجهما .

وتشير الدراسة الى الموقف الحرج الذي وجد الرئيس ايزنهاور نفسه فيه حين فوجيء العالم باطلاق الاتحاد السوفييتي لاول قمر صناعي عام ١٩٥٧ حيث اسس في البيت الابيض منصب المساعد الخاص للعلم والتقنية ، الذي طور نظاما لتقديم المشورة التقنية للرئيس .. لكن نيكسون سرعان ما الغاه علم ١٩٧٢ حين تعارضت التوصيات العلمية مرارا مع مراميه السياسية .

وبينت الدراسة ان « المؤتمر الدستوري » الامريكي اعطى الرئيس

ايزنهاور

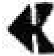


مسئوليات كبيرة دون ان يدخل في تفاصيل كيفية حصوله على النصح والمعونة ذلك ان المؤتمر لم يتوقع ان يصبح العالم على صورته الحالية من التعقيد ..

الجدير بالذكر ان دراسة مجلة العلوم الامريكية جاءت في اطار نقاش يستهدف ايضاح ضرورة التزام الرئيس الامريكي بوش باراء مكتب سياسات العلم والتقنية التي كان ريجان يضرب بها عرض الحائط وبالذات في مشاريع تقنية هامة مثل برنامج حرب النجوم او ادخال تعديلات وراثية على الانسان ..

• الليزر يسلك الشرايين

انتشرت على نطاق واسع امراض ضيق الشرايين نتيجة اكتسائها من الداخل بطبقة شحمية .. ويتسبب مثل هذا الضيق في اقلال كمية الدم التي



ينقلها الشريان الامر الذى يؤدى الى عواقب وخيمة حين يتصل باعضاء حيوية مثل الدماغ والقلب .

وفيما يخص القلب كان الاطباء يعتمدن الى حد بعيد على جراحة فتح القلب واستبدال قطعة من احد شرايين ساق المريض بجزء الشريان الذى ضاق .. وهذه العملية وان كانت ناجحة الا انها تنطوى على نسبة كبيرة من مخاطر الجراحة عامة ، ولهذا السبب سعى الاطباء الى ايجاد وسائل لازالة ضيق الشرايين - والتاجية منها بالذات - دون الحاجة الى فتح الصدر .



وأحد هذه الوسائل هى دفع بالون صغير داخل الشريان حتى المنطقة المصابة بالضيق ، ونفخ البالون بسرعة الى ضغط معين وإبقاؤه لفترة من الزمن تنكبس خلالها المادة المسببة للضيق على جدار الشريان فيزول الضيق ورغم سهولة هذه العملية واتمامها فى وقت قصير تحت تاثير التخدير الموضعى ، فقد ظهرت لها عيوب عديدة اهمها فشل الطبيب فى بعض الاحيان فى تمرير البالون عبر المادة المسببة للانسداد وعودة الانسداد مرة اخرى فى كثير من الحالات بعد اجراء العملية .

وقد بدأ الاطباء تلافيا لذلك فى استخدام الليزر فى عمليات تنظيف الشرايين « المسدودة » ويتميز اسلوب الليزر بانه يخترق الانسداد اختراقا تاما مزيلا كل بقاياه دون اى فتات يمكن ان يتراكم ويسبب انسدادا اخر . ويعمل شعاع الليزر من خلال ليف بصرى يمرر داخل الشريان الى نقطة الانسداد وتكمن صعوبة هذا الاسلوب فى ضرورة تصويب الشعاع بدقة كبيرة وتوقى عدم خرق جدار الشريان عن طريق الخطا .

● وصفات من أجل الموت

صدر فى الولايات المتحدة اخيرا كتاب « وصفات من اجل الموت : تسميم

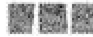
العالم الثالث ، الفه ثلاثة من العلماء المطلعين فى مجال تجارة الدواء لبلدان العالم الثالث حذروا فيه من تصدير الادوية الزائفة والخطرة الى هذه البلدان بما يجعلها مقلبا لنفيات شركات الدواء العالمية .

ويعزز ما اشار اليه الكتاب النقاش الذى دار حول الموضوع فى البرلمان الاوربى ، وانتهى بما يشبه الاجماع الى ضرورة تشديد الشروط المفروضة على تصدير الدواء خارج حدود اوربا .. وكذا النداء الذى وجهه البابا يوحنا حين قال ان الادوية تثير مشكلات خطيرة من حيث صناعتها واستعمالها وامكانية وصولها الى كل المرضى من اى بلد كانوا .. وواضح انه يجب اخضاع الادوية لقانون اخلاقى متشدد جدا .

وكانت مناقشات البرلمان الاوربى قد كشفت ان العالم الثالث كثيرا مايتلقى من شركات الدواء انواعا ضارة (بسبب اثارها الجانبية) يمنع استخدامها فى البلدان التى تنتجها ، كما يتلقى ادوية انتهت مدة صلاحيتها وادوية لايمكن حفظها لوقت طويل وخاصة فى المناطق الحارة ، وكميات كبيرة من بعض الاصناف بلا مبرر .

ولعله يلقى الضوء هنا ان ماينفق على شراء الدواء وغيره من المواد الصيدلية تصل الى ٢٦٪ من ميزانية زامبيا ، ٤٤٪ من ميزانية نيبال ، ٦٠٪ من ميزانية بنجلاديش بينما لاتتجاوز ميزانية الدواء فى البلدان التى تنتج الدواء ٨ ـ ١٠٪ من ميزانية الصحة .. وكثيرا مايتدخل عاملا الفساد والرشوة فى شراء كميات مبالغ فيها من الدواء .

اغرب مافى الامر ان القضايا التى تفضح التعفن الاخلاقى والتجارى التى تضرب العالم الثالث فى الصميم ، مثل قضايا تسريب النفايات و .. مازالت تثار فى الاوساط الغربية المستنيرة اكثر مما تثار فى بيت الضحية (العالم الثالث) ويبين ذلك عمق الحاجة لا الى سياسات دوائية تناسب الحالة الاقتصادية والصحية لسكان العالم الثالث فقط ، بل الى تأسيس الانظمة والقوانين التى تمكن من تنفيذ هذه السياسات ، ذلك بالاضافة الى التغلب على ضعف القدرات العلمية والتقنية بحيث لاتتحول بلدان العالم الثالث الى هدف سهل لشركات الدواء . ولعل المنظمات الصحية العالمية وأوساط الغرب المستنيرة تساهم بنصيب فى هذا المجال .



بقلم: حسين أحمد أمين

الغزالى

١٠٥٨ - ١١١١ م

اعظم عالم دينى فى الاسلام ، ومن اهم الشخصيات فى تاريخ الفكر الدينى كله . وربما كان هو وصلاح الدين الايوبى احب شخصيتين اسلاميتين الى المسيحيين الغربيين الذين يعتبرونهما اقرب المسلمين الى المسيحية ..

كانت الحياة الفكرية فى العصر الذى شهده الغزالى مضطربة قلقة ، موزعة بين المحافظين من علماء الدين القانعين بالقرآن والحديث ، والعصريين التقدميين الذين لا يرون ضيرا فى الاقتباس من المذاهب الفلسفية والعقلانية ، والمعتزلة الاخذين عن الفلسفة اليونانية ومنطق أرسطو ، والشيعة الباطنية الذين رأوا للنصوص الدينية تفسيرا باطنيا لا يدركه الا الصفوة ، والظاهرية التى لا تعترف الا بالتفسير الحرفى لهذه النصوص ، والصوفية التى تؤمن بأن معرفة الله تتاتى لطالب الحقيقة بواسطة نور داخلى ، لا بواسطة العقل او باتباع السنة .. كل هذه الفئات كانت تتجاذب الفكر الاسلامى فى زمن الغزالى .

كتب يقول : « ولم ازل منذ راهقت الى الان وقد اناف السن على الخمسين . اقتحم لجة هذا البحر العميق ، واستكشف أسرار مذهب كل طائفة : لا اغادر باطنيا الا وأحب ان أطلع على بطانته ، ولا ظاهريا الا وأريد ان اعلم حاصل ظهارته ، ولا فلسفيا الا واقصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكلما الا واجتهد فى الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ، ولا صوفيا الا وأحرص على العثور على سر صوفيته ، ولا زنديقا الا

في التاريخ الإسلامي



وأتجسس وراءه للتنبيه لاسباب جرأته وزندقته . وقد كان التعطش الى ادراك حقائق الامور دأبي وديدني من ريعان عمرى غريزة وفطرة من الله تعالى وضعها فى جبلتى ، لا باختيارى وحيلتى » وفى موضع آخر : « طلبت العلم لغير الله، فأبى العلم الا أن يكون لله » .

كان يقر الفلاسفة على اخذهم بالمنطق الاغريقي ، لا سيما القياس المنطقي عند أرسطو ، بل وراح يبرر استخدام المنطق في علوم الدين والشرع . غير انه خالفهم فى اعتقادهم ان بامكان الفلسفة أن تصل مستقلة الى الحقائق الدينية ، وأن العقل وحده هو الهادى الى الحقيقة .. وكان يحترم السنة وظاهر الشريعة ، غير انه رأى ان علماء الدين يهتمون بالظاهر وبالامور الثانوية اكثر مما يهتمون بالباطن والامور الجوهرية . وكان يرفع من شأن الصوفية وتجاربها الروحية ، ويقول مع أصحابها : « رب

ان كنت أعبدك خوفا من جهنم فالقني في جهنم ، وان كنت أعبدك طمعا في الجنة فاحرمني من الجنة ، أما اذا كنت أعبدك لذاتك فلا تمتنع عني جمالك الاسنى » . غير أنه كان شديد النقد في الوقت نفسه لغلاة الصوفية القائلين بنظرية الحلول والاتحاد بالله .. وبموقفه هذا استطاع الغزالي أن يجعل من السنة ومن الفلسفة ومن الصوفية نظاما واحدا منسجما ، وأن يقنع علماء الدين بالرضا عن الصوفية وعن منهج الفلاسفة في التفكير المنطقي المنظم ، وأن يعيد الصوفية الى الانصياع لظاهر الشريعة ، وأن يكبح جماح الفلاسفة في ركونهم المطلق الى العقل

أهم كتبه « احياء علوم الدين » الذي يقول بعض الفقهاء عنه وانه لو اتلفت جميع الكتب التي الفت عن الاسلام وسلم منها هذا الكتاب لاستعاض الناس به عن فقدها . يليه « المنقذ من الضلال » الذي سجل فيه سيرته الذاتية ، ويصف ما لقيه في رحلته الروحية من القلق النفسي والاضطراب الفكري قبل أن يصل الى الايمان واليقين ، والى مفهوم عن الدين باعتباره حياة روحية وأعمالا صالحة ، لا مجرد طقوس وشعائر وعبادات شكلية .

كان الغزالي ذا عقل متحرر شغوف بالمعرفة واستكشاف الحقيقة، مع جراة دفعته الى الاخذ بأمور تخالف ما اصطلح عليه جمهرة العلماء ، كتأييده لاستخدام الموسيقى أداة للتعبد والورع ، واعتقاده أن ملاذ الجنة ملاذ روحية لا مادية ، ونظرته السمحاء الى المسيحية والمسيحيين ، ورفضه لعن الخليفة الاموي يزيد بن معاوية قائلا « ان كل مسلم يلعن أخاه المسلم يجب أن يلعن » .. الى اخره ..

والخلاصة ان سعى الغزالي الخالص المخلص من أجل بلوغ المثل الاعلى في الدين ، وما كان يتحلى به من نبل في الخلق ، وزهد وتقشف ، وسماحة وسعة صدر ، أمور تؤهله لان يحتل مكانة رفيعة في قائمة القديسين الذين شهدهم تاريخ البشرية .

جلال الدين الرومي

١٢٠٧ - ١٢٧٣ م

شاعر وصوفي فارسي ، هو اكبر شعراء الصوفية في الشرق والغرب ، وواحد من شعراء الإنسانية الأفذاذ . اسسّ طريقة المولوية (الدراويش الراقصون) التي جعل للموسيقى في محافلها محلا ممتازا . ويلقّب عادة بلقب مولانا .

ترك اثرين خالدين : الديوان (في نحو ستة وأربعين

الف بيت) ، والمثنوى (فى خمسة وعشرين الفا وسبعمائة بيت) . فاما الديوان فقصائد متفرقة مستقل بعضها عن بعض ، لكل منها وزنها وقافيتها وموضوعها ، وتغلب فيها فورة الشعر وخياله ، وكذا العناية بالصناعة اللفظية ، وهي بالتالي ادخل في الشعر . واما المثنوى فمنظومة واحدة في وزن واحد وضرب واحد من التقفية (تسمى فى العربية "المزدوج") ويظهر فيها اثر الإملاء المرتجل والثورة التى لاتتريَّث للترتيب والإحكام .

وقد استغرقت كتابة "المثنوى" ثلاثة عشر عاما . وفيه تختلط الأساطير والحكايات والتأملات الفلسفية التى قصد بها إلى تصوير المذاهب الصوفية وتفسيرها .. يقول الشاعر الصوفى الكبير عبد الرحمن الجامى : "كتاب المثنوى هو القرآن فى اللسان الفارسى . فأما جلال الدين الرومى فلم يكن نبيا ، غير أنه قد أوتى الكتاب !" . أما جلال الدين نفسه فقد وصف كتابه فى المقدمة قائلا : هذا كتاب المثنوى ، وهو أصول اصول أصول الدين ، في كشف أسرار الوصول واليقين ، وهو فقه الله الأكبر وشرع الله الأزهر . وبرهان الله الأظهر ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، يشرق إشراقا انور من الإصباح !

كان زمن الشاعر يعد من أقسى مامرّ على البشرية من عصور . فهو القرن الذى شهد غارات المغول المدمرة على العالم الإسلامي . ورغم أن جلال الدين عاش قريبا من مسرح تلك الأحداث ، فقد وجد فى نفسه طاقة هائلة على الانتاج الأدبى ، وبقى رغم تلك



الحوادث الوحشية وهدم معالم الحضارة ، مؤمنا بالانسان وبأصله الإلهى ، ناظرا إلى البشرية كلها نظرة الحنان والعطف ، مسخرا ملكاته للنهوض بها من كبوتها .

فأما فلسفة "المثنوى" فتعاليم الصوفية التى عبرّ عنها فى أسلوب يتأجج حماسة . وليس تصوّفه من النوع السلبى الذى يدع الحياة وما فيها ويدعو الى هجرها ويعدّها شرا . وإنما هو مزيج من الفلسفة والحكمة العملية ، تصوف بنّاء يستمد عناصره من الإنسان ، ويتعمق فى بحث مشاكله الروحية والعملية ، ويحاول أن يرسم له المثل العليا فى الفكر والعمل .. وفيه الكثير من آراء الافلاطونية الجديدة كما هى الحال عند غيره من المتصوفين . وبعض آرائه شبيه جدا بآراء المتصوفة النصارى .. كما أن عنده جرأة متناهية فى الفكر قد لايغتفرها المسلمون إلا بسبب دواعى الصياغة الشعرية ، كقوله "إن الشرّ نفسه من عظمة الله وانه جزء من كماله ، وأن قدرة الله تتجلّى فى خلق الجميل كما تتجلّى فى خلق القبيح الذى يزدريه الناس" .. وعنده أن الشعور الدينى هو كل شيء . ففى المثنوى يخاطب الله موسى بقوله : "وماذا تُجدينى الكلمات ؟ إننى أريد قلبا مضطرما .. أشعل فى القلوب نار المحبّة ولا تلقِ بالا الى الالفاظ" .

وجلال الدين فى شعره قوى البيان ، فياض الخيال ، بارع التصوير ، يوضح المعنى الواحد فى صور مختلفة ، ويسوق المثل إثر المثل ، والمعانى تأتيه ارسالا ، وبحر الرّمل يطاوعه . وكان يمتلك قدرة عجيبة على أن يتناول الموضوع المطروق فيجعل منه موضوعا جديدا . فالمثنوى يشتمل على عدة مئات من القصص كلها او جلّها أصول قديمة ، ولكنها عنده تتحول تحولا كاملا ، وتتغير معالمها ، وتصبح حافلة بالمعانى الرائعة التى لم تخطر على بال مؤلف القصة . وعلى سبيل المثال ، فإن قصة الارنب التى صرعت الأسد وردت فى "كليلة ودمنة" فى بضعة أسطر ، فنظم فيها جلال الدين زهاء خمسمائة بيت ، وجعلها محورا لألوان رائعة من الحوار ، وهيكلا ادار حوله مناقشات ممتعة عن السعى والتوكل ، والقضاء والقدر ، وغير ذلك . وقد كان بارعا فى فن الحوار ، يبين عن طريقه وجهات النظر المختلفة ، وينتهى منه بالرأى الذى يريد بيانه .. والكثير من محاوراته يرقى الى مستوى الأدب التمثيلى الرفيع . كما كان بمقدوره أن يجسد الأفكار بفضل روعة صوره البيانية ، فيجعلنا نشعر بالمعنويات كأنها محسوسات نكاد نلمسها ، كما يستطيع فى يسر أن ينطلق من المحسوسات الى المعنويات ، لايكاد يذكر فكرة حتى يؤيدها بعشرات الصور المتلاحقة التى نلمس فيها سعة العلم ، وعمق الشعور والتفكير ، والاستغراق فى العشق الالهى .

كان يُملى المثنوى كلما هبط عليه الإلهام ، واقفا او جالسا أو ماشيا ، فى الحمام أو فى غرفة نومه ، فى الليل أو النهار ، دون قيد ودون تفكير فى خطة محكمة . فالافكار تتوارد بالتداعى الحر ، والحكايات تنقطع بحكايات أخرى ثم تكمل بعد مئات الابيات ، والأمثال التى يضربها توحى بتأملات ، وهذه توحى بأخرى ، وهذه توحى بغيرها . ولذا فقد جاء الكتاب مفكك الأوصال من حيث التأليف . غير أن هذا الافتقار الى النظام كان نتيجة الإلهام الشعرى المتدفق الذى يسوق الشاعر أمامه سوقا ، ويقفز قفزا . فإن صبر القارىء على ذلك الى نهايته ، خرج من قراءته فى ثقة من أن هذا الكتاب من أعظم ما تفتقت عنه قرائح البشر .

محمد بن موسى الخوارزمي

٧٨٠ - ٨٤٨ م

مؤسس علم الجبر ، وأول واكبر عالم رياضي في العالم الإسلامي . وهو أيضا فلكي وجغرافي بارز .
يعرفه العلماء الأوربيون باسم Algorismus ومن اسمه اشتقت كلمة Algorism (نظام العدّ العشري) . وهو الذى أعدّ للخليفة المأمون مختصرا لبعض الجداول الفلكية الهندية المعروفة باسم السِّنْد هِنْد (مشتقة من الكلمة السنسكريتية Siddhanta . والف ايضا وصفا للبقاع المأهولة من الأرض معتمدا في تأليفه على كتاب بطليموس في الجغرافيا غير ان مؤلفاته في الرياضة كانت أهم شأنا من ناحية تأثيرها فأحد كتبه يعتبر أساس علم الجبر ، بل إن كلمة Algebra مشتقة من اسم الكتاب ، في حين كان كتاب آخر له أول كتاب في علم الحساب يستخدم العلامات العشرية التى نستخدمها نحن الآن ، ويستخدمها العالم كله ، الا وهى الأرقام التى يسميها المؤلفون العرب بالارقام الهندية ، ويسمونها في الغرب بالارقام العربية . وقد ادرك المشتغلون بالحساب مزايا هذه الارقام العشرة التى يشير موقعها الى قدرها ، على النظام الستينى الذى عرفه اليونانيون . وقد ابتدع الخوارزمي وخلفاؤه طرقا لحل عمليات رياضية معقدة متنوعة ، كبيان الجذر التربيعي للعدد بالطريقة الحسابية .

لقد ظلت أوروبا الغربية حتى القرن الثالث عشر تستخدم الأرقام الرومانية غير المريحة التي زادت من صعوبة حل معظم العمليات الحسابية ، وأخرت دراسة النظرية الرياضية . وقد تم تبني الأوروبيين للأرقام العربية التي استخدمها الخوارزمي بفضل كتاب للعالم الإيطالي ليوناردو فيبوناتشي عام ١٢٠٢ ، أوضح فيه كيف أن العلامات العشر تمكن من تبسيط العمليات الحسابية وتوسيع مجالها .
وقد تبنى الفرنجة استخدام هذه الأرقام منذ ذلك الحين فى معظم أغراضهم العملية . وببدء استخدامها دخلت اللغات الاوروبية عدة كلمات عربية : فالكلمة الفرنسية Chiffre



والألمانية Ziffer والانجليزية Cipher وكذا كلمة Zero الفرنسية والانجليزية ، كلها مشتقة من الكلمة العربية "صفر" ومعناها "الخالى" وقد أطلقت الكلمة العربية على العلامة المستخدمة لبيان خلوّ موقع معين (الآحاد ، العشرات ، المئات .. الخ) ورسمت العلامة على هيئة حلقة فى داخلها فراغ .

أما عن الجبر ، فلم يكن محل دراسة منهجية جادة حتى ألف الخوارزمى كتابه المعنون «المختصر فى حساب الجبر والمقابلة» . والجبر والمقابلة هما العمليات التى تختزل فيهما المسائل الرياضية الى ست معادلات :

(١) ا $س^٢$ = ب س

(٢) ا $س^٢$ = جـ

(٣) ا س = جـ

(٤) ا $س^٢$ + ب س = جـ

(٥) ا س + جـ = ب س

(٦) ب س + جـ = ا $س^٢$

(ومن الطريف أن نلاحظ فى مجال تأثر اللغة الأسبانية بالعربية ، استخدام الأسبان لكلمتى "الجبر" "والكسر" تماما كما فى العربية ، سواء بالنسبة للكسور الرياضية أو "كسور العظام" أو جبر الكسر الرياضى بمعنى اختزاله ، "وجبر كسر العظام" أى إعادة إلتئامها) .

لغـويـات

● كانت ضواحي مدينة القاهرة منذ عهد غير بعيد هادئة نظيفة لأنها كانت بعيدة عن كثافة العمران .. ولم تعد كلمة "الضواحي" الآن تحمل معناها السابق .. واصل كلمة الضواحي في اللغة ماكان خارج سور البلدة من زرع ونخيل واكواخ .. والضاحية من اى شيء ، هي ناحيته البارزة .. وضاحية الإنسان ، هي ما ضحا منه ـ اى برز وظهر ـ للشمس ، كالمنكبين والكتفين .

● عامة المصريين يقولون : هذا الحمل الثقيل يضلع الإنسان ! .. وهو تعبير صحيح .. ومن كلام على بن ابى طالب : "اردد إلى الله ورسوله مايُضْلعُكَ من الخطوب" .

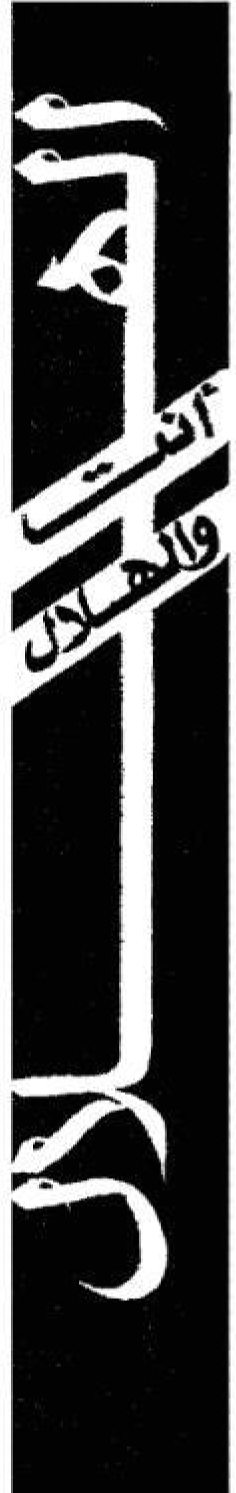
● يزعم بعض المستشرقين أن العرب كانوا لايعرفون أن القمر يكتسب النور من الشمس حتى تعلموا ذلك من الأوربيين في العصر الحديث .. وهذا زعم باطل ، يكفي لتكذيبه بيت واحد لابى الطيب المتنبى قاله قبل الف سنة مدحا لسيف الدولة ضمن إحدى قصائده :

تَكْسُبُ الشمسُ منكَ النورَ طالعةً
كما تَكْسُبُ منها نُورَهُ القمرُ

اى أن الشمس تستمد نورها من سيف الدولة ، كما يستمد القمر نوره من الشمس .. ولم يكن المتنبى هو الذى اكتشف أن القمر يستمد نوره من الشمس ، وإنما كان يردد "معلومات عامة" يعرفها العرب في عصره وقبل عصره حتى أيام الجاهلية التى ورد في شعرها مايدل على ذلك ، اى منذ اكثر من الف واربعمائة سنة ! ..

● الخنساء الشاعرة العربية المشهورة سميت كذلك دلالة على جمالها في نظر أهلها الذين اطلقوا عليها هذا الأسم .. والخنساء في اللغة هى البقرة الوحشية الواسعة العينين . وكانت المراة العربية تسمى بها تشبيها ! ..

● "الفلاة" كلمة مهمة عند العرب لأنها هى الصحراء ، والجمع فلوات ، واسمها ماخوذ من قول العرب : "فَلَوت فلانا بالسيف" .. اى قطعته بالسيف ، فتكون الفلاة قد سميت كذلك لانها تقطع من يسافر فيها كانها السيف ! .. هكذا قيل ! .. وفي ظننا أن قولهم : "فلوته بالسيف" ماخوذ من الفلاة ، وليست الفلاة ماخوذة من السيف ، لأن الفلاة سبقت السيف إلى الوجود !



• الجوانية .. فى ذكرى صاحبها •

• عندما اصدر المرحوم الدكتور عثمان أمين كتابه «الجوانية ـ أصول عقيدة وفلسفة ثورة» فى سنة ١٩٦٤ أثار جدلا فى الساحة الثقافية فى مصر، وبادر الدكتور طه حسين فاعلن ان الجوانية لا تقوم على أساس فلسفى دقيق .. ورغم ما اثير فانها كانت محاولة فكرية لتشييد بنيان فلسفى اسلامى عربى يعالج مباحث المعرفة والوجود من منظور مفكر أصيل على اسس من تأمل روح الدين والاخلاق، ومن تأمل ات القران الكريم وأحاديث الرسول، وشكلت الجوانية فى حياة مؤسسها تيارا فلسفيا يحاول ان يثبت وجوده فى مواجهة الفلسفات الغربية ومدارسها فى مصر.

واصطلاح الجوانية اشتق من الجوانى وهو لفظ استعمل فى اللغة العربية للدلالة على معانى الباطن والداخل والجوهرى والأصيل، وقد ورد لفظ الجوانى والبرانى فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذى رواه الحارث الهمذانى عن على كرم الله وجهه عندما قال له الرسول: يا على ما من عبد إلا وله جوانى وبرانى (بمعنى سريرة وعلانية) فمن اصلح جوانيه أصلح الله برانيه، ومن افسد جوانيه افسد الله برانيه. وقد ورد اللفظان (برانى ـ جوانى) فى كتب الحديث والسير وآثار اهل التصوف الاسلامى.

واذا كان عثمان امين قد أبرز ملامح الجوانية فى تزكية الوعى الانسانى والمعرفة الجوانية والتركيز على قوة الروح والارادة الانسانية، فإنه استطاع ان يكون نموذجا حيا للفيلسوف الداعية لفلسفته الجديدة يتطابق قوله مع عمله، وتكون مؤلفاته تطبيقا منهجيا للجوانية فى النظر والتفكير والتأمل. ففى كتابه «رائد الفكر المصرى» عن الاستاذ الامام محمد عبده يقدم اوسع ترجمة تحليلية كتبت عنه مستخدما منهجه الجوانى فى استقصاء فلسفة الداعية الاسلامى الكبير ومقارنتها بغيرها من مذاهب الفلاسفة. ويختار فى كتابه «رواد الوعى الانسانى» اربعة من قادة الفكر الاسلامى وهم جمال الدين الافغانى ومحمد عبده وعبدالرحمن الكواكبى ومحمد اقبال ويترجم لهم كنماذج مشرقة وعلامات مضيئة فى ايقاظ الوعى الانسانى.

ويكتب فيلسوف الجوانية كتابه عن «فلسفة اللغة العربية»، فيبرز عبقريتها وخصائصها الذاتية ويدافع عنها فى مواجهة كل مظاهر الغزو الفكرى والثقافى ويدعو الى اصلاحها لمواءمة العصر ومتطلباته.

ومن قبل عالج فى كتابه «محاولات فلسفية» قضايا الميتافيزيقا والمعرفة والوجود، وفى هذا الكتاب لفتات عميقة الدلالة على روح الجوانية، وتبدو فيه روح الثورة على الفلسفة المدرسية، والتطلع الى الفلسفة حارسة المدنية

والحضارة ، ويعكف الفيلسوف الجليل على فكر استاذه وصديقه العقاد فى كتابه «نظرات فى فكر العقاد» مستخدما منهجه الجوانى فى سبر اغوار ذات العقاد وموضوع كتاباته مستخدما ما تنطوى عليه الشخصية العقلية من فضائل اخلاقية وجواهر مثالية وخصائص نفسية تنفرد بها .

وبعد ، فقد كانت الجوانية فلسفة عربية اسلامية تأتلف من عطايا العقل وهدايا القلب وومضات الشعور ، وخلجات النفس ، اهداها الى العقل العربى والاسلامى فيلسوف أدى الرسالة وحمل الامانة بكل ما ينبغى ان يتوافر عليه الفيلسوف والمفكر الحر .

عمرو عبدالمنعم حمودة

● محنة الغلاء ●

● نشرتم فى عدد يونيو الماضى من «الهلال» قصيدة للشاعر محمد أمين الجندى عنوانها «محنة الغلاء» .. وقد شاء القائمون على «توضيب» القصيدة ان يفصلوا بين الشطر الأول والشطر الثانى من كل بيت بخط أسود غليظ ، كأنما المطلوب ان يقرأ القارىء كل «عمود» على حدة ، وهذا خطأ فادح فى توضيب الشعر . فمثلا البيتان الاول والثانى هما :



مـا للغلاء ازال اللـه غمتـه — احـال أيامنا كربـا واهـوالا

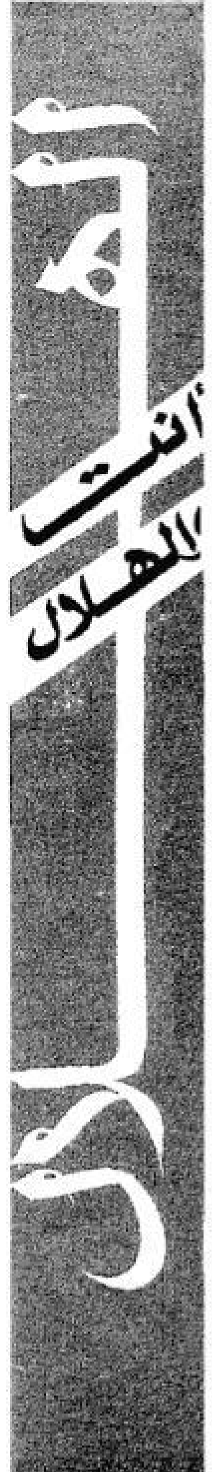
حتى غدونا ولا غير الغلاء لنا — من الهموم مصابا يشغل البالا

هذان البيتان نشرا بالطريقة الخاطئة التالية :

مـا للغلاء ازال اللـه غمتـــه
حتى غدونا ولاغير الغلاء لنـا
احـال ايامنـا كربـا واهـــوالا
من الهموم مصابا يشغل البالا

أن كثيرين من القراء لم يتمكنوا من فهم هذه القصيدة التى شوهها «التوضيب» الخاطىء مع الأسف

على رجب حميد الدين
الاسكندرية



تعليق الهلال :

ـ معك كل الحق ، فهذه غلطة «التوضيب» وغلطة التصحيح ايضا والمفروض ان يكون فى اقسام التوضيب والتصحيح فى الصحف المصرية من يفهم الشعر ! ..

● يوم تكريم المعلم ●

قياما قياما لرمز مجيد سلاما سلاما لرأى سديد

معلمنا الحر نحن الندى وفاء وحبا لك اليوم عيد

معلمنا انت نبع الضياء معلمنا انت فيض السماء

زرعت المبادىء فى ارضنا فنلنا بفضلك حلو الرجاء

معلمنا هدينا فى المحن يلقننا سر حب الوطن

بمثلك فى ليلنا نهتدى ونصمد فيه صمود الاشم

إلهى اثبه ثواب الرسل جزاء حياة لنا قد بذل

ووفقه فهو منار العلا مثال الابوة نبض الامل

زغلول توفيق ـ بنى سويف

● يعز من يشاء ويذل من يشاء ●

● اطلعت فى عدد مايو ١٩٨٩ على المقال القيم للاستاذ صلاح عيسى والمعنون « محمد حسنين هيكل ـ تراجيديا الفرعون والكاهن » .

ومع تقديرنا لكتابات الاستاذ صلاح عيسى الا انى ارجو ان أنبه الى خطأ وقع فى آخر فقرة من المقال فقد ذكر ما يأتى : «وكان صوت جميل يأتى من بعيد فيتلو قول الله تعالى عز وجل «سبحان الذى بيده الملك يؤتى الملك من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهوعلى كل شىء قدير» .

وصحة الآية الكريمة : هى «قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير «سورة آل عمران » الآية رقم ٢٦ .

قارىء

● أقلام الشبان ●

● طالعت هلال ابريل الماضى فرأيت فى صفحات «أنت والهلال» اسمى بين اسماء عديدة تفضلتم بتوجيه الشكر اليها ! .. وها انذا أبادلكم الشكر بألف «عفو» .. ولكن هل يبتغى الاديب كلمات شكر لا اكثر ؟ !

اذا كان فى نيتكم تقديم الاعمال فلماذا لا تخبرون اصحابها ؟ ! ربما تعتقدون ان هذه منحة لا يستحقها مثل هؤلاء الدخلاء والمتطفلين الذين لا اسم لهم ولا «واسطة» والذين تعتقدون ان تعاملكم معهم ينبغى ان يمر من وراء ستار .

وبالنسبة لمجلة الهلال المشهود لها بالتميز فى اختيار موضوعاتها ، فمن المتبع فيها أنها تخصص مساحات ثابتة «محجوزة» فى كل عدد شهريا وبصفة مزمنة لكتاب معروفين ومنهم خاصة كتاب القصة القصيرة وقد يتخيل القارىء ـ مع تقديرى لهم ـ كأنما قد ابرم بينهم وبين المجلة عقد يتجدد من تلقاء نفسه .

تقصفون أسنة الأقلام الجديدة وتسألون عن سبب كسرها !

واخيرا ارجو من سيادتكم بعد قراءة هذه الرسالة المطولة التروى قبل ان «تشحذون» قلمكم للرد مهاجمين على طول الخط لكل قائل كلمة حق .. وأنى اشهد لكم مع الجميع ببلاغة القول مع ايجازه .. لكن مهلا سيدى فماذكرته هنا ان لم يكن كله صوابا «فى رأيكم» ففيه «كثيرا» من الصواب لذا الأمر لا يتطلب الرد انما يحتاج الى نظرة متأنية لأمور خطأ لكنها صارت فى حكم الاعتيادية لاصرار بعض المسئولين بالمجلة على العمل بالمثل الشعبى السائد والمعمول به للآن : «اللى تعرفه احسن من اللى ما تعرفهوش» .

وعذرا ايضا .. فهى كلمة عتاب لا اكثر .

وارجو نشر الجزء الهام من رسالتى حسبما ترون لأنى لا اتكلم بلسان حالى فهو لسان حال اولئك الادباء الواعدين الذين يتلمسون الخطوط الأولى فى طريق طويل بلا معين او سند .. لكنها لعنة الادب ..

سمير يوسف
الاسكندرية

• تعليق الهلال :

- ها نحن اولاء نعود مرة اخرى الى أوهام بعض الادباء الناشئين التى تصور لهم ان الصحف تضطهد انتاجهم ، وان الادباء الناضجين الذين تنشر الصحف انتاجهم إنما ينشرون هذا الانتاج بالواسطة والعلاقات العامة .

ونحن يا عزيزى لانكاد نجد قلما واعدا حتى نبادر الى تشجيعه واحتضان انتاجه ، وهذا على عكس ما تتصوره تماما .. وليس لدينا كتاب مزمنون على حد تعبيرك ، وعندنا إنتاج جيد دائم قد تتكرر اسماء اصحابه وقد لا تتكرر .. ثم إن لكل مجلة وصحيفة فى العالم كله محرريها الدائمين ، ولا يثير هذا احتجاج احد من قرائها ولايطالب اديب ناشىء بطردهم ليحل محلهم ..

ولا نطيل عليك ، فلنا تجارب مع أدباء شباب لم نستطع ان نقتلع من أذهانهم ذلك الوهم ، فلعلك تراجع انتاجك بالانضاج المتأنى ، والتجويد المستمر ، قبل ان تسمح لنفسك بتوزيع الاتهامات على المجلات الادبية ، والزعم بأن القائمين على النشر يكسرون قلمك ! .. ونصارحك إعزازا منا ورغبة فى نجاحك ، انك مازلت فى أول الطريق ، وأنك متى اوغلت فى الطريق ، وانضجت أدواتك ، فسوف تجد الابواب مفتوحة لك على مصاريعها ان شاء الله ..

بقى ان ننبهك الى إننا وضعنا لك كلمة «تشحذون» بين قوسين ، لأنها منصوبة بأن ، فتكون صحتها «تشحذوا» وكذلك كلمة «كثيرا» فلا وجه لنصبها ، وصوابها الرفع فتقول «كثير» .. فهلاّ بذلت بعض عنايتك فى النحو والصرف قبل ان تتهم الصحف بكسر قلمك ؟!

• اغلاط فى العدد الماضى •

• وقعت بعض الأخطاء المطبعية وغير المطبعية فى العدد الماضى من «الهلال» .. كما يلى :

١ - فى مقالة «الزيدية» جاء اسم «النفس الزكية» بالذال ، وصحتها بالزاى كما نثبتها هنا ، وهو اسم مشهور .

٢ - صورة الزعيم الصينى المنشورة فى مقالة «الربيع الديمقراطى» مكتوب تحتها زنج سياو بنج ، والصواب دنج بدلا من زنج .

٣ - فى مقالة «مرة واحدة فى ندوة العقاد» ان الطبعة الأولى من كتاب عبقرية محمد للعقاد صدرت سنة ١٩٢٤ والصواب ١٩٤٢ .. وجاء فى هذه المقالة ان جريدة «السياسة» كانت لسان حال الحزب السعدى ، والصواب «حزب الاحرار الدستوريين» ، اما الحزب السعدى فكانت صحيفته اليومية

تسمي «الاساس» وهى التى كان يكتب فيها العقاد ولم يكن يكتب فى جريدة السياسة كما جاء فى المقال .

٤ ـ فى المقالة المعنونة «أحمد بهاء الدين» القلم والاسلاك الشائكة كلمة «السوفييت» مكتوبة بيائين هكذا . «سوفييت» .. والصواب الياء الواحدة ، لأنه لا توجد الياء بعد الياء الا بفتح الياء الأولى وسكون الياء الثانية ، اما وضع اليائين لدلالة على مد الياء الواحدة فخطأ واضح ، وهذه الغلطة تتكرر فى مقالات لخرى .

قارىء لغوى

● على المحطة ●

(اقطفى زهرة انتظارى بقبله
جمعتنا محطة وانتظار
ما وقوف العبير ينظر حوله
مرسلا طرفه بكل مكان
نقلة إثر نقلة ياكمانا

أو ضعينى بفتحة الصدر فله
ليت جمع العيون يسهل مثله
بالرصيف الذى يعانق ظله
كإله الجمال ينشر رسله !
إن قلبى فى نقلة إثر نقله

نهل الثغر من عيونك نهله
أوَ إطراق موعد ؟ اقتدبه

ثم اوغلت فى ضباب الرحله
ذلك الموعد الدميع المقله !

لا تشدى مظلة النور وابقى
الشتاء الذى ترين شتائى
لا تخافى ابتلال ثوبك . عودى
إننى طفل نظرتين ، انسبينى
المسافات شرنقتنا زمانا

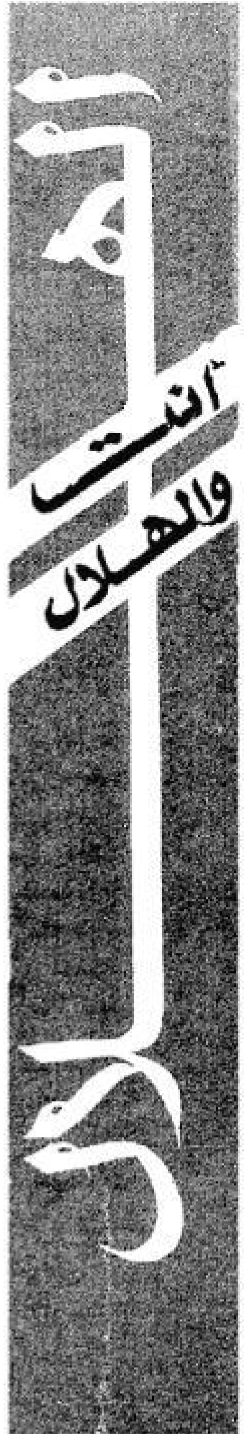
وخذى لهفتى وعمرى مظلة
مطر الشوق جاء يطلب أهله
أى غيم لاقى الضياء فبلّه
لحرير القوام ، أو للمقله
ثم ها نحن أطلقتنا طله

عبدالرحمن عبدالمولى
الاسكندرية

● اقصوصة :

● التراب ●

● اليوم سأقول له رايى فيه .. سأعلنها له بلا خوف .. سأمطره بوابل من الكلمات لن يستطيع معها الاعتراض ـ لن أمنحه فرصة للرد حتى لاينتصر علىّ .



في كل مرة أقف فيها أمامه أحاول التمرد على حالة الصمت ، تلك الحالة التى تعترينى وأنا أنظر الى عينيه .. أراه يقول ما يريد ، أحاول الرد .. لا أستطيع ـ أضطر الى هز رأسى علامة الايجاب ... أنظر إلى أرض الغرفة هربا من عينيه .... أسمع أحدهم يهمس ... لن تجد ما تبحث عنه .... يهمس آخر .. الى متى ستبحث عن التراب بين الشقوق ؟

لا أهتم بأحد منهم .. أتمعن فى المربعات المتساوية التى لا تتغير يوما عن يوم ... تدوسها الأقدام .. ينظفها العمال .. يملؤها التراب عند الظهر .. أهمس لنفسى فى يقين ... قد تتغير ذات يوم .

....

بالأمس لوى شفتيه ... لمعت حدقتا عينيه . غادر المكان وهو يتمتم ببعض الكلمات .. ضحك الزملاء .. شاركتهم الضحك ... عدت إلى مكتبى ومازالت شفتاى منفرجتين ... سألت نفسى لماذا يضحكون ، حاولت أن أسأل أحدهم عن تلك الضحكات ، لاحظت وجود الأتربة على المقعد والمكتب معا . لابد أن أنظف المكان ، اتجهت الى الشباك ، نهرنى أحدهم فى عنف :

ـ الجو بارد وأنت تفتح الشباك ؟

ـ أريد أن أنظف المكان من التراب .

أعرض بجانبه ولم يرد .. صممت أن أطرد التراب .. نظرت الى المربعات المتساوية على الأرض ... أغلقت الشباك .. بدأت فى تنظيف المكان .

....

اليوم سأنظر فى عينيه ، أسأله وأستفهم منه ، وإذا لزم الأمر قد أحاوره ، نعم قد أحاوره ، وإذا فكر أن يتطاول سأعلن له رأيى فيه ، سأمطره بوابل من الكلمات لن أعطيه فرصة للرد ، ولن أرتعد مهما فعل .. أما الزملاء ، فاذا ضحك أحدهم ، فسوف أسأله لماذا يضحك ، وأكيد سأنتظر الجواب .

....

اتجهت اليوم الى مكتبى هادىء الوجه ... مستريح البال .. نظفت المكان ... محوت آثار التراب ... نثرت بعض الماء ... فتحت الشباك لبعض الوقت .... نظرت الى المربعات المتساوية على الأرض .. الى المكتب والمقعد معا .... حاولت أن أبحث عن تراب فى المكان ... جلست خلف المكتب فى هدوء .. توافد الزملاء ... تحفزت للقاء .. طال

الوقت .. سألت عنه .. قيل أنه لم يحضر اليوم ... نظرت للأرض التى نظفتها منذ قليل ، والى المكتب والمقعد أيضا ...... حاولت أن ابتسم وأنا اقول لنفسى فى هدوء ... غدا لابد أن انظف المكان من جديد .

. . . .

محمد عباس على

• مع أصدقائنا •

● صالح عبدالكريم بشير صالح :

ـ الأعداد التى اصدرها «الهلال» من سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٩٢٥ لايعاد طبعها فى الوقت الحاضر ، وربما حدث هذا فى المستقبل إن شاء الله

● رفعت عبدالوهاب المرصفى ـ شبرا ـ القاهرة :

ـ قصيدتكم فى رثاء الشاعر المرحوم طاهر أبو فاشا تضم سطورا موزونة وأخرى ليست كذلك .. وأنت تقول إنها من بحر المتدارك ، وصحيح أن معظمها ينتمى إلى هذا البحر ، ولكن ماهى صلة المتدارك بقولك مثلا :

«إن كانت دنان الموت لابد من جرعها ، فالجذور تموت .. » .. هذا اقرب إلى بحر المسرح .. ونلاحظ أنك كثير النظم ، فهلا جعلت بعض وقتك لقراءة الشعر والنظر فيه ، ونعنى الشعر الحقيقى ، شعر الفحول الأقدمين والأحدثين .. إن قراءة هذا الشعر تفيدك فى تقويم الوزن وصقل الديباجة ..

● يوسف ابراهيم عبدالله على ـ كلية الهندسة بجامعة الملك عبدالعزيز ـ جدة :

ـ سرنا كثيرا تتبعكم للأدب المصرى الحديث ، وخصوصا أعمال الأديب الكبير نجيب محفوظ ، وأما تعليقكم على مقالة «نجيب محفوظ يحاور نفسه » المنشورة فى هلال ابريل الماضى ، فأنتم على حق فى بسط وجهة نظركم ، ولعل نجيب محفوظ يقصد فعلا ماشرحتموه من المعانى ..

● ونشكر السادة : محمود عبدالمجيد احمد .. عبدالرحيم الماسخ .. نزيه احمد رمضان .. عاصم فريد البرقوقى .. ابو بكر محمد محمد حسانين .. سمير يوسف .. على زين العابدين شاكر ..

القائمة الأخيرة

« الطوفان »

لا أعرف على وجه اليقين ماهو السبب الحقيقي الذى انفجر فجاة ليقودنا إلى قرار غريب وغير مفهوم بإلغاء مشروع "منخفض القطارة" .

هناك بالطبع أسباب قد قيلت أذكر أنها دارت بين محورين أحدهما التكلفة الباهظة للمشروع والآخر هو ضرورة اللجوء إلى التفجير النووى لشق القناة من البحر الأبيض إلى المنخفض وما قد يترتب على هذا من أخطار "إشعاعية" .. وربما قيل وقتها أيضا كلام عن تعرض مصر للوقوع فى أحابيل حزام زلزال خطير نتيجة لإنشاء بحيرة صناعية بهذه الضخامة فى المنخفض (مائتا كيلو متر عرضا ومائة وخمسون طولاً)

ولست أزعم أننى خبير فى أحد هذه الفروع : الاقتصاد أو الجيولوجيا أو الجيوروموفولوجى ولكنى جلست منذ أيام الى مجموعة من الخبراء فى هذه العلوم وفوجئت بهم جميعاً يفندون كل ماعرض من أسباب ويؤكدون أن تنفيذ المشروع مسألة آمنة تماما من الوجهة الطبيعية والجيولوجية ومجزية جداً من الوجهة الاقتصادية .. وهنا نتوقف لحظة .. لقد نمى إلى علمى أن هناك مشروعاً لخبير مصرى معروف بالاستغلال الكامل لمشروع المنخفض ليس فقط فى توليد طاقة كهربائية لاتقل عن ألف ميجاوات .. بل أيضا فى زراعة الصحراء الغربية كلها (خمسون مليون فدان) !!

فى الظروف الصعبة التى نقف فيها حيارى أمام مشكلة الانفجار السكانى الذى يهدد بالتهام الأخضر واليابس .. يبدو هذا المشروع حلماً رائعاً لدرجة لاتصدق . حلماً تتداح إثره أحلام بعرض المستقبل كله وكلها موشاة بآمال كبار فى الزراعة والسياحة والثورة العمرانية والحضارية التى تخلق مصراً أخرى غير تلك التى نرقبها اليوم مهددة بالطوفان .. ولانملك غير التحسر على قابل الأيام والأجيال .. يبقى أن هذا المشروع ليس مجرد حلم . إنه بقدر ماعرفت خطة دقيقة ومتكاملة وأهم من هذا .. خطة "ممكنة" قابلة للتنفيذ !

مبلغ علمى أيضا أن بيوت الخبرة الأجنبية فى أكثر من بلد أوربى .. وبعد حماس ملتهب لتنفيذ المشروع تلقت أوامر "مريبة" بالصمت ! .. وصمتت ... وإذا كنت لا أميل إلى نظرية المؤامرة الدولية التى تستهدف تحجيم مصر وتقزيم دورها .. فإننى لاأملك إلا أن أتساءل .. وبعد التساؤل أقول .. نظرة أخرى إلى مشروع القطارة ياأسيادنا !



أسامة أنور عكاشة


صخر
للتعليم العربي في كل مكان
العلم في الصغر كالنقش في الحجر
al Alamiah
العالمية

الهلال

أغسطس ١٩٩٩ • الثمن ١٥ قرشا

ندوة الهلال

يحيى حقي : خليها على الله

السوق قلب المدينة الإسلامية

هموم عربية



الحسين فوزي

الهلال

مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجي زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

السنة السادسة والتسعون . أغسطس ١٩٨٩م . ذو الحجة ١٤٠٩ هـ

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

نائب رئيس التحرير
محمد أبو طالب

سكرتير التحرير
عاطف مصطفى

المشرف الفني
محمود الشيخ

سكرتير التحرير الفني
عيسى دياب

أهدت الدولة جائزتها التقديرية هذا العام لشيخ الحفارين والرائد الأول للاستنساخ الفنى فى مصر والعالم العربى الحسين فوزى والذى بلغ من العمر ٨٤ عاما .

ولد بالقاهرة سنة ١٩٠٥ وتخرج فى كلية الفنون الجميلة سنة ١٩٢٨ ثم بعث إلى باريس لدراسة فنون الرسم والتلوين والحفر والزخرفة وعاد سنة ١٩٣٤ ليؤسس ويرأس قسم الحفر بالكلية التى تخرج فيها .

وهو من الفنانين الذين تأثروا بالبيئة المصرية الصميمة فكانت موضوعاته تعبيرا صادقا عن عصره نستطيع أن نتبين فيها الكثير من العادات والتقاليد والمظاهر الثقافية كما فى رائعته الزيتية «الدلالة» و «مصر .. ياقلة العطشان» - «فى انتظار الطلائع» . والحسين فوزى رائد مبدع له خبرة السنين التي جعلته فريدا فى هذا المجال واشتهر بلوحاته الزيتية ومطبوعاته المحفورة على الخشب والزنك والنحاس الا ان أعماله بالحفر على المشمع «اللاينو» التى انجزها في الستينيات تعتبر من معالم طريق حركتنا المعاصرة ومن أروع ماظهر فى فنونا الحديثة .. ومازال الحسين فوزى يقود تيار التحديث على أسس صلبة ومعايير محكمة يستخرجها من الأكاديمية التقليدية ليلبى احتياجات الثقافة الجديدة .

ومن اشهر أعماله رسومه الملونة داخل جوامع القاهرة طبعتها الدولة فى مجلدين يعتبران من أهم المنجزات الفنية فى مجتمعنا - فى العصر الحديث .

(إقرأ المقال ص ١٢٨)

فكر وثقافة

في هذا العدد



الغلاف
تصميم الفنان : محمود الشيخ
تصوير
شوقي مصطفى

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحاد البريد العربي والافريقي والباكستان عشرة دولارات أو ما يعادلها بالبريد الجوى . وفى سائر أنحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .
والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية . وفى الخارج بشيك مصرفي لأمر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الأسعار الموضحة بعاليه عند الطلب .

دائرة الحوار

ندوة الهلال

فنـــون

قصة وشعر

الأبواب الثابتة

دار الهلال

١٦ شارع محمد عز العرب الرقم البريدى ١١٥٩١ (القاهرة تليفون: ٣٦٢٥٤٥٠
سبعة خطوط - مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨١
رقم التلكس: HILAL 92703
U . N

ثمن النسخة

سوريا ٤٠ ليرة . لبنان ٥٥٠ ليرة . الأردن ٥٠٠ فلس . الكويت ٤٠٠ فلس . العراق ٣٥٠٠ فلس . السعودية ٥ ريالات . عدن ١٢٥ سنتا . البحرين ٨٠٠ فلس . الدوحة ٦ ريالات . دبى ٦ دراهم . لوس انجلوس ٤٠٠ سنت . ابوظبى ٦ دراهم . مسقط ٦٠٠ بيسه . تونس ١٤٠٠ مليم . المغرب ١٥ درهما . غزة والضفة ٧٥ سنتا . باكار ٦٠٠ فرنك . لندن ١٢٥ بنسا . ايطاليا ٢٥٠٠ ليرة . نيويورك ٤٠٠ سنت . اليمن الشمالية ٦ ريالات . كندا ٥ دولارات .

جوائز الدولة للمبدعين لا للموظفين

اعتاد « الهلال » أن يدعو فى المناسبات السنوية لجوائز الدولة التقديرية والتشجيعية . الى أن تكون هذه الجوائز ـ وبخاصة جوائز الأدب والفن ـ من حق المبدعين ، أدباء وفنانين . لا من نصيب هيئات التدريس والأكاديميين والمدرسيين والموظفين المسيطرين ..

ولكن سيطرة هذه العناصر على جوائز الدولة فى الأدب والفن ، حالت فى الغالب دون وصولها الى مستحقيها .. وتحولت جوائز الدولة من تشجيع وتقدير المبدعين الى تشجيع وتقدير المدرسيين والموظفين أصحاب الجاه ..

ونحن نعترف لهؤلاء الموظفين والمدرسيين بأنهم من الفضلاء الأكفاء فى مجالاتهم ، ولكن كثيرين منهم لم يرتفعوا الى مافوق المنزلة الوسطى فى الأدب والفن ، وإن كان نجمهم قد تألق فى سماء المحاباة ، وارتفع فى فضاء التقدير غير الدقيق !

وبعض المبدعين كانوا يمارسون العمل الأكاديمى ولكنهم لم يحصلوا على الجائزة برغم استحقاقهم لها ، لأن جاه الوظائف لم يشملهم ، ومن هؤلاء الدكتور لويس عوض الذى ظل بعيدا عن الجائزة حتى وصلت اليه هذا العام بعد أن بلغ الرابعة والسبعين ، وسبقه اليها كثير ممن يمكن اعتبارهم من تلاميذه .

وممن تخطتهم الجائزة ـ كأنها عاجزة عن الرؤية ـ المخرج السينمائى الكبير صلاح ابوسيف .. وهاهى ذى أخيرا تراه بعد أن أغمضت عنه عينيها على مدى السنين !..

وقد أسعدنا بحق أن تصل الجائزة هذا العام الى عدد من المبدعين ذوى الصلة الوثقى بالهلال .. على رأسهم الدكتور شكرى محمد عياد الذى حصل على الجائزة التقديرية ، بعد أن تجاوزته سنة بعد سنة الى من لانريد أن ننتقص من اقدارهم شيئا .

إن قراء الهلال يلتقون بالدكتور شكرى عياد كل شهر ، وهو لايخلف موعده معهم .. ولعل القراء يذكرون كيف ثرنا فى باب « عزيزى القارىء » منذ بضعة أشهر ، رافعين صوت الاحتجاج على الغبن الذى يلقاه هذا الأديب المبدع الكبير فى وطنه .

ويسعدنا اليوم أن نرفع صوتنا مهنئين وزارة الثقافة التى حملت اليه الجائزة ، وإن تأخرت كثيرا .. وقد تقبلها بتواضعه المعهود ، ولم يفعل مثلما فعل « برنارد شو » قديما عندما رفض جائزة نوبل لأنها جاءته متأخرة !

ومن المبدعين الذين يعتز « الهلال » بحصولهم على الجائزة التشجيعية الشاعر الأستاذ فتحى سعيد ـ رحمه الله ـ وقد فاز بالجائزة نظير كتابه « السفر على جواد الشعر » الذى صدر فى العام الماضى ضمن سلسلة « كتاب الهلال » ولكن الجائزة لم تتحرك اليه الا بعد أن تحرك مفارقا الحياة الدنيا !..


د . شكري عياد


د . لويس عوض


المنسي قنديل


محمود قاسم

ومن مطبوعاتنا أيضا رواية « بيع نفس بشرية » التى صدرت منذ أشهر ضمن سلسلة « روايات الهلال » وقد فاز مبدعها الأستاذ محمد المنسى قنديل بالجائزة التشجيعية ..

أما الأستاذ محمود محمود قاسم ، وشهرته « محمود قاسم » فقط ، فقد فاز بالجائزة التشجيعية لثقافة الطفل ، وكان أصغر المتقدمين لهذه الجائزة سنا .. وهو كاتب دائم فى « الهلال » منذ عام ١٩٨١ كما أنه سكرتير تحرير « روايات الهلال » منذ عامين تقريبا .. وله نشاطات متعددة فى الترجمة والابداع .

وقد اسعدنا ماطرا من « تحرر » على قرارات اللجان الخاصة بالجوائز التقديرية والتشجيعية هذا العام .

ففى جائزة الشعر التشجيعية ، تشجعت لجنة الشعر ، برغم قصورها وسلبيتها ، ورشحت للجائزة شاعرا لم يتقدم اليها وهو الأستاذ محمد عفيفى مطر ، وقد نال الجائزة ، ولكن بعد أن نالها معظم « المتنفذين » من أعضاء هذه اللجنة فى السنوات الماضية !

كذلك وصلت الجائزة الى الشاعر طاهر ابوفاشا ـ رحمه الله ـ وكان جديرا بأن ينالها فى حياته التى أربت على ثمانين عاما عاشها يرقب صغار الشعراء يتواثبون على الجوائز لأنهم من « المتنفذين » أو من المدرسيين أو من الموظفين ، أو من ذوى الصوت المسموع هنا أو هناك !

ومهما يكن من شيء .. فإن الذى حدث فى سراديب لجان الجوائز التقديرية والتشجيعية هذا العام ، كان أخف وطأة مما كان يحدث فى الأعوام الماضية ، فاتسعت آفاق التقدير الصحيح بعد الامعان طويلا فى التقديرات الخاطئة ، والدليل على اتساع آفاق التقدير ، هذا العدد الكبير نسبيا من المبدعين الحقيقيين الذين فازوا بالجوائز ، وكانت الجوائز فى الماضى تتسلل من سراديب اللجان فى جنح الظلام الى « الموعودين » من أصحاب البخت والتصيب !

بقى أن نقول : ان هذه هى الخطوة الأولى فى الاتجاه الصحيح .. ولابد من خطوات أخرى واسعة ، تحرر الجوائز من العبودية التى عاشت فيها طويلا .

وحبذا لو استقلت جوائز المبدعين من أدباء وفنانين ، عن جوائز المدرسيين والموظفين .

وليت لجان التحكيم فى الابداع ، تتكون من المبدعين المخلصين ، لا من وكلاء الوزارات وكبار الموظفين وفحول الأكاديميين والمدرسيين !..

« المحــرر »

متحف الجزيرة

التاريخ في قصر على النيل

نجوى صالح

● كل ما في القصر العتيد له رائحة الزمن .. الماضي الذي كان عظيما بعظمته .. يزهو بعبقرياتهم على كثير من الأيادي الفاذة .. اللوحات توشك أن تسمع أصواتها .. التماثيل لدقتها ومهارة وحذق نحتها يخيل اليك انها تتحرك .. ساعية اليك او مدبرة عنك .. خطوات متباعدة .. تتقارب .. وتتدانى .. وتتلاقى معا .. كأنها في يوم البعث .. محمد على بدهائه .. ابراهيم على حصانه .. اسماعيل بغروره .. توفيق بحماقته .. فاروق بجنونه .. عصور وأزمان اختصرت لتستقر في هذا القصر الذي يشمخ على النيل

● بعثة اللوفر تشهد بأن القصر يضم مالا يضمه اللوفر ..

● مستشفى لترميم القطع الفنية المصابة ..



متحف الجزيرة

إن مائة الف قطعة فنية ،
واكثر يضمها ذلك القصر الذى اطلقوا عليه أسم (متحف الجزيرة) وكل قطعة فيه هي علامة تاريخ وإشارة حضارة ، ونبرة تطور إنساني ـ سجله عباقرة من شعوب مختلفة ، وفي عصور متباينة .. في لوحات أو تماثيل أو اوان خزفية او ذهبية او فخارية .. وقد قام هذا المتحف من ربع قرن . لكي يكون المسرح الذى تعرض عليه كل هذه التحف المختلفة ، ولكي يكون قبلة السياح ، واهل البلد من عشاق الفن ، والباحثين والدارسين ، والاجيال الجديدة من الفنانين العرب ، والاجانب .. كان الهدف منه أن يكون "لوفر الشرق" كمتحف "اللوفر" في باريس .. فهل ادى حقا هذه الوظيفة .. ؟

الجواب بكل أسف لا .. فالقطع الفنية النادرة والتماثيل ، واللوحات وقطع أخرى هي أجزاء كاملة من تاريخنا .. جمعت من القصور الملكية ، وأخرى من قصور الأمراء .. دفعت دفعا ، وزج بها الى اقبية ، ومخازن هذا القصر ، وحرم الجميع من رؤيتها ، والاستمتاع بها . لأسباب كثيرة بعضها فني وبعضها يرجع الى أزمة الاسكان .. ضاقت جنبات القصر . عن اماكن تليق بقدرها .. أو عجزت وزارة الثقافة عن تدبير "فاترينات" للعرض يتوفر فيها الجمال والامان .. !

الغريب في الأمر أنه رغم مضى هذه السنوات الطويلة على إنشائه . فإن المتحف مازال في دور التطوير ، وإعادة التنسيق ، وتقييم القطع الفنية التى تربو على مائة الف قطعة كما يقول الاستاذ "عبد الوهاب مرسى" مدير عام المتحف .. فالمتحف كان يستقبل الجماهير الى عامين فقط .. ثم رأى المشرفون عليه ، والذين يقومون على امره .. أن يعيدوا ترتيبه ، وتجديده ، وترميم بعض القطع التى أصابها التلف ، واللوحات التى ادركها البلى ، وكان ان رصدت الحكومة لهذه التجديدات ثمانية ملايين من الجنيهات . لم ينل منها المتحف سوى مليون واحد فقط .. !! وذهبت الملايين السبعة الأخرى الى طريق آخر لايوصل الى المتحف .. !

● ماذا قالت بعثة متحف "اللوفر" ..؟!

وقد جاءت بعثة من متحف "اللوفر" بفرنسا ، لكى تشاهد وتتطلع وتقيم القطع الفنية ودهش أفرادها ، ووقفوا في وجوم وذهول أمام القطع واللوحات ، وأقروا أن الموجودات التى يضمها المتحف ، وترقد في دهاليزه ، وأقبيته . لايوجد مثلها في "اللوفر" وأن تلك الكنوز الفنية ـ لايعرف عنها متحف اللوفر شيئا مع العلم بأنه يفخر برصد كل آثار الفنانين في العالم .. فضلا عن عثورهم على أعمال فريدة

● ١٢٠ الـف قطعـة ، ولـوحـة ، وتمثال ..
● بلايـيـن الجنـيـهات فـى دهاليـز وأقبـيـة المتحف العتيد ..



● تماثيل من البرونز .. الخديو إسماعيل على حصانه
صفية زغلول .. وسعد زغلول والأمير محمد على

لفنانين فرنسيين عظام ، غير مدرجة أمام أسمائهم فى "متحف اللوفر" .. وعلى سبيل المثال لا الحصر . فإن أحدى لوحات الفنان التأثيرى (فان جوخ) الموجودة فى هذا المتحف تقدر بـ ٢٤ مليون جنيه ، وأخرى للفنان (رنوار) تقدر بنفس الثمن فهى لاتقل عنها معنى ، وفنا ، ولوحات أخرى للفنانين . و "دوبلاكروا" و "مانيه" و "ديجا" و رودان" اشهر من أمسكوا بالريشة فى القرن العشرين ..

والى جانب هذه الكنوز الفنية توجد يوميات الحملة الفرنسية فى مصر مصورة بريشة الرسامين الذين صاحبوا الحملة





متحف الجزيرة

وهذه اللوحات هى من أجمل ، وأدق ما يصور حقبة حافلة بالصراع من تاريخ القاهرة . ومرافقها وأسواقها ، وسواحلها ، وبعض الاحداث الهامة مصورة أى مرسومة ، وموقعة بأسماء الفنانين العظام ..

ثم لوحات من المدرسة الايطالية القديمة والمعاصرة والعديد من لوحات "الجوبلان" من القرن الثامن عشر ، وتلك مجموعة نادرة مازالت تحتفظ برونقها ، وقيمتها الفنية ، وقد وقفت البعثة الفرنسية عندها طويلا ، وتحدثوا عنها طويلا .. !

مازال (عبد الوهاب مرسى) مدير المتحف يمضى بنا فى جوف الزمان المتمركز فى هذا المكان .. ومن اللوحات الى التحف ، والاثاثات التى جىء بها من قصور الأمراء . إننا الآن أمام مجموعة من السجاد الايرانى ، والفرنسى ، وبعض قطع الاثاث الهندى ، والتركى والعربى ، المصنوعة من الاخشاب النادرة كالابنوس ، والساج ، والقطع تحمل زخارف ايرانية ، وهندية محفورة بدقة مذهلة ..

"وفازات" إغريقية يرجع تاريخها الى القرن الثانى قبل الميلاد ، وقد صنعت من نوع نادر من الخزف يطلقون عليه خزف "الرقة" .. وهناك مجموعات أخرى من الاوانى المصنوعة من الخزف الفرنسى مثل "السيفر" و "البسكوى" وأخرى المانية من الخزف "المايسن" وتماثيل من الخزف والبرونز كل منها تحفة فنية يصل عددها الى ٣٢٠٠ قطعة بين صغيرة ، ومتوسطة وكبيرة .. بعضها للحيوانات ، والطيور الجارحة ، وبعضها للآدميين .. !

أما التحف الزجاجية والتى يرجع تاريخها الى العصر الاغريقى فيربو عددها على خمسة الاف قطعة ، بعضها مطعم بالصدف مع الألوان الرائعة ، وقد الصق بها الصدف بعد صهرها أثناء الصنع مما يقطع بقدرة فائقة ، ومهارة صناعها من الفنانين القدامى . رغم التلقائية الشديدة فى تشكيلها المتنوع المساحات والمقاسات .. ولعل أثمن هذه المجموعات . هى مجموعة الأمير يوسف كمال ، وكان من المعروفين على المستوى العالمى بأنه من كبار هواة هذه التحف ، وتضم مجموعته بعض الخناجر ، والسكاكين ذات المقابض الذهبية ، والفضية ، والخزفية المزركشة ، والمصنوعة من العاج المنحوت على هيئة

خبيرة أجنبية لاستخراج شهادات ميلاد للقطع الفنية .. !

لوحـــة واحدة ثمنها ٢٤ مليـــون جنيــه .. !

رءوس ادمية ، وحيوانية ، وانواع ، ومجموعة من اثمن المقتنيات العالمية من العصى، وبعضها يصل ثمنها الى مئات الآلاف .. !

ومجموعة "قصر السكاكينى باشا" وهى التى نقلت من قصره المعروف فى الميدان القائم باسمه فى حى غمرة ، وهى تحف من الاثاث تمثل مختلف العصور ، وكلها من الاخشاب النادرة وأطقم الموائد من الذهب ، والفضة واكواب على شكل تماثيل لها مقابض ساحرة .

● شهادة ميلاد لكل قطعة ..

وتضيف السيدة "جانيت كيرلس" التى تدير المتحف منذ ١٩٦٦ .. ان المتحف يضم ١٤ صالة لعرض اللوحات والتحف والتماثيل والمقتنيات . ويشتمل ايضا على ثمانية مخازن فى البدروم ، والاقبية ، والذى يرقد فى الظلام اضعاف ماكان معروضا قبل أن يغلق للتحسينات ..

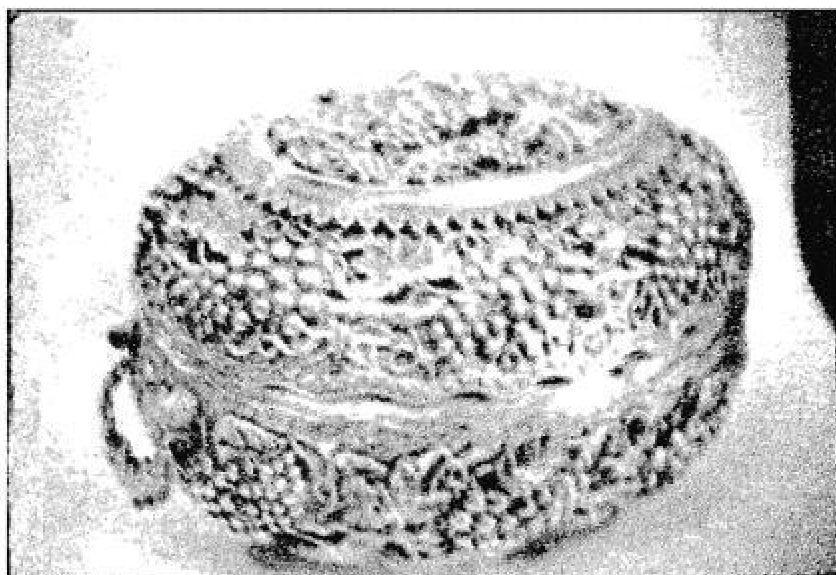
ومنذ سنوات أستقدمت الدولة خبيرة اجنبية لها خبرة فى متحف اللوفر لتقوم بعمل هام ودقيق .. هو التاريخ لكل قطعة فنية من حيث العصر ، والصنع واسم الصانع الفنان إذا أمكن . وتحديد الحضارة التى تنتمى اليها وتدون كل ذلك فى بطاقات متعددة تكون بمثابة شهادة ميلاد للقطعة وقد استعانت بالتحليل المعملى ، وكل الوسائل العلمية الحديثة ، وكان ذلك سهلا بالنسبة لكثير من اللوحات غير الموقعة .. أما العسير فكان إثبات مصادر القطع الفنية كبعض التماثيل و "الفازات" والتحف المذهبة او التى من الـذهب ، والمفضضـة أو التى من الفضة .. !

والعجب كل العجب فى تاريخ بعض اللوحات .. التى قد تكون رسمت فى ايطاليا او فرنسا .. ثم بيعت فى انجلترا .. ثم حصل عليها أحد الهواة فى امريكا .. وقد تعود من رحلتها مع هاو جديد الى ايطاليا .. ثم جاءت الى مصر مع كبار الاثرياء او الأمراء ، وكل ذلك لابد أن يدون بامانة شديدة فى تحقيق شخصية اللوحة ، والى جانب عمل الخبيرة . كانت تقوم بتحقيق مدى الصدق والتخريج فى تاريخ كل لوحة وجدت معها بطاقة قديمة .. ومايجرى على اللوحات يجرى ايضا على بعض البراويز القيمة ، وهى معلومات تضيف اضعافا مضاعفة الى ثمن اللوحة حينما تعرض للبيع .. فالى جانب قيمتها الفنية تضاف اليها القيمة التاريخية

● لصوص المتاحف

وتضيف السيدة مديرة المتحف لزهاء ربع قرن أنها تفاخر بأن المتحف لم يتعرض للسرقة طوال هذه السنوات سوى مرة واحدة .. ايام كان "ثروت عكاشه"



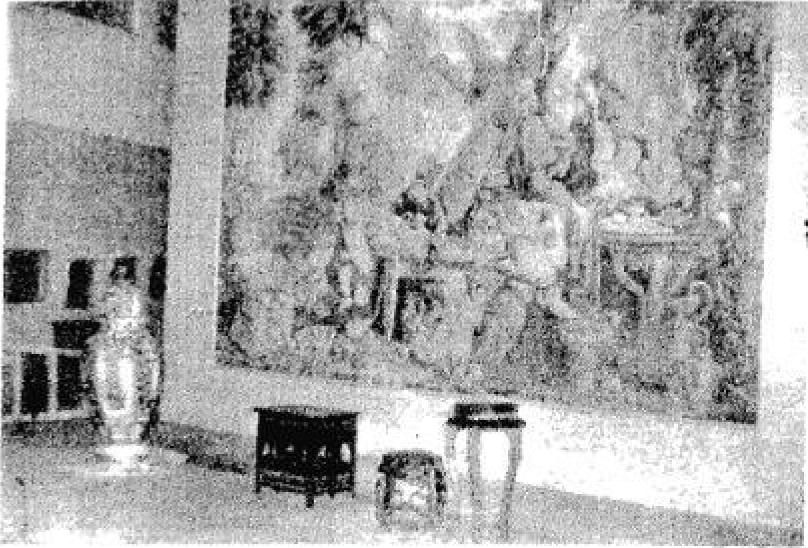


علبة ضخمة من الفضة الخالصة .. تستخدم في الحمام لوضع الروائح .. والصابون

● أواني زجاجية من العصر البطلمي والروماني والإسلامي ..



متحف الجزيرة



لوحة مشغولة بالحرير محتفظة بألوانها الخلابة

وزيرا للثقافة أن سرقت لوحة لفنان فرنسى ، وبعد أيام تلقى الوزير برقية من مواطن تشير الى أن اللوحة مدفونة تحت شجرة فى منطقة الهرم ، وقد وجدت وعادت الى مكانها فى المتحف ..

وجميع العاملين فى المتحف بما فيهم المديرة .. يخصم من مرتباتهم ٣٪ كتامين منذ عشر سنوات .. وهذا الخصم عدا الخصومات العادية التى تخصم من كل موظفى الدولة ..

وكل هذه الكنوز التى لاتقدر بمال ، والتى كما قلنا أن لوحة واحدة بينها تساوى ٢٤ مليون جنيه .. يصرف أو ينفق على نظافة المكان الذى يضمها مبلغ (٧٠) جنيها لشراء أدوات نظافة ، ومكانس وفرش ، وجرادل وهى تصرف كسلفة مستديمة .. اذا نفدت فلا بد من تقديم ما يثبت ذلك لصرف غيرها ولك أن تتصور أن هذا القصر كله يصرف عليه ، وعلى نظافته حتى يصبح لائقا باستقبال السياح . هذا المبلغ التافه.. ألست معى فى أننا نفسد الطبخة كما يقول المثل العامى .. "من أجل بمليم ملح" ؟!

● مستشفى للقطع الفنية

وفى غرفة الترميم والاصلاحات أفزعنى هذا العدد الكبير من التحف الرائعة من الكريستال "دى بوصيم" المشروخة أو المكسورة ويجرى فيها العمل لاعادتها الى ما كانت عليه ولكن هيهات أن يعود الى هذه القطع بريقها وسحرها القديمان ..

وسألت أحمد فودة "وكيل المتحف" و "عصام الشريف" المسئول عن صالة الترميم .. عن السر فى الاصابات الكثيرة التى تصيب هذه التحف الكريستالية الغالية .. فقال . أن الموظف الذى يريد أن يصل الى هذه التحف لكى يزيل عنها التراب أو ينظفها لابد أن يجتاز كوة تحت جدار يؤدى الى مكانها .. ثم يحملها ويعود بها من نفس الكوة ، ولما كانت هذه الكوة ترغمه على أن يمشى على يديه ، وقدميه .. فإن القطعة التى يحملها لابد أن تنزلق منه فتتحطم أو تتشرخ ، ونضطر الى نقلها الى هذه المستشفى لتعيد صياغتها .. ولاحول ولاقوة الا بالله .. !

وقد تحطمت فازة كبرى ذات قيمة فنية تاريخية الى ١٢٠ قطعة صغيرة ، وأعيد ترميمها ، ولكن القطعة فقدت بهاءها ، ورونقها ، وقد حكمت اللجنة المشكلة من ٥٢ فنانا تشكيليا ، ومثقفا .. بأن ترميم الخزفيات لايقدم ولايؤخر بعد تحطيم الآنية .. فمنظرها يصبح مشوها يبعث على الرثاء لا الاعجاب .. !

● المتحف الشامل

متحف الجزيرة يختلف عن كثير من المتاحف فى أنه متحف شامل ـ غير



● تمثال لطفلة من الرخام الكرارة الايطالى

متخصص فهو يضم اللوحات ، والتحف ، والاثاث من العصور المختلفة ، ومن مدارس إيطالية ، وفرنسية ، وتركية ، وهندية وانجليزية ، وتلك ميزة ليست متوافرة لمتاحف غيرها ـ على قدر علمنا ـ سوى متحف (الفن والزخرفة) فى باريس ـ ولعل أجمل مافيه ، مازال حبيس القبو . هو مجموعة التماثيل البرونزية لأسرة محمد على من رأس الشجرة إلى الملك فاروق ، وحبذا لو عرضت هذه المجموعة النادرة .. عندما يعاد فتح المتحف .. فتلك حقبة من تاريخنا شئنا أم أبينا ، وتحمل الى جانب قيمتها التاريخية أروع قيمة فنية . فبعث محمد على بدهائه ، وابراهيم على حصانه ، واسماعيل بغروره ، وتوفيق بحماقاته وفاروق بجنونه .. قيمة حرام أن يحرم منها عشاق الفنون ، وهواة التحف .. !

● سبعون جنيها هى ميزانية نظافة المتحف ..؟!

المدرسة الجديدة

بقلم: د. شكري محمد عياد

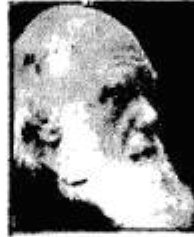
اتابع مقالات صديقي وزميلي القديم الدكتور حامد عمار على صفحات « الاهالي » وهو يكتبها دائما « من المطبخ التعليمي » ولاعجب فهو طاه من امهر الطهاة ، استاذ تربية من الصف الاول منذ اكثر من ثلاثين عاما ، وكتابه « بناء البشر » الذي ظهر في اواخر الخمسينات خليق ان ينتفع به حتى اليوم ، ولكنه ادهشني بمقاله الاخير (الاهالي ٥ يوليه ٨٩) اذ وجدته متمردا - مثلي - على نظام التعليم من اساسه .

● فأنت لاتتوقع ممن بلغ عمره الطويل المبارك في اعداد المعلمين ان يبلغ به السخط حد القول ان التعليم - على الاقل بصورته الحالية - يضر اكثر مما ينفع ! ولايخفف من دهشتي اني قرأت مثل هذا الرأي لاستاذ اكبر منا سنا وتجربة وارسخ قدما في تعليم الصغار والكبار وهو الاستاذ حامد سعيد صاحب « التعليم وبناء الانسان » . ولكن مادا ما قد التقيا عند فكرة « بناء الانسان » فلماذا لايلتقيان ايضا عند الشعور بأن التعليم كما نمارسه مقصر اشد التقصير في عملية البناء هذه ؟ انما موضع الدهشة عند امثالي وامثالك من غير الخبراء في « المطبخ التعليمي » ان الدعوى لاتنحصر في ان التعليم « مقصر » اذا نظرنا اليه بهذا الاعتبار ، بل تذهب إلى انه « مفسد » او « معطل » ولعلنا نتجرأ فنسأل هؤلاء الخبراء : ماذا تريدون ان نفعل بأولادنا اذن ؟ نخرجهم من المدرسة ، وبذلك نحسن اليهم ؟ واذا « حررناهم » من المدرسة والتعليم الذي تقدمه المدرسة ، فماذا يفعلون بأوقاتهم ؟ هل نطلقهم في الشوارع ؟

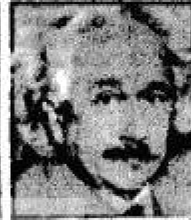




د . حامد عمار



تشارلز داروِن



اينشتاين



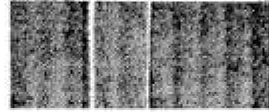
حامد سعيد

ام انكم اردتم بهذه الدعوى الى نوع من المبالغة ، والخبراء من حقهم ان يبالغوا احيانا كما يفعل الادباء ؟

نعم كان داروِن فى طفولته تلميذا خائبا ، وكذلك كان اينشتين ، ونحن نقرأ هذا ونتعجب ولكننا لاتسر اذا رسب ابننا ـ لاقدر الله ـ فى الامتحان ، تفاؤلا بانه حين يكبر سوف يكون عالما مثل داروِن او اينشتين ، اما الدكتور حامد عمار فيداعبنا فى موضوع الامتحان بالذات ، ويقترح علينا الا نقول بعد اليوم « عند الامتحان يكرم المرء او يهان » بل « عند الامتحان يكرم المرء او يصان » اى انه اذا لم يكرم عند الامتحان فرسب بدلا من أن ينجح كما كنا نأمل ، فيجب الا نظن ان اهانة حلت بساحته لاسمح الله ، بل ان الرسوب صانه من الوقوع فى حبائل المدارس والمعلمين !

● رسالة المدرسة

هكذا انضم الينا ـ فريق الساخطين على المدارس والتعليم ـ خبير عظيم فى حجم الدكتور حامد عمار ! فحمدا لله ثم حمدا لله..! ولننتهز هذه الفرصة لكى نطالبه ، هو وغيره من الخبراء ، بإعادة النظر فى نظام المدارس من اوله ومن اساسه ، وفى عملية التعليم من اولها ومن اساسها ، لاننا لانحسبهم يعمدون الى المبالغة تشبها بالادباء ، ولانحسبهم يمزحون وهم يتحدثون عن العمل الذى وهبوه اعمارهم ، فمزاحهم هو التعبير المقبول عن حقيقة مرة ، والحقيقة هنا هى ان رسالة المدرسة لاتعدو حشو اذهان التلاميذ بالمعلومات ، وان الامتحان لابد وان يكون اختبارا لمقدار ماحفظ التلميذ من هذه المعلومات ، وبما ان الحفظ غير المقترن بالخبرة لا « يحفظ » شيئا ، فطبيعى ان تطير المعلومة من ذهن التلميذ حين يحتاج اليها وقت الامتحان ، وربما لجأ الى



القفز على الأشواك

الغش . وربما ساعده المدرس او المراقب على الغش . وربما يسر له ولى امره سبيل الغش . فهم جميعا - التلميذ وأبواه ومدرسوه - يؤمنون فى قرارة انفسهم بأن هذه المعلومات لاقيمة لها . وانها لن تنفع التلميذ فى « حياته العملية » وأن كان مفتاح « الحياة العملية » عندهم هو « الشهادة » لاغير . فليحصل عليها بأى طريقة وهذا منطق سليم الا فى نقطة واحدة : وهى ان « الحياة العملية » التى تعتبر الشهادة جواز مرور لها - اى الوظيفة الحكومية - لاشىء فيها من « الحياة العملية » فى معظم الحالات فهى اما بطالة مقنعة واما عمل روتينى لايتطلب اكثر من معرفة للقراءة والكتابة . وبما ان الحكومة لايمكنها ان تخلق اموالا من الهواء لتدفع رواتب موظفيها (الورق المطبوع لاقيمة له ان لم يمثل مواد حقيقية) بل يجب ان تأخذ قسما مما ينتجه المنتجون لتعطيه لموظفيها ، لقاء الخدمات التى يقوم بها هؤلاء الموظفون للمنتجين . فالنتيجة الحتمية لهذه السلسلة من الاسباب والمسببات هى ان هذا التلميذ الذى يجلس اليوم على « تختة » ليحصل على « الشهادة » غدا ويطالب الحكومة بأن توظفه بعد غد ، انما يضع الحكومة - وهى فى هذه الحالة ممثلة للمجتمع - فى ورطة لا مخرج منها .

وإذن فمنع هذه الورطة بمنع مسبباتها هو الحل .

فبعض الناس ينادون بالا تلتزم الدولة بتعيين الخريجين ويتناسون ان لنا دستورا « اشتراكيا » يجعل العمل حقا للجميع . بل يتناسون ان الدول الرأسمالية نفسها تنزعج اذا ارتفعت نسبة البطالة . وان هذا الرقم يمكن ان يسقط الحكومة ويجىء بالمعارضة الى الحكم . ولاادرى الى متى نصر على تجاهل أصل الداء وهو نظام التعليم .

وبعض الناس يغالطون انفسهم بطريقة اخرى . فهم منزعجون فقط لكثرة الجامعيين . ولذلك يطالبون - وقد تستجيب وزارة التربية والتعليم لمطالبهم - بالتقليل من التعليم الثانوى العام ، الذى يؤدى فقط الى الجامعة ، والاكثار من التعليم الفنى الزراعى والصناعى والتجارى . ويتجاهلون أن انشاء مدرسة صناعية او زراعية يكلف أضعاف مايكلفه انشاء مدرسة ثانوية عادية (تماما كالفرق بين الكليات العملية والكليات النظرية) ومن هنا يصبح بعض التعليم الفنى اما زراعيا او صناعيا ضعيف الاعداد ، واما تجاريا لايختلف كثيرا عن الثانوى العادى ، فيتخرج الطالب من هذا او ذاك ليبحث عن وظيفة مكتبية ، لانه لايحسن عملا اخر .

● الدور التنويرى للمدرسة

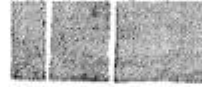
اننا نلح على الجانب الاقتصادى للمشكلة التعليمية لان الاقتصاد هو -

بالفعل ـ اهم مايشغلنا فى الوقت الحاضر ، ولكننا لاننسى الدور التنويرى للمدرسة ، ولاسيما فى بلد متخلف ، ولاأثر التعليم فى تكوين الشخصية المكتملة . اننا حين نفتح مدرسة لنجمع فيها الاطفال بدلا من تركهم يهيمون فى الشوارع ، او تسليمهم لكبار جهلاء نحميهم حقا من اضرار كثيرة محتملة ، ولكننا نحرمهم ايضا من فوائد كثيرة ممكنة .. اقرأ سيرة جوركى باجزائها الثلاثة : طفولتى ، بينما اكسب عيشى ، جامعاتى ، لترى كيف يمكن ان يتعلم صبى فقير في مجتمع متخلف لايمنحه الا القليل جدا من التعليم المنظم ، صبى يضطر الى العمل لكسب قوته وهو بعد طفل ، لعلك تقول : جوركى عبقرى مثل داروين وانيشتين ، ولايقاس على العباقرة ، ولكننى اسألك : هل كانت تتاح لهذا العبقرى تجارب كالتى مر بها وهو يعمل صبيا فى حانوت بائع احذية ، او مساعدا للطاهى فى سفينة نهرية ، لو ان النظام المدرسى تولى امره ليعزله عن تجارب الحياة بخيرها وشرها ؟ اليس دور المدرسة فى مجتمع كمجتمعنا سلبيا الى حد كبير فهى تقى الطفل (إلى حد ما فقط) من المؤثرات الخارجية الضارة ، ولكنها فى الوقت نفسه تحرمه من تنمية قدراته على الملاحظة والاستنتاج ، وتكبت نشاطه الجسمى والعقلى بوجه علم ؟

اليس من السخرية ان تنفق الدولة الفقيرة اموالا طائلة لتحول الاجيال الجديدة الى نسخ مكررة من فكر ضحل ، وشخصية باهتة لاتضيف شيئا الى الحياة ، ولاتستمتع هى نفسها بالحياة ؟ اليس من الواجب ان نتوقف قليلا ، لنواجه المشكلة من الجذور ؟

امامنا آلاف الابنية التى نسميها مدارس . بيوت ضخمة يحبس فيها الاطفال والشباب فترة من النهار ، وبعضهم يثور على هذا الحبس فتراهم يقفزون من فوق السور بعد « اخذ الغياب » تحديد النسل لم ينفع للتقليل من اعدادهم الوفيرة ، ولعل هذا الفشل راجع جزئيا على الأقل الى ان الاباء والامهات لايفكرون فى مستقبل هؤلاء الابناء لانهم هم انفسهم لايملكون وعيا حقيقيا بقيمة الحياة وقيمة التفكير . من هذه المدارس ـ عفوا ، من هذه السجون يتخرج كل علم مئات الالوف من العاطلين واليائسين ، الا يمكننا ان نتيح لهم فرصا افضل ؟

عندما نفكر على هذا النحو نجد انفسنا رافضين للوضع القائم ، غير مستعدين لمناقشة الآف المشكلات الصغيرة التى تترتب عليه . بدلا من ذلك نبنى فى خيالنا نموذجا اخر مختلفا كل الاختلاف ، بعبارة اخرى نحلم بمدن فاضلة لااثر فيها لهذه المشكلات . وعندما نتحول هكذا الى فلاسفة طوبويين يضحك منا الناس العمليون ويستمرون على ماهم فيه . تستمر الكتب الرديئة والمدرس المغرور والحبس فى الفصول والقفز



فوق السور . فالحلم المثالى لايعني سوى المثاليين ، ولن يكون له من قيمة الا اذا نزلنا به الى الواقع .

كيف ؟ اننا لاندعو الى هدم المدارس الموجودة ، ولا الى تسريح المدرسين ، بل اننا ندعو الى تأهيل الالوف المؤلفة من الموظفين الزائدين عن الحاجة فى جميع التخصصات ليكونوا مدرسين ناجحين ، وندعو الى تغيير الفكرة عن التعليم وعندما تتغير الفكرة سوف يتغير المكان . وككل نظام جديد ، ندعو الى ان يقوم النظام الجديد للتعليم بجانب النظام القديم ليحل محله آخر الامر .

فى مصر « مجتمعات جديدة » فى العاشر من رمضان و٦ اكتوبر ومدينة السادات ، والبقية تاتى ، فلاغنى عن انشاء المدن الجديدة لمواجهة الزيادة فى السكان والحاجة الى التوسع الزراعى والصناعى . والمدن الجديدة فى حاجة الى خدمات والتعليم على رأس هذه الخدمات وهى ـ بعد مدن قائمة على مؤسسات انتاجية فهى تهيىء فرصة نادرة لنظام تعليمى جديد يربط التعليم بالعمل .

لا اظن اننا نقدم على مغامرة خطيرة او نحمل هذه المؤسسات عبئا كبيرا لو الزمنا كل مؤسسة من هذه المؤسسات ـ او التزمت هى من تلقاء نفسها ـ بان تتبعها مدرسة اعدادية صغيرة ويمكن ان تشترك مجموعة من المؤسسات المتقاربة الموقع فى مدرسة واحدة . وعلى كل حال فان المطلوب ـ تعليميا ـ يمكن ان يقتصر على غرفة واحدة ! فى جوانب هذه الغرفة خزائن صغيرة تحتوى على الكتب ووسائل الايضاح الضرورية وتتناوب التعليم المكتبى فى هذه الغرفة فرق التعليم الاعدادى الثلاث ، لانهم سيمضون ثلث « اليوم المدرسى » فقط فى هذا المكان ، وفى الثلث الثانى سيقومون بعمل مساعدين فى المؤسسة الزراعية او الصناعية الملحقة بها هذه « المدرسة » اما الثلث الاخير فسيقضونه فى ملاعب رعاية الشباب . ولن يكون التوفيق بين هذه الاوقات صعبا ، فالخبراء فى اعداد الجداول فى مدارسنا حاذقون فى مراعاة اعتبارات لاتحصى : هذا المدرس بيته بعيد فلا يأخذ الحصة الاولى ولا الثانية ، وهذا لاياتى يوم كذا لانه يسافر اسبوعيا الى قريته ، وهذا يجب ان ينصرف مبكرا لاسباب تخصه ، الخ . وعلى كل حال فتتمة الاقتراح ، ان يكون للغرفة الواحدة معلم واحد ، يتفق تخصصه مع عمل المؤسسة ويعد اعدادا تربويا ملائما ، بما فى ذلك ان يعتنى هو نفسه بثقافته العامة ، التى لايحتاج الى اكثر منها ليكون مرشدا لطالب المرحلة الاعدادية .

هل هناك ماهو ايسر من هذا النظام ؟ اننا لاننسى ، مع وفائه بكل شروط التعليم الصحيح ، ان الطالب سيتقدم بعد ثلاث سنوات الى امتحان

الشهادة الاعدادية وسيظفر بهذه الشهادة العزيزة على قلوب الجميع وليس ثمة مايمنع بعد النجاح فى هذه المرحلة ، من ان تنظم المرحلة الثانوية على الاسس نفسها ، مع تعديلات طفيفة وسينمو هذا النظام ويتسع بنمو المجتمعات الجديدة ، وسيرسمان معا نمطا جديدا للحياة فى مصر ، حياة لاتعرف اليأس ولا الاحباط ، ولا التعصب ولا ضيق الافق ، ولا الكسل ولا الاعتماد دائما على الغير ، وسيفتح نموذج « المدرسة الجديدة » كنموذج « المجتمع الجديد » افاقا رحبة امام مصر كلها . سنمر امام مدارسنا الحالية بضجيجها الفوضوى واسوارها العالية التى لا تمنع التلاميذ - رغم علوها - من القفز فوقها فنتنسم منها وحولها روائح المستقبل لانها اصبحت خلايا علم وعمل .

● القاعدة والقمة

هذه صورة لنظام التعليم كما نتخيله للمرحلتين الاعدادية والثانوية وهى كما نرى لاتنفصل عن صورة المجتمع الرشيد المنتج الذى نتخيله . علينا ان نحاذر من حلم « المدينة الفاضلة » كما نحاذر من الاستسلام للواقع ، فكلاهما - كما يقال - وجهان لعملة واحدة بل ان كثيرا من الاحلام المتواضعة (كحلم تحسين نظام الامتحان مثلا) تظل مستحيلة التحقيق لانها تنسى او تتناسى الواقع فى مجموعه ، ولاتنظر الا الى جزئية واحدة منه ، وقد اقتصرنا فى حديثنا اليوم على المرحلتين الاعدادية والثانوية لانهما (وهما متكاملتان فى الحقيقة) المرحلة التى يتفتح فيها وعى الناشىء لمعنى « المواطنة » ويبدأ التفكير فى مستقبله . فهما - من ثمة - مرتبطتان اوثق الارتباط بمستقبل الامة .. مطلب النمو الطبيعى فى هذه المرحلة ان يصبح الفرد مواطنا ، اى عضوا فى مجتمع ، له حقوق وعليه مسئوليات . ولكنه لن ينجح فى هذه المرحلة الا اذا عبر المرحلة السابقة لها بنجاح .. اعنى مرحلة الطفولة التى يتلقى فيها الرعاية ، ولايحسن سوى اللعب ، ثم ان بعد مرحلة « المواطن المسئول » مرحلة اعلى وهى مرحلة المواطن المتميز بخبرة خاصة وكفاءة غير عادية واذا كانت المرحلة الاولى حقا للجميع ، فان المرحلة الاخيرة فرض كفاية على القلة . ان التعليم الابتدائى والتعليم الجامعى هما القاعدة والقمة ، ومشكلاتهما فى بلادنا لاتقل عن مشكلات مرحلة الاعداد المهنى ولكن الحلول المناسبة لهذه المشكلات قد لاتكون صعبة اذا استعنا بالخيال المرتبط بالواقع .

والكاتب - كما قلت غير مرة - لايرسم سياسات ولايضع خططا ، ان دوره لايعدو التنمية واثارة الفكر والخيال ، واذا استطاع ان يجعل فكره وخياله ملكا للجميع فقد هيأ التربة لتلقى سياسات وخططا ناجحة . فلعلك - ايها القارىء العزيز - لاتضيق بهذه المقالات ، حتى نحدثك ، فى أشهر مقبلة ، عن قاعدة التعليم وقمته : التعليم الابتدائى والتعليم الجامعى .

●● يروى ان طاليس ـ اول فلاسفة اليونان ـ كان يمشى ذات يوم مشدود البصر الى النجوم ، فتعثر فوقع فى بئر . ورآته عندئذ فتاة تراقية (اى من تراقيا) فضحكت منه وقالت ساخرة « انك لحرصك على معرفة ما يدور فى السماء لا تدرى ماذا يجرى عند قدميك » .

الفتاة التى سخرت من الفيلسوف

وهذا السكون الذى يحيط بنا كحبل المشنقة

بقلم: عبد الرشيد الصادق المحمودى

يروى القصة افلاطون فى محاورته عن « ثياتيتوس » . ونقلها عنه الدكتور عبد الغفار مكاوى فى فاتحة كتابه « لم الفلسفة ؟ » (الاسكندرية ، ١٩٨١) . وكان جديرا به أن ينقل للقارىء شيئا مما قاله افلاطون تعليقا على سخرية الفتاة وما يكمن فى هذه السخرية من نقد للفلاسفة لا زال يتردد عبر القرون ، وهو انهم يجهلون شئون الدنيا .

اما افلاطون ، فقد تقبل التهمة عن طيب خاطر . فالفيلسوف فى رأى افلاطون غريب عما يحيط به لا يدرى ماذا يدور من حوله عاجز عن التصدى لمشكلات الحياة اليومية . انه لا يعيش فى المدينة الا بجسمه ، بل هو يجهل ما اذا كان اقرب جيرانه انسانا ام حيوانا ، ولا يستطيع ان يرد على الاهانة اذا وجهت اليه . ولابد ان يكون مثارا للسخرية فهو يبدو بين الناس عاجزا زريا عييا كأنه الابله .

ولكن افلاطون لا يتفنن فى رسم هذا الوضع المزرى الا ليرفع من شأن الفيلسوف . فما قصوره فى فن الحياة الا دليل على حريته . ان الفيلسوف فى



رأى افلاطون انسان حر ، لانه ينفق وقته فى البحث عن الحقيقة ، لا يمنعه كم قضى من الوقت فى التفكير بحقيقتها · وهو لم يتعلم فى مدرسة الحياة ولم يخضع للاقوياء فيها ، وهو الذى لم يتقن العيش والعمل تحت رحمتهم · ولم يكتسب القدرة على قول أو عمل ما يرضيهم · وهو لا يخالط السادة ولا يمنعه نور السلطة أو الجاه أو الثروة أو النسب العريق · وهو لا يتردد على مجامع الساسة ومنتدياتهم ومآدبهم · وليس لنا أن نلوم هذا الذى لم يتدرب الا على الحرية والفراغ اذا بدا ساذجا قليل الحيلة عند أداء عمل من الاعمال اليدوية أو الدنيوية « كطى الفراش أو تتبيل الطعام أو تنميق الكلام » · فمجاله هو الافق الاعلى ، لا يتحرك الا محلقا فى كل مكان تحت الارض وفيما وراء السماء ، فيقيس الارض ويجوب السماوات ويستكشف الطبيعة بأسرها وجميع الاشياء كاملة · وتستطيع الفتاة التراقية الآن أن تضحك ما شاءت ، لان سخريتها من الفيلسوف انما تدل على أنه يحقق مهمته وتؤكد انتماءه الى مستوى من العلم والحقائق يفوق الارض وما عليها ·

وضع الفيلسوف كما بصورة افلاطون يكاد يطابق وضع الشاعر كما يتغناه بودلير في قصيدته عن طائر البحر الذي يدعي « القطرس » ٠ اذ يحدث أحيانا أن يقتنص البحارة هذا الطائر الذي يتبع السفن وهي تنزلق فوق الاعماق ٠فاذا وضعوه على خشب السفينة ناء بجناحيه الطويلين الابيضين فتدليا على جانبيه وأخذ يتخبط كالاعرج وصار نميما مثيرا للسخرية وسط صياح البحـــارة واستخفافهم ٠ ولكن لا حرج على المسافر المجنح الجميل ، أمير السحب الذي يطارد العواصف ويهزأ بالرماة ، فما خلق جناحاه لارضاء البحارة ٠ وكـذلك شأن الشاعر بين الناس ، فهو لا يحيا بينهم الا منفيا ٠

ولكن عبد الغفار مكاوى لا يستطيع أن يدير ظهره للفتاة التراقية ولـلارض الصلبة التي تقف عليها ٠ صدى ضحكاتها لازال يتردد عبر القرون حتى يبـلغ سمعه ٠ وهي لا تفتأ تمثل على صفحات كتابه بصورة أو بأخرى حتى « الطيف» الذي كان يزور شعراء الغزل القدامى ٠ فاذا لم تظهر بنفسها جاءت في صورة من ينوب عنها ٠ فالمؤلف يتخيل في موضع ما من كتابه أن السؤال عنموضوع الفلسفة وجدواها يأتيه من فتى أو فتاة من أهل هذا العصر ٠ بل ان من بيـن الفلاسفة أنفسهم من قد يطرح السؤال ويتبنى النقد والاتهام ٠ واذا لم ينطق عن الفتاة شخص أو آخر ، فان الواقع كما نشهده ـ وخاصة اذا كنا من أبنـاء العالم الثالث ومصر على وجه التحديد ـ كفيل بالافصاح ٠ أمثلة للمشكلات التي يطرحها الواقع : « موقفنا من الماضي : تسلط الموتى على الاحيـاء حتى كادت الآية تنعكس ويصبح الموتى هم الاحياء ٠٠ السكون ـ لحد الجمود ـ الذي يحيط بحياتنا كحبل المشنقة ، ويحول بيننا وبين التحرك والتغير ٠٠ سوء اسـتخدام الحرية واساءة فهمها ٠٠٠ تسلط الكلمات الجارية علينا ٠٠٠ » طبائع الاستبداد الغالب علينا من الاب في المنزل والشرطي في الشارع والموظف في المكتب والمعـلم في المدرسة ، عبر درجـات الهـرم الموروث المشـئوم ، آثـار التغيـرات الاجتماعية والاقتصادية والتقنية على تغيرات الوعي والقيم ، انحسار معظم القيم الايجابية في مجتمع الاستقرار (الزراعي) القديم لتحل محلها قيم (المدينة) السلبية الضارية ٠٠٠ » الى آخر القائمة المزعجة المألوفة ٠ ماذا يمكن للفلسـفة أن تفعل بازاء هذا الواقع الصارخ ؟

كيف يستطيع أستاذ الفلسفة أن يقنع طلابه اليوم بأن الفلسفة يمكنـها أن تعالج الواقع ـ هذا الواقع ؟ ذلك الآن هو وضع مؤلف « لم الفلسفة ؟ » ، وهو وضع لا يحسد عليه ٠ انه ليذكرني بحالي ذات يوم عندما طـلب الى أن ألقي درسا في المنطق في احدى المدارس الثانوية بالسيدة زينب ٠ وكان الفصـل المعنى يسمى « خامسة تاسع » ، أى الفصل التاسع من السنة الخامسـة (أو التوجيهية) ٠ ولعلني بدأت الدرس بقولي : « سنتحدث الآن عن المفهـوم والماصدق » أو شيئا من هذا القبيل ، فكأني ألقيت في الفصل قنبلة ٠ فلقد كان « خامسة تاسع » يضم كل الحالات المزمنة والمستعصية من المخضرمين وفحـول الراسبين في المدرسة ، وما أن سمعوا تلك العبارة حتى انفجر الضجيج لـمدة عشرين دقيقة :ضرب بالايدى على القماطر ودق بالكعوب على الارض ومـواء وعواء ونباح ونهيق وصهيل وصفير ٠ ولقد خيل الى حينئـذ انني وقعت في مغارة للشطار وحاملي المطاوى والمشارط ، وكان على أن أتوقع بين لحظة وأخرى

دخول الاستاذ الذى كان يدرينى حينئذ على التدريس ليفهم - من بين ما يفهم - قدرتى على التحكم فى الطلاب واستثارة اهتمامهم . ولكن حالى يومئذ لا يقارن بحال كاتب « لم الفلسفة ؟ » اليوم . فلقد تفاقم الكابوس واتسع نطاقه وأنى لاقدر أنه لم يخف شيئا من جوانب الازمة ، ولابد لقارئه أن يلاحظ بوضوح ما فى الكتاب من توتر عنيف . فهناك من ناحية حرص المؤلف على أن يثبت أن للفلسفة دورا تلعبه فى الواقع ، وهو حرص شديد يدفعه الى أن يحشد كل تاريخ للفلسفة للرد على تلك الملاحظة التى أبدتها فتاة رقيقة الحال (يصفها افلاطون بأنها خادم) ذات يوم من أيام القرن السادس قبل الميلاد . وهناك من ناحية أخرى ثقل الواقع وكثافته ، وعبد الغفار مكاوى لا يألو جهدا - بما أوتى من مواهب قصصية وشعرية - فى تقديمه للقارىء مفصلا وفى صورته « الخام » . ويحتد التوتر فى بعض الاحيان ليظهر صارخا فى صور الكاتب ولغته . فسقراط يهبط حافيا الى الاسواق ليناقش الناس فى المشكلات الفلسفية ، والفيلسوف لا ينظر الى النجوم الا وقدماه فى الوحل ، ونيتشه الذى يريد أن يخاطب الناس بالمطرقة . وترتفع اللهجة تارة لتشبه لغة الوعاظ والعرافين والمهديين بالويل والثبور ، ثم تنخفض تارة أخرى الى مستوى النجوى أو المونولوج الداخلى لتعرب عن الاسى والقنوط . وفى الكتاب شىء يذكرنا برواية « ثرثرة فوق النيل » لنجيب محفوظ وبأنيس زكى على وجه التحديد . فهناك امال كبار ووعى فادح بأن الامور قد خرجت أو بسبيلها الى أن تخرج من نطاق الفكر والارادة .

ويترتب على ذلك أن قارىء الكتاب لا يمكن أن يقف منه موقف اللامبالاة . فهو ممتع مشوق وهو مثير للسخط وهو فى الحالتين حافز على التفكير . ولاسجل اذن فى بداية النقد أننى مدين له ، فقد دفعنى الى الكتابة دفعا . بل ولقد أرمأ فى بعض الحالات الى الطريق الذى ينبغى أن أسلكه - على خلافه .

يحاول الدكتور عبد الغفار مكاوى أن يثبت أن الفلسفة تعنى بالواقع وبالواقع الاجتماعى بصفة خاصة . لكن المحاولة تنطوى على غرض أساسى لابد من ازالته . اذ يبدو أحيانا أن المؤلف يتخذ طريقا سهلا الى الرد ، وهو أن ينكر التهمة من أصلها ، فيقول أو يبدو كأنه يقول ان الفلسفة لم تكن فى يوم من الايام معزولة عن الواقع أو غافلة عنه . صحيح أن طاليس كان يمشى مشدود البصر الى السماء ، لكنه كان يرصدها لنفع الناس وخير محاصيلهم ، ولقد كان هو نفسه مزارعا وتاجرا ناجحا ، ولقد كانت لافلاطون وأرسطو وهيجل وغيرهم صلات وثيقة بالحكام وشئون الحكم . وكثيرة هى الاشياء التى يمكن أن تقال فى هذا الصدد . ألم يؤسس أرسطو عدة علوم بداية من الميتافيزيقا حتى الخطابة ومرورا بعلوم الطبيعة والحياة والنفس والسياسة والاخلاق ؟ وألم يقل هيجل أن الفلسفة هى عصرها معبرا عنه بالافكار ؟ أو لم يشبهها ببومة منيرفا - ربة الحكمة التى لا تظهر الا فى المساء ، وذلك أن الفلسفة تأتى فى نهاية الفترة التاريخية لتجمع أطراف ما حدث وتترجمه الى لغة الفكر ؟

ولكن مؤلف « لم الفلسفة ؟ » لا يكاد يطرق هذا الباب حتى يرتد منه - أو هكذا يبدو . وذلك أن هناك مشكلة حقيقية لا تمسها تلك الاقوال التى تقنع بما هو عام وظاهر ، ولا تتناول موقف الفلاسفة من الدنيا وهم يتناولونها على صعيد الفكر . فمن الممكن أن نسلم بأن الفلاسفة كانوا دائما على علم بالواقع ، وبأن كبارهم يعدون أعلم أهل زمانهم بتطور الاحداث والمعارف ، وبأن معظمهم

يتصرفون فى الحياة اليومية كما يتصرف سائر الناس ، وبان بعضهم أكثر فى هذا الميدان حذقا وتبصرا ولباقة من رجال العمل والسياسة . ولكن ذلك كله لا ينفى أن كثيرا من الفلاسفة الذين لا يعيبهم الجهل بأى حـــال يمارسون نوعاً من التجهيل ، فهم فى فلسفاتهم لا يتصلون بالواقع الا لينفصلوا عنه ، ولا يلمونه الا ليدرجوه فى دائرة الأوهام والاحلام ، أو ليعتبروه نسخة مشوهة من عالم علوى أو مظهرا لحقيقة كامنة عندما يقول أفلاطون أن الفيلسوف يجهل ما اذا كان أقرب جيرانه انسانا أم حيوانا ، فانه يريد أن يقول أن الفيلسوف منصرف عن العالم بكل ما فيه . فالفيلسوف لا يتساءل عن جاره لانه معنى بالبحث فى ماهية الانسان . ولا يهتم بالحاكم لانه مشغول بالحكم فى ذاته ، ولا يولى أى اعتبار لسعادة هذا الفرد أو ذاك لانه منصرف الى النظر فى السعادة البشرية بصفة عامة . ولكن أفلاطون يفترض أيضا أن هذه الماهيات أو الحقائق توجد فى عالم قائم بذاته هو عالم المثل . ويؤدى ذلك أن الفيلسوف يبدأ بالاشياء كما نصادفها جميعا ، ثم يقتصر منها على ماهياتها ، ثم يجرد هذه الماهيات ويضعها فى عالم عـــلوى ، ليتـاح له عندئذ أن يزعـم أن الماهيـــات فى هـــذا العـــالم المثـالى هى الموضوعات الحقيقية للنظر الفلسفى ، وأن يركل الاشياء الواقعية بوصفها نسخا مشوهة من مثلها العليا .

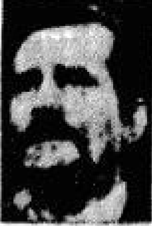
ولا ينبغى أن ننخدع بقولة هيجل أن الفلسفة هى عصرها معبـــرا عنـــه بالافكار . فهذا القول البرىء فى ظاهر الامر يعنى فى الحقيقة أن الفلســـفة (كمجموعة من الافكار) هى عصرها (كمجموعة من الاوضاع والاحـــداث التاريخية) تشملهما ، لانهما كليهما ليسا الا وجهين لمرحلة من مراحل تحـــقق الروح المطلق . وهو اذن يوحد بين الفلسفة وعصرها ليدرجهما فى جوف الحوت الذى يبتلع كل شىء أو المطلق .

ومثل هذه الفلسفات تنطوى اذن على ما هو أخطر من الجهل لانها تقوم على محاولة منظمة للالمام بكل الموجودات التى نعرفها بغية الحط من شـــأنها بحيث لا تصلح للدراسة الا بقدر ما تؤدى الدراسة الى انكارها . وماذا يجنى الانسان العادى من علم الفيلسوف اذا كان ينتهى الى أن الاوضاع المترديه ليســـت الا أوهاما أو حلقات فى دراما كونية روحية مطلقة ؟ أو لا تؤدى مثل هذه الفلسفة الى ترطيد دعائم الظلم والطغيان ؟

وتلك هى اذن المشكلة الحقيقية التى تواجه عبد الغفار مكاوى وأى فيلسوف اخر يحاول أن يدافع عن صلة الفلسفة بالحياة . فليست مهمة هذا الفيلســوف أن يرجع الى سير الفلاسفة لكى يبين الى أى حد كانوا على علم بما يجـــرى فى عصرهم ، وانما عليه أن يثبت بالمنطق والبرهان أن الفلسفة بطبيعتها يمـــكن أو ينبغى أن تدرس الواقع وأن الاشياء فى هذا الواقع بحكم وجودها ذاته أن تكون موضوعا للنظر الفلسفى . على هذا الفيلسوف بعبارة أخرى أن يرد الاعتبـــار للفلسفة ولاشياء الواقع عن طريق البحث النظرى فى طبيعة المعرفة الفلسفية وفى وجود الاشياء الواقعية . وفى مثل هذا البحث يكمن الرد المقنع على سخرية الفتاة التراقيـــة .

وهناك من الشواهد ما يدل على أن مؤلف كتاب « لم الفلسفة ؟ » يتحرك فى هذا الاتجاه الفلسفى . ولكننا لا نكاد نهتم بهذه البوادر التى تبشر بالخيـــر حتى تتبدد كالسراب . فالى مقالة قادمة نرصد فيها ظهورها واختفاءها .




ليخ فاليسا

• « الوقت مبكر جدا لتبادل التهانى »
ليخ فاليسا
رئيس منظمة التضامن البولندية

• « الحالة الاقتصادية تزداد سوءاً »
ليونيد ابالكين
نائب رئيس الوزراء السوفيتى


اوجوستو

• « اذا اعدت ترشيح نفسى ، فسابدو وكأننى اتصرف من منطلق الطموح ، وانا لست طموحا !! »
الجنرال اوجوستو بينوشيه
رئيس جمهورية شيلى

• « من ليس ضدنا فهو معنا »
يانوس كادار
الأمين العام السابق للحزب الشيوعى المجرى

• « تاييد الكونجرس لاسرائيل فى الذروة »
دانييل انويى
عضو مجلس الشيوخ الامريكى

• « التنوير والتثوير يجب ان يتم من الداخل . اما ما يأتى من الخارج فلا معنى له »
المفكر
د . محمد عابد الجابرى

اندريه جروميكو



• « الشيخوخة شىء عنيد ، ولامهرب منها »
اندريه جروميكو
الرئيس السابق للاتحاد السوفيتى

• « جروميكو اساسا كان محاربا من محاربى الحرب الباردة »
لورد كارنجتون

إمبراطور الصين
والاعتراف الأخير

بقلم: عبد الرحمن شاكر

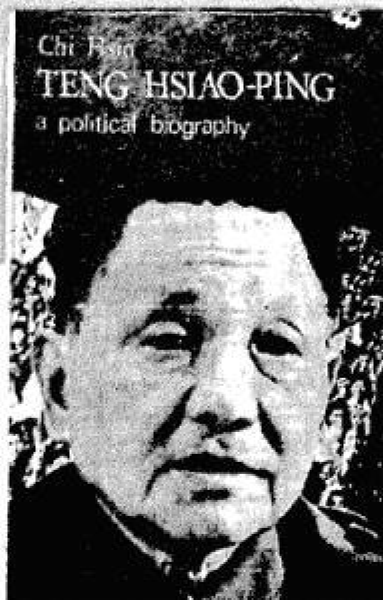
لم يكد يمضي شهر واحد على اقتحام الدبابات الصينية ميدان "تيان إن مين" بالعاصمة بكين لقمع مظاهرات الطلبة فيه ، حتى كان الزعيم الصيني الكبير "دنج سيلوبنج" يدعو الى الحد من عدد الذين ينفذ فيهم حكم الاعدام من المنشقين او المتمردين على السلطة ، ومدبرى تلك المظاهرات ، كذلك دعا الزعيم الصيني الى اتخاذ اجراء ضد الفساد الذى أدى الى فقدان الثقة بالحزب الشيوعي لدى الجماهير .

وكان سببا فى الاضطرابات التى شهدتها الصين اخيرا وقال ان عائلات كبار الموظفين" متورطة فى هذا الفساد ! وبالطبع لم يذهب دنج سياوبنج فى اعترافه الى حد التسليم بأن ابنه هو شخصيا احد هؤلاء المتورطين ، كما لم يعترف بأن المطالبة بالديمقراطية التى يصفها بـ "الليبرالية البرجوازية" إنما هى لكشف هذا الفساد وبدونها سوف يظل يستشرى تحت مظلة الاستبداد وأن تلك هي الحقيقة التاريخية التى كشفت عنها تجربة مختلف المجتمعات !

وقصة دنج سياوبنج ، مع الاعتراف بالأخطاء ، قديمة ، مع انه عرف فترة فى دوائر الحزب الشيوعي الصيني بأنه الرجل الذى هو على حق دائما ! وقبل أن يدب الخلاف بين ماوتسى تونج وخروشوف ، كان هذا الاخير فى زيارة للصين وقدم اليه ماوتسى تونج ، دنج سياوبنج بقوله : "انظر الى هذا الرجل الضئيل الحجم ، انه شديد الذكاء وينتظره مستقبل عظيم " وبعد سنوات كان ماوتسى تونج يصيح غاضبا : "من هو هذا الامبراطور" الذى يتخذ قرارات من وراء ظهورنا ؟ ويعنى ذلك "دنج سياوبنج" ، الذى كان قد اصبح سكرتيرا عاما للجنة المركزية فى الحزب الشيوعى الصينى واحيانا اخرى كان "ماو" يصرح باسمه ويقول



هوتسى ثونج



ان "دنج سياوبنج يمثل مملكة وحدة !"

ولد دنج سياوبنج عام ١٩٠٤ لأسرة اقطاعية وكان يحمل اسم "كان تسى كاو" ، واستبدل به اسمه الحالى حينما التحق بالحزب الشيوعى الصينى عام ١٩٢٥ . وقد سافر وهو فى السادسة عشرة من عمره فى عام ١٩٢٠ الى فرنسا لاستكمال دراسته وهناك التحق برابطة الشباب الاشتراكى الصينى التى اعيد تشكيلها تحت اسم رابطة الشباب الشيوعى الصينى عام ١٩٢١ ثم اصبحت هى الفرع الاوربى العام للحزب الشيوعى الصينى الذى أعلن تشكيله فى شنغهاى فى نفس العام وتوجه شوان لاى من المانيا الى فرنسا ليحضر الاجتماع الذى أعلن فيه تشكيل هذا الفرع وكان بمثابة منظمة شبه سرية لمساعدة الطلبة الصينيين الذين اوفدتهم الحكومة الصينية فى بعثات خارجية على تدبير شئون معاشهم من ناحية ولنشر الفكر الاشتراكى والشيوعى بينهم من ناحية اخرى . ولاشك ان ذكريات هذه الأعوام المبكرة من حياة الزعيم الصينى تعاوده بشدة وهو يشهد الطلبة الصينيين المبعوثين حاليا الى الخارج يشكلون اتحادا ديمقراطيا مستقلا ، فى فرنسا ايضا ويرفض اكثر من نصفهم اى حوالى ٢٥ الف طالب العودة الى الصين الا اذا اقرت

والاعتراف الاخير

فيها الحريات الديمقراطية !

● النبوغ العسكرى

وفى واقع الامر لم يتعلم دنج سياوبنج فى المدارس الفرنسية شيئا ! فقد كانت خطته فى البداية ان يعمل نصف الوقت ـ لكى يعيش كما هو الحال بالنسبة لكثير من زملائه ونصفه الآخر يدرس فيه ، ولكن بدلا من ذلك التحق بمصنع للاحذية "الكاوتشوك" فى فرنسا وظل به خمس سنوات حتى عاد الى الصين ! ولكن اظهر مهارة قيادية بارزة فى نشاطه السياسى من خلال رابطة الطلبة الشيوعيين .

وبعد عودته من باريس ، التحق دنج سياوبنج لفترة قصيرة بجامعة صن يات سن (مؤسس الجمهورية الصينية) ولكنه سرعان ما ترك الدراسة وانخرط فى النشاط السياسى المكثف للحزب الشيوعى الصينى فى الفترة الحرجة التى اعقبت وفاة صن يات سن ، بالتالى تمزق جبهة الكومنتانج ، التى كان صن يات سن يعترف بدور للشيوعيين فيها وبدأت سياسة شيان كاى شيك فى القضاء عليهم وعلى وجودهم السياسى فى تلك الفترة رسم ماوتسى تونج استراتيجية جديدة للشيوعيين تقوم على التوجه الى الفلاحين واثارتهم ضد ملاك الأراضى الاقطاعيين واغرائهم باقتسام الأرض فيما بينهم وتشكيل فرق مسلحة للدفاع عنها ، اصبحت فيما بعد هى جيش التحرير الشعبى الصينى الذى كان ماو يدعو الى تجنيد الطلبة ليكونوا ضباطا لهذا الجيش ، وكان دنج سياوبنج واحدا من هؤلاء الضباط الطلبة وتولى مسئولية قيادية فى "الجيش السابع" حديث التكوين وعين عميدا للاكاديمية صن يات سن العسكرية فى ضواحى مدينة سيان بمقاطعة تشانى ومن هذا الموقع قام بمناورة بارعة فى التحالف مع بعض امراء الجند الاقطاعيين لصد احدى حملات شيان كاى شيك لابادة الشيوعيين مستغلا روح المنافسة بين هؤلاء الافراد وبعضهم البعض من جانب ، وخشيتهم من سطوة الحكومة المركزية بزعامة شيان كاى شيك من جانب آخر .

كذلك ظهرت براعة دنج سياوبنج العسكرية فى المسيرة الكبرى ، التى رحل فيها الجيش الاحمر من قاعدته فى الجنوب الى قاعدة اخرى فى شمال غرب الصين تعرف باسم "يينان" على الحدود السوفييتية حيث استوعب جيدا استراتيجية رئيس اللجنة العسكرية الجديد فى الحزب وهو ماوتسى تونج شخصيا ، تلك الاستراتيجية التى تقوم اساسا على

حرب العصابات بعد أن كان دنج سياوبنج اعترف بخطئه فى اتباع خط "وانج بنج" فى الحرب التقليدية التى كبدت الجيش الصينى الاحمر خسائر فادحة وعوقب على هذا الخطأ بتعيينه رئيسا لتحرير جريدة النجم الاحمر (جريدة الجيش الاحمر الصينى) بدلا من العمل العسكرى المباشر وعاد دنج الى العمل العسكرى بعد أن ايد بقوة ماوتسى تونج ضد وانج بنج وهو ذات المسلك الذى سوف يتبعه بعد ذلك فى نقد ليوتشاوتش والاعتراف عليه وعلى نفسه معا !

من هذه البراعة العسكرية والاستراتيجية انه فى ظل الحصار الذى كان يفرضه شيان كاى شيك على بعض فرق الجيش الاحمر وفى مواجهة الغزو اليابانى ونقص المؤن التى يحصل عليها هذا الجيش امر دنج سياوبنج رجاله بان يزرعوا الارض بأنفسهم وهم فلاحون اساسا ـ ويستنبتوا منها ما يحتاجونه من غذاء وفائض يحصلون مقابله على بقية المؤن من ـ الملابس الى طلقات الرصاص .

وقد مكنت المسيرة الكبرى الجيش الاحمر وهجرته الى الشمال حيث بدأ الغزو اليابانى عام ١٩٢٤ ، فى ان يثبت للشعب الصينى انه هو القوة الرئيسية فى النضال ضد هذا الغزو وحينما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها عام ١٩٤٥ تجددت الحرب الاهلية بين الكومنتانج برئاسة شيان كاى شيك وتأييد الولايات المتحدة الامريكية والحزب الشيوعى وجيشه الاحمر بتأييد الاتحاد السوفيتى وقام دنج سياوبنج بدور كبير فى حصار بكين (عاصمة شيان كاى شيك) واسقاطها ومن ثم اعلان قيام جمهورية الصين الشعبية ١٩٤٩ واصبح "دنج" واحدا من ابرز قادتها :

● دعاة الطريق الراسمالى

كان دنج سياوبنج هو مبعوث ماوتسى تونج لحضور المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفيتى فى عام ١٩٥٦ وهوالمؤتمر الذى اعلن فيه خروشوف نقده لسياسة تقديس الفرد التى اتبعها الحزب ايام ستالين وترتب عليها كثير من الفضائح التى ارتكبها الزعيم "المقدس" وعاد دنج الى الصين ممتلئا بالحماسة لما فعله خروشوف بزعيمه السابق ولكن اخذ عليه انه ربط مابين ادانة تقديس الفرد من ناحية ومن ناحية اخرى لقراره بإمكانية قيام الاشتراكية بالطريق البرلمانى فى بعض البلدان التى استقرت فيها الديمقراطية رغم ان العلاقة ما بين الاثنين واضحة حيث ان مصدر تقديس الفرد كان هو التزام الشيوعيين بمبدأ ديكتاتورية

والاعتراف الاخير

البروليتاريا او الحزب الشيوعى وهو الامر الذى لم يدر بخلد دنج سياوبنج أن يتخلى عنه (١) وفى أوائل الستينيات حينما تولى دنج سياوبنج سكرتارية اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى قرر أن يفعل شيئا يحد به من تقديس الفرد فى الصين وهذا الفرد بالطبع كان هو ماوتسى تونج زعيم الحزب الشيوعى الصينى واتخذ دنج قرارا بتعديل دستور الحزب بحيث يلغى منه النص الذى يقول ان الحزب يسترشد بأفكار ماوتسى تونج بالاضافة الى الماركسية اللينينية ولم يكن دنج قد استشار ماوتسى تونج فى امر هذا التعديل مما جعله يثور ويتساءل عن ذلك "الامبراطور" .. كما قدمنا فى اول المقال !

وبالمقابل راح ماوتسى تونج يشن حملته ضد دعاة العودة الى الطريق الرأسمالى من قادة الحزب وعلى رأسهم "ليوتشاوتشى" رئيس الجمهورية ودنج سياوبنج سكرتير عام اللجنة المركزية ويصف هؤلاء بأنهم قد استمرأوا المعيشة الرغدة التى تتيحها لهم مرتباتهم الضخمة وامتيازاتهم الاجتماعية وانعزلوا عن جماهير الشعب الكادحة وأنهم فى ذلك يحاكون قادة الاتحاد السوفيتى الذين تحولوا الى برجوازيين ويمهدون لعودة بلادهم الى الرأسمالية وهى بالفعل قد اصبحت اشتراكية امبريالية !! وكانت تلك هى بداية الثورة الثقافية فى عام ١٩٦٤ ، واندلعت المظاهرات بتحريض من ماوتسى تونج ضد "المراجعين" و "المنحرفين" ودعاة العودة الى الرأسمالية من قادة الحزب الشيوعى والحكومة الصينية .

وأدرك دنج سياوبنج من اين تهب الريح وقدم نقدا ذاتيا اعترف فيه على نفسه وعلى ليوتشاوتشى بأنهم فى واقع الامر يسلكون مسلك دعاة العودة الى الرأسمالية وكان ان سقط ليوتشاوتشى نهائيا عام ١٩٦٧ ولايعرف مصيره حتى الان (وربما يكون قد اعدم او مات دون أن يحس به احد) اما دنج سياوبنج فقد عاقبته الثورة الثقافية بإبعاده الى احدى المزارع ليعمل بيديه ويتعلم انه لافرق بين من يعملون بأيديهم ومن يعملون بأذهانهم وبالتالى ليس هناك ما يدعو الى تمييز هؤلاء الاخرين بمن فيهم هو ، وهو الرجل المثقف الشديد الذكاء ! وقد حاولت عصابة الاربعة التخلص منه نهائيا ، ولكنها سقطت بعد موت ماوتسى تونج عام ١٩٧٦ وعاد دنج سياوبنج ليصبح اقوى رجل فى الصين .

ومن موقع رئيس اللجنة العسكرية

---

(١) لمزيد من تفاصيل هذه العلاقة راجع ماكتبناه عنها فى كتابنا (الثورة الاشتراكية العالمية) الصادر فى القاهرة عام ١٩٦١ .

بالحزب الشيوعى الصينى ومن هذا الموقع أعلن انتهاء الثورة الثقافية وبدأ سياسته فى تحديث الصين عن طريق ما سماه "جرعات غير ضارة من الرأسمالية" بالعودة الى سياسة السوق وفتح ابواب الصين لاستيراد التكنولوجيا الغربية والتعاون الاقتصادى مع الدوائر المالية والصناعية فى الغرب .. وقد ترتب على هذه السياسة الانفتاحية كثير من التغييرات الاجتماعية حيث ظهرت رأسمالية صينية جديدة وحقق بعض كبار الموظفين مكاسب ضخمة عن طريق الرشا ، واستغلال النفوذ .. فى الوقت الذى ارتفعت فيه الاسعار واصبحت الحياة صعبة بالنسبة لكثير من العمال والفلاحين واصبح بعضهم يعانون من البطالة ويشعر الطلبة بان المستقبل مظلم امامهم .. لذلك كانت المظاهرات المنادية بالديمقراطية ، والتى اندلعت خلال شهر ابريل ومايو الماضيين .. ولكن دنج سياوبنج الذى يدعو الى جرعات غير ضارة من الرأسمالية .. لم ير بعد ان الصين بحاجة ايضا الى جرعات مماثلة من الديمقراطية !

● الاعتراف الاخير

ولكن دنج فى كلماته التى صدرنا بها هذا المقال لم يستطع أن يتجاهل الواقع الصينى الذى ادى الى ما يشبه قيام ثورة ديمقراطية جديدة فى الصين بدأها الطلبة فى ميدان "تيان إن مين" ولم يتم قمعها الا بالدبابات وفرق الاعدام رميا بالرصاص لمن يقبض عليه من عناصرها المحركة !

والى جانب اعتراف دنج سياوبنج جاءت اعترافات اخرى من معاونيه من المتشددين منهم "لى يانج" رئيس الوزراء الذى صرح لوفد بوليفى بأن قمع التمرد كان معقولا لانه ما من حكومة او حزب يسمح بتدمير نفسه ! اى ان المسألة كلها كانت دفاعا عن النفس بالنسبة للحكومة والحزب الحاكم ضد الشعب الثائر عليهم وعلى مفاسدهم .

ولكن القادة المتشددين فى الصين قد قاموا بعزل زهاو زيانج سكرتير الحزب الشيوعى السابق من منصبه لانه دعا الى الاستماع الى الطلبة الثائرين والتفاهم معهم ويحاول السكرتير الجديد للحزب ان يلقى بالمسئولية على زهاو زيانج فى فقدان الثقة بالحزب ورجاله ولكنه يؤكد ان زهاو زيانج مايزال حيا وحرا فى منزله وذلك التصريح ـ وكل الاعترافات السابق الاشارة اليها دليل على ان ثورة ١٩٨٩ الديمقراطية فى الصين ـ رغم قمعها بالدبابات قد شرعت تلقى بثقلها على ضمير حكام الصين وتلك بداية الطريق .. او المسيرة الكبرى الجديدة !



منهج السنة النبوية

بقلم : د . سعيد اسماعيل على

ربما كانت الصلة السليمة بين المفكرين والناس ، واساليب التخاطب الناجعة بينهم ، من اهم القضايا والمشكلات التى تستحق التامل والتدبر فى هذه الايام فى مجال الفكر الاسلامى بصفة خاصة ، مع التسليم باهميتها كذلك فى مجالات الفكر الاخرى ، لكنها هنا بالذات اذ تتصل فى كثير من الاحيان بالتحليل والتحريم ، والكفر والايمان ، فإنها تصبح على اعلى درجات الخطورة والالحاح . فلا جدوى من ان يقف كل فريق من المفكرين والناس على رأس جبل يفصل بينهما واد سحيق ، فريق يصيح وفريق لا يكاد يسمع ، واذا سمع فإنه لا يكاد يفقه ، واذا فقه فإنه لا يكاد يتمثل الأمر فى سلوكه ومواقفه ، وبذلك يظل المجال مفتوحا امام الذين يحسنون استهواء عامة الناس ويجيدون وسائل استفزازهم ، وتحريك مشاعرهم وغرائزهم ، ويدفعون بهم بعيدا عن منهج الاسلام فى الوسطية ، فتزداد الفرقة فى صفوف المسلمين ويشيع التشاحن والتقاطع ويسارع بعض من يتربصون بجماعة المسلمين الفرص الى توجيه التهم وتوزيع التكفير على كل من اراد ان يتبع هدى الاسلام ويجمع المسلمين على كلمة سواء .

وهكذا يصبح من واجب عقلاء هذه الامة ان يسارعوا الى رأب الصدع ، وان يتنادوا الى بحث اسباب الفرقة والتناحر ووصف العلاج ، والتداوى به . وتظل القضية الاساسية والسؤال الكبير الموجه الينا جميعا : ماهى الوسيلة المجدية لتحقيق هذه الغاية ؟ ماهى المعادلة الصحيحة التى توصلنا الى الحل المنشود ؟ كيف يمكن ان تؤثر مواقف المفكرين والعلماء وآراؤهم فى الناس ؟

تلك كانت مقتطفات مطولة من خطاب القاه الملك حسين فى حفل افتتاح المؤتمر العام الشامل للمجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية .

ومما لا شك فيه ان الطريق الصحيح الذى يمكن للمسلم المعاصر ان يسلكه لمواجهة مثل هذه الاشكالية ، ان يتسلح بسلاح المعرفة الصحيحة حيث لم يعد يفيد الاكتفاء بالاساليب العاطفية التى تثير الاحاسيس وتدفع الى الحماس . لكنها فى

ظل غيبة الخطاب العقلي سرعان ما تنطفىء ، وكثيرا ما تقع في أخطاء الغلو والتطرف . والمعرفة لا يمكن ان تكون صحيحة الا اذا ضبطت بمنهج دقيق يمنع التردى فى هوة الاحكام الخاطئة والانحرافات الفكرية .

ومن هنا كان التركيز في مؤتمر هذا العام على تدارس (السنة النبوية) كمنهج لابد للمسلم أن يحسن استخدامه بعمق الايمان وأحاطة العقل ووعى البصيرة .

والخطوة الاولى على هذا الطريق فى مناقشة مدى ما يمكن الاعتماد عليه من مصادر المعرفة ، والذى يهمنا فى هذا المقال ان نذكر بأن موضوع المعرفة عندما يكون مسألة خاضعة للتجربة والمشاهدة ، فإن المنهج اليها لابد ان يكون محصورا فى التجربة والمشاهدة . ولكن عندما يكون مسألة غيبية ، كأن تكون عائدة الى ماض سحيق ، أو متوقعة الحصول فى المستقبل البعيد ، فإن المنهج الى معرفة هذه المسألة أحد طريقين فيما تؤكد دراسة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى المقدمة الى هذا المؤتمر :

اولهما ، وهو الأصل والمتفق ، الوقوف على الخبر اليقيني الصادق المتصل بالمصدر الموثوق به ثقة علمية ، والذى يمكن ان يكشف عن خبيئة تلك المسألة .

ثانيهما ، (وهو سبيل فرعي ، ينتج فى ظروف محددة وضمن شروط معينة) الاعتماد على قانون التلازم ، اى تتابع المستلزمات العقلية التى لابد ان تنتج عن فرضية غيبية ما ، فيما لو قدرنا انها واقعة وصحيحة .



د . محمد عمارة   د . يوسف القرضاوى

● الخبر اليقيني

والطريق الأساسى الأول يحتاج إلى إلقاء مزيد من الضوء عليه ، وهو الخبر اليقيني ، فنحن ، بعد ان تكامل ايماننا بوجود الله عز وجل ، لانشك فى انه المصدر اليقينى الصحيح لكل معضلة كونية مدفونة فى غياهب الغيب الماضى أو المستقبل ، ومن ثم فلا مندوحة لنا – فى طريق معاناتنا من اجل المعرفة – من أن نصغي جيدا إلى ما يقوله هذا الصانع ، معرفا بمصنوعاته ومنبها الى كل ما هو جدير بالمعرفة عنها .

وهكذا ، فإن المعرفة العلمية الصحيحة لقصة هذا الكون ، كما هى متوقفة على العقل الانسانى المدرك ، متوقفة فى الوقت ذاته على بلاغات أخبارية ترد الينا عبر قناة علمية دقيقة من صانع هذا الكون . وغنى عن البيان ان المعرفة لا تتحقق الا اذا ألقح العقل الانسانى هذه البلاغات ، فلا يغنى واحد منهما عن الآخر على طريق معرفة الغيوب الكونية ، مهما حاول الانسان وجاهد .

وعلى الرغم مما استقر فى وجدان المسلمين وعقولهم وقلوبهم من أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذى كشف عن

طريق الوحي بابلاغ الناس بالرسالة الاسلامية الالهية المتمثلة في القرآن الكريم ، ومن ثم اعتبروا سنته مصدرا اساسيا ثانيا لابد من الالتزام به ، فإن هناك نفرا من الذين حادوا عن الطريق القوا ظلال شبهة على السنة اشار اليها بحث الشيخ عز الدين الخطيب التميمي ، منها :

ـ الادعاء بأن القرآن الكريم قد فصل وبين كل امور الدين وكل احكامه ، فقد قال الله تعالى :

«ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء .. «الانعام / ٣٨» ، فلا يحتاج الى شيء آخر كالسنة والا لما كان تبيانا لكل شيء .

ـ الادعاء بأن السنة لو كانت حجة لتكفل الله بحفظها كالقرآن ، ويستندون في ذلك الى قوله عز وجل : «انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » «الحجر / ٩» . وهذا يدل في زعمهم على ان الله تعالى تكفل بحفظ القرآن دون السنة .

ـ كما زعموا ان السنة لو كانت حجة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابتها لما في ذلك من صيانتها من العبث والتبديل والخطأ والنسيان وضمان وصولها الى المسلمين مقطوعا بصحتها وثبوتها .

ـ أن تدوين الحديث لم يعرف الا على راس المائة الاولى من الهجرة أي بعد ان طرأ عليها ـ في زعمهم ـ الخطأ والنسيان ، ودخل فيها التحريف والتغيير فتزلزلت الثقة بضبطها ، وذلك مما يوجب الشك فيها وعدم الاعتماد عليها في أخذ الاحكام .

كثرة الوضاعين للحديث يجعل الثقة بصحة الاحاديث ضعيفة ويجعل المرء لا يطمئن الى السنة النبوية من حيث ورودها .

ـ زعم المشككون ان ضعف بعض الاحاديث في كتب الصحاح كان ناشئا عن تقصير المحدثين أنفسهم الذين حصروا عنايتهم في سند الاحاديث دون متونها .

وقد ناقش الشيخ عز الدين الخطيب هذه الشبهات مناقشة منهجية علمية مستفيضة وفندها مما لا يتسع المقام لبيانه ، ويكفي التنبيه الى ان كتاب الله تعالى قد مليء بالآيات الدالة ـ باجتماعها ـ دلالة قاطعة على حجية السنة ، وهذه الآيات على انواع ، وقد تشتمل الآية الواحدة على اكثر من نوع :

● النوع الأول : ما يدل على وجوب الايمان به صلى الله عليه وسلم ، والايمان به معناه : التصديق والاذعان برسالته وبجميع ما جاء به من عند الله سواء ورد ذكره في القرآن ام لا ، أو يدل على أن عدم اتباعه ، والرضا بحكمه ، يتنافى مع الايمان ، قال تعالى : «انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » (الحجرات / ١٥) .

● النوع الثاني ، ما يدل على ان الرسول مبين للكتاب ، وشارح له شرحا معتبرا عنده تعالى مطابقا لما حكم به على العباد ، وانه يعلم امته : الكتاب والحكمة ، وهي ـ كما قال الشافعي ، وغيره ـ السنة . وعلى تسليم انها الكتاب ، فتعليم

الأمة اياه معناه : شرحه وبيان مجمله ، وتوضيح مشكله ، وذلك يستلزم : حجية بيانه للكتاب بقوله أو فعله او تقريره قال تعالى : «وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ، ولعلهم يتفكرون (النحل / ٤٤) .

● النوع الثالث : مايدل على وجوب طاعته - صلى الله عليه وسلم - طاعة مطلقة فيما يأمر به وينهى عنه ، وعلى ان طاعته : طاعة الله ، وعلى التحذير من مخالفته وتبديل سنته ، قال تعالى : «قل اطيعوا الله والرسول ، فإن تولوا فان الله لا يحب الكافرين (آل عمران / ٣٢)

● النوع الرابع : ما يدل على وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم في جميع ما يصدر عنه ، والتأسي في ذلك به وعلى ان اتباعه لازم لمحبة الله ، قال تعالى : «قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » (آل عمران) ٣١) .

● النوع الخامس : ما يدل على ان الله قد كلفه صلى الله عليه وسلم باتباع ما يوحى اليه متلوا أو غير متلو ، وبتبليغ جميع ما أنزل عليه ، ونهاه عن التقصير في شيء منه او تغييره وتبديله ، قال تعالى : «اتبع ما أوحى اليك من ربك ، لا اله الا هو ، وأعرض عن المشركين» (الانعام / ١٠٦) . د . عبد الغني عبدالخالق : حجية السنة ، صفحات متفرقة .

ومن هنا كان الحرص على العمل بالسنة ، وحتى يطمئن العالم ويطمئن الناس ، كان لابد من الاستناد الى عمليات ضبط وتدقيق .

وإذا كان اهتمام كثير من فقهاء الأمس يتركز على جانب (الرواية) ، فإن فقهاءنا المعاصرين - بالاضافة الى ذلك - يبذلون جهداً كبيرا في التركيز على جانب (الدراية) ، الأول يتعلق بالشكل ، والثاني يتعلق بالمضمون ، فمن ذلك على سبيل المثال أن بعض الناس خلطوا بين المقاصد والاهداف الثابتة التي تسعى السنة الى تحقيقها - فيما يرى الدكتور يوسف القرضاوي - وبين الوسائل الآنية والبيئية التي تعينها احيانا للوصول الى الهدف المنشود ، فتراهم يركزون كل التركيز على هذه الوسائل كأنها مقصودة لذاتها ، مع ان الذي يتعمق في فهم السنة وأسرارها يتبين له ان المهم هو الهدف ، وهو الثابت والدائم ، والوسائل قد تتغير بتغير البيئة أو العصر أو العرف أو غير ذلك من المؤثرات ، ومن هنا تجد الاهتمام كثيرا لدى الدارسين للسنة المهتمين بالطب النبوي ، حيث يركزون بحثهم على الادوية والاعشاب والحبوب وغيرها مما وصفه النبي - صلى الله عليه وسلم - للتداوي به في علاج بعض العلل والأمراض البدنية

ومن رأى القرضاوي في دراسته التي قدمها (كيف نتعامل مع السنة النبوية) ان هذه الوصفات وما شابهها ليست هي روح الطب النبوي ، بل روحه : المحافظة على صحة الانسان وحياته ، وسلامة جسمه الى غير ذلك من التوجيهات التي تمثل حقيقة الطب النبوي الصالح لكل زمان ومكان .

لكن هناك محاذير مما قد يتردى فيه البعض من (التأويل) ، ومن الأمثلة التي يمكن الاستشهاد بها في هذا المقام الحديث المشهور الذي رواه مسلم في صحيحه في قضية (تأبير النخل) ، وفيه قال صلى الله عليه وسلم في الروايات :

«أنتم أعلم بأمر دنياكم» فقد أراد بعضهم أن يحذف النظام السياسي كله من الاسلام بهذا الحديث لأن أمر السياسة وحده أصولا وفروعا من أمر دنيانا، فنحن أعلم به، وأراد آخرون أن يحذفوا النظام الاقتصادي كله من الاسلام كذلك بسبب هذا الحديث الواحد.

لكن الدكتور القرضاوي في بحث آخر بعنوان (الجانب التشريعي في السنة النبوية) يفسر هذا الحديث بأن معناه أن الدين لا يتدخل في أمور البشر التي تدفع اليها غرائزهم وحاجاتهم الدنيوية، الا حيث يكون فيها إفراط أو تفريط أو إنحراف، كما انه يتدخل ليربط حركات الانسان كلها بأهداف ربانية عليا وقيم اخلاقية مثلى، ثم ليرسم آدابا انسانية راقية في اداء هذه الاعمال تميزه عن الحيوان الأعجم.

ومن الأمثلة التي تساق في هذا الشأن: الزراعة - مثلا - فالاسلام يحث عليها، ويعد الزراع بأفضل المثوبة عند الله «ما من مسلم يزرع زرعا أو يغرس غرسا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة. رواه البخاري» في كتاب المزارعة. ولكن الدين لا يتدخل ليعلم الناس كيف يزرعون، وماذا يزرعون؟ ومتى يزرعون؟ وبأي شيء وبماذا يسقون الزرع؟ أ بالشادوف أم بالطنبور أم بالساقية؟ أم بالآلة الميكانيكية؟ بالري التقليدي او بالرش او التنقيط أو غيرها؟ الدين لا يتدخل هنا، فليس هذا من اختصاصه، انما هو من اختصاص اهل العلم والخبرة والمسئولين.

وعلى هذا فإن المسلم يستطيع ان يلتمس في السنة مصدرا ثريا للمعرفة الاساسية في بناء الحضارة الاسلامية عددها الدكتور محمد عمارة في بحثه عن (السنة النبوية مصدرا للمعرفة) في الجوانب التالية:

أ - مصدرا لمعرفة أسباب نزول البلاغ القرآني والوحي الالهي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، بما يمثله ذلك من علم لتفسير القرآن، ووعي بحكمة التشريع، وعون على مواكبة هذا التشريع للتطور مع تغير الزمان والمكان.

ب - ومصدرا لمعرفة التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والحربي والادبي للتجربة الاسلامية في عصر صدر الاسلام.

ج - ومصدرا (للفروع) التي وقف القرآن عند أصولها، ومنها نتعلم التمييز بين الثوابت والمبادىء والاركان والاصول وبين الفروع والمتغيرات، التي تقوم وتنمو وتتجدد على هذه القواعد والأصول، مرتبطة بها، ومصطبغة بصبغتها، وفي الوقت نفسه مظللة لمساحات جديدة من الوقائع والمشكلات.

د - ومصدرا لأبنية وهياكل الدولة الاسلامية التي أقامها المسلمون لحماية الدعوة ونصرتها..

هـ - ومصدرا للتمييز بين ما لا يستقل العقل بادراكه - من حيث الحسن والقبح - وفي التشريع والأحكام والفرائض والشعائر.. وفي كيفية الجزاء، ومقادير الثواب والعقاب.. وبين ما هو من شئون الدنيا، الموكولة الى عقول البشر.

لقدرتها على أن تستقل بادراكها ـ حسنا وقبحا ـ وعلى أن تقنن لها فى اطار شرع الله .. الخ .



وقدم كاتب هذه السطور دراسة عن (السنة مصدرا للتربية الاسلامية) ، استند فيها الكاتب الى المهام التى كلف بها الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل المولى عز وجل ، فهى مهام تعد ملخصة لرسالة التربية نفسها وهى :

١ ـ تعليم القرآن الكريم ، اى تفهيم الناس معانى آياته ومقاصد نصوصه وأوامره ونواهيه ، وكشف معالم الطريق التى يدعو الناس إليها ، وتحديد حدودها ، ليمكن المؤمنين تطبيق نصوصه بصورة تحقق اغراضها العامة الاصلاحية وتحافظ على روحها .

٢ ـ تعليم الحكمة وايضاح طرقها وأساليبها فى القول والعمل وفقا لقوله تعالى فى موطن آخر «ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن» .

٣ ـ تطهير قلوب المؤمنين واعمالهم من الملابسات التى قد تشوبها ، فتفسدها وذلك بزرع الاخلاص فى نفوسهم والايثار وحب الخير ووزن الامور بميزان المصلحة العامة لا بميزان الاهواء والمصالح الخاصة ، وهذا معنى تزكيتهم فى الآية التى جمعت هذه المهام الثلاثة فى قوله عز وجل «لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين» (آل عمران / ١٦٤)

ومن الأعمال التى شدت الانتباه ، تلك المحاولات العلمية الجادة التى بدأ بها البعض منذ فترة لاستثمار التقدم التكنولوجى الحديث فى التعامل مع السنة ، وذلك باستخدام اجهزة الكومبيوتر فى صورة متعددة تيسر على الباحثين والدارسين والفقهاء معرفة اى جانب من جوانب السنة ، مثال ذلك ما عرضه الدكتور محمد مصطفى الأعظمى فى دراسته :

فبامكان البرامج التى انتجت بالكومبيوتر ان تتيح :

ـ البحث عن حديث ما عن طريق كلمة واحدة أو عدة كلمات ، أو راو ، أو رواة أو البحث عن طريق الكلمات والرواة معا .

ـ تخريج حديث ما ، وذلك اما عن طريق البحث عن الكلمات المماثلة تماما ، أو بتحويله الى الأصل الثلاثى ، وذلك فى كتاب واحد . او فى كتب متعددة .

ـ القراءة من الكتاب حسب ترتيب المؤلف .

ـ البحث عن الاحاديث حسب الموضوعات فى كتاب واحد او عدة كتب .

ـ البحث عن المتابعات والشواهد .

ـ معرفة رواة تراجم الكتب الستة فى تقريب التهذيب .

ـ معرفة ترجمة الراوى الذى ورد ذكره فى اسناد حديث ما ، والوصول اليه مباشرة .

ـ البحث فى مختار الصحاح أو النهاية لابن الأثير .

ـ معرفة معانى الكلمة الواردة فى حديث ما ، والوصول اليه مباشرة .

ـ معجم للاسانيد .

ـ شجرة كل حديث تبين مدى انتشار

الحديث وأماكن وجوده فى مختلف الكتب .

- معرفة كافة مرويات راو معين فى كتاب واحد او عدة كتب ، مع معرفة مروياته عن شيخ معين كتاب واحد أو فى عدة كتب .

- البحث عن الحديث اما عن طريق اللفظ او عدة ألفاظ بواسطة اللغة الانجليزية او التركية او الماليزية .

- امكانية تغيير البنوط على الشاشة او على الطابع .

- امكانية تغيير الالوان .

- استخراج المعلومات وتخزينها فى الحاسب الآلى فى ملف خاص .

- الاماكن الجغرافية وتحديدها فى الخريطة .

- معلومات عن المدن مع الصور لها .

- للنظر فى المخطوطات بالتسلسل .

- النظر فى المخطوطات من الحديث مباشرة .

- الفهارس المتنوعة للاراء الفقهية والكلام فى الجرح والتعديل .

- التسجيل الصوتى للاحاديث .

- المعلومات عن الكتب المخزنة

- المعلومات عن مؤلفى الكتب المخزونة .

ولم تكن هذه الندوة التى عقدت بعمان تحت مظلة المجمع الملكى لبحوث الحضارة الاسلامية بالاشتراك مع المعهد العالمى للفكر الاسلامى بواشنطن ، الا حلقة جديدة فى سلسلة من الندوات والمؤتمرات التى عقدت فى سنوات سابقة .

واستقراء أعمال الندوات والمؤتمرات السابقة ، يبين لنا بحق ان العقد الأول من هذا القرن الهجرى قد عبر - كما اكد محيى الدين عطية فى تقريره - عن نفرة علماء الامة للالتفاف حول السنة النبوية والذود عنها . واتسمت معظم المحاور المطروحة فى ندوات هذه المرحلة بالعمومية ، وقد أدت دورها المرحلى ، وبدأ الاتجاه التخصصى يبرز وينتشر ، بحيث لم يعد من المتوقع عقد مؤتمرات عامة عن السنة النبوية دون تحديد مجال معين من مجالاتها ودون تخصيص محاور دقيقة ودعوة الباحثين الى تغطيتها .

كذلك فقد لوحظ أن المرحلة الماضية قد شهدت مولد الاهتمام باستخدام التقنيات الحديثة فى جمع وتصنيف وفهرسة تراث السنة النبوية والاستعانة بالكومبيوتر فى كافة مجالات خدمة السنة ، وظهرت بحوث متخصصة فى مؤتمرات سابقة تعبر عن بداية جديدة فى اتجاه مواكبة العصر وإن كان ينقصها التنسيق والتكامل ، كما اتجهت بحوث كثيرة الى معالجة قضايا المجتمع من خلال السنة النبوية كما هو واضح من الكم الكبير لبحوث المؤتمرين الأخيرين فى قطر ومصر . وبذلك لم تعد النظرة الى السنة مقصورة على اعتبارها مصدرا للاحكام الشرعية وانما هى ايضا مصدر لبناء المعرفة والفكر والثقافة والحضارة .

لغـويـات

● للمطربة فايزة أحمد ـ رحمها الله ـ أغنية تنادى فيها «الحبيب الأسمر» بقولها : « ياالأسمراني » .. وقد جرت اللهجة العامية على حذف « ال » ـ أداة التعريف ـ عند النداء طبقا لقواعد اللغة الفصيحة .. ولكن النداء مع وجود أداة التعريف ، لغة فصيحة أيضا ، كقوله تعالى : « الا يا اسجدوا » .. ومعناها : « ألا يا أيها الناس اسجدوا » .. وقال الشاعر الأموى ذو الرمة : « الا يا اسلمى يادار مىّ على البلى » .

● الرجل الشديد الحب للنساء يسميه الافرنج «دون جوان» أو «كازانوفا» ـ تشبيها له بهذين العاشقين الفاتكين ـ اما العرب فتسمى ذلك الرجل «زير نساء» .. وهذا اللقب أصله الفعل «زار .. يزور» .. فالرجل الذى يكثر من «زيارة» النساء ، أو مزاورتهن يسمى «زير نساء» اى كثير «الزيارة» لهن !

● اعتادت الصحف ان تمنح المرأة العاملة لقب الرجل اذا كانت رئيسة أو مديرة أو استاذة ، فتقول الصحف : فلانة رئيس تحرير مجلة كذا ، أو مدير تحرير ، أو فلانة استاذ بالجامعة ، ما عدا السيدة آمال عثمان فإنهم يسمونها «وزيرة» ولايحرمونها من تاء التأنيث ، وهو الأصح فى رأينا ، والأكثر تحديدا .. فالرجل يسمى شاعرا ، والمرأة شاعرة ، ويسمى كاتبا ، والمرأة كاتبة ، ويسمى رئيسا ومديرا واستاذا ، والمرأة رئيسة ومديرة واستاذة .. والرجل يسمى زوجا ، والمرأة زوجة ، وإذا ولدت المرأة طفلين ذكرين من بطن واحد ، فهما توأمان ، فاذا كانا انثيين فهما توأمتان .. وقد أخطأ نحاة آخر الزمن الذين يرون أن أعمال الرجل تبقى مذكّرة حين تتولاها المرأة !

● يقولون : فلان ذاق الأمرَّين فى حياته ، ولايسألون ما هما هذان الامرَّان ـ بفتح الميم وفتح الراء وشدها ـ حتى صار هذا التعبير مجرد «كليشيه» .. والأمران هما الفقر والشيخوخة ، ويستعملان فى هذا التعبير بمعنى الشدة الهائلة والشر العظيم ..

علي باشا مبارك

بين إغراء الثورة ومنطق الاصلاح !

بقلم : مصطفى نبيل

عليّ باشا مبارك (١٨٢٣ - ١٨٩٣م) ، رجل فكر وعمل ، يكفيه ما قام به في عمارة الارض وبناء الانسان ، مع بدايات النهضة المصرية الحديثة في القرن الماضي .

ورغم إنجازاته ، توقف الكتّاب والمؤرخون حيارى امام موقفه من الثورة العُرابية والاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢ ، وهذا ما يحاول ان يعالجه هذا المقال .

● علي باشا مبارك ، احد الشخصيات التاريخية في حياة مصر الحديثة ، ساهم في حركة النهوض الوطني الحديث ، واقام لها اساسا راسخا ، وبدأ رحلته من اعماق الريف في ظروف بالغة الصعوبية ، هي ذات ظروف شعب مصر في القرن التاسع عشر ، وخاض معركة باسلة ، ورفض الواقع الذي كان يعيشه ، وتطلع الى حياة وآفاق جديدة ، واصبح احد الرجال المرموقين ، وساهم في مسئولية الحكم وتولى الوزارة اكثر من مرة ، وجمع خلالها بين التعليم والاوقاف والاشغال ، فكان بحق مهندس مصر الاول ، وكان في ذات الوقت « ابو التعليم المصري الحديث » .

وانتقل من شظف العيش عند سفح الهرم الاجتماعي الى بحبوحة العيش في قمة الهرم الوظيفي ، ولم تغفل عينه لحظة واحدة عن رسالته في النهضة وتقديم ما يقدر عليه للبسطاء من ابناء البلاد ..

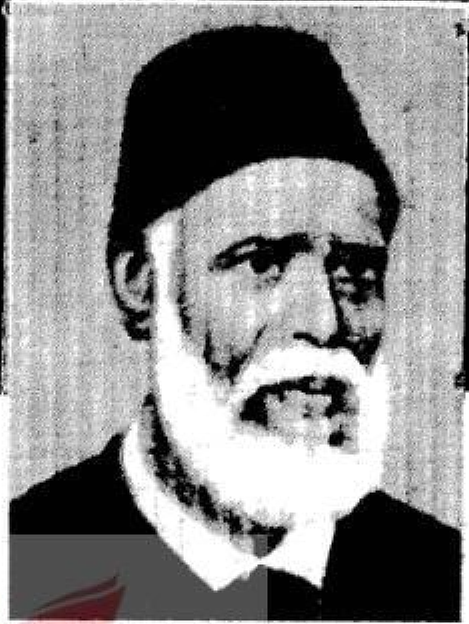
قام بدوره كاملا في احد الدورات التاريخية الهامة في القرن الماضي ، واعطى اهم ما يقدمه مثقف لشعبه ، المعرفة والعمران ، وركز جهوده على نشر التعليم المدني واقامة المدارس ،



علي باشا مبارك

محمود سامي البارودي





وتطوير نظام الكتاتيب ، وكان له فضل إقامة دار الكتب المصرية ومدرسة دار العلوم ، وكان أول من أدرك أهمية قيام مجلة فكرية تنشر المعرفة وتنمي الذوق والجمال لدى القارىء ، وأصدر مجلة «روضة المدارس » ، ودعا الى تعليم المرأة وخروجها الى الحياة والعمل قبل دعوة قاسم أمين وهدى شعراوي ..

وساهم في «العمران» وطور القناطر الخيرية وشق الترع والقنوات ، وشارك في معظم عمليات التوسع العمراني ، وخاصة تلك التي تمت في عصر اسماعيل ، وحقق حلم كل مثقف ، عندما سجل تجربته في كتابه «الخطط التوفيقية» ، ذلك العمل الفذ الذي يعتبر من اهم الكتب التي صدرت في القرن الماضي ، وعبر من خلاله عن حبه العميق لكل حجر وأثر ، ورصد التغير الاجتماعي الذي تعيشه البلاد ، وسجل شوارع وجوامع ومدارس وحمامات وأسبلة القاهرة ، وكأنه يخاف عليها من الاندثار أو النسيان ، وسجل المدن والقرى والنجوع على طول الوادي وترجم لأعلامها ، ولم يؤرخ في خططه للقاهرة وحدها ولا للحكام وحدهم ، بل استعرض بانوراما الحياة المصرية ، وصدرت خططه في عشرين جزءا

وخمسة مجلدات ، أعادت الهيئة العامة للكتاب نشر سبعة أجزاء منها .

ويبعث في سفره القيم من جديد نهج المقريزي في خططه ، فوصل حاضر الخطط بماضيها ، وأظهر مقدرة فائقة على تحقيق المعالم والمواقع ، ومقارنتها بما كانت عليه في الماضي ، ووضع رحيق خبرته التي اكتسبها خلال الوظائف العديدة التي تولاها في هذا الكتاب .

وهي نفس المحاولة التي قام بها نجيب محفوظ على نحو آخر ، عندما رصد الحياة الاجتماعية في اعماله الروائية وخاصة الثلاثية ، وهي ذات المحاولة التي طورها الدكتور جمال حمدان في سفره الكبير «مصر .. دراسة في عبقرية المكان» .

وكل هذه الاعمال تعكس ولاء المثقف العميق لوطنه وشعبه .

● عمارة الأرض وبناء الإنسان

قضى على مبارك حياته فى صبر ودأب الفلاح المصرى ، يبنى ويعمر ويبذر فى الأرض المصرية بذور التقدم والنهضة ، ويسعى ليلحق وطنه بمنجزات العصر والحضارة ، ولم يكتف بدوره كمهندس تكنوقراطى ، وانما أدرك أهمية أن يتعلم ويثقف الأهالى ، فتلازمت جهوده فى اقامة البناء المادى مع الاهتمام بعقل الامة ووجدانها ، ووزع جهوده على عمارة الارض وبناء الانسان .

ولم يفعل مثل كثيرين غيره ، يتزود بالمعرفة والعلم ، وينتقل الى فلك جديد يبعده عن أهله وبيئته ، بل نجد على مبارك فى كل أعماله يسعى الى ترقية البسطاء من شعبه ، ويسهم فى يقظة الفكر ونشر التعليم ، ويوظف المناصب التى يتولاها فى خدمة الاهالى ، لعله يرد بعض حق الوطن عليه .. يقول فى سيرته الذاتية : « إنى لمعترف بفضل هذا الوطن العزيز ، فقد نشأت فى ظله ، وتقلبت فى مهده ، وتربيت فى حجر كفالته وتعهده ، حتى صرت من أبنائه المعدودين ، ورجاله المعروفين ، وتمتعت صغيرا وكبيرا بكثير من خيراته وثمراته ، ولا أزال متمتعا بطيباته ، فأجدنى وإن استوفيت الجهد ، وقضيت العمر فى خدمته ، لم أقم بعشر معشار ما علىّ من واجباته وحقوقه .. ولم يمنعنى هذا من بذل جهد المقل .. وأن أخدم وطنى بكل ما نالته يدى وبلغ إمكانى مما اراه يعود عليه بالفائدة والنفع ، قل أو جل ، كالسعى فى استكثار المكاتب والمدارس .. وتعميم التربية والتعليم .. ونشر الكتب المفيدة .. »

● الفطنة والعثار

ينتمى على مبارك لأسرة فقيرة وإن كانت مصرية عريقة ، تعلم القراءة

وحفظ القرآن فى صباه على يد شيخ أعمى فى قرية برنبال ـ دقهلية ، ومن يومها ظل يخوض رحلة كفاح باسلة ، سلاحُه الفطنة والعناد ، يتغلب دائما على التحديات التى تواجهه ، وترك لنا تفاصيل معاناته فى سيرته الذاتية .
ونقل طفولته البائسة ، وصحبناه وهو يهرب من شيخه الأعمى ومن أسرته ، لكى يختار بنفسه مصيره ، وهو يعانى من السجن ظلما لأنه تجرأ وحصل على حقه من صاحب العمل ، وفى كل هذه الظروف القاسية ، لم يتخل عن حلمه فى الالتحاق بالمدرسة . ويصف معاناة طفولته : « راسخ فى ذهنى ، ما كان مرتبه على مؤدبى فى صغرى ، أن آتى اليه بشىء من المنزل ، فكنت أتحايل تحايل اللصوص حتى أختلسه وآتيه به ، وإن امتنعت أو أتيت بأقل مما طلب توعدنى أو ضربنى ، فكان يعاملنا معاملة الخدم (!) ... ولكثرة ضربه لى تركته وأبيت أن أذهب إليه ... واخترت ألا أكون فقيها ، وإنما أكون كاتبا ، لما كنت أرى للكتاب من حسن الهيئة والهيبة والقرب من الحكام .. »

وعمل بالفعل كاتب قسم ، ومن جديد يسىء الكاتب الذى عمل معاونا له ، حتى شج رأسه بمقلاة بن ، ورفض الذهاب الى الكاتب كما رفض الذهاب الى الشيخ ، وعندما يعمل كاتبا فى السجن بعد الافراج عنه ، لفت انتباهه وأثار اهتمامه كيف أتيح لعنبر أفندى المأسور الوصول الى مركزه وهو الأسود الحبشى ، والمناصب يحتكرها الاتراك والشراكسة ، وهنا يضع الفتى الأسمر يده على السر ، عندما علم أن عنبر أفندى تعلم فى إحدى المدارس التى أقامها محمد على ، وأدرك أن التعليم هو الطريق ،ويسجل فى سيرته .. «وددت أن أكون بحالة لا ذل فيها ولا تخشى غوائلها .. والحكام يؤخذون من المدارس .. » .

وأخذ تراكم الخبرة من تجاربه القاسية يحدد مساره ، وكلما قست عليه الظروف قويت عزيمته ، وصمم على أن يتعلم مهما كانت المشاق ، وعزم على الوصول الى المدرسة فى القاهرة ماشيا ، وفى الطريق يلتحق بأحد المدارس العسكرية التى أقامها محمد على فى منية العز، وتصبح خطوته الأولى فى طريق طويل ، فيختار منها لتفوقه لكى يلتحق بمدرسة الجهادية فى قصر العينى ، ومنها الى مدرسة المهندسخانه ، وأخيرا يختار الفتى ضمن ٧٠ طالبا فى بعثة الأنجال التى تضم أربعة من أبناء أسرة الخديو للتعليم فى فرنسا .

وها هو فى باريس عام ١٨٤٤ بعد برنبال ومنية العز والقاهرة ..

ولابد أن هذه التجربة الفريدة هى التى أوحت لنجيب محفوظ فى روايته حديث **المساء والصباح** ، بتلك الشخصية التى اختطفها رجال محمد على من حى الجمالية ، للتعليم فى المدارس ، وأرسل لتفوقه فى بعثة لدراسة الطب فى فرنسا .

على باشا مبارك

وفى رحلته تلك الشاقة يخوض على مبارك صراعا مريرا مع ظروفه القاسية ومع والده الذى يخاف على ابنه من الغربة ، ويعمل كل ما يستطيع لمنعه من الرحيل ، وعلى قدر عناده كان عناد والده ، الذى ينتزعه من المدرسة ويحبسه فى البيت ، ويعود الفتى ويتسلل ويصل الى المدرسة ولا يبرحها ، فى صراع ارادات طويل ، ولم يكن الفتى قليل الحيلة ، وإنما يتغلب على المصاعب التى تعترضه ، ولايستسلم للأقدار ، وعندما يشج الكاتب رأسه لايخضع له وإنما يتركه باحثا عن ظروف افضل ، وعندما يمتنع صاحب العمل عن تسليمه راتبه ... «امسكت عندى قدر ماهيتى» .

وعندما يصل الى باريس ولايعرف اية كلمة فرنسية وتستعصى عليه اللغة الجديدة .. «سألت عن كتاب الأطفال ، فنبئونى عن كتاب فاشتريته ، واشتغلت بحفظه ، وشمرت عن ساعد جدى فى الحفظ والمطالعة ، والزمت السهاد ، وحرمت الرقاد ، فكنت لا أنام من الليل الا قليلا حتى كان ذلك ديدنا لى ، فحفظت الكتاب بمعناه عن ظهر قلب ، ثم حفظت جزءا كبيرا من كتاب التاريخ بمعناه ايضا . وحفظت الأشكال الهندسية والاصطلاحات ، كل ذلك فى ثلاثة الأشهر الأولى» ، ولم يكن غريبا بعد ذلك أن يصبح من الثلاثة الأول فى البعثة التى قضى بها ست سنوات ، وأن ينتقل بعدها الى قمة الهرم الاجتماعى .

● مشروع النهضة

وتسير حياته فى مصر مضطربة هائجة مثل عصره ، فالجميع رهن بإشارة الحاكم ، والجميع اسير ما يحاك حوله من دسائس ، يرتفع حينا الى أعلى المناصب ، ويفقد وظيفته حينا آخر ، ويبحث عن مصادر الرزق ، إما بزراعة الأرض او العمل فى التجارة ، ويتذكر قائلا .. «كلما تقدمت فى العمر وكثرت العيال ، كنت ارى التقهقر وتفاد ما استحوذت عليه» ، ويذكر .. «انه يعلم ما يقع لمن يلوذ بالعائلة الخديوية من الايذاء .. » (!) ومع ذلك عاش فى كنف هذه العائلة طالما تجح فى تحقيق رسالته وتنفيذ مشروعه فى ترقية ابناء جلدته وتطوير حياتهم .

ويتميز موقف الرجل خلال كل أطوار حياته ، بالسعى لتحقيق رسالته فى مقاومة الجهل وبناء الانسان وهو يعرف أن هذا الهدف لايمكن ان يتحقق فى مصر الا عن طريق الحكومة وجهاز الدولة ، ولعله اول من كتب عن طبيعة الوادى وتأثير نهر النيل على وجود سلطة مركزية حاكمة هى الحكومة اى الاداة الفعالة لنفع البلاد والعباد ، فيعكف عند اقصائه ـ الذى كثيرا ما تكرر ـ على تأليف الكتب استكمالا لرسالته .

ولعل ماأرواه فى واقعة تكليف الخديو سعيد له برسم الاستحكامات العسكرية فى «أبو حماد» قرب رشيد ، ما يعكس أسلوب تعامله مع الخديو ، فبعد إنجاز مهمته لم يقدر على تقديم رسوماته الى الخديو ، وينصحه مأمور التشريفات .. « كن معنا على الدوام لعلك تجد فرصة للقاء .. » ،ويلازم على مبارك حاشية الخديو ثلاثة أشهر ، ينتقل معهم من بلد الى بلد ، ومن موقع الى موقع ، ومن قصر الى قصر ، حتى كان يوما ووقع نظر الخديو عليه ، فناداه وسأله عن الرسم ، وأصبح بعدها واحدا من رجال المعية ، وكان مبدؤه الدائم الطاعة لولى الامر ، وكان هذا موقعه مع عباس الاول وسعيد واسماعيل وتوفيق ، ومن موقعه ينشر التعليم ويقترب كل يوم من تحقيق مشروعه فى النهضة .

● تراجم الأعيان

كما يظهر موقفه ذلك من خلال قراءة تراجم الاعيان التى جاء فى الخطط عند حديثه عن البلدان المختلفة ، وفى روايته للانتفاضات الفلاحية الثلاث التى سجلها وحدة ، وكان أول من رصد الحركة الاجتماعية فى القرن الماضى ، ولاحظ خلالها دور ولى النعم فى مصير الاعيان ، فالحكومة هى المصدر الرئيسى للنفوذ والفلوس ! ، فالنفوذ فى الريف يتركز فى بقايا



أحمد عرابى

عائلات المماليك والملتزمين السابقين ، وعند استعراضه لمدينة اسيوط يتحدث عن .. «قيسارية محمد بك الدفتردار التى بناها سنة ١٢٣٨ هـ ، وقت كان مديرا لأسيوط» ، وعند حديثه عن أعيان الغربية يذكر ثاقب باشا الذى شغل عددا من الوظائف ، ويحصر ثروته فيقول .. «ومنها ٢٠٠ فدان انعم عليه بها الخديو عباس» ، ويلاحظ وجود أرستقراطية ادارية وعسكرية «.. كثيرا ما تغتصب «أراضى الميرى» ، ويذكر عند الحديث عن عزبة شلقان أنه .. «جعل على أرض مساكنها حكرا يدفع للميرى كل سنة بالعدالة ضرورة أن هذه الأرض ملك للميرى ، وكان المشايخ والحكام يأخذونه لانفسهم بمحض الظلم (!!)» .

ويذكر عن رفاعة رافع الطهطاوى

أن مصدر ثروته الضخمة ، هى منح الأرض التى حصل عليها خلال عهود محمد على وابراهيم وسعيد واسماعيل .. » فبلغ جميع ما فى ملكه حين وفاته ١٦٠٠ فدان غير ما جدده من الاملاك والعقارات فى بلده وفى القاهرة » .

ومن جانب آخر يدين على مبارك الانتفاضات الثلاث بعد أن يسرد تفاصيلها ، ويرى فى كل منها مصدر تعاسة القائمين بها ، وسببا فى زوال النعمة وخروجا على طاعة «الامام» ! ، وشهدت قنا الانتفاضة الأولى عندما تزعم أحد المشايخ حركة الفلاحين ضد قرارات محمد على ، وطرد الشيخ عمال الحكومة وأقام حكما محليا ، وتمكن محمد على من القضاء على هذه الانتفاضة بعد شهرين بعد أن جرد لها حملة عسكرية قضت عليها ، أما الانتفاضة الثانية فشهدتها الاقصر ضد الفرمانات الجديدة لمحمد على ، وتذمرا من النظم الجديدة ، أما الانتفاضة الثالثة ، فقد وقعت فى «قرية» قاو فى أوائل عهد اسماعيل سنة ١٨٦٥ م ، ويسجل بالنسبة لواقعة قاو .. « كان أهلها أهل يسار لخصوبة أرضهم وجودة محصولها .. فأتاهم من كان سببا فى ازالة تلك النعم عنهم وابادة كثير من أنفسهم وأموالهم وتخريب بيوتهم » .

وعندما يتحدث عن ظروف تدهور بعض الأسر ، بسبب موقفها المناهض للسلطات الحاكمة ، فيذكر عائلة ابراهيم الغنيسى (طهطا) ، الذى كان يشغل منصب ناظر قسم فى عهد محمد على ، وخلال الصراعات التى قامت فى هذه المنطقة بين الصوامعة والوناتية ، كان يتعصب لقومه سرا ، فنفت الحكومة ابنه ومات ولم يعقب ذكورا .. »

وفى المقابل يروى قصة عمدة العقال (أسيوط) عبد العال العقالى أيام انتفاضة الفلاحين فى قاو «جمع أهل البلد ، ومنعهم من العصيان ضمن من عصى ، بل قام بهم مع العساكر على العصاة فحظى بالرضا والقبول ، وترك أملاكا كثيرة وقصورا مشيدة وبنى جامعا فاخرا ومنزلهم عامر الى الآن»

● التطور والثورة

يقول على مبارك .. "لا يخفى أن تربية الملل (الشعوب) أمر صعب ، يلزم لها زمن طويل لأن هناك عوائد قديمة ، وأخلاقا راسخة فى الأذهان ذميمة ، وأفكاراً فاسدة ، واعتقادات كاسدة ، فلا تزول بمجرد بعض التجددات ، بل تبقى عند الشيوخ ومن قرب منهم فى السن إلى الممات ، بل ربما ورثها عنهم بعض الراشدين من الشبان ، فلا تنعدم بالكلية إلا بعد انقراض جميع هؤلاء أو اكثرهم . فعلى حكم العقل ، يلزم التربص إلى انقضاء ثلاثة أجيال ، أى مائة سنة أو مائة وخمسين سنة" .

وهنا يبدو فكر على باشا مبارك رافضا للفكر الثورى ومن المنتمين إلى الدراسة الليبرالية التى تؤمن بالتطور المتدرج ، وأن الحياة الاجتماعية تحمل بذور عناصر التطور ، وتملك آلية إصلاح المسار والتغلب على العقبات ، ويعارض الثورة بما تحمله من إحتمالات الفشل وما تنادى به من التجديد والتجريب ، ويعتمد على النمو الداخلى للمجتمع ..

ولعل القصة التى حكاها ووقعت فى مذكرته أيام انتشار أفكار الثورة ، فى مرحلة النهوض وتحدى الأجنبى المتمثل فى صندوق الدين ـ تؤكد رأيه ورفضه للثورة وإيمانه بالإصلاح المتدرج .

عندما يروى أنه "فى أوائل عهدى بالحكومة ، بعد عودتى من أوروبا ، أمرت يوماً من الأيام أن أذهب إلى سراى رأس التين لأقابل الوالى ، فأدخلونى غرفة انتظار ، وكان ينتظر معى فى الغرفة اثنان لا يعرفانى وكانا من هذا العنصر ـ الترك والشركس ـ، وطالت مدة الانتظار وأنا صامت ، أما هما فلم يكن لهما حديث سوى ، كيف يصل هذا الفلاح ، إلى قصر الوالى ..؟! وهل يعقل أن يدخل فلاح القصر ، وكان حديثهما يدور باللغة التركية ظنا منهم أننى لا أعرفها » . ويختم حكايته قائلا .. «وأصبح هذا الفلاح اليوم ناظرا ، وهذا مكسب كبير لنا ، فإذا صبرنا فسنحل محل هؤلاء الشركس " .. وهو هنا يقدم حيثياته ضد الثورة والتغيير المفاجىء فى أعلى قمة السلطة ، ويختار التطور منهجا وأسلوبا فى التغيير ، وهذا طبيعى معه كأحد العلماء والتكنوقراط الذى حقق الكثير من إنجازاته بوصفه موظفاً عمومياً .

ويلاحظ أن مدرستى الثورة والاصلاح وجدا جنبا إلى جنب فى الفكر المصرى الحديث ، ونجد عبد الله النديم فى طليعة أصحاب الموقف الثورى ، وتردد الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده بين الثورة ومنهج التطور المتدرج ، ففى ايامه الأولى وقف مع الثورة ، حتى يوم انفصاله عن جمال الدين الأفغانى فى باريس ، ورفضه لفكرة الثورة ، والوصول إلى الدرجة التى يلعن فيها لفظ "السياسة" ، وتركيزه بعد عودته إلى القاهرة على الفكر والتعليم والتثقيف ، والتزامه نهج التطور التدريجى .

● على مبارك والثورة

فإذا كانت جهود على مبارك قد ساهمت بالقطع فى التمهيد للثورة العرابية ، فقد نال عدد كبير من رجالها حظهم من التعليم فى المدارس التى اقامها ، ولم يعد مقبولا بعد انتشار التعليم أن تقتصر المناصب العليا على الأتراك والشركس ويستبعد أبناء البلاد ، فما هو موقفه منها ؟!

لقد جرف تيار الثورة العاتى المصريين جميعاً ، وتحدى هذا التيار

علي باشا مبارك

في أحد اللحظات التاريخية نهجه وأسلوبه ، وكان من العسير عليه - وهو الراصد للحركة الاجتماعية في مصر - أن يكون بعيداً عنها ، خاصة وهو الفلاح الذي شق طريقه من أعماق الريف ، الحالم برفقة بني قومه ، وتعاطف مع الثورة بالفعل في أيامها الأولى ، وكانت "مندرته" كعبة لرجالها ، وكان يتردد عليها زعيم الثورة أحمد عرابي نفسه ، ويسجل تاريخ الثورة أن علي مبارك كان يتبرع لها بسخاء ، كما ينسق في عمله العام معها ، ويتضامن مع محمود سامي البارودي في وزارة رياض ، ويسجل بلنت أن كلا من علي مبارك والبارودي كانا يضعان العقبات في طريق رياض باشا سنة ١٨٨١ ، لكي يعود شريف باشا لرئاسة الوزارة كجزء من خطة العرابيين ، ويصبح علي مبارك أحد أقطاب حزب الثورة ، الحزب الوطني

كانت هذه مواقفه قبل دخول الثورة مرحلة التحدي والصدام التي أعقبها السقوط وهنا وقف الكتاب والمؤرخون حيارى أمام مواقف تبدو متضاربة من الثورة وأحداثها ، وأمام تلك الانجازات الهامة التي حققها البسطاء من شعبه .

وهل تخلى علي مبارك عن الثورة في لحظاتها الحرجة ..؟!

وماهو موقفه من القوات البريطانية التي احتلت البلاد وما جرته على مصر من ويلات .؟! لقد وقف علي مبارك مع رجال الثورة عندما كانوا قوة داخلية يسعون إلى التغيير في إطار النظام القائم ، ولكن عندما انزلقت إلى مرحلة الصدام مع الخديو ومع القوى الأجنبية المتربصة ، كان له معها شأن آخر ، واصبحت الأحداث السريعة المتلاحقة تمثل تهديداً حقيقيا على كل ما حلم بتحقيقه .

● ضرب الإسكندرية

لقد ظهر موقفه الجديد من الثورة ، بعد ضرب الاسكندرية في ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ ، وانسحاب القوات المصرية أمام قوات الاحتلال ، وبقاء الخديو في الاسكندرية ، ورأت قيادة الثورة في القاهرة ، أنه إما أن يكون الخديو أسيراً وإما أن يكون قد انحاز لقوات الاحتلال ، وفي الحالتين لا يجوز ترك البلاد بدون سلطة شرعية عليا ، وقام المجلس العرفي ليملأ الفراغ وعقد اجتماع في ديوان وزارة الداخلية ، وقر رأيهم على إرسال وفد إلى الإسكندرية ويطلبون من الخديو التوجه إلى القاهرة حتى يصبح الحاكم الشرعي في البلاد .

ويكمل عرابي في مذكراته : "وانتخب علي باشا مبارك وزير الأشغال سابقا - في زمن الاستبداد - رئيسا للوفد" ، وتظهر بعض التفاصيل مما جاء في استجواب حسين باشا

الدرمللى أمام المحكمة ، الذى يذكر أنه خلال الاجتماع ، قام الشيخ عليش منادياً بخلع الخديو ، وظاهره عدد من الضباط منهم على الروبى ، ووقف البعض وبينهم على مبارك دون ذلك ، وقام محمد عبيد بالرد عليهم ، (الذى استشهد فيما بعد وهو يقاتل قوات الاحتلال) وقال على مبارك : "ما الذى يمنع من أن تكون أخبار الاسكندرية كذباً ؟، ورد عليه عبد الله النديم بحدة : وماذا بشأن شهادة ٣٠٠ ألف نسمة خرجوا من الإسكندرية ؟!"

وسرعان ما تحول على باشا مبارك من مؤيد إلى وسيط ومن وسيط إلى طرف ، وتخلى عن مهمته ، ويسجل عبدالله النديم هذه الواقعة بقوله .. : "وتوجهوا إلى كفر الدوار ، ومنه إلى حزب البواد ، فانضم على مبارك وأحمد السيوفى إلى أهل المين بخفى حنين" .

وعندما يروى على باشا مبارك أحداث الثورة العرابية فى سيرته الذاتية ـ التى لم تتجاوز ثلاث صفحات ، ويتعرض خلالها لهذه الواقعة .. فيقول : "تشكل بالقاهرة مجلس عرفى بأمر عرابى للنظر فى المصالح ، وكثيراً ما عقدوا مجالس للنظر فى مسائل تعرض من طرف العرابى وحزبه ، وفى آخر مرة عقد مجلس بديوان الداخلية بالقاهرة ، ندب إليه كثير من الأمراء والعلماء والروحانيين وأعيان البلد ، وكنت قد



الخديو توفيق

حضرت من بلدى لقضاء بعض المصالح .. فعينت سفيراً إلى الأسكندرية مع جماعة من الوطنيين ، فلما وصلنا إلى الأسكندرية تكلمت فى عمل طريقة لما يوجب خمود الفتنة ، فأجاب جناب الخديو ، وصارت المكالمة فى هذا الشأن مع الانجليز ، لكن لم ينجح ذلك لمزيد نفر العسكرية !!"

كما يذكر فى ذات السيرة والتى كتبها فى ظل الخديو توفيق وبعد فشل الثورة : "إن ضباط الثورة العرابية الذين تظاهروا لقطع مرتباتهم ، جرت منهم أمور جاوزت حد الأدب .." ، ويقول فى موضع أخر : "إن العرابيين تدخلوا فيما ليس من شأنهم .. وأن الغرور ركبهم عندما سالمهم توفيق أول الأمر .."

وهو هنا يعبر عن حقيقة موقفه من

الثورة وأحداثها ، كما يلاحظ أنه عندما يستعرض فى كتابه الخطط ما قام به فى وزارة الأشغال فى وزارة رياض .. يقول : "وهكذا كانت الأعمال قائمة على قدم السداد ، وكانت هيئة النظار سائرة فى الطريق الجادة ناشرة ألوية العدل والتسوية بين القوى والضعيف ، والرفيع والوضيع ، فاستوجب ذلك إثارة الحقد فى صدور أرباب الأغراض فتقولوا على هذه الهيئة وطعنوا فيها واختلط كثير منهم بضباط العسكرية وأوغروا صدورهم وألقوا فى آذانهم أنهم الأحق بتعديل القوانين والتصرف فى الحكومة حيث أنهم أهل الوطن وأصحاب القوة .."

ويعلق فى موضع آخر على وزارة البارودى التى احتل فيها عرابى وزارة الجهادية ، قائلا : "فلم تخمد نيران الفتنة ، وانضم إلى الطائفة العرابية الخوارج كثير من أهل البلاد وأعيانها ما بين راغب وراهب" .

وفى المقابل يسجل عرابى .. "أن على مبارك كان وزيراً للأشغال فى وزارة شريف باشا التى أقامت زينة فى حديقة الأزبكية دامت ثلاث ليال ابتهاجاً بدخول الإنجليز للقاهرة ، وأن على مبارك كان يجلس مع الوزراء خلف توفيق ، وهو يعرض جنود قوات الاحتلال الانجليزى فى ساحة عابدين"

ليس هذا فحسب ، بل من يقلب مؤلفات على باشا مبارك ، يلاحظ أنه تجاهل معظم قادة الثورة فى تراجمه ، وأحيانا تجنب البلاد التى نشأوا فيها ، فلم يترجم فى خططه للزعيم أحمد عرابى ، ولا لعبد الله النديم ، ولا حتى للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، ومن ترجم لهم من الثوار لم يعالج موقفهم خلال الثورة ، بل ويلاحظ أيضا أنه لم يترجم للزعيم الكبير عمر مكرم الذى له الفضل فى تنصيب محمد على والياً على مصر ، ثم تخلص منه محمد على ونفاه خارج مصر ، فهل تجاهل لكى لا يغضب الأسرة العلوية !.

وأخيرا

فليكن موقف على باشا من الثورة قائما على إيمانه العميق بالتطور والتدرج بديلاً عن الثورة ومخاطرها ، وليكن دافعه إلى ذلك حرصه الشديد على استكمال مشروعه الذى قطع فيه شوطا واسعاً ، ومع تقديره الدقيق لموازين القوى ، ولمن سيكون له الغلبة .

ولكن علينا أن نتوقف طويلاً ، وهو يعبر إلى الجانب الآخر فى أحد اللحظات التاريخية الدقيقة ، وعندها لن يكون من الإنصاف إلقاء اللوم على أولئك الذين طالبوا بالحرية ، وجاهدوا فى سبيل وطنهم ، وحتى إذا انتهى جهادهم وتضحياتهم إلى الخسران .

أعداء الثورة الفرنسية

المحافظون البريطانيون بين الثورة والتطور

بقلم: د. أحمد أبو زيد

كان سقوط الباستيل يوم ١٤ يوليو عام ١٧٨٩ بشيرا ببزوغ فجر جديد للحرية فى نظر الكثيرين ممن عاصروا تلك الأحداث سواء فى فرنسا او خارجها .

سقوط الباستيل



أعداء الثورة الفرنسية

■ وفي بريطانيا بالذات وقف كثير من الكتاب والمفكرين والساسة الى جانب الثورة لأنها كانت تحمل - فى رأيهم - آمالا عريضة بمستقبل جديد وباهر للانسان بحيث نجد ويليام بت مثلا يعترف صراحة بأنه ينظر قدما الى اليوم الذى يشاهد فيه فرنسا الحرة وقد أعيد بناؤها وأصبحت واحدة من أهم وأقوى الدول فى أوروبا . بل أن بعض رجال الدين الذين يوصفون بأنهم (منشقون) كانوا يؤازرون الثورة أو على الأقل يتعاطفون معها . ووصل الأمر بأحدهم وهو الدكتور ريتشارد برايس الى أن يعلن فى الكنيسة أثناء الصلاة انه لايرحب فحسب بالثورة في فرنسا باعتبارها بداية لعمر جديد من الحرية ولكنه يربط بينها وبين الثورة الانجليزية التى قامت عام ١٦٨٨ وأنه سعيد لأنه عاش حتى رأى الناس وقد بدأوا يفهمون معنى حقوق الانسان بطريقة أفضل من اى وقت مضى ويرى الأمم وهى تجاهد من أجل حريتها بعد أن كان الناس قد نسوا معنى هذه الكلمة . بل انه ذهب الى أبعد من ذلك حين أهاب بأصدقاء الحرية والكتاب والمفكرين بان يهبوا للدفاع عن الثورة كما أهاب بالانجليز بان يقوموا للمناداة والضغط على الحكومة من أجل الاصلاح فى انجلترا اسوة بما يحدث فى فرنسا .

● الصراع من أجل الحرية

ولكن تطور الاحداث وتسارعها وازدياد العنف وبدخول الثورة فى فترة من الأرهاب الدموى جعل الكثيرين يتشككون فيها وفى أهدافها ويقفون منها بالتالي موقف العداء الصريح . بل إن بعض الكتاب والمفكرين البريطانيين اتخذوا هذا الموقف العدائى من الثورة حتى قبل أن تدخل فرنسا فى دوامة الاحداث الدموية اعتبارا من مذابح سبتمبر الشهيرة حتى إعدام الملك والملكة . ومن الطبيعى أن يكون معظم هؤلاء المعارضين والمناوئين للثورة من الكتاب والسياسيين المحافظين الذين لم يكونوا يتصورون إمكان مصادرة الاملاك أو قيام ثورة اجتماعية ضد الدين والكنيسة والنظام الملكى العريق وكانوا يخشون فى الوقت ذاته أن تنتقل هذه المبادىء (الهدامة) الى بريطانيا . وقد وجد هذا الموقف تعبيرا له فى رسالة كتبها المفكر السياسى المحافظ إدموند بيرك (الذى يعتبر خير ممثل لأعداء الثورة الفرنسية) الى لورد شالفونت بتاريخ ٩ أغسطس ١٧٨٩ ينعى فيها على الانجليز اعجابهم وانبهارهم بأحداث الثورة الفرنسية "وصراع الفرنسيين من أجل

الحرية" أو أنه على الرغم من إعجابه شخصيا بالروح الكامنة وراء الثورة فإنه يشعر بالارتياع الشديد من « اندلاع الضراوة الباريسية القديمة » بطريقة مخيفة للغاية ، وأنه لابد للناس من أن يكون لديهم قدر من الاعتدال يؤهلهم للحرية وإلا أصبحت هذه الحرية مسألة بغيضة وكريهة ومرفوضة منهم هم أنفسهم إساءة بالغة للآخرين" فالحرية التى كان يقصدها هؤلاء المحافظون المعادون للثورة ومنهم بيرك هى الحرية الاجتماعية التى لن تتحقق إلا من خلال « تمسك الجميع بضبط النفس » بحيث يصعب عليهم أن يجدوا أية وسيلة أو مبرر كاف للاعتداء على حريات غيرهم من أفراد المجتمع .

فكأن العداء للثورة الفرنسية كان صادرا الى حد ما على الأقل - من أن يصل تأثيرها الى انجلترا . أى أن الخطر لم يكن كامنا فى فرنسا ذاتها بقدر ماهو فى نوع التفكير الذى انتج تلك الاحداث التى قامت فى فرنسا وفى الناس الذين يحبذون مجىء هذا النوع من التفكير الى انجلترا من أمثال الدكتور برايس والطريف فى الأمر أن الذين وقفوا موقف العداء من الثورة الفرنسية لم يظهروا مثل ذلك العداء للثورة الأمريكية أو على الأصح لم يهاجموها بمثل ماهاجموا به الثورة الفرنسية وكانت حجتهم هى أن للثورة الأمريكية كانت رغم كل شىء تهدف فى آخر الأمر الى انفصال مجموعة من المستعمرات وتحقيق استقلالها وتبعيتها وبذلك فلايمكن مقارنتها بثورة أدت الى هدم وإزالة واسقاط نظام مستقر لدولة عظمى مثل فرنسا . كذلك كانت الثورة الفرنسية تبدو فى أعين الكتاب والمفكرين الانجليز ظاهرة جديدة تماما ومختلفة كل الاختلاف عن كل الحركات الثورية المعروفة بما فى ذلك الثورة الانجليزية التى كانت فى آخر الأمر مجرد ثورة محدودة أدت الى بعض التغييرات الدستورية وادخال بعض التعديلات على نظام التسلسل فى العائلة المالكة . فالثورة الفرنسية كانت تستند الى نظرية واضحة ومهمة عن حقوق الانسان ، كما يقول الدكتور باركين استاذ التاريخ فى جامعة كيمبردج . وكان لهذه النظرية متطلباتها ومطالبها ودعاواها كما كانت تقوم على مسلمات ومبادىء انسانية عامة . ثم انها رغم كل ما أحاط بها من مذابح وأهوال تخاطب العقل الانسانى بشكل صريح ومباشر وتنادى باسم العقل بضرورة نبذ التقاليد والأعراف الاجتماعية التى سادت لعدة قرون مع ضرورة إعادة تشكيل المجتمع على أسس عقلية وعقلانية جديدة . وكل هذا من شأنه ان يمثل خطرا داهما فى نظر للساسة والكتاب المحافظين فى انجلترا كما كان دافعا لهم على الوقوف موقف العداء الصريح منها ومن دعاواها التى تهدد كيان المجتمع الانجليزى التقليدى الراسخ .

● عصر التنوير

ولم يكن هؤلاء المعارضون والمعادون للثورة الفرنسية يجهلون حقيقة الأوضاع السيئة فى فرنسا أو طبيعة المشكلات التى كانت تواجهها والتى دفعت الناس الى التذمر والتمرد والثورة على النظام القائم والأوضاع السائدة فى المجتمع ؟ ولكنهم كانوا فى الوقت ذاته يدركون قوة الهدم والتخريب التى تحملها هذه الحركة

أعداء الثورة الفرنسية

الثورية والتى كان يمكن أن تنتقل من فرنسا الى انجلترا بل والى كل انحاء أوروبا . والأهم من ذلك أنهم كانوا يدركون ويخشون قوة الأفكار التى مهدت لهذه الثورة ومدى خطورة هذه الأفكار على النظم والقيم والعلاقات التقليدية التى كان الساسة المحافظون يأخذونها أمورا مسلما بها . وقد تكون هناك أسباب وعوامل داخلية كثيرة فى فرنسا أدت الى قيام الثورة ، ولكن كانت هناك عوامل أخرى تتعدى هذه الظروف والأوضاع الداخلية ، وهى عوامل تتمثل فى بعض العناصر الفكرية التى لم تكن مقصورة على فرنسا وحدها بحال ، ونعنى بها الفكر الذى ساد فى عصر التنوير والذى كان يهدف الى خلق نظرة جديدة الى الانسان ويرمى الى تحرره عن طريق العقل من ربقة واضطهاد الأوضاع الدينية والاخلاقية والحياة التقليدية السائدة فى أوروبا حتى يمكنه تحقيق ذاته والتحكم فى مصيره وفى قدره . فمع أن حركة التنوير كانت قد بدأت فى الأصل من أجل التحرر من « جمود التقاليد الذهنية » والانصراف عن المنطق الجامد التقليدى فانها لم تلبث أن أخذت تشكك فى كل القيم التقليدية والمعتقدات وتبشر بأهمية الفردية المطلقة وتعمل على ابراز التقدم البشرى وتنادى باتباع المناهج التجريبية للعلوم وبتحكيم العقل فى كل شىء على مايقول مجدى وهبه . وكان هذا يمثل ثورة ضد كل ماكان سائدا فى أوروبا من قيم وتقاليد ، وبذلك كانت حركة التنوير تحمل فى ثناياها كثيرا من العناصر الهدامة والقوى الابداعية الخلاقة فى وقت واحد وهو ماتمثل فى الثورة الفرنسية الى حد كبير . فقد كانت الثورة بكل ما تشتمل عليه من تمرد وهدم للتقاليد تحمل الأمل بقيام مستقبل انسانى جديد يقوم على أسس جديدة .

ولم يكن أعداء الثورة الفرنسية وبخاصة من الكتاب والسياسيين الانجليز يؤمنون بمبدأ العقلانية فى السياسة ولا بإمكان فهم ذلك العالم المضطرب فهما عقلانيا فضلا عن إمكان تغييره على أسس عقلانية بحتة ، كما أن الحياة الاجتماعية لاتعتمد فى وجودها واستمرارها على النشاط (العقلانى) وحده وإنما هى تعتمد فى الوقت ذاته على المشاعر والعادات والتقاليد والأرتباطات العاطفية والميول والأهواء والوجدانات ، التى بدونها تتحطم هذه الحياة الاجتماعية وتنهار تماما وعلى هذا الأساس وقف أعداء الثورة الفرنسية موقفا عدائيا أيضا مما يسميه الدكتور باركن (المزاج العقلانى) أو الاتجاه العقلانى الذى هو وليد حركة التنوير ، وأصبح هذا المزاج العقلانى بذلك هدفا للهجوم العنيف بحيث أطلق عليه أدموند بيرك اسم (الميتافيزيقا السياسية) فالهجوم على الثورة الفرنسية كان الى حد ما على الأقل هجوما على حركة التنوير ذاتها التى كانت ترى تغليب العقل والتنكر للمشاعر والعواطف الانسانية بكل ما تحمله من تضارب وتناقض وتعارض مع التفكير المنطقى . ولايجد ادموند بيرك السياسى المحافظ الذى كرس كتابا كاملا للهجوم على الثورة الفرنسية حرجا فى ان يقول فى ذلك الكتاب موجها الحديث الى صديقه الشاب الفرنسى الذى الف الكتاب من أجله : "فأنت ترى ياسيدى أننى – فى عصر

التنوير - أجد فى نفسى من الشجاعة مايجعلنى اعترف بأننا على العموم بشر لنا مشاعر فجة غير مهذبة وأننا بدلا من أن ننبذ كل أهوائنا وميولنا يجب علينا أن نحتفى بها الى أبعد حد ممكن .

والواقع ان اعداء الثورة الفرنسية من الكتاب ورجال السياسة الانجليز لم يكونوا يقفون ضد التقدم أو التطور أوالاصلاح . فقد كانوا يدركون أن المجتمع الفرنسى ، وشأنه فى ذلك شأن كل المجتمعات كان يعانى من كثير من الشرور والمظالم والمتاعب والانحرافات ويتعرض لكثير من الأخطار والاضطرابات وإساءة استخدام السلطة ، ولكنهم كانوا يؤمنون فى الوقت ذاته بأن الحياة الاجتماعية فى كل مجتمع من المجتمعات أيضا تحمل فى ثناياها بذور عناصر التقدم وامكانات التطور والرقى وقوى اصلاح المسار والقضاء على المتاعب والصعوبات ، ولذا كانوا يرون أن (الفعل السياسى) يجب الا يركن الى مخاطر التجديد والتجريب وإنما ينبغى أن يرتكز على ما يسميه بعض هؤلاء الكتاب (ثقافة النمو الداخلى للمجتمع) والصورة التى يقدمها أدموند بيرك بالذات فى ذلك هى صورة (البستانى) الذى يتعهد حديقتـه ويعمل على نمـائها وازدهارها وليس صورة (المهندس) الذى يهدم لكى يشيد ويخترع ويجرب ، بكل مايتعرض له ذلك التجريب من مخاطر واحتمالات الفشل . وهذا هو فى رأيه ورأى بقية اعداء الثورة من المعاصرين له مافعلته الثورة الفرنسية وما تفعله كل ثورة فى العادة ، فلقد هدمت الثورة الفرنسية القيم القديمة ودخلت فى دوامة التجريب لاقامة مجتمع جديد ، مع أن المجتمع القديم والحياة الاجتماعية والثقـافية القديمة كانت تحمل كل عناصر وقوى وامكانات التقدم وكانت خليقة بأن تحقق ذلك التقدم لو احسن البحث عنها ثم استغلالها .

كذلك يأخذ أعداء الثورة الفرنسية عليها أنها كانت ثورة (طوباوية) ومثالية وتهدف الى اقامة المجتمع المثالى أو المجتمع الفاضل إن أمكن استخدام هذه الكلمة هنا . ومن الطبيعى أن الكتاب ورجال السياسة المحافظين كانوا يقفون ضد هذه النزعة الطوباوية بكل ما تحمله من تطرف فى اتجاهها نحو التجديد والتحديث وعمليات الاحياء الاجتماعى ومحاولة تحقيق الكمال فى مختلف مجالات الحياة وما يؤدى اليه ذلك من مفارقات بين ماهو قائم وما ينبغى أن يكون وبالتالى ازدياد الهوة وتعميق الفوارق بدلا من تضييقها وملئها بالتدريج ، وأنه لابد فى حركات الاصلاح الاجتماعى والسياسى من أن تؤخذ مختلف الاعتبارات والعوامل والابعاد فى الحسبان حتى يسلم التقدم من المزالق الخطرة التى قد تؤدى اليها الثورة والتطرف والنزعات الطوباوية غير المتعقلة والمتسرعة .

● التقدم الاجتماعى

واذا كان لامفر من التسليم بضرورة واهمية رفاهية المجتمع وتقدمه فإن ذلك يعتمد على أمور وعوامل كثيرة ومعقدة . ومن الخطأ فى رأى أعداء الثورة التركيز على امر واحد منها والتضحية ببقية الاعتبارات . وعلى ذلك ، فإذا كانت الثورة الفرنسية قد نادت بالحرية وأعطتها أولوية مطلقة أو شبه مطلقة واتخذت منها مثالا ثوريا عملت على تحقيقه فإن ثمة أمورا

أعداء الثورة الفرنسية

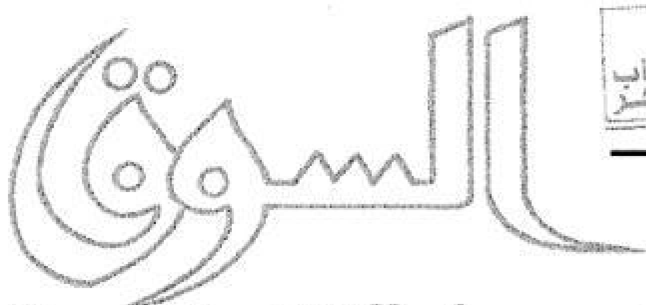
اخرى لاتقل عن الحرية شانا بالنسبة لمجتمع مثل العدالة والامن والسلام والاستقرار وهى امور تطلب وتراد لذاتها من ناحية ، كما انها تخدم اهداف الحرية وتساعد على تحقيقها وارساء قواعدها وترسيخها من الناحية الاخرى فالتقدم الاجتماعي يوجد بذوره فى القيم الكامنة والمتجسدة فى حياة المجتمع كما انه يتحقق بتنمية هذه البذور وتعهدها بالرعاية اكثر مما يوجد فى الاهداف البعيدة الصعبة المنال والتى يتطلب الوصول اليها المخاطرة بالاشياء التى يتمتع بها المجتمع بالفعل او فى التضحية بالواقع القائم الحقيقى من اجل مستقبل متخيل او وهمى او من اجل نوع من الكمال المطلق الذى يصعب حتى تصوره بكل تفاصيله الدقيقة . واذا كان اعداء الثورة يرفضون فكرة الكمال المطلق فإنهم يتكلمون عما يسمونه بالكمال العملى ، وتحقيق هذا الكمال العملى لا يحتاج الى الحماسة الزائدة الطائشة للاصلاح بقدر ما يحتاج الى القدرة على ادراك الممكن والعمل فى حدود ذلك الممكن وهذا يتطلب بدوره ضرورة توافر مايسمونه بالوعى الواقعى اى ادراك ما يمكن تحقيقه وما ينبغى اتجازه مع الاخذ فى الاعتبار امكانات المجتمع ونبض الحياة فيه واحترام واقعه وظروفه وقيمه وتاريخه وتراثه اذا اريد الاستمرار فى التقدم والتطور بخطى ثابتة

وواضح ان هذه الاعتراضات او الانتقادات التى كان يوجهها اعداء الثورة الفرنسية منذ مائتى سنة هى نفس الاعتراضات والانتقادات التى يوجهها اعداء اية ثورة من الثورات التى تقوم لتغيير الاوضاع الجامدة السائدة فى المجتمع والتى يرفضها ذلك المجتمع لانها لم تعد تتفق مع الظروف الجديدة او المستجدة او مع متطلبات الشعوب وتطلعاتها او مع المبادىء والحقوق التى تهدرها هذه الاوضاع . ولقد وجدت ، هذه الاعتراضات والانتقادات منذ قرنين صدى قويا وبخاصة فى المجتمع البريطانى نتيجة لكتابات ادموند بيرك بالذات ، الذى يعتبر من اشهر وأهم اعداء الثورة الفرنسية خاصة وأنه عاصر احداثها وشاهدها عن قرب ولذا تعتبر كتابته حول الموضوع بمثابة شهادة حية وان كانت لم تسلم بغير شك من التأثر بالاعتبارات السياسية المتعلقة بانجلترا ذاتها والخوف من امتداد الثورة اليها . ولقد تحقق خوف بيرك على اية حال حين قامت الثورة بالفعل فى ايرلندة ـ موطنه الاصلى ـ عام ١٧٩٨ اى فى السنة التالية لوفاته .

واقد تشكك ادموند بيرك فى الثورة الفرنسية وأهدافها والنتائج (الوخيمة) التى سوف تترتب عليها حتى فى الوقت الذى كان غيره من الكتاب والسياسيين والمفكرين يرحبون بها ويأملون فيها الخير . وقد كتب بيرك عن الثورة كتابا ضخما بعنوان (تأملات فى الثورة الفرنسية) ، وقد لقى الكتاب كثيرا من الترحيب والقبول الحسن فى بريطانيا بعد صدوره ، بل وكان من اهم الكتب خلال القرن التاسع عشر ولايزال حتى الآن يعتبر من أهم كتب فلسفة السياسة وبخاصة فيما يتعلق بتقويم الثورة من وجهة نظر سياسى بريطانى محافظ . ويزيد من اهمية هذا الكتاب انه يصدر عن

سياسى محترف وليس عن فيلسوف أو مفكر سياسى نظرى ، ولذا فإن الآراء التى يضمها فى الكتاب والتى تعبر عن نظرته المعادية للثورة الفرنسية آراء تصدر عن التجربة أو عن الخبرة والممارسة الشخصية وليس عن القراءات أو التأمل النظرى المجرد . ومن هنا كان الكتاب يعتبر من أفضل التعليقات أو الشروح على الأحداث التى شاهدها وعاصرها وإن كانت تعبر عن نظرة خاصة الى الأمور ولذا فإنها قد تفتقر الى عنصر الموضوعية التى تتصف بهـا الكتـابـات التـاريخيـة الاكاديمية ، ولكنه على أية حال لم يكن يهدف الى أن يترك لنا دراسة أكاديمية حول الثورة وأحداثها ، ولم يكن يستطيع ذلك حتى لو أراد . والمهم هو أن هذا الكتاب المعبر عن الموقف العدائى من الثورة الفرنسية صدر فى نوفمبر عام ١٧٩٠ أى فى العام التالى لاندلاع الثورة ، ووجد له فى الحال صدى هائلا لدرجة أن أحد أصدقاء بيرك وصف الكتاب بأنه كان من القوة بحيث يستطيع أن (يقلب) الجمعية الوطنية (الفرنسية) رأسا على عقب ويحول مسار واتجاه الرأى العام فى أوربا كلها عن الثورة . وربما كانت معرفتنا فى العالم العربى ببيرك وكتاباته وآرائه قليلة بل وتكاد تكون معدومة إلا فى أضيق الحدود ، ولكن لاتزال هذه الكتابات فى الخارج مصدرا للالهام ومثارا للمناقشة بين أنصار الجديد وأتباع القديم بوجه عام ولايزال (أعداء الثورات) السياسية والاجتماعية يجدون فيها مبررات لآرائهم ومواقفهم المحافظة التى قد يصفها (أعداؤهم) بالجمود والتخلف فلقد كان بيرك يؤمن بأن الاصلاح والتقدم يحتاجان الى التفكير أو الى تلاقى الافكار واصطراعها خلال الزمن لرسم وتحديد الخطوات التى تؤدى الى تحقيق الهدف من خلال التقدم البطىء المطرد الثابت وبحيث تؤدى كل خطوة الى خطوة تالية ثابتة وراسخة وبحيث تنتهى العملية كلها بسلام . فالاصلاح والتقدم عمليتان معقدتان تحتاجان الى التوفيق والى التوازن ، وهو أمر لن يمكن تحقيقه إلا عن طريق دراسة عقول الناس وأفعالهم . وهذا لايعنى أبدا التنكر تماما للثورات أو رفض وجود ظروف تحتم قيامها أو إنكار ضرورة قيام الثورة إن لم يكن ثمة بد من قيامها . فكثيرا ما تفرض المشكلات نفسها على المجتمع ، وكثيرا مايجد المجتمع نفسه تحت رحمة الأحداث المفاجئة بحيث تكون الثورة أحيانا هى الحل الوحيد أو المخرج الوحيد من تلك الأوضاع الصعبة أو المستحيلة ، انما المهم فى رأيه هو أن تؤخذ فى الاعتبار دائما إمكان اللجوء الى الأساليب الأخرى وعدم الانسياق بدون وعى فى تيارات الحماسة الزائدة التى كثيرا ما تؤدى بالانسان والمجتمع الى الضياع بعد أن يضل بهما الطريق . ولكن ربما كان ذلك يصدق بالمثل بالنسبة للمبالغة والمغالاة فى الركون الى حكم العقل وحده والتنكر للجوانب غير العقلية أو غير العقلانية فى تكوين الجنس البشرى . وهذا ـ على مايقول ـ هو حكم الطبيعة الانسانية ولادخل للمرء فيه ولايمكن تعديله بحال ، ولذا فإن الفعل الانسانى خليق بأن يؤدى الخير اذا استخدم الناس كل قواهم المختلفة بشىء من التناسق والانسجام والتناغم وهى كلها أمور تتعارض تماما مع فكرة الثورة ولا يمكن أن تؤدى الى قيامها .





قلب المدينة الإسلامية

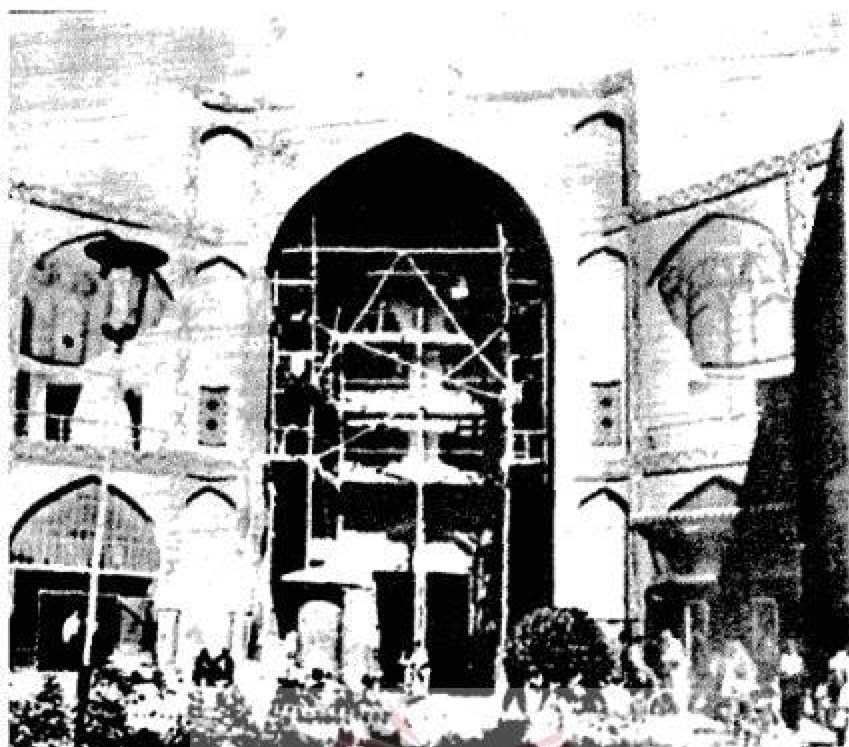
رؤية معمارية للشكل والوظيفة

تأليف : د. محمد شرابي عرض وتقديم : د. حسن رجب

ليس يأسرني في مدينة مثل سوقها .. فسوق المدينة هو روحها .. هو نبضها الحي .. قد يكون متسارعا دفاقا .. وقد يكون هادئا رقراقا .. ولكنه في كل الأحوال صادق التعبير عن مزاج الناس .. ليس فيه تصنع ولاتجمل .. لذلك يكون أول ما أقصد في المدينة سوقها .

ونحن ليس هناك في العالم ما هو أجمل من السوق في المدينة الاسلامية .. فهنا لاتحس بنبض الحاضر فقط ، وانما تحس بأنفاس الماضي أيضا .. هنا تمتزج الروائح والألوان والأزمان .. لذلك كانت سعادتي بلا حدود وأنا أتلقف كتاب « البازار . مركز المدينة التقليدي في الشرق الأوسط ومنشآته التجارية » .

طول العنوان ينبيء بأنه كتاب علمي .. كما ينبيء بذلك أيضا اسم مؤلفه وهو الدكتور محمد شرابي .. استاذ تاريخ العمارة في جامعة دارمشتات بألمانيا الغربية .. والكتاب صادر باللغة الالمانية - بالطبع - فيما يقرب من ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير ، منها أكثر من مائة صفحة من اللوحات المصورة .. يضاف إليها أكثر



قيصرية مقببة اصفهان



السقف المقبب في خان مرجان ببغداد

كتاب الشهر

من مائة وخمسين صفحة تقدم فهرسا شاملا لهذه الأسواق فى ٥٨ مدينة اسلامية .. وفوق ذلك كله عشرات الرسوم المعمارية التى تمتد بعض لوحاتها على مساحة اربع أو خمس صفحات متصلة !

والمؤلف قد رجع الى اكثر من ٦٠٠ مرجع بين تراثى ومحدث ..

● العشق والتوحد

لعل من المفيد أن أقدم المؤلف قبل الكتاب ، حتى نفهم العلاقة الحميمة بين المنشىء والبناء ، إلى درجة العشق والتوحد ، والتى تجعل القيام بمثل هذا العمل الضخم أمرا ممكنا ولا أقول ميسورا .

التقيت بمحمد شرابى لأول مرة فى عام ١٩٥٧ ، أو لعلها كانت ٥٨ ، بمسجد برلين الكبير .. وكان قد جاء إلى برلين ليدرس الهندسة فى جامعتها التكنولوجية الشهيرة .. والتى تخرج فيها « فرنرفون براون » عالم الصواريخ الألمانى الشهير ، والذى فتح ابواب السماء أمام صناعة الفضاء الأمريكية .. جاء محمد إلى برلين لأن مجموعه فى « التوجيهية » لم يسمح له بدخول كلية هندسة مصرية !

وفى برلين تكشفت مواهب الشاب ـ أو خيبة نظام التعليم عندنا ـ فما لبث أن بز اقرانه وحصل على البكالوريوس بامتياز ثم الدكتوراه .

وهى تجربة تكررت مع كثيرين غيره ، مما يؤكد ذكاء المصرى وقدرته المغمورين نتيجة لتعاون نظام تلقينى فاشل ، مع مناخ معادٍ لحرية الفكر والابتكار مما يؤدى إلى وأد تفرده وعبقريته فى مهدهما !

ورغم نجاحه فى السلك الاكاديمى ، وتعيينه استاذا لتاريخ العمارة بجامعة المانية ، وبخاصة فى الحياة العملية كمهندس معمارى استشارى مرموق ، فإن حضارة أوربا لم تستطع أن تمتص وتقتلع جذوره ..

وهكذا ظل قلبه دائما معلقا بالشرق .. ولهذا لم يتأخر يوما عن دعوة للمساهمة فى إعمار بلاده .. ولعل من اهم الأعمال التى قام بها فى هذا المجال اعادة تخطيط وانشاء سوق جدة القديم ..

وكانت الاسواق تجذبه اليها باستمرار مفتاحا للتفاعل الاجتماعى والاقتصادى بهذه المدن .. لهذا اتسعت رحلاته العلمية والعملية عبر السنوات الطوال ، فشملت اسواق العرب والعجم والترك ، وغيرهم من الشعوب الاسلامية .. ينظر اليها من امام ومن خلف .. من تحت ومن فوق .. فهو حينا طائر ينظر من علٍ .. وهو

حينا آخر ملتصق بالأرض ينقب فى الأساس وهو فى كل الأحوال عالم مدقق وعاشق مفتون .. وعلى كثرة من كتب عن الأسواق الشرقية من المؤرخين والجغرافيين والمستشرقيين ، فإن شرابى يقدم فى هذا الكتاب رؤية جديدة مبهرة ، من وجهة نظر معمارية تجرد الاشكال الى وحدات هندسية ، يصوغ منها بعد ذلك منظومة منطقية تفسر الشكل والوظيفة فى اطار الفلسفة والحضارة الاسلامية ..



● مفتاح المدينة

يقول شرابى فى مقدمة كتابه أن المدينة التقليدية فى الشرق الأوسط لايمكن فهمها إلا بمعرفة المركز والقلب ، أى البازار ومنشآته .. التجارية فى تفاعل اجتماعى اقتصادى مساحى (فراغى) .. ويقول انه لا يركز على التاريخ الحضارى ، فهذا عمل ابدع فيه عشرات من المؤرخين المسلمين والمستشرقين من مختلف التخصصات .. مايهم شرابى هو وصف وتحليل موضوعى لظاهرة لاتزال قائمة حتى يومنا هذا كما أن همه الأول ليس أيضا التركيز على العناصر المعمارية الزخرفية والجمالية ، وانما يريد أن يستخلص المنظومة الاساسية من الملامح والخصائص التى تحكم الشكل والوظيفة فى الشرق الأدنى ، والذى يحدده بالمساحة الواقعة بين

سوق الحميدية ـ دمشق



المحيط الأطلسي في الغرب والهندى في الشرق وقزوين في الشمال وبحر العرب في الجنوب ..

وهى المنطقة المتأثرة بالحضارة الهلينية الرومانية ، والتى سكنتها شعوب اسلامية منذ القرن السابع الميلادى ..

فى هذه المنطقة الشاسعة برزت ثلاثة أشكال رئيسية متميزة للمنشآت التجارية ، سواء من ناحية الشكل أو من ناحية الوظيفة

١ - أول هذه الاشكال هو « البازار » .. وهى كلمة فارسية .. ويندرج تحت مفهومها الشامل المنشآت التجارية التى تقع فى مركز المدينة ، وتكون مسقوفة ، وعلى الأغلب تقفل الشوارع المؤدية اليها ببوابات وتستخدم هذه التسمية حتى يومنا هذا فى ايران وبعض مناطق تركيا .. وتصغر أحيانا الى « بازارجى » ..

أما العرب فيستخدمون تسمية « السوق » لهذا النوع من المنشآت ..

ويرجع المؤلف الكلمة إلى اللغة البابلية القديمة - بينما يرجعها مصدر آخر إلى أصل آرامى .. وقد انتشر استخدام تصغيرها « سويقة » فى العصر الوسيط ..

أما فى تركيا فتستخدم كلمة « شارشى » وهى مستمدة من كلمتى (شهار - سوق) ..

وعادة تنسب إلى شىء ففى ايران مثلا هناك « بازار الوكيل » فى شيراز ، و « على باشا شارشى » فى أدرنة ، و « سوق مدحت باشا » فى دمشق ، وسوق الغورية ، فى القاهرة ..

● القيصرية

أما الشكل الثانى فهو

الفناء الداخلي لفندق رحبة القميص



« القيصرية » ، وهو تعبير عن متاجر التجزئة فقط ، دون أن تتوافر بها وسائل للمبيت .. والشكل الثالث هو « الخان » ، وهى كلمة فارسية بمعنى البيت .. وكانت تطلق على المؤسسات التجارية التى تتوفر بها وسائل الاقامة للغرباء .. وقد انتشر استخدام هذه الكلمة فى ايران قديما ثم فى تركيا وسوريا وفلسطين والعراق .. وفى اليمن كانت تسمى « جمرك » .. أو « سمسرة » ..

أما العرب فاستخدموا كلمة « فندق » ويرجعه المؤلف الى

دكاكين عند الواجهة الشمالية لمدرسة السلطان قلاوون بالقاهرة



اليونانية ـ كذلك استخدمت « كارفان سراى » وهى مركب من كلمتين فارسيتين وكان « كارفان سراى » عادة يشبه استراحة للمسافرين ملحق به مخزن للبضائع ..

أما فى مصر فقد اقتصر استخدام اسم « الوكالة » على هذا النوع من المنشآت ..

● الاستمرارية

أهم مايميز السوق الاسلامى باشكاله المختلفة هو الاستمرارية التاريخية .. فهو ليس نتاج عصر بذاته أو حاكم بعينه .. وانما هو نتاج مئات ، بل وآلاف السنين .. هذه الاستمرارية التاريخية هى الطابع الاساسى ، الذى لاتفهم هذه المؤسسة الحضارية إلا من خلاله .. تقوم هذه الاستمرارية على التلقى والتجريب ثم التوارث .. ولكن وراء هذه العملية من التوارث المعمارى تقف رؤية حضارية محددة وفكر اقتصادى واضح ونظام اجتماعى ثابت المعالم ..

دين حضرى

يقول المؤلف ان الاسلام دين حضرى نشأ فى كنف المدن مثل مكة والمدينة ثم امتد وازدهر فى الشرق الهليني .. ويقول ان الاسلام سعى الى توحيد الفكر الدينى والفعل الحياتى فى إطار الشريعة ، التى

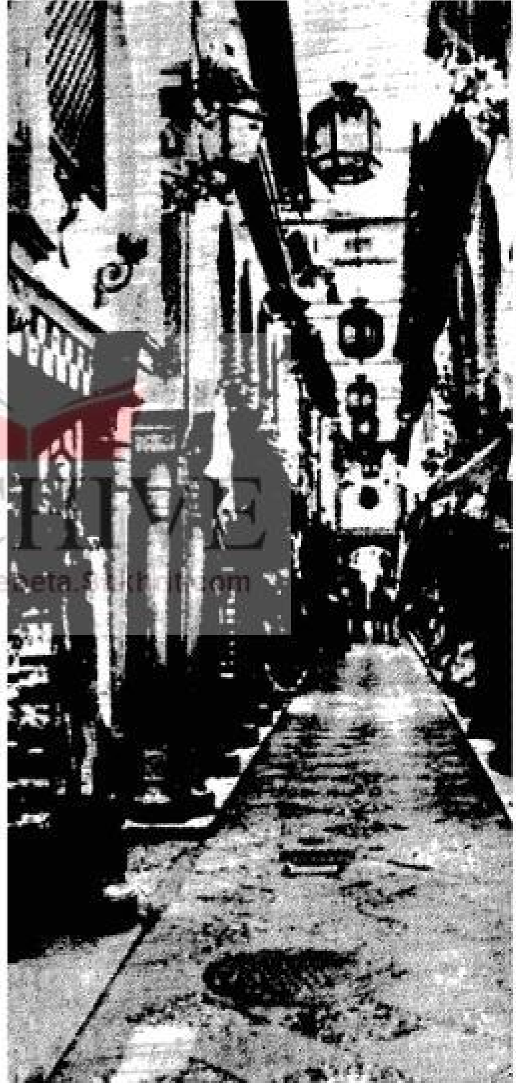
حاولت ان تنظم حياة المدينة بكل تفصيلاتها .. واذا كان التطور الفعلى للأحداث قد باعد بين اصول الشريعة وبين مجريات الواقع المعاش فى كثير من الأحيان فى القضايا السياسية ، فقد بقيت وحدة المسلمين ظاهرة فى سلوكهم الأجتماعى والاقتصادى ..

ساعد على ذلك مرونة الشريعة فى مجال أحكام الاقتصاد ، مما مكن الناس من التوصل من خلالها إلى حلول لمشاكلهم الاقتصادية الآنية ..

أى أن الشريعة بقيت بالأساس منهاجا واطارا عاما للسلوك ، دون أن تضع قانونا تجاريا محددا .. ولكنه يقول أنه يمكن تحديد ملامح عامة للاقتصاد الاسلامى كما ساد فى القرون الأولى ، وكان له تأثيره على العمارة التجارية الاسلامية ..

أول هذه الملامح هى الحرية التجارية ومايمكن أن يسمى بالرأسمالية الليبرالية .. أما المؤسسات التى كانت تسيطر وتشكل هذه الأنماط التجارية فكان على رأسها الدولة الاسلامية ، وكذلك القضاة والفقهاء .. الى جانبها نشأت طوائف الحرفيين (الفتيان) والتى يمكن تشبيهها باتحادات العمال الحالية ولعبت دورا اقتصاديا هاما ، بالأضافة الى دورها الاجتماعى والدينى ..

القيصرية ـ غرناطة



ولكن العامل الأساسى الذى شكل « السوق » كان مبدأ ليبرالية الاقتصاد وسيطرة الأفراد على مجالات التجارة والنقل والتوزيع .. فأصبح السوق هو مركز التنظيم الاقتصادي والتمويل .. ورغم أن هذا النمط الراسمالي التجاري - الذى لانستطيع مساواته بالرأسمالية المعاصرة - لم يهتم ولم يتسع للقطاع الانتاجي - ممثلا فى الزراعة والصناعة - فإنه أفسح لها مجالا فى السوق لممارسة انشطتها محققا بذلك وحدة اقتصادية كاملة غير مسبوقة ..

● وحدة العقيدة

لم يؤثر شيء فى الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية فى الشرق الاوسط قدر ما أثرت فيها وحدة العقيدة .. هذه الوحدة التى لم تتجاوز القومية والجنسية واللون فقط . بل تعدت ايضا التقاليد والعادات المختلفة للبلاد التى دخلها الاسلام - هذه الوحدة صاغها القرآن والحديث فى جميع مناحى حياة المسلم ، بحيث تراجعت الحدود بين الحياتين الدينية والمدنية الى السلفية .. وتوحد بذلك المسجد مع السوق فى تناسق كامل .. ومن الجدير بالذكر أنه على مدى قرون طويلة وبرغم النزاعات والفرقة السياسية فان العلاقات بين الدول الاسلامية ظلت قائمة تسمح بتبادل القيم الفكرية والمادية بين بعضها البعض .. ولذلك يمكن القول بلا تحفظ بوجود وحدة (كتلة) عربية - ايرانية - تركية . كانت تتبادل التجارة مع اوربا .

● الجوار

الذى يسير فى اى سوق اسلامية يلحظ فورا علاقة الود والوئام التى تسود اصحاب الدكاكين المتراصة وهى نتيجة مباشرة لتطبيق مبدأ «الجوار» الاسلامى الذى يتعدى مفهوم التعايش السلمى الى ايجابية معاونة الجار بل والدفاع عنه من حق «الجوار» ايضا نشأ عنصر هام من عناصر معمار السوق الاسلامى فهذا القانون الاسلامى يحدد مفهوم "الشارع" "بالطريق النافذ" ، والذى يفتح للمرور العام .. وقد استقر فى فقه المذاهب ان هذا الشارع لا يجوز ان يقل عن سبعة اذرع (حوالى ٢,٥ م) .. والغزالى يسميه "اباحة" اى ملك الجميع - يخدم كل الأغراض ويستخدمه الكل مهما اختلف دينه .. والغزالى يوضح مبدأ حق الانسان فى ملكه بعدم الاضرار بجاره ، بحيث لا يضر بجار او بعابر سبيل راجلا او راكبا .

● من الصين إلى الأندلس

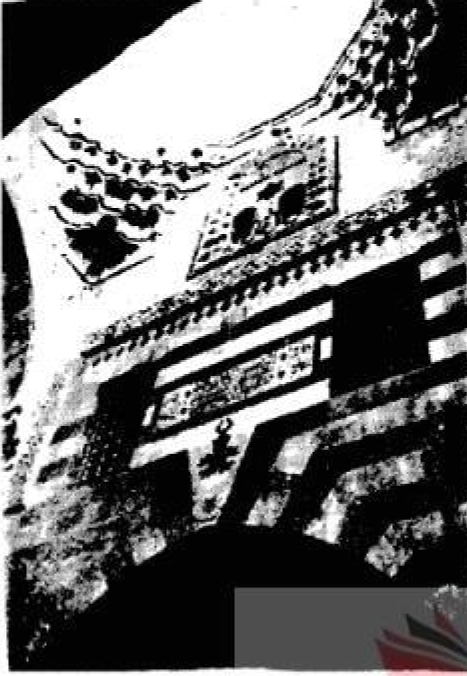
اذا كانت هناك بعض الاختلافات الصغيرة فى عمارة السوق الاسلامية



من بلد الى بلد فإن الاساس واحد والفلسفة التى تحكم عماراتها واحدة .. يتضح ذلك من متابعة هذه العمارة فى ارجاء العالم الاسلامى مهما بعدت الشقة فابن بطوطة حين زار الصين فى القرن ١٢ الميلادى وصف مدينة (هانصا) وهى اكبر مدينة رآها فى حياته ، وقال انها مقسمة الى ستة مدن فأما المدينة الثالثة ، والتى يسكنها المسلمون فإن تنظيم سوقها لا يختلف عما عهده فى بقية العالم الاسلامى .. وفى الاندلس كانت الاسواق مقامة على نفس طراز الاسواق فى المغرب وفى الجزيرة العربية .. حتى عادت اسبانيا الى حكم المسيحين فزالت معالم هذه الاسواق وقام مقامها اسواق تشابه مثيلاتها فى ايطاليا وفرنسا .

ما حدد الشكل اذن هو تفاعل عوامل اجتماعية واقتصادية وقانونية وجمالية .. وبزوال هذه العوامل تغيرت الاشكال .

فالسوق الاسلاميه اذن شىء فريد فى طبيعته لا علاقة له بما سبقه من الاشكال المعمارية المعروفة عند اليونان ، (Agora) او عند الرومان (FARUM) فالسوق هو مركز


خان الجمرك ـ حلب

المدينة التجارى ، وهو مقر العمومية بعكس الخصوصية التى تمثلها منطقة المساكن .. والتى يمكن تشبيهها فى عمارة المساكن التقليدية بالسلاملك (العام) والحرملك (الخاص) .. ولكن الجديد ايضا فى مركز المدينة الاسلامى انه يجمع العناصر الدينية والثقافية التجارية فى تناغم كامل .. ويبدا ذلك واضحا فى عمارة السوق ..

● مراكز الجذب

تعتبر ابواب المدينة ، والمساجد ، ومقامات لولياء الله الصالحين ،



فناء وكالة البازرعة .. القاهرة

والحصون ، من مراكز الجذب الاساسية لزائرى منطقة السوق .. يضاف الى ذلك المنشآت التجارية - سواء أضمت وسائل للاقامة ام لم تضم ، والمدارس والمستشفيات والمقاهى ، والسبل (نوافير المياه) .. هذه المبانى المركزية تمثل تجمعا متكاملا يجسد من ناحية المفهوم الاسلامى للتوحد الكامل بين الفعل الدينى والدنيوى . كما انه يضع فى اعتباره تلبية احتياجات برجوازية المدينة .. هذه البرجوازية التى كانت تتكون من العلماء والارستقراطية العسكرية وكبار التجار والحكام ، والذين كانوا يسيطرون على مجريات الأمور فى المدينة ويرقبون احداثها ..

وقد تكاملت هذه المبانى المختلفة وظيفيا .. فقد خدمت الأفنية الداخلية للمساجد والمدارس والمنشآت التجارية الكبيرة كجزائر للراحة والاستجمام ، بعد عناء المشى ساعات طويلة فى السوق . كما كانت تجهيزات المساجد بالنوافير ودورات المياه هامة جدا لزوار السوق .. كما كان قرب المسجد من حشود الناس هاما لتسهيل قيامهم بصلاة الجماعة فى المسجد ، سواء يوم الجمعة او الصلوات الخمس اليومية .. والواقع ان اماكن التجمع القديمة فى العصر الكلاسيكى كانت قد فقدت اهميتها بظهور الكنيسة ثم المسجد ، والذى اصبح هو المركز الاساسى للتجمع الشعبى ..

ويمكننا ان نقسم العلاقة بين السوق ومراكز الجذب الرئيسية الى اربعة انماط رئيسية :

١ - ان تصل السوق بين بوابتين من بوابات المدينة مثلما هو قائم فى الجزائر والقاهرة والقيروان ومكناس والرباط .

٢ - ان تصل السوق بين احدى بوابات المدينة والمسجد الجامع او القصر ، مثلما نجد فى فاس والمدينة وطهران وتونس .

٣ ـ الربط بين مسجدين رئيسيين او مقامين .. كما هو الحال فى اصفهان واستنبول ومكة المكرمة

٤ ـ أن تكون صلة بين المسجد الجامع والقلعة ، أو بين القلعة وتحصينات اخرى مثل احد ابواب المدينة .. او بين الميناء وقلب المدينة .. مثال ذلك ما نراه في حلب وبغداد ودمشق والكويت والمهدية وتطوان ..

وتمثل السوق بذلك المحور الاساسى والصلة بين اثنين من مراكز الجذب بالمدينة .. وكانت تختلف طولا مابين ٢٠٠ الى ٥٠٠ متر من الدكاكين المتراصة .. وكان عرض السوق يتراوح بين ٤ و ٨ أمتار .. وكانت المبانى فى المحور الرئيسى للسوق تتكون عادة من طابق واحد .. وان كانت العتبة فى القاهرة تمثل استثناء من ذلك ، حيث كانت الأدوار العليا تستخدم للسكن .. كذلك المحور الرئيسى لسوق مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف وصنعاء .. من للمحور الرئيسى تتفرع شوارع تختلف فى الطول والعرض ، تزدحم على جانبيها المتاجر ايضا .. ويمكن ان تضيق هذه الشوارع الجانبين حتى تصل الى ١,٥ متر ، حتى لا يكاد ثلاثة من المارة يستطيعون عبورها جنبا الى جنب مثلما هو قائم فى الاسكندرية وبيروت .. وهو تراجع حديث نسبيا عن الحد الأدنى للطريق النافذ والذى لا يجوز ان يقل عن سبعة أذرع .. وتوجد على المحور الرئيسى للسوق بوابات يمكن اغلاقها ، بحيث تنقسم الى قطاعات مستقلة ..

● قباب

وتعتبر السقوف من المظاهر العامة للسوق الاسلامية لحماية الانسان والحيوان والمبانى والبضائع من الشمس المحرقة اوالمطر ، مهما كان قليلا ، والبرد فى بعض المناطق مثل حلب واستنبول وشيراز .. وتختلف الاسقف من منطقة الى اخرى فى الشكل وفى الخامات المستخدمة .. فهى حينا من الطوب النى او الاحمر او هى من الواح الخشب .. وقد تنفتح هذه السقوف على قبة كبيرة فى نقطة مركزية مثلما نشاهده امام خان القطن بالقاهرة او امام المسجد الكبير فى مكناس . ولعل مصر بالذات كانت من اقل المناطق استخداما للسقوف ، نظرا للوظيفة المزدوجة تجاريا وسكنيا ..

وكانت بالقباب وجوانب السقف فتحات صغيرة يتسلل منها الضوء حانيا خافتا يريح العين ويلقى بظلال جذابة على العمارة البسيطة .. كما

كانت هذه الفتحات تفيد فى التهوية صيفا . ويسد بعضها شتاء

● المصطبة

وكان شارع السوق عادة يتكون من سلسلة متصلة من الحوانيت (كان - حانوت - محل) .. وكان شكل الحانوت (كما بقى حتى الآن فى حلب وشيراز وفاس) عبارة عن صندوق صغير جدا .. مثلا مترين مربعين فى سوق العطارين بتونس .. بل هناك ماهو اصغر فى «سوق باب مصر» بالمدينة المنورة ، وسوق زنقة الستات بالاسكندرية .. ولكن بعض هذه الدكاكين كان متسعا ، حتى وصلت الى ١٥م^2 فى شيراز . وكانت هذه الدكاكين (الصناديق ، مفتوحة جهة الطريق .. وكانت الدكاكين عادة ترتفع عن مستوى الطريق ، بحيث يحدث نوع من الفصل بينها وبين الطريق ، كما كان ذلك يتيح مكانا لجلوس البائع والمشترى وقد ازيلت هذه المصاطب فى القرن التاسع عشر بمصر بأمر الحاكم ، ولكن بقيت صورها ولكننا مازلنا نرى نماذج لها فى حلب .. ولكن الشارع كان يستخدم ايضا فى عرض البضاعة ..

وكان هذا جزءا هاما ومميزا للسوق .. فهناك علاقة حميمة بين الشارع والدكان والمشترى ، أو المتفرج ، الذى كان يشاهد ويلمس البضاعة ، ويقضى وقتا يطول او يقصر فى الثرثرة او المساومة ، دون أى التزام بالشراء .. وأهم من ذلك كله أن الانسان يفعل ذلك كله اثناء المرور ، دون ان يضطر الى ان يدخل الدكان .. وكان طبيعة ترتيب الدكاكين فى شكل خلايا متراصة تسمح بمرونة شديدة فى التوسع والانكماش للسوق .. وكذلك فى تغيير صاحب الدكان او طبيعة نشاطه ، حيث انها كانت عادة مستأجرة ومازالت الاسواق حتى يومنا هذا تسير على نفس المنوال الذى حكى عنه ياقوت فى تأسيس بغداد .. كذلك ما رواه ابن بطوطة عن سوق النجف .. فقرب باب المدينة (اى فى طرف السوق) يجتمع تجار المواد الغذائية والطباخون .. يتلوهم الخبازون بعدهم باعة الفاكهة ثم الخياطون .. ثم سوق العطارين والكتبجية بالقرب من المسجد والمدرسة ..

هذه عجالة سريعة فى «بازار» شرابى لا تشفى غليلا .. ولكن عساها تدفع من بيدهم امر الثقافة فى هذا البلد .. الى البحث عن مترجم ينقل الى العربية هذا السفر العظيم ..



دائرة الحوار

الموسيقى ١

فى بطن الشعرور

تبدأ بهذه الطرفة !..

فعندما كتبنا مقالاتنا عن الشعر التفعيلي في مجلتي « التحرير » والعالم العربي منذ خمسة وثلاثين عاما ، استعملنا كثيرا كلمة « الشعارير » وصفا لمن لايحسنون نظم الشعر من التفعيليين وغيرهم ، وطال استعمالنا لهذه الكلمة وثقلت وطأتها على « الشعارير » فاتفق ان التقى بعضهم بالدكتور طه حسين - رحمه الله - فبثوه شكواهم وسألوه : مامعنى الشعارير ؟!.. فأجاب من فوره :

- الشعارير جمع « شعرور » .. وهو من يدّعي قول للشعر !

كأنما كان الشعارير عاجزين حتى عن الرجوع الى معاجم اللغة العربية لمعرفة معنى هذا اللقب الذى خلعناه عليهم فى ذلك الحين !

تذكرت هذا حين قرأت كلمة الناقد الاستاذ ابراهيم فتحى فى هلال يونيو تعقيبا على مقالنا المنشور فى هلال مايو الماضى بعنوان « عصر الشعارير » .. فقد استفتى الاستاذ فتحى « المعجم الوسيط » و« مختار الصحاح » فى معنى الشعرور والشعارير ، كأنه لم يقع عليهما فى كلام من قبل ، وقد خذله « المعجم الوسيط » حين قال له ان المتشاعر اقل درجة من الشعرور ، واصدق من قول المعجم الوسيط قول « ابن رشيق » فى كتابه « العمدة » ان الشعرور « لاشىء » ويأتى بعد الشويعر والمتشاعر ، لان كليهما على

ان النظم بالتفعيلة وحدها دون معرفة الشعراء بالبحور المتكاملة معرفة صحيحة ، سيؤدى الى عجز شعراء الاجيال القادمة عن نظم الشعر موزونا حتى بالتفعيلة ، لان البحور المتكاملة هي الالحان ذات الاصول الجامعة التى تهتدى بها طبيعة الشاعر الى فروعها ومجزوءاتها ، ويكتسب منها الشاعر مهارة غريزية فى الاداء الشعرى !!

بقلم : كمال النجمى

« شىء » .. او على « شوى » .. وهو الشىء مصغرا .. الا اننى فى مقالى ذكرت الشعرور والشويعر فقط وقارنت بينهما ، ولم اذكر المتشاعر ولا المتشاعرين وهم جمهور الناظمين فى هذه الايام !..

● بعد هذه الطرفة ، نتحدث عن اسطورة متداولة فى تاريخ الشعر التفعيلى ، مؤداها ان « مخترع » هذا الشعر هو المرحوم بدر شاكر السياب الشاعر العراقى ، ومعه الشاعرة نازك الملائكة ، أو بعده بقليل !

وقد اخذ الاستاذ ابراهيم فتحى بهذه الاسطورة وذكر اسم السياب واسم الملائكة فى « اولى المحاولات لتجديد طريقة الوزن فى الشعر الجديد »!..

ان اولى المحاولات فى هذا السبيل ـ حقا ـ كانت محاولة الشاعر اليمنى الحضرمى المصرى المرحوم على احمد باكثير فى اوائل الثلاثينات ، اذ ترجم المسرحية الشعرية الشيكسبيرية « روميو وجولييت » شعرا تفعيليا ـ لاول مرة فى تاريخ الشعر العربى ـ وفى سنة ١٩٣٦ كتب مسرحية بالشعر التفعيلى اسمها « اخناتون ونفرتيتى » ونشرها سنة ١٩٣٨ .. وبهاتين المسرحيتين سجل لنفسه « براءة اختراع » الشعر التفعيلى ..

ولكن « المخترعين » تكاثروا على اختراع الرجل الحيى المتواضع ، وكلهم يزعم لنفسه ، او يزعم له الزاعمون انه المخترع الوحيد ، حتى

اضطر باكثير ان يتحدث عن نفسه ويقول بصراحة انه هو لاغيره صاحب الاختراع الذى كثر منتحلوه !

يذكّرني المرحوم باكثير فى حياته ثم فى دفاعه عن عمله هذا الذى ادعاه المدعون ، بالشخصية الكوميدية البديعة التى رسمها فى مسرحيته المشهورة « جلفدان هانم » وهى شخصية كاتب قصصى سماه « عاطف الاشمونى » وجعل احد الاثرياء ينتحل قصة له تسمى « الجثة البائسة » .. فيخرج الكاتب الحقيقى عاطف الاشمونى فى اخر الامر وعلى صدره لافتة باسمه واسم قصته وصوته الصارخ يقول للناس مرة بعد مرة :

ـ أنا عاطف الاشمونى مؤلف الجثة البائسة !..

● ان عاطف الاشمونى الذى رسم باكثير شخصيته لايختلف كثيراً عن باكثير الذى اطبق المنتحلون على اختراعه فى الاوزان التفعيلية .. ولانذهب فى ذلك بعيدا ، بل ندع باكثير يروى لنا القصة فى مقدمة طبعة الستينات من مسرحيته « اخناتون ونفرتيتى »

« وجدت ان البحور التى يمكن استعمالها هى البحور التى تفعيلاتها واحدة مكررة ، كالكامل والرمل



د . طه حسين

والمتقارب والمتدارك فكان ان استعملت هذه البحور الصالحة كلها فى ترجمة روميو وجولييت ، ثم لاحظت ان اكثر هذه البحور مرونة وطواعية لهذا النوع الجديد من الشعر هو المتدارك فالتزمته فى هذه المسرحية ـ اخناتون ونفرتيتى ـ والبيت هنا ليس وحده كما هو الحال فى الشعر العربى المألوف وانما الوحدة هى الجملة التامة المعنى »..

ويقول باكثير : « فى نظرى ان هذه الطريقة الجديدة لم يسبقنى اليها احد ـ

كانت « اخناتون ونفرتيتى » اكثر نضجا فى طريقة النظم بالتفعيلة من مسرحية « روميو وجولييت » وقدر لها ان تكون اولى التجارب الحقيقة للشعر التفعيلى ، وظهر صداها اول ماظهر فى العراق لدى الشاعرين بدر شاكر


علي احمد باكثير


بدر شاكر السياب

السياب ونازك الملائكة ، بعد انطلاق هذه التجربة من مصر على يد باكثير بنحو عشر سنوات .

ويقول باكثير : « كان الشاعر السياب يذكر لي هذا السبق في كلمات الاهداء التي كان يخطها على كتبه المهداة إليّ ».

ولايذكر باكثير كلام السياب مباهيا ، بل يذكره تخفيفا لما كان يشعر به من ألم الجحود ، فقد كان الصمت من حوله يغتال الحقيقة ويواريها في الظلام !

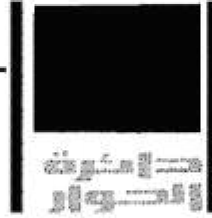
● هل اطلنا الجملة الاعتراضية عن باكثير ودوره في الشعر التفعيلي ؟!..

ربما !.. ولكنا اطلناها عامدين ، لان الشعر التفعيلي اجتمعت فيه وتراكمت عليه اساطير من كل لون ، ولابد من الفحص عن حقيقة هذه الاساطير مادمنا قد عدنا الى الكلام على قضايا هذا الجنس الجديد من اجناس الشعر العربي .

ونظن اننا سنحتاج الى اطالة القول شهرا اخر او شهرين على حسب المقام ..

في مقالنا « عصر الشعارير » دار كلامنا حول الشعراء التفعيليين الذين تكاثروا في الزمن الاخير ولم تدخل في طبائعهم اوزان الشعر العربي المتكاملة التي هي اساس ضبط اوزان المجزوءات والشذرات التفعيلية على اختلافها .

وقلنا ان البحور المتكاملة هي التي يستمد منها الشاعر مقدرته العفوية غير المصطنعة ، على النظم بالتفعيلة او البحر ، فلا فرق بين شاعر التفعيلة وشاعر البحر ذي المصراعين في الحاجة الى المعرفة التامة بالبحور



لتنطبع فيه مقدرة شعرية عميقة الجذور ، تصبح بالمرانة وقوة الموهبة ، سليقة فيه !

وبدون المعرفة الدقيقة بالبحور تتكسر التفاعيل ، لانها اجزاء من البحور ، ولاتتم معرفة الشاعر بالتفعيلة منفصلة عن البحر الذى تنتمى اليه ، ولابد للشاعر التفعيلى الحريص على اوزان تفعيلاته ، من ان يعرف البحور التى جاءت منها هذه التفعيلات ، والا طارت من يديه التفعيلات والبحور جميعا .

ومتى عجز الشاعر عن تمييز التفعيلة بعد عجزه عن تمييز البحر ، صار لامحالة عاجزا عن النظم بالتفعيلة بعد عجزه عن النظم بالبحر ، ويصاب عندئذ بالصمم الموسيقى فى الاوزان الشعرية ، فتختلط فى سمعه البحور والاوزان والتفعيلات ، وتتساوى لديه موسيقى التفعيلة القادمة من بحر المتدارك ، والتفعيلة السابحة فى بحر المتقارب ، ويستوى عنده ضربات الكامل ونقرات الرمل ، لان تمييز الفروق الدقيقة بين هذه الالحان انما يجىء بانطباعها فى الشاعر انطباعا ، بصفتها جزءا لايتجزأ من موهبته الشعرية !..

اننا نكرر التحذير من هذا المنزلق الذى يستدرج شعراء التفعيلة الجدد الذين قطعوا صلتهم بالشعر العربى المتكامل الاوزان قديمه وحديثه ، وجعلوا كل زادهم شعر التفعيلة الذى كتبه الرواد امثال السياب والملائكة وعبد الصبور وغيرهم ، فان انطباع اوزان التفعيلة فى طبع الشاعر الناشىء الذى يرشح نفسه لقول الشعر ، لايتأتى من استيعاب اشعار هؤلاء التفعيليين ، لانهم هم انفسهم بدأوا حياتهم فى الشعر بالنظم المتكامل الاوزان ، ولهذا نظموا بالتفعيلة فلم تتكسر فى ايديهم !.

لكن انطباع اوزان التفعيلة فى طبع الشاعر الناشىء يحصل باستيعاب ملكة الوزن من طول النظر فى الشعر العربى الموزون المقفى .. فاذا نضجت هذه الملكة فى الشاعر ، فله بعد ذلك ان يخرج من البحور الى التفعيلات بلا حرج ..

اما الاكتفاء بالتفعيلات فى غضارة النشأة من دون معرفة البحور ، فعاقبته العجز التام عن النظم بهذه وتلك معا ..

● فنحن لا نعارض النظم بالتفاعيل ، ولكنا نشدد التحذير من عجز الاجيال القادمة ، والكثير من ابناء الجيل الحاضر ، عن النظم بالتفاعيل ، لانقطاع صلتهم بالبحور ، وطرحهم الشعر العربى وراء ظهورهم مقودين بتوجيهات نقدية غير صحيحة ..

ونحن لاندعو الى الانكباب على كتب العروض التى يسخر منها الاستاذ ابراهيم فتحى ، ويذكرها بلا مناسبة ،

فاننا لم نذكر فى مقالنا عن عصر الشعارير ، كتب العروض من قريب ولا من بعيد ، وانما نوهنا بالشعر العربى الجيد لانه الينبوع الذى يستقى منه الشاعر فى نشأته اوزان الشعر بدون ان يطلع على حرف واحد فى كتب العروض .. وهذا ماحدث للشاعر محمود سامى البارودى رائد شعراء عصر النهضة او عصر الاحياء ، فانه نظم الشعر ونبغ فيه واعاد اليه ديباجته الذهبية ، قبل ان يقرأ حرفا فى العروض ، بل قبل ان يتضلع فى اللغة نحوا وصرفا ، وانما استقى ملكته واكتسب مقدرته من دواوين الشعر ... فلا داعى لما ذكره الاستاذ فتحى من ان « دراسة البحور الخليلية واجب مفترض من اجل تطوير الشعر » مع انه ذكر هذه العبارة على سبيل التنازل لا على سبيل النصح والارشاد ، وكتبها بطريقة الاوصياء على الفكر ، بعد ان تحرر الفكر من الأوصياء .

ان دراسة بحور الشعر واستيعابها على وجهها الصحيح لايتم الا فى بحر الشعر ذاته ، اى فى دواوين الشعراء ، وان البحور ليست بحور الخليل وانما هى الشعر العربى واوزانه فى دواوينه فمن شاء ان تحصل له فيها الملكة ويستقيم الطبع ، فليست كتب العروض هى الطريق الصحيح كما يوصى الاستاذ فتحى مريديه من طلاب التفاعيل .



نازك الملائكة

وليست آراؤنا فى مسألة الشعر التفعيلى ترديدا لشىء جاء فى كتاب « اللغة الشاعرة » للعقاد كما اومأ الاستاذ ابراهيم فتحى ، فان آراءنا هذه منشورة قبل صدور كتاب الاستاذ العقاد بسنوات .. ولا اغالى اذا قلت انها كانت مما حفز العقاد وغيره الى خوض هذا المجال ، وليحاول الاستاذ فتحى ان يعثر على شىء للعقاد او غيره منشور قبل ان ننشر نحن كلماتنا سنة ١٩٥٥ ويكون له الاجر والثواب ان عثر على شىء من ذلك وارشدنا اليه ، وطابق معناه معنى ماكتبناه !

ولايقلل هذا من قدر العقاد الكاتب العظيم ، ولايزيد من قدرنا ، فقد انطلقنا نحن الى معركة تأنى هو فى الانطلاق اليها . واختلفت السبل الفكرية ـ بيننا وبينه اختلافا جوهريا لاتخطئه عين مبصرة !..

ومازلت احتفظ بخطاب من الشاعر الكبير المرحوم عزيز اباظة كتبه سنة ١٩٥٥ يسألنى فيه ان اهدى اليه نسخة من مقالاتى التى كنت نشرتها حينذاك فى نقد الشعر التفعيلى ، حيث لم يكن فى « سوق النشر » صفحة واحدة تطرق هذا الباب !

● يبدو لى ان الاستاذ فتحى قد اضاع وقتا فى الكلام عن العروض بطريقة مدرسية ، واستهزأ بالعروضيين القدماء - رحمهم الله واثابهم - وخلط بين دعوتنا الى اكتساب ملكة الاوزان ، وبين ماتوهمه من اننا ندعو الشعارير الى قراءة كتب العروض والانصراف عن الشعر التفعيلى .

وماكنت اظن ان كاتبا محنكا تختلط عليه الامور الى هذا الحد .. فنحن ما اردنا الا تحذير التفعيليين الجدد من نسيان اوزان التفعيلة والانزلاق الى القصيدة النثرية التى يدعو اليها الان الشعرور الذى يسمى نفسه « ادونيس » واخرون على شاكلته من حثالة شعارير مصر والبلاد العربية .

فالكلام اذن عن عروض الخليل بن احمد ومشكلاته كلام خارج عن الموضوع ، وهروب من جوهر المشكلة الذى هو تزايد جهل الشعراء التفعيليين الجدد جيلا بعد جيل بأوزان التفعيلات ، وتكاثر الذين ينظمون بالتفعيلة وهم يجهلونها ، حتى ليبدو جليا ان شعراء الاجيال القادمة القريبة سوف « يتمتعون » بجهل تام للاوزان

صلاح عبدالصبور



عباس العقاد



التفعيلية ، ولانتحدث عن البحور ولا القوافي ..

ولا يبقى لهم عندئذ الا الحيل اللفظية الساذجة التي يسمونها « الموسيقى الداخلية » .. وماهي الا ادخال لموسيقى الشعر في بطن الشاعر ، او في بطن الشعرور !

وليست الاوزان المتكاملة أطرا متحجرة تمنع تقدم الشعر ، ولكن الاطر المتحجرة حقا ، هي مايتمسك به بعضهم من افكار عفاها الزمان ، واثبت سذاجة القائلين بها في الادب والشعر .. ومن عجب ان من بقي من هؤلاء لم يحاول ان يتعلم شيئا جديدا ، ومازال يلوك لهجة التنظير المتعالي !

● وباختصار .. نحن لم نتحدث عن « العروض » بكلمة واحدة مع احترامنا له وعدم سخريتنا منه كما يسخر منه بعض المتطنسين .. ولم نهاجم الشعر الجديد ، فمن عجب ان يتصدى لنا بعضهم « دفاعا عن الشعر الجديد »!

صحيح اننا نددنا بالنزعة المدمرة لدى شعارير هذه الايام للخلاص من التفعيلة بعد خلاصهم من البحر ، ومقارفة مايسمونه القصيدة النثرية « ذات الموسيقى الداخلية »

ولكن التنديد بهؤلاء السخفاء ، حق لكل من لايعجبه سخفهم ، كما ان حريتهم تبقى في ايديهم يتصرفون بها كيف شاءوا في الهدم والتدمير .

لقد اضلتهم التوجيهات الفكرية ا! النظرية الساذجة وكنا نظن ان هذه التوجيهات قد مضى زمانها ولكن ثبت لنا اخيرا انها مازالت تدب دبيبها !

● وبعد ..

فان الاوزان الجبارة الدقيقة الواسعة المدى الغزيرة الالحان ، هي ميزة تنفرد بها اللغة العربية وحدها من دون لغات العالم كله ، وهنا تستطيع مراجعة كتاب اللغة الشاعرة » .. فماذا يحدث اذا احتفظ الشعر العربي بهذه الميزة الرائعة الفريدة التي لامثيل لها في لغات العالم ؟!

– ايكون الشعر العربي عندئذ الى نقصه ام الى تمامه ، والى غزارة موسيقاه ام الى ضحالتها ؟!

واذا استطاع شاعر نابغة ان ينظم بالبحور المتكاملة اعلى طبقات النظم افنطلب منه عندئذ ان يهجر البحور ، ليكون ناقصا نقص القادرين على التمام ، مقلدا تقليدا قروديا اعمى شعراء اللغات الاخرى التي لاتملك ماتملكه لغتنا ؟!

ان الشعارير الذين تقرقر « الموسيقى الداخلية » في بطونهم ، يريدون وأد جوهر عظيم من جواهر الثقافة القومية والوطنية ، هو الاوزان ، ويريدون منا ان نتخلى عن بحر زاخر من الثراء النغمي العبقري ، لكي يشنفوا اسماعنا باسجوعاتهم البدائية في سطورهم النثرية الاعجمية !



عندما تولى الرئيس السادات السلطة

بقلم : د . رشدى سعيد

كتب الدكتور فوزى منصور تعليقا على كتاب المرحوم محمد عبدالسلام الزيات «السادات : القناع والحقيقة» (الهلال - يونية ٨٩) أبدى فيه بعض الآراء عن أحداث الفترة الحرجة التى سبقت وتلت وفاة الرئيس عبدالناصر والتى كانت موضوع الكتاب - ولما كنت قد عاصرت هذه الفترة كسياسى فقد يكون من المفيد أن أنقل إلى القارىء شكل المناخ الذى كان سائدا فى هذه الفترة التى تميزت بإنجازات هائلة فى ميادين إعادة بناء الجيش والاقتصاد والصناعة وفى نفس الوقت بصراعات كثيرة بداخل التنظيم السياسى الواحد الذى كان سائدا فى ذلك الوقت .

● التنظيم السياسى الواحد وتعدد المجموعات

عجت الساحة السياسية فى تلك الفترة بمجموعات كثيرة - فبالإضافة إلى مجموعتى اليسار التى كانتا موضوع تعليق الدكتور منصور فقد كانت هناك مجموعات أخرى كثيرة التفت كل واحدة منها حول قطب ما من أقطاب النظام ودارت اهتماماتها بصفة أساسية حول مصالح شخصية أو فئوية وجمعتها ارتباطات الأسر والبلديات وشغل القطب فيها صفة الوسيط لدى السلطة - وكانت معظم هذه المجموعات التى انتظمت بداخل التنظيم السياسى الواحد متأثرة بالفكر السلفى الذى شكل تيارا أساسيا ومتعاظما منذ قيام الثورة ومنذ تولى رموزها السلفية شئون الإعلام والتربية والتعليم وأمانة التنظيم السياسى ذاته لفترة طويلة .

أما مجموعتا اليسار إذا أخذنا بتصنيف الدكتور منصور فقد برز منهما ماأسماه بمجموعة « اليسار الناصرى » التى كانت مجموعة منظمة ومغلقة مكونة من بعض أعضاء الحرس القديم الذين أحاطوا أنفسهم بهالة من الغموض والسرية ولم يسمحوا لأحد باختراق معاقلهم أو حتى مجرد الانتماء إليهم فلم يستطع الكثيرون أن يحصلوا حتى على مجرد العضوية العاملة فى التنظيم السياسى كما حدث لليسار الماركسى كما جاء فى مقال الدكتور منصور .

وليس هنا مجال تحليل إيديولوجية مجموعة «اليسار الناصرى» هذه فقد يكون مجرد وصفها بهذا الاسم مجالا للطعن وعدم القبول ولكن المؤكد أنها كانت مجموعة على درجة كبيرة من الوطنية تجمع شتات أفكار متباينة تمتد من شوفانية مصر الفتاة وحلم الدكتاتور العادل إلى رطانة الماركسية والأفكار الليبرالية ـ على أن كل هذه الأفكار والإيديولوجيات لم تكن هى المحرك الأول للقرارات اليومية لهذه المجموعة فقد كان تحركها تدفعه اعتبارات عملية وتخوف شديد من منافسيها من المجموعات والشلل الكثيرة التى كانت تموج بها الساحة السياسية ولم يكن اليسار الماركسى فى الواقع إلا واحدا فقط من هذه المجموعات بل لعله كان أقلها تأثيرا على الحكم وأبعدها عن مصادر السلطة ـ وقد تجمع لدى مجموعة الحرس القديم هذه مفاتيح السلطة فى العام الذى سبق وفاة عبدالناصر .

وليس عجيبا فى أى نظام سياسى أن ينتظم الناس فيه فى مجموعات فهذا حق طبيعى للتعبير عن مصالحهم المشتركة ـ وفى نظام التعدد السياسى تتخذ هذه المجموعات صورة الأحزاب أما فى نظام مصر الستينات فقد كانت تتخذ صورة تجمعات تعمل داخل إطار تحالف قوى الشعب العاملة التى حاول ميثاق العمل الوطنى الصادر فى سنة ١٩٦٢ تجميعها بداخل تنظيم سياسى واحد .

على أن التطبيق العملى لفكرة التنظيم السياسى الواحد جعل إمكان ربط هذه المجموعات المتباينة التفكير والمصالح والخلفيات ممكنا فقط تحت قيادة عبدالناصر الذى كان رصيده الشعبى الكاسح يؤهله لكى يعمل حكما بينها ويفض منازعاتها ويجمعها تحت قيادته ـ ويبدو لى أن اهتمام عبدالناصر بالقيام بهذا الدور قد قل فى سنيه الأخيرة تحت ضغط متطلبات معركة إزالة آثار العدوان والتصعيد فى حرب الاستنزاف ـ وكان من نتيجة ذلك بدء تفكك التحالف وتراجع دور التوفيق والمهادنة بين المجموعات المختلفة وبروز دور التصفية أو المجابهة الذى اتخذته مجموعة «اليسار الناصرى» التى تعاظم نفوذها حتى استولت على حد قول الدكتور منصور «على كل شىء» ـ مجلس الأمة والاتحاد الاشتراكى والسلطة .

كان عمل هذه المجموعة محاطا بالسرية فكانت القرارات تتخذ دون مقدمات والقيادات يتم تغييرها دون إعلان أى سبب حتى لأولئك الذين تأثروا بها فقد كانت كلها تتم بطريقة تعسفية نتيجة تقارير وآراء شخصية تكتبها أجهزة خفية يستدعى خبراؤها عشوائيا ومن بين من يقبلون أن يبروا مايطلب منهم من أحكام ويستوزر عيونها من بين من يقبلون النميمة ويحسنون استرقاق السمع ونقل الأسرار ـ وقد يكون مرجع هذا النمط من العمل إلى قلق هذه المجموعة مما قد يحاك ضدها من مؤامرات سواء على المستوى المحلى من المجموعات المنافسة أو العالمى فقد كانت مصر فى تلك الفترة ولاتزال مسرحا لعمليات أقلام المخابرات الأجنبية على جميع أصنافها وهناك من القرائن مايؤكد تعاظم هذا الدور قبل عدوان ٦٧ وبعده .

وقد أثارت أعمال هذه المجموعة جوا من الضيق والخوف بين العدد الأكبر للناس وهو الجو الذى استطاع من خلاله

دائرة الحوار

الرئيس السادات أن يثبت أقدامه فى الحكم وأن يحصل على تأييد شبه شعبى للحركة التى أسماها بالتصحيح والتى قام بها فى مايو ١٩٧١ بالرغم من تجاوزاتها الواضحة .

● إنعكاسات صراعات التنظيم السياسى على البناء

وخلال هذه الفترة التى عجت بمنازعات قيادات التنظيم السياسى كانت مصر كلها فى حالة تعبئة كاملة يقف شبابها على جبهة القتال وجموع قوتها العاملة فى المصانع والحقول على أتم الاستعداد للعمل والتضحية بالأرواح من أجل إزالة آثار عدوان ١٩٦٧ وبناء مصر المستقبل التى حلموا بها مستقلة ، أبية ينعم فيها الجميع دون تمييز ـ وفى هذه الفترة تبين للكثيرين أن تحقيق هذه الأحلام لن يتم إلا باللحاق بالعصر وعبور الفجوة الحضارية التى تفصلنا عن العالم المتقدم وتحديث الإدارة ـ وقد تم بالفعل بعض الإصلاحات فى هذا الاتجاه على أن الملاحظ أنها صوحبت بأعمال تؤكد الشكل السلفى للنظام فكثرت أعمال بناء دور العبادة وزادت البرامج الدينية فى الإذاعة والتليفزيون وأعطى اهتمام أكبر للمقررات الدينية بالمدارس ـ وقد يفسر هذا الاهتمام المزدوج توزيع المناصب الوزارية فى ذلك الوقت كانت الفترة التى تلت هزيمة ١٩٦٧ على الرغم من صعوبتها فترة مضيئة على عكس مايردده الكثيرون ففيها زادت إنتاجية العامل وتحسن ميزان مصر التجارى وفيها أخذ المصريون أعمالهم بجد فقد أفاقوا بعد الهزيمة وشمروا عن سواعدهم عندما رأوا جدية القيادة بعد أن قامت بتطهير الجيش وأعادت بناءه وأسلمت قطاع الاقتصاد والصناعة إلى قيادات جادة استعانت فيها بعناصر جديدة ذات تاريخ نظيف ـ هنا التف المصريون حول عبدالناصر وأعطوه ثقتهم وعملوا معه وتحت قيادته فى حماس .

وقد انعكست الصراعات السياسية بشكل أو آخر علينا نحن «التكنوقراط» الذين جيىء بهم بعد هزيمة ١٩٦٧ لانقاذ الحال فسببت جوا من الضيق والغضب سهل على الكثيرين قبول تزكية السادات للرئاسة ، كما أضاف إلى الرصيد الذى استفاد منه الرئيس الجديد فى تثبيت اقدامه فى الحكم عندما شب الخلاف بينه وبين رجال الحرس القديم .

ففى الوقت الذى كان البناء فيه يرتفع والعمل يسير فى جد كان هناك من يربض وراء المكاتب ليراقب أعمالنا ويقيمها ليس بما انتجنا ولكن حسب موقعنا فى عملية تصفية الحسابات التى كانت دائرة على أشدها فى تلك الفترة ـ فإن كان وزير الصناعة فى ذلك الوقت غير مرضى عليه خيرت القيادات تحته بين النم عليه وفقدان رضا رجال التنظيم السياسى ـ وإن كان هناك شخص مثالى حدث وأن دخل الحلبة السياسية فوق رءوس هذا التنظيم ودون تزكية إحدى قياداته فإن العمل على إقصائه والدس له يصبح أحد مشاغل هذا التنظيم ـ كان شكل قرارات تعيينى ينبىء بأنها قد صدرت دون الرجوع إلى التنظيم السياسى فقد ظهرت حاملة اسمى الثنائى الذى اشتهرت به ودون أن يضاف إليه اسم الجد حسب تقاليد أجهزة الأمن .

ومن أسف أن كل هذه الصراعات الصغيرة كانت تحدث فى فترة كبرت فيها مصر وامتلأت بحماس من كانوا يديرون حرب الاستنزاف ويعدون الجيش لعبور القناة ويبنون حوائط الصواريخ تحت النار ومن كانوا يديرون المعارك الدبلوماسية الهائلة لكسب الرأى العام العالمى فى الحلبات الدولية ومن كانوا يديـرون المصانع ويعيدون تخطيطها ويزيدون إنتاجها تحت أصعب الظروف ومن كانوا يعملون بأرضها ومصانعها فى حماس منقطع النظير وزراء قل أن يجد الإنسان له مثيلا فى تاريخ مصر الحديث ـ ولم يكن غريبا لذلك أن جاء اختيار وزراء الدفاع والخارجية والصناعة والاقتصاد ممن عرف عنهم الجدية والأمانة المطلقة فى تلك الفترة من التاريخ .

وإذا كان لى فى نهاية هذا المقال أن أخذ بعض العبر مما حدث فإنى أبدأ بالقول بأن عملية نقل السلطة بعد وفاة عبدالناصر وماأدت إليه من تغير السياسة العامة للدولة على غير ماتمناه الكثيرون ممن أيدوا الرئيس الجديد كان بسبب سوء وضع التنظيم السياسى القائم فى ذلك الوقت فقد كان واحدا من القطاعات التى لم تنلها يد الإصلاح التى نالت قطاعات الجيش والصناعة والاقتصاد بعد هزيمة ١٩٦٧ فظل جهازا بيروقراطيا دون جذور شعبية ومن العسير أن نتصور أن مثل هذا الجهاز كان من الممكن أن يلد شيئا أحسن مما ولد .

ويبدو لى أن إهمال إعادة بناء التنظيم السياسى كان بسبب أن مثل هذا الأمر كان سيحتاج إلى تغيير كامل فى توجهات السياسة العامة للدولة والتى لم يكن عبدالناصر مستعدا للقيام بها وقت احتداد المعارك العسكرية فقد كان أمر إعادة البنـاء محتاجـا إلى قبول النظـرية الديمقراطية وتشجيع المشاركة الشعبية فى عمليات الانتخاب لكل المستويات وإزالة وصمة التزوير التى التصقت بها وكذلك على قبول مبدأ العلنية فى العمل وحرية المـواطن فى الحصول على المعلومات ووضع الصحافـة وأجهزة الإعلام تحت قيادة مستقلة تذيع الأخبار فى موضوعية وتعطى الوقت المتساوى لإذاعة الرأى والرأى الآخر دون تمييز جماعة عن أخرى وأخيرا تأكيد نزاهة الحكم بالإعلان عن ثروات السياسيين ومقدار مايؤدونه من ضرائب كل عام وإخراج قانون محاكمة الوزراء ووضع قانون من أين لك هذا موضع التطبيق الجدى ـ وكل هذه كانت ولاتزال أمورا صعبة القبول .

أما العبرة الثانية فهى أن الإدارة الجيدة التى تعمل للصالح العام والقابلة للحساب هى كل مايطلبه المصريون لكى ينطلقوا فى أعمالهم ويبدعوا فيها فهم فى أغلبهم متقبلون للتنوير وهم عمليون لاتهمهم النظريات والخطب والعظات قدر مـاتهمهم الأعمال . سيطيعون القانون إن أطاعه كبارهم وسيكونون أول من يدوسه إن رأوا كبارهم يستغلونه لصالحهم ـ وسيعملون بجد إن كان رؤساؤهم جادين وسيهزلون إن رأوا رؤساءهم هازلين ـ ومصر اليوم فى أشد الحاجة إلى أخذ أمورها بالجد وإعادة بناء جهاز خدمتها العامة بعد أن تفكك إربا حتى تستطيع أن تواجه مشاكلها المتزايدة فكل الظواهر وكل رقم فى إحصاءاتها ينبىء بخطر مبيت .

دائرة الحوار

الأزمة الراهنة لليسار المصري

بقلم: د. فؤاد زكريا


حسني مبارك


أنور السادات


جمال عبدالناصر

● ولكن الأزمة العالمية لليسار هى فى صميمها ، وعلى الرغم من جميع المظاهر البادية ، علامة صحة لا علامة مرض ، فتجربة اليسار فى الحكم ترجع فى أقدم نماذجها ، أى فى الاتحاد السوفيتى إلى اقل من ثلاثة أرباع القرن ، وترجع أمثلتها الأخرى ، أى الكتلة الشرقية فى أوروبا والشرق الأقصى ، إلى أقل من نصف قرن ، ولو قارنا هذه الفترة بالتاريخ الطويل للأنظمة الأخرى ، ومنها النظام الرأسمالى ، لوجدناها

لابد من الاعتراف بأن اليسار يمر بمرحلة أزمة حادة على المستوى العالمى ، لا على المستوى المحلى فحسب ، ففى الوقت الذى أكتب فيه هذه السطور ، كانت أهم الأنباء التى تنقلها الينا أجهزة الاعلام بمختلف أنواعها تتعلق بالمظاهرات الواسعة النطاق التى هزت كيان الصين وأرغمت جيشه على التدخل بطريقة لاتخلو من القمعية ، كما تتعلق بالانتخابات البولندية التى أسفرت عن انتصار ساحق لأنصار نقابة التضامن البولندية على مرشحى الحزب الشيوعى الحاكم ، وبالاضطرابات القومية والعرقية التى تتاجج فى عدد غير قليل من الجمهوريات السوفيتية . وهذه الأحداث كلها تشير إلى اختلالات حادة فى قلب المعسكر الاشتراكى ، ومن ثم إلى ازمة حقيقية فى اليسار العالمى على مستوى الفكر والممارسة معا .


محمد حسنين هيكل


علي صبري


د. عزيز صدقي

فترة قصيرة بجميع المقاييس ، بل لأمكن القول إنها فترة التجارب الأولى التى ينبغى أن يتم تعديلها وتصحيح مسارها مرات متعددة الى أن تصل الى مرحلة النضج وتعرف طريق الاستقرار .

ومن جهة أخرى فإن النظام الخصم ، أعنى النظام الرأسمالى ، لايترك التجربة الاشتراكية لحظة واحدة كيما تنمو بصورة طبيعية وتتطور إلى الحد الذى يتيح لها تحقيق كل ما تنطوى عليه من إمكانات . فهو



يحاربها بتبنى الكثير من مطالبها ، وكل من يتغنى بالمستوى المرتفع للعامل الأمريكى ، مثلا ، عليه أن يتذكر أن أرتفاع المستوى هذا ليس على الاطلاق تطورا للرأسمالية فى اتجاه "إنسانى" يستهدف صالح الطبقة العاملة ، وإنما هو فى جزء كبير منه رد فعل على وجود الرؤية الاشتراكية فى عالم القرن العشرين ، ومحاولة ذكية لامتصاص عنصر السخط الذى هو الوقود الفعال لأى ثورة .

ومن جهة ثالثة فإن هذا النظام الرأسمالى يحارب التجربة الاشتراكية بخلق أجواء من التوتر العالمي الدائم تجعل ساحة الصراع بين النظامين هي ساحة اقتصاد الحرب والتسلح ، لا اقتصاد السلام ، مما يؤدى الى اختلال أساسى فى التوازن بين النظامين ، اللذين يزدهر أحدهما فى جو صناعة الأسلحة وأدوات الدمار ، ولايزدهر الآخر إلا فى ظروف التنافس السلمى

وهكذا فإن التجربة اليسارية ، على المستوى العالمى ، تمر بأزمة تستدعى منها "وقفة مع النفس" ومراجعة الخطوات الماضية وإدخال تعديلات جذرية على مسارها . ولهذه الأزمة أسباب نابعة من قلب التجربة ذاتها : إذ لم يكن بناء الاشتراكية يحتاج الى كل هذا القدر من التشدد ، ومن الجمود العقائدى ، ومن التعتيم والاحتكار الاعلامى ، ومن البيروقراطية الادارية المتحجرة . ولكن لها أيضا أسبابا نابعة من تلك المقاومة الضارية التى يمارسها تجاهها اليمين العالمى ، حين يدفعها الى الانكماش والعجز عن تحقيق إمكاناتها الهائلة بأن يفرض عليها جوا دائما من التوتر والازمات والحروب والتسلح الباهظ التكاليف . ولابد أن تخرج التجربة اليسارية العالمية من هذه الأزمة وقد اكتسبت مزيدا من النضج والخبرة ، وعدلت مسارها على النحو الذى يضمن تحقيق إمكاناتها على نحو أفضل ، وحرمان خصومها من الأسلحة المادية والمعنوية التى يستخدمونها ضدها بلا هوادة .

ولكن ، هل يمكن القول إن أزمة اليسار فى مصر ليست إلا انعكاسا لأزمة اليسار العالمية هذه ؟ الواقع أن ازمة اليسار المصرى أقدم عهدا ، ونصيب العوامل المحلية فيها أكبر بكثير من نصيب العوامل الخارجية : وعلى سبيل المثال فإن من المشكوك فيه أن تكون قد حدثت فى داخل اليسار المصرى محاولات نظرية مماثلة لتلك التى قامت بها الأحزاب الشيوعية فى فرنسا وإيطاليا وإسبانيا ، مثلا ، من أجل إعادة تفسير الماركسية وتجاوز مبدأ أساسى فيها مثل دكتاتورية البروليتاريا الخ ...

هذا كله يبدو فى نظر اليسار المصرى ، خلال العقود الأخيرة ، ترفا لايملك إمكانية ممارسته . أما الميدان الذى تصب فيه جهود اليسار المصرى وتدور حول أفكاره وممارساته ، فهو الساحة الداخلية قبل كل شىء .

● دور فعال لليسار المصرى

لقد بلغ اليسار المصرى ، خلال نصف القرن الأخير ، مستوى عاليا من التأثير فى الأحداث خلال فترات ثلاث :كانت الأولى منها فترة ١٩٤٥/٤٦ ، حين لعب اليسار دورا فعالا فى إحباط اتفاقية صدقى - بيفن ، وتأجيج الصراع ضد الاستعمار البريطانى والحكم الرجعى فى الداخل . وكانت الثانية أيام الكفاح المسلح فى القنال عامى ١٩٥١ - ١٩٥٢ ، حين قامت الحكومة بتوزيع السلاح على الشعب (وهى سابقة لم تحدث من قبل ولا من بعد) وأتاحت بذلك لقوى اليسار أن تلتحم التحاما حقيقيا فى نضال وطنى ضد الاستعمار كان -يمكن أن يؤدى ، لولا حريق القاهرة والثورة المنضبطة المترتبة عليه ، الى تغيير حاسم فى خريطة المنطقة العربية بأسرها ، وكانت القمة الثالثة من قمم تأثير اليسار هى أحداث مارس ١٩٥٤ ، التى لعبت فيها قوى اليسار خارج الجيش وداخله دورا يستحيل تجاهله ، وكان من الممكن أن تشكل بدورها منعطفا حاسما فى مسيرة الشعب العربى نحو الاستقلال والعدالة الاجتماعية فى إطار ديمقراطى ، لولا تحرك القوى المناوئة لها فى انقلاب كان يحمل ، فى ذلك الحين ، الكثير من ملامح انقلاب الجنرال زاهدى ضد حكم محمد مصدق فى إيران .

خلال تلك المراحل الثلاث كان اليسار المصرى فاعلا ، وكان التحامه بالقواعد الجماهيرية حقيقة واقعة ، وكانت الصورة الشعبية لليسار ، حتى فى نظر الجموع التى تفتقر الى الوعى السياسى ولا تملك فهما واضحا لمعنى الأشتراكية أو الماركسية أو الشيوعية ، إيجابية الى حد بعيد ، ويمكن القول إن تلك هى الذروة العليا التى وصل اليها تأثير اليسار فى مجرى الكفاح الوطنى المصرى . وبعد هذه الذروة ، أخذ هذا التأثير فى الهبوط ، وبدلا من أن يظل ايجابيا ، أصبح دور اليسار أقرب كثيرا الى رد الفعل إزاء الأحداث المتلاحقة التى خرجت عن سيطرته وأفلت زمامها منه . وربما كانت الصحوة الوحيدة التى استطاع اليسار خلالها أن يفعل شيئا يتسم بقدر من الايجابية ، هى مظاهرات الطلبة وبعض التجمعات العمالية فى الفترة الواقعة بين هزيمة ١٩٦٧ وحرب أكتوبر ١٩٧٣ ، ولكن قد يكون من الأدق القول إن هذه الفترة شهدت محاولة لظهور يسار جديد ، خارج عن سيطرة القيادات التقليدية .

● اليسار والتجربة الناصرية

إن المرء ليس بحاجة الى ذكاء غير عادى لكى يقول إن الوضع السائد

الآن لليسار يتسم بالتردي الشديد ، وأن قدرة اليسار على التأثير في الحركة العامة للمجتمع وصلت الى حدها الأدنى إذا ما قورنت بما كانت عليه خلال نصف القرن الأخير ، وفي اعتقادي أن من الظلم الفادح القول إن اليسار هو وحده المسئول عن هذا التردي . فبقدر ما توجد عوامل هامة ترجع مسئوليتها ، بغير شك ، الى اليسار نفسه ، توجد عوامل أخرى لاتقل اهمية ، كان اليسار فيها هو الضحية ، وكانت هناك قوى عاتية ، يصعب على اليسار في بلد غير صناعي كمصر ، أن يتصدى لها ، هيأت كل الفرص كيما توجه الأحداث في اتجاه يهدم الأرض من تحت اقدام اليسار .

وفي هذا الصدد لابد لي من التذكير ببعض العوامل التي تحدثت عنها في كتابات سابقة ، والتي كان لها دور رئيسي في أزمة اليسار الراهنة . فقد سبق لي أن أشرت (في مجلة "فكر" ، العدد الأول) الى عجز اليسار عن الاهتداء الى لغة مبسطة يخاطب بها جماهير الناس ويربط بواسطتها بين افكاره التقدمية وبين المشاكل التي يعانيها الناس في حياتهم اليومية . فقد ظل الخطاب اليساري خطابا ثقافيا الى حد بعيد ، أعني أنه يصدر عن المثقفين ويتجه الى المثقفين واتسمت التحليلات التي قدمها اليسار للأحداث الكبرى بقدر كبير من التجريد ، قد يكون تعبيرا عن عمق حقيقي ، ولكنه قطعا عاجز عن الوصول الى الملايين التي يفترض أن هذا الفكر يعمل لصالحها . ولم تكن كثير من الخلافات النظرية التي نشبت بين جماعات اليسار تعني شيئا واضحا خارج نطاق أعضاء هذه الجماعات . وكان من الطبيعي أن يؤدي ذلك الى قيام فجوة واسعة بين اليسار وبين جمهوره الطبيعي ، وهي الفجوة التي أحسنت استغلالها الجماعات الاسلامية ، بخطابها السهل المباشر ، الذي يتعمد السطحية في كثير من الاحيان .

وأود الآن أن اضيف الى هذه النقطة ، أن إغراق اليسار في التنظير يسير في اتجاه مضاد لذلك الاتجاه العملي البرجماتي ، الذي تسلكه الجماعات الاسلامية . فقد عرفت هذه الجماعات كيف تتغلغل بصورة مباشرة بين الجماهير من خلال "اعمال" لها صلة واضحة بالمعاناة اليومية لهذه الجماهير ، ولم تكترث كثيرا بالضعف الواضح لحججها ، أو بالتناقض الصارخ في منطقها ، فكسبت الجماهير برغم الهزال الفكري الشديد لدعوتها . وفي تصوري أن الخدمة الصامتة للناس في مستوصف صغير ، أو في فصول لمحو الأمية ، أو في جمعية تعاونية تكسر حدة الغلاء ، تؤدي الى نتائج تفوق بمراحل شرح جميع قوانين الديالكتيك أو المادية التاريخية لمن يراد إقناعهم بالاشتراكية .

كذلك فإننى اليوم اقوى اعتقادا بصحة التحليل الذى قدمته من قبل عن الأضرار الفادحة التى لحقت بشعبية اليسار المصرى من جراء ارتباطه المصيرى بالتجربة الناصرية فى سنواتها الأخيرة ، وهو التحليل الذى آثار غضب عدد من أهم رموز اليسار عند نشره فى أوائل عام ١٩٧٥ . بل إن مضى السنين أثبت صحة ما توقعته فى ذلك الحين ، من أن اليسار سيرتبط فى ذهن الرأى العام - ظلما بكل تأكيد - بجميع الاجراءات القمعية العشوائية التى اتخذت فى العهد الناصرى وها نحن أولاء اليوم نرى الكتاب اليمينيين الرجعيين ، سواء فى جريدة الوفد الجديد أو فى العديد من الصحف والمجلات الدينية ، يسارعون بتخويف الناس من عفاريت المعتقلات والحراسات وزوار الفجر كلما جرأ صوت على الارتفاع مدافعا عن القطاع العام أو داعيا الى أدنى قدر من التخطيط والترشيد فى الاقتصاد . ومن الواضح أن هذا التخويف يمارس تأثيره البالغ على مختلف فئات الناس ، باستثناء صفوة واعية ضئيلة منهم .

ومع ذلك فلابد أن يعترف أى منصف بأن عملية التخويف هذه تنطوى على مغالطتين صارختين : أولاهما أن هذا الارتباط بين الإجراءات القمعية والترشيد الاقتصادى إذا كان قد حدث فى التجربة الناصرية ، فليس معنى ذلك أنه سيحدث حتما فى أية تجربة



سامى شرف شعراوى جمعة

أخرى ، إذ أن من الممكن بسهولة تامة تصور التخطيط والترشيد المحكم فى إطار غير قمعى . اما المغالطة الثانية فهى النظر الى اليسار على أنه مسئول ، أو مشارك فى المسئولية ، عن إجراءات الاعتقال العشوائى والتعذيب وكبت الحريات وتركيز أضواء مجتمع كامل على فرد واحد . فقد كان اليسار بعيدا كل البعد عن اتخاذ أى قرار رئيسى فى هذا الاتجاه ، بل لقد عانى هو ذاته - فى الأعوام نفسها التى كانت الناصرية تتخذ فيها إجراءات وصفت بأنها اشتراكية ، وربما يسارية - من أشد ضروب التعذيب وقمع الحرية . ومع ذلك فإن اليسار ، بالرغم من براءته الكاملة من هذه التهمة ، قد أعطى أعداءه السلاح الذى يهاجمونه به ظلما وعدوانا ، حين أصر - ولايزال - على ربط نفسه بالتجربة الناصرية ، ورأى فى هذه التجربة تحقيقا لمطامحه (مع اعترافه بوجود بعض الشوائب التى لا تؤثر - فى اعتقاده - على تقييمه العام للتجربة) .



ويكفى أن أستشهد بمثالين قريبين يكشفان عن ضرورة مراجعة اليسار لموقفه من التجربة الناصرية ، حتى يتحرر من التهديد بالابتزاز الذى يمارسه اليمين عليه منذ منتصف السبعينات . ففى دراسة قريبة العهد نشرها الدكتور عبد العظيم انيس تعليقا على كتاب محمد حسنين هيكل الأخير "سنوات الغليان" (وظهرت فى جريدتى "الأهالى" المصرية و "الوطن" الكويتية) ، كان الكاتب واضحا كل الوضوح فى توجيه الاتهام الى عبد الناصر أكثر من مرة بأنه استجاب لمطلب وكيل وزارة الخارجية الأمريكية ، راونترى ، حين زاره وأجرى محادثات معه فى أواخر عام ١٩٥٨ ، كان من نتيجتها أنه أصدر أوامره باعتقال عدد كبير من الشيوعيين بلا محاكمة فى أعقاب الزيارة مباشرة .

وإذا كان استنتاج الكاتب صحيحا ـ وكل الدلائل تدل على أنه كذلك ـ فقد كان المتوقع أن يستخلص النتائج الضرورية من استجابة الزعيم الكبير لمطالب وكيل وزارة أمريكى بإيداع المئات من الوطنيين فى أبشع المعتقلات ، فى نفس الوقت الذى كان يتخذ فيه إجراءات توصف بأنها اشتراكية تحقق مطالب اليسار . وأقل ما كان ينبغى عمله هو التصدى بجدية لهذا التناقض الصارخ ، ومحاولة تفسيره على نحو لابد أن يؤدى ، فى النهاية ، إلى مراجعة الأحكام الحماسية لليسار على التجربة الناصرية .

أما المثل الثانى فهو مستمد من آخر حديث أدلى به الاستاذ هيكل (مجلة الشباب ـ عدد يونيو ١٩٨٩) . ففى هذا الحديث بالنص : "لقد آمن عبد الناصر مثلا بالقطاع العام ، ودافع عنه . فهل كان هذا إيمانا ايديولوجيا به ؟ إنى أراه إيمان ضرورة . والرئيس مبارك الآن يدافع عن القطاع العام ويؤمن به . فهل هو إيمان ايديولوجى به ؟ إنى أراه أيضا ايمان ضرورة ، لأن المرحلة تفرض ذلك ، وكل مرحلة لها ضروراتها ؟"

هذا المعنى ، الذى أكده صاحب الحديث أكثر من مرة ، لم يصدر عن صحفي أو معلق عادى ، وإنما صدر عن أقرب الناس الى قلب عبد الناصر وعقله ، وأقدر الناس على التنظير لفكره وممارساته خلال حياته وبعد مماته . **وهو ـ ببساطة ـ يقول لليسار : إن عبد الناصر لم يخلق القطاع العام لأنه يؤمن بفكركم أو بأيديولوجيتكم . بل خلقه لأن ضرورات المرحلة كانت تقتضى ذلك . وبطبيعة الحال فإن عبارة "ضرورات المرحلة" تشمل مدى واسعا من التفسيرات . فإلى جانب الضرورات الاقتصادية ، هناك أيضا ضرورات سياسية ، كرغبة النظام**

في وضع القطاع الاقتصادى تحت قبضته بعد أن ظل طويلا مستقلا عنه . وبعد أن اثبت هذا الاستقلال خطورته حين عمل الراسماليون والتجار السوريون على مناوأة تجربة الوحدة بعد وقت قصير من بدايتها ، ونجحوا بعد فترة وجيزة من صدور أهم القرارات "الاشتراكية" في تحقيق الانفصال . وقد تكون هناك ضرورات أقل شأنا ، كالحاجة الى إيجاد مجال للعمل أمام العديد من القادة العسكريين الذين يحالون إلى التقاعد في سن مبكرة ، والذين يمكن أن تتحقق من خلالهم سيطرة النظام على المشروعات المؤممة . المهم في الأمر أن اقرب الشخصيات الى معرفة طريقة تفكير عبد الناصر يربط بين دفاع عبد الناصر عن القطاع العام ودفاع الرئيس مبارك عنه . ويؤكد أن هذا الدفاع لم يصدر عن أيديولوجية ، وانما أملته الضرورات العملية لمرحلة معينة (ولو اقتضت مرحلة أخرى ضرورات مغايرة لتخلى عنه بالطبع) .

● هيكل واليسار

ألا يعنى هذا الكلام أن هيكل يخرج الآن لسانه لكل الجهود الضخمة التى بذلها اليسار المصرى من أجل إرساء اجراءات عبد الناصر "الاشتراكية" على أسس أيديولوجية ؟ ألا يعنى - مثلا - انه يسعى بجملة واحدة الى هدم كل ما فعله مؤسسو المعهد الاشتراكى ومنظروه أيام عبد الناصر ؟

يبدو لى أن المشاركين فى ذلك الجهد التنظيرى الضخم مطالبون الآن بالرد ، شريطة أن يكون ردهم موجها الى من هدم عليهم معبدهم ، أعنى الى هيكل ، لا الى من يكتب هذه السطور !

ولكن الأمر الذى لايمكن تجاهله هو أن تنظير اليسار المصرى لتجربة عبد الناصر يحتاج - فى ضوء كلمات هيكل على الأقل - الى مراجعة شاملة ، وأن الموقف الأيديولوجى لليسار المصرى ، خلال أواخر الستينات ثم السبعينات ، قد لحقه اضطراب أساسى بعد أن تبنت التجربة الناصرية الكثير من شعاراته ، من الوجهة الشكلية ، مع حرصها على أن تطبق هذه الشعارات بطريقتها الخاصة فى نفس الوقت الذى كانت تكيل فيه صنوف العذاب لأهم رموز اليسار . فى اعتقادى أن هذا الاضطراب كانت له انعكاساته الهامة على موقع اليسار على الخريطة المصرية حتى لحظتنا الراهنة .

فأغلب الظن أن هذا الخلط والاضطراب هو السبب الرئيسى لتلك الظاهرة التى أشار اليها الزميل الدكتور فوزى منصور بدقة ووضوح فى مقاله "اليساريون والسلطة" (مجلة الهلال - عدد يونية ١٩٨٩) ، وأعنى بها ظاهرة عدم قدرة فصائل من اليسار المصرى على تحديد الجانب الذى يستحق دعمهم فى الصراع بين مجموعة السادات ومجموعة على صبرى ، وهو الصراع المعروف بأزمة مايو ١٩٧١ ، ثم انضمام عضوين رئيسيين من هذه الفصائل الى الوزارة

دائرة الحوار

التي الفت بعد انتصار الجناح الساداتى . فالخطأ الرئيسى ، فى اعتقادى ، لم يقع فى لحظة الصراع بين أجنحة السلطة فى هذا الوقت المتأخر ، وإنما وقع قبل ذلك بسنوات طويلة .

ذلك لأنه ، إذا كانت الكتلة الرئيسية والهامة والمؤثرة من اليسار المصرى قد اقتنعت وهى فى معتقلات عبدالناصر بأن قرارات ١٩٦١ وما تلاها هى قرارات أشتراكية تشكل نواة لأيديولوجية جديدة تبناها النظام الناصرى بعد نضوجه وعودته أخيرا الى جادة الصواب ، وإذا كان هذا هو الأساس الذى بنت عليه تحليلاتها منذ ذلك الحين ، فإن من المتوقع أن تغيم الرؤية أمام بعض فصائل اليسار ، خلال أزمة مايو التى نشبت بين جناحين ينتمى كل منهما الى صميم التجربة الناصرية . وليس غريبا أن يتصور البعض أن الجناح الذى يضم رموزا أساسية قامت على أكتافها التجربة "الأشتراكية" ، مثل هيكل الذى نشر على الملايين تنظيراته الاعلامية للتجربة ، ومثل عزيز صدقى الذى أخذ على عاتقه تنفيذها عمليا ، ليس هو الجناح الأسوأ بالضرورة ، وأن الجناح الذى يضم عدوا أصيلا للشيوعية ، مثل على صبرى ، ورموزا ضخمة لدى المخابرات والمعتقلات ، مثل سامى شرف وشعراوى جمعة ، ليس هو الجناح الأفضل بالضرورة

ومن هنا فإن الظاهرة التى أشار اليها الدكتور فوزى منصور فى مقاله الأخير ، إذا كانت خطأ ، فهى فى رأيى خطأ فرعى ترتب على خطأ رئيسى أسبق منه بكثير ، بل هى النتيجة الطبيعية والمتوقعة لضربة المعلم التى قام بها عبد الناصر ، حين خنق اليسار عن طريق احتضانه .

وعلى أية حال ، فإنى اتفق تماما مع الدكتور فوزى منصور فى قوله إن اشتراك عضوين يساريين بارزين فى أول وزارة شكلها السادات بعد ١٥ مايو لم يكن ليؤثر ايجابا او سلبا على حركة الثورة المضادة التى كانت تحكمها حسابات أعقد وأبعد مدى بكثير . ولكنى أختلف معه فى رأيه القائل إن هذه المشاركة أثرت على مصداقية اليسار ، وكان لها صداها ـ بالتالى ـ على ازمة اليسار الراهنة . ذلك لأن جذور هذه الأزمة ترجع كما قلت الى الفترة الناصرية الأسبق ، ولم يكن هذا الاشتراك إلا عرضا واحدا ، وصارخا ، من اعراض مرض أقدم من ذلك بكثير ، ومن المؤكد انه لو كان جميع اليساريين قد رفضوا المشاركة فى أية وزارة ساداتية ، لما تحسن وضع اليسار كثيرا فى المرحلة اللاحقة .

على ان الانصاف يقتضى منا أن نشير الى الوجه الآخر للعملة ، أعنى ذلك الوجه الذى كان اليسار فيه ضحية لظروف موضوعية يصعب عليه ، وربما يستحيل ، دفعها ، فأزمة اليسار لاترجع فقط الى العوامل التى كان اليسار ذاته مسئولا عنها ، وإنما ترجع ايضا ، وبالقدر نفسه ، إلى أوضاع

خلقت فى مصر بصورة متعمدة من أجل تحطيم اليسار .

أول هذه العوامل هو استخدام لعبة الديمقراطية ـ أو على الأصح الافتقار الى الديمقراطية ـ من أجل تلطيخ سمعة اليسار مع العهد الناصرى . ومن اللافت للنظر أن أول من ابتدع هذه الفكرة ، وأعطى إشارة البدء لتنفيذها ، كان هيكل نفسه ،كما أكد هو ذاته فى كتاباته ، وكما ورد فى مقال الدكتور فوزى منصور الأخير . فحين نصح هيكل السادات بألا يتوسع فى حديثه الأول الى الأمة بعد ١٥ مايو فى الكلام عن تآمر مراكز القوى داخليا وخارجيا ، وأن يركز بدلا من ذلك على فكرة الديمقراطية ، كانت تلك إشارة البدء التى أطلقها المايسترو البارع لتلك المعزوفة النشاز التى ظلت تردد منذ ذلك الحين ، وحتى يومنا هذا ، والتى تحمل اليسار أوزار الوضع اللاديمقراطى فى العهد الناصرى ـ ذلك الوضع الذى كان هيكل ذاته بالطبع ، دعامة أساسية من دعاماته !

ويمكن القول إنه برغم اختلاف الظروف وتعدد المتغيرات ، كان هناك خط متصل بين نصيحة هيكل للسادات بالعزف على نغمة الديمقراطية وزوال دولة المخابرات ، وبين مقالات "الوفد الجديد" وصحف الجماعات الاسلامية فى الثمانينات حول الربط بين اليسار وبين تعسف مراكز القوى الناصرية .

وثانى هذه العوامل هو ذلك المخطط الضخم ، الواسع النطاق ، للتحول نحو أمريكا فى الأستراتيجية السياسية، والعسكرية والاقتصادية ، ذلك



ابراهيم نصر الدين

المخطط الذى لم يكن اليسار يملك إلا التنبيه إلى خطورته ـ وهو بلا شك قد فعل ـ ولكنه كان عاجزا عن ايقاف مده الجارف ، الذى شاركت فيه جميع إمكانات قوى عالمية وعربية ومصرية عاتية ، وكان أوضح دليل على ضخامة هذا المخطط ، وتجاوز نطاق امكانات أية قوة محلية ، أن حرب أكتوبر ذاتها قد استخدمها صانعو القرار السياسى وليس الشعب المصرى بطبيعة الحال ـ جواز مرور لاعلان التحول نحو أمريكا . وأن الأمريكيين أصبحوا هم الوسطاء والاصدقاء الاعزاء فى أعقاب تلك الحرب التى استخدمت فيها إسرائيل أحدث الأسلحة الأمريكية ، وأرقى نواتج تكنولوجيا الفضاء الأمريكية ، من أجل قتل أبنائنا والزحف على أرضنا وحصار جيشنا الثالث ، بينما أصبح السوفيت الد الأعداء بمجرد أن ساعدتنا أسلحتهم على إحراز أول نصر حصلنا عليه فى حروبنا الأربع ضد إسرائيل . ولاشك أن الطابع الصارخ لهذا "اللامنطق" يوحى على الفور بأن المخطط كان أضخم من أن تتمكن قوى اليسار المحدودة من



إيقافه بطريقة فعالة . وبطبيعة الحال فإن ضرب اليسار وتحجيمه وشن أوسع الحملات القمعية والدعائية ضده كان جزءا لايتجزأ من هذا المخطط .

وفي أيامنا هذه بلغ هذا المخطط ذروته في الاعتماد الاقتصادى والغذائي بوجه خاص ـ على أمريكا . ولهذا الاعتماد بالطبع علاقة وثيقة بأزمة اليسار الراهنة فقد جندت قوى كاملة في المجتمع للتبشير بعظمة الحياة الأمريكية وحلم الرخاء الأمريكي وروعة المبادرة الفردية وعظمة الأفراد الذين ينتقلون ـ بذكائهم وحسن انتهازهم للفرص ـ من معدمين الى اصحاب ملايين . وتمكنت الدعاية المركزة والاقلام التى أطلت علينا فجأة منذ السبعينات ، من غرس هذا الحلم الخادع حتى في نفوس من يستحيل عليهم ، بحكم وضعهم الاجتماعى ، أن يحققوا نزرا يسيرا منه . وأدى الاعتماد على المعونة الأمريكية في الحصول على القوت الضرورى ، وعلى القمح خاصة ، إلى ارتباط الرأسمالية في أذهان الملايين ـ لاشعوريا على الأقل ـ بإمكان الحصول على الخبز ، وارتباط الأشتراكية واليسار بشبح الجوع ، وعلى هذا النحو تضافرت ظروف موضوعية قاهرة على تخويف الجماهير من اليسار وتنفيرها منه .

ويأتى بعد ذلك العامل الثالث ، الذى ربما كان في المرحلة الراهنة أهم العوامل جميعا ، وهو سيطرة الجماعات الدينية على قطاعات متزايدة من الشارع المصرى . هذا التصاعد الواضح للقوى الدينية هو فى آن واحد سبب ونتيجة لأزمة اليسار : فهو أولا قد أستولى على الجماهير التى كانت مؤهلة بحكم أوضاعها الاجتماعية لمساندة اليسار ، ونشر بينها فكرا سلفيا . وهو ثانيا يجعل من محاربة اليسار هدفه الأول والأهم ، إذ أن الجماعات الاسلامية المتباينة قد تختلف فى أمور كثيرة ، ولكنها تتفق جميعا على النظر الى كل ماهو يسارى وكل من هو يسارى على أنه العدو رقم واحد .

ولكن أهم العوامل التي عملت على ترجيح كفة الفكر الدينى على الفكر اليسارى والقومي والديمقراطى فى التجمعات الشعبية والمهنية وفى النقابات والاتحادات الطلابية ، هو أن التيار الدينى كان يستند الى ذلك التراث الطويل من التدين ، المختزن بعمق فى نفسية الانسان المصرى ، والذى لايحتاج إيقاظه واستدعاؤه الى أى جهد يذكر . فالتيار الدينى ينهل من نبع موجود بالفعل منذ الوف السنين ، ولا فضل له فيه على الاطلاق . والاساس الذى تبنى عليه دعوته جاهز قبل أن يولد أى مرشد عام أو أى أمير جماعة بقرون عديدة . وكل ما على الداعية المعاصرة فى أية جماعة دينية هو أن يستند الى ذلك المخزون الهائل من التراث الدينى الشعبى ، لكى يجد

على الفور آذانا صاغية ، واتباعا طائعين .

والنتيجة الضرورية لهذه الحقيقة الهامة ، التى لا يتنبه اليها الكثيرون على الرغم من بساطتها ووضوحها ، هى أن دعاة التيار الاسلامى يخدعوننا ويخدعون أنفسهم حين يتوهمون أن الفضل فى انتشار حركتهم وتفوقها الملحوظ على الفكر اليسارى فى الأونة الأخيرة يرجع الى براعتهم أو قدراتهم من جهة ، والى عجز اليسار من جهة أخرى ، فحقيقة الأمر أن الداعية الاسلامى لايحتاج الى بذل جهد يذكر ، لأنه التراث القديم المتغلغل فى نفوس الناس قد مهد له الأرض كلها ، بحيث يضمن الداعية تحقيق أفضل النتائج وهو متكىء على أريكة التراث دون أن يرفع إصبعا أما اليسارى فأن دعوته كثيرا ما تنطوى على تصادم مع التقاليد ، وتغيير حاد للمسار وخروج عن مألوف النظم والمؤسسات ، ومن ثم فإن الجهد الذى يحتاج الى بذله لاقناع الناس بكل هذه التغييرات لابد أن يكون هائلا ، وتظل نتائجه مع ذلك غير مضمونة .

والخلاصة أن هناك قدرا كبيرا من الظلم فى المقارنة بين النجاح الكاسح الذى تحرزه الجماعات الاسلامية والتراجع الواضح للتيارات اليسارية . وعلى الرغم من جميع النقاط السلبية التى أشرنا اليها فى هذا المقال ، فإن هناك قدرا لايستهان به من سوء الفهم وقصور التحليل فى الاعتقاد بأن نجاح الجماعات الدينية وتراجع اليساريين يرجع الى ان الأولين قد بذلوا جهودا واتبعوا أساليب تفوق ما قام به الآخرون .

بقيت كلمة أخيرة ، تعبر عن رأى شخصى بحت ، ولكنها فى نظرى صادقة كل الصدق ، وهى أن أزمة اليسار هى فى الواقع أزمتنا جميعا ، ومحنة اليسار الراهنة مظهر رئيسى من مظاهر محنة مصر . ذلك لأن اليسار ، مهما قيل عنه ، يضم أفضل العقول ويقدم أفضل الحلول . والكارثة الحقيقية التى تعانيها مصر فى العقود الأخيرة من القرن العشرين هى أن من لايملكون أى حل حقيقى لمشكلاتها وأزماتها هم المسيطرون على الجماهير ، على حين أن من يقدمون البرامج الوحيدة القادرة على إنقاذ مجتمعنا مما ينتظره من كوارث محققة ، ينفض عنهم الناس .

وقد يقول هواة التحليل النفسى أن هذا تعبير عن نزوع إنتحارى لاشعورى ينتاب مجتمعا يائسا ، ولكن من يتأمل الأمور بنظرة منطقية لابد أن يلمح ، على مدى العقود الأخيرة ، تيارا جبارا ، يستند على جناحين أحدهما خارجى والآخر داخلى ، يعمل بتخطيط دقيق من أجل تهيئة الظروف الموضوعية لتأكيد هذا الوضع المعكوس فى مصر ، بوصفها قلب العالم العربى ومفتاح الشرق الأوسط .

ولا يعنى ذلك على الاطلاق ان نستسلم للياس ونرفع الرايات البيضاء بحجة اننا عاجزون عن مقاومة هذا التيار ، بل إن كل مايعنيه هو التنبيه بلا مداراة او مواربة ، الى ضراوة المعركة التى تنتظر قوى التقدم فى مصر .

الشاعر أحمد هيكل في ديوانه: أصداء الناي

بقلم: جليلة رضا



ظاهرتان قويتان فى ديوان « أصداء الناى » للشاعر الدكتور أحمد هيكل ... هما : الحرية .. والسلام .

ولقد استطعت أن أستاق رائحة عطرهما النفاذ فى كل زاوية من قصيدة ، وكل ركن من بيت ، فى هذا الديوان ..

هذا مالفت نظرى خلال قراءته ، وذلك هو إحساسى بعد القراءة ..

إن الديوان يحمل فى أعماقه كنزين ثمينين .. حرية .. وسلام .

إذن ، فأهم وأبرز سمات الشاعر ، هو نزوعه إلى الحرية بكل ما تملك من انطلاق للإرادة واعتداد بالنفس ..

ثم ميله إلى السلام بما فيه من خير للناس ، وإسعاد للبشر .

لذلك ، تكررت كلمة الحرية فى قصيدته الأولى ، ولو لم يوجهها الشاعر إلى طيف الحرية ، لخلناه يناجى معشوقة : أنثى ساحرة .

يقول الشاعر :

دعى عينيك فى عينىّ ترتاحان فى الظل الحنون
فيالكم عاشتا بالسهد تحترقان فى نار الحنين
ويالكم طافتا فى أوجه الدنيا والآف العيون

ولكن الشاعر يحاول أن يبعد ذكرى الماضى بما فيه من بعد وهجر لحبيبته « الحرية » ويتذكر أيامه الحاضرة ، وفرحته بلقياها ، وتنعمه بوصالها :

دعيني انتشى من عطرك المنساب من نفح الحنان
لقد عايشت هذا العطر حتى صار روحا فى كيانى
ولما غاب عشت القهر والحرمان موءود الأمانى
وحتى الأهة الخرساء كانت من مخاطير الزمان
.. دعينى احتمى فى الواحة الخضراء من بعد الهجير
اغنى طائرا فى افلك المنسوج من عطر ونور

★ ★ ★

لقد قلت مرارا إننى احتفى بكل مذهب شعرى المس فيه لمسات الأصالة والجدة .
واثبت اكثر من مرة أن المشكلة ليست فى أسلوب التعبير كلاسيكيا أو حرا . وإنما المشكلة فى قدرة الشاعر وطاقته الفنية ، وإيمانه بمضمون شعره .

وديوان « أصداء الناى » من هذا النوع ، شعر يستوحى طبيعة مصر السمحة الرحبة ، ونيلها المنساب فى يسر وعذوبة .

شعر عذب الألفاظ سهل القياد ، عميق المعنى ، لا يعمد إلى التعقيد ولايحمل القارىء شطط الغوص وراء معنى خبىء فى طيات الغيب .

إن صاحب ديوان « أصداء الناى » شاعر يدرك جيدا أن الشعر جزء من كياننا الانسانى وانه لن لاتستغنى عنه الحياة .. وهذا هو التراث الذى نعتز به .

ولولا وجود بعض الهدّامين له لما فقد بعض الشعراء ثقتهم بالقيم الفنية ، التى دأبت الانسانية على تركيزها فى الشعر .

ولقد اغتنم الشاعر فرصة النضج الفكرى الحالى لديه ليجمع قصائد ماضيه وحاضره ، فى هذه المجموعة الشعرية ، فتسنى له أن يكتب شعرا حالفه التوفيق ..

★ ★ ★

ذلك أن الشعر ليس كما يظن البعض مجرد مشاعر .. فالمشاعر تأتى وحدها فى سن مبكرة ، وإنما الشعر تجارب قبل كل شىء .

وكما يقول رينيه ـ ماديا ريلك : « لكى نكتب بيتا واحدا من الشعر الجيد ، يجب أن نكون قد شاهدنا عدة مدن وأشخاص وأشياء »

يجب أن نعرف كيف تطير العصافير ، وكيف تتحرك براعم الزهور صباحا : يجب أن نؤتى القدرة على استيعاب التفكير فى دروب كائنة فى مناطق مجهولة ...

« أن نلتفت إلى الوراء ، نحو ايام الطفولة .. وأن نجتر لقاءات بعيدة ، وتجولات شديدة العمق والخطورة .. »

وأنا اقول لايكفى أن نكون مدركين طريقة التفكير فى كل هذه الأمور ، بل يجب أن تكون لنا أحلام من الذكريات المستحيلة ، تعزز العاطفة ، وتمضى بها نحو عالم الكلمات المسموعة ..

★ ★ ★

ولقد تخيرت من الديوان موضوعات منوعة منها الوطنية والتأملية والناقدة للحياة ، وكلها قصائد جيدة : الجديدة منها والقديمة .. وقصائد ديوان « أصداء الناى » قد تنوعت موسيقاها وتساوقت مع العواطف ، وتآلفت أفكارها ، فبدت صورها قريبة من الحقيقة .. فلاهى صور

خيالية رومانتيكية حالمة ، ولاهى ضبابية تتحدى الذكاء والفطنة .
ولنستمع إليه فى قصيدته « إلى جميلة الجزائرية » :

آه ياأخت والفؤاد انين
تحت وطء الهموم وهى ثقيله
انا لم اعرف الترمل واليُتْم
وفقْد الصغار زهر الطفوله
غير انى احسست هذا جميعا
منذ نالوك بالاذى .. ياجميله

وينتابه غضب ، ويتنكر للقدر ، ويصيح احتجاجا على سلطات الاحتلال

اتموتين والبغايا بباريس
يمتعن بالحياة الطويله
ايطيح الجلاد راس ملاك
كى تعيش الجماجم المخبوله
ايدوى الرصاص فى صدرك الحر
وتدمى فيه المعانى الجميله

لكن الأمل مازال يراوده ، وقوة (الله أكبر) فيقول :

لا تراعى فالليل يعقبه الفجر
وبعد الهجير تحلو الخميله
انظرى فالصباح يشرق فى الأفق
وجيش الظلام يخفى فلوله
هكذا تسعد الجزائر بالنصر
وكل الرغائب المأموله

● تجارب الشاعر

صور تزيد معانى التجربة جلاء وقوة وتعمل على توصيلها إلى القارىء فى يسر وسهولة .

أجل . إن ديوان « أصداء الناى » قد التزم صاحبه بوضع الكلمة فى موضعها المناسب ، فعبرت عن تجارب الشاعر ، تعبيرا صادقا .. والصدق فى الشعر أهم عوامل درجات التفوق .

فكم من شاعر جيد الصياغة ، غير قادر على التفكير ، فيما يشعر به عديم الايمان بحقيقته . ذلك هو المقلد الذى يخرج شعرا ميتا ، لايهز وجدان القارىء ولايحرك شعوره .

فليس الأمر أمر أبيات فى قصيدة ، ولاهو أمر القصيدة نفسها ، إنما هو أمر ارتعاشة الشاعر . فى اللحظة الحاسمة ، لحظة نورانية الخلق .. عندما يقف وجها لوجه أمام سمائه الشعرية ، مبدلا بحقائقه الراهنة حقائق جوهرية ، محررا كونه من ماديته ، ليكوِّن عالما ليس له قابلية التجزؤ ..

ومصر وطننا الحبيب هى الشغل الشاغل فى ديوان الشاعر احمد هيكل ، يناجيها إذا غاب عنها ، ويناجيها وهو فى احضانها ، ويزجيها اعذب الكلمات .. ففى قصيدة « جنتى وأحزان الخريف » :



فطاوعت اشواقى وأسرعت عائدا
كعودة طير للفضاء وللسِّرْب
اقبل لهفان الجوانح ارضها
واخرج فيها دمع عينىّ بالترب
واحلم ان انسى عليها مواجعى
فحسبى ان احيا على ارضها .. حسبى

★ ★ ★

ويتساءل شاعرنا أى سحر فى بلده يشده إليها وهو يحيا فى بلاد حباها الله بكل معانى الحسن والجمال :



طال ياليل عن النيل غيابى
فمتى تشرق يافجر إيابى
هاهنا حولى جنات وحور
غير انى فى اغتراب وهجير
إنما مصر وقد شاء هواها
أن يرد النفس عن حب سواها
اى سحر فى مياه النيل يسرى
رشفة منه افتديها بعمرى

ويعترف أن وطنه هو دنياه وفنه وفردوسه فيقول :

هذه دنياى بل محراب فنى
وهى فردوسى الذى فيه اغنى

وهكذا نجد الديوان مليئا بعديد من امثال هذه القصيدة المشبوبة ، حبا للوطن . وحنين الوطن داء معروف يصاب به كل مغترب ، غير أن شاعرنا اوتى له نبض وروح ودرجته الفنية ممتازة .

نأتى بعد ذلك الى شعره الدينى فنتأمل بكل خشوع .. والشعر الدينى عند الشعراء المجيدين هو أكبر دعامة لخلودهم ، فصفوة إبداعهم فى هذا الجانب يجب أن تكون موضع الحفاوة والانتفاع بها لخير الاسلام والانسانية .

ففى ذكرى مولد الرسول ، يقول الشاعر فى قصيدة (لمن النور) :

مالهذا النخيل يرقص كالصوفىُّ ... لمـا انتشـى وذاب صفـاء
مـالتلك الجبـال اضحت قلوبـا ... فى ضلوع الصحراء تحيى الرجاء
مـا لكل القفـار صارت ريـاضا ... ثم اضحى هجيرها افياء ؟

إلى أن يقول :

اتراه الربيع تنسج للكون ... بيداه .. غلائلا خضراء
لا .. فإن الربيع يمكث حينا ... ثم يمسى هواجرا أو شتاء
والربيع القدسي خلده الله ... لتبقى الحياة أسمى بهاء
ليس هذا الربيع غير وليد ... جعل الأرض جنة فيحاء

ويقول أيضا فى يوم مولد الرسول العظيم :

مجوان .. فجر سنا وفجر وليد ... قد لاح ضوؤهما بافق البيد
هى ليلة ركع الزمان أمامها ... والدهر حيّاها بطول سجود
هى فى الليالى الغر مثل مليكة ... وبقية الليلات مثل .. عبيد

ويمر شاعرنا فى أعوامه الأولى بما يمر به الشباب ، يعذبه الشعر ويرهقه الخيال ، ويصاحبه القلق والوهم ، ويملأ عالم الرؤى الغريب جوانبه بشعور مبهم ..

فتجلجل التجربة قوية محتدمة تبعثه على الانتقال إلى الأحداث على جناح الصور الشعرية ..

ويفيض قلب الشاعر أخيرا بالشعر فى قصيدة « صرخة » :

يارب أين طريقى ∴ وأين أين رفيقى
طرحت روحى بسجن ∴ من الظلام الصفيق
ولم تدع لى أنيسا ∴ سوى أساى العميق
وثورة فى دمائى ∴ تضج عبر عروقى
والدمع ناضبات ∴ يزدن نار حريقى
وخافق فى ضلوعى ∴ لهفان مثل غريق
فبات يدعو ويدعو ∴ يارب أين طريقى ؟

وتمر به الأعوام والأيام ويصير شاعرنا الشاب رجلا كامل الرجولة ، ولكنه لايتغير ..
وكيف تتغير نفسيته وطباعه ؟ وهو لم يزل هو هو الشاعر المليء بمشاعر القلق والحيرة ؟ ويكل قوى الايمان والثقة بالخالق ، يهتف فى قصيدة « ضراعة » ، وهو يشكو لله غربته ، وتشرد أيامه وظلام دروبه :

إلى بابك المأمول أسرعت ياربى
تطوف به روحى ويطرقه قلبى
جفانى من ساقيتهم صافى الهوى
وأعرض أحبابى وأنكرنى صحبى

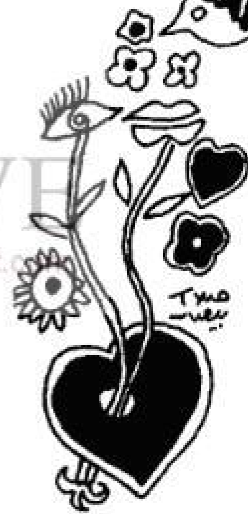
واقردت إلا من مرارة غصة
والام سهم قد تكسر فى جنبى
وجئتك لا اخشى عواقب زلة
فعفوك يارحمن اكبر من ذنبى
ولكننى اشكو اغترابا ووحدة
تشرد ايامى وتظلم لى دربى
فهبْ لى سلام الروح وارحم مواجعى
فليس امامى غير بابك ياربى



والآن ، وبعد أن عشنا مع الشاعر الدكتور أحمد هيكل فى ثوراته النفسية ، نأتى إلى شعر الغزل فى ديوانه « أصداء الناى » فنبحث بصعوبة علنا نجد بعضا منه .. ولكن الشعر العاطفى عند شاعرنا قليل ونادر .. لست أدرى لماذا وهو الذى أجاد إجادة مذهلة فى قصيدته : « أندلسية » ؟ فاستعمل فيها الكلمة بكل ماتملك وتحمل من قوة تعبير ، وصورها تصويرا رائعا ، حتى خرجت لنا القصيدة فى ثياب من السحر الفاتن ..

وهى تستأهل أن نختتم بها هذه الوقفة الشعرية ، حتى تظل فى مسمعنا جميعا ، بكلماتها الرنانة ـ كعصفور مغرد يلتقط حبات غذائه :ـ

هيفاء .. كالغصن الرطيب تبسمت فيه الزهور
بيضاء .. مثل الياسمين يضىء فى الروض النضير
وندية .. كالطل يمسح جبهة الصبح المنير
وشذية .. كالورد يسطع بالجمال وبالعبير
ودقيقة .. مثل النسيم اذا تعطر فى البكور
وشجية .. مثل التناجى الحلو او شدو الطيور
ورشيقة .. مثل الفراش يُخال ازهارا تطير
وعميقة .. كالنبع دفاقا من الصافى النمير
ووديعة .. مثل الحملم مرفرفا حول الغدير
ورفيعة .. كالشمس تخطو فوق هامات البدور
وبريئة .. مثل السنا فى نظرة الطفل الغرير
ووضيئة .. مثل الهدى يصحو بوصفته الضمير
وحبيبة .. كالعذب لاح لظامىء بين الصخور
وخصيبة .. كالحب تورق من بشاشته الصدور
هى واحة القلب الذى صهرته نيران الهجير
هى معبد الروح السنى وكعبة الحب الطهور



وليت شعرى ماسرُ هذه الأندلسية الفاتنة ، التى هزت وجدان شاعرنا القوى ، حتى فاضت مشاعره بكل هذا الشعر العبقرى الرائع .. ؟

والحق أقول : نادرا مايقرأ الانسان قصيدة اكتملت فيها معالم الجمال مثل قصيدة : « أندلسية » للشاعر الكبير : دكتور أحمد هيكل .



من يهمه الأمر

شعر :

نافع خليل يوسف

لو قرأت الصحف يوما ... او تدبرت الملاحق
سوف ينتابك مس ... من جنون لا يفارق
قلب الصفحات وانظر ... يارفيقي - لا تمالق
دولة الفكر تداعت ... وهوت تحت المطارق
وخيول الشعر خارت ... مُذ غدا الشعر ينافق
ورياح الموت هبت ... لم يعد فى الساح خارق
قل لصبيان تعالوا ... فوق هامات الخلائق
خففوا الوطء قليلا ... واهجروا هذى الطرائق
اى سخف قد جرحتم ... وانتقاص للحقائق
كم دعى بات يهذى ... وهو فى الفكر مراهق
يا لأسماء تباهت ... سودت وجه الملاحق
ايها القارىء عفوا ... ان اكن عنك اشاقق
هل ترى فى الفكر شيئا ... غير مسروق وسارق
جمدوا الابداع طرا ... فغدا الابداع مارق
قلب الصفحات واحكم ... هل ترى للفكر طارق ؟!



دجنوا الشعر وقالوا   شعرنا شعر البنادق
ويحكم ! يكفى هراء   شعركم ـ شعر الفنادق
اترعوا الصفحات زيفا   فى سطور كالمشانق
ذاك فنان عظيم   فاتح من نسل طارق
تلك حسناء تجلت   اضرمت هذى الحرائق
صورة باللون تغرى   الهبت عقل المراهق
اترى نحن قطيع   ام جنود فى الخنادق ؟!
بالعصر بات يزهو   فى سقوط فى المزالق
ايها القارىء اقبل   وانطلق مثل الصواعق
لقن اللاهين درسا   انت فى التلقين حاذق
لاتخف من كل هشا   همه كيف يمالق
ياضياع الفكر فينا   بعد ان كنا شواهق
اين فرسان القوافى ؟   اين هاتيك الخوارق ؟!
رب رحماك فانى   عائذ ! فالجو خانق !!

مصمم مسرحى جزائرى فى لندن !

بقلم/ عبد القادر فراح

عبد القادر فراح مصمم مسرحى جزائرى التحق بفرقة شكسبير الملكية منذ عام ١٩٦٠ وصار أحد اعمدة هذه الفرقة العتيدة بشعبتيها فى لندن وفى ستراتفورد أون ايفون .

وللفنان فراح تجربة طويلة وغنية فى التصميم المسرحى (الديكور والملابس) فى بريطانيا وأوربا وامريكا . وقد كان فى زيارة قصيرة للقاهرة فطلبت «الهلال» منه أن يكتب لها مقالا يعرف القراء بفن التصميم المسرحى فى العالم ويحدثنا فيه عن بعض جوانب تجربته الفنية .

ان مجرد سقوط بقعة ضوء على المسرح العارى ودخول الممثل دائرة الضوء هذه للقيام بفعل مسرحى .. أو انتشار ضباب خفيف فى بقعة الضوء ..

أو نبض المؤثرات التكنولوجية فوق المسرح ، والحركة الآلية لأجزاء الديكور أو الاكسسوار ..

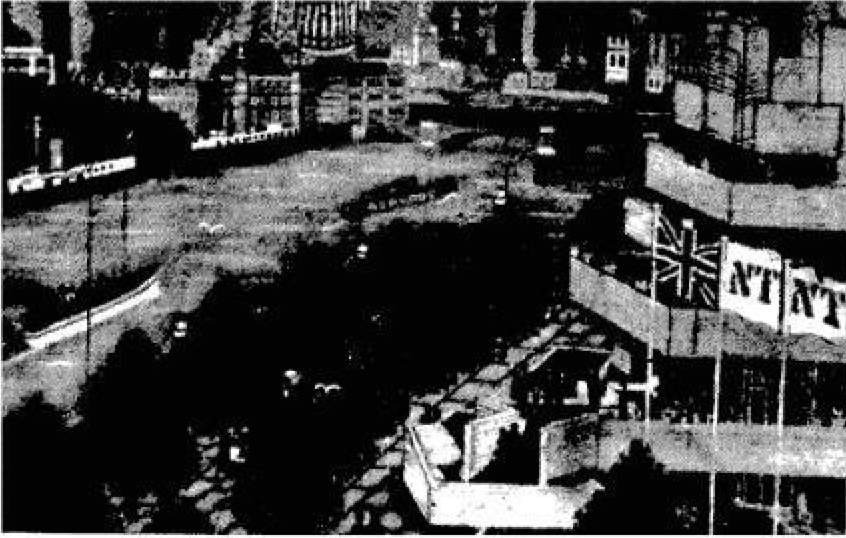
ان مجرد بث أضواء مضبوطة توحى بوجود حديقة على منصة المسرح فى حين لا توجد عليها شجرة واحدة ..

.. كل هذه من أدوات التصميم المسرحى وابداعه .

ان الرسام يبدع فنه فى بعدين اثنين . والنحات يبدع فنه فى ثلاثة أبعاد .. بينما المصمم المسرحى يربط الأبعاد الثلاثة فى عمله ويضيف اليها بعدا رابعا هو الزمن .. اى ايقاع التغيير فى المنظر المسرحى .. وهذا الايقاع هو فى الواقع نبض العرض المسرحى وانفاسه . فحركة الديكور ، وتتابع المشاهد ، وزمن تغيير المشاهد هى ديناميكية العرض المسرحى .

● **المفاضلة بين البدائل**

وعندما نتحدث عن الديكور المسرحى فى بلادنا الشرقية كثيرا ما يذهب الخيال الى الامكانيات



المسرح القومى البريطانى يحتل موقعا فريدا على ضفة نهر التايمز

البؤساء ... عن رواية فيكتور هيجو بلندن



التكنولوجية المتنوعة المتاحة امام المسرح الغربى ..

وأبجدية الوسائل الآلية ذات تأثير قوى بلاشك .. بشرط إن يكون لتوظيفها مبرر كاف من ناحية الاسلوب ، ومن ناحية التكلفة أيضا .

ولكن هذا ليس هو بداية المشروع بالنسبة للفنان الموكل اليه تصميم الديكور . فان تصميم الديكور يقتضى أولا رسم المناظر المسرحية وصناعتها عادة من مادة خفيفة أو رخوة كالقماش أو من المواد الصلبة كالخشب والمعادن والعجائن البلاستيكية المعتمة أو نصف الشفافة أو الشفافة ..

ملاحظـات مصمـم مسـرحـى جزائرى

أول ما يفكر فيه الفنان المصمم هو المفاضلة بين هذه البدائل ..

ومن الممكن أيضا انشاء الديكور بالمرايا . والمرايا تختلف أيضا درجات انعكاس الصورة عليها أو درجات صفائها ، ومن الممكن أن تكون مقعرة أو محدبة أو اسطوانية المقطع او فقاعية التكوين (ويحدث ذلك بضغط الهواء فى عجينتها) ..

ويمكن صنع المناظر بمواد معتمة تمتص الضوء أو بمواد صقيلة تعكس الضياء ..

هذه كلها اختيارات واردة تشغل الفنان وهو فى حالة اختيار الاسلوب وفهم النص المسرحى وملاءمة خطة التصميم مع خطة الاخراج .

كما أن المصمم يريد للديكور المسرحى أن يحدث أثرا ديناميكيا (حركيا) امام أعين الجمهور ، وهذا يقتضى بالطبع مساهمة منشأة صناعية أو ورشة هندسية متخصصة فى الانشاءات المعدنية .

إن المؤثرات الديناميكية تتيح لأجزاء الديكور أن تتحرك فى عمق المسرح أو من جانب الى جانب أو رأسيا ، وبطريق التبادل على الابعاد الثلاثة .

ومعدات الضوء فى المسرح ذات أهمية قصوى . ففى مسارح فرقة شكسبير الملكية حيث أعمل مائتان وخمسون مصدر ضوء (بروجكتور) فى المسرح التجريبى والصغير (٣٠٠ مقعد) وسبعمائة وخمسون مصدرا للضـوء فى المسرحين الكبيـرين (١٢٥٠ مقعدا ـ ١٤٠٠ مقعد) .. وكل متر مربع من المساحة التى يجرى عليها التمثيل يمكن أن يضاء من يمين المنصة ومن شمالها ومن الخلف ومن الأمام ومن أعلى .. واحيانا من تحت المنصة .

إن معدات جيدة للاضاءة تساعد المصمم على الاستغناء عن بعض اجزاء الديكور وتخفيف ثقل الديكور على المنصة ، كما تساعد المتفرج على سماع الممثلين بشكل أفضل حيث يراهم على نحو أفضل .

ويتكون النظام السمعى بالمسرح على أساس من الحلول المعمارية الصوتية ، كما يعتمد أيضا على الحلول الصوتية للتصميم الديكورى .

ولذلك فإننى شخصيا لا أحب استخدام المواد الرخوة أو اللينة فى بناء المنظر المسرحى حول المنصة حيث أن مثل هذه المواد (كالقماش وما اليه) تميت صوت الممثل وتمتصه .

وأدوات المصمم المسرحى لاحدود لها . ومن بينها بث الصور من خلال آلة العرض (البروجكشن) من أى ناحية يشاء المصمم وبأى زاوية يختارها .

ويمكنه أيضا استخدام التكنولوجيا السمعية والبصرية ، واشعة الليزر ، وكل المؤثرات البصرية بترتيب ابجدياتها على النسق الذى يشاء .

وعلى اى الأحوال فمن المهم أن نتذكر دائما أن الغاية النهائية للتصميم المسرحى الجيد هى الممثل ذاته .. خاصة اذا كان الممثل متميز القدرات .. وسواء كان التصميم اساسه الجماليات التكنولوجية أو كان أساسه الانتخاب المتقشف .

★ ★ ★

ولايمكن تصور التصميم الامثل للديكور أو الملابس أو الادوات (الاكسسوار) بمعزل عن ابداع المخرج .

فعندما يبدأ المصمم عمله فى المشروع المسرحى يتبادل هو والمخرج الافكار والانطباعات والتصورات عن النص المسرحى وهى عملية الرى اللازمة بعد البذر ، وتجرى بالضرورة على رأس الهرم الابداعى - والهرم ذاته هو بالطبع النص المسرحى .. فالمؤلف المسرحى هو الهرم وهو الهواء الذى يتنفسه كل فريق المبدعين فى المسرحية .

ولكن حين يكتمل العرض المسرحى أمام الجمهور يقف على قمته الممثل والمؤلف .. أما بقية الفريق (المخرج والمصمم والمؤلف الموسيقى ومصمم الرقص والفنيون وكل عمال الورشة) فانهم يصبحون الهرم ذاته الذى يقف على قمته المؤلف والممثل معا .

● روح الفريق

ولابد للنجاح ان ينسجم العمل كله بروح الفريق ، ويتألف هذا الانسجام من تنامى القناعات ومن تداعيات الاقناع وحججه ، ومن جهد العمل ، وترتيبا على جهد كل فرد من الفريق مع الآخرين فى التقييم واعادة التقييم والتفاهم والالتزام .

فالانتاج المسرحى فى النهاية اشبه باليد الواحدة التى تعتمد حركة كل إصبع فيها على حركة الاصابع الاخرى والاصابع الخمس للانتاج المسرحى هى المؤلف والمخرج والمصمم والممثل والفنى .

وعندما يختار المسرح مؤلفا هاما مثل سوفوكليس او اليابانى زيامى أو شكسبير أو موليير أو برشت يصبح هذا المؤلف هو العامل المؤثر الأول فى عمل الفريق .

عندما يعمل الفريق على الوجه الأكمل تتحقق المعادلات فى المشروع المسرحى فى أحسن صورة بالترتيب الآتى :

١ - المخرج + النص + المصمم

٢ - المخرج + النص + الممثل .

٣ - الممثل + النص + الجمهور .

ملاحظات
مصمم مسرحى
جزائرى

ان كل ملاحظاتى تنبع من تجربتى فى معالجة مؤلفات ٩٠ كاتبا مسرحيا ومؤلفا موسيقيا .. كلاسيكيين ومحدثين ، ومن واقع التعاون مع ٣٧ مخرجا ومصمما للرقص فى سبع مناطق لغوية مختلفة فى هولندا - فرنسا - انجلترا - تونس - كندا - الولايات المتحدة - المانيا - النمسا - المكسيك - ايطاليا ، فضلا عن مساهمتى كمسئول ومستشار فى مجال تعليم التصميم المسرحى فى فرنسا (ستراسبورج) وانجلترا (لندن) وكندا (مونتريال) والولايات المتحدة (المركز الدرامى جوبارد بنيويورك) ..

* * *

وفى حياتى العملية صادفت نوعين من الممثلين :

١) الممثل الذى ابرزه نجاح واحد ، وصاغ الدور الذى نجح فيه شخصيته فى قالب ضيق طوال حياته فأصبح مقضيا عليه بتمثيل نفس النمط بغض النظر عن المسرحية ..

٢) الممثل المتلون والقادر على التغير وتطوير إمكانياته .

ونفس هذا التقسيم ينطبق ايضا على المخرجين والمصممين المسرحيين .

١) فالمصمم المسرحى الذى عرف عنه اسلوب خاص أصبح موضة فنية يصبح عمله مثل الفاترينة الزجاجية لمحل تجارى ، يغدو رخيصا ورتيبا ..

٢) والمصمم المسرحى من النوع الثانى قادر دائما على ارتياد آفاق جديدة فى فن التصميم ويساهم بذلك فى تطور فن المسرح فى بلاده .

ان المصمم رجل مسرح يعرف بدقة عملية ابداع المؤلف فى بناء مسرحيته ، وعملية ابداع الممثل فى بناء أدواته الفنية ، وعملية ابداع المخرج فى المزاوجة بين الرؤيا وبين الادوات العملية للعرض المسرحى .

والتصميم فن معمارى ولابد أن يملأ أعين الجمهور بالثراء الفنى والتعبيرى بحيث يختفى أو يكاد يختفى عن الانظار اطار فتحة المنصة فتتداخل المنصة فى صالة الجمهور . فاطار المنصة من مخلفات المسرح البورجوازى القديم حيث كان الجمهور يحب الاحساس بالتباعد عن المنصة . وهذا الاطار يمثل شاشة السينما . والمسرح يستطيع أن يتيح للمتفرج لحظات نادرة لاتقدر السينما أن تعطيها وهى اللحظات التى يختفى فيها اطار المنصة فى أعين الجمهور . أن مقدمة المنصة هى منطقة الوصل ومنطقة اندماج الجمهور بالمسرح ويجب تجهيزها كمنصة مسرح مستقلة بذاتها من حيث الاضاءة والمداخل والمخارج للكواليس أو للصالة ذاتها احيانا .



لقطة من مسرحية « كوريولانوس » لشكسبير فى آخر معالجة لها

ان المسرح يتحدى دائما كل تقليد . فما نعتبره اليوم طليعيا سيصبح غدا من الكليشيهات المملة : وقدرة التأثير هى من الظواهر الضرورية فى الفنون ويصبح التأثير شريرا اذا قاد الفن الى التقليد الفارغ أو المتكرر ، ويصبح التأثير خيرا اذا ساعد على اكتشاف طرق جديدة واساليب جديدة .

وقد شوهت هوليود سمعة الشرق باظهاره فى صورة كاريكاتيرية غليظة . وقد قلدت السينما التجارية الهندية هوليود فى تصوير الشرق بالوان فظيعة وكليشيهات غليظة واصبحت لسينما الهندية كالمخدرات أو مثل حلم مخاتل ..

وما آلت إليه السينما التجارية الهندية هو بحد ذاته تحذير كاف للسينما العربية والمسرح العربى والتليفزيون . ان شجرة ميتة لايمكن أن تحجب عن أعيننا غابة المشاكل والحلول الفنية للتصميم الفنى لاجواء الشرق .

ولابد أن تتكثف الاتصالات بين ممثلى وممارسى الفنون المسرحية فى العالم العربى بحيث يستفيد الجيل الشاب من الفنانين الناشئين الذين نعول عليهم اليوم فى ايجاد حلول مناسبة فى الغد .

ندوة الهلال

تقديم
عاطف مصطفى

الأديب الكبير
يحيى حقي :

أنا عاشق للغة العربية

أغنى لغات العالم

استضافت مجلة الهلال الأستاذ يحيى حقي الأديب الكبير .. ورائد القصة القصيرة في مصر .. بل شيخها وزعيمها الذي مازال حتى الآن يبرز أهميتها في فن الأدب ويحرص على أن يوجه شبابنا من القصاصين بالطريقة المثلى لكتابتها ..

استضافته "الهلال" لكي يتحدث عن تجربته الذاتية ، وليضيف على مدى مشواره الفني آراء هي بحق خلاصة تجربة ما يزيد على نصف قرن ..

فأديبنا الكبير صبغ اللغة التي يكتب بها بصبغة خاصة ، فحينما ترى جملة بهذا الشكل ، تحس أن هذه الجملة لا يمكن أن يكون قد كتبها سوى يحيى حقي ، فجملته ليست عبارة عن لفظة ، وإنما هي مليئة بأفكار وأحاسيس وانطباعات كلها جمعها في ذاته ..

إنه يؤمن بالتجربة الذاتية وأنها مهمة جدا في العمل الفني .. كما يؤمن بضرورة أن يتعرف شباب القصة على تاريخ مصر وبأن يكتبوا في السيرة ، بدلا من القول بأن الوحي لم يأت ، وفي هذه الحالة لا يستطيعون كتابة القصة أو "السيرة الذاتية" ، وضرب مثلا على ذلك بضرورة التعرف على تجربة محمد المويلحي والاستفادة منها .

ويحيى حقي هو عاشق اللغة العربية الأول ، بل إنه من أشد أنصارها ، فله مطمح كبير في ألا يبقى في اللغة العربية لفظ واحد إلا وجد له مكانا في كتاباته ، ومن خلال أحاديثه لا ينسى أن يشير إلى مشكلات في اللغة بالنسبة للمثنى والجمع ويؤكد على أن اللغة العربية من أغنى لغات العالم وموقفه من العامية محدد فهو لا يستعملها إلا عندما لا يجد الفصحى تطاوعه ، وأن يكون التعبير العامي "فني" .


جميع تجاربى الأدبية ليست … من قراءة كتب
وإنما من قراءات وتأملات ذاتية .



والقصة القصيرة عنده مجموعة من جمل قصيرة مستقلة ، لابد أن تستوفى كمالها قبل أن تتحول منها إلى الجملة التالية .. لقد شبه الكلام بعملية عجين ، فنضع فى "الماجور" كل المواد من دقيق وملح وماء وخميرة ، حتى يتالف منها كيان متماسك ، وهو فى الوقت ذاته مؤلف من الأجزاء المتناسبة .

يحيى حقى إبن السيدة زينب له اكثر من ثلاثين كتابا ، منها كتب نالت شهرتها ، وكتب كما أشار الأديب الكبير لم يوزع منها سوى ١٥٠ نسخة فقط .. طلب منه الأستاذ أحمد بهاء الدين أن يكتب فى الأهرام فاعتذر ، ومع ذلك واصل الكتابة فى صحف أقل انتشارا وذيوعا من الأهرام من بينها التعاون والسياسى والمساء .

إشترك فى الندوة الدكتور مصطفى ماهر أستاذ الأدب الألمانى بآداب عين شمس والناقد الأديب فؤاد دواره والكاتبان محمد رويش وابراهيم أصلان ومصطفى نبيل رئيس التحرير .

وقد حرص الأستاذ يحيى حقى على أن يحضر إلى الندوة هذا العدد القليل لأنه لم يعد يطيق ندوات مفتوحة ، تضم أعدادا كبيرة ، فضلا عن أن الندوة بهذا العدد القليل ، أعطت سمة الأسرة الواحدة وحرص المشاركون فى الندوة على سماع كل الآراء التى قالها أديبنا الكبير .

منذ البداية كنا نود أن نتعرف على كل جديد يضيفه أستاذنا يحيى حقى .. كيف استفدنا من الغرب فى القصة القصيرة .. آراؤه فى المدارس المختلفة ، خاصة المدرسة الحديثة التى ركز عليها فى الندوة والاهتمام بتاريخ مصر والشخصيات التى لم تحظ باهتمام حتى الآن ... فقد أبرز ضرورة العناية بالوثائق فضلا عن أهمية التجربة الذاتية والصدق الفنى فى الأعمال الأدبية وتحدث عن سبب عدم كتابة نجيب محفوظ عن القرية المصرية وشغفه باللغة العربية وحرصه على كل لفظة يكتبها فهو على حد تعبيره "عاشق متيم صبابة باللغة العربية" .. كما أشار إلى ما ينبغى أن يفعله الأدباء الشبان أثناء الكتابة ، وعلاقته الحميمة بالأستاذ المحقق محمود شاكر .. وحدد مفهوم الفن وانه ينقسم الى فن الرسم وفن النحت وفن القول ولذلك فهو ينادى فى العصر الحديث

بضرورة حذف كلمة أدب وأن يستبدل بها كلمة "فن القول" . فليس هناك ادب فقط ، بل هناك فن وادب بمعنى "فن القول" وحينما نتتبع تاريخ القصة القصيرة نجدها قد اتت إلينا من "فن القول" ..

■ د . مصطفى ماهر : أحسست من خلال قراءاتي لكتاب "هذا الشعر" أن لك طريقة مميزة تحبب القارىء في الشعر خاصة المتنبي وابي فراس الحمداني ، وليس كل قارىء مهتما بهذا التراث الصعب . كيف استخدمت اللغة الشاعرة في قصصك ؟

●● يحيى حقي : أود أن تدعوني لكي أتحدث عن نفسي قليلا .. فسبب انجذابي الى القصة القصيرة ، انني اشترط أن يكون فيها نفس شعرى ، والآن دخلت فى قضية غريبة جدا .

أولا : يجب فى كل بحث أن نبدأ بكلمة "الفن" .

وجميع تجاربي الأدبية ، ليست ناتجة من قراءة كتب ، وإنما ناتجة من قراءات وتفاعلات ذاتية .

وفى ذهنى أن الفن نعمة كبيرة جدا من الله ، الفن نوع من الانجلاء البصرى والروحى ، ويحولك من بنى آدم يأكل ويشرب إلى كلمة بنى آدم حقيقية .

والفن فى نظرى هو الاتصال الروحى بالكون بالخالق بالجمال بكل ما فى الحياة من هذه الأشياء ، التي كانتا مولودون بشوق غريزى للوصول إليها .

هذا الفن بدأ يفهمه حتى الانسان ساكن الكهوف والذى رسم لنا على جدرانها بعض الرسومات وطوع بعض الأدوات واستخدمها فى الموسيقى والايقاع الموسيقى .

■ الهلال : إذن ماذا عن هذا الفن ، خاصة واننا نعلم أن لك رؤية خاصة للفن ؟

●● يحيى حقى : انقسم الفن الى فن الرسم وفن النحت وفن القول ، ولذلك فإننى أنادى فى العصر الحديث بأن تحذف كلمة أدب وتستبدل كلمة فن القول بها ، لأننى أود أن تكون كلمة فن بجانب أدب ، فليس هناك أدب وحده ، بل هناك فن ـ أدب أى فن القول ، وليس هناك قول ، بل هناك فن القول ، وحينما نكتب يكون هناك فن القول ، ولابد أن تكون فكرة الفن موجودة وحينما نتتبع تاريخ القصة القصيرة نجدها جاءت إلينا من فن القول وعلى الكاتب وهو يكتب أن يتمثل علما أسميه "الامتاع والمؤانسة" بمعنى امتاع ومؤانسة القارىء فى حدود الفن ..

هناك قضية هامة أريد أن أتوقف عندها قليلا ..

قلت ذات مرة لمحمد روميش وفؤاد دواره كنت أتمنى أن يلقى كتاب "هذا الشعر" باهتمام أكبر ، لأننى تحدثت فيه عن شاعر من أعظم الشعراء الذين نتصورهم فى الوجود ، انه شاعر مسلم عاش فى الهند ، ولم يذكره أحد فى مصر ، وبرغم أننى عرفت القارىء المصرى بهذا الشاعر ، فإننى لم أجد أثرا لما كتبت !

أيضا دراستى عن صلاح جاهين ، أعتقد أنها ألقت الضوء على الاهتمام باللغة العامية الفنية ، وتستحق الدراسة ، لقد نسيت ما كتبته عن صلاح جاهين ، لكن بعضهم قال : كأنك تنبأت بأنه سينتحر ولا أعلم هل هذا الأثر كان عندكم أم لا ..

وعلى ذكر هذا صدرت لى كتب مترجمة (فأنا مترجم أيضا) صدر منها فى دار المعارف (مسرحية دكتور كنوك) (مسرحية الطائر الأزرق) وستصدر (البلطة) (الأب الضليل) .

والترجمة مهمة جدا لأى كاتب ، لأننى حين أكتب أستطيع أن أهرب من موضع لا أجد كلمة تناسبه ، أما إذا ترجمت ، أقسمت أن أكون أمينا ، ولابد فى هذه الحالة أن أجد الكلمة التى أريدها .. وكان يقال عن بعض الأشخاص .. كان إذا ترجم .. ألف !

■ الهلال : أستاذ يحيى .. نود فى معرض الحديث عن نفسك ، أن تذكر لنا علاقتك بالأستاذ محمود شاكر . وتأثير بعض النقاد عليك ؟

●● يحيى حقى : الأستاذ شاكر بالطبع ليس ناقدا ، ولكنه عالم كبير ، والمباحث التى بحثتها فيما بينى وبين نفسى أن أقارن الأسلوب منذ بدأت أكتب ، وبينه وبين أسلوبى منذ عرفت محمود شاكر ومن مآثر محمود شاكر أننا قرأنا الشعر الجاهلى كله ، نصا وإلقاء وحفظا وحين كنت أكتب كان يبصرنى بثراء اللغة العربية ، ويبصرنى بشىء أسميه سليقة اللغة العربية ..

ولكى تصل إلى الموهبة ، ينبغى أن تكتسب سليقة ، ولكن حينما أقارن أسلوبى قبل أن عرفت محمود شاكر أجد أن بذرة المبادىء التى استندت إليها موجودة ، وهو ضرورة تحديد اللفظ فى مكانه ..

والخطوة الأولى هى البحث عن المواجهة الصحيحة للكلمة الصحيحة ، فلا تحذف كلمة ، ولا تجد كلمة تحل محلها ، وهذا الشرط التزمت به بدون ملقن وبدون درس ، وبدون الاطلاع على كتاب ، انما هو شىء غريزى فى النفس ، لعل أساسه رغبة احترامى للقارىء ويجب أن يشعر المؤلف الأدبى وهو يكتب بأن أمامه قارئا ينبغى أن يحترمه ويصدقه القول ..

وبرغم مشكلات اللغة فإننى دائما ألتزم بدقة اختيار اللفظ ووضعه فى مكانه . إننى عاشق متيم صبابة باللغة العربية ، فهى من أغنى لغات العالم وقواعدها بسيطة ومن الممكن أن نعرفها .

■ الهلال : لهذا كان اللقاء من أجل الاهتمام بهذه النقاط مع الأستاذ محمود شاكر .

●● يحيى حقى : لا .. أنا قابلته مصادفة .

■ ابراهيم أصلان : يعنى اختيار هذا اللفظ فى علاقته بتأكيد إيقاع معين أو صوت معين . إن لفظا أكثر دقة ولكنه أكثر تحقيقا لنبرة فى الحكى يريد الانسان أن يحققها .

●● يحيى حقى : أقول لكل الشبان الذين يؤلفون (حينما تكتب إغلق فمك ، وإياك أن تفتح فمك) العبرة فقط فى أن تضع لنا


د . مصطفى ماهر


فؤاد دوارة


محمد روميش

نصا منسابا كأنك تسير في طريق معبد ، وبصرك باللغة سوف يساعدك كثيرا على اجتياز كل الصعاب .

إن قواعد النحو والصرف ليست موضوعة للتصعيب ، أو لكلام نظرى ، إنها موضوعة لتوضيح النص وتبيانه .. الضمير الغائب يعود على أقرب اسم مثلا ، فإذا بعد الاسم تكررت ، وقواعد الأجرومية موضوعة لبيان هذا ، والجملة الثانية ينبغي أن تنبع من الجملة الأولى . أى تنبع نبعا حتميا .. الجملة الأولى تستدعى حتما أن تكون الجملة الثانية بهذا الشكل ، فهذا هو السياق الذى يعطيك الأسلوب المنساب ولذلك قلت إن أكبر مطمع لكاتب أن يقول له قارىء : "حين أقرؤك - لا أشعر أننى أقرأ" ، حيث لا تقف أو لا تتعثر لغتك في الطريق وهذا محتاج للعلم باللغة والاحساس الفنى ، وتعبيرك بالصور عن الخبر ..

إن آخر كلام قلته للشبان : عندنا طريقتان لرواية القصة القصيرة .

الطريقة الأولى : أنا كنت عندهم ، وجئت ووجدتهم بياكلوا ويشربوا ، وأبوهم يتشاجر مع زوجته .. الخ .

فتجد هنا (كان) هى الغالبة فى هذا النص .

(وأيام كنت أعمل فى "المجلة" كان الساعى الذى ينظف غرفتى يجد ٥٠ كان ملقاه فى الغرفة يمينا ويسارا) !!

والطريقة الثانية : يقول لك فيها (تعال نبص من خرم الباب على الجماعة الموجودين خلف الباب ، ولايدرون أننى أتلصص عليهم ، بيقولوا ايه) .

نجد أن الفعل هنا مضارع مباشرة ، والمضارع أقوى فى جذب انتباه القارىء وادعى للشعور بالحركة .

■ الهلال : لماذا اخترت أن تكتب فى صحف المساء والتعاون وغيرهما ولم تكتب فى الأهرام رغم دعوتك للكتابة فيه ولماذا نجد أعمالك المنشورة فى كتبك الآن قد نشرت فى صحف أقل انتشارا مثل التعاون والسياسى والمساء وهل هذا الاختيار كان من جانبك ؟

●● يحيى حقى : وبعد أن طلب من فؤاد دواره قراءة مقال بعنوان "شخصيات ومراحل عمالية" قال : مثل هذه الموضوعات كانت تعجبنى جدا .. "وأنا شايف أن الجرائد اليومية الكبرى كانت متقمعة شوية !" رفى حاجة الى موضوعات وإلى أسلوب آخر .

ولكى أجد حريتى التامة فى أن أكتب ما أريد أن أكتبه بدون التفكير فى أى شىء آخر ..

لقد فضلت أن أكتب لنفسى وأنشر فى أى جريدة !

■ **الهلال : بالنسبة للنقد كان هناك ما يمكن تسميته بالظاهر والباطن ، بمعنى أن النقد كأنه موجه للبيب ، بحيث تبدو المقالة وكأنها نوع من التقريظ ، وهو فى النهاية نوع من النقد اللاذع ..**

●● يحيى حقى : لكن يبقى السؤال .. هل قلت الحق !

حتى د. محمد مندور قال نقدا دبلوماسيا .

وأعترف بأننى الذى استعملت تعبير الهمس .. "الأدب المهموس" .

■ **الهلال : كلنا مهتمون بتجربتك فى مصلحة الفنون ، وبالتحديد مهتمون بكيفية أن تكون هناك وزارة أو حكومة تتولى مسئولية ثقافية ثم تتحول الى عملية اعلامية وبعيدة عن الثقافة . وما نعيشه الان هو أن وزارة الثقافة تقوم بمهمة اعلامية وليست ثقافية ، ما الذى يمكن عمله حتى لا يحدث هذا .. على ضوء تجربتك فى مصلحة الفنون من قبل ؟ ..**

●● يحيى حقى : أولا مصلحة الفنون كانت أول هيئة تختص بالفنون ، وكان اسمها غريبا جدا .. (مصلحة الفنون) ولم يكن أحد وقتها يعرف الفنون ..

وللأسف الشديد فإن الدولة ـ خصوصا فى النظام الشيوعى ـ تتدخل فى الفنون ، وهذا الاشتباك خطير جدا على الفنون ..

والفنون تحتاج الى حرية ، واذا اختلطت بالدولة ، فسوف تضيع وتدخل فى دعاية وسياسة !

وينبغى أن تكون الفنون بعيدة عن الدولة ، وأقصى ما يمكن أن تفعل الدولة أن تعطى جوائز .

ولا ينبغى أن تصنع الدولة فيلما أو

ابراهيم اصلان



يحيى حقى



مصطفى نبيل



مسرحية ، بل تترك ذلك للانتاج الفردى والحر ...

عموما هذه تجربة تحتاج الى حديث طويل جدا .

● المدرسة الحديثة مشروع قومي ●

■ **طرح الأديب محمد روميش ضرورة توافر الصدق الفني في داخل العمل وخارجه والا اصبح الاديب مزيفا ومزورا ، وعلق على ذلك د . مصطفى ماهر وقال القاص ابراهيم اصلان بان المسالة لا تتوقف على المادة والمعلومات التي من الممكن أن يجمعها الكاتب ، إنها تتوقف على استخدام هذه المعلومات ..**

يقول الأديب يحيى حقى : لاشك أن الدكتور محمد حسين هيكل كان متاثرا بالأدب الفرنسى ، وهناك ملامح ما بين وفاة زينب وماجدولين ومن أغرب الأشياء فى هذه الرواية أن البطل يختفى فى وسط الرواية .

وهيكل لم يكتب القصة القصيرة ! .. ولكن لماذا بدأت المدرسة الحديثة بالقصة القصيرة ؟

.. إننى أعتبر أن المدرسة الحديثة هامة جدا ، لأنها لم تكن مشروعا أدبيا ، بل كانت مشروعا قوميا فى أول الأمر ، خاصة بعد ثورة ١٩١٩ هذا الحدث الكبير أمام أكبر دولة فى العالم فى ذلك الوقت ، ليس بحثا فقط عن الاستقلال ، بل بحثا عن الذات .

نشأة المدرسة الحديثة كانت مشروعا قوميا ، وهو ضرورة أن يكون لنا ادبنا الخاص بنا ، وكانت القصة القصيرة هى الاختيار الأسهل ، لأن الرواية تحتاج الى وقت أطول ، وتكنيك اكبر .

من مظاهر هذا المشروع القومى إلتفات الأدباء في ذلك الوقت ، إلى رجل الشارع ، هذا الانسان الكادح الذى كان أساس رواياتهم ، وكتبوا ايضا عن الريف ، وخير مثال لذلك قصة محمود طاهر لاشين وهى بعنوان "فى القرية" وتعتبر من أجمل نماذج القصة القصيرة ، منذ كتبت حتى الان - فى وصفها قرية ، ونلمح فيها الرمز (الرجل الذى يوقد المصباح) ومعناه انه يأتى الينا بالعلم وبالنور .

كانت القصة القصيرة هى التى ترضى هذه النزعة السريعة الملحة على أن يكون لنا أدب قومى يعبر عنا ..

ومن ملاحظاتى أن العطف على هذا الرجل الكادح من خلال القصة القصيرة ، لم يمنع من أن الكتاب سبوه أشد السباب وهزاوا به ، وهذا دليل على المثل الفرنسى القائل "من أحب عرف كيف يعاقب !" .

وهذا الالتحام بين الشعور القومى وبين أى عمل اخر شرط للنجاح ونضرب مثلا بالأزهر كنظام تعليم .. لقد وجدنا عندنا نظامين تعليميين مختلفين ..

ولا جدال أن الأزهر كان مشروعا قوميا فى ذلك الوقت ، والشعب احتضن هذه المؤسسة واعتنى بها ، وكانت كل عائلة ترسل واحدا من أبنائها الى الأزهر ، وحين يعود بعد أن يستكمل تعليمه ، يصبح ذا مقام رفيع فى القرية .

وحينما نشأ النظام التعليمى الحديث ، فقدنا عنصر هذا الطابع القومى لأن المجتمع حقيقة يحتضن هذا النظام التعليمى ، واسوأ مظاهره الأخيرة احتضان الشهادة ، أى أن نظام التعليم

الحديث لدينا فقد الشعور بالانتماء للمؤسسة التعليمية .

وكان من أهم شخصيات المدرسة الحديثة احمد خيرى سعيد ، وكان شابا يدرس الطب ، ووصل حتى السنة الرابعة ، ثم ترك الدراسة واشتغل فى بعض المجلات ، وهو الذى أنشأ هذه المدرسة ، وعمل لنا صحيفة الفجر ، واشترى مطبعة يدوية تقوم بطبع هذه الجريدة واصدارها وبدأوا فى نشر بعض القصص ، وبدأت أنشر فيها قصصى ..

وهنا لا أتفق مع من قال إن أول قصة نشرت لى هى "فله ومشمش ولولو" ولا أظن أن هذا صحيح ، ولو رجعنا إلى الفجر فستجد قصصا أخرى نشرت قبل هذه القصة ويمكن القول بأن جماعة المدرسة الحديثة أرادت أن تقلد الأدب القصصى القصير فى أوربا ، وأنا هنا أحب استعمال تعبير محاذاة ومحاذاة بمعنى أنا سوف أمشى فى طريقى وأنت ماشى فى طريقك فنحن نمشى جنبا الى جنب ، وهنا فأنا لا أتلوك ، ولكننى أسايرك وهناك فرق كبير جدا بين الاثنين .. فهؤلاء الأدباء لم تكن لديهم فكرة التقليد ، وانما المحاذاة .

● بداية القصة والرواية فـــى الأزهـــــر ●

■ محمد روميش : ألم يكن هناك اختيار آخر يـاأستاذ يحيى لتطوير الحدوتة ؟

● يحيى حقى : لا .. لماذا ؟ .. لأننا بدأنا نتعلم اللغة الانجليزية من الصف الأول الابتدائى ، وكان مدرسونا من المصريين ، ولازالت أول جملة حفظناها Acat Sat on Amat أى (قطة جلست على الحصيرة) ومشينا نظن أننا نتحدث الانجليزية إلى أن دخلنا المدرسة الثانوية فوجدنا أنفسنا أمام مدرس انجليزى ، وأول درس القاه علينا المدرس لم نفهم منه كلمة واحدة ، لا نطقا ولا فهما ! ، لأن المصريين يتحدثون الانجليزية باللغة العربية ..

ولغاية الآن من التجارب الغريبة جدا ، حينما تحضر محاضرات يلقيها مصريون بلغة أجنبية ، وقارن بينها وبين ابن اللغة الأجنبية تستطيع أن تفهم من كلام المصريين !

الأدباء فى ذلك الوقت قرأوا الأدب الانجليزى وقرأوا الأدب الفرنسى أيضا ، ومن حسن الحظ انه كان عصر ازدهار النشر . كنا نشترى طبعات الكتب القيمة ومن بينها طبعة نلسون بخمسة قروش ، ولاشك أن الأدباء قرأوا الأدب الانجليزى وعرفوا كيف تكتب القصة ، وفى حقيقة الأمر يمكن الا يكونوا قد درسوا قواعد القصة أو شروطها .. أو عدم تدخل المؤلف ، لكنهم أخذوا أريجها وعطرها الفنى وكتبوه ، فهم لم يقلدوا ولكنهم سايروا فى الحقيقة .

ومن ملاحظاتى أننى أحببت أن تتبع الدراسات الأدبية هذه الظاهرة ، لبيان كيف تأثر هؤلاء الأدباء فعلا بالآداب الانجليزية المكتوبة باللغة الانجليزية .

إننى أتساءل متى بدأ فى دار العلوم والأزهر كتابة القصة والرواية .. سوف نجد انهم تأخروا ! .. .

ونحن نلاحظ بأنهم تأخروا لأنهم لم يقرأوا بالأدب الانجليزى ، وأحبوا أن

يستقوا مما نشر باللغة العربية ، وهذه تحتاج إلى مرحلة مرور وأعتقد أنه من الضرورى أن يقوم أحد الشبان الباحثين بعمل دراسة حول متى بدأت كتابة الرواية والقصة القصيرة فى الأزهر ودار العلوم ، ولماذا تأخرت ، ولماذا سبق "الأفندية" اذا كان هذا مشروع قومى ، ويدخل فى هذا البحث أيضا أسلوب "الأفندية" وأسلوب دار العلوم .

يعنى حينما نقارن أديبا مثل محمد عبدالحليم عبدالله ونجيب محفوظ ، نجد عبدالحليم عبدالله مغرما بالتشبيه فى أغلب رواياته ونصوصه وبشكل واضح جدا ، وهو لم يقتصر على الفكرة العربية فى التشبيه والتى وصلت فى سخافتها الى حد قولهم :

قوم جلسنا والماء من حولنا
كأننا قوم جلوس حولهم ماء

أو وجهها كالبدر ، وشفتاها كالكريز ، وهذا أبسط أنواع التشبيه ، ولكنه أمكنه أن يطور التشبيه بفضل احساسه الفنى أن يشبه شيئا ماديا بشىء معنوى كقوله كان مسكينا كعلبة سردين ملقاة فى القمامة !

والتشبيه فى نظرى هو الصفة ، اى نريد أن نحدد شيئا ، وحينما نصفه نحدده ، والتشبيه كأنك ترسم دائرتين متساويتين اذا انطبقت واحدة على الاخرى ، فلا يكون هناك تشبيه فى هذه الحالة وكأننا نقول (كأننا قوم جلوس حولنا ماء) ، أما اذا التحمت الدائرتان قليلا ، فسوف تتحدد مسافة تجمع بين الاثنين ، وتستقل بالذات ، وبالتالى فان مطلب التشبيه هو العثور على وجه الشبه بين شيئين غير مطابقين تماما ..

وفى مدارس النقد الحديث يكرهون التشبيه جدا لأنه من المحسنات اللفظية .. وحينما قرأت وترجمت رواية "طونيو كروجر" اندهشت جدا لأن البطل فى كل موضع يذهب اليه يقول - على سبيل المثال - ترابيزة خشبية منقرة لها ثلاثة أرجل ، واحدة منها انكسرت فكل اسم متبوع بأربع صفات وهذا شىء غريب جدا ، ولقد انتقدته ، ثم ادركت أن البطل فى هذه الرواية شاب ، كان قد غاب عن بلده ، ورجع بعد هذا الغياب ، فكأنه مستغرب كل شىء ويود أن يعرف الحقيقة ، فاضطر الى استعمال أدوات تعبيرية من التشبيه والوصف ..

وأنا هنا أحذر الكتّاب الناشئين من أن ينجذبوا فى المبالغة فى التشبيه ، واستخدامه فى الأسلوب ، علما بأن التعبير المباشر يكون أفضل .

وأنا شخصيا استخدمت الكثير من التشبيه واحبه واكتبه .

■ محمد روميس : **سيادتك قلت أن المدرسة الحديثة كانت مشروعا قوميا ، وقلت إنه كان أمامها خيار أن تأخذ الحدوتة وتطورها ، علما بأنها قد أخذت القصة الحديثة الوافدة أساسا من أوربا .. يخيل إلي أن هذا كان موقفا من الحضارة الغربية ، بالرغم من اننا كنا قد انتهينا من ثورة ١٩١٩ ، التى كانت أساسا ضد انجلترا ، وبالتالى - جزئيا - ضد الحضارة الغربية .. لكنكم أخذتم القصة القصيرة من الحضارة الغربية .**

●● يحيى حقى : طبعا .. لقد كان لهؤلاء

الكتاب احترام كبير .. كان اسم "تولستوى" وغيره فقد ساعدنا ، وكنا شديدى الانبهار بأدبهم ونتمنى أن نصل الى هذه الدرجة من التعبير الفنى .

الان جاءت إلى فكرة ... جماعة المدرسة الحديثة تأثرت بالأدب الروسى ، وأنا واحد منهم ..

مثلا .. دور "المومس" فى الأدب المصرى الحديث نابع من "سونيا" فى رواية "كرايمرنشون" التى قرأناها واندهشنا جدا ، كيف تصبح بطلة الرواية "مومس" .

ومنذ هذا الوقت بدأ ادخال "المومس" فى الرواية المصرية الحديثة خاصة بعد اطلاعنا على الآداب الروسية ..

وهنا أحب ان يتم عمل دراسة عن دور "المومس" فى روايات نجيب محفوظ .. وكيف استخدمها ..

المصيبة أن يقال بأن "المومس" فى أعمال نجيب محفوظ هى مصر ، مثل رواية "ميرامار" .. إننى حزين جدا ومندهش لهذا القول !!

■ فؤاد دواره : المدرسة الحديثة وغيرها بعد ثورة ١٩١٩ ، لم يأخذا شكل القصة القصيرة فقط ، بل اخذا شكل الحضارة الغربية فى كل شيء فعلى سبيل المثال انشا طلعت حرب بنك مصر على النظام الأوربى ولم يكن هناك رفض لهذه الحضارة المتقدمة . فقط نحن نرفض الاستعمار والاحتلال ، لكن لا نرفض الأشكال الادبية والفنية ، على سبيل المثال فإن المثال مختار الذى بعث الحضارة والنحت المصرى القديم درسه فى فرنسا وتاثر بالفنان "رودان" .

إذن التاثر بالحضارة الغربية ليس سبة ، فالمهم أن نكتب قصة جيدة مصرية فى ذلك الوقت ، ولذلك كنا نجد إلى فترة قريبة "قصة مصرية" ، صحيح انها تاخذ الشكل الأوربى ، ولكن ذلك تاكيد على معنى المصرية والمضمون المصرى .

■ محمد روميش : رغم قولك بان المدرسة الحديثة مشروع قومى وهذه صفة هامة جدا ، إلا انها لم تجد تعارضا بين ان تقوم بمشروع قومى ، وبين ان تاخذ من الحضارة الغربية ، وهذا رد على التيار المعاصر والذى يرفض الأخذ من الحضارة الغربية .

●● يحيى حقى : بدأ الحذر من أن نقلد الغرب .. فى الوقت نفسه بدا فى ضميرنا شيء من الشعور بأن نستقل بذاتنا ، علما بأننا لا نقلد إنما نحاذى .. فأنا أسير فى طريقى ، لكن لا أدخل فى سكتك لازم أنبع من الطريق الذى أسير فيه .

■ د . مصطفى ماهر : لكن تولد لدى احساس بانكم وانتم سائرون فى هذا المشروع القومى ، انكم تصدرون عن فلسفة ثقافية ، هذه فلسفة تؤمن بوحدة الثقافة العالمية ، ولم



الاديب يحيى حقى بين أصدقائه الذين حرصوا أن يكونوا من محاوريه في ندوة الهلال

تكونوا تتحدثون عن الثقافة الغربية ، وإنما كنتم تتكلمون عن ثقافات الأمم الأخرى ، من حيث ضرورة التفاعل بيننا وبينهم ، وبينهم وبيننا ، ولهذا كنتم تهتمون ـ مثلا ـ بالنموذج الروسى ، وهذا النموذج لا علاقة مباشرة به بالنموذج الغربى ، خاصة إذا أردنا أن نتحدث عن مفهوم أن نستعمر من ثقافة الغرب ، ويبدو أن استخدام مفهوم الغزو الثقافى والاستعمار الثقافى استخدام خاطىء تماما .. وماذا كانت وجهة نظركم فى ذلك الأمر ؟ ..

●● يحيى حقى : لقد كنا منبهرين بالحضارة الغربية ، وكنا متجهين إلى أوربا فنحن أقرب إلى فرنسا وانجلترا منا الى أمريكا .

■ فؤاد دواره : وعرضتم الأدب الروسى عن طريق اللغة الانجليزية ، والأدب الروسى نفسه متأثر بفرنسا .

■ د . مصطفى ماهر : لكننى اقصد انهم كانوا يدركون أن هذا الموضوع اتصال بالثقافة العالمية ، وليس اتصالا بثقافة الغرب بالضرورة .

ننشر فى العدد القادم الجزء الثانى والأخير من ندوة اديبنا الكبير يحيى حقى

أقصوصة

بقلم

عبد الحكيم قاسم

صانع القهوة



وأنا اشتريت لنفسي لفة فيها شطيرتان ، وانتحيت جانبا ، آكل ، أستطعم الجبن بالزبد ، شدني وجه الفتى المكلف بصنع القهوة هنا،واقف قدام الموقد ، كلما فرغ من صنع كوب ناوله لمنتظره ، أو نادى على الجالس يرقب ٠ الـوله للفتى ، وعيناى على الجندى الذى يخدم في المقهى ، أتطلع أرى استياءه وقهره ، وكآبة ملامحه تستر ثوران داخله ٠

تذكرت عمي وابن عمي اللذين قضيا خدمتهما العسكرية ، وكان وقتهما رديئا ، يأتيان بالتضرر والمواجع والشكوى ، ويرحلان رجوعا بالمدامع ٠ هذان، وكل من جرب الجهادية، قبلهما أو بعدهما ٠ حكاياتهم حفظت وبقيت سحبا داكنة على الجبين وفي العينين ٠ نعم ٠ تذكرت، مريرة الذكرى، الا ان الجبن بالزبد في شطيرتي بقي ملذا٠

جاء رجل عجوز يلبس منامة مخططة ، وفوقها معطف منزلي من الصوف المربعات جلس الى جماعة كانوا في انتظاره ٠ حيوه قائلين: « يا سيادة اللواء ٠٠٠ يا باشا ٠٠!! » والرجل

العجوز سره أن تجهلت رتبته رغم ملابسه. قال محدثا الجماعة المحيطة به : « ان الجراحة التى أجريت لى نجحت، الحمد لله ، ساخرج بعد خمسة أيام .. آه .. ! » ثم كلم الجند الفتى المشغول بالمشروبات الساخنة للافطار . كلمه دون ان يستدير له . قال يسال: «عندك كوكاكولا ؟» وهذا اقتم لون وجهه مسترا على الفل الذى يبين فى عصاب يديه . قال ردا على العجوز اللواء : « لا ! » وانا قلقت . تابعت رسوم الشاعر على ملامح الوجهين ، لكنى بقيت امضغ لقيماتى من شطيرتى حسنة المذاق .

تكلم اللواء العجوز يكاد يصيح ، وزراعاه طائران ، قال : « اخ .. طيب .. عندك شاى ؟ الان اتنى بكوب يا ولد ! » والولد صنع الشاى ، وملا الكوب ، ثم ازاحة على طرف الطاولة التى يقف قدامها . تفكرت ، هل يقوم اللواء يتناول شايه ؟! وقفت اللقمة فى فمى . تأملت وجه الجند المكلف بصنع القهوة ، يحسن به أن يكون فى قريته الان . حتى قام واحد من الجماعة المحيطة بالضابط ، وجاءه بشايه . وبدأ يرشف من كوبه بعدأت أمضغ . ان الجبن بالزبد وحسن الصنعة غريبة على قريتنا .

أمضغ خبزى وأنا اتطلع الى وجه الفتى ، برهقه كتمان تغير خاطره ، ويستر الانفعالات عجبت . اذا أقبل ضابطان طبيبان على وجهيهما سهر الليل ومشقة الخدمة . جلسا فى ركن بعيد ، بذلك لم أسمع حديثهما ، لكن عيونهما ذابلة فى دوائر رمادية . ميزت نداءهما على القهوة فى صلف مرفق ، والاجابة صمت مكتوم ، وانا تنبهت .

صنع القهوة بالعناية الواجبة ، وبانصراف الرغبة فى فنجالين . نظر لهما ، وراقاه ، نادى على الضابطين الطبيبين: « القهوة ! » ، وجاءه ردهما حاسما باترا : « احملها لنا هنا .. » وصفق أحدهما الاتربيزة التى يجلس اليها بفرشة كفه .

وانا فقدت كلية الرغبة فى الاكل . بقيت منى شطيرة ، أعدت لفها فى ورقتها ، وأحكمت اللفة أراقب الذل الذى يلا آخر على وجه الفتى الموكول بالخدمة مر بى حاملا الفنجالين . وضعهما حيث صفق الضابط الطبيب أمامه بفرشة كفه ، ثم يمر بى متدلى الذراعين ساقط الرأس كسير النظرة ، الى حيث يقف قدام الموقد .

وانا قمت له ، وقفت قدامه حيث يقف الذين لهم رغائب فى مشروب سخن . ابتسمت له ، كدت اضحك له من فرط أساى . طلبت شايا وبقيت حتى أخذت كوبى وعدت لكانى ارشف مشروبى . افكر فى الشطيرة ، هل احملها معى اذا انصرفت ؟

الضابطان الطبيبان قاما ومضيا ، الفتى الجند أسرع الى حيث كانا ، متلفتا متحفزا ، صحت فى نفسى: « انهما انصرفا .. ! » لكنه أخذ الفنجالين وعاد . مر بى ، لما وازنى استوقفته ، قلت له: « هل لك فى شطيرة .. ؟ » اختطفها منى ، ولم يروح بها والقاها فى سلة القمامة . صعب على أمر الشطيرة . أنها لقمة مبروكة نسمة ، والواحد لا يلقى بالنعمة فى القمامة . حرام . لكن هذا فداء غضبة الفتى . الان يسامحنا الله .

الحسين فوزى



قوبل فوز الفنان الكبير « الحسين فوزى » بجائزة الدولة التقديرية بارتياح شديد بين الفنانين .. لا يخلو من شائبة حزن ! .. فها هو يحصل عليها فى سن الرابعة والثمانين . لا يكاد يقوى على الحركة .. ورغم ذلك يداوم على زيارة المعارض الهامة ، حريصا على نثر كلمات التشجيع ، وعندما يستأنس بانسان فانه يشكو له عما تبدد من ممتلكات فنية ، بعد ان اضطر الى التخلى عن بيته الكبير الانيق .. الذى كان يتسع لانتاجه الغزير فى مجال الرسم ، والحفر ، والتصوير .. بمساحاته المختلفة التى يزيد بعضها على الامتار الثلاثة ..اما الان فلم يبق من تراثه المحفوظ الا القليل الذى يمتلكه ، او تملكه بعض متاحفنا . اخشى ان اقول ان الجائزة جاءت متأخرة جدا ، وبدت اقرب الى تحية وداع !

اذكر انني عندما كنت طالبا صغيرا .. كنت اتابع مبهورا رسومه الملونة على اغلفة مجلة « على بابا » واعترف بان تلك الرسوم كانت احد حوافزى الى الالتحاق بكلية الفنون الجميلة ، وكان « الحسين فوزى » استاذا بها، بعد عودته من بعثته الى فرنسا عام ١٩٣٤ ، واسس اول قسم لفن «الحفر» وتخرج على يديه فنانون مرموقون الان ، واحتل بعضهم مواقع مؤثرة فى صناعة « القرار » .

ارتبط فن « الحفر » بانتشار وذيوع الاصل الفنى عبر قنوات الاستنساخ: الصحافة / المطبعة ـ التليفزيون الان. وكان انتشار الرسم الصحفى، والمحفور الفنى المطبوع فى الصحافة .. واسعا، ومؤثرا ليس فقط على المتلقين بل على المبدعين انفسهم . وكان « الحسين فوزى » من القليلين الذين وفقوا الى اسلوب فنى يحتفى بتسجيل الواقع المرئى بقدر احتفائه بالتعبير الحار الذى يحفل بالحركة ، متخذا من الانسان وعالمه اليومى موضوعا حميما ، لا يكاد يفارقه الا فى مرحلة اخيرة عندما اتجه الى شكل من اشكال التجريد .

كانت رسومه فى جريدة «الاهرام» فى الستينات ـ المصاحبة لرواية كاتبنا العالمى « نجيب محفوظ » : اولاد حارتنا ـ مفاجئة لمتابع الجريدة بمستواها الرفيع .. وهو المستوى الذى افتقدته الجريدة حتى الان . وكشفت تلك الرسوم عن اعجاب « الحسين فوزى » بفنان عصر النهضة العظيم « مايكل انجلو » ، فاحتفل مثله بالامكانات التعبيرية للجسد الانسانى ، وخاصة الاطراف، والوجه .. وكان ينبه على طلبته بمتابعة تلك الرسوم وتامل تعبيرات الايدى ، وفى رأيه ان من لا يعرف لغة الايدى لا يكون قادرا على رسمها من كل

يفوز أخيرا



الزوايا لا يكون رساما حقيقيا ، وهو بالفعل ـ رغم انى لا أحب الفعل التفضيل ـ ابرع من رسم الايدى والاصابع وتمكن عن كشف لغتها · تامل ما شئت من رسوم معظم رسامينا فى الصحافة فلن تجد الا هروبا فى هروب فى هروب ! ·

ان المتابع لانتاج « الحسين فوزى » عبر مراحله المختلفة ، ومجالات ابداعه المتنوعة ، واساليبه المتعددة ، يكتشف ملامح جوهرية ثابتة · تفصح عن منبع الفنان وانتمائه الرئيسى : القصد الفن المصرى القديم · ان رسومه الصحفية ومحفوراته غير الصحفية ، ورسومه الزيتية ـ على السواء ـ موسومة بالصلابة والاقتصاد ·· حتى فى اعماله التى تنحاز انحيازا لا لبس فيه الى الاسلوب « الاكاديمى » (وهو اسلوب يتسم كما نعلم بالحيادية) نرى فيها الصلابة والاقتصاد ·· ففى لوحة « الدلالة » ـ على سبيل المثال ـ (واللوحة موجودة الآن بمكتب عميد كلية الفنون الجميلة بالقاهرة) كل مبررات الثرثرة « الاكاديمية » ·· من ثياب من كل نوع ·· الى امرأتين سمينتين ، الى عناصر « اكسسوارية » تكمل المشهد ، ولو اتيحت تلك العناصر لفنان مثل « فيرمير » لاغرقنا فى تفصيلات لا حد لها لكنها بين يدى الفنان المصرى « الحسين فوزى » عكست انتخابا فرعونيا ! ·· فقد اقتصد كثيرا فى تفاصيل الثياب ، واختزل من ترهل « النموذجين » ـ فى الواقع ـ فاكسب جسديهما شيئا من الرشاقة والتماسك ·· وزاد من تماسكها احتفائه بالخطوط المؤطرة لهما ـ او بمعنى ادق ـ لكل العناصر · وتتصاعد درجة الصلابة ، لدرجة الاقتراب الشديد من عالم النحت ، فى محفوراته على « اللاينو » ـ وهو نوع من المشمع ـ ففيها الاقتصاد واسقاط التفاصيل الوصفية التقريرية للنموذج · مكتفيا بالقيمة الملمسية التى استولدها من الخامة · وبالنسبة لى فقد تمنيت ان اشاهد محفوراته تلك منحوتات مكبرة · ان حياة هذا الفنان الحافلة بالابداع وتدريس الفن لا يتسع لها هذا المجال المحدود ، واذا جاز لنا ان نستخلص فى تلك العجالة حكمة ما ·· فيمكن القول بان تامل رحلته يكشف عن حرص على ان يكون فنه : شكلا ومضمونا ·· فنا مصريا يخاطب الجماهير العريضة دون ان يسقط فى ابتذال المالاة ، ودون ان يفقد القدرة على التطور ، والحوار مع انجازات الفن الحديث ، واتسم فنه ـ كما قلت ـ بالايجاز الفرعونى ـ رغم ما يتبدى احيانا من حرص على التفاصيل ـ وهو ايجاز بليغ ، تطور الى ان صار تطبيقا لقول النفرى : « اذا اتسعت الرؤية ضاقت العبارة » !



محمـــود بقشيش

مع ثلاثة أجيال من الفنانين

لاتزال المعارض تتلاحق ، رغم ان الموسم التشكيلى بالقاهرة يوشك على الانتهاء ، ولاتزال بعض المعارض تقدم المثير . الجدير بالتأمل .. والاختلاف ! .. من بين ذلك الحشد الكبير اخترت ثلاثة معارض لثلاثة اجيال من الفنانين .. منهم من رسخت اقدامه ، ومنهم من يسير فى طريق النضوج ، ومنهم من لايزال يتلمس بدايات الطريق ! ..

والفنانون هم : الفنان . الشاعر الناقد .. «احمد مرسى» ، المقيم حاليا بالولايات المتحدة ، والفنان «محمود ابو العزم» الذى يعمل استاذا بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة ، والطبيب الشاب الذى وقع فى هوى الفن «خالد حافظ» ... اما أهم المعارض الجماعية ، على الاطلاق ، فكان مهرجان شباب التشكيليين الذى اقيم بقاعة النيل .. ويستحق منا ان نخصص له كل مساحة العدد القادم من «جولة المعارض» .

● الفارس المجهول !

اقام الفنان «أحمد مرسى» معرضا بمجمع الفنون بالزمالك ، ضم منتخبات من مراحل مختلفة ، وهو اول معرض له فى القاهرة منذ اكثر من عشر سنوات ، أمضاها فى الولايات المتحدة ولا يزال يقيم بها ، وكنت قد شاهدت آخر معرض له قبل السفر عام ١٩٦٩ ، بالاضافة إلى أعمال متفرقة ، كما شاهدت له معظم رسومه الصحفية .. وعندما التقيت بلوحات معرضه أصبت بدهشة ، والسبب ان كل شىء ظل كآخر عهدنا به . لم يتغير شىء فى موقفه الجمالى والتعبيرى (أو ما يصفه



الإنسان والحصان (لوحة للفنان أحمد مرسى)

بعض النقاد بتعبير «الرؤية») ولم ينحرف عن أسلوبه الرمزى ، ومفردتاه الرئيسيتان (كانتا ولا تزالان) : الانسان ، والحصان ، بالاضافة الى مفردات طارئة كالقوقعة ، والساعة ، والكأس ، والتاج . وكما تتراوح رموزه بين الذاتية والموضوعية ، فكذلك تبدو

ملامح انسانه ، وحصانه .. فهى تنتمى الى مبدع بعينه ، بقدر ما تنتمى الى أصول فى التراث القديم والمعاصر ؛ الفرعونى والاوربى وهى ملامح ثابتة . تنوب عن توقيع الفنان .. لو شاء ! إنسانه نحيل . ورقى . لا حول له . ذو بعدين . يشترك مع وجه الحصان



فى ثبات الحزن ، وسعة العيون ، وتثليث الوجه .. وإن جاء مثلث وجه الانسان أكثر صراحة وحدة . وانحيازا لهذا الشكل الهندسى الصارم ضحى برأس الانسان وجبهته .. وما تركه لنا لا يسمح لنا إلا بالحيرة ! .. ولا ندرى إن كانت تلك الوجوه أقنعة أم وجوها .. وهو عندما يستعير رموزا أو رسوما شعبية فهو يضعها فى مفارقات تؤيد سياق الحزن والأسى .. ومثل كل الرمزين يضعنا فى نوع من الحياد «البريختى» ـ إن صح التعبير ـ وعلينا أن نعيد تشكيل وحدات اللوحات بحيث نعيد لها دفقها التعبيرى . الانفعالى . ففى لوحة «الفارس» ـ على سبيل المثال ـ وهو عنوان افتراضى ـ تستدعى إلى الذاكرة المشابهات فى اللغة . أن اللوحة لا تتسع الا الى وجه الفارس . القناعى . مزين الصدر بالاسد الشعبى . وفى الجانب الآخر من اللوحة يظهر شبيهه ؛ الفرس ! .. الفارس بالألوان الساخنة ، والفرس ، والمساحة الفاصلة بينهما ، والأسد المرسوم .. بالالوان الباردة .. إن تجاور الاشكال ، والميل إلى التنظيم الشطرنجى للعناصر ، والانصراف ـ بالضرورة ـ عن التفاعل الدينامى بينهما ، رجحت كفة الطابع السكونى للوحات ، رغم الألوان الصريحة . الصارخة . والمساحات الضخمة . واللمسات المتدفقة . وإذا كان هذا هو الجانب الشخصى أو الذاتى فى شخوصه وكائناته الرمزية ، فإن الصلة بينها وبين الرسوم المصرية القديمة ـ كما أشرت من قبل ـ لا تخطئها العين ، بالاضافة إلى ما يبدو فى أعماله من إعجاب شخصى ببيكاسو !

● احلام مصرية فى معرض «محمود أبو العزم»

منذ دعا «محمود مختار» ـ الأب الروحى للحركة التشكيلية المصرية ـ بالفعل والقول إلى ضرورة إبداع فن يكتسب تفرده من استلهام الارث الفرعونى ، دون إغفال للارث الأوربى . قديمه وحديثه ، مع التحذير من السقوط فى توفيقية متعسفة .. منذ دعا «مختار» إلى ذلك ولا تزال الشعلة مشتعلة ، وإن تنوعت .. فلم تكتف الاجيال اللاحقة «بالفرعونية» بل تجاوزتها إلى «القبطية» و «الاسلامية» ، تستلهمها منفردة أو مجتمعة . واختلفت درجات الاستلهام ، والتوفيق ، والجدل ، مما أفضى إلى تنوع واختلاف فى المواقف الجمالية والتعبيرية ، وشكل كل هذا إطارا واسعا يمكن وصفه بأنه مدرسة مصرية . وتكشف كل معارض الفنان «محمود أبو العزم» عن انتماء الى هذه المدرسة ، كما يكشف كل معرض

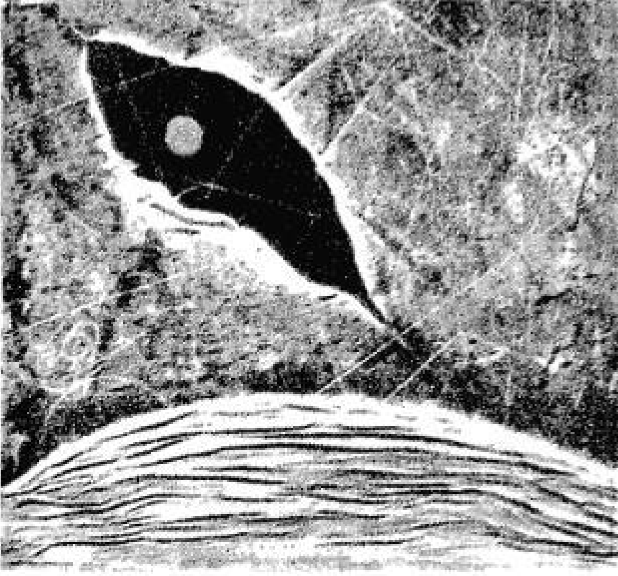


من نماذج أعمال الفنان محمود ابوالعزم

له عن درجة من درجات التجويد ، واعتقد - كمتابع للوحات هذا الفنان (منذ كان طالبا فى الفنون الجميلة إلى أن صار استاذا بها) انه بلغ بمعرضه الأخير درجة من التجويد لم يبلغها فى معارضه السابقة ، سواء فى الحبكة التصميمية ، واللونية ، أو تماسك الرؤية ، إن المتابع للوحاته يكتشف تعلق الفنان بمفردات بعينها ابرزها عنصر «الانسان» وإنسانه خاص جدا ، لاتكاد تراه حتى تجد أنك لست فى حاجة إلى قراءة توقيعه . يرتدى جلبابا بسيطا . أبيض فى أغلب الأحيان . بلا فم . بلا اذن . يجلس أو يقف ساكتا .

لا تغير من هيئته لحظات المسرات أو الأحزان . ونكتشف .. عند التوغل فى عالمه الذى يلبس قناع الرمز والحلم .. إن تلك الأفواه لا ضرورة لها لمن يريد للتخاطب والتراسل أن يكون باطنيا . إن مفردة أو وحدة الانسان تكشف .. ببساطتها ، وشفافية كتلها ، ووضوح خطوطها الخارجية ، ووجوهها الاستبطانية عن انتماء صريح الى التراث الفرعوني ، بينما تشى تصميمات لوحاته عن «ميل» إلى المذهب السيريالى ، وأقول «ميل» لا "انحياز" ، فثمة كوابح اخلاقية تحول دون جموح الخيال ، واقتحام المحرمات ، وتقف بالفنان المصرى بشكل عام ، وبمحمود أبو العزم ، بشكل خاص ، عند حدود التعبير المؤدب ! .. لهذا رجحت عنده كفة الاستعارة «الرمزية» الباردة بطبيعتها - على الجموح «السيريالى» ، واتسقت مع ميله الى التنظيم الهندسى ، يشكل به حركة شخوص العرض المسرحى ، وكان تحريكه ذكيا .. فى معظم الأحوال !

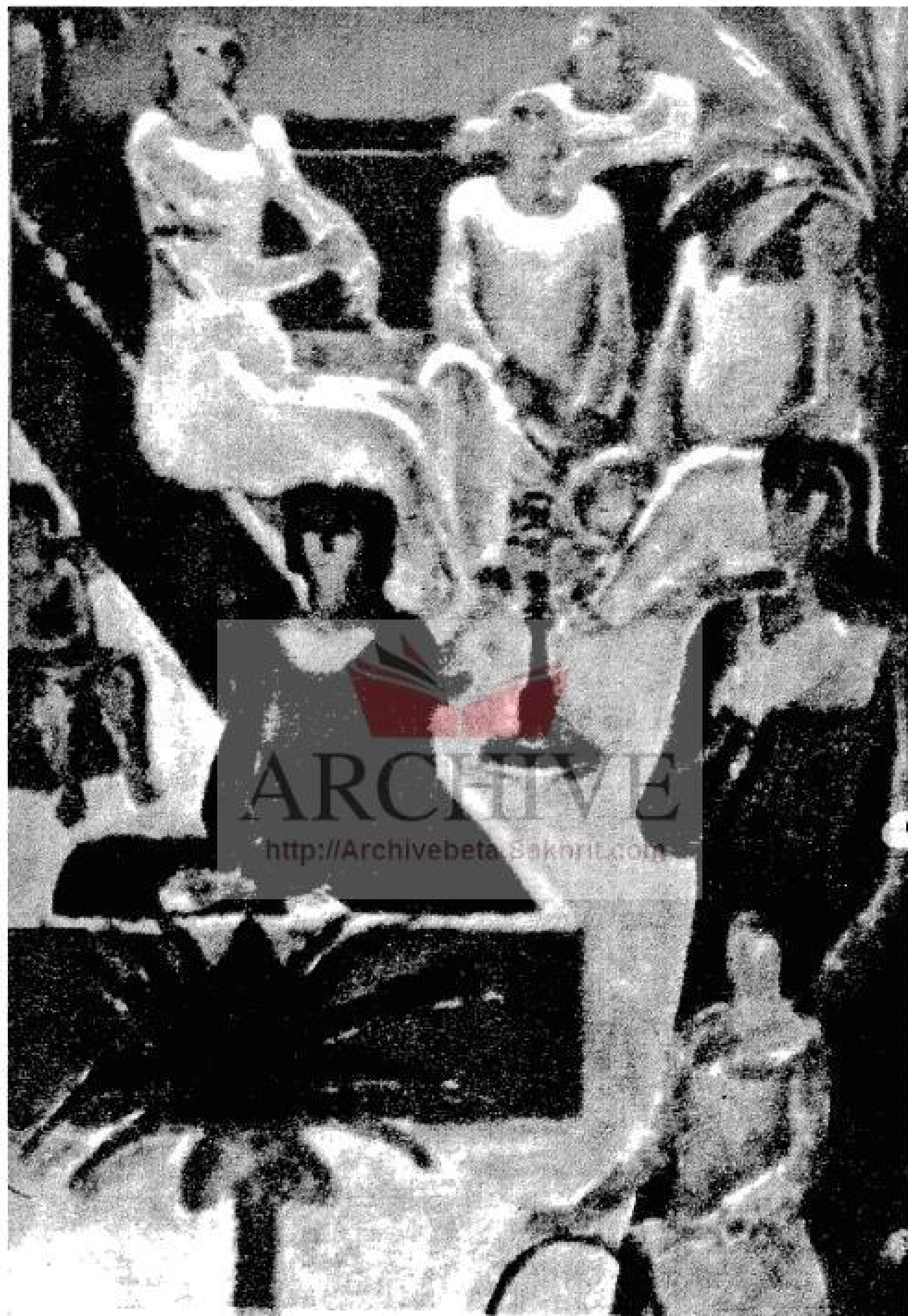




لوحتان للفنان
خالد حافظ



لوحة للفنان محمود ابو العزم





● مولد فنان !

اقيم بالقاعة التجريبية ، الملحقة بقاعة النيل ، معرض للطبيب الشاب «خالد حافظ» . قدمه للساحة التشكيلية الفنان الكبير «أحمد نوار» . وباللقاء معه اعترف لى بأن الطب لم يكن هدفه الاول بل الفن ، غير أن لوائح مكتب التنسيق حالت دون ذلك ، فكان عليه أن يلتحق بكلية الطب .. وينضم إلى فيالق «فنانى الأحد» ، وهم الغالبية العظمى من الفنانين المصريين ، فالتفرغ الكلى للفن فى مصر غير معترف به حتى الآن ، والمتاح هو بعض المسكنات السنوية التى تمنحها وزارة الثقافة لعدد محدود من الفنانين المتميزين .

توضح محاولات «خالد حافظ» فى إطار «العرض الفنى الشامل» ، الذى يجمع بين وسائط مختلفة ، يربطها «موضوع» واحد ، ولابد أن تنتظمها ، بالضرورة ، وحدة تربط هذا الشتات .. وهو شكل فنى لا يعترف بالفواصل القائمة بين المجالات التقليدية للابداع التشكيلى . وأحب الآن أن اشرك القارىء فى لحظات لقائى الأولى بهذا العرض ، وهى لحظات أنشد فيها المتعة الخالصة ، تاركا ـ قدر الطاقة ـ كل عوائق المصطلحات ، وكل ما يعكر صفو اللقاء الأول . كان انطباع الوهلة الأولى .. اننى أمام محاولات يريد لها صاحبها أن تشارك تمردات الاتجاه الرامى إلى تجاوز حدود سكونية ، وثبات اللوحة المؤطرة .. ولم يكتف بالخروج على إطار اللوحة ، بل نشر فوق أرضية القاعة حبالا ثعبانية التكوين ، تشتبك مع أقدام الزائرين ، وكأنه يريد الامساك بزائره من رأسه حتى قدميه ! .. أما الفكرة الخاطفة الثانية التى برقت فى ذهنى .. هى أنه يريد أن يقول كل شىء دفعة واحدة . يجمع بين شتات لا يجتمع إلا بدرجة كبيرة من البراعة .. وهو مالم يكشف عنه التنفيذ . «حاول» أن يقيم جسورا بين الثابت المستديم فى إطار اللوحة ، والعارض الوقتى فى شكل «الحبال» الملقاة هنا وهناك .. وهى ـ فى تقديرى ـ زيادات لا ضرورة لها ، وعبء على اللوحة ، ولعله أدرك ذلك .. فأعفى بعض لوحاته من هذا العبء .. لهذا سأكتفى بالحديث عن لوحاته التى احتفلت بالقيمة الملمسية ، وتكشف عن تأثر واضح بالفنان السكندرى «عبدالسلام عيد» ، كما ذكرتنى طريقة إمطار اللوحات برذاذ الوان«الأكليريك» ، وفوضى الخطوط العشوائية بالفنان الأمريكى «جاكسون بولوك» ، وقد لاحظ الفنان «نوار» فى خطوطه الهندسية ـ المعترضة . بعض المشابهة مع العلامات التى تحدد مواضع العمليات الجراحية ، ويتحدث

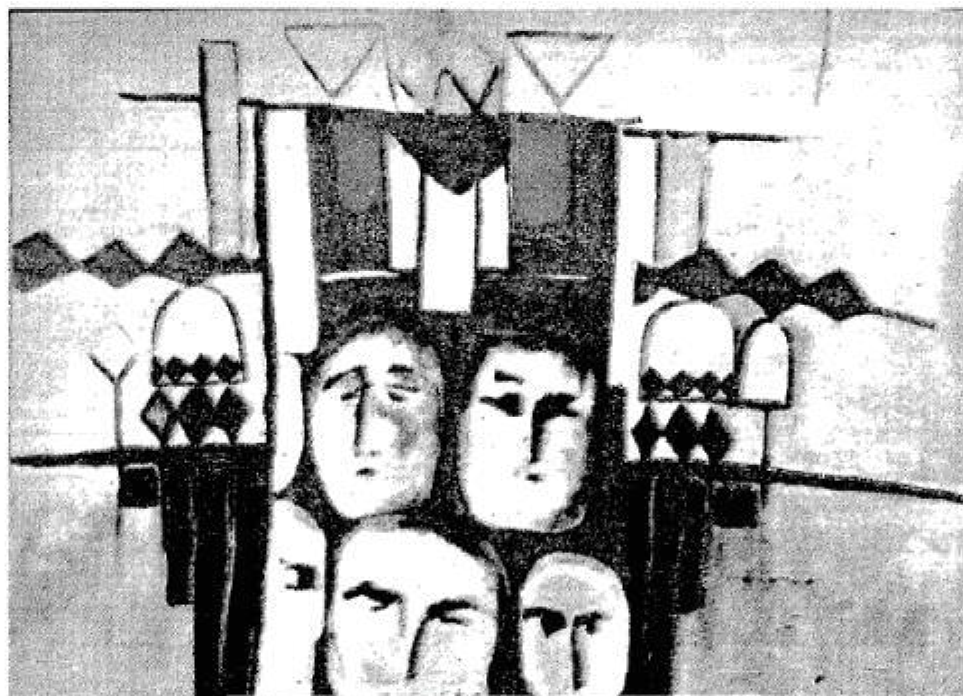
«خالد حافظ» عن تلك العشوائية فى مقدمته (بضمير الغائب) .

(مازالت تبهره الحوائط التى تعج بالالوان المتناثرة . المتنافرة . الوقحة) ولاحظ الفنان «رمزى مصطفى» علاقة بين كونه طبيبا للأمراض الجلدية وبين مظاهر تلك الأمراض على السطح الملون ! .. ومن الطبيعى أن يتأثر كل فنان بمن سبقه ، فلم يولد أحد من فراغ ، إنما عليه أن يقدم إضافته أو يرضى بظلال التقليد . فليس المهم أن أشارك بعض الآخرين تمردهم على اللوحة المؤطرة ، ولكن المهم أن اجد مبررا تعبيريا وجماليا يحتم هذا مع طبيعة تجربتى أو أسلوبى الشخصى ، وهو مالم أجده فى معرض فناننا الشاب ، كان خروجه على إطار اللوحة مجرد زيادة طفيلية ـ كما أشرت من قبل ـ على أننى عندما جلست أتأمل اللوحات وجدت أنه كان لديه الفرصة للامساك بحوارية شعرية . رمزية أهدرها بقلق الرغبة فى الامساك بكل المتناقضات : فالوسيط الذى استخدمه كان نوعا واحدا من القماش ـ أو بلغة الشكل ـ نوعا واحدا من الملامس ، غير أنه تعامل مع تلك الخامة على المسطح التصويرى تعاملا متقابلا ومقبولا ، بأن ألصق قطعة من القماش على اللوحات لاخفاء جزء من المسطح الملون ، ومزق قطعة أخرى ، وكان من الممكن أن يكون بين « الاخفاء » « والاظهار » حوار لم يحدث للأسف ، فلم يغط القماش شيئا ذا بال ، ولم يكشف عند تمزيقه جديدا ، ينعش الفضول .. وهو ما اتمنى أن ألتقى به فى معرض مقبل له .

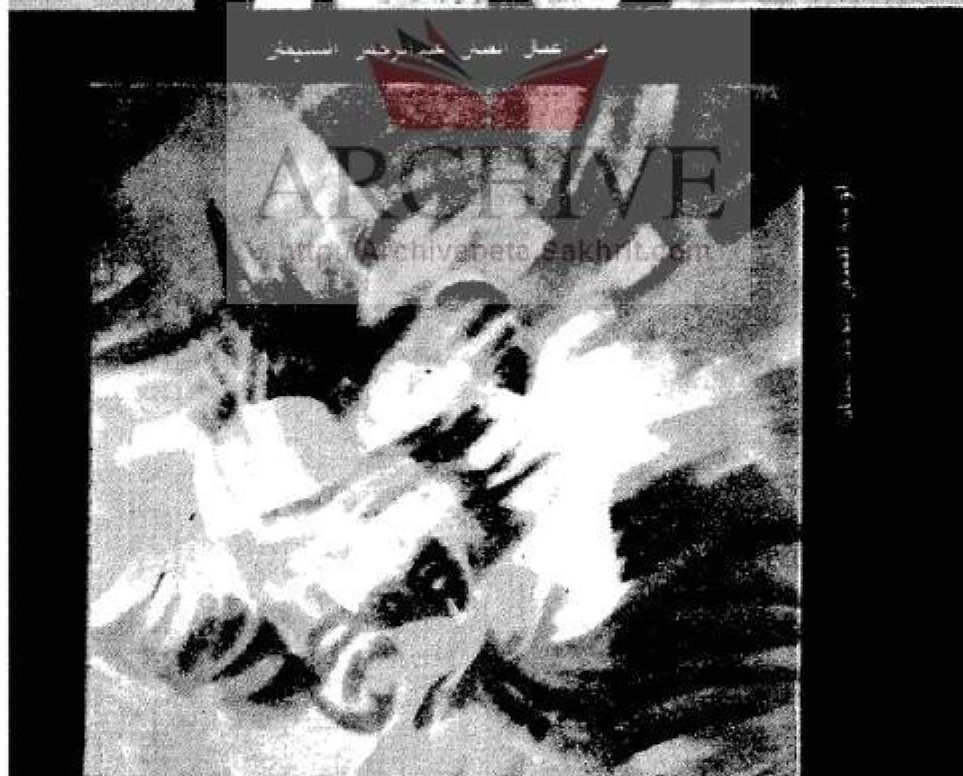
● تظاهرة للفن السعودى فى الأوبرا المصرية !

أقامت الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون معرضا لفن اللوحة المؤطرة .. بقاعة الاوبرا .. قوبل بحفاوة اعلامية ، واهتمام من الفنانين والنقاد المصريين . ضم المعرض اربعين فنانا وفنانة ، ينتمون الى اجيال مختلفة . بعضهم معروف لدى الفنانين المصريين امثال : محمد السليم وعبدالحليم رضوى وعبدالرحمن السليمان وسعد العبيد ، ومنهم من يعرض لاول مرة خارج الحدود امثال الفنان الشاب "خالد الامير" . ان الحركة التشكيلية السعودية حديثة العهد ، وربما لهذا السبب اكتفى صناعها بالاخذ ببعض المذاهب الاوربية المعاصرة والتى تتسق مع بنيتهم الثقافية ، وهذا يفسر سيادة الأسلوب التجريدى فى

لوحـــة للفنان
السعودى طه صبكان



من أعمال الفنان عبد الرحمن السليمان





المعرض ، وهى تجريدية اتاح لها استلهام الحروف العربية ، والزخارف الشعبية "بعض" الخصوصية ، كما ظهر ايضا وجه اخر للتجريد وهو التجريد المطلق ، ومن ابرز ممثليه فى المعرض الفنان "محمد الرصيص" والفنان "محمد سيام" ، وان مال "الرصيص" الى صرامة الخطوط الهندسية ، والتقابل الحاد بين الالوان الباردة والساخنة ، بينما تميز "سيام" بالتداعيات اللونية . التلقائية . المبهجة لهذا توارى وجه الانسان ، ولم يظهر الا نادرا ، غير ان تلك الندرة تكشف ـ وربما كان استنتاجي صحيحا ـ عن تغير فى نظرة المجتمع السعودى الى الفن ، وتراجع فى بعض المحاذير التى كانت تحول دون ظهور وجه الانسان .. فما بالك والوجوه التى شاهدناها فى المعرض لفتيات تتجلى فى عيونهن وشفاههن رغبات انثوية صريحة ! .. غير ان تلك الوجوه المرسومة لم ترتفع الى مستوى معظم لوحات المعرض ، واكتفت بالطابع الصحفى المتعجل .

وننتقل الان الى عدد من التعليقات النقدية السريعة لاعمال بعض الفنانين .

● خالد الامير : قدم لوحتين رمزيتين ذات طابع سوداوى . يكشف اداؤه عن درجة ملحوظة من الاتقان الاكاديمي .. سواء فى الرسم او التجسيم . وهو يميل الى البناء والتركيب الذى بلغ درجة ملحوظة من التعقيد فى لوحة له بعنوان : "بقايا لوحة" .

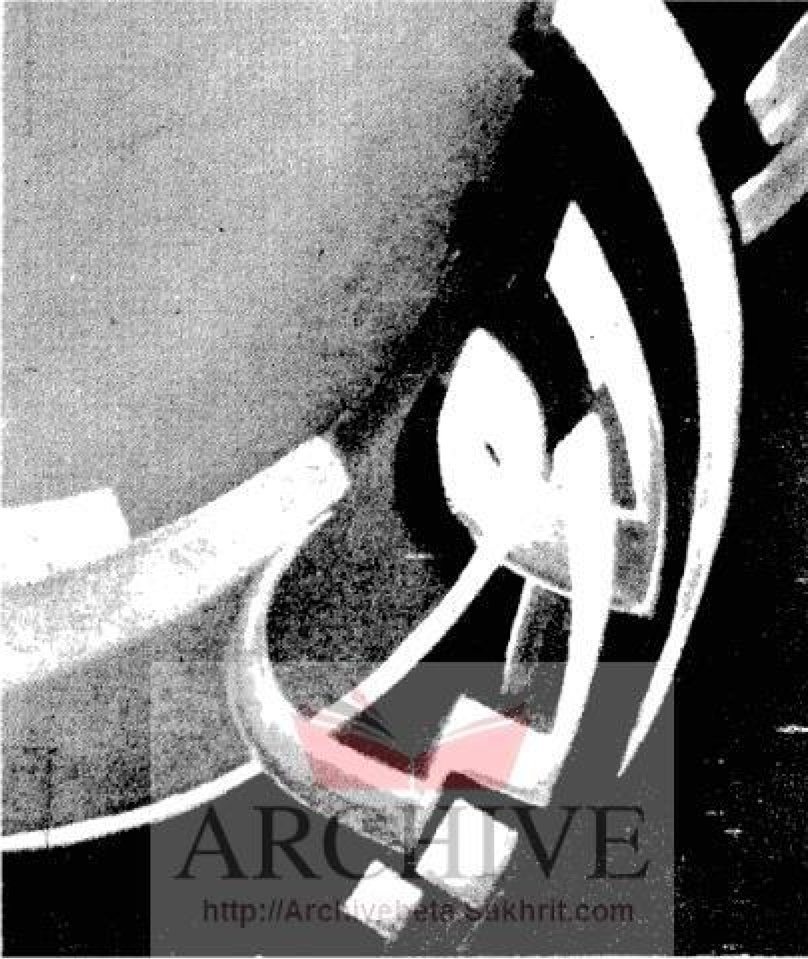
● محمد السليم : تتميز لوحاته بالتقشف اللونى القريب من لون الصحراء ، وبالشفافية ، والتموجات الكثبانية ذات الإيحاءات الحروفية والمذاق التصوفى .

● عبدالحليم الرضوى : جمع بين الشخوص والزخارف الشعبية .. فى اداء يتسم بفطرية خشنة ، مع توقيع باللغة الانجليزية يحمل تاريخ ١٩٨٢ !

● عبدالرحمن السليمان : وجوه قناعية ، لا تكشف عن اسرارها الدفينة ، محاطة من الجانبين بوحدات هندسية متناظرة ، مشتقة من شكل "النقطة" ، مع اقتصاد فى اللون وانصراف عن التجسيم ، وحساسية فى اللمسات .

● محمد رضا وارس : اتسمت لوحته بجرأة التكوين ، وبراعة اللمسة ، والاقتصاد الشديد فى اللون ، فاكتفى بالاخضر ودرجاته .. صعودا الى الضوء الابيض الذى تألق فى الحروف

● فاطمة بايزيد : قدمت لوحة حميلة عن الزهور . نسيج لوحتها



لوحة للفنان رضا وارس

يكشف عن تمكن جعل سطح لوحتها التصويرى سطحا ثريا باللون والملمس ، وتشترك مع معظم العارضين فى الاقتصاد فى اللون ، وان كان اقتصادها مبررا .. لاعطاء اكبر قدر من التألق على الارضية الحمراء والافرع الزرقاء .

● سليمان الحلوة : لوحة حروفية ، يقام فيها حوار بصرى متعادل بين الالوان الباردة والساخنة ، يكشف عن تأثر واضح بالفنان العراقى "رافع الناصرى" .

● يحيى الشريفى : تمثل لوحته تداعيات لحرف السين مع فواصل هندسية ، زخرفية ، وتذكرنا هذه اللوحة بالفنان المصرى "كمال السراج" الذى كرس جزءا كبيرا من حياته الفنية مع هذا الحرف !

إنها حياتي

قصة قصيرة

بقلم : نجيبة العسال

كلمات قاسية سمعتها كثيرا ، وكثيراً ما دارت داخل نفسي واعماقي تؤرقني وتعذبني ويخيل الي انها تشعلني داخل وعاء كبير مظلم خارجه عليه طلاء كثيف كطبقات من النار وداخله مملوء بماء يغلي وتحت الوعاء نار تتصاعد في بطء وتكاسل تهدد قليلا ثم تعلو فجاه لاحس بها تتصاعد حتى يكاد بخارها يخرج من فمي وعيني واذني .

فجاة ينظر زوجي الى وفي عينيه رثاء وفي صوته نبره كلها عطف ساخر ويقول وهو يهز راسه في اسف .

— لا فائدة دائما ضعيفة الارادة لتحزمين رايك وحتى لو حصل فلا تثبتين عليه طويلا .

وانظر اليه وقد صمت في كسل شيء حتى انفاسي اشعر كانها لن تتردد في صدري بعد هذا ولكن اتنهد في بطء واشيح عنه دون كلمة واحدة واتسلل بعيدا عنه . وانا اقول لنفسي واذا انا حزمت امري في امور كثيرة ترى ماذا تكون النتيجة ؟

اما امي فهي دائما تنظر الي في حب شديد وحنان اشد ولكنها تقول في قسوة مستترة

— لماذا يا حبيبتي . لماذا لا تثورين في وجه زوجك عندما لا تعجبك كلماته لماذا لا تقولين له كل ما عندك — كوني قوية الشخصية ارجوك

وانظر الى امي طويلا دون ان اتكلم بصوت مسموع ولكن اقول لنفسي ماذا تظن امي في طريقة معالجتي لاموري وهل لابد من الثوره حتى اقول لزوجي كل ما عندي .

وزميلاتي في المدرسة كثيرا ما تخرج كلماتهن وكانها تعطرني سخرية وان كانت ممزوجة بالحرص على مكانتي لدى زوجي وتوفيقي في كل نواحي حياتي حتى وان كانت تطعنني في صميم كياني النفسي . كثيرا ما تقول احداهن عندما تراني صامتة ساكتة .

— انت اليوم غير متالقة تماما لا معنى



ولا مع نفسك . صدقيني يا حبيبتي . القسوة مطلوبة . لا داعي لكل هذه الاستكانة وهذا الاحتمال .

لم تضحك ساخرة وهي تتركني مسرعة . وإن كانت كلماتها الأخيرة تطن في أذني تأسوا تصيبوا .. ماذا تعني هذه الترانيم لليالي الصيفية . هل لأنها راقتني أتنهد طويلا ولأنا ألحظ على مقعدي في فناء المدرسة لحظة استراحة الصباح ؟ هل لأنها لاحظت ذبول وجهي وإعيائي الواضح لم لأنني قد أعدت على مسامعها بعض متاعبي اليومية . في مناسبات سابقة . وأتمطى على مقعدي وأسرح طويلا في مشاكلي ثم أضع يدي على ركبتي وأجلس مكورة قليلا أنظر الى أرض الفناء وأتوه عما حولي حتى أصوات الصغار الصاخبة في فناء المدرسة تأتي الى وكأنها أصوات مجهولة تطن في فضاء أنني لست ضعيفة الارادة كما يتهمني زوجي دائما أكون مسالمة معه حتى ولكنني فقط أحاول :ن:

إنها حياتي

قصة قصيرة

لا تصل بعض المواقف الى طريق مسدود انني اضغط على نفسي لانى اشعر في اعماقي انى استطيع التحمل واننى بشيء من نكران الذات ممكن اسير بالامور الى الاحسن والافضل ولهذا لا اترك نفسي تثور في وجه زوجي كما تود امي التى منها لا تنقصنى قوة الشخصية ولكنى افضل التحمل من اجل اولادى اخشى ان تصل بنا الثورة الى ما لا تحمد عقباه اما زميلتى التى تؤاخذنى على استكانتى واحتمالى فهذا لانى اتكلم عن حيرتى ومتاعبى بين زميلاتى بسبب ما اعانيه فى يومى بين واجباتى المنزلية والعملية واكثرهن يتكلمن من هذا ولكن لم اتعود مهاجمة احداهن اننى اعيش في كل لحظة داخل حيرتى ولا ادرى ماذا افعل ففى مساء كل يوم اتخذ قرارا ولكنى في صباح اليوم التالى انسف هذا القرار وكأنه لم يكن . انسى تماما ما اتخذته بالامس من قرارات واصحو من نومى كعادتى في السادسة صباحا اصرخ على اولادى لايقاظهم من النوم . اجرى على المطبخ لاجهز الشاى والساندوتشات لى وللاولاد . اهرول الى حجرتهم انهم لا زالوا يغطون فى نومهم ارفعهم بين يدى اجرى بهم الى الحمام البسهم ثياب المدرسة انهم معى فى مدرسة اللغات التى اعمل بها والقريبة من بيتى وكان التحاقهم بالمدرسة هو سبب عملى المباشر بها بعد رجوعنا من الخارج واستقرارنا فى بلدنا . المهم اجلس سريعا واولادى الى مائدة الفطار ارتدى ثياب الخروج . كيفما اتفق احاول ايقاظ زوجي من نومه كل مطالبه جاهزة على المائدة القريبة من فراشه اجرى باطفالى على المدرسة ان ابنتى الكبرى فى الثامنة والاصغر فى السابعة اطفالى يدخلون الى فصولهم اتوه انا فى اطفال الاخرين . انسى نفسى تماما بين تلاميذ فصلى اولى حضانة احبهم كلهم بلا استثناء وهم يحبوننى بكل براءة الاطفال وتلقائيتهم وصدقهم هبة لا تترك يدى واثل يناديني بين لحظة واخرى . اولياء امورهم سعداء جدا بمجهودى معهم نطقهم للغة الانجليزية بصورة سليمة . يسعدنى خاصة وقد نطقوا بداية الكلمات على يدى ماذا افعل كيف اترك كل هؤلاء الصغار الذين يتعلقون بى . ابنى وابنتى يهرعون الى فى استراحة الصباح حب السعاة والدادات . ابنى وابنتى في غاية الجوع انا ايضا وزوجي ازف ميعاد حضوره اجرى على المطبخ حافية القدمين بالشراب فقط . ثياب الخروج مازالت على جسدى اضع الطعام على النار واولادى يصرخون الطعام يا امى التليفون يدق سيعود زوجى بعد ساعة واحدة ومعه ضيف على الغداء اخوه جاء من الاسكندرية منذ قليل زحمة فى راسى . ماذا اقدم للضيف القادم . وهكذا انه يوم من ايامى لم ينته بعد الغداء اذهب باطفالى الى الحمام ويحين موعد الشاى واوقظ اطفالى استعدادا للشاى وللمذاكره . واكون انا قد قمت بعملية تنظيف سريع للبيت بعد خروج زوجى واخيه ووضعت الغسيل داخل الغسالة وجمعت غسيل الامس من الشرفة وابدا فى الكواء وانا اذاكر لاطفالى .. وياتى المساء .. لا .. لا لن استطيع الاستمرار هكذا

لابد من تقديم استقالتي ان هذا هو الهلاك بعينه واقول هذا لامي كل ليلة تقريبا عبر اسلاك التليفون ويعود زوجي في اخر الليل فاعيد على مسامعه قراري بتقديم استقالتي • ويقول كعادته المعهوده احزمي امرك ولا تكونين ضعيفة الارادة واشكو لامي اتهامات زوجي وتقول هي الاخرى لماذا لاتثورين في وجهه ولماذا لاتطلبين منه ان يساعدك ولو بالمذاكره للاولاد • ولماذا لا تطلبين منه ان يوافق على حضور شغاله ولو مرتين في الاسبوع • او ترسلي المكوه الى الكواء انت التي تجلبين على نفسك كل هذا واقسم ان استقيل لابد من التفرغ – للبيت قبل كل شيء انني لن استطيع الاستمرار هكذا ولكن في الصباح اذهب الى المدرسة وتمتد يد هبه تصافحني وتناديني واقبل وتجتمع حولي الزميلات المخلصات وابتسامه صافية من عم عبده بواب المدرسة النوبي ودعوة صادقة • من داده خديجة وقبله ودود من ابله سنية • رباه ماذا افعل ومع ضجة الصباح تعود الشكوى للزميلات وتعود السخرية من استقالتي واحتمالي •• والاسعر بالوعاء المملوء بالماء الذي يفور وانا داخله • وينتهي اليوم الدراسي ويستمر يومي في الحياة اه يا ربي • انها الحياة كيف ابتعد عنها • كيف اخرج من كل هذا • ساخرج ساقدم استقالتي في نهاية السنة الدراسية حتى اقضي يومي في الاسترخاء • والنوم وكيف يحدث هذا لام مثلي واتذكر الاجازه الصيفية في العام الماضي

وهل استرحت هل قضيت يومي اغط في نومي او الهو انا واولادي في النادي او على شاطيء البحر • ابدا انها دوامه اخرى من نوع اخر وبنظام اخر مهما يكن ساستقيل حتى لا اسمع كل هذه الكلمات وحتى لا اشكو لاحد من ظروفي القاسية وتبدا امتحانات اخر السنة وتظهر النتيجة وتكون نتيجة اولادي تفوق كامل واقف مرفوعة القامة • واولادي يتسلمون شهاداتهم وشهادات التقدير واحس انني داخل فرحة تملا نفسي بموجه كالزبد الابيض الشفاف تؤرجحني بين السحاب كطفلة لا تبغي شيئا من الحياة • اكثر من هذه الفرحة الحانيه ولاتتركني الارجوحة ابدا قليلا على الارض فسرعان ما تؤرجحني مرة اخرى بفرحه اكبر واكبر لقد ظهرت نتيجة امتحان تلاميذي الصغار • وقد نال ثلاثون منهم الدرجات النهائية وتعلن ناظرة المدرسة انني قدمت للعام الدراسي اعلى نتيجة بين المدرسات وتلتف حولي امهات تلاميذي ولا ادري ماذا يقلن او ما هي كلمات الشكر التي تتوالى على اذاني • فقد كانت هناك كلمات اخرى داخلي تصعد الى اذاني لتمحو كل قراراتي السابقة • بقرار واحد اخيرا يؤكد لي انني لست ضعيفة الارادة • او لا امتلك الشخصية القوية ولن اكون حازمة كما يقول زوجي ولكنني انسانه اعرف ما اريد فعلا كل ما في الامر • انني لن اشكو الى احد بعد اليوم • ولن اتكلم عن مشاكلي مع احد • وانا وحدى التي تستطيع ان تقذف بعيدا بالوعاء المملوء بالماء • الذي يغلي ويفور في بطء • يكفي ان اتذكر دائما ما وصل اليه اولادي وتلاميذي ان هذا منتهى قوة الارادة والحزم • ساتذكر هذا دائما واراجعه كما اراجع دروس تلاميذي واكرر لنفسي ان هذه هي حياتي •• حياتي انا وحدى وليس لاحد راى فيها •• انا احبها واحيا بها وانا المسئوله عنها وحدى

الثورة الفرنسية على الشاشة

بقلم : مصطفى درويش

هذا كتاب ضخم فخم تكاد لا تخلو صفحة من صفحاته من لقطة أو اكثر مأخوذة من احد الافلام التى عرضت لبعض احداث الثورة الفرنسية على امتداد عمر السينما الذى يقترب من مائة عام .

● واغرب ما اعجب له بعد الانتهاء من قراءة ذلك الكتاب القيّم (طبعة ميلان .. سبتمبر ١٩٨٨) لصاحبه « روجيه ايكار » وهو من القلائل المتخصصين فى البحث والتاريخ للسينما ، المولعين بالفن السابع ، لاسيما ما كان منه صامتا سابقا على إصابة السينما بداء الثرثرة والكلام .

أغرب العجب هذا هو أن السينما الفرنسية قد جنحت فى معظم افلامها الى التعاطف مع ضحايا الثورة والارهاب : الملك والملكة والامراء والنبلاء .

قبل ذلك الاكتشاف كنت أظن – وبعض الظن إثم – أن السينمائيين الانجلوسكسون هم وحدهم الذين يمقتون الثورة مقتا شديدا ، ومن ثم يكيدون لها فى افلامهم كيدا عظيما ، وذلك بحكم أولا : أن الانجلوسكسون ، وكما قال عنهم بحق المؤرخ الفرنسى النابه « جورج لوففر » ، قد قاموا على عكس الفرنسيين بثورتهم ضد الاستبداد لمصلحة الأرستقراطية المتحالفة مع البرجوازية .

ثانيا : أن مؤلف « الثورة الفرنسية .. تاريخ » الذى حمل فيه صاحبه الاديب الانجليزى « توماس كارلايل » على الثورة ، محقرا من شأن قادتها وبالذات « ماكسميليان روبسبيير » ، متهما إياهم بالاسراف فى البطش والارهاب ، والتعطش للدماء : ذلك المؤلف الشهير كان له تأثير كبير على الأدب الانجليزى ، ومن بعده السينما فى كل من انجلترا والولايات المتحدة ، وآية ذلك « قصة المدينتين » الموثقة وقائعها باعتراف صاحبها « شارلز ديكنز » « من مؤلف كارلايل » ، والتى جرى ترجمتها الى السينما الامريكية والانجليزية خمس مرات اثناء مدة لا تزيد على نصف قرن من عمر الزمن .

● ثورة مفترى عليها

اما بعد قراءة كتاب المؤرخ « ايكار » ، فقد استبان ان السينما الفرنسية فى



عدائها للثورة وتعاطفها مع ضحاياها لا تختلف عن السينما الانجلوسكسونية الا في القليل .

فباستثناء افلام تعد على اصابع اليد الواحدة لعل اهمها « المارسيلييز » رائعة « جان رينوار » و « نابليون » ملحمة « ابيل جانس »

طغى العداء للثورة على ما انتجته السينما الفرنسية من افلام منذ عام ١٨٩٧ وحتى يومنا هذا .

وقصة فيلمى « المارسيلييز » و «نابليون » - وهى من القصص الحزين - انما تكشف عن مدى صعوبة ، أن لم يكن استحالة ابداع افلام تعرض لتاريخ ثورة الرابع عشر من يولية بموضوعية حتى في وطنها فرنسا .

فالفيلم الأول لم ينجح « رينوار » فى اخراجه الا بفضل .

اولا : المد الشعبى المعادى للفاشية ذلك المد العارم الذى اوصل الجبهة الشعبية الى الحكم فى منتصف الثلاثينيات (١٩٣٦) .

ثانيا : حملة التبرعات تحت رعاية اتحاد العمال العام من أجل تمويل « فيلم وحدة الأمة الفرنسية ضد أقلية من المستغلين ، فيلم حقوق الانسان والمواطن » كما كان مكتوبا فى المنشورات التى جرى توزيعها على نطاق واسع وسط الجماهير تحريضا لها على التبرع من اجل تحقيق ذلك الهدف النبيل .

ومع ذلك ، فالمارسيلييز عندما جرى

الثـــورة الفرنســـية علـــى الشـــاشـــة

عرضه فى فبراير ١٩٢٨ ، كان نصيبه من النجاح جد قليل .

ومأساة « نابليون » اشد هولا .

فصاحبه « جانس » ، وهو احد عباقرة الفن السابع ـ لم يستطع أن يكمله لا لشيء سوى ضيق ذات اليد .

ومن هنا توقف سيرة « نابليون » فى الفيلم المكون من أربعة أجزاء طويلة عند حملته الايطالية التى لولاها لما كانت انتصارات ، ولما كانت المغامرة المصرية ، ولما كانت الامجاد .

والغريب أن « نابليون » الذى يعتبر اهم فيلم فى تاريخ السينما الفرنسية ، وكان أول عرض له بدار اوبرا باريس فى حضور الجنرال ديجول والأديب « اندريه مالرو » وصفوة المجتمع فى مدينة النور ، الغريب أنه ـ ورغم كل هذا ـ لم تتح له فرصة أن يعرض فى الصورة الكاملة التى شاءها له مبدعه « جانس » أى على ثلاث شاشات فى نفس الوقت ، ومع موسيقى تصويرية يعزفها اوركسترا حى ، الا بعد ذلك بحوالى خمسة وخمسين عاما ... وأين ؟

فى لندن (٣٠ نوفمبر ١٩٨٠) ونيويورك (٢٣ يناير ١٩٨١) ثم فى كولوزييم روما فى حضور عمدتها وحرم الرئيس فرانسوا ميتران !!

وبفضل من ؟ .. اثنان ليس بينهما فرنسى ، أحدهما « كيفين براونلو » المؤرخ والناقد الانجليزى ، والآخر « فرانسيس فورد كوبولا » المخرج والمنتج الامريكى صاحب « الأب الروحى » ، والآخرة الآن .

فاذا ما انتقلنا من هذه القصة الحزينة الى الافلام الفرنسية المعادية للثورة ، لتبين لنا انها لا عد لها ولا حصر ، اكثرها متعاطف مع العهد القديم ، وبخاصة آخر ملوك فرنسا قبل الثورة « لويس السادس عشر » وزوجته « مارى انطوانيت » وابنهما الوحيد .

بونابرت .. فيلم لم يكتمل



● شهد الملكة

فمنذ بدايات الفن السابع ، وبالتحديد عام ١٩٠٣ ، والسينما الفرنسية ترصع جيدها بين الحين والحين بفيلم يحكى فاجعة الملكة التى فقدت الزوج فالاولاد واخيرا الحياة بالصعود الى المقصلة لتواجه الموت مرفوعة الرأس ، محتفظة بأهم ما فى الوجود .. الكرامة والكبرياء .

وكما وقع اختيار السينما الامريكية ـ بمناسبة مرور مائة وخمسين عاما على الثورة الفرنسية ـ على نجمة تروجلدوين

ماير الاولى «نورماشيرر» كى تمثل دور الملكة الشهيدة (١٩٣٨) .

اختارت السينما الفرنسية نجمتها الاولى « ميشيل مورجان » كى تتقمص شخصية تلك الملكة فى فيلم (١٩٥٥) حاول تبرئتها من اتهامات الثورة لها ، وذلك بإلقاء مسئولية تصرفاتها المتسمة بالسذاجة وطيش الشباب على البلاط الفرنسي الذى كانت تسوده ، وقت اعتلاء زوجها للعرش ، المؤامرات والبحث عن اللذات .

ويقدر اهتمام السينما الفرنسية بأمر «مارى انطوانيت » فى كل صغيرة وكبيرة سواء أكان ذلك ابان العهد القديم حيث طيبات الحياة اللذيذة أو فيما بعد الثورة عندما ابتذلها الدهر بعبث حوادثه وخطوبه الجسام .

بنفس القدر ، إن لم يكن أكثر ، كان اهمالها لشأن كل ما هو هام من وقائع وشخصيات الثورة فمثلا «الأب سييس » الذى لعب دورا بارزا فى أحداث الثورة الى أن قام «نابليون » بالتصفية النهائية لها بانقلاب ١٨ برومير ؛ هذا الاب لم يكتب له ، حتى هذه الساعة ـ أن يظهر على الشاشة ولو فى لقطة يتيمة .

والكونت ميرابو خطيب الثورة المفوه ، وان كان قد أتيح له أن يظهر على الشاشة ، الا أنه لم يمنح له من الوقت فى تلك المرة التى لم تتكرر ، إلا بما يسمح له بأن يصيح « نحن هنا بإرادة الشعب .. » .

أما ليلة الرابع من اغسطس ١٧٨٩ ، تلك الليلة المجيدة التى خطت فيها الجمعية التأسيسية خطوتها العملاقة بالغاء حقوق الاشراف ، ممهدة بذلك الى اعلان حقوق الانسان والمواطن قبل أن ينتهى الشهر بأيام : فلا أحد من السينمائيين اعارها ذرة من اهتمام .

ومن أعجب العجب ما جاء فى الكتاب بخصوص موقف السينما السوفيتية من الثورة الفرنسية فلقد كان المتوقع من تلك السينما ان تمجد ثورة استلهم القادة البلاشفة منها الكثير .. ثورة وصفها « لينين » بانها « عظيمة » .

وعن قادتها من اليعاقبة قال « عظمة اليعاقبة الحقيقيين تاريخيا .. يعاقبة ١٧٩٣ ، انما تنحصر فى انهم كانوا يعاقبة مع الشعب مع الاغلبية الثورية .. مع الطبقات الثورية طليعة عصرهم »

ولكن المتوقع شيء ، والواقع شيء آخر .

فحظ الثورة الفرنسية مع السينما السوفيتية كان صمتا اقرب الى صمت القبور .

وتفسيرا لهذه الظاهرة التى تبدو شاذة يقول صاحب الكتاب ان استيلاء « ستالين » على السلطة بعد موت « لينين » جاء بانقلاب شبيه بانقلاب « ترميدور » (٢٧ يولية ١٧٩٤) الذى طاح باليعاقبة ، وراح ضحيته روبسبير وجميع رفاقه الثوريين .

ومن هنا صيرورة يعاقبة ١٧٩٣ ومشاهير قادتهم امثال روبسبير ، مارا ، سان جوست اشخاصا غير مرغوب فيهم سينمائيا داخل الاتحاد السوفيتي ومن هنا امتناع السينمائيين السوفييت ايثارا منهم للسلامة ، عن الاشارة الى «الثورة العظيمة » ، ولو من بعيد .

وما أعجب امر ثورة نادت بالحرية ، وينتهى بها القدر مضطهدة على الشاشة فى المشرق والمغرب على حد سواء .

رأى فى الثقافة

• رفع الرقابة عن الكتاب العربى •

لاشك ان دعوة الصديق الناقد « سامى خشبة » فى الأهرام (٧/١٠) الماضى بتوسيع وتدعيم النشر العربى المشترك ، خاصة فى دول مجلس التعاون العربى (مصر ، العراق ، الأردن ، اليمن) دعوة تستحق دعمها لتكون مطلبا لكل المثقفين العرب ، لكننا نضيف اليها دعوة أخرى بالمطالبة بالغاء الجمارك والرسوم على الكتب ، تلك التى تصدر فى أى من هذه البلدان خارج النشر المشترك ، الذى لم يتم حتى الآن إلا بين هيئتين هما : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ودار الشئون الثقافية فى بغداد ، والكتب التى تصدر فى هذه البلدان الأربع ، سواء مايصدر من دور النشر العامة والخاصة تعد بالآلاف ، ونظن أن القراء فى هذه البلدان فى شوق لان يروا كل الكتب التى تصدر من هذه الدور الاخرى ، كما ندعو الجهات المعنية بالكتاب ، ان تبادر (كما بادرت الهيئات العاملة فى حقول السلع الاستهلاكية) إلى رفع الرقابة عن الكتب القادمة من هذه البلدان فيما بينها ، وحتى نكون واقعيين نرجو ان يتضمن إلغاء الرقابة على الكتب بين هذه البلدان الكتب الثقافية كخطوة اولى تنتهى الى رفع الرقابة عن كل الكتب بشتى انواعها ..

طبعا نحن نتمنى ان ترفع الرقابة عن الكتب العربية بين جميع البلدان العربية ، لكنه إذا كان التعاون قد وصل على أرض الواقع إلى حد إلغاء تأشيرات الدخول للأفراد ، وتسهيل تبادل السلع الاستهلاكية بين البلدان الأربعة الى حدودها القصوى ، أليس من الاولى ، والثقافة هى العنصر الاول الفاعل فى وحدة البلاد العربية ان يكون دخول الكتاب العربى وخروجه بين هذه البلدان هو المطلب الاول ، على الاقل لنا كمثقفين يهمهم أن يطلعوا على مايجرى فى البلدان الاخرى ..

إنه امل نرجو ان تتحرك من اجله الهيئات والمؤسسات العاملة فى حقل نشر الكتاب فى هذه البلدان ليتحقق فى القريب العاجل ..

عبده جبير

الممثلة « رغدة » شاعرة أيضا !

يبدو انها ستصبح « تقليعة » لممثلاتنا الجميلات ان يقضين بعض وقت فراغهن فى الكتابة ، كتابة « القصة » ، وكتابة « الشعر » ، فهاهى اسعاد يونس تكتب القصص ، ونقرأ

عن قرب صدور مجموعة « شعرية » للممثلة الفاتنة « ليلى علوى » ، ولكن قبل أن تصدر كل من اسعاد وليلى أيا من مجموعاتهما ، سبقتهما الممثلة الجميلة « رغدة » فى اصدار مجموعتها الشعرية « مواسم العشق » ..

هل هذا حق لهن ؟

بالقطع ، إن التعبير عن النفس حق يكفله الدستور ، ولكن من حقنا أيضا نحن معشر « النقادة » أن نقف أمام هذه الأعمال ، ونرى ما إذا كان هذا شعرا أم شيئا آخر ..

فى البداية لابد أن نعترف مع رغدة نفسها بأن الشعر هو آخر مايمكن أن نبحث عنه فى كتابها هذا فهى نفسها قالت ذلك ، اسمعوها وهى تقول :

« قد لاتكون لمواسمى هذه مقاييس الشعر ومواصفاته التقليدية من قافية وعروض وأوزان تعودت عليها ، رغم إلمامى بمتطلباته هذه وبضوابطه ككل (انظر !) وذلك من قبيل (هكذا) دراستى للغة العربية فى جامعة حلب وانتهاء بجامعة القاهرة .. وهذا لايعنى ادعاء (الحمدلله) بامكانيتى فى السيطرة على التحكم (هكذا) (باحاسيسى الصاخبة والمندفعة تحت مظلة كل ضوابط الشعر ، وقد يتاتى لى هذا فى مرحلة من المراحل القادمة إن شاء الله » ..

هذا عن الشعر ، وضوابطه ، ومواصفاته ، التقليدية بطبيعة الحال - فماذا عن الموضوع ؟

تقول رغدة : « مواسمى هذه خلجات



رغدة .. شاعرة

امراة شرقية تعيش الحب وتعايشه بكل مواسمه المشرقة منها والمتسربلة ، محورها الصدق والاستسلام لهذا الصدق بكل معاييره واشكاله حتى لو كشف هذا الاستسلام جوانب الضعف وأدرك مساعى الخضوع فيها ، فمواسمى هذه نبضات حواء لطالما تلق تدفق أنوثتها الى محيط آدم يحتويها قبل أن يجف تدفقها تحت وطأة شمس « الزمن » ..

هكذا تكلمت « رغدة » ..

نتخلى - إذن - عن وهم الشعر ، ونبدأ القراءة ، على أمل أن يعوضنا صدق التجربة عما تعودناه من مقاييس وأوزان ، وأن كانت التجربة ، فى الشعر خاصة ، وفى الفن عامة ، هى مالا يمكن فصله عن نسيج هذا النوع الادبى أو الفنى ، أو ذاك ..

وبادىء ذى بدء .. هناك عنوانان رئيسيان فى هذه المجموعة : أولهما « مواسم الأنوثة » ، والثانى « مواسم

العشق » ، ويمكن ، بمزيد من الاعتساف ، اضافة عنوان ثالث ، هو العنوان الأخير « موسم » لكن هذه العناوين هي مجرد « تقسيمة » مفترضة ، او مقترحة ، ولا تغير في كثير او قليل من محصلة القراءة ..

فنحن ، ومن العنوان الاول ، أمام ثنائية « الرجل الصياد ، والمرأة الطريدة » وهي ثنائية غير مرفوضة ، إلا ان يكون هذا من منطلق اخلاقي ، بل هي - على العكس - ثنائية فاعلة في تراث الابداع البشري ، شريطة أن يكون الابداع « ابداعا » ، والا كانت الاخلاق أولى ! ..

إن لعبة الصيد والطراد هي واحدة من اكثر ألعاب البشرية .. قدما ، وحميمية ، وإثارة فما بالنا وطرفا اللعبة هما الرجل والمرأة ؟ .. إن اللعبة حينئذ تكون لعبة الحياة ! ..

ونتأمل تفاصيل هذه اللعبة بقلم « رغدة » فماذا نجد ؟ .. إن ثنائية الرجل - المرأة ، الصياد ، الطريدة ، تختزل لتصبح : الذكر - الانثى ، الذئب ، الفريسة ، فاذا سلمنا بان لعبة الحياة قد تتضاءل الى حد الضرورة البيولوجية ، كان علينا أن نفتش - في هذا الشق الضيق - عن ملامح الذئب ، واختلاجات الفريسة ، والعلامات الفارقة التي تميزهما عند « رغدة » عنهما عند غيرها ، أو حتى في اللغة ..

هنا ، لايسعفنا سوى عدد محدود من المفردات التي تشير إلى طرفي اللعبة ، من قبيل : آدم ، حواء ، رجل ، أنثى ،

اما اللعبة ذاتها - او التجربة - فليست أسعد حظا ، فهي لاتتجاوز المستوى « الاشاري » للغة ، وترد ، مثل : حلم ، خطيئة ، تفاحة ، أسطورة ، وجع ، جنة ، جمرة ، طهر ، عهر ، و : الذئب الوديع ، الضعف الانثوى ، حريم الأرض ، ليل الاثم ، شبق الرجولة ، نهود الأحلام ، انامل الشيطان ! ..

وحتى لاتكون هناك شبهة اجتزاء مخل ، فاننا نترك رغدة تقول :

« يراود ساحة تكويني ..
ضعف انثوى ..
معك وبك .
يكتسحني دفئك الرجولي .
يطويني
أنا الأنثى ياذئبي الوديع
أنا بانتظارى (؟)
لقمة في شدقيك (!)
أنا بانتظارى
طفلة في ساعديك .
أنا حواء ياآدم .
مهما ادعيت
بركان فكر له رائحة الحضارة
وشبق الرجولة .
او تقول :
منذ آلاف السنين
ملايينها
ولادتها
وانا احمل في داخلي
كل نساء الأرض
عفوا : كل حريم الأرض

● ● ●

على قدر البغض
يتراكم جوعي اليك

بين اسنانى
تزدحم ارصفتى
بانفاسك
وتحيل معها ليل الاثم
بخارطتى
نورا

والأمثلة على ذلك كثيرة ، فما هو أصل المسالة ؟

إنها الخبرة السطحية ، والتجربة الفارغة ، ولو اننا تغاضينا عن الركاكة ، وافتعال ثقافة الخطيئة الأولى ، فإن كل هذا يجرنا إلى ان الادعاء ، الثابت الوحيد هو : ادعاء الشعر ، الذى لاتبعث فيه شيئا تلك الرسوم العادية التى اجتهد الفنان « هبة عنايت » في ان يخاطب من خلالها ادنى غرائزنا ـ علها تشعل شيئا فى رماد الكلمات ، ولكن ..



● « داير مايدور » والتأكيد على حقيقة المسرح الجاد ●

ماذا يمكننا أن نقول بشأن هذا العرض وأمثاله ؟

هل نردد المقولة الجاهزة (مصر ولادة) ، أم نؤكد على حقيقة ضاعت او تضيع فى خضم انفعالاتنا الزائدة ، واقوالنا التى نرددها دوما عن أن المسرح المصرى فى أزمة ؟

لاشك ان هؤلاء الفتية والفتيات (اعضاء فريق الورشة) ادركوا حقيقة بسيطة ، وهامه فى نفس الوقت ، هى أن المسرح عمل جماعى (هل هناك ابسط من ذلك) ، وأنه رسالة قبل ان يكون اى شيء آخر ، وبهذه الروح (روح الرسالة التى يؤدونها عبر روح جماعية) استطاعوا صياغة ، او بالأحرى ، اعادة صياغة المقولة القديمة الجديدة التى تعيد الاشياء الى اصولها الأولى ، وبالتالى استطاعوا أن يتقدموا فى الاتجاه الصحيح ، دون تكلف او افتعال ، دون أن « يتفلسفوا » أكثر من اللازم ، فكانت النتيجة أن قدموا عرضا مسرحيا حقيقيا ..



عبلة شعر و أحمد كمال داير مايدور

فهم ـ ولادراكهم لحقيقة أن المسرح عرض متكامل ـ تتضافر جميع عناصره من اجل النتيجة النهائية ، اخذوا يعملون على النص الذى اختاروه ، ايضا ، بشكل جماعى ، حتى انتهى إلى صياغة مصرية ، ورؤية لها جذورها فى الأصل ، لكنها تلتقى فى الأساس فى

صلب هذا العمل الجماعي ، لتاتي النتيجة ، ربما مختلفة كليا عن البداية ، وإن كانت تؤدى إلى نفس الهدف ..

لذلك لم يحس احد من الذين شاهدوا هذا العرض ، إلا بهذه الحقيقة ، حقيقة هذا العمل الجماعي الذى جاء بعرض متكامل ، تنافست اطرافه ، لتؤكد على الحقيقة الأولى ، يمكننا ان نعمل معا لتاتي النتيجة شيئا مشرفا ..

فليس هذا النص الذى قدمته فرقة الورشة على مسرح المركز الثقافي الفرنسي (المكان الوحيد الذى اتيح لهم) هو نص الفريد جارى الأول ، بل هو نص جديد تعاون على صياغته كل من نجيب جويلي مع خالد جويلي والمخرج حسن الجريتلي ، تخللته الحان الشاعر اسامة الغزولي ، لتضفى عليه موسيقى جورج كازازيان ابعادا اغنتها اضاءة جان كلود بلانش ، وجوت جاسر جبر ، واداء الممثلة الموهوبة عبلة كامل مع كل من احمد كمال ، واحمد مختار ، وسيد رجب ، ومنى زكريا ، ومحمود اللوزى ، ورامز الياس ، وفانيا اكسر جيان ، وتميم عبده ، واستفان منير ، وبقية المتعلونين على انجاح العرض ، لتاتي النتيجة مؤكدة على هذه الحقيقة البسيطة ، نعم يمكننا ان نقدم عرضا مسرحيا جيدا ، اذا ادركنا حقيقة ان المسرح : اداء جماعي ، ورسالة نبيلة .

اهلا بهذا العرض الجديد الجميل لفرقة الورشة التى تؤكد على ان المسرح الجاد ممكن وباقل التكاليف ..

• شعر •

● هذا الشيء لصالح من ؟ ●

● نزار قباني و « قصيدة » جديدة ! ●

لاشك انه حق اول لكل شاعر وناشر فى بلادنا العربية ان ينتقد مايرى انه يستحق النقد فى بلاده (العربية) دون ان يكون نقده لاى بلد عربى (حتى ولو كان خارج وطنه الرسمى) شيئا معيبا يستحق عليه اللوم ، بل هو فى تقديرنا واجب تفرضه عليه الأمانة ، امانة كونه مثقفا فى الأساس ..

وحين انتقد نزار قباني من قبل فى كثير من اشعاره الأوضاع العربية ، والسلطات العربية ، لم يكن احد منا ضده فى هذا النقد ، بل كنا نرى انه حق له (حتى ولو جاء هذا فى احيان كثيرة على حساب الشعر) ، ولكن أن يعمم نزار قباني وصف العربى ، ليجعله شاملا لكل عربى ، حاكما ومحكوما ، صحفيا وكاتبا ، يمينيا ويساريا .

ويقيم هذه المفارقة بين هذا العربى الجاهل (ابو جهل) وبين الانجليزى (الديمقراطى الحر المتنور) ويعقد هذه المقارنة (الجاهلة الجهول) التى تذكرنا برسوم بعض الرسامين على



نـزار قبانى

صفحات بعض المجلات الفرنسية والانجليزية ويصورون العرب وهم يبدون (كلهم هكذا وبالاجماع في غاية القظاظة والجهل والتخلف) .. إننا عند هذا الحد نقول لا ، والف لا ، فليس كل العرب ، حتى اولئك الذين يرتدون الدشداشة) أبو جهل ، وليس كل بدو العرب على هذه الدرجة من خسة النفس ، وإلا فإنك تبيع الشرف في سوق نخاسة الانجليز ، ولاتعرف ماهو الثمن ، ولصالح من ؟ هل لصالح الانجليز ؟ وحتى لانتمادى ننشر هنا نص هذه القصيدة المسماة (أبو جهل يشترى فليت ستريت) وندعو الجميع ، قراء وكتابا لابداء رأيهم فيها .. (مع العلم بأن نزار نفسه نشر قصيدة أخرى في العدد التالى من مجلة الناشر التي نشرت قصيدته هذه حملها نقدا للأنظمة العربية هو من صميم حقه كصاحب رأى ، وإن كان مستواها الشعرى يقول بأنه ليس لديه جديد) وفيما يلى نص قصيدة « أبو جهل » ..

● أبو جهل ● ●
يشترى (فليت ستريت)...

هل اختفت من لندن ؟
باصاتها الجميلة الحمراء .
وصارت النوق التى جئنا بها من يثرب
واسطة الركوب فى عاصمة الضباب ؟

★ ★ ★

تسرب البدو إلى قصر بكنغهام
وناموا فى سرير الملكه
والانجليز لعلموا تاريخهم .. وانصرفوا
واحترفوا الوقوف ـ مثلما كُنّا ـ
على الأطلال

★ ★ ★

هاهم بنو تغلب .. في (سُوهُو) ..
وفي (فيكتوريا) ..
يشمرون ذيل دشداشاتهم
ويرقصون الجاز...

★ ★ ★

عنترة
يبحث طول الليل عن رومية
بيضاء كالزبدة
لو مليسة الفخذين كالهلال
ياكلها كبيضة مسلوقة ..
من غير ملح ـ فى مدى دقيقة ـ
ويرفع السروال !!

★ ★ ★

هاهم بنو عبس ..
على مداخل المترو ..
يعبون كئوس البيرة المبرّده

وينهشون قطعة ..
من نهد كل سيده !!

★ ★ ★

هل سقط الكبار من كتابنا
في بورصة الريال ؟
هل اصبحت إنجلترا عاصمة الخلافه ؟
واصبح البترول يمشى ملكا
فى شارع الصحافة ؟؟ .

★ ★ ★

جرائد ...
جرائد ...
جرائد ...
تنتظر الزبون فى ناصية الشارع
كالبغايا ..
جرائد جاءت إلى لندن كي تمارس الحرية .
تحولت - على يد النفط - إلى سبايا .

★ ★ ★

جئنا لأوروبا
لكى نشرب من منابع الحضاره
جئنا .. لكى نبحث عن نافذة بحريه
من بعدما سدوا علينا عنق المحاره
جئنا .. لكى نكتب حرياتنا ..
من بعد أن ضاقت على اجسادنا العباره
لكننا ، حين امتلكنا صحفا .
تحولت نصوصنا
إلى بيان صادر عن غرفة التجاره ..

★ ★ ★

جئنا لأوروبا .. لكى نستنشق الهواء
جئنا .. لكى نعرف ما الوانها السماء
جئنا .. هروبا من سياط القهر ، والقمع
ومن أذى داحس والغبراء ..
لكننا لم نتامل زهرة جميلة
ولم نشاهد مرة .. حمامة بيضاء
وظلت الصحراء فى داخلنا ...
وظلت الصحراء ...

★ ★ ★

للواحد الأوحد .. فى عليائه
تزدان كل الاغلفه ...
وتكتب المدائح المزيفه ..
ويزحف الفكر الوصولى على جبينه
ليلثم العباءة المشرفه ..
هل هذه صحافةٌ ؟
ام مكتب للصيرفه !!

★ ★ ★

على الذى يريد أن يفوز فى رئاسة التحرير ..
عليه أن يبوس فى الصباح والمساء ..
ركبة الأمير ..
عليه أن يمشى على اربعة ..
كى يركب الأمير !!

★ ★ ★

يعطى طويل العمر .. للصحافة المرتزقه
مجموعة من الظروف المغلقه ..
وبعدها ..
ينفجر النباح .. والشتائم المُنسّقةْ ...

★ ★ ★

ماليساريين من كتابنا
قد تركوا (لينين) خلف ظهرهم
وقرروا أن يركبوا الجمال ؟؟

★ ★ ★

هذا .. له زاوية يومية
هذا ... له عمود ...

والفارق الوحيد فيما بينهم
طريقة الركوع .. والسجود ..

★ ★ ★

لاترفع الصوت .. فانت امن ..
ولاتناقش ابدا مسدسا .. او حاكما فردا
فانت امن ...
وكن بلا لون .. ولا طعم .. ولا رائحه
وكن بلا رأى .. ولاقضية كبرى
فانت امن ...
واكتب عن الطقس .. وعن .
حبوب منع الحمل - إن شئت -
فانت امن ...
هذا هو القانون في مزرعة الدواجن ..

★ ★ ★

ايا طويل العمر :
يامن تشترى النساء بالأرطال ..
وتشترى الأقلام بالأرطال ..
لسنا نريد اى شيء منك
فانكح جواريك كما تريد ...
واذبح رعاياك كما تريد
وحاصر الأمة بالنار .. وبالحديد
لا احد يريد منك مُلكك السعيد
لا احد يريد ان يسرق منك جبة الخلا
فاشرب نبيذ النفط عن آخره ...
واترك لنا الثقافه ....

مـــاذا يـــحـدث فــــى مــجـلــة الــشــعــر ؟ !

لاشك ان حال مجلة "الشعر" ، مثل حال الكثير من الاشياء في بلادنا ، فقبل عدة سنوات ظلت المجلة تصدر وهي تحمل اسم رئيس التحرير الذى يعمل فى احدى الدول العربية .. ويقوم بادارتها هاتفيا .. ثم صدر قرار أن يتولى رئاسة تحريرها الشاعر المبدع فتحي سعيد .. إلا أن القدر سرعان ما عاجله ، فلم يمهله ان يتم رحلته في صبغ المجلة بهوية محددة جادة وجديدة ..

واذكر انني عقب حضور ماتم الشاعر فتحي سعيد ركبت سيارة ضمت ثلاثة من الشعراء ، المتبايني الاتجاهات ، لم يكن لهم حديث سوى عن رئيس تحرير مجلة الشعر المنتظر ، وطوال مسافة العودة الطويلة الى المنزل ، راح الشعراء يطرحون الاسماء المتوقعة وتوصلوا إن لا احد يصلح من كل هذه الاسماء المطروحة لرئاسة تحرير المجلة والاسباب عديدة منها عدم الاستلطاف .. وعدم الموهبة .. ومنها عدم وضوح الرؤية .

والآن ، وبعد اكثر من سبعة شهور على رحيل فتحي سعيد ، يبدو أن المسئولين في اتحاد الاذاعة والتليفزيون ، الذى يصدر المجلة ربع سنويا ، قد وصلوا الى نفس ماتوصل اليه الشعراء الثلاثة ، ليلة رحيل الشاعر فتحي سعيد .. فحتى الآن لم



يصدر قرار بتعيين اى رئيس تحرير لمجلة الشعر ..

ووسط هذا الترقب ، صدر عدد شهر يوليو من المجلة الذى اشرف على اصداره احمد هريدى ، سكرتير التحرير ، الذى بدا وكانه تلميذ مجتهد فى مدرسة فتحى سعيد فى إدارة المجلة .. وذلك من حيث قدرته على اختيار المقالات المنشورة فى الملف الرئيسى بالمجلة .. او فيما يتعلق بالقصائد المنتقاة .. سواء كنصوص شعرية كتبها كل من احمد سويلم وطاهر ابوفاشا وجمال القصاص .. والشاعر المكسيكى اوكتافيو بات أو من الأصوات الجديدة التى راسلت المجلة من الاسكندرية ، واسيوط ، والضفة الغربية المحتلة .. والمانيا الغربية ، وملوى .

وقد ركز العدد على القاء الضوء على المسرح الشعرى المعاصر سواء فيما يتعلق باشكالية اللغة .. والبعد الايقاعى فى المسرح الشعرى .. ثم المسرح الشعرى العربى واشترك فى كتابة هذا الملف كل من الدكتور مصطفى عبد الغنى ووليد منير .. ومحمود نسيم .. ومحمود قرنى ..

السؤال الآن .. الى متى تستمر حالة الانتظار لمجلة الشعر ؟ ! ..

• مكتبة الهلال •

● الكتاب : حصاة فى بحر هائج

● المؤلف : سيد حامد النساج

● الناشر : دار المعارف - اقرأ (١٩٦ ص) - ١٩٨٨



● هذا الكتاب مجموعة من المقالات المتنوعة .. أغلبها يتناول قضايا مشكلات الحياة الثقافية والاجتماعية من القاع حتى السطح .. يكشف المؤلف من خلالها .. الغياب الادبى والثقافى فى الداخل والخارج .. وقضية المناخ الذى سادته ثقافة المزاج الخاص ؟ .. واتهامات الأدباء والمثقفين بعضهم لبعض بالخيانة والعمالة والتخلف .. ويلقى الضوء على الجيل الجديد من شباب الكتاب والمفكرين والنقاد بانه جيل مظلوم لم يأخذ حقه على خريطة النشر ليصل الى الناس .. وفيه يدين القيادات التى تسيطر على وسائل النشر فى الصحف والمجلات .

ويضرب مثلا بالدور

الذي قام به الأديب الراحل حسين القباني في الحياة الثقافية .. وماقدمه من عون وتشجيع للأدباء من الشبان الذين التفوا حول ندوته التي كان يعقدها كل اسبوع بانتظام من فوق كرسي متحرك لم يمنعه من التأليف والترجمة .. ولم يحاول مرة ان يسيء الى احد ممن عرفهم او قرا لهم او عنهم ..

ورغم ان عنوان الكتاب يثير في النفس شجون تحريك المياه الراكدة في البحيرة الثقافية الآسنة .. بأنه « حصاة في بحر هائج » .. فان بعض الموضوعات مثل : العاملون المصريون في الخارج بلا غطاء .. والتربية العسكرية الحائرة في جامعاتنا .. وغيرها ، كان يجب الا تضاف على كشف الحركة الأدبية والفكرية التي حاول المؤلف ان يكشف فيها عن الأمراض التي تعاني منها حياتنا الثقافية ..



الكتاب : هيكل .. المملكة والمقال والتاريخ
تأليف : كمال محمد علي
الناشر : المؤلف

مؤلف هذا الكتاب هو رئيس وحدة المعلومات بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بمؤسسة الأهرام ، ومؤلف للعديد من الكتب الاخرى ذات الطابع المعلوماتي . ويحاول في كتابه هذا ان يعكس جانبا من سيرة الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل ، وسلوكياته منذ مطلع حياته الصحفية متتبعا للخط البياني لصعود صاحب السيرة الى مكانته ككاتب شهير ذي نفوذ متفرد ، محاولا تخطي الصعاب كمن يمشي على الجمر ، ولاشك ان الحديث عن الاستاذ هيكل الذي اصبح جزءا رئيسيا من تاريخ مصر ، موضوع مثير ويحمل الكثير من عناصر الفائدة والتشويق . ولكنه واقع تماما تحت تأثير « كاريزما » شخصية هيكل . وان كان يحاول بكل جهد ممكن ان يكون موضوعيا والمشكلة الاساسية ان الكاتب هنا يقف عند حد « المعلومة » دون ان تكون له رؤية واضحة في دراسته ، او لنقل عرضه لجوانب هذه السيرة ، الأمر الذي يبدو ان مهنته قد اثرت فيه ، لكنه لايفتقد الشجاعة في قول كلمة حق يراها في مناطق عديدة تناثرت في فصول هذا الكتاب .

الصيف والأدب

من حكايات الشاطىء الرومانسية .. وقصص المستعمرات الدامية

بقلم: محمود قاسم

تختلف مشاعر الناس وتتباين ، فيما يتعلق بفصول السنة . لكن الكثير من الناس يحبون الصيف لأنه موسم الاجازات والراحة . والابتعاد عن روتين العمل ووتيرة الحياة . من اجل إذابة جليد التصق بهم طوال عام باكمله .. فيهربون الى الشواطىء بحثا عن ترطيب الجسد ومحاولة لصقل العقل والوجدان .. لبعض الوقت ..

ولان الأدب صورة خاصة ، وعامة للمجتمع . فان الكثير من الادباء قد راحوا يكتبون عن الصيف من وجهات نظر مختلفة . كل من مفهومه الخاص . وحسب علاقته بالصيف سواء كمصيف او كفصل جغرافي تزحف فيه الحرارة على الاجساد وتكاد تنهشها . وتتدفق فيه الحشرات من حولنا .. او تزداد معدلات الجريمة .. او تصص الحب البريئة والملتهبة لذا راح بعض الأدباء يذهب بشخوصه الى الشواطىء سعيا لقضاء اجازة صيفية . وحاول البعض أن يصور الصيف كحالة كابوسية من الصعب النفاذ منها الى اى امل حقيقى .

ويمكن ايجاز السمات العامة فى الأدب الذى يتناول حكايات الصيف فى جزء منها أو فى اغلب حوادثها فى النقاط الآتية :

لم يكن الصيف ابدا هو الموسم الجميل الذى يشد الناس الى الاجازات وشواطىء البحر بل هو فى بعض الروايات ليس سوى هيكل من الجحيم الحار والجاف .. قد يتولد عنه عنف سياسى او اجتماعى ومثل هذا النموذج موجود فى رواية « الغريب » لألبير كامى .. و« الحشائش تغنى » لدوريس ليسنج .

قد يتحول الصيف بحرارته وسخونته من فصل جغرافي سنوى الى جدران صماء تحبس فى إطارها مجموعة من البشر اليائسين الذين عليهم النفاذ بجلودهم ..

الصيف هو فى غالب الروايات الرومانسية فصل الحب . والعلاقات الجديدة .. وقد شغف بعض الكتاب بسرد حكايات الحب الصيفية مثلما فعل البرتو



البرتوموراقيا

موراقيا .. واحسان عبد القدوس وايضا توماس من .

والغريب ان الروايات التى تعاملت مع الصيف من منظور وردى لم تحظ باهتمام نقدى ملائم .. مثلما حدث لرواية «البنات والصيف» لاحسان عبدالقدوس .. «الفك المفترس» لبيتر بنشلي . لكن الأمر اختلف كثيرا بالنسبة لرواية « الموت فى فينسيا » لتوماس من و «ضحكة فى الظلام» لفلاديمير نابوكوف..

● غرام فى القارب

لا شك ان للكاتب الايطالى البرتو موراقيا عشقه الخاص لحكايات الصيف العاطفية . والحسية . وقد تكرر مشهد بعينه فى ثلاث روايات للكاتب هى « المراهق » و« شبح فى الظهيرة » ثم «١٩٣٤» . هذا المشهد يتمثل فى رجل وأمرأة يركبان قاربا صغيرا يصعد بهما الى مسافة بعيدة من البحر . وهناك بعيدا عن الاعين يمارسان الحب الملتهب .. ولكن هذا الاتصال الجنسي يكون سببا فى عملية تحول كاملة فى نوع العلاقة ..

ففى رواية «المراهق» لم يكن الصيف حدثا سعيدا للصبى اجو ستينو .. فهذا الفصل كان سببا لأنفصاله عاطفيا عن امه . التى وهبته كل مشاعرها ووقتها فيما قبل . وفى الصيف حين ذهبا معا الى شاطىء البحر بدأ يشعر بأن الرجل الذى تقف لتحادثه بين حين وآخر سيكون سببا فى بعد الشقة عن امه وتحس الأم بمشاعر ابنها فتذهب مع حبيبها الى عرض البحر فى قارب صغير من اجل ممارسة بعض الهوى .. ويكون هذا الحدث سببا حقيقيا فى تغيير العلاقة بين الأم وابنها .

تكرر مثل هذا المشهد فى رواية «شبح فى الظهيرة» .. ثم فى «١٩٣٤» ففى هذه الرواية رحل كاتب شاب الى مدينة كابرى لتاليف رواية جديدة . فاذا به يقع فريسة لممثلة محترفة .. تتعامل معه بسخرية شديدة . فهى تمثل عليه دور الفتاة الحالمة التى تتمنى ان تنتحر مع حبيبها فوق فراش عذرى على طريقة الشاعر الالمانى فون كلايست ثم تعود لتمثل دور اختها التوام .. وهى فتاة غارقة فى الحسية والشهوانية فتخرج معه الى عرض البحر .. وتتعرى امامه على طريقة الشباب المراهقين ، فوق نفس القارب الذى سبق ان ركب مثيلا له كل من العاشقين فى «المراهق» «وشبح فى الظهيرة» .

وقد انحصرت حكايات موراقيا الصيفية فى اطار ضيق من البشر . بمعنى ان اشخاص رواياته الذين يذهبون الى الصيف ويركبون البحر فوق قارب صغير ، معزولون عن العالم فالفندق فى الروايات الثلاث التى ينزل بها هؤلاء الاشخاص شبه خاو . الا من أشباح انسانية تتحرك هنا وهناك . وتكاد تشعر انه لا يوجد فى المصيف سوى ابطال هذه الروايات .

الصيف والأدب

وفى رواية «ضحكة فى الظلام» رأينا نفس العالم الذى يصنعه نابوكوف .. فقد اختارت الزوجة ان تذهب الى المصيف مع رجلين الأول هو زوجها العزيز الذى يصرف عليها امواله ببذخ . والثانى هو عشيقها الشاب الملتهب المشاعر . وفوق رمال الشاطىء تتعمد المرأة ان تمارس الحب مع عشيقها فى مكان قريب من زوجها الذى لا يراها لكنه يبدأ فى الاحساس بأن شيئا غير عادى يحدث حوله .. ورغم ذلك لا يعلن تمردا .. ولا يبدى تعارضا . بل يمتثل الى الاساليب التى تمارسها المرأة لاذلاله حتى تقتله فى النهاية وهو مستسلم تماما .

● حكايات صيفية

اما حكايات احسان عبدالقدوس فلم تبتعد كثيرا عما رواه نابوكوف ومورافيا . الا ان ابطاله الذاهبين الى المصيف لم يتحركوا بعيدا عن حدود رمال الشاطىء . وسور الكورنيش القصير الذى يطل مباشرة على البحر وقد روى الكاتب خمس حكايات صيفية لخمس فتيات جئن الى بلاجات الاسكندرية .. وبعض هذه الحكايات مورافية من خلال العلاقات المتشابكة المرتبطة بالخيانة او الغيرة ، او الزلة مثل حكاية البنت التى وجدت نفسها اسيرة لكل من زوجها وصديقه . الزوج لا يدرى شيئا مما يفعله صديقه اسماعيل الذى يلاحق زوجته فى كل مكان . يريدها لنفسه بروحها وجسدها والفتاة واقعة بين فضيلتها التى تربت عليها وبين خطيئة تفرض نفسها من أعلاها وهى بنت متدينة تعرف حدود الخير والصلاح ولكن كل من حولها يحاول ان يرسم لها إطارا يجب الا تخرج عنه . فاسماعيل يحل مكان الأم عقب الزواج . يختار لها ملابسها ويحسب لها خطواتها ويرسم لها يومها . هى وزوجها . ويجلس بجانبها حول المائدة بينما الزوج يجلس بعيدا . وتدور أحداث هذه العلاقات المتشابكة اثناء اجازة صيف رغم انها يمكن ان تدور فى اى وقت من العام . الا ان الكاتب اكد ان الصيف يعد ديكورا افضل لمثل هذه الحكايات .

ومن حكايات الصيف الجميلة عند احسان عبدالقدوس ماروآه عن ماسى . او تلك التى اسماها الكاتب اجمل فتاة على الشاطىء عام ١٩٥٨ . ولابد لمثل هذه الفتاة ان تجذب الانظار حولها .. الا انها لا تنجذب سوى لرجل واحد يختلف فى جذوره ومنبعه عنها .. وتصدم حين تعرف ان هذا الرجل يحب امرأة اخرى .. وتتصور ان منافستها لابد ان تكون أكثر حسنا منها . الى ان تتصل بها امرأة تخبرها انها الحبيبة المنشودة .. وعندما تقابلها تصدم .. فهى ليست سوى كتلة من الشحم الآدمى . ولذا تقرر ماسى ان تنسحب من هذه التجربة المتشابكة بكل كبرياء .

وفى هذا المضمار يجب الا ننسى رواية «الموت فى فينسيا» .. لتوماس من حيث ذهب كاتب روائى يدعى اشنباخ الى شاطىء فينسيا لقضاء الايام الأخيرة من فصل الصيف .. وهناك يلتقى بصبى صغير يذكره بشبابه الضائع .. وعبثا يحاول الكاتب الذى خطه المشيب ان يحادث الصبى لكن بلا جدوى .. فرغم أنه كاتب يسطر مؤلفاته لالاف القراء الذين يعجبون بما يكتب .. فهو عاجز تماما عن الاتصال بصبى صغير .. جاء مع اسرته

الى البلاج لقضاء اجازة صيف .

● روائح العرق في المستعمرات

اما حكايات الصيف فى البلاد الحارة خاصة فى المستعمرات ، فقد برزت فى روايات عالمية متعددة وقد اتسمت هذه المستعمـرات دوما بـالقيظ الشديـد والصراع الحضارى بين المستعمرين والوطنيين . ومن ابرز هذه الروايات «الحشائش تغنى» لدوريس ليسنج .. ثم « حقل السيد المحافظ ».. للممثلة مارى فرانس بيزيه .. وايضا رواية « الغريب » لالبير كامى .

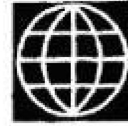
ففى هذه المستعمرات تشتد درجات الحرارة الى درجة الاحتراق وتفوح رائحة جلـود البشر وتـدور المواجهـة فى «الحشائش تغنى» بين مارى تيريز المرأة البيضاء وموسى الزنجى . الذى يعمل فى مزرعة زوجها . وهى تتمتع بتعذيبه واذلاله .. فتدفعه ان يعمل تحت قيظ الشمس الذى يحول بشرته السوداء الى قطعة من الفحم ويفوح العرق كريها من المسام وتتلذذ مارى بهذه السادية التى تمارسها على موسى . الا انها تحس بماسوشية تمتثل فى عينيه . فهو رجل لا يتكلم سوى بعينيه ..

ووسط هذا القيظ القادم من شمس الصيف اللافحة . تنمو مشاعر ملتهبة بين امرأة بيضاء وزنجى . فلا يمكن لهما ابدا ان يلتقيا فى بلد يقوم على التفرقة العنصرية . هو جنوب افريقيا .

وتدور احداث رواية « حقل السيد المحافظ » فى مستعمرة كالدونيا الفرنسية فى صيف عام ١٩٤٦ . وبطلة الرواية تعيش مرحلة التحول الانثوى . فهى فى الخامسة عشرة فتاة محبوسة داخل جلدها تود ان تنطلق من هذا المحبس المغلق .. وأن تمارس حريتها المنشودة . فتذهب الى الحدائق وتجمع الورود كى تكتب على اوراقها .. وبينما ترى البنات يذهبن الى الشـواطىء ويرتـدين ملابس البحـر المزركشة . فانها تتجه الى المكتبة من اجل لمّ حصاد معرفى جديد . ولذا فهى تعلن غضبها على ابيها الذى يمثل الاستعمارى الرجعى الذى جاء لامتلاك اراضى الآخرين .

وتختلف رواية « الفك المفترس » فى منظورها الى الصيف . فقد تحول الموسم السياحى فى مدينة اميتى الأمريكية الى كابوس والمدينة تعتمد فى مواردها على موسم الصيف . وبينما الموسم على اشده . والناس فى حال من المتعة .. يخرج على المصطافين قرش متوحش متعطش للدماء . فيحول البسمات الى صراخات .. ويبكى الابرياء من جميع الاعمار . وتنسال الدماء فوق المياه الزرقاء وينزرع الخوف فى قلوب المصطافين . وتهددهم امكانية ظهور القـرش مرة أخرى . ويقربون التزام الرمال ويتطلعون الى المياه دون ان يتمكنوا من لمسها .. فلا يمكن أن يوجد مصيف دون سباحة فى البحر حتى ولو كان الخطر ماثلا امام الناس . بكل ما به من انياب شرسة . لذا فعندما بادر شخص بالنزول الى المياه .. تعمد الجميع نسيان خوفهم واسرعوا بكل ثبات وفرحة ناحية الخطر يحتضونه .. ويعشقونه .

تلك بعض النماذج من الأدب المعاصر التى ربطت بين الانسان والصيف .. وكما رأينا فليست حكايات الصيف كلها وردية أو رومانسية .. بل هى ايضا دامية . مليئة بروائح العرق وحكايات الكراهية والالم ..



العالم في سطور

• ميونخ •

• نابليون وهتلر

فى كتاب واحد "نابليون وهتلر : سيرة مقارنة" (٣١٩ صفحة) يعرض صاحبه "ديزموند سيوارد" لهذين الطاغيتين .

وقوام هذا العرض ان الطبيعة البشرية لا تتغير ، وانما الذى يتغير هو الظروف المحيطة بها .

خذ مثلا غزوتى روسيا فى ١٨١٢ و١٩٤١ اللتين دفعتا بالطاغيتين الى كارثة الهزيمة النهائية .

لماذا خاطر الاثنان بغزو روسيا رغم انها لم تكن تشكل خطرا ظاهرا ؟ يجيب صاحب الكتاب قائلا ان بريطانيا هى التى كانت مستهدفة بذلك الغزو فى كلتا الحالتين .

فما ان تستبعد روسيا من حلبة الصراع حتى تضطر بريطانيا ، وقد عزلت واصبحت بدون حليف فى القارة ، الى الجلوس الى مائدة المفاوضات .

وثمة عامل ثان ادى الى هذه المخاطرة ، الا وهو فقدان الطاغيتين لكل اتصال بالواقع .

فالحرب عند الاثنين لم تعد استمرارا للسياسة ، ولكن بوسائل اخرى ، وانما اصبحت غاية فى ذاتها .

لقد افسدتهما السلطة المطلقة افسادا مطلقا .

وفى الحق ، فكلاهما فى السعى الى مزيد من السلطة كان لا يؤمن باى شىء سوى نفسه ، متوهما انه رجل الاقدار .

"انا جئت لأغير وجه الارض" هكذا فى حديث مع شقيقه قال "نابليون" .

"انا اسير فى الطريق الذى اختارته لى العناية الالهية ، بيقين السائرين نياما" هكذا قال "هتلر" .

وكلاهما كان مغاليا فى الوطنية ، ومع ذلك لم يكن ليهتم او ليهتز لمعاناة المواطنين .



نابليون



ادولف هتلر

وكلاهما كان يحلم ببناء امبراطورية عالمية ، لا لشىء سوى تحقيق الامجاد نفخا للذات .

وكلاهما كان متجردا من اى رادع خلقى يحول دون ارتكاب فظائع يشيب من هولها الولدان .

وعند صاحب الكتاب انه لا فرق بين نابليون وهتلر فى هذا المجال ، وان ما حال بين الاول وبين الانحدار الى

حضيض الثاني هو ان مستوى التكنولوجيا في زمن الحروب النابوليونية كان اقل بكثير من مستواها ابان الحرب العالمية الثانية .

• باريس •

● اندريه شديد .. ٦٠ عاما ●

احتفلت الكاتبة المصرية اندريه شديد منذ اسابيع بعيد ميلادها الستين . وبهذه المناسبة اجرت مجلة "شئون عربية" الصادرة باللغة الفرنسية في باريس حديثا مع الكاتبة .

وتقول اندريه شديد انها قد استلهمت اغلب مؤلفاتها من منابعها الشرقية "انا سعيدة انني اعيش بين اماكن متعددة . فانا اعيش في ثراء خاص . يتمثل في حريتي التي اعشقها . وقد سبق ان قلت انني ليس لدي النية ان اقتلع جذوري بشكل ماساوي . فهذا ليس بالأمر السهل بالنسبة لي . فانا احس انني انتمي الى الشرق والغرب معا . وقد كتبت



اندريه شديد

كثيرا عن مصر ولبنان .. وهما وطني الحقيقي بالنسبة لي . كما احس بان الكثير من الاشياء تتلاحم وتتزاوج .. وتتناطح . ولذا اشعر بالسعادة دوما وانا اسمع ان "اليوم السادس" و"نوم الخلاص" مثلا ، كتب واقعية عن مصر . يجب ان نحتفظ دوما بشيء ما في اعماقنا . ونحن نعبر بين بيئات مختلفة .

من المعروف ان اندريه شديد مولودة في القاهرة عام ١٩٢٩ . وقد تلقت دراستها في المدارس الفرنسية . ثم سافرت ، مع اسرتها ، الى لبنان من اجل استكمال دراستها . وما لبثت ان عادت إلى القاهرة . وحصلت على دبلوم الصحافة من الجامعة الامريكية . وعاشت في المدينة بضع سنوات مارست فيها الكتابة والنشر . ولكنها وجدت نفسها مضطرة الى الرحيل مع زوجها لويس شديد ، الذي حملت اسمه ، إلى فرنسا بعد أن حصل على وظيفة مرموقة في معهد لويس باستير .

وقد زارت اندريه مصر مرات عديدة كان اخرها في يونيه ١٩٨٨ . حين منحتها الجامعة الأمريكية . درجة الدكتوراه الفخرية .

والطريف انها رغم الفترة الطويلة التى اقامتها فى باريس . فانها تعتبر كاتبة "اجنبية" .

• ساكس •

• موت اسطورة •

جاء الموت اللورد اوليفييه يوم الحادى عشر من يولية ، وهو فى منزله بجنوب انجلترا . وله من العمر ٨٢ عاما ، وذلك بعد صراع مرير مع السرطان دام عامين او يزيد .

كان اول صعود له على خشبة المسرح قبل اربعة وستين عاما ، وبالتحديد يوم الاول من يناير لعام ١٩٢٥ .

وفى البدء قال له النقاد انه ليس فى استطاعته ان يكون ممثلا شكسبيريا .

ولم يكتفوا بذلك ، بل قدموا اليه النصح بالا يحاول الاقتراب من مسرحيات شكسبير ابدا .

ومن سخرية الاقدار بهؤلاء النقاد ان "لورنس اوليفييه" يعتبر الآن من ذلك النفر القليل فى تاريخ المسرح البريطانى خلال القرن العشرين الذى استطاع ان يتقمص جميع الشخصيات الهامة فى تلك المسرحيات (روميو ، انطونيو ، ماكبث ، ياجو ، عطيل ، هنرى الخامس ، ريتشارد الثالث ، الملك لير) ، ويتقمصها بنجاح منقطع النظير وانه الوحيد من بين . جميع ممثلى المسرح والسينما فى بريطانيا الذى منح لقب لورد للدور الذى لعبه فى النهوض بالمسرح ، وبخاصة ماكان منه متصلا باعمال شكسبير .

ولم تكن الطريق الى هذا المجد مفروشة بالزهور ففى النصف الاول من الثلاثينات سافر "اوليفييه" الى الولايات المتحدة كى يجرب حظه مع هوليوود .

وهناك رفضته ربة الجمال "جريتا جاربو" عاشقا لها فى فيلم "الملكة كريستينا" ، مؤثرة عليه ، "جون جيلبرت" . الذى لم يمر عام وبعض عام على ادائه لدور السفير الاسبانى العاشق للملكة ، الا وقد اصبح نسيا منسيا .

وما ان اقترب عقد الثلاثينيات من نهايته الا وكان "اوليفييه" مقتحما مع زوجته الثانية "فيفيان لى" اسوار هوليوود حيث اسند اليه دورا "هيثكليف" فى "مرتفعات ويذرنج" و "ماكسيم دى وينتر" فى "ريبكا" اول افلام المرحلة الامريكية من حياة "الفريد هيتشكوك" مخرج التشويق الشهير .

اما زوجته فقد اسند اليها دور "سكارليت اوهارا" فى "ذهب مع الريح" (١٩٣٩) .

ومن مآثر "اوليفييه" قيامه بانتاج واخراج وتمثيل كل من "هنرى الخامس" ، "هاملت" و "ريتشارد الثالث" والافلام الثلاثة مأخوذة عن مسرحيات بنفس الاسم لشكسبير .

ومن اجل الفيلم الاول استحدثت اكاديمية الصورة المتحركة فى عاصمة السينما - جائزة



لورانس اوليفييه مع طفليه من زوجته الثالثة

اوسكار خاصة تكريما لصاحبه وذلك لقيامه بإنتاجه واخراجه وتمثيله دون ان يهاب .

وفضلا عما تقدم توجت "هاملت" وصاحبه بجائزتي اوسكار احسن فيلم وممثل .

ولعلها المرة الاولى والاخيرة فى تاريخ اوسكار التى تمنح فيها جائزتها المشتهاة لفيلم مأخوذ عن مسرحية لشكسبير .

يبقى ان اقول ان بقاء "اوليفييه" فى القمة متربعا على عرش المسرح زهاء اربعين عاما ، انما يرجع الى شغفه بالمسرح ، واتقاد شرارة ذلك الشغف فى قلبه .

هذا الى نجاحه فى الجمع بين التواضع ازاء العمل الذى يقوم بتمثيله ، وبين الاعتداد بالنفس والثقة بها .

وذلك الجمع نادرا ما يتحقق للممثل ، لاسيما اذا كان نجما شهورا .

فالنجومية والشهرة غالبا ما يصاحبهما الغرور بعد حفله باليه توجه احدهم الى الراقصة الاولى "مارجوت فونتين" سائلا .

"من فضلك اشرحى ما كنت تؤديه فى ذلك الباليه ؟ » .

وجاء جوابها مانعا جامعا "لقد شرحت وانا اؤديه واذا لم اكن ، فعلى الاقل انا آسفة" .

وفى حديث له مع مجلة "لايف" الامريكية (١٨ / ٥ / ١٩٦٤) قال "اوليفييه" اذا ما سئلت عن التمثيل ، فستجيء إجابتى مطابقة تماما لإجابة "مارجوت" ، لا تختلف عنها فى كثير او قليل .

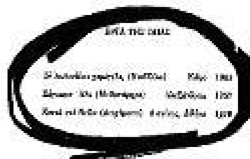
كاليوبي ناكوبولو والريـف المصـرى في الرواية اليونانية المعاصرة

بقلم: د. نعيم عطيـه



غلاف رواية كاليوبي ناكوبولو الأخيرة الصادرة في أثينا ١٩٨٢ عن حياة المؤلفة بالمنصورة

مراكب شراعية على النيل . الغلاف الأخير لرواية ناكوبولو الأخيرة عن مصر



ثبت بالأعمال الأدبية اليونانية المعاصرة لنكوبولو وفيها الإشارة إلى مجموعتها القصصية «الابتسامة الوردية» المنشورة بالقاهرة ١٩٥٣

إن حبي لهؤلاء الناس الذين عشت بينهم سنوات عدة قد قدت على مر الوقت هذه الحكاية فتتجسد في مخيلتي كل أولئك الفلاحين الذين عرفتهم .. وها هم يعودون ليحيوا وإنما تختلط فيه المرارة والكفاح ولحظات السعادة القليلة .

إن كل الأحداث التي استقيتها من حياتي اليومية بينهم قد أصبحت هي الخيوط التي نسجت منها شجرة على ..

كاليوبي ناكوبولو

من التيارات التي تستحق الاهتمام في الأدب اليوناني الحديث تيار الكتابة عن الحياة المصرية .. وعلى صفحات شافية ديجت باليونانية ارتسم كثير من معالم بيئتنا الريفية .. وظهر الفلاح المصرى بطلا يستحوذ على الانتباه ..

ويرجع الفضل في هذا التيار الى لفيف من الأدباء اليونانيين المعاصرين الذين عاشوا في مصر .. ونخص بالذكر منهم القصاص .. ن . بوسولاس الذي أوحت اليه تربتنا وأرضنا بصفحات شافية في كتابه الصيف الصادر عام ١٩٦١ وفيليبوبيريديس الذي تذكر له محاولته الربط بين اليونانيين المهاجرين الى مصر والبيئة الريفية التي عاشوا فيها ، وذلك في كتابه « تجار الأقطان » وهي مجموعة قصصية صدرت بالاسكندرية عام ١٩٤٥ ..

وفي مقدمة الأدباء اليونانيين الذين استوحوا البيئة المصرية في أعمالهم كوستا سابجاراكس ..

فقد أقام بأسيوط وكان أول من لفت انظار قرائه اليونانيين الى حياة أهل ريفنا برواية « نبيهة » التى كتبها عام ١٩٢٤ ثم تبعها فى العام التالى بمجموعته القصصية « حكايات » المستوحاة بدورها من حياة فلاحينا والبدو المقيمين على ضفاف النيل وكان اشتغال ساجاراداس بتجارة الاقطان فرصة أتاحت له أن يجوب ريفنا ويلتقط منه أقاصيصه وحكاياته التى جعلته رائد الكتاب اليونانيين الذين وجهوا اهتمامهم الى وصف مشاهد من حياتنا الشعبية .. وقد رجع ساجاراداس أيضا الى ماضى بلادنا فكتب عام ١٩٥١ « بتاح حتب » ترجم فيها جانبا من حياة الفراعنة وأدبهم ..

وقد عرب الاستاذ عبد السميع المصرى رواية ساجاراداس (نبيهة) بعنوان (عذراء أسيوط) وأشار أديبنا يحيى حقى فى كتابه (خطوات فى النقد) الى هذه الرواية منتبها الى دلالتها فيقول عنها .. « هزت روحى هزا عنيفا حتى غلبنى التأثر ، وأذاقتنى كأسا مترعة من سعادة لاحد لها .. لأن كاتبها اليونانى يخالطنا عن قرب ، ويعاشرنا منذ أمد . وتدل مقدمة المترجم : على أن المؤلف قد كرس لمصرنا العزيزة وطنه الثانى ، أو لعله أصبح وطنه الأول ، عصارة ذهنه وفنه ، وذوب روحه ، ووقف عليها جل مؤلفاته الكثيرة ..

● البيئة المصرية
في عيون يونانية

وقد سارت القصاصة كاليوبى ناكوبولو التى عاشت سنين طويلة فى الريف المصرى الى جوار زوجها الذى اشتغل بالزراعة ـ سارت فى روايتها « شجرة علىّ » الصادرة بالاسكندرية عام ١٩٥٧ على ذات النهج الذى اختطه ساجاراداس .. فسردت فى روايتها تلك حياة أسرة ريفية مركزة اهتمامها على التقاليد والعادات فى ريفنا ، وقد شيدت محور الرواية على الرغبة المتأصلة فى أن تنجب المرأة لزوجها ولدا ذكرا .. ومن خلال هذه السعادة المتواترة تتابع ناكوبولو بعين القصاصة المدققة حياة ريفنا كله ..

تبدأ الرواية بولادة الابن الرابع لفلاح ميسور الحال يملك ستة أفدنة بالميراث فى قرية من قرى شمال الدلتا حيث الأرض تحتاج الى جهد وعرق ..

كان هذا الابن الرابع ولدا وسيما أشقر فرحت به أمه أميرة وظلت تخاف عليه من حسد الحاسدين كى لا يخطفه الموت .. فأخفت عن الجيران أن المولود ذكر ، وشبكت بثيابه حجابا يحميه من شر العين ، وعلى جبينه علقت حجرا صغيرا أزرق ، وكانت اذا نظرت إلى قسماته هامت به اعجابا وأسرعت تلطخ الوجه الصغير بقليل من التراب حفاظا عليه ..

لم يكن علىّ وكان هذا اسم الولد ، يجد فى نفسه ميلا الى أن يغادر القرية ولا إلى أن يصبح طبيبا ، انه يريد فحسب أن يشتغل بالتجارة .. ولكنها مشيئة الأب .. ذهب الابن الى المدينة واشترى له بدلة افرنجية عندما لبسها أول مرة ظل يختال بها أمام المرآة ساعات وساعات رغم أنها كانت أكبر من مقاسه بنمرتين .. ولكن البائع أقنع أباه وزوج عمته بالشراء فالولد سرعان ماسيكبر ، وبعد سنتين ستصبح

على مقاسه تماما ..

كبر عليّ وبلغ السابعة عشرة .. لكن جسمه النامي كان كمن في الحادية والعشرين من عمره .. وفي الأعياد كان عليّ ينصب مراجيح في ساحة القرية .. تقبل عليها بنات القرية وأولادها ، كانت هذه المراجيح سعادة لأهل القرية .. كانت صبايا القرية بثيابهن الملونة الزاهية يقبلن على المراجيح تضيء الابتسامة ثغورهن ، ولكن عيني عليّ كانتا تبحثان دوما عن صبية بعينها .. عن نرجس الفتاة اليتيمة الفقيرة .. هل ستأتي الصغيرة ؟ كانت امها فاطمة تخاف على وحدتها وتشقى بالخدمة حتى توفر لها حياة آمنة بعد أن تركهما زوجها سالم مقتولا برصاصتين في ظهره .. كان سالم خفيرا .. وأرداه رصاص المهربين في ليلة حالكة السواد .. رفضت أرملته الشابة الزواج من بعده .. مكرسة حياتها لتربية وحيدتها اليتيمة نرجس .. وهاهي نرجس تناهز الخامسة عشرة من عمرها هذا العيد وهاهي الأم توصي ابنتها الا تذهب إلى الساحة .. فقد أصبحت صبية لايليق بها أن تركب المراجيح ..

مضى الحب العذري يوثق عراه بين قلبي الفتى والفتاة .. ويملأ عليهما الحياة .

انشغل عليّ بتجهيز عش الزوجية ، اشترى السرير البرنزي ذا الأعمدة الأربعة ، وأوصى أن يعد اللحاف والمرتبة والوسائد من أجود أصناف القطن .. وطلى البيت بالجير الابيض ، بيت الاسرة الذي لم يدهن منذ فرح الأب ، هذا ما تقوله الجدة للاسطى رجب النقاش ..

مامن امل يداعب قلوب الصغيرات أحلى من الزواج بابن الحلال ، وعندئذ تأتي الماشطة لتعدهن لاستقبال العريس .. وهاهي نرجس العروس اليتيمة تركب لأول مرة في عربة تطوف بها في موكب صاخب ازقة القرية المتربة .. وامام العربة ذات الجوادين تؤدي الراقصة البندرية رقصاتها ارتجالا .. استغرق الموكب ساعة والموسيقى تعزف والراقصة تمسك الدف تزف العروس وتجمع النقوط .. وعند باب العريس توقف الموكب وانطلقت الزغاريد ، وأدخلت العروس محمولة على طشت حتى تتفادى ماقد يكون قد عمل لها من سحر على عتبة الباب ..

وتقول الكاتبة : ان الفلاحين لايحبون الطفرات ، بل يفضلون أن يسيروا في ذات الطريق الذي اختطه لهم أسلافهم ابا عن جد .. وبذلك تنتقل العادات وتصير راسخة في حياة الجماعة ، تفرد على الأفراد نفوذها وسطوتها .. الا ان عليّا كسر العرف في زواجه ، فهو وإن كان قد بذل قصارى جهده ليأتي زواجه في المظهر اللائق والا ينسى بسهولة الا انه أصر – على الرغم من توسلات أمه وأم العروس – أن يسقط من مراسم زواجه عادة دارجة تمرد عليها ضميره الذي صقله على أي حال ذلك القسط الضئيل من الثقافة الذي حصل عليه في البندر ..

اثنا عشر عاما مضت على زواج نرجس ولم تحمل من عليّ .. ورغم أنه لم يبد من هذا الوضع تذمرا ، فإن الزوجة الوفية فاتحت زوجها ذات يوم في أمر جلل .. طلبت منه أن يتزوج عليها .. ليجرب مع امرأة أخرى فربما انجبت له أولاد يملئون قلبه وبيته فرحا ..

أطرقت العروس موافقة وكانت بدورها طيعة نشيطة ، تطبخ وتكنس وتخبز وتذهب

الى الترعة لتغسل وتحضر المياه كل يوم .. وسرعان ماعلقت في الشهر الأول من زواجها وأنجبت لعليّ طفلة .. الا انه كان يتوق الآن الى أن يكون له ابن ، ويسعى جاهدا أن تنجب له زوجته الثانية ولدا ذكرا .. ولكنها بعد فتحية انجبت له بنتا ثانية ثم ثالثة ولأول مرة في حياته شعر عليّ بالنقمة تغلي في عروقه وبالرغبة العارمة في أن يضرب ويحطم .. ومالبث أن طلق زوجته الثانية .. لم يعد يطيقها . لم يخترها برضاه .

تزوج عليّ للمرة الثالثة .. كانت العروس في هذه المرة هندية ابنة افكار صديقة زوجته .. كانت العروس فتاة في الرابعة عشرة من عمرها ، كانت ستصبح في عمر ابنه من نرجس لو كانا قد أنجبا ولدا فور أن تزوجا - وعلى عكس موقف نرجس من الزوجة الثانية دبت الغيرة في قلبها من هندية فلم تكن الزوجة الثانية من اختيار زوجها اما الثالثة فقد اشتاق اليها قلبه واشتهاها جسده عندما جاءت ذات يوم الى البيت مع امها في زيارة لنرجس .. أصبحت الزوجة العاقر تخشى تلك الصبية المنطوية الصموت .. وبغريزتها كانت تتبين ماكان يجتهد عليّ في اخفائه عنها من حب للصغيرة الجديدة .. ومع الغيرة تستيقظ في النفس كوامن الحقد والشر ..

● تسجيل ورصد لحركة الحياة في الريف

ومن الملاحظات التي تسجلها الكاتبة ايضا هجرة ابن القرية الى البندر ما أن يتبين الفارق بين نوعي الحياة فيهما ، رغم أن كلا في المدينة يحاول أن يقتلع عين الآخر .. كما يقول الشيخ شاكر لابنه حسن الذي يريد أن يرحل ولا يطيق البقاء في القرية الكئيبة ويقول الابن : وددت الا اكون قد رأيت ، أما وقد رأيت كيف يحيا الآخرون فانني سأختنق اذا بقيت في القرية ..

وعندما تقف الكاتبة عند مظاهر فقر أو بؤس في البيئة الريفية تعرضها بكثير من العطف والمشاركة وعدم القاء اللوم .. ومن الأمثلة على محبتها لشخوص البيئة الريفية وصفها التفصيلي لنجار القرية الأسطى (ص ١٦١ و ١٦٢) مصلح السواقي صانع المفاتيح الخشبية ، يحمل مبردا ومنشارا أطول منه .. لا يجادل فيما يعطى له من أجر ، ويلقي به في جيبه بعد أن يقبله وجها وظهرا .. ويجيب على الدوام بحاضر .

لوحات من حياة القرية . نساؤها ورجالها رسموا بألوان محلية .. وطعم الوصف بكلمات من ذات البيئة كالطرحة والكحك والمسحراتي والخولي ، بحيث لايمكن للعين أن تخطىء كل هذه التفاصيل الدقيقة التي تضفي الجو المصري على فقرات العمل الروائي بل ان الحوار ذاته رغم أنه مكتوب باليونانية تكاد تسمعه في خيالك يجري على السنة القرويين بلغتهم الدارجة .. وربما رجع الفضل في ذلك على الأخص إلى استخدام الكلمات والعبارات العادية التي يتداولها القرويون في هذه المواقف ..

وتختلط بلغة الكاتبة اليونانية كلمات عربية كثيرة من واقع البيئة المحلية مما يحقق امتزاجا طريفا بين لغتين متحابتين .. وتلحق الكاتبة بروايتها قائمة بالكلمات والعبارات العربية التي

استخدمتها ومعناها باليونانية .. ولا تكتفى الكاتبة باستخدام كلمات عربية ، بل انها تستعير أمثلة كاملة من اللغة الشعبية مثل « ياملح دارنا كتر عيالنا » تستخدمها كما هى مكتوبة بالأحرف اليونانية (ص ١٣٩) وكما تنقل الكاتبة عبارات باللغة العربية تدرجها فى حوارها فأنها تترجم أيضا بعض العبارات العربية ترجمة حرفية مثل البقية فى حياتك وهذا حال الدنيا (ص ١٧٤ و ١٧٥) ..

ان شجرة علىّ مثل لما يمكن أن يكون عليه الرباط الثقافى بين شعبين صديقين مثل يتضح بالحب وبالوفاء لأرضنا الكريمة

● لوحات واقعية من الحياة المصرية

وتتتابع مستويات الرواية ، فتتحول من علاقات أسرية الى علاقات مع البيئة الريفية المحوطة بالأبطال ، وتنتهى الى علاقة بالوطن كله .. اذ تمضى الأيام والسنون وينتقل شوقى بن علىّ من القرية الى البندر ، ثم الى العاصمة فى طلب الدراسة الثانوية والجامعية .. وينفتح عقله وقلبه على قضية وطنه بأسره .. وبخاصة وهو يعاصر أحرج سنوات كفاحه .. وهى أواخر الأربعينيات من هذا القرن . كان شوقى يقول لأبيه بحماسة : نحن الجيل الجديد ، نحن الدماء الفتية . يجب ان نزلزل . أن نهدم . لنعيد البناء ..

لكن هاهى آمال الابن الشهيد تتحقق . هاهو الشعب ينفض عن كاهله النظام القديم ويقيم حكاما جددا ، وهاهو علىّ الذى عشش الحزن فى قلبه يتابع أحداث ١٩٥٢ برضاء وحماسة فقد تجسدت فيها روح الشهيد . كان يطبق جفنيه ، ويحدث طيف ابنه قائلا : آجل آجل ، يابنى ، الآن فقط أدركت كلامك ، الآن فقط زالت الغشاوة عن عينى وانزاح الصمم عن أذنى ، كانت الأرض بحاجة الى دمائك الطاهرة لترتوى وتخصب من جديد ، لم يضع ابنى هباء اذن ..

هذه أحداث رواية اليونانية كاليوبى ناكابولو ، ولايقتصر الأمر فى هذه الرواية على استخلاص الموضوع من الريف المصرى ، بل ان الذى يستوقفنا فى هذا العمل أيضا هو شغف الكاتبة بتسجيل العادات والتقاليد الريفية ، فهى تلتقط وتسجل فى ثنايا روايتها العديد من مظاهر الحياة المصرية ، الحجاب ، الحسد ، الحجر الأزرق ، الخوف من أن يخطف الموت المولود الذكر ، الصندوق المزركش الذى تجلبه العروس القروية ضمن جهازها ، النارجيلة وكركرة مائها ، القبلات مثل الرعد التى تألف القرويات تبادلها عند اللقاء ، التفاف الأسرة حول الطبلية وكيف يقطعون الرغيف فى شكل ملعقة صغيرة ويغمسونها فى الطبق الواحد الكبير ، غزو العساكر الفرنسيين للدلتا ثم دحرهم واختلاط دماء هؤلاء الفرنسيين بدماء بعض المصريين ، الأصول التركية التى تنعكس على قسمات كثير من الفلاحين الذين يتميزون بشعر أشقر وعينين زرقاوين وبشرة بيضاء يتفردون بها وسط الفلاحين السمر ذوى القسمات الداكنة ، الأقمشة اللامعة الرخيصة التى تفصل منها فساتين العيد ، مناديل الرأس الملونة وطريقة لبس الطرحة .. حلاق القرية خالع الاسنان ، التمسك بصوم رمضان حتى فى حالة المرض . الزغاريد المديدة ، اقامة السرادقات فى الأفراح ، والماشطة التى تهيىء العروس ، وتعرف الكثير من الوصفات البلدية وأساليب السحر .

• الاضطرابات المزاجية الموسمية •

كان الطبيب النفسي بيتر مولل يعالج امرأة من نوبات دورية من الكآبة الشتوية .. وكانت المريضة تتنقل خلال العلاج ، الذى استمر عدة سنوات ، بين عدد من المدن ، لكنها حافظت خلال ذلك على اتصالها بطبيبها ..

وفى بداية الثمانينيات راح الطبيب يراجع المعطيات التى تجمعت لديه عن هذه المريضة ، ولاحظ انه كلما انتقلت الى منطقة اكثر توغلا نحو الشمال بكرت اصابتها بالاكتئاب عند قدوم الخريف ، وطال امتداد فترة الاصابة فى الربيع ، كما لاحظ ان الكآبة قد زالت تماما خلال مناسبتين سافرت فيهما المرأة الى جامايكا ..

هنا افترض مولل ان وجود ضوء الشمس او انعدامه يسهم بطريقة ما فى حالة الكآبة التى تتعرض لها المرأة ، وقرر ان يقوم بتجارب فى العلاج لمثل حالاتها باستخدام الضوء (من مصدر صناعى له طيف كامل)، واكتشف الطبيب ان المريض يشفى من كآبته فى مدة تقل عن اسبوع ..

وحين تناهت انباء هذه التجربة الى اسماع الاوساط العلمية اجرى كثيرمن العلماء تجارب متعددة فى هذا الصدد ، لعل اطرفها ذلك الاستبيان الذى نشره فريق علمى من جامعة كاليفورنيا فى صحيفة « الولايات المتحدة الامريكية اليوم » فى مارس ١٩٨٥ وتضمن وصف اعراض ما يعرف بالاكتئاب الدورى الشتوى ، دون أى ذكر لفرضية علاقته بطول النهار ، وطلب الى الذين يجيبون بنعم على ثمانية او اكثر من اسئلة الاستبيان ان يعيدوه بالبريد الى الباحثين ..

وباجراءات حسابية ، اخذت بعين الاعتبار ارقام التوزيع فى مختلف المناطق ، و ٠٠٠ تبين ان هناك ١٠٠ مصاب بالاكتئاب من كل مائة الف شخص ، فى المناطق الشمالية من الولايات المتحدة ، بفارق كبير جدا عن عدد المصابين فى المناطق الجنوبية..

وعلى الرغم من ان الرابطة بين الاكتئاب والشتاء معروفة منذ القدم ، حتى ان المستكشف العظيم فردريك كوك كتب فى مذكراته (مايو ١٨٩٨) .. لقد هبط الشتاء والظلام علينا ببطء ولكن باصرار .. ولم يكن من الصعب ان اقرأ على وجوه رفاقى افكارهم وتقلبات امزجتهم .. ان ستار الظلام الذى انسدل على العالم الجليدى الخارجى قد انسدل ايضا على العالم الداخلى لنفوسنا ، فالرجال يجلسون حول الموائد مكتئبين ..

على الرغم من وضوح هذه الرابطة منذ زمن فان الايام الاخيرة شهدت الكشف عن الخلل البيوكيميائى الكامن وراء الرابطة ، ذلك ان هرمون الميلاتونين الذى يؤثر فى المزاج وفى مستويات الطاقة الذاتية يتأثر بدورة الضوء والظلام اليومية للارض مثله فى ذلك الناقل العصبى سيروتونين الذى ينظم شهية الفرد للاطعمة الغنية بالكربوهيدرات ..

●جامعة عربية مفتوحة●

تبدأ جامعة القدس المفتوحة بتقديم خدمات التعلم عن بعد في شهر اكتوبر ٠

وقد بدأ التفكير في انشاء جامعة القدس المفتوحة عام ١٩٧٥ ، آخذا بعيني الاعتبار لاحتياجات الشعب العربي عامة والفلسطيني خاصة من التعليم الجامعي ، في ظل الظروف السكانية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وواقع التمزق والتشتت والاحتلال الذي يعيشه الفلسطينيون٠٠

وقامت منظمة اليونسكو بأعداد دراسة الجدوى لمشروع الجامعة وذلك بالتعاون مع الصندوق « القومي الفلسطيني » و « الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي » ٠ وتمت الدراسة عام ١٩٨٠ ، واتخذ المؤتمر العام لليونسكو ، بعد ذلك ، قرارا يحث على تنفيذ مشروع الجامعة ٠٠

وقد اجلت ظروف مختلفة البدء في تنفيذ هذا المشروع حتى أواخر عام ١٩٨٥ ٠ ونظرا لان الصعوبة الرئيسية في عمل مثل هذه الجامعة تكمن في اعداد المواد التعليمية بالاساليب التقنية الحديثة .(برامج الكمبيوتر وأشرطة الفيديو و ٠٠٠) فقد تم تجهيزاستوديو خاص بالجامعة لتقليل النفقات ٠٠

وتم تحديد تخصصات الدراسة في الجامعة انطلاقا من الربط بين الرغبة في التعليم العالي والحاجة الى الانماء الاقتصادي والاجتماعي والتقني ، اضافة الى الاهداف الذاتية المتنوعة لطالبي العلم ٠ وتتوزع برامج الجامعة بين خمسة تخصصات هي الارض والتنمية الريفية،البيت والتنمية الاسرية ، التكنولوجيا والعلوم التطبيقية ، الادارة والريادة ،التربية٠

وتشترط الجامعة في المرحلة الاولى أن يكون المتقدم للالتحاق بها حاصلا على شهادة اتمام الدراسة الثانوية أو ما يعادلها ، بغض النظر عن العمر والجنس والجنسية وسنة الحصول على الشهادة وتتراوح رسوم الجامعة بين ٣٠و٥٠٪من رسوم الجامعات التقليدية ٠

وسوف تستخدم الجامعة اساليب متنوعة للاختبارات والتقويم المستمر ، لقياس مدى تقدم الطالب واستيعابه، ومساعدته في علاج الصعوبات الدراسية التي تعترضه ، ولقياس مدى نجاحه أخيرا في تحصيل المقررات ٠٠ ومن هذه الاساليب التقويم الذاتي الذي يختبر به المتعلم نفسه عبر المقرر الدراسي ، والتقويم المستمر للطالب من قبل الموجه التربوي ، والامتحانات الدورية التي تجري في المراكز التعليمية ٠

والى جانب منح درجة البكالوريوس (في المرحلة الاولى) ستقدم الجامعة برامج للمتعلم والتدريب المستمرين ، وستنهض بدور تثقيفي عام ٠ وفي هذا المضمار يمكن للطالب دراسة مقررات مختارة ، لاتؤدي بالضرورة الى حصوله على درجة جامعية وانما شهادة بالمقررات التي اختارها لاثراء معرفته وخبراته ٠

وجدير بالذكر انه تم عشية بدء الدراسة بالجامعة تعيين الدكتور منذر صلاح الرئيس السابق لجامعة النجاح في نابلس ، رئيسا للجامعة ٠

• صحفي في الفضاء •

اتفقت احدى شبكات التلفزيون اليابانية مع وكالة الفضاء المدنية السوفييتية على ارسال احد مذيعيها في رحلة فضائية على متن المحطة المدارية « مير » ، وسوف تتم الرحلة في مايو ١٩٩١ ، بعد تدريب خاص يتلقاه المذيع في الاتحاد السوفييتي

هذا وقد كانت وكالة الفضاء الامريكية تزمع في مرحلة سابقة ارسال صحفي الى الفضاء واعلنت عن ذلك فسجل مئات الصحفيين اسماءهم للمشاركة في الرحلة ولكن كل شيء تأجل الى موعد غير محدد بعد كارثة المكوك « تشالنجر » .

وقد ادى اعلان نبأ رحلة المذيع الياباني الى قلق في اوساط وكالة الفضاء الرسمية اليابانية ، التي تشرف منذ سنوات على اعداد ثلاثة رواد فضاء لكي يشارك احدهم في رحلة لمكوك الفضاء الامريكي ، لكن التغيير الذي طرأ على برامج المكوك يؤكد أن المذيع الياباني سيسبق هؤلاء الرواد ..

وقد علقت الطبيبة سياكي موكاي ، وهي أحد المرشحين لرحلة المكوك على خبر رحلة المذيع : « ان المذيع قد يقوم بوصف الرحلة افضل من طبيبة القلب » .

وجدير بالذكر ان الاتحاد السوفييتي يستضيف « ملاحين » اجانب في رحلاته الفضائية منذ اكثر من عشر سنوات وتحتاج الرحلة في السفن الفضائية « سويوز » الى تدريب اقسى من الذى تحتاجه رحلات المكوك الامريكي ، ذلك ان الضيف في الاخيرة يقوم برحلة في قمرة خاصة اكثر يسرا

وواضح ان هناك بعد انتهاء الحرب الباردة بين العملاقين ، حربا اكثر برودة « تستعر » ، بينهما تشكل الاستضافة في رحلات الفضاء احد تجلياتها ولعل ذلك يتضح من كون الاتفاق على القيام بتحليق ملاح كوني اجنبي في رحلة فضائية مشتركة اصبح قاسما مشتركا بين نتائج رحلات جورباتشوف لاهم البلدان الاوربية الغربية .

بقيت اشارة الى ان المكوك الامريكي استضاف الامير السعودي سلطان بن سلمان في احدى رحلاته ، بينما حل السوري محمد فارس ضيفا على المحطة الفضائية السوفيتية « مير » ، في صيف ١٩٨٧ .



الامير سلطان بن عبدالعزيز

• نبض الأرض •

يتكون سطح الارض ، وفق النظرية العلمية المعتمدة ، من سطح «فسيفسائي» تتحرك الواحه بعضها بالنسبة لبعض، بسرعات يبلغ معدلها بضعة سنتيمترات في السنة ، بتاثير طبقة ساخنة لدنة تطفو عليها الواح القشرة الارضية هذه ..

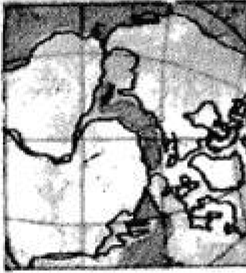
وهناك قرائن ودلائل في تاريخ الارض على ان معظم القارات (ان لم تكن كلها) قد تجمع لتكوين قارة عظمى واحدة ، انشطرت فيما بعد الى قارات عديدة اصغر ، وعادت في حقبة زمانية اخرى لتنضم الى بعضها مكونة قارة عظمى اخرى ، و٠

وقد اثار هذا الكشف - حين تم - تساؤل حول العوامل التي تتحكم في تكوين القارات العظمى ثم تفرقها،وعما اذا كان ذلك يحدث بمجرد الصدف ، نتيجة لارتحال الالواح القارية ، بصورة عشوائية ٠٠

لكن بعض الاطرادات المنظمة في السجل الجيولوجي قادت عددا من العلماء الى الاعتقاد بانه لابد من وجود عملية اكثر انتظاما (وربما دورية) في هذا الشأن ٠٠

وقد كانت النظرة السائدة الى حركة الواح القشرة الارضية انها تنبع من تيارات الحمل في الطبقة الساخنة اللدنة الناتجة عن ارتفاع كمية الحرارة الناتجة عن انحلال العناصر المشعة ٠٠ لكن التحلل الاشعاعي عملية مستمرة ، يتناقص معدلها بهدوء مع الزمن ، ومن ثم لا يمكن تناوب التجمع والتفرق القاري الى عملية انتاج الحرارة نفسها ٠٠

والنظرية الجديدة ترى ان الظاهرة الاساسية وراء نبض الارض ليس انتاج الحرارة وانما توصيلها وفقدانها ، ذلك انه ليس للقشرة القارية نفس كفاءة القشرة المحيطة (المغطاة بالماء) وعليه ففي حالة القارة العظمى تتراكم الحرارة من الطبقة السفلية مسببة تقبب القشرة الارضية لتنفصل الى اجزاء في النهاية



٠٠ واذ تتفرق اجزاء القارة العظمى يمكن للحرارة ان تنتقل خلال احواض المحيط التي توجد فيما بينها ، وبعد افلات قدر معين من الحرارة يمكن ان تنساق الاجزاء القارية للتجمع ثانية ٠

ان فرضية دورة تجمع وتشتت القارة العظمى تمثل صيغة جديدة لفهم تاريخ الارض الجيولوجي تنفي صفة الصدفة عن حركة الواح القشرة الارضية وتضفي عليها صفة الانتظام، وتتيح وجهة جديدة لفهم تاريخ الحياة على الارض ٠٠ فلابد ان لاطوار تجمع القارات وتفرقها تأثيرات مناخية هائلة مثل لانتشار وظهور اجزاء من اليابسة، وشيوع وتقلص المناطق الجليدية وتغير تيارات السريان وحالات الركود في المحيط العالمي،وغير ذلك من التأثيرات مجمل القول ان دورة القارة العظمى تشكل في واقع الامر نبض الارض فمع كل نبضة يتغير ويتحدد مناخ الارض وجيولوجيتها وما عليها من كائنات حية ٠٠

● أنشطة فضائية بلاخطة ●

في عام ١٩٨٧ ، وبصدد الدور الذي يلعبه العسكريون الامريكيون

العالم غداً

في اقامة محطة فضائية ، قال جيمس فلتشر رئيس وكالة الفضاء الامريكية (ناسا) : « لايوجد اى دور للمؤسسة العسكرية في المحطة الفضائية » ، لكن قوله عجز على مايبدو في الوصول الى البنتاجون ، ففي نفس الاسبوع طلبت وزارة الدفاع من « ناسا » تأجيل المفاوضات مع الدول الاخرى المهتمة بالمحطة الفضائية حتى يقرر العسكريون الكيفية التي قد يستخدمونها بها .

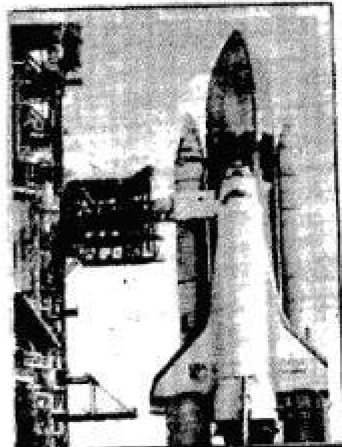
وبينما سلم المسئولون في ناسا بانهم قد فوجئوا بطلب وزارة الدفاع ، فقد صرحوا بانهم سيحترمونه ذلك ان برنامجهم وان كان مخصصا لاستعمالات الفضاء السلمية فهو لا يستبعد القيام بابحاث لوزارة الدفاع الامريكية .. وحتى فلتشر نفسه فانه كان قد اكد خلال الحديث السابق الاشارة اليه على ان « ناسا » ستستمر في خدمة المؤسسة العسكرية وان وزارة الدفاع ستكون دائما عميلا رئيسيا لمكوك الفضاء ، واشار الى ان المكوك سيسهم ، اضافة الى دوره في اطلاق اقمار صناعية عسكرية ، في انشاء منصة فضائية لابحاث مبادرة الدفاع الاستراتيجي (حرب النجوم) ، وتوحي التقارير الاخيرة بان احتياجات الباحثين في مبادرة الدفاع قد تفسر اهتمام وزارة الدفاع المفاجيء بالمحطة الفضائية .

وأبدى بيتر بانكس الذى يترأس لجنة استشارية تقدم لـ « ناسا » النصح حول الانشطة الفضائية العلمية ، ابدى انزعاجه من مشاركة العسكريين في المحطة الفضائية ، وتوقع انسحاب اليابان فورا من المشروع ، وبين ان دولا أخرى قد تتبعها ، وقال ان المحطة الفضائية ستنجح بفضل المشاركة الدولية لا بسبب المشاركة العسكرية .

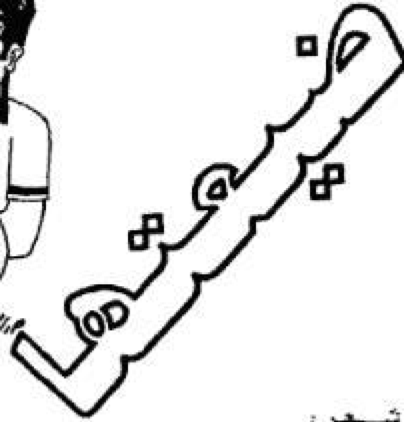
المهم ان عسكرة المحطة ، وبعد ضغوط الميزانية ، قد تنسف البرنامج العلمي لابحاث الفضاء الذى وصفه فلتشر بانه في حالة مرعبة من التشوش ، من دون ذلك .. فقد أرجأ حادث تشالنجر اطلاق اجهزة فضائية علمية واوضح دوناهيو ان ثمة خطرا من ان يؤدي الارتباك في برنامج البحث العلمي الى عزوف طلاب الدراسات العليا عن دراسة علوم الفلك مما سيؤدي الى انكماش عدد الباحثين في هذا المجال ..

وكخطوة في سبيل استعادة قدرة « ناسا » على اطلاق الاجهزة العلمية اشار فلتشر الى نية الوكالة اقتناء اسطول من صواريخ الحمل (التي تستخدم لمرة واحدة) واعترف بان قرار وقف برامج هذه الصواريخ في اواخر السبعينات من اجل تركيز جميع الموارد للمكوك ربما كان قرارا خاطئا ..

والى جوار الاعتبارات العسكرية على المهتمين بابحاث الفضاء مواجهة الاهتمامات التجارية للوكالة ، بالذات ومازال الخلاف حول الامكانات التجارية للفضاء قائما على قدم وساق ..







ضيعتها

شعر:
نبيل أحمد سلطان

ياعين بكّى ما بدالك واسكبى حزنا عليها
إنى شربت الحب يوم شربته من راحتيها
وحفظت يوم حفظت شعر العاشقين على يديها
(انسانة فتانة) خلق الحيا من وجنيتها

فى طرفها حور وسحر هادىء فى مقلتيها
غنيت من جدى بها وكتبت أشعارى اليها
احببتها وهجرتها وبكيت من أسفى عليها

★★★

ياسلوة الماضى البعيد وغنوة الشعر الأصيل
وفتات أشعار من التشبيب والغزل الجميل

ومودة دامت وما بليت من الزمن الطويل
لاتحسبى انى قصدتك تائبا كى تغفرى لى
فخطيئتى كبرى وذنبى ليس بالشىء القليل

العظماء المائة

بقلم : حسين أحمد أمين

عبد الرحمن الداخل

٧٣١ - ٧٨٨ م

قال الخليفة العباسى المنصور يوما لأصحابه : اخبرونى عن صقر قريش من هو ؟ قالوا : انت . قال . : لا . قالوا : فمعاوية قال : ولا هذا . قالوا : فعبد الملك بن مروان . قال : ولا هذا . قالوا : فمن ياأمير المؤمنين ؟ قال : عبد الرحمن بن معاوية الذى عبر البحر ، وقطع القفر ، ودخل بلدا أعجميا مفردا ، فمصر الامصار ، وجند الاجناد ، ودون الدواوين ، واقام ملكا بعد انقطاعه بحسن تدبيره ، وشدة شكيمته .

كان العباسيون بعد إطاحتهم بحكم الأمويين الذى دام تسعين سنة ، قد أصدروا الامر عام ٧٥٠ م باستئصال كافة افراد البيت الأموى ، وانتشرت عيونهم فى كل قطر يتعقبون اخبارهم وكان من بين القلة التى نجت من سيوف العباسيين شاب فى التاسعة عشرة هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، الذى فر من العراق عبر الصحراء السورية الى فلسطين ، ثم عبر صحراء سيناء الى مصر ، ثم عبر أقطار شمال أفريقيا الى الأندلس التى فتحها أجداده الأمويون .

كانت الأندلس فى ذلك الحين فى حال من الفوضى شاملة ، وحرب أهلية بين عرب الجنوب (اليمانيين) وعرب الشمال (القيسيين) الذين لم يتناسوا ثاراتهم وأحقادهم القديمة وجددوا نزاعاتهم الجاهلية .. كان القيسيون سنيين ، واليمانيون شيعيين ، والبربر معادين لهم جميعا ومعظمهم من الخوارج ، واهل البلد من الاسبان يتحينون الفرص للتخلص من كافتهم . وقد تعاقب على الحكم خلال ثلاثة وعشرين عاما قبل ظهور عبد الرحمن بينهم ثلاثة وعشرون اميرا .

دخل عبد الرحمن الأندلس وما معه غير أربعمائة من الموالى المخلصين لبنى أمية ويحكى أنه حين نزل الى البر عام ٧٥٥ اهدى اليه جند الشام جارية جميلة فلما رآها

في التاريخ الإسلامي



وتأمل حسنها قال : "إن هذه من القلب والعين بمكان غير أني إن اشتغلت عنها بما أتطلع إليه ظلمتها ، وإن اشتغلت بها عما أتطلع إليه ظلمت همتي . فلا حاجة لي بها" وردها اليهم .

توافد الناس إليه يقدمون له فروض الطاعة وقد سئموا طول الصراع بينهم وافتقار الاندلس الي حاكم يرضى الجميع به . فلما امتلأت صفوف جيشه بالاتباع زحف بهم الى قرطبة فافتتحها وجعلها عاصمة ملكه . غير أنه سرعان ما نشبت بالأندلس الثورات المتتالية التى اشعلها اليمانيون والبربر ، ولم يلبث الخليفة المنصور أن ارسل جيشا من الموالين للعباسيين ليعيد الاندلس الي حكمه . وقد تمكن عبد الرحمن من اخماد الثورات والقضاء على جيش المنصور فما تولى هارون "رشيد زمام الأمور فى بغداد حتى راح

يحث شارلمان ملك الفرنجة على محاربة عدوه في الاندلس مقابل ان يقوم الرشيد بمحاربة البيزنطيين أعداء شرلمان فعبر شرلمان جبال البرانس في طريقه الى عبد الرحمن ، غير أن أنباء وقوع اضطرابات في امبراطوريته اضطرته الى العودة فورا من حيث أتى دون أن يحقق بغيته في الاندلس .

وبانسحاب الفرنجة خلا الجو لعبد الرحمن "الداخل" فلم يلق طوال السنوات الكثيرة المتبقية من حكمه اية ثورة في الداخل أو غزو من الخارج . ويعرف له التاريخ أنه ، وهو الذي كان يقود الجيوش دائما بنفسه ، لم يخسر معركة قط ، وأن انجازاته في زمن السلم لم تكن بدون إنجازاته في زمن الحرب . فقد وضع لدولته اسسا في التنظيم والادارة دامت قرنين ونصف قرن باستثناء بعض التعديلات التي ادخلها عليها عبد الرحمن الثالث . وقد وجد عبد الرحمن الجيش وقت دخوله الأندلس منظما حسب الطريقة العربية القبلية البدائية ، فأنشأ جيشا نظاميا قوامه اربعون الف مقاتل . ورأى أسبانيا معرضة للغزو من البحر من ثلاث جهات ، فأنشأ نواة لأسطول بحرى هو الاول من نوعه في الأندلس الاسلامية ، وهو الذى أصبح في عهد عبد الرحمن الثالث أقوى اسطول في غربي البحر الأبيض المتوسط .

كذلك بلغت الاندلس في عهده قمة جديدة من النمو الاقتصادى والرقي الحضاري ، مما مهد الطريق لعصر طويل من الازدهار لن تعرفه اسبانيا من قبل وبحيث اضحت قرطبة تنافس القسطنطينيه وبغداد في الفخامة ورغد العيش ورعاية العلوم والفنون واشتهرت لدى العرب وغير العرب باسم عروس الاندلس وجوهرة الدنيا .

واقدم عبد الرحمن قبل وفاته بثلاث سنوات على إعادة بناء مسجد قرطبة وتوسيعه ، بحيث اصبح سقفه يقوم على غابة كثيفة من الاعمدة الفخمة (١٢٩٣ عمودا) وأصبح كعبة المسلمين في غرب العالم الاسلامي ولا يزال المسجد الى اليوم قائما ، ويعدّ ، بعد قصر الحمراء أكثر الاماكن الاثرية في الاندلس اجتذابا للسياح .

وكان عبد الرحمن الى جانب هذا كله شاعرا وخطيبا مجيدا غير ان التاريخ سيذكر لهذا الشاب الطريد الشريد انه تمكن بكياسته وصلابته من أن يؤسس الدولة الأموية المجيدة الثانية التي ظلت قائمة في الأندلس حتى عام ١٠٣١ ، وأن يجابه في نجاح عداوة أقوى وأعظم حاكمين في الشرق والغرب (هارون الرشيد وشرلمان) وأن يقضى على الفتن والثورات والعداوات التي كادت لولا دخوله الأندلس أن تعصف بالحكم الاسلامي في تلك الدولة .

يعقوب بن اسحق الكندي

٨٠١ - ٨٧٣ م

اول فلاسفة الاسلام ، والفيلسوف الاسلامي الوحيد ذو الأصل العربي ، ولذا لقب بفيلسوف العرب . وإليه يرجع الفضل في إقامة حرم ثابت للفكر اليوناني في الحضارة

العربية .

كان علماء الدين والفقهاء والمعتزلة والصوفية يحتكرون الهيمنة على الحياة الفكرية فى دار الاسلام . واذ بدأ الفكر اليونانى يتسرب اليها فى عهدى الرشيد والمأمون عن طريق ما ترجمه النصارى السريانيون من مؤلفات الاغريق ، كان هذا الفكر تحديا صارخا للفكر العربى السائد آنذاك . فالاسلام ـ شأن اليهودية والمسيحية ـ يقوم على الوحى ويتطلب الايمان المطلق والتسليم بينما يحل الاغريق العقل فى ارفع مرتبة ، ويرونه طريق الوصول الى أية حقيقة ، وتأخذ فلسفتهم بالمنطق وحده . وقد سبق الصدام بين علماء الدين فى الإسلام والفلسفة الاغريقية ، صدام مماثل بين علماء الدين اليهود والمسيحيين وتلك الفلسفة . وهو صدام يعنى إما إخضاع الدين لأصول الفلسفة وهو مايضيع الدين معه ، واما إخضاع الفلسفة لأصول علم الدين ، وهو ما تضيع الفلسفة معه .

وقد كانت العقدة قد بلغت مبلغا مستفحلا من الاستحكام حين ظهر يعقوب الكندى فى بلاط المأمون بذكائه المتوقد ، وعقله الذى اتسع لكل صنوف المعرفة البشرية فهو منكب على دراسة الفلسفة ، واسع الاطلاع على الكيمياء والطب وعلم الفلك والرياضيات والهندسة والطبيعة وعلوم الدين والمنطق . وهو فوق هذا شديد الثقة فى إمكان الوصول الى توفيق بين الفكر العربى الأصيل والفكر اليونانى الدخيل وبين الفلسفة الاغريقية وعلوم الدين الاسلامى . وفى هذا تكمن أهمية الكندى . فهو اول من دعا من المسلمين الى التفاهم والانسجام بين الفكرين وهى دعوة سرعان ما انتشرت فى جميع الاقطار الاسلامية وكانت عاملا نشطا مخصبا فى الفكر الاسلامى حتى القرن الثانى عشر الميلادى .

وتعتبر قائمة مؤلفات الكندى أطول قائمة فى مؤلفات العرب ، وربما فى مؤلفات العرب أو غير العرب . فابن النديم فى الفهرست يسجل له ٢٣١ عنوانا سواء فى الفلسفة أو علم النفس او الطب او البصريات او الرياضيات او الموسيقى أو الجغرافيا أو علم الفلك أو المنطق أو العلوم الطبيعية او علم السياسة .. غير أن معظم هذه المؤلفات لم يصل إلينا . والغريب أن عدد ما بقى من كتبه فى اللغة اللاتينية أكثر مما بقى من أصولها العربية . وهو ما يوحى بأن حرص الأوروبيين على الاستفادة من فكر الكندى (فيلسوف العرب !) كان أكبر من حرص بنى جلدته .

وخلاصة هذا الفكر هى أن الفلسفة أرفع شأنا ومرتبة من علوم اللاهوت والفقه والأخلاق . وبوسع الانسان أن يصل عن طريق الفلسفة الى الحقيقة التى يعتمد الأنبياء على الوحى فى الوصول اليها . غير أن المعرفة النبوية تهبط على صاحبها دون جهد أو

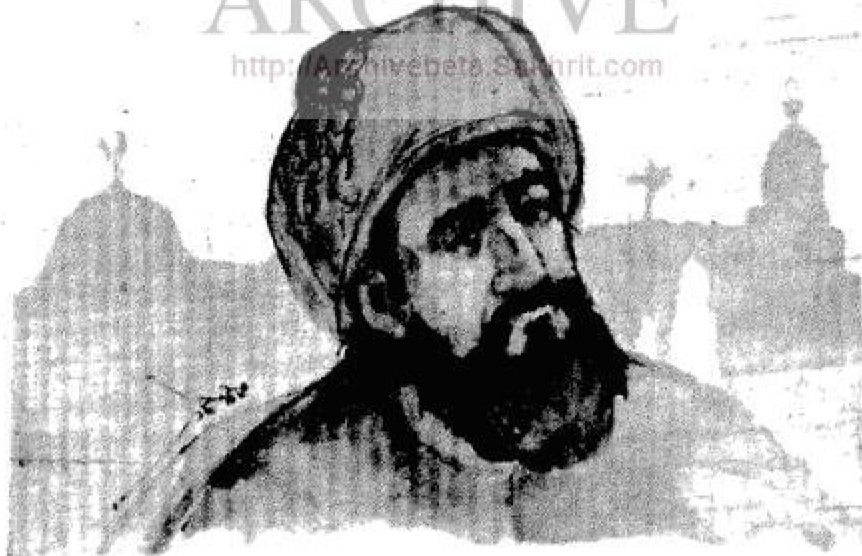
مشقة ، فى حين يحصل الفيلسوف على الحقيقة بكد منه وتعب ، وإخضاع كل خطوة فكرية للتجربة والمنطق والبرهان .. كذلك فإن النبوة امتياز يمنح لقلة من البشر ، بينما الفلسفة بابها مفتوح لكل من شاء من الناس وعلى أى حال فإن المعرفة التى يحصل عليها النبى الكامل هى ذات المعرفة التى يتوصل اليها الفيلسوف المقتدر .

وعند الكندى ان الله يسير العالم المادى بواسطة قوانين طبيعية وضعها كى تكون بمثابة سبل ومسالك تسير المادة بموجبها دون ما حاجة الى تدخل من الله لاحق . والعلل التى تسير الكون محدودة فى الزمان والمكان اما الله فقديم ، هو العلة الأولى ، وهو العلة الحقيقية ، وعلة العلل هو يفعل ولا ينفعل ، يرى ولايرى يحرك ولايتحرك .

اما الروح فهى ليست جسما بل هى جوهر واحد بسيط ، ومنبثق من الله كما ينبثق النور من الشمس . واصلها الالهى هذا يميزها عن الجسد وشهواته حتى اذا ما انفصلت عن الجسد عادت الى حيث اتت ، أى الى النور الالهى وباتت لها القدرة على أن ترى الحق سبحانه .

وللكندى فضل كبير فى انه كان أول من لجأ الى التفسير الرمزى للآيات القرآنية . فعن آية "والنجم والشجر يسجدان" مثلا يقول إن السجود هنا يختلف عن معنى السجود فى الصلاة إذ هو فى هذه الاية يعنى الطاعة ، واتباع المخلوقات كافة للقوانين التى وضعها الله لها .. وقد كان هذا التفسير الرمزى للنصوص الدينية الذى بدأه الكندى وتبعه فيه الكثيرون بعده ، أداة خير فى تطور الفكر الاسلامى وانتفع بها المسلمون المستنيرون فى العصر الحديث .

وقد كان الكندى على رأس جماعة العقلانيين المتحررين التى شملها المأمون برعايته غير أنه ما أفضت الخلافة الى المتوكل ونشأت ردة فعل عنيفة ضد حركة النظر العقلى حتى فقد الكندى مركزه فى البلاط ، بل وأمر الخليفة الجديد بجلده خمسين جلدة ، ومصادرة مكتبته الضخمة .



أنت والهلال

• ندوة العقاد •

• هذه ملاحظات على مقال الدكتور الطاهر احمد مكى في هلال يونيو الماضى عن « ندوة العقاد » .. فقد قال ان العقاد كان يكتب فى جريدة السياسة لسان حزب السعديين ، فى حين أن جريدة السياسة كانت لسان حزب الاحرار الدستوريين ، ولم يكتب فيها العقاد قط .. أما جريدة السعديين فكان اسمها « الاساس » وكان العقاد يكتب فيها .. وذكر الدكتور مكى أن العقاد كان يكتب فى الكتلة أيضا وهذا غير صحيح ، الا ما كانت تنقله الكتلة احيانا من كلمات فى باب « أقوال الصحف » .

كما جاء فى نفس المقال ان عناد العقاد فى خصومة الوفد أركبه الشطط فكتب فى « مجلة » روز اليوسف مقاله الشهير فى صفحتها الاولى وبعنوان على عرض الصفحة كلها : « ملك ديمقراطى وسوقة مستبدة » .. وهنا أيضا نسى الدكتور أن المقال نشر فى جريدة روز اليوسف اليومية التى لم يكتب لها الاستمرار

وهناك نقطة أخرى هامة تطرق لها الدكتور ولم يحاول الغوص فى حقيقتها وأسبابها .. وهى مهاجمة العقاد لهتلر عدو الانجليز . وقوله ان العقاد أبعد ما يكون عن العمالة وكراهيته للاستبداد والديكتاتورية بلا حدود . وهنا نتساءل عن صحة هذه المقولة على ضوء مواقف العقاد المتناقضة حيث كان المدافع الاقوى عن الوفد فى عهد سعد زغلول وعهد مصطفى النحاس ثم انقلب الى الضد تماما عندما انشق فى روز اليوسف عن الوفد وأصبح المهاجم الاول للوفد وقيادته التى أمضى عمره دفاعا عنها ، ثم انضم لاحزاب الاقلية والسراى الملكية الفاسدة ونسى أنه قد سجن بتهمة العيب فى الذات الملكية .

كيف كان العقاد وكيف أصبح المدافع عن الملك وعن رئيس حزب الاحرار الدستوريين الذى حكم البلد بالحديد والنار والذى أطلق عليه « صاحب اليد الحديدية » . هذا هو المعسكر الذى انضم اليه من يقول عنه الدكتور ان كراهيته للديكتاتورية والاستبداد بلا حدود ؟!

ونرجع الى مهاجمته هتلر والنازية وننسى أنه خلال الحرب العالمية الثانية كان مجندا للدفاع عن الحلفاء بصفة عامة ومهاجما لدول المحور .. ويحضرنى الان أن قيادة القوات البريطانية عندما واصل روميل زحفه داخل الاراضى المصرية حتى وصل الى العلمين قد بادرت الى احراق أوراقها ونقل كل هام لديها الى الخرطوم . وكان أول من نقل الى الخرطوم الاستاذ العقاد . فهل كان نقله الى السودان خوفا وهلعا من انتقام الالمان عند احتلالهم مصر ؟! هذا احتمال ممكن . أم أن الحلفاء هم الذين نقلوه حتى يستمر فى القيام بواجباته الدعائية ضد

دول المحور وهذا احتمال أيضا ممكن ، وهذه نقطة مازالت فى حاجة الى فحص وتدقيق ·

والحقيقة أن هناك نواحى كثيرة فى شخصية العقـــاد وتصرفاته وأفكاره وتناقضاتها تحتاج الى مزيد من الدراسة ·

محمود شرف
وكيل وزارة التعمير سابقا
٣ شارع ٢٤ زهراء حلوان

● تعليق الهـلال :

ـ لعل الاستاذ محمود شرف اطلع فى عدد يوليو الماضى على تصحيح احد قرائنا لاسماء الصحف التى كتب فيها العقاد ، وهو نفس التصحيح الذى يذكـره فى ملاحظاته ·· واما انضمام العقاد لاحزاب الاقلية بعد دفاعه الطويل عن الوفد ، فلم يكن سببه ـ فى راى العقـــاد ـ تمسك الوفد بالديمقراطية والدستور ، بل كان سببه عكس ذلك ، واما هجومه على هتلر خلال الحـرب العالمية الثانية فكان ـ فى رأينا ـ موقفا صحيحا ولم يكن العقاد يتقاضى اجرا عليه ، كذلك كان مدحه الملك فاروق فى حينه لاغبار عليه لان فساد فاروق لم يكن قد مـلا الدنيا وشـــغل الناس ، وكانت اغلبية الناس حينذاك تظن به خيرا ·· الا ان العقاد فى مواقفه وكتاباته ، مازال فى حاجة الى دراسات عميقة كما تقولون ··

● كل صباح ●

كل صباح
اذهب للبحر ·· ساعة ضيقى
فالبحر صديقى !
ايام مرت من عمرى ··
يا سيدنا البحر
هل تقدر ان تقرا كفى
قال البحر
قم واغسل ثوبك
طهر نفسك
دع عنك خيالاتك
حلمك عن يوم ياتى
مثل الشمس
احلامك عن نشوة شعرك ذابت
ذابت كالثلج
ماضى عمرك غامض
لا يفصح عن شىء ياتى ·· !!



السـيد ابراهيم عطية
كفـر صقر

أنت والهلال

• أدباء آخر زمن •

● في عدد أكتوبر الماضي من الهلال نشرت قصة تعج بالاخطاء الاملائية والنحوية منسوبة الى من دعا نفسه : خيرى ابراهيم / سوهاج ·

وفي عدد نوفمبر نشرت المجلة تكذيبا لخيرى السيد ابراهيم ـ الحقيقي ـ ، جاء فيه ان القصة مدسوسة عليه ، وان هناك من استغل اسمه للاساءة اليه ، وارفق برده صورة لقصة من تاليفه تؤكد دفاعه ·

وفي العدد التالي نشرت المجلة رسالة لمن دعا نفسه خيرى السيد ابراهيم ادعى فيها انه مدرس باحدى مدارس مركز طما بسوهاج ، وانه يكتب القصة منذ فترة و ·· و ·· و ··· ويعلم الله مدى زيفه وبهتانه ·

وفي عدد تالي نشرت مجلتكم قصيدة لمن دعا نفسه : اوفى عبد الله الانور / سوهاج بها من الاخطاء ما لا يقع فيه طالب بالاعدادية ، فما البال بخريج دار العلوم ··

وفي هذا العدد ـ يونيو ـ نشرتم ردا على قصة ارسلها من ادعى ـ ايضا ـ انه القاص الكبير حسين علام · ومن تحصيل الحاصل ان نقول ان القصة تزخر بالاخطاء والفجاجة ·

ولانى اعرف جميع ابناء سوهاج تقريبا ، واعرف حجم كل منهم ، اقرر بضمير مطمئن ان الرسالات الموقعة باسماء : خيرى السيد ، اوفى عبد الله ، حسين علام مدسوسة عليهم من جرثومة دبت مؤخرا في عصب الحياة الثقافية بسوهاج ، تجد في الاساءة الى الادباء متنفسا ·

الواقع يقول ـ واسمحوا لى بهذا التجاوز ـ ان استغلال مجلتكم الموقرة في هذا العمل راجع الى عدم متابعتها للحركة الادبية بالاقاليم ، ومن ثم فيمكن ارسال اى عمل باى اسم مطلوب الاساءة اليه والتشهير به ، في الوقت الذى لا تستطيع تلك الجرثومة ان تاتى فعلتها المفضوحة في الصفحات الادبية بالصحف لمعرفة القائمين عليها بالرموز الادبية بالاقاليم ، ومن ثم استطاعتها التفريق بين الحقيقي والزائف ·

وحتى نسد الباب امام هذا العبث اللامسئول ، اقترح عدم نشر اية رسالة او ابداع من سوهاج الا اذا ارفق به بطاقته الشخصية او العائلية ··· وأبدا بنفسى ·

فاروق حسان السيد
سوهاج

● تعليق الهلال :

ـ ان الفساد الذى دب الى الحياة الادبية في سوهاج قد دب ايضا الى الحياة الادبية في كل المحافظات · ولم يعد هنا

« رموز » كما تقول يشار اليها بالبنان ، فقد اختلط الحابل بالنابل ، واستسهل الناس الشعر والقصة والادب ، وصار فى مصر عشرة آلاف شاعر وقاص وكاتب مقال !٠٠ وقد نبهنا صديقنا الاستاذ محمد جبريل فى صفحته الادبية القيمة بجريدة « المساء » الى « الادبائية » الجهلاء الذين يدسون علينا انتاجهم الركيك باسماء غير اسمائهم ، ولكننا مهما اتخذنا من احتياطات فلن تسد هذا الباب من ابواب الفساد فى الحياة الادبية ، لان فسادها يتصل بالفساد الشامل الذى يضرب نواحى كثيرة فى حياة الناس ٠

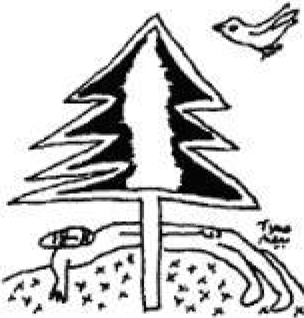
● أمة العرب ●



امة العرب ، يا فخار الانام
من قديم ، وامجد الاقوام
فجر احلامكم سناه تجلى
بعد ليل الخطوب والآلام
فاحطموا القيد ، وانشطوا من عقال الـ
اسر ، واستمتعوا بعيش الكرام
واجمعوا شملكم ، وصونوا حماكم
باتحاد القوى ، ورعى الذمام
واحذروا فتنة الدخيل المداجى
واقتلوا دسه بسيف الوئام
فهو يسعى لان تعيشوا ضعافا
فى صراع ، وفرقة ، وانقسام

محمد امين الجفيدى
كوم حمادة ـ غربنا

● بيروت ●



بيروت الاحرف تسقط حرفا تلو الآخر
ما ابشع بلوانا ٠٠٠
عورتنا مازالت ملقاة فوق الانقاض
القاهر العالم قد جمعت فى ارضك
كى تروى للعالم ٠٠٠
اسطورة عصر تترى
بيروت ٠٠٠
انشودة حزن تتلوى فى حلق الطفل
الاب ٠٠٠ المجد
الطير ٠٠٠
اطيارك يا بيروت ٠٠٠

لا تملك زادا ... لا تملك غير الخوف
بيـروت ...
أرجاؤك ما عادت ارجاء ... بل اوراق ...
تتبعثر فى كثبان الريح
والصمت دواء عار يتلوى ...
كالأفعى فى جوف الحلم
والحلم ينـادى
والحلم بنا ... د ... ى !



محمود مغربى محمد
قنـا

• ابن المتنبى وابن المعرى •

• حزنت كثيرا لما وصلت اليه حال الادب فى أيامنا عندما قرأت أخيرا فى الصفحة الادبية باحدى الجرائد اليومية خبرا عنوانه : « موجز أحمد » .. ونصه يقول : « صدر الجزء الثالث من شرح ديوان ابن الطيب المتنبى ، شرحه ابن العلاء المعرى » !..

فكاتب الخبر ومراجعه ومصححه لا يعرفون أن عنوان الديوان هو « معجز أحمد » ..وهو عنوان مشهور جدا فى الادب العربى لان صاحبه هو أبو العلاء المعرى ، ولان صاحب الديوان هو ابو الطيب المتنبى ، وقد تفضل كاتب الخبر فسمى الاول « ابن العلاء » وسمى الثانى « ابن المتنبى » !.. وهو خطأ عجيب غير مسبوق .. ولعلكم ستدافعون عنه وتقولون انه خطأ مطبعى ..؟

عبد الواحد محمد شلبى
أسيوط ـ الحمراء

• تعليق الهلال :

ـ هذا خطأ غير مسبوق فعلا ، فان ابا العلاء المعرى قد صار له بمقتضى هذا الخطأ « ابن » وهو القائل : « هذا جناه أبى على .. وما جنيت على احد » .. لانه لم يلد ولدا ولا بنتا ولم يتزوج فى حياته ! اما ديوان ابى الطيب المتنبى فلاول مرة يسمى ديوان «ابن الطيب المتنبى» ، ورحم الله « محمدا » ابن أبى الطيب الذى قتله الاعراب كما قتلوا اباه العظيم قبل الف سنة ! . ومع ذلك نرجح ان هذا خطأ مطبعى ، وان المسئولين عن التصحيح فى « الصفحة الادبية » لم يسمعوا فى حياتهم بشرح المعرى لديوان المتنبى المسمى « معجز أحمد » .. ولا علم لهم باسم ابى العلاء ولا باسم ابى الطيب ! .. ورحم الله اللغة العربية وادبها وأدباءها !.

● الثلاثة الكبار ●

● ظلت الصحف عدة أسابيع تبشرنا بالاحتفال الذى سيقام لمناسبة مرور مائة سنة على ميلاد العقاد وطه حسين .. ثم — فجأة — رأينا الصحف تضيف اليهما اسم مصطفى صادق الرافعى ، فما معنى هذا فى رأيكم ؟!..

عبد رب رب النبى رجب الشافعى
الاسكندرية — شارع خليل مطران

● تعليق الهلال :

— لا ندرى معنى ذلك بالضبط .. فالرافعى من مواليد ١٨٨٠ والعقاد وطه حسين من مواليد ١٨٨٩ وكان يجب الاحتفال بالذكرى المئوية للرافعى سنة ١٩٨٠ اى منذ تسع سنوات ، ولكن يبدو أن المسئولين عن هذه المهرجانات لم يتنبهوا الى اهمية الرافعى فى ذلك الحين فالحقوه بطه والعقاد ، ليمثل الاتجاه المحافظ فى « التنوير » اذا كان هذان يمثلان الاتجاه التقدمى !. ومع ذلك فان الحاق اسم الرافعى فى آخر لحظة باسم العقاد وطه حسين ، يستحق الشكر ممن تذكروا هذا الاديب العظيم المجهول فى وطنه !...

● ضياع العيال ●

اخلو بنفسى فابكى
لهم مطالب .. كثر
فى عالم .. ليس فيه
فلس يؤكل (شعر)
قل .. طول يومه شعرا
فانت تنفخ .. لهوا
ياليتنى كنت (جلفا)
.. يلقى بنى (بجيبى)
لكن جيبى نظيف
والدهر ما عاد يعطى
كن ذا (قروش) ، واقبل
ولست للقرش اهلا
من ثم ابكى اذا ما
على ضياع العيال
والحال فى شر حال
ما يشترى بالخيال
وليس ياتى بمال
واسهر لذاك الليالى
فى (قرية) من خيال !
ولم اكن بالمبالى ..
ما يرتجى من نوال !
نظافتى فى خلالى
بالخير ، أو بالجمال !
تقبل عليك المعالى
وليس ذا فى احتمالى
اخلو .. ضياع العيال !

رمضان ابو غالية
وكيل قويسنا الثانوية للبنين

أنت والهلال

قمة الدار البيضاء

لقـــد عدنا ، وان عدنا
وعاد سماؤنا صــفوا
وكان العود يا أحبـــا
فسيروا للعـــلا صـــفا
وخوضوا كل معتـــرك
بتدبيـــر وتبصــــــرة
لأجـــداد لكم مجـــد
فليس هنـــاك مستعص

فقد عدتم لنـا ايضـــا
وعادت أرضنا روضـــا
ب في شرع الهوى فرضـا
والقوا باسكم أرضـــا
يعيد حقوقكم خوضـــا
وعزم يرفض النقضـــا
فشيدوا مثـــله وضـا
اذا ما رمتمو نهضـــا

أحمد قاسم أحمد
قنـــا

مع أصدقائنا

● السيد ابراهيم عطية ـ كفر صقر :

ـ قصيدتكم « خيط الذاكرة » جيدة ، ونرجو أن ننشرها في أحد الاعداد القادمة ٠٠ اما المسئول عن باب « أنت والهلال » فهو ليس الاسم الذى ذكرتموه فى رســالتكم ٠٠ وننشر مقطوعتك الرشيقة « كل صباح » فى هذا الباب ، قبل أن ننشر « خيــط الذاكرة » داخل العدد !٠٠

● عبد الرحيم الماسخ ـ نجع الماسخ ـ المراغة :

ـ شاعريتكم واضحة ، ولكن ربما يجنى عليها كثرة مـا تنظمونه من الشعر ، ورغبتكم الشديدة فى النشر دائما ٠٠ ان التجويد يا عزيزى أهم من النشر والانتشار ٠

● حسين عـــلام ـ سوهاج :

ـ هل قرأت الكلمة المنشورة فى هـــذا البـــاب للاديب السوهاجى فاروق حسان !؟ انه يقول انك تدس الرسائل الركيكة علينا نكاية فى الادباء السوهاجيين ، ونحن نصدقه لان رسالتك الجديدة طافحة بالاخــــلاط ،ولا نصدق أن أديبا يكتبهـــا مهما كان ضعيفا ٠ نحذرك من العودة الى الكتابة الينا بهـذه الطريقة ٠٠ أو اثبت شخصيتك اثباتا قاطعا ٠٠

● على محمد على اغا ـ سوهاج :

ـ وأنت أيضا من سوهاج ، فهل تكتب الينا باسمك أو باسم غيرك !؟٠٠ على كل حال لا تتعب نفسك ولا تضيع وقتك فى نظم الشعر ، اذا كنت صاحب هذا الشعر وصاحب هذا الاسم !

● أحمد محمد على أبو زيد ـ القاهرة :

ـ قصائدكم ، أكثرها ليس موزونا ، ومعظمها نثر ٠٠ وقد توقفنا عند قطعة لك عنوانها « اغنية من افغانستان » ٠٠ لم نفهم منها شيئا ٠٠ ثم انك تقول ان جميع « قصائدك » هذه منشورة فى دواوينك ، فلماذا تعيد نشرها !؟

● محمود عبد المجيد احمد ـ نجع حمادى :
ـ كلمتكم بعنوان « الثراء والافلاس » كلمة مدرسية بسيطة نشكرك عليها ·

● زغلول توفيق ـ بنى سويف :
ـ ماذا تقصد بالمشهد التمثيلى الذى كتبته الينا بعنوان « محاكمة نوح » ·· نرجو أن تكتب رسائلك القادمة على وجه واحد من الورقة ··

● فرج علي ـ طالب بالثانوية العامة ـ قنا :
ـ نشكر لك اهتمامك بالشعر والادب وأنت فى هذا السن الصغيرة ، ولكن شعرك مازال يفتقر الى الاوزان !

● عبد الناصر عبد الرحيم احمد ـ السويس :
ـ شعرك غارق فى الاستعارات العجيبة المستحيلة ·· حاول أن تكون اكثر بساطة ، وأن تجعل شعرك مفهوما ·

● محمد على الخوربى ـ صنعاء ـ اليمن :
ـ أما قصيدتكم فقد سبق الرد عليها ولا تتسع المجلة لنشر كل ما يصلها من الشعر ، وأما قصة « انشتين هناك » فهى بداية لطريق طويل فى القصة القصيرة اذا كنت تعتزم أن تكتب القصص القصيرة ·

● صلاح شفيع ـ مدرس لغة عربية بثانوية بلقاس :
ـ قصتك القصيرة جدا التى عنوانها « ٨ ديسمبر » تحتاج الى من يشرحها للقارىء !

● رفعت عبد الوهاب الرصفى ـ شارع شبرا ـ القاهرة :
ـ نشكرك على حسن ظنك وتقبلك النقد بصدر رحب وترحب برسائلك ·

● جابر يوسف صادق ـ قنـا :
ـ أنت ـ كما تقول ـ مازلت تحتاج الى معرفة الاوزان ·

● يوسف عبد العزيز ـ كوم عمران ـ قنا :
ـ قصيدتكم جيدة الاوزان ، ونرجو أن تستمروا فى الكتابة الينا ·

● أبو بكر محمد محمد حسانين ـ ابو تشت :
ـ خطكم هو المشكلة ، فنحن نقرؤه بصعوبة ، ونأسف لضيق المجال فى شهر مارس الماضى عن نشر بعض تعليقاتكم ·

● محمد امين عيسوى ـ الاسماعيلية :
ـ نشكركم على ما ارسلتموه الينا من مقتطفات من الشعر العربى القديم عن « طيف الخيال » ·· ونتمنى لكم وقتا سعيدا مع هذه المقتطفات الجميلة ، ولولا ضيق المجال لنشرنا بعضها ·

● عاصم فريد البرقوقى ـ جليم ـ الاسكندرية :
ـ الادمان ـ كما تقولون ـ مقبرة للاديب ، وهو أيضا مقبرة للفنان ولكل انسان !

القامة الأخيرة

لقاء وحيد مع العقاد

ظل العقاد بالنسبة لى يمثل حالة من حالات الرعب الذى لا يغيب ، حتى بعد أن قرأت له بعضا من عمله الشامخ دون أن أتحول إلى واحد من قرائه المولعين ولا الكارهين .

فلقد حدث أننى الآخر لم أحصل إلا على الابتدائية ، ولكنى بدأت أروح وارجع أمام الأهل والأصدقاء محملا بمزيد من الكتب ، مما جعلنى معرضا بين حين وآخر إلى سماع هذه العبارة المجزية .

«حضرته فاكر نفسه العقاد» . وهكذا تحول الرجل الذى مثل مع طه حسين جناحى الأسطورة التى هيمنت على حياتنا الفكرية والروحية إلى هولة رهيبة لافضيلة لها إلا الدراية به .

وفى أحد أيام عام ١٩٦٣ كنت فى زيارة الكاتب الراحل ضياء الشرقاوى بالشركة التى كان يعمل بها فى عمارة الايموبيليا ، وغادرته ، وما أن تقدمته فى شارع شريف حتى فوجئت بالعقاد يأتى على نفس الرصيف ، وأمامى .

تسمرت فى مكانى ، استوعبته كله دفعة واحدة : القامة المديدة ، البدلة الفاتحة ، والنظارة ، والكوفية الرفيعة الطويلة ، والطربوش القصير المائل ، (هل كان يرتدى الطربوش حقا أم أن خيالى هو الذى يضيفه الآن ؟) .

ومثل كل أسطورة جليلة يمكن لها أن تدب على قدمين احتل الاطار المهيأ له فى روحى احتلالا كاملا ، دون زيادة ولا نقصان .

وعندما اقترب ، رفعت وجهى ورأيت العينين الصافيتين ، ولما عبرنى ، استدرت ، ومشيت وراءه - وأيقنت أن العقاد لو كان أطول من هذا ، أو اقصر من ذلك بمقدار اصبع واحدة ، لما أمكن له أن يكون العقاد أبدا .

ولم يمر وقت حتى وقف أمام واحدة من المكتبات الصغيرة . لم تكن هناك كتب ، بل ادوات كتابية . ورأيته ينحنى تماما ، ويتأمل قلما فى علبة مفتوحة على رصف معلق ، فعل ذلك ثم مد يده إلى جيب سترته واخرج قلمه ، وانحنى أكثر وهو يمسكه بين يديه وتأمله هو الآخر ، ثم تأمل القلم المعروض واستغرق طويلا فى المقارنة بين القلمين . اقتربت بدورى وقد تصورته وجد قرينا لقلمه ، وقفت على بعد خطوتين عن يمينه ، رأيت القلم المعروض ، ورأيت القلم الذى يمسكه بين يديه ، واصابتنى دهشة بالغة .

لم يكن هناك وجه للشبه أو المقارنة بين القلمين لافى الحجم ولا فى اللون ، وهكذا وقفت ساكنا وشعرت أنه أحس بى دون أن يلتفت ثم أعاد القلم إلى جيبه وهو ينتصب ، ويبتعد حتى استدار مع ناصية المبنى الكبير واختفى .

بعد ذلك بشهور قليلة مات .

إبراهيم أصلان




منسق الكلمات
البديل الأمثل للطابعة التقليدية . يوفر الوقت والجهد والمال
- سهل الإستخدام
- تنظيم شكل الرسالة
- استخدام طبعات مختلفة
- المزج بين اللغتين العربية واللاتينية
- إدخال أو مسح حرف أو كلمة أو سطر
- يطبع الرسائل بطريقة اسهل، أنظف، أدق
- تحديد، نقل، نسخ، مسح، طباعة أو حفظ فقرة أتوماتيكيا
- البحث عن أي كلمة أو جملة في النص وإبدالها أتوماتيكيا
- إمكانيات كمبيوترية أخرى، ملفات، حسابات ...... الخ
سعره لا يزيد عن سعر الطابعة الالكترونية
العالمية
al Alamiah

الهلال

سبتمبر ١٩٨٩ ● الثمن ٧٥ قرشاً

الأدب وقهر المرأة

حكاية القاهرة!



قمم عربية



● بريشة الفنان محمد ابو طالب

صلاح أبو سيف

القاهرة عاصمة السينما فى الوطن العربى ما فى ذلك شك .

وهى ما كان يمكن ان تصبح تلك العاصمة التى تتطلع الى افلامها الأبصار من المحيط الى الخليج ، لولا كوكبة من رواد اوائل لمع من بينها اسم « صلاح ابوسيف » الفائز بجائزة الدولة التقديرية .

ولا غرابة فى هذا الانفراد بالتالق والتميز .

فحياته منذ البداية تدور حول السينما وجودا وعدما .

فهو ما أن اكتشف دنيا الأطياف حتى فتن بها فاذا به يشاهد الأفلام بانتظام منذ أن كان صبيا .

يؤلفها منذ أن كان شابا فتيا .

يخرجها منذ خمسة وأربعين عاما ويواصل ابداعها رغم انه بلغ من الكبر عتيا .

ولقد استطاع الفنان صلاح أبوسيف ، بفضل كل هذا الحب والمثابرة ، علاوة على موهبة الابداع السينمائى ، أن يرسم بالكاميرا قطاعات حية أخاذة من المجتمع المصرى في ان النصف الأول من القرن العشرين ، مجتمع الوحش وريا وسكينة والفتوة وغير ذلك من افلام امتعت الجماهير ولاتزال .

وان يترجم قاهرة نجيب محفوظ وامين يوسف غراب ويوسف السباعى الى لغة السينما فى بداية ونهاية وفضيحة فى القاهرة ٣٠ وشباب امراة والسقا مات .

وهو بهذا المحصول السينمائى الوفير يكون قد لعب دورا كبيرا حاسما فى ولادة السينما المصرية من جديد ، فى الانتقال بها من مرحلة الطفولة حيث كانت بدائية تحبو الى مرحلة اكثر نضجا واكتمالا ، ترنو فيها الى واقعية بلا شطان .

اقرا صلاح ابوسيف
صعود الى الواقعية .
ص ١١٠

الهلال

مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجى زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

السنة السابعة والتسعون ، سبتمبر ١٩٨٩ ، صفر ١٤١٠ هـ


● تمخض مولد القاهرة الحديثة وفقا لنظرية الكائن
الحى التكوينية العضوية فى تخطيط المدن عند ظهور
مولود كامل التكوين الحى . مولود موفور الصحة والقوة
امكنه بفضلها ان يحتل مكانة بين كبريات عواصم العالم
الحديث فاطلق على القاهرة الكبرى اسم « باريس الشرق »
لعلاقة تخطيطها بتخطيط باريس « مدينة النور » أعظم
عواصم أوربا فى تلك الوقت ● .
بقلم :
د . سيد كريم

عزيزى القارئ

نحن فى انتظار قصتك القصيرة

فى جميع مراحله ، خلال مائة عام تقريبا ، فتح "الهلال" صفحاته للموهوبين من الأدباء والمفكرين والشعراء والفنانين ، فلم يقتصر على نشر إنتاج الأعلام والقمم والمشاهير ، بل عنى دائما بتقديم أسماء جديدة ، ونجحت الأسماء الجديدة فى أكثر الأحيان فى إثبات جدارتها ، ووصلت كلماتها ونفثاتها إلى القراء فى مصر والعالم العربى ، وإلى كل قارىء عربى فى كل مكان من العالم ..

وكانت "المسابقات" أو "المباريات" من وسائل "الهلال" فى اكتشاف المواهب الجديدة الناضجة أو الواعدة بالنضج ، وإن كنا نعترف بأن الظروف لم تتح لنا خلال السنوات الطويلة الماضية أن نقيم أية مسابقة أو مباراة ، لأن أصحاب الأدب والفن وطرائق التعبير الأخرى ، انشغلوا منذ نكسة ١٩٦٧ بمصاب الوطن ، وتمزقت الأجيال الجديدة فى هذه المجالات بحثا عن الطريق ، وتدهورت الثقافة ، ومال ركن الأدب ، وتفكك الشعر ، ثم غلبت على بصائر الناس وأبصارهم الشاشة الصغيرة الملونة ، فصارت أستاذة العصر ، ورائدة الفكر ، وموئل المعرفة والثقافة والترفيه لسواد الناس !..

ولكن المصدر الأساسى للثقافة مازال هو الحرف المطبوع ، وسوف يبقى كذلك ، ونتوقع أن يزداد عدد الأدباء الذين يكتبون القصة والمقالة والمسرحية والقصيدة ، مهما ازداد عدد كتّاب السيناريو والحوار التليفزيونى والمخرجين والممثلين فى المسلسلات وأفلام السينما والفيديو وغيرها ..

وسوف يزداد مع عدد الأقلام التى تكتب الحرف المطبوع ، عدد قراء هذا الحرف الساحر العريق الذى ظن بعضهم أن التطورات العاصفة قد غلبته على أمره ، فأثبت لهم أنه غالب لا مغلوب ، وباقٍ على امتداد الزمان ، وتقلبات الحدثان !..

إن "الهلال" ـ انسجاماً منه مع هذه الصورة المتفائلة ـ يهيب بأدباء الجيل الجديد وغيرهم أن يكتبوا ولا يتوقفوا .. ولا ييأسوا !.. إن المستقبل يفتح لهم ذراعيه ويرحب بهم ، ويتطلع إلى الطريف البديع من تراث قرائحهم الموهوبة ..

"والهلال" يقدم بين يدى هذه الدعوة ، إسهاماً متواضعاً يتكون من "مسابقات" للقصة القصيرة والمقالة والشعر ، بادئا فى هذا العدد بمسابقة القصة القصيرة للأدباء الشبان ولمن يشاء من غيرهم كذلك ..

إننا نقول لهم جميعا ، وبخاصة لأولئك المتواضعين الذين آثروا الانزواء : اكشفوا عن أنفسكم فلن يستطيع أحد أن يكتشفكم بدون أن تمدوا أيديكم إليه .

عزيزى القارىء ..

إننا نرحب بك وبكل من يشترك فى مسابقة القصة القصيرة ، فهى مفتوحة لجميع الأقلام . وقد نشرنا شروط المباراة فى صفحة (١٢٦) ، وربما كانت الجوائز المالية التى نقدمها للفائزين ، أقرب إلى التواضع ، ولكن معناها الرمزى عظيم ، والمهم أن تسفر المسابقة عن حصيلة طيبة من إبداع الأقلام الموهبة ، وإنها لكثيرة فى مصر وفى العالم العربى .. وسينشر "الهلال" القصص الفائزة تباعا مع تقارير لجنة التحكيم .. ونتطلع إلى إقامة حفل خاص لتوزيع الجوائز على الفائزين ..

وتتألف لجنة التحكيم فى المسابقة من أدباء ونقاد ثقات فضلاء ذوى تجربة طويلة فى هذا المجال ، وسيكون اشتراكهم فى النقد والتحكيم فى هذه المسابقة عملا من أعمال الإبداع أيضا ، وليس تقديرا للدرجات فى امتحان عام .

عزيزى القارىء ..

هل تكتب القصة القصيرة ؟!

هل يروق لك أن تشترك فى مسابقة "الهلال" للقصة القصيرة" ؟!..

إقرأ الشروط الخاصة بالمسابقة فى صفحة (١٢٦) وابعث إلينا قصتك فى الموعد المحدد ، وسننشر فى الأعداد القادمة ، وقبل إعلان نتائج المسابقة ، عناوين القصص التى وصلت إلينا ، ومعلومات أخرى تتعلق بها ، فى انتظار موعد النتائج الذى يعلن فور انتهاء لجنة التحكيم من مهمتها .. ونلتقى إن شاء الله ..

« المحـرر »

[redacted] فكر وثقافة

فى هذا العدد



تصميم الغلاف
الفنان : محمد أبو طالب

تصوير : فاروق الخادم

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى ، وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية . وفى الخارج بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة بعاليه عند الطلب .

دائرة الحوار

ندوة الهلال

فنـــون

قصة وشعر

الأبواب الثابتة

دار الهلال

١٦ شارع محمد عز العرب الرقم البريدى (١١٥١١) القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط - مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨١

رقم التلكس 92703 HILAL UN

ثمن النسخة

سوريا : ٤٠ ليرة ، لبنان : ٣٠٠ ليرة ، الاردن ٤٠٠ فلس ، الكويت : ٤٠٠ فلس ، العراق ٥٠٠ فلس ، السعودية : ٥ ريالات ، جمهورية اليمن الديمقراطية : ١٢٥ سنتا ، البحرين : ٨٠٠ فلس ، الدوحه : ٦ ريالات ، دبى : ٦ دراهم ، لوس انجلوس : ٤٠٠ سنت ، ابوظبى : ٦ دراهم ، مسقط : ٦٠٠ بيسه ، تونس : ١٤٠٠ مليم ، المغرب : ١٥ درهما ، غزه والضفة : ٧٥ سنتا ، داكار : ٦٠٠ فرنك ، لندن : ١٢٥ بنسا ، ايطاليا : ٢٥٠٠ ليرة ، نيويورك : ٤٠٠ سنت ، الجمهورية العربية اليمنية : ٨ ريالات ، كندا : ٥ دولارات .

مولد القاهرة الحديثة



ميدان المحطة قديما . الاشجار يانعة والاتساع على مدى الافق .

إن شهادة ميلاد مدينة القاهرة التى نعيش فيها اليوم ، تشير الى أنها ولدت عام ١٨٦٣ م فمعالمها التخطيطية والعمرانية ماهى الا ثمرة برنامج تكوينى عمرانى وانشائى شامل ومتكامل وضع لمدينة يبلغ عدد سكانها ٣٥٠ ألف نسمة ليصل فى نهايته العظمى الى سبعمائة ألف ساكن خلال نصف قرن من الزمان ، وتمتد حدودها لتعبر نهر النيل لتغطى مساحة تزيد على أربعة أمثال مساحتها القائمة .

كان ذلك عندما تولى الخديو اسماعيل الحكم وكانت القاهرة لا تزيد على مدينة صغيرة تمتد من سفح المقطم والقلعة وتنحدر غربا لتنتهى عند ميدان العتبة الخضراء الذى كانت تحتله مجموعة من الخرائب والمقابر المعروفة بترب المناصرة وترب الأزبكية ، تكملها سلسلة من المستنقعات والتلال التى تمتد حتى تصل الى شاطىء نهر النيل .

بينما كانت صور القاهرة التى عرفها العالم الغربى القديم تضم مناظر القلعة والمآذن وهى تطل على النيل الساحر كانت القاهرة نفسها تبتعد بأسوارها المقفلة ما يزيد على الأربعة كيلومترات .

لم يكن النيل فى موضعه الحالى بل كان فرعه الرئيسى يمر بمنطقة الجيزة وبولاق الدكرور والدقى وصولا الى

مولد القاهرة الحديثة



وتحول ميدان المحطة ١٩٨٩ الى غابة من الاسمنت والسيارات والبشر .

شمال امبابة وبولاق .

كانت القاهرة يفصلها عن العالم الخارجي مجموعة من الأسوار والبوابات التى تنتمى الى مختلف العصور المصرية والرومانية والعربية .

لم يكن للمدينة مداخل مفتوحة واقتصرت مداخلها على بواباتها المقفلة لم يكن بالقاهرة مجار عمومية فكانت خزانات مجاريها تطفح اثناء الفيضان وتختلط مياهها بمياه البرك التى تغذيها بمياه الشرب .

لم يكن بالقاهرة مياه جارية للشرب فكان الماء ينقل اليها بواسطة السقائين من البرك الأسنة والمستنقعات .

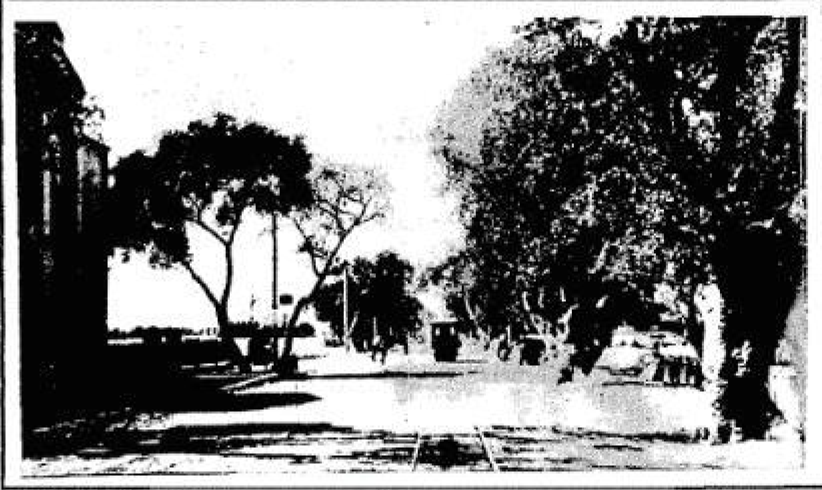
لم يكن بالقاهرة ما ينير شوارعها وأحياءها من المصابيح ، ولم يكن بمدينة القاهرة ما تحتاج اليه عاصمة للبلاد من مبانى الخدمات الرئيسية العامة .

هكذا كانت القاهرة عندما تسلمها اسماعيل باشا .. هاله ان يجد القاهرة عاصمة بلاده .. وقبلة أنظار العالم قد بدأت فى الانحلال .

لجأ اسماعيل باشا الى صديق شبابه الامبراطور نابليون الثالث ليعاونه فى اعادة تخطيط عاصمة بلاده ، وذلك بتكليف مهندس التخطيط العالمى « هاوسمان » الذى بلغت


مولد القاهرة الحديثة

مولد القاهرة الحديثة



شارع شبرا القديم تم تخطيطه كي يعكس صورة باريس بخضرتها وجمالها .

شهرته الآفاق عندما قام بتخطيط باريس التى أصبحت حديث عالم تخطيط المدن ، كأجمل عاصمة فى الغرب .

طلب اسماعيل باشا من هاوسمان أن يخطط له القاهرة لتعكس صورة باريس التى قضى فيها فترة شبابه وما تربطه بها من ذكريات .

باريس بمختلف معالمها ومبانيها العامة وغاباتها ومسارحها .. بل ونهر السين الذى تحيا المدينة على ضفتيه

فحقق « هاوسمان » تلك الأمنية .. أو المعجزة الفنية فظهرت القاهرة التى أطلق عليها اسم « باريس الشرق » لتحتل مكانها على خريطة العالم الحديث بين عواصم العالم الكبرى

● لقد أطلق على التخطيط الشامل والمتكامل لبحث القاهرة واعادة تعميرها اسم « برنامج المشروعات السبعة » لانه يتكون فى تخطيطه المدنى من سبعة مشروعات حيوية ضخمة يسيطر كل منها على منطقة بأكملها ، ويضم بين طياته ناحية هامة من نواحى الاصلاح وارتبطت تلك المشروعات السبعة بعضها مع البعض لتكون اكبر مشروع تخطيطى مهد لاوسع تطور عمرانى مرت به القاهرة عبر تاريخها المعمارى الطويل .. ويمكن تلخيص تلك المشروعات فيما يلى :

مولد القاهرة الحديثة



شارع شبرا ١٩٨٩ . اختفت الحدائق واماكن النزهة والرياضة "شبرا كلمة تعنى حدائق" .

١ ـ **مشروع تحويل مجرى النيل** : كان المجرى الرئيسي يمر فى الجهة الغربية محاذيا شارع الدقى الحالى مارا ببولاق الدكرور وامبابة والعجوزة ، فتم نقل مجراه الرئيسي ليحتل مكانة فى التخطيط الجديد فى وسط القاهرة بدلا من ابتعاده عنها ، بدأت عملية التحويل فى اواخر عام ١٨٦٣ وتم تنفيذها فى عام ونصف عندما حفر النيل مجراه الجديد بنفسه بفضل بناء السدود التى حولت وحددت مسار مجراه .

لقد ترتب على نقل مجرى النيل نشأة المنطقة الغربية التى نتجت عن ردم مجراه القديم وتخطيطها لتمتد اليها حدود القاهرة الجديدة ، مع الانتهاء من حفر مجرى النيل الجديد وتثبيت شواطئه أقيم فوقه أول كوبرى يربط شاطئيه أو جناحى المدينة ، وهو اول كوبرى أقيم على النيل من منبعه الى مصبه ، قامت بانشائه شركة « فيف ليل » الفرنسية ويبلغ طوله ٤٠٦ أمتار وبه فتحتان ملاحيتان لمرور السفن واستغرق العمل فى انشائه عاما ونصفا ، وزينت مداخل الكوبرى بأربعة سباع برونزية اطلق العامة بسببها اسم "ابو السباع" على إسماعيل باشا .

٢ ـ **منطقة الأزبكية** : كانت مقابر غرب القاهرة القديمة تحتل منطقة العتبة الخضراء الحالية امتدادا الى بركة الازبكية وجامع السلطان ازبك


مولد القاهرة الحديثة

الذى سميت المنطقة باسمه وهى مدافن ترب المناصرة وترب الأزبكية وهى المدافن التى كانت تعوق امتداد القاهرة فى اتجاه النيل فكان فى مقدمة برنامج التخطيط ازالة المدافن والمستنقعات والخرائب المحيطة بها لتفسح الطريق امام التخطيط الجديد حيث تعتبر تلك المنطقة نواة أو عصب المدينة الجديدة ، وصدر القرار بنقل المقابر حفاظا على حرمتها نظرا لما تعرضت له من اهمال وتلف فصدرت أوامر الخديو بانشاء حوض كبير نقلت إليه عظام المقابر ليقام فوق الحوض مسجد للصلاة تكريما لحرمة اصحابها وارضاء للمواطنين واطلق على المسجد اسم مسجد العظام وهو الاسم المعروف به الى الآن .

أما بركة الأزبكية وما كان يحيط بها من مستنقعات فقد ردمها التخطيط برمال التلال المحيطة بها ، فتم تحويل جزء منها الى حديقة عامة غرست فيها الأشجار النادرة التى جلبت من جميع انحاء العالم تحت اشراف المهندس الفرنسى باريل بك لتتحول الى متنزه عام مساحته ٢٠ فدانا لتكون بمثابة رئتى القاهرة ونقل تصميمها بما تحويه من نافورات وبرك للطيور وأحواض للنباتات النادرة بل بما يحيط بها من أسوار معدنية وبوابات زخرفية لتكون صورة طبق الأصل من حديقة لوكسمبرج الشهيرة التى تتوسط باريس ، وأطلق على الحديقة اسم حديقة الأزبكية نسبة الى اسم البركة والمنطقة التى اقيمت مكانها .. وامتد تخطيط المنطقة الى الجزء المعروف حاليا بشارع وجه البركة شمالا ، والأجزاء الجنوبية منها الى ميدان التياترو الذى سمى فيما بعد عند افتتاح دار الأوبرا بميدان الأوبرا .. وبعد انشاء حديقة الأزبكية وميدان الأوبرا خططت المنطقة باكملها بما فى ذلك شارع كلوت بك وميدان العتبة الخضراء أى عتبة الدخول الى الجنة واقيم فى وسط الميدان تمثال ابراهيم باشا الذى نقل فيما بعد الى ميدان الأوبرا .. ومن ميدان العتبة تم شق الشوارع الرئيسية التى تخترق الاحياء القديمة وتصل قلب القاهرة الحديثة بكل من حى القلعة وقصورها وأطلق على الشارع اسم « شارع محمد على » ثم شارع الموسكى الذى يربط القاهرة القديمة بالمنطقة الشمالية واتخذ الشارع والحى اسمه من قنطرة وقصر « موسك بك » الذى تحولت به قنطرة الخليج المصرى الى مدخل للشارع والحى .

أما المبانى الرئيسية العامة التى فرضها التخطيط ومتطلباته العمرانية والتى ضربت رقما قياسيا فى سرعة انشائها وأعدادها وتجهيزها التجارى

مولد القاهرة الحديثة

التخطيط نفسه وسرعة تطورها وتشمل « دار الأوبرا » التى تصدرت الميدان الذى يحمل اسمها استغرق بناؤها وتجهيزها ستة أشهر أشرف على اعدادها شارل جارنيه منشىء دار الأوبرا فى باريس وتم افتتاحها عام ١٨٦٩ كما أقيم بالمنطقة « مسرح الكوميديا » مماثلا لمسرح الكوميدى فرانسيز فى باريس وتمت اقامته فى ثلاثة أشهر وكان موقعه مكان دار البريد الحالية واحتفل بافتتاحه عام ١٨٦٨ . كما أقيم بميدان الأوبرا أول فندق للسياحة والضيافة أطلق عليه اسم « نيواوتيل » وهو المعروف حاليا باسم « فندق الكونتننتال » ...

٣ ـ **منطقة عابدين** : كانت منطقة عابدين ـ قلب القاهرة ـ عبارة عن مجموعة من البرك الراكدة منها بركة الفراعين ، وكانت تقع مكان ميدان سراى عابدين ثم بركة السقايين وبركة الفوالة وبركة الرطل وبركة الفيل وبركة الناصرية ومجموعة كبيرة من البرك الصغيرة والمستنقعات تتخللها سلسلة من الهضاب والمرتفعات وكثبان الرمال والقلاع تمتد من منطقة السيدة زينب الحالية الى نهاية شارع المبتديان . فاحتوى التخطيط تسوية تلك الهضاب والمرتفعات وردم البرك باتربتها فاصبحت تلك المنطقة بعد تخطيطها من أجمل اخطاط القاهرة الجديدة .

اشتمل برنامج التخطيط على نقل مقر الحكم بعد أن كان فى القلعة وفى أطراف المدينة الى مقره الحالى فى وسطها النابض ، فاختار له المخطط موقعا كانت تحتله اطلال قصر عابدين بك احد المماليك الذى يطل على بركة الفراعين التى تم ردمها لتتحول الى ميدان للقصر تبلغ مساحته تسعة أفدنة اقيمت على احد جوانبه قشلاقات الحرس ، تم بناء القصر وافتتاحه عام ١٨٧٤ وطلب اسماعيل باشا أن يحتفظ القصر والميدان باسم « عابدين » لأن ذلك الاسم ملك لتاريخ القاهرة والمنطقة ورفض أن يحمل اسم مؤسسه .

من أهم الشوارع التى تم خطها لتربط الميدان بالمناطق الأخرى شارع عابدين وشارع عبدالعزيز الذى سمى بهذا الاسم نسبة الى السلطان عبدالعزيز التركى بمناسبة زيارته لمصر فى عهد اسماعيل باشا واشتراكه فى افتتاحه .

٤ ـ **منطقة الشاطىء الشرقى** : تعتبر تلك المنطقة اكثر مشروعات التعمير والتخطيط حيث وصلت القاهرة القديمة بشاطىء النيل ، بدأ مشروع التخطيط بازالة جميع التلال والهضاب واستعمال اتربتها فى ردم البرك والمستنقعات التى كانت تمتد من شارع عماد الدين وامتداده المعروف



اتجهت النية لتخطيط ميدان التحرير ليشابه ميدان الاتوال بباريس فى شكله وابعاده ومحاوره .

حاليا بشارع محمد بك فريد وبين شارع الملكة وماربيت باشا وجنوبا الى قصر العينى وتشمل اخطاط التوفيقية والاسماعيلية ومعروف وباب اللوق والدواوين والجوياتى والقاصد والانشا والمنيرة ولكل من تلك الاسماء اصل تاريخى مرتبط بالزمان والمكان وبيئة المجتمع ، يتوسط التخطيط ميدان الاسماعيلية (التحرير حاليا) الذى طلب اسماعيل باشا تخطيطه مشابها « لميدان الاتوال » فى باريس من حيث شكله وأبعاده ومحاور الشوارع التى تصب فيه والميادين الداخلية التى يلتقى بها كل منها وهى ميادين سليمان باشا وشامبليون والكبرى ، ولكل من تلك الميادين مثيل فى تخطيط باريس .

وقد وصف على مبارك باشا ذلك المشروع فى كتاب الخطط التوفيقية بقوله : « وكان بهذه المنطقة كثبان اتربة وبرك ومياه آسنة ومستنقعات واراضى سباخ فلما جاء الخديو اسماعيل امر بازالة هذه الكثبان وردم البرك وتمهيد جميع الأرض وتخطيطها الى شوارع وميادين وجعلت منازلها منفردة عن بعضها ودكت ارض شوارعها بالدقشوم وانشئت الارصفة على جانبى كل شارع منها وجعل وسط الشارع للعربات والحيوانات ومرت فى جميعها مواسير الماء لرش أرضها وسقى بساتينها وتزويد مساكنها بمياه الشرب ونصبت فيها فوانيس الغاز لاضاءتها وتنويرها وعهد الى



احدث صورة لميدان التحرير بعد ان [illegible] عنه كل مظاهر الخضرة والجمال

احدى الشركات الانجليزية لعمل مشروع لصرف المجارى فاصبح خط الاسماعيلية من ابهج اخطاط القاهرة واعمرها .

عندما وصل التخطيط الى شاطىء النيل اقام الخديو اسماعيل سراى الاسماعيلية على الضلع الجنوبى للميدان وقد هدمت السراى فى عهد الاحتلال الانجليزى ولم يبق من السراى الا المسجد الذى كان ملحقا بها ، كما اقيمت مجموعة من القصور مطلة على النيل أهمها قصر الدوبارة والقصر العالى يضمهما سور مرتفع يطل على شارع قصر العينى وقد هدمت القصور حوالى عام ١٩٠٠ وقسمت أراضيها وتحولت فى عهد الاحتلال الى المنطقة المعروفة حاليا باسم جاردن ستى وهو الاسم الذى أطلقه عليها الانجليز عند تخطيطها .

٥ ـ الشاطىء الغربى : عندما تم تحويل مجرى النيل تخلف عن المنطقة الغربية من مجراه القديم الذى انحسر عنه الماء اراض واسعة بين شارع الجيزة الحالى وشارع النيل (البحر الأعمى سابقا) تمتد من الجيزة وامبابة فى الطول ومن شاطىء النيل القديم شرقا الى بولاق الدكرور والعجوزة غربا .

فقامت أحدى الشركات المشتركة بردم الجزء الجنوبى بين مدينة الجيزة وشارع ثروت بلغ ارتفاع الردم فى معظم أجزائها ما يزيد على المترين ،



بركة الفيل . احدى البرك التى ردمت بعد أن جاءها العمران . فاصبحت من اجمل اخطاط القاهرة الجديدة .

أما المنطقة البحرية الممتدة الى امبابة فقد طمت ارضها بتحويل مياه الفيضان عليها وتركها حتى يرسب ما عليها من طمى . قام التخطيط بتحويل القسم الجنوبى منها الى اورمان اى غابة مماثلة لغابة بولونيا المشهورة فى باريس قام بتخطيطها وتنسيقها « باريل بك » الذى سبق له تنظيم حديقة الأزبكية ، تبلغ مساحة تلك الغابة ٤٦٥ فدانا جلبت لها مجموعة نادرة من الاشجار من آسيا وأوربا وأمريكا كما أقيمت على جزء منها حديقة الحيوانات وتمتد الحديقة حتى تصل الى سراى الجيزة بمبانيها الفخمة التى كانت تقع موضع مخازن الترام وشارع المدارس كما أقيم بالتخطيط مجموعة من المبانى الادارية والخدمية العامة كمدرسة المساحة ومدرسة الحرف .

٦ - منطقة الزمالك والجزيرة :

وهى الجزيرة التى تتوسط النيل والتى تكون شكلها الحالى نتيجة لتحول مجرى النهر وتياره فكان من نتيجة حفر النهر لمجراه الجديد أن تراكم الطمى والرمل بالجزء الشمالى من الجزيرة الممتد من شارع الزمالك الحالى الى طرف الجزيرة بالقرب من جزيرة وراق الحضر والتى تحولت الى مصيف للحرس وسكان القاهرة فصدر أمر الخديو بعدم اقامة اى مبان أو منشآت بالشاطىء سوى « الزمالك »

مولد القاهرة الحديثة



لقطة حديثة لبركة الفيل وقد غيرتها الخرسانة المسلحة تماما

والزمالك لفظ ألباني معناه العشة أو كشك الاستحمام فعرفت المنطقة منذ ذلك الوقت باسم « الزمالك » ثم اطلق فيما بعد على الجزيرة بأكملها فسميت **بجزيرة الزمالك** . لم يشيد على الجزيرة وشاطئها الشمالي من المباني سوى قصر للضيافة في الموقع الذى تحول الى ناد للضباط الموجود حاليا ، وتم تخطيط باقى الجزيرة وأقيم على شاطئها الشرقى عام ١٨٦٨ سراى الجزيرة التى شيدت لنزول الامبراطورة أوجينى زوجة نابليون الثالث الذى قدم له يد المساعدة فى تخطيط وتعمير مدينة القاهرة عاصمة البلاد وتحقيق حلمه لتصبح « باريس الشرق » وذلك بالعمل على ارسال مجموعة من الخبراء والمهندسين الفرنسيين الذين ساهموا فى تخطيط باريس نفسها ، والشركات الفرنسية التى ساهمت فى تنفيذ الأعمال المدنية والمنشآت العمرانية والقصور والتى تمت جميعها فى زمن قياسى كان حديث العالم أجمع بالاضافة الى معاونته بالقروض اللازمة التى قام باستغلالها لحفر قناة السويس وترعة الاسماعيلية وبناء القاهرة ، وقد أعدت سراى الجزيرة لنزول الامبراطورة بمناسبة زيارتها لمصر لحضور الاحتفال بافتتاح قناة السويس ، وتحولت بعدها إلى قصر للضيافة لكبار الزوار . وهو القصر الذى تحول أخيرا الى فندق ماريوت السياحى .

٧ - منطقة شمال القاهرة ومداخلها : كان أول ما يستقبل الزائر أو السائح الأجنبى عند وصوله الى مدينة القاهرة عن طريق السكة الحديد التى تم توصيلها الى مدينة القاهرة الجديدة (وتعتبر مصر ثانى دولة أدخلت اليها السكة الحديدية بعد انجلترا) - كانت تستقبل السائح منطقة الفجالة التى اشتهرت بمزارع الفجل وحقوله التى تغذى احياء القاهرة الفقيرة ووضعها الأجانب فى دعاياتهم المغرضة بأنه الغذاء القومى لمصر ولذا اطلق على تلك المنطقة اسم الفجالة نسبة الى زارعى الفجل الذين كانوا يسكنون قرية خربة تسمى كوم الريش تحولت الى مجموعة من الخرائب والاطلال يسكنها الخارجون على القانون فبدأت مهمة التخطيط بإزالة المزارع والمستنقعات التى تحيط بها وردمها برمال الأكوام والتلال التى كانت تغطى موقع ميدان المحطة الحالى ، وتم تسوية وتخطيط المنطقة الممتدة من حى الفجالة الذي اتخذ اسمه من مزارع الفجل والسكاكينى التى كان يحتلها قصر السكاكينى بك وتسوية المنطقة بأكملها بما فى ميدان المحطة الحالى الذى أقيم به أول محطة للسكة الحديد بالقاهرة الجديدة وقسمت أرض المنطقة لتتحول الى حى من أجمل احياء السكن بالقاهرة وصفها أحد الكتاب بقوله : « ان مزرعة الفجالة تحولت الى مزرعة للقصور التى حولت الحى الى أجمل احياء السكن بالقاهرة » .. وامتد التخطيط جنوبا ليتصل بمنطقة الأزبكية بعد ازالة « ساحة مناخ الجمال » ومنطقة مدابغ القاهرة واخترقت كلا منهما الشوارع الرئيسية التى حمل كل منهما اسم المكان وهما شارع المناخ وشارع المدابغ (سابقا) بعدما غير المعاصرون اسماءهما اكثر من مرة اسوة بغيرهما من الشوارع والأحياء ، كان اسم كل منها بمثابة وثيقة ناطقة فى سجلات تاريخ المدينة تحكى اصالة تاريخها .

اشتهرت شبرا منذ عهد محمد على باشا بحدائقها ومزارعها النضرة وكانت تعتبر مكانا للرياضة والنزهة خارج المدينة ، واسم شبرا مصرى قديم بمعنى الحدائق كما وجد له اسم مرادف فى اللغة الالبانية يحمل نفس المعنى خاصة أن القاهرة تحمل كثيرا من الأسماء التركية والالبانية كالزمالك والأورمان وغيرها .

كان شارع شبرا من أجمل شوارع القاهرة الجديدة اشتهر بأشجاره الباسقة المزهرة التى زرعت على جانبيه وتشابكت اغصانها فحولته الى خميلة مسقوفة تبارى الشعراء الأجانب فى وصفها والفنانون فى تصويرها . وامتد التخطيط على جانبى الشارع فتحول الحى الشرقى من الشارع الى حى اجتذب الكثير من

الأسر الكبيرة من بينها قصر زينب هانم بنت محمد على وقصر اينجه هانم ارملة سعيد باشا وقصر شيكولانى وقصر النزهة وغيرها من القصور ومازالت شوارع الحى تحتفظ بأسماء القصور التى كانت تطل عليها ، كما امتد التخطيط غرب الشارع ليصل الى منطقة بولاق الذى كانت تتوسطه بحيرة ، كما أن الشوارع المحيطة به كشارع الترعة البولاقية ، وروض الفرج وعشرات غيرها من الأسماء ارتبط كل منها بأحداث الزمان والمكان .

● منشآت ثقافية وخدمية

● إذا انتقلنا الى العناصر العمرانية التى ارتبطت بالتخطيط وأكدت مولد المدينة ككائن عضوى حى متكامل التكوين فلم يكن برنامج التعمير مقصورا على بناء القصور كما صورته الدعايات كقصر عابدين والقبة والزعفران والجزيرة والتى لا تزال تقوم بدورها الحضارى الى الآن والتى تبادلتها مختلف عهود الحكم ، بل تكامل التعمير نفسه بمنشآت الثقافة الحضارية والخدمات العامة فاحتل كل منها مكانه الطبيعى فى المدينة الجديدة متوازيا مع تخطيط مناطقها وأحيائها ، فبينما كانت عواصم العالم الكبرى تفخر كل منها باقامة متحف للآثار المصرية كانت مصر نفسها تفتقر الى وجود متحف تحفظ به كنوز آثارها التى تتسرب من مصر لتجد لها مكانا فى تلك المتاحف الأجنبية . فكان فى مقدمة المشروعات التى تضمنها تخطيط القاهرة الجديدة اقامة متحف للآثار (الانتيكخانة) مشابهة لمتحف اللوفر بباريس كما أقيمت دار مستقلة للآثار العربية كما أقيمت دار للكتب اسوة بمكتبة باريس المشهورة جمع فيها ماتشتت من الكتب التى كانت يحتفظ بها قصور الأمراء وأضاف اليها نحو الفى مجلد من المخطوطات العربية والفارسية اشتراها اسماعيل باشا من تركة المناسترلى باشا واهدى للمكتبة مجموعة من الكتب والمخطوطات القيمة التى تركها اخوه الأمير فاضل ... كما أرسل مجموعة من البعثات الخاصة تطوف بلاد العالم لتجمع نفائس الكتب بمختلف اللغات ، وساهمت مكتبة باريس باهداء المكتبة أو دار الكتب المصرية مجموعة من الكتب والمؤلفات التى تحتفظ بأكثر من نسخة منها وذلك فى مناسبة افتتاح الدار ، التى الحقت بها دار للطباعة والنشر اسست لها أول جمعية علمية مهمتها نشر الثقافة تحت رأسة محمد عارف باشا .

● الآثار الدينية والاهتمام بها

لم يغفل التخطيط الجديد الاهتمام بالآثار الدينية ومواقعها فى المدينة الجديدة . فأمر اسماعيل باشا ببناء مسجد كبير حول ضريح سيدنا الحسين قام بتصميمه على مبارك باشا وشيد ابوابه الرخامية الثلاثة التى تطل



الأوبرا القديمة : تاريخ المدن منقوش على حوائط مبانيها ، ومكتوب على نواصى شوارعها

على خان الخليلي والميدان الخاص بالمسجد بساحاته الواسعة التى تفصله عن الأزهر وتسمح بتجميع الزوار فى المناسبات الدينية وقام بنفس العمل ببناء مسجد مماثل يضم ضريح السيدة زينب وخطط له ميدان خاص يعد من أكبر ميادين القاهرة الشعبية وهو ميدان السيدة زينب الحالى ، كما انشأ فى الجهة القبلية لقصر عابدين جامعا خاصا مرتفعا بدرج وكان يصلى فيه صلاة الجمعة مع الشعب .

● إن تاريخ المدن منقوش على حوائط مبانيها ومكتوب على نواصى شوارعها ودروب حواريها .

فتلك النقوش التى تحمل اسماء الاشخاص والاماكن والمعالم هى صفحات تاريخ حياة المدينة والعبث بها عبث بالتاريخ وأصالة الحضارة .

فالثورة الفرنسية عندما اجتاحت باريس ، وقتلت ملوكها وشردت ابناءها لم تحاول ان تقتل تاريخ مدينتها فعندما احتلت الثورة القصر الملكى لتحوله الى مجلس للشعب احتفظ المجلس باسم القصر الملكى (الباليه روايال) لتلك القصور التى تحولت الى متاحف أو مؤسسات احتفظت جميعها بأسماء أصحابها كما هو الحال فى متحف اللوفر اكبر متاحف باريس وحافظت الثورة على تماثيل الملوك والعظماء التى تزين ميادين باريس ، وأقاموا للثورة تماثيل تمجدها فى الميادين التى لم تكن بها تماثيل مع احتفاظ الميادين باسمائها الأصلية ، هكذا احتفظت باريس مدينة النور بأصالة تاريخها لم تحاول أى من الثورات القديمة أو الحديثة التى اجتاحتها أن تعبث به أو تحاول



الاوبرا الجديدة . محاولة لربط العمارة بكل من العمارة الاسلامية ، والمعاصرة .

الاعتداء عليه .

إن ذاكرة التاريخ لا تنسى ما قامت به ثورة منف فى أعقاب الأسرة السادسة التى أطلق عليها المؤرخون اسم « ثورة الرعاع » وسجلها تاريخ مصر باسم عصر الاضمحلال التى قام فيها حكام الثورة بعمل مماثل ـ احتلوا القصور ومحوا اسماء اصحابها ونسبوها لانفسهم وتتابع حكام الثورة ليقوم كل منهم بنفس الدور فيمحو اسم من سبقه من على القصور والمبانى لينسبها لنفسه وامتد ذلك الى القبور والتماثيل كما اتى وصفه فى برديات الحكيم « ايبيوور » الذى كتب تاريخ الثورة بقوله « لقد تبادلوا القصور وتبادلوا القبور وتسابقوا فى تحطيم تماثيل من قبلهم لوضع تماثيلهم بدلا منها . وهكذا سقطت صفحات من تاريخ مصر فى عهد الثورة ، سقطت معها اسماء سبعين حاكما توارثوا الحكم ومحا التاريخ اعمالهم وما خلفته الثورة التى استمر حكمها مائة وخمسين عاما وصف تاريخ الحضارة المصرية عهدها باسم « عصر الاضمحلال » .

لقد آن الأوان لنعيد للقاهرة رد اعتبارها واعادة الصفحات التى انتزعت من سجل تاريخها لتامين اصالة تاريخها بعودة الحق الى اسماء شوارعها ومنشاتها واحيائها الأصلية واعادة تماثيل من ساهموا فى بنائها وبناء نهضتها العمرانية لتعود الى الميادين التى كانت تحمل اسماءها .



مصر وحقبة افريقيا

بقلم: د. بطرس غالى
وزير الدولة للشئون الخارجية

إذا كانت مصر هى حجر الزاوية ، والأرض الركن فى الثلاثية القارية ، التى يتألف منها العالم القديم ، وإذا كانت هى البوابة المشتركة لأفريقيا وآسيا وهى المدخل الطبيعى لكليهما ، فإنها بكل اليقين ، الطريق الطبيعى إلى افريقيا . فالنيل هو النهر الوحيد يفتح الوراء القارى ، وبفضله تكتسب مصر طبيعة المسلك وتصبح الدهليز الوحيد إلى قلب القارة .

كما أن أرض مصر ، تربة وماء ، جزء من جسم أفريقيا ، ولقد جعلت الظروف الجغرافية والتاريخية من مصر مشعل النور فى القارة الأفريقية ، ومنارة افريقيا الحضارية . وجدير بالذكر أن مصر افريقية ، بقدر مصرية افريقيا . ذلك أن افريقيا ، لا تجد بين جنباتها أكثر من مصر تفاخر بها العالم ، فهى أم التاريخ فى قارة قيل انها بلا تاريخ .

● ولعل هيرودوت كان جغرافياً قبل أن يكون مؤرخاً حين قال « إن مصر هبة النيل » ، ذلك أن الحقيقة الأولى فى الوجود المصرى ، هى أن مصر هى النيل ، ولأن مصر هى النيل ، أو أن النيل هو مصر ، فما من رباط لمصر بخارجها ، اقوى وأعمق من النيل . ومامن منطقة خارجية يمكن أن ترتبط بها مصر ، أكثر وأشد من تلك التى يربطها بها النيل .

وحتى خارج البعد النيلى ، على محور الجنوب ، يتأكد تأثير مصر الحضارى ، على طول ساحل البحر الأحمر ، منذ رحلات فراعنة مصر إلى بلاد بونت ، التى وإن كانت تعنى عند بعض المؤرخين دائرة القرن الأفريقى ، فإنها تمتد عند البعض الآخر ، لتشمل ساحل الزنج وزنجبار وشرق أفريقيا بلا استثناء . بل وتشير بعض الدراسات إلى وصول إشعاع مصر الحضارى ، إلى محور الصحراء الكبرى ، وبين القبائل النيلوتية فى أعالى البحار ، وبين بعض قبائل نيجيريا وغرب أفريقيا .

وكما يتداخل الكل مع الجزء والعام مع الخاص ، يتداخل بعد مصر الافريقى مع بعدها النيلى ، حتى يمكن أن نزعم أن القطاع الأكبر من بعدنا الأفريقى ، إنما هو ببساطة بعدنا النيلى ، يكمله من ناحية اليمين قطاع هام على طول البحر الأحمر وشرق أفريقيا .

ولا أدل على اتجاه حضارة مصر تاريخياً صوب الجنوب والشرق ، من موقع طيبة ، وهى المدينة الكبرى التى ظلت طويلاً عاصمة وطنية ، بل إن موقع طيبة الجنوبى المتطرف فى مصر ، لا يمكن إلا أن يكون مؤشراً ومفسراً للبعد النيلى فى توجهها منذ القدم .

كما أن الاتجاه الجنوبى والشرقى لمصر ، لم ينقطع طوال العصور القديمة وبعدها . فلقد انتقل تأثير الحضارة المصرية إلى أفريقيا بطول مجرى النيل . ومثلما صدرت مصر عناصر حضارتها وعقيدتها الفرعونية إلى الجنوب ، كررت دورها مع المسيحية ثم الإسلام .

فرغم أن المسيحية اتخذت من مصر شكلاً خاصاً بها ، حتى أصبحت القبطية فى معنى ما ديانة من الديانات التى تتحدد بإقليم معين وبشعب معين ، فإنها لم تلبث أن امتدت جنوباً وبعيداً ، بل لقد توطنت المسيحية وتوطدت فى النوبة جنوباً . أما الحبشة فكانت نهاية الإشعاع الدينى لمصر ، حيث ارتبطت كلية بالكنيسة المصرية . وأصبحنا نجد أن ملامح الماضى فى النواة المصرية ، هى ملامح الحاضر على أطراف منطقتها الحضارية أو أبعادها النيلية .

● دور هام لمصر ●

ومع الإسلام يتأكد دور مصر من جديد ، فقد لعبت مصر دوراً هاماً فى دفع المد الجديد ، حتى انفتح الطريق كاملاً . وفى القرن التاسع عشر ، انطلق البعد النيلى فى مصر ، فى عهد محمد على وأسرته الحاكمة ، فى حوض النيل وشرق أفريقيا . وهنا يلاحظ ، من الناحية السياسية ، أن حدود مصر وقتذاك ، قد تعدت حدود النيل وتقدمت على محورين هما النيل والبحر الأحمر . وتقوم تلك الحقيقة ، كأوضح تعبير عن تداخل البعدين النيلى والأفريقى لمصر .

وإذا كان السودان قلب بعدنا النيلى ، موقعاً ورقعة ، فإن أطرافه فى هضبة الحبشة من يمين ، وهضبة البحيرات من

مصر وحقبة افريقيا

يسار ، أو من شمال وجنوب هى قلب منابعنا المائية ، ومن ثم قمة وحدتنا الهدرولوجية .

وهكذا ظل بعد مصر الأفريقى عامة ، والنيل خاصة ، بعداً أصيلاً وجوهرياً ، لم يعرف الانقطاع ، ولا تعرض للاهتزاز ، بل لعله زاد عمقاً وقوة على مر العصور إجمالاً . وإذا ما كان يغلب على هذا بعد الطابع الحضارى والطبيعى أساساً ، لأنه بعد هيدرولوجى ، بالغ الخطورة ، بحسبانه أساس الوجود المصرى كله ، فإن ذلك على وجه التحديد ، ما يمنحه تلك الأهمية السياسية الخاصة .

واذا كانت انتماءات مصر الأفريقية ، وتأثيراتها الحضارية فيها ونشاطاتها واتصالاتها معها ، تتفاوت فى الكثافة والنوع والدرجة ، من إقليم إلى إقليم ، بحسب الضوابط الطبيعية والمسافة الجغرافية ، فهى اقوى تجاه الجنوب منها فى نصف القارة الشمالى بصفة عامة . ومن ثم فلعله من الأولى ، أن تكون مصر جزءاً من شرق أفريقيا بحسب تقسيمات الأمم المتحدة ، وليست جزءاً من شمال أفريقيا كما هو عليه الوضع الآن ، ذلك أن ارتباطها بالشرق هو ارتباط طبيعى أصيل ، يحقق لها القدر الأكبر من الفعالية والتفاعل ، وينسجم بشكل أعمق مع حقائق المكان والكيان .

وانطلاقا من حقيقة أن الحضارة المصرية ، الضاربة أصولها فى جذور الزمن ، هى فى جوهرها التاريخى حضارة أفريقية ، تتوجه صوب الجنوب ، فإنه من الطبيعى أن يكون انتماء مصر الأفريقى ، انتماء قدر ومصير ، وأن ترتبط اهتماماتنا على الساحة الأفريقية بمصالح الأمن القومى وبالأهداف الاستراتيجية العليا .

كما ظلت الدائرة الأفريقية ـ على اتساعها ـ واحدة من أكثر دوائر العمل الدبلوماسى المصرى حيوية وأهمية ، كما ظلت الدائرة النيلية تقف منها بمثابة الجذر الضارب فى أعماق التاريخ ، توصل بين مصر وأفريقيا برباط خالد ، هو الماضى والحاضر والمستقبل فى آن واحد .

ولعله من الطبيعى أن يكون إدراك مصر الحديثة ، ووعيها المسئول بحقيقة موقعها الاستراتيجى الفريد ، وامتداد امنها بمفهومه القومى الواسع إلى أفريقيا ذاتها ، دافعاً لها على القيام بدور ريادى متميز ، والاضطلاع بمسئوليات قومية طليعية فى أفريقيا .

فلقد وقف الشعب المصرى ، مؤمناً بالمصير الأفريقى الواحد ، على مر تاريخ طويل ، هنا على مدخل القارة الافريقية ، يؤدى فى إصرار ووعى ، رسالته الحافلة بالمسئولية والعطاء .

وعلى مدخل القارة ، وكما حاول شعبنا المصرى فى السابق ، أن تكون أرضه جسراً للحضارات والثقافات ، تمر عليه إلى الآفاق البعيدة المترامية وراء أرضه ، فإنه وفى هذه الحقبة من الزمان ، التى يمكن أن تسمى بجدارة ، حقبة أفريقيا ، فإن شعبنا مازال ، وسيظل ، يؤدى رسالته التاريخية تجاه غيره من شعوب القارة الأفريقية .

● سند للأشقاء ●

فلقد سجل التاريخ لمصر الحديثة ، أنها كانت دوماً الملاذ والسند الحقيقى ، لشعوب القارة الأفريقية ، ولحركات

التحرير فيها .. تدعم قضاياها ، وتمد لها يد العون والتأييد ، فى مواجهة المستعمر الغاصب ، حتى يتحقق لها النصر وتنال حقها فى الحرية والاستقلال .

وكما التزمت مصر فى سياستها الخارجية تجاه افريقيا ، ببذل كل العون والتأييد لكفاح الشعوب الأفريقية ، التى مازالت ترزخ تحت نير السيطرة الأجنبية والتمييز العنصرى ، ودعم حركات التحرير الشرعية فى نضالها من أجل الحرية والاستقلال ، فقد أولت الدبلوماسية المصرية كذلك اهتماماً خاصاً للجهود المبذولة لمساعدة أفريقيا على العبور فوق أزمتها الاقتصادية الطاحنة ، من خلال وضع وتنفيذ استراتيجية اقتصادية شاملة ، تحقق مزيداً من التعاون بين الجنوب والجنوب ، أى بين الدول الأفريقية بعضها وبعض ، مع توجيه موارد أفريقيا المادية لتنفيذ برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية فيها .

وتحقيقاً لهذه الأهداف ، اتجهت الدبلوماسية المصرية فى تحركها فى أفريقيا الى العمل من خلال محاور ثلاثة تمثل أولها فى الاطار الثنائى بمجالاته المختلفة ، من تبادل للزيارات على مختلف المستويات ، وابرام اتفاقيات التعاون مع الدول الأفريقية ، بينما تناول ثانيها الاطار الاقليمى متعدد الأطراف مع دول حوض نهر النيل من خلال مجموعة اندوجو ، واختص ثالثها بالاطار الشامل مع المستوى القارى ، من خلال منظمة الوحدة الأفريقية والتنظيمات الدولية الأخرى .

ولإلقاء الضوء على مظاهر هذا التحرك بمحاوره الثلاثة ، يمكن القول إنه فيما يتعلق بالاطار الثنائى ، شهدت العلاقات المصرية الأفريقية نشاطاً ملحوظاً ، على مدى الاثنى عشر عاماً الماضية (١٩٧٧ ـ ١٩٨٨) ، حيث تبادلت مصر العديد من الزيارات الرسمية مع كثير من الدول الأفريقية ، وفى مقدمتها زيارات متبادلة على مستوى رؤساء الجمهوريات ، وعلى مستوى الوزراء ، وصدرت عن هذه الزيارات بيانات رسمية مشتركة ، عكست فى مجملها توافقاً فى الآراء تجاه العديد من المشاكل الأفريقية والإقليمية والدولية .

كما شهدت علاقات مصر الافريقية ، اضطراداً متزايداً ودعماً متنامياً لأواصر التعاون فى مختلف المجالات ، وتم ابرام العديد من اتفاقيات التعاون التجارى والاقتصادى والثقافى والعلمى والتقنى بين مصر والعديد من الدول الأفريقية . ومن ناحية أخرى ، استضافت مصر العديد من المؤتمرات والاجتماعات الأفريقية ، كما نظمت وزارة الخارجية الكثير من الندوات والدورات التدريبية ، لتنمية الخبرات الأفريقية فى مختلف المجالات ، بحيث لم يكن يكاد يمضى شهر واحد ، دون أن تشهد القاهرة ، تجمعا أفريقياً أو اكثر ، يحقق المزيد من التعاون بين مصر وبين شقيقاتها الأفريقيات .

وإيماناً بدور مصر الأفريقى الرائد ، ومسئولياتها التاريخية تجاه شعوب القارة الأفريقية ، ورغبة فى تأكيد وتدعيم الحضور المصرى فى افريقيا ، انشأت وزارة الخارجية المصرية عام ١٩٨٠ ، الصندوق المصرى للتعاون الفنى مع الدول الأفريقية ، بهدف تقديم المعونة الفنية للدول الأفريقية ، سواء من خلال

إيفاد خبراء مصريين إليها فى مختلف التخصصات ، أو تخصيص منح تدريبية فى مصر لأبناء هذه الدول ، فضلاً عن المساهمة فى دراسات الجدوى ومشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فيها .

وقد ركز الصندوق بالفعل منذ بدء نشاطه عام ١٩٨١ ، على تقديم مختلف أشكال الخبرات الفنية ، فى مجالات تنمية القوى البشرية التقنية ، عن طريق إيفاد الخبرة المصرية المتخصصة فى سائر المجالات التى تحتاجها دول القارة الأفريقية ، أو بتوفير التأهيل اللازم للكادرات الأفريقية فى شكل منح تدريبية وتنظيم الدورات والحلقات الدراسية ، لأبناء الدول الأفريقية فى مختلف المراكز والمعاهد والأكاديميات المتخصصة فى جمهورية مصر العربية .

ولقد صادف نشاط الصندوق المصرى ، الذى يعد الأداة التقنية الرئيسية للدبلوماسية المصرية ، على المستوى العملى الفاعل فى التعاون مع الدول الأفريقية ، نجاحا كبيرا ، كما لقى اهتماما واسعا ليس فقط من جانب الدول الأفريقية جميعا ، بل ومن جانب العديد من المنظمات الدولية والوكالات المتخصصة ، والتجمعات الاقليمية العاملة فى مجال المعونة الفنية .

كما عقد الصندوق المصرى ، منذ إنشائه وحتى الآن ، اتفاقات للتعاون الفنى ، مع خمس وثلاثين دولة أفريقية ، وعلى مدى ستى نشاطه خلال الفترة من ١٩٨١ – ١٩٨٨ ، بلغ عدد الخبراء المصريين الذين أوفدهم الصندوق ألفا وثمانمائة وواحد وسبعين خبيراً (على أساس أن مدة الخبير سنة واحدة) .

وفى مجال التدريب ، أتاح الصندوق منذ إنشائه وحتى يناير ١٩٨٩ ، الفرصة لعدد ألف وثمانمائة وأثنين وثلاثين من أبناء القارة الأفريقية للتدريب فى جمهورية مصر العربية فى مختلف المجالات ، فضلاً عن ألف متدرب من أبناء الدول الأفريقية الذين أشتركوا فى الدورات التى تم تنظيمها وتمويلها فى مختلف المجالات ، مثل الخدمة الدبلوماسية ، والشرطة ومكافحة الجريمة ، وفى مجالات المرأة الريفية والتنظيمات التعاونية الزراعية وغيرها . هذا بالإضافة إلى مائة وأثنين وثمانين من أبناء القارة الذين شاركوا فى الدورات التى عقدت فى إطار نظام التعاون الثلاثى ، بالاشتراك مع اليابان فى مجالات النقل البحرى والصحة والزراعة .

وقد بلغ عدد الدول التى أوفد الصندوق خبراء إليها ، أربعين دولة ، كما بلغ عدد الدول التى أتاح الصندوق لأبنائها فرصة التدريب فى مصر ، خمسة وأربعين دولة .

كما تزايدت أنشطة الصندوق التى شملت ، بالإضافة إلى إيفاد الخبراء إلى الدول الأفريقية ، واستقبال أبناء هذه الدول للتدريب فى مصر ، إيفاد الصندوق لبعثات الخبرة الفنية فى المهام قصيرة الأجل للدول الأفريقية فى مختلف المجالات ، فضلاً عن تنظيم برامج يوفد إليها الأساتذة والمحاضرون المصريون لإلقاء محاضرات فى الجامعات والمعاهد فى القارة ، وقد بلغ عدد البرامج التى نظمت لهؤلاء المحاضرين سبعة وأربعين برنامجاً .

وإلى جانب ذلك ، تضمنت أنشطة الصندوق المساهمة فى تمويل أنشطة المنظمات والاتحادات والجمعيات التى تعمل فى الحقل الأفريقى ، والإسهام فى تمويل أنشطة الاجتماعات والمؤتمرات ، فضلاً عن الإسهام فى تمويل الندوات والحلقات الدراسية التى تعقد فى مختلف شئون التنمية الأفريقية .

وفى مجال التنمية الاقتصادية تشمل انشطة الصندوق كلا من الزراعة والصناعة ، فضلاً عن قطاع الأعمال والأستشارات الهندسية ، وإدارة وتنمية الموانىء والنقل ، بما فى ذلك النقل البحرى والطيران المدنى ، والمواصلات السلكية واللاسلكية ، هذا إلى جانب الأنشطة الخاصة بالتنمية الاجتماعية ، التى تشتمل على مجالات الطب والصحة والشرطة والأمن العام ومكافحة الجريمة ، فضلاً عن الأنشطة الاجتماعية الأخرى .

ونظراً لكون الزراعة لاتزال تعتبر المصدر الرئيسى الذى يعتمد عليه سكان البلاد الأفريقية ، والأساس الذى تقوم عليه التنمية الاقتصادية فى هذه البلاد ، رغم مشكلات الجفاف وتزايد السكان ، فقد أهتم الصندوق بتقديم المعونات الفنية فى المجال الزراعى ، عن طريق إيفاد الخبراء المصريين المتخصصين فى الزراعة والأراضى والرى والمياه ، فضلاً عن الأطباء البيطريين لتنمية الثروة الحيوانية فى الدول الأفريقية .

وفى ذات المجال الزراعى ، اسهم الصندوق فى تمويل المعونات الفنية فى مجالات العمل الريفى فى أفريقيا ، وتشجيع أنشطة لجنة الفلاحين الأفارقة ، وكذلك اتحاد الفلاحين الافارقة ، وقام الصندوق بتمويل الدورات التدريبية التى تعقد للكادرات من التنظيمات الفلاحية التعاونية ، ومن قيادات شباب الفلاحين الأفريقيين ، وقيادات المرأة الريفية الأفريقية .

● مجالات متعددة

أما فى مجال التنمية الصناعية ، فقد تضمنت أنشطة الصندوق منذ إنشائه إيفاد الخبراء فى مختلف قطاعات الهندسة والكهرباء .والطاقة والبترول والجيولوجيا والمناجم . وعقد الصندوق اتفاقات للتعاون الفنى مع المنظمات الدولية المعنية ومع الدول الأفريقية ، سواء لإيفاد الخبراء فى مجال التصنيع ، أو لتدريب الفنيين من أبناء القارة فى مجالات التنمية الصناعية .

وفى ٢٦ يونيو عام ١٩٨٤ ، تم توقيع مذكرة اتفاق بين الصندوق ومنظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية ، بمقتضاها يسهم الصندوق ، على مدى فترة خمس سنوات بخدمات خبراء يوفدون إلى الدول الأفريقية ، وذلك فى إطار عقد التنمية الصناعية فى أفريقيا . ويقضى الاتفاق بأن يتم استخدام هؤلاء الخبراء المصريين ، فى مشروعات التعاون التقنى التى تضطلع بها منظمة "اليونيدو" فى إطار العقد المذكور .

ولعل هذا الاتفاق يقوم كنموذج على ما تسعى إليه مصر من فتح مجالات جديدة للتعاون مع الدول الأفريقية الشقيقة ، من خلال صيغة ما أتفق على تسميتا "بالتعاون الثلاثى" الذى يقوم على أساس المزاوجة بين ماتوفره مصر من معينة وخبرة فنية ، وماتسهم به الدول المتقدمة

مصر وحقبة افريقيا

أو المنظمات والوكالات المتخصصة ، من مساعدات عينية ومادية بهدف إقامة مشروعات مشتركة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى الدول الأفريقية .

وتقوم السياسة المصرية على الإلتزام بضرورة العمل على تعبئة كل الطاقات واستنفار مختلف الهمم ، وتجميع كافة الخبرات ، من كل نوع ، وفى كل ميدان ، من أجل تكثيف التعاون ، وحشد الإمكانات ، داخل الأسرة الأفريقية تحقيقاً لخير بلادنا ومصلحتها .

وإذا كانت فئات الخبرات الفنية المصرية الموفدة إلى مختلف دول القارة الأفريقية ، هى ذات فائدة إيجابية فى دعم التنمية الاقتصادية الأفريقية ، فإن العمل على تنمية التعاون بين رجال الأعمال ، وتبادل الخبرة الاستشارية ، وتكريس المعرفة التكنولوجية ، من أجل خدمة قضايا التنمية الأفريقية ، من شأنه أن يلعب دوراً أساسياً وفعالاً فى بناء الجسور والروابط بين بلداننا الشقيقة ، من أجل خيرها وتقدمها . وتعمل مصر على إشراك رجال الأعمال والإستشاريين المصريين فى اللجان المشتركة بينها وبين شقيقاتها الأفريقيات ، كما تشجع اتصالاتهم مع أقرانهم فى مختلف الدول الأفريقية ، وتتيح لهم كل الفرص لمد نشاطهم عبر القارة الأفريقية كلها ، وهى سنة جديدة غدت تميز حركتنا الدبلوماسية الراهنة .

وتنطلق حركة الدبلوماسية المصرية على النطاق الأفريقى بالعمل الواعى على تعميق مفهوم الاعتماد على النفس فرديا وجماعياً ، وذلك بمضاعفة حجم التعاون الاقتصادى داخل الجماعة الأفريقية ، ولعله من المؤشرات الرقمية ذات الدلالة السلبية الواضحة ، أن التبادل التجارى بين الدول الأفريقية ، لايشكل سوى ٤٪ فقط من حجم تجارتها الخارجية ، فى وقت نستطيع فيه أن نحقق مكاسب كبرى بإعطاء أولوية متقدمة للتبادل فيما بيننا ، وهو ماقطعت مصر فيه شوطاً كبيراً ، وتعتزم أن تسير فيه إلى نهاية الطريق .

وإذا كانت اللجان المشتركة بين جمهورية مصر العربية ، وبين سائر الدول الأفريقية ، الشقيقة ، هى الإطار العام للتعاون المتعدد الجوانب ، والمتنوع المناحى ، إنطلاقاً من إيماننا بأن مستقبل التنمية الأفريقية ، ومستقبل تطوير المجتمعات الأفريقية سيظل مرتهناً بمدى القدرة على النجاح فى تحقيق التعاون بين الجنوب والجنوب ، وفى تحقيق الاستراتيجية العامة لخطة عمل لاجوس ، التى ترمى إلى إقامة سوق أفريقية مشتركة ، فإن النظرة المصرية تؤمن بأن هذه السوق المشتركة على اتساع القارة الأفريقية ، التى تجسد الأمل الذى تتطلع شعوب أفريقيا إلى تحقيقه ، مع استشراف القرن الحادى والعشرين ، لاينبغى أن تكون سوقاً مشتركة للسلع والخدمات فقط ، ولكن سوقاً مشتركة للعقول الأفريقية والخبرات الفنية والعلمية المتخصصة ، التى يتعين تكريسها من أجل خدمة أهداف التنمية والتطوير للاقتصاد والمجتمع والحياة فى الدول الأفريقية .

ولا يخفى مايجسده التعاون الثنائى

بين مصر والدول الأفريقية من مفاهيم عملية لدبلوماسية التعاون الفعال والمجدى بين الجنوب والجنوب ، فضلاً عما يوفره من مجال للعمل ، وفرص للنشاط أمام الخبرات الفنية فى مصر ، والمهنيين والتقنوقراط واليد العاملة المصرية ، فى أسواق العمل الأفريقية التى ستظل مفتوحة لاستيعاب الملايين من مختلف المهارات والتخصصات والقدرات المصرية التى تحتاج إليها وتأمل فى الاستفادة منها .

كما يهيىء هذا النمط من التعاون الفرصة السانحة لتعميق مختلف ألوان التبادل فى المجالات المتنوعة ، وخاصة فى مجال التبادل التجارى ، وفتح آفاق جديدة للصادرات المصرية فى الأسواق الأفريقية ، واحتمالات توسع العلاقات التجارية ، وتنويع بنودها وخاصة فى مجال الواردات المصرية من الغذاء والمنتجات الزراعية .

وإلى جانب كل هذه المزايا الإيجابية والمصالح المباشرة ذات النفع المتبادل ، بين مصر وبين شقيقاتها من الدول الأفريقية ، فإن الوجود المصرى والرصيد المادى والمعنوى الضخم الذى تصنعه كل هذه الشبكة المتنامية من العلاقات المصرية ـ الأفريقية ، يظل هو الدعامة الأساسية والضمانة الجوهرية لتطوير ونمو وتداخل المصير المشترك ، الذى يربط مستقبل مصر بهذه القارة التى تنتمى إليها إنتماء عضوياً ابدياً على مر الزمن .

● دور حوض النيل

أما عن تحرك الدبلوماسية المصرية على المحور الثانى من محاور نشاطها الأفريقى ، والمتمثل فى الإطار الإقليمى متعدد الأطراف مع دول حوض نهر النيل ، فقد جاء هذا التحرك من وعى مصر بأهمية البعد النيلى وتأثيراته الحيوية سياسيا واقتصاديا وامنيا ، فى حاضر ومستقبل الشعب المصرى .

ومن ثم فقد حرصت مصر على إقامة تعاون واسع ووثيق مع دول حوض نهر النيل ، من أجل تنشيط وتعميق العلاقات بينها فى مجالات الاقتصاد والتجارة والزراعة والرى والاتصالات والنقل وغيرها .

وتحقيقا لهذه الأهداف ، وتجسيدا لها ، كانت الدبلوماسية المصرية وراء السعى لتكوين تجمع لدول حوض نهر النيل المعروف باسم مجموعة «اندوجو» والتى تعنى «الاخاء» باللغة السواحلية ، كاطار إقليمى للتشاور والتنسيق والعمل المشترك بهدف تنمية علاقات التعاون الاقتصادى والاجتماعى لصالح شعوب هذه الدول جميعا .

وجدير بالذكر أن حركة الدبلوماسية المصرية فى هذا الاتجاه ، قد جاءت كذلك اتساقا مع قرارات مؤتمر القمة الاقتصادى الأول لمنظمة الوحدة الأفريقية ، الذى عقد فى لاجوس عام ١٩٨٠ ، الذى دعا إلى إقامة تجمعات إقليمية كخطوة على طريق التكامل الجماعى القارى ، كما كان دافعها ينطلق من الإدراك لأهمية السعى لدعم وتنشيط (التعاون الإقليمى) فى المجالات المختلفة ، بوصفها خطوة هامة على طريق الوحدة والتضامن فى القارة الأفريقية .

وكانت القاهرة مقرا للاجتماع الثالث (لمجموعة اندوجو) الذى عقد فى

اغسطس ١٩٨٥ ، بينما استضافت كينشاسا مؤتمره الرابع فى مايو ١٩٨٧ ، أما المؤتمر الخامس لتجمع الأندوجو فقد عقد على أرض القاهرة فى نوفمبر ١٩٨٨ ، وقد شاركت فيه إلى جانب مصر كل من السودان وزائير وأوغندا وتنزانيا ورواندا وبوروندى وأفريقيا الوسطى ، كما تميز بمشاركة ثلاث منظمات فنية أفريقية هى اللجنة الاقتصادية لأفريقا ، التابعة للأمم المتحدة ، واتحاد جمعيات الطرق الأفريقية ، ومنظمة إدارة وتنمية حوض نهر كاجيرا ، فضلا عن ممثل عن منظمة الوحدة الأفريقية ، إلى جانب المنظمات الأربع التى سبق أن شاركت فى المؤتمر الوزارى للمجموعة ، وهى برنامج الأمم المتحدة للتنمية ، والاتحاد الافريقى للمواصلات السلكية واللاسلكية ، والاتحاد الافريقى للسكك الحديدية والمكتب الافريقى لعلوم التربية ، الأمر الذى أضفى ، ولاشك ، على اهتمامات المؤتمر بعدا فنيا أكثر شمولا وتنوعا ، كما أثرى حضور هذه المنظمات مناقشات المؤتمر ومداولاته ، مما أسهم فى بلورة مفهوم (الأندوجو) ، كتجمع يستهدف تحقيق الاستقرار والتقدم للدول المنتمية إليه ، وفق أسس التعاون الإقليمى متعدد الأطراف .

وقد سار مؤتمر القاهرة ، خطوة متقدمة على هذا الطريق ، إذ قدم الوفد المصرى تقريرا للاجتماع عن الاتصالات التى قامت بها مصر مع رئاسة برنامج الأمم المتحدة للتنمية ، تنفيذا للتكليف الذى عهد به مؤتمر كينشاسا الرابع للمجموعة إلى مصر ، وهو التكليف الذى يتمثل فى الطلب المقدم إلى برنامج الأمم المتحدة للتنمية لعمل دراسة جدوى فنية اقتصادية شاملة ، يمكن اتخاذها كخطة عامة للتعاون الإقليمى بين دول المجموعة ، وهو الطلب الذى وافق برنامج الأمم المتحدة للتنمية على الاستجابة له .

وفيما يتعلق بالاطار الجماعى على المستوى القارى ، فى حركة الدبلوماسية المصرية الأفريقية ، فإنه يمكن القول إن مصر قد ظلت على مدى الخمس والعشرين عاما المنصرمة ، تحرص على تأكيد إيمانها وتمسكها بمنظمة الوحدة الأفريقية ، ذلك التجمع الأفريقى الكبير الذى كان بحق بداية مرحلة جديدة وحاسمة فى تاريخ شعوب قارتنا العظيمة ، ومسيرة نضالها البطولى ، من أجل الحرية والاستقلال والوحدة ، والعمل على تحقيق التقدم . كما تميزت ممارسات مصر ونشاطاتها داخل منظمة الوحدة الأفريقية بالعمل الدائب على دعم قدراتها وزيادة فعاليتها فى مواجهة المشاكل الأفريقية ، وفى مد جسور التعاون والترابط بين الدول الأفريقية جميعا فى كافة المجالات .

ويمكن القول دون مبالغة ، أن الدبلوماسية المصرية تعيش هموم أفريقيا بفكرها وبوجدانها ، ومن ثم فإنه من الطبيعى أن يرتبط جل نشاطها ارتباطا عضويا بالقضايا الأفريقية ، التى هى ـ فى نفس الوقت ـ قضايا مصيرية ، تدافع عنها وتعمل من أجل حلها .

وقد لعبت مصر ـ من خلال دبلوماسيتها الهادئة ـ دورا فعالا فى تمكين المنظمة من تخطى المشاكل

السياسية التى واجهتها ، كما تشاركها اليوم فى جهودها من أجل مواجهة المشاكل الاقتصادية الملحة والمزمنة التى تعانى منها شعوبها ، والتى تفاقمت أبعادها وتضاعفت آثارها فى السنين الأخيرة بشكل أصبح يمثل عائقا حقيقيا لكل الجهود المبذولة لتحقيق وتنفيذ برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعيـة فى أفريقيا .

ويقوم الموقف المصرى على أساس أن السبيل الوحيد لتسوية أزمة ديون أفريقيا هو معالجتها بمنهج شامل ومنصف فى اطار استراتيجية تعاونية متكاملة ، توجه نحو التنمية ، وتراعى فيها الخصائص المميزة لأزمة الديون الخارجية الأفريقية ، وأنه بالنظر إلى تكافل اقتصاديات البلدان المدينة والبلدان الدائنة ، فإن هذه الاستراتيجية ـ الرامية إلى حل مشكلة الديون الخارجية ـ يجب أن تقوم على أساس التعاون والحـوار المتواصـل والمسئولية المشتركة ، ولابد من توخى المرونة فى تنفيذها ، فى جو من التعاون الدولى المكثف .

وإذا كانت مصر تعمل بكل جهد على تدعيم التضامن الأفريقى على اتساع القارة ، فإنها تدرك فى نفس الوقت مدى حيوية وجوهرية تأكيد التضامن العربى ـ الأفريقى داخل القارة وخارجها .

ولاشك أن دور العوامل الجيوبوليتيكة ، كان عظيم الأهمية فى ربط الوطن بأفريقيا ، بتلك الوشائج التجارية والثقافية والدينية والسياسية .

وجدير بالذكر ، أن مصر ـ بتطور التاريخ ـ قد ارتبطت عرقيا وتاريخيا ودينيا وثقافيا وحضاريا ، بالأمة العربية ، إلا أن ذلك لم ينل من أصالتها الأفريقية ، كما لم يضعف من سعيها الدائم لدعم أواصر الأخوة والتعاون مع شعوب القـارة الأفريقية فى ذات الوقت .

ولعل مبادرة مصر للدعوة إلى عقد أول مؤتمر قمة عـربى ـ أفريقى ، وإلى استضافة هذه القمة التى عقدت بالقاهرة فى مارس ١٩٧٧ ، مايؤكد هذا السعى المصرى المتواصل من أجل تحقيق التقاء هاتين المجموعتين من الدول النامية ، التى ذاقت معا ويلات الاستعمار ومرارة التمييز العنصرى ، وقررت أن تتعاون معا فى إطار تنظيمات مشتركة من أجل تكوين جبهة واحدة لمواجهة تحديات تخوضها من أجل التحرر والتنمية وبناء نظام جديد .

وتؤمن مصر إيمانا عميقا بأن الوعى الصحيح بالحقائق الموضوعية فى كل من العالم العربى وأفريقيا ، ليدفع اليوم بالحاح إلى أن نتجاوز الأزمة الراهنة ، التى يعيشها هذا التعاون العربى ـ الأفريقى ، وأن نقتنص الفرصة الواحدة فننفض عن أجهزة التعاون العربى ـ الأفريقى ، ماران عليها من جمود وركود ، وندفع بدماء الحياة فى شرايين النفع المتبادل والتعاون المشترك والصالح الجماعى .

وتؤمن مصر بأنه إذا كان صحيحا حاجة العالم العربى إلى افريقيا ، وإذا كان صحيحا بنفس الدرجة حاجة افريقيا إلى العالم العربى ، فإن مصر العربية ـ الأفريقية فى ذات الوقت ، لتستشعر تلك الحاجة المضاعفة آلاف المرات ، ذلك أن الجمع بين العالمين سيكون علامة فارقة لمستقبل جديد ، من المؤكد أنه سيختلف عما نعيشه من أوضاع غير مواتية لكلانا فى الحاضر

الطفل المفترى عليه

بقلم: د. شكري محمد عياد

التعليم فى الصغر كالنقش على الحجر : حكمة قديمة وسليمة ، وان كان العلم قد زادها تخصيصا ، فعلم نفس الطفل يقول : إن أسس الشخصية توضع فى السنوات الخمس الأولى ، والمعنيون بالنمو اللغوى يقولون إن اكتساب اللغة يتم بسهولة فى السنوات الست الأولى من حياة الطفل ، ثم يتناقص بالتدريج ، أو يصبح أكثر اعتمادا على القياس العقلى ، وإن كان تشومسكى يقول إن الطفل بين الثانية والثالثة يقوم بعمليات عقلية بالغة الدقة تسمح له بأن يبدأ فى إنتاج عدد كبير من الجمل التى لم يسمعها من قبل .

● والواقع أننا لانفهم الأطفال جيدا فقليل منا يتذكرون طفولتهم . واذا تذكروها فإنما يتذكرون منها حوادث معينة ، وقلما يتذكرون كيف كانوا يفكرون أو يشعرون . والظاهر أن شعور الطفل بالنقص إزاء الكبار ، واستعجاله النمو ، يطمسان ذكريات الطفولة ويعملان على قولبته داخل مجموعة من العادات والأفكار التى يتقبلها بدون تفكير . والسعداء حقا هم الذين يحتفظون بشىء من غرابة الطفولة والأكثر سعادة هم الذين يستطيعون أن يتكلموا مع الأطفال .

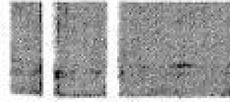
تعليم الأطفال شىء هين جدا وممتع جدا ، لو تعلمنا نحن أولا كيف ندخل إلى عالمهم . كل شىء ممكن فى نظر الطفل ، وكل شىء يستحق أن نجربه . أليست هذه هى بذرة كل اكتشاف وكل اختراع ؟ إن عالم الطفل ملىء بالقوى المجهولة ، ولهذا يصدق كل مايسمعه من حكايات الجن والسحرة ، وربما ظن أنه يستطيع أن





يختفى أو يطير مثلهم ، وهنا يمكننا أن نطلعه على بعض منجزات العلم ، فعالم اليوم هو ساحر الأمس . والطفل يريد أن يصادق كل ماحوله ، من بشر وحيوان ونبات ، وهو قادر على أن يكتشف ممالك الطبيعة بنفسه ، وليس علينا إلا أن نساعده وننبهه إلى بعض المخاطر ، دون أن نجعل الخوف حاجزا يشل قواه الفكرية والجسمية . والطفل يسأل ولا يكف عن السؤال ، يسأل عن كل مافوق الأرض وماتحت السماء ، وعما تحت الأرض ومافوق السماء أيضا ، وليس فى وسعنا أن نجيب عن كل اسئلته ، ولكننا نستطيع - على الأقل - الا نقتل شهيته للأسئلة ، وذلك بأن نسأل معه ونفكر معه .

حاول ، صديقى القارىء ، أن تتذكر بعض تجارب طفولتك فى المدرسة : تذكر كم مرة انتهرت - أو ربما عوقبت - كما انتهرت أنا عندما كنا فى قمة نشاطنا الفكرى المبدع . أذكر



من هذه التجارب حادثتين : كانت أولاهما مع مدرس الديانة حين قال لنا أن الله هو الذى خلق لنا الأرض والسماء والبحار والأنهار وكل شىء فلمعت فى ذهنى فكرة همست بها لجارى ، فرفع اصبعه باندفاع وسأل الشيخ ومن خلق الله ؟ وهنا قامت قيامة مدرس الديانة واصفر وجه زميلى . أحسب أن هذه الفكرة خطرت لكل طفل فى سن معينة ، ونال نصيبه من الزجر بسببها ، وتعلم أن يؤمن بدون تفكير ، وأن يسبل عينيه ويتمتم بأى شىء كلما ذكر الله والرسول ، وزعموا له حين كبر أن عمر بن الخطاب كان يقول : « اللهم ايمانا كايمان العجائز » ، فاختلط الدين فى عقله بالخرافة ، ولو أن مدرس الديانة قرأ عليه فى تلك السن الغضة خمس آيات من سورة الأنعام لفهمهن ربما أكثر من مدرس الديانة نفسه . أما الحادثة الثانية فكانت لى مع مدرس الحساب ، جئته بحل مسألة من الواجب وكان الحل صحيحا . ولكن المدرس أمرنى أن أقف وسألنى بمرأى ومسمع من الفصل كله حتى يعتبروا بحالتى : من أخبرك بهذا الحل ؟ قلت له ، وكنت صادقا : لم يخبرنى به أحد . قال : بل أخبرك به أخوك فلان ، وكان لى اخ يقاربه فى السن . قلت : أنا فكرت فيه وحدى ، قال : لاتكذب . ومازال بى حتى كذبت و اعترفت أن أخى هو الذى أرشدنى إلى هذا الحل قال المدرس وقد رضى عن ذكائه : هذه طريقة عتيقة لحل هذا النوع من المسائل ونحن نحلها بطريقة أخرى . بعد ذلك لم أع شيئا من الطريقة التى شرحها وأصبحت جبانا . وأصبح الحساب مشكلتى الكبرى حتى المرحلة الثانوية . ولا أزعم أن العالم خسر رياضيا آخر مثل الخوارزمى أو بوانكاريه ، ولكننى واثق أنى خسرت كثيرا لأنى لم استطع إلى اليوم أن أتغلب على ضعفى القديم فى الرياضة أو نفورى منها .

● معاناة داخل المدرسة

لا اظننى أبالغ إذا قلت إن نظام التعليم كثيرا مايكون معطلا لنشاط التلميذ الجسمى والعقلى بدلا من أن يساعد على تنمية قدراته الكامنة . ان الطفل فى سن المدرسة الابتدائية يحشر فى فصول كثيفة العدد ، داخل أبنية لاتوجد فيها مساحات للحركة الحرة ، فضلا عن اللعب المنظم أو غير المنظم ، ولذلك تراهم دائما فى الشوارع المحيطة بالمدرسة ، يزحمونها ويملئونها بالضجيج . ولم يعد ذلك مقصورا على المدارس الحكومية المجانية أو شبه المجانية ، بل أصبحنا نراه فى معظم المدارس الخاصة ، التى تكلف أولياء الأمور مصروفات باهظة إن هذه الحالة يمكن أن تملأ طفلا حساسا بالفزع ، وتضاعف العبء على المدرس أو المدرسة فى مجرد « حفظ النظام » ،

دع عنك واجب التدريس نفسه ، ولابد من علاج سريع لهذه الحالة إلى أن يعاد النظر فى « اقتصاديات التعليم » من أساسها وقد يكون بعض هذا العلاج بأيدى مديرى المدارس أنفسهم . لماذا لاينظم جدول الدراسة مثلا بحيث يقضى قسم من التلاميذ بعض الوقت فى ملعب رعاية الشباب القريب من المدرسة ؟ لماذا لايصبح التمثيل جزءا أساسيا من نشاط الفصل ، فتتاح للتلاميذ فرصة التحرك أثناء الحصة الدراسية ؟ نعم إن هذه حلول جزئية وقليلة الأثر ، ولكنها تذكرنا على الأقل بأن تعليم الأطفال يجب ألا ينطوى على تشويه لطبائعهم .

ولو أعيد الاهتمام بمكافحة الأمية ، وخصصت فترة من الليل لتعليم الكبار ، وعمم ذلك فى عدد كاف من المدارس ونظمت الحملة بحيث يكون البرنامج مغريا للكبار ، فسوف يؤدى ذلك خلال سنوات قليلة إلى تخفيف العبء عن المدرسة الأدبية ، إذ ان الابوين سيصبحان معلمين لأبنائهما ولعله يخفف العبء أيضا من طريق آخر ، إذ يساعد على تحديد النسل ، أو « تنظيمه » كما تحب الدعاية الرسمية أن تقول !

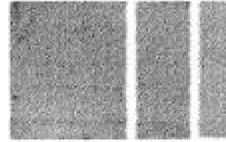
● القراءة مشكلة العصر

تدبير المال اللازم ليكون التعليم الابتدائى الجيد حقا مكفولا لكل مواطن صغير ، وفرض العقوبات على الآباء الذين يحرمون أبناءهم من هذا الحق ، عملان سياديان من أعمال الدولة . ولكن بقاء التعليم قضية مثارة أمام الرأى العام ، سيؤدى فى نهاية الأمر ، إلى القرارات السياسية المناسبة ، وقد تصبح هذه القرارات أسهل أمام المخططين والمنفذين إذا وضحت للجميع أهداف التعليم الابتدائى ووظيفته .

لعل معظم الناس متفقون على أن هدف التعليم الابتدائى ـ أو الأساسى ـ هو اتقان آليات القراءة والكتابة ومبادىء الحساب . ولعلهم متفقون ايضا على أن اتقان آليات القراءة والكتابة أصبح مشكلة المشاكل فى هذا العصر . الجميع يشكون من أن الأجيال الجديدة لم تعد تعرف لغتها . هذه لاشك مصيبة ولاسيما إذا لاحظنا أن معظم الكبار ـ ايضا ـ لايحسنون استعمال لغتهم ! بل إن مظاهر التحلل اللغوى اصبحت لافتة للنظر ، فى الكلمات العامية المبهمة التى تخترع كل يوم ، والأسماء الأعجمية على المحلات العامة ، وأخيرا ـ وهذا هو الخطر الأكبر ـ فى المحاولات الصريحة والمستترة لادخال لغة اجنبية كلغة حديث فى المجتمع المصرى ، ولو بصورة محدودة أول الأمر .

والتحلل اللغوى لابد أن يؤدى إلى تحلل قومى .

لقد أشار كثير من كتاب الصحف الى أن الخطابات التى تردهم من قراء



« متعلمين » طلاب جامعيين أو خريجين تحفل بالأخطاء اللغوية بمختلف أنواعها : من مادة لغوية إلى نحو إلى إملاء ! ومن المفارقات المضحكة المبكية أنى كنت أدرس « علم الأسلوب » لفريق من طلاب المرحلة الجامعية الأولى (الليسانس) فراعنى أنهم يخطئون فى الاملاء أخطاء لاتقبل من تلميذ الابتدائى ، فخصصت فى أول كل محاضرة (ياللسخرية !) عشر دقائق لمراجعة القواعد الاملائية ! ولكن الجامعة لاترى نفسها ـ عادة ـ مسئولة عن هذه الفضائح ، أو مطالبة بعلاجها . ولها الحق فهى تقول ان الطلاب يجيئونها من المدرسة الثانوية ضعافا فى اللغة العربية (تخيل ـ أو لعلك تعلم ـ كيف يكون حالهم فى اللغة الانجليزية او الفرنسية ، اللتين تحاول بعض الأوساط إحلالهما محل العربية !) والمدرسة الثانوية أيضا لاترى نفسها مسئولة بالأصالة عن هذه الأخطاء الشنيعة ولها الحق أيضا ، فالتلاميذ يجيئونها من المدرسة الابتدائية وهم ـ بالكاد ـ يفكون الخط .

أصل الداء إذن فى المرحلة الابتدائية .

وقد سبق القول إن اكتساب اللغة انشط مايكون فى السنوات الست الأولى من حياة الطفل ومعنى ذلك أن يكتسبها بطريقة يخيل الينا أنها تلقائية (مع أنها فى الحقيقة ليست كذلك) واذا تأملت نشاط الطفل اللغوى فى هذه المرحلة علمت أن للتمرين دخلا كبيرا فى تكوين المهارة اللغوية . المهم أنه يدخل المدرسة الابتدائية وهو متقن ـ بالفعل ـ للغة التى التقطها من أهله ، والتى تسمى لذلك لغة الأم ، أو اللغة الأم ، متقن لها فهما وكلاما وفى حدود إدراكه ومعارفه العامة ، واللغة أو اللغات التى يتعلمها فى المدرسة بعد ذلك يجب أن تبنى على هذا الأساس ، إن أردنا الا نمحو معظم الخبرات اللغوية التى اكتسبها فى المنزل . وعلى هذا المبدأ يسيرون اليوم فى تعليم اللغات الأجنبية فقد أصبح من المعترف به أن تشرح المفردات والقواعد بمقابلاتها فى اللغة الأم ، حتى تتمكن عادة اللغة الجديدة من نفس المتعلم ، فتصبح المقارنة بين اللغات بعد ذلك نوعا من البحث الأسلوبى الراقى .

● علاج الضعف اللغوى

والسؤال الآن هو : كيف نعامل اللغة الأم ـ العامية أو لغة الخطاب العادى ـ حين يدخل الطفل المدرسة ؟ لقد كانت العادة ـ ولاتزال ـ الا يعترف بها عند تدريس الفصحى ، أى أن المعلم يغمض عينيه عنها وكأنها غير موجودة ولكن العامية كانت تزاحم الفصحى دائما على ألسنة التلاميذ وأقلامهم . ومن ثم كان علاج الضعف اللغوى فى رأى كثير من المربين هو

إلزام المعلمين فى مراحل التعليم المختلفة أن يتكلموا بالفصحى مهما تكن المادة التى يدرسونها ومن الأمور التى تدعو إلى العجب . حقا أن كثيرين من المعنيين بأمر اللغة العربية الفصحى مازالوا متمسكين بهذا الرأى رغم أن التجربة أثبتت استحالة الأخذ به عمليا . فالمواقف اللغوية لا تفتعل افتعالا وقد تحدد مجال كل من العامية والفصحى فى الاستعمال بحيث وصل الى درجة العرف الاجتماعى ، وأصبح من العسير ـ إن لم يكن من المتعذر ـ

تغييره . فالعامية تستخدم فى الخطاب العادى ، ويكتب بها بعض الشعر ومعظم التمثيل . والفصحى هى لغة الكتابة العلمية كلها ومعظم الكتابة الأدبية وهى لغة الخطابة والنقاش فى

المحافل وقد تقترب الفصحى من العامية فيما يسمى اللغة الثالثة ، كما تقترب العامية من الفصحى فى حوار المثقفين وفى بعض الشعر العامى ، ولكن تبقى الخصائص المميزة لكل من العامية والفصحى حتى فى هذه الصور الممتزجة . ومنها : ترك الاعراب والتثنية فى العامية ، وإهمال جميع الأسماء الموصولة ما عدا « ال » التى لم تستعمل فى الفصحى كاسم موصول ، إلا فى لغة ضعيفة ، مع الوقوف عليها بحيث تسمع اللام مشددة ومضافا اليها ياء ، وما يترتب على ترك الاعراب من التزام ترتيب معين لأجزاء الجملة .

والكلام على الفروق بين العامية والفصحى ، وهل تعد الأولى "لغه" او "لهجة" يحتمل نقاشاً فنياً كثيراً . ولكننا لا نخوض فيه الآن ، لأننا لسنا بصدد التشريع للغة ، إن كان مثل هذا "التشريع" ممكناً ، إنما نبحث فى تعليم اللغة ولا مراء فى انها ستكون الفصحى ، ولا مراء كذلك فى أن الفروق التى أشرنا إليها كثيرة ومهمة بحيث لايسوغ الاغضاء عنها إذا اردنا أن نرسخ عادات الفصحى فى عقل الناشىء بحيث تنطبع على عقله ولسانه .

● تجربة مهمة

وقد أتيح لى فى أثناء زيارة سريعة للكويت أن أطلع على تجربة مهمة فى تعليم الفصحى للصغار يقوم بها منذ بضع سنوات أستاذ فى التربية ، متخصص في تعليم اللغات الأجنبية ، وهو الدكتور عبد الله الدنان . وهو ينطلق من مسلمة أن الفروق بين الفصحى والعامية تحتم علينا معاملة الأولى على أنها لغة مختلفة (مع العمل على التقريب بينهما بقدر الإمكان) . وبما أن السنوات الست الأولى هى أنسب مراحل العمر لغرس العادات اللغوية فى نفس الطفل ـ هكذا يمضى الدكتور عبد الله الدنان فى أطروحته ـ فيجب أن نبدأ تعليم الطفل الفصحى من سن الروضة ، وذلك عن طريق الحوار العادى داخل المدرسة ، مع الاعتراف بأنه سيظل يتكلم لهجته العامية خارجها ، والدكتور

عبد الله الدنان يتمسك بالاعراب ، حتى فى اواخر الجمل ، و لايزال علينا أن ننتظر حتى نرى هؤلاء الأطفال حين يكبرون ، ونعرف إلى أى حد احتفظوا بعادات الفصحى بعد تركهم الروضة ، ومعروف أن الأطفال الصغار يفقدون العادات اللغوية بسهولة كما يكتسبونها بسهولة ، إذا توقف استعمالهم لها . فقد رجعنا إذن إلى إجبار المعلمين جميعاً ، فى مراحل التعليم المختلفة ، على التزام الفصحى فى جميع كلامهم ومحاوراتهم مع تلاميذهم ، وقد ثبت أن هذا مطلب غير عملى كما سبق القول . دع عنك أن الذين يمكن أن يتمتعوا بهذا الامتياز قبل التعليم الابتدائى هم فئة محظوظة ، ونحن إنما نفكر فى التعليم الأساسى الذى يجمع بين أبناء الأمة الواحدة على اختلاف فئاتهم وطبقاتهم .

والأوضاع اللغوية ليست قدراً مقدوراً ، فهى تتغير كما يتغير كل شىء فى هذا الكون ، وهى تتغير نحو التقارب فالتوحيد ، كما تتغير نحو التباعد فالتشعب ، ولكن التغيير لا يبدأ من فراغ وتوجه الارادة البشرية نحو التغيير يستلزم أولاً أن نعرف الواقع لكى نحقق الممكن .

فالاعتراف بأن اللغة العربية الفصحى هى أولاً وقبل كل شىء لغة قراءة وكتابة ، وخطابة ومناظرة ، هو منطلقنا لتبقى لغة حية (ولاشك عندنا أن التقارب سوف يحدث بعد ذلك ، ربما بسرعة أكبر مما نتصور ، بين الفصحى والعامية) . إذن فلتغرس عادة القراءة منذ المرحلة الابتدائية . لترص خزائن الكتب ، مع خزائن اللعب التعليمية ووسائل الايضاح ، حول جدران الفصل . ولتكن الكتب التى تقدم للطفل جميلة مشوقة ، فى موضوعاتها ولغتها وفى إخراجها أيضاً . وليكن الكلام مضبوطاً بالشكل دائماً ، ولتكن علامات الشكل موضوعة فوق الحروف بطريقة ثابتة لاتربك التلميذ الصغير .

ولكيلا يتوهم الطفل ، حين يكبر ، أن اللغة العربية لغة ميتة ، لتكن الأناشيد والتمثيليات على رأس مواد اللغة العربية ، وليشجع فى السنتين الثالثة والرابعة من هذه المرحلة ، على المناظرة والتعبير باللغة الفصحى ، والطفل فى هذه السن مشغوف بالتعبير عن نفسه فليشجع على استعمال الفصحى كلما أراد ذلك ، ولا ريب أنه سيجدها أكثر ثراء وأقوى تأثيراً من العامية .

إن طفلاً ينشأ هذه التنشئة ستصبح اللغة فى يده مفتاحاً لكل العلوم (كما هى فى الواقع) ، وأداة جيدة للتفكير ، ووسيلة فعالة للتأثير .

ولن نشكو عندئذ من أمية المتعلمين !



● "من الضروري أن نحصن انفسنا ضد الاحباط الناجم عن غموض صورة السلام" .

الشاعر محمود درويش


محمود درويش

● "لاتستطيع أن تغير وضعا بالتشاؤم" .

المنشق التشيكوسلوفاكي

بيري ديفسفيير

● "لم يعد هدفنا نظاما اشتراكيا يتحقق بوسائل ديمقراطية ، وانما ديمقراطية تسترشد بمثل اشتراكية"

أكيل اوكيتو

أمين عام الحزب

الشيوعي الايطالي


سوسوكي اونو

● "لا افكر في الاستقالة" .

سوسوكي اونو

رئيس وزراء اليابان المستقيل

● "اريد أن اورث أولادي الحكمة لا المال"

لولي هيسليب

ادبية فيتنامية تعيش في الولايات المتحدة

● "لن اعتزل حتى الموت !" .

جورج سولتي

قائد أوركسترا شيكاغو السيمفوني سابقا

● "حقوق الانسان لم تبدأ في فرنسا !" .

مارجريت تاتشر

رئيسة وزراء بريطانيا

مارجريت تاتشر



● "السلام المتوازن في مصلحة الجميع" .

القائد الفلسطيني

محمود عباس (ابو مازن)

نحو فلسفة إسلامية معاصرة ومتحف التاريخ

بقلم : د. سعيد إسماعيل على

ذهبت بلا بطاقة دعوة .. فلم أستطع مقاومة اغراء ندوة تعقد بالقاهرة تحت شعار (نحو فلسفة اسلامية معاصرة) .. ودواعى الاغراء متعددة :

● أولا - إن المنظم لهذه الندوة هو (المعهد العالمى للفكر الاسلامى) بواشنطن ، وهو مؤسسة فكرية اسلامية خاصة ، من تلك المؤسسات التى رأيناها تظهر على الأراضى الأوربية والأمريكية فى السنوات الأخيرة ، هربا من عديد من القيود التى تعوق انطلاقة الفكر ، وبحثا عن مناخ يتيح حرية الحركة الثقافية بعيدا عن سيف المعز وذهبه فى الأرض المحلية .

والذى يتابع جهود هذا المعهد ، يلمس مدى تكريسها لمعالجة الازمة الفكرية لدى الامة الاسلامية واشعارها بقدرها وتحريرها من عقد التعصب والهزيمة الروحية والفكرية ، وانقاذها من الانفتاح الوهمى والاعتزاز السلبى بالتاريخ .

ويشد انتباهنا الى متابعة هذه الجهود ، سعيها الى توفير الرؤية الاسلامية بتأصيل قضايا الاسلام الكلية وتوضيحها وتوكيدها وربط الجزئيات والفروع بالكليات والمقاصد والغايات الاسلامية العامة .

وكذلك استعادة الهوية الفكرية / الثقافية للأمة عن طريق التبديل الثقافى واسلامية فلسفة ومنهجية العلوم الانسانية مع تمثل افضل ما وصلت إليه المعرفة الحديثة وهضمه والخروج منه بنتائج مفيدة تسهم فى ،


عباس العقاد


د . محمد عمارة

تغذية المعرفة الاسلامية ومدها بالصالح النافع .

ثانيا : جدة وطرافة الموضوع نفسه ، فالقول بـ (فلسفة اسلامية معاصرة) يستدعي الى الذهن على الفور جهود عدد من الفلاسفة الإسلاميين فى القرون الاولى أمثال الكندى والفارابى وابن سينا وابن رشد والغزالى .. الخ ، فهل يعنى القول (بالمعاصرة) رؤية عصرية لجهود هؤلاء المفكرين ؟ أم يعنى مناقشة للجهود الفكرية فى العالم الاسلامى فى العصر الراهن ؟ أم يعنى محاولة (توظيف) و (استثمار) جهود فلاسفة الاسلام فى مواجهة المشكلات والقضايا التى تحاصر المسلم فى العصر الحاضر ؟

وأيا كان القصد ، فالموضوع على درجة عالية من الحيوية فى فترة كثر فيها النقاش حول أزمة العقل المسلم بين تيارات شتى تتجاذبه ، متعددة الوجهة ، متباينة الاسلوب ، مختلفة المجال .

ثالثا - ان كاتب هذه السطور ، باعتباره جنديا فى كتيبة العلوم التربوية والنفسية ، يحاول منذ سنوات عديدة ، ان يؤصل لتربية تستند الى العقيدة الاسلامية مصدرا ، وتتوسل بالعقل والعلم منهجا ، وتستلهم هموم الانسان المعاصر فردا وجماعة موضوعا للتفكير والبحث ، وتستهدف صورة لمستقبل إعمار الارض وتنمية المجتمع ويقظة العقل البشرى .

ومن هنا ، فان موضوع (نحو فلسفة اسلامية معاصرة) لابد ان يثير الانتباه ، لأنه يشكل رافدا رئيسا لبناء الانسان وفقا للتصور الذى اشرنا اليه .

فى اليوم الاول : كانت الصدمة شديدة ! !

والصدمة المقصودة هنا هى اتساع وعمق الهوة بين الامل المرجو والواقع المفروض .

كان الأمل ، أن نشهد عملية (سحب) للتاريخ القديم الى عصرنا الحاضر، فإذا المشهد هو عملية سحب للعصر الحاضر الى القرون الأولى :

أبحاث ودراسات تدور حول مسائل شغلت العقل الفلسفى المسلم فى العصور الاسلامية الأولى ، مثل قدم العالم وحدوثه والجوهر والعرض والعقول العشرة والعقل الفعال والعقل المنفعل ، والفيض ، وما الى هذا وذاك من قضايا انقضى زمانها وولى ، وأصبحت جزءا من متحف التاريخ ، اذا عنينا بها ، فمن أجل هدف

(معرفى) ، لا اكثر ولا اقل ، ولكن العقل المسلم المعاصر لم يعد هذا مما يشغله ويقض مضجعه .

ان الذى يشغل العقل المسلم المعاصر هو هذه (الارادة) الذاتية المكبلة بسلاسل الديون الخارجية ، والتخلف المزرى ، والتبعية المفجعة ، وتشتت الولاءات وتبعثر الهويات ، وثلاثية المأساة المتناقضة : أكثر معدلات الفقر والجوع + اضخم الأرصدة والدخول المالية + وفرة العقول من العلماء والمفكرين ، والنتيجة ، حتى كتابة هذه السطور فى موازين القوى العالمية صفر كبير .

لكن الله قد لطف بنا وبالحضور ..

فقد بدأت المناقشات الشفهية تهرب من سجن التاريخ لتُعمِل الفكر فى الهموم الفكرية المعاصرة ، وبدأت تظهر أبحاث ودراسات اخرى ، بعضها يقترب من موضوع الندوة ، وبعضها الآخر يقف فى قلبها حقا .

وعلى هذا فإننا نستطيع أن نصنف الابحاث والدراسات التى قدمت الى فئات ثلاث :

الفئة الأولى : أبحاث ودراسات انصب اهتمامها فى مناقشة المسائل الفلسفية كما عنى بها فلاسفة الاسلام فى القرون التى عاشوها ، لكنها سكتت تماما عن السؤال المطروح : ثم ماذا ؟ ما موقفى أنا الانسان المعاصر من كل هذا ؟ بماذا تعينني هذه المسائل على مواجهة ما اعانيه اليوم وما قد أعانيه غدا ؟

الفئة الثانية : ابحاث ودراسات محورت موضوعاتها حول قضايا فلسفية قديمة فى كثير من الأحوال لكنها ـ فى استحياء ـ حاولت أن تجيب على التساؤل المطروح ، وكان من الطبيعى أن تجيء الاجابات غير شافية ، لأن ما شغل مسلمى الأمس ، ليس بالضرورة يمكن أن يشغل مسلمى اليوم . أن الزمان يعدو ، والأرض تدور ، وعقارب الساعة تسير الى امام ولا تتقهقر ، فكيف يمكن فرض اجابة الامس على انسان اليوم ؟!

الفئة الثالثة : هى التى انطلقت ابحاثها ودراساتها من الازمة الفكرية التى يعيشها العقل المسلم فى العصر الحاضر ، والمشكلات التى تواجهها الجهود الفلسفية المعاصرة فى العالم الاسلامى سواء داخل الأروقة الاكاديمية المتمثلة بالدرجة الأولى فى الجامعات ، أو فى الساحة الفكرية العامة .

● مواجهة قضية التراث والمعاصرة

ومع ذلك ، فإن الدراسة التحليلية لمجموع الأوراق المقدمة يمكن أن تفرز عددا من الأفكار الهامة ، حتى من خلال الفئتين الأولى والثانية ، فعلى

الرغم مما أثبتناه عنهما ، فإننا نستطيع أن نعثر على أفكار لم يكثف الضوء عليها ، لكننا نقتطعها مما أضمرت فيه لنخرجها في دائرة الضوء لتشكل ، مع غيرها ، حبات عقد في الموضوع المطروح :

ـ كيف واجه العقل المسلم قضية التراث والمعاصرة ؟ عندما قام المسلمون بأضخم مشروع للترجمة فى العصر العباسى ، لوحظ أنهم ترجموا كل ما وصل الى أيديهم ـ مثلا ـ من تراث اليونان فى الفلسفة والعلوم والرياضيات ، ولم يفعلوا نفس الشيء بالنسبة لتراث اليونان فى الفن والادب ، فالأول يتصل بالعقل والعلم ، وكل منهما عام فى البشر ، والثانى يتصل بالشعور والوجدان ، وكل منهما خاص فى البشر ، وهذا يدل على أن العقل العربى حين أراد الترجمة ترجم منها ما يحتاجه فى مسيرته الحضارية ، فكان لديه معيار حضارى استطاع أن ينتقى به ما ينتقيه ، أى أنه تعامل مع تراث الحضارات السابقة من خلال منظوره العربى الاسلامى .

ـ المواجهة بين العقل والوحى : فعندما اطلعت العقلية الاسلامية على الفلسفة اليونانية بصفة خاصة ، نظر بعض ممثليها من الفلاسفة الاسلاميين الى هذه الفلسفة باعجاب وتقدير نظرا لما احتوته من تحليلات منطقية دقيقة ومعمار عقلى متماسك ونظرات فكرية تغوص فى الاعماق ، لاتقف عند القشور وانما تمتد الى اللباب ،مما يشير الى قدرة العقل البشرى على المساجلة الفكرية وتحدى المجهول ومنازلة العقبات والصعاب ، لكن هذه العقلية الاسلامية وجدت بين يديها كتاب الله وسنة رسوله ينقلان اليها توجيهات وفكرا وقضايا جاءت عن طريق الوحى لا العقل ، ثم اذا بالعقلية الاسلامية لاترى تمام الاتفاق بين ما جاء بطريق العقل وما جاء بطريق الوحى ، واذا كان هناك من حسم القضية فرفض الوحى مؤثرا العقل ، وهناك من رفض العقل مؤثرا ما جاء به الوحى ، فإن الجمهرة الكبرى حاولت تناول القضية من منظور توفيقى ، لايرى تقابلا بين الاثنين ، فاذا كان جوهر الايمان يقتضى التسليم (بالغيب) ، إلا أن فهم ما يجيء به الوحى وتفسيره وتطبيقه لايكون الا بحسن استخدام العقل ومناهج وأدوات تفكيره ، فضلا عن ضرورة العقل ابتداء للتدليل على ضرورة الايمان وجوهريته .

ـ كانت مباحث علم الكلام تتركز فى دراسة الألوهية والنبوة والبعث فى القرون السابقة ، وليست هذه الموضوعات مما يعنى به الفكر المعاصر . أن المسلم المعاصر بحاجة الى أن يعمل المتخصصون فى هذا الفرع مباضع البحث العلمى فى مبحث لابد أن يحتل مقاما اساسيا فى علم الكلام ، الا وهو مبحث الانسان : غاية وجوده ، حريته ، علاقاته ، مكانته ، تكوينه ، ولن يبعدنا هذا عن

نحو فلسفة إسلامية معاصرة ومتحف التاريخ

مفهوم علم الكلام حتى فى عصوره القديمة ، فالفارابى (ت ٣٣٩ هـ) على سبيل المثال فى كتابه أحصاء العلوم ، يعرفه بقوله "صناعة الكلام ملكة يقتدر بها الانسان نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملكة ، وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل" .

- يستند كثير من السلفيين الغلاة الى آراء ابن تيمية فى الهجوم على الفلسفة الى درجة التحريم ، لكن القراءة المتأنية لكتاباته تبين انه لم يهاجم الفلسفة على اطلاقها وانما الفلسفة بالتصور الأغريقي الذى ساد الفلسفة الاسلامية ، يقول ابن تيمية فى منهاج السنة النبوية : ".. وأما نفى الفلسفة مطلقا أو اثباتها ، فلا يمكن ، اذ ليس للفلاسفة مذهب ينصرونه ولا قول يتفقون عليه .. ولايتفقون الا على مايتفق عليه جميع بنى ادم من الحسيات المشاهدة والعقليات التى لاينازع فيها احد وجميع مايوجد فى كلام هؤلاء وغيرهم من العقليات الصحيحة ليس فيه مايدل على خلاف ما اخبرت به الرسل" .

هذا بطبيعة الحال ، فضلا عن دعوة القرآن الى استعمال الحجة والبرهان اقتداء بطريقته فى الاستدلال وكذلك دعوته الى الملاحظة والتفكر وقياس الغائب على الشاهد ، وابرازه اهمية الاعتبار والاستبصار والتنديد بالتقليد .

ان مضمون « فلسفة اسلامية » الذى يدرس فى الكتب المدرسية واغلب الكتب الجامعية يبعد كثيرا عن حقيقة فكر فلاسفة المسلمين الذين بقوا على عهدهم بالنسبة لتقدير المضمون العقلى للفكر الاسلامى ، ذلك ان هذا المضمون عندما يقدم الى عقول الدارسين ، يقدم لهم على اساس ان فلاسفة المسلمين بقوا اتباعا للفكر اليونانى ، وقد اثبت عدد غير قليل من الباحثين المحدثين والمعاصرين شطط هذا الظن ومباينته للواقع مما لامجال لبيانه فى مقالنا الحالى حيث يحتاج الى صفحات مطولة .

لكن هذا لايمنع من ابراز انتقاد محمد اقبال - مثلا - لاغراق بعض الفلاسفة الإسلاميين فى التجريد العقلى الموروث من الفلسفة اليونانية ، فقد اورثها هذا عزلة عن المجتمع وعجزا عن التأثير فيه ، وانشغالا بالفكر ، افقدها حرارة الحياة ونبض الكفاح والقدرة على التغيير .

فالمطلوب اذا فكر ملتحم بحركة الجموع ، يستمد منها مقومات التفكير ويستهدف تغيير الواقع وبث الحياة فى عروق الثقافة .

- يخطيء كثيرون ممن يؤرخون للفلسفة الاسلامية عندما يدرسون ما تحويه من افكار ونظريات ومذاهب مجردة عن تيار الحياة الاجتماعية بكل ابعادها الزمانية والمكانية ، ذلك أن


سيد قطب


محمد اقبال


الشيخ محمد عبده

مثل هذا النهج لايجرد هذه الفلسفة من مصادرها الحية فقط ، وانما ينسف نسفا جهود فهمها وتفسيرها ، فالفهم والتفسير فى الفكر الفلسفى لا يتأتى بالنظر فيه فى ذاته ومدى اتساق أجزائه بعضها مع بعض والعلاقات الداخلية التى تربط بين مقوماته ، وانما يتأتى بالدرجة الاولى بالوعى بحركة التفاعل المجتمعى بين الفكرة وظروف نشأتها والقوى المؤثرة فيها ، وصراع المذاهب والافكار قد يكون غطاؤه البادى للعيون صراع عقول ، ولكن النظر الاجتماعى العلمى السليم يستطيع ان يبصر تحت السطح حركة شرائح وفئات وتضارب مصالح وأهواء ، وتنازع سلطات ومراكز .

● جهود متصلة

ومن هنا فإذا كانت دراسة الجهود السابقة لفلاسفة الاسلام ضرورة من الناحية العلمية التاريخية ، فإنها يمكن ان تصبح ذات وظيفة عصرية اذا درست فى سياقها الاجتماعى ، ذلك ان مثل هذه الدراسة ستوفر لدى الدارسين بصرا بقواعد ومبادىء حركة الفكر مما يشكل أدوات بحث ومناهج نظر يمكن ان تستخدم فى مواقف بحثية جديدة .

- ليست الفلسفة الاسلامية هى فقط جهود السلف القدماء ، فهناك جهود أخرى شهدها العصر الحديث بحاجة الى ان تدخل تحت مظلة الدراسات الفلسفية الاسلامية . صحيح ان مراكز الاهتمام مختلفة ، والموضوعات متباينة ، لكن ذلك من طبائع الامور ، ومن أمثلة الجهود الفكرية الحديثة :

× جهد الأفغانى فى إيقاظ العقل الإسلامى من سباته ومحاربة الهيمنة الاستعمارية وسيطرتها على مقدرات هذا العقل .

× جهد محمد عبده فى التنوير الدينى والاجتماعى ووضع قضية التربية والتعليم فى مقدمة السبل التى لابد منها فى التفسير الثقافى .

× خير الدين التونسى ، ودوره فى الدعوة الى التغريب الحضارى ، بغض

النظر عما اذا كنا نوافق على هذا الرأى أو نشجبه .

× عبد الحميد بن باديس ، ونقده للطرق الصوفية من حيث أشاعتها روح التكاسل والتواكل ، من أجل بناء شخصية مسلمة ذات قوة ومناعة .

× طه حسين وجهده فى الدراسة الاجتماعية للتاريخ الاسلامى فى عهده الاول والنظرة النقدية القائمة على منهج الشك الديكارتى .

× سيد قطب ، والتصور الاسلامى الذى يقدمه لمجتمع يعيد سيرة الصدر الأول من الاسلام فى ايمانه وكفاحه ونقائه وطهارته .

× العقاد ، وتفسيره لقضايا فلسفية وتاريخية اسلامية بمنظور عصرى ، وردوده على ما سبق من صور نقد وهجوم على الاسلام .

– ومن يستقرىء تاريخ العلم والحضارة يمكنه ملاحظة أثر التطور العلمى والتقنى على مناهج التفكير وطبيعة التحول فى مختلف ضروب النشاط الانسانى اذا ما قارن بين حدود عالم الانسان منذ كان يقدح حجر الصوان لاستخراج الشرر ، الى ان وصل الى تفجير الطاقة من الذرة والنواة .

واذا كان سكان الكرة الارضية ينقسمون الآن الى شمال قوى وجنوب ضعيف متخلف ، فان الادراك الواعى لطبيعة التطورات التى تحدث فى كل ميادين العلم المعاصر من شأنه ان يساعد على تقييم موضوعى لتلك الفجوة الواسعة بين سكان الكوكب الواحد . كما ان التوصيف الامين لهذا الواقع العلمى والتقنى يعتبر مقدمة ضرورية للتفكير فى الخروج من مستنقع التخلف والاسهام فى اعداد عقليات علمية قادرة على المشاركة فى ميادين الابتكار والابداع . وبطبيعة الحال ، سوف تختلف طرائق التناول باختلاف الوجهات الفلسفية المطروحة فى ساحة الفكر المعاصر على تعددها وتباينها .

ويكون التحدى الحقيقى الذى يواجه الفكر الاسلامى فى هذا العصر ، هو قدرته على تقديم اجابات شافية لكل ما تسفر عنه تطورات العلوم وتقنياتها ، وذلك من خلال صياغة جديدة لفلسفتنا الاسلامية تأخذ فى اعتبارها لغة العلم وتحدياته ، وتسهم فى بناء الحضارة المعاصرة بنصيب يتناسب مع مجد الامة الاسلامية ومكانتها فى تاريخ العلم والحضارة . (دراسة د . احمد فؤاد باشا عن علاقة العلم بالفلسفة الاسلامية) .

– ومن المهم للغاية ان تكون مناهج الدراسات الفلسفية الاسلامية مؤدية الى تنمية الجانب النقدى عند الدارس . صحيح أننا نجد فى بعضها ما قد يؤدى الى هذا الجانب ، ولكن

هذا لايكفى ، والا فكيف نفسر عدم ادراك بعض الشباب لما فى بعض الاتجاهات من صور انحراف وصور تضليل اننا اذا نسينا الجانب النقدى ، فستكون لدى الدارس القدرة على نقد ما يراه من اراء باطلة وعدم الوقوع اسيرا لبريقها . وتتضح أهمية هذا الجانب بالذات فى هذا العصر الذى نعيشه ، ذلك العصر الذى تحول الصراع فيه من صراع مسلح بالمدفع والبارود الى صراع ايديولوجى : بالفكرة والرأى ، كل يحشد امكاناته وقدراته لمحاولة فرض فكره وغزو الفكر الاخر بمختلف الوسائل والاساليب .

والنزعة النقدية لا تكون مطلوبة فقط لمواجهة الافكار القادمة من أصحاب الايدويولوجيات الأجنبية ، ولكنه يكون مطلوبا كذلك لحسن التعامل مع تراثنا الفلسفى ، بحيث تتمزق هالة التقديس التى تحيط به ليبدو على حقيقته : جهد بشرى غير معصوم من الخطأ ، قابل لان يؤخذ منه ويترك بغير حساسية ولاتعصب ولا عقد مضمون الفكر الفلسفى ، فالاسباب لابد ان تصل بين موضوعات الفلسفة الاسلامية التى يدرسها طلاب الجامعة والمدارس وبين حياة المسلمين وقضاياهم المعاصرة .

- واذا تركنا جانب الفكر ونزلنا الى ساحة الواقع الى التاريخ ، تاريخ الاحداث والوقائع ، نجد ان الدراسات والابحاث التى لاتنطلق من (الذاتية الثقافية) للامة ، لم تستطع ان تؤثر أو تحدث تغييرا يذكر على صعيد الواقع الاجتماعى والسياسى فى عالمنا العربى والاسلامى بل على العكس من ذلك تماما ، لم تزد تلك الابحاث والدراسات هذا الواقع الا تأزما وضنكا وتخلفا وتأخرا ، الشىء الذى يجعلنا نتساءل بصددها : لمن تكتب وتنشر تلك الدراسات والابحاث ؟ ان الجواب العلمى على ذلك هو أنها للتداول بين المثقفين وتخبهم لا غير . والجماهير ؟

واخيرا يجىء صوت مفكرنا الكبير محمد عمارة بفكره الثاقب ، ورؤيته الشمولية - كما عودنا دائما - ليؤكد ، اننا فى ظل حضارة جعل الله التجديد لدينها سنة وقانونا ، لايمكن لأهلها دوام التقليد فى فلسفتها . فمن الممكن - بل والواجب - القيام بنهضة فلسفية كجزء من فريضة النهضة الفكرية العامة - تستعين بـ (التجديد) وبـ (الابداع) على صياغة فلسفة اسلامية معاصرة للاسلام والمسلمين .

ان انجاز هذه المهمة الكبرى - مهمة بلورة فلسفة اسلامية معاصرة تمثل فكرية ايديولوجية - لأمة تريد ان تجدد واقعها بواسطة دينها الاسلامى ، انما يستدعى تخطيطا وتنفيذا لابد له من فريق عمل قائد لكوكبة من صفوة المشتغلين بالفلسفة الاسلامية .




بين نوري السعيد وسعد زغلول

بقلم: ربيع شتا

ظهرت مقولة كبيرة تقول : إن سعد زغلول انما ركب الموجة عام ١٩١٩ . قال هذا المرحوم فتحى رضوان وقصد بها إنكار او التقليل من زعامة سعد زغلول فى ثورة ١٩١٩ .

وهى مقولة خطيرة ومن رجل خبير . ففتحي رضوان عاش حياته كلها منغمسا فى الحياة السياسية والحزبية والصحفية يمارس السياسة عمليا كل يوم كانها خبزه اليومي . بل لا يجد فى الحياة لذة ولا يجد ذاته هو نفسه الا بالممارسة اليومية للسياسة .

● وهو مثل عبد الرحمن الرافعي ينظران الى السياسة المصرية من زاوية ظلوا اوفياء لها حتى الموت وهي زاوية الحزب الوطني . ويريان في اسف عميق ان الحزب الوطني فقد اضواءه واتباعه وإجماع الشارع المصري عليه بسبب ظهور ثم صعود حزب الوفد . ففتحي رضوان - غالباً - ما كان يحس وكأن حزب الوفد قد سرق كل شيء من الحزب الوطني . هذاالإحساس بلوره بأسلوبه الادبي المتمرن والذي لا ينقطع يوما واحدا عن الكتابة او الخطابة . بلوره في مقولة أن سعد زغلول ركب موجة ١٩١٩ .. ولو أنه قال ان حزب الوفد سرق الحزب الوطني لكان اصدق . ولكن لم يكن هذا الا ليثير سخرية الناس من الحزب الوطني ذاته . وفتحي رضوان كان من اقدر المحامين المترافعين بل والمتخصصين في الدفاع السياسي . فهذه المقولة لايمكن ان يصوغها الا بعد تأمل طويل عريض وبعد استحضار كل براعته كمحام سياسي . والحق انني ظللت في حيرة : هل فتحي رضوان صادق في مقولته ام هو حزبي او هي بلاغة الشعراء عندما يهيمون .

ظلت حيرتي هذه الى ان حسمها نوري السعيد نفسه . نوري السعيد رئيس وزراء العراق الذي سجن ومثل به في ثورة تموز بالعراق بانتهاء الملكية وقيام الجمهورية .

نوري السعيد له مذكرات من ثلاثة اقسام ، الاول : عن حياته العسكرية في ثورة حسين بن علي حتى عام ١٨ ، والثاني : عن دوره في الحركة العربية مع فيصل كملك على سوريا الى يوم خروجه من دمشق في ٢١ تموز ١٩٢٠ ، والثالث : عن دوره في الحكم الوطني العراقي حتى وفاة فيصل عام ١٩٣٢ .

مايهمنا هنا هو القسم الاول . ويلاحظ هنا انه كان قبل قيام ثورة ١٩ تماما . وأن نوري السعيد اتصل بسعد زغلول قبل ثورة ١٩ سنة ١٩١٥ اي قبل الثورة باربع سنوات كاملة .

نحكي الوقائع اولا .. ثم نستنتج بعد ذلك .

أعلن الاتراك الدستور - المشروطية - عام ١٩٠٨ . وكان هذا الدستور فيه ما بدا كأنه مغالاة للعنصر التركي . فهو دستور منقول عن اوربا او متأثر بدساتير أوربا . وأوربا كانت تقدس مذهب الوطنية في حين إن الدولة العثمانية كانت تتخذ الملّة اي الدِّيانة هي اساس تصنيف الناس .

هذا التعصب الى التتريك في دستور ١٩٠٨ سرعان ما اشعل لدى العرب تعصبا مضادا ايضا ولكن دون تفكير في الانفصال عن الدولة العثمانية .

كان عزيز علي المصري من غلاة المتعصبين للقومية العربية - مع انه يتكلم تركي : ويظل السجن لمدة شهرين ويخرج في نيسان (ابريل) ١٩١٤ من السجن عائدا الى مصر .

كان نوري السعيد - وهو زميل في المدرسة الحربية لعلي العمري - ايضا من دعاة العروبة . واتعظ بسجن عزيز مع المصري فعزم على ان يهرب من تركيا الى الجزيرة العربية ليعمل مع أمراء هذه الجزيرة . دون ان يفكر - بعد - في عمل ثورة عربية . وكان هناك وسطاء بينه وبين امراء الجزيرة العربية وقتئذ . الوسطاء هم طالب النقيب (الذي كاد يرشح لعرش العراق فيما بعد) والمحامي سليمان .




نوري السعيد وسعد زغلول

قيض الذى كان نائبا فى «مجلس المبعوثان» (النواب) العثماني ومزاحم الباجة جى .

سافر نورى السعيد من الأستانة مصطحبا معه صديقه الدكتور عبد الله الدملوجى الى البصرة فى طريقه بعد ذلك الى الجزيرة العربية ولكنه فى البصرة مرض مرضا حال دون مواصلة السفر ، فانطلق وحده الى الجزيرة لملاقاة ابن سعود على أمل ان يلحق به نورى .

غير ان الحرب العالمية الاولى نشبت (عام ١٩١٤) ولازال نورى مريضا بل ان الانجليز احتلوا البصرة وهو مازال مريضا . حتى ان الانجليز نقلوه الى الهند للعلاج . ولما طال المرض نقلوه الى مصر كان ذلك عام ١٩١٥ .

ها قد وصلنا مصر .. اتصل نورى بعزيز المصرى وشريف الفاروقي ورءوف عبد الهادى . وعلم منهم ان الحكومة العثمانية قد شنقت فى دمشق بعض شباب العرب وان محاكم عرفية قد عقدت لمحاكمة آخرين وأن التهم المتداولة فى المحكمة هى ان تركيا تنسب اليهم تهمة الانفصال عن تركيا والعمل على اسقاط الخلافة والتآمر مع دول أجنبية .

لكن نورى السعيد كان خالى الذهن من موضوع التآمر العربى والانفصال وكان يعتقد ان غرض العرب هو الاصلاح وتشكيل حكم محلى للعرب وإدارات لامركزية فى الولايات العربية . بل يقول إنه كان على علم تام بمطامع الدول الاجنبية فى الامبراطورية العثمانية .

ويقول إنه هو وعزيز على المصرى رغم تشاورهما معا عدة مرات كانا يجهلان تمام الجهل وجود اتصالات بين مكماهون وشريف مكة حسين بن على . وكانا يجهلان ماذا تريد الدول الاجنبية من البلاد العربية وهل تستطيع هذه الدول العربية ان تضمن استقلال نفسها إذا استقلت أم لا رغم وجود مطامع استعمارية غير خافية .

واخيرا قر رأى عزيز على المصرى والزملاء الآخرين على ان يسافر عزيز الى حسين بن على ليطلع على ارائه وعلى المذكرات المتصلة بينه وبين مكماهون ثم يبرق بعد ذلك الى عزيز المصرى هذه المعلومات .

ثم يقول نورى السعيد حرفيا صـ ٢٢ "رأيت ان من المفيد قبل مغادرتى مصر أن اتصل بالمرحوم سعد زغلول وكنت من المعجبين لاستخراج رأيه" .

يستخرج رأيه فيما هو واخوانه مقدمون عليه . هل يثورون على تركيا ام لا هل ينضمون الى حسين بن على ام لا .

ثم يقول حرفيا : فلما عرضت عليه الأمر وجدته فى حيرة شديدة بالنظر للغموض والملابسات التى كانت تحيط بالموقف . **إذن كان سعد زغلول متأنيا ويدرس الموقف قبل البت فيه . وهذا امر طبيعي فاولا هو كان قاضيا ولابد ان**



الفريق عزيز المصرى



الشريف حسين بن علي

مهنته كقاض تصاحبه فى مستقبل حياته ثم هو كان سياسيا يدرك ان بحر السياسة لا يعتمد على الحظ بل لابد له من معلومات وتحليلات كما لابد للبحار من خرائط وادوات وخبرة .

ثم يقول نورى إلا أنه خرج من حيرته بقوله : « ان وضع البلاد العربية وضع شعب محكوم لا يملك من امره شيئا فإذا استطعتم ان تكونوا لهذا الشعب (لاحظ لهذا الشعب !) وضعا آخر ، وضعا استقلاليا فسيكون لكم الفضل فى هذا ، واذا خبتم فلن تضيعوا شيئا عدا انفسكم وسمعتكم وانتم لستم من المغامرين بشىء انتم من المجاهدين لتسعون لتحقيق شىء فاذا لم تتوصلوا اليه ، فلا لوم عليكم إلا بقدر ما يمسكم من كلام ونقد .

إن الامر يتوقف على النتائج التى ستحققونها فاذا كانت نتائج عظيمة فعملكم سيقاس بها واذا فشلتم فلابد من ان يحكم عليكم (بالاعدام طبعا) . ولا تكونون قد اضعتم شيئا موجودا فى الوقت الحاضر . فليس لكم كيان تجازفون به كما هو الحال بالنسبة الى الدولة العثمانية (انظر رايه عام ١٥ فى مجازفة الدولة العثمانية بالدخول فى الحرب !!) فان الدولة العثمانية اذا خسرت الحرب ستخسر شيئا كبيرا » .

أرايت كيف يفكر سعد زغلول فى تؤدة ولايبنى حساباته على عاطفة ويزن المكاسب والخسائر المنتظرة لنورى السعيد ولتركيا .

يقول نورى السعيد : فما كان منى حين سمعت هذا الحديث من المرحوم سعد زغلول الا ان نقلته الى عزيز على المصرى ثم غادرت مصر الى الجزيرة العربية (حيث صار اركان حرب حسين حسن بن




بين نوري السعيد وسعد زغلول

على) ارايت كيف ان نوري السعيد قد شحن كما تشحن البطارية . يقول أحمد امين في مذكراته انه ما كان يحضر مقابلة لسعد زغلول الا ويخرج وكأن موتوره قد شحن فينطلق سائرا في الشارع بحماس حتى انه كان ينسى محطة الترام او الاوتوبيس ويظل مندفعا في السير .

فها هما شابان نوري السعيد وعزيز المصري كلاهما من الاعلام فيما بعد . يذهبان اولا الى سعد زغلول ليستطلعا رأيه حتى اذا سمعاه اندفعا ينفذانه مطمئنين وبكل حماس مع ادراكهما ان هذا الامر قد يكون فيه اعدامهما .

ثم يقول نوري السعيد : يتضح لكم من هذا العرض الموجز اننا حين اقدمنا على الثورة لم يكن لنا وضع او كيان دولي نخشى عليه من الزوال . فلم يكن في البلاد العربية حكومة اوشبه حكومة حتى ولا ادارات محلية وهو وضع يختلف كل الاختلاف عن وضع البلاد العربية الحاضر كنا حينئذ اذا جازفنا فإنما كنا نجازف بأرواحنا فحسب . اما الآن فيجب ان نحسب كل حساب عند القيام باى عمل لئلا يؤدى عملنا الى كارثة يصعب تلافيها .

والآن نعود الى مقولة فتحي رضوان الشهيرة بان سعد زغلول ركب موجة الثورة . اولا : يتضح من مقابلة نوري السعيد الذي بالكاد كان قد تخرج في الكلية العسكرية في استنبول ان سعدا وهو في عام ١٩١٥ ـ اى قبل ثورة ١٩ باربع سنوات . كان قد وصل في وجدان الشعب المصرى وعموم الشعوب العربية الى مرتبة المرجعية بدليل ان نوري وعزيز على المصري رجعا اليه اولا وبدليل اخذهما برأيه . ثانيا : وبدليل انهما لم يستشيرا احدا غيره بعد ابداء رأيه .

وليس هذا غريبا فقد كان الانجليز انفسهم قد اسندوا اليه منصب وزير المعارف العمومية عام ١٩٠٦ وفي فترة الاحتلال كانت وزارة المعارف اخطر وزارة بلا شك . وهم لايسندون إليه هذه الوزارة اعتباطا . فلابد اولا من إعجابهم به . ومحاولة منهم في التقاطه الى صفهم . هذا الى جانب انه قبيل ذلك كان الوكيل المنتخب من الشعب للجمعية التشريعية التى كانت هي برلمان هذه الفترة فسعد زغلول لم يقفز على الثورة عام ١٩١٩ كما يقفز مغامر فوق ظهر حصان لا يملكه بل العكس هو الصحيح تماما . فالشعب كان قد اعطاه توكيلا بالزعامة منذ انتخابه وكيلا للجمعية التشريعية والانجليز اعترفوا رغم خصومتهم بأهميته وبهذه الزعامة . ومما يذكر للانجليز انهم لم يحاولوا تزوير ارادة الشعب في انتخاب الجمعية ولا وضعوا قيودا على ترشيح سعد او امثاله في الوكالة عن الامة .

وأما تعبير ركوب الموجة فهو في حد ذاته شهادة لسعد زغلول اذا حق انه فعلا ركب الموجة لان ركوب الموجة ليس شيئا

سهلا . انه اكبر نمرة فى السيرك . ولايقدر عليها الا اكفأ وامهر لاعبى السيرك . ولايعنى اطلاقا ان مجهولا او قاصرا تستدعيه الموجة العاتية وتحمله على ظهرها بمجرد المصادفة البحتة . فالتعبير الذى يقصد منه الكاتب الكبير فتحى رضوان ان سعد زغلول صار زعيما لثورة ١٩ . بالمصادفة هو تعبير فى حقيقته شهادة بعبقرية سعد زغلول فالموجات لا تركب هكذا بسهولة ولا بالمصادفة ولا بوصف سهل من اديب أو متراقع والا فكل الثورات فى التاريخ ليست الا موجات حظ وكل الأسماء التاريخية ليست الا رجالا كسبوا «لوثارية» الحظ السياسى فقط .

والشق الآخر الذى برر به فتحى رضوان مقولته هذه هى قوله ان ديناموا الثورة الحقيقى هو عبد الرحمن فهمى . وغريب جدا أن يصدر هذا الرأى عن رجل منقوع فى السياسة طوال حياته . فالثورات لاتتم ولاتستمر بالتآمر والتدبير الليلى والجماعات الفدائية للثورات انما تخلقها خلقا الافكار واما حملة القنابل والمنشورات فهم ادوات تنفيذ هذه الافكار هم العربة التى يجرها الحصان وليس العكس وكثيرا ما يكونون هم ضحايا الافكار وشهداء هذه الافكار .

ففكرة الاستقلال الوطنى وأن الشعب المصرى جدير ان يحكم نفسه وانه ليس اقل من اى شعب مستقل وان الانجليز مهما كانوا امبراطوريين فان المصريين معهم على قدم مساواة . هى افكار بثها ورعاها وتعهدها سعد زغلول .. لاعبد الرحمن فهمى . وكلاهما لايستغنى عن



فتحى رضوان

الاخر كالبيت والسلم ، السلم لا ينشىء بيتا ولكن البيت ايضا يحتاج الى سلم لكى يصير بيتا ويسكنه الناس .

وبقيت ملحوظة طريفة أوردتها مذكرات نورى السعيد عن ثورة الشريف حسين بن على فيقول : انه بعد ان كون جيشا لحسين بن على وجد فريقا من ٢٠٠ يهودى عملوا فرقة مخصوصة تحارب مع حسين بن على ضد الخلافة العثمانية اذن كان الصهاينة يدركون تماما ان الطريق الى اقامة اسرائيل هو اسقاط الخلافة العثمانية وان هذه الحقيقة نفسها كانت غائبة تماما عن ذهن كل من سعد زغلول ونورى السعيد ولولا نشر مذكرات نورى السعيد اخيرا ماعرفنا هذه الحقيقة وهذا يؤيد ما ذكرناه قبلا فى كتاباتنا مرارا عن ان الثورة العرابية وثورة الشريف حسين ابن على كانت تحارب فقط ضد الخلافة الاسلامية وان صقور الصهيونية دزرائيلى وجامبتا (وزير خارجية فرنسا) وروتشلد يحومون فى سماء المنطقة منذ القرن ١٩ .

خواطر عن طاهر الطناحى

بقلم : د. محمد رجب البيومى



كانت مجلة الهلال شغلا شاغلا لطاهر الطناحى مدى اربعين عاما من حياته ، واننى لاسبح بعين الخيال فاتصوره فى عالم الغيب لا يزال مشغولا بها ، فهو يترقب صدورها ، ويطالعها بشغف وحنين كعهده من قبل ويغلو بى الوهم فاتصوره متسائلا عنى لماذا لم اكتب عنه حتى الآن .

اجل ، اشرف الطناحى على مجلات اسبوعية فى دار الهلال فترة ما من فترات حياته ، ولكن اشواقه الدافقة كانت تجذبه دائما الى دار الهلال ، واذكر انى قلت له ، لقد احتل كتاب الهلال وروايات الهلال بعض فراغك لتنشغل عن مجلتك حينا من الزمن فاشرق وجهه بابتسامة معبرة وقال ، هما ولدان للهلال ، ارعاهما من اجل امهما الرءوم .

● أكثر خلطاء الطناحي يعلمون أنه بدأ عمله الصحافي في دار الهلال، ويعدون هذه الدار موطنه العلمي منذ اتجه الى هذا المجال ، أما الحقيقة فتنطق بغير ما يعلمون ، لانه التحق بالاهرام وهو طالب بمدرسة القضاء الشرعي ، وقد جذبه الاستاذ داود بركات الى عالم الصحافة بما لمسه عن قرب ، من جهده الحازم ، وصبره الدءوب ، لان الكاتب الكبير كان يقرأ يوميا ما يقع في يده من افتتاحيات الصحف العالمية ، ليجد الزاد المتواصل لقرائه ، كما كان يغادر مكتبه بين الساعة والساعة الى مطبعة الاهرام ليرى بعين الصقر دولاب العمل في كدحه الجاد ، مع عطف وتسامح وسعة صدر ، وطاهر الشاب يلمس الكهل الصبور لاينى عن العمل قراءة واستقبالا وتاليفا وتفتيشا وتوجيها ، فيعرف أن العرق وسيلة النجاح ، وان وراءه في مضمار السبق الصحفي سبحا طويلا ليصبح رجلا ذا شأن ، ولم ينس أن يعترف بفضل استاذه فيقول عنه في مقال تحت عنوان (علمتني الحياة) ٠

« صاحبت الاستاذ دواد بركات رئيس تحرير الاهرام الاسبق في مفتتح حياتي الصحافية ، فتعلمت كيف يكون الصحفي النزيه » ٠

● نشأة أدبية

في دمياط الجميلة بين البحر الابيض وبحيرة المنزلة ونيل مصر الى امتداد النخيل الاسمر الفارع المتشابك في العقود الاولى من هذا القرن نشأ طاهر الطناحي ليتعلم في مدرسة الشاعر الكبير على الغربي وكان حينئذ جهير الصوت يمتد ابداعه في المؤيد واللواء والدستور والجريدة الى ربوع العالم العربي ، ويراسل زملاءه الكبار من امثال حافظ وأحمد محرم وامام العبد ، ولصاحب المدرسة اناشيد وطنية وحماسية ، يفرضها على التلاميذ فيرددونها كل صباح ، ثم يقيم الحفلات في مواسم الهجرة والمولد والاسراء ، لتلقي الخطب من الكبار والصغار معا ، فنشأ من أبناء علي الغربي جيل ممتاز تذكر منه محمد الاسمر وطاهر ابا فاشا وطاهر الطناحي وطاهر الجبلاوى ومحمود عماد ومحمد مصطفى الماحي وحسن كامل الصيرفي وعبد اللطيف النشار وسواهم ممن الفوا الكتب ونظموا الدواوين ، وملئوا الصحف ، وقد تحدث الطناحي عن اثر الغربي في نشأته الادبية في رسالة بعث بها الى الاستاذ نقولا يوسف فنشرها بمجلة (الاديب اغسطس سنة ١٩٦٧) حيث انه غرس البذرة الادبية في نفسه التي خلصت للادب والشعر منذ بدأت تخط الحروف الاولى في المدرسة الابتدائية ، ثم حفظ القرآن والتحق بالمعهد الديني بدمياط ، وجاء الى القاهرة ليتصل بمدرسة القضاء فمدرسة دار العلوم ، ولذكرياته بهذين المعهدين حديث يطول، حيث تزعم الفريق الدرعمي الذى نادى بترك الزى الازهرى ونشر مقالات عن اتجاهه في جريدة البلاغ ، ولامر ما ترك دار العلوم قبل أن يظفر بشهادتها العلمية لان عمله بالاهرام فدار الهلال قد اتجه به الى الفضاء الطلق مادام، يملك الموهبة المسعفة والقلم المبين ٠

● في دار الهلال

من غير المعهود ان يتقدم ناشيء شاب

لدار كبرى مثل دار الهلال ، فيحرز ثقة ذوى الشأن بها لأول عام يبدأ به ، لاسيما والاستاذ اميل زيدان من الحنكة والاحتياط والتريث بحيث لا يمنح ثقته عفوا دون أسباب اكيدة ، وكم عرفنا من أنباء كبارا وأوساطا التحقوا بدار الهلال وقتا ما، ثم جدمن الخلاف ما جعل الاسباب تنقطع لامور يقدرها أصحاب الدار ، وقد بدأ طاهر الطناحي عمله بمجلة المصور ، وتطلب ذلك منه أن يجرى التحقيقات الصحفية مع كبار المسئولين من وزراء وسياسيين ، واذا كان الحديث الصحفي مع أنباء نابهين مثل احمد لطفي السيد ومنصور فهمي ومحمد حسين هيكل ومصطفى عبد الرازق لا يكلف الصحفي عناء في تحرير الاجابة لسلامة ما يبدون من الاراء من الناحية الاسلوبية فان اجراء الاحاديث مع رجال السياسة والاقتصاد والاعمال الحرة يتطلب جهدا واعيا في اختيار التعبير المناسب كما يتطلب دقة أمينة في تحديد المراد على وجه لا يسمح بالاختلاف اليسير بين الشكل والمضمون وقد اجرى الشاب المتحمس لاول عهده احاديث سياسية واقتصادية واجتماعية مع كبار المسئولين ، فنقلها اجمل نقل ، وصاغها انور صياغة ، فنالت تقدير المتحدثين انفسهم قبل ان تنال تقدير المسئولين عن النشر في دار الهلال ، وزاد من مكانة طاهر الطناحي في داره الصحفية الواسعة النشاط ان فريقا من الكبار من امثال الامير محمد على والامير عمر طوسون واسماعيل صدقى وطلعت حرب ، وحسين سرى واحمد حسنين وغيرهم ممن يتساوون معهم في المكانة العالية كانوا يصرون على أن يكون طاهر الطناحي وسيلة دار الهلال اليهم ، بل ربما يكون من العجب أن بعض من سبقوا طاهرا في هذا المجال بدار الهلال يقابلون بالاعتذار ، والسياسي الكبير منطقي مع نفسه حين يرحب بالطناحي لانه ينظر فيجد حديثه المتناثر قد صيغ في أجمل سياق ، كما يرى براعة نادرة من طاهر الطناحي تتجلى فيما يقدم به الحديث من لوامع كاشفة تضيء جوانب هامة من شخصية المتحدث الكبير كما تشير الى ادوار حياته بايجاز شاف لا يضر به الاختصار ، ولعل الاستاذ الكبير حافظ محمود قد لمس هذه الحقيقة حين كتب ذكرياته عن الطناحي بمجلة قافلة الزيت صفر ١٣٨٩ هـ .

● النظر البعيد

كان طاهر الطناحي بدار الهلال أشبه بسفير سياسي لبلاده في دولة كبرى ، فهو يتمتع بدبلوماسية حاذقة ، تريه أدق الخوافي المستترة في الظواهر المرئية ، وتمنحه من بعد النظر وسلامة التقدير ما يجعل حدسه التخيل موضع الاصابة المحققة ، فهو ينتخب الصفوة من الكتاب ، والبارع من الموضوعات ، والدقيق من الاحداث ، ليفرق الموضوع بمن يناسبه ويختار من الاسئلة ما ينفذ الى الصميم دون حجاب ، ويكون هو في اكثر الاحيان صاحب الحديث الذى يستل الاسرار من الضمائر بأخفى ما يكون من التمهيد ، والذى يواصل الطرق في ابتسام وتؤدة حتى يجوز ارتياح من يستوضحه الرأى في المشكل الغامض ، لذلك استطاع أن يقنع كبارا

من أعلام السياسة والفن والادب بكتابة مذكراتهم ، وبتأثيره الشخصي نشرت سلسلة كتاب الهلال مذكرات عبد العزيز فهمي واسماعيل صدقي وأحمد لطفي السيد ، ومحمد علي علوبة ، ونجيب الريحاني وباحتياله البارع أقنع العقاد أن يكتب قصته عن سارة مفرقة في احدى مجلات الهلال قبل أن تطبع في كتاب خاص وهي مجلة (الدنيا) الاسبوعية ، كما جعله يكتب تاريخ حياته في سلسلة كتاب الهلال تحت عنوان (أنا) و (حياة قلم) وأن رجلا يبلغ هذا المبلغ القوي لدى قادة السياسة والفكر لذو موهبة لا تنكر ، كما أن ذاكرة الطناحي القوية كانت احدى مميزاته الكبرى اذ صاحب شوقي وحافظ ومطران ومي وكاظمي والمازني والعقاد وطه حسين ومحمد فريد وجدي والرافعي ومنصور فهمي ، فعرف الدقيق الخافي مما يجهله الكثيرون عن هؤلاء، وقد أصدر كتابه الكبير (حياة مطران) في مجلد واسع فاجأ الناس بما يجهلون من حقائق أدبية نقلها الطناحي عن الشاعر الكبير ، وكان في نيته أن يصدر مجلدا حافلا عن الآنسة مي اذ كان من أخلص أصدقائها في محنتها الاخيرة حين تخلى عنها الهائمون بها وتركوها مرتعشة في ثلوج الوحدة والجمود ، وقد سافر طاهر الى لبنان في مأساتها المشهورة ليقف بنفسه على ما يحاك هناك من دسائس لا تستطيع الخلاص منها ، وقد قدرته الكاتبة حق التقدير ، وكشفت له عن أوهام كانت عند الناس بمنزلة الحقائق ، واذكر أن الطناحي رحمه الله حدثني ذات يوم عن خيالات غرامها الموهومة التي ألصقت بها الصاقا ، فكان مما قال : أن مي رحمها الله قد اعترفت له أن قلبها لم يتفتح لمحبة احد غير جبران خليل جبران وكان حبا أشبه بالخيال ، لان الحبيبين لم يتقابلا وجها لوجه ، ولكن البريد كان رسول الشوق المتردد، ولعل هذا البعد البعيد بين الجسدين النازحين كان أهم عوامل الحب المتقد، أما ما يذكر عن هوى الرافعي والعقاد وصبري والجميل وولي الدين يكن فقد كان يقف عند حدود الصداقة البريئة من ناحيتها ، وان فهم على غير وجهه لدى من يتخيلون فيحكمون ، ومن طرائف الطناحي انه كان يحتال على اصطياد بعض الرسائل العاطفية بوسائل ماكرة ، فقد بعث للمازني بعدة خطابات ممهورة باسم حسناء تعشقه وتلهف المازني على الرسائل فرد عليها في شوق جارف ، وبقي الامر مستترا حتى مات المازني ، ونشر الطناحي الرسائل بمجلة الهلال ثم جمعها بين فصول كتابه الشهير (ساعات من حياتي) وللادب رب غفور .

● حساسيات بالغة

كان الطناحي في اكثر أحواله صاحب الرأى المختار في شئون التحرير بدار الهلال ، لان ثقة الاستاذ أميل زيدان بكفايته واخلاصه لا تحد ، هذا ما كان يبدو على السطح لمن يرى الظواهر اللائحة فلا يبحث عن مكنونها المستتر، أما الحقيقة التي خفيت عن الكثيرين ، فقد نفس عنها طاهر ذات مساء ، حين ذكر لي أن عمله بدار الهلال قد عاقه أن يبدي بعض النقدات الهادفة ، وجعله يخضع لخشية لا ترغب الاثارة مهما كانت ذات نفع علمي مؤكد ، وربما

يرويه الرجل في مجال التمثيل ، انه بعد رحيل أحمد شوقي توالت مقالات الاطراء مقدرة مكانته الشعرية وزعامته الادبية، فكتب طاهر مقالا تحت عنوان (شوقي والمتنبي في ثوب) حيث عرض موازنة بين قصيدتين للمتنبي وشوقي كان احتذاء أمير الشعراء واضحا ملموسا لمن يطالع الاصل والفرع ، وتلقيا المقال فرفض الاستاذ اميل نشره قائلا ان جمهرة القراء ستتهم الهلال بمعاداة شوقي الفقيد ، وفي ظرف كثر فيه الباكون والمادحون ، فقال الاستاذ طاهر ، ولكن الهلال قد اتسعت من قبل لنقد مماثل ، فقال الاستاذ اميل ، انك موظف بدار الهلال، ولست كاتبا من الخارج فموقفك غير موقف من تاتي مقالته بالبريد ، وقد اضطر طاهر أن ينشر بحثه في مجلة أبولو حين أصدرت عددا خاصا بشوقي في ديسمبر سنة ١٩٣٢ .

هذه واحدة ، اما الثانية فقد كتب الاستاذ طاهر الطناحي نقدا تاريخيا فنيا لفيلم (دنانير) الذي مثلته ام كلثوم وكتب أحداثه احمد رامي سنة ١٩٤٠ م ونشر النقد بمجلة الثقافة منعا لاحراج دار الهلال ، وكان النقد يتجه الى تخطئه المؤلف في أحداث تاريخية غيرها عن واقعها دون ضرورة فنية ، وفي الاحتيال على أن تملأ ام كلثوم المساحة بأغان لا تنم عن روح العصر العباسي ، كما كان المخرج مخطئا حين جعل سليمان نجيب وعباس فارس يمثلان الرشيد وجعفر البرمكي وبينهما عشرون عاما مع أن الرشيد رضع مع جعفر من ثدي واحد ، ولدا في عام واحد ، وقد تأثر الاستاذ رامي والانسة ام كلثوم (حينئذ) بما كتبه الطناحي ، واتصلا بدار الهلال واضطر الاستاذ أميل لارضائهما ، ثم واجه الطناحي بأنه أمام الناس يعبر عن دار الهلال ، وان كتب نقده في مجلة الثقافة ونشره الاستاذ أحمد أمين ، ثم طلب منه الا يعود ! ولدى أحداث سياسية تتجسه هذا الاتجاه كمت دار الهلال فم طاهر عن أن يبدي رأيه الصريح كما يريد .

على فراش الموت

أصدر الطناحي عدة مؤلفات هامة مثل (أمير قصر الذهب) و (على ضفاف دجلة والفرات) وقد سماه في طبعة ثانية (معارك السيف والقلم) و (حياة خليل مطران) و (ساعات من


اسماعيل صدقي


طلعت حرب


اميل زيدان

حياتي) و (شـوقي وحافظ) وهي مؤلفات متداولة شهيرة ، وسنقف عند اثرين نذين من أحسن ما كتب ، هما كتابه (عـلى فراش الموت) وكتابه (حديقة الادباء) •

اما كتاب (على فراش الموت) وقد طبعه مرة ثانية تحت عنوان (الساعات الاخيرة) فهو مزاج من صحائف الادب والتاريخ والاخلاق حتى ليصعب على الناقد أن يميل به الى ضرب خاص من الفنون ، فهو كتاب ادب لدى من يـرى المؤلف يحاكي أساليب من يتحدث عنهم ويعيش في أجوائهم مصورا حلقـات حياتهم في يسر لا يرهقه التحليـل ، ولكنه يقدم الخصائص الفكرية ،والوقائع السياسية والاحـداث الاجتماعية في سهولة تجعل التحقيـق حـوارا بين سميرين لا مناقشة بين باحثين ، كما أن براعة الطناحي تتجـلى في تقمص شخصية من يتحدث عنه روحا وأسلوبا فكان الكاتب هو المتحدث عنه تماما • وأضرب المثل بحـديثه عن المنفلوطي والبكرى ، والاول ذو سلاسة وعذوبة، والثاني ذو سجع واقتباس ، وقد مـات المنفلوطي يوم شغلت مصر بحـادث الاعتداء على سعد زغلول فلسيحوداع الكاتب الكبير متأثرة بحادث الزعيـم الخطير •

هذا من النـاحية الادبية ، أما الناحيتان التاريخية والخلقية فبارزتان للعيان •

● حديقة الادباء

من يوم أن أصدر الاستاذ عبد العزيز البشرى صور المرآة• وكثير من الكتاب يحاولون محاكاته ، ومن بين هـؤلاء محمود تيمور في (ملامح وغضون) وطاهر الطناحي في (حديقة الادباء) ، حيث تحدث عن عشرين من الشخصيات البارزة في العالم العربي ، وآثر أن يرمز لكل شخصية بما يناسبها فاحمـد لطفى السيد نسر ، والعقـاد عقاب ، وابراهيم ناجي سـنجاب ، ورامي فراشه ، وبنت الشاطىء بطة ، وقـد عجبت لاختيار الطاووس رمزا لميخائيل نعيمه ، وهو كاتب وديع هادىء لايعرف زهو الطـاووس ، ولعله لو اختـار الطاووس لزكي مبارك لكان أوفـق ، وربما بدا للعيان بمجـرد القـراءة العابرة أن عين الرضـا عن كل عيب كليلة ، فلم يكن هم الطناحي وتيمور غير رصد المحاسن فحسب ، بحيث لا يمكن أن نرى فيما كتباه بعض ما نراه عند البشرى حين تحدث عن أحمد زيور وابراهيم وجيه واسماعيل صبرى وأبي الفضل الجيـزاوى واذ كان الساخر الكبير نارا تشوى ، وسوطا يلهـب ، أما الطناحي فكان هبة نسيم تمر كثيرا على الروض فترجع متشبثة بالعبير، وجعل الرمز سبيلا الى تحليل الشخصية الانسانية مما يحـتاج الى مهارة فى الاختيار ، ودقة في المقارنة ، وغـوص في الاعماق ، ولعل المؤلف قد بلغ فى هذا النطاق كثيرا مما يريد • هذا وقد كان الطناحي شاعرا تضم مجلات الهلال ديوانه المتناثر على مدى الاعوام الطوال وهو بذلك قد زاول البحث والقصـة والقصيدة والمقال • رحمه الله •



لندع التاريخ يتكلم

بقلم : د. فؤاد مرسى

دعاني الدكتور فوزى منصور فى ختام مقاله الذى كتبه بعنوان : « اليساريون والسلطة » لتقديم "دراسة وافية" تجيب على تساؤلاته . وهى تساؤلات تعرض فيما يبدو لى بديهيات يدركها ابسط الناس وعيا . بل ولقد أوعز إلىّ شخصيا بالاجابة جاهزة . فهو يتساءل فى الواقع تساؤله الجوهرى عما "اذا كان اشتراك التقدميين ولو بصفة اسمية فى حمل المسئولية مع قادة الثورات المضادة أو حتى فى الحكومات المحافظة أو الرجعية أدعى إلى تحقيق أهداف هؤلاء لم أهداف أولئك ، خصوصا اذا كان هؤلاء التقدميون غير مرتبطين حزبيا أو جماهيريا بقوى اجتماعية تستطيع أن تمدهم بقوة من عندها !!

● وبغير حاجة لادعاء السذاجة من جانبى ، فإن الإجابة على تساؤل الدكتور فوزى معروضة سلفا : فهو تساؤل إيحائى ولاحاجة بنا اليه فى مثل هذا الوقت فهو لايفيد .

لكن التساؤل الجوهرى حقا والضرورى هنا حقا : قد كان ينبغى أن يكون هو التالى : عندما تبين التقدميون نذر الثورة المضادة آتية لاريب فيها فماذا ينبغى عليهم أن يفعلوا ؟ أن يتصدوا لها بالمقاومة بكل وسيلة متاحة أم أن يسلموا بها كنازلة من النوازل ويستسلموا لها كقدر محتوم ويتركوا الساحة خاوية بلا مقاومة فتحل الثورة المضادة وتستقر وتبيض وتفرخ ؟! فإذا ما قر قرارهم على المقاومة فكيف تكون ، وهل تكون من خارج النظام أم من داخله ؟ وكيف يمكن ان تعنى كل قوى الثورة والمقاومة بعد الثورة المضادة وانزال الهزيمة بها ؟

والاجابة على مثل هذا التساؤل لاتحكمها سوى وقائع الحياة ـ وليس النوايا الطيبة ولا الرغبات المخلصة . ولاحتى الرجوع الى القواعد العامة للعلوم بما فيها علم السياسة . فشجرة الحياة الخضراء لاتنمو طبقا لحرفية علم النبات . وانما تحكمها ايضا خصوصية أوضاعها.

وعندما يطالبنى الدكتور بتفسير لاسباب تعاونى مع السادات بعد ١٥ مايو

فينبغي أن يستدعي الى الذاكرة مجموع الظروف التى أحاطت بذلك الموقف ودعت اليه .

أولا : عند وفاة جمال عبد الناصر كان فى مصر نظام وطنى تقدمي يقننه الميثاق الوطني وبيان ٣٠ مارس والدستور المؤقت ، وتمارس السلطة فيه مؤسسات شرعية يقف على رأسها الاتحاد الأشتراكى ممثلا بالاسم على الأقل لتحالف قوى الشعب العامل يتقدمها عمال القطاع العام وفلاحو الاصلاح الزراعى والمثقفون من أبناء العمال والفلاحين . ولايعقل ولايقبل عقلا أن تتغير طبيعة هذا - النظام فجأة وبمجرد وفاة عبد الناصر وخلافة السادات له : فأنور السادات هو أحد قادة ثورة ٢٣ يوليو منذ قيامها حتى وفاة جمال عبد الناصر . وهو النائب - الوحيد لرئيس الجمهورية الذى اختاره عبدالناصر لنا لكى يخلفه . وإذا كان الدكتور فوزى منصور يرى أن ملامح السادات كانت واضحة قبل الثورة وبعد الثورة لايفلح قناع فى اخفائها ، وأن ناصريته لم تكن لتخدع إلا من يريد أن ينخدع بها ، فكل من هذا ينبغي أن يوجه لعبد الناصر قبل أن يوجه لأى أحد آخر .

ثانيا : عندما تعرض نظام يوليو الوطنى التقدمى للصراع الحاد بين قوى الثورة وقوى الثورة المضادة ، وعندما تصاعدت المواجهة بين اليسار الناصرى والسادات فى قمة النظام ، وحتى بعدما اجهز السادات على القوى الناصرية فى الحكم ، فلقد ظل النظام وطنيا تقدميا. فالواقع أن منجزات ثورة يوليو كانت قائمة سليمة لم تمس . كانت لاتزال امانة بأيدى الشعب العامل كله بعماله وفلاحيه ومثقفيه . كانت وثائق الثورة قائمة ، ومؤسساتها قائمة ، وسياساتها قائمة ، واذا كانت الديمقراطية السياسية القاصرة لم تمكن من تعبئة قوى الثورة للدفاع عنها فذلك واقع سابق لم يطرأ عليه جديد . كانت مقومات النظام الوطنى التقدمى مازالت قائمة . وبالتالى يكون من الخطأ الفادح قول الدكتور فوزى منصور "لم يحسم الأمر نهائيا لصالح الثورة المضادة إلا بتولى السادات السلطة واجهازه على القوى الناصرية" .

لقد كان الاجهاز على القوى الناصرية ضربة حاسمة جلت بالثورة ونصرا كبيرا للثورة المضادة . وذلك تطور خطير يتحمل اليسار الناصرى مسئوليته الجسيمة قبل السادات نفسه . ومع ذلك ، فإن هزيمة اليسار الناصرى لم يكن معناها هزيمة الثورة نهائيا ولا انتصار الثورة المضادة نهائيا . وانما كان معناها اقصاء اليسار الناصرى من السلطة وفتح الطريق أمام طوفان الثورة المضادة .

ولكن بقى النظام بأسسه ونظمه ومؤسساته . وبقى الشعب وعلى رأسه عمال القطاع العام وفلاحو الاصلاح الزراعي والمثقفون من ابناء العمال والفلاحين . وعلى الرغم من تخلف الجماهير . فلقد كان هناك ابناء منظمة الشباب وخريجو المعهد الأشتراكي . وكان لابد من مواصلة النضال فى كافة الميادين وعلى كافة الساحات - مستخدمين كلما أمكن شرعية ثورة يوليو كاملة . كان يجب تعبئة قوى الثورة لصد الثورة المضادة .

ثالثا - فى الوقت نفسه . وفى حين أن الصراع فى قمة السلطة كان خلافا على أسلوب الحكم انعكس على أسلوب معالجة القضايا الجوهرية للبلاد وخاصة القضية

الوطنية المحتدمة ، فإن أنور السادات استخدم كل مشروعية الثورة لفتح الطريق امام زحف الثورة المضادة . واستمر يناور ويناور ، ويضلل ويرهب ، ويقمع ويروع سنوات طوالا حتى يعلن الثورة المضادة ، فيلغي مواثيق الثورة وأسسها ومؤسساتها وسياستها . كان مازال يتحسس مواقفه ويحسب خطواته . وأعلن الثورة المضادة بانقلاب بطيء بداه في مايو ١٩٧١ ولم يقننه إلا بالانفتاح الاقتصادى في يونيو ١٩٧٤ ـ مستفيدا حتى من حرب أكتوبر لصالح مخططه . وهي سنوات طوال كان ينبغي على قوى الثورة هي الأخرى أن تفيد منها .

مازلت اذكر كيف بادر في ١٠ يونيو ١٩٧١ ليعلن أن "تنظيمنا السياسي ليس فيه مكان للذين وقفوا موقف العداء لخط عبد الناصر . ليس فيه مكان لأعداء الأشتراكية والتحول الأشتراكي » . وفي يوليو ١٩٧٢ قال بأعلى صوته "أن الناصرية هي المنهاج الواضح لثورة ٢٣ يوليو . لابديل لها ولا ابتعاد عنها » أن الناصرية كما عشناها مع القائد المعلم موجودة في الوثائق الثلاثة : « فلسفة الثورة والميثاق وبيان ٣٠ مارس . فهذه الوثائق هي فكرنا وخطنا السياسي » . وفي الاثناء كان يؤكد بلا انقطاع "لما اقول عدونا يبقوا ـ اتنين امريكا اولا واسرائيل ثانيا ـ بوضوح ـ علشان ما تتبلبلش » بل أنه هو القائل : "صداقتنا للاتحاد السوفيتي ليست انحيازا له وانما هي أيضا وبنفس المعيار انحياز للاستقلال وللقومية وللحرية السياسية والاجتماعية » .

● الخطيئة الأولى

فالواقع أن السادات لم يكن أبدا ـ وعلى خلاف كل التقييمات المتسرعة التى احاطت به ـ لم يكن أبدا بالقيادة الهينة ولا السهلة ولا البسيطة .

ولقد كان خطأ أولئك الذين هونوا من شأنه هو الخطأ القاتل بل هو الخطيئة الاولى حقا .

رابعا ـ في ذلك الوقت لم يكن اليسار المصرى موحدا ولا حتى منظما فاليسار الناصرى كان موجودا في الاتحاد الأشتراكي . لكنه لم يكن موحدا بالمرة بينما كان اليسار الماركسي مقصيا في جملته عن الاتحاد الأشتراكي . ولم يتشكل الحزب الطليعي الذى كان يفترض فيه أن يتولى الدفاع ـ بالروح والدم حقا لا قولا ـ عن الاشتراكية ويحمى النظام الوطني التقدمي الذي يمكن أن يفتح الباب لها . وفي الوقت الذي تولى السادات كان اليسار الماركسي مشتتا مفتتا . وعندما التقيت بالسيد شعراوى جمعة صباح الخميس ١٣ مايو وحتى الواحدة ظهرا بمكتبه في وزارة الداخلية وعرضت عليه ما املك من تأييد واستعداد للمشاركة ، تفضل عليّ بأن طمانني الى قوة موقفهم وعدم احتياجهم لأية مساعدة ، وانهم يقبضون بالفعل على ناصية الأمور وليس السادات . ولم اكن أعلم وقتها أن قرار اقالته من منصبه قد صدر ونحن نتحاور معا .

كذلك لم يكن هناك تنظيم ماركسي يتحمل مسئولية الحديث باسم اليسار الماركسي . ولذلك فعندما قبلت التعاون مع السادات في تلك اللحظات لم يكن ذلك قرارا من تنظيم ماركسي ايا يكن ولايتحمل مسئولية قرارى أحد

سواى ، ولايمكن أن يسأل أحد غيرى عن قرارى الذى اتخذته باقتناع .

لانه ينبغى أن يعرف كل مناضل ثورى كيف يحدد فى كل فترة تلك الحلقة الخاصة بها والتى يجب عليه التمسك بها بكل قواه من أجل الامساك بالسلسلة كلها والتحضير من ثم للانتقال إلى الحلقة التالية . وليس ذلك بالأمر البسيط أو السهل .

ماذا كانت تلك الحلقة فى حينها ؟ كانت هى الامساك بالقضية الوطنية والنضال ضد الاستعمار . كما كانت هى بالتالى التأكيد على معانى الوحدة الوطنية كمطلب لازم للمعركة الوطنية والتأكيد أيضا على معانى الديمقراطية ليس فقط لتمكين الجماهير من ممارسة الحريات السياسية بل أيضا لتمكينها من المشاركة فى الحكم بمعنى المشاركة الفعالة فى صياغة القرارات الحاسمة التى تمس مصير البلاد ومستقبلها .

ومن ثم كان لابد من فضح المخطط الاستعمارى لتصفية ثورة يوليو . وهو المخطط الذى أخذ السادات ينفذه ويصفه فى التطبيق قطعة قطعة وخطوة خطوة .

وماذا كان يمكن أن يكون دورى ؟ أن اقوم بالتنبيه الى المخطط من اول لحظة وأن افعل كل ما استطيع لمقاومته . ولا أريد أن اتحدث عن نفسى وعما فعلته فهذا أمر امجه ولا أجيده على الاطلاق . لكنى استطيع أن اقول بفخر شديد انى فعلت ما كان يجب أن افعله .

وفضحت المخطط وأنا فى قمة النظام .

وها هو كتابى بيمينى . وثيقة تاريخية لم يسبق نشرها فى مصر . وأنما هى حديث لى نشرته جريدة (النهار) البيروتية بتاريخ ٢٩ مايو ١٩٧١ ـ أى بعد أقل من أسبوعين من الأحداث وبعد أيام قليلة من تعيينى فى قمة الاتحاد الاشتراكى .

فلندع التاريخ نفسه يتكلم فهو أصدق إنباء .

وجهة نظر الدكتور فؤاد مرسى كماركسى فى الظروف الراهنة ، ما أبحث عنه .. هكذا قال مراسل النهار . وبدأ فؤاد مرسى الحديث قائلا : « يجب أن نسجل أنه للمرة الأولى فى تاريخ ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ يقوم النظام على التعاون مع الاشتراكيين الماركسيين بصورة رسمية وعلى أعلى مستويات السياسة والدولة (...) .

إننا نقيِّم هذا الحدث تقييما موضوعيا ونعتبره انعطافا حاسما ومهما فى تاريخ الثورة المصرية له دلالته الخاصة بالوحدة الوطنية والاتجاه الى توسيع الحريات وتأكيدها . ولذلك فنحن نرحب به ترحيبا كبيرا ونقبل على هذا التعاون بالروح نفسها وهى روح الأمل فى أن يكون دورنا مساعدا على دعم الثورة المصرية وتعزيز صفوف القوى الوطنية والاتجاه الى تعزيز الممارسة الديمقراطية فى البلاد" .

وأضاف موضحا : "أن موقفنا هذا ينبع من نقطة مبدئية وهى أن الرئيس السادات يقف على راس نظام وطنى خضع طوال السنوات الماضية لاختبارات مريرة فأثبت بما لايقبل الشك موقفه الوطنى المعادى للاستعمار . هذا الموقف الذى لايمكن أن يتبدل لمجرد السعى من أجل تحقيق حل سلمى لصراع مصر والدول العربية مع اسرائيل ومن ورائها الولايات المتحدة" .

سألت :

بعد ضربة مراكز القوى أطلق السادات شعارات راوحت بين التهديد بالغرم والعمل من أجل إيجاد وحدة وطنية حقيقية



وعندما سألت فؤاد مرسى رأيه فى هذه الشعارات أجاب :

"ما يعنينا حاليا هو القضية الوطنية والنضال ضد الاستعمار وبالتحديد الوصول الى حل للصراع العربي ـ الاسرائيلي . ومن ثم فإن كل القضايا الأخرى تعتبر ثانوية بالنسبة الى القضية الأساسية ولا نعالجها إلا من زاوية خدمتها للقضية الاساسية وهى قضية النضال ضد الصهيونية والامبريالية . ولذلك فإننا نؤكد على معانى الوحدة الوطنية ونراها مطلبا لازما للمعركة ، كما نؤكد على معنى الديمقراطية ليس فقط فى ممارسة الجماهير للحريات العامة بل ايضا فى ضرورة مشاركة الطبقات الشعبية فى الحكم بمعنى المشاركة فى صياغة القرارات الحاسمة التى تمس مصير البلاد ومستقبلها .

ومن هنا فنحن نرحب بما يطرحه الرئيس السادات من برامج ترمى الى تعزيز الوحدة الوطنية والديمقراطية . ومن المؤكد أن المساعى لاعادة بناء الدولة على اسس عصرية إنما هى مساع مفيدة لكننا نفهم الدولة العصرية بصفة كونها دولة الاشتراكية والديمقراطية .

وبالتالى فلا تعارض بين الاهتمام بإعادة بناء الدولة وبين القضية المحورية وهى قضية النضال ضد الاستعمار"



لقد كثرت التصنيفات للاحداث التى جدت يوم ١٥ أيار . البعض اعتبرها ثورة جديدة . البعض الآخر اعتبرها حركة تصحيح . أما الدكتور فؤاد مرسى فيقول إن ماجرى "كان خلافا على أسلوب الحكم انعكس على أسلوب معالجة القضايا الاساسية للبلاد وخاصة القضية الوطنية" .

السؤال الأساسى هو : كيف يقبل الماركسيون المصريون التعاون مع السادات فى حين أنه ضرب صديقهم ـ أو هكذا كان يتصرف ويصور ذلك للناس ـ على صبرى ، وضرب معه أيضا عددا من اليساريين القياديين والكتاب .

وأجاب فؤاد مرسى عن هذا السؤال بالآتى :

"هناك تناقض ومأساة فى الموضوع . إن جزءا من النظام الذى كان قريبا منا موضوعيا ويطرح قضايا وشعارات قريبة منا ، كان بعيدا عنا ذاتيا . موقفه منا قبل ١٥ أيار معروف . انه لم يقبل فى صفوف الاتحاد الاشتراكى إلا الأقلية منا . لم يسمح بوجودنا فى المسئوليات المهمة على المستوى السياسى ، على عكس الرئيس السادات الذى أتاح لنا فرص العمل الوطنى وعلينا أن نبرهن أننا جديرون بذلك" .

ماهو تصور الماركسيين المصريين لخطط الاستعمار بالنسبة إلى مصر والمنطقة العربية ؟

يجيب فؤاد مرسى :

"فى تصورى أن الاستعمار العالمى وبالذات الولايات المتحدة تسعى بكل ما تملك لاسقاط النظام الوطنى فى مصر . كان هذا مخطط الولايات المتحدة أيام عبدالناصر . ومازال المخطط على حاله فى ظل انور السادات . واعتقادى الراسخ هو أن الولايات المتحدة سعت ومازالت تسعى لاسقاط نظام أنور السادات .



ردا على مقال « الأزمة الراهنة لليسار المصرى »

بل ظلمت اليسار المصرى .. يادكتور !

بقلم : عبد الرحمن شاكر

بالرغم من أن مقال الدكتور فؤاد زكريا ، بعنوان الازمة الراهنة لليسار المصرى في عدد اغسطس الماضي من الهلال يبدى تعاطفا مع قضية اليسار المصرى ، فإنه اوقع به ظلما فادحا ، وخاصة حينما قال :

« وعلى سبيل المثال ، فان من المشكوك فيه ان تكون قد حدثت في داخل اليسار المصرى محاولات نظرية مماثلة لتلك التى قامت بها الاحزاب الشيوعية فى فرنسا وإيطاليا واسبانيا مثلا من اجل إعادة تفسير الماركسية ، وتجاوز مبدأ اساسى فيها مثل ديكتاتورية البروليتاريات .. الخ ، ويردف ذلك بقوله : « هذا كله يبدو فى نظر اليسار المصرى خلال العقود الاخيرة ترفا لايملك امكانية ممارسته » !..

● ولا ادرى كيف لم يشعر الدكتور فؤاد زكريا بالتناقض بين هذا الذى قاله ، والذى اورده بعد ذلك بعدة فقرات حيث يصف اليسار المصرى

بالاغراق فى التنظير ؟! فكيف يمكن ان يغرق هذا اليسار فى التنظير ولا تكون له محاولات نظرية مثل الاحزاب الشيوعية الاوربية التى ذكرها ؟

واريح الدكتور فؤاد زكريا وأتعب نفسى ! نعم اتعبها تعبا شديدا حينما اجد نفسى مضطرا الى ذكر محاولة نظرية واحدة على الأقل ، وهى المحاولة التى حاولتها فى اواخر عام ١٩٦١ فى كتاب بعنوان "نظرية التاريخ المعاصر : الثورة الاشتراكية العالمية" . فما اشق على الكاتب من ان يضطر الى الكلام عن سابق عمله ،



ولكن ماحيلتنا اذا كان بعض من يكتبون يتجاهلون اعمال غيرهم ، ويسمحون لانفسهم باطلاق احكام عامة مجحفة ؟

وكنت أستطيع اغفال الموضوع برمته لولا انى اتحمل مسئولية خاصة فى النقطة التى يأخذها الدكتور فؤاد زكريا بشدة على اليسار المصرى ، وهى تعاونه مع التجربة الناصرية فى الاشتراكية حيث اننى دعوت فى هذا الكتاب الى حل المنظمات الشيوعية التى كانت قائمة آنذاك وقد استجاب اليسار المصرى الى هذه الدعوة ، واعلنوا حل منظماتهم السرية فى عام ١٩٦٤ وقبولهم الانضمام الى الاتحاد الاشتراكى وتنظيمه الخاص الذى يعرف باسم التنظيم الطليعى .

● قنبلة خروشوف

واذا كان الدكتور فؤاد زكريا قد اشار فى مقدمة مقاله الى ارتباط ازمة اليسار المصرى الراهنة ، بالازمة فى اليسار العالمى بصفة عامة ، فان هذه الازمة لم تكن وليدة اليوم بل كانت قائمة ، شعرنا بها بعد المؤتمر العشرين للحزب البلشفى فى عام ١٩٥٦ . وهو المؤتمر الذى ادان فيه خروشوف ، سكرتير الحزب الشيوعى السوفيتى آنذاك ، سياسة "تقديس الفرد" وكشف عن كثير من فظائع ستالين . وكانت هذه قنبلة فجرها خروشوف فى وجه اليسار العالمى كله واجبر الجميع بما فى ذلك اليسار المصرى على مراجعة حساباته .

وقد استندت فى الكتاب المذكور الى وثائق المؤتمر العشرين للحزب البلشفى فى التوصل الى تحليل محدد حول طبيعة العصر الذى نعيش فيه وهو انه عصر "انتصار الثورة الاشتراكية العالمية" الذى يتمثل فى ثلاثة عناصر رئيسية :

اولا : قيام نظام اشتراكى عالمى لايمكن قهره وهو السائد فيما يعرف باسم المعسكر الاشتراكى .

ثانيا : اندحار الايديولوجية البرجوازية وغلبة الفكر الاشتراكى وهو ذات ما اشار اليه الدكتور فؤاد زكريا أخيرا فى مقاله بقوله عن ارتفاع مستوى معيشة العمال فى الدول الرأسمالية وخاصة امريكا : « انما هو فى جزء كبير منه رد فعل على وجود الرؤية الاشتراكية فى عالم القرن العشرين ومحاولة ذكية لامتصاص عنصر السخط الذى هو الوقود الفعال لاى ثورة » .

ثالثا : تحرر معظم المستعمرات السابقة واتجاهها بعد الاستقلال الى التنمية الاقتصادية باتباع الطريق غير الرأسمالى الذى يحمل كثيرا من سمات الاشتراكية كما حدث عندنا فى مصر وسواها من بلاد العالم النامى مثل سوريا والهند واندونيسيا وهلم جرا .



خروشوف



عبدالناصر



جورباتشوف



لينين

من مجموع تلك العناصر ذهبت الى القول بان "انتصار الثورة الاشتراكية العالمية" قد اتخذ مظهرا آخر خلاف التصور الذى كان سائدا لدى الماركسيين فى ذلك الحين وهو ان يسود العالم او معظمه نظام شبيه بالنظام السوفيتى تماما كما خالف قيام الثورة الاشتراكية فى روسيا عام ١٩١٧ بقيادة لينين ، ثم انتقالها بعد ذلك الى مجموعة من البلدان المتخلفة صناعيا مثل الصين وأوربا الشرقية ، تصور الجيل الاقدم من الماركسيين ان الموطن الطبيعى لتلك الثورة هو الدول الرأسمالية المتقدمة وقلت ان قيام الثورة الاشتراكية فى الدول المتخلفة قد اعفى الدول المتقدمة صناعيا منها ، حيث نشطت فيها قوى الاصلاح المتمثلة اساسا فى الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية الاوربية وأجبرت حكوماتها ورأسماليات بلادها على رفع مستوى معيشة العمال فيها وتقديم ضمانات اجتماعية عديدة ضد البطالة والمرض والشيخوخة .. وما اليها .

● نهاية الحاجة الى الديكتاتورية

والنتيجة الرئيسية التى افضى اليها هذا التحليل هى ان الحاجة الى ديكتاتورية البروليتاريا قد انتهت تماما سواء فى الاتحاد السوفيتى او باقى الدول الاشتراكية او ايديولوجية الاحزاب الشيوعية خارج هذا المعسكر وان على جميع الماركسيين ان يعودوا الى مبدأ الاشتراكية الديمقراطية وان يسعوا الى الوحدة مع الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية على اساس هذا المبدأ فهل بقى شك لدى الدكتور فؤاد زكريا حول هذه النقطة ؟

واكثر من ذلك ذهبت الى ان عصر المرحلة اللينينية من الفكر الماركسى قد انتهى تماما ، ليس لأن اللينينية كانت خطأ ولكن نظرا لكونها النظرية التى انجزت الثورة الاشتراكية العالمية على النحو المذكور فإن مهمتها التاريخية قد انتهت وحان ان تفسح الطريق لمرحلة جديدة من الفكر الماركسى (وليس لمجرد اعادة تفسير الماركسية كما يقول الدكتور فى

دائرة الحوار

مقاله) واهم عناصر هذه المرحلة الجديدة من الماركسية هى مايلى :
أولا : انها المرحلة التى تستوعب ما سبقها من الفكر الاشتراكى بما فيه الماركسية ذلك الفكر الذى اعاد تشكيل العالم بتأثيراته الهائلة اى انهـا ـ اى المرحلة الجديـدة ـ الماركسية التى تقى الماركسية ودورها التاريخى ، وتتعامل مع الواقع الجيد من هذا المنطلق .
ثانيا : انه اذا كانت مهمة المرحلة السابقة من الفكر الماركسى هى تنمية الصراع الطبقى من اجل تغيير علاقات الانتاج فإن مهمة المرحلة الجديدة من الماركسية هى تهدئة الصراع الطبقى من اجل تطوير قوى الانتاج وانه اذا كان الصراع الطبقى يتخذ حاليا مظهر انقسام العالم الى معسكرين متعاديين يستنزفان قواهما الاقتصادية فى سباق التسلح ويعرضان البشرية لخطر الدمار الشامل فإن الضرورة التاريخية الحالية هى فى انهاء هذا الانقسام وتوجيه جهود المعسكرين من اجل انجاز الثورة الصناعية الثانية (اى الثورة التكنولوجية) التى سوف تغير تشكيل كيان المجتمع الانسانى على نحو لايدرك مداه حاليا ، وان المعسكر الاشتراكى هو الذى تقع عليه مسئولية انهاء هذا الانقسام ، وذلك باقرار مبدأ الديمقراطية وانهاء الخـوف من الشيوعية الذى تستغله الامبريالية فى تخويف شعبها وحملها على مساندة سياستها فى سباق التسلح وان الاشتراكية فى التزامها بالديمقراطية تستطيع ايضا ان تتنازل عن كثير من التطرف الاشتراكى وتسمح بوجود صور لاضرر منها من الملكية الفردية لوسائل الانتاج .

واقول للدكتور فؤاد زكريا : إنه لو لمح تشابها بين هذا الكلام وبين مايقوله ويفعله جورباتشوف حاليا تحت اسم البريسترويكا ، ويصفه بأنه « التفكير الجديد لبلادنا وللعالم » .

فليعلم اننا قد سبقنا الى هذا القول قبـل ان يسمـع العـالم بـاسم جورباتشوف او البريسترويكا بربع قرن من الزمان !

● الناصرية .. لماذا ؟

ولعل الدكتور فؤاد زكريا يسألنى : اذا كنت كما تدعى قـد دعوت الماركسيين فى العالم الى نبـذ ديكتاتورية البروليتاريا ، فكيف اجزت لنفسك ان تدعو الماركسيين فى مصر الى حـل المنظمـات الشيـوعيـة والانضواء تحت لواء عبد الناصر فى اشتراكيته (الاضطرارية) كما يفهم من كلام هيكل الذى اورده الدكتور ، رغم ان عبد الناصر بدوره كان ديكتاتورا !! اليس هذا تناقضا ؟

واقول للدكتور : ان الامر كما تبدى لى فى ذلك الحين هو ان عبد الناصر وسواه من قادة العالم الثالث لم يكن احدهم يمثل طبقة بذاتها وانما كان


ستالين


كارل ماركس


هيكل


حسنى مبارك

يمثل حلفا من الطبقات الثورية ذلك ما كتبته فى الكتاب المذكور ، وهى الصيغة التى "ترجمها" جمال عبد الناصر بعد ذلك فى "ميثاقه" الصادر عام ١٩٦٢ إلى « تحالف قوى الشعب العاملة » ، كانت المسألة عندى ان الحلف بين طبقات ثورية حتى ولو اتخذ مظهرا ديكتاتوريا هو اكثر ديمقراطية من ديكتاتورية طبقة واحدة وهى البروليتاريا ، وخاصة ان هذا الحلف لا يتوقع فيه أن يدور صدام واسع النطاق ما بين البروليتاريا - اى العمال الصناعيين - وبين قطاعات واسعة من الشعب ممثلة اساسا فى صغار الملاك من الفلاحين كما حدث فى الاتحاد السوفيتى حينما توجه الى فرض سياسة المزارع الجماعية بالقوة وكان ذلك بداية تحول ديكتاتورية البروليتاريا بقيادة ستالين الى استبداد مطلق وارهاب شنيع كما فصلت فى الكتاب المذكور .

واهم من ذلك ، كنت اذهب الى ان الاحزاب الشيوعية بتمسكها بمبدأ ديكتاتورية البروليتاريا انما تغرى قادة الشعوب والحركات الثورية الاخرى بتقليدها فى مبدأ الديكتاتورية الثورية وانها بتحولها الى الديمقراطية سوف ترفع منسوب الديمقراطية فى العالم كله بما فى ذلك البلدان النامية التى اوجدت ما يسمى طريقها الخاص فى الاشتراكية .

لذلك كان مؤدى دعوتى المنظمات الشيوعية فى مصر الى حل نفسها هو انه على الماركسيين اولا ان يلتزموا ايديولجيا بمبدأ الديمقراطية حتى يمكنهم اقناع سواهم به ، ومعروف ان تلك المنظمات كانت تقوم على مبدأ ديكتاتورية البروليتاريا التى هى على حد تعبير ستالين جوهر النظرية اللينينية التى اعلنت ان مرحلتها قد انتهت كما قدمت .

● الاضطرار إلى الاشتراكية

واعود الى ما نقله الدكتور فؤاد زكريا عن هيكل واستنكره وهو قول هيكل : « لقد آمن عبد الناصر مثلا بالقطاع العام ، ودافع عنه فهل كان



هذا ايمانا ايديولوجيا به ؟ انى اراه ايمان ضرورة » !!

وتعليقى على ذلك هو ان كل ايمان بالقطاع العام فى هذا الزمان هو ايمان ضرورة ، من اول كارل ماركس ذاته فهذا الرجل لم يؤسس عقيدة دينية وانما سمى مذهبه باسم الاشتراكية العلمية ، ومؤداه ان الاشتراكية سوف تطبق فى هذا العالم ـ ليس لان الناس تريد ذلك ـ بل لانها سوف تصبح ضرورة حينما تصبح تناقضات الرأسمالية خانقة لقوى الانتاج معرقلة لتطورها ، تلك هى قيمة الحل الاشتراكى لتلك التناقضات كما صورها كارل ماركس ـ والاشتراكية التى طبقت فى الاتحاد السوفيتى كانت ايضا اشتراكية ضرورة كما اوضح « ميلوفان جيلاس » فى كتابه "الطبقة الجديدة" والضرورة كانت هى الحاجة الى التصنيع وانه حينما عجزت الراسمالية فى روسيا عن استكمال التطور الصناعى بطريقة راسمالية تولت البروليتاريا ـ او قيادتها من الطبقة الجديدة ـ مهمة التصنيع بطريقة اشتراكية تعتمد فيها اساسا على القطاع العام ، وتلك هى التجربة التى انتقلت ثمارها الى بلادنا وكافة البلدان النامية التى عجزت عن تطوير صناعتها بالطريق الراسمالى حيث اصبح هذا الطريق مسدودا امامها بسيطرة البلدان الرأسمالية الكبرى على الاسواق .

اما قول الدكتور فؤاد زكريا « ان دفاع عبد الناصر عن القطاع العام ودفاع الرئيس مبارك عنه .. انما املته الضرورات العملية لمرحلة معينة ليضيف بعد ذلك بين قوسين : "ولو اقتضت مرحلة اخرى ضرورات مغايرة لتخلى عنه بالطبع" فاقول له ان ذلك وارد تماما بل انه هو الذى يحدث الان فى المعسكر الاشتراكى على صور متفاوتة شريطة ان يكون فى مصلحة الشعوب ، وباختيارها الديمقراطى .. اليست ديمقراطية الاشتراكية هى ما نبحث عنه انت وانا يادكتور ؟!

اما بالنسبة لمقالة الدكتور فؤاد زكريا عن ان عبد الناصر « قد خنق اليسار المصرى عن طريق احتضانه » فقد سبق ان عقدت مقارنة فى الكتاب المذكور (صـ ١١١ ، ١١٢) بين ما حدث بالنسبة للثورة البرجوازية فى اوروبا فى القرن التاسع عشر والثورة الاشتراكية فى القرن العشرين واوردت فى هذا الصدد عبارات بعيدة الدلالة لكل من كارل ماركس وزميله فريدريك انجلز ، وقلت معقبا على ذلك : « هذه هى نفس مكانة كينز والمدرسة السويدية والتيارات الاصلاحية الحديثة بصفة عامة من الاشتراكية" ، وذلك بعض من ديالكتيكية التاريخ وتطوره من خلال وحدة المتناقضات .

حديث الشهر

رد هادىء على مقال « على مبارك »

بقلم : ممدوح المغربى

نشرت (الهلال) الغراء في عددها الأخير (اغسطس ١٩٨٩) مقالا بعنوان (على باشا مبارك) بين اغراء الثورة ومنطق الاصلاح للاستاذ مصطفى نبيل رئيس تحرير المجلة ، ومجلة الهلال لا تحتاج لشهادة منى او من غيرى ، فهى رائدة المجلات الثقافية بلا منازع واميرة المجلات الادبية بلا ريب ، لقوة مادتها وقدرة كتابها ، وحظيت بذلك على مر عصورها دون تمييز . رغم عمرها المديد .

● وبصفتى من قراء المجلة الدائمين لاكثر من ثلاثين عاما متواصلة وشرفت فترة بالنشر على صفحاتها ، واعلم ان المجلة لها مفعول السحر لقارئها عربيا ومحليا ، وان القارىء يلتزم بما تقوله (الهلال) واعتباره مصدرا موثوقا به ، وحجة دامغة على الراى ، رايت من واجبى ان ارد على مانشر بها بخصوص الرائد الكبير على باشا مبارك ، آملا ان يتسع صدر المجلة لهذا التوضيح المتواضع .

بداية اشكر للاستاذ نبيل تذكره لهذا الرائد (ابو التعليم فى مصر) رغم مرور قرابة القرن على وفاته . وكذلك الاشادة باثاره وعلى راسها (خططه) ، الا اننى اتوقف عند عدة نقاط هى

١ ـ ادانة على باشا مبارك لحركات التحرر والانتفاضات التى حدثت فى وجوده واعتبارها خروجا على الامام .

٢ ـ موقف على باشا مبارك من الثورة العرابية كمناصر لها ، ووسيط بين الحكومة وزعمائها ثم منحاز ضد الثوار .

٣ ـ مواقفه فى تسجيل التاريخ وعدم ذكر اعلام الثورة وانحيازه لسياسة الخديو .

واقف هنا لاقول موضحا هذه النقاط حتى لايلتبس على البعض ويتم تشويه الاعلام بلا جريرة ـ لمجرد اختلاف فى

الرأى او عدم تحليل للظروف المحيطة بهم .

اولا : تميزت شخصية على باشا مبارك حيث وضع فكرا متميزا ومحددا اوضحه صاحب المقال على لسان على مبارك نفسه ، فقد امن الرجل باصلاح الفرد واصلاح المجتمع من مجموع اصلاحات الافراد ، لان المجتمع يتكون من الافراد ، وهذا فى حد ذاته اول منطق عربى يظهر بهذه الصورة ، للوقوف الجماعى فيما بعد للفساد والطغاة ، حتى اذا هبوا كانوا على قلب رجل واحد لايستطيع الخديو او عملاء الاستعمار من دحرهم فى هذه الحالة .

وبطبيعة الحال لايستطيع من هو مثله الذى لايملك سوى قلمه وفكره ان يفعل غير ذلك ، وبالنسبة لثوار عرابى قدم لهم الرجل من ماله بسخاء ، ونسق معهم الى ابعد الحدود ، وكانت (منذرته) قبلة لهم ، ويشهد على ذلك صلته القوية برب السيف والقلم محمود سامى البارودى ، الذى استمرت علاقته به بعد النفى ، وهو الذى اشار بضرورة طبع ديوانه ، رغم انه لم يره مطبوعا فى حياته ، ولم يطبع الا الى حرف اللام .

وعلى مبارك ايضا هو الذى خطط لاقتلاع رياض باشا عام ١٨٨١ وكان ذلك مطلب العرابيين لاعادة شريف باشا ، وهو نفسه الذى اصبح ـ بما له من قوة ثورية ـ قطبا كبيرا بحزب الثورة (الحزب الوطنى) .

ثانيا : ذكر الكاتب ان على باشا مبارك اصبح طرفا ضد الثورة ، وهذه مقولة يجب ان تكون مدروسة من كافة النواحى قبل طرحها على القراء ، ونسأل الكاتب الكبير هل قامت الثورة على ما خطط لها (بمنذرته) ؟؟ هل ظهرت هناك اختلافات ؟؟ ام ان الثورة رأت ان يكون على باشا مبارك داخل الجهاز الحكومى للدولة ليكون للثوار قوة ومنعة ، واعتقد ان الثورة فعلا ابقت عليه داخل الحكومة بدليل انه كان مدخرا للتفاوض معهم (كوسيط) .

على حد قول الكاتب ، فى نفس الوقت الذى تحس فيه الحكومة ان له على الثوار (دلالا) او نفوذا ، وعادة لاتستطيع الحكومة اى حكومة ان توسط اى شخص لدى جماعة من الجماعات الا اذا كان له عندهم حظوة ، وهذا اعتراف ضمنى من كُتاب المذكرات (عرابى) او غيره ان هذا الرجل من الوطنيين الثوار بلغة الرمز على ايامهم لذلك كان من الواجب ان يتريث كاتبنا الكبير فى هذا الحكم على ذلك الرجل حتى لاتشوه صورته بهذا الشكل .

ثالثا : ان مذكرات عرابى وفى الجزء الخاص بتلك النقاط ليست حجة على ان الرجل كان ضد الثورة او منحازا للحكومة ، ومن يدرينا فربما ما حدث كان تمويها حتى لايفقد على مبارك

مكانته لدى الحكام وثقته عند الخديو حتى تنتفع به الثورة والثوار ، ويعم بهذه الصلة الخير على البلاد والعباد .

وترجمته فى خططه ، واغفاله بعض اسماء الثوار وبلادهم دليل آخر على عمق صلته بالثوار والثورة ، وكاتبنا الكبير يعلم ان الحرية المنقوصة تحتاج من الكتاب الرمز والاحاجي ودفع الشك ، وفي العصر الحديث حينما نشر هيكل ان كبار قادة القوات المسلحة بالاراضى الحجازية ، الم تكن تلك خدعة قامت حربنا التحريرية بعدها بساعات ؟؟

واذا تركنا على باشا مبارك وعصره ، وطبقنا ما يقول الكاتب ، لوجدنا فى عصرنا الحديث ان المذكرات والاعتراضات بل والافتراءات ايضا لم تكتب عن عهد عبد الناصر الا بعد رحيله بدءا من الهجوم على السد العالى وعودة الوعى لتوفيق الحكيم وحتى كتاب اعتماد خورشيد .

ان ثوار يوليو انفسهم لم يكتبوا مذكراتهم (وهذه موضة العصر) الا بعد رحيل عبد الناصر ، وكذلك المقربون من الرئيس السادات فعلوا نفس الشيء ، وهكذا دواليك حتى يرث الله الارض ومن عليها .

اننى اعترض على رئيس التحرير لابرازه النقاط دون محاولة تبريرها بمقتضيات العصر الذى حدثت فيه ، ولابد ان ينقى الوجه الجميل المتألق لاعلامنا دون مساس ، ودون الاخذ بمواطن الشبهات فى وطنيتهم ، ولانفعل ما تفعله صحف الاثارة وتركيزها على تشويه الاعلام ، فمثلا د . طه حسين واحمد حسن الزيات وزكى مبارك واحمد لطفى السيد وسعد زغلول ومحمد عبده وغيرهم من الاعلام يحلو للبعض ان يتهمهم فى وطنيتهم بل ويضيفون انهم كانوا ماسونيين ، وينشر هذا على الملا ، وكذلك نشر آخر مقالا باحدى الدول العربية يتهم فيه الاستاذ الكبير امين الخولى انه كان (عينا) للحكومة على رفاقه بالخارج والداخل وغيره من قمم الاعلام فى مصرنا الحبيبة .

إن هذا الاسلوب فى تناول الاعلام واجب محاربته لانه يشوه وجه مصرنا الحبيبة ، ويجب على الكتاب واد الترهات والمزاعم التى يحلو للبعض ابرازها لنبقى على هذه الاشراقة الحلوة لعظمة مصر .

وواجب علينا ايضا ان نحتذو حذو عمنا الكبير عباس محمود العقاد فى تناوله للاعلام حين ترجم لهم حين قال ما معناه يجب ان اقول ان فلانا يملك كذا ولا اقول ولا يملك كذا ، يكفى ان نؤكد على الاشراقية فى اعلامنا وبلادنا ، واذا تعرضنا لغير ذلك فلا بأس من تحليل المواقف ودرء الشبهات ، والدفاع بروح العصر مع وضع عصور الاعلام فى الاعتبار .

وليغفر لى الكاتب حبى لبلادى واعلامها الذى يصل الى حد التعصب (هب جنة الخلد عدن هل يغنى ذلك عن وطن) .

تعدد الأصوات ومعناه في الشعر والموسيقى

بقلم: كمال النجمي



زعموا أن فى شعر التفعيلة وفى القصيدة النثرية نوعاً من "الموسيقى الداخلية" والحركات الإيقاعية .. وأنظمة بديعة من البناء الهارمونى ذى الأصوات المتعددة المتناغمة .. أما الشعر الموزون المقفى فهو الألحان الميلودية ذات الصوت الواحد الذى لا هرمنة فيه ولا تعدد أصوات !!

● ولعل المقصود بتعدد الأصوات فى الشعر التفعيلى والنثرى ، هو تركيب الأصوات على هيئة الموسيقى البوليفونية ذات الأصوات المتعددة ، وربما كان المقصود بالهارمونى فى هذا الشعر هو تأليف الأصوات الموسيقية المتآلفة ، ولعلهم يقصدون "الكونتربوينت" .. ولعلهم لا يقصدون ذلك إلا على سبيل "التشبيه" بمعناه اللغوى المعروف ، فإذا قالوا : إن بناء الشعر التفعيلى يشبه بناء الموسيقى الأوربية المتعددة الأصوات ، فإنما يريدون أن هذا البناء يشبه ذاك ، أو كأنه هو !.. لأن الشروط العلمية والفنية التى تتحكم فى تأليف الموسيقى المتعددة الأصوات ، ليس لها صلة بالشروط الفنية والعلمية التى يقوم عليها بناء الشعر ، تفعيليا كان أو موزونا مقفى ، فضلا عن القصيدة النثرية ..

ونحن لا نصد أحدا عن نظم التفعيلات ، بل نرى الجيد منها إضافة حسنة للشعر العربى ..

ولا نزجر أحدا عن كتابة القصيدة النثرية بشرط إثبات صفتها النثرية ، فلا يزعمون أنها شعر خالص ، وهى مجرد نثر تسرى فيه روح الشعر ..

● لا بديل للشعر الموزون

وليس الشعر المنثور شيئا جديدا ، فقد كتبه الأدباء المصريون والعرب منذ عشرات السنين .. ولو أطلع الشعارير على مجلدات "الهلال" فى العشرينات لرأوا فيها قصائد نثرية لجبران خليل جبران وغيره ، ولو اطلعوا على مجلدات مجلة "الرسالة" فى الثلاثينات لوجدوا فيها قصائد نثرية رائعة لمصطفى صادق الرافعى ضمن مقالاته التى كان بعضها من الأدب "الدينى" كما يقولون .

ولكن جبران والرافعى والآخرين ممن كتبوا القصائد النثرية ، لم يخطر ببالهم أنها بديل للشعر الموزون المقفى كما ينادى بهذه الدعوة أو الدعوى الآن بعض الشعارير فى مصر والبلاد العربية ، وبخاصة الشعرور المغرور الذى يسمى نفسه أدونيس ..

كذلك لم يخطر لعلى أحمد باكثير وهو يكتب مسرحية "نفرتيتى واخناتون" بتفعيلات بحر "المتدارك" قبل خمسين عاما ، إحلال التفعيلة محل البيت ذى المصراعين .

وقديما جدا لم يخطر للوشاحين الذين اخترعوا عجائب الأوزان ، أن يطردوا من الساحة شعر البحور الستة عشر ،



ويجعلوها مرتعا للتوشيح وحده ..

إن تعايش جميع أشكال الشعر العربي هو سبيله الصحيح إلى الثراء والنماء ، أما الزراية بالشعر العربي ، فهذا من عمل المبشرين الأجانب ، لا من عمل النقاد المنتمين إلى الأمة صاحبة الطريقة الفريدة في الشعر ، وصاحبة اللغة الوحيدة التي استطاعت أن تقوم بتبعات هذه الطريقة بين جميع اللغات ..

● فماذا عن دعوى الهارموني والميلودي في الشعر الموزون والشعر التفعيلي ، وشعر النثر ؟!..

إن الموسيقى أصوات غير ناطقة ، حتى وإن نطقت في الغناء ، تقوم على أصول فنية وعلمية خاصة ، أما الشعر فأصوات ناطقة لها أصول فنية وعلمية أخرى ، فلا يصح أن تنقل "اصطلاح" الميلودي والهارموني من الموسيقى إلى الشعر إلا على سبيل "التشبيه" الذي لا صلة له بالحقائق العلمية والفنية .

ولا يصح أن نقيم على هذا التشبيه مذهبا أدبيا أو نقديا ، فهذه شعوذة ، وتلبيس على الناس بألفاظ ضخمة مثل "البوليفوني" و"الهارموني" و"الكونتربنطي" .. وما إليها من كلمات يتخذونها مغالق وشبكات لاصطياد السذج وتفخيم الذات !..

قد يقال إن ثمة تشابها بين الشعر التفعيلي والموسيقى المتراكبة ، إذ يستخدم الشعر التفعيلي شذرات من بحور متعددة في قصيدة واحدة ، فتختفي عندئذ الإيقاعات أو النقرات في البحر المتكامل ، وتظهر بدلا منها إيقاعات متعددة أو متضادة أو متوافقة على حسب المطلوب ..

وهذا غير صحيح من جهتين :

ـ إحداهما أن الشعارير اقتصروا على تفعيلات ثلاثة أبحر أو أربعة .. وتركوا البحور الأخرى ، ومنها البحور التي لا يستطيعون اجتزاء تفعيلاتها .. وقد قرأت كلامهم فرأيته يكاد يكون مكتوبا كله بتفعيلة بحر المتدارك ، فانتظر أيها القارىء ـ أعزك الله ـ كيف انكمشت إيقاعات الشعارير ولم تتضاعف ، ولم تتوافق ولم تتضاد ولم تزد على نغمات "الهزج" الغنائي القديم الذي كان أبسط ألوان الغناء ..

ـ أما الجهة الأخرى ، فإن الموسيقى ليست إيقاعا فقط .. بل إن الإيقاع يكون أحيانا خافيا فيها ، ولا مجال لتعدده أو كثافته أو توافقه أو تضاده ، فإذا حدث من ذلك شيء كان افتعالا رديئا مزعجا ..

وقد أمسك الشعارير ونقادهم بتلابيب الإيقاع ، وزعموا أنه "الموسيقى" .. وإنما الموسيقى بحر من الألحان لا ساحل له ، ولا علم للشعارير ونقادهم بثبجه ولا شطآنه !..

ومع ذلك نتوقف عند الإيقاع ، حتى نتبين وجه الحقيقة فيه ..

● علامة التوازن العروضي

إن التفعيلة الواحدة قائمة على نقرات أو إيقاعات متعلقة بكسور الصوت العربي

أو ما اعتدنا أن نسميه "ربع الصوت » في الغناء ، فضلا عن الصوت الكامل ونصف الصوت على الطريقة الغنائية العربية في مقامات الغناء العربي وإيقاعاته الثقيلة والخفيفة المعروفة بأسمائها وأوزانها ..

ويمكن أداء هذه الإيقاعات - وهي توزينات لغوية عربية بحتة - على دف أو طبل أداء صحيحا ، فينكشف لنا عندئذ أن تكثيف الإيقاعات التفعيلية لا تتألف منه "موسيقى بوليفونية" ، بل يتألف منه إيقاع ميلودي صميم لافكاك منه حتى ولو خرجت الإيقاعات من الأوزان التفعيلية القائمة على سلم الموسيقى العربية المؤلف من أربعة وعشرين ربع صوت !..

وإذا وضعنا تفعيلة من بحر إلى جوار تفعيلة من بحر ثان إلى تفعيلة من بحر ثالث ، فرابع ، فخامس ، لم تحصل من الناحية الموسيقية إلا على إيقاع ميلودي بحت ، فلا فرق بين حصيلة التفعيلات في آخر المطاف ، وبين حصيلة الأوزان المتكاملة ، وإن اختلف شكل توزيع التفعيلات ..

فالعلاقة بين إيقاع التفعيلات والايقاعات الموسيقية هي علاقة التوازن العروضي واللغوي فقط ، وهي قائمة على كسور الصوت ، وأساسها ميلودي غير مشوب بأية "هرمنة" من أي نوع ، ولا يقول بالهرمنة هنا إلا امرؤ جهل الشعر والموسيقى جميعا ..

وهذا هو الشأن في كل كلام بشرى ، موزون أو غير موزون ، في جميع لغات العالم ، ولم تحدث "هرمنة موسيقية" من ذلك القبيل في أي شعر بأية لغة على وجه الأرض ، وإن يحدث ذلك إلا إذا تغيرت العلوم والفنون الموسيقية في الشرق والغرب ، إكراما لعيون الشعارير أصحاب الأصوات الموسيقية المتعددة في الشعر التفعيلي والقصيدة النثرية !..

تلك هي الحقائق بلا مراء ، فمن أي النواحي أتيت هذا الباب لم تجد إلا هذا الذي حدثتك عنه ، فما حديث أولئك القوم إذن عما زعموا من هرمنة الشعر التفعيلي والشعر النثري ، وما إلى ذلك من أباطيل في الموسيقى واللغة ؟!..

ويدعو إلى السخرية أن ذوي الهرمنة يكثرون من استعمال تفعيلة الرجز وهي متتالية نغمية ميلودية كانوا يهدهدون بها راكبي الإبل ، أو الإبل ذاتها ، في الصحراء ، فتتكفىء على إيقاعاتها صدور الركبان ثم تستقيم ظهورهم ، وفقا لحركة الراكب وحركة البعير !..





ولم تكن العرب تسمى الرجز شعرا ولا الرجاز شاعرا ، فلا عجب أن يتهافت الشعارير فى زماننا على تفعيلته فى تأليف كلامهم ، فإن كلامهم ليس شعرا ، وليسوا هم بشعراء ..

وإنما تجيء "هرمنة" الشعر من تركيب معانيه وأخيلته وتعبيراته واستعاراته وتكثيف أصواته الوجدانية والدرامية ، لا بما زعموا من تركيب تفعيلاته وهرمنتها ، مع ركاكة كلامهم وعجمته وبعده عن طلاوة فن الشعر وحلاوته ..

وإذا لم يتسع وجدان الشاعر لتركيب المعانى والأحاسيس والصور فلن يجديه فتيلا ما يزعمه من تركيب الأوزان والتفعيلات !..

● تحذير للجيل الجديد

ولقد كان أصل كلامنا فى هذا الشأن هو التحذير من الصمم الموسيقى أو الإيقاعى - إن أردت الدقة - الذى أصاب الكثيرين من الجيل الحاضر ممن ينظمون بالتفعيلة تقليدا لشعرائها الرواد أو تقليدا لمن جاء بعقبهم من الشعراء التفعيليين الأصلاء الذين لا ينقصهم العلم بالبحور والأوزان المتكاملة ..

ونحن نتلقى فى "الهلال" نسيلا من الانتاج الشعرى لهذا الجيل الجديد الذى يجهل الأوزان المتكاملة كما يجهل أوزان التفاعيل ، ويكتب خليطا من النثر والتفعيل وهو يظن أنه يكتب شعرا تفعيليا صحيح الوزن .

وإنما جهل هؤلاء الصغار - وبعضهم كبار - أوزان التفاعيل ، لأنهم يجهلون فى الأصل أوزان الشعر العربى ، أو البحور الستة عشر التى جفت بين أيديهم ، ونحاول بدعوتنا هذه أن نعيد المياه إليها من جديد ..

وسوف تصبح بحور الشعر عند شعراء الجيل القادم ، وكذلك التفعيلات ، ألغازا عصية على أفهامهم لأنهم لم يتمرسوا بها ، ولم يعرفوها جملة وتفصيلا ، فلا فرق فى أسماعهم بين ما اعوج واختل من أوزانها ، وبين ما اعتدل واستقام ، وإيقاع الشعر فى أسماعهم كإيقاع النثر ..

وقد صرنا الآن فى حاجة ماسة إلى نهضة شعرية عربية جديدة كالتى بدأها محمود سامى البارودى قبل مائة عام فى عصر الإحياء الأدبى ، ولكن ليس على طريق البارودى ، ولا كما صنع البارودى ، فقد تغيرت الدنيا ، وتطور نظر الناس إلى الشعر ، مع كوننا فى عصر الشعارير ، وتجددت الحاجة إلى إنهاض الشعر العربى من جديد ، ولكن بأسماء أخرى وأفكار أخرى وطرائق جديدة تضاف إلى طرائق شعراء العربية جميعا ، من لدن

امرىء القيس وزهير ، إلى البارودى وشوقى واسماعيل صبرى باشا واحمد محرم وبشارة عبد الله الخورى وغيرهم ..

ولا يمكن أن يستقر الشعر العربى الجديد فى موضعه الصحيح إذا كان ذيلا للحركة النقدية ، خاضعا لديكتاتورية نقاد يعيشون فى عصر "جدانوف" .. ويصدرون مراسيم بهدم ألفى سنة من الشعر العربى ، وبناء ألفى سنة غيرها .. فهذا خيال ، بل خبال .. ومن حسن الحظ أن هذا ليس فى طوق أحد من البشر ، ولو كان ناقدا من أصحاب الفرمانات والمراسيم التى تجاوزتها تطورات الفكر المتقدم فى كل مكان ..

● استيعاب الأوزان

وبعد فإنى أتقدم بنصيحة للشعراء الجدد تقدمت بها مرارا من قبل ، رجاء أن ينتفعوا بها إذا شاءوا .. وفحواها بإيجاز أن يبدأ الشاعر التفعيلى حياته الشعرية باستيعاب الأوزان المتكاملة للشعر العربى فى الدواوين الزاخرة للشعراء المجيدين الذين لم يتحيفهم ضعف ولا فسولة ، حتى تنطبع الأوزان والتفعيلات بإيقاعها الصحيح فى وجدان الشاعر الناشىء ، فإذا حصلت له الملكة الصحيحة فيها كانت هى الأساس الذى يستند إليه فى نظم الشعر التفعيلى بأوزان لا غبار عليها ، ثم ينطلق فى سبيله كيف شاء ..

وإذا تثاقل الشعراء الجدد عن هذا العمل الذى لا يكلفهم شيئا ، فسوف يعض بنان الندم كل من يمتد به العمر منهم ومنا حتى يرى الشعر العربى فى القرن الواحد والعشرين ، نثرا خالصا من كل وزن ، بعيدا حتى عن رونق الأسجاع القديمة عند الحريرى والهمذانى والقاضى الفاضل ، خاليا حتى من أبسط أشكال الميلودى ، فضلا عن الهارمونى الذى يزعمه الزاعمون الآن !

ولم ينته كلامنا ، ولكن لا رغبة بنا فى مواصلته والأسماع صماء ..

لقد أسمعت لو ناديت حيا
ولكن لا حياة لمن تنادى

٤ قصوصة

بقلم

عبد الحكيم قاسم

الأمر الواقعي

همـا ولدا عمي «محمد ومحمود» نقعد في مصر، لا نترك اسلاك الهاتف تبرد من حرارة عواطفنا الا واتصلنا ببعضنا مرة اخرى ، كيف الحـال ؟ والعيـال ؟ لم اركـ من زمان ؟ واضع السماع واشـرد نواحي بلدنا وسنوات اليفاعة - كان ابوهما يعزني معزة ابنه الكبير ، واذا يرآني مقبلا يقوم مسلما مرحبا مهللا بصوت يفيض فرحـة ، ويجتمع النـاس على وعليه ، واجلس اليهم ، ويجلس الينا محمـد ومحمـود ، ونحن فرحانون باجتماع الاهل والاحباب في الباحـة المؤطرة بالنور ،بالنعمة الانسجام العـام الذى يشمل الريف وناسه ..! يتنادون من على الابواب، يضحـكون برفق ، ويتشـاتمون في المزاح برفق،ويخرجون بطعامهم الى امام دورهـم ، ويتعازمون بحـرارة ، ويتقاولون بالعزم على الضـيف الغريب ، ويسرف هذا في التابي، فيحزنون .

لقـد مات عمي ، وجرحني بموته ، وباع ولداه منزلهم ، حـزنت لذلك ، الجـرح البالـغ بقي رابطي بالجنة قدام



باب بيته · ارامق البيت وسكانه العزب ، وامشي وفي قلبي يبقى المطرح والدور المجاورة ،وولداه اللذان يحملان في القاهرة، لا اترك اسلاك الهاتف تبرد من لهفتي عليهما ·

نلتقي في البلد كل ان نفرح باللقاء ، ونتعانق، ونضحك من كل قلوبنا، ونرتدي الملابس الريفية، ونتيه بازيائنا وباحتفال الناس بنا ، يا سلام على الصلة التي تبقى تصلك بالارض ، تصلك باصولك الريفية لا تنقطع ، نروح هناك نغتسل من الملالة القاهرية ، من كر الايام وشبه الايام ببعضها · ثم نعود ريانين بالريف شبعانين، اغتذت ارواحنا فتفيض في ثرثرة على اسلاك الهاتف ، ثم لا نلبث الا ان نشتاق الى السفر مرة اخرى ·

لماذا يسافر كل واحد منا بنفسه ، لماذا يسافر كل منفردا ؟ لماذا لا نسافر جمعا ؟ تقابلنا في باب الحديد، وقد اخذنا العزم على بدء المتعة بزيارة البلدة في قلب القاهرة نفسها· تقابلنا ، وضحكت لما رايتهما يلبسان الجلابيب البلدية ، اتتعجلان بارتداء الزى ؟ ضحكا من كلامي وانتفخاوطالت قامتاهما تيها ، وجلسنا في القطار نثرثر على متعتنا المرتقبه ، نجلس في الباحة ويلتم علينا الناس ، فلان وفلان وفلان ، كل مشوق ليسمع منك وكل مشوق ليحكي لك · كل مصر على ان يقريك ، يحلفون عليك ان تاكل عندهم ويصرون على حلفانهم ، والواحد يتابى وكلما اشتدت العزيمة اشتد الواحد في تابيه ، حتى ينكسف الواحد منهم، ينكسر بما لم تجب عزيمته ·

رويدا رويدا يفتر حديثنا ، وبدا الواحد منا يتقلق ، وتزاحم الكآبة مشاعر الفرح · نضحك هنا وهناك ، نغالب كآبتنا ، لكن لا سبيل ، فان في القلب ثقل من ناحية الحقيقة · ان الواحد ضيف متعلق برغائب مضيفه ، لو زفر تركت انفاسه بصمات على زجاج روحنا المصقول فتتغبش · لكننا نتذكر الحمية والحماسة، نشد الذكريات على اعتام ارواحنا ، حتى وصلنا الى طنطا ··

نزلنا الى المدينة ، اهي بالغة الروعة ام نحن نضيف عليها من فرحنا · هذا غاية نزهتنا ، زيارة طنطا ايام كنا في البلد ، ومولد السيد البدوى والحلوى وغداء من الفول والطعمية ، فاذا محمد الاخ الكبير يقول:

ــ لناكل لقمة هنا قبل ان نذهب الى البلد

شدهت لكلامه ، واستعجبت ! ثم صبتيقظ في نوع من الحانير ، فسالته مكتئبا لردة المتوقع ، قلت له :

ــ لماذا ناكل ؟ وهم يقدمون لنا في البلد الطعام ، ويجزلونه ، ويعزمون علينا اثقل العزائم ؟ فتكلم محمد ومحمود يبتسم موافقا · بما يصف قائلا :

ــ نحن ناكل هنا ، لا ننزل على الناس بجوعنا ، انهم يعزمون علينا ، ولا نجد نحن مناصا من التابي ، ويعزمون علينا بطريقة تضخم فيه التابي فحتى اذا بلغ تابينا ذراه حزن الرجل وانصرف

استيقظت في نفسي غصة قديمة ، غصة غالبتها لتبقى سكتي الى الريف موطاة

قلت له :

ــ ماذا لو اكلنا ؟

قال ابن عمي :

ــ العزومة والتابي ، فاين المخرج ؟


حلمي التوني
٨٦

العمدة فوق المسرح

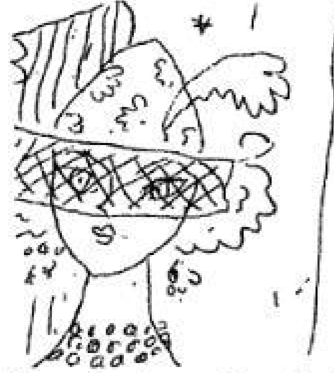
بقلم :

د. نجوى عانوس

رسم : الفنان حلمي التوني

كان المجتمع المصرى قبل تولية الخديو اسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩ م) كسائر المجتمعات الشرقية قائما على الحكم الشيخى وهو ضرب من الحكم تكون السلطة فيه كسلطة الأب فى منزله بجميع مميزاتها من سيطرة تكاد تكون غير محدودة ، وواجبات نحو الجماعة غير معينة وحقوق فى تمثيل الجماعة مطلقة غير مقيدة ، وكان مشايخ القرى الذين هم محور النظام الاجتماعى كله يعولون على هذه السلطة فى قراهم

انحلت حياة القرية الجماعية على اثر التغيرات الاقتصادية وظهور القانون الشخصى الأوربى كان من الطبيعى ان يضمحل نفوذ الشيخ وذلك عندما انشأ اسماعيل المحاكم الجديدة التى جمعت بين الفلاح والقانون فظهرت وظيفة « العمدة » فى عصر اسماعيل ، اذ جعل الى جانب المشايخ فئة كبيرة من الملاك الكبار تسمى بالعمد تتمتع بالرئاسة على المشايخ استمد المويلحى فى « حديث عيسى بن هشام » شخصية العمدة من الواقع المصرى فى الفترة الأخيرة من القرن التاسع عشر وفى عهد الخديو توفيق ابن اسماعيل ، وهو العمدة الذى جاء من الريف الى القاهرة (المدينة) وجيوبه مملوءة بثمن القطن فيندفع الى بيوت القمار ويقيم مغامرات مع الراقصات اللاتى يسلبن ماله ويعود نادما الى قريته كما يوضح خضوع العمدة الواضح لاستغلال الطبقة المستثرية فى المدينة .



استمد يعقوب صنوع فى ١٨٧٨ شخصية « شيخ الحارة » او شيخ البلد » من الواقع المصرى وجعلها الشخصية الرئيسية فى لعباته التياترية وهى عبارة عن مسرحيات قصيرة نشرها فى صحف أبى نظارة زرقا ورمز بهذه الشخصية الى الخديو اسماعيل وربما اطلق عليه هذا اللقب لضعف سيطرته على مصر فى عهد التدخل الانجليزى ، فشيخ الحارة فى لعبة « القرداتى » يمثل الوسيط بين الأهالى والسنجق التركى الذى يجبر الاهالى على دفع الضرائب .

وفى بداية هذا القرن نجد شخصية العمدة يقوم بتمثيلها نجيب الريحانى فى ١٩٠٨ ، اذ كان يمثل هذا الدور فى فرقة جالتزى الفرنسية التى كانت تمثل على مسرح عبد العزيز ، ويمثلها ايضا شخصية الشيخ عاشور للفنان الشعبى عبد القادر سليمان الذى قدم فاصلا بعنوان « الشيخ عاشور » فى مقهى شيبان بالاسكندرية عام ١٩١١ اذ يصف النص محاولة عشيق الحصول على الفتاة التى يهواها رغم اصرار ابيها على تزويجها من صديقه العمدة الثرى عاشور ويحضر العمدة وخادمه الى القاهرة لرؤية عروسه .

ونجد شخصية العمدة الثرى فى مسرحية « ملك وشيطان » قبيل الحرب العالمية الأولى فى ١٩١٢ للكاتب المسرحى عباس علام ، والعمدة هنا بالرغم من جانبه الموهوب بين الفلاحين الا انه يرتمى فى احضان الطبقة الحاكمة والباشوات ويتقرب الى موظفى الادارة العليا وتقربا الى هذه الطبقة يرغم ابنه « حليم » العائد من اوربا على العمل فى وظيفة حكومية كما يرغمه على الزواج من ابنة احد الباشوات وهى فتاة متفرنجة ارستقراطية فينشأ صراع بين حليم المتمسك بالتقاليد الشرقية وبين زوجته الغربية الطباع ينتهى بتطليقه اياها والزواج من ابنة عمه .

انعكست الظروف الاقتصادية على شخصية العمدة فى المسرح المصرى فارتبطت بزراعة القطن واعتمدت على انخفاض او ارتفاع اسعاره ، فعندما اعلنت انجلترا حمايتها على مصر اثناء الحرب العالمية الأولى فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ وفرضت الأحكام العرفية وساءت الأحوال الاقتصادية وعم الكساد واشتد الضيق بالمزارعين ضعف تيار المسرح الجاد اذ كان الجو خانقا فى مصر يضيق به الشعب غاية الضيق فكان طبيعيا ان تنجح الميول الى طلب التسلية والترفيه وان يسود تيار المسرح الضاحك .

وفى هذه الظروف برزت شخصية « كشكش » كمنظومة معادلة للتغير الاقتصادى والقلق الاجتماعى .

وفى ١٩١٦ اتفق « عزيز عيد » مع امين صدقى ان يضع له مسرحية مصرية تمثل حادثة من صميم الريف فكانت القرية الحمراء وابطالها عمدة كفر البلاص

وخفير وابنة الخفير فتاة جميلة ، تدعى « عين ابوها » وتعمل الفتاة فى خدمة العمدة الذى يحبها ويغتصبها فيثور ابوها الخفير ويقتل ابنته وقد مثل عزيز عيد دور العمدة ومثل الريحانى دور الخفير ومثلت روز اليوسف دور عين ابوها .

توضح هذه المسرحية استغلال عمد الريف لمراكزهم فى سبيل تحقيق ملذاتهم .

وفى اول يونيه ١٩١٦ اخرج الريحانى اول مسرحيات « كشكش » بعنوان « تعالى لى يابطة » ثم « بستة ريال » « بكره فى المشمش » .

ونجد « كشكش » فى « خليك تقيل » فى ١٩١٦ يقوم بمغامرة مع عشيقة فرنسية تدعى « تريز » وتقوم الحماة « ام شوع » بمراقبته ويستطيع « كشكش » فى نهاية المسرحية بذكائه وبأساليبه الساذجة الشريفة كشف خداع عشيقته الاجنبية وكشف حيل « القواد الاجنبى » ويأمر خادمه « زعرب » بضرب العشيقة الخائنة .

اتجه ابراهيم رمزى الى الكوميديا فكتب « دخول الحمام مش زى خروجه » فى ١٩١٦ و« عقبال الحبايب » فى العام نفسه وتدور المسرحيتان حول شخصية العمدة الذى جاء الى القاهرة وجيوبه مملوءة بثمن القطن فتحتال عليه زوجة الحمامى « زينب » فى دخول الحمام وتسلب ماله وتحتال عليه الخاطبة « فاطمة » فى عقبال الحبايب وتسلب ايضا ماله .

● مشعوذون ودجالون

وبينما ظهر بعض المشعوذين فى اثناء الحرب العالمية الأولى ـ الذين يدعون معرفة علم الكيمياء وانه بامكانهم تحويل النحاس الى ذهب واتسع مجال التدجيل والشعوذة والتنجيم نتيجة للحرمان والفقر اذ قويت الاحلام بالفرج فاتجه المصريون الى الدجالين لتحويل احلامهم الى واقع .

يتنبأ الدجال فى مسرحية « ام احمد » لنجيب الريحانى بزواج ام احمد من رجل مصرى كبير السن يرتدى عمامة ، نحيف القوام ، ابيض اللحية وذلك بعد ان تزوجت من الهندى والشامى والمغربى والفارسى وهربت منهم جميعا .

ويحضر « كشكش » تحقيقا للنبوءة، فيغازل ام احمد ويتباهى بجنسيته المصرية ، فيذكر ان جنسيته مصرى ، وديانته ايضا مصرى وبالرغم من ظهور « برهوم » الشامى زوج ام احمد الأول والأعجمى الزوج الثانى والهندى الزوج الثالث والمغربى الرابع ترفض الزواج منهم جميعا وتتزوج من كشكش المصرى وتنتهى المسرحية بأغنية توضح الدرس المستفاد منها .

أدى أعظم درس ياجاهل رأيته
سيب جيرانك كل واحد جوه بيته
ليه تجوزه على غيرك تخطف منه ماله
دا اللى مش على خاطرى بعيد عنك تطوله
خلى دين الانسانية يبقى دينك يابن عمى
وقتها اعطيك حياتى وكمان افديك بدمى
حط ايديك مع ايدى بالمحبة اللى بيننا
سعد مصر اليوم حايبقى نور وزينة

ويعود كشكش ليصبح شخصية قومية فى ١٩١٨ معبرة عن الجماعة وآمالها اذ اخرج الريحانى « حمار وحلاوة » .

تتناول المسرحية حكاية « كشكش بك » عمدة كفر البلاص الذى راح فى غيبوبة تحت تأثير مخدر ورأى انه قد اصبح ملكا

يحل مشكلات الرعية الذين يشكون اليه سوء الحال والفقر ، ويعكس هنا كشكش هموم الجماعة واحلامهم فى حاكم عادل فكشكش هنا يحلم بحياة افضل ويشعرنا بالقلق فلا نطمئن الى واقعنا بل نطمع فى تغييره ونرفضه فالحلم يؤدى الى التمرد والثورة ، وفى عام ١٩١٩ اندلعت ثورة من اخطر الثورات فى تاريخ مصر الحديثة وكانت الطبقة البرجوازية اول من استجاب اليها وهنا جعل الريحانى من كشكش رمزا للمقاومة فى صراع المصريين ضد الانجليز ، فيدور استعراض « اش » حول كشكش الذى يفقد كل امواله على مائدة القمار ويضطر الى الاستدانة من احد (الخواجات) وعندما يعجز عن سداد دينه يلجأ الى بيع ارضه ولكنه ينجو من الافلاس حيث يهبط عليه ميراث فى آخر لحظة يصور كشكش احتيال اليونانى عليه .

كشكش : خرالمبو شاف جيبى معمر
راح دغرى واقف متسمر
ع العزبة عينه بتدور
قال لى العب بارتيتة بوكر



يابيه اشرب جونى ووكر
شربت ، سكرت ، خسرت
لما وقعت فى حيص بيص .
وعنها وكمبيالة كانت جنبى محضرها .

ويوضح العمدة فى «القضية نمرة ١٤» من تأليف امين صدقى الفارق بين شخصيتهم فى ١٩١٤ وشخصيتهم فى ١٩١٩ ؛ يقولون :

عمد : عمدة الأيام دى ياويكه بطل امور البولوتيكة وشاف أن الخبص هتيكة بده يشوف طين اجداده ، بده يربى ولاده ، ويخدم وطنه وبلاده . كانت السنوات من ١٩٢٠ إلى ١٩٣١ سنوات الوفد فى صراعاته مع القصر والانجليز ومع حزب الأمة ولم يكن هذا الصراع إلا انعكاسا للصراع بين طبقة الأعيان أصحاب المصالح الحقيقية والبرجوازية الصغيرة والمتوسطة التى كونت نسيج حزب الوفد وانتصر القصر لاصحاب المصالح بعد تصريح ٢٨ فبراير وجاء دستور ١٩ ابريل ١٩٢٣ حاميا لطبقة الاعيان .

تخلى الريحانى عن «كشكش» ، إذ صار نموذجا باليا ، واتجه إلى الشخصيات الواقعية والاستعانة بنماذج الشعب فقدم ميلودراما «ريا وسكينة» ؛ ويشكك ناقد معاصر فى نجاح الريحانى فى التمثيل الجاد فيقول :

«ونجيب كشكش بك هو الكل فى الكل على المسرح ، ولكن نجيب قد نتف لحية كشكش بك واقسم الا يعود إلى الجبة والعمامة والقفطان فهل سينجح فى التمثيل الجدى ..» .

قدم امين صدقى شخصية العمدة فى مسرحية «الانتخابات» فى ١٩٢٢ ؛ فهو «رمضان بيه سالم أبو حويجه الدنف من اعيان برما غربية من جهة طنطا ، يساعد

«رجب» وحزبه «حزب المقايسبين» فى الفوز فى الانتخاب ، وهنا يتضح دور الاعيان فى السيطرة على الاحزاب وفى الانتخابات .

بعد فشل الريحانى فى التراجيديا والميلودراما ـ فيما عدا ريا وسكينة ـ يعود إلى شخصية كشكش ولكن جمهور المسارح فى عام ١٩٢٧ يختلف عنه فى السنوات السابقة ؛ فأغانى كشكش واستعراضاته قد اصبحت مبتذلة . قدم كشكش فى فبراير ١٩٢٧ استعراض فرانكو أراب تحت عنوان «ليلة جنان» ثم قدم «علشان بوسة» .. فى العام نفسه . ونجد «كشكش» فى هذه المسرحية يغازل امرأة فى احد محلات الملابس ويقبلها ، فتصرخ المرأة وتستغيث فيضطر كشكش إلى الهرب والاختفاء فى أحد أركان المحل حتى يعرف من صديقه «سفروت» بائع بالمحل ـ ان زوجها رجل غنى من الاعيان وقد ابلغ البوليس والحكمدارية والنيابة للقبض عليه ويقترح سفروت عليه التخفى فى شخصية بائع ملابس يونانى وبطبيعة الحال ينتهز الريحانى هذه الفرصة لكى يقدم فئات مختلفة من الوافدين لشراء الملابس ساخرا منهم موضحا عيوبهم ، ويقع «كشكش» فى الكثير من المفارقات المضحكة لعدم درايته بهذه المهنة ؛ ويتشاجر مع «ام شولح» التى تطلب شراء «برنيطة» تقليدا للاجنبيات ، وأخيرا يختبىء «كشكش» . فى صندوق ملابس أميرة هندية تدعى «تنجانوره» وهنا يسخر «كشكش» من الجنرال الهندى الذى يقوم بسرقة سيدته ، ويحمل «الجنرال» الصندوق إلى الهند وهنا يصف لنا «كشكش» الهند ، مثله مثل بطل حكايات الف ليلة وليلة الذى يقوم برحلات إلى جزيرة الواق واق ، مثلما نجد فى الليالى بيئات متعددة بين الخيال والمعلومات الصحيحة المشوهة . وهنا يطلب العودة إلى مصر :

كشكش : قولولى سكة مصر فين .
الامير : سكة مصر .
الجنرال : ايوه يامولاى .
الامير : وانت جاى من مصر هنا تعمل ايه .
كشكش : عارفين ايه اللى جرجرنى هنا علشان بوسه .

واستمر الريحانى يقدم استعراضاته حتى عام ١٩٢٩ حيث عانى العالم وتئنذ من أزمة اقتصادية عنيفة تطاير شرورها إلى مصر ظهرت هذه الازمة فى نيويورك عام ١٩٢٩ عقب انهيار مفاجىء فى اسعار البورصة وتأثر الاقتصاد المصرى بالكارثة وانخفضت اسعار القطن وحيث اقبل الجمهور المصرى على الترفيه والتسلية للاضحاك .

وفى ١٩٣١ اتجه «الريحانى إلى الكوميديا الجادة فى «الجنيه المصرى» التى اقتبسها عن مسرحية «توباز» لمارسيل بانيول ليعالج عيوب المجتمع ويناقش مشكلات الطبقة البرجوازية ، فبطلها «ياقوت» يعمل مدرسا فى إحدى المدارس الابتدائية ، ولكن لم تلق هذه المسرحية اقبالا من الجمهور لحاجته إلى الترفيه والتسلية .

وفى ١٩٣٧ قدم استعراض «الدنيا على كف عفريت» وحاول أن يمزج فيها عناصر الاضحاك والاستعراض بنقد المجتمع وتوضيح سلبياته اعنى بين الفارس والكوميديا الاجتماعية الجادة فتوضح المسرحية شخصية العمدة

«كشكش» رئيس محكمة كفر البلاص ، فهو يرفض مقابلة الفلاحين ، يقضى ليله مع اصدقائه وأهله فى المسامرات وتبادل النكات وينام نهاره ، ويعرفنا أحد الفلاحين بأعضاء المحكمة :

قاضى الغرام مغربى واللى شهد هندى
وفضلت ابرطل بكـام او ذى وكام جندى
ضيعت فـى الرشـوه تلتين اللى كان عندى
وطلعت فـى الحكـم لاشندى ولا بندى

يحاول اليونانى «نيقولا» استغلاله وشراء القطن منه بأرخص من ثمنه لكنه يفشل ، وينتقل «كشكش» وخادمه «زعرب» إلى القاهرة للبحث عن وريثة العمدة السابق الثرى ؛ وهنا يوضح الامراض الاجتماعية التى انتشرت فى القاهرة فى أعقاب الحرب العالمية الاولى .

وفى أثناء الحرب العالمية الثانية هبط سعر القطن وكسرت الحرب إلى حد ما الاقطاع الزراعى وانتعشت الصناعة المصرية والرأسمالية المصرية وظهرت طبقة الاغنياء المحدثين وكانوا هدفا لهجوم الريحانى الذى تحمس وقتئذ إلى قضية الفقراء والانسان الصغير وهو موظف الحكومة وكاتب الحسابات والمدرس وبالتالى اختفت شخصية «كشكش» .

ظهرت فى أثناء الحرب العالمية الثانية شخصية «عبدالرحيم كبير الرحيمية» لمحمد التابعى ، وهى اقرب إلى شخصية «شيخ البلد» منها إلى العمدة وهو ريفى ساذج ، طيب القلب ، محبوب من الفلاحين . يسافر كبير الرحيمية فى «عبدالرحيم فى باريس» ومعه «خادمه» «شولح» إلى باريس للعلاج تقليدا لـ «عبدالحفيظ كبير «الحفيظية» ، وقبل سفره يحل بعض مشكلات اهالى القرية حلولا أقرب إلى حلول قراقوش فى كتاب «الفاشوش فى حكم قراقوش» لابن حماتى ، وبينما يشكو الفلاح (ابن البلد) من الخواجة «خرارمبو» يتحيز العمدة إلى الفلاح ويأمر بنفى الخواجة واغلاق خمارته .

يغازل «عبدالرحيم» فى باريس فتاة فرنسية ويطلب منها العودة معه إلى مصر فتوافق وعندما يعود بالفرنسية إلى القرية يغضب الأهالى ويرفضون تقديم الهدايا احتفالا بعودته وتغضب أيضا زوجته خضرة ، فيعطى كبير الرحيمية الفتاة إلى اليونانى «خرارمبو» للزواج منها ، فهى من جنسيته ، ويعمل على ارضاء أهل قريته .

وفى «الامير خروب» يقوم بدور العمدة الذى فقد ماله فى لعب القمار واضطر ان يعمل بائع «جاوى وقاسوخ» ، ويسافر إلى «زنجبار» حيث يعينه الشعب هناك ملكا عليهم .

وبنشاط اعمال الفدائيين قامت ثورة ١٩٥٢ ، واعلنت الجمهورية وابعد الملك والغى الحكم الملكى ، كما صدر قانون الاصلاح الزراعى بتحديد الملكية الزراعية تمهيدا للقضاء على الاقطاع وبالتالى اختفت شخصية العمدة فى المسرح المصرى وانحصر الاهتمام حول الطبقة البرجوازية والفلاحين .

وبهذا أكون قد عرضت عرضا سريعا موجزا لتطور شخصية العمدة فى مسرحنا المصرى .

ندوة الهلال

تقديم
عاطف مصطفى

الأديب الكبير يحيى حقي :



النقد الانطباعي ، من أخطر التهم التي واجهت أديبنا الكبير يحيى حقي ، لذلك استبعد اساتذة الجامعات اسمه ، كرائد من رواد النقد الأدبي ، في حين احتفلوا بصغار النقاد ، وهواة القص واللصق !

هذه القضية الخطيرة يتحدث عنها ، فضلا عن قضايا هامة تضع شبابنا على الطريق الصحيحة ، وليترسموا خطى الرواد ، لكي تخرج أعمالهم الأدبية بعيدا عن التزييف ، وتغوص في باطن تاريخنا العربي والاسلامي ضرب يحيى حقي امثلة لذلك ابرزها إبداع محمد المويلحي في القص واعتبره رائدا في هذا المجال ، واشار الى جهود الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد الذي بدا فقيرا ، وحقق شهرة واسعة في مجال العمل الصحفي .

تراثنا وتاريخنا

مادة خصبة لأدبائنا الشباب

قال يحيى حقى عن كتابه الذى صدر اخيرا بعنوان «صفحات من تاريخ مصر» لقد فعل معى فؤاد دواره، مافعله محمد المويلحى، حين مر على القرافة فاستخرج رجلا تركيا قديما اسمه السلاملكى، وهو فى الواقع قد اخرج اللغة العربية الفصحى فى ذلك العصر من القبر، وأدخلها المدينة لتعرف كيف تكتب.

هذا الكتاب ليست قيمته فى انه جزء هام من تاريخنا وتاريخ القصة، بل يجب ان يدرس دراسة لغوية متأنية، ولحسن الحظ فهو مسبوق بمقدمة شيقة كتبها الاديب الراحل عبد الرحمن صدقى، الذى ظلم فى الدراسات الأدبية، ولم يتحدث عنه أحد كشاعر ومترجم.

إن شخصية محمد المويلحى تخامرنى دائما، وافكر فيها طويلا، ودائما اقول للشبان الذين يزورونني.. احيانا قد لايواتيكم الوحى، وليس ضروريا أن تقفوا مكتوفى الأيدى، بل امامكم فرص عديدة فى استخدام الأسلوب القصصى فى كتابة السيرة، واحق الأشخاص عندكم بكتابة السيرة، هو محمد المويلحى.

وكتابة السيرة باسلوب قصصى مخرج للشباب، اذا ارادوا أن يستخدموا قلمهم وموهبتهم القصصية، فى موضوع لايحتاج الى وحى او إلى فكرة جيدة ولدينا فى الآداب الغربية كتب عظيمة جدا، ومؤلفون عظماء جدا كتبوا السيرة باسلوب قصصى، يجمع مابين الأدب والتاريخ والقصة وبلا شك فإن العبرة بالأسلوب الأدبى والتصوير الذى يكتبه المؤلف.

■ فؤاد دوارة: هؤلاء الكتاب الذين تطالبهم بأن يكتبوا بنفس الصورة التى كتب بها محمد المويلحى، ماهى المصادر التى ينبغى أن يعتمدوا عليها؟

●● يحيى حقى: لدينا مرجعان.. مايكتبه الشيخ عبد العزيز البشرى، وأيضا مايكتبه أنور الجندى.

ومع الأسف الشديد فاننا لانحتفي ولانهتم بوثائقنا ومستنداتنا ، وعلى سبيل المثال حينما نذهب الى دار المحفوظات بالقلعة لانستطيع أن نحصل بسهولة على ملفات الموظفين .

وحينما كتبت عن محمود طاهر لاشين ، ذهبت الى القلعة « دار المحفوظات » وطلبت ملف خدمته ، لأنني أعتبره مرجعا من أهم المراجع ، ونفس الشيء وبجهد أكبر فعلت ذلك بالنسبة للفنان المسرحي الراحل نجيب الريحاني ، والذي يود البحث عن شيء هام ، ينبغي أن يبذل جهدا للحصول على المعلومات المطلوبة .

إن الحصول على المعلومات والوثائق عندنا أصبح مشكلة ضخمة ، فلا تتيسر المعلومة الصحيحة المطلوبة ، وعلى عكس ذلك تماما تجد في أوروبا أناسا متفرغين لحفظ وثائق الدولة ، وقد شاهدت في بعض مكتبات بفرنسا كيف يحتفظون باعلانات للمسارح مضى عليها أكثر من ثمانين عاما ، حتى تذكرة الترام يحتفظون بها ! ..

وجمع الوثائق مظهر لشعور الأمة بأنها أمة ، ولوجود أشخاص لديها ينبرون للعلم ولطلبه .

■ **الهلال : هنا يمكن القول بان المشكلة التي تواجهنا هي التآكل الذي حدث في دار الكتب ، وفي الوثائق الموجودة بالقلعة والتي لم تعد منظمة بحيث لايمكن الرجوع اليها او الاستفادة منها .**

●● يحيى حقي : لقد حاول الملك فؤاد - هذا الرجل الذي لا أحبه - في وقت من الأوقات إعادة نشر وثائق محمد علي ، ونشر منها الجزء الأول بالفعل ، وحينما قرأتها اندهشت ، حيث وجدت محمد علي يكتب لممثله في المنيا قائلا « عندك كام كيس تبن ! » ولايمكن بالتالي ان تعرف شخصية محمد علي إلا إذا قرأت هذه الرسائل وهي مطبوعة لحسن الحظ .

■ **د . مصطفى ماهر : لقد أشرت إلى محمد المويلحي ، وفسرت حركته بانها من وجهة نظرك هي احياء اللغة العربية القديمة (الفصحى) .**

●● يحيى حقي : أود القول بأن اللغة العربية ليست قديمة ، وليست حديثة : اللغة العربية ، لغة عربية واحدة ، خلقت ومستمرة ، وهذه أعجوبة من الأعاجيب .. إقرأ القرآن واستخرج منه مائة كلمة

● صحافة العشرينات أعطت الأدباء اهتماما أكثر مما نراه الان !



يحيى حقي : ابواب الخير الفردية اغلقت

فقط وعلى الفور تكاد تقول إنه مكتوب بلغة اليوم . فكيف يمكن ان تعيش لغة على مدى ١٤ قرنا من الزمان وهى محتفظة بهذه القدرة على الاستمرارية ، وهذا مايشبهه الانسان بأن شخصا يحمل على ظهره كنزا ضخما مثل خزانة حديدية ، وهى عبء كبير فى حملها ، والمشكلة مع اللغة ، كيف نجمع مابين هذا الكنز الهائل جدا الذى أمامنا وبين أن نستخدمه ! ..

■ د . مصطفى ماهر : لكن فى حالة محمد المويلحى نلاحظ انه كان فى موقف صعب ، هو استخدام اللغة العربية ، كما استخدمت فى المقامات القديمة ، ومحاولة استخدام هذه اللغة فى قالب قصصى جديد ، بمعنى انه أحس بأن هناك ضرورة لأن تكون هناك قوالب جديدة ، فما هو التجديد الذى كان يقوم به المويلحى .

●● يحيى حقى : إن المشكلة التى واجهها المويلحى تجىء من ناحيتين : أن هذا المجتمع تلقى تأثيرات أجنبية فنقول مثلا (اجزخانة) ولانقول (صيدلية) فهذه الالفاظ جاءت من خارج اللغة العربية ، ثم نشأة اللغة العامية الدارجة وتداولها بين الناس ، بحيث ان المقابل للغة نسى .

إن أركانا كثيرة فى حياتنا العامة لانعرف كيف نستخدم فيها اللغة العربية !

وعلى ذكر الشخصيات التى ينبغى ان يكتب فيها الشيخ على يوسف صاحب « المؤيد » هذا الرجل أتى من صعيد مصر وهو فقير ، وفى أواخر أيامه نجده صاحب جريدة المؤيد ، التى كانت تكتب بأسلوب من أرقى مايمكن ، وكانت الجريدة توزع فى جميع البلاد الاسلامية فى اسيا وافريقيا ..

كتبت فى « فجر القصة المصرية » يوم اشترى الشيخ على يوسف مطبعة من أوروبا واحتفل بها احتفالا هائلا ، وطلب من الأعيان الحضور لمشاهدة هذه المطبعة ، وفى أواخر ايامه تزوج بنت الشيخ السادات ، وقالوا له انت غير كفء لها ، ولابد أن تطلق ، وينبغى أن تخرج من بيتك وتذهب إلى بيت شيخ الأزهر ، حتى يمكن الفصل فى القضية ، وكانت قضية اسمها « حسن أبو على سرق المعزة ! » وأطلقت هذه المقولة على الشيخ على يوسف ! .. وفى أواخر حياته قال : إننى أتنازل عن كل شيء وأكتفى بمشيخة السجادة الوفائية !

هذان المثالان .. محمد المويلحى وعلى يوسف يمثلان عصرا دراميا ، يستحث كاتب القصة على أن يجرب قلمه .

■ **ابراهيم اصلان : هناك استفسار بسيط ، بغض النظر عن قواعد الصرف والنحو ، فى مفهومك للغة القص ، هل تبحث عما هو فصيح ام عما هو دقيق ؟**

●● يحيى حقى : ألجأ إلى العامية أحيانا ، وأنا لست « غاوى » لغة ، ولكننى أبحث عن الفكر الذى وراء اللغة ، فاذا كانت اللغة مائعة ، فان الفكر مائع ، واذا استلزمت أن تكون اللغة دقيقة جداً ، فمعنى ذلك أن فكرك دقيق ..

■ **الهلال : فتحى رضوان رحمه الله قال عنك إنك أعظم من يكتب المقال ، القصة ، ويتمثل فى كتاباته دائما تقنية القصة القصيرة .**

■ **محمد روميش : يحيى حقى يتمثل دائما فى كتاباته تقنية القصة القصيرة ، وهذا طبيعى لأنه يعرف كل اشكال الكتابة الأدبية قديما . لكن هواه مع القصة القصيرة ، ومن**

● أضع أمامى قواميس اللغة ، فهى معينى للكلمة التى أريدها

● نقدت مجموعات قصصية على مدى ست سنوات بقلم : كاتب مجهول !

الطبيعي أن يتأثر في كتابته للمقال بتقنية القصة القصيرة .

●● يحيى حقي : لقد تحدثت عن تجربتي في « صح النوم » هذا الكتاب له مفتاح ألقيت به في البحر ، ولغاية الآن يجب أن أضعه في يد القارىء ، وإلا استعصى عليه الفهم ، لأنني كتبتها بعد الثورة بثلاث سنوات فقط ، وكان غرضي في هذا الكتاب التحذير من الديكتاتورية ، وبالأخص الديكتاتورية العسكرية ، وقد استدعتني الرقابة في ذلك الوقت ، وقلت لهم إنني أتحدث عن الماضي والحاضر ، والجريرة الأولى كما يتبين من الرواية أن الفن ألغي ، والمبدع الذي يبدع أصبح عازفا !

ثانيا : الفرد أصبح ملفا ، والرجل الخبير في التجارة والحدادة ، تصبوه أمينا لمخزن وهو شاعر ، وحينما أرادوا تعيين أمين مخزن لم يطلبوا مقابلة الأشخاص والتعرف على ملفاتهم ، ففي النظام الشيوعي يحول الانسان ليس من مسمار في آلة فقط ، بل ملف لاينظر اليه كانسان .

والملاحظة الثالثة : أن أبواب الخير الفردية أغلقت .. أي أن « صح النوم » فيها ملاحظات على تأثير الديكتاتورية على المجتمع ، وهذا هو الكتاب الوحيد الذي طبعته على حسابي فكل كتبي كانت تطبع مسلسلات وتباع على أرصفة ، ولاتجدها في المكتبات ، وكانت أسعارها تتراوح بين خمسة قروش وعشرة أيضا .

■ الهلال : إذن كانت هناك مشكلة توزيع .. الآن لدينا مشكلة حقيقية في القراءة ، فالكتاب يصدر ، ولكنه لايوزع ، وبالتالي فإننا نتعرض إلى نوع جديد من المشاكل !

●● يحيى حقي : شرط للقراءة أن يشعر القارىء أنك صادق وأمين ، وضربت مثلا بذلك باللغة الفصحى والعامية وفي يوم من الأيام كنت أسير في الشارع ، وكان جمال عبد الناصر يلقي إحدى خطبه ، في موقف كان الجمهور كله حول الراديوهات ومكبرات الصوت ، وكان يخطب بالفصحى ، ورأيت عاملا يستمع باعجاب ، فتدخلت أسأله .. هل هذا الكلام يعجبك ؟

قال : نعم .

قلت : هل تحب أن يقول « مرحش » بدلا من « أن يذهب » .

قال : لا .. أنا فاهم كل شيء ، فقط اتركني أسمع كل مايقوله عبد الناصر .

ومن هنا وجدت ان اللغة ليست ألفاظا ، ولكنها شعور ، فحينما يشعر القارىء أنك جاد معه ، وأنك تحترمه ، وأنك بذلت كل الجهد لاتقان عملك يحترمك فورا ..

ندوة الهلال

أما أن تزيف عليه موضوعا ، ويكون عارفا بأنك « حرامى » وتتحدث عن الأمان وداعية للاسلام ، وأنت لاتصلى ، فمن المؤكد أن الكتاب لايقرأ . أيضا أنا أرى أن الكتاب لايأخذ حقه فى وسائل الاعلام ، ولابد من تخصيص مساحات كافية لعرض الكتب ، ولقد وددت حينما توليت مجلة « المجلة » أن أخصص ثلثها لعرض الكتب .

● فى قضايا النقد ●

■ **فؤاد دواره : كل مبدع كبير فى داخله ناقد ، وحينما نتابع انتاجك نجد ان صوت الناقد عندك عال جدا ، بجانب المبدع ، وابتدأ مبكرا جدا ، بحيث يمكن القول بعد ان كاد يكتمل نشر انتاجك الأدبى ، نحس ان جهودك النقدية لاتقل عن جهودك الابداعية هل هذا صحيح ، وكيف تفسره ؟**

●● يحيى حقى : من أغرب الأشياء فى حياتنا الأدبية أننى أرسلت لصحيفة يومية ست مقالات نقد لمجموعة « سخرية الناى » ومجموعة لمحمود طاهر لاشين ، فتصور فى هذا الوقت (١٩٢٥ ـ ١٩٢٦) تقبل صحيفة يومية نشر ست مقالات نقد أدبى بامضاء كاتب مجهول ، وهذا يدلك على كيفية وجود ازدهار أدبى غريب فى هذا الوقت .

على كل حال حينما ينغمس الانسان فى مشكلات الكتابة الأدبية ، ويقرأ أى كتاب فسوف يحس تلقائيا بشعور ما ، ويريد أن يصدر عليه حكمه الذاتى الذى نشأ فى نفسه .

بالنسبة لى كانت المسألة فى غاية البساطة ، وهى أن أنقل شعورى بعد قراءة الكتاب الى مقال ، لهذا فقد بدأت مبكرا ، وسوف تجد فى كتابى « خطوات فى النقد » مقالات عن نقد ديوان احمد رامى الأول وعن الشاعر أحمد شوقى .

وبعد ذلك عشت الى وقت انهالت فيه الاتهامات على الأدب الانطباعى والنقد الانطباعى ، وحذفت من قائمة النقاد فى الجامعة . فلايذكرنى أحد ابدا ، وإذا ذكرت يقولون عنى .. هذا ناقد انطباعى ! لكن دعنى أقول بأننى الاحظ عند د . شكرى عياد ود . محمد عنانى من خلال سماعى لهما فى الراديو ، دفاعا عن ضرورة كسر القيود الاكاديمية او التعبيرات الفنية ، وأيضا أسماء المدارس والمذاهب ، للخروج الى الراحة والحرية اللذين يمثلان فى الأدب الانطباعى المنضبط .. وتسأل : ولماذا نقف عند الانطباعية ؟

أقول : إن مذهبى فى النقد ان الكتاب هو الذى يوحى بالنقد ، فإذا كان الكتاب او كانت القصة التى أقرؤها مثالا بديعا لصنعة القصة تماما مثل الترزى الذى يتقن تفصيل « بدلة » وضبطها ، فالمؤلف الذى عنده هذه البراعة ، والتى يسمونها أحيانا المغاير الموضوعى ، ندرسها من حيث فنية الشكل .

هناك مؤلف ثانٍ متبرع لدراسة الوضع الاجتماعى فى عصره مثل نجيب ، اذن ندرسه من حيث قيمته كشاهد اجتماعى .

كاتب آخر عنده ثراء فى اللغة الفصحى ، وأحيانا ألفاظ كثيرة ... علينا أن ندرسه أيضا من هذا الجانب ، ولابأس أن تجمع المقالة بين كل هذه النواحى المختلفة ، لكن يجب أن نوجه العناية الأولى لميزة هذا الكاتب وشهادته إن كانت شهادة اجتماعية او لغوية .

... انا متهم كثيرا مع محمد روميش وفؤاد دواره ، وأحيانا اذكر بعض القصص التى كتبتها بوضوح شديد ، لكننى أعترف لكم بأننى لا أذكر مقالاتى النقدية بهذا الوضوح ، فالإبداع الذاتى يحتاج الى هيجان عاطفى وعقلى ، وفى تجميع أشياء كثيرة من الداخل والخارج ، ويحتاج ذلك الى جهد كبير ليرى النور ، أما بالنسبة لعملية النقد فكأنك تعمل على البارد ، وحينما أردت أن أنقد « مصرع كليوباترا » لأحمد شوقي ابتعدت عن الأبطال ، وركزت نقدى على الشخصيات الثانوية .

■ ابراهيم اصلان : اعتبرك المبدع العربى الوحيد فى أدبنا العربى كله ، والذى له ملاحظات ذكية حول مشكلات الكتابة ، هل ترتب على اهتمامك بهذا الجانب مشاكل فى الابداع ؟

●● يحيى حقى : هذا أساس ابداعى الفنى ، إنك تجد على مكتبى اربعة قواميس على الأقل ، تجد كتاب المذكر والمؤنث ، تجد كتاب الخصائص ، تجد كل ما أستطيع أن أحصل عليه للوصول الى الكلمة التى اريدها .

إننى أقابل مشكلة تحير بعض الكتاب فى كيفية استخدام اللغة ، وأنا أتمنى من كل كاتب يستطيع أن يعثر لنا على لفظ فصيح يؤدى معنى لاتعبر عنه الا بكلام « سطحى » أو باللغة العامية ، أن يدخله فى حركة التداول وليكن هو أول ضحية ، وهناك أمل مع الاستمرار أن يدخل هذا الحرف ، لأن أساس التعبير الفنى هو الثراء اللفظى .

إن اللغة العربية من أغنى لغات العالم ، ففى مسألة الألوان والأطياف تجد عشرين فعلا واسما ، وكل فعل او اسم له معنى خاص .

وبهذه المناسبة أقول أننى أرضى أن انسي كل قصصى ، ولا أنسى أننى جاهدت جهادا شديدا فى أن تكون البلاغة نابعة من النص ذاته ، بل من داخله ، وأساس هذا الينبوع هو أن تحدد ألفاظك وتضعها فى أماكنها ...

● ● ●

توقف الرجل .. ونظر الينا ، لقد أمضينا قرابة الساعتين ، ولقد اطلت عليكم .. فعذرا ..

ولكن برغم الارهاق الذى أصاب الرجل وهو يتحدث بكل العذوبة بدت السعادة الغامرة تطل من عينين صافيتين .

فقد اضاء لنا بقنديله (القصد قنديل ام هاشم) الطريق للشباب القصصى الواعد من اجل عطاء فنى وادبى متجدد .

الحب

بين المثالية والواقعية

بقلم : أمين محمود العقاد

الحب هو واحد من المثل العليا والقيم العظمى (كالخير والحق والحرية والعدالة والمساواة وغيرها) تلك المبادىء التى نؤمن بها نحن البشر جميعا ـ مهما اختلفت معتقداتنا ومذاهبنا ـ ونرفعها الى مرتبة القداسة ، مما يجعلنا نحترمها ونأتمر بأمرها ، ومما يجعلها تتحكم ـ بطريق مباشر او غير مباشر ـ فى سلوكنا ، وبالتالى فى مصائرنا . وهى جميعا مقولات يحوطها الضباب ويغلفها الغموض



شارل بودلير

● وفى محاولة لفهم هذه المبادىء انقسم الفلاسفة إلى فريقين كبيرين هما المثاليون والواقعيون . وسوف يتبين لنا ان رأى أحدهما هو النقيض التام لرأى الآخر . وفى محاولتى لعرض الرأيين سوف أحاول أن أكون محايدا تماما بينهما . واستعنت بأقوال الرواد حينا ، وبالحوار حينا آخر ، كل ذلك حتى لا افرض رأيا على القارىء فى هذا الصراع الذى يشبه صراع الديناصورات ، وحتى



جورج برناردشو

يتوفر للقارىء حرية الاختيار . ولكنني اذكر وأحذر ان الحياد المطلق بينهما ممتنع . فلا حياد بين حق وباطل أو بين خير وشر أو بين جميل وقبيح . فان حِدتُ - في بعض الأحيان - عن الحياد الواجب فأرجو الصفح والمغفرة .

● المثالية والواقعية

التفرقة الحادة بينهما - في رأيي - هي أن المثاليين يقولون بأن المبادىء هي قيم مطلقة وثابتة ولاتخضع لظروف الواقع ، بينما الواقعيون يقولون بأنها قيم غير مطلقة وغير ثابتة (أى نسبية ومتغيرة) وتخضع لمقتضيات الواقع . والمثاليون يؤمنون بأن مثلهم الأعلى - سواء كان في داخل النفس أو خارجها - فان محاولة الوصول اليه والتحقق به هي "رحلة عذاب" محفوفة بالمخاطر وتعترضها العقبات .

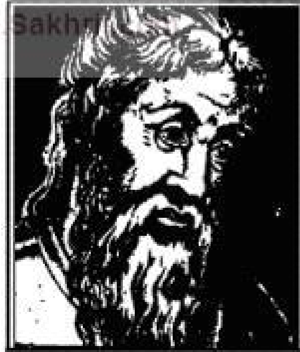
وقد اخترت ثلاثة نماذج ادبية تفصح عن ذلك المعنى ، أعرضها فيما يلى :

١ - الشاعر الكبير شارل بودلير (١٨٢٩ - ١٨٦٧) يصور ازمته مع المثل العليا قائلا :

سأظل دائما - وربما الى الأبد - كذئب وقع في كمين : أثب الى قمة المثل العليا .



هنريك ابسن



سقراط

٢ - الأديب الكبير توماس كارليل (١٧٩٥ - ١٨٨١) يرى أن المثل الأعلى في داخل النفس ، يقول :

الحق انك لن تجد في مقامات الحياة مقاما الا وله واجبه الاسمى ومثله الاعلى . فهنا ، في هذه الحالة القائمة والظروف الراهنة - على بؤسها ومهانتها ونكدها وحقارتها - نعم هنا في هذا الموقف الذى انت فيه ، يوجد المثل الاعلى الذى انت به هائم كلف . فاكدح لتحصيله واعمل لتحقيقه ، وكن حيا مؤمنا وحرا مطلقا . أجل ايها الأحمق ! ان المثل الأعلى هو ذات نفسك ، والعقبة ايضا في ذات نفسك .

٣ - الأديب الكبير ارسكين كالدويل (١٩٠٣ - ؟) يرى ان المثل الأعلى هو



بين المثالية والواقعية

""الرب الاله"" وانه داخل النفس يقول : لقد خُدعنا خدعة وضيعة فى مكان ما . لقد أفزعنا الرب فى أجساد الحيوانات وحاول ان يجعلنا نسلك مسلك الملائكة من هنا كان منشأ البلاء . ان الانسان يولد والرب الاله في صميم ذاته . فاذا حمل على ان يحيا كما يطلب اليه القسيس ان يحيا ، فعندئذ ينشأ البلاء .

هذا والكثرة الغالبة من الكتاب مثاليون . ولكن ـ مع ذلك ما أكثر الرواد الذين ينحازون الى الواقعية ضد المثالية . واذكر على راسهم برناردشو وابسن وجيته وفولتير وشوبنهور . واكتفى هنا بنموذج واحد :

الكاتب المسرحى الكبير برناردشو (١٨٥٦ ـ ١٩٥٠) يفرق بين الواقعى والمثالى قائلا :

الواقعى هو الشخص الذى لديه الشجاعة الكافية لمواجهة الحقائق التى يرتعد منها المثاليون . ولا عجب إذا كان المثالى والواقعى لا يتفقان . فالمثالى يقول : الواقعية معناها الانانية : والانانية معناها فساد الأخلاق . والواقعى يقول : المثالية ما هى الا حديث اجوف و "وجع دماغ" على لاشىء وهو يعتبر ان هذه المثل والمبادىء ليست سوى ملابس مهلهلة قد بليت من كثرة استعمالها . وهى تعوق تقدم الانسان بدرجة لاتحتمل .

(كتابه : جوهر الابسينية ـ من فصل بعنوان : المثالية والمثاليون)

● حوار بين مثالى وواقعى

ـ عندما حكم الاثينيون على سقراط بالموت ، نصحه الواقعيون من أمثالك بالهرب والنجاة بجلده ، ولكنه رفض . لماذا ؟ لأن المبادىء والمثل العليا هى كل شىء فى الحياة . لقد ضحى بنفسه فى سبيلها فمات شهيدا . أليست هذه هى المثالية فى اروع صورها ؟

ـ سقراط رائد كبير . وكل رائد هو "نسيج وحده" انه دائما عبد لمبدئه وقدوة لأتباعه . وسقراط رجل كرس حياته كلها لمبدأ الفضيلة . فكيف يرتكب عملا غير فاضل ؟ لقد تصور أن هربه من الموت يهدم تماما ذلك البناء الشامخ الذى أفنى عمره فى اقامته ، كما يجعله قدوة سيئة لاتباعه . ان تضحيته فى سبيل مبدئه هى استغناء عن الهام فى سبيل الأهم . هى اذن تضحية لا تخلو من انانية . ولكن دعنا من الرواد . لنفرض ان رجلا مثلى ومثلك ، حكم عليه بما حكم على سقراط ، بم تنصحه ؟ بالموت ام بالنجاة ؟

ـ بالموت طبعا . مثلما فعل سقراط .

ـ أليس هذا قرارا غير انسانى ؟

ـ بل هو قمة فى الانسانية . هل هناك ما هو أسمى من التضحية بالنفس فى سبيل المبدأ ؟

أليست الانسانية هى نصرة المبادىء ؟

ـ عجبا ! نصرتها ضد الإنسان ؟!

لا . لا . هذه ليست انسانية . فالانسانية هى من مسماها : نصرة الانسان لا المبادىء .

ـ عجبا ! نصرة الانسان حتى ضد المبادىء ؟

ـ ضد اى شيء يعوق تقدمه ، حتى لو كانت المبادىء . المبادىء التى تضحى بالانسان تكون حتما غير انسانية ، وينبغى عندئذ تغييرها ليحل محلها مبادىء انسانية حقيقية تعلى من شأن الانسان لا ان تزفه الى الموت .

ـ انت انسان لا يحترم المبادىء .

ـ بل انت انسان لا يحترم الانسان .

ـ انا لا احترم الانسان الذى لا يحترم المبادىء .

ـ وانا لا احترم الانسان الذى لا يحترم الانسان .

ـ عجبا ! كيف امكنك ان تقول انك لا تحترم المبادىء .

ـ عجبا ! انا قلت هذا ؟! انا لا احترم شيئا قدر احترامى للمبادىء . بل ان احترامى لها اكبر واعمق من احترامك لها ، لانه ينبع من فهم اشمل واستخدام افضل لها .

ـ من يحترم المبادىء لا يعلى شيئا عليها .

ـ الانسان هو الحقيقة العظمى فى هذا الكون . ان وصفك له بأنه ليس سوى "شيء" هو احتقار للانسان . انك تحتقر نفسك باحتقارك للانسان . هل خلق الانسان من اجل المبادىء أم المبادىء من اجل الانسان ؟

ـ الانسان كائن فان اما المبادىء فخالدة . الانسان هو الوسيلة والمبادىء هى الهدف .

ـ بل المبادىء هى الوسيلة ، والإنسان هو الهدف .

وهكذا يستمر الحوار بينهما دونما اى امل فى اللقاء . بل انه لواستمر اكثر من ذلك لتحول الى مهاترات والى تبادل للشتائم والاتهامات . وعموما فكل رأى منهما يلقى الاضواء على الرأى الآخر .

والرأى المثالى هو الذى يطغى على تفكيرنا بينما الرأى الواقعى هو الذى يطغى ـ رضينا ام ابينا ـ على سلوكنا . هناك رأى يقول : إننا جميعا نكون فى شبابنا مثاليين ثم نتحول تدريجيا ـ بتقدم العمر ـ الى واقعيين . كما ان هناك رأيا شائعا يقول : إن الانسان لايملك الا ان يكون أحد اثنين : اما ان يكون افلاطونيا او ارسطيا .

يقول الشاعر الكبير عمر ابو ريشه (١٩١٠ ـ ؟) :

لست تستطيع أن تكون ملاكا
فان اسطعت فلتكن انسانا .

● الحب والحياة

ان فهمنا للحب له تأثير كبير على سلوكنا فى الحياة ، وبالتالى على مقدراتنا ومصائرنا . ولبيان هذا التأثير أعرض هذه النماذج الثلاثة :

١ ـ الملك ادوارد الثامن تنازل عن عرش بريطانيا بسبب حبه لامرأة . المثاليون يقولون هذا اكبر دليل على روعة الحب وقدراته الخارقة . اما الواقعيون فيقولون : إن هذا الحب لا يستحق ان يدفع فيه هذا الثمن الكبير . والغريب فى الأمر ان السيدة التى قرر الملك ترك المُلك من اجلها قد ضمت صوتها الى صوت المستر بلدوين رئيس الوزراء ، فى مطالبته له بالبقاء مع عدم الزواج . ولكنه صمم على الزواج لمجرد انه وعدها بذلك . كان عليها ان تتخذ منه موقفا اشد بان تهدده برفضها للزواج اذا هجر العرش . الملك لم يكن يدرك آنئذ ان محبوبته تفضل ان تظل صديقةللملك على ان تكون زوجة لملك مخلوع . ومما لاشك فيه ان الرجل لابد قد

الحب
بين المثالية والواقعية

ادرك - بمرور السنين - ليس فقط ان تنازله عن العرش كان خطأ ، وانما ايضا ان حبه ذاته كان خطأ .

٢ - الأديب الروسي الكبير ليو تولستوى وزع ثروته على الفلاحين بسبب حبه المفرط للفقراء . الواقعيون يقولون : ليس لهذا السبب وحده ، وانما ايضا لكراهيته لورثته ، فالرجل كان يكرر دائما في سنواته الأخيرة : اللهم قدرنى على محبة ذوى قرباى . ولما طلب من برناردشو أن يفعل نفس الفعل قال : انا لست اقل من تولستوى حبا للفقراء ، ولكنني لو وزعت ثروتي على كل فقراء بريطانيا لما استفادوا شيئا . كل ماسوف يحدث هو ان الفقراء سوف يزدادون رجلا والاغنياء سوف ينقصون نفس الرجل .

٣ - المهاتما غاندى امن بالحب المطلق الشامل لكل الموجودات ، فتطرف فى محبة الحيوانات واستنكر "عدوان" البشر مما جعله يحرم على نفسه وعلى اتباعه قتل الحيوانات وأكل اللحوم .

وعندما سئل : الا تفتك بكوبرا انقاذا لحياة طفل او دفاعا عن النفس ؟

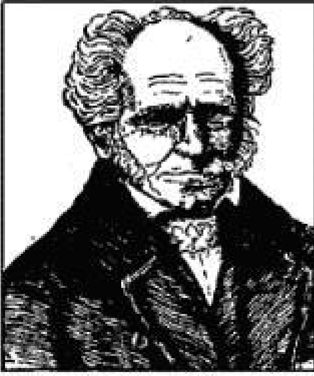
قال : انني لا استطيع القضاء على الكوبرا دون انتهاك مبدأين من مبادئي هما : عدم الخوف وعدم القتل . الافضل ان اعمل على تهدئة روع الافعى بموجات من الحب . فانا لا اعدل مبادئي لكي تتلاءم مع الظروف . ثم اضاف بصراحته المأثورة : اعترف لك بانني لا اقوى على فعل ذلك لو واجهتني كوبرا .

(كتاب : فلسفة الهند فى سيرة يوجى - ترجمة زكى عوض - من فصل بعنوان : مع غاندى فى "وردها")

اكتفى بهذا عن اثر التصور المثالي للحب على السلوك . ولم يتبقَّ سوى اثر التصور الواقعي للحب على السلوك وسوف احاول عرضه فى السطور الاتية :

اولا - ابدأ بان احدد ان الحب الذى ينبغى علىّ ان ارصده هنا هو :

حب الانسان للانسان ، لا اكثر ولا اقل . "لا اكثر" . اى دون شموله لكل الموجودات الاخرى . وينبغى التنويه هنا بان حب الانسان لشىء بعينه ، كحبه لعمله او لقطته لا يدخل اطلاقا فى نطاق ذلك الحب الشامل . و"لا اقل" اى دون شموله لكل الموجودات الاخرى . وينبغى التنويه هنا بان حب الانسان لشىء بعينه كحبه لعمله او لقطته لا يدخل اطلاقا فى نطاق ذلك الحب الشامل . و"لا اقل" اى دون قصره على فريق من البشر دون فريق ، كمحبة الفقراء وكراهية الاغنياء او



شوبنهاور



ليو تولستوى

العكس . اعنى ان الانسان الذى يحقق مصلحة من الصراع بين النقيضين يحق له القصر . ولكن الإنسان الذى لا مصلحة له فيه (كالمشرع والقاضى والباحث) لماذا القصر ؟ الواقعيون يقولون ان الحب الشامل والحب المقصور هما تطرفان احدهما افراط والآخر تفريط . وهما كلاهما من اكثر الامراض فتكا بالبشر . اما حب الإنسان للانسان ـ دون شمول او قصر ـ فمطلوب دائما وواجب علينا جميعا . اما الكراهية فهى بعامة مكروهة ومرفوضة لان ضررها علينا اكثر من ضررها على الاخرين .

ثانيا ـ المقولة المأثورة للسيد المسيح بأن نحب أعداءنا وأن نبارك لاعنينا ، الواقعيون يقولون : إننا لا يمكننا ان نحب من نكره لاستحالة الجمع بين النقيضين فى شخص واحد . ان الفهم الوحيد الممكن لهذه المقولة هو انها دعوة إلى التظاهر بالحب لا الى الحب الخالص . ان هذا يعنى اننا اذا امتنعت علينا محبة الناس ـ لسبب ما ـ فلا اقل من ان نتظاهر بمحبتهم . فالتظاهر بالحب يحقق لنا نفس الهدف الذى يحققه الحب الخالص الا وهو رضاء الناس .

ـ ثالثا ـ الرواد المثاليون كثيرا ما يقولون : الحب هو هدف اعظم لنا جميعا ، ومأمل منشود ، ومحطة وصول يشتهيها ويعمل لها كل انسان ، ولايصل اليها المرء الا بعد طول عناء ورحلة عذاب . وعندما نصل اليها تشرق الدنيا فى وجوهنا بعد إظلام ونرى الكون جميلا بعد قبح ونبدأ نتذوق طعم السعادة ونتعرف الى حقيقة الوجود وندرك كنه الاشياء . ان الحب ـ باختصار ـ هو الحل لازمة الإنسان .

الواقعيون يرفضون هذا المنطق جملة وتفصيلا قائلين : ان الحب لا يمكن ان يكون هدفا بذاته وانما هو وسيلة لهدف . اننا لا نحب لمجرد الحب وإنما لتحقيق امر نرغب فى تحقيقه . اننا نحب المرأة لكى نكون أسرة ، ونحب جارنا حتى يبادلنا نفس الشعور . الحب اذن ينبغى ان يكون اداة فى خدمة الانسان . اما الزعم بان الحب هو الحل وان "الاستغراق" فى الحب لايوصلنا الى مشاهدة الحقيقة فزعم لايقوم على دليل فالمشاهد ان الاستغراق فى الحب لا يوصلنا الى مشاهدة الحقيقة وانما الى العماء عن مشاهدتها . ومما يدعم هذا الرأى :

١ ـ ان الاستغراق فى الحب هو تطرف ضار بالانسان كضرر التطرف بعامة .

٢ ـ ان تلك الحقيقة لم تغب عن عيون البشر منذ القدم ، فقد توارثنا مأثورة تقول : عين المحب عمياء .

واختم بهذا المثل الشعبى المشهور :

احبب صديقك هونا ما عسى أن يكون عدوك يوما ما .

واحبب عدوك هونا ما عسى أن يكون صديقك يوما ما .

صلاح ابوسيف

صعود الى الواقعية

بقلم : مصطفى درويش

الفتوة .. ثمرة تعاون بين محفوظ وصلاح ابوسيف



ولد قبل خمسة وسبعين عاما إلا قليلا . وبالتحديد فى العاشر من مارس لعام ١٩١٥ .

والعجيب أن مولده لم يكن فى بيت أبيه عمدة قرية "الحومة" من اعمال مركز الواسطى ، ذلك العمدة الثرى المتعدد الزوجات .

وانما فى بيت أمه "البندرية" التى كانت قد غادرت ريف الصعيد ثائرة على حياة حريم قوامها الاستسلام للذل والهوان مؤثرة العودة الى حارة "قساوات" ببولاق ذلك الحى الشعبى الذى لايفصله عن الزمالك حى أبناء الذوات سوى شريط ضيق من ماء .



● واعجب العجب أن أمه هى التى اسمته "صلاح الدين" وبهذه البشرى أرسلت برقية الى زوجها العمدة الذى لم يبادر بشد الرحال الى القاهرة مفضلا الا يرى كتلة اللحم والدم التى تدعى ابنه حتى اليوم السابع .

مؤجلا الاستمتاع بسماع وعوعة ابن البندرية وصياحه ، تلقفه بين ذراعيه وتقبيل وجنتيه الى ذلك اليوم يوم "سبوع" الصغير .

وليس من شك انه ما كان له ان يبصر يومئذ الصلة التى بين هذا المولود الجديد ، الذى لايعرف من اسراره سوى انه صبى ، وبين عالم الأطياف .

ففى ذلك الزمن الموغل فى القدم لم يكن للسينما من العمر سوى عشرين عاما .

ولم يكن فى مصر صناعة تنتج افلاما .

وعلى هذا فلو كان لعمدة "الحومة" أن يرى تلك الكتلة الصغيرة التى تقطر حياة بعد خمسة وسبعين عاما تفوز بجائزة الدولة التقديرية للدور الذى لعبته فى النهوض بالسينما المصرية ، لظن ان ما يمر أمام عينيه ان هو الا اضغاث احلام .

ولو كان له ـ وهو فى غمرة السعادة بذلك التكريم ان يشاهد أحد الافلام التى من أجلها منح وليده تلك الجائزة المشتهاة ، وليكن "الزوجة الثانية" لهاله سخرية الفيلم اللاذعة بالعمد ونظام تعدد الزوجات ولانقلب فرحه الى غم وتحولت بهجته الى رعشة وآلام .

وبعد ذلك بعشرة اعوام . أثناء تسكع الصبى "صلاح" فى شوارع القاهرة القريبة من حيه بولاق هربا من دراسة إضافية اجبر عليها فى المساء استرعت

انتباهه صور معلقة على واجهة مبنى بشارع ابراهيم باشا (الجمهورية الان) وكان ان سمع صوتا يغريه بالدخول فى تجربة يدفع به الى المجهول .

وهاهو ذا يشترى تذكرة بقرش صاغ من حر مصروف يده الذى لم يكن يتجاوز خمسة مليمات فى اليوم الواحد .

وهاهو ذا جالس فى الصف الاول من قاعة سينما ايديال ، وعلى شاشة بيضاء امامه يتحرك رجل صغير مرتديا قبعة طاسة وحذاء كبيرا مرتخيا وسروالا منفوخا باليا محاكيا فى سيره مشية البطة .

هكذا التقى "صلاح" لأول مرة بالسينما فى شخص "شارلى شابلن" المتشرد الخالد .

وبفضل هذا اللقاء السعيد بدأ مشوار "صلاح ابوسيف" مع الفن السابع ، ذلك المشوار الذى كتب له ان يستمر قرابة اربعة وستين عاما من عمر الزمان

● واقعية متميزة

وفى الحق فان طريقه الى الاحتراف السينمائى صعودا الى الاخراج والتميز فيه بالواقعية لم يكن من تلك الطرق الملكية المفروشة بالزهور والرياحين .

كان على "صلاح" ان يخوض معارك كثيرة قبل ان ينجح فى الانفراد باخراج اول فيلم روائى طويل "دائما فى قلبى" (١٩٤٦)

وكان عليه ان يصبر ويثابر قرابة خمسة اعوام بعد التاريخ الاخير حتى يستطيع ان ينطلق بابداعه من كهوف السينما التقليدية المظلمة الى رحاب الواقعية بفيلم لك يوم ياظالم (١٩٥١)

مرة اخرى لن تكون المرة الاخيرة يذهب به قدره الى لقاء آخر سعيد .... واين ؟

فى المحلة الكبرى بعيدا عن القاهرة التى كانت تتخلق عاصمة للسينما العربية وذلك بدءا من منتصف العشرينات .

وهو فى هذه المرة لايلتقى بطيف من نور داخل قاعة مغلقة بالظلام وانما يلتقى بشخص المخرج "نيازى مصطفى" الذى كان قد جاء الى قلعة الصناعة المصرية فى المحلة ابتغاء تصوير فيلم يسجل امجاد شركات بنك مصر .

ومهما يكن من امر فما أن التقيا هو و "نيازى" وتبادلا اطراف الحديث ، حتى اكتشف الاخير انه انما يواجه شابا مولعا بالسينما وقارئا ممتازا لكل ما كتب عنها فى لغة الضاد .

● نهاية مرحلة الهواية

وما ان عاد نيازى - ذلك المخرج الذى رحل عن دنيانا مقتولا قبل ثلاثة اعوام - الى القاهرة حتى اطلق فى ردهات شركة مصر للتمثيل والسينما نبأ وجود شاب يعمل فى شركة الغزل بالمحلة وله بالسينما شغف شديد ورغبة فى ان يبدأ حياته من جديد صانعا للافلام وكما فى الاساطير والاحلام نجح "نيازى" فى اقناع المسئولين بتلك الشركة بنقل الشاب المحلاوى المولع بالسينما الى



المخرج الكبير مع شكرى سرحان فى « الزوجة الثانية »

الاستديو بالقاهرة حيث استهل حياته السينمائية بالعمل مساعدا بقسم التوليف "المونتاج" (١٩٣٦)

وتعتبر هذه البداية نهاية مرحلة الهواية فى حياة "صلاح".

فبدءا من ذلك التاريخ اى منذ خمسين عاما او يزيد و "صلاح" يحترف السينما لا يعيش الا بها ولها حتى يومنا هذا .

والان الى لقائه السعيد الثالث. على عكس لقاءيه مع "شابلن" و"نيازى" كان لقاؤه مع "كمال سليم" وليد تفكير وتدبير ... كيف ؟

لأمر فى نفس الاقدار سمع "صلاح" اسم "كمال" يتردد كثيرا فى اروقة استديو مصر بوصفه شخصا عنيدا ينشد الكمال فى كل شىء لايرتضى به بديلا .

واذا به يجد نفسه مشوقا اشد الشوق الى الالتقاء به ولا يستطيع على ذلك صبرا

ولما "كان كمال" قد ترك الاستديو فى لحظة غضب مستقيلا . وكان معروفا عنه انه يسهر فى مقهى رجينا بشارع عماد الدين (محمد فريد الان) ملتقى الفنانين الشبان فقد توجه صلاح الى ذلك المقهى فى احدى الامسيات مبيتا النية على التعرف بكمال وما ان التقى الاثنان حتى نشأت بينهما صداقة زادت قوة وتوثقا على مر الايام

وكان من بين ثمارها ان اتصلت الاسباب الوثيقة بين "صلاح" وبين جماعة من المثقفين شغفت بالادب والفن واتخذت من الماركسية هاديا ومرشدا .

كان من بين نجوم تلك الجماعة الفريدة

الرسام "رمسيس يونان" والاديب "البير قوصيرى" والسينمائى "كمال سليم" بطبيعة الحال .

ولم يقف الأمر بين الرجلين كمال وصلاح عند هذه الصداقة وهذا الانتماء وانما نشأت بينهما صلات عمل فى مجال السينما ذلك المجال المحبب لقلب صلاح والذى هو عنده غاية الغايات

وغنى عن البيان أن خير ما أثمرته هذه الصلات هو فيلم العزيمة الذى اخرجه كمال وشارك صلاح فيه بالتوليف

واخص ما يمتاز به العزيمة هو جنوحه الى الواقعية .

● **خطوة فى طريق الواقعية**

فلأول مرة تذهب الكاميرا الى حارة ولأول مرة تلعب الحارة دورا هاما ذا دلالة فى رسم شخصيات الفيلم وفهمها .

وهذا الانتقال من جانب صانعى العزيمة الى الحارة على وجه يخدم المعالجة السينمائية لم يكن بالامر السهل اليسير .

فالرقابة بشقيها الرسمى وغير الرسمى كانت تحمل العداء الشديد لاية انطلاقة من الصالونات والبارات والكاباريهات وما الى ذلك من اماكن الحياة اللذيذة الى ازقة وحوارى الاحياء الشعبية حيث تقيم الغالبية الغالبة المعذبة بالفقر والشقاء

ومع ذلك فالعزيمة لايعدو ان يكون خطوة متواضعة الى امام فى طريق الواقعية .. لماذا ؟

لان مبدعيه لم يذهبوا الى الحياة المصرية ليعرضوها كما هى دون تزويق وتجميل .

وانما اكتفوا بحارة مشيدة داخل استديو حسب تصور كمال سليم لها وهو تصور منبت الصلة بالواقع وآية ذلك انه لم يجد حلا لمشكلة البطل المتبطل فى الفيلم حسين صدقى الا فى تبنى احد الباشاوات اولاد الاكابر لقضيته . وانتهاء ذلك التبنى الزائف الى تسكين البطل فى وظيفة محترمة اعادت اليه الثقة والاعتبار .

ومهما يكن من شيء فلقد استفاد صلاح من تلك الخطوة التى بفضلها انكشف له من اسرار الفن السابع الكثير .

غير انه كان لابد له من نوافذ اخرى يطل منها على هذا الفن الوليد الشديد التعقيد .

وها هو ذا فى مدينة النور لأول مرة قبل نشوب الحرب العالمية الثانية بقليل .

انه بين مصدق ومكذب . هل هو فى حلم ام هو فى علم ؟

وما أن يفيق من هول الصدمة الثقافية حتى يقبل بقلب مفتوح على الدراسة وعلى مشاهدة الافلام

ويتأثر كثيرا بتيار الواقعية الناقدة الذى كان متسيدا السينما الفرنسية فى تلك الايام الكئيبة العصيبة وهو تيار يغلب عليه اليأس اليائس .

وبالنظر الى اندلاع نيران الحرب فقد اسرع "صلاح" بمغادرة باريس عائدا الى استديو مصر حيث لم تتح له فرصة العمل كمخرج الا بعد ستة اعوام .

ومن عبث الاقدار ان يكون اول فيلم يخرجه صلاح وهو "دايما فى قلبى"



صلاح ابوسيف وتحية كاريوكا ورمسيس نجيب فى كان مع «شباب امرأة»



فريد شوقى (الفتوة)

انور وجدى (ريا وسكينة)

مقتبسا من قصة فيلم هوليودى "جسر ووترلو" بطولة ڤڤيان لى نجمة "ذهب مع الريح"

ولو استمر صلاح فى طريق صنع افلام مقتبسة على هذا الوجه القبيح لما بقى فى ذاكرتنا حيا ولكان الآن نسيا منسيا وهنا ولأمر ما فى علم الغيب التقى صلاح بنجيب محفوظ فى منتصف الاربعينات واذا به يشجع اديبنا على العمل معه فى السينما يوهمه بان كتابة السيناريو لاتختلف عن كتابة القصة فى كثير او قليل .

وتبدأ بينهما علاقة عمل سينمائية تستمر خمسة عشر عاما تثمر افلاما متصلة بعصرها مثل "ريا وسكينة" ، "الوحش" و "الفتوة" افلاما اكثر وعيا ونضجا من العزيمة ، وما انتج بعده من اعمال سينمائية معظمها خليق الا يحفل به ولا يلتفت اليه وهكذا ، وبفضل لقاء آخر سعيد ربح الفن السابع موهبتين .

نجيب محفوظ كاتبا للسيناريو وللقصة السينمائية وصلاح ابو سيف مخرجا رائدا ثابت الاقدام .

هذا النقد الانطباعى السخيف

ربما فى الأربعينيات والخمسينيات حيث كانت القصة العربية فنا مستحدثا لم ترسخ اقدامه بعد فى المجتمع ، كان تلخيص القصة وتسجيل الانطباع الذهنى العابر عنها على الورق امرا مستحبا ، وان كان هذا التلخيص الانطباعى ، اصبح الان فى مهب الريح ، لم يبق منه شىء سوى النوايا الحسنة لاصحابه ، فاجيال النقاد الجدد من العارفين حقا ، العالمين حقا ، جاءت لتحيله الى مجرد ذكرى عابرة ، واصبح مثار تندر ودعاواه على الأقل لانه انصب على تلك ، الابداعات ، القابلة ، هى نفسها للتلخيص فى بضع كلمات ، فلم يبق منه ، او منها شىء يذكر .

كان هذا فى الماضى ، لكن البعض يصر هذه الايام ليعيد لنا هذه الذكرى ليكتب لنا انطباعاته عن اعمال ادبية ، فيسىء لها ، وللنقد ، ولفن القصة الذى لو تعلمون قد حقق انجازات تستحق ، على الأقل ، ان نقف امامه بجهد يخرج بنا من هذه المرحلة الانطباعية الى مرحلة يستحقها بما هو عليه من جهد .

لكن هل هناك من يهتم الان بمثل هذه الكتابات الانطباعية ؟ وهل هى مفيدة لاحد ، للكاتب ، او قارئه ، او حتى للمنبر الذى يكتب فيه ؟

لانعتقد ، وستكون نتيجتها كما كانت فى السابق ، مجرد ذكرى تمر ، ولامن سمع ولامن راى .

كل الذى نود ان نقوله باندهاش :

ألا يحس هؤلاء الانطباعيون ان الزمن قد فاتهم ، واننا فى عصر العلم الذى لايلقى اساءة اكثر من اساءة سبغ الروح العلمية على جسده الهزيل ؟

مجرد سؤال ؟

● عبده جبير ●



اشارات ثقافية

الأدباء العرب واسرائيل !

نشرت الصحف بتاريخ ١٤ يونيو ٨٩ ، خبراً عن مؤتمر يقام فى مدينة « بودابست » بالمجر لدراسة ادب الشرق الاوسط والاقصى والأدب المجرى ، تنظمه مؤسسة « ويدلاند » الامريكية .



د . صبرى حافظ



ادوار الخراط

وقد وجهت الدعوة إلى عدد من الكتاب من جنسيات مختلفة ، منهم عدد من الكتاب الاسرائيليين ، ويفهم من الخبر ، انه من الكتاب المصريين ، قد وجهت الدعوة الى الاساتذة جمال الغيطانى ، وادوار الخراط ود . صبرى حافظ ، وقد اعتذر جمال الغيطانى ، وقبلها ادوار الخراط ود . صبرى حافظ .

ويثير لقاء كتاب مصريين عرب مع كتاب اسرائيليين فى ندوة او مؤتمر يحمل صفة العالمية ، قضية العلاقة مع الكيان الصهيونى ، الذى زرع زراعة قسرية فى الوطن الفلسطينى .

فمن المعروف إن الحكومات العربية ، انتهى بها الامر ، كل فى حدود امكانياتها وقدراتها ، وعلاقاتها بالاستجابة او الرفض او الملاينة ، بالسياسات



اشارات ثقافية

الامبريالية ، قاومت عسكريا ودبلوماسيا اقتلاع الشعب العربى الفلسطينى من وطنه فلسطين ، وقاومت زرع جسم غريب ، لاينمو الا فى حدود مايباد من الجسم الفلسطينى ، والمعادلة مستمرة منذ ماقبل ١٩٤٨ حتى الآن . إبادة مستمرة من جهة ، وترسيخ للوجود الصهيونى من جهة اخرى . هل لو قلنا ان المشروع الصهيونى يتجاوز الوطن الفلسطينى ، نأتى بجديد ، او نعدو الحقيقة .

على مستوى علاقة الكيان الصهيونى مع الحكومات العربية ، فالتزحزح عن المواقف مستمر ، من اسرائيل المزعومة ، الى ازالة اثار العدوان الى الارض مقابل السلام ، وعلى افتراض الحد الاقصى من حسن النية بالنسبة الى الحكومات العربية ، فالحقيقة التى تفرض نفسها ، ان اختلال ميزان التوازن العسكرى لصالح الكيان الصهيونى ، يقف وراء التحـول فى موقف رفض الكيـان الصهيونى ، الى مقولة الارض مقابل السلام يساند اختلال ميزان التوازن العسكرى ، وكعنصر هـام فى هذا الاختلال الاستراتيجية الامبريالية ، سواء بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية ، او اوربا الغربية أو مبدأ القبول السوفييتى بوجود دولة اسرائيل ، أى ان الحكومات العربية تنثنى امام واقع عسكرى من جهة واستراتيجية عالمية من جهة أخرى .

على أن المعادلة ، فى هذه المنطقة من العالم ليست قائمة بين الحكومـات العربية ، من جهة ، والكيان الصهيونى من جهة اخرى . يوجد عنصر هام وفعال ، أنه شعوب هذه المنطقة ، الشعوب العربية ، اذا كانت الحكومات العربية لتنثنى أمام واقع اليم تكرهه ، فإن هذا الواقع الأليم لا ينسحب على الشعوب العربية ، ومن حق هذه الشعوب أن تتخذ وأن تتمسك بالموقف المبدئى ، دفاعا عن أوطانها وعن رخائها ، وعن لقمة الخبز من حق هذه الشعوب أن تتخذ الموقف الصحيح ، وهو رفض الكيان الصهيونى ، أن شعوب هذه المنطقة ، قبلت اليهود كيهود افراد ، اكثر من الفى سنة .

أما ان يتحول اليهود ، الى كيان سياسى ، امبريـالى ، استيطـانى ، ويشكلوا خنجرا فى قلب الشعـوب العربية ، يحول دون وحدتها التى هى سبيل رخائها ، فهذا موقف آخر ، ومن حق الشعوب العربية أن ترفضه ، وهذا الموقف هو ما اصطلح على تسميته ، "رفض التطبيع مع الكيان الصهيونى" وليكن الرفض شاملا ، على مستوى الأفراد كتابا ، ومفكرين ، وفنـانين ، وصحفيين ، وأطباء ، ومهندسين ، وليكن على مستـوى الجماعـات ، نقـابـات واتحادات ، ولتكن المقولة كما يلى : الحكومات انثنت أمام الواقع الكريه ، ولكن الشعوب تقاوم ، فهى تدافع عن وجودها ، وعن مصالحها ، وليكن هذا الموقف ثابتا ، تغذيه دائما باليقظة ،

شهريات

اشارات ثقافية

وبالتذكير ، وبعدم التهاون ، ولنحفظ لهذا الموقف حدته ولنحفظ له جدته ، أن التاريخ لايعرف الثبات ، وحقائقه متغيرة ، وماهو مستحيل أو صعب اليوم ، قد يكون غدا فى متناول اليد ، ولنع أن اسرائيل لم ترض أن تترك للتاريخ أن يقول كلمته ، وأن يفصل بينها وبين العرب عامة والفلسطينيين خاصة ، فحرصت فى ممارساتها اليومية والاستراتيجية على أن يدفع الفلسطينيون ثمن ترقب تغيير الموازين العسكرية ، والاستراتيجيات الدولية ، فكانت عمليات الطرد الجماعى ، واخلاء القرى الفلسطينية بأكملها ، ومحوها وليقرأ من يريد رواية « خربة خزعة » للكاتب الصهيونى يزهار سيملانسكى ، ليعرف كيف تخلى القرى العربية فى فلسطين من أهلها وكيف تعاد هذه القرى ، ليقام مكانها مستوطنات لليهود القادمين من أحراش العالم ، وليقرأ من يريد "عربى فى اسرائيل" لفوزى الاسمر ، ليقف على كيف يتم الاعتقال الجماعى والطرد الجماعى ، وكيف يعامل المستوطنون الصهاينة ، أحد علمائهم ، لأنه وقع على بيان يستنكر الفعل الجماعى بعد هزيمة ١٩٦٧ داخل اسرائيل .. طرد جماعى .. .. قتل جماعى .. هدم قرى بأكملها .. زرع مستوطنات فى كل انحاء فلسطين ، وما يطولونه من الوطن العربى .

لامنجاة - اذن - من المشروع الصهيونى سوى الموقف الشعبى ، موقف الشعوب العربية ، موقف المقاطعة الشامل ، الصارم ، البات ، ولتستمر المقاطعة خمسين سنة ولتستمر مائة سنة ، أو فلتكن حرب الالف عام ، كما كتب ذات مرة ، استاذنا احمد بهاء الدين فى واحد من يومياته ، لتكن مقاطعة الشعوب العربية قائمة ، حتى تتغير حقائق الواقع الراهن الكريه ، وحتى تأتى اللحظة التاريخية التى يذوب فيها اليهود داخل الجسم العربى ، ويذوب اليهود كأفراد ، كما كانوا فى هذه المنطقة من العالم طوال الفى سنة ، سابقة ولن تضار الشعوب العربية أن تقاطع الكيان الصهيونى ، مقاطعة شاملة كاملة ، الف سنة لاحقة ، لن يضيرنا أن نقاطع عددا من الروايات الدعائية الكاذبة بالضرورة ، فإن الوضع فى دولة اسرائيل لايسمح بانشاء فن صادق ، ولن يوجد الكاتب الاسرائيلى الذى يملك القدرة أو التضحية بحياته ويواجه الوحوش ، أى المستوطنين ، إن العالم الاسرائيلى ، الذى أشيع أنه موقع على بيان يستنكر القتل الجماعى ، بعد حرب ٦٧ ، قوطع فى المستوطنة التى كان يقيم بها ، لا أكل معه ، لاحديث ، معه أو زوجته ، ثم آخر الأمر ، القوا به من النافذة ، يراجع كتاب الكاتب فوزى الأسمر المشار اليه أيها الناس : لتنثنى الحكومات ، ولتقل مؤقتا ، لكن واجب الشعوب أن ترفض .

● محمد روميش



اشارات ثقافية

حفاظا على التراث

قرار حكيم وعاقل وشجاع الذى اتخذه الدكتور احمد نوار رئيس المركز القومى للفنون التشكيلية بعدم إعارة اى عمل من اللوحات العالمية من متاحفنا الى الخارج ، وحتى المتاحف العالمية التى تقيم معارض خاصة لكبار الفنانين ، حتى تتم عملية توثيق اعمال متاحفنا وتوصيفها فنيا، ووضع اللوائح المنظمة لإعارة اللوحات للخارج .

واننا ان كنا نرى ضرورة ان يكون هذا القرار الذى وصف بانه مؤقت ، قرارا دائما ، حفاظا على هذا التراث الفنى الكبير الذى تحتويه متاحفنا ، من جهة ، ولدفع من يريد ان يراه ان ياتى الى هنا ليعرف اننا لسنا مجرد اناس يركبون الجمال (كما هى الصورة فى الغرب عنا) ، واننا قادرون على الحفاظ على هذا التراث (؟!) ، من جهة ثانية نقول كنا نود ايضا ، علاوة على رغبتنا فى دوامه ان يشمل اعمال فنانينا الكبار التى لاتعار فقط ، ولكن تباع لكل من يدفع الثمن ، ويخرج علنا وفى وضح النهار ، وليس اخر هذه الكوارث ماحدث مع اعمال الفنانين العظام ، عبد الهادى الجزار وكمال خليفة ، وسيف وانلى ، وغيرهم .

ولم يتالم المرء كما يتالم يوم يرى احد الاجانب يبتاع اهم لوحات الجزار ، ويحملها ويرحل دون حس او خبر

ماذا نقول ؟

هل يتحقق املنا ؟

● مهرجان الرباط الدولى

منذ اقيم مهرجان الرباط السينمائى الدولى لاول مرة عام ١٩٨٢ كان مهرجانا دوليا ، وان كان يدعو ضيوفه من الاقطار العربية والاجنبية ، لكن الصفة الدولية التى تقتضى الاعتراف به من هيئة المهرجانات السينمائية الدولية لم يكن قد حصل عليها بعد .

هذا العام ولاول مرة ، يحصل المهرجان على العضوية الدولية ، الأمر الذى يعنى ان جوائزه ستكون محل تقدير دولى ، وهى بالتالى ، ستوزع على : افضل مخرج ، افضل ممثل اول ، افضل ممثلة اولى ، بالاضافة الى عدة جوائز اخرى لتكريم السينمائيين العرب محل التقدير .

الممثلة القديرة فاتن حمامة هى ضيفة شرف مهرجان هذا العام ، وسيعرض فيلمها الاخير ، يوم مر ويوم حلو ، بحضور مخرج الفيلم خيرى بشارة .

مخرجنا الكبير صلاح ابو سيف سيشارك ايضا فى عضوية لجنة التحكيم التى سيراسها الروائى المغربى الطاهر بن جلون .

اقيم المهرجان فى ربوع مبانى محافظة العاصمة المغربية الرباط فى اكبر قاعة عرض سينمائى بالمغرب الشقيق ، لمدة اسبوعين بدءا من ١٥ اغسطس الماضى وحتى نهاية الشهر .

شهريات

مكتبة الهلال

الكتاب وجهها قصيدة لا تنتهي ديوان شعر الأستاذ حسن توفيق

● هذا هو الديوان السابع للشاعر المطبوع المجدد الأستاذ حسن توفيق الذي لا يشك من يطالع دواوينه السبعة في أنه أحد الشعراء المجيدين المبرزين في الجيل الحاضر، وإن لم يكن أعلى الشعراء صوتا أو أبعدهم صيتا، لأنه أقرب إلى الانزواء أو الانطواء، والبعد عن الأضواء، والتفرغ لتجويد فنه الشعري الذي أثبت من خلال دواوينه السبعة أن مكانته تجيء في مقدمة صفوف شعراء هذا الجيل..

ديوان "وجهها قصيدة لا تنتهي" .. يبدأ بقصيدة من تفعيلات بحر "الكامل" تحمل عنوان الديوان، ويقول فيها:

كصفاء نبع الأمنيات
يطل وجهك منعشا صحراء عمري اليابسة
تتجدد الأشياء فيها، تورق الأغصان بعد شحوبها وكأنما انبثق الربيع مهللا ..
ويطل وجهك منعشا ..
يجتاز بي أعتى المسالك والدروب العابسة ..



وهذه القصيدة تنتمي الى الشعر التفعيلي، ولكن تفعيلات بحر "الكامل" فيها تكاد تكون تامة، لا ينقصها إلا القافية ..

ويبرهن الشاعر في هذه القصيدة على طول نفسه الشعري، إذ ينظم القصيدة كلها من تفعيلات هذا البحر، مع تنويع عدد التفعيلات، فهي اثنتان أحيانا، وثلاث أحيانا أخرى، وقد تكون أربعا أو خمسا فتزيد على التفعيلات الأصلية للبحر ذي المصراعين.

والأستاذ حسن توفيق لا يقيد شاعريته بتنظم الشعر التفعيلي دون سواه، وديوانه يضم قصائد متكاملة الأوزان، مثل قصيدته:

صوتك الناعس الذي أتاني
مسكرا كل خفقة في كياني

فهذه من بحر "الخفيف" متكاملا غير مجزوء ولا مفتت إلى تفعيلات ..

ومثل قصيدته: "حاصر الشوق في التنائي سمائي" وهي من بحر الخفيف أيضا .. وقصيدته التي مطلعها:

أكاد أحس الآن أني مطوق
بزهرات فل من بهائك تعبق

وهي من بحر "الطويل" .. وقصيدة "عندما باح الجمل" من بحر "البسيط" .. وقصائد أخرى.

وإنما نتحدث عن تنوع أوزان شعر هذا الديوان، واختلافها بين التفعيلة والأوزان المتكاملة، لأن الشاعر العربي الحق المكتمل الأداة ينبغي له أن يحرر نفسه من العبودية لشكل واحد من أشكال النظم .. وفي هذا المضمار يمكن أن يقال إن الشاعر حسن توفيق هو أحد

الشعراء الرواد الذين يجب على ناشئة الشعراء النظر طويلا في دواوينهم للاستفادة من تقنيتهم في الأوزان، فضلا عن أساليبهم الشعرية المتطورة البارعة الأداء، الثرية المضمون ..

والملاحظ أن شاعرنا الأستاذ حسن توفيق لبث يكتب الشعر التفعيلي فقط خلال الفترة التي نظم فيها قصائد ديوانيه الأول والثاني وهما: "الدم في الحدائق" و "أحب أن أقول: لا" .. ثم بدأت قصائده ذات الأوزان والقوافي تظهر في ديوانه الثالث: "قصائد عاشقة" ثم توالى ظهور هذه القصائد في دواوينه "حينما يصبح الحلم سيفا" .. و "انتظار الآتي" و "قصة الطوفان" ..

وللأستاذ حسن توفيق براعة خاصة في نظم قصائد تشبه حين يراها القارىء لأول وهلة مقالات مكتوبة بعرض صفحة الديوان .. وربما قرأها من لا يعرف الأوزان بوصفها نثرا .. ولكنها شعر من طراز ممتاز، يستخدم في كل سطر منه تفعيلات بيتين أو بيت وبعض بيت، ولا ينتهي الكلام إلا بانتهاء المعنى .. ومن هذا القبيل قصيدته "نداء الحب" في ديوانه "قصائد عاشقة" .. ومطلعها:

أناديك حين تشق محاريث هذا الزمان خطوط الهوان على الأوجه الشاحبات، وتهدر عاصفة في الصميم ..

ثم يردف هذا المطلع بفقرة من أربعة أسطر يقول فيها:

"أناديك حين أتوه خلال شرايين هذا الزحام الملطخ بالعابرين من الخائفين، وبالخائفين - برغم توهج شمس الظهيرة - ستتقطعات الرؤى البائسات .. أناديك حين أتوه وتترك سود الظلال من البصمات على القلب ما تترك النار في قلب غصن هشيم" ..

فمن يطالع هذه الفقرة الطويلة المتشابكة الكلمات يظنها لأول وهلة نثرا، ولكنها شعر جيد من وزن "المتقارب" .

وهكذا يثبت الأستاذ حسن توفيق بدواوينه السبعة وبشعره التفعيلي وشعره الموزون المقفى أيضا، أنه في الطليعة من شعراء الجيل وإن لم يتبوأ مكانته بعد، وهو خليق بمكانة كريمة عزيزة، لأنه أحد الأوائل المتفوقين بلا مراء ..

ودواوينه السبعة التي صدرت حتى الآن، وآخرها ديوان: "وجهها قصيدة لا تنتهي" هي أعماله الكاملة حتى اليوم، وأعماله غير الكاملة باعتبار ما ينتظره الشعر من دواوينه الجديدة إن شاء الله ..

ومن عجب أنه اضطر لطبع هذه الدواوين بجهده الخاص، على تواضعه، فهو شاعر وليس ناشرا، في الوقت الذي نرى فيه كثيرا من الأعمال الكاملة تنشرها دور النشر الرسمية في مصر لشعراء جدد لا يبلغ بعضهم هذا المستوى الممتاز الذي بلغه حسن توفيق ..

تحية لهذا الشاعر المخلص لفن الشعر، ورجاء أن نتلقى ديوانه الثامن في وقت قريب! .. ونعترف بأننا لم نستطع أن نلم في هذه الكلمة إلا بالإطار الشكلي لفنه الشعري أما مضمونه فإن الحديث عنه طويل المدى ..

الكتاب : الارهاب المقدس
تأليف : أمير الطاهرى
الناشر : المكتب العربى للمعارف
٢٧٢ ص . ٨ ج م

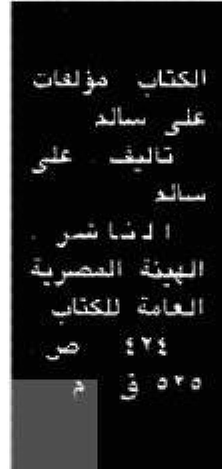
يحاول مؤلف هذا الكتاب (رئيس تحرير جريدة كيهان فى عهد الشاه) والذى يقيم الآن فى فرنسا ، بكل ما اوتى من معلومات جمعها بكل الطرق ، ومن كل مكان حتى من وثائق مخابرات العالم ، ان يصوغ نظرية متكاملة ، مفادها ان هناك شيئا اسمه « الارهاب المقدس » الذى يتبناه الغلاة ، فى كل عصر ومكان ، كما تتبناه كل الجماعات الاسلامية الراديكالية ، بالجملة والتفصيل ، وهو كلام قد يبدو مثيرا ، خاصة لاهل الغرب ، بل نكاد نقول انه الكلام الذى يريدون ان يسمعوه ولايريدون سماع غيره .

لكن ، يبدو ، وبسبب حماسه الشديد لاثبات هذه « النظرية » على طول صفحات الكتاب ، وبسبب ان المعلومات التى استقاها من هذه « الوثائق » المخابراتية ، ليست كلها صحيحة ، بل الاغلب الاعم منها مغلوط ، نقول لهذين السببين ، خسر الكاتب هدفه ، وضل عن طريقه ووقع فى اخطاء تاريخية ، بل واخطأ فى معلومات بسيطة ، ليس اقلها ماذكره عن ان حسن البنا قد حوكم واعدم ، وهذا كما هو معروف غير صحيح ، اذ ان البنا قد اغتيل ، وهكذا يبدو ان الطريق الصحيح للحصول على المعلومات ليس سوى طريق واحد ، هو طريق العلم والعلماء ، والمؤرخين غير المغرضين ، كما يبدو انه من السهل جدا ان طريق الضلال يمكن ان ياخذ صاحب الغرض الى التهلكة .

هناك قطعا جماعات ارهابية ، لكنها بالقطع ايضا ، ليست هى ممثلة للاسلام الحق ، وهذا ماتجاهله المؤلف عمدا ، وكان اجدى به ، ان يلمح ولو مرة واحدة ، عن هذا الارهاب الفظيع الذى تمارسه الدول الاستعمارية ، وعلى رأسها اسرائيل ، جهارا نهارا دون ان يلفت نظره انه كتاب مثير اشبه بافلام روسى ، والوسترن ، والحلقات البوليسية المقصود بها تشويه عالم الاسلام ، والعرب ، طبعا .

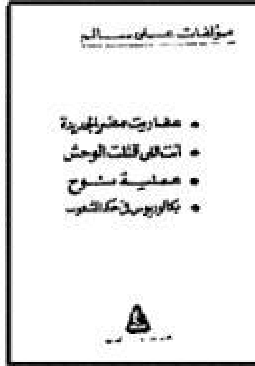
شهريات

مكتبة الهلال


الكتاب: مؤلفات على سالم
تاليف: على سالم
الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب
٤٢٤ ص
٥٢٥ ق م

هذا هو المجلد الاول من سلسلة «مؤلفات على سالم» التى تزمع الهيئة المصرية العامة للكتاب اصدارها لمؤلفنا المسرحى المعروف ، وضمن مشروع الهيئة لاصدار مؤلفات كتابنا الراسخين فى سلاسل تضم اعمالهم فى طبعات موثقة ومتكاملة .

نقول متكاملة ، ولانقول كاملة . وهذا بالضبط مايعطى لهذه السلسلة مصداقيتها بعيدا عن التقليد الذى ساد فى عالمنا العربى (وانتقدناه سابقا على صفحات الهلال) باصدار مايسميه بعض الناشرين ، الاعمال الكاملة ، وهو لايمكن يكون كاملا ، بحكم ان اصحابه لايزالون على قيد الحياة ، ولايزالون يكتبون ، الأمر الذى يجعل القارىء فى حيرة .


مؤلفات على سالم
- عفاريت مصر الجديدة
- انت اللى قتلت الوحش
- عملية نوح
- بكالوريوس فى حكم الشعوب

يضم الجزء الاول من مؤلفات على سالم اربع مسرحيات من اشهر مسرحيات الكاتب ، هى عفاريت مصر الجديدة ، انت اللى قتلت الوحش ، عملية نوح ، وبكالوريوس فى حكم الشعوب ، واننا وان كنا لانميل الى تلخيص الاعمال الفنية ، ولا الى تقديمها بشكل انطباعى فإن الناشر هنا ، لم يساعدنا فى الحصول على المعلومات الكافية ، عن هذه النصوص وتاريخ كتابتها، وتواريخ عروضها المختلفة ، وعن المؤلف وهو مانرجو ان يتداركه فى الاجزاء التالية ، بل وفى المشروع كله ، حتى تصبح هذه الطبعات هى الطبعات المعتمدة ، والموثقة فى حياة كتابنا اطال الله عمرهم .


الكتاب: اصوات مراكش
تاليف: الياس كانيتي
ترجمة: حسونة المصباحي
الناشر: دار توبيقال - المغرب
٨٠ ص . ٢٤ د . م

هذا نص ادبي راق الى حد يصل به الى ان يكون عملا فنيا متكاملا . له بناؤه المعمارى الشاهق ، ولغته المتقنة (على الأقل فى هذه الترجمة) جاء نتيجة

الياس كانيتي
جائزة نوبل
اصوات مراكش

لرحلة زار فيها الكاتب (المولود في بلغاريا عام ١٩٠٥ م) مدينة مراكش المغربية ، وهو في الثامنة والأربعين ، وكان برفقة اصدقاء له من انجلترا يعدون فيلما عن المغرب ، فكانت هذه الزيارة حدثا رائعا له ، فقد فتنته مراكش ، واذهلته الوانها واصواتها وروائحها وحركتها واهلها ، وحيواناتها ، وحال عودته الى لندن التي استقر فيها منذ سنة ١٩٣٥ هربا من القمع النازي ، شرع في كتابة هذا النص ، اصوات مراكش » .

والياس كانيتي ، يعد اليوم واحدا من اعظم كتاب اللغة الالمانية ، وهو يعيش منذ مدة طويلة بعيدا عن الاضواء الزائفة ، والمناسبات المغرضة ، وقد حصل على جوائز عديدة اخرها جائزة نوبل ، عام ١٩٨١ .

هو اذن نص عن روح هذه المدينة العربية ، يستعصى على التلخيص المخل ، ويجب ان يقرا حتى يصل ، كاملا ، شأن الاعمال العظيمة كلها ، كتابا يبعث على البهجة ويهز المشاعر من الاعماق .


الكتاب
الانسان بين الجوهر والمظهر
تأليف : اريك زرد
ترجمة سعد زهران
تقديم لطفي فطيم
الناشر : عالم المعرفة - الكويت .

يقدم هذا الكتاب فكرة جديرة بالتامل هي فكرة المقابلة بين الملكية او حب التملك ، والوجود او الاحساس بالحياة ، او بمعنى اخر اختيار الانسان بين طريقة في الحياة تقوم على الاقتناء والاستحواذ ، والاكتناز ، والجشع ، وبين طريقة اخرى تقوم على ترسيخ قواعد الوجود الانساني الخير ، واتاحة الفرصة للبشر ليخرجوا اجمل ماعندهم من مواهب وملكات واخلاق .

هو اذن يبين بقدرة العالم والمحلل الفذ ان العالم في ازمته الحاضرة يتجاذبه اسلوبان في الوجود يتصارعان من اجل الفوز بالنفس البشرية اسلوب مادى بحت ، واسلوب يتجلى في الشعور بمتعة التجربة المشتركة ، ويتامل كذا الاسلوب في الحب ، وفي سمو القيم الانسانية على القيم المادية .

انه كتاب عن ازمة الحضارة الحديثة لكاتب شهير (ولد عام ١٩٠٠ في المانيا وتوفي في سويسرا عام ١٩٧٩) ترجمت له العديد من اعماله الى العربية ، منها الخوف من الحرية ، وتجاوز الوهم ، والمجتمع السليم ، وثورة الأمل .

مسابقة الهلال للقصة القصيرة

■ من أجل اكتشاف جيل جديد متميز فى الابداع القصصى ، تقيم مجلة الهلال مسابقة فى القصة القصيرة بين الادباء الشبان فى جميع انحاء الوطن العربى :

● تعلن النتيجة فى عدد شهر يناير ١٩٩٠ ، وتنشر القصص الفائزة تباعاً فى مجلة الهلال .

● الجوائز على التوالي هي : ٣٠٠ جنيه للفائز الأول ، ٢٠٠ جنيه للفائز الثانى ، ١٠٠ جنيه للفائز الثالث .. بالاضافة إلى جوائز عديدة للفائزين من الرابع حتى العاشر .

● تتشكل لجنة التحكيم من السادة : الدكتور شكرى عياد (رئيساً) الدكتور أمين العيوطى ، الأستاذ سليمان فياض .

● وترجو مجلة « الهلال » من المتقدمين للمسابقة أن يراعوا مايلى :

● أن تكون القصة مكتوبة على الآلة الكاتبة من نسختين .

● آخر موعد لاستلام القصص المشتركة ١٥ نوفمبر ١٩٨٩ .

● لايزيد سن المشترك عن ثلاثين عاماً .

● يمكن للمتسابق ان يتقدم بأى عدد من القصص القصيرة ، وأن يرفق بكل قصة الكوبون الخاص بالمسابقة .

الكوبون

اسم المتسابق : ....

عنوانه : ....

اسم القصة : ....

رقم مسلسل : ....

(خاص باللجنة)

المسرح السياحى
مولد ... يا دنيا

بقلم : علي سالم

فى السنوات الاخيرة ازدهرت ظاهرة مسرحية بشكل بالغ الحساسية وهي عرض مجموعة من المسرحيات الترفيهية بصورة مكثفة في الأماكن التي يرتادها السائحون .
ترى ما هو شكل هذا المسرح ؟ ولماذا ازدهر .. وما هو مستقبله ..؟ . وهل يشكل خطورة على المسرح الجاد .. ؟

الغريب ان المسرح السياحى . وهذه هى تسميته الحقيقية . اصبح معروفا فى العواصم العالمية التى تزدهر فيها السياحة . حيث يجيء الناس لقضاء اوقات لطيفة يخرجون فيها عن روتين الحياة اليومى .. ويسعون للمغامرة العابرة .. وللتسلية السطحية .. ولمشاهدة الفنون الرخيصة .. قبل ان يغرقوا مرة اخرى فى خضم الاعمال الوظيفية ..

وعلى المسرحيات المعروضة فى اماكن ارتياد السائحين ان تخاطب جمهورها بما يريد ، ولذا فان المسرح السياحى موجود فى مدن مثل القاهرة ولندن .. والاسكندرية ونيويورك حيث توجد السياحة بشكل نشط ..

والمسرحيات المعروضة فى هذه الاماكن تهتم ، فى المقام الاول ، بعملية التسلية ، خاصة الحسى منها . وتنحصر الموضوعات التى تناقشها فى نطاق محدود . حول العلاقات الزوجية ، والمقالب التى يدبرها الزوج لامرأته ، او بالعكس ، والاستعراض . وكل ما يبهر العين . او يجعل المتفرج يشعر بالانفعال اللذيذ الاقرب الى اللذة الحسية .

وبشكل عام لا اعتراض على وجود هذا المسرح . فهو يقوم بدور هام فى تنشيط السياحة للدول التى تعتمد فى دخلها على السياحة . فهو لايقل اهمية عن دور الفنادق ذوات الخمس نجوم فى العملية السياحية كما لايقل عن اهمية

خواطر على سالم

اعداد الشواطىء اعداداً جيداً .. فكل هـذا سبـب فى عمليـة التنشيط السيلحى .. ويدفع بسائحين جدد الى الحضور من اجل التسلية .

وقد جاءت بداية المسرح السيلحى فى مصر مع ظهور السيلحة العربية .. التى تضم ايضا المصريين المعارين الى الخارج الذين يحضرون الى البلاد من اجل قضاء اجازة قصيرة ..

ويمكن حصر السمات العامة فى المسرح السياحى فى عدة نقاط يهمنا ان نذكر منها :

□ يستعين هذا المسرح فى المقام الاول بنجوم معروفين . فالاساس فيه هو الممثل النجم وليس النص او المخرج فالمتفرج السائح يريد ان يرى النجم الفلانى امامه شخصيا ولذا فهو يريد : تعال نشوف فلان الفلانى عادل امام مثلا ، اوسيد زيان او محمد صبحى وسعيا وراء هذه السمة الهامة فان النص المسرحى يقدم هذا النجم للمتفرج فوق طبق من الورق المفضض هو العرض المسرحى ..

والنجم بالتالى يهمه اكبر عدد من المستهلكين فالكم يعنى إيرادا اكبر له وللمنتج ويهمنا ان نذكر ان الاقبال على النجم يزداد كلما اتسعت قدرته على الاضحاك بالنسبة للعنصر الرجالى .

اما بالنسبة للعنصر النسائى فلا بد ان يتسم بالانوثة الطاغية .

□ لا اهمية للنص على الاطلاق بل ان بعض العروض لايذكر على افيشاتها اسم المؤلف وغالبا ما تكون هذه النصوص مزيجا من نصوص مسرحيات سياحية سابقة فى مواقفها او نكاتها او تعليقاتها الحسية الساخنة ..

□ وجـود حملة دعـائية قـوية للمسرحية .

□ يجب ان يعرض النص فى مكان يؤمه السائحون لان القائمين على هذه العروض لايهمهم جذب المتفرج المقيم فى المـدينـة .. لان اسعـار هـذه المسرحيات لاتتناسب قط مع دخول هؤلاء المواطنين .

□ اللعب على الغريزة الجنسية . والالفاظ الفاضحة . وعنصر التغفيل (الزوج يغافل زوجته . والحلوة تغافل زوجها)

□ ارتفاع اسعار التذاكر بشكل مبالغ فيه .. ايمانا بان سائحا واحدا افضل بما لديه من قدرة على شراء التذاكر مهما ارتفع الثمن ..

□ اتجاه بعض منتجى المسرح السياحى فى الفترات الاخيرة الى تطعيم عروضهم بفرق اجنبية بهدف الاستفادة من الاستعراضات المثيرة . والمشاركة فى العملية السياحية ..

□ غياب الحركة النقدية فهذا المسرح لايتعرض لاى نقد . ولايثير جدلا على المستوى العقلى لكن اخباره موجودة فى الصحافة النقدية الرخيصة .

هذه هى بعض سمات المسرح السياحى .. وهو مسرح بعيد عن المتفرج الجاد او الباحث عن الضحكة


مسرحية حالة طوارئ.


نص انا .. نص انتي .

الراقية اللطيفة .. لذا يجب عدم الخلط بين النصوص المسرحية فوق خشبات المسارح السياحية . وبين المسرحيات الحقيقية خاصة الضاحك منها التى تعتمد على نص حقيقي مرتبط بافكار سامية . وما يسمي بشرف المهنة .

لكن ! اذا كان هذا هو واقع المسرح السياحى فماذا عن مستقبله ؟

لقد دفع نجاح هذا المسرح ورواجه على مستوى الجماهير بالعديد من المنتجين الى الدخول فيه . ويكفى ان تطالع صفحات الاعلانات عن المسرحيات المعروضة في موسم الصيف في القاهرة والاسكندرية لتدرك الكم الهائل للمسرحيات المعروضة .. ومدى تفاهة اسمائها على الاقل ان لم يكن موضوعاتها ..

لذا فمن المتوقع ان رءوس الاموال الكبيرة سوف تقامر قريبا بالدخول الى هذا المسرح مما سيجعلها تهتم اكثر بحرفية خشبة المسرح من اضاءة ، ومايسمى بالمسرح الاسود مثلا والمسرح الاخضر او المسرح الملون . او بتقديم لوحات راقصة اكثر جاذبية .

وسوف يحدث هذا الامر قريبا في القاهرة مثلما حدث للمسرح السياحى في المدن الكبرى مثل لندن وباريس حيث ياتي السائحون بشكل مكثف .

ومستقبل هذا المسرح اشبه بمستقبل اى مولد .. فالسياحة كالمولد .. فانت لست مطالبا في المولد بعمل حانوت سمك ! ولكن يمكنك إعداد السمك بشكل سريع ، فالمولد يقام وينْعلع .. ويتالق ثم ينفض في دقائق .. ولايترك اثرا من اى نوع .. كما ان المولد يتمسح في شخصية تدعو إلى الاحترام . وهكذا يفعل المسرح السياحى .

جولة المعارض

محمود بقشيش

مواهب جديدة

فى صالون الشباب الأول

اقام المركز القومي للفنون مسابقة هامة ، خصصت للمبدعين من الشباب تحت سن الخامسة والثلاثين ، واعتمدت لجوائزها ميزانية ضخمة ، ومجالات التسابق هي :

النحت والتصوير والحفر والرسم .. وفرع جديد لم يسبق الاحتفال به على المستوى الرسمي او غير الرسمي وهو فرع : «العرض التشكيلي . الشامل . في الفراغ » ..

ويضم العرض الواحد عديدا من الخامات والمجالات فى كيان تشكيلي واحد ، وحدد لكل فرع جائزة أولى قدرها ثلاثة آلاف من الجنيهات ، وخمس جوائز تشجيعية قدر كل واحدة خمسمائة جنيه ، وبالتالي فإن مجموع الجوائز ثلاثون جائزة . وقد خلقت الفجوة الكبيرة بين الجائزة الأولى او الكبرى والجوائز التي تليها مباشرة .. بعض الصعوبات فى التحكيم .. فالمستويات متقاربة ، ولم تظهر - إلا نادرا - فروق ترقى إلى مستوى الحسم الابهاري . ورات اللجنة عدم حجب الجائزة الأولى ، حتى لا يتعرض المشاركون فى المعرض إلى الاحباط ، فى أول تجربة عرض كبرى لهم .

● وقد أوصت لجنة التحكيم بضرورة مراعاة التدرج فى الجوائز مستقبلا .. وتوسيع دائرة التسابق ، بضم مجالات إبداع تشكيلية أخرى ، ومراعاة الدقة فى اختيار الأعمال المعروضة .. لتفادى شوائب الهبوط . وقد أتيح لى أن



سقراط للفنان هشام نوار .. الحاصل على الجائزة الكبرى



اشارك فى التحكيم ، وأن أعيش لحظات طويلة من العناء المشترك فى اختيار الأعمال الفائزة .. بدأت فى السابعة مساء حتى ما بعد الواحدة من صباح اليوم التالى ! ..

وضمت اللجنة عددا من أبرز الفنانين ونقاد الفن .. وهم : حسين بيكار (رئيســا) . صبرى منصــور (أمينـا) وعضوية كل من : أحمد عبدالوهاب . حازم فتح الله . حسن عثمان . صالح رضا . كمال الجويلى . نعيم عطية . مجدى قناوى .. وأحيط الافتتاح وتوزيع الجوائـز بمهرجان صدحت فيه الموسيقى النحاسية ، واشتعلت الشعلة ، وتحرك موكب الزهور ، وانجز معرض فورى خارج القاعة ، قام بانجازه كل المتسابقين . كان احتفالا اريد له أن يكون عيدا للشباب . وشاهد المعرض على امتداد شهر جمهور كبير ـ بالقياس إلى بقية المعارض الأخرى ـ حسب إجماع مشرفى القاعة ـ كما أحيط ببعض الرعاية الاعلامية .

سألت نفسى سؤالا مباشرا .. وأنا فى الطريق إلى الندوة الختامية لهذا المعرض للمشاركة فيها .. سألت نفسى : هل هذا معرض ناجح ؟.. وأجبت : نعم .

والمعرض فى مجمله يقدم صورة جديدة لقلق أجيال سابقة ، تمحورت حول محاور متعددة ، ومتسقة فى نفس الوقت : أهما محور "الأصالة والمعاصرة" ، ومحور "التجريب" .. أما المحور الاول فقد ارتبط بتطلعات جديدة ، تتسق مع البنية الجديدة للمجتمع ، وهى بنية مخلخلة ، صنعتها سياسة السبعينات الانفتاحية ، وقد صادفت أحدهم ـ واحسبنى مبالغا لو خلعت عليه صفة «فنان» ـ صادفته حزينا ، ولما سألته عن السبب أخبرنى بأن عدم فوزه فى المعرض يحول دون اشتراكه فى مسابقة دولية ! .. وليست هذه حالة فردية للأسف ، بل إن المتابعة الدائمة تؤكد أن الرغبة فى الانتشار والذيوع السريع : محليا وعالميا ـ قبل امتلاك أدوات التعبير الفنى ـ صفة غالبة على هذا الجيل .. كان من الطبيعى أن ترجح كفة النموذج الأوربى الغربى فى ابداعاتهم ، أما من حاول منهم استعارة اقنعة قومية فقد لجأ إلى نوع من الخطابية غير الناضجة . أما المحور الثانى : «التجريب» .. فقد ظهر على استحياء .. مثل اللجوء إلى كسر إطار اللوحة ـ أحيانا ـ دون أن يحتم ذلك اية ضرورة تعبيرية أو جمالية ..

• العرض التشكيلى الشامل فى الفراغ •

كان أكثر جوانب المعرض المكدس إثارة ، ولفتا لانتباه لجنة التحكيم .. ومن أبرز الأعمال التى عرضت عمل الفنان «هشام نوار» ، ونال به الجائزة الكبرى ـ باجماع لجنة التحكيم ـ ومن الجدير بالذكر أنه لم يتلق اية دراسة معهدية . يمثل عمله شكلا إنسانيا لحظة سقوط نعرف نتيجتها الحتمية ، والمروعة ، عندما يصطدم الجسد بالأرض .. ويبدو من تحرق بعض

أعضائه ، وانتشار بقع الدم ، والتواء الأعضاء من الألم ، أن سقوطه جاء من ارتفاع شاهق ، غير أن الفنان لايقف عند الحدود الوصفية .. الواقعية . التي تحلل حالة سقوط جسد حي ، بل تتجاوزه إلى بُعد رمزي .. نرى فيه «الانسان» في كل مكان في عصرنا الحافل بالتعاسة . إنسان «هشام» يبدو من واقع مفرداته عديم الفائدة . منبوذا . مبرمجا .

يسقط عاريا إلا من أوراق الجرائد التي تمثل جلده .. وعلى مكان انتظار الكارثة ـ الأرض ـ قاعدة عليها قصاصات من صفحات الوفيات ، تنتشر فوقها نقاط دموية . إن هذا العمل الفني . المثير يجسد رؤية سوداوية .. وهو ـ على مستوى الأداء الفني ـ يقدمها بأعلى درجات التصعيد .. مثل التصعيد «الميلودرامي» المسرحي ، حيث لايملك المتلقي إلا أن يشارك هذا الضغط التصعيدي بتصعيد آخر يعادله ، ويضع حدا مؤقتا له .. فيغرق في التصفيق الحاد ! .. ويشارك «حمدي أبو المعاطي» في التعبير عن مأساة الانسان المعاصر بشكل آخر ، ووسيط رمزي آخر : هو «الحمامة» المرسومة تارة ، والحقيقية / المحنطة .. تارة أخرى ، وكلتا الحمامتين سجينة خلف قضبان ، أو خيوط موحية بالسجن ، بدت حماماته المرسومة أنيقة ـ والأناقة صفة مميزة لكل جزئيات عمله ـ بالونية التجسيم ، وعلى النقيض من الحمامات الحقيقية . المقتالة . الغارقة في الدم ، والتي تخلق ، بالضرورة ، موقفا انفعاليا مغايرا لدى المتلقي . إن القانون المألوف : قانون التنوع في الوحدة نراه مطبقا تطبيقا حرفيا ، سواء في مسطحات اللوحة الواحدة ، أو تنوع الشكل الهرمي .. الخ .. غير أن كل لوحة من اللوحات الثلاث التي قدمها .. يمكن أن تعرض مستقلة ، ولم يرضه ذلك .. فأغرقها في زيادات من الخطوط والعناصر أرهقت وحدتها .

إن إسلوب أداء هذا الفنان يذكرنا بأسلوب أستاذه الفنان «أحمد نوار» الرمزي ، الذي يتميز بدقة التنفيذ ، والبراعة ، والأناقة .. خاصة في مجموعته المسماة بمعادلة السلام .. والتي احتلت فيها «الحمامة» المحور الرئيسي .. أيضا .

وينصرف «محمد يوسف» و «سامي كشك» عن الطابع الميلودرامي لهشام نوار ، والطابع الرمزي "لحمدي أبو المعاطي" إلى طابع شكلي . جمالي . به طرافة . ولا يخلو ـ بطبيعة الفن ـ من رموز .. فقدم «محمد يوسف» عرضا محكم التصميم ، يجمع بين خامات من البيئة الريفية .. مزينة بما يوحي بأن انتماءها إلى الريف المصري لايحول بينها وبين الاستمتاع بالثقافة .. التي تتبدى في شكل اسطوانات ملصوقة بالكليم ، واستلهم «كشك» شكل آلة القانون بأوتارها الكثيرة .. إذا لمستها أطراف شبيهة بالرسوم الفرعونية صدر عنها صوت .. وإن جاء الصوت ـ للأسف ـ مناقضا لحلاوة صوت القانون !

• النحت •

من المواهب البارزة في هذا المجال المثّال «طارق الكومي» الفائز بجائزة النحت الكبرى ، وهو يشارك الفنان «هشام نوار» الطابع المأساوي ، بعدد كبير من المنحوتات ، تكشف عن قدرة واضحة ..



السيطرة على أدواته النحتية ، وعن ميل إلى البناء ، مع حرص على الحركة .. ووسيطه إلى ذلك هو الانسان بهيئته المعروفة ، المحرفة التحريف الذى تشترطه الضرورات التعبيرية والجمالية . فى منحوتاته إيجاز وصلابة المنحوتة المصرية القديمة .. وبينما يظهر إنسان هشام نوار ، ساقطا من على ترى إنسان

نحت خشب للفنان عبدالمنعم عبدالسميع

صالون الشباب الاول ١٩٨٩



مطارق الكومى ، غارقا ، لا تظهر منه سوى أياد تطلب النجدة ، أو مشدودا إلى ما يشبه المشنقة .. مسخا لا حول له . وجهه بلا ملامح ـ مثل وجه تمثال «هشام نوار» ـ حتى لا يدل على فرد بعينه بل إلى «الانسان» . وعلى الرغم من تعدد «إنسان» مطارق الكومى » و «هشام نوار» خارج حدود الانتماء إلى منطقة بعينها .. إلى الترميز إلى إنسان القرن العشرين .. فإنه يحرك تساؤلا أو سؤالا هو : ألا يفجر داخلنا ، هذا الرمز العام ، أحزان محيطنا المصرى والعربى ، وبتعبير آخر : ألا نشاهد فيه صورتنا ؟ »

ومن بين المنحوتات التى لفتت إليها أنظار لجنة التحكيم منحوتة خشبية للفنان «عبدالمنعم عبدالسميع» . إن منحوتته تلك ، بالاضافة إلى منحوتات أخرى ، اشترك بها فى معارض مختلفة ، تؤكد توجهه نحو «التجريد» أسلوبا ، وبلاغة الاختزال ، ورقة سطح الكتلة ، طريقة الأداء . وتذكرنا أعماله بكتل «برانكوزى» فى نقائها ، وابتعادها عن الثرثرة التشكيلية . فى كتلته ـ المعروضة ـ يقوم الخط الخارجى برسم ، وثقل التكوين . وعلى الرغم من أن المنحوتة خشبية ، تسمح بيسر باختراق الفراغ فإنه أصر على نفسه ، ولم يسمح إلا بارتفاعات وانخفاضات ناعمة ، شكلت فى مجملها شكلا موحيا بهيئة إنسان . ويقدم «يونس سلان» نسرا من شرائح الحديد ، ينقض على ضحية . المنحوتة مثيرة فى حركة كتلتها المندفعة ، وفى تشابك الحديد والفراغ ، وقد اندهشت عندما علمت منه أن تلك كانت المحاولة الأولى فى النحت ، ويالها من بداية تستحق الثناء والتشجيع





.. وكان من الممكن أن تبقى تلك الومضة كامنة لولا وجود هذه المسابقة .

• التصوير •

من بين الأعمال المتميزة فى هذا المجال لوحتان للفنان «المشد» ، ولم يسبق لى أن شاهدت له شيئا ، ولم أسمع به ، والطريف أنه لم يدرس الفن دراسة معهدية ، ولايزال طالبا فى كلية التجارة . أداؤه يتسم بالدقة والأناقة ، ويكشف عن قدرة واضحة فى الرسم والتجسيم ، وميل إلى تنظيم العناصر تنظيما رياضيا ، تجريديا ، لا يخلو من الرمز .. ومن ذلك الشىء أو تلك الحالة التى لا نستطيع الامساك بها أو نقلها إلى كلمات ونصفها عادة بكلمة «شعر» . ألوانه بسيطة ، وصريحة : لوحة ذات لون وردى ، وأخرى ذات لون أزرق .. يتدرجان من القاتم إلى الفاتح ، ويشكل كل منهما فضاء اللوحة .. الموحى بالمدى الممتد .. تتحرك فوقه فى المقدمة خطوط هندسية ، ذات جسم اسطوانى ، وتنتشر أجسام صغيرة .. تشكل فى مجملها إيحاء بلعبة «بلياردو» كونية .. وعندما سألته إن كان ثمة مقدمات تحضيرية لما قدمه فى المعرض .. أجاب بالنفى ، غير أن ما توصل إليه بفضل المسابقة .. قد حرك بداخله نوازع الخلق ، والرغبة فى مواصلة الطريق .

ومن بين الأعمال التى لفتت إليها الأنظار ـ أيضا ـ لوحات «أحمد رجب» استعان بتذاكر السفر ، كوحدات مرسومة ، يقوم بتلصيقها فى اتساق ، افتقد بعضها الحبكة التصميمية ، وإن أثار فى وجدان متلقيه إيحاءات بلحظات أبعد من حدود جماليات اللوحة .. فمن منا لم يحتفظ بتذاكر سفر .. حنينا إلى لحظات خاصة فى الزمان والمكان ؟ ! .. أما «جيهان سلامة» و «جيهان سليمان» فقد قدمتا مسطحات تصويرية تتسم بالجرأة ، والتمكن .. فى اللون الصدّاح عند «جيهان سليمان» واشتباك اللون ونقيضه عن «جيهان سلامة» ، وفى الوقت الذى اقتربت فيه «ج . سليمان» من ملامح الواقع ، وانتمت إلى الاسلوب «الحوشى» ، تخففت «ج . سلامة» من مظاهر الواقع ، واتجهت إلى «التجريد» .. دون أن تتنازل عن حرارة واندفاع الاسلوب الحوشى .

• الحفر •

من بين الأسماء التى لمعت فى هذا المجال : صلاح المليجى وأحمد عمر أحمد .. كما لمعت أسماء أخرى ، وإن لم ينل أصحابها جوائز ، بسبب خروج أعمالهم على شروط المسابقة أمثال : حسين الشحات ومحمود قاعود وأحمد اللباد . إن «المليجى» و «أبو المعاطى» ، وغيرهما ، يتبنون بعض الملامح الاسلوبية

للفنان «توار» ، وإن بالغ «المليجى» فى زحام العناصر ، والرموز ، والايحاءات القصصية ، كان من نتيجته تشتت الوحدة الضرورية للعمل الفنى ، وأجهد المتلقى الذى لايجد فى تلك الغابة من العناصر .. سوى استعراض المهارة فى التعامل مع خامة «الزنك» ، على النقيض من «أحمد عمر أحمد» الذى تميزت محفوراته على الخشب بالبساطة ، والسذاجة النافذة إلى القلب ، فضلا عن التصميمات الممتعة والمحكمة .. رغم عدم تكلفها .

● الرسم ●

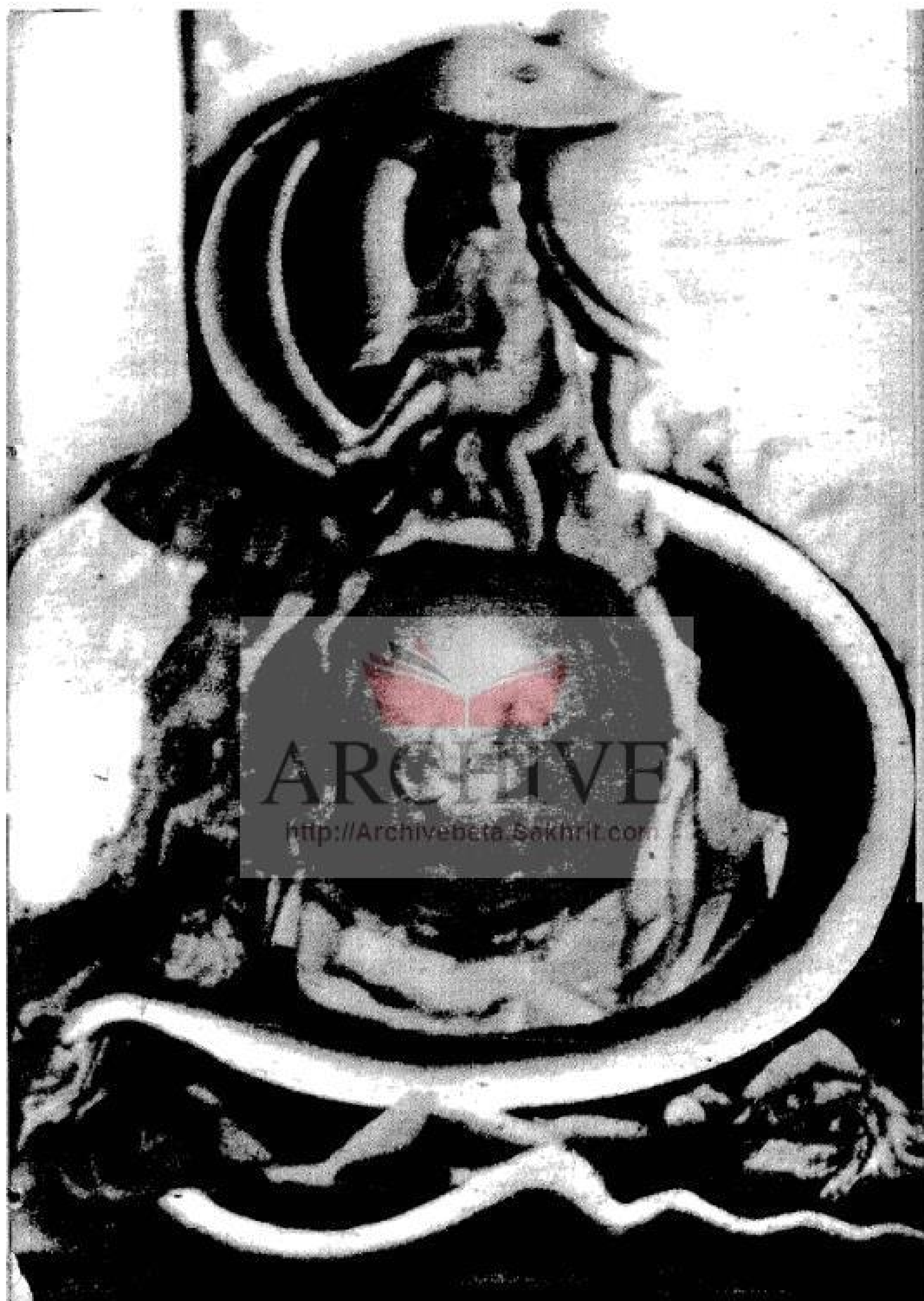
من بين الأسماء التى لمعت فى هذا المجال : خميس خلف ونجوى محمد أحمد ومتولى عصب وصالح عبدالمعطى ومحمد الناصر ، وأحب أن أتوقف قليلا عند لوحات «خميس خلف» لما تتمتع به من رهافة فائقة فى استخدام قلم «الرابيدو جراف» ، وقدرة فى تصعيد الدرجات الضوئية ، من الغامق إلى الفاتح حتى يصل إلى التطابق مع لون الورقة البيضاء ، وكنت قد شاهدت له معرضين ، يمثلان تنويعات على شكل حميم إلى نفسه ، وهو شكل عجينى ، لا ندرى إن كان يمثل لحظة تشكل وميلاد ، أم تحلل وفناء ، ويقدر إعجابى ببراعته ، وحساسيته ، فإننى أدعوه إلى إعادة تأمل ذلك «الشكل أو اللاشكل» الملح على ريشته المرهفة ، حتى لا يقع فى دائرة الاجترار .

وأخيرا ..

فلقد كان لهذه المسابقة التى بادر بها المركز القومى للفنون فضل الكشف عن موهوبين حقيقيين .. نتوقع لهم تألقا فى المستقبل .

● معرض بدايات الصور الفوتوغرافية ●

أقيم بقاعة نقابة التشكيليين المستديرة معرض فى فن التصوير الفوتوغرافى ، ضم مختارات قليلة من متحف كلية الفنون التطبيقية ، والصور المعروضة قد سجلت فى أعقاب ابتكار «الكاميرا» على يد «لويس جاك داجير ١٨٣٨» ، وضم المعرض أيضا بعض آلات التصوير التى تنتمى الى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن ، وكان من الطبيعى أن تغرى شمس وآثار مصر مستشرقين جددا ، يتخذون من تلك الأداة الساحرة : «الكاميرا» .. أداة لتسجيل ما يمكنهم الوصول إليه ، وبغض النظر عن دوافع هذا الغزو وملابساته ، فقد ترك لنا هؤلاء المصورون الكثير الذى يستحق الدراسة والتأمل ، يضيف اليها الوعى بأن تلك اللحظات التى كانت حية ، واختفت الآن نهائيا من الوجود .. شعورا عميقا بالفقدان . فعلى الرغم من ضبابية الصور ، واختفاء التفاصيل ، وانعدام الالوان ، واصطناع الأوضاع السياحية للنماذج .. فقد أثرت فىّ بعمق صور هؤلاء البشر الأجداد .. خاصة صور الأطفال والشباب والبدويات الجميلات . إن الملاحظة التى يلاحظها المتلقى على تلك التسجيلات المصورة ، هى أن هؤلاء المصورين قد اكتفوا


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



سيدة بدوية . للمصور الفرنسي سجاب حوالي ١٨٧٠



الحمامات السجينة للفنان حمدي ابو المعاطي

بالتسجيل الخارجي للعمارة ، والتسجيل المصطنع - في أغلب الأحوال - للموضوعات التي تدور حول الانسان المصري في حياته اليومية ، والطرقات .. حيث الباعة ، والتجار ، ورواد المقاهي .. الخ ، وعلى الرغم من هذا القصور ، فقد تركوا مادة تصلح لبحث الباحثين في علم الاجتماع ، وربما لنقاد الفن الذين يروقهم اكتشاف صلة بين تكوينات هؤلاء المصورين ، وبين مخزونهم من تكوينات عصر النهضة : بين بدويات (سجاب) الحالمات (حوالي ١٨٧٠) وسيدات «ديلاكروا» الجزائريات (١٧٩٨ - ١٨٦٢)

. إن ما قدّم في المعرض نماذج قليلة جدا .. وربما بسبب ضيق قاعة العرض .. لم يكن أمام معدي المعرض د . أمير أمين علي ود . مصطفى حسين كمال الا ان يقدما حسن النوايا ، أملا في تحريك الاهتمام نحو إنشاء متحف جيد لهذا الفن الوثائقي : فن التصوير . كما أؤيد الاستاذ «أحمد فؤاد البكري» نائب رئيس جمعية صالون مصر للتصوير الضوئي في دعوته الى الاتصال بجمعيات ونوادي ومتاحف التصوير بالدول العربية والاجنبية ، لتبادل نسخ من الصور والمعلومات أملا في نمو هذا المتحف .

مواجيد

شعر

فؤاد سليمان مغنم



موغلا فى الاقامة
.. مستغرقا فى الرحيل
يزاوج بين تمرده وتمرده .. ويشد حزام الجسارة
تبدو المرات صاخبة ـ والعناقيد غاضبة
واللغات تبط الشفاه وتنشىء
من لغط الضوء جسرا
شهوات من السفر الرخو نحو الاقامة
تنشب بين خلاياه جذوتها
وهو يحتد شيئا فشيئا
ويلهث خلف خيوط من الدم والمستحيل
تتقرى القصيدة هيئتها فى الجدار الذى نسجته النجوم
ليس بين انقشاع الخواء الذى يتفاقم حول مضاربها
وانبجاس الينابيع بين اصابعه
غير اسئلة
وستار من الغيظ يلتف
ينسجه .. يتقراه خيطا فخيطا
ويسد له ربما
ثم يعلن ان الاقامة مفتتح للرحيل
لايزال المؤذن يعلن ان المسافة فاسمة
بين حلم وهيئته
واحتراق ونشوته
وانبعاث من الصمت والهمسات الودود
لا تزال المسافة بين الرعاة وخضرة هدى السهول
حاصرة بالسؤال



ومحفورة في السديم
والخرائط ملغومة باللغات العقيمة
والمهملات
وموبوءة بالنزيف
لايزال المؤذن محتشدا ـ يامريد ـ
المحاريب ممتقعا وجهها بالتثاؤب
محتقنا صمتها بالوجوم
يحتويك الندى ـ يامريد ـ الوصال ومسالك
والبحر مصطخب بالعناق
اقترف ما تشاء
اقترف ماتشاء
تشقق جلد المواجيد عن وردة تتشظى
وتبرى أصابعها الصبوات
تخط المدى قبسا قبسا
وتؤرخ كينونة لاتغادرها دهشة
او يطارحها وجع حزنه
يامريد اقترب .. وتقرب .. وذب
يكشف الليل سواته للغطيط
ويبسط فاكهة المريد
تهدج صوت المؤذن
فالوقت متسع لاقتراف الضجيج
الخرائط مفتوحة لانتزاع الهوية
والبحر منفتح لاغتراف الالق

ملف ملكية المواطن مرتضى الماحى

بقلم :
أحمد الشيخ

محبوسا داخل الكرسي الاسيوطي كان يجلس ، مهموما وعاجزا عن طرح المزيد من الاسئلة ، كان الاخر خلف المكتب على الكرسي الدوار يستخلص من داخل الملف أوراقا ثم يمزقها ، كان في القلب جرح قديم ينفتح وحلم يتمزق مثل تلك الاوراق التي لابد وانها تخصه اكثر مما تخص اي كائن في هذا العالم ، لكنه لم يجرؤ حتى على الاستفسار عن هذه الاوراق . كان الملف يتضاءل على نحو ظاهر .. ربما على عكس الامل الذي كان يتزايد كلما التقى بالرجل وسلمه ورقة او شهادة او مستند مطلوب لنجاح القضية ، لم يكن الامر مجرد قضية خسرها او حلم لم يتحقق ، بدا له في هذا اللقاء ان الرجل الذي وثق به واطمأن الى قدراته قد تخلى عنه على نحو غامض ، صحيح انه قريب من الدرجة الثانية لكنه من خلال الجلسات المتكرره والمحاورات وسهر الليالي والمشاركة في الاهتمامات كان يبدو له اكثر من اخ، بل انه كان يزرع فيه الامنيات مؤكدا ان المكسب مضمون ،خمس سنوات ومزرعة الرجاء تزهر وترطب القلب ، لكنه في تلك الليلة لم يكتف بابلاغه انهم خسروا القضية بل انه تحول وعلى غير توقع الى اسطوانه مشروخة تهدف الى تيئيسه تماما من جدوى الاستئناف او التفكير مجرد التفكير في الاستمرار في تلك



الخصومة ، زفر المواطن مرتضى الملحى كأنما ليعلن عن وجوده للآخر الذى لم يلتفت .. قام من جلسته ، لعله فكر ان يقترب من الآ... يطل فيها او يستجديها تفسيرا ، لكن الآخ... انتبه وجعل بضعهـ... بالمقلوب بحيث يتكشف الوجه الخالى ويتوارى الوجه المكتوب .. همهم تهيبا-قهرا-من الاقتحام من تلك المحاولة الفاشلة واقتحامه فأخجل المواطن مرتضى واجبره على معاودة الجلوس .. غمغم :

ـ مجرد مسودات يلزم التخلص منها ، مسلم أمرك لله ... ... ثم تخلى ... للغريب .. هو ... فى كل الحالات ... عنك او قريب هو ابن عمك

ـ اعرف .

– انت تعرفهبى لك، لقد حاولت بكل الوسائل، تصيبك ، لو كان هناك اى أمل فى الاستئناف ما تأخرت ابدا ..

– لكنك قلت مرة ..

– دعك من كل ماكنت اقوله ، انا لم اخدعك طبعا .. كل ما هنالك انني كنت أمل في اشياء لم تحدث ، تكشفت امور لم تكن فى الحسبان .. انت لا تعرف قضايا المواريث ودهاليز اسانيد الامتلاك ، انت شاعر ، مالك انت بهذه الامور .. هي شغلي الشاغل طوال عمري وعندما اؤكد لك انه لا امل فيجب ان تتأكد من ذلك .. يا مرتضى الإستمرار فى القضية تعميق للخلاف وتوليد لعداوات انت فى غنى عنها ..

– طبعا .. لكن ..

– انت حر .. ملفك الان جاهز .. فيه كل المستندات والتوكيل .. تفضل ..

مد يده واخذ الملف لم يفتحه ، وضعه امامه .. لم يكن لديه فى هذه اللحظات اى شيء يقال

●

خجلانا من نفسه كأى مواطن شريف فى ماخور او مجتمع صغير من محترفي الفساد والافساد، كان يدخل الزقاق والملف في يده ، كان يستشعر دفئا غامضا وسط الرطوبة المسيطرة ، لعله دفء دم الضحية نفسه لحظة النزف ، كان الهواء باردا وأرضية ارض الزقاق من اثر قطرات تحذره من امكانية السقوط، كان يخطو على مهل ونقاط المطر متناهية الصغر تكشف عن وجودها اكثر عندما تتساقط فى البقع المتناثرة على ارضية الزقاق بدوائر متباعدة ومتقاربة بشكل عفوى ، كان عليه ان يحمي الملف بأوراقه منها ومن احتمالات السقوط وكثيرا ما كان يحدث وتنزلق قدمه أيام المطر، وربما لانه كان حذرا اكثر من كل المرات السابقة افلح فى دخول البيت دون سقوط .

قالت هي بمرارة من فقد اعز عزيز لديه وهى تهبد صدرها براحتيها :

– آه الموت وخراب الديار .

لم يعلق ، سرح بخياله فى البعيد ، أكملت .

– السراء .. اين عمك سوسة وبحره فويط ، اسألك يا مرتضى .. لا تفرط فى حقك وحق الاولاد ..

– نحاول ..

قالها بيأس لكنها واصلت :

– ما ضاع حق وراءه مطالب وحقك ظاهر مثل عين الشمس . هز رأسه مؤيدا ثم شرع فى خلع ملابسه فناولته المنامة ليرتديها ويتمدد بطوله على الفراش .. مستودا بظهره على الوسادة وكأنه مريض يحتضر وعيناه غائبتان عن كل ما يحيطه من اشياء ..

حدث نفسه قائلا :

« ربما يا مرتضى عملها ابوه،كتب الارض لابن اخيه كي يحرمك من الامتلاك ، لقد كنت دائما على غير هواه وارادته ، اراد لك طبيبا ففشلت وفصلت من الطب مجاهد ان يساعدك لتكمل تعليمك فى الاداب او الزراعة او حتى الحقوق فلم تسعفه ، كنت تخدعه وتكتب الشعر وهو العنيد الذى لم يعترض على ارادته غيرك ، وكم هددك وحرمك من المساعدات فى حياته ، كنت انت يا مرتضى نقطة ضعفه بحسب ما كان يعلن وكنت خيبة امل ايضا سحرتك دواوين الشعر وقيبك

الدوران فى جنبات المدن سعيا لكشف لم يكتمل ، ربما يا مرتضى باع بالفعل وقبض الثمن ، وربما كان اعلام الوراثة الذىجاءك مجرد اجراء لاكمال الصفقة ٠٠ .

قام وقلب فى اوراق الملف ، بدا له ان الحق ضاع فعلا وان محاولات الاستمرار فى الصراع حماقة ، وبدا له فى نفس الوقت انالاستسلام والسكون عنه وبلادة ، وتحير فى امر نفسه مشدودا الى رغبته الصادقة فى ان يعيش ما تبقى من عمره فى سلام مع الناس ولو كف عن الحلم فى احياء حقه المسلوب، او الافاقة والصحو وتجهيز نفسه لخوض النزال مبارزا فى وجه الكل انه وريث شرعى لاب لايجوز له التصرف فى املاكه على هذا النحو وهو فى ايامه الاخيرة فاقد للوعى والادراك بحسب ما اكده الكثيرون من اهل الكفر ، وكان فى الثمن اطفال ومطالب ومسكن بائس وجيرة فاسدة وأجر هزيل ، وكانت هى ايضا هناك باحلامها فى زمن يختلف ان استعاد جزء حقه الاكيد باعتباره الوريث الشرعى الوحيد للرجل الذى اكد له البعض انه باع فى حضورهم بكامل وعيه وادراكه وقبض الثمن .

●

وعندما التقى بابن العم واضع اليد على ارضه وداره شعر بالخجل ، ربما توهم ان الاخر يلومه او يهدده ان هو استمر فى قضيةمحسومة بحساباته على الاقل كانوا قد توسطوا لكى يلتقى معه فى جلسة عائلة ، كان الاخر بملامحه الحادة ينظر نحوه باستهانة واستخفاف ، يتحسس شاربه وكانما يتوعد ، قال احدهم :

– الصلح خير ، والدم لا يتحول الى ماء يا مرتضى ٠٠

– طبعا ٠٠

اجاب هو ٠٠ لكن الاخر انتفض واقفا ، وبحدة اعلن :

– الارض ارضى والدار دارى ومن يفكر فى دخولها سوف ادفنه فيها وهو حى .

لطف احدهم صوته وهو يهدىء من عصبيته :

– له حق ٠٠ كل الحق ٠٠ لكن الرجل جاء بنفسه ليؤكد لك انه لا يطمع فى كثير .

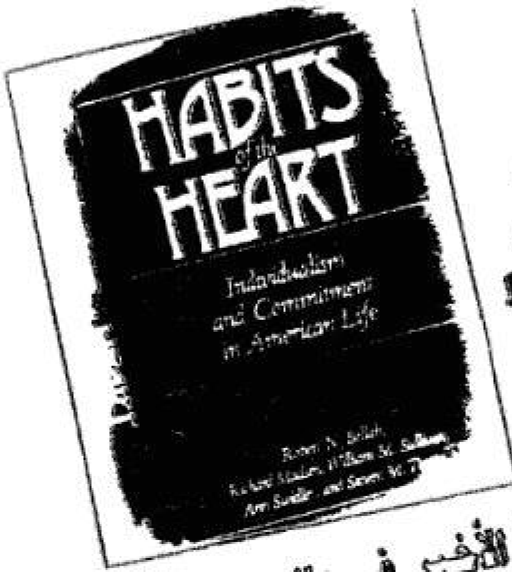
اضاف اخر :

– يمكنك ان ترضيه بما تجود به نفسك ، وهو فى كل الحالات من دمك ولحمك .

استحسن الكل الفكرة ٠٠ واطرق المواطن مرتضى الماحى، شعر انه متسول رخيص او معوق صامت يستجدى الاخرون باسمه حسنة تفيض ، تضاءل وانكمش وتصبب العرق من كل مسام جسمه بارتعاش ، قام على غير توقع منهم ومشى صامتا متغاضيا عن كل العبارات التى سمعها ولم ينشغل بتفسيرها او الرد عليها ٠٠ وعند الطريق الزراعى وقف بالية يطل على السيارات التى ترسل اضواءها من بعيد فتبدو العتمة المسيطرة ٠٠ ولا يدرى كيف ولا متى ركب تلك السيارة التى تتجه نحو المدينة ، حتى الوجود اختلطت وما عاد قادرا على تمييزها او تسميتها لنفسه بينما يستعيد الامر من اوله ويحاول تفسيره وقد ابتعد .

●

كان الملف فى يده وقد حسم امره تماما وكانت هى تبدو سعيدة لانه منحها النصيحة واعلنها صريحة بانه سوف يستمر فى مشواره سعيا لاستعادة حقه لاخر نفس فى عمره ٠٠



كتاب أمريكي يتنبأ باضمحلال الولايات المتحدة !

- الأسرة هي الملجأ الأخير في عالم بلا قلب .
- الاهتمام بالذات أدى إلى صعوبة الزواج .
- الأمريكان أكثر الشعوب عصبية .

عرض وتعليق بقلم :
د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

هذا الكتاب دراسة قامت بها مجموعة بحث في إحدى الجامعات الأمريكية ، حول القيم والحياة الأمريكية . وطبعت منه كما تعودت دور النشر الجامعية أعداد محدودة .

ولكن سرعان ما لقي إقبالا واسعا من القراء وأعيد نشره وحقق أعلى الأرقام توزيعا ، فهو عرض ونقد للحياة الأمريكية ، سلبياتها وإيجابياتها ، وعنوانه : عادات القلب الفردية والالتزام في الحياة الأمريكية .

● وقد جرى تأليف هذا الكتاب عن طريق العمل الجماعي بدلا من تخصيص قسم منه لكل باحث . وقد قام كل من الباحثين بوضع مسودة الموضوع الذى كلف بكتابته ثم جرى عرضها على المؤلفين جميعا وتطويرها عن طريق المناقشات الجماعية التى أعيد على ضوئها كتابة الموضوع وفى النهاية قام بللاه Bellah بمراجعة الكتاب وضبطه ككل بهدف توحيد الأسلوب ووجهات النظر .

ويتناول هذا الكتاب التغيرات التى طرأت على الحياة الأمريكية خلال قرنين من الزمان - ففى القرن التاسع عشر ارتبطت بوحدات جغرافية صغيرة تبرز فيها العلاقات الاقتصادية والاجتماعية باعتبارها أجزاء من حياة مشتركة أكبر - ثم ازداد تدخل المجتمع بالتدريج كما ازداد تكامله اقتصاديا وتقنيا ووظيفيا . ففى مدن أواسط القرن التاسع عشر الصغيرة كان من الواضح أن عمل كل فرد يصب فى مصلحة المجموع وأنه يشكل علاقة أخلاقية بين الناس بدل كونه مصدر منافع مادية أو نفسية . ولكن بظهور مجتمع الصناعات الكبيرة ازدادت صعوبة اعتبار العمل إسهاما اجتماعيا وأصبح يعتبر نشاطا مرتبطا بالمصلحة الذاتية . وقبل ذلك كانت الحياة الخاصة وأنماط أوقات الفراغ وشغلها تعكس الوضع الاجتماعى وبالتالى ترتبط بالطبقة الاجتماعية ، وبالتدريج أصبح الوضع الاجتماعى والطبقة الاجتماعية يرتبطان بصورة متزايدة بنظام وظيفى قومى ويقل اعتمادها على الجماعات المحلية فى الوقت الذى تضاعفت فيه الحريات الخاصة بصورة لم يكن ممكنا تصورها فى المدينة الصغيرة أو حتى فى النخبات الحضرية القديمة . وما حلت عشرينات القرن العشرين حتى أصبح الاهتمام بالتعبير عن أسلوب الحياة أكثر وضوحا فى القطاعات الأكثر ثراء من المجتمع الأمريكى ولو أن الرأى العام كان لايزال موزع المشاعر فى الوقت الذى عرفت فيه البلاد تدفق الهجرات الخارجية التى جعلت الولايات المتحدة فى أواخر القرن التاسع عشر تتعرض للتنوع الثقافى مما جعل الأمريكان أميل إلى التسامح . ويقوم أسلوب الحياة المعاصرة فى الولايات المتحدة على درجة من الاختيار الشخصى تحرره إلى حد كبير من الفواصل العرقية والدينية وربما كان ظهور أنماط الحياة الجديدة أكثر وضوحا فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، ومن الممكن أن نطلق عليها اسم «ثقافة الشباب» ، هنالك ظهر نمط جديد لملء أوقات الفراغ ولاختيار الملبس والذوق المرتبط بأشياء مثل الموسيقى أو الطعام مما ميز الشباب دون ربط ذلك بأصلهم العرقى أو الدينى ، ورغم أن تنوع أسلوب الحياة قد يكون أبرز فى المدن الكبرى حيث لاتشترك المجموعات البشرية إلا فى طريقة ملء أوقات الفراغ فإن كثيرا من مظاهر الحياة الأمريكية فى الوقت الحاضر يمكن اعتبارها تنوعا فى أسلوب التناول - وبدا أن الانسلاخ عن الماضى جزء من التراث الأمريكى فقد تطورت الأفكار الخاصة بالذات وبالأسرة والدين والعمل بعد أن بارحت الأجيال القديمة مقارها وكنائسها ووظائفها لتبدأ من جديد . فحين لم يعد ثمة نمط موضوعى للصواب والخطأ والخير والشر أصبحت الذات ومشاعرها هى المرشد الأخلاقى الوحيد . ولكن ماهو نوع العالم

كتاب أمريكي يتنبأ باضمحلال الولايات المتحدة



الذى تقطنه هذه الذات التى تتطور باستمرار ولكن دون غاية أخلاقية محددة ؟ فلكل فرد الحق فى أن يكون له ـ أولا ـ «حيز صغير» خاص به ، وهو يتمتع بالحرية التامة داخل حدود هذا الحيز . ومن الناحية النظرية على الأقل نجد أن هذا الحق المدنى والنفسى يشمل كل شخص بغض النظر عن جنسه وعرقه أو نظام قيمه طالما أن ممارسته لهذا الحق لا تجور على حق الآخرين فى أن يعملوا نفس الشىء .

● غموض لايمكن إغفاله

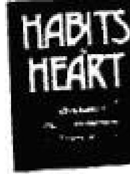
ولاترشدنا الثقافة الأمريكية كثيرا عن كيفية ملء تعرجات هذه الذات المستقلة ذاتيا والمسئولة عن نفسها ، ولو أنها تشير إلى ناحيتين هامتين إحداهما العمل الذى هو المجال الأمثل للفردية النفعية . ويفترض الآن أن بإمكان الرجال بل النساء أن يعتمدوا على أنفسهم فى مجال العمل . أما الناحية الأخرى فهى أسلوب الحياة ـ الذى هو المجال الأمثل للتعبير عن الفردية ـ إذ من المفترض أننا نستطيع العثور على مجموعة من الأشخاص المتعاطفين ـ أو على الأقل على شخص واحد متعاطف ـ يمكننا أن نقطع معهم أوقات فراغنا ونحن ننعم بمشاعر القبول والسعادة والحب . ولكن المؤسسات والآخرين هم مرآة أنفسنا ، إذ لسنا أهدافا فى حد ذاتها سواء باعتبارنا أفرادا أو جماعات ، بحكم أننا أجزاء من كل أكبر يمكننا أن ننساه أو أن نتصوره وفق صورتنا دون أن ندفع ثمنا باهظا . فمنذ تدفق السكان على الولايات المتحدة حتى أواخر القرن الثامن عشر فى الحواضر ـ وحتى مابعد ذلك ـ فى المناطق الريفية كانت الأسرة كلا يتعاون اقتصاديا ، بحيث كان الآباء والزوجات والأبناء يعملون سويا فى المتجر لتحقيق الفائدة المشتركة للأسرة . وفى إطار هذا النمط كان الأب مسئولا عن سلام ونظام «حكومة أسرته» ـ فهو الذى يحدد وظيفة الابن ويقرر الزيجات ويشرف على أملاك زوجته ، بل على أجرها إذا ما كان لها أجر . أما الأسرة الجديدة فى أوائل القرن التاسع عشر فلم تنعم بالمساواة ولو أنها أصبحت تقوم على الاختيار الحر بشكل لم يسبق له مثيل . فقد تقلصت إلى حد كبير سلطة الأب على الأبناء الذين أصبحوا يختارون أعمالهم ورفيقات حياتهم . ولم يعد النساء يخضعن لسيطرة الرجل ، بعد أن ارتبط نمط الأسرة الجديد ارتباطا وثيقا بالاقتصاد التجارى والصناعى الجديد . وقد أدى هذا التغير إلى القضاء على المهام الاقتصادية للسيدات الموسرات اللاتى اقتصر نشاطهن على الاقتصاد المنزلى بعد أن كن يسهمن فى أعمال الأسرة وإن يكن وضعهن الاجتماعى قد ازداد أهمية . ومع ازدياد الثراء أصبحت النساء يتلقين التعليم ولكن فى «أكاديميات النساء» فى معظم الأحوال ، وأمكنهن الاشتراك فى الارتباطات الاجتماعية بمحض اختيارهن ولو أن ذلك كان يتم فى معظم الأحوال فى جمعيات ترتبط بالكنائس . وخلال الثلاثينات من القرن العشرين كان رجال الدين هم الذين يكتبون كثيرا من المادة التى تقدم للنساء

والتى كانت تمجد «مجال المرأة» باعتبارها بؤرة للسلام والوئام والحب والتفانى فى مواجهة أنانية «العالم» وانعدام أخلاقه . وفى خلال هذه الفترة برزت للمرة الأولى الأيديولوجية الخاصة بالأسرة باعتبارها ملجأ فى عالم لاقلب له . وكانت هذه الفكرة لاتزال مسيطرة على من التقى معهم الباحثون .

● إنجاب الأطفال بقرار مسبق !!

نخلص إلى اتساع مجال القرارات الفردية وبخاصة لدى الطبقة الوسطى التى هى أهم الطبقات فى الولايات المتحدة . فلم تعد الأسرة الصغيرة معزولة وهو ما يذهب إليه البعض ، ولو أن الاتصال بالأقارب خارج نطاق الأسرة الصغيرة اصبح يتوقف ليس فقط على القرب الجغرافى بل أيضا على التفضيل الشخصى وأصبحت العلاقات بين الوالدين والأطفال بعد أن يبارح هؤلاء الآخرون المنزل تعتمد على التفاوض واتسع مجال القرار الفردى داخل نطاق الأسرة ، فلم يعد مما يشين أن يظل المرء "عزبا" وليس معنى هذا انتهاء الضغط الاجتماعى من أجل الزواج ، بل إن كل الذى حدث أنه أصبح أضعف منه فى أى فترة أخرى من فترات التاريخ الأمريكى . وأصبح إنجاب الأطفال يتم طبقا لقرار مسبق وكذلك الحال بالنسبة إلى عددهم ، وبالتالى اختفت الأسرة الكبيرة . وأصبح الطلاق أكثر قبولا منه فى أى وقت مضى باعتباره مخرجا من زيجة غير سعيدة ، كما أصبحت مساواة المرأة بالرجل أمرا معترفا به . وكل هذا مما جعل الزواج أمرا أصعب مما كان وذلك بحكم أن الأمريكان اصبحوا يهتمون بالذات رغم إيمانهم بالحب الذى هو لدى المسيحيين شىء يرتبط بالعقيدة الدينية ويضع الواجب فوق تقلبات الشعور ويحض على التضحية بالمصلحة الشخصية فى سبيل مصلحة الآخرين . ورغم أن معظم الأمريكان يتوقون إلى الحب الدائم إلا أن القليلين منهم على استعداد لقبول الزواج الأبدى على أساس الانجيل وحده . والمرأة أكثر من الرجل برما بالزواج ، لأن زوجها لايزال يتوقع منها أن تقوم بالعمل فى البيت وخارجه وأن تتولى تربية الأطفال . ورغم تحرير المرأة فلا تزال تخصص لها الأعمال الأقل أهمية والأجور الأقل ، هذا برغم بدئها اقتحام الأعمال التى كانت مخصصة للرجل لهذا لم تعد تؤمن بأنها الجانب الذى عليه أن يقدم التضحيات للآخرين .

ونتيجة لكل ما سبق أصبح الأمريكان أكثر الشعوب عصبية ولجوءا إلى العلاج النفسى بعد أن تفكك القلب القديم وقويت الفردية وتسابق الجميع من أجل الربح والنجاح . ورغم تحدث الأمريكان عن حرية الأفراد وعن الفروق الثقافية فإنهم يهملون العلاقة بين المجموعات التى يختلف بعضها عن البعض الآخر فى النواحى الثقافية والاجتماعية والاقتصادية كما يخشون تسلط قوة سياسية على القوى الأخرى فى مجتمع تسوده الرأسمالية ووسائل الاتصال الحديثة وتوجد فيه الشركات الضخمة التى تسيطر على قطاعات هامة فى الأسواق وترهقه الصناعات المرتبطة بالدفاع التى لا تحصى نفقاتها وتتقدم فيه التقنيات التى تضخم السيطرة



كتاب أمريكي يتنبأ باضمحلال الولايات المتحدة

المركزية على المال والانتاج والتسويق وما إلى ذلك . رغم ذلك فان كثيرا من الأمريكان يدركون الآن أن المؤسسات الضخمة أيا كان خطرها انما هي جزء من الواقع الاجتماعي السائد في أواخر القرن العشرين وان ضعضعة الادارات الحكومية التي تقوم بالتنظيم ليست في الواقع أمرا مرغوبا فيه . ونتيجة لهذا الادراك تتضخم الهوة وتدفع الكثيرين الى الاعتقاد بان «القيادة الفعالة» التي تستعين بالمهارة التقنية يمكنها مواجهة مشاكل التعقيدات غير المنظورة . ويخلص مؤلفو هذا الكتاب الى انه أيا كانت التعقيدات المصاحبة لتطور الدولة فمن الواجب التركيز على بث الشعور بالمواطنة في الادارات الحكومية ذاتها وهو الشعور الذي رغم وجوده يؤثر فيه كثيرا الشك في الحكومة وفي السياسة وفي فكرة الادارة الفعالة غير الشخصية . كما يدعو إلى زيادة هيبة الحكومة بدلا من إضعافها ـ ذلك لكي يمكن تقليص خطر الطغيان الإداري خاصة وان الامريكان دأبوا ، في الأوقات التي تواجه فيها البلاد صعوبات لا يمكن للنظام القائم أن يجد لها حلولا ، على البحث عن تصورات جديدة للحياة الاجتماعية لا ترتبط بالاحزاب السياسية كما يحدث في المجتمعات الأوروبية بقدر ما ترتبط بحركات اجتماعية لها تاريخ طويل في الولايات المتحدة منذ القلاقل التي سبقت الاستقلال ، وهذه الحركات الاجتماعية متنوعة وتحظى بمساندة الكنائس والجماعات القائمة، وكثيرا ما أدت الى قيام مؤسسات عامة جديدة أمكنها في بعض الاحيان أن تغير مجرى الحياة القومية .

● ثروة لا تجلب السعادة

والدين من أهم الوسائل التي تمكن الأمريكان من الانخراط في حياة جماعية . وهم يقدمون للهيئات والتنظيمات المرتبطة بالدين الأموال ويكرسون لها من الوقت ما يفوق كثيرا مما يكرسونه لكل الهيئات القائمة على الاختيار الحر فحوالي ٦٠٪ من الأمريكان يشتركون في جماعات دينية ، كما أن حوالي ٤٠٪ يحافظون على أداء الصلوات الدينية على الأقل مرة في الأسبوع ، وهي نسبة تفوق كثيرا ما يوجد في أوروبا الغربية أو حتى في كندا ، وهكذا تكثر في الولايات المتحدة الجمعيات الدينية ومنها جمعيات محاربة تجارة الرقيق .

ويذهب مؤلفو الكتاب إلى أنه رغم غنى أمريكا فإن ثمة دولا أغنى منها وإلى أن الأمريكان ـ رغم غناهم ـ فقراء لا يستطيعون الدفاع عن انفسهم بحكم أن ثروتهم لم تجلب لهم السعادة ولأن استعداداتهم العسكرية لن تنجيهم من الدمار النووي . ولهذا يدعون إلى مشاركة ثروتهم مع الآخرين بدلا من الاعتقاد بأن الأمريكي مخلوق متميز .

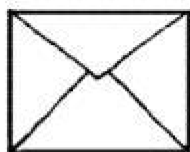
ورأينا في هذا الكتاب انه يمثل محاولة



الدولة الصهيونية على الأرض العربية وما استتبعه ذلك من آثار مدمرة بالنسبة إلى العالم العربى الذى عانى من أربع حروب مع هذه الدولة ، دع عنك تخريبها للبنان وضربها للمفاعل العراقى واعتداءها على تونس . وكل ذلك ، أو جله ، ناتج عن مساندة الولايات المتحدة للأطماع الصهيونية وخضوعها لضغوط اللوبى الصهيونى الموجود داخل أراضيها .

جديدة للتأليف الجماعى القائم على الحوار وطرح محتواه على القراء ليبدوا آراءهم . ولقد وفق المؤلفون فى طرح سلبيات وإيجابيات الحياة الأمريكية التى ثبت أنها تجتذب غير الأمريكيين الذين يقتدون بها دون موازنة ودون اختيار ما يناسب تراثهم وثقافاتهم . وهكذا أدى الاقتباس الأعمى عن الأنماط الأمريكية الى انتشار أفلام رعاة البقر والموسيقى الصاخبة والهامبورجر وغير ذلك فى مناطق كثيرة من العالم تتأثر أجيالها الصاعدة بسلبيات الحياة الأمريكية دون ان يقلدوا دأب أبناء العم سام على العمل المتواصل المرهق أحيانا واستقطابهم للعقول المفكرة من شتى أنحاء العالم مما ساعدهم على تطوير بلدهم بحيث أضحت من اقوى دول العالم من الناحية المادية وإن يكن ذلك قد أورث الأمريكان قدرا كبيرا من الغرور الذى ورطهم فى أخطاء جسيمة فى بقاع كثيرة من العالم . نتيجة لاتباعهم أسلوب «العصى الغليظة» وعدم اكتراثهم بمشاعر الآخرين ونظرهم إلى الأمور من زاوية المصالح الأمريكية وحدها . ولقد قاسينا ـ نحن العرب ـ ولانزال نقاسى من زرع

حقيقة إن الولايات المتحدة فتحت ذراعيها للوافدين عليها من شتى انحاء العالم واقامت مجتمعا يتمسك بالحرية الفردية ويندد بالطغيان ويتصدى له قدر طاقته ، إلا ان التوفيقات التى اصابتها قد ادارت راسها وجعلتها تهدد أجزاء كثيرة من العالم فى ثروتها ووجودها ذاته خاصة وقد ساعدت على إزاحة الاستعمار القديم عن كثير من بلدان العالم القديم لكى تسيطر عليها هى بأساليب جديدة يربطها البعض بالامبريالية الجديدة التى اضحت الولايات المتحدة مصدرا لها ولا شك ان الفردية السائدة فى الولايات المتحدة لا تكفى لمواجهة البلدان التى يقوم فيها العمل على اساس جماعى ، كما هو الحال فى بعض بلدان الشرق الأقصى . فلقد تنبأ أوزفالد شبنجلى باضمحلال الغرب فى الوقت الذى كان يسيطر فيه على العالم ، وتنبأ مؤلفو الكتاب الذى نقدمه للقراء العرب باضمحلال الولايات المتحدة فى الوقت الذى تبدو فيه وكانها قد هيمنت على مصائر البشرية .



رسالة جنيف

الدول العظمى

بقلم: جميل عطيه إبراهيم

قفز الى مكان متقدم من الاهتمامات الدولية في الآونة الاخيرة ، موضوع المصنفات الادبية والفنية ، فلم يعد مقصورا على مؤلف مشهور او على طبقة من المؤلفين ، ولكنــــه مطروح كجزء من تجارة السلع والخدمات التى تهيمن عليها الدول الكبرى ..

لا اعتقد أن فوز الاســـتاذ نجيب محفوظ بجائزة نوبل واقبال دور النشر العالمية على شراء حقوق ترجمة ونشر اعماله الادبية قد اثار جدلا واســعا حول مسألة كيفية توفير الحمــاية للمصنفات الادبية والفنية وبراءات الاختراع والعلامات التجــارية في البلدان العربية وعلى النطاق العالمي في ظل الظروف الحالية في مصــر بدرجة كافية .

والدافع لكتابة هــذه الرسالة من جنيف ليس الدفاع عن حقوق الاستاذ نجيب محفوظ ـ وهى جديرة بالدفاع عنها ـ ولكن لان مسألة المصــنفات الادبية والفنية وبراءات الاختــراع والعلامات التجارية قد اصبحت ورقة رابحة في يد الدول العظمى ، وقــد نجحت الولايات المتحدة الامريكيــة في فرض ارادتها بمعــاونة الدول الغربية المتقدمة على المجتمع الدولى باعتبار الكتاب او الفيــلم موازيا لصناعة المنسوجات والمسألة الزراعية والمقصود بهذا القول هو انه اذا وجدت نسخة مزورة من كتاب ما في بلد او شريط اغنية مزور يحق اتخاذ اجراءات انتقامية ضد هذه الدولة ومقاطعــة صادراتها او وقف التجارة معها .

الامر جد ولا مزاح فيه ، فبعــد تعثر المفاوضات بين الدول الغنيــة والنامية لعدة سنوات ، لم تنتظــر الادارة الامريكية في عهــد الرئيس السابق ريجان نتائج المفاوضات حول هذه المسألة واصدرت قانونا جديدا للتجارة عرف باسم قانون التجــارة الامريكى الجديد لسنة ١٩٨٨ تضمن المبادىء التى كانت تطالب الولايات المتحدة الامريكية بها في المفاوضـات ووضعها موضع التنفيذ الفورى ، وقد اصدرت الولايات المتحدة الامريكيــة وفقا لهذا القانون بيانا بالدول التى تنتهك تلك المبادىء وقسمتها الى فئتين: دول يجب معاملتها بحسم لجسامــة الانتهاكات وتستحق توقيع عقــوبات عليها وتتضمن ثمانى دول منهــا : البرازيل ـ الهند ـ المكسيك ـ كوريا ـ السعودية ـ تايوان ـ تايلاند .

لعبتها حقوق الأدباء والفنانين





نجيب محفوظ   لويس عوض

وقائمة اخرى انتهاكاتها ليست جسيمة من وجهة نظر المحكمة الامريكية ولا يتعين توقيع عقوبات عليها ومن بينها مصر – ايطاليا – باكستان – اليابان – تركيا – الارجنتين – كندا .

هذه الانتهاكات تتعلق بمبادىء وضعتها الولايات المتحدة بعيدا عن الاجماع الدولي وتطالب بتنفيذها واحترامها بينما الدول الاخرى لاتجد نفسها ملتزمة بالضرورة بتطبيقها او وضعها موضع اعتبار .

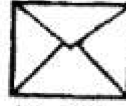
وما يجرى على الساحة الامريكية يؤكد ان قضية المصنفات الادبية والفنية وحقوق المؤلف وبراءات الاختراع والعلامات التجارية قد انتقلت الى مرحلة اخرى تمس مصالح الدول النامية على الساحة الدولية خاصة ان الدول النامية مشغولة بموضوع حقها في نقل التكنولوجيا ووجوب اتاحة الفرص لها بشروط ميسرة للولوج الى هذا العالم الجديد .

واذا كنا قد بدانا بالاشارة الى ما اتخذته الولايات المتحدة من اجراءات حازمة باصدارها هذا القانون فان الوضع حول موائد المفاوضات اكثر تعقيدا .

والغريب أن هذا الصراع الشرس الذي تخوضه وفود الدول النامية في جولات المفاوضات المتتالية في المنظمات الدولية وآخرها في جنيف من ديسمبر الى يوليو الحالي يجرى ويتم في معزل عن الرأى العام في تلك الدول – وذلك في الوقت الذي تسعى فيه الدول العظمى لتشكيل نظام عالمي جديد يحقق مصالحها على حساب الدول النامية .

ومن الملاحظ ان ابعاد معالجة هذه المسألة قد انتقلت في السنوات الاخيرة من مرحلة البحث عن تفاهم بين الدول الى مرحلة التهديد وفرض الامر الواقع، وربما من الافضل تناول اهم الاليات الدولية والاتفاقيات التى تنظم هذه الامور وكيفية معالجتها وانتقالها من منظمة عالمية الى اخرى لرصد المسارات التى اتخذتها المفاوضات وبيان التهديدات الغربية .

من اهم الاتفاقيات التى تنظم امور المصنفات الفنية والادبية والحماية الدولية للملكية الصناعية اتفاقيتان مشهورتان احداهما تتعلق بحقوق المؤلف وتعرف باتفاقية برن اى الاتفاقية الخاصة بحماية المصنفات الادبية والفنية لسنة ١٨٨٦ .والاتفاقية الاخرى تختص بالحماية الدولية للملكية الصناعية ، براءات الاختراع، العلامات التجارية – نقل التكنولوجيا وتعرف باتفاقية باريس وتعود الى سنة



رسالة
جنيف

١٨٨٣ . بالاضافة الى مجموعة اخرى من الاتفاقيات حديثة العهد وبعضها يرجع الى سنة ١٩٧٨ وتختص بتسجيل الاكتشافات العلمية خاصة بعد التقدم الهائل فى علوم الهندسة الوراثية .

● اتفاقيات المصنفات الفنيـة والادبية

تعتبر اتفاقية برن من اكثـر الاتفاقيات المثيرة للجـدل فى الدول النامية وقد انضمت لها حتى مارس ١٩٨٩ ثمانون دولة فقط ـ وكانت اخر دولة قد اعلنت انضمامها رسميا لهذه الاتفاقية هى الولايات المتحدة الامريكية حيث اودعت وثائق الانضمـام فى المنظمة العالمية للملكية الفكرية فى ١٦ نوفمبر ١٩٨٨ على ان يـكون انضمامها سارى المفعول منـذ اول مارس ١٩٨٩ .

وقد انضمت من الدول العربية الى اتفاقية برن ٦ دول هى مصر وليبيا وتونس والمغرب وموريتانيا ولبنان اما بقية الدول العربية فقد اتخذت موقفا اكثر حذرا ورفضت الانضمـام الى هذه الاتفاقية .

ومن المعروف ان اتفـاقية برن بتعديلاتها المختلفة ترعى حقوق المؤلف ومصالحه المالية والادبية وتمتـد الى المصنفات الادبيـة بكافة اشـكالها والمصنفات الموسـيقية والتصويرية والافلام والخرائط الجغرافية ولم تترك مجالا من مجال الابـداع الا وقننته تقنينا دقيقا حتى اشـكال حـروف الطباعة تعرضت لها .

وقد عدلت هذه الاتفاقية سنة ١٩٧١ واضيفت اليها ٦ مـواد اطـلق عليها « احكام خاصة بشأن الدول النامية » والغرض منها معاونة الدول النامية فى الاستفادة من احكام هذه الاتفاقية غير ان دراسة هذه المواد توضح بجـلاء انها غير كافية لتلبية احتياجات الدول النامية .

● تجريم سرقة العمل الابداعى

بعيدا عن الخوض فى تفاصيل هذه الاتفاقيات المختلفة سواء اتفاقية برن او اتفاقية باريس نود الاشارة الى ان سرقة الابداع الادبى او الفنى جـريمة لا تغتفر ، وهذا مبدأ يقر به الجميع ، ولكن الخلاف لا يدور حول الاعتـراف بملكية صـاحب العمـل الفنى ولكن كيفية الاسـتفادة به وطرحه عـلى الجماهير العريضة التى من حقهـا ايضا الاستفادة منه . فجوهر المسألة يتعلق بحق الاخرين فى الاسـتفادة بالكتـاب او القطعة الموسيقية او الاختراع مع الاعتراف بأن المبدع له حقوق معترف بها ـ وقد سبق للدكتور لويس عـوض ان عـرض رأيا هـاما عندما ابدت مصر رغبتها فى الانضمام الى اتفاقية برن فى السبعينات اثناء تولى الدكتور جمال العطيفى مسئولية وزارة الثقـافة حيث طالب الدكتـور لويس عوض بالتريث فى الانضمام الى هذه الاتفاقية على ان تقود مصر حملة داخل منظمة اليونسكو تطالـب فيها بأن تتحمـل منظمة اليونسكو تعويض المبدعين الغربيين عن حقوقهم وفى مقابل تعويضهم عن حقوقهم تنهل الدول النامية من هذا النبع بالترجمة والنشر الرخيص دون سؤال او طلب اذن ودون قيود .

وقد اسس الدكتـور لويس عـوض

دعوته على مبدأ الشرعية الدولية ايضا فالكنوز التى نهبتها الدول الاستعمارية من العالم الثالث وتعرضها فى متاحفها تكفى لسداد التزامات الدول النامية لمئات من السنين ٠

وطبعا ضاعت هذه الدعوى ولم تجد من يتبناها سواء فى مصر أو فى الخارج ، واذا كان الدكتور لويس عوض قد اهتم فى دعوته بموضوع المصنفات الادبية والفنية فان موضوع براءات الاختراع وحق الدول النامية فى الحصول على التكنولوجيات الحديثة اصبح مقلقا فعقود توريد المصانع الى الدول النامية اصبحت تتضمن شروطا صعبة ، ومن اشهر الامثلة التى يتندر بها فى اسى فى اروقة الامم المتحدة ويتعلق بعقود الاذعان فى نقل التكنولوجيا ان دولة نامية وفقيرة جدا استوردت مصنعا متقدما جدا لتصنيع القطن وبعد بناء المصنع وجدت الدولة النامية نفسها فى موقف لا تحسد عليه فالقطن الذى تنتجه لا يناسب هذا المصنع المتقدم وفشلت جهودها فى محاولة تشغيله فلما رأت بيعه لدولة نامية ثالثة ، رفضت الدولة الاولى التى باعت لها المصنع السماح لها بالبيع ـ لان من شروط العقد عدم تصدير هذه التقنية المتقدمة لدولة ثانية ٠

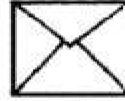
وفى الواقع مشاكل نقل التكنولوجيا معقدة الى حد مقلق بالنسبة للدول النامية وقد سعت الدول النامية فى اطار منظمة التجارة والتنمية «الانكتاد» الى التوصل الى اتفاق يسهل نقل التكنولوجيا الى الدول النامية ولكن المفاوضات لم تحرز تقدما يذكر بعد عشر سنوات من المفاوضات ٠

ومن الامثلة الاخرى التى تتعلق بنقل التكنولوجيا : استوردت دولة نامية مصنعا ثم ادخلت عليه تعديلات هامة ، ووفقا لعقود الاذعان الحالية ليس من حق الدول النامية تصدير التعديلات التى ادخلتها لدولة ثالثة ٠

لقد احسنت الدول النامية بنقل قضية نقل التكنولوجيا الى منظمة مؤتمر التجارة والتنمية « الانكتاد » والاوراق والمناقشات التى تدور حول موضوع نقل التكنولوجيا تكون ادبيات غنية مليئة بالاراء الثاقبة التى قدمتها الدول النامية الى درجة انه اصبح هناك اساتذة قانون دولى يتخصصون فى دراسة موضوع نقل التكنولوجيا من الناحية القانونية البحتة (ولمن يود المزيد حول موضوع نقل التكنولوجيا يمكنه الرجوع الى الدراسة الهامة التى اصدرها الدكتور حسام محمد عيسى بالعربية بعنوان : نقل التكنولوجيا ـ دراسة فى الاليات القانونية للتبعية الدولية : دار المستقبل ١٩٨٧) ٠

ولم يكن الغرض من هذه الرسالة مناقشة تفاصيل هذه الاتفاقيات ولكن تتبع المسارات التى اتبعتها الدول الغربية فى الترويج لهذه الاتفاقيات على مدى عدة عقود حتى انتهت بالتهديد ووضع الكتاب فى مقابل القمح وشريط الفيديو أو الاغنية فى مقابل القروض ٠

اتبعت الدول الغنية سياسة الخطوة خطوة على مدى عدة عقود فى الترويج لاتفاقيات برن وباريس وغيرها وتقييد الدول النامية بها ، وقد تمكنت فى خبث شديد من تنظيم صفوفها فى مواجهة الدول النامية التى كان يطلق عليها سابقا الدول المتخلفة وعملت على انشاء منظمة عالمية جديدة لحماية الملكية الفكرية ومقرها جنيف واعتبرت احدى الوكالات المتخصصة التابعة



رسالة جنيف

لمنظمة الامم المتحدة وقد تأسست هذه المنظمة بموجب اتفاقية تم توقيعها في استوكهلم سنة ١٩٦٧ بعنوان « اتفاقية انشاء المنظمة العالمية للملكية الفكرية» ودخلت حيز التنفيذ سنة ١٩٧٠ وأصبحت هذه المنظمة وكالة متخصصة تابعة للامم المتحدة في ديسمبر ١٩٧٤.

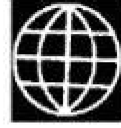
وكما هو واضح فان انشاء هذه المنظمة قد جاء متأخرا عن الاتفاقيات الشهيرة فاتفاقية برن يرجع تاريخها الى ١٨٨٦ كما قلنا . والغرض من انشاء هذه المنظمة هو تشجيع الدول على الانضمام الى الاتفاقيات السابق الاشارة اليها ومساعدتها في تكوين الكوادر التي تقوم بمهمة المتابعة والرقابة وتنشط هذه المنظمة في اقامة وتنظيم ندوات للعاملين في الدول النامية وسعت ذات مرة لتوقيع اتفاقية مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تونس .

ومن الجدير بالذكر ان الدول في مقدورها الانضمام الى هذه المنظمة بغض النظر عن انضمامها الى اتفاقية برن أو باريس او رفضها لهما وقد انضمت الى هذه المنظمة ١٤ دولة عربية من منطلق متابعة ما يجرى في اروقة هذه المنظمة عن كثب .

واذا كانت جهود اجيال المثقفين في الدول النامية في سنوات المد الثورى في السابق قد تركزت على التنمية الاقتصادية والاجتماعية فقد عجزت عن سحب البساط من الدول الغنية ودراسة هذه الموضوعات في اطار خطط التنمية بالدول النامية ونقلها الى ساحة الجمعية العامة للامم المتحدة ومنظمة اليونسكو . ومن الملاحظ ان الدول المتقدمة بعد انشاء المنظمة العالمية لحماية الملكية الفكرية قطعت خطوة اخرى اشد خطورة وهي نقل موضوع المصنفات الفنية والادبية والبراءات والعلامات التجارية الى منظمة الجات وهي المنظمة التي تختص بموضوعات التجارة والتعريفة الجمركية بموجب الاتفاقية العامة للتجارة والتعريفة الجمركية .

وعلى الرغم من ان الاتفاقية العامة نصوصها واضحة وتتعلق بأمور التجارة والسلع والقيود الجمركية وتسعى لتشجيع التجارة العالمية وازالة المعوقات فقد نجحت الولايات المتحدة الامريكية منذ عدة سنوات في فرض ادخال موضوع الخدمات الى جولة المفاوضات وبعدها استطاعت جر المتضمين الى الاتفاقية الى مناقشة موضوع المصنفات الفنية والادبية ونقل التكنولوجيا .

وقد قبلت الدول النامية العروض الامريكية على مضض وحاولت تأجيل النظر فيها بكل السبل . وتتلخص المطالب الامريكية حاليا في المطالبة بوضع قواعد جديدة في اطار منظمة الجات أو الاتفاقية العامة للتعريفة الجمركية والتجارة لحماية الملكية الفكرية ووضع التشريعات اللازمة لهذه القواعد الجديدة فضلا عن وضع نظام جديد لحل المنازعات حول هذا الموضوع وفرض اجراءات انتقامية ضد التقاعس والاهمال في تنفيذ هذه القواعد .



العالم في سطور

• القاهرة •

انشاد وانشاء في الأوبرا

قبل ايام زارت القاهرة فرقة كورال من اشهر فرق المدارس في العالم ، الا وهي فرقة كورال مدرسة الغناء ببلجيكا .

واول ما يلاحظ على اعضائها سواء أكانوا اطفالا ام شبابا انه قد جرى اختيارهم بدقة من طلبة مدرسة سان مارك بمدينة الست .

واخص ما يميز المقطوعات التي انشدتها تلك الفرقة على خشبة المسرح الكبير بدار الأوبرا هو التنوع .

فقد امتع المنشدون باصواتهم العذبة التي لم يكن يصاحبها سوى عزف على آلة بيانو منفرد ، امتعونا بمختارات غنائية من اوبرا « ديدو وايتياس » للموسيقار الانجليزي « هنري بورسيل » ومقطوعات بعضها من قداس الموتى للموسيقار الانجليزي « اندو لويد ويبر » وبعضها الآخر للموسيقار الاشهر « هاندل » .

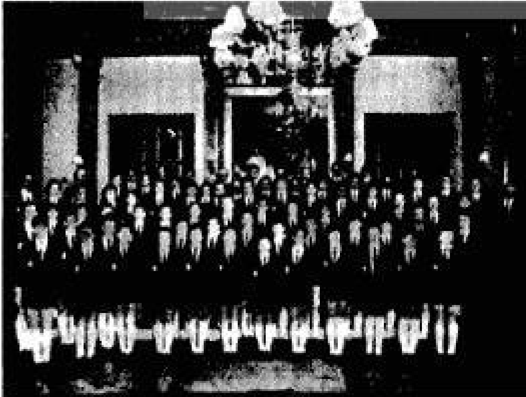
هذا فضلا عن مقطوعات كورالية مختارة من التراث الشائع في دول اوربا .

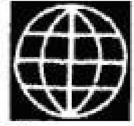
وهنا يحسن التذكرة بأن الدكتورة رتيبة الحفني قد خاضت تجربة تكوين فرقة كورال للصغار مرتين .

الأولى قبل ربع قرن من عمر الزمن حين اشرفت على انشاء فرقة كورال للاطفال بمحافظة القاهرة .

والثانية الآن في الأوبرا الجديدة حيث تتخلق فرقة كورال اطفال تحت اشرافها .

والأمل كل الأمل أن يكتب لتجربتها الثانية النجاح والتوفيق في زمن لا تلقى فيه مثل تلك الفرق لا عناية ولا رعاية .





العالم المسطور

سالزبورج

الأساطير تموت

باختفاء هربرت فون كارايان (١٩٠٨ - ١٩٨٩) من مسرح الحياة يكون قد اختفى اشهر - ولا اقول أهم - قائد أوركسترا سيمفوني طوال حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

وعلى كل فبفضل عشقه للموسيقى واستيعابه للغتها ومقدرته الفائقة على استعادة كل ما سمع من انغام حتى انه كان يقود الأوركسترا بدون نوتة مغمض العينين.

بفضل ذلك استطاع أن يصل باوركسترا برلين السيمفوني الى مستوى يقرب من الكمال يجعل منه اعلى اوركسترات العالم شانا على امتداد ثلاثين عاما أو يزيد.

ومن عجب انه - ورغم مظهره البروسي القاسي - لم تكن تجرى في عروقه دماء الألمان.

فقد ولد في «سالزبورج» من ام صربية واب ينحدر من اصل يونانى.

فاجداده كانوا تجار اقمشة قدموا الى المانيا نازحين من مقدونيا قبل ثلاثة قرون من عمر الزمان.

ومقابل خدمات قدمها الى الامبراطورية الرومانية المقدسة كوفىء واحد من أولئك الأجداد بتنصيبه فارسا، الأمر الذى حدا به الى تغيير اسم العائلة من «كارايانيس» الى «كارايان».

بدا كارايان حياته مع عالم الانغام عازفا للبيانو.

التحق باكاديمية فيينا للموسيقى حيث درس فن قيادة الاوركسترا.

وخلال عام ١٩٣٣ انضم الى الحزب النازى ابتغاء الحصول على مركز قائد اوركسترا «اخن».

بعد انتهاء الحرب وتبرئته من تهمة النازية (١٩٤٦) اخذ نجمه فى الصعود.

انشات اوركسترا الفيلهارمونيا بلندن خصيصا له.


هربرت فون

وفيما بين عامى ١٩٥٥ و١٩٦٤ كان يقود اوركسترا برلين ويدير فنيا كلا من مهرجان سالزبورج واوبرا فيينا، كل ذلك فى وقت واحد.

ومع ذلك - ورغم كل ما ناله من شهرة ومجد وثروة - فعندما جنح الى تعيين امراة عازفة اولى للمزمار (كلارينيت) فى اوركسترا برلين، اذا به يفاجا بمقاومة غير متوقعة من العازفين اضطرته الى التراجع وهو مغيظ من عبث الأقدار.

• نيويورك •

• حقائق و اكاذيب •

ثلاثة كتب عن ستالين تنشر في وقت واحد واغلب الظن ان غيرها كثير في الطريق .

واول هذه الكتب "دع التاريخ يحكم" للمؤرخ السوفييتي "روى ميد فيديف" عضو مجلس السوفييت الأعلى الذى جرى انتخابه قبل اسابيع .

وهو في مؤلفه هذا المشتمل على تسعمائة صفحة يحاول اعادة الحياة لأحداث الماضي في ظل حكم ستالين الرهيب .

وفي رأيه ان عدد المعتقلين في الاتحاد السوفييتي ابان فترة المحاكمات الكبرى عقب اغتيال "كيروف" (من ٣٦ وحتى ١٩٣٨) لا يقل عن خمسة ملايين مواطن سوفييتي .

ويرجع صاحب الكتاب نجاح ستالين في فرض الاستبداد والارهاب الى الغاء لينين جماعات المعارضة داخل الحزب الشيوعي السوفييتي وخارجه ، وما تولد عن ذلك من قيام ديكتاتورية الحزب الواحد .

اما الكتاب الثاني "ستالين وجريمة كيروف" (٣٦٥ صفحة) فلا يعدو ان يكون محاولة من صاحبه الكاتب الانجليزى "روبرت كونكويست" لجمع شتات ما قيل وما كتب حول اغتيال "كيروف" أمين الحزب الشيوعي في لينتجراد . وكيف اتخذ ستالين من هذا الاغتيال ذريعة لشن حملات اعتقال ومحاكمات صورية انتهت الى اعدام الآلاف .

ومن بين مصادر الكتاب ما جاء في قصة "أطفال ارابات" للأديب السوفييتي "اناتولى ريباكوف" من روايات متصلة بتلك الجريمة ، معظمها من بنات الخيال .

والاكيد ان "كونكويست" لم يستطع ان يقيم الدليل في كتابه على زعمه ان "ستالين" كان على علم مسبق بالجريمة التى كانت تدبر ضد "كيروف" في الخفاء .



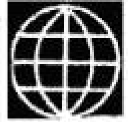
ستالين

ومهما يكن من أمر الكتاب ، وقدر الأدلة المستند اليها من القوة أو الضعف ، فهو محكم البناء ، يسرد بأسلوب أخاذ كيف اخذت فكرة نبيلة في التدهور شيئا فشيئا حتى تحول المجتمع القائم عليها اقرب الى جهنم وبئس المصير .

والكتاب الثالث "ستالين" رجل التناقض (٢٠٣ صفحات) من تاليف اكاديمي امريكي "كينيث نيل كاميرون" .

ومن عجب ان منهجه في دراسة شخصية ستالين ، انما يدور وجودا وعدما حول محاولة تبرئته مما يصفون .

فهو في نظره لا بالديكتاتور المجنون



العالم في سطور

بالسلطة ، ولا بالمتآمر الداهية .

انه على العكس من ذلك تماما ، رجل سوى ، عاش حياة نموذجية الى اقصى الحدود ففي شبابه كان يقرض الشعر الثورى مثله في ذلك مثل "شيلى" .

واثناء فترة حكمه نجح ، رغم المثقفين ، في الوصول بروسيا الى برّ الاشتراكية .

وخرج بها من الحرب ضد المانيا الهتلرية منتصرة نصرا مؤزرا .

وعن سياسة المصارحة السائدة الان في الاتحاد السوفييتي ، وما ينشر في ظلها عن جرائم ستالين يقول الاكاديمي الأمريكي ان تلك السياسة قد أدت الى عربدة نشر لكل ما هو هراء .

● لندن ●

● هوفمان شيلوك ●

لأول مرة منذ سنوات طوال ، ينتقل مركز الثقل المسرحي العالمي من برودواى بنيويورك الى حى "الوست اند" في لندن .

فها هو ذا " داستن هوفمان" النجم الأمريكى الحاصل على اوسكار احسن ممثل رئيسى مرتين : يقف على خشبة المسرح لا في نيويورك ، وانما في لندن حيث يمثل دور المرابي اليهودى "شيلوك" في مسرحية "تاجر البندقية" من اخراج "بيتر هول" .

والمسرحية حسب تصور ذلك المخرج لها ، تجنح الى الكوميديا مسلطة الأضواء على "بورشيا" التي ادت دورها "جيرالدين جيمس" بطلة المسلسل التليفزيوني "جوهرة التاج" وليس كما هو المعتاد على "شيلوك" وذلك رغم ان الذى يتقمص شخصيته نجم يهودى اعظم .. واى نجم .

ومما لوحظ على اداء "هوفمان" انه لا يعتمد على النجومية ، وانما على شيء اخر اكثر اهمية . الا وهو الذكاء مع الثقة بالنفس وذلك رغم انها المرة الأولى التى يمثل فيها مسرحية لشكسبير وأين ؟ في وطن الشاعر الكبير .

وفضلا عن "تاجر البندقية" يستمتع أهل لندن بمسرحية "منزل المجانين في جُوا" للأديب "شيرمان" وهى عبارة عن مسرحيتين من فصل واحد تؤدى في كلتيهما الدور الأول الممثلة الشهيرة "فانيسا ريدجريف" .

واذا ما انتقلنا الى المسرح الغنائي فسنجد انفسنا امام عمل فذ للموسيقار "لويد ويبر" اسماه "اوجه الحب" مستوحى من قصة للأديب الانجليزى "دافيد جارنيت" (١٩٥٥) .

والمسرحية تعلم المتفرج تفانين الحب ، ومن اجمل اغانيها "الحب يغير كل شيء" ، "الحياة تستمر والحب يتحرر" .

● طوكيو ●

● نعم للسلكي .. لا للشمبانيا ●

قامت دار نشر جليمار بترجمة مجموعة منتقاة

من القصص القصيرة اليابانية تحت عنوان "انطولوجيا الاقصوصة اليابانية المعاصرة" في ستمائة صفحة من القطع المتوسط . وقد انتقى الناشر مجموعة من الاقاصيص التي كتبها مشاهير الأدب الياباني مثل يوكيو ميشيما وياسوناري كاوباتا (نوبل ١٩٦٨) وتانيز اكي وياسوش اينوه

وقد علقت مجلة لوبوان على هذا الكتاب انه جاء مخيبا للآمال . وان دار النشر التي قامت بهذا العمل قد اختارت مشاهير الادباء بصرف النظر عن قيمتهم الادبية الحقيقية . كما انها لم تختر أهم النماذج في القصة اليابانية المعاصرة . واعترض الأديب والناقد جاك بييراميت على أسماء بعينها مثل هكوشو ماسومن الذى توفي في عام ١٩٦٢ . الا انه ابدى اعجابه باختيار ادباء مغمورين ، في حدود ضيقة ، مثل كاتاى طاياما الذى له نفس مكانة جوستاف فلوبير في

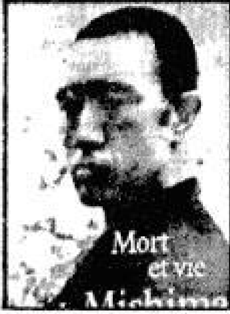


يانسوشي اينوه

الرواية الفرنسية .

ومن اجل محاولة التعريف بهؤلاء الادباء . راحت المجلة تذكر لقارئها اسماء يابانية غريبة وصعبة النطق واخذت تشبه بين اصحاب هذه الاسماء وبين الادباء المعاصرين ، فشوسي توكودا هو نموذج مقارب لالبير كامي في حياته وادبه . وحتى طريقة موته . وهكذا .

وتقول المجلة انه منذ بداية القرن فان اليابان قد عرفت الكتاب الواقعيين . والمحاولات السريالية . والادباء الثوريين ، لاحظ ان هذه تسميات غربية للأدب ،



يوكيو ميشيما

وان الادباء اليابانيين قد حاولوا محاكاة الغرب في ابداعاته .. فها هو فميوكو هياشي يقدم روايته "زهرة الكريزانتيم" على نفس نمط "مدام بوفاري" حول فتاة جيشا تظل تحلم بعودة حبيبها القديم ، وهي لا تنساه مهما تعرفت بحكم عملها على العديد من الرجال .

وتشير المجلة إلى ان الجيل الحديث من الادباء يحاول ان يضع الهمزة فوق حرف الألف . من اجل صناعة أدب ياباني الهوية .. له مفرداته الشرقية الخاصة به .. ويشق طريقه محتسيا الساكي . ومنتبذا روائح الشمبانيا .

الكاتب .. والجريمة

دور الأدباء ..

في مسلسل قتل الأزواج

بقلم : محمود قاسم

ترى إلى أى حد مست جرائم قتل الازواج بوحشية قلوب الناس ، بل وعقول ووجدان رجالات الفكر والأدب في مصر والعالم العربي ؟ فطوال أيام متوالية راحت الصحف تتلذذ بنشر التفاصيل الدقيقة لهذه الجرائم البشعة وكأن الصحف تعيد ارتكاب هذه الجرائم فوق صفحاتها . واصبحت الجرائم تتكرر فوق عشرات ، بل ومئات الالوف من الصفحات المطبوعة .. وراح الرجال يترقبون مايدور في منازلهم بقلق شديد .

● ترى ماهى العلاقة بين هذه الجرائم .. وبين الكلمة المكتوبة ، الكلمة المدونة في الصحف .. والكلمة الادبية التى يبتدعها الكاتب ؟.. فاذا كانت مجموعة من الزوجات المفترسات قد نهشن لحوم ازواجهن موتى ، واحياء فان رجال الصحافة والذين وجدوا في هذه الحوادث لقمة سائغة لمقالاتهم الاستفزازية قد شاركوا في قتل هؤلاء الازواج آلاف المرات يوميا لفترة طويلة حين ادخلوا تفاصيل هذه الجرائم الى البيوتات .. وراح الازواج يقرءون التفاصيل على زوجاتهن .. وبدأ الخوف أو التشفى أو اللامبالاة ، يتسرب الى القلوب .

وكنت اتمنى ان تقوم المؤسسات الرسمية بمنع نشر اى من تفاصيل هذه الجرائم .. لكن يبدو ان في داخل كل منا جلاده .. يقرأ احداث الجرائم كأنه يشاهد فيلما من أفلام الفيديو المليئة بالعنف ، وكأن الامر كله لايعدو ان يكون تمثيلا في تمثيل ، كأنه خارج عن جلودنا يمكن ان يحدث في كل البيوت الا في بيوتنا ، وانه مثلما


نورمان مايلر


ترومان كابوت


جيمس بولدوين

يطفىء المتفرج جهاز الفيديو او التليفزيون ، بعد مشاهدة فيلم عنيف فان المرء يطوى الجريدة بعد ان ينتهى من قراءتها ، ويمارس حياته العادية كأن شيئا من كل هذا العنف غير موجود بالمرة .

وقد مرت هذه الجرائم وسوف تمر العشرات من امثالها دون ان يكف الناس عن إسالة دماء جديدة داخل جدران بيوتهم .

لكن اين الكاتب من مثل هذه الجرائم ؟

الكاتب اولا ، بشر مثل كل البشر ، يتألم ويحمل على كاهله أعباءه الخاصة وقد يعانى فى بيته من ظروف قد تدفع بزوجته الى التخلص منه . مثلما حدث لكل الازواج الذين تمت تشفيتهم ، ومع ذلك لم ينفصل الكاتب ابدا عن المجتمع الذى يعيش فيه ، مهما حلم بالطوبوية ، فاذا كان الكاتب الانجليزى توماس مور قد تخيل ، فى مدينته الفاضلة ، ان المجرم يجب ان يذهب الى المستشفى للعلاج فان التاريخ قد عرف الكثير من الادباء الذين كرسوا حياتهم لتشريح الجرائم ودوافعها وتقديمها فى كتب .

● مع سبق الاصرار .. والترصد

فقد كرس الادباء على مدى التاريخ ، اقلامهم للدفاع عن بعض المظلومين ولنصرة الحق ، مثلما فعل اميل زولا حين دافع عن الضابط دريفوس فى القرن الماضى . اما اشهر قضايا تام ادباء بتعقبها فى كتب فهى تلك التى تناولها جرهام جرين فى كتابه « انى اتهم » وايضا ماقدمه كل من ترومان كابوت ونورمان مايلر وجيمس بولدوين عن جرائم تمت فى بلادهم . حيث راح كل منهم يخصص قلمه فى فترة من حياته ، لتعقب حالة اجرامية حقيقية وقدم هذه الحالة بعد سنوات من البحث فيما يسمى بالتحقيق الروائى .

واذا كان نجيب محفوظ قد سعى

للاستفادة من الخطوط العامة لوقائع حياة وموت سفاح الاسكندرية محمود امين سليمان فى روايته « اللص والكلاب » فان الكاتب قد اهتم بصياغة رواية تبعد كثيرا عن حياة سفاح الاسكندرية فقد راح محمود سليمان مع الزمن ، واصبحت شخصية سعيد مهران اكثر بقاء فى التاريخ .

وفى نفس العام الذى اثار فيه محمود امين سليمان الرأى العام فى مصر ، ١٩٥٩ شهدت مدينة كنساس سيتى الامريكية جريمة عادية ، قياسا الى مانقرأه الان من مسلسلات القتل البشعة ، حيث دخل شابان الى احد المنازل بهدف العبث ، وبدون سبب قاموا بربط وثاق كل سكان الدار وذبحوهم كالشياه . قرأ الكاتب الامريكى ترومان كابوت الذى مات فى سبتمبر ١٩٨٤ عن ستين عاما ، الخبر فى صفحات الحوادث مثلما يفعل الناس . وعرف ان الجريمة بلا دافع وبعد ثلاثة ايام من الجريمة وصل كابوت الى كنساس واختفى عن عالم الادب لمدة ست سنوات كاملة قام خلالها بدراسة هذه القضية ، فقابل كل من له علاقة بها ، وعلى رأسهم القاتلان والتقى بالقضاة والاهل وحضر جلسات المحاكمة ، وزار الزنزانات وعرف المجرمين عن قرب اثناء فترة الانتظار ، كما شهد عملية تنفيذ الاعدام فيهما ، ثم طلع على العالم بكتيب صغير يحمل عنوان « مع سبق الاصرار والترصد » حقق جماهيرية كبيرة ، ومالبث ان تحول الى فيلم شهير . تحدث كابوت ان اسباب هذه الجريمة ـ التى تبدو بلا دافع ـ عائلية ، وان الحرمان الذى عانى منه القاتلان هو الدافع السياسى لهذه الجريمة وقال ان عملية انتظار الاعدام فى حد ذاتها ، جريمة بشعة ، وانها العقاب الاول للمجرم الواعى ، لانه يموت فى كل لحظة .. وبالتالى فان التنفيذ له نفس بشاعة الجريمة نفسها .

● القاتل .. والتناسخ

اما الحادث الثانى فقد حدث فى ١٧ يناير ١٩٧٧ .. حين تم اعدام جارى جليمور رميا بالرصاص ، وكانت تلك اول عقوبة اعدام تتم فى الولايات المتحدة بعد تنفيذ الاعدام فى قاتلى كنساس سيتى ، وفى تلك السنوات كان نورمان مايلر يكاد ينتهى من روايته الضخمة « قصة مصرية » وقد صدمت عملية الاعدام الكاتب الذى قرر ان يكتب مقالا مالبث ان تحول الى كتابا ضخما « عندما قرأت مقالا حول جليمور الذى اعرفه شخصيا ، بدا مدانا . واحسست اننى اعرفه عن عمق ومنذ سنوات »

كانت جريمة جليمور تتمثل فى

قيامه بقتل عشيقته وطفليها ، قام أولا بقتل الطفلين : قتلتهما لانني لم اود ان اقتل نيكول .. اما المرأة فقد تعرفت عليه بعد ان قضت احد عشر عاما فى مصحة نفسية ، تزوجت لاول مرة وهى فى الخامسة عشرة ثم تكرر زواجها وقد راح الكاتب يبحث عن ابعاد العلاقة بين جليمور ونيكول واستعان بمجموعة من الرسائل المتبادلة بين الرجل والمرأة الصغيرة مليئة بالوحشية والدم والمآسى ، فجليمور يعرف ان حالة نيكول النفسية دفعتها ان تعرف العديد من الرجال لذا فكر ان يخلصها من حياتها كانه مخلص .

وكان المعروف ان جليمور ينتمى الى طائفة مسيحية تسمي نفسها بالمرمونية وهى طائفة امريكية انشأها جوزيف سميث عام ١٨٢٠ اباحت تعدد الزوجات وبعضهم لايؤمن بالزواج ، وقد آمن جليمور بظاهرة التناسخ وقد اكد مايلر على صحة هذه الظاهرة التى آمن بها المصريون القدامى فى ان الروح بعد ان يموت صاحبها ، تذهب لتتقمص جسدا جديدا .. هذا العالم اكثر خطورة من عالمنا ليست فيه قوى شر ، وكثيرا ماأشعر انني هناك وأنني كلما مت أبعث ثانية ».

لقد راح نورمان مايلر يتقصى وقائع هذه الجريمة ووقائع اعدام جليمور وفى عام ١٩٧٩ طلع على العالم بكتابه « اغنية الجلاد » بعد ان التقى بثلاثمائة شخصية تعرف الكثير او القليل عن حياة جليمور وقرر ان يحكى وقائع تسعة اشهر من حياة المجرم وهى الفترة التى انتظر فيها الاعدام من ابريل ١٩٧٦ الى يناير ١٩٧٧ .

لم يكن جليمور بالرجل البرىء الذى يدفع بكاتب مشهور ان يدافع عنه ، فهو انسان داعر وسفاح اعتاد حياة السجون . ويرى مايلر ان كتابه ليس سوى قصة حب امريكية معاصرة . فاذا كان كابوت قد ارجع السلوك الاجرامى لقاتليه الى اسلوب التربية الذى تلقاه كل منهما . فان علاقة الحب الفاشلة التى ربطت بين جارى وحبيبته نيكول هى السبب ، « لم اعتد ان اكون نقيا فى علاقاتى فانا دائما ملىء بالاسفاف . الغش يملؤنى . والشر والحقد . لكن نيكول كانت فتاة رقيقة وفية ، وهذا ماصدمنى »

كان كتاب مايلر نموذجا لارتباط الكاتب بالجريمة الواقعة فى مجتمعه . ففى الجزء الاول من الكتاب اهتم بالتركيز على حياة جليمور وعلاقاته الانسانية المتشعبة اما فى الجزء الثانى فقد راح يسجل مادار بينه وبين الشخصيات الثلاثمائة التى التقاها وسألها عن جليمور : المحامين والصحفيين ، وكل من حاول الاستفادة من وقائع هذه الجريمة لتحقيق امجاده الخاصة وهذا يذكرنا بما حدث لصحافتنا وهى تتناول جرائم الشهر الماضى . فالصحفيون الذين يعملون فى صفحات الحوادث اشبه بالحانوتية

والمحامين فكلما انتعشت الجريمة فى المجتمع انتعشت احوالهم وتحسنت ، وكلما قلت الجرائم انتكست صفحات الحوادث فى الصحافة .. وقلت الملفات فى مكاتب المحامين .

● جرائم قتل .. زنجية

حول هذا المفهوم قامت وقائع كتاب « جرائم قتل فى اطلنطا » الذى نشره جيمس بولدوين قبل وفاته بعامين فى عام ١٩٨٥ ، والمجرم الذى تتبع الكاتب وقائعه الاجرامية زنجى مثله وينتمى الى الجنوب الامريكى ايضا مثله .. ويقول بولدوين : « ذهبت الى اطلنطا بناء على طلب احدى المجلات التى طلبت منى ان اكتب مقالا حول جريمة قتل ارتكبت بين عامى ١٩٧٩ و١٩٨١ حيث قتل ثمانية وعشرون طفلا اسود ، وكان علىّ ان اكتب دراسة عن البواعث النفسية التى دفعت القاتل لارتكاب هذه الجريمة .

فالقاتل واين ويليامز شاب فى الثالثة والعشرين من العمر .. قبض عليه بتهمة قتل اثنين من المتشردين الزنوج . الا انه اثناء عقد المحاكمات يكشف انه قد قتل ثمانية وعشرين طفلا . ويهتم بولدوين بدراسة الدوافع النفسية التى دفعت هذا الشاب الصغير لقتل هذا العدد الكبير من الاطفال يقول الكاتب « لايود البيض ان يسمعوا الزنوج يتكلمون خاصة انهم لايرغبون فى سماعهم يتحدثون عن بؤسهم فعليهم ان يتصرفوا كأن هذه المشكلة غير موجودة ».

ويرى بولدوين ان البشر لايختلفون فى احاسيسهم سواء أكانوا من الزنوج او البيض او الجنس الأصفر ، كلهم لهم نفس المشاعر والافكار المتقاربة حول الحب والامل ، والخوف والنبل والعنف ورغم ان البشر يختلفون فى الوان جلودهم فكلهم لهم نفس المشاعر بصورة او بأخرى ، ولذا فهو ينادى باتحاد كل الأجناس فى رابطة واحدة .

هذه هى نماذج هامة تعكس علاقة الكاتب بواقعه الاجتماعى الذى يعيش فيه . وخاصة تلك الجرائم الدامية التى تطلع علينا الصحف يوميا بتفاصيلها الدقيقة وقد انتقلت هذه الجرائم بشكلها البالغ الدموية الى بلادنا من الغرب ، بعد اجتياح الفكر البرجماتي الذى افسد علينا علاقاتنا الانسانية حتى في داخل بعض بيوتاتنا .. واذا كانت بعض الصحف قد ارسلت المشاهير من ادبائها لتقصى حالات القتل العنيفة ليس من اجل التشهير بها ، بل بدافع تحليلها فاننا فى حاجة ماسة الى ان يقوم بعض من كتابنا بتقصي حالات اجرامية فى مجتمعنا للخروج بنتائج مماثلة لتلك التى قدمناها فى السطور السابقة .



مزارع طاقة الرياح

قررت وزارة الكهرباء وهيئة الطاقة المتجددة البدء في تصنيع مراوح توليد الطاقة من الرياح بقدرة ١٠٠ كيلو وات ، بالتعاون مع الدانمارك (تنتج ٥٠٪ من مراوح طاقة الرياح في العالم) وجدير بالذكر أن مصر كانت تنتج مراوح طاقة الرياح قبل ما يزيد على عشرين سنة ، وان كان السعر غير الواقعي لكهرباء الشبكة قد قضى على هذه المحاولة المبكرة ، لتفضيل المواطنين الكهرباء الرخيصة على هذه المراوح، ذلك على الرغم من أن انتاج طاقة الرياح أرخص من وسائل انتاج الطاقة التقليدية ·

وقد تم في اطار المحاولة الجديدة توقيع اتفاقية مع برنامج الامم المتحدة للتنمية يتم بمقتضاها تقديم ١,٤ مليون دولار للمساهمة في نقل تكنولوجيا التصنيع الى مصر ·· هذا وسيتم تصنيع أول وحدة بالتعاون مع الدانمارك على أن يتم تصنيع الوحدات الاخرى في المصانع المصرية ، والمستهدف هو انتاج ٢٠ الف وحدة تنتج ثلاثة الاف ميجاوات يجري ربطها بشبكة الكهرباء ·

وقد اكدت الدراسات التى تمت حول طاقة الرياح (تم عمل خريطة تفصيلية على مستوى مصر) امكانية اقامة مزارع ضخمة لطاقة الرياح في منطقة رأس غارب على طول ساحل خليج السويس ومنطقة شرق العوينات والساحل الشمالى ·· حيث تتوافر الرياح بسرعات كبيرة على مدار العام ·

وسوف يقوم مصنع الحديد والصلب بتصنيع صندوق تروس مصرى للمراوح ، وذلك بالاضافة.

الى تصنيع أجهزة التحكم الالكتروني والبرج الحامل للمراوح ، كما سيجرى تصنيع الريش من الفيبر جلاس فى ترسانة السويس البحرية والمتوقع أن تصل نسبة التصنيع المحلى فى وحدات توليد طاقة الرياح الى ٨٠٪ حيث سيتم استيراد المولد الكهربى وبعض أجهزة التحكم ٠

ويمكن استخدام هذه الوحدات فى تزويد المناطق النائية بالكهرباء ، وكذلك فى استخراج المياه الجوفية ، وتستهدف الخطة انتاج ٥٪ من اجمالى الطاقة المولدة فى مصر عام ٢٠٠٥ عن طريق هذه المراوح ٠

البريسترويكا والجراحة

رغم ان الليزر يساعد الجراحين بصورة فعالة منذ أمد بعيد فى العديد من المجالات الصحية فان استخدامه كان مشكلة فى مكافحة تصلب الشرايين ، الذى يؤدى الى اصابة ملايين الناس سنويا بجلطات القلب وتزيف المخ وغرغرينا الاطراف ٠٠ وذلك لانه كان يتعذر الوصول الى ليزر لا تزيد درجة حرارته على ٦٠ درجة مئوية ، يمكن الاستفادة من قدرته الشافية دون أن يشكل خطرا على الاوعية الدموية ٠

لكن الطبيب السوفييتي ايفان ماكسيموفيتش ، وهو دارس للتأثيرات الشافية لانواع الليزر ، فى مختلف الانسجة ، قد تمكن بمساعدة الفيزيائيين ، من الاعتماد على ليزر ناتج من ابخرة النحاس ، لا يتلف شعاعه جدران الاوعية الدموية ، كما تمكن من اعداد الطريقة التى تتم بها العملية وأنشأ معملا للجراحة الليزرية تكللت فيه بالنجاح العمليات التى أجريت للعشرات من المصابين بتصلب الشرايين فى أطرافهم ، ممن كانوا مهددين ببتر هذه الاطراف ٠

ومع الزمن كتبت الصحافة عن طريقة ماكسيموفيتش الجديدة وصور التلفاز المركزى ريبورتاجا عنها ، وبدأت الامال تداعب عشرات ومئات المرضى فأخذوا يهجمون الى معمله ، وأعرب علماء البلدان الاخرى ، حين اطلعوا على جهود الرجل عن اعجابهم بجهوده ، ورغبتهم فى التعاون معه ، ثم عن رغبتهم فى شراء براءة استخدام ما اخترعه ٠

لكن على حين غرة وفى أغسطس ١٩٨٧ توفى مريض كانت حالته خطرة جدا ، بعد أن أجريت له العملية بنجاح ، من جراء مضاعفات كان يصعب التنبؤ بها ٠٠٠ وكانت المفاجأة أن ألقى قسم التشريح بمسئولية الوفاة على عاتق ماكسيموفيتش ، وبأمر من كبير الاطباء ألغى معمل الرجل وسرح العاملون فيه ، وبدا وكأن الامر

طبيعيا ، وأن ما سبقه كان فورة حماس ..

لكن رياح البريسترويكا وجو العلنية قلب الاوضاع .. ففى نهاية نفس العام شكلت لجنة متخصصة من كبار الجراحين للنظر فى المسألة وكانت المفاجأة أن اكتشفت اللجنة أن ماكسيموفيتش كان يضطر لتكريس الجزء الاكبر من وقته لانشطة لاترتبط بالجراحة البتة ، وتدور حول خرق الحواجز البيروقراطية ، التى توضع فى طريقه ، والحصول على الاجهزة والمعدات والمواد الضرورية .. وأنه كان يعمل فى جو موبوء بعدم الفهم وبمقاومة وعداء بعض زملائه ، وبعض المسئولين .. وكان حادث الوفاة ، الذى لا ذنب لطريقته الجديدة فيه ، كان ما ينتظره المحافظون البيروقراطيون الذين كانوا يعارضون طلبات ماكسيموفيتش بشأن توسيع معمله ويشهرون بطريقته الجديدة بكافة الاساليب .

المهم أن لجنة البريسترويكا توصلت الى أن الطبيب الشاب قد عثر على طريقة جديدة تماما فى العلاج وسمحت له باجراء عشر عمليات جراحية بحضور مجموعة من الاساتذة المتخصصين .

المتقدمون والعفاريت

تحت مسميات عديدة مثل انسان الغابة ، وانسان الثلج ، والانسان



الوحش وحتى الكائن الريليكتى الشبيه بالانسان (تعنى ريليكتى بقيا كائن حى منقرض) .. تحت كثير من مثل هذه المسميات تكد مجموعات كثيرة فى البلدان المتقدمة ، من الولايات المتحدة الى بريطانيا والصين والاتحاد السوفييتى ، فى البحث عما اصطلحنا على تسميته فى بلادنا بالعفاريت !!

ويرجع هذا البحث الى عام ١٩٢١ حين اكتشف المشاركون فى بعثة هوفارد - بيورى آثارا غريبة أشبه بآثار قدم الانسان وان كانت أكبر منها بكثير ، فوق ثلوج جبال افرست .. ومنذ ذلك الحين لم يقتصر البحث على المجموعات الهاوية الصغيرة ، ذلك انه تظمت للبحث المؤتمرات العلمية شبه الرسمية كما حدث فى متحف دارفين فى موسكو

قبل عشرين سنة ، بل والمؤتمرات الاكاديمية كما حدث في جامعة كولومبيا البريطانية عام ١٩٧٨ ، حيث ناقش الباحثون خلاصة جهد جامعات (!) العالم ، في ٣١ ورقة بحث منفصلة ٠٠

وتعتمد نظرية المشاركين في مثل هذه الابحاث على أن الكائنات الريليكتية الشبيهة بالانسان هي نوع من الانسان النياندرتالي الذي بقي حتى يومنا الراهن والذي لم تطرأ عليه الا تغيرات ضئيلة خلال التطور البيولوجي ٠٠ أو بالبساطة هي فرع جانبي أو متوار من تطور الانسان ٠

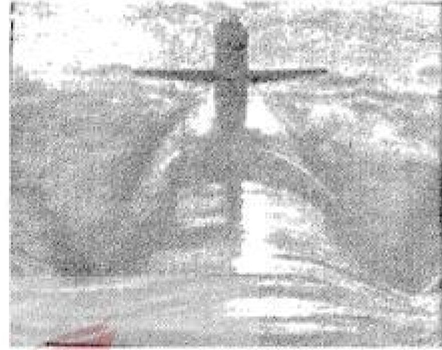
ورغم الاف شهود العيان للانسان المتوحش ، الذين ابتدأ وجودهم الجغرافي من جبال الهيمالايا الى الجبال الممتدة على طول الشاطيء الامريكي والكندي المطل على المحيط الهادي ، وجنوب شرقي آسيا ، واستراليا ، وجبال شينوتسيا الصينية ، وجبال جورجيا السوفييتية ٠٠ ورغم المؤتمرات العديدة وجماعات البحث الكثيرة ، ورغم الكتب التي ظهرت حول الموضوع مثل « الانسان الوحشي الافريقي » الذي نشره البلجيكي برنار ايفلمانس ١٩٨٠ ٠٠ رغم كل ذلك لم يمسك أحد من هذا الانسان الا ببعض الاثار ٠٠ كان يقر المشاهدون بأن طوله يقترب من ٢ ـ ٣ أمتار ، والمتخصصون أن وزنه ٣٥٠ ـ ٣٦٠ كجم ، احتكاما الى آثار أقدامه التي تشبه آثار أقدام انسان « عملاق » ٠٠ ذلك بالاضافة الى شريط التصوير الذي تمكن الباحثان الامريكيان من تسجيله لانثى هذا الانسان في غابات كاليفورنيا الشمالية في أكتوبر ١٩٦٧ ، والذي تعرض لفحص دقيق من علماء واخصائيين في التصوير خلصوا منه الى أنه شريط غير مزيف ٠

ويرجع ذلك من وجهة نظر المتخصصين الى الحيطة التي يتمتع بها هذا الكائن مما يجعله يقطن المناطق البعيدة عن العمران كالوديان الجبلية التي يندر أن يزورها الانسان ، وعدم خروجه من مخبئه الا في ساعات الليل ٠٠ ذلك اضافة الى سخرية قطاعات عريضة من الناس ، وغياب مركز علمي موحد يقود البحث عنه ٠

وقد جرى حظر البحث عن هذا « الانسان » في بعض البلدان مثل الصين لاسباب سياسية ، حيث أنه اعتبر « ترويجا » لمعتقدات القرون الوسطى الاقطاعية ، لكن حركات الانفتاح التي تشهدها هذه البلدان عززت جهود الباحثين عنه ٠

وعلى هذا النحو باتت اسطورة « الانسان المتوحش » فرضية تحولها الملامح الملموسة والمشاهدات الى شيء أكثر واقعية ٠

حوادث نووية



مع تكرار غرق الغواصات النووية وسقوط الاقمار الصناعية التي تتحرك بالطاقة النووية زاد قلق واهتمام العالم بصدد حوادث فردية وقعت هنا أو هناك .. لكن دراسة عن الحوادث البحرية أعدتها حركة السلام الاخضر ، بالاتفاق مع معهد الدراسات السياسية في بريطانيا كشفت أن البحريتين الامريكية والسوفييتية فقدتا خمسين رأسا نوويا وثماني مفاعلات ذرية غرقت كلها من أساطيل الدولتين واستقرت في قاع المحيط ، وأن هناك الفي حادث - جرى توثيقها - منذ عام ١٩٤٥ ، منها ٢٤٥ حادثا وقعت للاسطول الملكي البريطاني وأن الاسطولين السوفييتي والفرنسي هي اكثر الاساطيل تعرضا للحوادث البحرية ..

وقد أزاحت الوثائق السرية التي افرج عنها مؤخرا الستار عن ٢٠٠ حادث بحري لم يعلن عنها وقت وقوعها بما في ذلك حادث فقد قنبلة هيدروجينية من حاملة الطائرات الامريكية « تيكونديروجا » قرب الشواطىء اليابانية عام ١٩٦٥ ، وحادث تسرب الوقود النووي من الغواصة الامريكية « جاردفيش » عام ١٩٧٨ .

وشملت الحوادث ٢١٢ سفينة نووية الى جانب مئات السفن الحاملة للاسلحة النووية ، ولكن السلطات في البلدان الكبرى كانت تلجأ الى اخفاء هذه الحوادث عن الرأي العام العالمي والمحلي حتى لا تثير ضدها دعاة حماية البيئة ودعاة نزع السلاح النووي .

الجدير بالذكر أن هناك العديد ، أيضا ، من الحوادث تعرضت لها الطائرات التي تحمل القنابل النووية، وأن استخدام المحركات النووية في الاجهزة الفضائية والاقمار الصناعية في تزايد مستمر ، وأن سيطرة محطات الادارة والتوجيه الارضية قد فقدت على عدد من هذه الاجهزة ، وسقطت أجزاء منها على مناطق مختلفة من كوكبنا ، وأن المصادفات السعيدة وحدها هي التي حمت سكان الكوكب من مخاطرها نتيجة سقوطها ، حتى تاريخه ، في أماكن غير مأهولة، ولأن الجزء الاعظم من أجزائها كان يحترق خلال اختراق الغلاف الجوي.

الابداع ومشاكل مصر الملحة

هل يمكن القضاء على البلهارسيا ؟

بقلم : محمد فتحى



شهور ومجلة الهلال تحوم حول قضية حيوية تحاول الإمساك بتلابيبها ، وطرحها طرحا لايقف عند حدود الجلاء والوضوح ، بل يتجاوزهما الى آفاق الفعل ..

ولعل آخر حلقات طرح هذه القضية مقال "الابداع البشرى" بقلم د . محمد عبد الرحمن الذى تصدر عدد مايو من "الهلال" ، ورغم مايحويه المقال من تفاصيل يمكن الاختلاف حولها ، فإن مايعنينا هنا هو الاتكاء عليه للوثب الى الهدف الأسمى ، وهو ان نعمل فى مصر (هنا والآن) على طرق باب الفعل الابداعى الجماعى القائم على المعرفة ، وهو المفهوم الذى فصلناه على مثال اليابان عند الإجابة عن السؤال حول سر تقدم المجتمعات البشرية .



د . راغب دويدار
وزيـر الصحـة

فليأذن لى القارىء ان ابدأ بتقرير المقولة الأساسية كما جاءت فى مقال "الابداع البشرى" . كتب د . محمد عبد الرحمن "ان هناك إبداعا بشريا يتمثل فى إيجاد حل عبقرى لمشكلة أو مشاكل تواجه مجموعة او شعبا ، كالحروب أو المجاعات أو الكوارث .. ويؤدى هذا الابداع الى التخلص نهائيا من المشكلة رغم أنه يبدو وكأنه شىء بسيط جدا"

وقد فصل الكاتب امثلة لذلك الابداع مثل قضاء الصين على العصافير لانقاذ غلالها ، وكوبا على مشكلة الامية ، وجيش مصر على الساتر الترابى الممتد بطـول القناة ، واخيـرا التجربـة الابداعية العبقرية المتمثلة فى ظاهرة اطفال الحجارة فى فلسطين المحتلة ..

وحتى نثب من هذه المقولة الى كيفية العمل الجماعى الابداعى فى مصر يهمنى ان التفت ابتداء عما قد يشوب بعض الامثلة التى ذكرها د . محمد عبدالرحمن من مثالب (مثل الضرر الذى وقع بتربة الصين الزراعية نتيجة الخلل فى التوازن البيئى بعد التخلص من العصافير) فليست هذه المثالب بيت القصيد هنا .. لكن من الضرورى المضى بعد ذلك الى تدقيق بعض المفاهيم توخيـا لان يكون انطلاقنا من قواعد صحيحة واضحة ..

● طبيعة الإلهام

وأول المفاهيم التى يجب تدقيقها هو

الإبداع ومشاكل مصـــر الملحـة

مفهوم الالهام (الذى ارجع اليه الكاتب هذا النوع فى الابداع) لتخلصه من حالات الغموض ، فما يطلق عليه الهاما ليس سوى كدّ مخلص لذهن مهموم بمشكلة يحاول من خلاله حشد الخبرات البشرية السابقة ، وتطويرها وتوظيفها لمواجهة المشكلة المهموم بها .
وساكتفى بمثالين لايضاح ذلك .. الأول هو السبيل الذى اتبع فى هدم الساتر الترابى على القناة عام ١٩٧٣ ، إذ استفاد احد الضباط المصريين ، المهمومين بكيفية إزالة هذا الساتر ، من تجربة خبرها قبل ذلك فى عملية تجريف الصخور بالمياه (ذات الضغط العالي) اثناء بناء السد العالي . ومن الهم والخبرة معا ، تولدت فكرة هذا الحل الابداعي

ولايضاح الامر اكثر اعود الى موقف حدث فى فجر اختراع الطيران حيث كان المأخذ الذى يصيب هذا الاختراع الحضارى الفذ في مقتل ، هو ان الطائرة سرعان ما تهوى وتتحطم بمن فيها ، عند اى خلل يصيب ايا من اجهزتها .. ويومها كان واحد من الرواد المبتكرين لأجهزة الطيران يمضى مهموما بهذه المشكلة ، فى طريقه لمشاهدة احد استعراضات الاقلاع والتحليق والهبوط ، فيما يشبه ملعب كرة القدم (كان الطيران مازال مجرد استعراض وفرجة) ومع كل القلق الذى يحسه على الطيارين والهم الذى ينوء به ، طالعه وجه متفرج بعين واحدة (اعور) وللتو برقت فى ذهنه المهموم الفكرة "العبقرية" لماذا لاتكون كل الاجهزة الحساسة فى الطائرة مزدوجة ، كما هى الحال بالنسبة لعينى الانسان ، بحيث يدخل الجهاز البديل فى العمل حال فشل الجهاز الاساسى ..
وكانت هذه هى الفكرة التى فتحت الباب لتحول الطيران من مغامرة غير محمودة العواقب ، إلى ثورة حضارية حقيقية ، إذ جعلت منه عملية تتمتع بضمانات امان لاتقل عما يتوفر لغيره من وسائل النقل ..

إن ما نطلق عليه الهاما ليس تجربة بعيدة عن الفهم وإنما هو تفاعل وتجل لخبرات مفهومة .. وهو تجل لابد ان تتوفر لتحققه بعض الشروط ، لكن لاباس قبل التطرق الى هذه الشروط من ان نكمل عملية تدقيق افكار "الابداع البشرى"

● أرقى أنواع العلم

ولعل نقطة التدقيق الثانية تتصل بما قيل من ان مثل هذه الابداعات العبقرية ليس مبنيا على نظرية علمية محددة وواضحة .. ولا اود ان اناقش مصطلح عبقرى فى وصف هذا الابداع (فقد بتنا نسىء استخدام المصطلح

كثيرا) وإن كان يهمني التأكيد اولا على ان هذا إبداع عادى وطبيعى جدا ، لاناس لا تحكمهم عقد النقص ، مما يدفعهم الى التعلق بأذيال تعبيرات كبيرة من قبيل "إنجاز تاريخى ، ومنعطف خطير ، و .." إنه ابداع عادى

لاناس اسوياء يؤمنون حقا بان الخالق القدير قد نفخ فيهم بعضا من روحه المبدعة .. وحتى إن كان هناك مجال لابداعات عبقرية حقا ، فإن المجال اوسع بما لايقاس امام الابداعات العادية والنابغة ، بل ان من الصعب الوصول الى الدرجة الاعلى من الابداع دون التمرس بهذه الدرجات الدنيا ..

والأهم الذى يجب التأكيد عليه فى هذا الصدد ان مثل هذا الابداع وإن لم تنتظمه نظرية واضحة بسيطة ، فهو ارقى انواع العلم جميعا .. فماذا يمكن ان يكون جماع او خلاصة الخبرات البشرية فى تفاعلها وتنميها ، وتوظيفها فى حل مشكلات الناس وترقيتهم ، إن لم يكن علما ، مهما ضاقت المفاهيم الوضعية الضيقة عن تمثل ذلك ؟!

ويهمنى التأكيد هنا ايضا انه ليست هناك ضرورة على ان يقتصر هذا الابداع على مواجهة مشاكل كالحروب والمجاعات والكوارث ، بل ان عوده لايشتد ، كما المحنا ، إلا من خلال مواجهة ابسط مشكلات المعاش اليومى ..

● الإبداع الاجتماعى

ولعل التدقيق الأخير الذى اود ان اسوقه يتعلق بتسمية هذا النوع من الابداع . فليس "الابداع البشرى" هو الاسم المناسب له لأن كل إبداع بما فى ذلك الابداع الفنى والابداع العلمى (اللذين ميزهما د . محمد عبدالرحمن عنه) هما إبداع بشرى ايضا وليست المسألة هنا مجرد خلاف شكلى ، ذلك ان التسمية الصحيحة ستضعنا مباشرة على عتبة الأفق الأسمى الذى نبغيه .

وربما كانت اقرب تسميات هذا الابداع الى الصحة هى "الابداع الاجتماعى" .. واود ان امضى فى التدقيق الى حد ابعد ، لابين ان ظروفا اجتماعية بعينها قد تعود الى نتاج عبقرى ، هو فردى من حيث اداة التنفيذ او الافراز (مثل نتاج تولستوى ودستويفسكى وتشيخوف فى ظروف روسيا القيصرية) ، وان ظروفا اجتماعية او قل استعدادا اجتماعيا من نوع آخر هو الذى يقود الى ابداع اجتماعى جماعى (مثل التجربة الكوبية فى محو الامية) وهذا المفهوم بالذات هو الذى استخدم به اصطلاح "الإبداع الاجتماعى" هنا ..

ولعل الالتفات اخيرا الى طريقنا فى مصر الى "الابداع الاجتماعى" يتطلب ، بعد تدقيق المنطلقات ، تحديد

الإبداع ومشاكل مصسر الملحة

الشروط الواجب توافرها حتى تدور عجلة مثل هذا الابداع ..

ولعل أول هذه الشروط هو توفر درجة من السماح تفتح الباب أمام التعبير مما يجول بالخاطر (دون خوف حتى من التسفيه) ، والاستعداد الحقيقي للحوار ، والاهم من ذلك توفير الضمانات لاطراد الحوار ، فالعمل الحق على الاستفادة منه .

فلنتصور أن المهندس الذى فكر فى نقل عملية "تجريف البقايا فى السد العالى" الى جبهة القتال ، لازالة الساتر الترابى على القناة ، كان مجندا عاديا ، وكان أول من سمع فكرته ، وفق التسلسل الهرمى ، عريف بالاقدمية (لايفك الخط) ليواجه المجند الجديد برد فعل من قبيل لسه طالع من البيضة وداخل الجيش أول إمبارح وعاوز يعمل فيها أمير ؟! .

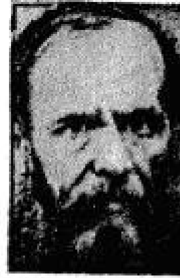
أو حتى كان أول من سمع فكرته ضابط كبير قد تمكن من وجدانه أن الأمر يحتاج الى وسائل جبارة وفى حاجة الى تفكير رتب كبيرة خبرت الحرب ، وتعلمت فى اكاديميات عسكرية اجنبية و ... و ...

من هنا ضرورة جو السماح والاستعداد للسماع حتى بالنسبة لكلام ربما بدا للوهلة الأولى غير معقول ، وربما كان غير محكم وغير ..

وبالمناسبة فإن أرقى ما توصل اليه العالم المتحضر فى مجال تنشيط الابداع هو تشجيع "البعض" على التعبير عما يجول بخواطرهم بصدد مشاكل تطرح عليهم لاول وهلة ، وعلى أن يقولوا أول ما يطرا على اذهانهم ، دون تمحيص ، ودون خوف من أن يبدو كلاما فارغا .. على أن تجرى عمليات التمحيص بواسطة خبراء لهم تركيبة خاصة فيما بعد ..

بعد توفر درجة معقولة من السماح يأتى الاستعداد الحقيقى للحوار فقد اعتدنا فى حواراتنا للاسف الشديد ، أن ينشغل كل منا ، خلال حديث الآخر ، باعداد ما سيدافع به عن نفسه ، دون أدنى جهد للتفكير فى مدى وجاهة مايقال .. ولايمكن لحوار أن يضطرد على نحو مثمر دون استعداد لتقويم وجهات النظر الأخرى وتبنى ماهو منطقى منها دون حساسية وبعيدا عن رواسب القيم والاخلاقيات القبلية والحرفية ، التى تجعل كلا منا يضخم من "أناه" دون أن يرى الآخرين ، بالذات إذا كان سلم الترقى (الاوتوماتيكى غالبا) قد قفز به بعيدا بحيث يعتبر مجاله ـ دون حق ـ مملكته وملكيته .


تـولـسـتوى


دستوفـسكى

تبقى الاستفادة من افكار الحوار وهنا لابد من المبادرة الى إشراك الجهات التنفيذية (وعلى اعلى مستوى) فى هذا الحوار وفى نقله الى حيز التنفيذ ، بل والتشجيع على تكوين ادوات تنفيذية غير تقليدية ، والتحلى فى ذلك كله بنفس طويل يجعل عملية الوصول بالحوار إلى التنفيذ هى المحك والفيصل ، بين أن نكون جميعا متحاورين ومنفذين ـ جادين او هازلين ونكرر لا باس من أن يكون اهتمامنا بمشاكل صغيرة أو جزئية (كوارث او حروب او ...)

غير أن هذه المبادرات المتفرقة لايمكن أن تتحول إلى تيار فاعل له قيمته فى المجتمع إن لم تستقم منظومة القيم فى المجتمع بحيث تصبح القيمة للأنفع (اجتماعيا) ، الأمر الذى يؤدى الى حث هذه المبادرات وتناميها دوما ..

● دائرة الفعل

وإن كانت الهلال تشجيعا منها على الحوار قد ارست بابا ثابتا تحت عنوان "دائرة الحوار" فاملنا فيها ان تؤسس بابا يتصدر المجلة يدور عنوانه حول معنى "دائرة الفعل" تشجع فيه على التعبير عن حلول (قد تكون يسيرة جدا) لمشاكلنا ، ربما تكون قد غابت لهذا السبب او ذاك عن الانظار . وإتاحة جو من السماحة والحوار المنطقى الذى يمكن ان يؤدى الى الفعل ..

والمجلة بذلك تستنقذ الكلمة من ان تكون "مسالة" هامشية ، والمثقفين من ان يكونوا سبة فى جبين وانهم يثرثرون على هامشه ، دون فعل حقيقى فى تغييره . كما انها ـ المجلة ـ تكون قد خطت خطوة عملية ايضا على طريق

تغيير منظومة القيم والقيمة فى مجتمعنا بدلا من الاكتفاء بالتباكى حولها ، ذلك ان صفحاتها المتصدرة هذه ستساهم فى تغيير منظومة القيم والقيمة ، وهى إن لم توازن سيل ما تحفل به "اغلفة" صحفنا مما يخل

بمنظومة القيم التى نحتاج اليها فعلا ؛ فإنها تعد خطوة ـ ستذكر لها ـ على الطريق الصحيح ، ويمكن ان تشكل قدوة لغيرها ، ناهيك عن انها ترد بعض الحقوق الى اصحابه (القيمة للأكثر نفعا للمجتمع ..)

وينبغى عدم الخوف من الخطا فى هذا الصدد فالعلنية تجعل الخطا فعلا

مردودا عليه ، كما ينبغى عدم الحرج من خطا قد يحدث فنحن نكتب وننشر عشرات السنين ، ولايمكن ان يكون كل ما كتبناه صحيحا ، والا ماكان حالنا على ماهو عليه الآن ..

● نموذج عملى

وحتى ندرك ما يمكن ان تنطوى عليه خطوة كهذه من فائدة لا باس من مثال عملى يدور حول علاج البلهارسيا فى مصر ..

فالمعروف ان ٤٠ ٪ من سكان مصر يصابون بالبلهارسيا (وفق تقديرات وزير الصحة) وهناك تقديرات اخرى تصل بهذه النسبة إلى ٦٥ ٪ ولن افيض فى مدى الأضرار التى يسببها هذا المرض للانسـان المصرى (تـاركا القـارىء لـلإعـلان التليفـزيـونى الشهير) ، لذا ساكتفى بالإشارة إلى ان التقديرات حول الخسارة السنوية ، التى يسببها هذا المرض لمصر ، تتراوح بين ٥٠٠ و١٥٠٠ مليون جنيه ..

وحتى وقت قريب لم يكن هناك ـ لاسباب كثيرة ـ علاج واقعى لهذا المرض .. ومما كان يعقد الأمر ان الذى يشفى من المرض سرعان ما كان يصاب به من جديد ، لوجود المرضى الذين ينتجون جراثيم ويبثونها المياه من جانب ، ولان الفلاح المصرى لابد ان يخوض فى هذه المياه من جانب آخر (إذ انها مياه الرى ومياه ...) .

وليأذن لىّ القارىء فى التكوص إلى المؤتمر العلمى الخامس لكلية الطب جامعة الاسكندرية ، الذى عقد فى مارس ١٩٨٤ .. كانت العادة قد جرت على ان تكون ابحاث المؤتمرات السابقة شـاملة لكل التخصصات الطبية ، لكنه نظرا لخطورة البلهارسيا قرر هذا المؤتمر ان تكون الموضوع الأوحد للأبحاث فى كل الفروع ..

وما يهمنى هنا إضافة إلى مغزى تخصيص المؤتمر كله للبلهارسيا ما خلص إليه المؤتمرون من ان علاجها لا يمكن ان ينجح إذا استمر علاجا فرديا ، وانه لابد من العلاج الجماعى ..

نعود إلى السياق العلم فوفق ما يؤكده وزير الصحة فإن حبوب علاج البلهارسيا تشفى الجرعة الواحدة (٢ ـ ٤ اقراص) منها المريض فى التو واللحظة ، لكنه وفق كلام الوزير توزع الوزارة شهريا مليونى قرص فقط . فماذا يعنى ذلك ؟ .

١ ـ يعنى اننا نعالج نصف مليون من عشرين مليون مصاب على الاقل ..

٢ ـ إذا وضعنا بعين الاعتبار ان الباقين الذين لم يعالجوا ، يبقون مصدرا للتلوث ، وان هناك نسبة من

غير المصابين ومن الذين عولجوا قبلا سوف تصاب مجددا بالمرض ، فإن ذلك يعني في الواقع اننا توقفنا فقط تزايد عدد المصابين ، بينما يبقى الحجم الأساسي للمرض يدور حول ٢٠ مليون مريض ! وتبقى نفس الخسائر التى تصيب مصر من المرض ..

٣ - انه إذا غيرنا استراتيجية العلاج وجندنا كل الأجهزة المعنية (ومنها كليات الطب ، وطلبة الجامعات ، وأجهزة الإعلام ...) ليتناول كل المرضى العلاج فى وقت واحد فلن نحتاج الى اكثر من ٨٠ مليون قرص ، لا تزيد تكاليفها على ٤٠ مليون

جنيه (الخسارة السنوية من البلهارسيا ٥٠٠ - ١٥٠٠ مليون جنيه) ونكرر أن الشفاء سيكون لحظيا ، وان اى مشاكل يمكن أن تعترض خطوة استراتيجية من هذا النوع (مثل معالجة مياه الترع او تهيئة الظروف لعدم التمس معها بعض الوقت) من السهل تذليلها إذا خلصت النيه وأحكم التخطيط ..

● اختبار بالغ الدلالة

وبالطبع فإن عملا من هذا النوع ليس نزهة يسيرة وإن شكل اختبارا بالغ الدلالة لمدى قدرتنا على الابداع الاجتماعي ، بالذات مع توفر ، أو سهولة توفر ، كل مقوماته لدينا .. ولان مصر ستلقى عن كاهلها - بهذا العمل - بمعظم الأعباء الناتجة عن البلهارسيا ، حتى إذا ظل من افلتوا من العلاج ومن يصابون به مجددا (ويعالجون) فى حدود نصف مليون مواطن ولاننا سنكون قد وصلنا الى استراتيجية علاجية حقا ، بدلا من الايقاع الحالى الذى لا يمكن ان يؤول ، فى التحليل الأخير ، إلا إلى استراتيجية للحفاظ على خسائر مصر (بقاء ٢٠ مليون مريض) وإلى استراتيجية لترويج الدواء (مرة أخرى لنتمعن فى سلسلة الأمراض التى تسببها البلهارسيا وضرورة علاجها إضافة الى علاج البلهارسيا ذاتها) .

اعود مرة اخرى إلى موضوع المقال وهو "الإبداع الاجتماعي" وأقول إن "تراث البلهارسيا" يمكن ان يكبل عقول كثير من المتخصصين ، فلا يرون ضيرا من التعايش مع هذا المرض كما تعايشنا معه منذ قدماء المصريين ، بينما الظروف قد نضجت فعلا للإقدام على خطوة جديدة نحو العلاج الجماعي ، ولا ينقصنا مع صدق النية سوى الاستعداد الاجتماعي الذى تحدثنا عنه

وعلاج البلهارسيا ، اخيرا ليس سوى مثال من عشرات الأمثلة التى يمكن ان تشكل "ورشة الإبداع الاجتماعي" لشعبنا .. فهل نحن على استعداد لان نناقش ونفعل ، حتى لا نقف عند حلقة اجترار التفكير العاجز ، ونبقى سبة فى جبين الامة والمفروض اننا عقلها ؟! .

المائة الأعظم

بقلم: حسين أحمد أمين

ابن خلكان

١٢١١ - ١٢٨٢ م

صاحب كتاب من امتع كتب التراث العربي للقارىء الحديث فى الشرق واحظاها باعجاب المستشرقين فى الغرب، واصدقها تصويرا لكافة جوانب الحياة الاسلامية فى العصور الوسطى . وهو كتاب « وفيات الاعيان ».

استقى ابن خلكان فكرة مصنفه من كتاب ياقوت الحموى « معجم الادباء ». غير انه بدلا من ان يقتصر على الادباء والنحويين واللغويين، تناول فى كتابه كل من نال الشهرة والرفعة فى كل مناحى الحياة، مستثنيا الجيل الاول والثانى من مشاهير الدولة الاسلامية التى تناولتها موسوعات جمة قبله، كموسوعة « أسد الغابة » لابن الاثير التى تعرضت لنحو ٧٥٠٠ من صحابة الرسول .

ويمتاز « وفيات الاعيان » بخلو اسلوبه من التكلف والصنعة البلاغية اللذين افسدا الكثير من كتب المؤلفين العرب بعده · كما يتميز بكثرة ماأورده من مقتطفات من مؤلفات مفقودة لم تصل الى ايدينا ، وبوفرة نوادره وتنوع المعلومات فيه ، وما يعكسه من دقة وتمحيص بالغين فى البحث والتقصى ، وروح علمية نادرة ·

والواقع ان كافة نقط القوة والضعف فى كتاب ابن خلكان ، هى ذات نقط القوة والضعف فى مؤلفات غيره من اعاظم المؤرخين وكتاب التراجم العرب · فهو مثلهم يرى ان مهمة المؤرخ وكاتب السيرة تقف عند حد تقديم

في التاريخ الإسلامي

المادة ، وتسجيل اقوال المعاصرين وشهود الحدث ، دون اهتمام كبير بما قد تنطوى عليه هذه الاقوال والشهادات من تناقض ، تاركا القارىء يستنتج ما يشاء من استنتاجات · وهو يبذل كل ما في وسعه من اجل الحصول على معلومات يمكن الاعتماد اليها ، وشرح اسناده بدقة ، مع ضمير حي وامانة بالغة لايزالان الى اليوم يبعثـــان الدهشة لدى المؤرخين وكتـــاب التراجم · غير اننا متى ما قارنا « وفيات الاعيان » بتراجم بلوتارك مثــلا ، وضح لنا على الفور عجز ابن خلكان عن رسم صور حية للشخصيات التي يتحدث عنها ، وتوفير المفاتيح لها · فهو ان تحدث عن جعفر البرمكي ، لم يقل شيئا لا ينطبق على كثيرين غيره من رجال البـــلاط · وان تكلم عن ابن حزم لم نجد في كلامه اية اشارة الى تحوله من سياسى ومدبر دولة ، الى كاتب اديب ، الى عالم بالكلام ومؤرخ للاديان ·

فهو اذن ـ كسائر المؤرخين المسلمين باستثناء ابن خلدون ـ عاجز عن ادراك مفهوم التطور ، واحتمالات التحول السيال ، والانتقال المرن الطبيعي ، في شخصية من يتناوله بالدراسة · ولذا فالغالب ان تاتى صور الشخصيات في كتابه ساكنة جامدة ثابتة ، كما ان الغالب ان هو تحدث عن تغيير ما ، ان ينصرف حديثه الى التغيير في المناصب التي تقلدها موضوع الترجمة ، او في مكان اقامته ، او في جاهه وماله ، دون التغيير في خلقه وطباعه ، واتجاهاته وميوله ، ودون انتقال شخصيته من طور الى طور ·



الحلاج

أعدم عام ٩٢١ م

اوج الحركة الصوفية المبكرة في الاسلام . وهو الذى ارعبت شهرته ونفوذه حكومة بغداد الواهنة ، فاوحت الى جماعة من الفقهاء بمحاكمته وادانته بحجة بعض العبارات التى تفوه بها او وردت فى شعره وصلب عام ٩٢١ م .

كانت الصوفية قد تحولت في القرن الثالث الهجرى من الزهد والتقشف الى نظرية معقدة تميل الى المبالغة فى الاستخفاف بالشعائر والشرع ، ميل فقهاء السنة الى المبالغة فى الاحتفال بها . فقد رات شيوخ الصوفية فى ظاهر الشرع وفى الشعائر مجرد مرحلة اولية ، او مجرد سلم يفضى من مقام الى مقام الى حال ، وذهب بعضهم – وعلى راسهم الحلاج – الى أن من بلغ الغاية استغنى عن الوسيلة ، وجاز له « اسقاط الوسائط » . فهم اذن فى حل من اداء الشعائر التى هى مجرد رموز ، بل ان اداءها قد يؤدى – فى بعض الاحيان – الى خلق عقبات فى سبيل خلاص النفس .

ثم ان الحلاج وصحبه مضوا الى ما هو ابعد من ذلك . فقالوا بان اولياءهم اعلى شأنا من النبيين . فصلة الاولياء بربهم صلة مباشرة ، وقد يتحدون به ويفنون فيه ، بينما لا يتصل به الانبياء الا من خلال وسيط : « خضنا بحرا وقف الانبياء بساحله ! » . وقالوا انهم هم انفسهم اقرب الى المولى من اتقى اتقياء فقهاء السنة ، وادرى بالدين منهم . فدين هؤلاء فى نظرهم دين المبصرات ، اما دينهم هم فدين البصائر . وهم يعلنون تفوق « المعرفة » والحكمة الالهية على « علم » العلماء . ذلك انه لا علم كالتفكر ، والرجل متى رسخ فى العلم رفعت عنه الرؤيا الصالحة : « اخذتم علمكم ميتا عن ميت ، واخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت . يقول امثالنا : حدثنى قلبى عن ربى ، وانتم تقولون : حدثنى فلان ، واين هو ؟ قالوا : مات ، عن فلان ، واين هو ؟ قالوا : مات ! » .

ولم يكن من الغريب ازاء الجراة المتعاظمة من جانب الحلاج ومريديه ، وازاء الشعبية المتزايدة لتعاليمه لدى العامة ، وازاء تركيزه على الفرد على حساب الاحتياجات العامة للامة ، ان يطلق الفقهاء وعلماء الدين صيحة تحذير واستنكار مدوية ، وان يتهموا الحلاج بان فكرته عن الحلول والفناء فى الذات الالهية ووحدة الوجود تهدد قلب الاسلام ذاته . فهو يعلن امتزاج الروح الالهية والنفس البشرية معا ، مبينا فى نشوته انه والحق الخالق شيء واحد :



أنا من أهوى ومن أهوى أنا ... نحن روحان سكنا بدنا
فاذا أبصرتني أبصرته ... واذا أبصرته أبصرتنا

وهو ما يعني الوصل بين جانبي الهوة اللانهائية الفاصلة بين الله والانسان في مفهوم فقهاء الاسلام ·

وقد سهل على هؤلاء تدبير محاكمة الحلاج والتوصل الى اعدامه ، ما تردد من انه كان في حقيقة أمره مسيحيا يخفي عن الناس مسيحيته ، وما هو ثابت من أن جده كان مجوسيا فارسياً من عبدة النار · وكان صلبه ايذانا بانقضاء المرحلة الاولى من تطور الصوفية ، وبدء مرحلة ثانية أهم معالمها ذلك الذعر الذي أصاب معظم شيوخ الصوفية على اثر المحاكمات والصلب وثورة الفقهاء وغضب السلطة ، والذي تمخض عن السعي الى كبح حركتهم ، والتزام الحذر الشديد في تعاليمهم وشعائرهم ، واظهار التوقير لظاهر الشريعة ، والعودة الى النمط المقبول من السلوك ، والتظاهر باستنكار ما انكره فقهاء السنة على الحلاج وغيره من الغلاة من اقوال ظاهرها الكفر ·

ومع كل الاتهامات التي كيلت ولاتزال تكال للحلاج ومدرسته ، فلا مفر من الاعتراف بان هذه المدرسة خدمت الاسلام خدمة جليلة بان فضحت دينا للفقهاء بلا باطن ، وجدلا فارغا حول الدقائق دون بعد روحي ، وسلوكا مهذبا في الطرقات والاسواق دون ضمير حي · كما افادت الاسلام بأن اوضحت ان ظاهر الحقيقة بلا باطن نفاق ، وتداركت بجهودها نقصا طرأ على دين الاسلام لا نقصا لصيقا به ، تسبب فيه انشغال المذاهب الفقهية كلية بالسلوك الظاهري للفرد · فالحلاج اذن كان من اهم اعلام الاسلام الذين أعادوا للتجربة الدينية الخاصة اعتبارها ، معلين من قدر الجوهري بعد أن كاد الشكلي يطغى ، بعد أن كاد التقليدي أن يودي بالدين ·

الظاهر بيبرس

توفى عام ١٢٧٧ م

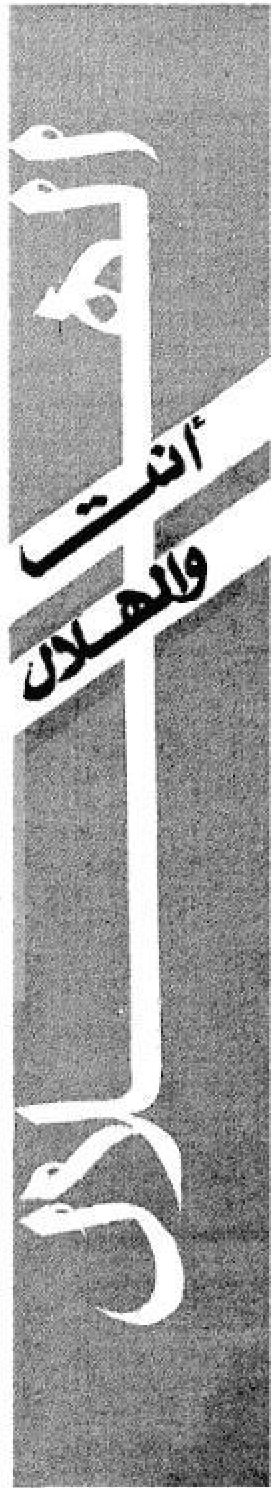
من اعظم قادة الاسلام فى الحرب ، وقاهر المغول فى موقعة « عين جالوت » ، ومقوض دعائم دولة الصليبيين فى الشام . عدت الاجيال التالية عهده احد العصور الذهبية فى الاسلام. وسرعان مانسجت حول شخصيته وانتصاراته الباهرة مجموعة من الحكايات الخيالية ، تمتزج فيها الحقيقة بأساطير مأخوذة عن القصص الشعبية المصرية عريقة القدم . ولا تزال سيرة الظاهر بيبرس ، وقد تناولتها بالزيادة والاسهاب اجيال من القصاص ، تؤلف الى يومنا هذا مصدر تسلية للعامة وبعض الخاصة فى مصر ، الى جانب سيرة عنترة ، وسيرة بنى هلال، وحكايات الف ليلة وليلة .

كانت جحافل المغول تجتاح فى زمنه بلدان الشرق العربى قطرا بعد قطر ، وتقترب طلائعها من حدود مصر . وقد توجه بيبرس فى معية السلطان قطز الى فلسطين لصدهم ، وكان للاول الفضل الاكبر فى ايقاع هزيمة نكراء بهم فى عين جالوت عام ١٢٥٩ ، كانت اول هزيمة يخبرونها ، وسرعان ما تحول مدهم بعدها الى جزر . وقد كان لانتصار بيبرس وقطز هذا فضل عظيم فى تجنب مصر الى الابد ويلات الغزو المغولى الذى عطل مسيرة التطور الحضارى الهادىء فى اقطار الشرق العربى ، بحيث باتت القاهرة منذ ذلك الحين عاصمة دار الاسلام دون منازع .

واذ كان المغول قد افلحوا قبل موقعة « عين جالوت » بسنوات قلائل فى تقويض الدولة العباسية فى بغداد ، والقضاء على معظم سلالة العباسيين ، فقد اقام بيبرس فى القاهرة خليفة من احد نسل العباسيين الذين تمكنوا من الفرار ، واقسم يمين الولاء لهذا الخليفة الصورى ، سعيا منه الى اسباغ الشرعية على حكمه ، والى احباط اية محاولة قد يقوم بها مدع من الايوبيين لاسترجاع الملك . والواقع ان خلفاء هذا الخليفة العباسى فى القاهرة لم يزيدوا ابدا على ان يكونوا ادوات طيعة فى ايدى سلاطين المماليك بعد بيبرس .



واهتم الظاهر بيبرس بعد خلافته لقطز ، بتطهير الشام من مواقع الصليبيين ، مظهراً في حربه اياهم بسالة غير مألوفة ، بالاضافة الى الاساليب الدبلوماسية الماكرة بعيدة النظر • وقد وفق الى انتزاع حصن الاكراد من ايديهم ، وهو من أعظم حصون الصليبيين مناعة ، ثم انتزاع مدينة صفد من أيدي فرسان الداوية Templers كذلك استولى على عدد من حصون ومدن طائفة الحشاشين بالشام ، وعلى قلعة الكرك التي كانت لاتزال في يد آخر امراء الايوبيين • ثم اتجه الى أقصى شمال الشام لتاديب ملوك اسيا الصغرى من الارمن بشنه غزوات متلاحقة على اراضيهم ، ومنه الى اقصى جنوب مصر لضم بلاد النوبة اليها • واذ علم بنية الفرنجة في اوروبا شن حملة صليبية جديدة ضد المسلمين في الشام ، لجا بيبرس الى ابرام معاهدة مع الامبراطور البيزنطي ميخائيل بليولوجوس المعادي للفرنجة الاوروبيين ، مستاصلا بابرامها خطر وصول الحملة المعتزمة • وهو ما اتاح له ان يصرف جل السنوات الاخيرة من حكمه في ادخال اصلاحات جذرية هامة في ادارة وحكومة اقطار دولته ، خاصة مصر ، والعناية بتشييد المباني الضخمة والمساجد الرائعة ، وبناء ضريح فخم لنفسه جلب مواد بنائه من مدينة يافا بعد انتزاعها من يد الصليبيين عام ١٢٦٨ •



• رسالة من اليمن الديمقراطية •

• احب أن أعلمكم انى قد اطلعت على مجلات عديدة منها يومية ومنها اسبوعية ومنها شهرية ، وكنت اربط شرايينها لتنبض فى شرايين قلبى وما ان يتدفق حتى يبدا يبطىء شيئا فشيئا .

ذات يوم وانا ابحث عن إجابة لسؤال اشاروا انها فى "الهلال" .

كم حزنت وندمت على عمرى الذى راح دون ان انظر الى خضرة هذه الشجرة واتذوق ثمارها اللذيذة التى تنضج من عقولكم الخصبة ، عندما ذقت ثمرة من ثمارها اندفع الدم الى قلبى وعقلى ... وانعشنى من غفلة الموت ، وما اجمل ان يرى الانسان نور الحياة بعد أن كان يتخبط فى الظلام .

لا اعرف كيف اشكركم ، فكلمة شكر لا تكفى ، لا اعرف كيف امدحكم فمكانتكم اعظم مما يمدح ، فاسمحوا لى ان اقول :

ان كل حرف يكتب وكل كلمة تطبع ، وكل جملة تكتمل تشكل لدى مجموعة غير عادية من المعرفة والإدراك .

اشكر كل من يساهم فى بناء هذه الدار وتزيين هذه العروس واشكر كل حرف يبعث الثقة بانفسنا ـ كل كلمة عالية فى افق المستقبل .

ابنتكم ـ اختكم :

افراح نعمة الله غابرى

بلوك ٨ ـ منزل رقم ٢٢ حى فضل الله ـ دريمى ـ جمهورية اليمن الديمقراطية

تعليق الهلال :

• نشكر لك ايتها الابنة والأخت العزيزة هذه الكلمة الطيبة عن "الهلال" الذى ارشدتك اليه المصادفة ، مع انه يصدر منذ حوالى مائة عام ، وقد قرىء "الهلال" فى اليمن بشطريه الجنوبى والشمالى منذ اواخر القرن التاسع عشر ، ومن حسن الحظ انه وصل اخيرا الى الجيل الجديد الناهض من شبيبة اليمن ، جنوبا وشمالا .. ونرجو المعذرة اذا كان ثمة خطا فى اسم مدينتكم "دريمى" فهكذا هى مكتوبة فى رسالتكم ، واذا كان الاسم صحيحا كما هو هنا فالحمد لله .. ونكرر لك الشكر ..

• هجران •

لا تعبثى باصابعك — او تغمزى .. لن اسمعك
لا تنثرى اطراف شعـ — ـرك حجة او ادمعك

فلطالما اوقـدت شـعـ ـرى للضحى كى يمتعك
نفسى وأحـلام السنيـ ـن تسربت فى اضـلـعك

محمد عبدالباسط زيدان
الدراسات العليا بدار العلوم

● سميراميس ●

● اسم سميراميس يرتفع على فنادق ومؤسسات فى مصر باعتباره اسما مصريا قديما ، وقد انتشر ايضا فى البلاد العربية ، ولكنى لا اعرف ، هل كانت سميراميس من عصر بناة الأهرام أو من عصر آخر ؟!

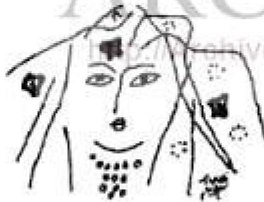
بيومى شعراوى الغزالى
الزقازيق

● تعليق الهلال :

ـ سميراميس ليست ملكة من التاريخ المصرى القديم ، ولكنها كانت ملكة بابل واشور فى قديم الزمان ، اى فى العراق لا فى مصر ، والى هذه الملكة تنسب "البساتين المعلقة" احدى عجائب الدنيا السبع القديمة ..

● سؤال شعرى ●

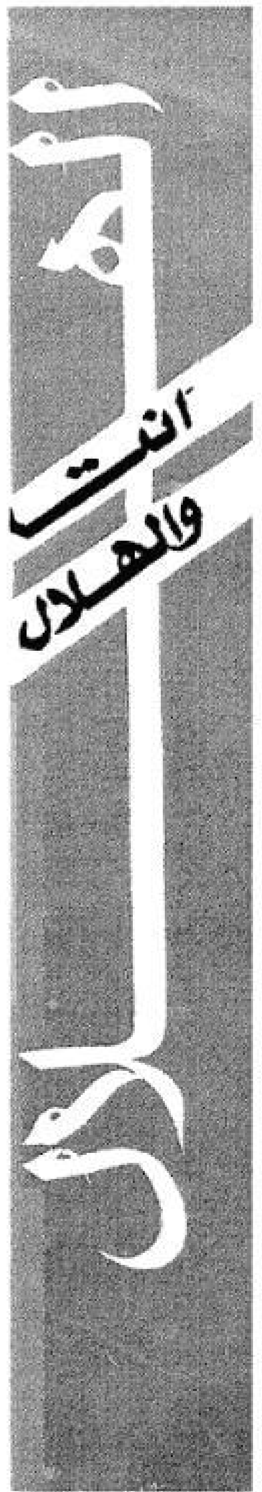
هل تملكين ـ فتنتى ـ أن تصبرى
لو مد بؤسى عمره فى أشهرى ؟!
لو تعلمين الدرب وعر المعبر
هل تبسمين إن أساء الدهر لى ؟!
وإن تهاوى الحلم تحت المعول



جـاد وهيب ميخائيل
اسوان ـ كسر الحجر

● التنوير والعلمانية ●

● فى عدد يوليو الماضى نشر "الهلال" مقالا للاستاذ الدكتور مراد وهبة عنوانه : "التنوير بين العرب والغرب" ، وفيه تناول عرضا



لظاهرة التنوير والعلمانية من خلال الطرح الغربي لنشأتهما ، ثم عرج على الفكر الفلسفي عند ابن رشد ومفهوم التأويل ، ومفهوم العلمانية وموقف الطهطاوي والاستاذ الامام محمد عبده والشيخ على عبد الرازق .

ربط الدكتور مراد وهبة بين التنوير والعلمانية ، وكأنه لا تنوير بلا علمانية اى فصل الدين عن الدولة متأثرا بالرؤية الغربية فى هذا المجال ، متناسيا اكبر دفعة حضارية شهدها العالم فى العصور الوسطى ممثلة فى الاسلام وحضارته العربية دون ان ينفصل الدين عن الدولة ، فالاسلام لم يكن دينا فحسب ، بل كان دينا ودولة ، وقد حوى الي جانب المبادىء الدينية والاخلاقية ، مبادىء سياسية وقانونية تنظم سائر العلاقات التى تنشأ فى المجتمع سواء كانت متصلة بالدولة أو الأسرة أم بالعلاقات الاقتصادية والمعاملات المالية والعقوبات اما المسيحية ـ وعلى قاعدة اساس منها نشأت العلمانية ـ فلم تتعرض للمبادىء السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقانونية واقتصرت على نشر المبادىء الروحية والخلقية ، ويرجع ذلك الى البيئة التى نشأ فيها الدين المسيحى والظروف التى احاطت بالمجتمعات التى انتشر فيها .

وأما ما اثاره الدكتور مراد وهبة عن قضية الخلافة ، وفصل الدين عن الدولة فقد استقر فى الفقه السياسى الاسلامى ان الخلافة عقد حقيقى ، مبناه الاختيار من الامة ووسيلة البيعة الصحيحة القائمة على الرضا وهو ما يدخل فى اطار فكرة العقد الاجتماعى والاسلام كنظام سياسى قد التزم المرونة الكاملة فى اختيار نظم الحكم .

ومع الدور الطليعى والتنويرى لرفاعة الطهطاوى ومحمد عبده فى فكرنا العربى الحديث والمعاصر، يستحيل عليهما قبول فكرة فصل الدين عن الدولة لمناقضتها لطبيعة الاسلام ويستحيل على احد ان ينكر عليهما دورهما فى التجديد والتحديث فى اللغة والفكر والثقافة والشريعة بما يتواءم مع مستجدات العصر

وليس صحيحا أن جماعة الاخوان المسلمين قد انشئت بقرار من جماعة كبار العلماء ، فالاخوان كجماعة نشأت فى مدينة الاسماعيلية سنة ١٩٢٨ بعيدا عن جماعة كبار العلماء وبعيدا عن الأزهر ايضا ، وكتاب المرحوم الاستاذ سيد قطب يعد محاولة فلسفية وفكرية لتصور المجتمع الاسلامى ودولته ونقدا للمجتمع الغربى من رؤية اسلامية بعد زيارته للولايات المتحدة الامريكية فى بعثة دراسية واطلاعه على أزمة الضمير الغربى المعاصر .

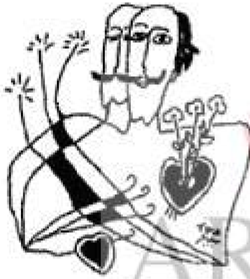
ان حركة التاريخ المصرى الحديث والمعاصر تؤكد التغيير والتنوير والتقدم واستشراف آفاق المستقبل . والقول بانه ليس ثمة تنوير انما يعنى استبعاد حركة الرواد .

وحتى الأزهر الشريف اكبر جامعة اسلامية استجاب لحركة التنوير قبل ثورة يوليو فكان انشاء كليات الجامعة فى الثلاثينات : الشريعة واصول الدين واللغة العربية ، ثم بعثات الأزهر الى فرنسا وانجلترا والمانيا .

ان حركة التنوير فى مصر لم تنفصل عن الاسلام واستمدت من روحه ، واحتفظت لنفسها بذاتية خاصة تتفاعل مع كل التيارات الثقافية والفكرية شرقا وغربا دون ان تفقد هويتها .

عمرو عبدالمنعم حمودة

• الصاحب والزمن •



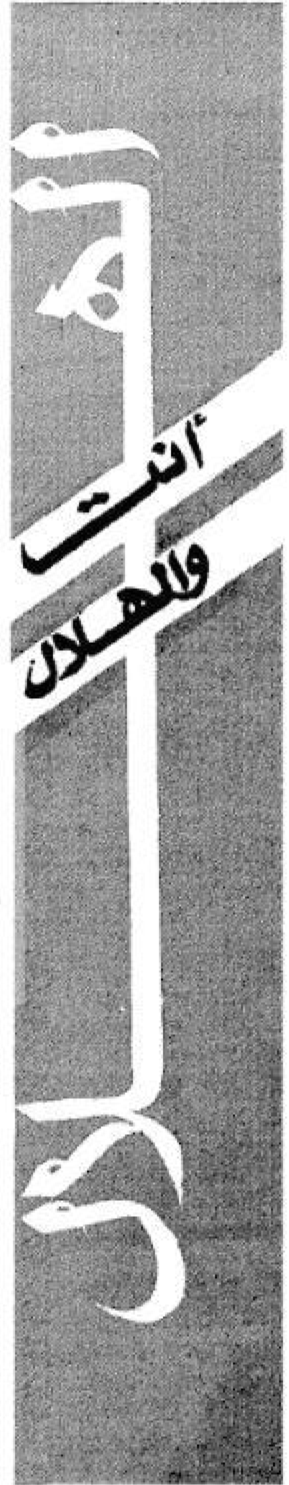
ياصاحبى وانت خير الأصدقاء
ران الدجى وكشرت دنيا البلاء
وانت كالدنيا بخيل بالرجاء
إن رابنى دهرى فانت والدهر سواء
كلاكما يحمل لى النقمة والبرحاء

عبدالله فهيم زيدان
الاسكندرية

• الأتراك وأسماؤهم •

● الأتراك الذين يحملون الجنسية البلغارية ينزحون من بلغاريا إلى تركيا للاحتفاظ باسمائهم التركية ، وهم فى ذلك كالمستجير من الرمضاء بالنار ، لان تركيا قد محت الأسماء التركية القديمة منذ عهد اتاتورك الذى أعلن إلغاء الخلافة الاسلامية واقام العلمانية ، وفرض الاذان والصلاة باللغة التركية واباح زواج المسلمة من غير المسلم ، وغير ذلك مما يجعل تركيا بلدا غير اسلامى الا بالاسم والماضى القديم ايام كانت مقرا للدولة العثمانية ! ..

محمد عبدالوهاب فخرى جاكى
الاسكندرية



● تعليق الهلال :

- تركيا لم تلغ الأسماء التركية القديمة فى عهد أتاتورك بل منعت الأسماء العربية التى كانت هى غالبية الأسماء الاسلامية هناك ، فانقلب اسم الزعيم مصطفى كمال إلى "كمال اتاتورك" .. وليس اسم "كمال" هنا عربيا ، ولكن معناه "القلعة" باللغة التركية الحديثة . وهكذا اصبح اسمه تركيا خالصا بعد حذف "مصطفى" .. وهذا ما جرى فى ذلك الوقت على بقية الأسماء .. كما انهم منعوا كتابة اللغة التركية بالحروف العربية ، وكتبوها بالحروف اللاتينية ، فانقطعت الصلة بين التراث التركى والجيل التركى الحالي والأجيال القادمة ، فضلا عن انقطاعهم عن العرب والاسلام ! ..

● الشمعة ●

هيفاء تُسفر فى خضمٌ محاقٍ
وتُنير قصدا للسبيل ، برعشة
وترى الفراشة حولها .. بصبابة
تُخفِي الثياب بعمق جسم ذائب
وتعيش كالطيف المودع عمره
ليست تُبالى حَتفها ومصيرها
لهب المجوس يشوقها ،
فيسوقها :

فتبدِّد الظلماتِ .. بالاشراق
ضوئية ، فى النفس والآفاق
تنقاد نحو مصارع العشاق
من لوعة تنساب فى الآماق
فى لحظة .. من بعد وشك فراق
بعد التفانى فى لظى الأشواق
"مشتاقة تسعى الى مشتاق"

ثروت محمد يوسف

● أقصوصة : ● عود ثقاب ●

● يحيد المشرط عن طريقه . يذبح شريانا . ترتعش اصابعه .. تنزلق النظارة .. يميل .. تقترب .. تجفف عرقه .. ينبهه طبيب التخدير ..

- ساتوقف .. الاستمرار يقتله .

تتجعد ملامحه .. يجول بعينيه فى وجوه مساعديه .. يستشعر العاصفة .. يتماسك .

- التوقف يعنى فشل العملية .. امنحنى بعض الوقت .

يتنفس ملء رئتيه .. يستنفر خبرة الاعوام السابقة .. يئد قلقا يتنامى داخله .. يتعثر .. تطفو اشباح عمليات الشهور الاخيرة .. تتراقص جاحظة العينين .. ساقطة اللسان .. ينحرف المشرط مرة اخرى .. ينبثق الدم .. تدنو منه .. تهمس ...

ـ القلب لا ينبض .

يقذف بالمشرط ممتقع الوجه .. يلوى شفتيه امتعاضا ..

ـ اشتغل مع كسالى .. قلت من قبل .. لابد ان نعمل بروح الفريق .. لستُ إلها .

ينزع القفاز الطبى .. تحاول مساعدته .. يزجرها غاضبا .

●● يتجه الى مكتبه .. يحتوى المقعد جسدا ضامرا .. لم يعد يشغل منه سوى مساحة محدودة .. يلتقط سيجارا .. يحاول اشعال عود ثقاب .. ينكسر .. يعيد المحاولة .. يخطىء .. ينفلت ساقطا .. يحرك اصابعه امام عينيه .. يتبين ارتجافتها . تدخل يزين وجهها ابتسامة رقيقة ...

ـ اليوم تجنيت عليهم .. ليس الخطا خطاهم

ـ خطا من . ؟

تشمل الرجفة باقى جسده ...

ـ الحالة جاءت متاخرة .. لم يكن ذنب احد

ـ اجريت مثلها عشرات المرات .

ـ لا تغفل دور القدر

يلوح بكفه ...

ـ انظرى .. بدات تتمرد .

ـ دعك من اليوم . برنامج الغد متخم .. احدث ما ستفعله ؟

تعبر عيناه زجاج النافذة .. تشرد نظراته .. يتمتم ...

ـ الانسحاب ..

ـ ماذا تعنى

يتجاهلها .. يدفن راسه بين يديه المرتعدتين .

انتهت ....

د . جابر عبدالعزيز
٤٦ طريق الحرية ـ الاسكندرية

● الشعر العربى وترجمته ●

● من هو الشاعر العربى الذى ترجم الاوربيون اكبر عدد من قصائده

حتى الآن .. لقد راهنت احد اصدقائي على انه صلاح عبدالصبور ، اما صديقي فيؤكد انه عبدالرحمن الشرقاوى .. فما رأيكم ؟!
فضل الله ابو سيد عمر
قنا

● تعليق الهلال :

- لا هذا ولا ذاك ، ولكنه الشاعر العربي القديم همام بن غالب الشهير بالفرزدق ، فقد ترجم احد الادباء الفرنسيين مائتين وستين (٢٦٠) قصيدة طويلة من شعره سنة ١٨٧٥ ، اى منذ حوالى مائة وخمسة عشر عاما وترجم ادباء ألمان وانجليز قصائد اخرى للفرزدق ، كما ترجموا لغيره من شعراء العرب قديما وحديثا ! .. وليست ترجمة الشعر العربي بشيء جديد ..

أنت والهلال

● مع الأصدقاء ●

● سعيد عبدالله سعيد - عدن - جمهورية اليمن الديمقراطية :
- نشكر لكم حسن ظنكم بنا ، اما قصتكم التى أرسلتموها وتقولون إنها "المحاولة الأولى" لكم فى هذا الفن ، فإنها تدل على استعدادكم لهذا الفن ، ولكن المحاولة الأولى شيء ، والمحاولات الناضجة شيء آخر .. نرجو لكم حظا حسنا ..

● ابو بكر محمد محمد حسانين - مدرس الانجليزية بمدرسة "ابو تشت"

- قصيدتكم من بحر الطويل ، ولكن لا يوجد فيها مع الأسف الا بيت واحد صحيح الوزن هو البيت الأخير الذى تقول فيه : "فولى بوجه او اهلى بغيره .. سيرجع يوما صاحب القدر باكيا" .. والشطر الثانى منه لا يكون صحيحا الا بتسكين حرف الدال فى كلمة "القدر" .. والشطرة الأولى من البيت الأول موزونة ايضا وهى قولك : "تضوع زهور النور بين لداتها" .. وهناك أربع شطرات اخرى متفرقة صحيحة الوزن .. هذا إذا وقفنا من قصيدتك عند البيت العاشر فقط ! ..
● السادة مصطفى ابو الحسن محمد مصطفى .. وعبدالقادر محمود صالح .. وانتصار احمد غنيم .. ينقصكم معرفة الأوزان ، ونرجو لكم حظا حسنا .

● عبده محمد سلطان ـ صقيل ـ اوسيم ـ الجيزة :

ـ تقول في قصيدتك : "لا ارتجي يقوم مجدا او نشب .. لكنني مفتون جدا بالأدب" .. ولا يصح ـ حتى للضرورة ـ عدم تنوين كلمة "مفتون" واذا لم تنون انكسرت الشطرة الثانية .. ولا يصح كذلك ان تحذف الياء من الفعل "أدرى" في قولك : "إن شئت ان افضي فلن ادر السبب" .. فالفعل هنا لا يمكن حذف حرف العلة منه مهما كانت الضرورة ، ولكنك طبعا تستطيع عدم فتح الياء في كلمة "افضي" فمثل هذا كثير في الشعر .. وفي هذه القصيدة او هذا "الرجز" إن شئت الدقة ، كلمات اخرى مثل قولك : "ولم اجد خلا يشاطرني الأسى" فانك تضع سكونا على حرف الراء في كلمة "يشاطرني" وهذا لا يجوز ، ولا يصح تسكين اخر كلمة في المصراع الأول من قولك : "وما قرضت الشعر كيما يقترن" وكذلك في الشطر الأول من البيت الاخير .. وبقية الرجز لا باس بها .

● صلاح شفيع :

ـ لا نعرف عنوانك .. قصتك التي عنوانها "في قلبي حذاء" عن زنجي يخلو بامرأة بيضاء ، قصة ساذجة جدا ، وقد ادهشتنا سذاجتها ! ..

● جمال محمود الشورة ـ كفر الزيات :

ـ إنك تتصور أن الصحف تضطهدك لأنها لا تنشر كل ما ترسله اليها من كلماتك ، وهذا غير صحيح ، فالصحف تتلقى اكداسا من الرسائل ولا تستطيع ان تنشر كل ما يصل اليها ، وانت لا تحب ان نقول لك : استمر في القراءة ، واصقل مواهبك ، وهنا هو نص عبارتك : "صرنا نحن المفكرين والأدباء الشبان في حالة من الضياع ، لا مرشد لنا ولا مناصر "ولا المتبني" .. والمفكر الشاب يحاول ان "ينفث عن" بعض همومه فيكون الرد اما التجاهل او الرد التقليدي : استمر في القراءة ، "وثقل" موهبتك ، وتعاملوننا كاننا "مراهقين افكار" .. متى "تمدوا" ايديكم ؟ .. وفي عبارتك هذه مجموعة أغلاط نحوية ولغوية وضعناها لك بين الأقواس لتعرفها وتصلحها ، مع أن هذين سطران فقط من رسالتك الطويلة ، فهل كثير عليك وانت مازلت تخطىء هكذا ، ان تستمع الى نصيحة من يقول لك : حاول أن تتعلم قبل أن تكتب ، وحاول أن تصقل موهبتك ، او على حد قولك انت "ثقل موهبتك" ؟! .. ولابد أن تعرف أن "صقل" بالصاد لا بالثاء .. ! ..

● ونشكر أصدقاءنا : صافيناز محمود مصطفى بكلية طب المنيا ، وعبدالناصر عبدالرحيم أحمد بالسويس ، ومحمود عبدالمجيد بنجع حمادى ، ومحمد عباس بالاسكندرية وهشام الطهطاوى بآداب عين شمس ، وعاصم فريد البرقوقى بالاسكندرية ، ومحمد أمين عيسوى بالاسماعيلية ، ونور محمد موسى بمصر الجديدة .

الكلمة الأخيرة

برقية استغاثة للسيد «اكس» الذى «ربما» يعنيه الأمر !

وصلت باريس بعد غيبة ثلاث سنوات ، قمت بجولة سريعة فى مكتبات الحى اللاتينى ، ذعرت وذهلت ، تصفحت ملحق الثقافة والفنون فى جريدة الموند ، تفاقم الذعر والفزع ، اكتشفت اننا نعيش فى قاع بئر مظلمة عميقة ، لم يصلنا منذ عشر سنوات علي الاقل اى كتا يعالج قضايا العصر او يثير الجدل او يصوغ العقل والروح ، معرض الكتاب السنوى عندنا خرافة ، تسعة اعشار معروضاته كتب تراث متزمت والآخر كتب مدرسية اجنبية ، لم نشهد خلال نفس الحقبة اى فيلم او مسرحية او عمل موسيقى او غنائى عالمى ولم نحظ باى نصيب من السيل المتدفق هنا كل يوم "مسارحنا" مفتعلة او مبتذلة ، ودور السينما عندنا منحطة وحتى الأوبرا الجديدة طبقية ، وقدمت اوبرا عايدة ذات يوم لاصحاب الملايين الاجانب وغنت "فيروز" لتجار العملة والمصدرين والمستوردين والانفتاحيين وكان مهرجان المسرح التجريبى نموذجا للفوضى ولتفاهة مسارح العالم ، الحال كان افضل فى عصر الخديو ، وكان مجيدا فى حقبتى الثورة ، لا حاجة لتكرار الشعار ان لا ديمقراطية او تنمية بغير ثقافة ، نناشدكم اغيثونا قبل الغرق التام فى دياجير الظلام !

محمد عودة





الهلال

١٩٨٩



مستقبل

التعليم الجامعى

شخصية



عبد الرحمن بدوي

الهلال

مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجى زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

السنة السابعة والتسعون • أكتوبر ١٩٨٩ • ربيع أول ١٤١٠ هـ

□ يمثل الدكتور عبد الرحمن بدوى ظاهرة من أندر الظواهر فى حياتنا الفكرية المعاصرة .. وهو بإنتاجه يمثل دار نشر كاملة .. وتكاد كتبه تكون دائرة معارف فى الثقافة الفلسفية العامة أو الفلسفة الاسلامية بوجه خاص كما تمثل فى حياة الدكتور عبد الرحمن بدوى رسالة حية يوجهها إلى أبناء جيله .. من أجل إقامة حضارة عربية وجودية .. جديدة ..

من أبرز العلماء الذين ساهموا فى الحياة الثقافية والأدبية الواسعة فى مصر .. وهو صاحب مدرسة فى التفكير الإنسانى .. ومنهج فى تحقيق التراث وأسلوب مميز فى التعريب والترجمة .

عرفه القارىء مؤلفاً ، مترجماً ، باحثاً ، أديباً ، وخبيراً باللغات ، حيث أتقن عشر لغات وأضاف خمسة آلاف مصطلح فلسفى فى العربية وأصبح مع فيلسوف باكستان "محمد اقبال" مرجعاً لفلسفة الشرق ..

والدكتور عبد الرحمن بدوى فيلسوف عربى أمد المكتبة العربية بذخيرة من الكتب المؤلفة والمترجمة بلغ عددها ١٠٠ كتاب تمثل ثلاثة اتجاهات :

● المبتكرات : وهى التى تمثل فكره وشعوره .

● دراسات أوربية واسلامية : وتمثل خلاصة الفكر الأوربى

● الترجمات لروائع الأدب العربى : التى تصدر بعنوان "الروائع المائة"

اقرأ مقال :
الفيلسوف .. المؤسسة ص ٤٠

[redacted] فكر وثقافة

فى هذا العدد



الغلاف :
تصوير : شوقى مصطفى

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو ما يعادلها بالبريد الجوى . وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية . وفى الخارج بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال ، وتضاف رسوم البريد المسجل على الأسعار الموضحة بعاليه عند الطلب .

دائرة الحوار

ندوة الهلال

فنون

قصة وشعر

الأبواب الثابتة

دار الهلال

١٦ شارع محمد عز العرب الرقم البريدى (١٥١١) القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط - مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨١
رقم التلكس: 92703 HILAL U-N

الثمن

سوريا : ٤٠ ليرة . لبنان : ٣٠٠ ليرة . الاردن ٤٠٠ فلس . الكويت ٤٠٠ فلس . العراق ٥٠٠ فلس . السعودية : ٥ ريالات . جمهورية اليمن الديمقراطية ١٢٥ سنتا . البحرين ٨٠٠ فلس . الدوحه : ٦ ريالات . دبى : ٦ دراهم . لوس انجلوس : ٤٠٠ سنت . ابوظبى ٦٠ دراهم . مسقط : ٦٠٠ بيسه . تونس : ١٤٠٠ مليم . المغرب : ١٥ درهما . غزه والضفة ٧٥ سنتا . داكار : ٦٠٠ فرنك . لندن : ١٢٥ بنسا . ايطاليا : ٢٥٠٠ ليرة . نيويورك : ٤٠٠ سنت . الجمهورية العربية اليمنية : ٨ ريالات . كندا : ٥ دولارات .

عزيزى القارئ

القلم والكلمة ..

فى رحلة الشتاء والصيف

مسابقة القصة القصيرة التى حدثتك عنها فى العدد الماضى من « الهلال » .. أخذت طلائعها تتوارد علينا فى شكل أسئلة واستفسارات وطرائف شتى ، ودعابات ..

بعضهم يسأل : هل هذه المسابقة للجنسين ؟ .. نعم .. هى للجنسين . وهل يتصور أحد أنها للجنس الخشن وحده ؟ ! ..

وآخر يسأل : هل المسابقة للشبان وحدهم ، أم لكل كاتب مهما يكن التاريخ المكتوب فى شهادة ميلاده ؟ ؟ .. والجواب : إنها للشباب إلى سن الثلاثين ، لأن «المفروض» أن الموهوبين الكبار قد استطاعوا اجتياز الحواجز ، ونحن إنما نبحث عن الشبان الناضجين الذين مازالوا واقفين أمام الحواجز ينتظرون إشارة المرور !

وهناك من يسأل : هل يمكن التقدم بقصص مترجمة ؟ .. والجواب : لايمكن ، لأن القصص المطلوبة هى قصص المبدعين باللغة العربية فقط ، وليست قصص المبدعين فى جميع اللغات مثلما تفعل لجنة جائزة نوبل ! ..

وماذا إذا اشترك فى مسابقتنا مستشرق شاب يعرف اللغة العربية وتنطبق عليه الشروط ؟ ! ..

ـ طبعا نقبل قصصه فى المسابقة ونعرضها على لجنة التحكيم ، ونعطيه جائزة اذا كانت قصصه تستحقها .. فهل من مستشرق موهوب يتقدم الى مسابقتنا ويغتنم جائزتنا ؟ ! ..

وبعض الظرفاء يقول : إن الجائزة الأولى للمسابقة ثلاثمائة جنية فقط ، فهلا جعلتموها ثلاثة آلاف جنيه لتكون أكبر من جائزة الدولة التشجيعية ؟! .. والجواب : نحن غير يائسين من جعل جائزتنا كذلك فى القرن الواحد والعشرين إن شاء الله ! .. والقرن

الواحد والعشرون قادم بعد عشر سنوات لا أكثر ، فصبر جميل ، والله المستعان ! ..

أخيرا يقول أحد الأصدقاء : ماذا يحدث إذا تأخرت قصص أحد المتسابقين في البريد ووصلت إليكم بعد الموعد المحدد ؟ ! ..

والجواب : سننظر في خاتم بريد البلد الذى صدرت منه الرسالة إذا كان واضحا .. وعلى المتسابق أن يقاضى هيئة البريد إذا أبطأت سلحفاتها أكثر من اللازم ! ..

وأخيرا : هل الكوبون لكل قصة أم لجميع القصص التي يرسلها الكاتب ؟ .. والجواب : الكوبون لكل قصة على حدة ، لأن كل قصة تأخذ رقما مسلسلا يكتب على الكوبون ، ولا يمكن إعطاء رقم واحد لمجموعة من القصص ..

عزيزى القارىء :

في الذكرى المئوية لميلاد طه حسين ننشر مقالا طريفا لم تقرأه من قبل بالعربية لأن طه حسين كتبه بالفرنسية لمؤتمر ثقافي عقدته منظمة اليونسكو في مدينة البندقية سنة ١٩٥٢ .

وفي مقاله هذا يتناول طه حسين موضوعا طريفا هو «حرفة الأديب» في المجتمع المعاصر ، وهل يستطيع أن يعيش من أدبه فقط ، أم لابد له من مزاولة حرفة ثانية يرتزق منها ؟ !

إن هذا المقال عن «الحرفة الثانية» للأديب يعد من أطرف وأعمق ما كتب طه حسين .. والمدهش أن طريقة طه حسين في الكتابة بالعربية هي تقريبا طريقته في الكتابة بالفرنسية ، وتحمل مقالته التي تطالعها في هذا العدد مترجمة من الفرنسية الى العربية ، نفس ملامحه الأسلوبية والفكرية التى تحملها كتاباته العربية ! ..

عزيزى القارىء

في العدد الماضي من «الهلال» ودعنا صيف ١٩٨٩ الحار الرطب ، مقبلين بعد الخريف على الشتاء ، راجعين بعد ذلك إلى الربيع فالصيف .. في دورتنا الدائبة مع القلم والكلمة ، بين شجون الخريف والربيع ، ورحلة الشتاء والصيف ! ..

«المحرر»

دعوا آثار شارع المعز لدين الله تتكلم !!

بقلم : مصطفى نبيل

عدسة : شوقى مصطفى

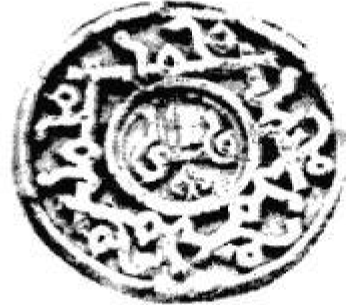
هل فلت الوقت ، على إنقاذ ما تبقى من الآثار الإسلامية فى القاهرة ..؟! وهل تضيع فى الهواء - مثل غيرها - صيحة الدكتور محمود الشريف محافظ القاهرة ، والتى أعلن فيها مشروعه بتفريغ شارع المعز لدين الله الفاطمى ، وإزالة التعديات الفظة التى لحقت به ، وترميم آثاره ، ونقل ورشه ، ومنع مرور السيارات والشاحنات !.

وهل جاءت هذه الصيحة بعد فوات الأوان ، أم مازالت هناك فرصة لإنقاذ ما تبقى من ذاكرتنا التاريخية ؟

● فما أكثر النداءات والصيحات والدراسات ، التى تطالب بإنقاذ آثارنا ، وتضيع هذه الصيحات وسط مشاغل الحياة المختلفة ، تنشط أحيانا وتعود من جديد كرجع الصدى ، بدأت لجنة الحفاظ على الآثار العربية منذ ما يزيد على قرن من الزمان ، وبالتحديد عام ١٨٨١ ، قبل الاحتلال البريطانى لمصر ،



مدرسة ومسجد
الظاهر برقوق
العصر المملوكي
٧٨٦ هـ - ١٣٨٤ م



ومن يومها لم تنقطع المحاولات ولا الجهود من أجل الحفاظ على الآثار ، وتم تسجيلها وصدرت دراسات جادة كتبها عرب وأجانب ، ولكن يبدو أن طاقة الانقاذ أضعف من أن تقاوم الزمن ، وما حملته الأيام من إهمال وفوضى كان أخطر على الآثار في العقود الأخيرة من قرون عديدة مضت ، واستمرت محاولات الإنقاذ أضعف من عناصر الانهيار ، والاستجابة أضعف من التحدى ، في هذا الزمن الصعب الذى لم يعد يكفي فيه الوسائل العادية ، فالحياة تجديف ضد التيار ، وما أتعس من يتخاذل .

وبعد دورة تاريخية ، تعود الآثار الإسلامية دون الحلقة الأولى التى بدأت منها ، فأصبحت لأول مرة تواجه خطر الانهيار ، هذا مع قيام هيئة الآثار التى من مهمتها الحفاظ على الآثار وترميمها ، وتقوم كلية للآثار وقاعدة أكاديمية واسعة البحث عن كل جديد ، وتخرج كلية الآثار كل عام المؤهلين لوضع الخطط والبرامج الحفاظ عليها ، كما تقوم جمعيات أهلية لذات الغرض ، ولكن ظهر أخيراً أن كل هذا لا يكفي ، وينقصه الروح التى تسرى وتدفعه إلى الهدف ، مع ابتكار وسائل جديدة .

● الهدف الممكن

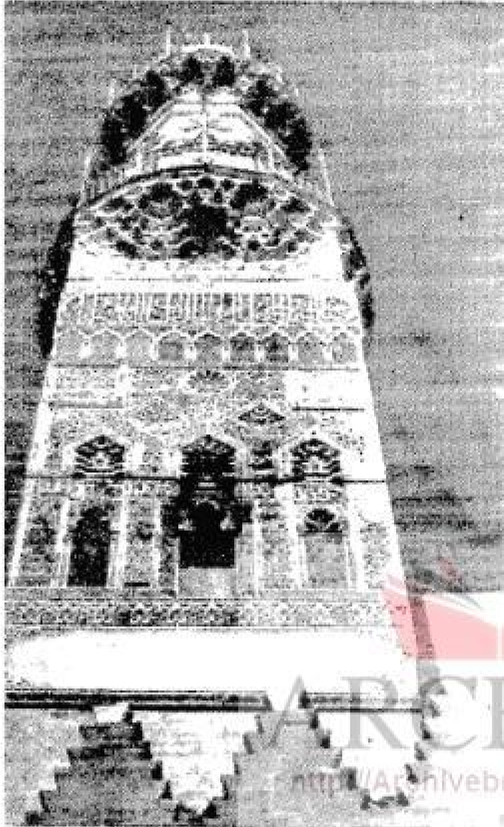
وجاء محافظ القاهرة في ظل هذا الوضع ، وحدد هدفاً ممكنا ، يمثل بداية ناجحة في طريق طويل ، ففي معظم الدول الأوروبية هناك شوارع أثرية تجذب السياح وطلاب المعرفة ، واختار أكثر مناطق القاهرة العتيقة غنى بالآثار والعمارة الإسلامية ، وأعلن المشروع هذه المرة رجل "عمل" بحكم مسئولياته ، في صيغة تختلف عمّا سبق ونادى به الكتاب والمفكرون ، من أمثال على باشا مبارك وعبد الله عنان وحسن عبد الوهاب وعبد الرحمن زكى ونجيب محفوظ وأحمد بهاء الدين ويحيى حقى وغيرهم .

والحفاظ على الآثار هو الحفاظ على ذاكرة مصر التاريخية ، والحفاظ على روح مصر الخاصة ، وهو الذخيرة الضرورية لمواجهة تحديات الحاضر والمستقبل ، والبداية الحيوية التى يمكن أن تعيد القاهرة بهاءها ، وتعيد إليها بعض الحس الفني المفقود ، وسط زحام التكدس والفوضى ، كما يخلق نجاح هذا المشروع لدى المواطنين آلية القيام بدلاً من منطق اليأس والقعود ، ويؤكد أن الشعلة تبقى حية تحت الرماد ، إن اختفت بعض الوقت ، تعود وتتألق من جديد ! فلقد أشاعت روح مصر العالم يوما في تاريخها القديم ، وعادت وظهرت لمحات من الفن والإبداع في مصر الإسلامية ، ويبقى الكثير الذى يمكن أن تقرأه هذه الآثار التاريخية .

● فن ظهر في مصر

وكتابة "الخطط" فن ظهر وتألق على ضفاف النيل ، فن اختصت به مصر الإسلامية ، وهو فن يبدأ من وصف الأثر وينتهي ببعث الحياة فيه ، بعد أن يحتفى ويحنو على كل أثر وحجر ، ويقربك كاتب الخطط برشاقة من الحجر إلى البشر ، ولعل مشروع إحياء الشارع الأعظم ماهو إلا التطبيق العملي لهذا الفن ، يقدم ما أبدعته العقول في الماضي ، وما أنتجه وجدانهم الفني ، وما شيدوه من مبان تحدد ملامح حضارتهم .

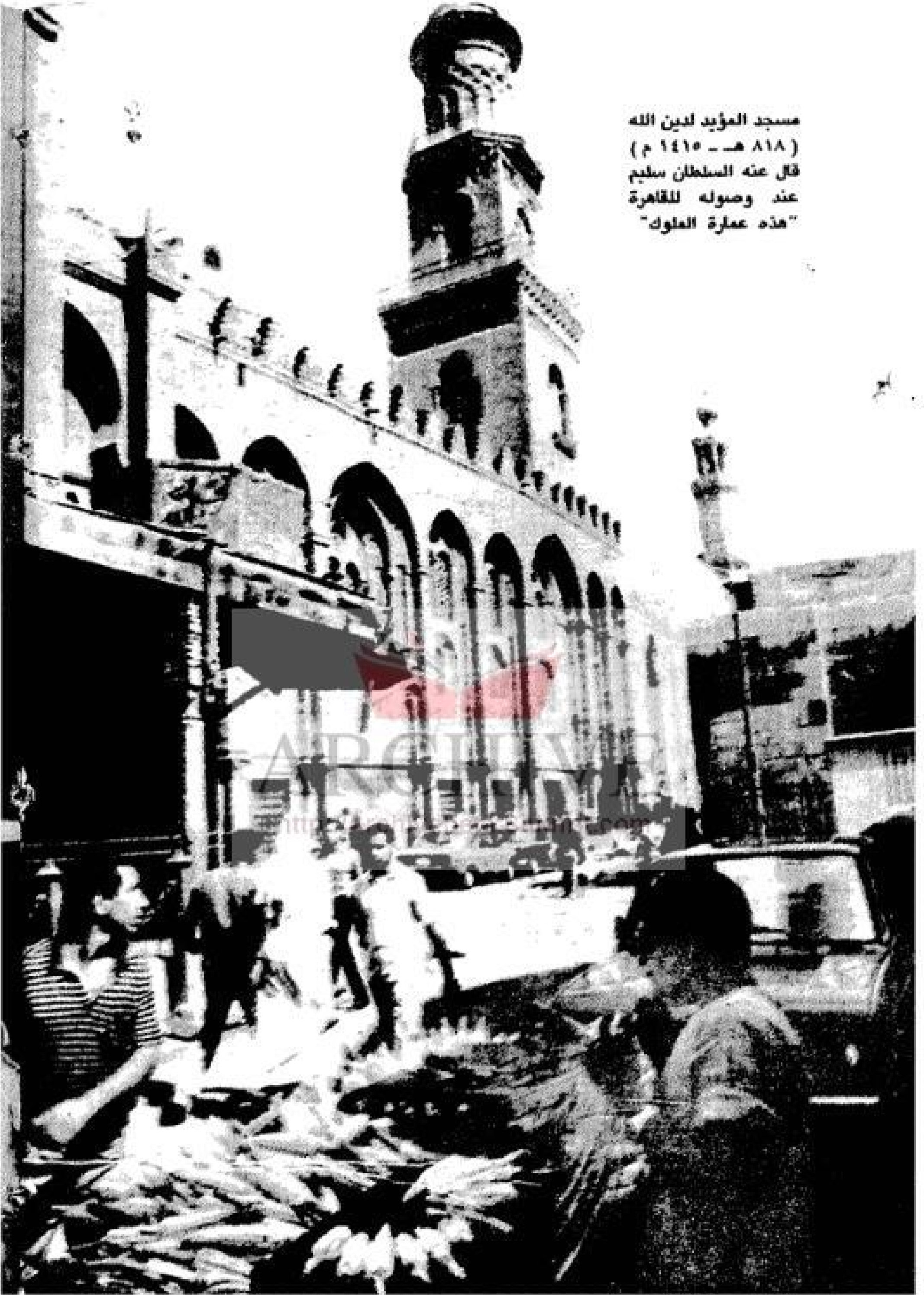
وهكذا كانت الخطط والآثار عند المقريزي ، وهكذا كانت الخطط التوفيقية .. فما بشرنا به محافظ القاهرة ، هو تحويل الشارع من باب الفتوح إلى باب النصر ، إلى منطقة أثرية لها حرمتها ، ويواجه التعديات التي تحاصره ، ويزيل الأكشاك والحوانيت التي تغطي أهم الآثار الإسلامية ، مع خطة طموحة لترميم وإعادة الحياة لهذه الآثار ، بعد أن طال عليها الإهمال ، وارتفعت المياه الجوفية ، وتحولت إلى ورش لإصلاح السيارات والجرارات أو قيام المشروعات التجارية التي لا تدرك أهمية وقيمة هذه الآثار ، فهذه المنطقة بعد أن هاجر منها القلب ، وانتقل قصر "الحاكم" إلى قلعة الجبل ، تحولت بالتدريج إلى مخازن وتجارة الجملة ، أو متاجر محلية أو ورش ، وفقدت عزها القديم وأصبحت خليطا تطغى فيه المصالح على دورها التاريخي والثقافي ،



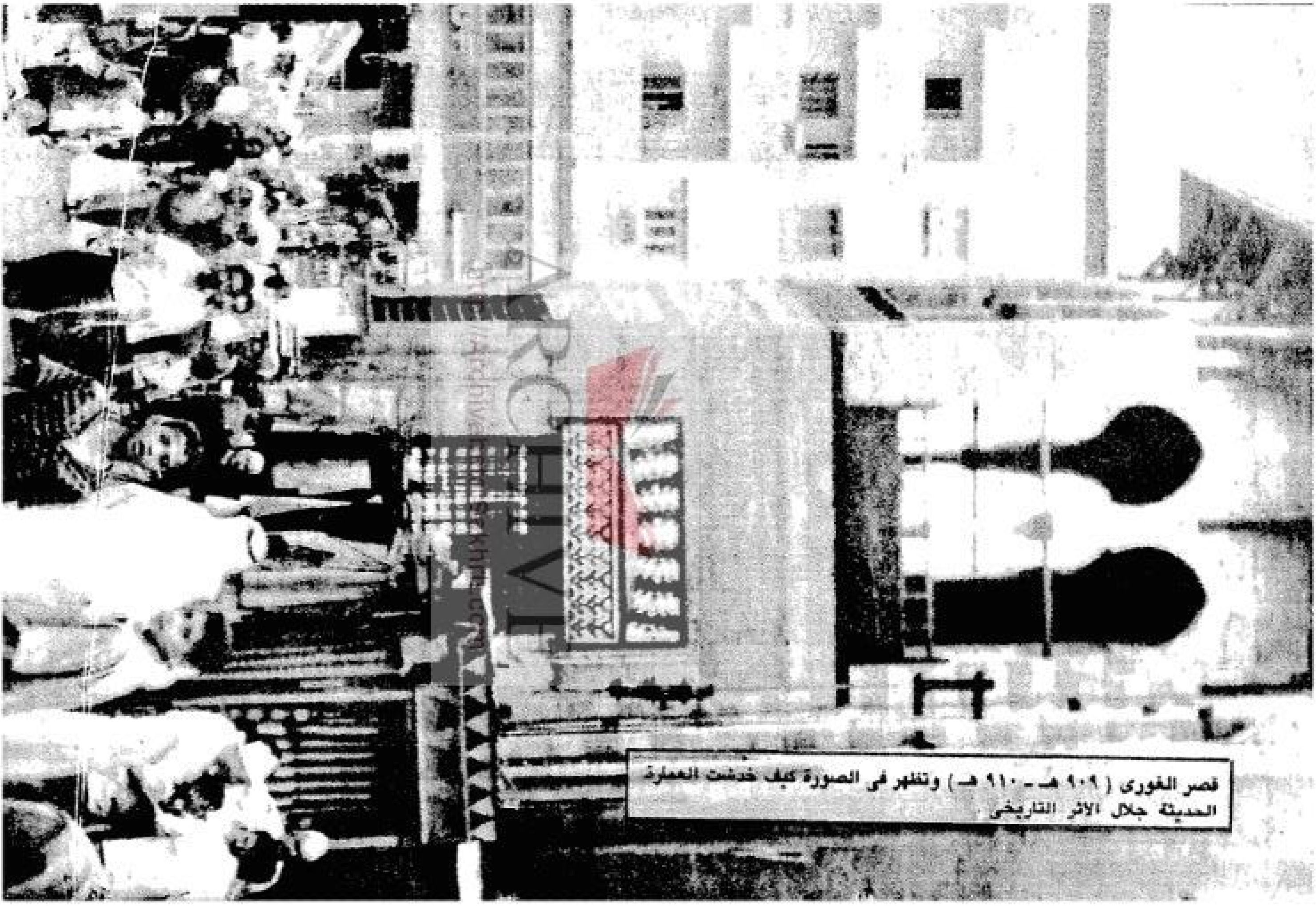
مئذنة جامع مدرسة المنصور قلاوون سنة ٧٦٦ هـ يقول عن المئذنة عرس الدين الظاهري "ليس لها نظير في الدنيا"

تقوم فيها دور متداعية فوق خرائب قصور الخلفاء ، وبقي التاريخ منقوشا على حوائط مبانيها ، ومكتوبا على نواصي أزقتها ودروب حواريها ، وحان الوقت ليسترد هذا الشارع عزه القديم ..

وهذا الشارع وما يحيط به من حارات ، من أغنى مناطق العالم بالآثار ، ففيه نقطة



مسجد المؤيد لدين الله
(٨١٨ هـ ـ ١٤١٥ م)
قال عنه السلطان سليم
عند وصوله للقاهرة
"هذه عمارة الملوك"



قصر الغورى (٩٠٩ هـ - ٩١٠ هـ) وتظهر فى الصورة كيف خدشت العمارة الحديثة جلال الأثر التاريخى



بدء القاهرة المعزية ، وكان يوما سرة القاهرة وقصبتها ، ومبانيه المتجاورة تضم كل مراحل تاريخ مصر الإسلامية ، وكأنها الطبقات الجيولوجية ، الفاطميون والايوبيون والمماليك والعثمانيون .

وتحكي مبانيه التاريخية لحظات المجد وأيام الانحسار .

● المتحف المسكون

ولم تعد المعرفة التاريخية هذه الأيام تقتصر على المدرسة ، ولا الكتاب ، بل أصدق من كل ذلك ما تركه الأجداد من اثار .



بوابة المتولي أو باب زويلة ، والتي تداخلت في مشهد مهيب مع مسجد المؤيد وأسوار القاهرة

ويدهش من يتجول فى عواصم العالم ، من الحفاوة الهائلة بكل آثار الماضى ، مهما قل شأنها ، وعندما لا يجدونها ، يصطنعونها إصطناعاً ، فعندما زرت مدينة كارديف فى ويلز ببريطانيا ، شاهدت مدينة كاملة من القرن التاسع عشر ، بنيت حديثا على ساحة كبيرة ، فيها كل ملامح تلك الايام ، طراز مبانيها وأسواقها ، وملابس أهلها ، وحتى المواصلات والمتاجر ، يعمل فى المدينة الحداد والخباز بذات الادوات القديمة ، تزورها وكأنك إنتقلت إلى قطعة من التاريخ الحى ، يقضى فيها الزائر يوماً كاملاً ، يلمس ويشم ويتذوق عبير الماضى ، ويعرف كيف خرج الحاضر من الماضى ..

ولسنا فى حاجة مثلهم لكى نقيم مجرد "ماكيت" لعمارة الماضى ، فمازال لدينا عدد كبير من المبانى التاريخية ، إذا رممت سيخرج إلى النور متحف مسكون ، عندما ينجح مشروع محافظ القاهرة ، عندما يتمتع زائر شارع المعز ، بقراءة جديدة للتاريخ ، وعندما ستتكلم آثار الشارع الأعظم ، ويعيش زائره قراءة جديدة للتاريخ ، يثير خياله ويوحى إليه ، ويؤثر فيه ، ويرفع من حسه الفنى والتاريخى ، ويولد إنسان جديد قادر على فهم العصر والتعامل معه ، ويخرجه من أسوار الحاضر ويمده إلى آفاق المستقبل .

ومشروع ترميم الآثار الذى تعتزم المحافظة القيام به ، مشروع إقتصادى ، علاوة على فائدته الثقافية ، عندما يتحول شارع المعز إلى نقطة جذب هامة للسياحة من كل أنحاء العالم ، ويستطيع المشروع أن يجذب مؤسسات دولية للمشاركة فى عمليات الترميم ، مثل مؤسسة أغاخان واليونسكو ، بوصف هذا التراث تراثا إنسانيا ، وقد سبق وساهمت اليونسكو بالفعل فى إنقاذ آثار النوبة ومعبد أبو سمبل ، كما تساهم اليونسكو فى مشروع إنقاذ مدينة فاس المغربية .

● البشــرى

وحان الوقت لنتجول فى هذا الشارع ، لكى ندرك قيمة "البشرى" التى زفها إلينا محافظ القاهرة ، محتذين فى جولتنا نص الخطط القديم ..

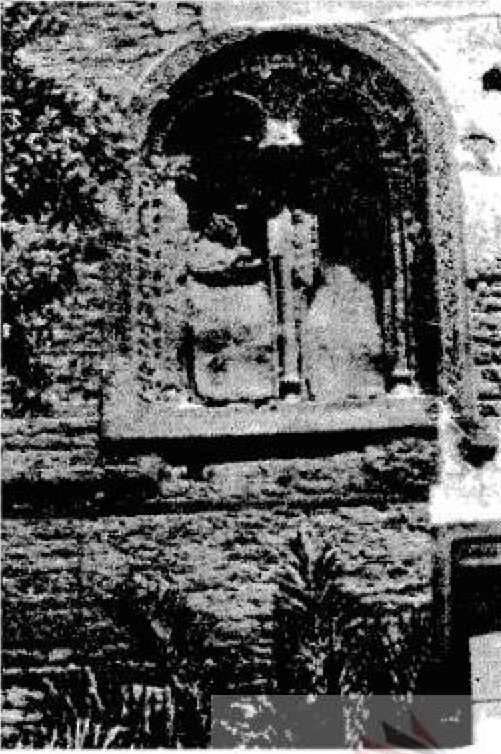
فى القاهرة أكبر عدد من الآثار الإسلامية القائمة فى مكان واحد وفى شارع المعز وما يحيط به أغلى هذه الآثار ، فهذه المنطقة التى انشأها جوهر الصقلى وجعل حولها سورا ، يحدها بابا الفتوح وزويلة .

ويقدم لنا جاك بيرك المستشرق الفرنسى دراسة قيمة حول شارع المعز ، وكيف أن تعرجه يعتبر عملاً معماريا يهدف إلى حماية رواده من أشعة الشمس الحارقة طوال فصول العام .

ويعرف هذا الشارع طوال تاريخه باسم الشارع الأعظم ، وتغير اسمه عام ١٩٣٧ وأطلق عليه اسمه الجديد ، ولم يكتسب الشارع الأعظم أهميته باعتباره الشارع الرئيسى فى القاهرة فقط ، بل لأنه إتصل بباقى أجزاء العاصمة من القطائع والعسكر والفسطاط ، فامتد خارج باب زويلة جنوبا حتى جامع السيدة نفيسة ، وامتد شمالا خارج باب الفتوح وإتصل بحى الحسينية ، وترك لنا المقريزى وصفاً



خريطة الاثار فى القاهرة التى اصدرتها مصلحة المساحة ويظهر شارع المعز غنيا بالآثار التاريخية . باب زويلة وجامع السلطان المؤيد ، وجامع الفكهانى ومدرسة وبيت السلطان الغورى والمدرسة الاشرفية ، وسبيل وكتاب الشيخ المطهر ، وسبيل وكتاب خسرو ، ومدرسة ومارستان وقبة السلطان قلاوون ، ومدرسة ومسجد برقوق ، وحمام اينال ، ومدرسة الظاهر بيبرس وقصر الأمير بشتاك وجامع الأقمر ومسجد وسبيل السلحدار ومسجد الحاكم بامر الله ، وباب الفتوح كما تزدحم الحارات المحيطة بالآثار



ماتبقى من مارستان
قلاوون

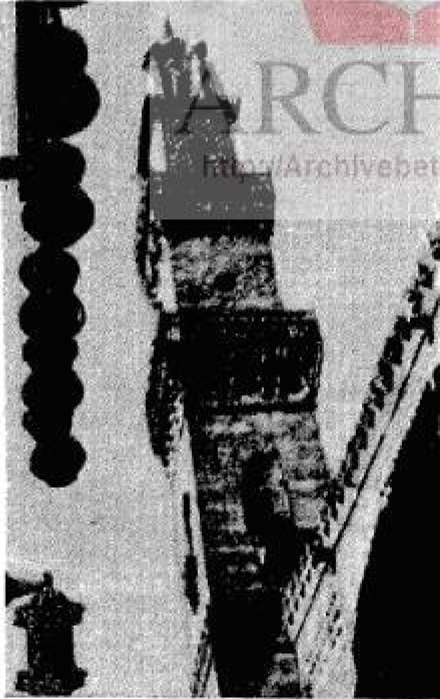
شيقا لهذا الشارع ، أكد فيه أنه قصبة القاهرة ، وأنه عامر بالمتاجر والأسواق حتى بلغ عدد حوانيته من الحسينية حتى السيدة نفيسة ١٢ ألف متجر ، ووصف قصوره ومساجده وحماماته وأسبلتـه وتكاياه وصفا كاملاً ..

يصل طول الشارع من باب الفتوح حتى باب زويلة حوالى ١٥٠٠ متر ، ويسهل قطعة سيراً على الأقدام ، ويتمتع هذا الشارع تاريخيا بمكانة خاصة ، وكانت له تقاليد مرعية ، منها عدم مرور حمل تبن أو حمل حطب ، ولا يسوق به أحد فرساً ، ولا يمر به سقاء إلا وراويته مغطاة ، وكان على أصحاب الحوانيت أن يعلق كل منهم على حانوته قنديلاً موقداً طوال الليل ، وأن يعد كل منهم زيراً مملوءاً بالمياه لمقاومة الحريق ..

وكان هناك أشخاص معينون به للكنس والرش ورفع ما يرمى من المخلفات ، كما عين له خفراء يطوفون بالحوانيت والدور لحراستها ..

أى أن المشروع الجديد ، ليس أكثر من أحياء بعض التقاليد القديمة ..

تزخر المسافة القصيرة بين البابين زويلة والفتوح بما يزيد خمسة عشر أثرا ، إضافة إلى أضعاف هذا العدد فى الحارات والأزقة المتفرعة منه ، أسواق ومساجد وحمامات وخانات وأسبلة وأسوار وبوابات ومدارس ، وكان طوال العصر



مئذنة مسجد الغوري



الفاطمى مقصوراً على سكن الخليفة ورجاله .

وليس هذا غريبا فتاريخ القاهرة وحدها يعادل مجموع تاريخ عدد غير قليل من عواصم غرب أوربا . وهنا كل حجر مشبع بعبق التاريخ . وكل شبر يحمل بصمات الإنسان . ويتعايش . يتناغم أو يتنافر القديم والجديد . الأصيل والدخيل .

والجولة فى هذا الشارع هى جولة فى الزمان والمكان معاً . فالمبانى ليست مجرد أحجار مرصوصة . بل وظائف محددة تبحث عن من ينطقها .

وكان قصر السلطان هو المركز وقلب مدينة القاهرة ؛ يحيط به قصور الأمراء والقادة . وفى الدائرة . الأوسع التجار والعامة وصغار الأهالى وعند هوامش المدينة يوجد المزارع ومن يلحمها .

● شارع الأعظم

ولنتوقف قليلاً عند بعض المحطات والمبانى التاريخية فى هذا الشارع . ونستحضر أحداثه . وفتوته وشخوصه ويعض أيام عزه ومجده .

الداخل إلى الشارع من الجنوب يدخل على مشهد جليل ومهيب ..

عندما يظهر باب زويلة والساحة ومسجد المؤيد لدين الله فى لوحة تشكيلية بديعة . جذبت لها على الدوام ريشة الفنان التشكيلى . وسجلها العديد من الرسامين العالميين . يقف فيها باب زويلة شامخا بجناحيه المحصنين . ترتفع فوقهما مأذن رشيقة أقيمت فى عصر لاحق . يحمل المكان رحيق الماضى وعظمته . فعندما تدخل من الباب فكأنك تنزلق إلى عصر آخر . وتشعر أنك لست أمام مجرد مدينة جليلة بل أمام آثار مدينة فريدة . تطور فيها فن العمارة قرنا وراء قرن . وسجل حضارتها يظهر على الحجر والخشب والآجر . تتداخل فى اللوحة ملامح وجوه البشر مع العمارة . وتبقى أبواب القاهرة القديمة أروع آثار الفاطميين . وبداخل باب زويلة ممر له قنطرة ورواقد يربط بين الأبراج المعدة لمواجهة العدو . ولن تقف طويلا عند تفاصيل عمارة تلك المبانى الأثرية . التى تجدها فى الكتب والدراسات . وتكتفى باسترجاع بعض الظلال والألوان وصور التاريخ الحية . حتى تتبين مدى الحاجة لمشروع الدكتور محمود الشريف . عندما يتيح لهذه الآثار فرصة أن تنطق وتعبر وتتنفس ..

مسيرة هذا الشارع تحمل العديد من الصور الدرامية . ويحكى باب زويلة العديد من فصول التاريخ حول العصر الفاطمى بما فيه من سحر وخفاء . وعصر المماليك يحفلون جنوده ومجالس علمائه . ووقائع أيامه المجيدة .

فنتوقف عند اسم الباب . الذى يطلق عليه العامة اسم "بوابة المتولى" . ويحكى الإسم أحد فصول التاريخ

الدامية ، تكاد تسمع عند الباب صليل السيوف وترى غبار المتحاربين ، فتعود هذه التسمية إلى إحدى المعارك الكبرى وبداية الغزو العثماني لمصر ، تحولت خلالها القاهرة من مركز وقلب العالم الإسلامي إلى ولاية تابعة ، عندما إتجهت جحافل العثمانيين إلى مصر تقصد آخر سلاطين المماليك السلطان الغوري ، والذى مات شهيداً فى ساحة الوغى فى معركة مرج دابق سنة ٩٢٢ هـ - ١٥١٦ م ، وتولى قيادة فلول الجيش المهزوم طومان باى الذى استمر يحارب وهو يتقهقر إلى القاهرة ، تتبعه الجيوش العثمانية ، ولم يحصل بعد على البيعة ، وعرف بمتولى الأمر ، وقبض عليه العثمانيون وشنقوه كأى مجرم عادى على باب زويلة فى ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ ، ويحكى ابن إياس عن مدى جزع الأهالى وصياحهم .. "المتولى شنق على باب زويله" ، واحتل المتولى مكانة خاصة فى وجدان الناس ويكفيه أنه قاتل بشجاعة إلى آخر لحظة ، وتقبل مصيره بشجاعة بالغة ، وقرن الأهالى المتولى بالباب ، لا يمر أحد منه إلا ويقرأ له الفاتحة وطلب له الرحمة .

مازلنا أمام الباب ، والصور تتلاحق ، وكما شهد الباب هزيمة المماليك شهد إنتصاراتهم ، عندما علق عليه سلطان المماليك قطز رءوس رسل هولاكو ، الذين حملوا رسالته التى يطلب فيها الاستسلام ، وكانت كلماتها .. "سمعتم أننا فتحنا البلاد ، وطهرنا الأرض من الفساد ، وقتلنا معظم العباد ، فعليكم بالهرب ، وعلينا بالطلب ، فأى أرض تأويكم ، وأى طريق ينجيكم ، وأى بلاد تحميكم ، فما من سيوفنا خلاص ، ولا من مهابتنا مناص" ..

وما كان من السلطان إلا أن علق رءوسهم ، ودعا إلى الجهاد ، وعندما رأى التردد عند البعض ، صاح فيهم قائلا .. "ياأمراء المسلمين ، لكم زمان تأكلون أموال بيت المال ، وأنتم للغزاة كارهون ، أما أنا فمتوجه إليهم فمن إختار الجهاد بصحبتى ، ومن لم يختر ذلك ، يرجع إلى بيته ، وخطيئة حريم المسلمين فى رقاب أولئك المتقاعدين" ..

وحلت على يدى السلطان أول هزيمة كبرى للمغول ، ولولا معركة عين جالوت سنة ١٢٦٠ هـ ، لقضوا على عالم الإسلام .

● قصر الخليفة

نمر سريعاً فى الطريق المتعرج الحافل بلمحات من جمال الماضى ، نشق طريقنا وسط الزحام بصعوبة ، ويصر قائد شاحنة ضخمة أن يشق طريقه وسط كل هذا الزحام ، ولا يرفع يده عن بوق سيارته ، ولا يقدر إلى أى حد يخدش حرمة المكان ، التعديات تخفى الآثار ، ويختلط عطر الماضى بروائح بقايا المأكولات ، وتتشبث الصناعات التقليدية القديمة بآخر معاقلها ، وهذا الشارع يكاد يكون الوحيد الذى مازال فيه محل لصناعة الطرابيش . تغطى الأكشاك التى تعرض ملابس النساء على واجهات المبانى الأثرية ، ويرتفع منسوب الطريق عن المبانى الأثرية حتى أصبح الدور الأرضى للمبانى الفاطمية



تحت منسوب الشارع بما لا يقل عن ثلاثة أمتار ، مما جعل كل أثر مهدداً بالمياه الجوفية ..

نترك الغورية ونعبر شارع الأزهر حتى نصل إلى جامع ومستشفى المنصور قلاوون ، وأول ما يطالعك مئذنة الجامع ، وهى تحفة فنية تشبه الدانتيل المنقوش من الجص ، ونحن نقف فى الجزء الذى كان عاصمة ومركزا للدولة الفاطمية ، يحافظ على سحره وجماله الخاص ، رغم ما شوه هذا الجمال من مبان تختلف عن عراقة الماضى . وفى هذه البقعة المحدودة ترى آثارا عثمانية ومملوكية وفاطمية . مهددة بالفناء تحت ضغط عوامل الطبيعة والأغراض التجارية ..

مازالت هذه المنطقة تحمل اسم "بين القصرين" ، فكانت تضم يوما قصرى الخليفة الشرقى والغربى على جانبى الطريق ، وما بينهما ميدان فسيح يتسع لما يزيد على عشرة آلاف فارس ، يستعرضهم الخليفة أيام الاحتفالات .

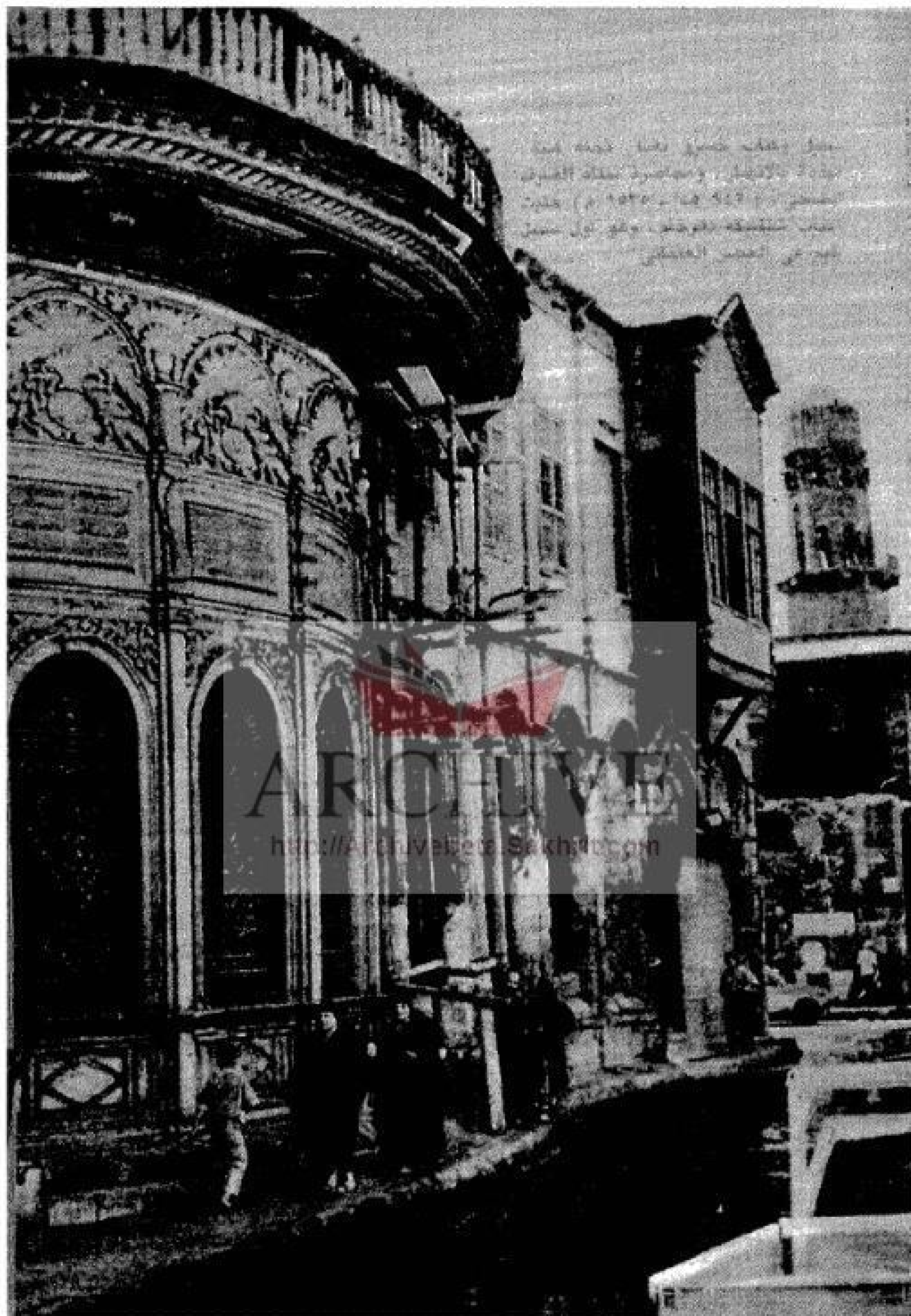
أمامك سبيل وكتاب عبد الرحمن كتخدا ، المتوسط للشارع ، وهو من أجمل الأسبلة ، اقامه الأمير عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٥٧ هـ ـ ١٧٤٤ م ، وكسيت واجهاته بالرخام الملون المنقوش ، وكسيت جدرانه بالفسيفساء ، وبه صورة الكعبة وما حولها ..

أما القصران فقد اندثرا ، وكانا من عجائب الدنيا عمارة وفنا ، تجلت فيهما حضارة الدولة الفاطمية ، وزالت هذه القصور وأقيمت محلها المساجد والمدارس والأسواق ، وترك لنا كتاب الخطط والرحالة فيضا من الصور لهذه البقعة ، وسجلوا بدقة ما كان عليه حالها .

كان باب القصر الشرقى من الذهب الخالص ، والذى كان قائما محل محراب ومدرسة الظاهر بيبرس ، وقد اخترق شارع بيت القاضى هذه المدرسة ، وكان موقع هذا المحراب يبعد عن الشارع الحالى بحوالى سبعين مترا ، كما سجل على باشا مبارك فى خططه ، وأقيم مارستان المنصور قلاوون فى مواجهته مدرسة الظاهر بيبرس .

ويذكر المقريزى .. أن القصر الشرقى كان كبير المساحة ، وله تسعة أبواب ، باب الذهب وباب الريح وباب الزمرد وباب العيد ، وهو الباب الذى يخرج منه الخليفة لصلاة العيد ، وباب قصر الشوك ، وقد أطلق عليه "القصور الزاهرة" أما القصر الغربى فكان على يسار المتجه إلى باب الفتوح ، ورغم أن الحاكم بأمر الله أمر بهدمه ، فإنه لم يهدم وسكنته ست الملك أخت الحاكم ، وهو الذى كان قائما محل كارستان المنصورى .

وتحكى كتب التاريخ .. أنه عقب صلاة العشاء ، يضرب الطبل والبوق ، والآلات الموسيقية الأخرى .. "بطريقة مستحسنة ونغمات مستحبة" ، ويظل عزف الموسيقى





حتى يخرج من القصر من يصيح قائلا .. "أمير المؤمنين يرد عليكم السلام ، ويأمر بوقف الموسيقى وغلق الأبواب" فترمى السلسلة ما بين القصرين .

ووصف لنا شاهد عيان القصر أيام حكم المستنصر بالله ، وهو ناصر خسرو (١٠٤٧م - ١٠٥٠م) يقول .. "يقع قصر السلطان في وسط القاهرة ، وهو طلق من جميع الجهات ، لا يتصل به أى بناء ، ويتكون القصر من اثنى عشر بناء ، وتحت الأرض باب يخرج منه السلطان راكبا ، وهذا الباب على سرداب يؤدى إلى قصر آخر خارج المدينة .. ولهذا السرداب الذى يصل ما بين القصرين سقف محكم ، وجدران القصر من الحجر المنحوت بدقة ، قدت من صخر واحد .. وفى قصر السلطان بساتين لا نظير لها ، والقصران ، أولهما قصر اللؤلؤة وثانيهما قصر الجوهرة .. ومطبخ السلطان خارج القصر ، ويعمل فيه خمسون غلاماً ، كما يصل المطبخ بالقصر سرداب تحت الأرض ... وجرت العادة في مصر ، أن يحمل إلى دار الشراب السلطانية كل يوم ، أربعة عشر جملاً محملاً بالثلج ، وكان لمعظم الأمراء والخواص راتب يومى من هذا الثلج" ..

ويتناثر وصف قصر الخليفة في العديد من الكتب ..

ونتساءل أحقا ما ذكره المقريزى .. من أنه .. "قبل خروج الخليفة في الموكب ، يروض الرائض فرسين أو ثلاثة ، على كل منهما السرج الذى يستعمله الخليفة ، ويركب أحد الأستاذين بغله ، وهو ممسك بالمظلة ، ويسيران فى براح الاسطبل ساعات ، والأبواق تنفخ ، والطبول تدق ، حتى تتعود الأفراس الحركة والأصوات فلا تجفل ولا تنفر ، والفرس والبغلة اللتان تتهيأن ليركبهما الخليفة وحامل المظلة فى الموكب .

ويقال : إنه ما رئيت دابة فزعت أو بالت ، لغاية نزول الخليفة وصاحب المظلة عنهما" !

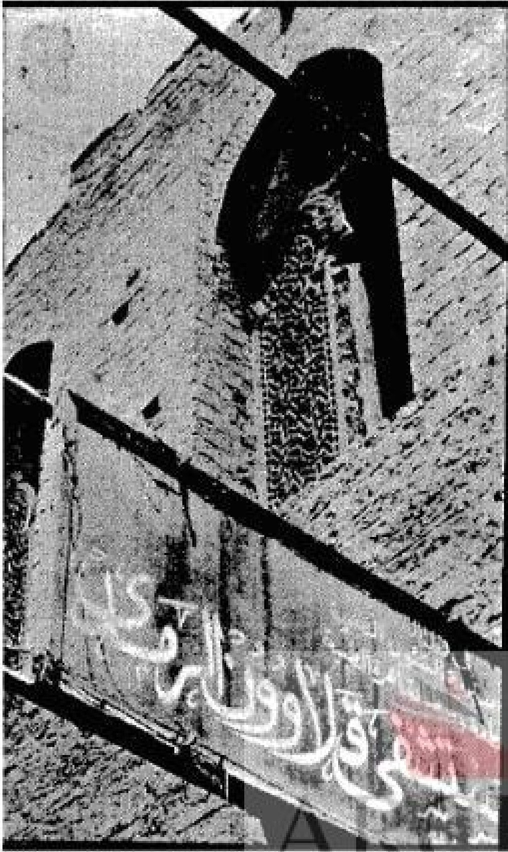
وتروى هذه البقعة ، قصة قيام وانهيار الدولة الفاطمية ، والتى كان قيامها إيذانا بأن تصبح القاهرة ، مركز وقلب العالم الإسلامى ، بعد أن كانت ولاية تابعة ، صحيح كان بعض ولاتها الأوائل ولاة لأفريقيا (بلاد المغرب) ، وصحيح أنه ظهرت نزعات إستقلالية ، وقامت الدولتان الطولونية والإخشيدية اللتان لا تكاد تربطهما بالخلافة الإسلامية سوى روابط سياسية أو إدارية واهية ، إلا أنهم استمروا تحت لواء الخلافة فى دمشق أو بغداد ، وأصبحت القاهرة أيامهم عاصمة تضم شمال أفريقيا غربا والشام شرقا واليمن جنوباً، وكان العصر الفاطمى أحفل عصور مصر الإسلامية بالمواقف الشائقة ، وأجدرها بالدرس والاهتمام ، ونشرت الخلافة حولها فيضا من العظمة ،

وترك لنا المقريزى والقلقشندى كثيرا من التفاصيل الدقيقة لهذه المرحلة التاريخية .

وخلالها ازدهرت القاهرة ، وسطعت الميادين بالوقود والشموع ، وتزينت الأسواق والقياسر بمختلف أنواع الزينة ، وأنفقت الأموال الكثيرة فى المآكل والمشارب والسماع (المقريزى)

وبدأت القاهرة مدينة سلطانية متواضعة لا تتجاوز مساحتها ميلاً فى ميل ، ولم يمض جيل واحد إلا واتسعت واتصلت وأصبحت من أكبر وأعظم مدن الإسلام ، وأصبحت الحياة الاجتماعية تتقلب بين ألوان البذخ والترف ، وأظهر الشعب مرحه المأثور ، وأظهر روح الدعابة والفكاهة التى يملكها ، فقد مس الحكام الجدد الطبيعة المرحة والولع بالحياة اللذين يتمتع بهما الأهالى ، وكانت مواكب الخلافة وحفلاتها ومآدبها وما يحيطها من الإجلال مواقف مشهودة ، وكانت الأعياد والمواسم مثار البهجة والمرح ، واحتفلت الدولة الفاطمية بكل الاحتفالات المصرية القديمة مثل عيد فتح الخليج (وفاء النيل) ، ويوم النيروز ..

وكان موكب عيد الفطر من أعظم هذه الاحتفالات ، ففى ليلة العيد ينظم بالايوان الكبير سماط ضخم يبلغ نحو ثلاثمائة ذراع وعرضه سبعة أذرع ، وتنثر عليه صنوف الفطائر والحلوى مما أعد فى دار الخلافة ، وبعد صلاة الفجر تفتح أبواب القصر للأهالى ويشاركهم الخليفة طعامهم ، ويروى المسبحى .. "وفى يوم العيد ركب العزيز بالله للصلاة .. وبين يديه الفيلة عليها الرجاله بالسلاح والزرافة ، وخرج بالمظلة المثقلة بالجوهر" ، وعند عودة الخليفة كانت هناك وليمة أكبر من الأولى يحضرها نحو خمسمائة مدعو .



الخيط الرفيع بين الماضى والحاضر ، أقيم إلى جوار المارستان القديم مستشفى قلاوون للعيون .

أما ليلة فتح الخليج أو وفاء النيل ، فيركب الخليفة إلى الخليج فى موكب فخم ، ويصل إلى سرادق تبلغ مساحته نحو ألف ألف ذراع ، تنصب داخله قاعة الخلافة ، وتصطف السفن الرسمية فى النيل ، وتصطف الجنود على الشاطئين ،



وتقام المآدب وتنظم الملاهى ومجالس الأنس والغناء ..

إن كل هذه العصور التاريخية ، تتوارد فى هذا المكان ، وهذه بعض نغماته .

● المارستان

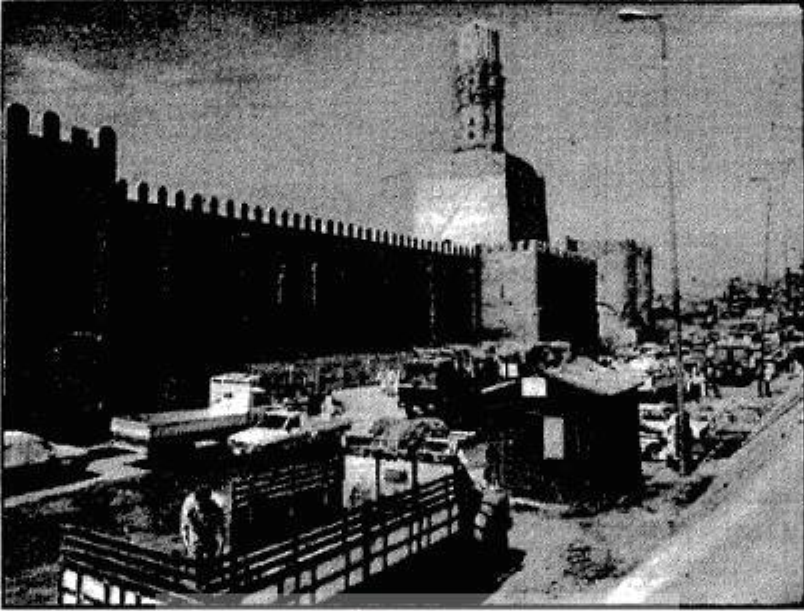
مستشفى قلاوون للعيون ، قائم حالياً محل المارستان ، إنه الصلة الخفية بين الماضى والحاضر ، ففى ذات المكان أقام المنصور قلاوون ، المارستان الذى أصبح أحد معالم القاهرة العتيقة ، يقف المبنى القديم ببهائه إلى جانب المستشفى الجديد .

ويصف القلقشندى فى صبح الأعشى المارستان ، فقد حكم السلطان قلاوون أربعا وأربعين سنة على ثلاث فترات ، وتكاد تكون أطول فترة يحكم فيها مصر حاكم واحد ، وترك وراءه العديد من المنشآت العامة التى تقاوم الزمن بعناد .

وادهش هذا المارستان جومار احد علماء الحملة الفرنسية ، وكتب يقول "من الخطا الشائع الظن أن القاهرة محرومة من المنشآت الخيرية ، فقد وجد بالقاهرة منذ خمسة او ستة قرون ، العديد من المارستانات المخصصة لإيواء العجزة والمرضى ، لقد وجدت "التكايا" التى تستقبل المسافرين الفقراء ، ويجدون فيه الضيافة المجانية ، وشيدت الأسبلة العامة ، واوقف سلاطين واغنياء بعض ثرواتهم لكى يساهم ريعها فى صيانة الأبنية العامة وتغطية نفقاتها السنوية" .

ويضيف .. "قام مارستان الناصر قلاوون لاستقبال المرضى والمختلين عقليا ، وخصص لكل نوع من الامراض قاعة خاصة يشرف عليها حكيم ، يقبل المرضى سواء الأغنياء منهم أو الفقراء ، والمرضى المصابون بالارق ينقلون إلى قاعة منفصلة ويستمعون إلى الموسيقى ، كما يتولى رواة محترفون تسليتهم بحكاياتهم ، ويعرضون فصولا ضاحكة لإدخال البهجة إلى نفوسهم . وهناك مدرسة ملحقة بالمارستان ، يدرس فيها الطب والشريعة" .

ويضيف فى مقاله الذى نشر فى كتاب وصف مصر .. "وهناك مؤسسة خيرية أخرى اقيمت لكى تؤوى وتطعم النسله اللاتى ليس لهن ماوى" .. ويضيف .. "لقد كانت لدينا معلومات خاطئة فى أوربا عن مؤسسات الإحسان فى الشرق ، وعن إهمال تلك الأعمال الخيرية ، ووجدنا فى مصر مؤسسات للعميان سابقة على تلك المؤسسات القائمة فى فرنسا ، التى تصورنا اننا أول من أقامها ، لقد أعطانا الشرق المثال الأول" ..



مسجد الحاكم بأمر الله وسور القاهرة لقد رمم البهرة مسجد الحاكم"

وقبله كتب أبو الصلت أمية (٤٨٩ هـ - ١٠٩٥ م) يقول .. "يوجد رجل ملازم للمارستان يستدعي للمرضى كما يستدعى الأطباء ، ويدخل على المريض ويحكي له حكايات مضحكة وخرافات مسلية ، ويخرج للمرضى بوجوه مضحكة ، وكان لطيفا في إضحاكه وخبيراً ، وعليه قديراً ، فإذا انشرح صدر المريض وعادت إليه قوته ، تركه وانصرف ، فإن احتاج لمعاودة المريض عاده إلى أن يبرأ" ..

واستلفت المارستان عيسى البلوى يقول .. "ولو لم يكن للقاهرة ما تذكر به سوى المارستان وحده لكفيها ، وهو قصر عظيم من القصور الرائعة حسنا وجمالاً واتساعاً لم يعهد مثله بقطر من الأقطار أحسن بناء ، ولا أبدع إنشاء ، ولا أكمل انتهاء في الحسن والجمال" ..

ومازال البناء قائما يستصرخ من ينقذه ويعيد له دوره كمثال حي للعمل الاجتماعي الذي عرفناه في العصور الوسطى وكاد يغيب في العصر الحديث .

ولا يمكن بعد جولة كهذه إلا أن تلاحقك الأفكار وتتوارد عليك الخواطر ..

لقد أحب أهالي القاهرة عاصمتهم ، وقام الكتاب بدورهم في التنبيه والتحذير من مغبة إهمال الآثار ، وألفت العديد من الكتب عن أحوالها وعمارتها



القديمة ، واستوحى التشكيليون والروائيون من آثارها أعمالاً كثيرة ، وتركت القاهرة القديمة بصماتها على أهلها ، ويغضب بعضهم وهم يرون تراث الماضي يتعرض للزراية والإهمال ، وتمتلىء قلوبهم بالحماس ، ويبدون استعدادهم للقيام بأى جهد لانقاذ آثار مدينتهم ، مثل السيدة الفاضلة ليلى على إبراهيم ، التى تقوم بكل ما تستطيع من أجل الحفاظ على الآثار ، فهي من الذين يهيم ذوقهم بعطر الماضى ، ولكن ماذا بمقدورها أن تفعل بعد أن سدت أمامها كل السبل ؟. ولم يعد أمامها سوى إعداد الدراسات وكتابة المذكرات ، ومقابلة كل من يعنيه الأمر ..

كما ظهر فى هذه الأحياء القديمة "ابن البلد" بفروسيته وشهامته ، وولعه بماضيه ، وهو الذى كان على الدوام وقود

باب الفتوح ومسجد الحاكم بأمر الله ، جدده بدر الجمالى (٤٨٠ هـ - ١٠٨٧ م)



الثورات وحروب التحرير ، وما أيسر أن يساند حملة المحافظ الجديد ، بشرط أن يجد البديل المعقول .

● التعاون بدل المواجهة

ويحتاج هذا المشروع الكبير الذى يستحق منا كل دعم ومساندة . يحتاج إلى التعاون بدل المواجهة ، فمثلا هناك دور تقوم به وزارة الأوقاف التى تملك ٥٦٩ أثرا إسلاميا ، على حسب ما جاء فى سجل الآثار عام ١٩٣٦ ، وهى التى تضع يدها على أوقاف تلك المبانى التاريخية ، ورغم ذلك لا تقوم بعمليات الصيانة والترميم المطلوبة ، ولا يوجد سبب مفهوم فى عدم ترميم المساجد الأثرية وإعادة الحياة إليها ، فهذا واجب يسبق إقامة مساجد جديدة ، وبدلاً من تأجير بعض هذه الآثار ، بل وحتى تأجير بعض المساجد خلال الموالد والاحتفالات !.

وعلى هيئة الآثار القيام بالدور الرئيسى ، فأين مشروعات الترميم التى بدأتها ، وأين حصيلة صندوق حماية الآثار ، والذى صدر بشأنه قانون أيام تولى الأستاذ عبد المنعم الصاوى مسئولية وزارة الثقافة ، والذى تبلغ حصيلته السنوية حوالى خمسين مليونا من الجنيهات ، ولماذا لا يبدأ خطة متكاملة ، على أسس هندسية وعلمية لترميم آثار شارع المعز ، ولتكن البداية وضع اسم كل صاحب أثر وتاريخه فى لوحة بارزة ، كما هو معمول به فى كل بلاد العالم .

وتتوج كل هذه الجهود محافظة القاهرة ، وتنسق بين الأطراف المختلفة ، ويسهل هذا المشروع أن الشارع المكتظ قد أصبح طارداً للسكان ، وأن تعد المحافظة أماكن مناسبة لتجار الجملة ، وتنمى الصناعات اليدوية التقليدية ، وتضع الحلول الهندسية لارتفاع منسوب المياه الجوفية ومياه الصرف الصحى .

وأن يتوافق أخيراً النظام القانونى مع فكرة الحفاظ على الآثار ، فالقانون القائم لا يفرق بين المبانى الأثرية وغير الأثرية ، ولم يسعف القانون أحدا ويتمكن من وقف هدم حائط قائم بين متجرين فى مدرسة السلطان الغورى ، ورفضت المحاكم القضية عند تطبيقها لقانون الإسكان !!

وتبقى تعبئة قطاعات واسعة من الرأى العام لهذا المشروع ، فلا يمكن تحقيق هدف مهما كان سامياً ، إلا إذا تبناه الرأى العام ، وقامت هياكل تنظيمية ، تطالب وتدرس وتضغط وتضع البرامج من أجل تحقيقه .

ومن ميزات هذا المشروع الحيوى ، أنه سيكشف أولئك الذين يعرقلون كل مشروع بذرائع مختلفة ، حتى إذا كان يخفف بعض العبء الواقع على كاهل سكان القاهرة .

إن إتمام هذا المشروع ، سيجعل الشارع الأعظم ينطق بعد طول صمت ، وهى بشرى منعشة ، ولعل تلك الجولة التى قمنا بها ، تزيد الإحساس بأهمية المشروع ، وتبعث الحياة فى هذه المبانى التاريخية ، وحتى تصل إلى سر التاريخ الحى ، ونرى الألوان ونستنشق روائح الماضى .

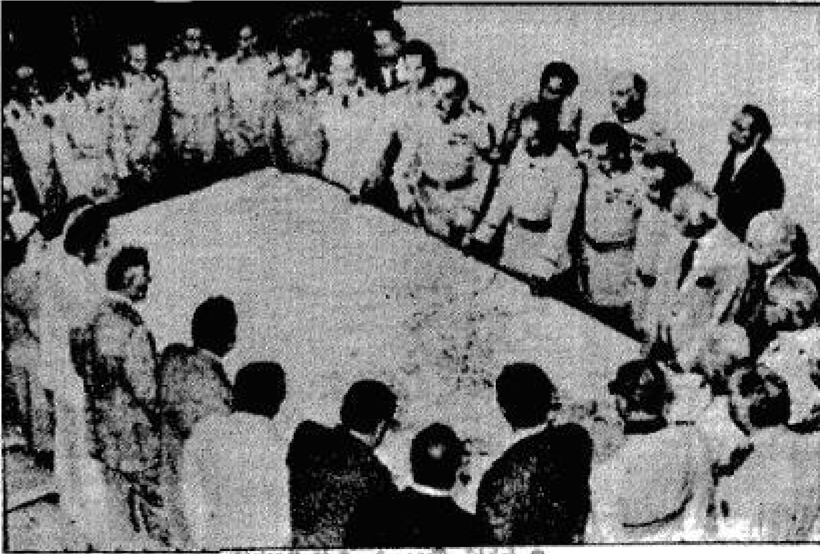
ولن يفعل ذلك سوى من عشق القاهرة القديمة وآمن برسالتها . ■

على هامش

حرب أكتوبر

بقلم: د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

لاشك ان الاداء العربى فى حرب اكتوبر ١٩٧٣ كان افضل منه فى المواجهات العربية - الاسرائيلية السابقة خاصة ان التعاون بين الدول العربية خلال هذه الجولة بلغ درجة لم يسبق لها مثيل . فبينما الجيشان المصرى والسورى ينفذان مهامهما وصلت المساعدة العسكرية من العراق والأردن ، والمغرب والمملكة العربية السعودية والجزائر وليبيا . كما كانت بجبهة قناة السويس كتيبة من السودان وأخرى من الكويت ولواء مشاة جزائرى تحت التدريب وكتيبة مدفعية ميدان جزائرية . كما قدمت كل من السعودية والعراق والامارات والجزائر والكويت وليبيا الدعم المالى لمصر وسوريا . اما الاتحاد السوفيتى فإنه تمشيا مع سياسته الدولية العامة زود القوات المسلحة المصرية بصفقات ضخمة من الأسلحة فى اكتوبر ١٩٧١ ومايو ١٩٧٢ ومارس ١٩٧٣ كانت تحتوى على نوعيات جديدة من الأسلحة والمعدات التى تلقتها مصر للمرة الاولى . كما قدم كميات كبيرة من الاسلحة الى سوريا سواء قبل المعركة أو خلالها ، ولم ينقطع الجسر الجوى الى مصر وسوريا أثناء حرب اكتوبر . هذا برغم قيام الرئيس السادات فى عام ١٩٧٢ بطرد الخبراء السوفييت من مصر دون ان يؤدى هذا الى فتور العلاقات المصرية السوفيتية .



● قيادات العبور في غرفة العمليات

● ولاشك أن قرار مصر وسوريا الخاص بتسخين الموقف كان قرارا جريئا بعد ان اوضحت حربا ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ التفوق العسكري الاسرائيلي على القوات المسلحة العربية . ويبدو أن الرئيسين السادات والأسد قررا في أواخر عام ١٩٧٢ القيام بعمل عسكرى مؤثر ضد إسرائيل في خريف ١٩٧٣ ، وأن لم يكن كل من السادات ووزير حربيته أحمد اسماعيل على ، على يقين من أن مصر قد وصلت - أو يمكن أن تصل - في القريب إلى التساوى مع إسرائيل تكتيكيا او فنيا ومن ثم اتخاذهما كل الاحتياطات الممكنة لتلافى شبح مواجهة هزيمة جديدة .

ولاشك أن الاداء المصرى في بداية الحرب كان انجازا عسكريا رائعا : فقد عبرت القوات المصرية قناة السويس في فترة وجيزة ثم قامت بتحطيم خط برليف الحصين الذى اقامته اسرائيل على الضفة الشرقية للقناة واسترجعت بعض أراضى شبه جزيرة سيناء . وكان التخطيط والتنفيذ اللذان قام بهما الجيش المصرى والكفاءة التقنية التى تميز بها اداؤه دليلا على النجاح الباهر الذى حققته عملية حربية منظمة ، وتوقع الكثيرون أن يواصل الجيش المصرى تقدمه الى المضايق ثم إلى حدود مصر الدولية وممن ذهبوا الى إمكان تحقيق ذلك الفريق محمد فوزى الذى يذهب الى أن عبد الناصر كان قبل وفاته قد أصدر قرارا يقضى بضرورة بدء القتال لتحرير سيناء كاملة على الا يتأخر موعد المعركة عن ربيع عام ١٩٧١ . إلا أن السادات كان يؤمن بالحل السلمى ولهذا شن الحرب لكى يزود العمل السياسى بقوة دفع جديدة لاستئناف المفاوضات الهادفة الى

التوصل الى تسوية شاملة ويضيف الفريق محمد فوزى إلى ذلك أن السوريين لم يوافقوا على الاشتراك فى العمليات المنسقة بين الجبهتين طالما كان هدف المصريين مجرد الوصول الى المضايق ـ إذ أنهم رأوا أن اقتصار المصريين على العبور والتوقف عن التحرك شرقا من شأنه أن يلقى على الجبهة السورية ثقل الجهد الاسرائيلى الرئيسى ، ويخلص فوزى الى أن السادات خدع السوريين حين عدل من جانبه الخطة التى تم الاتفاق عليها مسبقا بحيث اقتصرت على "تحريك" الموقف لا تحرير سيناء بحيث تعبر القوات المصرية قناة السويس وتحتل ١٠ ـ ١٢ كيلومترا ثم تقتصر على الدفاع .

● قيود على التحرك العسكرى

والواقع أن السادات قد أعد خطة المعركة على أساس تحريك حالة اللاسلم واللاحرب وتأمين القوات المصرية من خطورة الطيران الاسرائيلى المشهود له بالكفاءة بالاعتماد على جدار الصواريخ الذى اقيم غرب القناة فى أواخر عهد عبد الناصر . ويؤكد محمد حسنين هيكل ـ الذى كان قريبا من الرئيس السادات خلال هذه الفترة ـ أن الوفاق بين الشرق والغرب قد فرض قيودا على اى تحرك عسكرى وأنه مالم يتم شيء قبل فوات الأوان فستظل حالة اللاسلم واللاحرب قائمة الى مالا نهاية نتيجة لاطمئنان إسرائيل الى تفوق قوتها العسكرية وعدم استعدادها للتخلى عن الأراضى التى احتلتها فى عام ١٩٦٧ ، ولهذا فإنه يذهب الى أن الهدف من حرب ١٩٧٣ هو إغراء الدولتين العظميين ومجلس الأمن بالتدخل والضغط فى سبيل التوصل الى تسوية سياسية مناسبة . والحق أن السادات قد أدرك قبل الحرب أن الدولتين العظميين قد توصلتا الى اتفاق حول كل المواضيع ، بما فى ذلك الشرق الأوسط ، مما حتم ضرورة التحرك فى أقرب وقت . إلا أن هيكل يعترض على توقف الجيش


جمال عبد الناصر


انور السادات


المشير احمد إسماعيل



● حسنى مبارك ، قائد الطيران فى اكتوبر



مبارك والسادات فى مسرح العمليات بعد الحرب فى سيناء

المصرى بعد العبور معللا ذلك بشبح الهزائم السابقة ، ومن ثم أسفه لضياع الفرصة فيما بين ٨ ، ١٠ اكتوبر - إذ انه يذهب الى انه لو امكن الوصول الى المضايق واحتلالها لكان بالامكان استرجاع كل سيناء والتوصل الى نتائج سياسية لاحصر لها ولو انه يبرر هذا التوقف بالضغط الذى تعرضت له سوريا .

وهكذا نكون قد استعرضنا ناحية كانت مثارا للجدل فيما يتعلق بحرب اكتوبر ، وهو الجدل الذى لايزال دائرا حتى الآن والذى لن يحسم إلا بإماطة اللثام عن المشاورات والتوجيهات التى سبقت الحرب وتلت نشوبها . أما الناحية الأخرى التى اختلفت حولها الآراء ثم احتدمت ، وبخاصة خلال الاتهامات المتبادلة بين الرئيس السادات والفريق سعد الدين الشاذلى بعد وقف اطلاق النار فهى تتعلق بثغرة الدفرسوار التى هلل لها الاسرائيليون وذهبوا الى انها كانت كفيلة بإنهاء الحرب لصالحهم وأن يكن السادات قد وصفها بأنها عملية تلفزيونية . ولاشك أن الرئيس السادات يتحمل مسئولية هذه الثغرة حين أصدر أوامره بنقل الاحتياطى الاستراتيجى من الدبابات المتمركزة غرب القناة الى الشرق

مبررا قراره برغبته فى رفع الضغط الاسرائيلى على جبهة الجولان ، ويؤكد الفريق فوزى أن هذا القرار جاء متأخرا لان الموقف العسكرى الحقيقى على جبهة الجولان كان لايحتاج الى جهد أضافى من الجبهة المصرية ، خاصة وأن أسرائيل بدأت تحول جهدها الرئيسى الى الجبهة المصرية بعد أن أستقر الموقف فى الجبهة السورية وتوقفت فيه المجهودات الرئيسية للقوات المصرية التى أمّنت وعززت مواقعها الدفاعية شرق القناة وهو يعزو قرار السادات الى رغبته فى تغطية موقفه السياسى لدى سوريا وباقى الدول العربية فى حالة اعتراض سوريا فى المستقبل على عدم التزامه بالخطة العسكرية المشتركة بينهما .

وكان السادات قد قرر يوم تنفيذه للعملية (١٤ اكتوبر) أن يلقى خطابا سياسيا فى مجلس الشعب يعرض فيه شروطه الخاصة بالسلام ويتحدث فيه من مركز قوة . وعارض رئيس الأركان - الفريق سعد الدين الشاذلى - تحريك الدبابات الى الشرق خشية مواجهة التفوق الجوى الأسرائيلى ، فى الوقت الذى أستقر فيه الموقف على الجبهة السورية بعد وصول العناصر المتقدمة من فرقتين عراقيتين واشتراكهما فى القتال ودفع فيه الأردنيون لواءين مدرعين الى الجبهة السورية . وعلى أى حال فقد جرت معركة دبابات ضخمة الى الشرق من قناة السويس


حافظ الأسد


الفريق محمد فوزى

وهى المعركة التى يصفها حاييم هرتزوج ، رئيس اسرائيل الحالى وأحد كبار المعلقين العسكريين ، بأنها إحدى اكبر معارك الدبابات التى شهدها التاريخ ، باستثناء معركة كورسك فى الاتحاد السوفييتى خلال الحرب العالمية الثانية ، فقد أشتركت فى القتال الذى بدأ يوم ١٤ اكتوبر ٢،٠٠٠ دبابة على طول الجبهة بأسرها ، وخسرت فيها مصر مائتين وخمسين دبابة مما جعل الفريق فوزى يطلق عليها "معارك اليوم الأسود" . وبعد يومين نجح الاسرائيليون فى إتمام عملية اختراق الدفاعات المصرية عند الدفرسوار . وبينما السادات يلقى خطابه فى مجلس الشعب كانت رئيسة الوزراء الاسرائيلية - جولدامائير - تنتظر مايقوله ، لكي تعلن بعد فراغه من قراءته أن القوات الاسرائيلية قد وضعت اقدامها على أرض افريقيا !

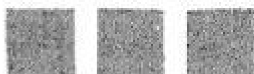
● توازن القوى فى صالح مصر

● وبعد التأكد من حجم الثغرة

اقترح الفريق الشاذلى نقل قسم من القوات المتمركزة شرق القناة الى الغرب بهدف احتواء الجيب الاسرائيلى ثم طرد الاسرائيليين من المواقع التى احتلوها ويدعوا منها تدمير قواعد الصواريخ التى قامت بحماية القوات المصرية التى عبرت القناة إلا أن أحمد اسماعيل على لم يوافق على اقتراح الشاذلى حرصا منه على عدم إضعاف الروح المعنوية لدى قواته . ويذهب الفريق محمد فوزى الى أنه كان لدى السادات عدد من الدبابات يفوق مالدى إسرائيل فى الجيب الذى أقيم غرب القناة وأنه نظرا لقرب القوات المصرية من قواعدها الجوية فى الدلتا فإن توازن القوى كان فى مصر خاصة وأن قدرة اللواءات المدرعة الاسرائيلية كانت قد هبطت الى أعداد محدودة جدا من الدبابات فى كل لواء مدرع مما أوجد الفرصة للقضاء على الجيب الاسرائيلى وطريق امداده وأن السادات رفض التصديق على الخطة "شامل" الخاصة بتصفية الجيب الاسرائيلى .

وعلى أى حال فإذا كان المصريون قد كسبوا الجولة الاولى من المعركة فإن الأسرائيليين يدعون أنه كان بامكانهم إحراز النصر فى نهايتها بعد أن وسعوا الثغرة التى أحدثوها وعزلوا الجيش المصرى الثالث ووصلوا الى مداخل مدينة السويس . وقد تدخلت الدولتان العظميان وأنهتا الحرب على أساس "لاغالب ولا مغلوب" ، ثم بدأت مفاوضات فصل القوات التى لعب فيها هنرى كيسنجر دورا هاما أدى الى إعلاء مكانة الولايات المتحدة فى مصر وغيرها من البلدان العربية ـ وكانت خطته تهدف الى القضاء على النفوذ السوفييتى فى المنطقة . وأخيرا تم توقيع معاهدة السلام فى "كامب ديفد" بعد أن استقال وزير الخارجية المصرى محمد إسماعيل كامل احتجاجا على بعض شروطها بحيث لم يوقعها بنفسه ، ثم الف كتابه "السلام الضائع" الذى سجل فيه ملحوظاته على المفاوضات ودمغ فيه الرئيس السادات بالتساهل كما لم يرض عن المعاهدة كثير من العرب الذين هاجموها باعتبارها صلحا منفردا أخرج مصر من مجال الصراع العربى ـ الاسرائيلى ثم عزوا اليها كثيرا من التطورات التى شهدتها المنطقة دون اعتبار للأسباب الموضوعية التى كانت من ورائها .

ولايزال الصلح بين مصر وإسرائيل مثارا للنقد ولو أن مصر ذاتها عادت الى الصف العربى الذى أفتقدها عقدا من الزمن واحس بمضى الوقت بأنه لاغنى عنها فى الحرب أو فى السلم .



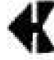
الجامعة : تاريخ ومستقبل

بقلم : د . شكري محمد عياد

ترجع فكرة "الجامعة المصرية" إلى أوائل هذا القرن ، أى الفترة التى تراجع فيها العمل السياسى المباشر بعد هزيمة العرابيين ، وفشلت سياسة الحزب الوطنى فى جذب تركيا ثم فرنسا إلى مناصرة القضية الوطنية . اصبح الإعداد البطيء الصبور لجولة جديدة من الصراع هو الطريق المفتوح أملم المواطنين : طريق عبد الله النديم ومحمد عبده وعلى مبارك . وكانت الوجهة العامة لهذه الحركة هي تحديث التعليم الوطني ـ الكتاتيب ثم الأزهر الشريف ـ باقتباس بعض النظم والأفكار الغربية لتطوير النظام القديم بدلاً من محاصرته تمهيداً للقضاء على دوره الاجتماعي كما اراد دنلوب مستشار المعارف الانجليزى .

ولايصح أن نغض النظر عن الجهود التى بذلت على أيدى بعض الوطنيين من داخل الإدارة الاستعمارية نفسها ـ وعلى رأسها إنشاء دار العلوم ثم مدرسة القضاء الشرعي ـ ويكفى أن نذكر من خريجي هذه المدرسة الأخيرة رجالاً ثلاثة كان لكل منهم أثر واضح فى تجديد الثقافة العربية انطلاقاً من مراجعة التراث ، وهم أحمد أمين وعبدالوهاب عزام وأمين الخولى . غير أن الاصلاحات الرسمية البطيئة المتعثرة لم تقنع بعض المتحمسين ومن هنا نشأت فكرة الجامعة الأهلية .

نبتت بذرة الجامعة المصرية ـ إذن ـ فى تربة الحركة الوطنية التي بلغت ذروتها فى ثورة ١٩١٩ ، وشاركت فيها جميع طوائف الشعب ، وخلعت هذه النشأة على الجامعة صفات صاحبتها لمدة عقدين أو ثلاثة ، ولم تمح تماماً على مدى تاريخها الذى اقترب من ثلاثة أرباع القرن ، وأشتمل على تغييرات مهمة حين انتقلت إدارة الجامعة إلى الدولة سنة ١٩٢٥ ، ثم بعد قيام ثورة يوليه ١٩٥٢ . اولى هذه الصفات هى غلبة المنحى النظرى على الجامعة ، فكرة ونظاما وممارسة لقد بقيت





على مبارك



د . طه حسين



الشيخ محمد عبده



عبد الله النديم

معظم الكليات العملية خارج إطار الجامعة حتى أواسط الثلاثينات ، إذ كان ينظر إليها على انها معاهد مهنية بعيدة عن الفكرة الأصلية للجامعة وهى انها مؤسسة لتخريج العلماء ، وتتمة الفكرة أن العلم يقصد لذاته لا لتحقيق أى منفعة عملية . (ولم يكن ارتباط هذه الفكرة بالمفهوم العربى الإسلامى بأقل من ارتباطها بالمفهوم اليونانى للاكاديمية أو مفهوم النهضة الاوروبية للجامعة) . ويبلغ من إخلاص الجامعة المصرية لهذا المفهوم ان صناعة التعليم نفسها لم تكن داخلة فى اهتمامها ، فبقيت معاهد التربية أيضا ـ حتى أوائل الاربعينات ـ خارج إطار الجامعة ، وبقيت الجامعة حتى ذلك الحين منعزلة ـ أو تكاد ـ عن سياسة التعليم العام . ولعل بداية هذا الاهتمام ترجع إلى كتاب طه حسين "مستقبل الثقافة فى مصر" وإن كانت قد اخذت طوال الاربعينات وحتى اوائل الخمسينات شكل خصومة حادة بين الجامعيين و"البيداجوجيين" .

إن هذا الميل النظرى لم يكن شرا كله ، بل لعلنا نذهب إلى حد القول بأن ضعفه التدريجى كان علامة اكيدة على تراجع دور الجامعة كمؤسسة . ولكننى اترك هذه القضية إلى حين ، لان غرضى الآن هو تتبع العلاقة بين الجامعة ـ ثم التعليم العالى بوجه عام ـ وبين النظام الاجتماعى أى معرفة الوظيفة الاجتماعية لهذا التعليم ، وهى المدخل الضرورى لمناقشة خصائصه والبحث فى مشكلاته . ولن نستطيع فهم الصفة النظرية للتعليم الجامعى ، أو غيرها من الصفات ، إلا بعد هذا المدخل . فالوظيفة الاجتماعية صفة تسبق فى منهجية البحث سائر الصفات ، وإن بدت بعض هذه الصفات أشد وضوحاً ، كما تبدو النتيجة ـ أو الأثر الظاهر ـ أشد وضوحاً من السبب .

● بداية الجامعة الأهلية

يحدثنا المازنى فى بعض ذكريات شبابه انه حين تهيأ لاختيار نوع التعليم

العالى الذى يناسبه كان امامه ثلاث "مدارس" مدرسة الحقوق ومدرسة الطب ومدرسة المعلمين . وكانت "الحقوق" مقصد أبناء الطبقة العالية الذين تفتنهم ابهة النيابة والقضاء ويحلمون بأن يصلوا إلى كرسي الوزارة . فلم يبق أمامه إلا أن يختار إما "الطب" وإما "المعلمين" . ولم تتحمل اعصابه منظر المشرحة فهرب إلى "المعلمين" . وقد بدأت الجامعة الاهلية بدروس فى الآداب والثقافة الاسلامية شارك فيها رجال من أمثال "حفنى ناصف" و"أحمد زكى باشا" ، (الذى كان يلقب بشيخ العروبة) ودُعى إليها من أعلام المستشرقين "نيلنو" و"سنتلانا" . وكانت هذه الجامعة ربيبة الحركة الوطنية ، حرية أن ترتفع فوق الفوارق الطبقية ، ويكفى أن نذكر من أوائل خريجيها "طه حسين" و"زكى مبارك" الذين قدما إليها من التعليم الازهرى ، ومن بيئة شعبية أقرب إلى الفقر منها إلى الغنى . فلما أصبحت الجامعة مؤسسة حكومية ضمت "مدرسة الحقوق" ، التى أصبحت تسمى "كلية الحقوق" إلى كلية الآداب ، وأنشأت كلية ثالثة تناظر كلية الآداب وهى كلية العلوم ، وأصبحت "الطب" كلية رابعة ، دون سائر المعاهد العليا ، إما لمكانة "الطب" فى الثقافة العربية الاسلامية ، وإما للرغبة فى ربطها علميا بجامعة لندن .

وبينما كانت الحركة الوطنية تتجمد تحت قيادة طبقة أعيان الريف والفئات العليا من الطبقة المتوسطة ، كانت الجامعة ـ التى أخذت تتجمد أيضاً كمؤسسة علمية ـ قد أصبحت حلما بعيد المنال بالنسبة لأبناء الفقراء . كانت المصروفات الدراسية ، مضافا إليها أثمان الكتب ، فوق ما تطيقه ميزانية الموظف الصغير أو التاجر الصغير أو المزارع الصغير "لامجال هنا للحديث عن العمال والفلاحين" . ولكن الطموح المصرى التقليدى نحو تحقيق فرص أفضل للأبناء كان يدفع كثيراً من الآباء إلى ركوب المركب الصعب ، ودفع ابنائهم فى سلم التعليم الجامعى ، حتى حين يفشلون فى الحصول على المجانية أو نصف المجانية (اقرأ "القاهرة الجديدة" لنجيب محفوظ .)

لذلك كانت مجانية التعليم الجامعى ، التى تقررت فى أول عهد الثورة علامة على تغيير أجتماعى هائل . كانت تشير إلى أن حكم الصفوة من اعيان الريف والفئات العليا من الموظفين والتجار والرأسمالية الصناعية الناشئة التى لم تعد تحكم البلاد ، بل اصبح الحكم لعامة الشعب ، ولكن هل كان الامر كذلك فى الواقع ؟ نحن نعلم أن طبقة جديدة بدأت تتكون ، ولاشك أن نواتها كانت من ضباط الجيش الذين قاموا بالثورة أو ناصروها وخرج الكثيرون منهم من صفوف القوات المسلحة ليتولوا مناصب رئيسية فى الإدارة المدنية والمؤسسات الاقتصادية ، وقد التفت حول هذه النواة فئات مختلفة من الطامحين إلى شيء من السلطة أو شيء من الكسب المادى مستغلين حرص حكومة الثورة على تدعيم سلطتها الذى شعرت انه مهدد من جهتين : من جهة الصفوة القديمة التى جردت من قوتها السياسية والاقتصادية ، ولكنها لم تكن لتستسلم

لهذه الهزيمة بسهولة ، ومن جهة الفئات الأخرى التى كانت تستعد للانقضاض على النظام القديم لولا أن سبقتها حركة الجيش .

● موضوعية كاملة

إننا لا نكتب بحثاً سياسياً ، ولكننا نسجل هذه الملاحظات العامة "ونرجو الا يساء فهمها ، فنحن ملتزمون بالموضوعية الكاملة ، لا نتهم أحداً ولا نحامى عن احد" قصداً إلى فهم الوضع الحاضر للجامعة فى مجتمعنا . لقد كانت الجامعة فى النظام القديم وثيقة الاتصال بالصفوة الحاكمة ، فكيف أصبحت بعد الثورة ؟ إن مجانية التعليم الجامعى ، التى تلقتها الطبقات الشعبية بفرح على أنها لا تعنى رفع مستوى ابنائها فكرياً ومادياً فقط ، بل اشتراكهم فى السلطة أيضاً ، قد حققت الأمل الأول ولو جزئياً ، ولكنها لم تكن كافية وحدها لتحقيق الأمل الثانى ، فقد مضت الصفوة الجديدة تنظم صفوفها ، ولاسيما بعد الانفتاح ، دون أن تعير اهتماما كبيراً للجامعة . ورأينا وظيفة الجامعة تهبط من التفكير والتنظير للمجتمع إلى إمداد الصفوة الحاكمة


زكى مبارك


ملك حفنى ناصف

بالمتخصصين . من طبقة اساتذة الجامعة الذين لم يعودوا قادة بل خبراء ، يؤخذ برأيهم أحيانا ولا يؤخذ به أحيانا أخرى ، وقد يلزمون بتطبيق سياسة تناقض مبادئهم ، إلى الخريجين العاديين الذى يوظفون فى مختلف وظائف الحكومة والقطاع العام .

لم يعد أحد راضيا عن هذه الأوضاع فى الوقت الحاضر . لقد دل تردى الحالة الاقتصادية على أن اساتذة الجامعة لم يستطيعوا ان يصنعوا شيئاً من موقعهم كخبراء ، إما لأن نصائحهم لم يؤخذ بها ، وإما لأن تفكيرهم ظل منحصراً فى حدود تخصصهم ، فلم يلتفتوا إلى الدوافع الإنسانية التى تحرك الجماهير ، صانعة الاقتصاد ، وإما لاسباب أخرى غير هذين . ومن جهة أخرى أصبح الخريجون الجدد عبئاً على إدارات الحكومة والقطاع العام ، التى تشكو أصلاً من تضخم العمالة ، ونوقشت قضية التزام الحكومة بتعيين جميع الخريجين ، ولاسيما بعد أن صار من الأمور العادية أن يجلس الخريج فى بيته أربع سنوات أو خمساً قبل أن يأتى عليه الدور فى التعيين . وقد ضاعف من هذه المشكلة أن الكليات واظبت سنين طوالا على قبول اعداد تفوق طاقتها ـ كما تفوق حاجة المجتمع ـ من حاملى الثانوية العامة "إرضاء للجماهير التى كانت محرومة من التعليم الجامعى" وكان لذلك اثر واضح فى تدنى مستوى الخريجين .

● فكرتان متعارضتان

وثمة نتائج أخرى للوضع السابق ، غير البطالة السافرة والمقنعة وأهمها أن الفئات التى تكون "الصفوة" الجديدة لم تعد ترضى لابنائها هذا النوع من

التعليم ، ولذلك اتجهت إلى الجامعة الأمريكية بمصروفاتها الباهظة "كما اتجهت من قبل إلى مدارس اللغات" ، وطرحت فكرة إنشاء جامعة أهلية ، ومع أن الافكار لم تتبلور بعد عن نوع هذه الجامعة فقد يلاحظ أن هناك فكرتين متعارضتين : إحداهما أن تستوعب هذه الجامعة الطلاب الذين لا تؤهلهم درجاتهم للالتحاق بالجامعات الحكومية (وهنا نلاحظ تأثير النظرة التقليدية إلى الشهادة الجامعية كرمز اجتماعي) ، والاخرى أن تضم هذه الجامعة عدداً من الكليات او المعاهد التكنولوجية (والدافع هنا هو الرغبة فى ان تكون الدراسة العالية اقرب إلى الشكل الذى يتطلبه سوق العمل) . ولا أظن ان فكرة هذه الجامعة يمكن ان تصبح واقعاً قبل الاتفاق على احد الفرضين ، ونأمل ان ينتصر الفرض الثانى .

والأمر المؤكد على كل حال ان الجامعة ستظل مؤسسة من اهم مؤسسات الدولة ، وإن كان من الضرورى ان تتحدد وظيفتها فى المجتمع بحسب طبيعة هذا المجتمع واهدافه . وإذا كنا بعد تجارب السنين الطويلة الماضية قد عقدنا العزم على أن يكون مجتمعنا ديمقراطيا يوفر لجميع ابنائه على السواء فرص الحياة الكريمة عن طريق العمل والإنتاج ، كل بحسب طاقته واستعداده للعطاء ، فستبقى الجامعة مسئولية كبيرة من مسئوليات الدولة ، لا كمؤسسة لتخريج المهنيين الاكفاء فحسب ، بل كمركز للتقدم العلمى الذى يرفع قيمة الإنتاج ، ومركز للإشعاع الفكرى الذى يرفع وعى المنتجين .

والأمر المؤكد أيضاً أن التعليم الجامعي سيظل مجانيا ، أى أنه سيظل مفتوحاً أمام كل قادر على النجاح فيه ، حتى يتحقق الغرض منه ، ولكنه لن يكون مجرد رد لاعتبار الطبقات الشعبية ، وهذا معناه أن نترك القشور ونهتم بالجوهر أن نعيد النظر فى كيفية قبول الطلاب ، وماذا يتعلمون ، وكيف يتعلمون .

● وظيفة الجامعة

وأنا افترض أن هذا كله سوف يتم ، بل سوف يتم سريعاً ، لأنه إن لم يتم سريعاً فلن يكون لوجودنا نفسه معنى ولا مبرر . ولذلك أعود إلى وظيفة الجامعة فى مجتمع ديمقراطى يرعى كرامة الإنسان ، مفترضا أنها قد نجحت فى أن تكيف نفسها لأهداف هذا المجتمع ، فأقول أن ثمة مشكلة سوف تظهر عندنا كما ظهرت فى مجتمعات مماثلة . أعنى أن تفرخ الجامعة طبقة جديدة .

كيف يمكن أن يحدث ذلك ، بعد أن فتحت الجامعة للطبقات الشعبية ؟

أقول أن الطبقة لا تنشأ فقط من تغير نظام الإنتاج وعلاقات الملكية ، بل يمكن لأى فئة داخل المجتمع أن تكون طبقة إذا اتحدت مصالحها واصبح لها وضع متميز بالنسبة لسائر الفئات . لقد أصبح العسكريون في دول أمريكا اللاتينية طبقة ، وأصبح الحزبيون فى أوربا الشرقية طبقة ولا يتم هذا التحول دائماً بانتقال إحدى الفئات إلى مركز السلطة ، أى بتحولها إلى "صفوة" حاكمة ، بل يمكن أن يحدث لأى مجموعة مترابطة ، مهما يكن دورها فى نظام الحكم . ففى

بلدان العالم الثالث مثلا يمكننا ان نتحدث عن "طبقة المثقفين" لانهم يتميزون عن الصفوة الحاكمة من جهة ، وعن الطبقات الشعبية من جهة أخرى ، مهما يكن وضعهم ، كافراد ، من الناحية الاقتصادية .

ولا يبعد أن يصبح "الجامعيون" طبقة بهذا المعنى ، أى أن تصبح لهم اهتماماتهم الخاصة التى تتميز عن الاهتمامات المشتركة للأمة ، وقد تتناقض معها ، بل قد تصبح لهم تركيبتهم الذهنية التى لا يفهمها غيرهم ، وبذلك يصبح تقدمهم فى نواحى اختصاصاتهم مقصوراً عليهم ، لايشعر به غيرهم ، ولا يساهمون فيه ، وإن جاز ان يتمتعوا بثمراته . وفى هذا إفقار للطرفين . ولعلنا نلاحظ هذا بالنسبة إلى الأدب والفن ، فهناك اتجاه لدى بعض فئات الادباء والفنانين إلى الانغلاق على انفسهم ، بحيث أصبح الأدب والفن الذى ينتجونه غير مفهوم لأى انسان لا ينتمى إلى دائرتهم . ونحن نعى هذا جيداً بالنسبة إلى الأدب والفن ، لاننا نفترض ضمنا أنهما يخاطبان الجميع . ولكننا قد لا ننتبه إلى أن فئات العلماء هى اكثر انقطاعاً عن الجمهور ، كما أن الجمهور أقل وعياً بأعمالها . وقد نسلم بضرورة ذلك ، ونظن أنه نتيجة طبيعية للتخصص ، وانفجار المعلومات ، بحيث لم يعد فى إمكان المتخصص أن يتابع أهم ما يجرى فى ميدانه إلا بالكد والمثابرة ، فما بالك بسائر ميادين العلم ، ومابالك بغير المشتغلين بالعلم اصلاً ؟

ونلاحظ بوجه علم ان المتخصصين فى حقل ما قد لا يشاركون غيرهم فى سائر الحقول فى الكثير من اهتماماتهم ، ولكنهم جميعاً يشتركون فى الشعور بأن الجمهور غير واع بعملهم ، وهذا الشعور قد يكون تقدمة لتحولهم إلى طبقة ، بل لشىء اشد خطراً ، وهو ان ينفصلوا عن مجتمعاتهم ويصبحوا اقوى ارتباطا بنظرائهم فى المجتمعات الأخرى الأكثر تقدماً .

فهل هذه الظاهرة ارهاص بوحدة عالمية ؟ وهل يمكننا ان نسعد بهذه الوحدة إذا كان ثمنها انقسام العالم ، ككل ، إلى طبقة من مجتمع لها العلم والنفوذ والقوة الاقتصادية ، وطبقة جاهلة "ولم يعد الجهل مقصوراً على الأمية !"

لاتملك إلا قوة عملها الفطرية ، تضعها فى خدمة الطبقة الأولى ؟ اى صورة للعالم عندئذ !

إن المشكلة تعنينا اكثر من غيرنا ، لاننا نحن شعوب العالم الثالث ، سنعانى اكثر من غيرنا اذا حدث هذا الإنقسام ، او بالاحرى ، إذا تم ، وأصبح سمة مميزة لعالم المستقبل !

ولايمكننا ان نلوم العلماء والفنانين وحدهم ، ولايمكننا ان نلوم الشعوب ، أو حكومات تلك الشعوب وحدها .

فى رواية لتورجنيف يتمثل حال المجتمع الروسى فى عصره "الثلث الاخير من القرن التاسع عشر" على هذه الصورة .

المثقف واقف امام الموجيك "الفلاح" يقول له : اعطنى القوة !

والفلاح يقول للمثقف : اعطنى العلم !

ومالم يعط كلاهما صاحبه ما يطلب فلن يكون لبلادنا مستقبل !

الفيلسوف ... المؤسسة

عبد الرحمن بدوي

بقلم: محمود أمين العالم

عبد الرحمن بدوى ظاهرة فريدة في ثقافتنا العربية المعاصرة .. إنه ليس مجرد فيلسوف له رؤيته ذات الاتساق والشمول ، التي نتفق او نختلف معها . وانما هو كذلك صاحب اضخم اضافة اضافها مثقف عربي الى مكتبتنا العربية في مجال الفلسفة بوجه عام والفلسفة العربية الاسلامية بوجه خاص .

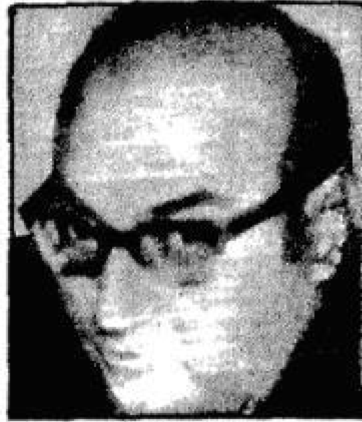
ففي ايقاع مطرد يكاد يكون رتيبا ، يصدر عبد الرحمن بدوى منذ عام ١٩٢٩ وحتى اليوم ، كتابا او كتابين او ثلاثة كتب كل عام ، بغير توقف ، ونتمنى له المزيد والمديد من الأعوام والطاقات ليواصل هذا العطاء الخصب وما يصدره عبد الرحمن بدوى على كثرته وضخامته هو في معظمه من المراجع الاساسية التي تسد ثغرات كبيرة في مكتبتنا الثقافية وفي معرفتنا بحقيقة تراثنا القديم ، انه يكتب في الفلسفة اليونانية القديمة ، فيعالج موضوعاتها ويقدم فلاسفتها ، وهو يؤرخ للفلسفة المسيحية الوسيطة ، وهو يجمع ويحقق ويترجم مختلف النصوص الخاصة بالتراث العربي الاسلامي في ذاته ، او فيما بينه وبين التراث اليوناني من وشائج وتاثيرات ، وهو يقوم بالعديد من الدراسات والترجمات للشوامخ في الفكر الأوربي الحديث والمعاصر ، وخاصة في الفلسفة الالمانية والفلسفة الوجودية ، وهو يؤلف في المنطق ومناهج العلوم ، فضلا عن ابداعه الخاص الفلسفي

فى الحقيقة مؤسسة فلسفية علمية قائمة بذاتها .

وبرغم تنوع هذا العطاء الفكرى ، فاننا نستشعر وراءه دائما فلسفته الخاصة ، التى يعتبرها هو اضافة ابداعية للفلسفة الوجودية .

وقد يكون من واجبنا ان نتساءل فى البداية هل يعد عبد الرحمن بدوى فيلسوفا حقا ، ام هو مجرد مفكر عالم باحث فى الفلسفة ؟ فهناك فى حياتنا الثقافية العديد ممن يمكن ان نطلق عليهم لقب المفكر او الباحث فى الفلسفة او مؤرخ الفلسفة ، اما الفيلسوف بالمعنى الاصطلاحى ، فقلة من مثقفينا التى يمكن ان نطلق عليها هذا اللقب بكثير من التحفظ، والفارق بين المفكر والفيلسوف هو الفارق بين الاعمال الفكرى فى بعض القضايا او التخصصات النظرية او العلمية او السياسية او الاجتماعية او الادبية والفنية . وبين بناء نسق فكرى شامل يقدم اجابات نظرية متسقة حول القضايا الجوهرية فى الكون او المجتمع او الخبرة الانسانية الحية او الخبرة الانسانية المعرفية .

حقا ، إن وراء فكر كل مفكر ، بل وراء فكر كل انسان ، تكمن رؤية شاملة اى تكمن فلسفة ما ، وان لم يكن هناك وعى بها وان لم تتخذ شكلا نظريا متسقا ، على ان الفيلسوف هو الذى يستطيع ان يبلور رؤيته او خبرته الحية والمعرفية ، بلورة نظرية كنسق فكرى شامل متكامل ، فعلى سبيل المثال



د . عبد الرحمن بدوى



لطفى السيد



سلامة موسى

والشعرى والادبى عامة ، الى جانب مؤلفاته باللغة الفرنسية حول الفلسفة الاسلامية ، والعديد من مقالاته ـ بلغات اوربية وشرقية مختلفة يتقنها جميعا ـ حول موضوعات جزئية فى الفلسفة الاسلامية والفكر العربى . ولهذا فعبد الرحمن بدوى له مايقرب من مائة وثلاثين كتابا بين مترجمات ودراسات وتحقيقات ومؤلفات ابداعية ، على مستوى رفيع من الجدية والعمق والتخصص مما يجعله

الفيلسوف ـ المؤسسة

نستطيع القول بان لطفى السيد ومحمود عبده وامين الريحاني وسلامة موسى وعلال الفاسي وطه حسين ، من المفكرين المجتهدين فى المجالات السياسية والدينية والاجتماعية والادبية ، على حين ان الأرسوزى وزكى نجيب محمود ومهدى عامل هم من الفلاسفة . فللاول نظريته الحيوية التى يفسر بها العديد من الظواهر اللغوية والقومية ، وللثانى نظريته الوضعية المنطقية التى يحلل بها العديد من الظواهر الفكرية والاجتماعية ، وللثالث نظريته العلمية المادية التى يحلل ويفسر ويقيم بها حركة التحرر الوطنى العربية فضلا عن ظواهر فكرية واجتماعية اخرى . ومن هذه الزاوية يعتبر عبد الرحمن بدوى من الفلاسفة ، لتوجهه الوجودى الذى يسعى به الى اقامة رؤيا شاملة متسقة للخبرة الانسانية الحية .

● امتداد للوجودية

وعبد الرحمن بدوى لم يبدع الفلسفة الوجودية ابداعا بل هو امتداد لها فى فكرنا العربي المعاصر .

الحق ان الوجودية لاتزال هى الفلسفة التى يتبناها عبد الرحمن بدوى حتى اليوم ، ومازال يؤكد فيما يصدره من مؤلفات ودراساته التزامه الفكرى بهذه الفلسفة .

والحق كذلك ، ان عبد الرحمن بدوى عندما كتب « فلسفة المدن » و« الزمان الوجودى » كان متأثرا تأثرا ثقافيا عميقا بالفلسفة الوجودية الالمانية المثالية ، وخاصة عند هيدجر ، ولكن هذا التأثر لم يكن منبت الصلة بواقع خبرته الحية والسياسية فى المجتمع المصرى انذاك ، ففى هذه المرحلة من حياته ، التى كتب فيها « فلسفة الموت » وحصل بها على درجة الماجستير فى الفلسفة عام ١٩٤١ ، كان عضوا فى حزب مصر الفتاة ، بين عامى ١٩٣٨ و١٩٤٠ . وكان زعيم هذا الحزب احمد حسين قد اصدر كتابه « ايمانى » على غرار كتاب هتلر « كفاحى » وكانت القمصان الخضر التى يتزيا بها اعضاء الحزب تقليدا للقمصان البنية للحزب النازى الالمانى وللقمصان السوداء للحزب الفاشى الايطالى . وكانت فلسفة القوة والاستعلاء متمثلة فى شعار « مصر فوق الجميع » ، و« المجد لمصر » متماثلة مع شعارات الحزب النازى ، لقد كان حزب مصر الفتاة فى الحقيقة يسير على الخطى والمفاهيم والقيم الفلسفية المثالية واللاعقلانية للحزب النازى فضلا عن تلاقيهما بشكل سطحى ومختلف الدلالة ـ فى العداء لانجلترا التى كانت جيوشها تحتل مصر انذاك . وكان نيتشه ـ الذى الف عبد الرحمن بدوى عنه اول كتاب له عام ١٩٣٩ ـ من المصادر الملهمة للحزب النازى ، كما كان هيدجر من اعمدته الفكرية . وكان حزب مصر

الفتاة برغم ترسمه خطى الحزب النازى ، يعبر - فى الحقيقة عن توجه وطنى شوفينى مغامر ذى طبيعة بورجوازية صغيرة ، وكان للاحتلال البريطانى وارتفاع موجة العداء له ، فضلا عن الفساد الاجتماعى والسياسى الذى كان مستشريا من عوامل ابراز هذا الحزب وانتشاره الجماهيرى . على ان هذا الحزب رغم طابعه الوطنى الشوفينية ونتيجة لفلسفته المثالية اللاعقلانية كان معاديا للحركة الوطنية الديمقراطية التى كانت متمثلة انذاك فى حزب الوفد وفى البدايات الأولى للحركات اليسارية الجديدة .

فى هذه المرحلة التى كتب فيها عبد الرحمن بدوى رسالته عن مشكلة الموت كان عضوا فى مصر الفتاة يتحرك فى اطار فلسفتها واهدافها ويصدر كتابا عن نيتشه علم ١٩٣٩ واخر عن اشبنجلر عام ١٩٤١ وثالثا عن شوبنهور عام ١٩٤٢ ، لم تكن اذن رسالته عن فلسفة الموت ، ولم يكن تاثره بالفلسفة الوجودية الالمانية المثالية ، منبتة عن حياته وممارساته ومعتقداته السياسية ومعتقدات شريحة من شرائح المجتمع المصرى . وفى عام ١٩٤٤ وهو العام الذى حصل فيه على درجة الدكتوراه على رسالته فى الزمان الوجودى ، نجده عضوا فى اللجنة العليا للحزب الوطنى الجديد ، الذى كان فى الحقيقة امتزاجا بين بعض قيادات وعناصر حزب مصر الفتاة والحزب الوطنى القديم كذلك . ويظل عبد الرحمن بدوى عضوا فى هذه اللجنة الوطنية العليا للحزب الوطنى الجديد حتى عام ١٩٥٢ . وعندما قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ كان هناك تقارب كبير بينها وبين عناصر الحزب الوطنى الجديد . ولعل هذا مايفسر اختيار عبد الرحمن بدوى عضوا فى لجنة الدستور التى شكلت فى عام ١٩٥٣ لوضع مسودة دستور جديد لمصر ، واختياره بعد ذلك مستشارا ثقافيا ومديرا للبعثة التعليمية فى برن بسويسرا بين عامى ٥٦ - ١٩٥٨ .

● تعبير عن خبرة فكرية

خلاصة ماأردت ان اقوله هو ان فلسفة عبد الرحمن بدوى الوجودية منذ اواخر الثلاثينات لم تكن مجرد صدى لثقافته الفلسفية وتأثره بالفلسفة الالمانية المثالية بل كانت كذلك تعبيرا عن خبرة فكرية وسياسية خبة غير منبتة عن بعض الظواهر فى المجتمع المصرى انذاك . وفى تقديرى - وقد اكون مخطئا - ان هزيمة النازية والفاشية عام ١٩٤٥ واحتدام الصراع الوطنى والاجتماعى فى مصر ، وخاصة عام ١٩٤٦ الذى تشكلت فيه اللجنة الوطنية للطلبة والعمال ، ووضعت برنامجا شاملا للتحرر الوطنى والاستقلال

الاقتصادى ، ثم قيام ثورة يوليو ٥٢ ، وبروز مشروعها التحررى التقدمى القومى ، الى غير ذلك من العناصر والعوامل ، قد اسهمت فى خلخلة الركائز الفكرية والموضوعية والاجتماعية لامكان تنمية المشروع الفلسفى الوجودى الذى بشر به عبد الرحمن بدوى فى رسالتين " مشكلة الموت » و« الزمان الوجودى » ولهذا لم يكن غريبا انه فى الخمسينات والستينات عندما اصبح للوجودية رواج فكرى وادبى كبير فى مصر ، وفى العالم العربى ، كان عبد الرحمن بدوى فارس الوجودية ورائدها ـ بعيدا عن هذا ـ الرواج العام . ذلك ان المفاهيم الوجودية التى راجت كمفهومى الحرية والالتزام ، اخذت دلالات خاصة تتفق والملابسات والاحتياجات والمعارك الوطنية والاجتماعية المحلية التى كانت سائدة حينذاك وفى مقدمتها الصدام مع الاستعمار والصهيونية والاقطاع والرجعية العربية فضلا عن التطلع الى الاشتراكية .

وهكذا توقف المشروع الوجودى لعبد الرحمن بدوى ، لا لتوقف قدراته الابداعية الفلسفية ، وانما لتغير الأوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية والموضوعية عامة من حوله . فلم يعد هناك مجال لتنمية هذا الفكر المثالى الذاتى الفردى المحض ، الذى يقوم على الانفصال المطلق بين الذوات الانسانية وعلى مفهوم مجرد للاختيار وللامكان وللحرية وللزمان ، وللعدم ، خال من اى دلالة اجتماعية او تاريخية فضلا عن استناده الى فهم غير صحيح لنتائج العلم الحديث والى افتقاده للعقلانية والموضوعية وانكاره للعلاقات العلية بين الاشياء والظواهر ، وتعاليه على الروابط والقوانين الاجتماعية . لم يعد هناك مجال لهذا الفكر فى عالم جديد اخذت تتطلع فيه الجماعة البشرية عامة ، بمختلف انتماءاتها القومية والثقافية الى الترابط والتضامن والعقلانية والديمقراطية من اجل ازالة كل ظواهر التخلف والاستعمار والاستعباد والتبعية وتطويع العلم وتطويره لخدمة التقدم والازدهار الاجتماعى والثقافى وتوطيد السلام العالمى .

لهذا ـ كما سبق ان ذكرت ـ كان من الطبيعى ان يتوقف عبد الرحمن بدوى عن استكمال مشروعه الوجودى وان لم


مصطفى عبد الرازق


ابن خلدون

يتوقف عن التمسك بالوجودية كفلسفة له . بل اكاد اقول لقد توقف المشروع الوجودى فى الفكر الفلسفى المعاصر فى العالم عامة ، وان بقيت له تجليات مختلفة فى بعض الظواهر الفكرية والادبية كبعض التيارات المسماة بالحداثة . وكان من الطبيعي ان يكرس عبد الرحمن بدوى طاقاته الابداعية فى مجال الدراسات والتحقيقات والترجمات التى يقدم بها للثقافة العربية اجل الخدمات وخاصة فيما يتعلق بالتراث العربى الاسلامى فى الفلسفة .

وقد تكون لنا على جهوده فى هذا المجال ملاحظات تقنية وموضوعية حول بعض جوانب من تحقيقاته وترجماته فضلا عن منهجه العام فى التأريخ والتفسير الا ان المجال لايسمح بهذا . وحسبنا ان نكتفى بالاشارة السريعة الى ملاحظتين عامتين عابرتين .

الملاحظة الأولى : تتعلق بمدى مابين فلسفته الوجودية ودراساته التراثية من علاقات . والحق ، ان عددا كبيرا من دراساته التراثية يتعلق بالجانب الصوفى والاشراقى بوجه خاص تأكيدا للجذور التاريخية فى تراثنا للفلسفة الوجودية . الا اننا مع هذا ، نلاحظ احيانا تناقضا بين فلسفته الوجودية ، وبين تفسيره لبعض الظواهر فى الفلسفة العربية الاسلامية . ففلسفته ـ كما سبق ان عرضنا ـ فى تفسيرها للخبرة الانسانية تقوم على الفردية والذاتية


زكى نجيب محمود


امين الريحانى

والحرية التى تبلغ حد الاطلاق ، والتى ترفض الانضواء تحت اى مفهوم كلى كروح كلية او مجتمع كلى الى غير ذلك . ولكننا نراه فى تفسيره للفلسفة الاسلامية بشكل عام ، يذهب الى انها ثمرة الطبيعة الجوهرية لروح الحضارة الاسلامية وما تمليه هذه الروح الحضارية من ضرورة تاريخية وهو تفسير بالحتمية التاريخية الحضارية المجردة ، التى تلغى كل فردية وكل ذاتية وكل حرية فى الاختيار والفكر والابداع ! ويبدو هذا على نحو بالغ التناقض ـ فى الوقت نفسه ـ عندما يتعرض للقصة المشهورة فى تاريخ الفلسفة الاسلامية حول كتاب « اثولوجيا » المنسوب خطأ الى ارسطو ، وهو فى الحقيقة بعض فقرات من تاسوعات افلوطين ، وعبد الرحمن بدوى يرفض اعتبار نسبة هذا الكتاب الى ارسطو خطأ ، ذلك لانه يرفض مبدأ الخطأ والصواب فى الاسناد التاريخى ويفسر الأمر بأنه كانت هناك ضرورة تاريخية هى التى عملت عملها ، وقامت بهذه النسبة الى

ارسطو . بل ان العرب ـ على حد قول عبد الرحمن بدوى ـ لو عرفوا حقيقة هذا الكتاب او شكوا فى نسبته الى ارسطوا فلن يكون هذا بحائل لهم دون استمرارهم فى نسبته الى ارسطو . لأن الشعوب والافراد لايهمها ان تعرف ارسطو كما كان فى واقع التاريخ بقدر ما مايعنيها ان تدركه كما تريد لها حاستها التاريخية المنبثقة من روح الحضارة التي تنتسب هي اليها .

راجع كتاب أرسطو عند العرب صفحة ٧ الطبعة الثانية ١٩٧٨ ـ الكويت .

● تغليب روح الحضارة

ان عبد الرحمن بدوى يغلب هنا روح الحضارة ـ هذا المفهوم المجرد المستمد من اشبنجلر ـ على الفردية والذاتية بل يغرقهما فى رؤية تاريخية كلية تجريدية الا انه سرعان ماينتهى الى رأى اخر فى كتابه عن المثل العقلية الافلاطونية ص ١٤ . فى تعليقه على موقف الفارابى من كتاب اثولوجيا فالفارابى يستشعر تناقضا فى الكتاب . فيفسر ذلك بفروض ثلاثة : اما ان يكون ارسطو قد ناقض نفسه ، واما ان يكون بعض الاراء لارسطو وبعضها الاخر ليس له ، واما ان يكون لها معان وتأويلات تتفق فى الباطن وان اختلفت فى الظاهر ، والفارابى يرجع الفرض الثالث فى محاولته للتوفيق بين رأيى ارسطو وافلاطون . ويعلق عبد الرحمن بدوى على ذلك قائلا :

« لو كان الفارابى تعمق الفرض الثانى وهو ان يكون بعض الكتب منحولا لارسطو غير صحيح النسبة اليه ، اذ لكان قد ادى خدمة تاريخية كبرى ، كان سيكون لها اخطر الاثر فى تطور الفكر العربى من بعده » ، بل يعتبر أن محاولة الفارابي التوفيق بين افلاطون وارسطو اخفاقا شنيعا (صفحة ١٥) . اذن فليس ثمة ضرورة تاريخية وروح حضارية فرضت نسبة الكتاب الى ارسطو كما قال فى كتابه « ارسطو عند العرب » على انه يعود مرة ثالثة فى كتابه الافلاطونية المحدثة عند العرب فيعالج قضية كتاب اثولوجيا والخطأ فى نسبته الى ارسطو فيقول بانها « غلطة سعيدة » .

ولكن لعل هذا التفسير للموقف من كتاب « اثولوجيا » بالحتمية الحضارية رغم اختلافه مع هذا التفسير بعد ذلك كما رأينا ، ورغم تناقض هذا التفسير الذى يتسم بالطبيعة الثابتة المطلقة مع مفاهيمه الوجودية . اقول لعل هذا التفسير ان يكون تابعا بوجه خاص . من تقييم عبد الرحمن بدوى للفلسفة الاسلامية بوجه عام ، وهذه هى الملاحظة الثانية . فعبد الرحمن بدوى الذى بذل ويبذل كل هذه الجهود الفائقة فى تجميع وتحقيق ودراسة ونشر كل ما يتعلق بالفلسفة الاسلامية

من مصادر وتأثيرات ودلالات واتجاهات لايرى فى هذه الفلسفة الاسلامية قيمة فلسفية حقيقية . ومن حقه بالطبع ان يصل الى مايراه من نتائج مادام يؤسس ذلك على مايقوم به من تحقيقات ودراسات لنصوص هذه الفلسفة . ولكنه فى الحقيقة ينتهى الى هذا الرأى استنادا الى حكم علوى مجرد عام هو ان الروح الاسلامية « منافية بطبيعتها للفلسفة » . لماذا يادكتور بدوى ؟ « لان المذهب الفلسفى تعبير عن الذات فى موقفها ازاء الطبيعة الخارجية والذوات الاخرى . على حين ان الروح الاسلامية تنكر الذاتية اشد الانكار وانكار الذاتية يتنافى مع ايجاد المذاهب الفلسفية كل المنافاة . ولهذا فان الروح الاسلامية لم تنتج فلسفة ، بل لم تستطع كذلك ان تفهم روح الفلسفة اليونانية وأن تنفذ الى لبابها » . راجع : التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية ص ١٩ سنة ١٩٦٥ . وتأسيسا على هذا كذلك ينتهى عبد الرحمن بدوى فى مبحث اخر عن ابن خلدون الى ان ابن خلدون ليس صاحب فلسفة سياسية او حضارية ، وليس صاحب نظريات عامة فى الدولة والنظم السياسية والنماذج العامة للمجتمع الانسانى ، وانما هو صاحب منهج تطبيقى وصاحب رؤية وصفية وهو رجل سياسة عملية لاتعنيه النظريات العامة بل تهمه الاحداث الفعلية الجارية فحسب .

وليس هنا مجال مناقشة هذه الاحكام لبيان ما فى التراث العربى الاسلامى ، من ابنية نظرية فلسفية مختلفة وابراز مايمثله ابن خلدون من فكر نظرى مدرك لبعض القوانين الاساسية للمجتمع والتاريخ فى عصره . الى جانب خبراته السياسية العملية . ولكن الملاحظ ـ منهجيا ـ ان عبد الرحمن بدوى يتحرك فى كثير من احكامه بمنهج قياسى استدلالى شكلى يكاد يقوم على مبدأ تحصيل الحاصل !

فهو يبدأ بمقدمة كبرى تحتاج هى نفسها للاثبات ليأخذ فى الاستدلال منها ـ على نحو شكلى خالص ـ على نتائج متضمنة فيها اصلا ، او نتائج يثب اليها دون دليل كاف . فالروح الاسلامية تنكر الذاتية وانكار الذاتية هو نفى للقدرة على التفلسف واذن فالروح الفلسفية خالية من المذاهب الفلسفية ! ولعلنا لاحظنا هذا المنهج القياسى الشكلى نفسه فى عرضه لمذهبه الوجودى نفسه . مثل هذه الصيغة « اذا كانت الشخصية تقتضى الحرية » ، والموت يقتضى الشخصية ، فان الموت يقتضى الحرية . وما اكثر مثيلات هذه الصيغة فى عرضه لمذهبه الفلسفى .

على ان هذه الملاحظات العامة العابرة التى نبديها حول بعض جوانب اعماله الابداعية والبحثية لاتقلل بحال من القيمة الكبيرة للجهد الخارق الجبار المتفانى الذى يبذله عبد الرحمن بدوى فى اغناء مكتبتنا الفلسفية العربية عامة ، وفى المساهمة فى استكمال

الفيلسوف - المؤسسة

الصورة الحقيقية لتراثنا العربي الاسلامي في الفلسفة بتحقيق ودراسة وترجمة ونشر اهم واخطر نصوصه والدراسات الخاصة به المتناثرة في مختلف لغات العالم وفي مختلف مكتباته . ولهذا فانه من المؤسف حقا اننا لانكاد نجد اهتماما او احتفالا بهذه القيمة العلمية الكبيرة التي يمثلها عبد الرحمن بدوي . ولانجد اسمه في قائمة المرشحين في سوق الجوائز الكبرى التي يعج بها اليوم عالمنا العربي !

ولعل هذا هو مادفع عبد الرحمن بدوي عندما اصدر عام ١٩٨٤ موسوعته الفلسفية من جزءين كبيرين ، ان يحرص على ان يقوم بنفسه بتقديم نفسه وفلسفته في هذه الموسوعة وان يتجاهل فيها جميع المفكرين العرب المحدثين والمعاصرين حتى من كانت لهم جهود ومحاولات ذات صبغة نظرية فلسفية ، اللهم الا الشيخ مصطفى عبد الرازق الذي هو في الحقيقة مؤرخ وباحث جليل في الفلسفة الاسلامية وانسان على مرتبة خلقية رفيعة . وهو - في الحق - صاحب رؤية خاصة في تأسيس الفلسفة الاسلامية على اصول الفقه ولكنه لايعد فيلسوفا وما اظن ان عبد الرحمن بدوي ذكره في موسوعته الا تقديرا لشخصه واعترافا بفضله العلمي عليه اثناء دراسته في كلية الاداب .

فلنختلف مع عبد الرحمن بدوي كما نشاء ، ولكن لاخلاف حول مايمثله من قيمة علمية كبيرة نادرة في حياتنا الثقافية المعاصرة ، اتمنى ان يتنادى الباحثون في التراث العربي الاسلامي في الجامعات العربية ، وان تتنادى جمعيات الفلسفة في الأردن ومصر وتونس والمغرب وان تشارك المنظمة العربية للثقافة ، ومحافظة دمياط - فعبد الرحمن بدوي من مواليد شرباص احدى قراها - ان يتنادوا جميعا لعقد اسبوع فلسفي على شرف عبد الرحمن بدوي اعترافا بفضله العلمي ، يخصص لقضية من القضايا كمنهج تحقيق التراث ، او للمنجزات الفلسفية الابداعية والدراسية لعبد الرحمن بدوي او للوضع الراهن للدراسات الفلسفية في الوطن العربي أو غير ذلك من الموضوعات الفكرية والفلسفية .

هذا اقل ما يجب ان نعبر به عن تقديرنا العميق لعبد الرحمن بدوي ، هذا الفيلسوف - المؤسسة .

● في العدد القادم :
يستكمل الكاتب الكبير الاستاذ محمود امين العالم هذا البحث الهام عن الدكتور عبد الرحمن بدوي وفلسفته .




سليم الحص

● "أريد أن يكون المسلمون والمسيحيون في وطنهم الواحد سواسية ، بلا تفريق ، ولا تمييز ، لاظالم فيهم ولا مظلوم ، لاقاهر فيهم ولا مقهور . في ظل نظام يقوم على تكافؤ الفرص بين الجميع في دولة المؤسسات والتنمية" .

سليم الحص ـ رئيس وزراء لبنان


روبرت ماكنمارا

● "آن الأوان للشرق والغرب أن يتفقا على قواعد تحكم السلوك"

روبرت ماكنمارا

● "إن أى صيغة لحل المسألة اللبنانية ، لاتخرج من اللبنانيين أنفسهم ، ستكون قليلة الحظ فى التطبيق . إذا إفترضنا امكانية كسر الحاجز القائم" .

المفكر اللبناني منح الصلح

● "ليس من الحقيقة في شيء أن المرأة كائن غير كامل بدون الرجل" .

توني موريسون

الأديبة الفائزة بجائزة بوليتزر

● "الإنتلجنسيا العربية رافضة لأداء وظيفتها ، لأنها في حالة اضراب عن التفكير"

جورج طرابيشي

● مهما بدا تاريخ مصر متقطعا ، فإنه ينبئ فكرة استمرارية مرنة ومتواصلة"

المفكر الفرنسي جان لاكوتير


جان لاكوتير

● "الاختلاف في الآراء لايشكل عقبة أمام وحدة البلاد"

جورباتشوف

● "الأمور تتطور على وجه مفاجيء غير متوقع"

ادوارد باجراموف

عضو معهد الدراسات بالاتحاد السوفييتي

الأديب وحرفته الثانية

في الذكرى المئوية لميلاد الأديب والمفكر الكبير الدكتور طه حسين، ينشر «الهلال» هذا المقال مترجما إلى العربية لأول مرة، وكان الدكتور طه حسين قد أملاه بالفرنسية لإلقائه في مؤتمر ثقافي لليونسكو سنة ١٩٥٢ لدراسة الأوضاع التي تحيط بحياة الأدباء والفنانين وحريتهم، في المجتمع المعاصر الذي أعقب الحرب العالمية الثانية ويقدمه عبدالرشيد الصادق محمود.

بقلم: د. طه حسين



● منذ خمسة عشر عاما تقريبا كان مصير الأدب يشغل فريقا من الكتاب، أو أنقل من المثقفين الذين أتوا من القارات الخمس، وذلك أن معهد التعاون الفكري كان قد دعا إلى عقد «نقاش» تحت رئاسة الكاتب العظيم بول فاليري سنة ١٩٣٧ وكان موضوع هذا النقاش هو على وجه التحديد: «مصير الآداب في المستقبل القريب»...

ويجدر بنا قبل أن نعرض دور «الحرفة الثانية» كما يقال (١) وقبل أن نحلل وضع الكاتب في المجتمع المعاصر، أن نفحص النتائج التي توصل إليها هؤلاء الرجال، لا يحدوهم في ذلك إلا النيات الحسنة والنزاهة الفائقة ووضوح الفكر ومضائه، لقد كانت النغمة السائدة في تلك المناقشات والأحاديث التي دامت عدة أيام تفيض بالتشاؤم: لأن الأدب فيما لوحظ عندئذ كان يتهدده خطر داهم، فهناك من ناحية قراء أكثر أو أقل مما ينبغي لأن كثيرا من الناس يعرفون اليوم القراءة والكتابة وإن قل بينهم من يهتم حقا بالمنتجات الأدبية الجديرة بالتقدير؛ وهو ما يعني أن الثقافة الحقيقية يتزايد حظها من الإهمال يوما بعد يوم. ومن ناحية أخرى أدت المكتشفات الهائلة المتلاحقة في مجال التكنولوجيا الحديثة والتقدم الخاطف السريع الذي تحرزه العلوم التطبيقية والاختراعات المذهلة التي يسفر عنها هذا العصر المعادي للانسان إلى صرف معاصرينا عن القراءة. ولم يعد الكتاب هو وسيلة الترفيه الوحيدة التي تقدم بالذكاء أو تجلب المتعة. فقد حدث أولا ما شهدته الصحافة من توسع يفوق الخيال؛ ثم جاء المذياع والسينما - ويوسعنا اليوم أن نضيف إلى ذلك التليفزيون بما يحققه من توسع متزايد في البلاد الانجلوسكسونية. كل هذه الوسائل الترفيهية صارت تستأثر باهتمام الناس إذ تشجع فيهم الميل الطبيعي إلى الكسل بينما يظل التعرف على مؤلف مطبوع - ولاسيما إذا كان على درجة من الجودة - أمرا شاقا يتطلب الجهد. فالقراءة الجادة تقتضي الاجتهاد والتفكر؛ والمؤلف الجيد لا يتطلب من قارئه الوقت فحسب وإنما يتطلب منه أيضا تعاونا وثيقا ومساندة.

● الكاتب وضميره!

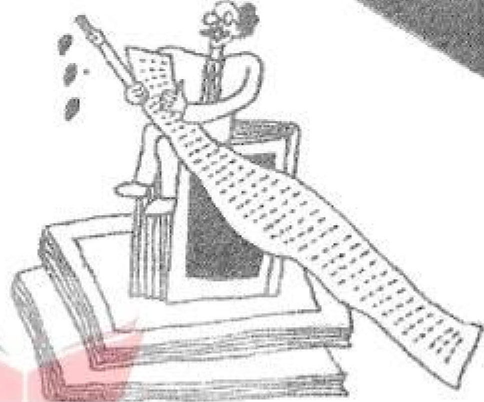
يضاف إلى كل ذلك أن الكاتب إذا أراد

الأديب وحرفته الثانية

التأليف الادبى يتطلب منه جهدا جسيما ؛ وهو إذن يواجه خطر التقدم بعمل جاء ثمرة لجهد طويل إلى قراء لا يفهمونه أو لا يبالون به بل وقد يلقونه بالعداء . فهم لابد أن ينفد صبرهم بإزاء ما في فكره الأصيل من تعقيد وما في عبارته من دقة وبطء مقصود، وبذلك ينشأ نزاع حقيقى بين الكاتب وضميره وهو يزمع بث رسالته أو الافصاح عما يجول بخاطره لاغير . ثم يلى ذلك صراع آخر بين المؤلف وجمهوره إذ يريد اولهما لعمله ان يقرأ بينما يرفض الطرف الثانى أن يعيره الانتباه الذى يطلبه . وبعد كل ذلك تأتى معركة ثالثة بين الكاتب ووسيطه إلى الجمهور وهو فى هذه الحالة ناشر الكتب أو تاجرها ، فالكاتب في هذه المرحلة يريد ان يصل إلى القراء لا لتعريفهم بعمله وإطلاعهم على افكاره فحسب ، ولكن ليكفل لنفسه أيضا سبل العيش وحياة لائقة على اقل تقدير .

كيف يمكن التوفيق بين واجبات الكاتب الأخلاقية واحتياجاته الحيوية ؟ كيف يتاح للاديب ان ينشىء عملا حرا صادقا دون ان يضار فى موارد عيشه ؟ وبعبارة موجزة . كيف نهتدى إلى الصلة بين شئون الفكر ومقتضيات المادة ؟

ينبغى ان نلاحظ أولا أن رعاية الأدب نظام او بالأحرى تقليد يصعب تحديده أو تقصيه عبر التاريخ . فهو يظهر فى بعض الفترات وفى بعض البلدان ثم يختفى لفترة غير محددة وإن كنا لا نستطيع ابدا ان نقطع بزواله . ولقد ذكر فى هذا الصدد بلاط اغسطس وبلاط بغداد وبلاط فرساى ؛ ولكن وجدت مراكز أخرى من هذا النوع فى شتى المناطق والأزمنة . ويكفى أن نتذكر العواصم التى تألقت فى ربوع



لأدبه أن يكون فى متناول عدد ضخم من القراء يتزايد رغم كل العقبات ، لابد له أن يتوخى التبسيط ، وهو أفدح الأخطار التى يمكن أن تتهدد صدقه . فهو مضطر عندئذ إلى أن يعدل عن الحصافة فى تخير الألفاظ والعبارات التى تفرض نفسها بالضرورة على كل كاتب يحترم نفسه ويحرص كل الحرص على متطلبات الفن الصارمة . فإذا رأى الكاتب على عكس ذلك أن يلتزم التزاما مطلقا بأن يمعن التفكير ويحسن التعبير لكى ينشىء عملا قيما ، وإذا أبى على نفسه اى تهاون مع دواعي السهولة أو الابتذال ، فإنه محتاج عندئذ الى كثير من الوقت للتدبر فى فحوى كتابه وصياغته . ويترتب على ذلك أن

الأرض في نفس الوقت أو الواحدة تلو الأخرى . فدمشق والقاهرة ومدريد ولندن وموسكو على سبيل المثال لا الحصر كثيرا ما شهدت ملوكا وأمراء وأشرافا يحيطون أنفسهم بشعراء وكتاب وفنانين ويجرون عليهم أرزاقا لم تكن سخية في جميع الأحوال . غير أننا نلاحظ إلى جانب هذه الحماية الرسمية التي كثيرا ما قامت على حب المظهر والتباهي تطورا رائعا في الأدب والفنون لا فضل للرعاية الأدبية فيه . فقد استطاع بعض عظماء الرجال أن يستغنوا عن هذا الدعم المادي والمعنوي . وإنه لمن الاجحاف أن يقال إن جميع الروائع التي تحظى بإعجاب الانسانية لم تر النور إلا بفضل أريحية رعاة الفن الأذكياء وبعد نظرهم . فلقد تكون رعاية الفنون نتاجا جميلا للحضارة المنظمة ؛ ولكن لا يخفى أنها قد تكون أيضا ثمرة مريرة لتنافس بين الأقوياء في هذا العالم . ومما يدعو إلى الانزعاج أنها تقترن في جميع الأحوال تقريبا بالطغيان أو الاستبداد أو الدكتاتورية . ولذلك كثيرا ما اضطر الكتاب والفنانون إلى أن يدفعوا ثمنا باهظا لقاء تلك المعونة التي كانت عينا عليهم . وهنا قد يقول قائل : وأي بأس في ذلك ماداموا قد تمكنوا رغم كل شيء من إنتاج أعمال بديعة ! فلقد ألف فيرجيل «الانايدة» ، وكتب راسين مآسيه ... ولكن أحرى بنا أن نتساءل عما إذا لم يكن هؤلاء الكتاب الذين لم يلحق بفنهم فيما يبدو أي ضرر من حيث الشكل قد تعرضوا لمحن رهيبة في أعماق ضمائرهم . فليس من السهل على نفس الأديب – وهو الذي ربما كان لا يحرص على شيء حرصه على تقديره لذاته – أن يرضخ دائما لرغبات ملك مهما كان عظيما أو لنزوات طاغية مهما كان رقيق الحاشية أو لرغبة نبيل حتى لو كان أوسع الناس أفقا . وثمة إذن صفقة تنطوي على الغش : فراعي الأدب يعطي من الذهب أو الفضة ما ينفقه الأديب كلما تلقاه ، أما الأديب فيمنح فنه أو فكره وهما اللذان لا ينفقان بأي حال من الأحوال . ولذلك خلدت بعض الأسماء التي ما كانت لتستحق الخلود على الاطلاق . وعبثا يعترض معترض فيقول إن نظام الرعاية قد عزز التعبير الفني والادبي طيلة قرون وإن ديدرو ما كان لينجز «الموسوعة» لولا مدام بومبادور . فبوسعنا دائما أن نتساءل : وأي الانجازات مهما عظمت كان يمكن أن تستعصي على من توصلوا – رغم القسر أو بسببه – إلى أن يقولوا ما أرادوا وأن يعبروا فيجيدوا عن أخص أفكارهم ؟ ومعنى ذلك أن نهاية الرعاية الأدبية – إذا صح أنها زالت وهو ما لا أراه – لن تكون خسارة جسيمة . بل لقد يبدو لي أن زوال هذا النظام يعد تقدما كبيرا نحو تحقيق كرامة الانسان وتحقيق مزيد من الشرف والرفعة للفن والفكر . يضاف إلى ذلك أن كتابا وفنانين ممن لم يحظوا برضى السلطة ولا بالنعم التي يجود بها أصحاب المراتب العليا قد استطاعوا أن يحيوا حياة كريمة بل ومريحة وأن يكتبوا بحرية دون معونة من دولة أو حكومة أو ثري من الأثرياء . فكيف توصلوا إلى ذلك ؟ الجواب هو أنهم حاولوا أن يكسبوا قوتهم إما ببيع كتبهم أو باتخاذ مهنة ما لم تتعارض ونشاطهم الفكري فأتاحت لهم أن يمارسوا الأدب والحياة في آن واحد .

● الحرفة الثانية

ونسارع فنقول إن اصطناع حرفة ثانية

الأديب وحرفته الثانية

ليس بدوره ظاهرة جديدة . إذ يكفى أن نلقى نظرة سريعة على التاريخ فى أى بلد نختاره وأيا ما كانت الفترة التى نخصها بالاهتمام ، ليتبين لنا أن الكتاب والفنانين على السواء قد مارسوا فى أغلب الأوقات حرفة ثانية أو كانت لهم حرفة يشتغلون بها إذا شئنا الدقة . وذلك أننى أرفض أن أدرج الالهام والالتزام الذى يدفع المرء إلى الكتابة والتفكير فى عداد الحرف . ولا ينبغى أن نتلاعب بالألفاظ جريا على العادة التى تلقى اليوم رواجا شديدا بين أهل السفسطة والبلاغة الخلابة فى هذا العصر . إذ لا يجوز أن نخلط بين الحرفة والرسالة ، بين المهنة والدعوة ، بين المهام والواجب ، بين المنصب والمطلب الداخلى ، بين التكليف والموهبة ، بين الوظيفة والالزام الصادر عن القلب أو العقل . فالكاتب الجدير بهذا الاسم لا يكتب أبدا لكسب المال أو بلوغ الثروة أو اقتناء الممتلكات . وصحيح أنه ليس لديه من سبب قوى يدعوه إلى رفض هذه الأشياء إذا أتيحت له ، ولكنها ليست هى غايته بأى حال من الأحوال . وهو إذا آمن بأن الأدب أو الفن ذو طبيعة روحية خالصة وبأن الأديب ينبغى أن يكون قديسا بمعنى من المعانى أو زاهدا على أقل تقدير خليق بأن يأبى أن تقدر قيمة أعماله السامية بأى مقابل مادى كائنا ماكان .

ويخيل إلى إذن أن مسألة «الحرفة الثانية» لم تطرح على الوجه الصحيح . وذلك أن الأمر لا يتعلق بحرفة أخرى وإنما يتعلق بحرفة بلا زيادة أو نقصان. ومعنى ذلك أن تصاغ القضية على النحو التالى : هل يمكن للكاتب والفنان أن يتخذا حرفة (لأن المشكلة لا ينبغى أن تطرح الآن إلا بلغة الامكان لا بلغة الحقوق والواجبات !) أم أنهما إذا فعلا ذلك يعرضان الأدب والفن للخطر ؟ فإذا درسنا بعناية عددا كبيرا من الكتاب فى مختلف العصور ، أدركنا بسرعة أنهم جميعا تقريبا إن لم نقل جميعا بلا استثناء كانت لهم حرفة من الحرف . وأن هذه الحرفة كثيرا ما كانت بلا صلة بالأدب والفن . ومن المؤكد أنهم لم يروا فى ذلك ما يضع من أقدارهم على أى نحو ؛ كما لم يروا فيه ما يدعو إلى الزهو .

وبناء على ذلك أفلا ينبغى أن نقلب القضية رأسا على عقب فنسأل : هل يمكن للكاتب أن يقنع بأن يكون كاتبا لا غير ؟ وهل يحق للفنان أن يكون رجلا قصارى جهده نحت الرخام أو وضع الألوان على اللوحات ؟ ألسنا هنا فى الواقع بإزاء ظاهرة خاصة بالقرن العشرين حيث يوجد بالفعل أدباء بالمعنى الدقيق للكلمة يتفرغون للكتابة ويطالبون لذلك بأن يخصص لهم مكان راجح فى المدينة وأن يلقوا من المجتمع معاملة متميزة ؟ فإذا طرحت المشكلة على هذا النحو صارت مختلفة تماما . إذ لا يتبين فحسب أن الحرفة الثانية المزعومة ليست شرا ولا ضرورة مؤسفة ، وإنما يتبين أيضا أنها خير وبركة من السماء ! فذلك على وجه التحديد ما يسمح للكاتب أو الفنان بأن يحتفظ بحريته كاملة وبأن يصون استقلاله الفكرى . بل ويبدو أن أسوأ ما يقع للكاتب

هو ألا يجد ما يعتمد عليه فى كسب قوته سوى عمله الأدبى ؛ وذلك أن الفن بطبيعته لا يقبل التساهل ومحال أن يرتضى غاية غير ذاته . وإذا طلبنا إلى الفكر أن يضحى وسيلة لأطعام من يتدبره ويعبر عنه كنا بذلك ننكره . صحيح أنه يحدث فى بعض الحالات أن ينتشر ـ لحسن الحظ ـ كتاب جيد بين القراء فى كل مكان وينعقد الاجماع على تقديره ؛ وقد يجلب لمؤلفه بناء على ذلك بعض الرضا المادى بل وكثيرا من المال إذا راج بيعه وترجم إلى عدد من اللغات .

● هموم الكاتب المادية

ولا يسعنا إلا أن نسعد ونغتبط إذا أتيح لكاتب مجيد أن يحظى بالاهتمام الذى يستحقه ووجد دون مشقة قراء مثقفين جديرين به . وليس من الخير إذن أن يكتب المؤلف ليبيع عمله كالسلعة ويتقاضى أجرا عما بذل من جهد . ولكن من الخير كل الخير أن يتاح لهذا الكاتب أحيانا أن تباع كتبه وأن يكسب بعض المال بفضل ما كتب . وإذا حدث وتوقف بيع مؤلفاته أو سار ببطء نتيجة لسوء الحظ أو لظروف غير مواتية أو لقصور الدعاية أو غير ذلك من الأسباب ، فليس عليه من ذلك بأس ؛ لقد فكر وعبر عن نفسه وأعطى خير ما لديه . وهو لا يستطيع فى قرارة نفسه وضميره أن يأسف لشىء سوى أن الناس لم ينتفعوا بعمله كما ينبغى .

ويبدو بناء على ذلك أننا نواجه ثلاثة احتمالات محددة . فالكاتب (وأنا أعنى أيضا الفنان والفيلسوف) إما أن يكون ثريا ؛ أو أن يكون صاحب حرفة ؛ أو ألا يكون له سوى قلمه . وواضح أن من الأمتع للأديب أن تخلو حياته من الهموم المادية حتى يفرغ لالهامه ، وإن كان قد لوحظ كثيرا أن بعض شواغل الحياة العملية تحفز النشاط العقلى ولا تعرقله .

ولكن من الحقارة أن نرجو للأديب أن يتعرض لمثل هذه المشكلات أو أن نعمل على استمرارها إذا وقعت له ! فإذا كان وضع الكاتب ميسورا منذ البداية كانت لديه كل الفرص لكى ينتج عملا جديرا بالاهتمام . وإذا لم يفعل ذلك كان الذنب ذنبه دون سواه ؛ وقد بدد عامدا كل ما أتيح له من مزايا . أما الكاتب الذى يتحاشى هموم الحياة الجارية بالاعتماد على غيره . فأرجح الظن أنه لن يأتى بعمل نابه ، فهو مقيد وهو قد تنازل بذلك عن استقلاله للدولة أو لمن يرعاه . ولكن الكاتب الذى يكفل لنفسه حياة كريمة لائقة بممارسة حرفة أيا ما كانت ـ وتلك هى أكثر الحالات شيوعا ـ يستطيع وينبغى له أن ينتج عملا ذا شأن فى مجال الفكر . ولدينا على ذلك أمثلة عديدة . لقد كانت هذه الظاهرة شائعة فى القرون الماضية ؛ وهى تكاد تكون القاعدة فى الوقت الحاضر .

فإذا تفكرنا قليلا ، بدا لنا أن هذه الحرفة الثانية التى هى فى واقع الأمر « الحرفة الأساسية » إن لم تكن هى المهنة الأولى تنطوى على مزايا جمة ومؤكدة . فهى أولا مصدر مفيد يزود رجل الفكر بسبل التسلية التى لاغنى له عنها . فالمثقف مهما بلغ ولعله بالأدب والفنان مهما كان شغفه بالأشكال والصور

والموسيقار مهما تاه فى بحار النغم لابد أن يشعر بحاجة إلى أن ينأى من وقت إلى آخر عن عمله حتى يستقر وينضج ، وإلى أن يقيم بينه وبين العمل تلك المسافة اللازمة للحكم على ما بدأ ولتحديد الخطوة

الأديب وحرفته الثانية

التالية . وكلنا نعلم اننا بعد فترة من الراحة تطول أو تقصر وترك النفس على سجيتها بطريقة او بأخرى يسهل علينا أن نستأنف العمل الذى نحن بصدده . وذلك على وجه التحديد ما يفعله الرسام حين ينهض وينظر إلى لوحته من مسافة معينة كما لو كان يريد تقدير تأثيرها . وقد تكون الحرفة الثانية إذن مصدرا يزود الفكر بالتجارب الخصبة المتجددة . وهى فضلا عن ذلك تتيح للأديب عقد صلات مباشرة مع الحياة التى هى فى نهاية المطاف المقصد الأساسى بل والموضوع الدائم لافكاره ولمسعاه الروحى . اما «البرج العاجى» الشهير فقد يصلح احيانا لفترة الشيخوخة ، وهيهات ! فليس بوسع الكاتب أن يستهل حياته الفكرية باعتزال العالم والناس . وربما استطعنا فيما بعد وقد حل بنا السأم والضيق بالدنيا أن نستسلم برهة خلابة عابرة لاغراء الوحدة المادية والمعنوية . ولكن ينبغى أن نتذكر فى هذا الصدد أن الانسان قد يستشعر الوحدة وهو بين الناس . يضاف إلى ذلك اننى لا أعتقد ـ كما اعتقد بسكال ـ أن كل الشرور التى تنزل بالانسان ترجع إلى انه لا يستطيع البقاء فى غرفته . ولا يحق لأحد أن يذهب إلى هذا الرأى إلا إذا خبر الحياة وعاشر الناس لفترة طويلة . وليس بمقدور الكاتب أن يستقى مادته من ذاته ، وليس بوسعه أن يستغنى عن الغير . فإذا اصر على أن بوسعه أن يفعل ذلك كان هذا دليلا على غروره أو ادعائه .

وقد تتجلى أصالة الفكر أو تميز الشخصية عن طريق العمل سواء أكان سياسيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا أو أخلاقيا بل وحتى لو كان عاطفيا . وذلك أن الانسان إذا كان لديه فى قرارة نفسه رسالة يريد أن ينقلها إلى الغير ، فإن طريقته فى إعلانها ليست بذات أهمية كبيرة ؛ ولعل هناك طرقا متعددة لبلوغ هذه الغاية . ونحن مخلوقات متعددة الجوانب . فقد يعتقد شخص أنه لا يستطيع أن يعبر عن نفسه إلا بنظم الشعر ثم يتبين أنه إدارى ممتاز ؛ وقد يكرس آخر كل جهده للعمل بالمبضع ثم يكتشف أنه يستطيع استخدام القلم بحذق !

والمزية الأساسية للحرفة الثانية هى انها تتيح للكاتب حرية مطلقة ، والحرية هى بلا أدنى شك الشرط الرئيسى الذى لابد منه للكاتب حتى لايتلف مواهبه .

ولكن ينبغى الآن أن نتحدث عن مضار الحرفة الثانية . فهى ككل ما هو بشرى ومن ثم ناقص مزيج من الفضائل والعيوب والمحاسن والمساوىء والمزايا والمضار . وقد رأينا فيما تقدم انها قد تصرف الكاتب أو الفنان عن رسالته الحقيقية لفترة من حياته تقصر أو تطول . فهى قد تعرضه على سبيل المثال لأشكال شتى من سوء التقدير وخيبة الأمل . فالأديب الذى لا يستطيع فكاكا من اعباء وظيفة عامة والنحات الذى تثقل كاهله مسئوليات إدارية لاحصر لها والمفكر الذى ينصرف بكل طاقته إلى بعض الأحداث السياسية ـ كلهم عرضة لان يخون مثله الأعلى ، لأن يمنح خير ما فى نفسه لشىء لا طائل من ورائه أو على الأقل لعمل اقل شرفا ودواما من تلك الآثار الخالدة التى

يشيدها بعقله فى هدوء مكتبه او يبنيها بفؤاده فى ظل الطمانينة المثمرة التى تسود مرسمه .

ولكن قد يرد على هذا النقد بحجج عدة اولها أن نعيد ما قلناه آنفاه ، وهو انه ما من شيء يمكن أن يمنع الكاتب الحقيقى او الفنان الاصيل من قول ما يريد . وقد نشير ثانيا إلى ما فى النفس البشرية من ازدواج . فمن الشعراء من يستطيع ان يمتهن صناعة اخرى دون أن يضحى بفنه . والضرورة لا تخضع لقانون ، ويستطيع الاديب إذن ان ينزل بوصفه إنسانا على حكم الضرورة دون أن يخنق مافى نفسه من نفحة إلهية .

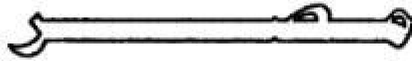
فليس شرا كما راينا لتونا ان يمارس الاديب حرفة من الحرف ؛ بل العكس هو الصحيح . أما أن تستغرقه هذه الحرفة ، فذلك هو الشر الذى ينبغى تلافيه . وهنا تثور مشكلة الاختيار ، وهى مشكلة عسيرة . فالتمييز امر دقيق وذاتى . وليس فى هذا المجال معايير نحتكم إليها . فما هو مناسب لكاتب قد لا يفى بالغرض فى حالة رجل يشتغل بالموسيقى . ولا شك ان هناك مهنا موائمة للانتاج الادبى ووظائف تضر به . ولو أننا وجهنا السؤال إلى عشرة كتاب لتلقينا عشر إجابات مختلفة . أحدهم يشيد بالعمل اليدوى وآخر يحبذ إحدى المهن الحرة وثالث يفضل الوظائف العامة . واكاد اقطع بأن افضل مهنة للكاتب هى ابعدها عن ميوله الشخصية ، لولا أن التجربة قد جابهتنى بشواهد عديدة على بطلان هذا الرأى ! فمثل هذه المهنة تمتاز على الاقل بأنها تترك للمثقف الذى يمارسها من خلو البال مالا تتركه وظيفة أخرى يبدو انه خير من يضطلع بها . فإذا عمل بناء أو اميرا للبحر كان اقدر



على الاحتفاظ بكامل قدراته العقلية عندما يجلس إلى مكتبه . أما الكاتب الذى يختار حرفة شديدة القرب من الأدب مثل الصحافة والسينما والاذاعة ، فإنه يتعرض لخطر الانزلاق دون ان يدرى من إحداهما إلى الاخرى ؛ وقد ينجم عن ذلك شيء من الخلط بين الحرفة والفن ـ إذا جازت هذه العبارة .

وقد لاحظت منذ قليل أن الحرفة الثانية تواجه البحث بمشكلة يساء طرحها . وذلك اولا لأنها هى الحرفة الاولى والوحيدة فى معظم الحالات ؛ وثانيا لأن الصعوبة التى تواجه الكاتب فى هذا الصدد لا تتعلق باتخاذ مهنة ، وإنما تتعلق باختيار المهنة المناسبة . ويحق لى الآن أن اخلص إلى نتيجة نهائية وإن كانت غير قاطعة ، وهى أن هذه الحرفة الثانية التى كثر الحديث بشأنها لاينبغى أن تستوعب عقل الكاتب وقلبه . ولا ينبغى للاستوديو او قاعة المحاضرات او المرسم او مكتب التحرير او المتجر ان يستغرق وقته كله . وقد راينا مع ذلك ان الأديب الذى ليس له من عمل فى الحياة سوى الكتابة قد لايخط فى كثير من الحالات سطرا واحدا . ويترتب على ذلك ان الاشتغال بإحدى الحرف قد يكون بمعنى من المعانى الشرط الذى لاغنى عنه للإنتاج . ويبدو لى اننا ننفذ بذلك إلى لب الموضوع .

كان يا ما كان ..



والحرب العالمية الثانية

بقلم : د . عاصم الدسوقى

تعتبر فترة الحرب العالمية الثانية من الفترات المهمة فى تاريخ مصر الحديث ، ورغم قصرها الزمنى فقد كانت غنية بالاحداث فى كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، وهى احداث تركت بصمات واضحة على بنية المجتمع المصرى برزت اثارها ومؤثراتها فى الوقت المناسب غداة انتهاء الحرب فى شكل المظاهرات المعادية للوجود البريطانى ، والمطالبة بوضع حلول للمشكلة الاجتماعية التى كانت قد توارت قليلا خلال الحرب بسبب الانتعاش الاقتصادى النسبى والمرتبط استثنائيا بالحرب وظروفها . ويمكن القول باطمئنان ان هذه الفترة تعتبر المقدمة المباشرة لحوادث الاربعينيات المعروفة فى ادبيات تاريخ مصر بعد عام ١٩٤٥ من حيث الصدام المباشر مع السلطات .

● وكانت الحكومات المصرية المتعاقبة منذ قيام الحرب قد توصلت الى صيغة للحياد السياسى تجاه اطراف الحرب رغم نفوذ بريطانيا أحد اطرافها فيما عرف بسياسة "تجنيب مصر ويلات الحرب" . ومع هذا فلم ينفذ هذا المبدأ بدرجة واحدة ، اذ كان له اكثر من مفهوم ، فقد حوله على ماهر (حتى ١٢ يونية ١٩٤٠) الى نوع من الحياد " الايجابى ، كانت مظاهره التندر بقوة بريطانيا والتبشير بانهزامها امام المحور ، والتعاطف مع العناصر المضادة لبريطانيا الامر الذى اوغر صدر الخارجية البريطانية حيث طالبت باخراجه من الحكومة . اما وزارة حسن صبرى (يونية - نوفمبر ١٩٤٠) فقد فسرته بانه





توصلات الحكومات المصرية المتعاقبة منذ قيام الحرب الى صيغة للحياد السياسى

تعاون مع بريطانيا ينحصر فى تقديم المساعدات التى تطلبها من مصر ولكن بتحفظ يبقى سلطة القصر ويحفظ هيبته امام الانجليز، وكذلك الحال بالنسبة لحكومة حسين سرى (نوفمبر ١٩٤٠ - فبراير ١٩٤٢) . على ان هذه السياسة التى قامت على الموازنة والوفاق بين القصر والانجليز لم ترض الانجليز فى النهاية . لانها لم تكن تمكنهم من استخدام مصر قاعدة حربية ومركزا للتموين كما كانت تريد ، ومن هنا كان فرض حكومة النحاس فى ٤ فبراير المشهور ١٩٤٢ حيث فسرت حكومة الوفد مبدأ تجنيب مصر ويلات الحرب الى انحياز للانجليز من حيث الاستجابة لمطالب ورغبات السفارة البريطانية .

ونظرا لأن إعلان الحرب صاحبه فى مصر إعلان الاحكام العرفية ووضع الرقابة على سائر المطبوعات منذ أول سبتمبر ١٩٣٩ فقد كمنت التناقضات الاجتماعية الى حين وتأجل انفجارها بسبب الانتعاش الاقتصادى الذى شمل كلا من اصحاب المصانع وبالتالى العمال وذلك نتيجة تأثر حركة الواردات بسبب

ظروف الحرب وزيادة الانتاج لتلبية حاجة السوق المحلية ، وفي كل الاحوال كان هذا الانتعاش غير طبيعي لأن ظروف الحرب اوجدته ، وظروف الحرب دائما ظروف استثنائية لا يعول عليها ، فما ان أشرفت الحرب على الانتهاء واستغنت السلطات الانجليزية عن عمال المعسكرات ، وعادت حركة التجارة الى طبيعتها ، حتى تخلخل الانتعاش واهتزت مكوناته فتحركت الازمة وطالب العمال بايجاد فرص عمل جديدة وعادت كل القوى الى وضعيتها الطبيعية ومواقفها السابقة على الحرب .

● التطلع للسلطة

غير ان ظروف الحرب الاستثنائية هذه أسهمت اسهاما ملحوظا في قوة أصحاب رءوس الاموال التجارية والصناعية والزراعية على السواء ، وزيادة وعيهم الطبقي بمصالحهم وتحديد خصومهم خاصة وقد ازيلت من طريقهم عقبة الامتيازات الاجنبية التي الغيت في عام ١٩٣٧ (اتفاقية مونتريه) ، وزاد تمسكهم بالسلطات التشريعية والتنفيذية . فلقد زادت رءوس الاموال المستثمرة في الشركات الصناعية والتجارية من ٨٦ مليون جنيه عام ١٩٣٩ الى ١٠٦ ملايين جنيه عام ١٩٤٥ ، وفي الشركات الصناعية وحدها من ١٥ مليون جنيه الى ٢٣ مليون جنيه . ومعنى هذا ان الرأسمالية المصرية قد زادت قوة من الناحية الاقتصادية فزاد تطلعها الى السلطة السياسية احكاما لحلقة السيطرة على مقدرات المجتمع وضمانا لمصالحها . ويذكر صليب سامي وزير التموين في حكومة حسين سرى أن احمد عبود صاحب شركة السكر بالحوامدية أراد احراج الحكومة واسقاطها عن طريق احداث ازمة في تموين السكر فابلغ الوزارة قبل موعد تسليم المقرر الشهرى من انتاج السكر بليلة واحدة بأنه ليس لديه من السكر ما يفي بالطلب وأنه سوف يمتنع عن التسليم اضطرارا ، فما كان من الوزارة الا ان اعدت أمرا بالاستيلاء على مصانع الشركة ومخازنها ، وأبلغ الدكتور جرانه محامي الشركة بهذا الأمر فتراجعت الشركة واعلنت عن استعدادها لتسليم المقرر الشهرى من سكر التموين .

ولقد زاد من ثراء أصحاب الاموال صفقات الحرب التجارية والتوسع في الانتاج للقوات العسكرية الاجنبية والارتفاع المتزايد في الاسعار . وحفاظا على المصالح المكتسبة من جراء الحرب وقفت الرأسمالية المصرية بقوة ضد محاولات الانتقاص من مكاسبها او الحد منها سواء كان ذلك بصورة مباشرة كالحد من ارباحها المتزايدة او غير المباشرة بمحاولة النهوض بالعمال عن طريق رفع اجورهم . ويكفى القول في هذا الخصوص موقفها الواضح من الاجراءات التشريعية التي اقدمت عليها حكومات فترة الحرب والمتعلقة بالوضع الاقتصادى مثل الموقف من ضريبة الارباح الاستثنائية ، ومشروع عقد العمل الفردى ، ومشروع قانون نقابات العمال ،

ولجان التوفيق بين العمال واصحاب الاعمال ، بل رأيها فى انشاء وزارة الشئون الاجتماعية التى انشئت عام ١٩٤٠ ، فكانت تتخوف من ان توجه الوزارة اهتماما بالارتقاء بشئون العامل والفلاح ، وكانت ترى ان يوجه الاهتمام اساسا نحو زيادة الانتاج مع اتقانه وتجويده ، وهذا يكون "بإقامة تعاون بين العمال واصحاب العمل على اساس المصلحة المشتركة" وتحاشى الاندفاع فى تقرير تشريعات من شأنها إعاقة قيام المشروعات الجديدة وتثبيط همم اصحابها . كما كانت ترى الا تفرض على اصحاب المصانع ـ بدعوى حماية الصحة ـ نفقات انشاءات لا تتناسب مع المستوى الاجتماعى العام ، أو تفرض قوانين أو اجراءات وشروطا لا تتفق مع وسائل وامكانات اصحاب المصانع المالية !! لأن هذا كله من شأنه إعاقة سير الإنتاج والحيلولة دون تحسين مستوى معيشة العمال تدريجيا (تأمل !!) والواجب أن تتجنب الوزارة وضع مبادىء صلبة فى المسائل التى يمكن تسويتها بالاتفاق بين الطرفين مثل ساعات العمل العادية والاضافية والأجور والاجازات (تأمل ايضا !!) (راجع مصر الصناعية ، يناير ١٩٤٠) .

● معارضة مشروع قانون العمل

ولقد عارض الاتحاد المصرى للصناعات الذى يمثل اصحاب رءوس الاموال الصناعية مشروع قانون ضريبة الارباح الاستثنائية لأنها لا تتفق مع ظروف البلاد الاقتصادية والقانونية ، وان فرضها كفيل بتهديد النتائج التى وصل اليها الاتحاد فى النهوض بالصناعة لاحداث التوازن فى الاقتصاد القومى الذى يقوم على الزراعة فقط . (مصر الصناعية ، يناير ١٩٤١) . كما عارض الاتحاد ايضا مشروع قانون عقد العمل الفردى بعد ان أقره مجلس النواب لأن المشروع ـ من وجهة نظره ـ يفرض على صاحب العمل اعباء يجب ان يتحمل العمال والحكومة نصيبهم منها وان المشروع بمساواته بين عمال اليومية والعمال الدائمين يجعل من عقد العمل عقوبة تفرض على اصحاب الاعمال ، ويجعل ـ وهذا هو المهم فى تقديرنا ـ التشريع الاجتماعى يقوم على اساس الطفرة وليس التدرج وان "الطفرة والافراط فى شئون الاصلاح الاجتماعى هما من عوامل اختلال التوازن والنظام" (مصر الصناعية ، مايو ١٩٤١) .

وعندما صدر القرار رقم ٢٣٩ لسنة ١٩٤٢ (فى حكومة الوفد) الخاص بانشاء لجان للتوفيق بين العمال واصحاب الاعمال ، استاء اتحاد الصناعات كثيرا ورأى ان زيادة اجور العمال من شأنها اغراؤهم على تقليل عملهم ليكون لديهم متسع من الوقت لاطالة الجلوس على المقاهى (مصر الصناعية ، مارس ١٩٤٢) .

وللاتحاد موقف مشهور من مشروع قانون نقابات العمال (سبتمبر ١٩٤٢) اذ قال عنه انه استلهم من قوانين غاية فى التطرف ووضعت فى بلاد تختلف عن مصر من حيث الحياة الاقتصادية والاجتماعية . وبدلا من ان يعزو الاتحاد انخفاض الانتاج الى ظروف انتهاء الحرب والتخفيف من ازماتها بعد انتصار الحلفاء الحاسم على قوى المحور ، نراه يعزو هذا الى قوانين العمل والسياسة الاجتماعية التى تتجه إلى تحسين حال العمال ماديا معلنا ان اصحاب المصانع لا يستطيعون تجديد الآلات ووسائل الانتاج بسبب نظام الضرائب ، ومعلنا ايضا تخوف اصحاب رءوس الاموال من استثمار اموالهم فى المشروعات الصناعية فى ظل نظام وظروف لا تشجع على الاستمرار او الاقدام . (راجع تقرير الاتحاد عن نشاطه لعام ١٩٤٤ ، مصر الصناعية ، ابريل - يونية ١٩٤٥)

ومن الملاحظ ان مواقف الاتحاد امتدت الى نواح اخرى تتعلق بالمحافظة على الثروة وتنميتها فيما يمكن تسميته "تأمين رأس المال" .. فقد سبق ان اقنع بعض الوزارات بالاستيلاء على بعض السلع ، ثم برفع الاستيلاء اكثر من مرة لمعاونة السوق السوداء على اداء مهمتها . كما قضى على مشروع انشاء "المناطق الصناعية" بحجة أن حشد العمال فى مكان أو أمكنة بعينها قد يغريهم باشعال ثورة تجتاح الأمن والنظام ، ووقف فى وجه تعميم المجانية التى من شأنها خلق جيل يقظ يرفض سياساته . (مصر الصناعية آخر ساعة المصورة ، ١٩٤٤/٤/٢٣)

وبصفة عامة كان الرأسماليون ودعاتهم شديدى الامتعاض من أية محاولة ترمى الى افهام الفلاح أو العامل حقوقه وواجباته سواء كانت تلك المحاولة تنطوى على نزعة اشتراكية أم اصلاحية اعتقادا منهم بان مثل تلك الدعوات قد تملأ نفوس الفلاحين والعمال بالسخط على النظام الرأسمالى فتدفعهم الى الثورة عليه . (عبد المجيد نافع ، السلام الاجتماعى ص ١٠ - ١١)

ولم يكن كبار ملاك الاراضى الزراعية اقل حرصا على مصالحهم من اصحاب رءوس الاموال حتى فى المسائل الوطنية العامة . فقد عارضوا فى فرض ضريبة دفاع اضافية على الاطيان . ويتلخص الموضوع فى أن الحكومة عرضت على مجلس الشيوخ مشروع قانون اقره مجلس النواب طلبت فيه فرض ضريبة إضافية للدفاع قدرها ١٪ من مجموع الضرائب ، وقد وافقت اللجنة المالية لمجلس الشيوخ على هذه الضريبة فيما يتعلق بالأعيان المنقولة على حين رفضت اغلبية اللجنة فرضها على الاطيان . ولما ناقش المجلس تقرير اللجنة ووقف وزير المالية وناشد الشيوخ الا يعارضوا هذه الضريبة للصالح العام ، حدثت ضجة شديدة واعلن البعض انه لم يدفعها .. مع ان قيمة هذه

الضريبة لا تزيد على قرش ونصف على الفدان وتهبط الى نصف قرش بالنسبة للأرض المنخفضة الضريبة أصلا .. فمالك فدان من اجود الاراضى لن تزيد ضريبته على مائة وخمسين قرشا فى السنة ، ومالك خمسمائة فدان لن تزيد ضريبته على ستة جنيهات ونصف فى السنة (مجلس الشيوخ ١٩٤٥/٥/٨) .

ورغم الانتعاش الاقتصادى الملحوظ بسبب ظروف الحرب الاستثنائية فإن المجتمع المصرى فى مجموعه زاد فقرا ، فالدخل القومى بالنسبة للفرد الواحد كان فى هبوط مستمر ، فمن ٩٫٦ جنيه فى العام خلال الفترة من ١٩٣٥ ـ ١٩٣٩ اصبح ٦٫٤ جنيه فى العام خلال الفترة من ١٩٤٠ ـ ١٩٤٥ وذلك على أساس الاسعار الثابتة ، اضف الى هذا سوء التوزيع الشديد لهذا الدخل مع ماهو معروف من تركيز الملكية الزراعية وتركز رءوس الاموال فى نسبة قليلة من الافراد .



فسرت حكومة الوفد (١٩٤٢) مبدأ تجنيب مصر ويلات الحرب

ولو نظرنا الى توزيع الدخل القومى لوجدنا ان ٦١٪ من هذا الدخل يذهب الى كبار الملاك وكبار الرأسماليين . فقد قدر الدخل القومى عام ١٩٤٥ بمبلغ ٥٠٢ مليون جنيه ذهبا منه ما يزيد على ٣٠٨ ملايين جنيه على شكل ايجارات وارباح وفوائد ، على حين ان متوسط اجر العامل الزراعى فى العام لم يزد على اربعة عشر جنيها ، ولو روعى ارتفاع تكاليف المعيشة لكان الاجر الحقيقى لا يتجاوز ثلاثة جنيهات فى العام ، كما ان متوسط الاجر السنوى لعمال المدن وفق احصائيات عام ١٩٤٢ لا يزيد على ٢٥ جنيها اى ثمانية جنيهات اجر حقيقى فى العام الواحد . على ان هذه الارقام لم تكن وحدها تكفى للدلالة على مقدار ما كانت تعانيه

الطبقات الفقيرة ، فقد قدرت مصلحة الاحصاء فى عام ١٩٤٢ ان ما يلزم لعامل وزوجته واربعة اولاد لا يجب ان يقل عن ٤٣٩ قرشا فى الشهر طعاما وكساء وذلك وفق الاسعار الرسمية لا اسعار السوق السوداء التى كانت منتشرة فى هذا الوقت ، ومع هذا فقد كان متوسط الاجر الشهرى للعامل فى عام ١٩٤٢ لا يتجاوز ٢٩٢ قرشا فى الشهر ، اى ان اغلبية الطبقة العاملة فى المدن كانت تعيش دون الحد الادنى للكفاف بمقدار النصف تقريبا . هذا فى الوقت الذى ارتفعت فيه الارباح الموزعة فى الشركات المساهمة فى مصر من سبعة ملايين ونصف مليون جنيه فى ١٩٤٢ الى قرابة عشرين مليونا فى عام ١٩٤٦ ، كما ارتفعت ايجارات الاراضى الزراعية من ٣٥ مليون جنيه عام ١٩٣٩ الى ٩٠ مليون جنيه عام ١٩٤٥ .

وعلى حين كان العمال والفلاحون يرزحون تحت ضغط اصحاب رءوس الاموال وملاك الاراضى الزراعية ويواجهون - رغم الانتعاش الاستثنائى - شبح البطالة عند نهايات الحرب ، كان الشباب المتعلم يواجه البطالة فعلا وضيق فرص العمل فى الحكومة أو فى الشركات بحيث كانت الغالبية منهم وخاصة الجامعيين تقبل الاعمال الصغيرة والتافهة . وقد بلغ من ثقل الأزمة ان مجلة "الاثنين والدنيا" اسهاما منها فى ايجاد حلول رأت أن تقوم بعملية تعريف اولئك المتعلمين باصحاب الاعمال من حيث الخبرات والكفاءات فاعلنت انها تنشر اعلانات مجانية لهم متضمنة بيانات عن الاسم والشهادة والسن (مجلة الاثنين ١٩٤٠/٨/١٢) .

ولقد ادى وجود هذه الازمة مع رخاء الرأسمالية وانتعاشها كما سبقت الاشارة الى شعور الشباب المتعلم بمدى الظلم الاجتماعى الواقع فاصبحوا اكثر استعدادا لقبول الافكار اليسارية التى بدات فى الانتشار العلنى استفادة من ظروف الوفاق السوفيتى مع الحلفاء ضد المحور واعتراف مصر بالاتحاد السوفيتى واقامة علاقات معه فى سبتمبر ١٩٤٢ وان لم يوضع موضع التنفيذ الا فى صيف ١٩٤٣ ، وابتعد البعض الاخر عن تأييد الاحزاب السياسية ، واجتذبت البعض الآخر التشكيلات السرية التى كانت قد بدات تعمل فى الخفاء بالكفاح المسلح وهو التيار الذى نما بعد الحرب بشكل واضح وانتهى الى القيام بالثورة فى يوليو ١٩٥٢ .

كتاب
الهلال
يقدم

المسرح الضاحك

بقلم

د. نجوى عانوس

يصدر

٥ اكتوبر ١٩٨٩

روايات الهلال
تقدم

يامولاى كما خلقتنى

بقلم

عبد الفتاح رزق

تصدر

١٥ اكتوبر ١٩٨٩

التأويل
بين الغزالى وابن رشد

بقلم : د. محمد عمارة

●● كان "التاويل" ـ الذى هو : صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله ـ .. كان ولايزال ، فى فكر الاسلام وحضارته ، سبيلا من سبل النظر العقلى ، والاستنارة الفكرية ، وتحقيق الاتساق بين ظواهر النصوص وحقائق المضامين التى تشير إليها هذه النصوص .. بل وسبيلا لجعل النصوص المتناهية صالحة للعطاء فيما يستجد من الوقائع التى لا تعرف الحصر ولا الانتهاء ! ..

ولذلك .. كان الاخذ "بالتاويل" ـ المضبوط بضوابطه الشرعية واللغوية ـ معيارا من معايير التفلسف والاستنارة الفكرية فى حضارة الاسلام ●●

وعلى الرغم من اختلاف المواقع الفكرية ، بل والمعارك الخصبة التى عرفها تراثنا بين الفيلسوف الفقيه القاضى المتكلم أبو الوليد بن رشد (٥٢٠ ـ ٥٩٥ هـ ١١٢٦ ـ ١١٩٨ م) وبين حجة الاسلام أبى حامد الغزالى (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ ١٠٥٨ ـ ١١١١ م) إلا ان الرجلين قد جسدا ، فى اتفاقهما على ضرورة "التأويل" ، قسمة انحياز جمهرة العلماء وأغلبية تيارات الفكر فى حضارتنا الاسلامية إلى هذا السبيل الكافل إخاء "العقل" و"النقل" ، وتميز عقلانيتنا الاسلامية عن عقلانية اليونان ـ المنكرة للنقل والوحى ـ وعن المنهج النصوصى ـ الرافض لأدوات العقل فى البحث والنظر والاستدلال ـ ...

ومن هنا تأتى أهمية النص الذى قدمه ابن رشد عن "التأويل" فى كتابه (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) ... والنص الذى قدمه الغزالى عن "التأويل" فى كتابه (فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة) .. وهما ـ على



صغر حجمهما - من كتب "المنهج" الهامة فى تراثنا الفكرى ...

● **ابو الوليد بن رشد :**
(التاويل)

« ... ومعنى التأويل : هو اخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية الى الدلالة المجازية ، من غير أن يخل ذلك بعادة لسان العرب فى التجوز ، من تسمية الشىء بشبيهه أو بسببه أو لاحقه او مقارنه ، أو غير ذلك من الأشياء التى عُدِّدَتْ فى تعريف أصناف الكلام المجازى .

وإذا كان الفقيه يفعل هذا فى كثير من الاحكام الشرعية ، فكم بالحرى أن يفعل ذلك صاحب علم البرهان ؟ فإن الفقيه انما عنده قياس ظنى ، والعارف عنده قياس يقينى .

ونحن نقطع قطعا بان كل ما ادى اليه البرهان ، وخالفه ظاهر الشرع ، ان ذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التاويل العربى ، وهذه القضية لا يشك فيها مسلم ، ولا يرتاب بها مؤمن ، وما أعظم ازدياد اليقين بها عند من زاول هذا المعنى وجربه ، وقصد هذا المقصد من الجمع بين المعقول والمنقول .

بل نقول : إنه ما من منطوق به فى الشرع ، مخالف بظاهره لما أدى إليه البرهان ، إلا اذا اعتبر وتصفحت سائر اجزائه ، وُجد فى ألفاظ الشرع ما يشهد بظاهره لذلك التاويل ، او يقارب ان يشهد ، ولهذا المعنى اجمع المسلمون على انه ليس يجب أن تحمل ألفاظ الشرع كلها على ظاهرها ، ولا ان تخرج كلها عن ظاهرها بالتاويل ، واختلفوا فى المؤول منها من غير المؤول ، فالأشعريون ، مثلا ، يتاولون اية الاستواء ، وحديث النزول ، والحنابلة تحمل ذلك على ظاهره »

التأويل

● ابو حامد الغزالي :

(التاويل ومراتب الوجود)

« .. الكفر : هو تكذيب الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، في شيء مما جاء به ، والايمان : تصديقه في جميع ما جاء به ... وكل فرقة تكفر مخالفها وتنسبه الى تكذيب الرسول ، صلى الله عليه وسلم . فالحنبلي يكفر الأشعري زاعما انه كذب الرسول في إثبات الفوق لله تعالى ، وفي الاستواء على العرش . والاشعري يكفره زاعما انه مشبه ، وكذب الرسول في انه (ليس كمثلـه شيء) . والأشعري يكفـر المعتزلي زاعما انه كذب الرسول في جواز رؤية الله تعالى ، وفي إثبات العلم والقدرة والصفات له . والمعتزلي يكفر الأشعري زاعما أن إثبات الصفات يكثر القدماء ، وتكذيب للرسول في التوحيد .

ولا ينجيك من هذه الورطة إلا ان تعـرف حـد التكـذيب والتصـديق وحقيقتهما فيه ، فينكشف لك غلو هذه الفرق وإسرافها في تكفير بعضها بعضا .

وحقيقة التصديق : الاعتراف بوجود ما اخبر الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، عن وجوده ، إلا ان للوجود خمس مراتب ، ولاجل الغفلة عنها نسبت كل فرقة مخالفها إلى التكذيب ، فـإن الـوجـود : ذاتي ، وحسي ، وخيـالي ، وعقلي ، وشبهي . فمن اعترف بوجود ما اخبر الرسول ، عليه الصلاة والسلام عن وجوده بوجه من هذه الوجوه الخمسة فليس بمكذب على الاطلاق .

فلنشرح هذه الأصناف الخمسة ، ولنذكر مثالها في التأويلات :

اما الوجود الذاتي

فهو الوجود الحقيقي ، الثابت خارج الحس والعقل ، ولكن يأخذ الحس والعقل عنه صورة ، فيسمى أخذه إدراكا ، وهذا كوجود السمـوات والأرض والحيوان والنبات وهو ظاهرة ، بل هو المعروف الذي لا يعرف الاكثرون للوجود معنى سواه ... وهو لا يحتاج إلى مثال ، وهو الذي يجري على الظاهر ، ولا يتأول .

واما الوجود الحسي :

فهو ما يتمثل في القوة الباصرة من العين مما لا وجود له خارج العين ، فيكون موجودا في الحس ، ويختص به الحاس ، ولا يشاركه غيره ، وذلك كما يشاهده النائم ، بل كما يشاهده المريض المتيقظ ، اذ قد تتمثل له صورة ولا وجود لها خارج حسه حتى يشاهدها كما يشاهد سائر الموجودات الخارجة عن حسه ، بل قد تتمثل للانبياء والاولياء في اليقظة والصحة صورة جميلة محاكية لجواهر الملائكة ، وينتهي اليهم الوحي و الالهام بواسطتها فيتلقون من امر الغيب في اليقظة ما يتلقاه غيرهم في النوم ، وذلك لشدة صفاء باطنهم ، كما قال تعالى : « فتمثل لها بشرا سويا » ، وكما انه ، عليه الصلاة والسلام ، رأى جبريل ، عليه السلام ، كثيرا ، ولكن ما رآه في صورته إلا مرتين ، وكان يراه في صور مختلفة يتمثل بها ، وكما يرى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في المنام ، وقد قال :

« من رآني في النوم فقد رآني حقا ، فإن الشيطان لا يتمثل بي » . ولا تكون رؤيته بمعنى انتقال شخصه من روضة المدينة الى موضع النائم ، بل هي على سبيل وجود صورته في حس النائم فقط . وسبب ذلك وسره طويل ، وقد شرحناه في بعض الكتب ، فإن كنت لا تصدق به فصدق عينك ، فإنك تأخذ قبسا من نار كأنه نقطة ، ثم تحركه بسرعة حركة مستقيمة فتراه خطا من نار ، وتحركه حركة مستديرة فتراه دائرة من نار ، والدائرة والخط مشاهدان ، وهما موجودان في حسك ، لا في الخارج عن حسك ، لأن الموجود في الخارج هي نقطة في كل حال ، وإنما تصير خطا في أوقات متعاقبة ، فلا يكون الخط موجودا في حالة واحدة وهو ثابت في مشاهدتك في حالة واحدة .

... (ومن أمثلة الوجود الحسي) ... قول الرسول ، صلى الله عليه وسلم : "يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار" . فإن من قام عنده البرهان على أن الموت عَرَض ، أو عدم عرض ، وأن قلب العرض جسما مستحيل غير مقدور ، ينزل الخبر على أن أهل القيامة يشاهدون ذلك ويعتقدون أنه الموت ، ويكون ذلك موجودا في حسهم ، لا في الخارج ، ويكون سببا لحصول اليقين باليأس عن الموت بعد ذلك ، إذ المذبوح ميئوس منه . ومن لم يقم عنده هذا البرهان فعساه يعتقد أن نفس الموت ينقلب كبشا في ذاته ويذبح .

ومثل قول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : "عُرضت عليّ الجنة في عرض هذا الحائط" . فمن قام عنده البرهان على أن الأجسام لا تتداخل ، وأن الصغير لا يسع الكبير ، حمل ذلك على أن نفس الجنة لم تنتقل إلى الحائط ، لكن تمثل للحس صورتها في الحائط حتى كأنه يشاهدها ، ولا يمتنع أن يشاهد مثال شيء كبير في جرم صغير كما تشاهد السماء في مرآة صغيرة ، ويكون ذلك أيضا مفارقا لمجرد تخيل صورة الجنة ، إذ تدرك التفرقة بين أن ترى صورة السماء في المرآة وبين أن تغمض عينيك فتدرك صورة السماء في المرآة على سبيل التخيل .

● وأما الوجود الخيالي :

فهو صور هذه المحسوسات إذا غابت عن حسك ، فإنك تقدر أن تخترع في خيالك صورة فيل وفرس وإن كنت مغمضا عينيك حتى كأنك تشاهده وهو موجود بكمال صورته في دماغك لا في الخارج ...

ومثاله ، قوله صلى الله عليه وسلم : "كأني أنظر الى يونس بن متى عليه عباءتان قطوانيتان ، يلبي وتجيبه الجبال ، والله تعالى يقول له : لبيك يايونس" والظاهر أن هذا انباء عن تمثيل الصورة في خياله ، اذ كان وجود هذه الحالة سابقا على وجود رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وقد انعدم ذلك ، فلم يكن موجودا في الحال . ولا يبعد أن يقال أيضا : تمثل هذا في حسه حتى صار يشاهده كما يشاهد النائم الصورة ، ولكن قوله كأني أنظر يشعر بأنه لم يكن حقيقة النظر ، والغرض : التفهيم بالمثال ، لاعين هذه الصورة .

وعلى الجملة ، فكل ما يتمثل في محل الابصار فيكون ذلك مشاهدة ، وقل ما يتميز بالبرهان استحالة المشاهدة فيما يتصور فيه التخيل .

وأما الوجود العقلي :

فهو أن يكون للشيء روح وحقيقة

ومعنى ، فيتلقى العقل مجرد معناه دون أن يثبت صورته فى خيال أو حس أو خارج ، كاليد مثلا ، فان لها صورة محسوسة ، ومتخيلة ، ولها معنى هو حقيقتها ، وهى القدرة على البطش ، والقدرة على البطش هى اليد العقلية ، وللقلم صورة ، ولكن حقيقته : ما تنقش به العلوم ، وهذا يتلقاه العقل من غير أن يكون مقرونا بصورة قصب وخشب وغير ذلك من الصور الخيالية والحسية .

... ومثله ، قوله صلى الله عليه وسلم : "آخر من يخرج من النار يعطى من الجنة عشرة أمثال هذه الدنيا" فان ظاهر هذا يشير الى انه عشرة أمثالها بالطول والعرض والمساحة ، وهو التفاوت الحسى والخيالى ، ثم قد يتعجب فيقول : ان الجنة فى السماء ـ كما دلت عليه ظواهر الأخبار ـ فكيف تتسع السماء لعشرة أمثال الدنيا ، والسماء أيضا من الدنيا ؟ وقد يقطع المتأول هذا التعجب فيقول : المراد به تفاوت معنوى عقلى ، لا حسى ولا خيالى ، كما يقال مثلا : هذه الجوهرة أضعاف الفرس ، أى فى روح المالية ومعناها المدرك عقلا دون مساحتها المدركة بالحس والتخيل .

ومثل قوله صلى الله عليه وسلم : "إن الله تعالى خمّر طينة آدم بيده أربعين صباحا" . فقد أثبت لله تعالى يدا . ومن قام عنده البرهان على استحالة يد لله تعالى هى جارحة محسوسة أو متخيلة فانه يثبت لله تعالى يدا روحانية عقلية ، أعنى أنه يثبت معنى اليد وحقيقتها وروحها ، دون صورتها . ان روح اليد ومعناها بما به يبطش ويفعل ويعطى ويمنع ...

وأما الوجود الشبهى :

فهو أن لا يكون نفس الشيء موجودا ، لا بصورته ولا بحقيقته ، لا فى الخارج ولا فى الحس ولا فى الخيال ولا فى العقل ، ولكن يكون الموجود شيئا آخر يشبهه فى خاصة من خواصه وصفة من صفاته ...

ومثاله : الغضب والشوق والفرح والصبر، وغير ذلك مما ورد فى حق الله تعالى ، فان الغضب مثلا حقيقته : أنه غليان دم القلب لارادة التشفى ، وهذا لا ينفك عن نقصان وألم ، فمن قام عنده البرهان على استحالة ثبوت نفس الغضب لله تعالى ثبوتا ذاتيا وحسيا وخياليا وعقليا نزله على ثبوت صفة أخرى يصدر منها ما يصدر من الغضب ، كارادة العقاب ، والارادة لا تناسب الغضب فى حقيقة ذاته ولكن فى صفة من الصفات تقارنها وأثر من الآثار يصدر عنها ، وهو الايلام .

فهذه مراتب وجود الأشياء ... وهذه درجات التأويلات ....

... واعلم أن كل من نزل قولا من أقوال صاحب الشرعة على درجة من هذه الدرجات فهو من المصدقين ، وانما التكذيب : أن ينفى جميع هذه المعانى ، ويزعم أن ما قاله لا معنى له ، وانما هو كذب محض ، وغرضه فيما قاله التلبيس أو مصلحة الدنيا . وذلك هو الكفر المحض والزندقة . ولا يلزم كفر المتأولين ماداموا يلازمون قانون التأويل ...

وكيف يلزم الكفر بالتأويل ، وما من

فريق من أهل الاسلام الا وهو مضطر اليه ؟ فابعد الناس عن التاويل أحمد ابن حنبل ، رحمة الله عليه ، وأبعد التاويلات عن الحقيقة واغربها ان تجعل الكلام مجازا او استعارة ، وهو الوجود العقلي والوجود الشبهي والحنبلي مضطر اليه وقائل به ، فقد سمعت الثقاة من ائمة الحنابلة ببغداد يقولون : إن أحمد بن حنبل ، رحمه الله ، صرح بتاويل ثلاثة احاديث فقط ، احدها قوله صلى الله عليه وسلم : "الحجر الأسود يمين الله في الارض" . والثاني قوله صلى الله عليه وسلم : "قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن" والثالث قوله صلى الله عليه وسلم : "إني لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن" .

فانظر الآن كيف أول هذا حيث قام البرهان عنده على استحالة ظاهره ، فيقول : اليمين تقبل في العادة تقربا الى صاحبها ، والحجر الأسود يقبل ايضا تقربا الى الله تعالى ، فهو مثل اليمين ، لا في ذاته ولا في صفات ذاته ، ولكن في عارض من عوارضه ، فسمي لذلك يمينا . وهذا الوجود وهو الذي سميناه الوجود الشبهي ، وهو ابعد وجوه التاويل ، فانظر كيف اضطر اليه ابعد الناس عن التاويل ؟!

وكذلك لما استحال عنده وجود الأصبعين لله تعالى حسا ، إذ من فتش عن صدره لم يجد فيه اصبعين ، فتاوله على روح الأصبعين ، وهي الأصبع العقلية الروحانية ، اعني ان روح الاصبع ما به يتيسر تقليب الأشياء ، وقلب الانسان بين لمة الملك ولمة الشيطان ، وبهما يقلب الله تعالى القلوب ، فكنى بالاصبعين عنهما .

وانما اقتصر احمد بن حنبل على تاويل هذه الأحاديث الثلاثة لأنه لم تظهر عنده الاستحالة الا في هذا القدر ، لأنه لم يكن ممعنا في النظر العقلي ، ولو امعن لظهر له ذلك في غيره مما لم يتاوله ..."

"... إن الألفاظ الواردة في التشبيه محتملة للتاويل على عادة العرب في الاستعارة ... وان ادلة العقول دلت على استحالة المكان والجهة والصورة ويد الجارحة وعين الجارحة وامكان الانتقال والاستقرار على الله سبحانه ، فوجد التاويل بادلة المعقول ..."
أ . هـ .

تلك هي نصوص ابن رشد .. والغزالي ، في التأويل ومراتب الوجود ، التي مثلت وتمثل جماع قانون التأويل ، الذي سلكه المتكلمون للجمع بين المتشابه والمحكم ، والنقل والعقل في نصوص القرآن والسنة - وهي شاهدة على دور البلاغة في هذا الانجاز الكلامي العملاق .. فلو وقفت مبلحث الباحثين بهذا الميدان عند ظواهر النصوص ، ولو لم يستخدم علماء هذا الفن قواعد البلاغة العربية لضاقت السبل أمام علماء الكلام .. بل ولما كان للاسلام فلسفته المتميزة التي تجسدت في علم الكلام ! ..
إن مراتب الوجود ، هذه التي تعددت بفضل التاويل ، ذلك الذي قام على قواعد البلاغة العربية ، هو الذي وسع من آفاق النظر الاسلامي في هذه المعضلات الفكرية ، فرفع الحرج عن العقل المسلم كي لا يصاب بضيق الأفق والتحجر اللذين أصابا الذين "تعبدوا بظواهر النصوص" ؟! ..

نظرة على أحداث بولندا

ديكتاتورية البروليتاريا .. الكاثوليكية !

بقلم : عبدالرحمن شاكر

« السيناريو » السياسي الذي تشهده بولندا حاليا ، وخاصة منذ الانتخابات الاخيرة فيها في الربيع الماضي من هذا العام ، هو واحد من أغرب السيناريوهات في التاريخ السياسي عامة ، ويفوق كل ما يمكن ان يتفتق عنه خيال كاتب ساخر ، أو حتى مخرج مولع بالمفاجآت المدهشة مثل هتشكوك (مع الاعتذار للصديق والناقد السينمائي الكبير مصطفى درويش ، عن استعارة لغة السينما) ولا تزال جعبة التطور الذي يجري في تلك الدولة مليئة بالمفاجآت المثيرة ، قد يكون بعضها قابلا للتوقع وقد لا يكون ..

بادي ذي بدء : ولكي لا يلتبس الامر على القاريء لمجرد قراءة عنوان هذا المقال ، اقول اننا نحن الكتاب السياسيين ، قد درجنا على استخدام عبارة « ديكتاتورية البروليتاريا » بالمعنى اللينيني لهذا التعبير ، الذي كان يعني عند لينين ، والاحزاب الشيوعية التي تأسست على مبادئه ، ديكتاتورية الحزب الشيوعي، باعتباره طليعة البروليتاريا ، أو الطبقة العاملة التي يحكم باسمها ، والمفروض أنه لحسابها . ولكن الحقيقة هي أن عبارة « ديكتاتورية البروليتاريا » يعود استخدامها الى كارل ماركس ذاته ، وكان يعني بها حكم الطبقة العاملة ، وكان في رأيه أن الطبقة العاملة سوف



ـ كارل ماركس



ياروزلسكي

تحكم المجتمع ، وتفرض عليه ارادتها في التحول الاشتراكي في اطار من الشكل الديموقراطي الجمهوري ، الذي تمارس من خلاله البرجوازية أيضا ديكتاتوريتها طيلة مرحلة الرأسمالية ، بحكم ما تحت أيديها من وسائل الدعاية والنشر ومختلف الاجهزة السياسية والاعلامية ، فضلا عن ملكيتها لوسائل الانتاج .

فماذا حدث في بولندا ؟

بعد الحرب العالمية الثانية، وبعد ان « حررها » الجيش الاحمر السوفييتي من الاحتلال النازي ، قام فيها حكم الجبهة الشعبية ، في نظام يختلف من حيث الشكل فقط مع النظام السوفييتي، وكانوا يطلقون عليه اسم الديموقراطية الشعبية ، كان الحزب الشيوعي قد اندمج مع بعض الاحزاب الاشتراكية الصغرى وأصبح يعرف باسم حزب العمال الموحد ، وأشرك معه في حكم الجبهة بعض الاحزاب الصغيرة الاخرى بقي منها حتى الآن حزب المزارعين ، والحزب الديموقراطي ، وكان المفهوم أن قيادة هذه الجبهة هي للحزب الشيوعي تحت اسمه الجديد ، وانه يمارس من خلالها ديكتاتورية البروليتاريا ، بالمفهوم اللينيني، وكذلك كان الوضع في سائر « الديموقراطيات الشعبية » في شرق أوربا ، التي شكلت مع الاتحاد السوفييتي ما يعرف باسم المعسكر الاشتراكي .

والآن ، وبعد أكثر من أربعين عاما على قيام هذا النظام ، يتنازل الحزب الشيوعي عن حكم بولندا ، كما يتنازل ملك عن العرش حتى رئيس الجمهورية الجنرال ياروزلسكي ، يتنازل عن زعامته لهذا الحزب بعد توليه منصبه الجديد ، وتحكم البلاد « جبهة » جديدة تقودها نقابة تضامن العمالية المستقلة، التي كان نشاطها محظورا الى عهد قريب ، ويرأس الوزارة أحد رجال هذه المنظمة ، وهو رئيس تحرير صحيفتها « تاديوش مازوفتسكي » ، الذي تخلى بدوره من قبل عن عضوية الحزب الشيوعي ، وانضم الى تلك النقابة . ويشكل رئيس الوزراء الجديد مؤخرا حكومة تضم اثنى عشر وزيرا من نقابة تضامن ، وأربعة من أعضاء الحزب الشيوعي ، وأربعة من حزب المزارعين ، وثلاثة من الحزب الديموقراطي بحيث تبقى أغلبية مجلس الوزراء لنقابة تضامن . وكان مفتاح هذا التغيير هو الانتخابات التي جرت في مارس الماضي ، وهي التي وصفت بأنها أول انتخابات ديمقراطية حقيقية في تلك البلاد ، واكتسحت أصوات الناخبين فيها نقابة تضامن ، واستولت تقريبا على كل مقاعد مجلس الشيوخ ، ومعظم أو كل مقاعد نسبة الخمسة والثلاثين في المائة التي تركت مفتوحة للمنافسة في مجلس النواب .

● الحزب والنقابة

لقد درجت الاحزاب الشيوعية على احتكار النقابات العمالية والحركة

نظرة على احداث بولندا

النقابية بصفة عامة ، وكان لينين يصف الروح النقابية ، بأنها « البرجوازية فى صفوف البروليتاريا » ! لان زعماء النقابات العمالية فى الدول الرأسمالية كانوا مشغولين فى رأيه بتحقيق مكاسب آنية محدودة للطبقات العاملة، مثل زيادة الاجور أو التأمين ضد البطالة .. الخ ، وانهم فى واقع الامر انما يخدمون الرأسمالية وليست البروليتاريا بهذه السياسة ، حيث يعملون موضوعيا على تحسين المجتمع الرأسمالى بحيث لا يحتاج العمال الى الثورة عليه ، واعادة بناء أوضاع أسس اشتراكية . وان التمثيل السياسى الحقيقى للعمال هو فى حزبهم الشيوعى الذى يستهدف بناء الاشتراكية . وكان جزء من هذا الاحتقار يشمل حزب العمال البريطانى على سبيل المثال ، الذى تشكل من نقابات عمالية فى الاساس ،وقام على أسس نقابية وليست ايديولوجية ، واذا كان هذا الحزب قد قام بالفعل بتحسين صورة الرأسمالية البريطانية وحكم لحسابها فترات طويلة تداول فيها الحكم مع حزبى المحافظين والاحرار، فان التاريخ لا يستطيع أن يسقط من حسابه ـ انه فى بعض فترات حكمه ـ قد فرض تغييرات «اشتراكية» واسعة ، من نوع تأميم عدد من الشركات والصناعات الكبرى .

أما عن النقابات فى المجتمع « الاشتراكى » ، أى المجتمع الذى يحكمه الحزب الشيوعى ، فان الفكر اللينينى يجعل من النقابات مجرد أدوات لتنفيذ سياسة الطليعة الحاكمة أى الحزب ذاته ، وينبغى أن يكون على رأس تلك النقابات عمال شيوعيون يستخدمون النقابة فى بث تعاليم الحزب، الى جانب بعض وجوه النشاط الثانوية مثل الرياضة وحضانة أطفال العاملات .. الخ أما التفكير فى الاضراب مثلا من أجل رفع أجور العمال فيرقى الى مرتبة الخيانة العظمى لدولة البروليتاريا !

لذلك كان تشكيل نقابة تضامن العمالية المستقلة فى أوائل الثمانينات، وقيادتها سلسلة من الاضرابات فى حوض « لينين » لبناء السفن فى ميناء جدانسك البولندى ، تحديا على جميع المستويات ليس لسلطة الحزب الشيوعى وحدها ، بل لكرامته السياسية وسمعته وايديولوجيته على حد سواء . وقد قوبل هذا التحدى بفرض الاحكام العرفية فترة طويلة ، واعتقال المئات من النشطين فى نقابة تضامن ، واعتبارها تنظيما غير مشروع حتى اضطر الحزب الشيوعى أخيرا ، الى التسليم بالواقع ، والغاء الاحكام العرفية ، واعتبار تضامن تنظيما مشروعا والتفاوض معها على مائدة مستديرة واجراء انتخابات نيابية جديدة .. ثم أخيرا الموافقة على تسليمها مقاليد الحكم بتعيين أحد أعضائها رئيسا للوزراء كما تقدم .



ـ مازوفسكى



ـ جوريباتشوف

● هل سقطت دولة البروليتاريا ؟

بالرغم من جميع التمنيات التي تعبر عنها الدوائر السياسية واجهزة الاعلام في الغرب ، بل بالرغم من تصريحات قادة تضامن أنفسهم بمن فيهم فاونسا رئيس نقابة تضامن بانه يسعى الى اقامة نظام رأسمالى حر في بولندا(١) فان الحقيقة المباشرة هي أن الذين اسقطوا حكم الحزب الشيوعي في بولندا لم يكونوا من الراسماليين ولكن من العمال ٠٠ من طبقة البروليتاريا ذاتها ٠٠ بل يمكن القول بانه طبقا لما ورد في أول المقال ، فقد انتقل الحكم من الحزب الذى يعتبر نفسه طليعة للبروليتاريا بحكم أيديولوجيته ، رغم أن تكوينه الطبقى ليس عماليا بالمرة أوليس عماليا خالصا على الاقل بل يضم كوادر من المثقفين والعسكريين أساسا ٠٠٠ انتقل هذا الحكم الى العمال انفسهم من خلال نقابتهم المستقلة تضامن ٠٠ أى أن ديكتاتورية البروليتاريا طبقا لمفهوم ماركس ذاته قد قامت بشكل مباشر على انقاض « الطليعة الايديولوجية » المشكلة من الحزب الشيوعي ، بعد فشل هذه الطليعة أو عجزها أو حتى خيانتها لمصالح البروليتاريا ٠

ولا يغير من الامر شيء أن نقابة تضامن على رأسها رجال يؤمنون بالديانة الكاثوليكية وليست الماركسية اللينينية ، ويرفعون في اجتماعاتهم صورة الصليب أو « العذراء السوداء» بدلا من صورة لينين ، ويحتفلون بانتصارهم السياسى واسناد رئاسة الوزراء الى احدهم فى كنيسة بدلا من مقر الحزب الشيوعى ٠٠ كل ما فى الامر أن مسلكهم هذا ينفى قول ماركس في البيان الشيوعي واصفا تدنى أحوال العمال في أوائل العصر الصناعى فى غرب أوربا : « ان العامل لا وطن له ولا دين ولا أسرة ٠٠ » فالعمال الانلبيهم أوطان يعتزون بها، وديانة يحرصون عليها ، واسر يعولونها ويديرون معيشتها ، وذلك مما دفع عمال بولندا الى اسقاط طليعتهم الشيوعية وتولى الامور بايديهم من خلال نقابتهم المستقلة ٠

● لماذا ؟ والى اين ؟

لقد كانت الضائقة الاقتصادية وتدهور مستوى معيشة العمال وراء ثورتهم على حكم الحزب الشيوعى واضراباتهم المتواصلة واخيرا التغير السياسى الحاسم فى مقاليد الحكم فى بولندا ، ولهذه الازمة الاقتصادية أسبابها المتعددة :

★ فهناك أولا الاعباء العسكرية بحكم انتماء بولندا الى حلف وارسو ، ذلك الحلف الذى يحمل اسم العاصمة البولندية ويتخذها مقرا له ، ويضم بلدان المعسكر الاشتراكى فى أوربا وعلى رأسها الاتحادالسوفييتى ،وخلال الحقبة الماضية كان لبولندا نصيبها فى أعباء سباق التسلح الرهيب مابين المعسكرين الكبيرين فى العالم ، وحين بدأ جورباتشوف أخيرا سياسته الجديدة من أجل التهادن الدولى وانهاء سباق التسلح ، كان اقتصاد المنظومة الاشتراكية كلها ـ بما فيها الاتحاد السوفييتى ـ يترنح تحت أعباء هذا السباق ، وخاصة بعد تدهور أسعار النفط التى كانت هى المصدر الرئيسى للاتحاد السوفييتى من العملات الحرة٠

★ المشروعات الطموحة التى حاول بها بعض حكام بولندا منافسة الغرب فى انتاجه الصناعى ، مثل مصانع

نظرة على احداث بولندا

الطائرات والبواخر التى انشأها رئيس الوزراء السابق جيريك فى السبعينيات (١) ، دون دراسة جدوى حقيقية لتلك المشروعات ، وضحكت عليهم الرأسمالية العالمية ، وباعت لهم تكنولوجيا متخلفة غير قادرة على المنافسة ، واغرقت بلادهم فى الديون واغلقت الاسواق فى وجوههم ، وتلك احدى افات القيادة الرديئة للمال العام فى البلدان الاشتراكية ، فضلا عن تدخل الاغراض الشخصية لتلك العناصر القيادية ، مثل العمولات الضخمة التى يتقاضونها عند التعاقد على صفقات استيراد المصانع المذكورة من الغرب ، واستخدامها فى اقتناء السلع الغربية الفاخرة ، مثل سيارات المرسيدس ... الخ ولقد كتب مؤلف كتاب والصراع الطبقى فى مجتمع غير طبقى أن عائلات العمال المضربين كانوا فى احدى هذه الاضرابات يجوسون خلال بيوت بعض كبار المسئولين فى الدولة او الحزب ، ولا ينهبون شيئا منها ، وانما يفغرون افواههم دهشة كانهم فى متاحف لما يحيط بهم من مظاهر البذخ والرفاهية المستوردة بينما الجمعيات الاستهلاكية خاوية على عروشها ، لا يجدون برفوفها كثيرا مما يحتاجونه ، من اول اللحم الى ورق التواليت !

لقد ثارت البروليتاريا البولندية الحقيقية على الطبقة الجديدة التى استأثرت بالحكم لانفسها ، دون مبالاة بجماهير شعبها او الطبقة التى تحكم باسمها ، حيث ان انتماءها



- لينين



- ليخ فالسيا

الايديولوجى كان يجعل ولاءها لنفسها اولا ، ثم للقوة الكبرى التى تستظل بظلها وهى الاتحاد السوفييتى فى هذه الحالة واهدافه الاستراتيجية ، حتى وصلت النار الى تلك الدولة الكبرى ذاتها بعد الحرب الافغانية الفاشلة التى انهكت اقتصادها وسمعتها الدولية وترابط قومياتها المتعددة على حد سواء ، فبدأ جورباتشوف سياسته الاصلاحية تحت اسم البيروسترويكا ، والجلاسنوست ، وكان من طبيعة الامور أن يبدأ التغيير على النحو الذى حدث فى بولندا فى ظل تلك السياسة ، وأحجام السوفييت عن تكرار ما حدث فى الماضى من قمع التمرد العمالى فى مدينة بوزنان البولندية بالدبابات السوفيتية . بل أن حكام بولندا الجدد يجدون فى انفسهم الشجاعة لمطالبة الاتحاد السوفيتى بدفع تعويضات عن الاضرار التى الحقها ببلادهم خلال الحرب العالمية الثانية !

اما الى أين تتجه بولندا فى ظل ديكتاتورية البروليتاريا الكاثوليكية بها

---

(١) انظر عدد مارس ١٩٨٣ من الهلال : مقال الدولية الخامسة .

فان زعماء تضامن وعلى رأسها فاونسا ، يتطلعون الى الغرب لانقاذ بلادهم من الضائقة الاقتصادية بمزيد من القروض ، ويطلب حاليا فاونسا مبلغ عشرة مليارات دولار على الاقل حتى تستطيع حكومته أصلاح حال الاقتصاد المنهار وهم على استعداد لفعل اى شيء من اجل الغاية ، فيما عدا مطالبة عمالهم بمزيد من شد الاحزمة على البطون ، هم على استعداد لبيع بعض شركات قطاعهم العام على سبيل المثال لمن يشتريها . سواء من بقايا الرأسمالية البولندية ، أو من استجد من أثرياء الطبقة الجديدة من اعضاء الحزب الشيوعي ، الذين يصفهم رئيس الوزراء «التضامنى» حاليا الشيوعي السابق ، بانهم شيوعيون فى الظاهر فقط ، وانهم مثل الفجل الاحمر ! طبقة حمراء رقيقة على السطح والقلب ابيض كاللبن الحليب ، وان كان هؤلاء قلبهم اسود فى حقيقة الامر بل ان الحكومة البولندية على استعداد لبيع بعض

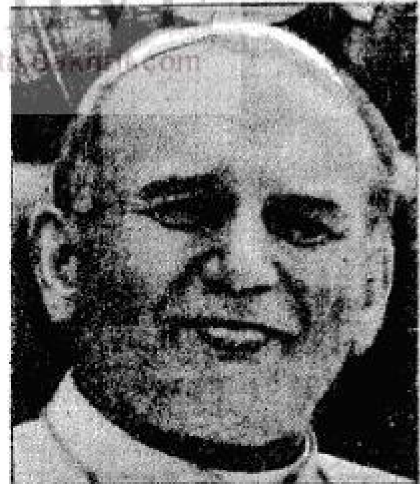


صوره من احداث بولندا الاخيرة

قطاعها العام للرأسمالية الدولية ، لو كان ذلك سوف يحل ازمة اقتصادهم ، ويدفع دماء جديدة فى شرايينه الجافة ويطمعون — فى ظل الكاثوليكية التى استردت اعتبارها ، وحل الصليب محل صورة لنين فى محافلهم فى أن يساعدهم البابا البولندى الاصلى يوحنا بولس الثانى ، بابا الفاتيكان، على اقناع الغرب بمساعدتهم على النحو الذى يطلبون ، المهم الخروج من المازق الاقتصادى المستحكم وبعدها يكون ما يكون !

فهل يقدم الغرب على مساعدتهم ؟ أم يخشى أن يفتح على نفسه فتحة لا يستطيع سدها وخاصة من دول العالم الثالث الذى تعانى دوله بدورها من مشكلة الديون الخارجية مثل بولندا وافدح ؟ أم ينتظر مزيدا من التنازلات السياسية ، مثل حل حلف وارسو ، وإعادة توحيد المانيا بسقوط النظام الشيوعي بدوره فيها .. الخ ؟ ذلك ما سوف تكشف عنه الايام القادمة

البابا يوحنا بولس الثانى



●●●

دائرة الحوار

العالم فى القرن الحادى والعشرين

الأوزون .. وبركان الخطر !

بقلم: د. عصام الدين جلال

الاوزون هو شكل من اشكال جزئيات الاوكسجين والتى تتكون فى الجو العادى . من ذرتين اما الاوزون فيتكون من ثلاث ذرات متشابكة وهو لا يمثل اكثر من واحد فى المليون من جملة محتويات الجو من الاوكسجين .

والاوزون له خواص حيوية هامة لان قدرته على امتصاص الاشعة فوق البنفسجية من الاشعة القادمة من الشمس عالية . وهذه الاشعة لها ايضا قدرة عالية على تدمير الانسجة الحية بما ذلك الاجزاء الوراثية فى الخلية الحية فى الانسان والحيوان والنبات .

● اخطر الاخطار التى تهددنا من نقص طبقة الاوزون هو تحول الاشعة القاتلة من الشمس الى وحش رهيب يهدد كل شيء على وجه الكرة الارضية ، علاوة على أن تلك الاشعة القوية الحارقة نفسها تصبح مصدرا لرفع نسبة الاصابة بالسرطان وخاصة سرطان الجلد وايضا تؤدى الى ارتفاع نسبة عتمة عدسة العين (الكتاركت) كما انها بتاثيرها على نواة الخلية تؤدى الى اضرار خطيرة اخرى ، منها اضعاف الجهاز المناعي للجسم فضلا عن اثارها الضارة على البيئة الحيوية المحيطة والخاصة للانسان .

وقد لاحظ بعض العلماء البريطانيين ان هناك تناقصا ملحوظا فى نسبة الاوزون في الاجواء العليا فوق القطب الجنوبي وصلت الى انخفاض قدروه بـ ٤٠٪ بين ١٩٧٧ و ١٩٨٨ . بما هي بثقب الاوزون فوق المنطقة القطبية الجنوبية .



● **بحوث هامة**

ولان كتلة الهواء فوق هذه المنطقة كتلة معزولة عن تيارات الرياح التي تجدد جو الكرة الارضية ..وهي تدور حول المنطقة القطبية فان قياس التغيرات فيها يعطي قياسا اكثر دقة من المناطق الاخرى وزاد من خطورة الكشف ان الثقب المشار اليه يبدو انه اخذ في الزيادة والامتداد خارج أبعاد المنطقة القطبية .

والاوزون فوق المنطقة القطبية الجنوبية ليس ثابتا في الطبيعة على مدار العام ولكنه يتناقص في شتاء المنطقة الجنوبية من اغسطس حتى اكتوبر ثم يأخذ في التصاعد بعد ذلك .

وقد أدى ذلك الى تكثيف الجهود الدولية لمحاولة قياس هذه التغيرات واستخدمت الفرق العلمية العالمية مقاييس أرضية وجوية واقمارا صناعية ومناطيد لقياس الكثافة وعمق طبقة الاوزون .

وفي عام ١٩٨٧ تعاونت اربع من الدول المتقدمة و ١٩ منظمة واكثر من ١٥٠ عالما في القيام بدراسة عالمية متصلة استخدمت معامل جوية طائرة على طائرات خاصة قادرة على الطيران بارتفاعات شاهقة .. وتهدف هذه الدراسة الى تأكيد صدق احدى النظريتين المطروحتين أولاهما : أن التناقص راجع الى تحطيم جزئيات الاوزون بسبب ملوثات جوية تتصاعد الى الطبقة العليا من سطح الارض والثابت ان التغيير يرجع الى السبب في تغيير غير معتاد في تحركات الكتل الهوائية بما يصعد بالاوزون الى طبقات الفوق جوية .

● **أخطار تهدد الاوزون**

والتخوف من آثار التلوث على طبقة الاوزون لازم التقدم التكنولوجي فمنذ ابتدأت الدول الكبرى تخطط لانتاج طائرة تجارية أسرع من الصوت وتطير في طبقات الجو العليا اثير تخوف أن بخار الماء واكاسيد الازوت الناتج عن احتراق وقودها يمكن ان يضر بالاوزون في هذه الطبقات .

ثم عاد الخوف من زيادة استخدام وتحلل المركبات الازوتية مثل الاسمدة الصناعية واشارت أبحاث العلماء الامريكيين لخطورة مركبات الكلوفلور كاربون . وهذه المركبات مستخدمة منذ اكثر من نصف قرن كغاز تبريد في الثلاجات واجهزة التكييف بشكل واسع وعالمي كما انها واسعة الاستخدام في الرشاشات بالغاز المضغوط في الاغراض المنزلية مثل مستحضرات التجميل ومبيدات الحشرات ومستحضرات النظافة ،



وكذلك فى طفايات الحرائق وغيرها . وهى مستخدمة بكثافة فى الصناعة خاصة صناعة رقائق الالكترونيات.

ومن بين أسباب استخدامها انها مركبات ثابتة بطيئة التحلل وغير قابلة للتفاعل مع المركبات الاخرى ، اى انها مركبات خاملة وهى نفس الصفات التى تؤدى الان الى الانزعاج الشديد لان ثباتها يعنى انها ستبقى فى طبقات الجو العليا لسنين كما انها قادرة على الارتفاع ما بين ٢٥ الى ٥٠ كيلو مترا وبالتالى تقل حماية الاوزون ضد الاشعة فوق البنفسجية ومن ثم تحلل هذه الاشعة البنفسجية الى جزئيات فعالة ومتفاعلة مثل الكلور والفلور والتى تحطم جزئيات الاوزون وتزيل الغطاء الاوزونى من هذه الطبقات .

اخطار تهدد الانسان

ولشدة فاعلية الكلور فى هذا المجال ووجود مصادر اخرى له واستعداد المركبات المذكورة للبقاء لعشرات السنين فان التأثير المتراكم من استمرار استخدامها يمكن ان يعرض صحة الانسان والبيئة الى مخاطر متزايدة ومستمرة حتى اذا قل استخدامها .

والاشكالية ان وقف استخدامها يحتاج لاستثمارات كبيرة لادخال تعديلات هامة على صناعة التجميل والمستحضرات المنزلية والتبريد والتكييف والالكترونيات مما خلق مقاومة من هذه الصناعات لاتخاذ اجراء فورى ، ولكن مع تصاعد المخاطر وزيادة الادلة على تصاعد المشكلة تدخلت الدول الصناعية نفسها فى شكل اتفاق دولى يرمى الى الوقف التام لاستخدامها مع بداية القرن القادم وحصر المخاطر الاخرى لعلاجها .

وتبقى مشكلة الدول النامية التى لا تملك الاستثمارات اللازمة لادخال تعديلات جذرية على صناعاتها يمكن ان توقف دولاب التنمية وتصاعد مديونياتها وتقلص قدراتها التنافسية ورغم ان الدول الصناعية وعدت بالنظر فى مساعدة تلك الدول فان السوابق فى مجال التنافس الصناعى يجب ان تبقى فى تشاور وتعاون وحوار دائم على المستوى العالمى لتوزيع اعباء علاج هذه المشكلة العالمية بأسلوب تضامن حضارى جديد .

والحقيقة ان اسلوب التضامن الحضارى الجديد اصبح ضرورة لمعالجة كثير من المشاكل البيئية المعاصرة مثل حرق الغابات وزيادة حرق الوقود وارتفاع نسبة ثانى اكسيد الكربون في الجو مما يتأتى عنه ارتفاع حرارة الجو وذوبان ثلوج المناطق القطبية الي استنزاف الموارد المحدودة من الطاقة التقليدية والمعادن النادرة الخ .

ومن ثم فان عالم الغد لا يمكن ان يعيش بقانون الغاب الذى ساد العلاقات فى عالم الامس ، بل ان الصالح العام للبشرية كلها يقتضى ان يواكب التطور العلمي والتكنولوجي التطور والتحضر السياسي والقانوني والاقتصادى والا تفجر المستقبل فى وجه المتقدمين والمتخلفين .

صفوة المستقبل

حافظ أحمد أمين

نعيش الآن عصر انتقال عنيف . وفي عصور الانتقال تحدث التغييرات السريعة في كل نشاط . ولانلمس استقرارا في اى امر .
انظر مثلا كيف استمر توفيق الحكيم او عبد الوهاب لأكثر من نصف قرن يؤلفان للمسرح أو للموسيقى ، وكيف يتوقف الكتاب والموسيقيون الآن عن العمل بعد بضع سنوات من بدء النجاح .
وانظر - مثلا - إلى تجربة انفصالك عن صديق أو قريب لبضع سنوات ، ثم عودة الاتصال بينكما ، تلاحظ فجوة شديدة بين الحالين . لكثرة ما حدث لكما من تغيرات .
وانظر الى مقدار أوجه التشابه بين ابيك وجدك ، ومقدار الاختلاف بينك وبين ابنك .
انظر حولك الى اى شيء ، ستشاهد فيه عنف التطور وسرعته ، إذا ما قارنته بما كان يحدث أثناء العصور المستقرة .

ومن بين مظاهر الاستقرار فى الماضى . اتحاد العناصر الثلاثة للصفوة : النفوذ والمال والثقافة ، فاذا كانت الحياة مستقرة ، رأينا أصحاب النفوذ يتمتعون ايضا بالعلم والثراء ، وأصحاب المال هم أنفسهم أصحاب الجاه والثقافة ، والمثقفون يعيشون فى رغد ومنزلة عالية . وهذا ما كنا نراه - مثلا - عندما كان طه حسين وزيرا للمعارف ، وأم كلثوم تتمتع بالثراء والنفوذ ، وسعد زغلول من أصحاب الثقافة الواسعة .

فى عصور الانتقال . يتحول الاتحاد بين عناصر الصفوة الى انفصال واضح ، فنرى أكثر اثرياء المجتمع لاعلاقة لهم بفكر راق او فن رفيع ، ونرى اغلب المديرين والرؤساء لايتمتعون بحياة رغدة أو ثقافة واسعة ، ونرى معظم المثقفين يعيشون حياة بائسة محبطة .

كانت الصفوة فى الحضارات القديمة ، تضم أصحاب الأراضى الزراعية الذين يقيمون نظم هذه الحضارة ويقودونها ، ويدعون الى قيمها وعقائدها ، وكانت الصفوة فى الحضارة الصناعية هم أصحاب رءوس الأموال أو القائمين عليها ، الذين يتفوقون فى مهاراتها ، ويشجعون نظمها ومبادئها . فلما بدأت هذه الحضارات فى الأفول - بعد الحرب العالمية الثانية - وبدأت حضارة ما بعد الصناعة - حضارة المعلومات والخدمات - اصيب أكثر المثقفين والمديرين ، والمثقفين القدماء ، الذين لم يستطيعوا التأقلم مع متطلبات الحضارة الجديدة ، بمشاعر عنيفة من الارهاق والاحباط والمرارة ، وبالاحساس بضآلة الشأن ، فحاولوا اسقاط فشلهم هذا على الرؤساء او الوزراء دون ان يدركوا ان معظم الأخيرين هم ايضا من الصفوة القديمة غير المتأقلمة ، المصابة مثلهم بالحيرة والقلق

والاضطراب وبالتالى بأمراض القلب او الضغط او النفس .

لقد امتلات ملايين الصفحات بالشكوى والتذمر ، وامتلات المعارض والمسارح بكافة الأعمال الفنية الغاضبة ، ورأينا السخط يسود المجالس والمؤتمرات ، بل وحتى الاثرياء امتلات منتدياتهم بالأحاديث اليائسة .

ومع هذا الغضب والتذمر والاحباط بدأت فى الظهور صفوة جديدة ، استطاعت أن تلفظ ماتقادم من نظم الحضارات القديمة وأن تدرك قيم الحضارة الجديدة ومبادئها ، وأن تتمتع بمهاراتها واخلاقياتها ، وان تتأقلم مع نظمها وتكتسب عاداتها .

ولعل من أهم عقائد الحضارة الجديدة الايمان بان الانسان لن يستطيع البقاء الا اذا تخلص من التعصبات القديمة ، وتعايش مع غيره فى سلام ووئام .

من اهم أسباب التعصبات التى تكونت طوال تاريخ الانسان ، كثرة ماتعرض له من ندرة فى الانتاجين الزراعي والصناعى ، ومن الظروف الصعبة التى فرضت - فى اكثر العصور - قسوة الحكام على المحكومين ، والرجال على النساء ، والمعلمين على التلاميذ ، لقد اتصفت حياة الانسان - فى معظم الازمنة والامكنة - بالعسر والمشقة ، حتى أصبح من الصعب عليه أن يتصور انه يستطيع ان ينال بعض الخير الا على حساب غيره ، وكأن الحياة مائدة من موائد الميسر ، او ملعب من ملاعب الرياضة : اذا فاز أحد اللاعبين بشيء ، فلابد ان يخسر غيره قدرا مماثلا ، وهو امر ينطبق على تبادل السلع الزراعية والصناعية ، ولكنه لاينطبق على تبادل المعلومات والخدمات ، لهذا فان صفوة المستقبل هى القادرة على التخلص من التعصبات ، وعلى الايمان بان الانسان - فى الحضارة الجديدة - سيعطى دون ان يفقد شيئا مما عنده ، ويأخذ دون أن يفقد غيره شيئا .

ولعل من أهم مواصفات صفوة المستقبل ايضا ، ايمانها بأن ثروة الانسان لم تعد مرتبطة بملكية الأراضى أو العمارات أو الآلات ، وإنما أصبح للثراء فى ايامنا طرق اخرى مستقلة تماما عن الملكية ، لذلك نلاحظ ان المؤسسات التى تشرف على الثروات العينية فى عصرنا قد فقدت كثيرا من أهميتها ونفوذها .

وانتقال الثراء من الملكية الى الأنشطة الذهنية والابداعية ادى الى ان تتغير مواصفات الصفوة تغييرا جذريا ، يظهر جليا عندما نقارن بين شكل الصفوة الذى نشاهده فى افلام الثلاثينيات والأربعينيات ، وشكلها الحالى ، الذى نلمسه فى أصحاب المشروعات الجديدة ، الزراعية والصناعية والخدمية ، التى تستخدم التكنولوجيا الحديثة .

كذلك من مواصفات الصفوة فى الحضارة الجديدة ، عدم السعى وراء التخصص الشديد ، فالتخصص الشديد - الذى كان امرا محمودا فى الحضارة الصناعية ، أصبح الآن أمرا يصيب المثقفين بالتشاؤم وضيق الأفق ..

فالمتخصص - عند التنبؤ بالمستقبل - يمد الخط البيانى الذى يربط بين ظواهر الماضى وظواهر الحاضر فى تخصصه مدا مستقيما ، وهذا يصيبه بالاحباط والتشاؤم ، اذ كيف سيكون - مثلا - أمر التلوث او الانفجار السكانى او فساد البيئة او نقص الموارد أو غير ذلك لو مددنا الخطوط البيانية لمعرفة شكل المستقبل فيها ؟

كذلك يصيب التخصص الشديد صاحبه بضيق الأفق ، ففى ايامنا لايقدر على اكتساب

النظرة السليمة للأمور الا اصحاب النظرات الواسعة الشاملة . ذلك أن زمن التغيرات العتيقة يحتاج الى من يلاحظ العلاقات الوثيقة بين المجالات المختلفة ، والى من يدرك كيف تتغير اتجاهات الخطوط البيانية لنشاط معين تحت تأثير الأنشطة الأخرى التي ليست في مجال ذلك النشاط ، فعندما نقول ـ مثلا ـ ان التلميذ لم يعد ـ في الحضارة الجديدة ـ رأسا يشحنه المدرس بمناهج نمطية صارمة ، فإن هذا يعني ان العامل لم يعد ترسا في خط الانتاج بالمصنع ، وأن المواطن لم يعد رقما في جداول الانتخاب ، وأن الناس اصبحوا يرفضون أن يصبوا في قوالب متماثلة ... الخ .

لهذا فان النجاح وراء اى اصلاح لايكون بتشكيل لجان من المتخصصين ، وانما يكون الاصلاح الناجح عن طريق دعوة الصفوة من ذوى النظرات الواسعة ، الذين يرون ان الوسيلة الناجحة لاصلاح الاقتصاد ـ مثلا ـ هي نفسها الوسيلة الناجحة لاصلاح الادارة ، واصلاح التعليم ، واصلاح الثقافة ... الخ .

ومن اهم مواصفات الصفوة الجديدة ، قدرتها على ادارة الأعمال بشكل ديمقراطي ، بعيد كل البعد عن الانماط القديمة من البيروقراطية والدكتاتورية . فاذا كانت الحضارة الصناعية هي حضارة التنظيمات الهرمية الصارمة ، فان الحضارة الجديدة هي حضارة التنظيمات الشبكية المرنة ، التي جاءت لتحل مشكلات الحضارة الصناعية ، فقد زادت تطلعات الناس ـ خلال النصف الأول من القرن العشرين ـ لتأكيد كل شخص لفرديته ، وقد أدت هذه التطلعات الى اكتشاف تكنولوجيات ترفع من درجة إبداع الانسان وتحرره ، وتزيد من درجة التعاون والمشاركة ، وفي نفس الوقت من درجة تميزه واختلافه عن الآخرين .

جاءت الحضارة الجديدة لتفرض تعدد الأشكال في الانتاجين المادي والفني ، فزاد عدد المنتجين وتنوع انتاجهم ، وزاد عدد المستهلكين وتنوعت حاجاتهم ، هنا كان لابد من تغيير التنظيمات الهرمية ، ومن الصفوة المتربعة على قمم الاهرامات ، الى تنظيمات اخرى اكثر مرونة وديمقراطية ، والى صفوة تعرف معاني التعاون والمشاركة ، والى نظم تقوم على مساندة العاملين بعضهم لبعض ، وكأنهم يعزفون سيمفونية او يؤدون ادوارا في مسرحية ، وهي نظم تختلف تماما عن النوع البيروقراطي القديم ، الذى يقوم على صعود الصفوة على اكتاف الآخرين .

صفوة المستقبل اذن ، سيختلف شكلها تماما عن أشكال الصفوات القديمة ، فاذا كانت الحضارة الجديدة هي حضارة التعاون العالمي لحل مشكلات عالمية ، ولبناء مجتمع انساني ذى مصير واحد ، فلابد أن تكون صفوة المستقبل قد تخلصت تماما من تعصبات عدوانية او تنافس اناني .

واذا كانت الحضارة الجديدة سترفع من شأن الحكمة والتفكير الواسع المبدع ، فان المتخصص ضيق الأفق لايمكن ان يكون من بين صفوتها .

واذا كانت الحضارة الجديدة هي حضارة المشاركة والديمقراطية الحقة ، فلن يكون من بين صفوتها المتعجرفون والمتسلقون والبيروقراطيون .

ونحن لايزعجنا مانراه الآن حولنا من انحرافات وتسيب ، ولامبالاة بالصالح العام ، ومن تفكك في العناصر الثلاثة للصفوة ، فهذه كلها من مظاهر عصور الانتقال ، وما أن يبدأ استقرار العالم في ظل حضارته الجديدة ، حتى تتحد عناصر الصفوة الجديدة . وهي لاشك أفضل من صفوات الماضي ، الزراعية منها والصناعية



مرة أخرى

لندع التاريخ يتكلم

بقلم: د. فؤاد مرسى

●● تصورت وانا احمل لمجلة « الهلال » النص الكامل لحديثي مع صحيفة « النهار » البيروتية اني اقدم لها وثيقة صارت لها قيمة تاريخية .. كما تصورت أيضا ان اعادة نشر ذلك النص كما هو سوف يجنبني سوء الظن اذا ماقمت بتجزئته وتخيرت ما ينشر منه ومالا ينشر .

غير انه كان للأستاذ مصطفى نبيل رأى آخر .. ولذلك اختطف من النص ما رآه مناسبا .. ومن ثم جاءت نهاية مقالى غير واضحة وغير مفهومة ، ولم يبرز ما أردت ابرازه من المخطط الذى نسبته للدوائر الامبريالية فى ذلك الوقت ●●

ولهذا اكتب من جديد فى محاولة لتلخيص الحديث الذى نشرته صحيفة « النهار » بتاريخ ٢٩ مايو ١٩٧١ .

اولا : ان موقف التعاون مع الرئيس السادات انما ينبع من نقطة مبدئية هى انه يقف على رأس نظام وطنى اثبت حتى ذلك الوقت موقفه الوطنى المعادى للاستعمار ، ومع الاعتراف بفداحة الضربة .. التى وجهت لهذا النظام باقصاء اليسار الناصرى من الحكم .. فان النظام ظل فى مجموعه وطنيا بوثائقه الأساسية ومؤسساته الدستورية والسياسية وسياسته المعلنة .

ثانيا : ان حقيقة العلاقات بين اليسار الناصرى واليسار الماركسى كانت تنطوى على تناقض ومأساة .. ولقد ظلت هذه العلاقات تشوبها روح عدم الثقة المتبادلة حتى اللحظات الأخيرة من يوم ١٣ مايو ١٩٧١ على النحو الذى رويته فى مقالى السابق .

ثالثا : ان القضية المحورية التى كان

ينبغي توجيه كل الجهود نحوها هي القضية الوطنية والنضال ضد الاستعمار وبالتحديد الوصول الى حل للصراع العربي الاسرائيلي .

ومن ثم فان كل القضايا الاخرى تعتبر ثانوية ولا نعالجها الا من زاوية خدمتها للقضية الوطنية .. والنضال ضد الصهيونية والامبريالية .. ولذلك كان ينبغي التاكيد على معاني الوحدة الوطنية والديمقراطية

استنادا الى هذه الحقائق طرحت مخطط الامبريالية لاسقاط النظام الوطني وتصفية ثورة يوليو .

١ ـ ان قوى اليمين في مصر لاتتمتع فقط بمراكز مهمة في الدولة والاقتصاد .. بل تتمتع ايضا بقوة التقاليد التي لم تقاوم وبقوة الذكاء والمكتسب من الخبرة بالحكم .. ولذا فان قوى كثيرة مضادة للثورة تحركت في اعقاب اقدام السادات على اقصاء اليسار الناصري وبادرت الى محاولة ركوب هذه الموجة وتوجيهها بحيث يتحول مركز السادات الى تصفية الثورة بكل مكتسباتها الوطنية والتقدمية .

ولقد ضربت هذه القوى المضادة للثورة على نغمة الوحدة الوطنية .. كما تتسلل الى صفوف الجماهير .. كما حاولت ان تحطم علاقات الصداقة الشريفة بيننا وبين الاتحاد السوفييتي ، والعجيب في هذه القوى انها وهي المعروفة بعدائها لقضية الوحدة العربية قد ارتدت فجاة ثياب الدفاع عن هذه الوحدة .

٢ ـ ان الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة تسعى بكل ماتملك لاسقاط النظام الوطني .. كان ذلك مخططها ايام عبدالناصر ، ومازال المخطط مستمرا في ظل السادات .

وفي سبيل الوصول الى هدفها فان الامبريالية الامريكية تسعى لتهيئة المناخ الملائم للوصول الى ما ترضى اليه .

واخص بالذكر هنا ثلاثة امور :

الاول : استمالة اجزاء مهمة من القوى الوطنية وخاصة من الراسمالية الوطنية .. وتستخدم في مسعاها اسلحة عدة لاغراء هذه القوى واجتذابها قبل شعار الحل السلمي وشعار التنمية والرواج والاستثمارات التي سوف تتدفق على البلاد وافضلية الطريق الراسمالي للتطور وكفاءة المشروع الخاص .

الثاني : شق صفوف القوى الوطنية وبذر الشقاق بين فئاتها وتعميق هوة اى خلاف يطرا بين هذه القوى .

الثالث : ضرب علاقات النظام بالدول الصديقة وفي مقدمتها الاتحاد السوفييتي .

ولاشك ان هذا المخطط يستفيد من اى تناقضات موضوعية داخل البلاد .. كما انه يستغل رغبة بعض القوى الوطنية في تحقيق السلام والتصدى لمهام التنمية والتعمير

وانهيت الحديث بالتاكيد على ان كل محاولات الامبريالية الامريكية ، ومن ورائها قوى الثورة المضادة في الداخل .. انما ترمي الى طمس معالم القضية الوطنية او طرحها الى الوراء وتقديم مشاكل اخرى تحتل المكانة الاولى قبلها .. وان مهمة كل القوى الوطنية هي ان تكون على اكبر قدر من اليقظة لفضح ومقاومة مخططات الأعداء والقوى المضادة .. وان اعز مانملك في هذا الصدد هو التمسك بوحدة القوى الوطنية والحرص على عدم المساس بها او الانزلاق الى صراعات جانبية لايستفيد منها الا العدو .

لقد قيل هذا الكلام في مايو ١٩٧١ واعتقد ان ماحدث في بلادنا بعد ذلك قد اكد هذه المخاوف والتوقعات الى حد رهيب .

سوانح وبوارج

شكل الشعر وضمير الشاعر

بقلم: كمال النجمي

● لا يخفى علينا ما يحمله بعض الناس في عصرنا من ضغينة على الأدب العربي القديم شعرا ونثرا ، وما استتبعه شعره ونثره من "النقد القديم" وقد رأينا هؤلاء الناس بين الخمسينات والستينات يحاولون تهديم الأدب العربي كله ، وبخاصة الشعر ، لأنهم توهموا أن الشعر العربي الموزون المقفى ، يتعلق باتجاه سياسي واجتماعي وديني يعادي التقدم ويعضد التخلف ، ثم توهموا أن التفعيلات تفتح الباب لتحرير الشعر العربي ، ومن ثم تحرير الإنسان العربي ..

كان ذلك خطأ فكريا لا مثيل له في عالم الاخطاء الفكرية المعاصرة ، وقد أوشك هذا الخطأ الفادح أن يئد الطريقة العربية الفذة في نظم الشعر ، تلك الطريقة القومية الخاصة بالشعر العربي المستمدة من البناء الخاص للغة العربية ، رمزاً لعبقرية هذه اللغة وتفردها بين جميع اللغات .



صلاح عبدالصبور

إن الطريقة العربية في الشعر تستطيع أن تخدم في عصرنا فنون الشعر الجديدة كما خدمت فنونه القديمة ، وليس بمنصف من يزعم انها استنفدت اغراضها ، ولا من ينكر عبقريتها الخاصة بعبقرية الأمة التى صنعتها ..

يطرحون أحيانا هذا السؤال : ماذا بقى من النقد الأدبى العربى القديم ؟! ..
والسؤال الجديد بالطرح هو : ماذا يبقى غدا من النقد الذى نطالعه اليوم ؟! ..
إن النقد القديم متعلق بأدبه القديم ، وأهله القدماء ، وقد ذهبوا وخلت منهم الدنيا ، ثم عمرت بمن نراهم الآن من المشتغلين بالأدب ، فهل يبقى الأدب الحديث إلا ريثما يكتبه كاتبه ، ويقرؤه قارئه ، وينقده ناقده ؟!..



نازك الملائكة

وقد كان لنقاد الخمسينات والستينات سيطرة ديكتاتورية على الأدب والشعر ، فرسموا للشعراء الجدد ـ شعراء التفعيلة ـ خطوطا لا يتعدونها ، فإن تعداها احدهم ـ تمرداً او جهلاً بالتعليمات ـ حرموه من بركتهم ، واختلقوا له عيوبا ليست فيه ، واتخذوه طعنا .. حتى هابهم الشعراء والأدباء وصاروا ذيولا لهم ، وتحول الانتاج الأدبى والشعرى إلى ذيل للحركة النقدية !..

وعفا الله عما سلف من أخطاء هؤلاء النقاد فى عقدى الخمسين والستين من هذا القرن ، فقد خاطبناهم حينذاك فى هذه الأخطاء فلم يلتفتوا لخطابنا ، اعتزازا او اغترارا بما فى أيديهم من كلمات عن الشعر والأدب !..

ونقول اليوم لهم صادقين .. أعزز علينا بأن نرى نظريات الشعر والأدب والفن قد أصابها التفنيد !.. ولكن لابد مما ليس منه بد ، ولا مفر من الخضوع لحكم الزمن ، ولا مناص من معاودة النظر فى تلك القضايا التى كانت من المسلمات ..

● النقد القديم

إن نقاد الشعر والأدب يمكنهم الآن الاستفادة من النقد العربى القديم ، بأن يستوعبوا طرائقه ، ويتأملوا نظرياته

وجمالياته ، ويقلدوا إخلاص أهله ومثابرتهم وصبرهم ونزاهتهم ، ويقفوا بتواضع وود حيال ما تركه القدماء لنا من شعر ونثر وفن وفكر ينبض بالذكاء ، عسى - إن فعلوا ذلك - أن ينهض النقد وينهض معه الشعر والأدب على دعائم جديدة ضاربة بجذورها فى الأرض العربية العريقة ..

فى الخمسينات والستينات قام فى مصر وبعض البلاد العربية مذهب "الواقعية الاشتراكية" فى الأدب ، واجتذب أصحاب هذا المذهب بعض الأدباء والشعراء ، وكان هدفهم طيبا حقا ، فقد كانوا دعاة للعدالة الاجتماعية والتحرر من الاستعمار والتخلف ، وكانت غاية مذهبهم فى الأدب الانتقال من المضمون القديم إلى مضمونهم الجديد الذى يقدم العدالة والتحرر والتقدم ..

ونظروا فوجدوا أن ما يسمى بالمضمون القديم فى الشعر العربى ، مصوغ كله فى شكله الموزون المقفى الذى أعطته الدهور طابع القدم .. فليتحطم هذا الشكل إذن ، وليأت شكل جديد ، لأن المضمون الجديد لا يصاغ فى شكل قديم !..

كان ذلك فى الحقيقة حلا حسابيا لمسألة الشعر العربى المعاصر ، بل كان حلا ميكانيكيا استسهله النقاد والشعراء الجدد ، فنظموا شعر "الواقعية الاشتراكية" مثل : "وشربت شايا فى الطريق .. ورتقت نعلى" .. وكان هذا الشعر الواقعى يفتقر - قبل كل شىء - إلى أن يكون واقعيا ، كما يفتقر إلى أن يكون شعرا من أى مذهب فى أية لغة !.

وتحول الشعر سريعا إلى تلال من التفعيلات الميتة ، وأرغم النقاد الواقعيون تلاميذهم الشعراء الجدد على "تطوير" شعرهم تطويرا شكليا مفتعلا يكشف افتقار انتاجهم الشعرى إلى الصدق أولا وأخيرا .. دعك من المقومات الأساسية الأخرى للشعر الجديد بأن يسمى شعرا ..

وتفاقمت فى هذا الشعر الجديد لغة "الكليشيهات" وأصابته أمراض الصياغة التقريرية التى كان النقاد "الواقعيون" يعتبرونها من أمراض الشعر الموزون المقفى خاصة ..

وكان النقاد الواقعيون يقولون إن شعراء الأوزان والقوافى إنما ينظمون تقليدا لشعراء العربية الأقدمين ، فإذا بتلاميذ النقاد الواقعيين ينظمون التفاعيل تقليدا لاثنين أو ثلاثة من رواد الشعر التفعيلى فى مصر والعراق .. وسرعان

بدر شاكر السياب



ماصار جميع شعارير التفعيلة يكتبون بلغة واحدة ويرددون تعبيرات لا تختلف من شعرور إلى شعرور ..

● الخطأ الأساسي

● ماهو الخطأ الأساسي لأولئك النقاد الواقعيين الذين قادوا موجة "التفعيلة" فى الخمسينات والستينات ؟!..

ملخص الاجابة عن هذا السؤال انه قد غاب عنهم أن أوزان الشعر العربى ليست ميراث طبقة عربية واحدة ، بل هى ميراث الأمة العربية كلها .. فعلى امتداد الفى سنة تقريبا خدمت هذه الأوزان كل من نظم الشعر العربى ، من شحاذى بغداد القدماء ، إلى خلفائها الأقوياء والضعفاء !.. وقبلهم خدمت الأوزان بنى أمية كما خدمت بنى هاشم ، وخدمت فى صدر الإسلام كما خدمت فى الجاهلية الأولى ، وشهدت قدماء الأعراب وهم يجمعون الغذاء جمعا ، كالإنسان الاول فى الغابة ، كما شهدت العرب وقد اترفوا ولبسوا الحرير والذهب فى الشام والأندلس وضفاف النيل ..

وهكذا من عصر جامعى الغذاء إلى عصر العبودية فالجاهلية فالإسلام فالخلافة فى دمشق وبغداد وقرطبة والقاهرة ، لم تستطع طبقة بعينها أن تجعل من الأوزان سلاحا فى يدها ضد الطبقات الأخرى ، بل لقد صارت الأوزان سلاحا حتى فى أيدى الشعراء الشعبيين الذين نظموا فيما بعد باللهجات العامية ، وآخرهم بيرم التونسى وفؤاد حداد ثم صلاح جاهين فى رباعياته ..

وتلك ميزة عظمى للشعر العربى ، انفرد بها من دون اشعار الأمم كلها .. فليت شعرى كيف تكون ميزته العظمى مطعنا فيه ؟!.. وكيف صح فى أذهان الواقعيين أن الرجعية العربية كامنة منذ القدم فى أوزان الشعر العربى ؟!..

لقد طرحنا عليهم هذا السؤال فى حينه ، ولم نتلق منهم جوابا ، ولكن الجواب الصحيح عنه اصبح الآن واضحا تمام الوضوح ، فقد أشرقت الشمس ، وبرح الخفاء ، وتغيرت نظرات النقاد .. وظالم لنفسه من يتصور نفسه ناقداً لجميع العصور !..

صلاح جاهين



وإنى لأتذكر الشاعر التفعيلي المشهور صلاح عبد الصبور - رحمه الله - فإن هذا الشاعر الذى امتاز بثقافة واسعة وفكر حر ، كان أحد الشعراء الجدد الذين أدركوا خطأ التوجيهات النظرية التى أساءت إلى الشعر العربى فى الخمسينات والستينات ..

وقد كتبت عند وفاته منذ سنوات كلمة بينت فيها أنه أوشك أن يتحول إلى طليعة تيار مستقل من الشعراء الجدد ، ووضحت معالم استقلاله ، وساعده على ذلك أن

وجدانه كان يمور منذ بداية أمره بشعور جياش لا يمكن احتباسه بين ضفتي الوعي النظرى الحديدى المباشر الذى أمعن أولئك النقاد فى التبشير به ومحاولة فرضه بالهجوم الفكرى المستميت ..

● الشعر والأفكار الاجتماعية

كان عبد الصبور يدرك فى أخريات حياته - رحمه الله - أن شكل الشعر - عموديا كان أو تفعيليا - لا يمكن أن يرتبط فى عصرنا بالأفكار الاجتماعية أو السياسية ارتباطا مباشرا لافكاك منه .. ومن سخرية الأقدار أن بعض شعراء التفعيلة - وهم تلاميذ النقاد الواقعيين - قد صاروا من أبرز دعاة التخلف الاجتماعي والسياسي والفكرى ، وحسبك منهم ذلك الشعرور الذى يسمى نفسه أدونيس ، وآخرون على شاكلته فى جميع البلاد العربية .. ترتفع صيحاتهم التفعيلية بالأفكار والنظريات والدعوات الوجودية والشعوبية والطائفية والعنصرية ، ولا يجتمع أكثرهم إلا على ضغن يملأ أفئدتهم للأمة العربية وأدبها وشعرها ونثرها ، وكل ما يتعلق بها فى الماضى والحاضر والمستقبل !..

فليس شكل الشعر هو الشعر نفسه ، ولا هو وجدان الشاعر ولا ضميره ، ولا اتجاه الشاعر ولا تفكيره ، وقد برهنت الحياة نفسها على صحة هذا الرأى !

● قضية لا تنتهى

● ما العمل إذن ؟!..

لا عمل فى دنيا الشعر الآن ، إلا ما يشبه العمل فى دنيا الناس الواسعة ، من المشرق إلى المغرب .. فلا مناص من التعايش بين أشكال الشعر العربى : القصيدة ، والتفعيلة ، والنثر الشعرى .. أو القصيدة النثرية كما يسمونها ..

ولا يعنى التعايش فى هذا المجال تصالحا فنيا أبديا ، ولا خلطا للأفكار والتوجهات ، مع أن التصالح والخلط هما الآن من سمات الدنيا التى اختلطت وتصالحت فيها الألوان والأشكال !..

ونظن أنه برغم بقايا دعوة النقاد الواقعيين المتشبثين بذكريات جدانوف وسوسلوف وأمثالهما ، قد تم التعايش فعلا بين أشكال الشعر العربى الذى نطالعه فى هذه الأيام .. وكان هذا التعايش من المحرمات فى الماضى ، وكان الذى يدعو إليه محسوبا فى المغضوب عليهم ، والضالين !..

ومع ذلك لم تنته القضية ، ولا تنتهى .. فثمة مراحل تاريخية قادمة سوف يجد خلالها الشعراء حلولا مناسبة لمسائل الشكل والمضمون ، فى سلسلة طويلة من التطورات لا نعرف نحن الآن عنها شيئا لأنها من عمل الأجيال القادمة التى لا يمكن أن يتحكم فيها نقاد زماننا لحسن الحظ !..

وأختم مقالاتى الأربع فى الأوزان والتفعيلة بتحية أزجيها إلى جميع شعراء الأوزان والتفعيلات من امرىء القيس إلى شوقى إلى بدر شاكر السياب .. وإلى جميع الشاعرات ، من الخنساء إلى فدوى طوقان ونازك الملائكة .. ولا أحصى أسماء الشعراء والشاعرات !..



العودة إلى شاطئ الذكريات

شعر: سالم حقي

هلْ بنا صوب شاطىء الذكريات
يارفيق الشباب .. والأمل النضْر
هل بنا صوبه .. لعلّ بقايا
تملأ النفس نشوة وربيعا
او عذارى الشباب مازلن يخطرن
ساحرات مازلن لم تاخذ
سافرات .. يُلقين فى البحر بضًا
فإذا المارد المزمجر .. غنّى
هل بنا يارفيق .. علّ دنيا
فنعيش الذى مضى وتولىّ
ويجيش الشباب فينا جديدا
إيهِ ياشاطىء الحبيب .. مضى العمر
ذكريات الشباب والحب والشعر
أتُراها .. تُشيمُ فيك صبانا
وتُرى .. تذكر الفتى شاعر الأمس
من تغنّى .. بحورك السابحات
جاءك اليوم فى خريف الليالى
يُزجِعُ الأمس !! ياله من غرير !
دعه .. فى غيه النبيل ! قريرا
لم يزل شاعرا يعيش على الوهم
وترفق .. ياشاطىء الذكريات

حيث كان الهوى وأُنس الحياة
وأحلى الأنغام والأغنيات
من لحون لربما تزل هائمات !!
فى خريف جهم الرؤى والسمات
كما كنَّ فى الزمان المُواتى !
الأيام شيئا من ساحر القسمات !!
لوَحة أنامل الجمرات
فى إسار الكواعب السابحات !
من خُمياه .. يوقظ النبضات
من زمان عذب الرحيق فُرات
اخضرَ الغصن .. عاطر النسمات !
فجئنا نلوذ بالذكريات
وفيض الرغب والامنيات
ام ترانا نؤوب بالحسرات ؟!
غرير الأشواق والصبوات ؟
والعذارى الأبكار .. فى الأمسيات ؟
ناصع الشيب .. واهن الخطوات !
رغم كر الأيام والسنوات !!
لا تبعثرْ أحلامه الرائعات
وفوق النهى .. وملء الحياة !!
لاتكنْ مثل سائر الكائنات !

الجريمة فى

بقلم : عبد المنعم الجداوى

"الليل .. الرحم" لمحمد روميش . مجموعة لوحات انتزعها من قلب الريف الذى لا اشك انه عاش فيه . وامتزج مع احداثه . ونفذت وقائعه الى اعماقه . وامتلأت بها عروقه بدلا من الدماء .. فراح يرسمها كما هى . تنبض حرارة ، وتتحرك حية كسمكة عفية . اخرجها من الماء لتوها .. لكن عيبها القاتل . هو ان كل لحظة تمضى عليها تميتها ، ولا تحييها ، واذا ماتت ، وهى لابد ميتة . فسوف تفسد .

ذلك لأن "محمد روميش" اخذ السمكة من نهرها كما هى دون معالجة .. ولو انه عالجها معالجة سليمة ! لظلت طازجة ، حية تتحرك الى ابد الابدين .. نقلها كأنه جاء بمرآة كبيرة ، ووضعها امام قريته فانعكست عليها .. بكل ما فيها حتى رائحة روث البهائم ، وروعة الحليب المنبثق من ضروع البقر ، وخفقات قلوب الفلاحات ، وشبقهن ، والممارسات الحلال والحرام لكل اللذات . هنا أو هناك .. والمرآة لا تكفى . ولا تبقى الصورة فيها ولا تعيش . إلا بمقدار النظرة اليها .. وهذا هو الفرق بين المنظر الطبيعى الذى تسجله الكاميرا ، والذى ترسمه ريشة فنان . يضفى من روحه ما يظل ينفخ الروح فى المنظر الى أن تبلى اللوحة .. والاديب (روميش) فنان انفعل بالقرية ، وهى قرية معينة . وجدت فى منطقة معينة .. هى كالمناطق التى كانت تهيمن عليها الوسية ، والتفاتيش فى زمن معين لا اعتقد أنه سوف يتكرر ، وهو صاحب فضل فى ذلك لا ينكر .. لكن الذى كنا نأمله . لكى تكون مهمته كاملة النجاح ، والعمل الفنى متكاملا .. لا يصدع إعجابك به كلمة . لو أن الكاتب فعل كذا وكذا .. كنا نأمل ان تكون اللوحات كلها بالريشة ، وليس بالكاميرا .. حتى يضمن لها البقاء ، وتصل الى وجدان القراء . لا لكى تغادره بعد القراءة . بل لتستقر فيه ، وذلك لا يكون الا باضفاء فن الكلمة الدقيقة الامينة على هذه اللوحات التى برع فى تصويرها .. لكن بالكاميرا فقط !

وحتى نكون صادقين معه ، ومع القراء .. فإننى استأذنهم ، واستأذنه فى

« الليـــل .. الرحـــم »

- الجرائم عند روميش صامتة لا تنطق ولا تستغل ..
- الاغتصاب الجريمة الأزلية بين الأغنياء والفقراء ..
- رجل الليل الصعيدى لماذا هرب ليلة زواجه ..؟



نقل بعض السطور من اللوحة التى حملت المجموعة اسمها ، وهو يفتتحها بمشهد رجل عجوز يحرث الأرض بمحراث تجره بقرتان فيقول :

على الكتف اليمنى تستقر قلقة فرقلة تلسع ـ عند اللزوم ـ الجلد الأسود الفطيس ، وهنا يبذل العجوز مجهودا منتبها ؛ ليحفظ توازن العمق والاستقامة للمحراث ، وليشرخ ظهر الحيوان بالسوط ، وقبل أن يفلت منه واحد من خيوط العملية ، يرتفع صوته مخاطبا واحدة من البقرتين يميزها بشدة ويودة من أذنها .

ـ .. إرجعى ..

وترجع البقرة بعد أن تنفض رأسها نفضتين : علهما تململ أو مشروع تمرد مضى عليه ستة الاف سنة ولم يتحقق ـ على أنهما النفضتين ـ لا تخلوان من عتاب دينى صامت مستسلم قدرى حزين .

وهو هنا يرمز ، ويغمز ، ويلمز ، ولكن بشكل يذهب بنبل القصد الذى يهدف اليه ..

وهذا الرجل صاحب المحراث يدعى (عم الوعيدى) ، وهو يحاول مع ابنه

الجريمة فى "الليل .. الرحم"

(عبد الشاطر) ان يجور على ساحل (ابو دراع) من رجال الليل سابقا .. لكنه آثر السلامة فى أخريات حياته ، وابن (عم الوهيدى) الثانى (فتح الله) وهو بطل اللوحة لا يروقه ذلك من أبيه ، ولا من أخيه ، ويقبل (ابو دراع) ، والمحراث بدأ يعمل فى جزء غير قليل من ارضه .. ويصبح من يدعى (حامد) وهو يعمل مع (الوهيدى) ينبهه :

– حوش ياعم عبده !

قبل أن يصل أبو دراع الى (عم الوهيدى) كان سوط القرقلة قد لف حول رقبته ، وقبل ان يقذف السيد ابو دراع السكينة الطويلة ام حدين ، والتى يربطها دائما على اللحم لصق فخذه ، كان (عبد الشاطر) قد احاطه بذراعيه من الخلف . كانت فاس قد هوت على رأسه ، وانبثقت نافورة رفيعة دم أحمر . التفت عيون (فتح الله) و"حامد" مذهولين كل يسأل الآخر مرتعبا . فك (عبد الشاطر) ذراعيه . سقط السيد ابو دراع . ابن الليل التائب .

أجال (أبو دراع) فيمن حوله من الرجال عينين مغبشتين . رآهم . لا بسبب انعكاسهم على إنسانى عينيه ، علها صورة قديمة تخيلها ، وانبعثت من داخل مخه كما انبعثت على طرف لسانه أو من مراكز النطق من مخه جملة أعدها قبلا :

– معلهش .. جزاة اللى يعيش نعجة بين الديابة ..

هل مات (أبو دراع) ..؟ ذلك ما لا يدركه القارىء .. الا ان (فتح الله) يلتقى برجال الليل ، ولا تعرف اذا كانوا يترحمون عليه أم ماذا ..؟ و(فتح الله) يتخفى عند الخفير الحكومى (السنجاوى) ويعشق ابنته هانم .. ويصر على ان يتزوج بها . لكن خالته التى حلت مكان أمه تنهاه عن ذلك ، وتقول له ان (السنجاوى) ليس خفيرا للعمدة ، وإنما هو قواد له .. يسحب له النساء ، ولكن (فتح الله) يقع فى حيرة ، وبين الحين والحين يتذكر انه قتل (أبو دراع) أو لم يقتله . من الصعب ان يدرك هو أو ندرك معه ماذا يريد (روميش) ، وفى النهاية يطبق الطاعون أو الكوليرا على القرية ، وتموت (هانم) بين يديه ، ويدفنها فى المقابر التى ضمت قبلها اخاه (عبد الشاطر) ، ورجال ، ونساء القرية .. ثم ينضم (فتح الله) الى رجال الليل .. وتنتهى لوحة "الليل .. الرحم" .. تلك اللوحة التى سجل فيها كل حركة وسكنة فى القرية .. حتى خروج النسوة ليلا لقضاء حاجاتهن على الفلول خارج القرية ، وبشكل منفر .. ولو أنه أغفل الكثير ما خسر الا قليلا ، ولكسب الكثير ..!

وهو حينما وضع الجريمة التى ذهب ضحيتها رجل ليل سابق .. كان فى وسعه ان يكتب الكثير ، وأن يعكس دوامات اخبار هذه الجريمة فى مجتمع القرية . لكنه لم يفعل ، وتركها عامدا متعمدا ، وقد كانت بين يديه خامة طيبة . لو استغلها بشكل جيد . لأمتع القارىء بجولة فى عقول ، وقلوب الآخرين .. الا أنه كان تركيزه فى كل لوحاته على الجريمة المقترنة بالفضيحة .. جريمة الغنى الذى يفترس الفقيرات ، ولا تكاد تخلو لوحة من لوحاته من العمدة أو ابن العمدة الذى

يفتك بفقيرة جميلة تعمل فى الخدمة .. وهو فى لوحة "الليل .. الرحم" يجعل "رشاد" ابن العمدة يفترس (هانم) ابنة "السنجاوى" الخفير الذى كاد (فتح الله) أن يتزوجها ، وتقوم بالضبط ، واعلان الفضيحة زوجة العمدة ، وهى تظن ان الفاعل هو زوجها لا ابنها .. ورغم هذه الفضيحة المدوية فى القرية الصغيرة ، فإن (فتح الله) يذهب الى (هانم) وهى مريضة ، ويقوم بخدمتها ، ويغير لها ملابسها ، وتموت على صدره .. ولا اعتقد ، ولا اظن أن (روميش) يعتقد ان ذلك من أخلاق القرية . الا اذا كانت قرية سحقت الى الحد الذى فقد فيه أفرادها التمييز بين العار والشرف .. ومع ذلك تظل فى (فتح الله) بقية من حمية ينضم بها الى رجال الليل !

وفى اللوحة التى اسمها (كل شىء حقيقة) يسخر عشرات السطور فى تصوير (نجية) ، وهى تقوم بحلب الجاموسة ، وكيف ان عملية الحلب ، واحتضان الوعاء بين فخذيها ، وحشره فى صدرها أهاج شبقها الى الرجل ، وهى التى اختفى زوجها منذ سنوات ، وترك لها ابنة منه .. ويدفعها ذلك الشبق المتوهج الى ان تنادى (حسان) الصعيدى الهارب من أعماق الصعيد على إثر جريمة ارتكبها .. بعضهم يقول إنه قتل أمه لانها تزوجت بعد موت والده ، وبعضهم يقول إنه قتل زوجته لانها كانت تخونه .. وتطلب منه ان يمسك لها رأس الجاموسة ، ويمسك لها الصعيدى الفحل راس الجاموسة ، ولكن يقف الأمر بهما عند هذا الحد . يقول فى هذا المشهد : "استجاب (حسان) لطلب (نجية) - امسك برأس الجاموسة البلجة حتى تنتهى (نجية) من حلبها .. الاشمئناط المرتسم على وجهه .. كان مناسبة لان تسأله عن عدد الذين قتلهم فى الصعيد .. (حسان) فوضها ان تختار العدد الذى يروقها .. فهو لا يفرق بين أن تقتل مرة واحدة ، وأن تقتل الف مرة .. (حسان) الواقف امام رأس الجاموسة .. على حدقتى عينيه ضوء اللمبة العافورى الباهت الذى يشغل وسط الزريبة .. اركان الزريبة الثمانية مطموسة تحت ظلام لا يصله الضوء .. ظلال البهائم تقع مختلطة على أجسامها .. الصبى مازال يربط البهائم . اعواد قش فى أعشاش العصافير تتدلى من سقف الزريبة .. انفه يلتقط الروائح الفواحة يحاول أن يميز بين كل رائحة على حدة .. صوت شخب اللبن فى الطاجن تتعوده اذناه .. همهمت (نجية) وهى مصرة على أن تعرف العدد الحقيقى لقتلاه .."

وبعد ذلك لا شىء .. يهرب (روميش) مع (نجية) يغوص فى الذى تتخيله من ماضى (حسان) مع رجال الليل ، والبندقية على كتفه ، وبعد صفحات تتفق وإياه على الزواج ولكن المأذون يحتج بانها لا تحمل ورقة طلاق من (صالح) المختفى ولا شهادة وفاته ، وبعد ان تستعد هى وهو للزواج يؤجلانه الى الليلة القادمة .. فيذهبان إلى مأذون قرية أخرى ، ويعقد لهما العقد ، وتعود هى ، وهو ، وصديقه (لطفى) مغنى القرية ، وبعد ان يعودا بها الى المنزل ، وتكحل عينيها ، وتدعك خديها بالتفتة الحمراء .. يذهب هو ليستعد عند (لطفى) بكراسى المعسل ، والحشيش ، وقمحة الأفيون .. هكذا كتب (روميش) .. ويغادر بيت

الجريمة فى "الليل .. الرحمَ"

(لطفى) آخر الليل .. لكن لا ليذهب الى زوجته نجية التى تنتظره .. ولكن لكى يهرب من القرية تحت جنح الظلام ، وتنتهى اللوحة .. وعلامة تعجب كبيرة .. تمسك بتلابيب القارىء ..! فهل كان (حسان) عنينا خشى ان تكشف (نجية) ضعفه فآثر الهرب .. ولكن كيف يعرف القارىء .. هل يضرب الرمل ..؟ أم يقرأ الفنجال ..؟

وتجىء اللوحة الأخيرة التى يسميها (طرح المجد) ، وفيها يصور بدقة شديدة الشيخ (توفيق لطيف) ، وهو حفيد الأباطرة الذين يحكمون القرية بعد ان قضت عليهم الثورة ، ويصف السرايا الخربة ، التى اصبحت مأوى للبوم ، والغربان ، والحشرات ، واختار هو منها قاعة لتكون (عش الزوجية) مع (جاموسة) من بنات الفلاحين الذين كانوا لا يستطيعون النظر الى وجوه أسيادهم ، وهو يعمل مقيم شعائر لمسجد القرية . حتى يجد لقمة العيش ، ولكنه دائم الحنين الى جده الأكبر . لاسيما بعد واقعة يصفها (روميش) فى عدة صفحات . وقعت بينه وبين زوجته الجاموسة اذ "قالت له بزفرة : استرم . الأيام ـ تقصد الليالى ـ كثيرة الآتية"
أزعجته ان تشفق عليه ، وتشمت فيه ، وهزه أن يعجز ، وحملها مسئولية عجزه . لانها كالجاموسة لا تعرف كيف تستدعى رجولته .. وحاول ثم فشل .. فحاول فاقصته عنها ، وجن جنونه ، وصمم على أن يحرق القرية كلها .. ويتصور أنه نجح فى ذلك ، لكنه يقف يناجى جده الأكبر فى صفحات كاملة .. يشكو اليه من الفلاحين البهائم الذين هزموه ، وقضوا على رجولته .

وهذه الجاموسة تدعى (نظيرة) ، ولعل قصة الفشل الرجولى الذى أصاب زوجها قد وصلت إلى مسمع أهل القرية .. مما شجع الجميع على مغازلتها ، وتنتهى أخيرا الى (شحاتة) مقاول الأنفار الذى تحاول أن تقترض منه ثمن كيلة ذرة .. وحينما يعطيها القرض .. "يمد يده ، نظيرة تستعد لنزال بدنى لا تخشاه ، انتهت لحظة الأزل الربيعية ، اللحظة التى أحست فيها (نظيرة) بعزلتها مع (شحاتة) .."

و(توفيق) شخصية لا تليق بالقرى .. اعتقد ان (روميش) اخترعها لكى يشفى غليله من أبناء المفتشين ، والنظار ، وأصحاب الشفالك الذين عذبوا أهله فى القرية ، واذا كانت الثورة قد جردتهم من املاكهم فهو يريد ايضا ان يجردهم من رجولتهم .. جزاء وفاقا على عربدتهم الجنسية مع الفلاحات ، وهؤلاء الأثرياء فى الماضى لم يكن فيهم ، ولا فى أحفادهم من يميل الى الدين .. ولهذا من الصعب جدا ان يحترف حفيدهم الصلاة بالناس . حتى لو كان فى قرية .. ويبقى على (روميش) بعد ذلك ان يستغنى تماما عن الإغراق فى العامية فهى ليست الدليل على الواقعية كما يتخيل البعض .. لاسيما وهو قادر فى براعة جيدة على استعمال الفصحى باقتدار كما جاء فى مناجاة (توفيق) لجده الأكبر ..

لغويات

● يستعمل بعض الأدباء كلمة «الممرور» بمعنى الرجل الذى يشعر بالمرارة والحقد ، كأنما صار فمه مرا مريضا .. وهذا عكس المعنى الصحيح ، فإن الممرور هو الرجل ذو المرة ـ بكسر الميم وفتح الراء وشدها ـ وهى القوة وشدة العقل .. والرجل المرير هو ذو المرة ، اى ذو القوة ، وقد يوصف بانه ممرور إذا هاجت مرته ، اى قوته ، كأنما استطار غضبا ، ولهذا يصفون المجنون بانه «ممرور» .. ولايصح أن يقال مثلا : هذا دواء طعمه مرير ، وإنما يقال : طعمه مر ـ بضم الميم ـ لأن المرير هو الشديد القوى ، ومن هنا قول أبى الطيب المتنبى :

سهرتُ بُعَدَ رحيلى وَحْشة لكمُ

ثم استمرَّ مريرى وارعوى الوسَن

● «استصلاح» الأراضى الصحراوية القاحلة ، عمل شاق جدا ، أما «استفساد» الأراضى الخصبة المزروعة وبناء العمارات فوقها ، فعمل هين لين .. والاستفساد فى اللغة عكس الاستصلاح ، كقول بعض أصحاب الخليل بن أحمد : استفساد الصديق أهون من استصلاح العدو ! ..

● كلمة «طظ» التى يقولها الناس على سبيل التهكم أو الاستخفاف ، منسوبة إلى كلمة فى اللغة التركية معناها «الملح» أو مايشبهه .. أما الأصل العربى لكلمة «طظ» فهو «طنز» ـ بفتح الطاء وسكون النون ـ والطنز هو التهكم والاستهزاء .

● كان تاجر «الروبابيكا» يسمى عند العرب « السَّقَطِيّ » ، لأنه يشترى ويبيع «سقط المتاع» وهو المتاع القديم القليل الثمن ، وبين الفقهاء والأدباء القدماء من يحملون لقب «السقطى» لأنهم كانوا ـ أو كان اباؤهم ـ من تجار «السقط» .. أى الروبابيكا ، كما يقال الآن ! ..

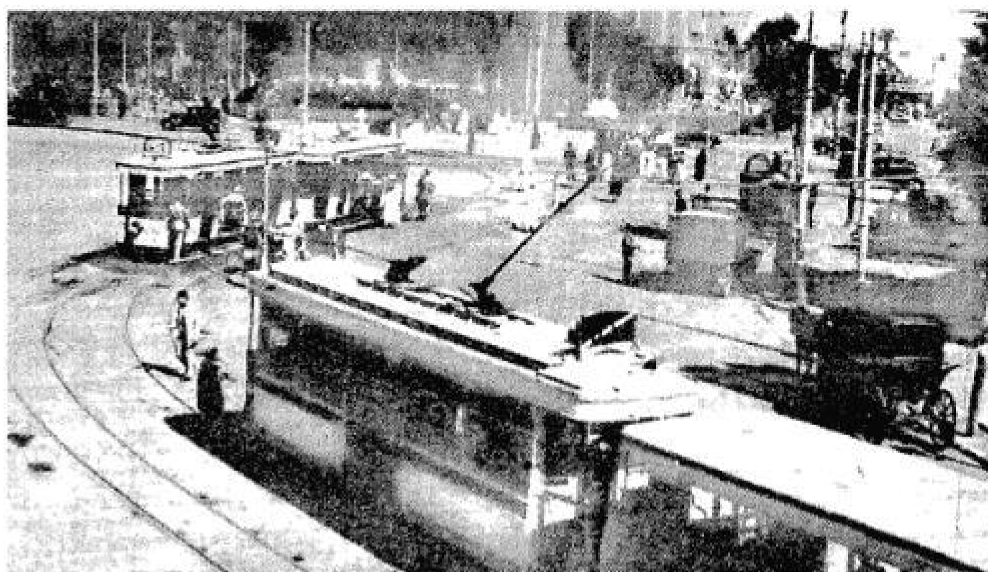
● السماء المدججة ، هى السماء المتغيمة المحجوبة بالغيوم الكثيفة .. ومن هنا قيل : رجل مدجج بالسلاح ، كأنما اختفى وراء سلاحه الكثيف ، اختفاء السماء وراء الغيوم !



مصر في رواية إنجليزية

بقلم: د. أمين العيوطي

تتميز الرواية الانجليزية الحديثة بانها خرجت عن نطاق الحياة الانجليزية فاكتسبت بهذا صبغة عالمية ، بدلا من الطابع المحلي الذي غلب عليها حتى مطلع هذا القرن . ولعل هذا يرجع الى عدة اسباب ، من بينها ان عالمنا الراهن عالم متشابك لاتستطيع الجماعات أن تعيش فيه منعزلة ، وهو عالم يفرض نفسه بتياراته السياسية والعقائدية المختلفة على ادراكنا وهناك ايضا التيارات الانسانية الفكرية مثل "الحركة الانسانية المتحررة" التي تعمق الاحساس بالبشر كبشر بغض النظر عن أجناسهم وديانانتهم ومذاهبهم السياسية . ثم هناك النزعة الجمالية بين كتاب عصرنا هذا . التي تحاول أن تنقل الى القارىء اللون المحلي لاقطار العالم المختلفة .



هكذا كانت القاهرة اثناء احداث رواية "أود الا اموت"

وليس معنى هذا أن هذه نزعة جديدة فى الأدب ، فأدب الرحلات زاخر بمثل هذه المادة ، لكنها دخلت الى مجال الفن والابداع فى الرواية فى العصر الحديث ، ففى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كانت الرواية الانجليزية تنحصر فى محاولة استكشاف الذات وتعرض المشكلات السياسية والاجتماعية والفكرية السائدة آنذاك ، أما فى القرن العشرين فقد راحت تتخذ لنفسها خلفية أوسع فى محاولة لاستكشاف الآخرين .

ورواية "المنفى الأخير" لجيمس أولدريدج التى صدرت عن دار هاميش هاميلتون للنشر فى ١٩٦١ ليست الوحيدة فى هذا المضمار التى تتخذ من مصر منظرا لأحداثها . ولا هى الأولى التى تعالج فكرة وتتخذ من مصر مسرحا لأحداثها . فلقد سبق أولدريدج الى هذا كثيرون أمثال نيوبى وانرايت وداريل وروبرت ليدل وديزموند ستيوارت . كما أن أولدريدج قد كتب هذه الرواية كمتتالية لروايته التى تسبقها وهى "أود الا يموت" .

وتدور أحداث رواية "أود الا يموت" أثناء الحرب العالمية الثانية فى الصحراء الغربية . فى هذه الرواية يصور الكاتب أثر الحرب على نفسيات بعض الافراد ، وتنتهى الرواية بأن يعصى بطلها "سكوت" أمرا بمهاجمة

مصر

فى روايــة انجليزيــة

طرف من جيش رومل بفرقة صغيرة ليحول الانظار عن الهدف من الهجوم الرئيسى على جانب آخر من الجيش الألمانى . واذ يرى سكوت فى هذا عدم انسانية لاتبرر مقتل رجاله الذى يعلم أنه أمر محتم ، فإنه يرفض تنفيذ الأمر ، فيحاكم عسكريا وتثبت ادانته ، ويعيش بعد هذا معذب الضمير ، بالرغم من اقتناعه بأن ما فعله هو الصواب ، ويوصد هذا فى وجهه أبواب العمل فى الشركات الانجليزية والأمريكية ، فيجد ملاذه الأخير فى مصر حيث يعمل بمسح الصحراء الشرقية ورسم خرائط لها ، ويعيش معظم حياته فى الصحراء ، منفيا نفيا إختياريا ، بعيدا عن الناس والجرائد التى طاردته حتى جعلت من مجرد تفكيره فى العودة الى بلاده أمرا مستحيلا .

وتواصل رواية "المنفى الأخير" قصة سكوت . لكن الكاتب يحدد لنفسه فى هذه الرواية هدفا أوسع بكثير من مجرد مصير فرد أو أفراد فهو هنا مهتم بتصوير مصير شعب بأسره ، شعب يريد أن يحتل مكانه تحت الشمس . فالقصة كما يقول أولدريدج : "قصة شعب على وشك أن يتمخض عن حادثة معينة" .

لكن الرواية أكثر من مجرد عرض تاريخى للفترة ما بين ١٩٥٢ ـ ١٩٥٦ فى حياة مصر . هذه مجرد الخلفية التاريخية التى تجرى عليها الأحداث . فليس هذا هو المستوى الوحيد الذى يدرك عليه الكاتب مغزى روايته ويبنى عليه أحداثها . فالواقع أن ما يضفى العمق على الاتساع فى هذه الرواية هو ادراك الكاتب الانسانى العميق لمشكلة اخلاقية هى مشكلة الخطأ والصواب ففى بساطة وواقعية يتميز بها أسلوب أولدريدج ، ولكن فى قوة ، يطرح هذه المشكلة فى كلماته : "أكتشف ، ان أستطعت ، ما الذى يجعل الرجال مذنبين أو أبرياء ؟ وفى رأى من هم هذا وذاك ؟ ومن كان الملوم ؟ ولماذا كان كذلك ؟ "

وهكذا يرتفع أولدريدج على مجرد سرد تاريخى ، أو متخيل ، للأحداث . فهو يجمع فى نفسه كل الصفات التى يمكن أن تجعل من الكاتب مؤرخا : عدم التحيز ، والانفصال عن المادة التاريخية ، التصوير الصادق للحياة المصرية على اختلاف مستوياتها . لكنه بالاضافة الى هذا يطبق الفكر على المادة التاريخية الاجتماعية لكى يصل منها الى الحقائق التى ترتبط بالمشكلة الاخلاقية التى أشرنا اليها .

وينعكس هذا الاهتمام التاريخى الانسانى على الرواية كعمل فنى فلو استطعنا أن نتصور دائرتين متداخلتين لكان هذا هو شكل الرواية : الدائرة الأوسع تصور الناحية

التاريخية والاحداث التى تعاقبت على مصر بين الثورة عام ١٩٥٢ وبين أزمة السويس عام ١٩٥٦ . والدائرة الثانية يتجلى فيها اهتمام الكاتب بالمشكلة الاخلاقية الفلسفية وليس معنى هذا أن الصورة التى يرسمها الكاتب صورة جامدة ، أو أن الصلة بين الدائرتين صلة آلية . فعلى العكس تماما نرى أن حياة الأفراد وقيمهم الاخلاقية وشخصياتهم تتأثر تأثرا مباشرا بالأحداث التاريخية ، والشخصيات تستمد كيانها من تلك الأحداث لأنهم هم أنفسهم يمثلون التيارات المتضادة التى أدت الى أزمة السويس ؟! .

● تنسيق الاحداث

والواقع أننا لو حاولنا أن نجد كلمة واحدة تصف هذه الرواية فلن نجد أصدق من كلمة "ملحمة" فالرواية لها خصائص الملحمة فى الموضوع واتساع البيئة المنظرية وطريقة تنسيق الاحداث . فالاهتمام الأساسى بها لاينصب على مصائر الأفراد وانما على مصير مجموعة ضخمة جدا من البشر ، مصير شعب بأسره يكافح كفاحا وطنيا بطوليا ليحقق استقلاله وذاته وليحقق لنفسه حياة أفضل ، بل أن تصوير أولدريدج لهذا الحشد الضخم من الشخصيات من جنسيات مختلفة يساعد على تجنب تركيز الاهتمام فى شخص واحد بعينه ـ باستثناء سكوت الذى يمثل الجانب الاخلاقى فى الموضوع ـ حتى أن القارىء يتبلور فى نفسه احساس بشىء واحد ، احساس بالكتل البشرية . ويتجلى هذا فى تصويره لمعركة بورسعيد . ففى غمرة انفعالنا بالكتل المتطاحنة لاتهمنا مصائر الافراد بقدر ما يهمنا ما يتمخض عنه الموقف المشتعل ذاته .

والدائرة الخارجية شاسعة الأبعاد فليس هناك شبر واحد فى أرض مصر لم يثر فينا أولدريدج الاحساس به . ويساعد هذا على تجسيم الاحساس بضخامة العمل الفنى الملحمى الذى يصوره فالمنظر الذى يقيمه فى هذا العالم المتطاحن يمتد من سيناء الى السلوم ، ومن البحر المتوسط شمالا الى حدود مصر جنوبا . وكل شبر من أرض الصحراء مشحون بالتوتر الناتج عن الموقف التاريخى . فهو يربط اهتمامنا بالصحراء الغربية حيث يتوقع المصريون الهجوم على مصر منها ، بصحراء سيناء حيث يقع الهجوم فعلا وهو هنا يمزج الواقعية بالرمزية . فهو يستغل حقيقة أن الحرب العالمية الثانية خلفت وراءها حقول الغام منبثة فى الصحراء ، ويعطينا الاحساس بأن أى لغم من الممكن أن ينفجر فى أية لحظة ، أو بمعنى آخر الاحساس بالخطر الكامن فى الأرض .

والواقع أن القارىء يتبلور فى ضميره احساس بعاملين مهمين . عامل الزمن وعامل المسافة ـ فاحساسه بضخامة المنظر الذى يرسمه الكاتب ، والشعور بالتوتر الذى

مطار

فى روايـــة انجليزيـة

يربطه بهذا المنظر . يتضاءل أمامهما الاحساس بالمناظر المتفرقة لنادى الجزيرة والزمالك وشبرا وغيرها من الأحياء . فكما يتضـاءل احساس القارىء بالأفـراد أمام احسـاسه بالكتل ، يتضاءل كذلك احساســه بالمناظر المتفرقة أمام احســاسه بالمساحات الشاسعة .

● عنصر التشويق

وكذلك الحال فى تصوير الاحداث فهى لاتتركز حول شخص واحد ، لكنها تنتقل بسرعة من شخص لآخر ، وقد ساعد أولدريدج على هذا تصوير الاحداث فى عدة فصول قصيرة متلاحقة . والاحداث تتحرك فى الرواية الى الأمام والخلف باستمرار .

فالكاتب يقف عند حدث معين يتركز حول أحدى الشخصيات ، ثم يحول الاهتمام الى شخصية أخرى أو مجموعة من الشخصيات ويساعد هذا على خلق عنصر التشويق فى الرواية بقدر ما يساعد على خلق توتر فنى يعيشه القارىء محاولا أن يسبق الأحداث ليرى ما يمكن أن تتمخض عنه . وطيلة الوقت تبدأ هذه الاحداث الصغيـرة والمتفرقـة بطيئـة ، ثم تستجمع سرعتها وقوتها شيئا فشيئا ، حتى تتوالى فى سرعة فائقة والقارىء متوتر مشدود الى الأحداث . مع ازدياد السرعة تسرع نبضات القلب حتى يصل بنا الكاتب الى قمة هذه الاحداث : القتال فى بورسعيد .

وبعد انتهاء الحرب تأخذ السرعة فى الهبوط تدريجيا . ويسترد القارىء انفاسه وهو يتابع آثار الحرب على مجموعة من الناس ـ المجموعة التى تمثل المشكلة الخلفية فى الرواية . وهدف الكاتب من ذلك أمران : أن يحاول الاجابة عن السؤال الخلفى الذى اثارته الأحداث ، وأن يهبط بالقارىء فى يسر من القمة التى رفعه اليها .

فحياة الشخصيات ، كما قلنا ، تستمد كيانها من الأحداث التاريخية ، والدائرة الصغرى قائمة وسط الدائرة الأوسع . وهناك فى الواقع قوتان متعارضتان فى الرواية وأن كانتا تكملان احداهما الاخرى : قوة طاردة تدفع القارىء من المركز الى المحيط الأوسع الى أن تصل الى أوجها فى تصوير الحرب ، وقوة دافعة تدفع القارىء فى يسر ، بعد أن تستنفد القوة الأولى نفسها ، نحو المركز الذى تدور حوله حياة الشخصيات . والمركز هنا هو المشكلة الاخلاقية : مشكلة الخطأ والصواب .

قسام حسون فى سعيه وراء جنسية تضمن له سلامة العيش يذهب الى حد الخيانة فيخبر بيتمان عن مطـار الجديدة الذى كان يعمل فيه مع

صديقه على ظريف الطيار المصرى ، الأمر الذى يفضى الى ضرب مطار الجديدة بالقنابل أثناء الغارات الجوية على القاهرة ومصرع على ظريف ، ويعيش سام مؤرق الضمير لأنه تسبب بخيانته فى موت صديقه . فهل كان سام على حق أو على خطأ فى هذه الخيانة ؟ وحكيم مدير المخابرات المصرية . يسعى الى صيانة الوطن من العناصر المتآمرة ، ويذهب الى حد اعتقال كل من تحوم حولهم الشبهات ويلقى بهم فى السجن . فهل كان حكيم على حق أو على خطأ فى هذا ؟ وتشيرشن الانجليزى الذى يصر على أن الواجب نحو الوطن هو الذى يحدد تصرفات الأشخاص ـ هل كان على حق أو على خطأ فى مؤامرته مع لوسى بيكرنج وغيرها ضد مصر ؟ هل كان ادراكه لمعنى الواجب ادراكا سليما أم ادراكا خاطئا ؟

وسكوت هو محور هذا السؤال بل اننا نستطيع أن نقول إنه هو نفسه هذا السؤال . فهو يعيش قلق الضمير فى الصحراء محاولا أن يدفن احساسه بالذنب ، بانه خان وطنه لانه رفض أن يزج برجاله فى موقف ميئوس منه . ورغم اقتناعه بأن ما فعله هو الصواب ، فإن إحساسه بالذنب بقى معه وهو يعيش فى الصحـراء بعيدا عن الأعين والألسن . ولعل هذا هو ما يجعل منه شخصية متميزة فقدت الاحساس بالانسجام فى هذا العالم ـ انسانا لايشغله إلا سؤال واحد : هل كانت السياسة والحرب على حق أم كان هو على حق ؟ ولذلك نراه يعيش على ذكريات الحروب المريرة والجروح الدامية التى خلفتها فى نفسه ، يؤلمه انه اضطر الى قتل زميله فى الحرب لكى يخلصه من آلام حروقه ، وتؤرقه ذكرى عطية الجندى المصرى الذى قتل خطأ فى حرب الصحراء بنيران بنادق الفرقة الأفريقية . فهل كان استخدام العنف والقسوة على حق أم على خطأ ؟ هل العسكريون مثلا أبرياء من ذنوب الحروب لأنهم ينفذون تعليمات الساسة ؟ أم أن المسئولية تقع على عاتق الساسة ، وأين يكمن حل المشكلة ؟ هل يكمن فى أحساس الفرد بوطنه ووطنيته وقوميته ؟ هل يكمن فى أن يكون لكل منا جنسية يتمسك بها ويدافع عنها باسم الواجب المقدس ؟ هل أولئك الذين يضلون فى سعيهم وراء جنسية على حق فى أن يخونوا البلد الذى آواهم والاصدقاء الذين تربطهم بهم علاقات انسانية ؟ هل الدين على حق فى تقبله للحروب والعنف والبؤس والفقر على انها جزء من هذا الوجود ؟ وأخيرا : هل هناك امل للانسانية فى الحياة والحروب والشكوك والمخاوف تحيط بنا من كل جانب وتجعل من حياتنا جحيما ؟

وإن كان سكوت يمثل السؤال فى هذه الرواية ، فإن كوارتز مين يمثل الجواب انهما يكملان احدهما الآخر بناحيتيهما العاطفية والفكرية .

مصر

فى روايـــة انجليزيـــة

كوارترمين يرى أن مشكلة الخطأ والصواب لايمكن أن تحل فى عبارات الجنسيــة والعنصر والـدين . فلا الجنس ولا الدين ولا اللون ولا السياسة هى التى يجب أن تحدد العلاقات البشـرية ، وأنمــا القيم الانسانية العاطفية النبيلة التى يلمسها فى المصريين هى التى يجب أن تحددها . فالعلاقات البشرية فى رأيه يجب أن تسمو فوق السياسة والجنس والدين . وفى هذا الضوء يمكننا تفسير العلاقة التى بين سكوت وسام وعلى ظريف . هذا هو الأمل الوحيد فى حياة بعيدة من الشك والخوف والمؤامرات والعنف والبؤس .

من ذلك يتضح أن الشخصيات فى رواية أولدريدج ترمز الى أبعد من مجرد كيانها . فهو يقول فى مقدمة روايته أن محاولة اغتيال رئيس الجمهورية التى يصورها ليست حقيقة واقعة بالرغم من أن مثل تلـك المحاولات قد وقعت فعلا . وهذا يلقى ضوءا على أسلوب الكاتب ، اذ نتبين أن محاول الاغتيال ليست واقعا وانما هى رمز يجسم تيارات مختلفــة واتجــاهــات متبـاينــة . والاحــداث التاريخية حقيقة واقعة ، لكن الكاتب لايصورها كمؤرخ وانما يصور فيها كل التيارات السياسية المختلفة ، وهى ترتطم بعضها بالبعض فتخلق للانسان شكا دائما ومخاوف دائمة ، وتثير العنف الـذى لاينبغى أن يسود المجتمع البشرى . وسكوت وكوارترمن وحكيم وسام وهيلين شخصيات حية تتحرك وتحس وتفكر وتعمل لكنها مع ذلك لاتمثل مجرد كيانها وانما ترمز الى نفس هذه التيارات والاتجاهات .

والرواية فوق ذلك وحدة فنية متماسكة . فالكاتب لايفرض على روايته المعنى الذى نخرج به منها . المعنى يتبلور كنتيجة حتمية لتطور الأحداث . الكاتب لايوقف سيرها لكى يقول رايه فيما يجرى ، ولكن هذا يتخذ شكل الموقف والحوار والحدث وهو لايفتعل الصدفة لكى يؤكد هذا المعنى . فبين الدائرتين فى الرواية تبدو تلك الـرابطة الوثيقة : المنظر الخلفى يبرز الشخصيات فى انسجامها او فى تعارضها ، والأحداث تفرض نفسها على ادراك الشخصيــات وعلى القارىء ايضا ـ لكى تخرج جميعها بتلك النتيجة التى وصلنا اليها . ومما يؤكد عدم تدخل الكاتب فى سير الأحداث هو ذلك الصدق الذى يتميز به فى سرده للتاريخ فى غير ما تعصب او تحيز ، وانما فى فهم انسانى عميق يلمس كل البشر فى عصرنا المضطرب .

الفريد فرج روائيا

بقلم: د. رشيد العنانى - لندن

« لألف ليلة وليلة » تاريخ عريق فى استفزاز خيال الادباء شرقاوغربا والايحاء لهم بارتياد مغارات جديدة وبحار مجهولة فى سبيل استكشاف النفس البشرية وما يربطها بالعالم المحيط بها . ومن ابرز كتاب مصر المعاصرين الذين التفتوا الى التراث العربى عامة و« الف ليلة » على التخصيص الكاتب المسرحى المعروف الفريد فرج . فهو قد وجد فى تلك الحكايات الشعبية منجملا ينفد يستخرج منه مادة خاما عارية عن صروف الزمان ومعالم المكان ، فيشكلها كيف شاء ويصبها صبا فنيا يحمله ما شاء من ايحاءات ومعان تتعلق بنفس الانسان ومجتمعه . وهذا الثوب الاسطورى يتيح له ان يضفى صبغة لا زمانية على عمله كما يمكنه فى النقد السياسى بمنجاة من فهم الرقباء وغضب الحكام . ولعل مسرحيتيه المستوحتين من « الف ليلة » وهما « حلاق بغداد » و « على جناح التبريزى وتابعه قفة » ، من خير ما كتب للمسرح العربى فى الاعوام الثلاثين الماضية .

● وموضوع هذه المقالة هو جوهرة جديدة استخرجها الاستاذ فرج من منجمه العامر بالكنوز ، وتعنى بها روايته المنشورة قبل عامين « ايام وليالى السندباد » والتى كان يجب ان تسمى « ايام السندباد ولياليه » طبقا للقواعد العربية ، وهو ما لا يغيب عن علم كاتبنا الكبير .

وقبل أن يكذب القارىء عينيه ، نؤكد له أن بصره بخير ، واننا حقا قد كتبنا « روايته » حيث كان يتوقع أن يقرأ « مسرحيته » . فالاستاذ فرج قد قرر هنا الا يكون دون سندباده جسارة واستخفافا بالصعاب والاخطار فكما يركب بطله البحار غير هياب ، يهجر هو بر المسرح الاليف الامن ، ويلقى بنفسه فى عباب

الفريد فرج روائيا

الرواية الزاخر ، الحافل بالمهالك — فهل يا ترى يعود سالما غانما مثل السندباد ؟

الحق اننا نسمي الكتاب رواية تجاوزا ، واننا لا ندرى ان كان الكاتب قد قصد به ابتداء ان يكون كذلك ، وان كان ناشروه يسمونه « روائية » ، والله وحده العالم ما يقصدون بهذا على اى حال.نستطيع

أن نقرر بغير عناء كبير أن الكتاب يخلو من الحبكة ومن تطور الشخصية (واذا قلنا ذلك فقد قلنا انه ليس رواية) ، فما زالت مغامرات السندباد على ما هى عليه فى « الف ليلة » ، حكايات كل منها مكتمل ذاتيا بلا رابط عضوى ولا تسلسل منطقي حتمى تتتابع فى عفوية ولا يضيرها أن توضع فى ترتيب غير الذى وردت عليه . وما زالت شخصية السندباد كما هى فى الاصل ، شخصية مسطحة تخلو من الصراع الباطنى ، ولا يمكن القول بأن الاحساس بالملل والرغبة فى الاستطلاع والمغامرة هى ضرب من الصراع ، وخاصة أن الكتاب لايعمد الى تصوير ذلك تصويرا محسوسا ، وانما يقرره مرة تلو الاخرى قبل كل شروع للسندباد فى مغامرة جديدة كما أن شخصية السندباد لا تنمو أمام أعيننا ولا نرى رحلاته الخارقة تؤدى الى كشف خطير لجانب كان مجهولا من شخصيته بحيث ينعطف بحياته انعطافا ما كان ليقع بدونه .

صحيح أنه يتعلم الشيء الكثير عن طبائع البشر وعلاقات المجتمع وجلده الشخصى ؟ بل وقدرته على ازهاق الروح فى سبيل بقاء الذات ، الا أن هذا كله يبقى خارج نسيج الحدث ، لا يؤثر فى مجراه ، ولا يصل بين حلقاته التى تبقى مفككة ، شأنها فى أصلها الشعبى العريق .

نخلص من هذا الى أن حظ الاستاذ فرج فى مغامرته الروائية لم يكن فى وفرة حظ السندباد فى مغامراته البحرية ، وأنه من الاوفق له ولرواد مسرحه المشغوفين أن يعود الى البر مقسما — غير حانث — الا يركب البحر مرة أخرى . الا أنه يبقى أن نسأل ما الذى تضيفه معالجة الاستاذ فرج لحكاية السندباد الاصلية ،فهى حقا لا تتحول الى رواية ، ولكن تحولات أخرى تصيبها وتتركها حكاية أكثر مغزى ، وأبعد ايحاء بينما تحافظ على طابعها القصصى البسيط الذى لا ينى يبسط سحره الآسر على أخيلة الكبار والصغار عبر قرون الزمان. أول ما نلاحظ هو أنه يكسو هيكل الحكاية الاصلية بلحم كثير من الوقائع والتفاصيل ، فحيث اقتصر القصاص الشعبى على سرد الخارق

العجب ، يحاول الكاتب العصرى أن يزودنا بالمألوف الاعتيادى ، فيرينا السندباد زوجا وأبا وصديقا وحبيبا، وليس فقط رحالة مغامرا يطير مع الرخ ويمتطى الحيتان ويقتل الغيلان. وفى سبيل ذلك لا يتردد الاستاذ فرج فى أعمال مقصه فى الحكايات الاصلية حذفا واضافة ، وتطعيما



الفريد فرج

واستعارة تصل فى أبعد مداها الى شاعر الانجليز كولريدج وقصيدته الشهيرة « الملاح العجوز » بطائرها المنكود الذى يجلب الهلاك على البحارة سافكى دمه فى غير حق • كذلك يحاول الاستاذ فرج أن يقرأ فى حكاية السندباد درسا اجتماعيا الفناه تمام الالفة فى مسرحياته ، اسمع الى سندباده يلوم ذاته وتجار بغداد الاثرياء قائلا : « نحن نتاجر فى الجواهر والمعادن الثمينة ، والبشر يموتون من الجفاف، فهل يثير عجبنا أن تلعننا السماء •• وتتلبسنا شياطين القلق ؟ » ان سندباد « ألف ليلة » يسلى فقط ، أما سندباد ألفريد فرج فهو يعلم ويعظ اذ يسلى •

الا انه لعل اكثر ما يميز السندباد الحديث فما يحركه هو شىء أبعد

القلق الوجودى الذى يوفره للحركة ما يقوله السندباد القديم فى تبرير رحلة جديدة هو « اشتاقت نفسى الى السفر والفرجة ، وتشوقت الى المتجر والكسب والفوائد » ، أما السندباد الحديث فما يحركه هو شىء أبعد غورا فى ذلك وأدق على الفهم ، هو ضيق بالذات وبالكون الفاسد ، وهو رحلة تكفير عن الخطيئة وبحث عن الخلاص • فالكاتب الحديث يجعل لسندباده حبيبة رقية ، ولكنه يفرط فيها فى رعونة ، لكى يقضى حياته تائها نادما ، يبحث عنها •وهو يجدها فى النهاية ويتزوجها وينجب منها ولدا ، وبذلك تتم دورة الذنب والتكفير والغفران ، وكان يجب ان ينتهى الكتاب عند هذا الحد ، ولكن الاستاذ فرج لسبب غير واضح فنيا يجعله يخرج فى رحلة أخرى الى بلاد الصين لا تضيف شيئا جديدا • ولعل الكاتب قد صنع هذا تحت تأثير سيرة بطل الاساطير الاغريقية «أوديسيوس» الذى يجوب البحار عشرين عاما فى طريق عودته من حرب طروادة مجابها أخطارا ومهالك تشبه ما يصادفه السندباد ، ولكنه يبقى دائما يحدوه الامل أن يعود سالما الى زوجه وابنه•

لا شك ان الاستاذ فرج قد قصد الى « تحديث » حكايات السندباد ونفخ روح عصرى فى مغامراتها العتيقة ، الا أن عناصر التحديث تبقى طافية على سطح العمل ، غير نافذة الى اعماقه ، ولا سارية مع تياره •

تلك هي جملة ثرثرة العجوز عمتي مع بائع جوال .. رأته من مجلسها قدام بابها يمشي يحمل قفصين مربوطين بحبل الرباط عبر كتفه فيحملهما واحد على صدره والآخر على ظهره ، والقفصان مليئان بيطات يصل صايهم كبطانة لنداء الرجل على بضاعته . والرجل حزين يتبدى ذلك في خطوط ظهره ، ويرن في شدوه بحسن بطاته .

زعقت عمتي عليه وجاء به الزعيق . قعد قدامها وبينهما القفصان يخرج منها بطات شاهدا على جمال رأيه في البط العجيب . رأتها بطة فانتقت خمس فرائد ثم بدأت المساومة على المسألة . ثم علت المساومة حتى أوشك الرجل أن يغضب ويمشي وأوشكت هي أن تغضب وتترك له بطاته لكن الفصال كظاهره الغضب وباطنه التراضي فمالت ومال حتى استقرا على الثمن المعلوم ودفعت له والبط صار بطها والمال صار حلاله . وبعد

٤ قصوصة

بقلم
عبد الحكيم قاسم



ما استفرغت المساومة الشديدة شوقهما للكلام

نظر البائع الى عمتي فرأى في عينيها حنانا له ، وعمتي وجدت في عيني الرجل ان طراوة نسمة العصرية امام بابها تريحه ، فعزمت عليه بالشاى . قال : « نعم .. ياسلام ياستي .. طيب .. نشرب عندك الشاى .» على ايقاع الرشفات المتباعدة ، وطعمها السكرى سأل الرجل عمتي : « يا خالة .. لماذا لا تبتنين دارا جديدة ؟ يا خالة .. دار جميلة !! » قالت له وقد شردت من الكلام الى الكلام الآخر ، وتذكرت ، واكتسى وجهها بسحب من الهم : « آه يا ولدى .. كم اشتاقت لدار جديدة .. ! لكننا اشترينا سبعة قراريط ، فوضعنا المال في الارض يا خسارة .. .. وافكر أن ارجع ، افسخ العقد واسترد مالى ، وابتنى به دارا جديدة .. ! آه يا ولدى .. كم اشتاق لذلك ..! » لكن بائع البط فزع وصرخ ، ونهنه ، وتحدرت الدموع من عينيه بكى حمقة قال عبر شهقاته : « يا خاله .. لا تلغى عقدا اشتريت به ارضا .. لا ترجعى فى كلمتك .. ضمى اليك الارض قيراطا بعد قيراطا .. آه يا خاله .. آه من حنان الارض .. انها اكثر حنانا من الام والاب .. يا سلام .. افرحى باتساع ارضك شبرا بعد شبر .. انك بذلك تفسحين نصيبك من الدنيا .. وتنالين رحمة رب السموات .. ! » .

شدهت عمتي منشدة حرقة الرجل حتى ما تبللها الا الدموع .قالت له : « آه يا ولدى .. ثم ماذا ؟! » قال لها وخطان من الدموع على خديه : « اسمعى خبرى يا خاله .. بالحق اقوله .. والله شهيد .. انا ورثنا من ابينا انا واخى ارضا ودارا ، ثم تراضيت انا وهو ، قصرا للشر على أن اترك له نصيبى فى الارض والدار مقابل مال .. آه .. ثم انى لم اشتر ارضا بمالى لكنى بنيت دارا جديدة فسيحة الحجرات ، دار



بلا حقل ولا بهيمة . فاستيقظت من السكرة على دار مغلقة على وحدتى .. آه .. واطوف بيطاتى وفراريجى ثم ارجع الى بيت تصر فيه الجنادب واسمع صريرها فى صمته الاسيف . اغلق على بابى ، وانا افكر فى الارض .. هى كانت اكثر حنانا على من امى وابى .. آه ..! »

العمة رأته يمضى عنها بقصبه . تأملت خطوط ظهره .. حزينة .. وتأملت اثر حديثه فى قلبها ، فوجدته حزينا .. نعم .. هكذا يثيب الله بالموعظة الحسنة بقدر ما اكرم الواحد ضيفه .

وهكذا هى جملة ثرثرة عمتي مع بائع جواب

سينما بلا جذور في الريف

بقلم : مصطفى درويش



"الارض" احسن الافلام الخمسة الفاضحة للاقطاع

حقا لا اعرف كيف تذكرت رحلة قمت بها منذ حوالى عشرة أعوام بدات فى مدن وقرى ونجوع شمال الدلتا حتى اوصلتنى الى نهاية النيل عند مشارف دمياط .

ولا اعرف لماذا تذكرت تلك الرحلة بالذات وانا اقرأ رسالة تدور حول "شخصية الفلاح فى الفيلم الروائى المصرى" كتبها الباحث "امجد منصور سلام"، وبفضلها حصل على درجة الماجستير فى الفنون "سينما"

إذا بشاشة ذاكرتي تعود إلى تلك الرحلة حيّة بأحجامها وألوانها وكل ما التقطته عيناي . والتي ركبت مخاطرها مع المخرج الفرنسي "جان ماري ستراوب" وزوجته وملهمته "دانييل ويليه" والمصور "البير الزراكي" ، مستصحبا الثلاثة وهم يبدعون "من السماء الى المقاومة" (١٩٧٩) فيلمهم عن مصر وتاريخها على امتداد قرن ونصف من عمر زمن بدأ بالغزو الفرنسي لها ايام بونابرت وانتهى بالعدوان الفرنسي ، او في قول اصح العدوان الثلاثي ايام عبد الناصر قبل ثلاثين عاما أو يزيد (١٩٥٦) .

● جنات عدن

وهاأنذا أعود فابصر قبل دمياط بقليل سدا عاليا من طين يقف حاميا لمياه نيل عذب فرات سائغ شرابه من الفقدان والذوبان في بحر ملح اجاج .

وانبهر به وقد تحول بسحر ساحر الى طريق اشبه بالبستان ، يزدان على الجانبين بثمار اشجار تجري من تحتها الانهار .

واقف بين احضان هذا الفردوس المفقود حالما حائرا .

ثم اتساءل مفكرا مستنكرا كيف لم اسمع بهذا النعيم المقيم الا من اغراب .

كيف لم يتح لي احد من صانعي الافلام عندنا فرصة ان المحها ولو اطيافا على أية شاشة صغيرة كانت ام كبيرة .

كل ذلك مر بمخيلتي مجسما وانا اغوص متأملا كاظما الغيظ فيما جاء برسالة "امجد سلام" ضمن بيانات واحصائيات حول الافلام التي تحمل اصحابها عناء السفر بعيدا عن القاهرة ابتغاء تصوير مشاهدها في الريف .

● السقوط .. لماذا ؟

فلقد اكتشفت بفضل تلك الرسالة ان عدد الافلام التي تعرض للحياة في الريف آخذ في التضاؤل على مر الايام .

فمثلا من بين خمسة عشر فيلما روائيا قامت السينما المصرية بانتاجها خلال الاعوام الخمسة الاولى الصامتة من حياتها (٢٧/١٩٣٢) ، كان حظ الاعمال السينمائية منها التي جرى تصويرها في الريف أربعة افلام "ليلى" ، "سعاد الغجرية" ، "زينب" و"تحت ضوء القمر" ، وهو حظ كبير ما في ذلك شك .

غير انه ما ان تعلمت السينما المصرية الكلام حتى هبط عدد تلك الافلام الريفية .

فاذا بها لا تزيد على ثلاثة افلام من بين مائة وخمسين فيلما جرى انتاجها من بدء النطق (١٩٣٢) حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥) .

ويزداد هبوط تلك الافلام بشكل ملحوظ خلال الفترة الواقعة فيما بين التاريخ الأخير وبين ثورة الضباط الأحرار (١٩٥٢/٧/٢٣) ، حتى اننا اذا ما بحثنا عن الريف داخل الركام الهائل من الافلام التي وصل عددها الى اربعمائة فيلم ، لما وجدناه بعد جهد جهيد الا في أربعة افلام لا تزيد .

لعل اهمها "ابن النيل" لصاحبه "يوسف شاهين" (١٩٥١) . و"زينب" بالالوان للمخرج "محمد كريم" (١٩٥٢) .

● نهضة .. فنكسة

اما في عهد الثورة ، فقد زادت نسبة افلام الريف الى مجموع الافلام التي جرى انتاجها خلال الاعوام العشرة الأولى

سينما بلا جذور في الريف

من عمرها وعددها ٥٢٨ فيلما .. زادت قليلا بحيث ارتفعت الى سبعة افلام يدخل في عدادها "صراع في الوادي" (١٩٥٤) لصاحبه "يوسف شاهين" وهو فيلم له فضل السبق في الكشف عن مخازي الاقطاع ابان العهد الملكي البائد .

و"دعاء الكروان" و"حسن ونعيمة" (١٩٥٩) وكلاهما للمخرج "هنرى بركات" .

هذا ويناقش اولهما مفهوم الشرف حسبما تمليه تقاليد البيئة في الارياف .

اما الفيلم الثاني فمستلهم من مأثور الابداعات الشعبية .

و "لصراع الابطال" رائعة "توفيق صالح" مكانة فريدة عند صاحب الرسالة تميزها عن اهم افلام الاعوام الأولى للثورة ، وذلك لسببين :

اولهما تعمقها شخصية الفلاح ورسمها بمراعاة واقع حياتها كما هي مستبدا بها الفقر والجهل والمرض .

وثانيهما تقديمها البطل على وجه غير مألوف في السينما المصرية اذ صورته مناضلا ضد هؤلاء الاعداء الثلاثة الآخذين بخناق الكادحين في الأرض .

● العام والخاص

ومما يلفت النظر على هدى رسالة "سلام" ان حقبة ما بعد انشاء القطاع العام السينمائي (١٩٦٣) ـ هي الحقبة الوحيدة التي انتعشت فيها سينما الريف بحيث ارتفع عدد أفلامها الى اربعة عشر من بين اربعمائة فيلم .

عزت العلايلي .. ومحمود المليجي .. نموت من اجل "الارض"



وهنا قد يكون من المفيد ان نذكر ـ ان نفعت الذكرى ـ ان القطاع الخاص لم يكن له من بين تلك الافلام الاربعة عشر سوى فيلم واحد يتيم "أدهم الشرقاوى" .

وفى رأى صاحب الرسالة ان احسن افلام القطاع العام هى "الحرام" (١٩٦٥) للمخرج "بركات" و"الزوجة الثانية" (١٩٦٧) لصاحبه "صلاح ابو سيف" و"الارض" (١٩٧١) لصاحبه "يوسف شاهين" .

الاول لانه عرض ولأول مرة فى تاريخ السينما المصرية شريحة عمال التراحيل .

والثانى لانه انتقد تحكم عمد القرى فى اقدار الفلاحين .

والاخير لانه مجد الرباط الذى يصل الفلاح بالأرض .

عودة القديم

فاذا ما تغيرت الاحوال بفعل زلزال الهزيمة بحيث اصبح للانفتاحيين يد عليا وكلمة مسموعة .

ورأت الدولة التخلى عن دورها فى دعم قطاع عام السينما .

اذا ما حدث هذا ، وجدنا صناعة السينما تعود سيرتها الأولى ، فترتد الى صناعة افلام منبتة الصلة بالواقع ، وتهمل الريف اهمالا يكاد يكون تاما ، حتى انه لم ينتج من الافلام التى عرضت للريف عرضا هينا لينا الا احد عشر فيلما على امتداد سبعة عشر عاما .

واذا ما قارنا هذا العدد الجد قليل بالكم الهائل من الافلام التى ارتفع عددها مع نهاية عام ١٩٨٧ الى ما يقرب من سبعمائة وخمسين فيلما .

لتبين لنا على وجه لا يقبل الجدال ان افلام الريف فى حالة انحسار .

والأخطر من ذاك انه ولئن كانت احداثها فى كلها او بعضها تجرى فى الريف . الا انه يغلب على تلك الاحداث الزيف والافتعال .

فضلا عن انها جميعا ، وبلا استثناء ، أثرت الابتعاد عن تناول المشاكل التى تواجه فألجى الأرض والتحديات التى تضطرب بها حياتهم بياض الايام وسواد الليالى .

عمر ضائع

هذا هو حال الريف مع السينما فى مصر على امتداد عمرها الذى جاوز الستين عاما .

وهو حال لا يبعث على الاطمئنان والرضا .

إذ كيف نطمئن ونرضى وسينما الريف لم تحظ من مجموع الافلام التى انتجتها السينما المصرية ابان عمرها المديد وعددها جاوز الفين وثلاثمائة فيلم ، لم تحظ الا بثلاثة واربعين فيلما اى بنسبة لا تتجاوز اثنين فى المائة وبمتوسط اقل من فيلم لكل عام

هذا فضلا عن ان هذه الافلام القليلة قد جرى انتاجها جميعا وخلال خمسة وعشرين عاما ، مما يعنى انه قد مضى من عمر السينما حوالى خمسة وثلاثين عاما دون انتاج فيلم واحد يعرض للريف من قريب او بعيد .

وفوق هذا ، كيف نطمئن ونرضى اذا كانت جميعا افلاما معاقة ، وذلك فيما عدا خمسة افلام لا غير هى التى مارست الشغب والضوضاء بمحاولة القيام بفضح الاقطاع بوصفه العدو الرئيسى المتسبب فى تخلف الريف ، وانهيار مستوى الفلاح .

شهريات

رأى فى الثقافة

الذوق فى الكتب

اكاد اموت غيظا مما وصل إليه حال الكتاب في مصر .
وهذه الهواية التى تجعل الحياة ممكنة تتحول بمجرد التعامل مع هذه "الأشياء" التى يصدرها لنا اغلب الناشرين المصريين ، بدعوى انها كتب ، تتحول إلى مصدر للنكد ، والقهر ، والغيظ الشديد .
اولا : تدفع فى "الكتاب" الشيء الفلانى ، وبمجرد إمساكه تصاب بتلوث فى يديك ، اعتقد انه من الممكن ان يصيبك بتلوث "ذوقى" وعقلى ايضا ، فالحبر يلطخ يديك ، والتصحيح يلطخ ذوقك .
ثانيا : تفتح الكتاب لتعرف شيئا عن السيد "المؤلف" واعماله الاخرى ، هل هو شاب ، ام شيخ ، حى ام ميت ، فلا تجد ، وكانه من المفروض أن يعرف القارىء كل المؤلفين حتى ولو كانوا ينشرون كتبا للمرة الأولى .
ثالثا : ما ان تمضى فى القراءة حتى تصاب "بتلبك قرائى" من كثرة الأخطاء المطبعية ، والنحوية ، والإملائية ، وتضارب أشكال الحروف ، والعناوين ، والخطوط ، ثم تفاجأ بانقطاع السياق ، لأن الصفحة الخامسة قفزت بعد الصفحة الثلاثين ، والسادسة بيضاء كاللبن ، والسابعة تبدأ من تحت ، ثم ، وما ان "تقلب" الصفحة التالية حتى تنفلت الأخريات من بين يديك .
طبعا ، لا اتكلم هنا عن جودة الورق ، او حتى جودة الطباعة ، فاجدادنا فى هذا البلد كانوا يطبعون على ورق اصفر ، وبحروف الجمع اليدوى ، لكنهم كانوا حقا اصحاب ذوق ، يخرجون لنا كتبا تجعل القراءة متعة ، بعكس احفادهم الذين يحولون القراءة إلى نكد .
إنه ليس مجرد غش تجارى ، بل هو تخلف كامل العناصر .
سبحان القادر الخلاق .

عبده جبير

شهريات

أي في الثقافة

حرية الابداع في ندوة لفؤاد زكريا

أقامت لجنة نادي الأدب بنقابة الصحفيين ندوة للمفكر الكبير الدكتور فؤاد زكريا عرض فيها لقضية "حرية الإبداع" في مصر وأكد على أن النشاط الإبداعي العام يعاني من ثلاث مشكلات تقف أمامه وعلينا أن نتكاتف جميعا من أجل إزالتها من طريقه حتى ينمو ويزدهر ويتحقق .

هذه المشكلات يمكن صياغتها على هيئة محرمات ، سياسية ، ودينية ، وجنسية .

قال الدكتور زكريا بخصوص المحرمات السياسية بأن الوضع العام يشي بأن هناك حرية في هذا المجال ، لكنه أشار إلى أنها حرية القول ، والمطلوب الآن التقدم إلى حرية الفعل .

وبخصوص التحريمات الدينية قال الدكتور زكريا بأن الساحة مفتوحة أمام التيارات الرجعية التي أعطت لنفسها حق أن تكون الحكم والمنفذ للحكم ، وحتى دون قبول دفاع المحكوم عليه ، وأشار إلى جماعات المتطرفة التي كفرت المبدعين (وعلى رأسهم نجيب محفوظ) واعتدت على المسارح وما تمارسه من اعتداءات على الجماعات الفنية ببعض الجامعات ،



د. فؤاد زكريا

بالإضافة إلى ما ينشرونه من كتب تدعو إلى الجاهلية . وتهاجم أصحاب الفكر المستنير ، كما أشار في هذا الصدد إلى ضرورة أن تكون المساحة المخصصة للفكر المستنير من أجهزة الإعلام المصرية ، على الأقل متساوية مع المساحة المخصصة لأصحاب الفكر الرجعي .

أما بالنسبة للمحرمات الجنسية فقد أكد على مظاهرها التي يعيشها المجتمع تؤكد على حقيقة أنها أضحت الشغل الأكبر للشباب ، وأن انتشار الأفكار الداعية إلى عودة المرأة للبيت لا تتعامل معها باعتبارها إنسانا كاملا ، بل باعتبارها عورة يجب إخفاؤها ، كما أكد الدكتور زكريا على أن هذه العقبات الثلاث بلا شك تؤثر على عطاء المبدعين من جميع التخصصات ، وأنه بدون إزالتها لا يمكن التنبؤ بما يحمله المستقبل للإبداع والمبدعين .

واقع العالم العربى فى ندوة بأسبانيا



بطاقة بريدية اعدها خصيصا للندوة الشاعر الرسام روفائيل البيرتى

"العالم العربى : ظاهر الأزمة وإعادة البناء" هو عنوان الندوة الدولية التى نظمتها جامعة مدريد المركزية واستمرت طوال خمسة أيام ما بين ١٤ إلى ١٨ أغسطس الماضى بمشاركة أساتذة متخصصين فى قضايا العالم العربى من الأسبان والفرنسيين والإيطاليين والبلجيك ، بالإضافة إلى مشاركين من مصر والكويت وفلسطين .

أشرف على إدارة الندوة المستعرب المعروف بدرو مارتينيث مونتابيث الأستاذ بقسم الدراسات العربية

د . كارمن رويث . د . بدرومونتابيث



والإسلامية ، والمستعربة كارمن رويث برابو التى قدمت المحاضرة الأولى تحت عنوان "كارمن رويث برابو" . تلتها محاضرة للراهب لوثيانو روبيو عن "المخطوطات العربية فى دير الأوسكوريال" ومحاضرة عن "الأشكال الشعبية للفن فى الثقافة العربية" للدكتور أحمد على مرسى مدير المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد ، كما عرض الدكتور بشارة خضر ، مدير مركز دراسات وأبحاث العالم العربى (جامعة لوفان ـ بلجيكا) لموضوع "العالم العربى على مشارف عام

شهريات

رأى فى الثقافة

٢٠٠٠ ، اعقبه الدكتور محمد الرميحى رئيس تحرير مجلة العربى بمحاضرة عن "التحديات الأساسية أمام المجتمع العربى مظاهر ازمة وإعادة البناء" اما المحاضرة الأخيرة فكانت للمستعرب الأسبانى الكبير فيديريكو كورينتس (مؤلف القاموسين الوحيدين ـ اسبانى /عربى ـ عربى / أسبانى) وجاءت تحت عنوان "عوامل الوحدة والإقتران فى اللغة العربية" .

وقد دارت مناقشات حية وساخنة حول اراء المحاضرين وتابعتها وسائل الإعلام الأسبانية بشكل احتفالى ، وتكلفت الندوة ثمانية ملايين دولار .

● مدريد ـ خالد سالم

لا يادكتور القياس فاسد !

تصادف ان تصفحت إحدى المجلات الاسبوعية .

واكثر ما ادهشنى مقال للدكتور عبد العظيم رمضان تحت عنوان "الأمية السياسية فى المركز القومى للسينما"

وفى الحق فانا لم اتنبه الى المقال الا لانه عن السينما .

وحسب علمى ـ وما أوتيت من العلم



د. عصمت عبد المجيد



د. بطرس غالى

الا قليلا ـ فان الفن السابع ليس من اهتمامات الدكتور الفاضل .

وتساءلت لعله اهتم به من زاوية التاريخ .

لعله يعيب على المركز القومى للسينما عدم قيامه بتسجيل اهم الاحداث السياسية التى امتحن بها الوطن على امتداد ثلاثين عاما .

او لعله يأخذ على المركز المذكور تقصيره فى الحفاظ على ما سجل سينمائيا لأهم الأحداث فى ظل عهد الملكية والاستعمار ، لاسيما فيلم رائد السينما المصرية "محمود بيومى" ذلك الفيلم الفريد الذى نجح فى تخليد عودة الزعيم "سعد باشا زغلول" من المنفى واستقبال الجماهير له بشكل منقطع النظير .

وعلى كل ، فقد اثارت هذه التساؤلات حب استطلاعى .

وكان ان اندفعت مشغوفا الى قراءة مقال الكاتب (الكبير) .

ولكن سرعان ما خاب املى عندما وجدتنى امام حديث غاضب منبت الصلة عن السينما .

وعندما تبين لى أن صاحبه ليس غاضبا لما ظننته سببا لمحاسبة المركز . وإنما لسبب آخر هو ان شاشة ذاكرة المركز قد انمحت منها حرب اكتوبر ومعركة العبور ومفاوضات الكيلو ١٠١ واتفاقيات فض الاشتباك وما اعقب ذلك من انجازات كثيرة انتهت بتحرير كامل الأرض المصرية وانتهاء الخصومة المصرية الاسرائيلية .

والأدلة عند الكاتب الكبير على فقدان المركز ذاكرة تلك الانجازات هى :

اولا قيام رئيسه بلحالة المخرجة "منى جمال الدين" الى النيابة الادارية للتحقيق معها فيما هو منسوب اليها من انها سافرت الى اسرائيل حيث اشتركت فى مهرجان اورشليم السينمائى بفيلم من انتاج المركز دون اذن لها بذلك .

هذا إلى إدلائها بأحاديث الى اذاعة اسرائيل .

ثانيا اجتماع اللجنة النقابية بالمركز ـ قبل انتهاء التحقيق ـ واتخاذها قرارا بالاجماع بشطب عضويتها من النقابة .

فضلا عن قيام التسجيليين بالمركز ـ على مختلف تخصصاتهم الفنية ـ بإصدار قرار بعدم التعاون معها .

واخيرا تجميد النشاط الفنى الذى كانت تمارسه بالمركز . وذلك الى حين استكمال عناصر المخالفات الموجهة اليها بمعرفة جهات التحقيق .

ولن اناقش تفصيلا الاتهامات الموجهة الى المخرجة المذنبة . فذلك شىء يطول .

كما لن اناقش حقها فى السفر الى اسرائيل سلاحة تستمع بما حققته الصهيونية على ارض الميعاد من انجازات بينها ولاشك تشريد سكان البلاد الاصليين بهدم القرى وحبس المياه (روح الحياة) . والقاء القبض على الصغار والكبار واستباحة دماء عرب فلسطين . وازهاق ارواحهم بغير حساب .

لن اناقش هذا الحق . وذلك لانه ليس لى ان اناقشه . بعد أن اصبح من حق كل مواطن السفر برا وبحرا وجوا الى اسرائيل من قطاع غزة جنوبا الى هضبة الجولان شمالا . ومن النهر الى البحر مرورا بالقدس الشرقية والغربية أو "أورشليم الموحدة" عاصمة أرض اسرائيل الكبرى من الفرات الى النيل .

وانما اكتفى بمناقشة قول صاحب الحديث ان ما قامت به المخرجة المذنبة هو ما يقوم به رجال الدولة

شهريات

رأى فى الثقافة

والحكم فى مصر .

فوفقا لرأى الكاتب الكبير عضو مجلس الشورى ، ليس ثمة فارق بين زيارة المخرجة محل الاتهام وبين زيارة قام بها الدكتور بطرس غالي وزير الدولة للعلاقات الخارجية الى اسرائيل قبل شهرين ، وبالتحديد فى الحادى عشر من يولية لعام ١٩٨٩ .

واخرى قام بها الدكتور عصمت عبد المجيد وزير الخارجية الى اسرائيل قبل عامين أو يزيد .

واذا كان الوزيران لم يعاقبا ، فلماذا يوجه الاتهام الى مواطنة ضعيفة عن فعلة مماثلة لما فعله المسئولان الكبيران ؟ الا وهى زيارة اسرائيل ؟

وأعتقد ان هذا القياس بين زيارة المخرجة المذنبة وبين زيارتى الوزيرين ، انما هو نوع من القياس الفاسد .

فالوزيران لم يذهبا الى اسرائيل خلسة وبالغش والخداع لمجلس الوزراء .

وانما ذهبا اليها بعلم هذا المجلس ، وبعد موافقة رئاستهما صانعة القرار .

والأكيد انهما لم يبتغيا من الزيارة المتعة والبحث عن الذات .

وإنما كانا مكلفين بمهمة شاقة هى التفاوض مع ممثلى دولة شرسة تجنح فى سياستها الى التوسع والعدوان ، وداخل حدود مرسومة لهما عنها لا يحيدان .

والأكيد .. الأكيد أنهما ما ان عادا الى ارض الوطن ؛ حتى بادرا الى اعلام الجهات العليا بنتائج تلك المفاوضات إن ايجابا أو سلبا .

اين هذا كله من موظفة صغيرة تتوجه دون علم الجهة الرئاسية التابعة لها الى اسرائيل حيث تشترك بفيلم لا تملكه فى مهرجان سينمائى باورشليم ؟

وبعد ، فلعلى لست مغاليا اذا ما خلصت الى القول بان الكاتب الكبير قد خانه التوفيق عندما قاس زيارتين رسميتين تمتا فى العلن تحقيقا للصالح العام ، على زيارة تمت فى الظلام ، لا لشىء سوى ابتغاء تحقيق مكسب شخصى عاجل .

وأغلب الظن انها تمت بالمخالفة للتعليمات ، وبالاهدار للقوانين المنظمة لعلاقة الموظف بجهة العمل .

ولست اشك ان الكاتب الكبير بمساواته المشروع بالممنوع ، قد غبن الوزيرين بأن حرمهما زورا وظلما وبهتانا من فضيلة الامتياز بالالتزام .

● ربيع شتا

مكتبة الهلال

الكتاب:
المناورات الخفية
تأليف:
راجي عنايت
الناشر:
دار الشروق -
٢٧٨ ص. ٥ ج م.



فى البيت، فى العمل فى الطريق، فى الحب والزواج ومع الأبناء، نعيش جميعا ونمارس هذه المناورات الخفية التى يعرض لها هذا الكتاب.

فأنت حين "تتطلع حولك فى محيط الأسرة أو العمل، أو غير ذلك من مجالات الاحتكاك الاجتماعى ستجد العديد من التصرفات غير المبررة أو المنطقية، التى تصدر عن أشخاص يفترض فيهم النضج والقدرة على الالتزام بالسلوك السليم، وإن كنت على قدر أكبر من الأمانة مع النفس ستكتشف أن بعض تصرفاتك أنت، فى مواقف معينة ومع أشخاص معينين، تبدو لك غريبة، وكأنها صادرة من شخص آخر.

ستكتشف - كما يقول مؤلف الكتاب - أن كل تعامل بين البشر، يكون له معناه الخفى المستتر، الذى يتناقض مع معناه الظاهر للجميع، وأن البشر يقيمون القدر الأعظم من علاقاتهم، على أساس مجموعة من السيناريوهات السرية، أو التعاقدات الضمنية غير المعلنة، وأنت حين تقرأ هذا الكتاب ستعرف مدى الخطورة التى تقود إليها هذه المناورات، والطرق التى تقود إلى علاقات بشرية أمينة صريحة.

الكتاب:
اصيلة.. اصيلة
تأليف:
شاكر نورى
الناشر:
دار الحوار - باريس
٨٢ ص. ٢٠ ف ف.

يبدو أن الصحفى العراقى "شاكر نورى" قد وقع فى حب هذه المدينة المغربية الفاتنة من أول نظرة.

فلا أحد يكتب كتابا كاملا بهذه الطريقة إلا إذا كان عاشقا ولهانا غارقا حتى أذنيه فى هذا الحب المجنون.

فهذا ليس كتابا عن تاريخ المدينة، ولا عن تحولاتها الاجتماعية، بل هو قول شعرى يتغزل فى

مكتبة الهلال



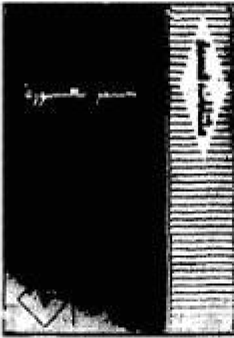
جنباتها ، فى عينيها وشفتيها ، فى قوامها المياس وخدها الأسيل ، فى روحها الساحرة وطلعتها البهية .

هاهو إذن "عاشق ينتظر . أصوات الديسكو تتعالى . توقظ النائمين القريبين من هذا المنبع الصوتى ، المساء بخموله الآتى يدعو إلى الرقص .. الصوت يتضخم ، لكن البحر يمتصه كما تمتص قطعة إسفنج قطرات ماء مبعثرة على طاولة ..

ويضيف العاشق : هاهو ذا الأسبانى العجوز ينفجر "بقهقهة مدوية متضرعا إلى البحر . هاهى أصيلة تتراقص عبر البحر من خلال نافذة مطعمه الصغيرة ، ها هو يبحث عن الاستقرار بين المدن منذ قرون . يتساءل فى نفسه ماذا تريد من أصيلة ؟..

بالفعل هذا هو السؤال الذى تطرحه عليك هذه المدينة الجميلة ، فى جميع فصولها ، فى شتائها وفى خريفها وربيعها وفى صيفها الذى يتحول إلى مهرجان فنى كل عام .

ألم نقل انه ليس كتابا عن مدينة ؟ بل عن فاتنة ساحرة .



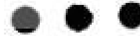
الكتاب : ستر العورة
تأليف : سعيد الكفراوى
الناشر : مختارات فصول - القاهرة
١٥٢ ص . ٥٠ . ق . م

بعد مجموعته الأولى "مدينة الموت الجميل هاهو الكاتب الشاب سعيد الكفراوى يخرج علينا بمجموعته الثانية التى تضم ثمانى قصص قصيرة كتبها فى فترات متلاحقة طوال عدة سنوات مضت وفيها نجد سردا متلاحقا حتى لكانك تقرأ عملا واحدا بعناوين متعددة ، لكنه يتتالى فى حلقات دائرية ، نجد عوالمه خلالها تحاول استبطان الأسطورة التى صاغها بعقله هو ، حتى لتحتار هل هناك أسطورة بهذا الشكل ، أم أن المؤلف اراد ان يسرقك من وعيك ليدخلك إلى البيوت حيث تجد هذه العوالم منسوجة

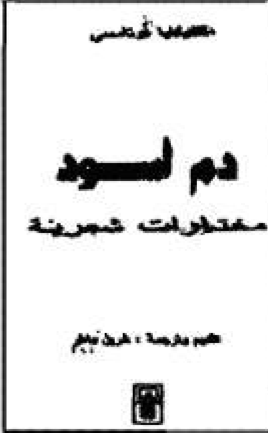
مكتبة الهلال

من رؤيا الطفولة ، ورؤيا الحلم المستمد من عناصر الواقع المعاش من الريف المصرى الذى يقدمه هنا بأحزانه وأفراحه ، بألوانه المتداخلة واشكاله المتماوجة ، حتى أنك بعد القراءة تعود لتسأل : هل يمكن أن يكون هناك عالم بهذه الطريقة ؟.

الكفراوى واحد من الكتاب المصريين الجادين الذين يحاولون تجريب الأشكال الفنية المتعددة ليثروا بها حياتنا الادبية وهو كاتب واعد يبشر بالكثير .



الكتاب :
دم أسود
تاليف :
تشيكايا اوتامس
ترجمة :
شربل داغر
الناشر :
جمعية المحيط الثقافية
(المغرب)



"تشيكايا اوتامس" شاعر أفريقى من الكونغو يكتب بالفرنسية وكان أحد المؤسسين والمشاركين الأساسيين لموسم أصيلة الثقافى بالمغرب ، توفى فى العام الماضى ، وخلدته جمعية المحيط الثقافية بإطلاق اسمه على جائزة شعرية تمنح لشاعر افريقى مرة كل عام .

يضم هذا الكتاب مختارات من أشعاره قام بترجمتها الشاعر اللبنانى والكاتب شربل داغر الذى ارتبط مع أوتامس بصداقة متينة جعلته قريبا من حياته ومن شعره الأمر الذى مكنه من أن يكون الافضل للقيام بهذه المهمة التى أطلعتنا على نتاج شاعر موهوب وقد لم يعرفه أبناء العربية من قبل إلا عبر أخبار متناثرة هنا وهناك .

من أجوائه الشعريه :

أعمى بعينين مفترقتين
جالس على السور
يقلب دفتر الماء
ويصغى
أهى الرياح تملى رسائلها
أم أن الشبابيك أرخت فراشات الضوء ؟

مسابقة الهلال للقصة القصيرة

■ فن الابداع فى بلادنا بخير ..
هذا هو الانطباع الذى أحسته أسرة الهلال منذ أول سبتمبر الماضى . فقد توافد على المجلة الكثير من الشباب حاملين إبداعهم الجديد يريدون الالتقاء مباشرة بإدارة المجلة لتقديم قصصهم القصيرة الجديدة من اجل الاشتراك فى مسابقة الهلال للقصة القصيرة ..

■ لايزال هناك متسع من الوقت للاشتراك فى المسابقة حتى ١٥ نوفمبر ١٩٨٩

■ أمام الفائزين : ٣٠٠ جنيه للفائز الأول ، ٢٠٠ جنيه للفائز الثانى ، ١٠٠ جنيه للفائز الثالث . بالاضافة الى جوائز عديدة للفائزين من الرابع حتى العاشر .

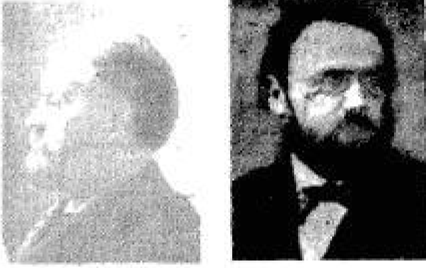
■ تتشكل لجنة التحكيم من السادة : الدكتور شكرى عياد رئيساً ، الدكتور امين العيوطى والأديب سليمان فياض .

■ ارسل قصتك القصيرة على الآلة الكاتبة من نسختين . ويمكنك الاشتراك بأكثر من قصة . ارفق كوبون المسابقة بكل اقصوصة .

الكوبون

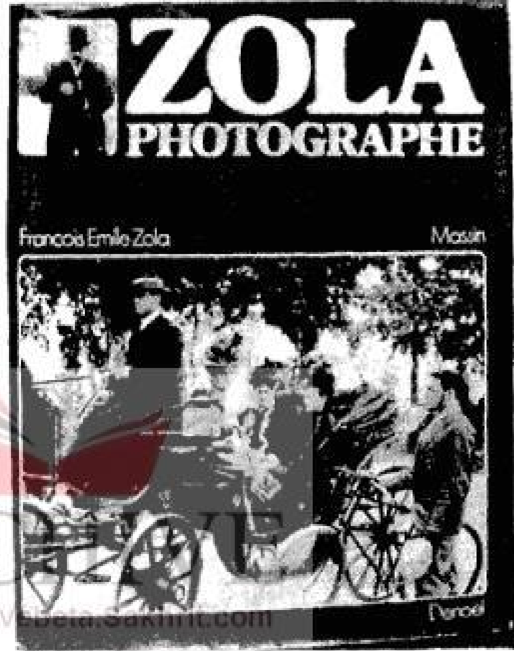
اسم المتسابق : ....
العنـــوان : ....
اسم القصة : ....
رقم مسلسل : ....
(خاص باللجنة)

الكلمة والصورة





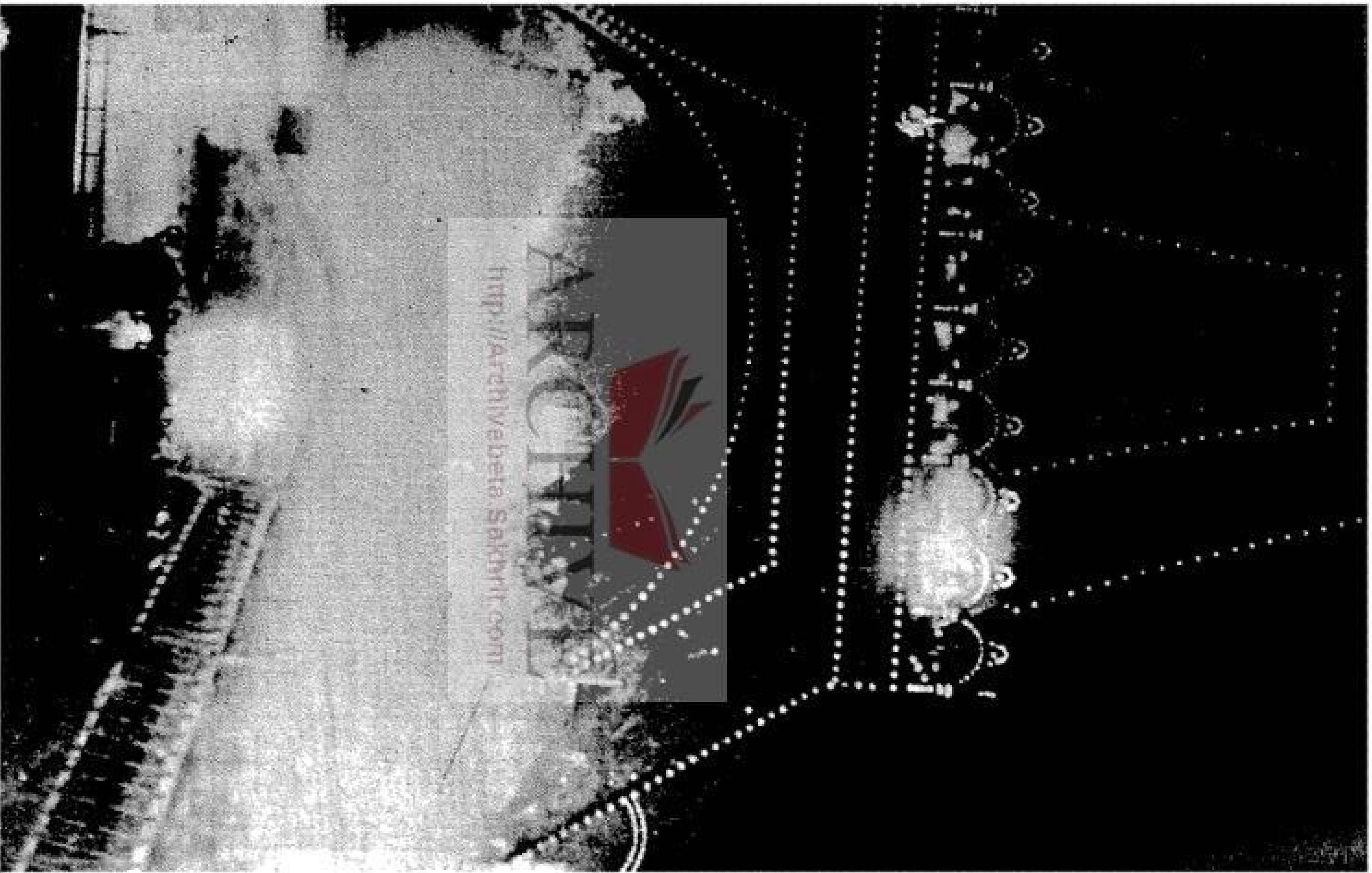
اميل زولا بعدسة اميل زولا



الحياة بعدسة الروائى إميل زولا

●● وقف الشاب الجميل أمام جدول ماء وراح يتطلع الى صورته المعكوسة فوق صفحة المياه الهادئة . وأصابته حالة خاصة من الهستيريا .. وظل هناك طيلة النهار .. وجاء فى اليوم الثانى .. وزادت حدة هوس نرجس الى أن سقط فى الجدول .

وعندما اكتشف الانسان المرآة كرر حكاية نرجس .. لكنه لم يغرق بداخلها .. بل احس بالمتعة أن يرى ملامحه الشخصية وجها لوجه وهى تتحرك كما يشاء .. كان قد تعلم الا يغرق مثل الشاب الجميل نرجس .. لكنه لم يفقد ابدا إعجابه بنفسه وبذاته .



برج ايفل الشهير .. بعدسة كاميرا اميل زولا

● وعندما اخترع الانسان الكاميرا .. كان الفنان هو أول من استعملها .. فراح يقف امامها تارة وخلفها تارة اخرى .. واذا كانت الكاميرا قد ساعدت على تجسيد فن الكلمة بعد اختراع الصور المتحركة والسينما بصفة خاصة ، فإن للتصوير بالكاميرا سحرا خاصا يجذب الانسان بصفة عامة والكاتب بشكل خاص .

وقد عرف تاريخ الادب ـ خلال المائة عام الأخيرة ـ أدباء عشقوا القلم والكاميرا بنفس الدرجة . ولكن الكثير من الصور التي التقطها بعضهم قد ضاعت مع الزمن . بينما بقيت كتاباتهم اكثر خلودا من صورهم . وكان فيكتور هيجو هو اول الأدباء الذين استعملوا الكاميرا في منتصف القرن الماضي . وفي نفس السنوات برع في التصوير كل من نرفال ورامبو . الا ان ماكسيم دوكا قد احترف هذه المهنة بشكل جعل صوره اكثر شهرة من رواياته .

وقد جاء دوكا الى مصر في منتصف القرن التاسع عشر من اجل تصوير النوبة والآثار المصرية .. ثم سافر الى سوريا وفلسطين . وقد التقى في القاهرة بالكاتب المعروف جوستاف فلوبير فالتقط له العديد من الصور حول وقائع رحلته وهي الصور الموجودة في الكتاب الذي نشره فلوبير عن رحلته الى مصر .

ومن اشهر الكتاب الذين عملوا بالتصوير

الخريف في باريس ـ عام ١٩٠٠ .. بعدسة زولا



لويس كارول صاحب رواية "اليس في بلاد العجائب" وقد احترف التصوير بنفس درجة احترافه للأدب . وعشق تصوير الأطفال بصفة خاصة وقد ضاعت أغلب الصور التى التقطها فى بيوت الهواة .

وهناك مجموعة من الكتاب المعاصرين الذين عشقوا الكاميرا بشكل خاص مثل لوى اراجون ودومنيك فرنانديز وميشيل ترونييه الذى التقط العديد من الألبومات عن رحلاته حول العالم وايضا الناقد رولان بارت الذى عمل مصورا خاصا . فى احدى الفترات لمجلة كاييه دوسينما وكذلك الفيلسوف ميشيل فوكو .. أما المراة الوحيدة التى قيل إنها مارست التصوير - كما جاء على لسان مجلة الاكسبريس فى اول سبتمبر ١٩٧٩ - فهى الناقدة الأمريكية سوزان سونتاج .



إميل زولا بعدسته

● الصورة والرواية

وفى قائمة الكتاب المصورين يبقى اميل زولا دائما فى قمة هذه الأسماء ليس لان اكبر مجموعة من الصور التى التقطها قد قاومت عامل الفناء مع الزمن . ولكن لانها كشفت عن حس انسانى عال .. يتعلق بحب الكاتب للمكان والاشخاص والحياة بصفة عامة .

ومثلما جاء فى الكتاب الضخم حول "اميل زولا مصورا" فإن دافع الكاتب الى استخدام الكاميرا بهذه الصورة المكثفة هو انه كان يرغب فى جمع مواد منظورة من أجل رواياته التى سيكتبها ايمانا ان الصورة الموضوعية تسمح له ان يغرق فى التامل المباشر .

ورغم ان زولا قد بدا هوايته كمصور فى عام ١٨٨٨ . اى وهو يكتب روايته "الوحش الادمى" فإنه لم يستخدم الصور فى كتابة رواياته إلا فى عام ١٨٩٥ ، ولمدة سبع سنوات الى ان مات فى عام ١٩٠٢ .

وما أن تعلم زولا فن التصوير حتى راح يصادق اشهر رجال التصوير فى عصره خاصة عبقرى الصورة فى القرن التاسع عشر .. وارتبط الكاتب ايضا بالرسامين مثل مانيه وسيزان حيث قام بمصادقة كل منهما للآخر .. وفى عام ١٨٩١ اصبح زولا رئيسا لجمعية رجال الادب .وكان "نضار" يجيىء لتصوير جلسات هذه الجمعية .

وقد اصابت زولا حالة من جنون التصوير لدرجه انه اشترى فى وقت واحد عشر آلات تصوير من اجل ارضاء هوايته التى احترفها . واقام فى بيته معملا خاصا للتحميض والطبع فى فترة لم تكن هذه العمليات قد تطورت بعد . وكان يعشق تصوير نفسه بشكل لافت للنظر . وقد التقط

زولا لنفسه كل الصور المنشورة فى هذا العدد . وهي كما سنلاحظ اغلبها حول وقائع حياته اليومية . ومنها الكثير من الصور البورتريه فى أوضاع مختلفة ومتباينة .

وقد كان زولا يتتبع طريقة بالغة الطرافة فى التقاط البورتريه لنفسه . حيث يثبت الكاميرا فى الهواء امام قطعة من القماش الملون . ويدرس مكان وجهه . ثم يخطط مكانه بالضبط من خلال طباشير ابيض . ويجعل الكاميرا تعمل ويجلس كى تلتقط الصورة ذاتية .

● عطر ومعنى

اهتم اميل زولا فى صوره بانعكاسات الضوء حول الأشياء . وكان يرى ان الضوء هو الذى يرسم اللون فى الصورة قبل اختراع الصور الملونة بعشرات السنين .

صور عائلية خاصة .. صورها زولا .. لنفسه



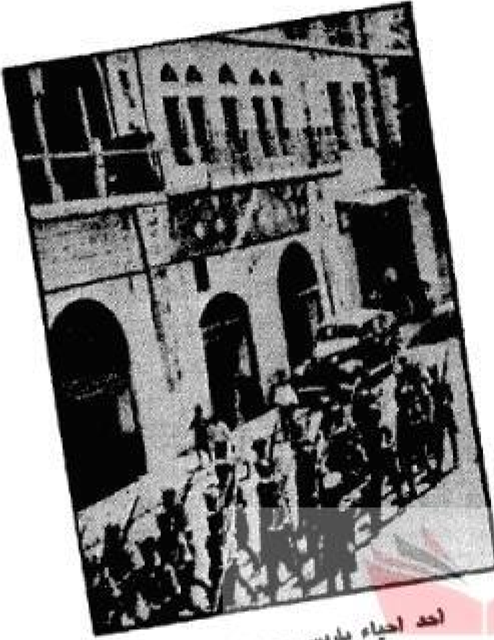


كما استطاع ان يختار زوايا بالغة الحساسية والفنية للصور التى التقطها لبرج ايفل واهتم بتصوير الأشياء افقيا وراسيا لأن لكل زاوية روحا خاصا بالصورة .

وكان زولا يكره استخدام الرتوش فى الصور التى يلتقطها . فهو يرى الرتوش عملية تزييف للواقع . وخاصة فى البورتريهات . كما كان يرفض استخدام الاضافات التى يميل اليها المحترفون من المصورين المعاصرين له .. أو المعاصرين لزماننا نحن .

وقد ابدى العديد من الأدباء اعجابهم الخاص بالصور التى التقطها زولا مثل إعجابهم بادبه . فقال بول فاليرى ان هذه الصور قد جعلتنا نكف عن الوصف وان نهتم بالتسجيل اما الرسام المعروف "ديجا" فيقول : "لقد ظلت ذاكرتى حية دوما للصور التى التقطها اميل زولا . وعندما اريد رؤية الأشياء مثارة اقوم بمشاهدة هذه الصور . ثم اعيد رؤيتها كى اكتشف الواقع . بخطوطه . واشكاله والوانه . وعطوره ومعانيه . انها محاولة لتثبيت الواقع . وكثيرا ما ادهش من هذه الشمس التى تشع على سطح هذه الصورة .

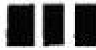
ولم يكن الكاتب مشغولا فقط بالتقاط الصور وطبعها . بل اقام لها معرضا ضخما فى عام ١٩٠٠ بمدينة باريس . وكان اغلبها من مقاس ٣٠ × ٤٠ سم . وقد قام بتقسيم الصور حسب الموضوعات التى تربطها وقد حاول ان تكون صوره المعروضة فى هذا المعرض بمثابة رؤية بانورامية لكل



أحد احياء باريس بعدسة زولا

مشاهداته فى القرن التاسع عشر . وذلك بمناسبة بداية القرن العشرين .

اما اشهر معرض البم لمجموعة زولا فهو ذلك الذى اقيم فى عام ١٩٨٢ بتولوز ويقول اوتو أهلن فى مجلة الاكسبريس - ٢٩ يناير ١٩٨٢ - ان زولا قد شغف كمصور بكل ما احاطه من مظاهر الحياة فجعل الأشياء الجامدة تنطق . وجسد الحياة المتدفقة فى صوره مثلما فعل فى صورته عن حدائق التليو حيث الأطفال يلعبون . وأمهات تنظر الى أحد الأفلام التعبيرية الألمانية .





المطروقات النحاسية عند محمد رزق

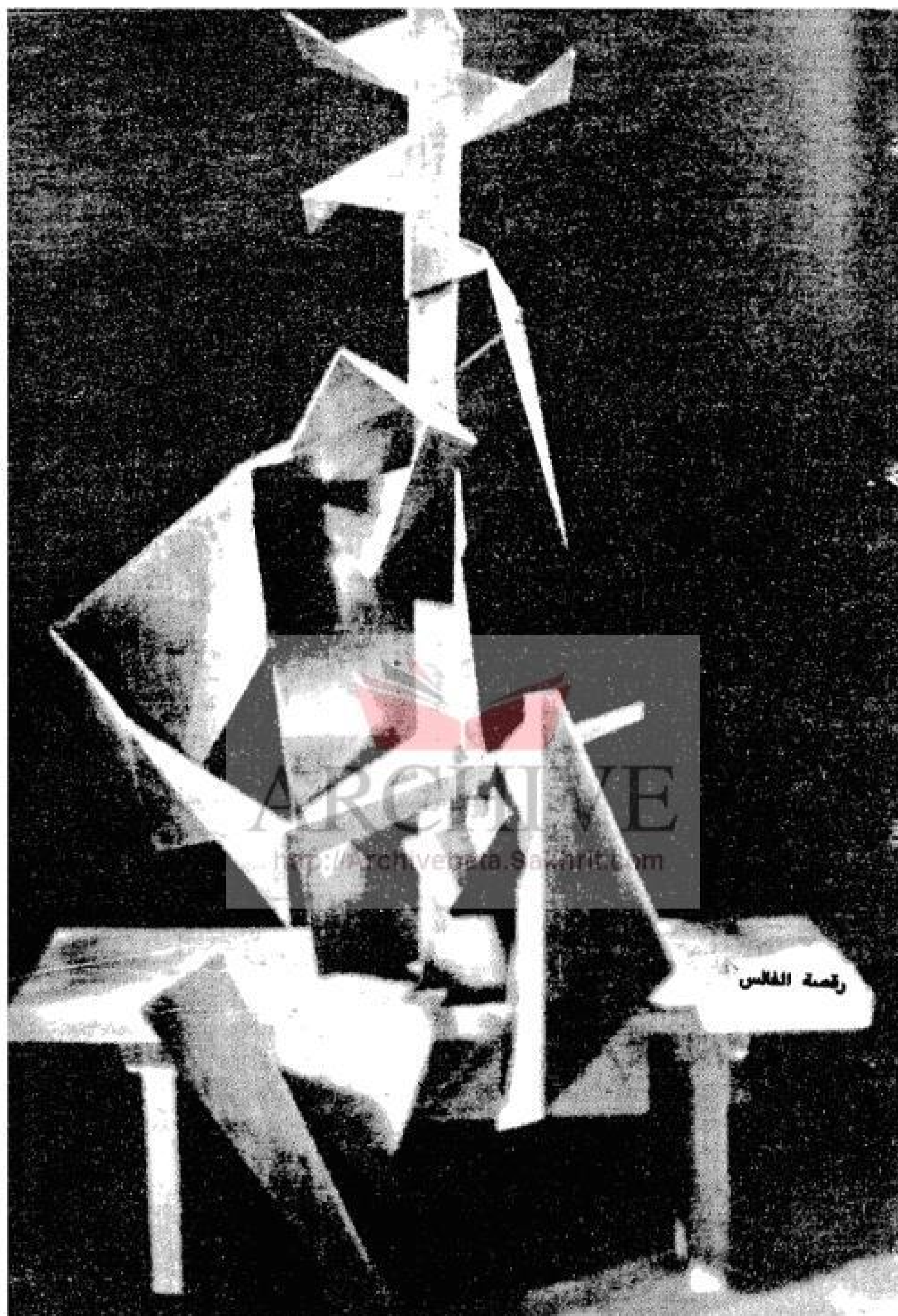
بقلم: محمود بقشيش

هناك حكاية تروى ، لست أذكر أين قرأتها ، غير أني أرويها لما بها من حكمة . يقال إن أميرا أو حاكما ـ لعله صيني ـ طلب من فنان شهير أن يطلعه على إبداع منه غير مسبوق ، فأجاب الرسام بثقة تشبه ثقة السيد «فوج» بطل قصة «جول فيرن» «رحلة حول العالم في ثمانين يوما» ـ قال : إذا أردت ذلك الجديد .. فموعدنا معه العام القادم ، في نفس اليوم ، ونفس الساعة ! .. والتزم الأمير بشرط الفنان ، وجاءه في الموعد المحدد ، وسأله عن «الرسم» ، فما كان من الفنان إلا أن أحضر ورقة بيضاء وريشة ، غمسها في الحبر الصيني ، وبثلاث لمسات رسم طائرا ! ..

كاد الأمير أن يُعد ذلك إهانة له ، لولا أن الفنان قام بفتح خزانة كبيرة ، بها آلاف من الرسوم الملونة وغير الملونة ، وقال للأمير : تلك هي التجارب التي قمت بها خلال العام الماضي ، وهذه هي النتيجة ! .. وشرح له مراحل تطورها . اطلعه أولا على لوحة لطائر ، ينطبق عليها تعبير «الجبرتي» ، ودهشته عندما التقى برسوم الفنان «ريجو» ـ أحد فناني الحملة الفرنسية ـ قال : «وهو يصور الآدميين تصويرا يظن من يراه أنه بارز في الفراغ مجسم يكاد ينطق» .. وفي كل مرحلة جديدة كان يتجه الرسام الى الاقلال من التفاصيل ، مكتفيا بما يراه جوهريا ، إلى أن بلغ أعلى درجات الايجاز والبلاغة ، فصار بمقدوره أن يرسم طائرا بثلاث لمسات فقط .

● دراسات دقيقة

تذكرت هذه الحكاية أثناء تأملي مجموعة ضخمة من الصور الملونة ، لابداع المثال «محمد رزق» .. المقيم


رقصة الفالس



حاليا بالولايات المتحدة الأمريكية .. إن مراحله الفنية تكاد أن تكون تطبيقا حرفيا لتلك الحكاية . ومثلما فعل الفنان الصينى فى بداية تجاربه ، عندما اقترب اقترابا تسجيليا من الواقع ، نفذ «محمد رزق» مجموعة من الدراسات الدقيقة ، تفاوتت فى اقترابها من الأصل الواقعى .. من أعماله التى وصل بها الى إعلى درجات الدراسة «الاكاديمية» .. مستنسخة من إبريق «مروان بن محمد» ، الموجود حاليا بالمتحف الاسلامى بالقاهرة ، وهو ابريق بديع الشكل ، يميل رجال الآثار الى نسبة صناعته الى الفن الفارسى .. والتزم «محمد رزق» بنفس تقنية فنان ذلك العصر .. فى طريقة الطرق واللحام ، وكبره ، عن الأصل ، سبعا وعشرين مرة .. وعلى الرغم من أن احد الدوافع لهذه الدراسة كان استعراض المهارة والتميز ، فإن معاودة الدراسة المدرسية لأثر من الآثار الماضية ، أو معاودة الاتصال بالحوار معه ، أمر لاغنى عنه . إن «الجديد» لا يأتى من فراغ ، وليس قفزا فى فراغ . ولو تأملنا ــ على سبيل المثال ــ مطروقتين من مطروقاته النحاسية ، يربطهما اسم واحد هو : «الصمود» ، ويفصلها زمن يقترب من العشرين عاما ، لظننا ، للوهلة الأولى ، انهما لفنانين مختلفين ، غير أن شهادة الانتماء إلى فنان واحد ، تتضح شيئا فشيئا ، أثناء التحليل . انجز العمل الأول أو «الصمود» الأول فى أعقاب حرب ١٩٦٧ ، و «الصمود» الثانى انجز عام ١٩٨٥ بعد التحولات الكبرى فى بنية وتطلعات المجتمع المصرى . فى الوجه الأول اقتراب من الملامح الخارجية الواقعية ، دون الالتزام بحرفيتهما .

اما الوجه الثانى فقد تخفف من التفصيلات الواقعية ، وانحاز الى البناء المعمارى ، دون أن يقطع الطريق على نفسه مع التعبير الرمزى . وجه «الستينات» وجه فلاح مصرى ، يرتكز على رقبة عملاقة ، غنية بالتضاريس ، تغرى المشاهد باستخراج تداعيات تصصية ورمزية ، والوجه يبدو فى هيئته شامخا ، شجاعا ، وهو «البطل» الذى كنا فى اشد الحاجة إليه فى ذلك الوقت . البطل القادر على مواجهة حالة «الهزيمة» ، والداعى الى الاحتشاد والثقة بالمستقبل رغم كل شىء . أما وجه «الثمانينات» فهو وجه بلا وطن ، وجه إنسان الكرة الأرضية سبيكة من النحاس ، متعددة الملامس ، صريحة المسطحات غير أنه يفاجىء هذا الرسوخ المعمارى بزلزال ، يفصل المقطع الأعلى من الفم عن المقطع الأسفل ، ويمزق جزءا من الوجه بحدة (وكان يريد لهذا التمزق أن يمتد ، غير أن مساعده صاح : قلبى لا يطاوعنى .. لا أستطيع مواصلة التشويه !) إن تلك المسبوكة تترك فى النفس توترا لا يستطيع المشاهد المرهف الانفلات منه ، وتترك أثرا يصعب نسيانه ، وإيحاء قويا بأن «صمود» الثمانينات صمود ممزق . مشكوك فى أمره على النقيض من «صمود» الستينات ،

القائم على مواجهة الخسارة ، التى كان يظن أنها عارضة .

● الطابع الدرامي .. والطـــابع الغـــنائي

يتبادل الطابع «الدرامي» والطابع الغنائي ، التطريبي .. المواقع ، في مجمل انتاج «محمد رزق» . وربما كان هذا الأمر طبيعيا بالنسبة لمعظم الفنانين يحتشدون ، أحيانا ، من أجل عمل «درامي» ، ويلوذون أحيانا أخرى ، بواحة التطريب والغناء .. أملا في عودة موفورة الصحة الى الجانب الآخر ! .. يمثل وجه الانسان عند «رزق» الوسيط الدرامي ، ويمثل «الحصان» و «الطائر» و «جذع المرأة» ركائز الطرب ! .. ومن أبرز غنائياته مطروقات «عناق الخيول» و «لعب الخيول» و «صراع الديكة» ، وكما ينتقل من «الدراما» الى التطريب ، وبالعكس ، ينتقل من استخدام الخطوط الحادة ، والمسطحات الحاسمة ، الى الخطوط اللينة المقوسة ، ففى تلك المطروقات المشار اليها ، تسود الخطوط اللينة ، أما فى مطروقاته ذات الطابع الدرامي فإن الخطوط المستقيمة . الحادة . تسود . وإذا كان تبادل المواقع بين تلك المقابلات ظل حتى الآن ، فإن تطور موقفه من الكتلة ، والتفاصيل التعبيرية يبدو أو يكاد يبدو مستقيما ، فبعد أن كانت الكتلة لديه كتلة مستديرة ، يحيط بها الفراغ من كل جانب كما فى كتلة «الحصان» المجسم الذى أنجزه عام ١٩٨٠ ، وبغض النظر عن المشكلات الفنية المعقدة التى نجح فى علاجها ، فإن العمل يقترب من تفصيلات «الحصان» الواقعى ، فى حين أن «رأس الحصان» الذى أنجزه عام ١٩٨٥ قد تخلص تماما من شكل الكتلة المستديرة الى نوع آخر من «الكتلة» ، يقوم «الفراغ» بالاسهام فى تكوينها ، باكمال ما توحى به الكتلة من اتجاه ، وإشارة واضطره التركيز فى جوهر فن النحت ، باعتباره حوارا بين «الكتلة والفراغ» ، أن يتجاوز تشويش التفاصيل الوصفية ، واكتفى بتلصيق شرائح النحاس ، كما ظهر الانسان مشكلا من الأنابيب والكرات المعدنية ، وتشارك مفردة «الطائر» نفس إيقاع تطور المفردات الأخرى . غير أن خط التطور هذا والذى قلت عنه بأنه يكاد يكون مستقيما ، لايخلو من بعض الاستعدادات .. للحن جميل مضى ، وربما لضرورات تتجاوز حدود حرية الفنان .

من أهم لوحات الطيور ، ثلاثية الحرية ، تتسق شكلا ومضمونا ، يجمع فى ثلاثيته طابع القص دون أن تستدرجه لغة الادب ، والتلخيص الذى لا يقطع الصلة بين الشكل وأصوله الواقعية ، والأناقة التى لا تتورط فى التزيينية . تشكل ثنائية «الحمامة والقضبان» محور اللوحات الثلاث . فى اللوحة الأولى يظهر إيحاء بشكل حمامة ، مندفعا فى مواجهة القضبان ، وتبدو آثار القضبان الكابحة فى جسد الطائر ، وفى اللوحة الثانية تظهر نتيجة تحدى الطائر للقضبان فى هيئة جسد ممزق . وترسم حدود الاشكال المقطوعة نسخة سالبة للقضبان ، أما اللوحة الثالثة فتمثل مسطحا مصقولا كالمرآة ، ليس به سوى خطوط القضبان الحادة ، ووجه المشاهد بالطبع ، ويصل بثلاثيته الى نتيجة مؤلمة : هى الا أمل فى سلام .. وربما أراد أن يجيب علينا بمجمل إنتاجه .

بقوله : بل انتقال دائم بين الحزن والسعادة !

شوقي وبيرم

ولغة الشعب

بقلم : د. على الراعى

الاسماعيلية عام ١٩٣٢ ...

قلت لصديقى التلميذ محمد السيد غلاب : هل سمعت النبا ؟ قال : اى نبا ؟ قلت : مات احمد شوقى ! لم يصدق محمد ، وكنت انا مازلت اتردد بين التصديق والتكذيب . قال صديقى : والله لو كان مات لحزن عليه كل الناطقين بالضاد ! لم تكن مرت شهور على وفاة حافظ ابراهيم وكانوا قد قرروا علينا فى مدرسة الاسماعيلية الابتدائية قصيدة شوقى المعروفة فى رثاء شاعر النيل :

قد كنت أوثر ان تقول رثائى ∴

يامنصف الموتى من الأحياء !

حزنا حزنا شديدا على وفاة الشاعرين . وحزنت انا أكثر على وفاة شوقى . كانت أغانيه التى كتبها لعبد الوهاب تتردد فى سمعى وانا بعد حدث صغير فاعجب بها وارددها واكاثر بمعانيها والفاظها . اغنيات مثل "بلبل حيران" و"فى الليل لما خلى" و"اللى يحب الجمال" والاغنية الأخيرة آية فى الكتابة الفنائية الراقية ، وآية أيضا فى التلحين . فيها حاول عبد الوهاب أن يحدث ارتباطا وتداخلا بين أصوات البطانة وصوته هو المفرد عند عبارة : "تيجى تصيده يصيدك" ـ نوع من "البوليفونى" ان انطبق التعبير على


من فرع غصنك
وراح يمين وراح شمال
وشايل على جناحه قانون

هذه المحاولة . كان شوقى قد قرر ان يكتب لعبد الوهاب بعض اغانيه بالدارجة . ولكن اية دارجة هذه التى نجدها فى بلبل حيران :

من فرع غصنه ع الورد مال
وراح يميـن وجـه شمـال
قال له يا سوسن ياتمر حنه
يا ورد أحسن من ورد جنة
مين بالفرح لوّنك مين ؟
ومن الشفق كوّنك مين ؟
يا ريحة الحبايب ياخد الملاح
لشوكة جمالك وضعت السلاح


احمد شوقى



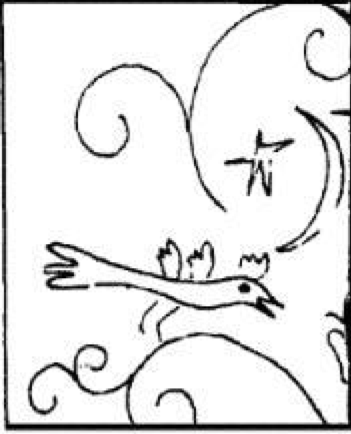
وأى سمو هذا الذى نجده فى "فى الليل لما خلى" :

الفجر شأشأ وفاض على سواد الخميلة
لمح كلمح البياض من العيون الكحيلة
والليل سرح فى الرياض ادهم بغرة جميلة

وأى خيال راق وتعبير شعبى ساحر هذا الذى نجده فى : "اللى يحب الجمال" :

الحب طير فى الخمايل





بيرم التونسى

شفنا غرايب جنونه
حاكم بأمره وشايل
على جناحه قانونه
تيجى تصيده يصيدك
ومن سلم من حباله
وكل خالى مسيره
يعذب الحب باله
ياللى مادقت الغرام
من العيون السلامة
اراف بروحك حرام
دى عين تقيم القيامة
الاسم عين وتلاقى قدح وحمرة وساقى
وسحبة الرمش فيها من بابل السحر باقى

كتب شوقى هذه الاغنيات باللغة الدارجة ، وفى عزمه ان يقاوم بها زجل بيرم العظيم . وكان قد روى عن امير الشعراء قوله : "والله ما آخاف على اللغة العربية الا من زجل بيرم ". غير ان زجل بيرم بقى تعبيرا فنيا صلدا عن لغة الشعب وروحه ، وبقيت الى جواره محاولات شوقى السامقة لرفع لغة الشعب الى مقام الشعر الرفيع .

رحم الله الشاعرين الكبيرين !



قصة قصيرة

بقلم: محمد السيد سالم　　بريشة الفنانة سميحة حسنين

الانتظار!



تطايرت معالم البيوت، تكورت اعواد النخيل ، اختلطت ملامح الخلق بعد ان بهتت الرؤية فى عينى الحاج (غريب) الذابلتين من ايام القشم ، وقيالة الشمس التى كانت تشوى بصهدها كل انحاء الكفر من اول الساقية القبلية حتى اخر حوش النخيل .. لم يكن الحاج غريب يعرف سر تلك البنايات التى ارتفعت كزرع شيطانى على قلب الكفر، ظل شهورا لا يدرى ما يدور فى بطن الكفر حتى قادته قدماه ذات ليلة الى (السهراية) المهجورة غرب الكفر ، فوجد (ابو الحمد) يضرب كفا بكف وهو يلتوى فى غضب ويهذى ويمزق الخلاء بصراخه :

ـ لقد ضاع الكفر ، ضاع والله يا حاج غريب ، ولم يعد ينقص الا ان نقرأ على روحه الفاتحة ، واهلا بك يا زمن طوابير العيش ، والتسكع فى الطرقات ، والرقص على ضجيج الاغانى ، والموت خنقا تحت الزحام ،.. الا يكفى يارب ما اصابنا من لعنة السهر طول الليل

الارتطام!

قصة قصيرة

والنوم حتى الظهر من اجل دعارة الفيديو التى هتكت الحياء ، وبورت الارض وخربت الصحة !

ينغرز كلام ابو الحمد فى وجه الحاج المتعفش وهو يحكى عن سقوط غيط (عمران) تحت وطأة الاموال الوافدة من بلاد الله الواسعة ، وانواء الخراب المستعجل الذى اقتلع جذوره ، وطمره حيا تحت تلال الرمال واكداس الطوب والاسمنت .. يتصعب الحاج غريب ، يهرش فى عينيه ، يمضى فى تخبط نحو بيته على تراب الغيطان المبقورة الاحشاء وهو يغمغم ويدمدم ، يصيبه التعب ، يرتمى وهنا عند اطلال الساقية القبلية التى اصبحت مجرد اشلاء خشبية منخورة تتاثر بقاعيزها الراكد ، يتراخى على صدر الظلمة ، يتنفس كطفل يحتضر ، يحس بالهواء حوله باردا برودة القبر ، يمشى ، يكاد يتعثر فى افواه الحفر واكوام القمامة التى ملأت ساحة النخيل التى عاشت اعمارا تلثم مغاليق السكر وهى تستقبل طراوة العصارى فى مواسم القيظ ، وتفرش لمسات الدفء حين كانت مخالب الصقيع تنهش الابدان ، وتثقب العظام .

يندس العجوز فى عتمة الخلاء وحيدا باثقال سنواته الثمانين تتسال الى انفه نفس الروائح الفجة ، الرطبة التى يعرفها منذ تفتحت عيناه ، ودغدغت جسده لسعات شمس السكر وهى تتقلب نارا على امتداد الساحات الخضراء ، وفوق الوجوه والظهور والدواب واشواك العيش المرير .

يهبط باقدامه الثقيلة نحو الكفر ، يصطدم بكلب (عباس الحلاق) العجوز وهو يتمدد وسط الطريق ، بينما كان يقبع على حائط مهدم غراب اسود ، وعلى صدى عواء الكلب المزق ينشر الغراب جناحيه ، ينفش جسمه وبخفة جامحة من جناحيه يترك نفسه للهواء يقوده الى جوف الظلمات المتراكمة .

تتشبث الحاج ذاكرته الواهنة وهى تمضى للوراء ، يغوص بخياله المشتاق فى ركام سنوات عمره وهى تتمطى وتتمايل فوق الدروب والحقول والساحات ، وتتزلق كنورج يعلو ويهبط ويئن فوق اشواك الحر ، وسراديب الصقيع ، وسيول القلق والاعياء لا يتذكر انه تحدث يوما عن شىء غير الكيماوى والرى ووابور الطحين واحوال الدودة واستئصال البذور ، وحكايات لصوص الجبل حين كانوا يتسللون الى الكفر عند غياب القمر لثقب الحيطان ، وجر الماشية ، وخطف العيال واطلاق النيران .

يتأوه العجوز ، يمد ساقيه امام البيت ، يسحب نظاره الكسيحة الى شواهد الاعمدة الخرسانية السوداء وهى تنغرز فى صدر الخلاء ، فى جوف عواصف التراب الصاعد ، الذى يصبغ الوجوه والنخيل والبيوت ، ويحيل الكفر الى مهاوى تطفح بالقطران ، يتمدد خياله ، يرتطم بايام الغد وهى تزحف نحوه كاعصار ، ينظر

للسماء ، يتنهد فى ألم، يتخيل القمر دائرة سوداء بعد ان تمزقت خيوطه على قمم البنايات العالية ، وانتشرت فى زحام الأضواء المتدفقة فى طيش ، الغرباء يهجمون من داخل الأزقة الضيقة الجديدة فى صخب وتصادم واحتكاك ، البيوت تتشابه ، النوافذ تلتصق ، الأحذية ترتطم احذية ملطخة ، احذية مرتقة ، أحذية تبرق وكلها تنخر فى صدر الكفر نخرا عميقا .

يتطوح الحاج امام داره كطفحة باردة تلتصق بقاع وعاء علاه الصدا ، كومة من العظام المتكسرة والزيت الجاف .

يبزغ الصباح ، يتأمل الحاج غريب فى حسرة حركة الغرباء حوله ، البعض يقبلون ، اخرون يلتفتون ويهمسون ، كلهم يصوبون نظرات استهجان على بيته القديم ، وجسده الضامر وعصاه المشققة ، وتمدده المسترخى على قارعة الطريق ، ومع الوقت لم يعد احد يلقى نحوه بالسلام ، ويسأله عن الصحة والاحوال ، يسند رأسه الثقيل على الحائط ، يتنفس ضيقا ، يغمض عينيه ، يطارد فى عسر كوابيس تلتحمه كقالب رأسه ، تلقى أشعة الشمس وهجا على وجه مغبر شوهت الانفعالات ملامحه ، يخترق سمعه صوت سيارة يقبل نحوه يلتف حوله ، ينثنى أمامه حذاء يلمع ، وصوت رفيع ينقر (قلبه) فى حدة :

— اهلا يا جدو

يفتح العجوز عينيه الضيقتين ،يطلق أنفاسا محتبسة ، يقهقه ، يكشف عن فم هجرته الاسنان منذ سنوات بعيدة ، يتأمل وجه حفيده وهو يتألق بضحكات الفرح يتسلل الى داخله شعور مريح ، مفعم بالبهجة ، يتمتم فى سره (جدو) وكأنه يجربها على لسانه ، يخاطبه الحفيد وهو يسحب العصا المشققة .

— لم تجلس هكذا فى الشارع يا جدو ، اليس لك عيبا ؟ ترتفع ضحكات الحاج لتطلق صدره بفرح مشروخ :

— اننى يا كبدى اقيم هنا وحدى ، لهذا افعل دائما ما اشاء .



ورغم أن صلات القرابة لم تعد لها معنى فى هذا الزمن الغريب الأغبر ، فانه احس بنشوة عارمة وهو يسحب حفيده الى داخل البيت، بينما راح ولده الكبير صاحب الحذاء اللامع والكبرياء المنتفخ (يركن)

الارتطام!

قصة قصيرة

عربته عند ظل شجيرات قريبة ، يمضي الصغير نحو الداخل في سعادته ضحكاته العابثة تنبعث كبرق من الفرح في اركان البيت المظلم الخاوي ، يستقر فوق سجادة تسلخت خيوطها بفعل مخالب الزمن ، يده المعروقة تتعلق بالهواء، تحاول الامساك بتلابيب الحفيد الصغير وهو يقفز ويركض ، يسقط تجاه صوت الولد الكبير فوق رأسه .

– اعتقد انه لابد من البيع يا ابي الحاج

– ما تبقى من العمر لا يمكن بيعه ، لا احد يشتريه يا ولدي .

– لم تعد هناك فائدة من هذا اللغو ، ان الوقت قد حان لبيع البيت والغيط بعد ان اقترب الزحف العمراني الى هذا الحد .

– من قال لك يا ولدي ان ما يقترب هو زحف عمراني ، انه الخراب يا سعادة البيه من شرق الكفر الى غربه .

– ابي ، بربك ان لم تسترح الان وبعد ان بلغت الثمانين فمتى ؟ ارجوك لا تضيع الوقت الذي حان .

يضحك الحاج ، يهتز جسده النحيل وهو يحدق في وجه ولده المورد الاملس :

– (ما . ما .. اي وقت تقصد يا ولدي البيه ؟ .. انني لا اعرف من الوقت الاحين تفتح القنوات ويروي الماء غيطي ، الا عندما تسقط اوراق الشجر لتظهر من جديد نابتة لامعة ... الوقت عندي يا استاذ ليس معقدا كما ترى ، انه لا يزيد عن نثر البذور والانتظار حتى يطل الاخضرار ، انه تضخم بطون التلد وتضعه وتكاثر ان دورات كبيرة بطيئة من الحرث والحر والري والبرد والحصاد ، شيء بلا حدود دائما يأتي ، لكنه ابدا لا يتكرر)

– من الغريب ان الاقبال على شراء الاراضي في الكفر صار كاسحا ، وانت مازلت تضيع وقتك في اللهو بالكلام ، انك لو ظللت على هذا الحال فلن تجد عند غيطك في النهاية الا قمامة المكان الجدد .

يومىء الحاج في اسى ، يرن في خاطره ضجيج الغرباء وصخبهم وهم يشققون الابواب الخشبية العتيقة ، ويقتلعون اعواد النخيل،



ويسحقون النبت الاخضر راقبهم ذات يوم وهو يدفع المحراث ، كانوا يندفعون فى جنون بين العربات التى تئن تحت اثقال اسياخ الحديد واكوام الرمال واكياس الاسمنت ، يومها حين شعر بالبقرة تتوانى ، بسبب هدير الاصوات ، صرخ فيها بكل قواه ، يحثها فى حزم على جر المحراث ، وغاه يطلق الضحكات الساخرة الداوية .

يرتعش وجه البله ، يهمس فى غضب مكبوت:

– يبدو يا ابى اننا لسنا هنا .

يضم العجوز حفيده حين يقترب منه ، يربت على ظهره يمدح بيده الخشنة خصلات شعره وهو يغمغم بصوت كالهمس :

– لصوص الماشية الذين كانوا زمان يأتون من بطن الجبل وهم يحتمون بالظلام عند غياب القمر لنقب الحوائط واطلاق النيران ، وسرقة الماشية ، وخطف الاطفال عادوا ، عادوا وفى وضح النهار ليسرقوا الكفر بكل ناسه وارضه وماشيته .

يسكت الحاج ، ولكنه فجأة يقوم فى غضب ، يسحب حفيده الصغير نحو الخارج بخطواته العاجزة المتثاقلة ، وعند غيطه المحروث يجلس عند اقدام الصغير ،يدس اصبعا بدت عليه آثار جرح قديم فى ثنايا الارض المشقوقة ،الرطبة، يسحب فى رقة زهرة نابتة تتدلى منها جذور رفيعة ملتوية ، يحتويها بحنو فى راحة يده ، يهمس فى اذن حفيده الذى تلون وجهه بالدهشة .

– سبعون عاما ، سبعون عاما يا ولدى وانا أقوم بنفس العمل هنا ، حقا لا اعرف ماذا ستكون البذرة ، لكننى اعرف ماذا اكون انا بالنسبة للبذرة ..

يشق الصمت صوت هدير سيارة ، يتبعه نباح كلب ، يندفع الحفيد نحو الخلاء فى عدو مضطرب ، يرتفع الهدير ، تعلو على البعد موجة كثيفة من الغبار، سرعان ما تتقلص حتى تصير مجرد نقطة تضطرب فى الخلاء ، السكون يخيم من جديد حول الحاج وهو يجر قدميه نحو البيت ،يتطلع للافق ، يلمع امامه خلف ضباب البصر ضوء ، يعقبه ضوء ، وحين تتراكم الاضواء يبدو له الكفر جثة عارية تتمدد على طول الازقة وبحيرات المياه الاسنة ، وتحت احذية الزحام المتلاطم ، الالم يتدفق رملا حارقا فى عظامه ، يسرع الى داخل بيته ، يستقر فى الم على فراشه يلمح تحت عينيه جحافل من ابقار وحشية تندفع نحوه ، تنك سمعه ، يدور فى الفضاء حول نفسه ، مستعينا بكل ما تبقى من قوة فى جناحيه المتهالكتين ، يحس بنفسه نسرا يندفع فوق الزحام الخانق ، والاعمدة الخرسانية ، وصراخ الغرباء ، يمد عنقه كنصل سيف ، يقترب فى طيرانه المرتجف من بيته الخاوى ، يحدق نحو الارض يصرخ فى البقاع – يالله ، كيف اقتربوا من بيتى الى هذا الحد ؟

يحاول الهبوط ،يفاجأ بفوهات بنادق لصوص الجبل تصوب اليه ،وفى لحظة تندفع نحوه الطلقات الداوية ، يحس بها تخترقه ، وتخترقه .. يتهاوى وهو يشعر بأجنحته تتكسر بسبب اصابات كثيرة ، حارقة، يظل يهوى حتى يرتطم بحقل محروث .

حكاية شعبية مغربية

عندما يريد الله

د. الطاهر أحمد مكى

كل ما هو طيب يجيء من عند الله ، سبحانه الاعلى ، القوى القادر . مالك الدنيا والاخرة ، الواحد الاحد ، الفرد الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا احد .

وهو الذى قدر ارزاق الفانين من عباده ، وكتب مصائرهم منذ الازل . وحدث لبي العربي بولحية ، خادم الله ، ماسوف اقصه عليكم .

كان بولحية كاتبا متواضعا عند احد الموثقين ، يخطيء ككل ابناء حواء ، ولكنه يخاف الله ، ويسير على سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وزوجته رحمة غسالة ماهرة ، تعمل عند امراة شركسية ، اشتهرت بجمالها ، وبانها موضع الرعاية الملكية ، والحظوة السلطانية فهي تتحكم داخل القصر الملكى كما تشاء ، وتفعل ما تريد .

كانت وظيفة رحمة ان تعنى بتنظيف اثاث بيت سيدتها القوية ، ورعاية مفروشاته ، عنايتها بعينيها ، ولكن



ذلك لا يمنع انها كسول بالطبيعة ، غارقة في الاحلام والاوهام اكثر الوقت ، تستجيب لها اكثر مما يجب ·

ويمر الزمن ، وتهرب الساعات ، واحدة وراء اخرى ، على حين تعيش رحمة في عالمها الخيالى العجيب ، المليء بالاساطير والرؤى ، تلك التى حكتها لها جدتها ذات يوم ، عندما كانت طفلة صغيرة ·

وسرحت بها الاحلام :

ان الله كريم ، بل هو اكرم الاكرمين جميعاً ، فلو دلق سخاءه فوق سيدى العربى ، واصاب هذا مالا وفيراً ، فسوف يشترى لى صديريا رائعا ، يلف جسمى الجميل ، فيعجب بى سيدى ، وازهو به بين اقرانى ، واكون الوحيدة التى البسه بين اترابى ، بينما يمضين جميعا فى ثياب مهلهلة ، شبه عاريات !

وغرقت فى متاهة من الرغبات والامال والاحلام ، وبينما الماء يجرى ، والفراشات تسبح ، والطيور تغرد ، تظل ذراعا رحمة الغسالة كسولتين ، تلفهما رخاوة ندية ، فلا تحركهما الا فى عناء شديد ·

وكان زوجها الطيب يؤنبها دائما على كسلها واحلامها الكاذبة ، ويرى ـ والحق معه ! ـ انها من وساوس الشيطان الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس ، اخزاه الله ، وتنبأ لها بمصيبة تهشم رأسها ، وتزلزل كيانها ، وتهبط عليها فجاة ، فى وقت قريب او بعيد ، ولكنه قادم على كل حال ، فتطحن اوهامها ، وتبقى عاجزة عن عمل اى شيء ·

وذات يوم ، ورحمة ابعد ما تكون عن مكانها الذى يجب أن تكون فيه ، تركت خيالها ـ كالعادة ـ يتوه بين ما هو ممكن وما هو مستحيل ، وفى هذه اللحظة هبطت عليها جوائح الزمن التى بشر بها زوجها ، جاءت باسرع مما توقعت ، فى شخص معزة هزيلة ، التقطت منديلا حريريا من مناديل سيدتها والتهمته ، وادركتها وهى تستعد لالتهام ملابس اخرى ، وفى احسن الحالات تاخذها وتخرج بها الى شاطيء النهر ·

واخذت رحمة المكروبة تصيح :

يا امى العزيزة ، اين انت ؟ اى سياط دامية تنتظر ظهرى ، واى عقاب قاس سوف توقعه بى سيدتى ، وكيف القى زوجى ، سيدى بولحية ، الرجل الطيب الحيى ، وسوف يفقد عمله



موظفا ، وهبيته رجلا ، بسبب كسلى واهمالى وتهاونى ؟! ·

ان الناس جميعا ، من يعرف ومن لا يعرف ، لن يتوقفوا عن لومه بسبب خفتى وطيشى ، وعن اتهامه بانه يلطف معى ، ويعاملنى بالحسنى، ويدللنى كثيرا ، مع ان فى استطاعته ان يقسو على لاتعلم ، وان يحاسبنى بشدة فلا اهمل ، وان يضربنى من حين لآخر ليوقظنى من الأحلام والأوهام التى اعيشها ·

ولم تجد وسيلة تخرج بها من محنتها ! ·

وبما أن فى الجرأة العاجلة العلاج عادة من المصاعب الكبيرة والأزمات الطاحنة قررت أن تذهب الى الخطر بدل أن تظل مكتوفة اليدين تنتظره كى يجىء اليها ، فمضت تبحث عن زوجها ، وتلقى بين يديه ، مرة واحدة بالمصيبة الكبيرة التى اوقعها سوء الحظ فيها ، ثم تنتظر العقاب الذى يسبقه أو يوافقه أو يعقبه سيل من الشتائم والسباب ، مع مزيد من اللكمات والضربات ·

كم كانت المفاجأة مذهلة عندما وجدت الزوجة الحزينة زوجها ، وقصت عليه حكايتها ، فاذا به يداعب لحيته برقة ، ويذوب شره فى فيض من البشر والبهجة ، ويصيح بها :

– يا رحمة الله ! ،انظرى يا ابنة الشياطين ، ان بركته سوف تهبط علينا ، وتستقر معنا ولن تفارقنا ·

وأسبلت رحمة عينيها ، وأرخت نظراتها ، وراحت تسائل نفسها : هل ركبت سيدى بعض الأرواح ؟ ، وقبل أن تسترسل فى حيرتها صاح بها :

– اذهبى الآن فورا ، الى القصر سريعا ، فى مثل لمح البرق ، وقولى لسيدتك ان هذا المنديل الثمين قد ضاع ، وبما أن الشبهة سوف تنحصر فيك فأكدى لها اننى ساحر ماهر ، أعرف الكثير ، وقادر على تسخير الجان والعفاريت ، واذا استشارونى فسوف أستطيع بالتأكيد ان أدلهم على المكان الذى استقر فيه المنديل ·

وأطاعت الغسالة ، وجىء بالكاتب زوجها كما هو متوقع ، وتقدم الى السلطان ، وبين يديه أخبره :

– أيها الملك القوى ، ان المنديل المختفى يوجد فى بطن معزة حمراء ، فيها نقاط بيضاء ، وقرنها الأيسر مكسور ! ·

وابتسم الوزراء وهم يستمعون الى هذا التأكيد الغريب ، واختلفوا بين مصدق ومكذب ، وازاء اصرار الكاتب ، وحديثه فى لهجة الواثق المطمئن المقتنع ، فتشوا عن المعزة التى تحمل الأوصاف المذكورة وجاءوا بها اليه ، ووقف برلحية ازاءها ، ووشوش بعدة جمل غامضة ، غير مفهومة ، واصدر أمرا بذبح المعزة ، وكانت المفاجأة : وجدوا الشىء الضائع فى بطنها ! ·

وهكذا شاء القدر والمصادفة والظروف أن يصبح بولحية اكثر الفقهاء علما فى المملكة ، وان تتأكد مكانته فى القصر الملكى ، وأن يصبح من خاصة السلطان ، وصاحب نفوذ وسطوة وحظوة ، وأن يكسف كل بقية رجال البلاط·

حكاية شعبية مغربية

الحمد لله الذي دلق كل خيره على العبد الضعيف ! .

لم يعد الحاج العربي منذ هذه اللحظة يعرف بغير لقبه الرسمي : منجم القصر . وتدرب على مهنته جيدا ، حتى أصبح يستطيع بحيلته وفطنته ومهارته ان يتغلب على اية عقبة تقابله ، أو صعوبة تعترضه ، وأصبح الناس يلتمسون مشورته ، ويستمعون الى رأيه ، ويعملون بما يشير به ، وحتى الوزراء أنفسهم أصبحوا يجلونه ويوقرونه ، ويقدمون له فروض الاحترام والاجلال ؛ وبدا أفق حياته رغدا عريضا واسعا ، نقيا صافيا ، واصبح طريقه الى المجد والثروة مفروشا بالورود والرياحين .

ولكن .. وأي من لكن هذه !

ان كل شيء فان وزائل في هذا العالم الخبيث ، وللورد شوك على أية حال .

وبينما سيدي العربي في قمة الرضا والسعادة رقعت مصيبة لا حيلة له في دفعها ، ولا مهرب من مواجهتها ، وأوشكت أن تأتي على نفوذه وحظوته في بلاط السلطان ، وربما ذهبت برأسه مستشارا ومنجما .

في ذلك اليوم ، المشئوم بين كل أيامه ، سرقوا الخزانة الملكية ، ولم يستطيعوا أن يعرفوا لها سارقا أو يتعرفوا على مكانها ، ولم تجد حماسة الوزراء ، ولا نباهة كبار الموظفين في ذلك شيئا . وعندما يئسوا من العثور عليها تحركوا

السلطان عاملهم وسيدهم في الأمر ، ولكن جهوده كلها في الكشف عن الغموض الذي يلف الحادثة ذهبت عبثا ، وبدا واضحا عجز كل الوسائل البشرية المعتادة في الوصول الى الحقيقة ، ولم يبق من حل الا اللجوء الى منجم البلاط القدير ، وسوف يستخدم بالطبع كل امكاناته ، ويسخر كل قدراته وعلمه ليرد للسلطان ثروته ، ويحول دون ضياع خزانته .

وهكذا أوعزوا للسلطان باستشارته وجدها الحاسدون والحاقدون



والاشرار والسفلة فرصة مناسبة ليتخلصوا منه ، وكانوا يعتقدون أن بولحية ليس الا دجالا وغشاشا وكذابا ، ويشاركهم وزراء الدولة السبعة هذا الاعتقاد ، وعندما أوعزوا الى السلطان بهذه النصيحة كانوا يأملون أن يتخلصوا إلى الابد من هذا المحظوظ الجديد ، الحائز على ثقة السلطان كاملة ، وأن يجعلوا روحه تخرج من بين اللحم والترائب ، وأن يفارق القصر مهزوما لا شيء معه غير الجلباب الذى يرتديه ، وفي الوقت نفسه يبقون مع الخزانة ، لانهم هم ، ولا أحد غيرهم ، الذين تآمروا على سرقتها .

وقعت النصيحه من السلطان موقعا حسنا ، فأمر باستدعاء مستشاره ، واثنى على علمه وقدرته وكفاءته ووعده بأحسن الثواب اذا كشف الغطاء عن أسرار هذا الموضوع الغامض ، وتوصل الى سارق الخزانة ومكانها ، وهدده بأقصى العقوبات ان فشل في مهمته هذه .

يا للحاج العربي وسوء حظه ! .

لعن الله اليوم الذى جاءت امه به الى هذا العالم ! .

لقد أغناه الله ، واهبط عليه الثروة ما بين غمضة عين وانتباهتها وبالمثل ، في نفس اللحظة ، والمسافة والزمن ، سوف يسترد منه حتى الحياة نفسها ! .

كيف يستطيع أن يواجه هذا الأمر ، وأن يجتاز هذه المحنة ، وأن يتغلب على أعداء السوء ؟ .

أخذ الرجل الشقي التعس يرتعش ، وأسنانه تصطك ، ولفته برودة قاتلة للحظات ، نفذت حتى عظامه ، ثم غرق في موجة عرق غزير ، وراح يوشوش نفسه في صوت خفيض :

– آه يا عربي ، كم أنت شقي وتعس ، لم يعد أمامك من طريق للنجاة ، ولا مهرب من الموت !

هل ظننت في زهوك وغيك أن هذه السعادة سوف تدوم لك طويلا ؟ .

ثم توجه الى السلطان مجيبا وراجيا :

– مولاى القدير ، وسلطاني العظيم : القضية التي كلفتني بها بالغة الاهمية ، تحتاج في الحق ، في الحق ، الى سبعة أيام كاملة لحلها ، سبعة أيام تماما ، لا أقل ولا أنقص ، فضلا عن سبعة خرفان سمان تأمر لي بها ، وسوف أذبح في كل يوم منها خروفا في صحتك .

وافق الملك على اقتراح بولحية ، وانسحب الجميع ، غير أن الوزراء الذين حضروا المجلس ، وسمعوا الاقتراح ، اصابهم شيء غير قليل من القلق والهلع والاضطراب ، وفاض بهم الخوف ، واخذوا يتهامسون فيما بينهم :

– لا شك أن بولحية توصل الى معرفة من ارتكب السرقة ، ويؤكد هذا أنه طلب سبعة أيام ليتوصل الى الحل ، وسبعة خرفان سمان يذبح في كل يوم منها خروفا ، ألسنا نحن الذين ارتكبنا السرقة سبعة ؟ . ومن الأوفق اذن أن نراقب في هذا الاجل المحدد هذا الكاتب – أخزاه الله .

وعلى كل واحد منا أن يتجسس عليه

حكاية شعبية مغربية

ليلة ، وأن يراقب بيت حليف الشيطان هذا .

ووافق الوزراء بالاجماع على هذا الاقتراح !

ولم يكد الليل يمد جناحه ، ويغرق المدينة فى الظلام ، حتى ذهب اكثر الوزراء شبابا الى ما وراء باب العربى يتسمع ما يجرى هناك ،



ووصل فى اللحظة التى أمسك فيها العربى بأحد الخرفان ، بينما يقول لزوجته :

– انها ملكى ، ولا يستطيع أحد أن ينتزعها منى .. وهذا اولهم !

وسمع الوزير المتلصص هذا الكلام بين بين ، ولكن جملة « وذلك اولهم » وصلته واضحة قوية ، فأسرع هاربا ومرعوبا ، وعاد الى رفاقه فوصلهم فى لمح البصر ، حيث كانوا جميعا مجتمعين فى انتظار رأيه . وعندما وصل صاح فيهم :

– لقد ضعنا جميعا ، لم أكد أصل الى بابه المغلق ، باب ذلك الشيطان أو أى شيء كان حتى سمعته يقول لزوجته : هذا هو الاول .

وفى الليلة التالية ذهب الوزير الثانى يتجسس فى الساعة نفسها ، وما أن بلغ الباب حتى سمع بولحية يصيح من الداخل :

– وهذا هو الثانى ، والله العظيم يجب أن أكل كبده مشويا ؟

وهرب الوزير المرعوب فى لمح البصر ، لم تحمله قدماه ، ولم يشك لحظة واحدة فى أن بولحية يتحدث عنه ، ولم يرد بخاطره أبدا أن حديثه الى زوجته انما كان عن الخروف ، وبدأ يقنع زملاءه بما يجب عليهم أن يفعلوه لينقذوا أنفسهم ، بأن يكتشفوا داخل الكاتب وأن يجسوا نبضه لمعرفة ما اذا كان يمكن أن يصلوا معه الى اتفاق ! .

وهكذا رتبوا نزهة ريفية ، تجمعهم به كلهم ، وبعد وجبة طعام لذيذة ودسمة افتتحوا الموضوع مباشرة

قائلين :

– يا حاج عربي ، أيها الفقيه العارف الموقر ، نحن فقراء الى الله، وخدمه المطيعون ، وعباده الساهرون، ونشعر نحوكم باعجاب كبير ، ونكن لكم وقارا عظيما ، لا يقل مع الزمن ولا يبهت ، ومنك نرجو أيها الفقيه العارف الواصل شيئا من الرحمة . ملا الله بيتك بالمال والبنين ، لماذا لا تقل لنا :

هل نحن مسلمون أو غير مسلمين ؟

وأسرع الكاتب يهمهم :

– لا اله الا الله محمد رسول الله !

– وبما اننا مسلمون ، وقلوبنا مسرورة بما تناولنا من شهي الطعام الذى تقاسمناه ، احلف لنا انك ان تخصرنا .. اقسم بانك لن تظهر اسماءنا ، وسوف نعطيك الخزانة المسروقة .

لم يظهر بولحية اية اشارة تنبيء على أنه فوجيء بالامر ، وظل واثقا من نفسه تماما ، متظاهرا بالشفقة ، ووعد بالصمت ، وأن كل شيء يجب أن يعود الى مكانه كأن لم يحدث شيء .

وفى اليوم الذى انتهى فيه الاجل الذى حدده السلطان ، أعلن بولحية أنه بفضل السحر ، وقدرته على تسخير الجن ، استطاع أن يسترد الخزانة ، وأنهم سوف يجدونها فى مكانها ، غير أن علمه وجهده وقف عند هذا الحد فلم يستطع أن يتوصل الى اكتشاف اسماء اللصوص الذين سرقوها .

واظهر الملك ابتهاجه باسترداد خزانته ، ولكن سحابة شك ألمت به ، وبشيء من التفكير والتأمل بدا له ان شيئا غامضا فى العمق ، وان هناك سرا خفيا وراء الظاهر ، ولذلك قرر أن يضع قدرة منجمه ومستشاره موضع الاختبار من جديد ، حتى لا يستطيع ان يخدعه أو يغشه .

وحانت لحظة الامتحان .

أمر السلطان بأن يوضع تحت عرشه ثلاثة أوان ، وان يملأ الاول عسلا ، والثانى سمنا ، والثالث قطرانا ، ودعا كل رجال البلاط ، وامر باحضار بولحية ليتنبأ بما فى هذه الاوانى الثلاثة .

واحس الرجل المسكين بأن رأسه يتراقص بين كتفيه ، وبدأ يتشهد سرا قبل ان يأخذ طريقه الى الدار الاخرة واغمض عينيه لحظة ، وفكر : ان قضية المنديل والخزانة كانت فطيرا وحلوى بالنسبة الى هذا المأزق ، وأشار الى الاوانى الثلاثة موضع التجربة والاختبار ، وراح يردد هامسا :

– الاول حلو ، والثانى ابيض ، والثالث اسود .

ونزل السلطان من على عرشه مسرعا ، وعانق بولحية ، وقبل رأسه واعلن على مرأى من الجميع ان الحاج العربي بولحية هو أشهر المنجمين ، وشيخ الفلكيين ، واعظم السحرة الذين عرفهم هذا القرن !

لم غمره بالالقاب والهدايا والاموال !

الأمريكانية

وثقافة الفشار .. والهمبورجر

بقلم : محمود قاسم

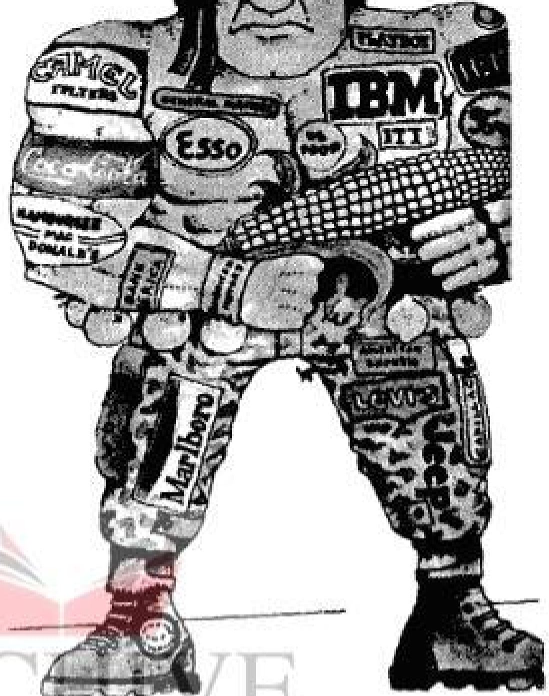
اسند الرئيس الامريكي ، السابق ريجان ، راسه وهو يشاهد فيلما على شريط فيديو ثم ردد : « الآن، اعرف ماذا يجب ان افعل » . وبعد عدة اشهر راحت طائراته تقوم بمناورات استفزازية فوق خليج سرت . وتقذف مدينتي طرابلس وبنغازى . ويومها طلعت الصحف بعناوينها الرئيسية : « رامبو يحقق عملية جديدة في ليبيا » .

لم يكن الامر غريبا فى ذلك الحين على هذه العناوين .. فقد كان فيلم « رامبو » يعرض بنجاح ساحق فوق شاشات السينما بالمدن العربية .. وأيضا فى نوادى الفيديو .. اى ان ثقافة رامبو كانت اسبق من القذائف الامريكية ..

قبل سنوات من هذا الحادث ، حطت سفينة سوفييتية ، عن طريق الخطأ ، عند أحد الشواطىء الامريكية . ونزل منها بعض الجنود الذين ضلوا طريقهم . وبعد قليل دخل جندى منهم الى بيت امريكى بسيط .. وعندما فتح الثلاجة .. لم يصدق عينيه وهو يشاهد ما بها .. وصاح : كوكا . كولا .. كوكاكولا .

لا يمكن لاحد أن ينكر ، مهما كان مؤيدا أو معارضا ، ان الولايات المتحدة الامريكية أغنى وأقوى دولة فى العالم خاصة فى القرن العشرين . ولا تنحصر هذه القوة فى جانب دون اخر . لكن هذه القوة لا يمكن ان تصل الى العالم الا من خلال طراز خاص من الثقافة راح الامريكيون يصدرونه فى جميع أنحاء العالم .. عبر وسائل اعلام منتشرة .

هذه الثقافة معروفة تحت اسم ثقافة الفيشار .. والهمبورجر .. هى ثقافة لا تغنى من جوع ولا تشبع عطشانا .. لكنها يمكن أن تملأ جوف البطون دون ان تحتوى اى قيمة غذائية مفيدة للجسم



رامبو .. بريشة الفنان الجزائرى قاسى

.. وقد سعت الولايات المتحدة الى صنع ثقافتها الخاصة بها وحاولت ان تعطيها هويتها المحددة،ثم قامت بتصديرها الى جميع انحاء العالم فى مختلف الفنون التى بدأت تصطبغ بالفعل بالسمات الامريكية . وشكلت تهديدا ـ خاصة فى السنوات الاخيرة ـ على الثقافات الوطنية للعديد من دول العالم وخاصة العالم المتحضر، ليس اقتصاديا .ولكن ايضا فكريا . وقد بدأت هذه الدول تحس بالخطر من هذا الغزو الداهم ، فأخذت تنبه اليه وتحذر منه ومن تغلغله وسط ثقافاتها الاصيلة .

ولعلنا نتذكر انه عندما دخلت زجاجة الكوكاكولا ، الى الصين الشعبية، بعد سنوات من الثـــورة الثقافية ، هلل الامريكيون بشدة . فقد تسرب الى الصين بعد ذلك كل من شارلى شابلن ووالت ديزنى .. وفيما بعد المنتجات الامريكية .

وعلى سبيل المثال . فان الولايات المتحدة تنتج ٦ ٪ من الافلام الروائية العالمية . الا ان هذه الافلام تدر نسبة ٥٠ ٪ من رصيد الافلام السينمائية فى العالم . والافلام الامريكية التىتعرض فى فرنسا تمثل ٥٠٪ . وفى السوق الايطالى وهولندا وشمال اوربا تمثل ٣٥٪ اما فى المانيا فتمثل ٦٠٪ وفى انجلترا ٨٠٪ . بينما تمثل الافـــلام الاوربية التى تعــرض فى الولايات المتحدة نسبة ٤٪ ولا يتقبل الامريكيون نوعية الافلامالقادمة من اوروبا بسهولة مثلما لا يتقبل الثقافة الاوربية عامة.. والسبب بالغ البساطة .. فالثقـــافة الاوربية ثقافة فكر .. والامريكيـــون معتادون على ثقافة الفيشار .. على افلام رامبو وانديانا جونز .. لذا فان النسبة الضحلة من الافلام الاوربيـــة غالبا ما تكون مصنوعة على الطـــراز الامريكانى ..

● العدوى .. الامريكية

اما فى التليفزيون ، فان الولايـات المتحدة تبث للعالم نسبة ٧٥ ٪ مـــن برامجه . وهذه البرامج تنحشر فى كل تلفازات العالم . وعندما يبث تليفزيون ثلاثة ارباع برامجه ببرامج امريكية، فهذا يعنى انه تليفزيون امريكى مهمـــا كانت هويته الوطنيـــــــة .. وتلعب المسلســــــلات الامريكية دورهـــا فى مـــلء المساحات الزمنيـــة لهذه التلفـــــازات وهى مـــن نـــوع دالاس

الأمريكانية

وداينستى ونوتس لاندنج · مليئـــة بالابهار · لكنها خالية تماما من أى فكر ·· والغريب ان تلفازات العـــالم تخصص لمثل هذه البرامج والمسلسلات الامريكية ساعات الذروة بالنسبة للبث الى جماهير المشاهدين ·

وفى مجال الغناء والكاسيت تساهم الشركات الامريكية بنسبة ٥٠ ٪ مـن السوق العالمى · ولذا فان على العديد من المطربين الذين ينشدون الانتشـار اما الذهاب الى الولايات المتحدة أو الغناء باللغة الامريكية مثلما فعل ايف مونتان وشيلا وفريق أبا ·· ويجـب أن يبتعد المطرب الاوربى ، اذا غنى للامريكيين ، عن الاغانى الحالمة ليقفز على انغام البوب والمطارق العـالية الصدى · والاضواء الباهرة ·

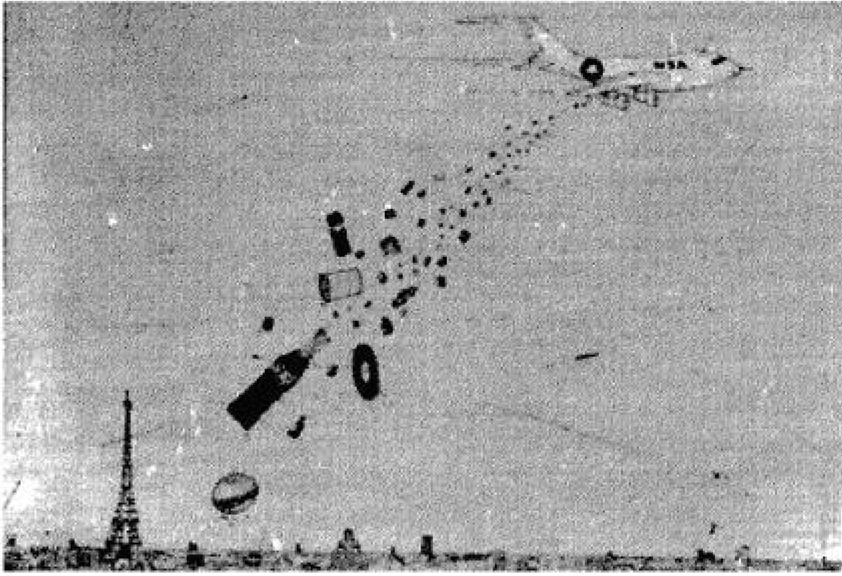
أما فى مجال الاعلام والدعـاية، فان الناشر الامريكى هو الاكثر اهمية فى كل انحاء العالم · ووكالات الانباء الامريكية تكاد تحتكر انباء العالم التى تبثها الى كل وكالات الدنيا ··

تعبر هذه الارقام عن واقع موجود، لكن الكثيرين لم ينتبهوا اليه · ففى بيوت كثيرة من بيوتنا تصـبــح شخصيات والت ديزنى رمزا لافكارنا· وقد تبعتها شخصيات أخرى امريكانية مثل رامبو وسوبرمان واى · تى · وتقول مجلة لوبوان ــ ٢٢ يوليـو ١٩٨٥ ــ ان الفيلسوف الامريـكى امرسون تساءل فى عام ١٨٦٠ : «هل يمكن أن نستخلص العدوى الاوربية من أمخـاخ مواطنينا ؟ ، وبعـد مائـة وعشرين عاما ها هى العدوى الامريكية تغزو عقولنا الاوربية » ·

وفى كتابه « فرنسـا المستعمرة » تحدث جاك تيبو عن حـالة الاستعمار التى تعانى منهـا بلاده فى السنوات الاخيرة فيما اسماه بالامبرياليـة الثقـافية الامريكية · أو الامبرياليـة التى وجدت جذورها فى كل العالم من خلال الثقافة الامريكية · هذه الثقـافة هى ميراث الطلائع ، وزنوج افريقيـا والهنود · وتقاليد الشماليين واليهود واللاتينيين والعبيد الـذين جاء بهم المهاجرون القدامى الى العالم الجديد ·

● كوكا ·· من دم الخنازير

فالشخصيات السينمائية الامريكيـة قد أعدت لاثبات تفوق الامريكيين رغما عن المتفرج العالمى الذى ليس عليـه سوى الجلوس فى صالة مظلمة وقـد علته الوحشة والانبهار لهذا التقـدم التقنى · ومن خلال صندوق صـغير يسمى التلفاز يمكن لاسرة صـغيرة تسكن كوخا قديما مليئا بالاثـــاث الفقير ، وبينما يلتقط افرادها العشـاء الذى لا يسد البطون ، أن تشــاهد مسلسلا امريكيا يغص بالسـيـارات الفارهة والناطحـات العـاليـة · والديكورات الفخمة · ويروح كل من سوبرمان والرجل الاخضر وبك روجرز ينقلون أفراد هذه الاسرة الى عــوالم لا يمكن لشخص أن يحلم بها ·· فالمرء دائما يحلم بما يمكن أن يحققه ··



الطائرات لاترمي كتاكيت .. للفنان قاسي

وكثيرا ما تلتقط الولايات المتحدة ثمار هذه الثقافة ، ثقافة الفيشار ، فعلماء العالم يودون الهجرة اليها كي يمكنهم الاستفادة من خبراتها . وتشهد الجامعات الامريكية تكدسا كبيرا من قبل المهاجرين القادمين اليها خاصة من القارة اللاتينية . ويدرس في الولايات المتحدة سنويا أكثر من ٦ الاف طالب في مجال الطب قادمين من تايوان والفلبين . كما ان هناك ٨ الاف دارس في مجال الهندسة .وتقول مجلةلوبوان في العدد السابق الاشارة اليه ، ان هذا قد شجع عددا كبيرا من الاسرائيليين على الرحيل الى الولايات المتحدة . وان اسرائيل أصبحت مصيدة لاصطياد العقول العالمية لاستثمارها في شتى الميادين .

وتتمثل ثقافة الفيشار في الحكايات الدرامية التي تملأ الروايات الامريكية، التي سرعان ما تجد طريقها الى الشاشة ، وهي حكايات تعتمد على الاثارة والابهار ولهاث الانفاس لذا رفض الامريكيون كافة اشكال التجريب التي عرفتها أوروبا خلال النصف قرن الماضي . وقد سعى العديد من الادباء الاوروبيين ان يقدموا ادبا على الطريقة الامريكانية . ونجحوا في التقرب الى عقلية القارىء الامريكي مثلما فعل جونتر جراس والبرتو مورافيا وايطالو كالفينو . وانتوني بيرجيس .

وتقول مجلة (في . اس . دي) الفرنسية أن الدول الاسلامية كانت أول من رفض حضارة الكوكاكولا . حدث ذلك في الثلاثينات . حين اعتاد الصهاينة صناعة شراب الكوكا من دماء الخنازير . في تلك السنوات دخلت هذه الزجاجة أغلب بلاد العالم واصبحت رمزا امريكيا . لدرجة أنه قد بيع من هذه الزجاجات أثناء سنوات

الأمريكانية

الحرب العالمية الثانية قرابة خمسة مليارات زجاجة ..

● أمريكا .. واليابان

أما مجلة « تايم » الامريكية ، فقد خصصت عددا عن « المهاجرين » قالت فيه ان البلاد قد سعت دائما الى جذب العناصر البارزة في مختلف انحاء العالم · وانها تقوم بتلميع هذه الوجوه ، وصبغها بالصبغة الامريكية ، وسرعان ما ينسى أصحابها ملامحهم القديمة · وقد حدث هذا لكل الاجناس على السواء دون تفضيل لجنسية على أخرى .. وقد وصل الى الولايات المتحدة بين عامي ١٩٦١ ، ١٩٨٤ اكبر عدد من المهاجرين جاءوا من كوبا وفيتنام ولاوس · وقد شهدت الهجرة حالات ارتفاع وانخفاض · ففى عام ١٩٠٧ وصل الى البلاد تسعة ملايين نسمة · أما أقل معدل للهجرة فقد كان اثناء الحرب العالمية الثانية ·

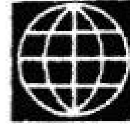
ويهمنا هنا أن نتحدث عن حالات الهجرة الثقافية الى الولايات المتحدة· فأسباب الهجرة عديدة ، كما تقول المجلة ، منها الديموقراطية المنشودة أو البحث عن حياة اكثر ثراء · والابتعاد عن مواطن الظلم · والبحث عن الشهرة والمجد ..

ففى مجال السينما هاجر الى امريكا كل من شارلى شابلن وانجريد برجمان وجريتا جاربو وكارى جرانت،وفالنتينو وهتشكوك · ومخرجين من طراز ميلوش فورمان وايليا كازان · وتقول المجلة ان هذه الاسماء ما كان لها ان تحقق كل هذه النجومية لو لم تذهب الى الولايات المتحدة ·

وقد اثير سؤال هام هو : هل غزت الولايات المتحدةالعالم ثقافيا بما تتمتع به من ثراء مادى وانجازات علمية فقط ؟· وهل يمكن لدولة مثل اليابان ان تحقق مثل هذه الانجازات فى المستقبل ؟ ·

السؤال ، حتى الان ، يجد ردا مناسبا فيما يتعلق بالولايات المتحدة· فاليابانيون غارقون فى انجازاتهم العلمية · نسوا تماما أن يقدموا للعالم ثقافة تخصهم· بل انهم يتركون الامريكيين يصنعون لهم ثقافاتهم · فالولايات المتحدة هى التى مولت أهم الافلام اليابانية فى السنوات الاخيرة· كما انها هى التى قدمت للعالم ترجمات لاشهر ادباء اليابان مثل يوكيو ميشيما وياسوناري كاوباتا · ولذا يتوقع العالمون ببواطن الامور أن تظل الولايات المتحدة سيدة على ثقافة الفيشار والهمبورجر لسنوات طويلة قادمة .. رغم المحاولات المحلية والعالمية لمقاومتها وصناعة ثقافات محلية ذات طابع خاص .. لكن للاحتكار الثقافى سطوة خاصة ·

من الجدير بالذكر أنثقافة الفيشار هذه ليست هى الثقافة الوحيدة فى الولايات المتحدة · فهناك ثقافات أخرى جادة · يعمل اصحابها فى جدة · ومثابرة·· لكن الغريب أنأصحابها اقل شهرة من ثقافة الهمبورجر ..



العالم في سطور

سان فرانسيسكو

● الجينز .. وإيقاع العصر

نشرت مجلة ستوريا الفرنسية موضوعا بالغ الطرافة عن صناعة وتاريخ الجينز .. أهم وأشهر الازياء المعاصرة في العالم ..

والموضوع عبارة عن ايجاز لكتاب سينشره فيليب سيجى اخصائى الازياء الذى يقول أن الجينز قد ولد في مدينة سان فرانسيسكو في عام ١٨٥٣ . وهو نفس العام الذى وصل فيه الى المدينة ٣٢ ألف مهاجر من بينهم شتراوس ليفى الذى رأى أن أنسب الازياء لهؤلاء المهاجرين الباحثين عن الذهب والمغامرات هي تلك المصنوعة من اقمشة الخيام .. فراح يصنع الكثير من هذه الملابس التي لاقت اقبالا منقطع النظير .. لدرجة أن ليفى قد باع من هذه الملابس ما يعادل المليونى جنيه عام ١٨٨٠ .

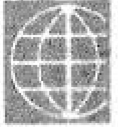


جيمس دين .. في "العملاق"

وقد زاد اقبال الناس على ملابس الجينز لدرجة أصبح بها أبرز علامات العصر .. وخاصة القرن العشرين . فقد جاء الجينز ليواكب عقلية الغرب من ناحية . والمجتمع الصناعي من ناحية أخرى . فلم يعد زى المغامرات الذى يكتسب رونقه في اتساخه من العمل . بل أصبح زيا مفضلا يرتديه الناس أثناء الاجازات والرحلات .

وانعكس تفكير القرن العشرين في هؤلاء الناس الذين راحوا يؤمنون به .. ويرتدونه .. ففي سنوات الازمة الاقتصادية . كان هو الانسب لأنه الارخص . وفي سنوات الحرب ارتفعت اسعاره بشكل جنوني نتيجة لارتفاع أسعار القطن .. وعندما انتهت الحرب راحت الفتيات الشقراوات الجميلات يتبخترن به في الشوارع فأحس الناس بمدى ما يتمتع به مرتدوه من جاذبية .

وقد أصبح الجينز حالة من الجنون لدى الشباب حينما راحوا يتابعون بساطة الممثل الوسيم البسيط جيمس دين في فيلم "العملاق" .. وساد الجينز على كافة الملابس الاخرى . لدرجة انه كان يباع منه ١٥٠ مليون قطعة سنويا في الولايات المتحدة أثناء سنوات الستينات . في هذه السنوات . شارك أصحاب الجينز في تشكيل عقلية العالم .. مثل الهيبيين وشباب مايو ٦٨ . والنساء المؤمنات بحركة التسوية



اسلام اباد

زهرة الإسلام

ابنة الشرق هو الاسم الذى اختارته "بنازير بوتو" عنوانا لكتابها ، أو بمعنى أصح لسيرة أول امرأة تنتخب رئيسة للوزراء فى دولة دينها الرسمى الإسلام .

والكتاب الذى يقع فى ثلاثمائة وثلاث وثلاثين صفحة يبدأ بالحدث الفاجع فى حياتها ، ذلك الحدث الذى جعل منها شخصية سياسية مرموقة ! الا وهو قيام "ضياء الحق" بتنفيذ حكم الاعدام الذى أصدره فى حق والدها "ذو الفقار على بوتو" (١٩٧٩)

فسبب إعدام والدها انتقلت زعامة حزب الشعب اليها بالاشتراك مع والدتها .

كما انتقلت هى من بيت الأكابر الى غيابات سجون الدكتاتور تمكث فيها زهاء خمسة أعوام .

حقا كانت اوقاتا عصيبة .

فحجرات السجن الضيقة كانت بلا مراوح



بنازير بوتو

ترطب الهواء

والنوافذ الصغيرة كانت لا تتناسب مع حرّ صيف باكستان الذى لا يرحم .

والاسوأ من ذلك كله هو انه كان فى امكان الحكومة ان تزهق روحها حينما تشاء .

وعن محنتها ذكرت فى كتابها كيف وصلت الوحشية بسجانيها الى حد ترك السم الزعاف امام عينيها فى حجرتها بالسجن ، لعله يغريها على التخلص من حياتها بالانتحار .

وبعد الإفراج عنها ، سمح لها بمغادرة باكستان إلى لندن للعلاج من مرض خطير أصاب اذنيها .

وما ان استقر بها الحال فى العاصمة البريطانية ، حتى عملت بالتعاون مع الصحفى المخلص "بشير رياز" على اصدار مجلة معارضة تكشف جرائم ديكتاتورية ضياء الحق .

وعندما قام الديكتاتور بالغاء الاحكام العرفية سارعت "بنازير" بالعودة الى باكستان حيث استقبلتها جماهير "لاهور" استقبالا فاق كل التوقعات ، حتى أن موكبها اضطر الى ان يقطع فى عشر ساعات مسافة الثمانية أميال الممتدة من المطار الى نُصب الاستقلال .

وعلى كل فما ان استردت زعماتها للحزب ورسخت اقدامها فى أرض الوطن ، حتى بدأت تخطب فى اجتماعات حاشدة تصدر بيانات تشجب ديكتاتورية ضياء الحق ، تلتقى بالصحفيين الزائرين لتشرح لهم الاوضاع المتردية فى البلاد .

وفوق كل هذا انتظرت مترقبة ما قد تفعله الاقدار .

ولم يطل بها الانتظار ، فما أن انتهت من تأليف الكتاب ، حتى قتل "ضياء الحق" فى حادث انفجار طائرته ، هو وجميع من معه من كبار ضباطه المقربين ، تاركا الطريق الى السلطة مفتوحة امام ابنة الشرق زهرة باكستان .

لندن

سقوط مملكة النساء لماذا ؟

احدثت الباحثة "روزالند مايلز" بكتابها "التاريخ النسائى للعالم" ضجة كبرى .

ولا غرابة فى هذا ، فهى فى ذلك الكتاب انما تتحدى الرجال بتسخيف الفكرة التى تزعم ان جنسهم هو الذى صنع التاريخ ، كسب المعارك ، ابتدع الفلسفة والاختراع .

"فاسباتيا" من ميليتوس "سيدة اثينا الاولى" كانت المدرسة الرئيسية لافلاطون ، ولولاها لما اصبح ذلك الفيلسوف الذى ما يزال يؤثر على الفكر حتى يومنا هذا .

و"اريستوكليا" هى التى لقنت "فيثاغورس" الدروس حتى جعلت منه عالما مرموقا .

و"هيباتيا" لمع اسمها فى اسكندرية القرن الرابع الميلادى ، وذلك بفضل اختراعاتها التى قفزت بعلم الفلك خطوات واسعة الى الامام .

و"ارتيمسيا" هى التى قادت الاسطول فى معركة ضد الاثينيين المهرة ، انتهت بهزيمتهم قريبا من سلاميس .

ولقد كان للنساء على امتداد خمسة وعشرين الف سنة أو يزيد نوع من القدسية بوصفهن حافظات لكل أسرار الحياة .

ومن هنا اتخاذ العلامات المقدسة شكل الفرج واحتكار النساء لمعظم مناصب الكهانة .

واستحواذهن للسلطتين الروحية والاقتصادية على امتداد العالم من سهول روسيا شمالا حتى آسيا وافريقيا واستراليا جنوبا .

وفى رأى صاحبة الكتاب المثير ان التحول الدرامى الذى طرأ على مركز المرأة بحيث انتهى بها الى كائن ضعيف مسلوب الحقوق ؛ هذا التحول بدأ عندما اكتشف الرجل دور الحيوان المنوى .

وفهم انه هو الآخر له دور حيوى فى عملية الإنجاب !!

نيويورك

إمراة مبتذلة !

ما أن اختفت الأديبة الامريكية "ليليان هيلمان" عام ١٩٨٤ بالموت عن عمر ناهز الثمانين ، حتى بدأ اسمها فى اللمعان من جديد بفضل ما نشر عن سيرتها من كتب آخرها "ليليان هيلمان : اسطورتها وميراثها" بقلم "كارل روليسون" و"ذكريات عن ليليان هيلمان" بقلم "بيتر فييلمان" ذلك الأديب الذى التقت به وهى فى الخامسة والثلاثين ، وهو فى العاشرة من سنيه ، ثم صاحبته عشيقا بعد ذلك بثمانية عشر عاما .

وليس من شك انها كانت اشهر كاتبة مسرح فى العالم بل جاء وقت انفردت فيه بالاضواء تسلط عليها وحدها دون سائر الأديبات مهما كان حظهن من موهبة الابداع .

ولدت "هيلمان" فى "نيواورليانز" من اسرة متيسرة الحال .

كانت امرأة فاجرة ، سوقية ، ضعيفة ، سكيرة ، سليطة اللسان


ليليان هيلمان

وفوق كل هذا كانت قبيحة ، ليس فى وجهها مسحة جمال .

ومع ذلك كانت كاتبة موهوبة ، خفيفة الظل ، شجاعة لا تهاب الوقوف بجانب الحق والتصدى لقوى الظلام .

عملت مراسلة حربية بجبهة القتال فى روسيا السوفييتية حيث التقت بستالين ، فاعجبت به ، وظلت على اعجابها هذا حتى جاءها الموت .

ويقال ضمن ما يقال انها لم تؤلف الجزء الثالث من سيرتها "الزمن الوغد" الا تحسبا منها للحملة المتصاعدة ضدها بسبب عدم تراجعها عن موقفها القائم على تأييد الاستالينية .

ولعل صمودها أمام زحف طاعون الماكرثية وتهديده لحرية التعبير فى الولايات المتحدة اثناء النصف الأول من عقد الخمسينات ؛ لعل هذا الصمود وقولتها الساخرة المصاحبة له "لا استطيع ، ولن اقص ضميرى كى يتناسب مع ازياء هذه السنة" هو اكثر لحظات حياتها روعة وصفاء .

فى ايامها الاخيرة - وقبل ان تودع الحياة - فقدت نعمة البصر اصبحت لا تعانى ، كما فى ايام الشباب ، من قلة المال .

الجزائر

● رتبة عسكرية .. لقرية عربية

"شرف القبيلة" هو عنوان الرواية التى تقرأ الآن على اوسع انتشار فى فرنسا والجزائر . من تأليف الروائى رشيد ميمونى ، والتى استطاع من خلالها ان يحقق مكانة أدبية دفعت فردريك فيتو ان يؤكد ان الأدب الجزائرى الحديث قد وجد ماركيزه .. وذلك فى مجلة لونوفيل ويسرفاتور .


رشيد ميمونى

وميمونى كاتب متعدد الانشطة . فهو مؤرخ . وشاعر ، وكاتب مقالات ، تتسم كتاباته بالسخرية الشديدة من العالم وبالمرارة والصفاء . نشر روايته الأولى "النهر المتحول" عام ١٩٨٢ ثم جاءت روايته الثانية "طومبيزا" عام ١٩٨٤ . وهى اعمال جعلت الكاتب يواجه العديد من المشاكل مع السلطات الجزائرية .

وتدور احداث رواية "شرف القبيلة" فى احدى القرى الجزائرية النائمة فى احضان الجبال العالية . القرية اسمها زيتونة وتضم مجموعة من النماذج البشرية التى اختار ميمونى ان يركز عليها مثل حداد القرية ، وبقالها . والعبيط الذى يعرف اشياء كثيرة . هؤلاء الاشخاص وغيرهم يصبحون شواهد على بعض سنوات الاحتلال الفرنسى للجزائر . فقد

تنبه الفرنسيون الى اهمية القرية اثناء سنوات الحرب . ولذا منحوها رتبة عسكرية .

والرواية مليئة بالشخصيات والاحداث ، حتى لتكاد ان تكون الف ليلة معاصرة .. مما دفع بالناقد فيتو ان يقارنها برواية ماركيز "مائة عام من العزلة"

والجدير بالذكر ان هذه الرواية قد نبهت ، من جديد ، إلى اهمية الادب العربى المكتوب باللغة الفرنسية . فبعد "ليلة القدر" لابن جلون .. هاهى "شرق القبيلة" تدخل فى سباق الجوائز الأدبية لهذا العام ، ولعلها تفوز باحدى الجوائز الهامة التى ستعلن فى الاسبوع الثالث من شهر نوفمبر القادم .

لوزان

سيمون : الكاتب الذى اعتزل مهنته

رجل عادى فى مظهره الخارجى .. لكنه يشتعل نشاطا فى داخله . هذا هو الوصف الذى اطلقه الكاتب الفرنسى الراحل جورج سيمنون على بطل رواياته المفضل المفتش ميجريه .. إنه نفس الوصف الذى اطلقته الصحافة ايضا على سيمنون ..



جورج سيمنون

جورج سيمنون هو حصيلة هائلة من الابداعات والمذكرات والترجمات وايضا فى عدد الرحلات التى طاف بها هو وزوجاته حول العالم .. وعدد الكلمات التى طبعها بالته الكاتبة ..

وعرف عن سيمنون انه اكثر الروائيين سرعة فى الكتابة .. تفوق فى ذلك على مواطنيه بلزاك وهيجو . وكان يستطيع كتابة رواية واحدة ضخمة فى ثلاثة ايام لا اكثر حيث يواصل الجلوس فى مكتبه طيلة ساعات النهار دون ان يترك القلم من يده الا فى فترة الغداء ..

جاءت شهرة سيمنون من خلال صورة المفتش ميجريه .. وهو شخصية روائيه ظهرت فى كل الروايات التى كتبها إبتداء من عام ١٩٢٩ .

واختار المؤلف ان يكون المفتش ميجريه اقرب فى شكله وسماته اليه شخصيا فالغليون لايفارق شفتيه ، وهو يرتدى ، دوما معطفا ابيض اللون ويضع على راسه قبعة تخفى ملامح وجهه كى لاتكشف بسهولة عن انفعالاته . وميجريه لا يتمتع باى ذكاء عرف به مفتش تحر آخر هو شرلوك هولمز كما انه رجل تجاوز الخمسين ويكره استخدام المسدس الذى يحمله .

الطريف ان سيمنون قد اعتزل الكتابة الابداعية فى عام ١٩٧٢ وفى ذلك العام اتجه الى مصلحة الاحوال المدنية بمدينة لوزان التى يقيم بها . وطلب تغيير وظيفته من روائى الى بلا وظيفة .

وبعد هذا القرار لم يمسك سيمنون قلما يكتب به كلمة إبداعية واحدة واختار ان يدون مذكراته الخاصة من خلال مجموعة كبيرة من شرائط التسجيل وعندما نشرت هذه المذكرات فى ٢٠ مجلدا بلغت صفحاتها الـ ٢٥٠٠ صفحة واجمع النقاد انها اجمل ما كتب سيمنون فى حياته .

ندوة الهلال

تقديم
عاطف مصطفى

أزمة المسرح
والهروب إلى الأمام

تستضيف ندوة « الهلال » الكاتب الكبير سعد الله ونوس ، أحد ألمع المسرحيين العرب ، الذين زاروا القاهرة بدعوة من المهرجان الثاني للمسرح التجريبي ، لمناقشة قضايا المسرح في مصر والوطن العربي . رأس الندوة الكاتب الكبير د . على الراعي وشارك فيها د . أمين العيوطي استاذ الأدب الانجليزى ، ومن أسرة التحرير عادل عبد الصمد . وطرحت الندوة مشكلات المسرح العربي ، والتحدى الذي يواجهه مما يقدمه التليفزيون والفيديو وخاصة بعد بدء البث المباشر عبر الأقمار الصناعية . وتحدث المشتركون في الندوة بقدر كبير من المصارحة والصدق .

رحب الدكتور على الراعي بالكاتب سعد الله ونوس قائلا : نلتقي اليوم والمسرح في البلاد العربية يمر بظروف صعبة ، والوضع لم يتغير كثيرا منذ كتب سعد الله ونوس في مقدمة " مغامرة في راس المملوك



د. على الراعى ، وسعد الله ونوس ، ود. امين العيوطى

جابر" انه لاتزال هناك فجوة بين المسرح كفن وجمهور المسرح القائم او المحتمل ، وان هذه الفجوة لم تسد حتى الآن ، ويبقى المسرح منفصلا عن الناس ولم يشق لنفسه طريقا فى الحياة الاجتماعية ، ولا فى وجدان الناس .

وربما يكون الوضع قد تغير شيئا ما منذ كتبت هذه الكلمات المُلحة فكثير من البلاد العربية اصبحت تعرف نشاطا مسرحيا من نوع آخر .

وفى مصر بالذات لنا سنوات طويلة وهناك نشاط سنوى مستمر على مدار العام لفن المسرح ، سواء كان فنا جادا تموله عقول جادة من الدولة او من بعض الافراد او المسرح التجارى او المسرح الهازل او المسرح السياحى الى آخر هذه المسميات .

وهناك نشاط مسرحى ، ولا اقول حركة مسرحية ، وهذا فى رأيى ـ وهذه النقطة مطروحة للمناقشة ـ قد كان له تأثيره ، حيث ان المسرح حفر بالفعل لنفسه مجرى فى الحياة الاجتماعية للناس .. فقبل ثلاثين او اربعين سنة لم يكن احد يقول انا ذاهب للمسرح ، وإنما يقول : انا ذاهب للسينما .

وكلمة مسرحية شقت لنفسها طريقا فى الكلام العادى للناس ، واصبح الناس يذهبون الى المسرح ، سواء المسرح الجاد او الهازل !

هذا فى رأيى مكسب ، وإن كان

محفوفا بالمخاطر ، وأقصد بالمكسب أن المسرح وصل الى الناس بطريقة او باخرى ، ولم يعد من الممكن في رأيي أيضا ان يلغى فن المسرح بجرة قلم ، او يتدهور حتى نصل الى نقطة الصفر ثم نعود لنحفر الأرض من جديد .

المسرح وصل الى الناس ، والناس يقبلون على المسرح الجاد الذى يعطيهم مايريدون ، دون النظر الى مصدر هذا المسرح ، واستهزاء بقول : إن الجمهور يريد المسرح الهازل .. وحيثما يعرض على الناس في مصر مسرحية جادة يحدث لها إقبال وتشجيع حار .

وفى فترة السبعينات حيث كانت اضواء المسرح مطفأة تقريبا ، جاءت فرقة عراقية بقيادة يوسف العانى وقدمت مسرحية "البك والسائق" واثارت ضجة كبيرة ، وهذا يدل على أن هناك خلايا لاتزال تعمل برغم محاولة إماتتها ، وحيثما تقدم الى هذه الخلايا إنتاجات جادة تنشط بشكل يدعو الى التفاؤل والدهشة فى نفس الوقت .

على سبيل المثال قدمت مسرحية "اهلا يابكوات" فى الموسم الحالى على خشبة المسرح القومى ، وهى مسرحية جادة ، احتشد لها الناس ، ونجحت نجاحا جماهيريا كبيرا .

إذن ، كما قلت إن هناك بعض الخلايا لاتزال حية في جسم المسرح فى مصر . واعتقد أن هذا من الممكن تعميمه على باقى البلاد العربية ، اى أن فكرة المسرح قد وصلت الى الناس بالفعل .



● سعد الله ونوس ●

● ولد فى محافظة طرطوس بسوريا عام ١٩٤١ .

● بعد دراسته الجامعية انطلق إلى باريس ليعايش حياتها النابضة بالفن والفكر ، وعاد بعد عامين ونصف إلى دمشق ليتقدم بشكل سريع ولتثير مسرحياته اهتمام النقاد .

● فازت مسرحيته "حفلة سمر من اجل حزيران" بالجائزة الأولى فى مسابقة وزارة الثقافة السورية ، واستطاع بهذه المسرحية ان يفرض وجوده .

● يعتبره النقاد من ابرز المؤلفين المسرحيين فى سوريا ، ويضعه الجمهور فى ارفع مرتبة وصل إليها مؤلف مسرحى سورى .

● يمكن تقسيم إنتاجه المسرحى الى مرحلتين : الاولى بدأت عام ١٩٦١ والثانية وهى مرحلة النضوج الفنى والفكرى الكامل ، وبدأت بمسرحية "الفيل ياملك الزمان" عام ١٩٦٩ والتى مثلتها فرقة الشرقية المسرحية .

● من اشهر اعماله "مأساة بائع الدبس الفقير" "حفلة سمر من اجل حزيران" "الفيل ياملك الزمان" "مغامرة رأس المملوك جابر" "الملك هو الملك" التى عرضت أخيرا فى مصر .

وقال د . علي الراعي موجها كلامه الى سعد الله ونوس .. وما كنت تاسف له في كلمتك عن مسرحية "مغامرة في راس المملوك جابر" ينبغي ان تكون قد خفت حدتها ، لأن المسرح في مصر قد وصل الى ذلك بالفعل ..

ايضا هناك ظاهرة اصبحت واضحة بشكل جلي في الأونة الأخيرة ، وهي نمو الدراما التليفزيونية الجادة ، خاصة تلك التي نجحت نجاحا كبيرا في إيصال افكار ومعطيات فكرية وسياسية واجتماعية للناس وفي مقدمتها أعمال اسامة انور عكاشة (ليالي الحلمية) التي يخاطب فيها الوجدان سياسيا واجتماعيا ، وهي ظاهرة مفرحة ، وإن كانت قد وضعت المسرح الجاد في مأزق ، لأن هذه المسلسلات اصبحت تقدم ما كان يقدمه المسرح الجاد في الستينات بوسائل اكثر تشويقا ، وبمقدرة على الوصول ، وبجماهير تعد بالملايين ، وبقروش قليلة ، واصبحت تستقبلها يوميا في بيتك محاطا باسرتك ، واصبحت عاملا موحدا بين الناس ، يفتحون جهاز التليفزيون في ساعة محددة يوميا لمشاهدة "ليالي الحلمية" .

إن هذه كلها عوامل طيبة في صالح المسرح ، ونلحظ أنها قدمت من خلال التليفزيون الذي نبتعد عنه جميعا نحن المثقفين .

والوضع فيما يخص المسرح وجهاز التليفزيون ، ينبغي ان يكون وضع الانسان المدقق الذي يريد ان يستولي على جهاز التليفزيون ، لحساب القيم الجادة والفكر الجاد في المسرح ، وهذه نقطة اولية في إشكالية المسرح والجمهور .

● أسباب الهبوط

□ د . أمين العيوطي : انا لا اتفق مع سعد الله ونوس في الجملة التي ذكرها عنه د . علي الراعي : ان المسرح لم يشق له طريقا بعد في قلوب الناس .. لأنه كيف يمكن ان نفسر ظاهرة الستينات في المسرح المصري .. ظاهرة الاستمرارية والنشاط المكثف في مسارح القاهرة والاسكندرية والجمهور الكبير الذي يؤم هذه المسارح وتلك الندوات التي كانت تعقد بشكل دائم في المسارح ويؤمها جمهور غفير ..

إنني اجد أن كلمة سعد الله ونوس لاتنطبق على الستينات بقدر ما تنطبق على السبعينات رغم أوجه النشاط المسرحي التي عددها د . علي الراعي إننا نعاني بالاضافة الى هبوط المسرح بشكله الهازل الذي يصل الى درجة الاسفاف في كثير من الأحيان حاليا ، ندرة الأعمال المسرحية التي تعرض على مسارح الدولة ، ايضا نعاني من هروب الممثلين وعدم اشتراكهم في الأعمال المسرحية ، لانشغالهم بأدوار درامية في السينما والتليفزيون ، وبالرغم من البداية الطيبة التي شهدتها الستينات فإن الظاهرة المسرحية انحسرت بشكل كبير كما اختلفت نوعية الجمهور واختلاف ثقافته وضحالتها !

□ سعد الله ونوس : عفوا للدكتور امين العيوطي .. فانا لم اقل أن

المسرح لم يشق طريقه الى قلوب الناس . والجملة التى اوردها د . على الراعى كانت عبارة فى سياق مقدمة مسرحية "مغامرة فى رأس المملوك جابر" وكان المقصود من هذه العبارة هو محاولة البحث عن فعالية مسرحية ، وبالتالى كانت فى إطار البحث عن المسرح الذى يلائمنا . ولم تكن العبارة تعنى انها محاولة لتقويم وضع المسرح فى الوطن العربى آنذاك .

اعود الى تلك المقدمة التى بدأها د . الراعى .. ولقد اعطانا من خلالها صورة وصفية عن الوضع المسرحى فى الوطن العربى وتبدو للوهلة الأولى مليئة بالتفاؤل .. فهناك مسرح مستمر ، وهناك مسرحيات تقدم وجمهور يؤم هذه المسارح ، وبالتالى فإن المسرح بشكل أو بآخر قد دخل النسيج الاجتماعى والحياتى للناس فى الوطن العربى ..

والمشكلة تبدأ من هنا ! ..

ماهو هذا المسرح الذى استطاع أن ينفذ الى نسيج الحياة الاجتماعية فى مصر او فى سوريا ، او فى سواهما من البلاد العربية ؟!

فى اعتقادى ان هذا المسرح بعيد جدا عن المسرح الذى يعالج شرط الانسان فى ظرف تاريخى أو ظرف اجتماعى معين ، والذى يسعف هذا الانسان على مواجهة هذا الظرف ، سواء من الناحية الفكرية أو من الناحية الجمالية .

ولايطمئننا وجود مسارح تعمل على مدار العام ، مادام ما تقدمه بعيد عن المسرح الذى نريده ، وهذا لايخفف من أزمة المسرح الذى نتوخاه ، اننا إذن



د. على الراعى

بصدد البحث فى ازمة المسرح الذى نريده ..

ومن الطبيعى أن أية محاولة لمواجهة الوضع بصورة وصفية ، ستفضى بنا الى مزج المسرح بالتليفزيون ، والتليفزيون هو إشكالية فى البلاد العربية ، وإشكالية بالنسبة للمسرح ، وصحيح أن التليفزيونات العربية تبث على مدى ساعات طويلة يوميا ، دراما ومسلسلات وأعمالا شبيهة بالدراما ولكنها بعيدة جدا عن المسرح فى مفهومنا ، وبعيدة جدا عن أن تكون بديلا عن المسرح الذى يعكس الواقع ، ويقدم صورة فكرية عميقة عن هذا الواقع من ناحية البنية السياسية أو الاجتماعية واعتقد ان علينا أن نتجاوز هذه الصورة الوصفية ، وأن نقرر بأن مايقدم على مسارحنا الآن ، هو نقيض المسرح الذى نريده ، ولأنه نقيض المسرح الذى نريده ، فإننا نقول إن المسرح يعانى من ازمة ، وعلينا الاقرار ايضا بأن مايقدمه التليفزيون إلا باستثناءات قليلة أشار اليها د . على الراعى فإن هناك آلاف الساعات التى

● د . علي الراعي : المسرح وصل إلى حضن الجماهير وهي لن تتخلى عنه طالما ساعدها على هذا .

تغرق المواطن بالتفاهات او تغيب وعيه وتفسد ذوقه وتحوله الى مواطن يكاد يكون غريبا عن نفسه وعن واقعه ..

وعلى ذلك فإن مايقدمه التليفزيون شيء آخر غير المسرح الذي نريده وبالتالي فإن هذا يعمق ازمة مسرحنا ويعوق مسيرته .

ايضا اشار د . علي الراعي إلى ما اصاب المسرح في السبعينات بما يشبه الانقطاع بسبب التحولات السياسية وقد تم ذلك ليس في مصر وحدها ولكن في معظم البلاد العربية ، وعلينا أن نتوقف امام هذا الانقطاع وان نجد الرابطة العميقة التي تربط بين وضع سياسي معين ، وبين ازدهار مسرح جاد قادر على ان يؤثر في مجتمعه تأثيرا إيجابيا ، فانحسار المسرح في هذه الفترة لايمكن أن يكون مصادفة .

إذن فجزء من إشكاليتنا هو تغيير الوضع السياسي ، بحيث وضع المسرح الذي نريده او نتوخاه في ازمة .

إن النمو الذي كنا نتوقع ان يتواصل بعد ازدهار المسرح في الستينات واوائل السبعينات ـ والذي جئنا نحن لنحاول مواصلته والمضي به الى الامام انكسر وتوقف ، واصبح مثل هذا المسرح الجاد ، يتظاهر مرة في العام ، ومرة في هذه العاصمة ، ومرة في عاصمة أخرى ، ولكنه ماعاد موجودا كتيار مستمر متواصل .. في حين نجد ان المسرح النقيض هو الذي أصبح مستمرا ومتواصلا ومتجددا ايضا ، بحيث انه سيظل وراء ازمة المسرح الجاد .

إذن فالصورة الوصفية قد تخفي الازمة ، وفي رأيي ان هذه الأزمة قائمة مادمنا نبحث عن مشكلة المسرح الجاد وعن مستقبله ، وكما اشرت فإن هذه الأزمة تتبلور وتتمظهر في ازدهار ما اسميه بالمسرح النقيض ، وبازدهار وتوسع طغيان الأداة التليفزيونية على الحياة العامة للناس !

د . علي الراعي : عفوا أستاذ سعد الله .. إنني اود التوقف عند معنى كلمة وصفية التي وردت اكثر من مرة في كلامك .. فماذا تقصد بالذات بالصورة الوصفية ؟

سعد الله ونوس : اقصد إذا عممنا تعريف المسرح ، وإذا قلنا مثلا إن كل العروض التي تقدم على المسارح هي مسرح ، فإن كل امرىء يركب طائرة ويأتي الى القاهرة وينظر الى مسارحها وعدد المسرحيات التي تقدم عليها دون النظر في نوع هذه المسارح وماذا تقدم ، وبالتالي فسوف يقول من



الناحية الوصفية .. هناك مسرح مزدهر في الحياة العامة المصرية . وهذا ما قصدته من قولي .

د . علي الراعي : هناك ملاحظتان على الأقل في كلام سعد الله ونوس فيما يخص ازمة المسرح . وازمة المسرح موجودة ولكن ليس بالشكل الذى كان موجودا قبل ازدهار المسرح فى الستينات .

لقد اشرت قبل ذلك الى أن المسرح كان في صعود وهبوط باستمرار يصل الى نشاط العشرينات في القاهرة ، وبداية الثلاثينات ، ثم يهبط الى الصفر ، وتغتاله السينما الى ان يطفو على السطح من جديد ، بفضل العوامل السياسية والاجتماعية التى مثلتها ثورة يوليو ١٩٥٢ .

ومنذ أن حدث هذا في ١٩٥٢ حتى الآن تغير الموقف تغيرا جذريا ، وكما ذكرت وصل المسرح الى الناس كفن وكفكرة وكممارسة ، من الممكن أن تعصف به السبعينات ، ولكن ما ان تتغير الظروف ، ولو بعض التغير ، حتى يعود المسرح الجاد الى الانبثاق ، وفى القاهرة الآن اكثر من مسرحية جادة مثل مسرحية (وجهة نظر) لمؤلفها لينين الرملي .

نقطة اخرى اضيفها وهي ان المسرح الهازل او التجارى ، مسرح الترقيص قد كان موجودا دائما منذ قيام المسرح حتى الآن ، وهذه الظاهرة ليست جديدة ولكن هنا حدثت مبالغة فيها بفعل عوامل خارجة مثل توافر النفط وتكدس الأموال فى جيوب بعض الناس ، أو ظهور طبقات جديدة كما اشار د . أمين العيوطي تعنى بالفرفشة



د. امين العيوطى

المسرحية وليس بالمسرح ، ولكن إذا وسعنا الصور لتشمل النشاط المسرحى عامة ، نقول بانه يوجد نشاط مسرحى وليس حركة مسرحية قوية ، الى الحد المطلوب ، وانا اميل الى الاعتقاد بان الدراما التليفزيونية ليست نقيضا للمسرح الحى ، واقصد الانواع الجيدة ، فهى روافد لحركة المسرح ، بمعنى انها يمكن ان تثير فى الناس اهتماما قويا بفن المسرح خاصة إذا ضمت خيرة الممثلين والموضوعات المنتقاة والمعالجة فنيا بشكل جيد .

وإذا اعتبرنا المسرح هو المسرح الحي الذي يقدم على خشبة المسرح ، فاننا نحرم انفسنا من معونات كبيرة جدا ونقف ضد التيار ، بمعنى ضرورة الافادة من الاجهزة الجماهيرية الكبرى ، التى تساعد على البث ، وتساعد على تنوير الناس ، وتحفزهم ، وتعرفهم بفن المسرح ، كفن مثلما كانت تفعله السينما الامريكية في الاربعينات والخمسينات (شاهد الفيلم واقرأ الكتاب)

فمن الممكن أن يقدم التليفزيون

● د . أمين العيوطى : نعانى من ندرة الأعمال المسرحية الجادة وهروب الممثلين إلى السينما والتليفزيون .

المسلسل الجيد وهذا يشجع على الذهاب الى المسرح ولاباس من ذلك .

ولكن الباس على الذين يمسكون باجهزة التليفزيون ، فهم لايحرصون على نهضة فكر ولا نهضة فن ، إن القلق يحيط بهم ـ وانا مستمتع بهذه الظاهرة ـ من ظاهرة البث التليفزيوني المباشر عبر الاقمار الصناعية إنها أصبحت هما مقيما عند هؤلاء الناس ، لان هذا البث سيصل الى البلاد المحاطة بالأسوار ، وثبت تكنولوجيا انه لايمكن التشويش عليها ، وهذا القادم آت لامحالة ولسنا فى وضع يسمح لنا ان نقول لا هذا مسرح حى ، وهذا مسرح تليفزيون .

والمسرح الحى ينبغى مساعدته بكل الوسائل ، كما يجب ان نستعد من الروافد الأخرى التى تقويه ليبقى قائما .

□ سعد الله ونوس معنى هذا ان نستفيد من التليفزيون ، وفى اعتقادى ان هذا الجهاز مختلف عن وسائل الاعلام الاخرى ، فهو مرتبط عضويا بالنظام ، ويقدم عبره فكره وخطة حياته واستهلاكه ، وبالتالى لايمكن ان نتعامل مع التليفزيون كاداة محايدة .

مع التليفزيون ضاق جدا هامش المبادرة الشخصية ، واصبح لايمكن الافلات منه ، فهو كالفخ ، هو موجود فى البيت ، فلايمكن ان تفلت منه وبالتالى فإن المسألة اصبحت اكثر تعقيدا من السينما ومن الصحيفة او من وسائل الاعلام الأخرى ، وبما ان هذا الجهاز وفى المدى المنظور على الاقل ، سيظل يسيطر عليه من ليس له مصلحة لا بالارتقاء بفكر المتفرج ، ولا بالارتقاء بذائقته ، فإنى لا اعتقد انه سيقدم عونا للمسرح الجاد الذى نريده .

لكن هنك جوانب كثيرة فى هذا الجهاز ، هى بالدرجة الاولى عون للمسرح الآخر ، المسرح الذى يقوم على التخدير والهزل ، وتغييب وعى الناس ، واولئك الذين يستفيدون من المسرح اكثر كثيرا من المسرحيين الجادين ، لانهم يشكلون نمط تذوق لدى المتفرج ، ويشكلون لديه قابليات جمالية معينة ، ماعادت تتفاعل او تتجاوب إلا مع شكل من اشكال المسرح ، هو بالضبط الشكل الذى سيفضى بالمسرحية للموت !.

□ د . أمين العيوطى : مرة أخرى يفرض علينا المقارنة فيما يقدمه التليفزيون ، وكلنا يذكر مسرح التليفزيون فى الستينات وما كان يقدمه فى البيوت من نوعيات راقية من الدراما ..

المؤسف ان مانراه اليوم باستثناء ماقدمه اسامة انور عكاشة دراما هابطة ، وفيما يتعلق بالمسرح المنقول ، نجد أن التليفزيون يسهم إسهاما إيجابيا فى الهبوط بالذوق

العام !

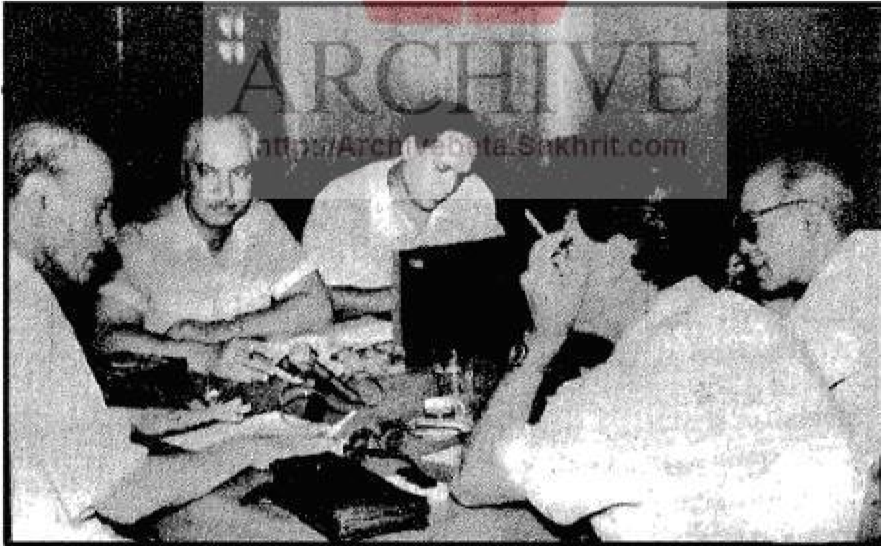
فاختيار التليفزيون للمسرحيات التى تقدم ياتى من بين المسرحيات التهريجية والترقيصية كما قال د . على الراعى والتى ينطبق عليها قول الراحل توفيق الحكيم حينما اشار الى بعض الممثلين على انهم مهرجون وليسوا ممثلين ، ولم نر الآن فى التليفزيون المصرى مسرحية هادفة ، وإنما مسرح تهريجى مائة فى المائة ، لايضيف جديدا الى المشاهدين ، وإنما يهبط بالذوق العام بشكل دائم !

□ د . على الراعى : مازلت مختلفا حول الدور الذى يلعبه التليفزيون فى حياتنا المسرحية ، والذى اريد قوله بانه بالامكان تشكيل قوة ضاغطة لتقديم الأعمال الجادة مثلما حدث فى مسلسل "ليالى الحلمية" علما باننى مسلم تماما بان بعض الأيدى التى تمسك بجهاز التليفزيون غير امينة على الثقافة والفكر الجاد ، ولكن هذه الأيدى لاتعيش فى فراغ خاصة حينما تشكل قوة ضاغطة ضدها ، فإنها تستسلم لتعطى الجيد شيئا فشيئا ، وانا متاكد ان اسامة انور عكاشة لو لم ينجح هذا النجاح لتم الفتك به !

ينطبق ذلك على المسرح الجاد . فاهلا يابكوات فيها نقد شديد لدرجة ان الجماعات الدينية وجهت تهديدات الى الممثلين ، حيث تضمنت المسرحية شجبا للفكر الغيبى والفكر السلفى بطريقة واضحة ، ومع هذا فإن هناك محجبات تذهبن للمسرح لمشاهدة هذا العرض الجاد ...

ولقد اعجبنى د . فؤاد زكريا فى إحدى ندواته وهو يقول : ينبغى الا يدير المثقفون ظهورهم الى التليفزيون ، بل عليهم السعى للاستيلاء عليه ما امكن ذلك ! .

□ سعد الله ونوس : ساتوقف عند



كلمة ما امكن ، واتمنى لو ان بوسعي ان ننفذ الى هذا الجهاز .. ولكن اقول شيئا يوضح عقلية القائمين على التليفزيون في سوريا مثلا ، نجد العديد من البرامج والمسلسلات التي تقدم يوميا ، ولايمر يوم إلا ونشاهد فقرات من مسرحيات "مدرسة المشاغبين" و "العيال كبرت" "شاهد ماشافش حاجة" وبرغم الالتماسات ومحاولات الضغط من قبل المثقفين لتقديم مسرحية من المسرحيات التي صورها التليفزيون السوري طوال السنوات الماضية للمسرح القومي ، ولم نستطع ان نغريه لتقديم واحدة من هذه المسرحيات ، فهو من جانب يشكل ضائقة معينة ، ومن جانب آخر يمنع وبحزم وبإصرار الجمهور من التعرف على اجواء فكرية اخرى ، او على إنماط جمالية مختلفة من هذه الانماط ، وبالتالي فهو ليس اداة محايدة ، فانا لا ادير ظهري للتليفزيون تعففا ، ولكن لانه ليس لي مكان في هذا الجهاز .

□ د . علي الراعي : ربما اختلف الوضع في سوريا عنه في مصر . حيث ان المسئولين عن جهاز التليفزيون في مصر اكثر ذكاء . لانهم بين الحين والحين يسمحون بعرض المسرحيات الجادة . من التي كانت تقدم في الستينات مثل مسرحية « القضية » للطفي الخولي . و« سكة السلامة » لسعد الدين وهبة ، او احدى مسرحيات نعمان عاشور . فضلا عما يقدم من برامج اخرى كالفن التشكيلي والبرامج الثقافية ، وهذه البرامج لاباس بها من اجل تثقيف الناس او عدم تجهيلهم وهذا اذا كان قائما في مصر ، فمعناه اننا محتاجون في الشقيقة « سوريا » وبشيء من الضغط يمكن ان يفهم التليفزيون رسالته .

□ سعد الله ونوس : اود ان ننتقل للحديث عن المسرح خاصة ونحن نجد نوعا من الحصار والاختناق على مستوى العمل المسرحي الجاد ، وعلى مستوى مشروعنا الذي بدأناه في سوريا وفي الوطن العربي تقريبا .

هناك اعمال مسرحية هنا وهناك لم تستطع ان تشكل التيار المسرحي الذي نريده ، بل اكثر من ذلك اصبح تشكيل مثل هذا التيار الان ، اكثر صعوبة مما كان عليه الأمر في الستينات ، واوائل السبعينات . ومن العوائق الموجودة الان الجو السياسي والظروف التي تحدثنا عنها فيما يخص التليفزيون وهذا الازدهار الذي يلقاه المسرح التجاري وتغلغله في حياتنا . هنا اقول ماذا نفعل ؟

● اعتقد ان علينا الا نبحث عن المصالحات الصغيرة . وعن الهوامش الضيقة التي تتيح لنا تمرير شيء من هنا وفكرة من هناك .

● علينا ان نبذل جهودا حقيقية لتمييز المسرح عما هو سائد سواء في التليفزيون او في المسارح التجارية . وعلينا ان نعمل على مستويين .

- الارتقاء بجمالياتنا ، بحيث تتقاطع فعليا مع الجماليات المبتذلة التي يعممها التليفزيون والمسرح التجاري ، حتى لو ادى ذلك الى بعض النخبوية في البداية وعلينا في الوقت نفسه ان نبحث عما يتيح لنا ان نعيد للمسرح الهامه القديم ، وهو ان يكون هذا الاحتفال الشعبي الذي يغير الناس ويتغير بالناس ، او نجري نوعا من التفاعل المستمر بينه وبين جمهورنا وانا اذ اقترح هذا المخرج الذي قد يبدو دون كيشوتيا ، فلانني اكتشف ان السائد اقوى بكثير من المحاولات الفردية الصغيرة ، وهي غالبا ماتبدأ كتجربة ، تجد هذه التجربة مثلا تبدأ مسرحا شعبيا ، لكنه خلال فترة قصيرة يتدهور الى نوع من الشعبوية ، طلبا للنجاح وانسياقا مع ما هو سائد .

ان مشكلتنا في المسرح ليست فريدة من

نوعها . انما تتم بالضبط بمزيد من النخبوية على المستوى الجمالي ، ومحاولة ايجاد المسرح الشعبي القادر على التاثير مثل العودة بالمسرح الى منابعه الاصيلة .

وفى رايي ان التليفزيون لن يستطيع اطلاقا ان يحل محل حاجة الناس الى الارتقاء والى التمسرح . والى العيش ضمن جماعة عبر عمل يعكس حياته وهمومه .

● جوهر المسرح

□ د . علي الراعي هناك نقطة اخرى خاصة بعلاقة التليفزيون بالمسرح ، وهى ايجابية المسرح فى التليفزيون ويمكن ان تحل مشكلة هامة جدا ، وهى مشكلة تقديم الزاد المسرحى العادى ، على ان يلتفت فنان المسرح الحى الى التجويد والتعميق والاصالة .

واذا قلنا ان مسلسلات التليفزيون الجادة تقوم بتقديم الزاد الضرورى غير الضار والنافع فى اماكن كثيرة . فقد حررنا فنان المسرح الحى من هذه الاشكالية . الثعلبية انه مضطر ليقدم مايشبه الحياة بمساطر النظريات ، بحيث ان هذا خروج عن سعد الله الذى هو اضيق ، وبالتالى فان العمل ردىء .

ومانقدم على الخشبة بصرف النظر عن موافقتك او عدم موافقتك كان معظم ما كنت تريد قوله بشكل ظريف وجميل جدا .

ان هذا العرض المسرحى الجيد استطاع ان يقف صامدا امام عروض مليئة بـ « الهشك البشك ، وهو عمل ملىء بالرقص والاغانى ، وكل مايطمح اليه المتفرج العادى فضلا عن انه اوصل الى معظم المشاهدين ما كان يريد ان يقوله المؤلف .

هل لو كنا قد اقتصرنا على الشكل المكتوب به المسرحية لحققت ذلك ، ان مانقدم مستمد من نص سعد الله ونوس ، بتفاصيلها وينصرف الى تعميق فنه وتبسيطه بحيث نقدم مسرحا يقوم على الجوهر ، جوهر المسرح ولانقدم صورة فوتوغرافية لما يجرى فى المسرح . وهو ماكان يتم فى بعض الاحيان . خصوصا فى بداية الستينات فى مصر فى مسرحيات لاداعى لذكرها . هذا من جهة . ومن جهة اخرى ينبغى ان نقرر فائدة ان نعطيك « رغيف » المسرح ونقول لك اشبع وتعال لتاكل ما هو احسن . والذى اراه ان هناك علاقة بين الانتشار المسرحى عبر التليفزيون والتعميق عبر خشبة المسرح .

واضرب مثلا بمسرحية سعد الله ونوس « الملك هو الملك » فقد اثار عرضها ضجة واثارت حزازات وخلافات بين النقاد . فهناك من قال بان سعد الله قد ابيح دمه ، وان الرسالة التى كان يزمع تقديمها من خلال المسرحية قد تميعت وهزلت حتى اصبحت غير قائمة ، وذلك لمجرد ان المسرحية قدمت بشكل جديد يؤكد الجانب الاحتفالى ، ويحيل المسرحية كما سميتها فى المصور « الى فرح سياسى شعبى » وهذا كان مكسبا كبيرا جدا ، لم يلتفت اليه اصحاب النظريات الذين يقيسون الاعمال الفنية

وعلينا ان ننظر لما كتبه فاروق عبد القادر وفؤاد دوارة ، وينبغى ان ننظر بنظرة موسعة عميقة ورحبة الصدر ، الى حقيقة مايجرى ، خاصة وان البث التليفزيونى المباشر قادم الينا . فماذا سيفعلون ؟

□ سعد الله ونوس : بهذا المعنى نحن متفقون تماما .. ولنقل ان التليفزيون يحرضنا على المزيد من البحث فى عملنا المسرحى لكى نميز هذا العمل عن الرثاثة والتفاهة السائدة ، وانا اتفق مع د . على الراعى تماما لان هذا البث يتوقف عليه مستقبلنا لمسرح جاد . لكن بهذا الصدد ، ربما حان الوقت لكى نواجه مسالة بدات تصبح خطيرة على الساحة المسرحية .

وانا اوكد على كلمة بحث وليس على

مجرد لملمة بعض اشكال وتلزيقها في عرض ما او عمل ما .. ولكي اوضح كلامي على ان اقول بامانة ان ماحدث في « الملك هو الملك » تم بموافقتي ، والأمانة تجعلني اقول ان مخرج هذه المسرحية قد اسس بتقاليد مسرحية في بلادنا حين سافر الى دمشق على حسابه الخاص وعرض لي تصوره والرؤية التي يريد ان يقدم بها العمل ووافقت .

واتفق مع د . علي الراعي . بان فرحتنا حينما تكمل في بحث جاد وعميق عن اشكال مسرحية ، هذا البحث يجب الا يكون مثلما تفعل مديريات جمع التراث او جمع الفولكلور فاحيانا قد يكون الفولكلور (لايوجد هناك فلولكلور برىء) مستخدم .. وعندما تستخدم الزار ، فانت تستخدم مايعنيه الزار فكريا ، اذن المسالة ليست ان نزين العروض ببعض اشكال فرحتنا ، وانما ان نجد علاقة عضوية وبنيوية بين الشكل المستخدم وبين قول المسرح الذي استخدم هذا الشكل من اجله ، وفي هذا الطريق ، اعتقد انه على المسرحيين ان تتضافر جهودهم ، وان يحاولوا الابداع . وهذا مايمكن ان ينقذهم من المازق الذي يعيشونه الآن .

□ **الهلال** : ماهي رؤية الكاتب المسرحي سعد الله ونوس لما يقدمه المسرح في مصر ، وكيف يمكن ان يتم التواصل بين المسرحيين العرب ؟

□ **سعد الله ونوس** : حاليا من الصعب ان احكم على المسرح المصري ، انني اعرف جيدا مسرح الستينات واوائل السبعينات في مصر ، فهذه الحركة النشطة تابعتها قراءة واحيانا رؤية ونقاشا مع كتابها ومخرجيها ، وكانت تشكل التيار الفعلي او العمود الفقري في الحركة المسرحية العربية . لقد كنا نقوم بتجاربنا اخذين في الاعتبار ان هذه هي التجربة الاساسية وهي العمود الفقري ، الذي ينظم الحركة المسرحية العربية ، ونتقدها احيانا ونختلف معها احيانا ، ونتقد شكلا في الاداء او في الاخراج . ولكننا كنا نعرف انها الاساس في حياتنا المسرحية ، وخاصة ان هناك جيلا من الشباب بدأ يكتب ، وان هناك جيلا من المخرجين بدأ يقدم مسرحا .

وفي المهرجانات المسرحية الاخيرة ، رايت بعض العروض المسرحية من بينها مسرحية « عجبي » ورايت تجربة تقديم « التربيع والتدوير » في قرطاج ورايت مسرحية « الملك هو الملك » ، وسمعت عن محاولات كثيرة عبر متابعات صحفية ، ان هناك طفرة من المحاولات الشابة للبحث عن قول جديد وشكل جديد ، وانهم بداوا يتوسعون في العرض المسرحي فينقلونه من المسارح الى اماكن اخرى والى القرى وقد يكون هذا مبشرا وايذانا بان فترة الركود والتقهقر قد بدات تنتهي .

ومن الغريب ان فترة الركود هذه ترافق معها شيء ايجابي ممتاز ، هو ان الصلة بين المسرحيين العرب قد توثقت وتعمقت اكثر بكثير مما كان عليه الحال في الستينات واوائل السبعينات .. والمسرحيون العرب يتبادلون التجارب ويعرف كل منهم مايفعله الآخر ، ويتواصلون وربما ساعدت المهرجانات في ذلك جزئيا .

● شكل جديد

□ **د . أمين العيوطي** : اشار سعد الله ونوس الى البحث عن بعض الاشكال مثل الزار والسبوع ، ولكن هذا البحث الا يمكن ان يكون اشمل ، بحيث نبحث عن شكل جديد يلائمنا نحن كعرب لنا تراث لم يستغل .. لقد اخذنا من الغرب ، ولم نطور اشكالا مسرحية كانت قائمة ، وموجودة بالفعل في حياتنا الشعبية ، فهل تقصد فقط تطعيم الاشكال المسرحية باشكال تراثية ام نوسع هذا المفهوم ، بحيث يشمل البحث

عن مسرح له هوية عربية ؟

● دعوة مضللة

□ سعد الله ونوس : هناك نقطتان اساسيتان :

الاولى : مسالة البحث عن شكل مسرحي عربي ، وفي رايي انها دعوة الى حد ما مضللة ، واخشى ان تكون عاملا معوقا اكثر مما هي عامل مساعد للحركة المسرحية .

ليس المطلوب الان البحث عن شكل مسرحي عربي ، وانما البحث عن تجارب في الابداع متعددة وغنية تتيح للفنان الكثير من الحرية ، ونعتقد ان غياب التقاليد المسرحية وغياب التراث العربي له جانب سلبي لكن له في الوقت نفسه جانب ايجابي بمعنى انه اتاح لنا ان نبدع ، ولم نكن مقيدين او ملزمين ببنية واحدة .

ان مشكلة معظم المسرحيين المجددين انهم كانوا يريدون المسرح العربي في تعريف واحد او في قالب واحد ، فبعضهم قدم صيغة الحكواتي ، فعرف المسرح على انه المسرح الذي يستخدم الحكواتي ، اما انا فقد قدمت المسرح الذي يشارك جمهوره .

الثانية : هي استخدام بعض موتيفات او اجزاء من التراث الشعبي ، اننا لانكتسب هوية باستخدام الفولكلور او بعض الظواهر الشكلية ، نحن نكتسب الهوية بقول المسرح وبمضمونه وبالكيفية الابداعية التي نصوغ فيها هذا القول ، سواء على مستوى الكتابة او مستوى العرض ، ولذلك الحث على فكرة البحث عندما نريد ان نفيد من تراثنا واشكال الفرجة في بلادنا وعلينا ان نكون حذرين ، وان نعي ان هذه الاشكال ليست بريئة وليست محايدة اذن يجب ان يكون الشكل متطابقا فعلا مع المضمون مع قول العمل المسرحي بحيث يتكامل ذلك ويتاكد ويزيده تاثيرا وفعالية .

□ د . امين العيوطي : رغم قول سعد الله ونوس فهذا لاينفي وجود اشكال مسرحية متعددة في العالم لها هوية وطابع ونميزها عن المسرح الغربي ، والمسرح الغربي نفسه كان يضم الكثير من الاشكال ، ولم يحدث على الاطلاق ان جمد المسرح على شكل واحد حتى في التجارب العربية . انا متفق على انه لايمكن ان نقول ان شكلا واحدا يجب ان نتبعه ولا اعنى على الاطلاق ان تحدث عملية تجميد للابداع عند الفنان .

□ د . علي الراعي : فيما يخص البحث عن صيغة عربية للمسرح ، فهذا مطلب مشروع ، ومحاولة الافادة من الاشكال المسرحية التراثية سواء كانت مسرحية بالفعل مثل خيال الظل او ماقبل المسرح مثل سائر الاشكال ولا اظن ان في هذا ضررا بل على العكس ، الاستفادة من الاشكال المسرحية هذه وجعلها تخدم المضمون الذي يريد الكاتب المسرحي ان يقوله . تقربها كثيرا من وجدان الناس .

في القاهرة الان محاولات لاستخدام مسرح المحبظاتية ومسرح الارتجال وهذه المسرحيات يقدمها الشباب وتستقطب كثيرا من المشاهدين ، وهذا الشكل التراثي ليس سيدا ، وانما هو مستخدم لخدمة المضمون الذي يريد ان يقوله هؤلاء الناس ، وهو مضمون تقدمي .

□ الهلال : كنا نود ان نتحدث عن مستقبل المسرح .

□ د . علي الراعي : ان مستقبل المسرح بشكل عام كفن ، اذا قصرنا الكلام على المسرح الحي الذي يقدم على الخشبة يوميا ، فهذا المسرح قائم وسيقوم ما لم نسمح له بان يموت .

ونستفيد من امكانية انه المسرح الوحيد الذي يلقى الانسان فيه الانسان في عصر يزداد قولبة وميكنة وابتعادا ، في عصر

يقدم الظواهر الاجتماعية الى مكالمات تليفونية والخطابات تتحول الى مكالمات عبر القمر الصناعي . فهذه هي النقطة التي ينبغي اليها استناد المسرح الحي في الدفاع عن نفسه انه يدعو الى التواصل الحي ، وانه مسرح حي من لحم ودم حار ، وان الانسان يلاقي فيه الانسان في وقت عز فيه اللقاء .

□ سعد الله ونوس : اتفق تماما مع ما قاله د . علي الراعي ، واضيف نقطة اخرى ، وهي ان المهرجانات لن تنقذ المسرح ، ان لم تعجل بانقراضه !

وقلبي مليان وساقدم مثلما بدأ د . علي الراعي صورة وصفية لمهرجان القاهرة التجريبي .

لنفرض ان هناك فنانا لديه عمل مسرحي ويدعى الى كل المهرجانات التي تقام في الوطن العربي ، فهو في اول سبتمبر ، سيكون في القاهرة ، للمشاركة في المهرجان التجريبي الثالث . وفي نوفمبر سيكون في قرطاج يشارك في مهرجانها المسرحي وفي يناير سيكون في الكويت او قطر لكي يشارك في مهرجان دول مجلس التعاون الخليجي ، وسيكون في مارس في بغداد ليشارك في مهرجان الابداع المسرحي ثم الى المغرب ، ثم مهرجان دمشق المسرحي . ان لم يات قبل ذلك للمشاركة في مهرجان القاهرة التجريبي الذي سيكون في ١ سبتمبر ١٩٩٠ .

وبهذا المعنى لن يكون لدى هذا الفنان الوقت للابداع .

وهذه المهرجانات في النهاية تحولت الى جزء من البرنامج الاعلامي لهذه الانظمة والمسرح هو ذريعة في هذه المهرجانات وليس موضوعا جوهريا ، او اهتماما اساسيا لدى منظمي هذه المهرجانات والدليل على ذلك ان دولة ما تنفق مثلا ١٠ ملايين ليرة سورية او ٢ مليون جنيه على مهرجان لكنك في الوقت نفسه ، لاتجد ٥٠ الف جنيه لكي تصلح مسرحا ، بل يترك هذا المسرح خرابة ، في حين تاتي بالضيوف والممثلين وتضعهم في افخر الفنادق السياحية ، وحين يذهبون لمشاهدة العروض ، يدخلون اماكن هي فعلا كالخرائب ، دورات مياه واضاءة سيئة .

وهؤلاء الذين ينفقون الملايين تجدهم يتلكاون عندما يتعلق الامر بحق الفنان او محاولة تحسين شروط عمله ، فتبرز اللوائح والقوانين ولايعطى هذا الفنان الا النذر اليسير .

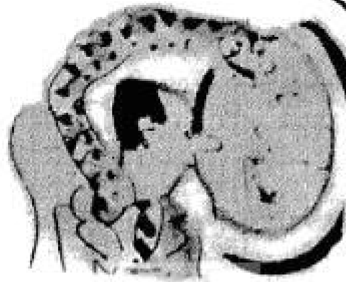
لقد دعيت لبلاد عربية كثيرة ، وانفق عليّ الالاف في حين لم استطع ان احصل على حقوقي كمؤلف في هذه البلدان !

ولااستطيع ان افهم كيف لايمكن ان يتنادى المسرحيون العرب ، وتتضافر جهودهم لايقاف هذه المهزلة ، وليتم مهرجان او اثنان دوريا في كل البلاد العربية . وليتم ضغط على تحويل جزء من هذه النفقات لصالح تحسين شروط العمل المسرحي ، خاصة ان نفس الاعمال التي تدور في كل المهرجانات بين مهرجان واخر هي نفسها باستثناء عرض او عرضين جديدين .

د . علي الراعي : اظن اننا غطينا الموضوع بشكل شبه كامل ، والكلام عن المسرح اذا بدأ فانه لاينتهي ولكن في الواقع فان الزمن يجعلنا نوقف هذا النشاط الحي المتدفق ، الذي تبادلنا فيه جميعا اراء فاعلة ومثيرة وباعثة على التفكر .

ويسعدني ان الاحظ ان سعد الله ونوس الذي بدأ حذرا وشبه متشائم من وضع المسرح في وطننا العربي قد وجد الان مبررا لشيء من التطلع للامل ، والواقع ان الصورة ليست سالبة ولاسيئة ان الشعار الذي ارفعه هو ان المسرح الان وصل الى حضن الجماهير وهي لن تتخلى عنه طالما اننا نساعدها على هذا ، وطالما لن نتخلى عن الجماهير ، فهي بالتالي لن تتخلى ابدا عن الفن الجاد حيثما وجدته .

العالم غدا



• عجائب في موسكو

انكب احد مختبرات مركز الابداع العلمى والتقنى للشباب فى موسكو على دراسة الظواهر الشاذة والقدرات الغريبة للبشر • وينحصر عمل المختبر حاليا فى جمع وتصنيف الوقائع ، والتعرف على من يتمتعون بمثل هذه القدرات ، ومساعدتهم على اطلاق طاقاتهم ••

وقد جمع المركز عددا من أصحاب القدرات العجيبة فعلا ، فقد عرض أحد الموسكوفيين فيه « غازا مغناطيسيا ! » فشاهد المعنيون سحابة من الدخان تنطلق من قطعة قطن مشتعلة ، دون أن تتبدد فى الهواء ، بل تتكثف لتغدو كرة صغيرة تدور حول المغناطيس الذى وضع فى المكان ، كما اثبت اخر قدرته على تغيير الصفات الفيزيائية للماء بتقريب يديه من الوعاء الذى يحويه (سجلت الاجهزة تغييرا فى نسبة حامضيته) وبين ثالث قدرته على تفرق الغيوم بتحريك يديه ••لتختفى بعد ذلك اشعة الشمس التى نفذت من الثغرة عبر الغيوم ويعاود المطر الهطول •• وقد سجلت هذه التجارب العجيبة على شرائط فيديو ، ومن المشكوك فيه ان يصل العلماء الى تفسير فورى لها ، وان أمكن تكرارها لاتاحة الفرصة لدراستها ••

وعلى صعيد اخر شكلت لجنة لتقصى قضية الاطباق الطائرة او « الاجسام » المجهولة الهوية ، رأسها الدكتور فلاديمير عجاجه ، وانتخب الملاح الكونى بافل بوبوفيتش نائبا له •

هذا كما سجلت في موسكو اخيرا وكالة اعلامية جديدة على غرار وكالة جينس الغربية ، التى تنشر موسوعة الارقام القياسية بكل ما هو غريب من مجالات •• وسوف تفترق موسوعة الغرائب السوفييتية عن زميلتها الغربية من حيث تطرق معلوماتها الى تفاصيل لا يسجلها أحد ، مثل المعلومات عن الاطباق الطائرة والقدرات الخارقة و •••

وقد أعلنت الوكالة السوفييتية قبل فترة عن مسابقة للارقام القياسية ، كما عقدت اتفاقية للتعاون مع جينس ، وابدت استعدادها للتعاون مع جميع المؤسسات والشخصيات ، الامر الذى يجعل السوفييت يتوقعون ان تصدر حافلة بالعجائب التى كانت بعيدة عن مطبوعاتهم •

● أب رغم أنفه

الرأى العام الامريكى مشغول هذه الايام بحكاية غريبة !

بدأت الحكاية حين فشل الزوجان جونيور ديفيز ومارى سو فى الانجاب بصورة طبيعية ، وتبين بعد الفحوص عدم قدرة قناتى فالوب ـ اللتان تحملان البويضات الى الرحم ـ على القيام بوظيفتهما ·· هكذا قرر الزوجان تجربة الانجاب وفق تقنية التخصيب فى الانابيب ، وهى تقنية ليست ميسرة لان نسبة النجاح فى المحاولة لا تتعدى ١٥ ـ ٢٠٪ بينما تتكلف ـ المحاولة ـ ما يزيد على خمسة الاف دولار ·

فشلت عملية الاخصاب عن هذا الطريق مرات قبل أن تنجح فى نهاية المطاف ، وقرر الزوجان الاستفادة من تقنيات الاحتفاظ بالبويضات المخصبة مجمدة الى أن تلوح أنسب الظروف للحمل والولادة ·

وبينما ينتظر جنين المستقبل الوقت المناسب تدهورت العلاقات بين الزوجين وقررا الانفصال · وهنا بدأت المشكلة فالزوجة ترغب ـ رغم الانفصال فى حضانة الجنين وفك اساره بالحمل والولادة ، وترى أن هذه هى فرصتها الوحيدة ، نظرا لظروفها الصحية وتقدمها فى العمر ، ناهيك عن التكاليف الباهظة ·· لكن الزوج لا يريد أن يصبح أبا بعد الطلاق وبالتالى لا يوافق على استخدام مطلقته للاجنة المجمدة ·

وصل الامر بالطبع الى ساحة القضاء · ونظرا لعدم وجود سابقة قضائية ، ولان مثل هذه الاجنة اتمثل موضوعا قانونيا ، كان ولابد أن تتسع دائرة الجدل حتى شغل الرأى العام الامريكى ، مع الاشكاليات العويصة التى ينطوى عليها ··

وناهيك عن مأساة ولادة طفل لاسرة محطمة ، ومسألة الكيد بين « الزوجين سابقا » ، وتحميل الأب نفقة طفل لا يريده ، فان المشكلة الاعوص هى كيفية النظر الى البويضات المخصبة ·· هل ينظر اليها كمجرد خلايا لا تمثل حياة بشرية ؟ أم ننظر اليها بصفتها أطفال لم يولدوا بعد ، ولا ينبغى ازهاق أرواحهم ؟ ·

والقضية المطروحة ليست قضية فردية فهناك فى المراكز الامريكية المختصة نحو ٤٠٠٠ بويضة مخصبة ومجمدة تنتظر الوقت المناسب لبدء رحلة الحياة ·

● فويجر والحضارات الغريبة

بدأ مسبار الفضاء الاوتوماتيكى « فويجر ـ ٢ » رحلة الخروج من مجموعتنا الشمسية بعد جولته الفذة التى استمرت ١٢ سنة واكتشافاته الفريدة فيما يخص الكواكب الاربعة الكبيرة المشترى وزحل وأورانوس ونبتون ، اذ غيرت الصور التى التقطها ـ المسبار ـ عن قرب لهذه الكواكب واقمارها ، وما يحيط بها ،



من تغير كثير من التصورات التي كانت قد صيغت من الارض ، على البعد ، فيما يخص هذه الكواكب .

ورغم أن الوقود النووى الباقى فى محركات المسبار يكفى لاستمرار تحليقه ٢٥ سنة أخرى فالمتوقع أن يتواصل طيرانه الى ما لا نهاية ، بفعل الجذب والطرد بينه وبين الاجرام السماوية التى يمر بها ..

ومن هنا يعلق المتفائلون ـ بصدد وجود حضارات أخرى فى كوننا ـ يعلقون على فوييجر الامال ، فى حمل رسالة من سكان الارض الى اى من هذه الحضارات : وتتضمن الرسالة بجوار تحية الرئيس الامريكى (كارتر) تحية من السكرتير العام للامم المتحدة (كورت فالدهايم) بلغات شعوب الارض المختلفة .. « نيابة عن أهل الكوكب » تفيد أن سكان الارض ينطلقون خارج المجموعة الشمسية لاهداف سلمية وعلمية ولا يبغون الا السلام والصداقة .. وذلك بالاضافة الى تسجيلات صوتية لعالم الحضارة الارضية ، من صراخ الوليد ، الى اصوات انطلاق الصواريخ ، والتسجيلات الموسيقية التى تنتمى الى عصور مختلفة ، يصاحبها مذكرة تفسيرية : « ان هذه مجموعة من أصواتنا وصورنا وموسيقانا وعلومنا .. بل من افكارنا ومشاعرنا ، على امل اللقاء مع حضارات كونية أخرى » .

• الختان والايدز

تشير الدراسات التى أجريت على مرضى الايدز فى افريقيا الى زيادة احتمال اصابة الرجال ، الذين لم تجر لهم عملية الختان ، ثمانية اضعاف مقارنة بمن أجريت لهم عملية الختان .. وقد يكون ذلك هو سبب الفروق الواضحة فى نمط الاصابة بالمرض ، بين افريقيا وامريكا الشمالية .

فعلى عكس شيوع الاصابة بين الرجال الشاذين جنسيا فى أمريكا (٧٥٪ من عدد المصابين) لوحظ أن عدد الرجال والنساء الذين يصابون بالمرض متقارب للغاية فى افريقيا ، وأن العدوى تنتقل من خلال العلاقات بين الجنسين .

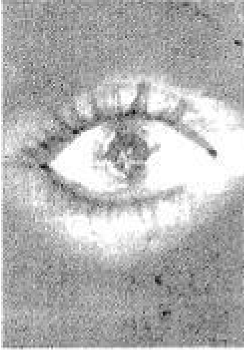
وتوقع العلماء منذ فترة وجود عامل مجهول وراء التفاوت فى نمط الاصابة .. وأخيرا توصل الباحثون

في جامعتي أوتاوا (كندا) ونيروبي (كينيا) الى وجود علاقة قوية بين عدم الختان والاصابة بفيروس الايدز H . I . V في ٢٧ قطــرا .. وبينت الدراسات أن عدم الختان يزيد من احتمال الاصابة بالفيروس ٥ ـ ٨ مرات ، بينما لا تزيد قروح الاجهزة التنـاسلية من احتمال الاصـابة الا ٤ ـ ٥ مرات ، رغم ما هو معروف من كون القروح أحد العوامل التي تساعد بشدة على الاصابة بالفيروس . هذا كمـــا أشارت الدراسات الى زيادة الاصابة بالعدوى الى حد كبير عند اصابة الجهـاز التناسلي بالقروح في حالة عدم الختان .

ويحتمل أن يكون سبب مساعدة الختان في الوقاية من الايدز قيام القلفة بتوفير بيئة رطبة دافئة تساعد على بقاء الفيروس حيــا لفترات طويلة ، والمعروف أنه سريعا ما يموت في الوسط الجاف . هذا كما أن الختان يتسبب في تغطية مقدم الذكر بغشـاء صلب قد يكون هو السبب لانه يقي من الخدوش الدقيقة التي يتسلل منها الفيروس الى الدم .

وجدير بالذكر أن الباحثين اثبتوا من قبل وجود ارتباط بين الختان وبين بعض الامراض الجنسية الاخرى .

● بصمات العين



تعتبر عيون الانسان أسطع انعكاس خارجي لورثاته (جيناته)، لهذا يعتقد جراح العيون السوفييتي مولداشف أنها يمكن أن تساعد على تحديد الكثير من « خصائصه » ، بدءا من التعرف على الانتماء العرقي للشخص المعني وانتهاء بالاستعداد الوراثي للاصابة بهذا المرض او ذاك ، مرورا بطباعه وقدراته الذهنية ومميزاته النفسية .

لهذا اجتهد مولداشف في تحديد ١٨ صفة جديدة للعين كان علم التشريح التقليدي يغفلها عادة .. ويقترح الجراح ترجمة هذه الصفات الى معادلات (نماذج) رياضية يمكن التعامل معهما وتحليلها بواسطة الكمبيوتر ، الامر الذي سيبين أن لعين كل فرد بصمة فريدة مثل بصمات الاصابع .

ويؤكد مولداشف أن دراسة الصفات الخارجية للعين ، من هذا السبيل ستؤدي الى طرق جديدة تماما لتشخيص مختلف الامراض ، بل والصفات المميزة ، ناهيك عن أنها ستساعد الشرطة على اكتشاف المجرمين ، اي انها ستكون عونا جديدا للاطباء .. والعلماء .. والانثروبولوجيين .. والمؤرخين .. والامنيين في أداء عملهم .

المائة الأعظم

بقلم: حسين أحمد أمين

ابن حزم

٩٩٤ - ١٠٦٤ م

اهم كاتب في الادب النثري العربي في القرن الحادي عشر الميلادي، ومن ابرز اعلام الادب في الاندلس .. كان ابوه وزيرا للحاجب المنصور ، وكان هو نفسه وزيرا للخليفة الاموي عبد الرحمن الخامس ، وقد بدا حياته الادبية شاعرا ، ثم تحول الى النثر فكتب في الحب ، والتاريخ ، والدين المقارن ، والفقه ، مخلفا في كل ميدان من الاثار مالايزال يعتبر من اروع كتب التراث العربي ، خاصة « طوق الحمامة »، و « كتاب الفصل في الملل والاهواء والنحل » وكتاب « المحلى » .

فاما شعره ، ومعظمه في الغزل ، فقد اثر تاثيرا عميقا في اناشيد التروبادور البروفنساليين واغاني الجرمان الغرامية Minne singers وقد اورد الكثير من قصائده في كتابه النثري « طوق الحمامة » الذي هو من احب كتب التراث العربي الى الغربيين ، لا يكاد يفوقه شعبية عندهم غير « الف ليلة وليلة » . وقد ترسم ابن حزم في كتابه هذا الذي يحلل فيه عاطفة الحب ، خطى ابن داود في كتابه «الزهرة» وان فاقه فوقا عظيما . فان كان ابن داود قد اورد عددا من الملاحظات السيكلوجية عن الحب والمحبين ، فان تحليله للهوى ضحل غير عميق وغير مرتب . اما ابن حزم فيعالج الموضوع بطريقة منظمة ، اذ يبدا بذكر اسباب نشوء العاطفة ، ثم يستطرد الى ذكر صفاتها الحميدة والذميمة ، فتحليل السلوك العاشق ، ثم الافات التي تطرا على العاطفة ونكبات الحب ، ثم

في التاريخ الإسلامي



يعرج على فضيلة ضبط الشهوات ووصف الافعال غير المشروعة المتعلقة بالهوى ، مدعما كل حديث بشعر من نظمه ، وبنوادر وتجارب شخصية تساعد على توضيح المراد • ويتميز الكتاب بالتحليل النفسى الدقيق ، الى جانب الخفة والظرف الخلاب والعبارة الرشيقة ، ثم الجدة فى العرض حتى ان تطرق الى اشياء مألوفة ومعروفة قبل زمانه بقرون عديدة •

ومن الغريب حقا ان يكون صاحب هذا الكتاب فى العشق ، هو نفسه ذلك الفقيه الذى ينتسب الى مذهب من اشد المذاهب الفقهية الاسلامية تشددا (وهو المذهب الظاهرى) ، والذى كرس معظم نشاطه الادبى التالىللهجوم هجوما مريرا على مناوئيه من الفقهاء • وقد كان من بين ما الفه فى الشطر الثانى من حياته ، كتاب لم يسبق الى مثله فى الادب العالمى فى موضوع الدين المقارن ، الا وهو « كتاب الفصل فى الملل والاهواء والنحل » ، الذى عرض فيه مختلف الفرق الاسلامية ، والديانتين اليهودية والنصرانيـــة وغيرهما • لقد سهل على ابن حزم اعداد دراسته الدقيقة هـــذه للديانات الاخرى ما ف عن العرب الفاتحين من حلم وتسامح تركا مجتمعاتكبيرة

في وسطهم من اليهود والنصارى والزرادشتيين بل وحتى اشباه الوثنيين ، ممن حظيت معتقداتهم باهتمام العلماء المسلمين في وقت مبكر ، وأدت الى ادب جدلي واسع النطاق • غير ان كتاب ابن حزم في الموضوع هو اول مؤلف نقدي منتظم عن ديانات البشر ومختلف طوائفها ومذاهبها • فان كان يعيبه بعض الحدة واتسام الهدف والاسلوب بالجدلية التي تخرج احيانا عن الموضوعية ، فقد الهم الكتاب مؤلفات بعده في الموضوع نفسه ، اشهرها كتاب « الملل والنحل » للشهر ستاني (١٠٨٦ ـ ١١٥٣ م) وهو كتاب اعمق وافضل واكثر انصافا للديانات والفرق من كتاب ابن حزم •

وقد كان ابن حزم في اول امره شافعيا ، ثم انقلب الى مذهب الظاهرية الذي أسسه في بغداد داود بن علي المتوفى عام ٨٨٤ م ، والذي لم يحظ بالنجاح والقبول في العالم الاسلامي • وقد الف ابن حزم في فقه هذا المذهب كتابه الشهير « المحلى » ، وهو كتاب يتمتع بشعبية ملحوظة في زمننا هذا خاصة بين افراد الجماعات الاسلامية المتطرفة من المثقفين • والمعروف ان ابن حزم (وسائر فقهاء المذهب الظاهري) تنكروا للاجتهاد باكثر مما تنكر له الحنابلة انفسهم ، ولم يأخذوا بغير المعنى الحرفي الظاهر لنص القرآن والحديث ، متخذين موقفا عدائيا بالغ الضراوة ضد الباطنية، وضد الصوفية وتقديس الاولياء ، وضد تعلت الاشاعرة ، وضد تاويل الباطنية للقرآن والحديث •

من اعظم رجال الادارة في التاريخ كله ، وصاحب الفضل الاكبر في حماية الدولة الأموية من الفتن الهائلة التي هددتها من كل جانب ، ومؤسس مدينة « واسط » « بين الكوفة والبصرة » التي احتفظت، بفضل موقعها الاستراتيجي بمكانتها البارزة بين مدن العراق ، كما انه اول من عني باعجام القرآن ، واخترع النقط لحروف اللغة العربية • ومع ذلك فلا يكاد العرب من القدماء او المحدثين يذكرون له غير قسوته وشدته على اعداء الامويين •

● بدا حياته السياسية والحربية بالقضاء على فتنة عبد الله بن الزبير الذي كان يسيطر على الحجاز كله ، ويتخذ من مكة مقرا لحكومته، ظانا انه ما من قائد سيجرؤ على الاعتداء على حرمتها وقدسيتها • فكان أن ظل الحجاج يرميها بالمنجنيق حتى انفض الناس عن ابن الزبير وقتل هو



نفسه عام ٦٩٢ م وكافأ الخليفة عبد الملك بن مروان الحجاج بأن عينه اميرا على الحجاز بالاضافة الى اليمن واليمامة ، فاستطاع فى خلال سنتين ان يقر فى هذه الاصقاع الامن والنظام بعد سنوات طويلة من الفتنة والاضطراب السياسى . وبعد ذلك ولاه عبد الملك اخطر عمل فى الدولة ، بأن عينه واليا على العراق ، فاستهل عمله فيه بخطبة القاها فى الكوفة هى من بين اشهر الخطب فى تاريخ الاسلام .

وكانت مهمة الحجاج فى العراق عسيرة كل العسر . فقد غلظت قلوب العراقيين بفعل الحروب المتطاولة فى سبيل الخلافة . وفى الكوفة كان الهياج الناشىء عن الاضطرابات التى ثارت فى ايام المختار الثقفى لا يزال يحدث الذعر فى المدينة . وكان الخوارج لا يزالون معسكرين خارج ابواب البصرة ، فى حين ظهرت بينهم فرقة جديدة ، هى الازارقة التى كانت تكفر كل من يخالفها وتهدر دمه ودم زوجته واولاده ، والتى كان يتزعمها قطرى بن الفجاءة . وقد تعقبت جيوش الحجاج الثوار الى قلب كرمان فى فارس ، وقتلت قطريا عام ٦٩٦ م . ثم ظهر زعيم خارجى اخر هو شبيب الشيبانى ظل عامين يتهدد العراق من الموصل ويتحدى جيوش الحجاج، حتى افلحت تلك الجيوش فى القضاء على اتباعه وغرق شبيب فى نهر دجيل .

ثم ارسل الحجاج بعد قضائه على ثوار مقاطعة كرمان جيشا قويا مجهزا أحسن تجهيز لاخضاع بلاد سجستان المجاورة وانتزاعها من يد الاتراك . وعين عبد الرحمن بن الاشعث قائدا على هذا الجيش . غير ان ابن الاشعث خانه وصالح الاتراك وعاد بجيشه لقتال الحجاج . واذ هزمه الحجاج فى البصرة ، اتجه ابن الاشعث الى الكوفة ، ولم تخمد فتنته حتى اوفد الخليفة عبد الملك جيشا دحره فى دير الجماجم ، فانتحر عام ٧٠٤ .

وكان نجاح الحجاج فى حسم الامور واخماد الفتن فى العراق ،سببا فى حرص عبد الملك قبيل وفاته عام ٧٠٥ على ان يوصى ابنه الوليد

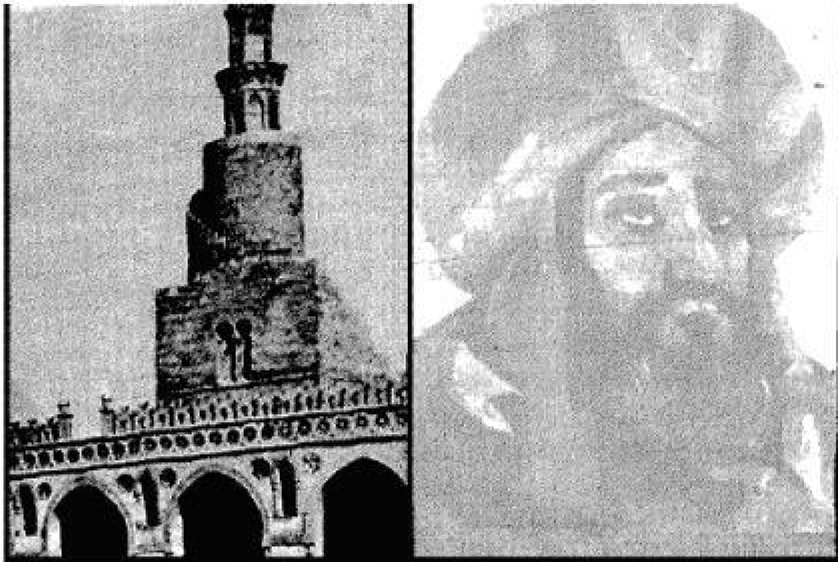
بالاعتماد اعتمادا كليا عليه ، وايلائه ثقته التامة • والواقع ان الحجاج تخلف في عهد الوليد ثمار العمل الشاق الذى قام به في عهد سلفه • ذلك ان الخليفة الجديد كان يشعر بقوة بأن دولة الامويين مدينة الدح الدين لجهود هذا الرجل الذى حفظ على الامبراطورية وحدتها ، فلم يزل يعلى مكانته طوال مدة خلافته • وقد صار بمقدور الحجاج بعد القضاء على فتنة ابن الاشعث ان يفرغ همته للعمل الصادق من اجل انعاش البلاد التى انهكتها عشرون سنة من الحروب والفتن المتواصلة • وكان ان بدأ هذا الانعاش باصلاح القنوات التى تحمل مياه دجلة والفرات الى اطراف البلاد، وتعهدها بالعناية الدائمة ، وباصلاح السدود التى تصون الاراضى الزراعية وخصوبتها من عادية الصحراء • كما قاوم الحجاج بشدة الهجرات الريفية الى المدن الكبيرة ، واقام التجارة على قواعد من الطمأنينة والثقة، واصلح نظم النقد والموازين والمكاييل والمقاييس ، ونشر في البلاد من الامن والنظام والاحساس بالاستقرار ما لم تعرف مثله من قبل •

أحمد بن طولون

٨٣٥ - ٨٨٣ م

اول من استقل بمصر عن الخلافة . واذا كان استقلاله يحتم عليه الحرص على رضا الرعية ، وتجنب الاصطدام بعقيدتها ، لاعتماده اعتمادا كليا على افرادها فى تزويد خزانة الدولة بالمال،وجيشها بالرجال فقد شهدت مصر فى عهده وعهد خلفائه وفى ظل الأسر المستقلة التى حكمتها بعد اسرة الطولونيين ، ما لم يشهده اى قطر اسلامى اخر من كثرة تولي النصارى واليهود فيها ارفع المناصب الحكومية كما شهدت تحسنا ملحوظا فى احوال المعيشة ، وازدهارا فائقا فى اقتصادها، وهو ازدهار يدين بالكثير لسياسة ابن طولون المالية الرشيدة ، وازالته للكثير من المظالم ، ووضعه حدا لنهب الثروات من جانب المستثمرين الغرباء •

كذلك فقد ادى استقلال مصر عن الخلافة الذى بدأ بعهد ابن طولون الى عزلة المصريين نسبيا عن مختلف التيارات الدينية والتطورات السياسية التى شهدها سائر العالم الاسلامى ، والى ان تصبح للثقافة مصر ، حتى بعد أن أضحى المسلمون غالبية سكانها ، ذاتية خاصة بها ،



مميزة لها ، وان يسير تاريخها على نمط يختلف اختلافا بينا عن نمط تاريخ العراق مثلا او تاريخ المغرب ، وان يجرى تطورها على نسق لا تشترك معها فيه دولة اسلامية اخرى •

تمكن ابن طولون باستقلاله من ان يحتفظ لمصر بثروتها بعد ان كانت هذه الثروة نهبا للخليفة في بغداد ولعماله وولاته • وقد بذل وسعه في سبيل ان يضمن تنمية مطردة لهذه الثروة التي كان عمادها الزراعة وصناعة النسيج • وقد يسر له ما تحقق لمصر في عهده من رخاء ، ان يضاهي الخليفة في بغداد في ابهة بلاطه وفخامته • وقد انشا على طراز سامراء في العراق ، مدينة جديدة اختطها شمالي شرق العاصمة المصرية القديمة الفسطاط ، ونقل الى هذه العاصمة الجديدة التي اسماها بالقطائع حضارة العراق وفنونها بعناصرها الفارسية والهلينية •

وتمكن ابن طولون من تاسيس جيش مستقل لمصر ، اخذه باقسى نظام رغبة منه في شد عناصره المتباينة ، بعضها الى بعض ، برباط محكم • وبهذا الجيش النظامي القوى استطاع ابن طولون ان يضم سوريا الى ملكه ، واستطاع ابنه خمارويه ان يضم الموصل ايضا الى سلطانه •

وقد اضطلع ابن طولون خلال مدة حكمه لمصر باقامة منشات عمرانية فخمة فيها ،لم يسلم منهابعد تدمير العباسيين لمدينة القطائع عام ٩٠٥م غير الجامع الذى شيده خلال الاعوام من ٨٧٦ الى ٨٧٩ ، والذى لا يزال يكشف لنا عن مدى ما حققه النشاط الفنى في عهده من رقى وازدهار • وتعتبر مئذنة ذلك الجامع نسيج وحدها في فن العمارة الاسلامية وينم شكلها اللولبي المألوف في العراق عن تاثير المعمار الفارسي القديم • ورغم ان ابن طولون شيد جامعه هذا على طراز جامع سامراء الكبير ، ورغم ان سعة الاول لا تعدو نصف سعة الثاني ، فانه بصحنه ودعائمه ، واعمدته الصغيرة في الزوايا ، ونوافذه ذات الاقواس المدببة ، وزخارفه البارزة ، ومحرابه ، لا يزال شاهدا على عبقرية صاحبه وعظمة دولته ، ومن ابهى ثمار الحضارة الاسلامية في مصر •

● العقاد وثورة ٢٣ يوليو ●

● في سيرة الاستاذ عباس العقاد صفحة مطوية لم تنشر بعد على وجهها الصحيح ، سطر فيها موقفه من ثورة ٢٣ يوليو وشاء بعض كتابنا ان يعرضها من وجه واحد ، ودون أن يتعرض لكافة الوثائق المتاحة من كتابات العقاد ومواقفه من الثورة .

قبل قيام الثورة وفى الوقت الذى كان فساد فاروق قد ملأ الدنيا وشغل الناس ، كتب العقاد فى هلال فبراير سنة ١٩٥٠ مقالا بمناسبة عيد ميلاد فاروق بعنوان «الملك يبلغ الثلاثين » مدح فيه فاروق وقرن بين مولده وميلاد الأمة المصرية ، ومما أورده فى مقاله ان اصحاب العروش هم اقدر الناس على استخلاص العظات من كثب واستطلاع الاسرار بغير حجاب ! ! ثم يذكر العقاد أن يد «الفاروق » فى النهضة الشاملة هى اليد البيضاء التى تذكرها بلاده وتذكرها البلاد العربية جمعاء ، ويختتم العقاد مقاله بأن مولد الفاروق واعوامه تقترن بيمن الطالع وحسن المسعى وبشائر المستقبل المجيد . وفى هلال مايو سنة ١٩٥١ كتب مقاله : «سنة الديمقراطية فى زواج الملك فاروق » بمناسبة زواجه من ناريمان فقال إن فاروقا يرعى سنة الديمقراطية ويجدد سنة الاسلام فى اقترانه بواحدة من بنات رعيته ، ولاشك أن العقاد كان يعلم الظروف التى أحاطت بزواج فاروق بناريمان وكيف كان زواجه منها أشبه بحوادث خطف النساء التى تروى عن الملوك والامراء فى العصور الوسطى حيث كانت مخطوبة للدكتور محمد زكى هاشم وحدد اليوم الذى يعقد فيه الزواج . فكيف تسنى للعقاد إذن ان يعرض موقف الملك على انه رعاية لسنة الديمقراطية والاسلام فى زواجه ؟ !

وعندما قامت ثورة يوليو استقبلها العقاد بقصيدة هى «عيد النيروز » بارك فيها حركة الجيش ، وكتب فى هلال ديسمبر سنة ١٩٥٢ عن «الجيش وقائده » يوضح فيه بجلاء موقفه من الحركة محددا دورها فى وجوب حراسة الجيش لحركة الاصلاح ويطالب بعدم تدخل الجيش فى السياسة ، ويشيد بنزاهة وطهارة ونقاء اللواء محمد نجيب قائد حركة الجيش ، ويتناول مباذل فاروق ومساوئه ، وانه وصل بالبلاد الى الثورة قبل حرب فلسطين ، ويصمه بالاجرام .

وعند قيام النظام الجمهورى كتب العقاد محبذا قيامه ومبرزا مبرراته والاسباب التى دعت الى إلغاء النظام الملكى ، ويصدر عبدالناصر كتابه «فلسفة الثورة » فيتناوله العقاد بالدراسة شرحا وتحليلا ويخلع على حركة الجيش وصف «الثورة » وينفى عنها صفة التمرد العسكرى .

ثم بدأ الصدام الصامت بين ثورة يوليو والعقاد بعد أزمة مارس سنة ١٩٥٤ فلاذ العقاد بالصمت ولم نقرأ له رأيا فيما دار من احداث الوطن فى منعطف خطير من تاريخ ثورة يوليو . وظل العقاد يهاجم عبدالناصر وثورته فى

ندواته ومجالسه الخاصة فالعقاد أيد ثورة يوليو لأنه كان يتوقع منها أنها حركة فى اتجاه التاريخ وتأكيد قيم الحرية الفردية ، وقد عارضها وانتقدها عندما تأكد لديه بوادر الانحراف .

وكرمته الثورة الناصرية بمنحة جائزة الدولة التقديرية سنة ١٩٦٠ فلم يصفق لعبدالناصر او نظامه ولم يذكر اسمه وانما القى فى حفل تسليم الجائزة فى عيد العلم حديثا فياضا عن جمهورية السياسة وجمهورية الفكر ، وتقدير الدولة للعلماء والادباء العاملين ، وابرز مفهوم الديمقراطية فى الثقافة والادب ، ولم يشر من قريب او بعيد لعبدالناصر الذى سلمه الجائزة التقديرية .

ان موضوع علاقة العقاد بثورة يوليو يستحق الدراسة والبحث ، فإنه لم يستوف حقه من الدارسين والباحثين فى السيرة العقادية على ضوء الوثائق والحقائق الثابتة .

عمرو عبدالمنعم حمودة

● القرار - السفر ●

الدروب صحارى وقلبى صبارة
والعيون الخناجر تمرق عبر الفؤاد
فتذبح أشجاره
فيسيل بحورا من الألم المر تغرق فيها المنى
....
الدروب صحارى ، وقلبى جبال تخاصم وديانها
وتحط الطيور على ، تطرز بالاغنيات جبالى
- اهاجر منى ، وامرق عبر العصور السحيقة نحو الجمود الأخير
المحطات تسرع نحو الوصول
....
الزمان افول
الليالى تصارع نجما رمته النسيمات للظلمة القاتلة
والدماء ثكالى تنوح وتكتب فى صفحة القلب موعد - رحلتى المقبلة .

سوف اتركنى للسفر
تحتوينى المحطات
تكتب فى صفحة القلب اسم الزمان
وتنقش رسم المكان ، وموعد رحلتى المقبلة
......
سوف اتركنى للسفر .

كريمة ثابت - أسيوط

• ملحوظتان •

● يستخدم بعض الكتاب كلمة «العتيد» : بمعنى العتيق القديم وهذا خطأ شائع فإن المعنى اللغوى السليم لها هو «الحاضر المهيأ» ، وفى المعجم الوسيط :

أعتد الشيء : هيأه وأعده ، وفى التنزيل العزيز «وأعتدت لهن مُتَّكأً» .

وقد جاءت الكلمة بمعنى العتيق فى مقدمة تحقيق السيدة نجوى صالح عن «متحف الجزيرة» .

فى «هلال» أغسطس ١٩٨٩م وذلك فى قولها : «كل مافى القصر العتيد له رائحة الزمن» .

● يكتفى الأستاذ حسين أحمد أمين فى ترجمته للشخصيات التى اختارها فى سلسلة «المائة الأعظم فى التاريخ الاسلامى» والذى ينشره «الهلال» تباعا بذكر اسم الشهرة لمن يترجم له ، ولما كان فى نية «دار الهلال» إصدار هذه المجموعة ضمن سلسلة «كتاب الهلال» وحتى تكون الفائدة أعم فإننى آمل أن يذكر الأستاذ الكاتب اسم من يترجم له كاملا فلا يكتفى مثلا بذكر «عبدالرحمن الداخل» فقط بل يجب أن يكتب الاسم تاما وهو «عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان» وهكذا يفعل مع بقية الشخصيات ونرجو تلافى هذا النقص عند طبع الكتاب بالنسبة لجميع من كتب عنهم .

أحمد قاسم أحمد
قنا - ش على بن أبى طالب

• «بوابة» الشعر الحديث •

● لقد فتحت لى الهلال أبوابها ، وكنت أعمل رئيسا لجمهورية الشعر العربية بباب «أنت والهلال» فقد انتخبتنى العصافير وأعطت أصواتها الزقزوقية كلها لى بنسبة ٩٩,٩٩٪ ونجحت فى كل الترشيحات ، وكان وراء ذلك تقديركم وتشجيعكم لى

ورغم المظاهرات التى حدثت أثناء فترة انتخابى الشعرية ، إلا أن الطير لم يتوقف عن سجعه ، والنجوم لم تتوقف عن ارتداء قمصانها الشجرية حتى هدأت المظاهرات بانخفاض أسعار الشعر ، وعودة الحرية لألسن الشعراء ..

هل تسمحون بعودتى الى «الهلال» والتى انقطعت فيها عن ممارسة أعمالى الشعرية ، ولا أريد رئاسة ولا يحزنون ، أريد أن أعمل بوابا لباب «أنت والهلال» أو حتى أقفز الى الصفحات الداخلية للمجلة ، فقد أحزننى أن المجلة أصدرت فى عدد الربيع الماضى منتديا شعريا ولم تجعلنى ضمن هذا

المنتدى الشعرى رغم انى أحد عاشقيها الكبار ، وأنتظر موعدها الشهرى لكى أستحم فى مطرها الابداعى ، وأنشر قصائدى على حبالها الموصولة بحبال السماء ..

عبدالله السمطى ـ المطرية ـ القاهرة

● تعليق الهلال :

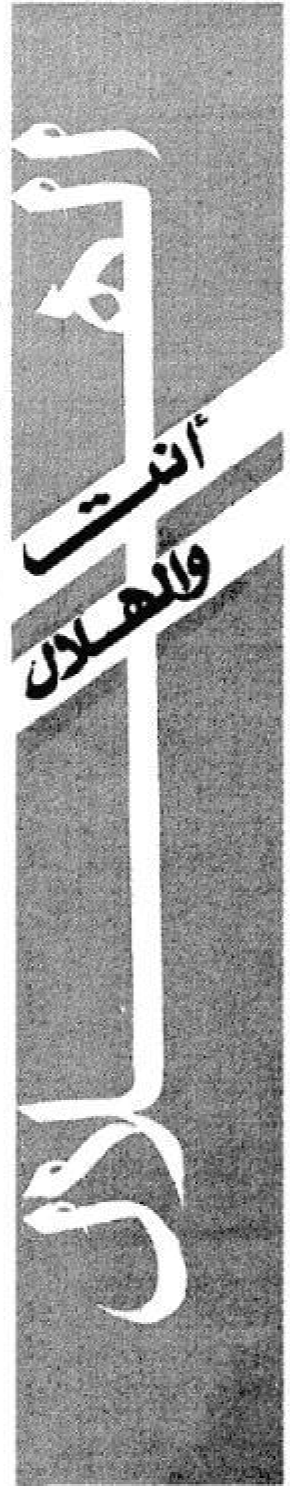
ـ نرحب بك دائما .. ونرجو أن تكون قصائدك مناسبة للنشر .. وها أنت ذا فى قصيدتك التى بعثتها مع خطابك هذا تقول للمرأة التى تتغزل فيها : «أيتها المرأة المستحمة بين صحاري دمى .. قلة طلعت من كهيعص .. وشغاف الفؤاد » .. فما معنى هذا القلة التى طلعت من السورة القرآنية التى اولها «كهيعص » ؟! .. هلا ابتعدت عن هذا النوع من الاستعارات التى راحت فى الزمن الأخير على ايدى شعارير من أمثال ادونيس ؟ !

● لأنى امتلكتك ●

لانى امتلكتك
اراني مللتك
فما عدت حبا جديدا على
وما عدت حلما يطوف بعيني
ويشرق كالشمس فى مقلتى
غدوت رمادا ... وقد كنت نارا
فكيف انطفأت على ضفتى
مللتك عذرا لانى مللت
فلا انا قيس ولا انت ليلى
لأن كلامك عندي معاد
مللت حديثك ياشهر زاد
لانك حب وشوق معاد
مللت حصارك ... مللت انتظارك
مللت قيودك ... مللت وجودك
اخذت القرار .. اريد الفرار
فهل تسمحين بفك الحصار



عبدالعزيز جويدة



● قصة قصيرة :

● عشق الأيام ●

● هبطت من القطار ، محتضنا نسمات الهواء ، المشتاق اليها ، لكى تجدد .. خلاياى .. وحنين عارم ؛ لهذا السياج ، والخضرة المفروشة ، على مدى الأفق ، والوجوه الراضية ... المبتسمة .. المستبشرة .

ـ لا توسخ جلبابك .

دائما ، ماكررتها أمي ـ كل صباح ـ لتبعدنى عن الشقاوة واللعب ، ولكنى أجرى وسط الحقول ، مناديا سعدون ، وصفية أولاد عمى .. نقف أمام الترعة ، نقفز دافعين بعضنا البعض .. ضاحكين .. سابحين على ظهورنا .. ونصعد لنلحق بجمع القطن ، ونرقب أولاد جيراننا الاكبر سنا ، وهم يقومون بالجمع .

نلعب السيجا .. نضحك ونضحك .

سنون وتباعد الرفاق ، تزوجت صفية ، وسافر سعدون إلى حلوان ، وتغربت راحلا إلى الكويت . فى لهفة ، أمشى لكوختنا الصغير ، عابرا الكوبرى الخشبى ، الواصل بين المركز وقريتنا الوادعة ..

وقفت للحظات أتأمل مياه الترعة الضحلة ، وهى تسرى فى مجراها ، بهدوء ودعة .

اكملت المسير ، سالكا الممشى الترابى .. أبحث عن الوجوه المألوفة فى اعماقى ، وسمرتها المحببة .. لكن .. ولكن ثمة شيئا ما أحسست به .. الملامح تغيرت .. مسحة من الغموض ، والشجن ترتسم على العيون .

احرك رأسى يمنة ويسرة ، لعلنى أجد المفقود ، المعشش فى الوجدان .

الطريق طال .. عيناى تبعد إلى المدى . الخضرة تضاءلت ، وبرزت مبان كالحة .

ادنو من كوختنا الصغير ، الذى كان ..

وأحبس الدمع .

وائل وجدى
الدقى ـ الجيزة

● الشاعر والمعلمة ●

● تلقيت ببالغ السعادة توجيهكم ، وقد حاولت ـ قصارى جهدى ـ تنفيذ نصائحكم لى ، ومازلت احاول وسأظل أحاول إن شاء الله ، ولا يعنى هذا ـ والله العظيم ـ انى لا أريد توجيهكم فى هذه المرة ، فانتم توجهون بلفظ لين وكلمة رقيقة .. ولكن غاية املى ان تنشروا قصيدتى ثم توجهونى واتعشم الا تخيبوا املى .

لقد عكفت كثيرا على القصائد التى نشرتموها فى «انت والهلال» من خلال مجلدات مجلة الهلال الموجودة فى مكتبة قصر ثقافة المنصورة وساظل إن شاء الله عاكفا، عليها .. هذا علاوة على بعض القراءات فى دواوين شعر اقتنيها فى بيتى .. منها الشعر القديم والشعر الحديث وبعض الاصدارات الادبية .

والآن اسمحوا لى ان اكتب قصيدتى ... وها هى ذى :

ياسيدتى ومعلمتى
لقنت القلب اصول العشق وعلمت
قررت دروس الشوق على قلبى
وحذفت فصول البعد والغيث
اخفيت دروبا عن تلميذك يا قدرى
وحجبت دروس الهجر من العلم
حتى لا اعرف اى سبيل للهجر
حقا .. اوليس من الظلم
ان تدرى انت ولا ادرى



عبدالعزيز الشراكى
قسم اللغة العربية - تربية المنصورة

● تعليق الهلال :

- إنك يابنى نموذج لطالب العلم الذى لا تأخذه العزة «بالجهل» إذا سمع نصيحة ممن هو اكبر منه سنا وتجربة .. نحييك ونرجو لك مستقبلا حسنا فى عالم الشعر ..

● صوت جبران فى لبنان ●

● «مات أهلى وأهلكم ايها اللبنانيون .. فماذا نستطيع ان نفعل لمن لم يمت منهم ؟ نداء .. تردد صداه جبال لبنان ، فكيف يكون رجع الصدى فى دار العروبة من المحيط الى الخليج ؟ ! إنه صوت جبران يردده من مثواه فى وادى قاديشا على مشارف بيروت .. اطلقه منذ اكثر من نصف قرن وكأنه يستشف مأساة بلده جرح العروبة النازف

وعجبا اى عجب لما يردده جبران خليل جبران منذ ذلك الزمن وكانما يبكى غربته وعجزه عن مد اليد لأهله ووطنه .. امس واليوم وغدا .. طوكنت جائعا

أنت والهلال

بين أهلى الجائعين ، مضطهدا بين قومى المضطهدين ، لكانت الأيام أخف وطأة على صدرى ، والليالى اقل سوادا أمام عينى ، لأن من يشارك أهله بالأسى والشدة ، يشعر بتلك التعزية العلوية التى يولدها الاستشهاد ، بل يفتخر بنفسه لأنه يموت بريئا مع الأبرياء .. »

«ليت شعرى ماذا ينفع ندب الشاعر ونواحه ، لو كنت سنبلة من القمح فى تربة بلادى لكنت لطفل جائع يلتقطنى ويزيل بحياتى يد الموت عن نفسه .. لو كنت ثمرة يانعة فى بساتين بلادى ، لكانت المراة الجائعة تتناولنى طعاما ، ولكن واحر قلباه ، لست سنبلة من القمح فى سهول سوريا ، ولا بثمرة يانعة فى أودية لبنان ، وهذه هى نكبتى ، هذه هى المأساة الموجعة التى تعقد لسانى – وتكبل يدى ، ثم توقفنى بلا عزم ولا إرادة ولا عمل »

«يقولون لى وما نكبة بلادك سوى جزء من نكبة العالم .. نعم ولكن نكبة بلادى نكبة خرساء . نكبة بلادى جريمة حبلت بها رءوس الأفاعى والثعابين .. نكبة بلادى مأساة بغير أناشيد ولا مشاهد »

لقد كان جبران بحق مجددا فى الأدب العربى ، وكان فى حياته القصيرة (١٨٨٣ – ١٩٣١) كاتبا شاعرا مصورا مفكرا تبوأ عمادة الأدب المهجرى كما رأس الرابطة القلمية التى ضمت خيرة الأدباء المهجريين فى العالم الجديد .

وعروبة لبنان ووحدة لبنان وسلام لبنان أمل العرب جميعا .. غنى له جبران فرددت الأجيال ألحانه أذ يقول والأمل يمحق الظلام فى استشرافه للغد .

واخال رفات جبران يصرخ من فوق جبل لبنان من ضريح كتب عليه «أواه أيتها الوحدة ، إنك السعادة الوحيدة ! »

«مات أهلى وأهلكم فى لبنان أيها العرب .. فماذا تستطيعون ان تفعلوا لمن لم يمت منهم بعد ؟ »

زغلول توفيق
بنى سويف

• مع أصدقائنا •

● **زغلول توفيق – بنى سويف :**

– لا بأس بقصيدتكم عن المرأة التى قتلت زوجها بساطور ، ولكن كلامك يبدو كأنه دفاع عنها .. أما بناء القصيدة فيشوبه بعض التجاوزات العروضية التى نرجو أن تتحاشاها فى قصائدك التالية .

● هشام المغربي ـ الاسكندرية :

ـ لماذا تشكو من كثرة كتابات ابراهيم سعدة وأنيس منصور ومحسن محمد وغيرهم ، وهل تظن أنهم يسدون عليك منافذ الكتابة والنشر ؟! .. وهل إذا تركوا الكتابة تتقدم أنت وتملأ فراغهم ؟! .. يابنى مهلا .. مهلا .. ولا توهم نفسك أن تنحية الكبار يفتح الطريق أمام الصغار ، والاطاحة بالمحنكين الناضجين يهيىء أسباب السطوة لمن يفتقرون الى الحنكة ونضج التجارب الطويلة ! .

● محمد احمد محمد ـ كلية التربية بسوهاج :

ـ نرحب بما تكتبه وننشره إذا كان فى المستوى المطلوب

● على محمد على اغا ـ سوهاج :

ـ نحن لم نطلب منك تطليق مواهبك الشعرية ، ولكنا أبدينا لك الرأى فيما ارسلته الينا من شعر ، فهو غير ناضج وينقصه الكثير .. أما أدعياء الأدب الذين يكتبون باسم بعض أدباء سوهاج فنحن نعرف أمرهم جيدا . وأما قصيدتك الجديدة على طريق الدموع ، فلا بأس بها ولكن تشوبها هنات عروضية ولغوية واملائية .. ونرجو لك حظا حسنا ..

● السيد ابراهيم عطية ـ كفر صقر :

ـ تقول إن الجملة العربية فعلية بعكس الجملة الانجليزية فهى اسمية ، وهذا صحيح فى الكلام العربى القديم ، اما الجملة الصحفية العربية الحديثة فهى اسمية فى غالب الاحيان ، كجملة الصحف الافرنجية .. وهذا هو السبب فى ترجمة كلمة اللورد كارنجتون عن جروميكو ، بوضع «جروميكو» فى أول الكلام كما ورد فى باب «أقوال معاصرة» بهلال أغسطس الماضى .. وهذه القاعدة مطردة فى بقية الكلمات الصحفية او فى الكثير منها ..

● جمال محمود الشورة ـ كفر الزيات :

ـ نحن حاولنا التحاور معك ابتغاء إرشادك ونصحك وإضاءة الطريق الطويل أمامك ، ولكنك تعتبر نفسك مفكرا وكاتبا وترى أن الصحف تضطهدك لأنها لا تنشر انتاجك .. فماذا نفعل لك وأنت لا تملك يابنى أداة الكتابة الرئيسية وهى معرفة اللغة العربية التى تكتب بها ؟ ! .. هل تريد ان نغشك ونقول لك : نعم .. أنت كاتب ومفكر ، فندفع بك فى طريق محفوف بالمكاره ، أم الأفضل ان نصارحك عسى أن تستكمل ما ينقصك وتثابر وتجاهد حتى تصبح كاتبا ومفكرا حقا وفعلا ، لا بمجرد الوهم أو الأدعاء ؟ !

● ونشكر لأصدقائنا السادة : عبدالرحيم الماسخ .. محمود عبدالمجيد أحمد .. حمدى محمد عبدالموجود .. آمال زكى مليجى البقرى .. رفعت عبدالوهاب محمد المرصفى .. عاصم فريد البرقوقى .. فرج على .. أسامة حامد القرماوى .. مصطفى محمود السيد .. صبرى قنديل .. أحمد محمد عثمان .. محمد أحمد محمد ..

الكلمة الأخيرة

الصداقة

من النعم على الانسان في حياته ان يكون له صديق وفى ، او اصدقاء اوفياء يخلصون له في مسيرته بدنياه ، اصدقاء يأتمنهم على اسراره ، واذا طلب اليهم نصيحة اسدوها اليه ، وكذلك اذا طلب مشورة ادوها على خير وجه ، ومهما كان الانسان حصيفا في رأيه بعيد النظر في شئونه فلا يستغنى عن يستشيرهم من خلصائه في بعض امره ، وحرى ان يكونوا من الاخلاص له بحيث يسدون له النصيحة السديدة غير مدخرين رأيا سليما ولا رشدا قويما ٠

والصديق الوفى لا من يخلص لك النصح عند الحاجة فحسب ، بل ايضا من يسعفك في الشدة ويساعدك في العسرة ومن تجده دائما بجوارك يأخذ بيدك وينجدك ان لزمتك النجدة غير مقصر في اداء حق لك ، بل انه ليجد فيما يؤديه من حق متاعا لا يفوقه متاع ٠ وكما يحفظ لك حضورك يحفظ غيبتك ، بل اذا غبت عن مجلسه كان اشد لك حفظا وصيانة ، فهو دائما امين عليك وفى لك في الضراء وفاءه في السراء ٠

وينبغي ان يحافظ الصديق على مشاعر صديقه ، فيلقاه دائما باشا في وجهه ويعامله بمنتهى الرفق ، ولا يدخل معه في مراء او جدال يفسد صداقتهما ، بل يجادله ويحاوره في المسائل بكثير من الرقة واللطف ٠

ولا تحاول ان يعترف لك صديق بفضل مرارا وتكرارا ولا ان يكافئك على ما تقدم اليه من افضال ، لان الصداقة الصحيحة تقوم على الايثار ، وتقبل من الصديق دائما ميسور الود دون اى مشقة او ارهاق ٠ ولابد اخيرا من التروى والتثبت في اختيار الصديق والاصدقاء خشية الزلل والوقوع فيمن لا يستحقون صداقتك ، وكم من اناس غرهم خداع بعض من حولهم بريائهم وكثرة ملقهم وكلماتهم المعسولة ـ وخاصة اذا كانوا يتولون منصبا خطيرا ـ فاتخذوهم اصدقاء لهم ، حتى اذا دارت بهم الايام قلبوا لهم ظهر المجن واتضح انهم لم يكونوا يكنون لهم ودا بل بغضا وموجدة ٠

د٠ شوقي ضيف




EGYPTAIR
مصر للطيران





صخر PC

طريقك للمستقبل

مجموعة متكاملة من الأجهزة لتلبية حاجة المستخدم العربي (XT,AT,386)

البرامج المدمجة بالأجهزة .

نظام تشغيل عربي ، برنامج عرض عربي ، منسق كلمات عربي انجليزي فرنسي

مدقق املائي عربي ، مدقق املائي انجليزي ، قاموس انجليزي عربي (٧٥ ألف كلمة)

برنامج البريد ، حاسبة ، تقويم هجري ميلادي ، لغة بيسك العربية

صخر

العالمية

الهلال

نوفمبر ١٩٨٩ ● الثمن ٧٥ قرشا



المحافل والمعابد اليهودية

قمم عربية



● بريشة : الفنان محمد ابوطالب

الشيخ محمد الغزالى

الهلال

مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجي زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

السنة السابعة والتسعون • نوفمبر ١٩٨٩ • ربيع الثاني ١٤١٠ هـ

شيخ جليل، جاء من قرية نكلا العنب - إيتاى البارود مثل الشيخ محمد عبده وعلى باشا مبارك وقطع رحلة شاقة، ولم يغب عن هدفه لحظة واحدة رفع شأن دينه وامته. تلقى العلم بكلية أصول الدين فى الأزهر وحصل على شهادة العالمية سنة ١٩٤١.

الدين عنده ليس طقوسا وانسحابا من الحياة إنما حركة دائبة فى رحاب الله من أجل رفعة الانسان، قاوم طوال تاريخه الخرافة والتطرف، ودعا إلى الدين الصحيح، ودفع عن طيب خاطر ثمن مواقفه. فقضى فى معتقل الطور قرابة العام سنة ١٩٤٩ م.

تدرج فى مناصب الوعظ والارشاد والدعوة، بوزارة الأوقاف حتى أصبح وكيلا لوزارة الأوقاف لشئون الدعوة الاسلامية.

ذهب إلى السعودية استاذا بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، كما عمل استاذا فى جامعات السعودية ثم قطر ثم الجزائر ثم مشرفا على إنشاء جامعة الأمير عبدالقادر الجزائرى فى قسنطينه.

قدم للمكتبة الاسلامية مايزيد على خمسين كتابا تمثل مشروعا فكريا متكاملا يواجه أبرز التحديات التى تواجه نهضة الاسلام فى عصرنا الراهن.

حمل لواء الأصالة والتجديد معا، وهو يملك عقلانية الفقيه، وروحانية الداعية، وذوق الأديب الفنان.

اقرأ مقال الشيخ محمد الغزالى ص ٤٦

[redacted] فكر وثقافة



الغلاف تصميم الفنان : محمد ابوطالب

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى . وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية . وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة بعاليه عند الطلب .

دار الهلال

١٦ شارع محمد عز العرب ترقيم البريدى (١١٤٥١) القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط ـ مجلة الهلال ٣٦٢٥٤١٩
تلغرافيا : المصور ـ القاهرة ج م ع
رقم الفاكس : 92703 HILAL U.N

ثمن النسخة

لبنان ٧٠٠ ليرة ، الاردن ٦٠٠ فلس ، الكويت ٥٠٠ فلس ، العراق ٢٠٠٠ فلس ، السعودية ٧ ريالات ، جمهورية اليمن الديمقراطية ١٢٥ سنتا ، البحرين ٨٠٠ فلس ، الدوحة ٧ ريالات ، دبى ٧ دراهم ، أبو ظبي ٧ دراهم ، مسقط ٧٠٠ بيسه ، تونس ١٤٠٠ مليم ، المغرب ١٥ درهما ، غزة والضفة ٧٥ سنتا ، داكار ٦٠٠ فرنك ، لندن ١٢٥ بنسا ، ايطاليا ٢٥٠٠ ليرة ، نيويورك ٤٠٠ سنت ، الجمهورية العربية اليمنية ٨ ريالات ، كندا ٥ دولارات ، لوس انجلوس ٤٠٠ سنت .

عزيزى القارئ

١٣ نوفمبر .. عيد الجهاد

يحمل شهر نوفمبر من كل عام ذكرى يوم لاينساه المصريون ، هو يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨ ، فهو اليوم الذى بدأت به الحركة الوطنية فى مصر ضد الاستعمار البريطانى بعد ترقب طويل .

فى ١٣ نوفمبر منذ واحد وسبعين عاما ذهب سعد زغلول مع زميليه على شعراوى وعبد العزيز فهمى ـ نيابة عن الأمة إلى « قصر الدوبارة » الشهير ، لمقابلة معتمد الحماية البريطانية الجنرال ونجت ، ومفاتحته فى رفع الحماية العسكرية عن مصر وإعلان استقلالها

كانت الامبراطورية البريطانية حينذاك قد خرجت منتصرة على الألمان والعثمانيين فى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) وصار لها الأمر والنهى فى العالم كله ، ولكن ذلك لم يثبط عزيمة سعد ورفاقه ، لأنهم كانوا يمثلون ضمير الشعب المصرى ويطالبون بحقوقه فى الحرية والاستقلال .

وقال لهم ونجت فى سخرية واستعلاء :

ـ لقد كانت مصر عبدا للعثمانيين ، فكيف تأنف من العبودية للبريطانيين ؟

لم يكن الزعماء الثلاثة ـ ومن ورائهم الشعب ـ يفاضلون بين عبوديتين ، وإنما كانوا يطلبون الانعتاق من السيد البريطانى بعد أن افلتوا من قبضة السيد العثمانى .

وبقية هذه القصة التاريخية نعرفها جميعا .

اندلعت ثورة ٩ مارس ١٩١٩ ثم طويت صحائف الاحتلال صفحة بعد صفحة حتى ذهبت كأن لم تكن عندما قبض جنودنا على « الخيراء

البريطانيين » فى قاعدة قناة السويس عقب العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦ .

ان يوم ١٣ نوفمبر تتجلى اهميته فى كونه اليوم الذى يربط ثلاث ثورات وطنية متعاقبة ، لا تنفصل احداها عن الأخرى :

ثورة عرابى ، وثورة سعد ، وثورة عبد الناصر .

اما ثورة عرابى فقد أيقظت الاحساس بالقومية المصرية ضد التمييز العنصرى التركى والجركسى وضد الامتيازات الاوروبية ، او « الامتيازات الأجنبية » التى جلبها علينا العهد العثمانى .

ولولا ثورة عرابى التى انضجت القومية المصرية لما نضجت الظروف لثورة ١٩١٩ التى صقلت مصر وجعلت من الشعب المصرى كتلة قومية متماسكة تنبض بالوطنية والحيوية والفدائية .

ولولا ثورة ١٩١٩ التى بعثت الحياة فى الأهداف الوطنية ، لما ولدت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، فإن الاحلام الوطنية التى حركت عبد الناصر ورفاقه إنما هى من غرس ثورة ١٩١٩ ، ولم تكن مبادئهم إلا مبادىء الجماهير التى خرجت فى ثورة ١٩١٩ تهتف : الاستقلال التام او الموت الزؤام ! ..

واقام « ترزية التاريخ » حاجزا مصطنعا بين ثورة ١٩١٩ وثورة يوليو ١٩٥٢ مع ان هذه وريثة تلك ، ووليدة لها .. والدور الذى اداه عبد الناصر بالقوات المسلحة إنما كان استكمالا لدور سعد الذى اداه بجماهير « الجلابيب الزرقاء » وجميع طبقات الشعب الأخرى .

وكما واجه سعد قول ونجت : « كنتم عبيدا للعثمانيين فكيف لاتكونون عبيدا للبريطانيين » .. فإن عبد الناصر قد واجه سياسات « ملء الفراغ » باستعمار عالمى جديد واستعمار استيطانى ، بعد رحيل الاستعمار القديم ..

ومرحى ليوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨ ، ومجدا لذكراه الباقية على الزمان ، فإنه من ابهى ايام مصر .. وهو « عيد الجهاد » .. كما سماه المصريون بحق .. وسيبقى « عيد الجهاد » رمزا لتواصل جهادهم ورباطهم من جيل إلى جيل ! ..

« المحرر »





الأزمة
والبحث عن حل !

بقلم : مصطفى نبيل

مظاهر الدمار في كل أنحاء بيروت

مازالت بيروت "وردة المدائن" تنبض بالحياة ، رغم القتل والقتلى ، ورغم القصف والخطف والقنص والدموع الغزيرة والجراح العميقة ، ورغم أنها العاصمة العربية الوحيدة ، التي وقعت في الأسر الإسرائيلي !

فمع هذا كله ما أن توقفت المدافع ، وفتح مطار بيروت الدولي حتى تفجرت من جديد جذوة الحياة وشعاع الأمل ، واندفع أهلها إلى الشوارع يتعاونون على العمل لعودة الحياة إلى مرافقها ، وعاد إليها كل من غادرها لكي يستأنف نشاطه !

وكالعادة وقفت بيروت تترقب :
كيف يتحول السلام من مجرد وقف إطلاق النار إلى إطلاق طاقات الأهالي التي سئمت الاقتتال؟ تترقب أن تتحرك الأغلبية الصامتة التي دفعت غالياً ثمن تلك الحرب القذرة وكيف تضع حداً لها ، بعد أن وعت الدرس جيداً ، فمعركة السلام ووحدة الأهالي ، أشق كثيرا من تحريك زناد مدفع أو إطلاق صاروخ على الآمنين !

فهل حان الوقت لإطلالة متأنية ، بعيدة عن جو التحريض والدعاية السوداء والتلوث الفكري الذي عادة ما يسود خلال الاقتتال؟ وهل يمكن الإمساك بالأسباب الكثيرة المتداخلة لحرب كان الكل فيها خاسراً طوال خمسة عشر عاماً؟ وهل تصبح الحرب من خلال الكلمة الصادقة الأمينة ماضياً بعيداً؟

لقد كانت ذخيرتي في الإجابة عن تلك الأسئلة عدة زيارات إلى بيروت قبل الحرب وبعدها ، وتقليب أوراق الأزمة ما كتب عنها وما سمعته من رموزها ..

فعندما كانت بيروت محطة دائمة في أسفارنا إلى بلدان المشرق العربي ، يجد زائرها ذخيرة من الكتب الجديدة وآخر الأعمال الفنية ، يوم كانت ملتقى السياسيين من كل الاتجاهات ، تمثل مكانا للاسترخاء والتأمل ، ولم يعد جائزا التوقف عن زيارتها أيام محنتها ، وقد بقيت على الدوام نقطة رصد هامة للتيارات والاتجاهات العربية والعالمية ، في توافقها وتضادها معاً .

وكانت آخر زياراتي لها في الخريف الماضي ، وكان الترقب والتوتر هما إحساس من يتجول في شوارعها ، السكان الذين تعودوا على الحديث بصوت عال يتهامسون ، وتعكس حركة مرور السيارات مزاج سكانها ، تلاحظ في حركة السير التزاحم والتسابق والعصبية ، وكأن سائق السيارة يقود مدرعة ، ولا يراعي قواعد المرور ، وكثيراً ما تفاجأ بسيارة مسرعة عكس السير !

وتشاهد معنى غياب السلطة مجسداً ..

وترى الأزمة في كل شيء من حولك ، إعلانات الصحف التي دأبت على نشر صور المفقودين ، صور أطفال وفتيات ، وإعلانات أخرى عن نوع متقدم من الزجاج الذي لا يخترقه الرصاص ، وسيارات مصفحة بأسعار خيالية ، علاوة على ذكر الضحايا مع كل يوم ..

ولسان كل ما حولك يتساءل : متى تعود الحياة إلى طبيعتها؟

هذا ما آل إليه حال بيروت التي عاشت في الوجدان العربي ، متنفساً لكل صاحب رأي ، وملجأ لكل باحث عن مرفأ آمن ، وقدمت نموذجاً للتعايش بين الأفكار والطوائف ، وفتحت ذراعيها لدعاة الوحدة العربية ، وعجزت عن الدفاع عن وحدتها هي !

وتحولت المدينة الآمنة إلى بيروت الضحايا والقتل على الهوية ، ولم تلحظ قبل عام ١٩٧٥ الانقسام القائم تحت السطح ، وأعطى كتاب بيروت ومثقفوها صورة خادعة عنها تنتقل بلا حواجز بين شرقها وغربها ، الجميع أصدقاء يتدفقون

بالحيوية والرؤية المستنيرة ، يتحاورون بالكلمات بروح رياضية عالية ، من القضايا الفلسفية وحتى الخلافات السياسية ، لا تمييز بين كاتب وآخر على أساس من مذهبه ، وهكذا كل العواصم العربية ، كثيراً ما تكون خادعة ، وجاء الاقتتال ليكشف المستور وما وراء القشرة اللامعة .

وظهر أن التعايش لم يكن سوى نزاع مستمر وتراكم خفى للمنازعات ، انفجر بشكل مروع ، وأصبح البيروتى ، إما جريحاً أو معاقاً أو مهجراً فى وطنه ، هائماً على وجهه فى بقاع الأرض المترامية .

فى كل مرة أزورها خلال حرب ، ألمس النقيضين ، قوة التدمير الهائلة ، والرغبة العارمة فى الحياة والعمران ، ورفض الاقتتال ، والسعى الصادق إلى الحب والسلام ، وراوغتنى بيروت ، وكنت أوقن بعد كل زيارة بأن حب الحياة بين أهلها أقوى من قوى التدمير المفروضة عليها . إن لدى أهلها طاقة بلا حدود ، وقدرة على المقاومة والتحدى ، يسخر البيروتى من الأزمات ، وتبرز صفات الشخصية اللبنانية ، وعلى رأسها الجرأة والمبادرة والاستهانة بالصعاب ، عندما يقصف مبنى سريعاً ما يرممه صاحبه ، بإيمان عميق بأن عاصمته لن تظل طويلاً بلد حاملى السلاح من الزعران ..

● سكين التقسيم

حقاً .. هناك مدن محظوظة ، وأخرى بلا حظ .. فقد عانت بيروت طويلاً ، وكانت العاصمة العربية الوحيدة التى تقع فى الأسر الإسرائيلى ، وجاءت المارينز والقوات الدولية ، وقاومت ببسالة ، وإذا كانت نجحت فى صد جحافل الغزاة من الخارج ، فقد عجزت أمام جحافل التعصب والطائفية فى الداخل ، وأصبحت مقسمة مثل برلين التى أصبحت مدينتين ، ورفح التى يخضع أحد أجزائها للاحتلال الإسرائيلى ، ومثل القدس الشرقية والغربية ..

ووصلها سكين الطائفية الحاد ، وقسمها إلى شرقية وغربية ، ورسم حدودها الجديدة وشوه وجهها ومس قلبها ، وعمقت الطائفية والعصبية الجرح فى القلب ، وشقها خط التقسيم من المرفأ حتى ساحة الشهداء فطريق الشام ، وطريق صيدا القديم وانتهاء بخط الحدث وكفر شيما والشويفات .

ولم تعد قادراً على أن تتخطى الشارع من الشياح إلى عين الرمانة ، أو من ساحة البرج إلى باب إدريس ، وطويت تلك الأيام التى كانت فيها ساحة البرج فى ساحة الشهداء ، عندما نفذ جمال باشا سنة ١٩١٦ حكم الإعدام فى الزعامات البيروتية المسلم منها والمسيحى ، وأصبحت ساحة للقنص . وأصبح مابين البسطة والأشرفية أبعد مما بينهما وأى عاصمة فى العالم !

وقبل الحرب كنا نتنقل بين أحياء بيروت ونلتقى بالأصدقاء ، ولا يخطر ببالنا أن كل حى خصص بطريقة صارمة لسكن طائفة من الطوائف .

وأصل هذا التقسيم ، خط وهمى يمر بطريق الشام ، كان يسير فيه ترام بيروت



الرجال والاطفال يموتون .. وترتسم الاحزان على وجوه النساء وملابسهن

الذي يمر على فرن الشباك ، الناصرة ، ساحة البرج ، باب إدريس ، حتى يصل إلى رأس بيروت .

وعرف أن كل من يسكن على يمين هذا الخط من المسيحيين ، وكل من يسكن على شماله من المسلمين ، وعلى أساسه قامت بيروت الشرقية وبيروت الغربية ، وجاءت رئاسة فؤاد شهاب ، وقننت هذه الحالة ، وقسمت بيروت إلى منطقتين انتخابيتين ، بعد أن كانت لها لائحة انتخابية واحدة يشترك فيها المسلم والمسيحي ، وأصبحت كل من المنطقتين مستقلة عن الأخرى ، دائرة بيروت الأولى هي الأشرفية ، ودائرة بيروت الثانية هي بيروت الغربية ، ودائرة ثالثة مشتركة تضم منطقة المرفأ وحي الزيتونة ووضعت بذور التقسيم ، ويسكن المنطقة الغربية تقليدياً السنة والأرثوذكس والشيعة ، أما



متحف سرسق وتظهر فيه العمارة العربية القديمة

الشرقية فيسكنها الموارنة والارثوذكس والأرمن !

● المسألة اللبنانية !

وبيروت التي طالما تباهت على العالم بأنها أول من صنع الحرف - أداة المعرفة - وجاءت هذه الحرب فكشفت أن العالم انتفع بالمعرفة وبقي لبنان بعيداً عنها !

وكانت بيروت نموذجاً للتعايش بين الطوائف، فكيف انقلب فيها الحال واندلع فيها الحريق ؟

والسؤال الملح .. لماذا كل هذا الخراب والدمار ؟! وكيف يستمر القتال طوال خمسة عشر عاماً ؟!

هذا .. والعالم من حولنا يتغير، موازين القوى الإقليمية والعالمية تتبدل، ويستمر لبنان يدفع من دمه في حرب كل أطرافها خاسر !

والإجابات كثيراً ما تأتى غير كافية وغير مقنعة ، وهى أسئلة بالغة الأهمية ، وهى لاتعنى لبنان وحده ، فما شهدته لبنان دليل واضح على الخلل العميق فى الحياة العربية ، ويرز أعلى مراحل هذا الخلل على المسرح اللبنانى ، وظهر العجز الفاضح عن التوائم مع العصر ، والتوظيف الفاسد لأحداث التاريخ وصراعات الماضى ، والكل يدفع غالياً ثمن استمرار هذه الحال ، ويدفع العرب حصاد عدم إيمان بعض دوائرهم بالمساواة العميقة بين البشر مهما اختلفت أصولهم او عقائدهم او ثقافاتهم ، كما يدفع العرب غالياً ثمن المنافسات والمنازعات الإقليمية ، والتى عندما تبدأ لا تعرف متى تتوقف ، وتتفجر أثناءها الأحقاد وتدمر الأخضر واليابس ، فما يدور على أرض لبنان هو فى أحد أبعاده صور مما تبقى من صور الماضى أيام حروب داحس والغبراء ، يدفع ثمنها المواطن اللبنانى .. تماما كما يدفع العالم العربى غالياً غياب المعادلة الصحيحة ، بين الشعارات والمبادىء والأهداف ، وبين إمكانية تنفيذها فى ظل موازين القوى المحلية أو العالمية ، ولم يعد يكفى أن يكون الشعار صحيحاً ، ولا أن يكون الهدف قد تحدد بدقة ، بل المطلوب منهج دقيق وتوقيت سليم من أجل وضع الهدف موضع التنفيذ .

فلم يكن الوقت مناسباً لحسم صراعات محلية ، تحسم بطبيعتها عن طريق الحوار ، ولا تحسم أبداً عن طريق السلاح ، هذا فى ظل عالم لا يرحم ، ولا يتورع أطرافه عن استخدام كل الثغرات والفرص المتاحة ، وأن يستغل إلى آخر الحدود نقاط الضعف بين الصفوف ، فمن ثقوب النظام اللبنانى ، يتسلل النفوذ الغريب الذى لا يقبل قوة المنطقة وتضامن أهلها .

وهيمنت على الحياة السياسية فى لبنان عقدتان ، هما عقدتا الخوف والغبن ، خوف القوى المسيطرة من فقدان امتيازاتها ، والغبن الذى تعانى منه بعض الطوائف والمناطق .

ففى لبنان سبع عشرة طائفة معترف بها رسمياً ولها مؤسساتها ، مما يعنى أن هناك عشر طوائف لا مجال لأبنائها للوصول إلى مراكز الحكم ، وإذا أصابت عقدة الخوف هذه ، طائفة أو أقلية ، فسرعان ما تنتقل إلى الطوائف الأخرى ، وظهور أقلية مضطهدة أو متهورة ، معناه أن الجميع يعانى القهر ، وفى كثير من أنحاء العالم العربى يعانى من الاضطهاد والقهر الأغلبية والأقلية معاً ، وعليهم أن يمسكوا بمصدر القهر فكرياً أو اجتماعياً أو سياسياً ، ويتغلبوا عليه معاً .

● البحر والصحراء

ويرى البعض عند محاولة الإجابة على ما طرح من تساؤلات حول المسألة اللبنانية ، أن مايجرى فى لبنان يعود إلى الانقسام الفكرى الحاد الذى صاحب قيام لبنان الحديث ، ونشأت فيه مع الزمن ثنائية حادة ، منظومتان ومؤسستان فكريتان متباينتان ، ازدادت بينهما الحواجز والسدود ، أحدهما يشد لبنان

إلى العرب والآخر يدفعه إلى الغرب فيما وراء البحر .

وكثيراً مايرتدي هذا الانقسام رداء طائفياً وعشائرياً ، ويتكىء على الموقع الجغرافي ومايميز لبنان سواء من أنه نهاية الصحراء أو بداية البحر والخارج .. « فلبنان القائم بين الصحراء والبحر ، **ميزه عن جيرانه ، وشعبه مميز بتركيبه الروحي والاجتماعي ، وتاريخه غير تاريخ دول الجوار** .. » ويضيف جواد بولس .. « العرب الذين كانوا يعيشون في السهول والصحارى كانوا يجهلون الجبل ونادراً ما أخضعوه لنفوذهم ، وأقام الجبل مانعاً في وجه البداوة وأحياناً في وجه العروبة .. !!

« وتعريب لبنان .. جاء من حركة المد البدوي غمرت الصحاري والهضاب ، واصطدمت بسفح المرتفعات الجبلية دون أن تستطيع اكتساحها ، وبقيت المرتفعات منيعة ومنتصبة فوق الصحاري .. وتحول ساكن الجبل إلى قروي فلاح أو راع ، وفي الوقت ذاته إلى محارب جبلي ، يحارب حتى الموت ليحمي أرضه وحرياته ، كخليفة ووارث لفينيقيا البحرية » .. وجعل جوار الجبل للبحر من لبنان ، بلداً مفتوحاً للبضائع والأفكار ، مولعا بالحياة الفكرية والفنية ، وأصبح لبنان لديهم "الوطن النهائي ، وهي تامة وراسخة الكيان ، وترفض الاندماج في الأمة العربية الوهمية » ..

أما الرؤية الثانية فترى في لبنان صلة الوصل بين الساحل والداخل العربي ، والساحل بما فيه بيروت التي كانت مرابط أهل الشام التي تصد غارات المعتدين ، وهي عربية الوجه والتراث ، تتفاعل مع قضايا منطقتها ، تتأثر بها وتؤثر فيها .

وحين وصل المد الإسلامي إلى لبنان ، سكن من لبنان السهول والسواحل ، واعتصمت الأقليات بالجبل ، ومنهم الدروز ، وعندما أقبل الموارنة مهاجرين من شمال سوريا لجأوا بدورهم إلى الجبل ، وعاش الدروز والموارنة في الجبل ، وعندما بدأت أوروبا تتسلل إلى الدولة العثمانية ، ادعى الانجليز لأنفسهم حق حماية الدروز وادعى الفرنسيون حق حماية الموارنة ، وقامت ثنائية البحر والصحراء ، **وتورطت حديثاً قوى وزعامات مارونية تسعى للنجاة بلبنان من العالم العربي وحتى لو تحالف مع الشيطان .**

والمسألة في **مضمونها هي بين العروبة والقطرية ، وهي مسألة مطروحة في غيرها من الأقطار العربية ، وهي مسألة يحسمها الحوار وليس الاقتتال .**

ولا جدال أن الصراع الدموي في لبنان مدخله صراع طائفي عشائري ، وهذه الفسيفساء الطائفية هي التي مكنت أطرافا خارجية إقليمية ودولية من التدخل والعمل في لبنان .

فالسنة يرون أنهم أحفاد المرابطين على الساحل ، والشيعة دخلوا البلاد بعد الفتح العربي واستوطنوا وسكنوا الساحل والجبل وانتشروا في كروان والشوف والمتن ووادي التيم والبقاع ، ثم انحصروا في جبل عامل والبقاع والساحل ، وهم يشكلون ربع سكان لبنان ، تعاني قراهم من الإهمال والظروف المعيشية القاسية ،



المسجد العمرى فى بيروت القديمة

وضاقت الحياة بالعديد منهم وهاجروا ليس إلى استراليا والأمريكتين بل إلى افريقيا ، ومن لم يتمكن من الهجرة إلى الخارج هاجر إلى بيروت .

وقد بدأ التحريض على أساس دينى ضد الدين الآخر ، وسرعان ما انتقل من الآخر إلى أبناء الدين الواحد ، وسرعان مايتعصب ضد البعيد وينتقل تعصبه ضد القريب أيضاً ، وفى البداية كانوا جميعا مسلمين فأصبحوا سنة وشيعة ودروزا ، وكانوا جميعاً مسيحيين فأصبحوا موارنة وأرثوذكساً وكاثوليكاً وانتقل التلوث إلى كل الاتجاه وكل الأطراف .

ووصل هذا الصراع إلى التاريخ ، وتحولت لبنان لتصبح مارونيـة عند الموارنة ، وشيعية عند الشيعة ، وسنية عند السنة ، ودرزية عن الدروز ، وحتى آخر طائفة صغيرة فى لبنان ، وأصبح لكل طائفة رؤيتها الخاصة للتاريخ ..

وأصبح لكل طائفة جدول اولوياتها ، وفكرتها التى تدور حولها .

وضاعت فى ظل هـذا الصراع



رغم الحرب، جلس عم أمين أمام حانوته ينتظر الزبائن والسواح

الحقيقة التاريخية .

ولكن ماذا تقول حقائق الجغرافيا ووقائع التاريخ ؟

كانت لبنان مسرحاً للعديد من المواجهات التاريخية الكبرى ، التى خلفت وراءها عصبيات وأحقاداً ، اختلط التعرف عليها وعلاجها فى كثير من الأحيان بشبهة الاعتراف بها ، وبقيت تتراكم تحت السطح ، وكانت مشاكل لبنان انعكاساً لصراعات احتدمت فى العالم العربى ، فلبنان يقع فى نقطة اتصال بين عرب أفريقيا وعرب آسيا ، ولعب الاقتصاد اللبنانى دائماً دور الوسيط بين الداخل العربى - الجزيرة العربية ودول الخليج وحتى ايران - وبين الغرب .

كانت بيروت عام ١٨٦٣ مرفأ دمشق بل مرفأ سوريا الداخلية كلها ، وزاد من اهميتها طريق دمشق بيروت ، الذى اقيم فى ذات العام ، ثم خط السكة الحديد الذى اقيم بين المدينتين ، فكانت بحق بوابة دمشق التى تقع على أطراف الصحراء .

وكانت بيروت عام ١٨٨٨ جزءاً من ولاية سوريا العثمانية ، وتحولت لتكون ولاية مستقلة (متصرفية) مرتبطة بالدولة العثمانية ، وكان يتبعها سنجق بيروت ، وسنجق عكا ، وسنجق طرابلس ، وسنجق اللاذقية ، وسنجق نابلس .

وقام أيامها في بيروت تيار فكرى يستوعب الثقافتين الغربية والعربية ، وكان أحد روافد الفكر القومى العربى ، وظهر فيها تيار سياسى مدنى ليبرالى وقام هذا التيار فى أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين بصياغة مشاريع الدولة القومية فى إطار يتخطى بيروت وجبل لبنان .

وسقط كل ذلك سقوطاً مدوياً بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ .

● ثنائية التعليم

وقام نظام تعليم يؤكد الانقسام الطائفى ..

فلم يشهد لبنان تعليماً عاماً لكل اللبنانيين ، ولكنه ارتبط منذ البداية بالطوائف ، وأصبح لكل طائفة مدارسها ، وساهمت البعثات الأجنبية فى ترسيخ هذا التقسيم .

وأحدثت مناهج التعليم فى المدارس الأجنبية تأثيرها ، وأقام الأمريكيون مدرستين ونقلوا مطبعتهم العربية من مالطة إلى بيروت سنة ١٨٣٤ م ، وأقام اليسوعيون مدرستهم سنة ١٨٣١ ، وأقاموا المطبعة الكاثوليكية سنة ١٨٤٨ ، وبعد المدارس قامت الجامعات ، فأقيمت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر الجامعة الأمريكية فى بيروت سنة ١٨٦٦ وأطلق عليها المدرسة السورية الانجيلية ، ثم اقام اليسوعيون جامعة القديس يوسف سنة ١٨٧٥ ، ويعرف خريجو الجامعة اليسوعية بولعهم بالثقافة الفرنسية وميلهم لكل ماهو فرنسى .

واستمر الحال على هذا النحو حتى منتصف القرن العشرين ، فأقيمت الجامعة اللبنانية عام ١٩٥٣ ، وأقيمت الجامعة العربية التى أنشأتها مصر عام ١٩٦٠ .

وهكذا كرس نظام التعليم الأيديولجية والانقسام الطائفى !

● الأحزاب السياسية

وحتى معظم الأحزاب السياسية قامت على أساس طائفى عشائرى ، ولم تقم على أساس برامج ومبادىء ، فكانت مجرد تكتل شخصى بين جماعات من الأفراد يتم عن طريق الوراثة ، وعجز أى من هذه الأحزاب عن أن يكون له اغلبية بين أفراد الشعب ، منذ قيام الدستور سنة ١٩٢٦ ، وأصبحت قاعدة الحزب التقدمى الاشتراكى هى الطائفة الدرزية ، ودعاة القومية السورية هم فى أكثريتهم روم ارثوذكس .. وهكذا .

وتظهر عشائرية هذه الأحزاب بعد اختفاء الجيل الأول من الحرس القديم ، كمال جنبلاط ، وبيار الجميل ، وكميل شمعون ، ورشيد كرامى ، فوجدنا وليد جنبلاط يحتل مكان ابيه زعيماً للحزب التقدمى الاشتراكى ، رغم ما عرف عنه من انصرافه عن الاهتمامات السياسية ، واقنعته والدته وعمته على حمل الشعلة

بعد أبيه ، وورث بشير الجميل ومن بعده أمين الجميل زعامة حزب الكتائب من الأب بيار الجميل ، واحتل داني شمعون مكان أبيه كميل شمعون ، رغم أنه مهندس ورجل أعمال عرف عنه عزوفه عن الحياة السياسية ، وتولى المحامي عمر كرامي مكان شقيقه رشيد كرامي في قيادة سنة طرابلس .

وأصبحت الأحزاب التعبير السياسي الحديث عن القوى السياسية ، ليست أكثر من لباس جديد للعشائرية والطائفية ..

● تصفية الحسابات

وكان من الطبيعي أن يثير النظام في لبنان شهية ، أطراف إقليمية وعربية لاستغلال ثغراته وانقساماته ، بل وجذبت الأطراف الداخلية أطرافاً خارجية لتستقوى بها في صراعاتها الداخلية ، وكلما مال ميزان الصراع لغير صالح أحد الأطراف ، يسارع إلى طلب العون من طرف خارجي ، وقدر لبنان قيام إسرائيل على حدوده الجنوبية ، مما جعل للوضع اللبناني الداخلي تأثيره الواسع على الصراع العربي الإسرائيلي .

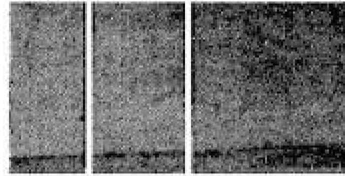
وكان لبنان منذ الاستقلال يعيش أزمة كامنة ، وكل ما كان مطلوباً لكي ينفجر الوضع هو محرك خارجي ، وكانت إسرائيل هي هذا المفجر .

ودفع لبنان ثمناً فادحاً لاختلال الميزان الداخلي ، وقام على أرضه العديد من المنافسات العربية ، واتخذته الدول العربية مسرحاً لصراعاتها ومنافسات حكامها ، وسعى كل نظام عربي إلى تصفية حساباته مع خصومه على أرضها ، وكان آخر هذه الصراعات ما جرى بين سوريا والعراق ، وهو خلاف قائم بين جناحي حزب واحد ، وليس خلافاً بين دولتين جارتين او شعبين شقيقين ، وتفجر هذا الخلاف في صور شتى .

واخطأ العالم العربي في حق لبنان ، الذي لم يقدم له المساعدة حين ناء بحمل القضية الفلسطينية ، وماكان هذا ممكناً ولا عادلاً ولا معقولاً .

ومنذ دخلت سوريا لبنان قبل خمسة عشر عاماً ، لم تحاول تبني مشروع لبناني ، يقوم على تجميع طوائفها ، والتآليف بين قادتها وزعمائها وطوائفها ، فأمن خاصرة سوريا يتحقق مع كل لبنان وليس مع أحد أطرافه ، ولا يتحقق بتحالفات ومصالح متغيرة ، مع هذا الفريق ضد ذاك ، وتكمن مصلحة سوريا في ترتيب وضع ملائم للوحدة بين أبناء الشعب اللبناني لكي تكون سنداً لها في مواجهة إسرائيل .

واخيراً هناك شوط كبير يجب قطعه ، لكي يتحول وقف القتال إلى سلام حقيقي ، بعضه تقع فيه المسئولية على العرب وبعضه على اللبنانيين انفسهم ولكي يكون السلام بديلاً عن الثار ، والعمل على وضع حد لآلام الشعب اللبناني بديلاً عن وضع العصا في العجلات امام كل فرص الحل ، وأن يكون عودة التضامن بين أبناء الوطن الواحد اهم من ان يحقق احد الأطراف نصراً خادعاً على الطرف الآخر ، فالرحمة قبل العدل ، والحوار بدلاً من القتال ، والنقد الذاتي بدلاً من نقد الآخرين ، ومستقبل الأجيال الجديدة بدلاً عن اللحظة الراهنة .



القفز على الأشواك

الأصالة والمعاصرة في الجامعة

بقلم: د. شكري محمد عياد

بينما تتحول جامعاتنا الى مدارس عالية مكتظة بالطلبة الذين يتخرجون مهنيين غير اكفاء ، يشتد الضغط عليها من الخارج لتقوم بمهام جسيمة ، لم تستطع ان تقوم بها فى الزمن السابق ، حين كانت الجامعة جامعة (فى دور الطفولة نعم ، ولكنها طفولة واعدة) يجد فيها الاساتذة فراغا للبحث ، ويعرف الطلاب طريق المكتبة او المعمل ، ويستطيعون على الاقل ان يتناقشوا وان يتحركوا بين اروقتها بحرية !

● كان المطلب الذى اريد من الجامعة ان تحققه ، حين انشئت فى اواخر العقد الأول من هذا القرن (١٩٠٨) ، هو ان تكون تربة صالحة لنمو العقل المصرى ، ومعنى ذلك ان تتمتع كمؤسسة بنوع من الاستقلال يكفل لها اكبر قدر من الحرية ، وان تكون قاعدة التعليم فيها هى « العلم للعلم » حتى تشعل فى نفوس خريجيها جذوة البحث عن الحقيقة ، وحب الحقيقة .

لم يكن تحقيق هذا الهدف المثالى سهلاً فى يوم من الأيام ، ومع ذلك فقد كانت هناك بعض الانتصارات ، يكفى ان نذكر ان اسم على مشرفة ، استاذ الطبيعيات ، لايزال يذكر بين العلماء الذين مهدت ابحاثهم لاكتشاف الطاقة النووية . ولكن مجتمعنا استمر فى



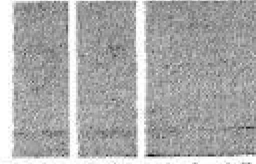
احمد حسن الزيات



سلامة موسى

تطوره بتأثير عوامل داخلية واخرى خارجية . فلم يعد البحث عن الحقيقة يقنع الكثيرين ، بل اصبحوا يقدمون عليه ـ ان لم ينسوه تماما ـ واحدا من هذين الهدفين . اكتشاف الذات ، أو الالتحام الفعلى والكامل بالعالم المعاصر . وهو ما تعبر عنه الكلمتان السائرتان ، « الاصالة والمعاصرة » وقد جمع بينهما حرف العطف ، ولكن هذا الجمع اللغوى قلما تمثل واقعا فى الفكر أو التطبيق فالحقيقة هى أن ثمة استقطابا نحو احد الطرفين وهذا الاستقطاب واضح اشد الوضوح فى الجامعة .

صحيح ان اكتشاف الذات من ناحية ، والالتحام بالعالم المعاصر ، من ناحية اخرى ، لم يكونا غائبين عن فكرة الجامعة منذ البدء ولكن الهدفين كانا يبدوان منسجمين ، ومن ثم لم يكن بينهما استقطاب . كان اكتشاف الذات يعنى اكتشاف ماهى المصرية (لم تكن تسمية الجامعة الأولى بالجامعة المصرية مجرد نسبة الى المكان) ، وكان « العالم المعاصر » يعنى اوربا ، واوربا تقع فى شمال البحر الابيض المتوسط ، كما تقع مصر فى جنوبه ، فليس بين اكتشاف الذات والالتحام ، بالعالم المعاصر الا مقدار المساحة بين الشاطئين ولكن الهوة اتسعت فجأة : من أول الأمر كانت لأوربا صورتان ، صورة لاتينية وصورة انجلو سكسونية ، وكان للمصرية اكثر من صورة ، صورة فرعونية فى الاثار والمعابد والامجاد الغابرة ، وصورة قبطية فى العقيدة والعادات والتشبث العنيد بالارض والتراث ، وصورة اسلامية شعبية مستمدة من السير والامثال وشخصية ابن البلد بالطاقية واللاسة او المصرى افندى بالطربوش والسبحة ، كل من دعا الى المصرية انتخب ماشاء من الحاضر أو التاريخ وصنع منهما صورة مجردة لتوافق هواه ، شيئا فشيئا بدات صورة العالم المعاصر تتباعد حتى عبرت الاطلسى ، اما المصرية فقد اخذت تبهت حتى ظهرت فى مكانها ، بما يشبه السحر ، صورة عربية لم تلبث ان تحولت الى عربية اسلامية ولم تكن فى الحقيقة اكثر وضوحا من سابقاتها ، ولكنها كانت تشعل الحماسة بانتمائها، الى تاريخ اقرب ، وتبعث الاطمئنان بذوبانها فى كيان اكبر ، وتنتشى ـ على المستوى الأدبى ـ برائحة البترول ، وتفور ـ على



المستوى الأعلى ـ غضبا على الشيطان الأكبر .

● بين القديم والحديث

هكذا تم التباعد بين قطبي « الأصالة والمعاصرة » حتى كادت تتمزق بينهما واو العطف ، واصبحنا نشهد في الجامعة ـ اعني كل جامعات العالم العربي وان اختلفت النسب ـ تيارين متعارضين : تيارا ينبش في القديم مكتفيا به، غاية ماعنده من الاجتهاد ان يقيس مسألة على مسألة ، او يرجح رأيا على رأى ، وتيارا يلهث وراء كل جديد يأتي من الغرب ولاسيما ذلك الذى يأتي من وراء الاطلسي ، والعجيب في امر هذين التيارين انهما لايتحاوران او يتصارعان على المستوى العقلى ، وان تصارعا احيانا على مستوى التهيج الطلابي (اذا لم يروعهما بطش السلطان) . فالتياران ـ على مستوى المنظرين او الدعاة او المروجين ـ متساويان ومتشابهان في صفة « الارتزاق » ! وقع في يدى مرة كتاب في « علم النفس الاسلامي » زعم صاحبه انه يقيم علم نفس جديدا على القرآن والسنة ! وسمعت بعد ذلك ان هناك رسالة قدمت في « علم الاحصاء الاسلامي » على الاساس نفسه . (أليس الله قد قال في كتابه العزيز « لقد احصاهم وعدهم عدا » ، و« ما فرطنا في الكتاب من شيء » . وكم اثلج صدرى ، في اثناء هذه الصور القبيحة للجهل والنفاق ، انى شاهدت على التليفزيون السعودى مدير جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية يعيب مثل هذه المحاولات السخيفة ، لانها تأخذ المتعلم بعيدا عن معنى العلم الصحيح ، فالقوم ليسوا اغرارا ولاجهالا ، هم يعرفون ان منهج العلم غير منهج الدين ، وان كان كلاهما طريقا الى الحقيقة ، الا ان فيهم حياء وادبا يمنعانهم ان يصدوا اولئك الذين يتظاهرون بالحماسة للدين .

ان كان مكر البلهاء يزين لهم ان يطلقوا لحاهم ، ويبيعوا دينهم بدنياهم ، ويذهبوا الى تلك الجامعات لا ليفيدوا شبابها علما نافعا ، بل ليغنوا للقوم الغناء الذى يطربهم (كما يتوهمون) ، فترتفع ارصدتهم في البنوك ، فثمة ماكرون اذكياء ولكنهم يتبالهون ، يفتشون عن مشروع بحثي ترعاه دولة اجنبية تدفع لهم مكافاتهم بالدولار ، وتدعوهم الى المؤتمرات واساتذة زائرون في الجامعات وتنشر اسماؤهم في الافاق .. هؤلاء يعلمون علم اليقين انهم يشاركون في ابحاث تخدم اغراضا اجنبية ، ولاتخدم وطنهم ولا « الحقيقة العلمية » ولكنهم يتبالهون لانهم ينتفعون .

اما « العبقرى » فهو من يلعب على الحبلين ، ويـاكـل علـى المائدتين .

● الحضور العالمى

هـذه هى الصـورة الحقيقيـة « للاصالة والمعاصرة » كما تنعكس من مجتمعاتنا على جامعاتنا ، وهى صورة لم تعد بشاعتها تخفى على احد وواضح انها لن تتغير من تلقاء نفسها ، فالعوامل الخارجية التى شجعتها لاتزال قائمة ، واذن فالطريق الوحيد لتغييرها هو طريق الجهد الذاتى ، واذا كانت هذه الحقيقة تبدو لنا بديهية فيما يتعلق بمطلب اكتشاف الذات (اذ كيف يمكن اكتشاف الذات الا بسعى دءوب ، ومخلص من الذات نفسها ، فانه يبدو عسيرا جدا ، بل يوشك أن يكون مستحيلا ، فيما يتعلق بالفرض الثـانى) أعنى الحضور العـالمى او الوجـود فى العـالم المعاصر ، هذا العالم الذى يتوحد

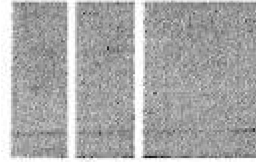
د . احمد زكى



اسماعيل مظهر



بسرعة مقتربا ، أكثر فاكثر من النمطية التى تطمس الفروق الذاتية بين الافراد والمجتمعات ومن هنا يشعر الكثيرون فى قرارة انفسهم بان الجمع بين المطلبين غير ممكن فى الواقع ، وان ربط المعاصرة بالاصالة أو الاصالة بالمعاصرة ، لا يحل اشكالا بل قد يكون وسيلة للتمويه او الرياء او خداع النفس ، ستبقى الدعوة الى الاصالة قرينة للمحافظة او الرجعية ، والدعوة الى المعاصرة او العالمية مرادفة للتبعية الثقافية ما لم يتوحد مفهوم الاصالة ومفهوم المعاصرة توحدا حقيقيا ، واعنى بذلك ان تكون الاصالة جزءا لازما للمعاصرة ، والمعاصرة جزءا لازما للاصالة ، لامجرد اضافة او تكملة او تحلية او حتى شرط ، وهذا يقتضى اولا الا ناخذ الجمع بينهما على انه بديهية غير قابلة للنقاش ، كوجود الله مثلا ، فحتى وجود الله يناقش بالعقل فى علم التوحيد ، يجب ان تكون لدينا الشجاعة لقبول احتمال ان حضارتنا قد استنفدت اغراضها ، ولم تعد صالحة لهذا العصر ، ويجب فى الوقت نفسه ، الا نسلم بفكرة « التقدم » على اطلاقها او كضرورة حتمية لابديل لها الا الفناء ، حقا ان الفرق شاسع بين ساكن الكهوف وساكن القرية او المدينة القديمة ، وبين ساكن القرية وساكن المدينة العصرية ، وأن هذا الفرق راجع الى التقدم المستمر فى اكتشاف قوانين



الطبيعة واستغلالها لجعل حياة الانسان اكثر راحة وامنا ، ولكن هل يستطيع العلم نفسه الجزم باطراد ذلك في المستقبل ، او الزعم بأن القوانين الطبيعية التى اكتشفها العلم هى كل ما تنطوى عليه الطبيعة من اسرار ، او ان العقل الانسانى ليس امامه الا طريق واحد لاكتشاف الحقيقة ؟ بعبارة اخرى : هل هناك حد فاصل وثابت بين ما هو ضرورى وما هو ممكن ، بين الشروط اللازمة للفكر الانسانى وامكانية الابداع ، وهل يدعونا كل ذلك الى مراجعة فكرة « التقدم » ؟

قد تبدو هذه الاسئلة مزعجة للفريقين : فريق المتعبدين للتراث وفريق المتحمسين للعلم الحديث ، وقد تنطوى على شىء من الخطورة لانها يمكن ان تغرى الكثيرين بالغاء المعايير كلها ، او بقبول اى معيار يصادف هوى فى نفوسهم ، على اعتبار ان الطرق كلها ممكنة ، ولكنها اسئلة ضرورية لتحرير الفكر من الجمود ، وكذلك من التقليد الاعمى لكل جديد ، واذا كانت غير مطروحة فى الوقت الحاضر فلانها من شغل الفلاسفة ، واين هم ؟ ليس فى عالمنا العربى فيلسوف واحد . واذا كان كل واحد منا يرتجل لنفسه فلسفته الخاصة ، بدون تمحيص ولاتعمق ، لان الانسان لايمكن ان يعيش بدون فلسفة ، فان فى استطاعتنا ان نستعيض عن الفلسفة ، مؤقتا ، بالتاريخ ، واعنى تاريخ الحضارات وتاريخ كل علم من العلوم لمن يريد التخصص فى ذلك العلم ، فهذا النوع من التاريخ يمنحنا سعة فى الافق ، ويدعونا الى طرح الاسئلة وتصوّر الاحتمالات وينمي لدينا القدرة على النقد ، وتقدير قيمة التراث بدون مغالاة ولاتعالٍ اجوف .

فانا اقصد بتاريخ الحضارات جميع الحضارات العالمية ، وبتاريخ العلم منجزاته لدى جميع الامم ، وفى جميع العصور ، لا اقصد مثلا ان نلزم طالب الطب بدراسة تاريخ الطب عند العرب ، محاولين ان نغذى فيه نعرة قومية لاصلة لها بالمهنة التى نعده لها ، ولكننى اقصد ان يعرف كيف تصور الانسان فى الحضارات المختلفة ، طبيعة المرض واسبابه من تاثير القوى الشريرة الخفية ، الى الطفيليات والمكروبات ونقص المناعة ، الى علاقة الجهاز العصبي ، بهذا كله ـ ان يعرف ذلك بصورة اكثر تفصيلا ودقة من هذا الوصف العامي، ليكون تعامله مع المرض تعاملا علميا وان اتسم بسعة الافق ، بعد ذلك فقط يمكنه ان يقرأ نصوصا للاطباء العرب ويقدر قيمتها ، على ان هذا يسلمنا الى قضية اخرى ، ساعود اليها بعد قليل .

لا اقصد كذلك ان ندرس للطلاب الحضارة العربية ، او الحضارة العربية الاسلامية، دون ذكر للحضارات الاخرى ، الا حين نريد نعتها بالمادية والكافرة والملحدة ، فاننا بذلك لن

نحميه من تأثير هذه الحضارات . التى تواجهه كل يوم فى صور جذابة ليست كلها مادية . ولاعلاقة لها بالكفر والالحاد . ولكننا قد ننجح فقط فى جعله عاجزا عن فهم تلك الحضارات الاخرى . عاجزا - من ثمة - عن نقدها او الاستفادة الصحيحة منها .

هذا كله لايمكن ان تقوم به غير الجامعة . فهى القادرة وحدها على تأسيس موقف صحيح من قضية الاصالة والمعاصرة . بما تنطوى عليه من ازمات فكرية وعملية وبما تثيره لدى الشباب على الخصوص من حيرة وبلبلة . الجامعة قادرة على ذلك بمن فيها من اساتذة وباحثين . وبالطابع المنظم لما يلقى فيها من دروس . وبالاعداد الهائلة من الطلاب الذين يلتحقون بها كل عام . ولكنها فى الواقع لاتقوم بشىء من هذا الواجب . بل اخشى انها لاتشعر به . وان مايسمع فيها عن الاصالة والمعاصرة . قد لايكون اكثر من صدى للصيحات الغوغائية . التى تنطلق فى الخارج .

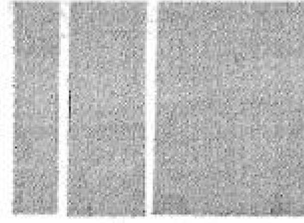
● الجامعة وفكر العالم المعاصر

الجامعة ايضا هى التى تستطيع اكثر من غيرها أن تصلنا بفكر العالم المعاصر واتجاهات التطور فيه . واهم مايعنيه ذلك أن تصلنا بالعلم المعاصر . فنحن مازلنا ميالين الى تصور « الفكر » على انه قريب من الفلسفة بمعناها التقليدى . أى التأمل فى الانسان والكون . واذا انصب على مجريات الامور ووقائع الحياة اليومية فهو لايتجاوز الظواهر الاجتماعية والتيارات



شبل شميل

السياسية . ولكن المفكر فى العالم المعاصر لايمكنه ان يستغنى عن النظر فى « العلم » بمعناه الدقيق اى العلم الطبيعى والرياضى . بل إن اى انسان يريد ان يعيش فى هذا العالم عيشة الفاهم الواعى لايمكنه ان يستغنى عن قدر من الثقافة العلمية . ولكن الذى يتأمل حال الثقافة العلمية عندنا فى الوقت الحاضر لابد ان يشعر بالأسى . ليس فى مصر كلها مجلة علمية واحدة تخاطب القارىء العادى (لااعرف شيئا عن المجلات العلمية المتخصصة) . « المجلة العلمية » تقدم مرة كل اسبوعين على القناة الثانية . فى اذاعة البرنامج العام برنامج واحد جيد قد لايشعر به الكثيرون - يقدم شيئا من الثقافة العلمية من خلال حوار مع شخصية علمية كبيرة . ليس بين صحفنا اليومية صفحة واحدة - ولو اسبوعية - تخصص للثقافة العلمية (بعضها يكتفى بتقديم اخبار قصيرة . مصحوبة بالصور - لأحدث المبتكرات فى عالم الصناعة او فى عالم الطيران) . وليس هناك مثل اشد اثارة للقلق . بل الفزع - من مجلة



القفز على الأشواك

« الشباب وعلوم المستقبل » التى تضاءل اهتمامها بالعلم شيئا فشيئا الى ان انعدم ، واصبح اسمها « الشباب » فقط وكأنها تسجل شهادة على شبابنا ان اهتمامه اصبح منحصرا فى الكرة والملاهى ، ولم يعد يبالى بعلوم الماضى او المستقبل .

ومما يضاعف ألمنا ان مصر قد عرفت منذ اوائل هذا القرن ، وحتى منتصفه تقريبا ، مجلة شهرية لم تكن عنايتها بالعلم اقل من عنايتها بالادب ، وهى مجلة « المقتطف » وان الزيات ، وهو الاديب الذى لاعلاقة له بالعلوم الطبيعية ، كان يخصص فى « الرسالة » بابا اسبوعيا للعلم ، وان طائفة من ابرز الكتاب غلبت عليهم الثقافة العلمية ، وقربوا هذه الثقافة الى القارىء العام ، واذكر منهم شبلى شميل ، وفؤاد صروف ، وسلامة موسى ، واسماعيل مظهر ، واحمد زكى .

نعم ، فى مصر الان كليات علمية اكثر ، وفيها اكاديمية للعلوم ، ومجلس للبحث العلمى ، ولعل فيها علماء اكثر ، ولكن الصفوة العلمية فى مجتمع لايعرف معنى العلم ولايقدره ، لايمكنها ان تبقى ، وان بقيت فلن تعطى ، وان بقيت واعطت الشىء القليل ، وسط ظروف معاكسة ، فلن تترك بعدها جيلا جديدا قادرا على العطاء .

كان العلماء قديما يعيشون فى كنف رعاة اقوياء ، اما اليوم فيجب ان يحتضنهم الشعب كله ، ولذلك يجب ان تكون الطرق مفتوحة بين العلماء واكثرية القراء ، وهنا يجب ان اشير الى قضية « لغة العلم » التى ألمحت اليها قبل قليل ، فطالب الطب الذى نريده ان يقرأ شيئا من نصوص الاطباء العرب ليتسع افقه ويكتسب شيئا من المرونة العقلية اللازمة لكل مشتغل بالعلم ، بل لكل طبيب ممارس (فضلا عن شعوره بالاعتزاز لان وراءه تاريخا عظيما حافلا بالمنجزات المهمة) لن يفهم مايقرؤه اذا كانت دراسته للطب بالانجليزية اصلا ، ومثله طالب الهندسة والعلوم . والطبيب او المهندس لايمكنه ان يشرح لمساعده مايجب عمله اذا كلمه بالانجليزية او الفرنسية وكل هؤلاء لايمكنهم ان يبينوا للجمهور فائدة مشروع ما الا اذا كلموه باللغة التى يفهمها .

ان قضية تعريب العلوم قضية بديهية لاتستحق ان نفردها بالبحث والمدافعون عن بقاء تدريس العلوم باللغات الاجنبية ليست لهم حجة الا عالمية العلم ، وهى حجة مضحكة فلم يتفق الانجليز والفرنسيون والالمان - بل ولا اليابانيون ! على لغة واحدة يؤلفون بها الكتب العلمية ويكتبون الابحاث العلمية ، وهم بلا شك اكثر منا تقدما فى العلم ، اذن فالمسالة ببساطة هى ان لدينا « صفوة » علمية - قسماتها على الارجح - تفضل ان تبقى ملتصقة بالاجانب ، ولو كان مكانها فى الذيل . وهذا ضرب من التبعية ان رضوه فلن ترضاه الامة !





● "أين القراء" لاتوجد قراءة ! يعانى الجمهور فى حياتنا من الضغط الواقع عليه ، كما تقابل شخصا "محصورا" وتحدثه فى السياسة .

نجيب محفوظ



نجيب محفوظ

● "القاهرة مخالفة كبرى"

المهندس حسن فتحى

● "الارض تورث كاللغة"

الشاعر محمود درويش

● "التليفزيون نسيان يأكل اطفالنا والمستقبل"

المفكر العربى شاكر مصطفى



مهندس حسن فتحى

● "تحقيق السلام فى السودان سينقذ مصر من ازمة مياهها"

رينيه ديمون العالم الزراعى الفرنسى

● "اهم ما يشغلنى هو عودة السلام الى الحبشة والقرن الافريقى"

هرمان كوهن
مساعد وزير الخارجية الامريكى للشئون الافريقية

● "الاردن هى فلسطين وعاصمة فلسطين عمان"

ارييل شارون
وزير التجارة الاسرائيلى

● "الحكم فى نهاية المطاف هو ان تعمل مايجب ان يُعمل"

كارلوس كاريناس
رئيس جمهورية المكسيك

● "كلما عرفت نفسك ، صبرت على ماتراه فى الآخرين"

جوان اريكسون
الباحثة النفسية الامريكية

غربة اللغة

بقلم: د. سهير القلماوى

ذلك ان الاستعمار البرتغالى، ثم الانجليزى والفرنسى خاصة كان شديد الوطأة طويل الأمد فى افريقيا .. لقد بدأ استعمار افريقيا اوائل القرن الثامن عشر ووصل الى الذروة فى منتصف القرن التاسع عشر، والى سنة ١٩١٤ .. لم يكن فى كل افريقيا بلد مستقل الا الحبشة وليبيريا .. ولكن الوضع فى شمال افريقيا فى الاقطار العربية المسلمة يختلف من حيث نوع الانتماء الى الخلافة المركزية فى تركيا .. وكذلك الوضع فى الجنوب حيث استوطن البيض وازاحوا اهل البلاد الى مرتبة العبيد والعمل فى اقل المهن شأنا.

هذا الشعور بالغربة في اللغة نجد شاعراً مثل « مالك حداد » يحس وطأته عندما يرى انه يكتب شعراً بالفرنسية لايتجاوب معه من أهل وطنه الا الذين دمغهم الاستعمار الفرنسى بلغته.

يقول مالك حداد:

لا تلمنى يا شاعراً ياصديقى.
اذا لم يطربك صداحى ..
كنت انادى امى فى طفولتى « يا أمه »
واسميها الان فى شعرى Ma MERE
يا إلهى ما اشد وطأة الظلام فى عينى هذه الليلة ..
أماه يا « امة » هل يمكن ان يكون اسمك « Ma Mere »

فى الكتابة النثرية نجد حدة هذا الشعور تخف نوعا ما فنجد مؤلفا مثل « كاتب يسن » يقول « اقاتل الاستعمار بأية .. لغة، كما اقاتلهم باى سلاح، لا يهم اين صنع السلاح ».

لذلك نجد الاحساس بالغربة فى اللغة يذوب أمام موضوع مهاجمة الاستعمار .. ولذلك ايضا نجد أكثر المؤلفين الافارقة الذين يكتبون نثرا والرواية بالذات يضغطون على موضوع الاستعمار: قسوته وبشاعته

تغنى الشعراء والأدباء بعامة كثيرا بالشعور بالحنين الى الأرض والأهل والى الماضى ومراتع الصبا ، وغير ذلك من الذكريات .. ولكن الحنين الى اللغة الام اى ان يحس الشاعر او الأديب بان مايؤلفه يجد صدى عند أهله وعشيرته وبنى وطنه هذا الشعور بالغربة والحنين ازاء اللغة لا نجده واضحا الا عند الشعراء الافارقة بعامة .


ليوبولد سيدار سنجور


كاتب ياسين


البيركامى

وآلام « الدونية » عند الافريقى وخاصة فى البلاد التى يستشرى فيها جبروت المستعمر .

ويختلف اسلوب الاستعمار الذى دخل أصلا فى حملات تبشير بين انجلترا وفرنسا .. فالبلاد التى خضعت للاستعمار الانجليزى كان التركيز فيها على الاقتصاد واستغلال الثروة الطبيعية التى تزخر بها القارة ، مثل مناجم الذهب فى يوهانزبرج .. اما الاستعمار الفرنسى وان لم يغفل الاستغلال الاقتصادى ، فقد ركز على نشر اللغة الفرنسية الى جانب نشر المسيحية .

ويحس الافريقى هذه الأزمة وتلك الغربة فى ظروف معينة بشكل اشد مثلا عند عودة الافريقى من بعثة دراسية فيرى أنه لم يعد مربوطا الى أصوله بحبال متينة كما كان قبل ان يسافر الى فرنسا او الى انجلترا .. ويبدأ التأليف بلغة المستعمر التى يجد فيها مجالا للتعبير عن وجدانه وافكاره بخاصة .. وهو لا يستطيع ان يعالج

مثل هذا الاحساس بلغته الاصلية التي هي في الأغلب لهجة من اللهجات تصل الى الثمانيمائة لهجة في افريقية تنتمي وآخر الامر الى اربع اسرات لغوية ليس من بينها ماهو منتشر بحيث يتيح للمبدع جمهورا يشاركه احاسيسه ويستمتع بتعبيره عن وجدان الجماعة او عن احاسيسها وافكارها .

والافريقي عادة يركز على حاضره وقلما يعبر بالادب عن تطلعاته الى المستقبل لأن هذا التطلع يحتاج الى قاموس ، وقاموس هذه الافكار والمعاني فقير جدا في لغته او لهجته فوق ان قراءه ومتلقي أدبه قلة لاتشجع على الاستمرار في التاليف باللغة المحلية او اللهجة .

فاذا اضفنا الى ذلك تفشي الأمية فالى سنة ١٩٦٨ لم يزد عدد من يعرف القراءة والكتابة على ١٨٪ حسب احصائية اليونسكو ، ولعل اكثر من مُحيت أميتهم يدخلون في نطاق البلاد المسلحة وخاصة شمال افريقيا .. والخطير ان الأفارقة محتاجون الى تعلم الحرف والصناعات ، وهذا يحتاج الى تعليم ومدارس وترجمة ومراجع ، ولكن المستعمرين لايعنيهم من هذا شيء تقريبا والافارقة يحسون انهم مستغلون استغلالاً اليما فهم يحاربون للمستعمر حروبا لاناقة لهم فيها ولا جمل .. حتى مناجم الذهب يُستغلون فيها ابشع استغلال .. والذهب بالنسبة إليهم لايقيهم برداً ولا حرا ولا يطعمهم من جوع .

اما تجارة العبيد التي بدأت ببيع اسرى الحرب لأوروبا ، وأوروبا باعت لامريكا ، وهكذا فقد اصابت وجدان الافريقي في الصميم يرحلون على مراكب في البحر وهم مربوطون بسلاسل من حديد .. من مات منهم يلقى به في البحر دون اي شعور إنساني .

● التعصب لافريقيا

وبدأت صحوة افريقية تنادي بالافرقة وبالتعصب للافريقية . قاد صورة منها في شكل تعصب للزنجية الشاعر السنغالي « سنجور ».. وبدأ بعض الروائيين الفرنسيين امثال « كامو » يكتبون عن الجزائر من رؤيتهم لمستعمرة متحالفين مع بقايا الاقطاعيين الفرنسيين الذين استمروا فترة حتى بعد الاستقلال .. كذلك الى بعض الكتاب والروائيين خاصة ليزوروا القارة ويجدون موضوعات طريفة وجديدة مثيرة لمؤلفاتهم الروائية

خاصة فى غابات الوحوش على الطبيعة فى مجاهل افريقيا كجبال « كاليمانجارو » قرب خط الاستواء .. ولكن علو الجبل يلطف المناخ كثيرا للمغامرين الأوروبيين لصيد الوحوش والاحتكاك ببيئات موحية بالغريب والطريف .

اما مأساة جنوب افريقيا فمازالت الى اليوم اثرا قويا سافرا لاستيطان البيض ، وتكوين دولة غريبة عن الافارقة حيث نجد السكان الأصليين عبيداً او مواطنين من الدرجة الثانية او حتى الثالثة والتفرقة العنصرية تمارس بسفور فاضح ونحن على مشارف القرن الحادى والعشرين .

وتمتد جهود الافارقة مع المتعاطفين معهم الى اصدار مجلات « الحضور الافريقى » Presance Africaine التى تصدر فى باريس منذ سنة ١٩٥٦ ، ثم المؤتمرات وحلقات الدرس الدولية : مثل مؤتمر استكهولم الذى عقد سنة ١٩٦٧ وفيه عمد الافارقة المشاركون الى ابراز جذورهم الافريقية .. فلم يجدوا اصدق من التعبير عنها الا فى الاجزاء التى خص فيها الروائيون الافارقة طفولتهم بالوصف ، وصف العلاقة الاسرية ، وخاصة العلاقة بالاجداد ، وأقاصيص الجدة ، ومرح الطفولة ودفء الصلة بين الاعمام والاخوال وتبرز امكنة اللقاءات مثل محطة القطار ، وكانت أهم معلم فيها يلتقى الشباب وتعقد اتفاقات الزواج الـخ .

ولعل وصف بعضهم لقراءته مجلات الأطفال التى كانت تحضرها امه من البيت الذى تقوم فيه بمهمة الغسالة والشغالة من امتع مايقرأ وأدق مايعبر عن الجدع الوجدانى العاطفى للطفل الافريقى الذى منعه الاستعمار حق التمتع بالطفولة للاحساس بغربة اللغة امام لغة كتب الأطفال .

ان مشكلة اللغة والاحساس بالغربة فى التعبير عند الادباء عندما يضطرون الى استعمال لغة المستعمر تتفاقم بدلا من ان تخف فالمطابع قليلة والعاملون أقل .. والتعليم لايضع المشكلة موضعها اللائق بخطورتها .

ومازال الطريق وعراً وطويلا امام ايجاد لغة افريقية تجد قراء كافين يفرون المؤلف حتى السواحيلية والامهرية ، وهما اكثر لغات افريقيا انتشارا ، مازالتا قليلتى العدد الى حد لايغرى باستعمالها على نطاق واسع .

انها مشكلة خطيرة وسيئة من سيئات الاستعمار التى مازالت ضخمة الحجم .. ولكن من يدرى مستقبل اللغات كلها وهل سيكون هناك حل آخر غير الارتقاء باللغات المحلية .. من يدرى .

عاشق الملكة والمغنية المطربة ق

الكثيرون من محبي صوت اسمهان مازالوا يقولون : لو عاشت لملأ صوتها الدنيا وشغل الناس ، ومع اني اقول مثلهم باسف بالغ : ليتها عاشت .. لكني اقول : لو عاشت اسمهان ـ رحمها الله ـ لما عاش صوتها ، لأنها خلقت للمغامرات الكبرى لا لاحتراف الغناء ! ..



اسمهان ..

فى أواخر سنة ١٩٤٢ كنت مع صديقين من صغار الطلاب نمر بشارع المساحة بالدقى ، فتوقفنا عند مدخله فى ميدان عبد المنعم ـ لا أدرى اسمه الآن ـ وتعلقت أنظارنا على امرأة أنيقة رشيقة غضة الشباب ، تخرج من قصر فى ذلك الميدان ..

هتف أحدنا :

ـ هذه اسمهان ! ..

رد الآخر :

ـ غير معقول ! .. أسمهان تركت مصر منذ سنوات ! ..

وتحركنا فى سرعة الى باب حديقة القصر ، نسأل البواب بسذاجة عن هذه السيدة ! .. اتسعت عينا البواب دهشة وغضبا ، ورمانا بنظرة تهديد ، ومد سبابته نحونا منذرا :

ـ إمش انت وهو من هنا .. إمش ! ..

أخافنا البواب النوبي الضخم فمشينا ، ولكنا توقفنا عند عمارة قريبة من ذلك القصر ، وتقدمنا إلى بوابها نسأله بأدب جم واحتشام :

ـ ياعم .. من صاحب هذا القصر المجاور لعمارتكم ؟! ..

رد الرجل بسرعة وسماحة رد عليم ببواطن الأمور :

ـ هذا قصر حسنين باشا ..

ـ حسنين باشا من .. ياعم ؟!

ـ عجيب يا أخي انت وهو .. حسنين باشا رئيس الديوان ! ..

ـ الديوان الملكى .. يا عم ؟! ..

غضب بواب العمارة من جهلنا ، وتغير وجهه ، حتى ظننا انه سيطردنا بغير اجابة عن سؤالنا كما فعل زميله بواب القصر ، ولكنه فاء إلى سماحته وقال بهدوء :

ـ نعم .. الديوان الملكى ! ..

انصرفنا يسأل بعضنا بعضا :

ـ إذا كانت تلك اسمهان ، فمتى جاءت الى

رئيس الديوان

بقلم: كمال النجمى

مصر ، ولماذا ؟ .. وما شانها بقصر حسنين باشا رئيس الديوان ؟! ..

ولبثنا مختلفين حول هذه الأمور ، حتى نشرت بعض المجلات حديثا لاسمهان ، وزفت الى القراء بشرى عودتها الى عالم الفن بعد ذلك الانقطاع الطويل ! ..

كان جيلنا كله معجبا باسمهان منذ شاهدناها فى فيلم « انتصار الشباب » مع اخيها فريد الاطرش سنة ١٩٤٠ ولما تركت مصر الى فلسطين وسوريا ولبنان ، صرنا نتعجب من امرها ونتساءل :

– كيف يكون لها هذا الصوت الرائع ثم تحتجب وتنقطع عن الغناء ؟! ..

وظللنا بين الاعجاب بصوتها والتعجب من امرها ، حتى طلعت علينا الصحف بنبأ عودتها ، ثم فاجأتنا بقصتها "البوليسية" المثيرة مع "زوجها" احمد سالم الذى اطلق عليها الرصاص ، فلم يصبها واصاب نفسه ! ..

نشرت الصحف هذه القصة فى اوائل يوليو سنة ١٩٤٤ بتوسع لفت الانظار واطلق علامات الاستفهام .. فالحرب العالمية الثانية محتدمة نارا ودما فى جبهتيها الغربية والشرقية ، لكن الرصاص الذى اطلقه احمد سالم على اسمهان غطى على دوى القنابل التى تطلقها مدافع الجيوش فى ميادين الحرب ! .. و"المانشيت" الذى نشرت به "الأهرام" معركة اسمهان واحمد سالم ، اكبر من المانشيت الذى تنشر به معارك المارشال جوكوف لتحرير بيلوروسيا وبولندا ، معارك الجنرال ايزنهاور الزاحف الى باريس فى تلك الايام التى كانت الاقدار ترسم فيها مصير الحرب كلها ! ..

كنا نجهل تماما ماوراء الستار فى حياة اسمهان المطربة ذات الصوت الملائكى ، ولانتصورها الا شعرا وخيالا وطيفا ساحرة .. وحتى حادث اطلاق الرصاص عليها وما اثاره من غبار حولها لم يغير تصوراتنا الشعرية المحفوفة بالخيال ! ..

ولما غرقت فى "ترعة الساحل" بعد أيام قلائل من إطلاق الرصاص عليها بكاها عشرات الالوف من ابناء جيلنا ومن الاجيال الاكثر نضجا كذلك ، وبعضهم شرع فى الانتحار وتم انقاذهم ، وآخرون انتحروا ولم ينقذهم احد ! ..

وفى تاريخ الغناء العربى كله ، لم يكتب الشعراء والادباء عن مطربة اكثر مما كتبوا عن اسمهان ، وشغلت مأساة حياتها وموتها كثيرين آخرين لم تكن لديهم موهبة التعبير عن احساسهم بشعر او نثر .

وقد عشنا زمنا بعد رحيلها نترنم بقصيدة



الشاعر اللبناني بشارة عبدالله الخورى التى منها هذا البيت :

اضاع جبريل من قيثاره وترا
فى ليلة ضل فيها نجمه الهادى

كانت اسمهان فى رأى الشاعر بشارة الخورى ، وترا من قيثارة ملائكية ضاع فى ليلة حالكة السواد حجبت السحب الكثيفة فيها ضوء النجوم !

اما الشاعر على أحمد باكثير ، فخلع رداء التحفظ وبكى اسمهان بقصيدة من عيون شعره ، قال منها :

غرقت .. كيف يغرق النور والحسن « م »
وفن الخلود فى شبر ماء ؟!
ماتقولون ؟ .. هل تجدون او تلهون
ام هل يجد صرف القضاء ؟!
لو حواها البحر العريض لضاق ..
البحر ذرعا عن روحها الشماء
او حوتها الصحراء لانتفضت ظلا
وماء فى جنة خضراء

وقلنا نحن من قصيدة :

اسمهان .. اى طير تعس
غال اهلك لما نعبا ؟!
طرق السمع فغشاه اسى
واتى النفس فشبت لهبا
اين صوت كان ان غنى لنا
وثب القلب اليه وصبا
ذو انين وحنين ان سرى
مس دمعا جامدا فانسكبا

لقد لفت صوت اسمهان اسماع جيلنا والجيل الذى سبقنا ، واعجبتنا جميعا شخصيتها المشعة بالجاذبية الفائقة ، فلا عجب ان يتحزن لها شعراء كبشارة الخورى وباكثير .

كانت اسمهان صوتا دقيق الملامح ، فريد النبرات ، مطربا اشد الاطراب ، من اعلى جوابه الى ادنى قراره ، وفى هذا الصوت البديع امتزج صوت المراة وصوت الكمان وصوت القانون وصوت الناى وصوت الحمامة المطوقة ، فى تركيب عجيب فاتن يكاد يجعل منه صوتا غير بشرى !

واكتملت له صفات القوة والوضوح وشدة الأسر ، فلذا استعرضنا الاصطلاح الاوربى ، فهو صوت من قسم « السوبرانو » فى الاصوات النسائية ، غنى بمقاماته ومساحته ، ولم يكن جميلا خافتا كبعض الأصوات الجميلة ، بل كان جميلا عاليا متوهجا كعين الشمس .

ولكن اسمهان ـ رحمها الله ـ لو عاشت لفقدت صوتها وعاشت على ذكراه تتحسر بعد فوات الاوان ، فقد كان مذهبها فى الحياة يؤدى الى هذه النتيجة الفاجعة !

لقد بدات اسمهان تفقد صوتها فى السنوات الثلاث الاخيرة من حياتها ، وهى السنوات التى عرفت فيها محمد التابعى الصحفى الكبير ، وأحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى ، ومراد محسن باشا ناظر الخاصة الملكية ، وعددا آخر من الوجهاء والاكابر .

● ولما دخلت اسمهان فى خدمة الاستخبارات البريطانية منذ سنة ١٩٤١ كان ذلك ايذانا بخروجها من عالم الغناء ولو بعد حين !

ولكن هذا آخر القصة الذى عليه يسدل الستار فلنعد الى بداية هذا الفصل الاخير كما رواه الصحفى الكبير محمد التابعى فى كتابه « اسمهان تروى قصتها » .. ثم فى كتابه : « أسرار الساسة والسياسة » .

كان التابعى استاذا من اساتيذ الصحافة المصرية ، اسلوبه فى الكتابة لايدانيه اسلوب صحفى اخر فى سلاسته ولباقته وطلاوته ، حتى عده بعض النقاد من الاساليب الادبية الجديدة التى ادخلتها الصحافة فى عالم الادب .

وفى كتابه الرائع عن « اسمهان » يروى قصتها معه ، وقصته معها ، بحذافيرها ، ويطلعك على خفاياها ، بألطف بيان ، واعف لفظ ، وابرع اشارة ، بلا كلمة مباشرة او تلميح جارح ، حتى تظن حين تفرغ من قراءة هذا الكتاب انك رأيت كل شيء ، وانت لم تر شيئا ، او لم تر الا القليل ، ولكنك على اية حال استمتعت وامتلأت دهشة وسرورا .

وفى كتابه « اسرار الساسة والسياسة » يكمل التابعى فى سياق الاحداث قصته وقصة احمد حسنين باشا مع اسمهان .

● رأى التابعى اسمهان لأول مرة فى بداية الثلاثينيات وهى تغنى فى كاباريه او صالة الراقصة مارى منصور ، وكان الأثر الذى تركته فى نفسه هو انها ـ على حد تعبيره ـ « شيء صغير نحيل مسكين يبعث الرحمة فى الصدور » !

وفى سنة ١٩٣٣ جاء من سوريا احد اقربائها وتزوجها ونقلها الى السويداء او الى دمشق او بيروت .

وبعد ست سنوات انفصلت اسمهان عن زوجها وعادت الى القاهرة تجرب حظها من جديد ، ولم تطرق باب كباريه مارى منصور ، بل تلقفها الموسيقار عبد الوهاب ولحن لها ماغنته معه فى قطعة من مسرحية « مجنون ليلى » ظهرت فى احد افلامه ومازالت هذه القطعة الرائعة متداولة فى الإذاعات مسموعة من الجماهير ، كأنها خرجت امس من حنجرة اسمهان ، وكان اسمهان مازالت فى ربيع الحياة .

وعن طريق عبد الوهاب عرف التابعى اسمهان ، وعقد عبد الوهاب بينهما التعارف ثم



اسمهان وزوجها الاول حسن الاطرش فى القناطر الخيرية ، ويقف فريد وفؤاد الاطرش

تركهما وشأنهما ومضى يتفرج ويتسلى بما يقع بينهما من شئون وشجون !

والتابعى هو الوحيد الذى كتب قصته مع اسمهان بين جميع من عرفوها ، من نجوم المجتمع المصرى ، فى الثلاثينات والاربعينات ، وليس فيما كتب مغالاة ولاخيال ولااعجاب بالنفس ، فقد كانت تجاربه كثيرة ، اكسبته كثرتها تواضعا ، وكياسة فى النظر الى اشد الامور اثارة ، فقد عرف الخبىء وراء كل بريق فى عيش امرأة جميلة .

ولو ذهبنا معه الى كل مكان شهد فصلا من قصته مع اسمهان لمشينا حتى اعيينا ، فقصته طويلة ذات فصول وهى فى الحقيقة اكبر القصص فى حياة اسمهان ، واظن ظنا ـ غير مستيقن ـ انها من اكبر القصص فى حياة التابعى على ضخامة ما اضطلع به من بطولات قصص الحب فى عصر الرومانسية الباهر .

وانما نريد هنا ان نلم بقصتين متداخلتين فى حياة اسمهان .. قصتها مع حسنين باشا رئيس الديوان وقصتها مع وكلاء الجاسوسية البريطانية والفرنسية والألمانية خلال الحرب العالمية الثانية .

● يحدد التابعى بدقة يوم عرف حسنين باشا



اسمهان .. ففي ٨ فبراير ١٩٤٠ التقيا في حفلة اقامها التابعي بمنزله في الزمالك ، وكان كثير الحفلات ، ولم يذكر مناسبة الحفلة ، الا انها – على اية حال – كانت مفتاح التعارف بين المطربة الجميلة ورئيس الديوان .

ولم تمض على الحفلة ايام قلائل حتى دعا حسنين باشا صديقه التابعي مع اسمهان الى الغداء ، ثم الى حفلة ساهرة في داره ، ثم توالت الحفلات والسهرات عند التابعي او عند اصدقائه او عند حسنين باشا ، فتعددت فرص اللقاء بينه وبين اسمهان .

ولم يكن لاسمهان في تلك الايام عمل يدر دخلا كبيرا ولكنها – مع ذلك – كانت تقيم في فندق ميناهاوس وهو اغلى الفنادق ايامئذ .

يقول التابعي : « دعتني مرة لتناول الشاي معها بفندق ميناهاوس ، وبينما نحن جالسون نتحدث دخل علينا حسنين باشا ، وقالت هي بعد انصرافه انها لم تدعه لتناول الشاي وانه جاء على غير موعد ، وقد تكون صادقة في قولها هذا يومئذ » .

يتساءل التابعي : هل احبت اسمهان أحمد حسنين وهل أحبها حسنين ؟

اما اسمهان فكانت لاتحب احدا ، هكذا يؤكد التابعي في مواضع كثيرة من كتابه ، ولكنها تأنس الى هذا او ذلك ، من الرجال انسا مؤقتا ، ومع ذلك لم تستطع الا ان تتريث قليلا عند احمد حسنين . لماذا ؟ يقول التابعي : لان احمد حسنين «كان رجلا ولا كل الرجال .. كان يفتن ويسحر ويبهر ويستوقف النظر في اية حفلة مهما اشتد فيها الزحام ! شكله .. مظهره .. اناقته .. رجولته .. اسمه المدوى .. تاريخه المليء .. منصبه الخطير .. مغامراته المشهورة .. حديثه الساحر ، خبرته العميقة بالنساء فلا عجب ان بهرت به اسمهان ، ولأول مرة احست بما يشبه الحب » .

ولكن هل احبها حسنين باشا ؟

يجيب التابعي : « نعم .. أحبها وفي غير تحفظ الا ما كان يفرضه عليه منصبه الكبير الخطير .. وكان حبه لاسمهان امرا معروفا في المحيط الرفيع الذي يتحرك فيه » .

وكان حسنين باشا متزوجا من السيدة لطيفة بنت الأميرة شويكار مطلقة الملك فؤاد ، فكان بهذا الصهر يعد من أقرباء الأسرة المالكة ، وكان صديقا خاصا للملكة نازلي والدة الملك فاروق منذ عام ١٩٣٧ ، ثم طلق زوجته بناء على طلبها بعد ان ذاع وشاع مابينه وبين الملكة نازلي ، ولم يطب له ان يكون مجرد صديق للملكة ، وعزم ان يتزوجها ، فبدأ يبتعد عنها لتزداد ولعا به ، وطال ابتعاده عنها فذهبت اليه ، ودار بينهما الحوار التالي كما يرويه التابعي :

قالت نازلي لحسنين :

– انا اعطيك انذارا نهائيا ، اما ان تعاملني كامرأة او سأقطع كل علاقة بيننا واصبح حرة افعل ما اشاء .

واجاب حسنين وهو يتظاهر بالبكاء انه لايستطيع ان يقربها الا اذا تزوجها على شرع الله وسنة رسوله ثم اسرع يقول :

– وغير معقول ان اتزوج الملكة .

وهنا صاحت الملكة نازلي :

طظ في لقب الملكة !

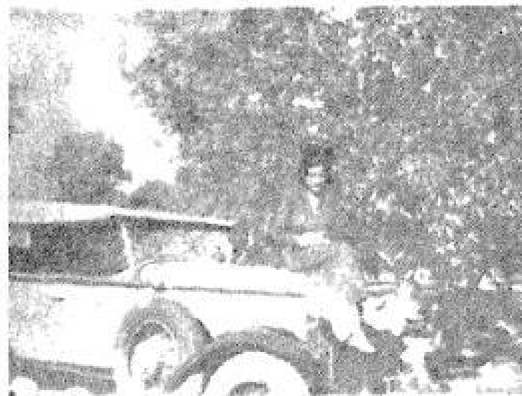
واشتد الجدال بينهما حتى قالت له نازلي ساخطة ثائرة :

– يعني عايزني اعمل ايه ؟ .. زوجة .. لا ! رفيقة لا .. عاوزني ابقى ايه ؟!

ثم قالت :

– سأذهب الى فاروق واقول له انى سأتزوجك !

قال حسنين ::
ـ اذهبى .. ولكنه سيرفض !
وذهبت الملكة نازلى الى ابنها الملك فاروق وعرضت عليه الأمر، فتفكر مليا، ثم قال لأمه، بهدوء وسكينة :
ـ رافقيه احسن !
قالت لابنها :
ـ انه يرفض ان يكون عشيق الملكة !
قال الملك :
ـ سأصدر اليه امرا ملكيا بذلك !
ولعل فاروقا ـ كما يقول التابعى ـ كان يسخر من امه ! ولعله ـ كما يبدو الان ـ كان جادا كل الجد !
وهربت نازلى سنة ١٩٤٢ الى فلسطين واقامت بفندق الملك داود فى القدس، تراقص الضباط البريطانيين، فاضطر فاروق الى مصالحتها والموافقة على زواجها من حسنين، ولكنه اشترط ان يكون عقد الزواج عرفيا، يقول التابعى : « وهكذا كان .. تزوج احمد حسنين ابن المرحوم الشيخ محمد حسنين العالم الأزهرى بالملكة نازلى ارملة الملك احمد فؤاد، ووالدة صاحب الجلالة فاروق الأول ملك مصر، وكان احد شهود العقد المرحوم الاستاذ سليمان نجيب مدير دار الاوبرا . وكان حسنين يثق كل الثقة بحذره وكتمانه، ومثله الملك فاروق، اما الشاهد الاخر فلعله كان مراد محسن باشا ناظر الخاصة الملكية او لعله كان احد خدم فاروق المقربين » !.
● ماذا كانت اسمهان تصنع عندما تم زفاف حسنين ونازلى زوجين سعيدين فى « سراى الدقى » التى ورثتها نازلى عن والدها المرحوم عبد الرحيم صبرى باشا .
ان حسنين باشا لم يتخل عن اسمهان ولكنها هى تخلت عنه وسافرت الى فلسطين فى مهمة كلفتها بها الاستخبارات البريطانية يقول التابعى : « ان بريطانيا لجأت الى المطربة اسمهان لتستعين بها على دخول سوريا ولبنان وطرد قوات حكومة فيشى الفرنسية التى كانت



اسمهان فوق سيارتها الخاصة بدمشق (منتهى المصرية فى اختيار الزى والسيارة)

قد اسلمت زمامها للالمان، وكانت بريطانيا قد نجحت قبل ذلك بشهر واحد فى القضاء على ثورة رشيد عالى الكيلانى فى العراق ونشطت الى تثبيت اقدامها فى الشرق الاوسط والقضاء على كل نفوذ لالمانيا فيه ».
وكان الاتفاق بين بريطانيا واسمهان سهلا سريعا .. التقى المستر نابيير نائب مدير الدعاية فى السفارة البريطانية . بالمطربة اسمهان فى حديقة سطح فندق الكونتننتال وقال لها انه يريد ان يحدثها فى امر فيه نفع لها ولبريطانيا، فاذا وافقت فما عليها ان تسافر الى القدس وتنتظر قليلا بفندق الملك دواد، وبعد ذلك تسافر الى عمان ثم الى سوريا ومعها اربعون الف جنيه، تساوى اربعة ملايين الان، لتوزعها على رؤساء قبائل البادية وشيوخ الدروز فى السويداء .
وادت اسمهان مهمتها على خير وجه، ودخلت القوات البريطانية سوريا ولبنان وطردت ممثلى حكومة فيشى من هناك، وعادت اسمهان من جديد زوجه لابن عمها حسن الاطرش، ولكنها اقامت بمفردها فى القدس لاتبرحها الا الى تل ابيب او حيفا او يافا،



واصبح بذخها واسرافها مثار الاحاديث .

ثم بدأ الانجليز يقبضون عنها ايديهم بعد انتهاء مهمتها ، وهنا هبط عليها احد وكلاء المخابرات الالمانية يعرض عليها ان تعمل لحساب الالمان ، واعدت كل شيء للسفر وركبت القطار من حلب قاصدة الحدود التركية ، ولكنه لم يكد يقترب من الحدود التركية حتى توقف ودخل ضابط بريطاني وطلب اليها ان تغادر القطار ، وكانت احدى السيارات الحربية في انتظارها ، وعادت بها الى حلب .

وهكذا عرف الانجليز ان جاسوستهم الحسناء قد ادارت ظهرها اليهم وتوجهت للالمان !

يقول التابعي : « ولكن السلطات الفرنسية في سوريا لم تلبث ان مدت يدها الى اسمهان الا ان فرنسا « الحرة » كانت فقيرة ولم يكن بوسعها ان تمنح عميلتها اكثر من ثلاثمائة جنيه في الشهر ، فضاقت الدنيا باسمهان ولم تعرف كيف تعيش بهذه الثلاثمائة بعد ان كانت تعيش بثلاثة الاف .

وكان ينزل بفندق الملك داود بالقدس احد كبار موظفي وزارة الخارجية المصرية في تلك الايام . فاعجبته اسمهان كل الاعجاب ، واقسم لها لئن عاد الى مصر ليسعين في عودتها بكل الوسائل !

وعاد الموظف الكبير وتحدث الى صديقه حسين سعيد خال الملكة فريدة ـ واطنب له في وصف اسمهان وصوتها وسحرها وفتنتها ، حتى شغل صديقه بها ، وحرضه على السفر اليها واستقدامها .

كان حسين سعيد يومئذ مديرا لستوديو مصر وشركة مصر للتمثيل والسينما التي انشأها طلعت حرب ، فسافر الى القدس وجاء باسمهان ، بعد ان وقع بدوره أسير فتنتها وسحرها ، على حد تعبير التابعي .

وهكذا عادت اسمهان الى القاهرة في اواخر سنة ١٩٤٢ .. عادت الى احمد حسنين باشا رئيس الديوان .

وكانت حين رأيناها تخرج من قصره ـ كما تقدم في اول الكلام ـ لم تزل في بداية عهدها الجديد بالقاهرة ، وفي بداية عهدها الجديد كذلك مع احمد حسنين باشا الذي كان قد اصبح زوجا للملكة نازلي منذ سنتين وكانت نازلي يومئذ في الثانية والخمسين من عمرها ، وكانت اسمهان في الحادية والثلاثين .

● ارتفع الستار عن الفصل الأخير ، واسمهان على خشبة المسرح ، جاسوسة سابقة لثلاث دول . زوجة سابقة مطلقة اربع مرات . مرة من زوجها الاول المطرب فايد محمد فايد .. ومرتين من زوجها الثاني حسن الاطرش ، ومرة من زوجها الثالث احمد بدرخان .. ثم هي الان زوجة شرعية لزوج رابع هو الوجيه احمد سالم الذي كان صديقا لعدد كبير من الممثلات والراقصات .. وكان حين تزوج اسمهان في القدس يصحب الراقصة تحية كاريوكا وهي في جولة فنية هناك .

ومع كثرة صديقات احمد سالم كان غيورا على اية امرأة تنتسب الى اسمه ، بالزواج او بالصداقة .

فلما علم ان اسمهان قد عادت الى حسنين باشا كأنها لم تكن فارقته بضعة عشر شهرا ، ثار الدم في عروقه ، واندفع يراقبها ، فرآها تدخل قصر الباشا وتخرج منه ، ورفع سماعة التليفون وطلب حسنين باشا .

ـ من حقي ان اسألك يارفعة الباشا ماذا كانت زوجتي تفعل عندك ؟!

ورد حسنين باشا :

ـ عيب ياأحمد دا انت زي ابني ، ومراتك

اسمهان وحسن الاطرش ، حب من طرف واحد

زى بنتى ، وانا كنت فاكر انها قالت لك ، وانك عارف بزيارتها لى !

واستمر احمد سالم يراقب اسمهان ويقف لها متخفيا على مقربة من قصر الباشا حتى ايقن انهما على رباط وثيق ، فانتظرها فى بيتهما وعاتبها واشتد بينهما العتاب فاطلق عليها رصاصة هربت منها الى بيت الجيران .

ولما جاء اليه رجل البوليس السياسى المشهور حينذاك الاميرالاى امام ابراهيم ليقبض عليه تلقاه احمد سالم برصاصة اعقبها برصاصة اخرى استقرت فى صدر احمد سالم نفسه !

كانت حادثة سياسية مائة فى المائة ، لامجرد مشاجرة زوجية ولهذا انتدبت الحكومة لها اشهر ضباط القسم السياسى فى وزارة الداخلية .

وخرجت الصحف بالمانشتات العريضة تروى قصة المعركة ، كأنها من معارك الحرب العالمية الدائرة فى تلك الايام .

وكانت اسمهان تعمل فى فيلمها « غرام انتقام » فاستأذنت من مخرجه يوسف وهبى فى اجازة قصيرة تقضيها فى رأس البر للاستجمام .

وكان اسم الفيلم يلخص فى سخرية عجيبة قصص « امال او اميلى الاطرش » ، الشهيرة باسمهان مع ازواجها الاربعة ، بل كان يلخص حياتها كلها مع جميع الرجال ، من زبائن صالة مارى منصور فى بداية الطريق ، الى العلية والكبراء ورجال الدولة المصرية والبريطانية والفرنسية وكل من عرفوها وهى نجمة ساطعة !

وابتلعتها مياه الترعة الصغيرة فى طريق رأس البر ، غرقت فيها السيارة التى تقلها ونجا سائقها من الغرق .

وثارت التساؤلات والأقوال من جديد .. كيف غرقت هى وحدها وكيف نجا السائق وحده ؟!

انتهت قصة اسمهان فى مياه ترعة الساحل ، ولكن اسمهان كانت قد انتهت قبل ان تفتح لها ترعة الساحل ذراعيها وتأخذها الى اعماقها القاتلة !

ولو عاشت اسمهان ـ رحمها الله ـ سنوات قلائل اخرى فى هذا الصخب الماحق ، لقتلت صوتها بالشراب والدخان وسهر الليالى .

وما كان شىء ليبقى من اسمهان بعد ذهاب صوتها !

عاشق الملكة والمغنية

غرام فى ...

● أحمد حسنين : ابن الشيخ ودوره فى مؤامرات القصور ! !

نحن هنا أمام شخصية لعبت دورا هاما فى السياسة المصرية فى الفترة الممتدة مابين عامى ١٩٤٠ و١٩٤٦ حين كان رئيسا للديوان الملكى ، فلقد كان احمد حسنين خلال هذه الفترة يقيم الوزارات ، ويسقطها ويتبوأ مركزا قويا فى القصر الملكى جعله يحرك الاحداث من وراء ستار دون ان يبدو عليه انه يعرف الكثير مما كان يجرى على الساحة ، بل انه كان يؤكد لمعارفه انه لا يفهم شيئا فى السياسة ! ورغم ذلك فانه كان يضع خططه بدقة واحكام وينفذها بمهارة وحذر وصبر ومما ساعده على ذلك انه كان دارسا فاهما ولبقا ومهذبا ، فالى جانب الملمه العملى بشتى التيارات والاتجاهات فانه جمع بين الثقافة الغربية وبين الاحتكاك الكافى بالحياة المصرية .

وهو ابن شيخ أزهرى درس بجامعة اكسفورد العريقة بانجلترا ثم تولى منصب مفتش بوزارة الداخلية خلال الحرب العالمية الأولى ثم شغل منصب سكرتير بسفارة مصر فى واشنطن ثم أصبح أمينا ثانيا للملك فؤاد ثم رائدا (للأمير) فاروق ، خلال اقامته فى انجلترا قبل أن يتولى الحكم ، ثم أمينا أولا للملك ثم رئيسا للديوان الملكى ، وكان قد درس بتمعن كتاب « الامير » لنكولو مكيافيللى وهو الكتاب الذى يوضح كيفية تدبير المؤامرات للوصول الى الهدف على أساس أن « الغاية تبرر الوسيلة » ، كما انه كان مغامرا ، ففى وقت ما كان بطل مصر فى لعبة الشيش وحاول أن يكون أول مصرى يقود طائرته الخاصة بمفرده من أوروبا الى مصر ، وقد سقطت به الطائرة مرتين ونجا من موت محقق قبل أن يعود الى البلاد ، ثم قام برحلة استكشافية ، فى الصحراء الغربية وفى رحلة أخرى اكتشف واحة الكفرة مما أضفى عليه شهرة كبيرة قبل أن ينتقل للعمل بسفارة مصر فى واشنطن .

وفى لندن واتته فرصة العمر حين

قصر عابدين

بقلم: د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

أصبح رائدا للأمير فاروق ، فلما كان الملك فؤاد يعاني من مرضه الأخير الذى أدى الى وفاته بعد وقت قصير ، كان من المتوقع أن يتولى ابنه العرش في اى لحظة ، فقد قرر حسنين أن يحرز ثقة الملك الشاب بمجاراة نزواته ومغامراته ، فى الوقت الذى كان فيه عزيز على المصرى يسعى فى لندن الى اعداد ولى العهد للاضطلاع بمسئولياته المستقبلية عن طريق الزامه بالانضباط والدراسة ، لهذا اصطدم الرجلان وعاد عزيز الى مصر تاركا حسنين ينفرد بالأمير الشاب ويسيطر عليه بارضاء نزواته ، ومن ثم تحميل حسنين مسئولية فساد فاروق بالصورة التى أدت فيما بعد الى سوء سمعته وإفساده الحياة السياسية فى مصر . فلقد سيطر على الأمير الشاب سيطرة قوية أضاف اليها فى المستقبل القريب سيطرة أخرى على الملكة الأم (نازلى) ، وبالتالى فإنه مالبث أن أصبح أقوى شخصية فى القصر الملكى صانع الأحداث فى ذلك الوقت .

فلقد انتهزت الملكة نازلى فرصة وفاة زوجها الذى لم تحبه قط وتولى ابنها



نازلى ، امرأة اطلقت لشهواتها العنان

عاشق الملكة والمغنية

القاصر العرش لتطلق لشهواتها العنان ، وكان الملك فؤاد يفرض عليها رقابة صارمة ، ويحيطها بالجواسيس ، ولم يكن يتورع في بعض المناسبات عن الاسراف في ضربها ، ولما كانت قد تقدم بها العمر فانها سعت الى تعويض ما فاتها ، وانتهز حسنين تقربها منه ، وبخاصة خلال رحلة ابنها إلى اوربا بعد توليه العرش ، لكى يستحوذ على لبها بلباقته وعزوفه عن تلبية رغباتها مما جعلها تتعلق به ـ ومن ثم سيطرته عليها وعلى ابنها معا .

● نازلى والمثل العليا !

وفى بداية حكم فاروق سعى حسنين وعلى ماهر إلى أن يحرزا للملك الشاب قدرا كبيرا من الشعبية ومن ثم الدعايات المكثفة التى احاطت بشخصه من حيث ورعـه وتقـواه وبطـولتـه ووطنيتـه وديمقراطيته . ولو أن تهتك نازلى وهوان كبار الساسة وتذللهم قد جعل المثل العليا تتهاوى لدى فاروق منذ بداية حكمه وان كانت سيطرة حسنين عليه جعلته حريصا على الاحتفاظ بالشعبية القوية ، التى احاطت به فى بداية حكمه ، وبينما فاروق يبدأ تجاربه فى الحكم وفى السياسة كان حسنين يسعى بدهاء الى أن يكون الرجل الأول فى الدولة بعد الملك ، فما أن تولى رئاسة الديوان الملكى فى اغسطس ١٩٤٠ حتى أدرك انه أصبح اقوى رجل فى القصر وربما فى مصر وأنه يلعب دورا خطيرا فى السياسة المصرية خاصة وأنه خبر حياة القصور ودسائسها واستولى على لعب أهم شخصيتين فى هذه القصور ، وهو فى هذا يشبه كثيرا من شخصيات القصور القريبة من السلطان منذ قديم الزمن ، ومنهم ريشيليو فى فرنسا وجعفر البرمكى فى بغداد وتوماس مور وولزى فى لندن فى الوقت الذى كانت فيه نازلى تلعب الدور الذى سبق أن لعبته كاترين دى مدسيس فى فرنسا وغيرها من امهـات الملوك الشبـان فى مختلف العصور .

وقد تولى حسنين رئاسة الديوان الملكى فى فترة هامة من تاريخ مصر والعالم ، فقد اشتد حينئذ الصراع العسكرى بين المانيا وحلفائها وبين انجلترا التى وقفت وحدها تواجه خطر النازية والفاشية بعد سقوط فرنسا واحتلال هتلر لأوربا الغربية ودخول ايطاليا الحرب الى جانب المانيا ، وقد تعرضت مصر لهجمات الايطاليين الذين عزز هتلر قواتهم فى الصحراء الغربية بفيلق افريقيا الذى كان يقوده ارفين روميل .. وكان الانجليز منذ عام ١٩٤٠ يودون أن يتولى النحاس باشـا ـ زعيم الوفـد حزب الاغلبية ـ الحكم او تتولاه وزارة يرضى عنها ، وتباطأ حسنين فى تنفيذ رغبة الانجليز معللا تباطأه فيما بعد بأنه كان يود أن يقوى الوفد ليجعله قادرا ، على استخلاص حقوق البلاد من الانجليز ، وأيا ما كان الأمير فانه عمل على تعيين وزارات بها أعضاء يرضى عنهم الانجليز ، وازاء اصرار الانجليز على ان يتولى النحاس الحكم لكى يعمل على تطبيق نصوص معاهدة ١٩٣٦ التى تخدم



الفتى فاروق يصل الى لشدن لبنلقى العلم ول استقباله احمد حسنين ، معلمه وعشيق امه ..

• من هو المسئول عن إفساد الملك فاروق ، نازلى أم أحمد حسنين ؟ ! .

جهودهم الحربية (١) .

حاولت السراى اقناعه بقبول تأليف وزارة ائتلافية ، بل لقد رضى فاروق قبل حادثة فبراير ١٩٤٢ بوزارة وفدية خالصة ، الا أن حسنين كان يرفض ذلك ويواصل مماطلاته ، لهذا يحمله الصحفى محمد التابعى الذى كان وثيق الصلة به وسجل ذكرياته فى كتابه « من أسرار السياسة والساسة » مسئولية حادثة ٤ فبراير خاصة وأن حسنين رفض أن يسلم بالهزيمة أمام النحاس أو امام السفير البريطانى سير مايلز لامبسون لورد كلين فيما بعد ، « فقد كان من خلقه عدم اليأس ، وعدم التسليم بالهزيمة » ، وبينما حسنين يسوف ويماطل لم تكن الدوائر الانجليزية تستطيع الانتظار الى مالا نهاية خاصة أن الالمان وصلوا الى مشارف الاسكندرية لهذا تقدموا بانذار الى الملك فاروق الذى خير بين تكليف النحاس بتشكيل الوزارة أو التنازل عن العرش ، وكان لهم ما ارادوا بعد أن حاصروا القصر الملكى بالدبابات ، فجاء النحاس الى الحكم على أسنة الرماح واعتبر حسنين ماجرى فى ٤ فبراير ١٩٤٢ هزيمة شخصية له فقرر الانتقام من النحاس ومن السفير البريطانى ، وكانت الخطوة الأولى فى تنفيذ خطته هى الايقاع بين النحاس وبين كل من ساعده الأيمن مكرم عبيد : الشخصية الثانية فى حزب الوفد وأمين عثمان واسطة الاتصال بين



الوفد والانجليز . ونجح حسنين فى تحقيق الشق الاول من هدفه مما أدى الى طرد مكرم عبيد من الوفد ولم يكتف حسنين بذلك بل شجع مكرم على اصدار « الكتاب الأسود » الذى هاجم النحاس وزوجته التى انتهزت ظروف الحرب فى اثراء نفسها واقاربها بوسائل غير مشروعة ، وندد بالفساد الذى أخذ ينخر فى حزب الاغلبية بل لقد ساعد حسنين على توزيع « الكتاب الأسود » رغم الرقابة والأحكام العرفية ، فقد وزعته سيارات الجيش بعد أن وفرت السراى الورق اللازم لطبعه فى وقت كان فيه التموين يخضع للقيود التى فرضتها الحرب .

● مصرع أحمد حسنين

واستغل فاروق فرصة التنديد بالنحاس وبالوفد لاقالة الوزارة ، ولكن السفير البريطانى حال دون ذلك لكى لا يؤدى مثل هذا الاجراء الى التأثير فى المجهود الحربى البريطانى ، وبعد تحول مجرى الحرب لصالح الحلفاء استغل فاروق الفرصة لاقالة النحاس فى ٨ اكتوبر ١٩٤٤ . وثنى على هذا فيما بعد بالعمل على مقتل أمين عثمان صديق الانجليز ، ورغم أن حسنين كان يتوق الى تولى رئاسة الوزارة بعد إقالة النحاس فقد آثر الا يواجه مثل هذا الموقف غير الدستورى ، ويتلقى الصدمة الاولى مؤجلا تحقيق هدفه الى وقت لاحق ،

وعقدت نازلى الأمور حين طلبت من ابنها أن يأمر رئيس ديوانه بأن يتزوجها ، وقيل أن فاروق وافق بشرط أن يكون الزواج عرفيا ، كما قيل أن فكرة قتل أحدهما جالت بخاطره فى ذلك الوقت ، وفى ٩ فبراير ١٩٤٦ لقى أحمد حسنين مصرعه فوق كوبرى قصرالنيل بعد اصطدام سيارته بسيارة عسكرية بريطانية ، وأنقذ مقتل حسنين فاروق من اغتياله او اغتيال أمه ، وان تكن وفاة حسنين فى هذا الظرف مثارا للتساؤل ، وكان فاروق فى أواخر حياة أحمد حسنين يتعمد اهماله ، وعدم استشارته ، بل كان يتعمد الاستهزاء به أمام خدمه ، ويقال انه ذهب الى مسكن حسنين بحجة العزاء وأخذ ينبش فى أوراقه الخاصة وانتزع ورقة تدل الملابسات على انها وثيقة زواج نازلى التى مالبثت أن بارحت مصر الى اوربا بعد أن فقدت عشيقها (أو زوجها) وتولاها الغضب على ابنها .

وبعد اختفاء حسنين عن المسرح انطلق كل من فاروق ووالدته لارضاء نزواته ـ فأخذ الملك يغشى اندية القمار حيث كان يمضى سهراته حتى مطلع الفجر ، كما أصبح يزور الراقصات فى دورهن وتمادى فى السرقة واختلاس أموال الدولة وأخذ يهرب أمواله الى الخارج ويعتدى على الأعراض وينتهك الحرمات مما أساء الى سمعته وعجل بسقوطه . أما والدته فانها انتقلت من عشيق الى عشيق ، بل وزوجت احدى بناتها من أحد عشاقها رغم اختلافه فى الدين عن زوجته أخت الملك وكانت فضيحة هزت دعائم العرش ومرغت سمعة البيت المالك فى الرغام ، وآخر لوثة من لوثات نازلى أنها اعتنقت الديانة

الكاثوليكية وتزوجت فى خريف العمر أحد الأمريكان ! .

ولقد جرى التساؤل اخيرا من المسئول عن انحراف فاروق : احمد حسنين ام نازلى ؟ ورغم ان هذين الشخصين ، لعبا دورا هاما فى هذا الإفساد فان ظروف تنشئة فاروق هى الأخرى مسئولة عن فساده ، فقد كان الملك فؤاد صارما مع ابنه ووكل امر الاشراف عليه فى طفولته الى مربية انجليزية قاسية عزلته عن اقرانه بحيث لم يجد امامه صحبة سوى الخدم ، كما أن كونه الابن الوحيد لوالده والوريث الوحيد للعرش قد جعله موضعا للاهتمام من جانب رجال القصر الذين درجوا على أن يقدموا له وهو طفل وهو شاب امارات الخنوع والتذلل مما جعله يكفر بالناس ويتعمد اذلالهم ، يضاف الى هذا انه أحيط فى بداية حكمه بنصحاء دربوه على أن يحكم وأن يملك ملفتين نظره الى الثغرات الموجودة فى دستور ١٩٢٣ وهى الثغرات التى أغرته بالحكم المطلق .. ومن المعروف ـ كما قيل ـ أن السلطة مفسدة وأن السلطة المطلقة لا حد لافسادها ، ومصداقا لما نقول نلفت النظر الى اسلوب تربية الأمراء وأولياء العهد فى بريطانيا منذ نعومة أظفارهم ، فهم يتلقنون مزايا الديمقراطية ويتسلحون بكل أنواع المعارف والمهارات التى تؤهلهم للنجاح بعد أن يضطلعوا بمسئولياتهم ، ويتدربون على طاعة القوانين ومجاراة التقاليد والصحافة والبرلمان لهم بالمرصاد اذا ما خرجوا عن الجادة .



احمد حسنين : رجل البلاط الغامض

واخيرا يمكننا ان نوزع مسئولية انحراف فاروق على كل من تملقوه وارضوا نزواته ولم يحسنوا له النصح حرصا منهم على اقتناء مصالحهم بعدم اغضابه يستوى فى هذا احمد حسنين ونازلى وكبار ساسة البلاد الذين خلعوا عليه من الصفات ما يضعه فى مصاف الأنبياء والمرسلين ! .

---

(١) درجت الوزارات المصرية التى تولت الحكم بعد نشوب الحرب العالمية الثانية على اتباع سياسة عرفت باسم «تجنيب مصر ويلات الحرب»، وهى سياسة اقرب ما تكون الى الحياد .. وذلك رغم ان معاهدة ١٩٣٦ نصت على ان تبادر مصر الى مساعدة انجلترا اذا ما دخلت حربا . وقد اتهم على ماهر صاحب هذه السياسة بان له ميولا محورية هو والملك فاروق .

الفقيه المجدّد
الشيخ محمد الغزالى

بقلم: د. محمد عمارة

تهيبت ـ وأنا الذى كتبت العديد من الكتب والدراسات عن العديد من أعلام الاسلام ـ أن اكتب هذه الدراسة الموجزة عن داعية الاسلام وعالمه وخادمه الشيخ محمد الغزالى ! ..

وسر هذا التهيب ، هو نفورى من الكتابة عن الأحياء ، فى زمن عزت فيه الموضوعية فى الكتابة عن الأحياء ؟ ! .. وأيضا محبتى للرجل ، ومن خشيتى أن اكتب من موقع « المحب » ، فأنظر « بعين الرضا » إلى القضايا التى اقدمها إلى القراء ! ..

لكننى غالبت هذا التهيب ، بعد أن اطمأنت نفسى إلى انتفاء المحذورات التى خشيتها وأخشاها على « الموضوعية » فيما أنا بسبيلى إليه .

● فالرجل ليس من أهل السلطان ، الذين يتقرب إليهم بالمجاملات .. وإذا كنت لم أجامل أهل السلطان ، المالكين لسيف المعز وذهبه ، فكيف أتهيب المجاملة لمن لايملك شيئا من هذه المغريات والمرهبات ؟ ! ..

● ثم .. ما الذى يمنع أن أكتب عن الرجل من موقع « المودة ـ الصادقة » و « المحبة ـ البصيرة » .. وهو الموقع الوحيد الطبيعى واللائق بعلاقة مثلى بمثله ؟ ! ..

● وأخيرا .. فلو تحرجت وتحرج أمثالى من الكتابة عن مثل الشيخ الغزالى ، لانفرد بهذه الساحة منافقون كثيرون يسودون الصفحات الكثيرة التى تشد العقل المسلم إلى القاع بما تزيفه عن أعلامنا الأحياء ! .. وأهل السعى والسطحية الذين لايعرفون « مغزى حياة » الأعلام ؟ ! ..

إذن .. فلأتوكل على الله ، لأكتب هذه الصفحات ! ..

لقد تخرج الشيخ محمد الغزالى ـ الذى ولد سنة ١٩١٧ م ـ تخرج فى كلية أصول الدين بجامعة الأزهر فى سنة ١٩٤١ م . فهو منى بمنزلة الاستاذ من التلميذ ، فلقد دخلت الأزهر ، ملتحقا

بالسنة الأولى بمعهد دسوق الابتدائى فى سنة ١٩٤٥م .. وكان الشيخ الغزالى يومئذ شيخا وأستاذا وداعية وكاتبا فى صحافة جماعة الأخوان المسلمين .

ومنذ سنة ١٩٤٧ بدأ الشيخ الغزالى إصدار سلسلة الكتب ، التى بلغت الآن خمسين كتابا ، والتى كونت معالم « المشروع الفكرى » الذى تقدم به إلى الناس .. وكان كتابه (الاسلام والأوضاع الاقتصادية) هو الأول فى هذا المشروع الفكرى ، الذى أتخذ فيه كتابه (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث) رقم : الخمسين ! ..

ومع ذلك كله ، فأنا لم أبدأ التعرف المنظم على فكر الشيخ الغزالى ، والمتابعة المنهجية لمشروعه الفكرى إلا منذ سنوات قريبة جدا !! .. أما عهدى بلقائه ، وتعرفى على مجلسه وحضوره فإنه لم يبلغ بعد السنوات الثلاث ؟ ! ..

١ - المشروع الفكرى :

ولقد أدركت - وأنا الذى سبق ودرست الآثار الفكرية لأكثر من ثلاثين من أعلام الفكر الاسلامى - وكتبت عنهم الكتب والدراسات أدركت أننى حيال الشيخ الغزالى ، لست بإزاء مجرد داعية متميز ، أو عالم من جيل الاساتذة العظام ، أو مؤلف غزير الانتاج ، أو مفكر متعدد الاهتمامات ، أو واحد من العاملين على تجديد فكر الاسلام لتتجدد به حياة المسلمين . أدركت أننى بإزاء جميع ذلك ، وأكثر منه .. وأهم .. فالرجل صاحب رسالة ، جعل من حياته - ومن ثمراتها : فكره وقلمه - مشروعا فكريا متكاملا هو عطاء مواهبه الفذة ، الذى قدمه فى ميدان تجديد الاسلام وإنهاض المسلمين .



الفقيه الشيخ محمد الغزالى

● فهو ، فى مواجهة الاستبداد المالى والمظالم الاجتماعية ، التى شلت قدرات الأمة وعطلت ملكاتها المادية والمعنوية ، خاض أولى معاركه وأرسى فى صرح مشروعه الفكرى عددا من اللبنات ، التى تمثلت فى كتبه : (الاسلام والأوضاع الاقتصادية) و (الاسلام والمناهج الاشتراكية) و (الاسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والراسماليين) و (الاسلام فى وجه الزحف الأحمر) ..

● وهو ، فى مواجهة الاستبداد السياسى ، الذى حرم الأمة من ثمرات الشورى الاسلامية ، فأعجزها عن مواجهة تبعات رسالتها ، ومجابهة تحديات أعدائها ، نراه يقدم فى معالم مشروعه الفكرى كتبه :

(الاسلام والاستبداد السياسى) و (حقوق الانسان بين تعاليم الاسلام وإعلان الأمم المتحدة) وغيرهما من الكتب ، والدراسات التى ضمتها كتب أخرى .

الشيخ محمد الغزالي

● وهو فى مواجهة تحديات الحضارة الغربية ، التى حاولت وتحاول طمس التميز الحضارى للاسلام ، ونسخ هوية أمته ، ومسخ الروح الاسلامية المتميزة فى علوم حضارتنا ونظمها ، قدم العديد من الأعمال الفكرية ، التى مثلت كتائب فى معاركنا الفكرية ضد التغريب والاستلاب الحضارى .. فكتابه (من هنا نعلم) مواجهة مع محاولات « علمنة الاسلام » ، وكتابه (حقيقة القومية العربية) مواجهة للمفاهيم الغربية فى القومية ، تلك التى استعارها فريق منا ، فكانت عدوانا على عالمية الاسلام ، وانتقاصا من وحدة الأمة .. أما كتابه (دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين) فإنه نزال مع المستشرق المجرى جولد تسيهر (١٨٥٠ - ١٩٢١ م) الذى أراد فى كتابه (العقيدة والشريعة) تقديم الاسلام كاستعارات ملفقة من عقائد الآخرين وشرائعهم ! ..

وكذلك تأتى فى هذا المقام إسهامات كتب الشيخ الغزالى (الغزو الثقافى يمتد فى فراغنا) و (مستقبل الاسلام خارج أرضه وكيف نفكر فيه) ، وغيرها من الكتب والدراسات ..

● وهو فى مواجهة « الذات الاسلامية » التى تشوهت بالتخلف الموروث وبالاستلاب التغريبى ، قدم العديد من الكتب والدراسات التى سعت لتجديد « الذات الاسلامية » بالغذاء الاسلامى الصالح والصحيح .. تجديد العقل وتصفية رؤيته وتجديد القلب وترقيق مشاعره ، واقامة علاقة التكامل - التى امتاز بها الاسلام - بينهما .. ولقد كان هذا الميدان هو أغنى ميادين المشروع الفكرى للشيخ الغزالى بالكتب والدراسات .. فهو ميدان القوة الاسلامية الضاربة ، التى يتوقف على صلاحها ، إحراز النصر الاسلامى على كل الجبهات ، وفى مواجهة كل التحديات ..

فمن : (خلق المسلم) إلى (عقيدة المسلم) و (التعصب والتسامح) .. و (جدد حياتك) و (فى موكب الدعوة) و (فقه السيرة) و (ليس من الاسلام) و (هذا ديننا) و (من معالم الحق) و (كيف نفهم الاسلام) و (نظرات فى القرآن) و (مع الله - دراسات فى الدعوة والدعاة) و (معركة المصحف) و (كفاح دين) و (الاسلام والطاقات المعطلة) و (الجانب العاطفى من الاسلام .. و (سر تأخر العرب والمسلمين) .. وغيرها .. كثير من الكتب والدراسات التى استهدفت تزكية الذات والنفس الاسلامية بالاسلام ..

● وفى مواجهة الجمود ، والحرفية النصوصية ، و « الظاهرية البدوية » ! ؟ . التى تغض من شأن ملكة العقل ، فتفل عزم المسلمين فى مواجهة التحديات المعاصرة ، وتكرس التخلف الموروث .. فى مواجهة هذا الجناح من أجنحة التحدى الحضارى الذى يواجه الأمة الاسلامية ، قدم المشروع الفكرى للشيخ الغزالى العديد من الاسهامات ، فصولا فى كتب - كما فى (دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين) - وكتبا أفردها لهذه المهمة ، يأتى فى مقدمتها أحدث كتبه (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث) ، والذى أثار ، ولايزال يثير

معركة فكرية خصبة فى صفوف الاسلاميين ، على امتداد وطن الاسلام ! ..

فهو إذن « مشروع فكرى » ، يستجيب به صاحبه - استجابة إيجابية وفاعلة للتحديات التى تواجه محاولات الأمة للنهوض والتقدم والانعتاق . وليس مجرد إسهام فكرى ، تتناثر كتبه دون رؤية شاملة ، وموقف واع ، وتخطيط وتدبير واحكام .. وفى هذا « المشروع الفكرى الذى بلغت كتبه حتى الآن خمسين كتابا تتكامل المعالم والسمات التى ضربنا لبعضها النماذج والأمثال ! ..

لقد واجه الرجل بمشروعه الفكرى هذا ، وأيضا بممارسته الحياتية ، التى أرادها زرعا ورعاية لهذه البذور فى عقول الأمة وقلوبها .. واجه بذلك التحديات العاتية التى تواجه الاسلام والمسلمين فى عصرنا الراهن - ووفق عبارته : « فان تحديات الدعوة الاسلامية تجىء - قبل اى زحف خارجى - من داخل ارض الاسلام .. على أن التحدى الأعظم للاسلام كله هو فى يقظة كل القوى المعادية له ، وتبييتها النية على اغتياله ! .. لقد صحت اليهودية والنصرانية والشيوعية والوثنية ، وتملكتها رغبة مجنونة للقضاء على هذا الدين وانتهاز مايسود بلاده .. من غفلة وفرقة لتوجيه الضربة الأخيرة ! .. »

وفى مواجهة هذه التحديات العاتية لم يكن « الداعية » الشيخ محمد الغزالى مجرد « واعظ » كما يحسب الناس أن الوعظ هو مهمة « الدعاة » ! .. ففى رأيه « أن الوعظ هو أخف الواجبات التى يتطلبها الاسلام فى عصرنا ؟ ! .. فالجهد الأول - المطلوب - هو : تحريك قافلة الاسلام ، التى توقفت ، فى وقت تقدم فيه حتى عبيد البقر ؟ !! .. وسوف تتلاشى هذه التحديات كلها يوم يعتنق المسلمون الاسلام ، ويدخلون فيه أفواجا ، حكاما وشعوبا !! .. »

وفى هذا السبيل كان العطاء الذى قدمه الشيخ الغزالى فى « مشروعه الفكرى » الكبير ..

إن « المدرسة الفكرية » فى اية حضارة من الحضارات هى عنوان على إطار مرن ، يضم العديد من العلماء والمفكرين والأعلام ، الذين تجمعهم « أصول » يتفقون فيها ، ومنطلقات ينطلقون منها ، وغايات يرومون تحقيقها ، وذلك دون أن يكونوا « متماثلين » .. فهم « يتشابهون » فى المناهج ، و « يتمايزون » فى ترتيب اولويات القضايا والمهام ، وفى درجات التركيز على بعض ميادين الاصلاح والدراسة ، وفى المزاج .. والاسلوب ومستوى الخطاب .. ونوع الجمهور .. الخ .. الخ .. الخ ..

ذلك هو معنى « المدرسة الفكرية » ، فى أية حضارة من الحضارات ..

وإذا نحن شئنا الاجتهاد فى تحديد الموقع الفكرى لشيخنا الجليل محمد الغزالى ، فإننا لن نجد فى هذا التحديد صعوبة ولا عسرا .. لا لأن الرجل لايفتأ يعلن انه واحد من مدرسة الامام الشهيد ، الشيخ حسن البنا (١٣٢٤ - ١٣٦٨ هـ ١٩٠٦ - ١٩٤٩م) - فليس ذلك بالأمر الكافى والشافى فى التحديد الدقيق لموقعه الفكرى .. ففى مدرسة حسن البنا - إذا أردنا بها جماعة الأخوان المسلمين ، أكثر من موقع فكرى متميز .. بل لقد غدت جامعة لفصائل فكرية بينها ماهو أكثر من « التمايز » فى المواقع

الشيخ محمد الغزالي

الفكرية ؟ ! .. وخاصة بعد غيبة هذا الأمام الشهيد ..

أما السبب الحقيقى فى يسر تحديد الموقع الفكرى ، والمدرسة الفكرية للشيخ الغزالى .. فهو الاستقراء الواعى لمضمون مشروعه الفكرى ، وممارساته الحياتية .. وايضا كتاباته ، هو ذاته ، التى يسرت لنا هذا التحديد ..

● لقد عرف الفكر الاسلامى : « مدرسة الرأى » .. تلك التى نظر فقهاؤها إلى الظروف والملابسات التى أحاطت بـ « الأثر » ـ أى « النص » و « الحديث » منه بوجه خاص ـ ففسروا الحديث على ضوء هذه الملابسات ، وفى إطار الآيات القرآنية المحكمة .. « وجعلوا الآية القرآنية المحكمة حاكمة على الحديث ، ومحددة لمعناه » .

فلم تكن « مدرسة الرأى » كما يحسب البعض ـ بعيدة عن « الأثر » وانما كان هذا هو منهجها فى التعامل معه عند الاجتهاد لاستنباط الأحكام .

● أما « مدرسة الأثر » ، فهى وإن لم تتنكر لـ « الرأى » جملة ـ كما يحسب البعض ـ إلا أن الذى ميزها عن « مدرسة الرأى » هو موقفها الذى « كاد أن يكون إمضاء لظاهر النص ، مع بعد عن الحرفية .. وإن كان هذا البعد عن الحرفية يتلاشى فى بعض القضايا » .

● وإلى جانب هاتين المدرستين ـ اللتين انفسحت بينهما المسافة ومن بعدهما ـ نشأت مدرسة ثالثة انتهجت نهج « الموازنة والترجيح بين مدرستى الأثر والرأى » وكان تبلور هذه المدرسة الجديدة فى القرن السابع الهجرى ، على يد شيخ الاسلام ابن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ ـ ١٢٦٣ ـ ١٣٢٨ م) وتلامذته القدامى وخاصة ابن القيم (٦٩١ ـ ٧٥١ هـ ـ ١٢٩٢ ـ ١٣٥٠م) .. وهذه المدرسة ـ « مدرسة الموازنة والترجيح بين الاثر والرأى » ـ هى التى « استوعبت الآثار المروية ، وأدركت وجوه الحكمة والمصالح التى تتغياها الشريعة ، اى أنها افادت من الرأى والأثر معا ، وإن كان انتصارها للأثر اظهر ، ودفاعها عنه اذكى وأقدر » ..

● أما المدرسة الرابعة ـ فى مدارس الأصالة الفكرية فى شريعتنا وتشريعنا ـ فهى تلك التى تبلورت فى تاريخنا الحديث ، بمجرى محاولات أمتنا للنهوض الحديث ومن اعلامها وائمتها وعلمائها : الشيخ محمد عبده وتلميذه الشيخ محمد رشيد رضا ويتبعهم الشيخ محمود شلتوت ومحمد عبد الله دراز ومحمد البهى ومحمد المدنى وقبلهم الشيخ محمد الخضرى ومنهم الشيخ محمد أبو زهرة وغيرهم من مجددى ومجتهدى عصرنا الحديث .

وهذه المدرسة الرابعة ، وان اعتمدت الأثر والرأى معا ، وسلكت سبيل الموازنة والترجيح بينهما ، إلا أنها تميزت عن مدرسة ابن تيمية ، « بترويجها للعقل وتقديم دليله واعتبارها العقل أصلا للنقل .. وهى تقدم الكتاب على السنة ، وتجعل ايماءات الكتاب أولى بالأخذ من أحاديث الآحاد .. وهى ترفض مبدأ النسخ وتنكر إنكارا حاسما أن يكون فى القرآن نص انتهى أمده . وترى المذهبية فكرا إسلاميا قد ينتفع به ، ولكنه غير ملزم ،



الشيخ الغزالى .. فى لقاء يجمع الـزعيميـن عبد النـاصـر ونهـرو

ومن ثم فهى تنكر التقليد المذهبى ، وتحترم علم الأئمة . وتعمل على أن يسود الاسلام العالم بعقائده وقيمه الاساسية ، ولا تلقى بالا إلى مقالات الفرق والمذاهب القديمة أو الحديثة » ..

● وغير هذه المدارس الأربع ـ ذات الطابع الأصيل ، والاجتهاد والابداع المتميزين ـ فى تاريخنا التشريعى ـ هناك مدرسة الاختيار الشخصى والتنسيق .. بين وجهات النظر المختلفة ، وكان ظهورها فى القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجـريين ، محاولة للخروج بـالفكر الاسلامى من جمود وموات (مؤلفى) « المتون » المذهبية ! .. ومن أعلام هذه المدرسة الصنعانى (١١٦٩ ـ ١٢٢٥ هـ ١٧٥٦ ـ ١٨١٠م) صاحب كتاب « سبل السلام » .. والشوكانى (١١٧٣ ـ ١٢٥٠ هـ ١٧٦٠ ـ ١٨٣٤م) صاحب كتاب « نيل الأوطار » .. ومن سار على هذا الدرب ، مثل الشيخ سيد سابق ، فى كتابه « فقه السنة » .. وصديق خان (١٢٤٨ ـ ١٣٠٧ هـ ١٨٣٢ ـ ١٨٨٩ م) فى مؤلفاته والالبانى ، فى رسائله .

تلك هى أبرز المدارس الفكرية فى فكرنا الشرعى والتشريعى كما أبرزها وحددها شيخنا الجليل محمد الغزالى ،

واذا كان الرجل لايفتأ يعلن ، مفاخرا ومباهيا ، بأنه من مدرسة حسن البنا .. واذا كان حسن البنا هو تلميذ رشيد رضا ، الذى تتلمذ على محمد عبده .. واذا كانت (رسالة التوحيد) و (الاسلام والنصرانية بين العلم والمدنية) ـ وهما من أكثر آثار محمد عبده الفكرية تعبيرا عن خصوصية مدرسته ـ كانا مادة درس وتدريس لأسر وشباب وتنظيمات جماعة الأخوان المسلمين على عهد مرشدها الأول حسن البنا .. اذا كان الأمر كذلك فلن نعدو الصدق والموضوعية إذا قلنا أن الشيخ الغزالى هو واحد من اعلام هذه المدرسة الفكرية .. مدرسة الجامعة الاسلامية .. مدرسة الاحياء والتجديد الحديثة لفكر الاسلام لتتجدد به حياة المسلمين .

واذا كنا قد سبق وقلنا : إن « المدرسة الفكرية » هى تعبير عن إطار مرن ، فاننا يجب ان نستحضر هذا المعنى ونحن نقول إن شيخنا الغزالى هو واحد من علماء هذه المدرسة ، وأن موقعه الفكرى هو فى الاطار الذى يجمع أعلام وهذا التيار .

فالرجل يكاد أن يحتضن كل تراث الاسلام ، وأن يستدعى من ثمرات ابداع المدارس الفكرية المختلفة كل اللبنات الصالحة للعطاء فى مواجهة ما نواجه من تحديات ..

ثم هو لايرى فى تعدد المدارس الفكرية وتنوعها ، بعد عصر الأئمة الأوائل ، أمرا قادحا فى أداء هؤلاء الأئمة العظام : مالك بن أنس (٩٣ ـ ١٧٩ هـ

الشيخ محمد الغزالي

٧١٢ - ٧٩٥م) وأبي حنيفة النعمان (٨٠ - ١٥٠ هـ ٦٩٩ - ٧٦٧ م) ومحمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤ هـ ٧٦٧ - ٨٢٠ م) وأحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ ٧٨٠ - ٨٥٥ م) ومن هم على شاكلتهم من ائمة ذلك الجيل .. ذلك « لأن الائمة الأوائل - خصوصا الأربعة الكبار - كانوا روادا في تأسيس الفقه الاسلامي ، والرائد قد يشغله الاكتشاف عن الموازنة والتقدير، ولعل من يجيء بعده يكون أقدر على التنظيم والمراجعة ، والموازنة والاختيار .. » فتعدد هذه المدارس ، وتنوعها ، هو جزء من النمو الطبيعي لهذا البناء الفكرى ، وضع أصحابه في الاعتبار امورا جدت ، وعلوما ومعارف لم تكن على عهد الائمة المؤسسين . فليس الأمر أمر نقص وهدم والغاء .. وانما هو أمر تطور وتقدم ونماء ! ..

ثم .. ان النهر العظيم - نهر الأصول الاسلامية كتابا وسنة - وهى المنابع الجوهرية والنقية . ولها وحدها القدسية من دون إبداعات البشر لجمعين - إن هذا النهر ، يظل دائما وأبدا داعيا كل المجتهدين والمجددين الى الاغتراف منه مباشرة ، بدلا من الشرب من « السواقى » التى تغترف منه هى الأخرى !! « فالاسلام هو صانع أولئك الرجال كلهم ، وهم لم يصوغوه ! وإن مصادر الاسلام معصومة ، لأنها من عند الله ، ولكن التفكير فيها والاستنباط منها غير معصوم لانه من عند الناس .. وإن الانتفاع بكل فقيه ذكى يدعم مسيرتنا العلمية ، ولا يضرها أبدا ، ويجب أن تنتقى

الحساسية والكراهية للاشخاص .. وان وجود هنات فى رأى هذا أو سيرة ذاك لاتهدم عبقريته أو تخدش تفوقه إن كان صاحب عبقرية وتفوق » ..

على اننا نظلم الشيخ الغزالى اذا لم ننبه على تميزه فى الفصيل الذى كان حسن البنا أمامه فى مدرسة الجامعة الاسلامية فلقد كان متميزا منذ بدأ مشروعه الفكرى سنة ١٩٤٧ م - بكتابه الأول (الإسلام والأوضاع الاقتصادية) .. ثم ان الرجل - مد الله فى عمره - قد امتدت به التجربة وامتد به الجهاد بعد استشهاد حسن البنا اكثر من أربعين عامًا .. فواجه مالم يواجه هذا الفصيل فى النصف الأول من هذا القرن العشرين .. ومن ثم فلقد ابدع الجديد الذى أضافه الى رؤية هذا الفصيل .

واذا شئنا نموذجا واحدا يشهد على صدق هذا الذى نقول ، فاننا نشير الى ان الشيخ حسن البنا قد سبق وصاغ لهذا الفصيل « المفكر - المجاهد » ماعرف بـ « التعاليم العشرون » وهى التى دار أغلبها حول « فهم عقائد الاسلام » فجاء الشيخ الغزالى « ليضيف » اليها فى تواضع العالم الوفى لاستاذه - ماسماه « المقررات العشر » والتى تمثل البعد الاجتماعى والسياسى والدولى لهذه العقائد التى صاغها البنا فى « التعاليم العشرون » .. فكتب يقول تحت عنوان : مقررات عشر : اعطيت نفسى الحق فى اضافتها الى التعاليم العشرين لمجدد القرن الرابع عشر الأمام الشهيد حسن البنا رضى الله عنه ، ولا أدرى اصبت فى هذه الاضافة أم أخطأت ؟ .. وحسبى أن الحق قصدت .. وهذه هى الاضافات التى أرى المجتمع الاسلامى محتاجا اليها :

١ ـ النساء شقائق الرجال وطلب العلم فريضة على الجنسين كليهما ، وكذلك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وللنساء فى حدود الآداب الاسلامية حق المشاركة فى بناء المجتمع وحمايته .

٢ ـ الأسرة أساس الكيان الخلقى والاجتماعى للأمة ، والمحضن الطبيعى للأجيال الناشئة ، وعلى الآباء والأمهات واجبات مشتركة لتهيئة الجو الصالح بيتهما .. والرجل هو رب الأسرة ، ومسئوليته محدودة بما شرع الله لأفرادها جميعا

٣ ـ للانسان حقوق مادية وأدبية تناسب تكريم الله له ، ومنزلته الرفيعة على ظهر الأرض ، وقد شرح الاسلام هذه الحقوق ودعا إلى احترامها .

٤ ـ الحكام ـ ملوكا كانوا أم رؤساء ـ أجراء لدى شعوبهم ، يرعون مصالحها الدينية والدنيوية ، ووجودهم مستمد من هذه الرعاية المفروضة ومن رضا السواد الأعظم بها ، وليس لاحد ان يفرض نفسه على الأمة كرها ، أو يسوس امورها استبدادا .

٥ ـ الشورى أساس الحكم ، ولكل شعب ان يختار اسلوب تحقيقها ، وأشرف الأساليب ما تمحض لله ، وابتعد عن الرياء والمكاثرة والغش وحب الدنيا .

٦ ـ الملكية الخاصة مصونة بشروطها وحقوقها التى قررها الاسلام ، والأمة جسد واحد لايهمل منه عضو ، ولا تزدرى فيه طائفة ، والأخوة العامة هى القانون الذى ينتظم الجماعة كلها فردا فردا ، وتخضع له شئونها المادية والأدبية ..

٧ ـ أسرة الدول الاسلامية مسئولة عن الدعوة الاسلامية ، وذود المفتريات عنها ، ودفع الأذى عن أتباعها حيث كانوا ، وعليها أن تبذل الجهود لإحياء الخلافة فى الشكل اللائق بمكانتها الدينية .

٨ ـ اختلاف الدين ليس مصدر خصومة واستعداء ، وانما تنشب الحروب إذا وقع عدوان أو حدثت فتنة أو ظلمت فئات من الناس .

٩ ـ علاقة المسلمين بالاسرة الدولية تحكمها مواثيق الاخاء الانسانى المجرد والمسلمون دعاة لدينهم بالحجة والاقناع فحسب ، ولايضمرون شرا لعباد الله .

١٠ ـ يسهم المسلمون مع الأمم الأخرى ـ على اختلاف دينها ومذاهبها ـ فى كل مايرقى ماديا ومعنويا بالجنس البشرى ، وذلك من منطلق الفطرة الاسلامية والقيم التى توارثوها عن كبير الأنبياء ، محمد عليه الصلاة والسلام » ..

تلك هى « المقررات العشر » التى مثلت نموذجا ـ مجرد نموذج ـ لابداع وتجديد وتطوير فكر الشيخ الغزالى ، عندما واجه الظروف الجديدة والواقع الجديد .. فأضاف هذه الأبعاد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والانسانية ـ فى الأسرة والأمة ، ونظام الحكم ، والعلاقة بغير المسلمين ، وفى العلاقات الدولية ـ أضاف هذه الأبعاد الى « التعاليم العشرين » التى صاغها الأمام الشهيد حسن البنا .

انها اضافات يمكن ان يفرد لشرح ابعادها كتاب كامل ، يمثل كل « مقرر » من « مقرراتها » فصلا من فصول هذا الكتاب ..

وهى ـ كما اسلفنا ـ نموذج من نماذج كثيرة جدا ـ على الابداع والتجديد المتميز لشيخنا الغزالى .

* * *

ـ فى العدد القادم ، الحلقة الثانية من الدراسة : الشيخ محمد الغزالى .. أولى معاركه الفكرية : ضد الظلم الاجتماعى) ـ ..

كتاب هام يتحدث عنه العالم ..

مستقبل القوى فى العالم

تبدد الحلم الأمريكى

بقلم: د. السيد أمين شلبى

لم يكن المؤرخ الامريكي بول كنيدي وعمله الضخم « قيام وانهيار القوى العظمى » الهلال اعداد : اكتوبر ، نوفمبر ، ديسمبر ١٩٨٨ .. هو الوحيد الذى تعرض لاوضاع القوة الامريكية والمتغيرات الداخلية والدولية التي ألمت بها في الحقب الماضية وبشكل رآه يهدد بتراجع مكانتها كالقوة الدولية الاولى فى النظام الدولى وبروز قوى جديدة تزاحمها هذه المكانة ، فبول كنيدى لم يكن الا ممثلا لحركة ثقافية نشأت في الولايات المتحدة مع اوائل الثمانينات اصبحت تعرف « بمدرسة الاضمحلال » The School of decline وكان من رموز هذه المدرسة مانكور أولسون وكتابه الذى نشر عام ١٩٨٢ تحت عنوان : صعود وهبوط الدول ، والذى ركز فيه بوجه خاص على العوامل الاقتصادية التي تساهم فى تراجع القوة الامريكية ، وايضا دافيدسيللو في كتابه Beyond American Hegemony والذى ركز فيه على العوامل الخارجية التي تؤدى الى هذا التراجع ، اما رمز هذه المدرسة الثالث فكان والترميد فى كتابه Mortal Spendor والذى رصد فيه العوامل الداخلية والخارجية التي تصور انها تتهدد المكانة التقليدية الامريكية ، ونستطيع أن نضم الى هذه المدرسة صوتا اوربيا هو عالم الاجتماع الفرنسي Micheal Crosier فى كتابه : The Trouble with America (الهلال عدد ابريل ١٩٨٩) والذى سجل فيه من خلال متابعاته الميدانية على مدى حقب تمتد من الاربعينات مظاهر التراجع الامريكى فى الميادين الثقافية والاقتصادية والسياسية بما ينبىء عن « تبدد الحلم الامريكى » .



أما رسالة هذه المدرسة فهى تستند الى ثلاث افتراضات رئيسية :

● ان الولايات المتحدة تتراجع على المستوى الاقتصادى مقارنة بقوى مثل اليابان وأوربا الغربية ، والدول الصناعية الجديدة ، وفى هذا تركز هذه المدرسة على الأداء الاقتصادى وعلى العناصر العلمية والتكنولجية والتعليمية المرتبطة بهذا الأداء .

● إن القوة الاقتصادية هى العامل المركزى فى قوة أى أمة ومن ثم فإن هبوطا فى القوة الاقتصادية سوف يؤثر فى الابعاد الأخرى لقوة هذه الأمة .

● أن الانحدار النسبى فى القوة الاقتصادية الأمريكية إنما يرجع فى الدرجة الأولى الى انفاقها الكثير جدا على الأغراض العسكرية والذى هو بالتالى نتيجة لمحاولتها الاحتفاظ بارتباطات خارجية لم تعد تقوى عليها .

وفى هذا ـ وفيما ترى هذه المدرسة ـ فإن الولايات المتحدة تكرر نفس التجربة وتواجه نفس المشكلات التى واجهتها قوى امبريالية سابقة مثل المملكة المتحدة ، وفرنسا ، وأسبانيا .

وقد كان من الطبيعى أن تثير هذه المدرسة بمثل هذه النبوءة الخطيرة نقاشا واسعا داخل الحياة السياسية والفكرية الأمريكية بل وفى أوربا الغربية ، وكما حركت هذه المدرسة نقاشا على المستوى السياسى والاعلامى السريع ، فقد خضعت كذلك للتحليل النقدى الاكاديمى والذى حاول تفنيد حجج وافتراضات هذه المدرسة وتقديم صورة أكثر تفاؤلا حول المستقبل الأمريكى .

● غياب البديل

كان أول من تعرض لنقد هذه المدرسة على المستوى الاكاديمى هو الدكتور زبجينو برجنسكى ـ مستشار الامن القومى الأمريكى السابق والاستاذ الحالى بجامعة كولومبيا ـ والذى بدأ بقرار أنه سيكون من العمى التاريخى تجاهل علامات التحذير التى

تقدمها الخبرة التاريخية ، فمما يثير القلق مثلا أن نتذكر أن الفترة الأولى من اضمحلال الامبراطوريات الرومانية والفرنسية والعثمانية ، قد اتسمت بالتضخم الاقتصادي والعجز في الميزانية ، والاهتمام بالذهب والتوسع الخارجي المكلف ، والتفكك الداخلي ، ومبدأ القوة وسيادة النزعة المادية .

غير أن برجنسكي يرى اختلافات بين هذه الظروف وبين الوضع الأمريكي اليوم ، وتبدو هذه الاختلافات في أنه في كل حالات اضمحلال الامبراطوريات فإن التآكل الاقتصادي ، والذي حدث في الأغلب من خلال الحروب ، قد أدى الى إضمحلال سكاني بشكل كبير وتلاه انهيار في النخبة السياسية الحاكمة الأمر الذي لايتحقق في التجربة الأمريكية المعاصرة فحتى في التوسع الضخم في الانفاق العسكرى الأمريكي فإنه لم يرتفع فوق ٧٪ من مجموع الناتج القومي الكلي - ورغم أن الحرب في فيتنام قد أدت الى انخفاض في معنويات المجتمع بشكل كبير فإنها لم تسبب خسائر على نطاق واسع ، والواقع أن الحقب الماضية قد شهدت صبا لدم جديد وغني وخلاق في القيادة الاجتماعية والسياسية بأجيال المهاجرين الجدد من اسيا وامريكا اللاتينية بعد أن كانت تسيطر عليها في الماضي الصفوة التقليدية وخاصة من المجتمع اليهودى ، وهذا الدم الجديد هو الذى مكن من استمرار ديناميكية الاحياء والتجديد الاجتماعي .

ويضيف برجنسكي الى هذا الاختلاف اختلافين آخرين يراهما اكثر أهمية : فالانحدار النسبي للتفوق الاقتصادي الأمريكي العالمي إنما يحدث لا على الرغم من أمريكا وإنما بسببها ، فقد حدث هذا نتيجة لسياسات متعمدة ومستمرة - الدعم الامريكي لأوربا الغربية واليابان عبر عدة حقب منذ نهاية الحرب الثانية .

ورغم هذا الاختلاف فإن برجنسكي ينبه الى أنه لايغير حقيقة وقوع هذا التراجع النسبي ، وأن ماهو مهم هو حقيقة هذا التراجع لا أسبابه أو دوافعه ، ومع هذا فهو يعود الى التذكير باعتبارات لايجب تجاهلها ، فالتغير في مركز أمريكا الاقتصادى العالمي ليس نتيجة لسياسة تتبعها قوة منافسة أو معادية تهدف الى أن تحل محل الولايات المتحدة في مرتبة التفوق العالمي ، ولكنه نتيجة ما يعتبره سياسة تعاونية كانت الولايات المتحدة هى التى بادرت بها الأمر الذى يخلق

نسيجا مختلفا من العلاقات الدولية . من أهم معالم هذا النسيج أنه فى الماضى كان تراجع قوة ما عن مكانة السيطرة يعود الى بروز قوة جديدة ومؤهلة لأن تحل محلها ، أما هذه المرة فإن الاختلاف الاساسى الذى يراه برجنسكى هو غياب البديل والمنافس الذى يمكن ان يشكل قوة تحل محل الولايات المتحدة فى وضعها الدولى . فأوربا الغربية لن تكون فى المستقبل القريب مركزا موحدا للقوة السياسية قادرا على أن يحل محل أمريكا فى دورها العالمى ، كما أن تطلعات اليابان فى القوة السياسية والعسكرية تطلعات متواضعة . وهكذا فإن القوتين الرئيسيتين المستفيدتين من إعادة توزيع القوة الاقتصادية العالمية لاتمثلان منافسا سياسيا فى الاولوية العالمية . اما الاتحاد السوفييتى فهو لايمثل فى تحليل برجنسكى إلا منافسا ذا بعد واحد One Dimensional ، هو البعد العسكرى ، هذا فضلا عن أن الثمن الذى دفعه الاتحاد السوفييتى فى بلوغ قوته العسكرية هو أنه قد أصبح فى وضع غير تنافسى على المستوى السياسى والايدلوجى والاقتصادى ، وهو الاعتبار الذى يقف وراء جهود وسياسات جورباتشوف فى إعادة البناء الداخلى وسياساته ومبادراته الخارجية .


جورباتشوف

● إضمحلال أم تجديد ؟

وكانت الشخصية الثانية التى تعرضت بالنقد لافكار بول كنيدى ومدرسته هو البروفسور صامويل هنتيجتون مدير مركز العلاقات الدولية بجامعة هارفارد ، الذى شرع يناقش حجج هذه المدرسة وخاصة ما تستشهد به من عجز فى الميزانية الأمريكية ـ وصل فى العام المالى ١٩٨٨ ما قيمته ١٥٥ بليون دولار ـ باعتباره أهم المتغيرات المؤثرة فى مركز الولايات المتحدة العالمى وتركيز هذه المدرسة ـ عن حق ـ على أن التدفق الكبير فى الأموال الاجنبية قد ذهب الى الاستهلاك لا على الاستثمار ، وأن الولايات المتحدة تعيش سعيدة فى حالة من الرفاهية

لاتتفق مع امكانياتها وتسيطر عليها سيكلوجية "كل واشرب وأمرح" كل هذا يعيد الى الاذهان نماذج أسبانيا فى نهاية القرن ١٦ ، وفرنسا ١٧٨٠ ، وبريطانيا عام ١٩٢٠ ويصدق هنتيجتون على كل هذه الظواهر ولكنه يختلف فى أن العجز الذى تعانى منه الولايات المتحدة ليس نتيجة ضعف الاقتصاد الأمريكى وانما نتيجة السياسات الاقتصادية لادارة ريجان ، وكما ظهر هذا العجز بشكل سريع نتيجة مجموعة سياسات فإنه يمكن عكسه أيضا وبشكل سريع بسياسات أخرى . بل أنه يعتبر أن مثل هذا التحول قد بدأ فعلا ، جزئيا بفعل تغيير إدارة ريجان لسياستها ، وجزئيا بسبب سياسات تبنتها حكومات أخرى ، ومن ناحية أخرى بسبب عمل الاقتصاد الدولى الذى يولد بشكل طبيعى اتجاهات توازنية . هذا فضلا عن توقع أن تتبع الادارة التالية لادارة ريجان سياسات تهدف بشكل جاد الى خفض هذا العجز .

كما يناقش حجة انخفاض نصيب الولايات المتحدة فى الانتاج العالمى ـ والذى كان عام ١٩٤٥ يمثل ٤٠ ـ ٤٥٪ من هذا الانتاج ، وبلغ عام ١٩٨٤ ما قيمته ٢٥,٢٪ ـ ويتابع تطور هذا الانتاج عبر الحقب الخمس الماضية ويقارنه بتطور نصيب قوى أخرى مثل اليابان وأوروبا الغربية من الانتاج العالمى ، ويخلص الى القول أنه بمعايير تطور الاقتصاد الدولى فى مجموعه ، فإن الناتج القومى الأمريكى كما يمثله اليوم مازال متماسكا وصحيا .

أما الحجة الثالثة لانصار "مدرسة الإضمحلال" والخاصة بانخفاض نسب المدخرات الأمريكية ـ والتى انخفضت خلال السبعينات والثمانينات ما بين ١٤,٨ ـ ١٩,٨٪ مقابل ٢٧,١٪ ـ ٣٢,٩٪ اليابان ـ فإن هنتيجتون يصدق أيضا على اعتبار أن نقص الادخار والاستثمار هى مظاهر ضعف هيكلية تتطلب تصحيحا اذا ما أريد الاحتفاظ بالنمو الاقتصادى ، ولكنه يخطىء هذه المدرسة فى محاولتها تفسير ذلك بضعف الاداء الاقتصادى الأمريكى ، كما يخطئها فى قولها أن المبالغة فى الانفاق لاغراض عسكرية تغطى على الاستثمار من أجل التنمية الاقتصادية الأمر الذى يؤدى الى الركود الاقتصادى وهو يستخدم فى رفضه هذا المنطق ما يردده بول كنيدى ومدرسته من أن عبء السياسات الامبريالية يصبح ضخما حين يبلغ ١٠٪ أو أكثر من انتاج المجتمع ، فنصيب الدفاع من الانتاج القومى الأمريكى يقع ما بين ٧ ـ ٦٪ وهكذا فإن منطق كنيدى وزملائه ينطبق

بشكل أكثر على الاتحاد السوفييتي الذي ينفق ١٨ - ١٧٪ من مجموع انتاجه القومي هذا فضلا عن أنه وبشكل عام فإنه ليس هناك دليل مقارن يوحي فإن الانفاق العسكري هو بالضرورة عبء على التقدم الاقتصادي ، بل أن بعض المحللين يجادلون بأن الانفاق الدفاعي يشجع على النمو الاقتصادي . ويخلص هنتيجتون الى اعتبار أنه اذا ما تداعت الولايات المتحدة اقتصاديا فلن يكون ذلك بسبب وجود جنودها في مناطق مختلفة من العالم وإنما لأن رجالها ونساءها وأطفالها ينغمسون بشكل مبالغ فيه في ملذات الحياة ، فالروح الاستهلاكية وليست العسكرية هي التهديد للقوة الأمريكية .

● بريستوريكا امريكية !

ويعد تحليله لحجج أنصار "مدرسة الاضمحلال" يناقش سؤاله المقابل الذي طرحه عما اذا كانت الولايات المتحدة تمر بمرحلة انحدار أم تجديد . ويبدأ بما يقرره أنصار هذه المدرسة من أن التوسع الخارجي وليس الركود الداخلي هو السبب الرئيسي لانحدار الامم . ويعتبر أن هذا المنطق يناقض تقليدا في الفكر السياسي وجد منذ أيام افلاطون وأرسطو والذي يركز على القدرة الداخلية لمجتمع ما اذا ما أراد تجديد نفسه . ووفقا للصياغة الجديدة لوجهة النظر هذه فإن المجتمع ينحدر عندما يجعل الركود البيروقراطي ، والاحتكار ، والطبقات المغلقة ، والجمود الاجتماعي ، والترهل التنظيمي وتصلب شرايين الامة ، حين يجعل كل هذا ، من التجديد والتكيف أمرا صعبا أو مستحيلا . وعلى النقيض من هذا فإن المجتمعات الناجحة هي تلك التي تجد وسائل لدعم ديناميكية شبابها ، ويشجع المنافسة والحركة والمرونة والفردية والانفتاح ، وجميعها صفات تمنع مجتمعا ما من أن يقع في شرك شبكة من الصفقات التواطئية حيث يستفيد كل فرد على حساب الآخرين ، من هذا المنظور يستخلص هنتيجتون أن الولايات المتحدة - من بين القوى الكبرى - هي أقل احتمالا لأن تنحدر ذلك أنها تتميز بانفتاح اقتصادها ، وبالحركة ، وبتدفق الهجرة اليها .

ولايقتصر تحليل هنتيجتون للعناصر التي تضمن تجديد المجتمع الامريكي على العوامل الداخلية فقط ، فثمة عناصر دولية للقوة ، فإن كل الاختبار النهائي للقوة العظمى هو قدرتها على تجديد قوتها ، فإن العوامل الداخلية السابقة إنما تكتمل بثلاثة

عناصر أساسية تميز المركز الأمريكي في الشئون الدولية .

أول هذه العناصر الدولية أنه على نقيض القوى العظمى الأخرى فإن القوة الأمريكية متعددة الابعاد ، فإذا كان مركز الاتحاد السوفييتي الدولي ينبع أساسا من قدراته العسكرية ، واليابان من أدائها الانتاجي ومواردها المالية ، ودولة مثل السعودية من مواردها البترولية ، فإن هذه القوة التي تعتمد على عنصر واحد تصبح معرضة بشكل كبير لهبوط هذا العنصر من القوة التي تتمتع به ، وعلى نقيض من هذا فإن الولايات المتحدة تقف بشكل غير عادي في وضع مرتفع في جميع المصادر الرئيسية للقوة : حجم السكان وتعليمهم ، الموارد الطبيعية ، النمو الاقتصادي ، التماسك الاجتماعي ، الاستقرار السياسي ، الانجاز التكنولوجي ، القوة العسكرية ، الجاذبية الايدلوجية والتحالفات الدبلوماسية وهي نتيجة لهذا قادرة على أن تتحمل أي تراجع في أحد هذه العناصر في الوقت الذي تحتفظ فيه بتفوقها الكلي المستمد من مصادر أخرى . ومن هذا يستخلص هنتيجتون أنه في الوقت الراهن ليس هناك دولة تستطيع أن توجه تحديا شاملا متعدد الابعاد للولايات المتحدة ربما باستثناء واحد .

● أوربا الموحدة

أما العامل الدولي الثاني في رأي هنتيجتون الذي تتميز به الولايات المتحدة فهو ينبع من مركزها الهيكلي في السياسة العالمية والذي يضعها في موضع القيادة والمشاركة في المشكلات والمنازعات الدولية وعلى ماقد يبدو ـ يجعل وجودها مطلوبا في عدد من المناطق .

ويناقش هنتيجتون الاحتمال الاكثر شيوعا وهو أن تحل اليابان محل الولايات المتحدة في المكانة العالمية في القرن المقبل ، فيستبعد هذا الاحتمال فمنذ أن اليابان لاتمتلك الحجم أو المصادر الطبيعية أو القوة العسكرية أو الانتماءات الدبلوماسية أو ماهو اكثر أهمية الجاذبية الايدلوجية لكي تصبح قوة أعظم .

أما التحدي الحقيقي والممكن الذي قد تواجهه الولايات المتحدة فهو يأتي في نظر هنتيجتون من أوربا الموحدة ، فالمجموعة الأوربية اذا ما أصبحت متماسكة سياسيا سيكون لديها السكان ، والموارد ، والقدرة الاقتصادية ، والتكنولوجيا ، والامكانية العسكرية الفعلية لكي تصبح القوة



الأولى فى القرن الواحد والعشرين . فـإذا كانت اليـابان ، والـولايات المتحدة ، والاتحاد السوفييتى قد تخصصـوا علـى التـوالـى فـى الاستثمار ، والاستهلاك ، والسلاح ، فإن أوربا توازن الثلاثة ، وهكذا ينتهى هنتيجتون الى أنه إن لم يكن القرن القادم هو القرن الأمريكى فإن الأكثر احتمالا أن يكون القرن الأوربى .

رؤيـة أوربية لعنـاصـر القـوة والضعف :

ومثلمـا أنضم الى "مـدرسـة الاضمحلال" فى تحليلها وتوقعها للوضع الأمريكى أحد المفكـرين الفرنسيين ، كذلك كان من بين من تعرضوا لأفكار هذه المدرسة بالنقد اكاديمى فرنسى هو دومنيك مواسى نائب مدير معهد العلاقات الدولية بباريس الذى يعتبر أن بداية الشعور بالاضمحلال الأمريكى ليس شيئا جديدا ، فالحرب الفيتنامية قد دمرت الاحسـاس الأمـريكـى العميـق ، بـالتفوق ، كـذلك وصـول الاتحاد السوفييتى الى مرحلة التعادل فى القـوى الاستـراتيجيـة ، والازمـة البترولية عام ١٩٧٣ ، وأزمة الرهائن عام ١٩٨٠ . وقد جاء انتصار ريجان لكى يعكس القـوميـة الأمـريكيـة المحيطة ، غير أن مواسى يعتبر أن مايميز الاحساس والنقاش حـول الاضمحلال الأمريكى اليوم هو ملامحه المحددة جدا ، فبينما كانت مظاهر الاضمحلال الأمريكى فى السبعينات نتيجة لحماقات سياسية ، فانها تعود فى نهاية الثمانينات الى حقائق اقتصادية قوية لايمكن الهروب منها .

ويقول مواسى أنه من أجل تقييم عناصر قوة وضعف الولايات المتحدة فى المستقبل بشكل متوازن فإنه من الضرورى تحليل طبيعة الاضمحلال الأمريكى والتعرف بدقة عما اذا كان نزعة عابرة أم انه يمثل واقعاً لايمكن الرجوع عنه أو تحويله .

ويعبر مواسى أنه اذا قارنا الوضع الأمريكى اليوم بوضعه فى أعقاب الحـرب الثانيـة مباشـرة ، فـإن الاضمحلال النسبى للقوة الأمريكية هو امر لايمكن انكاره وخاصة فى حالة الاقتصاد الأمريكى ، إلا أن مواسى ، شـأنه شـأن زميليه الأمـريكيين برجنسكى وهنتيجتون يرد هذا الوضع الى نجاح السياسة الأمريكية بعد الحرب فى نشر النمو الاقتصادى بين حلفائها الذين سيصبحون منافسيها الاقتصاديين فى المستقبل ، اليابان وأوربا الغربية ، إلا أنه على المدى الطويل ، فإن انتشار النمو الاقتصادى هو بالتأكيد أقل مدعاة لعدم استقرار بالنسبة للولايات المتحدة عنه بالنسبة

كتاب هام يتحدث عنه العالم ..

للاتحاد السوفييتى ، فالعالم المتعدد الاقطاب اقتصاديا الذى اتاحه انتشار النمو الاقتصادى سيكون حافزا للولايات المتحدة عن المنافسة والعمل بشكل شاق لكى تظل قدرتها التنافسية فى عالم اقتصاد مفتوح . ويضيف مواسى الى هذا أنه اذا نظرنا الى المستقبل فإن الولايات المتحدة ـ شأنها شأن اليابان ـ مهيأة تماما لمواجهة الثورة التكنولوجية الثالثة ، وعلى هذا يستخلص مواسى أنه من الضرورى التمييز بين الانحدار النسبى relative decline للقوة الامريكية والذى يماثل مرحلة الحالة الطبيعية والناجمة عن الجهود الامريكية فى الحقل الاقتصادى ، وبين حالة الانحدار المطلق Absolute decline والذى يعنى أن قوة ما قد تجاوزت شبابها ، وهو الوضع الذى لايراه منطبقا على امريكا اليوم .

غير أن مواسى لايكتفى بنفى حالة الاضمحلال المطلق عن الولايات المتحدة نتيجة لاوضاعها الداخلية ، وانما يدعم رأيه بتصور لتطور النظام الدولى وقواه الرئيسية فى المستقبل . فإذا كان الاتحاد السوفييتى هو المنافس الرئيسى للولايات المتحدة على الزعامة العالمية . فإن مواسى يرى أنه على كل الجبهات فإن مشكلات الاتحاد السوفييتى اليوم هى أكثر خطورة وتعقيدا من مشكلات الولايات المتحدة ، وهذا الوضع هو الذى يجعل مصير الاتحاد السوفييتى وأهمية ونتائج وامكانية استمرار نظام جورباتشوف وليس الولايات المتحدة هو السؤال المركزى اليوم فيما يتعلق بتطورات النظام الدولى .

ويخلص مواسى الى أنه حتى لو نجح جورباتشوف فى الحد من أزمات المجتمع السوفييتى فإنه من غير المحتمل أن يلحق الاتحاد السوفييتى بالولايات المتحدة حتى بعد أن يصبح مركزها عاديا فى العالم وافتقادها لحالة التفوق المطلق التى كانت تتمتع به .

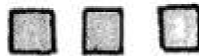
اما فيما يتعلق "بالمرشحين" الآخرين لكى يخلفوا الولايات المتحدة فى الزعامة العالمية ، فإن مواسى يعتبر أن أوربا الغربية هى حقا قوة تجارية واقتصادية ولكن ليس لديها التماسك السياسى الكافى أو القوة العسكرية الكافية لكى تبرز كقوة فاعلة على المسرح الدولى فى المستقبل القريب . وتواجه الصين نفس المعضلة التى يواجهها الاتحاد

السوفييتى فى مواءمة الاصلاح مع المبادىء الشيوعية وأن كانت يمكن أن تشكل منافسا ممكنا فقط فى المستقبل البعيد ، كذلك فإن المحيط الباسفيكى لن يمثل بالنسبة للقرن ٢١ ماكان عليه البحر المتوسط فى القرن ١٦ حيث كان مركز العالم ، فالمحيط الباسفيكى يفتقر الى التماسك ، والوحدة الثقافية والقوة العسكرية .

أما اليابان فإنها وهى تعيد تحديد دبلوماسيتها فإنها تواجه معضلة حاسمة وهى معضلة الهوية فهى وأن كانت لتبنيها النظم الديمقراطية ونجاحها الاقتصادى قد رحب بها فى نادى الدول والديمقراطيات الغربية ، فإن الغرب لاينظر اليها كجزء متكامل منه ، ويرى أن دور اليابان الطبيعى والسياسى والامنى يقع فى اسيا ، الا أن مشاعر الشك والقلق مازالت تحيط بوضع اليابان فى قارتها . هذه المعضلة فى رأى مواسى هى التى تحد من قدرة اليابان على أن تصبح قوة سياسية كبرى .

غير أنه اذا كان مواسى قد استبعد ظهور قوة كبرى فى المستقبل القريب يمكن أن تحل محل الولايات المتحدة ، فإنه يتوقع أن وضع الولايات المتحدة سيكون فى عالم الغد وضعا عاديا ، وسوف تكون أقل قدرة عن الماضى فى الاعتماد على تفوقها الطبيعى ، بل أن الاستمرار والاحتفاظ بهذا الوضع سوف يتطلب عددا من المتطلبات من اهمها نوعية جديدة من الرئاسة والقيادة الكفء - يعتقد أن الولايات المتحدة قد افتقدتها منذ ايزنهاور - ودبلوماسية خبيرة بوقائع العالم والقوى الحقيقية الفاعلة وبشكل لاتكرر أخطاء فيتنام وايران ، وكذلك سياسة خارجية تبدى حساسية اكثر للاحداث الخارجية مما تعطيه لاعتبارات سياستها الداخلية كما هو الحال فى علاقتها مع اسرائيل وجنوب افريقيا .

وينتهى مواسى إلى أن الولايات المتحدة وهى تدخل مرحلة جديدة فى تاريخها كقوة "عادية" فإن توصل الأمريكيين الى توافق فى الرأى Consensus سيكون أكثر أهمية من أى وقت مضى ، فسيكون عليهم أن يتفقوا حول اى مجتمع يريدونه فى الداخل ، وأى دور على بلادهم ان تلعبه فى العالم ، والثمن الذى سيدفعونه .



عبد الرحمن بدوى

منطق التوتر .. مقابل منطق أرسطو

بقلم: محمود أمين العالم

كان موضع هذا الجزء من المقال - الذى ننشره فى هذا العدد - والخاص بفلسفة عبدالرحمن بدوى ، فى منتصف المقال الأصلى - الذى نشرناه العدد الماضى - ولكن لطول المقال قمنا بنشر الجزء الثانى فى هذا العدد ..

على القارىء أن يقرأ الجزئين معا ، تحقيقا للفائدة المرجوة من حياة وفلسفة عبد الرحمن بدوى .

« الهلال »

الوجودية باختصار شديد هى مذهب فلسفى حديث يمكن ان نؤرخ لبداياته بالقرن التاسع عشر ، رغم ما يمكن ان نتبينه من جذور له فى الفكر الفلسفى القديم . ويمكن ان نعتبر كيركجور الفيلسوف الدنماركى المتوفى علم ١٨٥٥ رائده فى العصر الحديث وإن أخذ ينمو ويتكامل بعد ذلك فى فكر هيدرجر وابتيانو ويسبرز ومارسيل وسارتر وغيرهم . والوجودية تعارض الأبنية الفلسفية التى تقوم على التجريدات العقلية . وترى أن نقطة البداية الفلسفية ليست هى الفكر وإنما هى الخبرة الإنسانية الحية . ولهذا فالوجود لايبدأ ولايتم اثباته بالفكر كما يقول ديكارت : أنا افكر إذن فانا موجود . وإنما بممارسة الوجود نفسه ومعاناته .

الذات الفردية . وابرز ما تتسم به هذه الذات الفردية ـ بحسب الوجودية ـ هو الحرية ، فالانسان محكوم عليه بالحرية كما يقول سارتر . والذات حرة امام إمكانيات متعددة لابد من الاختيار بينها لتحقق وجودها . ومن حرية الاختيار هذه ومن ضرورته فى الوقت نفسه ، ينبع القلق وتنبع المعاناة والمخاطرة ، بل يبرز العدم داخل نسيج الوجود نتيجة لاختيار إمكانية ونبذ إمكانيات أخرى .

ومن الفردية والحرية والاختيار والإمكانية والقلق والمعاناة والمخاطرة والعدم إلى غير ذلك من المقولات ، تصوغ الوجودية فلسفتها المعبرة عن انحاء مختلفة من الخبرة الانسانية الحية ، متسلحة فى صياغتها لهذه الفلسفة بمنهج وجدانى استبطانى يختلف كل الاختلاف عن المنهج العقلانى الذى تتخذه الفلسفات النظرية الأخرى لصياغة مذاهبها . وفى الفلسفة الوجودية ـ كما هو معروف ـ تياران : تيار دينى يمثله كيركجور وجبريل مارسيل وتيار لاديني يمثله هيدجر وسارتر . ولكنهما لا يختلفان ـ جوهريا ـ من حيث الموضوع العام للفلسفة الوجودية ، أو من حيث المنهج الوجدانى الاستبطانى العام .

والحقيقة أن وجودية عبدالرحمن بدوى ليست فى صورتها المذهبية العامة أو التفصيلية إلا تهميشا على مذاهب هؤلاء الفلاسفة الوجوديين وخاصة مذهب هيدجر وإن كانت هناك بعض الاجتهادات والإضافات الخاصة المتمثلة فى محاولته إقامة لوحة متسقة من المقولات الوجودية أو فى إبراز وتطوير مفهوم الزمن ومفهوم الفعل ، أو فى محاولته اكتشاف جذور للوجودية فى الفكر العربى الاسلامى



عبدالرحمن بدوى



سارتر كانت

ومن هنا جاء القول الوجودى المشهور : الوجود سابق على الماهية ، والمقصود بالوجود فى الوجودية هو الوجود الانسانى الحى ، فى مواجهة الوجود الموضوعى المادى الذى لا يعد عند هذه الفلسفة إلا مجرد أدوات للوجود الإنسانى .

والوجود الإنسانى الحى فى الوجودية ، ليس هو الوجود الإنسانى العام المجرد ، بل هو الوجود المتمثل فى



عبد الرحمن بدوي

القديم ، وخاصة فى التيارات الصوفية والاشراقية .

● فلسفته الوجودية

وتتجسد فلسفة عبدالرحمن بدوى الوجودية فى رسالته الجامعية الأولى "وهى بالفرنسية" وعنوانها "مشكلة الموت فى الفلسفة الوجودية" التى حصل بها على درجة الماجستير فى الفلسفة من كلية الآداب . جامعة فؤاد الأول "القاهرة اليوم" عام ١٩٤١ ، وفى رسالته الجامعية الثانية وعنوانها "الزمان الوجودى" التى حصل بها على درجة الدكتوراه من نفس الكلية والجامعة عام ١٩٤٣ .

فى رسالته الأولى حول الموت يبدأ بالتمييز بين الموت كإشكال والموت كمشكلة . هو اشكال من حيث إنه يحتوى على تناقضات وإمكانيات وأنحاء عديدة ، فهو نهاية للحياة ، وهو نهاية لتحقق إمكانيات ، هذا من ناحية عامة ، ولكنه فى الوقت نفسه إمكانية معلقة ، اى إمكانية لابد أن تقع ولكن لاسبيل إلى تحديد زمان وقوعها بشكل حاسم . وهو حدث يقع لكل الناس ، ولكنه كذلك حدث له خصوصيته فى حياة كل منا . فنحن جميعا سنموت ، ولكن الموت هو حدث شخصى لكل منا ، بهذه الأنحاء المختلفة يتمثل الموت كإشكال وجودى . على أن الموت يصبح مشكلة عندما يشعر المرء شعوراً قوياً حميما بهذا الاشكال . ولكن لا يتحقق إلا لمن هم على مرتبة عالية من الشعور بالشخصية ومرتبة عالية من التحضر ، ومن هنا يخلص عبدالرحمن بدوى إلى أن الشعور بالموت والتفكير فيه يعبر عن نهاية مرحلة حضارية وميلاد حضارة جديدة . وهو هنا يبدو متاثراً بشكل واضح بفلسفة الحضارة عند أشبنجلر . ويرى عبدالرحمن بدوى بعد ذلك أن إضعاف الشخصية يفضى إلى تشويه حقيقة الموت . ويرى أن هذا الإضعاف هو ثمرة حالتين هما : إفناء الشخصية فى روح كلية ، أو إفناؤها فى الناس ، وفى المجتمع لأن ذلك يفقد الموت طابعه الفردى الشخصى الذاتى . ويرى عبدالرحمن بدوى أن القول بالشخصية يفضى إلى القول بالحرية ، فلا شخصية بغير حرية ، ولا حرية بغير شخصية ، والحرية هى الاختيار ، وهى الإمكانية المفتوحة . وإذا كانت الشخصية تقتضى الحرية ، والموت يقتضى الشخصية ، فإن الموت يقتضى الحرية ومن هنا كانت صيحة نيتشه "مت فى الوقت المناسب" اى أختر الوقت المناسب لكى تموت إنها دعوة إلى الموت الإرادى أى حرية الموت .

ومن هذه المقدمات يأخذ عبدالرحمن بدوى فى الانتقال إلى سلسلة من الاستدلالات . فلما كان الموت يعنى الحرية ، فهو بالتالى يعنى الإمكانية ، ولما كانت الحرية كإمكانية تعنى إمكانية فعل الخير وإمكانية فعل الشر ، ارتبطت

الحريه بالضرورة بالخطيئة ، ومن هنا كذلك ارتبطت الخطيئة بالموت ، هذا الارتباط الذى تجسد فى أرقى درجاته - كما يقول - فى المسيحية . ومن هذا التسلسل الاستدلالى ينتهى إلى تحديد العناصر الثلاثة الضرورية فى مشكلة الموت وفى جانبها الذاتى وهى الشخصية والحرية والخطيئة . على أن هناك جانبا موضوعيا فى مشكلة الموت . فالوجود يقتضى بطبيعته التناهى أى الموت ، وبهذا يكون الموت - موضوعيا - عنصرا مكونا للوجود ، وجزءا من الحياة وليس مضادا لها . بل هو حالة من حالات الحياة تبدأ ببدايتها وتستمر معها حتى نهايتها .

وهناك فى فلسفة عبدالرحمن بدوى نوعان من الوجود ، الوجود الماهوى أو الإمكانى وهو الوجود الجوهرى ذاته الزاخر بالإمكانيات غير المتحققة بعد ، والوجود الواقعى أو ما يسميه عبدالرحمن بدوى بإسم "الآنية" وهو الوجود الذى انتقل إليه الوجود الماهوى بتحقق بعض إمكانياته . وهو وجود بين الأشياء أو وجود فى العالم . وهو بهذا يعد سقوطاً ، ليس بالمعنى الأخلاقى ، وانما بمعنى الحضور بين الأشياء ، وهو حضور يعبر عن تحقيق أمكانية وعدم تحقيق امكانيات أخرى ، وهو مايشير إلى نقص جوهرى فى هذا الوجود ، وهو نقص مستمر ، أى توافر إمكانيات غير متحققة باستمرار ، ومن بين هذه الإمكانيات ، إمكانية الموت الذى يعد إمكانية مطلقة من إمكانيات الوجود نفسه ، مما يجعل من الموت - كما سبق ان اشرنا - عنصرا جوهريا فى الوجود ، وبالتالى أساسا لمذهب فلسفى شامل يسعى للإجابة على العديد من القضايا والمشاكل النفسية والأخلاقية والمعرفية والدينية . وعبدالرحمن بدوى يقر بأن هذا المذهب الفلسفى الذى يستلهم أهم عناصره ودلالاته العامة من هيدجر ويسبرز ، لم يقم بناؤه بعد ، ولكنه يتطلع إلى من يحمل مسئولية إقامته ، ليكون تعبيرا عن نهاية الحضارة الاوروبية الراهنة ، وبزوغ حضارة جديدة .

● تحليل انتقال الوجود

وعبدالرحمن بدوى لا يعكف على إقامة هذا المذهب المؤسس على مشكلة الموت ، بل نراه ينتقل فى رسالته الثانية إلى مشكلة أخرى هى مشكلة الزمان الوجودى ، وإن وجدنا جذورها فى رسالته الاولى عن مشكلة الموت .

ذلك انه فى تحليله لانتقال الوجود الماهوى الإمكانى إلى الآنية المتحققة فى رسالته الأولى عن الموت ، يشير إلى الزمانية كصفة لعملية الانتقال هذه ، إذ هى تتضمن صفة الحضور بالتحقيق بين الأشياء ، وصفة الماضى بالنسبة للامكانيات التى تحققت ، وصفة المستقبل

كيركجور



جبريل مارسيل





عبدالرحمن بدوي

بالنسبة للإمكانيات التى لم تتحقق بعد . وهذا يدل ـ كما يقول ـ على أن الزمانية طابع جوهرى للوجود .

ورسالته فى "الزمان الوجودى" هى تأكيد وتطوير فى الحقيقة للمفاهيم الأساسية لرسالته الأولى وإن أصبح الزمان لا الموت هو محورها .

فالوجود الحقيقى عنده هو وجود الذات الفردية . أما الوجود الموضوعى خارج الذات فهو مجرد أدوات للذات . أما وجود الذات فهو وجود واع بذاته ، على علاقة حميمة متوترة مع ذاته . والذات تحقق ذاتها بممارسة الفعل ، وهذا ينقلها من حدود الإمكان إلى الواقع ، وفى هذا سقوط لها ـ كما سبق أن أشار فى مشكلة الموت ـ وهو سقوط ضرورى ، تحقق به الذات إمكانياتها .

وجوهر هذه الذات أنها مريدة وليست مفكرة ـ كما يزعم ديكارت ـ إن فعل الإرادة لا الفكر هو جوهر الذات . وهذا الفعل مرادف للحرية ، ولهذا فإن الذات والإرادة والحرية معان متشابكة . والحرية ـ كما رأينا فى "مشكلة الموت" تقتضى الاختيار ، والاختيار يقع بين ممكنات .

وبهذا الاختيار تتحول الذات من حال الحرية إلى حال الضرورة ، أى تصبح الإمكانية وجودا فى العالم . وهكذا يصبح للذات وجودان :

وجود كذات مريدة حرة ، مفعمة بالإمكانيات التى لم تتحقق . وذات قد حققت بعض إمكانياتها . الوجود الاول هو الوجود الماهوى ـ كما سبق أن ذكرنا ـ ويتميز بالحرية المطلقة ، والوجود الثانى هو الوجود بين الاشياء فى العالم ، أو الوجود على هيئة الآنية . ويتناسب الشرف فى مرتبة الوجود ـ كما يقول عبدالرحمن بدوى ـ تناسبا عكسيا مع الاتصال بالغير او بالاشياء .

على أن انتقال الذات من حالة الإمكانية إلى حالة التحقق انما يتم فى الزمان ولهذا فالزمان حالة جوهرية للوجود المتحقق .

على أن الوجود بهذا المعنى ليس وجودا فى الزمان ، وإلا اتخذ الزمان شكل المكان ، أى أصبح إطاراً خارجيا للوجود ، إنما هو وجود زمانى أى أن الزمان يدخل فى ماهية الوجود نفسه . ويعتبر عبدالرحمن بدوى هذا الرأى الذى انتهى إليه ثورة لاتقل خطرا عن الثورة الكوبيرنيقية فى علم الفلك التى كانت ثورة معرفية "ابستمولوجية" ، على حين ان ثورته هذه هى ثورة فى علم الوجود .

ولهذا يأخذ فى نقد المذاهب الفلسفية والعلمية السابقة الخاصة بالزمان ، كمذهب كل من أرسطو وكانط وبرجسون فى الفلسفة ، ومذهب كل من نيوتن وانيشتاين فى الفيزياء ، وينتهى من هذا النقد إلى نتائج عامة نجملها فيما يلى : إن الزمان نوعان ، زمان فيزيائى وزمان ذاتى وهو مايسميه بالزمان الوجودى . وأن الزمان عامل جوهرى فى نسيج الوجود

ذاته ، ويقصد به هنا الوجود الذاتي . وهو يقسم هذا الوجود كما سبق أن ذكرنا إلى وجود ماهوى وآنية ، ويعتبر الحرية صفة أولى لوجود الذات ، إستنادا إلى مفهوم الإمكانية ، وأن التوتر هو الفكرة الاساسية التى ينبغى أن تسود كل نظرة وجودية أو أخلاقية ، وينتهى من كل هذا إلى أن العقل النظرى ليس هو الملكة الوحيدة التى يستطيع بها المرء أن يدرك حقيقة الوجود "الحى" فالفكر المجرد ينزع النفس ويعزلها عن تيار الوجود الحى - كما يقول - ولا سبيل للاتصال الحميم بهذا الوجود فى توتره إلا بملكة أخرى هى ملكة الوجدان .

وكما أن للعقل مقولاته ، فللوجدان كذلك مقولاته التى تتميز بالطابع الديالكتيكى المتوتر الجامع لما فى الوجود من إمكانيات متضادة متناقضة متقابلة فى نسيجه الحي . ولهذا يضع عبدالرحمن بدوى لوحة للمقولات الوجدانية الوجودية فى مقابل المقولات العقلية المجردة عند الفلاسفة السابقين وخاصة أرسطو وكانط . وهو يقسمها قسمين ، قسم خاص بالعاطفة وقسم خاص بالإدارة ويقسم كلا من عناصر القسمين إلى اقسام ثلاثة يتركب كل منها من المتقابلين ووحدة متوترة بين هذين المتقابلين . وهذه هى لوحة المقولات :

عاطفية

اصل :	تالم	حب	قلق
مقابل :	سرور	كراهية	طمانينة
حدة متوترة :	تالم سار	حب كاره	قلق مطمئن

إرادة

اصل .	خطر	طفرة	تعال
مقابل :	امان	مواصلة	تهابط
حدة متوترة :	خطر امن	طفرة متصلة	تعال متهابط

● الطابع الاصلى للوجود

ونكتفى بتفسير العلاقة بين ثلاثية واحدة عاطفية ، واخرى ارادة . فبالنسبة للثلاثية العاطفية الأولى يقول عبدالرحمن بدوى إن التالم يعنى أن شيئا يعوق ويحد من وجود الذات ومن رغبتها فى تحقيق ذاتها فى العالم . وهنا تتالم . وكلما ازداد الانسان رقيا - أى حصولا على امكانيات عديدة - زاد الما ، على عكس الانسان المتخلف المحدود الامكانيات الذى يكون المه اقل . ولما كان تحقيق الامكانيات هو الطابع الأصلى للوجود فأن التالم هو إذن الطابع الأصيل للوجود الذاتي . أما



عبد الرحمن بدوي

السرور فينجم عن الفعل وتحقيق الامكانية الذى هو تحقيق للذاتية ، ولكن هناك ما يجمع بين التألم والسرور ، مثل التضحية . فالتضحية تكون درجة عليا من التألم مرتبطة بدرجة عليا من السرور ، والاستشهاد أعلى درجات التضحية ، وفيه يتلقى الشهيد شهادته وجبينه ـ كما يقول عبدالرحمن بدوى ـ يعلوه "الأسف الباسم" .

وفى المقولات الارادية الأولى نجد الخطر والامان والخطر الآمن . والخطر يعبر عن مواجهة الارادة للعديد من الامكانيات ، دون أن تكون متيقنة بما ينبغى أن تحققه منها ، ولهذا ففعل المخاطرة هو أول افعال الارادة لأنه القفز ـ كما يقول عبدالرحمن بدوى ـ إلى تحقيق الوجود بواحدة من هذه الامكانيات المتعددة . وفعل المخاطرة فعل غير عقلانى ، يتم فى زمانية محددة هى "الآن" ، والآن حضور زمانى محدد ولكننا بتحقيق المخاطرة فيه نشعر بالسرمدية . ولهذا فأكثر المخاطرات التى تتحقق بها تحولات حاسمة فى مصائر الأمم .

على أن هذا الشعور بالسرمدية هو الذى يفجر الشعور بالأمان المقابل للخطر . ولما كان من المستحيل أن يكون هناك خطر خالص مطلق أو أمان خالص مطلق ، كان هناك دائما هذا التلاقى المتوتر بين الخطر والأمان فى الخطر الآمن الذى تحقق به الذات بعض إمكانياتها ، ولكن كيف يتم الانتقال بين مخاطرة وأخرى . ليس بالتواصل والاتصال ، وإنما بالطفرة . فالوجود عند عبدالرحمن بدوى يتكون من ذوات منفصلة مغلقة تماما . ولهذا فالذات تنتقل من حالة الامكان الى حالة التحقق أى الاتصال بالغير وبالواقع ، عن طريق الطفرة ، لأنه ليس بينها وبين الأغيار والواقع اتصال . ولكى يفسر عبدالرحمن بدوى الطفرة يقول بفكرتين أساسيتين هما : **اللامعقول واللاعلية** . فالعدم الذى قال به من قبل فى نسيج الوجود ، يناظره من الناحية الفكرية اللامعقول . أما اللاعلية او اللاسببية ، فقد أيدها وأثبتها العلم الحديث وخاصة ـ فى نظرية الكم الفيزيائية التى دحضت ـ بحسب التفسير الخاص ـ لعبد الرحمن بدوى ـ القول بالحتمية والعقلية فى بنية العلاقات بين الاشياء .

وإلى جانب اللامعقول واللاعلية يعرض عبدالرحمن بدوى للطبيعة الزمانية للمقولات العاطفية والارادية على سواء فالثالوث الأول فى المقولات العاطفية يكشف عن الماضى ، والثانى عن المستقبل والثالث عن الحاضر ، والثالوث الأول فى المقولات الإرادية يصف الحاضر والثانى يصف الماضى والثالث يصف المستقبل . وهكذا يؤكد أن الزمان يدخل فى نسيج مقولات الوجود .

هذه هى خلاصة مجتزأة لمقولات عبدالرحمن بدوى الوجودية بكلماته هو فى أغلب الأحيان المستمدة من موسوعته الفلسفية . وهذه المقولات ـ كما يقول ـ

تشكل اساسا لمنطق جديد هو منطق التوتر والفعل الخلاق فى مقابل المنطق الارسططالى الشكلى . وهو منطق التوتر لانه يدخل الزمان فى صميم مسائله ويعبر عن حقيقة الوجود الذى يزخر بالتناقض والتمزق والجمع بين الاضداد والذى يشكل العدم عنصراً جوهريا من عناصر تكوينه . وبهذه الخلاصة تتحدد وكذلك العناصر الجوهرية لفلسفة الزمان الوجودى ، التى تتمثل اساسا فى القول بأن الزمان متغلغل فى نسيج الوجود وأنه لاوجود خارج الزمان ، وأن الزمان نفسه زمان وجودى ذو طابع عاطفى إرادى .

وينتهى عبدالرحمن بدوى من تلخيصه للزمان الوجودى بأنها "الخطوط العامة" لمذهب فى الوجود جديد ، سنجعل مهمتنا فى الحياة تفصيل اجزائه" .

على أن عبدالرحمن بدوى لم يعكف ـ كما سبق ان ذكرنا ـ على إقامة مذهب فلسفى على أساس "مشكلة الموت" ، ولم يكرس كذلك مهمته فى الحياة لتفصيل اجزاء هذا "المذهب الوجودى الجديد" ، وإنما اتجه بكلمته إلى مجال الدراسات والتحقيقات والترجمات فى مجال الفلسفة بشكل عام ، والفلسفة العربية الاسلامية بشكل خاص .

حقا ، إننا نستطيع ان نتبين فلسفته الوجودية فى اختياره الخاص فيما يترجم أو فى عنايته بالجانب الصوفى والإشراقى والافلاطونى فى تراثنا الفلسفى القديم ، وفى الكثير من تعقيباته وتعليقاته وآرائه حول بعض جوانب هذا التراث . ولكننا لا نستطيع القول بأنه راح يبنى ويفصل وينمى مذهبه الفلسفى الذى بشر به كضرورة تاريخية فى رسالتيه عن "مشكلة الموت" وعن "الزمان الوجودى" .

فهل توقفت طاقته الإبداعية الفلسفية بعد الإنتهاء من رسالتيه ؟ أم كانت فلسفته الوجودية مجرد ثمرة ثقافية خالصة لقراءاته فى الفلسفة الالمانية ، وكانت منبتة الصلة بحياته وبواقعه السياسى والاجتماعى ـ كما يقول بعض الناقدين لفلسفته ـ ولهذا سرعان ما انتهت بانتهائه من رسالتيه ، وكانما كانت هاتان الرسالتان تاريخا اكاديميا متحمسا حيا لهذه الفلسفة ، اكثر من أن يكون تبنياً حقيقياً لها ؟ ! .

مسابقة « الهلال » للقصة القصيرة

الكوبون

اسم المتسابق : ....

عنوانه : ....

اسم القصة : ....

رقم مسلسل : ....
(خاص باللجنة)


جورباتشوف


فيلي برانت


خروشوف

البريسترويكا "

بقلم: عبد الرحمن شاكر

قال لي محدثي ، وهو دبلوماسي من المانيا الديمقراطية ، اي الشرقية ، (أمسك عن ذكر اسمه أو وظيفته حتى لا اسبب له مشاكل مع حكومته) .. قال : لقد اصبحنا نعتبر الشيوعية حلما بعيد المنال ، وكذلك الوحدة الألمانية .. وقال ايضا : ذلك لاننا كنا نربط بين الهدفين ، ونرى ان الوحدة بين دولتي المانيا يمكن أن تتحقق فقط حينما نصل إلى الشيوعية ! أما الوحدة حاليا فمن الذي يريدها ؟ ان الشرق والغرب كليهما يخشاها ، وشبح "الرايخ الألماني" الذي أشعل الحربين العالميتين خلال هذا القرن لم يفارق مخيلة المعسكرين بعد !

● وحينما سألته عن عشرات الألوف من شباب المانيا الشرقية ، الذين يفرون بكل الوسائل إلى المانيا الغربية قال : إن هؤلاء ضحايا الدعاية الغربية ، وخاصة التليفزيون الذى يعرض الكثير من السلع الاستهلاكية التى تتفنن المانيا الغربية فى انتاجها وتثير مخيلة الشباب .. ولكن معظمهم سوف يصدمون حينما يواجهون البطالة وأزمة الاسكان هناك ، بالنسبة لهم على الأقل .. وحول هذه


لينين


كارل ماركس


هتلر

والوحدة الألمانية

النقطة اختلفت الآراء والتعليقات والأنباء الصحفية ، فمن قائل : إن المانيا الغربية تعانى من فجوة فى الشباب من العمال بحيث ترحب بهؤلاء النازحين اليها .. ومن قائل إن العمال فى المانيا الغربية قد اظهروا الاستياء إزاء مجىء هؤلاء المنافسين الجدد من شرق المانيا ، بحيث يزحمون عليهم سوق العمل المحدودة ..

والتى يعانى بعضهم البطالة بالفعل لسبب ضيقها .. أما الموقف الرسمى للحكومة فى المانيا الغربية ، فهى إذ ترحب بالنازحين اليها من شرق المانيا باعتبار أن ذلك هجرة من المانيا إلى المانيا .. اى تعبيرا عن الوحدة بين شطرى الوطن ، فإنها تطلب ، أو تنصح "مواطنيها" فى شرق المانيا بأن يبقوا حيث هم ، ويحاولوا إدخال الاصلاحات السياسية والاقتصادية فى موطنهم بدلا من النزوح !

وأعود الى مصدر كلام الدبلوماسى الالمانى الشرقى عن التخلى حاليا عن حلم الوصول إلى الشيوعية ، فأقول ان ما يعنيه بذلك ليس هو وصول الحزب الشيوعى إلى الحكم . فهذا الحزب جالس ومتربع على دست الحكم فى المانيا الشرقية أربعة وعشرين قيراطا ـ كما يقال ـ منذ أربعين عاما ! ولكن ما يعنيه بالوصول الى الشيوعية ، هو الوصول الى درجة الوفرة الكاملة فى الانتاج ، بحيث لايكون هناك محتاج ولا معوز ، ليس ذلك فحسب ، بل لايكون هناك أيضا ، تفاوت فى الدخول ، حتى مابين العمل الذهنى والعمل اليدوى ، لأن الانتاج سوف يتيح للجميع الحصول على كل ما يحتاجون ، وما يرغبون ، فلا

يصبح للتفاوت معنى ولا مدلول .. وذلك ـ كما هو واضح ـ حلم بعيد المنال !

وإذا كانت ألمانيا الشرقية ، وهي أكثر أجزاء المعسكر الشرقي تقدما وازدهارا من الناحية الاقتصادية ، باعتراف الجميع ، أصدقائها وأعدائها على السواء ، في كلا المعسكرين .. تتخلى على هذا النحو عن حلم الوصول الى الشيوعية ، فان هذا الحلم قد تخلت عنه كل الأحزاب الشيوعية الحاكمة ، وخاصة في الاتحاد السوفييتي ، وذلك في عهد جورباتشوف الذي استبدل به حلما جديدا . وهو محاولة اللحاق بالثورة التكنولوجية التي تحققت في الغرب الرأسمالي بما فيه ألمانيا الغربية ، فضلا عن سائر غرب أوربا وأمريكا الشمالية واليابان ، ومن أجل هذه الغاية الجديدة ، أدخل جورباتشوف اصلاحاته ذات الدوى العالمي ، تحت اسم البريسترويكا أو إعادة البناء بما في ذلك السماح بقسط كبير من المساهمة في النشاط الاقتصادي للقطاع الخاص ، على نحو ما فعل لنين في العشرينات باسم السياسة الاقتصادية الجديدة لتنشيط الاقتصاد الذي تداعى بعد حروب التدخل ، التي فرض فيها ما يسمى بشيوعية الحرب ، وجزء من سياسة جورباتشوف أيضا هو ما أطلق عليه اسم "الجلاسنوست" أي المكاشفة والمصارحة ، التي تسمح بحرية النقد والتعبير ، بما في ذلك التعبير عما يطالب كثير من المتحمسين لها في الاتحاد السوفييتي ، من الوصول بالتغيير السياسي الى حد إقرار تعدد الأحزاب وإنهاء استئثار الحزب الشيوعي بالسلطة

وجزء من هذه السياسة أيضا هو محاولة الوصول الى تفاهم مع الغرب على وقف سباق التسلح ما بين المعسكرين الكبيرين ، من أجل انهاء خطر الحرب النووية من ناحية ، ومن ناحية أخرى توفير الموارد التي يستنزفها سباق التسلح من أجل التنمية الاقتصادية ، وزيادة احتمالات التعاون ما بين دول المعسكرين عن طريق المشروعات المشتركة بحيث يكسب الاتحاد السوفييتي استثمارات جديدة وتكنولوجيا أكثر تقدما ، ويكسب الغرب الرأسمالي سوقا جديدة هائلة لمنتجاته المتطورة ، وغير بعيد أن أرسل جورباتشوف رسالة إلى مؤتمر الدول الصناعية السبع الكبرى المنعقد أخيرا في باريس يعرض فيها اشراك بلاده في خططهم الاقتصادية ، وأرسل مندوبا الى الولايات المتحدة الامريكية يستطلع فيها أراء ساستها واقتصادييها في الطريقة المثلى لاقالة الاقتصاد السوفييتي من عثرته ! مما جعل الرئيس الامريكي جورج بوش يتغنى بدخول الدولتين العظميين في التعاون فيما بينهما ، تخطيا لعصر المنافسة والحرب الباردة ، ووصولا الى التفاهم المشترك حول المشكلات العالمية ، وفي مقدمتها مشكلات الأخطار التي تهدد البيئة ، فضلا عن المسببات السياسية للتوتر العالمي .

● ماقصرت عنه البريسترويكا :

غير أنه ـ رغم التغيرات الواسعة التي

شملتها "البريسترويكا" فى السياسة السوفييتية ، فإن موقفها من المسألة الألمانية ظل جامدا ، وفى كتاب جورباتشوف عن "البريسترويكا" ، يدافع عن استمرار وجود دولتين ألمانيتين منفصلتين . ومفهوم طبعا انه يصدر فى ذلك عن الأوضاع الاستراتيجية لكلا المعسكرين التى لايستطيع وحده المجازفة بتغييرها ، وإلا تصدى له العسكريون السوفييت على الأقل.!

ولكن المسألة لها وجه آخر سياسى ، فإذا كان التخلى عن حلم الشيوعية ، يحل محله بشكل منطقى التوجه نحو الاشتراكية الديمقراطية على نحو ما فعلت المجر أخيرا ، وبتحويل الحزب الشيوعى المجرى الى حزب اشتراكى ديمقراطى ، فالبريسترويكا لم تقصر فحسب فى توضيح ذلك من الناحية النظرية ، وإن كانت تقترب منه عمليا ، وإنما تجاهلت أيضا دعوة قديمة دعا اليها خروشوف فى المؤتمر العشرين للحزب البلشفى عام ١٩٥٦ ، وهى وحدة الحركة الاشتراكية العمالية ، باعادة توحيد جناحيها الرئيسيين ، وهما مجموعة الأحزاب الشيوعية ، والأحزاب الاشتراكية الديمقراطية فى الغرب .

وذلك بعد أن أقر خروشوف فى ذلك المؤتمر ، بأنه قد أصبح فى الامكان الوصول الى الاشتراكية بالوسائل البرلمانية فى بعض البلدان ، وخاصة ذات التقاليد الديمقراطية العريقة ، ولم يستطع خروشوف الوصول الى نتيجة تذكر فى تحقيق هذه الدعوة ، وذلك لقصور فى وجوه عدة من سياسته الاصلاحية ، ولقوة شوكة المتشددين "الستالينيين" فى حزبه فى ذلك الحين ، وقد نجحوا بالفعل فى الاطاحة به بعد ثمانى سنوات من تزعمه للحزب البلشفى . وليس قبل مجىء سلفه ، ويستخرج منه تلك الدعوة الهامة الى وحدة الحركة الاشتراكية العالمية ، فهى أكثر ما تكون اتساقا مع سياسته فى البريسترويكا . وإذا كان جورباتشوف يدعو على استحياء رفاقه فى شرق ألمانيا اتباع سياسة اصلاحية كالتى يتبعها هو فى بلاده ، فإن هذا الحديث يبدو وكأنه لامعنى له ، إذ لم يتطرق إلى احتمالات توحيد ألمانيا بشطريها بتوحيد الاشتراكيين على جانبيها .

● العلاقة بين الوحدتين :

لقد كان أسوأ قرار اتخذته حكومة هونيكر الألمانية الشرقية فى الأيام الأخيرة التى شهدت تدفق المهاجرين من شرق ألمانيا إلى غربها ، هو رفض مجىء وفد يمثل الحزب الاشتراكى الديمقراطى ، الألمانى الغربى الذى يتزعمه فيلى برانت الى برلين للتباحث مع حكومتها والحزب الشيوعى الحاكم فيها حول هذه المشكلة ، بدعوى أن ذلك تدخل فى الشئون الداخلية لجمهورية ألمانيا الديمقراطية ! رغم ان أجهزة الاعلام فى هذه الدولة الأخيرة كانت تعتز بالعلاقات الودية التى توطدت بين الحزبين فى الحقبة الماضية الأخيرة !

ولا مفر لى فى هذا الصدد من أن أشير الى رأى قديم سبق أن كتبته عام ١٩٦١ ، خلاصته أن نجاح الدعوة الى وحدة الأحزاب الشيوعية مع الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية على أساس

الاشتراكية الديمقراطية ، يمكن اذا تحقق ان تتم بمقتضاه الوحدة ما بين الحزب الشيوعى الحاكم فى شرق المانيا ، والحزب الاشتراكى الديمقراطى فى غربها ، وهو الحزب الذى يتداول الحكم فى المانيا الغربية مع الحزب الديمقراطى المسيحى . وقلت ان هذه الوحدة بين الحزبين لو تمت على اساس الاشتراكية الديمقراطية ، فمن المرجح جدا أن تكفل للاشتراكيين الأغلبية الدائمة فى سائر المانيا . وقلت إن مايحسبه السوفييت أو الشيوعيون عموما تضييعا لجزء من المعسكر الاشتراكى وهو المانيا الشرقية ، بالموافقة على توحيدها مع غرب المانيا بطريقة ديمقراطية ، يمكن أن يتحول إلى كسب المانيا كلها إلى الاشتراكية من خلال تلك الاغلبية المستقرة للاشتراكيين فى كلا الشطرين من المانيا ، ولاننسى فى هذا الصدد أن المانيا هى وطن كارل ماركس وفريدريك انجلز الفيلسوفين اللذين اوجدا الاشتراكية العلمية ، ولم يكن لنين وخلفاؤه الا تلامذة فى مدرستهما .

واذا كان لنين قد أوقع الانشقاق فى الحركة الاشتراكية العالمية لرفضه اتجاه الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية فى غرب أوربا ، الى السياسة الاصلاحية ، فقد كانت تلك السياسة هى الاوفق مع أوضاع بلادهم ، التى استقرت فيها الديمقراطية من قديم ، واتاح الازدهار الرأسمالى فيها ، مع جهود ونقابات العمال ، والأحزاب الاشتراكية الديمقراطية رفع مستوى العمال فيها بحيث لم يعودوا يحتاجون الى الثورة ، على العكس من الاوضاع الروسية ، التى كانت كلها تدعو الى الثورة سواء الاستبداد القيصرى ، أو التدنى الاقتصادى للشعوب الخاضعة للامبراطورية الروسية والاستغلال المكثف الذى كانت تعانيه تلك الشعوب .

اختلاف ظروف كل بلد عن الآخر هو الذى جعل الحزب الاشتراكى فى روسيا ثوريا على طريقة لنين ، ويحمل اسم الحزب الشيوعى ، بينما معظم بلدان غرب اوربا لم يكن عمالها ولا أحزابها الاشتراكية الديمقراطية بحاجة الى هذه الثورة ، أما المانيا فقد ترددت بعد الحرب العالمية الاولى ما بين الاصلاح والثورة ، وقامت فيها حكومة اشتراكية ديمقراطية بعد سقوط القيصرية فيها عام ١٩١٩ ، وهى التى كانت تعرف باسم جمهورية فيمار ، وحاول الشيوعيون الذين تأثروا بسياسة لنين ، بزعامة كارل ليبنخت ، وروزالوكسمبرج تحويلها الى جمهورية سوفييتية ، ولكنهما قتلا فى الطريق العام وفشلت تلك المحاولة الثورية التى فقدت مقوماتها الموضوعية ، وانتهت الأمور فى المانيا الى ظهور هتلر ، الذى أطلق على حزبه اسم "الحزب الاشتراكى الوطنى" ! ، وواضح أنه فى تلك التسمية كان يحاول تملق التراث الاشتراكى للشعب الألمانى ، رغم أن سياسته العنصرية الموالية للامبريالية كانت أبعد ما تكون عن روح الاشتراكية ، وإن كان قد استعار من الحزب الشيوعى السوفييتى فكرة الاستبداد باسم الاهداف الاجتماعية



جورج بوش



ستالين

وفكرة التنظيم الحديدى للحزب . وراح يردد كلمات لنين فى الزراية على الديمقراطية !

تلك صفحات من التاريخ آن ان تطوى ، وعلى الاشتراكيين فى شطرى المانيا ، أن يعيدوا ترتيب مواقعهم فى ظل الظروف الجديدة ، وسوف يكتشفون أن عناصر التقارب بين الفريقين ، اكثر بكثير من عناصر التباعد ، فمن الغريب أن يدور الحديث فى غرب أوربا عن الوحدة الأوربية ، ويدور الحديث على لسان جورباتشوف عن "البيت الأوربى المشترك" ـ أى الذى يضم شرق أوربا وغربها معا ـ ولايتحدث أحد من الفريقين عن وحدة "القاعة الألمانية" فى هذا البيت ! إلا إذا كان المعسكران بالفعل يخشيان هذه الوحدة كما تقدم فى أول المقال ، ويخشيان أن تتبع الوحدة ما بين شطرى المانيا ، الدعوة من جديد إلى سياسة "الانشولوسى" ، أى وحدة المتكلمين بالألمانية جميعا ، بما فى ذلك النمسا ، وأجزاء من تشيكوسلوفاكيا والمجر ، وبولندا ، التى انتزعت جزءا من شرق ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية بموجب معاهدة بوتسدام ، وهو المعروف باسم منطقة "الاودر ـ نيس" ، وإن كانت حكومة بولندا الحالية التى تتزعمها نقابة تضامن لاتبدى مبالاة بذلك ، بل تدافع عن الوحدة بين دولتى المانيا ! ولعلها تعتبر ان حصولها على مساعدات اقتصادية من المانيا الغربية أهم من الاحتفاظ بالأودر ـ نيس ، بل إن كل جزء من بولندا يلحق بالمانيا سوف يكون أفضل حاليا مما هو عليه الآن من واقع التدهور الاقتصادى الشنيع ! وغير بعيد ايضا أن يكون ذلك هو التفسير المعقول لمبادرة المجر ، التى اتعظ حزبها برأس الذئب ـ أو الحزب الطائر فى بولندا ، وقرر التحول الى الاشتراكية الديمقراطية على طريقة : بيدى لابيد نقابة تضامن ! اقول مبادرة المجر الى تسهيل عبور الألوف من سكان المانيا الشرقية ، الى غربها وتبعتها فى ذلك بولندا وتشيكوسلوفاكيا .

قد يكون المعسكران غير راغبين فى اعادة وحدة المانيا ، فما بال الالمان ، وانصاف الألمان فى شرق أوربا ؟!



ماعت ربة الصدق والحق والعدالة تفرد جناحيها رمزا للأمان فى حراسة قبر الملكة نفرتارى

القضاء..
فى البرديات المصرية القديمة

بقلم : د. سيد كريم

المصريون القدماء أول من ابتكر نظام القضاء والمحاكم
المرأة قاضية فى مصر الفرعونية

● ان عظمة مصر تتجلى فى تاريخ حضارتها ، قوام مدنيتها التى استمرت سبعة الاف عام ، عاشتها امة عظيمة موحدة ثابتة متكاملة تخطو دائما نحو التطور والارتقاء .

● فالمصرى القديم شق طريق الحضارة ، وعلى هذا الطريق وضع أول تجاربه الانسانية . وفى مسيرته الطويلة مهد مسالك الطريق وحدد معالمه . وفيه سارت بعده عدة شعوب مقتفية أثره وأخذت منه الكثير من معالم الحضارة التى يعيشها العالم الآن .

فى مقدمة تلك التجارب الانسانية تجارب الضمير السياسى التى أرست نظم حياة المجتمع بمختلف أبعاده ، بايجابياته وسلبياته بموجات من انحطاطه وبجذور مراحل اضمحلاله .

المصريون القدماء كانوا أول من وضع نظام القضاء والمحاكم فى تاريخ البشرية . ذلك النظام الذى ارتبط بعقيدة التوحيد وتشاريع السماء .

ان لايمانهم واعتقادهم بأن تلك التشاريع وما ارتبط بها من تعاليم واحكام وردت فى كتاب توحيد أوزوريس هى من عند الاله فلم يحاولوا تحريفها أو تغييرها أو تعديلها لقدسيتها . مما كان له الأثر الواضح فى الحفاظ على كيان المجتمع بحرمة القضاء ومكانته .

لذا فقد عرفت مصر نظام القضاء والمحاكم على اختلاف مستوياتها مع قيام الاسرة الاولى التى وحدت القطرين بتوحيد العقيدة . وقام الحكم على نظام المؤسسات المدنية التى يسيطر عليها الملك والمؤسسات الدينية والثقافية التى يشرف عليها المعبد - وفى مقدمتها السلطة القضائية - حتى يكون القضاء ومقدساته مستقلا عن السلطة المدنية .

كان القضاة يتخرجون فى المعاهد الدينية بالمعابد حيث يتلقون علوم المعرفة المقدسة والعقيدة ويحشرون أنفسهم لخدمة الاله والعدالة ولايسمح لهم بممارسة مهنة القضاء الا بعد حصولهم على أعلى الدرجات العلمية والدينية حتى

القضاء..

يصبحوا من « علماء المعبد المبجلين » قبل السماح لهم بالجلوس على المنصة المقدسة امام ميزان الحق والعدالة. ولضمان نزاهة القضاء ورسالته المقدسة عن الادارات المدنية والمالية بانواعها كان القضاة يتقاضون معاشهم بسخاء من خزائن المعبد حتى لايكون لاية هيئة اخرى سلطة او سلطان عليهم ضمانا لاستقلال القضاء ورسالته المقدسة.

كان الملك الذى يلقب « بنصف اله » تاكيدا لسلطانه يعتبر مسئولا امام الاله فى تنفيذ احكام المحاكم كما تحرم عليه العقيدة فى تغيير الاحكام التى يصدرها القاضى او ان يتدخل فى شئون القضاء، وقد وصلت الينا كثير من البرديات من الدولتين القديمة والحديثة تبين حدود سيطرة الملوك على احكام القضاء من اروعها بردية « رخمى رع » وزير ورئيس حكماء الملك تحتمس الثالث ردا على قرارات اعتمدها الملك لتغيير بعض احكام المحكمة بناء على التماسات خاصة رفعت للملك. تنص البردية التى ارسلها القاضى للملك.

« ليس للملك الحق فى إلغاء قانون بامر. فكلمة الملك يجب الا تعلو كلمة الاله » فاعتذر الملك تحتمس للمحكمة رسميا وطلب من المحكمة ان تعفو عنه بدلا من ان تعفو عن المتهمين.

كما وجدت بردية مماثلة رفعت للملك سنفرو (الدولة القديمة) بناء على ثلاثة التماسات رفعت للملك. فاصدر قرارا بشأنها ثم اعتذر بخطاب رسمى عن تدخله فى اختصاص الاله الذى يمثله القاضى الذى اصدر الاحكام.

ان نظام المحاكم واجراءات المحاكمة فى مختلف عصور التاريخ المصرى لم تختلف كثيرا فى عصر عنها فى عصر آخر. ففى الدولة القديمة ـ بعد توحيد القطرين ـ كان هناك محكمتان رئيسيتان ـ محكمة الشمال ذات الدوائر الستة ومحكمة الجنوب ذات الثلاثين عضوا. كان قاضى القضاة (سبختى) يمثل الكاهن الاكبر حامى مقدسات المعبد فى كل من معبدى « اون » فى الشمال وطيبة فى الجنوب، يرأس المحكمة العليا ومحكمة الدوائر، وكان مقره بهو « خا » العظيم وهو المكان الذى تحفظ به السجلات الخاصة بوثائق الملكية وعقود التمليك الخاصة بالعقارات والاراضى الزراعية وملفات الوصايا وسجلات الحدود ووثائق العقود الخاصة بالزواج والتحقيقات الشخصية وكافة المستندات الرسمية لكى يرجع اليها عندما تتطلب احدى القضايا ذلك. اما المحكمة العليا فيطلق عليها اسم « بيت العدل الكبير ».

وفى الدولة الحديثة تعددت المحاكم الفرعية والنوعية التى تخصص كل منها لكل نوع من القضايا المدنية والجنائية والشرعية والاملاك العقارية والزراعية والضرائب والاحوال الشخصية. وكان قاضى القضاة يرسل مندوبا يمثل المحكمة العليا ليشترك مع هيئة المحكمة النوعية المتخصصة او المحاكم الفرعية.

وكان تاليف الهيئة القضائية فى المحكمة العليا (التاو) يختلف تبعا لنوع القضية كما يدعى له اعضاء من خارج هيئة القضاء كما هو متبع فى نظام هيئة المحلفين.

لم يكن نظام المحاماة معروفا فى القضاء المصرى فكان القضاة يستمعون الى دعوى المدعى عليه وعند اصدار الحكم فى صالح احد المتخاصمين كان الطرف المحكوم عليه يطالب خصمه بقيمة اتعاب المحكمة ولم يكن هناك رسوم يدفعها المتقاضون مقدما عند رفع الدعوى . وكان المتقاضون يتولون الدفاع عن انفسهم وعن وجهة نظرهم ونقض التهم الموجهة اليهم امام المحكمة ، ويرى القضاة ان تلك الطريقة هى اقصر الطرق لمعرفة الحقيقة التى يعمل المحامون وشهود الزور على تضليلها .

ولم يظهر نظام المحاماة والوكلاء عن المدعين الا فى اوائل العصر الرومانى وكان يطلق على المحامى اسم الظهير او النصير .

كانت الاحكام تتبع نصوصا قانونية راسخة ومرتبة فى اربعين ملفا تكون على الدوام أمام القاضى عندما يجلس على منصة الحكم ولم يكن صدور الاحكام مبنيا على مطلق بل يرجع فيها القاضى الى الشرائع السماوية المبينة فى ملفات النصوص - التى وضعها الاله والتى تأمر بالعدل وانصاف البشر .

يصف المؤرخ ديودوريس علاقة الاحكام بالملفات المقدسة بقوله انه تبين من منظر لإحدى محاكم العدل فى الدولة القديمة وجود اربعة اخونة وضع على كل منها عشرة ملفات يختص كل خوان بنصوص مجموعة معينة من الاحكام ولاينطق القاضى بالحكم الا بعد الرجوع اليها حتى يتأكد ان حكمه لايجانبه الحق والعدل الذى امر به الاله وتضمنته النصوص .

كان للمحكمة رجال موثوق بهم يقومون



تمثال القاضى حمد جريك من الدولة القديمة يحمل صندوق تشاريع واحكام الكتاب المقدس الذى يحلف عليه اليمين هو والمتقاضون قبل بدء المحاكمة

القضاء..

بالعمل كمفتشين لتفقد شئون الشعب وتصرفات الحكام . وكان اولئك يتجولون فى الاقاليم لسماع الشكاوى العامة والاطمئنان على نشر العدالة والحق وخاصة فى العلاقة بين الحكام ورجال الحكومة والمواطنين وتمكين الناس من رفع قضاياهم ووصول شكواهم الى المحكمة .

كما عرف المصريون نظام الجمعيات المهنية التعاونية ويطلق عليها اسم « السارو والكنبتيو » التى يشرف على ادارتها الكتبة البارعون فى ادارة الجمعيات والملمون بمبادىء الشرائع والقوانين الادارية ويقومون بحل مشاكل العمال قبل تحويلها الى المحاكم .

يحمل هؤلاء الكتبة الذين يديرون شئون العمال فى الجمعيات شهادة من المعبد الذى يتخرجون منه تثبت معرفتهم **بالقانون الالهى** الذى وضع للانصاف بين الناس فى مختلف شئونهم الاجتماعية والاقتصادية والدينية والادبية . ويقومون بحل المشاكل والقضايا الداخلية بالتصالح والتراضى بدلا من انتقالها الى مختلف الهيئات القضائية ومحاكمها واطلق المصريون القدماء على تلك الاجراءات اسم « محكمة العائلة » .

نظرا للمركز السامى للقضاء فى الدولة كان بعض الملوك فى كلا الدولتين القديمة والحديثة يرسلون احد ابنائهم للدراسة بالمعابد للحصول على اعلى الدرجات العلمية فى المعرفة المقدسة والحكمة الالهية التى تؤهلهم للجلوس على كرسى القضاء من بينهم احد ابناء الملك سنفرو الذى اتم علومه هو نفسه بمعبد اون ، كذلك احد ابناء الملك اوناس وكثير غيرهم من ملوك الفراعنة والذين تقلد بعضهم اعلى مناصب القضاء .

تشير برديات القضاء بالدولة القديمة إلى وصول المرأة الى مراكز القضاء السامية فقد تقلدت الكاهنة « نفرايحى » رأسة محكمة ابيدوس للشئون الاجتماعية . كما ورد ذكر اشتراك المرأة فى اكثر من قضية ضمن هيئة المحلفين فى الدولة الحديثة والعصر المتأخر .

مما يؤكد استقلال القضاء وهيبته عن السلطات المدنية فى مصر القديمة ـ ان قضايا القصر الملكى كانت تخضع للمحاكم العامة ولم تكن هناك حصانة لرجال القصر او أمراء البيت المالك او كبار رجال الدولة وقد ورد ذلك فى اكثر من نص من نصوص القضاء . وكانوا فى كثير من الحالات يقدمون لساحة المحكمة كأى مواطن عادى . كما لم يسمح للمحكمة او اى من رجالها الانتقال الى مكان اقامة المتهم او المشكو فى حقه .

تضم برديات القضاء فى مختلف العصور الفرعونية الكثير من نماذج قضايا القصور منها على سبيل المثال المؤامرة التى دبرتها احدى نساء القصر فى عهد الملك رمسيس الثالث بالاشتراك مع بعض الامراء ورجال الحاشية والتى اصدر فيها كبير القضاة بالمحكمة العليا الحكم بالاعدام على بعض افراد العائلة المالكة والتى طلب فيها القاضى من المتهمين من رجال العرش ان يقوموا بتنفيذ الحكم بمعرفتهم وبايديهم اى

بالانتحار حفاظا على كرامة العرش .
هناك كثير من القضايا التى اقامها المواطنون ضد الملوك والحكام وانصفت به المحاكم المواطن الضعيف ضد الحاكم القوى ومن اروع تلك الامثلة قضية « الفلاح الفصيح.» الذى يصف فيها رجال الحكم والادارة بالظلم والتسيب وخيانة الامانة .

● **قوانين العقوبات والشرائع الالهية .**

يصف المؤرخ « كليمندس » مانص عليه القانون الجنائى المصرى القديم من عقوبات واحكام والتى وردت فى الملفات المقدسة والتى لايقل عددها فى ملف واحد عن مائة وخمسين حكما من بينها :

عقوبة الاعدام : تطبق فى مقدمتها على شاهد الزور ومن يقتل النفس بغير حق ومن يقتل المواليد او الاجنة بعد ان ينفخ فيها الاله الروح ، من يقتل وهو يحمل سوط فرعون كما تطبق عقوبة الاعدام حتى الفناء على الابن العاق الذى يقتل اباه او امه ، والفناء يقصد به ان يعدم حرقا على الاعشاب حتى لايتبقى من جسده شيء يدخل المقبرة .

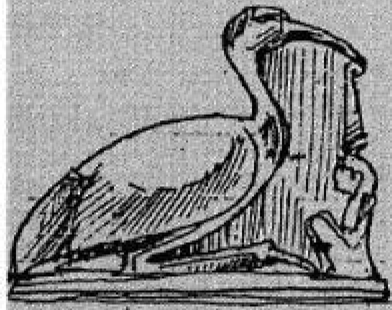
عقوبة قطع اليد : لمن يسرق مالا ليس له فيه حق . لمن يسرق مال اليتيم المؤتمن عليه . لمن يطفف فى الكيل والميزان . لمن يغش فى المعاملة او يزور المستندات . لمن تمتد يده للرشوة او المال الحرام . لمن يعتدى على حرمة القبور ويحاول سرقتها كما تصادر اموال السارق والمختلس لتعويض المجنى عليهم .

عقوبة الزنا : الجلد مائة مرة مع جدع انف الزاني والزانية .

عقوبة الاغتصاب : قطع عضو تناسل المعتدى .

الخيانةالوطنية : نقل المعلومات او الاسرار للعدو كانت عقوبتها قطع اللسان لما تتمن العقوبات على كل ماحرمه الاله فى كتاب العقيدة (كتاب الموتى) ونصوص الشريعة بكتب تحوت اوكتب المعرفة المقدسة . كذلك العقوبات والاحكام الواردة فى اسئلة القضاة بمحكمة الآخرة .

استمر نظام المحاكم والاحكام بغير تغيير جوهرى ظاهر من بدء العمل به فى الدولة القديمة حتى نهاية عصر الاسرات اى مالايقل عن خمسة الاف سنة (تقويم مانيتون) عندما انكمشت



خاتم الاحكام ويحمل صورة طائر الايبيس رمز الحكمة وريشة ماعت رمز العدالة والحق

القضاء..

سلطة القضاء في العصر الآغريقي الروماني عندما تدخلت السلطات المدنية في شئون السلطة الدينية التي تسيطر على القضاء وتحمي استقلاله وحرمته وقدسيته ، وذلك عندما اعطى الحاكم الروماني لنفسه سلطة او وظيفة قاضي الاستئناف ـ وكان يلي الحاكم في منصب القضاء ثلاثة موظفين من الرومان ، كان هؤلاء الثلاثة يتحولون في البلاد اثناء زيارتهم للاقاليم يعملون كقضاة لاستئناف الأحكام ونقضها تبعا لاهوائهم .

كما قام الرومان لأول مرة في تاريخ القضاء المصري نظام المحاكم المختلطة التي يشترك فيها قضاة من الاغريق والرومان مع القضاة المصريين لنظر القضايا التي تخص الاجانب ـ كما ابعدوا رجال الدين عن منصة القضاء حتى يمكنهم ان يختاروا القضاة من العملاء الموالين لهم .

● الثورة على العدالة
.. ومذبحة القضاة

كان للعقيدة الفضل في ارساء دعائم القضاء في مصر القديمة ، تلك العقيدة التي وضعت اسس قوانين حياة المجتمع وتشاريع احكام قضائه التي نسبتها الى رسالات السماء . فاستمد منها القضاء كيانه وقدسيته وسلطانه . وكان للقضاء واستقراره دوره الفعال في بناء حضارة المجتمع وازدهارها عبر الاف السنين .

لم تكن هناك فرصة للنفوذ الى سلطة القضاء والاعتداء على حرمته الا بالاعتداء على العقيدة نفسها ورفع حصانتها عنه . وهو ما امكن تحقيقه عند قيام الثورة الشيوعية الاولى في التاريخ ـ في مصر الفرعونية عام ٢٢٨٠ ق . م في اعقاب الاسرة السادسة ـ اطلق عليها الفراعنة اسم « ثورة الرعاع » ووصفتها كتب التاريخ « بعصر الاضمحلال » لقد وضعت تلك الثورة مبادىء الشيوعية التي تبنتها ونادت بها ثورات العالم الحديث . في مقدمة الشعارات التي نادت بها الثورة تحرير الناس من قيود العقائد والاديان وعبادة اله السماء .

تشير احدى برديات منشورات الثورة الى الثورة على الاديان بقولها « الاله مات في السماء وانتهى وجوده بعد ان خلق الارض فليس له او لتعاليمه سلطان على البشر . فالتعاليم والقوانين يصدرها الحاكم الحي الذي يعيش في الارض وليس الحاكم الذي لا وجود له في السماء او في الارض » .

بدأت الثورة كما ورد وصفها في برديات كثير من الحكماء والكهنة بمنع العبادة وتخريب المعابد واغلاق المحاكم واعتقال القضاة .

ويصف الكاهن الحكيم « سنب حتب » الثورة على القضاة بقوله كره الحكام القوانين ـ اصبح كل لسان يحكم . وكل لسان يتكلم . تحولت الكلمات الى السنة من نار في قلب الانسان نار تحرق كل شيء .. تحرق الحق والعدالة .

صاح سادة الرعاع لتسقط العدالة ولامكان لماعت .

خرج المجرمون واللصوص ليجلسوا على منصة القضاء المقدسة وفتحت ابواب السجون ليدخلها القضاة الابرياء .

من كانوا يجلسون على الارض فى ظلمات السجون

جلسوا على المنصات العالية

ومن كان يجلس عاليا فى النور انتقل الى ظلام السجون .

ذبحوا العدالة قربانا لشياطين الشر فاشتعلت نيران الظلم لتلتهم كل شىء .



المصرى القديم اول من شق طريق الحضارة .. وعلى هذا الطريق

ويصف احد مؤرخى الثورة اضطهاد رجال الثورة للقضاة لاعتماد الثورة على الرعاع من اهل الثقة لا على المثقفين من اهل الخبرة والمعرفة - وفى مقدمتهم القضاة لانهم ينتمون الى طبقة المثقفين واهل المعرفة المقدسة المبجلين الذين عرفوا بقوة ايمانهم وكانت لهم مكانة مقدسة فى نظر الشعب ، لذا فقد وضعتهم الثورة فى قائمة الطبقات المميزة التى حللت دماؤهم وثرواتهم وحرموا من حقوقهم المدنية .

لقد استمرت معركة القضاء مايقرب من ٧٥ سنة تبادلت منصة القضاء ثلاثة اجيال من القضاة تعرضت المحاكم خلالها الى مختلف التجارب والاجتهادات . حتى عاد للقضاء مكانته وهيبته القديمة واحكامه وتشاريعه السماوية بعد ثورة التحرير . التى قادها امنحعت الاول فى الاسرة الثانية عشرة وجعل شعارها الايمان والعلم وعادت المحاكم فى تشاريعها ونظمها الاولى .

● القاضى وميزان العدالة فى برديات الحكمة وكتب الموتى

لقد حوت برديات الحكمة المقدسة التى تسجل اقوال الحكماء ونصوص كتب الموتى العديد من الحكم والنصائح والتعاليم المرتبطة بمسئولية القاضى الذى يمثل الاله الاعظم امام ميزان العدل فوق منصة القضاء المقدسة ومنها ماكانت تزين به قاعات المحاكم ودور العبادة منها على سبيل المثال بردية الحكيم « آنى » صاحب بردية كتاب الموتى ومحكمة العالم الآخر المشهورة ويقول فيها :

● ايها القاضى .. ان تصعدك مقدس انك تمثل الاله فى الارض الذى حلفت اليمين بين يديه لتحكم بين الناس ما امرك الاله به . انك تحاسب الناس على

القضاء..

اعمالهم فى الدنيا وهو سيحاسبك على اعمالك فى الآخرة . لاتنطق بغير الحق .. وزن نطقك بعقلك لا بقلبك قبل ان ينطق به لسانك . انك الميزان الذى تزن به اعمال الناس لتحاسبهم على اعمالهم . وهو الميزان الذى سيزن به الرب احكامك ليحاسبك عليها لسانك هو الميزان . وقلبك هو الثقل وشفتاك هما كفتاه .

لاتنطق بالحكم قبل ان تتاكد من سلامة الميزان ولاتنس ان عين الرب لاتغفل عن مراقبتك لاتنس ان تحلف اليمين . قبل ان تطلب ممن تحاكمه ان يحلف اليمين .

آني ١٨٠٠ ق . م

● ايها القاضي اياك ان تكون احكامك مبنية على رأى مطلق . بل ارجع فيها الى الشرائع المرسومة التى تأمر بالعدل وانصاف الناس التى وضعها الاله فالاله يأمر بالعدل والاحسان والانصاف ولايرضى بالظلم والانحراف عن الحق ولتبنى رايك فى البت فى الامور بالاسانيد والبراهين العادلة التى يبهج بها ضميرك .

رحمى رع

● ايها القاضى لاتجلس امام الميزان لتحكم بين الناس .. الا وكنت سليم القلب .. مطمئن النفس صحيح الجسد .. مستريح الضمير .

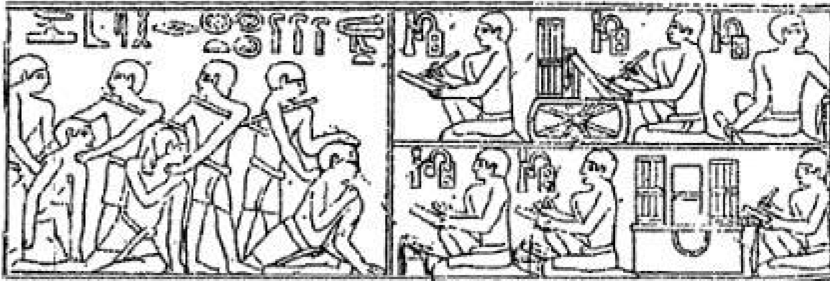
سنب حوتب ٢١٠٠ ق . م

● ايها القاضى .. انظر الى من تعرفه اكثر من نظرك إلى من لاتعرفه واستمع الى من لاتعرفه اكثر ممن تعرفه لاترد سائلا قبل استماعك الى شكواه كاملة استمع الى صوت المظلوم ولاتترك صوت غضبك يصم اذنيك عن سماع صوته . لاتنس ان همس المظلوم عند الاله اعلى صوتا .

ايبيور ٢٢٨٠ ق . م

● ايها القاضى : اياك ان تنطق بالحكم وانت مدفوع بكيد او غيظ ومايقربك من دوافع الظلم . لاتستمع الى صوت غضبك حتى لاتسقط ريشة ماعت من يدك ليحل محلها سوط فرعون

محكمة الضرائب فى الدولة الحديثة ١٨٥٠ ق . م المتهمون فى ساحة المحكمة امام القضاة وكتبة تسجيل الاحكام



فالاله يامرك ان تتخلى عن مكانك لمن هو القدر منك لتنفيذ تعاليمه حتى تترك الحكم للاله فتكسب رضاه ولايختل الميزان فى يدك .

الحكيم كاجمني ١٢٠٠ ق . م

● ايها القاضي . رحب بالاستماع الى من يتقدم بمظلمته . شجعه ليفضي إليك بما عنده ودعه ليفصح لك عما فى قلبه ان يشك فى وجهه واظهر العطف عليه يحملانه على قول الصدق والاعتراف بالحق ولو كان فى غير مصلحته ان من سمو الاخلاق وحسن التربية الاصغاء له فى حلم وسماحة وعطف ان الميل الى احد المتخاصمين رجس عند الاله .

برديات عنخ اى ١٨٥٠ ق . م

● ايها القاضي .. اذا جلست امام الميزان فالتزم بالحق المطلق بين الناس جميعا لافرق بين غنى وفقير . ومالك ومملوك لاتمالىء الاغنياء على حساب الفقراء ولا تمالىء الاقوياء على حساب الضعفاء لان الناس اذا ما اختصموا سواسية .

برديات طيبة ١٧٥٠ ق . م

● ايها القاضي : اذا جلست على منصة الحق ضع ميزان العدل امامك والق ظلال الظلم خلف ظهرك .

لاتمد يدك لتغير حركة كفتى الميزان بغير حق .. فعين ماعت تراقبك فمثقال الظلم الذى سيضعه بغير حق فى كفة الميزان سيحملها تحوت ليضعها فى ميزانك فى محكمة الاخرة .

سنب حوتب

كما وضعت برديات الحكمة المقدسة ليهتدى بها القاضي الذى يمثل الاله فى احكام الحياة فقد اشتملت نصوص العقيدة واحكامها وحكمها على الكثير من النصائح التى يختص بالشهادة منها

● لاتقل سمعت ولم تسمع بأذنيك ولاتقل رأيت ولم تر بعينيك ، ولاتقل علمت ولم تعلم بمعرفتك حتى لايكبل الزور شهادتك عند وضع قلبك فى الميزان .

فالميزان الذى ورد ذكره وصوره كتاب التوحيد المصرى القديم وهو يتصدر محكمة الاخرة اتخذه المصريون القدماء رمزا للقضاء وشعارا للمحاكم ودور العدل ... نقلته الحضارات الاغريقية والرومانية والاسيوية من مصر عبر السنين حتى اصبح رمزا للعدالة والمحاكم فى العالم اجمع الى يومنا هذا .



ميزان محكمة الآخرة : يوضع قلب المرء فى احدى كفتيه وريشة ماعت فى الكفة الاخرى

يحيى حقي

ستون عاما رائدا للقصة

بقلم: محمد روميش

رحلة كفاح طويلة قضاها الاديب الكبير يحيى حقي ، تمثلت في ثلاثين كتابا بخلاف الترجمات ، اشرف على اعداد ومراجعة عدد كبير منها الاستاذ فؤاد دوارة .

وليحيى حقي فضـــل على عظيم ، فقد عشت ، والحياة غضـــة ، مــع قنديله ، اتشرب صياغته ، وانتقاءه للكلمات ، وسبكها ، وتصــاريف الاقدار ، يصنعها لبطله ، وتصوير حركة الجموع ، جموع ميدان السيدة زينب العتيد .

وبهذه القصة ، قنديل ام هاشم ، اشتبك مباشرة مع مشاكل (النظرية) و (التطبيق) فهذا (الغرب) الــذى جاءنا غازيا بجيوش نابليون ، وقاومه علماء ازهرنـا الشريف ، وفي نفس الوقت ، اثار (الغــرب) اعجابهـــم بمكتشفاته العلمية ، ومنذ محمد علي ، في أول القرن التاسع عشر ، ابتداء من رفاعه الطهطـــاوى حتى توفيق الحكيم ولعله حتى اليوم ، والجــدل قائم ، ماذا نأخذ من هذا الغرب ، وماذا ندع ، وأخيرا ، قويت الصـيحة التي تنادى بأن ندير ظهرنا اليه ، ونلتفت الى بعض تراثنا ، ورغم ان يحيى حقي يرى في احاديثه المباشرة ان نلتفت الى التراث ، فانه في عمله الفني ، قنديل أم هاشم ، يقول لنا ، ماذا نأخذ ، وماذا ندع ...

هو ابن مخلص من ابناء المدرسة الحديثة في القصة المصرية القصيرة ، التي افرزها المجتمـــع المصرى بعد ثورة ١٩ ، وفي القصة القصيرة ، حاول ـ على مهل ـ ويروح فناني عصر النهضة ، خلال اكثر من نصف قرن ، أن يطلعنا على صــــورة لوجه الانسان ، وروحه ، ويكتشف ـ ونحن معه ـ عمق وتشعب حيــــاة الانسان النفسية وتشابكها ، وفي هذا المجال من الابداع ، قدم مجمــوعات قصصية ، قنديل ام هاشم ، ، دمــاء وطين ، أم العواجز ،عنتر وجوليبت ، ، الفراش الشاغر ، ، سارق الكحل ، .. لم يقف عند القصة القصيرة روحه الحرة الطليقة ، وحبه للناس ، الناس المساكين ، الغلبانين ، كما يقول هو ، قاده الى اكتشاف ، فن جديد ، اللوحة



لقطة من فيلم قنديل ام هاشم قصة يحيى حقى



يحيى حقى

القصصية ، وخلال هذا الفن الجديد ، عمق معرفتنا بالنفس البشرية ، وقدم « ناس فى الظل » ـ « عطر الاحباب » ولوحات حية فى رواية « صح النوم » ... فى قصة « البوسطجى » كان رائداً لشكل جديد من اشكال الكتابة القصصية ، اذ كان اول من استعمل طريقة « الفلاش باك » فبعد بداية القصة من حدث معين ، يعود القاص الى ما وراء هذا الحدث ويسترجع مافات فيكسر بذلك طريقة السرد الاستطرادى الممل .

● رؤية مبكرة ●

... وبرواية « صح النوم » ١٩٥٤ ، وفى الوقت الذى صمت فيه اغلب المبدعين ، يحاولون استكناه توجهات ثورة ١٩٥٢ ، قدم يحيى حقى رؤية مبكرة ، وفضلا عن اللوحات الانسانية ، التى قدمها لشخوص الرواية ، فانه قد حذر من انطلاق اجهزة الامن ، تكسر حصانة الفرد ، وحصانة المسكن ، ففى غياب الراوى ، يقتحم مسكنه ، وتحمل أوراقه الخاصة الى « الاستاذ » ... « عاشق اللغة » صفة تأخذ طريقها ، لتنتسب الى يحيى حقى ، دون مشاحة ، فهو مجاهد من مجاهدى اللغة العربية الفصيحة ، ويرى ان قواعد اللغة العربية للمساعدة على الفهم ، ولأن اللغة الصاح ومن واقع حرصه الشديد على أن تؤدى اللغة وظيفتها ، وان تتطور دائما ، يتبشق سماحه باستعمال كلمة عامية تحمل شحنة نفسية وادائية ، لا تحملها كلمة عربية فصيحة .

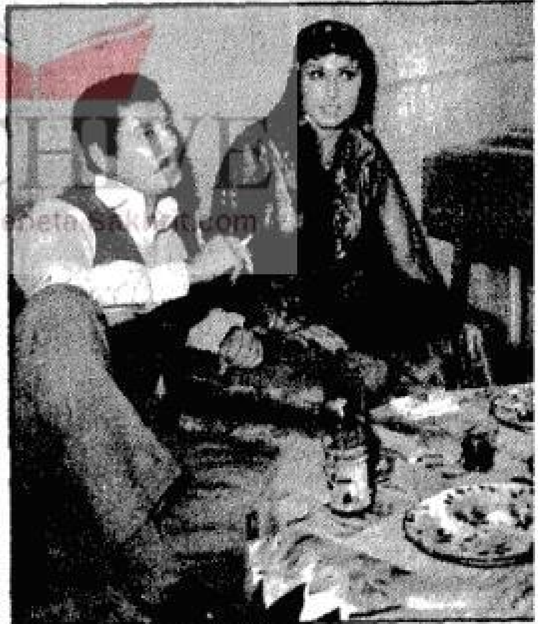
... له تجربة ، تجربة حياة ، وتجربة شكل ادبى ، ولعله يأسى احياناً الا يلتفت اليها ، كتب مقطوعات ، فيما عرف بعد ذلك بقصيدة الشعر المنثور ، وقصيدته الثورة ، اثنتان وثلاثون مقطوعة ، ولم اكن ادرى ، ان مقطوعة ناقصة ، لتكتمل مسبحة ثلاثة

وثلاثون حبة ، وان الحبة الغائبة ، هى فتاته النحيلة السمراء ، التى هجت منه وراحت ، لتتبدى فى قنديل أم هاشم تتمسح قضبان مقصورة الست ثم نراها فى رواية « صح النوم » روحا للقلة متوفزة ، حاملة لجسدها العذاب الابدى ، وكانها التناقض الحى بين الفن وملالة الحياة ٠

● عناية بعناصر الفن ●

٠٠ صاحب تجربة رائدة ، فى النقد الادبى الاجتماعى « انظر نقده لعودة الروح واهل الكهف سنة ١٩٣٤ ، ثم عاد فاولى اهتمامه بعناصر الفن وحده

لقطة من فيلم البوسطجي ليحيى حقى



وجوانب الجمال من لغة واداء وتكنيك ، وفى كتاباته يستعمل اصطلاح « المشكلات الروحية » محل « المشكلات الاجتماعية » انظر « خطوات فى النقد » و « انشودة البساطة » و « هذا الشعر » وقد اصل لفن القصة المصرية الحديثة فى ابنا ، بكتابه الرائد « فجر القصة المصرية » ٠٠ صاحب مدرسة افراد ، حين تولى رئاسة تحرير مجلة « المجلة » كانت مغلقة على الدراسات شبه الاكاديمية ، ومع محافظته على شعارها « سجل الثقافة الرفيعة » فتح صفحاتها للابداعات الجديدة ، وساهم فى التمكين لجيل جديد من الكتاب ، عرف فى تاريخ النقد الادبى بجيل الستينيات ٠

٠٠ اذا سعدنا بما عرف باصطلاح الفن الشعبى من غناء ورقص وموسيقى وسيرة ودراسات ، فالبذرة هنا عند يحيى حقى ، اذ بمصونة الدولة ، فى عهد الثورة اكتشف بجهوده مع نفر من الفنانين اعدهم ، هذا الفن الخصب الجميل « يراجع كتابة يا ليل يا عين » ٠

٠٠ اختار سنتين من حياته قضاها معاون ادارة فى منفلوط ، وكتبهما سيره ذاتية « كتابة خليها على الله » تقف مع « يوميات نائب فى الارياف » لتوفيق الحكيم ، « الايام » لطه حسين

٠٠٠ قال عن نفسه فى « اشجان عضو منتسب » ٠

« عالجت معظم فنون القول من قصة قصيرة ورواية ونقد ودراسة ادبية وسيرة ذاتية ومقال ادبى ، وترجمت عددا من القصص والمسرحيات ، ولكن تظل القصة القصيرة هى هواى الاول ٠ ■

شعرية البنفسج

بقلم : د. صلاح فضل

للشاعر حسن طلب ديوان مثير حديث بعنوان « سيرة البنفسج » ، وقد آثرت ان ابدأ به مقاربة نقدية لبعض نماذج مجموعة « إضاءة » ، وهم جماعة من شعراء الحداثة المصرية عرفوا طريقهم للنشر في السبعينيات فاخترقوا جدار اللامبالاة الرسمية والتمزق القومي بتجربة فريدة ، لا تعتمد على صياغة ايديولوجية مسبقة ، ولا ترتكز على تنظير نقدي لاحق ، بل ترتجل خطواتها في كثير من الجراة والجسارة ، محققة درجة عالية من الانجاز المتميز في جماليات القصيدة العربية بطريقة عفوية أصيلة ، وإن تباعدت بينهم بعد ذلك المصائر والسبل ، ولعل هذا التخالف الفردي الذي يجعل كلا منهم عالما مستقلا بذاته لا يجمعه مع الآخرين سوى إرادة الخروج على التيار الشعري السائد بشقيه المجدد والمحافظ هو السبب في ضعف تاثيرهم على الجيل اللاحق بهم في الثمانينيات ، بحيث لم يعد من الممكن ان نتحدث عن مدرسة شعرية بالمفهوم المنهجي الصحيح ، وإنما هي طرائق في معاناة الشعر ومعاينته في العصر العربي الحديث ، يجمعها حس مشترك بالتمايز ورغبة ملحة في تجديد « الموقف » الشعري .

وعندما نتأمل هذا الديوان الصغير الأنيق الذي يحقق فيه الشاعر قدرا كبيرا من الاتساق عبر وحدة الدال مع تعدد المدلول ، اي باتخاذ البنفسج منطلقا متماسكا في قصائد الديوان كرمز لغوي وكوني لجملة من التجارب الشخصية والقومية الحميمة يتكيء عليها في تجميع خيوطه وتكثيف صوره وتكوين عناصر شعريته ، فإن هذا يسمح لنا بأن نحاول اكتشاف ملامح

هذه الشعرية الخاصة .

● اختزال

ولعل أبرز هذه الملامح يتمثل فى نزوع واضح للاختزال على مستويات عديدة ، ومعايشة حميمة للصيغ التراثية القارة فى الوجدان العربى ، مما يضعنا أمام مفارقة أولى فى التجديد عبر القديم من ناحية واستحضار أوضح فواعله وإعادة تركيبها لتقديم التجربة الصامتة من ناحية أخرى ولنتتبع بعض مظاهر هذا الاختزال فى أولى قصائد الديوان حيث يقول : ـ

عن عنبى ردى خيلك
انى سوف بأكثرك أرد أقلك
وبهتانك .. منهلك
ويلى منك
ومنى ويلك

أحببتك حبا :

لوقد تحتك كان أقلك
أو لوقد فوقك كان أظلك
أو لو قد حولك
من لى بك .. بى من لك ؟

فالشاعر يختزل أفعال الكينونة « لو قد ـ كان ـ تحتك » أو « لو قد ـ كان ـ فوقك » أو « لوقد ـ كان ـ حولك » كما يختزل جواب الشرط الأخير ، فتدخل « قد » على الظرف مما يكسر نمط التعبير اللغوى المألوف ، لكنه لايخل بالدلالة ، إذ يقوم تكرار فعل الكينونة فى جواب الشرط بالافهام وجبر الكسر ، ويلغى الثرثرة التى لاطائل من ورائها ، يعود باللغة الى حالتها الاشارية الأولى ، فى إيجازها دون إلغازها ، فى إفهامها دون تمددها المادى الكثيف الى قدر من شعريتها فى الايماء واختزال التركيب الى أدنى حدوده ، وهذا هو نهج الصياغة القديمة على وجه التحديد إن هذا الشرط المبتسر كان جديرا بالشاعر القديم أن يقترفه فى كده المتواصل للنحت اللغوى المحكم ، لكنه يبدو كما لو كان مساحة غفلا فى هندسة التراكيب يكتشفها ليستثمرها الشاعر المحدث .

لكن هذا المظهر الأول للاختزال فى التركيب يكشف من ناحية أخرى عن ولع شديد بمعايشة الصيغ التراثية واستحضارها من مجالاتها الدينية والشعرية فرد الخيل عن الكروم ذات عطر صوفى ، والأكثر والاقل من عبارات الفلسفة ، والعنان والمنهل كلمات من شعرية التراث ، والويل عبارة قرآنية مهما تقلبت أعطافها ، وهى ذات تاريخ طويل فى صيغ الشعر القديم أيضا : « ويلى عليك وويلى منك





الشاعر حسن طلب

يارجل » أما المقطع التالى فكل كلماته تتنفس من خلايا التراث الحميم ، فالحب الذى يقل كالمركب أو يظل كالسحاب أو يلف الكون .. ليس موسوما بخاصية العصرية ، ولاينتمى بالضرورة ليومنا الأخير ، لايحمل سمة هذه اللحظة التاريخية التى نعيشها ، إنه حب « لازمانى » « ولا مكانى » يخرج من لغة الأمس ويظل مقتصرا فى حياته عليها ، إن تراثية الصيغة لاتجدل فى نسيج محدث لتصنع مفارقة كاشفة عن موقف جديد ، كما كان يفعل أمل دنقل مثلا فى صلواته الشهيرة ، ثم إن هذا التخالف فى ترتيب الكلمات فى البيت الأخير لايفضى لشىء ، إنه مجرد دليل على مهارة الصائغ واتقان ماكان يسمى فى النقد القديم بالسبك اللغوى ، لكنه يظل تفتيتا لجزئيات اللغة واعادة لرصفها ، تكوينا لأشكال فسيفسائية جديدة قديمة ، هل سمى قصيدته « فسيفساء » إدراكا لذلك ؟

هذه فى تقديرى المشكلة الرئيسية فى شعرية حسن طلب ، قدرة فائقة على النظم ، واتقان عظيم لتوافقات الايقاع الخارجي ، وامتلاك مدهش لناصية اللغة ، لكن الوعى بتغير المجتمع والعصر ، الحس العميق بالوضع الانسانى الجديد لا تسعفه الوسائل التقنية الجمالية التى استهلكها القدماء فى الاختزال والتقليب ، بل تصمت عنه صيغهم الأثيرة ، مالم توضع فى حالة تَحدٍّ واضح للبنية القديمة ، فتظل الدلالة مجرد تنويع على اللحن المأثور .. دون أن تقدر على استراق السمع لمنظومة الحياة الصاخبة الحديثة ، لأنها لم تتخذ أجهزة قادرة على ذلك فى التكوين الرمزى والتصويرى النابتين من التكوين اللغوى الأولى ، إن خمر

الشعر الجديدة لايمكن أن تصب فى دنان قديمة على عكس ماهو شائع ، بل لابد من هندسة جديدة لهذه الدنان تفيد من معطيات التقدم فى علوم الطبيعة والضوء والمادة والكيمياء لتفرز اشعاعها الذى لم يسبق من قبل ..

● تسمية البنفسج

يعيد الشاعر تسمية الأشياء والحالات كى يجعلنا نتعرف عليها من جديد ، يخلع عنها ما ألفناه من اوصاف كى يكسوها مرة أخرى فتتجلى امامنا ، فهو خالق دوال تعيد تكوين مدلولات ، ومن حقه حينئذ أن يصنع ماشاء بدون شرط ، لكنه فى نهاية الأمر يحدث فعله فينا ، يتم عمله علينا ، يهبنا نعمة هذه التسمية ، فان لم يقدر لم يتحقق الشعر ولم تتم الشعرية .

والبنفسج عند حسن طلب دال جديد ، ليس تلك الزهرة الشجية الباكية الحزينة فحسب ، ولا علاقة له بالحالة الرومانسية الأسيانة الخجول عند الشعراء السابقين ، إنه إكتشافه يكتب سيرتـه فى ديوان ، لكن المشكلة أنه يكاد يطلقه على كل شىء ، فتفقد التسمية فعاليتها المخصصة ، وتأثيرها الحقيقى ، فمنذ أطل علينا هذا الدال فى الديوان فى قصيدة « بنفسجة من مرسى مطروح » وهو مجرد وردة مثل كل الورود ، لكنها ذات طبيعة نورانية متراوحة ، ليس لها وجود حسى مائز ، ولا دلالة رمزية خاصة ، وعندما تصبح البنفسجية صفة تنعت بها القصيدة تمعن فى محاكاة المتصوفة الأقدمين ، إذ يحدث عنها الشاعر بقوله :

أسلمنى الطيف الى الحرف ..
فلذت بالاء الياء
كانت تتبرج فى مستويات الضوء الحى
وتاخذ زينتها من ابهة الماء

ومن ثم تقع فى فراغ عوالمهم وحرفية لغتهم .. إذ تبهرها ملاحة الكلمات وهى تتناسخ وينسلخ بعضها من بعض ..

ماكل حبيب أمسك بعد استرسال .. سال ..
وتساءلت لمن اشكو فى حلى او ترحالى .. حالى ..

حتى يفضى الحال بالشاعر الى لون من الحلول الكونى يصبح البنفسج رمزا لمزيجه من الألوان :

القمح العشب الروح المرج الزيتون الماء ..
وى لكان الكون ـ اللون تبرج ..
فاتحد الأزرق بالأحمر .. ثم توهج ..
صار بنفسج

وعلينا أن نضرب صفحا عن مناقشة ما أطلق عليه بنفسجة الجحيم وملأ به السطور المحيطة ببضعة ابيات عمودية بشكل بصرى مرهق من توافقات مكانية لكلمات غير متسقة ليعبر فيما يبدو عن انعدام التلاؤم والجمال .. فهذه مجرد حيلة أو تعويذة لاتنتمى بجدية لعالم الشعر الحقيقى .. إنها تعقيدات النظم والاعيب الرصف التى عزف عن مجاراتها الشاعر منذ أن اتخذ سمت الحداثة .. ورجوع حسن طلب اليها انتكاس لاميرر له ولا غناء فيه ، فحتى لو اعتبرنا ذلك لونا من العبث لما كانت له دلالة على عبثية حياتنا كما يعانيها كبار المبدعين الجادين ، وتسميتها بنفسجة إمعان فى هذا التفريغ الدلالى ، وتضخيم المشار اليه فيها حتى ليصبح هو الجحيم ذاته ، إنما هو من قبيل الصراخ المبحوح لفجيعة غير منظورة ، ولايعدو هذا الشكل فى نهاية الأمر أن يكون مجرد تقليد أجوف لتقليد ميت فقد ناره ، وحرارته بانتهاء عصره منذ أصبح الجحيم هو الآخرون فى فلسفة الوجود الحى وحس الفنان المعاصر ، لقد جفت فى يده بنفسجته وتناثرت أشلاؤها بددًا .. فإذا تتبعنا ماصنعه الشاعر بهذا الدال بعد ذلك وجدنا أنه يصر على إطلاقه على كل شىء .. فمرثيته مثلا للشاعر فوزى العنتيل يسميها بنفسجة الغياب ، فلا يزيد شيئا عن كلمة مرثية إلا اطلاق تسمية لافتة ومفرغة ، وقصيدة « بنفسجة الى لميس » تعنى غزلية ، فهى تكرار لكلمة قصيدة .. أما البنفسجة التى كتبها للوطن .. وقد أرخها الشاعر فى أكتوبر ١٩٨١ أى عقب حادث المنصة فى أغلب الظن فهى محيرة حقا ، لأنها تصر على اتخاذ السمت القرآنى ، لكنها تحفل بلون خاص من التناقض الداخلى الحميم ، إذ تستنفد طاقتها الشعرية فى كلمات مكبوتة متفجرة ـ كأن الشاعر يطلق بها رصاصاته :

وطن : وطن مستطاع ونهر مطيع ..
بلدة : بلدة عدة .. وقطيع جميع ..
وردة : وردة فردة وأريج أجيج ..
وماء فرات وماء خليج .. وكون مزيج ..
وردة : آه ما انت من وردة ..
بلدة ، هجدة ..
سجدة مدة وهجود وجود
ونفس مصلون .. نفس حجيج ..
وحزن بهيج ..

وليغفر لى الشاعر الاخلال المقصود بترتيب الابيات كتابة على الصفحة .. إذ اننى لا أقصد من ذلك ارجاعها وهذا الأسلوب فى النظم الى طريقة الكتابة الشعرية فى العصر المملوكى المتدهور .. ولا الاشارة الى قوة استثمار الطاقة الايحائية للقافية الداخلية والخارجية ، وإنما أرمى من وراء اعادة توزيع الكلمات الى اثارة الشعور الواضح لدى القارىء بالطابع الاسمى المفرط لهذه التراكيب ، فهى تخلو تماما من وجود الأفعال ، ومن ثم

فهى معادل لغوى مكثف لحالة الاستلاب الشامل التى يريد الشاعر أن يغرقنا فيها ، ولانستطيع ، ونحن نردد أبياتها أن نمنع أنفسنا من ترداد الموتيفة الأصلية « بلدة آمنة ورب غفور » لاحظ ختام القصيدة « رعدة رعدتان : الأمان الأمان » لتدرك أن ما انتهى اليه الفلاسفة المحدثون من التمييز بين نوعين من الوجود ، يعتمد أحدهما على التملك والآخر على التحقق والكينونة طبقا لمصطلح « إريك فروم » يمكن أن يشرح لنا البعد الدلالى لهذا التكوين اللغوى المسرف فى اسميته ، الخالى تماما من أى أثر للممارسة المتوازنة للفعل فى الحياة ، فهو يعزف عن الاشارة للواقع التاريخى بهزاته المثيرة المباشرة ، لكنه لايملك فى نيته اللغوية الا أن يعتبر تعبيرا مستقبلا عن حالة التشيؤ التى قرت فى وجدان الشاعر وحفزته الى الاستنجاد فى المستوى اللغوى بالصيغ القديمة واستثارة شكل التثنية الصرفى فى « سورة الرحمن » مما يعمق الحس الغيبى فى مواجهة الأحداث ويطمس امكانية الخروج من هذه الدائرة ، وأخيرا فان تسمية الوئام بالبنفسج فى القصيدة التالية « فى عروبة البنفسج » لاتقدمنا كثيرا فى الاكتشاف الشعرى الناضج لطرائق هذا الوئام ، ولا تزيد عما كانت تفعله قصيدة الهجاء فى الديوان القديم ، فعندما يقول الشاعر :

فى زمان التبرج ، والسكوت الذليل ..
يستطيع البنفسج ان يكون البديل ..
يستطيع البنفسج ان يستهل ..
ويصنع خبز الوفاق
يستطيع ـ اذا شاء ـ ان يستدل
ويجمع كل الملايين فى غمضة ومضة ..
فالبنفسج ضد الشقاق ..

ولانستطيع ان نتجرع هذا القدر من العقلانية فى تركيب شعرى ينمو الى اعادة صوغ رؤيتنا للكون ويجدد معرفتنا به إلا اذا تصورنا أن الشاعر قد قرر أن يطلق على الديمقراطية مثلا اسمه الجديد : البنفسج ، كى لاتصبح شعرية البنفسج هى شعرية التعمية .

● حوار الأشكال

لكن سعينا الى تثبيت المسميات خائب مثل سعى العشاق فى سيرة البنفسج ، لأنه لايلبث أن يأخذ صبغة ميتافيزيقية معلنة كالموت ، وصريحة كالباطل ، لايلبث هذا البنفسج أن يتشكل فى وجهين ، يصل أحدهما فى استطالته وشموله ، واحاطته بكل شىء

أن يكون مقابلا خداعا للحقائق الدينية او الذات الإلهية ، فهو ذو بعد كونى انطولوجى فى مرحلته الأولى ، وله طابع معرفى ابستمولوجى فى الثانية ، ويتمتع بأساس أكسيولوجى فى الثالثة ، وله سمة كوزمولوجية فى الرابعة ، وقوة ترنسندنتالية فى الخامسة ، وصفات فينومينولوجية فى السادسة وأيديولوجية فى السابعة حتى ليصبح كما يقول :

ولا يا بلائى
ستكشف أن البنفسج عنوان وعى
وإعلان رأى
وتأسيس منهج
....
ايها القارىء المنتمى
اقترب من دمى
وتجدد وجدد
فان البنفسج شك
يقين محك
وإن البنفسج نار منار
ونور شرار
ومبتدأ وختام ومسك ؟

أما الوجه الثانى فهو انقلاب على هذه الحركة ، إلحاد بها ، كتابة ضدها ، اكتشاف لزيف هذا المطلق ، وتعرية للوجه الآخر القبيح فيه ، انه الخطوة الثانية لجدلية الكون والوجود ، وعندئذ نشتبك مع مستوى آخر من حوار الأضداد يتجلى فى الشكل الشعرى إذ تبدأ القصيدة فى التمازج والتراوح بين ثلاثة اطر ، اولها الاطار الحر الكلاسيكى المعروف :

القلب معتم وانت لاتضىء
والليل ليل توأم ..
وكل شىء ذاهب ..
وانت لاتجىء ..

وثانيها الاطار المدور الذى يعد تطويرا وتنمية طويلة النفس لهذا الشكل الاول « زملونى زملونى ياخاصتى الاقربين ، واخشعوا مليا مليا في حضرة البنفسج اللعين ، ثم اتركونى كى اواجه الآنة بالآنة ، حتى إن اننت فاكتمل عليكم انينى وانضبطت اناتى ، فدعونى كى أرمز للالم بقلبى وللحزن بسحنتى وللخراب بذاتى » .

وثالثها : الاطار العمودى الذى يتراجع اليه النظم فى اللحظات التقريرية الخالية من التساؤل المفعمة بمرارة الخيبة واليقين السلبى الموحش :

طبيبك لايبشر بالشفاء ..
فداؤك يستحيل على الدواء ..
رآك وقد تعلق من أمام ..
بك الدنس المقيم ومن وراء ..
يعز عليك أن يبقى طهورا ..
رداؤك ، ويك قبح من رداء ..

وعندئذ يقوم هذا الحوار الجمالى بين الأطر الشعرية الثلاثة بالافصاح من جدلية موقف الشاعر المتراوح بين الايمان المطلق فى الحركة الأولى والرفض المطلق اليائس فى الثانية ، مما لابد أن يفضى به فى مسيرته الشعرية الى الحالة الثالثة الماثلة فى التجريب الكونى والشعرى والخبرة العميقة الفنية بالحياة واللغة .

في الذكرى المئوية لعميد الأدب العربي :

طه حسين مربيا

بقلم : د. سعيد اسماعيل على

في اكتوبر عام ١٩٧٣ ، سجل التاريخ "عبور" قواتنا المسلحة ..

وفي نفس التوقيت ، سجل التاريخ "رحيل" مفكرنا العظيم .. إنها لصدفة من تلك الصدف التي لايملك الانسان إلا أن يقول معها : "رب صدفة خير من ألف ميعاد" !!

فلم يكن "العبور" عبورا لحاجز مائي + حاجز ترابي "قناة السويس + خط بارليف" ، وانما كان عبورا من اليأس الى الأمل .. عبورا من الانكسار الى الانتصار

فكان المشيئة الالهية .. وقد طمأنت مفكرنا العظيم الى "عودة الروح" الى الأمة التي نذر نفسه لانهاضها ، أرادت أن ينتقل اليها لينضم إلى زمرة "الخالدين" .

وإذ يطل علينا اكتوبر ١٩٨٩ ، يصبح من الجحود الا يكون هناك حديث عن طه حسين ، لا لأنه فقط شهر "الرحيل" ، بل لأن المائة عام التي انقضت منذ ميلاده توشك ان تمضي وتزيد دون أن ينال الرجل ما يستحقه من الحديث ، على الأقل ، من الزاوية التي صال فيها وجال اكثر من اى مفكر آخر ، وبحث وتعمق اكثر من اى "فني" آخر !!



فقضية "التعليم" اذ تكون فى حقيقة الامر هى قضية "بناء الانسان" فتصبح فريضة "عين" بالنسبة لكل مفكر، إذا فهمنا "الفكر" بأنه "عصب" بناء الانسان . وفهمنا أن ما هو مفروض منه "اى الفكر" أن يكون "كلى" التناول "شامل" الرؤية .

ولقد رأينا لهذا . الجمهرة الكبرى من شوامخ المفكرين تجعل التعليم قضية أساسية ، بدءا من سقراط وافلاطون وارسطو ومرورا بالغزالى وابن سينا وابن خلدون وانتهاء بروسو ولوك ورسل . وهكذا فهم نفس المسألة مفكرونا الكبار فى عصرنا الحديث ابتداء من رفاعة الطهطاوى وعلى مبارك ومرورا بمحمد عبده وقاسم امين ، وانتهاء بلطفى السيد وطه حسين .

لكنك اذا حللت كتابات مفكرينا المعاصرين منذ منتصف القرن الحالى ، فلن تجد نفس الاهتمام ، بل قد لا تجده بأية صورة من الصور ، ربما لتسلط فكرة لاتمثل إلا جزءا من الحقيقة على أذهان المعاصرين . عندما ينظرون الى التعليم وكأنه عملية "تدريس" ومن ثم فهى تتصل بعملية فنية ضيقة تحتاج الى الحرفيين ولا ترقى أن تكون المسائل الكبرى الراقية التى تستحق الاهتمام من قبل "كبار" المفكرين !!

ومن ناحية أخرى ، فقد أدى هذا بالتكنوقراط "الفنيين" أن ينفردوا بالقضية ليحولوها بالفعل الى عمليات متعددة ، مهما اكتنفت من تفكير وبحوث ودراسات ، فإنما كى تصب جميعا فى مصب واحد هو محاولة الاجابة عن سؤال أساسى ووحيد وهو : كيف ندرس ؟ وبالتالى فقد غاب التعليم عن أن يكون قوة دافعة فى معركة النهوض القومى للأمة ، وعن أن يكون طاقة فعالة تعبر بالإنسان المصرى الآفاق .

ومن هنا يحتل طه حسين موقعه المتميز فى حركة تطور الفكر التربوى فى عقلنا

العربي . فلقد تناولها تناول المفكر المهموم بقضية بناء الامة . فنظر اليها على انها قضية "مركزية" ترتبط بها قضايا اخرى كثيرة من قضايا الثقافة مثل اللغة القومية ، ومنهج التفكير السائد وما ينبغي ان يكون ، والهوية الحضارية للامة ، وعلاقاتها الثقافية بغيرها من الثقافات والحضارات الاخرى .

على ان هذا التناول الكلى الفكرى الشامل ، لم يحل بين طه حسين وبين ان يتناول التعليم كذلك من حيث هو "احداث" و "وقائع" تحتاج الى تفاصيل والى الامساك بجزئيات لايكون الحديث عنها مقصودا لذاته بقدر دلالته على "الاصول" الكلية ، والاطر العامة .

ولقد درج كثيرون ممن تناولوا موقف طه حسين من المسالة التعليمية ، ان يقفوا عند حد تناوله لها من المنظور الحضارى الكلي ، حيث اصبح هناك "كم" لاباس به من البحوث والدراسات في هذا الشان حتى لقد حظى بثلاث رسائل ماجستير مرة واحدة في عدد من كليات التربية في مصر كان لنا حظ الاشراف على إحداها .

● رؤية كلية لمفكر كبير

من اجل هذا ، كانت عنايتنا في المقال الحالي ، بدراسة موقف طه حسين من عدد من "الاحداث" و "الوقائع" التعليمية ، لا نكوصا منا الى النظر "الجزئي" الى المسالة التعليمية ، وإنما حرص منا على إكمال الصورة التي رسمها الباحثون عن طه حسين كمفكر تربوى ، مع وعي بانها تصدر عن مبادىء ورؤية كلية لمفكر كبير .

وتناول الموقف التربوى لطه حسين ، يمكن ان يعتمد على مصادر ثلاثة :

● المصدر الاول هو ذلك العمل الفكرى الكبير الذى يعد بالفعل علامة على الطريق ، الا وهو "مستقبل الثقافة في مصر" فمهما كان الراى لنا في المنطلقات الاساسية لهذا العمل الكبير ، فإن احدا لايستطيع ان يجادل في انه يحمل مشروعا ثقافيا متكاملا ، ندر ان نرى له مثيلا في تاريخنا الثقافي لامن قبل ولا من بعد .

● المصدر الثاني ، هو هذا الكم الضخم من المقالات التي كتبها طه حسين في عديد من الصحف والمجلات عبر حياته الثقافية الطويلة . وهذه المقالات منها ما تناول المسائل الفكرية المتصلة بالتعليم ، ومنها ، وهو الاكثر فيما نظن ، كان يتابع به ما يوضح موقفه من الحركة الفعلية لواقع التعليم المصرى منذ العشرينات حتى الخمسينات .

● المصدر الثالث : هو الحياة العملية لطه حسين في قطاع التعليم . فلقد عاش معظم حياته استاذا جامعيا يعيش هموم الجامعة وحركتها الواقعية . وتقلد ايضا بعض مناصبها وكيلا وعميدا لكلية الآداب . كذلك فقد اشتغل بوزارة المعارف مستشارا ووزيرا فاتيحت له فرصة اتخاذ القرار مما له اثره الكبير على واقع التعليم المصرى .

ولانزعم في مقالنا الحالي اننا اعتمدنا على هذه المصادر مجتمعة ، فلذلك مقامه في غير هذا المكان ، وإنما كان اعتمادنا الاساسي على المصدر الثاني ، مما يقتضي من الجهد ومن الوقت ما قد تنوء به الطاقة الفردية في وقت قصير ، ولكن الله قد قيض لنا من كفانا جزءا غير يسير من الجهد المطلوب ، بذلك العمل الجليل الذى قام به الباحث الدءوب "محمد سيد كيلاني" ، حيث جمع في كتب اربعة : "حديث المساء" و "غرابيل" و "شارع قولة" و "تجديد" كما ضخما من مقالات طه حسين التي كتبها في قضايا ومسائل شتى ، كان منها بطبيعة الحال "التعليم" وان كان من



رفاعة الطهطاوى



على مبارك

الضرورى أن ننبه القارىء الى انها جميعا نشرت بصحيفة كوكب الشرق ، وفى فترة محددة تقع بين شهر مارس ١٩٣٣ وشهر سبتمبر من نفس العام . ان هذا التنويه مهم لانه يضع القارىء أمام صورة المسرح السياسى العام المواكب لهذه المقالات ، الا وهو وزارة اسماعيل صدقى فى اواخر عهدها ، مع ما ارتبط بهذه الفترة من صور قهر واستبداد جعلتها من الفترات حالكة السواد فى التاريخ المصرى الحديث كذلك ، فإن "كوكب الشرق" باعتبارها صحيفة وفدية تكمل صورة الاطار العلم ، فقد شهدت بداية ارتباط طه حسين بحزب الوفد ، بعد ان كانت جريدة "السياسة" لسان حال حزب الأحرار الدستوريين ، هى مكانه الأثير كقناة يعبر من خلالها عن افكاره سواء بالنسبة للتعليم أم بالنسبة لغيره من المجالات الأخرى .

ولعلنا نستطيع بعد ذلك ان نشير الى بعض القضايا التى ناقشها طه حسين لنرى كيف انه ، إذ يواكب الاحداث ، لم تتحول عيناه عن "المبادىء" الاساسية :

● استقلال الجامعة

ولايعنى القائلون بهذا المبدا الاساسى بأى حال من الأحوال استقلال الجامعة عن المجتمع لتنعزل فى برج عاجي لا شأن لها بمشكلات الناس وحياتهم الآنية والمستقبلية ، وإنما يعنى بها علاة أن تكون للجامعة إرادتها الحرة فى اختيار برامجها وفى تعيين اعضاء هيئة التدريس بها وفى كل شأن من شئونها ، دون تدخل من السلطة السياسية القائمة . فالجامعة ، اذ تمثل قمة الهرم التعليمى ، ويناط بها ان تخرج للمجتمع قياداته الفكرية والعملية ، لابد لها ان تملك من حرية الحركة والقدرة الذاتية على اتخاذ القرار ما يشيع فى مناخ الجامعة قيم الاعتماد على الذات والحرص على الكرامة الشخصية وحرية الفكر فى الاجتهاد والبحث .

ولسنا فى حاجة الى القول بأن طه حسين زعيم لاجدال فى زعامته لليبرالية الفكرية والحرية الاكاديمية ، مما جعله حريصا اشد مايكون الحرص على كل ما يمس استقلال الجامعة وعدوان السلطة السياسية عليها لتحقيق اغراض حزبية ضيقة مما نكبت به مصر فترة غير قصيرة من حياتها الحديثة وخاصة على ايدى احزاب الاقلية . وكيف لايكون طه حسين حريصا الحرص كله وهو نفسه من زعماء "الضحايا" ، إذا صح هذا التعبير ، فقد عزل من موقعه بكلية الآداب فى هذا العهد "الصدقى" لأنه لم يرضخ للجبروت السياسى القائم .

ومن المألوف فى تاريخنا التعليمى ، أن العدوان على الجامعة كان يخفى دائما تحت ستار علمي وقانوني ، كذبا وتدليسا ، وان شئت الدقة ، فقل جبنا من القائمين بالعدوان ، اذ لاتواتيهم الجراة على ان يسموا الأمور بأسمائها .

ويعبر طه حسين عن وعيه بالحقيقة بهذا الخصوص ليؤكد ان مسألة الجامعة فى مصر فى ذلك العهد ـ بل وفى كثير من العهود التالية ـ مسألة سياسية قبل أن

طه حسين مربيا

تكون علمية ، وهي لاتقوم على النظر الى العلم من حيث هو ، وإنما تقوم على النظر الى المنفعة السياسية للذين يشرفون على الأمور ، ومادامت المسألة سياسية ، فالأمر فيها واضح جلي ، لا لبس فيه ولا غموض ، فنحن نعلم انه قد كان هناك مذهبان في السياسة يتنازعان السلطان في مصر : احدهما مذهب الذين يحكمون الشعب للشعب – وما كان اندرهم – والآخر ، مذهب الذين يحكمون الشعب لانفسهم قبل كل شيء ، وبعد كل شيء ، وفوق كل شيء – وما كان اكثرهم – ولما كان الأمر قد صار بكل اسف الى هذا الصنف الثاني ، كان لابد ان يصرفوا امور الجامعة بما يلائم اهواءهم ومذهبهم ، لا بما يلائم مصلحة الجامعة واهلها .

ومثل هؤلاء ينظرون الى استقلال الجامعة على انه خطر جسيم يهدد سلطانهم ويقص من اجنحتهم ويقلم من اظافرهم ، ونتيجة لهذا لابد ان يبذلوا قصارى جهدهم لتفريغ الاستقلال من مضمونه الحقيقي لتظل لهم الهيمنة وتكون لهم اليد الطولى في شأنها فيسيرونها الى حيث يريدون ، لا الى حيث يريد الجامعيون انفسهم .

والحجة التي استندت اليها الوزارة الصدقية ، أن الجامعات الأوروبية ، اذا استمتعت بحظ عظيم من الاستقلال ، لا تستمتع به جامعاتنا ، فذلك لأن هذه الجامعات غنية ، لاتنفق عليها الحكومات ، ولا تستمد اموالها من ميزانية الدول ، ومن ثم لاينبغي للحكومات ان تبسط يدها عليها .

لكن طه حسين يسارع الى تفنيد هذه الحجة ، حيث يؤكد ان الزعم السابق غير صحيح إلا في بلاد الانجليز ، اما الجامعات الفرنسية ، فقد كانت تعتمد على اموال الدولة – الى جانب التبرعات الخاصة – ومع ذلك فقد حرص القوم هناك على استقلالها استنادا الى السنن والتقاليد ، والى فهم الحكومات هناك بحاجة العلم الصحيح الى الاستقلال ولسمو الجامعات فوق الاهواء والشهوات الحزبية .

ونضيف الى ماذهب اليه طه حسين ، اذا لم نرد ان نذهب بعيدا ، أن الجامعات الاسلامية الكبرى في عصور الازدهار الحضاري كالأزهر والزيتونة والقيروان والمستنصرية ، كانت تتمتع باستقلال واضح في شئونها المختلفة .

ويضيف طه حسين دليلا آخر يثبت به فساد الحجة "الحكومية" انه فات على القوم ان "القضاء" ينفق عليه من الخزانة العامة ، ومع ذلك فلم يتخذ هذا مبررا – بل يستحيل – لكي تظهر دعوى بضرورة هيمنة الحكومة عليه ، واستقر في الأعراف ان القضاء لابد أن يكون مستقلا .

لكن طه حسين لا يغفل عن حقيقة ان الجامعة باعتبارها معهدا من معاهد الدولة ، لابد ان يشرف عليه البرلمان ، والوزراء هم اداة البرلمان في الاشراف على اعمال الدولة ومصالحها ، فقد جعل وزير المعارف رئيسا اعلى للجامعة يتكلم باسمها في مجلس الوزراء ، ويتكلم باسمها في مجلسي البرلمان "الشيوخ والنواب" وقد


قاسم امين


لطفي السيد

خطر للجامعة في يوم من الأيام في ايام العز" أن تتخذ للوزير مكتبا في دارها حتى لاتذهب أعمال الجامعة الى ديوان الوزارة . فالفكرة اذن كما نرى وكما يرى الدكتور طه حسين كانت فكرة عملية ، تقوم على حقيقة واقعة ، وهي ان وزارة المعارف أعجز من ان تفهم المسائل الجامعية واضيق عقلا من ان تصرفها ، فكان يجب ان تقطع الصلة بينها وبين الوزارة ، وان تكون الصلة بين الجامعة وشخص الوزير .

هذه الفكرة اذا كانت فكرة يسيرة سهلة لاغبار عليها ولا عسر فيها ، ولكنها لم تكد تنتقل من الجامعة حتى عجز غير الجامعيين عن فهمها ، فالغوا معناها واحتفظوا بألفاظها ، وتمثل هذا في تعديل في قانون الجامعة جعل راى مجلس الجامعة استشاريا في نقل الجامعيين ، مع ان هذا المجلس كان يتكون من عشرين عضوا ، منهم وكيلان من وكلاء الوزارات ، وخمسة تعينهم الحكومة ، واربعة من عمداء الكليات واربعة من وكلائهم ، واربعة من اساتذة الكليات ذوى الكراسي ، ويسخر طه حسين من هذا التعديل : "هذا المجلس كله لايمكن ان يؤتمن على مصالح الجامعة ، فلابد من إشراف الوزير عليه هذا المجلس كله لايمكن ان يأمن من محاباة الجامعيين ، فلابد من إشراف الوزير عليه هذا المجلس كله قاصر محتاج الى الوصاية ، فلابد من إشراف الوزير عليه" .

وقد كانت الكثرة العظيمة في مجلس الجامعة حسب القانون الذى صدر من قبل هذا العهد تتألف من الجامعيين ، فقد كان لكل كلية فيه ثلاث : هم العميد وعضوان ينتخبهما مجلس الكلية انتخابا حرا لايتقيد بشرط ، فكان عدد الجامعيين في المجلس اثنى عشر عضوا ، يضاف اليهم المدير وهو جامعي ، او ينبغي ان يكون جامعيا على اية حال ، فكان للجامعة ثلثا أعضاء المجلس ، وكان هذا المجلس يقضى في أمور الجامعة كلها ، لا راد لقضائه في كثير من الأشياء ، وللوزير حق الاعتراض في بعضها ، ولم يكن للوزير على كل حال أن ينفرد بالقضاء في امر من امور الجامعة .

اما في عهد وزارة إسماعيل صدقي حيث كان حلمي عيسى هو وزير المعارف ، فلم يتغير عدد الجامعيين في المجلس ظاهرا ، ولكنه في حقيقة الامر قد اصابه تغيير خطير ، فقد اصبح وكيل العميد عضوا في المجلس بحكم منصبه ، وقد اخذ الوزير لنفسه حق تعيين الوكيل ، فاصبح خاضعا للوزير خضوعا مباشرا ، واصبح عضوا في المجلس بالتعيين ، لا بالانتخاب ، واصبح العضو الآخر الذى يمثل الكلية مع العميد والوكيل في المجلس ، يشترط فيه ان يكون استاذا ذا كرسي ، وان يؤخذ في المجلس حسب الاقدمية ، فهو ايضا عضو معين . ومعنى هذا ان اساتذة الجامعة قد حرموا حق الانتخاب لمجلس الجامعة ، او ضيق عليهم فيه .

فالفكرة السياسية التي اشرفت على تعديل قانون الجامعة ، وهي ان الانتخاب سلاح خطر ، يجب الا يوضع في ايدى المصريين إلا بحساب ، وفي ظل مراقبة شديدة ، لأن المصريين ، سواء منهم العلماء وعامة الشعب اطفال لم يبلغوا سن الرشد بعد ، فيجب ان تقوم الحكومة منهم مقام الموصى !!

ولم يقف الأمر عند تاليف المجلس بالقياس الى الجامعيين ، بل تجاوزه الى اختصاص هذا المجلس وتصرفه في امور الجامعة ، وكان هنا موضع الخطر السياسي المنكر الذى يفقد الجامعة كل قيمة علمية .

ذلك أن هذا المجلس كان يؤلف مجلسين ، أحدهما جامعي مقيد ، والآخر حكومي مطلق . فاما الأول فهو المجلس الذى أشرنا اليه آنفا ، وهو يقضى في الأمور التعليمية الخاصة كبرامج الدرس

طه حسين مربيا

ونظم الامتحان . وانضاؤه خاضع لسلطان الوزير . فإذا جد الجد ، وكانت المسائل التى تحتاج فيها الجامعة الى الحرية والاستقلال . جاء المجلس الثلثى ، وهو يتألف من موظفين ، سبعة تختارهم الحكومة ، يضاف اليهم مدير الجامعة الذى تعينه الحكومة ، ويضاف اليهم عمداء الكليات الذين يعينهم الوزير ، والذين يؤجرون على قيامهم بعمل العميد ، فأما وكلاء الكليات الذين يعينهم الوزير ولكنهم لايؤجرون على وكالتهم ، وأما الأعضاء الآخرون الذين يصلون إلى المجلس بحكم كراسيهم ، فاولئك وهؤلاء يقصون عن المجلس حين يعرض للمسائل ذات الخطر ، وعلى هذا النحو كانت الحكومة تضمن ان تسير الأمور فى هذا المجلس على ماتشتهى لرايت أن السلطة الحقيقية فى الجامعة قد جعلت الى هذا المجلس الحكومى ؟ فالحكومة هى التى تقضى وحدها فى ميزانية الجامعة والحكومة هى التى تختار الاستاذ او تنقله او ترقيه او تؤدبه ، فالاستاذ خاضع فى حياته الجامعية كلها لسلطان الحكومة ، لاشىء يضمن له الحرية العلمية ، لاشىء يعصمه من باس الحكومة ، وبطشها ، فإذا استطاع مع هذا ان يكون حرا فى الراى فى البحث العلمى فويل له من سلطة الحكومة وتاديب الحكومة :

● التعليم الأزهرى

وكانت سنوات التكوين الأولى فى تعليم طه حسين فى معاهد الأزهر ، ومع ذلك فقد نال الأزهر منه صور نقد قاسية ، ربما لان عقليته المجددة وروحه الثائرة قد لمسا اكثر من غيرهما مقدار ما كان عليه الازهر من جمود ، ومقدار خطر هذا الجمود على



اسماعيل صدقى   الشيخ محمد عبده

نهضة الامة وتخلفها ، فمثل هذه الأمة التى ترتبط بالفكر الدينى ارتباطا وثيقا يصبح لمثل هذه المؤسسة اقوى الآثار واخطرها ، إن خيرا فخير وان شرا فشر .

وقد فسر طه حسين هذا وأرجعه الى امرين اثنين اساسيين :

الأول : ان الأزهر مصدر من مصادر الحياة العقلية فى الشرق الاسلامى . وهو اقدم هذه المصادر ، وكان اقواها واجلها خطرا الى عهد بعيد ، وسيظل مصدرا قويا جدا من مصادر الثقافة فى هذا الشرق .

الثانى : ان الطلاب الذين كانوا يقصدون اليه ويدرسون فيه ، كانوا لا يحصون بالمئات وإنما يحصون بالآلاف ، فهو من الناحية الأولى قوى اشد القوى لاتصاله بحياة المسلمين الدينية وتاثيره فى هذه الحياة واضطرار المسلمين الى أن يحيطوه ويرعوه ويحرصوا على ان يظل قويا عزيزا ماداموا حريصين على ان يظل كما يحبون له قويا عزيزا . وهو من الناحية الثانية بعيد الأثر فى حياة الأفراد والجماعات ، لان الطلاب الذين يقصدون اليه ويطلبون الاتصال به يخرجون من طبقات الامم الاسلامية كلها مهما تختلف وتتباين ثم يعودون الى بيئاتهم وقد اتموا الدرس او كادوا يتمونه فيؤثرون فى هذه البيئات تاثيرا يلائم مادرسوا وما تعلموا .

وعلى الرغم من هذا ، يلاحظ طه حسين اننا فى مصر لانعنى العناية الكافية بدراسة حاضر الازهر ومستقبله ، فى الوقت الذى يلاحظ فيه ان الأمر خلاف ذلك بالنسبة للاجانب ، والعناية المشار اليها هنا هى عناية الدرس والبحث والتحليل والمتابعة وهنا يشير مفكرنا الكبير الى فصول طوال كتبت عن مصر باللغة الفرنسية لمجلة فرنسية من مجلات المستشرقين الكبرى هى مجلة الدراسات الاسلامية التى يصدرها المستشرق لويس ماسينيون . كذلك اكد طه حسين انه لايكاد يصدر كتاب فى اوربا وامريكا عن حياتنا الادبية والدينية إلا وفيه الملم طويل او حتى قصير بموقف الأزهر من هذه الحياة ، مشاركا فيها تارة ومقاوما لها تارة اخرى ، وبما ينتظر ان يسلك الازهر من طريق فى المستقبل القريب ليصل بين حياته القديمة وبين الحياة الجديدة فى مصر خاصة وفى الشرق الاسلامى بوجه عام .

وينبهنا طه حسين الى حقيقة هامة يغفلها بعض الباحثين . وهى ان المصلحين فى مصر قد حاولوا ان يدعوا الازهر متخلفا وينهضوا بإنشاء المعاهد التى تلائم حاجات الناس ومصالحهم وتخضع فى سهولة ويسر للتطور الذى يخضعون له فانشئت دار العلوم فى القرن الماضى "١٨٧٢" ، وانشئت مدرسة القضاء الشرعى فى اول هذا القرن "١٩٠٧" ولكن ظروف الحياة المصرية واضطراب السياسة المصرية فى تلك الفترة ابت الا ان ترد الى الأزهر شيئا من القوة والنشاط وتمكنه من ان يدافع عن نفسه ومن ان يحاول النهوض بما يجب ان ينهض به من اعباء الحياة فى هذا العصر الحديث .

ولو ان الدولة نظرت الى الأزهر والازهريين منذ اول هذه النهضة كما نظرت الى غير الازهريين من ابناء مصر لاخذ الاصلاح الازهرى طريقة مستقيمة منتجة لاعوج فيها ولا التواء ، ولكن الدولة كانت تخاف من المحافظين فى الازهر فلم تكن تمس الازهر بالاصلاح إلا على اسراف فى الرفق والاحتياط . وكان للأزهر من الدولة وضع خاص قبل الحياة الدستورية يجعل سلطان الدولة عليه يسيرا ضئيلا ، فلم تستطع الحكومة ان تواجه اصلاح الازهر بما كان ينبغى من الحزم والنشاط .

لكن هذا النقد الرقيق الهادىء ، والذى لايتجه فى الحقيقة الى الازهر نفسه بقدر ما يتجه الى الدولة ، ينقلب فى مناسبة اخرى الى سخرية حادة ونقد لاذع الى مسئولى الازهر وعلى راسهم شيخه "المراغى" فى ذلك الوقت ، فقد قارن طه حسين بين زيارتين قام بهما الملك فؤاد لكل من الجامعة المصرية والازهر ، فإذا بالمنظمين لايتيحون الفرصة للجامعيين ان يعبروا بفكرهم عن موقفهم امام الملك ، بينما يتاح هذا للازهريين ، فضلا عما بذل من مظاهر اهتمام لزيارة الأزهر مما لم يحدث لزيارة الجامعة ، وتفسير مفكرنا هو:

- كان شيخ الأزهر اثيرا عند اولى الأمر ، ومدير الجامعة لم يكن مرغوبا فيه .

- تورط رجال الأزهر فى تاييد حكومة اسماعيل صدقى ، اما رجال الجامعة فقد ابوا ان يكونوا اداة لهذا الطاغية .

- رجال الازهر يريدون او يرضون ان يكونوا دعاة الى الرجوع ، وكان رجال الجامعة يريدون ان يكونوا رسل الرقى .

- رجال الازهر يجدون فى بسط سلطان الحكومة فى ذلك الوقت على الشعب . وكان رجال الجامعة لايفكرون فى حكومة ما ، وانما يريدون تحرير العقل و "تحرير العقل خطر" ، لانه وسيلة الحرية والديمقراطية ، واذن فيجب ان يخفت صوت الجامعة ، ويجب ان يرتفع صوت الأزهر " .

وترتفع نغمة النقد لشيخ الازهر بسبب الزيارة الملكية من زاوية اخرى ، فقد اراد

عدد من الازهريين أن ينتهزوا فرصة الزيارة ليقابلوا الملك يتظلون اليه بعض امورهم ، ولما كان مثل هؤلاء ليسوا من المجموعة التى اتفق عليها ، تقلت الانباء فى ذلك الوقت ان الشيخ انبأ ادارة الأمن العلم بان هؤلاء العلماء يريدون ان يكدروا صفو الزيارة الملكية ، فما كان من رجالها إلا ان قاموا بالهجوم عليهم ليلا فى منازلهم والقبض عليهم حيث السؤال والجواب والتحقيق ، ثم اطلاق سراحهم فى الصباح بعد ان اخذت عليهم العهود والمواثيق .

ويتساءل مفكرنا باستنكار شديد : "احدث هذا كله حقا"؟ وكان مصدره شيخ الاسلام ؟ وإذن فملاذا ترك الشيخ لغيره من السعاة والوشاة ، والذين يتربصون الدوائر بالناس ، ويدبرون لهم الكيد بالليل والنهار ؟ احدى اثنتين : اما ان يكون هذا قد حدث من الشيخ ، فلابد من سؤاله عنه ، واخذه به ، فإن شيوخ الاسلام لم ينصبوا ليروعوا الآمنين ويزعجوا المطمئنين ، ويقولوا فى الناس بغير الحق ، وانما ينبغى ان يكونوا رسل امن وسلام ، ودعاة هدوء وطمانينة ، وحراسا على الصدق والجد والاخلاص ، وان لم يكن هذا قد حدث ، فيجب ان يبين للناس ليعلم المسلمون ان الازهر برىء من ان يكون وكرا من اوكار الكيد ، ومكمنا من مكامن الساعين والواشين "

لكن طه حسين قد غلا فى نقده بالنسبة لمسالة اخرى ، فقد سعى الازهر فى تلك الفترة الى ان ينشىء لطلابه قسما سمى بالتخصص ، يتخصص فيه الازهريون فى فن التعليم ، حتى يمكنهم من ممارسة مهنة التعليم . ومن الملاحظ ان طه حسين كان دائم السخرية اذا كان موضوع المناقشة هو (فن التعليم) حيث كان يعتبره (ترفا) لاضرورة منه .

لقد كان طبيعيا مادام الازهر يدير معاهد تعليمية ، ان يهيىء لها معلمين يحسنون فن التعليم ، فضلا عن مساعدة وزارة المعارف فى مدها بمدرسى اللغة العربية والدين .

● التبشير

اذا كانت الجراة التى اتسمت بها مناقشات طه حسين لبعض المسائل ذات الصبغة الدينية قد اتاحت الفرصة لآخرين كي يحيطوا موقفه الديني بظلال من الشك ، فإن المطلع على كتاباته التى عبر من خلالها عن موقفه ازاء تصرفات كثير من المبشرين الذين جاءوا الى مصر فى اوائل الثلاثينات يلمس بكل وضوح كيف ان الرجل شن حملة شعواء على مثل هذه التصرفات التى شكلت تهديدا حقيقيا لما يمكن تسميته (بالامن الديني) فى البلاد ، بل ان بعض الاخوة الاقباط ، قد عبروا عن استيائهم الشديد من تصرفات المبشرين خاصة وانهم ، فى الوقت الذى سعوا فيه لتحويل عدد من ابناء المسلمين عن ديانتهم الى المسيحية ، اتجهوا كذلك لتحويل مذهب عدد من ابناء الاقباط المصريين الأرثوذكس الى مذاهب اخرى وفقا لما كانت عليه كل فئة منهم ، مما رجح ان الغرض الأصلى لمثل هؤلاء المبشرين ليس دينيا حقيقيا وانما هو يرتبط باهداف استعمارية ، وان تزيت بزى ديني .

بل ان طه حسين اخذ يندد بموقف الحكومة السلبي من بعض الاحداث التى تتصل بهذا الموضوع فى نفس الفترة مطالبا اياها بالحزم والحسم ذلك ان هؤلاء المبشرين مضوا فيما قصدوا اليه ، والحوا فيما عمدوا اليه من فساد ، وقصرت الحكومة او عجزت عن النهوض بواجبها فلم تحم دين المصريين ولا كرامتهم ولا

عزتهم القومية حتى انتهى الشر الى غايته وبلغ عدوان هؤلاء الناس اقصاه ، فإذا الصبيان يُنَصَّرون جهرة ، ويصرفون عن دينهم في وضح النهار ، واذا احكام القضاء تعطل وتعجز الحكومة عن انفاذها ، واذا اوامر الحكومة تهمل وتعجز الحكومة عن اخذ هؤلاء الناس باحترامها ، واذا ضروب الكيد للمصريين تكثر وتنتشر حتى تتناول كل شيء .

وسخر طه حسين من الاجانب الذين يثيرون الغبار حول المصريين لانهم يثورون على مثل هؤلاء الذين اتخذوا من دين المصريين موضوعا لفتنتهم ، فيدعون ان في مصر بغضا لهم وكان المطلوب من المصريين الا يحسوا شيئا من الكرامة والا ينكروا العدوان ويوهمون العالم اجمع بان المصريين لا يدعون لكل حريته في العقيدة ، وكان معنى الحرية عند هؤلاء ان يفتنونا عن ديننا ومذهبنا دون ان نحرك ساكنا ومعنى هذا كله ان المصريين يجب ان ينكروا انفسهم وينزلوا عن حقهم في الحياة الحرة ويرضوا بما قسم الله لهم من الذلة والخضوع .. لاينبغي لهم ان يشكوا او يتبرموا إن طغى الاجانب على مرافقهم ، واستاثروا من دونهم بالخير في بلادهم ، لان ذلك بغض للاجانب وكيد لهم ولاينبغي ان يسخطوا ولا ان يستعدوا الوزارة على المبشرين اذا اعتدى هؤلاء المبشرون على الأطفال في الدين والاخلاق والاعراض ، لان ذلك اغراء بالفتنة وتحريض عليها "

واثنى طه حسين على ما قام به الشيخ المراغى شيخ الأزهر ازاء هذه القضية حيث ارتفع بها عن ان تكون طائفية يختص بها فريق دون فريق وجعلها قضية مصرية خالصة تنهض بها مصر في وجه الاجنبي الذي يغزوها في ارضها ويعتدى على مرافقها وعقائدها

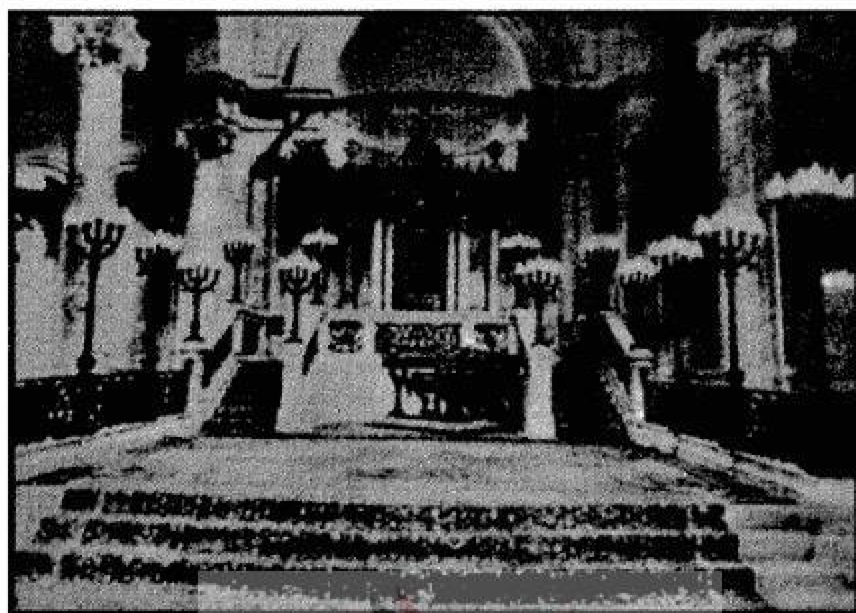
وهكـذا تجيء نظرة طـه حسين (العلمية) و (الفكرية) . فلم ينظر إلى مسالة اخراج بعض مدارس المبشرين لعدد من ابناء المسلمين عن دياناتهم على انها مسالة اعتداء على الاسلام وحده ، وانما هي مسالة اعتداء على الحرية الانسانية ، مسالة اعتداء على الحضارة ، فاذا كان التبشير مباحا او مستحسنا في البيئات الهمجية التي لم تاخذ بحظ من رقي ولم تنل نصيبا من الثقافة "كان من القبيح الممقوت ان يتخذ التبشير وسيلة الى محاربة حضارة قائمة لها مجدها ولها حظها الرفيع من الرقي ولها اثرها البعيد في تهذيب النفس" .

وندد طه حسين بموقف الحكومة البريطانية من المسالة حيث كان ـ كالعادة ـ اصطيادا في الماء العكر ، واخذوا يخرجون المسالة عن وضعها الطبيعي الذي هو سعي شعب اعتدى على عقيدته ويريد دفع هذا الاعتداء عن ابنائه ، وقال وزير خارجية بريطانيا في مجلس النواب ان قد اذن للمندوب السامي بان يتحدث الى الحكومة المصرية في مراقبة التبشير والمبشرين ومعنى ذلك انه قد اقام انجلترا مقام الكفيل بحقوق الاجانب المدافع عنها ، وابى على الحكومة المصرية ان تراقب المبشرين !!

ومن هنا فقد أكد طه حسين على الحكومة المصرية "ان تشرع ما تحتاج اليه من القوانين لمراقبة هؤلاء المبشرين وان تتفاوض في هذه القوانين مع الدول التي تستمتع بالامتيازات مفاوضة مباشرة ، لا وساطة فيها للانجليز" ، وبالطبع كان هذا قبل الغاء الامتيازات الاجنبية .

وبعد ...

إن مفكرا عملاقا مثل طه حسين يستحيل ان يغطى مقال ، فكره التربوى ، فمساحته واسعة ، والجدل حوله كثير ، مما يترك المساحة واسعة لمزيد من الكتابات على مر الأيام ..

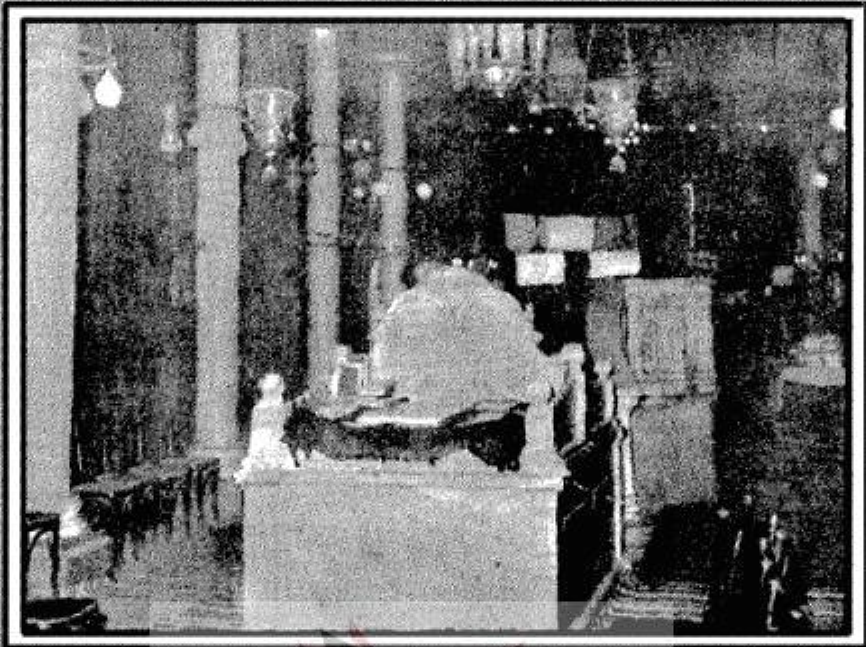


مدخل معبد الياهو حنابي ـ الإسكندرية

المحافل والمعابد

بقلم : عرفه عبده على

مازال الوجود الاجتماعي ليهود مصر بحاجة الى المعالجة التاريخية الدقيقة والشاملة ، للوقوف على كثير من الحقائق التي تكشف جوانب وسمات هذه الطائفة . واذا كانت مصر قد عرفت الاقلية اليهودية طوال تاريخها القديم والحديث ، فان التناول الموضوعي لتاريخ تلك الاقلية ، يدحض مزاعم المؤرخين الاسرائيليين ، الذين يكتبون تاريخهم بغير معزل عن الاهداف السياسية !



معبد بن عزرا من الداخل

اليهودية في مصر

وهناك اتفاق بين الباحثين فى تاريخ اليهود الحديث ، بأن اليهود قد عاشوا في مصر ـ قبل العدوان الثلاثي على مصر ـ عصرا ذهبيا ، تمتعوا فيه بكافة حقوق المواطنين ، كما وجدوا كل مساعدة لانشاء مؤسساتهم الدينية الخاصة ، الى جانب مؤسساتهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .. ومن الأهمية ان نعرض في إلمامة سريعة ، للتقسيم الطائفى لليهود :



« موسى قطاوى » ١٨٤٨ ـ ١٩٢٤ من أقطاب عائلة قطاوى ورئيس الطائفة الاسرائيلية بالقاهرة لمدة ٤٠ عاما .

انقسم اليهود الى طائفتين الربانيون (الحاخاميون) والقراءون . وكان الربانيون ينقسمون الى يهود سفارديم (الشرقيين) ويهود اشكنازيم (الغربيين) . وانقسم الربانيون ايضا الى طائفتين إحداهما فى القاهرة والاخرى فى الاسكندرية ، وكان لكل منهما حاخام اكبر ومجلس عام منتخب ، الا انهما قد اتحدتا عام ١٩٤٧ .

وكان القراءون اقلية صغيرة ، تخصصت بصناعة وتجارة الذهب ، وقد عاش معظمهم فى حارة اليهود ، قريبا من حى الصاغة بالقاهرة . وعلى الرغم من وجود حارة لليهود فى القاهرة فإن هذا لا يعنى انهم عاشوا فى "جيتو" مثلما عاشوا فى اوربا .

وقد كان للطائفة اليهودية بمصر ، مجلسها العام (الحاخامخانة الكبرى) يختص بالاحوال الشخصية لليهود كالزواج والطلاق والميراث ، وفقا لتقاليد وطقوس الديانة اليهودية ، طبقا للنظام الملى الذى انشىء فى العهد العثمانى . وقد استفادت الطائفة مما اقره الدستور المصرى ١٩٢٣ ، فيما يتعلق بمبدأ المساواة فى الحقوق الدينية والسياسية دون تمييز بسبب الجنس أو اللغة او الدين ، وكما كانت لهم حرية الراى والتعبير من خلال صحفهم المتعددة ، كانت لهم حرية ممارسة شعائر وتعاليم ديانتهم ، خاصة وقد لقوا كل المساندة من الحكومة المصرية ، بمنحهم الأراضى مجانا وتيسيرات البناء ، مما ساعد على انتشار المحافل والمعابد اليهودية فى القاهرة والاسكندرية وبعض مدن الدلتا .

وقد بلغ عدد المعابد اليهودية ـ حتى منتصف القرن العشرين ـ ٢٩ معبدا فى القاهرة وحدها ، ٢٠ معبدا وكنيسة فى الاسكندرية .

وبعد هذه المقدمة او المدخل ، نعرض سريعا لبعض محافل ومعابد الطائفة اليهودية فى مصر :

ـ ففى القاهرة تاسس اول محفل يهودى بمصر ، باسم "محفل ابن ميمون" Maimonide او محفل "راب موشى" Rab Moshe ، الذى افتتح فى ١٦ يناير ١٨٨٧ ، ومقره ١٥ درب محمود بحارة اليهود . وقد قام بتاسيسه عدد من اليهود الاشكنازيم من المهاجرين الروس والرومانيين والبولنديين .. وبه سرداب يؤدى الى ما يسمى "قاعة دراسات ابن ميمون" !

وقد قام هذا المحفل بمساهمة فعالة فى تعليم اليهود ، فانشا اول مدرسة يهودية فى مصر عام ١٨٩٢ باسم "مدرسة ابن ميمون" فى درب البرابرة ، كما كان له دوره الفعال فى مساعدة وايواء اليهود المهاجرين ، ويجدر بالذكر ان د . حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية قد اختير رئيسا شرفيا للمحفل عام ١٩٤٤

ـ محفل "بنى بريت" الذى اسسته

طائفة الربانيين السفارديم ، وافتتح فى ١١ ابريل ١٩١١ ، واول من تولى رئاسته - ايلى باروخ - والانضمام لهذا المحفل يخضع لاختبارات دقيقة ووفق شروط مشددة ، على رأسها الايمان الكامل بالمبادىء الصهيونية ! فكان من أخطر المحافل اليهودية نظرا لطبيعة تكوينه واهدافه الصهيونية .

- معبد "الاسماعيلية - شعارها شاميم" ومقره ١٧ ش عدلى بوسط القاهرة ، ويعد بتصميمه ونقوشه من أجمل وأروع المعابد اليهودية فى مصر ، وقد شيدته عائلة "موصيرى" عام ١٩٠٣ وقد قام بتجديده عام ١٩٨١ المليونير الصهيوني "نسيم جاعون" واتحاد السفارديم العالمى ، وهو من أهم مزارات السائحين الاسرائيليين حاليا ، حيث يؤدون فيه شعائرهم الدينية ، ويجدر بالذكر ان مكتبة هذا المحفل «Shaat Hashamyim» بما تضمه من مخطوطات اثرية وكتب نادرة ، كان معظمها نواة لمكتبة المركز الاكاديمى الاسرائيلى بالقاهرة ، والبعض الاخر تم تهريبه الى اسرائيل ، كما حدث بالنسبة لوثائق "الجنيزا" والتى تم الاستيلاء على الالاف منها ، من جدران معبد "بن عزرا" ومقابر اليهود بالبساتين ثم تهريبها بعد ذلك !

- معبد "بن عزرا - Ben Ezra" بحى مصر القديمة ، ويعد من أهم واقدم المعابد اليهودية بالقاهرة ، وقد قامت بعثة اسرائيلية برئاسة "مارك كوهين Mark Cohen" ببحث ودراسة وثائق الجنيزا والمخطوطات النادرة التى يضمها المعبد ، تحت اشراف المركز الاكاديمى الاسرائيلى .

- كنيس "نيفيه شالوم - Neveh Shalom" الذى شيد عام ١٨٩٠ ، ومقره فى ٩ ش المدارس بالسكاكينى ، وكان يسمى "الكنيسة الكبيرة" فمساحته اكبر من مساحة معبد الاسماعيلية ، وتحيط به حديقة غناء كبيرة ، واعمدته من المرمر



نسيم موصيرى
عميد عائلة موصيرى



والرخام الثمين ، وقد شيد على الطراز المعمارى "الفينيسى" .

- كنيس نسيم الاشكنازى ، الذى شيد عام ١٨٩٤ ، ومقره فى ٤ ش الكوة ، بالقرب من ميدان الظاهر بالقاهرة .

- كنيس "اسهيلم او حانان" ومقره فى ٣ ش غمرة ، وقد شيده ابراهيم يوسف حانان عميد عائلة "حانان" .

- كنيس الطائفة الاسرائيلية الاشكيناز ، الذى افتتح فى ١٩ مايو ١٩١٢ ، ومقره بشارع المنسى بحى الظاهر .

- كنيس عائلة موصيرى ، تاسس فى ١٩٠٥ ، ومقره ١٦ ش الصقالبة .

- كنيس الرابى "مئير بعل هانز" فى ش الصقالبة رقم ٢٠ .

- معبد "راب اسماعيل" او معبد الاسبان ، ومقره فى ١٣ ش الصقالبة ايضا .

- معبد "بلحاد اسحاق - Pahad Ishak" وشيده عام ١٩٣٢ ، زكى كرايم ،

السورى الأصل ومقره ٩ ش ابن خلدون بالسكاكينى .

ـ معبد "الأستاذ" او كنيس المصريين ، وكان مقره فى ٢ درب المصريين بحارة اليهود . ويزعم الباحثون الاسرائيليون بان هذا المعبد ـ وطوال اكثر من ٩٠٠ عام ـ كان شاهدا على تواصل الوجود اليهودى بمصر ، غير انه قد بيع وهدم عام ١٩٧٥ !

ـ معبد التركية ، ويقع فى ١٣ درب الكتب بحارة اليهود .

ـ المعبد البرتغالى : La synag ogue portugaise ، ومقره فى ٥ عطفة الفضة بحارة اليهود .

ـ كنيس "راب سمحام Rab Semham" ويعد اقدم معبد لليهود القرائين بمصر ، حيث شيد فى منتصف القرن الماضى ، فى عطفة اليهود القرائين بحارة اليهود .

ـ معبد "فيتالى مادجار ـ Vitali Madjar" ومقره ٣ ش المسلة بمصر الجديدة .

ـ معبد "مئير انابيم ـ M'eir' Enaim" ومقره ٥٥ ش ١٣ بضاحية المعادى . وقد عاش فيه المحامى اليهودى "يوسف سلامة" مع قرينته حتى وفاته فى سبتمبر ١٩٨١ .

ـ معبد "تلمود توراه ـ Talmud Torah" ومقره بعطفة الفضة بحارة اليهود .

ـ معبد "راب زيمرا ـ Rab Zimra" فى ٦ حوش الصوف من حارة اليهود .

ـ معبد "حاييم كابوتسى Rabbi Haim Capoussi" فى ٣ درب النصير .

هيكل محفل الياهو حنابى ـ الاسكندرية



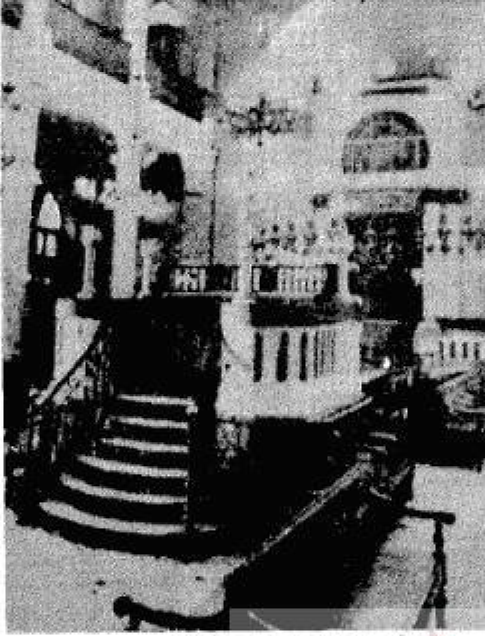
- كنيس "رابى شيمون باريوحاى - بحوش موصيرى ، هذا الى جانب بعض المعابد التى شيدت فى احواش عائلات "جـريـن" ، "مـزراحى" ، "قطـاوى" وغيرها .

معابد الاسكندرية :

- محفل "الياهو حنابى - Eliahou Hannabi" من اقدم معابد المدينة ، وقد ورد فى رحلة فولتيرا Voltera ان هذا المعبد قد شيد فى موقعه عام ١٣٥٤ . وكان نابليون بونابرت قد قصفه بالقنابل - إبان الحملة الفرنسية على مصر - بدعوى اقامة حاجز رملية لمدافعه بين حصن كوم الدكة والبحر . ولكن فى عام ١٨٥٠ وبتوجيه ومساهمة محمد على اعيد بناؤه مرة اخرى ، وفى عام ١٨٥٦ اضافت الطائفة الإسرائيلية بالاسكندرية قاعتين ومقاصير للسيدات . وفى عام ١٩٢٨ تاسس به قسم لمـوسيقـى الصلـوات تحـت ادارة البرتوحمصى ، وقد امتد نشاط الجوقة الموسيقية الى الاحتفاء بالاعياد اليهودية ومناسبات الزواج . ولم يقتصر نشاط قسم الموسيقى على التاليف فحسب ، بل قام بعمل دراسات مختلفة عن الفولكلور اليهـودى الاسبـانى ، ودراسـات عن الموسيقى الكلاسيكية ليهود مصر .

- معبد "زارادبل - Zaradel" الذى انشاته عائلة زارادبل عام ١٣٩١ ، حتى آل للسقوط عام ١٨٨١ فاعيد بناؤه مرة اخرى ، ومقره بشارع عمرام بحى اليهود - سوق السمك القديم - ويضم المعبد مبنى رئاسة الطائفة بالاسكندرية ، كما يحتفظ بمخطـوطتين نادرتين للتـوراة بالخط الاشورى .

- معبد "عزوز - Azauz" الذى تاسس منذ قرون بعيدة ، ولم يعرف تاريخ انشائه



الصالة الداخلية لمعبد زارادبل .. سوق السمك القديم . الاسكندرية

على وجه التحديد ، وقد تم تجديد بنائه عام ١٨٥٣ .

- معبد "منشه - Menasce" وقد تاسس عام ١٨٨٢ .

- معبد "جرين - Green" فى محرم بك ، وشيدته عائلة جرين عام ١٩٠١ .

- معبد "يعقوب ساسون - Jacob Sasson" تـاسس عـام ١٩١٠ بحى جليمونوبلو .

- معبد "كاسترو - Castro" انشاه موشى كاسترو عام ١٩٢٠ بحى محرم بك .

- معبد "شعار تيفيلا - Chaare' Tefila" الذى شيدته عائلتا "انزاروت" ، "شاربيه" عام ١٩٢٢ بحى كامب شيزار .

- معبد "الياهـوحزان - Eliahou Hazan" تـاسس عـام ١٩٣٧ بحى سبورتنج .

- معبد "نزاح اسرائيل - Nezah Israel" الاشكنازى ، تاسس عام ١٩٢٠ .

هذا الى جانب بعض المعابد التى هدمت واندثرت مثل : معبد جمار ، معبد المغاربة ، معبد صاف بن بودات ، معبد جيميلوت حساديم ، معبد حلب ، معبد تيبول ، معبد سلامة ، معبد كورفيوث ..

وقد انتشر عدد من المعابد اليهودية فى بعض المدن المصرية التى كان يقطن فيها ابناء الطائفة : ففى مدينة طنطا يوجد محفل "اوهيل موشى" وكنيس المغاربة وكنيس "بخور موتون" ١٩٠٨ وكنيس "لونلبوتون" ١٩٢٤ .

وفى المنصورة يوجد محفل "ملجن دافيد" الذى تاسس فى بداية هذا القرن ومعبد "حسون" الذى اسسه ابراهيم حبيب حسون عام ١٨٩٨ ، ومعبد "كوهين" الذى شيده مخلوف كوهين وزوجته سيمحا عام ١٩١٣ .

وفى مدينة المحلة : معبد "الاستاذ" الذى تاسس منذ قرون طويلة ، فى حى خوخة اليهود ، وينسب الى الحبر فضيل ابن ابى اوى بن حنانيل الاشمانى .

وفى بور سعيد : محفل "اسرائيل" وتاسس فى نهاية القرن الماضى ، ثم معبد "سوكات شالوم" وكنيس "بينان" .

إلى جانب معبد "سيروس" بدمنهور ، ومعبد "هارون جبعاى" بالزقازيق ، ومعبد "كليمان بلوبو" بميت غمر .

● المحافل والمعابد الكبيرة والمعابد الصغيرة التى ذكرتها مازالت قائمة فيما عدا - معبد المصريين او الأستاذ - الذى هدم سنة ١٩٧٥ كما اشرت ، والدليل على انها مازالت قائمة : تحديد مواقعها



ادجار سوارس
عميد عائلة سوارس

وعناوينها بدقة ، وبعض المعابد الصغيرة قد لا يدل الشكل الخارجى على انه مكان مخصص للعبادة اليهودية - خاصة مجموعة حارة اليهود - حيث تبدو فى شكل بيت يكاد يكون مهجورا لا يميزه سوى "نجمة داود" المحفورة على الباب الخشبى ، وقد لا يحوى سوى قاعة واحدة ذات مقصورة للصلاة ، ولكن يطلق عليه طبقا للمصادر اليهودية نفسها : معبدا او كنيسا ..

وقد قامت محافل ومعابد القاهرة والاسكندرية ، بنشاط ضخم فى مساعدة وايواء اليهود اللاجئين من اوربا وفلسطين وسوريا ، كما كان لها دور فعال فى تعليم اليهود بانشاء بعض المدارس وتمويلها ، وانشات ايضا صناديق لمساعدة الفقراء والعاطلين وتسليف المهاجرين ، وعيادات طبية لعلاج ابناء الطائفة مجانا . كما شاركت بدور بارز فى النشاط الصهيونى بمصر ، وفى الدعوة لاقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين !

● هامش : تم ثبت اسماء وتواريخ انشاء المحافل والمعابد من المصادر اليهودية بعدما تبين لى وجود اخطاء عديدة فى بعض المصادر العربية على ندرتها .



صبحي وعبلة

ثنائي شاعري في « وجهة نظر »

بقلم : صافي ناز كاظم

● تواضعت أحلامي جدا بالنسبة للمسرح ، وصار أقصى ما اتمناه الا يجهز عليّ ملل اذا ما اضطررت وذهبت لمشاهدة عرض مسرحي .

ينتابني الخوف دائما والتوجس وانا جالسة في مقعدى انظر الى المسافة الزمنية التى عليّ ان اقطعها من بداية العرض الى نهايته ، ويبدو لي الوقت فاغرا فاهه كالوحش وانا بين فكيه الخطرين مهددة ، لذلك حين يظهر الممثلون في مشهد التصفيق الختامي واجد

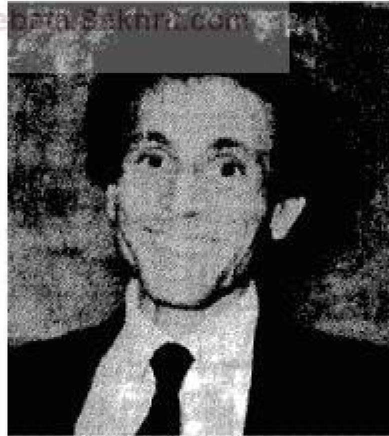
اننى لم يصرعنى الضجر احمد الله على السلامة وعندما يسالنى سائل : ما رايك فى العرض اجد ان اجابتى الفورية " لم ازهق !" شهادة براءة نادرة للمؤلف والمخرج والممثلين ، وهذا ماخرجت به اولا من عرض مسرحية "وجهة نظر" على مسرح نيو اوبرا اخراج وبطولة الفنان " المفكر " محمد صبحى فوق اننى " لم ازهق " .. فانا كذلك استمتعت باداء محمد صبحي وعبلة كامل استمتاعا شعريا ثقافيا ارتبط بهما ، بمعنى اننى كنت اتوق الى المشاهد التى تضمهما معا او احدهما بمفرده حيث كانت هى المشاهد المتوهجة المتقدة بالحيوية والجلابة لإنتباهى ، خاصة مشهد محاولة سنية (عبلة كامل) قراءة الورقة التى تدين الادارة ، ومشهد رقصة عرفة الشواف (محمد صبحى) ومشاهدهما الرقيقة سويا - سنية وعرفة - للتواصل العاطفى العذب . لقد تجمعت فى هذه المشاهد الانسانية ذبذبات الالم مع الشجن مع الضحك وتكاملت فى عمق مدهش وبدت كمقاطع مطربة لقصيد طفولى صادق وراءه طاقة كوميدية - لدى صبحى وعبلة - متفردة باسلوبها ، ناعمة ومناسبة بعيدة عما تعودناه وشاع بين الكوميديين من سوقية وزعيق وفظاظة وغلاظة .

* * *

الرسالة الجوهرية للعرض تريد أن تقول : " انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور " وهى كما نرى حكمة قديمة يعرفها الجميع ، فالاعمى هو أعمى البصيرة لا اعمى البصر ، فما الحافز لطرحها من جديد ؟ انهم مجموعة من مكفوفى البصر - قد يكونون شعبا بأكمله - اربعة رجال وثلاث انسات ينضم اليهم عرفة الشواف (محمد صبحى) فى مؤسسة مفترض انها تعتنى بشئونهم - قد تكون نظام حكم فى العالم الثالث - على رأسها مدير فاسد وتحت يده موظف مكير هو اليد المنفذة لكافة الاعمال القذرة التى يمليها الفساد ومعهما مشرفة خاضعة لهما لكنها طيبة القلب تتعاطف مع الضحايا وان ظلت سلبية مكتوفة الايدى . الادارة الفاسدة تجمع المعونات المحلية والدولية باسم المكفوفين لكنها لا توصل الدعم الى مستحقيه ، وهكذا يصبح المكفوفون وسيلة تكسب لتلك الادارة وهى تحرص عليهم لتواصل استغلالهم ، والمكفوفون يدركون انهم مستغلون لكنهم بين يائس وبين مستسلم ملتصقون بأرض الانين والتذمر لا يرتفعون الى مستوى فعل مؤثر يكسر حصار الفساد . وحين ينضم عرفة الشواف الى المجموعة تكون مهمته ان يُعرِّف المكفوفين بان عجزهم الحقيقى ليس فى فقدانهم البصر ولكنه يبدأ حين لا يكون لديهم " وجهة نظر " اى رأى ناتج عن رؤية ووعى وبصيرة . ويقود عرفه الشواف

المكفوفين ليكونوا وحدة للمطالبة بحقوقهم وانتزاعها بالمواجهة احيانا وبالحيلة ، وينجحون فى تحقيق أمل الآنسة سنية (عبلة كامل) التى كانت ترجو بإلحاح ان تجرى لها عملية تعيد لها البصر ، وتتم العملية وتستطيع سنية ان ترى بعينها لكنها تبدو لوهلة كأنها قد تم احتواؤها من قبل مجموعة الادارة الفاسدة لتصبح عميلة ناطقة بلسان تلك الادارة معبرة عن وجهة نظرها . وقبل ان يخيب فيها تماما أمل زملائها المكفوفين وعلى رأسهم حبيبها عرفة الشواف ، يعاودها نقاؤها وتدين انحرافها وتسير خلف حبيبها عرفة الشواف ليقود ببصيرته ـ رغم عينيه المكفوفتين ـ عينيها المبصرتين ليواصلا مع الجميع الرحلة الجهادية المستمرة ضد الفساد .

وتنتهى هكذا الخطوط الرئيسية لعرض "وجهة نظر" الذى استطاع محمد صبحى ـ من خلال البساطة والتقشف ـ ان ينأى به عن الزعيق والضجيج والفجاجة وكل هذا كان محتملا نتيجة للمباشرة فى الفكرة والخطابة فى اسلوب النص ـ ونجد ان محمد صبحى وعبلة كامل عنصران رئيسيان فى توليد الشفافية والشاعرية عبر تيار اصيل من خفة الظل التلقائية والفكاهة الحادة الراقية مع توافق الحركة الرشيقة والايماءات الذكية ، وانا لا اخفى حقيقة ان ما دفعنى لمشاهدة "وجهة نظر" ، رغم محاذير النص الذى توقعت ان يلمز المتدينين ، اطمئنانى الى الظرف الذى يتميز به الحضور المسرحى لعبلة كامل ـ وكنت


محمد صبحى


عبلة كامل



وجهة نظر   السخرية بالحركة والتلفظ واللياقة البدنية

قد رأيتها فى عدة عروض مسرحية سابقة اهمها عرض داير مايدور لفرقة الورشة وشد انتباهى نبضها الكوميدى الجديد الذى يجعلها تختلف تماما عن حشد الممثلات الكوميديات اللاتى عرفناهن فى سجل تاريخ المسرح والسينما والتليفزيون فى بلادنا وحب استطلاعى لرؤية محمد صبحى على المسرح بعد ان لمست ابداعه الشخصى الذى اضفاه على مسلسل سنبل التليفزيونى . الذكاء الثاقب والاناقة النظيفة فى أسلوب السخرية بالحركة والتلفظ واللياقة البدنية العالية ، هى سمات محمد صبحى ومنطلقات ابداعه التى انقذت العرض من السقوط فى الميلودرامية التى تصيب المشاهد بالغثيان ، او التردى فى جعل العاهة مادة للتفكه . وقد كنت اتمنى الا يسقط محمد صبحى فى الفخ الذى نصبه له مؤلف النص واعنى اضطهاد نموذج الملتزم إسلاميا ـ الذى اداه شعبان حسين ـ وتقديمه بشكل مغرض فى التركيبة المستهلكة التى تصر على تشويهه لكى لايعدو عن كونه الافاق الذى ينتهج الكذب والزيف والبخل

وهى يدعى البر والتقوى والاحسان . والله ، ان محمد صبحى كان فى غنى عن اقحام هذا الهوى المسموم ولو انه تجاوز هذا الدس وحذفه لكان فى ذلك فائدة اكبر للسياق العام للعرض الذى كان لابد ان يركز الضرب فى اتجاه كتلة الادارة الفاسدة التى ينوء تحت وطأتها الجميع .

شهريات

من أعماق التاريخ

● حـــديقــة ومسجـــد ومدينة وجوائز اغاخان ●

عاد الى مصر بعد اكثر من تسعة قرون من يرى ان له الحق فى امامة وخلافة المسلمين الاسماعيلية ، ووقف يتحدث بلسان انجليزى لا يعلى عليه ، فى ساحة امام قلعة الجبل والقاهرة الفاطمية تحت قدميه ، وقدم للفائزين جوائز العمارة الاسلامية التى تسعى للتجديد والتاصيل بهدف حماية اثارنا وعمارتنا الاسلامية !

ولم يكن هذا الرجل سوى كريم اغاخان ، زعيم الطائفة الاسماعيلية الذى جاء الى القاهرة وخلفه قصة تاريخية مثيرة ، تقول صفحاتها انه عندما تولى الافضل بن بدر الجمالى الوزارة فى القاهرة فى مرحلة افول العصر الفاطمى ، انتزع الحق الشرعى من نزار بن المستنصر لدين الله ، وولى ابن اخته المستعلى امامة الاسماعيلية سنة ٤٨٧ هـ ، وهو الاخ الاصغر لنزار ، وثار نزار صاحب الحق الشرعى ، وفشلت ثورته وقبض عليه ودفع حياته ثمنا ثورته ، وخرج الى التيه الاسماعيلية النزارية ، ومازالت بقاياهم تعيش فى الشام والهند حتى اليوم .

● فاز المعمارى المصرى د . صلاح لمعى مصطفى بالجائزة الأولى من جوائز مؤسسة اغاخان الثقافية عن مشروع ترميم الجامع العمرى الكبير بصيدا . والذى تعرض لدمار هائل نتيجة للغارات الاسرائيلية المكثفة من البحر اثناء الاجتياح الاسرائيلى عام ١٩٨٢ .

والمسجد نموذج اصيل للتاريخ المعمارى المركب على الساحل اللبنانى ولذلك رفض اهالى صيدا بناء مسجد جديد وآثروا إعادة بناء المسجد على نفس النمط المعمارى القديم .

كما فاز المهندس المعمارى المصرى عبدالواحد الوكيل مع اخرين عن مشروع مسجد الكورنيش بجدة بالمملكة العربية السعودية وهو طراز معمارى جمع بين العناصر الشكلية بصورة تخاطب الحاضر وتعكس الماضى المشرف ..

ايضا فازت مدينة اصيلة المغربية بجائزة ضمن جوائز اغاخان للعمارة الاسلامية واصيلة احدى المدن التى تعد



السيدة سوزان مبارك تسلم شهادة تقدير للفريق أول يوسف صبري ابو طالب



نموذج عربي معماري لمدينة بالمملكة المغربية

نموذجا للنجاح الفذ فى مجال إعادة البناء والتطوير والتجميل فى العالم الاسلامى والعالم الثالث .

وفازت مدرسة سيد العلوى الابتدائية بتونس كنموذج له قيمته الكبيرة للبلدان النامية ..

وفاز مشروع إسكان بنك بنجلاديش ..

كما فاز معهد العالم العربى « بباريس » بفرنسا حيث يعتبر هذا المعهد احد مشروعات باريس المهيبة الكبرى ويمثل جسرا ثقافيا بين العالم العربى وفرنسا .

● ان يفوز معمارى بجائزة عن بيت جميل أو جامع رائع أو مدرسة متميزة البناء فهذا مألوف ، ولكن ان يرشح معمارى بجائزة عن تصميم لحديقة فهذا هو الجديد فى الأمر .

فقد رشح المعمارى المصرى « حليم عبدالحليم » بجائزة من جوائز الاغاخان عن تصميمه لحديقة الحوض المرصود ، وهى حديقة لمجمع للاطفال يضم مكتبه ومسرحا وقاعة عرض ومتحفا ومشغلا وتقع الحديقة فى منطقة السيدة زينب اكثر مناطق القاهرة ازدحاما ..

وقد عبرت هذه الحديقة عن افكار المعمارى المصرى من حيث الشكل التراثى والعصرية التى اضافها التصميم على جوانبها ..

● صحف ومجلات وتساؤلات حول القانون ●

أثيرت فى الآونة الاخيرة قضية اهتم بها كل من له علاقة بالصحف والمجلات ، سواء كان كاتبا او فنيا او قارئا ، هذه القضية هى ان قانون الصحافة الذى عن طريقه تحصل اية مطبوعة على ترخيص صدورها ، هو قانون ليس بحجم النشاط المكبوت الذى تحتوى عليه نفوس الصحفيين المصريين وطموحاتهم .

فليس من المعقول ، ومع تزايد حجم

القراء الهائل ، وتزايد دور مصر الثقافى ، ان يظل القانون هكذا ، محلك سر ، لا يواكب التطور او الظروف ، الامر الذى دعا نقيب الصحفيين مكرم محمد احمد الى الدعوة لاقامة مؤتمر عام للصحفيين المصريين لمناقشته بحيث يصبح فاعلا فى حماية حيوية الساحة الصحفية .

وحيوية الساحة الصحفية لايقوم بها اناس من الكواكب الاخرى ، انما ضمن هؤلاء العاملين فى حقل الصحافة المصرية ، من ابناء مصر ، الذين اثبتوا فى كل مكان صحفى التحقوا به فى الخارج انهم قادرون على العطاء ، بل والتجديد والابداع .

ان المجلس الاعلى للصحافة لايعطى اذنا للمجلات التى نتحدث عنها بالصدور عن القاهرة ، فتضطر هذه الصحف الى استخراج "رخصة" لها من لندن او باريس او قبرص ، ثم تتقدم الى السيد وزير الاعلام طالبة الاذن لها بطباعة اعدادها فى القاهرة ، فيتفضل مشكورا باصدار هذا الاذن ..

وهكذا اصبحت القاهرة هى جهة الصدور الحقيقية لعدد من الصحف والمجلات تحمل تراخيص غير مصرية .. اى ان قانون الصحافة يطبق ولا يطبق فى وقت معا ، مما يدل على ان التجربة العملية والواقعية تقتضى اعادة النظر فى هذا القانون ليستطيع احتواء هذا الواقع ، بدلا من ان يقف فى طريقه ويرغمه على الالتفاف حوله ..



مكرم محمد احمد
نقيب الصحفيين

ان قانون الصحافة ـ كما هو معروف ـ يحتاج الى تعديلات وتصميمات كثيرة من الممكن ان تبدأ بتعديل المادة او المواد المتعلقة بالصحف التى اشرنا اليها بدون ذكر الاسماء ..

■ مسرح

● جلسة سرية : الجائزة الاولى فى المسرح التجريبى ●

فى اطار مهرجان القاهرة الثانى للمسرح التجريبى قدمت فرقة (تانز ـ تانز تياتر ميونيخ) الالمانية الغربية على خشبة مسرح العرائس بالقاهرة عرض «جلسة سرية» المأخوذ عن مسرحية جان بول سارتر الشهيرة بنفس الاسم ..

ويرفع الستار على ثلاثة اشخاص هم : جارسان ، واستيل ، واينيز الثلاثة آثمون يدورون فى حلقة جهنمية قذرة (فجارسان) جبان رغم تظاهره الدائم بالبطولة يعشق امرأة سحاقية (اينيز) التى تعشق بدورها غانية وقاتلة اطفال (استيل) بينما تعشق (استيل) (جارسان) الجبان .. فنحن اذن فى الجحيم الذى يتجسد فى حالة الوعى الدائم واليقظة الدائمة ، وتذكر الماضى .. هذه الحالة تقض مضاجع الثلاثة الى مالانهاية حيث لا امل هناك فى القرار .. اذ يعلن (جارسان) :

وحدى انا ، ولا احد فينا يستطيع ان ينقذ نفسه او تنقذ نفسها ـ فنحن مرتبطون ببعضنا الاخر بطريقة لاسبيل الى الخلاص منها



وقد صيغ النص الادبى فى قالب حركى واسلوب صياغة اللغة الكوريوجرافية من حركة وايقاع واشارات والموسيقى الى المؤثرات المسرحية ، وحاولت المخرجة ومصممة الرقصات (ايفا ماريا ليرشنبرج ـ ثينى) ان تعبر وتفسر فلسفة هذه المسرحية بالجسد فقط ، وان تحل اللغة الجسدية مع الموسيقى والاضاءة محل النص ، حيث يظهر فقط ، وان تحل اللغة الجسدية مع الموسيقى والاضاءة محل النص للتعبير عن الانفعال الانسانى وكوسيلة للتواصل منذ وقت مبكر فى عشرينات هذا القرن وروادة (ميخائيل توكين ، وايزادورا دنكان ، وتشارل ويمان ، ورودلف فون لابان ، ومارتا جراهام ودياجليف) وقد حاول (لابان) ان يقيم مبادىء الحركة المسرحية على اسس التحليل النفسى والرياضى والفلسفى ، وكان منهجه منهجا ثقافيا وعقليا فى مواجهة المنهج الانفعالى والعاطفى عند الاخرين ، ويرى ان للجسد الانسانى امكانيات اخرى غير ما استطاع الرافضون ان يكشفوا عنه فى انفسهم ، وان هناك النظرة الكلية الشاملة للجسد

شهريات

التي تعلمنا الشيء الكثير عنه .. سواء كان هذا الجسد مدربا او غير مدرب ، واكتشف هؤلاء الرواد علاقة الموسيقى بالرقصات، وان على مصمم الرقصات ان يخلق ايقاعاته الخاصة ـ حتى لو استخدم الموسيقى فى العرض وتركيز المصممة على الحركات الارضية السريعة والعنيفة التى تبدو فى محاولات الفرار من الحجرة ولا امل ولا مفر .. فالحجرة مغلقة .. فيرقصون تعبيرا عن اليأس ، وتحاول استيل اغراء جارسان لكنه لا يستطيع الا ان يتجاهلها امام عيون اينيز التى ترقبهما ، ويرتبطون فى رقصة ثلاثية لا يلتحمون فيها ابدا ولا يتفرقون ايضا .. فهم يلتحمون لكى ينفصلوا ، وتحاول اينيز الاستحواذ على استيل وتفشل ، وتحاول ان تبعد جارسان عن استيل .. وتشتعل الحرب بينهم ، ويستخدمون المقاعد الحديدية الصلبة كآلات حربية .. يزعقون على الارض ، ويتبادلون الكر والفر حتى يصيبهم اليأس ..

فلا شيء يهم عندما يموت الانسان ، وينفتح الباب .. فلا يخرجون .. فهم فى الجحيم .. وقد ظللتهم حالة القنوط واليأس من الخلاص .. وتتصاعد حالة القنوط الى ظلمة مأساوية ليس فيها بصيص نور واستحالة التواصل .. وافتقاد الشجاعة لمواجهة الذات .. هذه المعانى تتجسد من خلال حركة الجسد البشرى فى فراغ المسرح . فتتشكل جملها عبر الزمن .. ويتتابع الايقاع من خلال تتابع المفردات وتكرارها او امتدادها .. وهذه الجمل تعطى بمشاركة الموسيقى والملابس دلالات بعينها ـ فالمعانى ـ تحملها هنا انساق إشارية مختلفة لتكون جملا حركية معقدة ، وتكون فى الفراغ اشكالا لانهاية لعددها .. وتتكرر هذه التكوينات والاشكال عدة مرات بنفس المفردات فى سلاسة ورتابة متعمدة .. وفى حركات نابعة من الداخل تعبر عما يحس به الراقص على المسرح فى اطار الموقف الدرامى .

كتب موسيقى هذا العرض (بيترلودفيج) الذى استخدم الوتريات الحادة (الفيولينا) ، والوتريات الغليظة (الفيولا والكونترباص) بالاضافة الى البيانو فى تنويعات موسيقية تناسب النص الفلسفى المأخوذ عنه العرض .

وان كان لنا ملاحظات سريعة على العرض فهى :

- المبالغة فى توظيف رقص الباليه .
- الاسراف فى اقحام التقاطعات الجسدية ..
- تكرار الايماءات الجنسية الصارخة .

. وقد يرد البعض ان ذلك ضرورى للتأكيد على طبائع الشخصيات الغريزية .. ويكفى المخرجة المصممة انها اضافت قيمة كبيرة لامتلاك التعبير الحركى لامكانيات ضخمة فى تصوير الاحداث والشخصيات عن طريق تمكنها من لغة التشكيل والتعبير بالجسد .

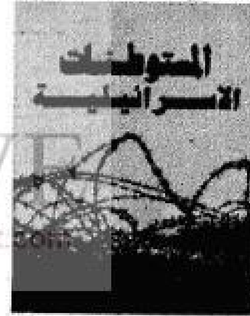
عبدالغنى داوود

مكتبة الهلال

الكتاب: المستوطنات الاسرائيلية في الاراضي العربية المحتلة

تاليف: نخبة من الكتاب

الناشر: الامانة العامة - جامعة الدول العربية



يضم هذا الكتاب البحوث والمناقشات التى تلتها وقدمت خلال الندوة الدولية حول المستوطنات الاسرائيلية فى الاراضى العربية المحتلة، والتى نظمتها الامانة العامة لجامعة الدول العربية فى واشنطن العاصمة الامريكية فى ابريل عام ١٩٨٥

شارك فى هذه الندوة اكثر من خمسين من الشخصيات العالمية والعربية منهم نجوم عالمية مثل جيسى جاكسون، وفينسيا ردجريف، وجاك بيراك، ودين براون، وبرونو كرايسكى، وغيرهم.

كما شارك فيها ثلاث عشرة منظمة حكومية وغير حكومية من المهتمين بموضوع المستوطنات الاسرائيلية فى الاراضى العربية المحتلة.

وضمن مانشر فى هذا الكتاب الذى نقل من الانجليزية الى العربية وصدر فى كتاب خلال اربعة اعوام، مجموعة كبيرة من الصور التى تعرض لحال الفلسطينيين وهم يجبرون مرة على ترك بيوتهم أو تهدم وتنسف، لتشيد مكانها المستعمرات الاستيطانية الصهيونية.

بالاضافة الى ذلك هناك خرائط تفصيلية تبين المستوطنات ومواقعها سواء فى قطاع غزة او الضفة الغربية، او فى الجولان، او القدس.

ويمكن القول اجمالا ان هذه الندوة وما نتج عنها من ابحاث ومناقشات هدفت الى ابراز الحقائق المتعلقة بهذه القضية الخطيرة من خلال تبادل حر وصريح للافكار والاراء القيمة بين شخصيات مرموقة بارزة فى مجال الشئون الدولية عملت الندوة على جمعهم معا.

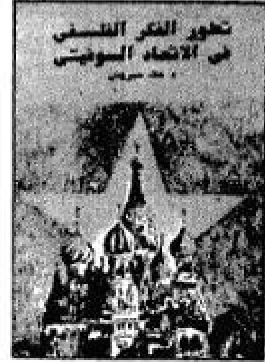
الكتاب: تطور الفكر الفلسفي فى الاتحاد السوفييتى

تاليف: د. علاء حمروش

الناشر: المؤلف



شهريات



يكاد يكون هذا الكتاب واحدا من اندر الكتب العربية التى ارخت للفلسفة فى الاتحاد السوفييتى ، وان كانت كتب كثيرة قد ترجمت من قبل فى الموضوع ، وكما يقول مقدم الكتاب الدكتور صلاح قنصوة بان هذا الكتاب يأتى على موعد مع الاجتهادات التى تسعى الى اعادة النظر فيما يسمى بالمركزية الاوروبية والرغبة فى نزع اسارها والخلاص من غوايتها .

فقد رسخت هذه النزعة الغربية المركزية اعتقادا ، دون استحقاق ، بان تاريخ الفلسفة هو تاريخ المشكلات التى اتخذت

مكتبة الهلال

اوربا لها مسرحا حيث تعرض عليه وتقدم لها الحلول .

ويقول المؤلف انه فى دراسته هذه حول الفكر الفلسفي في الاتحاد السوفييتي يتناول المرحلة اللينينية فى تطور الماركسية . والفكر الفلسفي السوفييتي من العشرينيات الى الخمسينيات ، والفكر الفلسفي فى الاتحاد السوفييتي من الستينيات الى الثمانينيات فى مجال تاريخ الفلسفة - ثم البيروسترويكا والفلسفة

ويؤكد ان الفكر فى الاتحاد السوفييتي هو جزء من الفكر الفلسفي العالمي وجهد السبيل لحل متحد لعدد من المسائل الفلسفية المهمة المرتبطة بالتطور الاجتماعي الذى كان تعبيرا عن مشكلات ومواقف تختلف عما يطرحه فلاسفة الغرب حول قضايا الفلسفة



الكتاب : الفنان احمد مرسى .. صور واشعار
تقديم : ادوار الخراط
الناشر : احمد مرسى



"احمد مرسى" فنان جمع طوال سنوات طويلة من عمره بين نشاطات عديدة ، فقد كتب الشعر منذ كان فى العشرين من عمره له ديوان اغانى المحاريب نشره فى الاربعينات ، وكان ولايزال

شهريات

مكتبة الهلال

واحدا من اهم المصورين المصريين شارك فى العديد من المعارض الجماعية ، واقام العديد من المعارض الخاصة ، فى مصر والبلاد العربية واوربا وامريكا ، وهو الان يعيش فى الولايات المتحدة ، وقد اقام أخيرا معرضا ضم عددا من اللوحات الضخمة التى - للاسف الشديد - لم تلق رد الفعل اللائق بها .

وهذا الكتاب يضم عددا من لوحاته الاخيرة ، بالاضافة الى مختارات من اشعاره التى كتبها فى الفترة ما بين عام ١٩٤٩ و ١٩٦٩ .

يقول ادوار الخراط فى مقدمته لهذا الكتاب : احمد مرسى فنان طهرانى ، واعنى بهذا ان له اسلوبا نقيا ، خالصا من شوائب كثيرة قد نجد عطارتها اليوم فى كثير من الاعمال ، وهذا الاسلوب نحن اليوم احوج مانكون اليه ، حتى نمضى على الطريق فى انجازات المدرسة الفنية التى يسعنا ان نسميها "المدرسة المصرية" بمختلف تياراتها ومذاهبها .

كان احمد مرسى كما يؤكد الخراط من اوائل الذين كتبوا الشعر الحر او شعر التفعيلة بايقاعات جديدة ، كان يرسم ويعرض لوحاته مع فنانين من قامة عبدالهادى الجزار ، وحامد ندا ، ومحمود موسى ، وفى الوقت نفسه يكتب بغزارة وتدفق مقولات شعرية وقصائد تكاد تند عن الحصر ، يقترح فيها طرقا غير مسبوق اليها ، لو جمع شعره لتكونت منه كتب كثيرة وكبيرة ، لكنه ، فى السبعينات توقف عن كتابة الشعر فجأة ، لكن ينابيع الشعر عنده مازالت ثرية غنية .



● "لبنان : انهيار .. ام انتحار"
● المؤلف : الكاتب الصحفى محمود احمد .
● الناشر : مركز "الاهرام" للترجمة والنشر

هذا كتاب متميز اقل ما يوصف به انه "غير عادى" ، ليس لانه يبحث ويدقق ويحلل ، وانما لانه يعرض تجربة حية فريدة لواحدة من اهم الازمات العربية المعاصرة : ازمة لبنان .

ولانه عن لبنان ، فانه

شهريات

مكتبة الهلال

يأتي في وقته تماما ، كأنه إجابة حاضرة على التساؤلات المفعمة بالدهشة والالم التي تدور في اذهان الكثيرين منا ازاء هذا الذي جرى - ولايزال يجرى - في لبنان منذ خمسة عشر عاما . وقد عاش المؤلف - الزميل الصحفي محمود احمد - عشرا من هذه السنوات في لبنان ، متابعا الاحداث يوما بيوم ، بل ولحظة بلحظة ، ولهذا ، فانه يمكن القول ان تجربة كهذه فقط كان يمكن ان تثمر على هذا النحو ، فتقدم لنا ذلك الكتاب الذي لاشك انه سيمثل اضافة الى المكتبة العربية التي تفتقر الى هذا النوع من الكتب القائم على التجارب الشخصية الحية والمستمدة من حرارة التجربة وصدقها .

ويختزل المؤلف تجربة السنوات العشر التي عاشها في خمسة فصول ، يكاد يكون كل منها قائما بذاته ، بل يكاد يصلح لان يكون كتابا مستقلا ، مما يساعد القارىء على العودة الى عناصر ازمة لبنان الدامية مع الغوص الى جذور هذه الازمة دون تعقيد .. وايضا دون اخلال .

فالفصل الاول - التمهيدي - مدخل ضروري لفهم لبنان الذي قصده المؤلف للعمل مراسلا صحفيا في اواسط السبعينات ، وكيف بدا له جميلا خلابا ثم لم يلبث ان التهب كالاتون قاذفا كل العنف الكامن والذي اهمل علاجه اهمالا قاتلا . ثم يأتي الفصل الثاني لينقلنا مباشرة إلى واحد من اهم عناصر ازمة لبنان وهو عنصر "الطائفية" المدمر الذي قوض وحدة لبنان وفرق شعبه واطاح بصيغة التعايش الفريدة فيه ، وفي الفصل الثالث ، يعرض الكتاب لظاهرة الميليشيات والسلاح التي لولاها - كما يقول المؤلف - لما وصل العنف في لبنان الى هذا المدى الذي وضع البلد على حافة الهاوية ، ويتحدث الفصل الرابع عن مشكلة الوجود الفلسطيني في لبنان ، طارحا هذا التساؤل الذي يبدو كاللغز : ايهما جنى على الاخر .. هل جنت المقاومة على لبنان ام كان هو الجاني عليها ؟ اما الفصل الخامس والاخير ، فيضع امامنا ، بكل الوضوح الممكن ، كيف تضخم حجم الازمة اللبنانية اضعافا نتيجة للشد والجذب السوري الاسرائيلي على ارضه بعد ان اصبح - وهو البلد الصغير الهش الكيان - ساحة للصراع بين هذين البلدين اللذين كتب على لبنان ، جغرافيا وتاريخيا ، ان يكون محصورا بينهما .

ولايصلح هذا العرض السريع لتقديم كتاب بهذه القيمة ، وفي التوقيت الذي يصدر فيه ، وانما ينبغي ان نشير الى انه رغم جهامة الموضوع ومأساوياته ، فان المؤلف استطاع بالعرض البسيط والشائق ان يضاعف الفائدة التي يحققها الكتاب لقارئه .. وهي فائدة جزيلة ، ومؤكدة .

خيط الذاكرة

شعر: السيد ابراهيم عطيه



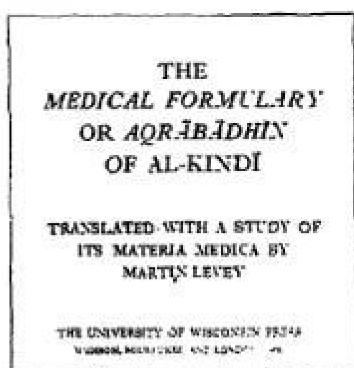
كل مساء ..
اتقدم فى استحياء
من باب يرهق ذاكرتى ..
فارى طيفا .. نورا مرسوما
ايلما من عمر لايفنى
وانا .. اذ يوصد هذا الباب ..
المح انوارا تخفت
الوان فراشات تصمت ..
تصمت فى قلبى كل اغانى الحب
وتهاجر كل فراشات الصمت
لتشكل رسما ابديا
فى زمن ابهى
انصت ..!
اذ طفل ياتى
يخبرنى عن زمن ياتى
يطمس كل معانى الحب ..
عن ايد تدنو
تقطف احلام البلدة
وانا .. إذ تدنو هذى الايدى
يتشكل حزن فى قلبى
ازعم ان الشمس تدور
- عن خطا - دورتها الاولى
ارجع ..!
اسحب خيطا من ذاكرتى
ارسمه شمسا فى قلبى
اهمس ..!
ياطفلى .. خذ هذا الخيط
وارسم حلمك ماشئت
وسياتى دورك ..!!

معهد الصيدلة الأمريكي يحتفل بكتاب طب الأعشاب "للكندي"

إعداد: عادل عبدالصمد

في المعهد الامريكي لتاريخ الصيدلة الان ضجة كبرى واحتفال يصل الى حد المهرجان دون ان يدعى اليه اصحاب الفرح فقد اصدر العالم الامريكي (جلين سون ديكر) احد اساطين ذلك المعهد كتابا ترجمه عن (ابى يوسف يعقوب الكندى) العالم العربي الذى وضع كتابه (الاقرابازين) فى التداوى بالاعشاب الطبية منذ مئات السنين ولسنا ندرى اذا كان جهلنا هو الذى حال بيننا وبين حضور هذا الحفل ؟ ام ان صلف الامريكان وتعاليهم هو الذى منعهم من دعوة العلماء الصيادلة العرب ؟.




THE
MEDICAL FORMULARY
OR *AQRĀBĀDHĪN*
OF AL-KINDĪ

TRANSLATED WITH A STUDY OF
ITS MATERIA MEDICA BY
MARTIN LEVEY

THE UNIVERSITY OF WISCONSIN PRESS



● شوك الجمل أو الأشترب لمنع الاسهال

● الخرشوف لمعالجة القروح

● الصفراء للصداع



كتاب طب الأعشاب "للكندى"

كتاب (الاقرابازين) وضعه العالم والفيلسوف (يعقوب الكندى) منذ الف عام تقريبا (٢٦٠ هـ - ٨٧٣ م) وجمع فيه ما يقرب من الف وصفة علاجية • حدد فيها أسماء الاعشاب الطبية ، ومقاديرها ، وطريقة خلطها كيميائيا واستخلاص المراد منها لالف داء أو مرض يتعرض له الآدمى - من أمراض العيون الى أمراض المعدة الى أمراض القلب •• الى الصرع •• ثم الاسنان • وكل الفم داخليا وخارجيا•
وفى الكتاب لم يتوقف (الكندى) عند تجاربه فقط •• بل أضاف تجارب الآخرين فى طب الاعشاب ، ووضع مع كل وصفة الداء الذى تعالجه اسم الصيدلى الذى تداوى بها دون عدوان عليه •• كما تقضى الامانة العلمية ، وقد اثبت اسم (صالح اليهودى) ، و (أبو نصر الدملى) ، وابن (الخفاف الاكبر) ، و(محمد الصيدلانى) بجوار أسماء الاعشاب ، والمقادير ، والامراض التى تعالجها ، وأعطى كل ذى حق حقه •

وقد بذل المترجم ، وفريق معاون الذين كرسوا انفسهم لهذه المهمة • جهودا مضنية فى مراجعة اسماء النباتات ، والتحقق منها •• فكثيرا ما تختلف أسماء هذه النباتات •• بتغيير المكان ، والزمان ، وقد نجد للنبات الواحد اسما فى بلاد العرب غيره فى الهند ، وقد يتحور الاسم مع مرور الايام الى اسم اخر ، وهكذا كانت صعوبة الترجمة التى تتطلبها الامانة العلمية ، ودقة صناعة الادوية سواء فى أسماء النباتات أو كميات المقادير ، والاوزان أو المكاييل ••فعلم جميعا أنها تختلف من شعب الى شعب •• وقد كلف ذلك فريق العلماء العودة الى أسماء هذه النباتات فى اللغات القديمة كالهيروغليفية المصرية ، والقبطية والسومرية ، والتركية ، والفارسية ، والسنسكريتية ،والعبرية، والسورية ، والارامية ، والعربية ، وقد استغرق هذا وقتا طويلا لكن صدور العلماء كانت ترغب فى أن تجىء الاسماء صحيحة غير محرفة ،

وقد قام المترجم ومن معه بتحقيق ٣١٨ اسما من الاسماء التى جاءت فى هذا الكتاب ومع كل اسم نبات نبذة عنه ، والادوية التى يدخل فى تركيبها• والا كانت العاقبة أسوأ مما يتصور أى انسان ••
مما جعل الكتاب اشبه بموسوعة صغيرة •• لهذه النباتات ، وأمام كل اسم طريقة نطقه بالعربية ، والمقابل باللغة اللاتينية •• وهو جهد يستحق اكثر من الاعجاب ، و « الاقرابازين » كواحد من كتب العلاج بالاعشاب أو الطب الشعبى ليس مجهولا من العربية •• الا ان غزارة الكتب التى الفها (الكندى) فى العلوم الاخرى • جعلتنا لا نلقى اليه الاهتمام الذى يستحقه ولم نهتم فى المشرق بالكتب التى تتحدث عن النباتات الطبية ، والطب الشعبى • الا حينما نقلها المستشرقون ، ونشروها فى القرنين الاخيرين حينئذ فقط •• تذكرنا اننا أصحاب هذه الكتب وأهلها، وأحق بها •• !

والاستاذ الدكتور « على عبدالفتاح » عميد طب عين شمس يرى فى « الاقرابازين » لابى يوسف يعقوب الكندى أن هذا الكتاب بالذات لم تغفل عنه ذاكرة الطب العربى •• بل اخذ عنه الكثير ، وله عظيم الاثر •

● « الحلبة » لتقوية الأعصاب وتنشيط غدد الرجولة ..

لتناوله ، وتحديد اسماء مئات النباتات الطبيـــة ، ومقاديرها ، وخلطهـا ، وطحـــلها ، وتجفيفها أو سحقها ، واستعمالها ظاهريا أو باطنيا ، ولسنا فى حاجة الى ان نقول ان هذه الاعشاب هى المصدر الاول والاخـــير لمنتجات مصانع الادوية فى العالم ، وان عقاقير الطب القديم والحديث مصدرها هـذه الاعشاب التى تم اختيارها بالتجـــربة خلال قرون متوالية ، ووصلتنا هـــذه الاسماء والوصفات بعد نجاحها المتواتر فى العلاج . على أيدى العباقرة مـــن أمثال « الكندى » و « الانطاكى » ، و « محمد الصـــيدلانى » ، و « ابن الحفاف الاكبر » .

● العقاقير الوردية . لعلاج السرطان

وليس أدل عـلى ذلـك من مـــادة « الايجونوكسين » التى تعالج القلب ، وقد استخرجت من زهر نبـــــات « الكشاتبين » عام ١٨٦٩ ــ وبعد ٦١ عاما تم استخلاص مادة « الديجوكسين » منها عام ١٩٣٠ ــ « اقراص لانوكسين » كذلك مـــادة « الكولتشيش » التى تعالج « النقرس » بنجاح .. فلقـــد استخرجت مـــن نبـات « اللصـــاح الخريفى » ، والغريب ان هذه المادة هى التى إضاءت للباحثين الطـــريق لاستكشاف تركيب « الكروموسومات » ، « والصبغيات » داخل نواة الخليـــة الحية .

● ست الحسن

ونبـــات « ست الحســـــن » أو « الخشخاش » « بلادونا » ، وهو الذى الذى استخدم فى الوصول الى مـــادة (الاتروبين) الذى يوسع حدقة العين ، ونبات « ست الحسن » اكتسب اسمـه لاستخدامه فى مواد التجميل . حيـث يجعل الخدود محمرة ، ويمنع خـروج العرق ، وافراز رائحته بالاضافة الى انه يزيد من جمال العينين .

أما مادة (الافدرين) التى تعـــالج الربو ، وتعمل عملها فى توسيع الشعب الهوائية ، وقد استعمله الصـــينيون القدامى من اقدم العصور فى عـــلاج الربو ، وهى مستخرجة من نبـــات « الافدرا » ، وهى زهرة معروفة فى عالم الزراعة الشعبية .

ويعتبر « البابونج » من المســـهلات الممتازة للامعاء والـدواء النـــاجع للالتهابات ، وتحقيق التوازن الهرمونى فى الجسم الانسانى ، ونبات « الخلة » استخدم فى مصر منذ العصور الاولى لتوسيع « الحالب » ، واسقاط الحصوات الحالبية ، والكلوية ، كما استنبط منه الاطباء العرب ، المصريون خاصـــــة علاجا للبهـــاق ، وبعض الامـــراض الجلدية ، ووضع منه « الدكتور حســن عبد العال » استاذ الامراض الجلدية والتناسلية بالجامعات المصرية مـــادة رسالة الدكتوراه الخاصة به مـــع تجاربه على هذه المادة ، وابحـــاثه التى اجراها على مرضاه ، وتحدث عن « الخلة » فى كثير من المؤتمرات الطبية فى الخارج التى انعقـــدت لابحـــاث الامراض الجلدية ..

كـتـاب طـب
الأعشاب "للكندى"

● الخلنجات لآلام العظام وعرق النسا





● الاهليلج لآلام البواسير والربو



● التوتيا للالتهابات الجلدية .





● الدارصيني لطرد الغازات من المعدة



● العرقسوس لعلاج قرحة المعدة



● مجموعة من الاعشاب المجففة والتى تدخل فى علاج كثير من الامراض

● العرقسوس

أما « العرقسوس » ، وهو يحتوى على مادة « انتى كورتزينية » ، التى تعالج قرحة المعدة بشكل سليم ، ومنخفض التكاليف ، وكذلك « الحلبة » النبات المصرى المعروف اذا خلط بالشيح كان من اقوى علاجات القولون العصبى ، وهناك نحو خمسة الاف نبات طبى لم يستخدم منها الا بضع مئات ، ومازالت العالم تنتظر خلاصة اكتشافات الباحثين المخلصين ..

وقد أصبح بعد توافر وسائل « التكنولوجيا » ، والتحليل « الكروموجرافى » ، والقياس الطبقى ، والرنين المغناطيسى . من الممكن تحديد أنواع المواد الكيميائية ، وكمياتها التى تحتشد بها النباتات الطبية المجهولة . التى لم تتناولها وسائل البحث لاستخراج كنوزها الطبية التى تعمل على علاج الامراض ، وتخفيف حدة الام الانسان أو القضاء عليها ..

● علاج البرد والرطوبة

والعالم « الكندى » ذكر فى (الاقرابازين) العديد من الامراض ، ووصف العلاج لها ، ويضيف الدكتور

كتاب طب الأعشاب "للكندي"

(على عبد الفتاح) انه يستعمل « الحلتيت » الطيب ، وبذر الكرفس ، والحلبة الشامية ، وحب الحرمل ، وصمغ الذاب ، ولباب حب القرع ، ويصب على كل هذا عسلا منزوع الرغوة ،ويستعمل بعدها كمزيج لعلاج البرد والرطوبة ٠

ومعجون « ارسانيات الهند » ويقال له « انوس وان » ، وهو دواء للابتهاج يدخل السرور على من يشربه، ويذهب الحزن عن من يتعاطاه ، ويقوى النفس ، والقلب ، والمعدة ، ويجعل العرق طيب الرائحة ، ويفيد الكبد وهو يؤخذ قبل الطعام او بعده ويتكون من المجموعات الاتية : الورد الاحمر ، والقرنفل ، والسنبل ، والاسارون والدان ، والقرفة ، والزعفران ، والسياسة والعاقلة، والهال ، والحوه، وتدق هذه الاعشاب ، وتنخل بالحرير على أوزان محددة ، وتخلط جيدا ثم يضاف لها المطبخ ٠ مع - فانيد سجزى - ويغلى كل هذا برفق حتى تختلط ، وتذاب ، ويؤخذ على الريق ٠٠

واذا جئنا بالدادى ، والخولنجات، ومجناهما بعسل منزوع الرغوة مع السمن البقرى ، وصنعنا من الجميع عجينة ٠ فان ذلك يفيد فى شفاء البواسير ، وتسكين الامها بالدهان فقط ٠ كما أن نخاع الثور ، ودهن الورد ، وصفار البيض ، وشمع النحل، والرصاص الابيض ، والورد المقطر ٠٠ اذا عجن كل ذلك ، وعملت منه لبخة على قطعة من القماش الناعم ، ووضعت على الشرج افادت فى علاج البواسير ٠

كذلك هناك ضماد للكبد ، والطحال يتكون من البابونج ، وحريخوش ، وخاشا بطيخ ، وخل يوضع من الخارج على الطحال ٠

ولعلاج « الحكة » (الهرش) يستخدم الكبريت الاصفر بعد أن يدق جيدا ، يوضع فى زيت زيتون دافىء ثم يوضع على أماكن الحكة ويستعمل حتى يصير فى قوام العسل الابيض٠ فى علاج الجرب أيضا ٠ أما الخراريج فلها مخلوط يتكون من الصبار والمر والصمغ ٠٠

عودة للنزلات الشعبية ، وهى اكثر الامراض شيوعا فى أيام الشتاء ، ويصنع من أجلها هذا العلاج المكون من العنب ، والصنبور ، وجذور العرقسوس ، وتخلط جيدا ، وتصفى ثم تمزج بالعسل الابيض ، وتأخذ صباحا، ومساء، وتستخدم مستخرجات العرقسوس ، والسكريات فى النزلات الشعبية ، وحساسية الصدر لانها تساعد على استخراج البلغم ٠

● أسال مجرب

وقد حاولت ان اتحقق من بعض هذه الاعشاب ، وكيفية العلاج بها٠ كما حدد ذلك كتاب (الاقرابازين) من أحد اخصائى الاعشاب فى مصر (عبد الرحمن محمد حراز) فقال لى ان اكتشاف الاعشاب الطبية ، ومعرفة خواصها ، وفوائدها نقلة كبرى فى عالم الطب ، والاطباء القدامى هم أول

● « الخلة » للبهاق ، والأمراض الجلدية وبذرها لطرد حصوة الكلى

من اكتشفوا فوائد « الخلة » واستعملوها بعد غلى بذورها فى طرد الحصوة من الكلى ، وتوسيع الشريان التاجى ، والان تدخل هذه البذور فى مركبات « اللبنامين » ، ونبات « الاقى ماجس » لمرض البهاق الصدفية .

و « بذور الحرمل » تداوى الصراع والاضطراب النفسى ، والصداع النصفى ، و « ورق الحناء » فوائده لا تعد ، فهو يفيد فى قروح ، والتهابات فروة الرأس ، وبصيلات الشعر ، وقرح المصران، والمعدة، والدوسنطاريا أما « الشعير » فيصنع منه شراب مقو ومدر للبول ، والصمغ ، والعنب ، وبذور السفرجل ويصبح ملطفا للسعال ومريحا للصدر، ومخففا لازمات البرد. أما النعناع ، والزعتر ، والكسبرة ، والكمون ، واليانسون ، والشمر ، اذا خلطوا ووضعوا فى ماء حتى يتم غليهم ويصفوا . ثم يتحولوا الى شراب يفيد فى التخمة والمغص ، وطرد الرياح ، وكذلك الكراوية ، وجوز الهند ، والترمس ، وقشور الرمان ، ولب القرع العسلى ، والشونيز يفيد فى طرد الديدان .

● الكتان للسعال ونزلات الصدر.

● الحلبة لفتح الشهية ، وتقوية الاعصاب ، وتهدئة الجسم من لهيب الحرارة ، وقد اكتشف اخيرا انها تحتوى على هرمونات منشطة للغدد وللجنس .

● الخيار الجبلى البرى يسمى « فاقوس الحمار » ، وكان يستعمل قديما للخراريج والاورام ، وقد اكتشف حديثا انه مفيد جدا فى علاج السرطانات .

● وقد ذكرت الدوائر العلمية اخيرا ان علماء روسيا اكتشفوا علاجا لامراض القلب مستخرجا من نبات اسمه (كورجليكون) ، وهو احد انواع نبات «زهرة الوادى» ونبات «أنتحلاج» المعروف فى قرى صعيد مصر يفيد فى الالام الروماتيزمية ، والاعصاب ، والمفاصل ، وعرق النسا

.. أما نبات « الكاموميل » ، وهو زهور نوارات «البابونج» فتساعد على الهضم وتنشيط الدورة الدموية لاحتوائها على حامض (الانتيميك) ، وعلى حامض «الجليك» الذى يفيد المعدة ، ويسبب الشعور بالدفء ويطرد الغازات ، ويستعمل كمدات لمعالجة الرضوض ، والتواء المفاصل والنقرس .

● ونبات (الدارصينى) وهو من فصيلة القرفة يطرد الغازات من المعدة والامعاء وينشط الامعاء ويساعد على الهضم ، وتنشيط العصارة الهضمية .

● ونبات « الشمر » او « بذور الرازيانج » الى جانب انه عطرى يفيد فى السعال والربو ، وينقى المثانة ، ويفتت حصوات الكلى .

ويبقى أن نقول ان « الكندى » فى كتابه « الاقرابازين » الذى ترجمه الدكتور (جلين سون نيكر) الاستاذ بمعهد تاريخ الصيدلة الامريكى . قد ذكر كل هذه الاعشاب ، وآثارها ، والمقادير التى تخلط بها ، وطريقة استعمالها . لكى تؤدى وظيفتها فى شفاء الامراض او الاصابات التى تصيب الانسان وقد كنا نامل أن تدعى الهيئات العلمية العربية الى هذا الحقل فقد استطاع الكثير من أبناء مصر ، والبلاد العربية الاستفادة بكتاب « الكندى » ، وطب النباتات الشعبية ، وجعل بعضهم رسالته فى الدكتوراه التى حصل عليها من مادة هذا الكتاب، وسوف تظل كنوز الطب العشبى ، تكشف عن نفسها لكل باحث ، وعالم يعكف على التفتيش فى طياتها ، وتجهد نفسه فى التجارب ، والابحاث ..

أسير مكتبى
اعرف بهجة تذوق لحظات الفراغ كلَّ مساء
اعود مكدودا ، أتحلل من اربطتى فى صيحات
التلاميذ المغادرين المدرسة
اعبر الحديقة
أسمع ، وأنا أتجول ، وداعات الأعشاش للشمس التى تغيب
ضوضاء هائلة مشوشة
وأنا مسرور كطفل ينزهونه فى عربة
اشاهد .. اعجب .. وأحس فى سعادة بذلك الشعور الساذج لمن يتجول

★ ★ ★

إننى حقا احب باريس محبة سقيمة
وبداخلى احزان ضفاف نهر السين
وأمام البحر الممتد
وامام القمم المغطاة بالجليد
احلم بضاحية ملأى بالطفولة والألعاب
بربوة ملساء حيث ربة الشعر تجهد نفسها
فى استكناه النغمات الدقيقة فى السماء المكتئبة
وبأطراف نهر بيافر ، والحقول المعشبة
حيث يمكن مدّ حبل الى الجذوع والفروع
لنعلق عليها الملابس فتجف
وفى احد الأركان من جزيرة جرينيل نصيد السمك

★ ★ ★

أيتها الاحياء الريفية والمنعزلة : اننى افضلك
بليالى صيفك المعبقة بأريج الحدائق
واحب حفلاتك الراقصة فى الهواء الطلق
حيث ـ فجاة ـ تنطلق الضحكات بملء الفم
ورقصة البولكا ، وفتح الجرار والدوارق
والكاسات ، نخب الصحة ، تتلاقى فوق الموائد الخشبية
ثم .. بين الضحكات والكلمات
والرياح المضمحلة بين العَذَبَات القاتمة
يأتى الصرير المنغم للاراجيح الثقيلة ..

للشاعر الفرنسى : فرنسوا كوبييه ترجمة : محمد محمد السنباطى



رسـم الفنان : حلمى التونى

أقصوصة

بقلم
عبد الحكيم قاسم

صباح عيد!!



بسم الله الرحمن الرحيم ولا اله الا الله ، والحمد لله ، الاسلام شرعته العلن ، وطقوسه الحفلة والجهرية القراءة والتكبير والتأمين وراء الامام باعلى الاصوات . خلوا الاذان يجلجل من على كل الاذن ، والخطب من على كل: المنابر، تقتحم كل عزلة ، تقض مضاجع النائمين ، تقتض كل انفراد ، حيث الشيطان رفيق المتفردين ، والوساوس حليفة الاجساد المحبوسة فى الغرف ، المبلولة بالعرق اخرجوا ، اغتسلوا . واتخذوا احسن جلابيبكم ، وتعمموا ، واقصدوا مواقف الجمع ، ومواطن الاجتماع ، حيث تقام الفرائض والفرح بها حيث تؤدى جماعة .

وفى المواسم اطبخ لحما يا سيدى ..! عكر دسوت الطبيخ بالمرق ، المزين بعيون الدسم ..! وسع على عيالك ، وعلى جارك الفقير ، واستقبل ضيفك ، وانفق من مالك الحلال . اشتر فاكهة وحلوى وتمرا ، وفرقه فى الناس ، واعط عن سعة يد . وهو اذا يبذر النقل طوح يديه يمينا وشمالا من مرقده . رمقته زوجته دهشة ، ثم خفضت عينيها حذرة ، لكن الرجل تنبه لها ، عرف موقفها وعينيها عليه ، حدجها ببصره ، وهتف بها أن :

– يا امرأة .. !

وقامت عصا فى يدها ، سمعته منصتة ، مطيعة مجاوبة ، وهو قال لها :

– يا امرأة .. غطنى!

وهى تدثره باللحاف ترثر معها عن رمضان ، اليوم اخر الصيام ، وبعد نحن فى شوال ، شهر العيد ، الغرة منه عيد الفطر ، كل سنة وانت طيبة شربت كل شىء له يجعل لعيد وعلى العيال سعيدا ، خلقانا وطعاما ، وعمرت جيوبهم بالقابيع .. ! الا يجعل بك ان تحمدى الله على احسانه ؟ سالها واجابته قائلة له:

– ستر الله عليك كما انت سترتنا وعزتنا .. !

قال لها :

– احكمى الغطاء على يا امراتى ، فان العيد غدا .. !

واول علامة لقدم علمتها قدمه على الندى المختوم باحكام ينام تحته التراب على الطريق لمسجد الجامع .

يمشى مختالا فى جلبابه الكشميرى ،تحته قفاطين الشاهى والصدارى ، متحزما بحزام الحرير وعلى اكتافه العباءة من الجوخ وينصع جبينه تحت العمامة البيضاء ،وعيناه منكسرتان بالتقوى ، وشفتاه مشغولتان بالتسابيح ترنمها سقوط حبات المسبحة واحدة على الاخرى ، فوقعة على ايقاع عصاه يضرب بها الارض ضربا رفيقا. يقترب منه رجل عليه جلباب نظيف ، وتقية مضنواة ، وتحتها جبين مقطب ، والعصا تخبط الارض خبطات غضاب . بعد ان تبادلا صباح الخير ، وكل عام وانت طيب ، قال الرجل ذو التقية للشيخ المعمم :

– انى بكرت بالسروح الى الحقول فوجدت الترعة جافة كقعر الكف .. !

رد عليه ذو العمامة :

– اتسرح مبكرا الى الحقول يوم العيد ؟

قال له ذو التقية :

– نمت مشغولا بالزروع العطاش .. !

غضب المعمم وقال له:

– ايشغلك عن العيد عطش الزرع ، وصبح الاحتفال .. فانى تؤفكون

قال له الرجل ذو التقية :

– صدق الله العظيم .. اى نعم .. !

ثم جلسا متجاورين على الحصير ، فى رواء المسجد ، بين صفوف من مئات المصلين ، يكبرون معهم ويحمدون ، لكن فى كل قلب ما يشغله .

الشيخ ذو العمامة مجذوب للترتيل العالى، يتمايل مغمض العينين ، يعجبه صوته ، وصوت الجمع بطالة تبدى غناءه ، لكن ضربا من الانشغال وراء الانشاد واهمال الشد على المقاطع، ونسيان وراء شرود البال ، وحول العيون . يهز راسه صفيا وغضبا، يزمجر بالكلمات حتى ،ولقد الهمم ويسحب العزم فى جذبات الرحمن ، فى الغناء العظيم ، حتى صعد الخطيب المنبر .

انصرفا المعمم وذو التقية ، اوليما يشغله انه ما حصل موعظة نافعة من خطبة العيد ، يا اسفا لانشغال الناس بالزرع العطشان واخذه معهم فى ذلك ، وهذا عطش الزرع يشغل ذا التقية ، يمضيان لا يتبادلان حرف حتى زارا المقبرة وابا يسلمان على الناس بالعيد ، وانتهيا الى الشيخ المعمم .

امر هذا الشيخ بان تحمل له صينية حافلة بالكعك والبسكويت والغريبة والنقل من افضال الله على العبد فى عيده . وقف منتصبا تياها فى ثيابه يلوح بيديه ، يقول للناس :

– اقبلوا على طعامكم يا ضيوفى فى يوم عيدنا

والناس يقبلون مترددين فى الاكل ، وزاهدين فى حديثه ، فانهم مشغولون عن العيد بجفاف الترعة .

حتى اذا صاح واحد يجرى فى الطريق يصل صياحه لهم من شبابيك المضيفة : –

– المياه ملات الترعة!

وافرغت الكلمة المضيفة من الزوار ، وبعد زياط الضيف وضبوطه بقى صمته وبقايا الاكل على الصينية جلس على المصطبة يعاشر السكون . حتى اذا اطلت امراته من باب المضيفة . خلع عمامته وناولها لامراته ثم خلع العباءه والجلباب وقال وصوته محتبس :

– اهكذا يكون الامر فى صباح عيد .. ؟

الأراجوز

و « أيام الغضب »

خطوة إلى الأمام

بقلم : مصطفى درويش



نور الشريف مع المجانين



إلهام شاهين .. مغتصبة في ايام الغضب

عمر الشريف مع ميرفت امين في الاراجوز ..

لعلى لست بعيدا عن الصواب إذا ما خلصت الى القول بان موهبة الاخراج من اكثر المواهب الفنية ندرة .

ومن هنا قلة الأعمال السينمائية التى كتب لها البقاء بوصفها غذاء للروح من بين الآلاف المؤلفة من الافلام التى جرى انتاجها على امتداد عمر الفن السابع ، وهو عمر مديد يكاد يقارب المائة عام .

ومرة أخرى ، لعلى لست بعيداً عن الصواب إذا ماذهبت من فرط حماسى لفيلمين ابدعهما «هانى لاشين» و «منير راضى» إلى حد القول بأنهما مخرجان يتحليان بموهبة تؤهلهما للإسهام بدور كبير فى النهوض بصناعة الافلام .

والفيلمان هما «الاراجوز» و «ايام الغضب» .

واول مايلاحظ على أراجوز «لاشين» هو وقوع اختيار صاحبه على «عمر الشريف» وذلك لاداء دور محرك الاراجوز ابن الشعب .

وليس من شك انه اختيار جرىء وموفق فى آن واحد .

فلقد اعتدنا «عمر الشريف» فى أدوار يمثل فيها شخصيات محترمة طابعها المميز حسن القوام والهندام ، عهدناه ضابط شرطة فى «بداية ونهاية» ، شريفا عربيا فى «لورانس» ، طبيبا ضائعا فى «الدكتور جيفاجو» ، وجيها متواجها فى « الرولزرس رويس الأصفر » ، عاشقا أحدى ملكات الليل فى «فتاة مرحة» ، سائرا ثائرا فى «شىء» وهكذا .. وهكذا .

اما أن نراه يطل علينا من الشاشة البيضاء لابسا طوال الفيلم جلبابا مخططا ، محركا للأراجوز وسط ساحات القرى ، بعيدا فى بطون الريف .

فهذا مالا يمكن أن يخطر على البال مهما شطح الخيال .

وفى الحق ، فانا لا اعرف كيف اقتنع «عمر الشريف» نجم النجوم العرب باداء هذا الدور الذى اراه مدهشا .

كل ما اعرفه انه قد نجح فى تقمص شخصية محرك الاراجوز ابن الريف .

فكان أن حمل الفيلم على كتفيه ، بفضل فهمه للدور وتمثله لكل صغيرة وكبيرة فيه ، حتى استطاع أن يصعد به إلى مستوى فنى قل أن يصل اليه عمل سينمائى من أعمال ايامنا هذه ، تلك الأعمال الرديئة التى يغلب عليها الاستسهال والابتذال .

وغنى عن القول أن الفضل فى ذلك ، انما يرجع الى مخرج الفيلم .

فلولاه لما اقتنع «عمر» بان يخلع أردية العز والأبهة ، مستبدلا بها رداء الفقر والبهدلة ، رداء محرك أراجوز من عامة الناس الغلابة المعذبين .


المخرج منير راضى


المخرج هانى لاشين

ولما استمتعنا به فى مشهد طويل بعض الشىء ، يغنى لأول مرة بصوت عذب واحدة من أجمل اغانى الفيلم « الارا أراجوز .

وفضلا عن «عمر» ودوره الذى يعتبر أعجوبة بين جميع الأدوار التى اداها ابان ثلاثة عقود من عمر الزمان ، فان فيلم الأراجوز فى مجمله يعتبر هو الآخر أعجوبة بين الافلام المصرية .

فهو فيلم موسيقى ممتع تقطر كل لقطة من لقطاته حبا لمصر الفلاحة ، أولئك الذين حاربوا وضحوا من أجل الأرض والعرض ، حتى نجحوا فى الخروج بالوطن المثخن بالجراح منتصرا ، ليجدوه ، وقد اصبح فى غمضة عين نهبا لخساس الناس .

وهو مزيج غريب من الشعر والحوار فى أرقى صور البساطة والسلاسة ، قوامه سيناريو للدكتور عصام الشماع محكم البناء مستلهم من الأساطير الشعبية .

وهو متعة للحواس بفضل شعشعة الألوان وتناغم الاشياء فى تشكيل مهندسة الديكور «رشوى حامد» .

ورفاقة كاميرا مدير التصوير «محسن أحمد» تلتقط بعينها اليقظة كل مايتحرك امامها لتتمثله ، فتخرجه آيات تسر الناظرين .

والحان «عمار الشريعى» لاغنيتى «الارا .. أراجوز» و «اراجوز المدارس» ، وكلتيهما من أحلى الأغانى لحنا وكلاما من ابداع الشاعر «سيد حجاب» .

والآن يبقى أن أقف قليلا عند باقى نجوم الفيلم لاقول أن «ميرفت امين» و «سلوى خطاب» قد تألقتا ، الأولى فى دور فلاحة حرة رافعة الراس فى كبرياء ، والاخرى فى دور بندرية بنت أكابر مصاصى دماء .

ولاشهد بان كلا من «هشام سليم» و «عبدالعظيم عبدالحق» و «أحمد خليل» قد اجادوا جميعا الأدوار المسندة اليهم ، على وجه اعاد الينا الثقة فيما عندهم من ملكات هبة السماء .

● ايام الغضب

فإذا ما انتقلنا بالحديث الى الفيلم الثانى «أيام الغضب» ، فسنجد انفسنا

الأراجوز

امام عمل فنى وصلت فيه حرفة السينما الى ذروة عالية من البراعة والاتقان .

ومما يثير الدهشة انه اول فيلم روائى طويل لمبدعه المخرج الشاب «منير راضى» .

ولو كنا على غير علم بأسرار السينما وكنا لانعرف أنه لم يسبق له الوقوف وراء الكاميرا ، لانصرف بنا الظن إلى أن «ايام الغضب» قد ابدعه مخرج ذو ماض جليل بفضل سجل من روائع الأفلام طويل .

ايام الغضب .. ماساة رجل عاقل بين الياس والرجاء



وفى الحق ، فلا غرابة فى هذا الظن ، فالفيلم محكم البناء ، يقوم على سيناريو متقن يترتب لاحقه على سابقه بحيث تنساب أحداثه فى يسر وانسجام .

واول مايلفت النظر فيه انه فيلم يروع بفنه ذى المستوى الرفيع .

وروعته هذه انما ترجع إلى عدة اسباب ، لعل اهمها موهبة مخرجه التى نراها متجلية فى اختيار موفق لايخيب للذين ساهموا معه فى الابداع .

فالدكتور مصطفى ناجى هو مؤلف الموسيقى التصويرية التى أدت دورها ببراعة لامزيد عليها .

وآية ذلك انها جاءت مقتصرة ، خفيفة الصوت بلا ضجيج ، عرفت كيف تعبر عن محنة بطل الفيلم التى اسبغت لونها القاتم على مجمل أيام الغضب .

واستطيع أن اقول واثقا انها من الأمثلة النادرة عندنا التى تثبت فيها الموسيقى التصويرية انها عنصر جوهرى فى الفيلم لاغناء عنه بأى حال من الأحوال .

ولا يفوتنى هنا ان اقف قليلا عند سحر تصوير «ماهر راضى» ، ودقة توليف «احمد متولى» ، واغنية سيد حجاب التى انشدتها جوقة المجانين فى واحد من ارق مشاهد الفيلم واكثرها بهجة وفرحا .

اقف عندها لاذكر ان ايام الغضب قد ارتفع بفضلها إلى مستوى من الخصب والامتياز والجمال يصعب ان تصل اليه افلام هذه الأيام .

كما نلحظ موهبة «منير» المتفجرة فى اختياره للممثلين الكبير منهم والصغير

على حد سواء ، وتحريكه لهم على وجه يلغ به كل الغايات .
فمثلا «نور الشريف» الذى لانراه مقتعا فى كثير من الافلام ، نراه فى «أيام الغضب» نجما فى قمة الأداء والعطاء .
وكذلك الحال بالنسبة لكل من الهام شاهين فى دور الفلاحة المغتصبة على الدوام و «يسرا» فى دور الاخصائية الاجتماعية المنقذة للمعذبين فى مستشفى المجانين و «سعيد عبدالغنى» فى دور الممرض السادى المتحكم فى مصير هؤلاء المعذبين .
يبقى أخيرا ان اقف قليلا عند بعض الأدوار الثانوية وبالتحديد عند أولا « امل ابراهيم » وأدائها المذهل لدور زوجة ذلك الممرض البغيض والمسئولة عن عنبر النساء المختلات عقلا .
وثانيا «نجاح الموجى» لتمثيله الموزون لشخصية عاقل مدعى الجنون .
وثالثا «علاء ولى الدين» لتقمصه شخصية شاب بدين مجنون من أعالى الصعيد .
انه ، والحق يقال ، كشف مفاجىء لموهبة مخبوءة ، أرجو لها توالى اللمعان .
والآن بعد ذلك كله إلى قصة «أيام الغضب» أنها تدور حول فكرة عودة الغائب من سفر فى بلد عربى نفطى ، ليجد نفسه ، وقد سلب اعز مايملك ، تلك الفكرة التى نراها سائدة فى أغلب ما الف كاتب السيناريو «بشير الديك» والغائب فى «أيام الغضب» هو «ابراهيم محمود القمحاوى» «نور الشريف» العائد إلى القاهرة بعد خمسة اعوام قضاها بعيدا فى الخليج من أجل ادخار المال اللازم لشراء شقة يعيش فيها مع ابنة عمه التى عقد قرانه عليها قبل سفره بقليل .
انه يطل على المدينة البديئة من نافذة الطائرة قبل هبوطها ويقول سعيدا «مصر حلوة قوى من فوق» .
غير أنه ما أن يلتقى بزوجته على باب الشقة الفاخرة المشتراة «بتحويشة العمر» حتى يفاجأ بها حاملا من رجل آخر تزوجته بعد أن استصدرت حكما غيابيا بالطلاق منه ، وهو فى بلاد الغربة يشقى .
وطبعا يثور لشرفه المهان ، فيحاول قتل ذلك الزوج الدخيل الذى اختلس زوجته وشقته بسكين حاد .
فاذا ماحيل بينه وبين ذلك ارسل مقبوضا عليه الى قسم الشرطة ، ومنه إلى النيابة العامة التى قامت بتحويله إلى مستشفى المجاذيب حيث يبدأ حياة بائسة معلقة بين اليأس والرجاء حتى يدركه الجنون .
ولم اعرض شيئا من تفاصيل مأساته داخل مستشفى المجانين ، وانما عرضت خلاصتها فى كثير من الايجاز .
ولو قد عرضت تفصيلها لتنقلت من شىء فاجع الى شىء فاجع .
ومهما يكن من امره فى تلك المستشفى فمأساته تتشابك مع مآسى نزلائها من المجانين .

وبفضل هذا التشابك المتعدد والخيوط وبفضل حبكة الفيلم التى تميل إلى التلقائية ، بفضل ذلك كله أخرج لنا «منير راضى» فيلما فيه المتاع كل المتاع .

مهرجان الاسكندرية السينمائى

ولماذا هاجمه البعض !!

بقلم: أحمد الحضري

مدير المهرجان

بعد أن قامت الجمعية المصرية لكتاب ونقاد السينما بتنظيم مهرجان القاهرة السينمائى الدولى لأول مرة عام ١٩٧٦ بفضل حماس رئيسها وقتئذ الفنان الراحل كمال الملاخ واقدامه على اقتحام هذا المجال، مع من وقف الى جانبه من اعضاء الجمعية، ومن دعمه من الجهات المسئولة فى الدولة سواء فى وزارات الثقافة والاعلام والسياحة والطيران والشئون الاجتماعية ومجلس الشباب ومحافظتى القاهرة والجيزة ـ جاءت الخطوة الثانية عندما فكر كمال الملاخ ومن معه فى تنظيم مهرجان سينمائى خاص بمدينة الاسكندرية بدءا من عام ١٩٧٩، يهتم أولا بالتعريف بالسينما المصرية وأفلامها الجديدة، ثم انتقل الى الاهتمام بعد ذلك بالانتاج السينمائى لدول البحر الابيض المتوسط، الى جانب أى أنشطة سينمائية أخرى.

ومازال المهرجانان مستمرين إلى الآن. وإن كانت قيادة مهرجان القاهرة قد انتقلت الى أيد أخرى فى ظروف غريبة بدءا من عام ١٩٨٥. وتوالى الجمعية المصرية لكتاب ونقاد السينما تنظيم مهرجان الاسكندرية بالتعاون مع الهيئة الاقليمية لتنشيط السياحة بالاسكندرية وتحت رعاية وزير الثقافة.

وقد أصبح مهرجان الاسكندرية السينمائى فى وضعه الحالى يتضمن قسما رئيسيا من نشاطه للانتاج الجديد من دول البحر الأبيض المتوسط، الى جانب قسم جديد آخر يضم أفلام المخرجين الجدد (العمل الأول أو الثانى) من جميع دول العالم، الى جانب الاقسام الفرعية الأخرى التى يمكن أن تختص بالتعريف بأفلام دولة معينة أو أفلام مخرج متميز معين .. وهكذا تم انعقاد دورة مهرجان الاسكندرية السينمائى.

وتتسابق الأفلام المصرية فقط، التى تشترك فى هذا المهرجان، للحصول على جوائز اعلانية يقدمها اتحاد الاذاعة



شباب على كف عفريت
احد افلام الشباب فى المهرجان

والتليفزيون ، تبلغ حاليا فى مجموعها مبلغ ثلاثين الفا من الجنيهات ، أى أن الفائز بنصيب منها يصبح له حق الاعلان على شاشة التليفزيون عن فيلمه الفائز بما يساوى قيمة جائزته فى الوقت الذى يختاره . ولا مسابقة بين الافلام غير المصرية انما ينتهى الأمر بأن تحصل كل منها على شهادة اشتراك مكتوبة على ورق البردى .

● الوضـع الخـاص لمهرجان الاسكندرية

هنـاك وضـع خـاص لمهـرجـان الاسكندرية ، قد لا يلتفت اليه البعض ، يجعله يختلف عن مهرجان القاهرة من زاوية معينة فى تنظيمه . اذ لا يحتاج الامر خلال مهرجان القاهرة الى استضافة اى عدد من نجوم السينما المصرية ولا الفنانين والفنيين الذين اسهموا فى تنفيذ الافلام المصرية المشتركة فى المهرجان للاقامة معا فى احد الفنادق ، فهم جميعا مقيمون اصلا فى مساكنهم الخاصة فى القاهرة وضواحيها ، وينطبق الحال نفسه على النقاد والصحفيين الذين تلزمهم مشاهدة أفلام المهرجان ومتابعة احداثه واخباره اولا بأول لكى تتواصل الحملة الاعلامية عنه فى صحافة مصر وسائر الدول العربية وبعض الدول الأجنبية أيضا . ويصل عدد النقاد والصحفيين والمصورين الذين يهتمون بتغطية أى مهرجان سينمائى عندنا الى عدد هائل لا يمكن تصوره ، ولكن الامر هين بالنسبة لأى مهرجان فى القاهرة ، فيلتصر الأمر عندئذ على ضرورة استضافة من يستقبله المهرجان من ضيوف من خارج مصر فقط ، ويتناسب عدد هؤلاء مع عدد الأفلام غير المصرية المشتركة فى المهرجان .
أما بالنسبة الى مهرجان الاسكندرية

مهرجان الاسكندرية السينمائى

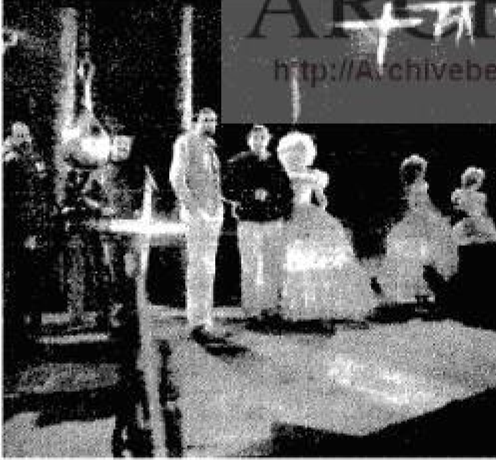
السينمائى فان الأمر يختلف تماما ، اذ يقع على عاتق الجهة التى تنظم المهرجان ، لكى تكتمل الصورة ويشترك السينمائيون المصريون والنجوم وممثلو الصحافة فى الاسهام فى انشطة المهرجان من عروض وندوات وحفلات تكريم واستقبال وتحكيم وتغطية اعلامية للصحافة والاذاعة والتليفزيون ، فى الداخل والخارج ، ان تستضيف عددا مناسبا من كل هذه التخصصات فى فندق مناسب .

والمشكلة المرتبطة بهذا الوضع بالنسبة لمدينة الاسكندرية انه لا يوجد فندق مناسب فى وسط المدينة ، يمكنه أن يستوعب العدد المطلوب من ضيوف المهرجان فى مكان واحد ، حتى لا تحدث اية تفرقة فى المعاملة ، وحتى يكون الجميع قريبين من دور العرض السينمائى الرئيسية التى تعرض افلام المهرجان ، المصرية منها والاجنبية .

وكنا فى بعض الدورات السابقة لمهرجان الاسكندرية السينمائى توزع من يلزمنا تدبير اقامة لهم على عدة فنادق . كان منظمو المهرجان والاداريون يقيمون فى فندق بوسط المدينة ، حتى يمكنهم متابعة ما يدور فى دور السينما الرئيسية التى تعرض افلام المهرجان ، وهذا هو النشاط الرئيسى فى اى مهرجان سينمائى بلاشك . وهذه العروض موجهة اساسا الى جمهور الاسكندرية وتتم حيث توجد دور عرض الدرجة الاولى وحيث الف الاسكندريون أن يشاهدوا الافلام الجديدة ، وحيث يمكن ان تتسع مقاعد هذه الدور لاستيعاب من يقبل على مشاهدة افلام المهرجان . وكان النقاد والصحفيون وبعض السينمائيين المصريين يقيمون فى فندق اخر يبعد قليلا عن وسط المدينة ، حيث كنا ندبر سيارات تقلهم الى دور العرض فى المواعيد المناسبة لمتابعة افلام المهرجان ، ولكى يكتمل جانب الندوات والمؤتمرات الصحفية . اما نجوم السينما المصرية وضيوف المهرجان من غير المصريين فكانوا يقيمون فى أحد الفنادق الفخمة ، والتى لا تتوفر الا فى منطقة المنتزه أو ما يقرب منها وكان هذا يعنى أن من يرغب منهم فى مشاهدة فيلمه أو اى فيلم آخر ان يستغرق وقتا فى انتقاله من ذلك الفندق الى حيث تتم العروض السينمائية ، يقرب من الساعة فى الذهاب ومثلها فى الاياب فى كل مرة .

ومن خلال تعاقب الدورات حاولنا تفادى الشكوى من التفرقة فى مستوى فنادق

لقطة من الفيلم التشيكى ابتسامة الشيطان



الاقامة بأن يقيم جميع المشتركين في هذه المناسبة من ضيوف ونجوم وسينمائيين وصحفيين ومنظمين في فندق واحد فخم يمكنه ان يستوعب هذا العدد الكبير ، ولا يتأتى هذا الا في اقصى اطراف الاسكندرية ، وكان علينا ان نحضر معا من القاهرة الات عرض سينمائي لكي تنظم عروضا سينمائية لعدد من افلام المهرجان داخل احدى قاعات نفس الفندق ، حتى نوفر ما يستغرقه الانتقال من الفندق الى وسط المدينة ، حيث توجد العروض الرئيسية لافلام المهرجان ، من وقت يضيع بلا طائل .

● شكوى غير منطقية !

من الواضح لمن يفحص هذا الوضع انه لا يمكننا اطلاقا ان ننظم عروضا كاملة لكل افلام المهرجان داخل الفندق البعيد . فعدد الافلام المشتركة في مهرجان هذا العام كان ٥٦ فيلما بينما كان عدد العروض المتاحة في الفندق يزيد عن العشرين عرضا بعدد قليل ، ويعود هذا الى ارتباط مكان القاعة الصالحة للعرض السينمائي بالفندق بأنشطة اخرى لا يمكن الغاؤها أو التحكم فيها .

ما الحل اذن ؟ أصبح من الواضح انه على من يريد ان يتابع الافلام السينمائية ، وهو بيت القصيد في اى مهرجان سينمائي بلاشك ، ان ينتقل الى وسط المدينة لينتقى مايشاء من افلام لمشاهدتها عندما لا تكون هناك عروض يرغب في متابعتها في الفندق .

وهنا برزت الشكوى الرئيسية ، وهى ان أغلب الموجودين من صحفيين وسينمائيين في الفندق الفخم البعيد كانوا لا يريدون ان يغادروه ، وانما يريدون مشاهدة كل الافلام الـ ٥ داخل جدرانه وكل منهم يطلب منا عرض ما يختاره هو من افلام في الوقت الذى يريحه هو ، بدلا من الانتقال من ان الى اخر الى دور السينما بوسط المدينة ، بالسيارات التي كنا نعدها لهذا العرض .

هذه هى الشكوى الرئيسية من وجة نظرى ، والتى لابد من تلافيها في المرات القادمة ان شاء الله ، أما ما ظهر في كتابات بعض الصحفيين عن المهرجان من انتقادات اخرى ، وصل بعضهم الى ان اسماها "فضائح" فهى امور بسيطة لا يستحق أغلبها ، من وجة نظرى ايضا ، اى تعليق أو رد .

● ما قدمه المهرجان السادس

اسمحوا لى أن اكرر هنا أن ما يقدمه اى مهرجان سينمائي من افلام هو بيت القصيد من وراء اقامته ، وهو ما تم عرضه هذا العام في دور سينما مترو وأمير وريالتو ورويال في وسط المدينة لجمهور الاسكندرية وضيوفها . وهذه الافلام هى ما يمكن الحكم منها على جدوى مهرجان هذا العام ، وليس من صغائر الأمور التى كانت تدور داخل أروقة الفندق الفخم البعيد ، ومما كان يحلو لبعض الصحفيين ان يكتفوا بترديدها وتهويلها ، واعتبار هذا البعض ان التمسك بالاقامة في الفندق وحضور حفله الختامي الساهر هى بيت القصيد ، الذى يجب عليهم الدفاع عنه بكل ما يمكنهم من كتابة ، والهجوم كل الهجوم على من يمنعهم من ذلك .

وصل عدد الافلام التى عرضت فعلا

مهرجان الاسكندرية السينمائى

الى ٥٦ فيلما من ١٥ دولة مختلفة ، وذلك بعد استبعاد عدد قليل من الأفلام التى وصلتنا من الخارج ، لعدم ملاءمتها للعرض أمام متفرجينا . وجاءت الأفلام الأجنبية وعددها ٣٧ فيلما من الدول التالية مرتبة حسب مدى اسهام كل منها : الولايات المتحدة الأمريكية والأرجنتين وفرنسا والاتحاد السوفييتى وانجلترا وتشيكوسلوفاكيا والسويد والجزائر والعراق واسبانيا واليونان والدنمارك واليابان والهند . أما مصر فكان نصيبها ١٩ فيلما جديدا لم يتم عرضها من قبل ، وهو وضع لم يسبق له مثيل .

ومن الدول التى عرضت افلام لها لأول مرة فى الاسكندرية فى هذه المناسبة الأرجنتين والسويد والدنمارك واليابان . هذا وقد تم عرض الـ ٥٦ فيلما فى ١٣٢ عرضا سينمائيا فى وسط المدينة ، الى جانب ما تم من عروض فى فندق شيراتون المنتزه .

فكم من الصحفيين تعرض لهذا العدد من الأفلام بالنقد والتقييم ، أو بالمقارنة بأفلام مهرجان العام الماضى مثلا من حيث الكم والكيف ؟

● التحكيم والجوائز

نالت أربعة أفلام مصرية بالتساوى جائزة اعلانية قدرها ٧٥٠٠ جنيه لكل منها وكذا تمثال عروس البحر ، والأفلام الاربعة هى "الاراجوز" و"أيام الغضب" و"امرأة واحدة لا تكفى" و"اللعب مع الشياطين" .

أما جوائز المهن السينمائية فكانت من نصيب :

- هانى لاشين أحسن اخراج عن "الاراجوز" .
- عبدالحى أديب أحسن سيناريو عن "امرأة واحدة لا تكفى" .
- أحمد زكى أحسن ممثل عن "امرأة واحدة لا تكفى" .
- الهام شاهين أحسن ممثلة عن "أيام الغضب" .
- هشام سليم أحسن ممثل مساعد فى "الأراجوز" .
- أمل ابراهيم أحسن ممثلة مساعدة فى "أيام الغضب" .
- ماهر راضى أحسن تصوير عن "أيام الغضب" .
- عادل منير أحسن مونتاج عن "شباب على كف عفريت" .
- صلاح مرعى أحسن ديكور عن "أيام الغضب" .

إلى جانب جوائز اخرى للممثل عمر الشريف والممثلة شريهان والممثل سعيد عبدالغنى والمخرج أحمد فؤاد والمخرجة ايناس الدغيدى ومدير التصوير محسن أحمد .

أما جائزة كمال الملاخ للعمل الاول فنالها بالتساوى المخرج منير راضى والمخرج محسن محيى الدين .

فهل فى هذه الجوائز ما جانب الصواب حتى يطلق عليها بعض الصحفيين "كارثة المهرجان" ؟! اطلاقا ، انما هى نفس الروح التى سادت بعضهم من تلذذ فى الاساءة والتجريح للتسلية وقتل الوقت ماداموا لا يتوجهون لمشاهدة الأفلام !

لغويات

ـ قال بعض الأدباء قديما ان زبدة اللغة العربية فى ديوان أبى عبادة البحترى ، وان الاستفادة من لغته تجىء بعد الاستفادة من لغة القرآن والحديث .. فإلى القارىء هذه الفوائد اللغوية من ديوان البحترى :

● يقول الفصحاء : « المشيئة » .. ويخففها العامة فيقولون : « المشية » بتشديد الياء وحذف الهمزة .. والعامة فى هذه الكلمة فصحاء أيضا .. قال البحترى :

ولو شاء إذ تَرْكُ المشيَّةِ سؤددٌ

لأشوته يوم الهندوان نبالها

● « الجلنف » عند العامة هو الشخص الجلف الذى يعامل الناس بخشونة .. وكلمة « الجلنف » تخفيف لكلمة « الجلنفع » وتؤدى معناها .. قال البحترى :

سيحمل همى عن قريب وهمتى ..

قرا كُلِّ ذَيَّالٍ جُلالٍ جَلَنْفَعِ

والجلنفع من الابل هو الغليظ الشديد الواسع الجوف ، أما الذيال فهو الثور الوحشى ، أما الجلال ـ بضم الجيم ـ فهى الناقة الضخمة .. وهذه الأوصاف كلها تنطبق على الشخص الجلف ، أو الجلنف ، الذى هو الجلنفع ، فيما نظن ظنا قريبا من اليقين !

● بعض المتأدبين الضعاف لايعرفون معنى كلمة « الفسل ».. ويظنون انها كلمة خاصة بالنبات أو الأشجار ـ مثلا ـ ولكن الكلمة تستعمل صفة للشخص العاجز الضعيف الذى لامروءة له .. قال البحترى يصف هذا الشخص :

والفَسْلُ يسلبه عزيمتَهُ ..

ادنى وجودِ كفايةٍ تَسَعُهُ !

● كان اسم « مغاورى » شائعا فى مصـر ، ومازال متداولا فى التمثيليات والمسرحيات الهزلية على سبيل التفكه والسخرية ، ولكن للمغاورى معنى عظيما ، فهو نسبة الى « المغاور » وهو المجاهد الذى كان فى عهد أسلافنا يغير على الأعداء .. قال البحترى :

مع الليث وابن الليث اضحى مُغَاوِراً

حماةَ الضواحى ثم أمسى مقاتلا

وهكذا ننسى أصول بعض الكلمات العظيمة ، ونهزأ بها فى آخر الزمان !..





رحلة منتصف

حين وضع الاستاذ سعيد نفسه فى سيارة الأجرة الصغيرة ظن ان متاعبه انتهت فى ذلك اليوم، فهو - إن شاء الله - بعد ساعتين على الاكثر سيكون بين زوجته وأولاده، بعد غيبة عشرة أشهر فى رحلة رزق خارج حدود الوطن.

إنه لم يكن يظن ان متاعبه الحقيقية قد بدات منذ ركوبه السيارة، ليس بسبب حوادث الطريق التى تؤدى الى اصابات بسيطة او خطيرة، والتى يحتمل وقوعها، او التى لا غرابة فى وقوعها، ولكن بسبب خوفه من ان يحدث له هو شخصيا فى داخل السيارة حادث مؤسف يقضى على آماله كلها التى حشد لها نفسه فترة طويلة من عمره.

بعد ان انتهت اجراءات الجمرك فى المطار بحلوها ومرها، او بمرها فقط، حسب راى الاستاذ سعيد، وحسب راى كل قادم من الخارج فى اغلب الأحوال، اتجه صاحبنا إلى سيارة تقوده الى موقف سيارات الاقاليم. كان الوقت بعد



الليل

منتصف الليل ، والسيارات في هذا الوقت قليلة أو نادرة في ذلك الموقف . كان في نيته لذا لم يجد سيارة ، بالنفر ، تحمله الى بلده أن يظل في السيارة التي نقلته من المطار حتى تصل به الى الشارع الذي به بيته هناك في أعماق الريف ، ولكنه حين وصل إلى الموقف سمع من ينادي ..

بقلم : محمد محمد القاضي
ريشة : الفنانة سميحة حسنين

قصة قصيرة



نفر لعنوف ، واحد منوف . واستجاب للنداء ، وحمد الله ان الظروف لم تضطره لركوب سيارة التاكسي وحده مع السائق الذى كان يحتمل أن يكون من أولاد الحرام .

وجد الأستاذ سعيد نفسه في داخل السيارة بين اربعة أشخاص في ملابس الفلاحين ، بالاضافة الى السائق ، لايعرفهم ولايعرفونه ، وقد راوا بعيونهم الحقائب الضخمة المنتفخة التى انزلت من التاكسي ووضعت في سيارة الأقاليم بين كلمات : « حاسب ، من فضلك ، اصلها تقيلة شوية ، اصل فيها صيني ... الخ » .

من هنا بدات مخاوف الأستاذ سعيد المدرس بالتربية والتعليم ، فما كان له ان يركب مع ناس ليس بينه وبينهم « معرفة » في وقت كهذا ، ولكن لابد مما ليس منه بد .

ركب الاستاذ سعيد الى جوار السائق وعن يمينه احد الرجال الاربعة الأشداء الضخام ، مفتولى العضلات ، اصحاب الشوارب الكثيفة ، غير المنتظمة ، الحق ان الرجال الاربعة لم يكونوا كذلك بالضبط ولكن الاستاذ سعيد رآهم كذلك ، كان فيهم من هو صغير الحجم ، وكان فيهم من ينم لونه عن فقر في التغذية ، وكان فيهم من ليس له شارب على الاطلاق ، ولكن الاستاذ سعيد رآهم بعينه الخائفة وقلبه المضطرب .

واشد ما ضايق صاحبنا انه اضطر الى الركوب في ذلك المكان الذى يكون فيه « ظهره مكشوفا للعدو » فحسبه ان يمد واحد من الثلاثة الذين يجلسون في الكنبة الخلفية يديه الغليظتين الجافتين ليقبض بهما على عنقه ، وينتهي الأمر ، ويصبح ماجلبه من مال وهدايا لقمة سائغة لهم . كان بين حين وآخر تحدثه نفسه ان يلتفت الى الخلف ليطمئن الى ان احدهم لايفكر في القيام بهذا العمل ، ولكن اذا تأتى له ان ينظر الى الخلف ، فسوف يتمكن من رؤية الذى عن يمينه ، والذى عن شماله ، فكيف يستطيع ان يرى الذى يقع خلفه مباشرة . ان الخطورة اتية من قبل هذا « الوحش » ، ولاشك ، انه يقدر على ان يمد يديه على عنقه ، دون ان يضطر الى الميل يمينا او يسارا .

« حتى لو فكر احد الثلاثة في ذلك فكم من الوقت يحتاج الى مد يديه للقبض على عنقه ، يدوبك ثواني » اه لو امكن ان يجلس مواجها لهؤلاء الجالسين في الخلف ، ولكن كيف ؟ » .

هكذا حدث نفسه ، وهكذا كان قلقا في جلسته ، لايكاد يستقر حتى يبدا في الحركة من جديد ، مما جعل الرجل الذى بجانبه يبادره بالسؤال :

- حضرتك مش مستريح في القعدة ولّا ايه ؟

- لا ، ابدا .

معلهش ، هانت .

« ياترى ايه اللى هانت دى ؟ هم نووا خلاص » .

★ ★ ★

على صوت موتور السيارة ، وفي فترة سكون اعترت ركاب السيارة ، استعاد الاستاذ سعيد شريط رحلة « الرزق » هذه ، او « لقمة العيش » كما تسمى في الغالب استعادها بسرعة وبصورة اختلطت فيها الأمور وانعدمت الحواجز زمانا ومكانا .

انه يذكر انه اجهد نفسه كثيرا في العام الماضي حتى يحصل على تقدير ممتاز من الناظر والمفتش ، واجهد نفسه كثيرا في ارضائهما « خارج حدود العمل » . وكان « يضطر » بسبب ذلك الى اغماض

العين عن اخطاء الناظر حتى عاب عليه زملاؤه هذا السلوك ، واعتبروه منافقا ، و« وبلدولا » وجاسوسا للادارة ، ولكن الاستاذ سعيد ، سد اذنيه واعتصم بالصبر ، فالغاية تبرر الوسيلة ، ولم يكن يعجز عن تبرير سلوكه هذا بغير ذلك المبدأ العلم ، الغاية تبرر الوسيلة ، لان بند « التعاون » مع ادارة المدرسة يتسع لكل انواع السلوك « الملائمة » لهذا المعنى :

- انا رجل متعاون .

- لما الناظر يشخط لازم اعذره ، علشان عنده سكر

- لو كلفنى الناظر بخدمة ولا حاجة ، معلهش اهو زى اخويا الكبير .

- صحيح انا واخد بالى من ابن الناظر لكن برضه الواد شاطر » .

كان الاستاذ سعيد يرد بهذه الكلمات على الغمزات واللمزات والهمسات التى كان زملاؤه يرشقونه بها بين حين واخر ، او قل يرد بها على نفسه .

وينتقل الشريط بسرعة الى المحلات التى اشترى منها الهدايا فى البلد القادم منه . كيف كان ينتقى منها السلع المختلفة لزوجته ولاولاده . وكيف كان يتخيل فرحهم بها ، خاصة زوجته التى تريد ان « تكايد » الجيران الذين سبقوهم الى هذا « الهنا » .

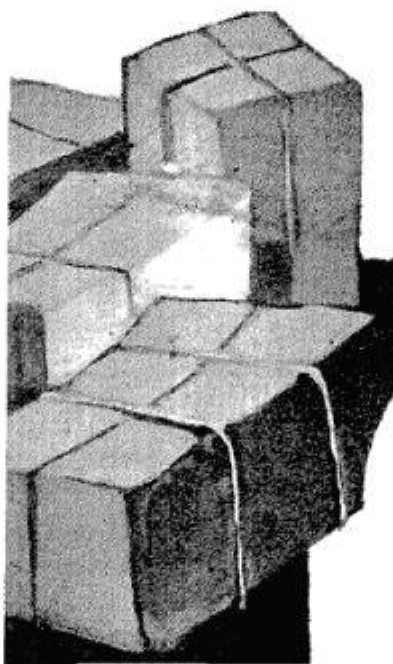
والحقيقة ان الذى يقلقه ليس ضياع تلك الهدايا التى حملها فهى قليلة بالقياس الى ما اشتراه ليبيعه قطعة قطعة ، فى السر ، ومن بيت الى بيت ، كما يفعل الكثيرون من زملائه . الحقائب كانت منتفخة بالاشياء التى اشتراها ليبيعها ، انه اشترى من كل الاحجام بكميات كبيرة . وبعد ان ملأ الحقائب وضع الاشياء الصغيرة الثمينة فى جيوبه . « تعب » كثيرا فى الجمرك ودفع « فلوس » ياما ، ولكن هذا كله يهون بالمقارنة الى الربح المنتظر .

وفى اثناء مشاهدته وحده لهذا الشريط التذكارى سمع صوت نحنحة مندفعة من خلفه ، فاعتدل الاستاذ سعيد فى مقعده فجاة ، واصبح فى حالة تاهب قصوى . حواسه كلها اجتمعت فى اذنيه .

« انا عارف ايه اللى جابنى بالليل دلوقت ، يعنى ماكنتش طالع نهار ، ولازم اقول الشنطة فيها صينى ، ويافرى الشنطة اللى فيها القماش انحطت فى العربية ولا ولا ؟ » .

وكاد ان يسال السائق لولا ان صاحب النحنحة القادمة من الخلف ساله بصوت خيل اليه انه خشن وفيه غلظة .

- انت الافندى بدستور جاى منين ؟



- من الصعيد ، الصعيد الجوانى ، اصل انا باشتغل هناك مدرس ، وجاى اعيد مع الاولاد ، كل سنة وانتم طيبين .

ثم قال لنفسه :

« ايه التخريف ده ، هو اللى جاى من الصعيد بيجيب صينى معاه ؟

- الحمد الله على السلامة .

- الله يسلمكم (خاطب بالجميع مع انه كان يتحدث الى واحد فقط)

ود لو استمر الحديث حتى يكتشف خبايا الرجل والذين حوله ، لكن الحديث توقف عند هذا الحد فاشتد خوفه ، الصمت من لزوم الترصد .

واستمرت المخاوف

قصة قصيرة



تغدو وتروح فى جوانب الاستاذ سعيد ، لا يعوقها عائق من عقل او تفكير . لم تكن فى داخله اشارات مرور تنظم حركة المخاوف التى تناوشه .

توقفت المخاوف فجاة ، لا لتنتهى ويحل محلها الامن والطمانينة ، ولكن ليحل محلها نوع من الشلل الذى يصيب الانسان فلا يدرى أحى هو ام ميت ، اهو يفكر ام هو لايفكر ، اهو يشعر ام هو لايشعر ، اهو خائف ام هو غير خائف . اعترته هذه الحالة عندما قلل السائق من سرعة السيارة ، ثم اوقفها ونزل :

جالك الموت ياتارك الصلاة ، اشهد الا إله الا الله ، وان محمدا رسول الله » .



« هانت ياسيدنا الافندى (قالها جاره مرة اخرى)

لم ينتبه الاستاذ سعيد الى مقالة جاره ، لانه كان متخشبا فى مكانه ، ولم يكن يرى الا مخاوفه ، التى تتجسد فى انتهاء حياته على ايدى « رفاق » السيارة واقتسام « تركته » الهائلة من الاقمشة ، والصينى والدولارات ، الدولارات ، التى وضعها فى قرار مكين من جيوبه الداخلية ولكن من السهل العثور عليها بعد الانتهاء منه .

كانت عينه تقع احيانا على الاشجار الضخمة الموجودة على جانبى الطريق فيخيل اليه انها من اعدائه ، وانها قائمة على هذا النحو لتخيفه ، وربما كانت تخفى وراءها من يحتمل ان يطعنه بسكين .

ثم عاد السائق بعد قليل ، مما جعل الاستاذ سعيد ، فى دوامة هواجسه ، يخمن سبب غيابه .

قال السائق :

لامؤاخذة اخرتكم شوية ، يلا بينا نتوكل على الله .

همس الاستاذ فى داخله :

« يخرب بيتك سيبت ركبى يا ابن .. » .

لم يلاحظ الاستاذ سعيد ان رفاقه فى السيارة يدخنون الا بعد ان مضى من المشوار اكثر من نصفه ، ومع انهم « عزموا عليه » بالسجاير واعتذر فى ادب شديد بانه لايدخن .

عندما انتبه إلى انهم يدخنون تذكر انه اشترى من المطار « خرطوشة سجاير لوكس من بتاع بره » فاسرع الى « هاند بلجه » واخرج علبة واخذ يوزع السجائر على « الجيران » فى إلحاح شديد .

قال احدهم :

- مش حضرتك قلت انك مابتشربش .

- صحيح ، بس بلجيبها ساعات زى ماتقول تفاريح كده .

(كان ان « يطب » ويقول انه اشتراها من المطار لولا انه تذكر انه قال انه قادم من الصعيد) .

اشعل كل من الرجال سيجارته ، واشعل هو لنفسه سيجارة ، مشاركة لهم ، واجتلابا لطمانينة هى فى حركة مستمرة بين ذهاب واياب .

- وحضرتك بتشتغل فى الصعيد فين ؟

- « صحيح فين » .

- فى الصعيد الجوانى .. الجوانى خالص .



- بيقولوا هناك يقتلوا النفر زى الفرخة ، لا له دية ولاحاجة .

« ليه سيرة القتل دلوقت ، هم ناويين على ايه ؟ » .

- والله هم ناس جبارين بصحيح ، بس جدعان ، جدعان قوى ، الواحد منهم لو كل معاك لقمة او شرب معاك سيجارة لايمكن يخونك .

اكد الاستاذ هذه الجملة بصوته ، وكررها اكثر من مرة ، وكانه يذكر الرجال بانه اعطاهم سجاير ، مما يحرم عليهم ان يمسوه بأذى ، يجب عليهم الا ينسوا « جدعنة » عن ابناء الصعيد .

عاد الرجال إلى الحديث عن القتل فى الصعيد متناولين التفاصيل الدقيقة فى كل واقعة يتناولونها ، اصيب الاستاذ بهلع حقيقى لما سمع ، واحس كان كلماتهم تخنقه ، وان روحه تصعد جزءا جزءا ، حتى لم يعد فيها مايصعد ، مع ذلك اصابته دهشة انه لايزال يسمع ويبصر ، اى انه لايزال يعيش ، اى انه لم يبق منه الا ما يشعره بالهلع فحسب .

- جينا البلجور ، فاضل جروان ويبعدين سرس ومنوف .

قال الاستاذ سعيد :

- الحمد لله . يارب هون » .

قالها وهو يدفع برجله الى الامام كانه يستحث السيارة ان تسرع اكثر ، ما كان يدرى حينئذ انه ، بهذه الحركة من رجله ، قد فقد السيطرة على اطرافه .

اخيرا وصلت السيارة الى بلده وهو بين الشك واليقين وفوجىء ، حقا فوجىء الاستاذ سعيد بان الرجال الاربعة ، والسائق معهم اقسموا بان يبلغوه بيته ، او مامنه .

وحدث فعلا .

وفى غمرة الذهول الذى اصاب الاستاذ سعيد « عزم » على الرجال بدخول البيت فاعتذروا شاكرين ، ولم يجد وسيلة للتعبير عما يشعر به من امتنان غامض فى تلك اللحظة الا بان يمنح كل واحد منهم علبة كاملة من السجاير « اللوكس بتاع برة » .

جولة المعارض

محمود بقشيش

اللبّاد.. وكرته الذهبية

منذ اسابيع قليلة فاز رسام الاطفال الكبير « محيي الدين اللّباد » بالكرة الذهبية ، فى بينالى يوغسلافيا لرسوم الاطفال .. ولقد حدث ، منذ سنوات ، ان اجريت معه حوارا .. لكن حالت بعض الظروف دون نشره ، رغم اهميته ، وفائدته للقارىء ... ثم جاءت « الكرة الذهبية » لتسعدنا ، وتدفعنا هذه السعادة الطارئة الى تحيته ، وتحيته هي ان ننصت الى كلماته فى مجال اعطاه ولا يزال يعطيه افضل ما عنده ..

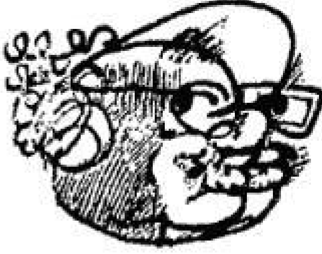
وهذا نص الحوار :

اصبح مصطلح « الازمة » مصاحبا لكل حديث لذا ما كدنا نتناول موضوع رسوم الاطفال ومجلات الاطفال فى عالمنا العربى مع الفنان « محيي الدين اللّباد » حتى ظهر المصطلح متربعا على مجمل الحوار . كان السؤال الأول الذى وجهته اليه حول مجلة الاطفال التجريبية المسماة « ياسين وياسمين » وقام باخراجها ، والاشتراك فى رسومها ، وطبع منها عدد واحد ، ووقفت عند حدود البحث المعملى .. وعندما ابديت الشك فى جدوى ما حدث .. خالفنى الرأى وقال : لدى وجهة نظر مخالفة . انا لاتشغلنى فكرة « التأثير » ، و« الاتصال » بالاجيال الحالية ! .. ليس هذا اختيارا ، ولكنه نتيجة حتمية لملابسات الواقع الثقافى والتربوى .. حيث الانتشار المروع لكل قيم المجتمع الاستهلاكى الهابطة ، وتأثيرها الفادح فى بناء الطفل ، ففى كل مجال لابد ان نلتقى بالوجه القبيح لتلك القيم ، فى نظام التعليم ، الخدمات العامة ، ظروف الاسرة ، المجلات الرديئة ، الخ .. فليس بغريب اذن أن يرى فنانو الاطفال انهم صاروا هامشيين ، غير

مؤثرين فنانو .. ولم يبق امامهم غير هامش واحد هو هامش المهنة نفسها ، وافراد المهنة !

إن مجلة « ياسين وياسمين » ، والتى صدرت بالتعاون بين المركز القومى لثقافة الطفل والورشة التجريبية العربية لكتب الاطفال بالقاهرة ، مجلة تجريبية .. استهدفت التحريض لعمل مجلات اطفال ذات مستوى جيد ، لأعمار من سن الرابعة حتى السابعة .

تساءلت مندهشا .. ألم يكن من الاسهل تقديم نماذج غير مطبوعة ، وغير



رسم لكتاب علمى مبسط للاطفال عن الغذاء العالمى



مكلفة .. بدلا من انفاق بضعة آلاف على نسخة يتيمة .. فأجاب بأن هذا يفرق كثيرا عند المسئولين . إن الرسميين موظفون غير متخصصين غالبا ، ومن هنا فإن اقناعهم لايتم عن طريق المكاتبات ولكن عن طريق نماذج واضحة محددة ، بالاضافة الى ماهو أهم من ذلك .. وهو اكتشاف الامكانات الفنية .

قلت : وماذا وجدتها . قال : قليلة ، بل تكاد تكون نادرة ، ليس فى مصر فقط ولكن فى العالم العربى ايضا . دعك من مجلاتنا . تصور مثلا ان اكثر مجلات الاطفال انتشارا فى العالم العربى مجلة رديئة اسمها « ماجد » ٦٤ صفحة بالالوان وبخمسة عشر قرشا [لست ادرى ثمنها الآن] اى اقل من تكلفة نقلها ، وعلى الرغم من هذا الانتشار الواسع فإنها خالية من التجريب الخلاق ، وتنتمى الى ركام المجلات المنتشرة والتى تعبر عن غياب العقل اساسا .

قلت : الا تظهر اعداد متزايدة من رسامى الاطفال العرب الذين يحصل بعضهم ، كما حدث معك ، على جوائز دولية ؟

قال : إن موضوع الجوائز لا قيمة له



عندى ، فهى مشروطة باعتبارات قد يدخل المستوى الفنى فيها ، الا انه ليس العنصر الحاسم .. يحدث كثيرا فى المسابقات الدولية ، وبشكل عام فان احكامهم النقدية تختلف عن احكامنا ، فقد تجذبهم غرابة الأعمال بالنسبة لما اعتادوه من نماذج الرسامين الاوربيين ، لهذا لا اعير موضوع الجوائز اى اعتبار .

قلت : هل ترى ان قدرَ الفنان الجاد فى العالم العربى .. الانتظار الدائم لقرار من صناع القرار ام ان الامر ، فى معظمه ، بيده ؟

قال : الواقع ان كل الطرق : للحل وضد الحل .. موجودة ، ومختلطة ! .. لقد لمست خلال تجربتى الطويلة فى هذه « المهنة » .. انه قد حدث تطور بها اكثر من وهم التأثير فى الطفل . لقد أسسنا ـ على سبيل المثال ـ فى بيروت دار الفتى العربى ، وكان للانجازات التقنية لتلك الدار تأثير كبير على عديد من مجلات الاطفال فى عديد من الدول العربية ، وفى المهنة العربية بشكل عام ، ولقد كانت سببا فى اقبال العديد من الفنانين المتميزين ، للمشاركة فى كتب الاطفال .

قلت : ان « المهنة » ـ على حد تعبيرك ـ قد ضمت عديداً من غير المتخصصين .

قال : لا أعترف بالتخصص ! .. ان هذا التصور قد نشأ من الاعتقاد الخاطىء بأن هناك نوعاً واحداً من الرسم للأطفال .. اى « الكرتون » . ان قناعتى هى ان الرسم للأطفال يجب ان يكون متنوعا ، ومهمة المدير الفنى ان يختار الاسلوب الفنى المناسب للنص ، وبالمناسبة فان وظيفة المدير الفنى لم تطرح بحجمها الحقيقى حتى الآن . إن الطفل ليس بالتفاهة ، والهشاشة التى تجعلنا نتصور ان نسجنه فى قالب . إن الطفل يستطيع استيعاب تنوع الرسوم والاساليب والموضوعات . انه حر فى التلقى والارسال ، لهذا فانا ضد برمجة الطفل ، و وضعه فى الحضانة التى تضمن بقاءه صالحا من وجهة نظر المسئولين ، ومسخا من وجهة نظر الحقيقة ، اى باختصار مواطن بلا احلام فى التغيير ، أو مراجعة الواقع .. ومن هنا فلا أعمال مرسومة او مكتوبة تلمس الطفل من الداخل بما فيها جنونه ! ..

إن الدعوة الى التخصص فى رسوم الاطفال لا استسيغها . أن يتخصص الناشر فهذا مفهوم ، اما أن يتخصص رسام الاطفال فلا افهمه أو أتقبله !

إن الدعوة الى الرسوم النمطية هى دعوة تنحاز لها ، وتتبناها ، اصلا ، دور النشر التجارية ، اما بالنسبة لى فانا لا احب للفنان ان يغير جلده . هناك من الرسامين من يتصور انه لكى يكون رساما للأطفال فعليه ان يستعيد منهم الطفولة ! .. هذا الرسام يخون نفسه مرتين : الأولى هى تجاهل طفولته الشخصية ، والثانية اصطناع اسلوب يتسق مع المواصفات التجارية ، التى تناسب الاطفال المبرمجين ! ..

وفى رأيى ان اى فنان متمكن يستطيع ان يرسم بأسلوبه للأطفال .. على ان

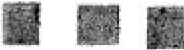
يختار من النصوص مايتناسب مع أسلوبه الفني .

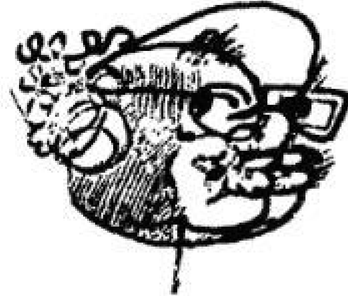
وقدم لى الفنان « اللباد » رسوما للفنان اليمنى « فؤاد الفتيح » بنفس الاسلوب الفنى المعروف به ، كما شاهدت رسوما للفنانة الفطرية « شلبية » التى قدمت رسوما لكتاب للأطفال بنفس اسلوبها وبنفس الخامة التى تفضلها وهى « الباتيك » ، ورسوما اخرى للفنانة الفلسطينية « ليلى الشوا » بنفس اسلوبها الفنى .. وهكذا ..

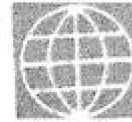
قلت مداعبا : ان الرسوم التى رأيناها فى ورشتك الفنية لاتصلح للأطفال المبرمجين !

قال : لابد من احترام جنون الطفل ! .. ان الطفل المبرمج يفضل رسم الموضوعات المدرسية ، المرضى عنها .. اى الموضوعات التى تعوق نمو التعبير عنده ، وتعطل الحاسة النقدية ، ويصبح الطريق الوحيد المتاح له هو ان يكون رسام « بروباجندا » . لقد تورطنا فى ذلك ونحن صغار ، لكن بعد ان كبرنا اكتشفنا النتائج السيئة ، ليس فقط علينا ، بل على اطفالنا الذين يتلقون قيم المجتمع الاستهلاكى .

إننا نعيش فى مجتمع التبعية ، والانبهار بكل ما هو قادم من الغرب . اننا لاننكر بالطبع ارتفاع مستوى التقنية الاوربية ، لكن علينا ايضا ان نعترف بما هو اهل للاعتراف .. اعنى التصوير والجرافيك العربى الاسلامى ، والذى قدم للأجيال الحديثة بصورة مشوهة .. اى تقديم اللوحات بمعزل عن مخطوطها خوفا من اتهامها بالتوضيحية ، بعد ان صارت الرسوم التوضيحية فكرة ينظر اليها باستخفاف ، ووضعها فى المرتبة الدنيا من بين الرسوم الملونة الأخرى .. « فالواسطى » مرتبط فى أذهاننا بلوحاته الملونة ، ولقد شاهدت فى المكتبة الوطنية فى « باريس » تلك الرسوم الملونة ضمن مخطوطات كتاب . ولقد شاهدت المخطوط لكتاب الحيوان للجاحظ فى مكتبة الفاتيكان ، ويضم الكتاب اكثر من اربعين حيوانا وطائرا ، ويقدم هذا الكتاب للرسام العربى حلولا جديدة بدلا من حلول « والت ديزنى وتومان جيل » . لو عدنا الى منابعنا لاكتشفنا الكنوز . ولست ادعو الى عودة ناقلة بل متأملة ودارسة . اذكر .. عندما سافرت الى اوربا لاول مرة ، وشاهدت فى المانيا الأشجار الجافة السوداء فى تقاطعها مع المسطحات الثلجية أصابتنى الدهشة ، فقد كنا نظن ان رسوم الاشجار على هذا النحو الذى ذكرته مجرد ابتكارات اسلوبية ، وليست نقلا عن الطبيعة . تصور .. مثلا .. فن الخط لايدرس فى الكليات الفنية ، والاجيال الجديدة لاتعرف شيئا عن العود ، والتقاسيم ، وغير ذلك من فنون المكان الذى ننتمى اليه .. لهذا فانا اقوم الآن بعمل مشروع لاعادة نشر عدد من المخطوطات المصورة العربية .







العالم في سطور

هوليوود

● حقيقي أم زائف

جاءت الشهرة «اورسون ويلز» بفضل دراما اذاعية وفيلم واحد.

فمن المعروف أن سمعته سبقته الى هوليوود عندما اخرج للاذاعة قصة من القصص الخيالي «حرب العوالم» للأديب الانجليزي "هـ . ج . ويلز" فاذا بالمستمعين في «نيوجيرسي» يصيبهم ذعر شديد، لا لسبب سوى ان الواقع قد اختلط عليهم بالخيال، فصدقوا ان الأرض مهددة بغزاة قادمين من كوكب المريخ.

هذا عن الدراما الاذاعية، اما الفيلم فهو



اورسون ويلز

«المواطن كين» (١٩٤١) الذى تعرض فيه «ويلز» لحياة وازمنة ملك الصحافة في الولايات المتحدة «ويليم راندولف هيرست»، فأثار غضبه حتى انه حاول من خلال نفوذه الكبير ان يحول بين الفيلم والعرض العام.

وعن شهرة «ويلز» هذه، وكيف غذاها بكل مافي جعبته من حيل تصل الى حد الاحتيال يدور الكتاب الذى ألفه «فرانك برادي» المحاضر في السينما بجامعة سانت جون في نيويورك واعطاه عنوان «المواطن ويلز» (٦٥٥ صفحة).

وهذا لايعني ان مؤلف ذلك الكتاب ليس معجبا بالساحر «ويلز».

لا .. إنه من أشدّ المعجبين به باعتباره مبتكرا لذلك النوع من الأفلام الذى اسماه نقاد فرنسا «الفيلم الاسود».

وباعتباره كذلك رائدا ادخل على السينما تكنيكيات كان لها تأثير ملحوظ على عشرات الأفلام بل انه يصل في اعجابه به الى حد القول بان الروائي المكسيكي "كارلوس فوينتس» قد اعترف بان بناء قصته "موت ارتيميو كروز» مأخوذ عن "المواطن كين».

ولكنه على عكس القائمين على شئون اوسكار، شديد الحذر في استعمال كلمة "عبقري" ومن هنا حرصه على الا يصف «ويلز» بها.

ومن بين العبارات التى قالها «ويلز» وهو في معرض الحديث عن نفسه، وجاءت في الكتاب لتلقي ضوءا على شخصيته الغريبة، العبارة الآتية «اكتشفت وانا في السادسة، انه يكاد يكون كل شيء في عالمنا هذا زائفا».

ويالها من عبارة !!

●●●

نيويورك

● عبقرية فريدة

لعل اسمه اكثر اسماء المخترعين ذيوعا ولا غرابة فى هذا ، اذا كان قد خلف وراءه ، عندما مات عن عمر ناهز الخامسة والثمانين ، تركة من براءات الاختراعات وصل عددها الى الف وتسعة وثلاثين ، وهو رقم مذهل اهّله بجدارة للفوز بلقب اعظم مخترعى امريكا ، واغزرهم انتاجا .

فمن هو هذا المخترع رب كل هذه الكفاءات والاوصاف ؟

انه "توماس ا .. اديسون" الذى يرتبط اسمه باختراع الخيالة والكهرباء والحاكى والبرق الآلى ، وغير ذلك من اختراعات غيرت وجه العالم . ولقد فكر المشرفون على جامعة "جونز هوبكنز» الامريكية فى جمع اهم الوثائق التى تركها « اديسون » عند وفاته ، وعددها يتراوح بين ثلاثة واربعة ملايين صفحة بما فى ذلك ربع مليون اسكتش بخط يده لما تفتق عنه ذهنه من اختراعات .

واذ تبين انه يلزم لذلك الجمع عشرون مجلدا ، ومبلغ طائل للصرف منه على حشد من المحررين والباحثين تحت اشراف الاستاذ "ريز جينكنز» من جامعة "رتجرز» فقد ساهمت وكالتان حكوميتان فى تمويل المشروع ، فضلا عن ثلاثة واربعين مؤسسة خاصة ، وشخصين من عامة الناس ، ونقابة عمال .

واخيرا . وبعد حوالى خمسة عشر عاما من العمل الدءوب .. خرج الى النور المجلد الاول من اوراق "توماس . ا . اديسون» تحت عنوان "صنع مخترع فبراير ١٨٤٧ – يونيه ١٨٧٣» وعندما تكتمل المجلدات ، فانها ستجيء شاملة لصفحات من القطع الكبير يتراوح عددها بين خمسة عشر وستة عشر الف صفحة ، تكلف شاريها الفا وثلاثمائة دولار على الاقل ، تزن خمسة وسبعين رطلا ، وتتطلب رفا يبلغ طوله أربعين بوصة .

وغنى عن الذكر ان هذا الكنز ليس للرجل العادى ، وانما هو للباحثين ، ولكل من يجد نفسه مهتما بما يسمى بالنشاط الابداعى .

واشنطن

● مأساة أمريكا

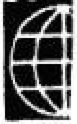
كان له صوت من تلك الأصوات التى لاتنسى .. عميق ، مواس للقلب الحزين ، مشتعل بنار موقدة لايلين ولو لم يفعل شيئا مثيرا للجدل والانتباه سوى الاكتفاء باغنيته الشهيرة « النهر العجوز » يطرب بها العالم .

هذا الى جانب بنيته القوية التى اهلته – وهو شاب جامعى – ان يكون واحدا من ابطال فريق كرة البيسبول بجامعة « رتجرز » .. فضلا عن شخصيته التى كانت تشع سحرا .

لو اقتصر نشاطه طوال حياته على ماتقدم ، فلربما انتهى فى ايامه الأخيرة

بول روبسون يوجه عليل





صاحب ملايين فى دنيا الاستعراض ، او مرشحا للرئاسة ، معبودا من الجماهير ..

ولكن « بول روبسون » المغنى والممثل الاشهر لم ينس ابدا ان اباه كان عبدا وعندما اتضح له ان السود مازالوا مواطنين من الدرجة الثانية ارتأى ان من الواجب عليه الا يصمت ، وان يعبر عن احتجاجه بالنشاط سياسيا . وبالغناء وعندما ادان غاضبا الحرب الباردة والتمييز العنصرى ، لم يغفروا له ، واذاقوه على تمرده هذا الوانا من العذاب .

ومن هنا ذلك الاضطهاد الذى لايرحم ، والمطاردة له فى رزقه ، حتى لم يبق منه لحظة استسلامه للموت عام ١٩٧٦ سوى حطام عقل وجسد .

لقد كان بحق احد ضحايا الماكرثية ، وهوى مدير المباحث « ادجار هوفر » الجامح فى التشفى منه والانتقام .

وتلك النهاية الحزينة لبطل اسود ملأ الدنيا من حوله بالسعادة واسباب المحبة هى جوهر مأساة امريكا كما قال بحق استاذ التاريخ « مارتين بومى دوبرمان » فى كتابه الرائع « بول روبسون » (٨٠٥ صفحات) الذى بدأ فى تأليفه استجابة لطلب ابن الفنان الراحل اثر لقاء تم بينهما قبل ثمانية اعوام .

ولعل اجمل شهادة فى حق « بول روبسون » . هى تلك التى جاءت على لسان الممثلة الانجليزية « بيجى اشكروفت » فى حديث لها مع صاحب الكتاب بعد خمسين عاما من وقوفها امامه تؤدى دور « ديدمونة » فى مسرحية « عطيل » ووقوعها فى حبه خارج خشبة المسرح .

فلقد قالت متعجبة .

« كيف لايقع انسان فى وضع كهذا ، فى حب مثل هذا الرجل » ؟

باريس

● الوحدة .. وذكريات الطفولة

لن يكف النقاد والصحفيون عن تسمية الابداعات الجديدة بأسماء غريبة .. مثلما لن يكف الكثير من المبدعين على ابهار قرائهم ونقادهم بالاشكال الجديدة من الابداع .. ومنذ بداية القرن العشرين والعالم فى لهاث غريب بحثا عن اسماء لتلك الاشكال والابداعات الفنية الجديدة .


ناتالى ساروت

احدث هذه الاسماء هو مايمكن قوله بالرواية الحوارية .. وقد اطلق هذا الاسم الناقد الفرنسى جان بيرار على رواية « انت لاتحب نفسك » للكاتبة المعروفة ناتالى ساروت - ١٩٨٩ - التى نشرت فى شهر سبتمبر الماضى فى باريس .

ويبدو ان بيرار قد اراد ان يسخر من السيدة ساروت التى راحت مع كل رواية جديدة تقدم اشكالا مثيرة للغرابة .. فروايتها الجديدة خالية تماما من الشخصيات وبالتالى من

الحوارات المتبادلة بين طرفين . ويبدو الحوار الوحيد فى الرواية بين الكاتبة ونفسها لقد اختارت ساروت ان تسافر الى مدينة البندقية وتقيم فى الدور الأرضى بأحد المبانى المطلة على القناة .. وراحت تغرق تارة فى المياه ، وأخرى فى اغوارها التى لاتنتهى .. وظلت ترصد خمسين عاما من عمرها من خلال ايقاع الكلمات المتصاعدة والهابطة ، حيث اختلطت الطفولة بالصبا بالشباب .. لا توجد حواجز حقيقية فيما بين هذه المراحل .

وتقول ساروت انها كتبت هذه الرواية بعد ان فتحت نافذة خاصة على جدار أصم لايمكن لعينيها ان ترى شيئا سواه .

فيينا

● خمسون عاما على رحيل فرويد

احتفلت الأوساط العلمية والثقافية ، فى النمسا وفى انحاء متفرقة من العالم ، بالذكرى الخمسين لوفاة زيجموند فرويد مؤسس علم النفس الحديث الذى رحل عن العالم فى الثالث والعشرين من سبتمبر عام ١٩٣٩ .

وحول حياة فرويد وعطائه صدرت سيرته الذاتية فى مجلد ضخم تحت عنوان « الحكمة الفرويدية » من اعداد الباحث بول روازن اعتبره النقاد اهم ما ظهر عن حياة فرويد طوال الخمسين عاما الماضية .

ولد زيجموند فرويد فى السادس من مايو ١٨٥٦ فى مدينة فريبرج النمساوية فى أسرة متواضعة ومنذ نعومة اظافره وهو مشغوف بالتحليل النفسى الذى كرس له حياته بأكملها « سرعان ما انتهيت عطشى للمعرفة . ولكن ما كان يثيرنى هو اشكال العلاقات الانسانية التى رحت ارجعها الى الفروض العلمية » .

ففى الفترة بين عامى ١٨٤٧ و ١٨٩٠ خصص فرويد كل اوقاته من اجل تأكيد نظرياته التى وصل اليها فوضع مسمياته الخاصة عن الأمراض



زيجموند فرويد

العصبية والنفسية وراح يغوص فى التاريخ والآداب من اجل تأكيد هذه النظريات .. وأكد ان التحليل النفسى هو محاولة تقنية لمعالجة بعض الأمراض العقلية . وان هذه العملية تستغرق الكثير من الوقت .

ويقول روازن ان اكتشافات فرويد قد وضعت اليقين مكان الشك ، وان فرويد هو أهم الرجال الذين وضعوا بصماتهم على البشر فى كل القرن العشرين . لدرجة أن الباحث النفسى روبير كاسل قد راح يتساءل فى مجلة لوبوان - ٢٥ سبتمبر ١٩٨٩ - عن شكل الحياة فى القرن العشرين فى حالة عدم وجود شخص مثل فرويد ..

المكاشفة

والادب فى الاتحاد السوفيتى

إعداد: عمرو كمال حمودة

الشاعر الكسندر كوشيني ، الذى يتبوأ مكانة هامة وسط الشعراء السوفييت المحدثين يقول : "نحن اليوم فى الاتحاد السوفييتى ، نقرأ الصحف والمجلات والكتب مثل المراهق الذى يقرأ خطابات حبيبته فى رعشة وتوتر"

وهذا هو بالفعل الاحساس الذى يلمسه الباحث لما فعلته وتفعله "البيروسترويكا" ، "والجلاسنوست" اى اعادة البناء والعلانية فى الحياة الادبية هناك . فالجميع يتسابقون لصرف مدخراتهم على اشتراكات المجلات وتبادل الاعداد ، والتدافع حول اكشاك الصحف فى الشوارع والميادين .. بحثا عن هذه الصحيفة او تلك المجلة او ذلك الكتاب .

● وكل مايتعلق بالادب الذى كان محرما او ممنوعا او منفيا او مهربا .. عاد ليصبح منشورا امام كل الناس بعد سنوات طوال من الرقابة والمنع ..لان المطلوب طرح الواقع بكل مشكلاته وتداعياته وتأثيراته والتعامل معه وجها لوجه من اجل تغيره نحو الافضل والارقى ، عن طريق اطلاق قوى الخلق والابداع والتطوير وتنمية المواهب المختلفة لافراد الشعب .

والادب والفن هما المعادل الروحى لحياة البشر .. والاديب والفنان يتمتعان بحساسية فائقة تبرز كل ما هو قبيح وتافه ورتيب وغير انسانى فى حياتنا اليومية .. فالرواية الطويلة او القصة القصيرة او المسرحية .. تعبر عن "التاريخ الصغير"





فلاديمير ماكسيموف — زينوفيف ـ يعيش فى فرنسا — سولجنتسين

اى التاريخ الذى يصنعه "الانسان العادى" كل يوم ، ولذلك قال كورولنكو "ان وطنى هو الادب الروسى" .

لقد وجد الناس ذواتهم ، واكتشف المجتمع السوفييتى حقيقة التجاوزات والاخطاء الفادحة التى ارتكبت فى الحقبة الستالينية ، وفترة حكم بريجنيف "ضد الفرد" و "ضد الحريات" و "ضد كرامة وادمية وكينونة الانسان" .. وذلك من خلال قراءة رواية الحياة والقدر لفاسيلى جروسمان او رواية "موهبة عديم القيمة" ليورى دومبروفسكى" او رواية "اقاصيص الكوليما" لفارلام شالاموف .. وكذلك اشعار انا اخماتوفا التى حفظها افراد الشعب عن ظهر قلب ، دون ان تسمح السلطات بطبعها وتداولها .. كل ذلك اجج مشاعر الحماس ويطهر القلوب والعقول من الخوف او التجهم الذى سيطر على حياتهم لفترة طويلة .

ولا تقف المسألة عند حدود ازالة الرقابة عن الممنوع .. فذلك جانب واحد من جوانب العملية التى تحدث لتأخذ الثقافة دورها فى تطوير المجتمع ودفع المثقفين نحو الابداع . واول هذه الجوانب "يعد الكاتب" و "علاقته بالتنوير" و "اليانا ممارسة هذا الدور" .. وبمعنى اكثر تحديدا ، ما هى علاقة الكتاب والادباء فى عصر البيروسترويكا بدور النشر ؟ فهل سيتمكن الادباء من الحصول على ورق الطباعة والتمويل لنشر ما يحلو لهم دون تدخل من الدولة ؟ والى اى حد سيستمر دور الرقابة ؟ وهل سيسمح مثلا بانشاء "تعاونيات للنشر" يتملكها الادباء والكتاب ؟ ومن سيضع معايير الانتاج الادبى ومعايير النشر ؟

والى الان تكاد تكون الصورة غير واضحة .. والسلطات السوفييتة من جانبها ابلغت العاملين فى المجال الثقافى "ان يتحملوا مسئولية عملهم بانفسهم وليتصرفوا من وحى ضمائرهم .. وعن وعى" .

ورغم ذلك فإن "الحرية والعلانية والرغبة فى اعادة بناء كل شىء" دفعت بالحيوية فى كل اتجاه .. وتفجرت ينابيع

المكاشفة

فكرية واراء متعددة على الساحة الادبية ، تراوحت بين التقليدية والمحافظة واليمينية المفرطة الى الرؤى المستنيرة التقدمية .

فلم يكن سهلا السماح باعادة طبع روايات الروائى "سولجنستين" بالروسية وطرح مؤلفاته فى السوق .. وكانت بداية التحدى من جانب جريدة "رابوتشيه سلوفو" اى صوت العمال فى مدينة كيف التى نشرت بيان سولجنستين الشهير الذى اصدره عام ١٩٧٢ بعنوان "استحالة العيش مع الاكاذيب" .

ثم نظمت عدة دور سينمائية وبعض المكتبات امسيات ثقافية حول الكاتب بمناسبة عيد ميلاده السبعين . وفى احدى هذه الامسيات وقف الكاتب الكبير اناتولى سترليانى خطيبا ليقول : "ان السلطات لدينا ارتكبت اخطاء فظيعة فى المجال الاقتصادى والسياسة الداخلية وعلى صعيد الدبلوماسية .. ولكن الخطيئة فى مجال الاداب والفنون افظع .. فكيف يمكن طرد اديب مثل سولجنستين من بلدنا .. ولماذا تسعفنا ببشاعة مع الروائى بولجاكوفا ، لمجرد انهم كتبوا عن الحقيقة ومعاناتنا اليومية وكبت ملكة الابداع عند البشر" . وعندما اعلن الصحفى سيرجى زالجين رئيس تحرير مجلة نوفى مير "العالم الجديد" عن موافقة سولجينتسين على السماح بنشر روايته مسلسلة فى نوفى مير ، تحركت البيروقراطية بشدة ومنعت نشر الخبر فى الطبعة الثانية وتم سحب الغلاف وتغييره .. الى ان سمح بعد عامين وبعد تدخلات كبيرة من المفكر ميدفذيف الذى يتولى مسئولية الشئون الايديولوجية والثقافية فى المكتب السياسى للحزب الشيوعى السوفييتى ، للافراج عن مؤلفات سولجينتسين ، وطرحها للقراء .

● حماس النقاد

والجانب الاخر من جوانب "العلنية والمصارحة" هو الحركة النقدية ، وتسهم فيه بشكل مباشر الصحف والمجلات الادبية سواء الشهرية او الاسبوعية ، وذلك عن طريق الحماس الكبير من النقاد فى تناول الاعمال الادبية الممنوعة بالنشر والتعليق والتوسع فى ابراز الظروف الموضوعية والذاتية التى واكبت ظهور هذه الاعمال .

ومن ضمن انشطة الحركة النقدية اقامة دوائر للحوار فى كل مجلة ادبية تتناول الفترات التاريخية للثورة الروسية وانعكاساتها على الحياة الادبية والفكرية .. كذلك تبنى الدعوة الملحة للافراج عن كافة الوثائق والسجلات والمذكرات والاوراق الخاصة بالسياسيين والمفكرين والادباء .. والمحبوسة فى ارشيف اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى وتمثل الباحثة "مارتيا تشوداكوفا" ابرز العاملين فى هذا المضمار حيث اكتشفت مادة تاريخية

ضخمة فى دار لينين للكتب عن الحياة الادبية فى المجتمع السوفييتى ابان العشرينات والثلاثينات ، لم يكشف عنها النقاب بعد .

واحد الجوانب الهامة لعملية البيروسترويكا .. انها كشفت عن الاتجاهات الحقيقية الكامنة فى الحياة الفكرية اليوم فى الاتحاد السوفييتى .

ومن ضمن هذه الاتجاهات .. الاتجاه الاصولى الذى ينادى بضرورة البحث عن تراث المجتمع الروسى واستعادته واعادة انتاجه فى الوقت الراهن ! وتشمل هذه الدعوة البحث عن كل ماهو كلاسيكى بل وصل الامر بالكاتب "سيلونين" الى تمجيد ملاك الاراضى وانصافهم على حساب العبيد والفلاحين فى عهد القياصرة المستبدين !

والعجيب ان المجتمع ابدى تعطشا فلتقا للقراءة عن الطفالية ومعرفة ماذا كان يحدث لدرجة ان توزيع مجلة "نوفى مير" زاد زيادة ملحوظة عندما اعلنت عن اعادة نشر كتاب "تاريخ الدولة" لكرامازين الذى عمل مستشارا للقيصر الكسندر الاول .. وقد اشتهر كرامازين برجعيته الشديدة وعدائه للتغيير والتجديد . وفى هذا السياق يعاد الان طبع مؤلف اخر عن تاريخ روسيا لسيرجى سولوفيف وكان يعمل استاذا بجامعة موسكو فى النصف الثانى من القرن الـ ١٩ .. بالاضافة لاعادة طبع ونشر أعمال المؤرخ فاسيلى كليوفجسفيكى الذى شغل لسنوات طوال كرسى الدراسات التاريخية بالكلية اللاهوتية بموسكو .

● العودة إلى القيم ●

واتجاه آخر من أبرز ممثليه فالنتين راسبوتين المقيم فى منطقة سيبريا .. وينادى بضرورة استغلال البيروسترويكا فى اعادة بناء المجتمع السوفييتى على أسس إصلاحية اجتماعية ، ومنها العودة للقيم الروحية المسيحية كبديل أيديولوجى .. وطرح شعار القومية الروسية بدلا عن الأممية .

وعند قراءة أعمال فالنتين راسبوتين نجد توافر النبرة المسيحية الروحانية ، كذلك مناداته للعودة « الى الأرض » وإبعاد « يد الانسان » عن تغيير الطبيعة والتخفف من الاتجاه نحو ميكنة كل شىء فى الحياة .

كما ينادى راسبوتين بضرورة بحث علاقة الاشتراكية باليقين الدينى .. ومن أبرز مقولاته « أن الذرة ادت الى تفتيت الكلمة وتفتيت الروح » .

ومن أنصار راسبوتين الكتاب كروبين وبيلوف صاحب رواية « كل شىء أمامنا » وبصفة عامة نلمح فى كتابات أنصار هذا الاتجاه نبرة حزينة عالية تتدفق عبر صفحات رواياتهم وأعمالهم .

وهناك اتجاه آخر يطلق عليه الاتجاه الليبرالى ويمثله المؤرخ اليهودى ناثان ايدلمان والكاتب أندريا بيتوف صاحب رواية « بيت بوشكين » والتى سمح

المكاشفة

بنشرها فى أواخر عام ١٩٨٨ ورؤية ايدلمان فى أن الثورة والتقدم يحدثان فى روسيا بصفة دائمة من اعلى .. بدءا من بطرس الأكبر مرورا بالقيصر المتحرر الكسندر الثانى ، ثم الثورة البلشفية .. وهو يطالب بالاستقرار ومراعاة الظروف التى يعيشها المجتمع السوفييتى حاليا .. وضرورة تحديثه على النمط الغربى .. والبحث عن مخرج من المخاوف الناجمة عن مخاطر البيئة .. وهو يرى أن المجتمع فى حالة ارتباك لان المبادرة ليست فى يده ، إنما كل شيء يحدث ويأتى من اعلى !

هذا من زاوية الفكر .. اما من ناحية الأسلوب ، فلدينا أولا المبدعين باستخدام الطريقة التقليدية لكتابة الرواية ومنهم اناتولى ريباكوف صاحب الرواية الشهيرة « أطفال الأربات » ، وأيضا الروائى دودينتزيف وروايته « الانسان لايحيا بالخبز فقط » عن عصر خروشوف كذلك الكاتب بريستافكين صاحب رواية « السحابة الذهبية الصغيرة فوق القوقاز » ولدينا اتجاه آخر فى الكتابة يطلق عليه "اتجاه مابعد الواقعية" ويتسم بالجدة واختيار الموضوعات التى تتعدى الواقع ، وهو أدب يتصدى للمستقبل ويتحمل الفانتازيا ، وبه الكثير من الخيال والابتكار والتشويق ، ويدفع الانسان للتفكير فى غده والتخطيط له .. ومن أشهر وأبرز زعماء هذا الاتجاه .. الأديبة لودميلا بتروشفسكايا ، وأيضا تاتيانا تولستوى ابنة الأديب الشهير الكسيس تولستوى ، وهناك الأديب فلاديمير ماكانين .

ونأتى لقضية جوهرية .. وهى تطبيق مبدأ « الواقعية الاشتراكية ».. هل فقد صلاحيته فى ظل البيروسترويكا أم لا ؟

ففى سنة ١٩٣٤ عندما عقد مؤتمر الكتاب السوفييت وترأسه الأديب مكسيم جوركى .. تم تقرير هذا المبدأ على أساس صياغة الأدب فى ضوء النمط الذى اختاره الشعب السوفييتى للعلاقات الانتاجية فى المجتمع .. ونتيجة لذلك يصبح الشكل الأدبى رهنا بالمضمون .. فهل يمكن الآن طرح هذا المبدأ ؟ أن رأى القيادة السوفييتية ترك الباب مفتوحا بحرية أمام الأدباء والفنانين دون فرض أى مبدأ على كتاباتهم .. فمن يريد الاستمرار على نهج الواقعية الاشتراكية فليستمر .. ومن يريد النكوص فعليه تبعية ذلك وهى بذلك تترك التناقضات التى افصح عنها تطبيق الاشتراكية كنهج فى حياة الشعب .. لتفعل فعلها فى اطار عملية اعادة البناء والمصارحة .. وهما بالتأكيد عوامل اضافية لافراز "الواقعية الاشتراكية" .

ويلعب اتحاد الكتاب السوفييت الذى يضم حوالى ١٠٠٠٠ كاتب واديب وشاعر دورا هاما فى الحياة الادبية فى ظل البيروسترويكا ، ويترأسه الاديب كاربوف

وهو شخصية معتدلة ويتعاون مع الاديب والمفكر لوكيانوف مساعد الزعيم السوفييتى جورباتشوف للشئون الثقافية .. ومن ضمن اراء كاريوف تعزيز البيروسترويكا ولكن دون افراط قد يؤدى للفوضى .. مع اهمية تحجيم الاتجاهات الادبية الضارة والتى لها علاقة بالتيار الذى ينادى بالتغيير الواسع على النمط الاوربى الغربى .

ونقف هنا عند منعطف هام .. وهو دور الادباء اليهود من التطورات المصاحبة لعملية البيروسترويكا .. واللافت للنظر انهم يشكلون حركة منظمة وقوية تتسم بالاستمرار والوجود على الساحة الادبية .. واهم عناصرها الاديب سفيافسكى ، وهو نشط جدا ، وكان قد طبع مجموعة اسماها "اقاصيص من الفانتازيا" تحت اسم يهودى مستعار وهو ابراهام ترتز ، وذلك عام ١٩٦٥ فى باريس ، وسرعان ما اكتشف جهاز ال ك . ج . بى ذلك .

ولقد اصدر اندريه سفيافسكى أخيرا مؤلف بعنوان "الحضارة السوفييتية" احتفت به الدوائر الغربية الثقافية بشدة .. يتناول فيه الثورة الروسية الاشتراكية ، ويجد لها جذورا « مسيحانية » ، ويكشف من خلاله رؤيته - عن ان فلاديمير لينين مفجّر الثورة - شخصية مستبدة طاغية وان قلبه مثقل بالشرور ، وينادى فى مؤلفه بالملكية الفردية الخاصة واهميتها فى أن يخرج الفرد السوفييتى من عبوديته الراهنة (على حسب قوله) .. وينظر للمجتمع السوفييتى وكأنه على هيئة هرم من مكعبات ضخمة تمثل البيروقراطية وتسلط الحزب وعقيدة لينين ، ولابد من هدم ذلك اذا اردنا اعادة البناء !

● دور ثقافى هام

ومن خلال الاستعراض الذى قدمناه .. فان البيروسترويكا قد اطلقت كل الاتجاهات الكامنة فى المجال الادبى والثقافى .. والدليل على ذلك الكم الهائل من المؤلفات الشعرية والنثرية والافلام والمسرحيات التى سمح بنشرها وعرضها ، لان المجتمع السوفييتى وجد نفسه فى ازمة روحية ومعنوية عنيفة قد تضر بالمستوى المادى الذى وصل اليه بعد سبعين عاما من الاشتراكية واشباع الحاجات الضرورية لافراده . بالاضافة لقضية هامة .. وهى اعادة الثقة للفرد واحساسه بالكرامة وباهميته رغم اهمية المجموع .. وربما كانت رواية « المخلص روسلان » للاديب جيورجى فلاديموف تعتبر خير تعبير عن ذلك ، والتى يعتبرها ايضا الكثير من النقاد . واحدة من الروائع الادبية فى القرن العشرين .. وهى قصة كلب حراسة امين .. مخلص .. يتم طرده من الخدمة من معسكر للاعتقال .. وتبرز الرواية مدى الفجيعة والتدنى فى التعامل مع البشر فما بالك بالحيوانات . وتفصح الرواية عن مدى انعدام ثقة الفرد فى السلطة وخوفه من أن يترك مصيره معلقا بيديها .

الشاعرة سعاد الصباح

صاحبة الاعصار وفتافيت امراة

حينما قرات ديوانها الاول (امنية) ، ادركت ان هذه الشاعرة (الصاعدة) عندها ما تقوله ، او مالابد لها من ان تقوله .. وتوقعت لها ـ إذا استمرت فى السير على الدرب برسوخ ومضاء ـ ان يكون لها شان كبير ..

فقد وجدتها فى ديوان (امنية) مستكملة الأداة ـ ممسكة بزمام الصور ، وإن كانت أقرب الى ترديد المعانى التى يطرقها سائر الشعراء ، بنغمة هادئة وانفعال رزين .. فهى حين تقول عن (أم الشهيد) حينما سالتها عنه ، واجابت :

لما دعا للثأر داعى الحمى
وهبته لله رب العباد
فراح ملهوفا على حقه
مؤرق النوم ، عنيد الوساد

ففى البيت الاول ، نجد ام الشهيد تتحدث عنها بلسان الشاعرة ، وليس بلسان لهفتها هى واضطرام مشاعرها ، كما أن اضافة (رب العباد) لاسم الجلالة ، جاء لاستكمال البيت والقافية ، وليس لضرورة فنية موحية ..

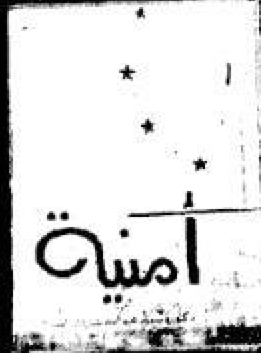
ثم تمضى فى قصيدتها تلك ، لتكرار المعانى المالوفة ، حين تقول عن الشهيد أنه :

يطهر الأرض من المعتدى
ويفتدى بالروح حق البلاد

فمن المعروف أن تطهير الأرض لا يكون الا من المعتدى ..
وافتداء الوطن ، يكون بالروح ..
ولاتلبث أن نرى هذا الشهيد ، وقد :

هب مع الأبطال فى جمعهم
يهتف بالعودة فى كل واد







وخر في الساحة مستشهدا
يردد الصيحة بين الوهاد
لا تتركوا السيف على غمده
فتارك السيف عدو الرشاد

ورغم روعة المشهد ، فان الشاعرة قد صورته (من الخارج) ، بعبارات مكرورة مطروقة .. ورغم ذلك ، فقد لمحنا خلل الرماد وميض نار ، يتبدى في قصيدتها : (عندما رحل ناصر) وصدق انفعالها وحرارته ، حين تقول عنه انه :

كان أسطورة مجد ما روتها شهرزاد ..
سوف يبقى في حنايانا الى يوم المعاد
انه استشهد كي يصبح للجرح ضماد

وقبل أن أترك ديوان (أمنية) ، للديوان الأعظم : (فتافيت امرأة) ، أرى لزاما عليّ أن ألفت .. القارىء الكريم ، الى قصيدة (حق الحياة) بالديوان الأول ، التي جاءت ارهاصة لروح الشاعرة الثائرة ، حينما تطلق العنان لمشاعرها المهتاجة ، فتصيح في وجه الرجل الذي يريد أن يخضع المرأة لكبريائه :

لقد انتهى عصر الحريم
وجاء عصر الكبرياء
وجلا لنا حق الحياة
فكلنا فيه سواء

و(آهة) الشاعرة التي تقول فيها بعد ذلك :

لئن رأيت ابتسامي
فالنار تحت الرماد ...

تؤكد اشتعال هذه النار ، التي سيأتيك خبرها بعد حين ، بعد أن تعرض هذه الصورة الواقعية ، التي استطاعت فيها الشاعرة أن تصف لنا بصدق وعمق ، مشاعر (غاسلة الثياب) ، تماما كما استطاع (تولستوى) من قبل ، أن يصف

لنا أحوال البائسين فى أعماله الخالدة ، فى الوقت الذى كان هو ، يرفل فى حلل النعيم ..

فسعاد الصباح فى منبتها الكريم ، لم تعمد الى وصف الهلال مثلا ، كما وصفه الشاعر (الأمير) ابن المعتز ، بقوله :

انظر إليه كزورق من فضة
قد اثقلته حمولة من عنبر

وإنما عمدت الى الحديث عن احدى العاملات البائسات .. تقول :

جاءت تطالعنى بشكواها
والحزن يصرخ فى محياها
والماء يقطر فى أناملها
وتكاد منه تذوب كفاها
غسالة ، والفجر شاهدها
والماء والصابون .. خدناها
ومع الأذن تهب كادحة
تشكو إلى الرحمن بلواها

فالشاعرة هنا ، لم تتعال عن (خادمتها) ، بل أمعنت فى مشاهدتها ، وتتبع مراحل كدها وشقائها ، وتحدثت عنها حديث المرأة ، عن امرأة مثلها :

وقفت تقص على قصتها
وبكفها الصابون والماء
قالت : عيالى ستة ، ولهم
فى العيش حاجات واعباء
وابوهم أزرى الهزال به
ومشى بصلب عروقه الداء
أشقى .. لأدفع عنهمو قدرا
لاشئت قسوته ولا شاءوا

ومن منطلق القصيدة الأخيرة ، ندخل عالم سعاد الصباح الرحيب ، بعد أن استوت نضجا ونبوغا ، فى ديوانها الأخير (فتافيت امرأة) الذى انتقلت فيه من الخاص الى العام ، وارتقت نبرتها ، وتكثفت مشاعرها ، وصفت لغتها من أى فضول أو نقصان ، فتحدثنا بلسان الشاعرة التى تترجم المشاعر الجماعية ، وتتحدث بلسان وطنها العربى الكبير ، فى الزمن الردىء الذى يتعرض فيه لشتى المحن والأهواء من الخارج والداخل ..

ويتعين بادىء ذى بدء - أن نتعرف الى شخصيتها الفذة فى هذا الديوان ، الذى تعتز فيه بأنها (كويتية) .. فتحدث صديقها (القارىء) بقولها :

لا يغرنك هدوءى
فلقد يولد الاعصار من تحت قناعي ..
انني مثل البحيرات صفاء
وانا النار بعصفي
واندلاعي ....

إلى أن تقول :

انني بنت الكويت
كلما مر ببالي ، عرب اليوم .. بكيت
كلما فكرت في حال قريش
بعد أن مات رسول الله
خانتني دموعي .. فبكيت

★★★

كلما شاهدت عصفورا بروما
او بباريس ... يغني
دون أن يشعر بالخوف ... بكيت
كلما شاهدت طفلا عربيا
يشرب البغضاء من ثدي الاذاعات ...
بكيت
كلما شاهدت جيشا عربيا
يطلق النار على الشعب .. بكيت
.. كلما استجوبني بوليس قطر عربي
عن تفاصيل جوازي
عدت من حيث ... اتيت

أرأيت ، أى طفرة تلك التى قفزت اليها شاعرتنا المبدعة ، مما يجعلها بحق تقف فى صف مع شواعرنا الكبار : فدوى طوقان ، نازك الملائكة ، جليلة رضا ، عاتكة الخزرجي ... وكامتداد طبيعي لعائشة تيمور ووردة اليازجي وملك حفني ناصف ، وغيرهن ..

.. لاشك فى أن القارىء الكريم قد لاحظ معى أن شاعرتنا قد احتلت بديوانها الأخير ، المتواضع العنوان : (فتافيت امرأة) ، مكانة أدبية عالية ، فقد برأ شعرها القوى المعبر عن الخطابية والمباشرة ، كما خلص من الغموض والمعميات التى تحفل بها بعض قصائد شعر الحداثة ، وهى - مثل صلاح عبدالصبور - وأمل دنقل - تصوغ لغة قصائدها بسلاسة ويسر ، وأن تدفقت بصدق وعمق .

ثروت محمد يوسف

المائة الأعظم

بقلم: حسين أحمد أمين

ابن طفيل

١١٠٥ - ١١٨٥ م

فيلسوف وطبيب وفلكي وشاعر اندلسي، لم يصلنا من مؤلفاته غير آثاره الفلسفية، ومنها رواية «حي بن يقظان» التي اثرت الفكر والادب العالميين والتي صور فيها تطور العقل لدى انسان يعيش بمفرده في جزيرة، من قواه الفطرية السليمة، الى اسمى مستوى فلسفي ورؤية الهية. وقد ترجمت هذه الرواية الى لغات اوروبية عديدة، واهتم غير المسلمين بتاليف الدراسات عنها على نحو لم يولوه لاي كتاب فلسفي عربي آخر، واشاد بها الفيلسوف لايبنيتز أعظم اشادة، كما كان لها أثر عميق في رواية مشابهة من روائع الادب العالمي، وهي «روبنسون كروزو» التي الفها دانييل ديفو عام ١٧١٩..

كان الموحدون قد تمكنوا في منتصف القرن الثاني عشر من الاطاحة بدولة المرابطين. وقد شهد عهدهم ازدهارا عظيما جديدا في الفلسفة والادب الاندلسيين، حمل لواءه ابن باجة، فتلميذه ابن طفيل، فتلميذ ابن طفيل ابن رشد. وكان ابن طفيل مقربا من سلطان الموحدين وطبيبا له، وهو الذي قدم اليه عددا كبيرا من العلماء من مختلف الاقطار، من بينهم ابن رشد الذي حض ابن طفيل السلطان على اكرامه والاعلاء من قدره.

فاما «حي بن يقظان» فاقدم قصة فلسفية في الادب العربي. وكان ابن سينا قد وضع رسالة رمزية صوفية تحمل نفس العنوان، فاستعار ابن طفيل بطلها لقصته الخيالية حول مراتب المعرفة وطرقها. وقد تخيل ابن طفيل ان «حيا» هذا ولد يتيما في جزيرة استوائية خالية من الناس،

في التاريخ الإسلامي



وتكفلت عنزة بإرضاعه ورعايته · واذ تموت العنزة يكتشف حي لاول مرة لغز الموت ، وتحوم في ذهنه أسئلة حول الوجود والعدم ، والروح والجسد · حتى اذا ما بلغ الخمسين يكون حي بن يقظان قد توصل الى نظرية شاملة عن الله والطبيعة ، وذلك عن طريق العقل وحده · فهو اذن يرمز الى العقل البشرى الذى بوسعه ان يرتقي بالمعرفة حتى يدرك : واجب الوجود (وهو الله) ، وروحانية النفس وخلودهـــا ، وأن سعادتها هي في تأمل واجب الوجود ·

وهنا تدخل القصة شخصية ثانية هي أسال ، الوزير لملك احدى الجزر المجاورة ، الذى يرمز الى من أتاه شرع عن طريق نبي ، وتعمق في فهم هذا الشرع حتى ادرك باطنه على حقيقته · والتقاء حي بأسال يرمز الى التقــاء الفلسفة (المعقول) بالشرع (المنقول) ، اى ان باطن الشرع وحقيقته متفقان تماما مع الفلسفة ، ويمكن للعقل المجرد أن يتوصل اليهما وحده ·

ويتجه حي بن يقظان وصديقه الى جزيرة الملك · غير ان الملك يبدو عاجزا عن ان يسمو بنفسه الى المستوى الرفيع الذى وصل اليه الاولان · فهو يرمز الى من اتاهم وحى عن طريق نبي ، فاخذوه على ظاهره ، ولم يستطيعوا ان يصلوا الى ادراك باطنه · واذ يدرك حي وآسال ان دين الملك بدائي لا يليق بهما ، يتركـانه وشعبه مشغولين بالقشور (أى الاعمـال الظاهرة) ، ويعودان الى الجزيرة المهجورة ليفرغا بقية عمرهما للتـأمل والرياضة الروحية ·

فالرواية اذن تبين مراتب ثلاثا للمعرفة : المعرفة العقلية ، والمعـرفة الباطنية ، والمعرفة الظاهرية ، ومراتب ثلاثا للبشر : الفيلسوف ، والصوفي ، والعامة · وما حدود الشرع وظاهره الا وسيلة لا مفر منها لهداية العامة التي تشكل غالبية الخلق ، والتي ليس بوسعها ان ترتقي الى مستوى الفيلسوف والصوفي ·

ابن الهيثم

٩٦٥ - ١٠٣٩ م

من أعظم علماء الطبيعة والرياضة عند العرب ، ويكاد اثره في علم الطبيعة النظرية يعدل اثر اسحق نيوتون في علم الميكانيكا .

تمكن في شبابه من استيعاب كافة مؤلفات الاغريق والعلماء العرب في ميادين الرياضة والطبيعة . ثم مضى قدما لحل مسائل اخرى لم يحلوها وقد بقي لنا اكثر من خمسين ، من كتبه ومؤلفاته ورسائله ، اشهرها « كتاب المناظر » في البصريات ذلك المصنف العظيم الذى خلد ذكر صاحبه والذى ترجمه فردريك ريسنر الى اللاتينية ونشره في مدينة بازل بسويسرا عام ١٥٧٢ بعنوان « كنز البصريات » (Opticae-Thesaurus) .

ومن بين ماتضمنه هذا الكتاب من موضوعات كثيرة ، معارضته لنظريات الفيثاغوريين وأرسطو واقليدس وأنبادقليس وبطلميوس القائلة بأن العين ترسل أشعة متى اصطدمت بجسم من الأجسام اتاح لها ذلك رؤية هذا الجسم ، أو بأن الابصار هو نتيجة لارسال شعاعي مزدوج ، احدهما ينبعث من العين المبصرة ، والاخر من الجسم المرئي ، فجاء ابن الهيثم بنظريته القائلة بأن الضوء ينتقل من المبصرات الى العين .

وقد اجرى ابن الهيثم تجارب عديدة ، واشتغل على المراية الكروية والقطعية المكافئة ، وتمكن بعد دراسته لانكسار الضوء عند تخلله لجسم شفاف ان يقيس ارتفاع الغلاف الجوى للأرض . بل انه كان قاب قوسين او ادنى من اكتشاف مبدأ العدسات المكبرة . فقد درس مميزات العدسات التي اشار علماء اغريق ورومان الى قوتها المحرقة وقدرتها على تكبير الصور ، بيد ان الراجح ان بحثه توقف دون اكتشاف قدرة تلك العدسات على خدمة ضعاف البصر ، وان استعانة هؤلاء بالنظارات لم تبدأ الا خلال النصف الاول من القرن الرابع عشر .

كذلك اكتشف ابن الهيثم قانونا اصبح فيما بعد اساسا لاختراع آلة التصوير ، وهو اننا اذا جعلنا فى غرفة مظلمة فتحة فى مواجهة ضوء ، فان الضوء يدخل من الفتحة الى بقعة مقابلة لها على جدار الغرفة او على ارضها . ويبقى كل ماحول هذه البقعة مظلما (وهو ما اثبت به ان امتداد الضوء يكون على خطوط مستقيمة) .

كما ناقش مايعرف حتى اليوم بمسألة ابن الهيثم التى اوجد فيها حلا لمعادلة من الدرجة الرابعة ، وهى اذا افترضنا نقطتين (ا) و (ب) ثابتين على سطح دائرة مركزها (و) ونصف قطرها (ر) فلكى نحدد على هذه الدائرة (التى تبدو فى افضل شكل فى مرآة) النقطة (م) التى تقع عليها شعاع الضوء المنبعث من (ا) يجب ان ينعكس هذا الشعاع الضوئى بحيث يمر بالنقطة (ب) وقد حل ابن الهيثم هذه المسألة بواسطة قطع زائد متساو يمر فى دائرة فى حين تمكن ليوناردو دافينشى بعدة قرون من حلها بطرق ميكانيكية .

وتناول ابن الهيثم فى القسم الثانى من كتابه انكسار الضوء (أو انعطافه على حد تعبيره) فلاحظ ان العلاقة بين زاوية الاسقاط وزاوية الانكسار ليست ثابتة وان خط الاسقاط وخط الانكسار والخط المتعامد على السطح المانع تكون على نفس



المستوى . وقد تولى تطوير هذه النظريات فيما بعد . واضافة الكثير من الملاحظات عن سرعة الضوء العلامة كمال الدين الفارسي شارح « كتاب المناظر » .

كذلك كان ابن الهيثم صاحب فكرة بناء سد عال جنوبي مدينة اسوان في مصر ، يخزن المياه في سنوات الفيضان الوفير ويدخرها لسنوات الجفاف . واذا كانت مصر وقتها تعاني جفافا دام اربع سنوات من نقص مياه النيل ، فقد استدعاه الحاكم بأمر الله من البصرة موطنه ، واستقبله بنفسه خارج القاهرة ودعاه الى تنفيذ بناء السد . غير ان ابن الهيثم تبين في اسوان عجز الامكانات العملية المتاحة عن اخراج حساباته النظرية الى حيز التطبيق ومانتطلبه مجرد المحاولة من مصاريف باهظة فاضطر الى الاستخفاء فرارا من غضب الحاكم ، ولم يظهر حتى قتل هذا الاخير .

عبد الرحمن الجامي

١٤١٤ - ١٤٩٢ م

اخر فحول شعراء الصوفية ومن اعظم علماء الفرس ، وصفه السلطان بابر في مذكراته بانه « لم يكن له نظير في زمانه في العلوم العملية والنظرية » . غير ان مشايخ الطريقة النقشبندية الصوفية الحوا في ضمه الى طريقتهم . فانصرف عن العلوم الى الرياضة الصوفية . واخذ نفسه بالمجاهدات الشاقة . واعتزل الناس واستوحش منهم ، وساح في البلاد للاجتماع بكبار الصوفية . وكان اسف العلماء على تصوفه بمقدار فرح الصوفية به . قال محمد الجاجرمي : « ان خراسان اخرجت بعد خمسمائة سنة رجلا كاملا هو الجامي . فقطع الصوفية عليه الطريق واضاعوه » .

وقد بلغ في حياته من المكانة بين العامة والخاصة مايندر ان يبلغه العلماء والشعراء . فقد اجمع الناس على تعظيمه والتبرك به وراسله الملوك والامراء من امثال السلطان محمد الفاتح والسلطان بايزيد الثاني ، من اجل ان يزورهم فابى ، فقد حكى انه في شبابه اراده جماعة من اخوانه طلاب العلم على ان يذهب معهم الى احد امراء السلطان شاه رخ ليحصلوا على وظيفة . فطال وقوفهم على الباب ثم قابلوا الامير . فلما خرجوا قال الجامي : « لا أعود الى مثل هذا ابدا » . فلم ير بعدها على باب احد من ارباب المناصب .



وكما تميز بعلو نفسه تميز بالذكاء الخارق وحب المزاح والفكاهة ، شكا اليه احد معاصريه من الشعراء ويدعى ساغرى من ان الشعراء تسرق افكاره ومعانيه ، فاجاب : « صدقت . فما رايت فى شعرك بيتا واحدا فيه فكرة او معنى » .

كتب فى موضوعات شتى نظما ونثرا . فمن مؤلفاته النثرية تفاسيره للقران والحديث ، وكتاب « نفحات الانس » فى تراجم الصوفية و« شواهد النبوة » وشرح نصوص الحكم لابن عربى ، وشرح تائية ابن الفارض ، وشرح مقدمة المثنوى لجلال الدين الرومى .. الى اخره ، غير انه اشتهر بالاخص بآثاره الشعرية التى هى ضربان :

الاول : الديوان : وهو مجموعة من الاشعار الغنائية نظمها فى شبابه ورتبها فى شيخوخته فى ثلاثة اقسام : فاتحة الشباب ، وواسطة العقد ، وخاتمة الحياة .

والثانى : سبع منظومات قصصية مطولة هى : سلسلة الذهب ، وسلامان وابسال وتحفة الاحرار فى التصوف ، وسبحة الابرار ، ويوسف وزليخا ، وليلى والمجنون ، وخسرونامه سكندرى التى تحوى مناقشات بين الاسكندر الاكبر وعدد من الفلاسفة واشهر هذه المنظومات القصصية جميعا هى « يوسف وزليخا » التى تعرض لحياة يوسف بن يعقوب عرضا صوفيا بديعا ، ويشترك الجامى مع جلال الدين الرومى فى القدرة على تناول موضوعات مشهورة لدى جمهور الناس ، وسبق للعديد من الناثرين والشعراء الكتابة فيها ، فيشيعان فيها حياة جديدة بفضل تناولهما اياها من زاوية غير مألوفة ، وبفضل اشراق اسلوبهما ورشاقته .

وبعد وفاة الجامى بنحو سبع سنوات استولى الصفويون على الحكم فى ايران ، وفرضوا الشيعية مذهبا رسميا للدولة . واذ لم يكن الجامى شيعيا اماميا ، فقد

ناهضت الدولة الجديدة اثاره وحاربت ذكراه ، بل ونبش رجال السلطة قبره لاحراق جثته . غير ان ابنه كان قد اسرع بنقل الجثة الى مكان مجهول تحسبا لهذا الانتهاك لحرمة قبر والده ، فاكتفت السلطة بحرق ماوجدته فى القبر من اخشاب .

عبد الرءوف فطرة

١٨٩٩ - بعد عام ١٩٣٧ م

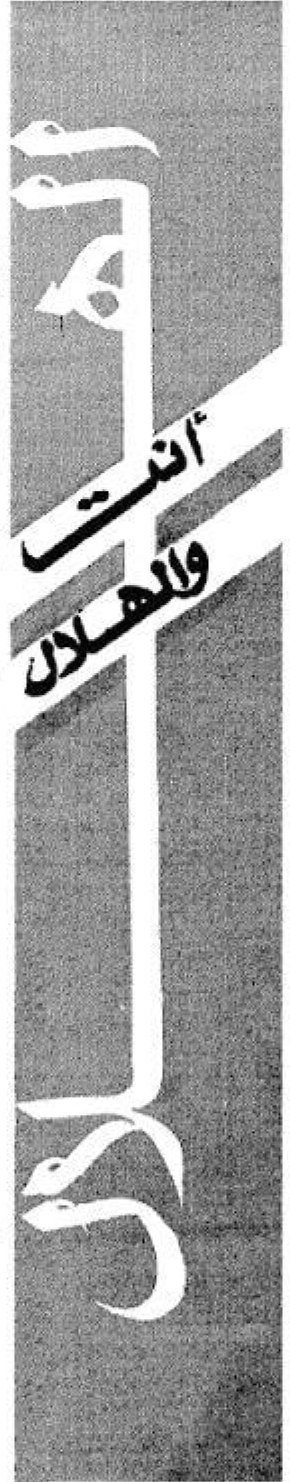
من اعظم من ظهر من المفكرين المسلمين منذ جمال الدين الافغانى ، والشيخ محمد عبده ولد فى بخارى وعمل مدرسا قبل ان يتفرغ كلية لتاليف الكتب ، وتحرير المقالات للمجلات والصحف ، ونظم الشعر ولنشاطه فى حركة « الجديديين » فى بخارى التى كانت تستهدف اصلاح نظم التعليم. وقد اضحى عبد الرءوف بعد الثورة البلشفية الزعيم الايديولوجى لحزب سياسى دينى هو حزب « شباب بخارى » ، وعين قبل ان يتجاوز العشرين وزيرا للمعارف فى جمهورية بخارى الشعبية ، فوزيرا لخارجيتها ثم انصرف بعد ذلك الى التدريس فى جامعة سمرقند ، حتى امر ستالين باعتقاله عام ١٩٣٧ وهو فى الثامنة والثلاثين من العمر . ولم يسمع عنه بعد ذلك قط ..

وتتصل كتابات فطرة كلها باسباب التدهور الروحى والدنيوى لامة المسلمين واقتراح سبل اصلاح احوالهم ، فهو فى كتبه « المناظرة » و« العائلة » و« السائحة » و« النجاة » و« البيانات » يذهب الى ان العقيدة الاسلامية قد اصابها على يد علمائها البلى والتحجر ، واثقلها الجمود والخزعبلات وخرافات العامة . ولا سبيل الى الخلاص الا بالعودة الى ديناميكية الديانة التى عرفها الاسلام فى زمن الرسول والا بتحرير المسلمين من العبودية الفكرية والتقليد .

وهو مع كل هذا ينكر ان يكون الاسلام فى حاجة الى اقتباس اى شىء من الغرب ، ولاحتى منهج ديكارت ، او الى التطلع الى الغرب كمثل اعلى يجدر بالمسلمين محاكاته . فكل ما اسهم فى الاعلاء من شأن الغرب مقتبس من حضارة الاسلام . غير ان هذه الحقيقة لاينبغى ان تخفى عن المسلمين الضرورة الملحة



لتغيير أسس مجتمعهم الراهنة ، فالانسان عنده قادر على التحكم فى كل ماحوله ، فى اخضاع قوى الطبيعة لسلطانه ، وفى تكييف مصيره هو . فان اراد المسلمون مواءمة الاسلام لاحتياجات العصر الذى يعيشون فيه ، فعليهم ان يعيدوا النظر فى كافة العلاقات الاجتماعية السائدة عندهم ، بل وقلبها راسا على عقب ، قلبا يسمح بتوزيع للثروات اكثر عدلا ، ويضمن تحرير الفكر ، وهو ماليس مخالفا لروح الاسلام او تعاليمه ، فعنده ان احد اسباب تدهور حال الامة هو ان الاسلام قد بات يشكل ايديولوجيا الطبقات الثرية ، كذلك فانه من المهم للغاية اصلاح العلاقات العائلية . بل واعادة تاسيسها على اسس جديدة كل الجدة لاصلة لها بالماضى . واهم هذه الاسس هو الاعلاء من شان المراة وتحسين وضعها ، والقضاء على كافة المفاهيم والاحكام والانظمة الخاصة بالعلاقات الانسانية التى هى من مخلفات قرون طويلة اتسم خلالها الفكر الاسلامى بالجمود والتعفن ، وتحرير المراة والعائلة والعلاقات الانسانية هو أول خطوة فى سبيل تحرير المجتمع ، وتأسيس الدولة الحديثة ، وتحرر الشعوب الاسلامية من الاستعمار والاستغلال الاجنبيين اللذين جاءا نتيجة لتدهور حال امة الاسلام ، غير ان السعى فى سبيل تحرير المجتمع لابد ان يمضى جنبا الى جنب ، وفى ان واحد ، مع جهد الفرد من اجل تحرير ذاته لابعده والجهاد فريضة على كل مسلم ، وسيسهم جهاد الفرد فى سبيل اعادة بناء قواه الروحية فى تعزيز جهاده فى سبيل نصره الدين الحق .



• الأتوبيس الجامح •

● انتظرت العدد ٤٨٨ من روايات الهلال (الأتوبيس الجامح) وفي الصفحة الثانية قرأت (هذه هي الترجمة الكاملة لرواية BUS Ride INTO The Hills تأليف John Stenbeck..........) .

أحيطكم علما بأنه لايوجد اسم هذه الرواية ضمن الأعمال الكاملة للمؤلف .. اما اسم الرواية التى قرأتها منذ فترة طويلة فهو (The Wayward Bus) لاحظ اختلاف الاسمين للرواية فترجمة الاسم الأخير إلى اللغة العربية صحيح كل الصحة (الأتوبيس الجامح) ترى من اى لغة جاء الأستاذ عبدالحميد فهمي الجمال بترجمة هذه الرواية .

النسخة الموجودة لدى كاملة وغير مختصرة وقد صدرت عن دار Corgi Books عام ١٩٥٢ اما الطبعة الأولى للرواية فصدرت عن (Heinemann Edition) عام ١٩٤٧ فتوالت طبعاتها دور نشر أخرى فكل هذه الطبعات صدرت من(London Nw 10) وحقوق الطبع محفوظة لدى المؤلف . أما بخصوص النص المترجم فقد لاحظت فى بعض فصول الرواية أن المترجم يضيف كلمة هنا ويحذف كلمة هناك وكذا بعض الأخطاء المطبعية .

أن بعض مفردات النص المترجم كما هى من القاموس دون أى تفاعل أدبى أو لغوى . أن ترجمة الأشياء الصغيرة والتى قد يراها المترجم لاتحمل اى معنى ، لها فى سياق الرواية معان عديدة لدى القارىء العادى ..

وقد وقع المترجم فى أخطاء بسيطة (وقد وضعتها بين الأقواس) وهى على سبيل المثال :ـ

1 — She could Hear The (murmuring) Tolk out In The Lunchroom .

واستطاعت أن تسمع الكلام (المدوى) فى الخارج المنبعث فى صالة الطعام (من الفصل السادس) ومعنى الكلمة ـ همهمة ، يهمس ، غمغم .

2 - Alice Chicoy Stood (Inside) The Screen Door And Watched The Bus Pull Away .

وقفت اليس شيكوى (خلف) الباب ذى الشاشات وشاهدت الأتوبيس لدى تحركه بعيدا .

(من الفصل الحادى عشر)

الكلمة بسيطة المعنى ولا تتطلب شرحا لها .

3 - Alice Drew A Great Breath And Released It In A (Luxurious) Sigh .

فسحبت اليس نفسا طويلا ثم أطلقته فى تأوه (شهوانى) .

(من الفصل الحادى عشر)

٧- Would Flash THrough His Body, And If It DId Not Kill Him, It Would Numb Out All Feeling .

وميضا يسرى فى أرجاء جسده مما يؤدى إلى قتله او تخدير جميع احساساته .

(من الفصل التاسع عشر)

الترجمة هنا غير صحيحة
ولكن ترجمة الرواية بوجه عام جيدة وجديرة بالاقتناء والقراءة

خوكم سعيد عبدالله سعيد
صندوق بريد رقم ٧٢٠١ المنصورة ١٠٧
جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية
عـــدن

● تعليق الهلال :

ـ نشكر لكم هذه الملاحظات الدالة على جديتكم ومثابرتكم ، وهذه الهنات فى ترجمة الرواية قليلة جدا كما ترون ، ولماذا لاتكتبون إلينا مقالات أو ترجمات من قلمكم فى أى موضوع شئتم مادمتم مهتمين إلى هذا الحد بهذا المجال .. إننا نرحب بكم وبما تكتبون ونكرر شكرنا لكم على هذه الرسائل التى ترسلونها الينا بالتلكس من فرط اهتمامكم بها .

حياكم الله ..

● المرأة ذات العينين الخضراوين ●

● احمد راسم شاعر وناقد تشكيلى مصرى ، ولد عام ١٨٩٥ وتوفى عام ١٩٥٨ ، كان يكتب بالفرنسية وصدر ديوانه الأول بباريس عام ١٩٢٦ ، والقصيدة التى نقدمها فيما يلى تمثل قراءة



شعرية لأحمد راسم للوحة الفنان محمود سعيد بعنوان « المرأة ذات العينين الخضراوين » ..
صورة ذراعيها تثب فيّ كغزاله
في الحلم .. شددت إلى ذهب أذنيها
تنسمت أزهار فستانها
وأصابعى تحرس عذوبة أفنانها
أشعر أن دفء ثغرها ، سوف يشفينى
نظرتها تصلنى مثل نسمة رقيقة
تستخلص من الأزهار أريجها المتموج
نهدان ممتلئان مثل أوزتين .. يندفعان
خانتنى الشجاعة على مواجهتها ، فانزلقت نظرتى بمكابدة طفولية .
كانت السماء أقل عذوبة من نضرة عينيها
كان قدها رقيقا مثل ساق زهرة .
طريا مثل سعفات نخيل داعبها النسيم
وبدا أن أعواد القصب تسخر من حياتى

كتبها بالفرنسية شعرا : أحمد راسم
وترجمها للعربية نثرا : بشير السباعى

• الشاعر على العزبى •

• لما كانت قارئا مخضرما من قراء الهلال الذين يتزودون من مقالاتها وبحوثها القيمة بزاد من الثقافة والمعرفة لاينضب معينه . فهل تأذن لى ياسيدى أن أصحح أسما ورد فى مقال الدكتور محمد رجب البيومى فى (خواطر عن طاهر الطناحى) .

فى « الهلال » لشهر سبتمبر الماضى ، وهو أسم الشاعر على العزبى حيث ورد خطأ « على الغربى » مرتين وهو خطأ مطبعى ولاشك ، فالصواب بالعين المهملة والزاى ..

ولست هنا بصدد الحديث عن هذا الشاعر الكبير الذى نشأ من تلاميذه جيل من الأدباء والشعراء فى عصره كما جاء فى المقال ، أو خرجوا من عباءته كما كان يحلو للمرحوم الشاعر طاهر أبو فاشا أن يقول .. ؟ ! ورجائى أن يسجل اسم الرجل صحيحا إحياء لذكراه ..

المهندى الزراعى على على العزبى
نجل الشاعر على العزبى
ووكيل وزارة الأصلاح الزراعى سابقا

● كلمات عن طاهر الطناحي ●

● فيما يلي ملاحظات على مقالة الدكتور محمد رجب البيومي في عدد سبتمبر الماضي من الهلال عن الصحفي الأديب المرحوم طاهر الطناحي مدير تحرير الهلال الاسبق .

١ ـ لم يحدد الدكتور محمد رجب البيومي تاريخ ميلاد المرحوم الطناحي ونشأته واكتفى بالقول إنه نشأ في مدرسة الشاعر على العزبى بدمياط ، ولكنا من خلال كتابات الطناحي نستطيع ان نعرف أنه ولد في العقد الأول من القرن العشرين ، وقد كتب مرة يقول : « أتمنى ان اعيش إلى سنة ٢٠٠٠ وأنا وقتئذ شاب في التسعين » .. وكانت كلمته هذه سنة ١٩٥٩ فكأنه كان وقتها في التاسعة والأربعين من عمره ، ومولده سنة ١٩١٠ أو ١٩٠٩ تقريبا .

٢ ـ قال الدكتور رجب ان الطناحي ترك مدرسة دار العلوم قبل حصوله على شهادتها ، ولكن الدكتور أحمد أمين اثبت في كتاب « علمتني الحياة » أن الطناحي تخرج في دار العلوم .. فهل كان ذلك سهوا ؟ ! ..

٣ ـ انكر الدكتور رجب قصص الحب الشائعة عن الأديبة مى وقال ان الطناحي حدثه بأنها غير صحيحة وأن قلبها لم يفتح إلا لجبران خليل جبران ، وإذا كان هذا صحيحا ، فكيف نشر الطناحي خطابات الادباء الذين أحبوها وخطاباتها إليهم في « الهلال » ثم في كتابه « أطياف من حياة مى » .. وعرفنا منها أن ميا أحبت العقاد وجبران ؟ » .

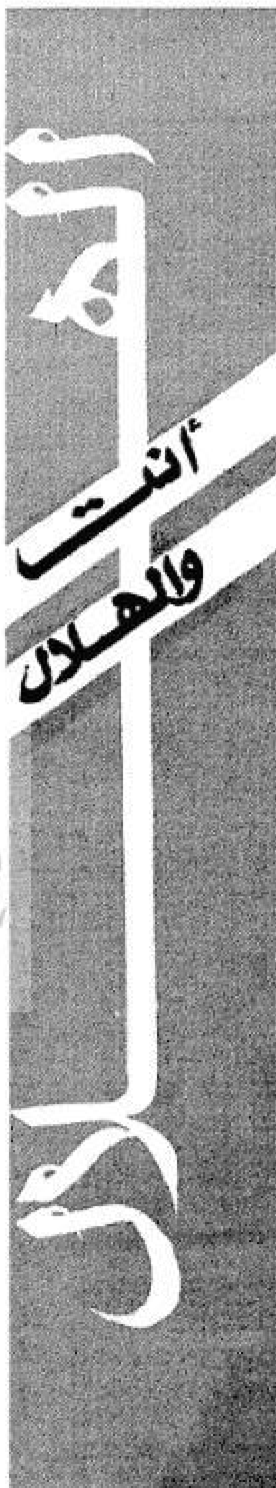
٤ ـ قال الدكتور البيومي إن الطناحي يحتال على اصطياد بعض الرسائل العاطفية بوسائل ماكرة فقد بعث للمازني بعدة خطابات ممهورة باسم حسناء عاشقة ونشر الطناحي هذه الرسائل بمجلة الهلال الخ ..

نعم .. نشر الطناحي هذه الرسائل ولكن ما غاب عن استاذنا البيومي أن باعث هذه الرسائل لم يكن الطناحي وانما كان صديقا له يدعى عبد الحميد رضا هو الذى قام بهذا العمل بايحاء الطناحي ، وكان هذا مقلبا طريفا ومفيدا للادب وقد رواه الطناحي في الهلال تحت عنوان : غرام الأدباء .. كيف أحب المازني ؟ .. هلال اكتوبر ١٩٤٩ .

حسن أبو شنب
طنطا

● انتفاضة فلسطين ●

امنع رصاصك لايفيد القتل ... ماذا جنى هذا الصغير الطفل ؟
إن انتفاضته لأجل بلاده ... وهى الحقيقة ليس فيها هزل



الطفل ثار يريد حق بلاده
قد هب يطلب حقه فقتلته
وطردت سيدهم ودست متاعهم
واليوم تسجنهم وتحرقهم ولا
ياظالما انت العدو إلى متى
السلم افضل والتعليش مبدأ

لاتعجبوا فهو الجسور الشبل
شلت يداك فهل يفيد القتل ؟
أخزاك ربك واعتراك الذل
تبقى لهم شيئا . فاين العدل ؟
يمتد ظلمك بينهم والغل
تحيا به الاقوام . وهو الحل

عبد الحميد عبد السلام شمخ
شبرا خيت

• السياسة السعرية وانتاج القمح •

ظلت المساحات المنزرعة بمحصول القمح على علاقة عكسية بالمساحات المنزرعة بمحصول القطن طوال فترتى الخمسينات والستينات ، فكلما زادت المساحات المنزرعة بالمحصول الأول انخفضت المساحات المنزرعة بالمحصول الآخر .. ومنذ منتصف السبعينات ، بدأت المساحات المزروعة بمحصولى القمح والقطن بالانخفاض التدريجي .. وتوالى هذا الانخفاض بشكل محسوس خلال فترة الثمانينات . حيث اختفت العلاقة التنافسية بين محصولى القطن والقمح ، أو بين الدورات الزراعية الخاصة بهذين المحصولين ، وظهرت علاقة تنافسية جديدة ، تمثلت فى التنافس على الأرض الزراعية بين المحاصيل التقليدية ، والتى ضمت القطن والقمح معا ، وغيرها من المحاصيل الحديثة .

وقد ضمت المحاصيل التقليدية ، إلى جانب القطن والقمح ، محاصيل الحبوب والبقول ، فى حين شملت المحاصيل الحديثة الخضر والفاكهة . وقد كانت نتيجة العلاقة التنافسية بين المحاصيل التقليدية والحديثة دائما فى صالح المجموعة الأخيرة من المحاصيل . حيث انخفضت المساحات المزروعة بالقطن ، والقمح وغيره من محاصيل الحبوب ، بالأضافة الى المساحات المزروعة ، بمحاصيل البقول ، فى حين تزايدت المساحات المنزرعة بالخضر والفاكهة بأنواعها المختلفة .

وبالرغم من القيود الادارية المختلفة والمتعددة التى تفرضها الدولة على أنماط استغلال الأراضى الزراعية ، وذلك فى محاولة منها للحفاظ على المساحات المنزرعة بالمحاصيل التقليدية لما تمثله هذه المحاصيل من أهمية استراتيجية للاقتصاد القومى إلا أن المساحات المنزرعة بالخضر والفاكهة مازالت تتزايد على حساب المساحات المنزرعة بتلك المحاصيل التقليدية ـ وهو مايشير الى وجود عامل هام يؤثر فى اتجاه تلك العلاقة التنافسية فى غير صالح المحاصيل التقليدية وهو هيكل

الاثمان النسبية للمنتجات الزراعية .

من هنا كان الأهتمام بالسياسة السعرية الزراعية ، باعتبارها احد العوامل الهامة التى تؤثر على نمط استغلال الأراضى الزراعية فى الاتجاه المطلوب . وهى ما يتطلب بدوره وضع تصور كامل عن النمط الأمثل . لاستغلال الأراضى الزراعية المتاحة .

فقد أصبح محصول القمح من المحاصيل الهامة فى ظل الظروف العالمية الراهنة ، نظرا لما يصاحب الحصول عليه من صعوبات عديدة متفاقمة من خلال التبادل التجارى الدولى .. فبعد أن كانت معظم الأراء الاقتصادية فى الماضى تنادى بضرورة عدم التوسع فى انتاج القمح ، حتى لا نضيع على أنفسنا فرصة استغلال الأراضى الزراعية فى محاصيل أخرى نستطيع انتاجها بكفاءة أعلى فى حين تعتمد على السوق العالمى فى الحصول على احتياجاتنا من القمح ، وهو مايتوافق مع اعتبارات الكفاءة للنظام الاقتصادى ، أصبحت معظم الأراء الآن تتجه الى ضرورة زيادة الانتاج من محصول القمح حتى ان لم يحقق ذلك اعتبارات الكفاءة الاقتصادية ، نظرا لما يمثله هذا المحصول من أهمية استراتيجية ، ونظرا لما يصاحب زيادة انتاج القمح وتخفيف الأعتماد على السوق الخارجية فى الحصول على احتياجاتنا منه من حرية أكبر فى التبادل الدولى والقدرة على الحصول على أفضل الشروط له .

كل ما سبق يتطلب تعديل هيكل الأثمان النسبية للمنتجات الزراعية فى صالح المحاصيل التقليدية . حيث يؤدى إلى زيادة الانتاج منها ، بتعديل نمط استغلال الأراضى الزراعية فى صالحها ، وفى نفس الوقت ترشيد الاستهلاك من تلك المحاصيل . حيث ظل هيكل الاثمان النسبية للمنتجات الزراعية فى غير صالح المحاصيل التقليدية ، بحجة أن زيادة اثمان تلك المنتجات سوف يشكل عبئا جديدا على أصحاب الدخول المحدودة .

وقد أدت هذه الحجة الى الاسراف فى استخدام تلك المحاصيل الهامة ، بما ادى إلى الكثير من الفقد والضياع لموارد المجتمع ومن ثم تحمل أصحاب الدخول المحدودة لعبء كبير يتمثل فى ضياع الموارد الاقتصادية التى كان يمكن استخدامها لرفع مستوى معيشتهم وزيادة دخولهم .

سامى السيد فتحى
مدرس اقتصاد ـ بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية ـ جامعة القاهرة

• متحف الجزيرة •

● بالاشارة الى الموضوع الخاص بمتحف الجزيرة والمنشور بالهلال عدد اغسطس ١٩٨٩

أنت والهلال

نرجو الاحاطة بأنه قد جاء بالموضوع المنشور بعض الاخطاء المتعلقة بمقتنيات المتحف وميزانيته ونلخصها فى نقاط :

أولا : فيما يتعلق بعدد القطع الفنية التى يضمها المتحف جاء أنها مائة الف قطعة فنية فى حين أن العدد الحقيقى هو حوالى ٤٥٠٠ قطعة .

ثانيا : ذكر أن عدد التحف الزجاجية التى يرجع تاريخها الى العصر الاغريقى يربو عددها على خمسة آلاف قطعة ، بينما العدد الحقيقى هو ٢٦٥ قطعة فنية فقط .

ثالثا : فيما يتعلق بشهادة ميلاد لكل قطعة ذكر أن الدولة قد استقدمت منذ سنوات خبيرة أجنبية لها خبرة فى متحف اللوفر لتقوم بعمل هام ودقيق هو الناتج لكل قطعة فنية .

فى حين أن الواقع يثبت أن المركز القومى للفنون التشكيلية فى اطار خطته . لتطوير المتاحف كان سباقا للقيام بهذا العمل من خلال خطة لتوصيف وتوثيق المقتنيات الفنية والتى يقوم بها عدد من كبار أساتذة الفنون ومجموعة من مرممى الاثار وأن استقدام الخبيرة الفرنسية كان للمساهمة بخبرتها فى هذا المجال .

رابعا : أما فيما يتعلق بميزانية نظافة المتحف فقد ذكر أنها حوالى ٧٠ جنيها لشراء أدوات نظافة وهى تصرف كسلفة مستديمة ، فى حين أن هذا الرقم مخالف تماما للواقع فهو يصرف ليس كسلفة مستديمة فقط ولكن كسلفة يتم استعاضتها فور النفاد ومن الممكن استعاضتها عدة مرات خلال عام مالى واحد كلما دعت الضرورة .

خامسا : بالنسبة للصورة المنشورة فى صفحة رقم ١٨ وموصوفة بأنها لوحة مشغولة بالحرير هى فى الأصل لوحة من الجوبلان الفرنسى .

أخيرا : فيما يتعلق بمبلغ الثمانية ملايين جنيه والتى رصدها السيد الدكتور رئيس الوزراء لتطوير المتاحف فان هذه المبالغ لم تذهب الى طريق لا يوصل الى متحف كما جاء ، ولكن هذا المبلغ قد أعتمد بالفعل لتطوير متحف محمد محمود خليل والجزيرة ويتم الانفاق على تطوير هذين المتحفين بالفعل وذلك تحت اشراف المكتب الاستشارى للمركز والذى يقوم بعمل كافة التصميمات الخاصة بتطوير المتاحف والتى يتم تنفيذها من خلال شركة النصر العامة للمقاولات (حسن علام) والتى تقوم بتقديم المستخلصات الخاصة بانتهاء كل مرحلة والتى يتم الصرف على أساسها من هذا المبلغ وبالتالى فإنه أوجه الانفاق معلومة تماما وليس كما جاء ذكره فى المقال . وننتهز هذه الفرصة لتصحيح المعلومات ..

أحمد نوار
رئيس الأدارة المركزية والمشرف العام

● يوسف عبد العزيز علي حسان ـ كلية الآداب بقنا ـ قسم اللغة الانجليزية

ـ نشكر لك بحثك عن أصل قصيدة « غيرى على السلوان قادر » المنسوبة لابن الفارض ، وقد قمتم بترجيح رأى معروف على رأى آخر معروف كذلك ، ونحن نؤيدك فى أن هذه القصيدة أشبه بشعر البهاء زهير منها بشعر ابن الفارض ، ونرجح جدا انها للبهاء .

● دكتور مجدي ابو المعاطى ـ المنصورة :

ـ الروايات لاتحتاج الى مسابقة مثل القصة القصيرة ، ولماذا يأخى تشعر باليأس والكآبة والحزن والهزيمة الشخصية ؟ !" .. انك متى خرجت من عزلتك زالت عنك كل هذه المشاعر التى تنوء بها .. ونحن نرحب بنشر كل رواية مصرية او مترجمة فى « روايات الهلال » إذا كانت فى المستوى المطلوب ، ولا نشترط كتابة الأصل على الآلة الكاتبة كما تتوهم ! .

● مندور ابوحليم ـ الزرقاء ـ عوجان ـ الأردن :

ـ نرحب بك ، ونرجو أن نتلقى أشعارك التى تتحدث عنها .

● د . محمد عوض حاج امان ـ استاذ الادب الانجليزى بجامعة ام درمان الأهلية ـ السودان :

ـ نشكر لكم كلماتكم الطيبة عن مصر .. اما القصيدة الشعرية التى ارسلتها الينا فهى فى الحقيقة قصيدة نثرية لأنها خالية من الوزن إلا فى شذرات نادرة ، ولايتسع المجال ـ مع الأسف ـ لنشر الشعر المنثور ، فنحن لانكاد نجد مجالا حتى للشعر ذى الأوزان ! .

● ونعتذر ونشكر أصدقاءنا الاساتذة : مبارك السيد القويضى .. أمانى ملاك .. هشام محمد عبد الوهاب .. د . أحمد ربيع .. صلاح سالم رزق .. عبد الرحيم المسلخ .. عزت يحيى .. اشرف محمد خليل .. محمد سيد عبد العزيز .. حسين عبد العليم .. محمد عباس على .. عدنان أسعد .. عبد المقصود السعيد عبد المقصود .. ابراهيم سمير سعده .. ايمن نجاح طاهر .. السيد عصر .. السيد ابراهيم عطية .. عاصم فريد البرقوقى .. محمد السعيد مصطفى الشيخ .. عبد الصبور الصادق .. ابو بكر محمد محمد حسانين .. رفعت عبد الوهاب المرصفى .. محمود عبد المجيد أحمد .. عبد العال عبد الصمد الشال .. ابو الهيثم المجدلى .. لطفى سميان عبد الرحيم .

الكلمة الأخيرة

قل هو الله أحد ..

حديث الكافة فى مصر ، وشغلهم الشاغل ، قد انحصرا فى وسائل الكسب ، والكسب السريع إن أمكن . فما من أحد قد عاد يطيق الصبر أو التدرج أو يؤمن بجدواهما .. الكادحون يلهثون وراء القرش ، وصاحب القرش يريده قرشين .. وقد انمحت الفوارق فى هذا الشأن بين الطبقات : فكما يجلس الآن رب الدار وخادمه يتابعان معا مسلسلا تليفزيونيا غثا واحدا ، استغرقت فكر الأغنياء والفقراء على سواء سبل تحصيل المال . فالجميع فقراء بالمعنى اللغوى لكلمة الفقر ، وهو الحاجة . والجميع مرهق يلهث ، ساخط يتأفف .

قد كان ثمة فى مجتمع صباى تجار ، غير أن الناس كانوا وقتها فريقين : تجارا وغير تجار . وقد أضحت الكافة الآن تجارا ، لافارق بين بائع الشاورمة وبين أستاذ الجامعة أو المدرس أو الصحافى أو الطبيب أو من شئت . الكل قد بات القرش إلهه ، والثراء غايته . وربما كان بائع الشاورمة أعفهم يدا ، وأقلهم طمعا .

قد انتهكت أعراض الجميع إذن . ومن الظلم أن نصم المومس وحدها بأنها بائعة العرض . فما فعلت غير ما يقترفه الكل الآن فى حق أنفسهم ، ولنفس الدافع ، وربما بصورة أدنا . فإن نظرنا الى من اعتزل دنيانا وتدروش ، فإنما ننظر الى الوجه الآخر من نفس العملة : أناس عجزوا عن المدافعة والمزاحمة ، وكانوا أضعف من أن يطأوا غيرهم تحت أقدامهم ، فاختاروا إدانة المجتمع بأسره على أساس من الدين ، حتى لايفقدوا احترامهم لأنفسهم .

فكيف يمكن فى مثل هذا المناخ أن تنتعش حياة ثقافية ، أو يكون هناك فكر أو فن ، اللهم إلا أن كان فكرا تجاريا ، وفنا تجاريا ؟ فإن كان أساتذة الجامعات قد أضحوا يتاجرون بالعلم ، وملائكة الرحمة بالرحمة ، فما يحول بين الأديب أو الصحافى أو الفنان وبين أن يبيع قلمه أو فنه لمن بيده سلطة إغراق الأموال أو التعيين فى المناصب ؟

ما عاد ثمة من يعمل بنصيحة سفيان الثورى لأحد العلماء : "إن دعاك الأمراء لتقرأ عليهم (قل هو الله أحد) ، فلا تمض ولا تقرأها !" . وقد قصد سفيان بالأمراء أمثال الخليفة أو الوزير .

فاتسع المعنى الآن ليشمل أصحاب شركات توظيف الأموال وأمثالهم ، يقرأ عليهم مثقفونا مالا يمكن أن يرقى إلى (قل هو الله أحد) .



حسين أحمد أمين


EGYPTAIR
مصر للطيران






صخر PC
طريقك للمستقبل
مجموعة متكاملة من الأجهزة لتلبية حاجة المستخدم العربي (XT,AT,386)
البرامج المدمجة بالأجهزة :
نظام تشغيل عربي ، برنامج عرض عربي ، منسق كلمات عربي انجليزي فرنسي
مدقق املائي عربي ، مدقق املائي انجليزي ، قاموس انجليزي عربي (٧٥ ألف كلمة)
برنامج البريد ، حاسبة ، تقويم هجري ميلادي ، لغة بيسك العربية.
صخر
العالمية

الهلال

عدد تذكاري

الثمانينات

عمالقة.. وأحداث هامة

قمم عربية



بريشة الفنان العراقي السيد جواد سليم

الشاعر العراقي

محمد مهدي الجواهري

الهلال

مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجي زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

السنة السابعة والتسعون • ديسمبر ١٩٨٩ • جمادى الأولى ١٤١٠ هـ

تقدم «قمم عربية» شاعر العراق الكبير محمد مهدى الجواهرى الذى يغرد فى غير سربه، حيث يعيش بعيدا عن بلده العراق، بعد ان تقدمت به السن !..

ولد فى النجف التى كانت حينذاك المركز الادبى الاول فى العراق علم ١٩٠٣، كانت هناك ثلاثة بيوتات شهيرة، هى المسيطرة فى ذلك الوقت علميا وادبيا فى قرية النجف : «بيت آل كاشف الغطاء ـ بيت الجواهرى ـ بيت بحر العلوم».

كان ذلك من روافد التكوين العلمي والادبى للجواهرى حيث نشأ فى اسرة تعشق الأدب والشعر بخاصة وكان الصبى فى بيئة النجف يقرأ امهات الكتب العربية وكل كتب التراث الادبى والثقافى العربى الى جانب كتب الشريعة والدين.

تلقى ابو فرات العلوم الدينية واللغوية والفلسفية على ايدى شيوخ الأدب والفقه والمنطق فى النجف مسقط راسه.

ونبغ الجواهرى نبوغا مبكرا، الا ان موهبته الشعرية كانت اسبق من اى دراسة نظرية، وكان اول دواوينه «حلبة الأدب» علم ١٩٢٣ وهو مجموعة من المعارضات لمشاهير شعراء عصره كأحمد شوقى، وايليا ابوماضى ـ ولبعض السابقين مثل لسان الدين بن الخطيب، وابن التعاويذى.

وشعر الجواهرى قوى متين النسيج فى إطناب ووضوح وتتقاسم موضوعاته المناسبات السياسية والتجارب الشخصية وتبدو فى كثير منها الثورة على التقاليد من ناحية وعلى الاوضاع السياسية والاجتماعية الفاسدة من ناحية أخرى.

إقـــرا ص ١١٨

حصاد الثمانينات

في هذا العدد



الغلاف تصميم الفنان
محمد ابو طالب

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوى ، وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .
والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية ، وفى الخارج بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الأسعار الموضحة بعاليه عند الطلب .

قمم عربية

فكر وثقافة

جولة المعارض

قصة وشعر

الأبواب الثابتة

دار الهلال

١٦ شارع محمد عز العرب الرقم البريدى (١١٥١١) القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط - مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨١

رقم التلكس : 92703 HILAL U-N



لبنان ٧٠٠ ليرة ، الاردن ٦٠٠ فلس ، الكويت ٥٠٠ فلس ، العراق ٢٠٠٠ فلس ، السعودية ٧ ريالات ، جمهورية اليمن الديمقراطية ١٢٥ سنتا ، البحرين ٨٠٠ فلس ، الدوحة ٧ ريالات ، دبى ٧ دراهم ، ابو ظبى ٧ دراهم ، مسقط ٧٠٠ بيسه ، تونس ١٤٠٠ مليم ، المغرب ١٥ درهما ، غزة والضفة ٧٥ سنتا ، داكار ٦٠٠ فرنك ، لندن ١٢٥ بنسا ، ايطاليا ٢٥٠٠ ليرة ، نيويورك ٤٠٠ سنت ، الجمهورية العربية اليمنية ٨ ريالات ، كندا ٥ دولارات ، لوس انجلوس ٤٠٠ سنت .

عزيزى القارىء

تذكار وتحية

أخيرا بلغنا نهاية عقد الثمانينات من القرن العشرين ، ولم تبق على نهاية هذا القرن الحاسم فى تاريخ البشرية إلا عشر سنوات فقط ، يبدأ بعدها القرن الواحد والعشرون ..

ولا أحد يدرى ماذا تجلب هذه العشر الأواخر إلى الجنس البشرى وإلى الكرة الأرضية ذاتها ومصيرها بحذافيره ، سهولا وجبالا ، وماء وهواء ، فإن سنوات العقد الماضى صنعت الأعاجيب فى الأرض والهواء والماء والفضاء ، وبلغ الإنسان لأول مرة بسفنه الفضائية أبعد كواكب المجموعة الشمسية ، ثم دفع هذه السفن لتخترق أجواز الفضاء الأعلى إلى عوالم علمها عند ربى !..

إننا نخرج من باب الثمانينات لندخل فى باب التسعينات ، ووراءنا أضخم حصاد عرفته الدنيا فى أى عقد من عقود القرن العشرين ، فحتى عقد الأربعينات الملتهب الذى شهد الحرب العالمية الثانية الرهيبة ، ثم شهد بداية الحرب الباردة الطويلة الأمد العميقة النتائج ، يتضاءل حصاده من الخير والشر إلى جانب حصاد الثمانينات فى مصر والبلاد العربية والعالم الثالث وعالم الدول الصناعية الكبيرة .

عـزيـزى القـارىء

هذا العدد من "الهلال" تحية وداع وتذكار للعقد الذى أصبحت ساعاته الأخيرة الباقية تعد على الأصابع .. وسيكون العدد القادم إن شاء الله تحية استقبال للعقد الذى يجيء إلينا من وراء الغيب ولا نرى ما يخبئه لنا ولا نستطيع إلا أن نقول له : أيها القادم الجديد .. كن صديقا لكل الناس ، وارزق قلوب اليائسين أملا ، واملأ عيون المؤرقين نوما هانئا سعيدا ..

لقد حفلت الثمانينات بحشد من الحوادث الجسام ، ظهرت وجوه واختفت وجوه .. برزت أسماء وتوارت أسماء .. قفزت قضايا جديدة فى الأدب والفن والمسرح والسينما والموسيقى والغناء والصحافة والسياسة .. اختلفت علاقات الدول أو اتفقت ، وصعدت الديمقراطية وحقوق الإنسان مرة وهبطت مرات فى بلد هنا وبلد هناك ، ووفدت إلينا قضايا خطيرة الشأن مثل تهتك طبقة الأوزون وتلوث البيئة ونقص الموارد وتصحر الأرض الزراعية وجفاف الأنهار وارتفاع درجة الحرارة .

إلى عقد الثمانينات

وكانت الثمانينات عقد انهيار النظم الاشتراكية فى أوربا الشرقية ، وتقدم أوربا الغربية نحو الوحدة الشاملة ، وصعود اليابان الاقتصادى على حساب الولايات المتحدة الأمريكية ، وازدياد دول الجنوب فقرا وديونا ، وازدياد دول الشمال غنى وتكبيلا للدول الفقيرة بالديون !..

وفى الثمانينات انبعثت من رقدة الموت قضايا ميتة فصارت حية تسعى من جديد ، مثل قضايا العروبة وصلتها بالدين ، ومثل الهوية الحضارية ومعناها ومداها ، ومثل الحجاب والنقاب وخروج المرأة إلى العمل !.. لقد تسللت هذه القضايا إلى المنابر فكثرت فيها الثرثرة بلا طائل ، وأضيفت إليها قضايا تم حسمها فعادت من جديد إلى جدول القضايا التى تحتاج إلى اعادة نظر ، وأوشكت الأمور فى هذه القضايا وتلك أن تصاب بردة فكرية وحضارية تتمسح فى مختلف المقدسات والشعارات ..

عزيزى القارىء

هذه ليست إلا رءوس مواضيع لما تطالعه فى هذا العدد من "الهلال" الذى جمعنا فيه بطريقة انتقائية - غير إحصائية ولا شاملة - حصاد الثمانينات فى كثير من الشئون والشجون . ولو اتسع المجال لاتسعت دائرة الانتقاء والاختيار .

عزيزى القارىء

لعلك ستقوم معنا بسياحة فى عقد الثمانينات فتتذكر أمورا ربما تكون قد نسيتها ، وتتنبه إلى أشياء لعلها لم تستوقف نظرك من قبل ، وتتريث عند أشياء عبرت بها مرة أو مرتين ولم تنعم التفكير فيها ..

وهكذا يصبح هذا العدد التذكارى من "الهلال" عن الثمانينات ، رفيقا لذاكرتك فى التفاتها إلى ما مضى من تلك السنوات العشر المثيرة .. وهى التفاتة لا تستهدف الذكرى وحدها ، بل تستهدف كذلك انعاش الأمل فى المستقبل الذى وشك أن يبدأ مع عقد التسعينات وهو يطرق الأبواب !..

وإلى اللقاء فى العدد القادم ، نستقبل معاً أول لمحة من شمس التسعينات !..

« المحـرر »



نجيب محفوظ والزمن الضائع في

قشتمر

آخر روايات الكاتب .!

بقلم : د . رشيد العناني

من أبرز الأحداث الثقافية خلال الثمانينات هو فوز الكاتب الكبير نجيب محفوظ بجائزة نوبل فى العام الماضي ، والتى هزّت بقوة الحياة الثقافية والفكرية الراكدة فى العالم العربى.

وفى هذا المقال يقدم د . رشيد العنانى رؤية جديدة لآخر روايات محفوظ .

من تفاعل الزمان والمكان والعام والخاص تنشأ الحياة الانسانية ، ولسنا نقصد هنا النشأة بمعناها البيولوجي وإنما بمعناها الوجداني . فبهذا التفاعل قد يسعد الناس أو يشقون ، قد يغنون أو يفقرون ، قد يمتد بهم العمر أو يعاجلهم الفناء . هذه هى التركيبة الكيماوية التى منها يتخلق أبطال نجيب محفوظ وبها تتحدد مواقعهم فى المجتمع . على أن الإرادة البشرية والفعل الناجم عنها إنما هى جزء من هذه التركيبة ، هى عنصر يتفاعل مع سائر العناصر ويقاوم طغيانها على فرديته . ولكن الغالب فى عالم محفوظ أن ينسحق الفرد ويندثر نضاله مهما كان بطوليا فى بوتقة التفاعل الأبدى بين الزمان والمكان ، ذلك التفاعل الذى قد تنجو منه الجماعات ولكن لا يفلت فرد قط من قوته الصاهرة المُفْنية . وغاية أمل



حسني مبارك يكرم نجيب محفوظ

الانسان الواحد أن يسهم بوجوده وجهده الموقوتين في بقاء الجماعة وازدهارها .

في رؤيا نجيب محفوظ إذن أن التفاعل الدائم بين الزمان والمكان هو أحد قوانين الوجود المعادية للانسان من حيث هو كائن فرد مرهون الوجود بأجل موقوت ، ولاننا نرى هذا التفاعل ينزل بأبطاله مالا يحصى من فنون التعاسة والمرض والآمال المحطمة والاواصر المنفسخة ، فإن أمد لهم في اليسر والنعيم فلا يكون هذا إلا إلى حين ، ثم لا يلبث ان يرزأهم بنكبة من نكباته . وهم بعد هذا وذاك وعلي تفاوت المصائر والحظوظ سائرون بخطى لاراد لتقدمها الحثيث نحو شيخوخة أفلة وضعف مكين وعدم لايرين . وانشغال نجيب محفوظ بهذا التفاعل الزماني ـ المكاني وظواهره في حياة الفرد انشغال قديم ويعد بحق فكرة من أفكاره التسلطية قل أن يخلو عمل من أعماله من عارض من عوارضها وهناك من أعماله ما تسيطر عليه



نجيب محفوظ والزمن الضائع

هذه الفكرة سيطرة مطلقة مثل «الثلاثية» و «ملحمة الحرافيش» و «حضرة المحترم».

● تأملات محفوظية

«قشتمر» - التي تستقي عنوانها من اسم مقهى كان يجتمع فيه شخوص الرواية - هي آخر حلقة في سلسلة التأملات المحفوظية في الظاهرة الزمان - مكانية. هي صرخة وجدان شائخ أخذه الجزع من تحول المكان وانصرام الزمان واقتراب الفناء المحتوم. هي رحلة «بروستية» في الذاكرة بحثا عن الزمن الضائع. ذلك أن الذاكرة - طالما أنها تعمل - هي وحدها القادرة على خداع الزمن وقهر حركته المطردة. فالانسان في الحياة ينهزم من تحالف الزمان والمكان، ولكنه في الذاكرة ينفرد بالزمان ليقهره ويعيش بين صور فتوته وسعادته بينما حاضره الزماني - المكاني يجثم عليه بواقع الشيخوخة والبؤس.

يفتتح محفوظ الرواية بفقرة لعلها في شعريتها العذبة وقوة إيحائها من أبدع ما استهل به رواياته قاطبة:

«العباسية في شبابها المنطوى. واحة في قلب صحراء مترامية. في شرقيها تقوم السرايات كالقلاع وفي غربيها تتجاور البيوت الصغيرة مزهوة بجدتها وحداثتها الخلفية. تكتنفها من أكثر من ناحية حقول الخضر والنخيل والحناء وغابات التين الشوكى - يشملها هدوء عذب وسكينة ... لولا أزيز الترام الأبيض بين الحين والحين في مسيرته الدائبة ما بين مصر الجديدة والعتبة الخضراء. ويهب عليها هواء الصحراء الجاف فيستعير من الحقول أطيابها مثيرا في الصدور حبها المكنون. ولكن عند الأصيل يطوف بشوارعها عازف الرباب المتسول بجلباب على اللحم، حافيا جاحظ العينين، يشدو بصوت أجش لا يخلو من تأثير نافذ:

أمنت لك يادهر ورجعت خنتنى»

في الجملة الأولى من الرواية تكمن الرواية كلها، فليس نحو المائة والخمسين صفحة التي تلي إلا تفصيلا لتلك الجملة. «العباسية» هي «المكان» والعباسية كان لها شباب ولكن هذا الشباب طواه «الزمان». والرواية ليست إلّا فعل مقاومة الزمان من قبل الخاصة البشرية الوحيدة القادرة على التصدى له، إلا وهى «الذاكرة»، وهي هنا ذاكرة الراوى الذى هو أيضا - كله أو بعضه - الروائى. والعباسية - ذلك الحى القاهرى الذى شهد فترة من صبا محفوظ ومراهقته - ليست مكانا صرفا وإنما هو مكان آهل بأفراد البشر، و «شبابها المنطوى» هو أيضا بالضرورة شبابهم المنطوى. ومن هنا مغزى الاستدراك في أواخر الفقرة «ولكن عند الأصيل ...» فهذه الـ «لكن» كامنة في الفقرة منذ أول جملة فكون الشباب قد انطوى يعني ضمنا أن كل ما يتبع من وصف للعباسية وكأنها قطعة من عالم سرمدى لا يعرف جماله الذبول ولا هدوؤه الاضطراب، إنما هو العوية من الاعيب الاسترجاع. وكأن عازف الرباب المتسول

الحافى شبه العارى بصوته الأجش المتناقض «للهدوء العذب والسكينة السابقة» وبحكمته السافرة الملخصة لعلاقة الانسان بالزمان هو بذرة التحول والفناء الكامنة فى ذلك الفردوس الموقوت .

«قشتمر» هى إذا قصة أربعة من أهل العباسية جمعت بينهم الصداقة منذ عهد المدرسة الأولية وهى صداقة علت على اختلاف الطبائع والطبقات فاثنان منهم - «اسماعيل قدرى» و «صادق صفوان» ينتميان إلى الطبقة الوسطى المتدنية ، بينما ينتمى الآخران «حمادة الطوانى» و «طاهر عبيد» إلى الطبقة الارستقراطية . كما أن فيهم المتدين والمتشكك والراسمالى واليسارى والهوائى الذى لايثبت على حال ، إلا ان دواعى الفرقة بالامكان هذه لاتفت فى عضد صداقتهم فيبقون متكاتفين متوادين على مر الزمن ومما يأتى به من احداث عامة وخاصة . ويمتد الحدث الروائى عبر مسافة زمنية طويلة حافلة تبدأ عام ١٩١٥ وتستمر إلى الوقت الراهن . ومن المفيد أن نلاحظ أن الشخصيات الأربع تتمتع بأهمية روائية متكافئة فليس للرواية شخصية محورية ، وأخر ثانوية ، وإنما يتوزع انتباه الكاتب بينها بالتساوى ، فيتيح لنا أن نتابع تطور كل منها من إلعاب الصبا الى تفتح المدارك الجنسية إلى نمو الوعى الدينى وتشكل الانتماءات السياسية . ثم نراهم كلا فى معترك الحياة العملية ما بين ناجح ومخفق ، متدين ومنفلت ، متزوج وأعزب ، منهمك فى السياسة والمجتمع ولاه بحياته الذاتية عن السياسة والمجتمع وكل شىء .



ابنتا نجيب محفوظ .. تتسلمان اهم جائزة منحت للعرب

● إبراز عنصر الصيرورة

ولما كان تفاعل العام والخاص أساسيا عند محفوظ لبلورة المأساة الفردية فإنه يكشف لنا عن وقائع حياة شخوصه الاربعة من خلال وقائع تاريخ مصر المعاصرة منذ ثورة ١٩١٩ وحتى اليوم . ويركز محفوظ على إبراز عنصر الصيرورة الدائمة فى حركة الزمن على المستويين العام والخاص ومن هنا خروجه على ما هو مألوف شكليا فى تقسيم الرواية الى فصول فنراه يدفع بنثره من موقف إلى موقف ومن شخص الى شخص ومن حقبة

إلى حقبة دون أى لون من القطع او التبويب . وهو بذلك يسعى دون شك إلى أن يؤقلم الشكل الروائى مع الحركة الانسيابية للزمن ، وإلى أن يعكس فعل الاسترجاع فى الذاكرة البشرية حيث يتبدى الزمن وحدة واحدة لا انقطاع ولا تقسيم فيها . ولا شك أيضا فى أن ثمة مغزى سياسيا ووطنيا فى اختيار نجيب محفوظ لشخوصه من بين طبقات متفاوتة وطبائع متباينة وتآليفه بينهم بصداقة متينة تصمد لأحداث الزمانين الخاص والعام . وكأنه يرمز بهم للوحدة الوطنية المصرية المتجاوزة بديمومة المكان وصيرورة الزمان عوامل الفرقة والتفرط . وهذه الرمزية السياسية لا تقتصر على شخوص الرواية وإنما تتواجد أيضا فى «مكان» الحدث الروائى . بمعنى أن «العباسية» ذلك الحى القاهرى الذى جمع فى حدوده الجغرافية بين سرايات الارستقراطيين وبيوت الطبقة الوسطى فى غير تنافر ولاتضاد هو أيضا رمز لمصر كلها التى فيها متسع للجميع والقادرة على لمّ الأشتات دون عناء . ويتأكد المعنى الرمزى للعباسية حين نرى محفوظ يبرز التطور الديموغرافى الذى يطرا على الحى مع مرور الزمن وتبدل الأحوال السياسية والاجتماعية . فبينما كانت قصور الأثرياء فى البدء تقوم شرقى الحى وبيوت الأواسط غربيه فى تجاور دون اختلاط ، فمع تقدم الزمن تتسلل البيوت الصغيرة بين القصور ثم تأتى ثورة ١٩٥٢ فتهدم القصور وتقام محلها العمائر التى يقطنها أواسط الناس . ولا نملك إلا أن نلاحظ ان الوحدة الرمزية هنا تقتصر على الطبقتين العليا والوسطى ولا محل فيها للعمال وصغار الحرفيين والفلاحين ، فهؤلاء لم يكونوا من قاطنى العباسية فى ذلك الزمان وهم على هذا لا يمثلون جزءا من عالم محفوظ الروائى التقليدى .

يبقى أن نقول إن «قشتمر» لا تضيف جديدا إلى عالم محفوظ ففيها الكثير من روايته السابقة عليها بسنوات «الباقى من الزمن ساعة» ، وشخوصها جميعا مستعارة من رواياته السابقة بلا تغيير يذكر وكذلك أحداثها العامة والخاصة . وليس من جديد أيضا فى رؤياها للانسان من حيث علاقته بالمجتمع ولا فى قراءة الكاتب لتاريخ بلده السياسى فى هذا القرن . فقيمتها ليست فى شىء من هذا كله وإنما فى دفقة الحنين المبهم التى دفعت محفوظ إلى كتابتها ، فى قبضته المستميتة على الزمن فى الذاكرة ، فى استعدائه الملتاع للمكان على الزمان حيث تصبح « ديمومة المكان » متمثلة فى مقهى قشتمر هى الملاذ الوحيد للصحاب الاربعة من «صيرورة الزمان» الساعية بهم فى دأب مخيف نحو حتمية الفناء .

ولعل هذا منحى جديد فى فلسفة كاتبنا العظيم فعلاقته بالزمان قديمة مشهورة باعتباره عدو الانسان الاكبر وقاهره الذى لا يرحم ولكن الأمر الجديد هنا هو ذلك التأكيد التصالحى على العزاء المتاح فى التوادد البشرى فى ظل الديمومة المكانية .

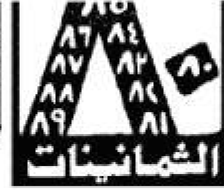
محمود شاكر
منجم الأصالة العربية


محمود شاكر

شهدت حقبة الثمانينات من هذا القرن اعترافا متتابع الخطوات ، بمكانة الأديب العربي الكبير محمود محمد شاكر ، بدءا من منحه جائزة الدولة التقديرية في الأدب عن عام ١٩٨١ ثم اختياره لعضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٨٣ ، وحصوله على جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب عام ١٩٨٤ ، واخيرا منحه وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى الذى سلمه اياه الرئيس محمد حسني مبارك في احتفال المولد النبوى الشريف في عام ١٩٨٩ ، وبصفته مفكرا اسلاميا بارزا .

وقد تالق اسم الأستاذ محمود محمد شاكر في سماء الأدب العربي باعتباره اديبا شابا في فترة الثلاثينيات والاربعينيات من هذا القرن وخاصة بعد صدور كتابه "المتنبى" الذى نشرته مجلة المقتطف في عدد خاص منها في عام ١٩٣٦ ، فضلا عن عشرات المقالات والقصائد الشعرية في مختلف الصحف والمجلات الى بداية الخمسينيات من هذا القرن حيث توقف فترة عن الكتابة لينصرف الى تحقيق العديد من امهات كتب التراث العربي والاسلامى حتى استفزته بعض الظواهر الأدبية في بلادنا فامتشق قلمه في مجلة الرسالة من جديد في عام ١٩٦٤ وانشأ سلسلة من المقالات في الرد على ما كتبه الدكتور لويس عوض في الاهرام عن رسالة الغفران للمعرى ، وهى المقالات التى جمعها بعد ذلك الاستاذ شاكر في واحد من اهم كتبه وعنوانه اباطيل واسمار .

وفى العام قبل الماضى نشر كتاب "الهلال" للاستاذ محمود شاكر "رسالة في الطريق الى ثقافتنا" ، التى انشاها لتكون مقدمة للطبعة الثالثة من كتابه عن المتنبى ، وكان لها بدورها دوى هائل في الاوساط الأدبية والثقافية ولكن الكتابة والتحقيق والمعارك الأدبية لم تكن هى كل جهود الاستاذ محمود شاكر في خدمة الثقافة العربية ففى فترة كمونه في داره بمصر الجديدة معتزلا الكتابة عاكفا على نشر كتب التراث كان بيته قد شرع في التحول الى جامعة يقصدها الدارسون من مختلف ارجاء الوطن العربي للتتلمذ على يديه ولا تزال كذلك الى اليوم حتى استحق وصف المرحوم الشاعر الكبير محمود حسن اسماعيل له بأنه كنز الثقافة العربية والمنجم الباقى لأصالتها العريقة .



من الرابع الأول .. في سوق الجوائز الادبية ؟

بقلم : محمود قاسم

في صباح يوم الرابع عشر من اكتوبر عام ١٩٨٨ ، كان يمكن للمرء ان يقرأ بسهولة ، شيئا مميزاً في وجوه الناس . هذا الشيء هو مزيج من الفرحة والثقة بالنفس والدهشة والانبهار ، وغريزة المعرفة .. فقد فاز كاتب من مصر باكبر جائزة ادبية في العالم . كان يمكن للمرء ان يشاهد رب اسرة ، وقد اصطحب اولاده الى اقرب مكتبة وراح يشترى لهم بعضا من مؤلفات نجيب محفوظ . يحكي لهم عن الرجل . وعن رواياته ، والافلام الماخوذة عنها . واصبح محفوظ شخصية شعبية عند الناس ، وكانه بزغ فجاة من الاعماق . فرغم انه موجود بيننا منذ عشرات السنين . الا ان مجرد منحه جائزة نوبل سلط عليه كل هذه الاضواء .. كانه ولد بالامس .

لقد أحدثت جائزة نوبل الممنوحة للادب العربي انقلابا هاما في مفاهيم الناس ، ومشاعرهم ، وتنبهوا أن هناك معادن نفيسة عليهم اكتشافها . وان مجرد منح كاتب جائزة ادبية كبيرة لهو اشبه باكتشاف منجم موجود امام الناس .. لكنهم ابدا لم يروا محتوياته بنفس اللمعان ..

يمكن القول ان الثمانينات الادبية هى ثمانينات الجوائز . ليس فقط في مصر ، بل في انحاء متفرقة من العالم . فأهم تظاهرة ثقافية في هذه السنوات هى منح الكتاب الجوائز الادبية . وعلى سبيل المثال ، ففي فرنسا وحدها ما يزيد على الـ ٣٥٠ جائزة ادبية سنويا ، اى بمعدل جائزة كل يوم لأحد الكتاب . وهذه الجوائز تمنح من قبل أكاديميات ، ومؤسسات صحفية ، واعلامية . واغلب هذه الجوائز عبارة عن وريقات تكريم ، أما في اسبانيا فان الكاتب الذى يحصل على جائزة سرفانتس يحصل على مايقرب من نصف مليون دولار ..

وفي العالم عدد لا يحصى من الجوائز الادبية . وبمراجعة الدليل السنوى الذى صدر في فرنسا عام ١٩٨٩ ، فان عدد


شيزلاف ميلوش


الياس كانيتي


ماركيز


ويليام جولدنج

الجوائز الادبية الممنوحة فى بلاد كبرى كثيراً ما يفوق عدد الكتب الهامة التى تصدر فى إحدى البلدان .

ولأن الرابحين من سوق الجوائز الادبية كثيرون . فان عدد هذه الجوائز يزداد يوما وراء يوم ، وتنظم لاغلب الجوائز حملات إعلامية مقصودة . فالناشرون فى فرنسا ، مثلا ، يكسبون الكثير من وراء فوز كتبهم بجوائز ادبية ، لذا يسعى الكثير من الناشرين الى تعضيد المؤسسات الثقافية كى تستمر فى البقاء . ويكاد المرء يشعر أن النشاط الوحيد والاساسى لهذه الاكاديميات هو منح الجوائز ..

ولعبة الجوائز الادبية بالغة القسوة حتى بالنسبة للكاتب الذى يحصل عليها . فلأن قانون هذه الجوائز يقتضى الا يمنح الكاتب جائزة ما سوى مرة واحدة فى حياته . فان الرهان دائما على الكتّاب الجدد . وينزوى الكاتب الذى سبق له الفوز ، فى دائرة الظل . فهو لم يعد ورقة رهان فى سوق الجوائز . وسوف نرى هذا


كلود سيمون


وول سوينكا


يوسف برودسكى


نجيب محفوظ




كاميلو ثيلا



واضحا من خلال قائمة الكتاب الذين فازوا بجوائز الثمانينات .

● الشهرة .. بديلا عن الجائزة

وأغلب الجوائز الادبية تمنح لكتاب وليس للكاتب . لذا ، فمهما فعل الكاتب الفائز ، فى حياته بعد ذلك ، فان القارىء سيظل ينظر الى كتابه الفائز على انه احسن أعماله ، حتى لو صنع افضل منه عشرات المرات .

وقد اخترنا ان نلقى نظرات على جوائز الثمانينات من خلال ثلاث مؤسسات هامة ، الاولى هى اكاديمية ستوكهولم بالسويد ، ثم اكاديمية جونكور فى فرنسا ، والمجلس الاعلى للثقافة فى مصر .

واكاديمية ستوكهولم تمنح جائزة الفريد نوبل لأى كاتب عالمى كتقدير له على أعماله ، مع اختيار احد كتبه القيمة بشكل محدد . وفى سنوات الثمانينات منحت الجائزة لكتاب مغمورين على المستوى العالمى . حتى وان كانوا يتمتعون بشهرة فى بلادهم . فبالنظر الى الادباء العشر الذين فازوا بالجائزة فى العقد التاسع ، فسوف نجد أنهم لم يقرأوا جيدا فى اى من لغات العالم ، الا بعد حصولهم على الجائزة عدا كاتب واحد فقط هو ماركيز . وكثيرا ما تردد سؤال : "من يكون ؟" عندما راح مسئول الاعلام بالاكاديمية يعلن اسم الكاتب الفائز . مثل شيزلاف ميلوش (بولندا عام ١٩٨٠) ، والياس كانيتى (بلغاريا ١٩٨١) ، يارسولاف سيفيرت (تشيكوسلوفاكيا ١٩٨٤) ، كلودسيمون (فرنسا ١٩٨٥) ، يوسف برودسكى (الولايات المتحدة ١٩٨٧) ، وأيضا نجيب محفوظ (١٩٨٨) ، ثم كاميلو ثيلا (أسبانيا ١٩٨٩) .

وقد كان لاكاديمية ستوكهولم منظور خاص فى السنوات العشرين الماضية بأن تمنح الجائزة لكاتب اقل شهرة ، باعتبار أن الشهرة وحدها اكبر جائزة للكاتب . ولذلك لم تبخل على كتاب من المشاهير أن منحتهم شرف الترشيح . لكنها لم تمنحهم قط قيمة الجائزة . بينما اعطت الجائزة لكتاب . رأت انهم موهوبون ، وان عليهم ان ينالوا حظا من الشهرة والتكريم على المستوى العالمى .

وفى العقد التاسع ، منحت الجائزة لكتاب تجاوزوا السبعين : (ميلوش ، كانيتى ، جولدنج ، سيفيرت ، سيمون ، محفوظ ، وثيلا) ومنحت ثلاث مرات لكتّاب أصغر سنا مثل ماركيز وبرودسكى وسوينكا . ومنحت لثلاثة كتاب منشقين اختاروا الغرب اسلوبا للحياة والانتماء ، ويعيشون خارج بلادهم منذ سنوات مثل

ايف نافار



لوسيان بودار



ميلوش ، وبرودسكى وكانيتى اما المنشق الوحيد الذى عاش فى بلاده الى ان مات عقب فوزه بالجائزة فهو سيفيرت .

● الفائز .. يذهب الى الظل

الامر يختلف كثيرا بالنسبة لاكاديمية جونكور ، فهى تمنح جوائزها لكتاب نشر خلال نفس السنة بصرف النظرعن قيمة المؤلف او عمره . وذلك بالاقتراع العلنى ، وتمنح هذه الجائزة لادباء فرنسيين ، كما انها تمنح فى مجال الابداع الروائى اساسا . واغلب الروائيين الذين حصلوا عليها كانوا غير معروفين ، حتى للقارىء الفرنسى ، قبل حصولهم على الجائزة ، فجاءت الجائزة كى تسلط الاضواء عليهم لفترة قصيرة للغاية . ثم عادوا الى الظل مرة اخرى بشكل يدعو الى التساؤل ..

واغلب هؤلاء المجهولين من الشباب ، نسبيا ، مثل إيف نافار (١٩٨٠) ، دومنيك فرنانديز (١٩٨٢) ، فردريك ترستيان (١٩٨٣) ، يان كيفليك (١٩٨٥) ، ميشيل هوست (١٩٨٦) ، اريك اورسنا (١٩٨٨) . وكذلك بن جلون الذى كان معروفا بقدر لا بأس به للقارىء الفرنسى قبل حصوله على الجائزة .

ومنحت الجائزة مرتين فقط للشيوخ . الاولى عام ١٩٨١ للكاتب الوجودى لوسيان بودار حول رواية كتبها تكريما لامه الصينية . وفى عام ١٩٨٤ نالت مرجريت دوراسى نفس الجائزة عن رواية "العاشق" حول تجربتها مع امها

جونكور الثمانينات

إريك اورسنا



الطاهر بن جلون



ميشيل هوست



فردريك ترستيان



دومنيك فرنانديز



مرجريت دوراس



يان كيفليك





وعشيقها الصيني في شبابها المبكر ..

ورغم اتصالات الثقافات الاوربية ببعضها . ورغم اهمية هذه الجائزة ، فإن أياً من الروايات التي فازت بهذه الجوائز لم تترجم خارج اللغة الفرنسية عدا روايتي بن جلون ، ودوراس ، بينما قدمت السينما رواية "اعراس البربر" ليان كيفليك في معالجة اقل أهمية من الرواية .

والآن ، ونحن على مشارف العقد الأخير من القرن ، فاننا نؤكد ان لعبة جونكور مع الادباء ، والناشرين لم تتغير منذ أن منحت لاول مرة قبل تسعين عاما . وان اغلب المؤلفين الذين حصلوا عليها قد ذهبوا ادراج الريح . مما دفع كاتبا مثل رومان جاري في ان يخدع الاكاديمية ، حصل على جونكور عام ١٩٥٦ ، فقام بتاليف رواية جديدة تحت عنوان "الحياة امامه" تحت اسم مستعار ، ودفع بها الى الناشر . ونالت الجائزة . وكان الكاتب الوحيد الذي نالها مرتين . باسمين مختلفين .

تقديرية الثمانينات


يوسف جوهر

● التشجيعية .. افضل

لكن ، ترى ماذا يحدث في مصر؟ الجهة المشرفة على الجوائز في مصر هي المجلس الاعلى للثقافة . حيث يمنح المجلس مجموعة كبيرة من الجوائز في مجالات متعددة ، وليس من بينها الابداع وحده . وفي جائزة الدولة التقديرية (للادب) كنموذج منح المجلس جائزته لشخصيات عامة لم تكتب يوماً كلمة ابداعية واحدة . مما اثار الكثير من الجدل حول الجائزة وأهميتها . بينما كل الجوائز المحترمة في العالم تمنح للمبدعين وحدهم .

وتمنح الجائزة التقديرية لمجمل اعمال الكاتب ومكانته . وغالبا ما تتقدم الهيئات والجامعات بترشيح احدى الشخصيات للجائزة . وحتى الآن فان الكثير من الابداعيين المميزين لم يحصلوا عليها .. أما أهم المبدعين الذين حصلوا عليها فهناك سعد مكاوي ، ويوسف جوهر ،


سعد مكاوي


محمود البدوي


سعد الدين وهبه

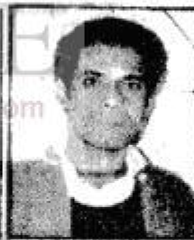

يوسف السباعي

وسعد وهبة وثروت اباظة ومحمود البدوى وآخرون .

اما جائزة الدولة التشجيعية فهى اقرب الى جونكور ، فى شكلها العام ، حيث تمنح لعمل ابداعى نشر فى سنوات قريبة . كأن يكون (الكتاب منشورا خلال ثلاث سنوات من تاريخ تقديم المؤلف ، بعد اعلام رسمى من قبل المجلس .. والكاتب الذى لا يتقدم بعمله مدموغا غالبا يمنع شرف نيل الجائزة .

تشجيعية الثمانينات


جمال الغيطانى


يحيى الطاهر عبدالله


محمد مستجاب


احمد الشيخ


محمد المنسى قنديل

وفى العقد التاسع اثير الكثير من الاقاويل حول الجوائز التشجيعية الممنوحة - فى الابداع القصصى ، فقد اشيع ان الجائزة قد ذهبت ، فى بعض الاحيان الى الشلليين . او الاقل موهبة . وراح البعض يعلن عدم اعترافه بها . وقد تم اقتسام الجائزة اكثر من مرة بين كاتبين .

وبشكل عام ، فان مصر هى احدى الدول القليلة التى تمنح جائزة كبرى لابداع القصص القصيرة . وقد نال الجائزة فى الثمانينات ادباء مثل جمال الغيطانى عن رواية "الزقاعى" بالاشتراك مع يحيى الرخاوى "المشى على الصراط" عام ١٩٨٠ . ونالها عبدالعال الحمامصى مع يحيى الطاهر عبدالله عام ١٩٨٢ عن مجموعتين قصصيتين هما : "هذا الصوت وآخرون" و"حكايات للأمير" . ونالها محمد مستجاب عام ١٩٨٥ عن رواية "التاريخ السرى لنعمان عبدالحافظ" ونالها ، كمفاجأة ، كل من محمود حنفى عن رواية "حقيبة خاوية" عام ١٩٨٣ . ثم عبدالمنعم السلاب عام ١٩٨٨ عن رواية "حكاية المواطن والضابط" . كما نالها كل من نبيل عبدالحميد وفتحى سلامة . ومحمد كمال ، محمد ومحمد المنسى قنديل وأحمد الشيخ .

هذا هو بعض من حصاد الجوائز الادبية البارزة خلال الثمانينات ، ولعل ذلك يعطى مؤشرا لما سيكون عليه سوق الجوائز الادبية فى السنوات القادمة . فالمتوقع ان تتضخم تلك الظواهر التى عرفناها فى السنوات السابقة .. وسيكون هذا مؤشرا لازدهار الادب فى المستقبل .

المسرح بخير الآن

والمستقبل بيد المسرحيين !

بقلم: د. على الراعى

اهم ما فى حقبة الثمانينات من ظواهر ايجابية يتمثل فى الحقيقة التالية : وهى ان الارض المسرحية مازالت خصبة وقادرة على العطاء، بل انها - بحكم النشاط المتصل منذ اوائل الخمسينات قد زادت خصوبة ، واتسعت امامها الافاق بفضل عوامل محدده اولها انالمسرح - كفن وممارسة معا - قد وصل الى الجماهير ، وان هذه الجماهير راغبة فيه وقادرة على حمايته .

والدليل على هذا ، انه ما ان انقضت المتمه الحالية التى بسطتها سنوات منتصف الستينات وحقبة السبعينات باكملها ، حتى اخذت الارض المسرحية تهتز وتنتعش ويظهر النبت الاخضر ، ويرتفع فيها الزرع ، وتبدو ثماره وليس هذا مجرد تفاؤل - كما يظن البعض - ولا اصرار على حلم قد انقضى ، بل الحقائق الثابتة تسنده بما لايدع مجالا للشك .

● وسط ركام مسرح الضحك على الجماهير ، ما ان يظهر كاتب مسرحى واع ويقدم انتاجه ، حتى تلتف حوله الجماهير بصورة واسعة ومؤثرة حقا . لنأخذ مسرحيات مثل : « متين اجيب ناس » « والملك هو الملك » . و « اهلا يابكرات » ، و « وجهة نظر » . كلها مسرحيات جادة وطريفة معا ، وكلها تيسر لها اقبال كبير وحظيت بانتباه المتفرجين والنقاد معا . ماذا نسمى هذا ؟ وهل يمكن انكار انه مؤشرات واضحه علما بان نبتة المسرح لا تزال حية وقادرة على النمو ؟

الوضع المسرحى مهيأ الان للازدهار فلكى يزدهر اى مسرح ، ينبغى ان يقوم الكاتب الذكى الواسع الحيلة وان توجد القضايا الاجتماعية والفكرية والسياسية التى تمس صميم وجدان الجماهير ، ثم ان يتخلق الجمهور الذكى الواعى ، ويتحلق حول الانتاج المسرحى ويمده بروح من عنده . وهذه العوامل الثلاثة كلها موجودة الان .



البهلوان .. المسرح بخير ..

● «مساوئ» يمكن التغلب عليها !

ان كان ثم اضطراب في حقل مسرح الدولة، فمرجعه ـ في الاساس ـ الى سوء التوجيه ، وسوء اختيار القادة ، وضد الله حظ بعضهم من الثقافة وحسن التوجيه . وهذه كلها «مساوئ» يمكن التغلب عليها . وقد أمكن التغلب على بعضها ـ بالفعل ـ في حالة المسرحيات الناجحة سالفة الذكر .

الى جانب هذا، هناك ظاهرة مفرحة جديرة بالاحتفاء ، وهي ان المسرح الخاص تحدث فيه الآن عملية فرز تشبه ما يحدث لعملية فرز الزبد من اللبن . يطفو على سطح المسرح الخاص نتاج نسم ، ومقد وواعد بالخير يتمثل في مسرحيات لينين الرملي بوجه عام وشركته الفنية الطيبة الاثر مع الفنان محمد صبحي . ويتمثل ايضا في اوبريت « انقلاب » . ولو مضى هذا الفرز الطيب في طريقه، فسيحدث التصام قريب بين المقبول



المفكرة والفنانين الجادين في قطاع المسرح الخاص ، بحيث ينقسم هذا القطاع قسمين : قسم الفنانين الذين يؤمنون بان الفن الجيد يمكن ايضا ان يكون قابلا للتسويق والربح ، وقسم الفارغي العقل من اهل المهنة الذين سيظلون يخرقون السوق بمسرحيات « الهلس » حتى ينفض عنهم الناس فجاة ، وتنقطع بهم الطريق .

ويسند الاتجاهات الجادة في المسرح ايضا ظهور الدراما التليفزيونية . وهذه - كما اوضحت مرارا سوف تقوم الثمانينات وما بعدها بمهمة تعريف الناس بفكرة التمثيل الجاد المستند الى موضوعات تمس وجدانهم من قريب ، وتجعلهم يفهمون فكرة المسرح - من حيث انه شخصيات وحوار واخراج تتعاون معا على ايصال موضوع ما الى المتفرج فالدراما التليفزيونية - الجيد منها وحسب - هي في الواقع رافد قوي للمسرح الحي ، وليس بديلا منه . والدليل على هذا ان مئات الالوف الذين شاهدوا حسين فهمي وعزت العلايلي وصلاح السعدني وحسين الشربيني عبر السينما والتليفزيون لم يترددوا لحظة في الذهاب الى قاعات المسرح الحي لمشاهدتهم في « اللحم والدم » .

والواقع ان الدراما التليفزيونية يمكن ان تحرر المسرح الحي من عبء تقديم الفن الواقعي المباشر ، وتجعله يصرف جهوده في تعميق مفهوم المسرح وابتكار اشكال جديدة للوصول للجماهير ، تكون اكثر قدرة على الوقوف في وجه المنافسة العاتية التي يواجهها المسرح الحي من التليفزيون والسينما . وقد حدث مثل هذا التحرير في حقل الفنون التشكيلية يوم ان ظهرت الكاميرا بانواعها المختلفة ، واصبحت قادرة على ان تنقل مظاهر الحياة جميعا نقلا متقنا قادرا ، فتحرر الفنان التشكيلي ، ومضى يجدد وسائل التعبير بطرق مختلفة تبعده عن خطر الانزلاق الى مشاكلة الواقع وحسب .

ومثل هذا التحرير مطلوب جدا في حقل المسرح ، فقد اكتشف كتاب الواقعيةمن زمن بعيد محدوديةالتعبير الواقعي ، وضرورة اثرائه بعناصر اخرى مثل الرمز ، ومحتويات اللاوعي والاسطورة والكابوس . فعل هذا كتاب الواقعية المرموقون : ابسن وتشيخوف وشو ، وفعله استريندبرج، وفعله ايضا كتاب مسرح العبث ، الذين كانت ثورتهم - فيما - ثورة على محدودية التعبير الواقعي ، والشيء ذاته حدث في حقل الرواية على ايدى كتاب مثل ماركيز ونجيب محفوظ في رواياته التي بدات باللص والكلاب

ومن الظواهر الايجابية الاخرى ان فكرة استمداد التراث،واعادة صياغة الاشكال التراثية ، مثل خيال الظل والاراجوز وتمثيل الشوارع باشكاله المختلفة ، قد اثبتت للزمن ، ولم يعد المتشددون ودعاة « نقاء الانواع » يجادلون كثيرا في جدوى هذا الاستخدام للتراث . وبالفعل ظهرت مسرحيات كثيرة تستند الى التراث تتمثل - الى جوار مسرحيات سعدالله ونوس والفريد فرج ، ومحمد قاسم

ن.خليب الصديقى وعز الدين المدنى ـ فى أعمال طائفة من شباب الفنانين حاولوا ـ بدرجات متفاوتة من النجاح ـ استخدام فن الارتجال والزار ، والمحبظين وخيال الظل ، والحدوته الشعبية فظهرت عروض مثل « كفر عسكر » و « المحنطين » بل امتد هذا الاستخدام الى المسرحيات المنقولة عن اصول اجنبية مثل عرض « دايو مايدور » الذى ادخل بعض مقومات التراث المسرحى فى نص منقول عن الفريد جارى ، فى عرض قدمه الفنان الكثير التجريب حسن الجريتلى ٠

واستمرت فى الثمانينات المهرجانات واللقاءات المسرحية فى دمشق والقاهرة وبغداد والكويت وتونس والجزائر والمغرب ٠ ورغم كثرة عدد هذه المهرجانات كثرة قد تؤدى الى تبديد الطاقات ، فقد كان لها فائدة واحدة على الاقل ـ وهى فائدة ذات اهمية خاصة ـ الا وهى تعريف فنانى المسرح العربى الى بعضهم البعض ٠ لقد ولى ذلك الزمن الذى كان تعرف جمهور المسرح العربى الى ما يدور فى الحقل يتم عبر زيارات عابرة تقوم بها فرق دائمة او طارئة ، تندر زياراتها ولا يمتد لها موسم ٠ واصبحنا الآن بازاء لقاءات مستمرة بين فنانى المسرح وجمهوره اينما وجد له جمهور فى انحاء الوطن العربى ٠

وقد ادى هذا التلاقى بدوره الى قيام « اتحاد فنانى المسرح العربى » ، الذى اخذ يدلى بدلوه فى ميدان انتاج مسرحيات عربية تتوجه الى عموم الوطن العربى باكمله ٠ وهو اتجاه سبق به فنانون الرواد من امثال دريد لحام ومحمد الماغوط اللذين اتجها



وجهة نظر .. اخر مسرحيات القطاع الخاص فى الثمانينات

مسرحيات نقدية غنائية ، ابرزها : « كاسك يا وطن » ، « والغربة » وغيرهما ٠ غير ان هذا الاتجاه الفردى قد اخذ الآن يتاصل على شكل سياسة عامة ثابتة ٠ ورغم ما شاب اختيار الاتحاد من مسرحيات عابها سوء التاليف وسوء الاخراج معاً ، فالمأمول ان يتم ترشيد الاختيار فى المستقبل ، بحيث تتخلق المسرحية العربية الشاملة التوجه وترقى تاليفاً وتمثيلاً واخراجاً

● المسرح بخير

هل معنى هذا ان المسرح بخير ؟ الجواب : نعم هو بخير الآن ، ويمكن ان يزداد هذا الخير لو التفتنا الى حقيقة الاوضاع التى تحيط بالمسرح فى الوقت الحاضر وفى المستقبل ٠ واول هذه الاوضاع ان مسرح اليوم يعيش فى عالم سريع التغير ٠ فلسم

يعد الامر يقتصر على منافسة من السينما والتليفزيون ، ثابتة القدر ويمكن حسابها مرة واحدة ، بل لقد دخلت حلبة المنافسة وسائل اخرى اقدر انتشارا وابعد اثرا ، تتمثل في البث المباشر للتليفزيون العالمي ، الذي سوف يلقي في الساحة الفنية باشكال من التعبير الفني الراقي تتراوح بين الباليه والموسيقى والرقص الشعبي والمسرح الدرامي والاستعراضي والعروض الشعبية .

هذه سوف تصل الى المتفرج في عقر داره ، وبصفة دائمة ، ولا مفر للمسرح الحي ان يحسب لها حسابا منذ الان ، وذلك بان يتلقى منها المؤثرات الايجابية ويدخلها في صميم العرض المسرحي . اى يستعين بها على تطوير الاداء اسلوبا ومادة . ولا ينبغي لرجال المسرح الحي ان يغفلوا هذا القادم الجديد فانه لن يسلبهم الميزة الكبرى التي تظل قاصرة على المسرح الحي ، الا وهي انه مسرح حي ، تجري احداثه في الدم واللحم ، ويقدمه فنانون بشخوصهم وليس بصورهم المسجلة . اى ان المسرح الحي سيظل الوسيلة الوحيدة التي يتفاعل بها انسان العالم المعاصر تفاعلا خلاقا مع احداث بيئته . ان هذا الانسان المعاصر ، محاصر من كل جهة بالفنون المنقولة ، والعلبة ، تعرض عليه فلا يملك ازاءها الا الفرجة السلبية . لا تمنحه قط هذه الفنون فرصة المشاركة التي تتيحها مباريات الرياضة — الكرة على رأسها — وعلى هذا فسيظل المسرح الحي هو فرصة المتفرج الوحيدة لاثبات ذاته واعمال فاعليته . لن يصبح قط مجرد رقم في سجل المشاهدين ، بل هو عامل فعال في خلق وتحريك العملية الفنية ، يستطيع ان يغيرها ، يسمو بها او يهبط حسب ما توجهه انفعالاته .

غير ان هذه الميزة الفريدة لن تظل مع المسرح الحي ما لم يعمل دائما على ان يظل حيا . ان يتبنى قضايا الانسان . ان يضحك الانسان ويبكيه ، ان يوجهه وينقده ويتستر على نواقصه ويسمو بالكلمة الفنية الطيبة الى التخلص من النواقص والتطلع الى ما هو اعمق واجدر بالبقاء .

بغير هذا فان المسرح الحي لا يملك سحرا خاصا يضمن له البقاء . وشعار الخليقة الازلي : « تطور او مت » ينطبق عليه هو ايضا كما انطبق على الاشكال المنقرضة من الحيوان والنبات .

اهلا يا بكوات .. في العتبة والاقاليم






زكي نجيب محمود

● « معظم مانقوله ونكتبه يتناقض مع الحقيقة والواقع »
دكتور زكي نجيب محمود


مرجريت تاتشر

● « ما حدث فى روسيا سنة ١٩١٧ لم يكن ثورة ، وانما انقلاب .. الثورة الحقيقية هو مايحدث الآن فى روسيا واوروبا الشرقية ».
مارجريت تاتشر


ميشيل تورنيه

● « المشكلة ان الولايات المتحدة كانت تحكم بطريقة رديئة ومازال »
الصحفى الأمريكى دان جود جيم

● « التجسس على الاصدقاء اسهل بكثير من التجسس على الاعداء »
الاديب جون لوكاريه

● « رامبو هو التمجيد للقوة ، التجميل الكامل للبربرية ! »
الأديب الفرنسى ميشيل تورنييه

● « لم اتزوج ، ولست نادمة » .
الراقصة السوفييتية مارسيا هايدى

● « القصص لن يغير من سياسة جنوب افريقيا ، وإنما قد يغير من ادراك الشعب »
اندريه برنيك
الاديب المنشق من جنوب افريقيا

● « البريسترويكا » ـ اعادة البناء ـ ليست منحة او من صنع فرد واحد ، بل حركة عامة اشترك فيها الجميع .
الأديب الداجستانى رسول حمزا توف

● « لا أطيق فكرة منح جوائز للعلماء »
تريجفى هافيلمو ـ عالم الاقتصاد الحاصل على جائزة نوبل ١٩٨٩

القفز على الأشواك

مستقبل الأدب في بلاد العرب

بقلم: د. شكري محمد عياد

حين نحاول أن نجرد شيئا يشبه "الحساب الختامي" للأدب في الثمانينيات يقوم في وجهنا سؤال : عن أي أدب نتحدث ؟ لقد علمنا طه حسين من قديم أن الأدب أدبان : أدب إنشائي وأدب وصفي ، أدب يصور الحياة وأدب يصور الأدب . وقد لقب طه حسين "عميد الأدب العربي" ، وكانت له في الأدبين كليهما مشاركة تسوغ هذا اللقب ، ولكن الناس في حياة طه حسين قلما كانوا يفكرون في طه حسين الروائي ، وإنما كان أكثر تفكيرهم في طه حسين أستاذ الأدب ، أي مؤرخ الأدب وناقد الأدب ، وكانت هذه الصفة أوثق ارتباطاً بشخصيته العامة مفكراً وداعيا ومناضلاً شغل طوال عمره بقضايا التحرير والتنوير .

● كان طه حسين - إذن - عميد الأدب العربي لأنه كان أستاذاً يحاضر عن الأدب ويكتب عن الأدب ، لا لأنه كان روائياً يبدع في الأدب . وكان من طبائع الأمور أن تهيمن الصفة الأولى على الثانية . ولعلها حقاً من طبائع الأمور حين تتعلق بالألقاب والمنزلة الاجتماعية ، ولكن أهي كذلك حقاً حين تتعلق بالأدب نفسه ؟




د . طه حسين — بدر شاكر السياب

يمكن أن يعيش بدر شاكر السياب عيشة الكفاف محرراً صغيراً أو موظفاً صغيراً ، وأن يمرض فلا ترعاه فى مرضه إلا مؤسسة "عالمية" مشبوهة ، وأن يموت فى مستشفى مجانى فى الكويت ، غير تارك لزوجته وأبنائه إلا بضعة دواوين ، سينهبها بعض الناشرين ، بينما تكتب عنه الرسائل الجامعية ، وينال أصحابها الألقاب العلمية ، ويشغلون وظائف التدريس فى الجامعات ، ويكتبون الابحاث المطولة فى الدوريات ، ويزينون بحضورهم الندوات والمؤتمرات ، يهزون رءوسهم بتؤدة ووقار ، وينطقون بالحكمة وفصل الخطاب .

● شروط ورغبات !

ولا تحسبن هذا الأمر خاصا بنا ، لأننا بلد متخلف . حاشا وكلا مثله حدث لرامبو ، وقريب منه حدث لجيمس جويس ، لولا أن تداركته . رحمة "راعية" ثرية . ولا نقل إن الزمن قد تغير ، وإن المبدعين أصبحوا أوفر حظا ، ولا تحاجنى بالبوت أو سارتر ، عاشا مستورين وماتا مستورين ، فقد كانا من الحصافة بحيث جمعا النقد والفلسفة إلى الإبداع ، وكان فى مقدورهما أن يبدأ السلك الجامعى من أوله ، ولكنهما استطاعا أن يهبطا على قمته بالباراشوت .

أما فى وقتنا الحاضر فكثير من الروائيين والشعراء فى الولايات المتحدة الامريكية يطلبون القرب من الجامعة "بمادة" فى مناهج الدراسة اخترعت رأفة بحالهم واسمها "الكتابة الإبداعية" . فليس أمام الادب الإبداعى ـ أو الإنشائى بأصطلاح طه حسين ـ إلا أحد طريقين : إما أن يتمحك فى الأدب الوصفى بشكل من الاشكال ، وإما أن يحشر نفسه فى بعض أجهزة الإعلام ، الصحافة أو الإذاعة أو التليفزيون ، وليس هذا بالأمر الهين ، فإن المشرفين على هذه الأجهزة ، صغاراً وكباراً ، لهم شروط ولهم رغبات ، بعضها مستمد من فوق ، أى من النظام ، وبعضها مستمد من تحت ، أى من الجمهور ، كما يتخيلونه ، أو كما يريدونه .

فعن أى أدب من هذه الآداب تريدوننى أن أقدم كشف الحساب ؟

هل تميلون مع الدنيا إلى جانب الأدب الوصفى ، إلى جانب الأبحاث ، والدراسات ، والمقالات النقدية ، والمقالات التى تناقش مقالات نقدية ، أم تريدون أن نتناول الشعر والنثر اللذين كتبت عنهما هذه الابحاث والدراسات الخ .، أم تريدون أن نترك هذا وذاك ، ونتفرغ للأدب الإعلامى ، أدب الصحافة



والإذاعة والتليفزيون ، ولو أن القسمين الأولين لا يعترفان به ، بل ينظران إليه بازدراء كما ينظر الأرستقراطي المعدم إلى محدث الغنى ؟

أولا : يجب أن نلاحظ أني مهما فعلت فلن أخرج عن القسم الأول . أعنى أن ماساكتبه سيكون داخلاً في هذا القسم ، فإما أن يكون نقداً وإما ألا يكون شيئا على الاطلاق . وليس أمامي إلا أحد خيارين : أن اكتب نقدا أو اكتب نقداً للنقد ، فما دمت أكتب كلاماً عن الأدب ، ولا استلهم الحياة مباشرة ، فأنا أكتب أدباً وصفيا ، ولا يمكنني الادعاء بأني أكتب أدباً إنشائيا ، أو أدباً إبداعياً كما نقول باصطلاحنا المعاصر .

● سقوط الحاجز !

هأنذا أنزلق وأتورط في خطأ يشبه الكفر . هاهم أولاء أصحاب من فريق الدارسين والنقاد يتغامزون عليّ : مالك ياشيخ وما لطه حسين وأدبه الوصفي والإنشائي ، وأين أنت من بارت ودريدا وهلا سمعت بسقوط الحاجز بين الإبداع والنقد كما سقط سور برلين ! وهل تحسبنا نحتفل بعيد طه حسين المئوي إلا لنأخذ بيده إلى صالوننا طراز ١٩٨٠ ، أو ـ منعا للمماحكات ـ طراز ١٩٧٠ ، ونحادثه ونلاحظه ونستدرجه ليتكلم لغتنا ويقول بقولنا ؟

ـ أنا في الحقيقة مرتبك ، وقد بدأت بأولاً ومازال عندي ثانياً وثالثا . فماذا أصنع ؟ يبدو أن التراجع لم يعد ممكنا ، فالخطأ يستتبع الخطأ ، وإذن .

فأما ثانيا فإني معدود من فريق الوصفيين أي النقاد والدارسين ، بدليل أني جالس أكتب لك هذا المقال وكان ينبغي أن أكون مشغولاً بكتابة قصة أو نظم قصيدة . هذا مع أني أعترف بعجزي عن متابعة معظم ما ينشر في هذا الباب الذي هو "تخصصي" . فأنا في حاجة إلى عمر فوق عمري لأقرأ جميع ما ينشر من رسائل الماجستير والدكتوراه (الحمد لله على أن معظمها يبقى محصوراً في طبعته المحدودة التي تكفي لحصول أصحابها على الدرجة) وجميع ما ينشر في المجالات الأدبية الشهرية والفصلية من دراسات مبتدأة أو مترجمة أو مقتبسة . وإذا كان ضيق الوقت عذراً غير كاف في نظرك ، فهل يشفع لي عندك أن ما أقرؤه من القسم الأول يصيبني عادة بغثيان شديد ، وأن ما أقرؤه من القسم الثاني يجعلني ـ عادة أيضاً ـ أشعر بالغباء الشديد ، وهذا شعور لا يستمرئه الإنسان إلا إذا كان مصاباً بحالة مازوكية . كيف أكتب إذن عن شيء لا أقرؤه ، وإذا قرأته لا أستسيغه أو لا أفهمه ؟ هل أكون كعابر الطريق الذي تسأله عن مكان ما ـ لأنك تفترض منه العلم ـ فيصفه لك ، لتتبين بعد أن تكل قدماك ويتصبب عرقك أنه أبعدك عن المكان المقصود أميالا كثيرة ، وكنت على بعد خطوات منه ؟

ولكن أين المهرب ؟إلى الكتابة الإبداعية من شعر وقصص وأنا ـ كغيري من النقاد ـ أقرأ ما أصادفه أو يصادفني منهما ولا يقع نظري على الكثير الكثير ؟ فهل أستسلم لحكم المصادفات أم لحكم

الدعاية والشهرة ، وانت تعلم ان الكاتب النشيط ، الذى يثابر على نشر اخباره فى الصحف ، وأعماله عند دور النشر ، قد لا يكون هو الكاتب الأنضج فنا ، أو الأصدق تعبيراً عن زمنه ؟ وإذا كانت هذه المشكلة ماثلة أمامى بالنسبة إلى الكتاب المصريين ، وأنا أعيش فى مصر ، فكيف تكون حالى مع سائر كتاب العربية ، فى سائر اقطار العربية ؟

من باب أولى ادب الإذاعة والتليفزيون ، وأنا امرؤ قلما اسمع الإذاعة ، ونادراً ما أجلس أمام التليفزيون . ثم إن جماليات الأدب الإذاعى والأدب التليفزيونى شىء لم يبحثه نقاد الأدب ، والأولى ان تترك لغيرهم - نقاد السينما مثلا - فى الوقت الحاضر على الأقل .

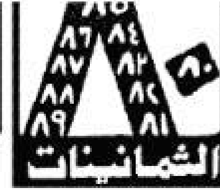
إذن فأين المهرب ؟ او اين المخرج ، إن أنفنا من كلمة الهروب ؟ المخرج فى "ثالثا" .

و(ثالثا) هى أن هذه الفروع الثلاثة لما يسمى بالأدب - النقد والإبداع بشقيه المكتوب والمسموع أو المرأى ، متباعدة أشد التباعد فى ثقافتنا . والأولى بمن يريد أن يقدم حساباً ختامياً عن الأدب فى الثمانينات أن يسجل هذه الظاهرة ويبين آثارها السيئة على الأدب فى جميع صوره ، قبل أن يتحدث عن واحدة أو أكثر من هذه الصور ، فى الحدود الضيقة التى تفرضها علينا حالة النشر ، وضعف التواصل ، وبدائية الإعلام الأدبى فى الأقطار العربية فى الوقت الحاضر .

● موقف سلبى

وقد يبدو أن التباعد بين ما سميته "الأدب المكتوب" وما سميته "الأدب المسموع أو المرئى" (وهو تقسيم غير دقيق ولكنه دال) أمر لابد منه ، وأنه مصاحب لسيطرة أجهزة الاتصال الحديثة ، لا تنجو منه ثقافات العالم الحديث الأكثر رسوخا وغنى . فالشكوى من نوع "الأدب" الذى يقدمه "التليفزيون" على الخصوص عالية ايضا فى أوربا وأمريكا . ولكن مصيبتنا افدح . وذلك بفضل الصحافة . فالصحافة - وأعنى بالتحديد الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية الجامعة ، وهى التى تسمى أحيانا الصحف السيارة - تقف فى منزلة وسطى ، ومن ثم تقوم بوظيفة الوسيط ، بين الكتاب والمجلات الادبية والعلمية المتخصصة من ناحية وبين وسائل الإعلام الجماهيرية ، المسموعة والمرئية ، من ناحية أخرى هذا ما نلاحظه فى صحافة البلدان المتقدمة ، ونفتقده إلى درجة مخزية ، فى صحافتنا . وهكذا تسهم صحافتنا ، بموقفها السلبى من الثقافة الراقية ، فى تدنى المادة الثقافية التى تقدمها الإذاعة والتليفزيون على الخصوص ، بل وتشترك معهما فى التدنى . اما الأدب فيبقى معزولاً عن الجماهير ومن ثم تتكون له فى بلادنا العربية ، المنكوبة بالطائفية ، "طائفية" اخرى من نوع عجيب ، "طائفية" الأدباء !

قراء المجلات النقدية والأدبية المتخصصة هم كتابها ، إن لم يكن بالفعل فبالطموح والرغبة ، لا لعيب فى تلك



المجلات ، بل لأن المثقف فى بلادنا ـ وحين نقول المثقف نعنى عادة الثقافة الأدبية ـ يعيش تحت الحصار . وسواء أكان هو نفسه مسئولاً ـ ولو إلى حد ما ـ عن هذه الحالة أم كانت المسئولية كلها واقعة على غيره ، فانها تساهم مساهمة كبيرة فى تلوث البيئة الثقافية . ثم إن أثرها ينعكس على الأدب نفسه . **فالطائفية الأدبية هى المسئولة ، فى تقديرى عن رواج النزعات الشكلية بين الأدباء الشبان** . إن لغة "القصة الحديثة" هى أشبه باللغات السرية التى تتفاهم بها فئة من الناس تريد أن تخلق لنفسها عالماً خاصاً منعزلاً عن عالم الناس . وكثيراً ما يكون هذا العالم الخاص بريئاً ، ساذجاً ، ليس فيه أكثر من الانفلات من العالم المادى البشع ، عالم "الكبار العقلاء" ، ولكن "الطائفية الأدبية" ، فى أحيان أخرى ، توجه لخدمة "طائفية" أخرى ، زرقاء الناب ، تقطر سمها ، رويداً رويداً ، لتحول الشباب المتحمس للحداثة إلى خونة وجواسيس .

● الإبداع الحقيقى

والنزعات الشكلية عند بعض المبدعين تحظى بالعناية كلها من طائفة النقاد المتخصصين . إذن لا "تباعد" هنا بل تحالف وثيق . ولكنه تحالف يتم على حساب الإبداع الذى يجرى فى حضن المجتمع . فهذا الإبداع يتجاهل ، حتى حين يأتى من قبل أدباء استطاعوا أن يرسخوا أقدامهم ويدعموا شهرتهم فى أدوار سابقة . والإغراء قوى : إنه إغراء "العلمية" من ناحية ، و"العالمية" من ناحية أخرى . ما أحسن أن يكون لنا ، نحن النقاد والأدباء ، علمنا وتخصصنا ، بل وتكنولوجيتنا ، فى هذا العالم الذى لم يعد يؤمن إلا بالعلم والتكنولوجيا ! وإذا أصبح علمنا جزءاً من علم أكبر وأفخم ، اسمه السميولوجيا ، فخير وبركة ! وما أجمل أن نجلس ، نحن الحفاة العراة الجائعين ، على مائدة واحدة مع علية القوم ، ونحاول أن نحسن استخدام الشوكة والسكين ، وأن نشترك فى الحديث ولو بكلمة ، وألا ننظر باستغراب إلى ثيابنا المستعارة !

وليس من المعقول أن نعادى العلمية ـ حتى فى الأدب ـ أو العالمية ، ولا أن نقف فى وجه الحداثة . ولكننا نريد هذه الثلاثة كلها اكتساباً لا استعارة . نريدها ـ إن شئت مزيداً من التحديد ـ تعلماً وفهما ، لا تقليداً وترديداً ، ثم إضافة وابتكاراً ، لا استيراداً وتسويقاً ! لهذا نهمل كل "نقد" مستورد وكل "إبداع" مستورد ، ونسقطه من كشف حسابنا ، ولا نستبقى إلا الإبداع الحقيقى الذى ينطق بأمانة وبراعة عن معاناة عميقة ، والنقد الذى يواكب هذا الإبداع ويلاغيه فى محبة وحنو ، مستنداً إلى نظرية ، دون أن يكون مستعبداً لنظرية ، مستفيداً من تراثنا الإبداعى والنقدى ، مستنيراً ، حسب فهمه وذوقه ، بالتراث العالمى .

وأقول ـ إجمالاً ـ إن هذا الذى نستبقيه ليس بالشىء القليل ! وإنه يأتينا من أجزاء كثيرة من العالم العربى ، لا من مصر وحدها (**ذهب عصر الادعاء الكاذب ـ أو التهمة الظالمة ـ بأن مصر تحتكر كل شىء !**) رغم شكوانا من بطء الحركة ،

وضعف التواصل . ولو أردت "كشف حساب" بالعناوين والأسماء لطال وانتشر ، هذا مع أن النسيان والجهل قد يسقطان بعض هذه العناوين والأسماء ، فتظن مما تعمدنا إسقاطه ، وليس بذاك .

فالأولى أن نقتصر على وصف التيار الذى وجدناه جديراً بالتنويه ، دون أن نتعرض للعناوين والأسماء ، كما وصفنا التيار الذى وجدناه جديراً بالإسقاط دون ذكر للعناوين والأسماء كذلك . فنقول إن ذلك التيار يمثل ، بمزيد من الصفاء ، الحركة التى يجيش بها المجتمع العربى كله ، حركة اكتشاف الطريق ، التى هى فى الوقت نفسه اكتشاف الذات : هذه الحركة التى تتخذ تارة شكل الاتجاه القومى ، وتارة شكل الاتجاه الاشتراكى ، وتارة شكل الاتجاه الإسلامى ، وتقع فى كثير من الأخطاء والعثرات ، ويساء فهمها كثيراً من قبل أنصارها وخصومها على السواء ، ولا يبعد أن تنصهر جميعاً فى تيار واحد متجانس ، يكون نبراسنا للمستقبل ، وإضافتنا إلى حضارة العالم .

أما التيار الأدبى فهو ذلك الذى يضع اليوم أسس "الرواية العربية" و "القصة العربية" بطابعهما المميز شكلا ومضمونا . وأقول إن هذه الرواية وهذه القصة توضع أسسهما اليوم ، مع أن لفن للقص عند العرب تاريخاً قديما ، لأن الذى يحدث اليوم فى القصة والرواية عندنا ليس إحياء لأشكال قديمة ، بل إعادة خلق من البذور القديمة . إن الهندسة الوراثية ، هذا العلم الحديث جدا ، تقرب إلى أذهاننا معنى إعادة الخلق من بذور قديمة . فالرواية العربية والقصة العربية ، كما بدأت كتابتهما فى هذا العقد أو قبله بقليل ، كائنان جديران ، لا يشبهان ماكنا نعرفه من قصص العرب القدماء ، أو قصص الأوربيين المحدثين .

وربما كان الشعر ابطا استجابة لهذا الاتجاه من القصة والرواية . لقد سلخ الشعر نفسه سلخاً عنيفا من التراث بعد الحرب العالمية الثانية ، وهذا تاريخ قريب جدا . فالأخذ فى طريق مختلف ، يستنبت من التراث كائنات جديدة ، مشروع خطير . ولكننى اعلم ان الشعراء الذين لا يزالون يواصلون إبداعهم ، بعد ان تجاوزت موجة الشعر الجديد قمتها ، هم شعراء خرجوا من عباءة مدرسة ابولو ، اى انهم يشعرون باستمرارية التراث ، فهم جديرون ان يعيدوا التفكير فى قضية الشعر كله ، وظيفته وادواته ، وعيونهم على ثقافتنا ومجتمعنا ، وتاريخنا ومستقبلنا . وبجانب هؤلاء ، ارجو ان يسمح لى القارىء بان انوه بشاعرين (ولو خرجت على ما شرطه على نفسى) وما ذلك إلا لان النقد اغفلهما إغفالاً تاماً ، لانهما بقيا بعيدين عن حركة الشعر الجديد . وفى ظنى انهما قادران ، بما يملكه كلاهما من روح شعرية تتغلغل فى الماضى وتستشرف المستقبل ، أن يسهما إسهاماً جليلا فى نهضة الشعر المرتقبة . هذان الشاعران هما : كمال النجمى ومحمد التهامى . وقد عرفت كمال النجمى فى شبابه ، واعرف انه كان يرى أن التجديد فى الشعر ليس له طريق وحيد .

عقد حافل

للصحافة المصرية

بقلم : د. أحمد حسين الصاوى

ولا شك أن الصحافة تمثل وجهاً من أبرز وجوه الحياة المصرية التي امتد إليها نبض حركة التاريخ. وصحيح أنه اعترضت طريق تطورها بعض السلبيات، ولكن كانت هناك ردود فعل واضحة إزاء تلك السلبيات، وظهرت إرادة التغيير - أو على الأقل محاولته - لكل ما لا يتسق وفكرة التطور المنشود. ومن ثم فحصاد هذه السنوات العشر في المجال الصحفي - كما وكيفاً - جدير بالرصد والتسجيل.

في مستهل هذا العقد صدر قانون الصحافة (١٤٨ لسنة ١٩٨٠) الذي يعتبر في حد ذاته تداعياً منطقياً لما شهده العقد الذي سبقه من تطورات، وهو العقد الذي تولى فيه الرئيس الراحل أنور السادات الحكم. فقد كان من أهم ملامح التغيرات السياسية في ذلك العقد أن نظام الحكم يسعى إلى التطور نحو شيء من الديموقراطية، إعمالاً للمبدأ السادس من مبادىء ثورة ٢٣ يوليو، الذي كان معطلاً في عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر. وتحقيقاً لهذا الاتجاه اتخذت بعض الإجراءات مثل رفع الرقابة عن الصحف وإلغاء الحراسة. وكان طبيعياً أن تؤيد الصحافة المصرية هذا الاتجاه، وتعكسه في الوقت ذاته، فانطلقت في أوائل السبعينيات تضيف صفحة وضاءة إلى تاريخها.

ومن خلال هذا التوجه تتابعت التطورات التي تتصل بأوضاع الصحافة اتصالاً مباشراً أو قريباً. فقامت منابر ثلاثة في ظل الاتحاد الاشتراكي، ثم تحولت المنابر إلى أحزاب وصفي الاتحاد الاشتراكي المالك الرسمي للمؤسسات الصحفية العامة، كما أصبح من حق كل حزب أن يصدر صحيفته الخاصة.

ولم يؤد ظهور صحف الأحزاب إلى تأكيد فكرة « التعددية » المستهدفة من قيام الأحزاب بقدر ما أدى إلى « ازدواجية » صارخة قطباها الصحف العامة (المؤممة) من ناحية والصحف

الحركة سمة الحياة والجمود قرين الفناء .. ولقد كانت اعوام الثمانينيات المنقضية من احفل فترات مصر المعاصرة بالاحداث ، وتميزت حركة التاريخ فيها بسرعة الايقاع وتلاحق التغيرات وامتدادها الى شتى جوانب الحياة .. ومما يشعر بالاطمئنان ويدعو الى التفاؤل ان الاتجاه العام للحركة كان تطويرا الى الافضل والاحسن .

لقد شهدت مصر قيادة جديدة اكثر ليبرالية ، وعادت مصر تحتل مكانها التقليدى فى العالم العربى بعد ان زالت الجفوة بينهما وبين شقيقاتها ، وتوطدت مكانة مصر اسلاميا وافريقيا وعالميا . وبدت بوادر صحوة اصلاحية فى المجالات التعليمية والطبية والاسكانية وغيرها ، واحست كثير من القيادات التنفيذية والمهنية بما تعانيه اجهزتها من سلبيات فاخذت تعمل على تلافيها .

الحزبية الناشئة من ناحية اخرى .

● ملكية للدولة

وبالرغم من اختفاء الاتحاد الاشتراكي فقد ظلت الملكية الفعلية للصحف العامة فى قبضة الدولة ، وارتاح جهاز الحكم الى هذا الوضع وعمل على ترسيخه ، وباتت المشكلة الملحة هى البحث عن « واجهة » او « غطاء » تتستر وراءه تلك الملكية ، مع ان الدولة — طبقا للمفهوم الدستورى السليم — ليس لها ان تملك صحفا .

ومن هنا رأت الحكومة ضرورة البحث عن صيغة تلتزم بها كل الاطراف وتخلق وضعا مستقرا لا يسهل تغييره ، فاتخذت عدة اجراءات فى أواخر عام ١٩٧٩ انتهت بتأليف « لجنة تنظيم الصحافة » لوضع قانون جديد يحقق الغرض المطلوب . وبالفعل تم صدور ذلك القانون الذى سلفت الاشارة اليه .

وهناك الكثير الكثير الذى يمكن ان يقال نقدا لهذا القانون الذى يحكم



مكرم محمد احمد ابراهيم نافع

صحافتنا الآن ، ولكن المجال لا يتسع الا لمجرد الاشارة الموجزة الى اهم سلبياته . واول ما يلاحظ على هذا القانون انه وسم بقانون « سلطة الصحافة » تأكيدا لما ردده المسئولون وامتد الى المشرعين الذين عهد اليهم بتعديل الدستور من أن الصحافة « سلطة من سلطات الدولة » أو انها « السلطة الرابعة » . وهكذا قام ذلك القانون على أساس خاطىء ومفهوم مختل وغير ذى مدلول . فالصحافة لا يمكن ان تكون سلطة الى جانب السلطات التى حددها الدستور، وهى: السلطة التشريعية والسلطة القضائية والسلطة التنفيذية ، لانها لكى تكون

سلطة يجبان تؤدى وظيفة من وظائف الدولة ، وأن يكون لها بحكم هذه الوظيفة أن تتخذ قرارات تتضمن الامر والنهى، ثم أن تكون أوامرها ونواهيها مكفولة النفاذ بسلطان الدولة القائم على القهر والالزام · فأين ذلك من الصحافة التى هى مهنة يكفل الدستور حريتها حتى يحميها من بطش الحكومة؟ ولقد تردد تعبير « السلطة الرابعة » وشاع نتيجة لترجمة خاطئة عن الانجليزية ، ولعل ذلك أن يكون موضوعا لحديث مستقل ·

ويمكن القول باختصار أن قانون الصحافة لم يجعل منها « سلطة من سلطات الدولة » وانما جعل منها « صحافة سلطة » !

ويتضح من استقراء مواد هذا القانون انها استهدفت فى المقام الاول احكام قبضة الدولة على الصحف،كما أن بعض هذه المواد تخالف الدستور مخالفة صريحة · وقد أسفر تطبيق القانون عن مجموعة من المتناقضات والمفارقات ، كما ظهر من السلبيات ما كان من قبل خافيا · وكانت« ملكية الصحف » و « الحرية الصحفية » و « ازدواجية الصحافة » من أبرز المشكلات التى تكمن وراء تلك المتناقضات والمفارقات والسلبيات،مما كان له رد فعل كبير على رجال الصحافة حتى طالبوا مرارا باعادة النظر فى ذلك القانون ، واعتبره الكثيرون من«القوانين سيئة السمعة»·

لقد نص قانون الصحافة مثلا على أن المؤسسات الصحفية القومية والصحف القومية « مملوكة ملكية خاصة للدولة ويمارس حقوق الملكية عليها مجلس الشورى » · وواضح أن مجلس الشورى لا يستطيع أن يمثل « الملكية العامه » ، فهو مؤلف من أعضاء معينين تنتمى أغلبيتهم الساحقة الى الحزب الحاكم · وعلى هذا تكون اضافة ملكية المؤسسات الصحفية اليه أمرا ينطوى على مخالفة دستورية ·

وينص القانون كذلك على أن « يخصص نصف صافى الارباح فى المؤسسة الصحفية القومية للعاملين بها والنصف الآخر لمشروعات التوسع والتجديد وغيرها من المشروعات »·· ·· ولم يحدث من ذلك شىء حتى الآن!

● صلاحيات متشابكة

وأنشىء بنص القانون أيضا المجلس « الاعلى » للصحافة · وهو بحكم تكوينه وأهدافه واختصاصاته المعلنة يمثل فى الحقيقة جهازا يهيمن بشكل مباشر على الصحافة بمختلف أشكالها · ويلفت النظر فى هذا الصدد أن اختصاصات المجلس التى فصلها القانون خليط من الاختصاصات الرقابية والتشريعية والقضائية والتنفيذية التى استعيرت أو انتزعت من هيئات وأجهزة أخرى كهيئة الاستعلامات ووزارة الداخلية ونقابة الصحفيين والنيابة العامة ، بالاضافة الى بعض الاختصاصات التى هى من صميم مسئوليات المؤسسات الصحفية ذاتها · وهذه الصلاحيات الكثيرة المتشابكة جعلت من مجلس الصحافة حكومة كاملة تمنح وتمنع وتوجه وتشرع وتقرر وتحاكم وتتحكم ولتأكيد الصلة بين هذا المجلس وبين « السلطة » فى أعلى مستوياتها نص القانون على أن رئيسه هو رئيس مجلس الشورى ·

وتميز العقد المنقضى كذلك بارتفاع تكاليف اصدار الصحف ارتفاعا رهيبا

نتيجة لتضاعف اسعار الورق وازدياد نفقات العمالة وادخال المستحدثات الطباعية . وقد ادى ذلك الى وقوع المؤسسات الصحفية في عدة ازمات مالية . واذا كانت ظروف بعض المؤسسات قد ساعدتها على اجتياز هذه الصعاب بما توافر لها من موارد تمويل عن طريق تدفق الاعلان والنشاط الطباعي التجاري ، فان المؤسسات الاخرى لم تستطع حتى الان ان تتغلب على متاعبها ، واضطرت - حتى لا تتوقف عن الاصدار - الى الالتجاء للقروض أو التماس الدعم الحكومي . واذا ضربنا مثلا بثمن ورق الصحف وحده ، وهو المادة الاساسية المستخدمة في طباعة الصحف ، وجدنا انه تضاعف بين أول العقد ونهايته اكثر من خمسة امثال . فقد كان سعر الطن الواحد نحو ٣٦٠ جنيها وأصبح الان يقرب من الفي جنيه ويلاحظ في هذا الصدد ان الصحف اصبحت تمول نفسها من الورق تمويلا ذاتيا ، بعد ان تخلت الحكومة عن توزيعه بمعرفتها . وكان طبيعيا ان يزيد ثمن نسخة الجريدة ، فارتفع من ثلاثة قروش الى عشرين قرشا ، وان يزيد كذلك ثمن نسخة المجلة ، فارتفع من خمسة قروش الى اربعين قرشا .

واستطلاع أرقام توزيع الصحف في خلال تلك الفترة الزمنية يقدم لنا كذلك مؤشرات ذات دلالة . فقد كان توزيع الجرائد والمجلات التي تصدرها المؤسسات الصحفية العامة يتجه في بداية العقد الى الارتفاع التدريجي ثم يهتز ويضطرب بعد زيادة سعر البيع ويعود ثانية الى الارتفاع . أما بعد الزيادة الاخيرة فقد اتجهت الخطوط البيانية نحو الهبوط المطرد حتى استقرت عند مستويات اقل مما ينبغي . وتمثل الارقام التالية معدلات توزيع جريدتين ومجلتين اسبوعيتين (دون ذكر اسمائها) بين بداية العقد ونهايته :

جريدة (١) : العدد اليومي : ٥٥٠ الفا - ٤٠٠ الف .

العدد الاسبوعي : ٧٥٠ الفا - ٥٥٠ الفا

جريدة (٢) : العدد اليومي : ٥٤٠ الفا - ٥٧٠ الفا .

العدد الاسبوعي : اكثر من مليون - ٨٥٠ الفا .

مجلة (١) : ٩٣ الفا - ٤٥ الفا .

مجلة (٢) : ٦٠ الفا - ٢٨ الفا .

وحاولت الصحف مواجهة هبوط التوزيع أو على الاقل وقف اضطراده بتحسين خدماتها للقارىء والارتفاع بمستوى تحريرها . ولجأت الجرائد اليومية الى اصدار طبعة مسائية مبكرة في القاهرة ، وانتظمت هذه الطبعة خلال العقد واصبحت تمثل ما بين ٢٠ و ٢٥ ٪ من توزيع العاصمة .

ومدت « الاهرام » نطاق توزيعها الى خارج مصر ، فاصدرت طبعة دولية خاصة عام ١٩٨٤ للدول الاوربية ، وما لبثت هذه الطبعة ان عبرت المحيط الى الولايات المتحدة وكندا ، كما وجدت لها في الشهور الاخيرة منفذا الى سوق المغرب العربي . وتوزع هذه الطبعة ما لايقل عن ثلاثين الف نسخة .

● تطور تقني ملحوظ

ويسجل للصحف المصرية العامة (القومية) خلال العقد المنتهي انها بالرغم مما تعرضت له من ظروف اقتصادية غير مواتية فقد اهتمت بالتطوير الفني لمطابعها اهتماما كبيرا فاستعانت منذ اوائل الثمانينات باهم المستحدثات في هذا الحقل ، حتى تواكب الركب العالمي المتقدم في مجال اصدار الصحف . وابرز هذه المستحدثات



نظم الجمع التصويري والطباعة المستوية (الاوفست) التي تمثل ـ دون ما دخول في تفصيلات معقدة ـ ثورة كبيرة في طباعة الصحف . واستلزم ذلك استخدام اشكال جديدة من حروف جمع المتن وحروف جمع العناوين على السواء . وقد تم ذلك اما عن طريق التمويل الذاتي في المؤسسات القادرة ، واما عن طريق المنح او القروض في المؤسسات الاخرى .

وفي بادىء الامر تعثرت مطابع الصحف في استخدام هذه التقنيات الجديدة وشاب ممارساتها الكثير من السلبيات واوجه القصور ، غير انها ما لبثت ان تلافت نسبة كبيرة من تلك السلبيات ونجحت الى حد كبير في توظيف المستحدثات الجديدة لتحسين مظهر كصفحات وتحقيق الوضوح لمختلف عناصرها التيبوغرافية . ومع ذلك لمازالت التيسيرات الطباعية التي تتيحها تلك المستحدثات تغري بكثير من الممارسات التي يتسم بعضها بعدم التعبير او النظر في العواقب ، مثل استخدام الارضيات الشبكية (الظلية) او الطبع بلونين متراكبين .

● الاعلان

وشهد الاعلان الصحفي تطورا ملحوظا ، كما اتخذ عدة مظاهر غير مألوفة خلال السنوات العشر الماضية . فمن ناحية تحسن مظهر الاعلان كثيرا وبخاصة بعد ادخال المستحدثات الطباعية المتطورة . ومن ناحية اخرى ارتفعت اسعاره ارتفاعا كبيرا . وكان ذلك نتيجة لعدة عوامل في مقدمتها ارتفاع تكلفة اصدار الصحف واقبال مختلف المؤسسات التجارية والاستشارية وغيرها على شراء المساحات الاعلانية على صفحات الصحف . وقد ادى ذلك بدوره الى اغراء الصحف بالسعي وراء مصادر الاعلان المحلي والاجنبي ، واحتدت المنافسة بينها في هذا السبيل حتى اوقعتها هذه المنافسة ـ مع بريق الدخل الكبير الذي يحققه الاعلان ـ في عدة مزالق ، كما عرضتها لبعض المواقف المحرجة . وقد تطرقت الصحف احيانا في الاستجابة الى طلبات بعض المعلنين من الافراد واصحاب الاعمال لنشرت لصالحهم اعلانات خرجت على المألوف واساءت الى اعراف مهنة الصحافة والى الذوق العام قبل ان تخالف اي نص او قانون ، والامثلة على ذلك كثيرة . فنحن لا ننسى مثلا تلك الاعلانات ذات المحتوى الممجوج التي احتلت صفحات كاملة لشركات توظيف الاموال ، او الاعلانات الشخصية غير المباشرة لبعض رجال الدين والاقتصاد ومن هذا الضرب كذلك نشرات النعي او التعزية المستفزة التي كانت كل منها تحتل نصف صفحة او اكثر .

● الصحف الحزبية

ومن الضروري ونحن نرصد حصاد العقد المنتهي في الحقل الصحفي ان نقف وقفة قصيرة امام تجربة الصحف الحزبية التي لا تصدر عن المؤسسات العامة ، اي الصحف غير « القومية » . ان تعبير الصحف الحزبية هنا لا يعني فقط الصحف التي تنطق بالسنة الاحزاب المعارضة ـ وان كان يغلب عليها ذلك ـ ولكنه يشمل ايضا الصحف التي يصدرها الحزب الحاكم (حزب الاغلبية) . لقد بدأ صدور هذه الصحف منذ عقد السبعينيات ، وكان اول ما صدر منها صحيفة « مصر »



سعيد سنبل



محفوظ الانصاري

التي ظهرت في منتصف عام ۱۹۷۷ لسانا لحزب مصر العربي الاشتراكي، والتي ما لبثت أن توقفت بعد اعلان تأسيس الحزب الوطني الديمقراطي. ثم تتابع اصدار صحف أحزاب المعارضة الاحرار ۱۹۷۷ - الاهالي ۱۹۷۸ - الشعب ۱۹۷۹ - الوفد ١٩٨٤.

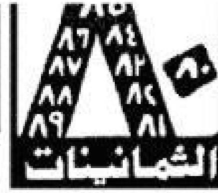
ولقد مرت هذه الصحف بظروف غير مواتية، فتعرضت للمصادرة والتعطيل، فضلا على التوقف الارادي أحيانا. ولعل أقوى هذه الصحف هي «الوفد» التي تجرأت على التحول من اسبوعية الى يومية منذ أكثر من عامين. وتشير كل الدلائل الى أن «الوفدي» صحيفة المعارضة الوحيدة التي استطاعت أن تتغلب على مصاعبها المادية وأن تحقق اكتفاء ذاتيا. أما سائر الصحف المعارضة فان البون شاسع بينها وبين صحف المؤسسات العامة. ان الدولة ترعى صحف المؤسسات لانها تملكها، كما ترعى - وبشتى الطرق - صحف الحزب الحاكم ولذا تستأثر هذه الصحف بكل المزايا والتيسيرات التي تستطيع الدولة توفيرها، بينما لا تحصل صحف الاحزاب المعارضة الا على الفتات. وفي هذا الصدد تمثل اعلانات الحكومة والقطاع العام موردا ماليا بالغ الاهمية تتمتع بمعظمه صحف المؤسسات.

واذا كانت صحف الاحزاب المعارضة تعاني - لضعف امكاناتها - من عدة مشكلات مادية وتقنية، فانها تحاول في صبر وبسالة أن تصمد لمتاعبها وأن تتلمس لها الحلول. ويلاحظ أن الدولة تقدم لبعض هذه الصحف - من خلال أحزابها - عونا ماديا ضئيلا، وتمنحها بعض التيسيرات من خلال المجلس الاعلى للصحافة، وكذلك تعيرها بعض العاملين في الصحف العامة ليدعموا أجهزتها التحريرية.

وقد أدت حدة الاستقطاب واتساع الفجوة بين الصحف العامة التي تدين بالولاء المطلق لجهاز الحكم من ناحية، والصحف الحزبية التي تعارضه من ناحية أخرى، الى قيام حالة من التوتر بين الفريقين اتضحت مظاهرها فيما حفلت به صحفهما معظم سنوات العقد من مقالات نزالية عنيفة، كانت كثيرا ما تهوى الى درك المهاترات. ولكن لم تلبث هذه الحالة أن خفت قرب نهاية العقد الى حد كبير، وأصبحت مواد الرأي في صحف كل من الجانبين في نطاق الحد المعقول.

● تطوير الصحف اليومية

وقبل أن يطوى العقد كتابه بشهرين تقريبا رصدت سجلاته عمليتي تطوير كبيرتين قامت بهما صحيفتا «الاخبار» و «الاهرام»، اكبر الصحف اليومية المصرية. وقد امتدت تجربة «الاخبار» كذلك الى شقيقتها الاسبوعية «أخبار اليوم». ويتلخص تطوير «الاخبار» الذي مهدت له دعائيا بصورة مكثفة في أن الصحيفة انقصت من اتساع صفحاتها بضعة سنتيمترات، وأن أبقت على طولها كما هو، فبدا شكلها أكثر استطالة. وبررت الصحيفة هذا الاجراء بأنه يجعلها «أكثر رشاقة.



واكثر راحة اثناء القراءة » ، وقالت كذلك ان الحجم الجديد سبقت اليه الصحف العالمية الكبرى ، وانه يوفر نحو عشرة فى المائة من كمية الورق المستخدم فى اصدارها » . واكدت الصحيفة ان فائض حجم الورق الذى يوفره هذا الاجراء قد استغل لخدمة القارىء ، اذ انه مكن من اضافة صفحتين الى كل عدد .

وصحيح ان الحجم الجديد لكل من « الاخبار » و « اخبار اليوم » قد سبقت به عدة صحف عالمية ، ولكن ذلك كان لمقتضيات طباعية بحتة ترتبط بمقاييس لفات الورق الذى يصنع خصيصا لتلك الصحف والطنابير التى تركب عليها تلك اللفات فى عملية الطبع ، وغير ذلك من اعتبارات تقنية . ومع ان « الاخبار » نشرت بعض التعليقات السريعة التى ايد اصحابها هذه العملية التطويرية ، فالحق انها مازالت فى حاجة الى دراسة متانية تعتمد على التحليل التيبوغرافى الدقيق الذى يتناول مثلا اتساع اسطر الجمع الجديدة والبياض المتاح بين الاعمدة (راسيا) وبين الموضوعات (افقيا) وفى الهوامش ... الخ ، وتعتمد كذلك على استبيان القراء بشكل علمى سليم، وعلى دراسة اقتصادية احصائية ، حتى يمكن تقويم التجربة تقويما موضوعيا .

اما عملية تطوير « الاهرام » التى طبقت بعد عملية زميلتها بايام قليلة، فقد تركزت على المضمون دون الشكل، وقدمت « الاهرام » لذلك – فى رد غير مباشر على « الاخبار » – بكلمة رددت فيها هذا المعنى ، واكدت ان حجم الصحيفة « تاريخى » اعتادت عليه اجيال من القراء ولا يجوز المساس به وقالت ان هذا « لم يكن يعنى ... اغفال الشكل تماما .. » ، فقد كانت الفكرة هى ان تضيف الاهرام « الى الثوب الذىتقدم فيه المضمون اكبرقدر من اللمسات الفنية .. بحيث يحقق الجاذبية وييسر التناول » .

ويتلخص تطوير « الاهرام » ، الذى قدمت له بافتتاحية مطولة ، فى زيادة بعض الابواب التحريرية والتوسع فى بعضها الاخر ، بحيث يصل مجموع صفحات العدد الواحد الى ما يتراوح بين ٢٠ و ٢٤ صفحة تقدم للقارىء زادا صحفيا متنوعا ومادة شاملة ومتكاملة ، وتزيد كذلك صفحات الطبعة الدولية بمقدار صفحتين . ووعدت « الاهرام » بأن تكون الاحتياجات المحلية والعربية والدولية بما نشأت عنه من تغيرات ملموسة هى « النقاط الحاكمة » لما سوف تقدمه من خدمة صحفية بمقتضى هذا التطوير . وكانت اهم معالم ما حدث من تغيير تخصيص صفحة للتحقيقات الخارجية وصفحتين للرأى وصفحة للشئون العربية وصف كاملة للرياضة يوميا وصفحتين للمرأة اسبوعيا . اما من حيث الشكل فقد اتسم الاخراج الذى اختارته «الاهرام» لصفحاتها بأنه أوضح فكرة «التبويب» الجديد ، كما وظف عدة عناصر تيبوغرافية لم تستخدم من قبل كبعض انواع حروف الجمع والعناوين ، وعدل بعض رءوس الابواب الثابتة . وهذا التطوير يحتاج بدوره الى التقويم الموضوعى الذىيتم عن طريقاستبيان علمى مدروس .

● الصحفيون والقانون الجديد

هذا عن الصحافة ، فماذا عن الصحفيين انفسهم ؟ ان قانون الصحافة

لم يقدم لكثرتهم الغالبة شيئا ، بل انه حولهم الى «موظفين» يتبعون مؤسسات عامة تملكها الدولة ولها قياداتها العليا ذات الصلة الوثيقة بجهاز الحكم ، ثم اسلمهم الى المجلس « الاعلى » للصحافة يحدد اوضاعهم ويتحكم في مصائرهم .

وفي اوائل العقد اصيب الصحفيون بضربة عنيفة بعد صدمة القانون الجديد، عندما مستهم قرارات سبتمبر ١٩٨١ ، فزج بعدد منهم في المعتقلات بحركة غير متبصرة . ولكن يمكن القول انهم كان لهم في نقابتهم درع صلبة نافحت عن حقوقهم وحمت مصالحهم وحافظت على كيانهم وقدمت لهم الكثير من الخدمات .

ان النقابة ، بالرغم من انها تضم مختلف التيارات والاتجاهات، وبالرغم من تعرضها لضغط السلطات ، فالحق انها ظلت منذ قيامها تمثل للصحفيين دائما دار امن وامان ، تبذل غاية جهدها لتقيهم غير الزمان . لقد سعت النقابة ما وسعها السعي للتخفيف من بطش السلطة ببعض الصحفيين ولاصلاح ما فسد من العلاقات بين الطرفين ، كما طالب مجلس النقابة - في الحاح - بتعديل قانون الصحافة الذي اتضحت منذ صدوره جوانب القصور في احكامه .

وخلال هذا العقد ، الذي تعاقب فيه على مقعد النقيب ثلاثة نقباء ، لم تقصر النقابة في القيام بواجبها قبل اعضائها بقدر ما سمحت به امكاناتها ، فرفعت معاشاتهم وعملت على زيادة مرتباتهم وحصلت لهم على عدة تسهيلات فيما يتصل بحصولهم على احتياجاتهم ، وانشأت لهم عيادة طبية لعلاجهم هم واسرهم باسعار رمزية ، ونظمت لهم الدورات التعليمية والتدريبية، ثم وقفت موقفا مشرفا وشجاعا في وجه بعض كبار المسئولين الذين حاولوا المساس بكرامة عدد من الصحفيين .

وعملت النقابة كذلك على ان تكون على علاقة طيبة بمختلف المنظمات الدولية الصحفية التي تشعبت بين اليمين واليسار ، حتى تكون في مأمن من مزالق الانحياز وما قد يجره من متاعب .

غير ان نقابة الصحفيين المصريين يكبلها من الانطلاق والفاعلية الكاملة قيود ومعوقات . فقضية استقلالها كانت ولاتزال مجال احتكاك بينها وبين السلطات ، الا ان النقابة مازالت تعمل طبقا لقانون ١٩٧١ الذي قيد حركتها وجعلها في كثير من امورها خاضعة لامر « الاتحاد الاشتراكي » او لما يقرره « وزير الثقافة والاعلام » . وليس من المعقول ان يستمر هذا القانون مطبقا حتى الان بعد ان زال الاتحاد الاشتراكي وانقسمت وزارة الثقافة والاعلام الى وزارتين . ومن ناحية اخرى فان قانون « سلطة » الصحافة وما تضمنه من احكام ، والمجلس الاعلى للصحافة وما يمارسه من صلاحيات ، يمثلان اكبر العوائق في سبيل انطلاق نقابة الصحفيين الى تحقيق اسمى غاياتها بوصفها من اهم النقابات المهنية واكثرها فاعلية . ولقد كان ذلك وراء تفكير النقابة مؤخرا في عقد مؤتمر كبير في اوائل العام الجديد لبحث مشكلات الاوضاع الحالية للصحافة والصحفيين ، وعلى رأسها ما يتصل بقانون الصحافة الحالي . ولعل ذلك ان يكون بداية السير في الطريق الصحيح واستهلالا طيبا لعقد جديد .



شهريات

حصاد العام الثقافى ....

ماذا جرى عام ١٩٨٩ ؟

● ● تابعت «شهريات الهلال» طوال العام الماضى بقدر المستطاع ، النشاط الثقافى فى مصر ، وعرضت لأبرز ماجرى فيه حسب المساحة المتاحة ، وبمناسبة انتهاء العام نقوم بمراجعة شاملة لحصاد العام ، استكمالا لبناء هذا العدد من الهلال الذى يقدم مراجعة شاملة لحصاد الثمانينيات الثقافى والفكرى ..

١ - حوارات حول القضايا العامة

شهد العام المنصرم (١٩٨٩) نقاشات وحوارات متعددة حول عدد من القضايا العامة التى تتعلق بآفات الثقافة العربية فى مصر ، ولأن فوز أديبنا الكبير نجيب محفوظ بجائزة نوبل للأدب جاء فى نهاية العام ، فإن أدبه وماتفرع عنه من مسائل نال الجانب الأكبر من هذه النقاشات ، إن يكن عبر الندوات الحية أو الاذاعة ، أو عبر المنابر والصحف ، بل وحتى فى بطون الكتب ، وقد أثارت هذه النقاشات ، مرة أخرى ، قضية محلية الأدب وعالميته ، كما أثارت الكثير من القول حول سلوك الكاتب تجاه عمله ، وتجاه مجتمعه بالإضافة إلى عدد كبير من القضايا النوعية المتعلقة بالرواية ، وما إذا كانت ستحل ، فى المستقبل ، مكان الشعر ، باعتبارها المعبر الأكثر قدرة عن هموم المجتمع العربى .

بالإضافة إلى ذلك أثيرت عدة قضايا ، يمكن إجمالها تحت التنوير والنهضة ، التى بدت أحيانا ، وكأنها تثار للمرة الأولى ، مع أنها فى الواقع ، مثارة منذ بداية القرن ، وإن كان المقام يقتضى منا الإجمال ، فإن ما أثير من قضايا يمكن إجماله تحت عناوين تندرج فى إطار السلفية والتجديد ، والأصولية والتنوير ، سواء كان ذلك على مستوى الإبداع الثقافى ، أم الفكرى ، لكن الملاحظة التى أبداها البعض قالت بأن هذه الحوارات فى مجملها قد اتسمت أحيانا بهبوط المستوى ، أو لنقل بتكرار المقولات دون إضافة علاوة على إفتقادها للتقاليد البناءة ،

بمعنى محاولة استماع الآخر، والرغبة فى تجاوز «التكفير» إلى الاستفادة المتبادلة

لكن الملاحظ أن هذه المناظرات لم توفر موضوعا واحدا دون ان تطرقه، بدءا من قضايا التعليم وتاثيره على ثقافة المجتمع، والآثار وضياعها او استغلالها الأمثل، والصحافة وتطويرها، ثم هبوط الأغنية والرغبة فى تجاوز أزمتها، ومجددا، عروبة مصر، وقضايا الإدمان .. الخ .

٢ ـ المسرح

لعل المسرح قد نال العام الماضى النصيب الأكبر من النقاشات، ربما لسببين :

ـ الأول : بروز ظاهرة الرواج المسرحى .

ـ الثانى : مهرجان المسرح التجريبى، ونشاط دار الأوبرا .

● فقد أصبح المسرح التجارى، أو ما أسماه البعض المسرح السياحى، مشروعا مربحا إلى حد مذهل، وعلى سبيل المثال فإن أحد العروض المسرحية حقق خلال العام الماضى دخلا يوميا وصل إلى ٣٥ الف جنيه، اى انه وخلال عام من العمل (٢٨٨ يوما) حقق هذا العرض عشرة ملايين و ٨٠ الف جنيه مصرى .

وقد اثرت هذه الحقيقة على الظرف العام للمسرح مما يمكن إجماله فى عدة نقاط :


نجيب محفوظ


د . فؤاد زكريا


القطاع الخاص .. نصوص جادة .


د . لويس عوض


د . على الراعى

ـ تحول ، أو لنقل استمر ، المسرح الخاص السياحي إلى الخفة والابتذال (اللغوي والقيمي) حتى أصبح في أغلبه ، « كاباريها » استعراضيا ذا طابع جنسي ، حتى يساير المشروع التجاري .

ـ غيرة «مسرح القطاع العام من هذا النجاح التجاري ، وشيوع مقولة : ضرورة الالتفات للشباك ، مما جعله في عدة حالات منافسا لابتذال القطاع الخاص .

ومع ذلك فقد سجل العام الماضي حقيقة مبشرة :

ـ نجاح تجاري معقول لعدة عروض مسرحية جادة ، حققت في نفس الوقت دخولا اقتربت بنسبة ٦٠ ٪ مما حققته أكثر المسرحيات شعبية ، وجاء بعض هذه العروض من قبل القطاع الخاص الذي تشكلت فرقة من أبناء المهنة الذين يتمتعون بدرجة عالية من الحرفية (انقلاب ، وجهة نظر .. إلخ) .

ـ نجاح جماهيري لمسرحيات جادة من إنتاج القطاع العام حقق نسبة معقولة من الدخل ، وإن كان توزيع هذا الدخل هو القضية التي طالب البعض بالنظر إليها بعين الاعتبار مابين الادارة والفنانين الذين يهرب أغلبهم من العمل مع القطاع العام ، إلى القطاع الخاص جريا وراء الربح .

وبشكل عام يمكن القول أن « المسرح المصري » .. أصبح مشروعا اقتصاديا ناجحا ، مما دفع برأس المال إلى الدخول للاستثمار به ، ولعل النتيجة الطبيعية لذلك جاءت على هيئة افتتاح عدد كبير من المسارح الجديدة ، التي لو تم استثمارها بشكل جاد لكانت النتيجة التي نرجو أن تتم في صالح الثقافة ، وليس ضدها .

وعن مهرجان المسرح التجريبي ، فقد تقدم هذا العام ببانوراما أكثر اتساعا من حيث الفرق الأجنبية التي استضيفت ، وإن كانت المآخذ ، حول تنظيمه وإدارته ، مازالت في غير صالحه ، كما كان التمثيل المصري والعربي غير لائق ، وهذا التوجه إلى مزيد من الفرق الغربية ، وسيادة مفهوم التجريب الغربي على أغلب العروض ، هو مايفسر ، ابتعاد ناقد كبير له توجهاته العربية في المسرح ، هو الدكتور على الراعي عن تصدر رعايته ، وتقدم الدكتور لويس عوض بما عرف عنه من ميول فكرية لتصدر هذه الرعاية ، وكان هذا منطقيا وطبيعيا .

أما عن الأوبرا نفسها فقد اثارت نفس القضية ، نعني قضية الانفتاح نحو الثقافة الغربية ، ومعناه ، وضرره أو إفادته .

٣ ـ السينما

لم يصل وضع السينما إلى الرواج الذي حققه المسرح (إنظر مقال مصطفى درويش في هذا العدد) وإن كان الملاحظ ان الأزمة الطاحنة التي عانتها السينما خلال أعوام ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، والتي وصلت إلى بطالة شبه كاملة لأغلب العاملين فيها ، قد بدأت تنفرج نسبيا ، بدءا من العام الماضي (٨٩) وما هو في الأفق من مشاريع سينمائية بأن خطوات للامام تبدو للعيان ، ومع ذلك فإن التخوفات مازالت قائمة ، من سوق الفيديو ، الذي بدأ كمنافس شرس للعروض السينمائية ومن جهة ماجرى

خلال المهرجانين السينمائيين الكبيرين في العام الماضي ، فقد عكست قضية .. « اتحاد الفنانين » بظلالها على مهرجان القاهرة السينمائي ، الأمر الذى دفع إلى حالة من الانقسام والتفتت من جهة ، وبروز ظاهرة «مافيا السينما» من جهة ثانية ، مما أدى إلى غياب شبه كامل للمبدعين الحقيقيين عن هذا المهرجان .

ثم جاء مهرجان الإسكندرية السينمائى بما يؤكد على حقيقة ، أو لنقل ضرورة طرح الهدف من هذه المهرجانات : هل هو هدف سياحى وتجارى ، أم هدف ثقافي . على مائدة النقاش .

٤ ـ مهرجان الإسماعيلية

إن كان هناك شبه إجماع على شيء ، فإن الإجماع جاء هذا العام على أن مهرجان الإسماعيلية للفنون الشعبية جاء هذا العام محققا لهدف أصيل هو : كيف يمكن أن يكون الفن وسيلة أساسية من وسائل التنمية الحضارية ، ومن حضروا أيام المهرجان في الإسماعيلية ، وصلتهم تلك الرسالة التى تبدت فى حجم كبير لمشاركة الأهالى ، فيما جرى ، فرأينا الناس ، والفرق الشعبية التى قدمت من أغلب البلاد العربية ، ومن بلدان أخرى عديدة ، يلتحمون ببعضهم البعض ، وانتهى المهرجان ، وقد صرف حتى أولاد المدارس على هذه الفنون واحتكوا بالفنانين ، فى قاعات العرض ، وفى الشوارع ، الأمر الذى يجعل هذا المهرجان مشروعا ناجحا إلى حد كبير .



فاروق حسنى
الانفتاح
على الغرب .



شباب العالم فى الاسماعيلية



طه حسين ..
ومستقبل الثقافة

٥ ـ ندوات ومهرجانات أخرى

لاشك أن القاهرة ، وحتى فى أصعب الظروف ، كانت دائما المكان الأكثر حيوية من ناحية مايقام على أرضها من ندوات تمتد على مدى العام ، وفى كل المجالات تقريبا ، وإذا كان المقام يقتضى منا الايجاز ، فلابد من الاشارة إلى :

ـ مجموعة الندوات النشطة التى قامت بها منظمة التضامن الأفرو أسيوى (الفرع المصرى) التى أثارت نقاشات امتدت من العلاقة بين المثقفين والسلطة ، وحرية التعبيـر ، وحتى الأغنية العـربيـة ومشاكلها ، وجاءت فى الأغلب الأعم ، على أكثر مايمكن الطموح إليه من الجدية وأثارت العديد من القضايا الحيوية .

ـ اجتماعات المجلس الرئاسى لاتحاد اسيا وأفريقيا ، الذى عقد لأول مرة فى القاهرة ، بعد أن تم انتخاب لطفى الخولى رئيسا لاتحاد كتاب اسيا وأفريقيا ، وقد ناقش الكتاب المجتمعون ، ومنهم : يفجينى سيدروف عميد معهد جوركى للآداب والفنون (موسكو) الأمين العام المساعد للاتحاد ، وكوزى هارا الكاتب اليابانى ، ومهشام ساهنى ، الكـاتب الهندى ، والشاعر محمود درويش رئيس اتحاد كتاب فلسطين ، ومحلى عقلة عرسان رئيس إتحاد كتاب سوريا ، وعزيز نسين أشهر كتاب تركيا ، وبعد يومين من النقاش انتهوا إلى إصدار التوصيات التالية :

● الاتفاق على ميزانية مؤقتة لمجلة لوتس إلى حين الانتهاء من دراسة جدوى المجلة كيفا وكما وتكلفتها الاقتصادية .

● إصدار مجموعة من النشرات الدورية التى تغطى أخبار الاتحاد .

● الاتفاق على ميزانية الاتحاد لعام ٨٩ ـ ٩٠ والبحث عن وسائل زيادتها .

● العمل على افتتاح المقر الدائم للاتحاد بالقاهرة فيما بين شهرى مارس ومايو القادمين ، كما تقرر عقد اجتماع الامانة العامة فى يناير القادم فى مدينة موسكو .

● طه حسين

ـ وفى التاسع من نوفمبر جاء أول مؤتمر علمى اقامته كلية آداب القاهرة بمناسبة مرور مائة عام على ميلاد عميد الأدب العربى طه حسين ، وقد استضاف المؤتمر الذى اشرف على تنظيمه الدكتور جابر عصفور ثمانين مفكرا وناقدا ومبدعا من انحاء العالم العربى ، وبعض البلدان الاخرى ورفع شعار : طه حسين .. مستقبل الثقافة المصرية .

وعلى مدى أربعة أيام دارت النقاشات ساخنة حول :

● فكر طه حسين
● إنجازاته الادبية والنقدية
● الماضى . الحاضر . المستقبل
● العلاقة بين الثقافة العربية والثقافة الغربية

● وإجمالا يمكن القول إن الأبحاث التى قدمت والمناقشات التى دارت حولها اعتمدت فى الأساس لا على كون طه حسين ماضيا انتهى ، ولكن بوصفه حاضرا فكريا نعيشه ، وبوصفه افقا إبداعيا ينبغى أن يعاد تأمله لاكتشاف طرق جديدة لآفاق مستقبل الثقافة

العربية ، أى أن هذه الأبحاث تناولت هذا الفكر بوصفه نقطة ابتداء ، وليس نقطة إنتهاء .

٦ ـ الدوريات وغيرها

وعلى جبهة المجلات الثقافية الدورية وغير الدورية فإن ماحدث طوال العام يمكن إجماله فى التالى :

ـ انتشرت ظاهرة المطبوعات الإقليمية فى الجامعات والنوادى بشكل لافت للنظر ، وربما كان «مؤتمر أدباء الأقاليم» مغذيا لروح القائمين على هذه النشاطات بنوع من التأكيد على حاجتهم للتميز ، وجود منابر خاصة بهم ، الأمر النابع من إحساسهم بأن « منابر العاصمة » لاتكفيهم ، أو لاتعبر عنهم ، أو لنقل ، تضيق بهم .

ـ لم تصدر المطبوعات التى ازدهرت فى سنوات سابقة ، والمسماة بمطبوعات الماستر ، جديدا ، وإن كانت قد صدرت مجلة متميزة ، هى امتداد لتلك الظاهرة أحداثها مجموعة أصوات وحملت اسم «الكتابة السوداء» ، وهى إن استمرت نعتقد أنها ستكون إضافة جادة لمجلاتنا الثقافية .

ـ ارتبك صدور بعض المجلات الصادرة عن هيئة الكتاب (إبداع ـ فصول) فتأخر هذا الصدور وتقدم حسب الظروف ، كما تراوحت فى العطاء من حيث حيويته وأهميته ومستواه الأمر الذى جعلها موضوع تساؤل ماإذا كانت تقوم بدورها المنوط بها أم لا . وفى هذا الإطار، لايجب أن نغفل مجلتين جديدتين أصدرتهما هيئة الكتاب واحدة لعلم النفس والأخرى للمسرح .

٧ ـ الكتب

تزايدت أعداد الكتب الصادرة فى مصر إجمالا العام الماضى ، وإن كان الكاتب المصرى لايزال يعانى من جودته الإنتاجية ، وإعداده التحريرى بشكل ملحوظ ، وإن كان الإبداع قد لحق به قليل من النشاط إلا أن الملاحظ :

ـ شيوع ظاهرة «كتب الساعة» الخفيفة ، سواء تلك التى تعرض لموضوعات خاصة بالنجوم والفضائح السياسية والاجتماعية ، أو تلك التى تتناول قضايا اجتماعية ساخنة ، كقضية توظيف الأموال ، أو سلمان رشدى ، أو جماعات التطرف والاغتيالات السياسية .

ـ لاتزال الكتب الدينية ذات الطابع السياسى هى الأكثر نشاطا وتوزيعا ، مما جعلها عملا مربحا اتجهت له الكثير من دور النشر الخاصة بالذات ، بالإضافة إلى ثبات رواج الكتب التراثية عند حدها المتعارف عليه



وفى النهاية لايسعنا إلا القول بأن هذه الجريدة أرادت أن تقدم « صورة عامة » سبق لنا تفصيل بعضها فى أعداد الهلال السابقة طوال العام ، وكل عام وأنتم بخير .

عبده جبير



عقد الثمانينات في السّياسَة العربيّة

بقلم : جميـل مطـر *

لكل عقد من عقود العرب المعاصرة صفة تميزه عن غيره . والصفة قد تكون ـ او لاتكون ـ ايجابية . وقد تتشابه عقود العرب في اشياء او احداث رئيسية ، ولكنها ايضا تختلف في توجهها العام . مثلا ، كل عقود العرب الحديثة منذ الاربعينات ونهاية بالثمانينات شهدت حروبا كبرى . في الاربعينات كانت حرب فلسطين الاولى ، وفي الخمسينات حدث العدوان الثلاثي على مصر . وفي الستينات وقعت حرب ١٩٦٧ ، وفي السبعينات شن العرب حرب اكتوبر ، وفي الثمانينات وقعت حرب الخليج . وفي كل العقود منذ الاستقلال لم يخل العالم العربي من نزاعات ، لم يتصاعد اى منها الى حد يقترب من حروب اوروبا المدمرة في النصف الاول من القرن ، ولكنها كانت كافية لعرقلة تقدم العرب وتكاملهم وتحقيق امنهم .

وكما تشابهت العقود فقد اختلفت في نقاط رئيسية . ففي الاربعينات انشئت الجامعة العربية كأول واهم خطوة مؤسسية يخطوها النظام العربي نحو اثبات خصوصيته ووجوده . وفي الخمسينات ساد مد قومي كان له الفضل في تحقيق واستكمال استقلال معظم الاقطار العربية وتحققت خلاله اول تجربة وحدوية عربية . وفي الستينات جرب بعض العرب الاشتراكية كنظام سياسي واقتصادي واجتماعي ونشب اول صراع سياسي حاد بين العرب . وفي السبعينات تحقق الانحسار القومي وتبعثرت ارادات الاقطار العربية وتصاعدت الصراعات بينها ، رغم انه العقد الاكثر ثراء في تاريخ المنطقة منذ العصور الاسلامية الأولى

---

* مدير المركز العربي لبحوث التنمية والمستقبل

الثمانينات كانت عقدا مختلفا . فحيث تشابه مع العقود السابقة فى انه هو الآخر شهد حربا ضروسا ، أو حيث اختلف عن العقود السابقة فى التوجه العام ، فى الحالتين كان عقد اعادة تقييم العقود السابقة فى انجازاتها وسلبياتها . فى كل العقود السابقة على الثمانينات كانت هناك توجهات عامة جديدة ، قد تتناقض مع بعضها ، ولكن جديدة . ولذلك حق القول على النظام العربى انه شهد تقلبات فكرية وايديولوجية وسياسية واقتصادية واجتماعية مالم يشهده اى نظام اقليمى آخر . ففى اوروبا مثلا شهدت نفس العقود ـ منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى نهاية الثمانينات ـ منحنى صاعدا مستقرا نحو هدف محدد . التكامل القطاعى تطور الى تكامل جمركى فاقتصادى هو الآن يكاد يحقق ما يقترب باوروبا الى الوحدة السياسية . وفى شرق آسيا وجنوبها الشرقى ، تطورت بعض اقطار المنطقة من حالات تخلف شديد الى حالة تقدم صناعى وتقنى واستقرار سياسى منقطع النظير . وفى المثالين الاوروبى والاسيوى لم تكن هناك تقلبات ولا انتكاسات ولا منحنيات تهبط بعد ان تبدأ الصعود . وعلى عكس هذين المثالين كانت عقود العرب صاعدة هابطة فى متواليات غير منتظمة وغير مبررة .

من هنا ، اعتقد ان الثمانينات شهدت محاولات اعادة تقييم المسارات . هذه المحاولات فى ذاتها تؤكد عدم استقرار منحنى التطور فى النظام العربى . فاعادة التقييم لا تعنى بالضرورة نهاية مرحلة


مجلس التعاون العربى امل من اجل نصر جديد


الجامعة العربية عود حميد لمصر

تقلب والشروع فى بداية مرحلة استقرار . وربما لاتعنى بالضرورة ايضا استمرار حالة التقلب . ولكن المؤكد انها تعنى ان العرب اكتشفوا ان المحصلة الكلية لعقود اربعةمحصلة سلبية ، وان الامر يحتاج الى وقفة طولها عقد كامل يحاولون خلاله اتخاذ ما يعتبرونه اجراءات تصحيحية شملت تقريبا مختلف متغيرات النظام العربى .

وربما لايسمح المجال هنا لحصر مختلف اجراءات اعادة التقييم او تصحيح المسارات ، فالاجراءات متعددة وبارزة ومتنوعة . ولكنى اختار منها ما يساعد على تشخيص الحالة الراهنة للنظام العربى واحتمالات التطور فى المستقبل .

● العلاقات العربية العربية

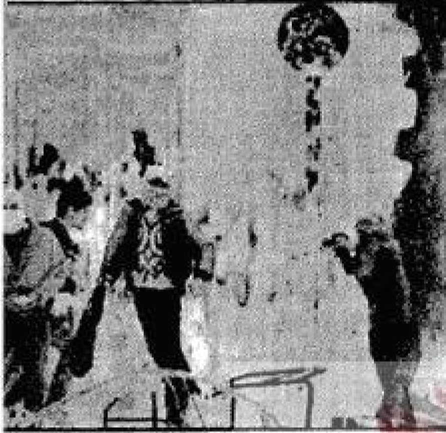
على صعيد العلاقات العربية العربية بين الاقطار العربية ، تكاد تجمع تحليلات المنظرين السياسيين وآراء الممارسين على ان عقد الثمانينات يستحق صفة عقد التهدئة والوفاق فى النظام العربى . ولا اشذ عن هذا الاجماع . فقد بذلت خلال هذا العقد جهود جادة وحقيقية من اجل تسوية نزاعات عربية متعددة . نجح بعض الجهود ، وفشل بعضها . ولكنى اعتقد ان التهدئة طالما ظلت انجازا منفصلا عن اطار كلى يدعمها ، لن تتجاوز كونها إجراء محدودا هشا . واذا راجعنا قائمة التهدئات التى تحققت خلال هذا العقد ، فسوف نجد انها تتشابه فى عدد من النقائص . كلها لم يعالج اسس النزاعات ومصادره الرئيسية ، وكلها لم تضع ضمانات ضد انتكاسها ، وكلها خلت من تطلعات مستقبلية . بهذا المعنى تكون التهدئة انجازا وقتيا حققه النظام العربى . ربما ينجح فى تحويله الى انجاز دائم اذا اسرع فى استثماره والبناء فوقه وحوله . لايكفى ان نصحح بعثرة عقد السبعينات بتهدئة هشة أو غير مرتبطة بانجازات اخرى . ولكن المؤكد امامنا الآن ان عقد الثمانينات ينتهى ولم يحقق هذه النقلة الاساسية والضرورية .

كذلك شهدت الثمانينات محاولة اعادة تقييم المؤسسات العربية المشتركة وخصوصا جامعة الدول العربية ومنظماتها المتخصصة . وفى رايى ان التجمعات الاقليمية التى نشات خلال هذا العقد كانت محاولة من محاولات تصحيح مسار هذه المؤسسات . ولكل تجمع تصوره التصحيحى الذى يعبر بشكل ما عن نتيجة التقييم ، فالتعاون الخليجى قام تعبيرا عن حكم بفشل الامن الجماعى العربى . والتعاون الرباعى قام تعبيرا عن حكم بفشل التكامل الاقتصادى العربى ، والمجلس المغاربى قام تعبيرا عن حكم بفشل الحوار العربى الاوروبى . ولكى نحكم نحن على هذه الاجراءات التصحيحية وسلامة اهدافها ومدى اتساقها مع المصلحة الكلية للنظام العربى ، يجب أن نقيس ما تحقق مع هدف التصحيح . ولا يخفى بالتاكيد ان مجلس التعاون الخليجى لم يحقق اضافة

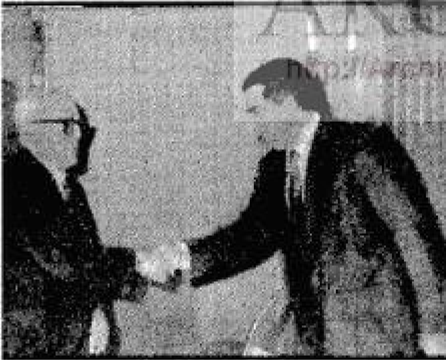
هامة الى الامن الجماعي العربي ، ومجلس التعاون الرباعي لم يصحح مسار التكامل الاقتصادى العربي ، والمجلس المغاربي لم ينعش الحوار العربي الاوروبي . ربما حقق كل منها مصلحة اقليمية محدودة ، وهذا في حد ذاته انجاز . ولكنه سوف يظل انجازا مؤقتا مالم يرتبط بحلول للمشاكل الرئيسية التى تسببت فى تعطيل التكامل الجماعي العربي وانكشاف الامن القومى العربي .

إن الجدل الناشب حاليا حول قيام التجمعات الاقليمية يكشف فى الحقيقة عن مزاج عقد الثمانينات . فالقائلون بأن التجمعات نشأت بسبب فشل الجامعة العربية وسقوط الفكر القومى الوحدوى يقارنون الثمانينات بعقد السبعينات . والقائلون بأن التجمعات خطوة منتكسة يقارنون الثمانينات بالاربعينات والخمسينات حين كانت الجامعة العربية سباقة بين مختلف المنظمات الدولية والاقليمية فى مجال التكامل الاقتصادى . عقد الثمانينات يكاد يفصح عما يدور فى نفوس القيادات العربية الحاكمة ، وهو عدم رضاء عما تحقق خلال عقود اربعة ، وتردد حول افضل الوسائل لتحقيق امرين فى وقت واحد ، تدعيم الارادة القطرية الضيقة والحاجة الى التعاون الاقليمي .

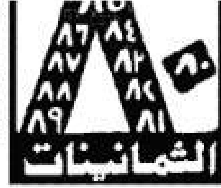
بالنسبة لبؤر التوتر الحادة ، لم يقدم عقد الثمانينات تسويات حاسمة . السودان تعقدت مشكلته مع بدايات تعدد المتدخلين من الخارج والمتصلبين من الداخل . ولبنان ـ بفضل الطائف ـ يدخل



اربعة وعشرين شهرا من الحجارة الثائرة



زين العابدين .. يصافح بورقيبة قبل ايام من إبعاده عن السلطة



عقد التسعينات متراوحا بدرجة متساوية بين تجديد صراعاته سلميا ، ومواصلتها دمويا . ولايبدو ما يشير الى نية الاطراف الخارجية فى انهاء تدخلاتها .

● الصراعات الاقليمية

وكما كان عقد الثمانينات عقد مراجعة واعادة تقييم ومحاولات تصحيح للعقود السابقة فى اطار العلاقات العربية ، كان ايضا عقد مراجعة واعادة تقييم ومحاولة تصحيح للعقود السابقة فى اطار العلاقات العربية مع دول الجوار . ففى هذا العقد تفجر صراع جديد كان مسرحه هذه المرة منطقة الخليج . وبدون الاغراق فى تفاصيل الصراع ومصادره وتطوره ، يكفى ابراز احدى علاماته المميزة وهى انه كان ايضا لتصحيح اجراء اتخذ فى عقد السبعينات حين عقدت العراق وايران اتفاقية الجزائر . وكغيره من اجراءات اعادة التقييم والتصحيح التى زخر بها عقد الثمانينات ، لم يسفر عن حسم واضح .

نفس التحليل ينطبق على تطورات الصراع العربى الاسرائيلى خلال هذا العقد . فمعظم السلوك المصرى خلال الثمانينات كل يعبر فى الحقيقة عن ارادة اعادة التقييم ورغبة فى التصحيح . وجزء من هذا السلوك تعلق مباشرة بتطورات الصراع مع اسرائيل . فى رأى البعض ان عقد الثمانينات ـ فى هذه النقطة ـ استطراد لعقد السبعينات . وان ما بدأته فى السبعينات كانت تستكمله فى الثمانينات . ولكن هذا الرأى لا تسنده إجراءات كثيرة اتخذتها مصر تجاه التطبيع والعلاقات مع اسرائيل والعلاقات مع الاقطار العربية وخصوصا مع منظمة التحرير الفلسطينية . ولذلك يبدو الرأى الآخر اكثر اقناعا . فالسلوك المصرى خلال الثمانينات كان اقرب الى محاولة تصحيح بعض السياسات فى حدود ما تسمح به توازنات القوة الدولية والاقليمية والداخلية ، كذلك كانت توجهات معظم الاقطار العربية الأخرى . فمنذ بداية الثمانينات دخل النظام العربى فى مجمله فى سلسلة من عمليات واجراءات اعادة تقييم مواقفه من اسرائيل خلال العقود الاربعة السابقة . وانتهى فى تقييمه باتخاذ قرار فاس الشهير ثم مواقف كثيرة مشتقة عن هذا القرار . ولعل ابرز مثل على عمليات اعادة التقييم تلك التى قامت بها منظمة التحرير الفلسطينية ابتداء من دورها فى فاس وانتهاء بالحملة الاعلامية والسياسية التى تشنها لاجراء مفاوضات مباشرة مع اسرائيل .

وهنا ايضا قد نجد اراء مختلفة . فمن قائل بان هذه الاجراءات ـ اجراءات اعادة التقييم أو أجراءات التصحيح ـ تجعل من عقد الثمانينات عقد السلوك الايجابى للنظام العربى . بهذا المعنى يصبح عقد تحول . ولكن هناك من يقول ايضا ان الاجراءات التى اتخذت فى هذا العقد يمكن تصويرها كعلامات بداية سقوط النظام العربى . الرأى الاول استند الى

ان الاعتدال سمة دولية لهذا العقد وانه يحافظ على بعض الحقوق العربية . والرأى الثانى يستند الى ان التنازل عن الحقوق يعنى بدء التنازل عن مشروعات النظام العربى . وبين الرأيين رأى ثالث يعتقد ان عقد الثمانينات لم يحسم امرا من امور الصراع العربى الاسرائيلي ،وانه بالفعل كان عقده اعادة تقييم ، وليس عقد التغيير والتحول . وربما يدعم هذا الرأى واقع الانتفاضة الفلسطينية . فالانتفاضة ثورة تصحيحية ، وبدورها فرضت اجراءات تصحيحية على اقطار عربية اخرى ، ولكنها لم تنقل ـ على الاقل خلال عقد ثمانينات ـ الصراع من مرحلة الى مرحلة ، اى لم تحسمه كلية ، ولم تحسم مرحلة فيه . واسباب ذلك كثيرة ومعروفة ، اهمها طبعا التعتيم الاعلامى العربى على اخبارها وقطع روابط اى تفاعل شعبى عربى محتمل معها .

● التطورات الداخلية

شهد عقد الثمانينات تطورات كثيرة على صعيد السياسات الداخلية للاقطار العربية ، من بين هذه التطورات تبرز ثلاث ظواهر مهمة . الأولى ظاهرة الزيادة الواضحة فى الاهتمام بالامن الداخلى والثانية ظاهرة التحول من القطاع العام ورأسمالية الدولة الى القطاع الخاص والثالثة ظاهرة الديمقراطية . والظواهر الثلاث تؤكد ما يذهب اليه هذا المقال ـ من ان عقد الثمانينات كان عقد اعادة تقييم ومحاولات تصحيح . ففى نواحى



السودان اكثر من تغيير

رينيه معوض





الامن الداخلي تدل الاجراءات المتخذة فى معظم - ان لم يكن كل - الدول العربية على ان الخطر الداخلى يسبق فى الاهتمام الخطر الخارجي . وتدل ايضا على ان الخطر الداخلى أت من التيارات الاسلامية وليس من التيارات اليسارية بتفرعاتها المتعددة . وتدل ثالثا على ان الفورة النفطية بدأت تفرز آثارها السلبية ، وخصوصا آثارها الاجتماعية والاقتصادية . هذه الدلائل وغيرها تعنى انه حدث اعادة تقييم لمفاهيم الامن وابعاده ومصادره . ففى العقود السابقة كان الاهتمام الامنى مركزا على التيارات الاسلامية لتعاونها فى درء خطر اليساريين . وفى عقد الثمانينات حدثت اعادة تقييم واتخذت اجراءات تصحيحية ومع ذلك فقد انتهى العقد ولم يحسم الصراع الداخلى فى اى دولة عربية ضد التيارات الاسلامية . ولعل احد اسباب عدم الحسم يكمن فى ان التيار الاسلامى العام فى كل المنطقة العربية هو فى حقيقة الامر تعبير عن حركة اعادة تقييم . فكما ان القيادات الحاكمة عبرت بمختلف الاجراءات خلال عقد الثمانينات عن عدم رضاها عن تطور امور المنطقة واقطارها خلال العقود الاربعة الماضية ، كذلك يبدو ان قطاعات هامة من المتعلمين والشباب فى كثير من ارجاء الوطن العربى غير راضية هى الاخرى عن تواضع حصاد العقود الاربعة .

ثم هناك ظاهرة التحول من القطاع العام الى القطاع الخاص . ولاشك ان عقد الثمانينات سوف يبرز بين العقود المعاصرة باعتباره العقد الذى جرت خلاله عمليات مكثفة لاعادة تقييم المسارات الاقتصادية للاقطار العربية . والمشكلة الحقيقية التى تواجه القيادات الحاكمة فى كثير من الاقطار العربية انها غير مقنعة فى طرحها لضرورات تشجيع القطاع الخاص . والسبب فى ذلك ان تلك أمنت طويلا وكثيرا فى اهمية وضرورة القطاع العام ، وكثير منها اقام شرعيته على اساس هذا المبدأ . لو ان الانظمة الحاكمة الداعية للانفتاح الاقتصادى وبيع القطاع العام للقطاع الخاص كانت غير الانظمة الحاكمة التى وضعت العام موضع التقديس ، ربما حدث الاقتناع ونشأت الثقة . ولكن والحال كما نعرف . سوف تظل القضية غير قابلة للحسم ، وهو بالتأكيد ما أسفرت عنه نتائج اعادة التقييم واجراءات التصحيح التى واكبت عقد الثمانينات فانتهى فى هذه القضية ايضا الى غير حسم .

وينعكس المنطق يمكن الحكم على ظاهرة الديمقراطية والتعددية السياسية . وهناك تفاوت لاشك فيه بين الاقطار التى تبنت الانتقال نحو التعددية ، ومع ذلك فهناك الكثير الذى يجمع بينها . ففى جميع الحالات خرجت احزاب التعدد من رحم السلطة المهيمنة ، وهى السلطة التى وجدت فى عقود أو عقد سابق وكانت استبدادية ظالمة او استبدادية عادلة . وفى جميع الحالات برز نظام حزبى ضعيف وغير فعال ولم تحدث مشاركة

حقيقية فى صنع القرار . وفى جميع الحالات احتفظت السلطة السياسية وحزبها ورجالها وصحافتها بوضع الهيمنة . وفى جميع الحالات لم تفرغ السلطة عن قاعدة عدم دورانها وعن قاعدة ان الطموح للسلطة عن اى طريق عمل انقلابى .

بالرغم من ذلك ، شهد عقد الثمانينات فى دولة عربية او أكثر انفراجه ديمقراطية . وشهد فى عدد من الدول تمثيلية ديمقراطية . وفى الحالتين لايمكن الحكم بأن الانفراجة كانت كاملة أو تبشر بالاكتمال ، او ان التمثيلية كانت مسلية او محكمة الاخراج . المؤكد انه فى الحالتين وجدت رغبة فى اتخاذ اجراءات تبدو تصحيحية فى اطار اعادة تقييم ممارسات العقود السابقة . وهى اجراءات بدت ضرورية فى مواجهة عالم خارجى يزداد اقتناعه بحقوق الانسان وتدخله فى انتهاكاتها ، وضرورية أحيانا للتخفيف من مسئولية السلطة عن تراكم الازمات ولكن دون التخفيف من هيمنتها وسطوتها .

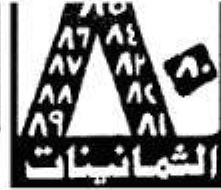
عقد جديد من عقود العرب المعاصرة اوشك على الانتهاء . عقد حدث فيه الكثير من المراجعات واعادة التقييم واتخذ إجراءات فى شكلها تبدو تصحيحية . ولكنه عقد لم تحسم فيه قضية عربية واحدة ، ولم يكتمل خلاله تطور او اتجاه اقتصادى او سياسى . عقد انتهى ولم يترك للعقد التالى مؤشرات مؤكدة او احتمالات واضحة .



عودة طابا .. اهلا وسهلا



باسم الشعب نعلنها
دولة فلسطينة



الأمن المصري

والصراع العربى الاسرائيلى

بقلم: حسام سويلم
لواء أ.ح متقاعد

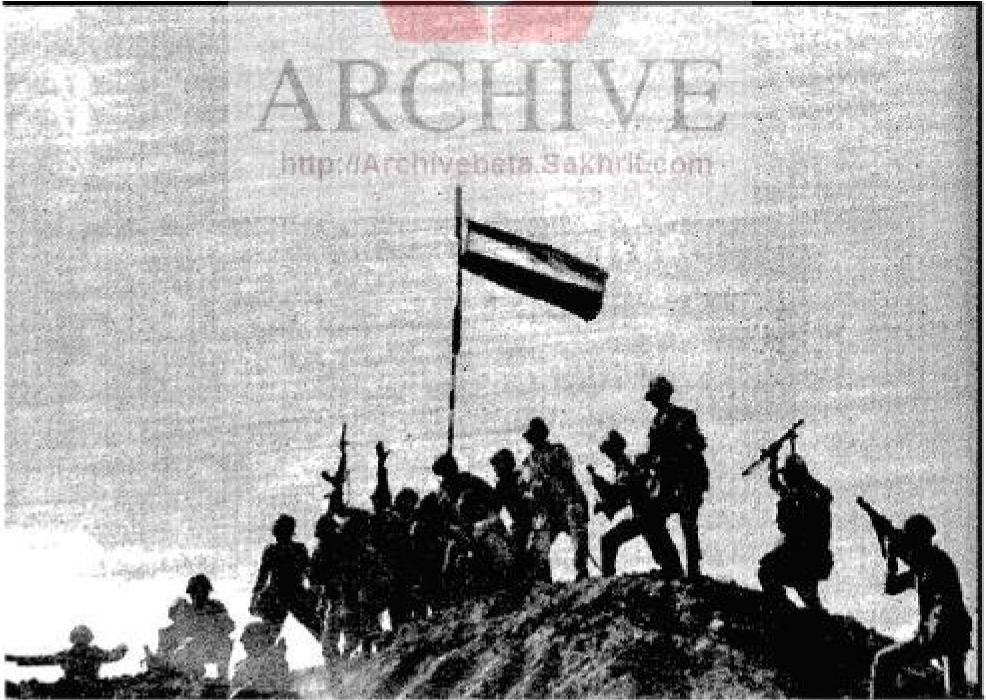
منذ اكثر من خمسة عشر عاما انطلق صوت الرئيس الراحل السادات من القاهرة داعيا الى ضرورة انهاء الحرب بين العرب واسرائيل مع اعتبار حرب اكتوبر آخر الحروب . ذلك ان العالم فى حاجة الى بناء نظام جديد اكثر تحضرا يفتح ذراعيه للنبوغ الفردى ليمكن إقامة صرح حضارة جديدة اكثر تعبيرا عن واقع منطقة الشرق الأوسط .. ومضت خمسة عشر عاما وآنت لحظة مواجهة الحقيقة بتقييم تلك الخبرة خلال نتائج وقائعها المختلفة عبر مسار الصراع العربي الإسرائيلي التى استغرقت فترة جيل كامل تسمح بذلك التقييم بهدوء وعقلانية . واذا كان العرب يسعون الى اقامة سلام شامل وعادل فى المنطقة يقوم على الحق والعدل ، فهل عبرت السياسة الإسرائيلية من خلال ممارستها طوال عقد الثمانينات عن اقتناع بهذا الحديث عن السلام ، وبناء إطار جديد للتعامل اساسه حسن الجوار ؟

● جاء عقد الثمانينات وعلى رأس حكومة اسرائيل أكبر زعيم متشدد شهدته الدولة العبرية منذ انشائها ، وهو مناحم بيجن زعيم حزب حيروت ثم تكتل الليكود بعد ذلك ، ولم يكن مجيء بيجن الى الحكم فى يونيو ١٩٧٧ ومعه الجنرال الدموى شارون وزيرا للدفاع ، محض صدفة او لتصحيح فشل حزب العمل لادارته لحرب يوم الغفران ١٩٧٣ : ولكن جاء تحسبا واستعدادا لمعركة السلام التى فرضتها مصر على اسرائيل عقب حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، والتى كانت تتطلب من وجهة نظر القائمين على المخطط الصهيوني بعيد المدى وضع أكثر قادة

اسرائيل تشددا وتطرفا فى موقع المسئولية لادارة معركة السلام وذلك حفاظا على الغايات والاهداف العليا لاسرائيل ، تلك الاهداف القائمة على تحقيق اسرائيل الكبرى من خلال مبدأى : التوسع وضم الاراضى ، ثم الاستيطان اليهودى .

وإذا كانت التوجهات الأمنية فى مرحلة مابعد حرب اكتوبر وحتى أواخر السبعينات قد اتسمت باعادة بناء جيش اسرائيل ، حيث حدث نمو كمى لم يسبق له مثيل فى الجيش الأسرائيلى بفضل المساعدات العسكرية والاقتصادية الأمريكية التى تدفقت على اسرائيل أثناء وعقب انتهاء الحرب ، هذا الى جانب الاهتمام بقضية توفير عمق استراتيجى من خلال إنشاء مناطق منزوعة السلاح ومحدودة القوات فى المناطق العربية ، وتعزيز وسائل المخابرات والاستطلاع والانذار المبكر ، والعودة الى مبدأ الدفاع الاقليمى من حيث تعزيز المستوطنات الحدودية وتكثيفها لخلق عمق استراتيجى صناعى لحين تعبئة الاحتياط . هذا بالاضافة لتوفير ضمانات دولية متعددة الاشكال ابرزها وجود قوات دولية او تابعة لطرف ثالث فى الأراضى العربية المجاورة لها ، مع عدم استبعاد شن الضربات الوقائية والمسبقة .

لهيب الحرب .. يؤدى إلى سنوات السلام





لذلك جاء عقد الثمانينات ليشهد عرضا واضحا لافكار بيجن وشارون ، والانتقال من الجانب الكمى لسباق التسلح الذى شهدته فترة حكم رابين فى السبعينات (حيث زاد حجم الدبابات ٥٠٪ والطائرات المتقدمة ٣٠٪ والمدفعيات ١٥٠٪ وناقلات الجند المدرعة ٨٠٠٪) الى الجانب النوعى حيث أدخلت تحسينات نوعية كثيرة بالاستفادة بالتكنولوجيا الأمريكية والاسرائيلية المتطورة .. وقد تمثل ذلك فى تطوير عائلة الصواريخ ارض / ارض اريحا ، فظهر اريحا ـ ٢ (٦٥٠ كم) واريحا ـ ٣ (١٤٥٠ كم) وتطوير الاسلحة والذخائر التى تتميز بدقة التوجيه والاصابة ، مع تحسين وسائل الحرب الالكترونية خاصة فى مجالى الاستطلاع والانذار واعمال الاعاقة والشوشرة ، هذا بالاضافة لتطوير اساليب القيادة والسيطرة الآلية . وقد تحملت الصناعات الحربية الإسرائيلية قدرا كبيرا من مسئولية التطوير النوعى للقوات المسلحة الإسرائيلية ، كما زاد وتنوع انتاجها بما يزيد على حاجة الجيش الإسرائيلى ويسمح بالتصدير للخارج . ناهيك عن التطوير الذى أدخل على الأسلحة الفوق تقليدية ، والتى شملت ترسانة للأسلحة النووية تتكون من حوالى ٢٠٠ سلاح نووى مختلفة الأعيرة من بينها قنابل هيدروجينية ونيترونية طبقا لشهادة الخبير الأسرائيلى النووى مردخالى فانونو) تخدمها وسائل اطلاق متنوعة تشمل قاذفات وصواريخ أرض / أرض ومدفعيات ، هذا الى جانب امكانيات كبيرة فى مجال الحرب الكيمائية والبيولوجية .

● تحديد أسباب مبررة للحرب

واستنادا الى هذا التسلح الإسرائيلى التقليدى والفوق تقليدى ، فقد توسعت اسرائيل فى التحديات التى تواجهها بإدخال الاتحاد السوفييتى ضمن عدائياتها ، وتم الاعلان عن مجموعة من الاسباب المبررة للحرب Casus Belli وكان ذلك الاعلان تعبيرا عن وصول اسرائيل الى الحد السقفى فى التطور الكمى ، وعدم قدرتها على مجاراة العرب فى سباق التسلح الكمى وذلك بالنظر لمحدودية امكاناتها البشرية والاقتصادية . فاعلن شارون أن اسرائيل أوقفت النمو الكمى ، ولكنها ستواصل التقدم النوعى للحفاظ على الفجوة التكنولوجية بينها وبين العرب مع العمل على تعميقها . وكنتيجة للتهديد بانهيار التوازن الكمى مع غياب العمق الاستراتيجى لأسرائيل ، فإن ثقة اسرائيل بقدرتها على كبح هجوم عربى من منطلق دفاعى بحت أصبحت موضع شك . ومن ثم كان التوجه الأمنى لأسرائيل يلزمها بشن الضربات الوقائية والمسبقة فى حالة بروز أى من الأسباب المبررة للحرب .

● التعاون الاستراتيجى

رغم مواصلة حكومة بيجن السير فى نفس توجه الحكومات الأسرائيلية السابقة تجاه الولايات المتحدة ، فإن حكومته ومن بعدها حكومة شامير أولت اعتبارات أقل لرغبات واشنطن وفى بعض الأحيان مارست تحديات لحليفها الأكبر (قرار ضم الجولان ، وضرب المفاعل النووى العراقى وقضية تجسس بولارد) .. ويرجع ذلك الى اعتقاد زعماء الليكود أن

السوفيتية فى عهد ريجان ، وذلك بتعزيز نفوذها لدى واشنطن من منطلق تأمين المصالح الأمريكية فى المنطقة ضد الخطر السوفييتي ـ خاصة بعد التورط السوفييتى فى افغانستان وقيام الثورة الخومينية التى أطاحت بالشاه الصديق للولايات المتحدة ، وفقد أمريكا لايران . ونشوب حرب الخليج التى هددت المصالح الأمريكية الحيوية فى هذه المنطقة .

● توسيع دائرة المجال الحيوى

وسع شارون من دائرة المصالح الأمنية لاسرائيل لتتجاوز دول المواجهة العربية ، بل العالم العربى كله . فتجده يعلن فى الكنيست فى ١٢ ديسمبر ١٩٨٢ أن دائرة المجال الحيوى لاسرائيل تشمل بجانب العالم العربى ، كلا من تركيا وايران وباكستان كما تمتد جنوبا لتشمل دول افريقيا الوسطى واثيوبيا وحتى زيمبابوى . حيث لم تعرف مصالح اسرائيل الأمنية نطاقا عالميا كهذا من قبل . وكانت ترجمة ذلك فى صعيد الممارسات الإسرائيلية ، أن تكرر تهديد شارون بضرب المفاعل النووى الباكستانى فى كاهوتا ، وتعزيز نفوذ اسرائيل السياسى وتسهيلاتها العسكرية فى اثيوبيا ومدخل البحر الأحمر الجنوبى ، وامداد نظام الخومينى بالسلاح والمعدات والخبرات والمعلومات فى حربة ضد العراق ، وما كشفت عنه فضيحة (ايران ـ كونترا) من دور خطير لعبته اسرائيل فى حرب الخليج . هذا الى جانب نقل الآلاف من اليهود الايرانيين والأفريقيين من اثيوبيا وزيمبابوى ودول أخرى فى افريقيا



مناحم بيجين

اسرائيل هى الحليف لأمريكا الذى لا غنى عنه ، كذلك تمتع بيجن وشارون وشامير بقدرة أكبر على مقاومة الضغوط الامريكية . ساعد على ذلك تغلب اسرائيل على مشاكلها المادية والنفسية وقد استثمر بيجن توجه الرئيس الأمريكى السابق ريجان المعادى للسوفييت ، فاعتبر اسرائيل وكيلا معاديا للسوفييت . وكانت الثمرة توقيع مذكرة التفاهم الاستراتيجى بين البلدين بملاحقها المتعددة ، كذلك مشاركة اسرائيل فى مبادرة ريجان للدفاع الاستراتيجى (حرب النجوم) وكلاهما منح اسرائيل امكانيات دفاعية اضافية هائلة ، وقد استفادت اسرائيل من توتر العلاقات الأمريكية ـ

الى اسرائيل . ناهيك عن تعاونها الاستراتيجي في مختلف المجالات الامنية مع دولة جنوب افريقيا .

● اهداف الثمانينات

وحدد شارون في مطلع الثمانينات اهداف بناء القوة العسكرية الإسرائيلية في النص الآتي : تأمين قدرة اسرائيل على الاحتفاظ بتفوق كمي ونوعي وتكنولوجي قادر على مواجهة أي ائتلاف عسكري عربي ، وذلك بهدف منع الحرب بواسطة صمود رادع ضد أي تهديد لأمن وكيان اسرائيل . وفي حالة انهيار الردع ونشوب الحرب فإن القوة العسكرية الاسرائيلية يجب أن تكون قادرة على الحفاظ على سلامة وامن اسرائيل مهما يكن وضع بداية الحرب ، وذلك بضرب صميم القدرة العسكرية العربية ، ونقل المعركة دائما إلى داخل العمق العربي .

كما رسم الخطوط العامة لسياسة اسرائيل الأمنية في الثمانينات ، والتي تمثلت في الآتي :

● المحافظة على تفوق عسكري مبني على أساس توازن كمي ، وتفوق نوعي وتكنولوجي ، واحتكار نووي .

● منع تقويض الوضع السياسي والعسكري والاقليمي الراهن في الدول المجاورة .

● توسيع وتعزيز البنية الاساسية لاسرائيل في المجالات الاقتصادية والعلمية والديموجرافية ، بحيث يمكنها تحمل اعباء الأمن القومي .

● أجراء مفاوضات سياسية مع العرب من موقع راسخ أمنيا .

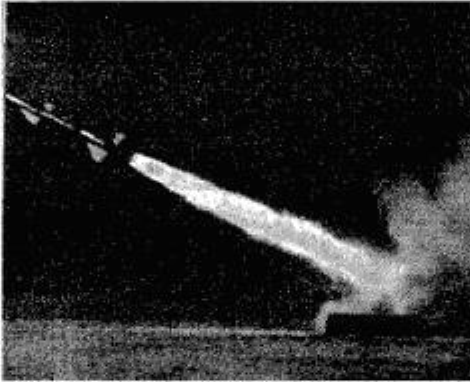
● بلورة اجماع وطني في إسرائيل حول الاحتياجات الامنية وقضايا الحرب والسلام ، مع تأمين نفس الاجماع مع منظمات اليهود في المهجر .

● توسيع وتعزيز مجالات التعاون الاستراتيجي مع الولايات المتحدة مع إشراكها في تحمل مسئولية الأمن الاسرائيلي مع تطوير علاقات أمنية بدول شرق أوسطية ، وأفريقية ، وفي مناطق أخرى من العالم .

ولقد تعززت قوة الردع الاسرائيلية خلال الثمانينات نتيجة امتلاك اسرائيل لأسلحة ردع تقليدية وفوق تقليدية بدأ الاعلان عن بعضها مثل المقاتلات ف ـ ١٥ وف ـ ١٦ وانتاج الدبابة بيركافا ـ ٣ ، والتلويح بالبعض الآخر مثل القوة النووية التي كشف عنها فانونو في التحقيق الذي نشرته الصانداي تايمز في ٥ يونيو ١٩٨٦ ، كذلك تجربتي اطلاق الصواريخ اريحا ٢ ، ٣ : الاول في يوليو ١٩٨٧ حيث سقط الصاروخ في البحر المتوسط جنوب جزيرة كبريت ، وقيل آنذاك أن مدى تطوير الصاروخ وصل الى ١٤٥٠ كم مما يهدد اهدافا في جنوب الاتحاد السوفييتي مما دفع السوفييت لتوجيه تحذير رسمي لاسرائيل من مغبة استمرارها في هذا البرنامج . بينما سقط الصاروخ الثاني في التجربة التي أجريت في ١٥ سبتمبر ١٩٨٩ شمال بنغازي في البحر المتوسط ايضا بـ ٤٠٠ كم ، وكان لهذه التجربة مغزاها بالنظر لبدء تطبيع العلاقات المصرية ـ الليبية .

وعلى صعيد تأكيد مصداقية الردع الاسرائيلي ، نجدها قامت في يونيو

١٩٨١ بضرب المفاعل النووى العراقى ، ثم شنت حربها فى لبنان فى صيف ١٩٨٢ ، بهدف القضاء على قواعد المقاومة الفلسطينية وانشاء "حزام أمنى" فى الجنوب اللبنانى وتأمين احتياجاتها من المياه بتحويل مجارى انهار هذه المنطقة الى داخل اسرائيل . وفى إطار الحرب اللبنانية قامت اسرائيل بتدمير شبكة الصواريخ أرض/ جو السورية فى البقاع اللبنانى ، وأسقطت ٨٢ طائرة سورية فيما لايزيد على ساعتين من الزمن وفى إطار استراتيجيتها المعلنة لتدمير قواعد منظمة التحرير الفلسطينية فى أنحاء العالم ، قامت اسرائيل بغارة جوية ضد مقر المنظمة فى تونس فى اكتوبر عام ١٩٨٥ دمر خلالها مقر قيادة المنظمة وأعقب ذلك باغتيال «ابو اياد» الرجل الثانى فى المنظمة فى تونس ، وأخيرا وفى إطار الممارسات الردعية تقوم قوات الجيش الاسرائيلى بممارسة كافة اعمال القمع الوحشية ضد الانتفاضة فى المناطق المحتلة ، والتى دخلت عامها الثانى .



حدد الاسرائيليون استراتيجيتهم لتأمين قدرتهم على الاحتفاظ بتفوق كمي ونوعي في السلاح ..

إلا أن مايقلق القيادات الاسرائيلية فيما يتعلق بعامل الردع وفاعليته ، انه رغم إدراك العرب لحقيقة قوة الردع الاسرائيلية ، فإنها لم تردعهم فى الواقع عن المبادرة بشن تحديات خطيرة للأمن الاسرائيلى ، ولم يمنع عامل الردع الاسرائيلى من استمرار سوريا فى تنفيذ سياستها الهادفة لتحقيق التوازن الاستراتيجى مع اسرائيل بالحصول على أحدث المقاتلات والقاذفات والصواريخ السوفيتية ، واصرار سوريا على تبنى الحل العسكرى من اجل تحرير الجولان ، ناهيك عن استمرار اشتعال الانتفاضة الفلسطينية بتأييد عربى قوى ، والاعتراف بدولة فلسطين ويحركات رئيسا لها .

ويتساءل الخبراء الاستراتيجيون فى اسرائيل عما يدفع العرب الى القبول بتلك المخاطر والتحديات فى وقت تأكدت فيه قوة الردع الاسرائيلية ببعدها التقليدى والفوق تقليدى ، بل وتأكدت مصداقيتها عندما مارستها اسرائيل بالفعل .

ولقد حاول الجنرال أهارون ياريف رئيس المخابرات الاسرائيلية الأسبق أن يجيب عن هذا التساؤل من وجهة نظره ، فقال : "إن السبب يرجع الى عدم توفر مصداقية كافية لدى العرب لاستخدام اسرائيل لكل ما لديها من قوة ردع وذلك لادراكهم إحدى سلبيات اسرائيل فى هذا المجال ، وهو التخبط الذى يحيط بعملية



صنع القرار السياسي في اسرائيل بسبب التعددية الديمقراطية ، كذلك التخوف الاسرائيلي من رد الفعل العربي الذي رغم ادراكه حجم ماسيتكبده العرب من خسائر بسبب الضربة الأولى التي ستوجهها اسرائيل ، فإن العرب سيكونون قادرين على تحمل هذه الخسائر وتوجيه ضربة ثانية مؤلمة الى اسرائيل لاتستطيع تحملها وذلك بما يملكونه من صواريخ أرض / أرض تستطيع أن تصيب العمق الاسرائيلي بحجم من الخسائر يفقدها المزايا التي حققتها بضربتها الأولى هذا الى جانب أسباب أخرى ، منها تقرير العرب بأن البديل الآخر لعدم شنهم اعمال تعرضية ضد اسرائيل كان ولايزال دائما أسوأ من الحرب نفسها . وهو استمرار وضع الاحتلال الاسرائيلي الراهن ، كما أن العرب عندما اختاروا الحرب ، فإنهم تبنوا صورا من العمليات الحربية لايترتب عليها هزيمة ساحقة فيما لو ثبت خطأ حساباتهم ، مثل حروب الاستنزاف والحروب المحدودة في أهدافها وأبعادها مثل حرب ١٩٧٣ . كذلك فقد أدرك العرب من الحرب الاسرائيلية في لبنان حقيقة نقاط الضعف التي أصابت الجيش الاسرائيلي ، والتي انعكست في عدم قدرة القوات الاسرائيلية على تنفيذ مهامها وأهدافها بسهولة وسرعة كما كان الأمر في الحروب السابقة ، وذلك رغم تفوقها المطلق في تلك الحرب . كذلك ماثبت من عدم قدرة اسرائيل على التعامل مع الحروب الطويلة الأمد ، وحساسيتها الشديدة للخسائر البشرية ، وعدم قدرة قواتها على القتال في المناطق ذات الكثافة السكانية العالية أو احتلالها ، وأخيرا ما تأكد لدى العرب من أن النصر العسكري الأسرائيلي لايحقق بالضرورة مكاسب سياسية لذلك أثرت جميع هذه العوامل على قدرة الردع الأسرائيلي بالسلب .

ولم يكن النجاح في تنفيذ اسرائيل لسياستها الامنية في الثمانينات هو السمة السائدة ، فقد واجهت عدة نكسات في المجال الامني لم تكن تتوقعها أو تتحسب لها . وكانت البداية عندما أجبرت في ابريل ١٩٨٢ على الانسحاب من سيناء كذلك فشلها في انجاز اتفاق ١٧ مايو ١٩٨٥ الذي كانت تأمل أن توقع من خلاله على معاهدة سلام مع لبنـان ، ثم اضطرارها بعد ذلك تحت وطأة الهجمات الفدائية اللبنانية والفلسطينية وما تكبدته هي والقوات الأمريكية من خسائر بشرية أن تنسحب نهائيا من لبنان في عام ١٩٨٥ . وأخيرا تصاعد أعمال الكفاح المسلح والعصيان المدني في الأراضي المحتلة والتي بدأت في ديسمبر ١٩٨٧ ، تلك الانتفاضة الفلسطينية التي سدت ثغرة ظلت موجودة في المواجهة العربية الاسرائيلية في كل ملاحم الصراع المسلح السابقة ، حيث افتقرت الجبهة العربية الى عمل شعبي مساند للصراع المسلح داخل فلسطين المحتلة . وقد كان مثل هذه الثورة كافيا للتأثير على القدرات العسكرية الأسرائيلية في كل ملحمة فيها .

ولقد واجهت المخابرات الاسرائيلية أيضا ـ المشهود لها عالميا بالكفاءة في

كشف كل مايدور خلف الستار فى العالم العربى والتنبؤ بالأحداث بل وصنعها .
أربع نكسات عكست فشلها فى التنبؤ بالاحداث التى وقعت فى المنطقة خلال عقد الثمانينات وهى كالآتى :

● فشلها فى التنبؤ بالهجوم المضاد الواسع الذى شنته القوات العراقية فى عام ١٩٨٧ ابتداء بعملية تحرير (الفاو) وانتهاءً بتحرير كل التراب العراقى من الايرانيين ، وقبول الايرانيين بقرار وقف اطلاق النار . الأمر الذى يعد تحولا جذريا فى الموقف الاستراتيجى فى الشرق الأوسط ، أثر الى حد بعيد فى الموقف الأمنى الاسرائيلى حاليا ومستقبلا ذلك أن اسرائيل كانت تراهن وتعمل بدأب من أجل استمرار حرب الخليج، وتغذيتها لسنوات طويلة .

● الفشل الثانى يتمثل فى عدم قدرة المخابرات الاسرائيلية على التنبؤ بتطوير العراق لصواريخه الأرض/ أرض وهى أصلا صواريخ سكود ـ ب السوفيتية ، حيث نجح العراق فى زيادة مداها الى ٦٥٠ كم ثم الى ٩٠٠ كم ، وبذلك تمكن من ضرب العاصمة الايرانية وأهداف حيوية أخرى فى العمق الايرانى وذلك بكثافة عالية مما أسرع بالايرانيين الى القبول بقرار وقف اطلاق النار .

● أما الفشل الثالث فكان فى عدم قدرتهم على اكتشاف صفقة الصواريخ السعودية ـ الصينية أرض/أرض قبل عقدها وأثنائها ، وحتى بعد وصول هذه الصواريخ الى السعودية وتخزينها وإقامة منشآتها ، والتى كشفتها اقمار التجسس الصناعية الأمريكية . مما يعد ليس فشلا فقط للمخابرات الاسرائيلية ، بل ايضا للمخابرات الأمريكية .

● اما الفشل الرابع فكان فى التنبؤ بعمق الانتفاضة الفلسطينية وتقديرها لحقيقة تأثيرها على الأصعدة المختلفة خاصة الأمنية والسياسية .


ارييل شارون

● السياسة الخارجية الاسرائيلية .

ان الأحداث التى اشرنا اليها لتؤكد أن حديث السلام هو آخر ما تود القيادات الاسرائيلية الاستماع اليه سواء من العرب أو الأمريكيين او غيرهم . فقد أعلنت اسرائيل بوضوح عن (١٠ لاءات) حددت معالم سياستها الخارجية خلال الثمانينات وما يليه ، كانت كالآتى :

١ ـ لا لانشاء كيان فلسطينى مستقل مجاور لاسرائيل ، مع رفض السيادة الفلسطينية أو التفاوض مع منظمة التحرير .

٢ ـ لا للمؤتمر الدولى ، أو التمثيل الفلسطينى فيه .

٣ ـ لا لانسحاب اسرائيل من كل الضفة وغزة والجولان أو العودة لحدود ١٩٦٧ ، ولكن يمكن تقديم بعض التنازلات فى إطار ترتيبات امنية وضمانات دولية معينة .



٤ ـ لا لانسحاب اسرائيل من المستوطنات ، أو إزالتها ، أو التوقف عن بناء مستوطنات جديدة .

● لا لمبدأ الارض مقابل السلام ، ولكن نعم للسلام فى مقابل السلام . بمعنى عدم تطبيق نمط معاهدة السلام مع مصر .

٦ ـ لا للتخلى عن جيش جنوب لبنان ، او منطقة الحزام الأمنى المحتل فى جنوب لبنان .

٧ ـ لا للانسحاب سنتيمترا واحدا دون حل سياسى ينهى حالة الحرب ، ويطبع العلاقات العربية ـ الإسرائيلية ، أو اذا كان هناك (نشاط ارهابى) ضد اسرائيل .

٨ ـ لا لقبول تحالف استراتيجى عربى بين دول المواجهة العربية ، أو بناء جبهة شرقية .

٩ ـ لابديل عن التحالف الاستراتيجى بين اسرائيل والولايات المتحدة .

١٠ ـ لا لمبادرات أمريكية دون موافقة اسرائيل أو ضغوط أمريكية فيما يتعلق بالمساعدات الأمريكية .

اذا كانت استراتيجية اللاءات العشر هى سمة السياسة الخارجية التى تظهر لنا فى ممارستها خلال عقد الثمانينات فإن اسرائيل كانت ولاتزال تعمل فى العلن والخفاء من أجل تنفيذ (خطتها الكبرى) الرامية الى إقامة (اسرائيل الكبرى) وذلك على المدى البعيد ، تلك الخطة التى طالب جيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكية أخيرا اسرائيل بأن تكف عن العمل بها والتى تركز على ثلاث مخططات كالآتى :

١ ـ مخطط (بلقنة المنطقة) : والذى يستهدف تكريس وضع التجزئة الحالى للوطن العربى وتطويره ، بحيث يتم تفتيت الدول العربية على أسس عرقية وطائفية ومذهبية تمهيدا لقيام دويلات صغيرة مصطنعة ومتنافرة ، وتستغل اسرائيل فى تحقيق ذلك مشاكل الأقليات فى الوطن العربى ، وتوسيع صراعاتها لاضعاف الكيانات العربية القائمة حاليا كمرحلة اولى ، ثم يأتى بعد تفتيتها الحاقها تدريجيا بالكومنولث العبرى المستهدف إقامته كمرحلة ثانية . ذلك الكومنولث الذى تحدث عنه زعماء اسرائيل ابتداء من جابوتنكسى وحتى بيريز ، ولم يكن واقع تفتيت لبنان الحالى الى اكثر من سبعة كنتونات أو دويلات طائفية ، ومحاولات تقسيم السودان الى شمال مسلم وجنوب مسيحى زنجى بفعل الحرب الأهلية الدائرة حاليا ، وإثارة مشاكل الأقلية الكردية فى شمال الخليج العربى من وقت لآخر ، إلا ترجمة واضحة لتنفيذ هذا المخطط .

٢ ـ مخطط (شد الأطراف) ويرمى هذا المخطط الى جذب الدول العربية الأطراف فى الوطن العربى ومن ورائها دول القلب العربى الى صراعات جانبية مع دول أخرى غير عربية محيطة بالوطن العربى ، وذلك بهدف تخفيف الضغط على اسرائيل فى صراعها التاريخى والمصيرى مع الدول العربية من جهة وممارسة أكثر الضغوض على تلك الدول من جهة أخرى .

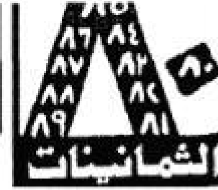
٣ ـ مخطط (تكثيف الاستيطان) : وهو أمر قائم ومستمر مابعد حرب ١٩٦٧ وحتى اليوم ، حيث يستهدف ذلك المخطط تكريس الاحتلال الاسرائيلى للمناطق

العربية وتهويدها بعد تفريغها من سكانها العرب . وقد بلغ حجم المستوطنات الاسرائيلية التى تم اقامتها فى المناطق المحتلة اكثر من ٢٠٠ مستوطنة تضم مايزيد على ٦٠,٠٠٠ مستوطن يهودى . هذا الى جانب امتلاك اسرائيل لأكثر من نصف الأراضى المحتلة نتيجة لأساليب ووسائل عديدة ، انتزاعها بالقوة بحجة استخدامها فى اغراض أمنيّة وطرد أصحابها العرب ، ومصادرة ممتلكاتهم ثم اقامة المستوطنات عليها ، والتى أصبحت تشكل أحزمة حول المدن والقرى العربية وتطوق التجمعات البشرية العربية بهدف تقطيع تواصلها وتقييد حركة السكان العرب ، ويدفعهم الى هجرة أراضيهم .

واذا كانت اسرائيل تمايز عند معالجتها لمشاكلها الأمنية بين أهدافها القصوى ، وهو ماتصطلح على تسميته (بالخطة الكبرى) والتى تسعى لتحقيقها طبقا لتصورها الزمنى وصولا الى (اسرائيل الكبرى) وبين معالجتها لمشاكل الأمن الجارى لتأمين دولة اسرائيل فى كيانها الحالى ، وهو ماعبرت عنه بـ (العشر لاءات) فإنها فى المقابل تسعى من خلال سياسة الردع التى تنتهجها اجبار خصومها ـ نحن العرب ـ عن الكف عن انجاز مراحل (خطتهم الكبرى) التى هى طبقا للتصور الاسرائيلى ، إستعادة فلسطين العربية كاملة ، ويدفع العرب الى اتباع سياسات اقل طموحا فى مواجهتهم لها . ذلك أن تخلى العرب عن العمل (بالخطة الكبرى) من أجل استعادة فلسطين ، لفترة زمنية طويلة سوف يؤدى بهم الى إسقاطها تلقائيا من حساباتهم بصورة نهائية . وهو للأسف ماحدث بالفعل على صعيد الواقع والممارسة .

● العلاقات المصرية ـ الاسرائيلية

إن مقتضى التعامل المباشر بين القاهرة وتل ابيب والذى بدأ بفك الاشتباك وظل فى تصاعد مستمر حتى معاهدة السلام ثم الانسحاب الاسرائيلى من سيناء وطابا أخيرا ، قد اتصف بقسط معين من الثقة أو على الاقل الرغبة فى إثبات حسن النية من الجانبين . وذلك رغم تعرض العلاقات بين البلدين للعديد من النكسات وسيادة حق التوتر بشكل دائم وذلك بسبب التعنت الاسرائيلى فى الاستجابة لمبادرات الحكومة المصرية لدفع عملية السلام سواء فيما يتعلق برفض شامير لعقد المؤتمر الدولى الذى سبق وأن وافق عليه بيريز فى لقاء قمة الاسكندرية فى سبتمبر ١٩٨٦ او النقاط العشر المصرية الخاصة بإجراء الانتخابات فى المناطق المحتلة استجابة لمبادرة شامير فى هذا الشأن أو بالنسبة لادانة مصر لممارسات القمع الاسرائيلية ضد الشعب الفلسطينى فى الأرض المحتلة . ولقد كان هناك حرص زائد من الجانب المصرى على تقليص الاتصالات مع اسرائيل الى ادنى حد ممكن فى وقت استعادت فيه مصر مكانتها الطبيعية كاملة على الساحة العربية بعد مؤتمر قمة الدار البيضاء فى مطلع عام ١٩٨٩ ناهيك عن استمرار تبادل الاتهامات والاحتجاجات والانتقادات بين الجانبين ويدعونا الموقف الى التساؤل حول حقيقة المبادىء التى تحكم العلاقات بين البلدين من وجهة



النظر الاسرائيلية وواقع الامر ان هناك ثلاثة مبادىء حكمت الاستراتيجية الاسرائيلية فى تعاملها مع مصر :

المبدأ الاول : تخريب مصر من الداخل : وهو مبدأ ليس بجديد فى التعامل مع الخصوم فى نظرية العلاقات الدولية ، فاسرائيل تبحث عن جميع عناصر الضعف فى الجسد المصرى الداخلى وتضخم منها . والضعف فى الجسد المصرى مردة عنصران اساسيان : الأزمة الاقتصادية من جانب وازمة القيم السياسية من جانب آخر حيث تعيش مصر حالة من التأزم الاقتصادى بدأت مع حرب ١٩٦٧ وهو يسير فى خطوات متتابعة اما ازمة القيم السياسية فتعود الى ذلك التحول المفاجىء فى ترتيب عناصر الأمن القومى واسرائيل تتعامل مع هذين العنصرين بطرق غير مباشرة وبتخطيط واضح

المبدأ الثانى : عزل مصر عن المحيط العربى .

المبدأ الثالث : خلق الشلل فى وظيفة مصر الاقليمية : وكان هذا العنصر اكثر وضوحا وذلك بخلق روابط وثيقة ومتجانسة اساسها التحالف العدائى الضمنى مع ثلاث عواصم غير عربية هى طهران وانقرة واديس ابابا . وهوتحالف يسيطر عليه علاقات ثنائية قائمة بين تل ابيب وكل من هذه العواصم الثلاث ، كذلك تجانس فى المصالح الاسرائيلية والمصالح الامريكية بحيث تتماثل وتتوازن العلاقات الاسرائيلية مع العلاقات الامريكية مع دول الاطراف الثلاث وبحيث يتحقق فى النهاية انشاء محاور ثلاثة ضد المنطقة العربية وبصفة خاصة ضد الوظيفة الاقليمية لمصر . وتعتبر اسرائيل فى (المايسترو) الذى يحرك هذه المحاور الثلاثة ولكن باستقلال تام فى كل تطبيق عن الاخر مع المشاركة الثنائية للولايات المتحدة .

إلا أن مصر بما تملكه من مقومات حضارية وإدراك القيادة السياسية والشعب فى مصر لحقيقة الأهداف والمخططات الاسرائيلية ، قد افشلت الى حد بعيد وضع هذه المبادىء موضع التطبيق ، كما استعادت مصر كامل وضعيتها على الساحة العربية كذلك نجحت فى أن تفرض مكانتها على الساحة الافريقية والشرق اوسطية بفضل ديناميكية سياستها الخارجية خاصة مع اثيوبيا والتى كانت إسرائيل تعول عليها كثيرا فى الانطلاق منها لمحاصرة مصر سواء من حيث موارد مياه النيل او التوسع فى اتجاه القرن الافريقى او البحر الاحمر كما قامت مصر بتطبيع واسع لعلاقاتها مع تركيا خاصة مع الزيارة التى قام بها الرئيس مبارك لها فى عام ١٩٨٨ . أما فيما يتعلق بطهران فقد كان للتحرك الايجابى المصرى المساند للعراق فى حربه ضد ايران ثم قيام مجلس التعاون العربى بمشاركة مصرية عراقية اردنية ـ يمنية مما اجبر طهران على القبول بقرار مجلس الامن بوقف الحرب فى الخليج وفرض العزلة الاقليمية والدولية على ايران وليس على مصر كما كانت تستهدف اسرائيل .



قضية ستالين فى الثمانينات

خلفاء ستالين خسروا الحرب العالمية الثالثة !

بقلم : كمال النجمى

ينشر « الهلال » هذه المقالة الهامة ، مرحبا بفتح باب المناقشة في القضايا التى اثارتها ، ربما لأول مرة فى الصحافة العربية وهى تطرح هذا السؤال التاريخى :

ـ هل يمكن الدفاع عن ستالين فى هذه الساعات الاخيرة من الثمانينات التى تشهد انهيار الانظمة الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى وشرق اوربا ؟ !.. إن ستالين متهم يجلس فى القفص بلا دفاع حتى الآن ، فهل يمكن الدفاع عنه من وجهة نظر محايدة ، لا ماركسية ولا رأسمالية ، بينما تلاميذه وخلفاؤه يتهمونه بانه سبب هذه الانهيارات التى تزلزل بلادهم الآن ؟ !..

نحن أبناء العالم الثالث لا نعد أنفسنا فى الماركسيين ولا فى الرأسماليين ، ، ولا نحسب أننا نتطفل على « العالم الأول » ولا على « العالم الثانى » إذا حاولنا أن نفهم مايجرى على أرض هذا أو ذاك فى الآونة الراهنة ، فنحن وإياهم فى زورق واحد يجرى فى الفضاء ويدور حول الشمس ، وقد استطعنا ونحن قابعون فى عالمنا الثالث أن نفهم كثيرا مما وقع أو يقع فى العالم الاول ، أو « العالم الحر » وهو العالم الأغنى والأقدم ، ولكنا مازلنا نحاول أن نفهم مايحدث فى العالم الثانى ، ذلك الجزء الغامض المتقشف من الكرة الأرضية ، الذى يسمونه « العالم الاشتراكى » !

منذ مائتى عام تقريبا ظهر « العالم

الحر » .. أما العالم الاشتراكى فلم يبدأ إلا منذ سبعين سنة ، فهو بمنزلة الابن أو الحفيد للعالم الحر .

ويدهشنا نحن أبناء العالم الثالث المتفرجين على مايجرى بين الأب او الجد ، وبين الابن او الحفيد ، أننا نرى هذا الابن أو الحفيد ، ينزع ثياب شبابه ويرجع متلهفا متعجلا إلى ثياب جده أو ثياب أبيه ، باعتبار هذه الثياب القديمة هى « الموضة » وثيابه الجديدة هى الثياب التى أبلاها الزمان !

فماذا يجرى الآن فى بلاد أولئك الاشتراكيين أحفاد السادة الرأسماليين الأحراريين ؟ !

نحاول أن نفهم .. ومن يدرى فقد يساعدهم فهمنا لامورهم فى اقالة عثرتهم ، كما يساعد قومنا الأقربين فيوقظهم من رقدة الكهف والرقيم التى نعموا بأحلامها السعيدة ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ؟

نحن بطبيعة الحال نحاول أن نفهم بوسائلنا المتواضعة ، فليس لنا إلا « الظاهر » مما نرى .. أما « الباطن » فلا نعلمه ! .. ويحز فى نفوسنا ـ وفى عقولنا أيضا ـ أن الأمور قد تعقدت فى العالم الثانى الاشتراكى حتى صار له ظاهر نراه ، وباطن يخفى علينا .. كأنما انقلب الاشتراكيون العلميون الى شيعة اسماعيلية أو اثنى عشرية يتأرجحون فى عقائدهم وأعمالهم بين الباطن والظاهر ، على سبيل « التقية » والتمويه على الأعادى !

لقد كان الزعماء الاشتراكيون يحدثوننا



ستالين كما رسمه بيكاسو مما أغضب الشيوعيين الفرنسين

عن « الرأسمالية المحتضرة » و « الاشتراكية المنتصرة » التى تحفر القبر للرأسمالية ، وكان هؤلاء الزعماء الاشتراكيون الواثقون بأنفسهم يقولون للرأسماليين فى العالم كله : سوف ندفنكم ! ..

وحتى الاشتراكى الفابى غير الماركسى ، الكاتب الايرلندى الساخر برنارد شو ، أدلى بدلوه فقال بين الجد والهزل :

ـ لن أسمح لنفسى بالموت قبل أن أشاهد انهيار الرأسمالية !

وبدا لنا ـ نحن أبناء العالم الثالث ـ أن بناء الاشتراكية ـ وإن كنا لانراه بعيوننا ـ يجرى على قدم وساق ، منتقلا من نصر إلى نصر ، حتى إن بريجينيف أطلق على الاشتراكية فى عهده اسما براقا هو « الاشتراكية المتطورة » .. وأوشك بريجينيف أن يعلن للعالم ذات يوم أن منطقة موسكو أو مدينة موسكو على الأقل قد بلغت فى تطورها الاقتصادى والاجتماعى والسياسى والثقافى عصر الشيوعية .. عصر الوفرة الزائدة والرخاء العميم وشعار « لكل حسب حاجته » . !



ثم أخذ كل شيء ينهار بعد رحيل بريجنيف بقليل ، فالاشتراكية « المتطورة » صارت في نظر خليفته جورباتشوف نظاما متخلفا عاجزا عن منافسة الرأسمالية ، بل عن مجرد الاستمرار في الحياة ! ..

وموسكو التي بلغت عصر الوفرة والرخاء ، ظهرت على شاشة التليفزيون بطوابيرها المتراصة الكثيفة أمام المجمعات الاستهلاكية ، تبحث عن الزيت والسكر والشاى واللحم ، كأنها « طوابير » الباحثين عن التموين الشحيح في عواصم عالمنا الثالث المسكين ! .

ماذا حدث ؟ ! ..

هل كانت الاشتراكية العلمية حركة طوبائية غير علمية لاسند لها من القوانين الاجتماعية والاقتصادية الواقعية الصحيحة ؟ !

هل كان البناء الاشتراكى مناقضا للمادية التاريخية والمادية الجدلية ، وهما أساس النظرية الاشتراكية ؟ ! هل كانت ثورة أكتوبر الاشتراكية الكبرى مجرد رد فعل للمظالم الفاحشة ، محكوم عليه بالفشل التاريخى مثل ثورة العبيد في العصر الرومانى بقيادة سبارتاكوس ، أو ثورة القرامطة في العصر العباسى ؟ !

هل معنى ذلك أن الانسان عاجز بطبيعته وجوهر فطرته عن اقامة نظام كامل للعدالة الاجتماعية تتراجع فيه قوانين الغابة الوحشية المتمثلة في استغلال الانسان للانسان ، وهل معنى ذلك أن العدالة الاجتماعية المثلى ليست إلا حلما من أحلام الفلاسفة الطيبين لامكان له على الأرض ؟

● في جميع الأحوال .. في عهد خروشوف الذى انتهى سنة ١٩٦٤ وفي عهد بريجنيف الذى انتهى سنة ١٩٨٢ ثم في عهود أندروبوف وشرينكو وجورباتشوف ، كان اسم ستالين يقف في قفص الاتهام باعتباره الرجل الذى صنعت يداه هذا المأزق الذى يختنق فيه الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية الأخرى والأحزاب الماركسية في أربعة أركان الدنيا ..

ونحن - أبناء العالم الثالث - لانعرف ستالين الا من أعماله وأقواله ! فماذا صنع هذا الرجل الذى أجمع خلفاؤه على إدانة « تقديس شخصيته » وتحميل هذه الشخصية المقدسة جميع الأوزار ؟ !

● علاقة تقطعت !

نحن لاناقة لنا ولا جمل في هذه القصة ، لكن المؤكد أن حياتنا بدأت تضطرب منذ اندلعت حملة خروشوف على ستالين فجأة سنة ١٩٥٦ .. لأن علاقة شعوبنا بالاتحاد السوفيتي أخذت تهتز وتتقلص حتى بلغت أخيرا - في نهاية عقد الثمانينات درجة التجمد ، وتقطعت علائق التضامن الأممى التى كانت ملاذا لنا ، وكيف تبقى هذه العلائق بين الاتحاد السوفيتي وبين العالم الثالث ، وقد تقطعت الأممية بين الشعوب السوفيتية ذاتها فوثبت هائجة يقاتل بعضها بعضا ؟

إن أعمال ستالين الثابتة في تاريخه هى : بناء الاشتراكية العلمية على أرض الواقع في سدس مساحة الكرة الأرضية لأول مرة في تاريخ البشرية .. ثم الانتصار الحاسم في الحرب العالمية الثانية وهى أشد الحروب هولا في التاريخ كله ، ثم تحويل الاشتراكية الى نظام عالمي ، أو

« منظومة اشتراكية » .. كما كانوا يقولون ..

وقد تسلم ستالين الحكم سنة ١٩٢٤ وروسيا السوفيتية مثخنة باعمق الجراح من جراء الحرب الأهلية والتدخل الأجنبي الاستعماري ، فلم يطلب قروضا من المرابين الاجانب ، بل عبا موارد بلاده ، ونفذ خططا اقتصادية واجتماعية محددة ، وحشد الجماهير المتحمسة لانجاز هذه الخطط ، وبدأ تصنيع بلاده من تحت الصفر ، ونفذ مشروع لينين لكهربة روسيا بما يساوى ثلاثة امثال حجم المشروع الذى قدره لينين ..

● خطط طموحة ●

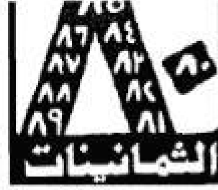
ولم تكن خطط السنوات الخمس التى بدأها سنة ١٩٢٨ نوعا من التنبؤ أو التخمين فى الاقتصاد ، بل كانت خططا واقعية ملزمة للحكومة والشعب والحزب .. ولم يخالف ستالين لينين فى فكرته عن التخطيط الاقتصادى ، فقد كان لينين يرى وجوب تحويل الجهاز الاقتصادى للدولة بأكمله الى جهاز واحد كبير ، او كائن اقتصادى يعمل بحيث يتمكن ملايين العاملين من توجيه أنفسهم بخطة واحدة » .

وأثمرت هذه المشروعات ، فظهرت المدن والقرى الجديدة والمصانع العملاقة والمزارع الجماعية والحكومية ، والسكك الحديدية ، والقنوات المائية والمحطات الكهرمائية ، والصناعات الهندسية ، والجامعات والمعاهد والمساكن والمنافذ التجارية .. وتم تسليح الجيش الأحمر بأحدث الأسلحة تأهبا للحرب التى كانت نذرها تلوح فى الأفق .. وأثبت الصدام المسلح الرهيب من سنة ١٩٤١ إلى سنة ١٩٤٥ أن الاتحاد السوفيتى ما كان ليصمد وينتصر لو لم ينجز مشروعات السنوات الخمس .

وخلال انهماك ستالين فى تلك المشروعات التى أدارها على غير مثال سابق فى التاريخ كله ، هاجمه أعداء هذا العمل الكبير أمثال تروتسكى وبوخارين وجماعات المخربين وعملاء الدول الاستعمارية ، ودعاة العودة الى الرأسمالية والاقطاع ، وفئات اخرى كثيرة خطيرة .

وقد رأينا اللوبى اليهودى الصاعد فى موسكو يخلق أخيرا جوا من المأساة حول قصة محاكمة بوخارين وإعدامه قبل خمسين عاما ، كأنه قديس برىء صلبه ستالين .. وأظن أن تروتسكى أيضا سيجد فى أقرب وقت دورا على المسرح السوفيتى السياسى الجديد ، يؤلفه ويخرجه له اللوبى اليهودى الجديد الذى وثب فى موسكو على المنصة اخيرا كما وثب عليها من قبل فى واشنطن ! ..

● وفى جو القتال الطبقى الذى لارحمة فيه أصابت أسلحة السلطة التى كان ستالين على رأسها .. عددا من الأبرياء ومن الثوريين المخلصين . وكان الشك وحده يكفى أحيانا لقتل غير المذنبين ، لأن السلطة السوفيتية فى تلك الظروف العصيبة لم تكن تستطيع أن ترفع رايات الديمقراطية وحقوق الانسان التى ترفرف الآن فوق راس شيفرنادزه فى رحلاته الدبلوماسية بين أمريكا وأوربا .



● حقيقة مؤلمة

ولم يكن ستالين ينكر ان هذه الجرائم وقعت فى أتون ذلك الصراع .. وقد رد على رسالة بهذا الشأن للكاتب السوفيتى شولوخوف ـ صاحب رواية الدون الهادىء بجواب يعترف فيه بالحقيقة المؤلمة ويؤكد فى الوقت نفسه أن ضحايا جرائم السلطة كانوا هم ايضا يرتكبون جرائم ضد الدولة والحزب والشعب ..

تلك طريقته ووجهة نظره فى ادارة الصراع الطبقى الذى لايرحم ، ولم تكن لديه طريقة أخرى لخوض صراع كانت عاقبته الحياة أو الموت خلال السنوات الحاسمة التى اعقبت وفاة لينين وتكتل فيها أعداء اللينينية وأعداء مشروعات السنوات الخمس ، والمخربون وعملاء اقلام الاستخبارات النازية والبريطانية واليابانية وفصائل لاتحصى كانت تجوب البلاد السوفيتية من بحر البلطيق إلى المحيط الهادى ! ..

وفى رواية « الثلج الحار » للكاتب السوفيتى يورى بونداريف فصل بديع عن الطريقة التى كان يفكر بها ستالين فيما وقع من جرائم خلال نضاله المحموم لانجاز مشروعات السنوات الخمس ، وتحطيم مؤامرات تروتسكى وبوخارين وزينوفييف وكامنييف وغيرهم ، والتخلص من بعض كبار ضباط الجيش المشكوك فى ولائهم .

فحين يستدعى ستالين ـ كما تقول الرواية ـ الجنرال بيسونوف ـ اسمه الحقيقى تروفانوف ولم تذكره الرواية ـ ليعهد اليه بقيادة أحد الجيوش الجديدة فى جبهة ستالينجراد سنة ١٩٤٢ يلمح ستالين بفطنته بعض الشكوك لدى الجنرال فيقول له :

ـ أنا فاهم يارفيق بيسونوف ! ان لشكوكك ـ على مايبدو .. علاقة بمصير بعض قادة الجيش الذين عاقبناهم .

قال بيسونوف :

ـ هذه وجهة نظر يارفيق ستالين ، فقد خدمت مع بعض قادة الجيش الذين وقعوا فيما بعد ضحايا للافتراء ..

وضع ستالين غليونه على المكتب وقال غير متأثر :

ـ أنا أعرف هذه الشكوك ! .. إن النضال شىء قاس ! .. إلا أن الكثيرين ممن شككنا فيهم آنذاك ، هم ذوو نفوس صغيرة منطوية على ما كانت تنطوى عليه نفس فلاسوف (قائد سوفيتى خائن استسلم للنازيين قرب موسكو وتعاون معهم) .. ولقد صححنا الاشتطاطات والاخطاء منذ زمن طويل .. وهاهو روكوسوفسكى وتولبوخين يحاربان بنجاح فى ستالينجراد .

● شك مستمر !

كان ستالين يعلم تلك الامور ، ويتابع اصلاح ماوقع من خطأ وشطط فى بعضها ، ولكنه يبررها بالشك فيمن عوقبوا ويراهم من طينة الجنرال فلاسوف الخائن :

وقد ذكر ستالين الماريشال روكوسوفسكى والماريشال تولبوخين ، ولكل منهما مذكرات عن الحرب التى اشتركا فيها تحت راية ستالين بعد أن قضيا فى سجونه زمنا ثم عرف براءتهما فأفرج عنهما .. وجاءت شهادة هذين

القائدين فى حق ستالين ، تدحض ماحاول أن يرميه به خروشوف ومجموعته من اتهامات حول إدارته للحرب ..

كذلك فعل الماريشالات جوكوف وفاسيلفسكى وكونييف ـ وهم أشهر قادة الحرب ـ فرفضوا الانسياق وراء اقاويل خروشوف التى منها قوله إن ستالين غادر موسكو خلال معركتها الكبرى ، وانه كان يدير الحرب على مجسم للكرة الأرضية يضعه فى مكتبه بالكريملين !

لقد فندوا هذه المزاعم وغيرها بما كتبوه عن اجتماعاتهم واتصالاتهم بستالين خلال أربع سنوات بلا انقطاع .

أما الجنرال شتيمنكو الذى كان قائد العمليات فى الحرب فقال معلقا على قصة مجسم الكرة الأرضية : « يجب أن اذكر أننى لم أر ستالين يستخدم هذا المجسم عند النظر فى المسائل العملياتية خلال مئات الزيارات التى قمت بها إلى مكتبه .. فالحديث عن قيادته للعمليات على مجسم الكرة الأرضية لا أساس له مطلقا » .

وقد أشرف ستالين على تجهيز الجيش والطيران والاسطول البحرى تأهبا للحرب ، وجلب قبيل اندلاعها قوات هائلة إلى الحدود فى سرية تامة .. يقول الجنرال شتيمنكو : « كيف يمكن نسيان كل هذا ؟ ! .. كيف يمكن الا نأخذ بالحسبان كل هذا العمل الضخم الذى قام به الحزب والحكومة قبيل الحرب لاعداد البلاد والجيش لصد العدو ؟ ! » .

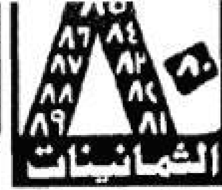
وخلال أربع سنوات من الحرب المروعة المدمرة قاد ستالين الانتصار على هتلر عند موسكو ، والانتصار الساحق فى معركة ستالينجراد ومعارك كورسك وكييف والقرم وبيلوروسيا والبلطيق وبولندا والمجر وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا وبلغاريا ، والحملة الأخيرة على برلين ، ثم حملة تحطيم الجيش اليابانى فى الشرق الأقصى .

لقد دخل ستالين هذه الحرب الشعواء التى لم يسبق لاتساعها ووحشيتها وتعقيداتها مثيل فى التاريخ .. دخلها وهو أسود شعر الرأس ، وانهاها منتصرا وقد شاب شعره كله وارتفع ضغط دمه ارتفاعا خطيرا ، وشاخ فى أربع سنوات كأنه عاش فوقها ثلاثين عاما ! ..

فالرجل لم يدخر عملا ولا فكرا ولا صحة فى سبيل القضية .. ولم تكد الحرب تخمد حتى نهض يعيد تعمير بلاده التى دمرتها الحرب تدميرا ، بلا قروض ولا مساعدات من أحد ..

● دمار هائل !

ولقد أحرق الهتلريون ـ كما تقول الوقائع الرسمية ـ أكثر من ألف وسبعمائة مدينة سوفيتية وأكثر من سبعين ألف قرية ، تاركين خمسة وعشرين مليون إنسان بلا مأوى ، وخربوا أكثر من واحد وثلاثين ألف مصنع كان يعمل فيها قبل الحرب أربعة ملايين عامل ، وهدموا خمسة وستين ألف كيلو متر من خطوط السكك الحديدية وأربعين ألف مستشفى وأربعة وثمانين ألف معهد علمى وثلاثة وأربعين ألف مكتبة ، وسرقوا وذبحوا عشرة ملايين رأس من الماشية ، إلى غير ذلك مما لايتصوره عقل من عمليات التدمير والتخريب ..



وفي ثلاث سنوات فقط بعد الحرب ، تم بقيادة ستالين اصلاح هذا التخريب الجهنمي ، وإعادة بناء الصناعة والزراعة ، وكابد الشعب حرمانا قاسيا ، وعاش على ما حددته له البطاقات من طعام وشراب وملابس ، ولكن روح المبادرة الاشتراكية كانت تحفز المجتمع كله إلى العمل وصنع المعجزات .

ومات ستالين في ٥ مارس ١٩٥٢ وقد ترك وراءه دولة موحدة استعاد لها كل اراضيها .. يخافها أعداؤها كما يخافون الموت ! ..

ويروى ديجلاس أحد خصوم ستالين اليوغوسلافيين انه شاهده في زيارة له بمكتبه في موسكو وقد وقف إلى خريطة كبيرة للاتحاد السوفيتي باللون الأحمر ، يشير إليها قائلا :

– لايمكن أن يرضى الاستعماريون ببقاء اللون الأحمر على امتداد هذه البقعة الكبيرة !

● شجاعة القائد :

لقد كانت لستالين طبيعة المقاتل البدوي المفعم بحماسة العقيدة وشجاعتها ، وكان له ، على حد تعبير تشرشل ، « عقل بارد عميق خال تماما من الأوهام » .. ولم يكن عقله البارد العميق يتعارض وطبيعته البدوية المشتعلة بحماسة العقيدة أو المبدأ .

ثم توقف قلبه عن النبض – على حد تعبير البيان الرسمي عن وفاته – وتسلم خلفاؤه الأمور وتعاقبوا على الحكم ! ..

لم يترك ستالين وراءه درهما ولا دانقا ، ولا ورث أولاده عنه شيئا البتة .. وقد رفض خلال الحرب ان يستعيد من الألمان. ابنه الاسير لديهم نظير افراجه عن الماريشال باولوس قائد الجيش الألماني المهزوم في ستالينجراد ، وقال ستالين بهدوء وحسم :

– إن ابني مجرد جندي فلا يصح أن أسترده مقابل ماريشال ! .

ومات ابنه في الاسر .. قتله الهتلريون حقدا على أبيه ، ولم يقم له أبوه مأتما ولا نصب له سرادقا بجوار كنيسة من كنائس الكريملين !

أما خلفاء ستالين الذين كان قبيل وفاته يقول لهم : « ماذا أصنع لكم أيها المساكين .. إن الاستعماريين سياكلونكم » .. أما خلفاؤه هؤلاء فقد سارعوا الى السير فعلا في الطريق التي انتظرهم الاستعماريون في نهايتها وأكلوهم !

أن خروشوف الذي أضاع فطرته البروليتارية – كما كان يقول ستالين – عرف السبيل الى الاستجمام الملوكي على شواطيء البحر الاسود ، وعين زوج ابنته وهو صحفي مغمور – رئيسا لتحرير جريدة ازفستيا الناطقة بلسان الحكومة السوفيتية متخطيا به جميع الصحفيين السوڤيت :

وجاء بريجينيف فانغمس في الترف ، وانهمك في هواية السيارات الامريكية ، وعين زوج ابنته جنرالا ووزيرا وأطلق له عنان السرقة والرشوة .

لقد احتلت طبقة من المترفين الفاسدين مكان أعوان ستالين الذين لم يكونوا يملكون شيئا .. وتراجعت قيمة العمل وصار العمال أجراء للطبقة الحاكمة الجديدة ، ولم يكن حالهم كذلك في عصر

الحماسة الثورية والتضحية بالذات فى الحرب الوطنية الكبرى التى كانوا يقتحمون معاركها المروعة وهم يهتفون فى نشوة التضحية :

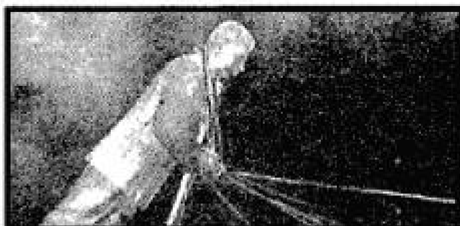
ـ من أجل الوطن .. من أجل ستالين !

● ولقد ترك ستالين الدنيا بعد أن جعل علاقات الانتاج فى بلاده متفقة تماما والقوى المنتجة .. وهذه هى النقطة الجوهرية فى الموقف الاقتصادى والاجتماعى والسياسى كله ، ولكن هذه العلاقات التى كانت صحيحة فى عهد ستالين اختلت فى عهود خلفائه ، وبخاصة فى عهد بريجنيف الذى يسميه جورباتشوف « عهد الركود » .. أى عهد العجز عن الانجاز والتقدم ، عهد التقهقر وتراكم الفساد .

وكان شعار ستالين هو : « الماركسية اللينينية أو الموت » . وهو الشعار الذى يرفعه كاسترو والصينيون الآن . ومعناه أن العجز عن التطبيق العملى للنظرية هو الموت ، لأن هذا العجز يبرهن على أنها مجرد حلم طوبوى كأحلام سان سيمون وفورييه وأوين .. ومعناه أن ثورة اكتوبر ١٩١٧ فى جوهرها لاتختلف عن ثورة كوميون باريس التى قادها الفوضويون سنة ١٨٧١ .. ومعناه أيضا أن أفكار لينين الثورية خاطئة ، وافكار خصومه برنشتاين وكاوتسكى وبيبل وغيرهم هى الافكار الصحيحة .

وماذا يجرى الآن فى الاتحاد السوفييتى وشرقى اوربا ؟

إن مايجرى هناك هو تطبيق افكار كاوتسكى وبرنشتاين وزعماء الدولة الثانية



عندما انهارت رموز المجد ..

والأحزاب الاشتراكية الديمقراطية التى انسلخت تماما عن الماركسية .

لقد عاش ستالين يتقدم ولايتوقف ، اما خلفاؤه فيتراجعون بلا نظام ، ويبحثون عن « حل وسط تاريخى » وعن لافتة اشتراكية وهمية تخفى انهيار البنيان الاشتراكى وعودة الراسمالية .

وهم يتمسحون بالعالم الحر عسى أن يقبلهم أعضاء فى ناديه ، وينشطون فى تفجير المتناقضات القومية والطبقية والدينية فى مجتمعاتهم ، ويتخلون عن الأممية ، ويغلقون ابواب احزابهم ويسلمون مفاتيحها للرجعية .

لم يصمد خلفاء ستالين فى الحرب الباردة التى هى فى الحقيقة الحرب العالمية الثالثة ، وحاصرهم الامبرياليون بسباق التسلح والحرب الاقتصادية والدعائية والمؤامرات ، حتى استسلموا .

وزعماء روسيا الجدد يجردونها الآن من ثيابها ويلبسونها الثياب المستعارة من اوربا وأمريكا ، وليس فى ذهنهم قول لينين : « يالروسيا المسكينة ! انه يقال عنها انها ترتدى دائما الثياب البالية التى القتها اوربا » ! ..



الهبـــوط إلى أرض الواقع ..

بالبريسترويكا!

بقلم: عبدالرحمن شاكر

لاشك ان اهم احداث الثمانينات من هذا القرن ، التي توشك ان تنتهي بنهاية هذا الشهر هي ظهور جورباتشوف سكرتير علم الحزب الشيوعي السوفيتي ، ورئيس الدولة السوفيتية حاليا بسياسته سواء على الساحة الدولية او داخل المعسكر الاشتراكي بدءا من الاتحاد السوفيتي الى سائر بلدانه في اوروبا الشرقية وآسيا .

● وإذا كان ثمة محور اساسي لهذه البريسترويكا وتاثيرها ، فهو وقعها على الايديولوجية "الماركسية اللينينية" التي تاخذ بها الاحزاب الشيوعية في العالم كله حاكمة وغير حاكمة وهبوطها بتلك الايديولوجية من سماء الاحلام التي كانت تحلق فيها الى ارض الواقع مثلما يهبط طيار بالبراشوت او المظلة الجوية من اجواء السماء الى الأرض الصلبة وتلك حين يعتـرف جورباتشوف في سياسته الجديدة بان تحقيق الكفاءة الاقتصادية قد اصبح له الاولوية على هدف المساواة .

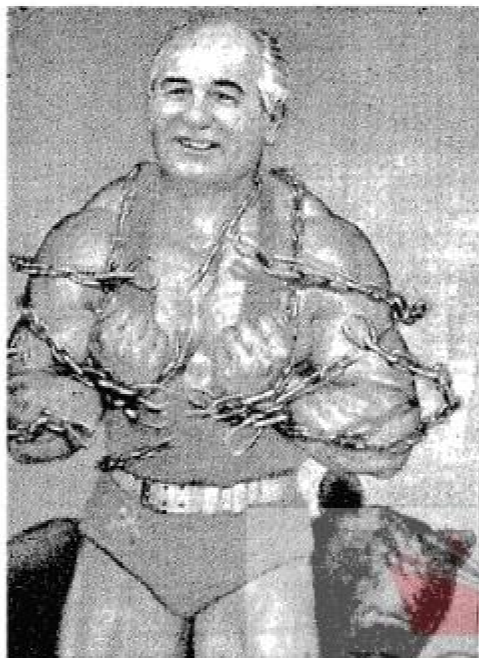
وابتـداء فنحن لانصـادر على حق الانسانية في ان تحلم جموعها بمستقبل افضل ترسمه لها مخيلة بعض الافذاذ من افرادها ولكن الاستمرار في مطاردة الحلم تتحرك احيانا الى كابوس مزعج من فرط مفارقته للواقع الممكن في حياة هذه الجماعة الانسانية او تلك فتصبح المراجعة او اعادة النظر والتفكير امرا لازما لتبين الخطوات الصحيحة على الطريق .

● من حيث بدأ ماركس :

لم يكن كارل ماركس هو اول مفكر يحلم بالمساواة الاقتصادية بين افراد البشر بل كان هذا الحلم قديما قدم البشرية ذاتها اتخذ صورا متعددة مثل ثورات

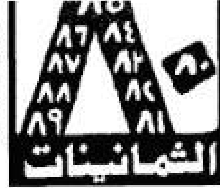


كـارل مـاركس   لينـين



جورباتشوف .. حطمت قيودى

العبيد فى الماضى (سبارتاكوس مثلا ضد روما .. الخ) الى العصر الذى عاش فيه ماركس ذاته فى القرن التاسع عشر حيث كانت اوروبا تموج بمختلف المذاهب الاشتراكية والشيوعية الباحثة عن طريق لتحقيق هـذه المساواة فى الميدان الاقتصادى وخاصة بعد الثورة الفرنسية التى كانت "المساواة والاخاء" هى تتمة شعارها فى الحرية وشرع الفيلسوف الالمانى الشاب كارل ماركس يكتب مقالات يهاجم فيهاالفكرة الشيوعية ويصفها بالسخف ولكنه خلال كتابته ضدها وقع فى غرامها !! وراقت له فكرة المساواة الاقتصادية من حيث هى وان لم ترق له الحركات السياسية او الفكرية الداعية اليها وكان ان انشا مذهبا جديدا اطلق عليه اسم "الاشتراكية العلمية" رفض فيه المذاهب الشيوعية الاخرى التى تدعو الى تدمير الالات الحديثة باعتبارها سببا فى سوء احوال الطبقات العاملة وفقرها وتنادى بالعودة الى الماضى الذى كانت ثورة الحرف اليدوية ! وفى مذهبه هذا دعا كارل ماركس الى التسليم بالواقع الذى جعل فى الانقلاب الصناعى وظهور الراسمالية الصناعية الحديثة تطورا محتوما فى تاريخ الجماعة الانسانية لاجدوى فى تحديه او محاولة وقفه بله النكوص عن طريقه كما كان يطالب اصحاب تلك المذاهب التى سماها ماركس بالاشتراكية الخيالية او الطوباوية وذهب كارل ماركس الى ان اطراد النمو الراسمالى ووصوله الى غايته واقصى تطوره هو الذى سوف يخلق الشروط الضرورية لقيام النظام الاشتراكى ثم الشيوعى حيث يتم فى المرحلة الاولى تاميم الصناعات الكبرى وادوات الانتاج بحيث يتاح تحقيق شعار "من كل حسب قدرته ولكل حسب عمله" وفى المرحلة التالية ــ بعد مزيد من التطور فى قوى الانتاج يجرى تطبيق شعار "من كل حسب قدرته ولكل حسب حاجته" وذلك هو النظام الشيوعى .



والمسألة كانت ببساطة عند كارل ماركس انه لكى تتحقق المساواة الاقتصادية بين الناس لابد ان يكون الانتاج وفيرا جدا ليكفى حاجة الجميع والصناعة الحديثة التى اوجدتها الرأسمالية باستخدام العلم هى التى تستطيع تحقيق هذا الهدف الانسانى وقبل وصول هذا التطور الى غايته يصبح كل تفكير فى فرض المساواة ضربا من الخيال ! وحينما يسعى جورباتشوف الآن الى تعليم بلاده اساليب الرأسمالية الغربية فهو انما يعود الى حيث بدأ ماركس قبل ان يشهد التاريخ جملة اعتراضية بينهما تحمل اسم لينين !

● الثوريون والانتهازيون

بعد مرحلة كارل ماركس فى القرن التاسع عشر جاء القرن العشرون فخلق واقعا جديدا او واقعين مختلفين فى حقيقة الامر ذلك ان الرأسمالية الصناعية تطورت فى عدد من البلاد الاوروبية وامريكا الشمالية بحيث اصبحت امبراطوريات صناعية كبرى تعتمد على الاسواق الخارجية ليس لتسويق منتجاتها فحسب بل ايضا للحصول على المواد الخام وتصدير فائض رأس المال اليها واتاح هذا التطور لتلك البلدان مكاسب هائلة مكنتها من رفع مستوى معيشة عمالها وبالتالى الحد من سيطرة النزعات الثورية عليهم : بينما ظل العمال فى البلاد المتخلفة صناعيا مثل روسيا يعانون من سوء الحال مما ادى الى تعاظم ثوريتهم على اوضاع بلادهم وكانت النتيجة ان انقسمت الحركة الماركسية والاشتراكية عموما الى فريقين رئيسيين :

اولا : الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية فى بلاد الغرب المتقدمة صناعيا

ثانيا : الاحزاب الشيوعية التى دعا لينين الى تشكيلها من الماركسيين الثوريين ، تحت شعار "الانفصال عن الانتهازيين" : وهو الوصف الذى اطلقه على سائر الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية التى لاتتبع سياسته فى الثورة على الرأسمالية والتى تتمثل "انتهازيتها" فى انها كانت على استعداد لممالأة رأسمالية بلادها من اجل مكاسب عاجلة لجماهيرها من العمال مثل رفع الاجور او التأمين ضد البطالة ... الخ

بدلا من تحريض هؤلاء العمال على الثورة عليها .

وبدلا من ان تكون البلدان الصناعية المتقدمة فى الغرب هى منطلق الثورة الاشتراكية العالمية كما كان يتوقع كارل ماركس . قرر لينين ان موطن الثورة هو اضعف الحلقات فى السلسلة الامبريالية بغض النظر عن مستوى التطور الصناعى فيها وكانت روسيا القيصرية فى نظره هى اضعف تلك الحلقات حيث لم تبلغ الرأسمالية فيها مبلغ نظيراتها فى الغرب بحيث تستطيع ان ترشو عمالها . بل على العكس من ذلك كانت اوضاع العمال المتدنية تجعلهم طليعة لحلفاء لهم من الطبقات والشعوب المقهورة داخل الامبراطورية الروسية ، وهم الفلاحون الخاضعون لسيطرة الاقطاعيين من ملاك الاراضى والقوميات غير الروسية التى تضمها الامبراطورية وتعانى من القهر القومى والاستغلال الاقتصادى على السواء

اصبحت الايديولوجية الاشتراكية ايديولوجيتين : احداهما تتمسك اساسا بالديمقراطية ولاتبالى بالانتساب الى الماركسية والاخرى ايديولوجية الاحزاب الشيوعية وتحرص على تمييز ماركسيتها بانها لينينية تستطيع بالعنف الثورى



خروتشوف　　　بريجنيف

حرق مرحلة الراسمالية وصولا الى الاشتراكية فالشيوعية .

● بداية الثورة .. ونهايتها :

فى ١٩١٧ استولى لينين على الحكم فى روسيا بحزبه الشيوعي الذى كان جزءا من نظريته انه هو الذى يحتكر الحكم باسم ديكتاتورية البروليتاريا باعتباره طليعة لها اى للطبقة العاملة وجزء آخر انه نظر للتخلف الصناعي والاقتصادى لبلاده فلم يعد الامر مجرد تطبيق الاشتراكية على بناء صناعي جاهز سبق للراسمالية ان انشاته بل على حزبه ان يقوم هو بتلك المهمة نيابة عن الراسمالية تحت اسم بناء الاشتراكية وكانت تلك عملية باهظة التكلفة من جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية وخاصة ان الجزء الاساسي من عملية التصنيع كان ينبغي ان يتوجه نحو الصناعات العسكرية للدفاع عن "وطن الاشتراكية" الذى كان محاصرا من اعداء يتربصون به ويسعون الى تدميره . وكان جوزيف ستالين خليفة لينين هو "بطل" هذه المرحلة الشاقة من التصنيع السوفيتي الذى جعل حكمه موسوما بالطغيان والا ستبداد اكثر مما صاغه لينين عن ديكتاتورية البروليتاريا .

وبعد الحرب العالمية الثانية التى حاول فيها هتلر تدمير الاتحاد السوفيتي اصبح وطن الاشتراكية معسكرا دوليا يضم الدول الصغيرة فى شرق اوروبا التى حررها الجيش الاحمر من النازية بما فيها القسم الشرقي والمانيا التى اصبحت جمهورية مستقلة وانضمت اليه الصين بعد نجاح ثورتها بقيادة الحزب الشيوعي عام ١٩٤٩ .

وبعد موت ستالين ، اكتشف خلفاؤه انهم قد وصلوا الى غاية يستحقون عندها التوقف عن كثير من ممارسات ستالين الارهابية وكشف خليفته خروشوف فى زعامة الحزب كثيرا من تلك الممارسات وذلك فى المؤتمر العشرين عام ١٩٥٦ وبالرغم من انه دعا الى سياسة التعايش السلمي واقر بان بعض البلدان يمكن ان تصل الى الاشتراكية عن طريق الديمقراطية البرلمانية . ودعا الى اعادة توحيد الاحزاب الشيوعية والاشتراكية الديمقراطية الا انه لم يستطيع ان يتبين ان تخلصه من اساليب ستالين يجر معه بالضرورة التخلص من فكرة ديكتاتورية البروليتاريا اى استئثار الحزب الشيوعي بالحكم وبدلا من ان يطرح فكرة الديمقراطية كاساس لحكم جديد للمعسكر الاشتراكي لجأ إلى الاحلام القديمة ووعد الشعب السوفيتي بالتفوق اقتصاديا على الولايات المتحدة الامريكية فى بداية الثمانينات بحيث يستطيع الاتحاد السوفيتي ان يتخطى حتى رحلة الاشتراكية وصولا الى الشيوعية !

وترتب على ذلك ان اشتدت الحرب الباردة بين معسكره الاشتراكي والمعسكر الغربي بدلا من ان تهدأ وازدادت معها حمى سباق التسلح مما جعل الاقتصاد السوفيتي ليس عاجزا فحسب عن تحقيق حلم الوصول الى المجتمع الشيوعي بل عن مجرد اللحاق بالتطور التكنولوجى الذى

تحقق فى الغرب بالرغم من ان الاتحاد السوفيتى كان سباقا فى بعض المجالات مثل غزو الفضاء .

وبعد سقوط خروشوف عام ١٩٦٤ جاء عصر بريجنيف الذى كان هو اصغر رفاق ستالين فى المكتب السياسى للحزب ولكن الجيل كله كان قد اصبح عاجزا عن تبين حقيقة الاوضاع ومدى مفارقتها للأحلام الايديولوجية وزاد على ذلك توريط الاتحاد السوفيتى فى تشيكوسلوفاكيا مثلما سبق لخروشوف التدخل فى المجر حينما حاولت كلتا الدولتين التخلص من قبضة الايديولوجية بحثا عن سياسة اكثر مطابقة للواقع ولرغبات شعوبها واستحقت فترة بريجنيف وصف جورباتشوف لها بأنها فترة الركود بعد فترة التطور المتخبطة لخروشوف .

ولم يكن إلا بوصول جيل جديد الى الحكم ان بدأ التعرف على الواقع بنظرة موضوعية فهذا الجيل الذى منه جورباتشوف لايحمل عبء الثورة البلشفية على كتفيه فهو لم يولد الا بعدها لذلك لايملك الزهو بامجادها ولاغض الطرف عن اخطائها وقد اكتشف هذا الجيل ان بلاده ابعد ما تكون عن الحلم الشيوعى وان اقتصادها قد تخلف تحت اعباء الادارة البيروقراطية وان الرأسمالية التى ينافسها كانت اقدر منه على تحقيق الثورة الصناعية الثانية او الثورة التكنولوجية وان عليه ان يلحق بها اولا ، وانه لا امل فى ذلك الا بان يطرح عن كاهله عبء سباق التسلح وإلا بان يعيد استدخال اقتصاديات السوق التى يتم من خلالها



ادولف هتلر



دنج سياو بنج



ستالين



جروميكو

فرز النجاح من الفشل والربح من الخسارة وان المدخل السياسى الوحيد الى ذلك هو الديمقراطية التى بدأ تطبيقها فى الاتحاد السوفيتى على استحياء اولا تحت اسم حرية النقد والجلاسنوست اى المكاشفة والمعارضة وصولا كما عبرت المظاهرات الاخيرة فى العيد الثانى والسبعين للثورة الى المطالبة بالسماح بتعدد الاحزاب السياسية .

ان الثورة التى بدأت بديكتاتورية البروليتاريا قد انتهى ابناؤها الى المناداة باسقاط كل اثر لتلك الديكتاتورية واصبحت اعادة بناء الاشتراكية فيها تعتمد على اعادة التعلم فى مدرسة الرأسمالية التى قطعت اشواطا فى تطورها

● ولم يكن من المتصور ان يبقى هذا

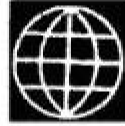
التطور محصورا داخل الاتحاد السوفيتي دون ان يمتد الى سائر المعسكر الاشتراكى الذى تعاونت فيه وتعددت صور ردود الافعال لبرويسترويكا جورباتشوف سلبا وايجابا :

● كان اوضح تغيير عملى هو ما حدث فى بولندا حيث اضطر الحزب الشيوعى البولندى الى التخلى عن سيطرته على الحكم بعد فشله فى انتخابات جريئة حرة ، فازت فيها نقابة تضامن بالاغلبية الساحقة فسلم اليها حكم البلاد فى حكومة ائتلافية الشيوعيون فيها اقلية وإن كانوا قد احتفظوا بمنصبى وزيرى الدفاع والداخلية بحكم الروابط التى لاتزال قائمة داخل المعسكر وحلف وارسو العسكرى بين بلاده .

● أما أوضح تعبير نظرى فكان فى المجر حيث قرر الحزب الشيوعى المجرى ان يتحول إلى حزب اشتراكى ديمقراطى على الطريقة الغربية ، وانه سوف يسمح بتعدد الاحزاب بحيث يكون بقاؤه فى السلطة او خروجه منها بناء على ما تقرره الأغلبية الشعبية فى انتخابات حرة ، فضلا عن التحول الى سياسة السوق المفتوحة .

● ولكن الصين ، رغم انها قد سبقت الاتحاد السوفييتى ، وبرويسترويكا جورباتشوف الى اعادة بناء اقتصادها عن طريق إدخال اليات السوق ، والتعاون مع الاستثمارات الراسمالية الخارجية ، فإنه عندما امتدت تداعيات البرويسترويكا إلى الجانب السياسى ، وفى اثناء زيارة جورباتشوف للصين فى منتصف العام الحالى الذى أوشك على ان يتصرم . تحولت المظاهرات المطالبة بالديمقراطية الى ما يشبه الثورة على حكم الحزب الشيوعى ، الذى كلف الجيش بقمعها بالدبابات وقوة السلاح .. وهى ثورة لاتزال نيرانها تتأرى تحت الرماد ولابد من أن تفرض تغييرا على نحو ما للوجه السياسى لتلك الدولة الضخمة وخاصة بعد انتهاء عهد امبراطورها دنج سياوبنج !

● ثورة أخرى شهدتها المانيا الشرقية التى تقف على الحدود الاوروبية للمعسكرين واتخذت شكل الفرار المتواصل من شبابها الى الجزء الغربى من المانيا وسهلت الدول المجاورة وخاصة المجر ، ثم تشيكوسلوفاكيا هذا الفرار امام ألوف الشباب حتى اضطرت حكومة المانيا الشرقية بعد سقوط هونيكر زعيم الحزب الشيوعى السابق الى الاعتراف بشرعية رحيل رعاياها الى المانيا الغربية ووسط مظاهرات صاخبة تستحق بدورها اسم الثورة من أجل الاصلاح والديمقراطية ، يتوالى سقوط أجهزة الحكم من رئيس البلاد إلى الوزارة الى المكتب السياسى السابق للحزب ، اما ماينتظره السقوط حقا فهو حائط برلين الذى يفصل شرقها عن غربها . ولكن سقوطه يبدو مرتبطا بسقوط ديكتاتورية الحزب الشيوعى الذى وافق أخيرا على اجراء انتخابات نيابية حرة تشترك فيها مختلف الجماعات السياسية ،-وأهم من ذلك سقوط انقسام العالم إلى معسكرين والمانيا الى دولتين ، وهو أمر قد يشهده التاريخ القريب جداً ، خاصة بعد القمة العائمة المنتظرة فى اخر هذا العام بين بوش وجورباتشوف رئيسى الدولتين العظميين ، ومحاولتها الوصول الى صيغة جديدة لعالم الموحد .



العالم فى سطور

حرص الهلال ان يتغير شكل « العالم فى سطور » هذا الشهر لرصد حصاد الثمانينات فى الأدب العالمى

الولايات المتحدة

ابرز الادباء :

جون ارفنج ، ستيفن كنج ، جيم هاريسون (روائيون) ، جويس كارول اوتس (روائية) ـ وليام كيندى (الحائز على جائزة بوليتزر ١٩٨٣) ، يوسف برودسكى (الحائز على جائزة نوبل ١٩٨٧) ـ الروائى تشارلز بوكوفسكى ـ جون ابدايك (روائى) .

ادباء راحلون :

ارسكين كالدويل (١٩٨٧) ، جيمس بولدوين (١٩٨٨) ـ برنارد مالامود (١٩٨٦) ـ جون شيفر (١٩٨٢) ـ ترومان كابوت (١٩٨٤) ، ـ تينسى ويليامز (١٩٨٣)

سمات بارزه :

انتشار ثقافات الالبومات المرسومة ، سيادة روايات الرعب والعنف ، انحسار


ترومان كابوت


تينسى ويليامز

الرواية الرومانسية التى كان من فرسانها اريك سيجال ـ انتشار الروايات الضخمة الحجم التى تباع بارقام تتعدى ملايين النسخ .

فرنسا :

ابرز الأدباء :

برنار هنرى ليفى (فيلسوف وروائى) باتريك موديانو (روائى) ، ريجين ديفورج (مؤلفة الدراجة الزرقاء) ، باتريك كوينار (روائى) ، فيليب جان (مؤلف رواية ٣٧٫٥° صباحا) ـ الطاهر بن جلون .

أدباء راحلون :

الشاعر رينيه شار (١٩٨٧) ، الفيلسوف والروائى جان بول سارتر (١٩٨٠) ، سيمون دى بوفوار (١٩٨٦) الاديبة مرجريت يورسنار (١٩٨٧) ، الروائى جورج سيمنون (١٩٨٩) جان آنوى (١٩٨٧) ـ الروائى رومان جارى (١٩٨٠) ـ الكاتب المسرحى جان جينيه (١٩٨٦) .



جـان آنـوى



سيمون دى بوفوار

سمات بارزة :

انتشار الكتاب الكاسيت ـ ازدهار الرواية الجديدة ـ ازدهار الادب الفرانكفونى ـ انتشار ظاهرة الرواية الاولى للكتاب الجدد ـ نجوم السينما يتحولون الى ادباء ـ منح الروايات المترجمة جوائز محلية .

بريطانيا :

اسماء بارزة :

الـروائيون المخضـرمون : انتـونى بـرجيس ، جراهـام جرين ، دوريس ليسنج ، ويليام جولدنج (الفائز بجائزة نوبل ١٩٨٣) ، ايريس مردوخ ، وسلمان رشدى عقب نشر رواية « إيات شيطانية » ـ والكاتبة مرجريت درابل ـ الروائية انيتا بروكنر .

ادباء راحلون :

الروائى والفيلسوف شارلز ب . سنو (١٩٨١) ، الروائى والمفكر ارثر كوستلر الذى انتحر مع زوجته فى عام ١٩٨٣

سمات بارزة :

نزوح اغلب الادباء العواجيز الى جنوب



ليوناردو شاشا



ايطالو كالفينو

اوروبا ـ قلة الاسماء البارزة من الشبان ـ الاهتمام بالشكل التقليدى فى الرواية والمسرح ـ ظهور جيل من الادباء الهنود والذين يهاجمون الشرق والاسلام مثل سلمان رشدى ونايبول .

ايطاليا :

اسماء بارزة :

البرتو بيفلاكوا (روائى ومخرج) ادوارد سانجنيتى (روائى وفيلسوف) فنشنزو كونصولو (روائى) ، والروائيون ليوناردو شاشا ، البرتو مورافيا ـ امبرتو ايكو ـ بريمو ليفى ـ فرناندو كامون

ادباء راحلون :

ايطالو كالفينو (روائى مات عام ١٩٨٦) ـ الاديبة السامورانته صاحبة رواية . "تاريخ" (١٩٨٥)

سمات بارزة :

ظهور اجيال كثيرة من الادباء الجدد ـ سيادة الادباء الشيوخ ـ منح جائزة مونديللو لادباء كبار مثل السامورانته ـ ازدهار ادب الاطفال والترجمة من الآداب الاخرى


بيتر هاندكه


هاينريش بُل

المانيا والنمسا :

اسماء بارزة :

بيتر هاندكه ـ بيتر شنايدر ـ مارتن فاسلر ـ هانز فرتزريختر ، اليزابيث ملسن (وجميعهم روائيون ومسرحيون)

ادباء راحلون :

المسرحي بيتر فايس (١٩٨٢) ـ الروائية انا سيجرز (١٩٨٣) الروائي هاينريش بل (١٩٨٧) ـ الروائي توماس برنارد (١٩٨٩)

سمات بارزة :

رحيل ابرز ادباء اللغة الالمانية ـ تعدد الانشطة ، للعديد من الادباء ـ منح جائزة بوخنر لادباء اقل شهرة ـ جونترجراس لم يتوقف عن العطاء

يوغسلافيا :

اسماء بارزة :

الروائي بوزين بافلوفسكى ـ الاديبة فول فونشو .


جـون لوكاريه


دانيلو كيش

ادباء راحلون

دانيلوكيش (١٩٨٩)

سمات بارزة :

ازدهار الادب المقدونى ـ الاهتمام بالتراث الاسلامى فى الادب المقدونى ، ترجمة الكثير من مؤلفات الشباب الى اللغات الادبية .

اسبانيا

اسماء بارزة :

خوان جويتسولو ، روائى ومستشرق ، كاميلو خوسيه ثيلا (حائز على جائزة نوبل) خورخه سمبرون (روائى اصبح وزيرا) ـ الروائى ادوارد مندوسا .

ادباء راحلون :

بسنت اليخاندره ، الشاعر الذى فاز بجائزة نوبل عام ١٩٧٧ مات عام (١٩٨٤) ـ خورخه جهين (شاعر مات ١٩٨٤)

سمات بارزة :

فوز اسبانيا بجائزة نوبل للمرة الخامسة ـ الاهتمام بالاندلسيات ـ تعيين




خورخه سمبرون   خورخه لويس

الاديب سمبرون وزيرا للثقافة ـ احتواء الكتاب الهاربين من امريكا اللاتينية ـ ذيوع التيار التجريبى فى الرواية والشعر والمسرح .

امريكا اللاتينية

اسماء بارزة :

خوسيه ليما ـ الروائى ارنستوساباتو ـ ماريفارجاس يوسا (رشح نفسه لرئاسة الجمهورية) ـ جابرييل جارثيا ماركيز ـ ايزابيل الليندى (روائية من شيلى) .

ادباء راحلون :

خوليو كورتثار (١٩٨٥) ـ اليهو كاربنتير (١٩٨٦) ـ خورخه لويس بورخيس (١٩٨٧)

سمات بارزة :

فوز ماركيز بجائزة نوبل ـ الاهتمام بادب امريكا اللاتينية على الصعيد العالمى ـ هجرة الادباء المضطهدين سياسيا الى اوروبا والولايات المتحدة .




مارى فارجاس يوسا   سيشو ماتسوموتو

اليابان

اسماء بارزة :

الروائيون جونشريو تانيزاكى ، شوشى ايمورا ، سيشوماتسوموتو (يكتب روايات بوليسية)

ادباء راحلون :

نيسان ديشمار (اديب رحل عام ١٩٨٢)

سمات بارزة :

سيادة الشيوخ فى عالم الادب ـ انحسار ابداع الشباب ـ محاولة صناعة نموذج ادبى غربى خاصة فى ثقافة الطفل ـ الترجمة عن الآداب الاخرى اكثر من ذى قبل .

الصين :

اسماء بارزة :

باكين (المرشح دوما لجائزة نوبل) ، الكاتبة سن جوشى ـ الروائى الشاب دنج لنج ـ الروائية المعروفة هان سوين .


باكين


اندريه سينيافسكى


الكسندر زينوفيف


إيميه سيزار

سمات بارزة :

الاهتمام بأدباء الاقاليم الصينية ـ محاولة التركيز على ادب الشباب بصفته معبرا عن مرحلة ما بعد الثورة الثقافية ـ انتظام صدور مجلة بالادب الصينى بلغات عديدة كمحاولة للتعريف بالادب الحديث فى الصين .

الاتحاد السوفيتى

اسماء بارزة :

اندرية سينافسكى ـ ڤاسيلى جروسمان ـ ڤلادمير بوكوفسكى ـ جيورجى سيمنوف ـ (جميعهم من الروائيين المنشقين) جنكيز ايتماتوف صاحب رواية "جميلة" .

ادباء راحلون :

ميخائيل شولوخوف (حاز على جائزة نوبل عام ١٩٥٦ مات عام ١٩٨٤)

سمات بارزة :

نشر رواية " اطفال الاربات " لريباكوف ـ عصر البيروستريكا فى الادب ـ السماح بنشر روايات المنشقين ـ الاحتفال بالذكرى المئوية لميلاد الشاعرة انا اخماتوفا

افريقيا :

ابرز الاسماء :

وول سوينكا ـ شينو اشيبا ـ الاديبة نادين جورديمر ـ سيتجور ، الروائى اندريه برينك من جنوب افريقيا ـ الشاعر والمسرحى ايميه سيزار .

سمات بارزة :

ازدهار ادب البيض المناهضين للتفرقة العنصرية ـ حصول افريقيا على جائزة نوبل عام ١٩٨٧ ـ ازدهار الفرانكفونية فى الادب والسينما ـ محاولة البعض كتابة الابداع باللغات المحلية

الشاكون

شعر: محيي الدين عطية



لماذا يظل المريض قرونا يعانى صنوف الضنا والرهق ؟
وهل علة الداء فى فقره ؟ فما بال آباره تتدفق ؟
أشكواه من ندرة فى الرجال وأبناؤه يحجبون الشفق ؟
أم الداء من قلة فى السلاح وشاكيه يوشك أن ينطلق ؟
وهل يدعى أنه ضائع ؟ بلا مذهب صالح يعتنق ؟
وكيف وفى راحتيه كتاب ، به جاوز السابقون الأفق ؟

★ ★ ★

لعمرك إن البلاء بعقل تناسب حتى انغلق
فمازال يبكى على أمسه ، ويصنع أحلامه من ورق
ومازال يتهم الآخرين بقنص العيون وسلب الحدق
فهذا يكيد له فى المساء وذاك يباغته فى الغسق
كأن بصيرته أظلمت ، وأن النهار لديه احترق
ومازال يرجع أسبابه ، لكل الخرافات حتى اختنق
ومازال يعبد أصنامه ، وقد صاغها درهما من ورق
فلما تمكن من بعضها ، تبعثر بين الهوى والنزق
فذاك العليل الذى نرتجى ، شفاء لأدوائه لو صدق



انتصار السينما الامريكية

وانديانا جونز بطل الثمانينيات

عشرة أعوام فى عمر اى فن ، فيما عدا فن السينما ، ان هى الا طرفة عين . اما بالنسبة لفن لم يمض على ميلاده سوى مائة عام الا قليلا ، فتلك الاعوام العشرة لها ولاشك تاثير كبير على مساره ان بالسلب او الإيجاب .

وعلى كل فاول ما يلفت النظر فى سينما الثمانينات التى ذهبت ايامها كالحلم قبل ساعات هى السينما الامريكية باعتبارها الاغنى والاقوى والمتجددة دائما وابدا مثل العنقاء طائر الاساطير

● فتلك السينما . وعلى نقيض السينما فى جميع انحاء العالم ، استطاعت ان تتغلب على جميع الصعاب كالفيديو والإرسال التليفزيونى بواسطة الأقمار الصناعية وما إلى ذلك من وسائل الاتصال وثورة المعلومات .

فهذا بإنتاج الأفلام يرتفع الى عدد يناهز الخمسمائة فيلم سنويا . واذا المبيع من التذاكر يصل الى الف مليون او يزيد واذا بدخل الشباك السنوى يتجاوز فى كثير من الاحيان الاربعة بلايين دولار .

والفضل فى كل ذلك انما يرجع الى عوامل كثيرة لعل اهمها اولا : انحسار الرقابة بحيث اصبح دورها منحصرا فى حماية الصغار .

ثانيا : تجميع الشركات المنتجة والموزعة فى اتحادات ضخمة تتبع احتكارات مهولة . حتى تستطيع تمويل الأفلام التى ارتفع متوسط تكلفتها الى خمسة عشر مليون دولار للفيلم الواحد .

ولعل خير مثلين على ذلك هما تجميع شركة بارامونت ومترو جلدوين ماير والفنانين المتحدين ويونيفرسال تحت راية اتحاد مشترك .

وصفقتا دمج شركتى وارنر اخوان وكولومبيا الاولى فى مؤسسة تايم الصحفية والثانية فى شركة سونى اليابانية . وذلك قبل انتهاء الثمانينات بايام .

ثالثا : تغيير قيادات تلك الشركات بلا هوادة ولارحمة ، وذلك فيما لو لم يكتب اى نجاح جماهيرى لواحد من افلامها التى تدخل فى تعداد الانتاج الضخم .

واكاد اعتقد فى هذا الخصوص. ان البلاء العظيم الذى اصاب شركة الفنانين المتحدين ، فأدى الى تصفيتها ودمجها فى الاتحاد الذى يضم بارامونت ومترو ويونيفرسال فضلا عن فصل جميع كبار العاملين فيها . هذا البلاء انما يرجع فشل فيلم "بوابة النعيم" (١٩٨١) لصاحبه "مايكل سيمينو" مخرج "صائد الغزلان" الحاصل على عدة جوائز اوسكار من بينها جائزتا احسن فيلم واخراج ذلك الفشل

الذى ادى الى اصابة الشركة بخسائر تعدت الاربعين مليون دولار .

ومن اسباب نجاح السينما الامريكية ، المخرجان المنتجان "جورج لوكاس" و"ستيفين سبيلبرج" مبدعا افلام الخيال العلمى وانديانا جونز عالم الآثار الامريكى الذى يركب المخاطر لا لشيء سوى ان روح الاكتشاف والمغامرة تجرى فى دمائه وان قدره المقدور هيأه لانقاذ الانسانية جمعاء من براثن الاشرار .

● انديانا ريجان

ولعلى لست بعيداً عن الصواب اذا ما جنحت إلى القول بان بطل مصنع الاحلام فى هوليوود ابان عقد الثمانينات هو بلا منازع انديانا جونز ـ وليس العميل الانجليزى جيمس بوند او الملاكم روكى او المحارب رامبو .

واكاد اقطع ان جيل هذا العقد هو جيل انديانا جونز او بمعنى اصح "انديانا ريجان" .

وليس محض صدفة ان ينتهى العقد بجدران مدن الولايات المتحدة واوروبا واستراليا واليابان مغطاة بملصقات آخر افلام ذلك البطل المغوار "انديانا جونز والحملة الصليبية الاخيرة" . وان يكون هذا الفيلم واحدا من انجح افلام الايام الاخيرة من العام .

وقد يكون من المفيد هنا ان اشير الى كوكبة من المخرجين الشبان الواعدين استطاعت بما ابدعت من افلام خارجة عن المالوف فى السينما الامريكية ان تشكل موجة جديدة قد تدفع تلك السينما الى امام .

ولعل اهم مخرجيها هم "جيم جارمش" صاحب "اغرب من الفردوس" و "سبايك لى" المخرج الاسود صاحب "افعل



انديانا جونز .. نموذج الثمانينات خلف ابيه ـ جيمس بوند القديم نموذج الستينات

الصح" و "ستيفن سبيلبرج" المخرج الذى ليس له من العمر سوى ستة وعشرين ربيعا ، ومع ذلك ابدع رائعة مهرجان كان الاخير "جنس واكاذيب" و"شريط فيديو" تلك الرائعة الفائزة بالسعفة الذهبية (١٩٨٩) والتى تعد واحدة من اروع الاعمال السينمائية ابان الثمانينات واكثرها ابهارا .

ومن المفارقات التى تلفت النظر ان يكون الفيلم الوحيد الذى يعرض للثورة الصينية باسلوب فنى رفيع "الامبراطور الاخير" انجليزى الجنسية من إبداع

مخرج ايطالى "برناردو برتولوتس" صاحب التانجو الاخير فى باريس .

● القربان الاخير

ومن المفارقات الأخرى أولا : ان تبدأ السينما فى شبه القارة الهندية فى التدهور .

هذا فى نفس الوقت الذى تنهض فيه السينما فى اصغر القارات الستة ، استراليا .

ثانيا : ان يجد اشهر مخرجى اليابان واعظمهم قدرا "اكيرا كورا ساوا" نفسه مضطرا الى طلب العون من شركة "كوبولا" المخرج الامريكى صاحب "الاب الروحى" وذلك حتى يمكنه اخراج الفيلم الذى يتمنى "كاجوموشا" .

ثالثا : ان ينحصر الاشعاع السينمائى فى اوروبا الغربية حتى ينحصر فى اسبانيا وذلك بفضل عودة الديمقراطية اليها بعد اختفاء فرانكو ، فضلا عن ظهور كوكبة من السينمائيين الموهوبين لعل اشهرهم الآن "بدرو المودوفار" صاحب فيلم "نساء على شفا الانهيار العصبى" (١٩٨٨) .

رابعا : ان تفوز السينما الدينماركية المغمورة باوسكار احسن فيلم اجنبى مرتين .

الاولى عام ١٩٨٨ بفضل "وليمة بابيت" للمخرج "جبرائيل الكس" .

والثانية فى العام التالى مباشرة وبتتويج "الفازى بيلى" للمخرج "بليه اوجوست" بتلك الجائزة المشتهاة .

خامسا : أن يترك اهم مخرج سوفييتى اندريه تاركوفسكى وطنه مهاجرا الى ارض السويد حيث اخرج آخر رائعة له "القربان" ثم اسلم الروح صريع داء السرطان .



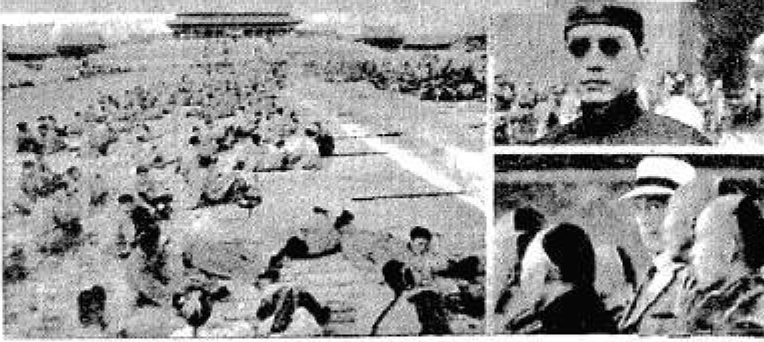
جنس واكاذيب .. على شريط فيديو ..



جيمس سبيدر حاز على جائزة احسن ممثل فى مهرجان كان عن فيلم « جنس واكاذيب »



اندى ماكدويل .. امراة تنتابها الرغبة فى « جنس واكاذيب ..... »



الامبراطور الاخير .. الفيلم انجليزى ، والمخرج ايطالى ، والثورة صينية

فاذا ما انتقلنا الى الوطن العربى لوجدنا انفسنا امام صورة قاتمة قد تنحدر بنا الى منزلة بغيضة من اليأس .

فدور العرض تختفى شيئا فشيئا ، حتى وصل الامر ببلد غنى كالكويت ان يصبح بلا دار واحدة .

ونقاد السينما عندنا منشغلون بالشجار والخلاف وتبادل الاتهامات على صفحات الجرائد والمجلات والنشرات . ومع ذلك فثمة نقطتان مضيئتان .

اولاهما "عرس الجليل" ذلك الفيلم الفلسطينى الذى افجأ مخرجه "ميشيل خليفى" العالم بروعته الاخاذة .

وكان اول فيلم عربى يتوج بجائزة النقاد فى مهرجان كان قبل عامين فضلا عن الجائزة الكبرى فى كل من مهرجان مونتريال وسان سيبستيان

اما النقطة المضيئة الآخرى فهى تخصيص مجلة الهلال ذات الجلال بابا شهريا للفن السابع وهو امر غير مسبوق فى عمرها الطويل السابق على الثمانينات .

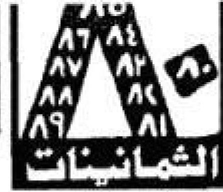
بعد هذا العرض لخلاصة الاحداث السينمائية موجزة يبقى ان اقول ان ثمة حدثا هاما مرّ حتى على المهتمين بالسينما ، مرّ الكرام ، مع انه قد يكون له على مستقبل الفن السابع تاثير كبير .. فما هو؟

انه "اكتب على الاثير" اول فيلم ينتج بطريقة آى ماكس (اختصار لكلمتى العين بأقصى حد لها فى اللغة الانجليزية) .

فلقد عرض بمناسبة الاحتفالات بالثورة الفرنسية فى حضور رئيس جمهورية فرنسا بدار "جيود" بمدينة العلوم والصناعة فى باريس .

ولااظن اننى مسرف اذا ما قلت ان هذا الفيلم الروائى الاول الذى يتيح للمتفرج ان يرى ما يعرض امامه وكأنه وسط المشهد يعيش : هو بداية عهد جديد .

م ٠ م



عقد خيبة أمل الدول النامية

بقلم: د. عصام الدين جلال

اختارت الدول النامية التعاون الدولى فى التنمية العلمية والتكنولوجية كاحد اهدافها الرئيسية منذ منتصف السبعينات إلى جانب أهدافها الاقتصادية الأخرى مثل النظام الاقتصادى العالمى الجديد وتحقيق العدالة فى نصيبها فى التجارة والاستثمار الدولى.

● ابتدأت الجهود الرسمية للدول النامية عام ١٩٧٤ باقتراح ميثاق دولى لنقل التكنولوجيا من الدول المتقدمة الى الدول النامية . وهدف هذا الميثاق هو تقنين هذه القناة الحيوية للتنمية بقصد ايجاد درجة من التوازن العادل بين المصدر والمستورد ، وتحقيق رقابة على جدية وفاعلية عملية النقل وخدمتها لقدرات الدول المستوردة وامكانيتها وترشيد استنزاف مواردها وضمان حصول كل طرف على عائد عادل لاسهامه . وكان لى الحظ ان أبقى المتحدث الوحيد باسم الدول النامية الذى استمر فى تمثيلها فى هذه المفاوضات حتى انقطاعها بعد اثنتى عشرة سنة .

والحقيقة ان الدول الغربية لم تكن تريد فى أى وقت اجراء اى حوار او قبول اى تنظيم لهذا الاحتكار او العائد الاقتصادى والسياسى الوفير . ولكنها تحت ضغوط سياسية متصلة قبلت فى عام ١٩٧٥ ان تبدأ مفاوضات ليس بقصد توقيع اتفاق دولى كما طالبت الدول النامية ولكن بقصد وضع ميثاق اختيارى غير ملزم تسترشد به الاطراف عندما تريد . ورغم هذا التنازل الضخم الذى قدمته الدول النامية ورضوخها لإصرار الدول الصناعية فان التلاعب والمماطلة والمكابرة صبغت موقف الدول الصناعية فى كل مرحلة من مراحل التفاوض .

وكان الموضوع الوحيد الذى أمكن إنهاء التفاوض عليه والذى يتعلق بالحق السيادى للدول النامية فى تقنين قواعد ونظم التعامل مع التكنولوجيا داخل حدودها والذى كان لى الشرف بالتفاوض عليه باسم الدول النامية نتيجة لما افلحنا فيه من احداث انشقاق فى صفوف ممثلى الدول الصناعية انعكاسا لعدم انسجام مصالحها بما اسقط فى يدها فى فجر اليوم النهائى لدورة المفاوضات التى استمرت ثلاثة اسابيع .

وفى عام ١٩٨٧ تحجر موقف الدول الصناعية وعلى رأسها الولايات المتحدة بالعزوف عن الرغبة فى استكمال المفاوضات بحكم اصرارها على شروط

قاسية فى مقدمتها أن تستثنى من قواعد الميثاق فروع الشركات المتعددة الجنسية داخل الدول النامية وهى القناة الرئيسية لنقل التكنولوجيا ، وعدم خضوع النزاع بين الاطراف حتى الذى يتم داخل الدول النامية لقوانينها او قضائها وابدية السرية لما ينقل بما يمنع استيعابه او انتشاره داخل الدول المستوردة وبعد عناء وتكاليف وجهود مضنية أمكن خلالها انهاء صياغة ابواب الميثاق الثمانية فيما عدا ما يتعلق بتلك الشروط التى رفضت بمقتضاها الدول الصناعية ومازالت ترفض العودة للتفاوض واستمرأت استمرار الانفراد بالاطراف الضعيفة والمفتقرة الى الحسرة من دول ومصانع الدول النامية . ورغم أن بعض الدول النامية التى تملك القدرة حاولت تنظيم هذه الناحية بتشريعاتها الخاصة فان كثيرا من هذه الدول ومنها مصر لم تبادر الى سد هذا الفراغ بما يلحق اضرارا كثيرة لها .

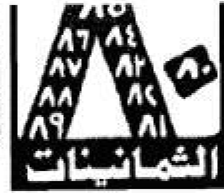
● برنامج التعاون العلمى

وكانت المحاولة الثانية هى الدعوة الى مؤتمر فيينا عام ١٩٧٩ لوضع برنامج للتعاون العلمى العالمى والذى ينتهى باعتماد دولى لبرنامج فيينا المشهور . ومرة اخرى كان لى شرف المشاركة فى مولد ورعاية هذا المولود منذ منشئه حتى رأستى للجنة الاستشارية للامم المتحدة المسئولة عن تنفيذ هذا البرنامج حتى عام ١٩٨٨

ومرة اخرى لم تقدم الدول الصناعية اى دليل على حسن النية او الرغبة الصادقة فى التعاون المجدى على المستوى الدولى فمنذ البداية رفضت كبراها بزعامة الولايات المتحدة دفع النصيب المتفق عليه من صندوق تمويل البرنامج ورغم استمرار المحاولات والنداءات اخطرت الدول النامية لقبول تصفية هذا الصندوق والاعتماد على برنامج التنمية للأمم المتحدة لمنح فتات لايغنى ولا يشبع ومرة اخرى لم تظهر الدول الصناعية اية رغبة هذا العام عند اعادة مراجعة وتقييم البرنامج لقبول اى التزام او ارتباط فى إحياء آمال ومتطلبات الدول النامية والتى أصبحت أشد إلحاحا وضرورة بعد اشتداد الازمة الاقتصادية وتصاعد المديونية .

وفى ديسمبر الحالى القاعد بعد جهود وبذل وعناء عشرين عاما والاسى يعصر قلبى أن حصيلة الدول النامية لم تتجاوز الآمال والرجاء . وكثير منها تدهور حاله وتقلصت قدراته وموارده عن تلك التى ابتدأنا بها فى اول هذا العقد بقصد تنميتها .

وفى خطاب الوداع لممثلى هذه الدول انتهيت إلى وصيتين انه بالرغم من كل المرارة وخيبة الأمل لابد من الإصرار على الاستمرار فى المحاولة والمفاوضة من موقف الوحدة والتماسك ، وانه لايعطى من العلم والتكنولوجيا إلا من معه . ولايزود بالمعلومات إلا من يعرف وأن تزاد قدرات الا من نما قدراته اولا . بجهوده وسياسته وخططه .



التقدم على حساب

• مطلوب تحويل العلوم إلى وسائل تغيير

بقلم: محمد فتحي

على الرغم من ان وحدة المعارف باتت مسلمة من مسلمات العصر يكشف التطور الذى يعيشه عالمنا أرتخاء متزايدا فى قبضة الفلسفات والايديولوجيات على تطوره ، وذلك فى مقابل احكام متزايد لما تمليه انجازات التقدم العلمى ومتطلباتها .. لقد صارت الانجازات العلمية تحدد نمط الانتاج وتحرك الممارسة السياسية ونوع الاعمال التى يمارسها الناس ونوع الثياب التى يلبسون ، والبيوت التى يسكنون ، بل وعدد ماينجبون من اطفال وطبيعة ما يرتكبون من جرائم .

ولم يعد يكفى للمتخلفين ، حتى يسايروا التطور العالمى ، مجرد استيعاب المعارف الجديدة أو امتلاك الادوات العلمية (كالكمبيوتر مثلا) ، ذلك ان القول الفصل بات يكمن فى تحويل المعارف والانجازات العلمية الجديدة الى أدوات تغيير .. وهذا هو المأزق الذى يطرق عقد التسعينات على العالم بشكل عام وعلينا بوجه خاص ..

● صباح احد ايام عام ١٩٨٠ فوجئت بالهاتف يدق فى منزلى الموسكوفى ، وكانت المرة الاولى التى يستدعينى فيها عملى على عجل .. طرقت باب زميلى العربى الذى يسكن نفس المنزل ، وكان « يتللن » لام زوجته حتى تأتى وتبقى مع اطفاله الصغار ، حيث كان الاستدعاء يشمله هو الاخر .. وأنا انتظره رحت أستقرىء الوقائع بصدد موضوع الاستدعاء ، وتراوحت عشرات الخواطر التى راودتنى بين قطبين .. كان الاتحاد السوفييتى مشغولا بالانشطة الفضائية ، وكان يحقق .



محطة الاقمار الصناعية بحلوان

الفقــــراء

انجازا وراء انجاز ، وكنت أعرف أن محطة مدارية جديدة تستعد لضرب أرقام قياسية فى الفضاء .. فهل وقع حادث فضــــائى جلل يتطلب المساهمة بجهد فى تغطيته اعلاميا ، كانت الشعلة الاولمبية قد اطفئت .. فهل هناك اجراء بصدد الانتقال الى مقر عملنا الجديد ، الذى كان يشغله حتى ايام المقر الصــــحفى للدورة الاولمبية ؟

بين هذين القطبين المهنى والعـام راودتنى عشرات الافكــار ، وكانت جميعا تبعث على السعادة .. سعادة أن تزف حادثا جللا للناس أو أن تخبر ممارسة العمل الصحفى (فى المقر الجديد) مسلما بأخر الانجازات التقنية للعصر ، التى كنت التمس حتى اللحظة على الاستمتاع بثمارها من خلال متابعة الاحداث الرياضـيــة الكبيرة ، وأينما وقعت ، فى التو واللحظة ، على شاشة التلفاز ..

وحين وصلنا الى العمـل كانت المفاجأة المحبطة أن المطلوب هو اخذ بعض القياسات لرءوسنا وأجسامنا فى اطار عملية لاعداد ملابس واقية من الحرب الذرية !!

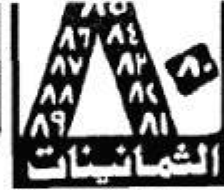
على هذا النحو كان مبلغ التوتر الدولى ، وكان الحديث يتكاثر حول امكان قيام حرب نووية محدودة .. كانت الولايات المتحدة قــد طوت الصفحات الاخيرة فى كتاب كارتر ، لتبدأ كتاب ريجان الملىء بالتهديد ، والوعيد فى حق امبراطورية الشر أو

الشيطان وربما كانت افكاره حول مبادرته الدفاعية (حرب النجوم) أخذة فى الاختمار ..

تذكرت هذه الصورة التى تنتمى الى بداية الثمانينات حين كلفتنى مجلة « الهلال » بالمشاركة فى حصـادها للثمانينات ، ورحت اقرنها بالصورة التى تصنعها أوراق عملى هذه الايام فالمسافة بين الصورتين توضح بشكل من الاشكال هذا الحصاد .

● الدنيا فى سريرك

وفى مقابل الامكانات الخيالية لنقل المباريات الرياضية عن طريق الاقمار الصناعية ظهرت الامكانات الخيالية لتلقى الانسان فى أرجاء مختلفــة من العالم ــ أخذة فى الاتســاع ــ الارسال التليفزيونى العادى للدول الاخرى مباشرة عن طــريق الاقمار



الصناعية وهكذا تحول العالم كما اكد ماكلوهان قبل سنوات الى قرية اعلامية اتصالية حقيقية ..

وفى مقابل الاعتماد على الكمبيوتر فى تسيير العمل داخل وكالة صحفية بما يعنيه ذلك من كتابته المواد ونقلها والاستعانة بخدمات الارشيف و .. (الناتج هو مادة مجموعة منسقة جاهزة على الطبع) بات بالامكان فعل ذلك فى كثير من البلدان ، من داخل البيت ومن موقع الحدث .. بل وصار ممكنا مع اتصال البيوت بشبكات الكمبيوتر عن طريق هواتف جديدة تتعامل بلغة الكمبيوتر ، صار بالامكان القيام من البيت بانشطة كثيرة اوسع بما لا يقاس مثل العلاج والشراء والتعلم ، بل والغزل والبحث عن شريك العمر .. ونكرر ان كل ذلك يتم اعتمادا على الهاتف المنزلى وحده !!

وفى مقابل استعانة زميل بأم زوجته للجلوس مع الاطفال بتنا نقرأ هذه الايام عن حموات وضعن ارحامهن تحت طلب بناتهن حتى يخففن عليهن اعباء الحمل والولادة وحتى لا ينقطعن عن اعمالهن .. وليس هذا الفعل الغريب الا « بروفيلا » واحدا من عشرات « البروفيلات » التى اتاحتها الانجازات المذهلة فى مجال علوم الحياة ، دع عنك الحديث عن علوم الهندسة الوراثية (!) .

● عالم واحد

وفى مقابل الحرب النووية ومبادرة الدفاع الاستراتيجى (حرب النجوم) بات الحديث الاساسى هذه الايام يدور حول انفراج العلاقات وتدمير الاسلحة وتبادل زيادة كل طرف لاكثر مشروعات الطرف الاخر سرية وفى مقابل الرحلات التى يقوم بها سكان الارض الى الفضاء القريب منهم تزداد الاحاديث عن مهام اضخم فى فهم كنه هؤلاء الذين يحطون من عوالم وحضارات اخرى بعيدة بمركباتهم الفضائية على كوكبنا اتين من عوالم وحضارات اخرى بعيدة جدا ، لابد وانها اكثر تقدما بما لا يقاس احتكاما الى قدراتنا التى لا تمكنا حتى من فهم من اين اتى هؤلاء او الوسائل التى يتعاملون بها معنا !!

عشر سنوات فقط .. لكن يالهول ما حدث فيها من تغيرات !!

وان كان الهول نابعا من مسافة « التقدم » التى تم انجازها فى هذا او ذاك من المجالات او فيها كلها او بعضها متشابكة فان الوجه الاخر للهول يكمن فيما ينطوى عليه هذا « التقدم » من تناقضات صارخة .. ان مجمل التطورات التى تاكدت خلال العقد الماضى مثل تحول العالم الى قرية اتصالية ، وسقوط الحدود بين الدول (مع الخروج الى الفضاء) بل ومن خلال التاثيرات السلبية مثل تحول معنى الحرب الى دمار للكل (مع الاسلحة النووية والصواريخ) وتهديد التغييرات البيئية للكل (كما فى تآكل طبقة الاوزون وارتفاع درجة حرارة الكوكب وما يستتبعه من ذوبان للجليد وغرق لليابسة) ، و .. وحتى الوصول الى مواجهة عالمنا لعوالم وحضارات اخرى ..

ان مجمل هذه التطورات يعزز صورة العالم الواحد الذى يواجه مصيرا مشتركا الامر الذى يتناقض مع عدم سريان هذه التطورات بصورة متجانسة فى اوصاله بل وفى دفعها الى زيادة الاستقطاب (لا الى زوال الفروق) ، بين الاغنياء والفقراء

او المتقدمين والمتخلفين (لم يعد لتسمية العالم الثالث او النامي معنى) ذلك انه يدفع بالمتقدمين الى التعامل والحركة بسرعة الضوء حقيقة لا مجازا ، بينما يضع الحواجز في طريق الفقراء ، الذين لا تتجاوز القدرات التي يتعاملون بها ، في أحسن الاحوال ، الحصان الميكانيكي !

وينبغي التأكيدهنا على أن طبيعة الانجازات العلمية الحديثة ، على حيادها في حد ذاتها ، تساعد الاغنياء المتقدمين في تكريس هذا الاستقطاب . ذلك يحدث أما لعدم ادراك الفقراء أو قصورهم في فهم هذه المستحدثات أو عجزهمعن ادارتها لصالحهم أو.. ويحسن هنا التطرق الى بعض الامثلة التطبيقية ..

ان خمس دقائق من التصوير الفضائي اليوم تتيح من المعلومات ما تستغرق الطائرات في جمعه في عامين كاملين ، وما لا يتيسر للبعثات المساحية الا فيما يقرب من ثمانين عاما .. والمعلومات الفضائية ليست ضربا من الترف او الخيال ، فهي تخص مجالات هامة تمس مختلف جوانب حياة الانسان ، من حالة طقس وترية الى بحث عن ثروات طبيعية ، ومعلومات تساعد في مقاومة الامراض (الملاريا مثلا) والمهم أن الفقراء والمتخلفين اكثر من غيرهم افتقارا - وحاجة في نفس الوقت - الى مثل هذه المعلومات ، والحصول عليها بالطرق التقليدية اجراء بطيء وباهظ التكاليف ، تعوقه كثيرا ظروف التخلف والفقر وضعف البنى الاساسية ، ونقص الكوادر الفنية ، .. و..

وعدم استيعاب الفقراء لذلك او عدم وعيهم بأن تكاليف الحصول على المعلومات من هذه الصور الفضائية صارت اهون بما لا يقاس مقارنة بالطرق الاخرى ، يجعل علاقتهم - الفقراء - بمعارف الفضاء في غاية الشذوذ .. اذ لا يستفيدون اقل استفادة منها رغم انكشاف ادق خصوصياتهم لكل القوى التي تحاول تكريس حالة الاستقطاب دون استيعاب لمتغيرات العصر ..

وحتى حين يعي الفقراء بعض المتغيرات التقنية ويحاولون الاستفادة منها يجدون أنفسهم يدورون في اطار استراتيجية الاغنياء فاذا اخذنا مجال الكمبيوتر والمعلومات على سبيل المثال لوجدنا البلدان الفقيرة تعلم وتدرب قطاعا من مواطنيها ليتسرب نوابغ المتعلمين والمتدربين الى العمل في اطار مشروعات الاغنياء وحين يفتقر الفقراء الى الموارد يقدم لهم الاغنياء المعونات التي تركز على ما يحتاجونه هم لاعلى ما يحتاجه الفقراء ، الذين يوقعهم الاعتماد على الخبرات الاجنبية الى جوار الموارد الاجنبية بين سندان عدم استيعاب الاجانب لظروفهم الخاصة ومطرقة المآرب الخاصة التي تحركهم وهكذا يجدون انفسهم بين خيارين .. اما التخلي عن هذه التقنيات وتكريس التخلف ، أو التعرض - دون وجود ضوابط في تأمين المعلومات الخاصة بهم - لاستنزاف معارف حيوية تخصهم ، وربما دون دراية منهم ، فيزداد انكشافهم امام الاغنياء ..

وقد تتم مثل هذ الامور كتحصيل



حاصل دون شبهة « جنائية » لكنها تجرى فى بعض الحالات مع سبق الاصرار والترصد ولا بأس ان يكون مثالنا هنا التكنولوجيا الحيوية ، التي تزيد الكيماويات بنشاط من عالمنا ، التى يمكن أن تشكل مخرجا ناجما لمواجهة المجاعات التي تجتاح البلدان الفقيرة .. ذلك ان كثيرا من الشركات العاملة فى هذا المجال تسعى الى الكسب الباهظ ، على نحو لو اخذ مداه ، لتحول الى كارثة للفقراء الذين تشترى (تسرق) الشركات ثرواتهم المتمثلة فى القاعدة الوراثية لعالمهم النباتى والحيوانى بابخث الاثمان ، وربما دون اية دراية منهم ثم تعود وتبيعهم نتاج معالجة هذه الثروة الحيوية (على شكل بذور وسلالات محسنة) بابهظ الأثمان اعتمادا على البراءات التى سجلتها لهذا النتاج ..

هذا وقد ضربت الانجازات التقنية الحديثة كثيرا من العوامل التقليدية التى كان وجود الفقراء يعتمد عليها ذلك أن التوسع فى الاعتماد على الروبوت (الانسان الآلى) ساعد على انتاج كثير من السلع الارخص تكلفة والاكثر جودة مما قضى على « ميزة » الايدى العاملة الرخيصة ، كما ساهم وجود مواد جديدة فى الحط من قدر المواد التقليدية التى كانت فى خاماتها تقيم أود الفقراء ..

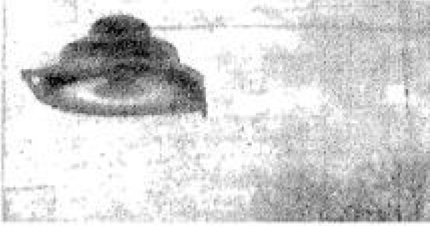
على هذا النحو راحت الانجازات العلمية التقنية الحديثة تغير من صورة العالم خلال الثمانينات .. وقياسا الى الموقع الذى نطل منه على هذه الصورة لابد وأن نرى فى مقدمتها الرهق الذى يتعرض له الفقراء فالانجازات التقنية تضعهم فى مأزق لا يحسدون عليه ولابد أن يلفت نظرنا بين رهق المتخلفين نصيبنا نحن العرب من هذا الرهق ، ذلك ان اسرائيل استطاعت بارتباطها المصيرى مع الولايات المتحدة أن تكون فى الخط الاول من التطور العلمى ممتلكة أحدث الادوات العلمية والتقنية المؤثرة من الذرة الى تقنيات الفضاء مرورا بتقنيات الكمبيوتر والليزر والهندسة الوراثية ..

لقد حذرنا على صفحات « الهلال » فى منتصف الثمانينات من مشاركة اسرائيل فى برنامج حرب الفضاء ، ويمكن ان يكشف وتيرة الخطر الذى يداهم العرب أن نفس العقد من السنين لم ينطو الا واسرائيل تمتلك الى جوار صواريخها وأسلحتها النووية مخططات واضحة لانتاج صواريخ بعيدة المدى ، ولاطلاق اقمار صناعية للاتصالات الى جوار اقمار التجسس التى باتت اطلاقها بالفعل .. ذلك بينما شهد العرب خلال الثمانينات سنوات عجاف لم تلح بوادر الافاقة منها فى الشهور الاخيرة .. فهل يمكن ان يحمل العقد القادم صورة أكثر اشراقا فيما يخصهم .. ؟

اننا لا نملك هنا الا التأكيد على أن الانجازات العلمية والتقنية انجازات محايدة فى حد ذاتها .. لكن توظيفها فى خدمة هذا التجمع البشرى او ذاك ـ بما فى ذلك الفقراء والعرب ـ رهن بارادة تبدع ، من خلال الوعى بما يحيط بها ، ما يحول المعارف والانجازات العلمية الجديدة الى ادوات للتقدم ·

العالم غدا

هذه بعض الانجازات العلمية التى تمت فى الثمانينات



حقيقة العوالم الأخرى

طوال الثمانينات تواترت الانباء عن مشاهدات لاطباق طائرة تحلق هنا أو هناك من المناطق التى تشهد انشطة غير عادية ·· الخليج العربي ابان حرب الخليج ، ومدينة سفردلوفسك السوفييتية حيث توجد انشطة فضائية وصناعية مكثفة ·

لكن نهاية الثمانينات شهدت اول حادث موثق فى هذا الصدد ، ففى يوم ٢٧ سبتمبر الماضى هبطت فى منتزه بمدينة فورونيج السوفيتية مركبة فضائية غامضة ، وبعد جولة سريعة قام بها من كانوا على متنها فى المنطقة عاودت السفينة تحليقها · وخلفت وراءها حفرة عمقها ٢٠ مترا ·· واعلن علماء فى الفلك والحياة والطبيعة زاروا المنطقة بعد ذلك ، أن الظواهر العلمية المتخلفة فى المنطقة تؤكد كلها على هبوط جسم لا يقل وزنه بحال عن ١١ طنا !

والمعروف أنه كانت قد شكلت فى الاتحاد السوفييتى اخيرا لجنة لتقصى الحقائق حول قضية الاجسام الطائرة المجهولة وانتخب رئيسا لها فلاديمير عجاجة وهو حاصل على درجة الدكتوراه فى فلسفة العلوم التقنية ، ومعروف بحماسه الشديد لهذه القضية ، وانتخب نائبا له الملاح الكونى بافل بوبوفيتش ·· وقد صرح رئيس اللجنة أن أولى مهامها سيكون صياغة نظام للحصول على المعلومات بخصوص هذه الظواهر توطئة لمعالجتها وحفظها ، بحيث يصبح ممكنا لكل الراغبين الاستعانة بها ، كما ستتطرق مهام اللجنة الى تنسيق انشطة العديد من جماعات البحث والافراد المتحمسين لهذا الموضوع ·

وما هى الا ايام بعد ذلك حتى اقر أعضاء الندوة السوفييتية للبحث فى الظواهر الخارقة ، والتى انجزت عملها فى عاصمة كاريليا السوفييتية، أن عدد الاشخاص الذين رصدوا أجساما مجهولة الاصل مثل الاطباق الطائرة والكرات الملونة ، ازداد كثيرا فى الاونة الاخيرة ·· وأن أحاديث هؤلاء وجدت صدى لها على صفحات الجرائد والمجلات ·

هذا وقد أصبح بامكان كل راغب أن يشارك فى دراسة هذه الظاهرة ، ابتداء من شهر اكتوبر ، ذلك انه تأسست فى موسكو مدرسة مجانية لدراسة الاجسام الطائرة المجهولة الاصل ، ولسوف يساعد الطلاب علماء اكاديمية العلوم ، وبعض رواد الفضاء ·

كوكتيل مخلوقات والهندسة الوراثية

اخذت مسألة الجمع بين العوامل الوراثيـــة لكائنين مختلفين ، التى كانت حتى عهد قريب مجرد نبت فى محيط الخيال ، اخذت تحث خطـاها فى معـامل الهندسة الوراثية . ولم تقف عنـد خلط مكونات النبـاتات ، مثلمـا حدث بين خليتى الطمـاطم والبطاطس ، حيث امكن انتاج نباتات جديدة تجمع بين صفات النوعين ، تنقل صفاتها الى الاجيال التالية .

ولم تقف التجـارب عنـــد عالم النباتات بل امتدت الى عالم الحيوان، وتمكن الباحثون ـ على سبيل المثال ـ من زرع مورث او جينة خاصة بلون العينين فى اجنة ذباب الفاكهة ، فجاءت عيون نسبة منها معبرة عن الجينة المزروعة . وانتقلت الصفة الجديدة (اللون الاحمر الوردى بدلا من اللـون البنى) الى الاجيـال المتعاقبة .. بل وتجاسرت المؤسسات العلمية على الجمع بين صفات النبات والحيوان ، كما حدث مثلا عنـد ادخال العلماء مورثات الذباب المضىء فى نبات الدخـان . وحصـلوا بذلك على نوع منه يضىء فى الظـلام .. ووصل امر التجريب الى الحيوانات الثديية الولودة ، التى ينتمى الانسان اليهـا . اذ امكن عزل الجينـات المسئولة عن نمو الانواع الكبيرة من الجرذان فى حالة نقيـة ، ثم حقنت هذه الجينات فى نواة خلايا ملقحـة ـ فى انابيب الاختبـار ـ لنوع من الفئران الصغيرة ، نقلت بعدانقسامها الى ارحام فئران من نفس النوع .. وعندما ولدت هـذه الفئـران بدأت الذرية تنمو نموا غير عادى ، حتى اصبحت فئـران « سوبر » وصلت احجامها الى ضعف وضعفين وثلاثة اضعاف حجم الفئران الاصلية ..

المهم انه بدأ اخيرا تنفيذ مخططات تهدف الى نقل هـذه الممارسات الى الانسان بهدف التصدى لعـدد من الامراض الوراثية عن طـريق تغيير المورثات التى تتسبب فيها .

تليفونات ذكيـــة



اكتسبت أجهزة الهـاتف خـلال الثمانينات بعض المهـارات التى لم يكن يقدر على القيام بهـا سوى الانسان فهذا هاتف يختزن عشرات الارقام فى ذاكرته ويقوم بالاتصـال بأى منها ، ما ان يشير اليه صاحبه بذلك .. وهناك هاتف من هذا النوع مزود بساعة يمـكن ان يستخدمها المرء فى وضع جدول زمنى لمجموعة متكاملة من المكالمات ، يقوم الهاتف بانجاز كل منها فى حينه ، كما ان هناك ذلك الهاتف الذى يستطيع ان

يبلغ رسالة مسجلة لمجموعة كبيرة من الارقام على التوالى ·

عشرات من الاستخدامات الجديدة التى نبعت من تزويد الهاتف القديم بذاكرة صغيرة حولته الى جهاز الكترونى فيه الى جانب الهاتف التقليدى ، كمبيوتر صغير ، أهله لان يتذكر اشياء من قبيل الارقام الاكثر استخداما ، ولان يرفض المكالمات غير المستحبة ولان يستمع الى الاوامر الصوتية ·

لكنه مع نهاية الثمانينات ظهر هاتف مختلف تماما يقوم بأدوار اكثر تعقيدا لان التغيير لم يقتصر على هاتف واحد ، ولا على مجموعة متناثرة منها ، بل لان مجموعة هائلة من الهواتف ذات الذاكرة صارت تعمل مع بعضها ، ضمن شبكة موحدة وفق اسس تقنية مختلفة تماما ·· ذلك ان اجهزة التحويل المستخدمة مع الهاتف الجديد الذكى صارت كمبيوترات مصنوعة من الرقائق السلكونية العجيبة القادرة على تخزين كم هائل من المعلومات والقيام بعدد هائل من العمليات وفق برامج محددة تجعلها قادرة على القيام بمهام متنوعة وفق ما يمليه احد المتصلين فى حق اى من المشاركين الاخرين فى اطار الشبكة كلها ·· فحين يود احد ان يتجنب مكالمات اصحاب ارقام معينة فما عليه الا ان يضغط زرا معينا فى هاتفه ، ثم يدق كل الارقام التى لا يود الحديث معها ، واذا حاول اى منها طلبه فلن يدق هاتفه بالمرة ، بينما يتلقى الطرف الاخر الاعتذار عن اتمام المكالمة ، ويبقى الهاتف على موقفه حتى اشعار آخر ·

وقس على ذلك مجموعة من الخدمات الاخرى مثل تقديم أصحاب ارقام معينة على المكالمات العادية أو ان يجعل الطالب رقم هاتفه يظهر على هاتف من يطلبه ·

ومثل هذه الشبكات الكمبيوترية الجديدة معروفة اليوم فى عدد من المدن اليابانية والامريكية والبريطانية والفرنسية ويمكن استخدام هذا الهاتف فى كل الخدمات التى يمكن انجازها من خلال شبكة كمبيوتر مثل حجز تذكرة سفر بالطائرة أو تلقى خدمة صحية ما أو ···

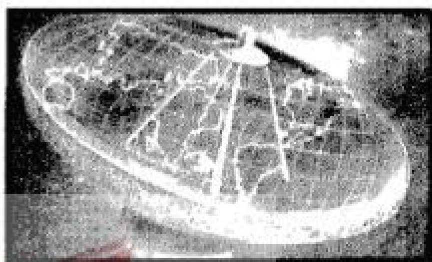
مجتمع المعلومات

غزت تقنية المعلومات مختلف الانشطة والقطاعات فى البلدان المتقدمة ، على نحو لم تعرفه الحضارة البشرية مع اى من التقنيات السابقة ، وأدى هذا الغزو الى انقلاب هائل فى مختلف مناحى الحياة ، ذلك ان تقنية المعلومات أدت الى تعديل الهياكل التنظيمية فى المؤسسات ، وغيرت من نمط مركزية السلطة ، كما غيرت مصادر بيانات الادارة وأساليب المتابعة والرقابة ·

وقد حث ذلك باطراد الطلب على القوى العاملة التى تستوعب تكنولوجيا المعلومات ، وزاد من معدلات الابتكار ، ومن اساليب الاداء كما غير من هياكل الاجور ، ونظم الحوافز والمكافآت ، وأدى فى نهاية

المطاف الى اعادة توزيع الادوار فى الحياة الاجتماعية وبدل مجـالات التوظيف ، وزاد الطلب على التدريب لمواجهة التغيرات فى ظروف العمـل وكان من نتيجة ذلك كلهزيادة الكفاءة التخطيطيـة والتنفيـذية ، وزيادة معـدلات الانتـاج ، ورفع مسـتوى الخدمات ، الامر الـذى ينعكس فى النهـاية على النـاتج القومى لاى مجتمع ·

تفاصيل جسد الأرض



مع الخبـرات المتعـددة خـلال الثمانينات اكـد النشـاط الفضـائى مفـارقة أن الانسـان يرى الارض « أوضح » كلما ابتعد عنها · وكلما تم التصوير من ارتفـاع اكبر زادت دقة الصور ، بل وظهـرت التفاصيل التى يعجز الانسان أن يراها بوسيلة أخرى ·· ومع ما أصاب الانسـان من انبهار ودهشة بدأ تفكيره يتفتق عما هو جديد تماما ·

ان التصـوير الفوتوغرافى ليس سوى نوع واحد من أنواع التصوير التى خبرها الانسان على الارض · ومن المعروف أن هناك نوعا آخر من الصور تتعامل معه أجهزة التلفاز ، ونوعا ثالثا تتعـامل معه أجهـزة الرادار ، ونوعا رابعا تتعامل معـه أجهزة الرؤية الليلية ·

أنواع وأنواع من الصور يرجع تعـددها الى كون « الموجـات الكهرومغناطيسية » سلما طويلا لانرى بعيوننا الا جزءا يسيرا من درجاته ، ويتعامل كل نوع من أنواع التصوير مع درجات أخـرى عليـه ·· كان الانسـان يدرك أن الصـورة التى يلتقطها جهاز أشعة اكس « الهيكل العظمى » غير الصورة التى يلتقطهـا جهاز الرؤية الليلية ·

وهكذا شرع الانسان فى نقـل خبـراته « التصويرية » الى الفضاء ومضى يرصـد ما تحته بمختلف الطـرق · واكتشف الدارسون انه ليس بمقدورهم التفرقة – فى صور معينة – بين الخضرة والرمال ، وان أمكن تفريقهما معا عن سطح المياه · ثم تبينوا أن خـلال طريقـة ثانية لا تفرق بين المياه والخضرة ، وان فرقتهما معـا عن الرمال ·· وهكذا أمكن من حصيلة صورتين التفـرقة بين الخضرة والرمال والمسـطحات المائية ، ومن حصيلتهما مع صـورة ثالثة الكشف عن طبيعة الصـخور وطبيعة الخضرة ، ومن صورة رابعة التفـرقة بين المسـاحات السليمة والمساحات المصابة بآفة من الآفـات حول نبات بعينه ·· هذا كما مكنته صورة خامسة من الكشف عمـا هو كامن تحت سـطح الارض أو سطح الماء ·

المهم أنه الى جوار تحديد ما هـو فوق الارض وتوقع ما هو تحتهـا بلغت دقة صور الفضاء مع نهـاية الثمانينات حـدا يمكن الانسان من تحديد هوية الاشياء التى تقـاس ببضعة سنتيمترات على الارض ·

توفيق الحكيم .. رائد المسرح العربي

بالرغم من اسهاماته الخصبة الغزيرة في مجالات الرواية ، والقصة القصيرة ، والنقد الأدبي والفني والسيرة الذاتية والمقالة الذاتية الأدبية والصحافية والسياسية ، وآثار تلك الاسهامات القوية الواضحة في أدباء جيله والأجيال التالية له ، يظل اسهام توفيق الحكيم الأكبر والأقوى في أدبنا العربي متمثلا في مسرحياته الثمانين التي كتبها بين ١٩١٩ و ١٩٧٢ وهو أكبر عدد من المسرحيات ألفه كاتب عربي حتى الآن فيما نعلم ، فضلا عن اضافاتها الفنية والفكرية المخصبة الى أدبنا ومسرحنا .

كان مسرحنا قبله يتارجح بين الغنائيات الراقصة الساذجة ، والهزليات الماجنة الصاخبة ، والميلودرامات الدموية العنيفة ، ويغلب عليه الترجمة والاقتباس مع محاولات جادة قليلة لفرح انطون وابراهيم رمزي ، ومحمد تيمور ، وغيرهم لم يقدر لها الصمود في مواجهة تياري الهزل والعنف المسيطرين على مسرحنا حتى اليوم .

فبعد تجارب عديدة ودراسات أدبية وفنية وفلسفية وعلمية شاقة نشر توفيق الحكيم أولى مسرحياته « أهل الكهف » سنة ١٩٣٣ . فاذا بكبار أدباء العصر ونقاده يرحبون بها باعتبارها أول مسرحية مكتملة في الأدب العربي ، ويكتب عنها د . طه حسين مقالة الشهير الذي قال فيه :

« .. لا اتردد في ان أقول إنها أول قصة تمثيلية حقا ، ويمكن أن يقال إنها أغنت الأدب العربي وأضافت إليه ثروة لم تكن له .. ويمكن أن يقال إنها قد رفعت من شأن الأدب العربي وأتاحت له أن يثبت للآداب الأجنبية الحديثة والقديمة .. »

والحق أن « أهل الكهف » كانت أول مسرحية عربية تعالج موضوعا انسانيا عميقا على النحو الذي فعلته كل روائع المسرح العالمي الباقية ابتداء من مآسي سوفوكليس حتى درامات ابسن وشو وبيراندللو .. ولأول مرة يرتفع كاتب عربي بقامته الى عالم هؤلاء الشوامخ ليقول رأيه في احدى مشاكل الكون ، وهي علاقة الانسان بالوجود ، وصراعه الخالد مع الزمن ، ويفعل ذلك في بناء درامي محكم ومن خلال شخصيات حية مقنعة .

ولذلك اختيرت « أهل الكهف » يفتتح بها « المسرح القومي » سنة ١٩٣٥ ولو انها حققت على خشبة المسرح مثل نجاحها ككتاب لتغيرت مسيرة المسرح العربي .. ولكن البيئة

الثقافية العربية لم تكن تهيأت بعد لاستقبال مثل هذا المسرح الجديد الجاد ، ولعلها لم تتهيأ له حتى اليوم تماما مع انتشار الأمية الأبجدية والثقافية وسيطرة الاتجاهات الجارية على ثقافتنا وفنونها .

ومع ذلك فان ازدهارة المسرح المصرى والعربى فى الستينات مدينة لتوفيق الحكيم بالكثير ، لا لمسرحياته الاجتماعية والسياسية التى قدمت خلالها فحسب ، ومن ابرزها « الصفقة » (١٩٥٧) ، « السلطان الحائر » (١٩٦٢) ، « شمس النهار » ، « ياطالع الشجرة » ، « الطعام لكل فم » (١٩٦٤) . ولكن كذلك بفضل تلاميذه العديدين الذين قامت تلك الازدهارة على مسرحياتهم كنعمان عاشور والفريد فرج ، وسعد الدين وهبه .. وغيرهم ..

حتى نجيب محفوظ رائد الرواية العربية والفائز بجائزة نوبل اعترف بفضل « الحكيم » عليه وعلى ادبه فى مناسبات عديدة ، كان اخرها يوم فوزه بالجائزة العالمية إذ قرر انه هو وطه حسين والعقاد كانوا احق منه بالفوز بتلك الجائزة الكبرى .

فؤاد دواره



توفيق الحكيم

رحلوا في الثمانينات

فتحي رضوان

النجم الذي إزداد تألقا في الثمانينيات

بقلم: صافي ناز كاظم

● حين توقف قلم فتحي رضوان عن الكتابة، وكان ذلك ١٠ أكتوبر ١٩٨٧، اى عام قبل رحيله في ٨٨/١٠/٢، داهمه المرض فجاة، شعرت كأني فقدت النطق، فقد كانت كتاباته التي تصاعدت سخونتها مع مطلع الثمانينيات هي الناطقة بلساني والحقيقة أنه رغم الحياة العريضة الطويلة لفتحي رضوان فإنني لم أتوحد مع كتاباته الا مع الثمانينيات، ولم أسعد بلقائه الا في ١٩٨١/١/٢٥ في قصر العروبة يوم الافراج عنه وعني مع السياسيين الذين تم التحفظ عليهم ضمن قرارات سبتمبر من نفس العام.

● حين رأيته هتفت في فرح أكبر من فرح الافراج: « أستاذ فتحي لقد شرفني أن أكون في قائمة اعتقال على رأسها فتحي رضوان » ابتسم - وكان عابسا - وكانت دعوتنا للقاء بالرئيس مبارك قد بدأت، وحياه الرئيس وأجلسه الى جواره في مودة وتقدير، وكان الرجال قد انتخبوا متحدثا بلساننا بدأ يتحدث وعارضت في سري وتمتمت: « لا أحد يتحدث بلساني الا فتحي رضوان » وكنت أقصد مقالاته التي كان ينشرها أسبوعيا واجدها بلسما لجراح قلبي وروحي وفمي، تخفف احساسي بالاختناق. فما من مقولة قيلت او اجراء تم او حادث حدث وتمنيت في أثره رفع صوتي وقلمي بالرأي الا ووجدت عند استاذنا فتحي رضوان مايشفي غليلي ويكفيني وقد أسرع بمبادرته متصديا بصدره في شجاعة وشهامة: مواجها العين بالعين في فتوة ونصاعة وشموخ، وكنت أقول: كأن الله سبحانه وتعالى قد ادخره كل تلك السنوات ليخوض مرحلة صعبة وليكون من أشد فرسانها جسارة وبسالة، يقول الحق كاملا، ووقت لزومه - مهما تعقد قوله وتكلف أمره - في يسر وبساطة: شهيقا وزفيرا: تنفسا طبيعيا لصدر الأمة، وتوطدت بعد ذلك صداقتي مع استاذي وانطلقت أعدو في ردهات عالمه الأدبي



الخروج من المعتقل .. بعد احداث سبتمبر ١٩٨١

والفنى الوسيع اتلمس كتاباته التى تفيض بها حيويته وينجزها نشاطه المبهر خاصة فى مجلتى الهلال والدوحة ، مع محاولتى استكمال الناقص من كتبه عندى ، كان يوصينى كلما سألته سؤالا عن نفسه ان اقرأ « خط العتبة » و« الخليج العاشق » وحينما فشلت فى الحصول عليهما استعرت نسخته الوحيدة وصورتها ، لكنه اهدانى « حمام صغير » و« ٧٢ شهرا مع عبد الناصر » وبهذه الكتب الاربعة اكتملت لدى سيرته الذاتية منذ ان كان طفلا عصبيا فشابا فكهلا وشيخا ، وهى اعمال ادبية تجتذبك مع شفافيتها بأسلوبها الوهاج المفعم بالحيوية الذى - كما قلت مرة - يأخذك عدوا وانت تلهث بين الصفحات كأنك فى زورق على سطح شلال لاتملك ان تتوقف او تلتقط انفاسك حتى تبلغ منتهاه ، وتفيق لتجد رغم سرعة حركة الصور ، انك صرت متملكا لهذه الصور المتتالية الكثيفة حتى لتخالها بتفصيلاتها الدقيقة وتداخلاتها المتراكمة جزءا من تجربتك انت الشخصية وفصولا حية من ذكرياتك تجتر نوادرها فتضحك وتستعيد الامها فيعتصر قلبك . حين كنت اجلس امامه وهو يتحدث بتدفق وعنفوان كنت لا اجد فاصلا يحدد الفرق بين اسلوب حديثه واسلوب كتاباته ، كلاهما حالة من الفوران والجيشان والاحتشاد . لم اتصوره صامتا ابدا لانه حتى وهو مغلق الشفتين تلمس غليانه الداخلى بمونولوجات تنتهز فرصتها لتفيض . فى خط العتبة يقول : « .. التأمل فى الناس ودراسة تصرفاتهم متعة من متعه الذهنية المحببة » هذا صحيح وتؤكده كتاباته المليئة بالصور والوجوه ، وخبايا الانفس ، لكن لاشك ان عملية التأمل عنده كانت تتم اثناء احتدامه فى

رحلوا في الثمانينات



فتحي رضوان
اللقطة الأخيرة

فعل الكتابة والخطابة والحديث . في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كان عمره ٤١ سنة وكان وراءه جهاد خاصه ضد المحتل وضد الملكية يقرب من الربع قرن ، ولانه كان فرحا بسقوط الملكية واعلان الجمهورية انكمشت حركته الجهادية على الساحة السياسية قرابة ربع قرن اخر ، تفرغ خلاله لانتاجه الادبي ومهنة المحاماة فاخرج ستة عشر نصا مسرحيا اشهرها « دموع ابليس » و« مومس تؤلف كتابا » و« شقة للايجار » و« الحائرون » وأربع مجموعات من القصص القصيرة منها « شافع ونافع » و« السارق والمسروق »

ومن ادب التراجم « محمد الثائر الاعظم » و« مصطفى كامل » و« طلعت حرب = بحث في العظمة » وقائمة بكتب اخرى تربو على العشرين بالاضافة الى ماذكرت من كتب سيرته الذاتية .. حتى جاء الظرف التاريخي الذي رأى انه من المحتم ان يترك ساحة الجهاد بركانا متفجرا في صف المعارضة مع نهاية السبعينات حتى مداهمة المرض عام ٨٧ ، واصبحت له اجيال جديدة قارئة ومستمعة ومتابعة وبدا نجم الحركة الوطنية في الثلاثينيات والاربعينيات اشد التماعا وتألقا في الثمانينيات وانتهى من حيث بدأ داويا وضاويا في فنين لازمين لمراحل الجهاد : فن الخطابة وفن المقال اللذين قدم فيهما فتحي رضوان نفسه ابنا متطورا ممتدا من موقف وبلاغة الزعيم الخالد مصطفى كامل ليهدأ اخيرا الى جواره في الضريح الذي اختاره له وقام بنقل رفاته اليه في ذات يوم عام ١٩٥٦ .

عبد الرحمن الشرقاوي

فارس الكلمة الشريفة

عاش الشرقاوي مؤمنا بأن الكلمة شرف وانه لن تسود ابدا الا الكلمة الشريفة ولن يعلو في حياة اصحاب الكلمة شيء فوق شرف الكلمة ..

رفع هذا الشعار وصدقه ، فكانت حياته في حقيقتها هي هذا الشعار ، وكان هذا الشعار عنده هو الحياة نفسها ..

ولكن الكلمة عنده لم تكن مجرد الحروف التي يكونها ، ولا العقد الذي ينتظمها في انطلاق لتغدو عبارات وجمل وفقرات وفصول .. او الذي ينتظمها في وزن لتغدو ابيات شعر او فصولا في مسرحيات .. انما كانت الكلمة عنده كائنا حيا له جذوره وماضيه ، وواقعا معاشا يحمل هموم

عصره واحلام العصر ، واستشرافا لغد لابد من وضوح الرؤية اليه كهدف ، ووضوح الطريق اليه كمسار نحو الهدف .. ومن هنا امتزج عنده فى تلاحم كامل ، تراث الكلمة العربية الوجدانى ، واولها الدين الاسلامى ورموزه ، وثانيها الشعر العربى فى عصوره ، ومغامرات الشعراء فى تطويع الكلمة لعطائهم على مر العصور .. هذا التراث امتزج بالواقع المعاش ، الواقع الاجتماعى المرير بكل تناقضاته ومظالمه ، والواقع التاريخى الحى المتحرك فى احداث متتالية مثيرة ، مليئة بالصراع الدامى ، والصراع الفكرى فى آن واحد .. هذا التراث وهذا الواقع امتزجا معا بالرؤية المستقبلية التى كانت ترى ان الغد ملك للشعب بمجموعة لا لافراد قلائل من ابنائه وان الشعب احق بثرواته ، ونتاج كدحه وعرقه ، واحق بثمرات هذه الثروات وخيرتها .. هذه العناصر الثلاثة الممتزجة والمتلاحمة كونت معنى الكلمة عند الشرقاوى . فكان ابداعه مرتبطا بها كل الارتباط ، وكان وجوده الفكرى حصيلتها مجتمعة وممتزجة معا .. فمن العنصر الاول عنصر التراث خرج كتابه عن محمد رسول الحرية ، وخرج كتابه عن عمر ابن عبد العزيز خامس الخلفاء وخرج كتابه عن الفاروق عمر بن الخطاب وخرج كتابه على امام المتقين فى جزئين .. وكلها محاولات رائدة لكتابة الترجمة للاعلام ، امتزج فيها الاسلوب الروائى بالحس القصصى ، ووضحت فيها الرؤية التى تريد من التراث انقى ما فيه ، واشد ما فيه ارتباطا بالحس


عبدالرحمن الشرقاوى

الانسانى الذى يكون الحضارة ويبنى الانسان .. والرموز التى اختارها الشرقاوى لم تات عفوا ، وانما هى رموز مختارة بدقة لاروع ما ابرز الاسلام من معانى الدين وانقى ما اختار من معانى الدنيا ومثلها معا ولمعنى اكثر دقة ابر معانى الكلمة من شرف فى الشرفاء من كلمة وانعكس ذلك كله كما انعكس معنى الموروث الثقافى العربى عنده فى كتابه عن ابن تيمية الفقيه المعذب ، وكتابه شخصيات اسلامية - ائمة الفقه التسعة . وكتاب قراءات فى الفكر الاسلامى ..

والكلمة عنده فى هذا ليست فكرة مضيئة ، ومعلومة راسخة وحسب وانما هى انفعال صادق مؤمن يجيش وجدانه ، ويستفز طاقاته المبدعة فيخرج لنا مسرحيات ثار الله : الحسين ثائرا ، والحسين شهيدا .. ويخرج لنا مسرحيات النسر الاحمر : النسر

رحلوا فى الثمانينات



عبدالرحمن الشرقاوى

والغربان والنسر وقلب الاسد .

وهذا العنصر الاول ـ عنصر التراث يشي اولا بتركيبة الشرقاوى الثقافية فليس من فراغ يوجد الكاتب وليس من فراغ يتم الابداع .. والارتباط بالاصالة ليس مجرد شعار . انما هى كلمة شريفة تعني العناء فى التحصيل والعناء فى الاستيعاب ثم العناء فى الابداع النثرى والشعرى على السواء ..

كان من المفروض ان يرضى هنا اصحاب الاصالة ودعواها .. ولكن العكس هو الذى حدث . انبهروا واعجبوا واندهشوا ، ولكنهم لم يرضوا .. ذلك ان اصحاب السلفية غلبوا باصواتهم العالية على اصحاب الاصالة وازعجتهم كلمة الشرف النابضة بالحياة وبمعنى التقدم والحرية ، وبمعنى الحب الانسانى الاصيل ، فادانوا فكره كله ، وهاجموا جهد الحياة والعناء والعرق فاذا هو عندهم دخيل لامكان له .. لان فكره لايريد للحياة ان ترجع الى الوراء ، ولان كل هذه الاعمال تضمنت امل التقدم والعدالة للانسانية كلها ..

ثم ياتي العنصر الثاني وهو ان الكلمة واقع مجرب ومعاش .. على المستويين الاجتماعي ، والتاريخى المتحرك المتمرد الثائر .. وتاتي مجموعة ارض المعركة المبكرة جدا والتي كتبت قبل الثورة لتربط بين الواقع المخزى المعاش والمعنى الكفاحى التاريخي الممارس .. وتاتي فى هذا الثوب المتميز الذى برز فيه الشرقاوى وراد وطور ، اعني ثوب القصة القصيرة بمعناها المعاصر وفحواها التراثي القديم ، وموضوعها الشعبى المعاش فى مزيج من الواقع والتاريخ ، وبين الكفاح من اجل مكان فى المجتمع ومكان فى الحياة الحرة لهذا المجتمع ثم قدم مجموعة قصصية اخرى تغوص فى دنيا هذا المجتمع وهي احلام صغيرة ، استجابت كل قصة فيها لنبض الم ، وصرخة معاناة وانه جرح مظلوم يعاني لعلها تذكرنا برواية طه حسين العظيم المعذبون فى الارض ثم تاتي رائعته العظيمة الارض .. لتؤكد رباطه بالارض وبالمعتبين فيها ، ولتؤكد ارتباطه بطه حسين تلقيا وتجربة وحبا ومتابعة .. ثم قدم رواية الشوارع الخلفية ليقدم الفلاح كرواية تجمع التجربة المعاشة كلها وتبلورها فى هم واضح مقيم .. الفلاح ـ رؤية المستقبل وامل ان يكون هناك غد عادل عظيم .

ثم بين العنصر الثالث عنصر الاستشراف لغد الانسان العربى المشرق ، وامل وجوده المستقبلى كجزء لاينفصل عن الوجود الانساني الساعي نحو الحرية ، والمقاتل ضد الاستعباد والاستغلال والظلم .. فيقدم الشرقاوى عن فضيحة قنبلة هيروشيما قصيدة من اب مصرى الى الرئيس ترومان وتوزع القصيدة فى شوارع القاهرة كانها منشور كفاح منظم يرفض الدمار والتعاسة . ثم يقدم قصيدة

بالتدوج والسلام العالمي ، ثم يقدم رسالة الى جونسون في قصيدة طويلة ـ ثم يتوج هذا الاتجاه كله بمسرحية شعرية هي تمثل الحرية فيهتم اليمين باليسار واقصى اليسار الم يهاجم امريكا والم يهاجم الامبريالية هو اذن يساري بل وشيوعي ..

ويتمرد اليسار ويرفض . الم يكتب عن محمد وعلى وعمر وعمر بن عبد العزيز فهو يميني متطرف ورجعي ، ويرفض .

ولكن الدوائر الثلاث تكون فكر مصر في رحلة عمر الشرقاوي فكر مصر الذي تعرض لهجوم الرجعية ولهجوم الشيوعية فكر مصر المتوازن المتكامل الذي يسير في خط المصلحين العظام نحو التطور المؤمن المستشرف الثائر المتمرد .. وليت من يفهم .

من صميم الشعب
عبد السميع عبد الله
١٩١٦ - ١٩٨٦


الفنان عبدالسميع عبدالله

شرفتني « الهلال » مرتين .

● الأولى : حين طلبت الىّ ان اشارك في عددها التاريخي الذي يقف بسطوره وكتابه على مفصل عقدين ، تنوعت تراكيب - كل منهما - السياسية ، والاجتماعية ، والثقافية ، وتشابكت بشكل - ربما - لم يشهد جيلي مثيلا له .

● الثانية : حين كانت مشاركتي المطلوبة هي كتابة مقال عن رسام الكاريكاتير العملاق ، والقصاص المصور .. المسرحي عبد السميع عبد الله .

وربما لم اجد ما هو اكثر مناسبة لعنونة هذا المقال سوى جملة (من صميم الشعب) التي قدم بها احسان عبد القدوس لالبوم رسوم عبد السميع الأول (ابيض واسود) قبل ٣٥ عاما .

عبد السميع - بالفعل - كان فنانا من صميم الشعب منذ فتح عينيه على الدنيا ، وفي احدى القرى الصغيرة جدا بمحافظة المنوفية في ٨ نوفمبر ١٩١٦ .

ثم كان « من صميم الشعب » وهو يجوب ارض الوطن شبرا شبرا ابان عمله في مصلحة المساحة المصرية ، يرصد تجارب الناس ، ويسمع حكاياهم ، ويشرب الشاي معهم في « خص » على ضفاف ترعة ، وتتوزعه احاسيس عميقة بكل تفاصيل حياة

رحلوا في الثمانينات

الفلاحين وهم يبوحون له بكل مايفور في صدورهم من غضب او بما يجول في عقولهم من فلسفات بسيطة ، عبقرية ، مذهلة ، بالطبع بعد ان اطمئنوا ان « الافندى » القادم من القاهرة مع « القياسين » ليس في النهاية الا واحدا منهم .

وهو يترك اخبار اليوم ـ التي رسم فيها بعد روز اليوسف ملحقا كاملا كاريكاتوريا بالالوان ـ الى الشعب (جريدة الثورة) ، ثم الجمهورية حين كان احد ضحايا مذبحة ١٩٦٤ ، دون سبب مفهوم او مبرر معقول ، الى ان استقر في دار الهلال ابان رئاسة الاستاذ احمد بهاء الدين لها وحتى وفاته .

وكان في كل ذلك (من صميم الشعب) يعبر بوسائل تعبير مختلفة ، علم نفسه اسرارها وقواعدها كلما ضاقت به سبل التعبير في واحدة ، استخدم الاخرى ، وكلما ضاقت على ريشته دوائر الاسقاط او الرمز او التلميح او غيرها من وسائل الاقناع المختلفة للكاريكاتير ، بادر الى كتابة قصة او رسم صورة زيتية او انشاء مسرحية .

عبد السميع كان احد اضلاع المثلث الذهبى للكاريكاتير المصرى في الاربعينيات والخمسينيات (عبد السميع ـ صاروخان ـ رخا) ولكن الاختلاف الواضح في افكاره واسلوبه في الرسم جعل منه النواة الحقيقية لمدرسة روز اليوسف في الكاريكاتير التي دفعت من بعد عبد السميع بكتيبة هائلة من الرسامين تضم صلاح جاهين



وحجازى وبهجت وايهاب واللباد ورجائى والليثى وجورج وغيرهم . ويندر ان تجد احدا من هؤلاء لم يتأثر فى بداياته بعبد السميع ، او لم يستلهم اسلوبه فى التحريض السياسى والنقد الاجتماعى .

اما صاروخان ورخا فقد كانا (رغم خروجهما من معطف روز اليوسف كانا النواة الحقيقية لمدرسة اخبار اليوم الكاريكاتيرية ، لارتباطها بأسلوب وافكار التابعى الذى انتقلا وراءه واحدا بعد الاخر ، لصحف اخبار اليوم وظلا فيها حتى وفاة كل منهما .

وربما حاصرت رسومه ـ فى سنواته الاخيرة ـ ظروفا ليست من صنعه ، الا انها اضافت لها ـ واقعيا ـ كأى عمل فنى كبير بعدا اخر مُهما ، وهو بعد فلسفى فيه سخرية انسانية عميقة تبتعد عما تيسر عن السياسة وكأنها فى النهاية تحقيق عملى لمقولة فولتير : « يلهو بأصفاده » .

● د . عمرو عبدالسميع

صلاح جاهين .. والأمر المحال

انا اللى بالأمر المحال اغتوى
شفت القمر نطيت لفوق فى الهوا
طلته .. ماطلتوش .. ايه انا يهمنى
وليه ؟ مادام بالنشوة قلبى ارتوى
عجبى

ان رباعيات صلاح جاهين بتركيزها وتكثيفها تلخص كثيرا من جوانب الحياة ، وفى المواقف التى نواجهها فى الحياة ، والمزاجات النفسية المتنوعة التى تعترينا ولكن هذه الرباعية ، بالذات تتميز عن سواها بأنها تلخص صلاح جاهين نفسه ، وحياته التى ابت ان تطول بالقدر الذى كنا نتمناه .

(١)

« انا اللى بالأمر المحال اغتوى »

ان الحلم الرومانتيكى الثورى (صناعة كبرى . مزارع خضراء ، تماثيل رخام ع الترعة واوبرا . فى كل قرية عربية) ، حلم الجمهورية العربية المتحدة ، الدولة الكبرى المتقدمة المتحضرة التى تضم كل الدول العربية . اثبت ـ ولو مرحليا ـ انه من قبيل « الأمر المحال » ، ولكن الشاعر لابد له من حلم والشاعر الرومانتيكى العادى حلمه فردى ، ويدور فى الغالب حول امرأة ، وهو حلم هروبى يتخذ من المرأة او الطبيعة الخضراء ملاذا من قسوة او سوقية الحياة ولم تكن الخمسينيات عصر هذا النوع ، من الحلم ، او هذا النوع من الشعر ، او هذا النوع من الشعراء ، كان صلاح جاهين تمثيلا حقيقيا لجيله وعصره ، عصر الرومانتيكية الثورية عصر الحلم الجماعى بعالم جميل لكل الناس . .

ايش تطلبى يانفس فوق كل ده .
حظك بيضحك وانتى متنكدة .
ردت قالت لى النفس قول للبشر .
ماييصوليش بعيون حزينة كده .

رحلوا في الثمانينات

عجبي .

كان صلاح جاهين اذن جماعي الوجدان ، فهو حين يحلم لايحلم لنفسه فقط ، وكان ايضا حالما ثوريا ، فرؤياه المتمثلة في شعره ليست هروبية فاذا كان الرومانتيكي دائما يرفض الواقع ، فان النوع الثوري في الرومانتكية يابى الهروب من الواقع ويسعى الى تغييره ليتطابق مع رؤى الشاعر الجميلة . والمستحيلة .


يا خالق الكون بالحساب والجبر .... وشاغلني معاك بالاختيار والجبر
كل اللي حيلتي زمزمية امل .... وازاي تكفيني لباب القبر؟
عجبي (ص . ج)

(٢)

« شفت القمر .. نطيت لفوق في الهوا » .

كانت قفزة عالية في الهواء (١٩٥٦ ـ ١٩٦٧) ، قفز عبد الناصر فقفز صلاح جاهين معه ، فقزت مصر فقفز شاعرها معها ، كانت القفزة ممتعة ، وكانت حقا هائلة ، ولكن قوانين الجاذبية الارضية ، لاترحم ، وبقدر علو القفزة تاتي بشاعة السقوط والارتطام . ولااظن ان الحال تحتمل ، او ان احدا يحتاج ، الخوض في تفاصيل هذه القفزة ، وهذا السقوط فكلاهما معروف ، وقتلناه بحثا ونقاشا وبكاء .

وحتى ماحدث لصلاح جاهين بعد ان انتصرت على قفزته ، وقفزة وطنه وزعيمه قوانين الجاذبية الأرضية ، امر خاضته الاقلام ولاكته الافواه طويلا بعد وفاته فهو ايضا لايحتاج شرحا ولا استرسالا يكفينا ان نسمع ما قاله عن مصر بعد رواح السكرة .

على اسم مصر التاريخ يقدر يقول ماشاء .

انا مصر عندي احب واجمل الاشياء

باحبها وهي مالكة الأرض شرق وغرب

وباحبها وهي مرمية جريحة حرب

باحبها بعنف وبرقة وعلى استحياء

واكرهها والعن ابوها بعشق زي الداء .

واسيبها واطفش في درب وتبقى هي في درب .

وتلتفت تلتقيني جنبها في الكرب

والنبض ينفض عروقي بالف نغمة وضرب .

على اسم مصر

(٣)

« طلته .. ماطلتوش .. ايه انا يهمنى ؟
وليه ؟ مادام بالنشوة قلبي ارتوى »
هنا بيت الداء .. خاب ظن الشاعر حين قال « ايه انا يهمنى ؟ » فحين لم يستطع الوصول الى القمر بتلك القفزة الرائعة التى قفزها مع وطنه لم يسلم من اثار الارتطام بارض الواقع لقد اراد ان يغير الواقع مع جيله الذى امتلأ بامثاله فى الحالمين الثوريين وعلى راسهم جمال عبد الناصر . فلم يستطع ولم يستطع جيله ، وزعيمه ، وكان هذا فاتحة الجزء الثانى من حياة صلاح جاهين .. راحت السكرة . وجاءت الفكرة .

● بهاء جاهين

ريشة نبيل السلمي



فى صباح الرابع من يوليو ١٩٨٧ اختار قلبه ان يتوقف عن النبض احتجاجا على كل المتناقضات التى يراها فى العالم من حوله ..

انه نبيل السلمى ، احد اهم رسامى الكاريكاتير المصريين واجرؤهم ، واكثرهم حسا ورهافة .. واكثرهم عطاء ، وتدفقا منذ ان ولد فى مدينة اسوان فى يناير ١٩٤١ .

ومنذ ان نشر اول رسومه بجريدة الشعب .. وهو فى التاسعة عشرة من عمره حيث تتلمذ على يد الفنان عبد السميع .

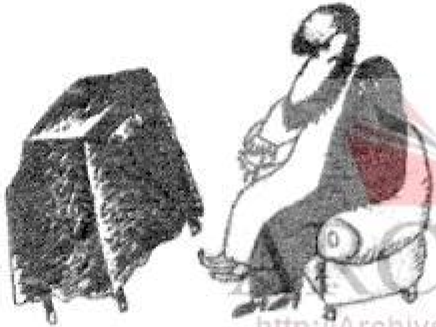
وقد رسم نبيل السلمي وحدة رسوم كاريكاتير مستقلة فى النقد الاجتماعى واستقل باسلوب خاص متميز وبمساحات رسم فيها الكاريكاتير السياسى . وسافر للمرة الاولى الى اوروبا فى رحلة طويلة مع توامه الفنى ماهر حيث اقام الاثنان معارض لرسومهما فى العواصم الاوروبية . وفى منتصف السبعينات اختار ان يستقر فى برلين الشرقية لاكثر من عشر سنوات تزوج خلالها من كاترين استاذة اللغات الشرقية بجامعة همبولت مثلما جاء فى كتاب "الاشتعال السريع" الذى اعده الفنان / محيى الدين اللباد .

رحلوا في الثمانينات



وفى هذه الفترة اشترك فى معارض عديدة وبرز كرسام معارض كما اصدر مجموعة من الكتب من اهمها "ظننت انك انـا" وهو مجموعة من نوادر جحا وفكاهاته . واصبح اسما معروفا لدى قراء الكاريكاتير فى المانيا الغربية .

وفى عام ١٩٨٤ عمل نبيـل السلمى فى مشروع الكومبيوتر العربى "صخر" وبرامجه التعليمية للناشئين ومن هذا العمل استوحى فكرة كتابة "جمليوتر" عن مفارقات العلاقة بين التخلف والتقدم التقنى وجعل من الجمل بطلا للعديد من الرسومـات التى توضح هذه المواقف .



نعمان عاشور رائد المسرحية الواقعية

نعمان عاشور رائد من رواد المسرح المصرى والعربى المعاصر الذين جاءوا بعد جيل توفيق الحكيم بل وشاركوه فى اقامة المسرح المصرى الذى اتضحت ملامحه الفنية خلال حركة الثراء المسرحى فـى فترة الستينيات .

ومسرح نعمان عاشور مسرح اجتماعى واقعى وشخوصه الناس البسطاء من الطبقة المتوسطة



نعمان عاشور

الكادحة الذين يتطلعون الى التغيير الى الافضل عن طريق تفاعل وصراعات ومواقف تقع وتحدث وتنمو حتى تعبر عن النظرة الواقعية والمستقبلية الدائمة .

يقول نعمان عاشور عن مسرحه الاجتماعي : انني اكتب مسرحياتي على اعتبار انها اشياء حقيقية وليست كلها من نسيج الخيال فالفن عندي يسعى الى معرفة معنى الحياة بغية اكتشاف الحقيقة الموضوعية .. والعمل الفني خلق يقوم على الخيال .. من اجل هذا تستند الواقعية في مسرحياتي على المسايرة المحدودة للتطور الاجتماعي وبالتالي فانها تشكل ما يمكن ان يكون عالما دراميا خاصا .

ولذلك حظى مسرح نعمان عاشور على مدار عمله الفني المسرحي يتسابق الكتاب والنقاد باطلاق كثير من المسميات والالقاب على مسرحه فهو رائد المسرحية الواقعية او ابو الواقعية المسرحية المصرية المعاصرة وهو تشيكوف المصرى وهو فارس الدراما المصرية وهو المسرح الكوميدى التراجيدى وهو الاب الحقيقي للمسرح الحديث .

تاثر نعمان عاشور فى بداية حياته الفنية بالممثل العربى الشهير نجيب الريحاني وبمسرحياته الاجتماعية المتعددة كما تاثر بالكاتب الروسى تشيكوف خاصة فى عمله بستان الكرز وتاثر لفترة طويلة بكتابات برنارد شو وارثر ميللر .. اما الكاتب الذى له تاثير خاص وبصمات واضحة فى تشكيل رؤياه الفنية فهو الكاتب جون اوكيزى . ويمثل الاستاذ توفيق الحكيم مكانة خاصة لدى نعمان عاشور فدائما كان يردد : إن توفيق الحكيم ادخل المسرح إلى الادب العربى كفن خالص كما ان مسرحياته اضافت إلى الادب العربى نوعا جديدا من الادب لم يسبقه إلى معرفته أحد .

كتب الاستاذ نعمان عاشور ست عشرة مسرحية بداها بمسرحية المغناطيس ثم الناس اللى تحت ، الناس اللى فوق ، سيما اونطة ، جنس الحريم ، عيلة الدوغرى ، وابور الطحين ، عطوة الفندى ، الجيل الطالع ، ٣ ليال ، بلاد بره ،

رحلوا في الثمانينات

بشير التقدم ، برج المدابغ ، لعبة الزمن ، مولد وصاحبه غايب ، ثم حملة تفوت ولا شعب يموت .

كما كتب القصة القصيرة وله فيها ثلاث مجموعات حواديت ثم عم فرج وفوانيس وسباق مع الصاروخ .

قالت

شعر : صلاح عبدالصبور

من ديوان (أقول لكم)

لانجد مانحيي به ذكرى صلاح عبدالصبور إلا نشر هذه القطعة من شعره


صلاح عبدالصبور

قالت : لايولد إنسانان على قدر إلا التقيا
فمتى نلقاه ؟! ..
أيامي موحشة ، ولياليّ تؤانسها الآه ..
قالت : إني انظر في أحداق الناس ، وفي شفتيهم ألقاه ..
ووجدتهم أغرابا عن روحي ، وأخو الروح بعيد ..
ما أقساه ..
قالت : في ذات مساء سوف يهل على دنياي
أنا دنياه
سيمد إليّ يديه ، ويناديني ، وسأعرفه
وسأخطر في يمناه

★ ★ ★

يا أختي ، أنا قد أنفقت الأيام أحاورها وأداجيها
وكأن الله
لم تنسج كفاه لقلبي قدري الانسان .. الله
لا ينسانا يا أختاه ! ..

لحظة ميلاد عند أمل دنقل

لم تكن لحظة ميلاد القصيدة هي الصورة النهائية او الابداع الاخير، عند امل دنقل، ولكن كانت اعادة النظر في القصيدة تشكل عنده اهمية كبرى، حيث تخرج من ثوب الميلاد العفوية، بشكلها المثالي، الى درجة كبيرة من الوعي يشكل به ملامح قصيدته بصورة نهائية.

ويحضرني على سبيل المثال قصيدة، مقابلة خاصة مع ابن نوح، التي كتبها عام ١٩٧٦، فقد كتبها اساسا كرد فعل لفكرة السفر المطروحة كحل للخروج من الأزمة الاقتصادية. وقد كتب القصيدة كنوع من الرفض لفكرة السفر، واختار البقاء في المدينة بعد تدمير السفينة، واحب الوطن.

يرقد الان تحت بقايا المدينة
وردة من عطن.
بعد ان قال «لا» للسفينة
واحب الوطن.

قال لي وهو يقدم لي قصيدته انها اول قصيدة اكتبها من اجلك، رغم انها كانت قصيرة تحمل رؤية سياسية واجتماعية.

قلت له: لكنني غير موجودة في القصيدة.

فرد: كيف بل انت صلبها الاساسي لقد استطعت ان تعيدي لي الاحساس قويا وجميلا للوطن.

الجدير بالذكر ان الكثيرين طالعوا هذه القصيدة برؤى مختلفة. فقد توقف الدكتور لويس عوض عند دلالة. سفر المثقفين خارج مصر. وانهم اشبه بالخارجين عن سفينة نوح. ورفضوا البقاء في السفينة.

● عبلة الرويني


امل دنقل

الجواهري

اخر الفحول فى الشعر الحديث

أنا العراق ، لسانى قلبه ، ودمى
فراته ، وكيانى منه اشطار

بقلم : د. محمد عبد العزيز الموافى

فى أوائل العقد الاول من القرن العشرين (١٩٠٣) ولد ابو فرات : محمد مهدى الجواهرى فى النجف التى كانت حينذاك المركز الأدبى الاول فى العراق ، فتخرج من حلقاتها الثقافية كثير من الادباء .. وقد كان من خصائص هذه الحلقات أن يتكفلّ كل من يتقن فرعا من فروع العربية بتعليمه للآخرين .. كما كان من الضرورى لكل دارس فيها أن يلم بهذه الفروع فى البداية إلماما شاملا ، ثم يتخصص فيما بعد ، ويستقل عن الحلقة إذا شاء .. بل إن بعض البيوت العريقة فى النجف كان فيها معلم لفرع من تلك الفروع هو الأب أو الأخ الاكبر أو الابن الاكبر ، فى أيامى - كما يقول الجواهرى - كانت هناك ثلاثة بيوتات شهيرة فى النجف هى المسيطرة علميا وماديا : بيت آل كاشف الغطاء ، وبيت الجواهرى ، وبيت بحر العلوم ، وبرغم تبدل الأجيال وتوالى العصور لاتزال لهذه البيوت مكانتها الخاصة إلى الآن ، وتجدر الاشارة الى صلة الجواهرى الوثيقة بتلك المنابع الثقافية الثرة ، فجده لأبيه من آل كاشف الغطاء ، وجدته لأمه من آل بحر العلوم .



بريشة الفنان العراقى : السيد جواد سليم



الكاتب مع الشاعر العراقى
الجواهرى .. خريف ١٩٦٨

- ٢ -

وقد احتلت اسرته مكانا مرموقا فى ميدانى العلم والادب ، بعد أن أسس مجدها جده الشيخ محمد حسن مؤلف « جواهر الكلام » ثم برز منها اعلام كثيرون على امتداد التاريخ الحديث للعراق .

ومن المدهش ضعف الرابطة بين شاعرنا وأبيه فهو - كما يقول الجواهرى - « لايشغل بالى من امره اكثر من انه كان يتحمل الالم .. ولكن بصمت ! بلا ثورة على الالم ، وبلا تجديف !.. وانه كان يغنى ، ثم خاف فترك الميدان ! وكل من هو على شاكلته من المغنين لايشغل بالى من امرهم شىء !! » .

وعند موته لم يرثه الجواهرى ، وقد علل ذلك - خلال لقائى معه اثناء وجودى فى العراق سنة ١٩٦٨ - بعنف الصدمة ! لكنه لم يجادلنى كثيرا عندما زعمت انه لم يكن يحب اباه الحب الكافى ، او انه بموته شعر بتحلله من القيود الضاغطة على نفسه الرافضة الثائرة !

وطفولة الجواهرى ملاى بالاحداث الغريبة التى تدل على الرفض المبكر والاصرار على التفرد ، وكانها كانت ارهاصا بحياته العنيفة المتقلبة ، اننى

وقد شارفت على التسعين اضحك من طفولتي ، حتى كأني لا أعرف مرحلة من مراحل العمر غيرها ... فشدد على هذه الناحية في دراستك ... وأنك لواقع على أشياء جديدة ، واعتبر هذا توجيها مني قد لا ينبهك إليه أحد ... فأنت أول واحد من خمسة ، قد كتبوا الى أني موضوع أطروحاتهم ، حصل مني على جواب شاف ، أضف ذلك إلى حسناتي إذ تكتب عنها ! »

- ٣ -

وعن ثقافته يتحدث هو : « ... كان لي في المرحلة الأولى من حياتي منهج ، في صلبه ديوان المتنبي خاصة ، والأمالي والبيان والتبيين ، والكامل ، وأدب الكاتب ... ثم هناك المزاج الفطري ، ويبدأ لي أن مزاجي يقارب مزاج المتنبي فتأثرت به ... وهناك البحتري ، انا أغالي في إعجابي به ... خمسون سنة لم يفارقني ديوانه » ويقول : « لقد حفظت ديوان المتنبي وديوان البحتري وديوان الشريف الرضي ... وهناك شعراء غير مشهورين حفظت أيضا دواوينهم ، إني أحفظ مائة الف بيت من الشعر .. وقد تأثرت كثيرا في صباي بالشعر اللبناني في المهجر .. تأثرت بجبران كثيرا في طفولتي ... »

ولكثرة محفوظه الشعري صار أشبه بالراوية .. يكمل القصيدة بعد سماع أبيات منها ! وصار وهو في الرابعة عشرة من عمره الرابع دائما في المساجلات الشعرية التي تعقد في النجف ، كذلك قرأ كثيرا في الثقافة الفارسية والفرنسية ، فأتاح له كل ذلك إخصاب موهبته وإثراءها .

- ٤ -

وينتقل الجواهري سنة ١٩٢٤ الى بغداد ليبدأ مرحلة جديدة من حياته ، وليعايش أهلها الذين عرفوه من خلال شعره المنشور في كثير من الصحف .. ويفاجأ الجميع بتعيينه في البلاط الملكي ، ويصدمهم هو بتثاقله عن تسلم هذا العمل الذي تهفو إليه الأفئدة ، بسبب فكرته الوطنية المتطرفة المعادية لفيصل الأول في بداية تنصيبه ! وقد أكرمه الملك وأحسن استقباله لكنه لم يمكث في القصر أكثر من ثلاث سنوات ، ويبدو انه شعر بالتناقض بين أجواء القصور وطبيعته كشاعر وسياسي ، وهذا ماكان بعد نشره قصيدة « الرجعيون » و « جربيني » فقد حزم حقائبه وغادر القصر غير مصغ

للاغراءات الكثيرة بالبقاء ، ومع ذلك بقى لايستأذن له عند الدخول على الملك ! ويصور الجواهرى ماحدث : « وجدتنى بدفعة من دفعات القدر محمولا الى مكان مرموق فى ظاهره ، ممجوج فى مخابره ، إلى مقر لم يخلق لى ولم أخلق له .. ولم يكن على وجه الكرة الأرضية مكان أكثر منه تناقضا مع نفسى ومزاجى وانطلاقتى الفكرية ، هو بلاط فيصل ... تعرفت إلى أمور وأمور ... وتعرفت على كثير من اعلام السياسة المزيفين ! »

وما قاله الشاعر صحيح ، ولكن الصحيح أيضا أن مزاجه الحاد الساخط المتقلب كان ذا تأثير كبير فى هذا الموقف .. بل وفى كثير من المواقف على امتداد حياته ، فعاش كثيرا من فتراتها يعانى معاناة قاسية انعكست على حياة أسرته ، وها هو ذا فى اهدائه ديوانه لابنه الاكبر يصور بعض ذلك !

« الى من اخاف عليه عدوى الوراثة ، الى من ارجو أن اكون عبرة بالغة له ، تساعده على مقاومة كل ميل أدبى ، وتساعده فى شق طريق له فى هذه الحياة الصاخبة ، من غير طريق الشعر .. إلى فرات ! »

وهو فى ذلك ابن بيئته ، فالعراق لايقتصر على العنصر العربى ، بل يضم عناصر أخرى كثيرة ، متميزة ذات تراث ثقافى قديم .. كذلك كان للقبائل شأن خطير فى حياة العراق ، فهى مجتمعات صغيرة متفردة .. كما كان للانقسام الطائفى اثره فى تغذية الاضطراب والتمزق ، كل ذلك وغيره حال دون صهر العراقيين فى بوتقة الوطنية ، وامتزاجهم الكامل بعضهم ببعض ، وأدى الى وجود مايمكن أن نسميه « المزاج العراقى » الذى يتسم بالحدة والتقلب ، والنفور من الاستقرار ، أو على حد قول الجواهرى :

ودجلة تمشى على هونها .. وتمشى رخاء عليها الصبا
تريك العراقى فى الحالتين يسرف فى شحّه والندى

ونتيجة لذلك كله ، ولسوء أحوال العراق السياسية فى العقود الأولى من القرن العشرين ، سيطر اليأس على نفوس العراقيين ، وانعكس على وجدان الشاعر فصبغه بالقلق والتمرد والتقلب والتناقض .. وهذا مايفسر اندفاعه وتورطه فى تأييد انقلاب بكر صدقى ضد الإخائيين فى منتصف الثلاثينات ، وإسناد الوزارة الى حكمت سليمان المنشق عليهم .. بل إنه يطالب باستئصالهم فى عدوانية سافرة :

فضيق الحبل واشدد من خناقهم فربما كان فى إرخائه ضرر

ثم يصدر صحيفة « الانقلاب » لتواكب شعره فى تأييد قائده تأييدا عنيفا

والهجوم المحموم على « ياسين الهاشمي » الذى كان قمة الوطنيين حينئذ .

ولم يكن ذلك هو الموقف الوحيد الذى يبرز تناقضه ! إذ تعددت هذه المواقف فى حياته ، فكانت سببا فى لوم الكثيرين له ، وتعنيفهم إياه ، وانصرافهم عنه .. لكن البعض يغفر مثل هذه الخطايا للطفل الكامن فى أعماقه ، ويقبل منه تبريراته واعتذاراته عن تناقضاته .. بل قد يثنى كثيرا على اعترافاته الصريحة المثيرة للاشفاق والاعذار :

هي النفس نفسي يسقط الكل عندها
اذا سلمت فليذهب الكون عاطبا !

نافقت إن كان النفاق ضرورة متحرقا من صنعتي مترمضا ..
ومزيتي ، وهي الوحيدة انني جاريت طبعي في الكثير كما اقتضى

وليس من شك فى أن الشاعر نفسه ، بالأسلوب الذى سلكه فى حياته ، كان مدعاة لجلب كثير من العداوات له ! مهما يكن من شىء فقد مثلت حياة الجواهرى أنموذجا غريبا لما تكون عليه حياة الشعراء ، فى العصر الحديث على الأقل ، فقد عاش هذا العصر ، وانفعل بما فيه ، وانعكست عليه سوءاته قبل حسناته ، فوجدناه متناقضا ، طموحا إلى تحقيق الآمال الواسعة .. أسيان رافضا عند إخفاقه فى تحقيقها !

ونتيجة لذلك كله وجدنا الشعوبية من التهم التى تلصق به ، ألم يذم الهاشمى ؟ ولم يثن على الطبيعة فى ايران « الفارسية » ؟! ونسى المتهمون قوله :

انا لي دينان : دين جامع وعراقي ، وغرامي فيه دين !

وتغافلوا عن نظرته الانسانية التى تسمو فوق التعصب لأنها تراه أحد ادواء العراق :

وتنابذوا بالجاهلية شجُها من قبل نور الفكر والاسلام
قبيلة يلجا اليها مقعد لا الحزم ينجده ولا الإعزام

وقريب من ذلك ارتباطه بالماركسية لدى الكثيرين ، وهذا الارتباط وإن كان له شواهد صدق تدعمه فانه ظل خاضعا لشخصيته الحادة المتقلبة النافرة من قيود الالتزام : « أنا لا أدين بشىء محدد ، فكل ماهو محدد أنفر منه ... لقد أخذت من أقصى اليمين وأقصى اليسار ... بعد تكوين الحزب الشيوعى العراقى كنت من أكبر مؤيديه .. وان لم أرتبط بتنظيماته ، وهم الشيوعيون .. يعتبروننى من القوى الدافعة للحزب لدى الجماهير .. فهم الذين انضموا

الىّ » أى أن اتجاهه الحزبى قد تأثر بطبعه المرهف الحاد المتقلب ، وبطموحه الذى عذبه كثيرا ، ودفعه إلى ركوب موجات كثيرة متناقضة كان يتوهم الوصول الى مايريد بركوب احداها !

- ٥ -

فى العقدين الخامس والسادس من القرن العشرين تربع الجواهرى فوق القمة ، فتغنى الملايين بشعره ، وأشادوا بوطنيته لأنه اختار الموقع الذى يناسبه وسط الجموع محباً لها ، مدافعا عنها ، عنيفا على تخاذلها وصمتها ! « مجد شامخ ، أنى أظل مع الرعية ساغبا !» ويظل المجد الأدبى الذى حققه ، والقمة السياسية التى تسنمها يغريان بالمزيد منهما نتيجة طموحه المسرف ، واعتداده الزائد بشخصه :

طموح يريغى كل شىء اناله   وإن جل قدرا دون ماابتغى قدرا !

كلما حدّثت عن نجم بدا   حدثتنى النفس ان ذاك انا !!

وقد يختلف الناس - ولهم الحق أن يختلفوا - فى الجواهرى السياسى ذى المواقف المتناقضة ، ولكنهم يكادون يجمعون على الاعجاب بشعره السياسى الذى بلغ درجة عالية من الجودة ، بل انه يفوق غيره من أغراض شعره الاخرى .. وما ذلك الا لأنه مهيأ أساسا للوقوف فى صف المناضلين ضد الفساد السياسى والظلم الاجتماعى .. وهو الخط الذى سار فيه شوطا طويلا من عمره المديد .. ولايغمط فضله عدوله عن السير فيه أحيانا ، فلكل جواد كبوة ، ولكل شاعر هفوات !

وكثير من شعره السياسى اتجه به نحو عملاء الانجليز من العراقيين لأنهم العدو القريب الدار الذى يناط به تنفيذ خطط المستعمرين :

ورواية حبك الزمان فصولها   فبدت لنا ممسوخة الأدوار
وممثلين تصنعا ووراءهم   خلف الستار ملقن متوار
نزلوا على حكم الغريب وغرّسوا   فى ظل ماثمة له وفجار

وهاهوذا يشوى هؤلاء الخائنين بحممه اللاهبة خلال تصدره المدّ الشعبى الجارف خلال الوثبة الوطنية الكبرى سنة ١٩٤٨ :

ولقد رأى المستعمرون فرائسا   منا ، والفوا كلب صيد سائبا

فتعهدوه ، فراح طوع بنانهم   يبرون انيابا له ومخالبا

ولاتكاد تخلو قصيدة سياسية للشاعر من تجريح هؤلاء العملاء ، بل إنه لم يهاجم انجلترا كثيرا كما هاجمهم ، لأن الانجليز مهما عصفوا بالشرق والاسلام فهم مستعمرون غرباء ، ومن أجل تحقيق غايتهم استخدموا كل وسيلة ، حتى لو كانت خسيسة ، أما أولئك فخائنون آثمون ، يشنون الحرب على بلادهم ، ويصادرون حريتها ، ويهينون كرامتها ، ويعيثون في الأرض فسادا .

وبالطبع يعرف هؤلاء المستوزرون مايكنه الشعب لهم من احتقار فيقابلونه بالبطش العنيف . ولا بأس من اختلاق مايبرر جرائمهم الآثمة بالتأويل الكاشف المكشوف للدستور . المؤيد من الخشب المسندة الجالسة فوق مقاعد البرلمان :

ولقد أقول لرافعين أصابعا   ليست تحس كأنها أحطاب !
ماذا نويتم سادتي : هل أنتم   بعد الرئيس كعهده أخشاب ؟!
هل تنهضون إذا استثيرت نخوة   أو تجمدون كأنكم أنصاب ؟!

لقد قطع هؤلاء النواب صلتهم بالجماهير المطحونة ، وتناسوا همومها وأدواءها القاتلة ، وكبلوها بالقوانين الظالمة :

شعب يجاع وتستدر ضروعه   ولقد تمار لتحلب الأغنام
فالوعي بغي والتحرر سبة   والهمس جرم والكلام حرام
ومدافع عما يدين مخرب   ومطالب بحقوقه هدّام

وهكذا تزعم الجواهري بشعره المد الشعبي الكاسح خلال وثبة ١٩٤٨ ، وبخاصة بعد استشهاد أخيه « جعفر » أثناءها . فيستقيل من عضويته للبرلمان الذى سعى إليه استقالة مفاجئة ، تذكرنا بتأييده المفاجيء لانقلاب (بكر صدقي) ثم تراجعه عنه بعد عدة شهور . وبتورطه فيما بعد في تأييد عبدالكريم قاسم تأييدا عنيفا وتحريضه على إبادة القوميين بذات الشعر الموجه للانقلابيين « فضيق الحبل » ثم خروجه عليه فجأة ، ونفيه نفسه طوعا من العراق ! لقد كان دعبل الخزاعي يقول : « أحمل صليبي ولا أجد من يصلبني عليه ! » والجواهري يقول : « أما أنا فقد صلبت ألف مرة ! »

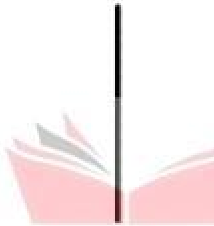
إن الجواهري لايشعر بوجوده ولايجد نفسه إلا وسط الكادحين من أبناء الشعب .

نعم قد يشذ عن ذلك ، ولكن لفترات محدودة ولدوافع وقتية ، سرعان مايعود بعدها ليقف مع الجماهير ضد الحاكم الذى جسد ـ غالبا ـ القهر والاستبداد . لقد نذر نفسه وشعره للغضب الصارخ الذى زلزل مقاعد المستبدين من اجل تحقيق مثل أعلى للحكم الذى ينشده ، فتغلغل بشعره فى وجدان أمته ، بحيث غدا الكثير من تطلعاتها مشربا بصور من شعره !

وكان ابوفرات على وعى بذلك ، فالشعر يصبح ترفا وعبثا ، إن لم يسل ضرما وجمرا لاهبا" فبات العراقيون كلما تأزمت الأمور او ادلهمت الاحداث يتوقعون منه قصيدة تؤجج الخواطر وتنفس عنها فى وقت معا ، وكأنهم فى علاقتهم به يجددون ارتباط القبيلة الجاهلية بشاعرها قديما ، اما هو فقد ظل لسانها الذى يصب قصيده المحموم على رءوس الجلادين .

وهو فى مجابهته الصامدة للطغاة قد يلجأ إلى سخرية موجعة ، تفوق الغضب المباشر ، فى مخاطبة الحكام . كان يقول فى « ماتشاءون » بوزن يتراقص على الشفاه وطيه خناجر مسلولة :

ماتشـاءون فاصنعـوا — فـرصـة لاتضيّـع !
ما الـذى يستطيعـه — مستضامون جوّع ؟!
فشبـاب يخيفكـم — للمطامير يدفـع
ولسـان ينوشكـم — بالدنانير يقطـع
وضميـر يهـزكـم — بالكراسى يزعـزع
عـن ذويكـم وعنكـم — الدساتير تدفـع



فالتجربة هنا أشد ماتكون عنفا وضراما وتوقدا . إنها تجربة المجابهة والمقارعة ومنازلة الحكام . والعاطفة المحركة لها هى الغضب الماحق الذى انقلب نارا تحرق وتدمر . إن هذا الشعر كان سببا ـ بقدر ماكان نتيجة ـ لثورات العراق وانتفاضاته ، فهو هنا شاعر يعمل بالسياسة بمقدار ماهو سياسى يقول الشعر ! إنه لاينتظر الحدث ليرصده بعد وقوعه ، بل يسبقه ويرهص به ويمهد له ، ثم يلقى بنفسه فيه !

وقد أبدع الشاعر « ماتشاءون » سنة ١٩٥٢ ، وقبلها بنحو عامين أنشد درتيه الرائعتين : « أطبق دجى » و « تنويمة الجياع » وهما نوع من خصام المحبين بينه وبين مواطنيه . وكلتاهما تختار الوزن المغنى الراقص ، تشديدا على المفارقة بين الايقاع ومحتواه . وإبرازا ـ من ثم ـ للسخرية والألم !

فى « أطبق دجى » يفتن فى استطباق الدجى على غابة بشرية يتصف الناهش فيها والمنهوش بخصال الحيوان الضارى ، كأن العالم خراب كبير تنغل فيه الضوارى والكواسر والديدان فى وحشية مقززة ، وصورة راعبة سوداء قاتمة تشف عن عنف التوتر والفجيعة واليأس :

اطبق دجى اطبق ضباب اطبق جهاما يلسحاب
اطبق دخان من الضمير محرقا ، اطبق عذاب
اطبق دمار على حما ة دمارهم . اطبق تباب !
اطبق على متبلد ين شكا خمولهم الذباب !
لم يعرفوا لون السماء لفرط ما انحنت الرقاب !
اطبق على متفرقين يزيد فرقتهم مصاب !

والقصيدة جد طويلة ، وهي بأكملها لعنات ماحقة صبها على قومه إذ تخاذلوا . بيد أن غضبه فيها يمثل قسوة الرحمة على أمة استكانت الى الدعة والخمول . إنها تبدأ بهذا الامر المتوالي « اطبق .. أطبق » ليشكل نبوءة حادة بالنذر المخيفة من الدمار المتربص بهؤلاء المتخاذلين . ومثل هذه القصيدة تقترب من المثال الكامل لشعر يستهدف التأثير في الجماهير ، ويحرك فيها عوامل النقمة والشعور بالاضطهاد ، وبأنها ضحية يجب أن تثور على الذابحين لها .

ومن أساه ولوعته على ابن وطنه المحروم ، صرخ في وجهه حانقا محرضا معنفا :

فقل للمقيم على ذله هجينا يسخّر أو يلجم !
تقحّم ـ لُعنت ـ ازيز الرصاص وجرّب من الحظ مايقسم !
تقحّم ـ لُعنت ـ فما ترتجي من العيش عن ورده تحرم
تقحم ممن ذا يخوض المنون إذا عافها الأنكد الأشام !

اما « تنويمة الجياع » فهي نجوى حزينة تنبع من القلق والشفقة ، تلبس فيها الفاجعة لبوس السخرية ، مما لانجده كثيرا لدى الجواهري . إنها تصدر عن ذات النبع الذي انطلقت منه « اطبق دجى » ولكنها هنا أنشودة حزينة مليئة بالحب . وهي بالاضافة إلى هذا ذات بناء موجه ، لايتحكم فيها الاسترسال الغاضب كما سيطر على القصيدة السابقة ، فهي تبدأ بافتتاح غنائي متناه في غنائيته ، وتنتهي بخاتمة مريحة ، إنه يدعو الجياع إلى النوم ... ويستمر في هذه الدعوة حتى يحيل تعاستهم إلى مسرات وهمية :

نامي جياع الشعب نامي حرستك آلهة الطعام
نامي فإن لم تشبعي من يقظة فمن المنام !
نامي تصحّي ! نعم نوم المرء في الكرب الجسام
نامي وسيري في منامك ما استطعت إلى الأمام

نامي على تلك العظات ... الغر من ذاك الإمام
نامي فما الدنيا سوى ... « جسر » على نكد مقام !
نامي فإن الوحدة العصماء ... تطلب ان تنامي
ان الحماقة ان تشقي ... بالنهوض عصا الوئام

لقد وضع بين أيدينا النقيضين ، فآلهة الطعام تحرس جياعها وآلهة الحرب تغني الحان السلام ! والقصيدة جد طويلة (٤-١٠ ب) وفي مقطع منها تتحول لهجة الخطاب إلى قسوة يخفف من حدتها الحزن والحب « ولاتتجادلي ، القول ماقالت جذام ! » ثم يبدأ في مكاشفتها بما خفي عنها ، فان نومها فيه الصلاح لكل فساد « حتى لاتقطع رزق الأنام ! » وفي المقطع التالي يضع الجياع بقوة امام آكليها ، ثم يتوجه إلى الجياع بغنائية تشف عن حب عميق لهم وامتزاج كامل بهم ، واشفاق صادق عليهم :

نامي شذاة الطهر نامي ... يــاغدرة بين الركام
يانبتة البلوى ويا ... وردا ترعرع في اهتضام
ياحرة لم تدر ما ... معنى اضطغان وانتقام
ياشعلة النور التي ... تعشى العيون بلا اضطرام

– ٦ –

يطول بنا القول لو حاولنا الافاضة أو الاستقصاء لشعره السياسي والاجتماعي . وحسبنا أن نشير إلى حربه التي لم تهدأ لحظة ضد الاقطاع والجهل وغيرهما من الأدواء التي تنخر في كيان مواطنيه . ويحمد له أنه لم يقف ـ كغيره من شعراء الوطنية ـ كثيرا عند مظاهرها الجزئية ، ليقينه بأن المجتمع كالجسم الحي لايصلح بعضه إلا بصلاح كله ، فالعلاج لايجدي إلا بقلب النظام المتعفن بما يمثله من أوضاع اجتماعية واقتصادية ، فهو يسقط من حسابه الشعر الاجتماعي بالمفهوم الذي حظي باهتمام الشعراء ، من التعاطف مع امرأة تورطت في الاثم او العطف على يتيم بائس ، لأن الوضع الاجتماعي الذي يحاربه ، هو واليساريون تكتسب فيه كل تفاصيله بعدا سياسيا ، فلا مناص من نسف الواقع السياسي حتى يتحقق العدل الاجتماعي المنشود !

ولعله مما يرتبط بذلك أن نجد معجمه الشعري في هذا الغرض يدور حول الضراوة والدمار والخراب والبوم والضواري والديدان والعقاب والذئاب والهوام والأظفار والأنياب والاصطلام .. الخ . أما الدم الذي يضحي به المكافحون فهو رقراق ومطلول ومسفوح ورِكاض !

ومن المعروف ان الجواهري فتن في شبابه ـ ولايزال ـ بـ « هكذا تكلم زرادشت » الذي يصور فلسفة القوة التي اعتنقها مؤلفه « نيتشه » لدرجة أنه لم يكتف بقراءته بل نسخه عشر مرات ! فليس من العجيب ان يطلب من المستضعف المستضام أن

يرد على مستذليه بالدم « فأفهمهم بدم من هم » و « افهمهم بدم أنهم عبيدك ! » ولابد أن يخاض عام بالدماء وعام ! »

ولما لم يتحقق انموذجه الذى نشده ارتد أسيان يائسا ، وهتف :

يأس تجاوز حده حتى لقد   أمسيت أخشى الشر قبل حلوله !
وبليت حتى لا ألذ بمفرح   حـذر انتكاسته ، وخوف عدوله !

ثم هو تارة أخرى ينتفض مذعورا :

مـن لهمّ لايجـارى   وآهـات حيــارى ؟!
ولعطـوى علـى الجمر   ســرارا وجهــارا ؟!

ولعله فى اعتناقه فلسفة القوة ، ويأسه وتشاؤمه ، بل وفى كثير من مواقف حياته . يذكرنا بسلفه العظيم « ابو الطيب المتنبى » الذى كان محل إعجابه ومثلا أعلى له ، بل بدا وكأنه يطاوله قامة وضخامة ، بل لغة وجزالة ، ولكن مع إعجاب ومحبة ، فلا يحرجه أن يرجع الكثير من أصدائه . فالمتنبى يتدفق لديه بحسه البطولى وبتمرده ورفضه ويأسه حتى لنكاد نقع على صدى صوته فى كثير نتاج الجواهرى . وإذن فلا يقتصر الأمر على التلاقى بينهما فى بعض مواقف حياتهما أو التقارب فى بعض الصور الفنية ، مع أن هذا جد كثير ، فمثلا قول الجواهرى :

كذبوا فملء فم الزمان قصائدى   ابدا تجوب مشارقا ومغاربا

يجعلنا نستعيد على الفور إعجاب المتنبى الزائد بشعره وإدلاله المستمر به :

وما الدهر إلا من من رواة قصائدى
إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا

وعندما نقرأ له :

كلما حدثت عن نجم بدا   حدثتنى النفس لن ذاك أنا !

يتجسد أمامنا شموخ أبى الطيب واعتداده الزائد بذاته « أنا الصائح المحكى والآخر الصدى ! » ويقوحه الذين تأنف نفوسهم « أن تسكن اللحم والعظما ! »

وتجدر الاشارة إلى أن الجواهرى لم يكن إقليميا فى شعره السياسى ، بل لقد



الشاعر وزوجته وابنته وحفيداه صورة عائلية في خريف ١٩٦٨

استوعبت نفسه الثائرة كل الاحزان والمآسي القومية لأمته العربية وفى المقدمة محنتها الكبرى فى فلسطين السليبة :

فاضت جروح فلسطين مذكرة   جرحا بأندلس للآن ما التاما

كما شارك فى الاشادة بانتصاراتها ، وتمجيد النابهين من أبنائها . ويكفى ان نشير إلى قصائد مثل « أبو العلاء » و « جمال الدين الافغانى » و « ذكرى المالكى » و « حافظ ابراهيم » و « أحمد شوقى » و « طه حسين » و « بورسعيد » و « الجزائر » و « قل للشباب بمصر » و « دمعة على دمشق » و « تونس » .

بل إن له قصائد تتفق واتجاهه اليسارى نحو « عيد العمال » و « سواستبول » و « ستالينجراد » هذا إذا اقتصرنا على مجرد العنوان فى تصنيف قصائده وتقييمها . والحقيقة ان شعره عصى على مثل هذا التقسيم ، لان عمومه القومية كثيرا ماتبرز من خلال معالجته لقضايا وطنه ، وهذان المستويان الوطنى والقومى يجسدهما كثيرا فى شعره الانسانى يستوى فى هذا التمازج معظم للقصائد برغم ماتوحى به عناوينها من ارتباط بزعيم سياسى أو بعلم من أعلام الفكر والأدب ، أو بمناسبة وطنية أو قومية أو عالمية . فشعره ذو منبع موحد متجانس ، لأنه يصدر عن وجدان مرهف ثائر على الواقع المتدنى لوطنه ، وأمته ، وبنفس تواقة إلى التغيير وتحقيق الحياة الكريمة لها .

وهكذا ظل أبو فرات على امتداد عمره المديد الصوت المعبر عن آلام قومه وآمالهم .. قد يزيغ أو ينتكس ، أو ييأس ويمل :

ارح ركابك من اين ومن عثر   كفاك جيلان محمولا على سفر

لكن سرعان مايتبوأ مكانه الصحيح !

كل عرس انا « المغنى » وفى كل عزاء انا الهتوف الناعى

باريس

عناق بين القديم والجديد

بقلم : مصطفى درويش

لباريس "روح" تمتاز بها عن كل مدن العالم . فهي اذا نسبت إلى بعض مدن العالم القديمة مثل القاهرة والقدس ودمشق واسطنبول وروما . كانت طفلة بنت يوم . بل بنت ساعة .

غير انها بين مدن الدول المطلة على المحيط الفاصل بين أوروبا والعالم الجديد من أقدمها . وهي تباهي كل المباهاة بقدمها . وبما فيها من آثار تاريخية تعود الى الثورة الفرنسية وما قبلها وبعدها .

وهي تفاخر بلقبها "مدينة النور"

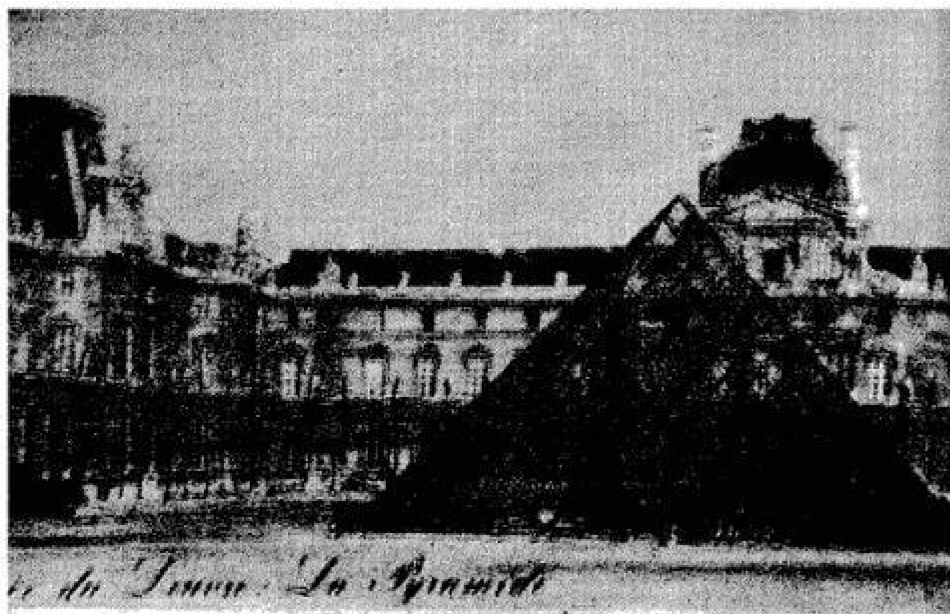
ففيها من المعاهد العلمية والفنية والمتاحف وبيوت الازياء ما ليس في سواها .

وقد انجبت نفرا من خيرة الفلاسفة والعلماء والفنانين التشكيليين والموسيقيين والسينمائيين والأدباء .

وهي ضنينة بمبانيها . شديدة الحرص على احجارها القديمة الكريمة . حتى أنها تفضل فتح أبوابها للغزاة مستسلمة للعار . على أن يصيب حجر من تلك الاحجار أي دمار !

ولكن ثمة مفارقة في هذا الخصوص تلفت الانظار . وتتطلب شيئا من التأمل والتفكير .

فرغم كل هذا الشغف بالاحجار والحرص عليها . فانه لم يتبق من مباني باريس ما قبل الثورة . الا أقل القليل .



هرم اللوفر

قوس نصر نابليون



باريس عناق بين القديم والجديد

● **الفتنة الباقية**

فعلى الضفة اليسرى لنهر السين ، لم يعصم من الضياع سوى مبنى الانفاليد حيث مستقر "بونابرت" الأخير ، والبانتيون حيث تحفظ رفات العظماء أمثال فولتير وروسو ، وقصر اللوكسمبورج الذى شيد فى عصر لويس الثالث عشر كى تقيم فيه امه الملكة "ماريا دى ميديش" والحى اللاتينى يحيط بازقته الضيقة الملتوية اكثر جامعات فرنسا عراقة "السوربون" .

اما "الايل ديلاسيتى" تلك الجزيرة التى انبعثت منها باريس ، كما خرجت من أمواج البحر فينوس ربّة الجمال ، فليس فيها من مبانى العهد القديم سوى كاتدرائية نوتردام التى جرى تشييدها على امتداد قرنين الا اثنى عشر عاما .

وعلى بعد خطوات حيث مبنى وزارة العدل ، توجد حبيسة فنائه جوهرة باريس "مصلى السانت شابل" الصغير بنوافذه العالية الثمانية المرصعة بمئات التصاوير المنمنمة المستوحاة من قصص التوراه والأناجيل ، والمرسومة بقطع زجاج صغيرة من جميع الالوان تسر الناظرين .

وقلعة "الكونسييرجرى" (١٢٩٨/ ١٣٥٣) ذلك السجن الرهيب الكئيب الذى كان من بين نزلائه أرملة لويس السادس عشر "مارى انطوانيت" روبسبيير ، شارلوت كوردى قاتلة "مارا" ، مدام "دى بارى" و"دانتون" .

واحد منهم لم يكتب لعنقه نجاة من القطع بالمقصلة التى اشتهرت باسم مخترعها "جيلوتين" .

فاذا ما انتقلنا إلى باريس الضفة اليمنى ، لما وجدنا من المبانى العتيقة التى يرتد عمرها الى ما قبل الثورة شيئا ، باستثناء ميدان "فوج" بمبانيه الانيقة المشيدة بأمر من هنرى الرابع (١٦١٢/٥) ، ومتحف اللوفر ، يقف على بعد خطوات منه تمثال صغير ذهبى اللون لحصان تمتطيه "جان دارك" يزدان به ميدان الاهرامات المجاور لحدائق التويليرى المواجهة للمتحف الشهير .

● **الهدم .. لماذا ؟**

والذى أعمل معول الهدم فى مبانى تلك الضفة ، هو "لويس نابليون" الذى انقلب على الجمهورية ونصب نفسه امبراطورا (١٨٥٢)

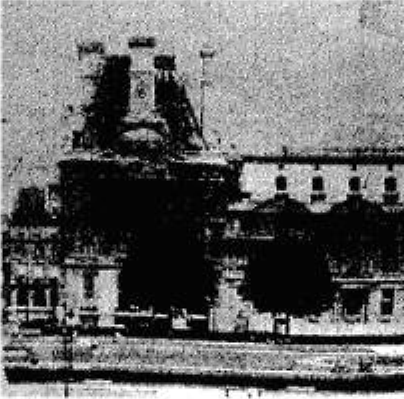
ففى عصره الذى طال الى ثمانية عشر عاما ، ولم ينته الا بهزيمة منكرة ادت الى سقوط باريس فى ايدى الغزاة الالمان (١٨٧٠) ؛ فى ذلك العصر الذى غالى الشاعر الفرنسى "فيكتور هيجو" فى ذمّ امبراطوره

المغتصب للسلطة ، وهجائه هجاء لاذعا لم يسمع له مثيل ، تغيرت معالم باريس ، اختفى ستون فى المائة من مبانى ضفتها اليمنى ، لتحل محلها شوارع فسيحة ، ترتفع علي جانبيها اشجار باسقات ، فروعها تعانق السماء : كل ذلك للحيلولة بين الشعب وبين تقليد ما حدث فى اعوام ١٧٨٩ و ١٨٣٠ و ١٨٤٨ : بالثورة على النظام الحاكم ، وحمايتها من قوات الامن باقامة المتاريس .

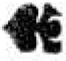
● انتصار الجديد

اذن فباريس المعاصرة بأبهة مبانيها ذات الطابع الكلاسيكى (البلدية والاوبرا) ، وقصورها الشامخة (شايو) ومتاحفها الغنية بروائع الفن (بومبيدو ، اورسى) وشوارعها الخضراء لا يُرى لامتدادها نهاية ، وساحاتها المزدانة بالنافورات والاعمدة واقواس النصر ، ورياضها وحدائقها الغناء تنفح بالعطر الهواء وبرجها الحديدى "ايفيل" يشق الفضاء ، باريس هذه انما هى بنت الثورة الفرنسية ، ليس فيها من القديم السابق على تلك الثورة الا القليل وفيها من الجديد اللاحق على احداثها الشىء الكثير .

انها بحق باريس "هاوسمان" نسبة الى البارون المهندس "جورج اوجين هاوسمان" الذى عمل على هدمها واعادة بنائها تنفيذا منه للامر الصادر



متحف اللوفر ، زاوية جانبية

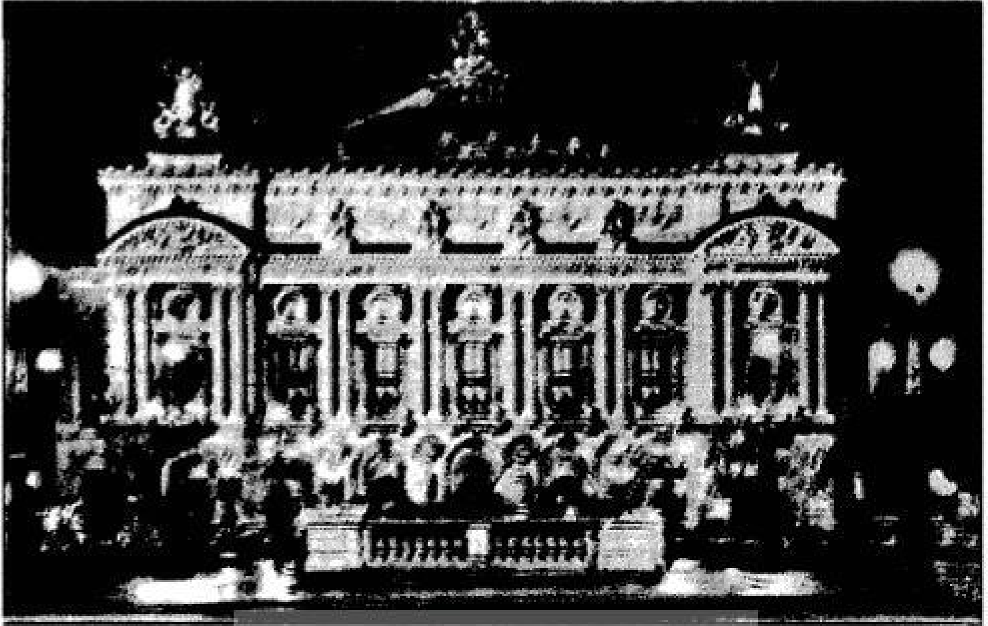


اليه بذلك من الامبراطور المغتصب نابليون الثالث (١٨٥٣)

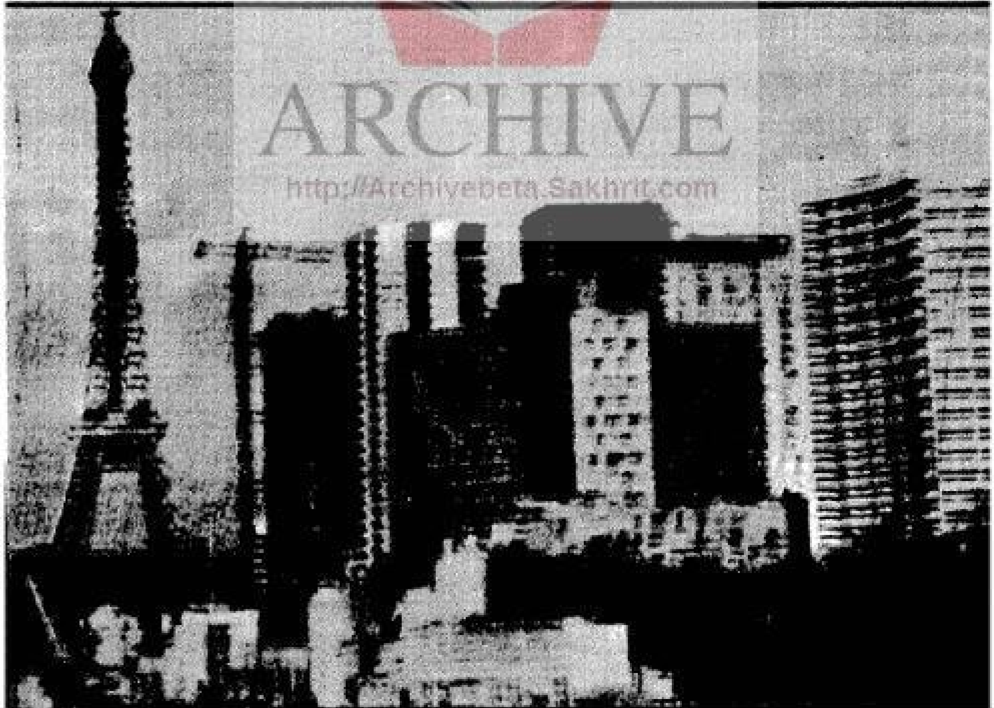
ومن المفارقات أن اقدم اثر فى باريس ليس فرنسيا ، ولا حتى اوربيا ، بل مصريا .

انه مسلة رمسيس الثانى احد الفراعين ، انتقلت من الاقصر الى باريس ابان عصر محمد على الكبير ، بفضل "شامبليون" ذلك العالم الفرنسى النابغة الذى اعاد الروح الى لغة قدماء المصريين بفك طلاسم حجر رشيد ، حيث انتصبت منذ مائة وخمسين عاما أو يزيد (١٨٣٦) فى ميدان الكونكورد (الوئام) . بديلا للجيلوتين تنحنى له رءوس اعداء واصدقاء الثورة على حد سواء كى يجرى قطعها بالمئات تحت قبة السماء .

اوبرا باريس .. ملبعد الثورة



الجديد .. والقديم .. لوحة واحدة





جان دارك .. قادت فرنسا الى النصر

باريس عناق بين القديم والجديد

● هـرم الانفـاق

والحديث عن مسلة رمسيس التى يتحلى بها الكونكورد ، ذلك الميدان الذى يعتبر بحق واحدا من أجمل ميادين باريس ، بل قل العالم ، لابد وأن يسحبنا الى الوقوف أمام الهرم الزجاجى الذى أقامه المهندس المعمارى الامريكى "بى بى" المتحدر من أصل صينى هو ونفر من المعماريين الافذاذ ، وسط فناء نابليون على بعد عشرات الأمتار من تلك المسلة ، وعلى بعد خطوات معدودات من متحف اللوفر ، ذلك أنه لم يجر تشييده أصلا إلا ليكون مدخلا لهذا المتحف العتيق الذى وصل عدد مقتنياته الى اربعمائة الف من بينها الكاتب المصرى ولوحة موناليزا (الجوكندا) التى نهبها بونابرت اثناء حملته الايطالية .

هذا وقد افتتحه الرئيس فرانسوا ميتران بمناسبة الاحتفال بمرور مائتى عام على ثورة الرابع عشر من يولية .

لو القينا نظرة طائرة مهرولة على هذا الهرم الصغير الشفاف الذى يغلب عليه طابع التجريد لاعتبرناه عملا متطفلا على الفناء الذى يحيط به مبنى اللوفر من ثلاث جهات ، مقتحما حرمة مكان له طابع كلاسيكى ذو جلال .

● عصـر الفضـاء

ولكن لو تأنينا فى نظرتنا ، لبدا لنا وكأنه سفينة فضاء شدت الى الارض ، ولكنها على وشك الرحيل عائدة من حيث اتت ، بعد ان رأى روادها متاع المتحف وقروا عينا .

وليس من شك انه هرم قوامه مزيج من العلم والفن وفقا لاقصى ما بلغاه فى الربع الرابع من القرن العشرين .

وهو بوصفه كذلك انما يتماشى مع ميل الباريسيين الى التعاصر ، وولعهم الشديد بكلمة التعايش ، يقصدون بها ان يجاور الجديد القديم فى تواصل وانسجام .

● سقطـة

ولكن كل هذا المديح ، لا يعنى انه هرم بلا مشاكل فلقد شاء مبدعوه ان يحيطوه بثلاثة اهرامات زجاجية صغيرة .

وكان هدفهم من ذلك ان يغمر ضوء النهار الطبيعى الممرات التى تحت الأرض ، تلك الممرات التى تصل الهرم الرئيسى باجنحة مبانى اللوفر القديمة حيث يوجد عزيز المقتنيات التى جرى جمعها من جميع انحاء العالم على امتداد قرنين من عمر الزمان .

ورغم نبل هذا الهدف ، فإنه ، والحق يقال ، ليس ثمة مبرر لهذه الاهرامات الثلاثة ، لاسيما وان وجودها انما يضعف ذلك الاحساس الذى اسلفنا ذكره : اثيرية الهرم



المسلة والبرج .. عناق فى السماء

الرئيسى ، وما يتفرع عن ذلك من تخيلنا له اشبه بسفينة فضاء اسطورية حطت على الأرض امام اكثر متاحف فرنسا روعة وجمالا .

● فقدان الاتجاه

هذه واحدة ، اما الأخرى فهى مشكلة يلزم بموجبها ان نعود الى الصلة بين طراز هذا الهرم وبين الطراز المعمارى الضخم السائد حوله من جميع الجهات .

من المعروف ان اللوفر يقع عند نهاية طريق النصر من الجهة الشرقية ، ذلك الطريق الذى يعتبر فى نظر البعض اعظم محور مدائنى فى العالم ، اذ يمتد فى خط عمودى من قوس نصر الكاروسيل المشيّد تكريما لانتصارات بونابرت (١٨٠٨/٩) ، مرورا بحدائق التوليرى ، فميدان الكونكورد حيث مسلة الاقصر . ثم شارع الشانزليزيه ، فميدان شارل ديجول (اتوال) حيث قوس النصر) ، ومنه الى وزارة الدفاع .

وكما سبق ان ذكرنا فمبانى اللوفر تحيط بفناء نابليون من جهات ثلاث اما جهته الرابعة فمنفتحة على هذا المحور العظيم .

ولكن ذلك الفناء ليس واقعا على خط عمودى مستقيم مع المحور المذكور . انه خارجه ببضع درجات .

وهكذا ، فعندما يقف المرء فى منتصف فناء اللوفر ، فانه لا يرى المحور العظيم من منتصفه مستقيما وانما يراه منكسرا قليلا .

ومن الغريب ان بناة الهرم قد وضعوه فى منتصف فناء نابليون تماما ، بحيث يحيط به جناحا اللوفر بشكل يتسم بالتناسق الكامل .

وهو ما يعنى ان الهرم قائم على محور اللوفر وليس على محور طريق النصر .

وهنا الخطأ .

فلقد كان من الاسلم ان يوضع الهرم على محور ذلك الطريق ، بحيث يكون امتدادا مستقيما لقوس النصر .

● طريق الندامة

وهذا مؤداه بحكم اللزوم الا يكون موضعه فى منتصف فناء نابليون على



موناليزا ... مغربية



لوحة حديثة من متحف بومبيرو



بعد متساو من جناحي اللوفر .

والمشكلة الآن هي ان الهرم بوضعه الحالي ، انما يرنو بشكل او بآخر الى ان يكون انعكاسا مكملا للنظام الكلاسيكي الذي هو الطابع المميز لمباني اللوفر الاكثر منه قدما .

ولكن الهرم لا يشكّل جزءا من هذا النظام .

انه على العكس يمثل النقيض له ، المتمرد عليه .

وهو بوصفه كذلك يعتبر في حقيقة الامر جزءا من صرح طريق النصر الاكثر شمولا وشموخا ، باقواسه وحدائقه ونافوراته ، وتماثيله ، ومسلته المصرية تبرز من بين كل هذا الجمال المتداخل المتواصل خطا واحدا صاعدا دالا على ارادة الانتصار .

والسؤال المحير بعد ذلك ، هو كيف غاب كل هذا عن بال بناة الاهرام امام المتحف العتيق ؟

إياب

شعر: ماجدة بركة



سكن الليل وآبت غزلان الاحراش الى مسكنها
وطيوف بيضاء تتحرك فى كهف النسيان

سقط الشاطر من فوق حصان
واميرته جاثية فوق الرمل الأبيض
والوردة فى الشعر اللامع تبتهل بليل
والقمر قباب وجوامع

قيثـار
والنغم لآلىء تنهمر بليل
سكن الليل
وآبت غزلان القلب الى وحشتها
والصمت كيان ..
المسه ويواسيني ونسير سويا
الصمت صفى الجزلان

حزنى ؟؟.. بل ان الفرحة تملكنى حتى الدم
انزف كل دمائى الفاسدة
وتشرق فوقى الاكوان
هذى خنسائى تدعو ولدا آخر ان يستشهد
وترا آخر من اوتار القلب
ان يتمزق
ان ينخرط العسر بيسر
دمعة ملح ان تسقط فى كاس الخمر الحلوة
سكن الليل

وعادت للنفس طمانينتها
للبارىء نفس مهدية
عودى ساكنة يا ايتها الأطياف البيضاء
عودى مخضلة
وليمنحك المسك طيوبه .... ولتمنحك الطيبة ملمسها
وليمنحك الله البركة ..



محمود بقشيش

الصالون التاسع للجمعية الأهلية للفنون الجميلة

تراجع المتقدمون وتقدم المتراجعون !

دعا نقاد الفن، منذ سنوات، الجمعيات الفنية الى التمرد على مبدأ (سد الخانة) فى إقامة المعارض والندوات والمحاضرات، والحرص على أن تكون لتلك المجالات توجيهات واضحة، وكان الثابت عندها هو الخلط بين الوسائل والغايات. وبتعبير آخر ـ كانت ممارسة الأنشطة، سالفة الذكر، هى الغاية، بغض النظر عن الكيفية التى تتم بها. لهذا تشابهت كل الجمعيات فى التوجه التراكمى والمرتجل.

وقد استجابت بعض الجمعيات لما دعا اليه النقاد.

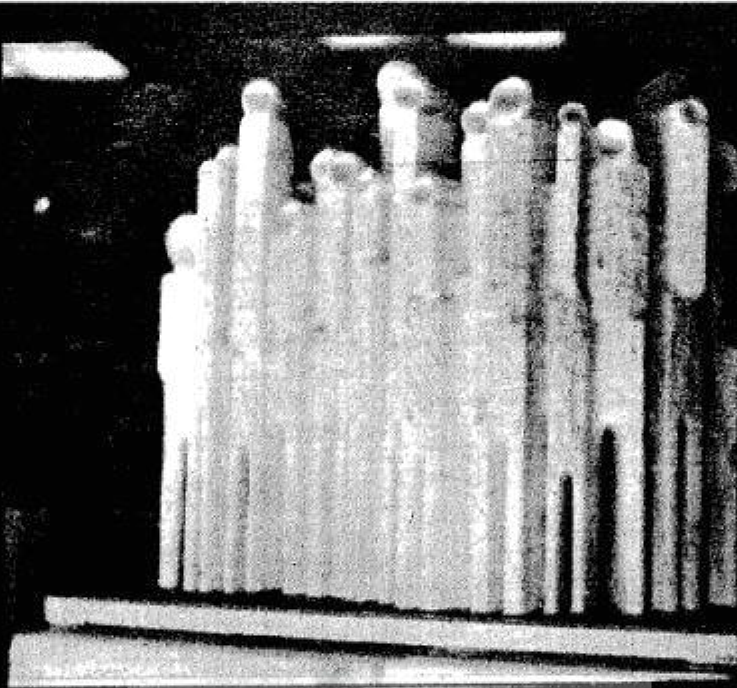
● فقدمت "جمعية محبى الفنون الجميلة" معرض "القضية الواحدة". وحدمت "الجمعية الأهلية" لتقدم هذا العام، مبادرة تستحق التوقف عندها. فقد ضم معرضها كل أجيال المبدعين.. ابتداء من جيل الأطفال حتى الشيوخ!

.. وكان لسان حال الجمعية يقول ليتفاعل كل الموهوبين المصريين.. أملا فى ابتكار إضافة جديدة الى الحركة التشكيلية المصرية!

وكما امتد المعرض ـ رأسيا ـ واحتوى مساحة زمنية كبيرة (من سن السادسة حتى سن السبعين)! فقد اتسع ـ أفقيا ـ وضم مجالات تشكيلية تجاوزت المعتاد، وتجاوزت التعبير التقليدى "للفنون الجميلة". مثل "التصوير الفوتوغرافى" ومجال "العرض المجسم فى الفراغ" ولم تنس الجمعية الفنانين الذين سقطوا فى الطريق. فكرمت هذا العام اثنين منهم. هما: عبد المنعم البطاوى ونجوى عبد الجواد.

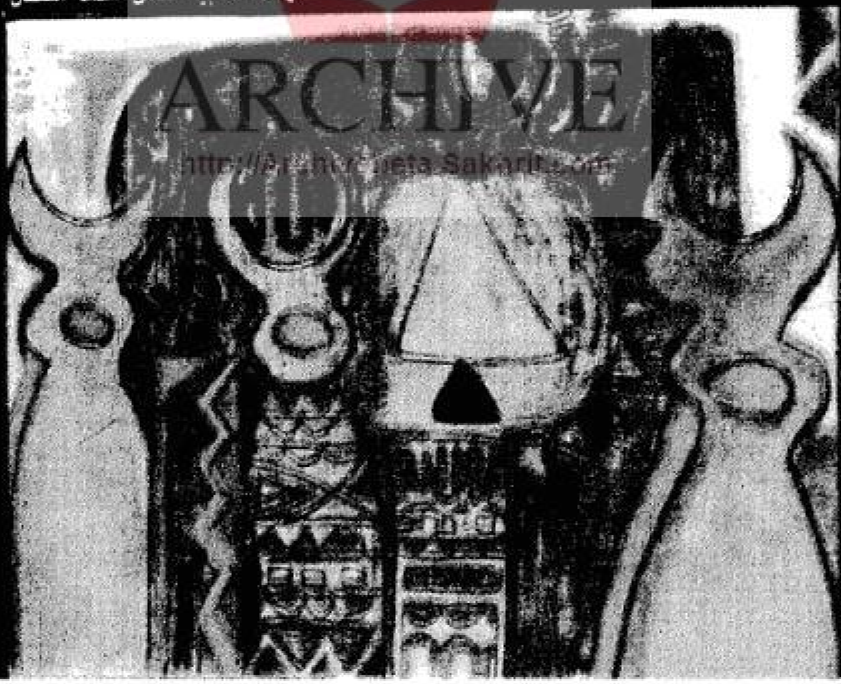
★ ★ ★

اقتصر معرض الاطفال ـ الذى اقيم بقاعة ملحقة داخل قاعة النيل الكبرى ـ



«موسيقى بصرية مجسمة» للفنان محمد عبدالحميد

مفردات شعبية للفنان محمد الطحان





على اطفال الفنانين فقط . وعلى الرغم من تأثر الاطفال بأساليب الآباء الفنية ، وتوجيهاتهم .. فإن طزاجتها لابد أن تغرى الآباء ، ذات يوم باستلهام ابداعات اطفالهم .. وبالنسبة لى فقد كان معرض الصغار نزهة ممتعة ، وأمنيتى أن تتألق تلك المواهب ، وأن تتخطى عوائق التعليم ، وفساد الذوق العام ، والصورة المريضة التى تحرص وسائل الاعلام المصرية على تقديمها عن الفنان ، وترجيح الغيبوبة على العقل ، وسيادة مبدأ : أخطف وطر ! " ..

ولاشك أن "الموهبة" التى تتخطى غابة الحواجز تلك .. ستكون جديرة بأن تتوج رأس "مصر المستقبل" !

● انسلابات !

كان أحد شواغلى ، عند زيارتى هذا المعرض أن اطمئن على مستوى الفنانين الذين نالوا جوائز اولى فى صالون الشباب الأول (الجائزة الأولى لكل فرع كانت قيمتها ثلاثة آلاف من الجنيهات) غير اننى عندما التقيت بأعمالهم صدمت ، ولم اصدق أن يتراجع فنان عن مستواه هذا التراجع الخطير .. وتساءلت بينى وبين نفسى ـ وقد كنت عضوا فى لجنة التحكيم ـ هل أخطأنا التقدير ، ولم نتمكن من تمييز الموهوبين من غير الموهوبين ؟!

هل كانت المسابقة وقيمتها المادية الكبيرة محركا لنوازع الخلق .. فلما اختفى الدافع اختفت الموهبة ؟!

هل كانت الاعمال الفائزة بالجوائز الأولى منقولة ـ كما أشيع ـ ولما جاء معرض بلا جوائز .. لم يجد الفائزون مبررا للنقل .. فانكشفوا ؟!

هذه الاسئلة وغيرها دارت فى رأسى .. بعد لقائى ، غير السعيد بأعمالهم ، فقدم "هشام نوار" ـ الفائز الأول فى فرع المجسمات ـ عملا يصعب إدراجه فى اطار العمل الفنى ، واتسم عمله بركاكة شديدة ، وشاركه "طارق المشد" ـ الفائز فى التصوير ـ فى التراجع ، وإن لم يصل الى نقطة "الصفر" التى بلغها زميله ! .. بينما تكاسل "طارق الكومى" ـ الفائز بجائزة النحت الأولى ـ فاكتفى بتقديم نموذج مصغر لمنحوتة اشترك بها فى صالون الشباب وفى حين تراجع المتقدمون ، تقدم المتراجعون ! ..

تقدم "جمال عبد الناصر" منحوتتين ، تثبتان اقدامه فى عالم النحت ، تتميزان بـ "الديناميه" والحوار الثرى بين الكتلة وفراغاتها البينية ، والخارجية . ويتسق هذا الحوار مع موضوعه المختار وهو "عازف الكمان" ، ولا تستطيع الفصل بين الآلة وصاحبها ، ويشكل العمل "وحدة" جامعة لعناصر الموضوع ، وعناصر الكتلة النحتية . ومن الايجابيات التى كشفت عنها هاتان المنحوتتان .. بداية تخلصه من مؤثرات : "جياكومتى" ومؤثرات "صبحى جرجس" وبالتالى ظهور تباشير اسلوب شخصى يتميز به .

وتقدم "حسام الدين أمين" الصفوف ، بلوحته المرسومة بالقلم الرصاص والتى كشفت عن براعة وحساسية فائقة فى

استخدام تلك الخامة . وقدرات واضحة في الرسم والتكوين والخيال الجامح ، ولم يكتف بذلك بل أراد أن تقوم كل العناصر الاضافية بدور فعال في تأكيد وحدة العمل الفني ، فخشن سطح غطاء اللوحة الزجاجي .. حتى حدد الرسم ، واعطى بهذه القيمة الملمسية ، غير المتوقعة ، دورا جديدا للغطاء الزجاجي ، وشارك "سامى كشك" "حسام امين" ميله الشديد الى الاتقان ، وان مال الى شيء آخر أحذره منه .. وهو "الميل السياحي" .. بالالحاح على شكل الأيدى الفرعونية ، ووصفها في علاقات ذات طابع زخرفي .. بينما قدم "حمدى ابو المعاطى" لوحتين بالحبر الصيني والاصباغ الملونة ، اكد بهما احتفاظه بمستواه ، وحرصه على الدقة وقلل ، نوعا ما ، مما اعتدناه منه .. من ثرثرة بصرية .

وإذا كان المتقدمون تراجعوا ، والمتراجعون تقدموا .. فإن هناك بعض الفائزين قد اختفوا اختفاء كليا في هذا المعرض .. (ونرجو أن يكون المانع خيرا !)

• مختارات من المعرض !

لاحظت أن معظم ـ واستخدام لفظة "معظم" بدقة ـ الاعمال المعروضة .. قد شوهدت ، مرات ومرات ، في معارض سابقة ، ونوقشت ، مرات ومرات ، من النقاد وكتاب الاخبار المطولة ، وليس من المفيد للقارىء اعادة نفس الكلام ، والذنب ـ في معظمه ـ لايقع على الجهة المنظمة بل على الفنانين انفسهم الذين يتعاملون بشيء من الخفة مع هذه النوعية من المعارض .. ورغم ذلك فإن من حاول اللقاء ـ عبر هذا المعرض ـ بمتذوقي الفنون التشكيلية افضل من الذين تجاهلوه ولم يشتركوا فيه ..

والآن .. لنقدم بعض التعليقات النقدية على اعمال بعض المبدعين .. الذين لم احظ وإياهم بلقاءات نقدية كثيرة !

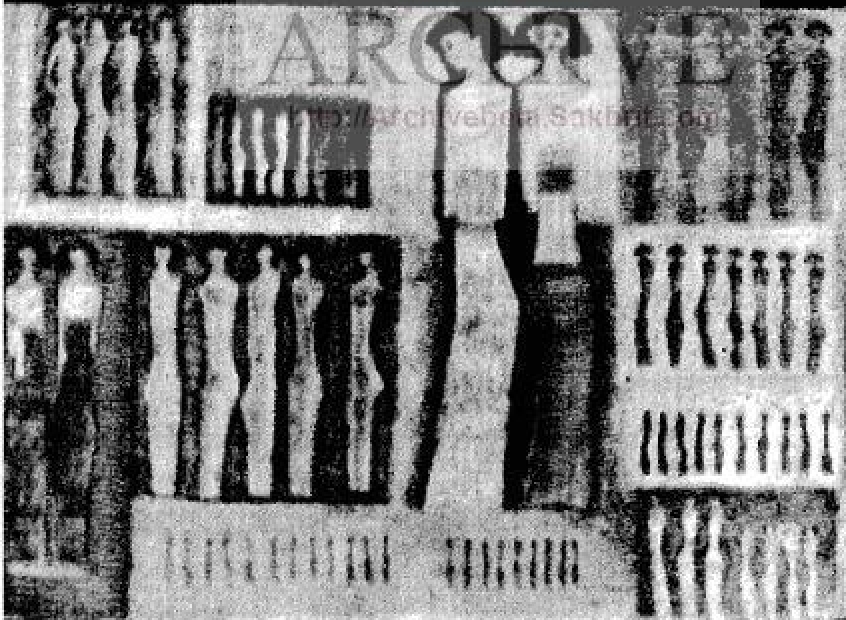
● **محمد عبد الحميد** : قدّم احدث منحوتاته ، واكثرها جودة .. وكانت المنحوتة مقدمة أصلاً للاشتراك في مسابقة "الاوبرا" . وهي ترمز لكائنات بشرية تغنى . تشبه الأعمدة ، وتنتصب مثلها في صلابة ، وتشكل بالتصاقها صفين ، متماوجين ، متصلين وتجسدّ المنحوته بتنوعها الملمسى ، واختلاف اطوالها ، وخامتها البيضاء (المصنوعة من الحجر الجيرى) لحناً بصرياً ممتعاً . لقد أسس منحوتته "الكورالية" على وحدة .. لحنية/ بصرية .. تتكرر ، وتتنوع ، وتشكل باستمرارها لحناً جماعيا متخيلاً ، وحركة إيقاعية ، تكاد تكون ثابتة ، بين النور والظلال .

● **أحمد عبد العزيز** : يأتي على النقيض من "محمد عبد الحميد" فبدلاً من تسييد حركة إيقاعية ثابتة تشمل وجهي المنحوتة ، وجعلها في حالة تقابل ، وجه راسخ . بنائى . ذو طابع سكونى . أمّا الوجه الآخر فيفاجئنا بما يناقض الوجه الأول .. من علاقات مقلقة ، وعلى الرغم من أن كلا من الوجهين لايبرر الوجه الآخر . فإن كل وجه على حدة يحقق

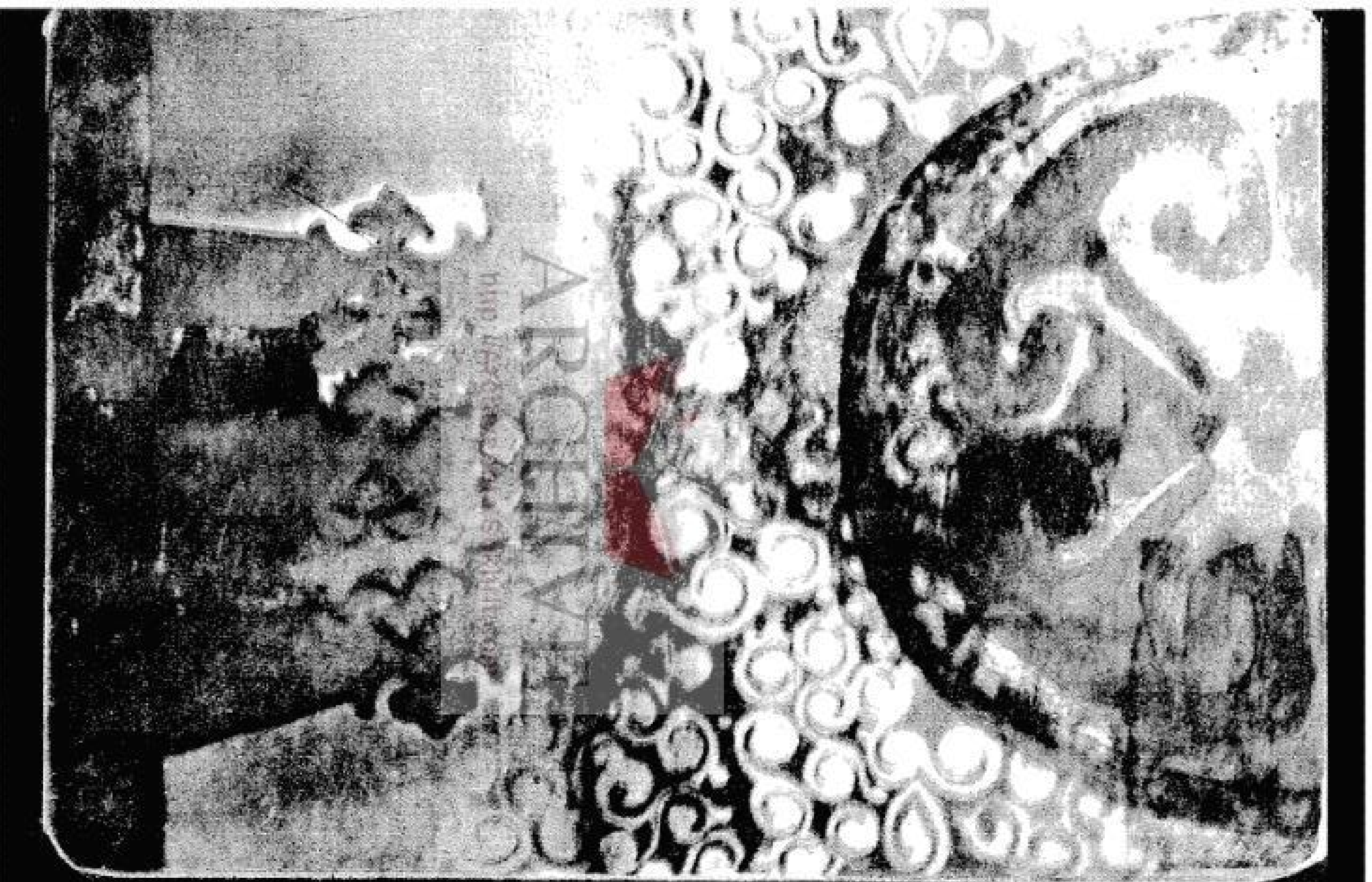
جولة المعارض



احلام صحراوية
للفنان : محمد صفوت



تصميم زخرفي للفنان : سيد عبدالرسول



زخارف اسلامية .. للفنان مجدى عبدالعزيز



إمتاعاً للعين : الأول بمفاجآته وغرائبه ، والثانى بطابعه السكونى ! ..

● **عبد السميع السيد** : اكتفى النحات الراحل بسمات المنحوتة الفرعونية ، وعُرضت له منحوتة جرانيتية صغيرة الحجم ، تمثل أشكالاً ضبابية ، موحية بكيانات بشرية ، تشكل فيما بينها أسرة متماسكة . وقد اختار لنفسه الخامات الصعبة التى ينفر منها الفنانون المصريون إلا اثنان فقط هما : محمود موسى وعبد السميع عبد الحى ، وقد أنجز هذه المنحوتة عام ١٩٨٣ قبل وفاته بقليل .

● **محمد سيد توفيق** : تتسم منحوتته ، شأن منحوتاته الأخرى ، بالكثافة ، وهى لاتلفت نظر الزائر المتعجل .. لصغر حجمها (لايزيد ارتفاعها على ٣٠سم) من الخشب "الماهوجنى" .. وحركتها هامسة ، وتضاريسها تشبه الكثبان الرملية ، وكتلتها تنتسب إلى كتلة المنحوتة الفرعونية ، ويخلع كل هذا على المنحوتة غموضاً شعرياً ، ومذاقاً مصرياً .

● **محمود شكرى ومحمد العزازى** : يشتركان فى عديد من السمات الفنية بالاضافة إلى زمالتهما فى كلية واحدة هى كلية الفنون التطبيقية ، فالخامة المفضلة لديهما هى خامة البرونز ، وكلاهما يميل إلى الكتل التى تقاوم الجاذبية أو ما يمكن أن نطلق عليه بـ "الكتلة الطائرة" . وإن اختلفنا بعد ذلك فى الرؤية ، ففى حين تغلب على "شكرى" روح غنائية . رشيقة وسطح لامع .. تصدمنا اشكال "العزازى" بإيحاءات عضوية قاسية ، وتلقائية خشنة .

● **محمود رضوان حجازى** : ينتمى إلى من يمكن أن نصفهم بـ "التراثيين الجدد" الذين تستغرقهم جماليات الحرف العربى ، وقدّم "حجازى" فى معارضه المختلفة تجارب متباينة فى التعامل مع هذا الحرف . ويقدم فى المعرض لوحتين بخامات لونية مختلفة مثل (الزيت والاكليريك واللاكيه) ويحاول أن يخرج الحروف المستخدمة من دلالتها المعجمية ، وأن يكتفى بإمكاناتها الحركية . وتتسم لوحاته بجرأة اللمسات ، وتمكنها ، وتلقائية التصميم .

وقبل أن أغادر المعرض أحب ألا يفوتنى ذكر أسماء الفنانين الذين أضمهم فى منطقة "الأمل" وهم : السيد عبد سليم ، عبد الوهاب عبد المحسن ، أمنية أحمد على ، جمال عبد الحليم ، حازم بدوى ، محمد صفوت ، حسام سعيد ، فارس احمد فارس ، عبد المنعم عبد السميع ، سمير الجنزورى .

● غنائيات أحمد الرشيدى

أقام الفنان احمد الرشيدى معرضا بقاعة أتيليه القاهرة ، ضم منتجات من

اخر انتاجه ، وبهذا المعرض يؤكد اصراره على اسلوب شخصى اختاره والتزم به ، ومن ناحية اخرى .. فإن معارض "الرشيدى" تمثل للمشاهد والمتابع ، والناقد .. واحات لتهدئة الاعصاب من ضغوط الحياة اليومية يحتل فيها وجه المرأة محوراً رئيسياً ويضم معرضه إلى جانب الوجه الانسانى محاور أخرى ، تمثل موضوعات عامة تستلهم مادتها من الحياة اليومية ويحتل موضوعه المفضل : "حاملات السلال" موقعاً مرموقاً ، وضم المعرض ايضا عدداً قليلاً من اللوحات استلهم فيها "المنظر الطبيعى" كما ضم بعض المجالات ، وكلها منفذة بخامته المفضلة : الالوان الزيتية

يمثل وجه المرأة الركيزة المحورية فى عالم "الرشيدى" الحالم ، فى حين يختفى الرجل اختفاء كليا ، وعندما كان يضطر اضطراراً - فيما مضى - إلى استحضاره فكان يُغيبه فى غلالات ضبابية ، ولايظهره إلا عن بعد ، بينما تتألق العروس فى

عازف الكمان
للفنان جمال عبدالناصر



إثنين فى واحد (تكوين ٢) خشب
ماهوجنى للفنان : محمد سيد توفيق



جولة المعارض

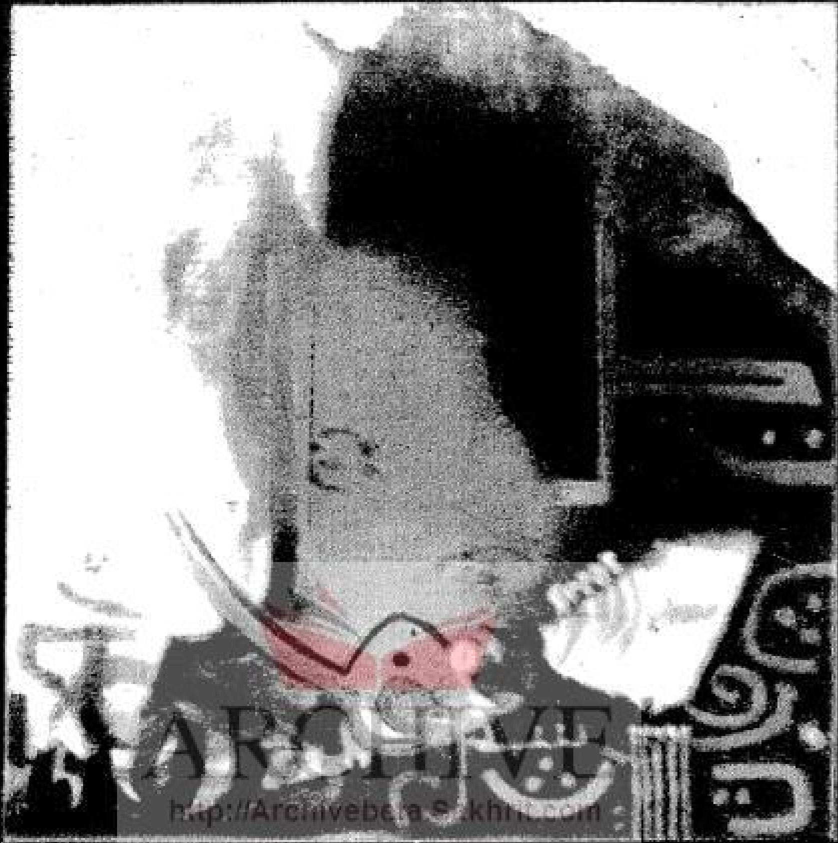
٢٢



اغنية نوبية للفنان . احمد الرشيدى

ملابس الزفاف . تتوج فارباً يتهدى فى ضوء القمر .

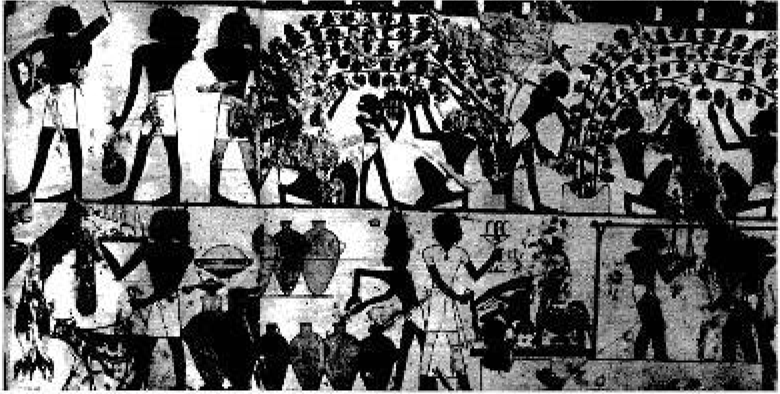
وربما كان الفنان "عز الدين حموده" هو الفنان المصرى الوحيد الذى يشارك "الرشيدى" فى الانحياز الكلى إلى المرأة ، وان اختلف اختلافاً عميقاً فى الاسلوب الفنى ، ومنابع المثيرات . ففى حين استقرت اختيارات "حموده" على وجوه ارستقراطية ، واسلوب فنى يستلهم "الكلاسيكية" بقى "الرشيدى" على عشقه المألوف مع فلاحات من صنع الخيال ، واسلوب شخصى يتسم بالسلاسة والبساطة . وكان من الطبيعى ان يتشكل عالم اللوحات الرقيق . الحالم



حروف عربية .. للفنان محمد رضوان حجازى

من نغمات خطيّة تحفل بالاقواس والمنحنيات ، والتآلفات .

ليس فى لوحات الرشيدى مكان للضد ! ليس هناك رجل يحاور امرأة .. ولا الوان تشتبك مع الوان .. ولاظلال تواجه اضواء .. بل هناك تآلف وتناغم ، وصوت واحد يتغنى بلحن دافىء الالوان هادىء النبرة . الجديد فى هذا المعرض هو درجة من التجويد واضحة تبدت فى النسيج اللونى الذى صار اكثر ثراء عن ذى قبل .. والذى تشكل من مزيد من تداخلات "اللون الساخن" والاحتفاظ بدرجة معتدلة من سخونته ، يمكن أن نتصورها فى منطقة الدفء الهادى .. لا الصراخ .

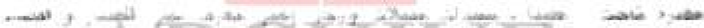


● يمضي التاريخ .. تاركا وراءه بصمات فوق السطح وفي بطن الأرض .. ثم تلتي الرياح لتطمس مواقع الاقدام وتمحو سطور الزمان .. وتأبى مصر أن تستسلم لسطوة الفناء أو تقهرها جحافل المحو . وتبقى سطور التاريخ محفورة في سجل الزمن معابد وأهرامات ونقوش وبرديات نقرأ على أسطحها وصفحاتها ونشهد أصداء سحيقة نستشعرها بوجداننا .

ليتصل الماضي بالحاضر . ولتمحي الأبعاد ويتمخض التاريخ عن عبق شامس ـ طيفي القوام ـ شمع ذبيبه حاسة جوانية يعيش فيها الماضي والحاضر . ليعلن للبشرية أنه "لاجديد تحت الشمس" .

لغز الحضارة وكنوز الفراعنة

بقلم : د. سيد كريم







أحد الفخار مخصص للخمور التى تختلف أشكالها من دولة لأخرى

عرف المصريون القدماء الخمر مع بدء ظهور الحضارة أى ماقبل عصر الأسرات ، ومن اقدم الخمور التى صنعها المصريون البيرة والنبيذ وهما أقدم المشروبات التى انتقلت من مصر الى مختلف الحضارات عبر مسيرة التاريخ . وقد أختلف الباحثون والأثريون فى أيهما عرف قبل الآخر وكانتا تعتبران من المشروبات الشعبية التى عاصرت الحضارة منذ نشأتها حتى عصرنا الحديث . كما ظهرت بجوارها منذ اكتشاف المصرى القديم لهما انواع مختلفة من الخمور المصنوعة من ثمار الفاكهة التى أختصت بها كل منطقة بل وكل اقليم . فاشتهرت اقاليم الوجه القبلى بصناعة خمر "التمور" أو خمر البلح (العرق ولازال شائعا الى الآن بجانب الخمور التى تفننوا فى صناعتها من ثمار النبق والدوم والخروب . بينما تخصصت اقاليم الوجه البحرى بصناعة الخمور من ثمار التين والرمان والجميز .

كانت الخمر من المقدسات التى احتلت مكانها فى حياة المجتمع وفى علاقته بآلهته ومعتقداته كما ورد ذكرها فى اكثر من بردية من برديات كتاب الموتى ومتون العقيدة . وصف كتاب الموتى الجنة التى وعد الاله بها المؤمنين بأن بها نهر من الخمر وآخر من الماء الزلال . وثالث من عسل النهر . كما وجدت فى لوحات القبور ادعية وصلوات يطلب فيها المتوفى أن يزود بأهم مقومات الحياة فى نظره . وهى الخبز والبيرة ـ كما لاتخلو قائمة من قوائم القرابين فى كل من الدولة القديمة وعصر الأهرامات من البيرة والنبيذ .

● البيرة (الجعة) : كانت البيرة من المشروبات الشائعة عند قدماء المصريين

فكانت شرابا رئيسيا على المائدة . وكانت تعتبر من المشروبات الشعبية التى عاصرت حياة المجتمع عبر تاريخه الطويل وكانت تعتبر من المواد الغذائية التى تقدم مع الخبز وتقدم للأطفال فى المدارس .

يطلق على البيرة اسم حق وحقت وحنقت تبعا لأنواعها ولايمكن وضع تاريخ محدد لبداية استعمال المصرى للبيرة أو اكتشافه لصناعتها فقد وجدت فى حفريات عصور ماقبل الأسرات جرار من البيرة لازالت تحتفظ ببقايا الشراب مدفونة مع أكثر من رجل يرجع بعضها الى ثمانية آلاف سنة كما وجد العديد من الأوانى والجرار ضمن حفريات جرزه ونقاده ومرمده ومقابر العصر العتيق .

ذكر المؤرخ ديودورس أن البيرة كانت مشروب الفقراء وعامة الشعب بينما شرب النبيذ كان مقصورا على القصور الملكية وعلية القوم . بينما سجلت الوثائق والبرديات المصرية القديمة أن البيرة كانت المشروب المفضل لدى الملوك والحكام والكبراء وكانت البيرة تصنع فى مصانع خاصة ملحقة بكل قصر أو مزرعة كما شهدت كل عائلة بصناعة نوع خاص بها يحمل اسمها وتختم بأختامها وتحتفظ بسر صناعتها أو توليفتها .

وقد وجدت فى قائمة الملك اوناس (٢٦٢٥ ق . م) قائمة انواع البيرة التى كانت تعد خصيصا له وهى :

حنقت (البيرة العادية) .

حن سس (بيرة الصداقة او الضيافة)

شزرت (البيرة الممتازة المعطرة)

زبو (البيرة الحلوة)

كما ورد فى برديات الدولة القديمة ذكر أنواع أخرى من البيرة منها شدح (البيرة السوداء) التى كانت تخمر وتحلى بالبلح ونوع آخر من البيرة المسكرة التى تحلى أثناء تخميرها بعسل النحل ، والبيرة المرة التى كانت تخمر بإضافة انواع من الأعشاب اليها .

كما ورد فى برديات أبيرز الطبية ذكر البيرة الطبية التى يضاف الى صناعتها مسحوق الترمس ووصفتها البردية كعلاج لقرحة المعدة . أما البيرة التى يتناولها عامة الشعب فكانت تعد فى مصانع خاصة تديرها الدولة وتشرف على توزيعها بواسطة محال خاصة لبيعها أو حانات لشربها يطلق عليها اسم (برحنقت) و (برايرب) و(برداربى) .

وكان تحضير البيرة فى العصر العتيق وفى عصور ما قبل الأسرات لايختلف عن صناعة (البوظة) التى اشتهرت بها بلاد النوبة وبعض مناطق السودان حاليا . حيث كانت أرغفة خبز الطعام تبل فى الماء وتترك حتى تتخمر ويتحلل الخبز . لقد تطورت صناعة البيرة فى أوائل الدولة القديمة حيث كشفت مجموعة من البرديات والنقوش والرسومات التى وجدت بمقابر من الوزير رخميرع وتى ومكت رع فى كل من بنى حسن والدير البحرى وسقارة عن تفاصيل طرق صنع البيرة بواسطة ما أطلق عليه (أقراص البيرة) . كانت سنابل القمح والشعير تنظف ثم تدق الحبوب بمدقات خشبية كبيرة فى إناء عميق من الحجر يشبه الهون ، ثم تبلل بالماء أو

ترطب لمدة يوم حتى تنتفخ ثم تترك لتجف وتغربل لفصل القشور فى إناء ذى ثقوب ثم تبلل مرة ثانية وتدق فى إناء خاص مع استمرار إضافة الماء إليها حتى تتحول الى عجينة . توضع بعد ذلك على لوح خشبى وتضاف اليها الخميرة . وتقوم احدى النساء بعجنها ثم تشكل اقراصا مستديرة ثم تترك لتسوى فى الشمس وحرارتها بالوجه القبلى أو تخبز بشكل خاص لاتصل فيه الى حد النضج انما الى أن يعلو سطحها ويحمر وجهها مع بقاء قلب الاقراص نيئا . ثم يقطع كل قرص الى أربعة أجزاء (لوحات مكت رع) ويشكل كل جزء الى كرات تشبه الكشك الصعيدى المعروف حاليا . وتحفظ الكرات الصغيرة أو الاقراص تبعا لتشكيلها فى مخازن المنازل .

عند اعداد البيرة تلقى اقراص خبز البيرة فى أناء ملىء بالماء العذب وتترك حتى تتخمر . وعندما تصل الى درجة الاختمار المطلوبة تصب فى سلة بمثابة المصفاة تحتها اناء كبير من الفخار وتعجن بالايدى فيسيل العصير فى السلة حيث يتجمع فى الاناء .. وهذا السائل يكون هو البيرة المطلوبة .

ويستدل من بعض القرابين الخاصة بطعام الميت وشرابه أنه يفضل "البيرة الحلوة" التى يضاف اليها عصير البلح التى تصنع على ذمة الميت لأنها سهلة الحفظ ولايطرأ عليها الفساد .

كما كانت البيرة الحلوة تستخدم كغذاء للاطفال حيث يتناولونها فى المدارس والمنازل وضمن وجبات الغذاء ، وذلك بأن تنقع اقراص خبز البيرة فى الماء ثم تصفى وتشرب طازجة قبل بدء تخمرها



خبير التذوق يحدد صلاحيات مزيج النبيذ ، ونسب خلط الانواع (مقبرة سن ابى) طيبة .

وتحلى احيانا بعسل النحل أو عصير البلح ويطلقون عليها اسم البيرة النقية لخلوها من كحول التخمر وهى تشبه البيرة الخالية من الكحول المعروفة :

فى الدولة الحديثة امتداد الى عهد البطالسة كانت صناعة البيرة فى يد مؤسسات تنظمها الدولة ويديرها ملتزمون قائمون على ادارتها وكانت الحكومة تنظم توزيع الشعير على المتعهدين الذين يأخذون على عاتقهم توريد الكميات المقابلة لها من البيرة مع تحديد أسعارها والتى ارتبطت جميعها بنظام الضرائب الذى وضعته الدولة عليها مع تحديد طريقة تحصيلها . ويعد ذلك النظام أو القانون الذى وضع فى الأسرة الثامنة عشر اول تجربة عملية للحد من انتشار الخمور واستهلاكها المتزايد بين مختلف طبقات الشعب وخاصة الطبقات العاملة والشعبية المحدودة الدخل .

كما كانت الحكومة تنظم توزيع الشعير

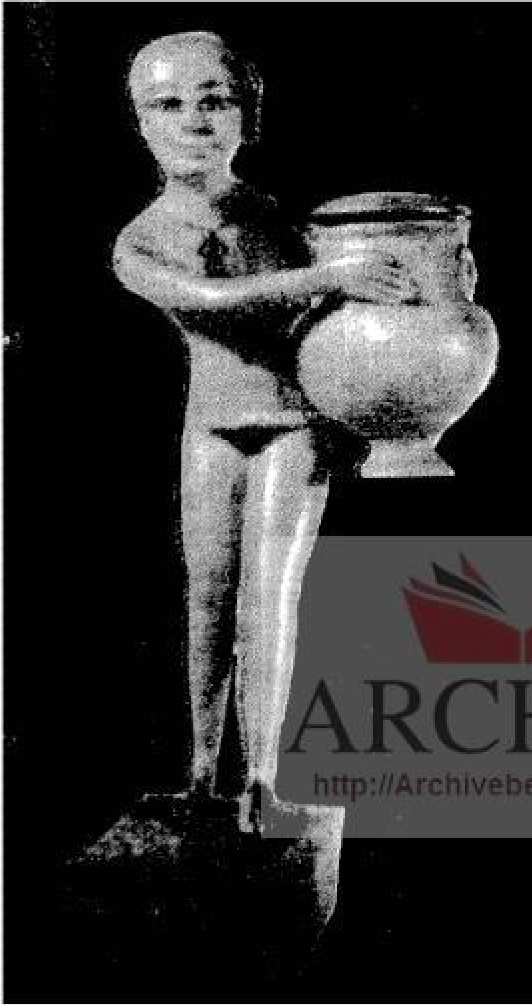
على المتعهدين الذين يأخذون على عاتقهم توريد الكميات المقابلة لها من البيرة . وكانت هناك هيئة خاصة في الدولة مكلفة بتوزيع البذور الدهنية لمصانع الزيوت والشعير والبقول اللازمة لصناعة البيرة مع الرقابة المستمرة والاشراف على صناعتها حتى لايتعارض انتاجها مع الاشتراطات الصحية التي تضعها الهيئة .

● إشراف للدولة

كانت صناعة البيرة تخضع مصانعها لقوانين خاصة ولها رخص تدفع عنها رسوم انتاج للدولة كما يخضع توزيعها لضرائب خاصة بالاستهلاك اما حوانيت البيرة (برحنقت) في الدولة الحديثة فكانت جميعها ملكا للدولة وتدار تحت اشرافها واستمر العمل بهذا النظام حتى اوائل عهد البطالسة. وقد ذكر في احدى البرديات انها في عهد بطليموس الثاني كانت حوانيت البيرة ملكا للملك شخصيا يشترك معه بعض رجال الحاشية والأمراء . كانت تؤجر كما ورد في بعض البرديات المعاصرة بواسطة مزاد علني تقدم فيه العطاءات للحصول على أعلى الايجارات .

● صناعة النبيذ

كان المصريون القدماء يشربون النبيذ (ايـرب) الى جانب البيـرة الجعة (حقت) . ولم يستدل بصفة قاطعة في الماضي اذا كان كروم العنب قد استورد الى مصر من الخارج خلال الدولة الوسطى كما ذكرت بعد المراجع ، أو أنها أصيلة في وادي النيل منذ عصر ماقبل الأسرات ولم يستخرج منها المصريون



حاملة الجرة / الدولة الحديثة

النبيذ الا في عصور متأخرة حيث ورد اسم الكروم وصوره ونقوش تبين طرق

زراعته فى مقابر العصر العتيق والأسرات الأولى .

ذكر اسم العنب (كرم) فى تاريخ العظيم "متن" فى عهد الأسرة الثالثة فقد كانت له مزارع شاسعة لأنواع مختلفة من الكروم المتعددة الألوان والاشكال . كما دلت الاشارات الهيروغليفية والرسوم الزخرفية التى استخدمت فيها عناقيد العنب وثماره وأوراقه فى عناصر تكوينها فى عهد الأسرة الأولى على أن نبيذ الكروم كان معروفا عند المصريين القدماء قبل بدء الاسرات يطلق عليه اسم "مشروب العظماء" وهو ما دعا كثيرا من المؤرخين بوصف البيرة بأنها مشروب الفقراء كما كشفت تحليل بقايا جرار الخمور فى مقابر عصور ماقبل الأسرات فى حفريات نقاده وحلوان وأون وجود آثار للنبيذ مما أكد للباحثين أن النبيذ وصناعته فى مصر قديم قدم البيرة .

وقد وجدت بذور العنب وبعض أجزاء من اغصانه (العقل) فى أحد قبور دير المدينة وفى بعض مقابر سيوه . وقد تم العثور على كثير من الصور والنقوش والرسوم التى تمثل طرق زراعة العنب وجنيه وعصره تمهيدا لصنع النبيذ وتعبئته فى الجرار وحفظه فى المخازن الخاصة بالتخمير كذلك طريقة صنع مختلف اشكال الجرار الخاصة بكل نوع من انواع النبيذ كما تفننوا فى صناعة اوانى تقديم المشروبات واكواب الشرب التى صنعوها من الفخار الرقيق المطلى او البللور والزجاج المتعدد الألوان أو السيراميك أو الاوانى والأكواب المحفورة من المرمر وقد تطورت فنون تشكيلها وزخرفتها من عصر لآخر وقد بدأ استخدام المعادن فى صنع الآنية والأكواب فى العصر المتأخر وعصر البطالسة وانتشر استعمالها فى عصر الرومان الاغريقى .

وقد تم اكتشاف بعض اوانى الشرب المعدنية فى حفريات الدولة القديمة بسقارة ولكنها لم تكن شائعة الاستعمال حيث كثر استعمال السيراميك والالباستر الشفاف فى صنع اوانى الشراب .

وقد عنى المصريون القدماء بزراعة العنب كشجيرات قائمة بنفسها لاتحتاج الى دعامات كما اعتنوا بزراعته على شكل اسوار للزينة تفصل اجزاء الحديقة عن بعضها سواء حدائق الزهور والزينة وحدائق الفاكهة وحدائق الخضراوات أو مزارع تربية الدواجن والمواشى والتى تفننوا فى تخطيطها وتنسيقها حول قصور الدولة الحديثة .

ويدل الاشارات الهيروغليفية ونقوشها الزخرفية على أن "تكاعيب" العنب كانت أكثر انتشارا عندهم وخاصة فى المزارع الكبيرة . كما تدل بعض نقوش الدولة القديمة على أنهم كانوا يزرعون اعنابهم وكرومهم بجوار اشجار الحور لتتسلق جزوعها وتشترك فى تزيينها . كما ظهرت تلك الطريقة فى العصر الرومانى بزراعة شجيرات العنب بجوار اشجار الكافور . ولقد حاول الرومان عند خروجهم من مصر نقل تجربة زراعة العنب المتسلق على الأشجار فظهرت فى حدائق بعض قصور البحر المتوسط جنوب روما حيث تم تجربتها على اشجار الحور التى تعلو بعضها من مصر كما قاموا بتجربتها على اشجار النخيل التى نقلوها معهم من مصر الى جنوب روما على شواطىء البحر المتوسط المواجهة لمصر .

● شهرة للكروم فى مصر

اشتهرت مصر بزراعة انواع عديدة من الكروم كان اشهرها ما اطلقوا عليه اسم (كانى كم) اى غذاء مصر ، وكان يصنع منه النوع المعروف باسم النبيذ الحلو.

ذكر المؤرخ "ايرمان" أن مصر القديمة اشتهرت بصناعة ستة أنواع من النبيذ وهى الابيض والأحمر والذهبى والاسود والمريوطى ونبيذ الواحات.

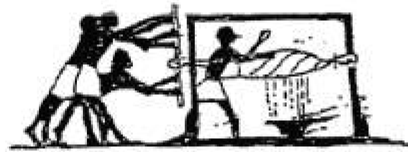
كما ذكر "لوريه" انه ورد فى الآثار عشرة أنواع من النبيذ من بينها ما كان يدخل فى تحليتها عسل النحل أو عصير البلح بالاضافة الى أكثر من نوع مما اطلقوا عليه اسم النبيذ الطبى الذى تدخل فى صناعته بعض الأعشاب الطبية وقد ورد ذكره فى بعض البرديات الطبية كبردية "إيبرز" ولم تكن شهرة النبيذ المصرى مقصورة على البلاد المجاورة بل تعدتها الى جزر البحر المتوسط وبلاد اليونان وفينقيا وروما التى كانت تصدر اليها حاملة اختاما مصرية تحدد انواعها ومصدرها ومواقع تصنيعها . ويعتبر النبيذ المريوطى من اشهر الانواع التى كانت تصدر للخارج ووصفه كتاب الاغريق والرومان بلونه الذهبى الصافى ومذاقه الحلو ووصفه شعراؤهم بأن لونه مستمد من اشعة شمس الآله ومذاقه من عصير فاكهة الجنة .

وهناك انواع كثيرة من النبيذ نالت شهرة تاريخية خاصة وهى ماكان ينتج منها فى مزارع المعابد وبساتينها الخاصة من اشهرها مزارع معابد سيوه والفرافرة وطيبة وقفط واهناسيا وسايس ونقراطيس واشتهرت كل منها بلونها ومزاقها المميز. وسمى كل منها باسم احد المعبودات الاقليمية . كما اختلفت اشكال الجرار الخاصة بحفظ كل منها والاختام التى تختم بها والتى تحدد مصدرها ونوعيتها وسجل على بعضها تاريخ صنعها .

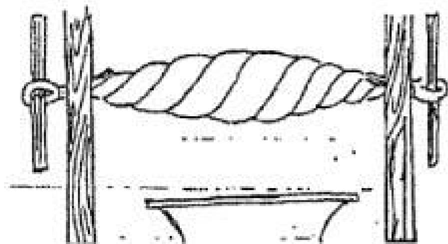
● وقد سجل قدماء المصريين طرق صناعة النبيذ وانتاجه مفصلة فى مختلف العصور الفرعونية - سواء بالحفر أو النقش والرسوم الزخرفية على جدران مقابر الدولة القديمة بسقارة ومنف ويرجع بعضها الى الأسرة الثالثة امتدادا الى



معصرة العنب



العصير بواسطة الاكياس



الأسرة السادسة وعصر الاهرامات . كذلك فى حفريات بنى حسن والبرشا فى عهد الدولة الوسطى كذلك فى الكثير من مقابر طيبة ووادى الملوك والملكات فى الدولة الحديثة ، كما وصل الينا الكثير من تفاصيلها مسجلة فى برديات ونقوش العصر المتأخر وعصر البطالسة .

كان القوم من أقدم العصور يقومون بجمع قطوف العنب الناضج سواء من "التكعيبات" أو المتسلقات أو الاسوار ويحملونه فى سلال من البوص أو زعف النخيل . ويحمل العنب الى المعاصر وكانت بسيطة الشكل لاتختلف كثيرا عن مثيلاتها التى تشاهد الآن فى بلاد شمال افريقيا أو جنوب اوروبا .

تتركب المعصرة من حوض طويل منخفض تقام فوقه دعائم خشبية يبلغ علوها ارتفاع او طول العاملين . كان الحوض يملأ بالعنب ثم يخوض فيه عدد من الرجال أو النساء يمسكون بايديهم فى العوارض العليا ويهرسون العنب باقدامهم . كانوا يقومون بعملية الهرس بحركات تقليدية منتظمة كالرقص الجماعى على انغام خاصة بتلك المناسبة وتظهر بعض النقوش فى برديات الدولة الحديثة عملية الهرس الايقاعى بمصاحبة عازف الناى أو منشد الايقاع كما هو الحال فى ممارسة الاعمال الجماعية التى يقوم بها عمال البناء أو العمال الزراعيين أو عمال جر السفن وتجديفها حيث يقوم العمال بتأدية أعمالهم بترديد الاغانى التقليدية الموروثة بمصاحبة المنشد او عازف الناى وهى من التقاليد التى عاصرت الحضارة فى مسيرتها عبر القرون وعاشت مع ضرب نبضات حياتنا الى اليوم .

فى نقوش مقبرة "ابى" فى طيبة مجموعة من النقوش واللوحات تمثل صناعة النبيذ ابتداء من عملية زراعة الكروم وجنى محصول العنب وعصره تمهيدا لصنع النبيذ وحفظه فى الجرار .

يسيل العصير بعد هرسه فى الحوض الطويل فى قنوات تصب فى حوض أو خزان كبير . وكان يعاد عصر مايتبقى من العنب فى اكياس تثبت فى أطرافها عصى ، وتدار فى اتجاهين مختلفين حتى يمكن الحصول على كل سائل العصير . كان العصير يترك للتخمر بعض الوقت فى الأحواض ثم تتم تصفيته ويعبأ فى الجرار الخاصة ليتخمر فيها الى درجة معينة وهى مكشوفة لبضعة ايام فى مخازن خاصة ثم تغلق تماما وتختم بأختام المصنع وتحفظ للتعتيق ، وقد ذكر بعض المؤرخين أن بعض انواع الخمر الممتازة فى المعابد كانت تحفظ لتعتق فى مخازن خاصة يصل حفظها الى جيلين من الزمان قبل فتح جرارها للاستعمال وخاصة فى الاعياد الدينية الرسمية .

● عرف المصريون القدماء ابتداء من الدولة القديمة جميع أنواع النبيذ المعروفة الآن لدى مختلف الشعوب فى العصر الحديث فقد وجدت قائمة فى مقبرة "سن نفر" وزير قصر الملك "امنحوتب الثالث" ورد بها ذكر مختلف انواع واصناف وألوان النبيذ الخاصة بالقصر منها الابيض والوردى والاحمر والذهبى والاسود المصنوع من نوع معين من الكروم ذات الحبات الكبيرة السوداء يطلق عليه اسم عيون حورس اشتهرت به واحة سيوة . كذلك وردت اصناف النبيذ الحلو الذى يخمر بعسل النحل أو عصير البلح والنبق كذلك ماوصف بالنبيذ المعطر بالياسمين واللوتس وبعض النباتات

العطرية ، أو "النبيذ النارى" الممزوج بمختلف انواع البهارات كذلك النبيذ الطبى الذى يدخل فى تخميره حبوب الترمس وبعض النباتات والاعشاب الطبية . وقد حوت القائمة اكثر من ثمانية عشر صنفا من أصناف النبيذ .

كما ورد ذكر النبيذ الخاص بطهو الطعام وهو انواع مختلفة تختلف بأنواع الاطعمة التى تدخل فى طهيها كالطيور أو اللحوم أو الاسماك .

وهناك نوع خاص من النبيذ اطلقوا عليه اسم نبيذ الضيافة كان يقدم للضيوف وعلى موائد الضيافة أو الموائد العائلية فى موسم العصير ويتكون من عصير العنب الطازج الذى يقدم عند بدء تخمره وقبل أن يتحول الى نبيذ كامل التخمير وهو من الأصناف الشائعة الاستعمال فى أوروبا حاليا فى مواسم جنى ثمار العنب .

كثيرا ما كانت على الجرار أو اختامها تاريخ صنعها واسم صانعها أو المسئول عنها بجانب نوع النبيذ ودرجة الجودة التى كانت تحدد بالارقام من ٣ الى ٨ . امكن من مصادر النبيذ المسجلة على الجرار معرفة اماكن صناعتها ومواقع مزارع كرومها وانواع محاصيلها وثمارها ومن أشهرها مزارع كروم المريوطية (جناكليس الحالية) والفيوم والواحات ، وكانت مزارع المعابد ومصانعها يختار مواقعها على حدود الصحراء بالأراضى الطفيلية أو الطينية الرملية . فى عهد البطالسة اشتهرت مزارع كروم الشاطىء الشمالى وكانت تروى بالآبار التى يطلق عليها حاليا الآبار الرومانية وكانت مصانعها تمون بلاد الرومان بالنبيذ الذى كانت تحمله سفن وحاويات خاصة طوال العام

فى الدولة الحديثة كانت مصر تصدر النبيذ وتستورد انواعا خاصة منه من البلاد الاسيوية وفلسطين وسوريا وتسجل احدى البرديات التى وجدت بمقبرة (رخمى رع) كشفا بتصدير ١٢٠٠ جرة من النبيذ الممتاز و ٥٠ جرة من الكحول و ٥٠ جرة من نبيذ طهو الطعام . كما كشفت حفريات العمارنة رسائل بعض المخاطبات الرسمية المتبادلة مع حكام الدول الاسيوية التى يطلبون فيها تزويدهم بشحنات من جرار النبيذ المصرى الفاخر ومبادلته بما تحتاج اليه مصر من الاحجار الكريمة والعاج وانواع خاصة من النسيج أو الاخشاب الخاصة اللازمة لصناعة السفن والتوابيت التى تستورد من لبنان وشواطىء فينيقيا .

وفى الدولة الحديثة تشرح النقوش الموجودة بمقبرة "نخت" طريقة طهو البط والطيور البرية بالنبيذ حيث تصور النقوش فن اعدادها ابتداء من صيد الطيور بالشباك من البركة المائية ثم تنظيفها وتعليقها على الخيوط لتعريضها لأشعة الشمس والهواء لتطهيرها ثم تتبل بالبهارات والاعشاب ويستعمل النبيذ فى عملية التحضير ثم فى عملية الطهو ولاتختلف تلك الطريقة عن الطريقة الفرنسية المشهورة فى اعداد البط وطهوه كما استعمل النبيذ ايضا فى طهو انواع معينة من اللحوم خاصة لحوم الصيد ولاتختلف طريقة معالجتها وطهوها عما هو متبع حاليا فى كثير من الدول الغربية فى معالجة وطهو حيوانات الصيد بالغابات .

محور مؤتمر وزراء الثقافة العرب

مكانة اللغة العربية في عالم اليوم

يكتبها: لمعي المطيعي

(إن الغرب احتل الوطن العربي ، واتجه الى مصادرة هويته القومية ، والى فرض لغته الغازية ، فانقسمت النخبة الى قسمين .. قسم يدعو الى التعريب وقسم يدعو الى التغريب ، ولم ينته هذا الانقسام بعد...)

● مؤتمر وزراء الثقافة العرب

(سالوا "كونفوشيوس" عما سيصنع اذا ما تولى امر الصين فاجاب : "اصلاح اللغة" فسالوه .. لماذا ؟ قال : اذا لم تكن اللغة سليمة ، فما يقال ليس هو المقصود . واذا كان ما يقال ليس هو المقصود فما يستحق الانجاز لن ينجز ، واذا لم ينجز ما يستحق الانجاز فان الأخلاق والفنون يحل بهما الانحطاط ، واذا ما انحطت الأخلاق والفنون فالعدالة سوف تنحرف ، واذا ما انحرفت العدالة فسوف يقف الناس مضطربين لا حول لهم . وعلى هذا يجب التخلي عن الاعتباط في القول ، وهذا امر يتفوق في اهميته على كل امر) .

هكذا بدأ "د . زكي الجابر" الخبير الاعلامي ورقته التي قدمها الى مؤتمر الوزراء المسئولين عن الشئون الثقافية في الوطن العربي بدورته السابعة المنعقدة في الرباط خلال الفترة من ١٠ ـ ١٣ اكتوبر ١٩٨٩ .

رسالة الرباط

كانت الدورة السادسة لمؤتمر الوزراء المسئولين عن الشئون الثقافية فى الوطن العربى التى عقدت بدمشق ابريل ۱۹۸۷ قد قررت اعتماد الموضوع الرئيسى للدورة السابعة (اللغة العربية ومكانتها بين الثقافات العربية الاسلامية وفى الثقافات العالمية الأخرى) .

● البيان الختامى

وبعد مناقشات استغرقت وقتا طويلا من المؤتمر ، قرر الوزراء ورؤساء واعضاء الوفود اسناد امر الصياغة النهائية للبيان الختامى الى لجنة مصغرة من "مندوب فلسطين ، ومندوب الجماهيرية الليبية وبرياسة وزير الاعلام السودانى الأستاذ على شمو ، وهو رئيس وفد السودان" وفى الجلسة الختامية أقر المؤتمر ـ ١٢ اكتوبر ـ الصيغة النهائية للبيان الختامى حول الموضوع الرئيسى للمؤتمر ..

وبيان الرباط حول (مكانة اللغة العربية ...) يبدأ بشرح الظروف التاريخية والاجتماعية والسياسية التى يلتئم فيها المؤتمر السابع للوزراء المسئولين عن الشئون الثقافية فى الوطن العربى بالرباط (اكتوبر ۱۹۸۹) . ويوضح أهمية الموضوع الرئيسى ، وأهمية اختيار (اللغة العربية ...) كمحور للدورة السابعة اذ ان اللغة القومية اعظم أهمية وأشد خطرا من مجرد كونها وسيلة للتعبير والتفاهم ، انها بحكم عبقريتها الخاصة وبنائها رابطة اجتماعية فكرية من الدرجة الأولى ، اذ هى اداة تلقى المعرفة ووعاء التفكير ورمزه وتجسيده ، انها الفكر نفسه فى حالة العمل .

واللغة العربية ـ يقول البيان ـ ذات صلة وثيقة بالخصوصية القومية والوحدة السياسية ، والتراث والتواصل الثقافى ، وحيوية الفكر العلمى ، والوجدان القومى ولسان القرآن المبين .

ان الوعى العميق بأهمية الموضوع وخطره ، هو الدافع الى ان يعنى هذا البيان الصادر عن المؤتمر بالتركيز على القضية اللغوية . لقد تميزت اللغة العربية من حيث هى الذاكرة الحية للأمة العربية بثراء مزيد فى ما أنتجته ونقلته وحافظت عليه من تراث ضخم . ونحن مدعوون الى العمل لتكوين المحققين ، وتحقيق ما لم يحقق من مخطوطاتنا ووضع فهرس موحد شامل للمخطوطات العربية فى العالم وفهرسة التراث فهرسة نوعية موضوعية .

أن العناية بتراثنا وكنوزه وخدمته واحيائه بالاعتماد على أحدث المناهج والوسائل العلمية والتقنية المعاصرة تمثل هدفا جوهريا فى أهدافنا القومية .

وتظل قضية التعريب قضية جوهرية مصيرية ومسئولية سياسية وطنية وقومية وحضارية تقتضى القرار الحاسم والتخطيط المحكم والانجاز العاجل ، ولا تحتمل التردد والمساومة .

ان اعتماد اللغة العربية فى التعليم من جميع مراحله واختصاصاته ، وفى مختلف أجهزة العمل والادارة والاعلام ، وفى التأليف والابداع بجميع فنونه هو السبيل الوحيد لاستعادة اللغة القومية وظائفها

الطبيعية ، وهو الشرط اللازم لاثراء الثقافة العربية ولممارسة حقنا المشروع فى الإسهام الايجابى فى الحضارة الانسانية ، وهذا يقتضى أن نبذل الجهود المناسبة لتبسيطها .

ان اللغة العربية مدعوة لاستيعاب المنجزات العلمية والتقنية الحديثة ومواكبة سرعتها فى التطور تأكيدا لصلاحيتها فى اطار المعاصرة الحضارية .

ان وضع خطط وطنية وقومية للترجمة ونقل مستجدات العلم والتقنية الى اللغة العربية ، شرط لازم لاتجاح التعريب وتحديث اللغة القومية وتزكية البعد العلمى فيها .

لقد واكب نضج الثقافة العربية وعطاؤه الثرى ، ازدهار هذه اللغة ، فلما تراجع هذا العطاء فى عصور التخلف تراجعت معه اللغة عن التطور والمشاركة فى حياة العصر .

ان ظهور لسان عربى حديث علمى وجماهيرى معا ليس شرطا من شروط الوحدة الثقافية والتقدم العلمى وحسب ، ولكن شرط لازم من شروط القوة والمناعة ، وسبيل الى تحقيق الوحدة العربية الشاملة ، فهو هدف جدير بأن تجتمع العزائم الصادقة ، بغية تحقيقه .

● عودة الى الوراء

هذه هى أهم أفكار البيان الختامى للدورة السابعة لمؤتمر وزراء الثقافة العرب الى جانب توصيات وقرارات اخرى كثيرة أعدتها (اللجنة الدائمة للثقافة العربية) .

وقد تقرر فى الدورة الأخيرة أن تعقد الدورة الثامنة فى القاهرة .

ف المنظمة العربية ـ اليكسو

ولقد كان موضوع (اللغة العربية) هويتنا القومية ثمرة جهود المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وجهود اللجنة الدائمة للثقافة العربية .

وقامت المنظمة بجمع عدد من الاخصائيين فى الموضوع ، من علماء وأساتذة جامعيين ، تولوا اقتراح اسماء نخبة من المفكرين العرب فى مختلف الاقطار والجامعات العربية والمجامع اللغوية لاعداد دراسات فى هذه المحاور حسب الاختصاص والاهتمام ، وقد تركزت هذه الابحاث حول المحاور التالية :

ـ اللغة العربية لغة القرآن ورسالة الاسلام .. للدكتور على الشابى .

ـ اللغة العربية والشعوب الاسلامية .. للدكتور تمام حسان .

ـ اللغة العربية ومكانتها فى الثقافة العربية الاسلامية .. للدكتور جميل عيسى الملائكة

ـ اللغة العربية ومكانتها بين لغات العالم .. للدكتور ابراهيم بن مراد .

ـ اللغة العربية ومكانتها فى لغات افريقيا .. للدكتور يوسف الخليفة أبوبكر .

ـ اللغة العربية والاعلام الجماهيرى .. للدكتور زكى الجابرى .

ـ اللغة العربية فى مواكبة الفكر العلمى .. للدكتور محمد سويس .

ـ اشكالية الفصحى والدارجات .. للدكتور الطيب البكوش .

ـ النظريات المعجمية العربية والاحاطة

بـالفكر العـربي .. للـدكتـور محمـد الحمزاوي .

والمطلع على هذه الابحاث سوف يلاحظ طابعها الاكاديمي ؛ وقد رأت المنظمة أن تبقى على المقترحات كما جاءت بأقلام أصحابها دليلا حيا على ما يخامر أذهان علمائنا ومفكرينا من شواغل تمس هذا الموضوع المصيري . وقد نتفق أو نختلف حول ما ورد في تلك الابحاث .

هـذا وقد وضعت (المنظمـة) ـ والمقصود بها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ امام اعضاء المؤتمر وثيقتين هامتين .. الاولى : دراسة موسعة تشتمل على نصوص البحوث التي أشرنا اليها .. الثانية : خلاصة مركزة .

وليس من المتيسر هنا أن نعرض للدراسة الموسعة أو للخلاصة المركزة فالمجال لا يتسع ، وسوف نكتفي بأهم المقتـرحـات والاشـارات الـرئيسيـة للمـلاحظـات والأفكـار وخـاصـة في الموضوعـات التي تتحمل مقتـرحات محددة ..

● آراء وأفكار

في مجال الحفاظ على الهوية ، يؤكد الباحثون أن الغرب احتل الوطن العربي واتجه مباشرة الى مصادرة هـويته القومية ، والى فرض لغته الغازية ، فانقسمت النخبة الى قسمين .. قسم يدعو الى التعريب وقسم يدعو الى التغريب ، ولم ينته هذا الانقسام في ظل الاستقلال .

ولهذا فان التعريب ضرورة يقتضيها انجاز مشروع حضاري ، وفي مجال مكانة العربية بين اللغات الأخرى ، فان العربية لا يمكن لها استعادة مكانتها بين لغات العالم الواسعة الانتشار الا اذا طبقت بشأنها سياسة لغوية محكمة التصور واضحة الأهداف .

في مجال مكانة العربية بين الشعوب الاسلامية في لغات افريقيا وغيرها يلاحظ أن العربية دخلت الافكار التي دانت بالاسلام ، وبادر كثيرون الى تعلم العربية لفهم أحكام الدين . وأصبح للغة العربية منزلة كبيرة . في مناطق كثيرة من العالم . ومن هذه اللغات التي اتصلت بها الفارسية والتركية والأوردية والسنغالية والسواحلية ولغات ما وراء النهر وافغانستان والسند والهند ومالطة واسبانيا وجنوب فرنسا وجنوب ايطاليا وصقلية. وتدعو الدراسات الى ضرورة تطويـر التعليم العربي الاسلامي في افريقيا بشكل يساير الحياة .

وفي مجال مواكبة اللغة العربية للبحث العلمي تشير الدراسات الى أن يلجأ العلماء الى للترجمة والنقل والتعريب . ولابد لحركة التعريب والترجمة الى العربية من الدعم المطلق من جانب الحكومات العربية لتخرج خير ثمارها .

اما في مجال توظيف العربية في مجال الاعلام ؛ فالمطلوب رسم سياسة لغوية على المستوى القومي قابلة للتطبيق مع ضرورة التخطيط اللغوي لتطوير العامية المحلية الى اللغة الموظفة في التعليم والاعلام .

ويشير (المدخل) الذى كتبته ادارة الثقافة بالمنظمة كتمهيد للدراسة الموسعة ، يشير الى أن اهم مصدر للوثيقة الموسعة هو (الخطة الشاملة للثقافة العربية) التى اصبحت مصدرا رئيسيا لعمل المنظمة بعد اعتمادها من طرف الدورة الخامسة لمؤتمر وزراء الثقافة العرب الذى عقد فى (تونس) سنة ١٩٨٥ .

وتشير الخطة الشاملة للثقافة العربية بوضوح الى ان (الاصلاح اللغوى فى جميع مستوياته لا ينطلق فقط من ارادة الاصلاح والتغيير ، او من السلطات العلمية واللغوية فحسب ، ولكن منطلقه الاسلسى انما هو من القرار السياسى الوحدوى .

وجاء كذلك فى (ميثاق الوحدة الثقافية العربية) ـ ١٩٦٤ : (توافق الدول الأعضاء على أن تكون اللغة العربية ، لغة التعليم والدراسات والبحث فى مراحل التعليم كلها ، وفى الوقت نفسه تعمل الدول العربية على توثيق صلة طلابها بالثقافة الأدبية والعلمية والفنية الحديثة ، ومساعدتهم على اتقان الوسائل اللغوية التى تمكنهم من استيعاب هذه الثقافة) .

هذه هى بعض الأفكار التى وردت فى وثائق الدورة السابعة ، ويجدر بنا أن نسجل عددا من التوصيات المحددة التى وردت ضمن الوثائق الضخمة .

● توصيات واقتراحات

● اعادة الاعتبار الى الكتاب باعتباره محور الحضارة .

● احداث جوائز عربية تشرف عليها اليونسكو ، وفى مقدمة هذه الجوائز جائزة للابداع العربى ، وجائزة للفكر العربى .

● اصدار دائرة معارف عربية على غرار دائرة المعارف البريطانية وغيرها .

● اصدار وزارات الثقافة لسلاسل ثقافية وعلمية كسلسلة (الالف كتاب) فى مصر ، و(عالم الفكر) فى الكويت (ص ٢٩ من الوثائق التكميلية ـ رقم ١)

● انشاء اتفاقيات ثقافية بين العرب والشعوب الاسلامية .

● العناية باختيار مقدمى الاخبار والبرامج فى الاذاعتين المسموعة والمرئية من المتمكنين من اللغة العربية .

● احلال اللغة العربية الفصيحة فى التمثيل والمسرح محل اللهجات العامية .

● دعم مشاريع التعريب فى الدول التى لم يكتمل فيها التعريب .

● اصدار فهارس بما تمت ترجمته من الكتب العلمية والثقافية .

● اصدار الفهرس الشامل لكل ما طبع من كتب باللغة العربية منذ بدء الطباعة ، وتوزيعه بأوسع نطاق .

● اصدار التشريعات القطرية والقومية لحماية حق المؤلف .

● مواصلة الدراسات والتجارب لاختزال صندوق حروف الطباعة العربية .

● وضع معجم عربى تاريخى يؤرخ بحسب النصوص والوثائق للغة العربية فى مختلف العصور لمختلف المفاهيم والدلالات .

● تأسيس معهد عربى عال لتكوين المترجمين المختصين .

والموضوع هام ومتشعب ، والوثائق والتوصيات والقرارات قد وضعت امام وزراء الثقافة العرب ... وأردت فقط هنا أن أشرك القارىء العربى فى الموضوع الرئيسى للدورة .

التفاحة المقدسة

قصة قصيرة

تأليف: نجيبة العسال

بريشة الفنانة: سميحة حسنين

... وضعت هدى سماعة التليفون في بطء وهدوء وسبحت بنظراتها وهي تغالب مشاعر عديدة ..

أخيرا سترى الدكتور .. رجائي حسنين ابن صديق والدها الحميم عم حسنين ترى هل سيكون على الصورة تماما التي تتخيله عليها .. كلما تكلم يسأل عن والدها .. لقد مر عام بالتمام .. منذ سمعت صوته في المرة الأولى ومن يومها وكلما طلب والدها في التليفون تتخيله على صورة واحدة .. لاتتغير حتى انها كانت تؤكد لنفسها بأنها لو رأته مصادفة في أي مكان دون أن يرشدها عليه أحد فسوف تناديه . وتعرفه بنفسها .. لم يخطر ببالها أبدا انه لن يكون إلا على تلك الصورة التي ترسبت داخل أعماقها .. طويل نحيف عيناه ضيقتان شديدتا السواد .. صدغاه مصفوفتان شفتاه رقيقتان . يعلوهما شارب أصفر اللون .. كث الشعر عريض كشوارب رجال الوجه القبلي .. ولاتدرى لماذا كانت تصر على أن شاربه أصفر اللون مع أن عينيه سوداوتان وكانت صورته لاتظهر أبدا أمام خيالها إلا وفي منتصف رقبته تلك العظمة البارزة الذى

يسمونها .. تفاحة آدم ويطلقون عليها دائما إنها عنوان الرجولة الحقة الخشنة آه ياربي لماذا هو على هذه الصورة .. وكثيرا ماتساءلت هدى .. وخاصة كلما سمعت صوته في التليفون في كلماته القليلة



قصة قصيرة

التفاحة المقدسة



التى لاتزيد ابدا على طلب والدها ليبلغه بعض رغبات والده مثلا ...

- لقد ذهب والدى الى القهوة .. وهو يرجو من والدك ان يقابله هناك . فارجو ان تبلغيه هذا .. او

- هل ذهب والدك الى ابى .. انه ينتظره هناك فى متجره .. وتظل هدى بعد سماعها تلك الكلمات القليلة سابحة مع نبرات صوته الدافئة .. الحنون وتروح تضرب كفا بكف فى اسف . مرير ما هذا هل كل هذه النبرات الدافئة والصوت الحنون الدسم المهذب هل كل هذا على هذه الصورة . النحيفة الجدباء صاحبة البروز المخيف . فى تفاحة ادم ... رباه اخشى ما اخشاه .. مدى هذه الصداقة بين والدى ووالده .. اه يارب لماذا كلما سمعت هذا الصوت القوى المهذب خيّل اليّ ان تلك التفاحة البارزة والصدغين المصفوفين سيطالعنني ليلا ونهارا .. رباه ارجوك يارب واقبل رجائى ان تنتهى هذه الصداقة على خير ولن ترحمنى يارب من هذه العظام البارزة المخيفة .

يوما وهدى ترتدى ثيابها استعدادا للذهاب الى الجامعة طالبة فى السنة النهائية بكلية الآداب .. دق جرس التليفون . وأسرعت هدى كعادتها فى التقاط السماعة وكان رجائى هو المتكلم ؟؟

- هـل عم مصطفى موجود ؟؟؟؟؟

وقالت فورا ....

- موجود وتصور يادكتور انه لم ينم فى الليلة الماضية إلا قليلا جدا لقد عاودته آلام الكلى وفكرت ان اتصل بكم بعد منتصف الليل .

وقال رجائى فى صدق ...

- ياه انى لم أعلم من قبل انه مريض بالكلى لاباس عليه... لابد ان احضر لأراه .. وضحكت فى جذل كانت تتخيل شاربه الاصفر يهتز فى وقار فوق شفتيه الدقيقتين وجاءها صوته ..

- ساحاول ان اراه اليوم ضرورى لابد ان أزوره اليوم .

وحاولت ان تكون جادة وتوقف خيالها عن تصور شاربه قالت فى هدوء ..

- هل كنت تود ان تبلغ والدى بعض كلمات واليك ؟؟؟

واردف سريعا ....

- لاداعى انه كان يطلب منه ان ينتظره قبل الظهر فى متجره . ارجو ان تبلغيه تمنياتى بالشفاء العاجل وساحضر اليوم لزيارته .. لابد من زيارته ..

وطوال الطريق الى الجامعة .. وكل وقت المحاضرة وفى طريق العودة من الجامعة وبين المحاضرات كانت تطل من خيال هدى عنق طويل رفيع

تبرز فى منتصفه تفاحة ادم ويعلوه شارب كث اصفر اللون .

بعد الغروب دق جرس الباب وكانت الساعة . حوالى السادسة بعد الظهر ... وفتحت هدى سريعا وكان امامها شاب طويل عريض وسيم على نسبة كبيرة من الأناقة . ورفع الشاب حاجبيه وهو يهتف معتذرا فى صوت مهذب . وان كان متلعثما بعض الشىء ..

- الواضح اننى قد اخطات الشقة المطلوبة

ونظرت هدى سريعا الى الحقيبة فى يد الشاب .. ياه ليكون هو ...

وعثرت هدى على صوتها بصعوبة لتقول ..

- اى شقة تطلب ..

وخيل اليها انه يحاول ان يهم بالاعتذار عن اقلاقه راحة السكان .

- انى اسال عن شقه الاستاذ مصطفى عبد الرحمن .

واعادت هدى السؤال وعيناها على اكتافه العريضة ..

- شقة الاستاذ مصطفى عبد الرحمن

وبدا انه يكاد يضحك . منها ولكنه هز راسه بالايجاب وارتبكت هدى سريعا وعيناها على الحقيبة فى يد الشاب الوسيم . وكانها تتاكد من انه فعلا الدكتور رجائى حسنين . وكانت تهتف داخل نفسها ... هل هذا معقول وقالت بصوت مسموع .. تسرى فيه فرحة غير واضحة ..

- انها فعلا شقته وانا .. انا هدى .. ابنته .

واتسعت عيناه سريعا وكانه غير مصدق .. وقال فى لهفة ...

هدى ابنته انى رجائى .. الدكتور رجائى حسنين ..

وفتحت هدى الباب على مصراعيه . وتقدمته بسرعة الى حجرة والدها . وهى ترتجف بفرحة طاغية وراح عن بالها تماما ان تعطى لوالدها خبرا بحضوره . قبل ان يدخلا عليه .. ثم .. ثم لم تمر بضعة ايام حتى كان البيت يموج بالانوار والزينات . احتفالا بخطبة رجائى وهدى .. وقال رجائى بعد الخطبة وعيناه تطوفان على قوام هدى الرشيق وتسبح داخل شعرها ... الذهبى الناعم ..

- هل تتذكرين قولى بانى ربما اكون قد اخطات الشقة ؟

وعندما هزت راسها بالايجاب وعيناها تمرحان على وجهه فى سعادة .. وهناء .. انفجر رجائى ضاحكا ثم قال وهو ياخذ انفاسه بين ضحكاته ..

- لانى كنت اتخيلك دائما رغم جمال صوتك سمراء عجفاء ذات شعر اسود جاف ولم اتصور ابدا ان بيت عم مصطفى يضم كل هذا الجمال ..

وبدات هدى تنفجر فى الضحك .. اكثر منه وهى تقول بين ضحكاتها السعيدة ..

- وانا ايضا منذ عرفت انك رجائى والى الآن وكلما نظرت اليك اروح ابحث فى رقبتك عن التفاحة المقدسة . تفاحة ادم .

وامتدت يدى رجائى فى هدوء لتحتضن يدى هدى فى حنان . بعد ان صمتت ضحكاتهما .. نظرت هدى الى السماء وهتفت تناجى ربها داخل قلبها ..

- اسفة ياربى ... انى جدا اسفة وارجوك اقبل اسفى .. لقد دعوتك ان تفصم صداقة ابى بابيه .. ولكنك . اعلم بكل شىء ومهما تخيل الانسان فهناك خيال اقوى واعم : الخيال الاعظم الذى وهب للحياة .. التفاحة الكبرى .. التفاحة المقدسة التى سميت باسم .. الأب الأول .. للحياة ..

حكايات قديمة

الشيخ زكي وابن البلد

بقلم: فاروق خورشيد

ريشة الفنان: حلمي التوني

كلما قرأت ديستويفسكي في محاولاته للبحث عن الوجود الروسي، في ابن الأرض وابن البلدة تذكرت الشيخ زكي .. وكلما قرأت تشيخوف في تصويره للشخصيات الفاعلة في الحياة والضائعة وسط الحياة، تذكرت الشيخ زكي .. حكايات جويس وسط دبلن، أو حكايات ميللر في باريس ونيويورك، وحكايات ثقافتنا الهلامية وسط لامكان ولا زمان، كلها تذكرني بالشيخ زكي .. فصول المازني، وشعر صلاح عبد الصبور، وقصص يحيى حقي، دائما ماتبرز امامي صورة الشيخ زكي.

وانا لم تفارقني ابدا صورة الشيخ زكي، في قصصي القصيرة، وفي رواياتي الطويلة، وخاصة التي ترتبط بالتراث الشعبي، وفي مقالاتي المتعددة عن الادب الشعبي والحس الشعبي، والوجود الشعبي، لم يكن اقل من الشيخ زكي حضورا في كل هذه الرؤى والافكار، والانفعالات والتداعيات الوجدانية والعقلية معا.



اذكر اننى حين تفتحت على الدنيا كان هناك دائما الشيخ زكى يقودنى ، ويمد يده الى يدى ليفتح امامى من الاماكن ما لم اكن اعرف . وما كان من المتعذر ان اعرف او ادرك لولا يده التى تمتد الى يدى ، وتقودنى عبر الممنوعات والمسموحات فى هذه الأونة الغريبة الثرية فى حياة مصر ، فترة الثلاثينيات والاربعينيات ، حيث تغيرت حياة مصر كلها ، فنا وثقافة ، ووجودا وحياة ، طبقا لارتباطها بنهاية الحرب العالمية الأولى ، ودخولها كجزء من العالم كله ـ فى بدايات الحرب العالمية الثانية ، ثم فى الحرب المخيفة الشرسة ، التى اعتبرتها البشرية آخر الحروب . وان لم تكن الا اول الحروب الخبيثة التى لاتورط الغرب وحده ، ولكنها تورط كل ابناء العالم الثالث ، فى صراعات القوى العظمى التى لاتنتهى . وأين الشيخ زكى من كل هذا الحديث ؟ بل اين هو من كل هذا الكلام الذى لامعنى له عنده ، هو يفتح دكانه فى الصباح ، ومعه (صبيه) عبد اللطيف ، ليبقى طوال اليوم ، يشد النعل الى القالب ، ويضع وجه الحذاء (او الفوندى) فوق القالب ثم يدق مسامير ، وعبد اللطيف نفسه (يشمع) الفتلة عند باب الدكانة ، ويمر بائع الفول ، فيتوقف كل شىء ، حتى يمتلىء الصحن بالفول والزيت الحار والليمون ويصله ، وكثير من الملح والشطة والفلفل ، ويأكل الاثنان وهما يردان تحية كل عابر ، ويدعوانه الى مشاركتهما افطارهما الشهى الحافل .. ثم بعد حين ، حين ينتهى الفول من الاطباق الصغيرة ويشربان الشاى .. يتبادلان التعليق الضاحك واللاذع على كل حركة تمر امامهما فى الحارة .. صاحبة الملاءة المبرقعة ، وصاحبة المشية المتعالية ، وصاحب الشارب المنقوش ، والافندى وطربوشه مائل الى وراء ، وتلك التى ترتدى البلوزة والجيب ، كل منهم يمر امامهما ، كأنه واجب يومى محدد ، ومستمر ودائم ، ويقول الشيخ زكى : شمع الفتلة ياعبد اللطيف .. ثم يبدأ العمل الجاد ، والذى لايكف ولايتوقف حتى آخر النهار .

الشيخ زكى حين ينتهى الاسبوع يضع الاحذية الجلدية اللامعة الجديدة فى صناديق ورقية ويحملها مع صبيه عبد اللطيف .. ثم يقصدان السكة الحديد الى حيث تجار الاحذية ومعارض الاحذية فى الموسكى وبين الصورين ـ دسته وربما دستتان ، واذا احسن القدر ، ولم يتم الشيخ زكى ، ولم يغب صبيه عبد اللطيف ، فهم ثلاث دست .. من الرجالى الى (الولادى) .. ورزقنا على الكريم ياعبد اللطيف . ولنبدأ من المصرى وحتى الحوفى ، تاجرا ، تاجرا ولن نبيع إلا لأعلى سعر .. ويبيعان كل اسبوع حملهما .. ثم يعودان ..

وباقى السبت استحمام وراحة ، وليل السبت أول المرح ، فالغد اجازة ، ولا عمل ولا وجع الدماغ ، مع (الفوندى) على القالب ، و (شمع) الفتلة ياعبد اللطيف .

وننطلق .. اعنى الشيخ زكى وانا ثم عبد اللطيف ، فما كنت استطيع ان اتحرك من غيره كما انه ما كان يستطيع ان يواجه اجازة الأسبوع دون أن يستأذن جدتى فى السماح له باصطحابى معه ..

وهو بهذا يسبقها ، ويوفر عليها الحاحا


دستويفسكي


عبدالقادر المازني

عليه بأن اكون معه ، ثم يتأبى ويتمنع ، حين تمد يدها اليه بما تظن المصاريف الكافية لرحلتي معه عبر مساء وليل القاهرة يوم السبت ، ثم صباح القاهرة وظهرها يوم الأحد ، وهذه الجولة الممتدة على مدار يوم كامل يبدأ من منتصف يوم ، وينتهي عند منتصف اليوم الذي يليه ، اتاحت لي أن ادخل عالم القاهرة من أرحب الابواب .. وأن أعيش دفئها وحيويتها ، وان اغوص في اسرارها التي يصعب على غير الشيخ زكي ان يزيل الاستار عنها .

في مساء السبت تبدأ جولتنا على النيل ، اما في الجزيرة وكوبري قصر النيل ، والمساحات الخضراء الواسعة التي تقف امامها مراسي المراكب الصغيرة ذات المجاديف للهواة والمتنزهين ، او ذات الشراع للمجاميع الكبيرة التي ترقص وتغني وتملأ سطح النيل طربا وموسيقى وحركة طوال العصر وحتى يبدأ حلول الظلام .. واما في روض الفرج ومقاهيه المليئة بالحياة ، والتي تجلس فيها النساء الى جوار الرجال يشربون جميعا الكازوزة أو البيرة في احوال كثيرة .. وعلى الجانب المواجه النيل من الشارع العريض تطل مباني الكازينوهات والملاهي ، بواجهاتها المزخرفة والملونة والمليئة بصور الممثلين والممثلات ، تشد خيالي وبصري ، الذي يظل معلقا بها حينا ، وبالوجوه المثقلة بالطلاء ، والملابس الملونة الفاضحة التي ترتديها النساء الجالسات في المقاهي واللاتي ينتمين بلا شك الى هذه الكازينوهات بشكل أو بآخر في كثير من الأحيان .. وقد اجهد نفسي وانا الى جوار الشيخ زكي ، في محاولة ايجاد الصلة بين وجوه الجالسات ، والوجوه المعروضة على واجهات الكازينوهات ، بأحجامها المكبرة الملونة المزخرفة ، المليئة بالبسمات والضحكات والدعوات . وقد اجهد نفسي ايضا في تصور هذه الوجوه تحت الأضواء في داخل الملهى الليلي ، تأخذ مكانتها في الاستعراضات الغنائية الراقصة التي تقدم في الصالات المغلقة والتي تنعكس عليها اضواء ملونة ، وتضج فيها موسيقى صاخبة ، وتتكشف في جوها روائح العطور الرخيصة ، والخمور ، ودخان السجائر ، وروائح الاجساد المحصورة داخل المكان الضيق .

فقد دخلت مع الشيخ زكي اكثر من صالة من هذه الصالات ، نجلس في المقاعد المرصوصة وسط الصالة ، لا على الموائد التي تحيط بمكان العرض ، فهذه مخصصة لمن يملكون المال والوقت ، والقدرة على (الفتح) للراقصات اللاتي يجلسن في المكان بحثا عن فريسة تمنح (كوبا) غالي الثمن في مقابل ابتسامة أو ربتة على الكتف ، أو ضحكة ماجنة تخترق جو الصالة كله ..

ومن مكانى فى المقهى ارقب النيل والحركة الدائبة فوق سطحه ، والزوارق الملونة التى تنطلق ايام السبت والاحد ، وربما ايام الجمعة ايضا ، والتى يهواها الحرفيون والعمال ، الذين تغلق محالهم فى هذه الأيام ، فيهرعون ليشاركوا أصحاب التجارة والمال هذه المتعة المباحة والتى لاتكلف من المال الكثير .. واكثر من مرة ركبنا هذه الزوارق ، واكثر من مرة شاركت فى التجديف فيها ، واكثر من مرة اهتز قلبى خوفا ورعبا عندما يوشك القارب ان يختل فى اتزانه ان اخطأ احد المجدفين الانتظام فى الايقاع بمجدافه مع زميله على المجداف الثانى فى جانب القارب .. وصوت الشيخ زكى صخاب دائما ، مرح دائما ، ضاحك دائما وصوت عبد اللطيف الذى تكون (البيرة) قد اثقلته الى حد ما ، اكثر صخبا واعلى ضحكا ،؛واكثر مرحا ثم اكثر اضطرابا وقلقا بمجدافه ان كان يمسك بواحد من المجدافين .. والليالى التى ندخل فيها ملهى من ملاهى روض الفرج نادرة ، اذ انها بالنسبة لنا مكلفة ، وغالبا ماكان الشيخ زكى يعتمد فيها على مايمنحه له عبد السلام النجار ، وهو شاغل الدكان الذى يجاوره ، أو احمد الجندى البقال وهو شاغل الدكان الذى يقابل دكانه .. فالاول رغم انه نجار متفوق ، ويهوى الغناء والعزف على العود ، وله صدقات وطيدة فى اوساط المغنين والعازفين ، وبالتالى فله معارف فى هذه الملاهى ، وربما كان يعزف ويغنى فى احداها ، لست ادرى .. الذى لاحظته ان حوائط دكانه كانت دائما تزدان بصور المغنيين ، واعلانات الحائط ، والاعلانات اليدوية لحفلات هذه الكازينوهات وغيرها ..

● عبد الوهاب والفن

اما الثانى فقد كان انتماؤه الى هذا العالم ـ اعنى عالم الغناء والفن ، يعود الى القرابة والدم .. فقد كان قريبا ، من ناحية امه او أبيه لا ادرى ، لمطرب العصر وكل عصر محمد عبد الوهاب ، او هذا على الاقل ماكان اهل الحارة يتناقلونه عنه ، ولم يكن الأمر مستبعدا ، فكل اهل الحارة يعرفون ان بيت اهل عبد الوهاب القديم كان فى داخل الحارة ،

وان لم ينجح منهم احد فى ان يشير اليه .. كان الجندى يعلق صورة عبد الوهاب فى داخل المحل كما كان يزين (فاترينة) المحل بصور فوتوغرافية عديدة لعبد الوهاب كما يظهر فى افلامه .. كما كان دائما مايهدى اولاد الحارة وشبابها بونات للمسارح والسينمات تتيح تخفيضا فى اجر الدخول .. واعتقد ان الفضل كان له ولهذه البونات فى تمكينى من حضور حفلة مسرحية ، فى مسرح على الكسار واخرى فى مسرح كشكش بك أو الريحانى ، فرأيت الاثنين فى وقت مبكر جدا ولاتزال تعلق فى ذاكرتى الى الآن صورة الكسار فى ملابسه التاريخية وهو يدخل (قافية) مع متفرج خفيف الدم يجلس فى الصالة ، ويتابع معظم حوار المسرحية بالقفشات والنكت ، والتعليقات الساخرة .. وكان خروج الكسار على النص ، وعلى مسار المسرحية ، وايقافه



يحيى حقى — تشيكوف

للحركة تماما على المسرح ، ليدخل (قافية) مع المتفرج ، يبعث حيوية فى الصالة وعند باقى المتفرجين ، وخاصة من يجلسون فى اعلى التياترو فى (الترسو) من امثالنا ولو انى اشك ان مثل هذا المتفرج كان يوجد عن عمد ، وربما بإتفاق مع الكسار نفسه ، فيمارس هوايته فى الخروج على النص ، ويبث الحياة فى الصالة ، او كسر الجدار بين المتفرج والممثلين ، واشتراك هذا المتفرج مع الواقفين على خشبة المسرح فى جدل ، يتيح نوعا من التواصل الوجدانى بين الممثلين والمتفرجين ، واظن ان هذا كان يعجب الممثلين الى حد كبير ويجعل ارتباطهم بالحوار الاصلى للرواية غير مهم بدرجة كبيرة ، فيكفى انهم يملئون الساحات الزمنية بالكلام ، وانهم يعيشـون الجـو العـام للمسـرحيـة المعروضة ..

وان كانت ارتجالاتهم كثيرا ماتبدو شاذة فى اطار الديكور التاريخى والملابس التاريخية التى يرتدونها .. فالكلمات الشديدة العامية ، والشديدة الخصوصية لدى القاهـريين ، وابناء الاحياء الشعبية العريقة بالذات ، لا علاقة لها بالاميرة قمر الزمان او الملك ذو شاه ، ولكنها كانت تثير اهتمام المتفرجين وتخلط الأمر بين مافى الحكاية المقدمة على المسـرح من بعد تـاريخى ، وبين مايعيشون فيه من واقع اجتماعى ملموس ، خاصة وان تناولت العبارات المرتجلة اسقاطات على مشكلات حياتهم اليومية ، واخر الاشاعات التى تدور من فم الى فم فى القاهرة كلها ، حول امر او آخر من امور الحكم والسياسة ، او من امور الانجليز والالمان ، او من حكـايات القصر ، او النجوم من دنيا الفن او الحكم على السواء .. ولكن الليالى كلها لم تكن روض الفرج ، ولا العصارى كلها كانت الجزيرة ، فقد كنا نجوس فى شوارع القاهرة القديمة نصلى العصر أو المغرب فى الحسين أو السيدة او الشعرانى ونأكل الكشرى والكسكسى والبسبوسة والذرة المشوية ، ونشرب السحلب او الخشاف ، فى حوارى الجمالية وباب الشعرية ، ومحلات حى الحسين والدراسة ، والشيخ زكى يضع فى فمه من حين الى حين (المدفع) وهو مخدر رخيص ، كان بطيء المفعول ولكن ثابته ومؤكده ، فمع مرور الوقت يبدأ هذا المنشط او المخدر لست ادرى ـ يفعل فعله فى كيانه كله ، فيزداد مرحا ، ويزداد صوته علوا ، ويزداد حبه للعراك بروزا الى السطح ، وعندما تتزاحم على شباك الترسو فى السينما ، يقفز بكل خفة فوق رءوس المزاحمين على الشباك ليصبح فى مواجهة الشباك تماما ثم يستقر منزلقا من فوق الاكتاف والرءوس

امام الشباك ، ليحصل على تذاكرنا ، وهو يرد على السباب بمثله ، وعلى الضربات بمثلها ، صاخبا لاعنا متواقحا متصارخا معا .. وما يبدأ كأنه معركة لابد منها ينتهى الى قافية متبادلة ، وضحكات تختلط بالكلمات واللعنات والقفشات .. ومعلهش ياعم الشيخ زكى ، ولله عملتها تانى ياشيخ .. وشوف الراجل ده مسطول ، واللا ماله .. ثم نسرع لندخل السينما ، افلام بحبح وام أحمد فى سينما مصر ، وافلام الشجيع وأبو اسكندر فى سينما رمسيس ، ومازالت سينما مصر موجودة ، وان اختفت سينما رمسيس التى كانت من اشهر سينمات الدرجة الثالثة فى القاهرة .. وكانت لاتعرض الا افلام رعاة البقر او طرزان وحروب الكواكب ، كما كانت من السينمات التى تعرض المسلسلات الفيلمية التى تنتهى دائما عند موقف حرج يقع فيه البطل ، ولا حل للمأزق الا فى الاسبوع القادم من الحلقة القادمة من المسلسل ، وتغير البروجرام كله .. ورواد السينما كلهم من العمال والحرفيين من سكان الحسين وباب الشعرية وعابدين ، وبعضهم كان يأتى اليها ليلة الاحد من السبتية وبولاق وشبرا ، والسينما عطنة الرائحة ، قديمة الماكينات ، والعامل الذى يدير بوبينات الفيلم لا يحبأ كثيرا ان يقدم بوبينة على اخرى ، وأن يعيد عرض بوبينة سبق عرضها ، ويصرخ الجمهور الصاخب فى السينما ويشتد ضرب الارض بالاحذية والتصفيق والصفير ، وهاتوا فلوسنـا سينما أونطه ، ويتم تكسير مقعد أو مقعدين ليزداد عدد المقاعد المحطمة فى السينما ، وتزداد امكانية تمزيقها للملابس والبنطلونات والجلاليب ، وتضىء السينما لحظات ليعيد العامل الفيلم الى وضعه الطبيعى ، ويشتد الصفير ، ويامجدع .. واهو كده الكلام .. ثم يخيم الصمت الا من صوت الماكينة الواضح ، واصوات الممثلين الأجشة التى يزيدها قدم الماكينة .. وقدم الفيلم ، وتردده وسط القاعة الضيقة ذات السقف المصنوع من الصاج ، غرابة على غرابة .. ثم يتسلل الشرير، خلف البطل ، وترتفع صيحات التحذير من كل مكان فى السينما ، ويصرخ واحد هنا ، وواحد هناك ، ثم يصرخ متفرج جالس فى متفرج واقف ويشتبك الاثنان بالايدى ، وسرعان ماتمتلىء السينما بالمجموعات المتشابكة والصرخات ، وتتطاير المقاعد ، ثم يضاء النور ليدخل الفتوة بجسده الضخم ، ووسطه الذى تحيطه منطقة جلدية مليئة بالأزرار النحاسية ، ويشتبك مع المتشابكين اما بيديه واما بهراوة يحملها ، ثم يسكن كل شىء ويصيح واحد .. صلوا على النبى .. ليلتكم فل ، الفيلم حلو ياأولاد ، ويقبل واحد رأس آخر ، وترتفع ضحكة هنا ونكته هنا ، وقفشة من آخر الصالة ، يرد عليها واحد فى اول الصالة ، ويطفأ النور من جديد ، ويعود الشعاع الأزرق يمتد من كابينة العرض فى آخر الصالة لتعود الصورة فتظهر على الشاشة من جديد ، ويشد انتباه الجميع معركة

يدخلها الشجيع فى الحانة ، فينصرفون جميعا الى تشجيعه وشد أزره وتحذيره ممن يهاجمونه من الخلف .. وتخرج من السينما وقد تصدع رأسك ، ولكن شيئا فيك قد استراح وهدأ ، كل شحنة الانفعال المكبوت قد خرجت فى المشاركة فى هذا الصخب والهياج والاندماج مع الفيلم والمسلسل ، وتعد نفسك انك لابد ستعود فى الاسبوع القادم لتعرف ماذا حدث للبطل بعد ان انقلبت به العربة والهنود الحمر يطاردونه عند منعطف التل .. تخرج وانت تقلد البطل فى مشيته ، وتشترى مسدسات من لعب الاطفال لتحملها فى كفك وتدور بأصبعك داخل المنطقة التى تحوى الزناد ، فى محاولة لتقليد البطل وهو يلف المسدس حول هذا الاصبع ، ومع كل لفة تنطلق رصاصة لتقضى على واحدا من الاعداء الذين يتساقطون عند طرف البار فى الحانة الضيقة واحد إثر الآخر ، وهو مشدود القامة ، مقطب الملامح ، بارد الاعصاب ثم تنفخ فوهة مسدسك الصغير ، لتبعد الدخان الوهمى المتصاعد منه بعد معركتك الصاخبة فى دنيا احلام يقظتك التى تملؤها معارك افلام ومسلسلات سينما رمسيس ..

● عمل .. ومرح

ولكن السينما والملاهى الليلية لم تكن هى كل حياة الشيخ زكى ، فأنت تلاحظ ان صورته التى اقدمها لك صورة شاب كادح صغير السن متفتح الى الحياة ، يعمل طوال الاسبوع كالآلة التى لاتتوقف ، ثم يمرح آخر الاسبوع كأنه يقتنص من الحياة ويقتضيها ثمن كل تعبه وعرقه .. ومع هذا فاسمه منذ عرفته اى منذ بدأت واعيتى على الحياة تلتقط الاشياء الشيخ زكى .. ولست ادرى من اين جاء بهذا اللقب على سنه الصغير .. وقد كان الناس فى بلادنا يسمون حافظ القرآن باسم الشيخ ، كما كانوا يطلقون هذا اللقب على كل من دخل الأزهر ، وايضا على كل من ارتدى الجبة والقفطان وهو رداء الشيوخ المميز وان كان ارتداؤه امرا شائعا عند اوساط التجار والاعيان .. ولم يكن الشيخ زكى من هؤلاء ، ولم يكن قد دخل الأزهر ولكنه لاشك كان يحفظ القرآن ويؤدى الصلوات فى مواعيدها ، وهو يخصص صباح الاحد ليصحبنا معه لنزور المساجد والأولياء ومن الشعرانى إلى ابى العلا ، الى السيدة سكينة والأمام الشافعى ، مرورا بالحسين والسيدة زينب وسط الطرقات الضيقة والحوارى المتربة ، الى خارج القاهرة وطرق المقابر فإن تعبت من المشى الذى لاينتهى حملنى على كتفيه وهو يسرع فى مشيته التى يخب بها خبا من مكان الى مكان ، لايكل ولا يتعب . لايمر أمام ضريح ولى من اولياء الله الا ويتوقف يقرأ الفاتحة ويشير بسبابته ، ثم يفرد كفيه رافعا اياهما بدعوات هامسة ثم يمر بهما على وجهه يمسح جبهته وذقنه وهو يغمض عينيه ، ثم يعود الى مشيته السريعة والى جواره عبد اللطيف يقلده فى كل شيء وان كانت عيناه بنظراتهما العابثة تشى بان الامر عنده لايجاوز السطح الى الاعماق فقد كان عبد اللطيف لايزال صغيرا وكان

شديد التحمس لحكاية روض الفرج والسينما ، اما اذا جئنا الى جولة الصباح فى الاضرحة والمساجد ، فقد كان شديد التكاسل ، ويكاد يود لو يجد مخرجا يعفيه من هذه الرحلة المضنية .. والرحلة حقا مضنية ولكنى كنت أحبها واقبل عليها بشغف ، فلم تكن تمر دون اكتشاف معلم جديد من معالم القاهرة القديمة ، ودون المرور بشارع لم امر به من قبل ، او الجلوس الى مقهى او مطعم لم اجلس فيه من قبل .. فقد كان الشيخ زكى يعرف القاهرة القديمة كما يعرف كفه ، وكانت له مى كل مكان صداقات ، ولهذا فقد كنا نقابل بالترحاب من خدم الجوامع ، ومن الدراويش الذين يعيشون الى جوار ابنية الاضرحة ومن اصحاب المطاعم الرخيصة التى كانت مصدر طعامنا الدائم طوال الرحلة .. والشيخ زكى لابد حين يصل مسجدا او ضريحا ان يصلى ركعتين ولهذا فقد كانت الرحلة تقريبا رحلة صلاة من مسجد الى مسجد .. وطوال الطريق ينطلق يحكى لى حكاياته التى لاتنتهى ولايمل هو ذكرها ، ولا امل انا سماعها عن أولياء الله الصالحين من اصحاب هذه الأضرحة ، ومن غير أصحابها ، وعن كراماتهم ، وماحدث لهم فى حياتهم من امور مذهلة لايستطيع العاديون من امثالنا ، من أصحاب الايمان الضعيف أن يعرفوها او يأتوا بمثلها .. ومن حيلّت الرفاعي الى كرامات العدوى فى العثور على المُفقودين .. الى كرامات السيدة زينب فى تحقيق الحاجات ، الى وساطة الحسين عند جده للشفاعة للمذنبين ، الى بطولات السيد البدوى ، يمضى الشيخ زكى فى حديثه الشيق المليء بالأحاديث وايات القرآن والحكم القديمة الى جوار الحكم الشعبية والامثال والنكت ، كلها تتوالى فى خيط واحد بلا فاصل ولا توقف ، مما كان يكسب حديثه تشويقا واثارة لاتجعل للملل مدخلا الى سامعه الذى غالبا مايكون انا وعبد اللطيف أو انا وحدى

وكانت للشيخ زكى امسيات يصحبنى فيها الى حلقات الذكر التى تقام فى الزوايا الصغيرة فى كل مكان ، فقد كان منتميا الى احدى الطرق الصوفية ، وننتقل معه من مسجد ابو حجر الى خوند بركة الى الحصرى الى سيدى الاربعين ، يبدأ الامر بالجلوس فى حلقة دائرية ، ويبدأ الانشاد الموقع ، ثم يقف كل افراد الحلقة يشاركون فى التوقيع الصوتى وترديد كلمات الذكر واسماء الله ، والحمد والتسبيح ويتصدر الحلقة اقدمهم فى الطريقة هو الذى يقود الانشاد والايقاع ، الذى سرعان مايتحول الى اهتزاز الاجساد مع الاسراع فى نغم الانشاد وايقاعه .. الى ان تتحول الكلمات التى تخرج من الافواه الى مجرد مقاطع صوتية الى كل مايريدون قوله .

وعندما تنتهى الحلقة يجلسون الى ما أعده الداعى لهم من طعام هو فى غالب الامر ثريد اما من مرق اللحم مع قطع اللحم ، واما من مرق العدس او مرق الفول



المنبت .. وهذه الاجساد التى مرت بهذه الرياضة العتيقة طوال هذا الوقت ترغم اصحابها على الانقضاض على الطعام فى سرعة وشراهة . كثيرا ماكانت تمنعنى من المشاركة مكتفيا بمراقبة هذه المباراة الحامية فى الاتيان على مافى الاطباق الكبيرة من طعام .

وكانت هذه الصورة بالذات لاتفارقنى فى ليلى ، وتعود اجزاؤها وتفاصيلها تغزو خيالى ، وتملأ عقلى ، الرجال اصحاب اللحى ، والرجال اصحاب الشعور الطويلة ، وهذه الاهتزازات الموقعة والاصوات المتداخلة وهى تعلو فى صحن المسجد الصغير الخافت الأضواء غالبا ، والاجساد تتحرك فى عنف ، كل الاعمار من الشيوخ الى الكهول الى الشباب الى الصبية ، وكنت اشارك ولم اكن الا طفلا ..

ولكن هذا الطفل ـ بفضل الشيخ زكى ، تفتح على وجوه من النفس والحياة رسبت فى قلبه حب هذا الانسان البسيط الكادح اللاهى الضاحك المتدين شخصية ابن البلد حيث تمتزج فى اعماقه معانى الحب والوفاء والكرم، بمعنى الرهبة والعبودية والخشوع ، وحيث يرتبط بالامس واليوم فى مزيج متحد ، قوامه المعرفة المتلحة بكل حكمة الاجداد وثقافة الامس ، ومع ممارسة اليوم مع الحياة والناس .. هذا المزيج الشعبى المتجانس وان كانت مكوناته غريبة ومتناقضة ، هى التى جعلت من هذا الانسان نموذج الطيبة والجد والرقة والرهافة والارتباط بمعنى الفن والشوق الدائم الى الثقافة والمعرفة ، ومتعة الجسد والروح معا .

بقلم: حسين أحمد أمين

ابن جبير

١١٣٥ - ١٢١٧ م

رحالة اندلسي، يعتبر كتابه عن رحلته من الناحية الفنية ذروة ما بلغه ادب الرحلات في التراث العربي. عمل بعض الوقت كاتبا لحاكم غرناطة من الموحدين، ولم يلبث ان كسب الشهرة ككاتب وشاعر. وقد وصلتنا بعض الرسائل النثرية التي كتبها وقصائد متفرقة من ديوانه. غير ان رحلته هي التي ضمنت له مكانة مرموقة في الأدب الجغرافي.

غادر غرناطة وهو في الثامنة والاربعين بقصد الحج، فمر بسبتة، ثم سارت به السفينة بمحاذاة سواحل سردينيا وصقلية حتى دخل ميناء الإسكندرية. ومنها ركب النيل إلى القاهرة، فصعيد مصر، فمرفأ عيزاب على البحر الأحمر، عابرا إياه إلى جدة، ثم إلى مكة حيث اقام نحو ستة اشهر. ثم مر بالمدينة في طريقه إلى الكوفة، وزار بغداد وسامراء والموصل وحلب، ثم دمشق التي أمضى بها بضعة اشهر، (كانت معظم سواحل الشام وقتها في يد الصليبيين). ومن ميناء عكا استقل ابن جبير سفينة للصليبيين قاصدا صقلية، ومصادفا في طريقه الكثير من الأهوال والمشاق مع إشراف السفينة على الغرق. وفي ابريل عام ١١٨٥ عاد إلى غرناطة بعد غيبة دامت عامين وشهرين.

ومن الجلي أن انطباعاته عن المشرق كانت قوية جدا، وانعكست في قصيدة طويلة كتبها يشيد فيها بصلاح الدين الأيوبي الذي تعلقت به آنذاك انظار المسلمين. فما مضى عامان حتى سمع ابن جبير بخبر استيلاء صلاح الدين على القدس، فإذا هو يخرج في رحلة ثانية لمدة عامين (١١٨٩ ـ ١١٩١)، ولكن لم يكتب عنها كتابا كما فعل عقب الرحلة الأولى. كذلك فإننا لا نعرف عن السنوات

الأخيرة من حياته سوى أنه قام برحلة ثالثة إلى المشرق وهو شيخ كبير حزين على وفاة زوجته ، ولم يعد إلى الأندلس مرة أخرى ، بل أمضى أكثر من عشر سنين يتنقل بين مكة وبيت المقدس والقاهرة ، مشتغلا بالتدريس والأدب ، إلى أن وافته المنية بالإسكندرية عام ١٢١٧ .

أما كتابه عن رحلته الأولى فله أهمية قصوى فى تصوير حياة عصر ابن جبير . فهو يقدم وصفا حيًا لمصر والشام وقت أن بدأت فيهما حركة التحرير الإسلامية ضد الصليبيين بزعامة نور الدين فصلاح الدين . وهو فى هذا شبيه إلى حد كبير بمذكرات الأمير أسامة بن منقذ "كتاب الاعتبار" ، بالرغم من الاختلاف فى المنهج وطريقة العرض . كذلك فإن للرحلة قيمة فريدة فيما يتعلق بتصويره لحياة مسلمى صقلية ، والآثار الجزيرة ، وأبلاط النورمان الذين كانوا يحكمونها .

ويمتاز ابن جبير بقوة ملاحظة نافذة ، كما يمتاز على ابن بطوطة برفضه تصديق الخرافات والحوادث الخارقة مما سمعه أثناء رحلته . فإن كان وصفه المفصل للمبانى والآثار مملا للقارىء العادى ، فإن أسلوبه يمتاز بالكثير من الحيوية وسهولة التعبير ، كوصفه لجمارك الإسكندرية وما يتعرض المسافرون فيها من عناء ومشاق



وإهانات ، أو وصفه لكارثة السفينة عند سواحل صقلية . أما عرضه العام فيستهدف الصنعة والأناقة ، وهو أحيانا يلجأ إلى السجع دون إفراط فيه أو مبالغة ، ودون أن يكون على حساب المعنى والسرد . فهو إذن كتاب رفيع الأسلوب ، شيق القراءة ، قد أفاد منه فائدة كبرى الجغرافيون والمؤرخون بعده ، من أمثال العبدرى ، وابن بطوطة ، وابن الخطيب ، والمقريزى ، والمقرى التلمسانى ، وغيرهم ، ممن أنتطفوا فقرات

طويلة من كتابه فى مؤلفاتهم ، مع نسبتها احيانا إلى ابن جبير ، وأحيانا دون ذكر لاسمه

المقريزى

١٣٦٤ - ١٤٤٢ م

أعظم المؤرخين المصريين فى النصف الأول من القرن التاسع الهجرى . ويكفى دليلا على ذلك أن فطاحل هذا الجيل من المؤرخين فى مصر كانوا تلاميذ المقريزى ، مثل ابن تغرى بردى ، والسخاوى ، وأن ابن حجر العسقلانى وبدر الدين العينى لم يوجها كل عنايتهما إلى التاريخ ، كما فعل المقريزى ، بل كانا محدثين اكثر منهما مؤرخين

وقد أقل المقريزى لهذه الزعامة إنتاجه الضخم الخصب ، وأنه كان عالما بكل ما تحمله كلمة عالم من معنى ، يحب المعرفة لذاتها ، ويجد المتعة فى البحث والدراسة والاستقصاء ، فهو ينص فى مقدمات الكثير من كتبه على أنه لم يقدم على تأليفها استجابة لطلب أمير أو عظيم ، وإنما كتبها إشباعا لذاته المتطلعة إلى الاستزادة من العلم والمعرفة ، ولمن يريد أن يشاركه هذا النزوع نحو العلم . ونلاحظ أن المقريزى فى كتبه لم يكن - كالكثيرين غيره - مؤرخا راوية فحسب ، بل هو مؤرخ مبدع أيضا ، يناقش الأحداث والموضوعات ، ويدلى بآرائه الخاصة ، ويشرح الأسباب ويقترح العلاج ومعلوماته فى هذه الكتب وثيقة أكيدة تدل على قراءة واسعة ومعرفة متثبتة ، وفكر واضح منظم ، ومنهج علمى سليم ، وساعده على ذلك لأمور كثيرة ، منها :

- أنه كان تلميذا للمؤرخ الفذ ابن خلدون .
- أنه كان يملك مكتبة ضخمة فى مختلف أنواع العلم والمعرفة المتداولة فى عصره
- أنه ولى وظائف كثيرة مختلفة مكنته من التعرف على دولاب الحكومة وكيف يُدار ، وعلى مختلف النظم الإدارية والمالية ، وعلى أحوال الشعب الاجتماعية والاقتصادية
- اشتغاله بعلمى الحديث والتاريخ ، وهما علمان يعتمدان أصلا على الجرح والتعديل ، والنقد والتحليل ، والتثبت من صحة كل قول أو رواية أو حقيقة علمية

اما مؤلفاته فنوعان :

كتب أو كتيبات صغيرة ألف معظمها فى أخريات حياته ، وهى لا تقتصر على تاريخ بل تمثل أنواعا مختلفة من العلوم ، مثل

"النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم" ، "البيان والإعراب فيمن نزل أرض مصر من الأعراب" ، "إغاثة الأمة بكشف الغمة" (وهو عن تاريخ المجاعات فى مصر) ، "الأجسام المعدنية" ، "الأكيال والأوزان الشرعية" ، "إزالة التعب والعناء فى معرفة حلّ الغناء" ، إلى آخره .

ومؤلفاته كبيرة فى التاريخ ، منها ماهو فى تاريخ العالم "الخبر فى البشر" ، ومنها ماهو فى التاريخ الإسلامى "إمتاع الأسماع" ، وأكثرها ما عنى فيه بتاريخ مصر الإسلامية من نواحيه العمرانية والسياسية والبشرية ، وهى أعظم كتبه جميعا .

بدأ دراسته لتاريخ مصر بكتاب "أخبار مدينة الفسطاط" الذى يتناول هذا التاريخ من الفتح العربى إلى قبيل تأسيس الدولة الفاطمية ، تبعه كتاب "اتعاظ الحنفاء بأخبار الخلفاء" فى تاريخ مصر زمن الفاطميين ، ثم وصل ذلك بذكر من ملك مصر بعدهم من الأيوبيين والمماليك التركية والجركسية إلى زمنه ، فى مؤلف مستقل رائع سماه "السلوك لمعرفة دول الملوك" . وقد انفرد المقريزى فى هذه الكتب بإيراد الكثير من الوثائق والحقائق



التاريخية التى لا نجد لها ذكرا عند غيره من المؤرخين ، ونقل فيها كذلك عن كتب كثيرة فقدت ولم تصل إلينا ، أو عن كتب لا تزال مخطوطة .

ومن روائعه الأخرى موسوعته الكبيرة "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" ، وهى المعروفة اختصارا باسم "الخطط المقريزية" وفيه أرّخ المقريزى للمدن المصرية الهامة ، وما تضمه من خطط وحارات ودروب وأزقة وأسواق ، وما تناثر فيها من دواوين ودور مشهورة وقصور ، وما تحويه من مساجد وكنائس ، ومكتبات ومدارس ، ودور للحكمة والعلم ، مع تعرض لبعض الشخصيات التى ساهمت فى عمران هذه المدن أو إقامة هذه المنشآت ، فيترجم لها ترجمات مفصلة حينا ، وموجزة فى معظم الأحيان

وهو فى هذا المؤلَّف الفريد الخصب يظهر شعورا مبكرا بالوطنية المصرية ، وإحساسا عميقا بحبه لوطنه مصر يقول فى مقدمته :

"... مصر هى مسقط رأسى ، وملعب أترابى ومجمع ناسى ، وموطن خاصتى وعامتى ، فلا تهوى النفس غير ذكره ، ومازلت مذ شذوت العلم ، أرغب فى معرفة أخبارها ، وأهوى مساءلة الركبان عن سكان ديارها ، فقيدت بخطى فى الأعوام الكثيرة فوائد قلما يجمعها كتاب ، فأردت أن ألخص منها أنباء ما بديار مصر من الآثار الباقية عن الأمم الماضية ، والقرون الخالية" ...

وهو شعور وطنى سبق به المقريزى عصره ، ولا نجد له شبيها حتى منتصف القرن التاسع عشر حين خرج الشيخ رفاعة الطهطاوى بكتابه "مناهج الألباب

أنت والهلال

• الأدب والدعاية •

● لم تعد شهرة الأديب أو مدى انتشار كتبه ، أو مقدار ما يحصل عليه من جوائز الدولة التشجيعية أو التقديرية دليلاً على النبوغ أو التفوق . كما لم يعد انحسار الشهرة والذيوع دليلاً على عدم التفوق أو فقدان الجودة ، لأننا في زمن انعدمت فيه المقاييس الموضوعية والأحكام النزيهة ، والعبقري هو من يمتلك الدعاية التي ترفع من تشاء وتخمل من تشاء ، وتطيل لمن تشاء .

ومن الجلي أن كل أدب محتاج إلى سلطان ، متمثلاً في أجهزة الدعاية وإلا فهو محكوم عليه بالموت . وعلى ضوء ذلك كله لا تغتر الناس في هذه الأيام بما تقوله الدعاية عن عملاق الفكر الفلاني ، والشاعر الكبير العلاني ، وعن زيد رائد القصة ، وعبيد رائد الرواية ، وحماد جهبذ نقاد العصر ، فلقد فقدت هذه الكلمات مدلولها .

وهكذا تبدو العبارة التي تقول (إن الأدب الجيد يفرض سلطانه) غير كافية في التعبير عن حقائق الأمور في هذه الأيام التي غابت فيها الأحكام العادلة . وصار إعلان الكلمة أو حجبها بأيدي الأقوياء وحدهم . فكم من أديب ومفكر ألمعي لا يكاد يسمع به أحد ، وكم من متشاعرين هم اليوم حديث الرائح الغادي .

إن كثيراً من الباحثين المسلمين مازالوا مشغولين عن أدبهم ، ومن العجب أن نرى العديد منهم منصرفاً إلى إعداد الدراسات الأدبية أو النقدية عن شاعر ماجن أو كاتب منحرف ، بينما يهمل أصحاب الكلمة الطيبة الصادقة .

كم دراسة أعدها الكتّاب المسلمون عن إمرء القيس وأبي نواس وبشار بن برد وشاكر السياب ونجيب محفوظ وغيرهم من أصحاب الفكر المستورد ؟ وكم دراسة أعدت عن حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة وسيد قطب وعلي الطنطاوي ونجيب الكيلاني وعلي أحمد باكثير وغيرهم من أصحاب الكلمة الشريفة . ترى أهو الجهل بهويات الناس الذين يتحدثون عنهم ؟ أم أنهم سقطوا تحت بريق الدعاية وجاذبية الأسماء ؟.

إن على صاحب القلم المسلم أن يتقي الله فيما يقول وأن يحاسب نفسه ألف مرة قبل أن يمسك قلمه ليكتب كلمة عن أديب يسخر من الأنبياء والرسل ويذيع فاحشة بين الناس ـ وأن يتذكر أن الكلمة شرف وأمانة .

ولا يردبن أحد مع أصحاب الشعارات المضللة قائلاً (إنها حرية الفكر) فهذه الحرية صارت حكراً على أصحاب الآراء المنحرفة والكلمة الزائغة ، وأما إذا عبر الأدباء المسلمون عن أفكارهم أو سجلوا تصوراتهم على الورق ـ سحبت حرية الفكر من القاموس . وخنقت تلك الكلمات في مهدها لأنها رجعية لا يجوز إعطاؤها أي حظ من الحرية والنور .

سعد الدين ناصر حسن
أستاذ الفقه بمعهد طهطا

● تعليق الهلال :

- لم نحذف من رسالتك هذه إلا الكلمات الجارحة عن يوسف إدريس وصلاح عبد الصبور والفيتورى ونجيب محفوظ وغيرهم . فإن كلماتك عنهم تقع تحت طائلة القانون ، وقد تركنا لك سائر الرسالة بما احتوته من عنف !.. وانت تقول إن امرأ القيس وبشارا وابا نواس والسياب ونجيب محفوظ هم من اصحاب الفكر المستورد ، فمن أين استورد امرؤ القيس وبشار وابو نواس افكارهم ؟!.. وهل تريد أن تكون كل الكتابات مقصورة على شخصيات دينية ؟!.. وانت تعرفنا بنفسك فتكتب تحت اسمك : "ليسانس شريعة وقانون - ماجستير فى الفقه المقارن من الأزهر" .. فهل تظن أن اللغة العربية خالية من كلمات تحل مكان كلمات اوربية - لاهوتية الأصل - مثل ليسانس وماجستير ودكتوراه ، وهى الألقاب التى تتحلى بها انت وزملاؤك الأزهريون الآن وترفضون أن تتخلوا عنها مع أنها كلمات مستوردة ؟!

● يادولة الشعر اسلمى ●

الشعـر يجرى فى دمى ... وللقـوافـى انتمــى
هـذى القوافى هذبـت ... نفسى واضحت بلسمى

لكن ركب الشعر يمضى فى طريق مظلم
يجتـاز امـوالا ولا ... يـدرى بـماى يحتمـى

حتـى وصفنا كل « شعـرور » بـدا بالملهم
مـن يطلق الأشعار من ... قيـد المغيـر الغاشم
ونحــن نشــدو مثلــه ... يادولـة الشعـر اسلمى

عبده محمد سلطان - الجيزة - اوسيم

● قارئة مصرية مهاجرة ●

● هذه هى أول رسالة اكتبها لمجلتكم الحبيبة ، وهى ايضا أول رسالة اكتبها لأية مجلة ؛ فقد كان تعاملى مع المجلات والجرائد مجرد القراءة فى الأشهر القليلة التى كنت أقضيها فى القاهرة ؛ فطبيعة عملى كانت تتطلب منى البقاء بعيداً عن الوطن شهوراً طويلة كل عام ؛ فأنا مدرسة لغة



انجليزيه ـ وهذا ما جعلنى أيضا أبتعد عن لغتى الام ؛ فرغم اننى كنت أعمل فى دولتين عربيتين (الكويت ثم عُمان) إلا أن الثقافة هناك باهظة التكاليف جدا وأغلى بكثير مما هى عليه فى مصر ؛ وهذا بالإضافة إلى ندرة أعمال أدبائنا المعروفين ، ويكفى أن أذكر لكم أننى اشتريت يوماً قصة لأديب مصرى ، وكان سعرها (٣٫٥ ريال عمانى) أى حوالى ١٨ جنيهاً مصريا ، وهذا ما لا تتحمله ميزانيتى أو ميزانية أى شخص مهتم بالثقافة ، فليست الثقافة أهم من الخبز دائما .

إن مصادر الثقافة بالنسبة لى كانت : أولا مكتبة المدرسة وهى كمكتبة لمدرسة إعدادية لا تحتوى إلا على الكم الثقافى المطلوب لفتيات فى سن الطفولة والصبا (حتى سن الخامسة عشرة) وثانيا : المكتبات العامة (فى الكويت فقط) وهى تسمح لى بالقراءة ولا تسمح بالاستعارة الخارجية الا للمواطنين الكويتيين فقط ، وكانت طبيعة عملى لا تسمح لى بالبقاء فى المكتبة طويلا ، وثالثا : الشراء ، وهذا هو المجال الوحيد والأبهظ تكلفة المتاح امامى ، فلم أجد سواه لأسلكه ولكن ليس دائما ، فكنت عادة أصطحب معى من القاهرة بعض الأعمال الأدبية العربية والانجليزية لأتسلى بقراءتها طوال العام ؛ وإن كان هذا أيضا يعنى زيادة كبيرة فى وزن أمتعتى .

ولكن كل هذا لم يبتعد بى عن الثقافة فكنت أحاول بعض محاولات شعرية وقصصية ، واشتركت مرة فى مسابقة القصة القصيرة ومرة القصة الطويلة بنادى القصة وفزت بالمركز السابع فى القصة الطويلة فى العام الماضى وكنت ايامها خارج البلاد فلم أحضر حتى لمناقشة أخطائى .

وأخيرا عدت لوطنى وتسلمت عملى بإحدى الشركات وأحاول الآن أن أبدأ حياتى الثقافية من جديد .

وهاأنذا ابعث إليكم بإحدى محاولاتى الشعرية ، ولا أطمع فى نشرها ولكنى أطمع فى نقدها فأنا فى حاجة لمن يأخذ بيدى ويدلنى على أخطائى كى اتجنبها ، ومعذرة إذا كنت أطلت عليكم وأعدكم أن تقصر رسائلى القادمة وألا تنقطع ، كما أرسل بأحدث محاولاتى القصصية كتبتها للاشتراك بها فى مسابقة الهلال للقصة ..

حنان حسن محمد عبدالعال
شارع القناطر ميدان صلاح الدين بمصر الجديدة

● تعليق الهلال :

ـ مرحبا بك أيتها القارئة المخلصة للقراءة فى الوطن والمهجر ، ولا نظن أن المخلصات للقراءة كثيرات الآن .. أما محاولتك الشعرية فإنها طيبة حقا ، ولكن تنقصك معرفة الأوزان ، فهذه المحاولة نثر لا شعر موزون ، أما قصتك فانتظرى بشأنها رأى لجنة المسابقة ..

● أحبك .. ياعمرى ●



وكتبت « أحبك ياعمرى »
وسط السطر
وكتبت بحبك أيام العمر
وكتبت به أحلى الشعر
وكتبت كتبت كتبت بحبك - إن تدرى -
فوق الورق ... فوق الصخر
ورسمت به وجه الدنيا وقت الفجر
لكنى حين أردت أعبر عن مجرالك فى شعرى
سكت القلم .. جفت فيه نقط الحبر

عبد العزيز الشراكى
تربية المنصورة - قسم اللغة العربية

● وداعا أيها الشعر ●

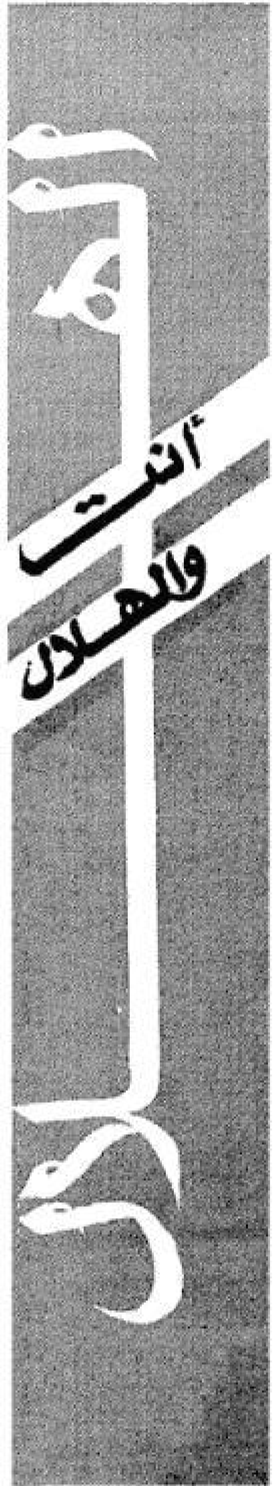
● من أهم أسباب "موت القيم" الآن ما نراه من تراكم المنابر الثقافية غير المسئولة وغير الجادة ، وإعطاء بطاقات مزورة مؤقتة أو دائمة ، لمن لا هوية أدبية لديهم ، ولمن مازالوا يبحثون عن اعتراف .. حالة من الفوضى وانعدام التوازن . حالة من التطاول والانتفاخ حتى الورم ، حالة من الهوس الطفولى والهذيان . حالة من القفز على أسطحة الثقافة والرقص فوقها . حالة من اللاقيم ، ولذلك ومن أجل ذلك ومن منبر مجلة الهلال أعلن استقالتى من "جمهورية الشعر" وآه ياعصر الرؤى المنقلبة فقد انتصرت كل الأخطاء !

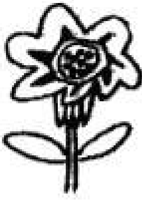
عبد الناصر عبد الرحيم أحمد
السويس

● اختنــاق ●



من وقت لم يطرق باب الزهرة عطر
لا يأتى طير للفرع الأصفر
لم تهبط فوق دروبى ومضة شوق ..
فى وحشة ليل لم يبزغ فيه ضياء
كنا نشتاق للحظة شوق تسرى نهرا فى الأعراق
كان الفجر يبث الأضواء
نحلم بالأمل الذابل يخضر





يخرج افراحا من سرداب اليأس
فى وهج الحس الطالع للشمس
خط الصوت الرافض حرفا ينزف هجرا
تاه الحلم الأخضر فى الأعماق
كان الكبت يزلزل فينا الرغبة
يقتل نبت الحب الطالع فى وجنات الصبح
راح البدر غريقا فى انهار الغربة
والعشق سرابا للأحباب
ياصوت الفجر الآتى عبر خيوط الظلمة
ارجع لى ذاتى قبل نماء الشوك النابت من اغصان الغربة
ارجع لى لون البشرة
يامن جئت تبث الوجد
ارجع لى لون عيونى الباهت من عصف الإخفاق
ارجع لى من ايامى فصل ربيع

مديحة ابو زيد

• رد على الدكتور فؤاد مرسى •

لم اتعود الكتابة تعليقا على المقالات التى اقرؤها فى مجلتكم العريقة . لكننى هذه المرة لم أستطع أن اتخلى عن الالحاح الذى هيمن على بعد ان قرأت مقال الدكتور فؤاد مرسى بعنوان "لندع التاريخ يتكلم" وسبق للدكتور فؤاد أن كتب عدة مقالات لم افهم منها الا أن سيادته قبل أن يتعامل مع الرئيس السادات (رحمه الله) من منطلق النضال ضد الاستعمار وبالتحديد للوصول الى حل للصراع العربى الإسرائيلى . وقرأت ضمن ما قرأت تعبيرات نسيناها تماما وهى : قوى اليمين ـ الإمبريالية ـ المكتسبات الوطنية والتقدمية ـ اليسار الناصرى ـ وهى تعبيرات صارت مع الزمن قاموسية ، ولكن سيادته يصر عليها ..

وقد حيرتنى محاولته الجادة لتبرئة ساحته من جرم التعاون مع السادات . وكأنه يتعاون مع عميل أو خائن واعتقد ان السادات لم يكن بحاجة الى خدمات الدكتور فؤاد مرسى الجليلة والتى لم نسمع عنها قط وربما كانت خدمات خاصة لم تجد من يعلن عنها وهو ما حدا بسيادته أن يسرد لنا تفاصيل حديثه لصحيفة النهار حينا وتلخيصه حينا آخر . فهل يريد الرجل أن يوهمنا أنه أملى شروطه على السادات أو قبل العمل معه بأيديلوجية معينة ؟!.. سوف أصف نفسى بالسذاجة لو تسرب لى هذا الوهم !.

ربما حاول الدكتور أن يدعى دورا مهماً فى مقاومة ما اسماه هدف

الإمبريالية الأمريكية التى تسعى الى استمالة أجزاء مهمة من القوى الوطنية وتستخدم فى مسعاها أسلحة إغراء مثل شعار "الحل السلمى" وشعار "التنمية والرواج" . وأعتقد أن أسلحة الإغراء التى رفضها الدكتور ببعد نظره هى اليوم شعارات الأمة العربية كلها : الحل السلمى .. التنمية .

والهدف الثانى الذى تصدى له الدكتور بالمقاومة هو "شق صفوف القوى الوطنية وبذر الشقاق بين فئات وتعميق هوة أى خلاف يطرأ بين هذه القوى" . ولعله نسى أن هدف السادات حينئذ كان التخلص من تلك الفئات التى أسمت نفسها القوى الوطنية ولولا تخلصه منهم لما كان له أن يتخذ القرارات المصيرية .

وكنت أود أن يشرح ماهى محاولات الامبريالية ؟ وماهى قوى الثورة المضادة ؟ وماهى معالم القضية الوطنية فى نظر سيادته ؟

ولكن السؤال الذى أود منه أن يجيب عنه هو ماهو الذى تحقق فى بلادنا بعد مايو ١٩٧١ . وهل ما حدث فعلا بعد هذا التاريخ هو تأكيد لمخاوف الدكتور وتوقعاته ؟!

فهل كانت من المخاوف طرد الخبراء السوفييت أو العبور العظيم أو الحل السلمى ..

إذا كانت فعلا تلك هى المخاوف التى كان يخشاها الدكتور فإن محنة اليسار بلا شك هى أنه لا يفرق بين الشعارات وواقع الأمر .. وهى بلا شك السبب المباشر فى تلك الحالة التى تردى اليها اليسار عندنا وهى أنه مازال يتوهم أن هناك قوى إمبريالية تسعى لزعزعة القوى الوطنية .

ارجو الا اكون قد اطلت . وما دفعنى إلى ذلك الا غيرتى الشديدة على المجلة التى ساهمت فى صقل ثقافتنا على مر السنين .

حمدى عبدالله البطران
ابو جبل تيلى ديروط - اسيوط

● تعليق الهلال

- انت تتخذ موقفك فى جانب واحد تسند إليه الصواب كله ، وتجرد منه الآخرين ، حتى إنك تنكر وجود شىء اسمه الإمبريالية ، ولا ترى من ظلال الامبريالية إلا الخبراء السوفييت الذين كانوا يدربوننا على الأسلحة التى تلقيناها منهم وعبرنا بها ، ولا شك ان إنكار وجود شىء اسمه الامبريالية ، يقودنا بالضرورة إلى انكار وجود شىء اسمه الصهيونية الاستيطانية المغتصبة لأرض فلسطين ، وانكار وجود العنصرية فى جنوب افريقيا ، وانكار الاستعمار الاقتصادى عن طريق الديون وفوائدها الجنونية الخ .. ولا اظن اننا نستطيع أن ننكر وجود الاصل ، ثم لا ننكر وجود فروعه الكثيرة !..

أنت والهلال

● شعراؤنا المنسيون ●

« ١ » محمد السيد شريف

● ولد شاعرنا فى ٢٨ ابريل سنة ١٩٣٠ بالجزيرة الشرقية احدى قرى المنوفية وحصل على كفاءة المعلمين سنة ١٩٤٩ ، وكان اول دفعته وعين مدرسا بالقاهرة ثم حصل على دبلوم الخطوط ودبلوم المعلمين الراقى وأشرف على تحرير « صحيفة المعلمين » وهو طالب وعرف انتاجه طريقه الى الصحف منذ عام ١٩٤٩ .

نشر معظم انتاجه بالبلاغ والمصرى والمساء والمعلم الأول والأهرام اذاع بعض قصائده بالأذاعة المصرية سنة ١٩٥٢ .

اصدر مجموعة « أناشيد الثورة ومسرحياتها » عام ١٩٥٦ وقد طبعه مرتين ترجمت اشعاره الى اللغات العالمية ونشرت بكبريات الصحف كصحيفة « لويز دوتيشلاند » بالمانيا الغربية وقد كتبت عن ذلك جريدة الجمهورية فى ٧ يوليه ١٩٦١ .

عضو وفد الجمهورية العربية المتحدة فى مؤتمر كتاب اسيا وافريقيا من عام ٥٢ الى عام ١٩٧٠ ، كتب عنه فى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب فى التقويم الذى يصدره عن الشعراء ونشر جانبا من انتاجه عام ١٩٦٠ له ديوان آخر تحت الطبع ومجموعة من الاناشيد والمسرحيات ، وله ديوان صدر « يقظة العمالق » ..

« ٢ » بطرس ابراهيم

● ولد شاعرنا فى اسيوط عام ١٩٠١ وقد تلقى دراسته فى القاهرة وتدرج فى سلك الوظائف الحكومية نحو اربعين عاما وعشق الأدب والشعر منذ نعومة اظافره قرأ للشعراء الاقدمين والمعاصرين ولقد قدم لديوان الذى نحن بصدده المرحوم الناقد الكبير مصطفى عبد اللطيف السحرتى حينذاك ورئيس رابطة الأدب الحديث وكان شاعرنا عضوا بها وكتب له مقدمة ثانية فى الديوان الاستاذ الدكتور والناقد الكبير.

محمد عبد المنعم ولقد نشر معظم قصائد الديوان فى البلاغ والسياسة والمقتطف والأهرام والهلال .

وقصائده تنم عن ملكة موهوبة وشاعرية خصبة وموهبة صادقة الاحساس بالجمال .

رجب عبد الحكيم بيومى الخولى
ليسانس لغة عربية ـ القاهرة

• مع أصدقائنا •

● مصطفى خليفة حافظ ـ المحامي :
ـ تعليقكم على مقالة الدكتور فؤاد زكريا حول أزمة اليسار المصري ، أحلناه إليه ، لأن الحوار قد انتهى في المجلة حول هذا الموضوع .
● حسين محمد أبو غوش ـ عمان ـ الأردن :
ـ شكواكم من صعوبة نشر دواوين الشعر فى بلادكم ، هى نفسها الشكوى فى مصر وسائر البلاد العربية ..
● جمال الشاوري ـ طنطا :
ـ أنت على حق فى استنكار جهل بعض الأدباء الناشئين باللغة العربية ، فلا يمكن أن يعبر الكاتب عن أفكاره إذا كان يجهل اللغة التى يعبر بها ، والادعاء بأن العلم باللغة لا ضرورة له ، هو نوع من المكابرة والجهل المركب !..
● يوسف عبد العزيز علي ـ كلية الآداب ـ قنا :
ـ ندوة الشعر السنوية فى الهلال لا تقام فى ديسمبر ، بل تقام عادة فى الربيع .. وقد سررنا بتلقى قصيدتك "كنت أحلم" .
● خالد محمد علي برير ـ بالثانوية الأزهرية :
ـ قصيدتكم "خداع" قرأنا عنوانها بصعوبة لأنك جعلته رسما غير واضح .. أما القصيدة فتنقصها الأوزان .. ولا شك أن لديك فرصة لمعرفة الأوزان فأنت مازلت ـ كما تقول ـ فى الثامنة عشرة من عمرك .. وفقك الله ..
● عزة يوسف ـ ملوى :
ـ اكتبى على وجه واحد من الورق بخط واضح .. أما قصتك "الرجل والماضى والحرمان" فهى محاولة أولى نرجو أن تتبعها محاولات أخرى طيبة ..
ونشكر لأصدقائنا السادة : صلاح عبد الستار الشهاوى .. محمد فتحى غريب .. رضا ابراهيم عبد المعطى .. زغلول توفيق .. جمال الشورة .. وحيد غنيم .. عاصم فريد البرقوقى .. محمود عبد المجيد أحمد .. رفعت محمد بروبى .. إيمان محمد على .. أمانى محمدجودة .. وائل محمد جاويش .. جمال عطا أحمد .. وفاء وديد ... أيمن فاروق فؤاد .. عبد المقصود السعيد عبدالمقصود .. سيد أحمد جاد محمود . محمد أحمد محمد ـ أحمد فهمى غنيم .. ناهد محمود أبو سمرة .. محمد محمد حسانين .. زارع عبد الراضى رضوان .. أحمد رجب شلتوت .. زينب عبد الحميد شعيب .. عبد الله السمطى .. رمضان عبد اللطيف حامد .

إقرأ .. فى عدد قادم :
الفقيه المجدد **الشيخ محمد الغزالى**

الكلمة الأخيرة

حزب الخضر .. ومجلة نون

ليس من حق الحكومة بعد الآن أن تشكو من أن الناس ينتظرون منها أن تحل لهم كل مشاكلهم ، دون أن يبذلوا هم أى جهد لحلها . ذلك انه كلما حاول الناس أن يفعلوا شيئا لحل مشاكلهم صدتهم الحكومة ووقفت في طريقهم .

فمنذ شهور قليلة رفضت الحكومة السماح لبعض الأفراد بتكوين حزب يسمى " حزب الخضر " هدفه مكافحة تلوث البيئة والارتفاع بنوعية الحياة . مع انهم لم يطلبوا من الحكومة مالا أو عتادا ، بل طلبوا منها فقط أن تتركهم وشأنهم اذا ارادوا توعية الناس بمشكلات البيئة ، وهم لا يستهدفون الوصول للسلطة بل تكوين جماعة تتصدى لمختلف أوجه النشاط المهددة للبيئة .

فى نفس الشهر رفضت الحكومة السماح لصفوة من المثقفات والمثقفين المصريين بإصدار مجلة دورية باسم " نون " تتبنى قضية المرأة المصرية وتدافع عن كرامتها ، فاضطروا إلى إصدارها بشكل غير دورى وقصر توزيعها على الأصدقاء . دون أن يكون لهم حق عرضها للبيع .

والغريب أن كلا المطلبين اللذين رفضتهما الحكومة هما من أقرب المطالب لما تنادى به الحكومة نفسها فالدفاع عن البيئة تعتبره الحكومة من أهدافها ، والنهوض بالمرأة المصرية والدفاع عن حقوقها من أكثر الوسائل فعالية فى التصدى لمشكلة الانفجار السكانى التى تعتبرها الحكومة أولى القضايا بالاهتمام .

وكلا المطلبين من أنبل ما يمكن أن يطالب به أحد فى مصر اليوم : الدفاع عن البيئة فى مناخ يسمح فيه بالقيام بأى عمل إذا كان باسم التنمية ، والدفاع عن كرامة المرأة فى مناخ تلقن فيه المرأة أنها ليست إلا جسدا يشتهيه الرجل ويحصر تفكيرها فى هذه الدائرة . بل إن رفض هذين المطلبين يبدو شديد الغرابة فى وقت كان المفروض أن تحاول الحكومة فيه أن تساعد على سد الفراغ الفكرى الذى يواجه الشباب ويدفعهم إلى ما يسمى بالتطرف .



جلال أمين

صخر PC

طريقك للمستقبل

مجموعة متكاملة من الاجهزة لتلبيه حاجة المستخدم العربي (XT,AT,386)

البرامج المدمجة بالأجهزة :

نظام تشغيل عربي . برنامج عرض عربي . منسق كلمات عربي انجليزي فرنسي
مدقق املائي عربي . مدقق املائي انجليزي . قاموس انجليزي عربي (٤٠ الف كلمة)
برنامج البريد . حاسبة . تقويم هجري ميلادي . لغة بيسك العربية

صخر

العالمية